

المسيرة رفيع الحمل
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنيب

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المنوف ٢١٨ هـ

الناشر

رضا توفيق عفيفي

المسيرة رفع هـملاً
غفر الله له ولوالديه

الروضة الألفية

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الأول

المسيرة رفع هـملاً
غفر الله له ولوالديه

الرَّوضُ الْأَنْفُ

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

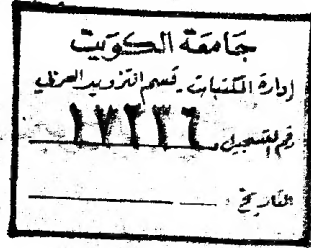
السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المنوف ٢١٨ هـ

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

يطلب من
دار الكتب الإسلامية بتونس عفيفي عام
١٤٢٠ شارب المهر في بابين - سنة ١٣٦١٠٧



حقوق الطبع محفوظة للناسخ

الطبعة الأولى

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على خاتم النبيين .

أما بعد : فحينما عُهد إلىَّ بهذا الكتاب « كتاب الروض الأنف » لتحقيقه توجهت إلى الله بالضراعة أن يهدي فكرى إلى الحق الجليل ، والصدق النبيل ، والصواب الجليل ، وأن يلهمنى البيان الذى يرف بوضاء الحق ، وإشراق الجمال ، وأن يجعل من عملى فى الكتاب صالحة أبلغ بها من رضوانه رزقا كريما به تنعم الروح ، وتهنأ النفس ، وتجمل الحياة فى الأولى والآخرة .

ليس تحقيق هذا الكتاب بالعمل الهين ، فهو عن النبي العظيم الذى به خُتمت النبوات ، والإنسان الذى أشرقت الإنسانية فيه بكاملها الأعظم ، والذى يعتبر تاريخه بعد الوحي هو تاريخ التطبيق الحق لما جاء به القرآن ، كما قالت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - حين سُئلت عن خلق النبي ، فقالت :

« كان خاتمه القرآن »

ثم هو من تأليف إمام أندلسى كبير ذهب آراؤه - فى دين كثير من الناس - مذهب الحجة الناصعة التى لا يجوز أن تُنتلق إلا بالإذعان ، ومذهب البرهان الذى يشع منه فلقُ الصبح الوضئ .

إمام بسط سلطانه القوى على الكثير من أئمة الدين في عصره وبعد عصره - لما ذهب إليه في كتابه «الروضة الأنف» - التهمينة على من قاموا بشرح السيرة ، أو الحديث عنها بعده ؛ لأنه احتشد لهذا الكتاب بكل ما كان عليه من علم وذكاء ومعرفة وريفة ، فأودعه كل هذا ، فكان أشبه «بدائرة معارف» في السيرة والتاريخ والحديث والفقه والنحو واللغة .

والكتابُ شرح لسيرة «ابن هشام» وحسبنا أن نذكر هذا ؛ فسيرة ابن هشام أجلُّ من أن تُعرَّف ، فلو لُفها - أو لمُذهبا - المكانة الممتازة التي تتألق على فوا التاريخ بآياتها الباهرة .

وأنت في هذا الكتاب تجد نفسك بين عاطفة تتوهج بالأشواق ، وعقل يرصدُ أفق الحقيقة ، عاطفة قد لا بُدَى ظمأها إلا تهويلات الخرافات ، وتهويلات الأساطير ، وعقل يستشرف الحق عُلوى السلطان ، وقد جعله الإيمان ذارغبة في أن يكون هذا الحق في وضوحه جالاً صبيح ناضر ، وألّق نور زكى باهر .

ثم أنت أيضاً قبل هذا تحت سلطان عقيدة هي المثل الأعلى للحق في صفاته وجماله وجلاله . عقيدة لا يلمح أحد في حقائقها الإلهية أنارة ما من خيال يفتنه بسحره وشعره ، وإنما يرى نورا وحياء بها يكون النور ، وتكون الحياة لكل مسلم ، لأن هذه العقيدة حق من حكيم حميد .

ثم أنت - أيضاً - أمام نصوص انتقلت إلينا عبر قرون . والأمانة تفرض علينا أن نبقها كما هي ، لنعرف الحقيقة غير مشوبة بشيء . فهذا هو الواجب في تحقيق التراث ، فلا ينزع بنا الهوى إلى تحريف أو تبديل ، فنعيد مأساة التراث حين استخفّت به اللعنة اليهودية ، فقيرت مطاله ، وأحالتها أمشاجا

من الحق والباطل ، ومن الإيمان والكفر ، ومن وحى الرحمن ، ووسوسة الشيطان ، ثم أظهرته في عماية التاريخ تزعم أنه مُطَيَّب بروح السماء . وإذا كان هذا هو المفروض علينا حيال أى تراث ، فما بالنا ونحن مع تراث يقص سيرة النبوة الخاتمة ، سيرة الإنسانية الكاملة ، وهى تسلك السبيل الأقوم على نور الوحي وهدايته ، سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو يطبق القرآن أولاً ، تطبيق وأعظم تطبيق ليكون للبشرية المؤمنة شرعاً ومنهاجاً ، يطبقه في اعتقاده وعبادته وخلقته ، وسلوكه في الحياة . كل هذا في أصدق إيمان ، وأشرف إرادة ، وأقدس غاية ونية ، فكانت سنته - عليه الصلاة والسلام - الآية على السلوك الذى به تهتدى وتشرف الحياة ، وتضىء بأعظم القيم .

وكانت سيرته السيرة التى تجذب إليها بالحب الصدوق ، والإعجاب الودود كل مشاعر النفس ونوازع الحس ، وتفرض بالحب على الفكر الحر الذى لم تُزرغه حمية جاهلية ، أو ضلالة صليبية أن يسجد خاشعاً لله الذى خلق هذا الإنسان ، واصطفاه خاتماً للنبيين .

فإذا وجدنا نصوص التراث آيات حقٍّ أحببنا التراث وأكبرناه ، وإذا لم نجد كذا فإذا فعل ؟ هذا بعض ما يُعرض من قضايا أمام العقل والقلب ، ولقد استهديت - للفصل فيها فصلاً قوياً - بهدى القرآن ، فإننا نراه يقص علينا مفتريات عبدة الهوى والإثم . ثم يكرر عايتها بالحجة التى ترهق الباطل ؛ لهذا تركت النص كما هو في شعور جملى أومن أننى لو نلت منه - حين يصدم ما أدين به - فإنى أنال من قدسية الحقيقة . هذا والإنسان الذى يكتب عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يخشى على نفسه أن تجمع به عاطفة مشبوبة أو مجنونة تسحرها خلافة التصورات التى ينتن بها الهوى عبيده ، أو يخشى عليها من شغل الفكر المغرور بنفسه ، فإن استبدت تلك العاطفة بزمامه استهواه

الشیطان واستغواه ، واستزله إلى عبادة وهم أسطوري سحری الأصبغ والألوان
 یسمیه له محمداً !! واصفا إياه له بما لله وحده من صفات كما صنع الصوفيون
 الإشرافيون أمثال السهروردي المقتول ، والحلاج وابن عربي والجليلي وابن
 سبعين والصدر القنوي ، وغيرهم ممن حكموا على محمد أنه هو الله ذاتا وصفة
 وربوبية وألوهية ، أنه هو الحق والخلق ، والرب والعبد ، أنه هو الوجه الإنساني
 للحقيقة الإلهية ، أو أنه المظهر البشري لماهية الربوبية ، أو أنه حقيقة الوجود
 المطلق في إطلاقه وعمايته وتجلياته وتعييناته وسرمديته وديموميته . وقد لا يستزله
 الشيطان إلى أعماق هذه الهاوية ، وهو يكتب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيجعله
 على أن يؤكد بالقائمه أنه يدين بالفصل بين الوجودات ، فيدين بوجود حق ،
 ويدين بوجود خاق . بوجود رب ، ووجود عبد ، ولكنه يضيف إلى هذا الذي
 تسميه عبدا أسماء وأفعالا تجعلك ترى ربا لاعبدا ، وخالقا لخالقا . إنه يزعم
 أن الله صرّف محمداً ، أو غيره في شئون خلقه ، ووهب له تدبير شئون الملك
 والملكوت ، والجبر والجبروت !! هذا الإنسان الذي يكتب هذا أو يتصوره
 إما خادع بنفاق ، وإما مخدوع بنفاق !! لقد فصل لغويا بين لفظين هما : رب وعبد ،
 وبين اسمين هما : الله ومحمد ، وظن أنه بهذا الفصل اللغوي قد نجا مع الإيمان من
 الكفر ، ومع التوحيد من الشرك . غير أنك حين تنبتلي ما يعتقده في محمده
 وما يكتبه عن محمد عبدا ورسولا ، تجده يسوى في اعتقاده تسوية تامة بين محمد
 وبين الله . لقد خدعه الشيطان عن قتلته ، فظن أنه أحياء ، ورشف من يديه كأس
 السعادة والخلود !! إن مصيره مع نفس تلك المصائر التي تردى فيها كهنته من
 قبل كائن عربي وتلاميذه .

إنك حين تقرأ لابن عربي فصوص الحكم ، ولعبد الكريم الجيلبي كتابه
 الموسوم بالإنسان الكامل ولابن الفارسي تأييده الكهري التي تدنو من

سبعائة بيت ، ستجد نعيم الحقد ، ونعيم الوثنية ، مُصَوَّرَين نفات محبة ،
وتسبيحات توحيد ، وحفيف أجنحة الملائكة في فجر الحارِب .

ستجد الزعم بأن فرعون هو الله حكمة وحُكماً ، وقهراً وملكا ، وبأن
الشیطان هو أصل من أصول الحقيقة الحمديّة ، وبأن أولئك الغواني اللاتي
سَرْنَ في التاريخ غَزَلَ فتنة ، ونسب صَبَوَات لم يَكُنْ سوى الله في
أجل مظاهره !!

كان قيس هو الله في مظهر ذكورة ، وكانت الليلى هي الله في مظهر
أنوثة . كل شيء هو حقيقة الله التي تتجلى في صور شتى ، شيخ عابد ،
وعريد جاحد ، وملك كريم ، وشیطان رجيم . فالحقيقة الإلهية تجمع في كُنْها
بين التقيضين وبين الضدين ، وبهذا تنعدم التفرقة بين الحقائق للتباينة ، أو
تلتقي المتناقضات كلها في حقيقة سموها : الحقيقة الإلهية ، أو الحقيقة الحمديّة التي
هي حقيقة الوجود ، وحقيقة العدم ، الوجود المطلق ، والوجود الثمين ، الخير
والشر ، الإيمان والكفر ، الحق والباطل ، الصدق والكذب ، وفي التعيين
البشرى هي : نوح وبنو نوح ، وهي موسى وفرعون ، وهي أبو بكر وأبو جهل !!

بين هذه المفهوم تناوحت صور الحقيقة الحمديّة ، أو صورة الوهم الذي افتروا
له اسم محمد ، وبهذا النباح تجاوزت الكلاب الشاردة ، لعلمها تطنى به على
النعمة العلوية التي تمجد محمداً ، وهو على قمة البشرية ، يشع بأنوار العبوة الخاتمة .

إن هؤلاء وأولئك عبْدُ شياطين نَزَرَتْ بهم أحقادهم ، فإذا هي تدق بهم
كل باب من أبواب جهنم .

وإن استبدّت بالكاتب عبادته لعقله في قصوره وتقصره تردّت به في

هوة سحيقة ، وهو يحسب أنه يرقى معارج السماء ! .

إنه نزاع إلى إخضاع كل شيء في وضوح الشهود ، أو في سرائر الغيب لمقاييسه العقابية ، أو — بتعبير أدق — لهواه يَبْقَى بالفتنة الخَلُوب ، فالخير هو ما يرى ، أو ما يشعر أنه خير ، وكذلك الشر ، وكذلك الحق والباطل ، وإن يَكُلُّ ذلك في مقياس الحقيقة مناقضاً لرؤيته ووجدانه .

مثل هذا المُنْتَرَفِ بعبادة العقل ، أو المسرف في الجحود ينظر إلى محمد ، وكأنما هو بشر بلا نبوة ، أو آدمي هوأه يقود توازع حِسِّه ، ويبطش بعواطف نفسه ، وبهذه النظرة يرى في محمد ما يرى الكفر في الإيمان ، وما يرى الخبث في الطيب ، وما يرى الحقد في النعم المتلاثلة الوسامة ، الناضرة الجمال .

ويقول عنه عين ما تقول العداوة في جهالتها وحقاقتها وضلالها المركومة ، ويسخر في أعماقه التي تفتح فيها أفاعية من قولنا : صلى الله عليه وسلم .

ونحن المسلمين نعوذ بالله من هؤلاء الذين أسرفوا في التجريد والجحود والحقود ، ومن أولئك الذين أسرفوا في العشق ، وعاشوا أنفصاءه ، فرأوا الوجود كله أنوثة تافح بالحرمان والصدود ، حين استبد بهم غرام جسدي لم يبرد لهم أواما ، ولم يُنْذ منهم غليلا . ولم يَقْرَ بِهِمْ في سكن .

فكان هذا التصور لمحمد ، وكان هذا التصوير منهم للحقيقة .

إن الكتابة عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — تفرض علينا أن نكون على بينة من الكتاب والسنة ، وأن نجعل ما نقول حليفاً للحق ، وولياً للصدق ، وكذلك يفرض على كُلِّ من يتصدى لتحقيق كتاب عن خاتم النبيين .

ومن هنا تتجلى لنا خطورة الأمر وجلالته ! فقد خلف لنا أسلافنا تراثاً

مكتوباً عن النبي ، لا يوجد مثيله في أمة من الأمم كتبت تاريخ زعيم ، أو قائد أو بطل ، أو نبي هومنها في مكانة الشمس من الكون ، وفي الكثير مما خلف لنا الأسلاف من تراث مكتوب عن النبي لا نلح فيه شعاعة حقٍ إلا كما نلح ومضة البرق في الليلة الداجية زكمت آفاقها الظلمات ، فلقد خيل إلى أصحاب هذا التراث أن الكذب آية حب ، وأن محمداً لا يكون عظيماً إلا بما اقترت الصابية ليسوع ، فصوروا رسول الله في صورة بشر تستكن في أعماقه ربوبية قهارة خلقة ، تهيمن على مصائر الوجود ، وأقدار كائناته ، وتجمع بين أزل الوجود ، وأيده في معرفة لا يخفى عليها شيء !! وافتروا قصصاً ، وأحاديث هي نثات يهودية ، ومفتريات وثنية ، وضلالات صليبية ، ورددت أفواه وألسن في عديد من قرون التاريخ هذه القصص والأحاديث ، وتلقفت الأجيال - خلفها عن ساقها - كل ذلك ، وقد صنع التاريخ الكذوب لمن افتروا هذه الأكاذيب ، أو لمن ردوها عن بلاهة عروشا تسجد تحتها أفسارُ أجيال وأجيال ، وتهطع في قنوت يأخذ منها كل العمر ، فتسخر لتمجيد تلك الأكاذيب كل فكر ولسان وقلم ، فصار قريننا للمستحيل أن يفكر امرؤ في نقد شيء من تراث أولئك الأسلاف بشروح هؤلاء الأخلاف ، وصارت هذه الترهات التي يمجها حتى الباطل لعوارها - تختال وكأنها درر حقائق تتلأ بأ نور الوحي ، بل صارت ، وهي أحب ما يعشق الناس مما كتب عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصارت مكانة أربابها كالزجر القاصف ، والردع العاصف لمن يهجم بالمس بكلمة حق ينقذها تلك الضلالات . والمسلم الذي يحاول أن يحل للناس سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - على نور من القرآن وهدى من الأحاديث الصحيحة . تجلوه وقد تفجرت في وجهه حمم ، ودوت في سمعه رعود ، وألوف الألسنة تهتة بالسوء ، وهي التي لم تطب لحظة بذكر الحق . إن الباطل الذي سخر هذه الأسنة ، وزكم بطون أربابها بسخته لا يجب أن يعرف الناس أنه باطل ،

لأنه بما هو عليه في عقول عبیدی الخرافة يعيش مسجوداً له ، معبوداً تساق إليه
خُرُ النعم ، وتحتشد الدنيا في باحاته وساحاته بكل ترَفها وزينتها وفسوقها
وشهواتها !! .

إنهم يريدون منه أن يقول ما قال الإشرافيون من الصوفية عن محمد
الموهوم : إن محمداً هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن . أن يقول عنه ما يقول
نمقة « الموالد » ونبجة المناوي !! « لولاه ما كان ملك الله منتظماً » !! .

أو ما قاله الوضع الأفلاك الذي اقترى أن الله قال لحمد : « لولأك ما خلقت
الأفلاك » .

أو ما قاله البوصيري :

فإن من جودك الدنيا وضربتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

وإذا كانت الدنيا والآخرة بعض كرم الرسول ، فإذا بقي لله ؟ وإذا كان
علم اللوح والقلم بعض علم محمد ، فإذا بقي لله ؟ .

يريدون منه أن يؤمن ، وأن يحمل الناس على الإيمان بأن محمداً حي في قبره
لم يمت ، وأن أعمالنا عليه تعرض ، يريدون منه أن يعتد بلا وهم وريبة في أن
قبر محمد خير وأفضل من عرش الله . والذين يريدون كماله على هذا لا يعرفون
عما جاء به محمد شيئاً . مدى معرفتهم أنه خلق من نور ، وأن المصحف لا يجوز أن
يمس على غير طهارة !! أما عن نبوة محمد ، أما لماذا في المصحف من هدى ؟ أما
هذا النور والحق والحياة فهم عنه عمون !!

بل إنهم في كثير مما تعرفه الحياة عنهم لا يذكرون محمداً إلا حين يرون
عرائس «المولود» ، وثمت ترى على الشفاه غفمةً وهممةً !!

وقد يُخيّل إليك أن هذه صلوات وسجادات ، وماهى إلا نشات من حم
شبهات !! . فماذا فعل ، لنكتب الحق ؟ .

أجبن عن المتاف الروحي الجليل بالحقيقة خشية هؤلاء اللذنين بالوعيد
الكنود ، والفتنة الحقود ؟ .

أُنذِهِن كما يُدهنون مخافة أن يُعرِ يدعلينا الباطل بهتانه وعدوانه ، أو يقترف
ضدنا المكر السيء ؟ ! .

إن إيماننا بالله ، وبرسوله — صلى الله عليه وسلم — لا كرم وأعز من أن
نُذِلَّه لدعاة إلافك ، وكهنة الزور ، أو أن نرغمه على الاستخذاء في سبيل الوصول
إلى غرض دون هو : النجاء من سلاطة جاهلية جاحدة ، أو سفاهة وثنية
حاقدة ، وإن الحق الذي يجعل من الحياة شيئاً جميلاً وعظيماً ، لأسمى من أن نأذن
لهذا الركام الأسود من الأساطير أن يزحف على أفق ضياء الحق ، لالشيء سوى
أن نكون مع ردغة الأثرية في تلطخ نتن !!

والله يهدينا بقوله : (وما أَلِكُثُ الناس ولو حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) يوسف : ١٠٣
(وإن تُطعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِيُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) . الأنعام : ١١٦

ثم إنى أتساءل : هل تحتاج مكانة الرسول — صلى الله عليه وسلم —
إلى أن ندعها بالأكاذيب ، حتى تؤيد أو نردد كل أ كذوبة اختلقت ؟

إن الذي يزعم هذا كالذي يزعم أن الحق في حاجة إلى الباطل ، وأن الصدق

محتاج - في تأييد الناس له - إلى الكذب ، وأن الإيمان يريد سنداً من الكفر ،
وأن الخير فقير إلى الشر ؛ ليهب له في الحياة مكانته .

إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - كالشمس لا تحتاج إلى دليل يثبت أنها
برزت سوى أن تراها وهي بازغة فحسب ، ومكانته أجل من أن تقترب
الكذب لنثبت به أنه صدوق . إن نوره يدل عليه ، ويثبت بلا برهان - سوى
تألقه وتوجهه - أنه حقاً يضيء ، فلنقل عنه ما قاله ربه الذي خلقه في أحسن تقويم
لنقل : إنه ما كان بدعا من الرسل ، وإنه كان بشراً يوحى إليه .

ألا وإن حق القرآن هو الحق الأول ، فهو المهيمن على كل كتاب
جاء به البشر ، أو جاء به رسول الله من عند الله ، فلنعتصم به ،
ونحن نكتب ، أو نقصد ما كتب ، ليهب الله لنا الفرقان المبين . ونحذر أن
تهيب اسماً يسحرنا تهيبه عن الصواب ، أو ندعن لسلطان ما يخادعنا ، ليلوينا
عن الحق .

وبهذه الروح أقبلت على تحقيق كتاب «الروض الأنف» (١) وفي فكري ،
وعلى قلبي حفاظ قوى على النص ، وإن وجدت فيه ما يخالف بعض ما أرى
أنه مجانب للحق ، وقد احتشدت لهذا الكتاب بكل ما أملك من جهل ،
لا أزعم أنه عظيم ، وإنما أزعم أنه كل ما أملك . وقد لقيت في سبيل تحقيقه
ما لقيت من مشاق لا أمن بها ، وإنما أضرع إلى الله أن يكون لها عند الله
حسن الثوبة ؛ فما يكون الثواب إلا على ما يرضيه سبحانه .

(١) في اللسان دروۃ أنف : لم يرعها أحد ، أو لم توطأ . وكأس أنف : لم
يشرب بها قبل ذلك كأنه استوفى شربها مثل - دروۃ أنف ، ويريد السبيل
بهذه التسمية أن يؤكد أن كتابه هذا لم يؤلف أحد مثله من قبل .

الروض الأنف : وكتاب الروض الأنف — كما ذكر مؤلفه في مقدمته —

هو : « إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — التي سبق إلى تأليفها أبو محمد بن إسحاق المطالي ، وخلصها عبد الملك بن هشام للمعافى المصرى النسابة النحوى مما بلغنى علمه ، ويسرلى فهمه من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فاته التنبيه عليه ، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته » إلى أن يقول : « تحصل في هذا الكتاب من فوائد العلوم والآداب وأسماء الرجال والأنساب ومن الفقه الباطن اللباب ، وتعليل النحو ، وصنعة الإعراب ما هو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديواناً سوى ما أنتجه صدرى » .

وهو جهد بارع صادق بأن الرجل كان إماماً في فنون عصره . فهو المحدث التقيقه النسابة اللغوى النحوى (١) المفسر المورخ الآخض من كل فنون عصره بنصيب وفير . وقد لام بين فنون معرفته ، حتى جعل منها وحدة يصدر عنها في كل ما يكتب ، ومما يزيدها إعجاباً بالرجل أنه قد بصره ، وأن الكتب كانت في زمانه مخطوطة ، فتى طالع كل هذا ؟ وكيف طالعها ؟ وتراثة يشهد له بأنه استوعب كل ما قرأ ، وبدت سعة اطلاعه ، ونفاذ بصيرته وقوة تفكيره في أكثر ما كتب .

ومما يجعلنا أيضاً شديدي الاحترام للرجل — رغم ما وجدت عنده من خرف — هذه الحقيقة التي تطلعك في كتابه : إنها الأمانة الصادقة في النقل ، وفي نسبة كل شيء

(١) انتفع بمادته كثير من جاءوا بعده ، ولا سيما ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد . ولكنه كان كما يقول ابن مضاء القرطبي « كان صاحبنا الفقيه أبو القاسم السهيلي — رحمه الله — يولع بطلل النحو الثرائى ويحترعها ويعتقد ذلك كالألف في الصنعة وبصرها ، ص ١٦٠ كتاب الرد على النحاة .

إلى قائله ، فلم يأت بزيادة مفتراته ، أو يقتصر في نقله نقصا قد يغير من مفهوم القول ، وقد راجعت أعظم ما نقل ، وقايسته على مصادره ، فلم أجد إلا طهر الأمانة ، ونبل الصدق في كل قوله ، غير أنه كان لا يميل إلى نقد ما ينقل إلا حين كان يجد النص معارضا لما يدين به ، لهذا نراه ينقل ما يتفق مع الحق ، وما لا يتفق في بعض أحيائه .
ينقل ما يلمع بنور الحقيقة ، وينقل ما يمكن فيه خبث الباطل من رأى فطير أو حديث سنده أوهى من بيت العنكبوت ، ومعناه كيد دنيء من طاغوت .

عملي في الكتاب :

طبع هذا الكتاب من أكثر من نصف قرن ، وقد بذل الشرف على طبعه كثيراً بما كان يبذل . غير أنه أغفل كثيراً من الأخطاء الطبعية وغيرها ، ولم يكتب رقم آية ، ولم يخرج حديثاً ، ولم يضبط كلمة ، ولم يعاق بشيء سوى بضع كلمات ، فتمت بما يأتي :

أولها : ضبط مئات الأعلام التي وردت فيه ، وقد رجعت في هذا إلى أهم ، كتب الأنساب ، وإلى اللسان والقاموس كما ضبطت ألوف الكلمات ، وقد لقيت في هذا عنتاً كبيراً ومشقة مضنية .

ثانيها : مراجعة نقوله التاريخية واللغوية في المصادر التي أشار إليها كتاريخ الطبري ومروج الذهب للسمودي ، وأشارت إلى مكانها من الكتب . أما اللغويات فراجعتها في اللسان والقاموس ومعجم ابن فارس والأشتقاق لابن دريد ومفردات الراغب والنهاية لابن الأثير وغيرها .

ثالثها : راجعت ما نقله عنه المؤرخون وأصحاب السير للمقارنة بين ما هو في كتابه ، وبين ما نقلوه هم عنه ، مثل ابن كثير في البداية ، وابن خلدون

في تاريخه ، والقسطلاني في المواهب ، والحلي في سيرته ، والحافظ ابن حجر في الفتح .

رابعها : راجعت وصوتب الأنساب التي ذكرها في أهم كتب النسب ، وقد أشرت إليها في تعلقتاني .

خامسها : راجعت الترجمات التي ذكرها للصحابة في الإصابة لابن حجر وغيرها .

سادسها : أشرت إلى مراجع عشرات الأحاديث التي ذكرها ، وإلى ما قيل عنها في كتب الأحاديث .

سابعها : ترقيم الآيات القرآنية ، وإتمام ما ذكره منها مبتوراً .

ثامنها : التعليق على بعض ما ذكره من مسائل النحو العويصة ، ومراجعة هذه المسائل في مصادرها الأصلية ، والمقارنة بينها وبين ما نقله الإمام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » من هذه المسائل . والرجل — أعنى السهيلي — كان شديد الولع بمسائل النحو .

تاسعها : قمت بالتعليق على ما ذكره ، أو رآه في أمر الدين مما رأيت مجافياً للحق ، فكانت هذه التعليقات التي أضرع إلى الله أن تكون حقاً وصواباً .

ولقد كان الرجل أشعري العقيدة — والأشعرية كانت دين الدولة في أيامه — فأشرت في تعلقتاني إلى ما يجانب الحق القرآني مما ذهب إليه ، وذكرت ما آمن به سلفنا الصالح ، وما قالوه عن صفات الله سبحانه .

عاشرها : راجعت ما ذكره من شواهد شعرية وأمثال وغيرها في مصادره الأصلية أو في اللسان ، وضبطت كل هذا ضبطاً دقيقاً .

(٢ م — الروض الألف)

حادى عشرها : قمت باستعمال علامات الترقيم ، وهناك غير ذلك مما قمت به ، وأسأل الله أن يكون لوجهه — جل شأنه — وأن يحزينا عنه . كان من الممكن أن يكون الجهد المبذول أقل مما كان ، غير أنه كتاب عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن القرآن الكريم ، ونبية العظيم ، وقد توعدنا بالنار نَدَبُوا منها مقعدنا إن تعمدنا عليه كذباً .

واعتقد أن الكتاب وما ذكرته معه — أصبح شيئاً يمكن الاعتماد به فيما يقال عن خاتم النبيين — صلى الله عليه وسلم — غير أنى لا أزعم أنى بلغت كل ما كان يجب أن يُبلغ ، وإنما أزعم أنى بذلت كل ما كنت أملك من جهد أسأل الله أن يكون جهداً يكافىء هذه المهمة الجليلة .

وأرجو ممن يعثر على أخطاء أن يذكر أننا بشر ، والسهو والنسيان والخطأ من خصائص البشرية ، وكما نحب أن يعفو الله عن أخطائنا وينفرها لنا ، فإننا نحب أن يعفو عنا القراء ، حين يعثرون على خطأ أحب أن يتقوا فى أنى لم أتعمد .

السيرة :

وقد رأيت — كما رأى الناشر — أن يكون مع الكتاب نفس سيرة ابن هشام التى ألف السَّهيلي كتابه الروض شرحاً لها ، ليكون النفع قِيماً . والسيرة من عمل ابن إسحاق وروايته عن شيوخه وغيرهم ، ولكن ابن هشام عكف على هذه السيرة بالتهذيب حتى وصارت إلى ما هى عليه الآن . وقد لخص عمله فيها بقوله :

« وأنا- إن شاء الله- مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ،

ومن ولد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من ولده ، وأولادهم لأصلاهم
الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يعرض من
حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار ، إلى
حديث سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق
في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيه ذكر ،
ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ، ولا
تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها
لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث
به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البسكائي^(١)
بروايته ، ومستقص - إن شاء الله تعالى - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ،
والعلم به »

ولهذا الجهد الذي بذله ابن هشام اشتهرت السيرة بالانتساب إليه ، حتى كاد
ينسى صاحبها الأول ، وهو : محمد بن إسحاق ، والله أسأل أن يهيئ لنا من أمرنا
رشدأ ، وأن يعين كل امرئ على القيام بما فرض الله عليه ، وأن يجمعنا نحن
أبناء هذه الأمة على كلمة سواء ، ولها ما كان من مجد وسؤدد ، ودولة تيمش

(١) هو زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري أبو محمد البكائي الكوفي ، والبكائي
نسبة إلى البكاء بن عمرو بن ربيعة بن صعصعة بن معاوية تركه ابن المديني ،
وضعه النسائي وابن سعد ، وقال أبو زرعة : صدوق ، وقال أبو حاتم : يكتب
حديثه ، ولا يحتج به ، ولكنه من أثبت الناس في سيرة ابن إسحاق ، وقال أحمد :
ليس به بأس مات سنة ١٨٣ هـ

فيها من « كشفر على حدود الصين إلى جبال البرانس على مشارف فرنسا »
تكبيرات النصر ، وتسبيحات الشكر ، وصلوات الحمد لله رب العالمين (١)

القاهرة — مدينة الزهراء

حوان

عبد الرحمن الوكيل

الرئيس العام لجامعة أنصار السنة المحمدية

(١) سنشر سيرة ابن هشام في أعلى الصفحة ، ونختار الروض الآنف ، ثم

تليق

ترجمة ابن إسحاق

محمد ابن إسحاق بن يسار المَطَّلبي مولى قيس بن مخزومة أبو عبد الله المدني أحد الأئمة الأعلام ، ولا سيما في المغازي والسير رأى أنس بن مالك. وجدّه يسار كان من سبي عين التمر التي افتتحها المسلمون في السنة الثانية عشرة من الهجرة .

وقد ولد ابن إسحاق في المدينة ، والراجح أنه ولد سنة خمس وثمانين من الهجرة ، وتوفي - كما يقول صفى الدين الخزر جى - سنة إحدى وخمسين ومائة . وقيل : (١٥٠ أو ١٥٣) وهو الذى ألف السيرة المشهورة النسبة إلى ابن هشام وقد ألفها بأمر أبي جعفر المنصور ؛ ليعلمها لابنه المهدي وفى هذا يقول ابن عدى : « ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء ، للاشتغال بمغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومبعثه ومبدأ الخلق ، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق ، وقد فشت أحاديثه الكثيرة ، فلم أجدها تنهى أن يقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ واتهم فى الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره .

ولم يتخلف فى الراوية عنه الثقات والأئمة ، أخرج له مسلم فى المباحث واستشهد به البخارى فى مواضع ، وروى له أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وقد روى هو عن أبيه وعن الزهرى وخلق غيرهم ، وعن روى عنه شيخه يحيى الأنصارى ، وعبد الله بن عون وشعبة وسفيان الثورى وسفيان بن عيينة .

الرأى فى ابن إسحاق : أثار ابن إسحاق خلافا كبيرا حوله بين رجال

الجرح والتعديل ، وقد اختلف فيه هؤلاء بين قادح ومادح ، أو بين مجرح ومعدل ، فينابقول ابن شهاب : « لا يزال بالمدينة علم جم ما كان فيها ابن إسحاق » إذا بغيره يقول : إنه كان يرى التشيع والقدر وكان يلعب بالديوك .

الْجُرْحُونَ : ممن جرحه مالك ، وقال فيه : « ابن إسحاق كذاب ودجال من الدجاجة » ، وروى عن أحمد بن حنبل أنه قال : « ابن إسحاق ليس بحجة » وحكم عليه ابن معين في رواية عنه بأنه سقيم ، وليس بحجة ، ومن جرحه : هشام بن عروة ، ويعقوب بن شعبة ، وسليمان التيمي والدارقطني ، وقد اتهم بأنه كان يسمع بعض اليهود والنصارى ، ويسمهم أهل العلم الأول وقد اتهم ابن إسحاق بأنه كان يضع في السيرة شعراً مصنوعاً .

المتوسطون في الرأي فيه : وكما نسب إلى أحمد اتهامه لابن إسحاق فإنه نسب إليه قوله عنه : « حسن الحديث . أو : هو صالح الحديث ، ماله ذنب عندي إلا ما روى في السيرة من الأخبار المنكرة » وقد نسب إلى محمد بن عبد الله بن نمير قوله عنه : كان ابن إسحاق يُرمى بالقدر ، وكان أبعدا الناس منه . وقوله : « إذا حدث عن المعروفين ، فهو حسن الحديث صدوق ، وإنما آتى من أنه يحدث عن الجاهولين أحاديث باطلة »

المُعدِّلون له : ينسب إلى ابن معين أيضاً قوله : « ابن إسحاق ثبت في الحديث » ونسب إلى ابن عينة قوله : « ما رأيت أحداً يتهم ابن إسحاق » وقال أبو زرعة : « قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ منه » وقد استشهد به مسلم ، وصححه الترمذى ، وروى له أبو داود والنسائي وابن ماجه .

وأرى — قياساً على السيرة — أن أصدق قول قيل فيه هو قول ابن

عبد الله بن نمير؛ فقد روى في السيرة عن الجاهلین ما لا يحترمه الصدق، وروى
أيضاً ما ينفخ بطيب الحق، وقد بقي فيها ما لا يصح، رغم قيام ابن هشام
بتحذيرها، وهو الذي يقول عن ابن إسحاق في مقدمة كتابه من أنه سترك
مما ذكر ابن إسحاق «أشعاراً ذكرها، لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها
وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض
لم يقر لنا البكاوي بروايته، ومستقص - إن شاء الله تعالى -، سوى ذلك
منه بمبلغ الرواية له والعلم به» .

ترجمة ابن هشام

جاء عنه في وفيات الأعيان : « قال أبو القاسم السهيلي عنه في كتاب الروض الأنف شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - : إنه مشهور بحمل العلم ، متقدم في علم النسب والنحو ، وهو من مصر ، وأصله من البصرة ، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها ، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب فيما ذكر لي .

وتوفي بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين رحمه الله تعالى . قلت — أي ابن خاكان — وهذا ابن هشام هو الذي جمع سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبها وخلصها وشرحها السهيلي المذكور ، وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام ، وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس صاحب تاريخ مصر المقدم ذكره في تاريخه الذي جعله للغرباء القادمين على مصر : إن عبد الملك المذكور توفي ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة ومائتين بمصر والله أعلم بالصواب . وقال : إنه ذُهَلِيٌّ والحِمْيَرِيٌّ (١) قد تقدم الكلام عنه والمعاذِرِيُّ هذه النسبة إلى المعافر بن (٢) يَعْفُرُ قبيل كبير ينسب إليه بشر كثير .

(١) نسبة إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وفي حمير بطون وأفخاذ كثيرة (ص ١٢٠ الإنباه لابن عبد البر)

(٢) هو معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن الهيمسع بن عمرو ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وفي معافر بطون كثيرة (الإنباه لابن عبد البر ص ١١٨)

ترجمة الإمام السهيلي

وردت ترجمته في عدة كتب : « الضبي في البغية ، وابن خلكان في وفيات الأعيان ، وابن دحية في المطرب الورقة ٧٤ ، والسيوطي في البغية ، والمقرئ في فصح الطيب ، وابن تفرى بردى في النجوم الزاهرة ، وابن عماد الحنبلي في شذرات الذهب ، وكتاب المطرب في حلى المغرب ، ونكت الهميان للصفدى ، والديباج للمذهب لابن فرحون » ، وأنقل هنا ترجمته عن الديباج بافظه معقبا عليها بما له فائدة من المصادر الأخرى

* * *

« عبد الرحمن السهيلي أبو القاسم ، وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب ، أبي محمد ابن عبد الله بن الخطيب ، أبي عمر أحمد بن أبي الحسن أصمغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح السهيلي ، الإمام المشهور ، صاحب كتاب « الروض الأنف » في شرح سيرة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وله كتاب « التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام » . وله كتاب « نتائج الفكر » وكتاب « شرح آية الوصية في الفرائض » كتاب بدیع « ومسئلة رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام ^(١) » ، « ومسئلة السر في عور الدجال » إلى غير ذلك من تأليفه المفيدة ^(٢) وأوضاعه الغريبة ، وكان له حظ وافر من العلم والأدب أخذ الناس عنه ، وانتفعوا به ^(٣) ومن شعره - قال ابن دحية : أنشدني ، وقال :
ما سأل الله بها حاجة إلا أعطاه إياها ، وكذلك من استعمل إنشادها وهي :

(١) في الوفيات . أن الكتاب في رؤية الله وفي رؤية النبي

(٢) زاد الصفدى في نكت الهميان كتاب . شرح الجمل وقال : لم يتم

(٣) في نكت الهميان . ناظر على بن الحسين بن الطراوة في كتاب سيبويه ، وسمع منه كثيراً من اللغة والآداب ، وكان عالماً بالعربية واللغة والقراءات بارعا في ذلك . تصدر الافاء والتدريس والحديث ، وبعد صيته . وجل قدره جمع بين الرواية والدراية .

يا من يرى ما في الضمير ويسمع
يا من يرجي للشدائد كلها
يا من خزائن ملكه في قول : كن
مالي سوى فقرى إليك وسيلة
مالي سوى قرعى لبابك حيلة
ومن الذي أدعو ، وأهتف باسمه
حاشاً لمجدك أن تقنط عاصياً
ثم الصلاة على النبي وآله
أنت المحدث لكل ما يتوقع
يا من إليه اشتكى والفرع
امن فإن الخير عندك أجمع
فبالافتقار إليك فقرى أدفع
فلئن رددت ، فأى باب أفرج؟!
إن كان فضلك عن فقيرك يمنع!
والفضل أجزل والمواهب أوسع
خير الأنام ، ومن به يستشفع (١)

وله أشعار كثيرة ، وكان يبلده يتسوغ بالعفاف ، ويتبلغ بالكفاف ، حتى نبي
خبره إلى صاحب مراکش ، فطلبه إليها ، وأحسن إليه وأقبل بوجهه كل الإقبال
عليه ، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام (٢) ، وذكره الذهبي : فقال : أبوزيد ، وأبو القاسم
وأبو الحسن : عبد الرحمن ، العلامة الأندلسي الماتني التحوي الحافظ العلم ، صاحب
التصانيف ، أخذ القراءات عن سليمان بن يحيى وجماعة ، وروى عن ابن العربي
القاضي أبي بكر وغيره من الكبار ، وبرع في العربية واللغة والأخبار والأثر ،
وتصدر للأفادة ، وذكر الأثر ، وحكى عنه أنه قال : أخبرنا أبو بكر بن العربي في

(١) في مصاد : أخرى مفارقة لطيفة لما هنا مثل : يا من خزائن رزقه .
فبالافتقار إليك ربي أضرع ، إن كان فضلك عن فقيرك يمنع . ولا يستشفع برسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فإن الشفاعة لله جميعاً .

(٢) وولاه بها قضاء الجماعة . وصاحب مراکش هو : أبو يعقوب يوسف
ابن عبد المؤمن الذي تولى إمرة الموحدين في المغرب سنة ٥٥٨ هـ . وأظن أنه
استدعى السبيلي سنة ٥٧٨ هـ .

مشيخته عن أبي المعالي ، أنه سأل في مجلسه رجل من العوام فقال : أيها الفقيه الإمام : أريد أن تذكر لي دليلاً شرعياً على أن الله تعالى لا يوصف بالجهة ، ولا يحدد بها . فقال : نعم قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا تفضلوني على يونس بن متى » فقال الرجل : إني لا أعرف وجه الدليل من هذا الدليل ، وقال كل من حضر المجلس مثل قول الرجل ، فقال أبو المعالي : أضافني الليلة ضيف له على ألف دينار ، وقد شغلت بالي ، فلو قضيت عني قلتيها ، فقام رجلان من التجار ، فقالا : هي في ذمتنا ، فقال أبو المعالي : لو كان رجلاً واحداً يضمنها كان أحب إليّ فقال أحد الرجلين أو غيرها : هي في ذمتي ، فقال أبو المعالي : نعم إن الله تعالى أمرى بعبده إلى فوق سبع سموات ، حتى سمع صرير الأقلام ، والتقم يونس الحوت ، فهوى به إلى جهة تحت من الظلمات ما شاء الله ، فلم يكن سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في علو مكانه بأقرب إلى الله تعالى من يونس في بعد مكانه (١) ، فأن الله تعالى لا يتقرب إليه بالأجرام والأجسام ، وإنما يتقرب إليه بصالح الأعمال ، ومن شعره :

إذا قلت يوماً : سلام عليكم ففيها شفاء ، وفيها السقام
شفاء إذا قلتها مقبلاً وإن أنت أدبرت فيها الحِمام

قال صاحب الوفيات : « والشَّهيدُ يَضُمُّ التَّيْنَ المَهْدَةَ وفتح الماء وسكون

(١) هذا دليل مصنوع ، ومدفوع ، فأنه يقول : « أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ، وقد سأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - : أين الله يا جارية ؟ فقالت : في السماء . فقال لصاحبها : أعتقها فإنها مؤمنة . لأنه معنا حيث كنا وهو مستتر على العرش . »

الياء المثناة من تحت ، وبمدها لام ، ثم ياء هذه النسبة إلى سُهَيْل ، وهي قرية بالقرب من مالقة سميت باسم الكوكب (١) لأنه لا يرى في جميع الأندلس إلا من جبل مُطَلَّ عليها ، ومالقة بفتح اللام والقاف ، وهي مدينة بالأندلس . وقال السمعاني بكسر اللام وهو غلط ، وتوفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وكان رحمه الله مكفوفاً ، وعاش اثنتين وسبعين سنة . هذا ما في الديباج المذهب لابن فرحون ، ويقول الصفدي في كتابه نكت المهيان : « ومن شعره يرثى بلده ، وكان الفرنج قد ضربته ، وقتلت رجاله ونسائه [وقتلوا أهله وأقاربه وكان غائباً عنهم ، فاستأجر من أركبه دابة ، وآتى به إليه ، فوقف إزاءه وقال : (٢) »

يا دار أين البيض والآلام !	أم أين جيران عليّ كرام
رابّ الحبّ من النازل أنه	حيّاً ، فلم يرجع إليه سلام !
أخرسنّ أم بعدّ المدى ، فنسبته	أم غال من كان المحبّ حجام !
دمي شهيدى أنتى لم أنسهم	إن السلو على الحبّ حرام
لما أجابنى الصدى عنهم ، ولم	يلج السامع للحبيب كلام
طارحتْ وُرُقَ سخامها مترنماً	بمقال صبّ ، والدموع سحام
يا دار ما صنعت بك الأيام	ضامتك ، والأيام ليس تضام

(١) وهو سيل . وهو كوكب يان لا يرى بخراسان ، ويرى بالعراق ، وقال ابن كناسة : سيل يرى بالحجاز ، وفي جميع أرض العرب ، ولا يرى بأرمينية . عن اللسان .

وعند الصفدي : « وأصله من قرية بوادي سيل من كورة مالقة ، وهي — كما وصفها ياقوت في معجمه — سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية .

(٢) ما بين قوسين من المغرب في حلى المغرب .

ويقول ابن خلكان عنه : « ومولده سنة ثمان وخمسة مائة بمدينة مالقة ،
وتوفي بحضرة مراکش يوم الخميس ، ودفن وقت الظهر ، وهو السادس
والعشرون من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسة » ، وقال عنه إنه خثعمي
نسبة إلى خثعم بن أمار ، وهي قبيلة كبيرة . وذكر صاحب النجوم الزاهرة
أيضا أنه مات في شعبان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الروض الأنف

حمداً لله المُقَدَّم على كل أمرٍ ذي بالٍ ، وذِكْرُهُ — سبحانه — حَرِيٌّ
أَلَّا يَفَارِقَ الْخَلْدَ وَالْبَال ، كما بدأنا — جلَّ وعلا — بِحَمِيلِ عَوَارِفِهِ قَبْلَ
الضَّرَاعَةِ إِلَى الْإِسْمِ الْأَتَّهَالِ ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ} — تَعَالَى — حمداً لا يَزَالُ دَائِمَ الْاِقْتِبَالِ .
ضَافِي السَّرْبَالِ (١) ، جديداً على مرِّ الجديدين (٢) غيرِ بالٍ . على أن حمده
— سبحانه — وشكره على نعمه ، وجَمِيلُ بِلَاثَةِ مِئَةٍ مِنْ مِئَةٍ . وآلَاءُ مِنْ
آلَائِهِ . فسبحان مَنْ لا غَايَةَ لِحُودِهِ وَنِعْمَانِهِ ! ولا حَدَّ لجلاله ، ولا حَصْرَ لأَسْمَائِهِ
والحمد لله الذي أَلْحَقْنَا بِعَصَابَةِ الْمُوَحِّدِينَ ، ووَاقَعْنَا لِلْاِعْتَصَامِ بِعُرْوَةِ هَذَا الْأَمْرِ
الْمُتِينِ ، وَخَلَقْنَا فِي إِبَّانِ الْإِمَامَةِ لِلْوَعْدِ بِبِرْكَتِهَا عَلَى لِسَانِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ،
إِمَامَةِ سَيِّدِنَا الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (٣) ،

(١) القميمين والدرع ، أو كل ما يلبس (٢) الليل والنهار
(٣) يعني دولة الموحدين التي بدأ أمرها بمحمد بن تومرت، والتي حكمت
المغرب العربي والأندلس ، ويعني بالخليفة : أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن
الذي تولى إمرة الموحدين سنة ٥٥٨ هـ بالمغرب ، وفي عهده تم للموحدين إخضاع
الأندلس ، وعنه يقول ابن خلكان : كان يوسف فقيها حافظا متقنا نشأ في
ظهور الخيل بين أبطال الفرسان ، وعنه أيضاً يقول المراكشي في المعجب :
« لم يكن في بني عبد المؤمن فيمن تقدم منهم ، وتأخر ملك بالحقيقة غير أبي يعقوب ،
هذا وقد توفي أبو يعقوب سنة ٥٨٠ هـ . وقد بدأ السبيل في إملاء كتابه هذا في
الحرم سنة ٥٦٩ هـ وانهى منه في جمادى الأولى من نفس العام .

الساطعة أنوارها في جميع الآفاق . المطفئة بصوب سحابها ، وجوب (١)
كتائبها جرات الكفر والنفاق :

في دولة لحظ الزمان شعاعها فازتد منتكصا بعين أزمَد
من كان مولده تقدم قبلها أو بعدها ، فكانه لم يولد

فله الحمد — تعالى — على ذلك كله ، حمدا لا يزال يتجدد ويتوالى ،
وهو المستول — سبحانه — أن يخص بأشرفه صلواته ، وأكثف بركاته ،
المُجْتَبَى من خليقته ، والمَهْدَى بطريقته ، المؤدَّى إلى اللّمْ الأفتح (٢) والهادى
إلى معالم دين الله من أفلح ، نبيّه محمداً — صلى الله عليه وآله وسلم — كما قد
أقام به الملة العتوجاء ، وأوضح بهديه الطريقة اليلجاء (٣) ، وفصح به آذانا صمما ،
وعيوننا غميا ، وقلوبا غلغا (٤) . فصلى الله عليه ، وعلى آله صلاة تحمده أعلى
منازل الرُفَى .

الغاية من تأليف الكتاب

(وبعد) فإنى قد انتحيت في هذا الإملاء بعد استخارة ذى الطول (٥) ،
والاستعانة بمن له القدرة والحوّل (٦) . إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله

(١) الصوب : المطر بقدر ما ينفع ، ولا يؤذى ، والجوب : التميمص تلبسه
المرأة ، والترس والكانون والدلو الضخمة . والآخره هى المناسبة

(٢) اللقم : الطريق الواضح (٣) الواضحة .

(٤) جمع أغلف . يقال : غلّف قلبه - بكسر اللام - لم يع قلبه الرشد

(٥) الغنى والفضل واليسر (٦) من معانيها الحركة والتحول ، والحيلة
والقوة ، وهذه هى المقصودة .

— صلى الله عليه وسلم — التي سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحاق المطلبي ، ولخصها عبد الملك بن هشام المصنف (١) المصنف النساب (٢) النحوي مما بلغني علمه ، ويسمى في فهمه : من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مُستغلق (٣) ، أو نسب عويص ، أو موضع فقه ينفى التنبه عليه ، أو خير ناقص يوجد السبيل إلى تتمته ، مع الاعتراف بكلول الخلد ، عن مبلغ ذلك الخلد (٤) ، فليس الغرض المعتقد أن أستولى على ذلك الأمد (٥) ، ولكن لا ينبغي أن يدع الجحش من بذه الأعيار (٦) ، ومن سافرت في العلم همته ، فلا يلق عصا التسيار ، وقد قال الأول :

افعل الخير ما استطعت ، وإن كان قليلا فلن يحيط بكثرة
ومتى تبلغ الكثير من الفضل إذا كنت تاركا لأقله ١٩

نسأل الله التوفيق لما يرضيه ، وشكراً يستجلب الزيد من فضله
ويقتضيه .

(١) نسبة إلى معافر بن يعفر ، وهم قبيل كبير نزح بعضهم إلى مصر ، ومن الرواة من يجعله حميريا ، ومنهم من يرد نسبه إلى ذهل ، وآخرون يردونه إلى سدوس .

(٢) العلم بالأنساب ، والثاء للبالغة .

(٣) استغلق المسألة : عسرها .

(٤) كل كسولة وكلالة : ضعف . وكل حد السيف : لم يقطع . وحده الرجل : بأسه . ونفاذه في نجدته ، وحد الشيء : نهايته .

(٥) الغاية والنهاية .

(٦) الجحش : ولد الحمار . وبذه : غلبه وفاقه وسبقه ، والأعيار : جمع عير : الحمار الوحشي والاهلي . ويدع : يدفع .

لماذا أتعن التأليف :

قال المؤلف أبو القاسم : قلت هذا ؛ لأني كنت حين شرعت في إملاء هذا الكتاب خجلاً إلى أن المرام عسير ، فجملت أخطو خطو الحسير (١) ، وأنهض نهض البرق الكسير (٢) ، وقلت : كيف أريد مشرعاً لم يسبقني إليه فارطاً (٣) ، وأسلك سبيلاً لم توطأ قبلي بحف ولا حافر ، فبينما أنا أتردد وتردد الحائر ، إذ سفتح لي هنالك خاطر : أن هذا الكتاب سيرد الحضرة العلية المقدسة الإمامية (٤) ، وأن الإمامة ستلحظه بعين القبول ، وأنه سيكتتب للخزانة المباركة — عمرها الله — بحفظه وكلاءته ، وأمد أمير المؤمنين بتأييده ورعايته ، فينتظم الكتاب بسلك أعلامها (٥) ، ويتسق مع تلك الأنوار في مطالع إشرافها ، فعند ذلك امتطيت صهوة الجهد ، وهزرت نبعة العزم (٦) . ومريت أخلاف الحفظ (٧) ،

(١) حَسَرَ بَصَرُهُ حَسَارَةً : كل وانقطع من طول مدى ، وما أشبه ذلك ،
(٢) البرق : الخجل وجمعه : أبراق ، وبرقان : بضم الباء أو كسرهما ، وهو معرب : بره .

(٣) المشرع : مورد الماء ، والفارط : من يسبق القوم إلى الماء ، لبيته ويعدده .

(٤) كناية عن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، وقد سبق الكلام عنه .

(٥) جمع علق : وهو النفيس من الشيء . (٦) أصل الشبعة : شجرة تتخذ منها القسي . ومن أغصانها السهام وهي تثبت في قلب الجبل .

(٧) سمرى الشيء : استخرجه ، ومريت الفرس بفتح الميم والراء : حملته على إبراز مقدرة على الجري ، ومرى الناقة : مسّ ضرعها ، والأخلاف : جمع : خلف بكسر الخاء : حلة الضرع ، وضرع الناقة .

وَأَجْهَرَتْ يُنَايِعَ الْفِكْرَ^(١)، وَعَصَرَتْ بُلَالَةَ الطَّبْعِ^(٢)، فَأَلَقَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ الْبَابَ
فُتِحَا^(٣)، وَسَلَكْتَ سُبُلَ رَبِّي ذُلًّا^(٤)، فَتَبَجَّسْتَ^(٥) إِلَى— بِمَنْ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمَعَانِي
الْغَرِيبَةِ عِيُونُهَا، وَانْتَالَتْ عَلَى مِنَ الْفَوَائِدِ اللَّطِيفَةِ أَبْكَارُهَا وَعُيُونُهَا^(٦)، وَطَفَقَتْ
عَقَائِلُ الْكَلِمِ يَزْدَلِقْنَ^(٧) إِلَى بَابَتَيْنِ أَبْدَأَ، فَأَعْرَضْتُ عَنْ بَعْضِهَا لِإِثَارِ
لِلْإِيْجَازِ، وَدَفَعْتُ فِي صَدُورِ أَكْثَرِهَا خَشْيَةَ الْإِطَالَةِ وَالْإِمْلَالِ، لَكِنْ تَحْصُلُ فِي
هَذَا الْكِتَابِ مِنْ فَوَائِدِ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ، وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَالْأَنْسَابِ، وَمِنْ
لَفْظِهِ الْبَاطِنِ الْبَابِ، وَتَعْلِيلِ النُّحُو، وَصَنْعَةِ الْإِعْرَابِ، مَا هُوَ مُسْتَخْرَجٌ مِنْ
نَيْفٍ عَلَى مِثَالِ عَشْرِينَ دِيْوَانًا^(٨)، سَوَى مَا لَمْ يَنْجِهِ صَغَرِي، وَنَفْعُهُ فِكْرِي.
وَتَبَجَّهَ نَظْرِي، وَلَقِّنْتَهُ^(٩) عَنْ مَشِيخِي، مَنْ نَكَّتْ عَلَيْهِ لَمْ أَسْبِقْ إِلَيْهَا، وَلَمْ
أَزْحَمْ عَلَيْهَا، كُلُّ ذَلِكَ بِبَيْمَنِ اللَّهِ، وَبِرَكَّةِ هَذَا الْأَمْرِ الْمُخَيِّ لِحَوَاطِرِ الطَّالِبِينَ
وَالْمَوْظِعِ لِهَمِّ السُّتَرِّشِدِينَ، وَالْحَرَكِ لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ إِلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى مَعَالِمِ
الدِّينِ، مَعَ أَنِّي قَلَلْتُ الْفُضُولَ^(١٠)، وَشَذَّبْتُ أَطْرَافَ الْفُضُولِ، وَلَمْ أَتَّبِعْ شُجُونَ
الْأَحَادِيثِ، وَلِلْحَدِيثِ شُجُونَ^(١١)، وَلَا جَمَحْتُ فِي خَيْلِ الْكَلَامِ إِلَى غَايَةِ لَمْ

-
- (١) أَجْهَرَتْ الْبَرْ: نَقَاها مِنَ الْحَمَاءِ وَنَزَحَها . (٢) الْبُلَالَةُ : النَّدْوَةُ
(٣) مُقْتَوَحٌ وَاسِعٌ لَا يَكَادُ يَمْلُقُ . (٤) جَمْعُ ذُلُولٍ : الطَّرِيقُ الْمُبْتَدَأُ .
(٥) تَبَجَّرَتْ . (٦) انْتَالَتْ عَلَيْهِ الْقَوْلُ : تَتَابَعُ . الْعُيُونُ :
جَمْعُ عَيَّانٍ ، وَهِيَ الْمَتَوَسُّطَةُ فِي الْعُمُرِ بَيْنَ الْكِبَرِ وَالصَّغَرِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَهَائِمِ .
(٧) الْعَقَائِلُ جَمْعُ عَقِيلَةٍ السَّيِّدَةِ الْخَدْرَةِ ، وَالزَّوْجَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَسَيِّدِ الْقَوْمِ .
وَيَعْنِي : الْكَلِمَاتِ الْعَظِيمَةِ . اِزْدَلَقَ : زَلَفَ : دَنَا وَتَقَدَّمَ .
(٨) نَيْفٌ مِنْ ١ إِلَى ٣ أَوْ هُوَ كُلُّ مَا زَادَ عَلَى الْعَقْدِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْعَقْدَ الثَّانِي .
(٩) لَقِّنْتَهُ : قَهْنْتَهُ . (١٠) مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ .
(١١) فَنُونٌ وَأَغْرَاضٌ .

أردها ، وقد عنت لي منه فنون ، فجاء الكتاب من أصغر الدواوين حَجْمًا .
ولكنه كُنِيفٌ مِلِّيٌّ علما^(١) ، ولو ألقه غيري لقلت فيه أكثر من قولي هذا .

وكان بَدْءُ إملائي^(٢) هذا الكتاب في شهر المحرم من سنة تسع وستين
 وخمسمائة ، وكان الفراغ منه في جمادى الأولى من ذلك العام .

سنه :

فَالْكِتَابُ الَّذِي تَصَدَّقْنَا لَهُ مِنَ السَّيَرِ هُوَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ الْإِمَامُ الْحَافِظُ
أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَرَبِيِّ سَمَاعًا عَلَيْهِ قَالَ : ثنا أَبُو الْحَسَنِ الْقَرَّافِيُّ
الشافعي ، قال : ثنا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ النَّحَّاسِ ، قال : ثنا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ
بْنِ الْوَرْدِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ : عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنُ أَبِي زُرْعَةَ
الزُّهْرِيُّ^(٣) الْبَرْقِيُّ ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ ، وَحَدَّثَنَا بِهِ أَيْضًا — سَمَاعًا
عَلَيْهِ — أَبُو مَرْوَانَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدٍ بِنِ بُوْنُهُ الْقُرَشِيُّ الْعَبْدِيُّ عَنْ أَبِي بَحْرٍ
سُفْيَانَ بْنِ الْعَاصِ الْأَسَدِيِّ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ ، هِشَامِ بْنِ أَحْمَدَ الْكِنَانِيِّ .

وَحَدَّثَنِي بِهِ أَيْضًا أَبُو مَرْوَانَ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ بُرَّالٍ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍ أَحْمَدَ بْنَ
مُحَمَّدٍ الْقُرَّائِيِّ الطَّلَمَنْكِ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ عَوْنِ اللَّهِ بْنِ حُدَيْرٍ ، عَنْ أَبِي
مُحَمَّدَ بْنِ الْوَرْدِ عَنِ الْبَرْقِيِّ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ .

-
- (١) تصغير كَنِفٍ ، وهو وعاء الراعي الذي يجعل فيه آلته . وهو يشير
إلى ما قاله عمر بن الخطاب عن ابن مسعود : كُنِيفٌ مِلِّيٌّ علما .
(٢) قال هذا لأنه كان كُفِيفَ الْبَصَرِ . كُفٌ في الساعة عشرة .
(٣) في السند اضطراب .

وحدثني به أيضاً — سماعاً وإجازة — أبو بكر محمد بن طاهر الأشبيلي
عن أبي علي الفسافي ، عن أبي عمر القمري وغيره عن أشياخه عن الطائفة
بالإسناد المتقدم .

ترجمة ابن إسحاق :

(فصل) ونبدأ بالتعريف بمؤلف الكتاب ، وهو : أبو بكر محمد بن
إسحاق بن يسار المصلي بالولاء ؛ لأن ولائه لقيس بن مخزومة بن المطلب بن
عبد مناف ، وكان جده يسار من سبي عين التمر (١) ، سباه خالد بن الوليد .

ومحمد بن إسحاق (٢) هذا رحمه الله ثبت في الحديث عند أكثر العلماء ، وأما
في المغازي والسيرة فلا يُجْهَل إمامته فيها . قال ابن شهاب الزهري (٣) : من أراد
المغازي ، فعليه بابن إسحاق . ذكره البخاري في التاريخ ، وذكر عن سفيان بن

(١) عين التمر فتحها المسلمون سنة ١٢ هـ .

(٢) قال عنه ابن شهاب : لا يزال بالمدينة علم جَمُّ ما كان فيها ابن إسحاق ،
وقال أحمد : حسن الحديث ، وقال البخاري : رأيت علي بن عبد الله يحتج به
وقال ابن عمير : كان يرمى بالقدر . إذا حدث عن المعروفين ، فهو حسن الحديث
صدوق ، وقال يعقوب بن شبة : لم أر لابن إسحاق إلا حديثين منكرين ،
ووثقه العجلي وابن سعد : تذيب الكمال .

(٣) هو محمد بن مسلم بن عبد الله كان إماماً حجة في الفقه والحديث بصيراً
بالقرآن . مات سنة ١٢٥ وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أصح الأسانيد : الزهري
عن علي بن الحسين ، عن أبيه عن جده علي . وقال البخاري : أصحاب الزهري عن
سالم عن أبيه .

عينيه^(١) أنه قال : ما أدركت أحداً يهتم ابن إسحاق في حديثه ، وذكر أيضاً عن شعبة بن الحجاج أنه قال : ابن إسحاق أمير المؤمنين يعني : في الحديث ، وذكر أبو يحيى الساجي — رحمه الله — بإسناده عن الزهري أنه قال : خرج إلى قريته باذام ، فخرج إليه طلاب الحديث ، فقال لهم : أين أنتم من الفلام الأحول : أو : قد خلقت فيكم الفلام الأحول يعني : ابن إسحاق ، وذكر الساجي أيضاً قال : كان أصحاب الزهري يلبثون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهري ، ثقة منهم بحفظه ، هذا معنى كلام الساجي نقلته من حفظي ، لا من كتاب .

وذكر عن يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثقوا ابن إسحاق ، واحتجوا بحديثه ، وذكر علي بن عمر الدار قطني في السنن حديث الثقلين من جميع طرقه^(٢) ، وما فيه من الاضطراب ، ثم قال في حديث جرى : وهذا يدل على حفظ محمد بن إسحاق ، وشدة إتيانه .

قال المؤلف : وإنما لم يخرج البخاري عنه ، وقد وثقه ، وكذلك وثقه مسلم

(١) كان إماماً في علوم القرآن والسنة وحديث الحجازيين ، ثقة حجة ، ولكنه تغير في آخر عمره ، انتقل من الكوفة إلى مكة ومات بها سنة ١٩٨ هـ ودفن بالحجون .

(٢) يشير إلى الحديث : « إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث » ، رواه الخمسة والشافعي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدارقطني والبيهقي ، وفي الحديث اضطراب في الإسناد وفي المتن . قال ابن عبد البر في التمهيد عن مذهب الشافعي في الحديث : إنه ضعيف من جهة النظر غير ثابت من جهة الآثار ، لأنه حديث تكلم فيه جماعة من أهل العلم ، ولأن القلتين لم يوقف على حقيقة مبالغها في أثر ثابت ولا إجماع .

ابن الحجاج ، ولم يخرج عنه أيضا إلا حديثا واحداً في الرّجم ، عن سعيد القبري عن أبيه ، من أجل طعن مالك فيه ، وإنما طعن فيه مالك — فيما ذكر أبو عمر رحمه الله ، عن عبد الله بن إدريس الأودي — لأنه بلغه أن ابن إسحاق قال : هاتوا حديث مالك ، فأنا طبيبٌ بعَلِّه ، فقال مالك : وما ابن إسحاق؟! إنما هو دجال من الدجالة ، نحن أخرجناه من المدينة ، يشير — والله أعلم — إلى أن الدجال لا يدخل المدينة^(١). قال ابن إدريس : وما عرفت أن دجال ! يُجمع على دجالة ، حتى سمعتها من مالك ، وذكر أن ابن إسحاق مات ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة ، وقد أهدرك من لم يهوكه مالك ، روى حديثا كثيرا عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي^(٢) ، ومالك إنما يروى عن رجل عنه ، وذكر الخطيب أحمد بن علي بن ثابت في تاريخه — فيما ذكر لي عنه — أنه — يعق ابن إسحاق — رأى أنس بن مالك ، وعليه عمامة سوداء ، والصبيان خلفه يشتدّون^(٣) ، ويقولون : هذا صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا يموت حتى يلقى الدجال ، وذكر الخطيب أيضا أنه روى عن سعيد بن المسيّب ، والقاسم بن محمد ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن .

(١) يشير إلى حديث ورد في مسلم ، وقد جاء فيه على لسان الدجال أن طيبة — أي المدينة — ومكة محرمتان عليه .

(٢) أبو عبد الله المدني أحد العلماء المشاهير . يروى عن أنس عن جابر عن عائشة في الترمذي والنسائي في سننه . قال ابن سعد : كان فقها محدثا ، وقال أحمد : يروى أحاديث منكورة ، ووثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائي وابن خراش توفي سنة ١٢٠ هـ .

(٣) يسرعون .

وذكر أن يحيى بن سعيد الأنصارى شيخ مالك روى عن ابن إسحاق قال : وروى عنه سفيان الثوري ، والحارث بن حماد بن دينار ، وحامد بن زيد بن درهم ، وشعبة . وذكر عن الشافعى — رضى الله عنه — أنه قال : من أراد أن يتبحر فى المغازى ، فهو عيال على محمد بن إسحاق ، فهذا ما بلغنا عن محمد بن إسحاق — رحمه الله .

”

رواة الكتاب عن ابن إسحاق :

وأما الرواة الذين رَووا هذا الكتاب عنه فكثير . منهم : يونس بن بكير الشيبانى ، ومحمد بن فضال ، والبكائى ، وإبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن إدريس ، وسليمان بن الفضل الأسدى ، وغيرهم . وتذكر البكائى ^(١) لأنه شيخ ابن هشام ، وهو : أبو محمد زياد بن عبد الله بن طفيل بن عامر القيسى العامرى ، من بنى عامر بن صعصعة ، ثم من بنى البكاء ، واسم البكاء : ربيعة . وسمى البكاء لخبر يَسُجُّ ذكره ، كذلك ذكر بعض النسايب . والبكائى هذا ثقة ، خرج عنه البخارى فى كتاب الجهاد ، وخرج عنه مسلم فى مواضع من كتابه ، وحسبك بهذا نزكية .

وقد روى زياد عن حميد الطويل ، وذكر البخارى فى التاريخ عن وكيع قال : زياد أشرف من أن يكذب فى الحديث ، وروى الترمذى

(١) تركه ابن المدينى ، وضعفه النسائى وابن سعد . وقال : ولكنه أثبت الناس فى سيرة ابن إسحاق ، وقال أحمد : ليس به بأس . قال ابن عدى : ما أرى بروايته بأساً ، وقال أبو زرعة : صدوق . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به . مات سنة ١٨٣ هـ كما ذكر ابن سعد .

فقال في كتابه عن البخاري: قال: قال وكيع: زياد بن عبد الله - على شرفه - يكذب في الحديث ، وهذا وهم ، ولم يقل وكيع فيه إلا ما ذكره البخاري في تاريخه ، ولو رماه وكيع بالكذب ما خرج البخاري عنه حديثا ، ولا مسلم ، كما لم يخرج عن الحارث الأعور (١) لما رماه الشعبي* بالكذب ، ولا عن أبان بن أبي عيَّاش (٢) لما رماه شعبة بالكذب ، وهو كوفي توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة .

(١) هو الحارث بن عبد الله الهمداني الحنفي أبو زهير الكوفي الأعور أحد كبار الشيعة . قال الشعبي وابن المديني : كذاب ، وقال ابن معين في رواية والنسائي : ليس به بأس ، وقال أبو حاتم والنسائي في رواية : ليس بالقوي . وقال ابن معين في رواية : ضعيف توفي سنة ١٦٥ هـ .

(٢) هو فيروز أو دينار العبدي ولأبوه إسماعيل البصري . قال أحمد وابن معين : متروك . مات سنة ١٤٠ هـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

« ذكر سرد النسب الزكي »

« من محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — إلى آدم عليه السلام »

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام :

هذا كتاب سيرة رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب ، واسم عبد المطلب : شَيْبَةَ بن هاشم ، واسم هاشم : عمرو بن

نزهة ابن هشام :

وأما عبد الملك بن هشام ، فمشهور بحمل العلم ، متقدم في علم النسب
والنحو ، وهو حَبْرِيٌّ مَعَارِفِيٌّ من مصر ، وأصله من البصرة ، وتوفي بمصر
سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وله كتاب في أنساب حَبْرٍ وملوكها ، وكتاب في
شرح ما وقع في أشعار السَّير من الغريب — فيما ذكر لي — والحمد لله كثيرا ،
وصلواته على نبيه محمد وسلامه .

تفسير نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ذكرنا في كتاب التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام^(١) معاني بديعة ، وحكمة من الله بالغة في تخصيص نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - بهذين الاسمين : محمد وأحمد ، فلتنظر هناك ، ولعلنا أن نعود إليه في باب مولده من هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى .

عبد المطلب :

وأما جده عبد المطلب ، فاسمه عامر في قول ابن قتيبة^(٢) ، وشيبة في قول ابن إسحاق^(٣) وغيره ، وهو الصحيح . وقيل : سمي شيبنة لأنه ولد ، وفي رأسه شنبنة^(٤) ، وأما غيره من العرب ممن اسمه شيبنة ، فلأنما قصد في تسميتهم

(١) في نكت الميمان للصفدي : والأعلام .

(٢) ذكر رأيه هذا في كتابه المعارف ، وتابعه عليه صاحب القاموس المجد الشيرازي .

(٣) وكذلك ذكر ابن دريد في الاشتقاق ، والطبري في تاريخه . وذكر ابن دريد : أنه مشتق من قولهم : شاب شيبنة حسنة ، وشيباً حسناً . ثم قال : وأحسب أن اشتقاق الشيب من اختلاط البياض بالسواد من قولهم : شبت الشيء بالشيء أشوبه شوباً إذا خلطته .

(٤) وهو رأى القسطلاني في المواهب اللدنية ، وقد جزم به في شرحه للبخاري . ويذكر شارح المواهب أن أباه أوصى أمه بذلك . ثم ذكر تعليلاً لإضافة شيبنة إلى الحمد : لأنه رجاء أن يكبر ويشيخ ، ويكثر حمد الناس له . ويقول الطبري عن سبب تسميته بشيبنة : كان في رأسه شيبنة . ويقول ابن دريد أن المطلب أصله مُطْطَلِبٌ على وزن مفتعل بكسر العين ، وأن اشتقاقه من المطلب ، ويقول القسطلاني في المواهب : وإنما قيل له عبد المطلب ؛ لأن أباه هاشماً قال لآخيه =

بهذا الاسم التفاضل لهم، يبلوغ سن الحنكة (١) والرأى، كما سُموا بهرم وكبير،
وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة (٢) وكان لدة (٣) عبيد بن الأبرص
الشاعر، غير أن عبيدا مات قبله بعشرين سنة، قتله المنذر أبو النُغان بن
المنذر، ويقال: إن عبد المطلب أول من خُصِبَ بالسَّواد من العرب، والله أعلم.
وقد ذكر ابن إسحاق سبب تلقيبه بعبد المطلب. والمطلب مُفْتَعِل من
الطَّلَب.

هاشم:

وأما هاشم فعنتر - كما ذكر - وهو اسم منقول من أحد أربعة أشياء. من

= المطلب - وهو بمكة حين حضرته الوفاة: أدرك عبدك، ويذكر الزرقاني في
شرحه للواهب: إنه قال ذلك استعطافاً، أو على عادة العرب في قولهم للقيم المرنى
في حجر شخص: عبده، فسماه عبداً باعتبار الأول، لأنه رأى نفسه محضراً،
وأنة لا يقوم على ابنه غيره، وذكر القسطلاني وشرح الواهب رأياً آخر في
سبب تسميته بهذا وهو: أن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه، وهو بهيمة رقة،
فكان يُسَلُّ عنه، فيقول: هو عبيدي. حياءً من أن يقول: ابن أخي. فلما أدخله
مكة وأحسن من حاله. أظهر أنه ابن أخيه. وذكر الزرقاني في شرحه للواهب:
لأنه سمي بهذا، لأن أباه لما مات بغزة، وكان خرج إليها تاجراً وترك أمه
بالمدينة، فأقامت عنده أمهلاً من الخزرج، فكبر عبد المطلب، فجاءه المطلب،
فأخذه، ودخل به مكة، فرآه الناس مردفه، فقالوا: هذا عبد المطلب، فغلبت
عليه، وإلى الرأي الثاني ذهب الطبري في قصة طويلة.

(٤) التجربة والبصر بالأمور. (٢) كذلك ذكر عالم النسب الزبير بن بكار،
وحكاة ابن سيد الناس عن أبي الربيع عنه، وحكاة مغطاي، وتبعه القسطلاني في
شرحه للبخاري. وقيل إنه عاش ١٢٠ سنة.
(٣) اللدة: بكسر اللام وفتح الدال، من مَوْلد مملك في وقت واحد.

الْعُمَرُ الَّذِي هُوَ الْعُمَرُ ، أَوْ الْعُمَرِ الَّذِي هُوَ مِنْ عُمُورِ الْأَسْنَانِ ، وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ :
أَوْ الْعُمَرُ الَّذِي هُوَ طَرَفُ السَّكَمِ ، يُقَالُ : سَجَدَ عَلَى عَمَرٍ يَدِ أَي : عَلَى كَعْبِيهِ ،
أَوْ الْعُمَرُ الَّذِي هُوَ الْقَرَطُ ، كَمَا قَالَ التَّنَوُّخِيُّ :

وَعَمَرُو هِنْدٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوْرَهُ عَمَرُو (١) بَنِ هِنْدٍ يَسُومُ النَّاسَ تَعْنِيَتَنَا

وَزَادَ أَبُو حَنِيفَةَ وَجْهًا خَامِسًا ، فَقَالَ فِي الْعُمَرِ الَّذِي هُوَ اسْمٌ لِنَخْلِ السَّكْرِ ،
وَيُقَالُ فِيهِ عَمَرٌ أَيْضًا ، قَالَ : يَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْوُجُوهِ الَّتِي بِهَا سَمِيَ الرَّجُلُ :
عَمْرًا وَقَالَ : كَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى يَسْتَاكُ بِعَسِيبِ (٢) الْعُمَرِ .

عبد مناف :

وَعَبْدُ مَنْافٍ اسْمُهُ : لِلنِّعْمَةِ - كَمَا ذَكَرَ - وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنَ الْوَصْفِ ، وَالْمَاءُ
فِيهِ لِلْبَالِغَةِ ، أَي : إِنَّهُ مُغَيَّرٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ أَوْ مُغَيَّرٌ مِنْ أَثَارِ الْحَيْلِ ، إِذَا أَحْكَمَ ،
وَدَخَلَتْهُ الْمَاءُ ، كَمَا دَخَلَتْ فِي عَلَامَةِ وَنَسَابَةٍ ؛ لِأَنَّهُمْ قَصَدُوا قَصْدَ الْقَايَةِ ،
وَأَجْرُوهُ مَجْرَى الطَّامَةِ وَالْدَّاهِيَةِ ، وَكَانَتْ الْمَاءُ أَوَّلَى بِهَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّهُ مَخْرُجًا غَلِيظًا
الصَّوْتِ ، وَمُنْتَهَاهُ ، وَمِنْ مَمَّ لَمْ يُسْكَّرْ مَا كَانَتْ فِيهِ هَذِهِ الْمَاءُ ، فَيُقَالُ فِي

(١) يَقُولُ إِنْ قَرَطَ هِنْدٌ مِثْلَ عَمْرٍو بَنِ هِنْدٍ أَحَدُ الْمُلُوكِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(٢) الْعَسِيبُ : جَرِيدَةُ النَّخْلِ الْمُسْتَقِيمَةِ يَكْشِطُ خُوصَهَا . وَمَا لَمْ يَنْبِتْ عَلَيْهِ
الْخُوصُ . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي الْأَشْتَقَاقِ كَثِيرًا مِمَّا قِيلَ هُنَا . كَمَا ذَكَرْنَا هَاهُنَا
سَمِيَ بِهَذَا لِحَشْمِهِ الْخَيْرَ لِلرَّيْدِ . وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : وَلَمَّا قِيلَ لَهُ مَا نَسَمَ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
هَشَمَ الرَّيْدَ لِقَوْمِهِ بِمَكَّةَ وَأَطْلَعَهُ ، وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :

عَمْرٍو الَّذِي هَشَمَ الرَّيْدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ يُسْتَنْتَوْنَ عَجَافَ
وَلِيْلِهِ ذَهَبَ الْقِسْطَانِي فِي الْمَوَاهِبِ وَغَيْرِهِ .

عَلَامَةٌ : عَلَايِم ، وفي نَسَابَةٍ : نَسَائِب ؛ كى لا يذهبَ اللفظ الدال على المبالغة ، كما لم يُكسّر الاسمُ الْمُصَغَّرُ ؛ كى لا تذهبَ بِنْيَةُ التَّصْغِيرِ وَعَلَامَتُهُ .
وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمَاءُ فِي مُغِيرَةٍ لِلتَّائِيثِ ، وَيَكُونُ مَنْقُولًا مِنْ وَصْفِ كَتِيبَةٍ ، أَوْ خِيَلٍ مُغِيرَةٍ ، كَمَا سَمَوْا بِسُكْرٍ . وَعَبْدُ مَنْافٍ هَذَا كَانَ يُدْعَى قَمَرُ الْبَطْحَاءِ - فِيمَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ (١) - وَكَانَتْ أُمُّهُ حُبًى قَدْ أَخَذَتْهُ مَنَاءَ (٢) ، وَكَانَ صَنَمًا عَظِيمًا لَهُمْ ، وَكَانَ سُمِّيَ بِهِ عَبْدُ مَنْأَةٍ ، ثُمَّ نَظَرَ قُصَىٰ فَرَأَاهُ يُوَافِقُ عَبْدَ مَنْأَةٍ بْنِ كِنَانَةَ ، فَنَوَّلَهُ : عَبْدُ مَنْافٍ - فَذَكَرَهُ الْهَرَقِيُّ وَالزَّيْبِيُّ أَيْضًا ، وَفِي الْمُعْطِطِيِّ عَنْ أَبِي نَعِيمٍ قَالَ : قَتَ لِلْمَلِكِ : مَا كَانَ اسْمُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ؟ قَالَ : شَيْبَةُ . قُلْتُ : فَهَاشِمٌ ؟ قَالَ : عَمْرُو ، قَالَتْ : فَعَبْدُ مَنْافٍ ؟ قَالَ : لَا أَدْرَى (٣) .

قُصَى :

وَقُصَى اسْمُهُ : زَيْدٌ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ قُصَى أَيْ : بِمِثْلِ لَأَنَّهُ بَعْدَ عَشِيرَتِهِ فِي بِلَادِ قُضَاعَةَ حِينَ احْتَمَلَتْهُ أُمُّهُ فَاطِمَةُ مَعَ رَأْبَةٍ (٤) رَيْبَةُ بْنُ حَرَامٍ ، عَلَى

(١) انظر ص ١٨١ ج ٢ المطبعة الحسينية تاريخ الطبري . (٢) جعلته خادماً له .
(٣) ويقول ابن دريد في الاشتقاق : د وَمَنَاف : صَم . واشتقاقه : د نَاف يَنُوفُ ، وَالتَّالِيَةُ يَنْتِفِ إِذَا ارْتَفَعَ وَعَلَا . وَالتَّوْف : السَّام ، وَبِهِ سَمِيَ الرَّجُلُ : نَوْفًا ... وَاسْمُ عَبْدِ مَنْافٍ : الْمُغِيرَةُ ، وَالْمَغِيرَةُ : الْحَيْلُ تُغِيرُ عَلَى الْقَوْمِ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : (فَالْمَغِيرَاتِ صُحُبًا) الْعَادِيَاتِ : ٣ . وَالْمَغِيرَةُ : مُفْغِلَةٌ مِنَ الْغَارَةِ . . يُقَالُ : أَغَارَ الرَّجُلُ عَلَى الْقَوْمِ يُغِيرُ إِغَارَةً ، وَالْأَسْمُ الْغَارَةُ ، وَمَوْضِعُ الْغَارَةِ : مُغَار . وَيُقَالُ : أَغْرَتِ الْحَيْلُ أَغِيرَهُ إِغَارَةً إِذَا شَدَّدَتْ قَتْلَهُ .

وَيُقَالُ : غَرَّتْ أَهْلِي أَغِيرَهُمْ غِيرَةً إِذَا مَرَّتْهُمْ مِنَ الْمِيرَةِ الْمِيرَةُ : لِلطَّعَامِ يَجْمَعُ لِلسَّفَرِ ، انظر ص ١٦ وما بعدها : الاشتقاق لابن دريد مطبعة السنة المحمدية .
(٤) (٤) الرَّابُّ : رُوحُ الْأُمِّ يَرِي ابْنَهَا مِنْ غَيْرِهِ .

عبد مناف ، واسم عبد مناف : المغيرة بن قصى ، بن كلاب ، بن مرة

ما سيأتى بيانه فى الكتاب - إن شاء الله تعالى - وصمّر على فُعَيْل وهو
تصغير فَعِيل^(١) ، لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث ياءات ، فحذفوا إحداها وهى الياء
الزائدة الثانية التى تكون فى فَعِيل نحو قضيب ، فبقى على وزن فُعَيْل ، ويجوز
أن يكون المحذوف لام الفعل ، فيكون وزنه فُعَيْدَة وتحكون ياء التصغير هى
الباقية مع الزائدة ، فقد جاء ما هو أبلغ فى الحذف من هذا ، وهى قراءة
قُئِل : يا بُنَى بقاء ياء التصغير وحدها ، وأما قراءة حفص يا بُنَى فإِنما هى ياء
التصغير مع ياء المتكلم ، ولام الفعل محذوفة ، فكان وزنه فُعَى ومن كسر
الياء : قال يا بُنَى فوزنه : يا فَعِيل ، وياء المتكلم هى المحذوفة فى هذه القراءة^(٢) .

(١) قال ابن دريد : وقصى تصغير قاص ، وإنما سُمى قصيا ، لأنه قاصا عن
قومه ، فكان فى بنى عنزة مع أخيه لأمه : يقال قاصا الرجل يقصو قصورا . .
واسم قصى : زيد . . وزيد مصدر من زاد الشيء يزيده زيدا . .

ويذكر الطبرى أن كلابا والدا قصى ملك بعد أن أنجب زهرة وزيدا - أى
قصيا - ، فتزوجت بربيعة بن حرام - وزهرة رجل - وزيد فطيم ، فاحتلبها
إلى بلاده من أرض بنى عنزة من أشراف الشام ، فاحتملت معها زيدا أنفرد ،
وتخلف زهرة فى قوم . . وشب زيد فى حجر بربيعة ، فسمى زيد . قصيا لبعده داه
عن دار قوم . الطبرى ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) ويقول العسكرى فى إعراب يابنى - ابن نوح - ملح سورة هود
د يابنى يقرأ بكسر الياء ، وأصله : بنى ياء التصغير وياء هى لام الكلمة ، وأصلها
واو عند قوم ، وياء عند آخرين ، والياء الثالثة : ياء المتكلم ، ولكنها حذفت لدلالة
الكسرة عليها فرارأ من توالى الياءات ، ولأن النداء موضع تخفيف ، وقيل حذفت
من اللفظ لالتقاء مع الراء فى اركب ، ويقرأ بالفتح - أى فتح الياء - وفيه =

كَلَاب :

وأما كَلَاب فهو منقول : إما من المصدر الذى هو معنى المكالبة نحو :
كَالَبْتُ الْعَدُوَّ مُكَالِبَةً وكَلَابًا ، وإما من الكَلَاب جمع كَلْب ، لأنهم يريدون
الكثرة ، كما سَمَوْا بِسَبَاعٍ وَأَنَامٍ^(١) . وقيل لأبي الرُّقَيْشِ [الكَلَابِي] ^(٢)

= وجهان أحدهما : أنه أبدل الكسرة فتحة ، فانقلبت ياء الإضافة ألفاً ، ثم حذفت
الألف ، كما حذفت الياء مع الكسرة لأنها أصلها ، والثاني أن الألف حذفت من
اللفظ لالتقاء الساكنين .

ويقول البيضاوى فى تفسير قوله سبحانه : (يا بنى اركب معنا) : و الجمهور
كسروا الياء ، لتدل على ياء الإضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير ؛ فإنه وقف
عليها فى لقمان فى الموضع الأول باتفاق الرواة ، وفى الثالث فى رواية قبل وعاصم
فإنه فتح هنا اقتصاراً على الفتح من الألف المبذلة من ياء الإضافة ، وأقول :
إذا أضيف المختوم بياء مشددة إلى ياء المتكلم تجمعت فيه ثلاث ياءات متوالية .
وهذا ممنوع فى الغالب . ولهذا يكون لمثل هذا الاسم ثلاث أحوال : حذف ياء
المتكلم مع بقاء ما قبلها مكسوراً فى كل حال ؛ لتكون الكسرة دليلاً على الياء
المحذوفة . والحال الثانية : قلب ياء المتكلم ألفاً ، ثم تحذف الألف مع فتح ما قبلها
ليكون الفتح دليلاً عليها . والحال الأخيرة : حذف إحدى الياءين الأولىين وإدغام
الثانية فى ياء المتكلم ، فتنشأ ياء مشددة مكونة من ياءين ، أو لاهما : ساكنة ،
والأخرى وهى ياء المتكلم مفتوحة ، وصورة هذه كذلك السابقة . ويفضل النحاة
الاقتصار على الحال الأولى . وإسكان الياء من بنى قراءة شاذة ، شواذ القرآن
لابن خالويه ، ص ٦٠ .

(١) فى القاموس : المكالبة : المشاركة والمضايقة . يقول ابن دريد : وأهل
الحجاز يسمون الجرى الذى يخاصم الناس : مكالباً .

(٢) الزيادة من القلائد للقلقشندي وهو الدقيش . فى اللسان : البقشة و بفتح
(م ٤ - الروض الألف)

الأعرابي : لم تُسمُّون أبناءكم بِشَرِّ الأسماء نحو : كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو : مَرْزُوق ورَبَّاح ؟ فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا ، وعبيدنا لأنفسنا ، يريد أن الأبناء عدة الأعداء (١) ، وسهام في نحورهم ، فاختاروا لهم هذه الأسماء .

مرة :

ومرّة منقول من وصف الحنظلة والعَلَقَمَة ، وكثيرا ما يسمون بِحَنَظَلَة وَعَلَقَمَة ، ويجوز أن تكون الماء للمبالغة ، فيكون منقولاً من وصف الرجل بالمرارة ، ويقوى هذا قولهم : تميم بن مرّة ، وأحسبه من المُسمَّين بالنبات ، لأن أيا حنيفة ذكر أن المرّة بَقْلَة تُقْلَع ، فتؤكل بالخل والزيت يشبه ورقها ورق الهِنْدَبَاء (٢) .

الدال وسكون القاف وفتح الشين : دوية رقصاء ، وقيل : رقطاع أصغر من العظاء . وأبو الدقيش كنية . قال الأزهرى : أبو الدقيش كنية . واسمه : الدَّقَش . قال يونس : سألت أبا الدقيش : ما الدَّقَش ؟ فقال : لا أدري . قلت : ما الدقيش ؟ فقال : ولا هذا . قلت : فاكنتيت بما لا تعرف ما هو ؟ قال : إنما الكنى والاسماء علامات ، وفي القاموس : الدَّقَشَة بالفتح : دوية رقطاع ، أى سوداء يشوبها نقط بياض ، أصغر من القطاة ، أو طائر أرقش . أى فيه نقط بياض وسواد . والدَّقَش كالنقش وفي حياة الحيوان للدميري : « الدَّقِيش بضم الدال وفتح القاف . طائر صغير أصغر من الصرّاد . وتسميه العامة الدقناش ، أقول : والصرّد طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمتقار يصيد صغار الحشرات ، ولم أجد الرقيش .

(١) في القلائد للقلقشندي «معدة للأعداء» : ص ٢٢

(٢) في القاموس : والمرّة بالضم شجرة أو بقلة . والهندباء أو الهندباء =

بن كعب بن لؤي بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة

كعب :

وأما كعب فنقول إما من الكعب الذي هو قطعة من السمن^(١) ، أو من كعب القدم وهو عندى أشبه ، نقولم : ثبت ثبوت الكعب ، وجاء في خبر ابن الزبير أنه كان يصلى عند الكعبة يوم قتل ، وحجارة المنجنيق^(٢) تمر بأذنيه ، وهو لا يلتفت كأنه كعب راتب^(٣) .

وكعب ابن لؤي هذا أول من جمع يوم العروبة ولم تسم العروبة^(٤) .

== بكسر الهاء وفتح الدال أو كسرهما : بقل زراعى معروف حوله من الفصيلة المركبة ، يطبخ ورقه أو تخلط به السلطة ، وهو عند باعة الخضروات .

(١) فى القاموس : كتلة من السمن ، وقدر صبغة من اللبن وفى الاشتقاق لابن دريد : بقية السمن فى النحر .

(٢) آلة قديمة من آلات الحصار كانت ترمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار ، فتهدمها وهى مؤنثة معربة . (٣) أى ثابت . (٤) كان يوم الجمعة يسمى فى الجاهلية يوم العروبة ، وقد ذكر فى تسميته يوم الجمعة عدة أقوال ، منها : ما ذكر هنا ، ومنها ما أخرجه عبد بن حميد عن ابن سيرين بسند صحيح إليه فى قصة جميع الأنصار مع أسعد بن زرارة ، فصى بهم ، وذكرهم ، فسموه الجمعة حين اجتمعوا إليه ، وقيل : سمي بهذا لاجتماع الناس للصلاة فيه ، وهذا جزم ابن حزم ، وقال : إنه اسم إسلامى لم يكن فى الجاهلية ، ورد الحافظ بأن أهل اللغة قالوا : إن العروبة اسم قديم كان للجاهلية ، وقالوا فى الجمعة : هو يوم العروبة ، فالظاهر أنهم غيروا الأسماء لسبعة الأيام — وكانت تسمى : (أول ، أهون ، جبّار ، دبار ، مؤنس ، عروبة ، شيار) وذكر الجوهري أن العرب كانت تسمى يوم الاثنين أهون ، وهذا يشعر بأنهم أحدثوا لها أسماء وهى هذه المتعارفة كالسبت والاحد وظهر بضم الدال وكسرهما .

الجمعة إلا منذ جاء الإسلام في قول بعضهم ، وقيل هو أول من سَمَّاهَا الجمعة ، فكانت قُرَيْشٌ تَجْتَمِعُ إليه في هذا اليوم ، فيخطبهم (١) ويذكّرهم بمبعث النبي — صلى الله عليه وسلم (٢) — ويُعلمهم أنه من ولده ، ويأمرهم باتباعه والإيمان به ، وينشد في هذا أبياتا منها قوله :

بالبنتى شاهدٌ فحواء دَعَوْتِهِ إِذَا قُرَيْشٌ تُبَغِّى الْحَقَّ خِذْلَانَا (٣)

(١) وذكر مثل هذا الزبير في كتاب النسب ، وبه جزم الفراء ، وغيره . وقيل إن قصيا هو الذى كان يجمعهم ، ذكره ثعلب في أماليه .

(٢) التعبير الدقيق الذى ذكره الزبير في كتاب النسب ، ويأمرهم بتعظيم الحرم ، ويخبرهم بأنه سيبعث نبي ، وهذا يمكن تصديقه . ففي كتب أهل الكتاب بشارات بنى يبعث اسمه أحمد . أما من أبوه ومن أئمة قبيلة يكون ؟ فهذا ما لم يكن معروفاً لاحد بدليل أن محمداً نفسه لم يكن يعرف شيئاً عن هذا قبل بعثه فأنه يقول له — (وما كنت أترجو أن يُلْتَقَى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ، فلا تكفركنَّ ظهيراً للكافرين) القصص : ٨٦ . ويقول ابن كثير في تفسيرها (أى ما كنت تظن قبل إنزال الوحي إليك أن الوحي ينزل عليك) (إلا رحمة من ربك) أى إنما أنزل الوحي عليك من الله من رحمته بك وبالعباد بسبيك) فكيف نفَسَّب إلى كعب بن لؤى أنه كان يعلم ما لم يكن يعلمه الرسول — صلى الله عليه وسلم — عن نفسه ؟ الحق أن مكانة الرسول — صلى الله عليه وسلم — فوق هذا ، ولا تحتاج إلى أساطير كهذه لدعمها ، فهو بالوحي فوق كل إنسان في الوجود وإن كان مثلهم في بشريته . وقد ذكر الزرقاني في شرحه على المواهب أن ما أورده القسطلاني عن كعب — وهو نفس ما ذكره السهيلي — قد رواه أبو تميم في الدلائل عن كعب الأحبار مطولاً . وفي آخره : وكان بين موت كعب ومبعث النبي — صلى الله عليه وسلم — ٥٦٠ سنة ، (٣) الفحوى : معنى الكلام ولحنه وفيها لغات ويروى نجواء بدل فحواء ، و (حين العشيرة تبغى) بدلا من (إذا =

وقد ذكر الموردي هذا الخبر عن كتب في كتاب الأحكام له .

لؤي :

وأما لؤي ، فقال ابن الأنباري هو تصغير اللأى ، وهو المور الوحشي وأنشد :

بَعْتَادُ أَدْحِيَّةٍ بَقِينَ بِقْفَرَةٍ مَيْثَاءُ يَسْكُنُهَا اللَّأَى وَالْفَرْقَدُ (١)

قال أبو حنيفة : اللأى هي البقرة . قال : وسمعت أعرابيا يقول : بكم لاءك هذه ، وأنشد في وصف فلاة :

كَظْهَرِ اللَّأَى لَوْ يَبْتَغَى رِيَّةً بِهَا نَهَارُ الْأَعْيَتِ فِي بَطُونِ الشَّوْاجِنِ (٢)

== قريس تبغى) والمعنى — كما ذكر الوراقاني — (يمتنى إدراك زمن دعوته — صلى الله عليه وسلم — للناس ، وفريش يعارضونه ، ويطلبون خذلان دينه ؛ لينصره ويظهر دينه ، (١) بعثاد : يتتاب . الأدحية — وفيها لغات — : أمكنة بيض النعام . ميثاء : لينة سهلة . الفرقد : ولد البقر (٢) البيت للطرماح وهو في اللسان : تبغى على البناء للمجهول ، وعيت بدلا من أعيت . وقد فسر به بقوله : هذه الصحراء كظهر بقرة وحشية ليس فيها أكمة ولا وهدة . وفي مكان آخر من اللسان في مادة لآي :

كَظْهَرِ اللَّأَى لَوْ يَبْتَغَى رِيَّةً بِهَا لَعْنَتْ وَشَقَّتْ فِي بَطُونِ الشَّوْاجِنِ

يبغى بالبناء للمجهول ، وفتح راه رِيَّةً . ورواه في مادة وري . وشجن بروايات مختلفة .

الشواجنُ : شُعْبُ الجبال ، والرَّيَّةُ : مَقْلُوبٌ من وَرَى الزَّندِ (١) ، وأصله :
وَرِيَّةٌ ، وهو الحَرَّاقُ الذي يُشْعَلُ به الشررة من الزَّند ، وهو عندي تصغيرُ
لأَيٍّ ، واللَّأَيُّ : البُطء ، كأنهم يريدون معنى الأناة ، وترك العَجَلَةِ ، وذلك
أَنِّي أَلْقَيْتُهُ في أشعارِ بَدْرِ مُكَبَّرًا على هذا اللفظ في شعر أبي أسامة ، حيث يقول :
فَدُونَكُمْ بَنِي لَأَيٍّ أَخَاكُمْ وَدُونَكُمْ مَالِكَايَا أُمَّ عَمْرٍو (٢)

مع ما جاء في بيت الحُطَيْيئة في غيره :

أَنْتَ آلَ شَمَّاسِ بْنِ لَأَيٍّ ، وَإِنَّمَا أَنَا هُمْ بِهَا الْأَحْلَامُ وَالْحَسَبُ الْعِدُّ (٣)

وقوله أيضاً :

فَنَاتِ أُمَّ جَارَةَ آلِ لَأَيٍّ وَلَكِنْ يَضْمَنُونَ لَهَا قَرَاهَا

(١) وَرَى الزَّند : خرجت ناره ، وَوَرَى الزَّند كذلك وأورى الزَّند
خرجت ناره وأخرجها .

(٢) ستأتى القصيدة كاملة في الشعر الذى قيل فى قتلى بدر من المشركين .
والشاهد فيه قوله : بنى لَأَيٍّ يريد : بنى لَوَى .

(٣) البيت فى اللسان والقصيدة فى الأغاني ، والخطبة هو أبو مُسْلِكَةَ جَرُول
الشاعر المشهور . كان من أكبر الهجائين والمداحين فى عصره ، وصم يدناه
الخلق ورقة الدين ، إلا أن شعره طار بذكره . جاء عنه فى مذهب الأغاني : « وهو
من لحول الشعراء ومتقدمهم ، ومن فصحاتهم ، متصرف فى جميع فنون الشعر من
المدح والهجاء والفخر والنسيب ، مجيد فى ذلك أجمع » ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية
والإسلام ، فأسلم ثم ارتد ، والبيت من عيون قصائده فى المدح . والأحلام : جمع
حلم : العقل والأناة وضبط النفس . والحسب : ما يعدهه الإنسان من مناقبه
أو شرف آبائه ، والعدُّ : القديم .

وفي الحديث من قول أبي هريرة
[والرواية يومئذ يستحق عليها] أحب إلى من شاء ولأه ، فاللأه ههنا
جمع اللآئي ، وهو الثور ، مثل الباقر والجامل ، وتوهم ابن قتيبة أن قوله :
لأه مثل ماء خطأ الرواية ، وقال : إنما هو الآء مثل : ألعاع جمع لآئ ،
وليس الصواب إلا ما تقدم ، وأنه لأه مثل جاء (١) .

فهر وغيره :

وأما فهر (٢) فقد قيل : إنه لقب ، والفهر من الحجارة : الطويل ، واسمه

(١) ما بين قوسين من اللسان . قال ابن الأثير في النهاية تعليقاً على هذا الحديث :
« قال القتيبي — يعني ابن قتيبة — هكذا رواه نقلة الحديث : لأه بوزن جاء ،
وإنما هو الآء بوزن ألعاع ، وهى الثيران ، واحدها . لآئ بوزن قفا ، وجمعه
أقفاء يريد : « بعير يستحق عليه يومئذ خير من اقتناء البقر والغنم » كأنه أراد
الزراعة لأن أكثر من يقتنى الثيران والغنم الزراعون » .

ويقوله ابن دريد : (واستقاق لؤى من أشياء ، إما تصغير لواء الجيش
وهو محدود ، أو تصغير لوى الرمل (أى ما التوى من الرمل أو منقطعه) وهو
مقصور ، أو تصغير لآئ تقديره : لغى ، وهو الثور الوحشى ، والتلوى اعوجاج
في ظهر القوس . واللوى : الوجع يعترى البطن ، وتقول لويت الرجل دينه ألويه
لياً إذا مطلته .

(٢) لم يذكر هنا غالباً وهو — كما يقول ابن دريد — فاعل من قولهم : غلب
يغلب غلباً . ويقول ابن دريد : الفهر : الحجر الأملس يملأ الكف أو نحوه ،
وهو مؤنث يدل على ذلك أنهم صغروا فهر : فهيرة ، وقال الحشنى ص ٣ : يذكر
ويؤنث ، وخطأ الأصمعي من يؤنثه

قُرَيْش ، وقيل : بل اسمه فِهْر ، وقُرَيْش لقب له على ما سيأتي الاختلاف فيه - إن شاء الله تعالى - ومالك والنضر وكنانة لا إشكال فيها (١) .

مزممة:

وَحَزِيمَةُ وَالْدُّكْنَانَةُ تصغيرُ حَزْمَةٍ ، وهى واحدة الخَزَمِ (٢) ، ويجوز أن يكون تصغير حَزْمَةٍ ، وكلاهما موجود فى أسماء الأنصار وغيرهم ، وهى التمرة الواحدة من الخَزَمِ ، وهو : شد الشيء وإصلاحه ، وقال أبو حنيفة : الخَزَمُ مثل الدَّوْمِ تُتَّخَذُ مِنْ سَعَفَةِ الْجِبَالِ ، وَيُصْنَعُ مِنْ أَسَافِلِهِ خِلَالًا لِلنَّحْلِ ، وله ثمر لا يأكله الناس ، ولكن تألفه الغربان وتستطيعه .

(١) مالك فاعل من (ملك) والنضر هو أبو جميع قريش ، والنضر : الذهب بعينه ، والنصار : الخالص من كل شيء ، وربما سمي الذهب : نصارا ، وكل شيء استحسن فهو نصير . وابن كنانة : الكنانة : كنانة النبل إذا كانت من آدم دجلة ، فهى كنانة فإن كانت من خشب ، فهى جفير ، وإن كانت من قطعتين مقرونتين فهى قرن ، والكنانة تجمع هذا كله . . . وكن كل شيء : ما اكتنت فى ظله .

(٢) الخَزَم : شجر تتخذ من لحائه الجبال ، وهو خوص الدَّوْمِ . وكانت أنسفاط النساء تعمل منه . والدَّوْم : شجر عظام من الفصيلة النخيلية يكثر فى صعيد مصر ، وفى بلاد العرب وله ثمار فى غلظ التفاحة ذات قشر صلب أحمر ، ونواة ضخمة ذات لب ، وضخام الشجر من كل نوع ، ومفرد خزم : خزمة .

ابن مُذَرِّكَة ، واسم مدركة : عامر بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَد بن عَدْنَان بن أَدَّ

مدركة والباس :

وأما مُدَرِّكَة (١) فمذكور في الكتاب ، والباسُ أبوه ، قال فيه ابن الأنباري : إلياس بكسر الهمزة ، وجمله موافقا لاسم إلياس النبي — صلى الله عليه وسلم — ، وقال في اشتقاقه أقوالا منها : أن يكون فعِيَالاً من الألس (٢) ، وهي الخديعة وأنشد : من قَمَّةِ الجَهْلِ والأُلْسَةِ (٣) .

ومنها أن الألس : اختلاط العقل ، وأنشدوا :

إِنِّي إِذَا لَضَعِيفُ الْعَقْلِ مَالُوسٌ .

ومنها : أنه إفعال من قولهم : رَجَلٌ أَلِيسٌ ، وهو الشجاع الذي لَا يَفِرُّ . قال العجاج :

أَلِيسٌ عَنْ حَوْبَائِهِ سَخِي (٤) .

(١) لقب مدركة ؛ لأنه أدرك الإبل التي كانت قد ضلت ، وهو من أدرك يترك إدراكاً أي : لحق .

(٢) يقال فيه : ألس — بفتح فكسر — غش وخديع . وألس بضم فكسر : اختلط عقله . وابن الأنباري هو : أبو محمد بن القاسم كان من الحفاظ وعلامة في النحو واللغة ، توفي سنة ٣٢٨ هـ . والأنبار بلدة قديمة على الفرات .

(٣) الفهة والفهامة والفهمفة : السعي والزلة والجهلة .

(٤) ليس — بفتح فكسر — ليسا بفتح فسكون شجع ، والحوباء : النفس أو روع القلب .

وقال آخر :

أليس كالتشوان وهو صاح .

وفي غريب الحديث للقتبي^(١) أن فلانا : أليس أهيس التملحس .
إن سئل أزز ، وإن دعي انتهر . وقد فسر ، وزعم أن أهيس مقلوب

(١) يعنى : ابن قتيبة ، وقد نقله اللسان ، وفيه في مادة ليس : الأهوس الذى يدق كل شيء ويأكله .. وربما ذموه بقولهم : أهيس أليس ، فإذا أرادوا الذم عنى بالأهيس : الأهوس ، وهو الكثير الأكل ، وبالأليس : الذى لا يريح بيته ، وهذا ذم . والألاد الخصم الجدل ، والتملحس : الحريص ، أو الذى يأخذ كل ما قدر عليه ، أو الشجاع . جمعها : ملاحس . الأزز : فى القاموس : امتلاء المجلس ، والضيق والممتلئ . وحلب الناقة . وفى النهاية لابن الأثير — المسجد أزز ممتلئ بالناس ، وأتيت الوالى ، والمجلس أزز : كثير الزحام ليس فيه متسع ، والناس أزز إذا انضم بعضهم إلى بعض . وانتهر : قبل وأسرع . وقد جاء فى النهاية لابن الأثير : وفى حديث أبي الأسود : عليكم فلاناً فإنه أهيس أليس التملحس . وعقب بقوله عن ملحس : « هو الذى لا يظهر له شيء إلا أخذه » ، وهو مفعول من التلحس ويقال : التحست منه حتى أى : أخذته ، وفى فتح البارى : إلیاس همزة قطع وهو اسم عبرانى ، وفى اللسان فى مادة ليس : « وإلیاس اسم أعجمى ، وقد سمى به العرب ، وهو إلیاس بن مضر ، وفى مكان آخر فى مادة سئل : « قال المفضل بن سلة — وقد ذكر إلیاس النبى عليه السلام — فأما الیاس بن مضر فألفه ألف وصل ، واشتقاقه من الیاس وهو السِّل ، وقال الزبير بن بكار : الیاس بن مضر هو أول من مات من السِّل ، فسمى السِّل یاساً ، ومن قال إنه إلیاس بقطع الالف على لفظ النبى عليه الصلاة والسلام ، أشد بدت قصى . أمتهى خندف والیاس أبى ، وفى رأى ابن الأبارى ستكون همزة إلیاس مكسورة ، وفى رأى قاسم بن ثابت : ستكون الهمزة مفتوحة لأنها همزة أداة التعريف ال .

الواو، وأنه سرقة من الموقس، وجعلت واؤه بلازيمواج الكلام، فالأليس :
الثابت الذي لا يبرح، والذي قاله غير ابن الأنباري أصح، وهو أنه الياس
سُمي بضد الرجاء، واللام فيه للتعريف، والهمزة همزة وصل، وقاله قاسم
ابن ثابت في الدلائل^(١)، وأنشد آياتاً شواهد منها قول قصى :

إني لَدَى الخَرْبِ رَخِي اللَّبِّبِ أُمِّهِ خَنْدِفٌ وَالْيَاسُ أَبِي^(٢)

(١) هو ابن حزم الموفى المالكي الأندلسي الفقيه المحدث توفي سنة ٥٣٠ هـ .
(٢) اللبب، المنخر، وموضع القلادة من الصدر، وما يشد في صدر
الدابة، لينع استئثار الرّحّل . ولما لرخي اللبب : واسع البال لا يضيق بها،
وفي سعة حال . ويقال : فلان في لب رخى : في سعة وخصب وأمن . والمراد
هنا بيان كثرة مآزرته للأقران مما سبب ارتقاء اللبب من كثرة الجرى . وخندف
زوجة الياس بن مضر هي : ليل بنت حلوان بن عمران . وكان الياس بن مضر
خرج في نجعة، فنفرت إبله من أريب، فخرج إليها عمرو فأدركها، وخرج عامر
فتصيداها، وطبخها، وانقمع عمير في الجباء، وخرجت أمهم تسرع، فقال لها
الياس : أين تخندفين؟ فقالت : ما زلت أخندف في إتركم، فلقبوا — أى أولاد
الياس — مدركة، وهو عامر — كما في نسب قريش — وطابخة، وهو عمرو
كما ذكر المصدر السابق وقعة الطبرى والقاموس، وخندف والخندوف :
المتبحر في مشيه كبراً وبطراً . أقول ذكر الزرقاني في شرح المواهب عن الياس :
وفي سيرة مغلطاي اسمه حبيب، وفي الخميس إنما سمي الياس، لأن أباه كبر، ولم يولد
له، فولد على الكبر والياس : قسمي الياس، وكنيته : أبو عمر . وفي الطبرى
أن الياس قال لعمرو ابنه : إنك قد أدركت ما طلبنا . وقال لعمار : وأنت قد
أنضجت ما طبختنا، وقال لعمير : وأنت قد أسأت، وانقمعتا . وأمى :
والدق، وقيل إن جمع الأم في البهائم . أمات، وفي الناس : أمات . وقال
آخرون . أمات واحداً أمة . وقيل : الماء زائدة، وقيل أصلية . وقد ورد
في اللسان :

ويقال : إنما سُمِّيَ الشُّلُّ داءُ يَاسٍ ؛ وداءُ اليَاسِ ، لأنَّ اليَاسَ بنَ مُضَرَّماتٍ منه . قال ابنُ هَرْمَةَ .

يقول العاذلون إذا رأوني أَصْنَبْتُ بداءَ يَاسٍ ، فهو مُودِي
وقال ابن أبي عاصية :

فلو كان داءُ اليَاسِ بِي ، وأعاني طيبٌ بأرواحِ المَتيقِّ شَفَانِيَا

= إني لدى الحرب رخيَّ لبي عند تناديهم بهال وهب
معتمزم الصولة عال نسي أمي خندف والياس أبي
وهال : زجر للخيـل ، وهب : دعاء لها . وفي باب الهاء ورد في اللسان مكذبا .
عند تناديهم بهال وهب أمي خندف ، والياس أبي
حيندرة خالي لقيط وعلى وحاتم الطائي وهاب النسي
وفيه : وقد جاءت الامة فيما لا يعقل

وفي إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : د ولقيط وعدى . وفي خزانه
الادب للبغدادى أن قوله : «وحاتم الطائي وهاب المي» هو من رجز أورده أبو زيد
في نوادره في موضعين في أحدهما : نسبة إلى امرأة من بني عقيل تفخر بأخوالها
من اليمن وهو :

حيندة خالي ولقيط وعلى وحاتم الطائي وهاب النسي
ولم يكن كخالك العبد الدعى يأكل أزمان الهزال وللشي
هنات غير ميت غير ذكي

وأقول : لا يعقل أن يكون البيت الاول من كلام قصي لأنه كان قبل أن يولد
حاتم . انظر اللسان وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه والامالي والسمط وشرح
شواهد الشافعية ،

وقال عُرْوَةُ بْنُ حِزَامٍ^(١):

بِی الْیَاسُ أَوْ دَاهِ الْهُیَامِ أَصَابَنِی فَاِیَّاکَ عَنِّی لَا یَسْکُنُ بِکَ مَا یَا

وُیَذْکُرُ عَنِ النَّبِیِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لَا تَسُبُّوا الْیَاسَ ، فَإِنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا^(٢) . وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يُسْمَعُ فِی صُلْبِهِ تَلْبِیَّةُ النَّبِیِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْحَجِجِ^(٣) . يُنْتَظَرُ فِی کِتَابِ الْمَوْلَدِ لِلْوَاقِدِی .

وَالْیَاسُ أَوَّلُ مَنْ أَهْدَى الْبُذْنَ^(٤) لِلْبَیْتِ . قَالَه الزَّیْر . وَأُمُّ الْیَاسِ : الرَّبَابُ بِنْتُ حُحَیْرَةَ بْنِ مَعْدَنَ بْنِ عَدْنَانَ قَالَه الطَّبْرِی^(٥) ، وَهُوَ خِلَافُ مَا قَالَه ابْنُ هِشَامٍ فِی هَذَا الْکِتَابِ .

وَأَمَّا مُضَرٌّ ، فَقَدْ قَالَ الْقُتَيْبِيُّ هُوَ مِنَ الْمَضِیْرَةِ ، أَوْ مِنَ الْبَنِ الْمَاضِرِ ، وَالْمَضِیْرَةُ

(١) فِی الْأَغَانِی وَتَرْوِیهِنَ الْأَسْوَاقُ أَنَّهُ لِلْبُجْنُونِ .

(٢) قَالَ الْبَرَهَانَ الزُّرْكَانِيُّ : لَا أُدْرِی أَنَا حَالُ هَذَا الْحَدِیثِ .

وَالَّذِی فِی الْجَامِعِ الصَّغِيرِ : وَلَا تَسُبُّوا مُضَرَ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ ، رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ مَرْسَلًا ، وَهُوَ ضَعِیفٌ .

(٣) أَسْطُورَةٌ لَا یُشْرَفُ النَّبِیُّ وَصَّ ، أَنْ یُخْتَرَعَهَا لَهُ .

(٤) مَفْرُودُهَا بَدَنَةٌ جَمْعُهَا : بُذْنٌ وَبُذْنٌ . قِیلَ : هِیَ الْبَعِیْرُ ذُکْرًا كَانَ ، أَوْ أُنْثَى . وَهَلَاءُ فِیْهَا لِلْوَحْدَةِ لَلتَّائِثِ ، وَنَقَلَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ یَتَعَجَّبُ مِنْ یُخَصُّ الْبَدَنَةَ بِالْأُنْثَى . وَیَقُولُ الْأَزْهَرِیُّ فِی التَّهْذِیبِ : الْبَدَنَةُ لَا تَسْکُونُ إِلَّا مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَمَّا التَّهْدِیُّ فَمِنْ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ ، وَفِی الصَّحَاحِ لِلْجَوْهَرِیِّ أَنَّ الْبَدَنَةَ نَاقَةٌ أَوْ بَقْرَةٌ تَنْحَرُ بِمِکَّةَ سَمِیَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ کَانُوا یَسْمُونَهَا .

(٥) الَّذِی فِی الطَّبْرِی : الرَّبَابُ بِنْتُ حُحَیْدَةَ ، فَلَا یَسْکُونُ مَخَالِفًا لِابْنِ هِشَامٍ .

شئ يُصنع من اللبن (١) ، فسمى : مُضَرَّ لَبِيَاضِه (٢) ، والعربُ تسمى الأبيضَ
أحرَّ ، فلذلك قيل : مُضَرُّ الحِمْراءِ ، وقيل بل أوصى له أبوه بقبَّة حمراء ،
وأوصى لأخيه ربيعةً بفَرَسٍ ، فقيل : مضر الحِمْراءِ ، وربيعَةُ الفَرَسِ .

ومضر أول من سَنَّ للعرب حُدَاءَ الْإِبِلِ (٣) ، وكان أحسنَ النَّاسِ صوتاً
فيما زعموا - وسندكر سبب ذلك فيما بعد - إن شاء الله تعالى - ، وفي الحديث
المروى : «لَا تَسْبُوا مُضَرَ وَلَا ربيعةً ، فإنهما كانا مؤمنين» (٤) ذكره
الزَّيْبِيُّ بن أبي بكر .

نزار ومعه :

وأما نزار ، فمن النَّزْرِ وهو القليلُ ، وكان أبوه حين وُلد له ، ونظر إلى

(١) مضر اللبن بفتح الميم والضاد مضراً ومضراً بسكون الضاد وفتحها
ومضوراً حمض ، وإبيض ، فهو ماضر .

(٢) وقيل لأنه كان يمرض القلوب لحسنه وجماله لأنه كان يأخذ بقلب من
يراه : وقيل اسمه : عمرو ، وكنته : أبو الياس .

(٣) وفي القاموس : «ومضر الحِمْراءِ ، لأنه أعطى الذهب من ميراث أبيه
وربيعة أعطى الخيل ، أولان شعارهم كان في الحرب : الرايات الحمر ، وفي نهاية
الآرب أن أولاد نزار اقتسموا ميراثه : فخرج الفرس من نصيب ربيعة ، فسمى
ربيعة الفرس ، وكان لمضر الباقية الحِمْراءِ ، فسمى مضر الحِمْراءِ . وأما حُلَاوُه للإبل
ففي الكامل لابن الأثير ٢ : ١١ لأنه سقط عن بعيره ، فجعل يقول : يا بداه ،
فأنته الإبل

(٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس .

النور بين عينيه ، وهو نورُ النبوة الذي كان ينتقل في الأصلاب (١) إلى محمد

(١) يغلو بعض الناس في تقدّيس الرسول — صلى الله عليه وسلم — تقدّيساً يتزعّم بهم إلى تأليه ، أو يسبّخ عليه ما أسبّخ الأسطوريون على يسوع ، فيرددون ما رددته المؤلف هنا ، وحقائق التاريخ تكذب هذه المفتريات ، والقرآن يدمغها بأنها ضلالة ، والأحاديث الصحيحة تنفيها . فإن هذه المفتريات تزعم أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — كان نوراً ينتقل في الأصلاب من آدم إلى عبد الله ، وأن هذا النور كان يشرق في جباه هؤلاء الذين كان ينتقل في أصلابهم . ويستشهدون على هذا بقوله سبحانه — (وتقلبك في الساجدين) وأيضاً بما رواه البزار وابن أبي حاتم من طريقين — عن ابن عباس — أنه قال في هذه الآية : « يعني قلبه من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نورا ، والآية القرآنية لا تعطى هذا المفهوم ، وإليك ما يقوله ابن كثير في تفسير قوله تعالى (الذي يراك حين تقوم ، وتقلبك في الساجدين) الشعراء : ٢١٨ ، ٢١٩ .

« قال ابن عباس : (الذي يراك حين تقوم) . يعني إلى الصلاة ، وقال عكرمة : يرى قيامه وركوعه وسجوده . وقال الحسن : (الذي يراك حين تقوم) إذا صليت وحدك ، وقال الضحاك : (الذي يراك حين تقوم) أى من قرأشك ، أو مجلسك ، وقال قتادة : (الذي يراك) قائماً وجالسا ، وعلى حالائك وقوله تعالى : (وتقلبك في الساجدين) قال قتادة : (الذي يراك حين تقوم ، وتقلبك في الساجدين) قال : في الصلاة يراك وحدك ، ويراك في الجمع ، وهذا قول عكرمة . وعطاء الخراساني ، والحسن البصري يقول البغوي : « وقيل معناه : يرى تصرفك وذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين ، وقيل تصرفك في أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك . »

أما ما نقله البزار وابن أبي حاتم عن ابن عباس فهو كلام مفترى على جبر هذه الأمة ابن عباس ؛ ولهذا لم يخرج أحد من رواية الحديث في صحيحه أو مسنده أو سننه ، وقول ابن عباس الذي نقله ابن كثير يدمغ ما نقله البزار بأنه موضوع . ثم إننا =

— صلى الله عليه وسلم — فرح فرحا شديدا به ، ونحَرَ وأطمع ، وقال : إن هذا كله تَزَرُّ لِحَقِّ هذا المولود ، فسمى : زيارا لذلك (١) .

وأما مَعْدُ أبوه فقال ابن الأنباري : فيه ثلاثة أقوال ، أحدها ، أن يكون مَعْدًا من العَدِّ ، والثاني أن يكون مَعْدًا من مَعْدٍ في الأرض أي : أفسد كما قال .

وْخَارِبَيْنِ خَرَبَا مَعْدًا مَا يَحْسِبَانِ اللَّهَ إِلَّا رَقْدًا (٢)

= نسأل : أكان آزر والد إبراهيم من الساجدين ؟ وحسبنا هذا ، وإن تعرض لغيره من تنقل الرسول — صلى الله عليه وسلم — في أصلاهم كما يذهبون . والله تعالى يأمر في القرآن نبيه أن يصدع هذه الآيات : (قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إله) واحدهم ذكرت مرة في سورة الكهف ، وأخرى في فصلت ، (قل : ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدري ما يفعل بي ، ولا بكم) الاحقاف (ما كنت تدري ما الكتاب ، ولا الإيمان) (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك) أفن خصائص البشرية ما يزعم المقترون ؟ وهل تقلب الرسل جميعا تقلب محمد ، فهو ليس بدعا من الرسل ؟ وإذا ثبت أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — يبرهان القرآن — لم يكن يعرف إيمانا ولا كتابا قبل بعثته ، فن أين هذه النبوة التي كان يشرق نورها على جباه أصلا به ؟ إن حقائق القرآن تشهد لمحمد — صلى الله عليه وسلم — بأنه خاتم الرسل ، وعلى خلق عظيم ، وبأنه بالمؤمنين رموف رحيم ، وبأنه ما افتري على الله كذبا . فلنشهد له بما شهد له به القرآن ، لا بما يزينه الشيطان . (١) وقال صاحب الأغاني : سمي بذلك لأنه كان فريد عصره . وقيل : لقب به لنحافته ؛ وعن الماوردي أنه كان مهزول البدن ، فقال له ملك الفرس : مالك يا زيار : ومعناها في الفارسية ، مهزول .

(٢) في اللسان : معد في الأرض : إذا أبعث في المنعاب ، والخارت : اللص أو سارق الإبل . والرجز هو :

وإن كان ليس في الأسماء ما هو على وزن فَعَلَ بفتح الفاء إلا مع التضعيف، فإن التضعيف يُدخل في الأوزان ما ليس فيها كما قالوا . شَمَّرَ وقَشَعَرَرَة ، ولولا التضعيف ما وُجدَ مثل هذا ، ونحو ذلك الثالث أن يكونَ من المعدَّين ، وهما موضع عَقَبَى الفارس من الفَرَسِ (١) وأصله على القولين الأخيرين من المعدَّ بسكون العين ، وهو القوة ، ومنه اشتقاق المعدة .

عمرانه :

وأما عَدَنانُ فَعَدَنانٌ من عَدَنَ إذا أقام ، ولعدنان أخوان : نَبَتٌ وعَمْرُوٌ فيما ذكر الطبري (٢) .

النسب قبل عمرانه :

وأدَدٌ مَضْرُوفٌ . قال ابن السراج . هو من الود وانصرف ، لأنه مثل ثَقَبَ ، وليس مَعْدُولاً كَعَمَرَ ، وهو معنى قول سيبويه .

== أخشى عليها طيئاً وأسداً : وخاربين خَرَبَتَا فَمَعَدَا : لا يحسبان الله إلا رقداً أي : اختلساها واختطفها . قال ابن بري عن معد : الميم أصلية ، قال : وكذا ذكر سيبويه : قولهم مَعَدٌ فقال : الميم أصلية لقولهم تمعد قال ولا يحمل على تمفعل مثل تمسكن لقلته ونزارته . وفي مادة معد نقل اللسان عن اللحياني : معد الشيء معداً وامتعد : اختطفه ، فذهب به ، وقيل اختسلة . ثم استشهد بهذا الرجز ، ومعد في الأرض يمتعد . بضم العين ، معداً ومعدوداً : إذا ذهب .

(١) في اللسان أيضاً : المعدان : الجنبان من الإنسان وغيره . . والمعدان من الفرس ما بين رموس كتفيه إلى مؤخر مته .

(٢) هما أخواه لآبيه كما في الطبري .

(م ه - الروض الأثف)

وقد قيل في عدنان : هو ابن مَيْدَعَةَ وقيل ابن يُحْثَم (١) قاله الْقَتَيْبِيُّ وما بعد عدنان من الأسماء مُضْطَرَب فيه ، فالذى صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوز ، بل قد روى عن طريق ابن عباس أنه لما بلغ عدنان . قال : « كَذَبَ النَّسَابُونَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا » (٢) ، والأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود (٣) ، وروى عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : إنما تنتسب إلى عدنان ، وما فوق ذلك لا ندرى ما هو وأصح شيء روي فيما بعد عدنان ما ذكره الدُّوْلَابِيُّ (٤) أبو بشر من طريق موسى بن يعقوب ، عن عبد الله بن وهب بن زَمْعَةَ الزَّمْعِيُّ ، عن عمته ، عن أم سلمة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانَ بْنُ أَدَدَ بْنِ زَنْدٍ - بالنون - بن الأبري بن أعراق الثري » (٥) « قالت أم سلمة : فَرَنْدٌ هُوَ

(١) الذي في المعارف لابن قتيبة : يُحْثَم .

(٢) أخرجه ابن عساكر ، وابن سعد والديلمي في مسند الفردوس وقال ابن عبد البر في الإنباه : ليس بالإسناد القوي .

(٣) كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى : (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) يقول : كَذَبَ النَّسَابُونَ . يعني أنهم يدعون علم الأنساب ، ونفى الله عنها عن العباد بقوله سبحانه : لَا يَعْلَمُهُمْ (إِلَّا اللَّهُ) الزرقاني في المواهب .

(٤) هو : أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد الأنصاري الرازي الدُّوْلَابِيُّ روى عنه ابن أبي حاتم وابن عدى وابن حبان والطبراني وغيرهم . قال الدارقطني تسكلموا فيه . وقال ابن يونس : ضعيف ولد سنة ٢٢٤ ومات ٣١٠ هـ .

(٥) هو في الطبري بدون ال ، وفي غيره : برى - بالباء - وهو الصواب ، فالبري : التراب وهو يناسب معنى ما بعده . والحديث مكذوب ، فالرسول =

الْهَمِيسَعُ ، وَالْيَرَسَى هُوَ : نَبْتُ ، وَأَعْرَاقُ الثَّرَى هُوَ : إِسْمَاعِيلُ ؛ لِأَنَّهُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِبْرَاهِيمُ لَمْ تَأْكُلْهُ النَّارُ ، كَمَا أَنَّ النَّارَ لَا تَأْكُلُ الثَّرَى .

وَقَدْ قَالَ الدَّارُ قُطَيْبٌ : لَا نَعْرِفُ زَنْدًا إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، وَزَنْدُ بْنُ الْجَوْنِ وَهُوَ أَبُو دُلَامَةَ الشَّاعِرُ .

قَالَ لِلزُّوْفِ : وَهَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي لَيْسَ بِمَعَارِضَ لِمَا تَقْدِمُ مِنْ قَوْلِهِ : كَتَبَ النَّسَابُونَ ، وَلَا لِقَوْلِ عَمْرِو بْنِ حَرْصٍ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ لِأَنَّهُ حَدِيثٌ مُتَأَوَّلٌ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ : «ابْنُ الْيَرَسَى ، ابْنُ أَعْرَاقِ الثَّرَى» كَمَا قَالَ : «كُلَّكُمْ بَنُو آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ» (١) لَا يَرِيدُ أَنَّ الْهَمِيسَعَ وَمَنْ هُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ لَصَلْبِهِ ، وَلَا بَدَأَ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ أَوْ غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْأَخْبَارِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي بَعْدِ الْمَدَّةِ مَا بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِبْرَاهِيمَ ، وَبِاسْتِحْصَالِ فِي الْعَادَةِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعَةُ أَبْنَاءٍ أَوْ سَبْعَةٌ ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، أَوْ عَشْرَةٌ أَوْ عَشْرُونَ ؛ فَإِنَّ الْمَدَّةَ أَطْوَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ،

==الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْتَرِيَ مَا يَكْذِبُ الْقُرْآنُ: فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: وَلَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ. وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ مَا قَالَهُ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودٍ وَقَدْ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: «مَا وَجَدْنَا أَحَدًا يَعْرِفُ بَعْدَ مَعْدِنَ بْنِ عَدْنَانَ، وَيُرْوَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِنْبَاءِ قَوْلَ عِكْرَمَةَ: «أَضَلَّتْ نِزَارَ نَسَبِهَا، وَشَتَلَ مَالِكٌ عَنِ الزَّجَلِ يَرْفَعُ نَسَبَهُ إِلَى آدَمَ، فَكَرِهَ ذَلِكَ وَقَالَ: مَنْ أَخْبَرَهُ بِذَلِكَ؟» وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْخَطَّابِ عَمْرُو بْنُ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَشْهُورُ بِأَنَّهُ: ابْنُ دَحِيَّةٍ: «أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ — وَالْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ — عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — إِذَا مَا انْتَسَبَ إِلَى عَدْنَانَ وَلَمْ يَتَجَاوِزْهُ، وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَنْتِسَابِ الَّتِي بَعْدَ عَدْنَانَ مَنقُولٌ عَنْ أَصْفَارِ الْيَهُودِ.

(١) رَوَاهُ الْبُزَارِيُّ عَنْ حَذِيقَةَ وَزَوَّى قَرِيبًا مِنْهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالْبَيْهَقِيُّ وَتَأْوِيلُ السَّيْلِيِّ لَا يَنْسَبُ مَكَانَةَ عَالَمٍ مِثْلِهِ .

وذلك . أن معد بن عدنان كان في مدة مُخْتَصَر (١) ابن ثَلَاثِي عَشْرَةَ سَنَةً .

قال الطبري : وَذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَى إِرْمِيَاءَ
بن حَلْقِيَا (٢) أَنْ اذْهَبْ إِلَى مُخْتَصَر ، فَأَعْلَمْهُ أَنَّ قَدَسُلَطَتَهُ عَلَى الْعَرَبِ ،

(١) يذكر المسعودي عن كثير من عني بأخبار الفرس أنه كان مَرُزْبَانِ
العراق والمغرب ، وأنه هو الذي وطىء الشام ، وفتح بيت المقدس ، وسبي بني
إسرائيل و المَرْزَبَانِ يراد به صاحب ريع المملكة وقائد عسكر ووزير وصاحب
ناحية من النواحي ، ووالها ، وأسفار اليهود تلقبه : دِنيوخذ نصّر ، ويقول
الدكتور بوست في قاموسه : د إنه لقب لملك بابل ، وهو مذكور في أسفار
الملوك والآيام وعزرا ونحميا وأستير وأرميا ولاسيا في دانيال ، ويقول : إنه
مات سنة ٥٦١ قبل الميلاد وأن مدة ملكه أربع وأربعون سنة وأقول : إنه يلقب
في أسفار اليهود بأنه ملك بابل ، وقد خرب أورشليم (القدس) هدم معابدها
وقصور ملكها ، وأحرق كل بيوتها ما عدا بيوت الكرامين والفلاحين وقضى
على كهانهم ، واستولى على كل كنوز المعابد وانظر الجزء الثاني من قاموس الدكتور
بوست ، والإصحاح الأخير من سفر أرميا ، وانظر ص ٢٨٠ ج ١ الطبري طبع
الحسينية ، وص ٢٩٢ أيضا ففيه قصة معد الخرافية مع مختصر وكان سن معد ١٢ سنة
(٢) يقول عنه بوست في قاموسه : د أحد أنبياء العبرانيين العظام ، وهو
ابن حلقيا من نسل الكهنة ، ثم يزعم أنه كان حديث السن حينما أقامه الله نبيا
فلذلك رفض الدعوة أولا ، غير أن الله وعده بالمعونة والنعمة فيادعاه إليه ، وذكر
بوست نفس ما يقوله السهيلي ، وفي الطبري مثله بما يتطوع بأن المرجع واحد ، وهو
أسفار اليهود . وقد ذكر بوست أن نبوته تشمل مدة ست وأربعين سنة بين
سنة ٦٢٨ و سنة ٥٨٦ قبل الميلاد . . . وكان من نبواته في شأن ما سينزل ببني
إسرائيل ، لأنهم عبدوا الأصنام ، وحادوا عن طريق الرب ، واتبعو الملذات
— هو لفظ بوست — والفساد . وله سفر هو الرابع والعشرون من أسفار
العهد القديم .

واِحلَّ مَعْدًا عَلَى الْبُرَاقِ كَيْلًا تَصِيْبُهُ النِّقْمَةُ فِيهِمْ (١) ، فَإِنِّي مُسْتَخْرِجٌ مِنْ صُلْبِهِ نَبِيًّا كَرِيمًا أَخْتِمُ بِهِ الرِّسْلَ ، فَاحْتَمِلْ مَعْدًا عَلَى الْبُرَاقِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ ، فَتَشَأْ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَتَزُوجَ هُنَاكَ امْرَأَةً اسْمُهَا : مُعَانَةُ بِنْتُ جَوْشَنَ مِنْ بَنِي دُبُّ بْنُ جُرْهُمَ ، وَيُقَالُ فِي اسْمِهَا : نَاعِمَةٌ . قَالَ الزَّيْبِرُ ، وَمَنْ نَحْنُ وَقَعَّ فِي كِتَابِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ نَسْبُ مَعْدَ ، ثَبَّتَهُ فِي كِتَابِهِ رُخْيَا ، وَهُوَ يُوْرِخُ (٢) كَاتِبُ إِرْمِيَاءَ . كَذَلِكَ ذَكَرَ أَبُو عَمْرِو النَّمَرِيُّ (٣) حَدَّثَتْ بِذَلِكَ عَنْ الْفَسَّافِ فِي عَنِّهِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ فِي ذَلِكَ النَّسَبِ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِينَ جَدًّا ، وَقَدْ ذَكَرَهُمْ كُلَّهُمْ أَبُو الْحَسَنِ الْمُسَوْدِيُّ عَلَى اضْطِرَابٍ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَلِذَلِكَ

(١) الَّذِي فِي الطَّبَرِيِّ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى إِرْمِيَا وَبَرُخْيَا أَنَّ اللَّهَ سَلَطَ بِمُخْتَصَرٍ عَلَى أَهْلِ عَرَبِيَّةٍ ، كَمَا سَلَطَهُ عَلَى قَوْمِهِمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا : فَعَلَيْكُمَا بِمَعْدِ ابْنِ عَدْنَانَ ، فَخَرَجَا حَتَّى سَبَقَا بِمُخْتَصَرٍ ، فَلَقِيَهُمَا عَدْنَانُ ، فَطَوِيَاهُ إِلَى مَعْدَ ، فَخَمَلَهُ بِرُخْيَا إِلَى الْبُرَاقِ وَرَدَفَ خَلْفَهُ ، فَاتَّهَمَا إِلَى حِرَانَ ، وَطَوِيَتْ الْأَرْضُ لِإِرْمِيَا ١١ ص ٢٩٢ ج ١ الطَّبَرِيُّ ، وَهُوَ كَلَامٌ يَحْتَاجُ إِلَى كَلَامٍ يَثْبِتُهُ ١١

(٢) وَاسْمُ بَرُوخَ فِي سَفَرِ أَرْمِيَا : بَارُوخُ يُقَالُ لِأَنَّهُ حَمَلَ رِسَالَةَ إِرْمِيَا إِلَى بَابِلَ تَخْبِرُ بِمَا سَيَحِلُّ بِالْمَدِينَةِ مِنْ قَضَاصِ اللَّهِ ، وَكَانَ بَارُوخُ فِي جَمَلَةٍ مِنْ عَادَ إِلَى مِصْرَ وَالَّذِي وَرَدَ فِي سَفَرِ عِزْرَا : مَعْدَايَ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ بَيْنَ بَنِي الْكَهَنَةِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا نِسَاءَ غَرِيبَةٍ ، وَذَكَرَ اللَّهُ مِنْ بَنِي بَالِ . أَمَّا مَعْدَايَا الْمَذْكُورُ فِي نَحْوِهَا ، فَكَانَ كَاهِنًا ، وَيَقُولُ الطَّبَرِيُّ وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ مُسَلِّمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ قَرَأَ مِنْ كِتَابِهِمْ ، فَذَكَرَ أَنَّ بَرُوخَ بْنَ نَارِيَا كَاتِبُ إِرْمِيَا أَثْبَتَ نَسْبَ مَعْدَ وَوَضَعَهُ فِي كِتَابِهِ .

(٣) أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : وَاسْمُهُ ، يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ شَيْخِ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَكَبِيرِ مُحَدِّثِيهَا فِي عَصْرِهِ تَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٣ هـ ، وَفَتَحُوا الْمِمْ فِي النَّسْبَةِ إِلَى نَمْرِ اسْتِيحَاشًا لِتَوَالِي الْكُسَرَاتِ لِأَنَّ فِيهِ حَرْفًا وَاحِدًا غَيْرَ مَكْسُورٍ .

— والله أعلم — أعرض النبي — صلى الله عليه وسلم — عن رفع نسب عدنان إلى إسماعيل ، لما فيه من التخليط ، وتغيير في الألفاظ ، وعواسة تلك الأسماء مع قلة الفائدة في تحصيلها . وقد ذكرى الطبرى نسب عدنان إلى إسماعيل من وجوه ذكر في أكثرها نحواً من أربعين أباً ، ولكن باختلاف في الألفاظ (١) ، لأنها نقلت من كتب غيرائية ، وذكر من وجه قوى في الرواية عن نسب العرب ، أن نسب عدنان يرجع إلى قيذر (٢) بن إسماعيل ، وأن قيذر كان الملك في زمانه ، وأن معنى قيذر : الملك إذا قُسر ، وذكر الطبرى في عمود هذا النسب بوراً بن شوحاً ، وهو أول من عتر العتيرة ، وأن شوحاً هو : سعد رجب ، وأنه أول من سنَّ رجباً للعرب . والعتيرة هي الرجبية (٣) .

(١) ولكنى تعرف مدى اضطرابهم في هذا أنهم ذكروا — وحملوها لابن عباس ظلماً — أن بين عدنان وإسماعيل ثلاثين أباً لا يعرفون ، وقيل هم أربعة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة أو عشرة أو خمسة عشر أو عشرون أو ثمانية وثلاثون أو تسعة وثلاثون ، أو أربعون ، أو فوق هذا (٢) في القاموس : قيذر وكذلك في بعض نسخ مروج الذهب للمسعودى ، وفي المطبوعة : قيذر ، وفي كتاب نسب قريش : قيذر وفي الطبرى : قيذر وقيذر وقيذر ، وقد ذكر نقلاً عن ابن إسحاق هذه الحقيقة عن علم الأنساب : « وذلك أنه أخذ من أهل الكتاب الأول ، صفحة ١٩٢ ج ٢ الطبرى وفي ص ١٩٤ » وتأويل قيذر : صاحب ملك ، (٣) انظر ص ١٩٣ ج ٢ من الطبرى ، وقد كان الرجل — كما في اللسان وغيره — يقول في الجاهلية : إن بلغت لبلى مائة عترة عنها عتيرة ، فإذا بلغت مائة ضنّ بالغنم ، فصاد ظيياً فذبحه ، وعن الأزهري ، أن العرب في الجاهلية كانت إذا طلب أحدهم أمراً نذر : لن ظفر به ليدبحن من غنمه في رجب كذا ، وكذا ، وهى العتائر أيضاً ، فإذا ظفر به فربما ضاقت نفسه عن ذلك ، وضنّ بغنمه ، وهى الربيض ، فأخذ عديها ظناً =

وذكر في هذا النسب عُبَيْدُ بْنُ ذِي يَزَنَ بْنِ هَكَذَا ، وهو الطَّعَانُ ، وإليه تُنسَبُ الرِّمَاحُ الْبِزْرِيَّةُ^(١) ، وذكر فيهم أيضاً دَوْسُ الْمُتَّقِ ، وكان من أحسنِ الناس وَجْهاً ، وكان يقال في المثل : أَعْتَقُ مِنْ دَوْسٍ^(٢) ، وهو الذي هزم جَيْشَ قَطُورَانَ بِجُرْمٍ .

فيذبحها في رجب مكان تلك الغنم ، وقد عثر بفتح التاء يعثر بكسرهما عثرا يسكونها إذا ذبح العتيرة . وهكذا كان الأمر في صهر الإسلام ، وأوله ، ثم قضى عليه وألحق للرجية المعروفة الآن نسباً إلى ذلك . ورجية السيد البدوي أيضاً . ويقول الخطابي : العتيرة : تفسيرها في الحديث : أنها شاة تذبح في رجب . وأما العتيرة التي كانت تعتبرها الجاهلية ، فهي الذبيحة التي كانت تذبح للأصنام ، فيصب دمها على رأسها ، النهاية لابن الأثير ، والرجية : ما كان يذبح للأصنام في الجاهلية في رجب ، ويقول المسعودي في أسباب تسمية العرب لشهورها : « ورجب لخوفهم إياه ، يقال : رجبته الشيء إذا خفته ، وابن الأثير يقول : « أضاف رجبا إلى مضر ؛ لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم ، والرايان غير متضادين .

(١) الذي في الطبري عن ابن إبداعي : « وهو عبيد ، وهو يَزَنُ الطعان ، وهو أول من قاتل بالرماح ، فنسبت إليه — ابن همداني .

(٢) من العتق ، وهو الكرم والجمال والنجابة والشرف والحربة ، في الطبري . ويقول العرب : أعتق من دوس لأميرين : أما أحدهما ، فالحسن وعقده ، والآخر لقدمه . جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : إن دوساً قد هلك . عصت وأبت فادع الله عليهم ، فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال : اللهم اهد دوساً وأت بهم . متفق عليه . وعن أبي هريرة قال : قال لي النبي : من أنت ؟ قلت : من دوس . قال : ما كنت أرى أن في دوس أحداً فيه خير . الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح . وأقول : إن الأول أشبه بخلق الرسول صلى الله عليه وسلم .

وذكر فيهم إسماعيل ذا الأعوج ، وهو فرسه ، وإليه تُنسب الخيلُ
الأعوجية^(١) ، وهذا هو الذي يشبهه ، فإن يُختنصرَ كان بعد سليمان
بمئتين من السنين ، لأنه كان عاملاً على العراق «لكي لهراسب» ثم لابنه «كي
بشتاسب»^(٢) «إلى مدة بهمن قبل غلبة الإسكندر على دارا بن دارا بن
بهمن ، وذلك قريب من مدة عيسى بن مريم فأين هذه المدة من مدة إسماعيل ؟
وكيف يكون بين مَعْدَةٍ وبنيه مع هذا سبعة آباء ، فكيف أربعة والله أعلم ؟

وكان رجوع معد إلى أرض الحجاز بعد ما رفع الله بأسه عن العرب
ورجعت بقاياهم التي كانت في الشواهي إلى مَحَالِّهم ومِيَاهِهِم بعد أن دَوَّخَ
بِلَادَهُم بِمُخْتَنَصِرٍ ، وخرب العمور ، واستأصل أهل حَضُور^(٣) ، وم

(١) الأعوج : خل كريم تنسب الخيل الكرام إليه . وأعوج أيضا فرس
عدى بن أيوب ، وفرس كان لكندة فأخذته بنو سليم ، فصار إلى بني هلال
وليس في العرب خل أشهر منه ، ولا أكثر نسلا ، وقيل كان ابني آكل المرام ثم
صار ابني هلال بن عامر د عن اللسان .

(٢) اسمها هكذا في الطبري وكي لهراسب وبشتاسب ، ويذكر الطبري
والمسعودي أن مدة ملك الأول ١٢٠ سنة والآخر ١١٢ سنة ويذكر أن يُختنصر
عاش أكثر من ٣٠٠ سنة . ص ٢٨٢ ج ١ الطبري وص ٢٢٨ ج ١ المسعودي
مطبعة السعادة ، ويذكر بوست أن مدة ملك يُختنصر كان ٤٤ سنة ، ويقول عن
سليمان إنه ملك أربعين سنة من ١٠٢١ ، ٩٨١ قبل الميلاد ، فيكون بينه وبين
يُختنصر أكثر من ٤٠٠ سنة . والله أعلم بالصواب .

(٣) بلدة باليمن من أعمال زبيد ، وتروى بالالف الممدودة ومراد
الاطلاع .

ويقال أَدَدُ بْنُ مُقُومٍ بْنُ نَاحُورَ بْنِ تَيْرَحَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ نَابِتَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ) الْأَنْبِيَاءُ الْآيَةُ ؛ وَذَلِكَ لِقَتْلِهِمْ شُعَيْبَ بْنَ ذِي مَهْدَمَ (١) نَبِيًّا أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَقَبْرُهُ بِصَنْيْنِ جَبَلِ الْيَمَنِ ، وَلَيْسَ بِشُعَيْبِ الْأَوَّلِ صَاحِبِ مَدْيَنَ (٢) . ذَلِكَ شُعَيْبُ بْنُ عَيْفَى ، وَيُقَالُ فِيهِ ابْنُ صَيْفُونٍ ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ عَدَنَ ، قَتَلُوا نَبِيًّا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ اسْمُهُ : حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ ، فَكَانَتْ سَطْوَةً لِلَّهِ بِالْعَرَبِ لِذَلِكَ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ .

عُودُ إِلَى النَّسَبِ :

ثمَّ نَعُودُ إِلَى النَّسَبِ . فَأَمَّا مُقُومٌ (٣) بِكَسْرِ الْوَاوِ ، وَأَبُو أَدَدٍ فَفَهْوَ الْمَعْنَى ،

(١) فِي الْقَامُوسِ وَذُو مَهْدَمَ كَمَنْبَرٍ وَمَتَقَعَدَ : قِيلَ لَهُ لِمَنْبَرٍ وَمَلِكِ الْحَبَشِ ، وَلَا نَقْطَعُ بِنُبُوَّةِ شُعَيْبٍ هَذَا إِذْ لَمْ يَرُدَّ بِهِ نَصٌّ صَرِيحٌ .

(٢) فِي مَرْوَجِ الْفُتُوحِ ص ٤٩ ج ١ : شُعَيْبُ بْنُ نُؤَيْتَ — وَفِي نَسَخَةِ نُؤَيْلِ بْنِ رَاعُوِيلَ بْنِ مَرِّ بْنِ عَنَقَاءَ ، بْنِ مَدْيَنَ ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ . وَفِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ — لِقِصَّةِ شُعَيْبٍ فِي الْأَعْرَافِ — أَنَّهُ شُعَيْبُ بْنُ مَيْكَيْلَ بْنِ يَشْجَرَ وَاسْمُهُ بِالسَّرْيَانِيَّةِ : بَثْرُونَ ، وَنَسَبُ الْبُخَوِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ إِلَى عَطَاءَ أَنَّهُ شُعَيْبُ بْنُ تَوْبَةَ بْنِ مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِلَى ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ شُعَيْبُ بْنُ مَيْكَائِيلَ بْنِ يَسْحَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ . وَهَكَذَا كَلَّمَا بَعْدَنَا عَنْ الْحَنِّ اضْطِرَابِ الْقَوْلِ وَالْفِكْرِ . وَمَدْيَنُ تَجَاهُ تَبْرُكَ عَلَى بَحْرِ الْقَلْزُومِ بَيْنَهُمَا سِتَ مَرَاوِحِلَ وَيَقُولُ بُوْسْتُ : لِأَنَّهَا كَانَتْ تَمْتَدُّ مِنْ خَلِيجِ الْعُقَبَةِ إِلَى مَوَآبِ وَطُورِ سَيْنَاءَ ، أَوْ مِنْ شَبْهِ جَزِيرَةِ سَيْنَاءَ إِلَى الْفِرَاتِ . وَقَالَ الشَّيْخُ النَّجَّارُ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ : دَعَا قَوْمُ شُعَيْبٍ كَانُوا نَزُولًا فِي بِلَادِ الْحِجَازِ — مِمَّا يَلِي الشَّامَ عَلَى خُطِّ عَرْضِ يَوْافِقِ خُطِّ عَرْضِ قَهْقَطَ فِي الْبَرِّ الْإِفْرِيقِ إِلَى الْجَنُوبِ مِنَ الْقَصِيرِ فِي الْجَهَةِ الْمُقَابِلَةِ ، وَقَفْطَ مَدِينَةً بِالصَّعِيدِ الْأَعْلَى كَمَا جَاءَ فِي مَرَاوِدِ الْأَطْلَاعِ .

(٣) فِي الطَّبْرِيِّ مُقُومٌ وَفِي الْمَعَارِفِ بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ مَعَ كَسْرِ .

وتبرَحَ فيَنَعَلَ مِنَ التَّرَحَّةِ إِنْ كَانَ عَرَبِيًّا . وكذلك نَاخُورٌ مِنَ النَّخْرِ ، وَيَشْجُبُ مِنَ الشَّجَبِ ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْرُوفُ أَنْ يُقَالَ : شَجِبَ بِكَسْرِ الْجِيمِ يَشْجُبُ بَفَتْحِهَا (١) ، وَلَكِنْ قَدْ يُقَالُ فِي الْمَغَالِبَةِ : شَاجَبْتُهُ ، فَشَجَبْتُهُ أَشْجُبُهُ بضم الجيم فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَفَتْحِهَا فِي الْمَاضِي ؛ كَمَا يُقَالُ مِنَ الْعِلْمِ : عَالَمْتُهُ فَعَلَمْتُهُ بَفَتْحِ اللامِ أَغَلَمْتُهُ بضمها . وَقَدْ ذَكَرَهُم أَبُو الْعَبَّاسِ النَّاشِئُ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَنْظُومَةِ فِي نَسَبِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى آدَمَ كَمَا ذَكَرَهُمُ ابْنُ إِسْحَاقَ .

وإِبْرَاهِيمُ مَعْنَاهُ : أَبٌ رَاحِمٌ ، وَأَزَّرَ قِيلَ : مَعْنَاهُ : يَا أَعْوَجُ ، وَقِيلَ : هُوَ اسْمٌ صَنَمٌ ، وَانْتَصَبَ عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ فِي التَّلَاوَةِ ، وَقِيلَ : هُوَ اسْمٌ لِأَبِيهِ ؛ كَانَ يُسَمَّى تَارِحَ وَأَزَّرَ (٢) ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ لِمَجِيئِهِ فِي الْحَدِيثِ مَنْسُوبًا إِلَى أَزَرَ

(١) فِي الْقَامُوسِ شَجِبَ كَنَصَرَ ، وَفَرَحَ شَجُوبًا ، وَشَجِبًا مِثْلَ جُلُوسٍ وَمِثْلَ فَرَحٍ : هَلَكٌ وَالشَّجَبُ : الْحَاجَةُ وَالْهَمُّ ، وَعَمُودٌ مِنْ عَمْدِ الْيَتِ ، وَسَقَاءٌ يَابِسٌ يَحْرُكُ فِيهِ حَصَى تَذَعُرُ بِذَلِكَ الْإِبِلُ ، وَأَبُو قَبِيلَةَ ، وَالطَّوِيلُ ، وَبِالتَّحْرِيكِ - شَجِبَ - الْحُزْنَ وَالْعَنَتَ يُصِيبُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ قِتَالٍ . . وَشَجِبَهُ : أَهْلَكَهُ وَحُزَنَهُ وَشَغَلَهُ ، وَالظِّي : رِمَاهُ .

(٢) قَرَأَ عَامَةً قِرَاءَ الْأَمْصَارِ أَزَرَ بِالْفَتْحِ ؛ لِأَنَّهُ بَدَلَ مِنْ أَبِيهِ . وَلَكِنَّهُ - أَيْ أَزَرَ - مَمْنُوعٌ مِنَ التَّنْوِينِ ، فَيَجُزُّ بِالْفَتْحَةِ . وَنَسَبَ إِلَى أَبِي يَزِيدَ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُمَا كَانَا يَقْرَأْنَاهَا بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا مَنَادَى : يَا أَزَرَ . وَقَدْ يُقَالُ غَنِ السَّدى أَنْ أَزَرَ اسْمُ صَنَمٍ ، وَإِنَّمَا وَرَدَ مَنْصُوبًا بِمَعْنَى : أَتَتَّخِذُ أَزَرَ أَحْصَانًا آلِهَةً . فَعَمَلُهُ مَفْعُولًا بِهِ لِفِعْلِ مَضْمَرٍ . وَقَدْ خَطَأَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ رَأَى السَّدى ، وَقَالَ : إِنْ الْعَرَبُ لَا تَنْصَبُ اسْمًا لِفِعْلِ بَعْدَ حَرْفِ الاسْتِفْهَامِ ، لَا تَقُولُ : أَخَاكَ . أَكَلَمْتُ ، وَهِيَ تَرِيدُ : أَكَلَمْتُ أَخَاكَ . ثُمَّ صَوَّبَ قِرَاءَةَ مَنْ قَرَأَ بِفَتْحِ الرَّاءِ مِنْ أَزَرَ بِاعْتِبَارٍ =

وأُمُّه : نونا ، ويقال في اسمها . ليوثى ، (١) أو نحو هذا وما بعد إبراهيم أسما
سُريانية فسر أكثرها بالعربية ابن هشام في غير هذا الكتاب ، وذكر أن
فالع (٢) معناها : القسام ، وشالَح معناها : الرسول ، أو الوكيل ، وذكر أن

==آزر بدلا من أبيه ، أو باعتبار منتهاله ، وذكر أن المختار عنده هو جعل آزر اسما
لوالد إبراهيم ؛ لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه ، وهو القول المحفوظ من قول أهل
العلم . ورد على من يزعم أن تارح هو اسم لوالد إبراهيم بأنه ليس من المحال أن
يكون له اسمان : تارح وآزر ، وجاز أن يكون لقبا .

أقول : والذي سبب هذا الخلاف حول شيء صريح واضح في القرآن هو أن
أسفار اليهود تسمى والد إبراهيم تارح ١١ بينما يقطع القرآن بأنه آزر ١١ فكيف
نعمت بالقرآن ؛ ليوافق ما جاء في أسفار اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ؟؟
وفي الطبري ورد اسم تارح : تارح ، وكذلك في المعارف لابن قتيبة . أما مروج
الذهب ففي نسخة منه : تارح ، وفي أخرى : تارح . أما في سفر التكوين فهو :
تارح ، وقد تكرر ذكره مرارا . انظر الطبري ص ١١٩ ج ١ ، ص ١١ المعارف
لابن قتيبة المطبعة العامرية ، ومروج الذهب ص ٤٤ ج ١ وسفر التكوين . أما
إبراهيم ، فقد ورد في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين عنه ما يأتي : « ولما كان
أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام ، وقال له : أنا الله القدير . سر
أمامي ، وكن كاملا ، فأجعل عهدي بيني وبينك ، وأكثرك كثيرا جدا . فسقط
أبرام على وجهه . وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهو ذا عهدي معك ، وتكون أبا
لجهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك بعد : أبرام ، بل يكون اسمك : إبراهيم ، ويقول
« يوسف » إن معنى أبرام العبراني : أبرام السامح أو المهاجر . أما أبرام فعنها :
أب مرتفع ، أما إبراهيم فعنها : أب جهور عظيم .

(١) في الطبري ص ١٥٩ ج ١ : نونا بنت كريت ، وفي رواية أنموتا .

(٢) وهو أيضا كذلك في المعارف والطبري ومروج الذهب ونسب قریش
أما في سفر التكوين لإصحاح ٩ ففالج ، ويذكر المسعودي أنه عاش ٢٣٠ سنة وفي
نسخة ٢٣٩ سنة .

إسماعيل تفسيره : مطيع الله ، وذكر الطبري أن بين فالغ وعابر أبا اسمه : قَيْن (١) أسقط اسمه في التوراة ؛ لأنه كان ساحرا ، وأزفخشُد (٢) تفسيره : مصباح مضيء ، وشاذ مخفف بالسريانية « الضياء ومنه : حم شاذ » بالسريانية وهو رابع الملوك بعد « جيومرث » ، وهو الذي قتله الضحَّاك ، واسمه « بيوراسب بن إندراسب » والضحَّاك مُعَيَّرٌ من أزدهاق . قال حبيب :

وكانَّه الضحَّاكُ في فتكاته بالعالمين وأنت أفريدون (٣)

(١) ورد في سفر التكوين ما يأتي : وعاش أنوش بن شيث بن آدم تسعين سنة وولد قينان ، وعاش أنوش بعدما ولد قينان ٨١٥ سنة . . . وعاش قينان سبعين سنة ، وولد مهللثيل ، وعاش قينان بعدما ولد مهللثيل ٨٤٠ سنة ويذكر الطبري أن قينان هو : ابن يافث بن شيث بن آدم ، وفي مكان آخر أن قينان هو ابن أنوش بن شيث ، وفي مكان آخر ص ١٠٧ ج ١ أن قينان بن أرخشيد ويقول بوس : « قينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح ، ولا يذكر في سلسلة نسب أرفكشاد في الأصل العبراني ، ويظن أنه أدخل لإدخاله في الترجمة السبعينية ، ومن هذه الترجمة نقل لوقا الإنجيلي اسمه ، فذكره في جدول ألقابها ، أما الطبري فنص تعبيره عن قينان في ص ١٠٤ ج ١ : « ولا ذكر له في التوراة ، وهو الذي قيل إنه لم يستحق أن يذكر في الكتب المنزلة ، لأنه كان ساحرا ، وسمى نفسه إلهما .

(٢) كذا في المروج ، وفي التمهيد والأهم لابن عبد البر وفي الطبري والمعارف : أرخشيد .

(٣) حم شاذ : هو حمشيد أو جمشيد أو جم وهو أحد ملوك الفرس القدامى . ويقول المسعودي : وقيل : كان في زمنه الطوفان ، وأن النور حدث في أيامه ، وأنه حكم ٦٠٠ سنة أو ٩٠٠ أما جيومرث ، فهو — كما يزعم الفرس — أول ملوكهم ، وأنه هو آدم ، أو ابن آدم ، أما الضحَّاك ، فاسمه : بيوراسب ، وهو =

ابن إبراهيم - خليل الرحمن - بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن راعو
ابن فالخ بن عيبر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن كنعان بن متوشلخ
ابن أخنوخ ، وهو إدريس النبي - فيما يزعمون - والله أعلم ، وكان أول بني آدم

لأن أفريدون هو الذي قتل الضحاك ، بعد أن عاش ألف سنة في جورٍ وعُتُوٍ
وطُغيان عظيم ؛ وذلك مذكور على التفصيل في تاريخ الطبري وغيره .

نوح ومن قبله :

وذكر نوحًا — عليه السلام — واسمه : عبدُ الغفار ؛ وسمى نوحًا
لنوحه على ذنبه ، وأخوه : صاب بن لامك ؛ إليه ينسب دينُ الصابئين (١)
فيما ذكروا والله أعلم .

وذكر أن لامك والد نوح عليه السلام . ولامك أول من اتخذ العودَ
للغناء بسبب يطول ذكره ، واتخذ مصانع للماء . وأبوه : متوشلخ . وذكره

==الازدهاق== والعرب تسميه : الضحاك ، كما يقول الطبري ، فتجعل الحرف
الذي بين السين والزاي في الفارسية ضادا ، والهاء حاء ، والقاف كافا ، وينقل
الطبري عن روايته أنه هو النورود الذي عمل على إحراق إبراهيم ، وهو الذي قتل
جشيد . وقد ذكرته شعراء العرب كثيرا ، واقتصر به أبو نواس ، وزعم أنه من
البنين . وأفريدون أو أفريدون هو الذي حكم بعد الضحاك ونكل به ، وكان ملك
أفريدون كما في المروج ٥٥٠ سنة ، انظر ص ٩٧ وما بعدها ج ١ الطبري ، ،
ص ٢٢٠ ج ١ مروج الذهب . وببيت الشعر لحبيب بن أوس الطائي المشهور
بأبي تمام .

(١) هم عبدة الملائكة أو الكواكب وتطلق أيضا على من يخرج من دين
إلى دين ، وقد جاء ذكرهم في القرآن .

الناشيء في قصيدته^(١) فقال : متوشلخ ، وتفسيره : مات الرسول ؛ لأن أباه كان رسولا وهو^(٢) خنوخ ؛ وقال ابن إسحاق وغيره : هو إدريس النبي - عليه السلام - وروى ابن إسحاق في الكتاب الكبير عن شهر بن حوشب عن أبي ذر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أول من كتب بالقلم إدريس^(٣) » وعنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال : « أول من كتب بالعربية إسماعيل^(٤) » وقال أبو عمر : وهذه الرواية أصح من رواية من

(١) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الناشيء . وهي قصيدة طويلة وردت في ابن كثير والقصد والامم لابن عبد البر . وموضوعها : مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - وذكر نسبه إلى آدم ، وهي تبلغ ثمانين بيتا تقريبا . وهاك ما قاله عن متوشلخ

ومن قبل لمك لم يزل متوشلخ يزود العدا بالذائدات الشوارب
ص ٤٤ الإنباه على قبائل الرواه لابن عبد البر ط ١٣٥٠ هـ و ١٥٧ ج ٢ البداية
(٢) في السيرة المطبوعة على هامش « الروض » ، أخنوخ ، وفي طبعة الحلبي
أما في الطبري فخنوخ .

(٣) رواه أحمد عن أبي ذر في حديث طويل وعند ابن حبان أن إدريس كان أول من خط بالقلم .

(٤) ذكر ابن عبد البر في كتابه : « القصد والامم » ، روايات مختلفة . فمن كعب الأحبار : أن أول من تكلم بالعربية : جبريل ، وأن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها : آدم ، وعن ابن بريدة أن اللسان العربي المبين هو لسان جرم ، وعن الكلبي أن أول من تكلم بها عليلق ، وعنه أيضا أنه يعرب بن قحطان ، وأن عادا تكلمت بها ولم تفصح ، وأن الذين تكلموا بها قديما هم قحطان وعاد وثمود وعملاق وطسم وجديس ، وروى عن غيره أن الله -

روى : أن أولَ مَنْ تكلم بالعربية إسماعيل^(١) ؛ والخلاف كثير في أول من تكلم بالعربية . وفي أول من أدخل الكتابَ العربيَّ أرضَ الحجاز . فقيل : حَرْبُ بن أُمَيَّة . قاله الشعبي . وقيل : هو شعبان بين أُمَيَّة . وقيل : عَبْدُ بن قُصَيٍّ تعلمه بالحيرة أهلُ الحيرة من أهل الأنبار^(٢) .

إدريس :

قل المؤلف : ثم نرجع الآن إلى ما كنا بصدده . فنقول : إن إدريس

أعطى باللسان العربي يوم تلبثت الألسن بيا بل في زمن نمرود بن كوش بن كنعان وعن وهب بن منبه أن أول من تكلم بها هود ، وعن غيره أنه إسماعيل مما يدل على كثرة الاضطراب والخلاف ١١

(١) نص كلام ابن عبد البر : « وأظن رواية من روى « كتب » ، أصح من رواية من روى « تكلم » . وأولى بالصواب ١ لأن العرب كانت قبل إسماعيل وقبل أبيه وجده ، وقد يحتمل أن يكون المعنى : أول من تكلم باللغة العربية الميسنة الفصيحة ، ويحتمل أن يكون أراد أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : « وأولى ما قيل بالصواب في ذلك — والله أعلم قول من قال : إن آدم عليه السلام أول من تكلم بالعربية وبالسريانية وغيرهما ، وأول من وضع الكتاب بذلك لأنه علم اللغات ، ص ١٧ وما بعدها القصد والامم لابن عبد البر .

(٢) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على النجف . كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية وهم النعمان وآباؤه ، والأنبار مدينة قرب بلخ بخراسان . ومدينة على الفرات غربي بغداد كانت الفرس تسميها : فيروز سابور . وهي المقصودة .

أعطى النبوة ، وخط بالقلم - ابن برز بن مهليل بن قيتن بن يانث بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق الملقب بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله وآله وسلم إلى آدم عايه السلام ، وما فيه من حديث إدريس وغيره .

- عليه السلام - قد قيل : إنه إلياس ، وإنه ليس بمجد لنوح . ولا هو في عمود هذا النسب . وكذلك سمعت شيخنا الحافظ أبا بكر (١) رحمه الله - يقول - ويستشهد بحديث الإسراء - فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - كلما لقى نبيا من الأنبياء الذين لقيهم ليلة الإسراء ، قال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح . وقال له آدم : مرحبا بالنبي الصالح ، والابن الصالح . وكذلك قال له إبراهيم . وقال له إدريس : والأخ الصالح . فلو كان في عمود نسبه ، لقال له كما قال له أبوه إبراهيم ، وأبوه آدم ، ولخاطبه بالنبوة . ولم يخاطبه بالأخوة . وهذا القول عندي أنبل ، والنفس إليه أميل لما عَضَّده من هذا الدليل .

(١) يعنى القاضي أبا بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافى ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨ هـ ، وله مؤلفات كثيرة ، ومن كبار الأخذين بمذهب مالك . شهد سقوط دولة آل عباد على يد يوسف بن تاشفين في بدء شبابه وسقوط دولة بني تاشفين أو المرابطين أو الملمشين على يد عبد المؤمن بن علي الذي أرسى قواعد دولة الموحدين . وذهب ابن العربي على رأس وفد من إشبيلية يطلب من عبد المؤمن في مراکش الاستيلاء على ما بقى من مدائن الأندلس في أيدي المرابطين ، ولكن حبسه عبد المؤمن ، ثم أطلق سراحه ، وتوفي سنة ٥٤٣ هـ .

قال ابن هشام : وحدثنني خَلاد بن قُرّة بن خالد السدوسي ، عن شَيْبان ابن زُهَيْر بن شقيق بن ثَوْر عن قَتادة بن دِعامة ، أنه قال :

إسماعيل بن إبراهيم - خليل الرحمن - ابن تارح - وهو آزر - بن ناحور بن أسرخ بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن كَمْكَم بن مَتُوشاخ بن أخنوخ بن يَرْد بن مَهْلَاثِيل بن قايْن بن أَنُوش بن شِيث بن آدم صلى الله عليه وسلم .

وقال : إدريس بن يَرْد^(١) ، وتفسيره : الضابط . ابن مَهْلَاثِيل ، وتفسيره : المَدْحُ ، وفي زمنه كان بدء عبادة الأصنام^(٢) .

« ابن قَيْنَان » وتفسيره : المستوى . « ابن أَنُوش » وتفسيره : الصادق ، وهو بالعربية : أنش ؛ وهو أول من غرس النخلة ، وبَوَّبَ الكَعْبَةَ^(٣) وبذر الحَبَّةَ فيما ذكروا ، « ابن شِيث » وهو بالسريانية : شاث . وبالعبراية : شِيث . وتفسيره : عِطِيَّةُ الله « ابن آدم » .

(١) يذكر في الطبري أيضا بيارد ، وكذلك في سفر التكوين ، ويقرر الطبري أن إدريس هو خنوخ أو أخنوخ ، وأن الله رفعه بعد ٣٦٥ سنة ص ٨٥ ج ١ الطبري ، ويذكر المسعودي أن الصابئة تزعم أنه هو هرمس ص ٢٩ ج ١ مروج . (٢) ينسب الطبري إلى ابن عباس أنه قال : « في زمان يرد عملت الأصنام ، ورجع من رجع عن الإسلام ، واطلما حمل القوم ابن عباس أوزارهم ، ونسبوا إليه ما لم يقله » أقول : وليس لإدريس ذكر في أسفار اليهود . ويرى مؤرخو العرب أنه أخنوخ ، وفي سنة ١٧٧٣ عشر على ثلاث نسخ من كتاب منسوب إلى أخنوخ . وقد طبع سنة ١٨٥٣ . والغاية من الكتاب تبرير العناية الإلهية ، وقد رفض اليهود وآباء الكنيسة هذا الكتاب .

(٣) أول من أقام الكعبة لإبراهيم وإسماعيل ، فكيف يقال إن هذا بوبها ؟ (م ٦ - الروض الأتق)

آدم :

وفيه ثلاثة أقوال : قيل : هو اسمٌ سُريانيٌ وقيل : هو أَفْعَل من الأُدْمَةِ . وقيل : أُخِذَ من لفظ الأديم^(١) . لأنه خُلِقَ من أديم الأرض . وروى ذلك عن ابن عباس . وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل عن محمد بن المستنير . وهو : «فَطَرُبُّ» أنه قال : لو كان من أديم الأرض لكان على وزن فاعل ، وكانت الهمزة أصلية فلم يكن يمنع من الصرف مانعٌ ، وإنما هو على وزن أَفْعَل من الأُدْمَةِ . ولذلك جاء غير مجرى^(٢) .

قال المؤلف : وهذا القول ليس بشيء ؛ لأنه لا يمنع أن يكون من الأديم ويكون على وزن أَفْعَل . تدخل الهمزة الزائدة على الهمزة الأصلية كما تدخل على همزة الأُدْمَةِ . فأول الأُدْمَةِ همزة أصلية . فكذا أول الأديم همزة أصلية . فلا يمنع أن يُبْنَى منها أَفْعَلٌ . فيكون غير مجرى . كما يقال : رجل أعينٌ وأرأسٌ من العين والرأس . وأسوقٌ وأعنتقٌ من الساق والعنق . مع ما في هذا القول من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم منه لساناً ، وأذكى جناناً .

(١) الأديم : ظاهر الشيء والجلد .

(٢) أى ممنوع من التنوين .

« عمل ابن هشام في سيرة ابن إسحاق » :

قال ابن هشام : وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من ولده ، وأولادهم لأصلاهم ، الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وما يتراض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ؛ لما ذكرت من الاختصار وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يُقر لنا بالكافي بروايته ، ومستحسن - إن شاء الله تعالى - ما سوى ذلك منه يبلغ الرواية له ، والعلم به .

حكم التكلم في الأنساب :

قال المؤلف : وإنما تكلمنا في رفع هذا النسب على مذهب من رأى ذلك من العلماء . ولم يكرهه كابن إسحاق والطبري والبخاري والزييري . وغيرهم من العلماء . وأما مالك - رحمه الله - فقد مثل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك . قيل له : فإلى إسماعيل ، فأنكر ذلك أيضاً . وقال : ومن يخبره به ؟ ! وكره أيضاً أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال : إبراهيم بن فلان بن فلان . قال : ومن يخبره به ؟ وقع هذا الكلام لمالك في الكتاب

سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

« أبناء إسماعيل عليه السلام » :

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبى قال :

وَلَدَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا : نَابِثًا - وَكَانَ

الكبير المنسوب إلى الْمُعِيطِ ، وَإِنَّمَا أَصْلُهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حُنَيْنٍ (١) . وَتَمَّه الْمُعِيطُ ، فَنسَبَ إِلَيْهِ . وَقَوْلُ مَالِكٍ هَذَا نَحْوُ مِمَّا رَوَى عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ : مَا وَجَدْنَا أَحَدًا يَعْرِفُ مَا بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ ثَلَاثُونَ أَبًا لَا يَعْرِفُونَ .

(ذكر إسماعيل صلى الله عليه وبنيه)

وقد كان لإبراهيم - عليه السلام - بَنُونَ سِوَى إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ مِنْ قَطُورَا بِنْتِ بَقْطَر (٢) وَهُمْ : مَذْيَانُ وَزَمْرَانُ وَسِرْجُ الْجَلِيمِ وَنَقْشَانَ

(١) في شرح المواهب للزرقاني ، بن جبير .

(٢) في سفر التكوين ، قالت سارة لإبراهيم : هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة . ادخل على جاريتى ، أعلئ أرزق منها بنين ، فسمع إبراهيم لقول ساراي فأخذت ساراي امرأة إبراهيم هاجر المصرية جاريتها . . وأعطتها لإبراهيم رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر ، لحملت ، وفيه أيضا : . وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها : قطورة ، فولدت له زمران ويقشان ومذيان وبشتاق وشوحا . . وهذه أيام سنى حياة إبراهيم التى عاشها ١٧٥ سنة ، الإصحاح ١٦ ، ٢٥ وفى الطبرى : أن اسم زوجة إبراهيم التى تزوجها بعد وفاة سارة وهاجر هى : قطورا =

أكبرهم - وقيدر ، وأذبل ، ومنشا ، ومسمما ، وماشى ، ودما ، وأذر ، وطيا ،
ويطورا ، ونبش ، وقيندما . وأمنم : بنت مضاض بن عمرو الجرهمي - قال
ابن هشام : ويقال : مضاض . وجزمهم بن قحطان - وقحطان أبو اليمن كلها ،
وإليه يجتمع نسبها - ابن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح .

— ومن ولد نقشان التبر في أحد الأقوال - وأمنهم رغوثة . ومنهم نشق
وله بنون آخرون من حجون^(١) بنت أهين ، وهم : كيسان وسورج وأمينم
ولوطان ونافس . هؤلاء بنو إبراهيم .

وقد ذكر ابن إسحاق أسماء بنى إسماعيل ، ولم يذكر بنته ، وهي نسمة^(٢)

= بنت يقطن الكنعانية ، وأنها وابت له ستة هم : يقسان ، وزمران ، ومديان ،
ويسبق ، وسوح ، وبسر . وفي رواية : مدن ومدين ويقسان وزمران ويسبق
وسوح ، وأمنهم قنطورا بنت مة طور ، ويقال في يسبق : يسباق وفي سوح : ساح .
ويذكر ابن خلدون في تاريخه ، وقال السهيلي : قنطورا بزيادة نون بين القاف
والطاء ، ثم يقول : فولدت له - كما هو مذكور في التوراة - ستة من الولد ،
ثم ذكر ستة الأولاد غير أنه ذكر أسبق وشوخ بدلا من بشتاق وشوخ المذكورين
في سفر التكوين ص ٩٩ طبع لبنان ، ويذكر الطبري أن بعضهم ذكر أن إبراهيم
تزوج بعد سارة امرأتين من العرب إحداهما قنطورا بنت يقطان فولدت له ستة ،
والأخرى : حجثور بنت أرهير ، فولدت له خمسة بنين هم : كيسان وشورج
وأمينم ولوطان ويافس . أما في المعارف فيذكر أنه جاء من قنطورا بأربعة ، ومن
حجورا بسبعة وروايته عن وهب بن منبه ، ولا أدري من أين ١٩ .

(١) انظر ص ٣٠٩ وما بعدها ج ١ الضري ، ص ١٢ المعارف .

(٢) في الطبري : بسمة ، وفي التكوين أن عيصو أو عيسو تزوج هوديت
ابنة ييري الحثي ، وبسمة ابن إيلون الحثي .

بنت إسماعيل ، وهى امرأة عيصو بن إسحاق^(١) ، وولدت له الروم وفارس - فيما ذكر الطبرى^(٢) - وقال : أشك فى الأشبان هل : هى أمهم ، أم لا ؟ وهم من ولد عيصو ، ويقال فيه أيضاً : عيصا ، وذكر فى ولد إسماعيل طيا^(٣) ، وقيدته الدارقطني : ظميا بظاء منقوطة بعدها ميم كأنها تأنيث أظمى ، والظمى مقصور : سمرّة فى الشفتين^(٤) .

وذكر دما^(٥) ، ورأيت للبكرى أن دومة الجندل عرفت بدوما ابن إسماعيل وكان نزلها ، فلعل دما مغير منه ، وذكر أن الطور سمي بيطور

(١) فى الطبرى : عيص ، وفى التكوين : عيسو . وفيه أيضا أن عيسو ويعقوب توأمان ، وأن عيسو سمي بهذا لأنه ولد أحمر كفروة الشعر ، وسمى يعقوب باسمه هذا لأنه ولد ويده قابضة على عقب عيسو .

(٢) ذكره فى ص ١٦٢ ج ١ .

(٣) طيا بفتح الطاء وكسرهما . وسكون الياء ، وفى أصول الانساب ، تيا . أما فى الطبرى ، فطيا ، وفى التكوين : تيا .

(٤) يقال . ظل أظمى أى : أسود ، ورمح أظمى : أسود ، وشفة ظميا : فيها سمرّة وذبول .

(٥) هو دما أو دمار ، وفى القاموس دومة ، ودوما . وفى مرادد الاطلاع أنها بالضم والفتح ، وأنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين ، وعند الواقدي : دوما ، وفى ياقوت : دوما ، وفى معجم البكرى . بضم الدال . وقال إنها بين الحجاز والشام وأنها سميت بدومان بن إسماعيل لإذكان بها ، وذكر صاحب المراد أنها سميت كذلك ، لأنها مبنية بها أى بالجنادل ، وهى الصخور العظيمة .

ابن إسماعيل ، فلعله محذوف الياء أيضاً - إن كان صح ما قاله - والله أعلم .
وأما الذى قاله أهل التفسير فى الطور ، فهو كل جبل يُنبِت الشجر ، فإن لم يُنبِت شيئاً فليس بطور^(١) ، وأما قِيْدَرُ فتفسيره عندهم : صاحبُ الإبل ، وذلك أنه كان صاحبَ إبلِ إسماعيل . قال : وأمه^(٢) : هاجر . ويقال فيها : آجر ، وكانت مَرْيَّة^(٣) لإبراهيم ، وهبتها له سارة بنت عمه ، وهى سارة بنت ثوبيل بن ناحور ، وقيل : بنت هاران^(٤) بن ناحور ، وقيل : هاران بنت تارح .

(١) فى مفردات الراغب : أن كل جبل يقال عليه طور ، وفى المعجم الوسيط جبل ينبت الشجر .

(٢) أى أم إسماعيل . (٣) جارية مملوكة .

(٤) فى الطبرى : سارة هى بنت هاران الأكبر عم إبراهيم ، وقيل : إنها كانت ابنة ملك حران ، وفى المعارف أنها بنت هرون ملكى ، أما هاران فأخ له ، وفى التكوين أن هاران أخ لإبراهيم ، وأن ناحور ، الذى هو أخو إبراهيم تزوج ملكة بنت هاران ، أى بنت أخيه ، ويذكر سفر التكوين أن إبراهيم قال لأبيالك ملك حران عن سارة إنها أخته ، ولكن الملك رأى فى منامه أنها زوجة إبراهيم فسأل إبراهيم فى هذا ، فقال إبراهيم : بالحقيقة أيضاً هى أختى ابنة أبى ، غير أنها ليست لى . انظر ص ١٢٥ ج ١ الطبرى ، ص ١١ المعارف لابن قتيبة ، والإصحاح المتمم العشرين من سفر التكوين هذا والآية التى استند إليها لاتدل على وحدة الشريعة ، وإنما تدل على وحدة الدين فى عمومه ، وقد ورد فى نفس الآية ما وصى الله به كل الرسل فى قوله سبحانه : (أن أقيموا الدين ، ولا تتفرقوا فيه) والله تعالى يقول فى سورة المائدة آية رقم ٤٨ : (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا) وعن قتادة : الدين واحد ، والشريعة مختلفة . وأنا لا أجزم بأمر ، وإنما أريد أن أتبه - بحسب - إلى أن الآية ليست حجة له فيما ذهب إليه .

قال ابن إسحاق : جُرِّمَ بن يَظَنَ بن عَيْبَرَ بن شَالِحَ ، ويقطن هو قَحْطَانُ بن عَيْبَرَ بن شَالِحَ .

« وفاة إسماعيل ، وموطن أمه » :

قال ابن إسحاق : وكان عُمرُ إسماعيلَ - فيما يذكرون - مائة سنة وثلاثين سنة ، ثم مات - رحمه الله وبركاته عليه - ودُفِنَ في الحجرِ مع أمه هاجرَ ، رحمه الله تعالى .

قال ابن هشام : تقول العرب : هاجرَ وآجرَ ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : هَرَأَقَ الماءَ ، وأراقَ الماءَ وغيره : وهاجرَ من أهل مصر .

وهي بنتُ أخيه على هذا ، وأخت لوط . قاله القُتَيْبِيُّ في المعارف ، وقاله النقاش في التفسير ، وذلك أن نكاح بنت الأخ كان حلالاً إذ ذاك فيما ذكر ، ثم نقض النقاشُ هذا القولَ في تفسير قوله تعالى : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) الشورى : ١٣ . أن هذا يدل على تحريم بنت الأخ على لسانِ نوحٍ - عليه السلام - وهذا هو الحق ، وإنما توهموا أنها بنتُ أخيه ، لأن هارانَ أخوه ، وهو هارانُ الأصغر ، وكانت هي بنتُ هارانَ الأكبر ، وهو عمُّه ، وبهارانَ سُمِّيَتْ مدينةَ حرَّانَ ؛ لأن الحساءَ هاءٌ بلسانهم ، وهو سُريانيٌّ (١) وذكر الطبري أن إبراهيمَ إنما نطق بالعبرانيَّةِ حين عبرَ النهرَ فلأرأى من النروذ ، وكان النروذ قد قال لِلطَّلَبِ (٢) الذين أُرسلهم في طلبه : إذا

(١) ص ١٥٩ ج ١ .

(٢) طلب بفتح الطاء واللام ، أو ضمها وتشديد اللام مع فتحها جمع طالب .

(حديث في الوصاة بأهل مصر) :

قال ابن هشام : حدثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة ، عن عمر مولى غفرة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال :
الله الله في أهل الدِّمة ، أهل المدرة السوداء ، السَّحْم الجعادر ، فإن لهم نسباً وصبراً .

وجدتم فتى يتكلم بالشرِّ بآنيَّة ، فرُدُّوه ، فلما أدركوه استنطقوه ، فحول الله لسانه عبرانيًّا ، وذلك حين عبر النهر ، فسميت العبْرانيَّة بذلك ، وأما الشرِّ بآنيَّة (١)

(١) ويقول بعض الباحثين أن إبراهيم وصف بالعبراني لأنه منسوب إلى أحد آبائه الأقدمين المعروف باسم : عبر غير أن الدكتور هوفستون ، الذي كان أستاذًا للغات السامية في جامعة مصرية هي جامعة القاهرة الآن . يرفض للرأيين ، ويضع أن كلمة عبري لا ترجع إلى شخص بعينه أو طائفة معينة ، وإنما هي ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل ، وكان هؤلاء أمة بدوية صحراوية لا يستقرون في مكان بل يرحلون من بقعة إلى أخرى بالإبل والماشية بحثًا عن الماء والمرعى ، ثم يقول : وكلمة عبري مشتقة من الفعل الثلاثي عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو عبر الوادي ، أو النهر من عبّره إلى عبّره ، شطه وجانبه ، أو عبر السيل شقها ، وكل هذه المعاني نجدها في هذا الفعل سواء في العربية والعبرية ، وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء والبادية ، وقد كان البادية ، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي ، أي : ساكن الصحراء والبادية ، وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل : بالعبريين . ثم نفر بنو إسرائيل من هذه الكلمة بعد أن سكنوا المدن . ثم قال : وليس يوجد في صحف العهد القديم ما يدل على تسمية لغة بني إسرائيل بالعبرية ، بل كانت تعرف تارة باسم اللغة اليهودية ، وتارة باسم لغة كنعان ولم تعرف باسم العبرية إلا بعد السبي البابلي في كتاب حكم ابن سيرا ، وفي مصنفات المؤرخ اليهودي : يوصف ، وفي المشنا والتلمود .

==

فما ذكر ابن سلام - فسميت بذلك ؛ لأن الله سبحانه - لما علم آدم الأسماء كلها ، علمه سراً من الملائكة ! وأنطقه بها حينئذ ، وكانت هاجر قبل ذلك للملك الأزدن ، واسمه صادق - فيما ذكر القتيبي - دفعها إلى سارة حين أخذها من إبراهيم محبباً منه بجاهلها ، فصرع مكانه ، فقال : ادعى الله أن يطلقني . الحديث ، وهو مشهور في الصحاح ، فأرسلها ، وأخدمها هاجر (١) ، وكانت هاجر قبل ذلك الملك بنت ملك من ملوك القبط (٢) بمصر ذكره الطبري من حديث سيف ابن عمر أو غيره أن عمرو بن العاص حين حاصر مصر ، قال لأهلها : إن نبينا عليه السلام قد وعدنا بفتحها ، وقد أمرنا أن نستوصي بأهلها خيراً ، فإن لم نسبأ وصبراً ، فقالوا له : هذا نسب لا يحفظ حقه إلا نبي ، لأنه نسب نبيهم .

== ويذكر ولفسبون عن السريانية أنها لهجة المنطقة الثالثة للهبجات الكتلة الآرامية الشرقية ، وكان مركز المدينة التي عرفت عند العرب باسم : الرهاء وبالمذ والقصر مدينة بالجزيرة فوق حران بينهما ست فراسخ ، ثم حرق اسمها في القرن الخامس عشر إلى أورفا . ويقول إن كلمة سرياني التي اصطلح عليها عوضاً عن لفظة آرامي إنما غلبت لأن الآراميين الذين اعتنقوا ديانة المسيح لم يرضوا بهذه التسمية إذا كان هذا اللفظ يمثل في التوراة جماهير الآراميين الوثنيين ، وعلى هذا ادعوا أنهم سريان أي آراميون اعتنقوا المسيحية ص ٧٧ وما بعدها ، ثم ص ١٤٥ وما بعدها كتاب تاريخ اللغات السامية ط ١ سنة ١٩٢٩ م .

(١) فعل الملك معها هذا ثلاث مرات كما ورد في البخاري ، وفي الثالثة أطلقها ، وأخدمها هاجر ، وفي الطبري أيضاً أنه فرعون ، وأن هذا كان بمصر ، وأن فرعون هذا هو الذي أخدمها هاجر ص ٢٤٥ ج ١ الطبري .

(٢) في الطبري بعد هذا : وكانت من أهل منف ، والملك فيهم ، ص ٢٢٩ ج ٤ .

وَصَدَقَ ، كَانَتْ أَثَمُكُمْ امْرَأَةً لِلْمَلِكِ مِنْ مَلُوكِنَا ، فَخَارَ بِنَا أَهْلُ عَيْنِ شَمْسٍ ، فَكَانَتْ لَهُمْ عَلَيْنَا دَوْلَةٌ ، قَتَلُوا الْمَلِكَ وَاحْتَمَلُوهَا ، فَمِنْ هُنَاكَ تَصَيَّرَتْ إِلَى أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ — أَوْ كَمَا قَالُوا — وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ الْمَلِكَ الَّذِي أَرَادَ سَارَةَ هُوَ سِنَانُ بْنُ عُلوَانَ ، وَأَنَّهُ أَخُو الضَّحَّاكِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَفِي كِتَابِ التَّيْجَانِ لِابْنِ هِشَامٍ أَنَّهُ عَمَرُو بْنُ اِمْرِيٍّ الْقَيْسِيِّ بْنِ بَابِلْيُونِ بْنِ سَبَأَ ، وَكَانَ عَلَى مِصْرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَهَاجَرُ أَوَّلُ امْرَأَةٍ تُقَبِّلُ أُذُنَهَا ، وَأَوَّلُ مَنْ خَفَضَ مِنَ النِّسَاءِ (١) ، وَأَوَّلُ مَنْ جَرَّتْ ذِيَابَهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ سَارَةَ غَضِبَتْ عَلَيْهَا ، فَخَلَقَتْ أَنْ تَقْطَعَ ثَلَاثَةَ أَعْضَاءٍ مِنْ أَعْضَائِهَا ، فَأَمَرَهَا إِبْرَاهِيمُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — أَنْ تَبَرَّ قَسَمَهَا بِثَقْبِ أُذُنِهَا وَخَفَاضِهَا ، فَصَارَتْ سُنَّةً فِي النِّسَاءِ ، وَمِمَّنْ ذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي تَوَارِدِهِ .

وِإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَخْوَالِهِ مِنْ جُرُومٍ وَإِلَى الْعَالِيَةِ الَّذِينَ كَانُوا بِأَرْضِ الْحِجَازِ ، فَأَمِنْ بَعْضٍ وَكَفَرَ بَعْضٌ .

وَقَوْلُهُ : وَأَمَّهُمْ بِنْتُ مِصْبَاضَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهَا . وَاسْمُهَا : السَّيِّدَةُ ذَكَرَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ . وَقَدْ كَانَ لَهُ امْرَأَةٌ سِوَاهَا مِنْ جُرُومٍ ، وَهِيَ الَّتِي أَمَرَهُ أَبُوهُ بِتَطْلِيلِهَا حِينَ قَالَ لَهَا إِبْرَاهِيمُ : قَوْلِي لَزَوْجِكَ : فَلْيُغَيِّرْ عَتَبَتَهُ (٢) يُقَالُ اسْمُهَا : جِدَاءُ بِنْتُ

(١) خَفَضَ الصِّبْيَةَ خَفَاضًا : خَتَنَهَا وَالشَّرِيعَةُ لَا تَوْجِبُ هَذَا .

(٢) لِأَنَّهُ — كَمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ — سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ، فَقَالَتْ : نَحْنُ بَشَرٌ ، نَحْنُ فِي ضَيْقٍ ، وَشُدَّةٍ ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ ، وَأَخْبَرَتْهُ زَوْجَتَهُ =

قال عمر مولى غفرة : نسبهم : أن أم إسماعيل النبی — صلى الله عليه وسلم منهم . وصيهرهم ، أن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — تسرّر فيهم . قال ابن لهيعة : أم إسماعيل : هاجر ، من « أم العرب » قرية كانت أمام الفرما من مصر .

وأم إبراهيم : مارية سرية النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — التي أهداها له المقوقس من حفن ، من غورة أنصنا .

قال ابن إسحاق حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري : أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، ثم السلمي حدثني أن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — قال :

« إذا افتتحتم مصر ، فاستوصوا بأهلها خيرا ؛ فإن لهم ذمة ورحما » فقلت لمحمد بن مسلم الزهري : « ما الرحم التي ذكر رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — لهم ؟ فقال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم » .
« أصل العرب وأولاد عدنان ومعد وقضاعة » :

قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل ، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

سعد ، ثم تزوج أخرى ، وهي التي قال لها إبراهيم في الزورة الثانية قولي

بما حدث بينها وبين أبيه ، وأنه يطلب منه أن يغير عتبة الباب قال إسماعيل : ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك . . والحديث كما قال السهيلي .

لزوجك : فليثبت عتبة يمينه : الحديث (١) ، وهو مشهور في الصحاح أيضاً يقال اسم هذه الآخرة : سامة بنت مهلهل ، ذكرها ، وذكر التي قبلها الواقدي في كتاب «انتقال النور» وذكرها المسعودي أيضاً (٢) وقد قيل في الثانية : عاتكة .

هريبا المفوفس

وقوله : في حديث عمر بن مولى غفرة ، وغفرة هذه هي أخت بلال بن رباح .
وقول مولى غفرة هذا : إن شهرهم لكون رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تسمّر (٣) منهم ، يعنى : مارية بنت سمعون التي أهداها إليه المقوقس ، واسمها : جريج بن ميناء ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أرسل إليه حاطب بن أبى بلتعة وحبراً مولى أبى رهم الفخاري ، فقارب الإسلام وأهدى معها إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — بنته التي يقال لها دلدل ، والدلدل : القنفذ العظيم ، وأهدى إليه مارية بنت سمعون ، والمارية : بتخفيف الياء : البقرة الفتية بخط ابن سراج يذكره عن أبى عمرو المطرز .

(١) لأنها قالت لإبراهيم — عليه السلام — حين سأها عن عيشتهم وهيئتهم — كما ورد في صحيح البخاري — نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله .
(٢) انظر ص ٤٧ ، وما بعدها ج ٢ مروج الذهب الطبعة الثانية ، وذكر عن جداء أنها من العاليق من بنى كركر .

(٣) تسمّر الرجل : اتخذ أمةً لفراشه .

وأما المارِيَّة بالتشديد ، فيقال قَطَاة مَارِيَّة أَي : مَلَسَاءَ قاله أبو عبيد
في الغريب المصنف .

وأهدى إليه أيضاً قَدَحًا من قَوَارِيرَ ، فكان رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — يشرب فيه . رواه ابن عباس ، فيقال : إن هِرْقِلَ عزله لما رأى من ميله
إلى الإسلام . ومعنى المقوقس : المَطْوُلُ للبناء ، والقُوسُ : الصومعة العالية ،
يقال في مَثَلٍ : أنا في القُوسِ وأنت في القَرَقُوسِ متى نَجتمع ؟ وقولُ ابنِ لَهيْمَةَ
بالفرما من مصر . الفرما : مدينة كانت تنسبُ إلى صاحبها الذي بناها ، وهو الفرما
ابن قيقوس ، ويقال فيه : ابن قليس ، ومعناه : مُحِبُّ الفرس ، ويقال فيه : ابن
بايس . ذكره المسعودي . والأول قول الطبري ، وهو أخو الإسكندر بن قليس
اليوناني ، وذكر الطبري أن الإسكندر حين بنى مدينة الإسكندرية قال : أبني
مدينة فقيرة إلى الله ، غَنِيَّةٌ عن الناس ، وقال الفرما : أبني مدينة فقيرة إلى
الناس ، غنية عن الله ، فسلط الله على مدينة الفرما الخرابَ سريعاً ، فذهب رُسْمُها ،
وعفا أثرها ، وبقيت مدينة الإسكندر إلى الآن ، وذكر الطبري أن عمرو بن
العاص حين افتتح مصرَ (١) ، وقف على آثارِ مدينة الفرما ، فسأل عنها ،
فحدَّث بهذا الحديث ، والله أعلم .

(١) أكثر المؤرخين على أن النبي — صلى الله عليه وسلم — أرسل كتبه إلى
الملوك والأمراء — ومنهم المقوقس — في العام السادس من الهجرة التي أُرُها
٢٣ مايو سنة ٦٢٧ لليلاد . وقيل إن المقوقس أرسل جارتين : مارية وشيرين .
وأهدى حمارا اسمه : ينفور أو عفير ، وقالوا . أهدى إليه سمنا وعسلا . ويقول
ابن عبد الحكم في كتابه ص ٤٨ عن المقوقس بعد أن جاءه كتاب النبي ص « ثم =

== دعا رجلا عاقلا ، ثم لم يدع بمصر أحسن ولا أجمل من مارية وأختها ، وهما من أهل حفن من كورة أتنصنا ، فبعث بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له بغلة شهباء وحمرا أشهب ، وثيابا من قباطى مصر وعسلا من غسل بنها ، ثم يذكر أنه صلى الله عليه وسلم ، اختار مارية لأنها بادرت إلى الإسلام حين عرضه عليها قبل أختها ، وذهب أختها لمحمد بن مسلمة الأنصارى أو لدحية الكلبي . هذا ويقول بتل في كتابه « فتح العرب لمصر » ، أن مارية ماتت سنة ٦٣٦ م . فلم تشهد فتح مصر وخضوعها للعرب ، وقد اختلفت الآراء حول كلمة « المقوقس » أو « المقوقس » ، بفتح القاف الثانية أو كسرها فن المؤرخين الأجانب من ذكر أنه لقب كان يطلق على العامل على مصر من قبل امبراطور الروم أى على الحاكم العام لمصر وأنه هو « قيرس » البطريق من قبل الرومان وفي ابن عبد الحكم ما يؤيد رأى الأول ، والواضح أن مؤرخى العرب يطلقون على حاكم مصر فى أيام النبى — صلى الله عليه وسلم — « المقوقس » ، وعلى الحاكم فى زمن فتحها بما يشعر أنهم حسبوه لقبا أصله غير عربى يطلق على حاكم مصر ، وقد عرض الدكتور بتل ، آراء المؤرخين العرب فى هذا ، الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الأثير ، وياقوت والمكيني وابن دقاق ، والمقرئى وأبى المحاسن ، والسيوطى ، ثم بين أن قولهم إنما يدل على أن المقوقس كان الوالى على مصر من قبل هرقل . ويؤيد بهذا رأيه الذى يقر به أن المقوقس هو عين البطريق « قيرس » ، الذى كان يحكم مصر من قبل الرومان . ويميل الأستاذ فريد أبو حديد إلى أن اسم حاكم مصر فى زمن النبى هو جيرج بن مينا أو جورج ، وأنه كان الحاكم الأعلى ، والبطريق المملكانى فى مصر قبل قيرس الذى كان يحكم مصر زمن الفتح . انظر كتاب فتح العرب لمصر ، تأليف بتل ترجمة محمد فريد أبو حديد ط ٢ سنة ١٩٤٦ . ، ولكن فى تاريخ الحضارة المصرية : « وقد حاول ألفريد بطر فى كتابه المعروف أن يحل بعض هذه المشكلات فلم يخرج إلا بنتيجة واحدة قبلها الناس زمانا ، ولكنها الآن موضع شك كبير ، ونعنى بذلك قوله أن المقوقس هو : قيرس . » . وانتهى الكتاب إلى نتيجة هى أنه كان

قال ابن إسحاق : عادُ بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح ، وثمود
وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وطسم وعِلاق وأثيم بنو لاوذ
بن سام بن نوح . عرب كلهم . فولدَ نابتُ بن إسماعيل : يشجب بن نابت ،
فولدَ يشجبُ يعرُب بن يشجب ، فولدَ يعرب : تَبَرَح بن يعرب ، فولدَ تبرح :

مصر ومصر

وأما مصرُ فسميت بمصر بن النبيط ، ويقال : ابن قبط بن النبيط من ولد

== في مصر قبيل الفتح قوتان متعاديتان : القبط في ناحية ، والبيزنطيون في ناحية ، ويمثل
القبط المقوقس ، وفارق من جنود القبط كانت مشتركة في الجيش البيزنطي وعدد
من الرهبان ورجال الكنيسة ثم بقية أهل البلاد وكلهم على المذهب المرنوفيزي
للقريب من توحيد الإسلام ، وفي ناحية أخرى نجد البيزنطيين تمثلهم حاميات من
الجند في المعاقل والحصون والمساح وخاصة في الإسكندرية ، ويمثل السلطان
البيزنطي « الروماني » كله قيرس الذي أقامه هرقل بطركا لمصر وأطلق يده في
شئوننا ، ويقول في مكان آخر أن قيرس كان قد أساء إلى الأقباط ، فصار المقوقس
مستعدا للتفاهم مع أي قوة تخلص القبط من اضطهاد البيزنطيين ، فلما أقبل العرب
وتوالت هزائم البيزنطيين ، استطاع المقوقس أن يحصل من العرب على عهد يؤمن
القبط على عقيدتهم وأموالهم ، فكانت نتيجة هذا دخول مصر في طاعة العرب
بعد أن انضمت فرق الجيش من القبط والرهبان ومن إليهم من أهل البلاد إلى
المقوقس وائتمرت بأمره ص ٣٢٥ وما بعدها المجلد الثاني . وفي النهاية لابن الأثير :
المريّ بوزن صبي ، والمريّة : الناقة الغزيرة الدّر من المري ، وهو الحلب ،
وفي القاموس : المريّة ، والمريّة بضم الميم وكسر ها وإسكان المراء وفتح الياء
الناقة التي دَرَّ لبنها ، وناقة مَرِيّ بفتح الميم وكسر الراء : غزيرة اللبن . والمريّة
بكسر الراء وتشديد الياء مع فتح القطاة الملساء والمرأة البيضاء البراقة ، والمريّة :
البقرة ذات الولد الماري ، والقوارير ، وقوارير : زجاج .

== والقومس كما قال السهيلي ، ولكن ابن فارس يقول في معجمه : وما أراها عربية ، والثقة قثوس . القاع الأملس والسین زائدة . وابن لبيعة هو عبد الله ابن لبيعة الحضرمي الغافقي المصري . ولأه أبو جعفر المنصور القضاء بمصر في مستهل سنة ١٥٥ ، ثم صرف عنه . ولد سنة ٩٧ وتوفي سنة ١٧٠ . والفكرما . مدينة على الساحل من ناحية مصر أو حصن لطيف فاسد الهواء ، ومدينة قديمة بين العريش والفسطاط خراب ، قد سفت الرمال عليها .

والذي في المروج عن ابن قليس أنه ابن فليس — وهو الصواب — ومعناه : حب الغرس ، وقيل اسمه . يلبس — أو ملبس ، وقيل : فيلفوس ، وفي الطبري أنه ابن فيلسوف ، أو فليفوس ، أو يلبوس . وفي ابن خلدون : فيلقوس والصحيح في هذا كله : فيلبس . وقد ولد الإسكندر سنة ٣٥٦ ق م ، وتوفي سنة ٣٢٣ ق م وقد ادعى في مصر أنه ابن الشمس ، وطلب من المصريين أن يعبدوه وفي سنة ٣٢٤ ق م ، أرسل إلى كل الدول اليونانية — ماعدا مقدونية — يبلغها أنه يرغب في أن يعترف به من ذلك الوقت ابنا لزيوس — أمون ، وصدعت معظم الدول بما أمر . وفي سنة ٣٣١ ق م ، بنيت مدينة الإسكندرية ، ويقول المؤرخون إن اليونانيين المقيمين في نقراطس هم الذين أشاروا عليه بإنشائها ؛ لأنها بموقعها هذا على ساحل البحر الأبيض المتوسط غربي الفرع الكائن في — اسم لأحد فروع النيل القديمة الذي كان يشق مديرية البحيرة ويصب قرب « أبو قير » ، وسمى هكذا باسم مدينة كانت واقعة عليه عند مصبه — لتكون مستودعا عاما للتجارة اليونانية الكبيرة ، والإسكندر هو الذي خطط أسوارها ، وحدد شوارعها الرئيسية ومواضع الهياكل التي اعتمد أن يقيمها لآلهة المصريين واليونان ، ثم ترك الباقي لهندس دنقراطيسي . انظر قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الثاني ، وتاريخ اليونان . وعن فتح مصر يقال إنه اجتمع عمرو بن العاص بعمر بن الخطاب في الجابية بقرب دمشق ، وراح يزين له فتح مصر ، وذلك في خريف ٦٣٠ م . وما أبداه من أسباب أن == (م ٧ - الروض الأثف)

ناحور بن تيرح ، فولد ناحور : مقوم بن ناحور : فولد مقوم أدد بن مقوم : فولد أدد : عدنان بن أدد . قال ابن هشام : ويقال : عدنان بن أدد .

قال ابن إسحاق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم — عليهما السلام — فولد عدنان رجلين : معد بن عدنان ، وعك بن عدنان .

كوش بن كنعان^(١) . وأما حنن التي ذكر أنها قرية أم إبراهيم بن النبي — صلى الله عليه وسلم — قرية بالصعيد معروفة ، وهي التي حكم الحسن بن علي — رضي الله عنهما — معاوية أن يضع الخراج عن أهلها ، ففعل معاوية ذلك حفظا لوصية رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بهم ، ورعاية لحُرمة الصهرة ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال : وذكر أنصتا^(٢) وهي قرية بالصعيد

= مصر ستكون قوة للسليين إذا هم ملكوها ، وأن حاكم الروم علي بيت المقدس هرب إلى مصر ، وراح يجمع فيها جنود الدولة ، فيجب المبادرة إلى القضاء عليه وقد أقام عمرو عيد الأضحى بالعريش من عام ١٨ هـ — ١٢ من ديسمبر سنة ٦٣٩ م ، وقد تم تسليم الإسكندرية بعد هذا بعامين من المؤرخين من يذكر أن فتح مصر حدث سنة ٢٠ أو ٢٥ أو ١٦ هـ .

(١) في الطبرى ص ١٠٢ ج ١ أن القبط هم أولاد قوط بن حام بن نوح ، وفي رواية أن مصر إيم بن حام بن نوح هو والد المصريين ، وفي المسعودي ص ٣٥٧ ج ١ أن الأقباط هم أولاد قبط بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح وأنه قيل لكل قبط : مصر . أما في القصد والامم لابن عبد البر فهم أبناء قبط بن حام ، ص ٢٤ .

(٢) يقول عنها صاحب مراصد الاطلاع أنها مدينة أزلية بصعيد مصر فيها برابي وآبار كثيرة . والبرابي جمع بربا بفتح فسكون كلمة قبطية : قصور مبنية في عدة مواضع من صعيد مصر بها صور ثابتة في الحجارة من كل حيوان مختلف وقد ركب رؤوس بعضها على أبدان غيرها ، وخولفت أشكالها يقال إنها كانت من عمل السحرة والمراصد ، ويقول ابن عبد الحكم أن المعجوز دلوكة ابنة زبانه وهي صاحبة حائط المعجوز وضعت بها مقياسا للنيل .

يقال : إنها كانت مدينة السَّحَرَةِ . قال أبو حنيفة : ولا يَنْبِت اللَّبَنُ إِلَّا بِأَنْصِنَا ، وهو عود تُنَشَّرُ مِنْهُ الْوَاحُ لِلْفَنِّ ، وربما ، رَعَفَ نَاشِرُهَا ، وَيَبَاعُ الْلَوْحُ مِنْهَا بِخَمْسِينَ دِينَاراً ، أَوْ نَحْوَهَا ، وَإِذَا شُدَّ لَوْحٌ مِنْهَا بِلَوْحٍ ، وَطُرِحَ فِي الْمَاءِ سَنَةً التَّامَا ، وَصَارَ الْوَحَاً وَاحِداً (١) .

عَكَ

فصل : وَذَكَرَ عَكَ بْنُ عَدْنَانَ ، وَأَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْيَمَنِ يَقُولُ فِيهِ : عَكَ بْنُ عَدْنَانَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، بْنِ الْأَزْدِ ، وَذَكَرَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَنْ ابْنِ الْحَبَابِ أَنَّهُ قَالَ فِيهِ : عَكَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، بْنُ عَدْنَانَ بِالثَّلَاثِ ، وَلَا خِلَافَ فِي الْأَوَّلِ أَنَّهُ بَنُو تَيْنٍ ، كَمَا لَمْ يُخْتَلَفْ فِي دَوْسِ بْنِ عَدْنَانَ ، أَنَّهُ بِالثَّلَاثِ ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ مِنَ الْأَزْدِ أَيْضاً ، وَاسْمُ عَكَ : عَامِرٌ . وَالدَّيْثُ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ بِالثَّلَاثِ (٢) ، وَقَالَ الزَّيْبَرِيُّ : الذَّيْبُ بِالذَّالِ وَالْيَاءِ ، وَلَعَدْنَانَ أَيْضاً

(١) وَكَذَلِكَ فِي الْقَامُوسِ ، وَزَادَ أَنَّ اللَّبَنَ ثَمراً كَالْتَمْرِ حُلَواً لَكِنَّهُ كَرِيهٌ ثُمَّ يَنْقَلُ اسْطُورَةً مِنْهَا أَنَّ اللَّبَنَ كَانَ سَمّاً بِفَارَسٍ ، فَنُقِلَ إِلَى مِصْرَ ، فَزَالَتْ سُمِّيَّتُهُ وَفِي الْمَعْجَمِ الْوَسِيطِ : أَنَّهُ يَنْبِتُ فِي الْبِلَادِ الْحَارَةِ . وَرَعَفَ : مِثْلُ تَصَصَّرَ ، وَمَنْعَ ، وَكُرْمٌ وَمُعْنَى ، وَسَمِعَ : خَرَجَ مِنْ أَنْفِهِ الرِّعَافُ . وَهُوَ الدَّمُ .

(٢) أَكْثَرُ النَّسَابِينَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا عَنْ نَسَبِ الْأَزْدِ لَمْ يَذْكُرُوا الدَّيْثَ . وَفِي الْقَلَائِدِ لِلْقَلْقَشَنَدِيِّ : وَعَكَ وَاسْمُهُ : الدَّيْثُ ، وَفِي كِتَابِ نَسَبِ قَرِيشٍ : أَنَّ عَكََّ اسْمُهُ : الْحَارِثُ ، وَفِي جَهْرَةَ ابْنِ حَزْمٍ أَنَّ عَكََّ هُوَ ابْنُ الدَّيْثِ بْنِ عَدْنَانَ ، وَالنَّسَابُ يَخْتَلِفُونَ فِي نَسَبِ مَعْدِنِ عَدْنَانَ ، فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : هُوَ مِنْ وَلَدِ قَيْدَارَ ، وَبَعْضُهُمْ

ابن اسمه : الحارث ، وآخر يقال له المذهب^(١) ، ولذلك قيل في المثل :
أَجْمَلُ من المذهب ، وقد ذكر أيضاً في بَنِيهِ الضَّحَّاك وقيل في الضَّحَّاكِ
إِنَّه ابن مَعْدٍ ، لا ابنُ عَدْنَانَ ، وقيل إِنَّ عَدْنَ الذي تُعرف به مَدِينَةُ عَدْن ،
وكذلك أَبَيْن هـ^(٢) : ابنا عَدْنَانَ ، قاله الطبري . ولِعَدْنَانَ بن أَدَدٍ أخوان :
نَبْتُ بن أَدَدٍ ، وعَمْرُو بن أَدَدٍ . قاله الطبري أيضاً .

(ذكر قحطان والعرب العاربة)

أما قَحْطَانُ فاسمُهُ مِهْزَمٌ - فيما ذكر ابن مَآكُولَا - وكانوا أَرْبَعَةَ إِخْوَةٍ فيما
روى عن ابن مُنَبِّهٍ : قحطانُ وقَاحِطٌ ومِقْحَطٌ وفَالِغٌ . وقحطانُ أَوَّلُ من
قِيلَ لَهُ : أَبَيْتَ اللِّغْنَ ، وأول من قِيلَ لَهُ : عِمٌّ صَبَاحًا^(٣) ، واختلف فيه ، فقيل :

= يقول : هو من ولد نبت ، وكان نبت بكر لإسماعيل ، ويقول ابن حجر في الفتح
إِنَّه وقع اضطراب شديد في النسب بين عَدْنَانَ وإسماعيل وأنه قد وقع له بما جمعه
أَكْثَرُ من عشرة أقوال ، وذكر هذه الأقوال ص ٤٦٩ ج ١ فتح الباري ط ١
١٣٤٨ هذا والبيت الذي رواه ابن هشام « وعك بن عَدْنَانَ » يروى : بمذحج .
(١) وبه أيضاً كان يلقب قثم بن العباس .. وأصل المذهب : الذهب : الممونه
بالذهب .

(٢) أَى عَدْنَ وَأَبَيْن .

(٣) جملة دعائية ، كان — كما روى — ملوك لحم وجذام يخاطبون بها ،
ومعناها : أَيْتَ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئاً تُفْلِسُنْ بِهِ ، وعم صباحا : تحية تقال في الصباح
ولعل عم اختصار نعم ينعم انعم ، فحذف منها الألف والنون .

قال ابن هشام : فصارت عكّ في دار اليمين ، وذلك أن عكّا تزوج في الأشعريين ، فأقام فيهم ، فصارت الدار واللغة واحدة ، والأشعريون : بنو أشعر بن نبت بن أدّ بن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويقال : أشعر : نبت بن أدّ ، ويقال : أشعر : بن مالك ، ومالك : مدحج بن أدّ بن زيد بن هميسع . ويقال أشعر : بن سبأ بن يشجب .

هو ابن عابر بن شالح ، وقيل : هو ابن عبد الله أخو هود ، وقيل : هو هود نفسه ، فهو على هذا القول من إرم بن سام ، ومن جبل العرب كلما من إسماعيل قالوا فيه : هو ابن تيمن بن قيذر بن إسماعيل . ويقال : هو ابن الهميسع ابن يمين (١) وبين سميّ اليمين في قول ، وقيل : بل سميّت بذلك لأنها عن يمين الكعبة . وتفسير الهميسع : الصرع . وقال ابن هشام : يمين هو يعرب بن قحطان ، سمي بذلك ؛ لأن هود عليه السلام قال له : أنت أيمن ولدي نقيبة (٢) في خبر ذكره . قال : وهو أول من قتل القرية والرجز ، وهو الذي أجلى بنى حام إلى بلاد المغرب بعد أن كانوا يأخذون الجزية من ولد قوطة بن يافث . قال : وهي أول جزيرة وخارج أخذت في بني آدم . وقد احتجوا (٣) لهذا القول أعني : أن قحطان من ولد إسماعيل

(١) اختلف النسابون في نسب قحطان ، فمنهم من نسه إلى آدم وآخرون إلى عابر بن شالح بن سام بن نوح ، وآخرون إلى إسماعيل بن إبراهيم . وكل قول تشعب إلى ثلاثة أقوال . وقد ذكر ابن عبد البر كل هذا في الإنباه ص ٥٥ .

(٢) نفسا .

(٣) انظر ص ٥٧ الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر .

عليه السلام بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - « ازموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ^(١) » قال هذا القول لقوم من أسلم بن أفضى ، وأسلم أخو خزاعة وهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهم من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ولا حجة عندي في هذا الحديث لأهل هذا القول ؛ لأنّ الذين لو كانت من إسماعيل - مع أن عدنان كلها من إسماعيل بلا شك - لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسب إلى إسماعيل معنى ؛ لأن غيرهم من العرب أيضاً أبوهم إسماعيل ، ولكن في الحديث دليل - والله أعلم - على أن خزاعة من بني قحمة ^(٢) أخى مدركة بن إلياس بن مضر ، كما سيأتى بيانه في هذا الكتاب عند حديث عمرو بن لُحَيٍّ - إن شاء الله - وكذلك قول أبي هريرة - رضي الله عنه -

(١) نص الحديث كما رواه البخارى في صحيحه : عن سلمة بن الأكوع قال : « خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق ، فقال : ارموا بني إسماعيل ؛ فإن أباكم كان رامياً ، وأنا مع بني فلان - لأحد الفريقين - فأمسكوا بأيديهم فقال : مالكم ؟ قالوا : كيف نرمي ، وأنت مع بني فلان ؟ قال : ارموا ، وأنا معكم كلكم ، انفرد به البخارى . ويتناضلون : يترامون على سبيل المسابقة ، وعند ابن حبان والبراز نحو هذه القصة وفيها : وأنا مع ابن الأدرع ، واسمه : محجل ، وقع ذلك من حديث حمزة بن عمرو الأسلمى في هذا الحديث عند الطبرانى ، قال فيه : وأنا مع محجل بن الأدرع ، ومثله في مرسل عروة وقيل اسم ابن الأدرع : سلمة . وورد أن القاتل : كيف نرمي هو : فضلة الأسلمى ج ٦٠ ٤١٠ فتح البارى .

(٢) لقب عمير بن إلياس بن مضر .

وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر ، وأبو عبيدة ، لعباس بن مرداس ،
أحد بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر
بن نزار بن معد بن عدنان ، يفخر بعك :

« هي أمكم يا بني ماء السماء » (١) يعني : هاجر ، يحتمل أن يكون تأول
في قحطان ما تأوله غيره ، ويحتمل أن يكون نسبهم إلى « ماء السماء على
زعمهم » فإنهم يندسبون إليه ، كابتساب كثير من قبائل العرب إلى حاضنتهم
وإلى رآبهم ، أي : روج أمهم - كاسياتي بيانه في باب قضاة إن شاء الله .

سأ وأميم ووبار :

وسبأ اسمه : عبد شمس - كما ذكر - وكان أول من تتوَّج من ملوك
العرب ، وأول من سبى فسمى سبأً ، ولست من هذا الاشتقاق على يقين ؛ لأن
سبأ مهموز والسبي غير مهموز (٢) .

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في باب قوله سبحانه : « واتخذ الله إبراهيم
خليلاً ، عن محمد بن محبوب عن حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة ،
وقد تفرد به من هذا الوجه موقوفاً ، وقد رواه البزار ، وأخرجاه من حديث
هشام . ويقول ابن عبد البر ، وهو يتحدث عن نسب خزاعة : « ولحق اسمه : ربيعة
بن حارثة بن عمرو ، أو هو مزقياء بن عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة بن امرئ
القيس ، وفي مكان آخر يقول : « وحوط بن أبي حوط أخو المنذر بن ماء السماء
لأمه . أمهما جميعاً : ماء السماء بنت عوف بن جشم بن هلال ، وفي مكان آخر
عن مزقياء : « وأبوه عامر وهو المعروف بماء السماء ، ص ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٧ ،
الإنباه . وفي القاموس : « ماء السماء أم بني السماء ، .

(٢) ذكره القاموس في مادة سبأ وسي . وفي نهاية الأرب : لأنه أول من
أدخل بلاد اليمن السبي ، وفي المسعودي السبية والسبايا ، وكذلك في البداية لابن =

وعك بن عدنان الذين تلقَّبوها بفسَّان حتى طردوا كل مَطرَد
وهذا البيت في قصيدة له . وغسان : ماء يسد مأرب باليمن ، كان شرباً لولد
مازن بن الأسد بن القوث ، فسموا به ، ويقال : غسان : ماء بالمشَّال قريب
من الجحفة ، والذين شربوا منه تحزبوا ، فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد
ابن القوث بن نبت ، بن مالك ، بن زيد بن كهلان ، بن سبأ ، بن يشجب
بن يعرب ، بن قحطان .

وذكر أميماً ، ويقال فيه : أميم : وجدت بخط أشياخ مشاهير : أميم ،
وأميم بفتح الميم وتشديد الميم مكسورة ، ولا نظير له في الكلام ، والعرب
تضطرب في هذه الأسماء القديمة قال المعري : (١)

يراه بنو الدهر الأخير بحاله كما قد رآته جُرُهم وأميم

كثير ، وفي الأغاني كذلك ، وقال : اسم سبأ عامر ، وكان يقال له عبُّ الشمس
أى : عدل الشمس ، سمي بذلك لحسنه . ويقول صاحب نهاية الأرب — وهو
يتحدث عن الملك في العرب — : « لم يكن للعرب ملك حقيقى ، وإنما كان من
ملك حير في بلاد اليمن سمي ملكاً ... وأول ملوك قحطان : عبد شمس وهو : سبأ ،
ويذكر نقلاً عن كامة الزهر أنه ملك ٤٨٤ سنة ، وأن يعرب بن قحطان هو أول
من نطق بالعربية ، ومن حي بتحية الملك : أبيت اللعن ، وأنعم صباحاً ، ثم قال :
والأشهر أن عبد شمس هو أول ملوكهم ج ١٥ ص ٢٩١ . ويقول ابن دريد :
« وسبأ : اسم يجمع القبيلة كلهم ، وهو فى التنزيل ميموز فن صرف سبأ أى
نوتها ، جعله اسم الرجل بعينه ، ومن لم يصرفه جعله اسم القبيلة ، واشتقاق
سبأ من قولهم : سبأت الخمر أسببها سبباً إذا اشتريتها ، أو من قولهم : سبأت النار
جلده إذا أثرت فيه ، ص ٢٦١ ولا تنون كلمة سبأ إذا قصد بها القبيلة للعربية والتأنيث .
(١) أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي الشاعر الفيلسوف عاش
يضر به الشك ، وتأخذ به الحيرة ، فكثرت المتناقضات في شعره وفهم يتأوح بين إيمان

لجاء به على وزن فَعِيل ، وهو الأكثر ، وأُمِيم — فيما ذكروا — أول
من سَقَفَ البيوت بالخشب المنثور ، وكان ملكاً ، وكان يُسَمَّى : آدم ، وهو
عند الفرس : آدم الصغير ، وولده : وبار ، وهم أمة هالكت في الرمل ، هالت
الرياح الرمل على جِجَاجِهِمْ وَمَنَاهِلِهِمْ ^(١) فهلكوا . قال الشاعر :

ووجنوح عنه . آية شعره في الكهولة جزالة اللفظ ، وبدواة الأسلوب والغموض
في التراكيب ، ووجود الغريب من الألفاظ ، وهو فوق المتنبي في دقة الخيال
وتصريف القول في الفلسفة وطبائع البشر ولد بعمرة النعمان سنة ٣٦٣ وعاش
عزبا حتى مات سنة ٤٤٩ هـ .

(١) في القاموس : وبار كَقَطَام قد يُصرف : أرض بين اليمن ، ورمال
بيرين سميت بوبار ابن إرم لما أهلك الله تعالى أهلها عادة . وفي المراسد أنها أرض
واسعة بين الشَّحْرِ إلى صنعاء زهاء ثلثمائة فرسخ في مثلها . قيل كانت من مال
عاد بين رمال بيرين واليمن .. وقيل ما بين نجران وخضرموت ، وما بين بلاد
مهرة والشحر والمهرة بفتح الميم والهاء — وهو الأصح — بخلاف ينسب إليه
مهرة ، وهم قبيلة من قضاة يمنية وبين عمان نحو شهر ، وكذلك يمنية وبين حضرموت
والشحر بتشديد الشين وكسرها وسكون الحاء بلدة صغيرة بين عدن وظفار ، أو
هي صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وهو عدة مدن يتناولها هذا الاسم
انظر مرصد الاطلاع ، وتقويم البلدان لأبي الفداء . والبيت الذي استشهد به
السهرلي أنشده سيوبه للأعشى ، وهو في اللسان :

فهلكت جهرة وبار ،

بضم الراء ، فمن العرب من يجرى وبار يجرى نزال بكسر اللام ، ومنهم من
يجريها يجرى سعاد . وقد أعرب في الشعر ، ودليله هذا البيت فالتواني مرفوعة
في القصيد . واللهجاج جمع فج . وهو الطريق الواسع بين جبلين ، والمناهل : جمع
منهل : المورد ، وهو عين ماء ترده الإبل في المراعى ، وتسمى المنازل التي
في المفارز على طريق الشفائر مناهل لأن فيها ماء .

وَكَرَّ دَهْرٌ عَلَى وَبَارٍ فَأَهْلِكَتْ عَنُوءٌ وَبَارٌ
والنسب إليه أَبَارِي عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَمِنْ الْعَالِيَةِ (١) مُلُوكُ مِصْرَ
الْفَرَاعْنَةُ ، مِنْهُمْ : الْوَلِيدُ بْنُ مُصْتَبٍ صَاحِبُ مُوسَى (٢) وَقَابُوسُ بْنُ مُصْتَبٍ بْنُ
عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ إِرَاشَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَلِيْقِ أَخُو الْأَوَّلِ ، وَمِنْهُمْ : الرَّيَّانُ
ابْنُ الْوَلِيدِ صَاحِبُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيُقَالُ فِيهِ : ابْنُ دَوَمَعٍ فِيمَا

(١) الْعَالِيَةُ قَوْمٌ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ مِنْ وَلَدِ عَمَلِيْقِ بِكسر الْعَيْنِ : أَوْ عَمَلِاقِ
ابْنِ لَأُوذَ بْنِ لَأَرَمَ بْنِ سَامَ ، وَعَمَلِيْقِ هُوَ أَخُو طِسْمَ وَجَدِيسَ . وَقَدْ تَفَرَّقَ
الْعَالِيْقُ فِي الْبِلَادِ ، فَزَلَّ بَعْضُهُمُ الْحَرَمَ وَالْبَعْضُ الشَّامَ ، وَالْبَعْضُ فَارِسَ وَالْمِصْلَقَ :
الْبُولُ وَالسَّلْحُ أَوْ الرِّمَى بِهِمَا ، وَفَرَعُونَ لَقِبَ كُلِّ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ قَدَمًا . أَوْ كُلِّ
عَاتٍ مَتَمَرَّدٍ كَفَرَعُونَ ، أَوْ فَرَعُونَ ؛ بضم الفاء فِيهَا وَضَمُّ الْعَيْنِ فِي الْأَوَّلِ
وَفَتْحُهَا فِي الثَّانِيَةِ : وَتَفْسَرُ عَنْ تَخْلُقٍ يَخْلُقُ الْفَرَاعْنَةُ ، وَالْفَرَاعْنَةُ : الدَّهَامُ وَالشُّكْرُ

(٢) لَمْ يَجْزَمْ التَّارِيخُ بِرَأْيِ حَوْلِ اسْمِ فَرَاعُونَ صَاحِبِ مُوسَى ، فَتَنَمَّ مِنْ
يَقُولُ إِنَّهُ : رَمْسِيْسُ الثَّانِي الَّذِي تَوَفَّى عَامَ ١٢٢٥ قَبْلَ الْمِيلَادِ ، وَيَزْعُمُ الْأَسَاطِذُ
جَارِسْتَاخَ عَضُوَ بَعْتَةَ جَامِعَةِ هِزْبُولَ إِنَّهُ كَشَفَ فِي مَقَابِرِ أَرْمِيَا الْمَلِكِيَّةِ أَدْلَةً تُثَبِّتُ
أَنَّ مُوسَى قَدْ أُنْجِتَ فِي عَامِ ١٥٢٧ قَبْلَ الْمِيلَادِ بِالتَّحْقِيقِ الْأَمِيرَةِ حَتَشَبَسُوتَ الْمَلِكَةِ
فِيمَا بَعْدَ ، وَأَنَّهُ تَرَبَّى فِي بِلَاطُهَا بَيْنَ حَاشِيَتَيْهَا ، وَأَنَّهُ فَرَّ مِنْ مِصْرَ حِينَ جَلَسَ عَلَى
الْعَرْشِ عَدُوَهَا تَحْتَمَسُ الثَّلَاثَ . وَكَانَتْ زَوْجَةُ لِأَخِيهَا تَحْتَمَسُ الثَّانِي ، وَلَمَّا ارْتَقَى
تَحْتَمَسُ الثَّلَاثَ الْعَرْشَ اسْتَطَاعَتْ حَتَشَبَسُوتُ تَنْحِيَتَهُ .

لَكِنِ الَّذِي وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي أُنْجِتَتْ كَانَتْ امْرَأَةً لِفَرَاعُونَ وَقَدْ لُجَّاهُ
يَقُولُ سُبْحَانَهُ : (وَقَالَتْ امْرَأَةُ فَرَاعُونَ : قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ . عَسَى أَنْ
يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) الْقَصَصُ . وَفِي الْإِسْصَاحِ الْأَوَّلِ مِنْ
سَفَرِ الْخُرُوجِ وَرَدَ أَنَّ الَّتِي أُنْجِتَتْ هِيَ ابْنَةُ فَرَاعُونَ لَا امْرَأَتَهُ ، وَهَذَا تَحْرِيفٌ
لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ .

ذكر المسعودي (١).

وأما طسّم وجديس فأفنى بعضُهم بعضاً قتلت طسّم جديساً لسوء ملكيّتهم إياهم ، وجوزهم فيهم ، فأفلت منهم رجل اسمه : رباح بن مُرّة ، فاستصرخ بتبع (٢) ، وهو حسان بن ثبّان أسعد (٣) ، وكانت أخته اليمامة ، واسمها عَزْرُ ناكحاً في طسّم ، وكان هواها معهم ، فأذرتهم ، فلم يقبلوا ، فصَبَحَتْهُمْ جنودُ تبع فأفَنُوهُمْ قتلاً ، وصلّوا اليمامة الزرقاء بباب جَوْ ، وهي المدينة ، فسميت جَوْ باليمامة من هنالك إلى اليوم (٤) وذلك في أيام ملوك الطوائف ،

(١) والمسعودي يذكر اختلاف الناس في شأن فرعون ، فمنهم من رأى أنه من العماليق ، ومنهم من رأى أنه من لخم من بلاد الشام ، ومنهم من رأى أنه من الأقباط من ولد مصر بن يبصر وكان يعرف بظلمة ونصر ما ذكره السهيلي هو في ص ٣٥٨ ج ١ المروج .

(٢) في نهاية الأرب : رياح بكسر الزاء وجمع تبع تبابعة وقد كانت حمير — وهم سبأ — كلما ملك فيهم رجل سموه : تبعاً .

(٣) كنيته : أبو كرب وثبان في وزن غراب أو رمان .

(٤) ذكر بعض المؤرخين أن طسماً وجديساً أخوان لعمود بن كاثر وكانت اليمامة ديار جديس وكانت البحرين ديارا الطسّم . وعند الطبري أنهما لللاوذ بن سام بن نوح ، وكانت ديارهم اليمامة ، وكان عليهم ملك من طسّم ، وكان غشوما سادراً في غيه . ويقال له : عمّلق ، وكان مستذلاً لجديس . حتى كان يابى أن تزف البكر إلى زوجها إلا بعد أن يفترعها ، فدبر أحد أبناء جديس كيدا استطاع به القضاء على عمّلق أو على عمليق وعلى الرؤساء الذين معه ، ولكن أفلت منهم رباح بن مُرّة ابن طسّم ، واستغاث بحسان بن تبع ، فسمع له ، فقال له رباح في الطريق إن لي أختاً متزوجة في جديس ، وإنما لتبصر الراكب على ثلاث مراحل ، وأخاف أن تنذر =

وبقيت بعد طسم يباباً لا يأكل ثممرها إلا أعواف الطير والسباع^(١) ، حتى وقع عليها عبيد بن ثعلبة الحنفي ، وكان رائداً لقومه في البلاد ، فلما أكل التمر قال : إن هذا ل طعامٌ ، وحجر بعصاه على موضع قصبة اليمامة ، فسُميت : حجرأ^(٢) ، وهي منازل حنيقة إلى اليوم ، وخبر طسم وجديس مشهور^(٣) اقتصرنا منه على هذه النبذة لشهرته عند الإخباريين .

== القوم بك ، فقطع كل رجل من قوم حسان شجرة ، وجعلها أمامه وهو يسير بمشورة رياح ، فأبصرتهم اليمامة ، فأنذرت جديسا ، ولكنهم لم يصدقوا ، فدمهم حسان ، فأبادهم ، وأخرب بلادهم ، — وكانت تسمى اليمامة جوا والقرية ، وأتى حسان باليمامة ابنة مرة ، فأمر بها ، ففقت عيناها ، وسميت جوا باليمامة . هذا ما رواه الطبري ص ٣٨ وما بعدها ج ٢ ونقله عنه أيضا ابن خلدون في تاريخه ص ٤٣ وما بعدها ج ٦ طبع لبنان وانظر أيضا ص ٣٣٩ ج ١ نهاية الأرب ط ٢ وبين ما ذكرت وبين ما رواه السبيل خلاف . فهو يذكر طسما مكان جديس ، وهو في هذا يتابع بعض ما رواه المؤرخون حول هذه القصة كما بين ابن خلدون في تاريخه ص ٤٦ ج ٦ وعنه هي زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر .

(١) الياب : الخراب ، العوافي : طلاب الرزق من الناس والدواب والطير .

(٢) حجر : يقال حجر الأرض ، وعليها ، وخولها : وضع على حدودها أعلاما بالحجارة ونحوها لحيازتها ، وقصة البلاد : مدينتها . وحجر اسم ديار ثمود بوادي القرى مدنية بين الشام والحجاز .

قال حسان بن ثابت الأنصاري — والأنصار بنو الأوس والخزرج ،
ابن حارثة ، بن ثعلبة بن عمرو ، بن عامر ، بن حارثة ، بن امرئ القيس ،
بن ثعلبة ، بن مازن بن الأسد بن الغوث :

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّ مَعَشَرَ مُجِبِّ الْأَسَدِ نَسَبُتْنَا وَالْمَاءَ غَسَّانَ
وهذا البيت في أبيات له .

قالت الهم : وبعض عك ، وهم الذين بخراسان منهم : عك بن عدنان
ابن عبد الله بن الأسد بن الغوث ، ويقال : غُدَّان بن الديث بن عبد الله
ابن الأسد بن الغوث .

(ذكر نسب الأنصار)

وهم الأوس والخزرج ، والأوس : الذئب والعطية أيضاً ، والخزرج :
الريح الباردة ، ولا أحسب الأوس في اللغة إلا العطية خاصة ، وهي مصدر
أَسْتَه (١) وأما أوس الذي هو الذئب فعلم كلهم الرجل ، وهو كقولك :
أَسَامَة في اسم الأسد . وليس أوس إذا أردت الذئب ، كقولك : ذئب
وأسد ، ولو كان كذلك لجمع وعُرف — قال — كما يفعل بأسماء الأجناس ،

(١) في القاموس : الأوس : الإعطاء والتعويض من الشيء والذئب والنهزة
بضم النون وسكون الهاء ، وفي المعجم الوسيط : آسه أوسا وإياسا :
أعطاه ، وعوضه بما فقده ، وأعانه ، وفي معجم ابن فارس : الهمة والواو
والسين كلمة واحدة ، وهي العطية . وقالوا : أسست الرجل . أموسه أوسا :
أعطيته ، ويقال الأوس : العوض . وأوس : الذئب ، ويكون اشتقاقه بما
ذكرنا .

ولقيل في الأتي : أوسَة كما يقال : ذئبة ، وفي الحديث ما يقوَّى هذا ، وهو قوله عليه السلام : « هذا أَوْسٌ يَسْتَلْكُم من أموالكم » قالوا : « لا نطيبُ له أنفسنا بشيء » ولم يقل : هذا الأوسُ فتأمَّله ، وليس أوس على هذا من المُستَين بالسَّباع ، ولا منقولاً من الأجناس إلا من العطية خاصة .
وفيه عمرو ، وهو مُزَيَّياه ، لأنه — فيما ذكروا — كان يمزَّق كل يوم حُلَّةً . ابنُ عامر ، وهو : ماء السماء . ابنُ حارثة العَطْرِيف^(١) بن امرئ القيس ، وهو : البُهلولُ بن ثعلبة الصنم ابن مازن السراج ابن الأسد ، ويقال لثعلبة أبيه : الصنم ، وكان يقال لثعلبة ابن عمرو وجد الأوس والخزرج : ثعلبة العنقاء ، وكانهم ملوك مُتَوَجِّجون ، ومات حارثةُ بن ثعلبة العنقاء^(٢) والد الأوس والخزرج بالمدينة بعد ظهورهم على الروم بالشام ، ومُصالحه غسان ملك الروم ، وكان موت حارثة وجذع بن سنان من صنيحة كانت بين السماء والأرض سُمع فيها صهيل الخيل ، وبعد موت حارثة كان ما كان من نكث يهودَ اليهود ، حتى ظهرت الأوس والخزرج عليهم بمن استنصروا به من ملوك جفنة^(٣) ويقال في الأسد : الأزْد بالسین والزای^(٤) واسمه :

(١) في الاشتقاق لابن دريد ص ٤٣٥ : البطريق .

(٢) لقب بهذا — كما في القاموس والاشتقاق لابن دريد — لطول عنقه .

(٣) واشتقاقها إما من الجفنة المعروفة — وهي القصعة والبشر الصغيرة أو من الجفن بفتح الجيم والفاء وهو الكرم بسكون الراء وجفن السيف غمده وجفن الإنسان معروف عن الاشتقاق .

(٤) وهو بالسین أفصح ،

قال ابن إسحاق : فولدَ معدّ بن عدنان أربعة نفر: نزار بن معدّ ، وقضاعة بن معدّ ، وكان قضاعة بكرَ معدّ الذي به يكنى - فيما يزعمون - وقنص بن معدّ ، وإياد بن معدّ .

فأمّا قضاعة فتيامنت إلى خير بن سبأ - وكان اسم سبأ: عبد شمس، وإنما سمى سبأ ؛ لأنه أول من سبى في العرب - ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .
قال ابن هشام : فقالت اليمن وقضاعة : قضاعة بن مالك بن حمير . وقال

الازدرياء^(١) ابن الفوث . قاله وثيمة بن موسى بن الفرات . وقال غيره :
سُمي أسدًا لكثرة ما أسدى إلى الناس من الأيادي^(٢) . ورفع في النسب إلى كهلان بن سبأ ، وكهلان كان مملوكا بعد خير ، وعاش - فيما ذكروا - ثلاثمائة سنة ثم تحول المملك إلى أخيه^(٣) خير ، ثم في بنيتهم ، وهم : وائل^(٤) ومالك وعثرو وعامر وسعد وعوف .

وذكر لطفة ولد عمرو بن عامر لأبيه ، وأنه كان أصغر ولد له . قال

(١) في نهاية الأرب . دراء أو درء ص ٣١١ ج ٢

(٢) أما ابن دريد ، فيقول في الاشتقاق إنه من قولهم : أسد الرجل يأسد أسدًا إذا تشبه بالأسد .

(٣) هما : ابنا سبأ وفي المسعودي أن الذي تولى الملك بعد كهلان هو أبو مالك عمرو بن سبأ وكان ملكه ٣٠٠ سنة ، وقيل : إن الذي ملك بعد كهلان : الحارث بن شداد الملقب بالرائش المعروف بذي المنار ص ٧٤ ج ٢ .

(٤) في نهاية الأرب وائلة .

المسعودي : واسمه : مالك ، وقال غيره : ثعلبة . وقال : ويقال إنه كان يتجأ في حَجْرِهِ .

وقول حسان (١) :

إِنَّمَا سَأَلْتُ فَإِنَا مَعْشَرُ أَنْفٍ (٢) الْأَسَدُ تَسْبَعُنَا ، وَالْمَاءُ غَسَّانُ
يَا أُخْتَ آلِ فَرَّاسٍ إِنِّي رَجُلٌ مِنْ مَعْشَرٍ لَعْمٌ فِي الْجِدِّ بُنْيَانُ
وَاشْتِقَاقُ غَسَّانَ اسْمُ ذَلِكَ الْمَاءِ مِنَ الْغُسِّ ، وَهُوَ الضَّعِيفُ كَمَا قَالَ :
غُسُّ الْأَمَانَةِ صُنْبُورٌ فَصُنْبُورٌ (٣) .

(١) هو صاحب الرنول وشاعره الذائد عنه بشعره . واسمه : حسان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام ، ولد بالمدينة ، عاش قبل إسلامه على مدح المناذرة والغساسنة ، ولكنه بالغ في مدح آل جفنة من ملوك غسان ثم أسلم ، وعاش لإبان البعثة وشعره لمحمد — صلى الله عليه وسلم — توفي سنة ٥٤هـ عاش — كما جاء في الأغاني — ١٢٠ سنة .

(٢) في السيرة : نجب بدلا من أنف ، وكذلك في اللسان وفي القاموس الغَسْنُ المَضْغُ ، وبالنصب الضعيف . وَالْغُسْنَةُ وَالْغُسْنَاءُ : خصلة الشعر وعند ابن دريد هي من الغُسْنَةِ أو من قولهم غيسان الشباب وهو أوله وطرأته .

(٣) البيت في ديوان أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس مُخَلَّفُونَ وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ غُسُّوْا الْأَمَانَةَ صُنْبُورٌ فَصُنْبُورٌ ويقول الأستاذ عبد السلام هرون في تعليقه على المادة في معجم مقاييس اللغة إِنَّ السَّانَ ذَكَرَهَا فِي (صَنْبِرٌ وَغَشَشَ ، بِرَوَايَةِ غَسِّ الْأَمَانَةِ بِالشَّيْنِ وَفِي غَسَسَ : غَسَّ بِالسَّيْنِ وَضَمَّ الْغَيْنَ ، وَنَبَّهَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْآخِرِ عَلَى رَوَايَةِ بَعْضِ الْمَكْسَرَةِ غَشَّ ، وَغَشَّ ، بِالنَّصْبِ عَلَى الذَّمِّ ، وَبِجَمْعِ التَّصْحِيحِ غَسُّوْا الْأَمَانَةَ بِالرَّفْعِ وَالْإِضَافَةِ وَغَسَّى بِالنَّصْبِ وَالْإِضَافَةِ لِمَا بَعْدَهُ ، وَابْنُ فَرَّاسٍ يَقُولُ عَنْ غَسَّ : لَا لَيْسَ فِيهِ إِلَّا قَوْلُهُمْ : رَجُلٌ غَسَّ إِذَا كَانَ ضَعِيفًا ، وَأَصْلُ الصُّنْبُورِ : الْفُخْلَةُ تَبْقَى مُنْفَرِدَةً وَيَنْتَشِرُ وَيَدُقُّ أَسْفَلَهَا .

ويروى غُسى ، ويقال لِلهِرُّ إِذَا زُجِرَ : غَسَّ بتخفيف السين قاله صاحب العين . وَالْقَسِيَّةُ (١) من الرطب : التي يبدأها الإرتطاب من قِبَلِ مُعْلَاقِهَا ، ولا تكون إلا ضعيفة ساقطة .

سبأ وسبل العرم :

فصل : وذكر تَفَرَّقَ سبأ ، والعرب تقول : تَفَرَّقُوا أَيَدَى سَبَا وَأَيَادَى سَبَا نَصَبًا عَلَى الْحَالِ ، وَإِنْ كَانَ مَعْرِقَةً فِي الظَّاهِرِ لِأَن مَعْنَاهُ : مِثْلُ أَيَدَى سَبَا وَالْيَاءُ سَاكِنَةٌ فِيهِ فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ ، لِأَنَّهُ صَارَ بِمَنْزِلَةِ اسْمَيْنِ جُعِلَا اسْمًا وَاحِدًا (٢) مِثْلُ : مَعْدَى كَرَبَ ، وَلَمْ يَسْكُنْهَا فِي ثَمَانِي عَشْرَةَ ، لِأَنَّهَُا مَتَحَرِّكَةٌ فِي ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ .

(١) فِي الْقَامُوسِ د غَسَّ — بَفَتْحِ الْغَيْنِ — زَجَرَ الْقَطِ فَقَالَ : غَسَّ د بَكَرَ الْغَيْنِ ، وَالْمَفْسُوسَةُ : نَحَلَ تَرْتُطِبَ وَلَا حَلَاوَةَ لَهَا . وَالنَّسْ : الضَّعِيفُ وَالثِّيمُ وَالْقَسِيْسُ الرُّطْبُ الْفَاسِدُ .

(٢) فِي اللِّسَانِ : د وَقَالُوا : تَفَرَّقُوا أَيَدَى سَبَا ، وَأَيَادَى سَبَا ، فَبَنُوهُ وَلَيْسَ بِتَخْفِيفٍ عَنْ سَبَا لِأَن صُورَةَ تَحْقِيقِهِ لَيْسَتْ عَلَى ذَلِكَ ، وَلِأَنَّهُمْ بَدَّلُوا لِكَثْرَتِهِ فِي كَلَامِهِمْ . قَالَ مَنْ صَادَرُ أَوْ وَارِدُ أَيَدَى سَبَا .

وقال كثير :

أَيَادَى سَبَا بَاعَزٌ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ فَلَمْ يَحِلْ لِلْعَيْنَيْنِ بَعْدَكَ مَنَزِلٌ
وَضَرَبَتْ الْعَرَبُ بِهِمُ الْمَثْلَ فِي الْفَرْقَةِ ، لِأَنَّهُ لَمَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَنَّتَهُمْ ، وَغَرِقَ
مَكَانُهُمْ تَبَدَّدَ وَافَى الْبِلَادَ . وَقَوْلُهُمْ : ذَهَبُوا أَيَدَى سَبَا أَيْ مَتَفَرِّقِينَ شَبَّهُوا بِأَهْلِ
سَبَا لَمَّا مَزَقَهُمُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ كُلِّ مَزَقٍ . فَأَخَذَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا عَلَى حِدَةٍ ،
وَالْيَدُ : الطَّرِيقُ .

(م م - الرُّوضُ الْأَنْثَى)

فصل : وذكر سَيْلُ الْعَرِمِ ، وفي الْعَرِمِ أقوال : قيل : هو الْمُسْنَاءُ (١) أى : السد وهو قول قتادة ، وقيل : هو اسم للوادي ، وهو قول عطاء ، وقيل : هو الْجُرْدُ الذى خَرَّبَ السد ، وقيل : هو صِفَةُ للسيل من الْعَرَامَةِ ، وهو معنى رواية عَلَى ابن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباس ، وقال البخارى : الْعَرِمُ (٢) : مَلَأَ أَحْمَرُ حِفْرِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى ارْتَفَعَتْ عَنْهُ الْجَنْتَانِ ، فَلَمْ يَسْقِهُمَا ، حَتَّى يَبْسُتَ ، وَلَيْسَ الْمَاءُ الْأَحْمَرُ مِنَ السَّدِّ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَذَابًا أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ . انْتَهَى كَلَامُ الْبُخَارِيِّ . والعرب تضيف الاسمَ إِلَى وَصْفِهِ ، لِأَمَّا اسْمَانِ ، فَتَعَرَّفَ أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ . وحقيقة إضافة الْمُسَمَّى إِلَى الاسمِ الثَّانِي ، أى : صاحب هذا الاسم كما تقول : ذو زيد أى . المسمى بزيد ، ومنه سَعْدُ نَاشِرَةٍ وَعَمْرُو بَطَّةٍ (٣) .

(١) في المطبوعة : المنسأة ولكنها : الْمُسْنَاءُ التي تحبس الماء .

(٢) واحد العرم : العرمة بفتح العين والراء أو كسرهما ، وفي الطبري أنها هكذا بلسان حير أو بلحن اليمن ، وهي صفة للسنة وليست اسمها ، وفي القاموس : عرم بفتح فكسر : جمع بلا واحد ، أو هو الأحباس تبنى في الإودية ، والجرد . ضرب من القيران والعرم أيضا المطر الشديد ، وواد ، والعرامة : الشدة . وفي نهاية الأرب أيضا أن باني السد هو لقمان الأكبر بن عاد أحد ملوك حير ، ص ٢٣٧ ج ٥ نهاية الأرب .

(٣) في اللسان : د وزيد بطة لقب . قال سيويه : إذا لقبتم بمفرد بمفرد أضفتم إلى اللقب وذلك قولك : هذا قيس بطة . جعلت بطة معرفة لأنك أردت المعرفة التي أردتها إذا قلت : هذا سعيد ، فلو نوت بطة صلا سعيد نكرة ، ومعرفة بالمضاف إليه ، فيعبر بطة ههنا كأنه كان معرفة قبل ذلك ، ثم أضيف إليه ، وقالوا : هذا عبد الله بطة د بضم الآخر ، فجعلوا بطة تابعا للمضاف الأول قال سيويه . فإذا لقبتم مضافا بمفرد جرى أحدهما على الآخر كالوصف ، وذلك =

وقول الأعشى (١) :

ومأرب عفى عليها العرم .

يقوى أنه السيل . ومأرب بسكون الهمزة : اسم لقصر كان لهم ، وقيل : هو اسم لكل ملك كان على سبأ ، كما أن مُبِمًا اسم لكل من ولي اليمن ، وحَضْرَمَوْت والشَّحْر . قاله المسعودي . وكان هذا الشد من بناء سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب (٢) ، وكان ساق إليه سبعين واديا ، ومات قبل أن يستتمه ، فأنتمته ملوك حِمْيَر بعده . وقال المسعودي : بناء لقمان بن عاد ، وجعله فرسخا ، وجعل له ثلاثين مَنَقِبًا .

== قولك : هذا عبد الله بطة يا فتى ، اللسان مادة بط ، أما سعد ناشرة فكوكبان بينهما في المنظر نحو ذراع ، هذا وفي العرب سعود كثيرة : سعد تيم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر .

(١) هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل ، نشأ في النمامة . وسمع بأمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — فصنع قصيدة في مدحه ، ولكن قريشا أعطته مائة من الإبل ، فرجع ولكنه سقط عن ناقته ، فدفقت عنقه قرب النمامة ، وهو راجع . لقب بصناجة العرب . والشطرة التي ذكرها السيل من بيت أوله :

ففي ذاك للسؤمى أسوة ومأرب عفى عليه العرم
رجام بَنَتْهُ لهم حمير إذا جاء ماؤهم لم يرم

والقصيدة في ديوانه ص ٤٣ من طبع القاهرة من قصيدة في مدح قيس بن معد يكرب . وفيه : قفسى . رخام ومواره ، مكان عفى ورجام ، وماؤهم . والرجام : الصخور .

(٢) ويقال : لأنها بِلَقَيْس .

وقول الأعشى :

إذا جاء مَوَّارُهُ لَمْ يَرِم . من قوله تعالى : (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) .
فهو مفتوح اليم ، وبعضهم يَرْوِيهِ مضموم اليم ، والفتح : أَصَحُّ . ومنه
قولهم : دَمٌّ مَأْرُؤٌ أَى : سائل . وفي الحديث : « أَمْرٌ اللَّدَمَ بِمَا شِئْتَ » (١) أَى
أرسله ، ورواه أبو عبيد أَمْرٍ بسكون اليم ، جعله من مَرَيْتُ الضرع .
والنفسُ إلى الرواية الأولى أَمِيلٌ من طريق المعنى ، وكذلك رواه النقاش ،
وفسره .

وقوله : لَمْ يَرِم أَى : لَمْ يُمْسِكْهُ السد حتى يأخذوا منه ما يحتاجون إليه .
وقوله : فَأَرَوِى الزروع وأعناها أَى : أعنا تلك البلاد ، لأن الزروع
لا أعنا لها .

وأشد لأَمِيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ :

من سبأ الحاضرين مَأْرَبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ سَيْلِهِ الْعَرِمَا (٢)
وهذا أبين شاهدٍ على أن الْعَرِمَ هو السد ، واسم أبي الصلت : ربيعةُ
ابن وَهْب بن عَلَاجِ الثَّقَفِيِّ وأمه : رُقِيَّة بنت عبد شمس بن عبد مناف .

(١) الحديث رواه أحمد في مسنده ، وأبو داود . وابن ماجه والحاكم عن
عدي بن حاتم .

(٢) البيت في اللسان هكذا : شرد من دون سيله العرما . ويقال إن مأرب
اسم لقصر الملك وفيه يقول أبو الطمحان .
ألم تروا مأرباً ما كان أحصنه وما حواله من سور وبنيان

عائشة عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه سُئِلَ عن قُضَاعَةٍ ، قَالَ : هُوَ ابْنُ مَعَدٍّ ، وَكَانَ يَكْرَهُهُ . قَالَ أَبُو عُمَرَ : وَلَيْسَ دُونَ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ مَنْ يُمْتَحَجُّ بِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ (١) ، وَقَدْ عَارَضَهُ حَدِيثُ آخَرَ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ . وَجُهَيْنَةُ : هُوَ ابْنُ زَيْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ سَوْذَانَ بْنِ أَسْلَمَ — بَضْمُ اللَّامِ — ابْنُ الْحَافِ ابْنِ قُضَاعَةٍ أَنَّهُ قَالَ : يَارَسُولَ اللَّهِ : لِمَنْ نَحْنُ ؟ فَقَالَ : أَنْتُمْ بَنُو مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ (٢) . وَقَالَ عُمَرُو بْنُ مُرَّةٍ — وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَيُسَكِّنِي أَبَا مَرْيَمَ :

يَايُهَا الدَّاعِي ادْعُنَا وَأَبْشِرْ وَكُنْ قُضَاعِيًّا وَلَا تَنْزَرِ
نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْمِجَانِ الْأَزْهَرِ قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ (٣)

(١) في الإنباء ص ٥٩ لابن عبد البر .

(٢) ذكره ابن عبد البر في الإنباء وقال : رواه جرير بن حازم عن ابن لهيعة عن معروف بن سويده عشانة المغافري عن عتبة بن عامر الجهنبي .

(٣) يقول ابن عبد البر في الإنباء ص ٦١ : وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ انْتَسَبَ مِنْ قُضَاعَةٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ الْأَفْلَحِ بْنِ يَعْقُوبَ حَيْثُ يَقُولُ :

يَايُهَا الدَّاعِي ادْعُنَا وَأَبْشِرْ وَكُنْ قُضَاعِيًّا وَلَا تَنْزَرِ
نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْهَجَانِ الْأَزْهَرِ قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ
النَّسَبُ الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُسَكَّرِ

وَفِي الْأَغَانِي ج ٨ ص ٩٠ طَبَعُ لُبْنَانِ : وَقَالَ رَاجِزٌ مِنْ قُضَاعَةٍ يَنْسَبُهُمْ إِلَى حَمِيرٍ .

قُضَاعَةُ الْأَثَرُونَ خَيْرٌ مَعَشَرٍ قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ
ثُمَّ : يَايُهَا الدَّاعِي ادْعُنَا وَأَبْشِرْ وَكُنْ قُضَاعِيًّا وَلَا تَنْزَرِ =

قال ذو الحُسَيْنِ : قال الزبير : الشعر لأفاح بن اليَعُوب . وعمرُو بن مُرَّة هذا له عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حديثان أحدهما : في أعلام النبوة ، والآخر : « مَنْ وَلِيَ أَمْرَ النَّاسِ ، فَسَدَّ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ ، وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ سَدَّ اللَّهُ بَابَهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتْهُ وَمَسَكَنَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) وما احتج به أصحاب القول الأول أيضا قول زهير (٢) :

= قضاة الأعمى الخ ثم يقول : قال مؤرج بن عمرو : وهذا شيء قيل في آخر أيام بني أمية . وفي نسب قريش صره وردت هذه الآيات أيضا مع تقديم وتأخير . ومعنى نزل انتمى إلى قبيلة نزار ، أو تشبه بهم ، والهجان الكريم الحسب النقية . والأزهر كل لون أبيض صاف مشرق مضى .

(١) رواه الترمذی . ورواه أبو داود ولفظه بسنده عن عمرو بن مرة الجنبی أنه قال لمعاوية : « سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « مَنْ وَلَاهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاجْتَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتْهُمْ وَفَقَرَهُمْ ، اجْتَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتْهُ وَفَقَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَجَعَلَ مَعَارِيَةَ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ بِنَحْوِ لَفْظِ أَبِي دَاوُدَ وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ . وَعَقِبَهُ بْنُ عَامِرٍ أَشْهُرَ كُنْيَةٍ لَهُ . أَبُو حَمَادٍ وَلِيَ الْبَصْرَةَ سَنَةَ ٤٤٤ فِي عَهْدِ مَعَاوِيَةَ . وَظَلَّ فِيهَا ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٨٠ وَلَهُ نَحْصَةٌ وَخَمْسُونَ حَدِيثًا . وَالْخَلَّةُ . الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ .

(٢) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، وقد نشأ في بيت عريق في الشاعرية فأبوه وخاله وأخته سلمى والخنساء ، ولدهاء كعب وبجير من الشعراء للناهمين . ويدور التفاضل بينه وبين النابغة و امرئ القيس ، أما ليلى ، فهو أبو عقيل ليلى بن ربيعة العامري يقال . إنه عاش حتى أدرك الإسلام ، فأقبل على الرسول — صلى الله عليه وسلم — في وفد من قومه ، فأسلم وحفظ القرآن وينسب إليه أنه لم يقل بعد إسلامه سوى :

الحمد لله إذ لم يأتني أجل حتى لبست من الإسلام سربالا =

قُضَاعِيَّةٌ أَوْ أُخْتِنَا مُضَرِّيَّةٌ يُحَرِّقُ فِي حَافَتِهَا الْخَطْبُ الْجَزْلُ

فَجعل قُضَاعَةً وَمُضَرَّ أَخَوَيْنِ : وَأَشْعَارُ كَثِيرَةٌ لِلْبَيْدِ وَغَيْرِهِ ، وَقَدْ قَالَ
الْكَمِيتُ يَمَاتِبُ قُضَاعَةً فِي انْتِسَالِهِمْ إِلَى الْبَيْنِ :

عَلَامَ نَزَلْتُمْ مِنْ غَيْرِ قَفَرٍ وَلَا ضَرَاءَ مَنَزَلَةِ الْحَمِيلِ

وَالْحَمِيلُ : الْمَسْبِيُّ لِأَنَّهُ يُحْمَلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ . قَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ أَبِي حَمِيلًا
فَوَرَّثَهُ مَسْرُوقٌ . أَرَادَ أَنْ مَسْرُوقًا كَانَ يَرَى التَّوَارِثَ بَوَلَادَةِ الْأَعَاجِمِ . وَقَالَ
ابْنُ الْمَاجَشُونِ : كَانَ أَبِي وَمَالِكٌ وَابْنُ دِينَارٍ وَالْمَغِيرَةُ يَقُولُونَ فِي الْحَمِيلِ - وَهُوَ
الْمَسْبِيُّ - يَقُولُ ابْنُ هُرْمُزٍ (١) ثُمَّ رَجَعَ مَالِكٌ قَبْلَ مَوْتِهِ يَسِيرُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ شَهَابٍ ،

== وَكَانَتْ وَفَاتِهِ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ ٤١ هـ . وَالْكَمِيتُ هُوَ أَبُو الْمُسْتَهْلِ الْكَمِيتُ بْنُ
زَيْدِ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ هُوَ أَشْمَرُ شُعْرَاءِ الْمُنَشِيعِينَ لِبْنِي هَاشِمٍ ، وَأَهْلُ بَيْتٍ عَلَى
رَضَى اللَّهِ عَنْهُ وَلَدَ سَنَةَ ٦٠ هـ وَمَاتَ سَنَةَ ١٢٦ هـ . الْحَمِيلُ . الذَّعِيُّ - أَيْ الْمَطْعُونُ
فِي نَسَبِهِ ، وَالْمَنْسُوبُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ . وَالْحَمِيلُ أَيْضًا : الطِّفْلُ الْمُنَبِّذُ بِحِمْلِهِ قَوْمَهُ
فِي رُبُونِهِ ، وَالْبَيْتُ فِي الْإِنْبَاءِ أَيْضًا .

(١) الْأَعْمَشُ هُوَ : أَبُو مُحَمَّدٍ سُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ الْكُوفِيُّ ، كَانَ حَافِظًا مُتَثَبًا ،
وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ تَشْيِيعٌ وَلَدَ سَنَةَ ٦١ هـ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٨ هـ وَابْنُ الْمَاجَشُونِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
وَأَصْحَابُ مَالِكٍ . اسْمُهُ : عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَةَ الْمَاجَشُونِ
- وَهِيَ الْمُرُودُ بِالْفَارَسِيَّةِ - سَمِيَ بِهَذَا لِحُمْرَةِ فِي وَجْهِهِ ، وَكَانَ فِي زَمَانِهِ مُقْبَى
الْمَدِينَةِ تَوَفَّى سَنَةَ ٢١٢ هـ ، أَوْ ٢١٤ هـ . وَمَسْرُوقٌ هُوَ : مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ بْنِ
مَالِكٍ أَبُو عَائِشَةَ الْكُوفِيُّ كَانَ فَقِيهًا مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ . رَوَى عَنْ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ الْأَرْبَعَةَ قَالَ عَنْهُ ابْنُ الْمَدِينِيِّ . مَا أَقْدَمَ عَلَى مَسْرُوقٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ
أَحَدًا تَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٢ هـ . وَمَالِكٌ هُوَ : مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بْنُ مَالِكٍ بْنِ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبُ ==

وأهم يتوارثون بشهادة المدلول، ولما تعارض القولان في قضاة، وتكافأت
الحجج نظرنا فإذا بعض النسّابين - وهو الزبير - قد ذكر ما يدل على صدق الفريقين
وذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن امرأة مالك بن خبير، واسمها: عكبرة
أمّت منه (١) وهي ترضع قضاة، فزوجها معدّ، فهو رآه، فبنّاه، وتكفّ
به، ويقال: بل ولده على فراشه، فنسب إليه، وهو قول الزبير، كما نسب
بنو عهد مناة بن كنانة إلى علي بن مسعود بن مازن بن الذئب الأسدي،
لأنه كان حاضن أبيهم، وزوج أمهم، فيقال لهم: بنو علي إلى الآن، وكذلك
عكل (٢)، وهو حاضن بني عوف بن ودّ بن طابخة، ولكن لا يعرفون إلا

الموطأ. قال عنه الذهبي: اتفق مالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره. طول العمر
وعلو الرواية، والذهن الثابت، والفهم، وسعة الاطلاع، واتفاق الأئمة على أنه حجة
صحيح الرواية تجمعهم على دينه وعدالته، واتباع السنن، تقدمه في الفقه والتقوى
ولد سنة ٩٢ وتوفي سنة ١٧٩ والمغيرة هو: المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث
ابن عبد الله. قال عنه الزبير بن بكار. كان المغيرة فقيه أهل المدينة بعد مالك.
توفي المغيرة سنة ١٨٦ هـ وابن دينار: هو محمد بن إبراهيم بن دينار الجني أبو
عبد الله كان مفتي أهل المدينة مع مالك وعبد العزيز بن أبي سلة وبعدهما. ودرس
مع مالك على ابن هرمز توفي سنة ١٨٢ هـ

(١) أصل العكبرة. المرأة الجافية في خلقها، وآمت المرأة، أيما،
وأيوما وأيمة. أقامت بلا زوج بكر أو ثيا، وفقدت زوجها.

(٢) عكل بضم العين أو كسرهما. التيم - وفي القاموس: وعكل أبو قبيلة فيهم
غباوة اسمه: عوف بن عبد مناة حضنته أمة تدعى: عكل فلقب به، وعند
ابن دريد أن اشتقاق عكل من عكلت الشيء عكلا إذا جمعه وفي الإنباه: عكل:
امرأة حضنت ابن عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أد،
ففسبوا إليها، وسودان وثعلبة بنو عمرو بن النوث من طيء نسبوا إلى
حواضنهم أيضا.

بِعُسْكَل ، وكذلك سعد بن هذيم ^(١) إنما هم بنو سعد بن زيد من قضاة ،
وهذيم كان حاضن سعد ، فنُسب إليه ، وهذا كثير في قبائل العرب ،
وسأتي منه في الكتاب زيادة - إن شاء الله - وتفسير قضاة فيما ذكر صاحب
العين : كلب الماء ، فهو اسم منقول منه ، وهو لقب له ، واسمه : عمرو ، ويكنى
أبا حسن وكُنيتُهُ : أبا حكم فيما ذكروا ^(٢) .

وقول ابن إسحق : كان بكر معد ، فالبكر أول ولد الرجل ، وأبوه بكر
والثني ولد الثاني ، وأبوه ثني ، والثث ولد الثالث ، ولا يقال للأب ثث ،
ولا يقال فيما بعد الثالث شيء من هذا ، قاله الخطابي . ومما عوتبت به قضاة في
انتسابهم إلى اليمن قول أعشى بن تغلب ، وقيل هي لرجل من كلب ، وكتب
من قضاة .

أَزَيْتُمْ عَجُوزَكم ، وكانت قديما لا يُشَم لها خمار
عجوز لودنا منها يمان للاق مثل مالاقي يسار ^(٣)

(١) في القاموس : سعد بن هذيم كزير أبو قبيلة ، وهو ابن زيد لكن
حضره عبد أسود اسمه هذيم : فلقب عليه .

(٢) وعند ابن دريد أن قضاة مشتقة من شين . إما من قولهم . انقضع
الرجل عن أهله إذا بعد عنهم أو من قولهم . تقضع بطنه إذا أوجعه ، ووجد في
جوفه وجعا ، وفي القاموس : قضاة لأنها كلبة الماء ، وغبار الدقيق ، وما يتحت
من أصل الحائط ، وبقضاة لقب عمرو بن مالك بن حير ، ثم ذكر أنها قد تكون
فوق هذا من قصعه بفتح أي قهره وانظر أيضا ص ٢٨٣ ج ٢ نهاية الأرب وانظر
ص ٦١ من الإنباه لابن حزم ، وص ٩٠ و ٨٠ .

(٣) في الإنباه : وقيل : لأنها لبعض بني تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب
يخاطب قضاة ص ٦٢ ١٢ زناه نسبة إلى الزنا ، واتهمه به ، وفي الإنباه عن =

يريد : يَسَارُ الكواكب الذي هم بهن فَخَصَّتْهُ ، وقال بعض شعراء حِمْيَر
في قُضَاعَة :

مَرَرْنَا عَلَى حَيٍّ قُضَاعَة غُدُوَّة	وقد أخذوا في الزَّفْنِ والزَّفَانِ
قلت لهم : ما بال زَفْنِكُمْ كَذَا	لِعُرْسٍ نَرَى ذَا الزَّفْنِ أَوْ لِحِثَانٍ
قالوا : أَلَا إِنَّا وَجَدْنَا لَنَا أَبَا	قلت : لَيْتَنِي نَشْكُمُ ! بَأَى مَكَلَنٍ !
قالوا : وَجَدْنَاهُ بِحَرْعَاءَ مَالِك	قلت : إِذَا مَا أُنْكُمُ بِحَصَانٍ
فَأَمْسَى خُصِيًّا مَالِكٍ فَرَجَ أُنْكُمُ	وَلَا بَاتَ مِنْهُ الْفَرْجُ بِالْمُتَدَانِي
قالوا : بلى والله حتى كَأَنَّمَا	خُصِيَّاهُ فِي بَابٍ اسْتَبَاهَا جُمَلَانٌ (١)

ذكره أبو عمر — رحمه الله — في كتاب الإنباء له ، وقال جميل بن
مَعْمَرٍ ، وهو من بني حُنَّ بنِ ربيعة من قُضَاعَة يصف بُيُوتَهُ ، وهي من
حُنَّ أَيْضًا :

= يسار « وكان زنى في غير قومه فأخذ غصبي ، وذكر من القصيدة . كما روى لأعشى
تغلب ثمانية أبيات في هجو قُضَاعَة .

(١) ص ٦٢ الإنباء وفيه « من تحت ، بدلا من « في باب ، وجرعاء الأرض
ذات الخزوة تشاكل الرمل ، أو موضع فيه سهولة ، ورمل لا تنبت ، وجرعاء
مالك بالدهناء قرب حروى « بضم الحاء وإسكان الزاى وفتح الواو ، موضع
بنجد . والدهناء هي من ديار بني تميم في نجد ، وقيل غير هذا ، والحصان : العفيفة
أو المتزوجة ، الحصيان بضم الحاء وكسرهما معروفان ، وهما عضوان من أعضاء
التناسل ، والجعلان مثني : جعل ، وهو حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندية
وليت الكيت تبرأ من مثل هذه الأبيات القنطرة ، ولو لا الحفاظ على النص لحذفها .

رَبَّتْ فِي الرُّوَابِي مِنْ مَعْدٍ، وَفُضِّلَتْ عَلَى الْمُحَصَّنَاتِ الْبَيْضِ وَهِيَ وَلِيدٌ (١)

وقال جميل أيضا وهو يحدو بالوليد بن عبد الملك :

أَنَا جَمِيلٌ فِي السَّنَامِ مِنْ مَعْدٍ الضَّارِبِينَ النَّاسَ فِي الرُّكْنِ الْأَشَدِّ (٢)

(١) جميل بن عبد الله بن مَحْمُودِ المعروف بجميل بئينة . يقول عنه الأصمغاني في الأغاني : « وجميل وبئينة كلاهما من بني عُذْرَةَ . والجمال والعشيق في بني عذرة كثير ، وقد اشتهر عشقهم بالعفة ، فقيل : حب عذري مات سنة ٨٢ هجرية في عهد عبد العزيز بن مروان . وبيت « ربت الروابي » في الأصل بدون « في » والتصويب من البيان والتبيين ص ٢٢٣ - ١ وقد ورد البيت هكذا .

نمت في الروابي من معد وأفلجت على الحفريات الغرّ وهي وليد أناة على نيرين أضحى لنداتها بلبين بلاء الرّيط ، وهي جديد نمت : شبت . الروابي من معد . البيوت الشريفة . أفلجت . أظهرت والحفريات . الحيات . الأناة . المرأة التي فيها فتور عند القيام . وقوله . على نيرين . وصفها بالقوة كالثوب يفسج على نيرين ، وهو الثوب الذي له سديان كالديباج وما أشبه . اللدة . القرينة في المولد والمنشأ ، فيقول . إن أقرانها قد بلين وهي جديد لحسن غذاها . والرّيط . جمع ربطة ، وهي الملاءة كلها نسج واحد أو قطعة واحدة . والمحصنات العفيفات .

(٢) في الأغاني ص ٨٠ و ٩٠ وردت الشطرة الثانية هكذا في الأسرة الحصداء والبيض الأشد ، وفي ص ١٣٤ منه وفي نسب قريش ص ٦ . وفي الذروة العليا والركن الأشد ، وفي نسب قريش « كان الوليد في سفر ، فرجز ابن العُدري والوليد على نجيب ، فقال :

يا بكر هل تعلم من علاكا خليفة الله على ذراكا

فقال الوليد بجميل . انزل فارجز ، فزل ، فقال :

(ذكر قنص بن معد)

وكان قنص بن معد قد انتشر ولده بالحجاز ، فوَقعتَ بينهم وبين أبيهم حرب ، وتضايقوا في البلاد ، وأُجْدَبَتْ لهم الأرض ، فساروا نحو سواد العراق ، وذلك أيام ملوك الطوائف فقاتلهم الأَرْدَانِيُّونَ (١) وبعضُ ملوك الطوائف ، وأُجْلَوْهُم عن السواد ، وقتلهم إِلَّا أَشْلَاءَ لحقت بقبائل العرب ، ودخلوا فيهم ، وانتسبوا إليهم .

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث جُبَيْر بن مُطْعِم حين أتى عُمَرُ بسيفٍ

== أنا جميل في السنام من معد في الذروة العليا والركن الأشد

فقال له : اركب لا حملك الله ولم يمدح جميل أحدا قط ، ص ٦ نسب قريش وانظر القصة أيضاً ص ١٣٤ > ٨ أغاني .

(١) الطوائف هم الذين ملكوا بابل بعد الاسكندر ولقبهم الاشفانئون ، وكان ملكهم — كما يقول الطبري — ٢٦٦ سنة والأردانيون — أو الأردنيون هم أنباط السواد ، والأنباط قوم من الساميين يرجعون إلى أصلين أحدهما : آراي والآخر عربي ، ودواتهم كانت في القرن السابع قبل الميلاد ، وسقطت في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد ، وامتدت أملاكهم من الجزء الجنوبي الشرقي من فلسطين إلى رأس خليج العقبة . والسواد مَوْضِعَان ، أحدهما : قرب البلقاء ، من أعمال دمشق بين الشام ، ووادي القرى فسبغها عمان ، والموضع الثاني : رستاق من رساتيق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر . وهو ما بين البصرة والكوفة . وأنظر مع الطبري تاريخ ابن خلدون > ٧ ص ٣٤١ ، وفي > ٨ ص ٤٥٨ نقل ابن خلدون نص السبيل وفيه : الأردوانيون ، وفي البكري كذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن شيخ من الأنصار من بني زريق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حين آتى بسيف النعمان ، بن المنذر ، دعا جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي - وكان جبير من أنسب قريش لقريش ، وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب - فسلحه إياه ، ثم قال : ممن كان يا جبير : النعمان بن المنذر ؟ فقال : كان من أشلاء قنص بن معد .

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلاً من عظم ، من ولد ربيعة بن نصر ، فإله أعلم أي ذلك كان :

« عظم بن عدي » :

قال ابن هشام : عظم : ابن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن هبميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : لعظم : ابن عدي بن عمرو بن سبأ ، ويقال : ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تحلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن .

النعمان بن المنذر (١) ، وكان جبير أنسب الناس - الحديث . وذكر الطبري

(١) جبير أحد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم - وروى عنه ، وكان يؤخذ عنه النسب ، وهو أحد الذين دفنوا عثمان بن عفان ، وصلى عليه ، وأمه : أم جميل بنت شعبة . وفي الإصابة والاستيعاب ، سعيد . انظر ص ٢٠١ نسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري دار المعارف أما عمر فهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو غني عن التعريف =

أن سيف النعمان بن المنذر إنما أتى به عُمَرُ حين افْتَتِحَتِ المدائن — ، وكانت بها خرائبُ كِسْرَى وذَخَائِرُهُ ، فلما غلب عليها هَرَقَ إلى إِصْطَخَرِ (١) ، فأخذت أمواله ونفائسُ عُدَدِهِ ، وأخذله خمسة أسيافٍ لم يُرِ مثلها . أحدها : سيف كِسْرَى أَبَرْوِزَ ، وسيفُ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ وسيف النعمان بن المنذر الذي كان استُكِبَ منه ، حين قتله غَضَبًا عليه ، وألقاه إلى القَيْلَةِ فحبطته بأيديها ، حتى مات . وقال الطبري : إنما مات في سجنه في الطاعون الذي كان في الفرس ، وسيفُ خَاقَانَ مَلِكِ التُّرْكِ ، وسيفُ هِرَقْلَ ، وكان تصيّر إلى كِسْرَى أيام غلبته على الروم في المدة التي ذكرها الله تعالى في قوله : (أَلَمْ غَلَبْتَ الرُّومَ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) الآية . فهذا كان سببَ تَصْيِيرِ سيفِ النعمان إلى كِسْرَى أَبَرْوِزَ ، ثم إلى كِسْرَى بَرْزَجِرْدَ ، ثم إلى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — وكان الذي قتل النعمان منهم أَبَرْوِزَ بنُ هُرْمُزَ بنِ أَنْوَشِرَوَانَ (٢) وكان لأَبَرْوِزَ فيما ذكر ألفُ

== أما النعمان بن المنذر ، فهو أحد ملوك الحيرة الواقعة على نحو عشرة أميال جنوب بابل ، وقد استولى المنذر على الحيرة سنة ٥٧٥ م ، ودمرها ، وكان هؤلاء وثنيين على حين كان أتباعهم يعتقدون المذهب النسطوري المسيحي . ثم اعتنق النعمان الثالث النصرانية ، وقد هاق به الفرس ذرعا فاستدرجه كِسْرَى الثاني إلى عاصمته المدائن وخلعه عن العرش . ص ٢٤ > ١ تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان .

(١) إِصْطَخَرُ بلد بفارس .

(٢) خَاقَانَ : علم واسم لكل ملك خَفَقَنَهُ التُّرْكُ بفتح ووقف مفتوحة مشددة التُّرْكُ على أنفسهم . أى : مَلَسْكَوهُ . ورأسوه ، وهِرَقْلَ بفتح فسكون اسم لملك الروم . وكِسْرَى ، بفتح الكاف وكسرهما : ملك =

أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن

وقصة سد مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن - فيما حدثني أبو زيد الأنصاري أنه رأى جرّداً يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعتزم على النقلة من اليمن ، فكاد قومه ، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ، واطمه أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي ، وعرض أمواله ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتيموا غضبة عمرو فاشترؤا منه أمواله . وانتقل في ولده وولد ولده . وقالت الأزدي : لا تتخلف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم ، وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان . فخارجهم عك ، فكانت حربهم سجالا . في ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذي كتبنا ، ثم ارتحلوا عنهم ، ففرقوا في البلدان ، فنزل

==الفرس . معرب خسروا أي : واسع الملك ، وأبرويز بن هرمز بن أنوشروان - ملك من ملوك فارس في عهده حدثت حروب ذى قار لتمام أربعين سنة من مولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة بعد أن بعث ، وقيل بعد أن هاجر . وقيل : لأنها كانت بعد بدر بأربعة أشهر ، أما يزيد جرد فهو ابن شهریار ابن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباد بن فيروز بن بهرام ، كان ملكه إلى أن قتل بمرور من بلاد خراسان عشرين سنة ، وذلك لسبع سنين ونصف خلعت من خلافة عثمان وهي سنة ٣١ من الهجرة وانظر - ١ - من تاريخ المسعودي في باب ذكر ملوك الساسانية من ص ٢٦٩ .

آلِ جَفْنَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ الشَّامِ ، وَنَزَلَتْ الْأَوْسُ وَالْخُزَجِ يَثْرِبَ ، وَنَزَلَتْ خُزَاعَةَ مَرَّأً ، وَنَزَلَتْ أَزْدُ النَّسْرَةِ السَّرَاةَ . وَنَزَلَتْ أَزْدُ عُحَانَ عُحَانَ . ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى السَّيْلِ فِيهِمْ ، فَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ، وَاشْكُرُوا لَهُ . بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ، فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ [وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَطَفٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ]) . [سَبَأُ : ١٥ ، ١٦]

وَالْعَرِمُ : السَّيْلُ ، وَاحِدَتُهُ : عَرِمَةٌ ، فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ

قَالَ الْأَعَشَى : الْأَعَشَى : بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ بْنِ هَنْبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدَةَ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : أَفْصَى بْنُ دُعَيْيَ بْنِ جَدِيلَةَ ، وَاسْمُ الْأَعَشَى : مَيْمُونُ بْنُ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلِ بْنِ شَرَّاحِيلَ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدَ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

فَيْلٍ ، وَخَمْسُونَ أَلْفَ فَرَسٍ ، وَثَلَاثَةَ أَلْفِ امْرَأَةٍ — فِيمَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ (١) — وَتَفْسِيرُ أَنُو شَرَوَانَ بِالْعَرَبِيَّةِ : مُجَدِّدُ الْمُلْكِ — فِيمَا ذَكَرُوا وَاللَّهُ أَعْلَمُ — وَكَذَلِكَ تَفْسِيرُ أَبِرَوَيْزَ : الْمُظَفَّرُ . قَالَ الْمَسْعُودِيُّ وَالتَّبْرِيُّ أَيْضًا ، وَزَادَ التَّبْرِيُّ فِي حَدِيثِ جَبْرِ (٢) حِينَ سَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ نَسَبِ النَّعْمَانِ قَالَ : كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ إِنَّهُ مِنْ أَشْلَاءِ قَنْصِ بْنِ مَعَدَةَ ، وَهُوَ وَلَدُ عَجْجَمِ بْنِ قَنْصِ إِلَّا أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَدْرُوا

(١) وَانْظُرْ ص ٢٧٩ ح ١ الْمَسْعُودِيُّ .

(٢) هُوَ فِي الْإِنْبَاءِ لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ ص ١٠٥ .

وفى ذلك للمؤنسي أشوة ومأرب عفى عليها العرم
 رُحَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حَبِيرٌ إِذَا جَاءَ مَوَارُهُ لَمْ يَسِرْ
 فَارَوَى الزُّرُوعَ وَأَعْنَابَهَا عَلَى سَعَةٍ مَأْوَمٍ إِذْ قُسِمَ
 فَصَارُوا أَبَادَى مَا يَقْدِرُوا مِنْ مَنَّهُ عَلَى شُرْبِ طِفْلِ فُطْمٍ
 وهذه الأبيات في قصيدة له .

وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ التَّقْفِي - واسم ثَقِيف : قَيْسُ بْنُ مُنْبَهٍ بْنُ بَكْرِ
 بْنِ هَوَازِنَ بْنِ مَنصُورٍ بْنِ عَكْرِمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ بْنِ مُضَرَ
 بْنِ نَزَارٍ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ .

مِنْ سَبَأِ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا
 وهذا البيت في قصيدة له . وتروى للناطقة الجمعدى ، واسمها : قَيْسُ بْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ أَحَدِ بَنِي جَعْفَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَفْصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ
 ابْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ .

وهو حديث طويل ، منعنى من استقصائه ما ذكرت من الاختصار .

مَا عَجَّجُمْ فِجْعَلُوا مَكَانَهُ لَحْمًا : فَقَالُوا : هُوَ مِنْ لَحْمٍ ، وَنَسَبُوا إِلَيْهِ . وَأَبْرُوْزُ هُوَ
 الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمَزَّقَ كِتَابَهُ ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ
 - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُمَزَّقُوا كُلٌّ مُمَزَّقٌ .

(حَدِيثُ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ وَرَوِيَاهُ)

وبعضهم يقول فيه : نصر بن ربيعة ، وهو في قول مُنْطَابِ بْنِ رَبِيعَةَ
 ابْنِ نَصْرٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نُمَيْرَةَ بْنِ أَخِيْمٍ . وقال الزَّيْبِيُّ فِي هَذَا النَّسَبِ :

نَصْرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ شَعُوذِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَجْجَمِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ ثَمَارَةَ بْنِ لَخْمٍ (١)
وَلَخْمٌ أَخُو جُذَامٍ ، وَسُمِّيَ لَخْمًا لِأَنَّهُ نَحِمَ أَخَاهُ ، أَيْ : لَطَمَهُ ، فَغَضَهُ الْآخَرُ فِي
يَدِهِ فَجَذَمَهَا ، فَسُمِّيَ جُذَامًا ، وَقَالَ قُطْرُبٌ : اللَّحْمُ سَمَكَةٌ فِي الْبَحْرِ بِهَا سُمِّيَ
الرَّجُلُ لَخْمًا (٢) وَأَكْثَرُ الْمُؤَرِّخِينَ يَقُولُونَ فِيهِ : نَصْرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ
مَقَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ (٣) فِي نَسَبِ النَّعْمَانِ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ رَبِيعَةَ ، وَأَنَّ لَخْمًا فِي
نَسَبِهِ تَضْحِيفٌ مِنْ عَجْجَمِ بْنِ قَنْصٍ :

وَذَكَرَ رُوَيْاهُ وَسَطِيعًا السَّكَاهِنَ (٤) وَنَسَبَهُ ، وَقَدْ خَالَفَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ

(٢) وَلِسَبِّهِ فِي الْأَشْتِقَاقِ هَكَذَا : نَصْرُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
سَعُودِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمٍّ ، بَفَتْحٍ وَفَتْحٍ ، بَنُ ثَمَارَةَ بْنِ لَخْمٍ ، وَمَنْ لَسَلَهُ النَّعْمَانُ
ابْنَ الْمُنْذَرِ بْنِ الْمُنْذَرِ . وَقَالَ عَنْ زَمَنِ مَلُوكِ الْحَيَرَةِ إِنَّهُ كَانَ حَسْبَانَةَ سَنَةٍ

(٢) فِي الْأَشْتِقَاقِ : وَأَشْتِقَاقُ لَحْمٍ مِنَ اللَّغْظِ وَالْجَفَاءِ ، وَانْظُرْ ص ١٠٤ . الْإِنْبَاءُ فَفِيهَا
ذَكَرَ ابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ مَا ذَكَرَ السَّهْلِيُّ ، وَفِي الْقَامُوسِ : اللَّحْمُ الْقَطْعُ وَاللَّطْمُ ، وَبِالضَّمِّ سَمَكٌ
بَحْرِي ، وَلِخْمَةٌ وَلِخْمَةٌ . الثَّقِيلُ الْجَبِيسُ ، وَلَحْمٌ بَفَتْحٍ وَضَمٍّ كَثُرَ لَحْمٌ وَجْهَهُ
وَعَلْظٌ : وَقُطْرُبٌ : لَقِبَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسْتَنِيرِ النَّحْوِيُّ ، وَكَانَ يَبْكُرُ إِلَى سَيُوبِهِ فَيَفْتَحُ
سَيُوبَهُ بِأَبِيهِ ، فَيَجِدُهُ هُنَاكَ ، فَيَقُولُ : مَا أَنتَ إِلَّا قُطْرُبٌ لَيْلٍ ، فَلَقِبَ قُطْرُبًا .
وَالْقُطْرُبُ دَوِيَّةٌ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَيْسَ لَهَا قَرَارُ الْبَيْتِ .

(٣) سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ كَانَ كَاتِبًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بْنِ مَسْعُودٍ خَرَجَ مَعَ ابْنِ
الْأَشْعَثِ عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ ، فَلَمَّا هَزَمَ هَرَبَ سَعِيدٌ إِلَى مَكَّةَ ، فَظَفَرَ بِهِ الْحِجَاجُ فَقَتَلَهُ
سَنَةَ ٩٥ ، وَسَنَةَ ٤٩ .

(٤) سَتَأْتِي مِنَ السَّهْمَةِ فِي ص ١٣٤ وَقَدْ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي مَفْرَدَاتِهِ . وَالْكَاهِنُ الَّذِي يَتَعَاطَى
الْخَبَرَ عَنِ الْكَافَاتِ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ وَيَدْعَى مَعْرِفَةَ الْأَسْرَارِ ، وَقَدْ كَانَ فِي الْعَرَبِ كَهَنَةً
كَشَقَ وَسَطِيعَ وَغَيْرِهِمْ ، فَتَنِمُ مِنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ تَابِعًا مِنَ الْجِنِّ وَرِثِيًّا : أَيْ جَنِيًّا يَعْرِضُ =

== للانسان ويطلعه على ما يزعم من الغيب، ويلقى إليه الاخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الامور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله، أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه باسم العراف، كالذي يدعى معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما. . . وجمع كاهن . كهنة وكهائن، ومنه حديث الجنين: إنما هذا من إخوان الكهان. إنما قال له ذلك من أجل سجنه الذي سَجَّع، ولم يعبه بمجرد السجع دون ما تضمن سجنه من الباطل. . . وإنما ضرب المثل بالكهان لأنهم كانوا يروجون أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين، فيستميلون بها القلوب، ويستصفون إليها الاسماع، أما الراغب لمجل الكاهن هو الذي يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن، والعراف الذي يخبر بالاخبار المستقبلية على نحو ذلك. وفي القاموس من تعريفات الكاهن: من يقوم بأمر الرجل، ويسعى في حاجته، وقد فصَّل المسعودي القول في الكهانة وأنواعها وتنازع الناس فيها، وينسب إلى حكماء اليونان أن صنفاً منهم ادعى أن نفوسهم قد صفت، فهي مطلعة على أسرار الطبيعة، وعلى ما تريد أن يكون منها؛ لأن صور الأشياء عندهم في النفس الكلية، وصنف منهم ادعى أن الأرواح المنفردة - وهي الجن - تخبرهم بالأشياء قبل كونها، أما النصارى فنسبوا إلى المسيح أنه كان يعلم الغائبات من الامور، ويخبر عن الأشياء قبل كونها. لأنه كانت فيه نفس عالمة بالغيب، ولو كانت تلك النفس في غيره من أشخاص الناطقين لكان يعلم الغيب. ثم يقول المسعودي: ولا أمة خلت إلا وقد كان فيها كهانة، ولم يكن الاوائل من الفلاسفة اليونانية يدفعون الكهانات، . . . ثم يقول: وطائفة ذهبت إلى أن التكهن سبب نفساني لطيف. يتولد من صفاء مزاج الطباع، وقوة النفس، ولطافة الحس. وذكر كثير من الناس أن الكهانة تكون من قبل شيطان يكون مع الكاهن يخبره بما غاب عنه، وأن الشياطين كانت تسترق السمع، وتلقيه على ألسنة الكهان، فيؤدون إلى الناس الاخبار بحسب ما يرد إليهم، ص ١٧٢ ج ٢ مروج الذهب. فاموقف الإسلام من هذا؟ يقول ربنا==

النسابة في شيء من هذا النسب في كتاب المحبر ، وكان سطيح جسدًا مُلقًى
لا جوارحه (١) — فيما يذكرون — ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ

سبحانه : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم ،
يُلْقُونَ السَّحَابَ ، وأكثرم كاذبون) الشعراء ٢٢١ — ٢٢٣ . ويقول
سبحانه قاصيًا قول الملائكة نافية به عنها علم الغيب : « قالوا : سبحانك لا علم لنا
إلا ما علينا . إنك أنت العليم الحكيم ، البقرة : ٢٢ وعن الجن وسليان : « قلنا
خر تبكىنست الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ، سبأ : ١٤
ويقول سبحانه : « عالم الغيب ، فلا يُظهِر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من
رسول فإنه يسلك من بين يديه ، ومن خلفه رقيبًا ، يعلم أن قَدًّا بلغوا رسالات
رهبهم ، الجن ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ . فلا الملائكة يعلمون الغيب ، ولا الجن ولا الرسل ،
فبالبك بغيرهم ؟ ثم إن القرآن يؤكد أن الشياطين لا تنزل إلا على كل أفاك أثيم . وقد
وردت أحاديث مثل : « من أتى عرافًا ، فسأله عن شيء ، لم تقبل له صلاة
أربعين يومًا ، رواه مسلم وأحمد في مسنده ، وقال عنه السيوطي : صحيح : « من
أتى عرافًا أو كاهنًا فضنقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ، أبو داود
والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد في مسنده والحاكم : « من أتى عرافًا أو
ساحرًا ، أو كاهنًا يؤمن بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ، رواه الطبراني
في الكبير ورواته ثقات . ولا تسود هذه الأساطير إلا حيث يسود الجهل
وضعف الإيمان بالله .

(١) بل يقول المسعودي عن سطيح أنه كان يدرج سائر جسده كما يدرج
الثوب ، لا عظم فيه إلا جمجمة الرأس ، وكانت إذا لمست باليد يلين عظمها ،
ص ١٧٩ ثم يذكر في ص ١٩٢ أن أول كهانة له . « والضياء والشقق ، والظلام
والقسق ، ليطرفنكم ما طرق ، ص ١٧٩ ، ١٩٢ ج ٢ المروج وكل هذه
أساطير يهودية ملمونة ، وتدبر دائمًا قول الله : « قل : لا يعلم من في السموات
والأرض الغيب إلا الله ، .

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة: قال ابن إسحاق: وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة، فرأى رؤيا هالته، وفَطَعَ بها، فلم يدع كاهنا، ولا ساحرا، ولا عاتقا، ولا مُنَجِّمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتي، وفَسَطْتُ بها، فأخبروني بها وتأويلها، قالوا له: أقصصها علينا فنخبرك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيحٍ وشِقٍّ، فإنه ليس أحدٌ أعلمَ منهما، فهما يخبرانه عما سأل عنه.

فلس، وكان شِقٌّ شِقٌّ إنسان - فيما يذكرون - إيماله يده واحدة، ورجل واحدة، وعين واحدة، ويذكر عن وهب بن منبه^(١) أنه قال: قيل لسطيح: أئني لك هذا العلم؟ فقال: لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى منه موسى - عليه السلام - فهو يؤدّي إلى من ذلك ما يؤدّيه.

(١) كان ممن يروجون قصص الماضين. يقول عنه ابن خلكان: كانت له معرفة بأخبار الأوائل، وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء، توفي سنة ١١٠ أو ١١٤ أو ١١٦. لكنني أسأل: من أين كان يأتي بهذه الأخبار التي لا توجد في كتاب الله؟ لقد كان وهب في أول أمره يهوديا، وبهؤلاء وجدت الخرافة الكافرة لها طريقا إلى القلوب. وكل ما يقال عن شق من قدرة على معرفة الغيب، وهذه الأوصاف الجسدية التي لا تعقل، ولا تستقيم مع سنن الفطرة البشرية. كل هذا هراء من الإفك وخبث من الكيد الدنيء يراد به القضاء على الفكر والدين.

وَوُلِدَ سَطِيحٌ وَشَقٌّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ طَرِيقَةُ الْكَاهِنَةِ امْرَأَةً
عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ ، وَهِيَ بِنْتُ الْخَيْرِ الْحَمِيرِيَّةِ ، وَدَعَتْ بِسَطِيحٍ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ ،
فَأَتَيْتَ بِهِ ، فَفَعَلْتَ فِي فِيهِ ، وَأَخْبَرْتَ أَنَّهُ سَيَخْلُقُهَا فِي عِلْمِهَا ، وَكَهَانَتِهَا ، وَكَانَ
وَجْهُهُ فِي صَدْرِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا عُنُقٌ وَدَعَتْ بِشَقٍّ ، فَفَعَلْتَ بِهِ مِثْلَ
مَا فَعَلْتَ بِسَطِيحٍ ، ثُمَّ مَاتَ ، وَقَبْرُهَا « بِالْجُحْفَةِ » (١) ، وَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ أَنَّ
خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ كَانَ مِنْ وَلَدِ شَقٍّ هَذَا ، فَهُوَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسَدِ
ابْنِ يَزِيدَ بْنِ كُرْزٍ ، وَذَكَرَ أَنَّ كُرْزًا كَانَ دَعِيًّا ، وَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْيَهُودِ ، فَجَنَى
جَنَابَةَ فَهْرَبَ إِلَى بَحْيَلَةَ (٢) ، فَانْتَسَبَ فِيهِمْ ، وَيُقَالُ : كَانَ عَبْدًا لِعَبْدِ الْقَيْسِ ،
وَهُوَ ابْنُ عَامِرِ ذِي الرُّقْعَةِ ، وَسَمَّى بِذِي الرُّقْعَةِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ يُفْطِي عَيْنَهُ
بِرُقْعَةٍ . ابْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ جُوَيْنٍ بْنُ شَقٍّ الْكَاهِنِ بْنِ صَنْبٍ .

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الرُّوْيَا: أَكَلْتُ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ مُجْجَمَةٍ ، وَكُلَّ ذَاتِ نَسَمَةٍ .
نَصَبُ كُلِّ أَصْحَحٌ فِي الرِّوَايَةِ ، وَفِي الْمَعْنَى ؛ لِأَنَّ الْجَمْعَةَ نَارٌ ، فَهِيَ تَلْكُلُ ،
وَلَا تُؤْكَلُ ، عَلَى أَنَّ فِي رِوَايَةِ الشَّيْخِ بَرَفَعُ كُلِّ ، وَلَهَا وَجْهٌ ، لَكِنْ فِي حَاشِيَةِ
كِتَابِهِ أَنَّ فِي نَسَخَةِ الْبَرْقِيِّ الَّتِي قَرَأَهَا عَلَى ابْنِ هِشَامٍ : كُلَّ ذَاتٍ ، بِنَصَبِ اللَّامِ .

(١) فِي مَرَاصِدِ الْإِطْلَاعِ . وَكَانَتْ قَرْيَةً كَبِيرَةً ذَاتَ مَنْبَرٍ عَلَى طَرِيقِ مَكَّةَ ،
وَهِيَ مِيقَاتُ أَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ — إِنْ لَمْ يَمُرُوا عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَفِي تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ لِأَبِي
الْفَدَاءِ . وَهِيَ رَسْمٌ خَالٍ لَا سَاكِنَ بِهِ وَاسْمُهَا مَشْهُورٌ ، وَهِيَ بِالْقَرْبِ مِنْ رَاغٍ .

(٢) هُمُ إِخْوَةُ خُثْعَمٍ ، وَبَحْيَلَةُ : أُمُّهُمْ ص ٥١٥ الْإِشْتِقَاقُ ، ٥٢٦ ج ٨ تَارِيخُ
ابْنِ خَلْدُونٍ ط . لُبْنَانُ .

وقوله : « خرجت من ظُلْمَةٍ أَى من ظُلْمَةٍ ، وذلك أن الحُمَمَةَ قطعة من نار ، وخروجها من ظُلْمَةٍ يشبه خروج عَسْكَر الحَبَشَةِ من أرض السودان ، والحُمَمَةُ : الفَحْمَةُ ، وقد تكون جَمْرَةً مُخْرِقَةً ، كما في هذا الحديث ، فيكون لفظها من الحِمَمِ ، ومن الحُمَى أيضا لحرارتها ، وقد تكون مُتَطَفَّةً ، فيسكون لفظها من الحُمَمَةِ ، وهى السواد ، يقال حَمَمْتُ وَجْهَهُ إِذَا سَوَّدْتَهُ ، وكلا المعنيين حاصل في لفظ الحُمَمَةِ ههنا .

وقوله : بين رَوْضَةٍ وَأَكَمَةٍ ؛ لأنها وَقَعَتْ بين صَنْعَةٍ وَأَحْوَازِهَا (١) .

وقوله : فى أرض تَهَمَةٍ أَى : مُنْخَفِضَةٍ ، ومنه سُمِّيَتْ تَهَامَةً .

وقوله أَكَلْتُ مِمَّا كُلَّ ذَاتِ جُمُومَةٍ ، ولم يَقُلْ كُلَّ ذِي جُمُومَةٍ ،

وهو من باب قوله تعالى سبحانه : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جَنْبِهَا لَا يُمْحِلْ مِنْهُ شَيْءٌ) فاطر : ١٨ .

لأن القصد إلى النَّفْسِ وَالتَّسْمَةِ ، فهو أَعَمُّ ، ويدخل فيه جميعُ ذَوَاتِ الأرواحِ ، ولو جاء بالتذكير ، لكان إِمَّا خَاصًا بِالْإِنْسَانِ ، أَوْ عَامًّا فِي كُلِّ شَيْءٍ جَبَى أَوْ جَمَادٍ ، ومنه قوله — صلى الله عليه وسلم — [تَنَحَّ عَنِّي ، فَإِنْ] كُلٌّ بِأَثَلَةٍ (٢) تَفْيِيخٌ ، أَى : يكون منها إِفَاخَةٌ ، وهى الحدثُ ، وقال النحاس . هو تَأْنِيثُ الصِّفَةِ وَالْخَلْقَةِ .

(١) جمع حوزة . الناحية .

(٢) فى المطبوعة . قائله ، وهو خطأ ، ويقول ابن الأثير فى النهاية : فيه أنه خرج يريد حاجة ، فأتبعه بعض أصحابه ، فقال : تنحَّ عَنِّي ، فإن كل بأثلة تفيخ ، الإفاخه : الحدث بخروج الريح خاصة ، والسبيل يخلط فى الشرح بين كلام شق وسطيح .

واسم سَطِيحٍ : رَيْع بن رَيْعَة بن مَسْعُود ؛ بن مازن ، بن ذئب ، بن عدى ، بن مازن غَسَّان .

وَشَقَّ : بن صَعْب بن يَشْكِر ، بن رُفَهم ، بن أَفْرَك بن قَسْر بن عَبْقَر بن أَمَار بن نزار ، وأَمَار أبو بَجِيلَة وخَثَم .

نسب بَجِيلَة : قال ابن هشام : وَقَالَتِ الْيَمَنُ : وبَجِيلَة : بنو أَمَار ، بن إِرَاش ابن لِحْيَان ، بن عمرو ، بن الْعَوْث ، بن نَبْت ، بن مَالِك بن زَيْد بن كِهْلَان بن سَبَأ ، ويقال : إِرَاش بن عمرو بن لِحْيَان بن الْعَوْث . ودار بَجِيلَة وخَثَم يَمَانِيَة .

قال ابن إِسْحَاق : فَبِعَثَ إِلَيْهِمَا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيحٌ قَبْلَ شَقٍّ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالِكُنِي ، وَفَطِطْتُ بِهَا ، فَأَخْبَرَنِي بِهَا ، فَإِنَّكَ إِنِ أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا . قَالَ : أَفْعَلُ . رَأَيْتَ حُمَّةً ، خَرَجْتَ مِنْ ظُلُمَةٍ ، فَوَقَعْتَ بِأَرْضِ تَهَمَةٍ ، فَأَكَلْتَ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ جُحُومَةٍ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : سَمِعْتُ أَخْطَأَتْ مِنْهَا شَيْئًا

وقوله : لَيْسَ بِطَنَ أَرْضِكُمُ الْحَبَشُ هُم : بنو حَبَشٍ بن كُوش بن حَام (١) ابن نوح ، وَبِهِ سُمِّيَتِ الْحَبَشَةُ .

وقوله : مَا بَيْنَ أَبْنَيْنِ إِلَى جُرْشٍ ذَكَرَهُ سَيْبُوهُ بِكُسْرِ الِهْمَزَةِ عَلَى مِثْلِ إِصْبَعٍ ، وَجَوَّزَ فِيهِ الْفَتْحَ ، وَكَذَلِكَ تَقْيِيدٌ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَقَالَ ابْنُ

(١) فِي قَامُوسِ الدُّكْتُورِ بُوْسْتِ عَنْ حَامٍ أَنَّهُ أَحَدُ أَوْلَادِ نُوحٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنِينَ كُوشَ وَمَصْرَايِمَ وَفُوطَ وَكَنْعَانَ ، فَكَانَ كُوشُ أَبَا الْقَبَائِلِ الَّتِي قَطَنَتْ بِأَبْلَ وَجَنُوبِ بِلَادِ الْعَرَبِ وَالسُّودَانِ وَفِي سَفَرِ التَّكْوِينِ ١٠ : ٨ وَبَنُو كُوشِ سَبَأَ وَحَوِيلَةَ وَسَبْتَةَ وَرَعْمَةَ وَسَبْئَكَ وَنَقْلَ الطَّبْرِى عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ الْهِنْدَ وَالسِّنْدَ وَالْحَبَشَةَ مِنْ بَنِي السُّودَانِ مِنْ وَلَدِ كُوشِ .

يَا سَطِيحُ ؛ فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟ فَقَالَ : أَحْلَفَ بَمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ مِنْ حَنْشٍ ،
لَتَهْبِطَنَّ أَرْضُكُمْ الْخَبَشَ ، فَيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ أُبَيْنَ إِلَى جُرَشَ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :
وَأَيْبُكَ يَا سَطِيحُ ، إِنْ هَذَا لَنَا لِفَائِظُ مُوجِعٌ ، فَتَى هُوَ كَاتِنٌ ؟ أَفِي زَمَانِي هَذَا ، أَمْ
بَعْدَهُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ بَعْدَهُ بَحِينٌ ، أَكْثَرُ مِنْ سِتِينَ أَوْ سَبْعِينَ ، يَمْضِينَ مِنَ السِّنِينَ
قَالَ : أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِمْ أَمْ يَنْقُطِعُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ يَنْقُطِعُ لِبُضْعِ وَسَبْعِينَ
مِنَ السِّنِينَ ، ثُمَّ يَقْتُلُونَ وَيَخْرِجُونَ مِنْهَا هَارِيَيْنِ ؛ قَالَ : وَمَنْ يَلِي ذَلِكَ مِنْ
قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ ؟ .

قَالَ : يَلِيهِ إِزْمُ ذِي يَزَنَ ، يَخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ ، فَلَا يَتْرَكَ أَحَدًا
مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ .

قَالَ : أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ ، أَمْ يَنْقُطِعُ ؟

قَالَ : لَا ، بَلْ يَنْقُطِعُ .

قَالَ : وَمَنْ يَقْطَعُهُ ؟ قَالَ : نَبِيٌّ زَكِيٌّ ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعُلَى ، قَالَ :
وَمَنْ هَذَا النَّبِيُّ ؟ .

قَالَ : رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ قَهْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ، يَكُونُ الْمَلِكُ فِي
قَوْمِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ .

مَا كَوَلَا : هُوَ أُبَيْنُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَيْمَنَ بْنِ الْهَمَيْسَعِ مِنْ حِمِرَ ، أَوْ مِنْ ابْنِ حَمِيرَ
سُمِّيَتْ بِهِ الْبَلَدَةُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ الطَّبْرِيِّ أَنَّ أُبَيْنَ وَعَدَنَ ابْنَا عَدَنَ ، سُمِّيَتْ
بِهِمَا الْبَلَدَتَانِ .

وَقَوْلُهُ : بِغَلَامٍ لَا دَنِيَّ وَلَا مُدَنَ . الدَّنِيُّ مَعْرُوفٌ ، وَالْمُدَنُ الَّذِي
جَمَعَ الضَّعْفَ مَعَ الدَّائَةِ . قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ

قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يومٌ يُجمع فيه الأولون والآخرون
يَسْعُد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون قال : أحق ما تخبرني ؟ قال : نعم .
والشقق والنسق ، والفلق إذا اتسق ، إن ما أنباتك به لحق .

ثم قدم عليه شق ، فقال له كقوله لسطيح ، وكنته ما قال سطيح ،
لينظر أيتفقان أم يختلفان ، فقال : نعم ، رأيت حمة ، خرجت من ظلمة ،
فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة .

قال : فلما قال له ذلك ، عرف أنهما قد اتفقا ، وأن قولها واحد
إلا أن سطيحا قال : « وقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل ذات جحمة » .
وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل
ذات نسمة » .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئا ، فما عندك في تأويلها ؟ .

قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ،
فليغلبن على كل طفلة البنان ، وليملكن ما بين أبنين إلى نجران .

فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لعاطف موجه ، فتي هو كلن ؟
أفي زمانى ، أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم
ذو شأن ، ويذيقهم أشد الهوان .

وقوله : لحق ما فيه أمض : أى : ما فيه شك ولا مستراب ، وقد عمر سطيح
زمانا طويلا بعد هذا الحديث ، حتى أدرك مولد النبي — صلى الله عليه وسلم —

قال : وَمَنْ هَذَا الْعَظِيمُ الشَّانُ ؟ قال : غَلامٌ لَيْسَ يَدُنِي ، وَلَا مَدَنٌ ،
يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ ذِي يَزَنَ ، فَلَا يَتْرُكُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِالْمِينِ .

قال : أَفِيدُومُ سُلْطَانُهُ ، أَمْ يَنْقُطِعُ ؟ قال : بَلْ يَنْقُطِعُ بِرَسُولٍ مُرْسَلٍ يَأْتِي
بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ ، يَكُونُ الْمَلِكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَصْلِ ؛
قال : وَمَا يَوْمُ الْفَصْلِ ؟ قال : يَوْمٌ تُجْزَى فِيهِ الْوَلَاةُ ، وَيُدْعَى فِيهِ مِنَ السَّمَاءِ
بِدَعَوَاتٍ ، يَسْمَعُ مِنْهَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ ، وَيُجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ لِلدِّيْقَاتِ ،
يَكُونُ فِيهِ لِمَنْ اتَّقَى الْفُوزَ وَالْخَيْرَاتِ .

فَرَأَى كَسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ بْنَ قُبَاذَ بْنِ فِيرُوزَ مَا رَأَى مِنْ ارْتِجَاسِ الْإِيوَانِ (١)
وَوُجُودِ النَّيْرَانِ ، وَلَمْ تَكُنْ سَحَدَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ ، وَسَقَطَتْ مِنْ قُفْطَرِهِ
أَرْبَعٌ عَشْرَةَ شُرْفَةً ، وَأَخْبَرَهُ الْمُؤَبِّدَانُ ، وَمَعْنَاهُ : الْقَاضِي ، أَوْ الْمَفْتَى بَلَّغَتْهُمُ

(١) كَسْرَى هَذَا هُوَ مِنْ مُلُوكِ السَّاسَانِيَّةِ أَوْ الْفَرَسِ الثَّانِيَةِ حَكَمَ - كَمَا يَقُولُ
الْمَسْعُودِيُّ - ثَمَانِيًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ مَزْدَكَ ، وَأَتْبَعَهُ
بِثَمَانِينَ أَلْفًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَمَزْدَكَ صَاحِبَ الشَّيْعَةِ الْمَطْلُوقَةِ الدَّاعِي إِلَى الْمَشَارَكَةِ
الْعَامَّةِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْأَهْلِينَ ص ٢٦٣ - ١ مَرُوج . وَالْإِرْتِجَاسُ :
الِرْتِجَاسُ الْإِيوَانُ اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ حَرَكَةً سَمِعَ لَهَا صَوْتٌ . وَالْإِرْتِجَاسُ : الصَّوْتُ
الشَّدِيدُ مِنَ الرَّعْدِ ، وَالْإِيوَانُ بوزن الدِّيْوَانِ : بِنَاءٌ أَزْجٌ غَيْرُ مَسْدُودِ الْوَجْهِ .
وَالْأَزْجُ بَيْتٌ يَبْنَى طَوْلًا . وَيُقَالُ لِإِيوَانٍ بوزن كِتَابٍ . وَكَانَ بِالْمَدَائِنِ مِنَ الْعِرَاقِ
وَيُقَالُ إِنْ سَمَكَ كَانَ مَائَةً ذِرَاعٍ فِي طَوْلِهَا . وَرَوَى حَدِيثُ الْإِرْتِجَاسِ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ
وَالْخَرَائِطِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ وَابْنُ جَبْرِ . وَهِيَ رِوَايَةٌ لِأَسْطُورَةٍ لَا حَقِيقَةَ أَنْظَرُ
ص ١٢١ الْمَوَاهِبُ ١ وَالنَّيْرَانُ هِيَ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا الْمَجُوسُ فِي فَارَسٍ .

قال: أحق ما تقول؟ قال: إى ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفيع وخفيض، إني ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض.

قال ابن هشام: أمض. يعنى: شكاً، هذا بلغة حمير، وقال أبو عمرو: أمض أى: باطل.

أنه رأى إبلاً صعباً، تقود خيلاً عرباً (١)، فانتشرت في بلادهم، وغارت بحيرة ساوة (٢)، فأرسل كسرى عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن نفيلة الفسّاني إلى سطّيح، وكان سطّيح من أحوال عبد المسيح، ولذلك أرسله كسرى فيما ذكر الطبري (٣) إلى سطّيح يستخبره علم ذلك، ويستعبده رؤيا المؤبدان، فقدم عليه، وقد أشفى على الموت، فلم عليه فلم يُجر إليه سطّيح جواباً فأنشأ عبد المسيح يقول:

أَصْمُ أُم يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ أُم فَادَ فَازَلَمَ بِهِ شَأْوُ الْعَنَنِ
يَا فَاصِلَ الْخُطَةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنِ
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذِئْبِ بْنِ حَجْنٍ أَيْضُ فُضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ

(١) الإبل الصعاب الشداد: والحيل العرب، أى عربية منسوبة إلى العرب قالوا في الناس عرب وأعراب، وقالوا في الحيل عراب بكسر العين.

(٢) وساوة من قرى بلاد فارس كانت بحيرتها بحيرة كبيرة بين همدان وقم، ويقال إنها كانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض. وفي رواية الكثيرين أنها بحيرة طبرية التي ما زالت باقية.

(٣) ص ١٦٧ ط المعارف، وفيه: يُقَيِّنْهُ بدلاً من نفيلة.

رسولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرَى لَوَسْنُ لَا يَرْهَبُ الرُّعْدَ ، وَلَا زَيْبَ الزَّمَنِ
تَجُوبُ فِي الْأَرْضِ عَلَنْدَاةٌ شَرَنُ تَرْفَعُنِي وَجَنَّا ، وَتَهْوِي فِي وَجَنِ
حَتَّى آتَى عَارِي الْجَاحِي وَالْقَطَنُ تَلْفَهُ فِي الرِّيحِ بَوْغَاهُ الدَّمَنُ
كَأَنَّمَا حُشِحَتْ مِنْ حِضْنِي نَسَكْنُ (١)

(١) القصيدة في الطبرى ٢ ص ١٦٧ مع اختلاف عما هنا فترتيب
الشرطت مختلف مع وجود نقص وزيادة، وهي في اللسان في مادة سطح، وفيها
اختلاف أيضا عما هنا، وقد ضبطتها كما وردت في اللسان. والغطريف: السيد
الكريم. ومثلها غطارف بضم الغين جمعها: غطاريف، وازلم: ذهب مسرعا، وشأو
العن: اعتراض الموت على الخلق. وقيل: ازلم: قبض بضم القاف، والعن:
أى عرض له الموت، فقبضه. وقد فسر ابن كثير عنتا بقوله: يريد اعتراض الموت
وسبقه. والخطة: الحال والأمر والخطب، وفاصل الخطة: إذا نزل به أمر مشكل
فصله برأيه. وأعيا عليه الأمر: أعجزه فلم يهتد لوجهه. والقليل هو الملك النافذ القول
والأمر، وجمعه الأقوال أو الأقيال، والقليل أيضا: لقب لمن يكون من ملوك حمير
دون الملك الأعظم. والعجم خلاف العرب. والعلنداة: القوية من النوق. شرن— وفي
الطبرى طبع المعارف — شذن، وفسرها المحقق في هامشه على أنها شرن، وفي مقررات
ابن كثير: شجن وفي الأصل: شرن وهو خطأ. والشجن: الناقة المتداخلة الخلق
كأنها شجرة متشجنة أى متصلة الأغصان بعضها ببعض. وشَرَن: تمشى من
نشاطها على جانب. والوجن بسكون الجيم، وفتحها، والواجن والوجين: أرض ضلابة
ذات حجارة، وتروى بضم الواو جمع: وجين بنفس المعنى: والجأجى جمع: جؤجؤ
وهو الصدر. القطن: أصل ذنب الطائر، وأسفل الظهر من الإنسان. وقيل
صوابها: بكسر الطاء جمع قِطنة بكسر القاف وإسكان الطاء: وهي ما بين الفخذين.
البوغاه: التراب الناعم، والدمن: ما تَدَمَّن منه أى: تجمع وتلبد. وهذا اللفظ
كأنه من المقلوب تقديره: تلفه الريح في بوغاه الدمن. وحشحت: يقال حشه
على الشيء، وحششته يعنى: أسرع. وثكن اسم جبل حجازى. والحضن الجنب.

نمكن : اسم جبل ، فلما سمع سطيج شِعْرَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فقال : عبدُ المسيح
على جبلٍ مُشِيجٍ (١) جاء إلى سطيج ، حين أوقى على الضريح ، بعثك ملكُ
بنِي سَاسَانَ لَارِجَاسِ الإيوان ، وخود النيران ، ورؤيا الموبدان . رأى
إبلا صماباً ، تقود خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها . يا عبد
المسيح : إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحبُ الهراوة ، وخذت نارُ فارس ،
وغارت بحيرة ساوة ، وفاض وادي السماوة (٢) فليست الشامُ لسطيج شاماً ،
يملك منهم ملوكٌ ومليكٌ كائنٌ ، على عدد الشرفات ، وكل ما هو آتٍ آت ، ثم
قضى سطيج مكانه .

وقوله : فاز لم يَدِ معناه : قبض ، قاله ثعلب ، وقوله : شَأْوُ الثمن . يريد :
الموت . وما عَنَ منه قاله الخطابي . وفاد : مات . يقال منه : فاد يَفُود ، وأما
بَقِيدٌ فمعناه : يَلْبَحْثُ .

وقول ابن إسحاق في خبر ربيعة بن نضر ، فجزأه وأهله وبنيه إلى الحيرة ،
وكتب لهم إلى ملكٍ يقال له : سابور بن خر راذ .

من تاريخ ملوك الفرس

قال المؤلف الشيخ الحافظ أبو القاسم — عفا الله عنه — ولا يعرف

(١) جادٌ مسرع ، وفي الطبري : يسبح .

(٢) بادية بين الكوفة والشام ، وأرض مستوية لا حرج فيها ، وماءة بالبادية
وقيل ماءة لسكك .

خُرَزَادَ فِي مَلُوكِ بَنِي سَاسَانَ مِنَ الْفَرَسِ ، وَهَمَّ مِنْ عَهْدِ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَكٍ إِلَى يَزْدَجِرْدِ الَّذِي قُتِلَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — مَعْرُوفُونَ مُسَمُّونَ بِأَسْمَائِهِمْ (١) ، وَبِمَقَادِيرِ مُدَدِهِمْ . مَشْهُورٌ ذَلِكَ عِنْدَ الْإِخْبَارِيِّينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ وَلَكِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ خُرَزَادَ هَذَا مِلِكًا دُونَ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ مِنْهُمْ ، أَوْ يَكُونَ أَحَدَ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وَهُوَ الظَّاهِرُ فِي مَدَّةِ رِبْعِيَّةِ بْنِ نَصْرٍ لِأَنَّهُ جَدُّ عَمْرُو بْنِ عَدِيِّ بْنِ أَخْتِ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ (٢) ، وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ أَوَّلُهُ قِيَامًا أَحْسَبَ فِي مَدَّةِ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ (٣) ، وَآخِرُهُ فِي مَدَّةِ السَّاسَانِيِّينَ ، وَأَوَّلُهُ مِنْ

(١) فِي نَقْلِهِ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ اخْتِصَارَ ، وَهَنَّاكَ مَلِكٌ فَارِسِيٌّ اسْمُهُ : خُرَزَادُ خَسِرُوا مِنْ وَلَدِ أَبَرْوِيزَ أَوْ فَرَخَزَادَ ، الْفَرْسُ > ٢ ص ٢٣٣ الطَّبْرِي طَبَعَ الْمَعَارِفَ ، وَفِي ابْنِ خَلْدُونَ خُرْدَادَ بْنَ سَابُورَ عَمِيدَ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ ص ١٠٦ م ٢ أَمَّا سَابُورُ فَلَيْسَ إِلَّا سَابُورُ ذُو الْاِكْتَفِ بْنِ هَرْمَزَ ، وَسَابُورُ بْنُ سَابُورَ بْنِ هَرْمَزَ . (٢) وَيَلْقَبُ أَيْضًا بِالْوَضَاحِ ، وَقَدْ مَلِكٌ جَذِيمَةَ مِنْ مَشَارِقِ الشَّامِ إِلَى الْفَرَاتِ مِنْ قَبْلِ الرُّومِ ، وَأَقَامَ مِلْكًا فِي زَمَنِ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ خَمْسًا وَتِسْعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ فِي مَلِكِ أَرْدَشِيرِ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً . قَتَلَتْهُ الزُّبَاءُ بِنْتُ عَمْرُو بْنِ ظَرْبِ بْنِ حَسَّانَ وَمَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُ أَخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ رِبْعِيَّةَ .

(٣) حِينَ خَرَبَ الْإِسْكَندَرُ مَلِكُ دَارَا بْنِ دَارَا الْفَارِسِيَّ صَمَّمَ عَلَى الْأَيْلَافِ لَهْمَ شَمَلٍ ، لِيَجْعَلَ يَقْرُكُلَ مَلِكٌ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ فِي إِقْلِيمٍ مِنْ أَقَالِيمِ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ عَرَبِيَّهَا وَأَعَاجِمِهَا . وَظَلَّ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ مِنْ بَنِي سَاسَانَ ، فَأَعَادَ مِلْكَهُمْ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، وَأَزَالَ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ . وَبَقِيَ صَاحِبُ الْحَضَرِ وَاسْمُهُ : السَّاطِرُونَ أَوَالِ الصِّينِ إِذْ كَانَ أَعْظَمُهُمْ وَأَشَدَّهُمْ . فَقَضَى عَلَيْهِ سَابُورُ بْنُ أَرْدَشِيرِ . الْبَدَايَةِ ج ٢ ص ٨٤ ، وَالْحَضَرُ : اسْمُ مَدِينَةٍ فِي الْبَرِّيَّةِ بِإِزَاءِ تَكْرِيتَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَوْصِلِ وَالْفَرَاتِ . يَقَالُ : لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا رَسْمُ السُّورِ وَأَثَارُ تَدْلٍ عَلَى عَظَمَتِهَا . وَقِيلَ : إِنْ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ هُمُ الَّذِينَ فَرَّقَ الْإِسْكَندَرُ بِلَادَ فَارَسَ بَيْنَهُمْ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَشْغَانُونَ الَّذِينَ حَكَمُوا ٢٦٦ سَنَةً أَوَّلَهُمْ : أَشْكُ بْنُ أَشْغَانَ ، وَكُلُّ مَلِكٍ مِنْهُمْ كَانَ يَنْتَهِي نَسَبُهُ بِكَلِمَةِ الْأَشْغَانِ .

ملك الحيرة من السَّاسَانِيَّة : سابورُ بنِ أزدشير ، وهو الذي حَرَّبَ الحَضَرَ ، وكانت ملوك الطوائف متعددين يغير بعضهم على بعض ، قد تحصَّن كلُّ واحد منهم في حصن ، وتحوَّز إلى حَيِّزٍ منهم عَرَبٌ . ومنهم أَشْغَانِيُونَ على دين الفرس ، وأكثرهم ينتسبون إلى الفرس من ذُرِّيَّةِ دارا بن دارا ، وكان الذي فرقهم وشقَّتْ شملهم ، وأدخل بعضهم بين بعضٍ ؛ لثلاثِ سِتْوَتَيْنِ لهم مُلْكٌ ، ولا يَقُومُ لهم سُلْطَانٌ : الإسكندر بن فيلبس ^(١) اليوناني ، حين ظهر على دارا ، واستولى على بلاد مملكته ، وتزوج بنته روشنك . بوصية أبيها دارا له بذلك حين وجده مُتَخَفًا في المعركة ، ولم يكن الإسكندر أراد قتله ؛ لأنه كان أخاه لأُمِّه فيما زعموا ، فوضع الإسكندرُ رأسه على نَحْدِهِ - فيما ذكروا - وقال : يا سيد الناس لم أريد قتلَكَ ، ولا رضىته ، فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم . تزوج ابنتي روشنك ، وقتل من قتلني ، ثم قضى دارا ، ففعل ذلك الإسكندر ، وفرَّق الفرس ، وأدخل بينهم العَرَبَ . فتعاجزوا ، وسُمُّوا : ملوك الطوائف ؛ لأن كل واحد منهم كان على طائفة من الأرض ، ثم دام أمرهم كذلك أربعمائة وثمانين سنة في قول الطبرى ، وقد قيل أقل من ذلك ، وقال المسعودى : خمسمائة وعشرين سنة ، وفي أيامهم بُعثَ عيسى بن مريم - عليه السلام - وذلك بعد موت الإسكندر بثلاثمائة سنة . فابن خُرَّزَاد ^(٢) هذا - والله أعلم - من أولئك . وبنو ساسان القائمون بعد ملوك الطوائف ، وبعد ملوكِ الأَشْغَانِيِينَ : هم بنو ساسان بن بهمن .

(١) الذى رسم له مبدأ ، فرق تسد ، هو وزيره أرسطو الفيلسوف اليوناني وقصة هؤلاء الملوك فى الطبرى ص ٥٨٠ ج ١ ط المعارف (٢) فى صفحة ١٤٦ (م ١٠ - الروض الأتق)

فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالوا ، فجهز بنيه ، وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له : سابور بن خرزاذ فأسكنهم الحيرة .

نسب النعمان بن المنذر :

فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر ، فهو في نسب اليمن وعليهم : النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ، ذلك الملك .

قال ابن هشام : النعمان بن المنذر بن المنذر ، فيما أخبرني خلف الأحمر .

وهو من الكينية ، وإنما قيل لهم الكينية ؛ لأن كل واحد منهم يضاف إلى كي ، وهو البهاء . ويقال معناه : إدراك الثار . وأول من تسمى بكى : أفریدون ابن أثنيان قاتل الضحاك بنأر جدّه جم ، ثم صار الملك في عقبه إلى منوشهر الذي بُعث موسى — عليه السلام — في زمانه إلى كي قاووس . وكان في زمن سليمان — عليه السلام — وسيأتي طرف من ذكره في الكتاب إلى كي يستاسب الذي ولي بختنصر وملكه . وبُخت نصر هو الذي حير الحيرة (١) حين جعل فيها سبأيا العرب ، فتحيروا هناك ، فسميت الحيرة ، وأخذ اسمه من بُوخت وهي النخلة ؛ لأنه وُلد في أصل نخلة . ثم كان بعد كي يستاسب بهمن بن اسبندياذ ابن يستاسب .

وكان له ابنان : دارا وساسان ، وكان ساسان هو الأكبر ، فكان قد طمع في الملك بعد أبيه ، فصرف بهمن الأمر عنه إلى دارا لخبر يطول ذكره

(١) في المراد أنها سميت بهذا لأن تبعاً لما قصد خراسان خلف ضعفة جنده بهذا الموضع ، وقال لهم : حيروا به أي أقيموا .

حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ « خَانَا أُم دِلُوا » ، فخرج « ساسان » سائحا في الجبال ، ورفض الدنيا ، وهامت عليه ، وعهد إلى بنيه متى كان لهم الأسر : أن يقتلوا كل أشغاني وهم نسل « دارا » ، فلما قام « أزدشير بن بابك » وقبده الدَّارُ قُطْنِي « أزدشير » بالراء المهمة ، ودعا ملوك الطوائف إلى القيام معه على من خالقه ، حتى ينتظم له ملك فارس ، وأجلبه إلى ذلك أكثرهم ، وكانوا يدا على الأقل ، حتى أزالوه ، وجعل « أزدشير » يقتل كل من ظهر عليه من أولئك الأشغانيين ، فقتل ملكا منهم يقال له : « الأزدوان » (١) ، واستولى على قصره ، فألقى فيه امرأة جميلة ورائعة الحسن ، فقال لها : ما أنت ؟ فقالت : أمة من إماء الملك (٢) ، وكانت بنت الملك الأزدوان لاذت بهذه الحيلة من القتل ، لأنه كان لا يبقى منهم ذكر ولا أنثى (٣) ، فصدق قولها ، واستسرها (٤) فحملت منه ، فلما أتممت استبشرت بالأمان منه ، فأقرت أنها بنت الأشغاني الذي قُتل ، واسمه أزدوان — فلما ذكروا — فدعا وزيرا له ناصحا — وقد سماه الطبرى في التاريخ (٥) — فقال : استودع هذه بطن الأرض ، فسكره الوزير أن يقتلها ، وفي بطنها ابن للملك ، وكره أن يعصى أمره ، فاتخذ لها قصرا تحت الأرض ، ثم

(١) يلقب بالأصغر ومدة ملكه على ما في الطبرى ١٣ سنة .

(٢) في الطبرى أنها قالت له : إنها كانت خادما لبعض نساء الملك ص ٤٤ ج ٢ الطبرى ط المعارف .

(٣) في الطبرى أنه قتلهم جميعا نساءهم ورجالهم ، فلم يستبق منهم أحدا .

(٤) أى اتخذها سرية له أى أمة .

(٥) سماه الطبرى وهو جندا أبرسام ، وقال عنه إنه كان شيخا مسنا ص ٤٤

المصدر السابق .

خَصَى نفسه ، وصَبَرَ مَذَاكِيرَهُ ، وجعلها في حرية ، ووضع الحرية في حَقٍّ ، وخَتَمَ عليه ، ثم جاء به الملك فاستودعه إياه ، وجعل لا يدخل إلى المرأة في ذلك القصر سواء ، ولا تراها إلا عينُهُ ، حتى وضعت المولود ذكراً ، فكره أن يسميه قبل أبيه ، فسماه : شاهبُورَ ، ومعناه : ابن الملك ، فكان الصبي يُدعى بهذا ، ولا يعرف لنفسه اسماً غيره ، فلما قبل التعليمَ نظر في تعليمه ، وتقوم أودِهِ . واجتهد في كل ما يصلحه إلى أن ترعرع الغلام . فدخل الوزير يوماً على أزدشير ، وهو واجم ، فقال : لا يسوءك الله أيها الملك ! فقد ساءني إطراقتك ووجومك ، فقال : كبرت سني ، وليس لي ولد أقلده الأمر بعدى ، وأخاف اقتثار الأمر بعد انتظامه ، واقتراق الكلمة بعد اجتماعها ، فقال له : إن لي عندك وديعة أيها الملك ، وقد احتجبت إليها ، فأخرج إليه الخُفَّةَ (١) بخاتمها ، ففض الخاتم ، وأخرج المذاكير منها ، فقال له الملك : ما هذا ؟ فقال : كرهت أن أعصى للملك حين أمرني في الجارية بما أمر ، فاستودعتُها بطن الأرض حيةً ، حتى أخرج الله منها سليل الملك حياً ، وأرضعته وحضنته ، وها هو ذا عندي ، فإن أمر الملك جنته به ، فأمره أزدشير بإحضاره في مائة غلام من أبناء فارس ، بأيديهم الصواج (٢)

(١) هي الحق ، وجمعها حق وحقوق وحقاق ، وحق ، وأحقاق ، وفي الطبرى أنه طلب من الملك أن يختم الحق بخاتمته .
(٢) مفردهما : الصولج ، والصولجة ، وهي عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة ، وأيضا صولجانه وجمعها : صواج وصوالجة وهي معربة ، وفي الطبرى أنه طلب مائة غلام من أتباعه وأشباهه في الهيئة والقامة . ثم أمر الشيخ أن يدخلهم عليه جميعاً ، لا يفرق بينهم في زى ولا قامة ولا أدب ، ففعل الشيخ ذلك ، فلما نظر إليهم أزدشير قبلت نفسه ابنه من بينهم واستحلاه من غير أن يكون أشير له إليه ، أولحن به . ثم حدثت قصة الصواج .

يَلْعَبُونَ الْكَرَّةَ ، فُلِعِبُوا فِي الْقَصْرِ ، فَكَانَتِ الْكَرَّةُ تَقَعُ فِي إِيْوَانِ الْمَلِكِ ،
فِيَتَهَيَّبُونَ أَخْذَهَا حَتَّى طَارَتْ لِلْغَلَامِ ، فَوَقَعَتْ فِي سِرِّرِ الْمَلِكِ ، فَتَقْدُمُ
حَتَّى أَخْذَهَا ، وَلَمْ يَهَبْ ذَلِكَ ، قَالَ الْمَلِكُ : ابْنِي وَالشَّمْسُ !! مَتَعَجِّبًا مِنْ عِزَّةِ
نَفْسِهِ وَصِرَامَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ يَا غَلَامُ ؟ فَقَالَ لَهُ : شَاهَبُورُ ، فَقَالَ لَهُ :
صَدَقْتَ ! أَنْتَ ابْنِي ، وَقَدْ سَمَيْتُكَ بِهَذَا الْاسْمِ ، وَبُورُ : هُوَ الْابْنُ ، وَشَاهُ : هُوَ
الْمَلِكُ بِلِسَانِهِمْ ، وَإِضَاقَتُهُمْ مَقْلُوبَةٌ ، يَقْدُمُونَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ عَلَى الْمُضَافِ ، كَمَا تَقْدُمُ فِي
« الْكِي » الْكَلِمَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي أَوَائِلِ أَسْمَاءِ الْمُلُوكِ الْكِنْيَةِ ، فَكَانُوا
يُضَافُونَ إِلَى الْكِي ، ثُمَّ إِنْ أَرَادُوا عَهْدَ إِلَى ابْنِهِ شَاهَبُورَ ، وَسَيَأْتِي فِي
الْكِتَابِ فِي قَوْلِ الْأَعَشَى :

أَقَامَ بِهِ شَاهَبُورُ الْجُنُودَ حَوَّالِينَ يَضْرِبُ فِيهِ الْقَدُمُ

ثُمَّ غَيَّرَ الْعَرَبُ هَذَا الْاسْمَ ، فَقَالُوا : سَابُورُ ، وَتَسْمَى بِهِ مُلُوكُ بَنِي
سَاسَانَ مِنْهُمْ : سَابُورُ ذُو الْأَكْتَفِ الَّذِي وَطِئَ أَرْضَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ يَخْلَعُ
أَكْتَفَهُمْ ، حَتَّى مَرَّ بِأَرْضِ بَنِي تَيْمٍ ، فَقَرَأَ عَنْهُ (١) ، وَتَرَكَوا عَمْرَو بْنَ تَيْمٍ .
وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْفِرَارِ ، وَكَانَ فِي قُفَّةٍ (٢) مُمْلَأًا مِنْ عُمُودِ
الْخِيَمَةِ مِنَ الْكِبَرِ ، فَأَخْذَهُ ، وَجِيءَ بِهِ الْمَلِكُ ، فَاسْتَنْطَقَهُ سَابُورُ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ

(١) يَقُولُ الطَّبْرِيُّ : إِنْ سَابُورُ ضَرَى بِقَتْلِ الْعَرَبِ ، وَنَزَعَ أَكْتَفَ رُؤُسَاتِهِمْ
إِلَى أَنْ هَلَكَ ، وَكَانَ سَبَبُ تَسْمِيَّتِهِمْ إِيَّاهُ ذَا الْأَكْتَفِ ص ٦٠ ج ٢ الطَّبْرِيُّ وَيَذْكُرُ
أَنْ مَلَكَ كَانَ ٧٢ سَنَةً .

(٢) كَلِمَةُ مُوَلَّدَةٍ وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ .

رأيا ودهاء ، فقال له : أيها الملك : لم تفعل هذا بالعرب ؟ فقال : يزعمون أن مُلْكنا يصل إليهم على يد نبيٍّ يبعث في آخر الزمان ، فقال عمرو : فأين حلُّ الملوك وعقلهم ؟ ! إن يكن هذا الأمر باطلا فلا يضرّك ، وإن يكن حقا ألفاك ، وقد اتخذت عندهم يدا ، يكافئونك عليها ، ويحفظونك بها في ذؤيك ، فيقال : إن سابور انصرف عنهم ، واستبقى بقيتهم ، وأحسن إليهم بعد ذلك والله أعلم :

وأما أنبر ويز بن هرْمُز — وتفسيره بالعربية : مُظفّر — فهو الذي كتب إليه النبي — صلى الله عليه وسلم — وسيأتي طرف من ذكره ، وهو الذي عرّض على الله تعالى في المنام ^(١) ، فقيل له : سلّم ما في يدك إلى صاحب المِرْوَعة ، فلم يزل مَدْعورا من ذلك ، حتى كتبَ إليه النعمانُ بظهور النبي — صلى الله عليه وسلم — بتهمة ، فلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمره ما كان ، وهو الذي سئل عنه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما حُجّةُ الله على كسرى ؟ فقال : إن الله تعالى أرسلَ إليه مَلَكًا ، فسَلَّكَ يده في جدار مجلسه ، حتى أخرجها إليه ، وهي تتلألُ نُورًا ^(٢) ، فارتاع كسرى ، فقال له الملك : لم تُرْعَ يا كسرى . إن الله قد بعث رسوله ، فأسلم تسلم [دنياك وآخرتك] ^(٣) ، فقال : سأُنظر . ذكره الطبري ، في أعلام كثيرة من النبوة ،

(١) يردد ما لا يصح !!

(٢) انظر ص ١٩٠ ج ٢ طبري ط المعارف ، وما هنا بينه وبين ما في الطبري

اختلاف يسير وهي أسطورة !!

(٣) الزيادة من الطبري .

عُرِضَتْ عَلَى أُبْرُويزَ أَضْرَبْنَا عَنْ الإِطَالَةِ بِهَا ، فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَتَسَمَّى أَيْضًا
سَابُورَ بَعْدَ هَذَا سَابُورُ بْنُ أُبْرُويزَ أَخُو شَيْرَوِيهِ ، وَقَدْ مَلَكَ نَحْوًا مِنْ شَهْرَيْنِ
فِي مَدَّةِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَمَلَكَ أَخُوهُ شَيْرَوِيهِ نَحْوًا مِنْ سِتَّةِ
أَشْهُرٍ ، ثُمَّ مَلَكَتْ بُورَانُ أُخْتُهُمَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
فَقَالَ : « لَا يُفْلَحُ قَوْمٌ مَلَكَتْهُمْ امْرَأَةٌ » ^(١) فَلَمَكَتْ سَنَةً ، وَهَلَكَتْ وَتَشَتَّ
أَمْرُهُمْ كُلَّ الشَّتَاتِ . ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَى يَزْدَ جَرْدَ بْنَ شَهْرِيَارَ ، وَالْمُسْلِمُونَ قَدْ غَلَبُوا
عَلَى أَطْرَافِ أَرْضِهِمْ ، ثُمَّ كَانَتْ حُرُوبُ الْقَادِسِيَّةِ مَعَهُمْ إِلَى أَنْ قَهَرَهُمُ الْإِسْلَامُ ،
وَفُتِحَتْ بِلَادُهُمْ عَلَى يَدَيْ عُثْمَانَ بْنِ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — ، وَاسْتَوْصِلَ
أَمْرُهُمْ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ^(٢) .

وسابور تُنسَبُ إِلَيْهِ الثِّيَابُ السَّابِرِيَّةُ ^(٣) قَالَ الْخَطَّابِيُّ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنْ
التَّسَبُّبِ الَّذِي غُيِّرَ ، فَإِذَا تَسَبَّوْا إِلَى نِسَابُورَ الْمَدِينَةِ ، قَالُوا : نَيْسَابُورِيٌّ عَلَى
الْقِيَاسِ ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ نَيْ : هِيَ : الْقَصَبُ ، وَكَانَتْ مَقْصَبَةً ، فَبَنَاهَا
سَابُورَ مَدِينَةً ، فَلَمَّسَتْ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

رَجَعُوا إِلَى عَمْرِئِ سَطِيحٍ وَذِي يَزْدَ

فصل : وَقَوْلُ سَطِيحٍ فِي حَدِيثِ زَيْنَةَ : إِرَمَ ذِي يَزْنَ ، الْمَعْرُوفُ : سَيْفُ بْنُ
ذِي يَزْنَ ، وَلَكِنْ جَمَلُهُ إِرَمًا ، إِمَّا لِأَنَّ الْإِرَمَ هُوَ الْعَلَمُ فَدَحَهُ بِذَلِكَ ،
^(١) أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ خَرَّابٍ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ، وَقَالَ عَنْهُ

السُّيُوطِيُّ : صَحِيحٌ ، وَفِي رَوَايَتِهِ : لَنْ يَدْلَا مِنْ : لَا .

^(٢) فِي الْمُرَاصِدِ عَنْ الْقَادِسِيَّةِ أَنَّهَا فَتِحَتْ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ ، وَقِيلَ : فِي عَهْدِ
عُمَرَ ، ثُمَّ انْتَقَضَتْ ، فَفُتِحَتْ ثَانِيًا فِي عَهْدِ عُثْمَانَ عَلَى يَدِ ابْنِ عَامِرٍ .

^(٣) وَالثِّيَابُ السَّابِرِيَّةُ نَوْعٌ مِنْ أَجُودِ الثِّيَابِ وَأَرْقَاهَا يَرْغَبُ فِيهِ بِأَذْنِ عَرْضٍ .
وَمِنْهُ عَرْضٌ : بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الرَّاءِ ، سَابِرِيٌّ يَقُولُهُ : مَنْ يَرْضَعُ عَلَيْهِ
الشَّيْءَ عَرْضًا لَا يَبَالِغُ فِيهِ .

وإمّا شبهه بعماد إرم في عِظَم الخَلْق والقُوّة ، قال الله تبارك وتعالى : [ألم تر كيف فعل ربك] بعماد إرم ذات العماد .

وربيعة بن نصير هذا هو : أحد ملوك الحيرة ، وهم آل المنذر ، والمنذر هو : ابن ماء السماء ، وهي : أمه عُرِف بها ، وهي من النُصير بن قاسطوا بنه عمرو بن هند عُرِف بأمه أيضاً ، وهي بنت الحارث (١) آكل المرار جد امريء القيس الشاعر ، ويعرف عمرو بمُحَرَّق لأنه حَرَّق مدينة ، يقال لها : مثلهم ، وهي عند اليمامة ، وقال المبرد والقُتَيْبِي سمي : مُحَرَّقاً ، لأنه حَرَّق مائة من بني تميم ، وذكر خبرهم (٢) .

وولد نصير بن ربيعة هو : عَدِيّ ، وكان كاتباً لجذيمة الأبرش ، وابنته : عمرو ، وهو ابن أخت جذيمة ، ويكنى جذيمة : أبا مالك في قول السعدي ، وهو منادم الفَرَقْدَيْن ، واسمُ أخت جذيمة : رَقَاش بنت مالك بن فُهَم بن غنم ابن دؤس ، وهو الذي اختطفته الجن ، وفيه جرى المثل : شَبَّ عمرو

(١) هي كما قيل أيضاً بنت عمرو بن حجر السكدي آكل المرار أو دارية بنت ثعلبة .

(٢) وفي جمهرة ابن حزم كذلك ص ٢٢ أما في الاشتقاق ص ٤٣٥ ، فالمحرق هو : الحارث بن عمرو بن عامر ، وقد عرف عمرو بأنه المحرق الثاني ، لأنه ألقى بقتلى تميم في النار أخذاً بثأر أخيه ، وقد لقب امرؤ القيس الأول ابن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر بالمحرق الأول ، ومحرق العرب ، ومحرق الحرب ، وفي التاريخ الخامس بالحيرة تصادفنا كلمة المحرق ، ومحرق وآل محرق ، وقد أطلقت =

عن الطوق . وهو قاتل الزبَاء بنت عمرو (١) واسمها : نائلة في قول

== على القساسة أيضا ، ويرى بعض مؤرخي الغرب أنها علم لأشخاص ، وكان بين أصنام الجاهلية صنم يدعى : محرق . ومن الجاهليين من كان اسمه : عبد محرق ، فلعله سمي بهذا تيمنا في ظنهم باسم الصنم ، ويظهر أن محرقا كان من الشخصيات الجاهلية القديمة الواردة في الأساطير ، انظر ص ٣٢ ج ٤ تاريخ العرب قبل الإسلام ، وفي اللسان عن آكل المرار : المرار شجر مر ، ومنه : بنو آكل المرار قوم من العرب .. وآكل المرار معروف . قال أبو عبيد : أخبرني ابن الكلبي : إن حُجْرا د بضم الحاء وإسكان الجيم ، إنما سمي آكل المرار أن ابنة كانت له سبأها ملك من ملوك سَلِيع يقال له : ابن هَبُولَة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار ، يعني : كاشرا عن أبيائه ، فسمى بذلك ، وقيل : لأنه كان في نفر من أصحابه في سفر ، فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا ، وأما أصحابه ، فلم يطبقوا ذلك ، حتى هلك أكثرهم ، ففضل عليهم بصره على أكله المرار .

(١) بمثل أسطورة خطف الجن للناس سيطر الدجاجة على الذين لادين لهم ولا عقل . والطوق : حلي للعنق وكل ما استدار بشيء والوسع والطوق . والمثل يضرب لمن يلبس ما هو دون قدره . والمثل مفصل في مادة طوق من القاموس وفي باب الكاف من مجمع الأمثال للميداني ، وفي ص ٦١٤ ج ١ الطبرى . وغير هذه ، وخلاصته أن عديا كان يخدم جدية مع غلمان من أبناء الملوك فأحبته رقاش أخت جدية ، وطلبت منه أن يخطبها من أخيها ، وهو في سكره ، ففعل ، فلما أفاق جدية . وعلم بما حدث أنكره ، وأقبل على رقاش قائلا :

حدثيني وأنت غير كذوب أبجر زيت أم بهجين ١٩

أم لعبد ، وأنت أهل العبد أم بلون وأنت أهل لدون

قالت بل زوجتي كُفُفُسا كريما من أبناء الملوك . — أو كما ورد في الطبرى — بل أنت زوجتي امرأ عريبا معروفا حسيبا ، ولم تستأمرني في نفسي ، ولم أكن مالكة لأمرى . وفي مروج الذهب أنها أجابته بقولها :

الطبري وَيَعْقُوبُ بْنُ السَّكِّيتِ ، وَمَيْسُونُ فِي قَوْلِ دُرَيْدٍ ، وَاسْتَشْهَدَ
الطبري بقول الشاعر (١) :

أَتَعْرِفُ مَنَزِلًا بَيْنَ الْمُنَقَّى وَبَيْنَ تَجَرٍّ نَائِلَةِ الْقَدِيمِ
وقد أملينا في غير هذا الموضع ذكر نسبها وطرقا من أخبارها .

== أَنْتَ زَوْجَتِي وَمَا كُنْتَ أَدْرَى وَأَتَانِي النَّسَاءُ لِلزَّيْنِ
ذَاكَ مِنْ شَرِّكَ الْمَدَامَةِ صَرَفًا وَتَمَادِيكَ فِي الصَّبَا وَالْمَجُونِ

وهرب عدى ومات في مهربه ، وجاءت منه رقاش بعلام سهام جذيمة : عمرا
وتبناه ، وخرج الصبي ذات يوم ، فصل عن العود ، ولبت زمانا مفقودا ، ولحقا
يزعمون أن الجن اختطفته ، وهو حديث خرافة ، ثم وجده رجلا ن فأتيا به إلى
عالمه ، فاستطار به فرحا ، وأرسل به إلى أمه ، فأدخلته الحمام ، وألبسته وطوقته
طوقا كان له من ذهب ، فلما رآه جذيمة قال : كبير عمرو عن الطوق والشمطرة
الاولى في الطبري : حدثني وأنت لا تكذبنني . وكان بجذيمة برص ، فتهيب العرب
أن تسميه به ، أو تنسبه إليه ، فكنت عنه بالأبرش أو الوضاح . وقد قتل عمرو والزباء .
لأنها قتلت خاله جذيمة غدرا . فاجتال بواسطة قصير حتى وصل إليها
في مكنتها ببلادها ، فلما رآته شربت السم ، وقالت : يدي لا يدك يا عمرو ، فذهبت
مثلا ، ثم تلقاها عمرو ، فجلبها بالسيف فقتلها ، والزباء هي نائلة بنت عمرو بن
ظرب التي تولت الملك بعد مقتل أبيها بيد جذيمة الأبرش . وكان ملكها أرض
الجزيرة ، ومشارف بلاد الشام . انظر ص ٦١٧ وما بعدها ج ١ الطبري ، طبع
المعارف ، وقد اختلف المؤرخون المحدثون حولها فمنهم من ذهب إلى أنها عربية ،
وقيل هي عربية الأب مصرية الأم . والا كثرون على أنها عربية .

(١) هو القعقاع بن النرماء السكلي .

وأخو عمرو بن هند: النعمان بن المنذر، وهو ابن مامة، وكان ملكه بعد عمرو، وفي ملك عمرو ولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — (١) وفي زمن كسرى أنوشروان بن قباد.

وأسقط ابن إسحاق من هذا النسب رجلين، وهما: النعمان بن امرئ القيس وأبوه: امرؤ القيس (٢) بن عمرو بن عدى، وقد قيل، إن النعمان هذا هو أخو امرئ القيس، وملك بعده، وسيأتي ذكر النعمان بعد هذا عند ذكر صاحب الحضرة إن شاء الله تعالى، وأنه الذي بنى الخوزنق والسدير.

قوم تبع

فصل: وقوله (٣) في نسب حسان: بن ثبآن أسعد: هو ثبآن أسعد. اسمان جملا اسما واحداً، وإن شئت أضفت كما تضيف معدى كرب، وإن شئت

(١) المشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد سنة ٥٧١ ميلادية، وكان قابوس أخو عمرو في الغارة على الشام سنة ٥٦٧ م وقد قتل عمرو بن هند — كما هو مشهور — بيد الشاعر عمرو بن كلثوم، ومن الألقاب التي اشتهر بها عمرو بن هند: مضط الحجارة، وشقيقه لأمه: قابوس والمنذر واسم أم النعمان في المطبوعة: ابن مامة، ويقال: أمامة. والذي تولى الملك بعد عمرو — كما في بعض الروايات — هو أخوه الشقيق قابوس د ص ٨٢ ح ٤ تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٤ - ١٩٥٥

(٢) ينسب ملك الحيرة إلى عمرو بن عدى، ثم إلى ابنه امرئ القيس الأول الذي نكل سابور بالعرب في أيامه، ثم إلى ابنه عمرو، ثم إلى النعمان الأول بن امرئ القيس الذي ينسب إليه أكثر المؤرخين قصر الخوزنق (٣) في صفحة ١٥٦

استيلاء أبي كرب تبان أسعد على ملك الين

وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك الين كله إلى حسان بن تَبَّان أسعد أبي كرب — وتَبَّان أسعد هو : تَبَّع الآخر — ابن كلبي كَرِب بن زيد ، وزيد هو تَبَّع الأول بن عمرو ذى الأذعار بن أبرهة ذى اللخار بن الریش — قال ابن هشام : ويقال : الرأش — قال ابن إسحاق : ابن عدى بن صفي ابن سبأ الأصغر ، بن كعب ، كهف الظلم بن زيد ابن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل ابن القوث ، بن قطن ، بن عريب بن زهير ، بن أيمن بن ، الحميسع بن العرنجج ، والعرنجج : خير بن سبأ الأكبر ابن يعرب ، بن يشجب ابن قحطان .

جلت الإعراب في الاسم الآخر، وتَبَّان من التَّبَانَةِ ، وهى : الذكاء والقطنة . يقال : رجل تَبِينٌ وَطِينٌ .

وكلبي كَرِب اسمٌ مرَّكَّبٌ أيضاً وسيأتى معنى الكَرِب في لغة خير عند ذكر معدى كرب — إن شاء الله تعالى — وكان ملك كلبي كَرِب (١) خساً وثلاثين سنة ، وكان مُضْطَعِفاً ساقط الهمّة لم يَقْزُ قطً .

وقوله : في نسب حَسَّان : ابن تبان أسعد وتَبَّان الأسعد [هو] تَبَّع . [الآخر] نقص من النسب أسماء كثيرة وملوكا ؛ فإن عَمْرَأَ ذا الأذعار (٢) كان بعده ناشرُ

(١) في الاشتقاق : ملكي كرب وفي غيره كلبي بضم الكاف وفتحها .

(٢) يزعم ابن الكلبي أنه سمي بهذا لأنه جلب الناس إلى الين فذعر الناس

والاشتقاق ، ص ٤٢٠هـ وسيأتى . كهف الظلم : اتب بهذا لأنه ينصر الظلم .

بن عمرو ، ويقال له : ناشر النعم ، [بن عمرو بن يعفر ^(١)] وإنما قيل له ناشر ؛ لأنه نشر الملك ، واسمه مالك . ملك بعد قتل رجم ^(٢) بن سليمان عليه السلام بالشام ، وهو الذي انتهى إلى وادي الرمل ، ومات فيه طائفة من جنده جرت عليهم الرمال ، وبعده : تبع الأقرن وأفرقيس بن قيس الذي بنى أفرقية : وبه سميت ، وساق إليها البربر من أرض كنعان ، وتبع بن الأقرن وهو التبع الأوسط ، وشمر بن مالك الذي سميت به مدينة سمرقند ^(٣) ، ومالك هو : الأملوك ، وفي بني الأملوك يقول الشاعر :

(١) في الطبري اسمه : ياسر بن عمرو بن يعفر الذي كان يقال له : ياسر أنعم وإنما سموه : ياسر أنعم لإنياعه عليهم بما قوى من ملكهم ، وجع من أمرهم والزيادة من المروج والطبري

(٢) اسمه عند الكتائبين « رجمعام »

(٣) في المروج ترتيب ملوكهم هكذا : أبرهة بن الراش وبعده أفرقة بن أبرهة ثم العبد بن أبرهة ، ثم الهدهاد بن شرحبيل ، ثم تبع الأول ، ثم بلقيس ، ثم ناشر النعم ، ثم شمر بن أفرقيس ، ثم كليكرب ، ثم حسان بن تبع ، ثم عمرو بن تبع - وهو الذي قتل أخاه حسان - ثم تبع بن حسان إلخ ص ٧٥ ج ٢ وترتيبهم في الطبري ص ٥٦٦ ج ١ مختلف عما هنا اختلافاً كبيراً . وفي تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي : « وأول ملك نعرفه حمل اللقب الجديد لقب « ملك سبأ » وذو ريدان وحضر موت وبنات » هو الملك شمر يهرعش المعروف : بشمر يهرعش عند الإسلاميين ، أما والده فهو ياسر يهنعم ، وكان ملكاً من ملوك سبأ وذو ريدان ، ويدعى ناشر النعم في كتب الأخباريين ، ص ١٣٩ ج ٢ . وفي القاموس عن شمر « وشمر بن أفرقيش ككتف غزا مدينة السغد فقلعها ، ف قيل : سَمِرُ كُنْدَا ، أو بناها ، ف قيل . سَمِيرُ كُنْثَت . وهي بالتركية : القرية ، فعربت سمرقند ، بفتح ففتح فسكون ففتح . وكنداي : خرب ، وخطأ ابن خلدون السبيلي في رأيه عن الأملوك انظر ص ٩٨ م ٢ ط . لبنان

فَنَقَّبَ عَنِ الْأُمْلُوكِ وَاهْتَفَ بِبَيْعُفٍ وَعِشْ جَارَ عِزٍّ لَا يَغَالِبُهُ الدَّهْرُ
وقد قيل : إن الْأُمْلُوكَ كان على عهد منوشر ، وذلك في زمن موسى
— عليه السلام — كل هؤلاء مذكورون بأخبارهم في غير هذا الكتاب .

وعَمَرُو ذُو الْأَذْعَارِ كان على عهد سليمان ، أو قبله بقليل ، وكان أَوْغَلَّ
في ديار المغرب ، وسبا أُمَّةً وجوهُها في صُدُورها ، فذُعِرَ النَّاسُ^(١) ، منهم
فسى : ذَا الْأَذْعَارِ ، وبعده ملكت بنت بَلْقَيْسٍ هُدَاهِدُ بْنُ سُرْحَيْلٍ صَاحِبَةُ سُلَيْمَانَ
— عليه السلام — واسم أمها بَلْمَقَه^(٢) بنت جُحَى ، وقيل : رَوَاحَةُ بنت
سُكَيْنٍ . قاله ابن هشام . وزعم أيضا أنها قتلت عَمْرًا ذَا الْأَذْعَارِ بِحِيلَةٍ ذَكَرَهَا ،
وأنه سُمِّيَ ذَا الْأَذْعَارِ لِكَثْرَةِ مَا ذُعِرَ النَّاسُ مِنْهُ لَجُورِهِ ، وأنه ابن أُرْبَهَةَ ذِي
الْمَنَارِ بْنِ الصَّغْبِ ، وهو ذُو الْقَرْنَيْنِ بْنِ ذِي مَرَاتِلِ الْحَمِيرِ ، وأبوه : أُرْبَهَةُ ذُو
الْمَنَارِ سَمِيَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ رَفَعَ نِيرَانًا فِي جِبَالٍ ؛ لِيَهْتَدِيَ بِهَا^(٣)
وَأَمَّا حَسَّانُ الَّذِي ذَكَرَ فَهُوَ الَّذِي اسْتَبَاحَ طَسْمًا ، وَصَلَبَ الْيَمَامَةَ
الزَّرْقَاءَ ، وَذَلِكَ حِينَ اسْتَصْرَحَهُ عَلَيْهِمُ رَبَّاحُ بْنُ مُرَّةٍ أَخُو الزَّرْقَاءِ ، وَهُوَ
مَنْ قُتِلَ جَدِيسٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْإِمَاءُ إِلَى خَبَرِهِمْ .

(١) فِي الْقَامُوسِ جَاءَ بِتَعْبِيرٍ دَقِيقٍ . وَذُو الْأَذْعَارِ تَبِعَ لِأَنَّهُ سَبَى قَوْمًا
وَحَشَّةَ الْأَشْكَالِ . فَذُعِرَ مِنْهُمْ النَّاسُ ، أَوْ لِأَنَّهُ حَمَلَ التَّنَاسُلَ إِلَى الْيَمَنِ .

(٢) فِي الْمَرْجُوحِ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى : الْمَهْدَاهِدُ ، وَفِي الْمَحْكَمِ أَنَّ هُدَاهِدَ بْنَ هَمَادٍ
زَوْجَ بَلْمَقَهَ وَهِيَ بَلْقَيْسُ بِنْتُ يَلِيشْرَ وَأَصْلُهَا : يَلِبْ شَرْخ . وَفِي الْمَحَبَرِ وَالطَّبَرِيِّ :
أَلِيشْرَ ، وَفِي التَّيْجَانِ أَنَّهَا بَلْقَيْسُ بِنْتُ الْمَهْدَاهِدِ ، وَفِي الطَّبَرِيِّ أَيْضًا ابْنَةُ أَلِيشْرَ وَيَقُولُ
بَعْضُهُمْ ابْنَةُ ذِي شَرْخِ بْنِ ذِي جَدْنِ بْنِ أَلِيشْرَ ، الْاِشْتِقَاقُ ص ٣٢٢ وَالْحَاشِيَةُ
بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ . وَفِي جَمْعَةِ ابْنِ حَزَمٍ أَنَّ شَدْدَ - يَفْتَحُ ابْنَ زَرْعَةَ
بِضْمٍ فَسَكُونٌ ، هُوَ زَوْجُ بَلْقَيْسٍ ، وَأَنَّ أَلِيشْرَ هُوَ وَالِدُهَا .

(٣) فِي الْقَامُوسِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ الْمَنَارَ عَلَى طَرِيقِهِ فِي مَغَازِيهِ ، لِيَهْتَدِيَ بِهَا
إِذَا رَجَعَ ، وَفِي الْاِشْتِقَاقِ ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ بَنَى الْأَمْيَالَ عَلَى الطَّرِيقِ . وَلَيْسَ بَيْنَ قَوْمٍ
تَبِعَ مِنْ اسْمِهِ مَرَاتِلُ ، إِنَّمَا هُوَ مَرَاتِلُ أَوْ مَرَاتِلُ وَسَيَأْتِي بَعْدُ .

قال ابن هشام : يَشْجُبُ : ابن يعرب بن قحطان .

قال ابن إسحاق : وَثَبَانُ أسعد أبو كَرِب الذي قدم المدينة ، وساق
الخَبَرين من يهود المدينة إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه
قبل مُلك ربيعة بن نصر .

ومعنى مُتَّبِع في لغة اليمن : الملك المتبوع ، وقال المسعودي : لا يقال
للملك : مُتَّبِع حتى يغلبَ اليمن والشَّحَر وحَضَرَ مَوْت . وأولُ التَّابِعة : الحارثُ
الرائس ، وهو ابن هَمَّال بن ذى شَدَد^(١) ومُجَي : الرائس ، لأنَّه رَأَسَ النَّاسَ

(١) النسب في جهرة ابن حزم هكذا . ثم بن الأفرقيس بن أبرهة ذى المنار
بن الحارث الرائس بن شدد بن الملقاط بن عمرو ، من ٤١٠ . وأحسن بما يقول
ابن حزم عن أنساب قوم تبع ، وفي أنسابهم اختلاف وتخليط وتقديم وتأخير
ونقصان وزيادة ، ولا يصح من كتب أخبار التابغة وأنسابهم إلا طرف يسير
لاضطراب أحوالهم وبعد العهد ، من ٤١١ وإليك ما ذكر في خزنة الأدب
للبنغدادى عن أذواء اليمن باختصار وتصرف : ذو جدن : اسم مرتجل ، وهو
من أذواء اليمن ، والأذواء بعضهم ملوك ، وبعضهم أقيال ، والقيال دون الملك . قال
في الصحاح : والقيال : ملك من ملوك حير دون الملك الأعظم والمرأة قيلة ، وأصله
قَيْسٌ بالتشديد ، كأنه الذى لم قول . أى : ينفذ قوله . والجمع : أقوال وأقيال أيضا
ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشددا والمقول — بالكسر — القيل
أيضا بلغة أهل اليمن والجمع المقاول .

ومن الأذواء الأوائل : أبرهة ذو المنار ، وابنه : عمرو ذو الأذعار ،
أو الأذعار كما ذهب إليه ابن الشجرى في أماليه جمع دَعَر — بفتح فسكون —
العود الكثير الدخان ، وذو معاهر — واسمه حسان — من العهر وهو الفجور ،
وذو رعين الأكبر ، واسمه : يريم — وزن يميل — ورعين اسم حصن كان له
وذو رعين الأصغر ، واسمه : عبد كلال ، وذو شناتر ، واسمه : ينوف ، =

بما أوسعهم من العطاء ، وقسم فيهم من الغنائم ، وكان أول من غنم ، فيما ذكروا .
وأما العرنجيج الذي ذكر أنه خير بن سبأ ، فقناه بالخميرية : المتيق .
قاله ابن هشام ، وفي عهد زمن تبع الأوسط — وهو حسان بن تبتان
أسعد — كان خروج عمرو بن عامر من اليمن من أجل سيل العرم ، فيما
ذكر القتيبي .

وأما عمرو أخو حسان الذي ذكر ابن إسحاق قصته ، وقتله لأخيه .
فهو المعروف : بموتبتان . سمي بذلك للزومه الوثاب وهو [السريزو] الفِراش
وقلة غزوه . قاله القتيبي .

==والشناتر: الأصابع في لغة اليمن . وذو القرنين ، واسمه : الصعب ، وذو غيمان
من الغيم الذي هو العطش وحرارة الجوف . وذو أصبح ، وذو سححر وذو
شعبان ، وذو قاثش ، واسمه : سلامة — من الفياش وهو المفاخرة . وذو حمام —
بضم الحاء — والحمام حي الإبل — وذو تروخيم ، وذو يحصب ، وذو عسيم —
من العسيم ، وهو ييس في المرفق ، أو من العسيم ، وهو الطمع ، وذو قثاق ، وذو
حوال ، واسمه : عامر ، وذو مهديم ، واسمه : شمر ، وذو أنيس ، وذو سحيم ،
وذو الكباس ، وذو حفار ، وذو نواس ، واسمه : ذرعة ، ومنهم ذو
الكلاع الأكبر ، وذو الكلاع الأصغر ، وهذا أدركه الإسلام وأسلم وأعتق
أربعة آلاف عبد ، وهاجر بقومه في أيام أبي بكر — كما في خزانة البغدادى — وذو
عشكران ، وذو شعلبان وذو زهران ، وذو مكارب ، وذو مناخ ، وذو ظليم ،
واسمه : حوشب ، وهو العظيم البطن ، ومنهم ذو وزن ملك اليمن ، ويزن اسم
مرتجل ، وهو غير منصرف لأن أصله يزان على وزن يسأل ، تخففوا همزته
فصار وزنه يفل ، ومنهم من رد عينه في النسب ، فقال : رمح يزانى ، وقيل : أصله
من وزن يزن . فحذفت الواو ثم أبدلت الكسرة فتحة ، واسم ذى وزن : عامر بن
أسلم بن زيد بن غوث . انتهى باختصار . ص ١٠٠ ط دار المصور

قال ابن هشام : وهو الذى يقال له :

لَيْتَ حَظِّي مِنْ أَبِي كَرِبٍ أَنْ يَسُدَّ خَيْرُهُ خَبْلَهُ

« سبب غضب تبان على أهل المدينة » :

قال ابن إسحاق : وكان قد جعل طريقه — حين أقبل من المشرق — على المدينة ، وكان قد مرَّ بها في بدأته ، فلم يهيج أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابنائه ، فقتل غيلة ، قدمها وهو مجمع لإخراستها ، واستئصال أهلها ، وقطع نخلها ، فجمع له هذا الحى من الأنصار ، ورئيسهم عمرو بن طلحة أخو بني النجار ، ثم أحد بني عمرو بن مبدول ، واسم مبدول : عامر بن مالك بن النجار ، واسم النجار : تميم الله بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن الخزرج ، بن حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر .

وأما ما ذكره من غزو تبع المدينة ، فقد ذكر القتيبي أنه لم يقصد غزوها ، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها ، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم ، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم ، فلم يف لهم بذلك يهود ، واستضاموهم ، فاستغاثوا بتبع ، فعند ذلك قدمها وقد قيل : بل كان هذا الخبر لأبي جُبَيْلَةَ الْغَسَّانِي ، وهو الذى استصرخته الأوس والخزرج على يهود ، فالله أعلم .

والرجل الذى عدا على عذق الملك ، وجده من بني النجار هو : مالك ابن العجلان فيما قال القتيبي ، ولا يصح هذا عندى فى القياس لبعده عهد تبع من مدة ملك ابن العجلان .

(م ١١ — الروض الأثف)

وخبّر ملك ابن العجلان إنما هو مع أبي جُبَيْلَةَ النَّسَائِي حين استنصرحت به الأنصار على اليهود ، فجاء حتى قتل وجوها من يهود . وأما مُتَبِعُ خديته أقدم من ذلك . يقال : كان قبل الإسلام بسبعمئة عام ، والصحيح في اسم أبي جُبَيْلَةَ : جُبَيْلَةَ غير مكْنى ، ابنُ عَمْرُو بن جَبَلَةَ بن جَفْنَةَ ، وجَفْنَةُ هو : غَلَبَةُ ابن عَمْرُو بن عامر ماء السماء (١) . وجُبَيْلَةُ هو : جد جبلة بن الأيهم (٢) آخر ملوك بني جَفْنَةَ ، ومات جُبَيْلَةُ النَّسَائِي من عِلَاقَةِ شَرِيهَا في ماء ، وهو مُنْصَرَف عن المدينة .

وذكر أن مُتَبِعًا أراد تخريبَ المدينة ، واستنصال اليهود ، فقال له رجل منهم ، له مائتان وخسون سنة : الملك أجلُّ من أن يطير به نَوَقٌ . أو يستخفّه غَضَبٌ ، وأمره أعظمُ من أن يضيقَ عنا حِلْمُهُ ، أو تُحْرَمَ صَفْحُهُ ، مع أن هذه البلدة مأجَرُ نَبِيٍّ يبعث يدين إبراهيم . وهذا اليهوديُّ هو أحد الحَبَرَيْنِ

(١) انظر ص ٣٥ الاشتقاق . وعند بعض المؤرخين أن جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأسد ابن الغوث هو أول ملك ملك من غسان في أيام القيصر أنسطاس (٤٩١-٥١٨ م) . وعند غير هؤلاء أن أول ملك هو الحارث بن عمرو ابن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الأزد بن الغوث ، وبعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة ، وهو ابن مارية ذات القرطين . أما الأول فيذكرون أن عمرو بن جفنة هو الذي تولى بعد أبيه . ثم ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم الحارث بن ثعلبة ، ثم جبلة بن الحارث . ص ١٢٥ ج ٤ تاريخ العرب قبل الإسلام . جواد عل .

(٢) وهو الذي ارتد ولحق بالروم ، ونسبه في الإنباه : جبلة بن الأيهم بن جبلة الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ص ١١١

الَّذِينَ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : وَاسْمُ الْخَبْرَيْنِ سُمُحَيْتٌ ، وَالْآخَرُ : مُنْبَهٌ (١) .
 ذَكَرَ ذَلِكَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،
 قَالَ : وَاسْمُ الْخَبْرِ الَّذِي كَلَّمَ الْمَلِكَ : بِلْيَاسِينَ ، وَذَكَرَ أَنَّ امْرَأَةً اسْمُهَا : فُكَيْهَةٌ
 مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ كَانَتْ تَحْمِلُ لَهُ الْمَاءَ مِنْ بئرِ رُومَةَ (٢) . بَعْدَ مَا قَالَ لَهُ الْخَبْرَانِ
 مَا قَالَا ، وَكَفَّ عَنْ قِتَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَدَخَلُوا عَسْكَرَهُ ، فَأَعْطَى فُكَيْهَةً ،
 حَتَّى أَغْنَاهَا ، فَلَمْ تَزَلْ هِيَ وَعَشِيرَتُهَا مِنْ أَغْنَى الْأَنْصَارِ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ ،
 وَلَمَّا آمَنَ الْمَلِكُ بِمُحَمَّدٍ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَعْلَمَ بِخَبْرِهِ ، قَالَ :

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ اللَّهِ بَارِئُ النَّسَمِ
 فَلَوْ مَدُّ عُمَرَى إِلَى عُمَرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ ، وَابْنُ عَمٍّ
 وَجَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ أَعْدَاءَهُ وَفَرَجْتُ عَنْ صَدْرِهِ كُلَّ هَمٍّ

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْقُبُورِ ، وَذَكَرَهُ أَيْضًا أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ
 فِي كِتَابِ الْمَغَازِي لَهُ ، أَنَّ قَبْرَ أَحْفَرَ بَصْنَعَاءَ ، فَوُجِدَ فِيهِ امْرَأَتَانِ ، مَعَهُمَا لَوْحٌ
 مِنْ فِضَّةٍ مَكْتُوبٌ بِالذَّهَبِ ، وَفِيهِ : هَذَا قَبْرُ لَيْسَ وَحُبِّي ابْنَتِي تَبَعَ مَا نَا ،
 وَهَاتَا تَشْهَدَانِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ مَاتَ الصَّالِحُونَ

(١) فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بَشَارَاتُ بَيْعَتِ نَبِيِّ اسْمِهِ : أَحْمَدُ ، وَاسْمُ الْخَبْرَيْنِ فِي
 الطَّبَرِيِّ : كَمْبُ وَأَسْمَدُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ص ١٠٥ ج ٢ . وَالحديث عن الخبرين ص ١٦٥
 (٢) بئر بالمدينة ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا اشْتَرَاهَا عُثْمَانُ وَسَبَّلَهَا .

عمرو بن طلحة ونسبه :

قال ابن هشام : عمرو بن طلحة : عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار ، وطلحة : أمه ، وهى : بنت عامر بن زريق ، بن عامر بن زريق ابن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج .

قصة مقاتلة تبار لأهل المدينة :

قال ابن إسحاق : وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار ، يقال له : أحر عدا على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده فى عذق

قبلهما ، وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لا أدري أتبع لعين أم لا » ورؤى عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « لا تسبوا تبعاً ؛ فإنه كان مؤمناً »^(١) ، فإن صح هذا الحديث الأخير ، فإنما هو بعدما أعلم بحاله ، ولا ندرى : أى التبابعة أراد ، غير أن فى حديث معمر بن همام بن منبه عن أبى هريرة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « لا تسبوا أسعد الحميري ، فإنه أول من كسا الكعبة »^(٢) فهذا أصح من الحديث الأول ، وأبين ،

(١) رواه أحمد فى مسنده عن سهل بن سعد ، وله ثمانية وثمانون ومائة حديث اتفق البخارى ومسلم على ثمانية وعشرين منها ، وانفرد البخارى بأحد عشر والحديث فيه معارضة لما قبله ، وفيه سمة الضعف . وما يجب مسلم أن يكتتب أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله .

(٢) لم يرو إلا فى كتب السيرة كسيرة أبى ثر والازرق وأبى الفرج فى مشير الغرام ، وليس عليه نفحة النبوة .

لَهُ يَجِدُهُ ، فَضْرَبَهُ بِمَنْجَلِهِ فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ : إِنَّمَا التَّمَرُّ لِمَنْ أَرَمَهُ ، فَرَادَ ذَلِكَ تَبَعًا حَقًّا عَلَيْهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَزَعُمَ الْأَنْصَارُ أَنَّهُمْ كَانُوا يِقَاتِلُونَهُ بِالنَّهَارِ ، وَيَقْرُونَهُ بِاللَّيْلِ ، فَيُعْجِبُهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنْ قَوْمَنَا لَكِرَامٌ .

فَبَيْنَمَا تَبَعَ عَلَى ذَلِكَ مَنْ قَاتَلَهُ ، إِذْ جَاءَهُ حِزْبَانِ مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ ، مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ سَوْقَرِيفَةَ وَالنَّضِيرِ وَالنَّجَامِ وَعَمْرُو - وَهُوَ هَذَا - بَنُو الْخَزْرَجِ بْنِ الصَّرِيحِ

حَيْثُ ذَكَرَ فِيهِ أَسْعَدُ . وَتَبَّانِ أَسْعَدُ الَّذِي تَقْدِمُ ذِكْرَهُ ، وَقَدْ كَانَ تَبَعَ الْأَوَّلُ مُؤْمِنًا أَيْضًا بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ الرَّائِشُ ، وَقَدْ قَالَ شَعْرًا يُنْبِئُ فِيهِ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ فِيهِ :

وَيَأْتِي بَعْدَهُمْ رَجُلٌ عَظِيمٌ نَبِيٌّ لَا يُرَخَّصُ فِي الْحَرَامِ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ الْقَائِلُ :

مَنْعَ الْبَقَاءِ تَصَرَّفُ الشَّمْسُ وَطَلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُمَسَى
الْيَوْمَ أَعْلَمُ مَا يَجِيءُ بِهِ وَمَضَى بِفَصْلِ قَضَائِهِ أَمْسَ
وَطَلُوعُهَا بَيَاضٌ مُشْرِقٌ وَغُرُوبُهَا صَفَرٌ كَالْتَوَرِّسِ
تَجْرَى عَلَى كَيْدِ السَّمَاءِ ، كَمَا يَجْرَى جِهَامُ الْمَوْتِ فِي النَّفْسِ

وَقَدْ قِيلَ : إِنْ هَذَا الشَّعْرُ لَتُبْعِ الْآخِرِ [وَقِيلَ لِأَسْقَفِ نَجْرَانَ] ، فَالْأَعْلَمُ ،
وَمِنْ هَذَا أَخَذَ أَبُو تَمَامٍ قَوْلَهُ :

أَتَى إِلَى كَعْبَةِ الرَّخْنِ أَرْحَلَهُ وَالشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ وَرْسَاعِي الْأَصْلِ

ابن التَّوَمَان ، بن السَّبْط بن اليَسَع ، بن سعد ، بن لاوى ، بن خَيْر ، بن
النَّجَّام ، بن تَنْحُوم ، بن عازَر ، بن عِزْرَى ، بن هَارُون ، بن عمران ، بن يَصْهَر ،
ابن قَاهْث ، بن لاوى ، بن يعقوب - وهو إسرائيل - بن إسحاق بن إبراهيم
خليل الرحمن - صلى الله عليهم - عالمان راسخان في العلم ، حين سمعا بما يريد من
إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن آيتَ إلا
ما تريد حِيلَ بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجلَ العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟
فقالا : هي مُهاجِرُ نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان ، تكون
داره وقراره ، فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سمع منهما ،
فانصرف عن المدينة ، وأتبعهما على دينهما ، فقال خالد بن عبد العزى بن غزيرة
ابن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة :
أَصْحَابُ أُمٍّ قَدْ نَهَى ذُرِّيَّتَهُ أَمْ قَضَى مِنَ الذَّنْوَ وَطَرَهُ
أَمْ تَذَكَّرْتَ الشَّبَابَ ، وَمَا ذَكَرَكَ الشَّبَابَ أَوْ عُصْرَهُ
إِنَّمَا حَرْبُ رَبَاعِيَةٍ مِثْلَهَا آتَى الْفَتَى عِبرَهُ
فَأَسْلَا عِمْرَانُ ، أَوْ أَسْدَا إِذْ أَنْتَ عَدُوٌّ مَعَ الزُّهْرَةِ
فَيَلْقَى فِيهَا أَبُو كَرَبٍ سُبَّغَ أَبْدَانُهَا دَفِيرَهُ
ثُمَّ قَالُوا : مَنْ تَوُؤَمَ بِهَا أَبْنَى عَوْفٍ ، أَمْ النَّجْرَهُ ؟

(غريب حديث تبع)

ذكر فيه : جَدَّ عِدْقَ الملك . العَدْق : النخلة بفتح العين ، والعِدْق
بالكسرة : الكِبَاسَة بما عليها من الثمر ، وذكر في نسب قُرَيْظَةَ والنضير
عمرأ ، وهو هَذَل بفتح الدال ، والهَاء ، كأنه مصدر هَذَل هَذَلًا إذا استرخت

شفتة ، وذكره الأمير ابن ماكولا عن أبي عبدة النّسابة فقال فيه : هذّل
بسكون الدال .

وذكر فيه بن التّومان على وزن فعلان ، كأنه من لفظ التّوم^(١) ،
وهو الدرّ أو نحوه .

وفيه ابن السّبط بكسر السين ، وفيه ابن تنخوم بفتح التاء وسكون
النون والحاء المهملة ، وهو عبرانيّ ، وكذلك عازر وعزرى بكسر العين
من عزرى .

وقاھت ، وبالتاء المنقوطة باثنتين . وهكذا وقع في نسخة الشيخ أبي بحر .
وفي غيرها بالتاء المثلثة ، وكلها عبرانيّة . وكذلك إسرائيل ، وتفصيله بالعربية :
سريّ الله .

وقوله في شعر خالد بن عبد العزّي : أصحا أم قد نهى ذكره^(٢) . الذّكر :

-
- (١) مفردة : تومة بضم التاء وفتح الميم ، والجمع توم ، بضم التاء وسكون الواو وفتحها .
(٢) الذّكر بكسر الذال ، والذكرى والذكر بضم الذال ضد النسيان ، وفي الشافية
عن جمع ما آخره ألف التانيث : وتكسيره على ضربين . الأول : أن يجمع الجمع الأقصى
وذلك إذا اعتد بالألف ، فيقال في المقصورة فعال : وفعال - بفتح الفاء - في الاسم كدعاو
ودعاوى ، وفي الصفة : فعالي - بفتح الفاء واللام - بالألف لا غير كجبالى وخنائى :
والثاني أن يجمع على فعال - بكسر الفاء - كإناث وعطاش وبطاح وعشار في أنثى
وعطشى وبطحاء وعشراء - بضم العين وفتح الشين - ، وإنما يجمع هذا الجمع فيما لا يجمع
فيه الجمع الأقصى ، فلما قالوا : إناث لم يقولوا : أناثى . ولما قالوا : خنائى لم
يقولوا : خناث ، ورد في اللسان والقاموس : أناثى وخناث ، وكان الأصل في
هذا الباب الجمع الأقصى اعتدادا بألف التانيث للزومها ، فتجعل كلام الكلمة ، =

جمعُ ذُكْرَةٍ . كما تقول : بُكْرَةٌ وُبُكْرٌ ، والمستعمل في هذا المعنى ذكرى بالآلف ، وقلما يجمع فعلى على فُعل ، وإنما يجمع على فعال ، فإن كان أراد في هذا البيت جمع : ذكرى ، وشبه ألف التانيث بهاء التانيث ، فله وجهٌ : قد يحملون الشيء على الشيء إذا كان في معناه .

وقوله : ذِكْرُكَ الشَّبَابَ أَوْ عَصْرَهُ ، أراد : أَوْ عَصْرَهُ . والعَصْرُ والعُصْرُ لغتان . وحرك الصَّادَ بِالضَّمِّ ^(١) قال ابن جنى : ليس شَيْءٌ عَلَى وَزْنِ فَعَلٍ بسكون العين ، يمتنع فيه فُعل .

وقوله : إنها حربٌ رَبَاعِيَّةٌ . مثَلٌ . أى : ليست بصغيرة ولا جَذَاعَةٌ ^(٢) .

وَأما حذفها في الجمع على فعال ، فنظرا إلى كون الألف علامة للتانيث ، فيكون كالتاء ، فيجمع الكلمة بعد إسقاطه ، كما في التاء ، فيجعل نحو : عطشى وبطحاء وأنثى كقصعة وبُرْومة ، فيكون عطاش وبطاح وإنثى كقصاع وبرام ، ص ١٥٨ وما بعدها ج ٢ شرح الشافية .

(١) العصر مثلثة العين وبضمتين : الدهر ، وجمعها : أعصار وعصور وأعصر وعصر بضمتين . ويقول ابن مالك في كتابه : الإعلام بثلاث الكلام ، والقزُّ ذُو تَقْزُزٍ والدهر يقال فيه عُصْرٌ أو عصر والعِصْرُ مَرُوءٌ كذاكَ الْعَصْرُ ثم الصَّوَانُ محفظ الثياب

(٢) الجذعة قبل الثنى ، والثنى التي أَلْقَتْ تَنْفِثَتَا في السنة الثالثة إذا كانت من ذات الظلف والحاقر ، وفي السنة السادسة إذا كانت من ذات الخلف . والعَوَان : النصف في سنهما من كل شيء ، والعَوَان من الحرب : التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا .

بل : هي فوق ذلك ، وَضُرِبَ سِنُ الرَّبَاعِيَةِ مَثَلًا ، كما يقال : حرب عَوَان
لأنَّ العَوَانِ أَقْوَى مِنَ الْفَتِيَّةِ وَأَدْرَبُ .

وقوله : عَدَّوْا مَعَ الزُّهْرَةِ . يريد : صَبَّحَهُمْ بِفَأْسٍ قَبْلَ مَغِيبِ الزُّهْرَةِ ^(١)

وقوله : أَبْدَانُهَا ذِفْرَةٌ ، بمعنى : الدَّرُوعُ . وَذِفْرَةٌ مِنَ الذَّقْرِ . وهي . سُطُوعُ
الرَّائِحَةِ طَيِّبَةً كَانَتْ ، أَوْ كَرِهِيَّةً ^(٢) وَأَمَّا الذَّقْرُ ، بالذال المهملة ، فإنما هو فيما
كره من الروائح ، ومنه قيل للدنيا : أُمُّ ذَفَرٍ ، وَذَكَرَهُ الْقَالِي فِي الْأُمَالِي بِتَحْرِيكِ
الْفَاءِ ، وَغَلَطَ فِي ذَلِكَ ، وَالذَّقْرُ بِالسُّكُونِ أَيْضًا : الدَّفْعُ ^(٣) .

وقوله : أُمُّ النَّجَّرة . جمع ناجر ، والناجر والنجار : بمعنى واحد ، وهذا كما قيل :
الْمُنَادِرَةُ فِي بَنِي الْمُنْذِرِ وَالنَّجَارِ ، وَهُمْ : تَيْمُ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَزْرَجِ ،
وُسُمِّيَ النَّجَارُ ؛ لِأَنَّهُ نَجَرَ وَجْهَ رَجُلٍ بِقُدُومٍ فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ النَّسَبِ ^(٤) .

(١) الغلس بفتحيتين : ظلمة آخر الليل ، والزهرة بضم الزاي وفتح الهاء
كوكب شديد اللعان .

(٢) ومن معاني الذفر أيضا بالذال مع فتح الفاء : الصُّنَانُ ، رجل ذفر بكسر
الفاء أي : له صنان - بضم الصاد وفتح النون - وَخَبَثٌ رِيحٌ .

(٣) وبالتحريك : وقوع الدود في الطعام والذلل والنسب . ويقال للدنيا :
أُمُّ دِفَارٍ أَيْضًا .

(٤) في الاشتقاق لابن دريد ومن قبائل الخزرج : تَيْمُ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَهُوَ النَّجَارُ
سُمِّيَ النَّجَارَ ؛ لِأَنَّهُ ضَرَبَ رَجُلًا فَنَجَرَهُ أَيْ : قَطَعَهُ . فَنَبِيُّ النَّجَارِ الْمُنْذِرِ بْنِ حَرَامِ
ابْنِ عَمْرِو الَّذِي تَحَاكَمَتْ إِلَيْهِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ فِي حَرْبِهِمْ ، وَهُوَ جَدُّ حَسَّانِ بْنِ
ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، ص ٤٤٨ وما بعدها ، وفي الإنباه لابن عبد البر : وَأَمَّا الْخَزْرَجُ
فَنَبَطُونُهُمُ : النَّجَارُ ، واسمه : تَيْمُ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَزْرَجِ ، وفي النجار
بَطُونٌ كَثِيرَةٌ ، ص ١١٠ وما بعدها .

بل بى النجار إن لنا فيهم قتلى ، وإن تره
فتلقّتهم مسايقة مدّها كالنّبية النّثره
فيهم عَمَزُو بن طَلَّة مَالَى الإله قومه عُمَرَه
سَيِّدُ سَامِي الملوكة وَمَنْ رَامَ عَمَزَا لا يَكُن قَدَرَه

وقوله : فيهم قَتَلَى وإنَّ تره. أظهر إن بعد الواو . أراد: إن لنا قَتَلَى وَتَرَه .
والتره : الوترُ ، فأظهر المضمَر ، وهذا البيت شاهد على أن حُرُوف العطف
يُضَمَّر بعدها العامل المتقدِّم نحو قولك : إن زيدا وعَمَزَا فى الدار ، فالتقدير :
إن زيدا ، وإن عَمَزَا فى الدار ، ودلَّت الواو على ما أردت ، وإن احتجبت إلى
الإظهار أظهرت ؛ كما فى هذا البيت إلّا أن تكون الواو الجامعة فى نحو
اختصم زيد وعَمَزُو ، فليس ثمَّ إضمار لقيام الواو مقامَ صيغة التثنية ، كأنك
قلت : اختصم هذان ، وعلى هذا تقول : طلع الشمس والقمر ، فتغلب المذكر ،
كأنك قلت : طلع هذان النيران ، فإن جعلت الواو ، هى التى تُضَمَّر بعدها
الفعل ، قلت : طلعت الشمس والقمر ، وتقول فى نفي المسئلة الأولى : ما طلع
الشمس والقمر ، ونفى المسئلة الثانية : ما طلعت الشمس ، ولا القمرُ تعيد حرف
النفي . لينتفى به الفعل المضمَر . ويتفرع من هذا الأصل فى النحو مسائل
كثيرة ، لا نُطَوِّلُ بذكرها .

وقوله : فتلقّتهم مُسَايِقَة بكسر الياء أى كتيبة مسايقة . ولو فتحت
الياء ، قلت : مسايقة لكان حالا من المصدر التى تكون أحوالا مثل : كلمته
مُشَافِهَة ، ولعل هذه الحال أن يكون لها ذكر فى الكتاب ، فنكتشف عن
سرّها ، ونبين ما خفى على الناس من أمرها ، وفى غير نسخة الشيخ : فَتَلَقَّسْتَهُمْ

مُسَابَقَةٌ بِالْبَاءِ وَالْقَافِ . وَالْعَبِيَّةُ : الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ (١) .

وَقَوْلُهُ : النَّثْرَةُ أَيْ : التَّنْثَرَةُ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُنْسِكُ مَاءً . وَقَوْلُهُ : [مَلَى] الْإِلَهَ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَمَلَّيْتُ حِينًا أَيْ : عَشْتُ مَعَهُ حِينًا ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْمَلَاوَةِ وَالْمَلَوَيْنِ (٢) قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

أَلَا يَادِيَارَ الْحَيِّ بِالسَّبْعَانِ أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالْبَلَى الْمَلَوَانِ
أَلَا يَادِيَارَ الْحَيِّ لَا هَجَرَ بَيْنَنَا وَلَا كُنَّ رَوَعَاتٍ مِنَ الْحَدَثَانِ
نَهَارٌ وَلَيْلٌ دَائِبٌ مَلَاوَاهُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ النَّاسِ يَخْتَلِفَانِ (٣)

(١) وَأَيْضًا : الصَّب ، الْكَثِيرُ مِنَ الْمَاءِ وَالسَّيَاطِ ، وَمِنَ التَّرَابِ مَا سَطَعَ مِنْ غُبَارِهِ كَالْغَسَاءِ وَمَسَافِقَةٍ بِكَسْرِ الْيَاءِ قَوْمٌ يَتَقَاتَلُونَ بِالسِّيُوفِ ، وَمَسَافِقَةٍ بِفَتْحِهَا فَعْنَاهُ : مَقَاتَلَةٌ يَعْنِي الْمَصْدَرُ ، الْحَشْنَى .

(٢) مَلَاهُ اللَّهُ الْعَيْشَ وَأَمَلَاهُ ، وَمَلَأَكَ اللَّهُ حَبِيبَكَ : أَمْتَعَكَ بِهِ وَأَغَاشَكَ مَعَهُ طَوِيلًا ، وَتَمَلَّى عَمْرُهُ : اسْتَمْتَعَ فِيهِ ، وَتَمَلَّى لِإِخْوَانِهِ : مَتَعَ بِهِمْ ، وَتَمَلَّى الْعَيْشَ أَمَهْلَ لَهُ وَطَوَّلَ . وَالْمَلَاوَةُ مِثْلَةُ الْمِمْ : مَدَّةُ الْعَيْشِ . وَالْمَلَوَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَوْ طَرَفَاهُمَا الْوَاحِدُ : مَلَا . وَتَنْسَبُ الْآيَاتُ إِلَى ابْنِ مَقْبَلٍ .

(٣) السَّبْعَانِ لَمْ يَأْتِ عَلَى فَعْلَانِ سِوَاهَا ، وَهِيَ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَكْرِ أَوْ دِيَارِ قَيْسٍ ، وَأَمَلٌ : دَأْبٌ وَلَا زَمَ . الْحَدَثَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَنَوَائِبُ الدَّهْرِ وَحَوَادِثُهُ . هَذَا وَالْقَصِيدَةُ الَّتِي شَرَحَهَا السَّهْلِيُّ تَوْجَدُ فِي ص ١٠٦ ج ٢ مِنَ الطَّبْرِى طَبْعَ الْمَعَارِفِ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامِ اخْتِلَافٌ . فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِثْلًا : انْتَهَى فِي الطَّبْرِى بِدَلَا مِنْ قَدْ نَهَى . وَالْبَيْتُ الرَّابِعُ مِثْلًا فِي الطَّبْرِى .

فَسَلَا عَمْرَانِ أَوْ فَسَلَا أَسْدًا إِذْ يَعْدُو مَعَ الزَّهْرَةِ

وَالْبَيْتُ التَّاسِعُ فِي السَّيْرَةِ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي الطَّبْرِى . لِمُخْ

وهذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنقاً تُبَعَّ على هذا الحى من
يهود الذين كانوا بين أظهرهم، وإنما أراد هلاكهم، فنمؤم منه، حتى انصرف
عنهم، ولذلك قال فى شعره :

حنقا على سِبْطَيْنِ حَلًّا يَثْرِبَا أولى لم بمقاس يومٍ مفيد
قال ابن هشام : الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذى متعنا
من إثباته .

معنى قول الشاعر : دائبٌ ملوها . وألوان : الليل والنهار . وهو
مُشْكَلٌ ؛ لأن الشئ لا يضاف إلى نفسه . لكنه جاز ههنا لأن التلا هو :
التسَّعُ من الزمان والمكان ، وسمى الليل والنهار : مَلَوَيْنِ ، لانفساحهما ،
فكانه وصف لهما ، لا عبارة عن ذاتيهما ؛ ولذلك جازت إضافته إليهما ، فقال :
دائب ملوها أى : مداها وانفساحهما . وقد رأيت معنى هذا الكلام فى هذا
البيت بعينه لأبى على الفسورى فى بعض مسائله البشرازية .

وقوله : لا يَكُنْ قَدْرَةً . دعاء عليه : والهاء عائدة على عمزو . أراد
لا يكن قَدَرٌ عايه . وحذف حرف الجر ، فتعدى الفعل ، فنصب ، ولا يجوز
حذف حرف الجر فى كل فعل ، وإنما جاز فى هذا ، لأنه فى معنى : استطاعه ، أو
أطاعه ، فحمل على ما هو فى معناه ، ونظائره كثيرة ، والبيت الذى أنشده :
لَيْتَ حَظِّي مِنْ أَبِي كَرِبٍ (١) أَنْ يَسُدَّ خَيْرُهُ خَبْلَهُ

(١) هو ابن ملك كرب بها من الذى كان على اليمن سنة ٣٧٨ للميلاد ، وقد
تولى أبو كرب الملك من سنة ٤٠٠ بعد الميلاد حتى حوالى سنة ٤٢٥ أو ٤٣٠

تبان يمتنق النصرانية ويدعوا قومه إليها :

قال ابن إسحاق : وكان تُبَّع وقومه أصحاب أوثان يصبدونها ، فتوجه إلى مكة ، وهي طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُثْمَانَ ، وأُحَيْمَر ، أتاه نفر من هُذَيْل بن مُدْرِكَةَ بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ، فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مال دائر ، أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة بمعبده أهله ، ويصلون عنده . وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك مَنْ أَرَادَهُ من الملوك وبقى عنده . فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الليثيين ، فسألها عن ذلك ، فقالوا له :

قال البرقي : نُسب هذا البيت إلى الأعشى ، ولم يصح قال : وإنما هو لعجوز من بني سالم . أخبه قال في اسمها : جميلة ، قالت حين جاء مالك بن النجَّار بنحبر تُبَّع ، فدخل سرا ، فقال لقومه : قد جاء تُبَّع ، فقالت العجوز البيت . وقوله في حديث تُبَّع : وقوم يزعمون أن حنقه إنما كان على هذين السبطين من يهود يثوى ما ذكرناه قبل هذا عنه . والشعر الذي زعم ابن هشام أنه مصنوع قد ذكره في كتاب التيجان ، وهو قصيد مطول أوله :

ما بال عينك لانتنام ، كأنما كحلت مآقيها بسم الأسود

ويظهر أن عقيدة التوحيد كانت معروفة في عهده ، وفي عهد من جاءوا بعده ، فقد ورد في بعض النصوص أن أباه ملك كرب وابنته أبو كرب أسعد وإدورا أمر أيمن ، قد أقاموا معبداً للاله ذو سموى ، أى إله السماء في سنة ٣٧٨ م انظر ج ٣ ص ١٥٢ تاريخ العرب قبل الإسلام .

حَتَقًا عَلَى سِبْطَيْنِ حَلًّا يَثْرِبَا أَوَّلَى لَمْ يَعْقَابِ يَوْمَ مُنْقَدِ

وذكر في القصيدة ذا القرنين ، وهو الصَّعْبُ بْنُ ذِي مَرَّائِدٍ ، فقال فيه :

ولقد أذل الصَّعْبُ صَفْبَ زَمَانِهِ وَأَنَاطَ عُرْوَةَ عِزِّهِ بِالْفَرْقَدِ

لم يدفع الْمُقْدُورَ عَنْهُ قُوَّةَ عِنْدِ الْمُنُونِ ، وَلَا سَمَوَ الْمُخْتَدِ

والصنعة بادية في هذا البيت ، وفي أكثر شعره ، وفيه يقول :

فَأَنَّى مَفَارَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَأَنَاطَ حُرْمَدِ (١)

وَالْخُلْبُ : اللَّطِينُ ، وَالنَّاطُطُ الْحَرْمَدِيُّ وَهُوَ الْخَلْمُ الْأَشُودُ ، وَيُرْوَى نَقْلَهُ الْأَخْبَارُ

أَنْ تَبْعًا لَمَّا عَمِدَ إِلَى الْبَيْتِ يَرِيدُ إِخْرَاجَهُ رَمَى بَدَاءَ تَمْخِضٍ مِنْهُ رَأْسُهُ قِيحًا وَصَدِيدًا

يَنْجُجُجًا ، وَأَتَنَّ ، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ قِيدَ الرُّمَحِ ، وَقِيلَ :

بَلْ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِ رِيحٌ كَتَمَتْ مِنْهُ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَأَصَابَتْهُمْ ظِلْمَةٌ شَدِيدَةٌ حَتَّى

دَفَّتْ خَيْلَهُمْ (٢) ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الْمَكَانُ : الدَّفْ ، فِدَعًا بِالْحِزَاءِ (٣) وَالْأَطْبَاءُ ،

فَسَأَلَهُمْ عَنْ دَائِهِ ، فَهَلَمْ مَا رَأَوْا مِنْهُ ، وَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ قَرَجًا . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ

الْحَبْرَانِ : لَعَلَّكَ هَمَمْتَ بِشَيْءٍ فِي أَمْرِ هَذَا الْبَيْتِ ، فَقَالَ : نَعَمْ أَرَدْتُ هَذِمَهُ .

(١) القصيدة بطولها في الطبري ص ١٠٩ ج ٢ المعارف وليس فيها ، ولقد

أذل الصَّعْبُ ، وما بعده . وهي ثلاثة وعشرون بيتًا

(٢) دف الشيء نفسه واستأصله .

(٣) جمع حازى وهو الكاهن أو الذى ينظر فى النجوم ويقضى بها .

ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جنك . ما نعلم بيتا لله اتخذ في الأرض لنفسه
غيره ، ولئن فعلت ما دعوتك إليه ، لهلكن ، ولهلكن من معك جميعا ، قال : فإذا
تأمرأش أن أصنع إذا أتت قدمت عليه ؟ قال : تصنع عنده ما يصنع أهله : تطوف به
وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده وتنزل له ، حتى يخرج من عنده ، قال
: فما يمنعكم أن تمان ذلك ؟ قال : أما والله إنه لبيت أبنا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ،
ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله ، وبالدماء التي يهرقون
عنده ، وهم يحس أهل شرك — أو كما قال الله — فمرف نصحبهما وصدق حديثهما فقتل
النفر من هؤلاء ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ،
ونحر عنده ، وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام — فيما يزكرون — ينحربها للناس ،
ويطعم أهلها ، ويسقيهم العسل ، وأرى في المنام أن يكسوا البيت ، فكساه الخصف

فقال له : تَبَّ إلى الله بما نويت فإنه بيت الله وحرمة ، وأمره بتعظيم حرمة
ففعل فبريء من دأته ، وصحَّ من وجعه . وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحا
فإن الله — سبحانه — يقول : « وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ يَلْحَادْ بِظِلْمٍ نُدْفَةٍ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ »
الحج : ٢٥ . أى : ومن يُسْهِم فيه بظلم . والباء في قوله : بظلم تدل على صحة
المعنى ، وأن مَنْ هَمَّ فيه بالظلم — وإن لم يفعل — عَذَّب تشديداً في حقه وتعظيما
لحرمة ، وكما فعل الله بأصحاب الفيل أهلهم قبل الوصول إليه .

وقوله : فكسا البيت الخصف . جمع : خَصْفَة ، وهى شئ ينسج من
الخصوص والليف ، والخصف أيضا : ثياب غلاظ . والخصف لغة فى
الخزف فى كتاب العين . والخصف بضم الخاء وسكون الصاد هو : الجوز .
ويروى أن تُبْعَا لما كسا البيت المسوح والأنطاع . انتفض البيت فزال ذلك
عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف ، فلما كساه الملاء والوصائل قيل لها .

ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الملقر ، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الملاء والواصل ، فكان ثبغ - فيما يزعمون - أول من كسا البيت ، وأوصى به ولاته من جرهم ، وأمرهم بتطهيره والآن يُقربوه دما ، ولا ميتة ، ولا مثلات ، وهي الحايض ، وجعل له بابا ومفتاحا ، وقالت سُبَيْعة بنت الأحب ، بن زبيينة ، بن جذيمة ، بن عوف ، بن معلوية ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس بن عيلان وكانت عند عبد مناف ، بن كعب ، بن سعد ، بن تميم ، بن مرة ، بن كعب بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، لابن لها منه يقال له : خالد : تُعظم عليه حرمة مكة ، وتنباه عن البغي فيها ، وتذكر تبعا وتذكر لله لها ، وما صنع بها :

ومن ذكر هذا الخبر : قاسم في الدلائل . وأما الوصائل ثياب موصلة من ثياب اليمن . وأحدثها : وصيلة (١) .

(١) لاربي في أن ما تقدم حديث خرافة . وقد تحدث عن هذا الخرق الأزرق وصاحب مثير الغرام ، وقد روى أحاديث كسوة الكعبة غير من تقدم الواقدي وسعيد بن منصور ، وهي أحاديث واهية ، ولكن أخرج مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يجلل بدنه القباطي والآنط والحلل ، ثم يبعث بها إلى الكعبة ، القباطي جمع قبطية ، وهو ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر كأنه منسوب إلى قبط بكسر القاف ، والضم من تغيير النسب ، والآنط مفردا : نمط : ضرب من البسط ، والواصل : ثياب حر مخفظة يمانية يوصل بعضها إلى بعض والمسوح : جمع مسح بكسر الميم : الكساء من شعر والآنطاع : جمع قطع بكسر النون وفتحها وبسكين الطاء وفتحها : بساط من الجلد . والمعافر بفتح الميم اسم بلدة ، واسم أبي حي من همدان وإلى أحدهما تنسب الثياب المعافرية ، والملاء : =

وقوله : ولا تقربوه بمثلاتٍ ، وهى : المخاض . لم يُردِ النساء الحَيضَ ؛ لأنَّ حائضاً لا يجمع على محائض (١) ، وإنما هي جمع تحيضة ، وهى خِرقة الحيض ، ويقال للخِرقة أيضاً : مثلاة ، وجمعها : المآلى قال الشاعر :

كَانَ مُصَفَّحَاتٍ فِي ذُرَاهُ وَأَنْوَاجاً عَلَيْهِنَ الْمَالَى (٢)

وهى هنا خِرَقٌ تمسكهن الثوائحات بأيديهن ، فكانت المثلاتُ كلَّ خِرقةٍ دَنَسَةٍ لِحَيْضٍ كَانَتْ ، أَوْ لغيره وَزُنْهَا مِفْعَلَةٌ مِنَ الْوُثْ : إِذَا قَصَّرت وَضِيعَتْ ، وجعلها صاحب العين فى باب الإليّة والأليّة ، فلام الفعل عنده ياء على هذا ، والله أعلم ، ويروى فى هذا الموضع : مثلاً ببناءً مثله ، ومن قوله حين كسا البيت :

== الرِّبْطَةُ ذاتُ لَفْقَيْنِ ، أَرِ الْمَلْحَفَةُ عَلَى أَنَّهُ وَرَدَ أَنَّ التَّكْبَةَ كَانَتْ تَكْسَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَسَى شَيْءٌ مِنَ الْبُرُودِ الْمُخَطَّطَةِ ، وَمِنْ عَصَبِ الْبَيْنِ ، وَهِيَ بِرُودٍ بَيْمَنَةٍ ، وَقِيلَ إِنَّ ثَقِيلَةَ بِنْتِ جَنَابِ أُمِّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ كَسَتْهَا الْخَرِيرَ وَالْذِيَّاجَ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَكْسُوها ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَيَكْسُوها الذِّيَّاجَ يَوْمَ التَّروِيَةِ ، وَالْقِيَاطَى يَوْمَ إِهْلَالِ رَجَبٍ ، وَالذِّيَّاجَ الْآبِضَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ وَذَلِكَ سَنَةَ ٢٠٦ هـ ، وَلَيْتَ مَنْ يَقِيمُونَ كَسَوْتَهَا يَقِيمُونَ مَنَاسِكَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ . (١) فِي الْقَامُوسِ الْمَرْأَةُ تَحِيضُ حَيْضًا وَتَحِيضًا وَمَحَاضًا فَهِيَ حَائِضٌ وَحَائِضَةٌ وَجَمْعُهَا : حَوَائِضُ ، وَحَيْضٌ بَضْمُ الْحَاءِ وَتَشْدِيدُ الْيَاءِ . مَعَ فَتْحٍ وَالحَيْضَةُ الْخِرْقَةُ ، وَكَذَلِكَ الْمَحِيضَةُ .

(٢) الْبَيْتُ لِلْبَيْدِ يَصِفُ سَخَابًا ، وَالْمُصَفَّحَاتُ : السِّیُوفُ ، وَمَنْ رَوَاهَا بِكَسْرِ الْفَاءِ ، فَهِيَ النِّسَاءُ . شَبَّهَ لَمَعَ الْبَرْقِ بِتَصَفُّيغِ النِّسَاءِ إِذَا صَفَّقْنَ بِأَيْدِيهِنَّ .

(م ١٢ - الروض الأثف)

أُبْنَى : لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

واحفظ حجارمها بُنَى ولا يفرثك القُرور

أُبْنَى : من يظلم بمكة يلق أطراف الشُرور

أُبْنَى : يضرب وجهه ويلج بجذيه السعير

أُبْنَى : قد جرّبتها فوجدت ظالمها يبور

الله أمّنا ، وما بُنيت بمرصّتها قصور

ولقد غزاها تبع فكسا بنيّتها الحبير

وأذلّ ربى مُلكه فيها فأوفى بالتدور

يمشى إليها - حافيا بفنائها - ألفا بعيد

يسقيهم العسل المصفى والرحيمض من الشعير

والفيل أهلك جيشه يُرمون فيها بالصخور

والملك فى أقصى البلاد وفى الأعاجم والخير

فاسمع إذا حدثت ، وافهم كيف عاقبة الأمور

وكسونا البيت الذى حرّم الله ملاء مُمَصِّداً وبرودا

فأقمنا به من الشهر عشرأ وجعلنا لبابه إقليدا

ونحرقنا بالشعب ستّة ألف فترى الناس نحوهن ورودا

ثم سرنا عنه نؤمّ سهيلاً فرفعنا لواءنا بمعقودا (١)

(١) هو من الشعر المنحول، ولهذا أضرب عن ذكره ابن هشام ، والنملاة

المعضد : الذى له علامة فى موضع العضد . وقد تقرأ منعصد ، أى : بعضه فوق بعض

منسقا . والبرود : نوع من الثياب المخططة . والإقليد : المفتاح . والشعب بكسر

وقال القَتَيْبِيُّ ، كانت قصة تَبَعَّ قبل الإسلام بسبعائة عام (١) .

وقوله بنت الأَحَبِّ بالحاء المهملة ابن زَبِينَةَ : بالزاي والباء والنون : فَمِيلة من الزَّيْنِ (٢) ، والنسب إليه زَبَانِيٌّ على غير قياس . ولو سُمِّيَ به رجلٌ لَقِيلَ في النسب إليه . زَبَانِيٌّ على القياس . قال سيبويه : الأَحَبُّ بالحاء المهملة . بقوله أهل النسب ، وأبو عُبَيْدَةَ بقوله بالجيم ، وإنما قالت بنت الأَحَبِّ هذا الشعر في حرب كانت بين بني السَّبَّاقِ بن عبد الدار ، وبين بني علي بن سَند بن تميم حتى تَفَانُوا . ولحقت طائفة من بني السَّبَّاقِ بَعْلَكُ . فهم فيهم . قال : وهو أولُ بَنِي كان في قريش . وقد قيل : أولُ بني كان في قريش (٣) بني الأَفَاشِ ، وهم بنو أَقِيْش من بني سَهم ، بني بعضهم على بعض ، فلما كثر فيهم على الناس أرسل الله

الشين : الطريق في الجبل ، أو ما انفرج بين جبلين ، وهو اسم لماء بين العقبة والقاع في طريق مكة على ثلاثة أميال .

(١) كان قبله بأقل من ذلك بكثير كما سبق بيانه

ملحوظة : تذكر هنا معاني بعض كلمات قصيدة سبيعة : يبور : يهلك . عرصة : ساحة الدار ، والبيعة الواسعة بين الدور لابتناء فيها . العصم جمع أعصم ، وهو في الأصل كل حيوان في ذراعيه ، أو أحدهما بياض وسائر أسود أو أحمر . ويعني الظباء والوعول . ثبير : جبل بمكة . بنية : تعني الكعبة . المهارى : نوع جيد من الإبل نسبة إلى هرة بن خيدان . والجزور ما يصلح لأن يذبح من الإبل . الرحيض : المنق المصفى : الخزير هي أمة من العجم يقال لهم : الخزَر . وكلمة ذرهم التي في حديث تبع : حضهم وشجعهم

(٢) الدفع .

(٣) في الاشتقاق : وكان بنو السَّبَّاقِ أول من بني بمكة فأهلكوا .

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لاتعرب

« أصل اليهودية باليمن » :

ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبَرَيْنِ حَتَّى إِذَا دَخَلَ الْيَمَنَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى الدَّخُولِ فَمَا دَخَلَ فِيهِ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، حَتَّى يَحَاكُمُوهُ إِلَى النَّارِ الَّتِي كَانَتْ بِالْيَمَنِ .

قال ابن إسحاق : حدثني أبو مالك بن نعلبة بن أبي مالك القرظي ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث : أَنَّ تَبَعًا لَنَا دَنَا مِنَ الْيَمَنِ لِيَدْخُلَهَا حَالَتْ حِمِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَقَالُوا : لَا تَدْخُلْهَا عَلَيْنَا ، وَقَدْ فَارَقَتْ دِينَنَا

عَلَيْهِمْ فَأَرَادَ تَحْمِلَ فُتَيْلَةً ، فَأَخْرَقَتِ الدَّارَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا مَسَاكِنُهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ عَقِبٌ .

كسوة الكعبة :

وقولها : وَكَسَا بَنِيئَهَا الْحَبِيرَ . تريد : الْحَبَرَاتِ ^(١) وَالرَّحِيضُ مِنَ الشَّعِيرِ أَيْ الْمُتَنَقَّى وَالْمُصْفَى مِنْهُ ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ : أَوَّلُ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ الدِّيْبَاحُ : الْحُجَّاجُ ، وَذَكَرَ جَمَاعَةٌ سِوَاهُ مِنْهُمْ الدَّارُ قُطَيْبِي . فُتَيْلَةُ بِنْتُ جَنَابِ أُمِّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . كَانَتْ قَدْ أَضَلَّتِ الْعَبَّاسَ صَغِيرًا ، فَزُرَتْ : إِنْ وَجَدْتَهُ أَنْ تَكْسُو الْكَعْبَةَ الدِّيْبَاحَ ، ففعلت ذلك حين وجدته . وكانت من بيت مملكة ، وسيأتي ذكر نسبها فيما بعد — إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) جمع حبرة بكسر ففتح ما كان من البرود مخططا .

ديننا ، فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فها كمنا إلى النار
قال : نعم . قال : وكانت باليمن - فيما يزعم أهل اليمن - نار تحكم بينهم فيما
يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون
به في دينهم ، وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلدتيها ، حتى قعدوا للنار
عند مخرجها الذي تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا
عنها وهابوها ، فذمرهم من حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا
حتى غشيهم ، فأكلت الأوثان وما قربوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال
خير ، وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما تفرق جباههما لم تضرهما ، فأصفت
عند ذلك حمير على دينه ، فمن هنالك ، وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن .
قال ابن اسحاق : وقد حدثني محدث أن الخبرين ، ومن خرج من حمير ، إنما
اتبعوا النار ، ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال
من حمير بأوثانهم ، ليردوها فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا
ردّها ، ودنا منها الخبران بعد ذلك ، وجعلتا يتلوان التوراة وتنكص عنهما ، حتى
ردّاهما إلى مخرجها الذي خرجت منه ، فأصفت عند ذلك حمير على دينهما .
والله أعلم أى ذلك كان .

وقال الزبير النسابة : بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير (١) .

(١) وذكر الواقدي أن أول من كساها الديباج هو يزيد بن معاوية ، وتابع
ابن الزبير أثره ، وكان يبعث إلى مصعب بن الزبير بالكسوة كل سنة ،
فكان يكسو يوم عاشوراء .

« مصير رثام » :

قال ابن اسحاق: وكان رثام بيتا لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ، ويكلمون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك نفل بيننا وبينه ، قال : فشانكما به ، فاستخرجا منه - فما يزعم أهل اليمن - كلها أسود فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياها اليوم - كما ذكر لي - بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه

رثام :

وذكر البيت الذي كان لهم يقال له : رثام ، وهو فعال من رثيت الانثى ولدها ترأمة رثما ورثامًا : إذا عطفت عليه ورثته . فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التي كانوا ياتمسكون في عبادته ، والله أعلم .

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق أن رثاما كان فيه شيطان ، وكانوا يمثثون له حياضا من دماء قربان ، فيخرج فيصيب منها ، ويكلمهم ، وكانوا يعبدونه ، فلما جاء الحبران مع تبع نشرا التوراة عنده ، وجعلا يقرأنها ؛ فطار ذلك الشيطان حتى وقع في البحر (١) .

(١) في اللسان والقاموس: مصدر رثم هو رأم بوزن ضرب ورأمان، ورثمان بكسر فسكون، ومرة أخرى: يردد حديث خرافة ولا أدري كيف كانت تجوز على السبيل وأمثاله . على أن هذا البيت كان مخصصا لإله قبيلة همدان المعروف بتالب حتى عرف « تالب ريام » ويقول البكري في معجمه أنه سمي برثام بن نهقان بن تبع بن زيد بن عمرو بن همدان وأحب أن أشير هنا إلى الخطأ الفاحش الذي يتردى فيه الكتّابون عن الأديان؛ فاليهودية ليست دينا إلهيا، إنما هي دين

لغة ونحو : وقوله في حديث عمرو أخى حسان وهو الذى كان يقال له :
مَوْتَبَان^(١) وقد تقدم : لِمَ لُقِّبَ بذلك . وقول ذى رُعَيْن له في البيتين :
أَلَا مَنْ يَشْتَرَى سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٍ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ^(٢)

معناه : أَمَنْ يَشْتَرَى ، وَحَسُنَ حَذَفَ أَلِفِ الاستفهام ههنا لتقدم همزة ألا .
كما حَسُنَ في قول امرئ القيس : أَحَارَ تَرَى بَرَقًا أَرِيكَ وَمِیْضَهُ . أراد : أترى
وفي البيت حَذَفَ قَدِيرُهُ : بَلْ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ هُوَ السَّعِيدُ . مخذف الخبر
لدلالة أول الكلام عليه . وفي كتاب ابن دريد : سَعِيدٌ أَمْ يَبِيتُ بِحَذَفِ
مَنْ ، وهذا من باب حذف الموصوف ، وإقامة الصفه مقامه : لَأَنَّ مَنْ ههنا
نكرة موصوفة ، ومثله قول الراجز :

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ نَأْتِمْ يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمِیْسَمٍ
أى : مَنْ يَفْضُلُهَا ، وهذا ، إِنَّمَا يَوْجَدُ فِي الْكَلَامِ إِذَا كَانَ الْفِعْلُ مُضَارِعًا
لَا مَاضِيًا ، قاله ابن السراج وغيره .

= وضعى افترى أكثره أخبار اليهود ، ومزجوه ببعض شرع الله المنزل في التوراة ،
أما دين موسى فهو الإسلام . ومن تاريخ اليهود في اليمن يبدو أنهم كانوا ذوى
مال وفير سيطروا به على الحياة الاقتصادية في اليمن على المواضع الحساسة في جسم
الدولة ، وعلى الملوك ص ١٤٣ ج ٣ تاريخ العرب قبل الإسلام .

(١) في الطبرى : لأنه وثب على أخيه حسان بفرصة مُعْشَمٍ . فقتله —
قال : وفرصة نعم : رجة طوق بن مالك ، وكانت تم سرية بجمع حسان بن أسعد .
ص ١١٧ ج ٢ الطبرى .

(٢) البيتان في الاشتقاق ص ٥٢٥ وفي الطبرى أيضا ص ١١٦ .

وَذُو رُعَيْنٍ تَصْغِيرُ رَعْنٍ، وَالرَّعْنُ : أَنْفُ الْجَبَلِ ، وَرُعَيْنٌ جَبَلٌ بِالْمِثْنِ (١)
قاله صاحب العين ، وإليه يُنسب ذُو رُعَيْنٍ .

وقوله في الآيات بعد هذا : لَاهٍ مِّن رَّأْيٍ مِّثْلَ حَسَنٍ (٢) أراد الله وحذف
لَامَ الْجَزْرِ وَاللَّامَ الْأُخْرَى مع ألف الوصل ، وهذا حذف كثير . ولكنه جاز في
هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الألسنة . مثل قول الفراء : لَهْنَكٌ مِّنْ بَرَقٍ
عَلَى كَرِيمٍ (٣) . أراد : والله إِنَّكَ . وقال بعضهم : أراد لَأَنَّكَ وأبدل الهمزة

(١) في الاشتقاق : والرَّعْنُ عن : أَنْفُ الجبل النادر حتى يستطيل في الأرض ،
وفي المراسد ، أنها تصغير لرُعْنٍ بضم الراء ، وهي مخلاف من غاليف اليمن ، واسم
قصر عظيم باليمن ، وجبل بها فيه حصن سمي ذورُ عَيْنٍ .

(٢) في الطبري : إن الله من رأى مثل حسان الخ . وقتلته الأقبال من خشية
الجيش وقالوا له : كَلْبَابٌ لِّبَابٍ ، وبقية الخبر في الطبري أن عمرو بن تَبَانٍ سعد قتل
أكثر الذين أمروه بقتل أخيه حسان ونسب إليه قصيدة مطولة ص ١١٦ ج ٢ .
وفي جهرة أنساب العرب ص ٤٠٦ : أن اسم ذيرعين : يريم بن زيد بن سهل بن
عمل بن قلس .

(٣) ومنه قول ذى الإصبع العدواني وهو حرثان بن الحارث بن محرث :
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْفُكَ لَا أَفْضَلَكَ فِي حَسَبٍ عَنِي ، وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَخْزُونِي
معناه : الله ابن عمك . فإنه مثلك في الحسب ورفعة الأصل ومالك من فضل تفخره عليه
ولست وليا لأمره مدبرا لشئونه ، حتى تقوم بإذلاله . وأصل لاه : الله جار
ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وابن مبتدأ مؤخر . وفي الخصائص لابن
جنى أنه روى بيت عن محمد بن سلة عن أبي العباس المبرد :

أَلَا يَا سَابِرُ عَلَى قُلُلِ الْهَمَى لَهْنُكَ مِنْ بَرَقٍ عَلَى كَرِيمٍ =

هاء . وهذا بعيد ، لأن اللام لا تجمع مع إن ، إلا أن تؤخر اللام إلى الخبر ، لأنهما حرفان مؤكدان ، وليس انقلاب الهمزة هاء بمزيل العلة المانعة من اجتماعهما .

المقاول :

وقوله : قتلته المقاول : يريد الأقيال ، وهم الذين دون التَّبابعة (١) واحدهم : قِيلَ مثل سَيِّد ، ثم خفف واستعمل بالياء في إفراده وجمعه ، وإن كان أصله الواو ، لأنَّ معناه : الذي يقول ويُسمع قوله ، ولكنهم كرهوا أن يقولوا : أقوال ، فيلتبس بجمع قول ، كما قالوا : عيد وأعياد ، وإن كان من عاد يعود لكن أماتوا الواو فيه إماتة ، كي لا يُشبه جمع العود ، وإذا أرادوا إحياء الواو في جمع قيل ، قالوا : مقاول كأنه جمع مقول ، أو جمع : مقال ومقالة ، فلم يبعدوا من معنى القول ، وأمنوا اللبس ، وقد قالوا : محاسن ومذاكر لا واحد لها من لفظها ، وكأنهم ذهبوا أيضاً في مقاول مذهب المرارِب ، وهم ملوك العجم ، والله أعلم .

= ومثله قول عروة الرحال :

ثمانين حولاً لا أرى منك راحة لهنّيك في الدنيا لباقيّة العمر
وقد تكلمت عن هنّك في موضع آخر ، انظر ص ٣١٥ ج ١ الخصائص
لابن جنى ط ٢ . وضبط هنّك بكسر اللام وفتح الهاء

(١) يروي الطبري عن ابن عباس أن أهل اليمن يسمون القائد قبلاً ص ٤٩١
ج ١ طبع المعارف ، وفي القاموس : المقول كمنبر اللسان والملك أو من ملوك
حير يقول ما يشاء ، فينفذ ، كالقيل أو هو دون الملك الأعلى ، وأصله قِيلَ
كفيعل سمى ؛ لأنه يقول ما يشاء فينفذ ، جمعه : أقوال وأقيال ومقاول ومقولة ، وفي
ابن دريد ص ٤٨٠ القيل : ما كان دون الملك نفسه كأنه بعد الملك وقد سبق .

ملك حسان بن تبيان وقتل عمرو أخيه له

فلما ملك ابنه حسان بن تبيان أسعد أبي كريب ، سار بأهل اليمن ، يريد أن يطاء به أرض العرب ، وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق - قال ابن هشام : بالبحرين ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم - كرهت حير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم ، فكلّموا أخاه له يقال له عمرو ، وكان معه في جيشه ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان ، ونملكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعت على ذلك إلا إذا رعين الحميري ، فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه . فقال ذو رعين :

ألا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مِّنْ بَيْتِ قَرِيرٍ عَيْنِ
فإِذَا حَيْرٌ غَدَرَتْ ، وَخَانَتْ فَمَعْدَرَةُ الْإِلَهِ لَدَى رُعَيْنِ

ثم كتبها في رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عمراً ، فقال له : ضع لي هذا الكتاب عندك ، ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسان ، ورجع بمن معه إلى اليمن . فقال رجل من حير :

على أنهم قالوا : أقيال وأقوال ، ولم يقولوا في جمع عيد إلا أعياد ، ومثل عيد وأعياد : ريح وأرياح في لغة بني أسد ، وقد صرّفوا من القيل فعلا ، وقالوا : قال علينا فلان ، أي : مَلَك والقِيَالَة : الإمارة ، ومنه قول النبي — صلى الله عليه وسلم — في تسيحه الذي رواه الترمذي : « سبجان الذي لبس العز » ، وقال به . « أي مَلَك به وقهر . كذا فسر الهروي في القرييين .

لاه عينا الذي رأى مثل حسان قتيلاً في سالف الأخقاب
قتلته مَقاول خشيّة الحبس غداةً قالوا : لباب لباب
ميتكم خيرٌنا وحْيكم ربّ علينا ، وشككم أربابى

قال ابن إسحاق : وقوله : لباب لباب : لا بأس لا بأس ، بلغة حمير . قال ابن
هشام : ويروى : لباب لباب .

هلاكَ عمرو :

قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو بن تُبَّانَ اليمَنَ مُنِعَ منه النوم ، وسُلِّطَ
عليه السهر ، فلما جَهِدَهُ ذَلِكَ سأل الأطباءَ والحُرَّاءَ مِنَ السَّكَمَانِ والعَرَّافِينَ عَمَّا
به ، فقال له قائلٌ منهم : إنه ما قتلَ رجلَ قطْ أخاه ، أو ذا رَحِمِهِ بغيّاً على مثل
ما قتلَ أخاك عليه ، إلا ذهبَ نومُهُ ، وسُلِّطَ عليه السهر ، فلما قيلَ له ذلك
جعلَ يقتلُ كلَّ من أمره بقتل أخيه حَسَّانَ من أَشرافِ اليمَنِ ، حتى خَلَصَ إلى
ذِي رُعَيْنَ ، فقال له ذُو رُعَيْنَ : إن لى عندك براءة ، فقال ، وما هى ؟ قال :
الكتاب الذى دَفَعْتُ إِلَيْكَ ، فأخْرَجَهُ فإذا البيتان ، فتركه ، ورأى أنه قد نصحه .
وهلاك عمرو ، فَمَرَجَ أَمْرُ حَمِيرٍ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَفَرَّقُوا .

(خبر الخنيفة وذى نواس)

وقال فيه ابن دريد : لخنيفة وقال : هو من الآخَمِ ، وهو استرخاءُ فى الجِسمِ ،
وذو شَنَاتَر . الشَّنَاتَرُ : الأصابعُ بلغة حمير ، واحداً : شَنَتْرَةٌ ، وذو نواس (١)

(١) هو من أذواء اليمَنِ ، وقيل إنه - كما يذكر الطبرى وابن خلدون - تسمى
بيوسف بعد توليه ملك آبائه ، وقد حكم - كما يقول بعض المؤرخين - من
سنة ٥١٥ م حتى سنة ٥٢٥ م ، وبه ختمت سلسلة ملوك حمير . أما الخنيفة ويسمى =

(خبر الخنيسة وذى نواس)

فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المالكة ، يقال له : لخنيسة
ينوف ذو شناتر ، فقتل خيارهم ، وعيث ببيوت أهل الملكة منهم ، فقال
قاتل من حمير للخنيسة .

تُقْتَلُ أَبْنَاءُهَا وَتَنْفَى سَرَائِهَا وَتَبْنَى بِأَيْدِيهَا لَهَا الذَّلَّ حَمِيرُ
تُدْمَرُ دُنْيَاهَا بِطَلِيشِ حُلُومِهَا وَمَا ضِيعَتْ مِنْ دِينِهَا فَهِيَ أَكْثَرُ
كَذَلِكَ الْقُرُونُ قَبْلَ ذَلِكَ بَطْلَمِهَا وَإِسْرَافُهَا تَأْتِي الشَّرُورَ فَتُخَسِرُ

اسمه : زُرْعَة ، وهو من قولهم للغلام : زَرَعَكَ اللَّهُ ، أى أنبتك ، وسموا بزراع
كما سموا بنابت ، وقال الله تعالى . ﴿ اَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾
[الواقعة : ٦٤] أى : تثبتونه ، وفى مُسْنَدِ وَكِيعِ بن الجراح عن أبى عبد الرحمن
الْجَبَلِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ : زَرَعْتَ فِي أَرْضِي كَذَا وَكَذَا ، لِأَنَّ اللَّهَ
هُوَ الزَّارِعُ : وفى مُسْنَدِ التَّبَرَّازِ - مَرْفُوعًا - إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
النَّهْيُ عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى وَجْهِ هَذَا الْحَدِيثِ ، فِي غَيْرِ هَذَا الْإِمْلَاءِ
فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَفْرَسُ غَرْسًا ، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا » الْحَدِيثُ (١)
وفى كتاب الله أَيْضًا قَالَ : ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا ﴾ [يوسف : ٤٧] ، وَسُمِّيَ

== أَيْضًا دَلِجِيثٌ يَنْفَى ، فَحُكِمَ مِنْ ٤٨٠ حَتَّى ٥٠٠ م وَيُقَالُ لَهُ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ الْخَنِيصَةِ
وَذِي نَوَاسٍ مَعْدٌ يَكْرَبُ يَنْعَمُ وَهُوَ أَخُو الْخَنِيصَةِ وَبَعْدَهُ مَلِكٌ آخِرُهُوَ مَرْثَدَانُ الَّذِي
وَقَعَ فِي عَهْدِهِ مَرَجٌ شَدِيدٌ ص ١٦٤ وَمَا بَعْدَهَا ج ٣ تَارِيخُ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

(١) بَقِيَّةُ الْحَدِيثِ : هُوَ فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَيْهَمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ
صَدَقَةٌ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاحِدٌ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ .

فسوق نخنيعة :

وكان نخنيعة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط ، فكان يُرسل إلى الغلام من أبناء الملوك ، فيقع عليه في شربة له قد صنعها لذلك ، لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مسواكا ، فجعله في فيه ، أى : ليعلمهم أنه قد فرغ منه ، حتى يمت إلى زُرعة ذى نواس ابن ثبان أسعد أخى حسان ، وكان صبيا صغيرا حين قتل حسان ، ثم شب غلاما جميلا وسيا ، ذا هيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله ، عرف ما يريد منه ، فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً ، فخبأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثب إليه فوائبه ذو نواس ، فوجأه حتى قتله . ثم حزر رأسه ، فوضعه في الكوة التى كان يشرف منها ، ووضع مسواكه في فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس أرطب أم يباس فقال : سل نخماس استرطبان ذو نواس . استرطبان لا باس

ذا نواس بفديرتين كاتتا له تنوسان ، أى صغيرتان من شعر ، والنوس : الحركة والاضطراب فيما كان متعلقا ، قال الراجز :

لو رأنتي والنماسُ غالبي على البعير نائسا ذبابي

يريد : ذباب القميص^(١) ، وقال ابن قتيبة : أراد بالذباب مذاكيره ، والأول أشبه بالمعنى .

(١) في اللسان: ذباب: أشياء تعلق بالهودج، أو رأس البعير للزينة، والواحد ذبذب ، بضم فسكون فضم ، ... والذبابذ : المذاكير ، والذبابذ : ذكر الرجل ، وقيل : الذبابذ : الحصى واحدها : ذبذبة ، بفتح فسكون ، ففتح .

قال ابن هشام : هذا كلام خير . ونخاس : الرأس . فنظروا إلى الكوة فإذا رأس نخيصة مقطوع ، فخرجوا في إثر ذي نواس حتى أدركوه : فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا غيرك ، إذ أرختنا من هذا الخبيث .

ملك ذي نواس

فلُكُوهُ ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير . وهو صاحب الأخدود ، وتسمى : يوسف ، فأقام في ملكه زماناً .

« بقايا من أهل دين عيسى بنجران » :

وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل . أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له : عبد الله بن الناصر .

وذكر قول ذي نواس للحرس حين قالوا له : أرطب أم يباس ، واليباس واليبس^(١) : مثل الكبار والكبير فقال لهم : سل نخماس ، والنخماس في لغتهم هو الرأس كما ذكر ، ووقع في نسخة أبي بحر التي قيدها على أبو الوليد القشبي : نخماس بنون وخاء منقوطة ، ولعل هذا هو الصحيح إذ يحتمل أن يكون النخماس في لغتهم هو : الرأس ثم صُحِّفَ وقيده كراع بالتاء للمنقوطة بامنتين من فوق والحاء المهملة - فيما ذكر لي - وقوله : استرطبان إلى آخر الكلام مُشكل يفسره ما ذكره أبو الفرج في الأغاني قال : كان الغلام إذا خرج من

(١) هي اليابس عكس الرطب ، وهي السوء والعورة ، وعسفان بضم العين في المراد : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل بين المسجدين ، وهي من مكة على مرحلتين ، وقيل قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلاً من مكة ، وهي حدتها . وأجمع بلد من أعراض المدينة . ومشرية : غرفة مرتفعة .

وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدها ، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فَيَمِيُون ، وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه . فدانوا به .

ابتداء وقوع النصرانية بنجران

« حديث فيميون » :

قال ابن إسحاق : حدثني المنيرة بن أبي ليبيد مولى الأخنس عن وهب ابن مُنَبِّه الحماني أنه حدثهم أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فَيَمِيُون ، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا ، محاب الدعوة ، وكان سائحا ينزل بين القرى ، لا يُعرَف بقرية

عند لَخْنِيمة ، وقد لَاطَ به قطعوا مشافرا ناقة وذنبها : وصاحوا به : أَرَطْبُ أم يَبَّاس ، فلما خرج ذو نواس من عنده ، وركب ناقة له يقال لها : السَّراب ؛ قالوا : ذا نواس أَرَطْبُ أم يَبَّاس ، فقال : « ستعلم الأحراسُ است ذى نواس است رَطْبَان أم يَبَّاس » فهذا اللفظ مفهوم . والذي وقع في الأصل هذا معناه ، ولفظه قريب من هذا ، ولعله تغير في اللفظ - والله أعلم - وكان ملك لَخْنِيمة سبعا وعشرين سنة ، وملك ذو نواس بمدة ثمانيا وستين سنة . قاله ابن قُتَيْبَةَ (١) .

(١) حكى لَخْنِيمة كما قدر المحققون قرابة عشرين أو خمس وعشرين سنة ، وحكم ذو نواس عشر سنوات تقريبا .

إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها ، وكان لا يأكل إلا من كَسْب يديه .
 وكان بناءً يعمل الطين ، وكان يعظمُ الأحد ، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه
 شيئاً ، وخرج إلى قِلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي . قال : وكان في قرية من
 قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ، فقطنَ لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له :
 صالح ، فأحبّه صالح حبّاً لم يحبّه شيئاً كان قبله . فكان يتمعه حيث ذهب .
 ولا يفتن له فيمبون ، حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى قِلاة من الأرض .
 كما كان يصنع ، وقد اتبعه صالح و فيمبون لا يدري — فجلس صالح منه منظر
 العين مستخفياً منه . لا يحب أن يعلم بمكانه ، وقام فيمبون يصلي ، فينبه هو
 يصلي إذ أقبل نحوه التّنين — الحية ذات الرموس السبعة — فلما رآها فيمبون
 دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدركها أصابها ، فخافها عليه ، ففعل عولهُ .

(حديث فيمبون)

ويذكر عن الطبري أنه قال فيه : فيمبون بالقاف ، وشك فيه ، وقال
 القُتبي فيه : رجل من آل جَفَنَة من غَسَّان جاءهم من الشام ، حملهم على دين
 عيسى — عليه السلام — ولم يُسمّه ، وقال فيه النقاش : اسمه : يحيى ، وكان أبوه ملكاً
 فتوفى ، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه ، ففر من الملك ، ولزم السيّاحة (١) ،
 وذكر الطبري قصة الرجل الذي دعا لابنه ، فُسني بآتم مما ذكرها ابن إسحق ،
 قال : فيمبون حين دخل مع الرجل ، وكشف له عن ابنه : «اللهم عبدك من عبادك
 دخل عليه عدوك في نعمتك ، ليفسدها عليه ، فاشفه وعافه وامنعه منه » ، فقام

(١) فيمبون في الطبري أيضاً : فيمبون ، وقد وصف بالزهد ، والأولى أن يوصف
 بالتقوى ، فالزهد ليس من شعائر الإسلام ، وإنما هو مانوية الفرغ.

فصرخ : يَا فَيِّمُيُونَ ! التَّيْنِ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَكُمْ ، فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى ، فانصرف ، وعرف أنه قد عرف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه . فقال له : يَا فَيِّمُيُونَ ! تعلم والله أنني ما أحببت شيئاً قط حبَّكَ ، وقد أردت صحبتك ، والكيئونة معك حيث كنت ، فقال : ما شئت . أمرى كما ترى ، فإن علت أنك تقوى عليه فقم ، فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية يفتنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به الضَّرَّ دعا له فُشًى ، وإذا دُعي إلى أحد به ضرَّ لم يأت ، وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن شأن فَيِّمُيُونَ ، فقيل له : إنه لا يأتى أحداً دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنين بالأجر فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه في حُجْرته ، وألقى عليه ثوباً ، ثم جاءه فقال له :

الصبي : ليس به بأس ^(١) . فتبين من هذا أن الصبي كان مجنوناً لقوله : دخل عليه عدوك ، يعني : الشيطان ، وليس هذا في حديث ابن إسحق .

وذكر ابن إسحق في الرواية الأخرى عن محمد بن كعب القرظي ، وعن بعض أهل نجران ، وما ذكروه من خبر فَيِّمُيُونَ ، قال : ولم يُسمَّوه لي بالاسم الذي سماه ابن مُنَبِّه . قال المؤلف رحمه الله : يحتمل أنهم سمَّوه : يحيى ، وهو الاسم الذي تقدم ذكره ، وما قاله للنقاش والقُتَيْبِيُّ .

وفيه ذكر قرية نجران في هذا الحديث ، ونجران اسم رجل كان أول من نزلها ، فسميت به ، وهو نجران بن زَيْد بن يَشْجُب بن يَغْرُب بن قحطان . قاله البكري ^(٢) .

(١) في ص ١٢٠ ج ٢ الطبري كما ذكر السهيلي تماماً .

(٢) في القاموس مثله وفيه زيدان بدلا من زيد ، وكذلك في جمهرة ابن حزم : زيدان

(م ١٣ — الروض الأثف)

يا فيميون ، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً ، فانطلق معي إليهِ حتى تنظر
إليه ، فأشارتك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن
تعمل في بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم انتشط الرجل الثوبَ عن الصبي
ثم قال له : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ماترى ، فادع الله له ، فدعا له
فيميون ، فقام الصبي ليس به بأس ، وعرف فيميون أنه قد عرف ، فخرج من
القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشى في بعض الشام ، إذ مرَّ بشجرة
عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يا فيميون . قال : نعم . قال : ما زلتُ
أنظرك ، وأقول : متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو .
لا تبرح حتى تقوم على ، فإني ميت الآن . قال : فمات ، وقام عليه حتى وراه
ثم انصرف ، واتبعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدوا عليهما ،
فاختطفتهما سيارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما ، حتى باعوهما بنجران ، وأهل
نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد في كل
سنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلى النساء
ثم خرجوا إليها ، ففكفوا عليها يوماً .

فابتاع فيميون رجلٌ من أشrafهم ، وابتاع صالحاً آخر ، فكان فيميون
إذا قام من الليل - يتمجد في بيت له أسكنه إياه سيده - يصلى ، استسرج له
البيت نورا ، حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيده ، فأعجبه ما يرى
منه ، فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم في باطل . إن هذه

وذكر أصحاب الأخدود ، وما أنزل الله تعالى فيهم ، وقد روى ابن سنجر
عن جبير بن نفير ، قال : الذين خددوا الأخدود ثلاثة : تبع صاحب الين ،
وقسطنطين بن هِلاني - وهى أمه حين صرف النصراني عن التوحيد ، ودين

النخلة لا تضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبدته ، لأهلكها ،
وهو الله وحده لا شريك له ، قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت
دخلنا فى دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : ققام فيميون ، فتطهر وصلّى
ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله عليها ريحا فجعلتها من أصلها فألقاها
فاتبعه عند ذلك أهل نَجْرَان على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى
ابن مريم عليه السلام ، ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم
بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصرانية بنَجْرَان فى أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران .

المسيح إلى عبادة الصليب (١) ، ويُختَصَرُ من أهل بابل حين أمر الناس أن
يسجدوا إليه ، فامتنع دانيال وأصحابه ، فالتقام فى النار ، فكانت برداً وسلاماً
عليهم ، وحرقت الذين بقوا عليهم .

(١) دانت له كل أنحاء الدولة الرومانية سنة ٣٢٣ م . يقول عنه ول ديورانت
فى ص ٣٨٧ ج ٣ من المجلد الثالث : « كانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية ، وقد
سأل « هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً فى عمله هذا ؟ وهل أقدم
عليه عن عقيدة دينية ؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملت على حكمته
السياسية ؟ » وأجاب نفس المؤرخ : « أكبر الظن أن الرأى الأخير هو الصواب ، وأمه
هلينا هى التى اعتنقت المسيحية قبله ، وفى عهده كان مجمع نيقية الذى عقد فى سنة ٣٢٥ م ،
وتدخل قسطنطين فيه ، حتى حل المجمع على القول بالوهية عيسى ، ثم أمر بتحريق كل
كتاب يخالف هذا ، وأمه هيلانة هى التى أظهرت صليبا زعمت أنه هو الذى صلب
عليه عيسى فى زعمهم بعد الحادثة بما تسمى سنة ، وفى حديث فيميون ما يخرج به عن
حدود العقل والدين ولا سيما قوله : « فإني ميت الآن ، فالله يقول : « وما تدري
نفس بأى أرض تموت » .

أمر عبد الله بن الثامر ، وقصة أصحاب الأخدود

« فيميون والساحر » :

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي ، وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قرأها قريبا من نجران - ونجران : القرية العظمية التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيميون - ولم يسموه لي باسمه الذي سماه به وهب بن منبه ، قالوا : رجل نزلها - ابنتي خيمة بين نجران ، وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر ، يعلمهم السحر ، فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ،

(خبر ابن الثامر)

التفاضل بين الأسماء الدينية :

وذكر فيه الاسم الأعظم ، وقول الراهب له : إنك لن تطيقه . أي : لن تطيق شروطه ، والانتهاض بما يجب من حقه ، وقد قيل في قول الله تعالى : (وقال الذي عنده علم من الكتاب) [النمل . ٤٠] إنه أوتي الاسم الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب ، وهو آصف بن برخيا في قول أكثرهم ، وقيل غير ذلك^(١) .

(١) ورأى آخر أحق بالتقديم يقرر أنه نفس سليمان ، فهو الذي كان عنده

علم من الكتاب .

ويسمع منه حتى أسلم ، فوحد الله وعبد ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعلمه - فكتبه إياه وقال له : يا ابن أخى إنك لن تحملهُ ، أخشى عليك ضعفك عنه - والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبدُ الله أن صاحبه قد ضنَّ به عنه ، وتخوف ضعفه فيه ، عمد إلى قداح فجمعها ، ثم لم يبقِ لله أسماً يعلمه إلا أن يكتبه في قدح ، لكل اسم قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها قدحاً قدحاً ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقذحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئاً . فأخذته ثم أتى صاحبه ، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذى كتبه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع ، قال : أى ابن أخى ، قد أصبتَه فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

وأعجب ما قيل فيه : إنه ضبَّ بن أد بن طابخة قاله النقاش ، ولا يصح ، وهى مسألة اختلف فيها العلماء ، فذهبت طائفة إلى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى ، وقالوا : لا يجوز أن يكون اسم من أسمائه أعظم من الاسم الآخر ، وقالوا : إذا أمر فى خبر ، أو أثر ذكرُ الاسم الأعظم ، فمعناه : العظيم ؛ كما قالوا : إني لأوجل أى : وجل ، وكما قال بعضهم فى أكبر من قولك : الله أكبر : إن أكبر بمعنى كبير ، وإن لم يكن قول سيبويه ، وذكروا أن أهون بمعنى : هين من قوله عز وجل : (وهو أهون عليه) [الروم : ٢٧] وأكثروا الاستشهاد على هذا ونسب أبو الحسن بن بطال هذا القول إلى جماعة منهم : ابن أبى زيد ، والقاسمى وغيرها ، وما احتجوا به أيضاً : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن ليحرّم العلم بهذا الاسم ، وقد علمه من هو دونه من ليس بنبى ؛

ولم يكن ليدعو حين اجتهد في الدعاء لأتمته ألاَّ يجعل بأسهم بينهم ، وهو رءوف بهم ، عزيز عليه عَنْهُمْ إلا بالاسم الأعظم ، لِيُسْتَجَابَ له فيه ، فلما منع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله إلا وهو كسائر الأسماء في الحكم والفضيلة ، يستجيب الله إذا دُعِيَ ببعضها إن شاء ، ويمنع إذا شاء ، وقال الله سبحانه : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا ، فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء : ١١٠] ، وظاهرُ هذا الكلام : التسوية بين أسمائه الحسنى ، وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهم من العلماء إلى أنه ليس شيء من كلام الله تعالى أفضل من شيء ، لأنه كلام واحد من رب واحد ، فيستحيل التفاضل فيه .

قال الشيخ الفقيه الحافظ أبو القاسم — عفا الله عنه : وجه استفتح الكلام معهم أن يقال : هل يستحيل هذا عقلا ، أم يستحيل شرعا ؟ ولا يستحيل عقلا أن يفضل الله سبحانه عملا من البر على عمل ، وكلمة من الذِّكر على كلمة ، فإن التفضيل راجع إلى زيادة الثواب ونقصانه ، وقد فضلت الفرائض على النوافل ، بإجماع ، وفضلت الصلاة والجهاد على كثير من الأعمال والدعاء ، والذكرُ عملٌ من الأعمال ، فلا يبعد أن يكون بعضه أقرب إلى الإجابة من بعض ، وأجزل ثواباً في الآخرة من بعض ، والأسماء عبارة عن المسئى ، وهي من كلام الله سبحانه القديم ^(١) ، ولا نقول في كلام الله : هو هو ، ولا هو

(١) لا يجوز الإخبار عن الله بأنه قديم ؛ إذ لم يرد هذا في قرآن أو حديث ، وإنما يقال عنه : إنه الأول بدلا من القديم ، فقد وصف الضلال بأنه قديم ، والعرجون كذلك واليت القديم . ثم القدم لا يمنع من أن يكون له أول أو بداية .

غيره، كذلك لا نقول في أسمائه التي تضمنها كلامه: إنها هو، ولا هي غيره (١)
فإن تكلمنا نحن بها بالسنتنا المخلوقة وألفاظنا المحدثه، فكلامنا عمل من
أعمالنا، والله — سبحانه وتعالى — يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢)
[الصفات: ٣] ، وقبيحاً للمعتزلة (٣)؛ فإنهم زعموا أن كلامه مخلوق

(١) الرجل الأشعري العقيدة . ورأيهم في الصفات منبوذ من سلف الأمة ،
وقد رجع الأشعري عن هذا المذهب في كتابه الإبانة ومقالات الإسلاميين .
(٢) كنا نود أن يبرأ الكتاب من سفسطة علم الكلام . والسهيل ينزع عن
عقيدته الأشعرية التي تقرر أموراً تستلزم القول ببطان الثواب والعقاب ،
والقول بالجبرية . والآية لا تؤيد الأشعرية فيما ذهبوا إليه ، فانه يقص عن إبراهيم
قوله لقومه : «أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون ، فما موصولة .
والمعنى : خلقكم وخلق الأجنار التي تنحتون منها أصنامكم ، ولكن الأشعرية
يجعلون « ما » مصدرية ، فيصير المعنى : والله خلقكم وخلق أعمالكم ، والقرآن
يقرر في عديد من آياته أن العمل هو سبيل الإنسان إلى مصيره (وَلَنَسْتُنَّكُمْ
كُتُمَ تَعْمَلُونَ) النحل : ٩٣ « ومن جاء بالسيئة ، فكُتِبَتْ وجودهم في النار
هل يجزون إلا ما كنتم تعملون ، النمل : ٩٠ .

(٢) يقول الشهرستاني : « الذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد : القول بأن
الله تعالى قديم ، والقدم أحسن وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلاً ، فقالوا :
هو عالم لذاته ، قادر لذاته ، حي لذاته ، لا يعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة
ومعاني قائمة ، لأنه لو شاركه الصفات في القدم الذي هو أحسن الوصف لشاركته
في الإلهية ، وانفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل ، وهو حرف وصوت ،
كتب أمثاله في المصاحف . . . واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست
معاني قائمة بذاته ، لكن اختلقوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها كما سيأتي . .
وأوجبوا تأويل الآيات المشابهة ، واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها
وشرها ، وسبب تسميتهم بالمعتزلة أن واصل بن عطاء خالف الحسن البصري في =

== مسألة مرتكب الكبيرة ، فقد قرر واصل أن مرتكبها ليس بمؤمن ولا كافر ، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن من مجلسه ، فسمى وأتباعه بالمعتزلة . وهم فرق عديدة أطلقت على نفسها : أصحاب العدل والتوحيد ، وفي أيامنا هذه طبع كثير من كتبهم في مصر . هكذا كلما بعد المرة عن هدى القرآن ضل . ولعلك تلحظ أنهم بنوا معتقداتهم على إيمانهم بأن الله قديم ١١ وتبعنا لهذا دانوبما دانوا في مسألة الصفات وما تفرع عنها ، فبنوا دينهم على وهم ، وأعلى صفة لا يوصف الله بها ، ولا يسمى : فلو أنهم والاشعرية دانوا بما وصف الله به نفسه ما تردوا في هذه المهلكات أو المتناقضات . لقد نفي المعتزلة الصفات ، لأنهم لو أثبتوها في ظنهم لأثبتوا مع الله عدة قدماء ، وجاء الأشعرية هنا بمضحكات فقالوا عن الصفات : لا هي هو ، ولا هي غيره ١١ قضيتان كلتاها تبطل الأخرى . لو قالوا : هي هو لتفوا الصفات ، ولزمهم القول بأن الصفة عين الموصوف ولو قالوا هي غيره للزمهم القول بتعدد القدماء ١١ هكذا يضرب الله من يضل عن سبيله ، فلا يرى نورا ولا صباحا ليلته المظلم الطويل . والفيلسوف ابن رشد — على ما فيه — يقول : « ومن البدع التي حدثت في هذا الباب : السؤال عن هذه الصفات : هل هي الذات أم زائدة على الذات ؟ » ثم يقول في مكان آخر من كتابه منهاج الأدلة : « الذي ينبغي أن يعلم الجمهور من أمر هذه الصفات هو ما صرح به الشرع فقط وهو الاعتراف بوجودها دون تفصيل الأمر فيها هذا التفصيل » ، ثم يقول عن دواء القرآن في الصفات : « وأول من غير هذا الدواء الأعظم ، هم الخوارج ، ثم المعتزلة بعدهم ، ثم الأشعرية ، ثم الصوفية ، ثم جاء أبو حامد — يعني الغزالي — فطم الوادي على القرى » . لقد أثبت المعتزلة ذاتا مجردة عن الصفات فعطلوا ، وجاء الأشاعرة ، فوقفوا بين مثبتة الصفات ونفاتها ، وما كان لمؤلا السير وراء السؤال القلبي : هل الصفات زائدة على الذات أو لا ، لأن كل ذات لها وجود تستلزم في نفس الأمر وجود الصفات ، إذ لا يمكن تصور ذات مجردة عن الصفات ، بل إن نفس اللفظ ذات ، — وهو مولد — يستلزم ذلك إذ =

== أصله أن يقال : ذات علم ، ذات قدرة ، ذات سمع ، فهي مؤنث لفظ يستلزم
الإضافة وهو ذو ، والذات المجردة عن الصفة لا توجد إلا في الذهن فقط . أما الموجودات
في أنفسها فلا يمكن فيها وجود ذات مجردة عن الصفات . يقول الإمام ابن تيمية
« وأصل النفاة المعطلة من الجهمية والمعتزلة أنهم يصفون الله بما لم يحم به ، بل بما
قام بغيره ، أو بما لم يوجد . ويقولون : هذه إضافات لا صفات ، فيقولون : هو
رحيم ويرحم ، والرحمة لا تقوم به ، بل هي مخلوقة ، وهي نعمته ، ويقولون : هو
يرضى ويغضب ، والرضا والغضب لا يقوم به ، بل هو مخلوق ، وهو ثوابه وعقابه
ويقولون : هو متكلم ويتكلم ، والكلام لا يقوم به ، بل هو مخلوق قائم بغيره ،
جواب أهل العلم والإيمان ص ٨٨ . وأقول : ترى لو وقف هؤلاء عند قولهم :
هو يرضى ويغضب ، هو متكلم ويتكلم ، هو رحيم ويرحم أكان الله سائلهم يوم
القيامة : ألهذه صفات أم إضافات ؟ إنها لعنة علم الكلام الذي استمد من ضلالات
السابقين . ثم يقول الإمام ابن تيمية : « مذهب السلف والائمة إثبات الصفات
ونفي مماثلتها بصفات المخلوقات ، فالله تعالى موصوف بصفات الجلال الذي لا نقص
فيه ، منزّه عن صفات النقص مطلقا ، ومنزه عن أن يماثله غيره في صفات كماله ، فهذان
المعنيان جعلا : التنزيه ، وقد دل عليهما قوله تعالى : « قل : هو الله أحد ، الله الصمد »
فالاسم الصمد يتضمن صفات الكمال ، والاسم الأحد يتضمن نقي المثل ... فالقول
في صفاته كالقول في ذاته ، والله تعالى ليس كمثل شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا
في أفعاله . لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها ، كنسبة هذه الصفة
إلى موصوفها ، فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه هو كما يناسب ذاته ، ويليق بها
كما أن صفة العبد هي كما يناسب ذاته ، ويليق بها ، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات
العبد إلى ذاته ولهذا قال بعضهم : إذا قال لك السائل : كيف ينزل ، أو كيف
يستوى أو كيف يعلم ، أو كيف يتكلم ، ويرقدر ويخلق ؟ فقل له : كيف هو في نفسه ؟
فإذا قال : أنا لا أعلم كيفية ذاته . فقل له : وأنا لا أعلم كيفية صفاته ؛ فإن العلم
بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف ، شرح حديث النزول ص ١٠ طبع ١٣٦٦ هـ ==

فأسماءه على أصلهم الفاسد مُحَدَّثَةٌ غير المُسَمَّى بها ، وسَوَّوا بين كلام الخالق ، وكلام المخلوق في الغَيْرِيَّة والحدوث ، وإذا ثبت هذا ، وصح جواز التفضيل بين الأسماء إذا دعونا بها ، فكذلك القول في تفضيل السور ، والآي بعضها على بعض ، فإن ذلك راجع إلى التلاوة ، التي هي عملنا ، لا إلى المَقْلُوب الذي هو كلام ربنا ، وصفة من صفاته القديمة ، وقد قال — صلى الله عليه وسلم — لأبيّ: « أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ ؟ » فقال : « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » فقال : « لِيَمْنِكَ الْعِلْمُ أَمَا الْإِنْتِزَاعُ ^(١) » ، ومحال أن يريد بقوله : أعظم معنى عظيم ؛ لأن القرآن كله عظيم ، فكيف يقول له : أي آية في القرآن عظيمة ، وكل آية فيه عظيمة كذلك ؟ وكل ما استشهدوا به من قولهم : أكبر بمعنى كبير ، وأهون بمعنى هين باطل عند حُذَاق النحاة ، ولولا أن نخرج عما نحن بصدده ، لأوضحنا بطلانه ، بما لا قيل لهم به ، ولو كان صحيحا في العربية ، ما جاز أن يُحْمَلَ عليه قوله : أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ ، لأن القرآن كله عظيم ، وإنما سأله عن الأعظم منه ، والأفضل في نواب التلاوة ، وقرب الإجابة ، وفي هذا الحديث دليل أيضا على ثبوت الاسم الأعظم ، وأن الله اسما هو أعظم أسمائه ، ومحال أن يَخْلُو القرآن عن ذلك الاسم ، والله تعالى

والحق فيما ذهب إليه الإمام الجليل. فليسكن قلب كل مسلم إلى صفات الله وأسمائه وليدن بها وهو ثابت اليقين ، دون أن يسأل نفسه : كيف يتكلم ، كيف استوى ، ما حقيقة اليمين ؟ ودون أن ينفي شيئا أثبتته الله ، وإلا بهت الله بأنه لم يحسن وصف نفسه ، أو أصابه العي فلم يستطع البيان عن صفات وأسماء نفسه .

(١) المشلول هو أبي بن كعب ، والحديث في مسلم ومسنده أحمد :

يقول : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١) [الأنعام : ٣٨] ، فهو في القرآن لا محالة . وما كان الله ليحرمه سجداً ، وأُمنته ، وقد فضله على الأنبياء ، وفضاهم على الأمم ، فإن قلت : فأين هو في القرآن ؟ فقد قيل : إنه أخفى فيه ، كما أخفيت الساعة في يوم الجمعة ، وليلة القدر في رمضان ؛ ليجتهد الناس ولا يتسكوا . قال الفقيه الحافظ أبو القاسم — رضى الله عنه — في قول النبي — صلى الله عليه وسلم — لِأَبِيٍّ : أَي آيَةٍ مَعَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمَ ، ولم يقل : أَفْضَلَ إشارة إلى الاسم الأعظم أنه فيها ، إذ لا يُتَصَوَّرُ أن تكون هي أعظم آية ، ويكون الاسم الأعظم في أخرى دونها . بل : إنما صارت أعظم الآيات ؛ لأن الاسم الأعظم فيها . ألا ترى كيف هنأ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أبايًّا ، بما أعطاه الله تعالى من العلم ، وما هنأه إلا بعظيم بيان عرف الاسم الأعظم ، والآية العظمى التي كانت الأمم قبلنا لا يعلمه منهم إلا الأفراد ، عبدُ الله بن الناصر ، وآصف صاحب سليمان عليه السلام ، وبتلوعهم قبل أن يتبعه الشيطان (٢)

(١) هو الكتاب الذي كتب الله فيه كل شيء قبل الخلق ، لا القرآن .

(٢) لست أدري من أين جاء هذا ؟ ولقد دار حول الاسم الأعظم ما دار ، من أقاويل وأساطير مفتراة تزعم أن فلانا كان يسخر به الجن والإلس ، وأن غيره كان ، وكان ، وغير هذا على ما فسكه المبطلون المشعبدون الذين يفترون أنهم يعرفون اسم الله الأعظم ، والله لا يحرم أمة من معرفة اسمه الأعظم الذي هو الله .

وفي مسألة تفضيل بعض كلام الله على بعض يقول الإمام ابن تيمية : الناس متنازعون فيها — أى في مسألة التفضيل — نزاعاً منتشراً فطوائف يقولون : بعض كلام الله أفضل من بعض ، كما نطق به النصوص النبوية ، حيث أخبر عن =

فكان من الفاوين ، وقد جاء منصوصاً في حديث أم سلمة - رضي الله عنها -
الذي خرجه الترمذى وأبو داود ، ويروى أيضاً عن أسماء بنت يزيد - وكنتيهما :
أم سلمة - فاعلم الحديث واحد أنها سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن
الاسم الأعظم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هو في هاتين الآيتين
﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ و ﴿ ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ . وقال
سبحانه : ﴿ هو الحى لا إله إلا هو ، فادعوه مخلصين له الدين ﴾ الآية أى :
فادعوه بهذا الاسم ، ثم قال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ تنبيهاً لنا على حمد

== الفاتحة أنه لم ينزل في الكتب الثلاثة مثلها ، وأخبر عن سورة الإخلاص أنها
تعدل ثلث القرآن . وجعل آية الكرسي أعظم آية في القرآن . . . وروى أنها
سيدة القرآن ، ثم يقول : « والقول بأن كلام الله بمضه أفضل من بعض
القول للمأثور عن السلف ، وهو الذى عليه أئمة الفقهاء من الطوائف الأربعة وغيرهم ،
وكلام القائلين بذلك كثير منتشر في كتب كثيرة ، ثم يقول : « والنصوص
والآثار في تفضيل كلام الله - بل وتفضيل بعض صفاته - على بعض متعددة .
وقول القائل : صفات الله كلها فاضلة في غاية التمام والكمال ليس فيها نقص ، كلام
صحيح ، لكن توهمه أنه إذا كان بعضها أفضل من بعض كان المفضل معيها
منقوصاً خطأ منه ، فإن النصوص تدل على أن بعض أسمائه أفضل من بعض ،
ولهذا يقال : دعا الله باسمه الأعظم ، وتدل على أن بعض صفاته أفضل من
بعض ، وبعض أفعاله أفضل من بعض ، ثم ساق الكثير من النصوص التى تثبت
ما ذهب إليه وهو حق . (جواب أهل العلم والإيمان ج ١ طه السلفية ١٣٧٥
ص ٩٠٧ ، ٥٤ . وانظر ص ٤٣٨ ج ١ البرهان للزركشى) .

دين ابن التامر : في قصته عن الذين كانوا يلبون دعوته « فيوحد الله ويسلم ،
أى : يصير مسلماً . ولهذا لا يجوز بعد ذلك أن نقول : دين نصراني ، فالنصرانية
ليست ديناً من الله سبحانه ، فدين الرسل جميعاً هو الإسلام .

« ابن الثامر يدعو إلى الإسلام » :

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلقَ أحداً به ضرّاً إلا قال :
يا عبد الله ، أتوحّد الله ، وتدخل في ديني ، وأدعو الله ، فيعافيك مما أنت فيه
من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحّد الله ويُسلم ، ويدعو له فيُشَفَى ، حتى لم يبق
بنجران أحدٌ به ضرّاً إلا أتاه فاتّبعه على أمره ، ودعاه فَعُوْفَى ، حتى رُفِعَ شأنه
إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت على أهل قرّيتي ، وخالفت ديني ودين
آبائي ، لأمتلنَّ بك ، قال : لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل
الطويل ، فيطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ليس به بأس ، وجعل يبعث به
إلى مياه بنجران ، بُحورٍ لا يقع فيها شيء إلا هلك ، فيُلْقَى فيها ، فيخرج ليس
به بأس ، فلما غابه ، قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلي

وشكره ، إذ علّمنا من هذا الاسم العظيم ما لم نكن نعلم ، فإن قلت : فقد
روى أبو داود والترمذي أيضاً أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع
رجلاً - وهو زيد أبو عيّاش الزُرْقِي - ذكر اسمه الحُرث بن أبي أسامة في مسنده -
يقول : « اللهم إني أسألك ، بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المَنَّانُ بديع السموات
والأرض ذو الجلال والإكرام ، فقال : لقد دعا الله باسمه الأعظم ^(١) » وروى
أنه قال له في هذا الحديث : غفر الله له غفر الله له . وروى الترمذي نحو هذا فيمن
قال : « اللهم إني أسألك ؛ فإنك الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي
لم تلد ولم تُولد ^(٢) » وهذا معارض لحديث أم سلمة ، قلنا : لا معارضة بين هذا ،

(١) الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٢) الترمذي وأبو داود .

وبين ما تقدم ، فإننا لم نقل : إن الاسم الأعظم ، هو الحى القيوم ، بل : الحى القيوم : صفتان تابعتان للاسم الأعظم . وتتميم لذكره ، وكذلك التمان . وذو الجلال والإكرام فى حديث أبى داود ، وقد خرجه الترمذى أيضاً فى الدعوات ، وكذلك الأحد الصمد فى حديث الترمذى . وقولك : الله لا إله إلا هو : هو الاسم ، لأنه لا سمى له ، ولم يتسم به غيره ، وقد قال بعض العلماء فى التسعة والتسعين اسماً : إنها كلها تابعة للاسم الذى هو الله ، وهو تمام المائة ، فهى مائة على عدد درج الجنة ، إذ قد ثبت فى الصحيح أنها مائة درجة (١) بين كل درجتين مسيرة مائة عام ، وقال فى الأسماء : « من أحصاها دخل الجنة (٢) » فهى على عدد درج الجنة ، وأسماؤه تعالى لا تحصى ، وإنما هذه

(١) ورد عدد درجات الجنة فى حديث رواه البخارى والترمذى ، ورواية البخارى : « ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » ورواية الترمذى : « ما بين كل درجتين مائة عام » وفى الطبرانى : « ما بين كل درجتين خمسمائة عام .
(٢) يشير إلى الحديث : « إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » متفق عليه . وفى رواية أخرى : « من أحصاها دخل الجنة » متفق عليها ، ورواها الترمذى وابن ماجه ومعنى الإحصاء والحفظ : التدبر والعمل بما يوجهه رب هذه الأسماء ، لا مجرد الإحصاء والحفظ كما يفعل نعقة المقابر . والحديث الذى أحصيت فيه الأسماء قال عنه الترمذى : حديث غريب أى : ضعيف ، ويقول عنه ابن كثير فى تفسير الأعراف : « وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة ، ولا نعلم فى كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا فى هذا الحديث ، ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق صفوان به ، وقد رواه ابن ماجه فى سننه من طريق آخر عن موسى بن عقبة ، عن الأعرج عن أبى هريرة مرفوعاً ، فسرده الأسماء بزيادة ونقصان ، والذى عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء فى هذا الحديث مدرج فيه ،

الأسماء هي المفضلة على غيرها ، والمذكورة في القرآن . يدل على ذلك قوله في الصحيح : « أسألك بأسمائك الحسنى ما علبت منها وما لم أعلم » ووقع في جامع ابن وهب : « سبعانك لأحصى أسماءك » وما يدل على أنه الاسم الأعظم أنك تضيف جميع الأسماء إليه ، ولا تضيفه إليها . تقول : العزيز اسم من أسماء الله ، ولا تقول : الله اسم من أسماء العزيز ، وفُخِّمَت اللام من اسمه - وإن كانت لا تُفخِّم لام في كلام العرب إلا مع حروف الإطباق نحو الطلاق ، ولا تُفخِّم لام في شيء من أسمائه ، ولا شيء من الحروف الواقعة في أسمائه التي ليست بمستعلية إلا في هذا الاسم العظيم ^(١) المنتظم من ألفٍ ولامين وهاء .

(١) يقول ابن كثير : « ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين ، ثم روى الحديث الذي رواه أحمد ، وأبو حاتم بن حبان البستي ، وفيه : « أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب » وحروف الإطباق هي : الصاد والصاد والطاء والطاء ، والمستعلى من الحروف : الحاء والعين والقاف والصاد والصاد والطاء والطاء ، وأربعة منها مع استعلائها لإطباق ، وهي ما عدا الحاء والعين والقاف ومعنى استعلائها أن تتصعد في الحنك الأعلى . والإطباق : أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له . هذا ، وقد تكلم ابن القيم في بدائع الفوائد كلاماً قيماً في هذا الشأن اخترت منه : « الثاني عشر : في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة » ، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح . المرتبة الأولى : إحصاء ألقابها وعددها . المرتبة الثانية : فهم معانيها ومدلولها . المرتبة الثالثة : دعاؤه بها كما قال تعالى : (والله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها) وهو مرتبتان : إحداهما : دعاء ثناء وعبادة ، والثانية : دعاء طلب ومشكلة ، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلاء ، وكذلك لا يستل إلا بها ، فلا يقال : يا موجود ، أو يا شيء ، أو يا ذات : اغفر لي وارحمني ، بل يستل في كل مطلوب باسم =

فالألف من مبدأ الصوت ، والهاء راجعة إلى مخرج الألف ، فشا كل اللفظ
المعنى ، وطابقه ، لأن المسمى بهذا الاسم عنه المبدأ ، وإليه المعاد . والإعادة .
أهون من الابتداء عند المخاطبين ، فكذلك الهاء أخف وألين في اللفظ من
الهمزة التي هي مبدأ الاسم . أخبرت بهذا الكلام أو نحوه في الاسم وحروفه
عن ابن فورك رحمه الله . ذكره أبو بكر شيخنا في كتاب شرح الأسماء الحسنى
له . فإن قيل : فأين ما ذكروه عن الاسم الأعظم ، وأنه لا يدعى الله به
إلا أجاب ، ولا يُستل به شيئاً إلا أعطاه .

قلنا: عن ذلك جوابان، أحدهما: أن هذا الاسم كان عند من كان قبلنا - إذا
علمه - مصوناً غير مبتذل ، معظماً لا يمس به إلا طاهر ، ولا يلفظ به إلا طاهر ،
ويكون الذي يعرفه عاملاً بمقتضاه متألهاً محبباً ، قد امتلأ قلبه بعظمة المسمى به
لا يلتفت إلى غيره ، ولا يخاف سواه ، فلما ابتذل وتكلم به في معرض
البطالات والهزل ، ولم يعمل بمقتضاه ذهبت من القلوب هيئته ، فلم يكن فيه
من سرعة الإجابة ، وتمجيل قضاء الحاجة للداعي ما كان قبل . ألا ترى قول

== يكون مقتضياً لذلك المطلوب ، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم ، ومن
تأمل أدعية الرسل ، ولا سيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا ، ص ١٦٤
ويقول : إحصاء الأسماء الحسنى ، والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم ، فمن أحصى
أسماء ما ينبغي للخلق أحصى جميع العلوم ؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء
كل معلوم ، ص ١٦٣ ويقول في شأنه : من أحصاها دخل الجنة ، إنها صفة
لا خير مستقل . والمعنى : له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة
وهنا لا ينبغي أن يكون له أسماء غيرها ص ١٦٧ . وقد أبدع ابن القيم في هذا
فانظر كتابه بدائع الفوائد ج ١

أيوب عليه السلام في بلائه : « قد كنت أمر بالرجلين يتنازعان ، فيذكران الله — يعني في تنازعهما ، أي تخاصمهما — فأرجع إلى يتي ، فأكفر عنها كراهة أن يذكر الله إلا في حق » وفي الحديث عن النبي — صلى الله عليه وسلم — : « كرهت أن أذكر الله إلا على طهر » قد لاح لك تعظيم الأنبياء له .

والجواب الثاني : أن الدعاء به إذا كان من القلب ، ولم يكن بمجرّد اللسان استجيب للعبد ، غير أن الاستجابة تنقسم كما قال عليه السلام — إما أن يجعل له ما سأل وإما أن يدخر له ، وذلك خير مما طلب ، وإما أن يصرف عنه من البلاء بقدر ما سأل من الخير ^(١) ، وأما دعاء النبي — صلى الله عليه وسلم — لأمتة ألا يجعل بأمرهم بينهم ^(٢) ، فممنعاً ، فقد أعطى عوضاً لهم من ذلك : الشفاعة لهم في الآخرة ،

(١) يشير إلى الحديث : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يجعل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلاً ، قالوا : إذا تكثرت . قال : الله أكثر ، أحمد والبرار وأبو يعلى بأسانيد جيدة ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

(٢) يشير إلى حديث ، سألت ربي ثلاثاً . سألته ألا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها ، وسألته ألا يهلك أمتي بالفتنة ، فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم ، فممنعها . مسلم وأحمد . والاحاديث في هذا تكاد تجمع على أن التي ممنعها هي ألا يجعل بأسهم بينهم . أما اللتان استجيبتا فممنعها خلاف . ففي بعض الاحاديث ألا يظهر عليهم عدوا ، ولا يهلكهم بالسنين ، وفي بعضها ألا يهلكهم بفرق ، وألا يسلط عليهم عدوا ، وفي بعضها ألا يهلك أمتة بما أهلك به الأمم قبلنا . وهكذا .

(م ١٤ - الروض الأثف)

حتى توحّد الله ، فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت ذلك ، سلّطت على فقتلتني . قال : فوحّد الله تعالى ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن التامر ، ثم ضربه بعضا في يده ، فشجّه شجرة غير كبيرة ، فقتله ، ثم هلك الملك مكانه ، واستجمع أهلُ بَجْران على دين عبد الله بن التامر — وكان على ماء جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحُكْمِهِ — ثم أصابهم مثلُ ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية ببَجْران ، والله أعلم بذلك .

وقد قال : « أمتي هذه أمة مرحومة ، ليس عليها في الآخرة عذابٌ ، عذابُها في الدنيا : الزلازلُ وَالْفِتَنُ » . خرجه أبو داود (١) ، فإذا كانت الفتنُ سبباً لصرف عذاب الآخرة عن الأمة ، فما خاب دعاؤه لهم . على أنني تأملت هذا الحديث ، وتأملت حديثه الآخر حين نزلت : ﴿ قُلْ : هو القادر على أن يبعثَ عليكم عَذَاباً من فوقكم ﴾ [الأنعام : ٦٥] . فقال : أعوذ بوجهك . فلما سمع : ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ ﴾ قال : أعوذ بوجهك ، فلما سمع : ﴿ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعَةً ، وَيَذِقَ بَعْضُكُمْ بِأَسَ بَعْضٍ ﴾ . قال : هذه أهون (٢) .

(١) ورواه أيضا الطبراني في الكبير ، والحاكم في مستدركه ، والبيهقي في الشعب . ولكن لن تكون شفاعة إلا بعد إذن الله ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يملكها . وآيات القرآن كلها تظاهر هذا المعنى ، وحديث أبي داود الذي ينفي عذاب الآخرة عن هذه الأمة حديث يخالف الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة المتفق عليها ، ولا سيما حديث الحوض الذي يقول فيه عن الذين منعوا الدنو من الحوض : فأقول : ألا سحقا ، ألا سحقا أوما في معنى هذا .

(٢) البخاري والنسائي والحميدي وابن حبان وابن جرير وابن مردويه

وسعيد بن منصور .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر ، والله أعلم أى ذلك كان .

قِنْ هَاهُنَا — والله أعلم — أعيدت أمته من الأولى والثانية ، ومنع الثالثة ، حين سألها بعد . وقد عرضت هذا الكلام على رجل من فقهاء زماننا ، فقال : هذا حسن جدا ، غير أنا لا ندري : أكانت مسألتُه بعد نزول الآية ، أم لا ؟ فإن كان بعد نزول الآية ، فأخِلِقْ بهذا النظر أن يكون صحيحاً . قلت له : أليس في الموطأ أنه دعا بها في مسجد بني معاوية ، وهو في المدينة ، ولا خلاف أن سورة الأنعام مكية ؟ فقال : نعم ، وسلم وأذعن للحق ، وأقر به . رحمه الله .

هل الشهداء أمباء في قبورهم ؟

فصل : وذكر من وجدان عبد الله في خربة من خرب نجران . يصدق قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ (١) [آل عمران : ١٦٩] الآية وما وجد في صدر هذه الآية من شهداء أحد ، وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة كحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه — فإنه وجد حين حفر معاوية العيين صحيحاً لم يتغير ، وأصابته الفأس أصبغته ، فدميت ، وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام ، وعمر بن الجموح ، وطلحة بن عبد الله — رضي الله عنهم — استخرجته بنته عائشة من قبره حين

(١) لم يرو قصة ابن التامر غير ابن إسحاق ، ولم يخرجها أحد من أصحاب الصحيح . وفي الآية رد على ما يفترى من مثل هذه الأساطير فالآية تقول : وعند ربهم ، لا في قبورهم ، كما يريد السبيلي أن يفهم هو ومن يلذهب معهم مذاهبيهم .

رأته في المنام ، فأمرها أن تنقله من موضعه ، فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير . ذكره ابن قتيبة في المعارف . والأخبار بذلك صحيحة^(١) . وقد قال - عليه السلام - « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » . خرج سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ . وذكر أَبُو جَعْفَرٍ الدَّوْدِيُّ في كتاب الناس هذا الحديث بزيادة : ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين ، وهي زيادة غريبة لم تقع لي في مسند ، غير أن الدَّوْدِيَّ من أهل الثقة والعلم . وفي المسند من طريق أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم » . انفرد به ثابتُ الْبُنَاتِيِّ عن أَنَسٍ ، وقد روى أن ثابتاً التَّمَسُّ في قبره بعد ما دُفِنَ ، فلم يوجد ، فذكر ذلك لِبَنْتِهِ . فقالت : كان يصلي فلم تَرَوْه ، لأنني كنت أسمعُه إذا تهجد بالليل يقول . « اللهم اجعلني مِمَّنْ يُصَلِّي »

(١) إنما هي أساطير تسكر العاطفة ، فتذهلها عن هدى الكتاب والسنة . . فما ورد شيء من هذا ، لافي الكتاب ، ولا في السنة ، وحياة الشهداء عند ربهم حياة غيبية تؤمن بها ، ولا نكلف أنفسنا البحث عن حقيقتها ، ولا نرجم فيها بالغيب أو نهوم مع الظنون والتخيلات المجنحة بالتهويلات الخرافية ، ولا نكفر بها . وليست كرامة الشهداء في بقاء أجسادهم ، وإلا فقد بقيت أجساد كفرة عشرات السنين ، بل مثاتها . والصوفية هي التي تحمل وزر ما قاله السهيلي ، أما أبو جابر فقد ثبت في الصحيح قول جابر عنه : « لما قتل أبي جملت أبكي ، وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ينهقون ، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم ينه ، فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : لا تبكي ، أو ما تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع ، وقد أسنده هو ومسلم والنسائي من طرق . وجميع الأحاديث الصحيحة التي تحدثت عن حياة الشهداء لم تذكر شيئاً مما ذهب إليه السهيلي .

« أصحاب الأخدود ومعناه » :

فسار إليهم ذو نواس بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخيرهم بين ذلك والقتل فاخترأوا القتل ، فخذ لهم الأخدود ، فحرق من حرق بالنار ، وقتل من قتل بالسيف ، ومثل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، ففى ذى نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُودٌ . وَمَا يَفْعَلُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) . البروج

فى قبره بعد الموت « (١) وفى الصحيح : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (سررت بموسى - عليه السلام - وهو يصلى فى قبره) (٢) .

أصحاب الأخدود :

وحدث عبد الله بن التمار إنما رواه ابن إسحاق موقوفا على محمد بن كعب القرظى عن بعض أهل نجران ، ليضل به حديث فيموت ، وهو حديث ثابت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من طريق ابن أبي ليلى عن صهيب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو أولى أن يعتمد عليه : وهو يخالف حديث ابن إسحاق فى ألفاظ كثيرة . قال : كان رسول الله - صلى الله

(١) هذا وما قبله لا يتفق لا مع النقل الصحيح ، ولا مع العقل الصحيح . إنما هو خرافات يراد بها ربط الناس بالموتى ، لا بالحي القيوم ، وحم يحتاج الصحيح من الدين .

(٢) كان هذا ليلة الإسراء ، وهى من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإلا فى نفس الحديث أنه لقبه فى السماء .

قال ابن هشام : الأَخْدُودُ : الحفر المستطيل في الأرض ، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه : أَخَادِيد . قال ذو الرُّمَّة — واسمه : غِيلَان بن عُقْبَة ، أحد بني عدي بن عبد مناف بن أَد بن طابخة بن الياس بن مضر .

مِنَ الْعَرَايَةِ اللَّاتِي يُحْمِلُهَا بَيْنَ الْغَلَائِ وَيَبْنِي النِّخْلَ أَخْدُودُ

يعنى : جبالا . وهذا البيت في قصيدة له . قال : ويقال لأثر السيف والسكين في الجلد وأثر السوط ونحوه : أَخْدُود : وجمعه أَخَادِيد .

عليه وسلم — إذا حدث بهذا الحديث يعنى حديثاً تقدم قبل هذا الحديث يحدث بهذا الحديث الآخر . قال : كان ملك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن^(١) يَكْمُنُ له ، فقال الكاهن : انظروا الى غلاماً فهِمًا أو قال : فَطَنًا لَقِينًا ؛ فَأَعْلَمَهُ على هذا ، فإني أخاف أن أموت ؛ فينقطع منكم هذا العلم ، ولا يكون فيكم من يملئه قال : فنظروا له غلاماً على ما وصف ، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه ، فجعل يختلف إليه ، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة قال مَعْمَر : أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين^(٢) قال : فجعل الغلام يسأل الراهب كَلِّمًا مر به ، فلم يزل به حتى أخبره ، فقال : إنما أعبد الله ، قال : فجعل الغلام يمسك عند الراهب ، ويبطئ على الكاهن ، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرني ، فأخبر الغلام الراهب بذلك ، فقال له الراهب : إذا قال لك الكاهن : أين كنت ، قل : كنت عند أهلي ، فإذا قال

(١) في رواية ساحر .

(٢) هذا تعبير دقيق ؛ فكل من آمن بالله وبالرسول فهو مسلم .

لك : أهلك : أين كنت ؟ فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن ، قال : فبينما الغلام على ذلك إذ سر بجماحة من الناس كثير قد حبستهم دابة ، فقال بعضهم : إن تلك الدابة كانت أسدا ، فأخذ الغلام حجراً ، فقال : اللهم إن كان ما يقول الراهب حقاً فأستلك أن تقتله ، قال : ثم رمى فقتل الدابة ، فقال الناس : من قتلها ؟ فقالوا : الغلام ، ففرغ الناس ، وقالوا : لقد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد : قال : فسمع به أعمى ، فقال له : إن أمثرك دوت بصرى فلك كذا وكذا ، فقال له : لا أريد منك هذا ، ولكن أرايت إن رجعت إليك بصرى أتؤمن بالذي رده ؟ قال : نعم . قال : فليطأ الله ، فرد عليه بصره فأمن الأعمى ، فبلغ الملك أمرهم ، فبعث إليهم ، فأتى بهم ، فقال : لا تقتلن كل واحد منكم قتلة لا تقتل بها صاحبه ، فأمر بالراهب وبالرجل الذي كان أعمى ، فوضع للنشارة على مفرق أحدهما فقتله ، ثم قتل الآخر بقتلة أخرى ، ثم أمر بالغلام ، فقال : انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا ، فألقوه من رأسه ، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه ، جعلوا يتهافون من ذلك الجبل ، ويردّون منه ، حتى لم يبق منهم إلا الغلام ، قال : ثم رجعت فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر ، فيلقونه فيه ، فانطلق به إلى البحر ، فغرق الله الذين كانوا معه ، وأنجاه ، فقال الغلام للملك : إنك لا تقتلني حتى تضليني وترميني ، وتقول إذا رميتني : « باسم الله رب هذا الغلام » قال : فأمر به ، فصُلب ثم رماء ، فقال : باسم الله رب هذا الغلام ، قال : فوضع الغلام يده على صدغه حين رمى ثم مات ، فقتل الناس : لقد علم هذا الغلام علماً ما علمه أحد ، فإننا نؤمن برب هذا الغلام ، قال : فقيل للملك : أجزعت أن خالفك ثلاثة ،

فهذا العالم كلهم قد خالفوك ، قال : فخذ أخذوداً^(١) ، ثم ألقى فيه الحطب والنار ، ثم جمع الناس ، فقال : من رجع عن ذنبه تركناه ، ومن لم يرجع أقيمناه في هذه النار ، فجعل يلقيهم في ذلك الأخدود . قال : يقول الله سبحانه — (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ) حتى بلغ : (العزير الحيد) : البروج قال : فأما الغلام فإنه دُفِن . قال : فيذكر أنه أُخْرِجَ في زمن هُمر بن الخطاب — رضى الله عنه — وأُصْبِعَ على صُدْغِهِ ، كما وضعها حين قُتِل . رواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن عبد الرزاق عن مَعْمَر ، ورواه مُسْلِم عن هَدَّاب بن خالد عن حَمَّاد بن سَلَمَةَ ، ثم اتفقا عن ثابت ، عن ابن أبي ليلى عن صُهَيْبٍ غير أن في حديث مسلم أن الأعمى الذى شفى ، كان جليسا للملك ، وأنه جاءه بعد ما شفى ، فجلس من الملك كما كان يجلس فقال : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَعْرَكَ ، قال : رَبِّي ، قال : وهل لك ربٌّ غيرى ؟ ! فقال : الله ربى وربك ، فأمر بالمِنْشَارِ ، فُجِعِلَ على رأسه حتى وقع شِقَاؤه ، وأمر بالراهب ففعل به ، مثل ذلك ، وزاد مسلم في آخر الحديث . قال : فأتى بامرأة لتُلْقَى في النار ، ومعهما صبى يرضع فقال لها الغلام : يا أمه لا تجزعى ، فإنك على الحق ، وذكر ابن قتيبة أن الغلام الرضيع كان من سبعة أشهر^(٢) .

(١) خد : شق ، والأخدود : شق في الأرض مستطيل غائص . جمه : أخايد وقد شرحه ابن هشام .

(٢) ورواه أحمد أيضا . وقد قال الحافظ المزي عن سياق القصة : يحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومى ، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى ، وقد ذكر السدى : كانت الأخدود ثلاثة ، خد بالعراق ، وخذ بالشام ، وخذ باليمن ، =

« مصير عبد الله بن النامر » :

قال ابن إسحاق : ويقال : كان فيمن قتل ذو نواس ، عبد الله بن النامر رأسهم وإمامهم

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث : أن رجلا من أهل بجران كان في زمان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — حفر خربة من خرب بجران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن النامر تحت دقن منها قاعداً ، واضعاً يده على ضربة في رأسه ، ممسكاً عليها بيده ، فإذا أخرت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أرسلت يده ردها عليها ، فأمسكت دمه ، وفي يده خاتم مكتوب فيه : « ربى الله » فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب فيخبر بأمره ، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه : أن أقرؤوه على حاله وردوا عليه الدفن الذي كان عليه ، ففعلوا .

(حديث الحبشة (١))

وذكر فيه دوساً ذا ثعلبان الذي آتى قيصر . ودوس : هو ابن ثببع الذي قتله أخوه ، قاله ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام .

== رواه ابن أبي حاتم ، وعن مقاتل : إنها واحدة ببجران باليمن ، والآخرى بالشام ، والآخرى بفارس حرقوا بالنار ، أما التي بالشام فهو أنطانيوس الرومى ، وأما التي بفارس فهو بختنصر ، وأما التي بأرض العرب ، فهو يوسف ذو نواس ، فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهم قرآنا ، وأنزل في التي كانت ببجران

(١) الحبش عند بعض المؤرخين الأوربيين هم سكان حبشت في البرية الجنوبية ، وهم فرع من شعب قديم كان يسكن جزيرة العرب اسمه : بوين ، وهو =

وذكر فيه قيصر وكتابه للنجاشي . وقيصر اسم علم لسكل من ولى الروم
وتفسيره بلسانهم : البقير الذى يُقَرَّ بطنُ أمِّه عنه (١) ، وكان أول من تسمى به
بُقَيْرًا ، فلما ملك وعُرف به ، تسمى به كل من ملك بعده . قاله المسعودي .
وإنما كتب بذلك إلى النجاشي ؛ لأنه على دينه ، وكان أقرب إلى اليمن منه ،
وذكر غير ابن إسحاق أن ذا نُوَاس أدخل الحبشة صنعاء اليمن ، حين رأى أن
لا قبَلَ له بهم ، بعد أن استتفر جميع المَقَاوِلِ ، ليكونوا معه بدا واحدة عليهم ،
فأبوا إلا أن يحمى كل واحد منهم حوزته على حدة ، فخرج إليهم ومعه
مفاتيح خزائنه وأمواله ، على أن يُسالموه ومن معه ، ولا يقتلوا أحدا فكتبوا
إلى النجاشي بذلك ، فأمرهم أن يقبلوا ذلك منهم ، فدخلوا صنعاء ودفع إليهم
المفاتيح ، وأمرهم أن يقبضوا ما فى بلاده من خزائن أمواله ، ثم كتب هو إلى
كل موضع من أرضه : أن اقتلوا كل ثور أسود ، فقتل أكثر الحبشة ، فلما بلغ

= شعب لا يعرف من أمره شيء يذكر . ويرى هؤلاء أن الحبشة فى الأصل هى
أرضون فى جنوب الجزيرة على الساحل فى شرق حضرموت ، منها هاجر أهل
حبشة على رأيهم إلى إفريقيا ، حتى أطلقت كلمة حبشة على الأرض التى أطلق
عليها اسم أثيوبية : « أثيوبية عند اليونان : الوجه المحترق ، أى أطلقت على البلاد
الواقعة جنوب مصر ، وعلى سواحل إفريقيا الواقعة على البحر الأحمر والمحيط
الهندي ، وأطلقت على العربية الجنوبية وهى تقابل كلمة كوش فى التوراة .
ص ١٥٠ ج ٣ تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على .

(١) فى المروج « بقير » بدلا من بقير . ثم يفسرها بقوله : « أى شق عنه
وذلك أن أمه ماتت ، وهى حامل ، فشق بطنها ، فكان هذا الملك يفترخ فى
وقته بأن النساء لم تلده ، وكذلك من حدث بعده » ج ١ ص ٣٠٩ ويطلق على هذا
النوع من الولادة حتى الآن القيصرية .

ذلك النجاشي وجه جيشا إلى أبرهة ، وعاليهم أرياط وأمره أن يقتل
ذانواس ، ويخرب ثلث بلاده ، ويقتل ثلث الرجال ، ويسبي ثلث النساء والنرية
ف فعل ذلك أبرهة . وأبرهة بالحبة : هو الأبيض الوجه ، وفي هذا قوة لقول
من قال : إن أبرهة هذا هو أبرهة بن الصباح الحميري ! وليس بأبي يكسوم
الحبشي ، وإن الحبة كانوا قد أمروا أبرهة بن الصباح ^(١) على اليمن ، وهذا
القول ذكره ابن سلام في تفسيره ، واقتحم ذانواس البحر ، فهلك وقام بأمره
من بعده ذوجدن ، واسمه : علس بن الحارث أخو سبيع ^(٢) بن الحارث ،
والجدن : حسن الصوت ، يقال : إنه أول من أظهر الفناء باليمن فسي به ،
وجدن أيضاً : مفازة باليمن ، زعم البكري أن ذا جدن إليها ينسب ، لخارب
الحبة بعد ذى نواس فكسروا جندته ، وغلبوه على أمره ، فقرأ إلى البحر كما
فعل ذو نواس ، فهلك فيه ، وذكروا سبب منازعة أبرهة لأرياط ، وأن
ذلك إنما كان ، لأن أبرهة بلغ النجاشي أنه استبد بنفسه ، ولم يرسل إليه من
جباية اليمن شيئا ، فوجه أرياطا إلى خاعه ، فعند ذلك دعاه أبرهة إلى المبارزة
— كما ذكر ابن إسحاق — وذكر الطبري أن عتودة الغلام ^(٣) الذي قتل

(١) أبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شيبه بن مدثر . وكان يلقب بذي المنار
ابن الصعب ، والأكثرون على أنه أبو يكسوم الحبشي . واسم النجاشي الذي غزا
الحبة ، الإعميدا ، وكان وثنيا ، ولهذا يرجح أن غزوه للحبة كان لأسباب
اقتصادية لا دينية ، ويقال إن الغزو كان سنة ٣٤٥ بعد الميلاد ص ١٤٩ تاريخ
العرب لجواد علي .

(٢) في القاموس : علس بن يشرح — بفتح الياء والراء — ابن الحارث ،
وفي القاموس أيضاً ما ذكر عنه . (٣) ص ١٢٩ - ٢٠٠ الطبري

أمر دوس ذى ثعلبان ، وابتداء ملك الحبشة

وذكر أرباط المستولى على اليمن

« دوس يستنصر بقيصر » :

قال ابن إسحاق : وأفلت منهم رجل من سبأ ، يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم ، قضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له . بَعْدَتْ بلادُك منَّا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

أرباطاً . والعَتَوْدَةُ : الشدة ، وقد قيل في اسمه أَرْمَجْدَةٌ^(١) . قال له أبرهة : احكم على ، قال : أحكم : أن لا تزف امرأة إلى بعلها ، حتى أكون أنا الذي أبدأ بها قبله ، ففعل ذلك أبرهة ، وغبر العبدُ زماناً يفعل ذلك ، فلما اشتد الغيظُ بأهل اليمن ، قتلوا عَتَوْدَةَ غيلة ، فقال لهم الملك : قد أتى لكم بأهل اليمن أن تفعلوا فعل الأحرار ، وأن تغضبوا لِحُرَمِكُمْ ، ولو علمت أن هذا العبد يسألني هذا الذي سأل ما حكمتُ ، ولكن والله لا يؤخذ منكم فيه دية ، ولا تُطلبون بَذْخًا^(٢) ، وحينما وقع اسم أرباط في رواية يونس ، لم يسمه بهذا الاسم ، إنما سماه رَوْرَنة أو نحو هذا .

(١) في الطبري أرنجدة ، وهو في رواية هشام بن محمد .

(٢) الحقد والثأر وبسكون الخاء فيجمع على ذحول ، ويفتحها فيجمع على أذحال .

وذكر الطبري أن سيف بن ذي يزن لما فعل ذونواس بالحبشة ما فعل ،
ثم ظفروا به بعث عظيمهم^(١) إلى أبي مُرَّة سيف بن ذي يزن ، فانتزع
منه ربحانة بنت عَلَقَمَة بن مالك ، وكانت قد ولدت له مَعْدَى كرب . فلما
أبرهة . وأولدها مسروق بن أبرهة ، وعند ذلك توجه سيف إلى كسرى
أنو شيروان يطلب منه الغوث على الحبشة ، فوعده بذلك وأقام عنده سنين ،
ثم مات وخلفه ابنه مَعْدَى كَرِبُ في طلب النار ، فأدخل على كسرى ، فقال
له : من أنت ؟ فقال : رجل يطلب إرث أبيه ، وهو وعَدَ الملك الذي وَعَدَ
به ، فسأل عنه كسرى : أهو من بيت مملكة أم لا ؟ فأخبر أنه من بيت مُلْك
فوجّه معه وهرزّ الفارس في سبعة آلاف وخمسمائة من الفرس ، وقال ابن
إسحاق : في ثمانمائة غرق منهم مائتان ، وسلم ستمائة ، والقول الأول قول ابن
قتيبة وهو أشبه بالصواب ، إذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة ، وإن كان قد جمع
إليهم من العرب — كما ذكر ابن إسحاق — ما جمع . ثم إن مَعْدَى كَرِبَ
ابن سيف لما قتل الحبشة وملك هو وهرزّ اليمن أقام في ذلك نحو أربع سنين .
ثم قتله عبيد له ، كان قد اتخذهم من أولئك الحبشة ، خرج بهم إلى الصيد
فزرّقوه^(٢) بحراهم ، ثم هربوا فأتبعوا فقتلوا . وتفرق أمر اليمن بعده
إلى مخالف عليها مقاول كملوك الطوائف لا يدين بعضهم لبعض إلا ما كان
من صنماء ، وكون الأبناء^(٣) فيها ، حتى جاء الإسلام .

(١) ص ١٣٦ ط ٢ الطبري . واسم العظيم : أبرهة فهو الذي انتزع امرأة
سيف بن ذي يزن الذي كان يكنى بأبي مرة . (٢) طعنوه .
(٣) المخالف : جمع خلاف وهو الكورة - بضم الكاف - المدينة أو الصقع وهو =

« هزيمة ذى نواس وانتحاره » :

فقدم دؤس على النجاشي بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة ، وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له : أرياط — ومعه في جنده أبرة الأشرم — فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دوس ذو ثعلبان وسار إليه ذو نواس في خمير ، ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه ، وجه فرسه في البحر ، ثم ضربه ، فدخل به نفاض به صَحْضاح البحر ، حتى أفضى به إلى غمره ، فأدخله فيه ، وكان آخر العهد به . ودخل أرياط اليمن ، فملكها .

فصل : واستشهد ابن هشام في هذا الخبر على الأخدود ببيت ذى الرمة ، وهو : غيلان بن عتبة بن بهيش بضم الباء والشين ، وسمى ذا الرمة ببيت قاله في الوند : أشعث باقى رمة التقليد^(١) . وقيل إن مئة سمته بذلك ، وكان

== ما يشبه المحافظة في مصر ، وهى مضافة إلى أسماء القبائل التى يسكنونها ، وغير ذلك ، وقد ورد فى المراسد أسماء أكثر من ثلاثين منها . هذا ويقول محمد بن حبيب فى كتاب أسماء من قتل من الشعراء : وكل بنى صعصعة إلا عامر بن صعصعة من الأبناء ، وهم : واثلة ومازن وسلوى ، ص ٢٣٦ ج ٤ خزانة الأدب للبغدادى والأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن .

(١) الرمة بضم الراء وتشديد الميم وفتحها وقد تكسر الراء : قطعة من الجبل بالية . وقد ورد قوله فى اللسان ، وفى القاموس : بهيش كزير جد ذى الرمة ، وفى السمت اللالى نهيس ، وفى الأغاني نهيس انظر ص ٨٢ سمت اللالى وفى السمت تبدأ الآيات بقوله :

لم يبق غير مثل ركود وغير مرضوح التفاسد موقود

وقوله فى اللسان هكذا :

==

قد قال لها : أصلي لي هذا الدلو ، فقالت له : إني خرقاء ، فولى وهى على عنقه برُمَّتِيها ، فنادته : ياذا الرُّمَّةِ إن كنتُ خرقاءُ فإن لي أمةً صنَّاعاً ؛ فلذلك سماها بخَرْقَاء (١) ، كما سمته بذى الرُّمَّة .

فصل : وقوله : نخاضَ فَنَحْضَاحَ البحر إلى غَمْرِهِ . الضَّحْضَاحُ من الماء : الذى يظهر منه القعر ، وكان أصله من الضَّحَّ وهو حرَّ الشمس ، كأن الشمس تُدَاخِلُه لِقَلَّتْهُ ، فقلبت فيه إحدى الحاءين ضادا ، كما قالوا في ثُرَّةٍ ثُرَّارة ، وفي تَمَلُّلٍ تَمَلَمَل (٢)

= لم يبق منها أبد الأبيد غيرُ ثلاث مائلات سود
وغير مشجوج القفا مولود فيه بقايا رمة التقليد

يعنى ما بقى في رأس الود من رمة الطنب المعقود فيه . والشرطة الأولى تروى هكذا ، وغير موضوع القفا موتود ، ومية حييته هى بنت مقاتل بن طلبة ابن قيس ، أو بنت عاصم بن طلبة بن قيس ، الوفيات السط .

(١) فى القاموس : « خرقاء : امرأة سوداء كانت تقم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضى عنها ، وامرأة من بنى البكاء شبب بها ذوالرمة ، والخرقاء . الحمقاء ، ومن لا تحسن الصناعة والعمل والتصرف فى الأمور . والصناع : الحاذقة الماهرة ، ويقول ابن قتيبة غن الخرقاء لأنها التى لا تعمل شيئا يدها لكرامتها على أهلها ، وقيل فى سبب تلقبها بذى الرمة أنه كان يتفزع ، وهو غلام ، لجأته أمه بمن كتب له كتابا ، وعلقتة عليه برمة من جبل ، ويزعم المرتضى فى أماليه أنه كان من أهل العدل ، أى : المعتزلة انظر ص ٧٤ ج ١ خزنة الأدب للبغدادى ص ١٤ ج ١ أمالى المرتضى طبع السعادة .

(٢) ثر البائل ثرا وثرورا : غزر وكثر ، وثر الرجل : كثر كلامه وتشدق ، فهو ثار وثر . والثَّرثار : الذى يكثر الكلام فى تكلف وخروج عن الجد . ملكت منه مللا من باب تعب ومسلاة : سئمت وضجرت وتمللت : تغلب من الضجر .

« ما قيل من شعر في دوس » :

قال رجل من أهل اليمن - وهو يذكر ماساق إليهم دوس من أمر الحبشة

« لا كد دوس ولا كأعلاق رَحْلِهِ »

فهي مثل باليمن إلى هذا اليوم . وقال ذو جَدَنٍ الحميري :

هَوْنُكَ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَا فَاتَنَا لَا تَهْلِكُ أَشْفَا فِي إِثْرٍ مِنْ مَا نَا

أَبْعَدَ بَيْنُونٍ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وَبَعْدَ سَلَحِينَ يَبْنِي النَّاسُ أَيْيَاتَنَا

وهو قول الكوفيين من النحويين ، ولست أعرف أصلاً يدفعه ،

ولا دليلاً يردّه ، ويقال له أيضاً : الرَّقْرَاقُ وَالضُّهْلُ (١) ، وقد يُستعار في غير

الماء ، كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في عمه أبي طالب حين سُئِلَ عنه ،

قال : « هو في ضَحَضَاحٍ مِنَ النَّارِ ، وَلَوْلَا مَكَانِي لَكُنَّا فِي الظُّطُمَاتِ »

وفي البخاري : وجدته في عَمْرَةٍ مِنَ النَّارِ ، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى الضَّحَضَاحِ ، وَالْقَمَرُ هُوَ

الظُّطُمَاتِ ، وَأَمَّا قَوْلُ ذِي جَدَنٍ :

هَوْنُكَ لَنْ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَا فَاتَنَا

وهكذا روى هذا القسم ناقصاً قاله البرقي ، وقد روى عن ابن إسحاق من

غير رواية ابن هشام : هَوْنُكُمْ أَلَنْ يَرُدَّ . قال . وهو من باب قول العرب للواحد :

أَفْعَلًا ، وهو كثير في القرآن والكلام .

(١) الضهل أو الضحل : الماء القليل واللبن المجموع ، والضحضاح : الماء

اليسير ، والظطام : وسط البحر . أقول : ولن يستطيع الإنسان والجن والملائكة

إخراج واحد من النار إلا بأمر الله فيجب علينا أن يكون إيماننا بهذه الحقيقة

مناراً لنا ونحن نقرأ حديث البخاري

وفيه :

أَبَعَدَ بَيْنُونٌ لَاعَيْنٌ وَلَا أَثَرَ . وبعد سَلَحِينَ يَبْنِي النَّاسُ بُيُوتًا (١)

فَبَيْنُونٌ وَسَلَحِينَ مَدِينَتَانِ خَرَّبَهُمَا أَرِيَاطُ كَمَا ذَكَرَ . قَالَ الْبَكْرِيُّ فِي كِتَابِ « مُعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ » : سَمِيتَ بَيْنُونٌ لِأَنَّهَا كَانَتْ بَيْنَ عُمَانَ وَالْبَحْرَيْنِ ، فَهِيَ إِذَا عَلَى قَوْلِهِ : فَعُلُونُ مِنَ الْبَيْنِ ، وَالْيَاءُ أَصْلِيَّةٌ ، وَقِيَاسُ النَّحْوِيِّينَ يَمْنَعُ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنَّ الْإِعْرَابَ إِذَا كَانَ فِي النَّوْنِ لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ الْيَاءَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، كَقَوْلِهِمْ (٢) : وَفَلَسْطِينَ أَلَا تَرَى كَيْفَ قَالَ فِي آخِرِ الْبَيْتِ : وَبَعْدَ سَلَحِينَ ، فَكَذَلِكَ كَانَ الْقِيَاسُ ، أَنْ يَقُولَ عَلَى هَذَا : أَبَعَدَ بَيْنَيْنِ ، وَعَلَى مَذْهَبٍ مِنْ جَعَلَهُ مِنَ الْعَرَبِ بِالْوَاوِ فِي الرَّفْعِ ، وَبِالْيَاءِ فِي الْخَفْضِ ، وَالنَّصَبِ . يَقُولُ أَيْضًا : أَبَعَدَ بَيْنَيْنِ ، وَلَيْسَ لِلْعَرَبِ فِيهِ مَذْهَبٌ ثَالِثٌ (٣) فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ

(١) يَنْسَبُ هَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي قَبْلَهُ إِلَى عُلُقَمَةَ بْنِ شَرَاهِيلَ مَعَ اخْتِلَافٍ يَسِيرٍ فِي أَوَّلِ شَطْرَةٍ . فِيهِ اللَّسَانُ « هَوْنُكَ ، لَا تَهْلُكَ ، وَفِي غَيْرِهِ دِيَا خَلَّتْ مَا مَرَدَ الْخَ ، وَفِي الْبُلْدَانِ الْهَمْدَانِ » وَبَعْدَ سَلَحِينَ يَبْنِي النَّاسُ بُيُوتًا ، وَفِي مُعْجَمِ الْبَكْرِيِّ تَحْتَ مَا دَتْهَا أَنَّ بَيْنُونٌ سَمِيتَ بِاسْمِ بَيْنُونِ بْنِ مَيْنَانَ بْنِ مُشَرَّحِيبِيلَ ابْنِ نَيْكَفِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهَا عَلَى وَزْنِ فَعْلُولَ .

(٢) قَنَسَرِينَ : مَدِينَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَلَبٍ مَرَحَلَةٌ ، وَحِينَ غَلَبَ الرُّومُ سَنَةَ ٣٥١ خَافَ أَهْلُ قَنَسَرِينَ ، وَجَلُّوا عَنْهَا ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى خَانَ تَزَلُّهُ الْقَوَافِلُ وَمَرَاصِدُهُ .

(٣) فِي اللَّسَانِ عَنْ سَيْلَحُونَ : مِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الْإِعْرَابَ فِي النَّوْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْرِي مَسْلُوبِينَ ، وَالْعَامَّةُ يَقُولُ : سَالِحُونَ . الْبَيْتُ : سَلَحِينَ : مَوْضِعٌ : يُقَالُ : هَذِهِ سَلَحُونَ ، وَهَذِهِ سَيْلَحِينَ « بَضْمُ النَّوْنِ » . . . وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ هَذِهِ سَيْلَحُونَ مَفْتُوحَةُ النَّوْنِ ، كَجَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّالِمِ فِي الْإِعْرَابِ ، وَرَأَيْتُ = (م ١٥ - الرُّوضُ الْأَنْفُ)

من البَيْن ، إنما هو فَيَعُول ، والواو زائدة من أَبَنَ بالمكان ، وبَنَ إذا أقام فيه ، لكنه لا ينصرف للتعريف والتأنيث ، غير أن أبا سعيد السيرافي ذكر وجهًا ثالثًا للعرب في تسمية الاسم بالجمع المسلم ، فأجاز أن يكون الإعراب في النون ، وثبت الواو ، وقال في زَيْتُون : إنه فَعْلُون من الزَّيْت ، وأجاز أبو الفتح بن جنى أن يكون الزيتون فَيَعُولًا من الزَّيْت ، ولكن من قولهم زَتَن المكان إذا أنبت الزَّيْتُون ، فإن صحت هذه الحكاية عن العرب ، وإلا فالظاهر أنه من الزَّيْت ، وأنه فَعْلُون ، وقد كثرت هذا في كلام الناس غير أنه ليس في كلام العرب القدماء ، ففي المعروفين من أسماء الناس : سَحْنُون وعَبْدُون قال الشاعر - وهو ابن المعتز :

سَقَى الْجَزِيرَةَ ذَاتَ الظِّلِّ وَالشَّجَرِ وَدَيْرُ عَبْدُونٍ هَطَّالٌ مِنَ الطَّرِيقِ
وَدَيْرُ عَبْدُونٍ مَعْرُوفٌ بِالشَّامِ ، وكذلك دَيْرُ فَيْنُونٍ غير أن فَيْنُونٍ يحتمل أن يكون فَيَعُولًا ، فلا يكون من هذا الباب ، كما قلنا في بَيْنُون (١) ، وهو الأظهر .

== سِلْجِين ، وكذلك : هذه قنسرون ، ورأيت قنسرين ، ويضع الحمداني أن الذي بنى سلاجين هم جن سليمان ، وورد في النصوص القديمة أنه حصن ومقام للملوك مأرب ، ويقال إن موضعه هو حرم بلقيس انظر ص ١٤٨ ج ٣ تاريخ العرب قبل الإسلام .

(١) في اللسان في مادة زتن عن الزيتون وهو مثل : قيعون من القاع ، كذلك الزيتون : شجر الزيت وهو الدهن ، وأرض كثيرة الزيتون على هذا فيقول مادة على حياها ، والأكثر فَعْلُون من الزيت . ودير عبدون كما في معجم البكري - بالعراق بظاهر المطيرة في ثمر وبساتين ، وفي المراسد أنه ينسب إلى عبدون أخى صاعد بن مخلد ؛ لأنه كان كثير الإلمام به ، ودير عبدون أيضا قرب جزيرة ابن عمر =

بَيْنُونِ وَسَلْحِينِ وَعُغْدَانِ : من حصون اليمن التي هدمها أرباط ، ولم يكن في الناس مثلاً . وقال ذو جَدَنٍ أيضاً :

دعني — لا أبالك — لن تطيق لحاك الله ! قد أنزفت ربيقي
لَدَى عَزَفِ الْقِيَانِ إِذَا انْتَشَيْنَا وَإِذَا نَسَى مِنَ الظَّمْرِ الرِّحِيقِ
وَشَرِبُ الظَّمْرِ لَيْسَ عَلَى عَارَا إِذَا لَمْ يَشْكُنِي فِيهَا رَفِيقِ
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَتَّهَاهُ نَاهٍ وَلَوْ شَرِبَ الشَّهَاءَ مَعَ النَّشُوقِ
وَلَا مَتَرَهَبٌ فِي أُسْطُوَانٍ يَنَاطِحُ جُدْرَهُ بَيْضُ الْأَنْوُقِ
وعُغْدَانِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ بَنُوهُ مُسَمَّكَ فِي رَأْسِ نَيْقِ
بِمَنْهَمَةٍ ، وَأَسْفَلُهُ جُرُونٍ وَحُرُّ الْمَوْحِلِ اللَّثْقِ الزَلِيقِ
مَصَابِيحُ السَّلِيطِ تَلُوحُ فِيهِ إِذَا يُنْسِي كَتَوَاضَعُ الْبُرُوقِ
وَنَحَلَتْهُ الَّتِي غُرِسَتْ إِلَيْهِ يَكَادُ الْبُسْرُ يَهْضُرُ بِالْعُدُوقِ
فَأَصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَادًا ، وَغَيْرَ حَسَنِهِ لَهْبُ الْحَرِيقِ
وَأَسْلَمَ ذُو نَوَاسٍ مُسْتَسْكِنَا وَحَذَرَ قَوْمَهُ ضَنْكَ الْمَضِيقِ

وَأَمَّا حَزْرُونَ—وهو دوديكون بالعشب، وأكثر ما يكون في الرمث—فليس من بابِ فَنَسْطِينِ وَقَدَسْرَبِنِ، ولكن النون فيه أصلية، كَزَرَجُونِ (١)، ولذلك أدخله أبو عبيد في بابِ فَعْلُونِ، وكذلك فعل صاحب كتاب

== وبينهما دجلة، ودير فنيون هو : فَنَسْطِينِ في معجم البكري والمراد ومعجم ياقوت . وفي المسالك للعمري : فاثيون، وهو بسر من رأى. وكما كان لهذه الأديار من خطر على خلق المسلمين ودينهم .
(١) الرمث : مرعى للابل من الحمض وفتح فسكون، والزَّرَجُونُ : الخمر.

العين أدخله في باب الرُّبَاعِي ، فدل على أن النون عنده فيه أصلية وأنه
فَعْلُول بلامين .

وقولُ ذى جَدَن : وبعد سَلَحِين يقطع على أن يَبْنُون ؛ فَيَعْمَل على كل
حال ؛ لأن الذى ذكره السيرافى من المذهب الثالث إن صَحَّ ، فإنما هي لغة
أخرى غير لغة ذى جَدَن (١) الحميرى ، إذ لو كان من لغته ، لقال : سَلُحُون ، وأعرَب
النون مع بقاء الواو ، فلما لم يفعل علمنا أن المعتقد عندهم في يَبْنُون : زيادة الياء ،
وأن النونين أصليتان كما تقدم . وقوله :

دعيني — لا أبالك — لن تطيق

أى : لن تطيق صَرَفِي بالعذل عن شَأْنِي ، وحذف النون من تطيقين
للنصب أو للجزم على لغة من جَزَم بَلَنُ إن كان ذلك من لغته ، والياء التى بعد
القاف : اسم مضمَر في قول سيبويه ، وحرف علامة تأنيث في قول الأخفش ،
وللحجة لهما ، وعليهما موضع غير هذا . وقوله :

قد أنزفت ريقى

أى : أكرث على من العذل حتى أُنْبَسَتْ ريقى فى فمى ، وقلة الريق من
الحَصَرِ ، وكثرته من قوة النَّفْسِ ، وثبات الجأش قال الراجز :

إنى إذا زَبَبَتِ الأُشْدَاقُ

وكَثُرَ الأَجَاجُ والأَفْلَاقُ

(١) لقب بهذا الحسن صوته ، والجدن: الصوت بلفظهم ، ويقال : إنه أول من
تغنى باليمن ، واسم سيفه : ذو الكف .

وقال ابن الذئبة الثقفي في ذلك — قال ابن هشام : الذئبة أمه ، واسمه :
ربيعة بن عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قيس .

لَعَمْرُكَ مَا لَفَتِي مِنْ مَفَرٍّ مَعَ الْمَوْتِ يَلْحَقُهُ وَالْكِبَرُ
لَعَمْرُكَ مَا لَفَتِي مُحْشَرَةً لَعَمْرُكَ مَا إِنَّ لَهُ مِنْ وَزَرٍ
أَبْعَدَ قِبَائِلَ مِنْ حَيْرٍ أُيِدُوا صَبَاحًا بِذَاتِ الْعَبَرِ
بِأَنْفِ أَوْفٍ وَحَرَّابَةٍ كَمَثَلِ السَّمَاءِ قُبَيْلِ الْمَطَرِ
يُصِمُّ صِيَاهُمْ الْمُقْرَبَاتِ وَيَنْفُونَ مَنْ قَاتَلُوا بِالذِّفَرِ
سَعَالِي مِثْلُ عَدِيدِ التَّرَا ب تَيْبَسَ مِنْهُمْ رِطَابُ الشَّجَرِ

نَبَتْ الْجَنَانِ مِرْجَمٌ وَدَّاقُ (١)

زَبَبَتِ الْأَشْدَاقُ : مِنَ الزَّبَبَتَيْنِ (٢) ، وَهُوَ مَا يَنْعَقِدُ مِنَ الرِّيقِ فِي جَانِبِي
الْفَمِ عِنْدَ كَثْرَةِ الْكَلَامِ ، وَقَوْلُهُ : وَدَّاقُ : أَيُّ بَسِيلٍ كَالْوَدْقِ (٣) . يَرِيدُ : سِيلَانِ

(١) فِي اللِّسَانِ : إِنِّي إِذَا مَازَبْتُ الْأَشْدَاقَ ، وَكَثُرَ الضَّجَّاجُ وَالْفَلَّاقُ الْخ
ثُمَّ يَشْرَحُهُ اللَّسَانُ ، أَيُّ دَانَ مِنَ الْعَدُوِّ . وَدَقُّ : بِفَتْحِ الدَّالِ ، أَيُّ دَنَا وَالتَّزَبُّبُ :
التَّزِيدُ فِي الْكَلَامِ ، وَمِرْجَمٌ : كَمَنْشَبَرٍ : شَدِيدٌ كَأَنَّهُ يَرْجُمُ عَدُوَّهُ . وَالْفَلَّاقُ :
شِدَّةُ الصَّوْتِ وَاضْطِرَابُهُ ، وَاللَّجَاجَةُ : الْخُصُومَةُ .

(٢) فِي اللِّسَانِ : وَالزَّبَبُ : اجْتِمَاعُ الرِّيقِ فِي الصَّمَاغَيْنِ ، وَالزَّبَبَتَانِ : زَبَدَتَانِ
فِي شِدْقِ الْإِنْسَانِ إِذَا أَكْثَرَ الْكَلَامَ ، وَقَدْ زَبَبَ شِدْقَاهُ : اجْتَمَعَ الرِّيقُ فِي
صَامِغَيْهِمَا ، وَاسْمُ ذَلِكَ الرِّيقِ : الزَّبَبَتَانِ ، وَزَبَبَ فَمُ الرَّجُلِ : إِذَا رَأَيْتَ لَهُ
زَبَبَتَيْنِ فِي جَنْبِي فِيهِ عِنْدَ مُلْتَقَى شَفَتَيْهِ عَمَّا يَلِي اللِّسَانَ يَعْنِي رِيْقًا يَابِسًا ،

(٣) الْمَطَرُ .

الريق ، وكثرة القول ، كما قال أبو المخش في ابنه : كان أشدق خرطماً نبياً (١)
إذا تكلم سال لعابه . وقوله : ولو شرب الشفاء مع الشقوق .
أى : لو شرب كل دواء يُستشفى به ، وتَنَشَّق كل تشوقٍ يُجعل في الأنف
للتداوى به ، مانهى ذلك الموت عنه .

وقوله : ولا مُتَرَهَّبٌ يجوز أن يكون رفعه عطفاً على ناهٍ ، أى : لا يرد
الموت ناهٍ ، ولا مُتَرَهَّبٌ . أى : دُعَاء مُتَرَهَّبٌ يدعو لك ، ويجوز أن يكون
متَرَهَّبٌ رفقا على معنى : ولا ينجو منه مُتَرَهَّبٌ . كما قال : تالله يبق على
الأيام زوجيد (٢) . البيت . والأسطوان : أفعوال . النون أصلية ، لأن جمعه
أساطين ، وليس في الكلام أفاعين . وقوله :

بناطح جُذْرَه بَيْضُ الْأُنُوقِ

جُذْرَه : جمع جدار ، وهو مخفف من جُدُورٍ ، وفي التنزيل (أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ)
تقيد بضم الجيم ، والتجذرُ أيضا بفتح الجيم : الحائط ، ولكن الرواية في الكتاب
هكذا كما ذكرنا . والأنوق : الأتني من الرّخَم (٣) ! يقال في الثل : أعز من بَيْضِ

(١) أشدق : بليغ ، والخرطمان : الكبير الأنف .

ملحوظة : لاكدوس ولا كأعلاق رحله . الأعلاق : جمع علق وبكسر العين ،
النفيس من الشيء والجرب ، ويفتح أيضا . يعنى : أنه لا يوجد كدوس ولا مثل
ماحله من الخير الوفير إلى الحبشة .

(٢) بقيته : بِمُشَمَّخٍ بِهِ الظَّيَّانُ وَالْأَسُ . وهو لما لك بن خالد الخناعي

(٣) الرخم : طائر غزير الريش ، أبيض اللون ممتع بسواد ، له منقار طويل
قليل التقوس ، رمادي اللون إلى الحمرة ، وأكثر من نصفه مغطى بجلد رقيق .

الأُنُوقُ ، إذا أراد مالا يوجد؛ لأنها تبيض حيث لا يدرك ببيضها من شواهي الجبال . هذا قول اللبرد في السكامل ، ولا يوافق عليه ؛ فقد قال الخليل : الأُنُوقُ : الذكور من الرِّخَمِ ، وهذا أشبه بالمعنى ؛ لأن الذكر لا يبيض ، فمن أراد ببيض الأُنُوقِ ، فقد أراد المحال ، كمن أراد : الأَبْلَقُ العُقُوقُ (١) وقد قال القالي في الأمالي : الأُنُوقُ يقع على الذكر والأنثى من الرِّخَمِ .

وقوله : وغمدان الذي حدث عنه : هو الحصن الذي كان ليهوذا بن علي مالك اليمامة ، وسيأتي طرف من ذكره . ومُسَمَّكا : مُرَفَّعا من قوله : سَمَك السماء ، والنَّيْقُ : أعلى الجبل . وقوله : بِمَنْهَمَةٍ هو موضع الرهبان . والراهب يقال له : التَّهَامِيُّ ويقال للتجار أيضا : تَهَامِيٌّ ، فتكون المنهَمَةُ أيضا على هذا موضع نَجْرٍ (٢) .

وقوله : وأسفله جُرُون . جمع جُرْنٍ ، وهو النَّقِيرُ (٣) من جَرَن الثوب : إذا

(١) هو مثل لما لا يمكن أن يكون ، لأن الأَبْلَقُ من ذكور الخيل ، أو الفحل الذي جاءت أولاده بلقا . العُقُوقُ من التَّهَامِ : الحامل . والأَبْلَقُ طبعاً لا يحمل : لأن أبلق من صفات الذكور ، ولهذا تقول كلفتي ببيض الأنوق ، والأَبْلَقُ العُقُوقُ . انظر اللسان . مادة : أُنُقُ وبلق وعق ، والأمالي القالي ج١ ص ١٢٨ ط ٢ والسمط ص ٣٧٠ .

(٢) في القاموس : التَّهَامُ والتَّهَامِيُّ منسوباً مثلثين : الحداد والتجار ، والمنهَمَةُ : موضع التجرة ، والتَّهَامِيُّ بالكسر : صاحب الدبر وتضم ، وفي اللسان : التَّهَامِيُّ بكسر النون وفتحها : الحداد والتجار والراهب

(٣) في القاموس : الجرن بالضم : حجر منثور يتوضأ منه ،

لان [وانسحق] . ورواية أبي الوليد الوقشي : جروب بالباء . وكذلك ذكره الطبري بالباء أيضا . وفي حاشية كتاب الوقشي : الجروب : حجارة سود . كذا نقل أبو بحر عنه في نسخة كتابه ، فإن صح هذا في اللغة وإلا فالجروب : جمع جريب على حذف الياء من جريب ، فقد يجمع الاسم على حذف الزوائد ، كما جمعوا صاحباً على أصحاب . وقالوا : طوي وأطواء وغير ذلك . والجريب والجربة : المزرعة (١) .

وقوله : وحُرَّ الموحل بفتح الحاء ، وهو القياس لأنه من وحلَّ يوَحِّل . ولو كان الفعل منه وحلَّ على مثل وعد (٢) ، لكان القياس في الموحل الكسر لا غير ، وقد ذكر القتيبي في اللفتين : الكسر والفتح ، والأصل ما قدمناه .

وقوله : وحُرَّ بضم الحاء ، وهو خالص كل شيء ، وفي كتاب أبي بحر عن الوقشي : وحَرَ الموحل بفتح الحاء ، والجيم من الموحل مفتوحة ، وفسر الموحل ، فقال : حجارة مُلسَّ لينة ، والذي أذهب إليه أن الموحل ههنا واحد الموحل ، وهي مناهل الماء ، وفُتحت الجيم ، لأن الأصل : مأجل (٣) كذلك قال أبو عبيد : هي المأجل ، وواحدتها : مأجل . وفي آثار المدونة سُئل مالك

(١) الجريب : مكيال قدر أربعة أقدرة ، جمعه : أجربة وجربان ومعناه أيضا : والوادي ، والطوى : البئر .

(٢) يعنى مكسور العين محذوف اللام في المضارع وفي وجل لغات :

يوجل ويأجل وييجل وكلها بفتح الجيم ، وفي الأخيرة بكسر الياء معها

(٣) في القاموس : موحل على مثال موعد : حفرة يستنقع فيها الماء وفي

مادة أجل : وكمقعد ومعظم مستنقع الماء ، وفي اللسان : والموحل بالفتح المصدر

وقال عمرو بن معدى كَرِبَ الزُّبَيْدَى في شيء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرادى ، فبلغه أنه يتوعده ، فقال يذكر خير وعِزَّها ، ومازال من مُلْكها عنها :

أَتُوْعِدُنِي كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنِ بأفضل عِيشَةٍ ، أو ذُو نُؤاسِ
وَكأَنَّ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ نَعِيمٍ وَمُلْكٍ ثَابِتٍ فِي النَّاسِ رَاسِ
قَدِيمٍ عَهْدِهِ مِنْ عَهْدِ عَادٍ عَظِيمٍ قَاهِرِ الْجَبْرُوتِ قَاسِ
فَأَمْسَى أَهْلُهُ بَادُوا ، وَأَمْسَى يُحَوَّلُ مِنْ أَنَاسٍ فِي أَنَاسِ

- رحمه الله - عن مَوَاجِلٍ بُرْقَةٍ ، يعنى : المناهيل ، فلو كانت الواو في الكلمة أصلاً لقليل في الواحد : مَوَجَلٌ مثل موضع ، إلا أن يراد به معنى الوَجَل ، فيكون الماضي من الفعل مكسور الجيم والمستقبل مفتوحا ، فيفتح الموجل حينئذ ، ولا معنى له في هذا الموضع (١)

= وبالكسر : المكان ، وفي باب أجَلْ والمَاجِلْ - بفتح الجيم - مستنقع الماء والجمع : المَاجِلْ ، والمَاجِلْ - بفتح الجيم أيضا - شبه حوض واسع يؤجل ، أى يجمع فيه الماء إذا كان قليلا ، ثم يفجر إلى المَشَارِثِ . والمزرعة والآبار وهو بالفارسية طَرَحَه ، (١) يعنى وجل بمعنى : خاف ، فهو مكسور الجيم في الماضي مفتوحا في المضارع . وفي باب وجل يقول اللسان : « والموجل - بكسر الجيم : حفرة يستنقع فيها الماء ، وقال إنها يمانية وفي شرح الشافعية يذكر رواية سيويه عن يونس « إن ناساً من العرب يقولون من يوجل - بفتح الجيم - ونحوه : موجل وموجل بالفتح مصدرا كان أو غيره . قال سيويه : إنما قالوا ألا كثرون موجل بالكسر ؛ لأنهم ربما غيروه في يوجل ويوجل بفتح الجيم والخاء ، فقالوا : ييجل وياجل ، فلما أعلوه بالقلب شبهوه بواو يوعد بكسر العين المثل بالحذف ، فكما قالوا هناك : موعدا قالوا ههنا : موجل - بكسر الجيم - ومن قال : الموجل بالفتح ، فكأنهم الذين يقولون يوجل فيسلمونه . والأسماء المتصلة بالأفعال تابعة لها في الإعرال ، وإنما قالوا : مودة بالفتح اتفاقا لسلامة الواو في الفعل اتفاقا ، ص ١٧٠ > ١

وقوله : اللَّئِيقُ الزَّلِيقُ . اللَّئِيقُ : من اللَّئِقِ ، وهو أن يخالط الماء بالتراب فيكثر منه الزَّلِيقُ ، قال بعض الفصحاء : غاب الشَّقُّ ، وطال الأَرَقُّ ، وكثر اللَّئِيقُ ، فَلْيَنْطِقْ مَنْ نَطَقَ . وفي حاشية كتاب أبي بحر : اللَّبِيقُ بالباء المنقوطة بواحدة ، وذكر أنه هكذا وجد في أصل ابن هشام ، ولا معنى للَبِيقِ ههنا ، وأظنه تصحيفا من الرواي — والله أعلم

وقوله في الشعر : يكاد البُسْرُ يَهْصِرُ بالعُدوق .

أى : تميل بها ، وهو جمع عَذَقَ بكسر العين ، وهى الكِبَاشَةُ أو جمع عَذَقَ بفتح العين ، وهى النَّخْلَةُ ، وهو أبلغ في وصفها بالأيقار (١) أن يكون جَمْعُ عَذَقَ بالفتح . وقوله : وأسلم ذو نواس مستكينا . أى : خاضعا ذليلا ، وفي التنزيل : ﴿فَاسْتَكَاثُوا الرَّبَّ هُمْ﴾ [المؤمنون : ٧٦] ، قال ابن الأنبارى فيه قولان . أحدهما : أن يكون من السكون ، ويكون الأصل : استكن على وزن افعل ، ومكثوا الفتحة ، فصارت ألفا كما قال الشاعر :

وإنى حينما يئنى الهوى بصرى من حيث ماسكوا أذنوا فنظور (٢)

(١) لأن العذق بفتح العين هى النخلة مجملها

(٢) هو من يئنين أشدهما الفراء ، وهما :

الله يعلم أنا فى تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صور

وأنى حوثما يئنى الهوى بصرى من حوثما سلكوا أدنو ، فأنظور

الصور : جمع أصور : المائل من الشوق . والشاهد هنا : تولد الواو من إشباع ضمة الظاء وحوثما : حيثما .

وقال آخر : ياليتها جرت على الكلكال . أراد الكلكال (١) . والقول الآخر : أن يكون استعمل من كان يكون مثل : استقام من قام يقوم . قال المؤلف رحمه الله : هذا القول الأخير جيد في التصريف ، مستقيم في القياس ، لكنه بعيد في المعنى عن باب الخضوع والذلة ، والقول الأول قريب في المعنى ، لكنه بعيد عن قياس التصريف ؛ إذ ليس في الكلام فعل على وزن افتعال بألف ، ولكن وجدت لغير ابن الأنباري قولاً ثالثاً : إنه استعمل من الكين وكين الإنسان : عجزه ومؤخره ، وكان للمستكين قد جنا ذلك منه ، كما يقال : صلى ، أى . حناصلاً ، والصلأ : أسفل الظهر ، وهذا القول جيد في التصريف ، قريب المعنى من الخضوع (٢) .

وذكر قول ابن الذئبة ، واسمه ، وهو : ربيعة بن عبد باليل ، وقال فيه : لعمرك ما لفتى صخرة ، وهو المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء ، والوزر : الملجأ ، ومنه اشتق : الوزير ؛ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ، وقد قيل من الوزر لأنه يحمل عن الملك أثقالاً ، والوزر : الثقل ، ولا يصح قول من قال : هو من أزره إذا أعانه ، لأن فاء الفعل في الوزير واو ، وفي الأزر الذي هو العمون همزة .

(١) الكلكل والكلكال هما : الصدر ، أو ما بين الترقوتين أو باطن الزور ، ومن الفرس ما بين محزمه إلى مامس الأرض منه إذا ربحض
(٢) في القاموس : كان يكين : خضع ، واكتان : حزن . والكيئة - بكسر الكاف - الشدة المذلة . والكين : بفتح الكاف وسكون الياء : لحم باطن الفرج أو غدد فيه كأطراف النوى . وأكانه الله إكانه : خضعه وأدخل عليه الذل ، فلم لانحملها على هذا ؟ والصلأ أيضاً : ما عن بين الذنب وشماله ، والفرجة بين الجاعرة (الدبر) والذنب ، وهما صلوان ، والجمع أصلاء .

وذاتُ الْعَبْرِ أَى : ذاتُ الحزن، يقال : عَبَرَ الرجل إذا حزن، ويقال : لِأُمِّهِ الْعَبْرُ (١)، كما يقال : لِأُمِّهِ الشَّكْل . وَالْمُقَرَّبَاتُ : الخيلُ العِتَاقُ التي لا تسرح في المرعى ، ولكن تُحبس قرب البيوت مُعَدَّةً للعدو . وقوله : وَيَنْفُونَ من قَاتِلُوا بِالذَّفَرِ . أَى : يريحهم وأنفاسهم ينفون من قَاتِلُوا ، وهذا إفراطٌ في وصفهم بالكثرة ، قال البرقي : أراد ينفون من قَاتِلُوا بذفر آبائهم ، أَى بفتحها والذفر بالذال الْمُعْجَمَةُ تستعمل في قوة الريح الطيبة والخبثية . قال المؤلف — رحمه الله — فإن كان أراد هذا فإنما قصده ، لأن السودان أُنْتُنُ الناسُ آبائاً وأعرافاً . وقوله : سَعَالِي : شبههم بالسَّعَالِي من الجن جمع سَعْلَاء [أو سَعْلَاء] . ويقال : بل هي الساحرة من الجن ، وقوله : كَتَلُ السَّمَاءِ أَى : كَتَلُ السحابِ لاسودادِ السحابِ ، وَظَلَمَتِهِ قُبَيْلُ المطر .

فصل : وقوله : عَمَرُو بَنُ مَعْدَى كَرِبَ ، وَمَعْدَى كَرِبُ بالحيرية : وَجْهُ الْفَلَّاحِ . الْمَعْدَى هو : الْوَجْهُ بِلَقَبِهِمْ ، وَالْكَرِبُ هو : الْفَلَّاحُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَبُو كَرِبَ ، فَعَنَاهُ عَلَى هَذَا : أَبُو الْفَلَّاحِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ . وَكَذَلِكَ تَقَدَّمَ كُلُّكِي كَرِبُ ، وَلَا أُدْرِي مَا كُلُّكِي .

وقوله : قَيْسُ بْنُ مَكْشُوحٍ الْمُرَادِي ، إِنَّمَا هُوَ حَايِفُ لِمُرَادٍ ، وَاسْمُ مُرَادٍ : يَحْيَى بْنُ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ (٢) بْنِ مَذْحِجٍ ، وَنَسَبُهُ فِي بَحْيَلَةٍ ، ثُمَّ فِي بَنِي أَحْمَسَ

(١) بضم العين وسكون الباء أو بفتحها .

(٢) في الاشتقاق لابن دريد : يحا يرجع : بِحَبْوَةٍ - بفتح أوله وهو ضرب من الطير ، وسمى مراداً لأنه أول من تمرد باليمن ، وضبطت يحاير بالضم من القاموس وجمهرة ابن حزم .

« نسب زبيد » :

قال ابن هشام : زُبَيْدُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ مَازِنَ بْنِ مُنْبَهٍ بْنِ صَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ بْنِ مَذْحِجٍ ، ويقال : زُبَيْدُ بْنُ مُنْبَهٍ بْنِ صَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ ، ويقال : زُبَيْدُ بْنُ صَعْبٍ . ومُرَادُ : يُحَاكِ بِرُ بْنُ مَذْحِجٍ

وأبوه مكشوح اسمه : هُبَيْرَةُ بْنُ هَلَالٍ ، ويقال : عَبْدُ يَنْوُثَ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ أَحْمَسٍ بْنِ الْقَوْثِ بْنِ أُنْمَارٍ ، وَأُنْمَارُ : هُوَ وَالِدُ بَيْحَلَةَ وَخَثَمَ ، وَاسْمُ أَبِيهِ مَكْشُوحًا ، لِأَنَّهُ ضُرِبَ بِسَيْفٍ عَلَى كَتِفِهِ ^(١) ، وَيَكْنَى قَيْسَ : أَبَا شَدَادٍ ، وَهُوَ قَاتِلُ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ الْكَذَّابِ (٢)

(١) الكشوح : بفتح الكاف وسكون اللامين ما بين الحاصرة إلى الضلع الخلف وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ١١٢ أنه سمي المكشوح ، لأنه كوى على كشحه من داء كان به .

(٢) رجل ادعى النبوة على عهد رسول الله ، وغلب على ما بين صبيته مفازة حضرموت إلى عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن ، وطابقت عليه اليمن ، وجعل أمره يستطير استطارة الحريق ، وعامله أهل الردة بالكفر والرجوع عن الإسلام وكان خليفته في مذحج عمرو بن معدى يكرب ، وكان من عمال الرسول على اليمن : شهر بن باذام ، وعامر بن شهر الهمداني . فقتله الأسود ، وتزوج امرأته ، وهي بنت عم فيروز ، وبقي عامر يناحله ، وكان أمر قوات الأسود إلى رجلين يسميان : فيروز وداذويه ، فلما اشتد أمره وأتخى في الأرض استخف بأمر جنده : قيس بن عبد يغوث وفيروز وداذويه . ويقال إن الرسول — صلى الله عليه وسلم — أذن لعماله الباقين في اليمن بالخلاص من الأسود بكتاب بعث به مع وبر بن يُحَنَّثَس . واستطاع هؤلاء استمالة أمير جنود الأسود : قيس بن عبد يغوث ، ثم فيروز وداذويه واستطاع جيشيش أو جشفس الديلمي استمالة زوج الأسود إليه . قال لها : يا بنة عم ، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك ، قتل زوجك ، وطأ طأ في قومك القتل ، وأي أسرع فيهم بالقتل ، وسفل بمن بقي منهم ، وفضح النساء ، فهل عندك من مالاة =

« عود إلى شعر عمرو بن معدى كرب »

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة ، قال :

كتب عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إلى سلمان بن ربيعة الباهلي ، وباهلة ابن يعقوب بن سعد بن قيس بن عيلان . وهو إزميلية يأمره أن يفضل أصحاب الخيل العراب على أصحاب الخيل المقارف في العطاء ، فمرض الخيل ، فمر به فرس عمرو بن معدى كرب ، فقال له سلمان ، فرسك هذا مفر ، فغضب عمرو ، وقال : هجين عرف هجينا مثله ، فوثب إليه قيس فتوعدده ، فقال عمرو هذه الأبيات .

هو وذادويه وفيرور ، وكان قيس بطلاً بليسا قتل مع علي — رضى الله عنه — يوم صفين ، وله في ذلك اليوم مواقف لم يسمع بمثلها عن بهمة (١) من الهمم ، وكذلك له في حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يسمع بمثلها ، عن أحد بعد خالد بن الوليد .

== عليه ، فقالت : على أى أمره ؟ فقال : لإخراجه . قالت : أو قتله ، فقال : أو قتله قالت : نعم ، والله ما خلق الله شخصا أبغض إلى منه . ما يقوم لله على حق ، ولا ينتهي له عن حرمة . وقد استطاعت أن تدلهم على مكان في القصر أحدثوا فيه قبا في المساء ، وانضم إلى هؤلاء قيس بن مكشوح المرادى — في بعض الروايات — واستطاع هؤلاء قتله تعيينهم زوجته . ويقال إن أول أمره إلى آخره كان ثلاثة أشهر ، وقيل : أربعة أشهر . وقيل إن أبا بكر أمضى جيش أسامة في أول عهده بالخلافة في آخر ربيع الأول ، وكان مقتل العنسي في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ، وفي هذا خلاف ؛ فقد قيل مثلاً إنه قتل قبل وفاة النبي بخمسة أيام (١) الهممة : الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى والبئيس : الشجاع

وعمر بن مَعْدَى كَرَبَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَكْنَى : أبا ثَوْرٍ تُضْرَبُ
الأمثال بفروسيته وبسالته ، وفيه يقول الشاعر حين مات :

قُلْ لِّزُبَيْدٍ بَلْ لَمَذَحِجْ كُلُّهَا رُزِيمَ أبا ثَوْرٍ قَرِيبَكُمْ عَمْرًا
وَصَنْصَمَاتُهُ (١) المشهورة كانت من حديدة ، وجدت عند الكعبة
مدفونة في الجاهلية ، فُصِّنِعَ منها ذُو الْفَقَّارِ (٢) والصَّصَامَةُ ، ثم تَصَيَّرَتْ إِلَى
خالد بن سعيد بن العاصي . يقال إن عَمْرًا وهبها له ليد كانت له عليه ، وذلك
أن رِيحَانَةَ أخت عمرو التي يقول فيها عمرو :

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُوْرُقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
كان أصحابها خالد بن سعيد في سَبَى سِبَاهٍ ، فَمَنَّ عَلَيْهَا ، وَخَلَى سَبِيلَهَا ، فَشَكَرَ
ذلك له عمرو وأخوها ، وفي آخر الكتاب من خبر قيس بن مكشوح وعمر
ابن معدى كرب أكثر مما وقع ههنا ، والشعر الصيني الذي ذكره ابن إسحاق
وأوله : أتوعدني كأنك ذورعين . ذكر المسمودي أن عَمْرًا قاله لِعُمَرَ بْنِ
الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حين أراد ضربه بالدرّة في حديث ذكره (٣) ، وفي
الشعر زيادة لم تقع في السيرة وهو قوله :

(١) أصل الصمصام : السيف لا ينثني ، ثم اشتهر سيف عمرو باسم الصمصامة
(٢) في القاموس : سيف العاص بن مُنْبِئَةَ قتل يوم بدر كافرًا ، فصار إلى
النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم صار إلى علي . وريحانة التي سينكحها عنها ، والتي هي
أخت عمرو هي : أم دريد بن الصمة بن الحارث القشيري الشاعر الفارس المشهور
الذي أتاه الشعر من قبل خاله عمرو انظر ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٣ سطر اللآلي .

(٣) شيء يضرب به ، ودرة عمر مشهورة طالما شفت من الشك . وقد ذكر
المسمودي قصة عمرو مع عمر في ص ٢٣٢ ج ٢ طبعة سنة ١٣٦٧ هـ

فلا يفررك مذكك ، كُلُّ مَلِكٍ يصير إذْ لَآءُ بَعْدَ الشَّمْسِ (١)

وذكر سلمان بن ربيعة حين هَجَنَ فَرَسَ عَمْرٍو ، ونسبه إلى باهلة بن
أَعْصُرٍ ، وكذلك هو عند أهل النسب : باهلي ، ثم أحد بني قُتَيْبَةَ بن مَعْنٍ ،
وباهلة : أمهم (٢) وهي بنت صَعْبٍ بن سعد العَشِيرَةِ بن مذحج ، وأبوم
يَعْصُرٍ ، وهو مُنَبِّهٌ بن سعد بن قيس بن عيلان ، وسمى : يَعْصُرًا لقوله :

أَعْمِرُ إِنْ أَبَاكَ غَيْرَ لَوْنَهُ مَرُّ اللَّيَالِي وَاخْتِلَافُ الْأَعْصُرِ (٣)

فيقال له : أَعْصُرُ وَيَعْصُرُ ، وكان سلمان بن ربيعة قاضياً لمعمر بن الخطاب
— رضى الله عنه — على الكوفة ، ويقال : سلمان الخليل ، لأنه كان يتولى
النظر فيها ، قال أبو وائل : اختلفتُ إلى سلمان بن ربيعة أربعين صباحاً ،
وهو قاضٍ ، فما وجدت عنده أحداً يختمهم إليه ، واستشهد سلمان بإزمينية
سنة تسع وعشرين .

(١) شمس الفرس شموسا وشماسا : مَنَعَ ظَهْرَهُ ، وبين الأبيات التي في المسعودي
وبين التي في السيرة اختلاف كبير . والهجين : اللثيم ، وعربي ولد من أمة ، أو هو
الذي أبوه خير من أمه ، وفرس هجين : أى غير كريم ، والحيول المقارن بفتح
الميم : جمع مقرف كمحسن مايداني الهجنة ، أى أمه عربية لا أبوه ، لأن الإقواف
يكون من قبل الفعل ، والهجنة تكون من قبل الهمزة .

(٢) في الاشتقاق لابن دريد أن باهلة هي حاضنتهم ، وهي امرأة من مذحج
أو من همدان ص ٧١ .

(٣) هي في اللسان : دأبني ، وكر الليالي . بدلا من : أعمير ، وعر .

« عَوْدَ إِلَى شَقِّ وَسَطِيحٍ » .

قال ابن هشام : فهذا الذى عَنِ سَطِيحِ الْكَاهِنِ بقوله « لِيَهْبِطُنَّ أَرْضَكُمْ الْحَبَشَ ، فَلْيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَثْنَيْنِ إِلَى جُرُشٍ » والذى عَنِ شَقِّ السَّكَاهِنِ بقوله « لِيَنْزِلَنَّ أَرْضَكُمْ السُّودَانُ ، فَلْيَسْفُلَيْنَّ عَلَى كُلِّ طَفَلَةِ الْبَنَانِ ، وَلْيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَثْنَيْنِ إِلَى نَجْرَانِ »

غلب أبرهة الأشرم على أمر اليمن ، وقتل أرياط

قال ابن إسحاق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى ، حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فأنحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض ، حتى تفنيها شيئا ، فأبرز إلى ، وأبرز إليك ، فأبنا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده ، فأرسل إليه أرياط : أنصفت فخرج إليه أبرهة — وكان رجلا قصيرا لحيما ، وكان ذا دين فى النصرانية — وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفى يده حربة له ، وخلف أبرهة غلام له ، يقال له : عَتَوْدَة ، يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربة ، فضرب أبرهة يريديافوخه ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فَشَرَمَتْ حَاجِبَهُ وَأَنْفَهُ وَعَيْنَهُ وَشَفَتَهُ ، فبذلك سُمِّيَ : أبرهة الأشرم ، وحمل عَتَوْدَة على أرياط من خلف أبرهة قتلته ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وودى أبرهة أرياط .

وذكر خبر عَتَوْدَة غلام أبرهة ، وقد فرغنا من حديثه فيما مضى ، وما زاد فيه الطبرى وغيره ، وأن العتودة : الشدة فى الحرب .

(م ١٦ — الروض الأثف)

« موقف النجاشي من أبرهة » :

فلما بلغ النجاشي غَضَبَ غَضَبٍ شديداً وقال : عدا على أميري ، ققتله بغير أمرى ، ثم حلف : لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويمزّ ناصيته ، فخلق أبرهة رأسه ، وملاً جِراباً من تراب اليمن ، ثم بعث إلى النجاشي ، ثم كتب إليه : « أيها الملك ، إنما كان أرباط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا في أمرك ، وكلُّ طاعته لك ، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة ، وأضبط لها ، وأسوس منه ، وقد حلفتُ رأسي كله حين بلغني قَسَمُ الملك ، وبعثتُ إليه بجِراب تراب من أرضي ؛ ليضعه تحت قدميه ، فيبرّ قسمه فيَّ » .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت بأرض اليمن حتى ياتيئك أمرى ، فأقام أبرهة باليمن .

أمر الفيل ، وقصة النساء

« كنيسة أبرهة » :

ثم إن أبرهة بنى القَائِسَ بصنعاء ، فبنى كنيسةً لم يُر مثلاً في زمانها بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي : إني قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسةً لم

وذكر أن أرباطاً علا بالحربة أبرهة ، فأخطأ يافوخه . واليافوخُ : وسط الرأس (١) . ويقال له من الطفل : غَازِيَةٌ بالذال ، فإذا اشتد وصلب سمي : يافوخاً بالهمز على وزن يَفْعُول ، وجهه : يَافِيخُ قال المَعْجَاجُ :

(١) وتقال دون إظهار الهمزة .

يُبْنِ مِثْلَهَا لِمَلِكٍ كَانَ قَبْلَكَ ، وَلَسْتُ بِمُنْتَهَى حَتَّى أَصْرَفَ إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا تَحَدَّثَ الْعَرَبُ بِكِتَابِ أِبْرَهَةَ ذَلِكَ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، غَضِبَ رَجُلٌ مِنَ النِّسَاءِ ، أَحَدُ بَنِي قُقَيْمٍ بَنِ عَدِيِّ بَنِ عَامِرٍ بَنِ ثَعْلَبَةَ بَنِ الْحَارِثِ بَنِ مَالِكِ بَنِ كِنَانَةَ بَنِ خَزِيمَةَ ابْنِ مَدْرَكَةَ بَنِ الْيَاسِ بَنِ مَضَرَ .

« النَّسِيءُ » :

وَالنِّسَاءُ : الَّذِينَ كَانُوا يَنْسَتُونَ الشُّهُورَ عَلَى الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَيَحُدُّونَ الشَّهْرَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَيَحْرَمُونَ مَكَانَهُ الشَّهْرَ مِنْ أَشْهُرِ الْحِلِّ ، وَيُؤْخِرُونَ ذَلِكَ الشَّهْرَ ، فَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحْلِلُونَ عَمَّا ، وَيَحْرَمُونَ عَمَّا ؛ لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٣٧] .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : لِيُؤْاطُوا : لِيُؤَاقِفُوا ، وَالْمُؤَاطَاةُ : الْمُؤَاقَفَةُ ، يَقُولُ الْعَرَبُ : وَاطَّنَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ، أَيْ وَاقِفْتَكَ عَلَيْهِ ، وَالْإِطَاءُ فِي الشَّعْرِ : الْمُؤَاقَفَةُ ، وَهُوَ اتِّفَاقُ الْقَافِيَتَيْنِ مِنْ لَفْظٍ وَاحِدٍ ، وَجِنْسٍ وَاحِدٍ ، نَحْوُ قَوْلِ الْعَجَّاجِ — وَاسِمِ الْعَجَّاجِ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُوَيْبَةَ أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةُ بْنُ تَيْمٍ بَنِ مُرٍّ بَنِ أَدِ ابْنِ طَابِجَةَ بَنِ الْيَاسِ بَنِ مَضَرَ بْنِ زَرَارٍ .

فِي أَتْعَمَانَ الْمُنَجِّنُونَ الْمُرْسَلِ

« ضَرِبَ إِذَا صَابَ الْيَافِيخَ خَفَرٌ »

وَقَوْلُهُ : شَرَّمَ أَنْفَهُ وَشَفَّتَهُ أَيْ : شَقَّهَا .

ثم قال :

مدّ الخليج في الخليج المرسل

« وهذان البيتان في أرجوزة له » :

قال ابن إسحاق : وكان أول من نسا الشهور على العرب ، فأحلت منها ما أحل ، وحرمت منها ما حرم : القلمس ، وهو حذيفة بن عباد بن قيس بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمه ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ، ثم قام بعد عباد : قلع بن عباد ، ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف أبو نملة : جنادة بن عوف . وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فحرم الأشهر الحرم الأربعة : رجباً ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرم . فإذا أراد أن يحل شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرّم مكانه صفر فحرموه ؛ ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم . فإذا أرادوا الصّدر ، قام فيهم فقال : « اللهم إني قد أحلت لك أحد الصّفرين ، الصفر الأول ، ونسأت الآخر للعام المقبل » . فقال في ذلك عمير بن قيس « جدل الطّمان » أحد بني فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ، يفخر بالنساء على العرب :

(خبر القليس مع الفيل ، وذكر بنيان أبرهة للقليس)

وهي الكنيسة التي أراد أن يصرف إليها حجّ العرب ، وسُميت هذه الكنيسة : القليس لارتفاع بنائها وعلوها (١) ، ومنه القلائس لأنها في أعلى

(١) وكذلك القليسية إذا فتحت القاف ضمنت السين ، وإذا ضمنت كسرتها

لقد علمت معداً أن قومي كرام الناس أن لهم كراماً
فأى الناس فاتونا بوترٍ وأى الناس لم تُفلك لجاما
ألسنا الناسين على معدٍ شهر الحِلّ نجعلها حراماً
قال ابن هشام : أول الأشهر الحرم : المحرم .

« سبب حلة أبرهة على الكعبة » :

قال ابن إسحاق : فرج الكِنَانِي حَتَّى أَتَى الْقَلْبَ قَعْدَ فِيهَا — قال
ابن هشام : يعنى أحدث فيها — قال ابن إسحاق : ثم خرج فلحق بأرضه ،
فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب
من أهل هذا البيت الذى تهبّ العرب إليه بمكة لما سمع قولك : « أصرف إليهما
حج العرب » غضب فجاء ، فقعدها فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل . فغضب
عند ذلك أبرهة وحلف : ليسرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة
فتميَّات وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب ،
فأعظموه وقطعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم
الكعبة ، يبت الله الحرام .

الروس ، ويقال : قَلْبَسَ الرجل وتَقَاسَ إذا لبس القَلْبَسُوة ، وقَاسَ طعاماً أى :
ارتفع من معدته إلى فيه ، وكان أبرهة قد استدل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة ،
وجشمهم فيها أنواعاً من السَّخَرِ ، وكان ينقل إليها البَدَدَ من الرُّخَامِ المُجَرَّعِ ،
والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان — عليه السلام —
وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ ، وكان فيه بقايا من آثار ملكها ،

فاستعان بذلك على ما أَرَادَهُ في هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ، ومنابر من العاج والآبُنُس (١) ، وكان أَرَادَ أَنْ يرفع في بنائها حتى يشرف منها على عَدَن ، وكان حكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أَنْ يأخذ في عمله أَنْ يقطع يده ، فنام رجل منهم ذات يوم ، حتى طلعت الشمس ، فجاءت معه أمُّه ، وهي امرأة عجوز ، فتضرعت إليه تستشفع لابنها ، فأبى إِلَّا أَنْ يقطع يده ، فقالت : اضرب بِمِعْوَلِكَ اليوم ، فاليومُ لك ، وغدا لغيرك ، فقال : وَيَحْكُ مَا قُلْتَ ! ؟ فقالت : نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك ، فكذلك يصير منك إلى غيرك ، فأخذته موعظتها ، وأعفى الناس من العمل فيها بعد . فلما هلك ومُرِقت الحبشة كل مُمرِّق ، وأقفر ما حول هذه الكنيسة ، فلم يعمرها أحد ، وكثرت حولها السباع والحيات ، وكان كل من أَرَادَ أَنْ يأخذ شيئا منها أصابته الجن (٢) ، فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوى قناطير من المال ، لا يستطيع أحد أَنْ يأخذ منها شيئا إلى زمن أبي العباس ، فذُكر له أمرُها ، وما يتهيب من جنِّها وحَيَّاتها ، فلم يرعه ذاك . وبعث إليها بآبن الربيع عامله على اليمن معه أهلُ الحِزْمِ والجَلَادَةِ (٣) ، فخرَّبها ، وحصلوا منها ما لا كثيرا يبيع ما أمكن بيعه من رُخامها وآلاتها ، فعفا بعد ذلك رسمُها ، وانقطع خبرها ،

-
- (١) يريد خشب الآبنوس الذي يثبت في الحبشة والهند ، وخشب أسود صلب
واقرا وصف بنائها في الطبرى ص ١٣٧ ج ٢ طبعة دار المعارف .
(٢) خرافة ولا شك .
(٣) القوة مع الصبر على المكروه .

و درست آثارها ، وكان الذي يصيبهم من الجن ينسبونه إلى كُعَيْبٍ وامراته
صنمين كانت الكنيسة عليهما ، فلما كسِر كُعَيْبٌ وامراته أصيب الذي
كسره بُحْذَامُ (١) فافتنن بذلك رَعَاعَ اليمين و طَفَامَهُم (٢) ، وقالوا : أصابه
كعيب ، وذكر أبو الوليد الأزرقي أن كُعَيْبًا كان من خشب طوله :
ستون ذراعا (٣) .

النسي والنساء :

وذكر النساء والنسي من الأشهر . فأما النساء فأولهم : القلمس ، واسمه :
حُذَيْفَةُ بْنُ عَبْدِ بْنِ قُصَيْمٍ ، وقيل له : القلمس لجوده ، إذ القلمس (٤) من أسماء
البحر ، وأنشد قاسم بن ثابت :

إلى نَضْدٍ من عَبْدٍ شَمْسٍ ، كأنهم هِضَابٌ أجا أركانهُ لم تقصَف (٥)

-
- (١) عجيب من السهيل ترديد مالا يصدقه شرع ولا عقل .
(٢) الطغام : الاوغاد من الناس الواحد : طغامة مثل سحابة ، والرعا ع بضم الراء
وفتحها مفردا : رعاة وهو من لا قلب له ولا عقل .
(٣) كيف إذن يصيب هذا الخشب الناس بسوء ؟
(٤) الكثير الماء من الركايا والبحر والرجل الخير المعطاء ، والسيد العظيم
والرجل الداهية المنكر البعيد الغور ، وفي تفسير ابن كثير أن اسمه كان
حفادة بن عوف .

(٥) أجا : أحد جبلى طيء ، وفيه قرى كثيرة . والنضد : الشرف والشريف
ومن القوم : جماعتهم وعددهم ، ومن الجبال : جنادل بعضها فوق بعض ، وفي القاموس
أن القلمس كان يقف عند جسر الهقبة — أحد مشاعر الحج في منى — ويقول : =

قَلَامِيسَة سَاسُوا الْأُمُور فَأَحْكَمَتْ سِيَاسَتَهَا حَتَّى أَقْرَبَتْ لِرُؤُوفٍ

وذكر أبو علي القالي في الأمالى أن الذى نَسَأَ الشُّهُورَ منهم : نُعَيْمُ بن ثَعْلَبَة ، وليس هذا بمعروف^(١) ، وأما نَسُؤُهُم للشَّهر ، فكان على ضربين . أحدهما :

== اللهم إني ناسى الشهور ، وواضعها مواضعها ، ولا أعاب ، ولا أجاب . اللهم إني قد أحللتُ أحدَ الصَّغَرَيْنِ - يعنى المحرم وصفرا - وحرمت صفر المؤخر وكذلك فى الرجيين - يعنى رجبا وشعبان - انفروا على اسم الله تعالى ، وقريب من هذا ما زواه ابن كثير فى تفسيره .

(١) هو فى الأمالى ص ٤ ج ١ طبع دار الكتب الطبعة الثانية ، وإليك ما ذكره أبو علي القالي فى الأمالى :

حدثني أبو بكر الأنبارى أنهم كانوا إذا صدروا عن منى قام رجل من بنى كنانة يقال له : نعيم بن ثعلبة ، فقال : أنا الذى لا أعاب ، ولا يرد لى قضاء ، فيقولون له : أنسننا شهرا . أى : أخر عنا حرمة المحرم ، فاجعلها فى صفر ؛ وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا تمكنهم الإغارة فيها ، لأن معاشهم كان من الإغارة ، فيحل لهم المحرم ، ويحرم عليهم صفرا ، فإذا كان فى السنة المقبلة حرم عليهم المحرم ، وأحل لهم صفرا . ص ٤ ج ١ الأمالى ط ٢ . ورأى القالي - كما يقول الميمنى فى تعليقه على السمت هو قول الكلبي كما فى البحر المحيط ٤٠/٥ . فقول السبيل فى الروض : إن ما نقله القالي ليس بمعروف منكرو . ص ١٠ ج ١ السمت ، وللكسيت بن زيد بن الأحنس الأسدى يكفى أبا المستحل وهو شاعر إسلامى شعر يفخر فيه بقوله :

لنا حوض الحجيج وساقياه وموضع أرجل الركب التَّزُولِ
ومُطَرَّد الدماء ، وحيث يُلْتَقَى من الشَّعَرِ المَضْفَرِ والفَسْلِيلِ
وكنا الناسئين على معد شهرهم الحرام إلى الحليل
نحرم تارة : ونحسل أخرى وكان لنا المُمَمَرُ من السحيل =

ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر الحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شت الغارات ، وطلب الثارات ، والثاني : تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية ، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوماً ، أو أكثر قليلاً ، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة ، فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » (١) وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته ، ولم يحج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة ، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ، ولطوافهم بالبيت غرة - والله أعلم - إذ كانت مكة

== وأسد هنا : أسد كنانة فلذلك غر الكمين بالنسيء . وأسد عم النضر بن كنانة الذي هو أبو قريش ، فلذلك غر بالسقي والإطعام ومشاعر الحج . والقليلة : الشعر المجتمع ، والسجيل : الحيط الذي يقتل قتلاً رخوا ، والمسر : الميرم الشديد القتل سمط اللآلى . ص ١١ ج ١ . وفي نسب قريش ص ١٣ : أن أول من نسا الشهور هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر ، وقد انقرض سرير ، ونسا الشهور من بعده ابن أخيه القسطنس - واسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن كنانة - ثم صار النسيء في ولده ، وكان آخرهم جنادة كما في السيرة .

(١) البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم وبعدها : السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم . ثلاثة متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، الخ ومعنى : ألا إن الزمان قد استدار ، تقرير منه - صلى الله عليه وسلم - وتثبيتاً للأمر على ما جعله الله في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص ولا نسي ولا تبديل . وهناك للنسيء تفسيرات أخرى ،

بحكمهم، حتى فتحها الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - قال شيخنا أبو بكر: نرى أن قول الله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ: هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ٣٨٩]؟! وخص الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالأوقات، تأكيداً لاعتباره بالأهلة دون حساب الأعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا في الحج من الاعتبار بالشهور العجمية، والله أعلم.

وذکر ابن هشام قول العجاج:

فِي أَتْعَبَانِ الْمُنْجَنُونَ الْمُرْسَلِ (١). الْأَتْعَبَانِ: ما يندفع من الماء من شعبه. وَالْمُنْجَنُونَ: أداة السّانية، والميم في المنجنون أصلية في قول سيبويه، وكذلك النون، لأنه يقال فيه: مَنْجَنِينَ مثل عَزَّ طَلِيل (٢) وقد ذكر سيبويه أيضاً في موضع آخر من كتابه أن النون زائدة إلا أن بعض رواة الكتاب قال فيه: مَنْجَنُونَ بالخاء، فعلى هذا لم يتناقض كلامه - رحمه الله - وفي أداة السّانية: الدُّوْلَابُ بضم الدال وفتحها، والشَّهْرَقُ، وهو الذي يلقى عليه جبل الأقداس، واحداً: قدس، والعامّة تقول: قَادُوس، والمصامير: عيدان السّانية قاله أبو حنيفة، وقال صاحب العين: الْمُصُورُ: عود السّانية. وقوله: مَدَّ الْخَلِيجَ. الخليج: الجبل، والخليج أيضاً: خليج الماء. وذکر اسم العجاج ولم يَكُنْهِ،

(١) المنجنون: الدولاب يستقى عليه، أو البكرة العظيمة. والبيان: الدلو العظيمة وأداتها.

(٢) المرطليل: الضخم والفاش، والمرطويل: الحسن الشباب والقدر.

وَكُنَيْتُهُ: أَبُو الشَّمَاءِ ، وَشَى الْمَجَّاجُ بِقَوْلِهِ : حَتَّى يَبْعِجَ عَنْدهَا مِنْ عَجِجًا (١) .

وَقَالَ عَمِيرُ بْنُ قَيْسٍ : كَرَامُ النَّاسِ أَنْ لَمْ كِرَامَا . أَيْ أَبَاءُ كِرَامَا ، وَأَخْلَاقَا كِرَامَا . وَقَوْلُهُ : وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ تُطَلِّكِ لَجَامَا . أَيْ : لَمْ نَقْدَعْهُمْ ، وَنَكْفِهِمْ كَمَا يُقْدَعُ الْفَرَسُ بِاللَّجَامِ . تَقُولُ : أَغْلَسْتُ الْفَرَسَ لَجَامَةً : إِذَا رَدَدْتَهُ عَنْ تَرْزُوعِهِ ، فَمَضَعَ اللَّجَامَ كَالْعِمَالِكِ مِنْ نَشَاطِهِ ، فَهُوَ مُقْدَوِعٌ قَالَ الشَّاعِرُ .

وَإِذَا اخْتَبَى قَرَبُوسَهُ بَعِينَانَهُ عَلَكَ اللَّجَامُ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ (٢)

وَكَانَ عَمِيرٌ هَذَا مِنْ أَطْوَلِ النَّاسِ ، وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي مَقْبَلِ الظُّعْنِ ، وَسُمِّيَ جَذَلُ الطَّعَانِ (٣) لِثَبَاتِهِ فِي الْحَرْبِ ، كَانَهُ جَذَلُ شَجَرَةٍ وَاقِفٍ ، وَقِيلَ : لِأَنَّهُ كَانَ يُسْتَشْفَى بِرَأْيِهِ ، وَيُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ ، كَمَا تَسْتَرِيحُ الْبَهِيمَةُ الْجُرَبَاءَ إِلَى الْجَذَلِ تَحْتَكُ (٤) بِهِ وَنَحْوُ مِنْهُ قَوْلُ الْحُبَابِ [ابن المنذر] : أَنَا جَذَلِيْلُهَا الْمُحَكِّكُ ، وَعُدَّ يَقُهَا

(١) فِي السَّانِ :

حَتَّى يَبْعِجَ نَحْنًا مِنْ عَجِجَا وَيُودِي الْمُوْدَى وَيَنْجُو مِنْ نَجَا

(٢) اخْتَبَى بِالثَّوْبِ : اشْتَمَلَ ، أَوْ جَمَعَ بَيْنَ ظَهْرِهِ وَسَاقِيهِ بِعِمَامَةٍ ، وَالْقَرَبُوسُ : حَنْوُ السَّرَجِ ، وَيُمْكِنُ ضَمُّهُ مَعَ تَسْكِينِ الرَّاءِ ، وَالْعَلَكُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ اللَّامِ : مَا يَمْضَغُ

(٣) وَفِي الْقَامُوسِ أَنَّهُ لَقِبُ عَلْقَمَةَ بْنِ فِرَاسٍ مِنْ مَشَاهِيرِ الْعَرَبِ وَكَذَا فِي مَعْجَمِ الْمَرْزُبَانِيِّ ، وَفِي الْخَشْنِيِّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ : جَذَلُ الطَّعَانِ هُوَ : ابْنُ عَلْقَمَةَ بْنِ فِرَاسٍ بَنِ نَعْمَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَالْجَذَلُ : أَصْلُ الشَّجَرَةِ وَغَيْرُهَا .

(٤) الْجَذَلُ هُنَا : عَوْدُ يَنْصَبُ لِلْجَرِيِّ لِيَتَحْتَكَ بِهِ

الْمُرَجَّبُ (١) وقول الأعرابي يصف ابنه: إِنَّهُ لِحَذَلُ حِكَاكٍ وَمِذْرَةٍ (٢) لِكَاكَ .
وَالْكَاكَ: الزَّحَامُ .

فصل : وذكر جُنَادَةُ بن عَوْفٍ من النِّسَاءِ ، وعليه قام الإسلام ، ولم يذكر
هل أسلم أم لا ، وقد وجدت له خيرا يدل على إسلامه حضر الحج في زمن عمر ،
فراى الناس يزدحمون على الحج ، فنادى : أيها الناس إني قد أجزته منكم ،
خففه عمر بالدَّرة ، وقال : وَيَمُحُكُ : إن الله قد أبطل أمرَ الجاهلية . وذكر
البرقي عن ابن الكلبي ، قال : قَتَسَا قَلْعُ بن عَبَّادٍ سَبْعَ سنين ، ونسأ بعده
أُمَيَّةُ بن قَلْعٍ إحدى وعشرين سنة ، ثم نسأ من بعده جُنَادَةُ ، وهو أبو أَمَامَةَ
وهو الْقَلَسُ أربعين سنة .

الأشهر الحرم :

وقول ابن هشام : أول الأشهر الحرم : الحرم قول ، وقد قيل : أولها
ذو القعدة ، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدأ به حين ذكر الأشهر
الحرم (٣) ، ومن قال : الحرم أولها ، احتج بأنه أول السنة ، ووقع هذا الخلاف

(١) الجذيل : تصغير جذل بكسر الجيم أو فتحها للتعظيم والمذيق : تصغير عذق
للتعظيم ، وهي النخلة بحملها ، وترجيها : ضم أَعْدَاقَهَا - كإسائها - ما يسمى
بالسبابة - إلى سعاتها ، وشدها بالخصوص ، ثلثا تنفضها الريح ، أو وضع الشوك
حولها ثلثا يصل إليها آكل

(٢) المذرة بكسر الميم وفتح الراء : السيد الشريف وزعيم القوم وخطيبهم
المتكلم عنهم .

(٣) راجع حديثه . إن الزمان استدار ، وقد سبق ذكره

أن من نذر صيام الأشهر الحرم ، فيقال له على الأول : ابدأ بالحرم ، ثم برجب
ثم بذى القعدة ، وذى الحجة ، وعلى القول الآخر يقال له : ابدأ بذى القعدة
حتى يكون آخر صيامك في رجب من العام الثاني .

القمود على المقابر :

وقوله : خرج الكنتاني حتى قدم في القنيس أي : أحدث فيها ، وفيه شاهد
لقول مالك ، وغيره من الفقهاء في تفسير القمود على المقابر المنهى عنه ، وأن
ذلك للذهب^(١) ، كما قال مالك ، والله أعلم .

أنساب :

وذكر قول نُفَيْلِ الخُثَمِيِّ* : وهاتان يداي لك على شهران وناهس ، وهما

(١) جمع مذهب يفتح الميم : المتوضأ . هذا وفي الطبري أن الرجل فعل
هذا في الهيكل ، وفيه أيضا أن أبرهة أخبر النجاشي بأمر الكنيسة ، وأنه غير منشته
حتى يصرف إليها العرب ، وأن العرب تحدثوا بكتاب أبرهة إلى النجاشي ،
فغضب رجل من النساء ، فصنع بالكنيسة ماضع ، ثم عاد إلى أرضه ، وأن أبرهة
كان عنده من العرب من يلتمس فضله منهم : محمد بن خزاعي ، الذي رفض أكل
طعام أبرهة قائلا : والله لئن أكلنا هذا لا تزال تعييننا به العرب مابقينا ، ثم إن
أبرهة أمر محمد بن خزاعي على مضر ، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حج القليس ،
فنزول بعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهل تمامة أمره ، فبعثوا إليه بعروة بن
حياض الملاصي الهذلي فرماه بسهم فقتله . فغضب أبرهة فحلف ليغزون بني كنانة
وليهدمن البيت ص ١٣٠ وما بعدها ٢ وهو قريب عما في السيرة

قبيلة خثعم ، أما خثعم : فاسم جبل سمي به بنو عفرس (١) بن خُلف بن أفتل بن أمار ؛ لأنهم نزلوا عنده ، وقيل : إنهم تَخَثَّمُوا بالدم عند حلف عقوه بينهم ، أى : تَلَطَّخُوا ، وقيل : بل خَثَّم ثلاث : شهران وناهس وأكلب (٢) غير أن أكلب عند أهل النسب هو : ابن ربيعة بن نزار ، ولكنهم دخلوا في خثعم ، وانتسبوا إليهم فأنه أعلم . قال رجل من خثعم :

ما أكلب منا ، ولا نحن منهم وما خثعم يوم الفخار وأكلب
قبيلة سوء من ربيعة أصلها فليس لها عمٌ لدينا ، ولا أب
فأجابه الأكلبي فقال :

إني من القوم الذين نسبتي إليهم كريم الجد والعم والأب
فلو كنت ذا علم بهم ما نفيتني إليهم ترى أنى بذلك أثلب
فإن لا يَكُنْ عمّاي خُلفاً وناهساً (٣) فإني امرؤ وعَمّاي : بكرٌ وتغلب
أبونا الذى لم ترْكب الخيل قبله ولم يدر مرء قبله كيف يرْكَبُ

(١) فى الاشتقاق لابن دريد : عفرس بكسر أوله وثالثه وإسكان ثانيه وهو من العفرسة ، وهو الأخذ بالقهر والغلبة .. أما أفتل فن قولهم بعير أفتل : وهو الذى يتباعد منكباه عن زوره . وشهران إما من الشهرة وإما من الأشهر وهو البياض الذى حول صفرة الترجس وناهس من النهس وهو النهش .

(٢) فى الاشتقاق : وأكلب بطن من خثعم ، وفى الجهرة لابن حزم ولد خثعم خُلفاً ، وولد هذا عفرساً ، وولد هذا ناهساً وشهران وأكلب بن ربيعة بن نزار دخلوا فى بنى خثعم فقالوا : أكلب بن ربيعة بن عفرس .

(٣) فى جهرة ابن حزم : حلف بضم الحاء وإسكان ثانيه ، وفى رواية حلف بالحاء المفتوحة وكسر اللام .

يريد أنه من ربيعة ، وربيعة كان يقال له : ربيعة الفرس .

وأما ثَقِيفٌ وما ذكر من اختلاف النسابين فيهم ، فبعضهم ينسبهم إلى إِيَاد ، وبعضهم ينسبهم إلى قيس ، وقد نسبوا إلى كَمُودَ أيضا . وقد روى في ذلك حديثٌ عند — عليه السلام — رواه مَعْمَرُ بن راشد في جامعه ، وكذلك أيضا روى في الجامع أن أبا رِغَالٍ من كَمُودَ ، وأنه كان بالحرم حين أصاب قومه الصيحةُ ، فلما خرج من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومه ، فدفن هناك ، ودفن معه غصتان من ذهب ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — مر بالقبر ، وأمر باستخراج الفصنين منه ، فاستخرجا (١) . وقال جرير أو غيره .

إِذَا مَاتَ الْفَرَزْدَقُ فَارْجُمُوهُ كَرَجْمِكُمْ لِقَبْرِ أَبِي رِغَالٍ

ووقع في هذه النسخة في نسب ثَقِيفِ الأول : ابنُ إِيَادِ بن معد . وفي الحاشية أن القاضي أبا الوليد غيَّره ، فجعل مكان ابنِ مَعْدٍ : مِنْ مَعْدٍ ، وذلك — والله أعلم — لأن إِيَادَ هذا هو : ابنُ نَزَارٍ ، وليس بابن مَعْدٍ لصلبه ، ولمعدٍ ابنُ اسمه : إِيَادَ ، وهو : ابْنُهُ لصلبه ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وقد قدمنا ذكره مع بني معد في أول الكتاب ، وهو عم إِيَادَ ، والإِيَادُ في اللغة : التراب الذي يُصَمُّ إلى الخباء ليقية من السيل ونحوه ، وهو مأخوذ من الأَيْدِ ، وهي القوة ، لأن فيه قوةً للخباء ، وهو بين النُّوْيِ والخباء ، والنُّوْيُ يشتق من النَّائِي ، لأنه خَفِيرٌ يَنَآيُ به المطر ، أي : يبعد عن الخباء .

وأُشْدَ لَأُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ ، واسمُ أَبِي الصَّلْتِ : ربيعةُ بنُ وَهَبٍ في قول الزبير .

قوى إيادٌ لو أنهم أُمَمٌ أولو أقاموا ، فُتْهِزَلَ النِّعَمُ

يريد : أى : لو أقاموا بالحجاز ، وإن هُزِلَتْ نَسَمُهُمْ ؛ لأنهم انتقلوا عنها ، لأنها ضاقت عن مسارحهم ، فصاروا إلى ريف العراق ؛ ولذلك قال : وَالْقَطُ والقلم ، وَالْقَطُ : ما قُطَّ من السَّكَاعِدِ وَالرَّقِّ (١) ونحوه ، وذلك أن الكتابة كانت في تلك البلاد التي ساروا إليها ، وقد قيل قُرَيْشٌ : مِمَّنْ تَعَلَّمِ الْقَطُ ؟ فقالوا : تعلمناه من أهل الحيرة ، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ، ونصب قوله : فُتْهِزَلَ النِّعَمُ بالفاء على جواب التمني المضمَّن في لو ، نحو قوله تعالى ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٢] وأما تسمية قَيْسٍ بنقيف ، فسيأتي سبب ذلك في غزوة الطائف — إن شاء الله تعالى

المفمس :

وقوله : فلما نزل أبرهة المممس هكذا أَلْفَيْتُهُ في نسخة الشيخ أبي بحر المقيدة على أبي الوليد القاضى بفتح الميم الآخرة من المفمس . وذكر البكرى في كتاب المعجم عن ابن دريد وعن غيره من أئمة اللغة أنه المممس بكسر الميم الآخرة ، وأنه أصبح ما قيل فيه ، وذكر أيضا أنه يُروى بالفتح ، فعلى رواية الكسر هو : مُفَمِّسٌ مَفْعَلٌ من مَفَمَسْتُ ، كأنه اشتق من الغميس وهو الغمير ،

(١) الكاغد : القرطاس ، معرب ، والرق بكسر الراء وفتحها : جلد رقيق يكتب فيه . ماقط : أى ماقطع .

« ذو نفر ونفيل يحاولان حماية البيت » :

نخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نفر ، فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهزم ذو نفر وأصحابه ، وأخذ له ذو نفر ، فأتي به أسيراً ، فلما أراد قتله ، قال له ذو نفر : أيها الملك ، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقاى مملك خيرا لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبه عنده في وثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب انخدعتمى في قبيل خثعم : شهران وناهس ، ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نفيل أسيراً ، فأتي به فلما هم بقتله قال له نفيل : أيها الملك ، لا تقتلني فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى لك على قبيل خثعم : شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فغلى سبيله .

« بين ثقيف وأبرهة » :

وخرج به معه يبله ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف .

وهو النبات الأخضر الذى ينبت في الخريف تحت الياض ، يقال : غمس المكان وغمر إذا نبت فيه ذلك ، كما يقال : صوّح ، وشَجَر^(١) ، وأما على رواية الفتح ،

(١) صوح النبات : يبس حتى تشقق ، وشجر النبات : صار شجرا .

(م ١٧ - الروض الأنف)

واسم ثقيف : قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن
دُعْيَى بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان .

قال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

قومي إيادٌ لو أنهم أممٌ أو : لو أقاموا قَهْزَلَ النعم
قومٌ لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والقِطُّ والقلم

وقال أمية بن أبي الصلت أيضاً :

فإمّا تسألني عني — لبني — وعن نسي — أخبرك اليقينا
فإنّا للنبيت أبي قسي لمنصور بن يقدم الأقدمينا

قال ابن هشام : ثقيف : قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،
والبيتان الأولان والآخران في قصيدتين لأمية .

قال ابن إسحاق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك
مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس يتقنا هذا البيت الذي تريد —
يعنون اللات — إنما تريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك
عليه ، فتجاوز عنهم .

فكانه من غمست الشيء ، إذا غطيته ، وذلك أنه مكان مستور إمّا بهضاب
وإمّا بعضاه (١) ، وإمّا قلنا هذا ؛ لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

(١) العضاه كل شجر له شوك صفر أو كبر .

واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة .

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة النحوي لضرار بن الخطاب النهري :

وَفَرَّتْ تَقِيْفٌ إِلَى لَاتِهَا بِمُنْقَلَبِ الْخَاتِبِ الْخَاسِرِ

وهذا البيت في أبيات له .

« قصة أبي رغال وقبره المرجوم » .

قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله الممَّس ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فوجت قبره العرب ، فهو القبر الذي يَرْجُمُ النَّاسُ بِالْمَمَّسِ .

« عدوان الأسود على مكة » .

فلما نزل أبرهة الممَّس ، بعث رجلا من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود على خيَل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مَتًى بغير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدّها ، فهتت قريش وكنانة وهذيل ، وَمَنْ كَانَ بِذَلِكَ الْحَرَمِ بَقْتَالَهُ ، ثُمَّ عَرَفُوا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ ، فَتَرَكَوْا ذَلِكَ .

إِذَا كَانَ بِمَكَّةَ ، كَانَ إِذَا أَرَادَ حَاجَةُ الْإِنْسَانِ خُرُجَ إِلَى الْمَمَّسِ ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ فَرَسَخٍ مِنْهَا ، كَذَلِكَ رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ السَّكَنِ فِي كِتَابِ السَّنَنِ لَهُ ، وَفِي السَّنَنِ لِأَبِي دَاوُدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — كَانَ إِذَا أَرَادَ الْبَرَّازَ أَبْعَدَ ، وَلَمْ يُبَيِّنْ مَقْدَارَ الْبَعْدِ ، وَهُوَ مُبَيَّنٌّ فِي حَدِيثِ ابْنِ السَّكَنِ — كَمَا قَدَّمْنَا — وَلَمْ يَكُنْ

« رسول أبرهة إلى عبد المطلب » :

وبعث أبرهة حُناطَةَ الحميري إلى مكة ، وقال له : سَلْ عَنْ سَيِّدِ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَشَرِيفِهَا ، ثُمَّ قُلْ لَهُ : إِنْ الْمَلِكُ يَقُولُ لَكَ : إِنِّي لَمْ آتِ لِحَرْبِكُمْ ، إِنَّمَا جِئْتُ لِهَذَا الْبَيْتِ ، فَإِنْ لَمْ تَرْضَوْا دُونَهُ بِحَرْبٍ ، فَلَا حَاجَةَ لِي بِدِمَائِكُمْ ، فَإِنْ هُوَ لَمْ يُرِذْ حَرْبِي ، فَأَتِنِي بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ حُناطَةُ مَكَّةَ ، سَأَلَ عَنْ سَيِّدِ قُرَيْشٍ وَشَرِيفِهَا ، فَقِيلَ لَهُ : عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ فَجَاءَهُ ، فَقَالَ لَهُ مَا أَمْرُهُ بِهِ أَبْرَهَةَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ حَرْبَهُ ، وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ ، هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ — أَوْ كَمَا قَالَ — فَإِنْ يَمْتَنِعَهُ مِنْهُ ، فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ ، وَإِنْ يُخَلَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعٌ عَنْهُ ؛ فَقَالَ لَهُ حُناطَةُ : فَانْطَلِقْ مَعِيَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِكَ .

« الشافعون عند أبرهة لعبد المطلب » .

فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيهِ ، حَتَّى أَتَى الْعَسْكَرَ ، فَسَأَلَ عَنْ ذِي نَفَرٍ ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي تَحْيِيصِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا ذَا نَفَرٍ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ غَنَاءٍ فِيمَا نَزَلَ بِنَا ؟ فَقَالَ لَهُ ذُو نَفَرٍ : وَمَا غَنَاءٌ رَجُلٍ أَسِيرٍ بِيَدَيْ مَلِكٍ يَنْتَظِرُ أَنْ يَقْتُلَهُ غَدًا أَوْ عَشِيًّا ؟ ! مَا عِنْدُنَا غَنَاءٌ فِي شَيْءٍ مِمَّا نَزَلَ بِكَ إِلَّا أَنْ أَنْيَسَا سَائِسَ الْفِيلِ صَدِيقِي لِي ، وَسَأُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُوصِيَهُ بِكَ ، وَأَعْظِمَ عَلَيْهِ حَقَّكَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَكَ عَلَى الْمَلِكِ ، فَتَكَلِّمَهُ بِمَا بَدَأَ لَكَ . وَيَشْفَعُ لَكَ عِنْدَهُ بِخَيْرٍ إِنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : حَسْبِي . فَبَعَثَ ذُو نَفَرٍ إِلَى أَنْيَسَ ،

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليأتي مكاننا للمذهب إلا وهو مستور منخفض ، فاستقام المعنى فيه على الروايتين جميعا .

فقال له : إن عبد المطلب سيّد قريش ، وصاحب غير مكة ، يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مثنى بعير ، فاستأذن له عليه ، وأنفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلم أنيس أبرهة ، فقال له . أيها الملك ، هذا سيّد قريش يبابك يستأذن عليك ، وهو صاحب غير مكة ، وهو يُطعم الناس في السهل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، فأذن له عليك ، فيكلمك في حاجته ، قال : فأذن له أبرهة .

« عبد المطلب وأبرهة »

قال : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجلهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فزل أبرهة عن سرير ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال : حاجتي أن يرد عليّ الملك مثنى بعير أصابها لي ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، أنكلمني في مثنى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتنا هو دينك ودين آبائك قد جئت لخدمه ، لا تكلمني فيه ؟ ! قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع مني ، قال : أنت وذاك .

وسامه عبد المطلب :

وقوله في صفة عبد المطلب : أوسم الناس وأجله (١) . ذكر سيبويه هذا

(١) في السيرة : وأجلهم .

وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبدالمطلب إلى أبرهة ، حين بعث إليه حُناطَة ، يَعمُرُ بن نفاعة بن عدى بن الذَّئِل بن بكر بن مناة بن كنانة — وهو يومئذ سيد بني بكر — وخويلد بن وائلة الهذلي — وهو يومئذ سيّد هذيل — فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تِهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم ، أكان ذلك ، أم لا ، فردّ أبرهة على عبدالمطلب الإبل التي أصاب له .

« عبدالمطلب يستغيث بالله »

فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبدالمطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز في شَعَف الجبال والشُعاب : تخوّفاً عليهم من مَعَرّة الجيش ، ثم قام عبدالمطلب ، فأخذ بِحَلَقَة باب الكعبة ، وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبدالمطلب وهو أخذ بِحَلَقَة باب الكعبة :

لَاهُمْ إِنْ التَّبَدَّ يَنْعَ رَحْلَهُ فَاَمْعَ خَلَاك
لَا يَغْلِبَنَّ صَلَيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَاً مَحَالَك
قال ابن هشام : هذا ما صَحَّ له منها .

« شاعر يدعو على الأسود »

قال ابن إسحاق : وقال عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدَّار بن قُصَي :

الكلام تحكيمياً عن العرب ، ووجهه عندهم أنه محمول على المعنى ، فكانت
قلت : أحسن رجل وأجله ، فأفرد الاسم المضمّر التفاتاً إلى هذا المعنى ، وهو

لَهُمْ أَخْزِرُ الْأَسْوَدَ بْنِ مَقْصُودٍ الْآخِذَ الْمَجْمَعَةَ فِيهَا التَّقْلِيدُ
بَيْنَ حِرَاءَ وَثَيْبِ بْنِ قَالَيْسٍ بِحَبْسِهَا وَهِيَ أُولَاتُ التَّطْرِيدِ
فَضَمَّهَا إِلَى طَلَّاطِمِ سُودٍ أَخْفَرَهُ يَارِبَ وَأَنْتَ مُحَمَّدُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هَذَا مَا صَحَّ لَهُ مِنْهَا ، وَالطَّلَّاطِمُ : الْأَعْلَاجُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ أَرْسَلَ عَبْدَ الْمَطْلَبِ خَلْفَهُ بَابَ الْكَعْبَةِ ، وَانْطَلَقَ هُوَ
وَمِنْ مَعَهُ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى شَعَفِ الْجِبَالِ ، فَتَحَرَّزُوا فِيهَا يَنْتَظِرُونَ مَا أُبْرَهُ فَاعِلٌ
بِمَكَّةَ إِذَا دَخَلَهَا .

« أُبْرَهُ وَالْفِيلُ وَالْكَعْبَةُ »

فَلَمَّا أَصْبَحَ أُبْرَهُ تَهَيَّأَ لِدُخُولِ مَكَّةَ ، وَهَيَّأَ فِيلَهُ ، وَغَيَّ جَيْشَهُ — وَكَانَ
اسْمُ الْفِيلِ مُحَمَّدًا — وَأُبْرَهُ مُجْمِعٌ لِهَدْمِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ الْانْصِرَافِ إِلَى الْيَمَنِ . فَلَمَّا
وَجَّهُوا الْفِيلَ إِلَى مَكَّةَ ، أَقْبَلَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِ
الْفِيلِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ ، فَقَالَ : اِبْرُكْ مُحَمَّدُ ، أَوْ ارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْتَ ،
فَإِنَّكَ فِي بِلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ . فَبَرَكَ الْفِيلُ ، وَخَرَجَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ
يَشْتَدُّ حَتَّى أَصْعَدَ فِي الْجَبَلِ ، وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَبَى ، فَضَرَبُوا فِي رَأْسِهِ
بِالطَّابَرِزِينَ ؛ لِيَقُومَ فَأَبَى ، فَأَدْخَلُوا مُحَاجِنَ لَهُمْ فِي مَرَّاقِهِ فَبَرَّغَوْهُ بِهَا لِيَقُومَ
فَأَبَى ، فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ يَهُرُولُ ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الشَّامِ فَفَعَلَ مِثْلَ
ذَلِكَ ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى مَكَّةَ قَبْرِكَ ، فَأَرْسَلَ

عِنْدِي مَحْمُولٌ عَلَى الْجِنْسِ ، كَأَنَّهُ حِينَ ذَكَرَ النَّاسَ قَالَ : هُوَ أَجْمَلُ هَذَا الْجِنْسِ
مِنَ الْخَلْقِ ، وَإِنَّمَا عَدَلْنَا عَنْ ذَلِكَ التَّقْدِيرِ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ :
« خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَوَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ : أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدِهِ فِي صِغَرِهِ ،

الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبساتان ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الخنثى والمدس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هارين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ، ليدلّهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته :

أَيْنَ الْمَقَرِّ وَالْإِلَهِ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

قال ابن هشام : قوله : « ليس الغالب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضاً :

أَلَا حَيْثُ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَعْمَنَّاكَ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْرَأَيْتِ — وَلَا تَرَيْنِي لَدَى جَنْبِ الْمُحْصَبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَعَنَتْنِي وَحَدَّثَ أَمْرِي وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا
حَدَّثَ اللَّهُ إِذَا أَبْصَرْتُ طَيْراً وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نَفِيلٍ كَأَنَّ عَلَى الْحَبِشَاتِ دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، وينهلون بكل مهلك على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة : كلما سقطت أنملة ، أتبعها منه مدة تمت قيحا ودما ، حتى قدّموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ، فيما يزعمون .

وأزعاه على زوج في ذات يده^(١) ، ولا يستقيم ههنا حملة على الأفراد ، لأن

(١) متفق عليه ، وأحد في مسنده عن أبي هريرة .

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث : أن أول ما رويت
الحصبة والجذري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها مرائر
الشجر : الخرمل والحنظل والعشر ذلك العام .

« قصة الفيل في القرآن »

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمداً — صلى الله عليه وسلم — كان مما يعدُّ
الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ، ما رآه عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ،
فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ
يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ
سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ . وقال : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ
رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ
وَأَمَّنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ . أي لثلاثين سنة من حالهم التي كانوا عليها ، لما أراد
الله بهم من الخير لو قبلوه .

قال ابن هشام : الأبايل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه ،
وأما السجّيل ، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد
الصلب ، قال رؤبة بن العجاج :

ومسهم مامس أصحاب الفيل ترميهم حجارة من سيجل

ولعبت طير بهم أبابيل

المفرد ههنا امرأة ، فلو نظر إلى واحد النساء لقال : أحنأها على ولده ، فإذا
التقدير : أحنى هذا الجنس الذي هو النساء ، وهذا الصنف ، ونحو هذا .

وهذه الأبيات في أرجوزة له . ذكر بعض المفسرين أنها كلمتان
بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سِنَجٌ ورجلٌ يعني بالسنج :
الحجر ، وبالرجل : الطين ، يعني : الحجارة من هذين الجنسيتين : الحجر والطين .
والعَصْفُ : ورق الزرع الذي لم يُعَصَفْ ، وواحدته عَصْفَةٌ . قال : وأخبرني
أبو عُبَيْدة النحوي أنه يقال له : العَصَافَة والعَصِيفَة . وأنشدني لعلامة
بن عبدة أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

تسقى مذانبٌ قد مالت عَصِيفَتُهَا حُدُورُهَا مِنْ أَيْ الْمَاءِ مَطْمُومٌ

وهذا البيت في قصيدة له . وقال الراجز :

فَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَا كَوَل

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير في النحو .

وذكر قول عبد المطلب :

لَأُمِّ إِنْ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ حِلَالَكَ
العرب تحذف الألف واللام من اللُّهُمَّ ، وتسكنني بما بقي ، وكذلك تقول :
لام أبوك تريد : لله أبوك ، وقد تقدم . قول من قال في لِهِنَّكَ [أو : لِهِنَّكَ] ،
وأن المعنى : والله إنك ، وهذا لكثرة دَوْر هذا الاسم على الألسنة ، وقد
قالوا فيما هو دونه في الاستعمال : أَجِنَّكَ تفعل كذا وكذا . أى من أجل أنك
تفعل كذا وكذا والحلال في هذا البيت : القوم الخُلُولُ في المسكان ، والحلال
مَرَكَب من مراكب النساء . قال الشاعر :

بغير حلالٍ غادرته مُجَحْفَلٍ (١)

(١) جحفله : صرعه ورماه وبكته . والبيت لطيف وهو :

وراكضة ما تستجني بجنّة بغير حلال غادرته مُجَحْفَلٍ

والحلل أيضا : متاع البيت ، وجائز أن يستعيره ههنا ، وفي الرجز بيت ثالث لم يقع في الأصل وهو قوله :

وأنصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك (١)

وفيه حجة على النحاس والزبيدي حيث زعما ، ومن قال بقولها أنه لا يقال اللهم صل على محمد وعلى آله ، لأن المضمّر يرد المعتل إلى أصله ، وأصله : أهل فلا يقال إلا : وعلى أهل ، وبهذه المسئلة ختم النحاس كتابه الكافي . وقولها خطأ من وجوه ، وغير معروف في قياس ولا سماع ، وما وجدنا قط مضمرا يرد معتلا إلى أصله إلا قولهم : أعطيتكموه برد الواو ، وليس هو من هذا الباب في وزد ولا صدر ، ولا نقول أيضا : إن آلا أصله : أهل ، ولا هو في معناه ، ولا نقول : إن أهيا تصغير آل ، كما ظن بعضهم ، ولتوجيه الحجاج عليهم موضع غير هذا ، وفي الكامل من قول الكتابي لمعاوية حين ذكر عبد الملك من آلك ، وليس منك (٢) .

وقول عكرمة بن عامر : الآخذ الهجمة فيها التقليد (٣) : الهجمة : هي ما بين التسعين إلى المائة ، والمائة منها : هنيئة ، والمائتان : هند ، وقال بعضهم : والثلاثمائة أمانة ، وأنشدوا :

(١) لما قاله عبد المطلب روايات مختلفة وهي في الطبري ستة أبيات ص ١٣٥ ج ٢

(٢) في اللسان كلام طويل عن آل وأهل في مادة أهل فانظره .

(٣) التقليد : أي في أعناقها القلائد .

• • • • •

تَبَيَّنَ رُوَيْدًا مَا أَمَامَهُ مِنْ هِنْدٍ (١).

وكان اشتقاقَ المَحْمَةِ من الَهْجِيَّةِ ، وهو : التَّخِينُ مِنَ الْكَيْدِ ، لأنه لما كَثُرَ لِبْنُهَا لِكَثَرَتِهَا ، لم يُنْزَجْ بِمَاءٍ ، ومُشْرَبٌ صِرْفًا تَخِينًا ، ويقال للقدح الذي يُحَلَبُ فيه إذا كان كبيراً : هَجَمَ (٢).

في حديث الفيل :

وقوله : أَخْفَرُهُ يارب . أى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه ، يقال : أَخْفَرْتُ الرجل ، إذا نقضت عهده ، وَخَفَرْتُهُ أَخْفَرُهُ : إذا أَجْرْتُهُ ، فينبغى أن لا يضبط هذا إلا بقطع الممرزة وفتحها ، لئلا يضير الدعاء عليه دعاء له .

وقوله : إلى طَمَاطِمٍ سود . يعنى : العُلُوج . ويقال لكل أعجمى : طَمَطَمَانِي وَطَمَطِيمٍ ويذكر عن الأخفش : طَمَطَمَ بفتح الطاء (٣).

وقوله : عَيَّ جيشه . يقال : عَيَّتُ الجيشَ بغير همزة ، وَعَبَّأتُ المتاعَ

(١) في اللسان ورد هكذا في مادة أمم .

أأثره مالى وَيَحْتَسِرُ رَفْدَهُ تَبَيَّنَ رُوَيْدًا مَا أَمَامَهُ مِنْ هِنْدٍ

وفي الحاسة وردت شطرته الأولى : أبو عدنى والرمل بيتى وبيتته .

(٢) ويحرك أيضاً .

(٣) وطمطمى أيضاً بكسر الطاءين ، والطاطم : بفتح الطاء الأولى وكسر

الثانية . وفي صفة قريش : ليس فيها طمطمانية حمير . شبه كلام حمير لما فيه من الالفاظ المنكرة بكلام المعجم .

بالهمز ، وقد حُكِيَ عُبَاتُ الْجَيْشِ بِالْهَمْزِ وهو قليل (١) .

وقوله : فَبَرَكَ الْقَيْلُ . فيه نظر ؛ لأن القيل لا يَبْرُكُ ، فيحتمل أن يكون بَرُوكُهُ : سقوطه إلى الأرض ، لما جاءه من أمر الله سبحانه ، ويحتمل أن يكون فَعَلَ فِعْلَ الْبَارِكِ الذي يَلْزَمُ موضعه ، ولا يبرح ، فَعَبَّرَ بِالْبُرُوكِ عن ذلك ، وقد سمعت من يقول : إن في الْقَيْلَةِ صنفا منها يَبْرُكُ كما يَبْرُكُ الْجُلُ ، فإن صحَّ وإلا فتأويله ما قدمناه .

وَالْأَسْوَدُ بن مقصود صاحب القيل : هو الْأَسْوَدُ بن مقصود بن الحارث بن مُنَبِّه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عِلَّةَ ويقال فيه : عِلَّةٌ على وزن عمر ، ابن خالد (٢) بن مَذْجَج ، وكان الأسود قد بعثه النجاشي مع الفيلة والجيش ، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلاً ، فهلكت كلها إلا محموداً ، وهو فيل النجاشي ؛ من أجل أنه أبى من التوجه إلى الحرم والله أعلم .

وَنُقَيْلُ الذي ذكره هو : نُقَيْلُ بن عبد الله بن جُزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جَلِيحَةَ بن أَكْلُبِ بن ربيعة بن عَفْرَسِ بن جلف (٣) بن أَقْتَلِ ،

(١) في اللسان : عبأ المتاع بفتح الباء بدون تضعيف عبأ وعبأه هياهو عبأ الجيش أصلحه وهياه تعبیه . وتعبته وتعبياً ، وقال أبو زيد : عبأته بالهمز .

(٢) في الاشتقاق وجمهرة ابن حزم : جلد بفتح الجيم وسكون اللام .

(٣) في جمهرة ابن حزم حُلِفَ بالحاء المضمومة واللام الساكنة أو حلف بفتح الحاء وكسر اللام . وبنو عفرس في جمهرة ابن حزم هما : ناهس وشهران لحسب ، فولد ناهس حام وأجرم وأوس مناة ، وولد شهران وهب ومر ومحمية والقريح ص ٣٦٨ وفي الاشتقاق ليس لعفرس سوى شهران وناهس .

وهو : خَثَم . كذلك نسبة البرق . وفي الكتاب : ثَقِيل بن حبيب ، وثَقِيل من الْمُسْتَعِينِ بالنبات قاله أبو حنيفة . وقال : هو تصغير ثَقْل ، وهو نيت مُسْتَنْطَح^(١) على الأرض .

وذكر النقاش أن الطير كانت أنيابها كَأَنْيَابِ السَّبُع ، وأَكْفُها كَأَكْفِ الكلاب ، وذكر البرقي أن ابن عباس قال : أصفرُ الحجارة كَرَأْسِ الإنسان ، وكِبَارُها كالإبل . وهذا الذي ذكره البرقي ذكره ابن إسحاق في رواية يونس عنه . وفي تفسير النقاش أن السَّيْلَ احْتَمَلَ جُثْثَهُمْ ، فألقاها في البحر ، وكانت قصة الفيل أول الْمُحَرَّم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين .

وقوله : فضرَبوا رأسه بالطَّبَرِزِين هكذا تقيده في نسخة الشيخ أبي بحر بسكون الباء ، وذكره البكري في الْمُعْجَم ، وأن الأَصْلَ فيه طَبَرِزِين بفتح الباء ، وقال : طَبَرَهُو الفأس وذكر طَبَرِسْتَان بفتح الباء ، وقال : معناه : شَجَرٌ قُطِعَ بِفَأْسٍ ؛ لأنها قبل أن تُبْنَى كانت شَجَرًا قُطِعتْ ، ولم يَقل في طَبَرِيَّةً مثل هذا . قال : ولكنها نسبت إلى طَبَارَاء ، وهو اسمُ الملك الذي بناها ، وقد أَلْقِيَتْهُ في شِعْرِ قديم : طَبَرِزِين - بفتح الباء - كما قال البكري ، وجائز في طَبَرِزِين - وإن كان ما ذكر أن تسكن الباء - لأن العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تَلَاعِبًا لا يُقْرَأُها على حال . قاله ابن جني .

وقوله : فَبَزَغُوهُ ، أى : أَدَمَوْهُ ، ومنه سُمِّيَ الْمُبَزَّغُ ، وفي رواية يونس

(١) يعنى أنه منبسط على الارض .

عن ابن إسحاق أن القيلَ رَجَسَ ، فجعلوا يقسمون بالله أنهم رآذوه إلى اليمين ، فحرك لهم أذنيه ، كأنه يأخذ عليهم عهدا بذلك ، فإذا أقسموا له ، قام يهرول ، فيرذونه إلى مكة ، فيَرِيضُ ، فيحلفون له ، فيحرك لهم أذنيه كاللؤكده عليهم ، ففعلوا ذلك مرارا .

وقوله : أمثال الحِمَصِ والقدَسِ يقال : حِمَصَ ، وحِمَصَ ، كما يقال : جَلَقَ وجَلَقَ قاله الزبيدي ، ولم يذكر أبو حنيفة في الحِمَصِ إلا الفتح وليس لها نظير في الأبنية إلا الحِلْزَةُ وهو القصير ^(١) ، وقال ابن الأنباري : الحِلْزُ : البحيل بتشديد الزاي ، وصوب القالي هذه الرواية في الغريب المصنف ، لأن فعلا بالتشديد ليس في الصفات عند سيبويه . ويعنى بمماثلة الحجارة للحِمَصِ أنها على شكلها ^(٢) — والله أعلم — لأنه قد روى أنها كانت ضخاما تكسر الرموس ، وروى أن مخالب الطير كانت كأكف الكلاب — والله أعلم — وفي رواية يونس عن ابن إسحاق قال : جاءتهم طير من البحر كرجال الهند ، وفي رواية

(١) والقيء الخلق ، والبخيل ، ونبات ، واليوم وكوَيْبَة .
(٢) في اللسان : ولم يهرق ابن الأعرابي كسر الميم في الحِمَصِ ، ولا حي سيبويه فيه إلا الكسر ، فهما مختلفان ، وقال أبو حنيفة : الحِمَصُ : عربي ، وما أقل ما في الكلام على بناءه من الأسماء . الفراء : لم يأت على فِعْلٍ يفتح العين وكسر الفاء إلا قَتَفَ وقَتَفَ ، وهو الطين المتشقق إذا تَصَبَّ عنه الماء ، وحِمَصٌ وقَتَبٌ ، ورجل حِمَصٌ وخِمَصٌ : بطويل ، وقال المبرد : جاء على فِعْلٍ : جَلَقَ وحِمَصٌ ، وحِلْزٌ وهو القصير ، قال : وأهل البصرة اختاروا حِمَصًا ، وأهل الكوفة اختاروا حِمَصًا ، وقال الجوهرى : الاختيار فتح الميم ، وقال المبرد بكسرها ، مادة حمص .

أخرى عنه أنهم استَشَعَرُوا العذاب في ليلة ذلك اليوم ؛ لأنهم نظروا إلى
النجوم كالحلّة إليهم ، تنكاد تسكلمهم من اقترابها منهم ، ففزعوا لذلك (١) .

وقولُ نُفَيْل :

وَلَمْ تَأْسَ عَلَى مَاقَاتِ بَيْنَا

نصب بَيْنَا نصب المصدر المؤكّد لما قبله ، إذ كان في معناه ، ولم يكن على
لفظه ، لأن فات : معنى : فارقوبان ، كأنه قال : على مافات قوتاً ، أو بان بيننا ،
ولا يصح لأن يكون مفعولاً من أجله يعمل فيه تأسى ، لأن الأسي باطنٌ في
القلب ، و البين ظاهر ، ولا يجوز أن يكون المفعول من أجله إلا بعكس هذا .
تقول : بكى أسفاً ، وخرج خوفاً ، وانطلق حرصاً على كذا ، ولو عكست
الكلام كان خلفاً من القول وهذا أحد شروط المفعول من أجله ، ولعل
له موضعاً من الكتاب فنذكره فيه .

(١) كل هذه روايات تحتاج إلى سند ، وحسبنا هدى الله عنهم . وأصعد :
أى يصعد في الجبل ، والمحاجن : عصا مموجة في طرفها حديدة ، ومراقة : أسفل
بطنه ، والخطاطيف : جمع خطاف على وزن رمان هو السنونو ، وهو ضرب من
الطيور القواطع عريض المنقار ، دقيق الجناح طويله منتفش الذيل . والبلسان :
شجر له زهر أبيض صغير هيئة العنقايد . وفى النهاية لابن الأثير ، وهو يفسر
حديث ابن عباس المنسوب إليه : بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان ،
بفتح الباء واللام والسين نقلاً عن عباد بن موسى : « أظنها الزرازير ، وهى جمع
زرزور : طائر أكبر قليلاً من العصفور ، وله منقار طويل ذو قاعدة عريضة
وجناحاه طويلان مديبان والمحصب : مكان بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب
وحديثه من الحجون ذاهباً إلى منى .

وقوله : نَعَمْنَا كُمْ مع الإصباح عَيْنَا : دعاء، أَيْ : نَعَمْنَا بِكُمْ ، فَعْدَى الْفِعْلِ
لما حذف حرف الجر ، وهذا كما تقول : أنعم الله بك عَيْنَا . وقوله في أول
البيت : أَلَا حُيِّيتُ عَنَّا يَا رُدُّنَا . هو اسم امرأة ، كأنها سُمِّيتْ بتصغير رُدَّة ،
وهي القطعة من الرُّدْن وهو الحرير . ويقال لِمُقَدِّمِ الْكُفِّ : رُدُّنٌ ، ولكنه
مذَكَّرٌ ، وأما دُرَيْنَةُ بتقديم الدال على الراء ، فهو اسمٌ للأحق (١) قاله الخليل .

وقوله : في خبر أبرهة : تبعتهما مدة تَمَثُّ قَيْحًا وَدَمًا . أَلْفَيْتُهُ فِي نَسْخَةِ
الشَّيْخِ : تَمَثُّ ، وَتَمَثُّ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ . فَعِلِي رَوَايَةُ الضَّمِّ يَكُونُ الْفِعْلُ مُتَعَدِيًا ،
وَنَصَبٌ قَيْحًا عَلَى الْمَفْعُولِ ، وَعَلَى رَوَايَةِ الْكَسْرِ يَكُونُ غَيْرَ مُتَعَدٍّ ، وَنَصَبٌ
قَيْحًا عَلَى التَّمْيِيزِ فِي قَوْلِ أَكْثَرِهِمْ ، وَهُوَ عِنْدَنَا عَلَى الْحَالِ ، وَهُوَ مِنْ بَابِ :
نَصَبِ عَرَفَا ، وَتَفَقَّأَ شَخْمًا (٢) ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَقُولُ شَيْخُنَا أَبُو الْحُسَيْنِ فِي
مِثْلِ هَذَا ، وَقَدْ أَفْصَحَ سَيَبَوِيهِ فِي لَفْظِ الْحَالِ فِي : ذَهَبَيْنِ كِلَا كِلَا وَصُدُورَا (٣) .
وَأَشْرَقَ كَاهِلًا ، وَهَذَا مِثْلُهُ ، وَالْكَشْفُ الْقِنَاعُ عَنْ حَقِيقَةِ هَذَا مَوْضِعٍ غَيْرِ هَذَا
وَأَعْمَاقُنَا : إِنْ مَنْ رَوَاهُ تَمَثُّ بِضَمِّ الْمِيمِ ، فَهُوَ مُتَعَدٍّ ، كَأَنَّهُ مُضَاعَفٌ ، وَالْمُضَاعَفُ
إِذَا كَانَ مُتَعَدِيًا ، كَانَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مضمومًا نحو : رَدَّه يَرُدُّهُ إِلَّا مَا شِذَّ مِنْهُ ،
نَحْوُ عَلَّ يَمَلُّ وَيَمَلُّ (٤) ، وَهَرَّ الْكَأْسُ يَهَرُّ وَيَهَرُّ ، وَإِذَا كَانَ غَيْرَ مُتَعَدٍّ كَانَ

(١) فِي الْقَامُوسِ كَذَلِكَ .

(٢) مَطَاوِعُ فَقْأًا . شَقَّ الشَّيْءُ وَأَخْرَجَ مَا فِيهِ ،

(٣) شَطْرَتُهُ لِلْأَوَّلَى : « مَشَقَّ الْحَوَاجِرُ لِحَمْلَيْنِ » مَعَ الشَّرِيِّ .

(٤) عَلَّه : سَقَاهُ السَّقِيَّةَ الثَّانِيَةَ ، وَعَلَى هُوَ بِنَفْسِهِ ، فَهُوَ مُتَعَدٍّ وَلَا زَمَّ تَقُولُ فِيهِمَا
عَلَّ يَمَلُّ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَكُسْرِهَا ، وَهَرَّ يَهَرُّ كَذَلِكَ ، وَجَاءَ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ بْنِ لَا =
(م ١٨ - الرُّوضُ الْأَقْبَرُ)

مكسورا في المستقبل نحو: خَفَّ يَخْفُ، وفر يفر إلا ستة أفعال جاءت فيها اللغتان جميعا، وهي في أدب الكاتب وغيره^(١)، ففنيينا بذلك عن ذكرها. على أنهم قد أغفلوا: هَبَّ يَهْبُ وخبَّ يَخْبُ وأَجَّ يُوْجُّ إذا أسرع، وشك في الأمر يشك، ومعنى تَمِثُّ قَيْحًا: أي: تسيل، يقال: فلان يَمِثُّ كما يَمِثُّ الزُّقُّ^(٢). وقوله: يسقط أُنْمَلَةٌ أُنْمَلَةٌ^(٣) أي: ينتثر جسمه، والأُنْمَلَةُ: طرف الأصبع، ولكن قد يُعَبَّرُ بها عن طرف غير الأصبع، والجزء الصغير. ففي مُسْنَدِ الحارث بن أبي أسامة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —: إن في الشجرة شجرةً هي مثل المؤمن، لا تسقط لها أُنْمَلَةٌ. ثم قال: هي النخلة، وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة.

وقوله: مرائر الشجر يقال: شجرة مُرَّةٌ، ثم تجمع على مرائر، كما تجمع: حُرَّةٌ على حرائر، ولا تعرف فُعْلَةٌ تجمع على فَعَائِلٍ إلا في هذين الحرفين^(٤)،

فتيبة عن الفراء غير هذين: شَذَّ وَتَمَّ الحديث. وزاد غيره: بت الشيء. كلها متعدية وبكسر العين في المضارع وضمها.

(١) الأفعال هي جَسَدٌ وشب، وجم، وصد، وشح، وفح كما جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٧١ ج ١ مصطفي محمد.

(٢) الزق: وعاء من جلد - يجر شعره، ولا ينفذ - للشراب وغيره جمعها أزقاق وزقاق. ومث الرجل مثا: عرق، ورنق على جلده مثل الدهن. ومث السقاء رشح.

(٣) أُنْمَلَةٌ بثلاث الميم والمهمزة تسع لغات. وهي التي فيها الظفر.

(٤) يرى أبو ذر الحنثي أن مرائر جمع: أمرار، وأمرار جمع: مر، ص ١٨ شرح السيرة.

وقياس جمعها فَعَلَ نحو: دُرَّةٌ ودُرَرٌ ، ولكن الحرَّة من النساء في معنى :
الكرمِ والعقيلة ، ونحو ذلك ، فأجرؤها تجزى ما هو في معناها من القَعِيلَةِ ،
وكذلك المرء قِياساً : أن يقال فيه : مرير ؛ لأن المرارة في الشيء طبيعة ،
فقياسُ فعله : أن يكون فَعَلَ كما تقول : عَذَبُ الشيء وقَبَحَ . وعَسِرُ إذا صار
عسيراً ، وإذا كان قياسه فَعَلَ فقياسُ الصفة منه أن تكون على فَعِيل ،
والأنتى : فَعِيلَةٌ ، والشيء المر عسيرٌ أكلة شديدة ، فأجرُوا الجمع مجزى هذه
الصفات التي هي على فَعِيل ؛ لأنها طباع وخصال ، وأفعالُ الطباع والخصال كلها
تجزى هذا المجزى .

وذكر العُشْرَ . وهو شَجَرٌ مرٌّ يحمل ثمرًا كالْأَرْجُ ، وليس فيه
مُنْتَفِعٌ ، ولبن العُشْرِ تعالج به الخلود قبل أن تحمل في المَنِينَةِ ، وهي : اللدبة كما
تعالج بالقلقة ، وهي شجرة ، وفي العُشْرِ : الخَرْفُ والخَرْفُ ، وهو شبه القطن
ويجنى من العُشْرِ : المغافير ، واحدها : حَقْفُورٌ ، ومغافيرٌ ، وواحدها : مَغْفَرٌ ، ويقال
لها : سُكَّرَ العُشْرُ ، ولا تكون المغافير إلا فيه ، وفي الرَّمِثِ ، وفي الثَّامِ ، والثَّامُ :
أكثرها ثَمًى ، وفي المثل : هذا الجنى لا أن يَكْدَ المَغْفَرُ (١) من كتاب
أبي حنيفة .

(١) تفسر هنا بعض ما ورد في السيرة والروض من أسماء الشجر والنبات
فالجرمل : نبت له حب أسود كالخرذل ، والحنظل : نبت يمتد كالبطيخ على الأرض
يضرب المثل بشدة مرارته ، والمغافر ، أو المغافير . صمغ حلوي يسيل من شجر
العرق أو العُرفط ، يؤكل أو يوضع في ثوب ، ثم ينقع بالماء ، فيشرب . وفي
القاموس : والمغافر والمغافير : المغاير الواحد مغفر كمنبر ، ومغفور ومغفر
بضمهما ، ومغفار ومغفير بكسرهما ، والرْمِثُ : مرعى للابل من الحمض وشجر =

وذكر ابن هشام : الأبايل ، وقال : لم يُسمَعْ لها بواحد ، وقال غيره :
واحدا : إباله ، وإبؤل ، وزاد ابن عزيز : وإبيل ، وأنشد ابن هشام لرؤبة :

وَصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَا كُول

وقال : ولهذا البيت تفسير في النحو ، وتفسيره : أن الكاف تكون حرفَ
جَرٍّ ، وتكون اسما بمعنى : مثل ، ويدلُّك أنها حرف : وقوعها صلة للذى ؛ لأنك
تقول : رأيت الذى كزيد ، ولو قلت : الذى مثل زيد لم يحسن ، ويدلُّك أنها تكون
اسما دخول حرف الجر عليها ، كقوله : ورُحْنَا بِكَابِئِ الْمَاءِ يَنْقُضُ رَأْسَهُ . ودخول
الكاف عليها ، وأنشدوا : وصالياتٍ كَكَمَا يُوَثَّقَيْنِ ^(١) [أو يُوَثَّقَيْنِ] . وإذا دخلت

== يشبه الغضا ، والغلقة : شجرة مرة بالحجاز وتامة غاية للدباغ ، والحبشة تسميها السلاح
فيقتل من أصابه ، والخرفع : القطن الفاسد في براعيه ، والتمام : عشب من الفصيلة
النجيلية يسمو إلى خمسين ومائة سنتيمتر . والأتسرج والأترجة : نوع من
التمر حمضى ، واللثي : ما يسيل من بعض الشجر كالصمغ . وفي المطبوعة بدلا من يكذ :
يكن ، وهو خطأ ، وروى ، تكذ قيل : لأنه لا يجتمع منه في سنة سوى القليل
ويضرب في تفضيل الشيء على جنسه ، ولما يصيب الخير الكثير . انظر مجمع الأمثال
وفي اللسان أن المغافير نوع من الصمغ يوضع فى ثوب ، ثم يُنَضَّح بالماء ،
فيشرب . واحدا : مَغْفَرَةٌ ، ومَغْفَرَةٌ ، ومَغْفَرَةٌ ، ومَغْفَرَةٌ ، ومَغْفَرَةٌ ،
ومَغْفَرَةٌ ، ومَغْفَرَةٌ . . . وقد يكون المَغْفَرُ أيضا للشعر والسلم
والتمام والطلح وغير ذلك . . . ويقال لصمغ الرمث والعرفط : مغافير ومغافير
الواحد : مَغْفَرٌ ، ومَغْفَرٌ ، ومَغْفَرٌ ، ومَغْفَرٌ . . . والمغافير الذى ورد
فى حديث نساء النبي يراد به صمغ العرفط وله ريح كريهة منكرة ، وعن الليث :
المغافير : الصمغ يكون فى الرمث ، وهو حلوى يؤكل واحدا . مغفورٌ .

(١) من قصيدة لخطام بن نصر بن عياض بن ربوع هو : المجاشعي . وأولها .
حسب دار الحى بين الشهبين وطلحة الدوم ، وقد تعففين =

= لم يبق من أي بها يُحَلَّوْنَ غير حطام ورماد كَشَفَيْن
وغير ود جاذل أو ودين وصاليات ككما يُؤَثَّفَيْن

وفي خزنة الأدب : الشهبين وفي شرح شواهد الشافية للبغدادى أيضا : السهبين
والشهبان وطلحه الدوم : موضعان ، والنون في تعفين ضمير ديار الحى ،
وصاليات بالجر : عطفا على ما قبلها ، وهى الأثافي أى : الاحجار التى يوضع القدر
عليها ، وصفها بذلك لأنها صليت بالنار أى أحرقت حتى اسودت . وما فى قوله
« ككما » قد تكون مصدرية ، فيكون التقدير : مثل الإثفاء وقد تكون موصولة
بمعنى الذى ، والكاف الأولى جارة ، والثانية مؤكدة لها ، وإذا كان من باب التوكيد
جاز أن يكون الكافان اسمين أو حرفين ، فلا يكون دليل على التسمية الثانية فقط . وفي
شرح أدب الكاتب : أجرى الكاف الجارة مجرى : مثل ، فأدخل عليها كافا ثانية
فكأنه قال : كمثل ما يؤثفين ، ومما مع الفعل بتقدير المصدر . كأنه قال : كمثل
إثفائها ، أى أنها على حالها حين أثفيت ، والكافان لا يتعلقان بشيء ، فإن الأولى
زائدة ، والثانية قد أجريت مجرى الأسماء لدخول الجار عليها . ولو سقطت الأولى
وجب أن تكون الثانية متعلقة بمحذوف صفة بمصدر مقدر محمول على معنى
الصاليات ؛ لأنها نابت مناب مثنويات . فكأنه قال : ومثنويات إثفاء مثل إثفائها
حين نسبت للقدر .

وأما يؤثفين فيحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون مثل يؤكرم ، ويكون على
لغة من قال : أثفيت القدر « أثفيت بفتح الثام وتشديد الفاء وإسكان الياء ، ومن
قال هذا كانت أثفية « بضم الهمزة وإسكان الثام وكسر الفاء وتشديد الياء ، عنده
أفعولة ، واللام واو ، ويحتمل أن تكون ياء ، والهمزة زائدة فأصلها : أثفوية ، فقلبت
الواو ياء ، وأدغمت وكسرت لتبقى الياء على حالها ، والوجه الآخر : أن يكون
يؤثفين : يفعلين — بضم الياء وفتح الفاء وإسكان العين وفتح اللام وإسكان الياء
تفتح النون — فتكون الهمزة أصلية ، فتكون أثفية على هذا فعلية بضم الفاء
وإسكان العين وكسر اللام وتشديد الياء مع فتح ، وتكون على لغة من قال : أثفت =

على مثل، كقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] فهي إذا حرف؛
إذ لا يستقيم أن يقال : مثلٌ مثله ، وكذلك هي حرف في بيت رؤبة : « مثل
كعصفٍ » لكنها مُقحمة لتأكيد التشبيه ، كما أقحموا اللام من قوله : يا بُؤْسَ
للحرب ، ولا يجوز أن يقحم حرفٌ من حروف الجرسوى اللام ، والكاف ،
أما اللام ؛ فلائها تعطى بنفسها معنى الإضافة ، فلم تغير معناها ، وكذلك
الكاف تعطى معنى التشبيه ، فأقحمت لتأكيد معنى المماثلة ، غير أن دخول
مثل عليها كما في بيت رؤبة قبيح ، ودخولها على مثل كما في القرآن أحسن
شيء ؛ لأنها حرف جر تعمل في الاسم ، والاسم لا يعمل فيها ، فلا يتقدم عليها
إلا أن يقحمها كما أقحمت اللام .

وأنشد شاهدا على العَصِيفَةِ قول علقمة ، وآخره :

حَدُّورُهَا مِنْ أَيْيِ الْمَاءِ مَطْمُومٌ . وهذا البيت أنشده أبو حنيفة في النبات
جَدُّورُهَا : هو جمع جَذَرٍ بالجيم ، وهي الحواجز التي تحبس الماء ، ويقال للجذر

= القدر انظر ص ١١٥ — ٢ خزاعة الادب البغدادي ، ص ١٩٢ > ١ المنصف
شرح التصريف لابن جني . والرأى الثاني أولى على ما ذهب إليه البغدادي ، ويرى
ابن جني أن يفعلين أولى من يؤفعلن ، لانه لا ضرورة فيه ، وفي اللسان : تقول :
آتف القدر ، وأتفها وأتفاها ، وتقول : أثفيت القدر إذا جعلت لها الأتافي .
ويقول ابن جني : أثفيت القدر ، وأتفيتها ، وثفيتها : إذا أصلحت تحتها
الأتافي ، وقال صاحب الصحاح : ثفيتها القدر ثفية : وضعها على الأتافي ،
وأثفيتها : جعلت لها أتافي . وينسب الشعر للفارسي أيضا ، أما الجوهرى في الصحاح ،
فنسبه إلى هيمان بن قحافة انظر ص ٦٠ ، الشافعية ، ١٩٤ > ١ منها ، ص ٩٤ > ٢ منها
والكتاب لسبوتنه في مواضع منها ٢٠٣ ، ٢٤١ > ١

حُبَّاسٌ^(١) أيضا: وفي الحديث: «أَمْسِكِ الْمَاءَ حَتَّى يَبْلُغَ الْجَدْرَ ، ثُمَّ أَرْسِلِيهِ^(٢)»
وقد ذكر غيره رواية الجسيم ؛ وقال : إنما قال : جُدُّورُهَا مِنْ أُنَى الْمَاءِ مَطْمُومٌ .
وأفرد الخبر ، لأنه رَدَّه عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُدُرِ كما قال الآخر :

تَرَى جَوَانِبَهَا بِالشَّخْمِ مَفْتُوقًا .

أى : تَرَى كُلَّ جَانِبٍ فِيهَا .

فصل : وَيُقَالُ لِلْعَصِيفَةِ أَيْضًا : أَذَنَةٌ^(٣) ، وَلَمَّْا تُحِيطْ بِهِ الْجُدُورُ الَّتِي تَمْسِكُ الْمَاءَ

(١) فِي الْقَامُوسِ : حَبْسٌ بِكسر الحاء : خَشْبَةٌ أَوْ حِجَارَةٌ تُبْنَى فِي مَجْرَى الْمَاءِ لَتَجْبِهَ . وَحَدُّورُهَا : مَا تَحْدُرُ مِنْهَا .

(٢) هُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : خَاصِمُ الزُّبَيْرِ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فِي شَرَاجِ الْحَرَةِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : اسْقِ يَازُبَيْرُ ، ثُمَّ أَرْسَلَ الْمَاءَ إِلَى جَارِكِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ ؟ فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ ، ثُمَّ قَالَ : اسْقِ يَازُبَيْرُ ، ثُمَّ أَحْبَسَ الْمَاءَ ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ الْمَاءَ إِلَى جَارِكِ ، وَاسْتَوْعَبَ لِلزُّبَيْرِ حَقَّهُ ، وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِمَا بِأَمْرِ لَهَا فِيهِ سَعَةٌ .

وَشَرَاخُ جَمْعُ شَرْجَةٍ تَمْسِكُ الْمَاءَ مِنَ الْحَرَةِ إِلَى السَّهْلِ . وَالْحَرَةُ أَرْضٌ بَظَاهِرِ الْمَدِينَةِ ذَاتُ حِجَارَةٍ سَوْدٍ ، وَمَعْنَى : أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ : أَيْ أَقْضَيْتَ لَهُ بِسَبَبِ أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ . وَقَدْ أَفْرَدَ كَلِمَةً مَطْمُومٌ ، فِي رِوَايَةٍ : جُدُورٌ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ مَا حَوْلَ الْجُدُورِ ، وَلَوْلَا هَذَا لَقَالَ : مَطْمُومَةٌ . وَفِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ عَنِ الْجَدْرِ قِيلَ : هُوَ أَلْفَةٌ فِي الْجِدَارِ ، وَقِيلَ هُوَ أَصْلُ الْجِدَارِ ، وَرَوَى : الْجَدْرُ بِالضَّمِّ جَمْعُ جِدَارٍ ، وَيُرْوَى بِالذَّالِ فَيَكُونُ الْمَعْنَى : أَحْبَسَ الْمَاءَ حَتَّى يَبْلُغَ تِمَامَ الشَّرْبِ . مِنْ جَدْرِ الْحِسَابِ ، وَهُوَ بِالْفَتْحِ ، وَبِالْكَسْرِ . أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ . وَقِيلَ : أَرَادَ أَصْلَ الْحَائِطِ .

(٣) الْأَذَنَةُ أَيْضًا : هِيَ وَرَقَةُ الْحَنَةِ أَوَّلُ مَا تَنْتَبِهُ وَخُوصَةً الثَّمَامُ وَالتَّنْبَةُ .

وإيلاف قريش : إيلافهم الخروج إلى الشام في تجارتهم ، وكانت لهم
خَرَجَتان : خَرَجَةٌ في الشتاء ، وخَرَجَةٌ في الصيف . أخبرني أبو زيد الأنصاري :
أن العرب تقول : أَلِفَت الشيء إلفاً ، وآلفته إيلافاً ، في معنى واحد ، وأنشدني
لدى الرُّمَّة :

من المؤلِّفات الرملُ أَدَماءُ حُرَّةٍ شُعاع الضحى في لونها يتوضَّحُ
وهذا البيت في قصيدة له ، وقال مطرود بن كعب الخزاعي :

الْمُنْعِمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِيلَافِ

وهذا البيت في أبيات له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .
والإيلاف أيضاً : أن يكون للانسان ألف من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ،
أو غير ذلك . يقال : آلف فلان إيلافاً . قال الكُميت بن زيد ، أحد بني أسد
ابن خزيمة بن مُدْرَكَة بن الياس بن مُضَر بن نزار معدن :

بِعَافٍ يَقُولُ لَهُ الْمُؤَلِّفُ نَ هَذَا الْمُعِيمُ لَنَا الْمُزْجِلُ

دَبْرَةٌ^(١) وَحِيسٌ وَمَشَارَةٌ ، وَلَمُفْتَحٌ لِمَاءِهَا : آغِيَةٌ بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ [أَوْ آتِيٌّ]^(٢)

(١) في المعجم الوسيط : الدبرة : قطعة أرض تستصلح للزراعة ، والساقية
بين المزارع ، وجمع مشارة : مشاور ، ومشاطر .

(٢) في اللسان : الآتي : بفتح الهزة وكسر التاء وتشديد آخره ، النهر
يسوقه الرجل إلى أرضه وقيل : هو المفتاح بفتح الميم أو كسرهما وسكون الفاء
وفتح التاء ، وكل مسيل سهلته لماء : آتٍ ، وهو الآتي بضم الهزة وتضعيف
الياء وكسر التاء ، حكاه سيبويه . وقيل : الآتي : بالضبط السابق ، جمع ، وفي
القاموس أن الآتي جدول توقيه إلى الأرض ، وأن الهزة والتاء يثلثان . والآتي
ما يقع في النهر من خشب وغيره .

وهذا البيت في قصيدة له . والإيلاف أيضا : أن يصير القوم ألفا ، يقال
آلف القوم إيلافا . قال السكيت بن زيد :

وآل مُزَيِّعَاءُ غَدَاةَ لَأَقَوَا بني سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ مُؤَلِّفِينَا
وهذا البيت في قصيدة له . والإيلاف أيضا : أن تؤلف الشيء إلى الشيء
فيألفه ويألفه ، يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا : أن يصير ما دون
الألف ألفا ، يقال : آلفته إيلافا .

« مصير الفيل وسائسه » .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن
ابن سعد بن زُرَّارة ، عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : « لقد رأيتُ
قائدَ الفيل وسائسه بمكة أعمىين مُتَعَدِّينِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ » .

ما قيل في صفة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق : فلما ردَّ الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما أصابهم به
من النعمة ، أعظمت العربُ قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم
وكفاهم مثنوة عدوهم ، فقالوا في ذلك أشعارا يذكرُون فيها ما صنع الله بالحبشة ،
وما ردَّ عن قريش من كيدهم .

فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ بن عَدِي بن قَيْس بن عَدِي بن سَعِيد بن سَهْم
ابن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لُؤَي بن غَالِب بن فهر .

وذكر إيلاف قريش للرحلتين . وقال : هو مصدر ألفت الشيء وآلفته
لجعله من الإلف للشيء ، وفيه تفسير آخر أليق ، لأن السفر قطعة من العذاب ،

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ ، إِهْمَا كَانَتْ قَدِيمًا لَا يَرَامُ حَرَمُهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشُّعْرَى لِيَالِي حُرْمَتِ إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
سَائِلِ أَمِيرِ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى وَلَسَوْفَ يُنْجِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
سَتُونَ أَلْفًا لَمْ يَثُوبُوا أَرْضَهُمْ وَلَمْ يَمِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا
كَانَتْ بِهَا عَادَةٌ ، وَجُرُومٌ قَبْلَهُمْ وَاللَّهِ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا

قال ابن إسحاق : يعنى ابن الزبيرى بقوله :

بعد الإياب سقيمها

أبرهة ، إذ حلوه معهم حين أصابه ما أصابه ، حتى مات بصنعاء .
وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ثم الخطي ، واسمه : صَيْفَى .
قال ابن هشام : أبو قيس : صَيْفَى بن الأسلت بن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن
قيس بن عامرة بن مرة بن مالك بن الأوس :

وَمِنْ صُنْعِهِ يَوْمَ فِيلِ الْحَبُوشِ إِذْ كُلَّمَا بَعَثَهُ رَزَمَ
تَحْتَاجِنُهُمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ وَقَدْ شَرَّمُوا أَنْفَهُ فَانْخَرَمَ
وَقَدْ جَعَلُوا سَوَاطِلَهُ مِفْوَلاً إِذَا يَمَّسُّهُ قَفَاهُ كَلِمَ
فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ نَمَ
فَارْسَلَ مَنْ فَوْقَهُمْ حَاصِبًا فَلَفَّهِمْ مِثْلَ لَفِّ الْقُرْمِ
تَحْضُرُ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ وَقَدْ تَأَجُّوا كُتُوجَ الْفَسَمِ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

ولا تألفه النفس ، إنما تألف الدَّعَّةَ وَالْكَيْنُونَةَ مع الأهل . قال المروى :
هى حبال ، أى : عهود كانت بينهم وبين ملوك العجم ، فكان هاشم يؤالف إلى

والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبي الصلت .

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس بن الأشعث :

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبِّكُمْ ، وَتَسَحَّجُوا بَارَكَانَ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخْشَبِ
فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدِّقٌ غَدَاةُ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ
كَتَيْبَتُهُ بِالسَّهْلِ تُنَمِّسُ ، وَرَجُلُهُ عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رَمُوسِ الْمَقَابِ
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّاهُمْ جُنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ
فَوَلُّوا سَرَاعَا هَارِبِينَ وَلَمْ يَوُوبْ إِلَى أَهْلِهِ مِلْحَجِيشَ غَيْرُ عَصَابِ

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

على القاذفات في رموس المقاب

وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله .
وقوله : « غَدَاةُ أَبِي يَكْسُومَ » : بمعنى : أبرهة ، كان يكنى أبا يكسوم .

قال ابن إسحاق : وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب :

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاخِسٍ وَجَيْشِ أَبِي يَكْسُومِ إِذْ مَلَكُوا الشَّعْبَا
فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لِأَشْيَاءَ غَيْرِهِ لِأَصْبَحْتُمْ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبَا

قال ابن هشام : وهذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة النخعي في شأن الفيل ،

مَلِكِ الشَّامِ ، وَكَانَ الْمُطَّابُ بِوَالِفٍ إِلَى كِسْرَى ، وَالْآخِرَانِ بِوَالِقَانِ أَحَدُهُمَا

ويذكر الحنفية دين إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : تروى لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة التثقي :

إِنَّ آيَاتِ رَبَّنَا نَائِيَاتٌ لَا يُبَارَى فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
خُلِقَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَكُلٌّ مُنْسْتَيْنٌ حِسَابُهُ مَقْدُورٌ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارُ رَبِّ رَحِيمٍ بِمَهَابَةِ شُعَائِهَا مَذْشُورٌ
حُبْسُ الْقَيْلُ بِالْمَغَمِّسِ ، حَتَّى ظَلَّ يَحْبِسُو كَأَنَّهُ مَعْقُورٌ
لَا زَمْلَ حَلَقَةِ الْجِرَانِ كَمَا قُطِّرَ مِنْ صَخَرٍ كَيْكَبٍ مَخْدُورٌ

إِلَى مَلِكٍ مَصْرَ ، وَالْآخِرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبْشَةِ ، وَهِيَ : عَبْدُ شَمْسٍ وَنُوفَلٌ (١) . قَالَ :

(١) نقل اللسان عن ابن الأعرابي : أصحاب الإيلاف أربعة إخوة : هاشم وعبد شمس ، والمطلب ، ونوفل بنو عبد مناف ، وكانوا يؤلفون الجوار يتبعون بعضه بعضاً فيجرون قريشاً بغيرهم . بكسر الميم وفتح الياء وكسر الراء جمع : ميرة : الطعام ، تارة الإنسان ، ، وكانوا يسمون : المجيرين ، ثم يقول إن المطلب أخذ حبلاً من ملوك حير . ونوفل : هو الذي أخذ من كسرى . وعبد شمس أخذ من النجاشي ، وهاشم من ملك الروم ، فكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال — أي عهود — هؤلاء الإخوة . فلا يتعرض لهم . وقال ابن الأنباري : من قرأ لإيلافهم وللفهم فيها من : ألف — كعلم — يالف ، ومن قرأ : لإيلافهم فهو من ألف يوافق . وفي اللسان أيضاً حديث ابن عباس : وقد علمت قريش أن أول من أخذها الإيلاف لهاشم الإيلاف : العهد والذمام . وقد تكون الهاء في إيلافهم مفعولاً ، ورحلة مفعولاً ثانياً . ويجوز أن يكون المفعول هنا واحداً على قولك آلفت الشيء كآلفته ، وتكون الهاء والميم في موضع الفاعل مثل عجت من ضرب زيد عمراً . وفي اللسان : أهلكت أصحاب القيل لأولاف قريشاً مكة ، ولتولف قريش رحله الشتاء والصيف أي تجمع بينها إذا فرغوا من ذه أخذوا في ذه ، وهو كما تقول : ضربته لكذا لكذا بخذف الواو ،

حواله من ملوك كِنْدَةَ أَبْطَا لَ مَلَاوِيْثُ فِي الْحُرُوبِ صُقُور
خَلَفُوهُ ثُمَّ ابْدَعُوْهُ وَاجْمَعَا كُلَّهُمْ عَظُمَ سِيَّاقُهُ مَكْسُورُ
كُلِّ هَيْئَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْخَنِيْفَةَ بُورِ

قال ابن هشام : وقال الفرزدق — واسمه قَتَامُ بن غالب أحد بني مُجَاشِعِ
بن دَارِمِ بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تميم — يمدح سليمان
ابن عبد الملك بن مَرْوَانَ ، ويهجو الحَجَّاجَ بن يوسف ، ويذكر الفيل وجيشه .

ومعنى يُوَالِفُ : يعاهد ويصالح ، ونحو هذا ، فيكون الفعل منه أيضا آفَ على وزن
فَاعَلَ ، والمصدر إلَافًا بغير ياء مثل : قِتَالًا ، ويكون الفعل منه أيضا آكَفَ على
وزن أَفْعَلَ مثل : آمَنَ ، ويكون المصدر : إِيْلَافًا بالياء مثل : إِيْمَانًا ، وقد قرئ
لِلْإِلَافِ قَرِيشَ بغير ياء ، ولو كان مِنَ الْآفَتِ الشَّيْءُ على وزن أَفْعَلْتَ إِذَا الْفِتْنَةُ لم
تكن هذه القراءة صحيحة ، وقد قرأها ابن عامر ، فدل هذا على صحة ما قاله
الهروى ، وقد حكاه عن تقدمه . وظاهر كلام ابن إسحاق أن اللام من قوله
تعالى : ﴿ لِإِيْلَافٍ قَرِيشَ ﴾ متعلقة بقوله سبحانه : ﴿ جَعَلَهُمْ كَعْضَفٍ مِّثَالًا كُؤُلُ ﴾
وقد قاله غيره ، ومذهب الخليل وسيبويه : أنها متعلقة بقوله : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا
رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ أى : فليعبدوه من أجل ما فعل بهم ^(١) . وقال قوم : هى
لامُ التعجب ، وهى متعلقة بمضمر ، كأنه قال : اعجب لإيلاف قريش ، كما قال

(١) ابن جرير الطبرى . وهذا بناء على أنها سورة متفصلة عما قبلها .
أما محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، فقد صرحا بأنها متعلقة بما قبلها ،
فالمنى عندهما : حبسنا عن مكة الفيل ، وأهلكنا أهله لإيلاف قريش أى لانتلافهم
واجتماعهم فى بلدهم آمنين . أقول : وعلى هذا يصح المعنى الذى نفاه السبلى .

— صلى الله عليه وسلم — في سعد بن معاذ (١) — رضى الله عنه !! — حين دفن :
 « سُبْحَانَ اللَّهِ لَهَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ضَمَّ فِي قَبْرِهِ ، حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ !! » وَقَالَ فِي عَبْدِ
 حَبْشَى مَاتَ بِالْمَدِينَةِ : « لَهَذَا الْعَبْدِ الْحَبْشِيِّ جَاءَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى الْأَرْضِ
 الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا » أَى : اعْجَبُوا لَهَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ .
 وَأَنْشُدَ لِلْكَتْمِيَّتِ :

بِغَامٍ يَقُولُ لَهُ الْمُؤَلَّفُونَ : أَهَذَا الْمَعِيمُ لَنَا الْمُرْجِلُ
 الْمُؤَلَّفُ : صَاحِبُ الْأَلْفِ مِنَ الْإِبْلِ ، كَمَا ذَكَرَ ، وَالْمَعِيمُ بِالْمِيمِ : مِنَ
 الْعَيْمَةِ (٢) أَى : تَجْعَلُ تِلْكَ السَّنَةَ صَاحِبَ الْأَلْفِ مِنَ الْإِبْلِ يَعَامُ إِلَى اللَّبَنِ ،
 وَتُرْجِلُهُ ، فَيَمْشِي رَاجِلًا ، كَعَجْفِ الدَّوَابِّ وَهَزَالِهَا .
 وَذَكَرَ قَوْلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ : تَنَسَّكَلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ . الْبَيْتِ ، وَنَسَبِهِ
 إِلَى عَدِيِّ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ ، وَكَرَّرَ هَذَا النَّسَبَ فِي كِتَابِهِ مَرَارًا وَهُوَ خَطَأٌ ،
 وَالصَّوَابُ : سَعْدُ بْنُ سَهْمٍ ، وَإِنَّمَا سَعِيدٌ : أَخُو سَعْدٍ ، وَهُوَ فِي نَسَبِ عَمْرِو بْنِ
 الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ (٣) . . . وَقَدْ أَنْشُدَ فِي الْكِتَابِ مَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ قَوْلِهِ : وَهُوَ

(١) شَهِدَ بَدْرًا بِاتِّفَاقٍ ، وَرَمَى بِسَهْمٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهْرًا
 حَتَّى حُكِمَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ انْتَقَضَ جُرْعَتُهُ فَمَاتَ سَنَةً
 خَمْسَ مِنَ الْهَجْرَةِ .

(٢) الْعَيْمَةُ : شَهْوَةُ اللَّبَنِ وَالْعَطَشُ يَقُولُ : عَامٌ ، يَعِيمُ ، وَيَعَامُ ، وَعَامٌ
 مَعِيمٌ : طَوِيلٌ .

(٣) فِي السِّيرَةِ هُوَ ابْنُ عَدِيٍّ بْنِ قَيْسٍ بْنِ عَدِيٍّ ، وَفِي الْإِسْتِثْقَاءِ لِابْنِ دُرَيْدٍ
 هُوَ ابْنُ قَيْسٍ بْنِ عَدِيٍّ ، وَفِي جَهْدَةِ أَنْسَابِ الْعَرَبِ أَنَّ سَهْمَ بْنَ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ =

قول المُبرِّق ، وهو عبدُ الله بن الحارث بن عدي بن سعد (١) :

فإنَّكَ كُنتَ في عَدِيٍّ أَمَانَةً عَدِيٌّ بنِ سَعْدٍ في الخطوبِ الأوائلِ

قَالَ : عَدِيٌّ بنِ سَعْدٍ ، ولم يقل : سَعِيدٌ ، وكذلك ذكره الواقدي والزُّبَيْرِيُّونَ وغيرهم .

حول الشعر النزي قبل في الفيل :

وقوله : تَنَكَّلُوا عَن بَطْنِ مَكَّةَ إِنِّهَا . وهذا خَرَمٌ في الكامل ، وقد وجد في غير هذا البيت في أشعار هذا الكتاب الخَرَمُ في الكامل ، ولا يبعد أن يدخل الخَرَمُ في مُتَفَاعِل ، فيحذف من السبب حَرَفٌ ، كما حُذِفَ من الوَتْدِ في الطويل حرف ، وإذا وجد حذف السبب الثقيل كُلهُ ، فأحرى أن يجوز حذفُ حرفٍ منه ، وذلك في قول ابن مُفَرِّغٍ :

== وسُمِّيد بضم السين وفتح العين ، فأُنْجِبَ سعد : سعيداً - بالضبط السابق - وعدياً وغيرهما ثم أنجب عدي بن سعد بن سهم قيساً نسيب قريش في زمانه وغيره ، ثم جاء قيس بالزبيري ، وجاء الزبيري بعبد الله ، وقد ضبط ابن حجر في الإصابه الزبيري بكسر الزاي والباء وقد جاء في نسب قريش ص ٤٠١ كما قال السهيلي وأسقط كابن حزم من نسب عبد الله عدياً ، فقال : عبد الله بن الزبيري بن قيس الخ . . . والزبيري معناها : السوء الخلق والغليظ ، وكان ابن الزبيري يؤذي رسول الله وص ، بشعره ثم أسلم في الفتح وحسن إسلامه ص ١٥٦ جمهرة ابن حزم .

(١) استشهد عبيد الله يوم الطائف وستاق قصيدته في الحديث

عن المهاجرين .

هَامَةٌ تَدْعُو صَدَى بَيْنَ الْمُشَقَّرِ وَالْهَامَةِ (١)
وهو من المُرْقَل، والمرْقَل من الكامل. ألا ترى أن قبله :
وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كَفْتُ هَامَةٌ

فالمحذوف من الطويل إذا خرم حَرْفٌ مِنْ وَتَدَّ جَمْعُوعٌ، والمحذوف
من الكامل إذا خرم : حرف من سَبَبٍ ثَقِيلٍ، بعده سَبَبٌ خَفِيفٌ، ولما كان
الإضمار فيه كثيراً، وهو إسكان التاء من مُتَفَاعِلِنَ، فمن ثَمَّ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ :
لَا يَحُوزُ فِيهِ الْخَرْمُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يؤولُ إِلَى الْإِبْتِدَاءِ بِسَاكِنٍ، وَهَذَا الْكَلَامُ
لَمَنْ تَدَبَّرَهُ بَارِدٌ غَثٌّ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي يَدْخُلُهَا الْخَرْمُ لَمْ يَكُنْ قَطُّ فِيهَا إِضْمَارٌ
نَحْوُ : تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ، وَالَّتِي يَدْخُلُهَا الْإِضْمَارُ، لَا يَتَصَوَّرُ فِيهَا الْخَرْمُ

(١) الهامة : من طير الليل وهو الصدى، وكانت العرب تزعم أن روح القتيل
الذي لا يدرك بثأره تصير هامة، فترقو عند قبره قائلة : اسقوني، فإذا أدرك بثأره
طارَتْ. وهى أيضاً طائر صغير من طير الليل يَأْلِفُ المقابر. ولعله يريد أنها تنادى
ذكرها. والمشقر حصن بين البحرين ونجران. والهامة بلد كبير في نجد
وابن مفسرٍ هو : يزيد بن ربيعة رجل من يَحْصُبَ، وكان هجاءً، فهجا
عباداً وإلى سجستان من قبَلِ عيد الله بن زياد، وكان على ابن مفرغ دين فاستعدى
عليه عباد، فباع رحله ومتاعه، وقضى الغرماء، وكان فيما بيع له عبد يقال له
برد، وجارية يقال لها أراكه فقال :

أَصْرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أَمَامَةِ مَنْ بَعْدَ أَيَّامِ بَرَامَةِ

ومنها :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة

ص ٢٩ أمالي الزجاج ط ١٣٢٤

نحو : لا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي (١) ونحو قوله : «لم تُخْلَقِ الشُّعْرَى لِيَأْلَى حُرْمَتِ» فعملية

(١) لا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي من قول خرتق بنت هفان من بني قيس بن ثعلبة، وقولها :

لا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمِ الْعُدَاةِ وَأَقَّةِ الْجُزْرِ
النَّازِلُونَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ
وَالخَالَطِينَ نَحْيَتَهُمْ بِضَارِهِمْ وَذَوِي الْغَنَى مِنْهُمْ بَنَى الْفَقْرِ

وكل ما فات مصطلحات من العروض ، وهو علم وزن الشعر . والسبب
والوعد من المقاطع العروضية ، فالسبب الخفيف : حركة فسكون مثل : قد ،
والثقل : حركتان مثل بك . والوعد المجموع : حركتان فساكن ، مثل : على
والمفروق : حركة فساكن . حركة مثل : جاء . وفي العروض ما يسمى بالزخافات ،
وهو تغيير في حشوا البيت خلاص بثواني الأسباب ، وما يسمى بالعلل ، وهي : تغيير في
تفعيلة العروض أو الضرب ، ومتى وردت عليه في أول بيت لزم كبعض أنواع
الزخاف . والخرم هو إسقاط أول الوعد المجموع في صدر المصراع الأول ، وهو
نوع غريب ، ومثاله في البحر الطويل .

و قد كنت أعلو الحب حيناً فلم يزل ،

حذف اللام من قد ، فوقع في الخرم . ولو أنه قال : لقد ، ما كان الخرم ،
وقد اصطلح على أنه لا يدخل إلا فعولن ومفاعلتن ومفاعيلن . وقد أوغل
العروضيون في مصطلحات الخرم ، حتى جاء وامنه بأقسام كثيرة ، والخرم لا يدخل
البحر الكامل بخلاف ما ذهب إليه السبيل ، ويسمى علماء العروض هذا الذي
حدث في الشطرة الأولى من قصيدة الزبيري : وقصا ، وهو حذف الثاني
المتحرك ، وهذا يكون في متفاعلتن ، فتصير مفاعلتن في البحر الكامل ، والترفيل :
زيادة سبب خفيف على ما آخره وقد مجموع ، ويدخل المتدارك . والكامل فتصير
متفاعلتن : متفاعلتن . والسكامل التام له ست تفعيلات : بتكرار متفاعلتن ثلاث
مرات في كل شطرة . وقد يحذف ثلثه فيسمى مجزوا ، أما الطويل فيكون
بالإتيان بفعولن مفاعيلن مرتين في كل شطرة . هذا وقد سمي المؤلف حذف
حرف من سبب ثقل بعده سبب خفيف في البحر الكامل : خرما وهو مخالف
- كما قلنا - لمصطلحات العروضيين .

(م ١٩ - الروض الأثف)

في هذا الشعر إذاً لا يفيد شيئاً ، وما أبعد العرب من الالتفات إلى هذه الأغراض التي يستعملها بعض النحاة ، وهي أوهى من نسج الخرزوني (١) .
وقوله :

لم تَخْلُقِ الشُّعْرَى لِيَالِي حُرِّمَتْ
إن كان ابن الزُّبَيْرِي قال هذا في الإسلام فهو مُتَنَزِّعٌ من قول النبي
— صلى الله عليه وسلم — « إن الله حَرَّمَ مَكَّةَ ، ولم يحرمها الناس » ومن
قوله : في حديث آخر : إن الله حَرَّمَها يوم خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ (٢) ،
والترية خُلِقَتْ قبل خلق الكواكب ، وإن كان ابن الزُّبَيْرِي قال هذا في
الجاهلية ، فإنما أخذه — والله أعلم — من الكتاب الذي وجدوه في الحجر
بالخط المُسَنَّد (٣) حين بَنَوْا الكعبة ، وفيه : أنا الله رَبُّ مَكَّةَ خَلَقْتُهَا يَوْمَ
خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . الحديث .

وقوله : « ولم يَعْشَ بعد الإيابِ سَقِيمُها » هكذا في النسخة المقيدة على
أبي الوليد المقابلة بالأصلين اللذين كانا عنده ، وقابلها أبو بَجْرِجٍ — رحمه الله —
بهما مرتين ، وحَسِبَ بعضهم أنه كَثُرَ في البيت ، فزاد من قَبْلِ نفسه ، فقال :
بل لم يَعْشَ . فأفقد المعنى ، وإنما هو خَرَمٌ (٤) في أول القسم من عَجْرِ البيت
كما كان في الصُّدْر من أول بيت منها .

- (١) الخَزَرُونِي كَسَفَرَجَل : العنكبوت .
(٢) أخرجهما البخاري ومسلم . والشعري في شعر ابن الزُّبَيْرِي : اسم نجم وهما
اثنان لإحدهما : الغميصاء ، والآخرى تتبع الجوزاء .
(٣) خط حمير . (٤) هو وقص في اصطلاح العروضيين .

وقول قيس بن الأسلت : مثل لف القُرْم . القُرْم : صغار الفم . ويقال :
رُدَّ آل المال ، ورَزَم : ثبت ولزم موضعه ، وأرَزَم من الرَزِم ، وهو صوت
ليس بالقوى ، وكذلك صوت الفيل ضليل على عظيم خلقته ، ويفرق من
المُرّ وينفر منه ، وقد احتيل على الفيلة في بعض الحروب مع الهند .
أحضرت لها الهرة ، فذُعرت ووَلَّت ، وكان سببا لهزيمة القوم . ذكره
المسعودي ، ونسب هذه الحيلة إلى هرون بن موسى حين غزا بلاد الهند ،
وأول من ذل الفيلة - فيما قال الطبري - أفريدون بن أثنان ، ومعنى أثنان :
صاحب البقر ، وهول أول من تتج البنال ، واتخذ للخيال السروج والوكف (١)
- فيما ذكروا - وأما أول من سخر الخيل وركبها « فطهموث » وهو
الثالث من ملوك الأرض - فيما زعموا - وثُوج الفم : صوتها ، ووقع في
النسخة : ثَجُّوا ، وعليه مكتوب : الصواب : ثأجوا كثُوج الفم .

وقول ابن الأسلت : قوموا ، فصلُّوا ربَّكم وتمسَّحوا . سيأتي شرح
هذه الأبيات في القصيدة حيث يذكرها ابن إسحاق بكاملها - إن شاء الله .

وذكر قول طالب بن أبي طالب « فأصبحتم لا تمنعون لكم سربا »
ويروى سربا بالكسر ، والسرب بالفتح : المال الراعي (٢) ، والسرب
بالكسر : القطيع من البقر والظباء ، ومن النساء أيضا . قال الشاعر :

فلم ترعيني مثل سرب رأيتُه خرَجَنَ عَلَيْنَا من زُفَّاقِ ابْنِ وَاثِفِ
وطالب بن أبي طالب كان أسنَّ من عقيل بعشرة أعوام ، وكان عقيل

(١) جمع وكاف : بردعة الحمار . (٢) يعني الماشية كلها .

أَسَنَّ من جعفر بشرة أعوام ، وجعفر أَسَنَّ من عليٍّ - رضى الله عنه - بمثل ذلك ، وذكروا أن طالبا اختطفته الجن ، فذهب ، ولم يذكر أنه أسلم^(١) .

وذكر شعر أبي الصلت ، واسمه : ربيعة بن وهب بن علاج . وفيه : حبس الفيل بالمغمس ، وأن كسر الميم الآخرة أشهر فيه . وفيه : بِنَهَاءِ شُعَاعِهَا منشور . والمهاة : الشمس ، سميت بذلك لصفائها ، والمهامين الأجسام : الصافي الذي يرى باطنه من ظاهره . والمهاة : اليلورة ، والمهاة : الظبية . ومن أسماء الشمس : الغزالة إذا ارتفعت ، فهذا في معنى المهاة . ومن أسمائها : البتيراء . سئل علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - عن وقت صلاة الضحى ، فقال : حتى ترتفع البتيراء . ذكره الهروي والخطابي ، ومن أسمائها : حنّاذ ، وبراج ، والضح ، وذكاه ، والجارية والبيضاء ، وبُوح ، ويقال : بوح بالياء ، وهو قول الفارسي ، وبالباء ذكره ابن الأنباري ، والشرّق والسراج

وقوله : « حَلَقَةُ الْجِرَانِ » الجِرَانُ : المنق^(٢) يريد : ألقى بجرانه إلى الأرض ، وهذا يقوى أنه برك كما تقدم ، ألا تراه يقول : كما قَطَّرَ^(٣) من صَخَرٍ كَسْبَكَبٍ ، وهو : جَبَلٌ . محذور أي : حَجَرٌ حَذَرَ حتى بلغ الأرض .

وقوله : ابْدَعُوا : تفرقوا من دُعر^(٤) ، وهي كلمة مَنْحُوثة من أصلين من البذر والدُّعر . وقوله : إلادين الحنيفة . يريد بالحنيفة : الأمة الحنيفة ، أي :

(١) خرافة لا أدري كيف يؤمن بها الناس ١٩

(٢) باطن العنق من البعير وغيره ومقدم عنقه . (٣) رمى به على جانبه .

(٤) وابْدَعَرَّت الخيل : ركضت تبادر شيئا تطلبه .

فلما طنى الحجاج حين طنى به غنى قال : إني مُرتقي في السلام
فكان كما قال ابن نوح : سأرتقى إلى جبل من خشيق الماء عاصم
رمى الله في جثامه مثل ما رمى عن القبله البيضاء ذات التعاريم
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم هباء ، وكانوا مطرَحى الطراخيم
نصرت كنصر البيت إذ ساق فيله إليه عظيم للشركين الأعاجم
وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن قيس الرقيّات . أحدُ بني عامر بن
لؤى بن غالب يذكُر أبرهة - وهو الأشرم - والفيل :

كاده الأشرم الذى نجاه بالفيل فولى وجيشه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجنْدَل حتى كأنه مرجوم
ذاك من يَفْزُهُ من الناس يرجع . وهو قل من الجيوش ذميم
وهذه الأبيات في قصيدة له .

« ولدا أبرهة »

قال ابن إسحاق : فلما هلك أبرهة ، ملك الحيشة ابنه يَكْسُوم بن أبرهة ،
وبه كان يُكنى ، فلما هلك يَكْسُوم بن أبرهة ، ملك اليمن فى الحيشة أخوه
مسروق ابن أبرهة .

المسلة التى على دين إبراهيم الخنيف - صلى الله عليه وسلم - وذلك : أنه
خَفَّ عن اليهودية والنصرانية ، أى عدل عنها ، فسمى خنيفا ، أو خَفَّ عما
كان يعبد آباؤه وقومه .

خروج سيف بن ذي يزن وملك وهرز على اليمن

« سيف وشكواه لقيصر »

فلما طال البلاء على أهل اليمن ، خرج سيف بن ذي يزن الحميري وكان يكنى بأبي مرة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا إليه ما هم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ، ويوليهم هو ، ويبيث إليهم من شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكه .

« شفاعة النعمان لدى كسرى » .

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر — وهو عامل كسرى على الحيرة — وما يليها من أرض العراق — فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لي على كسرى وفادة في كل عام ، فأقيم حتى يكون ذلك ، ففعل ، ثم خرج معه فأدخله على كسرى ، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القنقل العظيم — فيما يزعمون — يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة ، معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه في تاجه ، فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك ، إلا برك هيبة له ، فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك .

وقوله في شعر الفرزدق : كما قال ابن نوح . اسمه : يام ، وقيل : كنعمان .

وقوله : « مطرَحِي الطَّارِخِمِ » المُنَارِخِمُ : الممتلي كبرا أو غضبا .

« كسرى يعاون ابن ذى يزن »

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن سيفاً لما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا الأحق يدخل على من هذا الباب الطويل ، ثم يطأطأ رأسه ؟ ! قيل ذلك لسيف ، فقال : إنما فعلت هذا لعمى ، لأنه يضيق عنه كل شيء .

قال ابن إسحاق : ثم قال له : أيها الملك ، غلبتنا على بلادنا الأغرربة ، فقال له كسرى : أى الأغرربة : الحبشة أم السند ؟ فقال : بل الحبشة ، فجنحت لتتصرنى ، ويكون ملك بلادى لك ، قال : جعلت بلادك مع قلّة خيرها ، فلم أكن لأورط جيشاً من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك ، ثم أجازته بمشرة آلاف درهم وافٍ ، وكساه كنوة حسنة ، فلما قبض ذلك منه سيفٌ خرج ، فجعل يفتن ذلك الورق للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال : إن لهذا شأن ، ثم بعث إليه ، فقال : عمدت إلى جباة الملك تنفثه للناس ، فقال : وما أصنع بهذا ؟ ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهبٌ وفضة — يرغبه فيها — فجمع كسرى مرازبته ، فقال لهم : ما ذا تروون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى سجونك رجالاً قد حبستهم لاقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكاً ازددته ، فبعث معه كسرى من كان فى سجونهم ، وكانوا ثمانمائة رجل

والطراخيم جمع : مطارخيم على قياس الجمع ، فإن المطرخيم اسم من ستة أحرف ، فيحذف منه فى الجمع والتصغير ما فيه من الزوائد ، وفيه زائدتان : الميم الأولى ، والميم اللدغة فى الميم الآخرة ؛ لأن الحرف المضاعف حرفان ، يقال فى تصغير

« انتصار سيف وقول الشعراء فيه » .

واستعمل عليهم رجلا يقال له وَهْرَز ، وكان ذا سنّ فيهم ، وأفضلهم حسبا وبَيْتًا ، فخرجوا في ثمان سفائن ، ففرقت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عَدَن ستُّ سفائن ، فجمع سيف إلى وَهْرَز من استطاع من قومه ، وقال له : رجلى مع رجلك حتى نموت جميعا ، أو نظفر جميعا . قال له وَهْرَز : أنصفت ، وخرج إليه مَسْرُوق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جنده ، فأرسل إليهم وَهْرَز ابنا له ؛ ليقاتلهم ، فيختبر قتالهم ، فقتل ابن وَهْرَز ، فزاده ذلك حنقا عليهم ، فلما تواقف الناس على مصافقتهم ، قال وَهْرَز : أروني ملكهم ، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه ، بين عَيْنَيْهِ ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك ملكهم ، فقال : اتركوه ، قال : فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على الفرس ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على البغلة . قال وَهْرَز : بنتُ الحمار ذلّ وذللّ ملكه ، إني سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا ، فائبتوا حتى أودنكم ، فإني قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولانوا به ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وثّر قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يؤثرها غيره من شدتها ، وأمر بحاجيته ، فعصبا له ، ثم رماه ، فصكّ الياقوتة التي بين عينيه ،

مُطَرِّخِمٌ : طَرِيخِمٌ ، وفي جمعه : طراخم ، وفي مُسَبِّطَرٌ : سَبَاطِرٌ ^(١) ، وذكره يعقوبُ في الألفاظ بالعين ، فقال : اطرغم الرجلُ ، ولم يذكر انحاء .

(١) اسبَطَرٌ : اضطجع وامتمد ، واسبطر في السير : أسرع فيه . واسبطر البلاد : استقامت .

فتغلغلَّت الشَّابَّةُ في رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته ،
واستدارت الحَبْشَةَ ولأمت به ، وحلت عليهم الفُرْسُ ، وانهزموا ، فقتلوا
وهربوا في كل وجه ، وأقبل وَهْرَزُ ، ليدخل ضَمَاءً ، حتى إذا أتى بابها ، قال :
لا تدخلُ رابتي مُتَكَسِّةً أبداً ، اهدموا الباب ، فهُدِمَ ، ثم دخلها ناصباً رايته
فقال سيفُ بن ذِي يَزَنَ الحميري :
يظنُّ النَّاسُ بِالْمَلِكَيْنِ أَنَّهُمَا قَدْ التَّامَا

وَمَنْ يَسْمَعُ بِلَأْمِهِمَا فَإِنَّ الْخَطْبَ قَدْ قَعَا
قَتَلْنَا الْقَتِيلَ مَسْرُوقَا وَرَوَيْنَا الْكَتِيبَ دَمَا
وَمَنْ الْقَتِيلُ قِيلَ النَّاسِ وَهَرَزَ مُقْسِمٌ قَسَمَا
يَذُوقُ مُشْعَشَمًا حَتَّى يَفِيءَ السَّبْيَ وَالنَّعَمَا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات له . وأنشدني خلاد بن قرّة
السُدُوسِي آخرها بيتاً لأعشى بنى قيس بن ثعلبة في قصيدة له ، وغيره من أهل
العلم بالشعر يُنكرها له .

قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة التَّمَنِي ، قال ابن هشام :
وتروى لأمية بن أبي الصلت .

لِيَطْلُبَ الْوَتْرَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنَ رَمِّمْ فِي الْبَحْرِ لِلْإِغْدَاءِ أَجْوَالَا
يَمِّمْ قَيْصَرَ لَنَا حَانَ رِخْلَتُهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي سَالَا
ثُمَّ أَتْنِي نَحْوَ كَسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةِ مِنْ السَّنِينَ يُبَيِّنُ النَّفْسَ وَالْمَالَا

وذكر عبد الله بن قيس الرُّقَيَّات . واختلف في تلقيه : قيس الرُّقَيَّات ،

حقى أتى يَدَيَّ الأَخْرارَ يَحْمِلُهُمْ إِنَّكَ عَمْرَى لَقَدْ أَسْرَعْتَ قَلْعَالَا
 اللَّهُ دَرَهُمْ مِنْ غَضَبِي خَرَجُوا مَا إِنْ أَرَى لَهْمُ فِي النَّاسِ أَمْنَالَا
 بِيضًا مَرَاوِجَةً ، غُلْبًا أَسَاوِرَةً أَسْدًا تُرَبِّبُ فِي الْغِيضَاتِ أَشْبَالَا
 يَرْمُونَ عَنْ شُدُفٍ كَأَنهَا غُطُطٌ بَرْمَخَرٍ يُعَجِّلُ التَّرْمِيَّ إِعْجَالَا
 أُرْسَلْتُ أَسْدًا عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدْ أَضْحَى شَرِيدُهُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَالَا
 فَاشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفَعًا فِرَاسٌ غُمْدَانُ دَارَا مِنْكَ مَحْلَالَا
 وَاشْرَبَ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ وَأَسْبَلَ الْيَوْمَ فِي بَرْدِكَ إِسْبَالَا
 تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنٍ شَيْبًا بِمَاءٍ قَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

قال ابن هشام : هذا ما صحَّ له مما روى ابن إسحاق منها ، إلا آخرها
 بيتا قوله :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٍ مِنْ لَبَنٍ

فقيل : كان له ثلاث جدات كلهن : رقية ، فمن قال فيه : ابن الرقيات ، فإنه
 نسبه إلى جداته ، ومن قال : قيس الرقيات دون ذكر ابن ، فإنه نسيته ، وقيل :
 بل شَبَّ بثلاث نسوة كلهن تسمى : رقية ، وقيل : بل يبيت قاله وهو : « رُقِيَّةُ
 مَارُقِيَّةُ مَارُقِيَّةُ أَيُّهَا الرَّجُلُ » (١) وقال الزبير : كان يُشَبُّ بِرُقِيَّةَ بَقْتُ عَبْدِ الْوَاحِدِ

(١) في الأغاني للأصفهاني أنه شب بثلاث نسوة ، منهن هاتان الرقيتان
 اللتان سيذكرهما عن الزبير والآخرى : أموية ، وكان يمتدح شاعر قرشي ، خرج
 مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل مصعب ، وقتل عبد الله
 ابن الزبير هرب فليجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في
 أمره فأمنه ، وفي القاموس : أنه لقب بهذا لعدة زوجات أو جدات ، أو حبات
 بكسر الحاء له ، أسماؤهن : رقية وفي اللسان مثله .

بن أبي السرح من بني ضباب بن حُجَيْر بن عَبد بن مَعِيص، وبابنة عم لها اسمها رقية، وهو ابن قيس بن شُرَيْح من بني حُجَيْر أيضا، وحُجَيْر أخو حُجْر بن عبد بن مَعِيص بن عامر رَهط عَمْرُو بن أُمِّ مَكْتُوم الْأَعْمَى (١).

وقوله: «حتى كأنه مَرْجُومٌ» وهو قد رُجِمَ، فكيف شبهه بالرجوم وهو مَرْجُومٌ بالحجارة، وهل يجوز أن يُقال في مقتول: كأنه مقتول؟ فنقول: لما ذكرنا سَهْلَ الطير، وجعلها كالسحابِ يَسْتَهْلُ بالطير، والطير ليس برجم، وإنما الرجم بالأكف ونحوها، شبهه بالرجوم الذي يرجمه الآدميون، أو من يَعْقِلُ ويعتمد الرجم من عدو ونحوه، فعند ذلك يكونُ المقتولُ بالحجارة مَرْجُوماً على الحقيقة، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك، وإنما أُمْطِرُوا حجارةً فمن ثم قال: كأنه مَرْجُومٌ.

سيف بن ذي يزن وكسرى:

وذكر سيف بن ذي يزن وخبره مع النعمان وكسرى، وقد ذكرنا قصته في أول حديث الحبشة، وأنه مات عند كسرى، وقام ابنه مقامه في الطلب،

(١) هكذا ورد نسب هؤلاء في كتاب «نسب قريش»، أما ابن أم مكتوم فنسبه إلى أمه، وهي: مكتوم بنت عبد الله بن عَشْكَةَ بفتح فسكون ثم فتح بعد ذلك، بن عامر بن مخزوم، وابن أم مكتوم هو: عَمْرُو بن قيس بن زائدة بن الأصم بن هدم بن رواحة بن حُجْر، وهو ابن خال أم المؤمنين خديجة، وضباب بفتح الصاد كما ضبطه الذهبي وفي الأغانى سعد بدلا من السرح.

وهو سَيْفُ بْنُ ذِي يَرْنَ بْنِ ذِي أَصْبَحَ^(١) بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرِو
ابْنِ قَيْسِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ قَطَنِ بْنِ
عَرِيبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَيْمَنُ بْنُ الْهَمَيْسَعِ بْنِ الْعَرَنَجَحِ وهو : حَيْزِرُ بْنُ سَبَأَ ،
وكسرى هذا هو : أَنُوشِرْوَانُ بْنُ قُبَاذَ ، ومعناه مُجَدِّدُ الْمُلْكِ ، لأنه جَمَعَ
مُلْكَ فَارِسٍ بعد شتاتٍ . وَالتَّغْمَانُ : اسمٌ منقول من التَّغْمَانِ الذي هو الدَّمُ . قاله
صاحبُ العَيْنِ ، والقَنْقَلُ الذي شبه به التاج هو مِكْيَالٌ عَظِيمٌ . قال الرَّاجِزُ
يُصِفُ الْكَمَاءَ .

مَالِكٌ لَا تَجْرُفُهَا بِالْقَنْقَلِ لَا خَيْرَ فِي الْكَمَاءِ إِنْ لَمْ تَقْعَلْ

وفي التَّغْمِينِ لِلْهَرَوِيِّ : الْقَنْقَلُ : مِكْيَالٌ يَبْسُغُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ مَنًا^(٢) ، ولم
يذكر : كَمَ الْمَنَاءِ وَأَحْسِبُهُ وَزَنَ رَطْلَيْنِ ، وهذا التاجُ قد أتى به عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

(١) في الاشتقاق : يَزَنُ موضع . يقال : ذُو أَرْزَنٍ ، وَذُو يَزَنٍ ، وهو أول من
اتخذ أَسَنَةَ الْحَدِيدِ ، فنُسِبَتْ إِلَيْهِ ، يقال للأَسَنَةِ : يَزَنِي ، وَأَزَنِي ، وَيَزَانِي ،
وإنما كانت أَسَنَةُ الْعَرَبِ قُرُونُ الْبَقَرِ ، وَإِلَى ذِي أَصْبَحَ نَسَبُ السُّوْطِ فَخِيلٌ : لِأَصْبَحَى
(٢) الْمَنَاءُ : التَّكْيِيلُ أَوْ الْمِيزَانُ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ بِفَتْحِ الْمِيمِ مَقْصُورٌ يَكْتُبُ بِالْأَلِفِ
وَالْمِكْيَالُ الَّذِي يَكِيلُونَ بِهِ السَّمْنَ وَغَيْرَهُ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْحَدِيدِ أَوْ زَانَا وَثْنِيَّةً مَنًا :
مَنَوَانٌ وَمَنِيَانٌ ، وَالْأَوَّلُ أَهْلِي ، قَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ : وَأَرَى الْيَاءَ مُعَاقِبَةً لَطَلَبِ الْحَقَّةِ ،
وهو أَفْصَحُ مِنَ الْمَنِّ ، وَالْجَمْعُ : أَمْنَاءُ . وَبَيْتُ الرَّاجِزِ : الْمَلِكُ لَا تَجْرُفُهَا نَسَبُهُ
اللسان إلى رُوْبَةٍ ، وهو في دِيَوَانِ رُوْبَةٍ ، وَالْكَمَاءُ : وَاحِدُهُمَا : كَمٌّ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ
وهو من التَّوَادِرِ ، أَمَا سَبْيُوهِ ، فَقَالَ : إِنْ فَسَّخْتُ لَيْسَتْ جَمْعٌ تَكْسِيرٌ لِفَعْلٍ ، إِنَّمَا
هُوَ اسْمٌ لِلْجَمْعِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : كَمَاءَةٌ لِلْوَاحِدِ . وَكَمٌّ الْجَمْعُ ، وَهَذَا أَقْوَالُ أُخْرَى . وَالْكَمَاءُ
نَبَاتٌ يُنْتَقَضُ الْأَرْضُ ، فَيَخْرُجُ كَمَا يَخْرُجُ الْفُسْطُ ، بِضَمِّ الْفَاءِ وَسُكُونِ الطَّاءِ .

— رضى الله عنه — حين استلب من يَزْدَجِرْد بن شهر يار ، تصيرَ إليه من قبل جده أنوشروان المذكور ، فلما أتى به عمر رضى الله عنه ، دعا سُرَاقَةَ بن مالك المذَلجى ، فخلاه بأَسُورَةٍ كسرى ، وجعل التاج على رأسه ، وقال له : « قل : الحمد لله الذى نَزَعَ تاجَ كسرى ، مَلِكِ الْأُمَلَاكِ من رأسه ، ووضعهُ فى رأس أعرابى من بنى مُذَلِجٍ ، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بِقُوَّتِنَا » وإنما خَصَّ عمر سُرَاقَةَ بهذا ؛ لأنَّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان قال له . « يامُ سُرَاقُ كيف بك إذا وُضِعَ تاجُ كسرى على رأسِكَ وإِسْوارُهُ ^(١) فى يديك » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وذكر قُدُومٌ سيفٍ مع وَهْرِزٍ على صَنْعَاءَ فى سِتَمائة ، وقد قدَّمنا قول ابن قَتَيْبَةَ أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسةائة ، وانضافت إليهم قبائل من العرب .

صَنْعَاءُ :

وذكر دخول وَهْرِزٍ صَنْعَاءَ وهدمه بابها ، وإنما كانت تسمى قبل ذلك أَوَال ^(٢) .

(١) مات سُرَاقَةُ فى خلافة عثمان سنة أربع وعشرين . وهو سُرَاقَةُ بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة المذَلجى . كنيته : أبو سفيان ، وقد روى البخارى قصته فى باب الهجرة ، وهو الذى حاول ملاحقة الرسول ﷺ ، وأبى بكر وهما فى طريقهما إلى المدينة ، ثم انتهى به الأمر إلى الاستسلام ، فطلب منه الرسول ﷺ أن يخفى أمره عن الناس ، ففعل ولكن لم يرد فى البخارى ما ذكره السهبل لكنه فى الإصابة لابن حجر ، وفيها أن عمر أتى بسوارى كسرى ، ومنطقته وتاجه .

(٢) بفتح الهمزة وكسرهما ، وفى المراسد : أزال ، وفيها : أوال بضم الهمزة ، وفى اللسان بفتحها .

قال ابن الكلبي : وسميت : صنعاء لقول وهز زحين دخلها . صنعة صنعة ، يريد أن الحبشة أخكمت صنعها ، قال ابن مقبل يذكر أوائل :

عمد الحداة بها لعارض قرية وكأنها سُننٌ بسيف أوائل (١)

وقال جرير :

وشبهت الحدوج غداة قوَّ سفين العندِ رَوْح من أوائل (٢)

وقال الأخطل (٣) :

خوص كأنَّ شَكِيمَهْنَّ مُعَلَّقٌ بِقَنَا رَدِينَةٍ ، أو جُدُوع أوائل (٤)

(١) العارض ما اعترض في الأفق من سحب أو جراد أو نخل .

(٢) الحدوج ، جمع حدج بكسر الحاء مركب للنساء كالحمفة وقو ، يقال إنها ، منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة بعد النباح ، ويقال إنها واديين البمامة ومجر ، وقيل : بين قيد والنباح . وجرير بن عطية الخطمي ، شاعر فحل ، والخطمي (بفتح الحاء والطاء والقاء) لقب جد جرير واسمه : حذيفة بن بدر بن سلة ، وقد اتفق نقاد الشعر على أنه أحد ثلاثة هم الفرزدق والأخطل وجرير لا يوجد من هو أبلغ منهم من الشعراء الذين نشبوا في ملك الإسلام . مات بالبمامة سنة ١١٠ هـ .

(٣) الأخطل : هو أبو مالك غيثك الأخطل بن غوث التغلبي النصراني شاعر الأمويين ، مات في أول خلافة الوليد وقد نيف على السبعين .

(٤) البيت في وصف خيل . الخوص : الخيول الفائرة العيون من طول السفر ، والشكيم : جمع شكيمة : حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس . قنا : رماح وردينة : جزيرة ترفأ إليها السفن ، أو قرية تكون بها الرماح ، أو كورة تعمل بها الرماح . يشبه الخيل في ضموها بالرماح ، أو بجذوع النخل وفي المطبوعة تنكيمين ، وهو خطأ .

وقد قيل إن صنعاء اسم الذي بناها ، وهو : صنعاء بن أوال بن عيبر بن
عابر بن شالخ فكانت تعرف تارة بأوال ، وتارة بصنعاء .

شرح لامية ابن أبي الصلت :

وقوله في شعر أمية ابن أبي الصلت : ريم في البحر . أي : أقام فيه ، ومنه
الروايم ، وهي الأنافي ، كذلك وجدته في حاشية الشيخ التي عارضها بكتاني
« أي الوليد الوثقي » ، وهو عندي غلط ، لأن الروايم من رأمت (١) إذا
عطفت ، وريم ليس من رام ، وإنما هو من الريم ، وهو الدرَج ، أو من الريم
الذي هو الزيادة والفضل ، أو من رام يريم إذا برح ، كأنه يريد : غاب زمانا ،
وأحوالا ، ثم رجع للأعداء ، وارتقى في درجات المجد أحوالا إن كان من الريم
الذي هو الدرَج ، ووجدته في غير هذا الكتاب : خيم مكان ريم ، فهذا
معناه : أقام .

وقوله : عمري . أراد : لعمري وقد قال الطائي :

عمري لقد نصح الزمان ، وإنه لمن العجائب ناصح لا يشفق

وقوله : أسرعت قلقلًا بفتح القاف وكسرهما ، وكقول الآخر . « وقلقل
يبني المزكَلَّ مُقلقل » وهي شدة الحركة .

وقوله : « يرمون عن شُدْفٍ كأنها غبط (٢) » الشَّدْفُ : الشخص ، ويجمع

(١) رثم الشيء كسرع ، ألفه وأحبه . ورأم القديح ، كمنع : أصلحه . القاموس .

(٢) جمع غبيط وهي عيدان الهودج وأدواته .

على شُدْف ، ولم يرد ههنا إلا الْقَيْسَى ، وليس شُدْفُ جمعا لشُدْف ، وإنما هو جمع شُدُوف ، وهو الشَّيْط المَرَح يقال : شَدِفَ ، فهو شَدِيفٌ ، ثم تقول : شُدُوفٌ ، كما تقول مَرُوح ، وقد يستعار المَرَح والنشاط للْقَيْسَى لحسن تأنيها وجوده رَمِيها وإصابتها ، وإنما احتجنا إلى هذا التأويل ، لأن فَعْلًا لا يجمع على فَعْلٍ إلا وَثْنٌ وَوُثْنٌ ، فإن قلت : فيجمع على فَعْمُولٍ مثل : أسود ، فتقول : شُدُوفٌ ، ثم تجمع الجمع ، فتقول : شُدُوفٌ ، قلنا : الجمع الكثير لا يجمع ، وإنما يجمع منه أبنية القليل . نحو : أفعال وأفعل وأفعلة ، وأشبه ما يقال في هذا البيت : إنه جمع على غير قياس ، هذا إن كان الشُدُوفُ : الْقَيْسَى ، ويجوز أن يكون جمع شَدَقًا على شُدْفٍ مثل : أسد وأسَد ، ثم حرك الدال ، وجاز أن يكون أراد : المَرَح من الخيل كما تقدم (١) . وجعلها كَالْفُعْط لإشراف ظهورها وعلوها .

وقوله : يرمون عن شُدْفٍ أى : يدفعون عنها بالرمى ، ويكون الزَّمَخْرُ : الْقَيْسَى (٢) ، أو النَّبَل . وَالْفُعْطُ : الْهُوَادِجُ ، وَالزَّمَخْرُ : الْقَصَبُ الْفَارِسِي

(١) في اللسان : الشدْف بالتحريك ، شخص كل شيء واجمع شدوف . بضم الشين والدال ، ويقال للقيس الفارسية : شدف . بضم الشين والدال ، واحدها : شدفاء ، وثى حديث ابن ذى يزن : يرمون عن شُدْفٍ هي جمع شدفاء وهي . العوجاء يعنى : القوس الفارسية .

(٢) الزَّمَخْرُ أيضًا : المزمارة والنشاب والكثير الملتف من الشجر واللاجوف الناعم الرِّبَّان ومن معاني مفردات قصيدة أبي الصلت ، المرازبة : جمع مَرَزُبَان من المَرزبة كمرحلة . رياسة الفرس . القلب : الشداد ، والأغلب الأسد ، الأساورة جمع أسوار قائد الفرس ، والجيد الرمي بالسهم . ترب : مأخوذة من التربية . غيضات : جمع غنيضة وهي الشجر الملتف الكثير . الفلال : المنهمون ، مرتفعاً =

فإنه للناطقة الجمعدى . واسمه : [حَبَّانُ بن] عبد الله بن قيس ، أحد بني جَعْدَةَ
ابن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ،
في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال عدى بن زيد الحِيرى ، وكان أحد بني تميم .
قال ابن هشام : ثم أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، ويقال : عدى
من العباد من أهل الحيرة :

ما بعدَ صنعاء كانَ يَغْمُرُها ولاءُ مُلكٍ جَزَلٍ مواهبُها
رَقَعها مِن بَنى لَدى قَزَعِ المُزَنِ وتَنَدَّى مِنكا تَحارِبُها
مُحْفَوفَةٌ بالجبالِ دونَ عُرَى الكائِدِ ما تُرْتَقى غَوَارِبُها
يَأْتِسُ فيها صَوْتُ النِّهَامِ إذا جَاوَبها بالْعِشَى قاصِبُها
ساقَتِ إِلَيها الأسبابُ جُنْدَ بَنى الأَخْرارِ فرسائُها مَواكِبا
وَقَوَّزَتِ بالبغالِ تُوسِقُ يالْبَحْتَفِ وتَسعى بها توالِبُها
حتى رآها الأقوالُ من طَرَفِ المَنفَلِ مُخَصَّرةٌ كَتائِبُها
يومَ يُنادونَ آلَ بَرزٍ وألَيْكَسومِ لا يُفْلِحَنَّ هارِبُها
وكانَ يومَ باقى الحديثِ وزا لَتِ إمَّةٌ ثابتٌ مَراتِبُها
وَبُدِّلَ الفينِجُ بالزرافةِ والأَيَّامُ جُودٌ جَمُّ عجايبُها
بَعْدَ بَنى تَبَعِ نَحَّاورَةٍ قد اطمأَنَّتْ بِها مَرازِبُها

== متكنا متمكنا، أسبل : أرخ ثوبك كناية عن الإعجاب والخيلاء . وقعبان مفردهما
قعب : قدح يحلب فيه ، شيئا : خلطا .

(٢٠ م - الروض الألف)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له . وأنشدني أبو زيد الأنصاري
ورواه لي عن الْمُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ ، قوله :

يوم بنادن آل بربر واليَكُوم

وهذا الذي عنى سطحيح بقوله : « يليه إرم ذي يزن ، يخرج عليهم من
عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن » . والذي عنى شق بقوله « غلام ليس
بدني ، ولا مدن ، يخرج عليهم من بيت ذي يزن » .

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

« مدة ملك الحبشة باليمن »

قال ابن إسحاق : فأقام وَهْرَزَ والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من
الفرس : الأبناء الذين باليمن اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها
أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة ، اثنتين
وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يَكُوم بن
أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

« أسماء الفرس على اليمن »

قال ابن هشام : ثم مات وَهْرَزَ ، فأمر كسرى ابنة المَرْزُبَان بن وَهْرَزَ على

وقوله : في رأس غمدان . ذكر ابن هشام أن غمدان أسسه يعرب بن قحطان
وأكله بعده ، واحتله وائل بن حمير سبأ ، وكان ملكا متوجا كأبيه وجده (١) .

(١) في المراد : غمدان : قصر بصنعاء باليمن كان نزل الملوك ، ولم يزل قائما
حتى هدمه عثمان ، وفي معجم البكري أنه كان قصبة صنعاء ، وفي التقويم لأبي الفداء
أن غمدان : تل عظيم كان قصر ملوك اليمن .

اليمين ، ثم مات المرزبان ، فأمر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان على اليمين ،
ثم مات التينجان ، فأمر كسرى ابن التينجان على اليمين ، ثم عزله وأمر باذان ،
فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا النبي — صلى الله عليه وسلم .

« حديث ينفياً بقتل كسرى »

فبلغني عن الزهري أنه قال :

كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة ،
يزعم أنه نبي ، فسر إليه فاستقبه ، فإن تاب ، وإلا قابعث إلى برأسه ، فبعث
باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكتب إليه
رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم
كذا من شهر كذا » فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر ، وقال : إن كان
نبياً ، فيكون ما قال ، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله — صلى الله
عليه وسلم — قال ابن هشام : قتل على يدي ابنه سيرة ، وقال خالد بن حقي
الشيثاني .

وَكُفِّرَ إِذْ تَقَسَّمُ بَنُوهُ بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتَسَمَ اللَّحَامُ
تَمَخَّضَتِ الْمَنُوفُ لَهُ بِيَوْمٍ أُنِي ، وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تِمَامُ

« باذان يسلم »

قال الزهري : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه ، وإسلام من معه من
الفرس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت الرسل من الفرس لرسول الله

وقوله : شالت نعامتهم ، أي : هلكوا ، والنعام : باطن القدم ، وشالت

— صلى الله عليه وسلم — : إلى مَنْ نحن يا رسول الله؟ قال : « أنتم مِنَّا وإلينا أهل البيت » .

قال ابن هشام : فبلغني عن الزهري أنه قال : فَمِنْكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — : « سَلَامٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ » .

« عود إلى شق وسطيح »

قال ابن هشام : فهو الذي عني سَطِيح بقوله : « نَبِيٌّ زَكِيٌّ ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قَبْلِ الْمَلَى » . والذي عني شَقُّ بقوله : « بَلْ يَنْقُطِعُ بِرَسُولٍ مُرْسَلٍ ، يَأْتِي بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ ، يَكُونُ الْمَلَكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَضْلِ »

« كتاب الحجر »

قال ابن إسحاق : وكان في حَجَرٍ بِالْمِينِ — فيما يزعمون — كتاب بالزُّبُورِ كُتِبَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ : « لِمَنْ مُلْكٌ دِمَارٌ ؟ لِحَمِيرِ الْأَخْيَارِ ، لِمَنْ مُلْكٌ دِمَارٌ ؟ لِلْحَبْشَةِ الْأَشْرَارِ ، لِمَنْ مُلْكٌ دِمَارٌ ؟ لِفَارِسِ الْأَحْرَارِ لِمَنْ مُلْكٌ دِمَارٌ ؟ لِقَرِيشِ التُّجَّارِ » .

وَدِمَارٌ : الْمِينِ أَوْ صِنْمَاءُ . قال ابن هشام : دِمَارٌ : بِالْفَتْحِ ، فِيمَا أَخْبَرَنِي يُونُسُ

« الأعشى ونبوذة شق وسطيح »

قال ابن إسحاق : وقال الأعشى — أعشى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ فِي وَقُوعِ

مَا قَالَ سَطِيحٌ وَصَاحِبُهُ :

مَا نَظَرْتُ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرِهَا حَقًّا كَمَا صَدَقَ الدُّنْسِيُّ إِذْ سَجَمَا

ارْتَفَعَتْ ، وَمَنْ هَلَكَ ارْتَفَعَتْ رِجْلَاهُ ، وَانْتَكَسَ رَأْسُهُ ، فَظَهَرَتْ نَعَامَةُ قَدَمِهِ ،

وكانت العرب تقول لسطيح: الذَّثِيّ ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود ابن مازن بن دثب .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له .

تقول العرب : تَنَعَّمْتَ إِذَا مَشَيْتَ حَافِيَا ، قال الشاعر :

تَنَعَّمْتُ لَمَّا جَاءَنِي سُوءُ فَعْلِهِمْ أَلَا إِنَّمَا الْبِاسَاءُ لِلْمُتَّعِمِّ
والنعامة أيضا : الظلمة ، والنعامة : الدُّعامةُ التي تكون عليها الْبَكْرَةُ ،
والنعامة : الجماعة من الناس ، وابن النعامة : عرق في باطن القدم (١) .

النابة وعدي بن زبير :

وذكر النابة الجمدي واسمه : قيس بن عبد الله ، وقيل إن اسمه : حِثَّان بن قيس بن عبد الله بن وَخُوح ، وَالْوَحُوح في اللغة : وسط الوادي ، قاله أبو عبيد وأبو حنيفة ، وهو أحد النوايع ، وهم ثمانية ذكرهم البكري ، وذكر الأعشى وهم خمسة عشر . والنابة (٢) شاعرٌ مُعَمَّرٌ عاش مائتين

(١) ولها أيضا معانٍ آخر. وقصيدة أبي الصلت اللامية في ص ١٤٧ ج ٢ الطبري وفيها عما هنا اختلاف .

(٢) النابة : الرجل العظيم الشأن ، والنوايع من الشعراء كما في القاموس والمزهر هم : زياد بن معاوية الذبياني ، وقيس بن عبد الله الجمدي ، وعبد الله بن الحارث الشيباني ، أو جل بن سعدانة ، ويزيد بن أبان الحارثي ، وهو نابة بني الديان ، والنابة ابن لاي القنوي ، والحارث بن بكر اليزبوعي ، والحارث ابن عدوان التغلبي ، والنابة العدواني وَلَمْ يُسَمَّ . والأعشى من العشا : سوء البصر بالليل ، ومن الأعاشي الشعراء : أعشى باهلة عامر ، وأعشى بني نهشل : =

وأربعين (١) سنة أكثر هاقى الجاهلية ، وقدمه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنشاده إياه ، ودعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - ألا يَفُضَّ الله فاه مشهور ، وفي كتب الأدب والخبر مسطور ، فلا معنى للاطالة به (٢) .

== أسود بن يعفر ، ومحمدان : عبد الرحمن بن مالك ، وبني أبي ربيعة : صالح بن عارضة وطرمود وبني الحزماني ، وبني أسد وعكل : كشميس ، وابن مروق : خيشمة ، وبني عقيل ، وبني مالك ، وبني عوف : ضاية وبني ضوزة : عبدالله ، وبني جلان : سلة ، وبني قيس : أبو بصير ، والأعشى التغلبي : النعمان ، هم المزهر ثمانية عشر ص ٥٧

(١) واسمه ونسبه في الأغاني كما ذكر السهيلي ، وفي الإصابة اختلف في اسمه فقيل : هو قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة بن جعدة ، وقيل بدل عدس وربيعة وروح ، وفي سنة خلاف كبير فهو بين ١٣٠ سنة وبين ٢٤٠ سنة .

(٢) من القصيدة التي رعموا أنه أنشدها بين يدي الرسول - صلى الله عليه وسلم -
أثبت رسول الله إذ جاء بالهدى وبتلو كتابا كالجمرة لبرا
وجاهدت حتى ما أحس ومن معي سبيلا إذا ملاح ثم تحورا
ولا خير في حلم إذا لم يكن له بواذر تخشى صفوه أن يكذرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدر
والقصة المزعومة عن الإنشاد ، وأنه قيل له : لا يفضي الله فلك مرتين ،
- بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الضاد - مروية عن طريق يعلى بن الأشدق ، وهو
ساقط الحديث . والقصيدة - كما ذكر ابن عبد البر - مطولة تبلغ نحو مائتي بيت أولها
خليلى غضا ساعة وتهجرا ولو ما على ما أحدث الدهر أوزرا

وفي سبب تلقيبه بالناطقة خلاف ، ولعل أحسنها قول الفخذي : كان النابتة قديما شاعرا مفلحا طويلا العمر في الجاهلية وفي الإسلام . وعن حياته في الجاهلية يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى : كان النابتة من فكر في الجاهلية وأنكر الخير ، والسكر ، وهجر الأزلام ، واجتنب الأوثان ، وذكر دين إبراهيم ، انظر الإصابة ص ٢١٨ ج ٦ ط الشرقية ، سنة ١٣٢٥ هـ ، وانظر ص ٦ المجلد الخامس ==

وذكر شعر عدى بن زيد العبادي ، نسب إلى العباد ، وهم من عبد القيس
ابن أفضى بن دُعْمَى بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة ، قيل : إنهم انتسبوا من
أربعة : عبد المسيح ، وعبد كلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل ، وكذلك سائرهم في
اسم كل واحد منهم : عَبْد ، وكانوا قدموا على ملك فَتَسَمَّوْا له ، فقال : أنتم الوباد
فَسَمُّوا بذلك ، وقد قيل غير هذا (١) . وفي الحديث المسند : أبعد الناس عن الإسلام
الروم والعباد (٢) ، وأحسبهم هؤلاء : لأنهم تنصروا ، وهم من ربيعة ، ثم من
بنى عبد القيس ، والله أعلم . والذي ذكره الطبري في نسب عدى بن زيد أنه
ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجزوف بن عاصم بن عَصِيَّة بن امرئ القيس
بن زيد مائة بن تميم . وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيد مائة في العباد .
فلذلك ينسب عدى إليهم .

وقوله : صَوْتُ النِّهَام ، يريد ذكر اليوم ، وقاصبها : الذي يزمر في القصب .

== من الأغاني طبع لبنان . ويرعون — كما جاء في الإصابة — أنه بقي أحسن الناس
ثغرا كلما سقطت سن عادت أخرى ؛ بسبب الدماء له بأن لا يفيض الله فاه .

(١) في الاشتقاق لابن دريد : والعباد : قبايل شتى من بطون العرب
اجتمعوا بالحيرة على النصرانية ، فاتفقوا أن يقال لهم عبيد ، فينسب الرجل :
عبادي ، بكسر العين وفتح الباء بدون تضعيف ، ص ١١ ، وفي اللسان مادة عبد ،
كذلك ، وزاد : ومنه : عدى بن زيد العبادي بكسر العين ، وكذا وجد بخط الأزهري
وخط ابن بري الجوهري في قوله عن العباد أنها بفتح العين .

(٢) لا أخرى من أين يأتي بما لا يتفق مع هدى النبوة وحكمتها ، وفي الاشتقاق
أن عدى بن زيد شاعر قديم مات في سجن النجاشة وله حديث ، والعبادي منسوب
إلى دينه ، لأنه تنصر .

وقوله فيها : دونُ عُرَى السكائد يريد : عُرَى السماء وأسبابها، ووقع في نسخة الشيخ : عُرَى بفتح العين ، وهي الناحية ، وأضافها إلى السكائد ، وهو الذى كادهم ، والبارى - سبحانه وتعالى - كيده متين (١) .

وقوله : فَوَزَّتْ بالبغال أى : ركبت المفاوز (٢) !

وقوله : تَوَسَّقَ بالحنف ، أى : أوسق البغال الحنوف ، وتَوَالَبَ : جمع تَوَلَّبَ ، وهو ولد الحمار ، والتاء في تَوَلَّبَ بدل من واو ، كما هي في تَوَلَّمَ وتَوَلَّجَ (٣) وفي تَوَرَّاة على أحد القولين ، لأن اشتقاق التَوَلَّبَ من الوالبة ، وهي ما يولده الزرع ، وجمعها : أَوَالِبَ .

وقوله : من طرف المَنَقَلِ أى : من أعالي حصونها ، والمِنَقَلُ : الخُرْجُ ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية ، فكان المَنَقَلُ من هذا ، والله أعلم .

(١) الفوارب في السيرة : الأعلى ، والعرى : ما يستر الشيء عنك .

(٢) المهالك أو الصحارى .

(٣) التوهم : المولود مع غيره في بطن ، والتولج : كناس الوحش أى : مولجه في الغابة ، ويقول أبو عثمان المازني في التصريف : د وزعم الخليل أن قوله : د متخذ من عضوات تولجا ، إنما هو فاعل من ولجت وليس يتفعل ، لأن تفعلًا في الاسماء قليل ، وفاعل كثير ، ولكنه علم أنه لو جاء بالواو على أصلها لزمه أن يبدلها همزة ، لثلا تجتمع واوان في أول كلمة ، فأبدل التاء لكثرة دخولها على الواو في باب ولج حين قالوا : أتلج ومتلج ، وهذا أتلج من هذا ، ولم يؤخذ هذا إلا عن الثقات ، ومن شرح ابن جنى لهذا قوله : د لأنه لو لم يبدلها تاء لزمه أن يقول : أولج لاجتماع واوين ص ٢٢٦ ج ١ المنصف . وانظر ص ٣ من نوادر أبي زيد . هذا وقدوم الجوهرى فوضع التوهم في فصل التاء . ومن معنى والبة : أولاد القوم ونسلهم ، ونسل الإبل والغنم .

وقوله : مخضرة كئائبها . يعنى من الحديد ، ومنه الكتيبة الخضراء (١) .
وقوله : ينادون آل بربر ؛ لأن البربر والحبشة من ولد حام (٢) . وقد
قيل إسمهم من ولد جالوت من العماليق .
وقد قيل فى جالوت إنه من الخزَر ، وإن أفريقس لما خرج من أرض
كنعان سمع لهم بربرة ، وهى اختلاط الأصوات ، فقال . ما أكثر بربرهم .
فسموا بذلك ، وقيل غير هذا .

وقوله : والغرب أراد : الغرب يضم الزاء جمع (٣) : غراب ، وإن كان
المعروف : أغربة وغربان ، ولكن القياس لا يدفعه ، وعنى بهم السودان .
وقوله : ويدل الفقيج بالزرافة ، وهو المنفرد فى مشيته ، والزرافة : الجماعة (٤)
وقيل فى الزرافة التى هى حيوان طويل العنق : إنه اختلط فيها النسل بين الإبل
الوحشية ، والبقر الوحشية والنعام ، وإمها متولدة من هذه الأجناس الثلاثة .
وكذلك ذكر الزبيدى وغيره ، وأنكر الجاحظ هذا فى كتاب الحيوان له ،

(١) أقوال فى البيت ، ص ٣٠٥ ، جمع قيل : لقب من كان دون الملك الأعظم قديما
فى اليمن ، وفى حديث الفتح : مر رسول الله ص ، فى كتيبة الخضراء ، وهى التى
غاب عليها لبس الحديد . وفى اللسان : المنقل : طريق مختصر ، والنواقل من
الخراج ما ينقل من قرية إلى أخرى .

(٢) يرد ابن حزم على من نسب البربر إلى حمير أو إلى ابن قيس عيلان
بقوله : « اعلم النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه : بر — بفتح فتضعيف — أصلا ،
ولا كان لهم طريق إلى بلاد البربر إلا فى تكاذيب مؤرخى اليمن ، ص ٦١ ، الجمهرة .
(٣) لا يوجد فى القصيدة ، ويوجد فى كلام سيف : الأغربة : والإامة : النعة .
(٤) فى القاموس : ومعرب يبك . والفقيج : الذى يسير للسلطان بالكتب

على رجله « الحشني » .

وقال: إنما دخل هذا اللفظ عاينهم من تسمية الفُرس لها «أشتر—كلو—ماه»^(١) والفرس إنما سمته بذلك ، لأن في خِلْقَتها شَبها من جَمَلٍ ونَعَامة وبَقرة ، فاشتر هو : الجمل ، وكلو : النعامة ، وماء : البقرة ، والفرس تركب الأسماء وتمزج الألفاظ إذا كان في المسمَّى شبه من شئنين ، أو أشياء ، ويقال : زرافة بتشديد الفاء حكاه أبو عبيد عن القناني^(٢) .

وقوله : بعدني بُسَجَ بَخَاوِرَة . هكذا في نسخة سفيان بن أبي العاص الأسدي مصححا عليه ، وقد كتب في الحاشية: نَخَاوِرَة في الأمين ، وفي الحاشية النَخَاوِرَة : الكرام ، وكذلك في المسموعة على ابن هشام يعني نسخقي أبي الوليد الوقشي اللتين قابل بهما صرتين ، ويعني بالحاشية حاشية « قيثك الأمين » ! وأن فيهما : نخاورة بالفون والحاء للنقطة^(٣) وهم الكرام كما ذكرنا .

(١) انظر من ٧٦ ج ٧ طبع ١٣٢٤ هـ من كتاب الحيوان للجاحظ .

(٢) في الحيوان للدميري مادة الزاى ، عن الزرافة : د كنيها أم عيسى ، وهي بفتح الزاى المخففة وضما . . . ثم ذكر أنها متولدة من الناقة الوحشية والبقرة الوحشية ، والضبعان : ذكر الضباع ، ولذلك قيل لها : الزرافة وهي في الأصل : الجماعة ، وذكر أن المعجم تسميها « أشتركاو يلنك » كما ورد في الحيوان للجاحظ واشتر : الجمل ، وكلو البقرة ، ويلنك الضبع ، والأيام جون : سود . وأشرح هنا بعض ما تركه دون شرح : جزل : كثير . الفرع : السحاب المنفرق . والمحارب : الغرف المرتفعة أو أبهاؤها .

(٣) جمع النخاورة : نخوار د بكسر النون ، ونخورى بفتحها .

بازائه وكسرى :

وذكر قصة باذان ، وما كتب به إلى كسرى ، وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، ومعنى أبرويز بالعربية : المظفر ، وهو الذى غلب الروم حين أنزل الله . ﴿ أَلَمْ (١) غَلِبْتَ الرُّومَ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ [أول الروم] وهو الذى عرض على الله فى المنام ، فقال له : سَلِّمْ مَافِي يَدَيْكَ إِلَى صَاحِبِ السِّرَاوَةِ ، فلم يزل مذعورا من ذلك ، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور — النبي صلى الله عليه وسلم — بِبَهَامَةِ (٢) ؛ فعلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمره ما كان ، وهو الذى كتب إليه النبي — صلى الله عليه وسلم — وحفيده : يَزِيدُ بْنُ جَرْدُ بْنُ شَهْرِيَارِ بْنِ أَتْرُوزِيزَ ، وهو آخر ملوك الفرس ، وكان سَلْبُ مُلْكِهِ ، وَهَدْمُ سُلْطَانِهِ عَلَى يَدَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، ثم قتل هو فى أول خلافة عثمان ، وَجِدَ مُسْتَخْفِيًا فِي رَحَى (٣) فَقُتِلَ وَطُرِحَ فِي قَنَاةِ الرِّحَى ، وذلك بِمَرْوٍ مِنْ أَرْضِ فَارَسَ .

وذكر حديث باذان ومقتل كسرى ، وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ، وأسلم باذان باليمن فى سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأبناء (٤) يدعوهم

(١) تقرأ : أَلَمْ لَمْ مِيمَ .

(٢) قد يكون المقصود بها مكة نفسها .

(٣) الرجا من الأرض : مكان مستدير غليظ يكون بين رمال . أو القارة

الضخمة الغليظة .

(٤) الأبناء : هم أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن .

إلى الإسلام ، فمن الأبناء : وَهْبُ بن مُنْبَه بن سَيْج (١) بن ذُكْبَار ،
وطاووس (٢) وذَاوِيَه وفيروز اللذان قَتَلَا الْأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ الْكَذَّابَ ، وقد
قيل في طاووس : إنه ليس من الأبناء ، وإنه من حَمِير ، وقد قيل : من فارس ،
واسمه : ذَكْوَانُ بن كَيْسَانَ وهو مولى بُجَيْرِ بن رِيَّان ؛ وقد قيل : مولى
الْجَنْدِ ، وكان يقال له : طاووس الْقُرَاءِ لِحَالِهِ .

وقول خالد بن حِقِّ .

نَمَخَضَتِ الْمُنُونُ لَهُ يَوْمَ أَنَى ؛ وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تِمَامُ (٣)
الْمُنُونُ : الْمَنِيَّةُ ، وهو أيضا من أسماء الدهر ، وهو مِنْ مَنَنْتُ الْحَبْلَ إِذَا
قَطَعْتُهُ ، وفَعُولٌ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، لم تدخل التاء في مؤنثه لِسَرِّ بَدِيعِ

(١) سيج بالفتح وبالكسر وبالتحريك .

(٢) روى عنه الزهري وخلق سواه . قال عنه عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا
قط مثل طاووس . مات بمكة سنة ١٠٦ هـ أو ١٠٤ هـ . ويقول أبو الفرج الجوزي
في كتاب الألقاب : إن اسمه : ذَكْوَانُ ، وطلووس لقب له ، وإنما لقب به ؛ لأنه
كان طاووس القراء ، والمشهور أنه اسمه ، وكلية طاووس تطلق على الجليل من
الرجال ، وقال عنه ابن خلكان : الخولاني — بفتح فسكون — نسبة إلى خولان ،
والهمداني بفتح فسكون ففتح — نسبة إلى همدان — الثاني من أبناء الفرس ،
(٣) معنى البيت كما في اللسان : أن المنية تيمأت لأن قلده له الموت . والشعر
منسوب في مادة — مخض — إلى عمرو بن حسان أحد بني الحارث بن همام
ابن مرة ، يخاطب امرأته :

أَلَا يَا أُمَّ عَمْرُو لَا تَلْوِي وَأَبْقِي إِنَّمَا ذَا النَّاسِ هَامٌ

ويقول ابن بري : المشهور : يَا أُمَّ قَيْسَ ، وهي زوجته ، وكان قد نزل به
ضيف فذبح ناقته ، فلامته ، فقال هذا الشعر .

ذكرناه في غير هذا الكتاب ، فيقال : امرأة صَبُورٌ وَشَكُورٌ ، فمعنى المنون :
المَقْطُوعُ ، وتمخضت أي : حَلَّتْ ، والمَخاضُ : الحمل ، ووزنه : فَعَالٌ ، ومَخاضَةٌ
للماء ، ومخاضة [النهر] وزنه : مَفْعَلٌ من المَخْلُوضِ .

وقوله : أُنَى أَي : خان ، وقد قلبوه ، فقالوا : آنى يثنى ، والدليل على أن آن
يثنى مقلوب من : أُنَى بَأُنَى ، قوله : آناه الليل ، وواحدها : إُنَى وَأُنَى (١) ،
فالنون مقدمة على الياء في كل هذا ، وفي كل ما صُرِّفَ منه نحو : الإناه ، والآنى :
الذى بلغ أناه أي : منتهى وقته في التسخين ، وهذا المعنى كقولهم في المثل : الدهر
حُبْلَى لا يدري ماتضع ، إن كان أراد بالمنون في البيت : الدهر ، وإن كان أراد
بالمنون : المَنِيَّةَ ، فبمعيد أن يقال : تمخضت المَنُونُ له بهذا اليوم الذى مات فيه ،
فإن موته : مَنِيَّتُهُ ، فكيف تمخض المَنِيَّةُ بالمنية إلا أن يريد أسبابها ، وما مَنَى
له ، أي : قُدِّرَ من وقتها ، فتصح الاستعارة حينئذ ، ويستقيم التشبيه .

وقول ابن حنّ : وَرَكْسَرَى إِذْ تَقْسَمُ بَنُوهُ . وإنما كان قتله على يدي
ابنه شيرويه ، لكن ذكر بنيه لأن بدء الشرِّ بينه وبينهم أن فرخان رأى في
النوم : أنه قاعد على سرير الملك في موضع أبيه ، فبلغ أياه ذلك ، فكتب إلى
ابنه شهریار - وكان واليا له على بعض البلاد : أَنْ أَقْتُلْ أَخَاكَ فرخان ، فأخفى

(١) في اللسان : أنى الشيء د بفتح الهمزة والنون ، بَأُنَى أنى د بفتح
وسكون ، وإِنَى وَأُنَى بفتح النون في الكلمتين . . حان وأدرك . وفي القاموس :
أنى الشيء أنى د بفتح وسكون ، وأناه بفتح النون ، وإنى بفتح النون ، وأنى
التحسُّمُ : انتهى حره فهو آن ، وبلغ هذا أناه - ويكسر - غايته ، أو نهضه ،
وفي اللسان : أنى الحميم : انتهى حره ، وأنى الماء : سخن وبلغ في الحرارة .

شهریار الكتاب من أخيه ، فكتب إليه مرة أخرى ، فأبى من ذلك ، فعزله وولى فرخان ، وأمره بقتل شهریار ، فعزم على ذلك ، فأراه شهریار الكتاب الذى كتب له أبوه فيه ، فتواطأ عند ذلك على القيام على أبيهما ، وأرسلا إلى ملك الروم يستعينان به فى خبر طویل ، فكان هذا بدء الشر ، ثم إن القریس خلعت كسرى لأحداث أحدثها ، وولت ابنه شیرویه^(١) ، فكان كسرى أبروینز ربما أشار برأى من تحبسه ، فقالت المرازبة لشیرویه : لا يستقيم لك الملك إلا أن تقتل أباك^(٢) ، فأرسل إليه من يقتله ، فيقال : إنه كان يضرب بالسيف ، فما يعمل فيه شيئا ، ففتش فوجد على عصبه حجر معلق كالخزرة ، فترجع فعملت فيه السلاح^(٣) ، وكان قبل يقول لابنه : يا قصير

(١) قال ابن درستويه فى شرح الفصيح عن كسرى : ليس فى كلام العرب اسم آخره واد أوله مضموم ، فلذلك لما عربوا خسروا بنوه على فعلى ، بالفتح فى لغة ، وفعل بالكسر فى لغة أخرى ، ، وأبدلوا الكاف فيه من الحاء علامة لتعريبه ، فقالوا : كسرى ص ١٠١ ج ٢ المزهري للسيوطي ، وفى الطبري ص ٢١٩ ج ٢ ط المعارف أن أولاد كسرى أرسلوا إليه رئيس كشيبة بما كان من إسمائه فى تدبيره ، منها سحله لعين أبيه ، وقتله إياه شرقتة ، ومنها جمعه الأموال من الناس فى عنف شديد ، وغير ذلك من فظائعه واسم شرويه : قباد بن أبريز بن هرمز بن كسرى أبو شروان

(٢) فى الطبري أنهم قالوا له : د إنه لا يستقيم أن يكون لنا ملكان ، فإما أن تأمر بقتل كسرى ، ونحن نخوأك ، خدمك ، المانحوك الطاعة ، وإما أن نخلك ونعطيه الطاعة ، .

(٣) هذه خرافة ولا شك ، ولا أدري كيف يرونها مصدقا لما راجل كبير كالسيلي ، ومن قبله الطبري وغيرهما ، واسم قاتل كسرى هو : دهمز هرمز ابن مردانشاه ، عاش يضطهده كسرى ، ويحاول قتله ، فكان أن قتله مهر .

العمر^(١)، فلم يدم أسرُه بعده إلا أقل من ستة أشهر — فيما ذكروا — والله أعلم
« ذمار وحمير وفارس والحبيشة » :

وقوله : وجد بحجر باليمن : لمن مُلِكَ دِمَار .

وحكى ابن هشام عن يونس دِمَار بفتح الدال ، فدل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر ، فإذا كان بكسر الدال فهو غير مصروف ؛ لأنه اسم لمدينة ، والغالب عليه التأنيث ، ويجوز صرفه أيضا ؛ لأنه اسم بلد ، وإذا فُتحت الدال ، فهو مبنى^(٢) مثل : رَقَاشٌ وحَذَامٌ ، وبنو تميم يعربون مثل هذا البناء فيقولون : رَقَاشٌ [وحَذَامٌ] في الرفع ، ورَقَاشٌ وحَذَامٌ في النصب والخفض يعربونه ، ولا يصرفونه ، فإذا

(١) انظر ص ٢٢٢ > ٢ الطبرى وحديث : « سلمان منا أهل البيت ، الذى السيرة رواه الطبرانى والحاكم عن عمرو بن عوف وسنده ضعيف .

(٢) فى المراسد : ذمار بكسر أوله ، ويفتح مبنى على الكسر : قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء ، وقيل : ذمار اسم لصنعاء . وقد ألف الصغاني تأليفا مستقلا أورد فيه مائة وثلاثين لفظا على فعال المبنى على الكسر . وخلاصة رأى النحويين فى هذا أنه إذا كان علم المؤنث على وزن فعال ، يفتح الفاء وكسر اللام ، مثل حذام ورقاش ، فإن مذهب بنى تميم لإعرابه إعراب الاسم الذى لا ينصرف ، لأنه فى رأى سيويه — علم عدل به عن فاعله ، فأصل حذام ورقاش : حاذمة ورقاشة ، فعدل هما إلى حذام ورقاش ، ويرجح رأيه أن الغالب على الأعلام أن تكون منقولة ، أما المبرد فقال : إن العلة فى منع هذه الأسماء من الصرف — أى التنوين : هى أنها علم مؤنث تأنيثا معنويا مثل زينب ، ويرجح أنهم لا يدعون العدل فى نحو ، طُحوى ، فإن كان فعال مختوما بالراء علما للمؤنث كسفار ، اسما لماء أو بئر ، ووبار اسما لقبيلة فبنو تميم إلا قليلا منهم يبنونه على الكسر ، أما أهل الحجاز فيبنون فعال على الكسر فى الحالين ، إذ يشبهونه بزال فى التعريف والعدل والوزن والتأنيث .

كان لام الفعل راء انفقوا مع أهل الحجاز على البناء والكسر . وذمار : من
ذمرتُ الرجل إذا حرّضته على الحرب .

وقوله : لحير الأخيار ؛ لأنهم كانوا أهل دين ، كما تقدم في حديث فيمون
وابن التامر .

وقوله : لفارس الأحرار ؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من
عهد جيومرت^(١) في زعمهم إلى أن جاء الإسلام ، لم^(٢) يدينوا لملك من غيرهم ،
ولأدوا الإتاوة^(٣) لذي سلطان من سوام فكانوا أحراراً لذلك .

وأما قوله : للحبشة الأشرار فلما أحدثوا في اليمن من التغيث والفساد
وإخرايب البلاد ، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام ، وسيهدمونه في آخر
الزمان^(٤) إذا رفع القرآن ، وذهب من الصلور الإيمان ، وهذا الكلام المستجمع
ذكره المسعودي منظوماً .

(١) أو كيو مرث والفرس يجمعون على أنه أول ملوكهم ، ولكنهم اختلفوا
في شأنه ، فمنهم من زعم أنه ابن آدم ، ومنهم من زعم أنه أصل النسل ، ومنهم من
قال : إنه أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، ولهم حوله خرافات ، فهو مبدأ
النسل ، وهو نبت من نبات الأرض ، وهو الرياش هو وزوجته ، وجعلوا الأخبارا
مع إبليس وقتله انظر ص ٢٢٠ > ١ مروج الذهب .

(٢) في الأصل : لن .

(٣) الخراج أو الجزية .

(٤) لعله يشير إلى حديث ، أتركوا الحبشة ماتركوكم ، فإنه لا يُستخرج كنز
الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة ، وقد رواه أبو داود بسند ضعيف .

حين شيدت دِمارِ قيل : لمن أذ : ت فقالت : لِحَمِيرِ الأخيار (١)
ثم سيلت : مَنْ بعد ذاك ؟ فقالت : أنا لِلْحَبَشِ أَخْبَثِ الأشرار (٢)
ثم قالوا مِنْ بعد ذاك : لمن أذ : ت ؟ فقالت : لفارس الأحرار (٣)
ثم قالوا من بعد ذاك : لمن أذ : ت ، فقالت : إلى قريش التجار

وهذا الكلام الذي ذكر أنه وجد مكتوبا بالحجر هو - فيما زعموا - من كلام
هود عليه السلام - وجد مكتوبا في منبره ، وعند قبره حين كشفت الريح العاصفة
عن منبره الرمل ، حتى ظهر ، وذلك قبل ملك بلقيس يسير ، وكان خطاه
بالمُسْتَدء ويقال : لِن الذي بنى دمار هوشير بن الأمْلوك ، والأمْلوك هو : مالك
ابن ذى المنار ، ويقال : دِمارِ وظفار ، ومنه المثل : من دخل ظفار حمر (٤)
أى تكلم بالخميرية .

(١) في مروج المسعودى : يوم شيدت ظفار .

(٢) عند المسعودى : إن ملكي للأحبش الأشرار

(٣) عند المسعودى : ثم سيلت من بعد ذاك فقالت ، إن ملكي ، وفي

المسعودى ثلاثة آيات لم يذكرها السهيل ص ٨٨ > ٢ المروج الطبعة الثانية

(٤) قالوا إن أصل المثل أن أعرايا دخل على أحد ملوك حمير فقال له :

تب - وهى بالخميرية : اجلس ، ولكن الأعراي وثب ، فسكسر ، فلما عرف
الملك أنه أعراي قال : ليس عندنا عَرَائِيَت بفتح العين والراء والباء مع تضعيف
الآخيرة . من دخل ظفار حمر ، وقيل إن ظفار اسم لمدينتين باليمن ينسب إلى إحداهما
الجزع الظفارى ، وهو نوع من العقيق يعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة
الألوان . وقيل : هى صنعاء نفسها .

(م ٢١ - الروض الأنف)

« زرقاء اليمامة »

وذكر قول الأعشى :

ما نظرت ذاتُ أشقار^(١) كنتظرتها . البيت . يريد : زرقاء اليمامة ،
وكانت تُبصر على مسيرة ثلاثة أيام ، وقد تقدم طرف من ذكرها في خبر
جديس وطمس ، وقبل البيت :

قالت : أرى رجلاً في كفه كتيف^٢ أو يَخْصِفُ النملَ لَمَنى أَيْةً صَنَعَا
فكذبوها بما قالت ، فصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ حَسَّانِ يُرْجَى الْمَوْتُ وَالسَّلَامُ^(٣)

وكان جيشُ حَسَّانِ هذا قد أَمَرُوا أَنْ يُخَيَّلُوا عَلَيْهَا بَأْسَ يَمْسُكُ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ نَعْلًا كَأَنَّهُ يَخْصِفُهَا ، وَكَتِفًا كَأَنَّهُ يَأْكُلُهَا ، وَأَنْ يَخْطُلُوا عَلَى أَكْتَافِهِمْ
أَغْصَانُ الشَّجَرِ ، فَلَمَّا أَبْصَرْتَهُمْ ، قَالَتْ لِقَوْمِهَا : قَدْ جَاءَتْكُمْ الشَّجَرُ ، أَوْ قَدْ
غَزَتْكُمْ حَيْزُرُ ، فَقَالُوا : قَدْ كَبُرَتْ وَخَرِفَتْ ، فَكَذَّبُوهَا ، فَاسْتَدْبَحَتْ
بَيْضَتَهُمْ^(٣) ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَ الْأَعْشَى .

(١) جمع شَنْشَرٍ بفتح الشين : حرف كل شيء . وشقر الجفن : حرقه الذي
ينبت عليه الهدب .

(٢) السَّلَع : شجر مر ينبت في اليمن ، وهو من الفصيلة الكرمية وفي الطبري :
والشرعاً ويخصف النمل : يخرزها ويصلحها . وقصيدتها : ست أبيات ، وطبرى

ج ١ ص ٦٣١ .

(٣) حوزتهم وحمام .

قصة ملك الحضرة

قال ابن هشام : وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي عن جناد ، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب : أنه يقال : إن النعمان بن المنذر من ولد ساطرون ملك الحضرة . والحضر : حصن عظيم كالمدينة ، كان على شاطئ الفرات ، وهو الذي ذكر عدي بن زيد في قوله :

وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دجيلة نحني إليه والخابور
شاده مرمراً وجلبه ككتا فللطير في ذراه وكور
لم يحبه رب المتون فبان لك عنقه فبابه مهجور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

والذي ذكره أبو ذؤاد الإيادي في قوله :

وأرى للوت قد تدلى من الحضرة على رب أهله الساطرون

وهذا البيت في قصيدة له . ويقال : إنها خلف الأحمر ، ويقال : لحاد الراوية .

« كيف استولى سابور على الحضرة »

وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضرة ، فخصره سنتين ، فأشرفت بنت ساطرون يوما ، فنظرت إلى سابور ، وعليه ثياب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ،

(خبر الحضرة والساطرون)

ذكر فيه قول من قال : إن النعمان من ولد الساطرون ، وهو صاحب الحضرة . قال المؤلف : فنذكر شرح قصة الحضرة وصاحبه ، وما قيل في ذلك

فدست إليه : أتزوجني إن فتحت لك باب الحضر ؟ فقال : نعم ، فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر ، وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب ، فدخل سابور ، فقتل ساطرون ، واستباح الحضر وخرّبه ، وسار بهامعه فزوجهها ، فبينما هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لاتنام ، فدعا لها بشمع ، ففتش فراشها ، فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : أهذا الذي أسهرتك ؟ قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لي الديباج ، ويلبسني الحرير ، ويطعمني المنخ ، ويسقيني الخمر ، قال : أفكان جزاء أهلك ما صنعت به ؟ أنت إلى بذلك أسرع ، ثم أمر بها ، فرُبطت قُرُون رأسها بذنب فرس ، ثم رَكض الفرس ، حتى قتلها ، فقيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

ألم ترَ للحضر إذ أهله بنعمي ، وهل خالده من نعم
أقام به شاهبورُ الجنو دِ حولينَ تضربُ فيه القدمُ
فلما دعا ربه دَعْوَةً أناب إليه فلم ينتقم
وهذه الأبيات في قصيدة له .

وقال عدى بن زيد في ذلك :

والحضر صابت عليه داهية من فوقه أيده مناكبها
ربيبة لم توثق والدّها لحينها إذ أضاع راقبها
إذ غبقتَه صهباء صافية والخمر وهل يهيم شاربها

ملخصاً بعون الله . الساطرون بالسريانية : هو الملك ، واسمُ الساطرون :

فأسلمت أهلها بليتها - تظن أن الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس إذ جثر الصبح دماء تجرى سبائها
وحرب الحضرة، واستبيح، وقد أحرق في خدرها مشاجرها
وهذه الأبيات في قصيدة له .

الضيزن بن معاوية . قال الطبري : هو جُرْمَقَانِي^(١) ، وقال ابن الكلبي :
هو قُضَاعِي من العرب الذين تَنَحَّوْا بالسَّوَاد ، فسموا : تَنُوخ ، أي : أقاموا بها ،
وهم قبائل شَتَّى ، ونسبه ابن الكلبي ، فقال : هو ابن معاوية بن عبيد ،
ووجدته بخط أبي جحر : عبيد بضم العين بن أجزم من بني سليح بن حلوان
بن الحاف بن قُضَاعَة^(٢) ، وأمه : جَيْهَلَة ، وبها كان يُعرف ، وهي أيضا قُضَاعِيَة
من بني تَزِيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية .

وذكر قول أبي دُوَاد :

وأوى الموت قد تدلّ من الخطر ربي رَّبُّ أَهْلِ السَّاطِرُونِ^(٣)

(١) الجرامقة : قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام . وجرمق
بلدة بفارس على جادة المفازة التي بين خراسان وكرمان وأصبهان والري ، وقيل
هو من أهل بَاجَرَمِي . بفتح الجيم وسكون الراء . وفتح الميم وهي - كما ذكر
الطبري - قرية من أعمال البلخ قرب الرقة من أرض الجزيرة .

(٢) في الطبري ص ٤٧ - ٤٨ ابن العبيد بن الأجرم بن عمرو بن النخع وفتح
النون والحاء ، بن سليح و بفتح فسكر ، بن حلوان الخ وفي المروج : الضيزن
بن معاوية بن العبيد بن حرام بن سعد بن سليح الخ ، وفي الأغاني : ابن الأجرم
ابن عمر بن النخع بن سليح من بني تَزِيد بن حلوان الخ . وأمه في الأغاني : جَيْهَلَة بالباء
(٣) الحضرة كما في المراسد : مدينة مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها
وأبوابها . ويقولون : كان فيها ستون برجا كبارا بين كل برجين تسعة أبراج صغار =

واسم أبي دؤاد : جارية بن حجاج ، وقيل : حنظلة بن شريق وبعد
هذا البيت :

صرعته الأيام من بعد ملكٍ ونعيم وجوهر مكنون^(١)

وكان الضيزن من ملوك الطوائف ، وكان يقدمهم إذا اجتمعوا لحرب
عدو من غيرهم ، وكانت الحضر بين دجلة والفرات ، وكان ملكه يبلغ أطوار
الشام ، وكان سابور قد تغيب عن العراق إلى خراسان ، فأغار الضيزن
على بلاده بمن معه من العرب ، فلما قفل سابور ، وأخبر بصنع الضيزن نهّد
إليه ، وأقام عليه أربع سنين .

وذكر الأعشى في شعره حوّلين لا يقدر على فتح الحصن ، وكان للضيزن
بنت اسمها : النضيرة ، وفيها قيل :

أفقر الحضر من نضيرة فلما زباج منها فجاب الثرثار^(٢)

وكانت سئتهم في الجارية إذا عرّكت أي : حاضت ، أخرجوها إلى

= يازاء كل قصر . وقال : إنها يازاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل . وفي
الطبري أنها مدينة حبال تكريت بين دجلة والفرات .

(١) البيت في المروج = ٢ ص ٢٥٦ كما يأتي :

ولقد كان آمنة للدواهي ذا ثراء وجوهر مكنون

(٢) المربع : المكان ينبت نباته في أول الربيع . والثرثار وادعظيم بالجريبة
يمد إذا كثرت الأمطار ، وهو في البرية بنجد من قرب سنجار إلى أسفل من
تكريت ويمر بالحضر ، ونهر بعينه

رَبَضَ المدينة ، فَعَرَكَتِ النَضِيرَةَ ، فَأَخْرَجَتْ إِلَى رَبَضِ الْخَضِرِ (١) ؛
فَأَشْرَفَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَبْصُرَتْ سَابُورَ - وَكَانَ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ - فَهَوِيَّتَهُ
فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، وَتَفْتَحَ لَهُ الْخَضِرَ ، وَاشْتَرَطَتْ عَلَيْهِ ،
وَالْتَزَمَ لَهَا مَا أَرَادَتْ ، ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي السَّبَبِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ
إِسْحَاقَ مَا فِي الْكِتَابِ ، وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ : دَلَّتْهُ عَلَى نَهْرٍ وَاسِعٍ [اسْمُهُ الثَّرْنَارُ]
كَانَ يَدْخُلُ مِنْهُ الْمَاءُ إِلَى الْخَضِرِ ، فَتَقَطَّعَ لَهُ الْمَاءُ ، وَدَخَلُوا مِنْهُ (٢) .

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : دَلَّتْهُ عَلَى طَلْسَمٍ [أَوْ طَلْسَمٍ] كَانَ فِي الْخَضِرِ ، وَكَانَ فِي
عِلْمِهِمْ أَنَّهُ لَا يَفْتَحُ حَتَّى تَوْخِذَ حَمَامَةً وَرَقَاءً ، وَتُخَضَّبَ رِجَالُهَا بِخَيْضِ جَارِيَةٍ بَكَرَ
زَرْقَاءَ ، ثُمَّ تُرْسَلُ الْحَمَامَةُ ، فَتَنْزِلُ عَلَى سُورِ الْخَضِرِ ، يَتِمُّعُ الطَّلْسَمُ ، فَيَفْتَحُ
الْخَضِرَ ، فَعَمِلَ سَابُورُ ذَلِكَ ، فَاسْتَبَاحَ الْخَضِرَ ، وَأَبَادَ قِبَائِلَ مَنْ قَضَاعَةٌ كَانُوا فِيهِ ،
مَتَّعَهُمْ : بَنُو عَيْلِدِرْهَطِ الصَّيْنِيِّ ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ عَقِبٌ ، وَحَرَّقَ خِرَازِنَ الصَّيْنِيِّ ، وَاسْتَنْسَحَ
مَا فِيهَا ، ثُمَّ قَفَلَ بِنَضِيرَةٍ مَعَهُ ، وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي قَتْلِهِ إِيَّاهَا حِينَ تَمَلَّكَتْ عَلَى الْفُرَاشِ
الْوَتِيرِ ، وَلَيْسَ الْحَرِيرُ : أَنَّهُ قَالَ لَهَا : مَا كَانَ يَصْنَعُ بِكَ أَبُوكَ ؟ فَقَالَتْ : كَانَ يَطْعَمُنِي
الْمَخَ وَالزَّيْدَ وَشَهِدَ أَبُوكَ النَّحْلَ وَصَفُوهُ الْحَمْرَ . وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَرَى مِنْهَا مِنْ
صَفَاءِ بَشَرَتِهَا ، وَأَنَّ وَرَقَةَ الْأَسَى لَدِمَتْهَا فِي عُكْنَةٍ مِنْ عُكْنِهَا ، وَأَنَّ الْفُرَاشَ
الَّذِي نَامَتْ عَلَيْهِ كَانَ مِنْ حَرِيرٍ حَشْوُهُ الْقَزَّ (٣) . وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ : كَانَ حَشْوُهُ

(١) رِبَضُ الْمَدِينَةِ : مَا حَوْلَهَا .

(٢) أَنْظُرْ ص ٣٥٦ > ٢ الْمَرْجُوحُ

(٣) ص ٤٨ > ٢ طَبْرِيُّ . وَالطَّلْسَمُ بِكَسْرِ الطَّاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ بِتَضْعِيفٍ وَدَوْنِ
تَضْعِيفٍ ، خَطُوطٌ وَأَعْدَادٌ يُزَعَمُ صَاحِبُهَا أَنَّهُ يَرْبِطُ بِهَا رُوحَانِيَّاتِ الْكُورَاكِبِ =

زَغَب (١) الطير ، ثم اتفقوا في صورة قتلها (٢) كما ذكر ابن إسحاق غير أن ابن إسحاق قال : كان المستبيح للحضر سابور ذو الأكتاف ، وجعله غير سابور بن أزدشير بن بابك ، وقد تقدم أن أزدشير هو أول من جمع ملك فارس ، وأذلّ ملوك الطوائف ، حتى دان الملك له ، والضّيزن : كان من ملوك الطوائف ، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذي الأكتاف ، وهو سابور بن هرمز ، وهو ذو الأكتاف ؛ لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل ، وبينهم ملوك مسمّون في كتب التاريخ ، وهم : هرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام ، وبهرام الثالث ، ونرسی بن بهرام ، وبعده (٣) كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم .

وقول الأعشى : شاهبور (٤) الجنود بخفض الدال يدل على أنه ليس بشاهبور ذي الأكتاف ، وأما إنشاده لأبيات عدی بن زيد :

وأخوالنحضر إذ بناه وإذ دجلة يُجَيّ إليه والخابور

== العلوية بالطباع السفلية لجلب محبوب أودفع أذى ، وهو لفظ يوناني . والمرأة الزرقاء : البينة الزرقاء ، وهي الشبيبة البياض ، والعكنة : طى في البطن من السمن ، وذكروا أن ورقة الآس هي التي أرقتها .

(١) الشعيرات الصفرة على ريش الفرخ . والذي في المسعودي زغب النعام .

(٢) ربط غداثها إلى فرسين جوحين ؛ ثم استركضهما ، فقطعاهما

(٣) في الطبری أن الذي بعده : هرمز بن نرسی ، ثم سابور ذو الأكتاف

ص ٥٤ ٢٠٠ الطبری .

(٤) سيأتي معنى : شاهبور ، وقد مضطت الجنود في الطبری دار المعارف ، وفي

السيرة . دار الخلفي بالفتح على أنها مفعول وتضبط بالكسر على أنها مضاف إليه .

فلشعر خبر عجيب . حدثنا إجازة القاضي الحافظ أبو بكر ، عن ابن أيوب عن البرقاني ، عن أبي الحسن علي بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول ، قال : حدثني جدي ، قال : حدثني أبي ، عن إسحاق بن زياد من بني سلمة بن لؤي ، عن شبيب بن شيبه ، عن خالد بن صفوان بن الأهمم ، قال : أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد [أهل] العراق قال : فقدمت عليه ، وقد خرج متبدياً بقرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ، فنزل في أرض قاع صحصح متنايف^(١) (أفيح في عام [قد] بكرر وسميه ، وتتابع وليه^(٢)) ، وأخذت الأرض [فيه] زيتها من اختلاف أنوار ثبتيها من نور ربيع موني ، فهو أحسن منظرا ، وأحسن مستنظرا ، وأحسن مختبرا بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، حتى لو أن قطعة ألقيت فيه لم تنرب^(٣) قال : وقد ضرب له سراق من حبرة^(٤) كان صنده له يوسف ابن عمر باليمن ، فيه فسطاط ، فيه أربعة أفرشة من خز أحمر ، مثلها مرافقها^(٥) .

(١) حشمه : خاصته الذين يفضون له . والغاشية الزوار والاصدقاء ينتابونك . القاع : المستوى من الأرض : صحصح : الأرض الواسعة المستوية الحرداء ذات الحصى الصغار . متنايف : مرتفع مشرف على غيره . وفي الأغانى : منيف .

(٢) أفيح : واسع . بكر : بادر . الوسمي : مطر الربيع الاول ، والولي : المطر الذي يليه .

(٣) لم يصيبها التراب .

(٤) بوزن عنبه : برديماني .

(٥) الفسطاط : بيت من الشعر ، والمرافق : جمع مرفق : ما يتكا عليه .

وعليه دُرَاعَةٌ (١) من خز أحمر ، مثلها عمامتها ، قال : وقد أخذ الناس
بجالسهم ، فأخرجت رأسي من ناحية الطاق (٢) ، فنظر إلى شِبْهِ الْمُسْتَنْطِقِ [لي] ؛
فقلت : آثم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمة سَوَّغَ سَكَمَهَا بِشُكْرٍ ، وجعل ما قلدك
من هذا الأمر رُشداً ، وعاقبة ما تنول إليه حمداً ، وأخلصه لك بالثقي ، وكثره لك
بالنماء ، ولا كدر عليك منه ماصفاً ، ولا خالط سروره الردى ؛ فقد أصبحت
للمسلمين ثقة ومُستَرَاخاً . إليك يقصدون في أمورهم ، وإليك يفزعون في مظالمهم ،
وما أجد يا أمير المؤمنين شيئاً — جعلني الله فداءك — هو أبلغ في قضاء حقك
وتوقير مجلسك مما من الله [جَلَّ وَعَزَّ] به علي من مُجَالَسَتِكَ ، والنظر إلى وجهك من
أن أذكرك نعم الله عليك ، وأنبئك لشكرها ، وما أجد يا أمير المؤمنين شيئاً هو
أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك ، فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته
عنه . قال : فاستوى جالساً وكان متكئاً . ثم قال : هات يا ابن الأثيم ، [قال] :
فقلت : يا أمير المؤمنين إن مَلِكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامنا هذا
إلى الْخَوَرَنَقِ والسَّيْرِ (٣) في عام قد بكر وسَمِيَهُ ، وتتابع وليه ،

(١) الضمير في عليه لشام بن عبد الملك . والدراعة : جبة مشقوفة المقدم ،
وثوب من صوف .

(٢) في الأغاني : السباط ، وهو الصفوف من الناس .

(٣) الخورنق : قصر كبير بناه النعمان بن امرئ القيس البديع بن عمرو بن
امرئ القيس الملك الفرس يزدجرد الأثيم ، وقيل : النعمان بن المنذر : وخورنق :
معرب خورنكاه أي موضع الأكل . والسدير : موضع معروف بالحيرة ،
وقيل : نهر ، وقيل : قصر قريب من الخورنق اتخذ النعمان أيضاً لبعض ملوك العجم
وسمى شيء آخر عنه .

وأخذت الأرضُ فيه زينتها من نورِ ربيعِ مَونقٍ ، فهو في أحسنِ منظرٍ
وأحسنِ مُستَظَرٍ ، وأحسنِ مُختَبَرٍ بصعيدٍ كأن ترابه قطعُ الكافور^(١) حتى
لو أن قطعةَ ألقيت فيه لم تَتَرَب . قال : وقد كان أُعْطِيَ فَنَاءَ السَّنِّ مع الكثرةِ
والغلبةِ والقهرِ ، قال : فنظر فأبعدَ النَّظَرَ ، فقال لجلسائه : لمن [مِثْلُ] هذا ؟ هل
رأيتُم مثل ما أنا فيه ؟ [و] هل أُعْطِيَ أحدٌ مثل ما أُعْطِيتُ ؟ قال : وعنده رجلٌ من
بقايا حَمَلَةِ الحُجَّةِ ، والمُصَيِّ على أدبِ الحقِّ ومنها جِه . قال : ولن تخلو الأرضُ
من قائمٍ لله بحجته في عباده ، فقال : أيها الملكُ إنك قد سألت عن أمرٍ :
أفتأذن في الجوابِ عنه ؟ قال : نعم . قال : أرايت ما أنت فيه : أشيء لم تزل
فيه ، أم شيء صار إليك ميراثاً من غيرك ، وهو زائلٌ عنك ، وصائرٌ إلى غيرك ،
كما صار إليك ميراثاً من لدنِ غيرك ؟ قال : فكذلك هو . قال : فلا أراك [إلا]
أعجبت بشيء يسيرٍ تكون فيه قليلاً ، وتغيب عنه طويلاً ، وتكون غداً
بحسابه مؤمَّناً . قال : ويحك قاتلُ المهربِ ؟ وأين المَطْلَبُ ؟ قال : إما أن تقيم
في ملكك ، تفعل فيه بطاعةِ [الله] رَبِّكَ على مأساءك وسرك ، ومَصْلُك وأَرْمَصُك ،
وإما أن تَضَعَ تاجك ، وتَضَعَ أطمارك ، وتلبسَ أُمْسَاحَ^(٢) ، وتَعْبُدَ رَبَّكَ في
هذا الجبلِ حتى يَأْتِيكَ أَجْلُكَ . قال : فإذا كان في السَّحَرِ فَأَقْرَعْ على بابي ، فأني
أختارُ أحدَ الرَّائِينَ ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنت وزيراً ، لا تُعْصَى ، وإن

(١) شجر يتخذ منه مادة شفافة بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض .

(٢) مضه : أى آله ، وأرمضه : أرجعه . والأطمار : جمع طمر بكسر الطاء :
الثوبُ الخشن ، أو الكساء البالي من غير الصوف . والامساح جمع مسح :
الكساء من الشعر . وفي الأغاني : وتخلع أطمارك .

اخترت خلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفيقا ، لا تخالف . قال : فقرع عليه
بابه عند السحر ، فإذا هو قد وضع ثاجه ، [وخلق أطواره] ولبس أمساحه ،
وتهيأ للسياحة ، قال . فلزما — والله — الجبل حتى أتتهما آجالهما ، وهو حيث
يقول أحد بني تميم : عدئ بن [ريد] بن سالم المرئي العدوي :

أيها الشامت المعير بالذم هي أنت المبره المتوفور ؟ !
ألم لديك العهد الوثيق من الأيا م ؟ ! بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن ، أم من ذا عليه من أن يضام خفير !
أين كسرى كسرى الملوك أنو شروان أم أين قبله سايور ؟ !
وبنو الأصغر الكرام ملوك الر وم ؟ ! لم يبق منهم هذا كور
وأخو الخضر إذ بناه وإذ دج لة تبحي إليه والخابور
شاده مرمرًا ، وجله كلسا فلطير في ذراه وكور
لم يجهه رب المنون فبا رب الملك عنه ، فباه منهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوما ، وللهدي تفكير
سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارغوى قلبه ، وقال : وما غبطة حتى إلى المات يصير ؟ !
ثم أضحوأ كأنهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور
ثم بعد الفلاح والملك والإمعة ولوتهم هلك القبور (١)

(١) دجلة : نهر معروف بالعراق ، وهو بكسر الدال وفتحها ، والخابور : نهر
كبير يخرج من رأس عين يصب إلى الفرات من أرض الجزيرة عليه ولاية

قال فبكى [والله] هشام حتى أخضل^(١) لحيته ، وبل^٢ عمامته ، وأسر
بنزع أبنيته ، وبنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ، ولزم
قصره . قال : فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان بن الأهم ، وقالوا :
ما أردت إلى أمير المؤمنين ؟! أفسدت عليه لذته ، ونفست عليه مادبته . قال :
إليكم غنى فإني عاهدت الله [عز وجل] عهداً ألا أخلو بملك إلا ذكرته الله
عز وجل^(٢) .

والذى ذكره عدى بن زيد في هذا الشعر هو : النعمان بن امرئ القيس
جد النعمان بن المنذر ، وأول هذا الشعر :

أرواحٌ مودَّعٌ أم بُكُورُ [لك] فانظرُ لأيِّ ذلك نصير^(٣)
قاله عدى ، وهو في سجن النعمان بن المنذر ، وفيه قتل وهو : عدى

== واسعة وبلدان جمعة . والجابور أيضاً : جابور الحسنية من أعمال الموصل في شرق
دجلة ، وهو نهر من جبال بأرض الوزان المرصدة والمرمر : الرخام ، والكلس :
الجير أو مادة كانت تغطي بها القصور ، ومعرض : أعرض الشيء ظهر وبرز ،
ارعوى : كف وارتدج يعني : انعط . وألوى به : ذهب به ، والصباريح مهبها
من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدبور : ريح تهب من المغرب
عكس ريح الصبا والإمة : النعمة .
(١) نداءها وبللها .

(٢) في الطبرى جزء من قصيدة عدى بن سالم . ويقول ابن كثير بعد أن روى
القصة بإيجاز وقد ذكر قصته مبسوطه : موقوف بن قدامة المقدسى في كتاب التواوين
وكذلك أوردها بإسنادين : الحافظ أبو القاسم السبيل ، من ١٨٣ ج ١ البداية والقصة
والقصيدة أيضاً في الأغانى من ١٨٤ ج ٢ طبع لبنان ، والزيادات والتصويب منه .
(٣) في المطبوعة : جذفت : لك وفي شعراء النصرانية : لك فاعمد لآى حال نصير ،

بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محزوب (١) بن عامر بن عَصِيَّة بن
امريء القيس بن زيد بن مناة بن تميم (٢). وقال عمرو بن آله بن النخلاء :

أَلَمْ يُنَبِّئِكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْحَى (٣) بِمَا لَاقَتْ سِرَافَةَ بَنِي الْعَبِيدِ
وَمَضَرَ عَضِينَ وَجَى أَبِيهِ وَأَخْلَسَ الْكَتَائِبَ مِنْ تَزِيدِ (٤)
أَتَاهُمْ بِالْفَيُولِ مُجَلَّلَاتٍ وَبِالْأَبْطَالِ سَابُورُ الْجَسُودِ

(١) وهذه سلسلة نسبه في جهمرة ابن حزم : عدى بن زيد بن أيوب بن محزوب
ابن عَصِيَّة بن امريء القيس بن زيد مناة ، وابنه : زيد بن عدى صاحب النعمان بن
المنذر بالحيرة ص ٢٠٣ أما في الأغاني فكما في الروض بزيادة ابن قيس مناة في
الروض ، وقد كان عدى من تراجمه أبرويذ وكان — كما في الطبري — جليلا شاعرا
خطيبا قرأ كتب العرب والفرس ، قال عنه الاصمعي وأبو عبيد : عدى بن زيد
في الشعراء بمنزله سهيل في النجوم. هذا ويروي ابن قتيلة في المعارف وهو يتحدث
عن الخورنق ، ويقال : أنو شروان بن قباذ هو الذي ملكه وأشرف يوما على
الخورنق ، فنظر إلى ما حوله فقال : أكل ما أرى إلى قناه وزوال ؟ قالوا : نعم ،
قال : فأى خير فيما يقضى ؟ لا طلب بن عيشا لا يزول ، فانتزع من ملكه ، وليس المسوح
وساح في الأرض ، ص ٢١٨ وفي الأغاني والطبري : ابن محزوب ، وفي جهمرة
ابن حزم : محزوب .

(٢) في الاشتقاق والطبري وجهمرة ابن حزم والأغاني : زيد مناة بإسقاط
ابن بينهما .

(٣) في الطبري والمسمودي والأغاني . ألم يحزنك ، وتنحى : تنتشر .

(٤) في المسمودي : وأحلاف . وأحلاس الكتائب : الشجعان الملازمون لها .
وتزويد هو : ابن حلوان كما في القاموس والأغاني ص ١١٣ ط ٢ لبنان وابن
عمران بن الحلاف . أما حلوان فأخ له كما في الاشتقاق ، وهم من قضاعة .

فهدم من أواسي الخنصر صخرًا كان يقال زبر الخديد (١)

وقال الأعشى :

أقام به شاهبور الجنو د حولين تضرب فيه القدم

وقد قدمنا أن شاهبور معناه: ابن الملك ، وأن بور هو : الابن بلسانهم ، وفي هذا البيت دليل على ما قلناه من أن سابور مُغَيَّر عن شاهبور . والقدم : جمع قدوم ، وهو الفأس ونحوه ، والقدوم : اسم موضع أيضاً اختتن فيه إبراهيم عليه السلام الذي جاء في الحديث أن إبراهيم اختتن بالقدوم مخفف (٢) أيضاً ، وقد روى فيه التشديد . وبغده :

فهل زاده ربّه قُوّة ومثل مجاوره لم يقم

وكان دعا قومه دعوة هلتوا إلى أمركم قد صر

فوتوا كراما بأسيا فيكم أرى الموت يحشمه من جشم (٣)

(١) الأواسي : جمع آسية ، وهو ما أسس من بنيان فأحكم أصله من سارية أو غيرها ، وزبر : جمع زبرة : القطعة الضخمة .

(٢) هما روايتان في البخاري ، أما الرواية في مسلم فلم يختلفوا في التخفيف وأنكر يعقوب بن شبة التشديد أصلاً . والراجح - كما يقول الحافظ في الفتح - أن المراد في الحديث : الآلة . وعند البخاري : أنه اختن وسنه ثمانين سنة . وفي الموطأ : موقوفاً عن أبي هريرة ، وعند ابن حبان مرفوعاً أنه كان وسنه مائة وعشرون ، وتقال قدوم على عدة مواضع كما في المراصد .

(٣) بعض القصيدة في الطبري ، وقد أصلحنا خلها من الديوان مثل البيت الثاني فهو في المطبوعة : وكان قد دعا قومه ، .

وفي الشعر : وهل خالدٌ من نعمٍ . يقال نعمٌ ينعم وينعم مثل حسب يحسب ويحسب . وفي أدب الكاتب أنه يقال : نعم ينعم مثل فضل بفضل . حكى ذلك عن سيبويه ، وهو غلط من القتيبي ، ومن تأمله في كتاب سيبويه تبين له غلط القتيبي ، وأن سيبويه لم يذكر الضم إلا في فضل بفضل (١) .

وقول عدى بن زيد : ربيبة لم توثق والدّها . يحتمل أن تكون فعيلة من ربيت إلا أن القياس في فعيلة بمعنى : مفعولة أن تكون بغيرهاء ، ويحتمل أنه أراد معنى الرّبو والنماء ، لأنها ربت في نعمة فتكون بمعنى فاعلة ، ويكون البناء موافقا للقياس ، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ربيثة بالهمز ، وسهل الهمزة فصارت ياء ، وجعلها ربيثة ؛ لأنها كانت طليعة حيث أطلقت ، حتى رأت سابور وجنوده ، ويقال للطليعة ذكرًا كان أو أنثى : ربيثة (٢) ، ويقال له : رباء على وزن فعال وأنشدوا : رباء شماء لا يأوى لقتها ، البيت .

وقوله أضاع راقبها ، أي أضاع المرئاة الذي يرقبها ويحرسها ، ويحتمل أن

(١) في المختار : نعم وبابه سهل ، وكذا . نعم من باب علم ، وفيه لغة ثالثة مركبة : نعم ينعم مثل فضل بفضل ولغة رابعة : نعم ينعم بالكسر فيهما ، وهو شاذ . وقول ابن قتيبة المنقول من أدب الكاتب هو في ص ٧٧ ط الرحمانية .

(٢) الطليعة الذي يرقب العدو من مكان عال لتلايدهم قومه ، وفي اللسان : والربيثة : الطليعة ، وإنما أنشده ؛ لأن الطليعة يقال له : العين ؛ إذ بعينه ينظر ، والعين مؤنثة ، وإنما قيل له : عين ، لأنه يرمي أمورهم ويحرسهم ، وحكى سيبويه في العين الذي هو الطليعة . أنه ينكر ويؤث ، فيقال : ربي ، وربيثة ، فن أنث فعلی الاصل ، ومن ذكر فعلی أنه قد نقل من الجزء إلى السكل .

تكون الماء عائدة على الجارية أي : أضاعها حافظها .

وقوله : والحمر وهل . يقال : وهل الرجل وهلًا وهلًا إذا أراد شيئًا ، فذهب وهمه إلى غيره . ويقال فيه : وهم أيضا بفتح الماء ، وأما وهم بالكسر ، فمعناه : غلط ، وأوهم بالألف معناه : أسقط .

وقوله : سبائبها . السبائب جمع : سببية ، وهي كالعمامة أو نحوها ، ومنه السب وهو : الخمار .

وقوله : في خدرها مشاجبها . المشاجب : جمع مشجب ، وهو ما تعلق منه الثياب ، ومنه قول جابر : وإن ثيابي لعل المشجب (١) وكانوا يسمون القربة : شجبًا ؛ لأنها جلد ماء قد شجب أي : عطب ، وكانوا لا يمسكون القربة وهي الشجب إلا معلقة ، فالعود الذي تعلق به هو المشجب حقيقة ، ثم اسموا ، قسموا ما تعلق به الثياب مشجبًا تشبيهًا به .

وفي شعر عدي المتقدم ذكر الخابور ، وهو واد معروف ، وهو فاعول من خبرت الأرض إذا حرثتها ، وهو واد عظيم عليه مزارع . قالت ليلي أخت الوليد بن طريف الخارجي الشيباني ، حين قتل أخوها الوليد . قتله يزيد بن مزيد الشيباني أيام الرشيد ، فلما قتل قالت أخته :

أيا شجر الخابور مالك موركًا كأنك لم تحزن على ابن طريف (٢)
قدناه فقدان الربيع وليتنا فديناه من ساداتنا بألوف

(١) هو في البخاري في باب الصلاة .

(٢) الخابور : يستعمل في الطب ، وفي الزينة ، وله زهر زاهي المنظر أصفر جيد الرائحة . والخابور - كما في اللسان - نبات يجمعه الثقل في بيوتها ، والحق = (م ٢٢ - الروض الأنف)

ذكر ولد نزار بن معد

قال ابن إسحاق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفر : مضر بن نزار ، وربيعة ابن نزار ، وأثمار بن نزار .

قال ابن هشام : وإياد بن نزار . قال الحارث بن دؤنس الإيادي ، ويروى لأبي دؤاد الإيادي ، واسمه : جارية بن الحجاج :

وَقُتِلَ حَسَنٌ أَوْجُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍ
وهذا البيت في أبيات له :

فأُمُّ مِضْرٍ وَإِيَادُ : سَوْدَةُ بِنْتُ عَكَّ بْنِ عَدْنَانَ . وَأُمُّ رَبِيعَةَ وَأَثْمَارُ : شَقِيقَةُ بِنْتُ عَكَّ بْنِ عَدْنَانَ ، ويقال : جُحَّةُ بِنْتُ عَكَّ بْنِ عَدْنَانَ .

« أولاد أثمار »

قال ابن إسحاق : فأثمار : أبو خَمْعَمَ وَبَحِيلَةَ . قال جرير بن عبد الله البجلي وكان سيّد بَحِيلَةَ ، وهو الذي يقول له القائل :

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بِحِيلَةَ نَعَمْ الْفَتَى ، وَبُئِستَ الْقَبِيلَةَ

وهو ينافر الفُراصَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَى الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ .

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِن تَصْرَعُ أَحَاكَ تَصْرَعُ

وأما الخافور بالفاء فنبات تحفر ريحُه أي : تقطع شهوة النساء ، كما يفعل

== حبث الماء أو البحر : نبات طيب الرائحة يسمى : نعنغ الماء ، وفي المعجم الوسيط عن المرو : نبات عطر طي من الفصيلة الشعرية من أسمائه : الحرنباش وحبث الشيوخ ، والزعر في القاموس : المرو الدقيق الورق .

قال :

ابْنِي زَرَّازٍ انْصُرَا أَخَاكَ إِنْ أَبِي وَجَدْتُهُ أَبَاكَ
لَنْ يُغْلَبَ الْيَوْمَ أَخٌ وَلَا كُفَا
وقد تيامنت ، فَلَاحِقَتْ بِالْيَمَنِ .

قال ابن هشام : قالت اليمانية : أَنَمَارُ بْنُ إِرَاشِ بْنِ لِحْيَانَ بْنِ عَمْرٍو
ابن القَوْثِ بْنِ نُبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ ، وَيُقَالُ : إِرَاشُ بْنُ
عَمْرٍو بْنِ لِحْيَانَ بْنِ الْقَوْثِ . وَدَارُ بَيْحَلَةَ وَخَثَمَ : يَمَانِيَّةٌ .

«أولاد مضر»

قال ابن إسحاق : فولد مُضَرُّ بْنُ زَرَّازِ رَجُلَيْنِ : الْيَاسَ بْنَ مُضَرَ ، وَعَيْلَانَ
ابن مضر . قال ابن هشام : وأمهما : جُرْهُمِيَّةٌ .

«أولاد الياس»

قال ابن إسحاق : فولد الْيَاسُ بْنُ مُضَرَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ : مُدْرِكَةَ بْنَ الْيَاسِ ،
و طَابِخَةَ بْنَ الْيَاسِ ، وَ قَمْعَةَ بْنَ الْيَاسِ وَأَمَّهُمْ : خِنْذِفُ : امْرَأَةٌ مِنَ الْيَمَنِ .

قال ابن هشام : خِنْذِفُ بِنْتُ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مُدْرِكَةَ عَامِرًا ، واسمُ طَابِخَةَ عَمْرًا ، وزعموا
أنهما كانا في إِبِلٍ لهما يَرْعِيَانِهَا ، فَاقْتَنَصَا صَيْدًا ، فَقَعَدَا عَلَيْهِ يَطْبِخَانِهِ ، وَعَدَّتْ
عَادِيَّةٌ عَلَى إِبِلِهِمَا ، فَقَالَ عَامِرٌ لِعَمْرٍو : أَتَدْرِكُ الْإِبِلَ ، أَمْ تَطْبِخُ هَذَا الصَّيْدَ ؟

الْحَبِيقُ ، وَيُقَالُ لَهُ الْقَمْرُ ، وَبِهَذَا الْاسْمِ يَعْرِفُهُ النَّاسُ وَهُوَ الزَّغَبَرُ أَيْضًا .

فَقَالَ عمرو : بَلْ أَطْبِخُ ، فَلَحِقَ عَامِرٌ بِالْإِبِلِ لِحَاكِهَا ، فَلَمَّا رَاحَا عَلَى أَبِيهِمَا حَدَّثَاهُ بِشَأْنِهِمَا ، فَقَالَ لِعَامِرٍ : أَنْتَ مُذِرِكَةٌ ، وَقَالَ لِعَمْرُو : وَأَنْتَ طَابِحَةٌ .

وَأَمَّا قَمْعَةٌ فِيزَعُمُ نُسَابُ مَضَرَ : أَنَّ خِرَاعَةً مِنْ وَلَدِ عَمْرُو بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ الْيَاسِ .

(ذَكَرَ نِزَارُ بْنُ مَعْدٍ وَمِنْ تَنَاسُلِ مَتَنِهِ)

قَدْ ذَكَرْنَا أَوَّلًا دَمْعَ الْعَشِيرَةِ فِيمَا تَقَدَّمَ ، فَأَمَّا مُضَرٌ فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي عُمُودِ نَسَبِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَكَرْنَا أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ حَدَثَهُ الْإِبِلُ ، وَسَبَّيْهِ - فِيمَا ذَكَرُوا - أَنَّهُ سَقَطَ عَنْ بَعِيرٍ ، فَوُثِبَتْ يَدُهُ ، وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا ، فَكَانَ يَمْشِي خَلْفَ الْإِبِلِ ، وَيَقُولُ : وَايْدِيَّاهُ وَايْدِيَّاهُ ، يَتَرَنَّمُ بِذَلِكَ فَأَعْنَقَتِ الْإِبِلُ ، وَذَهَبَ كَلَامُهَا ؛ فَكَانَ ذَلِكَ أَصْلَ الْحَدَاثِ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَنْشُطُ بِحَدَاثِهَا الْإِبِلَ ، فَتَسْرِعُ .

وَأَمَّا أُنْمَارُ بْنُ نِزَارٍ ، وَهُوَ أَبُو بَجِيلَةَ وَخَنَعَمُ فَسُمِّيَ : بِالْأُنْمَارِ جَمْعَ نَمِرٍ (١) ، كَمَا سَمَوْا بِسَبَاعٍ وَكَلَابٍ ، وَأُمُّ بَنِيهِ : بَجِيلَةُ بِنْتُ صَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ وَلَدَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا أَفْتَلُ (٢) وَهُوَ : خَنَعَمُ (٣) ، وَوُلِدَتْ لَهُ عَبْقَرٌ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ سَنًا أَبُو الْفَرَجِ ، عَنْهُمْ تَنَاسَلَتْ قِبَائِلُ بَجِيلَةَ وَهُمْ : وَكَاعَةُ وَخَزَيْمَةُ وَصُهَيْبَةُ [فِي الْأَصْلِ : صَحِيمٌ]

(١) رَوَى ابْنُ هِشَامٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ مِنْ وَلَدِ نِزَارٍ : أُنْمَارٌ . وَفِي جَهْرَةِ ابْنِ حَزَمٍ وَذَكَرُوا أَنَّ خَنَعَمَ وَبَجِيلَةَ مِنْ وَلَدِ أُنْمَارٍ إِلَّا أَنَّ الصَّحِيحَ الْمُحْضَرَ الَّذِي لَاشِكُ فِيهِ أَنَّ قِبَائِلَ مَضَرَ وَقِبَائِلَ رَيْبَةَ ابْنِ نِزَارٍ ، ص ٩ ، وَفِي ص ٦ مِنْ نَسَبِ قُرَيْشٍ وَكَانَ يُقَالُ رَيْبَةُ وَمَضَرَ الصَّرِيحَانِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ .

(٢) وَقِيلَ : أَقِيلٌ وَأَقِيلٌ .

(٣) أُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ النَّافِقِ بْنِ الشَّاهِدِ بْنِ عَكٍّ ، الْجَهْرَةُ ص ٣٦٥ .

والخارث ومالك وشيبة وطرفة وفهم والغوث وسهل وعبقر وأشهل^(١) كلهم بنو أنمار، ويقال: إن بحيلة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سمينا، ولم تحضن أفتل، وهو خثعم، فلم ينسب إليها. روى الترمذي عن طريق فروة بن مسيك أنه لما أنزل الله في سبأ ما أنزل، قال رجل: يا رسول الله ما سبأ: امرأة أم أرض؟ قال: ليس بأسرة ولا أرض، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيا من منهم ستة، وتشام^(٢) أربعة، فأما الذين تشاموا: فلخم وجذام وعاملة وغسان، وأما الذين تيامنوا: فالأزد والأشعرى وحير ومدحج وكندة وأنمار، قال الرجل: ومن أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم^(٣) وبحيلة. وقوله:

لولا جريرٌ هلكت بحيلة نعم الفتى، وبنت القبيلة

(١) هم في جمرة أنساب العرب: خزيم، وادعة، عبقر، الغوث، صهيب، أشهل، شهل، طريف، سنية، الخارث وخذعة، أما في نهاية الأرب: العقب من أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو بن مالك بن زيد: خمس قبائل، الغوث وعبقر وصهيب، ووداعة وأفتل، وهو خثعم بنو أنمار بن إراش ويقول عن أنمار بن نزار: «فإننا انقلبنا في اليمن.. ومن قال إنها انقلبنا في اليمن يقول فيه: إن خثعم وبحيلة ابنا أنمار بن نزار لحقا باليمن، وانتسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن النبيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب به يعرب بن قحطان، انظر ص ٣١٠، ٣٢٨ ج ٢ نهاية الأرب.

(٢) تيامن: أي ذهب إلى اليمن وعاش فيها وتشام: قصد الشام وعاش فيها.

(٣) قال الترمذي: حسن غريب ورواه أحمد من طريق ابن عباس ورواه عبد عن الحسن موسى عن ابن أبي عمير وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه في إسناده من وجه آخر فروة أبو حباب، وقد تكلموا فيه وفي روايات الحديث اضطراب

قال لما سمع هذا: ما مدح رجل هجى قومه، وجريه هذا هو: ابن عبد الله بن جابر، وهو: الشكيل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن جذيمة (١) بن عدى بن مالك بن سعد بن يزيد بن قسرة، وهو مالك بن عبق بن أنمار بن إراش بن عمرو بن العوث، يكنى: أبا عمرو، وقيل: أبا عبد الله، وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يطلع عليكم خير ذى يمين، عليه مسحة ملك» (٢) وكان عمر يسميه: يوسف هذه الأمة، وكان من مقبلي الظعن، وكانت نعله: طولها: ذراع فما ذكروا. ومن النذير بن قسرة: المرثيون الذين قدموا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاجتروا (٣) المدينة، وحديثهم مشهور، وهم بنو غريفة بن النذير، أو بنو غريفة بن ربيعة بن نذير، لأنهما غريفتان، وأحدهما: عم الآخر.

وقال ابن إسحاق في السيرة: من بنى قيس: كبة من بحيلة.

وقوله: وهو ينافر الفرافصة [بن الأحوص] الكلبي إلى الأقرع بن حابس

(١) في الاشتقاق: ابن حزيمة وفي نسب قريش: خزيمة، وفي الإصابة: عوف بن خزيمة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن السائب الكلبي، وهو كذاب. وفي القاموس: أنه كان يلقب بذى المسحة.

(٣) أى أصابهم الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول وذلك إذا لم يوافقهم هواها. واجتويت البلد إذا كرهت المقام فيه، وإن كنت فى نعمه وفى اللسان أنهم ارتدوا، فقتلهم الرسول ومن، هذا وفى السيرة أن أم مضر وإيادى سودة بنت عك، ولكنها فى نسب قريش: خيبة بوزن عليه بنت عك. وفى السيرة أن أم ربيعة وأنمارى: شقيقة بنت عك، ولكنها فى نسب قريش: حدالة (بضم الحاء) بنت وحلان بن جوشم ص ٦.

التميم . ينافر : أى يحاكم . قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النفر ، وكانوا إذا تنازع الرجال ، وادّعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه ، تحاكموا إلى القلابة ، فمن فضل منهما قيل : نفّر عليه أى : فضل نفره على نفّر الآخر : فمن هذا أخذت المنافرة ، وقال زهير :

فإن الحقّ مقطعه ثلاثٌ يمينٌ ، أو نفاثٌ أو جلاء (١)

والقرافصة بالضم : اسم الأسد ، وبالفتح اسم الرجل ، وقد قيل : كل قرافصة في العرب بالضم إلا القرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح . وقوله : إنك إن تصرّع أخاك تصرّع ، وجدت في حاشية أبي بحر ، قال : الأشهر في الرواية : إن يصرّع أخوك (٢) ، وإنما لم ينجز الفعل الآخر على جواب الشرط : لأنه في نية التقديم عند سيبويه ، وهو على إضمار الفاء عند المبرد (٣) ، وما ذكر في أعمار من قول أهل اليمن يشهد له حديث الترمذى المتقدم . وذكر أم الياس ، وقال فيها : امرأة من جرهم ، ولم يسمها ، وليست من

(١) جلاء بفتح الجيم : البيئة في المحاكمة والأمر بين الواضح ، وقيل : أراد : البيئة والشهود ، وقيل : أراد الإقرار والجلاء بكسر الجيم : ما يعظم به الإنسان من الكنى والألقاب والبيت في اللسان في مادة : جلو .

(٢) يستشهد النحاة بهذا البيت على جواز رفع جزاء الشرط المضارع حين يكون الشرط مضارعاً أيضاً . وهو ضعيف ، وهو في نسب قريش . إن يصرّع أخوك ، وفي المزهري ص ٤٩٣ ج ٢ : كل شيء في العرب قرافصة بضم الفاء إلا قرافصة بن الأحوص .

(٣) قالوا بهذا ، لأن القاعدة وجوب جزم جواب الشرط إن كانا مضارعين واقراً قصة هذه المنافرة في ص ٣٠١ ج ٢ بلوغ الأرب .

جرم ، وإنما هي الزَّباب بنت حَيْدَةَ (١) بن معد بن عدنان في ذكر الطبري ، وقد قدمنا ذلك في نسب النبي — صلى الله عليه وسلم .

وأما عَيْلان أخو الياس ، فقد قيل : إنه قيس نفسه لا أبوه ، وسمى بفرس له اسمه : عَيْلان (٢) ، وكان يجاوره قيس كُتَيْبَة من بَحِيلَة عرف بكُتَيْبَة اسم فرسه فُرَّقَ بينهما بهذه الإضافة ، وقيل : عَيْلان اسم كلب له ، وكان يقال له : النَّاسُ ، ولأخيه : الياس ، وقد تقدم في أول الكتاب القول في عود نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وما فيه غُثَيَّة من شرح تلك الأسماء .

وذكر مدرَّكة وطابخة وقَمْعَة وسبب تسميتهم بهذه الأسماء ، وفي الخبر زيادة ، وهوان الياس قال لأُمِّهم — واسمها ليلي (٣) ، وأُمُّها : ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار التي يُنسب إليها : حَمَى ضَرِيَّة ، وقد أَقْبَلَتْ تُخَنِّدِف في مشيتها : مَالِكِ تُخَنِّدِفِينَ ؟ فسميت : خِنْدِف ، وَالتُّخَنِّدِفَةُ : سُرْعَةٌ في مشي وقال للمدرَّكة .

(١) في نهاية الأرب وغيره : حيد . وفي نسب قريش ص ٧ أن أم الياس هي الحنفاء ابنة إِيَاد بن معد ، وفي جمهرة ابن حزم ص ٩ أن اسمها : أَسْمَى بنت سود بن أسلم بن الحارث بن قضاة .

(٢) في الطبري : أنه سمي عَيْلان لأنه كان يعاتب على جوده . فيقال له لتغلبن عليك العَيْلَة بإميلان وليس في الأسماء عَيْلان بالعين غيره .

(٣) وفي نسب قريش ص ٦ . فولد مضر بن نزار : الياس ، وهو عَيْلان انظر ص ٣٢٢ شرح أدب الكاتب للجواليقي وفي الجمهرة : « وقيس عَيْلان بن مضر ، وخطأ من جعل قيساً بن عَيْلان وليلى بنت حِطوان بن عمران بن الحاف بن قضاة . ويقال لهم : خندف وفي اللسان الشرف كبد نجد وكانت منازل لملوك من بني آكل المرار وفيها اليوم حمى ضرية وفي حديث عثمان . كان الحمى حمى ضرية على عهده ستة أميال . وضريبة امرأة سمي الموضع بها وهو بأرض نجد .

وَأَنْتَ قَدْ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْنَا

وقال لطابخة :

وَأَنْتَ قَدْ أَنْصَجْتَ مَا طَبَخْنَا .

وقال لقمعة وهو مُعَيَّرٌ :

وَأَنْتَ قَدْ قَعَلْتَ (١) فَانْقَمَمْنَا .

وَحَدِثُ الَّتِي عُرِفَ بِهَا بَنُو الْيَاسِ ، وَهِيَ الَّتِي ضُرِبَتْ الْأَمْثَالُ بِحُزْنِهَا عَلَى الْيَاسِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَرَكَّتْ بِنِهَا ، وَسَاحَتْ فِي الْأَرْضِ تَبْكِيهَ ، حَتَّى مَاتَتْ كَمَدًّا ، وَكَانَ مَاتَ يَوْمَ خَيْسَ ، وَكَانَتْ إِذَا جَاءَ الْخَيْسَ بَكَتْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ فَمَا قِيلَ مِنَ الشَّعْرِ فِي ذَلِكَ :

إِذَا مُؤْنِسٌ لَاحَتْ خَرَاطِيمُ شَمْسِهِ بَكَتْ بِهِ حَتَّى تَرَى الشَّمْسَ تَقْرُبُ
فَمَا رَدَّ بِأَسَا حُزْنُهَا وَعُيُولُهَا وَلَمْ يُفْنِهَا حُزْنٌ وَنَفْسٌ تَقْدَبُ

وَكَانُوا يَسْمُونَ الْخَيْسَ : مُؤْنِسًا (٢) قَالَ الزَّيْرُ : وَإِلَعْدَ نُسَبِ بَنُو الْيَاسِ

(١) فِي الطَّبْرِ دَاسَاتُ . .

(٢) جَمَعَ النَّابِغَةُ أَسْمَاءَ الْأَيَّامِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَوَّمَلَ أَنْ أَعِيشَ وَأَنْ يَوْمِي بِأَوَّلٍ أَوْ بِأَهْوَنٍ أَوْ جُبَارٍ
أَوْ التَّالِي دُبَارٍ فَإِنْ يَفْتَنِي فَوْنِسٍ أَوْ عَرُوبَةٍ أَوْ شِيَارٍ

وَفِي صَبْحِ الْأَعَشَى أَنَّهَا تَسْمِيَةُ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ مِنْ بَنِي قَحْطَانَ وَجَرَمِ الْأَوَّلَى .
وَأَوَّلُ : هُوَ الْوَاحِدُ . وَسَمُوا الْخَيْسَ مُؤْنِسًا لِأَنَّهُ يُؤْنِسُ بِهِ لِبُرْكَتِهِ فِي زَعْمِهِمْ .
ج ٣٦٤ ج ٢ صَبْحِ الْأَعَشَى ، أَوْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمِيلُونَ فِيهِ إِلَى الْمَلَاذِ . وَفِي الْمَطْبُوعَةِ فِي الْبَيْتَيْنِ : بِكَتَابِهِ وَهُوَ خَطَأً صَوَّبَهُ مِنْ مَرَا جَمِي .

قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب

« حديث جرّ عمرو قُصْبَهُ في النار »

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال :

حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت عمرو بن لحي يجرُّ قُصْبَهُ في النار ، فسألته عنَّ يني وبينه من الناس ، فقال : هلكوا »

قال ابن إسحاق . وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة — قال ابن هشام : واسم أبي هريرة عبد الله بن عامر ، ويقال اسمه : عبد الرحمن بن صخر — يقول :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكرم بن الجوثن الخزاعي : « يا أكرم ، رأيت عمرو ولحي بن قمنة بن خندف يجرُّ قُصْبَهُ في النار ، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ، ولا بك منه . فقال أكرم : عسى أن يصيرني شبيهه يا رسول الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أوّل مَنْ عَمَّرَ دين إسماعيل ، فنصب الأوثان ، وبحر البحيرة وسب السّائبة ، ووصل الوصيلة ، وكفى الحامي » .

لأهمهم ؛ لأنها حين تركتهم شغلاً لحزنها على أبيهم ، رحّمهم الناس فقالوا : هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم ، وهم صفار أيتام ، حتى عرفوا بني خندف . وأما عوانة بنت سعد بن قيس عيلان فسميت : العوانة وهي الناقة الطويلة .

وذكر حديث عمرو بن لُحَيٍّ (١) بن قَمْعَةَ بن اليَاس ، وقد تقدم في نسب خزاعة وأسلم أمهما لثلاث خواتم بن ثعلبة ، وأن ربيعة بن حارثة هو أبو خزاعة من بني أبي حارثة بن عامر ، لأم بن حارثة ، وسيأتي ذلك . وقول النبي — صلى الله عليه وسلم — لأسلم : « ارمُوا يا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا (٢) » وهو معارض لحديث أكرم بن الجون في الظاهر ، إلا أن بعض أهل النسب ذكر أن عمرو بن لُحَيٍّ كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن آمنت من قَمْعَةَ ، ولُحَيٍّ صغير ، ولُحَيٍّ هو ربيعة ، فتبناه حارثة ، وانتسب إليه فيكون النسب صحيحا لوجهين جميعا : إلى حارثة بالتبني ، وإلى قَمْعَةَ بالولادة ، وكذلك أسلم بن أفصى بن حارثة ، فإنه أخو خزاعة ، والقول فيه كالقول في خزاعة ، وقيل في أسلم بن أفصى : إنهم من بني أبي حارثة بن عامر ، لأم بن حارثة ، فعلى هذا لا يكون في الحديث حُجَّة لمن نسب قحطان إلى إسماعيل ، والله أعلم . ومن حُجَّة مَنْ نسب خزاعة إلى قَمْعَةَ مع الحديث المذكور في ذلك قول الْمُعْطَل [الهذلي] يخاطب قوما من خزاعة .

لعلكم من أسرة قَمْعِيَّة إذا حضروا لا يشهدون المعروف (٣)

(١) نسبه في البخاري : عمرو بن عامر بن لُحَيٍّ ، وفي نسب قريش : عمرو بن لُحَيٍّ بن قَمْعَةَ بن خندف . وخزاعة تقول : عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر بن غسان . وحديث عمرو أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد والحاكم وابن جرير والطبراني بطرق مختلفة وألفاظ مختلفة ، وما في السيرة رواية ابن جرير بطريقه .

(٢) البخاري وغيره .
(٣) الموقف بعرفة .

وقوله في حديث أكرم الذي يرويه أبو هريرة . اسم أبي هريرة : عبد الله بن عمرو ، وقيل : عبد الرحمن بن صخر ، وقيل : هو الذي ذكره ابن هشام . وقال البخاري : اسمه : عبد شمس بن عبدنهم ، وقيل : اسمه عبد غنم ، ويحتمل أن يكون هذا اسمه في الجاهلية ، فبدله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما بدّل كثيراً من الأسماء ، وقد قيل : اسمه : يزيد بن عسيرة ، وقيل : كزادوس ، وقيل : سكين . قاله النفوسى [لعلة البغوى أو النفوسى] وقيل غير هذا . وكناه أبا هريرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لهرة رآها معه ، وقد ذكر أن الهرة كانت وخشيّة (١) .

وأما أكرم الذي ذكره ، فقد صرح في حديثه بنسب عمرو والد خزاعة ، وذكره لقوة الشبه بين أكرم وبينه يدل على أنه نسب ولادة — كما تقدم ولا سيما على رواية الزبير ؛ فإن فيها أنه قال : رأيت عمرو بن لحي والد خزاعة يجر قصبه في النار ، وقوله لأكرم : «إناك مؤمن ، وهو كافر (٢)» قد روى الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

(١) وروى الترمذى أن أهله هم الذين كنوه بهذا وقد استترى ما قيل في نسيه ابن حجر في الإصابة وفي اسمه أربعة وأربعون قولاً ، وفي القاموس : واختلف في اسم علي نيف وثلاثين قولاً .

(٢) وقيل عن أكرم أنه ابن أبي الجون ، واسمه : عبد العزى بن منقذ بن ربيعة بن أكرم . وقد أخرج الحاكم حديث أكرم ، وهو مخرج عند مسلم دون قصة أكرم ورواه أحمد من وجه آخر عن جابر ، فقال أشبه من رأيت به معبد بن أكرم ، فذكره .

عليه وسلم — قال هذه المقالة في حديث الدجال لعبد العزى بن قطن ، وأن عبد العزى قال : أَيْضاً فِي شَيْءٍ بِهِ يَارَسُولُ اللَّهِ ؟ يعني : الدجال ، فقال كما قال لَأَكْتُمُ : إِنْكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ ، وَأَحْسِبْ هَذَا وَهَذَا فِي الْحَدِيثِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ الزُّهْرِيِّ . قَالَ : ابْنُ قَطْنٍ رَجُلٌ مِنْ خِزَاعَةِ هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَأَكْتُمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — حَدِيثَانِ . أَحَدُهُمَا : « خَيْرُ الرِّقَاءِ أَرْبَعَةٌ » وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى مَعْنَاهُ فِي كِتَابِ التَّعْرِيفِ وَالْإِعْلَامِ . وَالْآخَرُ : « اغْزُ مَعَ غَيْرِ قَوْمِكَ ، تَحْسِنْ خَلْقَكَ » ، قَالَ الْإِسْكَافُ فِي كِتَابِ فَوَائِدِ الْأَخْبَارِ مَعْنَى هَذَا : لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَزَا مَعَ غَيْرِ قَوْمِهِ تَحَفَّظَ ، وَلَمْ يَسْتَرْسِلْ وَتَكَلَّفَ مِنْ رِيَاضَةِ نَفْسِهِ مَا لَا يَتَكَلَّفُهُ فِي صَحْبَةِ مَنْ يَتَّقِي بِإِحْمَالِهِ لِنَظَرِهِمْ إِلَيْهِ بَعَيْنِ الرِّضَى ، وَلِصَحَّةِ إِدْلَالِهِ ، فَلِذَلِكَ تَحْسِنُ خَلْقَهُ لِرِيَاضَةِ نَفْسِهِ عَلَى الصَّبْرِ وَالْإِحْمَالِ ، فَهَذَا حَسَنٌ مِنَ التَّأْوِيلِ غَيْرُ أَنَّ الْحَدِيثَ مُخْتَلَفٌ فِي لَفْظِهِ ، فَقَدْ رَوَى فِيهِ : سَافِرٌ مَعَ قَوْمِكَ ، وَذَكَرَ الرَّوَاثِينَ أَبُو عُمَرَ ^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّْ ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ بَحَرَ الْبَحِيرَةَ ، وَقَدْ رَوَى أَيْضاً أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَحَرَ الْبَحِيرَةَ : رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُدَلِّجٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَتَانِ ، فَجَدَعَ آذَانَهُمَا ، وَحَرَّمَ أَلْبَانَهُمَا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَرَأَيْتَهُ فِي النَّارِ يَخْبِطُ أَنَّهُ بِأَخْفَافِهِمَا ، وَبِعَظْمَانِهِ ^(٢) بِأَفْوَاهِهِمَا وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَدْ عَرَفْتُ أَوَّلَ مَنْ

(١) وَفِي حَدِيثِهِ أَبُو سُلَيْمَةَ الْمَعَامِلِيُّ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ عَنْهُ : مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ بَاطِلٌ وَفِي الْإِصَابَةِ فِي حَدِيثِ أَكْتُمُ : أَعَزُّ .

(٢) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّازِقِ ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِمَا وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ . وَقَدْ ضَبَطَ أَحَدُ زُكِّي بَاشَاءَ بَحْرَ بَتَضْعِيفِ الْحَاءِ فِي تَحْقِيقِهِ لِكِتَابِ الْأَصْنَامِ لِلْكَلْبِيِّ . وَقَالَ =

« أول ما كانت عبادة الحجارة » :

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لُحَيٍّ خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره ، فلما قدم مآبَ من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق - وهم ولد عِثْلَاق . ويقال : عِثْلِيق ابن لاوذ بن سام بن نوح - رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنامُ نعبدُها ، فَنَسْتَعِظِرُهَا فَنُطْمِطِرُهَا ، وَنَسْتَنْصِرُهَا فَنُتَنْصِرُهَا ، فقال لهم : أفلا تُعْظُونَنِي مِنْهَا صَمًا ، فَاسِيرَ بِهِ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ ، فَيُعْبَدُوهُ ؟ فَأَعْطَوْهُ صَمًا يَقَالُ لَهُ : هُبْكَ ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ ، فَنَصَبَهُ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ .

قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعنٌ منهم ، حين ضاقت عليهم ، وَاثْمَسُوا الْفَسْحَ فِي الْبِلَادِ ، إِلَّا حَمَلَ مَعَهُ حِجْرًا مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَمِ تَعْظِيماً لِلْحَرَمِ ، فَخِيَمًا نَزَلُوا وَضَعُوهُ ، فَطَافُوا بِهِ كَطَوَافِهِمْ بِالْكَعْبَةِ ، حَتَّى سَلَخَ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى أَنْ كَانُوا

سَيِّبَ السَّائِبَةَ ، وَنَصَبَ النُّصْبَ . عمرو بن لُحَيٍّ رَأَيْتُهُ يُؤَذِي أَهْلَ التَّارِ بِرَبِيعِ قُصْبِهِ . رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر مرسلًا ، ولم يقع في رواية الْبَكَّاغِيِّ عَنْهُ .

== في تعلية له : وهذا الضبط وارد في النسخة الزكية هنا وفي موضع آخر ص ٥٨ من هذه الطبعة ، وهو كذلك في كتاب الروض الآنف . أما بحر مخفقا فعناه : شق الآذن ، ولكن المقام هنا يدل على ابتداع هذه السنة ، فلذلك كان استعمال بحر مشددا وجها .

يعبدون ما استحسنتوا من الحجارة ، وأحجبتهم ، حتى خلف الخُلُوف ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهذى البدن ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك » . فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد — صلى الله عليه وسلم — ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] أي ما يوحدوني لمعرفة حق إلا جعلوا معي شريكا من خلقى .

« أصنام قوم نوح » .

وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها ، قص الله — تبارك وتعالى — خبرها على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : ﴿ وَقَالُوا : لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ [نوح : ٢٢ ، ٢٣]

« أصنام القبائل العربية » .

فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم ، وسَمُوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هُذَيْل بن مُدْرِكَةَ بن الياس بن مضر ، اتخذوا

• • • • •

سُواعا ، فكان لهم يرُهاط . وكَلْب بن وَبَرَة من قُضاة ، اتَّخَذُوا وَدًا
بِدُومَةِ الْجَنْدَل .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصاري :
وَنَنْسَى اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَوَدًا وَكَسَلَهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوفَا
قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له ساذكرها في موضعها إن شاء الله .
قال ابن هشام : وكَلْب بن وَبَرَة بن تَغْلِب بن حُلوان بن عِمران بن
الحاف بن قضاة .

قال ابن إسحاق : وأنعم من طَيِّء ، وأهل جُرَش من مَذْحِج اتَّخَذُوا
يَعُوثَ بِجُرَش .

قال ابن هشام . ويقال : أنعم . وطَيِّء بن أدد بن مالك ، ومالك :
مَذْحِج بن أدد ، ويقال : طييء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ .
قال ابن إسحاق : وخَيوانُ بَطْنٌ من هَمْدان ، اتَّخَذُوا يَعُوقَ بَأْرَضِ
هَمْدان من أرض اليمن .

قال ابن هشام : وقال مالك بن نَمَطِ الهَمْداني
بَرِيشُ الله في الدنيا وَيَبْرِى وَلَا يَبْرِى يَعُوقُ وَلَا يَبْرِشُ
وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : اسم هَمْدان : أَوْسَلَة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أَوْسَلَة
بن الْخِيار بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ ، ويقال : أَوْسَلَة بن زيد بن

.

أوسلة بن الحليار. ويقال : همدان بن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الحليار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

قال ابن إسحاق : وذو الكلاع من حمير ، اتخذوا نسرأ بأرض حير .
وكان لخولان صم يقال له : عُمَيَّاس بأرض خولان ، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل في حق عُمَيَّاس من حق الله تعالى الذي سموه له تركوه له ، وما دخل في حق الله تعالى من حق عُمَيَّاس ردوه عليه ، وهم بطن من خولان ، يقال لهم : الأديم ، وفيهم أنزل الله - تبارك وتعالى - فيما يذكر : ﴿ وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ، فَقَالُوا : هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ، فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٦] .

قال ابن هشام : خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، ويقال : خولان ابن عمرو بن مرة بن أدد بن زيد بن مهثع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج .

قال ابن إسحاق : وكان لبني ملسكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر صم ، يقال له : سعد : صخرة بقلادة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بني ملسكان بإبل له مؤبلة ، ليقفها عليه ، التماس بركته - فيما يزعم - فلما رآته الإبل وكانت مرعية لا تركب ، وكان يهراق عليه الدماء نفرت منه ، فذهبت في كل وجه ، وغضب ربها الملسكاني ، فأخذ حجرا فرماه به ،

ثم قال . لا بارك الله فيك ، نفرت على إيلي ، ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ ، لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا فَشَتَّعَنَا سَعْدٌ ، فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ
وَهَلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ يَنْتَوِفَةٌ مِنْ الْأَرْضِ لَا تَدْعُو لَنِي وَلَا رُشْدٍ
وَكَانَ فِي دَوْسٍ صَنِيعٌ لِعَمْرٍو بْنِ حُمَةَ الدَّوْسِيِّ .
قال ابن هشام : سأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله .

ودَّوس بن عُذْثَان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب
بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث . ويقال : دَوْس بن
عبد الله بن زهران بن الأسد بن الغوث .
«هَبِلَ وَإِسَافٌ وَنَائِلَةٌ»

قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة
يقال له : هَبِلَ .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه إن شاء الله في موضعه .
قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافاً ونائلةً ، على موضع زمزم ينحرون
عندهما ، وكان إسافٌ ونائلةٌ رجلاً وامراًة من جرُهم - هو : إساف بن بغي
ونائلة بنت ديك - فوق إسافٍ على نائلة في الكعبة ، فسخطهما الله حجَّرتين

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ،
عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارَةَ أنها قالت : سمعت عائشة

- رضى الله عنها - تقول : مازلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، أحداثا في الكعبة ، فسخرهما الله تعالى حجرين ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وحيث يُنْبِغُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ بِمُقْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له ، ساذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد ، قالت قريش : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ [ص : ٥] وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجّاب ، وتُهنّى لها كما تُهنّى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها وتنخر عندها ، وهي تعرف فضل الكعبة عليها ؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده .

« العزى واللاة ومناة »

فكانت لقريش وبني كنانة : العزى بنخلة ، وكان سدنتها وحجّابها بنو شيبان من سليم ، حلفاء بني هاشم .

قال ابن هشام : حلفاء بني أبي طالب خاصة ، وسليم : سليم بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان .

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :
 لقد أنكِحت أسماءَ رأسَ بُقَيْرَةٍ من الأدمِ أهداها اسرهو من بني غنم
 رأى قدعا في عينها إذ يسوقها إلى غنَيبِ العُزَيّ فوسّع في القسم
 وكذلك كانوا يصنعون إذا انحروا هديا قسّموه في من حضرهم ، والغنَيبُ :
 المنحر ، ومُهرق الدماء .

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبي خِرَاشٍ الهذلي واسمه : خُوَيْلِدُ بن
 مُرّة في أبيات له .

وَالسَّدَنَةُ : الذين يقومون بأمر الكعبة . قال رؤبة بن العجاج .
 فلا وربُّ الأماناتِ القُطُنِ [يَعمُرُنَّ أَمْنًا بِالْحَرَامِ الْمَأْمُونِ]
 بِمَحْبَسِ الهَدْيِ وَبَيْتِ الْمَسْدَنِ

وهذان البيتان في أرجوزة له ، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه
 قال ابن إسحاق : وكانت اللات لتقيف بالطائف ، وكان سدكتها
 وحُجَّابُهَا بنو مُعْتَبٍ من قُيَيف .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه .
 قال ابن إسحاق : وكانت مَنَاءُ للأوس والخزرج ، ومن دان يدينهم من
 أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّلِ بَقْدِيدٍ .

قال ابن هشام : وقال الكُمَيْتُ بن زيد أحد بني أسد بن مُدْرَكَةَ .
 وقد آلتُ قبائلُ لَانُوْلٍ مَنَاءَ ظُهُورِهَا مُتَحَرِّقِينَ
 وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام: فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها ، ويقال : على بن أبي طالب .

(أصل عبادة الأوثان)

يقال لكل صنم من حجر أو غيره : صنم ، ولا يقال : وثن إلا ما كان من غير صخرة كالنحاس ونحوه ، وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ، ونفت جرهم عن مكة ، قد جعلته العرب رباً لا يتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ؛ لأنه كان يطعم الناس ، ويكسوفى الموسم ، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكنا عشرة آلاف حلة حتى [قيل] إنه اللات الذي ، بَلَّتْ الشَّوْبُ (١) للتجفيف على صخرة معروفة تسمى : صخرة اللات ، ويقال إن الذي بَلَّتْ كان من ثقيف ، فلما مات قال لهم عمرو : إنه لم يمت ، ولكن دخل في الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يننوا عليها يتنا يسمى : اللات ، ويقال : دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة : اللات مخففة التاء ، واتخذ صنما يعبد ، وقد ذكر ابن إسحاق ، أنه أول من أدخل الأصنام الحرم ، وحمل الناس على عبادتها ، وسيأتي ذكر إصاف ونائلة ، وما كان منه في أمرهما . وذكر أبو الوليد الأزرقي في أخبار مكة أن عمر بن لحي قفا أعين عشرين بعيراً ، وكانوا يققئون عين الفحل إذا بلغت الإبل ألفاً ، فإذا بلغت ألفين فقفوا العين الأخرى قال الرازي :

وكان شُكْرُ القوم عند المَنَنِ كَيُّ الصَّحِيحات ، وَفَقاً الأَعِينِ

وكانت التلبية من عهد إبراهيم : لَبَّيْكَ ، لا شريك لك لبيك ، حتى كان

(١) طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير .

عمرو بن لُحَيٍّ ، فبينما هو يُلبِّيُّ تمثّل له الشيطانُ في صورة شيخ يلبّي معه (١) ، فقال عمرو : لبيك لأشريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكاً هو لك ، فأنكر ذلك عمرو ، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما ملك ، فإنه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو ، فدانت بها العرب (٢) .

وذكر ابن إسحاق ما كان في قوم نوح ومن قبلهم من عبادة الأصنام : وتلك هي الجاهلية الأولى التي ذكر الله في القرآن في قوله : ﴿ وَلَا تَبْرَحْ فِي تَبْرَجِ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب : ٣٣] وكان بدء ذلك في عهد مهلايل بن قَيْثَانَ فيما ذكروا ، وقد ذكر البخاري عن ابن عباس قال : « حُثِرَتِ الْأَوْتَانُ

(١) هو شيطان من الإنس مثل عمرو بن لُحَيٍّ .

(٢) في الصحيحين : أن هذه كانت تلبية المشركين ، وفي صحيح مسلم أنهم كانوا إذا قالوا : لبيك لأشريك لك ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد قد أي حسب حسب .

(٣) بل روى ابن جرير في تفسير هذه الآية أن الجاهلية الأولى كانت بين نوح وإدريس ، وأنها كانت ألف سنة ، وأن بطنا من ولد آدم كان يسكن الجبل ، وكان الآخر يسكن السهل ، وكان في نساء الجبل دمامة ، وفي رجاله صباحة وجمال ، على عكس أهل السهل ، وجاء إبليس في صورة غلام ، وعمل فتى في بيت أحد رجال السهل ، فاتخذ شيئا مثل الذي يزمر فيه الرعاء ، واستطاع بنفخه فيه أن يسحر أهل السهل ، وأن يجمعهم حوله ، وأن يحملهم على اتخاذ عيد في العام يمتنعون فيه ، وقد تزين فيه الرجال للنساء ، أو تزين النساء للرجال ، ورآهم أهل الجبل ، فاختلطوا بهم ، وظهرت الفاحشة بين الرجال والنساء . وهذه قصة تليق بمعنى الآية ، فالآية في نهى النساء عن التبرج . على أنه بين عبادة الأوثان وبين فاحشة التبرج صلة وثيقة ، لعلها صلة بالماحول .

التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، وهي أسماء قوم صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتَوَسَّخَ الْعَالَمُ عُبْدَتِ . وذكر الطبري هذا المعنى وزاد أن سواعا كان : ابن شيث ، وأن يغوث كان : ابن سواع ، وكذلك يَعْقُوقُ وَتَسْرُكُلَا هَلَكَ الْأَوَّلُ صورت (١) صورته ، وعُظِّمَتْ لموضعه من الدين ، ولما عَهِدُوا في دعائه من الإجابة ، فلم يزالوا هكذا حتى حَلَفَتْ الْخُلُوفُ ، وقالوا : مَا عَظَّمْ هَؤُلَاءِ آبَاءُنَا إِلَّا أَنْهُمْ تَرَزَّقُوا وَنَفَعُوا وَنَصَرُوا وَاتَّخَذُوا آلَةً ، وهذه أسماء سُرَبَانِيَّة وقعت إلى الهند ، فَسَمَّوْا بِهَا أَصْنَامَهُمُ الَّتِي رَعَمُوا أَنَّهَا صُورُ الدَّوَارِيِّ السَّبْعَةِ ، وربما كلَّتهم الْجِنُّ مِنْ جَوْفِهَا فَفَقَتْنَهُمْ ، ثم أدخلها إلى العرب عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ كما ذكر أو غيره (٢) ، وعلمهم تلك الأسماء ، وألقاها الشيطان على أَلْسِنَتِهِمْ مُوَافَقَةً لما كانوا في عهد نوح .

(١) إذا قالوا - كما روى الطبري - « لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوروهم » .

(٢) في البخاري عن ابن عباس : « صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد . أَمْثَلُودُ : فكانت لَكَلْبٍ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ ، وَأَمَّا سَوَاعُ : فكانت لَهْدِيلٍ ، وَأَمَّا يَعْقُوقُ : فكانت لِمَرَاثٍ ، ثُمَّ لَبَنِي غَطِيفٍ بِالْجُسْرِفِ عِنْدَ سَبَأٍ . وَأَمَّا يَعْقُوقُ ، فكانت لَهْدَانٍ ، وَأَمَّا تَسْرُكُلَا فكانت لَحَمِيرٍ لَأَلْ ذِي الْكَلَّلَاعِ ، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، هذا ولم يعتقد مشركو العرب في هؤلاء أنهم يخلقون أو يرزقون ، إذ كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الذي بيده ملكوت السموات والأرض وتدبر الآيات التي في آخر المؤمنين ، نجد إيمانا من المشركين يرعونك ، ورغم هذا دمغهم الله بالشرك ؛ لأنهم كانوا يظنون أن أولياءهم أو أصنامهم - والتميز في واقعهم ومشاعرهم واحد - تقربهم إلى الله زلفى .

وذكر ابن إسحاق أن كلب بن وبرة من قضاة . وبرة يسكون الباء
تقيد في نسخة الشيخ، وهي الأثنى من الوبر^(١) اتخذوا ودًا في دومة الجندل،
ودومة هذه - بضم الدال - ذكروا أنها سُميت بدؤمي بن إسماعيل كان نزلها،
ودومة أخرى بضم اللال عند الكوفة، ودومة - بفتح الدال - أخرى مذكورة
في أخبار الردة، كذا وجدته للبكري [في مُعْجَم ما استعجم] مقيدا في أسماء
هذه اللواضع .

وذكر طيء بن أد، أو ابن مالك بن أد على الخلاف، ومالك هو :
مذحج ، وُسِّمُوا مَذْحِجًا بِأَكْمَةِ نَزَلُوا إِلَيْهَا . [وطئ] من الطاء^(٢) ، وهي مهد
الذهب في الأرض . قاله ابن جني ، ولم يرض قول القسبي أنه أول من طوى
المناهل ، لأن طيئا مهموز^(٣) ، وطويت غير مهموز .

وذكر جرّش في مذحج . والمعروف أنهم في حير^(٤) ، وأن مذحج
من كهلان بن سبأ ، ويقال : إن الملك كان لكهلان بعد حير ، وأن ملكه

(١) دوية على قدر السور غبراء أو بيضاء حسنة العينين ، قيل إنها تدجن
البيوت ، وقد ضبطت بفتح الباء في الاشتقاق والأغانى وجمهرة ابن حزم ووفوق
بعضهم ، فقال : وبرة يسكون الباء اسم القبيلة وفتحها في ميزنة ، وستاق .
(٢) في الاشتقاق أنهم سموها بهذا باسم أكمة ولدت عليها أمهم ، ومذحج
من الذحج وهو : الدلك ، والطامة - كالطاعة - الإبعاد في المرعى .

(٣) كذلك قال ابن دريد في الاشتقاق في روايته عن الكلبي ص ٣٨٠

(٤) هو كذلك في الاشتقاق فقد جعلهم من حير ، وكذلك في ص ٤٠٩ من
جمهرة ابن حزم فذحج هو : مالك بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن
زيد بن كهلان بن سبأ فليس هو من نسل حير .

دام ثلثمائة سنة ، ثم عاد في بني حنير ، قاله المسعودي (١) . وذكر الدارقطني
أن جرّش وحرّش بالحاء أخوان ، وأنهما ابنا عُليم بن جنّاب السكبي ، فهما
قبيلان من كلب — والله أعلم .

وذكر مالك بن حمط الحنّدي [الخارفي] ، وهو . أبو نور بلقب
ذا المشعار ، وهو من بني خارف ، وقد قيل . إنه من يأم بن أصى ، وكلاهما
من همدان (٢) وقوله :

يَرِيشُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَيَبْرِي .

هو من رشت السهم وبريته ، استعير في النفع والضرر . قال سويد .

فَرِشْنِي بِخَيْرِ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي (٣)

(١) انظر ص ٧٤ ج ٢ مروج الذهب .

(٢) في المطبوعة : ذا المشعار وهو خطأ نقله أيضا ناشر سيرة ابن هشام
كما هو عن الروض . وقد صوبته من القاموس ، ومن الإصابة والاشتقاق . ذكر عنه
القاموس أنه هاجر زمن عمر إلى الشام ، ومعه : أربعة آلاف عبد ، فأعتقهم ،
فانتسبوا في همدان . وفي الإصابة : قال أبو عمر : يقال فيه اليامي ، ويقال الخارفي
وهو : الوافد ذوالمشعار . والوافد : أي الذي وفد على النبي ﷺ ، مع وفد همدان
مرجع الرسول ﷺ ، من تبوك ، وذكر ابن دريد في الاشتقاق عن همدان : ومن
رجالهم : حمزة ذوالمشعار بن أيفع ، كان شريفا في الجاهلية ص ٢١٤ ، وفي المطبوعة :
يأم بن أصى ، وفي جهرة ابن حزم ص ٣٧٠ د يأم بن أصى بن ذافع بن مالك بن جشم ،
وفي الاشتقاق لابن دريد ، ومنهم أي من همدان - بنو أصى ، ص ٢٣ ، وفي نسب
همدان اختلاف ، ففي الاشتقاق غير مافي الجهرة لابن حزم ، وما في الجهرة غير
ما هنا . انظر ص ٤٦٩ الاشتقاق ، ٣٦٩ الجهرة ، وانظر نهاية الأرب ج ٢ : ٣٢٠
(٣) نسبة اللسان إلى حمير بن حباب د بتضعيف الباء ، ورشت فلانا إذا
قوته وأعنته على معاشه وأصلحت حاله . والبري خلافه .

وذكر حديث المِلْكَاني وقوله :

فَسَتَّنا سَعْدًا ، فلا نَحْنُ من سَعْدٍ

ويمتنع في العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : لا ، مثل : أن تقول : لا زيدٌ في الدار ولا عمرو ، وذكر سيديويه قولهم : لا نَوَلُّكَ أن تفعل (١) ، وقال : إنما جازَ هذا ؛ لأن معناه معنى الفعل ، أى : لا ينبغي لك أن تفعل ، وكذلك ينبغي أن يقال في بيت المِلْكَاني : أى : لم يقلها على جهة الخبر ، ولكن على قصد التثبُّر منه ، فكان معنى الكلام : فلا تتولى سعداً ، ولا تدين به ، فهذا المعنى حسن دخول لا على الابتداء كما حسن : لا نَوَلُّكَ .

وقوله : إلا صخرة بَنُوْفَةٍ . التَّنُوْفَةُ : الْقَفْرُ (٢) ، وجمعها : تنائف بالهمز ، ووزنها : فَعُوْلَةٌ ، ولو كانت تَفْعَلَةٌ من النَّوْفِ ، وهو الارتفاع لجمت تنافوف ، ولكنه لا يجوز أن تكون تَفْعَلَةٌ إلا أن تحرك الواو بالضم ؛ لثلاث يشبه بقاء الفعل ،

(١) ومثلاً : نواك ومنواك ، وقد قال سيديويه : أما نول : فتقول : نواك أن تفعل كذا ، أى ينبغي لك فعل كذا . وفي الصحاح : أى حَقَّك أن تفعل كذا . وإذا قال : لانواك ، فكأنه يقول : أقصر ، ولكنه صار فيه معنى : ينبغي لك ، وقال في موضع : لانواك أن تفعل ، جعلوه بدلاً من : ينبغي معاقبته ، قال أبو الحسن : ولذلك وقعت المعرفة هنا غير مكررة . وقالوا : ما نواك أن تفعل كذا أى : ما ينبغي لك أن تناله . روى الأزهري عن أبي العباس أنه قال في قولهم : للرجل : ما كان نواك أن تفعل كذا قال : التول من النوال يقول : ما كان فعلك هذا حظاً لك ، اللسان .

(٢) ولها معانٍ آخر . وقد جعلها اللسان في مادة تنف .

ولو قيل فيها : تُنْفِة بضم التاء لاحتمل حينئذ أن تكون فعوله أو تُفْعَلْهُ على مثال تنفلة ؛ إذ ليس في الأفعال تُفْعَلْ بالضم ، وهذا من دقيق علم التصريف .

وأما ملكان بن كِنانة فبكسر الميم . قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : كل شيء في العرب فهو ملكان بكسر الميم ساكن اللام ، غير ملكان في قضاة ، وملكان في السكون ، فإنهما بفتح الميم واللام فملكان قضاة هو : ابن جرّم بن ربّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وملكان السكون هو : ابن عباد بن عياض بن هُثَيْب بن السكون بن أشرس من كندة ، وكذلك قال الهمداني في ملكان بن جرّم ، وقال : مثل غطفان ، وقال ابن حبيب : مشايخ خزاعة يقولون : ملكان بفتح اللام : قال أبو الوليد يعني ابن حبيب : ملكان بن أفضى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وذكر أبو علي القالي في أماليه عن أبي بكر بن الأنباري ، عن أبيه ، عن أشياخه : أن كل ملكان في العرب فهو ملكان بكسر الميم إلا ملكان في جرّم بن زَبَّان (١) .

قال المؤلف : وابن حبيب النسابة مصروف اسم أبيه ، ورأيت لابن

(١) في اللسان عن ابن الأنباري عن شيوخه : « كل مافى العرب ملكان » بكسر الميم وسكون اللام ، إلا ملكان بفتح فسكون ، بن جرّم بن زَبَّان ، فإنه بفتحها ، وكذلك في أمالي القالي ص ٩٠ ج ٤ : « جرّم بن زَبَّان ، وفي ص ٢٠٩ ج ٣ جرّم بن زَبَّان ، وفي القاموس : « وملكان بالكسر أو بالتحريك جبل بالطائف ، وملكان محرّكة ابن جرّم ، وابن عباد في قضاة ، ومن سواهما في العرب فبالكسر ، وجرّم بن زَبَّان بفتح الجيم وسكون الراء وربان بفتح الراء وتضعيف الباء في جمهرة بن جرّم ص ٤١ » وكذلك هو في الاشتقاق

فكانت جميعاً فملكان في الألفاظ فتحت بالهمزة

المغربى قال : إنما هو ابن حبيب بفتح الباء غير مجرى ، لأنها أمه ، وأنكر ذلك عليه غيره ، وقالوا : هو حبيب بن المحبر معروف غير منكر ، وإنما ذكرناه هاهنا لما حكينا قوله في ملىكان .

فصل : وذكر إسافاً ونائلة ، وأمه رجل وامرأة من جرهم ، وإن إسافاً وقع عليها فى الكعبة فسغا^(١) ، وأخرجه رزين فى فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهما الله إلى أن ينجرا فيها ، ولكنه قبلها ، فسغا حجرين ، فأخرجا إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ، ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمر بن لُحى نقاهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زمزم ، فطاف الناس بالكعبة وبهما ، حتى عبدا من دون الله .

وأما هبل فإن عمرو بن لُحى جاء به من هيت^(٢) ، وهى من أرض الجزيرة حتى وضعه فى الكعبة . وذكر الواقدي أن نائلة حين كسرها النبى — صلى الله

(١) ذكر المسعودى رأيا يطعن إليه القلب الذى لم يجد نصا صريحا منقولاً عن معصوم ، والرأى هو أن إسافاً ونائلة حجران نحتا ومثلاً بالفاجرين إساف ونائلة ص ٥٠ ج ٢ مروج الذهب . هذا وقد ورد فى حديث رواه الخمسة أن الانصار كانوا يهلون لإساف ونائلة ، وأنها كانا على شاطئ البحر ، فلما جاء الإسلام كره الانصار الطواف بين الصفا والمروة ، فنزل قوله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » لكن ورد فى حديث بلفظ البخارى أنهم كانوا يهلون لمناة الطاغية التى كانوا يعبدونها عند المشلل

(٢) سميت باسم بانها هيت بن البندى ، وهى بلدة على الفرات فوق الانبار على جهة البرية غربى الفرات .

عليه وسلم — عام الفتح خرجت منها سواد شحطاء تخميش^(١) وجهها ، وتنادى بالويل والثبور ، وذكر باقي الحديث .

وقول عائشة : أخذنا في السكبة ، أرادت الحدث الذي هو الفجور كما قال — عليه السلام : مَنْ أَخَذَتْ [فيها] حَدَنًا ، أَوْ آوَى مُجَدِّنًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ^(٢) [والملائكة والناس أجمعين] . وقال عمر حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم .

وقول أبي طالب : من إساف ونائل ، هو ترخيم في غير النداء للضرورة ، كما قال : أمال بن حنظل^(٣) .

وذكر قول الشاعر :

رأى قدعًا في عَيْنِهَا . والقَدْعُ : ضعف البصر من إيمان النظر

(١) هي من باب ضرب ونصر .

(٢) متفق عليه ، والحديث عن المدينة ، والزيادة من كتب الحديث .

(٣) هو جزء من شواهد يلبث من سيويه في كتابه تحت باب وهذا باب يكون فيه الاسم بعد ما يُحذف منه الهاء بمنزلة اسم يتصرف في الكلام لم تكن فيه هاء قط . ثم قال : وقال الأسود بن يعفر تصديقًا لهذه اللغة .

الأهل لهذا الدهر من متعلل عن الناس مهما شاء بالناس يفعل ثم قال :

وهذا ردائي عنده يستعيره ليسلبنى نفسى أمال بن حنظل ذلك ، لأن الترخيم يجوز في الشعر في غير النداء ، فلما رخم جعل الاسم بمنزلة اسم ليست فيه هاء . ص ٣٣٢ ط ١ الكتاب لسيويه .

« ذو الخَلَصَةِ وفلس ورضاء وذو الكعبات » .

قال ابن إسحاق : وكان ذو الخَلَصَةِ لدؤس وخشم وبجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بقبالة .

قال ابن هشام : ويقال : ذو الخَلَصَةِ . قال : ورجل من العرب :
لو كنت إذا اخلتص المؤنوزرا مثلي وكان شيخك المقبوراً
لم تنف عن قتل المداء زوراً

قال : وكان أبوه قُتِل ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخَلَصَةِ ، فاستقسم عنده بالأزلام ، فخرج السهم بنهيه عن ذلك ، فقال هذه الأيات . ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْر الكِنْدِي ، فبعث إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جرير بن عبد الله البجلي ، فهدمه .

وقوله في الغنَب : وهو المنَحَر (١) ومراق الدم ، كأنه سُمِّي بحكاية

(١) قيل : كان لمعتب بن قيس بيت كانوا يحجون إليه ، يقال له : الغنَب ، أو هو الموضع الذي كان ينحر فيه الابل والعزى بالطائف ، وخزاة ما يهدي إليهما به ، وهو بيت كان لمناف ، وهو صنم كان مستقبل الركن الأسود .

وكان له غنَبان ، والغنَب : حجر ينصب بين يدي الصنم يذبح بينهما الذبايح . مرصد ، وبيتا أبي خراش في الأصنام لابن الكلبي ص ٢٠ ط ١ وفيه : لحى وقذع ، و : فوضَّع بدلا من : رأس ، وقذع : فوسع . والذي من بني غنم هو : غنم بن فراس من كنانة ، وفي الفائق للزعفراني أن القذع هو لسلاق العين من كثرة البكاء . وفي الفائق : فنصَّف بدلا من : فوسع . انظر ص ٢٠ ط ١ الأصنام لابن الكلبي .

قال ابن إسحاق : وكانت فُلَسْ لَطِيءٌ وَمَنْ يَلِيهَا بِجَبَلِي طَيِّءٌ ، يعني سَلَى وَأَجَا .

قال ابن هشام : أَخَذَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَيْهَا عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَهَدَمَهَا ، فَوُجِدَ فِيهَا سَيِّفَيْنِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : الرَّسُوبُ ، وَلِلْآخَرِ : الْمِخْدَمُ . فَأَتَى بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَوَهَبَهُمَا لَهُ ، فَهِيَ سَيِّفَا عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال ابن إسحاق : وَكَانَ لِحِمَيْرٍ وَأَهْلِ الْيَمَنِ بَيْتٌ بِصَنْمَاءَ يُقَالُ لَهُ : رُثَامٌ .

« رُضَاءُ وَالْمُسْتَوَغِرُ »

قال ابن إسحاق : وَكَانَتْ رُضَاءُ بَيْتًا لِبَنِي رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَلَمَّا يَقُولُ الْمُسْتَوَغِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ هَدَمَهَا فِي الْإِسْلَامِ .

وَلَقَدْ شَدَدْتُ عَلَى رُضَاءَ شَدَّةً فَفَرَكْتُهَا قَفْرًا بِقَاعٍ أُنْحَصَا
قال ابن هشام : قَوْلُهُ :

فَفَرَكْتُهَا قَفْرًا بِقَاعٍ أُنْحَصَا

عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ .

وَيُقَالُ : إِنْ الْمُسْتَوَغِرُ عُمُرٌ ثَلَاثُمِائَةِ سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ أَطْوَلَ مُضَرَ كُلِّهَا عَمْرًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

وَلَقَدْ سَيَّمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَعَمِرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِّينِ مِثْلَيْنَا

صَوْتِ الدَّمِ عِنْدَ انْبِعَاجِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَقْلُوبًا مِنْ قَوْلِهِمْ : بَرٌّ بُقْبُغٌ وَبُقْبُغٌ

مِائَةٌ حَدَّثَهَا بَعْدَهَا مِثَّتَانِ لِي وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سَنِينَ
هَلْ مَا بَقِيَ إِلَّا كَمَا قَدْ قَاتَنَا يَوْمَ يَمُرُّ ، وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

وَبَعْضُ النَّاسِ يَرَوِي هَذِهِ الْآيَاتِ لَزُهَيْرِ بْنِ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ ذُو الْمَكْعَبَاتِ لَبِكرَ وَتَغْلِبَ ابْنِي وَائِلَ وَإِيَادَ
بِسَنْدَادٍ ، بَوَلَهُ يَقُولُ أَعشىَ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ : بِسَنْدَادٍ
بَيْنَ الْخَوَرَنقِ وَالسَّديْرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الْمَكْعَبَاتِ مِنْ سَنْدَادٍ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهَذَا الْبَيْتُ لِلْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ التَّمَشَلِيِّ : نَهْشَلُ بْنُ دَارِمَ
بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ، وَأَنْشَدَنِيهِ
أَبُو حُرَيْرٍ خَلْفُ الْأَحْمَرِ .

أَهْلُ الْخَوَرَنقِ وَالسَّديْرِ وَبَارِقِ وَالْبَيْتِ ذِي الشُّرَفَاتِ مِنْ سَنْدَادٍ
أَمْرُ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِي

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَأَمَّا الْبَحِيرَةُ فَهِيَ بِنْتُ السَّائِبَةِ ، وَالسَّائِبَةُ : الْمُنَاقِقَةُ إِذَا
تَابَعَتْ بَيْنَ عَشْرٍ إِنْ أَتَى لَيْسَ بَيْنَهُنَّ ذَكَرٌ ، سُمِّيَتْ فَلَمْ يُرْكَبْ ظَهْرُهَا ، وَلَمْ
يُحْزَرْ وَبَرُّهَا ، وَلَمْ يَشْرَبْ لَبَنُهَا إِلَّا ضَيْفٌ ، فَمَا نَتَجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَتَى شَقَّتْ
أُذُنَهَا ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهَا مَعَ أُمِّهَا ، فَلَمْ يُرْكَبْ ظَهْرُهَا ، وَلَمْ يُحْزَرْ وَبَرُّهَا ، وَلَمْ
يَشْرَبْ لَبَنُهَا إِلَّا ضَيْفٌ ، كَمَا فُعِلَ بِأُمِّهَا ، فَهِيَ الْبَحِيرَةُ بِنْتُ السَّائِبَةِ . وَالْوَصِيلَةُ :

إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةُ الْمَاءِ . قَالَ الرَّاجِزُ : بُغْيَيْغٌ قَصِيرَةُ الرِّشَاءِ . وَمِنْهُ قِيلَ لِمَنْ
أَبَى نَيْزَرَ : الْبُغْيَيْغَةُ . وَمَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ : الدَّمُّ وَتَشْبِيهُهُ هَذَا الْمُهْجُوُّ بِرَأْسِ
بَقْرَةٍ قَدِ قَرُبَتْ أَنْ يَذْهَبَ بَصَرُهَا ، فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلذَّبْحِ وَالْقَسَمِ .

الشاةُ إذا أنثمت عشر إناثٍ مُتتابعاتٍ في خمسة أبطن ، ليس بينهن ذكرٌ ،
جعلت وصيلةً . قالوا : قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم
دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شيء ، فيشتركوها في أكله ، ذكورهم
وإناثهم .

قال ابن هشام : ويروى : فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور بنهم دون بناتهم
قال ابن إسحاق : والحامى : الفحل إذا نتج له عشر إناث مُتتابعات
ليس بينهن ذكرٌ ، حتى ظهره فلم يُركب ، ولم يُحزَّ وبره ، وخلى في إبله
يضرِب فيها ، لا يُنتفع منه بغير ذلك .

قال ابن هشام : وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامى ، فإنه عندهم
على ما قال ابن إسحاق . فالبجيرة عندهم : الناقة تُشق أذنُها فلا يُركب
ظهرها ، ولا يُحزَّ وبرها ، ولا يشرب لبنها إلا ضيفٌ ، أو يُتصدق به ،
وتُهمَل لأهلهم ، والسائبة : التي يُنذرُ الرجل أن يُسيبها إن برى من مرضه
أو إن أصاب أمراً يطلُبُه . فإذا كان أسباب ناقة من إبله ، أو جلا لبعض
أهلهم ، فسابت فرغت لا يُنتفع بها . والوصيلة : التي تلد أمها اثنين في كل
بطن ، فيجعل صاحبها لآلته الإناث منها ، ولنفسه الذكور منها : فتلدُها أمها
ومعها ذكر في بطن ، فيقولون : وصلت أخاها ؛ فيسيب أخوها معها ، فلا يُنتفع به .

قال ابن هشام : حدثني به يونس بن حبيب النحوي وغيره . روى بعض
مالم يرو بعض .

.....

وقال تميم بن أبي بن مقبل أحد بني عامر بن صعصعة :

فيه من الأخرج المربع قرقرة هذر الديافي وسط الهجمة البخر

وهذا البيت في قصيدة له . وجمع بحيرة : بحائر وبحر . وجمع وصيلة :

وصائل ووصل . وجمع سائبة الأكثر : سوائب وسائب ، وجمع حام الأكثر : حوام .

وذكر قلماً (١) في بلاد طيء بين أجا وسلوى . ويذكر عن ابن الكلبي

(١) هي في الأصول : فلس بالفاء مع كسرهما . وفي المراسد بضم الفاء واللام وبعضهم ضبطها بفتح الفاء وسكون اللام ، وبعضهم ضبطها بضم الفاء وسكون اللام ، وقصة أجا وسلوى في معجم البكري نقلاً عن القالي ، وفيه أن أجا هرب بصديقه سلى ومعهما امرأتان أخرى كانت هي الوسيلة بينهما اسمها : العرجاء . فلحق بهم زوج سلى ، وصلب كلا منهما على جبل ، فسمى به ص ١١٠ ، وفي الأصل : العرجاء ، وهو خطأ صوابه من معجم البكري والمراد : أما العرجاء ، فهي ذو العرجاء كمة كأنها مائلة بأرض مزينة ، وعن اشتقاق طيء الذي تكلم عنه السهيلي ذكر ما ورد في شرح أدب الكاتب لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، وهو يشرح قول ابن قتيبة : « وروى نقلة الأخبار أن طيئاً أول من طوى المناهل ، فسمى بذلك ، واسمه : جلتهمسة » وقد ورد قول ابن قتيبة في ص ٨٢ من كتابه أدب الكاتب ط مصطفى محمد . قال الجواليقي : « هذا قول ابن الكلبي ؛ ونسبوا إلى طيء بيتاً قد روى لغيره ، وهو :

فإن الماء ماء أبي وجدي وبئر ذوحفرت وذو طويت

وطويت لا هم فيه ، وقد يجوز أن يقال : لما اجتمعت المياه فمروا إلى الهمز ، وذلك أنهم إذا بنوا فعلاً من طوى اجتمعت ثلاث ياءات ، إحداها : الواو المنقلبة عن الياء ، فليس همز في هذا الموضع أبعد من سيد إذا قالوا : سيابده ، ثم نقل أن بعض أهل اللغة قال : إنها مأخوذة من طاء في الأرض إذا ذهب أو من طاء وهو الماء =

أو غيره أن أجاً اسم رجلٍ بعينه ، وهو : أجاً بن عبد الحى ، وكان فَجَرَ بَسَلَى بنت حاتم ، أو أتهم بذلك ، فَصُلِبَا في ذَيْنِكَ الْجَبَلَيْنِ ، وعندهما جَبَل يُقال له : العُوجَاء ، وكانت العُوجَاء حاضنة سلى — فيما ذكر — وكانت السفيرَ بينها وبين أجاً ، فَصُلِبَت في الجبل الثالث ، فسمي بها .

وذكر ذا الْخَلَصَةِ ، وهو بيت دوس . وَاتَّخَلَصُ في اللغة : نبات طيبُ الريحِ يتعلق بالشجر ، له حَبٌّ كعنب الثعلب . وَجَمْعُ اتَّخَلَصَةِ (١) : خَلَصٌ . وأن الذى اسْتَقْسَمَ بالأزلام هو : امرؤ القيس بن حُجْر . ووقع في كتاب أبي الفرج أن امرئ القيس بن حُجْر حين وَثَرَتْهُ بنو أسد بقتل أبيه اسْتَقْسَمَ عند ذى الْخَلَصَةِ بثلاثة أزلام (٢) ، وهى : الزاجر والأمر والمتربص ، فخرج له الزاجر ، فَسَبَّ الصنمَ ، ورماه بالحجارة ، وقال له : اعْضُضْ بِبَطْرِ أُمِّكَ ،

== والطين المختلط ، لأن أرض طى أرض مياه وطينة ، ويرى المبرد أنها من طاء يطاء إذا ذهب في الأرض ، فهو فيعمل من هذا ، لأنهم استقلوا عن منازلهم التي كانوا بها وأرضهم إلى أرضين آخر ، ص ١٧٣ .

(١) هى بفتح الحاء واللام وبضمهما .

(٢) الاستقسام : طلب ما هو مقسوم للانسان . والأزلام : جمع زلم بضم وفتح ، أوزلم بفتحهما معا ، وهو القدح بكسر القاف ، أو السهم من سهام الاستقسام وسميت أزلاماً لأنها سويت ، فى عيدان تسوى ، وفى عددهما خلاف كبير ، وكذلك فيما كانوا يكتبونه عليها . والذى يهمن أن نعرفه هو أنهم كانوا يحاولون بها التوصل إلى معرفة الغيوب فى زعمهم . وفى الأصل : المريض بدلان المتربص وهو خطأ .

وقال الرَّجَزِيُّ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ : لَوْ كُنْتُ يَا ذَا الْخَلَصِ الْمَوْتُورَا . إِلَى آخِرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَقْسِمِ أَحَدٌ عِنْدَ ذِي الْخَلَصَةِ بِمُدِّ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ ، وَمَوْضِعُهُ الْيَوْمَ مَسْجِدٌ جَامِعٌ لِبَلَدَةٍ يُقَالُ لَهَا : الْقِبْلَاتُ (١) مِنْ أَرْضِ خُثَمَ . ذَكَرَهُ الْمُبَرَّدُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ . وَاسْمُ امْرِئِ الْقَيْسِ : حُنْدُجٌ ، وَالْحُنْدُجُ : بَقْلَةٌ تَنْبَتُ فِي الرَّمْلِ . وَالْقَيْسُ : الشَّدَّةُ وَالنَّجْدَةُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَنْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَيْسٌ وَنَجْدَةٌ وَأَنْتَ عَلَى الْأَدْنَى هِشَامٌ وَنَوْفَلٌ (٢)

وَالنَّسَبُ إِلَيْهِ ، مَرَّ قَيْسٌ فَأَوَّلَى كُلِّ امْرِئٍ الْقَيْسُ سِوَاهُ : امْرِئُ (٣)

(١) فِي الْأَصْنَافِ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ ، وَذُو الْخَلَصَةِ الْيَوْمَ عَتَبَةُ بَابِ مَسْجِدِ تَبَالَةَ بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْبَاءِ . وَكَانَ ذُو الْخَلَصَةِ مَرُوءَةً بَيْضَاءَ مَنَقُوشَ عَلَيْهَا كَهَيْئَةِ التَّاجِ وَتَبَالَةُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْبَيْتِ عَلَى مَسِيرَةِ سَبْعِ لَيَالٍ مِنْ مَكَّةَ . هَذَا وَيَسْتَحْيِي مِنْ ذِكْرِ مَعْنَى : اَعْضُضْ الْخُثَمَ

(٢) حُنْدُجٌ أَيْضًا : الْكَيْتِبُ مِنَ الرَّمْلِ الصَّغِيرِ ، فَإِنْ كَانَتْ النَّوْنُ زَائِدَةً فَهُوَ مِنَ الْحَدَجِ ، بِفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ ، مِنْ حَدَجْتَهُ بَعِيْنِي إِذَا لَحِظْتَهُ ، وَحَدَجْتَ الْبَعِيرَ أَحَدَجَهُ بِكَسْرِ الدَّالِ — إِذَا طَرَحْتَ عَلَيْهِ الْحَدَجَ — بِكَسْرِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ وَهُوَ مَرْكَبٌ مِنْ مَرَاكِبِ النِّسَاءِ ، نَظَرُ الْإِشْتِقَاقِ ، وَهَشَامٌ : الْجُودُ ، وَالنَّوْفَلُ : الْبَحْرُ وَالْعَطِيَّةُ . وَفِي سَمَطِ اللَّالِيِّ وَرَدَتْ الشُّطْرَةُ الثَّانِيَةُ بِرَوَايَتَيْنِ . الْأُولَى : وَلِلطَّارِقِ الْعَافِي رُبْعٌ وَجَدُولٌ . أَوْ : وَلِلطَّارِقِ الْعَافِي هِشَامٌ وَنَوْفَلٌ ، وَقَالَ الْبَكْرِيُّ بَعْدَهُمَا : قَيْسٌ وَنَجْدَةٌ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ : رَجُلَانِ مَذْمُومَانِ . وَهَشَامٌ وَنَوْفَلٌ : رَجُلَانِ مَحْمُودَانِ . ص ٢٨ ج ١ .

(٣) النَّسَبُ إِلَى الْمَرْكَبِ — كَمَا قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْإِرْتِشَافِ — يَكُونُ إِلَى صِدْرِهِ ، وَلَكِنْ أَجَازَ الْجَرْمِيُّ النَّسَبَ إِلَى الْجِزْمَةِ الثَّانِيِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ ، فَنَقُولُ : بِكِي . وَبِفَتْحِ الْبَاءِ وَتَضْعِيفِ الْكَافِ مَعَ كَسْرِهَا ، فِي بَعْلَبِكَ ، أَمَا عَلَى رَأْيِ أَبِي حَيَّانٍ =

وقد قيل : إن حُنْدَجًا اسمُ امرئ القيس بن عَيسٍ ، وله مُحَبَّةٌ ، وهو كُنْدِيٌّ
مثل الأول ، فوقع الغلط من ههنا .

وقوله : لم تَنَهَ عن قَتْلِ المُدَاةِ زُوراً . نصب : زُوراً على الحال من المصدر
الذي هو التَّنْهَى . أراد : نَهَيْتُ زُوراً . وانتصابُ المصدر على هذه الصورة إما
هو حال ، أو مفعول مطلق ، فإذا حذف المصدر ، وأقت الصفة مقامه ، لم تكن
إلا حالاً ، والدليل على ذلك أنك تقول : ساروا شديداً ، وساروا زُوْيداً ،
فإن رددته إلى ما لم يُسَمَّ فاعله لم يحز رفعه ؛ لأنه حال ، ولو لفظت بالمصدر ،
فقلت : ساروا سيراً زُوْيداً لجاز أن تقول فيما لم يُسَمَّ فاعله : سير عليه سَيْرٌ زُوْيدٌ .
هذا كله معنى قول سيبويه ، فدل على أن حُكْمَهُ إذا لُفِظَ به غير حُكْمِهِ إذا
حُذِفَ ، والسرفى ذلك أن الصفة لا تقوم مقام المفعول إذا حذف . لا تقول :
كَلَمْتُ شديداً ، ولا ضربت طويلاً ، بقبح ذلك إذا كانت الصفة عامةً ، والحالُ
ليست كذلك ؛ لأنها تجري مجرى الظرف ، وإن كانت صفةً فوصفها
معها ، وهو الاسم الذي هي حال له ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ اَلْحَسْبُكُمْ
اَللّٰهُمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَشَبًا ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

وذكر بعث جريرَ البَجَلِيِّ إلى هدم دى النخلصة ، وذلك قبل وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم — بشهرين أو نحوهما ، قال جرير : بعثني رسولُ الله

== فتقول : بعل . أما غير الجرمي ، فلا يجوز هذا إلا منسوباً إليهما قياساً على رامية
هرمزية ، نسبة إلى رَامِهرْمَزْ مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . أو يقتصر
على الأول ، وقد جعل العرب النسب هكذا إلى امرئ القيس تمييزاً له عن غيره من
سموا بامرئ القيس .

— صلى الله عليه وسلم — في مائة وخمسين راكباً من أحمس إلى ذى الخلصة ،
قلت : يا رسول الله إني لا أثبتُ على الخيل ، فدعالي ، وقال : « اللهم تَجَبَّهْ
واجمله هادياً مَهْدِياً » وفي كتاب مسلم في هذا الحديث : « وكان يقال له : الكعبة
اليَمَانِيَّةُ وَالشَّامِيَّةُ (١) » ، وهذا مشكل ، ومعناه : كان يقال : الكعبة اليَمَانِيَّةُ
وَالشَّامِيَّةُ يعنون بالشَّامِيَّةُ : البيت الحرام ، فزيادة له سَهْوٌ ، وبإسقاطه يصح
المعنى . قاله بعض المحدثين (٢) والحديث في جامع البخاري بزيادة : له كافي صحيح
مسلم ، وليس هذا عندى سَهْوٌ ، وإنما معناه كان يقال له : أى يقال من أجله
الكعبةُ الشَّامِيَّةُ للكعبة ، وهو الكعبةُ اليَمَانِيَّةُ ، وله بمعنى من أجله لا تُنْكَرُ ،
كما قال ابن أبي ربيعة :

وَقُمَيْرٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَدَا حَ ، له قالت الفتاتان قوما

وذو الخلصة يضم إناء واللام في قول ابن إسحاق ، ويفتحهما في قول
ابن هشام ، وهو ضم سَيَقِيدُ في آخر الزمان ، ثبت في الحديث أنه : « لا تقومُ
الساعة حتى تَضْطَرِّقَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ وَخَثْعَمٍ حَوْلَ ذِي الْخَلْصَةِ » (٣) .

(١) هي في البخاري : أو الشَّامِيَّةُ . وفي مسلم رواية أخرى : « كان يدعى كعبة
اليَمَانِيَّةُ » فقط ، والحديث رواه الشيخان والترمذي .

(٢) وقال الكرماني : الضمير في له : راجع إلى البيت ، والمراد : بيت الصنم
يعنى : كان يقال لبيت الصنم الكعبة اليمانية والكعبة الشامية ، فلا غلط ، ولا حاجة
إلى التأويل بالمعذول عن الظاهر .

(٣) يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة : « لا تقوم
الساعة حتى تضطرب أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلْصَةِ » ، وذو الخلصة طاغية
دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية : أي حتى يرتدوا عن دينهم ، ويطوفوا
حول الصنم وتضطرب أعجاز نسائهم في الطواف .

فصل . وذكر المستوغير بن ربيعة ، واسمه : كعب . قال ابن دُرَيْدٍ : سُمِّيَ
مُسْتَوغِيرًا بقوله :

يَنْشِئُ الْمَاءُ فِي الرِّبَلَاتِ مِنْهُ نَشِيشَ الرِّضْفِ فِي اللَّبَنِ الْوَغِيرِ (١)
والوغير : فعل من وَغَرَةِ الحِرْوَى هي شدته ، وذكر القتيبي أن المستوغير
حضر سوق عكاظ ، ومعه ابن ابنه ، وقد هَرِمَ ، والجلث يقوده ، فقال له رجل :
ارفق بهذا الشيخ ، فقد طال ما رفق بك ، فقال : ومن تراه ؟ فقال : هو أبوك
أو جلدك ، فقال : ما هو إلا ابن ابني ، فقال : ما رأيت كاليوم ! ولا المستوغير
ابن ربيعة ! فقال : أنا المستوغير . والأبيات التي أنشد هاله :

لَقَدْ سَنَنْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولُهَا وَعَمَرْتُ مِنَ عِلْدِ السَّيْنِ مِثْلَهَا
إلى آخره . ذكر أنها تروى لزهير بن جَنَابٍ البَكَّائِيِّ ، وهو زهير بن
جَنَابٍ بن هُبَلٍ بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن غُدْرَةَ بن زيد
اللَّاتِ بن رُقَيْدَةَ بن ثَوْرٍ بن كَلْبٍ بن وَثْرَةَ . وزهير هذا من المُعَمَّرِينَ (٢) ،
وهو الذي يقول :

(١) البيت في الأصنام لابن الكلبي ص ٣٠ وفي القاموس واللسان وأمالى
المرتضى وفيها جميعا : منها بدل : منه ، والربلات واحدها : رِبْلَةٌ بفتح الراء
وسكون الباء ، أو فتحهما : كل لجة غليظة ، والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلى ،
والرضف : الحجارة المحماة ، والوغير : ابن يلقى فيه حجارة محماة ، ثم يشرب ، أخذ من
وغرة الظهيرة ، ومنه الوغرة أشد ما يكون من الحر . ومنه : وغر صدر فلان إذا
التهب من غيظ أو حقد .

(٢) قيل إنه عاش عشرين ومائتي سنة . وفي هذا يقول :
لقد عمرت حتى ما أبالي أحتقن في صباح أم مساء =

أَبَىٰ إِن أَهْلَكَ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ بَنِيَّ
وَتَرَكْتُكُمْ أَوْلَادَ سَادَاتٍ زَنَادُكُمْ وَرِيَّةً
مِّنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفِتْنَى قَدْ نَلَقْنَاهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ (١)
يريد بالتحية : البقاء ، وقيل : الملْكُ ، وأعقب هو وإخوته قبائل في كَلْب

= وحق لمن أتت مائتان عاما عليه أن يعمل من الشَّوَاء
ومن قوله :

لَيْتَ شَعْرِي وَالْدهِرُ ذُو حَدَثَانٍ أَيْ حَسِينِ مَتَّبِعِي تَلَقَّيَانِي
أَسْبَابًا عَلَى الْفَرَّاشِ خُفَاتٍ أُمُّ بَكَّةَ مَتَّبِعِي مُتَّبِعِجِجَ حَرَاتٍ
وكان زهير على عهد كليب ، ولم يكن في العرب أنطق منه ولا أوجه
منه عند الملوك . وفي اللسان أنه سيد كلب في زمانه .

(١) رواها المرتضى في أماليه هكذا :

وَتَرَكْتُكُمْ أَرْبَابَ سَادَاتٍ زَنَادُكُمْ وَرِيَّةً

ثم :

فَلَقَدْ رَحَلْتُ الْبَازِلَ الْكُومَاءَ لَيْسَ لَهَا وَكَلِيبُهَا
وخطبت خطبة حازم غير الضعيف ولا العسيبة
فلموت خير للفقى فليهلكن وبه بقية
من أن يرى الشيخ السجاء لـ إذا يهادى في العشي

ومنها في اللسان ثلاثة أبيات أخرى في مادة : بجل : الزناد : جمع زناد وزندة وهما
عودان يقدح بهما النار ، ففي أحدهما فروض ، جمع فرضة : حوز في الزند ، وهي
الأنثى ، والذي يقدح بطرفه هو الذكر ، ويسمى : الزند الأب . والآخرى : الأم .
وكنى بزنادكم وريّة عن بلوغهم بأربابهم ، والبازل : الناقة بلغت تسع سنين ، ولفظ
البازل في الناقة والجل سواء ، والكوماء : العظيمة السنام . والولية : البرذعة
تطرح على ظهر البعير تلي جلده . والبجال : الذي يبجله قومه . ويهادى بالعشية : أى
بماشية الرجال ، فيسندونه لضعفه . انظر أمالي المرتضى ج ١ ص ١٧٠ وما بعدها .

وهم : زُهَيْرٌ وَعَدِيٌّ وحارثه ومالكٌ ، ويعرف مالك هذا بالأصم لقوله :

أَصَمُّ عَنِ الْخَنَاءِ إِنْ قِيلَ يَوْمًا وَفِي غَيْرِ الْخَنَاءِ أَلْفِي سَجِيمَا (١)

وأخوه : حارثة بن جَنَابٍ ، وعُليم بن جَنَابٍ ، ومن بني عُليم : بنو زَيْدٍ غير مصروفٍ . عُرفوا بأسمهم : زَيْد بنت مالك ، وهم : بنو كعب بن عُليم منهم : الرباب بنت امرئ القيس (٢) امرأة الحسين بن علي ، وفيها يقول :

أَحِبُّ لِحُبِّهَا زَيْدًا جَمِيمًا وَنَثَلَةٌ كُلُّهَا ، وَبَنِي الرَّبَابِ

وَأُخْرَى لَاتَهَا مِنْ آلِ لَامٍ أَحَبُّهُمْ وَطَرُّ بَنِي جَنَابِ

فمن المعمرين من العرب سوى المستور مما زادوا على اللاتين والثلاثمائة : زهير هذا ، وعبيد بن شربة ، ودغفل بن حنظلة النسابة ، والربيع بن ضبع الفزاري ، وذو الإصبع [خُرثان بن مُحَرَّث] العدواني ، ونصر بن دُهْمَان بن أشجع بن رَبِث بن غطفان ، وكان قد أسودَّ رأسه بعدا بيضاؤه ، وتقوم ظهره بعد انحناؤه ، وفيه يقول القائل :

(١) الخنا : الفاحشة

(٢) هي أم ولديه : عبد الله الذي قتل صغيراً مع أبيه ، وسكينة . والرباب : أمهما : هي بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم بن جَنَابِ ص ٩٥ نسب قریش . وفيه البيت الآتي منسوباً إلى الحسين :

لعمرك إني لأحب داراً تضيفها سكينة والرباب

لِنَصْرِبِنْ دُهْمَانَ الْهَنْدِ عَاشَهَا وَتَسْمِعِينَ حَوْلَانِمَ قَوْمَ قَانَصَانَا (١)
وعاد سوادُ الرأسِ بعدَ ايضاضِهِ ولكنه من بعد ذلك قدمانا
وأمره عند العرب من أعجب العجَبِ، ومن أطول المَعْمَرِينَ عُمرًا: دُوَيْدُ،
واسمه: زيد بن نَهْدٍ من قِضَاعَةَ، وأبوه: نَهْدٌ، ينسب إلى المعروفون من
قِضَاعَةَ: بنو نَهْدٍ بن زيد (٢) عاش دُوَيْدُ أربعًا عَاشِمًا — فيما ذكروا — وكان له
آثار في العرب، ووقائع وغارات، فلما جاء الموت قال:

اليوم بُنِيَ لِلدُّوَيْدِ بَيْتُهُ وَمَنْعَمٌ، يَوْمَ الْوَعَى حَوْبَتُهُ
وَمَنْعَمٌ مُوشِمٌ لَوَيْتِهِ لو كان للدهر بلي أبلتته
أو كان قِرْنِي واحدًا كَفَيْتُهُ

وقول المستوفين:

ولقد شَدَدَتْ عَلَى رُضَاءِ شَدَّةً فتركها فقرا بقاع أسحما
يريد: تركتها سَحْمَاءً من آثار النار، وبعده:

وأعانَ عبد الله في مكروها وبمثل عبد الله أغشى المَحْرَمَا (٣)

(١) البيت في اللسان لسلي بن الخرنشوب الأتقاري. وشطرته الأولى:
ونصر بن دُهْمَانَ الهَنْدِ عَاشَهَا: والهَنْدِ: اسم لكل مائه من الإبل. وقيل:
هي المائتان. وانصت المنحى: استوت قامته.

(٢) نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قِضَاعَةَ.

(٣) يسميها ابن الكلبي: رُضَى بضم الراء، ويذكر عنه مارواه ابن هشام
وقد جاءت الشرطة الثانية من بيته الأولى في الأصنام، فتركها تلاً تنازع
أسحما، ولا حاجة بهذا إلى تأويل السهلي ووردت الشرطة الأولى من البيت الثاني =

ذكر ذالكعبيات بيت وائل ، وأنشد للأسود بن مُعَفَّر :
 أرض الخوزنق والسدير ودَّارم والبيت ذى الشرفات من سِنْدَاد (١)
 وَأَلْخُوزَنقُ : قصر بناء النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ، ليكون ولده
 فيه عنده ، وبناء بنيانا عجيبا لم تر العرب مثله ، واسم الذي بناه له : سِنْدَادُ وَهُوَ
 الذي رُدِّي من أعلاه ، حتى قالت العرب : جزاني جزاء سِنْدَار ، وذلك أنه لما تمَّ
 الْخُوزَنقُ ، وعجب الناس من حسنه ، قال سِنْدَار : أما والله لو شئت حين بنيت
 جعلته يدور مع الشمس ، حيث دارت ، فقال له الملك : أإنك لتحسن أن تبني
 أجل من هذا ؟ وغارت نفسه أن يبني لغيره مثله ، وأمر به فطرح من أعلاه ،
 وكان بناءه في عشرين سنة ، قال الشاعر [عبد العزى بن امرئ القيس السكلي] :
 جزاني جزاه الله شرَّ جزائه جزاء سِنْدَار ، وما كان ذا ذنب
 سوى رصَّه البنيان عشرين حجةً يُعلَّى عليه بالقراميد والسكب
 فلما انتهى البنيان يوما تمامه وآض كمثل الطود والباذخ الصُعب
 [وَظَنَّ سِنْدَارُ به كل حَبُوةٍ وفاز إليه بالمودة والقرب]
 رمى بِسِنْدَارٍ على حاقٍ رأسه وذلك لعمرو الله من أقبح الخطب (٢)

= ودعوت عبد الله الخ ، والسطرة الأخرى ، ومثل عبد الله يغشى المحرما ،
 وهناك صنم أسود يسمى : أسحيم . ويعفر بفتح الياء أو ضمها مع ضم الفاء ، ٢٤
 نوادر أبه زيد ، .

- (١) البيت مخالف بعض المخالفة لما في السيرة .
 (٢) القصيدة لعبد العزى بن امرئ القيس السكلي ، ومنها في الطبري عشرة
 أبيات ، ليس منها البيت الأخير . القراميد : مقرده : قرمد ، وهو الآجر . والسكب :
 النحاس أو الرصاص ، وآض الشيء : تحول . وقرأ قصته في ص ٦٥ ج ٢ الطبري
 طبع المعارف وص ١٢ > ١ الحيوان للجاحظ والزيادة منه .

ذكر هذا الشعرَ الجاحظُ في كتاب الحيوان ، والسِّنِّتَارُ من أسماء القمر ،
وأول شعر الأسود : ذهب الرقاد فما أحسن رقادى .
وفيها يقول :

ولقد عَمِرْتُ ، وإن تطاول في المَدَى إن السبيل سبيل ذى الأعواد
قيل : يريد بالأعواد النعش ، وقيل : أراد عامر بن الظرب الذى قُرعت
له العصا بالعود من الهرم والخرف ، وفيها يقول :

ماذا أوْمَلُ بعد آلٍ مُحَرَّقٍ تركوا منازلهم وبعد إِيَادِ
نزلوا بأنْقِرَةِ يسيل عليهم ماء الفِراتِ يحىء من أطوادِ
أرض الخورنقِ والسدير وبارق والبيت ذى الكعباتِ من سَنَدَادِ
جَرَّت الرياحُ على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعادِ
وأرى النعميمَ ، وكلُّ ما يُلغى به يوماً يصيرُ إلى بلى ونَفَادِ

ومعنى السدير بالفارسية : بيت الملك . يقولون له : « سِهْدِلِي » أى : له
ثلاث شعب ، وقال البكرى : سَمِى السدير ؛ لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم
إليه ، فَتَسْدَر من علوه ، يقال : سَدَرَ بصره إذا تحيرَ .

البحيرة والسائبة :

فصل : وذكر البحيرة والسائبة ، وفسر ذلك ، وفسره ابن هشام بتفسير
آخر . وللمفسرين فى تفسيرها أقوال منها : ما يَقْرُبُ ، ومنها ما يَبْعُدُ من قولها ،
وحَسْبُكَ منها ما وقع فى الكتاب ؛ لأنها أمورٌ كانت فى الجاهلية قد أبطلتها
الإسلامُ ، فلا تمس الحاجة إلى علمها .

وذكر ما أنزل الله في ذلك، منها قوله تعالى : ﴿ خَالِصَةً لِّلذَّكَورِ نَآءٌ، وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ [الأنعام: ١٣٩] وفيه من الفقه: الزَّجْرُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِهِمْ فِي تَخْصِيصِهِمُ الذَّكَورَ دُونَ الْإِنَاثِ بِالْهَبَاتِ . روت عمرة عن عائشة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : يَغْدُ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَالِ ، فَيَجْعَلُهُ عِلْدَ ذَكَورٍ وَلَكَّه . إِنْ هَذَا إِلَّا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَقَالُوا : مَا فِى بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذَكَورِنَا) رواه البخارى فى التاريخ من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ حَبَّابٍ .

وَأَشْدُ فِي الْبَحِيرَةِ :

فِيهِ مِنَ الْإِخْرَاجِ الْمَرْبَاعُ قَرَقَرَةٌ هَذَرُ الدِّبَاقِ وَسَطُ الْهَجْمَةِ الْبُحْرُ (١)
هكذا الرواية: المرباع بالباء من الربيع، والمرباع هو: الفحل الذى يُبَكَّرُ بالإلقاح، ويقال للناقة أيضا: مِرباعٌ إذا بَكَرَتْ بالنَّجَاحِ، وللروضة إذا بَكَرَتْ بالنَّبَاتِ .

يصف فى هذا البيت حمارٍ وحشٍ يقول : فيه من الإخراج، وهو: الظلم الذى فيه بياضٌ وسوادٌ، أى: فيه منه قَرَقَرَةٌ أى صَوْتٌ وهَذَرٌ مثل هَذَرِ الدِّبَاقِ أى: الفحل للنسوب إلى دِيَاقِ بِلَدِ الشَّامِ، والهجمة من الإبل: دون المائة، وجعلها بُحْرًا لأنها تأمن من الغارات، يصفها بالمنعة والحماية، كما تأمن البحيرة من أن تُذْبَحَ أو تُنَحَرَ، ورأيت فى شعر ابنِ مُقْبِلٍ: من الإخراج المرباع بالياء أخت

(١) البيت — كما ورد فى السيرة — تميم بن مقبل، وصحة نسبه — كما جاء فى جمهرة بن حزم — تميم بن أبي — وزن قصي — بن مقبل بن عوف بن حنيف ابن العجلان بن عبد الله بن كعب ص ٢٧١ .

عدنا إلى سِياقة النسب

« نسب خزاعة » :

قال ابن إسحاق : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن .

قال ابن هشام : وحقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وخندف أمها ، فيما حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم . ويقال : خُزاعة : بنو حارثة بن عمرو بن عامر . وإنما سُميت خزاعة ، لأنهم تخزَعُوا من ولد عمرو بن عامر ، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فزَلُّوا بمرَّ الظَّهران ، فأقاموا بها . قال عون بن أيوب الأنصاري أحد بني عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة من الخزرج في الإسلام :

فلما هبطنا بطن مرٍّ تَخَزَّعتْ خُزاعة مِنَّا في خيول كَرَّا كِرٍ
حَمَّتْ كُلُّ وَاِدٍ مِن تَهَامَةٍ واحتمتْ بِصُمِّ الْفَنَّا وَالرَّهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ
وهذان البيتان في قصيدة له .

الواو ، وفسره في الشرح من راع يَرِيع إذا أسرع الإجابة ، كما قال طرفة :
« تَرِيعُ إلى صوت المُهَيَّبِ وَتَتَقَمَّى (١) » .

(١) بقيته : « بذى خصل روعات أكلف ملبد ، وخصل بضم الخاء وفتح الصاد . وروعات بفتح الراء وسكون الواو ، ولبد بوزن : مقبل . والمهيب : دأعى الإبل . أراد : تتقى بذنب ذى خصل . وروعات : فرعات . والأكلف : الفحل الذى يشوب حرته سواد ، والملبد الذى يخطر بذنبه ، فيتلبد البول على وركيه ، وأصل مهيب من أهاب ، وهاب : زجر للابل عند السوق .

وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصاري ، أحد بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :

فلما هبطنا بطن مكة أحمَدَتْ خُزَاعَةُ دار الآكل المتحامل
فلَّتْ أكاريسا ، وشتَّتْ قنابلاً على كلِّ حيٍّ بين نجدٍ وساحل
نفَّوْجُرْهُما عن بطن مكة ، وأحْبَبُوا بَعِيْرَ خُزَاعِيٍّ شديداً السكواهل
قال ابن هشام :

وهذه الأبيات في قصيدة له ، وأنا إن شاء الله أذكر نفيها جرهما في موضعه
« أولاد مدركة وخزيمة وكنانة والنضر »

قال ابن إسحاق : فولد مُدْرِكَةُ بن الياس رجلين : خُزَيْمَةُ بن مُدْرِكَةَ ،
وهُدَيْل بن مُدْرِكَةَ ، وأُمَيْمًا : امرأة من قُضَاعِه [قيل : سلى بنت أسد
ابن ربيعة بن نزار - كما في نسب قريش] . فولد خُزَيْمَةُ بن مُدْرِكَةَ أربعة نفر :
كنانة بن خُزَيْمَةَ ، وأسَد بن خُزَيْمَةَ ، وأسَدَةُ بن خُزَيْمَةَ ، والهُون بن
خُزَيْمَةَ ، فأُمُ كِنَانَةَ : عَوَانَةُ بنت سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر

قال ابن هشام : ويقال الهون بن خُزَيْمَةَ .

قال ابن إسحاق : فولد كِنَانَةَ بن خُزَيْمَةَ أربعة نفر : النُّضْر بن كِنَانَةَ ،
ومالِك بن كِنَانَةَ ، وعبد مناة بن كِنَانَةَ ، ومِلْكَان بن كِنَانَةَ فأُمُ النُّضْر : بَرَّةُ
بنت مُرَّ بن أَد بن طَلْحَةَ بن الياس بن مُضَر ، وسائر بنيها لامرأة أخرى .

قال ابن هشام : أم النضر ومالك ومِلْكَان . بَرَّةُ بنت مُرَّ ، وأم عبد

والنفس إلى الرواية الأولى أسكن ، وحكى عن ابن قتيبة أنه قال : في

مَنَاءَ : هالة بنت سُويد بن النَطْرِيف من أزد شَنُوءَةَ . وشَنُوءَةُ : عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نَضْر بن الأسد بن الغوث ، وإِنَّمَا سُمُوا شَنُوءَةَ ؛ لِشَنَانٍ كانَ بينهم . والشَّنَانُ : البغض .

قال ابن هشام : النَّضْرُ : قُرَيْشٌ ، فَمَنْ كانَ من ولده فهو قُرَشِيٌّ ، وَمَنْ لم يكن من ولده فليس بقُرَشِيٌّ . قال جرير بن عطية أحد بني كليب بن يَرْبُوع ابن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْد مَنَاءَ بن تميم يمدح هشامَ بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمُّ التي ولدت قريشا بمقرقة النجار ولا عقيم
وما قومٌ بأنجب من أيكم وما خالٌ بأكرم من تميم

يعنى : برة بنت مرٍّ أخت تميم بن مر ، أم النضر . وهذا البيتان في قصيدة له .

ويقال : قَهْرُ بن مالك : قُرَيْشٌ ، فَمَنْ كانَ من ولده فهو قُرَشِيٌّ ، وَمَنْ لم يكن من ولده فليس بقُرَشِيٌّ ، وإِنَّمَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قريشا من النَّقَرَشِ ، والنَّقَرَشُ : التجارة والاكتساب . قال رؤبة بن العجاج :

قد كان يُفْنِهم عن الشَّفُوشِ وَالْخَشَلِ من تساقط القروش
شَحْمٌ وَمَحْضٌ ليس بالْمَفْشُوشِ

قال ابن هشام : والشَّفُوشُ : قح يسمى : الشَّفُوشُ . والخَشَلُ : رؤوس الخلاخيل والأسورة ونحوه . والقروش : التجارة والاكتساب ، يقول : قد كان يُفْنِهم عن هذا شحم ومحض ، والمَحْضُ : اللبن الحليب الخالص .

وهذه الأبيات في أَرْجُوزَةٍ لَهُ. وقال أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِيّ، وَيَشْكُرُ: بن بكر بن وائل :

إِخْوَةٌ قَرَشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا فِي حَدِيثٍ مِنْ عُمرِنا وَقَدِيمِ
وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن إسحاق : ويقال : إِنَّمَا سَمِيتَ قَرِيشَ : قَرِيشًا لِتَجْمَعُ مِنْهُمَا مَنْ بَعْدَ تَفَرُّقِهَا
ويقال لِلتَّجْمَعِ : التَّقَرُّشُ .

فولد النَّضْرُ بن كِنَانَةَ رَجُلَيْنِ : مالِكُ بن النَّضْرِ ، وَيَحْمَلُ بن النَّضْرِ ، فَأُمُّ
مالِك : عاتِكَةُ بنتُ عَدُوَانَ بن عمرو بن قيس بن عِيلَانَ ، وَلَا أَدْرِي أَهِيَ أُمُّ
يَحْمَلُ أَمْ لَا .

قال ابن هشام : والصَّلْتُ بن النَّضْرِ - فِيمَا قَالَ أَبُو عمرو المَدَنِيُّ - وَأَمَهُمْ
جَمِيعًا : بنتُ سَعْدِ بن ظَرِّبِ العَدَوَانِي . وَعَدُوَانَ : بن عمر بن قيس بن عِيلَانَ .
قال كُثَيْبُ بن عبد الرحمن - وَهُوَ كَثِيرُ عَزَّةَ أَحَدُ بَنِي مُلَيْحِ بن عمرو ، مِنْ خُرَاعَةَ
أَلَيْسَ أَبِي بِالصَّلْتِ أَمْ لَيْسَ إِخْوَتِي لِكُلِّ هَجَانٍ مِنْ بَنِي النَّضْرِ أَزْهَرَا
رَأَيْتُ ثِيَابَ الْعَصَبِ مُخْتَلِطَ السَّدى بَنَا وَبِهِمْ وَالْحَضْرَمِيُّ الْمُخَضَّرَا
[إِذَا مَا قَطَعْنَا مِنْ قَرِيشَ قَرَابَةً] بَأَى نِجَادٍ يَحْمِلُ السَّيْفَ مَيْسَرَا
فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا مِنْ بَنِي النَّضْرِ ، فَاتْرَكُوا أَرَاكَ بِأَذْنَابِ الْفَوَاحِجِ أَخْضَرَا
وهذه الأبيات في قصيدة له .

والَّذِينَ يُعَزَّوْنَ إِلَى الصَّلْتِ بن النَّضْرِ مِنْ خُرَاعَةَ : بَنُو مُلَيْحِ بن عمرو ،
رَهْطُ كُثَيْبِ عَزَّةَ .

« أولاد مالك وابنه فهر »

قال ابن إسحاق : فولد مالكُ بن النضر : فهر بن مالك ، وأمه : جندلة بنت الحارث بن مضاخ الجُرهمي .

قال ابن هشام : وليس بابن مضاخ الأكبر :

قال ابن إسحاق : فولد فهر بن مالك أربعة نفر : غالب بن فهر ، ومُحارب بن فهر ، والحارث بن فهر ، وأسَد بن فهر ، وأُمهم : ليلي بنت سعد ابن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وجندلة بنت فهر ، وهي أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وأُمها : ليلي بنت سعد . قال جرير بن عطية بن الخطمي واسم الخطمي : حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع ابن حنظلة .

وإذا غَضِبْتَ رُمي ورأى بالحصى
أبناء جندلة كخير الجنادل
وهذا البيت في قصيدة له .

« غالب وزوجاته وأولاده »

قال ابن إسحاق : فولد غالب بن فهر رجلين : لؤي بن غالب ، وتميم ابن غالب ، وأُمهما : سلمى بنت عمرو الخزاعي . وتميم بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأذرم .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب ، وأمه : سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي ، وهي أم لؤي وتميم ابني غالب .

.

« نسل لؤى »

قال ابن إسحاق : فولد لؤى بن غالب أربعة نفر : كعب بن لؤى ،
وعامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، فأم كعب وعامر
وسامة : ماوية بنت كعب بن القين بن جسر ، من قضاة .

قال ابن هشام : ويقال : والحارث بن لؤى ، وهم : جشم بن الحارث ، في
هزان من ربيعة . قال جرير :

بنى جشمٍ لستم لهزان ، فانتسوا لأعلى الروابي من لؤى بن غالب
ولا تنسكحوا في آل ضورٍ نساءكم ولا في شكسٍ بنس مثنوى القرائب

وسعد بن لؤى ، وهم بناة : في شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب
ابن علي بن بكر بن وائل ، من ربيعة .

وبناة : حاضنة لهم من بنى القين بن جسر بن شيع الله ، ويقال : سيع الله ،
بن الأشد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة . ويقال :
بنت النمر بن قاسط ، من ربيعة . ويقال : بنت جرم بن ربان بن حلوان بن
عمران بن الحاف بن قضاة .

وخزيمة بن لؤى بن غالب ، وهم عائذة في شيبان بن ثعلبة . وعائذة
امراة من اليمن ، وهى أم بنى عبيدة بن خزيمة بن لؤى .

وأم بنى لؤى كلهم - إلا عامر بن لؤى : ماوية بنت كعب بن
القين بن جسر . وأم عامر بن لؤى : تحشية بنت شيبان بن محارب بن
فهر ، ويقال : كيلي بنت شيبان بن محارب بن فهر .

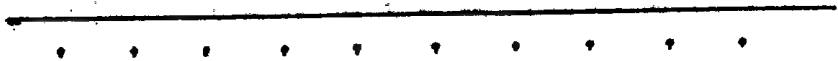
أمر سامة

قال ابن إسحاق : فأما سامة بن لؤي فخرج إلى عُمان ، وكان بها .
 ويزعمون أن عامر بن لؤي أخرجه ، وظن أن كان بينهما شيء ، ففقد سامة
 عين عامر ، فأخذه عامر ، فخرج إلى عُمان . فیزعمون أن سامة بن لؤي بينا
 هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها ترتع ، فأخذت حية بمشفرها ، فحصرتها
 حتى وقعت الناقة لثقتها ، ثم نهشت سامة فقتلته . فقال سامة حين أحسن
 بالموت فيما يزعمون :

عين قابلي لسامة بن لؤي علق ما يسامة العلاء
 لا أرى مثل سامة بن لؤي يوم حلوا به قتيلا لناقه
 بلغنا عامرا وكعبا رسولا أن نفسا إليهما مشتاقه
 إن تكن في عُمان داري ، فإني غالي ، خرجت من غير ناقه
 رب كاس هرقت يابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه
 رمت دفع الخوف يابن لؤي ما كن رام ذلك بالخطف طاقه
 وخرويس السرى تركت رذيا بعد جد وجدة ورشاقه

قال ابن هشام : وبلغني أن بعض أولاد أبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 فانتسب إلى سامة بن لؤي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آ الشاعر ؟
 فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

رب كاس هرقت يابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه
 قال : أجل .



البُحُرُ : هي الفزيرات اللَّبَنُ لا جمع بحيرة ، كأنها : جمع بُحُورٍ عنده ، فَظَنُّ
هذا يذهبُ المعنى الذي ذكرنا من أمثها وَمَتَعَهَا ؛ إذ ليس هذا المعنى في
الفزيرات اللَّبَنُ ، لكنه أظهرُ في العربية ؛ لأن بحيرة : فَعِيلَةٌ ، وفَعِيلَةٌ
لا تُجمع على فُعُلٍ إِلَّا أَنْ تُشَبَّهَ بِسَفِينَةٍ وَشُقُنْ ، وخريدة وَخُرْدٍ ، وهو قليل .
وقبل البيت في وصف روض :

بغازبِ النَّبْتِ يرتاحُ الفؤادُ له رَأْدَ النَّهَارِ لأضواءِ من الثَّنَرِ
وبعد البيت الواقع في السيرة :

والأزرقُ الأخضرُ السَّرْبَالِ مُنْتَصِبٌ قَيْدَ الْعَصَافِقِ ذِبَالٍ مِنَ الزَّهْرِ

يعنى بالأزرق : ذُبَابَ الرُّوضِ ، وكذلك الثَّنَرُ (١) . وقوله في البيت
الآخر : حَوْلُ الْوَصَائِلِ : جمع حَائِلٍ ، ويقال في جمعها أيضا : حَوْلَلٌ ، ومثله :
عَائِطٌ وَعُوطَاطٌ على غير قياس . والثَّرِيفُ (٢) اسم موضع .

نسب خزاعة :

وقوله في نسب خَزَاعَةَ : تقول خَزَاعَةٌ : نحن بنو خَمْزُو بن عامر إلى

(١) نبت غازب : لم يرع قط ، ولا وطي . ، والرأْدُ : رونق الضحى .
أو بعد انبساط الشمس ، وارتفاع النهار ، والثر : فراخ العصافير ، وجمعها : ثنران
وهو البلبل عند أهل المدينة ، وقال الجوهري : هي طير كالعصافير حمر المناقير
وَنُفْرَةٌ مقرد للثغر ، والسهيل يقصد الثغرة لا الثغر ، والذباب : النحل
(٢) العائط : الناقة أو المرأة لم تحمل من غير عقر : والشريف : ماء لبنى نمير ،
وقيل : واد بنجد وحصن من حصون زييد باليمن .

آخر النسب ، وقد تقدم أن عمرأ يقال له : مُزَيَّيَا . وأما عامرٌ فهو : ماه السماء ، سمي بذلك لجوردهم وقياحه عندهم مقام الفَيْث . وحارثه : بن امرئ القيس ابن ثعلبة وهو الفطريف (١) .

بطن مر :

وقول عون : فلما هبطنا بطن مرّ . يريد : مرّ الظهران ، وسمى : مرّا لأن في عرق من الوادي من غير لون الأرض شبه الميم الممدودة ، وبعدها وا خِلقت كلك . ويدكر عن كثير أنه قال : سُميت : مرّ المرارته ، ولا أدري ما صفة هذا .

فلما هبطنا بطن مرّ البيتین وبعدهما :

خَرَأَعْتَنَا أَهْلُ اجْتِهَادٍ وَهَجْرَةٍ وَأَنْصَارُنَا جَنْدُ النَّبِيِّ الْهَاجِرِ
وَمِرْنَانَا إِلَى أَنْ قَدْ نَزَلْنَا يَتْرَبُ بِلَا وَهْنٍ مِنَّا وَغَيْرِ تَشَاوُرٍ
وَسَارَتْ لَنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ مَنْظَرٍ بِكُومِ الْمَطَايَا وَالْخَيُولِ الْجَاهِرِ (٢)
يَوْمُؤْنَ أَهْلَ الشَّامِ حِينَ تَمَكَّنُوا مَلُوكًا بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْبَرَابِرِ
أَوَّلَاكَ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ تَوَارَثُوا دِمَشْقًا بِمَلِكٍ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرٍ

(١) نسبه في نسب قريش ص ١٠ ، أما الفطريف الاكبر : فعامر من بني مبشر . والفطريف : السيد ، ونسب حارثة هو : ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن النعوث بن النبت .

(٢) كوم : جمع كوماه : الناقة العظيمة الشام ، والجاهر : الضخم ، وقيل جمع جمهور : الفرس الكريمة ، والسهيل يروي : الحلول والكراديس بدلا من الخيول والأكاريس .

الحلول، جمع : حال، والكراديس جمع : كَرْدُوس : الخيل ..

دمشق :

وقوله : دِمَشْقًا ، سُمِّيت مدينة الشام باسم الرجل الذي هاجر إليها مع إبراهيم ، وهو : دامشق بن الثُمُرُوذ بن كنعان (١) ، أبوه : الملك الكافر عدُوُّ إبراهيم ، وكان ابنه دامشق قد آمن بإبراهيم ، وهاجر معه إلى الشام . كذلك ذكر بعض النساب ، وذكره البكري في كتاب المعجم . والدِّمَشْقُ في اللغة : الناقَةُ المُنْسَنَة - فيما ذكر بعضهم - وكان يقال لِدِمَشْقٍ أيضا : جَيْرُونُ سُمِّيت باسم الذي بناها ، وهو : جَيْرُونُ بن سعد [بن عاد] ، وفيها يقول أبو دَهبل [الجَمَحِي] .

صاح : حَيًّا الإله حَيًّا ودارا عند شرق القنّاة من جَيْرُون (٢)

(١) في المراسد : دمشق بن كنعان . وفي القاموس : دِمَشْقَانُ بن كنعان أو دَامَشْتَقَيْسُوش . وفي معجم البكري : دِمَاشِق ، وفي المراسد أنها سميت بهذا لأنهم دِمَشَقُوا في بنائها ، أي : أسرعوا ، وهي بكسر الدال وفتح الميم أو كسرهما . (٢) جيرون في المراسد هي سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف ، حولها مدينة تطيف بها ، وهي بدمشق . وقيل : هي قرية الجبابة في أرض كنعان ، وقيل : هي إرم ذات العماد . وقيل إن إرم هي دمشق ، وقيل : هي الإسكندرية ، وقيل : إرم هي أمة من الأمم ، وجيرون : فعلون من جير ، أو فيعملون فتكون من جرن ، وهذا أصوب ؛ إذ لو كانت فعلون لتغير ما قبل النون في الإعراب . وأليت من قصيدة طويلة في اللسان لآبي دَهبل ، ومعها قصة أبي دَهبل ، وكان قد تزوج بالشام دون علم أولاده ، فلما عاد إليهم وجدهم قد تقاسموا ميراثه ، فأراد العودة إلى زوجته الشامية في جيرون ، فبلغه موتها ، فأقام ، وقال هذه القصيدة ، ومنها في وصفها :

بنو كنانة :

وذكر بنو كنانة الأربعة : مالكاً وملكاً والنضر وعبدمناة . وزاد الطبري في ولد كنانة : عامراً والحارث والنضير وغنماً وسعداً وعوفاً وجرولاً والحدال وغزوان . كلهم بنو كنانة (١) .

= وهي زهراء مثل لؤلؤة الفوا ص ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون
والبيت في اللسان :

صاح جيا الإله حيا ودورا عند أصل القناه من جيرون
وأول القصيدة :

طال ليلى ، وبنت كالحزون ومسلت الثواء في جئيريون
ويروي صاحب الأغاني أن أبادميل أحب غاتكة بنت معاوية ، وكانت هي
كتمهده بالبر والطف ، ثم انقطعت عن لقائه ، فرض ، وقال هذه القصيدة
ص ١٢٠ مجلد ٧ طبع لبنان ، وانظر معجم البكري مادة جيرون .
وزدت الجحى من اللسان .

(١) أولاد كنانة في كتاب نسب قريش هم : النضر وملك ، بفتح الميم وسكون
اللام ، وملكان ، بالضبط أيضاً ، وملك ، بضم الميم وفتح اللام ، وغزوان
بفتح الغين وسكون الزاي ، وعمر و عامر وأمهم : برة بنت مر . ولأخوتهم
لأمهم : أسد وأسدة والهون بنو خزيمة . وقد خلف عليها كنانة بعد أبيه ، وذلك
نكاح كانت تنكحه الجاهلية ، إذا مات الرجل نكح أكبر بنيه زوجته ، إذا لم تكن
أمه ، وورث خيار ماله ، ومن أبناء كنانة : حدال وسعد وعوف وبجربة
وأهمهم : هالة بنت سويد بن الغطريف ، وفي الجهره : هم النضر وملك وملكان
وعبدمناة ، وليس في العرب ملك ، بإسكان اللام ، غير ملك بن كنانة وسائرهم :
مالك ، وفي نسب قريش أن أم خزيمة هي : سلى بنت أسد بن ربيعة بن نزار ،
وفيه أيضاً أن أم كنانة : هي عوانة بنت قيس بن عيلان ، أما أم الهون ولأخوته
فبرة بنت مر بن أد بن طابخة . فأرجو مقايضة هذا بما ورد في السيرة .

قريش:

فصل: وذكر النضر بن كنانة، وقول من قال إنه: قُرَيْشٌ، والقول الآخر في أن قَهْرًا هو: قُرَيْشٌ، وقد قيل: إن قَهْرًا لقب، واسمه الذي سمي به: قُرَيْشٌ^(١).

(١) وإليك معظم ما قيل حول قريش واشتقاقها من فتح الباري .
قريش: هم ولد النضر، وبهذا جزم أبو عبيدة كما روى ابن سعد في الطبقات.
وقيل: إن قريشا هم ولد فهر بن مالك بن النضر. وهو قول الأكثر وبه جزم مصعب، وقيل: أول من نسب إلى قريش: قصي بن كلاب؛ فقد روى ابن سعد أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبير، متى سميت قريش قريشا؟ قال: حين اجتمعت إلى الحرم بعد تفرقها، فقال: ما سمعت بهذا، ولكن سمعت أن قصيا كان يقال له: القرشي، ولم يسم أحد قريشا قبله. وقيل: سميت قريش لتجمعها إلى قصي بعد نفي خزاعة من الحرم، والتقرش: التجمع، وقيل: لتلبسهم بالتجارة، وقيل: لأن الجد الأعلى جاء في ثوب واحد متجما فيه، وقيل من التقرش، وهو أخذ الشيء أولا فاولا. وقيل إن أول من تسمى قريشا: قريش بن بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة، وقال المطرزي: سميت قريش بدابة في البحر هي سيدة الدواب البحرية، وكذلك قريش، سادة الناس. وقد أخرج البيهقي من طريق ابن عباس أنه قال: قريش تصغير قرش، أو هي دابة في البحر لا تمر بشيء من غث ولا سمين إلا أكلته. وقيل: سمي قريشا؛ لأنه كان يقرش عن خلة الناس، وحاجتهم، ويسدها والتقرش: التفتيش، وقيل: لمعرفةهم بالطعان، والتقرش: وقع الأسنة. وقيل التقرش: التنزه عن رذائل الأمور. وقيل: هو من أقرشت الشجة إذا صعدت العظم، ولم تهشم: وقيل: أقرش بكذا إذا سعى فيه، فوقع له: وقيل غير ذلك فتح الباري ٤١٥ هـ ٦٠٦. وقد ورد بعض هذا الكلام السابق في كتاب «نسب قريش»، لأن عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري عم الزبير بن بكار في ص ١٣ وفيه اختلاف يسير، ففي نسب قريش: فأما بنو يخلد، فهم في بني عمرو بن الحارث بن مالك =

وأما يَحْلَدُ بن النضر ، فذكر أبو عبد الله الزبير بن بَكَّارٍ في أنساب قريش له ، قال : قال عبي : وأما بنو يَحْلَدُ بن النضر ، فذكر [وا] في بني عمرو ابن الحارث بن ملك بن كنانة ، ومهم : قريش بن بَدْر بن يَحْلَدُ بن النضر ، وكان دليل بني كِنانة في تجارتهم ، فكان يقال : قدمت عِيرُ قريش ، فسميت قُرَيْشَ به ، وأبوه : بَدْرُ بن يَحْلَدُ صاحب بدرِ الموضع الذي لقي فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريشا (١) .

وقال عن غير عبي : قريش بن الحارث بن يَحْلَدُ ، وابنه : بدر الذي سُميت به بدر ، وهو احتقرها . قال : وقد قالوا : اسمُ فهر بن مالك : قريش ، ومن لم يلد فهر ، فليس من قُرَيْشٍ ، وذكر عن عبي أن فهرًا هو : قُرَيْشٌ .

وقال أبو عبد الله : حدثني عمرو بن أبي بكر المؤملي عن جدي عبد الله بن مصعب - رحمه الله - أنه سمعه يقول : اسمُ فهر بن مالك : قُرَيْشٌ ، وإنما فهر لقب (٢) ، وكذلك حدثه المؤملي عن عثمان بن أبي سليمان في اسم فهر ابن مالك : أنه قريش ، ومثل ذلك ذكر عن المؤملي عن أبي عُبَيْدة بن

= بن كنانة ، والنسب لم يذكر ما لكمن بين أبناء كنانة ، ولكن وذكره وهو يتكلم عن بني يَحْلَدُ ، وغيره ذكره . ثم الفعل فذكر ، في الروض لا يناسب السياق بعكس ما في النسب . وفي النسب فسميت قريش بذلك ، بدلا من فسميت قريش به .

(١) في ص ١٢ من كتاب نسب قريش ، ومؤلفه هو عم الزبير بن بكار

(٢) نصي ما في كتاب مصعب : اسم فهر بن مالك : قريش ، وفي مكان آخر :

فولد مالك بن النضر فهرًا ، وهو قريش ، وأمه : جندلة بنت الحارث ، ص ١٢ نسب قريش .

عبد الله في اسم فهر بن مالك : أنه قريش . قال : وحدثني إبراهيم بن المنذر ، وقال : حدثنا أبو البخاري : وهب بن وهب ، قال : حدثني ابن أخي ابن شهاب عن عمه أن اسم فهر بن مالك الذي أسمته أمه : قريش ، وإنما نبزته قهرراً ، كما يسمى الصبي : غرارة وشملة ، وأشباه ذلك ، قال : قلل : وقد أجمع النساب من قريش وغيرهم أن قريشا إنما تفرقت عن فهر ، والذي عليه من أدركته من نساب قريش وغيرهم أن ولد قهر بن مالك : قريش ، وأن من جاوز فهر ابن مالك بنسبه ، فليس من قريش (١) .

وذكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي فيما حدثه أبو الحسن الأثرم عنه أن النضر بن كنانة هو : قريش ، وذكر عنه أنه قال في موضع آخر : ولد مالك بن النضر قهرراً ، وهو مجاع قريش ، وقال : قال محمد بن حسن عن نضر بن مزاحم ، عن عمرو بن محمد عن الشعبي ، قال : النضر بن كنانة (٢) هو قريش ، وإنما سمي قريشاً ؛ لأنه كان يُقرش عن خلّة الناس وحاجتهم ، فيسدها بماله ، والتقرّيش : هو التفتيش ، وكان بنوه يُقرشون أهل الموسم عن الحاجة ، فيزفدوهم بما يبلغهم ، فسموا بذلك من فعلهم ، وقرشهم : قريشاً ، وقد قال الحارث بن حلزة في بيان القرش :

أيها الناطق المقرش عنا عند عمرو ، فهل له انفاء (٣)

(١) ويؤكد ابن حزم هذا في الجمهرة بقوله عن فهر : ولا قريش غيرهم ، ولا يكون قرشي إلا منهم ، ولا من ولد فهر أحد إلا قرشي ، أما ابن دريد في الاشتقاق ، فيؤكد أنه النضر . (٢) في الأصل : النضر وكنانة .

(٣) روايته في اللسان عند عمرو ، وهل لذاك بقاء ، وكذلك في المعلقات بشرح الزوزني ، وأيضا في روايتها : المقرش بدلا من المقرش ، وبشرح التبريزي :

وحديثه أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة مَعْمَر بن المُنْثَنِي [التَّيْمِي] ، قال :
منتهى من وقع عليه اسم قريش : النضر بن كنانة ، فولده : قريش دون سائر بني
كنانة بن خزيمة بن مدركة ، وهو عامر بن الياس بن مضر ، فأما من ولد كنانة
سوى النضر فلا يقال لهم : قريش ، وإنما سمي بنو النضر قريشاً لتجمعهم ،
لأن التقرش هو التجمع . قال : وقال بعضهم : التجار يتقارشون : يتجرون ،
والدليل على اضطراب هذا القول أن قريشاً لم يجمعوا حتى جمعهم قصي بن
كلاب ، فلم يجمع إلا ولد فهر بن مالك لاسرية عند أحد في ذلك ، وبعد هذا
فتحن أعلم بأمورنا ، وأرعى لساثرنا ، وأحفظ لأسائنا ، لم نعلم ولم ندع قريشاً ،
ولم نهمم إلا ولد فهر بن مالك .

قال المؤلف : في جميع هذا الكلام من قول الزبير ، وما حكاه عن النسايين
نقلته من كتاب الشيخ أبي بحر — رحمه الله — ثم ألفت في كتاب الزبير
كما ذكره ، ورأيت لغيره أن قريشاً تصغير القرش ، وهو حوت في البحر يأكل
حيثان البحر ، سميت به القبيلة ، أو سمي به أبو القبيلة — والله أعلم — ورد
الزبير على ابن إسحاق في أنها سميت قريشاً لتجمعها ، وأنه لا يعرف قريشاً
إلا في بني فهر رداً لا يلزم ؛ لأن ابن إسحاق لم يقل : إنهم بنو قصي خاصة ،
وإنما أراد أنهم سمو بهذا الاسم مذ جمعهم قصي ، وكذا قال المبرد في المقتضب :
إن هذه التسمية إنما وقعت لقصي — والله أعلم — غير أننا قدمنا في قول كعب

== وأياها الشامت المبلغ عنا ، وفي الطبري ص ٢٦٤ > ٢ : وردت الشطرة الثانية
هكذا : د عند عمرو فهل لمن انتهاء . .

بن لؤي ما يدل على أنها كانت تسمى قريشا قبل مولد قصي وهو قوله : إذا
قريش نُبِّئِي الحقَّ خذْ لانا .

وذكر قول رُوْبَة : قد كان يُغنيهم عن الشَّوْش . وفسره : ضرب من
القمح ، وفسر النخل : رهوى الخلاخيل . وفي حاشية الشيخ عن أبي الوليد
قال : إنما النخل : المقل^(١) ، والقروش : ما تساقط من حُتاته ، وتقر منه ،
وأشدد لمكثير بن عبد الرحمن : أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي .
البيت وبعده :

رأيت ثيابَ العصبِ مُخْتَلِطَ السَّدى بناوبهم والخضرميَّ المَخَصَّرَا
والعصبُ : برودُ الين ، لأنها تصبغ بالعصب ، ولا يثبت العصب ، ولا
أورس إلا بالين ، وكذلك اللبان . قاله أبو حنيفة . يريد : إن قلوبنا من
قدودهم ، فسدى أثوابنا ، مُخْتَلِطٌ بسدى أثوابهم . والخضرمي : النعالُ
المَخَصَّرَةُ التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين كما يقال : رجل
مُبْطَنٌ ، أي : ضامر البطن ، وجاء في صفة نعل النبي — صلى الله عليه وسلم —
أنها كانت مُعَقَّبَةٌ مُخَصَّرَةٌ مُلَسَّنةٌ مُخَرَّمةٌ . والمخرمة التي لها خُرمة ، وهو
كالتحدير في مقدمها وكانت نعله — عليه السلام — من سِتِّ ، ولا يكون
السِتُّ إلا من جلد بقر مدبوغ . قاله أبو حنيفة عن الأصمعي وأبي زيد^(٢) .

(١) حَمَل الدوم ، وهو يشبه النخل ، وصنع شجرة يسمى الكود ، وهو
من الأدوية .

(٢) معقبة لها عقب ، ومُلَسَّنة : دقيقة على شكل اللسان ، ومُخَصَّرَةٌ : قطع
خصرها ، حتى صارا مستدقين ، خصر النعل ما استدق من قدام الأذنين ، أما =

وذكر قول جرير بن الخطفي :

يَرْفَعَنَّ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسَدَفَا .

أَعْنَاقَ جَنَّانٍ وَهَامًا رُجَفَا .

وَعَنَقًا بَاقِيَ الرَّسِيمِ خَيْطَفَا .

والخَيْطَفَةُ : سُرْعَةٌ فِي الْعَدُو ، فَإِذَا وَصَفَتْ بِهِ التَّنْقِ وَالْجُرْمَى قُلْتُ :
عَنَقْتُ خَيْطَفًا ، وَإِذَا سَمَّيْتُ بِهِ الرَّجُلَ قُلْتُ : خَطَفَى ، وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَلْتَهُ

== مخزومة في اللسان : خرثمة النعل بفتح الحاء وكسرها وإسكان الزاء وفتح التاء :
رأسها . ولم أر غير ذلك . أما الخرثمة فليس فيها إلا خثارم : الرجل المتطير . وفيه
أيضاً : ~~مُخْثَمَةٌ~~ ~~مُخْثَمَةٌ~~ بلا رأس . وقيل : عريضة . وهذه الأوصاف وردت
في حديث رواه أبو الشيخ عن يزيد بن أبي زياد ، وفي البخاري وأبي داود والترمذي
وابن ماجه في اللباس ، والنسائي في الزينة أن نعل النبي كان لها قبالة ، بكسر
القاف . . والقبالة : هو زمام النعل ، أي السير الذي يعقد فيه الشسع الذي يكون
بين الإصبعين الوسطى ، والتي تليها ، والمراد أنه كان لكل فردة : قبالة ، وروى
البخاري والترمذي في الشمائل عن عيسى بن طهمان : بفتح الطاء وسكون الهاء ،
قال : وأخرج إلينا أنس بن مالك نعلين جرداوين لهما قبالة ، وذكر ثابت البناني
أنهما كانتا نعلي رسول الله . وفي البخاري ومسلم أن ابن عمر سئل عن لبسه النعال
السَّبَّيْتِيَّةَ بكسر السين وسكون التاء وكسر التاء وتشديد الياء مع فتح ، أي :
المذبذبة ، فقال : إني رأيت رسول الله يلبس النعال التي ليس فيها شعر ، ويتوضأ فيها
فلما أحب أن ألبسها . والسبت كما قال السهيلي : وسميت بذلك لأن شعرها قد سبت
عنها أي : حلق وأزيل ، أو لأنها سبتت بالديباغ ، وقد زدت في قصيدة كثير
بيتاً وضعته بين قوسين ، وهو عن نسب قريش ص ١١ ، والقُدود : جمع قد :
وهو القدر .

اسماً للمشيئة : فهو مثل : الجزى والبشكى (١).

بنو الأدرم :

وقوله : وتيم بن غالب وهم : بنو الأدرم (٢) : والأدرم : المدفون الكعنين من اللحم ، يقال : امرأة درمائه وكعب أدرم . قال الرازي :

(١) ناقة جزى أو بشكى : سريعة خفيفة ، والجثمان : جمع جنان : نوع من الحيات إذا هشت رفعت رءوسها .

وفي اللسان أيضاً : « وعنقا بعد الكلال خيطفا ، وأن اسم جد جرير عوف ويروي أبو عبيدة في كتابه النقائص بين جرير والفرزدق ما يأتي : واسم الخططسى : حذيفة بن بدر بن سلة ، وحذيفة : جد جرير ، وإنما سمي الخططسى لقوله :

كلفنى قلبي ، وماذا كلفا هو أزار نيات حلتس عثره يفا
أقن شهرا بعد ما تصييفا حتى إذا ما طرد الشيف الشفا
قرب شولا ودليلا مخشيفا يرفعن بالليل إذا ما أسدا
أعناق جنتان ، وما مارحيفا وأعينا بعد الكلال ذرفا

وعنقا باقي الرسم خيطفا

ج ١ ص ٣ النقائص لأبي عبيدة معمر بن المثنى ط ١٩٣٥ م وحكي اللسان عن ابن بري عن أبي عبيدة قوله : الخططسى جد جرير ، واسمه : حذيفة بن بدر .

(٢) يقول صاحب نسب قريش عن أم مالك بن النضر أنها عكرشة ، وأنها أم مالك ويخلد والصلت ، وعن الصلت بن النضر يقول أيضاً : « من بنى مليح بن خزاعة من يزعم أنه من ولده ، وأستشهد بأيات كثير السابقة . والقوائج : فسرهما صاحب نسب قريش بأنها عيون بأستار ، وقيل هي رؤوس الأودية .

قامت تربيته خشية أن تُضرماً ساقاً بخنداء وكعباً أدرماً
وكفلاً مثل النقا أو أعظماً (١)

والأدرم أيضاً : المنقوض الذقن ، وكان تيم بن غالب كذلك ، فسى :
الأدرم ، قاله الزبير . وبنو الأدرم هؤلاء هم : أعراب مكة ، وهم من قريش
الظواهر ، لامن قريش البطاح (٢) ، وكذلك بنو محارب من فهر ، وبنو
معيص (٣) بن عامر .

(١) في اللسان . قامت تربك ، وبنى تصرم للمعلوم ، وساق بخنداء : عظيمة
تامة ، والكفل : معروف ، والنقا : كتيب من الرمل . والشعر أنشده العجاج لابي
هريرة كما ورد في بعض الأحاديث . اللسان ودبوان العجاج .

(٢) قريش البطاح هم : قبائل عبد مناف : بنو عبد الدار ، وبنو عبد العزى
وبنو عبد بن قصي ، وبنو زهرة ، وبنو مخزوم ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو جهم وسهم ، وبنو
عدى ، وهم لعقة الدم ، وبنو عتيك بن عامر بن لؤي ، وقريش الظواهر : النازلون
بظهر مكة ، وهم بنو محارب والحارث بن فهر ، وبنو الأدرم بن غالب بن فهر ،
وبنو هيص بن عامر بن لؤي . والبطاح : هم الذين ينزلون بين أخشي مكة
وهما بجبل مكة أبو قبيلس والأحر ، وجبلاتى ، أكرمهما ، والاحلاف من
قريش بنو عبد الدار من قصي وسهم وجهم وعدى ومخزوم ، والمطيبيون بنو عبد
مناف . وبنو أسير بن عبد العزى ، وبنو زهرة ، وبنو تيشم وبنو الحارث بن فهر .
انظر ص ١٢ نسب قريش والمخير ص ١٧ عن الأدرم والظواهر والبطاح .

(٣) من المعص بفتح الميم والعين ، وهو داء يصيب الرجل في عصبه من كثرة
المشي . وانظر ص ١٠٦ الاشتقاق عن الأدرم .

(م ٢٦ — الروض الأثف)

ماوية امرأة لؤى :

وذكر بنى لؤى (١) ، فقال : أمّ عامر : ماوية بنت كعب بن القين . سميت بالماوية ، وهى : المرأة ، لأنها نسبت إلى الماء لصفائها ، وقلبت همزة الماء واوا ، وكان القياس أن قلبَ هاء (٢) فيقال : ماهية ، ولكن شبهوه بما همزة فيه منقلبة عن ياء أو واو ، لما كان حكم الماء أن لا تُهمز فى هذا الموضع ، فلما شبهت بحروف المد واللين ، فهمزوها لذلك ، اطرَد فيها ذلك الشبه ، ويحتمل اسم المرأة أن يكون من أويته ، إذا ضمته إليك ، يقال : أويت مثل : ضمت ، وأويته مثل : آذيته ، ثم يقال فى المفعول من أويته على وزن فَعَلت : مأوى والمرأة ماوية ، ثم تسهل الهمزة ، فتكون ألفاً ساكنة . (١)

وخالفه ابن هشام فى أم عامر فقال : نخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، وماوية : أم سائر بنيه غير عامر .

بنات وعائذة وبنو ناعية وزيبان وسامه :

وذكر سعد بن لؤى وأَنهم : بُناتٌ فى شيبان ، عرفوا بحاضنة لهم اسمها : بُناتة ، وكان بنو ضبيعة قد ادعواهم ، وهو ضبيعة أضجَم (٣) بن ربيعة ، لا ضبيعة (٤)

(١) فى الجهرة عن كعب وعامر : وهذان الصريحان من ولد لؤى . وفى كعب : البيت والعدد . وماوية وجسر فى نسب قريش : مارية وجسر بن شمع الله .

(٢) لأن الماء هى أصل الهمزة فى ماء . (٣) فى الأصل : أضج

(٤) فى الاشتقاق : ضبيعة بن أسد بن ربيعة ، وفى إحدى نسخ ضبيعة هو ابن ربيعة ، وأسد : أخو ضبيعة ، وضبيعة هو : أضج ص ٣١٣ . وفى المحر ص ٢٣٥ =

ابن أقيش بن ثعلبة ، فلما كان زمن عمر ، قلدوا عليه ، وفيهم سيد لهم يقال له :
أبو الدَّهْمَاء ، فحكم أبو الدَّهْمَاءُ عمر أن يلحقهم بقرش ، فأسكر عمر ذلك ،
فأخبره عثمان عن أبيه عفان : أنه حدثه بصحة نسبهم إلى قرش ، وسبب
خروجهم عنهم ، فواعدهم أن يأتوه العام القابل ، فيلحقهم ، فقتل أبو الدَّهْمَاءُ
عند انصرافه ، وشغلوا بأمره ، حتى مات عمر ، فألحقهم عثمان بقرش ، فلما
كان على قادم عن قرش ، وردَّهم إلى شيبان فقال شاعر :

خَرَّبَ التَّجِيبِيُّ الْمُضِلَّ صَرْبَةً رَدَّتْ بُنَانَهُ فِي بَنِي شَيْبَانَ (١)

== لابن حبيب عن الضبيعات : كلهما من ربيعة ضبيعة بن قيس بن ثعلبة أشرف بن
ضيبيعة أضجم بن ربيعة بن نزار ضبيعة بن عجل بن لجم .

(١) التجبي نسبة إلى تمجيب — بضم تائه وكسر جيمه — وقد تفتح التاء :
بطن من كندة : منهم : كنانة بن بشير التجبي قاتل عثمان ، وهو المقصود بكلمة
التجبي في بيتي الروض . والقصيدة المنسوبة في السيرة إلى سامة بن لؤي نسبا
صاحب الأغاني إلى أخى سامة يرثيه بها ، وهي في ترجمة علي بن الجهم ، وفيه عن
ولده سامة : أن سامة حين مات تزوجت امرأة رجلا من أهل البحرين ، فولدت الحارث
وسمعت لتلحقه بقرش ، فصدق كعب أخو سامة أمر الحارث ، ثم عرف بعد
ذلك أمره ، فنفاه عنه فرجع الحارث إلى البحرين ، وهناك تزوج الحارث ، وأعقب
هذا المقب ، أما ابن الكلبي فيزعم أن سامة ولد غالبا ، وأن أمه ناجية ، فلما هلك
سامة خلف ابنه الحارث عليها ، ثم هلك ابن سامة ، ولم يعقب ، وأن قوما من بني
ناجية بنت جرم بن ربان علاف ادعوا أنهم بنو سامة ، وهم الذين باعهم علي بن
أبي طالب إلى مصقلة ، أما الزبير بن بكار فإنه أدخل بني ناجية في قرش ، وسام :
قرشاً العازبة ، لأنهم عزبوا عن قومهم ، فنسبوا إلى أمهم ناجية بنت جرم بن
ربان ، وهو علاف . ويزعم الأصفهاني أن الزبير إنما أدخلهم في نسب قرش
حبا في مخالفة علي بن أبي طالب هذا ، وبنو ناجية كانوا أقدار تدوا عن الإسلام ، ==

والمأذَى لثُلها مُتَوَقَّع لما يكن ، وكأنه قد كانا

نلصت هذا الخبر من حديث ذكره البرقي عن ابن الكلبي ، والبُنانة في
اللفظ : الرَّاحَةُ الطَّيِّبَةُ . وقال أبو حنيفة : البُنانة : الرُّوضَةُ الْمُعْشَبَةُ الْحَالِيَةُ ، أي :

== فلما تولى على دعاهم إلى الإسلام فأسلم بعضهم ، وبقي الآخرون على الردة ،
فسباهم واسترقهم ، فاشترى منهم مَصْفَلَةً بن هُبَيْرَةَ ، ويروي ابن أبي الحديد أن
مصفلة بعد أن ابتاع سبي بني ناجية أعتقه ، فلما طالبه بالمال خاس به — أي
غدر .. — وهرب إلى الشام ، كذلك يقول ابن أبي الحديد أنه وجد في جمهرة النسب
لابن الكلبي كلاماً قد صرح فيه بأن سامة بن لؤي أعقب ، فقال ولد سامة بن لؤي :
الحارث ، وأمه هند بنت تميم وغالب بن سامة ، وأمه ناجية بنت جرم بن زبآن
من قضاة ، فهلك غالب بعد أبيه ، وهو ابن ثلثي عشرة سنة ، فولد الحارث
ابن سامة لؤيا وعبيدة وربيعة وسعدا ، وأمه : سلمى بنت تميم بن شيبان
وأمه : ناجية بنت جرم خلف عليها الحارث بعد أبيه بنكاح ممت ، فهم الذين قتلهم
على ص ٣٢٧ ١ شرح نهج البلاغة ط ٣ لبنان لعز الدين أبي حامد الشهير بابن
أبي الحديد ، واسمه : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد . ويروي أبو القاسم الزجاجي
عن قصيدة « علفت ساق الخ » شيئا آخر هو أن سامة نزل على رجل
من الأزد ، فهويته امرأته ، وعرف زوجها ، فوضع السم لسامة في حلاب ناقة ،
فتمزته المرأة ، فبرأ اللين ، وخرج يسير ، فبينما هو يسير ، هوت ناقته إلى عرجة ،
فانتشلتها ، وفيها أقمي ، فنفتحها ، فرمت بها على ساق سامة ، فهشمتها ، فمات ،
فقال المرأة الأزدية هذه القصيدة تبكيه بها ص ٣٤ أمالي الزجاج لابن القاسم
عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ط ١٣٢٤ ، وفي أمالي الزجاج تختلف القصيدة
عما في السيرة اختلافا يسيرا . مثل : « ماجد ما خرجت من غير ناقة » بدلا من
« غالبي خرجت من غير ناقة » .

قد حليت بالزهر (١).

وذكر خزيمة بن لؤي، وأبهم انتسبوا إلى شيبان، ويعرفون بأبهم عائذة، قال:
وعائذة من اليمن، وقال غيره: هي بنت الخنس (٢) بن قحافة من خثعم ولدت
لعبيد بن خزيمه مالكا وحارثا، فهم بنو خزيمه عائذة [قريش]، ومن بني خزيمه
أيضا: بنو حرب بن خزيمه، قتلهم المسودة في قريتهم بالشام، وهم يحسبونهم
بني حرب بن أمية (٣).

وذكر بنت جرم بن ربان (٤). وبنت جرم هي: ناجية، واسمها: ليلى، وجرم أبو

(١) في الاشتقاق عن بناء ص ١٠٧ أنها مشتقة من البتة بفتح الباء وتضعيف
النون المفتوحة، وهي الرائحة الطيبة، أو موضع مرايض الغنم، وأن سعدا هو
الذي كان يطلق عليه بناءة، وهو لقب لامة سوداء حضرت أولاد سعد، وفي
نسب قريش ص ١٣ عن أم بني لؤي أنها مارية بنت كعب بن القين بن جسر،
وكلامه عن سعد عين ما هنا.

(٢) الخنس في اللغة بكسر الخاء: ظمء من أظاء الإبل، وهو أن ترد يوما ثم
ترعى ثلاثا، ثم تطلب الماء يوما، وتود في اليوم الخامس، وكذلك السدس
إلى العشر، وهو آخر الأظاء، والواحد: ظمء بكسر الظاء.

(٣) المسودة هم الذين قاموا مع أبي مسلم الخراساني ضد بني أمية لإقامة دولة
بني العباس — أو دولة فارسية — كما كان يريد أبو مسلم، وكان شعارهم اللون
الأسود، فكانت زياتهم سودا، وكذلك ثيابهم، ويعبر بروكبان عما فعل
هؤلاء بأهل الشام، فيقول: في بلاد الشام كان رجالهم يقصيدون أفراد
هذا البيت. ويبيدونهم كالوحوش الضارية، ولم تسلم من انتقامهم قبور الخلفاء
نفسها، فانتسكوا حرمتها جميعا ص ٢٠٦ ج ١ تاريخ الشعوب الإسلامية ط لبنان.

(٤) في القاموس عن ربان أنها على وزن كسبان ثم قال: وليس في العرب
ربان غيره، ومن سواه بالزاي، وفي جهم: ابن جزم: أنه جزم بالحاء المفتوحة =

جُدَّةُ الذي نزل جُدَّةُ من ساحل الحجاز ، فعرفت به ، كما عُرِفَتْ كثيرٌ من البلاد بمن نزلها من الرجال ، وقد تقدم طرف من ذلك ، وسيأتى في الكتاب كثير إن شاء الله تعالى . وربان هو : عِلَافٌ الذي تُنسب إليه الرِّحال العِلَافِيَّةُ .

وذكر سَعْدُ بْنُ ذُبْيَانَ ، وقصته مع عوف بن لؤى وذُبْيَانَ بن بَغِيضٍ : بكسر الذال وضحها ، والكسر أفصح ، وهم أربعة أحياء من العرب : ذُبْيَانُ بن بَغِيضٍ في قيس ، وذُبْيَانُ بن ثعلبة في بَجِيلَةَ ، وذُبْيَانُ في قضاة ، وذُبْيَانُ في الأزد .

وذكر ابن دريد في كتاب اشتقاق الأسماء له : أن ذُبْيَانَ فُعْلَانٌ [أو فُعْلَان] من ذُبَى العودُ يَذُبِي [ذُبْيَا إِذَا لَانَ وَاسْتَرْخَى] (١) . يقال : ذُبَى العودُ ، وذَوَى بمعنى واحد .

وذكر حديث سامة بن لؤى حين قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحد بنيهِ ، فانتسب له إلى سامة ، فقال له عليه السلام : ألساعيرُ مخفضُ الرأى من الشاعر ، كذا قيده أبو بحر على أبي الوليد بالمخفض ، وهو الصحيح ؛ لأنه مردود على ما قبله ، كأنه مقتضب من كلام المخاطب ، وإن كان الاستفهام لا يعمل ما قبله فيما بعده ، ولكن العامل مُقَدَّرٌ بعد الألف ، فإذا قال لك القائل : قرأت على زيدٍ مثلاً ، قلت : آلم بالاستفهام ، كأنك قلت له : أعلى العالم ،

== والزأى الساكنة ، بن زبآن بالزأى المفتوحة والباء المضعفة ، وسأ كتبها بالأميرين .
(١) في الاشتقاق أنه على فُعْلَانٍ بضم أو كسر الفاء وسكون الباء ، وذُبَى يَذُبِي : إِذَا لَانَ وَاسْتَرْخَى وذُبَى العود مثل ذَوَى والزيادة من الاشتقاق ص ٢٧٥ .

ونظير هذا ألف الإنكار إذا قال القائل: سررت يزيد، فأنكرت عليه، فقلت أزيدنيه بمقتضى الدال، وبالنصب إذا قال: رأيت زيدا، قلت: أزيدنيه، وكذلك الرفع. ومن بنى سامة هذا: محمد بن عرعرة بن اليزيد شيخ البخاري، وبنو سامة ابن لؤي: زعم بعض النساب أنهم أدياء، وأن سامة لم يعقب، وقال الزبير: ولد سامة: غالباً والنبيت والحارث. وأم غالب: ناجية بنت حزم بن زبّان، واسمها: ليلي^(١) سميت: ناجية؛ لأنها عطشت بأرض فلاة، فجعل زوجها يقول لها: انظري إلى الماء، وهو يرهبها السراب حتى نجت، فسميت: ناجية، وإليها يُنسب [بكر بن قيس] أبو الصديق الناجي الذي يروي عن أبي سعيد الخدري، وأبو المتوكل الناجي، وكثيراً ما يخرج عنه الترمذي، وكان بنو سامة بالعراق أدياء لعلّ — رحمه الله — والذين خالفوا عليها منهم: بنو عبد البيت، ومنهم: علي بن الجهم الشاعر قيل: إنه كان يلعن أباه لما سماه علياً بغضاً منه في علي — رحمه الله — ذكره للمسعودي^(٢).

(١) في الجهرة لابن حزم أن سامة قد ولد الحارث، وأمه: هند بنت تميم الأدم، وغالباً أيضاً، وأمه ناجية بنت حزم بن زبّان إليها نسب ولد زوجها، فهم بنو ناجية، ولا عقب لغالب، وإنما العقب لآخيه الحارث خلف علي ناجية فنسب ولده إليها، وفي ترجمة علي بن الجهم في الأغاني قصة ناجية.

(٢) في جهرة ابن حزم: «وبنو ناجية الذين قتلهم علي - رضي الله عنه - على الردة، وسبهم - من بني أسامة، ومنهم علي بن الجهم، ص ١٢ .. وانظر ص ١٨ ج ٣ مروج، ففيها ما قاله السبيل عن ابن الجهم .. وفي نفس الصفحة يقول: «ولست تكاد ترى سامياً إلا منحرفاً عن علي». ويذكر أن الحارث بن راشد الناجي ارتد إلى دين النصرانية ومعه ثلثائة، كما يذكر أن كثيراً من الناس يقررون أن سامة بن لؤي أعقب، وانظر ص ٤٤ لسب قریش عن ولد سامة.

أما عبد البيت: فهو ولد الحارث بن سامة بن لؤي

الرسول والمرسل

وقوله : بَلِّغْنَا عَامِرًا وَكَعْبًا رَسُولًا . يجوز أن يكون رسولاً مفعول :
بَلِّغْنَا إذا جعلت الرسول بمعنى : الرسالة ، كما قال الشاعر :
لقد كَذَّبَ الوَاشُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُمْ بَلِيلِي ، ولا أرسلتهم برَسُول
أى : برسالة ، وإنما سَمَوْا الرسالة : رسولاً إذا كانت كتاباً ، أو
ما يقوم مقام الكتاب من شعرٍ منظوم ، كأنهم كانوا يُقيمون الشعر مقامَ
الكتاب ، فتبلغه الرُّكبان : كما تبلغ الكتاب يُعْرَبُ عن ضمير الكاتب
كما يُعْرَبُ الرسولُ ، وكذلك الشعرُ المُبَلَّغُ ، فسعى : رسولاً . وبين الرسول
والمُرْسَلُ معنى دقيقٌ يُنتفعُ به في فهم قولِ الله عز وجل : ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ
رَسُولًا ﴾ [النساء : ٧٩] فإنه لا يَحْسُنُ في مثل هذا أن يقال : أرسلناكَ مُرْسَلًا ،
ولا نَبَأًاكَ تَنْبِيْثًا ، كما لا يحسن : ضَرَبْنَاكَ مَضْرُوبًا ، ولكشفِ هذا
المعنى وإيضاحه موضعٌ غير هذا ، واختصار القول فيه : أن ليس كلُّ مُرْسَلٍ
رَسُولًا ، فالرَّيَّاحُ مُرْسَلَاتٌ ، والخاصِبُ مُرْسَلٌ ، وكذلك كلُّ عذابٍ أرسله
الله ، وإنما الرسولُ اسمٌ للمُبَلَّغِ عن المُرْسَلِ .

ويجوز أن يكون رسولاً حالاً من قوله : بَلِّغْنَا عَامِرًا وَكَعْبًا رَسُولًا ؛ إذ
قد يعبر بالواحد عن الاثنين والجماعة في مثل هذا اللفظ ، تقول : أنتم رَسُولِي ، وهي
رَسُولِي ، تُسوِّي بين الجماعة والواحد والمذكر والمؤنث . وفي التنزيل : ﴿ فَأَتَيْنَا
فِرْعَوْنَ فَقُولَا ۝ (١) : إنا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦] فيكون للمفعول

على هذا : أن نفسى إليهما مُشتاقَةٌ ، ويكون أن على القول الأول بدلا من رسول أى : رسالة .

وقوله : وخرُوس الشرى تركت رذِيًّا . إن خفضت فعناه : رُبَّ خرُوس الشرى تركت ، فتركت فى موضع الصفة لخرُوس ، وإن نصبت جعلتها مفعولا بتركت ، ولم يكن تركت فى موضع صفة ؛ لأن الصفة لاتعمل فى الموصوف ، والشرى : فى موضع خفض لخرُوس على المجاز كما تقول : نام ليلك . يريد : ناقة صموتا صبوراً على الشرى ، لا تضجر منه ، فسرها كالأخرس ، ومنه قول السكيت :

كُتُومٌ إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ ، كَأَمَّا تَسْكُرُمُ عَنْ أَخْلَافِهِمْ وَتَرْغَبُ وَقَوْلُ الْأَعَشَى :

كُتُومُ الرُّغَاءِ إِذَا هَجَّرَتْ وَكَانَتْ بَقِيَّةُ ذَوْدٍ كُتُمٌ (١)

وإنما قال : خرُوس فى معنى الأخرس ؛ لأنه أراد كُتُوم ، فجاء به على وزنه . قال البرقي : وكانت ماوية بنت كعب تحب سامة أكثر من إخوته ، وكانت تقول ، وهى تُرَقِّصُه صغيرا :

وإِن ظَنَنْى بِابْنِى إِن كَبَنُ أَنْ يَشْتَرِى الْحَدَّ ، وَيُغْلَى بِالثَّمَنِ

(١) ذود: يقال عن ثلاثة أبعرة إلى العشرة أو خمس عشرة أو عشرين وثلاثين ، أو ما بين الثنتين والتسع مؤنث ، ولا يكون إلا من الإناث ، وهو واحد . أو جمع لا واحد له ، أو واحد . والجمع : أذواد . وكنتم جمع كتوم : الناقة لاتشول بذنها . وقد دخل بيتا الشعر فى قصة حدثت فى مجلس ليزيد بن المهلب ، أقرأها ص ١٧ ، سقط اللآلىء

أمر عوف بن لؤى ونقلته

قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لؤى فإنه خرج - فيما يزعمون - في ركب من قُرَيْشٍ ، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، أبطل به ، فانطلق من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد ، وهو أخوه في نسب بني ذبيان - ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان - فحبسه وزوجه والتاظه وآخاه ، فشاع نسبه في بني ذبيان . وثعلبة - فيما يزعمون - الذي يقول لعوف حين أبطل به ، فتركه قومه :

أحبس على ابن لؤى جملك تركك القوم ولا متركونك

ويهزم الجيش إذا الجيش أرجحن ويروي العيمان من محض اللبن^(١)
يقال : كبن وأكبن : إذا اشتد .

وذكر قول جرير لبني جشم بن لؤى :

بني جشم لستم لهزان ، فانتتموا لأعلى الروابي من لؤى بن غالب

يقال لهم أعطوا جريرا على هذا الشعر ألف غير ربي ، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة ، فما انتسبوا بعد إلا لقريش .

(١) أرجحن : مال واهتز ، والنعيمة بفتح العين : شهوة اللبن والعطش وهو عيمان ، وهي عيمي ، وفي نسب مرة بن عوف ، يقول ابن حزم في الجهرة . . مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن غطفان بن قيس عيلان ، وفي الاشتقاق : ذبيان بغيض بن غطفان

« مكانة مرة ونسبه وسادات مرة » :

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين أن عمر بن الخطاب قال : لو كنت مدعياً حياً من العرب ، أو ملحقهم بنا لادعيت بنى مرة بن عوف ، إنا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى : عوف بن لؤى .

قال ابن إسحاق : فهو في نسب غطفان : مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان . وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب : ما ننكره ، وما نخجله ، وإنه لأحب النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع — قال ابن هشام : أحد بنى مرة بن عوف حين هرب من النعمان بن المنذر ، فلحق بقرش :

فما قومي يشعلني بن سبيد	ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي — إن سألت — بنو لؤى	بمكة عالموا مضر الضرابا
سفينها باتباع بنى بغيض	وترك الأقربين لنا انسابا
سفاهة مخلف لما تروى	هراق الماء ، وأتبع السرابا
فلو طووت — عذرك كنت فيهم	وما ألفت أنتجع السحابا
وخش راحة القرشي رجلي	بناجية ولم يطلب ثوابا

قال ابن هشام : هذا ما أنشدني أبو عبيدة منها .

قال ابن إسحاق : فقال [أبو زيد] الحصين بن الحمام [بن ربيعة] المرمي ، ثم أحد بنى سهم بن مرة يرد على الحارث بن ظالم ، وينتمى إلى غطفان :

.

أَلَا لَسَمْنَا مِنَّا ، وَلَسْنَا إِلَيْكُمْ بَرِثْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
أَقَمْنَا عَلَى عِزِّ الْحِجَازِ ، وَأَنْتُمْ بِمُعْتَلَجِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ

يعنى : قريشا . ثم ندم الحُصَيْن على ما قال ، وعرف ما قال الحارث بن
ظالم ، فأتى إلى قُرَيْش ، وأَكْذَبَ نَفْسَهُ ، فقال :

نَدِمْتُ عَلَى قَوْلٍ مَضَى كُنْتُ قُلْتُهُ نَدِمْتُ فِيهِ أَنَّهُ قَوْلٌ كَاذِبٌ
فَلَيْتَ لِسَانِي كَانَ نِصْفَيْنِ مِثْمَا بِكُمْ ، وَنِصْفٌ عِنْدَ بَجْرَى الْكُوكِبِ
أَبُونَا كِنَانِي بِمَكَّةَ قَبْرُهُ بِمُعْتَلَجِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
لَنَا الرُّبْعُ مِنْ بَيْتِ الْحَرَامِ وَرِائِهِ وَرَبِيعِ الْبَطَاحِ عِنْدَ دَارِ ابْنِ حَاطِبٍ

أى أن بنى لُؤَيٍّ كانوا أربعة : كعبا ، وعامرا ، وسامة ، وعوفيا .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لَأَئِمَّهُمْ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قال لِرَجَالٍ مِنْ بَنِي مُرَّةٍ : إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى نَسَبِكُمْ ، فَارْجِعُوا إِلَيْهِ .

قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرفا في غطفان ، هم ساداتهم وقادتهم .
منهم : هَرِمٌ بْنُ سَيَّانَ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ، وَخَارِجَةُ بْنُ سَيَّانَ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ، وَالْحَارِثُ
ابْنُ عَوْفٍ ، وَالْحُصَيْنُ بْنُ الْحَمَامِ ، وَهَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ الَّذِي يَقُولُ لَهُ الْقَائِلُ :

أَحِبَّ أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ
يَوْمَ النَّبَاءَاتِ وَيَوْمَ الْبَيْعَةِ
تَرَى الْمُلُوكَ عِنْدَهُ مُغْرَبَلَةً
يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ ، وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

• • • • •

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة هذه الأبيات لعامر الخصفي : خَصَفَةَ
ابن قيس بن عيلان :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرَمَلَةَ
يَوْمَ الْهَبَاءِ آتٍ وَيَوْمَ التَّيْمَمَةِ
تَرَى الْمُلُوكَ عِنْدَهُ مُقَرَّبِلَهُ
يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ ، وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
وَرُحْمُهُ لِلْوَالِدَاتِ مَشْكَلَةٌ

وحدثني أن هاشما قال لعامر : قل في بيتي جيذاً أثبتك عليه ، فقال عامر
البيت الأول ، فلم يعجب هاشما ، ثم قال الثاني ، فلم يعجبه ، ثم قال الثالث ،
فلم يعجبه ، فلما قال الرابع :

يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ ، وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
أعجبه ، فأنابه عليه

قال ابن هشام : وذلك الذي أراد السكيت بن زيد [بن الأخنس الأسدي]
في قوله :

وَهَاشِمُ مُرَّةَ الْمُغْنَى مَلُوكًا بَلَا ذَنْبٍ إِلَيْهِ وَمُذْنِبِينَ
وهذا البيت في قصيدة له . وقول عامر : يوم الهباءات . عن غير أبي عبيدة
قال ابن إسحاق : قوم لهم صيت وذِكر في غطفان وقيس كلها ، فأقاموا
على نسبهم ، وفيهم كان البسل .

• • • • •

أمر البسل

وَالْبَسْلُ — فيما يزعمون — نَسَبُهُمْ ثمانية أشهر حُرِّمَ ، لهم من كل سنة من بين العرب قد عرفت ذلك لهم العربُ لا ينكرونها ، ولا يدفعونه ، يسبّرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا ، لا يخافون منهم شيئاً . قال زهير بن أبى سلمى ،
يعنى بنى مرة .

قال ابن هشام : زُهَيْرٌ أَحَدُ بَنِي مُزَيْنَةَ بْنِ أَدِّ بْنِ طابخة بن الياس بن مضر ،
ويقال : زُهَيْرٌ بْنُ أَبِي سَلَمَى مِنْ غَطَفَانَ ، ويقال : حَلِيفٌ فِي غَطَفَانَ .

تَأْمَلْ ، فَإِنْ تَقْوِ الْمَرْوَرَةَ مِنْهُمْ وَدَارَاهَا لَا تَقْوِ مِنْهُمْ إِذَا نَخَلْ
بِلَادَ بِهَا نَادَتْهُمْ وَالْفَتْهُمْ فَإِنْ تَقْوِيا مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ يُبَسِّلُ
أى : حرام . يقول : ساروا فى حرّمهم .

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

أَجَارَتْكُمْ بَسْلٌ عَلَيْنَا مُحَرَّمٌ وَجَارَتْنا حِلٌّ لَكُمْ وَحَلِيلُها

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

« أولاد كعب ومرة وأمهاتهم » :

قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر : مرة بن كعب ، وعديّ

ابن كعب ، وهُصَيْنٌ بن كعب . وأمههم : وَحْشِيَّةُ بنت شَيْبَانَ بن مُحَارِبِ بن

فهر بن مالك بن النضر .

فولد مُرّة بن كعب ثلاثة نفر : كلاب بن مُرّة ، وتيم بن مُرّة ، ويقظة ابن مُرّة .

فأمّ كلاب : هند بنت سُريز بن ثعلبة بن الحارث بن [فهر بن] مالك ابن كنانة بن خزيمة . وأم يقظة : البارقية ، امرأة من بارق ، من الأسد من اليمن . ويقال : هي أم تيم . ويقال : تيم هند بنت سُريز أم كلاب .

« نسب بارق »

قال ابن هشام : بارق : بنو عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن القوث ، وهم في شُوءة . قال الكُميت بن زيد :

وأزْد شُوءة اندرّوا علينا يحمم يحسون لها قرونا
فما قلنا لبارق : قد أساتم وما قلنا لبارق : أعتبونا
قال : وهذان البيتان في قصيدة له . وإنما سموا ببارق ؛ لأنهم تبعوا البرق .

« ولدا كلاب وأمهما »

قال ابن إسحاق : فولد كلاب بن مُرّة رجاين : قصى بن كلاب ، وزهرة ابن كلاب . وأمهما : فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجُدرة ، من جُعْثمة الأزْد ، من اليمن ، حلفاء في بني الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

« نسب جُعْثمة »

قال ابن هشام : ويقال : جُعْثمة الأسد ، وجُعْثمة الأزْد ، وهو جُعْثمة

• • • • •

ابن يَشْكُر بن مُبَشِّر بن صَعْب بن دُهْمَان بن نَصْر بن زَهْرَان بن الحَارِث
ابن كَعْب بن عبد الله بن مالك بن نَصْر بن الأَسَد بن النَوْث ، ويقال : جُعْثمة
ابن يَشْكُر بن مُبَشِّر بن صَعْب بن نَصْر بن زَهْرَان بن الأَسَد بن النَوْث .
وإنما سُمُّوا الجُدَرَة ؛ لأن عامر بن عمرو بن جُعْثمة تزوج بنت الحارث
ابن مِضَاض الجُرْهمي ، وكانت جُرْهم أصحاب الكعبة . فبنى للكعبة جداراً ،
فسمي عامر بذلك : الجادر ، فليل لولده : الجُدَرَة لذلك .

قال ابن إسحاق : ولسعد بن سَيْل يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخصاً واحداً مَن عَلِمناه كسعد بن سَيْلٍ
فارساً أَضْبَطَ ، فيه عُسْرَةٌ وإذا ما وَاقَفَ القَوْمَ فزَلَّ
فارساً يَسْتَدْرِجُ الخَيْلَ كما اسْتَدْرِجَ الخُرَّ القَطَائِمِيُّ الحَجَلُ
قال ابن هشام : قوله : كما استدوج الحر . عن بعض أهل العلم بالشعر .

« عود إلى أولاد كلاب »

قال ابن هشام : ونعم بنت كلاب ، وهي أم سعد وسعيد ابني سهم بن
عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لُؤَي ، وأما : فاطمة بنت سعد بن سَيْل .

« أولاد قصي وعبد مناف وأمهاتهم »

قال ابن إسحاق : فولد قُصَي بن كِلَاب أربعة نَفَرٍ وإمراةَيْن : عبد مناف
ابن قُصَي ، وعبد الدار بن قُصَي ، وعبد العُزَي بن قُصَي ، وعبد بن قُصَي ،
وتخمر بنت قُصَي ، وبرّة بنت قُصَي . وأمه : حُبَي بنت حُلَيْل بن حَبَشَةَ بن
سُلُول بن كعب بن عمرو الخزاعي .

قال ابن هشام : ويقال : حُبَشِيَّة بن سَلُول .

قال ابن إسحاق : فولد عبدُ مناف — واسمه : الْمُغِيرَةُ بن قُصَيٍّ — أربعة نفر : هاشم بن عبد مناف ، وعبد شمس بن عبد مناف ، والمطلب بن عبد مناف ، وأمههم : عاتكة بنت مُرَّة بن هلال بن فالح بن ذَكْوَان بن ثَعْلَبَة ابن بُهَثَة بن سُلَيْم بن منصور بن عكرمة ، ونوفل بن عبد مناف ، وأمه : واقدة بنت عمرو المازنية . مازن بن منصور بن عكرمة .

وذكر شِعْرَ الحارث بن ظالم . وقوله (١) : سفاهة مُخْلِفٍ ، وهو المُسْتَقِي [للباء] ، وفيه لم يذكر :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأَحِبُّ كَعْبًا وَسَامَةً إِخْوَتِي حُبِّي الشَّرَابَا

وقوله : وَخَشَّ رَوَاحَةَ الْقُرَشِيِّ رَحْلِي بِنَاجِيَةٍ . أى : بِنَاقَةٍ مَرِيعة يقال : خَشَّ السَّهْمُ بِالرَّيْشِ ، إذا رَاشَهُ بِهِ ، فأراد : وَاشَنِي وَأَصْلَحَ رَحْلِي بِنَاجِيَةٍ ، ولم يطلب ثواباً بِمَدْحِهِ بِذَلِكَ . وَرَوَاحَةُ هَذَا : هُوَ رَوَاحَةُ بِنِ مُنْقَذِ ابن مَعِيص بن عامر كان قد رَجَعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَيْ : رَأْسَ ، وَأَخَذَ الْمِرْبَاعَ (٢) .
وقوله : لَوْ طُرُوْعَتِ عَمْرُكَ كُنْتُ فِيهِمْ ، وَنَصَبَ عَمْرُكَ عَلَى الظَّرْفِ .

(١) بدأ يشرح قصيدة الحارث بن ظالم .

(١) كان حُشَمٌ — وهو الحارث بن ثَوِي — قد دخلوا في نِزَارٍ مِنْ عِزَّةٍ ، ثُمَّ مِنْ رِيْبَةٍ .

(٢) نسب رَوَاحَةَ فِي كِتَابِ نَسَبِ قُرَيْشٍ : رَوَاحَةُ بِنِ مُنْقَذِ — فِي الرُّوْضِ كَانَتْ دَالَا — بِنِ عَمْرِو بْنِ مَعِيصٍ الْخ ص ٤٣٧ . وَالْمِرْبَاعُ : كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا غَزَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَغَنَمُوا . أَخَذَ الرَّيْسُ رِيْعَ الْغَنِيْمَةِ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ :
لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحَكَكَ وَالنَّشِيْطَةُ وَالْفَضُولُ
الصَّفَايَا : مَا يَصْطَفِيهِ الرَّيْسُ ، وَالنَّشِيْطَةُ : مَا أَصَابَ مِنَ الْغَنِيْمَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَجْتَمَعِ الْحَيِّ . وَالْفَضُولُ : مَا عَجَزَ أَنْ يَقْضِيَ لِقَاتِهِ ، وَخَصَّ بِهِ .
(م ٢٧ — الرُّوْضُ الْأَثَرُ)

وقوله: وما أُلْفِيَتْ أَنْتَجِعَ السحابا. أى: كانوا يفتنوننى بِسَيِّبِهِمْ ومَعْرُوفِهِمْ
عن انتجاع السحاب ، وارتياذ المراعى فى البلاد .

وقول الحصين: بِمُتَمَلِّجِ البطحاء: أى حيث تَمْتَلِجُ السيول، والاعتلاجُ
عملٌ بقوة، قال الشاعر:

لو قلت للسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ وَالْ سَّيْلُ كَثَلِ الْمَضَابِ يَمْتَلِجُ

وفى الحديث: إنكما عَاجِلَانِ، فعالجا عن دينكما^(١)، وفى الحديث: إن الدعاء
يلقى البلاء نازلا من السماء، فَيَمْتَلِجَانِ إلى يوم القيامة، أى: يتدافعان بقوة.

وقوله: لنا الرُّبْعُ بضم الراء، يريد: أن بنى لؤى كانوا أربعة: أحدهم: أبوه،
وهو عوف، وبنو لؤى هم: أهل الحرم، ولهم وراثته البيت والأخشاب:
جبال مكة، وقد يقال لكل جبل: أخشب، أنشد أبو عبيد:

كَأَنَّ فَوْقَ مَنْكَبِيهِ أَخْشَبَا

وذكر خارجة بن سنان الذى تزعم قيس أن الجِنَّ اختطفته لِتَشْتَفِيَهُ^(٢)
نساؤها لبراعته ونجدته، ونجاة نسله، وقد قدمت بِنْتُهُ على عُمَرَ، فقال لها:
ما كان أبوك أعطى زُهَيْرًا حين مدحه، فقالت: أعطاه مالا ورقيقا وأمانا أفناه
الدهر، فقال: لكن ما أعطاكم زُهَيْرٌ لم يُفْنِهِ الدهرُ، وكان خارجة بَقِيرًا

(١) العليج: الرجل القوى الضخم، فعالجا: أى مارسا العمل الذى نددتكما
إليه، وأعمالا به.

(٢) أى لتجعله كل منهن فى مكان الزوج منها، والقول خرافة.

أَمَرَتْ أُمُّهُ عِنْدَ مَوْتِهَا أَنْ يُبْقَرَ بَطْنُهَا عَنْهُ ، فَعَمَلُوا فَجَرَ حَيًّا ، فَسُمِيَ خَارِجَةً ،
وَيُقَالُ لِلْبَقْرِ : خِشْعَةٌ ، قَالَ الْحَطِيطَةُ : يَعْنِي خَارِجَةً بَنَ سَنَان :

لَقَدْ عَلِمْتُ خَيْلُ ابْنِ خِشْعَةَ أَنَّهَا مَتَى مَا يَكُنْ يَوْمًا جَلَادٌ تُجَالِدُ

وقول عاصم : ترى الملوك حوله مُغْرَبَلَةٌ . قيل معناه : مُنْتَفِخَةٌ ، وَذَكَرُوا
أَنَّهُ يُقَالُ : غَرِبَلَ الْقَتِيلُ إِذَا انْتَفَخَ ، وَهَذَا غَيْرُ مَعْرُوفٍ ^(١) وَإِنْ كَانَ أَبُو عُبَيْدٍ
قَدْ ذَكَرَهُ فِي الْغَرِيبِ الْمَصْنُفِ ، وَأَيْضًا : فَإِنَّ الرِّوَايَةَ بِفَتْحِ الْبَاءِ مُغْرَبَلَةٌ ،
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَاهُ : يَتَغَيَّرُ الْمُلُوكُ فِيَقْتَالُهُمْ ، وَالَّذِي أَرَاهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ يُرِيدُ
بِالْمُغْرَبَلَةِ اسْتَقْصَاءَهُمْ ، وَتَتَبِعُهُمْ ، كَمَا قَالَ مَكْحُولٌ الدَّمَشْقِيُّ : وَدَخَلْتُ الشَّامَ ،
فَغَرَبَلْتُهَا غَرَبَلَةً ، حَتَّى لَمْ أَدَعْ عِدًّا إِلَّا حَوَيْتَهُ ، فِي كُلِّ ذَلِكَ أَسْتَلُّ
عَنِ الْبَلِّ .

وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، فَعَنَى هَذَا : التَّخَشُّعُ وَالِاسْتِقْصَاءُ ، وَكَأَنَّهُ مِنْ غَرَبَلْتُ
الطَّامِ . إِذَا تَتَبَعْتَهُ بِالِاسْتِخْرَاجِ ، حَتَّى لَا تَبْقَى إِلَّا الْحَنَالَةُ . وَقَوْلُهُ :

يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ^(٢) إِنَّمَا أَعْجَبَ هَاشِمًا هَذَا الْبَيْتَ ؛ لِأَنَّهُ

(١) الْمُغْرَبَلُ اسْمُ مَفْعُولٍ - الْمَقْتُولِ الْمُنْتَفَخِ . وَعِنْدَ الْحَشْنِيِّ ص ٣٥ : مُغْرَبَلَةٌ :
مَقْتُولَةٌ . يُقَالُ : غَرِبَلَ إِذَا قَتَلَ أَشْرَافَ النَّاسِ وَخِيَارَهُمْ ،

(٢) وَرَدَ الْبَيْتَانِ فِي الْإِشْتِقَاقِ ، لَا بِنِ دَرِيدٍ هَكَذَا :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلِهِ إِذَ الْمُلُوكُ حَوْلَهُ مُسْرَعِبِلِهِ
وَرَعَاهُ لِلْوَالِدَاتِ مَشْشَكَلَةٍ يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
وَفِي نَسْخَةٍ مِنْ نَسَخِ الْإِشْتِقَاقِ : وَقَالُوا : مُغْرَبَلَةٌ : فَرْعِلَةٌ مَقْطُوعَةٌ ، وَمُغْرَبَلَةٌ
مُسْتَأْصَلَةٌ ، ص ٢٩٠ بِتَحْقِيقِ الْأَسَازِ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ

وصفه فيه بالعمز والامتناع ، وأنه لا يخاف حاكماً يُعدي عليه ، ولا ترّة من طالب ثار . وهاشم بن حرّمة هذا هو : جد منظور بن زبّان بن يسار (١) الذي كانت بنته زُجَلَة عند ابن الزُبَيْر ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها : قَهْطَمُ بنت هاشم . كانت قَهْطَمُ قد حملت بمنظور أربع سنين (٢) ، وولدته بأخراسه ، فسمي منظور الطول انتظارهم إياه ، وفي زبّان بن يسار والد منظور يقول الخطيئة :
وفي آل زبّان بن يسار فتية يروُن ثنائيا ألجداً سهلاً صعباً
ولم يصرف سياراً لما سذكه بعد — إن شاء الله .

مزينة :

وذكر زُهَيْراً ونسبه إلى مُزَيْنَة ، وهم بنو عُثْمَانَ بن عمرو بن الأَظْمِ
ابن أَدْبَن طابخة (٣) . قال حَسَّان بن ثابت :
فإنك خيرُ عثمان بن عمرو وأسناها إذا ذُكرَ التَّناهُ
يمدح رجلاً من مُزَيْنَة ، ومُزَيْنَة : أمهم ، وهي بنت كَلْب بن وَبَرَة ،

(١) في الاشتقاق : زبّان بن يسار وسيأتي في الروض . وقد تروى بنات منظور : الحسن بن علي ، ومحمد بن طلحة ، وعبد الله بن الزبير ، والمندر بن الزبير .
(٢) إن ربنا سبحانه يرشدنا في القرآن إلى أن حمل الإنسان وفصاله ثلاثون شهراً فكيف تصدق هذا ؟

(٣) في ترجمة زهير في الأغاني : عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة . وفي الاشتقاق : عمرو بن أد بن طابخة ص ١٨٠ وكذلك في الجهرة لابن حزم : عمرو ابن أد بن طابخة ، ومزينة هي أم ولد عمر .

وأختها: الخوَابُ بنت كَثَب التي تعرف بها ماء الخوَاب (١) المذكور في حديث عائشة: أَيْتَنُكُنْ صاحبة الجمل الأذْيَب (٢) تنبجها كلاب الخوَاب .

البَسل :

وذكر البَسل وهو الحرام ، والبَسلُ أيضا : الحلال ، فهو من الأضداد ومنه : بَسْلَةُ الرّاقى ، أى ما يحلُّ له أن يأخذه على الرّقبة ، وبَسلٌ فى الدعاء بمعنى : آمين ، قال الراجز [المُتَمَلِّسُ] .

لاخاب مِنْ تَقَمُّكَ مِنْ رَجَاكَ بَسْلًا ، وعادى الله مَنْ عاداك (٣)

وكان عمر بن الخطاب يقول فى أثر الدعاء : آمين وبَسْلًا ، أى : استجابة .

(١) حوَاب : يقال : واد حوَاب : واسع . وعرفه الأزهرى بقوله : الحوَاب : واد فى وهد من الأرض واسع . وحوَاب : ماء أو موضع قريب من البصرة وفى اللسان : أنه متول بين البصرة ومكة ، وهو الذى نزلته عائشة رضى الله عنها لما جاءت إلى البصرة فى وقعة الجمل . وفى التهذيب : الحوَاب موضع بئر نبحت كلابه أم المؤمنين مقبلها من البصرة ، والحوَاب : بنت كلب بن وبرة وبسكون الباء ويضبطها الاشتقاق بالفتح دائما .

(٢) إنما أريد : الأذْبُ بادغام الباء - ليوازن به كلمة الخوَاب ، وهو الجمل الكثير الوبر ، أو الكثير وبر الوجه ، وقد روى أحمد والبراز هذا الحديث ، ورواياته مضطربة ، وتبدو فيه رائحة شيعية . فلم يروه غير أحمد والبراز .

(٣) فى اللسان : البَسل من الأضداد وهو الحرام والحلال ، والواحد والجميع والمذكر والمؤنث فى ذلك سواء . . والإيسال : التحريم . وعن ابن سيدة : قالوا فى الدعاء على الإنسان : بَسْلًا وأَسْلًا . وفى التهذيب يقال : بَسْلًا له والبيت الذى فى الروض للمتلئس ، وأشدّه ابن جنى برفع كلمة بسل ، وقال : هو بمعنى : آمين .

وقول زهير : فَإِنْ تَقَوَّيَ الْمَرْوَرَةَ مِنْهُمْ . البيت وقع في بعض النسخ
الْمَرْوَرَاتُ بناء ممدودة ، كأنه جمع مَرَوَّرَ ، وليس في الكلام مثل هذا البناء ،
وإنما هو الْمَرْوَرَةُ بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام ، فهو فعْلَمَعَةٌ مثل
صَمَحَمَحَةٍ ، والألف فيه مُنْقَلِبَةٌ عن واو أصليَّة ، وهذا قول سيبويه محمله مثل :
شَجَّوْجَاءَ ، وأبطل أن يكون من باب عَثَوْتَلْ ، وقال ابن السراج في قَطَوْطَاءَ :
وهو مثل : مَرَوْرَاءَ ، هو فَعَوْعَلٌ مثل : عَثَوْتَلْ ، وقال سيبويه فيه : إنه من
باب صَمَحَمَحَةٍ ، قالوا زائدة على قول ابن السراج ، ووزنه عنده : فَعَوْعَلَةٌ (١) .

(١) في اللسان في مادة مرو : المروارة : الأرض أو المقارن التي لا تسمى

فيها ، وهي فَعَوْعَلَةٌ ، بفتح الفاء والعين وسكون الواو وفتح العين واللام ،
والجمع : المَرَوْرِيّ ، بفتح الميم والراء وإسكان الواو وفتح الراء والمَرَوْرِيَّاتُ
بفتح الميم والراء وإسكان الواو وفتح الراء ، والمرارى بكسر الراء الأخرية ،
وقال سيبويه هو بمنزلة صَمَحَمَحَسَحَ ، وليس بمنزلة عَثَوْتَلْ ؛ لأن باب الأولى
أكثر من باب عَثَوْتَلْ . وقال ابن بري : مروارة عند سيبويه فعلعة ، قال في
ما تقلب فيه الواو ياء : وأما المروارة فبمنزلة الشَّجَّوْجَاءَ ، وهما بمنزلة
صَمَحَمَحَسَحَ ، ولا تجعلهما على عَثَوْتَلْ ؛ لأن فعللأ أكثر ، والضممح : الشديد
القوى ، وجمعه : صمماح ، وهي من الثلاثي الملحق بالخماسي أي : بسفرجل ، أما عَثَوْتَلْ
فالكثير اللحم الرخو ، وهي من الثلاثي الملحق بالخماسي ، ويرى الفراء - كما مرود في
شرح الشافية ص ٦٣ - (أن صمماح على وزن فَعْلَمَلٌ بفتح الفاء والعين
وتضعيف اللام ، . وقال : لو كان فعللأ لكان صرصر وزلزل ففع - ويرد عليه
الشارح بقوله : وليس ما قال بشيء ، لا نالاً نحكم بزيادة التضعيف إلا بعد إكمال
ثلاثة أصول . أما قَطَوْطَى - وهو البطيء المشي ، فهي عند سيبويه فعول
كغردون ، أما المبرد فجعلها على فَعْلَمَلَسَلْ ، وقال : أصله قَطَوْطٌ بفتح القاف
والطاء وإسكان الواو . وحجة سيبويه أنه جاء منه : اقْطَوْطَى أي : أبطأ في مشيه =

أعلام وأنساب :

وذكر هُصَيْنُ بْنُ كَعْبٍ ، وهو : فُعَيْلٌ مِنَ الْهَمَصِّ ، وهو : الْقَبَضُ
بِالْأَصَابِعِ . من كتاب العين (١) .

وذكر يَقْظَةُ بْنُ مُرَّةٍ بَفَتْحِ الْقَافِ ، وقد وجدته بسكون القاف في أشعار
مُدَحِّهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فمنها قول الشاعر :

وَأَنْتَ لِمَخْزُومٍ بِنِ يَقْظَةَ جَنَّةٌ كَلَّا اسْتَيْكَ فِيهَا مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِدٍ
وَأُمُّ مَخْزُومٍ بِنِ يَقْظَةَ جَدُّ بَنِي مَخْزُومٍ : كَلْبَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ . قاله
الزَّيْبِيُّ (٢) .

وذكر بَارِقٌ ، وهم : بَنُو عَدَى مِنَ الْأَزْدِ ، وقال : سُمُّوا : بَارِقٌ ؛ لِأَنَّهُمْ
اتَّبَعُوا الْبَرَقَ ، وقد قيل : إِنَّهُمْ نَزَلُوا عِنْدَ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ : بَارِقٌ ، فَسُمُّوا بِهِ (٣) .

== مثل اغدودن : افعلول ، وافعلشعل لم يأت في كلام العرب ، ولو كان فعلةلا
كما زعم المبرد ، لكان القياس حذف الواو الأولى . والشجوجي : الطويل الظهر
القصير الرجل ، وقيل : المفرط الطول الضخم العظام ، والشجوجي : العقق
والأثني شجوجاة .

(١) والهمص : بفتح الهاء ، أيضاً : الصلب من كل شيء ، وشدة الغمز والوطء
لشيء حتى تشدخه .

(٢) في ص ٢٩٩ من نسب قريش ما ذكره السهيلي عن نسب أم مخزوم
(٣) في الاشتقاق عن بارق ص ٤٨٠ أنه سمي بارقا بجبل نوله بالسراة ،
ولهذا ذهب صاحب نسب قريش ص ١٤

وقول الكُمَيْت : يَجْمُ يَحْسُبُونَ لها قُرُونًا . أَى : يَنْطَاطِحُونَ بلا عُدَّة
ولا مُنَّة (١) كالْكِبَاشِ الْجُمِّ التي لا قرون لها ، ويحسبون أن لهم قوة .
والكميت هذا هو : ابنُ زيد أبو المُسَهِّل من بني أسد .

وفى أسد : الكُمَيْت بن معروف ، كان قبل هذا ، وفيهم أيضا الكميُّ
ابن ثعلبة ، وهو أقدم الثلاثة ، وابن معروف هو الذى يقول :

[خُذُوا الْعَقْلَ إِن أَعْطَاكُمْ الْقَوْمُ عَقْلَكُمْ وكونوا كَمَنْ سِيمِ الْهَوَانِ فَلَزْبَعًا]
ولا تُكثِرُوا فِيهِ الضَّجَاجَ ، فإنه محَا السَّيْفُ مَا قَالِ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعًا (٢)

(١) القوة

(٢) ابن دارَةَ هو : سالم بن مسافع بن يربوع أحد بني عبد الله بن غطفان ، ودارَةَ :
أمه ، كان هجاء بعض بني فزارة هجوا شنيعاً ، فأغتاله زُمَيْلُ الفَزَارِيِّ وقال :
أَنَا زُمَيْلٌ قَاتِلُ ابْنِ دَارَةَ وراحِضُ الْمُخَضَّرَةِ عَنْ فَزَارَةَ
ثم جعلت عَقْلُهُ الْبِكَارَةَ

والعقل : الدية : والبكارة : جمع بكر من الإبل والشعر : وخذوا العقل : منسوب
للكميِّ بن معروف في البيان والتبيين ، وفي حاشية البحرى ، وشرح الحاشية للترىزى
ومنسوب إلى الكميِّ بن ثعلبة في خزائن البغدادى والمؤتلف ، وقد أخطأ البكرى
في السمط ، فنسبه إلى زميل بن أهدد . انظر مجمع الأمثال للبديانى ص ٢٧٩ ج ٢
ط السنة المحمدية ، ص ٣٨٩ ج ١ البيان والتبيين بتحقيق الأستاذ عبد السلام
هارون ، ص ٦٨٩ السمط للبكرى ، والزيادة في الشعر من البيان ومجمع الأمثال
وقبل البيتين بيت استحيت من ذكره .

الجدرة :

وذكر الجدرة ، وقال : هم بنو عامر بن خزيمة بن جعشم ، وفي حاشية الشيخ أبي بحر زيادة خزيمة خطأ ، إنما هو : عمرو بن جعشم ، وذكر غير ابن إسحاق أن السيل ذات مرة دخل الكعبة ، وصعد بنائها ، ففرغت لذلك قريش ، وخافوا أنها إذا إن جاء سيل آخر ، وأن يذهب شرفهم ودينهم ، فبنى عامر لها جدارا ، فسمى : الجادر . وقوله في الجدرة : حلفاء بني الدليل . المعروف عند أهل النسب : أن الدليل في عبد القيس ، وهو الدليل بن عمرو بن وداعة (١) [ابن أنفي بن عبد القيس] ، والدليل أيضا في الأزدي ، وهو ابن هذهاد بن زيد مناة ، والدليل أيضا في تغلب وهو : ابن زيد بن عمرو بن نغم بن تغلب ، والدليل أيضا في إباد ، وهو ابن أمية بن حذافة بن زهير بن إباد ، وأما الذي في كنانة ، وهم الذين ينسب إليهم أبو الأسود الدؤلي . وهو : ظالم بن عمرو ، وهم حلفاء الجدرة ، فابن الكلبي ومحمد بن حبيب وغيرهما من أهل النسب يقولون فيه : الدليل بضم الدال وهمزة مكسورة ، وينسبون إليه دؤلي ، وطائفة من أهل اللغة ، منهم : الكسائي ويونس بن حبيب والأخفش يقولون فيه : الدليل بكسر

(١) ابن وداعة بن لكيز . بضم اللام وفتح الكاف وإسكان الياء ، ولكيز وأخوه شمر : هما قبيلة عبد القيس بن أفضى بن دؤمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار ، وفي الإنباه لابن عبد البر مثل ما في السيرة . أما في نسب قريش ففيه عن الجدرة : وهم حلفاء لبني نفاثة بن عدي بن الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ابن بكر بن عبد مناة . وفي جمهرة ابن حزم : الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وضبط دئل مثل ضبط النسب لها

الدال ، وينسبون إليه الدَّيْلُ ، واختاره أبو عبيدة . قال محمد بن حبيب : ابن الكُتَيْبِ وغيره من أهل النسب أقعدُ بهذا ، وإليهم يرجع فيما أشكل من هذا الباب .

قال المؤلف : وأما الدَّوْلُ ، فالدَّوْلُ بن حنيفة ، واسم حنيفة : أُنْثَى بن لَجِيم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وهم رهط مسيلة الكذاب ، وفي ربيعة أيضا ، ثم في عمرة : الدَّوْل بن صباح ، وفي الرِّبَاب : الدَّوْل بن جَلَّ بن عدى ابن عبد مناة بن أد ، بن طابخة ، وفي الأَسَدِ : الدَّوْل بن سعد مناة بن غامد .

والذي تقيد عن ابن إسحاق في الدَّيْل بن بكر بكسر الدال والياء الساكنة وقد وافقه على ذلك من النَّسَاب : العدوي وابن سالم الجُمَحِيُّ ، ومن تقدم ذكره من أهل اللغة (١) ، والدَّال على وزن فَعْل من : دَال يَدَالُ إذا مشى بعجلة ، وأما

(١) إليك ما ورد في اللسان وغيره عن الدتل والدليل ، والدَّيْل بالضم بطن أمهما : أم خارجة البجلية التي يضرب بها المثل في سرعة النكاح ، د جمهرة ص ١٧٠ ، وبجمع الأمثال . وفي الاشتقاق : وفي العرب : الدليل بكسر الدال . والدول بضم الدال وإسكان الواو ، والدتل بضم الدال ثم همزة مكسورة . وفي اللسان : الدتل بضم الدال وهمزة مكسورة : دربة شهبطين عرس . وفيه البيت : جاءوا بجيش لوقيس معرسة منسوباً إلى كعب بن مالك ولا يوجد اسم على وزن فعل بضم فكسر سوى الدتل وزعم قال الجوهري نقلاً عن الأنخس وهو قول ثعلب أيضاً : وإلى المسمى بهذا نسب أبو الأسود الدؤلي بضم الدال وفتح الهمزة إلا أنهم فتحوا الهمزة على مذهبه في النسبة استثناء لتوالي الكسرتين مع ياء النسب ، كما ينسب إلى نمر : نمرى بفتح النون والميم وربما قالوا : الدؤلي بقلب الهمزة واءاً ، لأن الهمزة إذا فتحت ، وكانت قبلها ضمة =

الدليل بغير همز ، فكأنه سمي بالفعل من دليل عليهم من الدولة على وزن

== فإنها تخفف لقلبها وارا محضة ، كما قالوا في جُؤن : جُؤن ، وفي مُؤن مُون .
وقال ابن الكلبي : هو أبو الاسود الدؤلي . فقلبت الهمزة ياء حين انكسرت فإذا
انقلبت ياء كسرت الدال لتسل الياء ، كما تقول : قيل ويبيع . واسمه : ظالم بن عمرو بن
سليمان بن عمرو بن حنيس بكسر الحاء بن ثفانة بضم الثون بن عدى بن الدؤل
ابن بكر بن كنانة ، قال الاصمعي : وأخبرني عيسى بن عمر قال : الدؤل بن بكر
الكناني إنما هو : الدؤل ، فترك أهل الحجاز همزه . وعند السيرافي أن أهل
البصرة يقولون الدؤلي ، وهو من الدؤل بن بكر بن كنانة . ويقول ابن حبيب :
الدؤل بن كنانة ، ويقول أيضاً : الدؤل بن مُسلم بن غالب بن مليح بن الهون
ابن خزعة بن مديكة . وعن يونس أنهم ثلاثة : الدؤل من بني حنيفة : يسكون
الواو ، والدؤل من قيس ساكنة الياء . والدؤل في كنانة رهط أبي الاسود . وجماعة
من النحويين منهم الكسائي يقولون : الدؤلي بكسر الدال وما بعدها ، وعن محمد بن
حبيب : الدؤل في كنانة بضم الدال وكسر الهمزة ، وكذلك في الهون بن خزعة
والدؤل في الأزدي بكسر الدال وإسكان الياء . والدؤل بن هداد بن زيد مائة وفي
عبد القيس كذلك : الدؤل بن عمرو بن وداعة ، وفي تغلب كذلك الدؤل بن زيد بن
غنم بن تغلب ، وفي ربيعة بن نزار : الدؤل بن حنيفة ، وفي عذرة : الدؤل بن سعد
ابن مائة بن عامر مثله ، وفي ثعلبة : الدؤل بن ثعلبة بن سعد ضبة . وفي الرباب :
الدؤل بن جل بن عدى بن عبد مائة . وعن ابن سيدة : والدؤل حي من كنانة
وقيل في بني عبد القيس . والنسب إليه دؤلي ودؤلي وهذه فادرة فاء في الكلام
فعلى بضم الفاء وكسر العين . وابن السكيت يقول : الدؤلي مفتوح الواو مهموز
منسوب إلى الدؤل من كنانة ، والدؤل في حنيفة ينسب إليهم الدؤلي . والدؤل
في عبد القيس ينسب إليهم الدؤلي . وما نسبته اللسان إلى ابن الكلبي عين مانبه
السهلي . وفي القاموس عن نسب أبي الاسود نقلاً عن شرح اللمع للأصبهاني إنما
هو دؤلي بكسر الدال وفتح الهمزة : نسبة إلى دؤل كعنب .

ما لم يسم فاعله . وقد قيل : إن الدُّثْل بن بكر سمي بالدُّثْل ، وهي دُوَيْبَة صغيرة ،
وأَنشدوا الكمب بن مالك [الأَنْصَارِيَّ] :

جاءوا بجيش لوقيس مُعرَّسه ما كان إلا كمعرَّس الدُّثْل (١)

وأَنشد في سعد بن سَيْل ، واسم سَيْل : خير بن كحلانة ، قاله الطبري ، قاله
والسَّيْل (٢) هو : السنبِل ، وهو أول من حلَّى السيوف بالذهب والفضة .

(١) في الاشتقاق ورد في البيت : معظمه ، كمفحص ، بدلا من : معرَّسه
كمعرَّس . والمعرَّس هو مكان القوم ينزلون فيه بالليل وبعده :
عار من النسل والثَّراء ومن أبطال أهل البطحاء والأسل
والشعر في جيش أبي سفيان الذين وردوا المدينة في غزوة التَّوَيْق ، وأخرجوا
النخيل ثم انصرفوا ، والأشهر في معرَّس : معرَّس بتضمين الراء المفتوحة ،
وهو في البيت يصف الجيش بالقلة والحقارة . يعني لو قدر مكانهم عند معرَّسهم
كان كمكان هذه الدابة عند معرَّسها ، وذكر صاحب الأغاني أن أبا سفيان ،
وهو يتجهز من مكة المكرمة خارجا إلى المدينة المنورة قال أبيتنا من
الشعر يحرص فيها قريشا :

كرهوا على يثرب وجمعهم فإن ما جمعوا لكم نفل
إن يك يوم القلب كان لهم فإن ما بعده لكم دَوْلُ
آليت لا أقرب النساء ، ولا يَمَسُّ رأسي وجلدي الفُسل
حتى تبيروا قبائل الأوس والـ خزرج إن الفؤاد مُستعل
فأجابه كعب :

يا لهف أم المستمحين على جيش بن حرب بالحرّة الفشل
ثم ذكر البيتين السابقين انظر ص ١٣ وما بعدها ج ٤ شرح الشافية للرضي .
(٢) هي في جميع ما اطلعت عليه من كتب الأنساب : سيل . وليس من معاني
السيل : السنبِل ، وإنما الذي بمعنى السنبِل هو السبل بالباء لا بالياء

قال ابن هشام : فبهذا النسب خالفهم عُمَيْيَةُ بن غَزْوَان بن جَابِر بن وهب بن نُسَيْب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرِمَةَ .

قال ابن هشام : وأبو عمرو ، وَتَمْلُضِر ، وَقِلَابَةَ ، وَحَيَّة ، وَرَبِطَةَ ، وأم الأَخْتَمِ [واسمها : هالة] ، وأم سفيان : بنو عبد مناف .

فَأُمُّ أَبِي عمرو : رَبِطَةُ ، امرأة من ثَقِيف ، وأم سائر النساء : عاتكة بنت مُرَّة ابن هلال [بن فَالَج بن ذَكْوَان بن ثَعْلَبَة بن بَهْثَةَ بن سُلَيْم بن منصور] ، أم هاشم بن عبد مناف ، وأُمُّهَا صَفِيَّة بنت حَوْزَةَ بن عمرو بن سُلُول [واسمها : مُرَّة] بن صَفْصَعَةَ بن مُعَاوِيَةَ بن بَكْر بن هَوَازن ، وأم صَفِيَّة : بنت عائذ الله ابن سَعْد العَسِيرَةِ بن مَذْحِج .

أولاد هاشم وأمهاتهم :

قال ابن هشام : فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وَخَمْسَ نِسوة : عبد المطلب بن هاشم ، وأسد بن هاشم ، وأبَا صَفِيٍّ بن هاشم ، وَنُضْلَةَ بن هاشم ، والشَّعَاء ، وَخَالِدَةَ ، وَضَعِيفَةَ ، وَرُقِيَّة ، وَحَيَّة . فَأُمُّ عبد المطلب ورقية : سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خَدَاش بن عامر بن غَنَم بن عدى بن النجار . واسم النجار : تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

فَارِسًا أَضْبَطًا ، فِيهِ عُسْرَةٌ .

الأضبط : الذى يعمل بكلكلتي يديه ، وهو من صفة الأسد أيضا ، قال الجُمَيْحُ : [مُنْقَذِ بن الطَّمَّاحِ الأَسَدِي] :

ضَبْطَاءُ تَسْكُنُ غَيَّلا غَيْرَ مَقْرُوبِ

وأما : عُمَيْرَةُ بنت صَخْر [بن حبيب] بن الحارث بن ثعلبة بن مازن
ابن النَجَّار . وأمُّ عُمَيْرَةَ : سلمى بنت عبد الأشهل النَجَّارية . وأمُّ أسد : قَيْلَةُ
بنت عامر بن مالك الخزاعى . وأمُّ أبى صَيْفَى وَحْيَةَ : هند بنت عمرو بن ثعلبة
الْخَزْرَجِيَّة . وأمُّ نَضْلَةَ وَالشَّفاء : امرأة من قضاة . وأمُّ خَالِدَةَ وَضَمِيقة : وافدة
بنت أبى عدى المازنِيَّة .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

قال ابن هشام : فولد عبدُ المطلب بن هاشم عشرة نفر ، وست نسوة :
العباس وحمة ، وعبد الله ، وأبا طالب — واسمه : عبد مناف — والزُّبير ،
والحارث ، وجَحْلا ، والمقوم ، وضَرَّاراً ، وأبا لهب — واسمه : عبد المطلب —
وصَفِيَّة ، وأمُّ حَكِيمِ البِيضاء ، وعاتكة ، وأمِّيمة ، وأرْؤى ، وبرَّة .

فأمُّ العباس وضَرَّار : نَتِيلَةُ بنت جَناب بن كليب بن مالك بن عمرو
ابن عامر بن زيد مناة بن عامر — وهو الضَّحَّيَّان — بن سعد بن الْخَزْرَجِ بن
تَيْمِ اللات بن التَّمِيم بن قاسط بن هَنْب بن أفضى بن جديلة بن أسد بن ربيعة
بن نزار .

ويقال : أفضى بن دُعْمَى بن جديلة .

وأمُّ حمزة والمقوم وجَحْل — وكان يلقَّب بالغَيْدِاق لِكَثْرَةِ خِيَرِهِ ، وسعة
ماله — وصَفِيَّة : هالة بنت أَهْيَب بن عبد مناف بن زُهْرَةَ بن كلاب بن مُرَّة
ابن كَعْب بن لُؤَيٍّ .

وقوله : فيه عُسْرَةٌ من هذا المعنى أيضاً ، والاسم منه : أعسر .

وأم عبد الله، وأبي طالب، والزبير، وجميع النساء غير صفية : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأما : صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم صخرة : تخم بنت عبد بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سمراء [أو صفية] بنت جندب بن جحير ابن رثاب بن حبيب بن سواء بن عامر بن صفصة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة .

وأم أبي لهب : أبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حنشة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي .

وذكر خليل بن حنشة، والحنشية : نالة كبيرة سوداء، وأن قصيات زوج ابنته حبي، فولدت له عبد مناف وإخوته، وقال غيره : بل أم عبد مناف : عاتكة بنت هلال بن باج [أو فالج] ^(١) بن ذكوان، وأم هاشم : عاتكة بنت مرة، فالأولى : عمة الثانية، وأم وهب جد النبي — عليه السلام — لأمه : عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال، فبن عواتك . ولدن النبي

(١) وفي نسب قريش ص ١٤ حالة ه في بعض الكتب باج وفي بعضها فالج .

عليه السلام ، ولذلك قال : أنا ابن المواتك من سُلَيْم^(١) ، وقد قيل في تأويل هذا الحديث : إن ثلاث نسوة من سُلَيْم أرضعنه ، كلهن تُسَعَّى : عاتكة ، والأول أصح . وأم عاتكة بنت مرة : ماوية^(٢) بنت حوزة بن عمرو بن مرة أخى عامر بن صعصعة ، وهم بنو سلول ، وأم ملوية : أم أناس المذحجية .

وقال في أمهات بنى عبد مناف : وأما صَفِيَّةُ فأمها : بنت عبد الله بن سعد العشيرة بن مَذْحِج ، وهو وهم ، لأن سعد العشيرة بن مَذْحِج هو أبو القبائل النسوبة إلى مَذْحِج إلا أقلها ، فيستحيل أن يكون في عصر هاشم من هو ابن له لِصُلْبِهِ ، ولكن هكذا رواه البرقي عن ابن هشام — كما قلنا — ورواه غيره : بنت عبد الله من سعد العشيرة ، وهى رواية الفسائي ، وقد قيل فيه : عائد الله ، وهو أقرب إلى الصواب . ولسعد العشيرة ابن لِصُلْبِهِ ، واسمه : عيذ الله ،

(١) سعيد بن منصور في سننه . والطبراني في الكبير عن سبابة بن عاصم . ملحوظة : فى النسب وجمهرة ابن حزم عن عبد شمس وهانم ولدى عبد مناف أنهما توأم ، وأن هاشما اسمه : عمرو ، وفى حذف نسب قريش للسدوسي . وفى الجمهرة عن أم نوفل أنها وافدة من بنى مازن بن صعصعة السلمية خلف عليها هاشم ابن عبد مناف بعد أبيه ، وكانت العرب تسمى هذا النكاح تكاح المقت ص ١٢ جمهرة فى ص ٣ حذف نسب قريش . وأم الاختم بنت عبد مناف المذكورة فى السيرة اسمها : هالة .

(٢) فى نسب قريش : مارية بنت حوزة بن عمرو بن سلول واسمه : مرة ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

وهي قبيلة من قبائل جَنْبٍ من مَذْحِجٍ^(١)، وقد ذكرت بطون جَنْبٍ، وأسماء ولد سعد العشيرة، أو أكثرهم في هذا الكتاب، ولم سميت تلك القبائل بِجَنْبٍ، وأحسب الوهم في رواية البرقي إنما جاء من اشتراك الاسم؛ لأن أم صفية المذكورة بنت عبد الله^(٢)، ولكن ليس بعبد الله الذي هو ابن سعد العشيرة لصلبه، ولكنه من سعد العشيرة.

وذكر عبد شمس بن عبد مناف، وكان ثلوا لهاشم، ويقال: كانوا توأمين، فولد هاشم، ورجله في جهة شمس ملتصقة، فلم يقدر على نزعهما إلا بدم، فكانوا يقولون: سيكون بين ولد هاشم، في مكان تلك الدماء ما وقع بين بني هاشم، وبين بني أمية بن عبد شمس. وأما سلى أم عبد المطلب، فقد ذكر

(١) مَذْحِجٌ هو مالك بن أديم بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. من جهرة ابن حزم، ومَذْحِجٌ: أكمة ولدت عليها أمهم، فسموا مَذْحِجاً، وليس لسعد العشيرة ولد اسمه: عبد الله، الجهرة ص ٣٨٣.

(٢) اسمه: عاتكة الله. أما جنب في الجهرة ص ٣٨٨ لابن حزم، فاسم يطلق على ستة إخوة هم: أولاد يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب الخ، وقد تحالف هؤلاء الستة على ولد أخهم صداء وضم الصاد، ومنهم كان معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن مُسَبِّه بن يزيد بن حرب بن علة الذي تزوج بنت مُمَكِلْشَهْل بن ربيعة التغلبي بنجران، ومهرها أدياً فقال في ذلك شعراً:

أنكحها فقدما الأراقم في جنب وكان الحياء من آدم
لو بأبا تين جاء بخطبها ضرج ما انتفح حاطب بدم

والبيتان في الأغاني ج ٥ ص ٥٠ طبع دار الكتب والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٥٨ وغيرهما. ويقول ابن حزم في الجهرة أن سائر جنب ويام من همدان وبني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك، وهو مَذْحِجٌ، هم أنصار الكافر الصلحي لعنه الله القائم بتواحي زيد بدعوة بني عبيد.
(م ٢٨ — الروعي الألف)

نسبها ، وأما : عُمَيْرَةُ بِنْتُ ضَحْر (١) المازنية ، وابنها : عمرو بن أُحْيَحة بن الجَلَّاح ، وأخوه : معبد ولدتها لِأَحْيَحة (٢) بعد هاشم ، وكان عمرو من أجل الناس وأنطقهم بحكمة ، وقال رجل من بني هاشم للمصور : أَرَأَيْتَ إِنْ أَسَّغْنَا فِي الْبَنِينَ ، وَضِقْنَا فِي الْبَنَاتِ فإِلَى مَنْ تَدْفَعُنَا ، يَعْنِي : فِي الْمَصَاهِرَةِ ، فَأَنْشَدَ :

عبد شمس كان يتلو هاشما وهما بعد لأم ولأب

وذكر الدارقطني : أن الحارث بن حبش التميمي ، كان أخا هاشم وعبد شمس والمطلب لأُمهم ، وأنه رثى هاشما لهذه الأخوة ، وهذا يقوى أن أمهم عاتكة التميمية .

فصل : وذكر ابن إسحاق أن أم حَيَّة بِنْتُ هَاشِم ، وأم أبي صَيْفٍ : هند بنت [عمرو ابن] (٣) ثعلبة [بن الخزرج] ، والمعروف عند أهل النسب أن أم حَيَّة : [أُم عَدِي] جَحَل بِنْتُ حُبَيْب بن الحارث بن مالك بن حُطَيْط (٤) الثقفية ، وحَيَّة بِنْتُ هَاشِم

(١) في نسب قريش هو مخمر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن ابن النجار .

(٢) كذلك ولدت معها أَيْنَسَة .

(٣) في كتاب نسب قريش هكذا ، وأنها أم أبي صَيْفٍ ،

(٤) ابن جشم بن قيس وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن ، الجهمرة ، لابن حزم ونسب قريش ، هذا ، وأم أسد كان يقال لها الجوزور لمظنها ، وأم نضلة هي - كما في نسب قريش - أميمة بنت أد بن علي من بني سلامان بن سعد ، وكانت أم خالدة تسمى قبة الديباج ، وكانت أم حكيم البيضاء تلقب بالحصان بفتح الحاء ، وهي توأمة أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نسب قريش ص ١٧ ،

تحت الأجم بن دندنة [بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو] الخزاعي ولدت له : أسياء وفاطمة بنت الأجم التي تقول :

يا عَيْنُ بَكِيٍّ عند كلِّ صَبَاحٍ جُودِي بأربعة على الجُرَّاحِ
قد كُفِتَ لي جِلْدُ أُلُودٍ بظله فتركتني أضْحَى بِأَجْرَدٍ ضاح
قد كُفِتَ ذاتَ حَمِيَّةٍ ما عِشْتُ لي أُمِّشِي البَرَّازَ ، وكُفِتَ أنتَ جناحي
فالْيَوْمَ أَخْضَعُ للذليلِ ، وأُتَقِي منه ، وأدفع ظلمي بِالرَّاحِ
وأَغْضُ من بَصْرِي ، وأَعْلَمُ أَنَّهُ قد بانَ حَدُّ فِوَارِسي وِرِمَاحِي
وَإِذَا دَعَتْ قُورِيَّةٌ شَجَنًا لَهَا يَوْمًا على قَيْنٍ دَعَوْتُ صَبَاحِي (١)

وقع هذا الشعر لما في الحماسة وغيرها .

وذكر أم العباس ، وهي ، نقيلة (٢) بنت جناب بن كليب ، وهي من بني

(١) البيت الثاني فقط هو الذي في الروض ، وبقية الأبيات زحمتها لروعتها من ديوان الحماسة لأبي تمام ، وفي نسب قريش أن حبة بنت هاشم كانت عند هاشم ابن الأجم بن دندنة . وفي الاشتقاق لابن دريد عن الأجم : وأحسب أن أمه خالدة بنت هاشم بن عبد مناف ، من ٧٥٥ (٢) في الأصل بتقديم التاء على النون في كل ما سيقول عن نقيلة ، وهي في جمهرة ابن حزم ونسب قريش : نُسَيْلَةُ . وفي نسبها خلاف ؛ ففي نسب قريش وجمهرة ابن حزم : أن عامرا هو ابن القوم ابن قاسط من بني القرية بكسر فكسر مع تضعيف فتضعيف مع فتح . وزاد في الجمهرة : ابن قاسط بن ربيعة بن نزار . وفي المعارف لابن قتيبة : نقيلة بنت كلب بن مالك بن جناب ، وفي نسخ أخرى : نسايلة ، وفي القرى للمحب الطبري : نقيلة وفي السدوسي : نيلة .

عاصر الذي يعرف بالضحّيان ، وكان من ملوك ربيعة ، وقد ذكرنا في خبر بُسَيج ، أنها أول من كسا البيت الديباج ، وذكرنا سبب ذلك ، ونزيد هاهنا ما ذكره الماوردي ، قال : أول من كسا البيت الديباج : خالد بن جعفر بن كلاب أخذ لطيمةً من البز ، وأخذ فيها أنماطاً^(١) ، فعلقها على الكعنة ، وأم نقيلة : أم حُجْر ، أو أم كُرْز بنت الأزب من بني بَكِيل من همدان ، وهي نقيلة بناء منقوطة بـاننتين وهي تصغير : نقتلة واحدة : النتل ، وهم بيض النعام ، وبعضهم يصحونها بـاء ماثمة^(٢) .

وذكر في بني عبد المطلب جَحَلًا بتقديم الجيم على الحاء ، هكذا رواية الكتاب . وقال الدَّارَقُطْنِي : هو جَحَلٌ بتقديم الحاء^(٣) . وقال : جَحَلٌ بتقديم الجيم هو : الحَكَمُ بن جَحَلٍ يَرْوِي عن عَلِيٍّ ، ومن حديثه عنه أنه قال : من فضّلني على أبي بكر جلدته حدّ الفرية . والجَحَلُ : السَّقاء^(٤)

- (١) ضرب من البسط وثوب صوف يطرح عليه اليهودج . والطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة ، والبز : الثياب أو متاع البيت من الثياب .
- (٢) في اللسان : النتل بنون مفتوحة وتاء ساكنة : البيضة ، وهي الدومصة . والنتل يفتح النون وإسكان التاء : بيض النعام يدفن في المفازة بالماء . والنتل بالتحريك مثله . وهذا يثبت خطأ ما كان في الروض ، إذ جعلها نتل بناء فنون . وإيس في اللسان مادة نتل . وفي كتاب حذف من نسب قريش للسدوسي هي نتلة بفتح فسكون ففتح ، بفت جناب ، وهي في السير التي بين أيدينا نقيلة .
- (٣) في السيرة التي بين أيدينا : جحل ، وهو كذلك أيضاً في نسب قريش . ولكن عند ابن دريد والسدوسي : ججحل .
- (٤) وله أيضاً هذه المعاني : السيد من الرجال ، وولد الضب والزق والعظيم الجبين والجعل

الضَّخْمُ . والجَحْلُ : الحرباء . وذكر ابن دُرَيْدٍ أَنَّ اسمَ جَحْلٍ : مُصَنَّبٌ .
وقال غيره : كان اسمه : مُغِيرَةُ (١) ، وجَحْلٌ : لَقَبٌ له . والجَحْلُ : ضَرْبٌ من
الْبَحَّاصِبِ ، قاله صاحبُ العَيْنِ . وقال أبو حنيفة : كلُّ شَيْءٍ ضَخْمٌ فهو : جَحْلٌ ،
وجَحْلٌ : هو الْفَيْدَاقُ ، والفَيْدَاقُ : ولدُ الضَّبِّ ، وهو أَكْبَرُ من الْحِجْلِ (٢) .
ولم يُعَقِّبْ ، وكذا الْعُقُومُ لم يُعَقِّبْ إِلَّا بَنَاتُ اسْمَا : هند . وأُمُّ الْفَيْدَاقِ — فيما
ذكر الْقَتِيبِيُّ : مُنَعَّةُ بنتِ عمرو الْخَزَاعِيَّةِ ، وهذا خلاف قول ابنِ إِسْحَاقَ .

وذكر في أعلامه أيضاً : الزبير ، وهو أكبرُ أعمامِ النبي — صلى الله
عليه وسلم — وهو الذي كان يُرَقِّعُ النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو طفلٌ ،
ويقول :

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِمَعْنَى عِشْتَ بِعِيشٍ أَنْعَمَ
فِي دَوْلَتِهِ وَمَنْعَمَ دَامَ سَحَابُ الْأَنْعَامِ (٣)

(١) هو رأى صاحب نسب قريش . ومن النسب من جعل جَحْلًا هو
الفَيْدَاقُ ، ومنهم من جعله غيره ، كالسدوسي وصاحب نسب قريش

(٢) في اللسان : الْجَحْلُ : الحرباء . . قال الجوهرى : هو ذكرُ أرم
حُبَيْشٍ . . وقيل : هو الضب المسن الكبير ، وقيل : الضخم من الضباب . .
ويعسوب النحل والجعل أو العظيم منها . وفي النوادر لابن زيد الانصاري : يقال للفرخ
الضب حين يخرج من بيضته : حجلًا ، ثم يكون غَيْدَاقًا ، ثم يكون مُطَبَّخًا ،
ثم يكون حَبَبًا مدركًا . والفَيْدَاقُ أيضًا : الصبي الذي لم يبلغ ، ص ٩٢ ط لبنان
(٣) في أمالي القائل أنه دخل على الزبير ، وهو صبي ، فأقعدته في حجره
وقال ما ذكره السهيلي ، وفي الأمالي ورد أيضًا :

فِي فَرْعِ عِزِّ اسْمٍ مَعْكُومٍ مَعْظَمٍ =

وبنته : ضُبَاعَةُ (١) كانت تحت المقداد . وعبدُ الله ابنه : مذكورٌ
في الصحابة - رضى الله عنهم - وكان الزُّبَيْرُ - رضى الله عنه - يُكنى أبا
الطاهر بابنه : الطاهر ، وكان من أطرف فتيان قريش ، وبه سَمَّى رسولُ الله
— صلى الله عليه وسلم — ابنه الطاهر . وأخْبَرَ الزُّبَيْرُ عن ظالم كان بمكة أنه
مات ، فقال : بأيِّ عُقُوبَةٍ كان موته ؟ فقيل : مات جَنْفًا أَفْهًا ، فقال : وإن
فلا بدُّ من يوم يُنْصِفُ الله فيه المظلومين ، ففي هذا دليلٌ على إقراره بالبعث .

وذكر أبا طالب ، واسمه : عبدُ منافٍ ، وله يقول عبدُ المطلب :
أوصيك يا عبدَ منافٍ بعدي بمُؤْتَمِرٍ بعد أبيه فَرَدٍ (٢)
مات أبوه وهو حِلْفُ المهدِ :
رأيتُه :

== بعد قوله . في دولة ومغمم انظر ص ١١ - ٢٠ الأمالى الطبعة الثانية ، وفيه
أيضا ما قاله الزُّبَيْرُ للعباس وضرار وأم الحكم ، ومغيث بن جارية . وابن عديم
قيل : أراد : ابن عبد المطلب ، كما قال الآخر : قلت لها : فنى ، فقالت : فاف .
والصحيح أنه أراد : ابن عبد ، وزاد الميم ، كما زاد في ابن ، قال الشاعر - وهو
التمر بن تولب :
لثقيم بن لقمان من أخته فكان ابن أخت له وابنا
وسجيس الأزم : أبد الدهر .

(١) صحابية كريمة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن زوجها المقداد ،
وروى عنها ابن عباس وعائشة وبنتها كريمة ، وابن المسيب وعروة والأعرج
وغیرهم . قتل ابنها يوم الجمل مع عائشة رضى الله عنها

(٢) الموتى : المرأة صار ولدها يتيمًا فلعلها : ميم بفتح الميم وسكون الياء وفتح التاء : المفرد
من كل شيء . وهو لائق بالمراد هنا ، ولعلها بفتح التاء هذا ولم يسلم من أولاد عبد المطلب ==

وذكر أبا لهب، واسمه: عَبْدُ الْعُزَّى، وكُنْيَا: أبا لهب لإشراق وجهه
وكان تَقْدِيمَةً مِنْ اللَّهِ — تعالى — لما صار إليه من اللهب، وأمه: لُبْنَى بنت
هَاجِرٍ بكسر الجيم من بَنِي ضَاطِرَّةَ بضاد منقوطة. واللُّبْنَى في اللغة: شئٌ يَتَمَتَّعُ
من بعض الشجر، قاله أبو حنيفة. ويقال لبعضه: المَيْعَة، والدُّودِم: مثل اللُّبْنَى
يسيل من السَّيَر، غير أنه أحر، فيقال: حاضَتِ السَّمَرَةُ (١) إذا رَشَحَ ذلك منها.

(أمهات النبي صلى الله عليه وسلم)

ذكر في آخرهن: بَرَّة بنت عوف بن عَبِيد (٢) بن عُويْج بن عَدِيٍّ
وهُنَّ كُلُّهُنَّ قُرَشِيَّاتٌ؛ ولذلك وقف في بَرَّة، وإن كان قد ذكر أهل

= إلا حمزة والعباس. وأما عماته: فصفية أم الزبير، واختلف في إسلامه هو
وعاتكة وأروى، وضحح بعضهن إسلام الأخيرة. وأسنان أعمام النبي: الحارث،
وأصغرهم سنان: العباس. وأم حكيم البيضاء كان يقال لها الحصان وهي توأمة
أبي رسول الله، وقد سبق الحديث عنها.

(١) السمر: يفتح السين وضم الميم، ضرب من شجر الطلح. وعسل
اللبن: طيب ينضج من شجره ويتبخر به. والعامة تقول: حصى لبنان، والميعة:
عطر طيب الرائحة، أو صمغ يسيل من شجر بالروم، أو دسم المر الطرى. يدق
المر بماء يسير، ويعتصر بلولب، فتستخرج الميعة، أو هي صمغ شجرة السفرجل،
أو شجرة كالتفاح الخ. هذا وقد زاد صاحب نسب قريش ابنين لعبد المطلب
أحدهما: قثم، وقد مات صغيراً. والثيدان واسمه: مصعب، ولكن ابن هشام يجعل
الثيدان لقباً للحجل. ويقول صاحب النسب: إن أم مصعب الملقب بالثيدان من
خزاعة، كما يقول: إن اسم أم العباس: صفية بنت جنب الخ، بينما يسميها
ابن هشام سمراء. فلعل هذا لقب لها.

(٢) في نسب قريش ص ٢١: بنت عدي الخ وعند السدوسي: بنت عوف ص ٦٠

النسب بعد هذا : أمّ برّة ، وأمّ أمّها ، وأمّ أمّ الأمّ ، ولكنهن من غير قريش . قال محمد بن حبيب : وأمّ برّة : قلابة بنت الحارث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ، وأمّ قلابة : أميمة بنت مالك بن غنم بن لحيان بن غادية بن كعب ، وأمّ أميمة : دبة بنت الحارث ابن لحيان بن غادية (١) ، وأمها : بنت [يربوع بن ناضرة بن غاضرة] كهف الظلم من ثقيف ، وذكر الزبير قلابة بنت الحارث ، وزعم أن أباها الحارث كان يكنى : أبا قلابة ، وأنه أقدم شعراء هذيل ، وذكر من قوله :

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أُمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْأَمَنَاءَ يَجَنَّبُنِي كُلَّ إِنْسَانٍ
وَأَسْأَلُكَ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مُخْتَشِعٍ حَتَّى تَلَاقِيَ مَا مَنَى لَكَ الْمَانِي (٢)

(١) الذي في نسب قريش عن أمهات النبي أن أم برّة هي : أميمة بنت مالك ابن غنم بن حفش بن غادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان - بكسر اللام - ابن هذيل ، وأمها : قلابة بنت الحارث ، فقلابة [ذنهي] : أم أم برّة ، فلعله سقط كلمة أم من الروض ، وأم قلابة هي : دبة بنت الحارث بن تميم ، وأمها : لبي بنت الحارث بن التمر بن جرأة بكسر الجيم بن أسيد بن عمرو بن تميم بن مر بن أد ابن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار . صفحة ٢ وما بعدها ، وأم حبيب التي ذكر ابن هشام أنها من أمهات النبي يقول عنها السدوسي ص ٦ أنها : حبيبة ، ويقول السدوسي أيضا ص ٦ من كتابه حذف نسب قريش بعد أن ذكر أميمة : وكل العرب قد ولده صلى الله عليه وسلم - ولكن هؤلاء أمهات القرشيات ، وما نقله السهيلي عن الزبير يوجد في كتاب عمه مصعب صاحب نسب قريش ص ٢١

(٢) في اللسان :

وَلَا تَقُولَنَّ شَيْءَ سَوْفَ أَفْعَلُهُ حَتَّى تَلَاقِيَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي
وفي التهذيب : حَتَّى تَبَيِّنَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ بِكُلِّ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ

وفيه أيضا :

لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَاطَا تَوَافَى كُلُّهُ إِنْسَانٍ
وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُخَشَّعٍ حَتَّى تَلَاقِيَ مَا يَمْنَى لَكَ الْمَالِي
وَيَعْنَى الْمَالِي : يَقْدِرُ اللَّهُ الْقَادِرُ

وفي نسب قريش ص ٢١ :

إِنَّ الرِّشَادَ وَإِنَّ الْغَىَّ فِي قَرْنٍ بِكُلِّ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ
ثُمَّ : لَا تَأْمَنُ الْخَ

وفي أمالي المرتضى : روى أن مسلما الخزاعي ، ثم المصطلق ، قال : شهدت
رسول الله (ص) - وقد أنشده منشدا قول سويد بن عامر المصطلقى :

لَا تَأْمَنُ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَاطَا تَوَافَى كُلُّهُ إِنْسَانٍ
وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُخَشَّعٍ حَتَّى تَبْلُغَ مَا يَمْنَى لَكَ الْمَالِي
فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يَفَارِقُهُ وَكُلُّ زَادٍ - وَإِنْ أَبْقِيَتْهُ - قَانِي
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ بِكُلِّ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ

فقال رسول الله (ص) : لو أدركته لأسلم ، فبكى مسلم ، فقال : ابنه : يا أبت ما يسكيك
من مشرك مات في الجاهلية ؟ فقال : يا بني لا تفعل ، فإرايت مشركا تلتفت من
مشرك خيرا من سويد . ص ٢٧ > ٢٨ أمالي المرتضى ط ١٣٢٥ هـ وأخرج الحديث
البعوى والطبراني وابن السكن وابن شاهين وابن الأعرابي وابن منده من طريق
يعقوب بن محمد الزهري ، وقد تفرد به . الإصابة .

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ

الْجُزءُ الْأَوَّلُ وَقَوْلِهِ

الْجُزءُ الثَّانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وَأَوَّلُهُ: بَابُ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تصويبات .

رغم تكرار التجارب والحرص البالغ ، غَلَبَتْنا على أمرنا هذه الأخطاء ،
التي نَدَّتْ عن العين ، ولقد كنت بين أمرين أولهما : الحرص على جمال الكتاب
وَأَنَاقته ، فلا أَصَوِّبُ ، وآخرها : البر بالحقيقة والحرص عليها ، واخترت هذه ،
وانقا أن البر بالحقيقة في تصويب ما غفلت عنه يعطى الكتاب أَنَاقته وجماله .

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة. إنها رحلة مليئة بالتحديات، ولكنها مليئة أيضًا بالفرص. إنها رحلة نحو المستقبل، ولكنها رحلة نحو الحاضر. إنها رحلة نحو التغيير، ولكنها رحلة نحو البقاء. إنها رحلة نحو الحياة، ولكنها رحلة نحو الموت. إنها رحلة نحو الله، ولكنها رحلة نحو الإنسان. إنها رحلة نحو المعرفة، ولكنها رحلة نحو الحكمة. إنها رحلة نحو الحب، ولكنها رحلة نحو السلام. إنها رحلة نحو الخير، ولكنها رحلة نحو النور. إنها رحلة نحو الحياة، ولكنها رحلة نحو الموت. إنها رحلة نحو الله، ولكنها رحلة نحو الإنسان. إنها رحلة نحو المعرفة، ولكنها رحلة نحو الحكمة. إنها رحلة نحو الحب، ولكنها رحلة نحو السلام. إنها رحلة نحو الخير، ولكنها رحلة نحو النور.

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة. إنها رحلة مليئة بالتحديات، ولكنها مليئة أيضًا بالفرص. إنها رحلة نحو المستقبل، ولكنها رحلة نحو الحاضر. إنها رحلة نحو التغيير، ولكنها رحلة نحو البقاء. إنها رحلة نحو الحياة، ولكنها رحلة نحو الموت. إنها رحلة نحو الله، ولكنها رحلة نحو الإنسان. إنها رحلة نحو المعرفة، ولكنها رحلة نحو الحكمة. إنها رحلة نحو الحب، ولكنها رحلة نحو السلام. إنها رحلة نحو الخير، ولكنها رحلة نحو النور.

ص	سطر	خطأ	صواب	ص	سطر	خطأ	صواب
٣٤	٩	بَسَلَكْ	بَسَلَكْ	٨٢	٢	سُرْيَانِي	سُرْيَانِي
٣٦	١٤	المَقْرِي	المَقْرِي	٨٢	١٢	يُمْتَنَع	يُمْتَنَع
٣٧	١٥	شبه	شبهة	٨٥	١٤	شوخ	شوخ
٣٨	١	عنيه	عَيْنِيَّة	٨٧	١٧	استند	استند
٣٩	١	المقبري	المَقْبَرِي	٨٨	١٧	فاراً	فاراً
٣٩	٣	الأودي	الأُودِي	٩٠	١	سبحانه	سبحانه
٤٥	١	سَمُوا	سَمُوا	٩١	١	شمس	شمس
٥٤	٣	العَجَلَة	العَجَلَة	٩٦	٢٠	المراء	المراء
٥٧	٧	الألس	الألس	٩٦	٢٣	قوارير	قوارير
٥٧	٧	رَجَلْ	رَجَلْ	١٠١	٥	أَدَدِ	أَدَدِ
٥٨	٤	أهيس	أهيس	١٠٥	٩	ابن	ابن
٦٥	١٠	مصرف	مصرف	١٠٤	٥	زيد	زيد
٦٧	٧	كَلَمْ	كَلَمْ	١٠٥	١٣	بخلاف	بخلاف
٦٩	٢٠١	مَعْدَا	مَعْدَا	١٠٦	٩	السَّاحِ	السَّاحِ
٧٠	٥	عبرانية	عِبْرَانِيَّة	١٠٦	١٨	تنجيته	تنجيته
٧١	١٦	الحربة	الحربة	١٠٧	٥	عَزْرُ	عَزْرُ
٧٢	٥	مريم	مريم	١٠٨	٢٣	مدنية	مدنية
٧٣	٥	عدن	عدن	١١٠	٩	بن ثعلبة العنقاء	بن ثعلبة العنقاء
٧٣	٦	سَطَوَة	سَطَوَة	١١٣	١٣	لكثرته	لكثرته
٧٩	٣	شغبان بين	سفيان بن	١١٦	١٢	من سيله	من (دون) سيله
٧٩	٤	بالخيرة	بالخيرة وتعلمه	١١٩	٩	النقية	النقية
٨١	١٢	عطيه	عطية	١٢٠	١٠	شعراء	شعراء

(١) زيادة (دون) من اللسان في مادة سبأ ومن السيرة ، وهي ليست في الروض .

ص	سطر	خطأ	صواب	ص	سطر	خطأ	صواب
١٢١	١١	تقدمه	وتقدمه	١٨٥	١٦	بكسر .. وفتح	بفتح .. وكسر
١٢٢	٢٠	ص ٦١	ص ٥٩ إلى ٦١	١٨٧	٣	رَبَّ	رَبِّ
١٢٢	٢٠	حزم	عبد البر	١٨٨	٥	أبناءها	أبنائها
١٢٢	٢٠	ص ٨ > ٩٠	ص ٨ > ٩٠ الأغاني	١٨٨	١١	الجبلي	الجبلي
١٢٢	٢٢	٦٢ ١٢	٦٢ و	١٨٩	٥	ليعلمهم	ليعلمهم
١٢٣	٢٠	الكيت	شاعر حمير أو مضر	١٩٥	٨	وهب	وهب
١٢٦	١	الغيرة	الغيرة	١٩٧	١٤	أمر	أمر
١٢٧	١١	النعمان	النعمان	١٩٧	٢١	ليحرم	ليحرم
١٤٢	٢	الأرض	الأرض	١٩٨	٩	استفتح	استفتح
١٥١	٨	بلادهم	بلادهم	٢٠٣	١٠	العلم	العلم
١٥١	١٠	تُنسَبَ	تُنسَبُ	٢٠٦	١٢	خمسائة	خمسائة
١٥٨	٦	بنت بلقيس	بلقيس بنت	٢١٠	٤	ماء	ما
١٦٤	١١	التبابعة	التبابعة	٢١١	١١	خرب	خرب
١٧٠	٦	والترّة	والترّة	٢١٢	٤	الناس	الناس
١٧٠	١٥	المضمر	المضمر	٢١٩	٣	وأبرهة	وأبرهة
١٧٣	١٠	أحبه	أحسبه	٢١٩	٤	هو أبرهة	هو أبرهة
١٧٦	١٣	الخرف	الخرف	٢٢٧	١٧	فنيون	فنيون
١٨٠	٨	ديننا	تحذف الكلمة	٢٢٨	١٠	من .. بكن	من .. بكن
١٨٠	١٢	فتيلة	نذيلة (١)	٢٢٩	٤	صخرة	صخرة
				٢٣٠	١١	جدور (٢)	جدور

(١) في الروض تيلة وهو خطأ .

(٢) هي هكذا في الروض ولكنه خطأ سهوت عن تصويبه .

صواب	خطأ	ص	سطر	صواب	خطأ	ص	سطر
فَعَلَ	فَعَّلَ	٢٧١	١٩	هكذا تقيد	تقيد	٢٣٠	١٢
يَعْبَرُ	يَعْبَرُ	٢٧٤		كما	هكذا كما	٢٣٠	١٣
يُجَنَّبُ وَسُطَنًا (٣)	ينفض رأسه	٢٧٦	٧	الشافعية	الشافعية	٢٣٣	١٧
يُؤْتَقِنُ	يُؤْتَقِنُ	٢٧٧	٢	الرواي	الرواي	٢٣٤	٥
وإسكان	إسكان	٢٧٧	٢	بالسعالِي	بالسعالِي	٢٣٦	٨
لسببويه	لسببويه	٢٧٨	٢١	إرمينية	إرمينية	٢٣٨	٤
لا يُتَصَوَّرُ	لا يُتَصَوَّرُ	٢٨٨	٩	تعلبة	تعلبة	٢٤٨	٣
خَشِيَّة	خَشِيَّة	٢٩٣	٢٠	فخر	أفخر	٢٤٩	١٠
جَيْشُهُ	جَيْشُهُ	٢٩٣	٩	تَقْدَعُهُمْ	تَقْدَعُهُمْ	٢٥٠	٣
الْقِيلِ	الْقِيلِ	٢٩٧	٩	لَهْنَكْ (١)	لَهْنَكْ [أَوْ لَهْنَكْ]	٢٦٦	١٤
أَيْمَنُ	أَيْمَنُ	٣٠٠	٣	أَكْلُبُ	أَكْلُبُ	٢٦٩	١٣
وَادٍ بَيْنَ	وَادٍ بَيْنَ	٣٠٢	١٠	نبت	نبت	٢٧٠	٢
مرتقفا	مرتقفا	٣٠٤	٢٣	طَبَرِستان	طَبَرِستان (٢)	٢٧٠	١١
وهمدان	وهمدان	٣١٠	٤	سُمِّيَ	سُمِّيَ	٢٧٠	١٧

(١) وانظر لها نوادر أبي زيد ص ٢٨ ط لبنان

(٢) هي في القاموس كما هي مكتوبة في الخطأ ، وفي البكري كما هي في التصويب .

وفي المراسد بكسر الراء وسكون السين .

(٣) الذي في جدول الخطأ ليس خطأ ، وإنما رواية البيت في الروض . والذي في جدول

التصويب رواية ابن قتيبة في أدب الكاتب . وبقية البيت : « تصوب فيه العين طورا

وترتقى ، وقد رواء عند ذكره أن الكاف تدخل على الباء . وينسب البيت أيضا لعمر بن

عمار ، وهو في وصف فرس . وابن المأمة : طائر سريع . يجنب : يقاد . تصوب : تنظر إلى أسفل

انظر ص ٥٠١ أدب الكاتب ، ص ٢٥٠ شرح أدب الكاتب للجواليقي .

صواب	خطأ	ص	سطر	صواب	خطأ	ص	سطر
التفوسى	النفوسى	٧	٣٤٨	اليوم	اليوم	١١	٣١١
استوفى	استرفى	١٤	٣٤٨	شرويه	شرويه	١٦	٣١٨
اسمه	اسم	١٦	٣٤٨	يُستخرج	يُستخرج	١٩	٣٢٠
يدومة	بدومة	٢	٣٥٢	أَمْهَرَكْ	أَمْهَرَكْ	٦	٣٢٤
أددا	أد	٢٠	٣٦٠	يَنْعَم	يَنْعَم	٢	٣٣٦
اللات	اللات	١٣	٣٦٦	يذكر	ينكر	١٩	٣٣٦
وخلّى	وخلّى	٧	٣٦٩	فالمود	فالمود	١٠	٣٣٧
فصلبت	فصلبت	٤	٣٧٢	الزّعبر	الزعر	٢٣	٣٣٨
عُدْرَة أو عذرة	غذرة	١١	٣٧٦	أَقْبَلْ وَأَقِيلْ	أَقْبَلْ وَأَقِيلْ	٢٢	٣٤٠
أبى	أبى	١٧	٣٨٠	يُنْسَبْ	يُنْسَبْ	٣	٣٤١
قَرَقَرَة	قَرَقَرَة	١٣	٣٨٢	شرح	شرح	٧	٣٤٤
القنا	القنا	١٢	٣٨٣	للموك	لهلوك	٢٠	٣٤٤
				أهل	أهل	٥	٣٤٧

محتويات الكتاب

رقم	موضوع	رقم	موضوع
٥	مقدمة المؤلف	٤٧	قصي ن.ل
٢١	ترجمة ابن إسحاق	٤٧	أصل قصي ن.ل
٢٤	ترجمة ابن هشام	٤٨	ابن في إضافتها إلى ياء المتكلم ش
٢٥	ترجمة السبيلي	٤٩	كلاب
٢١	مقدمة الروض الأنف (١)	٥٠	مرة
٢١	دولة الموحدين . ش	٥١	كعب ويوم العروبة
٢٢	تأليف الكتاب	٥١	أيام الأسبوع في الجاهلية وش
٢٤	لماذا أتمن التأليف	٥١	اسم يوم الجمعة
٢٥	عمله في الكتاب	٥٢	كعب ومبعث النبي
٢٦	سند المؤلف	٥٣	لؤي واشتقاقه
٢٧	ترجمة ابن إسحاق	٥٥	فهر واشتقاقه
٢٩	طعن مالك في ابن إسحاق	٥٦	خزيمة والنضر
٤٠	رواة السيرة عن ابن إسحاق	٥٧	مدركة والياس
٤٣	مقدمة السيرة	٥٩	أم وجعها ن.ل
٤٣	سرد النسب الزكي وش	٦١	مضر واشتقاقه
٤٣	ترجمة ابن هشام	٦١	البدن
٤٤	تفسير نسب رسول الله	٦٢	مضر الحمرأ وريبعة الفرس
٤٤	عبد المطلب وش	٦٢	أول دن سن الحداء
٤٥	هاشم	٦٢	نزار ومعد
٤٦	عبد مناف		

(١) س : رمز عن السيرة و : ن.ل رمز عن النحو واللغة .

و ش : رمز عن الشرح أما الروض فبدون رمز أو : ر .

(م ٢٩ — الروض الأنف)

رقم	موضوع	رقم	موضوع
٦٣	أسطورة النور الذي تنقل في	٨٢	آدم واشتقاقه ووزنه
٦٥	الأصلا ب « ش »	٨٢	منعه من الصرف ن. ل
٦٥	النسب قبل عدنان	٨٣	عمل ابن هشام في السيرة « س »
٦٦	صرف أدد ن. ل	٨٣	حكم التكلم في الأنساب
٦٦	زند بن اليرى	٨٤	سياقة النسب من ولد إسماعيل « س »
٦٨	بختنضر والعرب واليهود	٨٤	ذكر إسماعيل وبنيه
٦٨	إرمياء « ش »	٨٧	هاجر وسارة « ش »
٦٩	ابن عبد البر	٨٨	وفاة إسماعيل وموطن أمه
٧٠	العترة والرجية	٨٨	متى نطق إبراهيم بالعبرانية
٧١	الرماح اليزنية	٨٩	مفهوم كلمة عبري « ش »
٧١	دوس العتق	٩٠	نسب هاجر « ش »
٧٢	عود إلى بختنضر	٩٠	اللغة السريانية « ر » « ش »
٧٢	أهل حضور	٩١	من علاقة سارة بهاجر
٧٣	شعيب	٩١	إلى من أرسل إسماعيل ؟
٧٣	مقوم	٩١	زوجتنا إسماعيل
٧٤	تيرج وناحور ويشجب	٩٢	موطن هاجر
٧٤	إبراهيم . وآزر	٩٢	أصل العرب
٧٥	الذين قبل تارح	٩٣	المقوس وهدايا
٧٦	الضحاك	٩٦	مصر وحفن
٧٧	نوح ومن قبله	٩٧	ترجمة ابن لحيعة والاسكندر « ش »
٧٨	خنوخ أو إدريس	٩٧	فتح مصر « ش »
٧٨	أول من خط بالقلم وتكلم بالعربية	٩٨	حفن وأنصنا
٧٨	ابن محمد الناشئ « ش »	٩٨	القبط
٧٩	حديث آخر عن إدريس	٩٩	عك بن عدنان
٨٠	ابن العربي « ش »	٩٩	رعف ووزنها ن. ل
٨١	آباء إدريس	١٠٠	ذكر قحطان والعرب العاربة

رقم	موضوع	رقم	موضوع
١٠٣	سبا وأمهم ووبار	١٢٠	المغيرة ، وابن دينار «ش»
١٠٤	يعرب بن قحطان «ش»	١٢١	عكل «ش»
١٠٤	أبو العلاء «ش»	١٢١	بعض من نسبوا إلى حواضنهم
١٠٥	وبار وبناتها ن.ل	١٢٢	السكر والثني والثلاث ن.ل
١٠٦	الخالقة والفراغة	١٢٢	اشتقاق قضاعة ن.ل
١٠٦	فرعون موسى	١٢٤	جميل بن عبد الله
١٠٧	طسم وجديس واليمامة	١٢٥	ذكر قنص بن معد
١٠٧	جمع تبع ن.ل	١٢٦	لخم بن عدى
١٠٩	ذكر نسب الانصار	١٢٦	جبير بن مطعم «ش»
١٠٩	اشتقاق الأوس والخزرج		مكانة أبي بكر وجبير بن مطعم
١١٠	مزيقياء ونسبه	١٢٦	في الانساب
١١٠	الأسد وحفينة	١٢٧	من تاريخ النعمان بن المنذر «ش»
١١٢	حسان الصحابي الشاعر	١٢٧	خاقان ومهرقل وكسرى
١١٢	اشتقاق غسان ن.ل	١٢٨	أبرويز بن هرموزيد جرد «ش»
١١٣	سبا وسيل العرم		أهر عمرو بن عامر في خروجه من
١١٤	إضافة الاسم إلى وصفه وتلقيب	١٢٨	البن وقصة سد مأرب «س»
	المضاف بالمفرد ن.ل	١٢٩	السد وسيل العرم «س»
١١٥	مأرب والسد	١٢٩	نسب الأعشى عند ابن هشام
١١٥	الأعشى «ش»	١٣٠	نسب أمية والنابعة
١١٧	قنص بن معد ونسب النعمان «س»	١٣١	لخم وجذام واشتقاقهما «ش» ن.ل
١١٧	ذكر معد وولده	١٣١	قطرب وسعيد بن جبير
١١٨	نسب قضاعة ولبيد	١٣١	حديث ربيعة بن نصر ورقيا
١١٩	زهير بن أبي سلمي «ش»	١٣١	سطيح
١٢٠	الكيميت	١٣١	مفهوم كلمة الكاهن «ش»
	الاعمش ، وابن الماشجون		موقف الإسلام من ادعاء
	ومسروق ، ومالك	١٣٢	معرفة الغيب «ش»

رقم	موضوع	رقم	موضوع
١٣٤	شوق	١٤٦	الكيفية ، وبخنصر والحيرة
١٣٤	وهب بن منبه «ش»	١٤٦	دارا وسانان
١٣٥	طريفة السكاهنة وشوق ومطبخ	١٤٧	أزدشير وبنت ملك الأردوان
١٣٥	خالد القسرى من ولد شوق	١٤٩	الإضافة عند الفرس ن.ل
١٣٥	تفسير الرؤيا	١٤٩	لقب سابور
١٣٦	وضع ذات بدلا من ذى ن.ن	١٤٩	ذو الأكتاف وعمرو بن تميم
١٣٧	نسب سطوح وشوق «س»	١٥٠	أبروز بن هرمز
١٣٧	نسب بجيلة «س»		حديث نبوى عن بوران ملكة
١٣٧	حام وأولاده «ش»	١٥١	الفرس
١٣٧	سطوح يخبر ربيعة عن رؤياه	١٥١	النسب إلى نيسابور
١٣٩	شوق يخبر ربيعة عن رؤياه		رجوع إلى حديث سطوح
١٤٠	كسرى الذى ارتجس ديوانه «ش»	١٥١	وذى وزن
١٤٠	مزدك . إيوان كسرى «ش»	١٥٢	المحرقة
١٤١	أعراب وعراب «ش» ن.ل	١٥٢	قصة عمرو بن عدى
	إرسال كسرى عبد المسيح	١٥٣	شب عمرو عن الطوق ن.ل
١٤١	إلى سطوح	١٥٣	الزباء
	تغير قصيدة أصم أم يسمع	١٥٥	الاستمان يجعلان اسما واحدا ن.ل
١٤٢	عطريف الين «ش»	١٥٦	استيلاء أبى كرب على اليمن
١٤٣	بين سطوح وعبد المسيح	١٥٦	من ملوك التبابعة
١٤٣	فاد ينفيد ويفيد ن.ل	١٥٨	بلقيس وذو القرنين
١٤٣	من تاريخ ملوك الفرس	١٥٩	معنى تبع ن.ل
١٤٤	خزاعة		رأى ابن حزم فى أنساب
١٤٤	جذيمة الأبرش	١٥٩	تبع «ش»
١٤٤	ملوك الطوائف	١٥٩	أذواء اليمن
١٤٤	الضيزن والحضر «ش»	١٥٩	القليل والمقول وجمعهما «ش»
١٤٦	نسب النعمان بن المنذر «ش»	١٦٠	بن وأصله والنسبة إليه «ش»

رقم	موضوع	رقم	موضوع
	غضب تبان على أهل المدينة	١٧٨	قصيدة سبيعة بنت الأحب «س»
١٦١	وسيب غزوه لها	١٧٩	زينة والنسب إليها ن.ل
١٦٢	أول ملك ملك من غسان «ش»	١٧٩	أول بني كان في قریش
١٦٢	تبع الذي أسلم	١٨٠	أصل اليهودية باليمن «س»
١٦٤	عمرو بن طلة ونسبه «س»	١٨٠	كسوة الكعبة
١٦٤	مقالة تبان لأهل المدينة «س»	١٨٢	بيت رثام ومصيره
	بنو قريظة والنضير والنجم	١٨٣	نحو ولغة ن.ل
١٦٥	وهدل س	١٨٤	لهنك ، ولاء ابن عمك ن.ل
١٦٦	شرح الروض الغريب حديث	١٨٥	المقاول ن.ل
	تبع	١٨٥	الأقوال والمقاول ن.ل
١٦٧	جمع ما آخره ألف التأنيث «ش» ن.ل		استعمال الياء في أفراد وجمع
١٦٨	جمع فعل ن.ل	١٨٥	ما أصله الواو ن.ل
١٦٨	فعل وفعل ن.ل	١٨٥	جمع لا واحد له من لفظه ن.ل
١٦٨	من الكلمات المثلثة الفاء «ش» ن.ل	١٨٦	تصريف فعل من قيل ن.ل
١٦٩	النجار «ش»	١٨٦	ملك حسان بن تبان وقتل عمر
	حروف العطف وإضمار	١٨٧	أخيه له
١٧٠	العامل المتقدم ن.ل	١٨٧	لباب لباب «س»
١٧٢	الإضافة في «دائب ملو» ن.ل	١٨٩	خير لخنيسة وذى نواس «س»
١٧٣	تبان والنصرانية «س»	١٨٩	فوق لخنيسة «س»
١٧٤	تبع الذي أراد لإخرا ب البيت	١٩٠	ذو نواس يقتل لخنيسة «س»
١٧٥	أول من كسا البيت «س»	١٩٠	ملك ذى نواس «س»
	جزاء إرادة الإلحاد في البيت		بقايا من أهل دين عيسى
١٧٥	الحرام «س»	١٩٠	بنجران «س»
١٧٥	خرافة تملق بكسوة الكعبة	١٩٠	عسفان «ش»
١٧٦	أحاديث كسا الكعبة «ش»	١٩١	أمج «ش»
١٧٧	جمع حائض ومثلاة ن.ل		

رقم	موضوع	رقم	موضوع
١٩١	ابتداء وقوع النصرانية بنجران دس	٢٠٦	ضعف حديث إحصاء الأسماء الحسنى دس
١٩٢	حديث فيمؤن دس	٢٠٧	الدليل على أن الاسم والله هو الاعظم
١٩٣	نجران	٢٠٧	تفخيم اللام من الله ن. ل
١٩٤	فيميون يباع وصاحبه دس	٢٠٧	حروف الإطباق والاستعلاء ن. ل
١٩٤	أصحاب الأخدود	٢٠٧	ابن القيم وإحصاء الأسماء الحسنى دس
١٩٥	قسططين بن هيلانة	٢٠٧	الاستجابة بالاسم الأعظم
١٩٦	أمر عبد الله بن الثامر دس	٢٠٨	مادعا به الرسول (ص) لأمته
١٩٦	التفاضل بين الأسماء الإلهية	٢٠٩	مقتل ابن الثامر ودخول نجران
١٩٨	لا يصح الإخبار عن الله بأنه قديم دس	٢١٠	في دينه دس
١٩٩	الكلام في خلق الأفعال ش	٢١١	حياة الشهداء الغيبية
١٩٩	المعتزلة والأشعرية والصفات	٢١٢	أساطير عن الحياة في القبور
٢٠٠	الغزالي والصفات دس	٢١٢	أصحاب الأخدود في رواية أخرى
٢٠٠	لفظ ذات مولد دس ن. ل	٢١٦	حديث الأعمى الذي شق
٢٠١	عقيدة الجمعية والمعتلة في الصفات دس	٢١٧	الاعاديد دس
٢٠١	مذهب السلف في الصفات دس	٢١٧	ابن الثامر بعد مقتله دس
٢٠٢	القول في تفخيز بعض السور	٢١٧	حديث الحبشة
٢٠٢	الاسم الأعظم	٢٢٠	أمر دوس ذي ثعلب أفندي
٢٠٣	رأى ابن تيمية في التفاضل بين الكلام الإلهي دس		واستقصاءه بقيصر وأبتداء ملك الحبشة دس
٢٠٥	ابن الثامر يدعو إلى الإسلام دس	٢٢٠	فجور عمودة قاتل أرباط
٢٠٥	ابن الثامر وملك فجران دس	٢٢٠	دخل وجمعها دس ن. ل
	السهيل يتابع الكلام عن الاسم الأعظم	٢٢١	سيف بن ذي يزن وأبرهة وكسرى
٢٠٥		٢٢٢	هزيمة ذي نواس وانتحاره دس

رقم	موضوع	رقم	موضوع
٢٢٢	ذو الرمة وسبب تلقيبه بهذا	٢٣٦	معدى كرب وكلكى كرب
	الأيام و ش	٢٣٧	قيس بن مكشوح
٢٢٣	الضاح ن. ل	٢٣٧	نسب زييد «س»
٢٢٤	ما قيل من شعر في دوس	٢٣٧	الأسود العنسي «ش»
٢٢٥	بنون وسلاحين وإعراب الاسم		ضرب المثل بفرسية عمرو
	المسمى بالجمع المسلم ن. ل	٢٣٩	ابن معدى كرب
٢٢٦	مذهب ثالث في تسمية الاسم بالجمع	٢٣٩	الصمصامة وذو الفقار
	المسلم ن. ل	٢٣٩	ريحانة أخت عمرو بن معدى
٢٢٦	زيتون واشتقاقها ن. ل	٢٣٩	باهلة وسليان بن ربيعة
٢٢٦	حبراء محمدون وقينون	٢٤١	عود إلى شق وسطيح «س»
٢٢٧	نون حلزون وفلسطين ن. ل		غلب أبرهة الأشرم على أمر
٢٢٧	قصيدة ذى جذن «س»	٢٤١	العين وقتل أرباط «س»
٢٢٨	لن ناضبة وجازمة ن. ل	٢٤٢	موقف النجاشي من أبرهة «س»
٢٢٨	الياء في كن تطيق ن. ل	٢٤٢	أمر الفيل وقصة النساء
٢٢٩	قصيدة ابن الذئبة «س»	٢٤٢	كنيسة أبرهة
٢٣٠	في شرح قصيدة ذى جذن	٢٤٢	اليافوخ أو اليافوخ ن. ل
٢٣١	النهي والمثمة	٢٤٣	النسيء «س»
٢٣٢	الجروب ن. ل	٢٤٣	نسب العجاج
٢٣٢	جمع الاسم على حذف الزوائد ن. ل	٢٤٤	أول من نسا الشهور «ش»
٢٣٢	موحل وفتح العين منها ن. ل	٢٤٤	خير القليس مع الفيل والنساء «س»
	قصيدة همز بن معدى كرب	٢٤٤	اشتقاق القليس ن. ل
٢٣٣	فيما كان بينه وبين قيس «س»	٢٤٥	سبب حلة أبرهة على الكعبة «س»
٢٣٤	استكان واشتقاقها ن. ل	٢٤٥	استدلال أهل اليمن في بناء القليس
٢٣٤	تولد الحروف من إشباع	٢٤٦	مصير القليس
	الحركات ن. ل	٢٤٧	كعيب الصنم وامراته
٢٣٥	من شرح قصيدة ابن الذئبة	٢٤٧	النسيء والنساء
٢٣٥	فاء الفعل في الوزير وفي الأزر ن. ل	٢٤٧	أول النساء

رقم	موضوع	رقم	موضوع
٢٤٨	نوعا النسب	٢٦٣	أبرهة والفيل والكعبة «س»
٢٤٨	سبب اقترافهم للنسب «س»	٢٦٤	مصير أصحاب الفيل «س»
٢٤٨	شعر الكعبية في الفخر بالنسبة	٢٦٥	قصة الفيل في القرآن «س»
٢٤٩	معنى: إن الزمان قد استدار كهيئته	٢٦٦	حذف لام اللهم ن.ل
٢٥٠	الميم والنون في منجنون ن.ل	٢٦٦	أصل لهلك وأجلك ن.ل
٢٥٠	تفسير: أنعبان المنجنون المرسل	٢٦٦	مفهوم كلمة حلال ن.ل
٢٥٠	العجاج وكنيته		الرد على النحاس والزيدي في
٢٥١	تفسير جذل الطعان		رأبهما حول اللهم صل على
٢٥٢	إسلام أحد النساء	٢٧٧	محمد وعلى آله ن.ل
٢٥٢	الاشهر الحرم	٢٧٧	آل وأهل وأهل ن.ل
٢٥٣	القعود على المقابر	٢٦٧	شرح الأخذ المجمع ن.ل
٢٥٣	أنساب	٢٦٨	في شرح حديث الفيل
٢٥٤	خشم	٢٦٨	خفر وأخفر وطاطم ن.ل
٢٥٥	ثقيف	٢٦٨	عي وعبان ن.ل
٢٥٥	اشتقاق إباد ن.ل	٢٦٩	هل يبرك الفيل ؟
٢٥٦	المغمس واشتقاقها ن.ل	٢٦٩	نسب الأسود بن مقصود
٢٥٧	الذنان حاولا حماية الكعبة «س»	٢٦٩	عدد الفيلة التي جرى بها لهدم
٢٥٧	بين ثقيف وأبرهة «س»		الكعبة
٢٥٨	نسب ثقيف في السيرة	٢٦٩	نسب نفيل الذي كلم الفيل
	قصة أبي رغال والأسود بن	٢٧٠	تاريخ حادث الفيل
٢٥٩	مقصود «س»	٢٧٠	الطير الأبايل «س»
٢٦٠	رسول أبرهة إلى عبد المطلب «س»	٢٧٠	تلاعب العرب بالأسماء
٢٦٠	الشافعون لعبد المطلب «س»		الاجمية ن.ل
٢٦١	وسامة عبد المطلب	٢٧٠	الطير زين وضبطه ن.ل
٢٦٢	عبد المطلب يستغيث بالله «س»	٢٧١	ضبط حمص وجلق ن.ل
٢٦٢	إفراد الضمير العائد على جمع ن.ل	٢٧١	الحجارة التي رمى بها الطير

رقم	موضوع	رقم	موضوع
٢٧٢	نصب ما في معنى المصدر المؤكد ن. ل.	٢٨٥	نسب الفرزدق
٢٧٣	من شروط المفعول لأجله ن. ل.	٢٨٥	رأى السبيل في إيلاف ن. ل.
٢٧٣	تعديّة فعل نعمناكم ن. ل.	٢٨٦	من شرح شعر الفيل
٢٧٣	ردينة ودرينة ن. ل.		خطأ ابن إسحاق في نسب عدى
٢٧٣	تمت بضم الميم وكسر هـ ن. ل.	٢٨٦	ابن سعيد
٢٧٣	إعراب تصبب عرقا وشبهها ن. ل.	٢٨٧	نسب عبد الله بن الزبيري وش.
	ضبط الثلاثي المضاعف المتعدي	٢٨٧	دخول الحرم في السكامل
٢٧٣	وغير المتعدي ن. ل.	٢٨٨	الهامة ، وابن مفرغ ، وش.
٢٧٤	جمع فعل على ثمانية ن. ل.	٢٨٩	مصطلحات عروضية ، وش.
٢٧٥	أفعال الطبايع والخصال ن. ل.	٢٩٠	من أين جاء ابن الزبيري بتحريم مكة؟
٢٧٥	ضبط أسماء نباتات ن. ل.	٢٩١	تفسير قصيدة ابن الأسلت
٢٧٦	الابايل أمي جمع أم مفردة ن. ل.	٢٩١	أول من ذلل الفيلة وسخر الخيل
٢٧٦	الكافي في صيرورته كعصف ن. ل.	٢٩١	شرح قصيدة طالب بن أبي طالب
	وصاليات ككأ يؤثفين ، رأى	٢٩٢	شرح شعر أبي الصلت
٢٧٦	النحاة فيها ن. ل.	٢٩٢	الحياة وأسماء الشمس ن. ل.
٢٧٧	تطريف أثنية ن. ل.	٢٩٣	قصيدة الفرزدق في هجو الحجاج
٢٧٨	حروف الجر التي تقحم ن. ل.		حادث الفيل في شعر ابن قيس
	إفراد الخبر والمبتدأ جمع	٢٩٣	الرقيات ، وس.
٢٧٩	والصفة والموصوف جمع ن. ل.	٢٩٣	ولدا أبرهة ، وس.
	إيلاف قریش ، س .	٢٩٤	سيف بن ذي يزن وقيصر ، وس.
٢٨٠	ومعنى الإيلاف ، س .		شفاعة النعمان لسيف عند
	مصير الفيل وما قيل فيه من	٢٩٤	كسرى ، وس.
٢٨١	الشعر ، وس .	٢٩٥	كسرى يعاون بن ذي يزن
٢٨٢	أصحاب إيلاف قریش	٢٩٥	تصغير وجمع الاسم السداسي ن. ل.
٢٨٤	شعر أمية في دين الحنيفية	٢٩٦	انتصار سيف و قول الشعراء فيه
٢٨٤	إعراب إيلاف وما بعدهما ن. ل. ، وش.	٢٩٧	وهرز والين

رقم	موضوع	رقم	موضوع
٢٩٧	تلقيب ابن قيس بالرقيات ن.ل	٣١٠	النابعة بين يدي الرسول (ص)
٢٩٩	سيف بن ذي يزن وكسرى	٣١١	نسب عدى بن زيد في الطبرى
٢٩٩	ابن أم مكتوم «ش»	٣١٤	العباد
٣٠٠	نسب سيف	٣١٢	أصل اللثام في تولب وشبهها ن.ل
٣٠٠	وصف تاج كسرى	٣١٣	في شرح قصيدة عدى بن زيد ن.ل
٣٠٠	النسبة إلى يزن ن.ل	٣١٣	البربر ليسوا من حمير ولا عيلان
٣٠٠	المنا والككاة ن.ل	٣١٢	الزرافة
٣٠١	عمر وسراقة والتاج	٣١٥	بأذان وكسرى
٣٠٢	اسم صنعاء قديما ن.ل	٣١٦	قوم من الأبناء
٣٠٣	شرح لامية ابن أبي الصلت	٣١٦	طاووس . وهل هو من الأبناء
٣٠٣	اشتقاق رواثم ن.ل	٣١٦	اشتقاق اللونين من الذهب
٣٠٤	شدف مفردها ومعناها ن.ل	٣١٧	وزن مخاص ومخاضة ن.ل
٣٠٤	جمع فعل ن.ل	٣١٧	آن يتين مقلوب من أنى يأتي ن.ل
٣٠٤	متى يجوز جمع الجمع ن.ل	٣١٧	سبب قتل كسرى
	من معاني قصيدة ابن أبي	٣١٨	تعريب خسروا ن.ل
٣٠٤	الصلت «ش»	٣١٩	ذمار وحير ومارس والحبشة
٣٠٥	قصيدة لعدى بن زيد «ش»		متى تمنع ذمار من الصرف
٣٠٦	ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن س	٣١٩	ومتى قبى ن.ل
٣٠٦	مدة ملك الحبشة باليمن «س»	٣١٩	الرأى في فعال ن.ل
٣٠٦	أمراء الفرس على اليمن «س»	٣٢٠	الحبشة والكعبة
٣٠٧	التنبؤ بقتل كسرى «س»	٣٢١	مكش: من دخل ظفار حمير
٣٠٧	إسلام بأذان «س»	٣٢٢	زرقاء الحمامة وطسم وجديس
٣٠٨	أسطورة الحجر المكتوب بالزبور	٣٢٣	قصة ملك الحضرة «س»
٣٠٨	الأعشى ونبوءة شق وسطيح «س»	٣٢٣	خبر الساطرون
٣٠٩	عن النابعة وعدى بن زيد	٣٢٤	اسم الساطرون ونسبه
٣٠٩	النوايع والأعاشي	٣٢٥	الجرامقة

رقم	موضوع	رقم	موضوع
٣٢٥	وصف الحضرة «ش»		عمرو بن لحي يجر قصبة في
٣٢٦	قصيدة الضيزن عند السبيل	٣٤٦	النار «س»
٣٢٦	الضيرة بنت الضيزن وسابور	٣٤٦	لم يسمي أولاد خندف بهذا ؟
٣٢٨	من الذي استباح الحضرة ؟	٣٤٧	نحب عمرو بن لحي
	هشام بن عبد الملك وعظمة	٣٤٨	أبو هريرة وأسياءه
٣٢٩	ابن الأهم	٣٤٩	أول من بحر البحيرة
٣٣٠	قصيدة لعدي بن زيد في الاعتبار		أول ما كانت عبادة الحجارة
٣٣١	عدي بن زيد الذي قتله النعمان	٣٥٠	وأول من أتى بها مكة «س»
٣٣٤	قصيدة عمرو بن أيلة في الضيزن	٣٥١	بقايا من دين إبراهيم في مكة «س»
٣٣٥	من قصيدة الأعشى عن الحضرة		أصنام قوم نوح والتبائل
٣٣٦	نعم ينعم ن.ل	٣٥١	العربية «س»
٣٣٦	من شرح قصيدة عدى بن زيد		اسم همدان ونسبه عند ابن
٣٣٦	تصريف ربيعة ن.ل	٣٥٢	إسحاق «س»
٣٣٦	تأنيذ ربيعة «ش» ن.ل	٣٥٤	هبل وإساف ونائلة «س»
٣٣٧	وهل ووهم ن.ل	٣٥٥	الاصنام في البيوت «س»
٣٣٧	الحابور	٣٥٥	العزى واللات وهنقة «س»
٣٣٨	ذكر ولد نزار بن معد «س»	٣٥٧	أصل عبادة الأوثان
٣٤٠	أنمار بن نزار أبو بجيلة وخشم	٣٥٧	عمرو بن لحي وعبادة الاصنام
٣٤٢	جرير البجلي ونسبه	٣٥٨	التلبية في الجاهلية
٣٤٣	المنافرة	٣٥٨	رواية البخاري عن عبادة الاصنام
٣٤٣	الفرافصة	٣٥٩	رأى الطبري في أصنام قوم نوح
	رفع جواب الشرط والشرط	٣٦٠	ضبط وبرة زدومة الجندل ن.ل
٣٤٣	مضارع ن.ل	٣٦٠	اشتقاق طى ن.ل
٣٤٤	عيلان	٣٦٠	جر ن.ل ش وغيرها
٣٤٤	خندف وأولادها	٣٦٢	لا نولك أن تفعل ن.ل
٣٤٥	أيام الأسبوع في الجاهلية ن.ل	٣٦٢	تقوفة ووزنها وجمعها

رقم	موضوع	رقم	موضوع
٣٦٣	ضبط ملكان وملكان ن.ل	٣٧٤	حكمه إذا لفظ ن.ل
٣٦٤	منع حبيب من الصرف في اسم	٣٧٤	حرير البجلي وهدم ذى الخلفة
٣٦٤	محمد بن حبيب ن.ل	٣٧٥	تأويل: كان يقال له الكعبة اليمانية ن.ل
٣٦٤	السبيل يروى قصة أساف وناقلة	٣٧٥	والثمانية
٣٦٥	الترخيم في غير النداء ن.ل	٣٧٥	له بمعنى من أجله ن.ل
٣٦٦	ابن إسحاق يعود إلى ذكر	٣٧٥	ذو الخلفة وآخر الزمان
٣٦٦	الاصنام «س»	٣٧٦	المستوغر وزهير بن جناب من
٣٦٦	الغيب	٣٧٦	المعمرين
٣٦٧	رضاء وهادما المستوغر «س»	٣٧٦	بنو جناب
٣٦٨	الأسود بن يعفر «س»	٣٧٨	الرباب امرأة الحسين
٣٦٨	ابن إسحاق يتكلم عن البحيرة	٣٧٨	من معمرى العرب
٣٦٨	والسائبة وغيرهما «س»	٣٧٩	شعر المستوغر في رضاء
٣٦٩	الحامى والبحيرة والسائبة	٣٨٠	الخورنق وقصة سنار
٣٦٩	والوصيلة عند العرب «س»	٣٨١	قصيدة الأسود بن يعفر عن آل محرق
٣٧٠	آيات قرآنية تندد بهذه البدع «س»	٣٨١	معنى السدير ن.ل
٣٧١	جمع بحيرة ووصيلة وسائبة وحام ن.ل	٣٨١	رأى السبيل فيما قيل عن البحيرة
٣٧١	السبيل يتحدث عن قصة أجا	٣٨١	والسائبة
٣٧١	وسلى	٣٨٢	تحريم تخصيص الذكور دون
٣٧١	اشتقاق طيء «ش» ن.ل	٣٨٢	الإناث بالهبات
٣٧٢	الصنم ذو الخلف	٣٨٣	نسب خزاعة «س»
٣٧٣	معنى قيس وهشام ونوفل	٣٨٥	قريش «س»
٣٧٣	والنسب إلى امرئ القيس ن.ل	٣٨٦	ولدا النضر «س»
٣٧٣	مأخذ كلمة حندج ن.ل	٣٨٧	أولاد مالك وابنه فهر «س»
٣٧٣	النسب إلى المركب «ش» ن.ل	٣٨٧	غالب وزوجاته وأولاده «س»
٣٧٤	حال من المصدر ن.ل	٣٨٨	نسل لؤى «س»
	حكم المصدر إذا حذف غير	٣٨٨	بنانة «س»

رقم	موضوع	رقم	موضوع
٣٨٩	أمر سامة بن لؤي «س»		إعراب بعض كلمات البيت
٣٩٠	حول وضع بحيرة وحائل ن.ل	٤٠٨	الأول من شعر سامة ن.ل
٣٩٠	السبيل يتكلم عن نسب خزاعة	٤٠٩	إعراب «وخروس السرى» ن.ل
٣٩١	بطن مر	٤١٠	أمر عوف بن لؤي «س»
٣٩٢	دمشق ن.ل	٤١١	مكانة مرة وسادات مرة «س»
٣٩٢	أصل جيرون «س» ن.ل	٤١١	قصيدة الحارث بن ظالم «س»
٣٩٣	قصة أبي دهب وقصيدته النونية	٤١١	انتساب مرة إلى غطفان «س»
٣٩٣	بنو كنانة		شعر الحصين بن الحمام وعامر
٣٩٤	تفصيل القول في قریش	٤١٢	الخصني
٣٩٦	لم لقب قریش بهذا ؟	٤١٤	بنو كعب «س»
٣٩٨	تفسير بيت ربيعة عن القروش	٤١٤	نسب بارق «س»
٣٩٨	تفسير شعر كثير «أليس أبي بالصلت»	٤١٥	ولدا كلاب وأمهما «س»
٣٩٩	تفسير قول جرير بن الخطفي	٤١٥	نسب جعشمة «س»
٤٠٠	بنو الأدم	٤١٥	عود إلى أولاد كلاب
٤٠٣	ماوية امرأة لؤي واشتقاق اسمها ن.ل	٤١٦	أولاد قضى وعبد مناف «س»
	بنانة وعائذة وبنو ناجية وذبيان	٤١٦	شرح شعر الحارث بن ظالم
٤٠٣	وسامة	٤١٧	المرباع
٤٠٣	قصة سامة مرة أخرى	٤١٧	شرح شعر الحصين بن الحمام
٤٠٤	تفسير بنانة	٤١٨	خارجة بن سنان وزهير
٤٠٥	المسودة «س»	٤١٨	شرح شعر عامر الخصني
٤٠٥	ضبط ربان «س» ن.ل	٤١٩	مزينة
٥٠٦	ضبط ذبيان واشتقاقها ن.ل	٤٢٠	الحوآب
٤٠٦	رد الكلمة على ما قبلها في الإعراب ن.ل	٤٢١	حديث السبيل عن البسل
٤٠٧	لم سميت ناجية بهذا	٤٢١	آمين وبسلان ن.ل
	رأى ابن حزم في بني ناجية «س»	٤٢١	المرواة وعشوثل وصمحمج وغيرهما
٤٠٨	الفرق بين كلتي الرسول والمرسل ن.ل	٤٢٢	أعلام وأنساب

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٤٢٤	الكميت	٤٣٢	وم ابن إسحاق في نسب أم صفية
٤٢٤	عما السيف ما قال ابن دارة	٤٣٣	بطون جـنـب
٤٢٥	الجدرة	٤٣٣	عبد شمس وهاشم
٤٢٥	الديل والدئل والدثول ن.ل	٤٣٥	فاطمة بنت الأجمع وأم العباس
٤٢٧	النسبة إلى دُئـل ن.ل	٤٣٦	جحل بن عبد المطب
٤٢٨	شمر كعب بن مالك الأنصاري في	٤٣٧	الزبير عم الرسول « ص »
	غزوة السويق	٤٣٨	زيادة الميم في ابن وعبد « ش » ن.ل
٤٢٩	أولاد هاشم وأمهاتهم « س »	٤٣٩	أبو هب
٣٤٠	أولاد عبد المطب بن هاشم « س »	٤٣٩	أمهات النبي « ص »
٤٣١	العواتك اللاتي ولدن النبي صلى الله عليه وسلم	٤٤٣	تصويب الخطأ

هذا الكتاب والناشر والمطبعة

أما الكتاب فموسوعة ، وقد أرهقني العمل فيه إرهاقا ما شعرت به من قبل ،
غير أني كنت أشعر معه بروح نفسي رائع . ولم لا ، ونحن نعمل في كتاب
يتكلم عن خاتم النبيين . ففي سبيل الله ما أرهقني من عناء ، وما آدني من نصب .
أما الناشر الفاضل فقد بذل للكتاب خير ما يمكنه بذله مما يمكن لهذا الكتاب الكبير
من الظهور .

أما المطبعة وصاحبها الاخ أحمد حمدي أحمد شعبان وعمالها وعلى رأسهم
الاخ محمد محمود مصطفى فقد كانت وكافا عند حسن الظن الكريم بهم . جهد
مبذول في سخاء ، وخلق وديع طيب ، وحرص كبير على أن يظهر الكتاب في
أجل صورة . فله ما بذل الجميع . ضارعين إلى الله في حسن المثوبة ؟ .

عبد الرحمن الوكيل

المسيرة رفع هـملاً
غفر الله له ولوالديه

الروض الأليف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثاني

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الرَّوضُ الْأَنْفِيُّ

فِي شَرْحِ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّهْمِيِّ

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

وَمَعَهُ

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْإِمَامِ ابْنِ هِشَامٍ

الْمُتَوَفَّى ٢١٨ هـ

الجزء الثاني

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ وَشَرْحٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلُ

توزيع

بِئْتَبَارِ الْعَالَمِ بِحَبْرَةِ

حَى الشَّعْرِ

٦٨٧٧٠١٤

الناشر

مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ

القاهرة ١٠١٤٢٤٨٦

جامعة الكويت
ادارة المكتبات - قسم التزويد المظفي
رقم التسجيل ١٧٤٣٨
التاريخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .

« أما بعد » فباسم الله نقدم الجزء الثانى من « الروض الأنف » للسهلى
والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا
هذا صالحاً عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

١٩ من رمضان سنة ١٣٨٧

٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٦٧

عبد الرحمن الوكيل

« أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم » :

قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بنُ عبد المطلب رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -
سيدَ ولد آدم ، محمدَ بنَ عبد الله بن عبد المطلب ، صلواتُ الله وسلامه ورحمته
وبركاته عليه وعلى آله . وأمه : آمنَةُ بنت وَهَب بن عبد مناف بن زُهرة بن
كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُمها : بَرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصيّ بن كِلاب
ابن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُم بَرّة : أُم حَبِيب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصيّ بن كِلاب بن
مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُم أم حَبِيب : بَرّة بنت عَوْف بن عُبيد بن عُويج بن عدى بن كعب
ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أشرفُ ولد آدم
حسباً ، وأفضلهم نسباً من قبَل أبيه ، وأمه صلى الله عليه وسلم .

« حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

إشارة إلى ذكر احتقار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال :
وكان من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما حدثنا به زياد بن عبد الله
البكائي ، عن محمد بن إسحاق الموطّئي : بينما عبد المطلب بن هاشم نائم في الحجر ،
إذ أتته ، فأميرٌ بحفر زمزم ، وهي دفن بين صنمَي قُريش : إيساف وناثلة ، عند

مَنَحَر قَرِيش . وكانت جُرْهم دَفَنَتْها حين ظَعَنُوا من مَكَّة ، وهى : بئر إسماعيل ابن إبراهيم — عليهما السلام — التى سقاه الله حين ظَمِئُ وهو صغير ، فالتمس له أمه ماءً فلم تجده ، فقامت إلى الصفا تدعو الله ، وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أنت المروءة ففعلت مثل ذلك . وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام ، فهمز له بعقبه فى الأرض ، فظهر الماء ، وسمعت أمه أصوات السباع نخافها عليه ، فجات تشدّ نحوه ، فوجدته يَفْحَص بيده عن الماء من تحت خده ويشرب ، فجعلته حَسِيًّا [الحسى : الحفيرة الصغيرة] .

أمر جرهم ، ودفن زمزم

قال ابن هشام : وكان من حديث جرهم ، ودَفَنها زمزم ، وخروجها من مكة ، وَمَنْ ولى أمر مكة بعدها إلى أن حَقَرَ عبدُ المطلب زمزم ، ما حدثنا به زياد بن عبد الله البسكائى عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبيّ ، قال : لما توفى إسماعيل ابن إبراهيم ولى البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل — ما شاء الله أن يليه — ثم ولى البيت بعده : مُضاض بن عمرو الجُرْهميّ :

(باب مولد النبي صلى الله عليه وسلم)

ذكر نسب أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وأن زهرة هو : ابن كلاب ، وفى المعارف لابن قتيبة : أن زهرة اسم امرأة عُرِف بها بنو زهرة ، وهذا مُنكَرٌ غير معروف ، وإنما هو اسمُ جدم — كما قال ابن إسحاق والزُّهْرَةُ فى اللغة : إشراقٌ فى اللون ، أى لونٍ كان من بياضٍ أو غيره ، وزعم بعضهم أن الأزهر هو الأبيض خاصّة ، وأن الزهر اسمٌ للأبيض من الثّوار ،

قال ابن هشام : ويقال : مضاض بن عمرو الجرهمي .

قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل ، وبنو نابت مع جدّهم : مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرّهم ، وجرّهم وقطوراء يومئذ أهل مكة ، وهما ابنا عمّ ، وكانا قطعنا من اليمن ، فأقبلا سياراً ، وعلى جرّهم : مضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء : السّميدع رجُلٌ منهم . وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملكٌ يُقيم أمرهم . فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجرٍ ، فأعجبهما فنزلا به . فنزل مضاض بن عمرو بمنّ معه من جرّهم بأعلى مكة بقُعَيْقِعَان ، فما حاز . ونزل السّميدع بقطوراء ، أسفل مكة بأجباد ، فما حاز . فكان مضاض يعشُر من دخل مكة من أعلاها ، وكان السّميدع يعشُر من دخل مكة من أسفلها ، وكلُّ في قومه لا يدخل واحدٌ منهما على صاحبه . ثم إن جرّهم وقطوراء بقى بعضهم

وخطأ أبو حنيفة من قال بهذا القول ، وقال : إنما الزُّهرة إشراق في الألوان كلها ، وأنشد في نور الخوذان ، وهو أصفر :

تري زهرَ الخوذانِ حَوْلَ رياضه يُضِيءُ كَلَوْنَ الْأَنْحَمِيِّ الْمَوْرِسِ (١)

وفي حديث يوم أحد : نظرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعَيْنَاهُ تُزْهِرَانِ تَحْتَ الْمَغْفَرِ .

(١) الخوذان : نبات عشبي من ذوات الفلقتين . منه أنواع يزرع لزهرها ، وأخرى تنبت بريّة ، ويقال : تحم الثوب : وشاه ، والانحمي والانحمية ، والمتشحمة - بضم الميم وسكون التاء وفتح الحاء ، أو بفتح التاء وتضعيف الحاء مع فتح - مؤنث . ومورس الثوب : صبغه بالورس ، وهو نبت من الفصيلة البقلية ، وهي شجرة ثمرها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء ، كما يوجد عليه زغب قليل يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لا حتوائه على مادة حمراء .

على بعض ، وتنافسوا الملأك بها ، ومع مُضاض يومئذ : بنو إسماعيل وبنونات ، وإليه ولاية البيت دون السَّمِيدَع . فسار بعضهم إلى بعض ، فخرج مُضاض ابن عمرو من قُعَيْقَعَان في كَتِيبَتِه سائراً إلى السَّمِيدَع ، ومع كَتِيبَتِه عُدَّتُهَا من الرِّمَاح والدَّرَق والسُّيُوف والجِجَاعِب ، يُقَعِّع بذلك معه ، فيقال : ما سُمِّي قُعَيْقَعَان بقُعَيْقَعَان إلا لذلك . وخرج السَّمِيدَع من أجياد ، ومعه الخيل والرجال ، فيقال : ما سُمِّي أجياد : أجياداً إلا لخروج الجياد من الخيل مع السَّمِيدَع منه . فالتَقَوْا بغاضِح ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل السَّمِيدَع ، وفُضِحَتْ قُطُوراء . فيقال : ما سُمِّي فاضِح فاضحاً إلا لذلك . ثم إن القوم تَدَاعَوْا إلى الصَّلاح ، فساروا حتى نزلوا المَطَايِخ : شُعْباً بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض . فلما جُمع إليه أمر مكة ، فصار مُلْكُهَا لَهُ تَحَرَ للنَّاس فأطعمهم ، فأطْبِخ النَّاسُ وأَكَلُوا ، فيقال : ما سُمِّيَتِ المَطَايِخ : المَطَايِخ إلا لذلك . وبعضُ أهل العلم يزعمُ أنها إنما سُمِّيَتِ المَطَايِخ ، لِمَا كَانَ تُبْعُ نَحْرُهَا ، وأطعم ، وكانت منزله ، فكان الذي كان بين مُضاض والسَّمِيدَع أولَ بَغْيٍ كَانَ بِمَكَّةَ فِيمَا يَزْعُمُونَ .

ثم نشر الله وَلَدَ إسماعيل بمكة ، وأخوالهم من جُرْهُم ولاية البيت والحكام بمكة ، لا يَنَازِعُهُمْ وَلَدُ إسماعيل في ذلك لَخُثُولَتِهِمْ وَقُرَابَتِهِمْ ، وإعظاماً للهِجْرَةِ أن يكون بها بَغْيٌ أو قتال . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد ، فلا يَنَاقِشُونَ قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم قَوِّطُوهُمْ .

زمزم : وذكر فيه خبر إسماعيل ، وأمه ، وقد تقدم طرف منه . وذكر أن جَبْرِيلَ - عليه السلام - هَمَزَ بَعْقِيَهُ فِي مَوْضِعِ زَمْزَمَ ، فنبع الماء ، وكذلك زَمْزَمَ

استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم

« بنو بكر يطردون جرهما »

ثم إن جرهما بَغَوْا بِمَكَّةَ ، واستَحَلُّوا خِلَالَ من الحرمة ، فظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهْدَى لها ، فرقتْ أَسْرَمُ . فلما رأت بنو بَكْر بن عَبْد مَنَافَة بن كِنَانَة ، وَغُبْشَان من خُزَاعَة ذلك ، أَجْعَمُوا لِحَرْبِهِمْ وإِخْرَاجِهِمْ من مَكَّة . فَأَذْنَوْهُمْ بِالْحَرْبِ فَاقْتَتَلُوا ، فغلبتهم بنو بَكْر وَغُبْشَان ، فَنفَوْهُمْ من مَكَّة . وكانت مَكَّة في الجَاهِلِيَّة لَا تُقَرَّبُ فِيهَا ظُلُمًا وَلَا بَغْيًا ، وَلَا يَبْنَى فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخْرَجَتْهُ ، فَكَانَتْ تَسْمَى : النَّاسَةَ ، وَلَا يريدها ملك يستحلُّ حُرْمَتَهَا إِلَّا هَلَكَ مَكَانَهُ ، فيقال : إِنِهَا مَا سَمِيَتْ بِبَكَّةَ إِلَّا أَنِهَا كَانَتْ تَبْكُ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ إِذَا أَحْدَثُوا فِيهَا شَيْئًا .

قال ابن هشام : أَخْبَرَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ : أَنَّ بَكَّةَ اسْمُ لِبْطَن مَكَّةَ ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ فِيهَا ، أَيْ : يَزْدَحُمُونَ ، وَأَنْشَدَنِي :

إِذَا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ أَكَّةُ فَخَلَّهْ حَتَّى يَبْكُ بَكَّةُ

أَيْ : فَدَعَتْهُ حَتَّى يَبْكُ إِلَيْهِ ، أَيْ يُخَلِّئُهَا إِلَى الْمَاءِ ، فَتَزْدَحُمُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ . وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ لِعَامَانَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَافَةَ بْنِ تَمِيمٍ .

تسمى : هَمْزَة جَبْرِيلَ بِتَقْدِيمِ الْمِيمِ عَلَى الزَّاي ، وَيُقَالُ فِيهَا أَيْضًا : هَزْمَة جَبْرِيلَ ، لِأَنَّهَا هَزْمَة ^(١) فِي الْأَرْضِ ، وَحُكِيَ فِي اسْمِهَا : زُمَا زِمٌ وَزَمَزَمَ . حَكَى ذَلِكَ عَنِ الْمُطَرِّزِ ، وَتَسْمَى أَيْضًا : طَعَامُ طُعْمٍ ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ . وَقَالَ الْجُرُجِيُّ : سَمِيَتْ :

(١) فِي الْهَيَاةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : الْهَزْمَةُ : الثَّقَرَةُ فِي الصَّدْرِ ، وَفِي التَّفَاحَةِ إِذَا

قال ابن إسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبجحر الركن ، فدفعهما في زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملئها حزنا شديداً ، فقال عمرو ابن الحارث بن مُضاض في ذلك ، وليس بمضاض الأكبر :

وقد شَرِقتْ بالدمع منها المَحَاجِرُ	وقائلة والدمعُ سَكَبُ مُبَادِرُ
أُنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سامِرُ	كأن لم يكن بين الحَجُوجِ إلى الصَّفا
يُلَجِّجُهُ بين الجناحين طائرُ	فقلتُ لها والقلبُ مني كَأَمَّا
صُرُوفُ اللَّيالي ، والجُدودِ التَّوَاتِرُ	بلى نحن كُنَّا أهلها ، فأزالنا
نطوفُ بِذاك البيتِ ، والخيرُ ظاهرُ	وكُنَّا ولَاةَ البيتِ من بَعْدِ نَابِتِ
بِعِزٍّ ، فَبَا يَحْطِى لَدِينَا المُكَاثِرُ	ونحن وَلِينَا البيتَ من بعد نَابِتِ
فَإِيسَ لَحَى غَيْرَنَا ثُمَّ فَاخِرُ	ملكنا فَعَزَّزْنَا فَأَعْظَمَ بِمَلِكُنَا
فَأَبْنَاؤُهُ مِنَّا ، ونحنُ الأَصَاهِرُ	ألم تُنْكَحُوا من خيرِ شَخْصٍ عِلْمَتُهُ
فَإِنَّهَا حَالًا ، وفيها التَّشَاجِرُ	فإن تَنْشَأَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِحَالِهَا
كَذَلِكَ - يَا لِنَّاسٍ - تَجْرَى المِتَادِرُ	فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا المَلِيكَ بِقُدْرَةٍ
: أذَا العَرْشِ : لَا يَبْعَدُ سُهَيْلٌ وَعَامِرُ	أَقُولُ إِذَا نَامَ الخَلْقُ ، ولم أُنَمِ
قِبَائِلُ مِنْهَا خَيْرٌ وَيَحَارِبُ	وبُدِّلَتْ مِنْهَا أَوْجُهًا لَا أُحِبُّهَا

زمزم ، يَزَمَزِمَةُ المَاءِ ، وهى صوته ، وقال المسعودي : سُمِّيَتْ زَمَزَمُ ، لِأَنَّ الفُرْسَ كانت تحج إليها في الزمن الأول ، فزَمَزَمَتْ عَلَيْهَا . والزَمَزَمَةُ : صوت يُخْرِجُهُ الفُرسُ من خياشيمها عند شرب الماء . وقد كتب عمرُ - رضى الله عنه - إلى عماله : أن انهو الفرسَ عن الزَمَزَمَةِ ، وأنشد المسعودي :

وصرنا أحاديثا وكُنَّا بغيطةً بذلك عَصَّتنا السَّنون الغوابر
فسحَّتْ دموعُ العين تَبْكِي لِبِلْدَةٍ بها حَرَمٌ أَمْنٌ ، وفيها المشاعر
وتبكي لبيتٍ ليس يُؤدِّي حَمَاهُ يظلّ به أَمْنًا ، وفيه العَاصِر
وفيه وحوش - لأنرام - أنيسة إذا خرجتُ منه ، فليست تُعَادِر
قال ابن هشام : « فأبناؤه منا » ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بَكْرًا وغبشَان ،
وساكني مكة الذين خَلَفُوا فيها بعدهم :

يأيها النَّاسُ سِيرُوا إن قَصَرَ كَم أن تُصْبِحُوا ذات يوم لا تَسِيرُونَا
حُثُوا المَطِيَّ ، وأَرْخُوا من أَرْمَتِهَا قبل المات ، وقَضُوا ما تُقَصُّونَا
كُنَّا أناسا كما كنتم ، ففَيَّرْنَا دهرٌ ، فأنتم كما كُنَّا تَكُونُونَا

قال ابن هشام : هذا ما صحَّ له منها . وحدثني بعضُ أهل العلم بالشعر :
أن هذه الأبيات أولُ شعر قيل في العرب ، وأنها وُجِدَتْ مكتوبة في حَجَرٍ
بالبين ، ولم يُسَمَّ لى قائلها .

زَمَزَمَتِ الفُرْسُ عَلَى زَمَزَمَ وذلك في سالفِها الأَقْدَم (١) .

(١) الزمزمة أيضاً : تراطن الفرس على أكهم ، وهم صُحُفٌ لا يستعملون اللسان
ولا الشفة ، لكنه صوت تديره في خياشيمهم وحلقهم ، فيفهم بعضهم عن بعض .
والبيت في ص ٢٤٢ ج ١ المسعودي . ونص قول المسعودي : وكانت أسلاف
الفرس تقصد البيت الحرام ، وتطوف به تعظيماً له ، ولجدها إبراهيم عليه السلام
وتعظيمه ، وحفظاً لأنسابه ، وكان آخر من حج منهم : ساسان بن بابك .

وذكر البرقي عن ابن عباس - رضى الله عنه - أنها سميت : زَمْزَمَ لأنها زُمَّتْ بالتراب ؛ لثلاث يأخذ الماء يميناً وشمالاً ، ولو تُرِكَت لساحت على الأرض حتى تملأ كلَّ شيء . وقال ابن هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع قال الشاعر :

وباشرتْ مَعْظَنَهَا المُدْهَمَ وَيَمَّتْ زُمُومَهَا المُزْمَرِمَا (١)

سبب نزول هاجر وإسماعيل مكة : المدهم : اللين ، وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليهما من الشام أن سارة بنت عم إبراهيم - عليه السلام - شجر بينها وبين هاجر أمر ، وساء ما بينهما ، فأمر إبراهيم أن يسير بها إلى مكة ، فاحتملها على البُرَاق (٢) واحتمل معه قربة بماء ومزود تمر ، وسار بها

(١) في الأصل : المدهشم ، وهو خطأ . والمعطن هو اللابل كالوطن للناس ولكنه غلب على مبركها . والزمزوم : الجماعة من الإبل عددها مائة . وقد ذكر اللسان عن ابن بري أن زمزم لها اثنا عشر اسماً : زمزم ، مكتومة ، معنولة ، شباعة ، بضم الشين وفتح الباء ، سقياء بضم السين وسكون القاف ، الرءواء : بفتح الراء والواو ، ركضة جبريل ، هزمة جبريل ، شفاء سقم ، طعام طعام ، خيرة عبد المطلب . أقول : وذكر لها اسم آخر هو بَرَّة . وفي اللسان أيضاً : الزمزمة بكسر الزاى : الجماعة من الناس ، وفرس يززم في صوته إذا كان يطرب .

(٢) لم يرد له ذكر في المرويات الصحيحة ، ولم يرد في حديث يعتد به أن إبراهيم حمل هاجر إلى هناك ليرضى سارة ، بل الذى ورد أنه حملها بأمر الله ليقضى الله أمره سبحانه . وليس إبراهيم بالرجل الذى يضع أمر امرأته فوق أمر ربه ، أو يرتكب مثل هذا ترصية لامراته .

حتى أنزلها بمكة في موضع البيت (١)، ثم وليّ راجعاً عودده على بذائه (٢)، وتبته هاجر (٣) وهي تقول : الله أمرك أن تدعى ، وهذا الصبيّ في هذا البلد الموحش ، وليس معنا أنيس ؟ ! فقال : نعم ، فقالت : إذا لا يضيعنا (٤) ، فجعلت تأكل من التمر ، وتشرب من ماء القرية ، حتى نفذ الماء ، وعطش الصبي ، وجعل ينشغ للموت (٥) ، وجعلت هي تسمى من الصفا إلى المروة ، ومن المروة إلى الصفا ؛ ترى أحداً ، حتى سمعت صوتاً عند الصبيّ ، فقالت : قد أسمعت ، إن كان عندك غوث ، ثم جاءت الصبيّ ، فإذا الماء ينبع من تحت خده ، فجعلت تغرف بيديها ، وتجعل في القرية . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لو تركته لكانت عينا ، أو قال : نهراً معيناً ، وكلها الملك ، وهو جبريل - عليه السلام - وأخبرها أنها مقر ابنها وولده إلى يوم القيامة (٦) ، وأنها موضع بيت الله الحرام ، ثم ماتت

(١) في رواية للبخاري : « وضعها عند البيت عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء » .

(٢) كان راجعاً إلى الشام .

(٣) في رواية ابن جريج : « فأدركته بكداء بفتح الكاف ، أو كدى بضم الكاف والقصر » .

(٤) في رواية : أنها نادته ثلاثاً ، وأنه أجابها في الثالثة ، وأنها قالت له : حسبي ، أو : رضيت بالله ،

(٥) يشقى ويعلو صوته وينخفض كالذي ينازع . وفي روايات : وجعلت تنظر إليه يتلو ، أو يستلبط ، أو يتلّظ .

(٦) في رواية للبخاري : « فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هذا بيت الله يبني هذا الغلام ، وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله » .

وأما قَطُورًا ، فهو قَطُور ابن كَرَّ كَر .

وأما السَّمِيدَعُ الذي ذكره ، فهو السَّمِيدَع بن هوثر - بناءً مثلثة - قيدها البكري - بن لاي بن قَطُور ابن كَرَّ كَر بن عِمْلَاق ، ويقال : إن الزَّبَاءَ المَلَكَةَ كانت من ذُرِّيَّتِهِ ، وهي بنت عمرو بن أُذَيْنَةَ بن ظَرَب بن حَسَّان ، وبين حسان ، وبين السَّمِيدَع آباء كثيرة ، ولا يصح قول من قال : إن حسان ابنه لصلبه ، لِلبُعْدِ زمن الزبَاء من السَّمِيدَع ، وقد ذكرنا الاختلاف في اسمها في غير هذا الموضع ، وذكر الحارث بن مُضاضٍ الأكبر بن عمرو بن سعد بن الرَّقِيب بن هَيَّ بن بنت (١) جُرْهُم .

مباد وقبيلهم : فصل : وذكر ولاية جُرْهُم البيت الحرام دون بني إسماعيل إلى أن بغوا في الحرم ، وكان أول بني في الحرم ما ذكره من حرب جُرْهُم لِقَطُورًا .

وأما أجياد فلم يسمَّ بأجياد من أجل جِياد الخليل ، كما ذكر لأن جِياد الخليل لا يقال فيها : أجياد ، وإنما أجياد : جمع جِيَد (٢) .

= السلام . قال أبو عبيد : وليس كذلك . قال في العبر : وعلى هذا يكون جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام ، لأنَّ عدنان وقحطان يستدعيان بطون العرب القحطانية والعدنانية ، ص ٣٩٦ ط ١٩٥٩ .

(١) هكذا في الأصل . وفي اللسان عن ابن بري : « ويقال في النسب : عمرو ابن الحارث بن مضاض بن هَيَّ بن كَيَّ » بفتح الهاء والباء وتضعيف الياء في الكلمتين ابن جرهم . وهي بن كَيَّ : كناية عن لا يعرف ، ولا يعرف أبوه ، وقيل : كان من ولد آدم ، ثم انقرض نسله .

وذكر أصحاب الأخبار أن مِضاضاً ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجلٍ من العالقة ، فسمى الموضع : بأجياد ، وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب ، ومن شَغِبِ أجياد تخرج دابة الأرض التي تُكَلِّمُ الناس قبل يوم القيامة ، كذلك روى عن صالح مولى التَّوْأَمَةِ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاص (١) ، وذكر غيره في أخبار مكة أن قُعَيْقِعَان سُمي بهذا الاسم حين نزل تبع مكة ، ونحر عندها وأطعم ، ووضع سلاحه وأسلحته جنده بهذا المكان ، فسمى : قُعَيْقِعَان بَقَعْقَعَةِ السَّلَاحِ فيه - والله أعلم .

بهرهم تسروا مال الكعبة : فصل : وذكر استحلال جُزْهُمٍ لِحُزْمَةِ الكعبة ، فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ، كان احتقر بئراً قريبة القفر عند باب الكعبة ، كان يُلقى فيها ما يهدى إليها ، فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرةً بعد مرة ، فيذكر أن رجلاً منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجرٌ من شَفِيرِ البئر فخبسه فيها ، ثم أُرْسِلَتْ على البئر حِيَّةٌ لها رأسٌ كَرَأْسِ الْجَدْيِ ، سوداء اللون ، بيضاء البطن ، فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة ، وقامت في البئر - فيما ذكروا - نحواً من خمسمائة عام ، وسندكر قصة رفعها عند بنيان الكعبة إن شاء الله .

== قال ابن الأثير : وأكثر الناس يقولونه : جِيَادُ بَكْسَرِ الْجِيمِ ، وحذف الهمزة . قال : جِيَادُ - بَكْسَرِ الْجِيمِ - موضع بأسفل مكة معروف من شعابها . وبهذا يصح قول ابن هشام ، أما فرس جواد ، فجمعه جِيَادُ .

(١) لم يرد هذا في حديث صحيح . والحديث الذي في مسلم لا يشير إلى مكان خروج هذه الدابة ، ولا يذكر عنها سوى أنها دابة . والإنسان : دابة . أما ما ورد عنها من صفات أخرى ، فأكثره إسرائيليات ردها وهب بن منبه .

بين مبرهم وخرأمة : فصل : فلما كان من بغي جُرهم ما كان ، وافق تفرق سبأ من أجل سيل العرم ، ونزول حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكة ، وذلك بأمر طريقة الكاهنة ، وهي امرأة عمرو بن مزيقياء ^(١) وهي من حير ، وبأمر عمرو ابن عامر أخى عمرو ، وكان كاهناً أيضاً ، فنزلها هو وقومه ، فاستأذنوا جُرهما أن يقيموا بها أياماً ، حتى يرسلوا الرثود ، ويرتادوا منزلاً حيث رأوا من البلاد ، فأبت عليهم جُرهم ، وأغضبهم ، حتى أقسم حارثة ألا يبرح مكة إلا عن قتال وغلبة ، فخارتهم جُرهم ، فكانت الذولة لبني حارثة عليهم ، واعتزلت بنو إسماعيل ، فلم تكن مع أحد من الفريقين ، فعند ذلك ملكت خُرأمة - وهم بنو حارثة - مكة ، وصارت ولاية البيت لهم ، وكان رئيسهم عمرو بن لحي الذي تقدم ذكره قبل ، فشرّد بقية جُرهم ، فسار فلثمهم في البلاد ، وسلط عليهم الذر والرثاف ^(٢) ، وأهلك بقيتهم السيل ياضم ، حتى كان آخرهم موتاً امرأة ريث تطوف بالبيت بعد خروجهم منها بزمان ، فعجبوا من طولها وعظم خالقها ، حتى قال لها قائل : أجنّية أنت أم إنسية؟! ، فقالت : بل إنسية من جُرهم ، وأنشدت رَجَزاً في معنى حديثهم ، واستكثرت بعيراً من رجلين من جهينة ، فاحتملاها على

(١) في جمهرة ابن حزم : عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء ص ٤٥٣ . وفي الاشتقاق لابن دريد : ولد حارثة عامراً وهو ماء السماء ، وولد عامر عممرا وفتح العين وسكون الميم ، وهو مزيقياء ، فعمرو - إذن - هو مزيقياء لابن مزيقياء ص ٤٣٥ .

(٢) الذر : صغار النمل ، والرثاف : الدم .

البعير إلى أرض خَيْبَر ، فلما أنزلها بالمنزل الذي رَسَمَتْ لها ، سألاها عن الماء ، فأشارت لهما إلى موضع الماء ، فولّيا عنها ، وإذا الذرّ قد تعلّق بها ، حتى بلغ خياشيمها وعينيها ، وهي تنادى بالويل والثُبور حتى دخل حلقها ، وسقطت لوجها ، وذهب الجُهَنِيَّانِ إلى الماء ، فاستوطناهُ ، فمن هنالك صار موضع جُهينة بالحجاز وقُرب المدينة ، وإنما هم من قُضاة ، وقُضاة : من ريف العراق .

غربة الحارث بن مضاض : فصل : رجع الحديث . وكان الحارث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الرّقيب بن هيّ بن نبت بن جُرهم الجُرهمي قد نزل بِقَنَوْنَا^(١) من أرض الحجاز ، فضَلّت له إبلٌ ، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إبله ، فنادى عمرو بن لُحَيّ : من وجد جُرهميّا ، فلم يقتله ، قطعت يده ، فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إبله تُسحر ، ويُتوزّعُ لِحْمُها ، فأنصرف بانسأ خائفا ذليلا ، وأبعد في الأرض ، وهي غُرْبَةُ الحارث بن مُضاض التي تضرب بها المثل ، حتى قال الطائي :

غُرْبَةُ تَقْتَدِي بِغُرْبَةِ قَيْسَ بـ من زُهَيْرٍ والحارث بن مضاض

وحينئذ قال الحارث الشعر الذي رسمه ابن إسحق وهو قوله :

(١) سبق هذا ، وبيان الصواب فيه عن هي في ص ١٥ من هذا الجزء . وقنوني « بوزن فعوه على ، بفتح القاف والنون وسكون الواو ، من أودية السّراة ، تصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن ، من جهة مكة قرب حَلَمي « بفتح فسكون » وتكتب بإلياء حسب القاعدة ، ولكن تركتها كما هي .

(٢) غربة بفتح الغين : النوى والبعد ، وبضمها : التزوح عن الوطن .

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّغَا . الشعر ، وفيه :

وَنَبْكَى لَيْتَ لَيْسَ يُؤَذَى حَمَامُهُ تَظْلُ بِه أَمْنَا ، وفيه الْعَصَافِرُ (١)

أراد : العصافير ، وحذف الياء ضرورة ، ورفع العصافير على المعنى ، أى :
وتأمن فيه العصافير ، وتظل به أَمْنَا ، أى : ذات أَمْنٍ ، ويجوز أن يكون أَمْنَا جمع
أَمِنٍ مثل : ركب جمع : راكب ، وفيه : وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ : السامر : اسمُ
الجماعة يتحدثون بالليل ، وفي التنزيل : (سَامِرًا تَهْجُرُونَ) المؤمنون : ٦٧
وَالْحَجَّوْنَ (٢) بفتح الحاء على فرسخ وثلاث من مكة ، قال الْحَمِيدِيُّ : كان سُفْيَانُ
ربما أنشد هذا الشعر ، فزاد فيه بعد قوله : فليست تغادر :

وَلَمْ يَتَرَبَّعْ . واسطًا وجَنُوبَهُ إِلَى السَّرِّ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ حَاضِر
وَأَبْدَلَنِي رَبِّي بِهَا دَارَ غُرْبَةٍ بِهَا الْجَوْعُ بَادٍ ، وَالْعَدُوُّ الْمُحَاصِرُ (٣)

(١) في السيرة : يظل بدلا من : تظل .

(٢) والحجون كما في المراصد : بأعلى مكة عند مقبرة أهلها ، وفي ياقوت
عن الأصمعي : أنه الجبل المشرف الذي بجذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين .
(٣) أما واسط : فقليل : لأن للعرب سبعة مواضع ، يقال لكل منها : واسط ، منها :
واسط نجد في شعر خدّاش بن زهير ، وواسط الحجاز في شعر كثير ، وواسط
الجزيرة في شعر الأخطل . وواسط النمامة في شعر الأعشى ، وواسط العراق :
وهناك غير ذلك . وواسط أيضا بمكة . قيل : قرن كان أسفل من جرة العقبة بين
المأزمين . فحضر حتى ذهب ، وقيل : تلك الناحية بركة السرى إلى العقبة ، وتسمى :
واسط المقيم . وقيل لأنه الجبل الذي يجلس عنده المساكين إذا ذهبت إلى منى .
والسر : بطن الوادي . ووادي الأراك : قرب مكة . وفي معجم البلدان ونهاية
الأرب ١٦ ص ٣٤ وضع هذا بعد البيت : وصرنا أحاديثا ، وروايت هكذا :

واسط وعامر ومبرهم : قال الحميدى : واسط : الجبل الذى يجلس عنده
المساكين ، إذا ذهب إلى منى . وقوله فيه :
لا يَبْقَدُ سَهْلٌ وعامر

عامر : جبل من جبال مكة ، يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه : وهل
يَبْدُونُ لى عامرٌ وطَفِيلٌ^(١) . على رواية من رواه هكذا ، وجُرْهُمُ هذا هو
الذى تتحدث بها العرب في أكاذيبها ، وكان من خرافاتها في الجاهلية أن جُرْهُمَا
ابن لَمَلَكٍ أهبط من السماء لذنبا أصابه ، فغضب عليه من أجله ، كما أهبط
هاروت وماروت ، ثم أُلقيت فيه الشهوة ، فتزوج امرأة ، فولدت له جُرْهُمَا ،
قال قائلهم :

لاهمَّ إن جُرْهُمَا عبادُكَ الناسُ طُرْفٌ ، وممَّ نِلَادُكَ
[بهم قديما عَمِرَتْ بلادُكَ]^(٢)

من كتاب الأمثال للأصبهاني :

= وبدلنا كعب بها دار غربة بها الذئب يعوى ، والعدو المكاثر
وفي مروج الذهب ج ٢ ص ٥٠ : والمحاصر . وفيه بعد : دو كنا ولالة البيت ،
هذا البيت :

وكنّا لإسماعيل صهرا ووصلة ولما تدر فيها علينا الدوائر
(١) طفيل : جبل بمكة .

(٢) ما بين قوسين عن الطبرى ص ٢٨٥ ج ٢ وهذا الرجز ينسب إلى عامر
ابن الحارث ، والقصيدة منسوبة في الطبرى لعامر بن الحارث بن مضاض
بقول الطبرى : إن الله بعث على جرهم الرعاف والنل ، فأفناهم ، فاجتمعت خراعة =

مكة وأسماؤها : فصل : وذكر مكة وبكة ، وقد قيل في بكة ما ذكره من أنها تَبْكُ الجبارة ، أى تكسرمهم وَتَقْدَعُهُمْ ، وقيل : من التَّبَاكُ ، وهو : الازدحام ، ومكة من تَمَكَّكَتْ العظم ، إذا اجتذبت مافيه من المنخ ، وتمكَّكَتْ الفصيلُ ما فى ضَرْعِ الناقة ، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما فى البلاد من الناس والأقوات التى تأتيتها فى المواسم ، وقيل : لما كانت فى بطن واد ، فهى تَمَكَّكَتْ الماء من جبالها وأخشابها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول ، وأما قول الراجز الذى أنشده ابن هشام :

إذا الشَّريبُ أخذته أكَةٌ نخله حتى يبكَّ بكة (١)

فالأكة : الشدة ، وإكالك الدهر : شدائده .

ليجولوا من بئى ، فاقتتلوا ، فلما أحس عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالتي الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة ، وهو يقول : ولا هم إن جرهما الخ فلم تقبل - كما فى الطبرى - توبته ، فألقى غزالتي الكعبة . وحجر الركن فى زمزم ، كما جاء فى السيرة . ثم دفنها ، وخرج من بئى من جرهم إلى أرض من أرض جهينة . فجاءهم سيل أتى ، فذهب بهم . (١) فى اللسان : مَكَّ - وزن رد - الفصيل ما فى ضرع أمه يمكَّته - وزن يرد - مكَّنا وامتك - بفتح التاء وتضعيف الكاف - وتمككه ، ومككه : امتص جميع مافيه . وشربه كله . . ومك العظم وامتك وتمككه ، وتمككه امتص مافيه من المنخ . والرجز المذكور لعامان بن كعب التميمي - كما ذكر ابن هشام ، وفى الروض : الشريت بدلا من الشريب ، وهو خطأ ، وفيه يبك بدلا من تبك . ومعنى الشريب - كما فى اللسان - الذى يسقى إبله مع إبله . يقول : نخله يورد لإبله الحوض . فتيك عليه أى : تزدحم ، فيسقى إبله سقية . وللأكة معان أخر . منها : سكون الريح وضيق الحلق وفورة شديدة فى القيظ . انظر اللسان . وتعليق الاستاذ من معاني اللغة فى معجمه .

وذكر أنه كان يقال لها : النَّاسَة ، وهو من نُسِتَ (١) الشيء إذا أذهبت ،
والرواية في الكتاب بالنون ، وذكر الخطابي [في غريبه] أنه يقال لها : الباسَة أيضا بالباء ،
وهو من بُسَّتَ الجبالُ بسًا ، أي : فُتَّتْ وُثِّرَتْ ، كما يُثَرَّى السَّويقُ ، قال الرازي :

لَا تَخْبِزْ أَخْبِزًا وَبُسَابَسًا (٢)

يقول : لا تشتغلا بالخبز ، وُثِّرًا الدقيق والتقماء (٣) . يقال : إن هذا البيت
للص أمجله الحرب .

وذكر أبو عبيدة أن الخبز : شدة السَّوق ، والبس : ألين منه ، وبعده :

(١) النَّسْ — بفتح النون — المضاء في كل شيء ، وخص بعضهم به السرعة
في الورد ، وهو السوق والجزر الشديد . وفي اللسان : وأنست الدابة : أعطشتها
والناسَة من أسماء مكة لقلة ماؤها ، وكأنها تسوق وتدفع من يبغي بها .

(٢) وبعده في اللسان : «ولا تطيلا بمناخ حبسا» . والبس : اتخاذ البسيمة
وهو أن يلك السويق أو الدقيق أو الألفط المطحون بالسمن أو بالزيت ، ثم يؤكل
ولا يطبخ . وقال يعقوب : هو أشد من اللت بللا . وذكر أبو عبيدة أن
لصا من غطفان ، أراد أن يخبز يخاف أن يعجل عن ذلك ، فأكله عجينا ، ولم يجعل
أبو عبيدة البس من السوق اللين . وفي تعليق الأستاذ هرون على معجم ابن فارس
ذكر أن الرجز للهوان العقيلي أحد لصوص العرب . وقد فسر السهلي البيت
بما فسره به ابن فارس .

(٣) ثرى الدقيق — بفتح التاء وتضعيف الراء — صب عليه الماء . هذا وقد
قيل عن بكه إنها اسم البقعة التي فيها الكعبة ، وذهب إليه مالك وابن عباس . وقيل
اسم لها ولما حول البيت ، ومكة : اسم لما وراء ذلك ، وقيل : إنها المسجد والبيت
ومكة اسم للحرم كله ص ٦٠١ القرى للجب الطري .

ما ترك السَّيْرُ لهن نَسًا

ومن أسماء مكة أيضا: الرأسُ، وصَلَاحُ، وأمُّ رُحْم، وكُوْنِي، وأما التي يخرج منها الدجال، فهي : كُوْنِي رَبًّا (١) ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام، وقد تقدم اسمها، وأبوها هو الذي احتفر نهر كُوْنِي، قاله الطبري .

أُسطورة : فصل : وذكر قول الحارث بن مُضاض :

يأيها الناسُ سَيِّروا إِنْ قَصَرَكُمُ أَنْ تُصْبِحُوا ذات يومٍ لِانسِيرونا (٢)

وذكر ابن هشام أنها وجدت بِحَجَرٍ باليمن، ولا يعرف قائلها، وأُنْقِيتُ في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبراً لهذه الأبيات، وأُسندُه أبو الحرث محمد بن أحمد الجعفي عن عبد الله بن عبد السلام البصري، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سايان التَّمَّار، قال أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال : وجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهي بئر طَسْمٍ وَجَدِيسٍ في قرية يقال لها : مُعْنِق، بينها وبين الحَجَرِ ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تُبَيْعٌ، فقتلهم، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوباً :

(١) صلاح : كقطاع وقد تصرف . وكُوْنِي تكتب بالياء لا بالالف كما كان في الروض، وفي المراصد عن كُوْنِي : أنها ثلاثة مواضع بسواد العراق بأرض بابل وبمكة . نزل بني عبد الدار خاصة، وكُوْنِي بالعراق في موضعين : كُوْنِي الطريق، وكُوْنِي رَبًّا وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وهما قريتان، وبينهما قول من رماد، يقال : إنها رماد النار التي أوقدها نمرود لإحراقه .

(٢) هي في الطبري ٨ ص ٢٨٥ مع تقديم وتأخير .

بأيها الملك الذى بالملك ساعده زمانه
 ما أنت أول من علا وعلا شئون الناس شأنه
 أقصر عليك مراقبا فالدهر مخدول أمانه
 كم من أشمّ مُعَصَّب بالتاج مرهوب مكانه
 قد كان ساعده الزمان ، وكان ذا خفص جنانه
 تجرى الجداول حوله للجند مُترعة جفانه
 قد فاجأته منية لم يُنجه منها اكتفانه
 وتفرقت أجناده عنه ، وناح به قيانه
 والدهر من يعلق به يطحنه ، مُفترشا جرانه
 والناس شتى فى الهوى كالرء مختلف بنانه
 والصدق أفضل شيمه والمرء يقتله لسانه
 والصمت أسعد للفتى ولقد يُشرقه بيانه

ووجد فى الحجر الثانى مكتوباً أبيات :

كلُّ عيشٍ فعلة ليس للدهر خلة
 يومٌ بُؤسى ونفسي واجتماع وقلة
 حُبنا العيش والتسكا ثرٌ جهلٌ وضلة
 بينما المرء ناعم فى قصورٍ مُظلة
 فى ظلالٍ ونعمة ساحبا ذبل حلة
 لا يرى الشمسَ ملفضا رة إذ زل زلة

لم يُقْلِبْهَا، وَبَدَّلَتْ عِزَّةَ الرَّءِ ذِلَّةً
 آفَةُ الْعَيْشِ وَالنِّعَمِ كُرُورُ الْأَهْلِ
 وَصَلُ يَوْمِ بَدَلَةٍ وَاعْتِرَاضُ بَعْدِهِ
 وَالنَّيَا جَوَائِمُ كَالصُّقُورِ الْمُدَّةِ
 بِالذِي تَكْرَهُ النِّفَ وَسُ عَلَيْهَا مُطْلَهُ

وفي الحجر الثالث مكتوبا:

يَأْيُهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنْ قَصَرَ كُمْ
 حُثُوا النَّطَى، وَأَرْخُوا مِنْ أَرْمَتِهَا
 كُنَّا أَنْاسًا كَمَا كُنْتُمْ فَفَيَّرْنَا
 أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَا
 قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَضُوا مَا تَقْضُونَا
 دَهْرُهُ فَاَنْتُمْ كَمَا كُنَّا نَكُونُونَا

وذكر أبو الوليد الأزرق في كتابه في فضائل مكة زيادة في هذه

الآيات وهي :

قَدْ مَالَ دَهْرُهُ عَلَيْنَا ثُمَّ أَهْلَكَنَا
 إِنْ التَّفَكَّرَ لَا يُجْدِي بِصَاحِبِهِ
 قَضُوا أُمُورَكُمْ بِالْحَزْمِ إِنْ لَهَا
 عِنْدَ الْبَدِيَةِ فِي عِلْمٍ لَهُ دُونًا
 أُمُورَ رُشْدٍ رَشَدْتُمْ ثُمَّ مَسُونَا
 كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقٌ عِنْدَهُ الْهَوَا
 وَاسْتَخْبِرُوا فِي صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ
 كَمَا زَمَانَا مَلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ
 بِالْبَغْيِ فِينَا وَبَزَّ النَّاسَ نَاشُونَا
 بِمَسْكَنِ فِي حَرَامِ اللَّهِ مَسْكُونَا

ووجد على حائطٍ قصيرٍ بدمشق لبني أمية مكتوبا :

يَأْيُهَا الْقَصْرُ الَّذِي كَانَتْ تَحْفُفُ بِهِ الْمَوَاكِبُ

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن غُبْشان من خُزاعة وَلِيَتَ البيتَ دونَ بنى بكر بن عَبد مَنَاءَ ، وكان الذى يليه منهم : عمرو بن الحارث الغُبْشانى ، وقُرَيْش إِذْ ذاك حُلُولٌ وَصِرْمٌ ، وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كِنانة ، فَوَلِيَتَ خزاعة البيتَ يتوارثون ذلك كإبرأ عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيْل بن حَبْشِيَّة بن سُلُول بن كَعْب بن عمرو الخَزَاعِيَّ .

قال ابن هشام : يقال حُبْشِيَّة بن سُلُول .

أين المواقبُ والمضاربُ والنجائبُ والجنائبُ
أين العساكرُ والدَّسائرُ والكتائبُ والكتائبُ
ما بالثَّغْمِ لم يَدْفَعُوا لما أنتَ عنكَ النَّوَابِ
ما بالْقَصْرِكُ واهيَا قد عادَ مُنْهَدَّ الْجَوَانِبِ

ووجد فى الحائط الآخر من حيطانها جوابها :

يا سائلى عَمَّا مَضَى مِن دَهْرِنَا وَمِنَ الْمُجَانِبِ
والقصر إِذْ أَوْدَى ، فاضحى بعدُ مُنْهَدَّ الْجَوَانِبِ
وعن الجنودِ أُولَى العقودِ ، وَمَنْ بِهِمْ كُنَّا نَحَارِبِ
وبهم قَهَرْنَا عَنوَةً مِّنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
وتقول : لِمَ لَمْ يَدْفَعُوا لما أنتَ عنكَ النَّوَابِ
هَمَّاتٍ لَا يُنْجِي مِنَ الْمَوْتِ الْكُتَابُ وَالْمَقَانِبِ

تزوج قصي بن كلاب حبي بنت حليل

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حُلَيْلِ بن حُبْشِيَّة بنته حُبَيَّ ، فرغب فيه حُلَيْل فزوجَه ، فولدت له عبدَ الدار . وعبد مناف ، وعبد العُزَّى ، وعبدًا . فلما انتشر ولدُ قصي ، وكثُرَ ماله ، وعظم شرفُه ، هلك حُلَيْل .

« قصي يتولى أمر البيت » :

فراى قصي أنه أولى بالسكبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وأن قريشاً قرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده . فكلَّم رجلاً من قُريش ، وبني كِنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة ، فأجابوه . وكان ربيعة ابن حَرَام من عُدْرة بن سعد بن زَيْد قد قدِم مكة بعد ما هلك كِلاب ، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيْل ، وزُهرة يومئذ رجل ، وقصيّ فُطَيْم ، فاحتملهما إلى بلاده ، فحملت قصيًّا معها ، وأقام زهرة ، فولدت لربيعة رِزَاحًا . فلما باغ قصي ، وصار رجلاً آتى مكة ، فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمّه ، رِزَاح بن ربيعة ، يدعوه إلى نصرته ، والقيام معه ، فخرج رِزَاحُ بن ربيعة ، ومعه إخوته : حُنَّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجُلْهُمَة بن ربيعة ، وهم لغير أمه فاطمة ، فيمن تبعهم من قُضاعة في حاج العرب ، وهم مجمعون لنُصرة قصي . وخزاعة تزعم أن حُلَيْل بن حُبْشِيَّة أوصى بذلك قصيًّا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال : أنت أولى

• • • • •

بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكة من خزاعه ، فعند ذلك طلب قصي ما طلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوثُ بنُ مُرِّ بنِ أَدِّ بنِ طابخة بنِ الياس بنِ مُضَرَ بنِ الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وولده من بعده ، وكان يقال له ولولده : صوفة . وإنما ولي ذلك الغوثُ بنُ مرٍّ ، لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فنذرت لله إن هي ولدت رجلاً : أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ، ويقوم عليها ، فولدت الغوثَ ، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولي الإجازة بالناس من عرفة ، لمكانه الذي كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مُرٌّ بنُ أَدِّ لوفاء نذر أمه :

إني جعلتُ ربّاً من بنيّ ربيطة بمكة العليّة
فباركن لي بها أليّة واجعله لي من صالح البريّة

وكان الغوث بن مرٍّ - فيما زعموا - إذا دفع بالناس قال :

لاهمّ إني تابعٌ تباعه إن كان إثمٌ فعلى قضاة

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتبجيز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا الرمي الجار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون

.

حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم .
حتى نرمى معك ، فيقول : لا والله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات
الذين يحثون التعجل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له :
ويلك ! قم فارم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس ، قام فرمى ، ورمى
الناس معه .

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمي الجمار ، وأرادوا التفرد من منى ،
أخذت صوفة بجانيب العقبة ، فخبسوا الناس وقالوا : أجزى صوفة ، فلم يجز
أحد من الناس حتى يمرؤا ، فإذا نفرت صوفة ومضت ، خلى سبيل الناس ،
فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم
بالقعد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد فى آل صفوان
بن الحارث بن شجينة .

قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شجينة عطارد بن عوف بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذى يُعزى للناس بالحج من عرفة ،
ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام ، كريب بن
صفوان ، وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى :

لا يبرحُ النَّاسُ ما حَجُّوا مُعَرِّفَهُمْ حتى يُقَالَ : أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانَا

قال ابن هشام : هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مغراء .

.

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

وأما قول ذى الإصبع العدواني، واسمه : حُرثان بن عمرو، وإنما سمي :
الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها .

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَعَى بَعْضُهُمْ ظُلْمًا فَلَمْ يُرْعَ عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفَّاتُ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْيِزُ النَّاسَ بِالسُّنَّةِ وَالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وهذه الأبيات في قصيدة له — فلأن الإضافة من المزدلفة كانت
في عدوان — فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق —
يتوارثون ذلك كابراً عن كابر . حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو
سيارة ، عميلة بن الأعزل ، ففيه يقول شاعر من العرب :

نَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَارَةَ
حَتَّى أَجَازَ سَالِمًا حِمَارَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهُ
قَالَ : وَكَانَ أَبُو سَيَّارَةَ يَدْفَعُ بِالنَّاسِ عَلَى أَتَانِهِ لَهُ ؛ فَلِذَلِكَ يَقُولُ :
سَالِمًا حِمَارَهُ .

• • • • •

قصي وفزاعة وولاية البيت :

فصل : في حديث قصي ذكر فيه أن قريشا قرعة ولد إسماعيل ، هكذا بالقف ، وهي الرواية الصحيحة ، وفي بعض النسخ : قرعة بالقاء ، والقرعة بالقف هي : نخبَةُ الشيء ، وخياره ، وقريع الإبل : فحلُّها ، وقريع القبيلة : سيدها ، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمي من العرب بالأقرع .

وذكر انتقال ولاية البيت من خزاعة إليه ، ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم ، وذكر غيره أن حُلَيْلا كان يُعطي مفاتيح البيت ابنته حُبَيَّ ، حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصيُ ربما أخذها في بعض الأحيان ، ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حُلَيْل أوصى بولاية البيت إلى قصي ، فأبت خزاعة أن تُتمضي ذلك لقصي ، فعند ذلك هاجت الحربُ بينه وبين خزاعة ، وأرسل إلى رِزاح أخيه يستنجد به عليهم .

ويذكر أيضا أن أبا غُبَّشان من خزاعة ، واسمه : سليم - وكانت له ولاية الكعبة - باع مفاتيح الكعبة من قصي بزقٍ خمر ، قليل : أخسر من صفقة أبي غُبَّشان (١) ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال .

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مُصَرَّ إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار ، وبغت فيه إيلاد أخرجتهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم

(١) بضم الذين أو فتحها . وفي القاموس أيضا قعة أبي غبشان ، وفيه يقول :
ضربت به الأمثال في الحق والندم وخسارة الصفقة ، .

عن مكة ، فَعَمَدُوا فِي اللَّيْلِ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، فَاقْتَلَمُوهُ ، وَاحْتَمَلُوهُ عَلَى بَعِيرٍ فَرَزَحَ الْبَعِيرُ بِهِ ، وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَجَعَلُوهُ عَلَى آخِرِ ، فَرَزَحَ أَيْضًا ، وَعَلَى الثَّالِثِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ دَفَنُوهُ وَذَهَبُوا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَهْلُ مَكَّةَ ، وَلَمْ يَرَوْهُ ، وَقَعَمُوا فِي كَرْبٍ عَظِيمٍ ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خُرَازْمٍ قَدْ بُصِرَتْ بِهِ حِينَ دُفِنَ ، فَأَعْلَمَتْ قَوْمَهَا بِذَلِكَ ، فَمِنْ ثَمَنُهَا أَخَذَتْ خُرَازْمِيَّةً عَلَى وَلَاةِ الْبَيْتِ أَنْ يَدْخُلُوا لَهُمْ عَنْ وَلَاةِ الْبَيْتِ ، وَيَدُلُّوهُمْ عَلَى الْحَجَرِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ، فَفِي هُنَالِكَ صَارَتْ وَلَاةُ الْبَيْتِ لَخُرَازْمِيَّةٍ إِلَى أَنْ صَيَّرَهَا أَبُو عُثْمَانُ إِلَى عَبْدِ مَنْفٍ ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ الزَّيْبَرِ .

نَسَاءُ قَصَى :

فصل : وذكر أن قصيا نشأ في حجر ربيعة بن حَرَامٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ رَجُوعَهُ إِلَى مَكَّةَ ، وَزَادَ فِيهِ فِي شَرْحِ الْخَبَرِ ، فَقَالَ : وَكَانَ قَصَى رَضِيعًا حِينَ احْتَمَلَتْهُ أُمُّهُ مَعَ بَغَايَا رَبِيعَةَ ، فَتَشَأَ وَلَا يَعْلَمُ لِنَفْسِهِ أَبًا إِلَّا رَبِيعَةَ ، وَلَا يَدْعِي إِلَّا لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ غُلَامًا يَفْقَهُ أَوْ حَزَوْرًا^(١) سَابَهُ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ ، فَعَيَّرَهُ بِالْدَعْوَةِ ، وَقَالَ : لَسْتَ مِنَّا ، وَإِنَّمَا أَنْتَ فِينَا مُلَاصِقٌ ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ ، وَقَدْ وَجَّهَ لَذَلِكَ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ صَدَقَ ، إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ رَهْطُكَ خَيْرٌ مِنْ رَهْطِهِ ، وَأَبَاؤُكَ أَشْرَفُ مِنْ آبَائِهِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ قُرَشِيٌّ ، وَأَخُوكَ وَبَنُو عَمِّكَ بِمَكَّةَ ، وَهُمْ جِيرَانُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، فَدَخَلَ فِي سِيَارَةِ حَتَّى آتَى مَكَّةَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ اسْمَهُ زَيْدٌ ، وَإِنَّمَا

(١) الغلام القوي .

كان قصيًّا أي بعيدا عن بلده فسمى : مُصَيًّا (١) .

الغوث بن مر وصوفته :

فصل : وذكر قصة الغوث بن مُرّ ، ودفعه بالناس من عرفة (٢) ، وقال بعضُ نَقَلَةِ الأخبار أَنَّ وَلَايَةَ الْغَوْثِ بْنِ مُرٍّ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ مُلُوكِ كِنْدَةَ (٣) .

وقوله : إِنْ كَانَ إِثْمًا فَقَلَى قُضَاعَةً . إِنَّمَا خَصَّ قُضَاعَةَ بِهَذَا ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مُحِلِّينَ يَسْتَحِلُّونَ الْأَشْهَرَ الْحُرْمَ ، كَمَا كَانَتْ خَنَعَمُ وَطَيْئَةُ تَفْعَلُ ، وَكَذَلِكَ كَانَتِ النَّسَاءُ تَقُولُ إِذَا حَرَّمَتْ صَفَرًا أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْأَشْهُرِ بَدَلًا مِنَ الشَّهِرِ الْحَرَامِ - يَقُولُ قَائِلُهُمْ : قَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الدَّمَاءُ إِلَّا دَمَاءَ الْمُحِلِّينَ .

(١) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : دُ سَمِيَ قَصِيًّا لِأَنَّهُ قَصَصَى قَوْمَهُ ، أَيْ : تَقْصَاهُمْ بِالشَّامِ ، فَتَقْلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ . وَقَالَ الرَّشَّاطِيُّ : دُ ثُمَّ إِنْ زِيدَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِبْعَةِ شَرِّ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَلْحَقُ بِقَوْمِكَ ، وَغَيْرُ بِالْغَرْبَةِ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ أَبَا غَيْرِ رِبْعَةٍ ، فَرَجَعَ قَصِي إِلَى أُمِّهِ ، وَشَكَاهَا مَا قِيلَ لَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بَنِي أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْهُ نَفْسًا وَأَبَا ، أَنْتَ ابْنُ كَلَابِ بْنِ مَرَّةَ ، وَقَوْمُكَ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَأَجْعِ قَصِي عَلَى الْخُرُوجِ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : أَقِمْ حَتَّى يَدْخُلَ الشَّهْرُ الْحَرَامَ ، فَتَخْرُجْ فِي حَاجِ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامَ خَرَجَ مَعَ حَاجِ قُضَاعَةٍ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَحُجَّ وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ، ص ٢٠ وَمَا بَعْدَهَا ج ١٦ نَهَايَةِ الْأَرْبِ .

(٢) فِي السَّيْرَةِ : دُ مِنْ بَعْدِ عَرْفَةَ ، وَفِي نَسْخِ أُخْرَى : دُ مِنْ عَرْفَةَ . .

(٣) فِي الْقَامُوسِ : وَكِنْدَةُ - بِالْكَسْرِ - وَيُقَالُ : كِنْدِيٌّ : لِقَبِ تَوْوَرِ بْنِ عَسْفِيرِ أَبِي حَيٍّ مِنَ الْبَيْنِ ، لِأَنَّهُ كَنَدَ أَبَاهُ النُّعْمَةَ ، وَلَحِقَ بِأَخْوَالِهِ ، وَالْكَنْدُ : الْقَطْعُ .

فصل : وأما تسمية العوث وولده صوفة ، فاختلاف في سبب ذلك .
فذكر أبو عبيد الله الزبير بن أبي بكر القاضي في أنساب قريش له عند ذكر
صوفة : البيت الواقع في السيرة لأوس بن مفرء السعدي ، وهو :

لَا يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجَّوْا مُعَرِّقَهُم

البيت . وبعده :

تَجَدُّ بَنَاهُ لَنَا قَدَمًا أَوَائِلُنَا وَأُورَثُوهُ طِوَالِ الدَّهْرِ أَحْرَانَا (١)

ومفرء : تانيث أمفر ، وهو الأحر ، ومنه قول الأعرابي للنبي - صلى الله
عليه وسلم : أهو هذا الرجل الأمفر ؟ ثم قال : قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان
يقال لكل من ولي من البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشيء من خدمة
البيت ، أو بشيء من أمر المناسك يقال لهم : صرفة وصوفان . قال أبو عبيدة :

(١) أوس بن مفرء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد
ابن زيد مائة بن تميم . وقيل : أوس بن تميم بن مفرء ، وله ترجمة في الإصابة
قال : ويكنى أبا المفرء ، وبقي إلى أيام معاوية ، وله شعر في مدح النبي - ص ،
وبعد البيت الذي في السيرة :

تَرَى نِسَانَنَا إِذَا مَا جَاءَ بِدَاهِمٍ وَبَدُوهُمْ إِنْ أَتَانَا كَانَتْ ثُلُثِيَانَا

والثني والثثنيان ، وكهدي وإلى : دون السيد ص ١٧٦ الأمالى ج ٢ ط ٢ وفي
السمط عن أوس ص ٧٩٥ للبكري : وهو القائل في بني صفوان بن شجينة بن
عطار بن عوف بن كعب الذين كان فيهم الإفاضة من عرفة ، فلم يذكر الحارث
كما روى ابن إسحاق ، ولا جناب كما روى ابن هشام ، ثم روى البيت كما في السيرة ،
وفي المزهر ص ٨٧ ج ٢ أن أوساً هذا غلب على نابغة بني جعدة .

لأنه بمنزلة الصُوفِ ، فيهم القصيرُ والطويلُ والأسودُ والأحمرُ ، ليسوا من قبيلة واحدة . وذكر أبو عبد الله أنه حدّثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ قال : إنما سُمّي الغوثُ بن مُرٍّ : صُوفه ، لأنه كان لا يعيش لأمه ولدٌ ، فنذرت : لئن عاش لتعلّقن برأسه صُوفةً ، ولتجعلنّه رَبيطاً للكعبة ، ففعلت ، فقيل له : صُوفة ، ولولده من بعده ، وهو : الرَبيط . وحدث إبراهيم بن المُنذِر عن عُمر بن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني عِقالُ بن شَبّة قال : قالت أم تميم بن مُرٍّ - وولدت نِسوةً - فقالت : لله عليّ . لئن ولدتُ غلاماً لأعبدنّه للبيتِ ، فولدت الغوث ، وهو أكبرُ ولدِ مُرٍّ ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحرُّ ، فمُرت به - وقد سقطَ وذوى واسترخى فقالت : ما صار ابني إلا صُوفةً ، فسُمّي صُوفةً (١) .

(١) في القاموس عن صُوفة أيضاً : أو هم قوم من أفناء القبائل تجمعوا ، فتشكروا كنشِبُك الصُوفة . هذا وقد رواه الجوهري : آل صوفانا . ويقول القاموس : والصواب . آل صفوانا . وهم قوم من بني سعد بن زيد مناة . قال أبو عبيدة : حتى يجوز القائم بذلك من آل صفوان . وفيه أيضاً وردت الشطرة الأولى : ولا يرمون في التمرّيف موقنهم . وما ذكره السهيلي عن سبب تسمية الغوث - - نقلاً عن الكلبي - يوجد في القاموس الذي ذكر للرّبط عدة معانٍ ، ثم قال : لقب الغوث ابن مر بن طابخة . ويذكر أن الولد عاش ، فجعلته أمه خادماً للبيت الحرام حتى بلغ ، فنزعته ، فلقب : الرّبط . وقد سقط من هذه المادة في القاموس كلمة « أد » من نسب الغوث على حين ذكرها في مادة صوف . وفي القاموس أيضاً : « وكان أحدهم يقوم فيقول : أجزى صُوفة ، فإذا أجازت قال : أجزى خنثف ، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة ، وعرف القوم : وقفوا بعرفة : والبيت الأول في السيرة موجود أيضاً في اللسان بنفس رواية القاموس « ولا يرمون إلخ » وقول أبي عبيدة عن صُوفة موجود في اللسان : وانظر ص ١٨٣ من المحبر .

بنو سعد وزير مناة :

فصل : وذكر وراثه بنى سعد إجازة الحاج بالقعد من بنى الفوث ابن مرّ ، وذلك أن سعداً هو : ابن زيد مناة بن تميم بن مرّ ، وكان سعد أقعد بالفوث بن مرّ من غيره من العرب (١) ، وزيد مناة بن تميم يقال فيه : مناة ومناة بالهمز (٢) ، وتركه ، ويجوز أن يكون - إذا همز - مفعلة من ناء ينوء ، ويجوز أن يكون : فعالة من المنينة ، وهى : المدبقة ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : [تقول لك أُمّى] : أعطيني نفساً أو نفسين أمعس به منينتى ، فإنى أفدة . النفس : قطعة من الدباغ ، والمنينة : الجلد فى الدباغ ، وأفدة : مقاربة لاستتمام ما تريد صلاحه وتماحه من ذلك الدباغ (٣) وأشد أبو حنيفة :

(١) القمئدد بضم القاف وسكون العين وضم الدال أو فتحها : القريب من الجد الأكبر ، أو أملك القرابة فى النسب ، والقربى . وأقعدهم : أقربهم إلى جده الأكبر . وانظر ص ٢٥٧ من المحبر لابن حبيب ، ص ٤٠ من شرح الخشنى .

(٢) وفى اللسان عن مناة : ومناة : صخرة ، وفى الصحاح : صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة يعبدونها من دون الله من قولك : منوت الشيء - أى : اختبرته ... وعبد مناة بن أد بن طابخة . وزيد مناة بن تميم بن مر يمدو يقصر . قال هو : بر الحارثى

ألاهل أقي التميم بن عبد مناة على الشنم فيما بيننا ابن تميم وفيه تخطئة من قال : مناة بالهاء ، وغلطوا الطائى فى قوله : لإحدى بنى بكر ابن عبد مناه .

(٣) فى إصلاح المنطق أن الذى قص هذا هو الاصمعى ، وفيه ، وفى اللسان : أمعس به ، بدلا من : أمعسها ، كما فى الروض . وفسر نفما أو نفسين بقوله : =

إذا أنت باكرت المنيئة باكرت قضييب أراك بات في المسك منقما

وأنشد يعقوب :

إذا أنت باكرت المنيئة باكرت مدا كاهلها من زعفران وإمدا (١)

استفاده المزلفة :

فصل : وأما قوله : فلأن الإفاضة من المزلفة كانت في عدوان فالزلفة : مُقْتَعلة من الازدلاف ، وهو الاجتماع . وفي التنزيل : (وَأَزَلْنَاهُمْ)

== قدر دبة أو دبغتين ، وفي اللسان : أفد الشيء يأفد أفداً فهو أفدس : دنا وحضر وأسرع ، والأفد : المستعجل ؛ والمنية عند الفارسي : مَفْتَعلة بكسر العين من اللحم النقي ، ومنأ تأني ذلك ، وهي عند غيره كما ذكر السهيلي . والمنية : الجلد أول ما يدبغ ، ثم هو أفيق ، ثم أديم . وأمس : أدلك وأحرك ، وفي اللسان : منأ الجلد يمتؤه منأ : إذا أنقعه في الدباغ ، وهي في اللسان فعيلة ، وفي تهذيب لإصلاح المنطق للتبريزي : هو آفدة أي : سريعة . يقع في بعض النسخ : الآفدة : التي تشتكي فؤادها ، وقيل : السريعة ، وقيل . الممعية . قال أبو العلاء : ينبغي أن يقال : فائدة التي تشتكي فؤادها ، والصواب أن يفسر : آفدة بالسريعة ، انظر اللسان ومعجم ابن فارس وإصلاح المنطق لابن السكيت ، ص ٩٤ وتهذيبه للتبريزي ص ١٤٥ .

(١) الشعر لمحمد بن ثور وقيله :

فأقسم لولا أن حُمدت با تنابعت علي ، ولم أبرح بدئين مطردا
لواحت مكسالا كأن ثيابها تحن غزالا بالخنيلة أغيدا

يخاطب زوجته فيقسم : لولا أن حُمدت ، وهي السنون المجدبة - واحداً : حُمدت - تنابعت عليه ، واستدان وطالبه الغرماء ، وطردوه لواحت مكسالا ، وهي المرأة الثقيلة الازداف ، الناعمة الجسم ، أي : تزوجت امرأة أحسن منك ، كأن ثيابها تستر ==

الآخرين) وقيل : بل الازدِلَافُ : هو الاقتراب ، والزُلْفَةُ : القُرْبَةُ ، فسميت مزدلفة ؛ لأن الناس يَزْدَلِفُونَ فيها إلى الحرم ، وفي الخبر : أن آدم عليه السلام لَمَّا هَبَطَ إلى الأرض ^(١) لَمْ يَزَلْ يَزْدَلِفُ إلى حَوَّاءَ ، وَزْدَلِفُ إليه ، حتى تعارفا بِعَرَفَةَ ، واجتمعا بالمَزْدَلِفَةِ فسميت : جمعا ، وسميت : المزدلفة ^(٢) .

ذو الإصبع وآل ظرب :

وأما ذو الإصْبَعِ ^(٣) الذى ذكره فهو : حُرْثَانُ بن عمرو ، ويقال فيه : حُرْثَانُ ابن الحارث بن مُحَرِّثِ بن ربيعة بن هُبَيْرَةَ بن ثعلبة بن ظَرِبِ ، وَظَرِبٌ هو : والدعاصر بن الظَّرِبِ الذى كَانَ حَكَمَ العرب ، وذكر ابن إسحاق قصته فى الخُفْنِى ، وفيه يقول الشاعر [المَقَلَّس] :

== غزالا . والأغيد : المنشئ . ثم قال : إذا أنت باكرت دباغ الجلود باكرت هى الطيب والمداك ، وهو الحجر الذى يسحق عليه الطيب . والأثمد : الكحل . أى باكرت هى الطيب والاكتحال . انظر ص ١٤٥ تهذيب لإصلاح المنطق .

(١) رأى الراجح أن جنة آدم كانت فى الأرض .

(٢) لم يرد هذا فى حديث صحيح .

(٣) سبب تسميته فى الاشتقاق ص ٢٦٨ واسمه : حرثان ، ونسبه فى الأغاني : حرثان بن الحارث بن محرت بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار ، وفى الجهرة لابن حزم هو : حرثان بن محرت ، ونسبه فى أمالى المرتضى يختلف أيضا فهو : حرثان بن محرت بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة وقيل : محرت بن حرثان ، وقيل : حرثان بن حويرث ، وقيل : حرثان بن حارثة ابن ظرب إلخ .

لدى الحزم قبل اليوم ما تُقرَعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليعلم^(١)

وكان قد خَرَفَ ، حتى تَفَلَّتَ ذهنُه ، فكانت العصا تُقرَعُ له إذا تكلم في نادى قومه تنبيها له ؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم . وكذلك كان ذو الإصْبَعِ ، كان حَكَمًا في زمانه ، وعَمَرَ ثلاثمائة سنة ، وسمى ذا الإصْبَعِ ؛ لأن حَيَّةَ نَهَشَتْه في أُصْبُعِهِ .

وَجَدُّهم ظَرْبُ : هو عمرو بن عِيَّاذ بن يَشْكُر بن بكر بن عدوان ، واسم عدوان : تيم ، وأمه : جَدِيلَة بنت أَد بن طابخة ، وكانوا أهل الطائف ، وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زهاء سبعين ألفا ، ثم هلكوا ببني بعضهم على بعض ، وكان تقيف

(١) بيت الشعر ، الذى الحزم الخ ، هو للمتلس ، وكان ابن الظرب قد كبر ، فقال له ابنه الثانى : إنك ربما أخطأت فى الحكم ، فيحمل عنك ، قال : فاجعلوا لى أماره أعرفها ، فإذا زغت ، فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب . فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد ابنه فى البيت ومعه العصا . فإذا زاغ ، أو هفا قرع له الجفنة ، فرجع إلى الصواب . هذا وربيعه تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وفى اللسان : أن هذا الحكم هو عمرو بن حُصمة الدوسى الذى قضى بين العرب ثلاثمائة سنة ، والأصبع : مثلثة الهمة ، ومع كل حركة ثلث الباء ، ففيه تسع لغات ، والعاشر : أصبوع ، وحكام العرب فى الجاهلية هم : أكرم بن صيفى ، وحاجب بن زرارة ، والأفرع بن حابس ، وربيعه بن مخاشن وضمرة بن أبى ضمرة تيم ، وعامر بن الظرب ، وغيلان بن سلبة لقيس ، وعبد المطلب وأبو طالب والعاصى بن وائل والعلاء بن حارثة لقريش . وربيعه ابن حذار لأسد ، ويعمر بن الشداخ وصفوان بن أمية ، وسلي بن نوفل لكنانة وحكميات العرب : صَحْر بنت لحيان وهند بنت الحسن ، وجمعة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب ، وانظر ص ١٨١ من المحبر .

وهو قَيْسُ بْنُ مُنَبِّهٍ صَهْرًا لِعَامِرِ بْنِ الظَّرْبِ ، كانت تحتها زينب بنت عامر ،
وهي أم أ كثر ثقيف ، وقيل : هي أخت عامر ، وأختها ليلى بنت الظرب هي :
أم دَوْسِ بْنِ عَدْنَانَ ، وسيأتي طرف من خبره فيما بعد - إن شاء الله - فلما هلك
عَدْنَوَانُ ، وَأُخْرِجَتْ بَقِيَّتُهُمْ ثَقِيفٌ مِنَ الطَّائِفِ ، صارت الطائف بأسرها لثقيف
إلى اليوم .

وقوله : حَيَّةُ الْأَرْضِ : يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادي إذا كان مَهْمِيًا
يُذْعَرُ مِنْهُ ، كما قال حسان :

يَا مُحْكَمَ بْنَ طُفَيْلٍ قَدْ أُتِيحَ لَكُمْ اللَّهُ دَرُُّ أَبِيكُمْ حِيَةَ الْوَادِي

يعنى بحية الوادي : خالد بن الوليد رضى الله عنه .

فصل : وقوله : عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدْنَوَانٍ ^(١) . نصب عذيرا على الفعل المتروك
إظهاره ، كأنه يقول : هاتوا عذيرَه ، أى : مَنْ يَعْذُرُه ، فيكون العذيرُ بمعنى :
العاذر ، ويكون أيضا بمعنى : العُذْرُ مصدرا كالحديث ونحوه .

أبوسبارة :

وذكر أبا سَيَّارَةَ ، وهو عُمَيْلَةُ بْنُ الْأَعْزَلِ فِي قول ابن إسحاق ، وقال غيره :
اسمه : العاصي . قاله الخطابي . واسم الأعزل : خالد ، ذكره الأصبهاني ، وكانت

(١) عدة القصيدة التي في السيرة هي في الأغاني : اثنا عشر بيتا في ترجمة ذي
الإصبع . والقصيدة عن تفرق عدوان وتشتتهم في البلاد مع كثرتهم . وفي اللسان
عن حية الوادي : إذا كان شديد الشكيمة حاميا لحوزته ، وقال عن بيت ذي
الإصبع الأول : د أراد أنهم كانوا ذوي إرب وشدة لا يضيعون ثأرا ، .

له أتان عَوْرَاهُ، خِطَامُهَا أَيْفٌ، يقال : إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة، وإياها
يعنى الراجز في قوله : حتى يُجَيِّزَ سالما حماره .

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لَاهُمْ مَالِي فِي الْحِمَارِ الْأَسْوَدِ أَصْبَحْتُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ أَحْسَدُ
فَقِ أَبَا سَيَّارَةَ الْمُحَسَّدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذِ يَحْسُدُ

وأبو سَيَّارَةَ هذا هو الذي يقول : أَشْرِقَ ثَبِيرٌ كَيْمَا نُغَيِّرُ، وهو الذي يقول :

لَاهُمْ إِنِّي تَابِعٌ تَبَاعَهُ (١)

(١) إن العرب لما سمعوا اللهم جرت في كلام الخلق توهموا أنه إذا ألغيت
الآلف واللام من الله كان الباقي : لاه ، فقالوا : لاهم ، ويقولون : لاه أبوك .
يريدون : لله أبوك ، وقالوا : لهنك أصلها : لله إنك ، فحذف الآلف واللام ، فقال :
لاه إنك ، ثم ترك همزة إنك ، فقال : لهنك ، وقالوا : لهننا . أصلها : لاه إنا
فحذف همزة لاه ، وترك همزة نا . ويرى القراء أن لهنك أصلها : لانك ، فأبدل
الهمزة هاء مثل : هراق الماء ، وأراق ، وأدخل اللام في إن لليمين . ويقول ابن
جنى في الخصائص عن اللام في قولهم : إن زيدا لقائم : إن موضعها أول الجملة
وصدرها ، لا آخرها وعجزها : ثم قال : ويدل على أن موضع اللام في خبر إن أول الجملة
قبل إن : أن العرب لما جفا عليها اجتماع هذين الحرفين قلبوا الهمزة هاء لينزل
لفظ إن ، فنزل أيضا ما كان مستكرها من ذلك فقالوا : لاهمستك قائم بفتح فكسر
فتضعيف ، أي : لئنك قائم . ثم استشهد ببعض أبيات على هذا . . ورأيه في هذا
رأى سيئويه في الكتاب ، وضعف رأى من قالوا : إن أصلها : لله إنك
الخصائص . ص ٢١٤ ج ١ ط ١٩٥٢ وقد تقدم في الجزء الأول ذكر هذا .

وثبِير : جبال بظاهر مكة ، والآثيرة أربعة : ثبِير غَيْشَى ، وثبِير الأعرج ،
وهما : حراء وثبِير . وثبِير الآثيرة ، وثبِير منى ، وهما بديار مزينة . ومعنى المثل : =

وكان يقول في دعائه : اللهم بَعْضُ بَيْنِ رِيعَانَا ، وَحَبِّ بَيْنِ نِسَانَا ،
واجعل المَالَ فِي سُبْحَانَا : وهو أول من جعل الدِّيَّةَ مائةً من الإِبِلِ ، فيما ذكر
أبو اليقظَان ، حكاه عنه حَمَزَةُ بن الحسن الأصبهَانِي .

وقوله : وعن مواليه بنِي فَزَارَةَ . يعنى بمواليه : بنِي عمه ، لأنه من عَدَوَانِ
وعَدَوَانُ وفَزَارَةُ : من قَيْسِ عَيْلَانَ ، وقوله : مُسْتَقْبِلُ الْقَبْلَةِ يدعُو جَارَهُ . أى :
يدعُو الله عز وجل ، يقول : اللهم كن لنا جَارًا مِمَّا نَخَافُهُ ، أى : مَجِيرًا .

= ادخل يائير في الشروق ، كي نسرع إلى النحر . قال عمر : إن المشركين كانوا
يقولون : أشرق ثبير كيما نغير ، وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ، الإفاضة
هنا من المزدلفة إلى منى ، والمثل يضرب في الإسراع والعجلة ، وفي شرح الكافية
ج ٢ ص ٣٣٢ : واعلم أن من العرب من يقول : لَسَهْنُكَ ، بفتح اللام وكسر
الهاء وتضعيف النون مع فتح ، لَسَرَجُلٌ صدق . قال : لَسَهْنًا لِمُسْتَقْبَلِنَا عَلَيْنَا التَّاجِرُ .
وقال : لَهْنِي لِأَشْقَى النَّاسِ إِنْ كُنْتُ غَارِمًا . وقد يحذف اللام ، وهو قليل ، قال :
أَلَا يَا سَنَا بَرَقَ عَلَى قُلْسَلِ الْحَيِّ لَسَهْنُكَ مِنْ بَرَقِ عَلِيٍّ كَرِيمٍ

وفيه ثلاثة مذاهب . أحدها لسيوييه : وهو أن الهاء بدل من همزة إن
كإيّاك وهياك ، فلما غيرت صورة إن بقلب همزتها هاء ، جاز بجامعة اللام لإيّاها
بعد الامتناع ، والثاني : قول الفراء ، وهو أن أصله : والله إنك ، كما روى عن أبي
أدهم الكلّابي : والله ربي لا أقول ذلك ، بقصر اللام ، ثم حذف حرف الجر ، كما
يقال : الله لأفعلن ، وحذفت لام التعريف أيضا ، كما يقال : لاه أبوك . أى :
الله أبوك ، ثم حذفت ألف فعال ، كما يحذف من الممدود إذا قصر . كما يقال :
الحصاد والحصد قال :

أَلَا لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي سُهَيْبِلَ إِذْ مَا اللَّهُ بَارِكٌ فِي الرِّجَالِ
وحذف مد لام الله . ووقف عليها بالسكون وحذف ألف إذا ، ثم حذفت همزة إنك =

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قال ابن إسحاق : وقوله : حكم يقضى يعنى : عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدوانى . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ، ولا عضلة فى قضاء إلا أستندوا ذلك إليه ، ثم رضوا بما قضى فيه ، فاختصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه ، فى رجل خنثى ، له ما للرجل ، وله ما للمرأة ، فقالوا : أنجعل رجلا أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه . فقال : حتى أنظر فى أمركم ، فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يامعشر العرب ! فاستأخروا عنه . فبات ليلته ساهراً يُقلب أمره ، وينظر فى شأنه ، لا يتوجه له منه وجه ، وكانت له جارية يقال لها : سُخَيْلَة ترعى عليه غنمه ، وكان يُعاتبها إذا سرحت فيقول : صَبَحَ وَاللَّهِ يَسُخَّيْل ! وإذا أراحت عليه ، قال : مَسَيْتَ وَاللَّهِ يَسُخَّيْل ! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس ، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس . فلما رأت سهره وقلقته ، وقلة قراره على فراشه قالت : مالك لأبألك ! ما عراك فى ليلتك هذه ؟ قال : وَيْلَكَ ! دَعَيْنى ، أمرأيس من شأنك ، ثم عادت له بمثل قولها ، فقال فى نفسه : عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرَج ، فقال : ويحك ! اختصم إلى فى ميراث خنثى ، أأجعل رجلا أو امرأة ؟

.

== وفيما قال تسكلفات كثيرة . والثالث : ما حكى المفضل بن سلمة عن بعضهم أن أصله : لله إنك . واللام للقسم ، فعمل به ما عمل فى ذهب الفراء ، وقول الفراء أقرب من هذا ، لأن ، يقال : لهنك لقائم بلا تعجب . .

فوالله ما أدري ما أصنع ، وما يتوجّه لى فيه وجه ؟ : قال : فقالت سُبْحان الله ! لا أَبالك ! أتبيح القضاء المَبال ، أقعِده ، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل ، وإن بال من حيث تبول المرأة ، فهي امرأة . قال : مَسى سُخَيْلٌ بعدها ، أو صَبَّحى ، فرَجَّبتها والله ! . ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذى أشارت عليه به .

غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش

ومعونة قضاة له

قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام ، فعلت صوفة كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دين في أنفسهم في عهد جُرهم وخزاعة وولايته . فأتاهم قُصَيُّ بن كلاب بن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاة عند العقبة ، فقال : لَنَحْنُ أُولَى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قُصَيٌّ على ما كان بأيديهم من ذلك .

وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قُصَيٍّ ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سَيَحُولُ بينهم وبين السكبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، وإلى أن يُحكّموا بينهم رجلاً من العرب ، فحكّموا يَمْعَر بن عَوْف بن كعب بن عامر بن

.

لَيْثُ بْنُ بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ بِأَنْ قُصِيَ أُولَى بِالْكَعْبَةِ ، وَأَمْرٌ
مَكَّةَ مِنْ خُرَاعَةَ ، وَأَنْ كُلَّ دَمٍ أَصَابَهُ قُصِيَ مِنْ خُرَاعَةَ وَبَنَى بَكْرٍ : مَوْضِعُ
يَشْدَخُهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَأَنْ مَا أَصَابَتْ خُرَاعَةُ وَبَنَى بَكْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ
وَقُضَاعَةَ ، فَفِيهِ الدِّيَّةُ مُؤَدَّاةٌ ، وَأَنْ يُخْلَى بَيْنَ قُصَى وَبَيْنَ الْكَعْبَةِ وَمَكَّةَ .

فَسَمَّى يَعْمَرُ بْنُ عَوْفٍ يَوْمَئِذٍ : الشَّدَاخَ ، لِمَا شَدَخَ مِنَ الدَّمَاءِ
وَوَضَعَ مِنْهَا .

قال ابن هشام : ويقال : الشَّدَاخُ .

قال ابن إسحاق : قَوَّيَ قُصَى الْبَيْتَ وَأَمْرَ مَكَّةَ ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ
إِلَى مَكَّةَ ، وَتَمَلَّكَ عَلَى قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَكَّةَ فَلَسَكُوهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَقْرَأَ لِلْعَرَبِ
مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ دِينًا فِي نَفْسِهِ لَا يَنْبَغِي تَغْيِيرُهُ ، فَأَقْرَأَ آلَ
صَفْوَانَ وَعَدَوَانَ وَالنَّسَاءَ وَمُرَّةَ بْنَ عَوْفٍ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى جَاءَ
الْإِسْلَامَ ، فَهَدَمَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ كُلَّهُ . فَكَانَ قُصَى أُولَى بَنَى كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ أَصَابَ
مُلُكًا أَطَاعَ لَهُ بِهِ قَوْمُهُ ، فَكَانَتْ إِلَيْهِ الْحِجَابَةُ ، وَالسَّمَايَةُ ، وَالرَّفَادَةُ ،
وَالنَّدَوَةُ ، وَالْأَوَاءُ ، فَحَازَ شَرَفَ مَكَّةَ كُلِّهَا . وَتَقَطَّعَ مَكَّةَ رِبَاعًا بَيْنَ قَوْمِهِ ، فَأَنْزَلَ
كُلَّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنَازِلَهُمْ مِنْ مَكَّةَ الَّتِي أَصْبَحُوا عَلَيْهَا ، وَيزعمُ النَّاسُ أَنَّ
قُرَيْشًا هَابُوا قَطَعَ شَجَرَ الْحَرَمِ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَقَطَعَهَا قُصَى بِيَدِهِ وَأَعْوَانُهُ ، فَسَمَّيْتُهُ
قُرَيْشًا : مُجْمَعًا لِمَا جَمَعَ مِنْ أَمْرِهَا ، وَنِيَمَتَ بِأَمْرِهِ ، فَمَا تُنْكَحُ امْرَأَةٌ ،
وَلَا يَتَزَوَّجُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِ نَزَلِ بِهِمْ ، وَلَا يَعْقِدُونَ لَوَاءً
لِحَرْبٍ قَوْمٍ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلَّا فِي دَارِهِ ، يَعْقِدُهُ لَهُمْ بَعْضُ وَلَدِهِ ، وَمَا تَدْرِعُ جَارِيَةٌ

• • • • •

إذا بلغت أن تدَّرع من قریش إلا فی داره ، یُشَقُّ علیها فیها درعها ثم تدَّرعه ،
ثم ینطلق بها إلى أهلها . فکان أمره فی قومه من قریش فی حیاته ، ومن بعد
موته ، کالدِّین المُتَّبِع لا یُعْمَل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها
إلى مسجد الکعبة ، ففیها کانت قریش تقضى أمورَها : قال ابن هشام :
وقال الشاعر :

قُصِيَّ لَعَمْرِي كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا بِهِ يَجْمَعُ اللَّهُ الْقِبَائِلَ مِنْ فِئْرِ

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن راشد عن أبيه ، قال : سمعت السائب
ابن خباب صاحب القصورة يحدث ، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب ،
وهو خليفة ، حديث قُصِيَّ بن كلاب ، وما جمَعَ من أمر قومه ، وإخراجه خُزاعةَ
وبنى بكر من مَكَّة ، وولايته البيتَ وأمر مكة ، فلم يردَّ ذلك عليه ولم ينكره .

قال ابن إسحاق : فلما فرَغ قُصِيٌّ من حربِه ، انصرف أخوه رِزَاحُ بن دبيعة
إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رِزَاحُ في إجابته قُصِيًّا :

لَمَّا أَتَى مِنْ قُصَيٍّ رَسُولُ	فَقَالَ الرَّسُولُ : أَجِيبُوا الْخَلِيلَ
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودَ الْجِيَادِ	وَنَطَرَحَ عَنَّا الْمَمْلُوكَ النَّفِيلَ
نَسِيرُ بِهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ	وَنَكْمِي النَّهَارَ ؛ لِئَلَّا نَزُولَا
فَهِنَّ سِرَاعٌ كَوَرْدِ الْقَطَا	يُجِبْنَ بِنَا مِنْ قُصَيٍّ رَسُولَا
جَمَعْنَا مِنَ السَّرِّ مَنْ أَشْمَذَيْنِ	وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ جَمَعْنَا قَبِيلَا
فِيَالِكَ حَلْبَةٍ مَا لَيْلَةٌ	تَزِيدُ عَلَى الْأَلْفِ سَبِيلَا

فَلَمَّا مَرَّزْتَ عَلَى عَسْجَرٍ وَأَسْهَلَنْ مِنْ مُسْتَفَاحِ سَبِيلَا
وَجَاوَزْنَ بِالرَّكْنِ مِنْ وَرَقَانِ وَجَاوَزْنَ بِالْقَرْجِ حَيَا حُلُولَا
مَرَرْنَ عَلَى الْخَيْلِ مَا دَفَقَهُ وَعَالَجْنَ مِنْ مَرٍّ لَيْلًا طَوِيلَا
نَدَنِي مِنَ الْعُودِ أَفْلَاهَا إِرَادَةُ أَنْ يَسْتَرْقِنَ الصَّهِيلَا
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مَكَّةَ أَبْجَنَا الرِّجَالَ قَبِيلًا فَبِيلَا
نُعَاوِرُهُمْ ثُمَّ حَدَّ السِّیُوفِ وَفَى كُلُّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْمَقُولَا
نُخَبِّرُهُمْ بِصِلَابِ النَّسْرِ رِخْبَزِ الْقَوَى الْعَزِيزِ الدَّلِيلَا
قَتَلْنَا خُرَاعَةً فِي دَارِهَا وَبَكَرَأَ قَتَلْنَا وَجِيلًا فَبِيلَا
نَفِينَاهُمْ مِنْ بِلَادِ الْمَلِكِ كَمَا لَا يَحِلُّونَ أَرْضَا سُهُولَا
فَأَصْبَحَ سَبِيحُهُمْ فِي الْحَدِيدِ وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَقِينَا الْغَلِيلَا

وَقَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُذَيْمٍ الْقُضَاعِيُّ
فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ قِصَى حِينَ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مُضْمَرَةً تَغَالَى مِنْ الْأَعْرَافِ أَعْرَافِ الْجُنَابِ
إِلَى غَوْرَى تِهَامَةٍ ، فَالْتَقَيْنَا مِنْ الْفَيْفَاءِ فِي قَاعِ يَبَابِ
فَأَمَّا صُوفَةُ الْخُنْفَى ، فَخَاوَا مِنْزِلَهُمْ مُحَاذِرَةَ الضَّرَابِ
وَقَامَ بَنُو عَلَى إِذْ رَأَوْنَا إِلَى الْأَسْيَافِ كَالْإِبِلِ الطَّرَابِ

وَقَالَ قُصَيٌّ بْنُ كِلَابٍ :

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ بِمَكَّةَ مَنَزِلِي ، وَبِهَا رَيْتُ

إِلَى الْبَطْحَاءِ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدَتَهُ وَمَرْوُئَهَا رَضِيَتْ بِهَا رَضِيَتْ
فَلَسْتُ لَغَالِبِ إِنْ لَمْ تَأْتَلْ بِهَا أَوْلَادَ قَيْذَرَ ، وَالنَّيْبُتُ
رِزَاحُ نَاصِرَى ، وَبِهِ أُسَامَى فَلَسْتُ أَخَافُ ضَيْمًا مَا حَيَّيْتُ

فلما استقر رِزَاحُ بن ربيعة في بلاده ، نَشَرَهُ اللهُ وَنَشَرَحُنَّا ، فهِمَا قَبِيلَا
عُدْرَةَ الْيَوْمِ . وَقَدْ كَانَ بَيْنَ رِزَاحِ بن ربيعة ، حِينَ قَدِمَ بِلَادَهُ ، وَبَيْنَ نَهْدِ بن
زَيْدٍ وَحَوْتِ كَعْبَةَ بنِ أُسْلَمَ ، وَهِيَ بَطْنَانِ مِنْ قُضَاعَةَ شَيْءٍ ، فَأَخَافَهُمْ حَتَّى لَحِقُوا
بِالْمِينِ ، وَأَجْلَوْا مِنْ بِلَادِ قُضَاعَةَ ، فَهَمَّ الْيَوْمَ بِالْمِينِ ، فَقَالَ قُصَيٌّ بنِ كِلَابٍ ، وَكَانَ
يُحِبُّ قُضَاعَةَ وَنَمَاءَهَا وَاجْتِمَاعَهَا بِبِلَادِهَا ، لَمَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِزَاحِ مِنَ الرَّجْمِ ، وَلِبَلَاءِهِمْ
عِنْدَهُ إِذَا أَجَابُوهُ إِذْ دَعَاهُمْ إِلَى نُصْرَتِهِ ، وَكَرِهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ رِزَاحُ :

أَلَا مَنْ مُبْلَغَ عَنِّي رِزَاحًا فَإِنِّي قَدْ لَحَيْتُكَ فِي اثْنَتَيْنِ
لَحَيْتُكَ فِي بَنِي نَهْدِ بنِ زَيْدٍ كَمَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي
وَحَوْتِ كَعْبَةَ بنِ أُسْلَمَ إِنْ قَوْمًا عَتَوْهُمْ بِالْمَسَاءَةِ قَدْ عَنَوْنِي

قال ابن هشام : وَتَرَوْنِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لَزُهَيْرِ بنِ جَنَابِ السَّكَلَبِيِّ .

قال ابن إسحاق : فلما كبر قُصَيٌّ وَورِقٌ عَظُمَ ، وَكَانَ عَبْدُ الدَّارِ بِكَرِهٍ ،
وَكَانَ عَبْدُ مَنْفٍ قَدْ شَرَفَ فِي زَمَانِ أَبِيهِ ، وَذَهَبَ كُلُّ مَذْهَبٍ ، وَعَبْدُ الْعَزَى
وَعَبْدُ . قال قُصَيٌّ لِعَبْدِ الدَّارِ : أَمَا وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لِأَلْحَقَنَّكَ بِالْقَوْمِ ، وَإِنْ
كَانُوا قَدْ شَرُّوا عَلَيَّكَ : لَا يَدْخُلُ رَجُلٌ مِنْهُمْ السَّكْبَةَ ، حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ تَقْتَحِبُهَا
لَهُ ، وَلَا يَعْقِدُ أَقْرِشَ لَوَاءٍ لِحَرْبِهَا إِلَّا أَنْتَ بِيَدِكَ ، وَلَا يَشْرَبُ أَحَدٌ بِمَسْكَةٍ إِلَّا مِنْ
سَقَاتِكَ ، وَلَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَوْسَمِ طَعَامًا إِلَّا مِنْ طَعَامِكَ ، وَلَا تَقْطَعُ قَرِيشَ

أمرأ من أمورها إلا في دارك، فأعطاه داره دار الندوة، التي لانتقى قريش أمرأ من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة .

من فرض الرفادة :

وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش في كل مؤسم من أموالها إلى قصي ابن كلاب، فيصنع به طعاما للحاج، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد، وذلك أن قصيا فرّضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به : يامعشر قريش، إنكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج، حتى يصندروا عنكم، ففعلوا، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاما للناس أيام منى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينتقى الحج .

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا من أمر قصي بن كلاب، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبي إسحاق بن يسار، عن الحسن بن محمد ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم، قال :

سمعتة يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار، يقال له : نبيّه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي .

قال الحسن : فجعل إليه قصي كل ما كان بيده من أمر قومه، وكان قصي لا يخالف، ولا يردّ عليه شيء صنعه .

.

الحكم بالأمارات :

فصل : وذكر عامر بن الظرب وحُكمه في الخُثْنَى ، وما أفتته به جاريته سُخَيْلَة ، وهو حكم معمول به في الشرع ، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل في الشريعة ، قال الله سبحانه : (وجاءوا على قيصه بدمٍ كذب) وجه الدلالة على الكذب في الدم أن القميص المدمي لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب ، وكذلك قوله : (إن كان قيصه قد من قبل [فصدقت ، وهو من الكاذبين] . يوسف : ٢٦) الآية . وقول النبي صلى الله عليه وسلم في المولود : « إن جاءت به أرزق جعداً أجماً ليا فهو للذي رُميت به »^(١) فلا استدلال بالأمارات أصلٌ يَتَّبَعُ عليه كثيرٌ من الأحكام في الحدود والميراث ، وغير ذلك . والخُثْنُ في الخُثْنَى أن يُعْتَبَر المَبَالُ ، ويُعْتَبَر بالحليض ، فإن أشكل من كل وجه ، حُكِمَ بأن يكون له في الميراث سهم امرأة ونصف ، وفي الدية كذلك ، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد .

(١) هذا جزء من حديث — رواه أبو داود مطولاً ، وفي إسناده عباد بن منصور ، وقد تكلم فيه غير واحد ، وهو في قذف هلال بن أمية أحد الثلاثة الذين خلفوا امرأته بشريك بن سحاء ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه الرسول دس ، البينة ، وإلا أقام عليه الحد ، فنزلت آيات اللعان من سورة النور ، وقد روى قصة هلال الجماعة وأحمد ، والجمع : القصير الشعر ، والأورق : الأسمر مع بياض . والجمالي : العظيم الخلق كأنه الجمل ، وقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم أن تترك المرأة حتى تلد ، لجمات بالولد في صفات الرجل الذي رُميت به ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن » .

الشرائح :

فصل : وذكر يَعْمَرُ الشَّدَاخُ بن عوف حين حَكَمُوهُ ، وأنه سمي بالشَّدَاخ لما شَدَخَ من دِمَاءِ خُرَاعَةٍ^(١) وَيَعْمَرُ الشَّدَاخُ هو جَدُّ بنِي دَأْبِ الذين أخذ عنهم كثيرٌ من علم الأخبارِ والأنسابِ وهم : عيسى بن يزيد بن [بَكْر] ابن دَأْبِ ، وأبوه : يزيدٌ ، وحَدِيفَةُ بن دَأْبِ ، ودَأْبُ هو : ابن كُرْز بن أُنْجَرٍ من بنِي يَعْمَرِ بن عَوْفٍ الذي شَدَخَ دِمَاءَ خُرَاعَةٍ ، أَى : أبطلها ، وأصل الشَّدَخ : الكسر والْفَضْخُ ، ومنه الْفَرَّةُ الشاذخة ، شُبِّهَتْ بالضَّرْبَةِ الواسعة . والشَّدَاخ بفتح الشين كما قال ابن هشام ، والشَّدَاخُ بضمها إنما هو جَمْعٌ ، وجائز أن يُسَمَّى هو وبنوه : الشَّدَاخُ ، كما يقال : الْمَنَازِرَةُ فِي الْمُنْذِرِ وبنيه ، والأشْعَرُونَ في بنِي الْأَشْعَرِ من سبأ^(٢) وهو بابٌ يكثرُ ويطول . وأمُّ يَعْمَرِ الشَّدَاخُ اسمُها : السُّوُمُ بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم ، وسيأتي ذكر جُرَّة بالكسر^(٣) ذكره ابن ماكولا . ومن بنِي الشَّدَاخ : بَلْعَاءُ بن قَيْس بن عبد الله بن يَعْمَرِ

(١) في الاشتقاق : « إنما سمي الشداخ لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي كانت بينهم ، فقال : شَدَخْتُ الدماء تحت قدميَّ ، والشَّدَخ : وطؤك الشيء حتى تفضضه ، والفرس الشادخ : الذي انتشرت غرته في وجهه ، ولم تبلغ العينين ، والجمع : شوادخ ، والفضض : الكسر ، وبذكر السهلي عيسى بن يزيد بن دَأْب ، وهو في الاشتقاق : عيسى بن يزيد بن بكر بن دَأْب .

(٢) الأشعر هو : نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ .

(٣) في القاموس : السوم بفتح السين وواو ساكنة بنت جرة بكسر الجيم : أعرابية ، وفيه : يزيد بن الأخنس بن جُرَّة بضم الجيم : صحابي .

الشَّدَاخ الشاعر المذكور في شعر الحماسة ، اسمه : حَمِيصَةُ ، وَلَقَّبَ :
بلعاء (١) لقوله :

أَنَا ابْنُ قَيْسٍ سَبْعًا وَابْنُ سَبْعٍ أَبَارَ مِنْ قَيْسٍ قَبِيلًا فَالْتَمَعَ
كَأَمَّا كَانُوا طَعَامًا فَابْتُلِعَ

(ولاية قصي البيت)

ذكر فيه أمرُ قُصَيٍّ وما جمع من أهل مكة ، وأنشد :
قُصَيٌّ لَعَمْرِي كَانَ يُدْعَى مُجَمَّعًا (٢) . البيت وبعده :
هُمُوا مَلَأُوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وَسُودَدًا وَهُمْ طَرَدُوا عَنَا غَوَاةَ بَنِي بَكْرٍ
ويذكر أن هذا الشعر لحذافة بن جَمَح .

وذكر أن قُصَيًّا قَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا (٣) ، وأن أهلها هابوا قَطَعَ شجر
الحرم للبنيان . وقال الواقدي : الْأَصَحُّ فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ أَرَادُوا
الْبَنِيَانَ قَالُوا لِقُصَيٍّ : كَيْفَ نَصْنَعُ فِي شَجَرِ الْحَرَمِ ، فَحَذَرَهُمْ قَطْعَهَا وَخَوَّفَهُمْ

(١) في الاشتقاق : بلعاء من قولهم : بثر بلعاء : واسعة ، ورجل بلع إذا
كان نهمًا ، وقد أخرج له أبو تمام في ديوان الحماسة ثلاثة أبيات ، أولها :
وفارس في غمار الموت منغمس إذا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهَةٍ صَدَقَا
غمار الموت : شدائده ، تَأَلَّى : حلف ، وفي اللسان : حَمِيصَةُ اسم حي بلعاء
وقد كان بلعاء رئيسا في الجاهلية ، وشهد حرب الفجار الثاني ، ومات في تلك الأيام
(٢) في الطبري ٢٥٦ ج ٢ ، أبو كم قصي كان يدعى بجمعا .
(٣) دورا .

العقوبة في ذلك ، فكان أحدهم يخوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون في منزله . قال : فأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله ابن الزبير حين ابتنى دوراً بقميعة ، لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة ، وكذلك يروى عن عمر - رضي الله - أنه قطع دوحه كانت في دار أسد بن عبد العزى ، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالسكبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فطسها عمر - رضي الله عنه - وودأها بقرة ، ومذهب مالك - رحمه الله - في ذلك : ألا دية في شجر الحرم . قال : ولم يبلغني في ذلك شيء . وقد أساء من فعل ذلك ، وأما الشافعي - رحمه الله - فجعل في الدوحة بقرة ، وفيما دونها شاة . وقال أبو حنيفة - رحمه الله - إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يفرسها الناس ، ويستذيقونها ، فلا فدية على من قطع شيئاً منها ، وإن كان من غيرها ، ففيه القيمة بالعاما بلغت .

وذكر أبو عبيد : أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أفتى فيها بعتق^(١) رقبة .

(١) وفي الشقيرى للجب الطبرى : « عن عطاء أنه كان يقول في الحرم : إذا قطع شجرة عظيمة من شجر الحرم فعليه بدنة ، وفي الدوحة : بقرة . وعنه أنه سئل عمن قطع من شجر الحرم ، فقال : يستغفر الله عز وجل ولا يعود ، وعنه أنه كان يرخص في القصب والشوك والسني : نوع من النبات . وعنه لا بأس أن يبنى السكامة من الحرم ولا بأس بالشعشع (نبات يتفرش على وجه الأرض عريض الورق وليس له شوك) والسكامة جمع مفردة : كم ، والسكمة : نبات ينفض الأرض ، فيخرج كما يخرج الفطر ، يأكله الناس والحيوان ، على أنه ورد في حديث أخرجه البخاري ومسلم أن الحرم لا يعصد شوكه ، أي : لا يقطع .

دار الندوة :

وذكر أن قُصِيًّا اتخذ دار الندوة ، وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ النَّدَى والنادى والمنتدى ، وهو مجلس القوم الذي يندون حوله ، أى : يذهبون قريباً منه ، ثم يرجعون إليه ، والندوة في الخليل . أن تُصرف عن اورد إلى المرعى قريباً ، ثم تعاد إلى الشرب ، وهو المندى^(١) ، وهذه الدارُ أصبحت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام ابن خويلد بن أسد بن عبد المزى بن قصى ، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم ، وذلك في زمن معاوية ، فلامه معاوية في ذلك ، وقال : أبت مكرمة آبائك وشرقهم ، فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى . والله : لقد اشتريتها في الجاهلية بريقٍ خمر ، وقد بعثها بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله ، فأثنا المغبون ؟ ! ذكر خبر حكيم هذا الدار قُطِنِي في أسماء رجال الموطأ له .

من تفسير شعر رزاح :

فصل : وذكر شعر رزاح ، وفيه : ونكمتي النهار أى : نكمتُ ونستتر ، والكمي من الفرسان ، الذي تكمتي بالحديد . وقيل : الذي يكمتي شجاعته ، أى : يسترها ، حتى يظهرها عند الوغى . وفيه : مررنا بمسجر ، وهو : اسم موضع ، وكذلك : ورقان اسم جبل ، ووقع في نسخة سفيان : ورقان بفتح الراء ، وقيده أبو عبيد البكري : ورقان بكسر الراء ، وأنشد للأخوص :

(١) والمنتدى أيضاً من أسماء النادى الذي هو يجتمع مجلس القوم ومتحدثهم والندى : مكان ورد الإبل .

وكيف تُرَجَّى الوصلَ منها وأصبحت ذُرَى وَرْقَانٍ^(١) ذُرَاهَا وَحَفِير

ويُخْتَف ، فيقال : وَرْقَان . قال جميل :

يَا خَلِيلَ إِنَّ بَثْنَةَ بَأْتَتْ يَوْمَ وَرْقَانَ بِالْفَوَادِ سَبِيًّا

وذكر أنه من أعظم الجبال ، وذكر أن فيه أَوْشَالَاً^(٢) وَعُيُونًا عِذَابًا ،
وَسُكَّانَهُ : بنو أَوْس بن مُزَيْنَةَ .

وذكر أيضا الحديث ، وهو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ضُرْسُ
السَّكَافِرِ فِي النَّارِ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرْقَانٍ »^(٣) . وفي حديث آخر أنه
عليه السلام ذكر آخر من يموت من هذه الأمة ، فقال : رجلان من مُزَيْنَةَ يَنْزِلَانِ
جِبَالًا مِنْ جِبَالِ الْعَرَبِ ، يُقَالُ لَهُ : وَرْقَانُ^(٤) كُلُّ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْبُكْرِيِّ فِي كِتَابِ
مُعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ .

فصل : وذكر أَشْمَذِينَ بِكسر الهمزة ، وفي حاشية كتاب سفيان بن العاص :
الْأَشْمَذَانِ : جِبَلَانِ [بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَخَيْبَرَ] ، وَيُقَالُ : اسْمُ قَبِيلَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ فِي

(١) وَرْقَان — بِالْفَتْحِ ثُمَّ الْكُسْرِ — وَيُرْوَى بِسُكُونِ الرَّاءِ : جِبَلٌ أَسْوَدٌ بَيْنَ
الْعَرَجِ وَالرَّوَيْثَةِ عَلَى يَمِينِ الْمُصْعَدِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ ، وَهُوَ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ .

(٢) مِيَاهُ تَسِيلُ مِنْ أَعْرَاضِ الْجِبَالِ ، فَتَجْتَمِعُ ثُمَّ تَسَاقُ إِلَى الْمَزَارِعِ .

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

(٤) الَّذِي فِي الْحَاكِمِ : « آخِرُ مَنْ حُشِرَ : رَاعِيَانِ مِنْ مَزَيْنَةَ يَرِيدَانِ الْمَدِينَةَ
يَنْعَقَانِ بَعْضُهُمَا فِي جِدَانِهَا وَحَوْشَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَسْنِيَّةَ الْوُدَاعِ خَرَا عَلَى
وُجُوهِهِمَا ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْإِحَادِيثِ لَا يُعْتَدُّ بِهَا .

الحاشية : فعلى هذا تكون الرواية بفتح الدال وكسر النون من أشمذين - قال المؤلف رحمه الله - فإن صح أنهما اسم قبيلتين ، فلا يبعد أن تكون الرواية كما في الأصل : أشمذين^(١) بكسر الدال ، لأنه يجمع في المعنى . واشتقاق الأشمذ من شَمَذَتِ الناقة بذنبها أى : رفعت ، ويقال للنخل : شَمَذ ، لأنها ترفع أعجازها .

وفيه : مَرَرَن على الحِجْل^(٢) وفسره الشيخ في حاشية الكتاب ، فقال : هو الماء المستنقع في بطن واد ، ووجدت في غير أصل الشيخ روايتين ، إحداهما : مَرَرَنَ على الحِلِّ والأخرى : مَرَرَنَ على الحِلِّي ، فأما الحِلُّ : فجمع حِلَّة ، وهى بَقْلَةٌ شَاكَّةٌ^(٣) . ذكره ابن دُرَيْدٍ في الجَمْهَرَةِ . وأما الحِلِّي ، فيقال : إنه ثمر القُمَّلَانِ^(٤) وهو نَبْتُ .

(١) في المراحىد : أشمذين - بفتح أوله والميم والدال مفتوحتان ، والياء ساكنة والنون مكسورة بلفظ الثنية : جبلان بين المدينة وخيبر تنزلهما جهينة وأشجع .

(٢) الحيل في اللسان كما ذكر الشيخ ، وأيضاً : القطيع من الغنم ، وحجارة تحدر من جوانب الجبل إلى أسفله وفي الأصل : الجبل ، وهو خطأ .

(٣) وفي اللسان والقاموس : شجرة شاكَّة .

(٤) عرق هذا الشجر المغاث ، وقد خطأ أبوذر في شرحه للسيرة هذا الرأى لأن اسم النبات : الحلى بتشديد الياء وكسر اللام . وذكر أنه اسم موضع .

ورزاح بن ربيعة بكسر الواو ، وغيره بالكسر وبالفتح . ومن معاني مفردات قصيدة رزاح : الورد : الواردة . الحلبة : جماعة الحيل . السيب : المشى السريع في رفق كالسياب الحية . الرسيل : المشى الذى فيه تمهل . وعسجر : موضع قرب مكة . أسهل : حل الموضع السهل ، العرج : واد ، نواحي الطائف . العوذ : جمع عائد : الناقة أو الفرس التى لهما أولاد . والأفلاء : جمع فلو ، المهر العظيم . نعاور :

وقوله فيها : نَخْبِزُهُمْ . أى : نسوقهم سوقاً شديداً ، وقد تقدم قول
الراجز . لا تَخْبِزِ اخْبِزاً وَبَساً بَساً .

وذكر شعر رِزَّاح الآخر ، وفيه : من الأعراف أعراف الجناب . بكسر
الجيم ، وهو موضعٌ من بلادِ قُضَاعَةَ .

وفيه : وقام بنو علىٍّ ، وهم بنو كِنانة ، وإنما سماوا بني علىٍّ ؛ لأنَّ عبدَ مناة
ابن كِنانة كان ربيباً لعليٍّ بن مسعود بن مازن من الأزد جدَّ سَطِيح
الكاهن ، فقبل لبني كِنانة : بنو علىٍّ ، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بَكْرٍ
ابن عبد مناة ؛ لأنهم قاموا مع خُرَاعَةَ .

شعر قصي والعنترانه :

وذكر شعر قُصَيٍّ : أنا ابن العاصمين بنى لؤيٍّ . الأبيات . وليس
فيها ما يشكل .

== نداول مرة بعد أخرى . الأوب : الرجوع . وصلاب النسر : النسر : جمع
نسر ، وهو اللحم اليابس الذي في باطن الحافر . وصلاب النسر كناية عن الخيل
القوية ، ومن مفردات قصيدة ثعلبة : التغالى من المغالاة ، وهى ارتفاع الدابة في
سيرها ومجاورتها حسن السير . والغور : أصله ما تدخل من الأرض ، وانهبط ،
ومنه : غور تهامة ، وكل ما وصف به تهامة ، فهو من صفة الغور ؛ لأنهما اسمان لمسمى
واحد . والفيفاء : الصحراء . القاع : أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال
والآكام ، تنصب إليها الأمطار ، فتمسكها ، ثم تبت العشب ، الضراب : يقال :
ضرب الفحل ضراباً : أتى الناقة . والطراب : الإبل التى اشتاقت إلى موطنها .

وذكر أن رزاحا حين استقر في بلاده نشر الله ولده وولدحن ،
ابن ربيعة ، فهما حيا عذرة .

قال المؤلف : في قضاة عذرتان : عذرة بن ربيعة ، وهم من بني كلب
ابن وبرة . وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، وأسلم هذا
هو بضم اللام من ولدحن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبد الله
ابن معمر صاحب بئنة ، ومعمر هو ابن ولد الحارث بن خير بن ظبيان ،
وهو الضبيس بن حن . وبئنة أيضا من ولد حن ، وهى بنت حبان بن
ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن حن [وفى قضاة أيضا عذرة بن
عدى ، وفى الأزد : عذرة بن عداد] .

موتكة وأسلم :

وذكر موتكة بن أسلم وبني نهد بن زيد وإجلال رزاح لهم (١)

(١) نسب جميل فى جهرة الساب العرب : جميل بن عبد الله بن معمر
ابن الحارث بن الحبير [فى الروض ابن خير فى] ابن طبيان ، وهو خبيس بن
جر بن ربيعة ، ويتفق الأغاني مع الجهرة حتى الحارث ، وبعدها يقول الأغاني
« ابن طبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كثير ، بن
عذرة بن سعد — وهو هذيم ، سمي بذلك لإضافة لاسمه إلى عبد لاييه ، يقال له :
هذيم ، وكان يحضنه ، فغلب عليه ، وفى الاشتقاق كذلك عن سعد وهذيم — بن زيد بن
سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . ونسب بئنة فى الجهرة : بئنة بنت حبان
ابن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن جريو بن ربيعة . لايها صحبة
ص ٢٠ جهرة . وفى الأغاني : بنت حبان بن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن =

وَحَوْتَسْكُهُ هُوَ : عَمُّ نَهْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، وليس في العربِ أَسْلَمُ بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها في قُضَاعِهِ ، وهما : أَسْلَمُ بْنُ الْحَافِ هَذَا ، وَأَسْلَمُ بْنُ تَدُولِ ابْنِ تَيْمِ اللَّاتِ (١) . بن رُفَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبٍ ، والثالث في عَكَّ أَسْلَمُ بْنُ الْقِيَانَةِ بْنِ غَابِنِ (٢) . بن الشاهد بن عَكَّ ، وما عدا هؤلاء فَأَسْلَمُ بفتح اللام . ذكره ابن حبيب في المؤلف والمختلف .

==الاحب بن حن بن ربيعة . وفي الاشتقاق عن عذرة بن ربيعة، وكذلك في جهمرة ابن حزم: أنه عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة . وفي كتاب متفق القبائل لابن حبيب ، وفي قضاة : عذرة بن سعد ، وفي كلب : عذرة ابن زيد اللات ، وعذرة بن عدى ، وفي الأزد : عذرة بن عداد ، وفي الجهمرة لابن حزم ضبط أَسْلَمُ بفتح اللام مرة ، وبضمها في مكان آخر ، وفيها ما يأتي : ولد أَسْلَمُ بْنُ الْحَافِي : سَوْدُ بْنُ أَسْلَمَ . فولد سَوْدُ بْنُ أَسْلَمَ لَيْثٌ وَحَوْتَسْكَةُ بفتح الحاء وإسكان الواو . بطن بمصر مع بني خميس بن جهمنة ، وإيَّاس بن سود ، وهم في بني لؤى بن عذرة . وفي أمالي ابن الشجرى عن الحاف أنه لما حذفت العرب بابه اجتزأ بالكسر مثل : العاص في اسم العاص بن أمية ، والعاص بن وائل السهمي . ومثل اليان في أب حذيفة اليان ، ومثل الداع في قوله سبحانه : وأجيب دعوة الداع إذا دعان ، انظر الاشتقاق في قبائل قضاة ، وص ١٥٤ جهمرة . ونقل ما ذكرت عن ابن الشجرى من تعليق الأستاذ هرون في الاشتقاق . وفي الاشتقاق عن هوذى أنه هَوْذَةُ .

(١) في الجهمرة والاشتقاق وغيرهما : زيد اللات . ولكن ورد في الجهمرة ص ٤٢٩ وهو يتحدث عن بني كلب بن وبرة : « وبنو أَسْلَمُ بضم اللام بن تدول بن تيم اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة » .

(٢) في الجهمرة : أَسْلَمُ بْنُ الْقِيَانَةِ بْنِ غَافِقِ ، ومنهم كان أمير الأندلس . وفي اللسان عن أَسْلَمُ بضم اللام نقل عن كراع أنه جمع : سلم ، وذكر أنه لم يفسر أى : سلم — بفتح فسكون — يعنى ، ثم نقل أنه قد يكون جمع سلم — بفتح فسكون — وهى الدلو العظيمة .

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصي

وحلف للطيبين

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب هلك ، فأقام أمرة في قومه ، وفي غيرهم بنوه من بعده ، فاختلفوا مكة رباعاً — بعد الذي كان قطع لقومه بها — فكانوا يقطعونها في قومهم ، وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قصي عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار ، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار . يرون أن لا يُنزع منهم ما كان قصي جعل إليهم .

فكان صاحب أمر بني عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسنَّ بني عبد مناف ، وكان صاحب أمر بني عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زهرة ابن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بني عبد مناف .

• • • • •

وكان بنو غزوم بن بَقْظَة بن مُرَّة ، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ، وبنو جَحجَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لُؤَى ومحارب بن قَهْر ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فعمد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسلم بعضهم بعضاً ما بَلَ بَحْر صوفة .

فأخرج بنو عبد مناف جَفَنَة مملوءة طيباً ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عَبد مناف ، أخرجهنَّ لهم ، فوضعوها لأخلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غَمَس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا وحلفواهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم ، فسمُّوا المطَّيِّبين .

وتعاقد بنو عبد الدار ، وتعاهدوا وحلفواهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً ، على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسلم بعضهم بعضاً ، فسمُّوا الأُحلاف .

ثم سُوِّدَ بين القبائل ، وُلِّزَ بعضها ببعض ، فَعَبَّيْتُ بنو عبد مناف لبنى سَهْم ، وَعَبَّيْتُ بنو أسد لبنى عبد الدار وَعَبَّيْتُ زُهْرَة لِبَنِي جَحجَح ، وَعَبَّيْتُ بنو تيم لبنى تَخْزُوم ، وَعَبَّيْتُ بنو الحارث بن قَهْر لبنى عدى بن كعب . ثم قالوا : لَتَقْنِ كل قبيلة من أسند إليها .

فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح ، على أن يُعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى

.

عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، ونحاجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالقوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ما كان مِن حَافٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ الإسلامَ لَمْ يَرِدْهُ إِلَّا شِدَّةً » .

حلف الفضول

قال ابن هشام : وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، لشرفه وسنّه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد المطلب ، وزُهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يحدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلّمته ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفا ، ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أذعى به في الإسلام لأجبت » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه : أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي

• • • • •

طالب رضى الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . والوليد يومئذ أمير على المدينة ، أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان - منازعة في مال كان بينهما بذي العروة ، فكان الوليد تحامل على الحسين - في حقه لسايطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفني من حقى ، أو لأخذن سيفى ، ثم لأقومن في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم لأدعون بجلف الفضول قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضى الله عنه - ما قال : وأنا أحلف بالله كئن دعا به لأخذن سيفى ، ثم لأقومن معه ، حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المسور بن مخزومة بن نوفل الزهرى ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التميمى ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمى قال : قدم محمد بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف - وكان محمد ابن جبير أعلم قريش - فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال : صدقت .

قال ابن إسحاق : فولى الرقادة والسّاية هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سفاراً قلماً يقيم بمكة ، وكان مُقلاً ذا وَلَدٍ ، وكان هاشم

.

مُوسِرًا فـسـكـان - فـيـمـا يـزـعـمـون - إـذا حـضـر الحـجُّ ، قـام فـي قـريش قـقال : « يـامـعـشـر قـريش ، إـنـسـكـم جـيـرانُ الله ، وأهـلُ بـيـتِه ، وإـنـه يـأتـيـكـم فـي هـذا المـوسـم زُورُ الله وحُجَّاجُ بـيـتِه ، و هم ضـيـفُ الله ، وأحـقُّ الضـيـفِ بالـكـرامـة : ضـيـفُه ، فاجـمـعـوا لـهـم ما تـصـنـعـون لـهـم بـه طـعـامًا أيا مـهـم هـذه الـتي لا بُدَّ لـهـم مـن الإقـامـة بـهـا ؛ فإـنـه -والله- لو كان مـالـي يـسـع لـذـلـك ما كـلـفـتُـكـمـوه ». فـيـخـرجـون لـذـلـك خـزـجًا مـن أـمـوالـهـم ، كـلَّ امرئ بـقـدر ما عـنـده ، فـيـصـنـع بـه لـلـحُجَّاجِ طـعـامً ، حـتى يـضـدُّـرُوا مـنـها .

وكان هاشم - فيما يزعمون - أوّل من سنّ الرّحلتين لقريش : رحلتى الشتاء والصيف ، وأوّل من أطعم الثريد للحجاج بمكة ، وإنما كان اسمه : عمرواً ، فاستبى هاشماً إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه ، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب :
عمرو الذى هشم الثريد لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما سقر الشتاء ، ورحلة الإيلاف

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز

قوم بمكة مسنتين عجاف

قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بفزة من أرض الشام تاجراً ، فولى السقاية والرّقادة من بعده المطلب بن عبد مناف ، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف فى قومه وفُضِّل ، وكانت قريش إنما تسميه : الفيض لسماعته وفضله .

وكان هاشم بن عبد مناف قديم المدينة ، فتزوج سكمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجّار ، وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الحريش . قال ابن هشام : ويقال : الحريش بن جحججى بن كلفة بن عوف بن عمرو

ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ، فولدت له عمرو بن أُحَيَّة ، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلاً فارقتة .

فولدت لهاشم عبد المطلب ، فسَمَّته : شَيْبَةَ ، فتركه هاشم عندها حتى كان وَصِيْفًا ، أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ لِيَقْبِضَهُ ، فَيُلْحِقَهُ ببلده وقومه فقالت له سلمى : لستُ بِمُرْسَلَةٍ معك ، فقال لها المطلب : إني غيرُ منصرف حتى أخرجَ به معي ، إن ابن أخى قد بلغ ، وهو غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ، نلّي كثيرًا من أمرهم ، وقومُه وبلده وعشيرته خيرٌ له من الإقامة في غيرهم ، أو كما قال . وقال شَيْبَةُ لعمه المطلب - فيما يزعمون - لستُ بمفارقها إلا أن تأذن لي ، فأذِنَتْ له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مُرْدِفَهُ معه على بعيره ، فقالت قُرَيْش : عبدُ المطلب ابتاعه ، فبها سمى : شَيْبَةُ عبدُ المطلب . فقال المطلب : وَيَحْكُم ! إنما هو ابن أخى هاشم ، قدمتُ به من المدينة .

ثم هلك المطلب برَدْمَان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يَبْنِكِيه :
قد ظمئ الحميمُ بعد المطلبِ بعد الجفان والشراب المُنْمَعِبِ
ليت قريشا بعده على نصبِ

وقال مطرود بن كَعْب الخزاعي ، يبكي المطلب وبني عبد مناف جميعا حين أتاه نَعْيُ نَوْفَل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هُلُوكًا :

يا لَيْلَةَ هَيَّجَتْ لَيْلَاتِي إحدى لَيْلَى الْقَسِيَّاتِ

.

وَمَا أَقَامِي مِنْ هُمُومٍ ، وَمَا عَاجَتُ مِنْ رُزْءِ الْمُنْيَاتِ
 إِذَا تَذَكَّرْتُ أَخِي نَوْفَلًا ذَكَرَنِي بِالْأَوَّلِيَّاتِ
 ذَكَرَنِي بِالْأَزْرِ الْحَرِّ وَالْأَزْدِيَّةِ الصُّفْرِ الْقَشِيَّاتِ
 أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ سَيِّدُ أَبْنَاءِ سَادَاتِ لِسَادَاتِ
 مَيِّتٍ بَرْدَمَانَ وَمَيِّتٍ بَسْلَمَانَ وَمَيِّتٍ بَيْنَ غَزَاتِ
 وَمَيِّتٍ أَسْكَنَ لَمَدًا لَدَى الْمَخْجُوبِ شَرْقَى الْبَنِيَّاتِ
 أَخْلَصَهُمْ : عَبْدُ مَنَافٍ فَهُمْ مِنْ لَوْمٍ مَنْ لَامَ بِمَنْجَاةِ
 إِنَّ الْمَغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءِ وَأَمْوَاتِ

عن ملف الطيبين :

فصل : وذكر تنازعَ بنى عبد مناف ، وبنى عبد الدار فيما كان قُصِيَّ جَعَلَ
 إليهم ، وذكر في ذلك حلف المطيبين ، وسامهم ، وذكر أن امرأة من نساء
 عبد مناف هي التي أخرجت لهم جَفَنَهُ مِنْ طِيبٍ ، فَعَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِيهَا ،
 وَلَمْ يُسَمِّ الْمَرْأَةَ ، وَقَدْ سَمَاهَا الزَّيْبُرُ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ ، فَقَالَ : هِيَ أُمُّ حَكِيمِ
 الْبَيْضَاءِ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَوَأَمَةُ أَبِيهِ .
 قَالَ : وَكَانَ الْمَطِيبِيُّونَ يُسَمُّونَ : الدَّاقَةَ جَمْعَ دَائِفٍ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ
 دَافُوا الطَّيِّبَ (١) .

(١) ذكر اسم أم حكيم أيضاً أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري
 في كتابه نسب قريش ص ٣٨٣ ، وذكر أنها قالت بعد وضعها الجنة في الحجر :
 « من كان منا فليدخل يده في هذا الطيب » ، ويذكر أن بنى سهم بن عمرو نَحَرَتْ جُزُورًا ،
 وقالوا : « من كان منا فليدخل يده في هذه الجزور » ، فأدخل من أدخل فسميت =

السناد والرفقاء :

وذكر أن القبائل سُوند بعضها إلى بعض ، لتكفي كل قبيلة ما سُوند إليها ، فسُوند من السناد ، وهى مقابلة فى الحرب بين كل فريق ، وما يليه من عدوّه ، ومنه أخذ سناد الشعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حرفِ الرويِّ حرفُ مدّولين ، ويكون فى آخر البيت الثانى قبل حرف الرويِّ حرفُ لين ، وهى ياء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم .

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا

ثم قابله فى بيت آخر بقوله : - تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا^(١) - فكان الياء المفتوح ما قبلها قد سُوندت بها إلى الياء المكسور ما قبلها ، فتقابلتا ، وهما غير متفتحتين فى المد ، كما يتقابل القَبِيلَتان ، وهما مختلفتان متعاديتان ، وأما الإقواء

==الاحلاف ، وذكر أن الأسود بن حارثة أدخل يده فى الدم ، ثم لعقها ، فلعلقت بنوعدى كلها بأيديها ، فسموا : لعة الدم ، وانظر أيضا ص ٦٦ المحبر لابن حبيب . وص ٥٤ شرح السيرة للبخشي . وداف الشيء دوا ، وأدافه : خلطه وأكثر ذلك فى الدواء والطيب . وداف يديف : لغة فيه . ويجيئه بالواو أكثر ، ومسك مدوف ومدووف ، وداف الطيب وغيره فى الماء يدوفه فهو دائف .

(١) أول البيت : « كَأَنَّ غَضُونَهُنَّ مَتُونُ غَدَرٍ » وفى رواية : متونن بدلا من غضون ، ويروى : إذا عرينا بدلا من جرينا ، والغدر : جمع غدير . تصفقا الرياح : تضربها . يشبه غضون الدرع بمتون الغدران إذا ضربتها الرياح فى جريها ، والطرائق التى ترى فى الدروع بالنى تراها فى الماء إذا ضربته الريح « عن الزوزنى » فى شرح المعلقة .

فهو أن يَنْقُصَ قُوَّةً من المِصْرَاعِ الأولِ ، كما تَنْقُصُ قُوَّةً من قُوَى الحَبْلِ (١) ،
وذلك أن يَنْقُصَ من آخر المِصْرَاعِ الأولِ حرفٌ من الوَتْدِ كقوله :

أَقْبَعَدَ مَقْتِلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
وكقول الآخر :

لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَى مَشْرُوبًا وَالْقَرْثَ يُقْصَرُ فِي الْإِنَاءِ أُرْتُتَ (٢)

(١) في الأصل : الجبل ، والتصويب من اللسان . والقوة : الخصلة الواحدة من قُوَى الحبل . وحبل مقوى : هو أن تزخى قوة ، وتغير قوة ، فلا يلبث الحبل أن ينقطع .

وقد عرف أبو عمر بن العلاء الإقواء بأنه اختلاف حركات الروى ، فبعضه مرفوع ، وبعضه منصوب أو مجرور . أما ما قاله السهيلي ، فهو قول أبي عبيدة . واستشهد بقول الربيع بن زياد : « أقبعد مقتل مالك الخ » . وعرفه أبو عمرو الشيباني بأنه اختلاف إعراب القوافي ، وابن سيدة : المخالفة بين القوافي . والاختفش : رفع بيت وجر آخر . قال : وقد سمعت هذا من العرب كثيرا ، لأحصى ، وقللت قصيدة ينشدونها إلا وفيها إقواء ، ثم لا يستنكرونه ، لأنه لا يكسر الشعر . وفي اللسان أمثلة كثيرة في مادة قوا ، ثم ذكر ابن جني أن الإقواء وإن كان عيبا لاختلاف الصوت به فإنه قد كثر .

(٢) البيت للحجل بن نضلة . وهو في اللسان .

ولما رأت ماء السلى مشروبا

والسلى : الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفا فيه ، وقيل : هو في الماشية : السلى ، وفي الناس : المشيمة . وفي المثل : وقع القوم في سلى جمل . أي في أمر لا يخرج منه ؛ لأن الجمل لا سلى له . وإنما يكون للناقة .

وكان الأَصْمَعِيُّ يُسَمِّي هذا الإقواء : الْمُقْعَدَ ، ذكره عنه أبو عبيد ، وقال
عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ [العاملي] في السَّنَاد :
وقصيدة قد رُبَّتْ أَجْمَعُ بَيْتَهَا حتى أَتَقَفَّ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا (١)

حلف الفضول

وذكر ابن هشام الحلف الذي عقدته قريشُ بينها على نُصْرَةِ كُلِّ مَظْلُومٍ بِمَكَّةَ
قال : وَيُسَمَّى حِلْفُ الْفُضُولِ ، ولم يذكر سببَ هذه التسمية ، وذكرها ابنُ
قُتَيْبَةَ ، فقال : كان قد سبق قُريشاً إلى مثل هذا الحلف جُرْهُمُ في الزمن الأول ،
فتحالف منهم ثلاثة هُمُ ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضلُ بنُ فُضالة ، والثاني :
الفضلُ بنُ وداعة ، والثالث : فُضَيْلُ بنِ الحُرث . هذا قول التَّمَبِّي . وقال الزبير :
الفُضَيْلُ بنُ سُراة ، والفضلُ بنُ وداعة ، والفُضَلُ بنُ قُضاعة ، فلما أشبه حلفُ

(١) وكذلك ساء الخليل . ونقل عنه أيضاً : إذا كان بيت من الشعر فيه
زحاف قيل له : مقعد ، بضم الميم وسكون القاف وفتح العين ، .

روى ابن جني في الخصائص تحت باب : « هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة
ما جاز للعرب أولاً ؟ » ، وأنه سأل أبا علي عن هذا ، فقال : كما جاز لنا أن نقيس
منثورنا على منشورهم ، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم ، ثم ذكر
أن جميع الشعر القديم لم يكن مرتجلاً ، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه
والملاطفة فيه والتلوم على رياضته ، وإحكام صنعه نحو ما يعرض لكثير من
المولدين . . ثم روى شواهد له على هذا . وفيها هذا البيت . وفي الخصائص :
أقوم بدلاً من أتقف ، وبعده :

نظر المُشَقِّف في كموب قنائه حتى يقيم ثقافه منادها

انظر ص ٣٢٣ وما بعدها حـ الخصائص ط ، ٢ زدت العاملي من الخصائص .

قريش الآخر فعل هؤلاء الجزهيميين سُمي : حلف الفضول ، والفضول : جمع فاضل ، وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسن^(١) ، ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابنى أبى بكر ، قالا : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيتُ به فى الإسلام لأجبت . تحالفوا أن تُردَّ الفضول^(٢) على أهلها ، وألا يُعزَّ ظالمٌ مظلوماً . ورواه فى مُسنَدِ الحرث بن عبد الله بن أبى أسامة التميمي ، قد بين هذا الحديث : لم سُمي حلف الفضول ، وكان حلف الفضول بعد الفجار ، وذلك أن حرب الفجار^(٣) كانت فى شعبان ، وكان حلف الفضول

(١) أخذ بهذا رأى ابن الأثير فى النهاية ، لكنه ذكر هو وابن كثير فى البداية : الفضل بن الحارث لافضل ، والفضل بن شراعة لافضل .
(٢) أى تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلاً يظلمه أحداً إلا أخذوه له منه . وفى حديث رواه مسلم وأحمد : لا حلف فى الإسلام وأيما حلف كان فى الجاهلية ، فإنه لا يزيد الإسلام إلا شدة ، والمعنى — كما قال ابن كثير — أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذى كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن فى التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه .

(٣) أيام الفجار كانت بين قيس وقريش وقيل : أيام الفجار : أيام وقائع كانت بين العرب تفاجروا فيها بعكاظ ، فاستحلوا الحرمات . وقيل : الفجار يوم من أيام العرب ، وهى أربعة أجرة كانت بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان فى الجاهلية ، وكانت الدبرة على قيس ، وإنما سمت قريش هذه الحرب فجراً ؛ لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد لجرنا ، فصبيت لجاراً .

في ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به ، وأشرفه في العرب ، وكان أول مَنْ تسكلم به ودعا إليه : الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زُبَيْد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصي بن وائل ، وكان ذا قَدَرٍ بمكة وشرفٍ ، فحبس عنه حقّه ، فاستعدى عليه الزُبَيْدِيُّ الأَحلاف : عبد الدار ومَخْرُومًا وَجَح وسَهْمًا وَعَدِيَّ بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل ، وزَبْرُوهُ ، أُمي : انتهروه ، فلما رأى الزُبَيْدِيُّ الشر ، أوفى على أبي قُبَيْس (١) عند طلوع الشمس ، وقُرِيش في أُنْدِيَتِهِمْ حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آلَ فِهْرٍ المظلوم بضاعته يبطن مَكَّةَ نائي الدار والنَّفَرَ
ومُحَرِّمٍ أشعثٍ لم يَقْضِ عُمَرَتَهُ (٢) يا للرجال وبين الحِجَرِ والحِجَرِ (٣)
إن الحرامَ لمن تَمَّتْ كرامتُهُ ولا حَرَامَ لثوب الفاجر العُدَرِ (٤)

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مَتَرَك ، فاجتمعت هاشمٌ وزُهْرَةُ وَتَيْمٌ بن مرة في دار ابن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا في ذى القعدة في شهرٍ حرام قِياما ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله : ليَكُونَنَّ يدا واحدة

(١) جبل بمكة سمي برجلا من مذحج .

(٢) في تَجْرِيد الأغانى : « حرمة » .

(٣) في التجرید : « بين الركن والحجر » .

(٤) في التجرید بعد البيت السابق ورد هذا البيت :

أقام من بني سَهْمٍ بِدَمَتِهِمْ أم ذاهبٌ في ضلال مالٍ معشَمَرٍ

مع المظلوم على الظالم ، حتى يُؤدَّى إليه حَقُّه ما بَلَ بَحْرٌ صُوفَةٌ ، ومارسا حِرَاهِ
وَتَبِيرَ مَكَانَهُمَا ، وعلى التَّائِسَى في العَاشِ ، فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الْخَلْفَ : حَلْفَ
الْفُضُولِ ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فَضْلِ من الْأَمْرِ ، ثم مَشَوْا إلى الْعَاصِي
ابن وائل ، فَاْتَزَعُوا مِنْهُ سِلْعَةَ الزُّبَيْدِيِّ ، فدفعوها إليه ، وقال الزبير
رضي الله عنه :

حَلَفْتُ لِنَعْمَقِدَنَ حِلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارٍ
نُسَمِّيهِ : الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعْزُبُهُ الْغَرِيبُ لَدَى الْجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالَى الْبَيْتِ أَنَا أُبَاةَ الضَّيْمِ نَنْعُ كُلَّ عَارٍ

وقال الزبير بن عبد المطلب :

إِنَّ الْفُضُولَ تَحَاقَفُوا ، وَتَعَاقَدُوا أَلَّا يَقِيمَ بَيْطُنَ مَكَّةَ ظَالِمٌ
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاهَدُوا ، وَتَوَاتَمُّوا فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرِفُهُمْ سَالِمٌ

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلا من خَتَمِ قَدِيمِ مَكَّةَ
مُعْتَمِرًا ، أو حَاجًّا ، ومعه بنتٌ له يقال لها : الْقَتُولُ من أَوْضَاءِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ،
فاغتصبها مِنْهُ نُبَيْهَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ (١) وَغَيَّبَهَا عَنْهُ ، فقال الْخُثَمِيُّ : من يُعْدِنِي عَلَى

(١) هو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو
ابن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب . كان هو وأخوه منه من وجوه قريش
وذوى النباهة فيهم ، وكانا ممن نصب لرسول الله « ص » العداوة ، وقتلا معا يوم
بدر مشركين « انظر التجريد ص ١٨١٠ ولسب قريش ص ٤٠٤ . وقصته مع
القتول في الأغانى .

هذا الرجل ، فقيل له : عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ، ونادى :
يا لحلف الفضول ، فإذا هم يُعِنُّون إليهِ من كل جانب ، وقد انتصوا أسياقهم
يقولون : جاءك الفوث ، فمالك ؟ فقال : إن نُبِّهًا ظلمني في ابنتي ، وانتزعها
مِنِّي قَـسْرًا ، فساروا معه ، حتى وقفوا على باب الدار ، فخرج إليهم ، فقالوا له :
أخرج الجارية وَنَحْكَ ، فقد علمت مَنْ نحن ، وما تعاقدنا عليه !! فقال : أفعل ،
ولكن مَتَّعُونِي بِهَا اللَّيْلَةَ ، فقالوا له : لا : والله ، ولا شُخْبَ لِقَحَّةٍ (١) ،
فأخرجها إليهم ، وهو يقول :

راح صَحْبِي ولم أَحَيِّ الْقَتُولَا لم أودَّعُهُمْ ودَاعَا جَمِيلَا
إِذْ أَجَدَّ الْفُضُولُ أَن يَمْتَعُوْهَا قد أَرَانِي ، ولا أَخَافُ الْفُضُولَا
لا تَخَالِي أَنِّي عَشِيَّةَ رَاحِ الرِّكْبِ هُنْتُمْ عَلَيَّ إِلَّا أَقُولَا

في أبياتٍ غير هذه ذكرها الزبير ، وذكر من قوله فيها أيضا :

حَلَّتْ تِهَامَةً حِلَّةً مِنْ بَنِيهَا وَوِطَائِهَا
وَلَهَا بِمَكَّةَ مَنْزِلٌ مِنْ سَهْلِهَا وَحَرَائِهَا
أَخَذَتْ بِشَاشَةِ قَلْبِهِ وَنَأَتْ فَكَيْفَ بَنَائِهَا (٢)

(١) في الأصل : ولا شجت . وهو خطأ ، وأصل الشخب : ما خرج من
الضرع من اللبن ويضم وبالفتح : الدم . واللحقة بكسر اللام وفتحها : الناقة القريبة
العهد بالنتاج ، أو الغزيرة اللبن .

(٢) من القصيدة في التجريد ص ١٨١٠ .

حي الدويرة إذ نأت منسا على عهد وائها

الحلف وابن جردعاه :

فصل : و ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جردعان حلفاً ما أحبُّ أن لي به حُمْرَ النَّعَمِ ، ولو دُعيت إليه في الإسلام لأجبتُ »^(١) وعبدُ الله بن جردعان هذا تيميُّ هو : ابن جردعان ابن عمر بن كعب بن سعد بن تميم ، يكنى : أبا زهير ابن عم عائشة - رضي الله عنها - ولذلك قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن ابن جردعان كان يُطعمُ الطعامَ ، وَيَقْرِي الضيفَ ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل

= لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائنا ومنها :

أخذت حشاشة قلبه ونأت فكيف بناتها
لولا الفضول وأنه لا أمن من عدواتها
لدنوت من أياتها ولطفت حول خباياها
ولجئتها أمشي بلا هاد إلى ظلماتها
فشربت فضلة ريقها ولبت في أحشائها

وفي نسب قريش : روعاتها بدلا من : عدواتها ، ولبتت في البيت الأخير بدلا من : بت ، وفي الروض : بشاشة ، وهنا حشاشة . وفيه : ونأت وكيف بناتها ، وهنا : فكيف بناتها . وقد تكرر في الروض جذعان بالذال بدلا من الدال . ونسبه كما في كتاب نسب قريش . وتيم هو ابن مرة . انظر نسب قريش ص ٢٩١ .

(١) حديث حضور النبي مع عمومته حرب الفجار ، وأنه رمى فيه حديث يروى في كتب السير والطبقات ، كطبقات ابن سعد وهو فيها في ج ١ ص ١٢٨ ، وشهوده حلف الفضول أيضا من هذا النوع ، وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٩٢ ، ولا يعتمد بمثل هذه الروايات التي ليست من الصحيح ، لإقامة حكم ديني عليها .

يوماً : ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم . ومن غريب الحديث لابن قتيبة أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كنت أُسْتَظِلُّ بِظِلِّ جَفَنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَى ، يعني : في الهاجرة ، وسميت الهاجرة : صَكَّةَ عُمَى لخبر ذكره أبو حنيفة في الأنواء : أن عُمَيًّا رجلاً من عدوان ، وقيل : من إباد ، وكان فقيہ العرب في الجاهلية ، فقدم في قومٍ مُعْتَمِرًا أو حاجًّا : فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه ، وهم في نحر الظهيرة : من أتى مكة غداً في مثل هذا الوقت ، كان له أجرُ عُمَرَيْنِ ، فصكُّوا الإبلَ صَكَّةً شديدةً حتى أتوا مكة من الغد في مثل ذلك الوقت ، وأنشد :

وَصَكَّ بِهَا نَحْرَ الظَّهِيرَةِ صَكَّةَ عُمَى وَمَا يَبْغِينَ إِلَّا ظِلَالَهَا (١)

في أبياتٍ ، وعُمَى : تصغير أعمى على الترخيم ، فَسُمِّيَتِ الظَّهِيرَةُ صَكَّةَ عُمَى به . وقال البكري في شرح الأمثال : عُمَى : رجل من العالقي أوقع بالعدو في مثل ذلك الوقت ، فسمى ذلك الوقت : صَكَّةَ عُمَى ، والذي قاله أبو حنيفة

(١) كل ما ذكره السهيلي هو في اللسان : والبيت فيه هكذا .

وصك بها عين الظهيرة غائراً عُمَى ولم ينعلن إلا ظلالها

وقد ضبطت ياء ينعلن بالفتح في مادة صك ، وبالضم في مادة عُمَى ، وعُمَى يقال بضم العين وإسكان الميم وتخفيف الياء في الشعر ، والجفنة : القصعة ، في اللسان أن الظبي إذا اشتد عليه الحر طلب الكناس ، وقد برقت عينه من بياض الشمس ولمعانها ، فيسدر بصره ، حتى يصك بنفسه الكناس لا يبصره ، ويقال : صكة أعمى أيضاً . ولقيته صكة عُمَى ، أو أعمى ، أي في أشد الهاجرة حراً . وابن منظور ينقل عن السهيلي كثيراً في اللسان .

أولى ، وقائله أعلى . وقال يعقوب : عَمِيَ الظبي : يتحيرُ بصره في الظهيرة من شدة الحر . قال ابن قُتَيْبَةَ : وكانت جَفَنَتَهُ يأكل منها الراكبُ على البعير ، وسقط فيها صبي ، ففرق أي : مات . وكان أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ قبل أن يمدحه قد أتى بني الديَّان من بني الحرث بن كعب ، فرأى طَعَامَ بني عبد المَدَّانِ منهم لُبَّابُ الْبَرِّ والشَّهْدَ والسَّمْنَ ، وكان ابنُ جُدْعَانَ يُطْعِمُ التَّمَرَ والسَّوْبِقَ وَيَسْقَى اللَّبَنَ ، فقال أُمِيَّة :

ولقد رأيتُ الفاعِلِينَ وفَعَلَهُمْ فرأيتُ أكرمهم بني الديَّانِ
الْبُرُّ يُبَلِّبُكَ بالشَّهَادِ طَعَامُهُمْ لا ما يُعَلِّلُنَا بُنُو جُدْعَانَ (١)

(١) السويق : طعام يتخذ من مدقوق البر والشعير سمي بهذا لانسياقه في الحلق ولباب البر : الخالص من الدقيق ، ومعنى يلبك : يخلط ، والشهاد جمع شهد ، وهو العسل ، وطعام الفرس هو : الفالوذج . وهو كما عرف في اللسان : لباب القمح بلعاب النحل . يعني : أنه مصنوع من الدقيق الخالص وعسل النحل ، وفي ذيل الأماي للقالى ، ورد بعد البيت الأول قوله :

ورأيت من عبد المدان خلأثقا فضل الانام بين عبد مدان
وكذلك في سمط اللالى للبكرى ، وشطرة البيت الأول في ذيل الأماي :
« ولقد رأيت القائلين وفعلهم » وفي السمط : « الباذلين » . ويقص أمية أنه دخل على عبد المدان بن الديان في نجران فأثنى بالفالوذج ، ثم يقول : فأكلت طعاما عجيبا ، ثم انصرفت ، وأنا أقول ، وذكر الآيات « انظر ص ٣٦٢ سمط اللالى للبكرى و ص ٣٨ من الأماي والنوادر لآني على القالى . وأمие ابن أبي الصلت اسمه : عبد الله بن أبي ربيعة ، ويكنى : أبا عثمان ، وهو شاعر جاهلي أدرك الإسلام ومات كافرا . هذا ويذكر أبو الفرج في مشير الغرام ، أن ابن جُدْعَانَ وفد على كسرى ، فأكل عنده الفالوذج ، فسأل عنه ، فقالوا : لباب البر مع العسل ، فقال : =

فبلغ شَعْرُهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُدْعَانَ ، فَأَرْسَلَ أُلْفَى بِعِيرٍ إِلَى الشَّامِ ، تَحْمِلُ إِلَيْهِ
الْبُرَّ وَالشَّهْدَ وَالسَّمْنَ ، وَجَعَلَ مُنَادِيًا يُنَادِي عَلَى الْكَعْبَةِ : أَلَا هَلْ بُثُوا إِلَى جَفْنَةِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ ، فَقَالَ أُمِيَّةٌ عِنْدَ ذَلِكَ :

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَلٌ وَآخَرُ فَوْقَ كَعْبَتِهَا يُنَادِي
إِلَى رُدْحٍ مِنَ الشَّيْزَى عَلَيْهَا لُبَابُ الْبُرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ (١)

وَكَانَ ابْنُ جُدْعَانَ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ صُغُلًا كَثِيرًا يَدِينُ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ
شَرِيرًا فَانْكَرَ ، لَا يَزَالُ يَنْجُو الْجَنَائِدَ ، فَيَعْقِلُ عَنْهُ أَبُوهُ وَقَوْمُهُ ، حَتَّى أَبْغَضَتْهُ
عَشِيرَتُهُ ، وَنَفَاهُ أَبُوهُ وَحَلَفَ : أَلَا يُؤْوِيهِ أَبَدًا لِمَا أَتَقَلَّهَ بِهِ مِنَ الْغُرْمِ ، وَحَمَلَهُ مِنْ

== ابغوفى غلاما يصنعه ، فأثوه بغلام فابتاعه ، فقدم به مكة ، وأمره فصنعه للحجاج
ووضع الموائد من الأبطح إلى المسجد ص ٥٠ ، القرى للجب الطبرى . وفى ذيل
الأمالى القالى أنه أرسل إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالوذج ص ٣٨ .

(١) اشعمل القوم فى الطلب : بادروا فيه ، وتفرأقوا ، والمشمعل : الناقة
الفضيطة ، والرجل الخفيف الطريف ، أو الطويل . والبيتان من قصيدة طويلة فى ديوانه
ص ١٩ وقبله :

وَأَبْيَضَ مِنْ بَنَى تَيْمَ بْنَ كَعْبٍ وَهُمْ كَالْمَشْرِفِيَّاتِ الْفَرَادِ
وَمِنْهَا جِزْءٌ فِي نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ٢٩٢ ، وفى ص ١٤٢ من الاشتقاق لابن دريد:
وَكَانَ ابْنُ جُدْعَانَ يَشْرِبُ الْخَمْرَ وَيَقُولُ :

شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى قَالَ قَوْمِي أَلَسْتُ عَنْ السَّقَاةِ بِمُسْتَفِيْقٍ
وَحَتَّى مَا أَوْسَدَ فِي كَمْبِيَّتِ أَيْتَ بِهِ سَوَى التَّرْبِ السَّحِيْقِ

ثُمَّ حَرَمَهَا عَلَى نَفْسِهِ . وَالرَّدْحُ : جَمْعُ رَدَاحٍ بِفَتْحٍ : الْجَفْنَةُ الْعَظِيمَةُ : وَالشَّيْزَى
أَوِ الشَّيْزُ : خَشَبٌ أَسْوَدُ تَصْنَعُ مِنْهُ الْجَفَنَانِ ، أَوْ هُوَ الْإِبْنُوسُ ، أَوْ خَشَبُ الْجُوزِ .

الدِّيَّات ، فخرج في شِعَابِ مَكَّةَ حَائِثاً بَائِثاً ، يَتَمَنَّى المَوْتَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، فَرَأَى شَقْمًا
 فِي جَبَلٍ ، فَظَنَّ فِيهِ حَيَّةً ، فَتَعَرَّضَ لِلشَّقِّ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَا يَقْتُلُهُ فَيَسْتَرْجِحُ ،
 فَلَمْ يَرَ شَيْئًا ، فَدَخَلَ فِيهِ ، فَإِذَا فِيهِ مُعْبَانٌ عَظِيمٌ لَهُ عَيْنَانِ تَقْدَانِ كَالسَّرَاجِينِ ،
 خَمَلَ عَلَيْهِ التَّعْبَانُ ، فَأَفْرَجَ لَهُ ، فَانْسَابَ عَنْهُ مُسْتَدِيرًا بِدَارَةٍ عِنْدَهَا بَيْتٌ ، نَفِطَا
 خُطْوَةً أُخْرَى ، فَصَفَّرَ بِهِ التَّعْبَانُ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ كَالسَّهْمِ ، فَأَفْرَجَ عَنْهُ ، فَانْسَابَ
 عَنْهُ قُدْمًا لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مَصْنُوعٌ ، فَأَمْسَكَ بِيَدِهِ ، فَإِذَا هُوَ
 مَصْنُوعٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعَيْنَاهُ يَاقُوتَتَانِ ، فَكَسَّرَهُ ، وَأَخَذَ عَيْنَيْهِ ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ ،
 فَإِذَا جُثَّتْ عَلَى سُرُرٍ طَوَالٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهُمْ طُولًا وَعَظْمًا ، وَعِنْدَ رِءُوسِهِمْ لَوْحٌ مِنْ
 فِضَّةٍ فِيهِ تَارِيخُهُمْ ، وَإِذَا هُمْ رِجَالٌ مِنْ مُلُوكِ جُرُومٍ ، وَآخِرُهُمْ مَوْتًا : الْحَرِثُ بْنُ
 مُضَاضٍ صَاحِبُ الْعَرَبَةِ الطَّوِيلَةِ ، وَإِذَا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ لَا يُمَسُّ مِنْهَا شَيْءٌ ،
 إِلَّا انْتَثَرُ كَالْهَبَاءِ مِنْ طَوْلِ الزَّمَنِ ، وَشِعْرٌ مَكْتُوبٌ فِي اللُّوحِ فِيهِ عِظَاتٌ ، آخِرُ
 بَيْتٍ مِنْهُ :

صَاحَ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَّاجَ رَدٍّ فِي الضَّرْعِ مَاقَرَمَى فِي الْجَلَّابِ

وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَانَ اللُّوحُ مِنْ رُخَامٍ ، وَكَانَ فِيهِ : أَنَا نُفَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ
 ابْنِ خَشْرَمَ بْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ جُرُومِ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ هُودِ نَبِيِّ اللَّهِ ، عَشْتُ خَمْسِمِائَةَ
 عَامٍ ، وَقَطَعْتُ غَوْرَ الْأَرْضِ بَاطِنَهَا وَظَاهِرَهَا فِي طَلَبِ الثَّرْوَةِ وَالْجَدِّ وَالْمَلِكِ ،
 فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يَنْجِيْنِي مِنَ الْمَوْتِ ، وَتَحْتَهُ مَكْتُوبٌ :

قَدْ قَطَعْتُ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ الثَّرْوَةِ وَالْجَدِّ قَالَصُ الْأَنْوَابِ
 وَسَرَيْتُ الْبِلَادَ قَفْرًا لِقَفْرِ بَقْنَاتِي وَقُوَّتِي وَاكْنَسَابِي

فأصاب الرّدى بنات فؤادى بسهام من المنيا صياب
فانقضت شرّتى ، وأقصّر جهلى واستراحت عواذلى من عتابى
ودفعت السفاه بالحلم لما نزل الشّيب فى محلّ الشباب
صالح هل ريت أو سمعت براع ردّ فى الضرع ماقرى فى الحلاب^(١)

وإذا فى وسط البيت كرمٌ عظيمٌ من الياقوتِ واللؤلؤ والذهب والفضة
والزبرجدِ ، فأخذ منه مأخذ ، ثم علّم على الشقّ بعلامةٍ ، وأغلق بابه بالحجارة
وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ، ووصل عشيرته
كلّهم ، فسأدهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ، ويقفل المعروف .
ذكر حديث كنز ابن جُدعان موصولاً بحديث الحرث بن مُضاض : ابنُ هشام
فى غير هذا الكتاب ، ووقع أيضاً فى كتاب رِئى العاطش ، وأنس الواحش
لأحمد بن عمار^(٢) .

وابن جُدعان ممن حرّم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مُغرّى بها ، وذلك

- (١) القائل من الشّباب : المشمّر القصير . وبنات الفؤاد : طوائفه ، وهى
فى الأصل : نبات ، والمنيا : جمع منية : الموت . وصياب : جمع صائب ، كصاحب
وصحاب . شرّة الشباب : حرصه ونشاطه . والسفاه بفتح السين : خفة الحلم
ونقيضه ، أو الجهل ، وبكسر السين : جمع سفيه ، والحلاب : الإماء يحلب فيه .
وقرا : جمع ، وفى اللسان : ويروى العلاب مكان الحلاب . وریت : يعنى : رأيت ،
وهى فى الروض : رأيت ، والتصويب من اللسان ، ثم لأنها تحل بنظام الوزن .
(٢) لا ريب فى أنها أسطورة لا يحنو عليها قلب ولا عقل . يجوز أن يقال
لأنه عثر على كنز دفين . ولكن فى غير ما صورت الأسطورة .

أنه سكر ، فتناول القمر ليأخذه ، فأخبر بذلك حين صحا ، فحلف : لا يشر بها أبدا ، ولما كبر وهزم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبديد ماله ، ولاموه في العطاء ، فكان يدعو الرجل ، فإذا دنا منه ، لطمه لطمَةً خفيفة ، ثم يقول له : قم فانشد لطمتك ، واطلب ديتها ، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جُدعان حتى يرضى ، وهو جدُّ عُبَيْدِ اللَّهِ بن أَبِي مُلَيْكَةَ الفقيه . والذي وقع في هذا الحديث من ذكر نُفَيْلَةَ ، أحسبه : نفيلة بالنون والفاء ، لأن بنى نُفَيْلَةَ كانوا ملوك الحيرة ، وهم من غَسَّان ، لا من جُرْهُم ، والله أعلم .

موقف الإسلام من الحلف :

فصل : وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة ، وقوله : لأخذن سيفي ، ثم لأدعون بحلف الفضول إلى آخر القصة ، وفيه من الفقه : تخصيص أهل هذا الحلف بالدعوة وإظهار التعصب ، إذا خافوا ضيًّا ، وإن كان الإسلام قد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم : يا فلان عند التحزب والتعصب ، وقد سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم المُرَيْسِيع (١) رجلا يقول : يا لئسها جرين ! وقال آخر : يا للأنصار ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ وقال - صلى الله عليه وسلم - : من ادَّعى بدَّعوى الجاهلية ، فأعضوه بهن أبيه ولا تَكْنُوا (٢) ، ونادى رجل بالبصرة : يا عامر ! فجاءه النابغة الجعدي بمصبة له ،

(١) مصغر مرسوع : بئر وماء لحزاعة من ناحية قديد إلى الساحل ، وإليه تضاف غزوة بني المصطلق ، وتزوى بالغين ، وقد وقعت سنة ست من الهجرة .

(٢) أى قولوا له : اعضض . . . أليك ، ولا تكنوا عنه بالهسن ، وقد وضعت نقطة بعد اعضض ، وسيلح القارئ الاسم المقصود . والحديث : رواه أحمد والنسائي =

(٦ م - الروض الأثف ج ٢)

فضر به أبو موسى الأشعري — رضى الله عنه — خمسين جلدَةً ، وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوةً ، ولا يُقال إلا كما قال عمر رضى الله عنه : يا لله يا للمسلمين ؛ لأنهم كلهم حزبٌ واحد ، وإخوة في الدين إلا ما خصَّ الشرعُ به أهلَ حلفِ الفضولِ ، والأصلُ في تخصيصه قوله — صلى الله عليه وسلم — ولودُعيت به اليوم لأُجبتُ^(١) يريد : لو قال قاتل من المظلومين : يا حلفِ الفضولِ لأُجبتُ ، وذلك أن الإسلام إنما جاء بإقامة الحقِّ ونُصرةِ المظلومين ، فلم يزدْ به هذا الحلفُ إلا قوَّةً ، وقوله عليه السلام : « وما كان من حلفٍ في الجاهليَّةِ ، فلن يزيده الإسلامُ إلا شدَّةً » ليس معناه : أن يقول الحليف : يا فلانٍ لحفائيهِ ، فيجيبوه ، بل الشدَّة التي عنى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إنما هي راجعةٌ إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف ، وأما دَعْوَى الجاهلية ، فقد رفعها الإسلامُ إلا ما كان من حلفِ الفضول كما قدمنا ، فحُكِّمَ باق ، والدعوةُ به جائزةٌ ، وقد ذهبت طائفةٌ من الفقهاء إلى أن الحليفَ يَعْقِلُ مع العاقلة إذا وَجِبَتْ

== وابن حبان عن أبي بن كعب . ورغم هذا أوفى أنه لا يجوز أن ينسب إلى أدب الرسول ذى الخلق العظيم مثل هذا الكلام الذى فيه نكت الأوشاب .

(١) سبق الرأى فى هذا الحديث ، وهو أوهم من بيت العنكبوت ، فكيف يقيم السهيلي على مثله حكماً دينياً يستهدف تقويم استغاثة شركية ، وحمة جاهلية ؟ وإن افترضنا أنه حديث صحيح ، فإننا نستطيع أن نفهم فيه معنى آخر يستقيم وهدى القرآن ، وهو أنه . لو دعى إلى تنفيذ ما دعا إليه من نصرة المظلوم لأجاب ، ولكن لا باسم حلف ، وإنما باسم الله ، لأن هذا من دينه ، والمسلمون أمة واحدة ، وحزب واحد هو : حزب الله المفلح الغالب .

الدِّيةُ لقوله - صلى الله عليه وسلم - وما كان من حِلْفٍ في الجاهلية ، فلم يَرِدْهُ
الإسلام إلا شِدَّةً ، ولقوله أيضاً للذي حَبَسَهُ في المسجد : إنما حبستك بِمَجْرِيَةِ
حُلْفَاكَ .

عن أوْرود عبد مناف :

فصل : وذكر بنى عبد مناف الأربعة ، وقد كان له ولدٌ خامسٌ ،
وهو أبو عمرو ، واسمه : عُبَيْدٌ ، دَرَجٌ (١) ، ولا عَقِبَ له ، ذكره البرقي والزبير ،
وكذلك ذكر البرقي أن قُصَيًّا كان مَتَّى ابنه عبد قُصَيٍّ ، وقال : سميتُه بنفسى
وسميت الآخرَ بدارِ الكعبةِ ، يعنى : عبد الدار ، ثم إن الناسَ حَوَّلُوا اسمَ
عبدِ قُصَيٍّ ، فقالوا : عبد بن قُصَيٍّ ، وقال الزبير أيضاً : كان اسمُ عبدِ الدارِ
عبدَ الرحمن (٢) .

(١) مضى ولم يخلف نسلاً . وفي طبقات ابن سعد : أن أولاد عبد مناف كانوا
سنة نفر وست لسوة . وفي نسب قريش ص ١٥ . يقول عن أبي عمرو إنه
انقرض إلا من بنت يقال لهما : تماضر ، ولدت لأبى همهمة بن عبد العزى .
(٢) في القرآن الكريم قوله سبحانه : « وإذا قيل لهم : اسجدوا للرحمن .
قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ، وزادهم نفورا ، الفرقان : ٦٠ ، وفي
كتاب الصلح في غزوة الحديبية دعا - صلى الله عليه وسلم - بالسكائب ، فقال :
اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : وما الرحمن ، فوالله
ما أدرى ما هي ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، وهذا جزء
من حديث رواه البخارى وأبو داود عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة
ومروان ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، وهذا كله يوحى بأن اسم
الرحمن كان غير معروف عندهم .

وذكر هاشما وما صنع في أمر الرِّفَادَةِ (١) وإطعام الحَجِيجِ، وأنه سُمِّيَ هَاشِمًا لِهَشْمِهِ الثَّرِيدَ لقومه، والمعروفُ في اللغة أن يقال: ثَرَدْتُ الخبزَ، فهو ثَرِيدٌ وَمَثْرُودٌ، فلم يُسَمَّ: ثَارِدًا، وسمى هَاشِمًا، وكان القياسُ — كما لا يُسمَّى الثَرِيدُ هَاشِمًا، بل يقالُ فيه: — ثَرِيدٌ وَمَثْرُودٌ — أن يقال في اسمِ الفاعل أيضًا كذلك، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان. ذكر أصحاب الأخبار أن هاشما كان يستعين على إطعام الحاجِّ قُرَيْشٍ، فَيَرْدُونَهُ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيُعِينُونَهُ، ثم جاءت أزمَةٌ شديدةٌ فكَرِهَ أن يُكَلِّفَ قُرَيْشًا أَمْرَ الرِّفَادَةِ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمعَ كَعْكًا ودقيقًا، ثم أتى الموسمَ فَهَشَّمَ ذلك الكَعْكَ كُلَّهُ هَشْمًا، ودَقَّه دَقًّا، ثم صنع للحجاج طعامًا شبه الثَرِيدَ، فبذلك سُمِّيَ هَاشِمًا، لأن الكَعْكَ اليابس لا يُثَرَّدُ، وإنما يُهَشَّمُ هَشْمًا، فبذلك مُدِحٌ، حتى قال شاعرُهُمْ فيه، وهو عبد الله بن الزُّبَيْرِ:

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَقَفَّتْ فَاُمُحٌ خَالِصُهُ اِعْيَدَ مَنَافِ
الْخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بَغْفِيَهُمْ وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْأَضْيَافِ
وَالرَّائِثِينَ وَابْنَ يَوْجَدٍ رَائِشٌ وَالْقَائِلِينَ: هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
عَمَرُوا الْعُلَا هَشَّمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمٍ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافٍ (٢)

(١) الرِّفَادَةُ: شيءٌ كانت تترافد به قريش في الجاهلية، تخرج فيما بينها مالا تشتري به للحجاج طعاما وزيبيا.

(٢) نسبها اللسان والمرضى في أماليه ١٧٨/٤ لمطروود بن كعب الخزاعي في رثاء عبد المطلب، ونسبها العيني ١٤٠/٤، وابن أبي الحديد ٥٣/٣ كما نسبها السهيلي إلى عبد الله بن الزُبَيْرِ، ولها في أمالي القلي قصة تزعم أن رسول الله هو =

.

==وأبا بكر كانا عند بني شيبه، فرهبما رجل، وهو يقول :
 يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَحْمُولُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ
 هَبْلَتْنِكَ أَمَكَ لَوْ نَزَلْتَ بِرَحْلِهِمْ مَنَعُوكَ مِنْ عَدْنٍ وَمِنْ إِقْتَارِ
 وَتَزَعَمُ الْقِصَّةُ أَنَّ الرَّسُولَ دَخَلَ، نَظَرَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ : أَهَكَذَا قَالَ الشَّاعِرُ :
 قَالَ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَكِنَّهُ قَالَ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَحْمُولُ رَحْلُهُ أَلَا نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ مَنَافٍ
 وَهِيَ قِصَّةٌ مَصْنُوعَةٌ. وَالْأَيَّاتُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى بَعْدَ الْبَيْتِ السَّابِقِ :
 هَبْلَتْنِكَ أُمُّكَ لَوْ نَزَلْتَ عَلَيْهِمْ ضَمْنُوكَ مِنْ جُجُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ
 الْآخِذُونَ الْعَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا وَالرَّاحِلُونَ لِرَحْلَةِ الْإِيْلَافِ
 وَالْمَطْعَمُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ
 وَفِي هَذَا الْبَيْتِ إِقْرَافٌ ، لِأَنَّ الْقَافِيَةَ مَكْسُورَةٌ ، وَلَكِنَّهَا فِيهِ مَرْفُوعَةٌ . وَقَدْ
 وَرَدَتْ لَهُ رَوَايَةٌ أُخْرَى كَمَا فِي الرَّوْضِ ، وَبَعْدَ هَذَا فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى :

وَالْمُفَضِّلُونَ إِذَا الْمَحْمُولُ تَرَادَفَتْ وَالْقَائِلُونَ : هَلُمَّ لِلْأَصْيَافِ
 وَالْخَالِطُونَ غَنِيهِمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
 وَفِي أَمَالِي الْقَالِي : مَنَعُوكَ مِنْ عَدْنٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ ، وَهُوَ فِي اللِّسَانِ كَمَا فِي
 أَمَالِي الْمُرْتَضَى . وَفِي اللِّسَانِ أَيْضًا :

وَالْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْإِيْلَافِ
 وَالْمَطْعَمُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ
 وَفِي الصَّحَاحِ رَوَيْتُ الشُّطْرَةَ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْبَيْتِ : «الْمَطْعَمُونَ اللَّحْمَ كُلَّ عَشِيَةٍ»
 وَفِي غَيْرِهِ : « وَيَكْلَلُونَ جَفَانَهُمْ بِسَدِّ يَفْهَمُ » . ثُمَّ نَسَبَ الْمُرْتَضَى إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِيِّ :
 عَمَرُوا الْعِلَافَ هَشْمَ الثَّرِيدِ اقْصَوْهُ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ
 وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرِّحِيلَ لِقَوْمِهِ رَحَلَ الشِّتَاءِ وَرَحْلَةُ الْأَصْيَافِ
 وَفِي الرَّوْضِ : « فَالْمَخْ خَالِصُهُ ، بِالْخَاءِ ، وَالرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ «فَالْمَخُ» بِالْهَاءِ أَمَّا =

وكان سبب مدح ابن الزبير بهذه الأبيات ، وهو سمي^(١) البنى
عبد مناف - فيما ذكره ابن إسحق في رواية يونس - أنه كان قد هجأ قصيا
بشعر كتبه في أستار الكعبة ، أوله :

== خالصة فرويت : خالصة ، وخالصة بالتاء . والمع أو المحة : صفرة البيض . وقال
ابن سيدة : إنما يريدون فص البيضة . وقال ابن بري : من قال : خالصة بالتاء ،
فهو في الأصل مصدر كالعافية . ومسننون : أصابتهم سنة مجدبة . وفي سبط
اللكل للبكري : «والعرب تقول هو بيضة البلد» يمدحونه بذلك ، وتقول للآخر :
هو بيضة البلد يذمونه به ، فالممدوح يراد به : البيضة التي تحتضنها الظلم ، «ذكر النعام»
ويصونها ويوقها ؛ لأن فيها فرخه . والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء ، المذرة
التي لاحاط لها ، ولا يدرى لها أب ، وهي تربة الظلم . قال الرماني : إذا كانت
النسبة إلى مثل المدينة والبصرة ، فبيضة البلد مدح ، وإن نسبت إلى البلاد التي
أهلها أهل ضعة في بيضة البلد ذم ، ص ٥٤٩ ، والرجاف : البحر ، أو يوم القيامة ،
وفي أمالي القالي زيادة :

منهم على والنبي محمد القائلان : هلم للاضياف

وأعتقد أنها زيادة شيعية . وقد قال البكري : «وهذا بيت محدث ذكر أبو نصر
أن جده صالحاً أباً غالباً لحقه به» وأبو نصر هو : هارون بن موسى بن صالح تليد
القالي ، وأحد الذين استملوا النوادر عليه ، وستأتي القصيدة في السيرة .

انظر مادة رجف في اللسان ، وص ٥٤١ ج ١ وما بعدها سبط اللكل للبكري ،
بتعليق المحقق الميمنى ، و ص ٢٤١ ج ١ الأمالي للقالي ، والتنبيه للبكري ، ص ١٧٨
ج ٤ أمالي المرتضى . وفي الروض : لرحلة الأضياف ، ولعلمها الأضياف . وفيه
أيضا : عمرو الغلاء ، بالغين ، وهو خطأ صوابه : الملاص ٧٥ ، وهناك رواية :
«عمرو الندى ، كما في الطبرى .

(١) لأنه ابن الزبير بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم .

ألهى قصيًّا عن الحدِّ الأساطيرُ ومِشِيَّةٌ مثل ما تَمْشِي الشَّقَارِيرُ^(١)

فاستعدوا عليه بنى سهم ، فأسلموه إليهم ، فضربوه وحلقوا شعره ، وربطوه إلى صخرة بالحجون^(٢) ، فاستنفاث قومه فلم يُغيثوه ، فجعل يمدح قصيًّا ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد منافٍ منهم ، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر ، وبأشعار كثيرة ، ذكرها ابن إسحق في رواية يونس .

عبد المطلب وابن زى يزى :

فصل : وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له عبد المطلب بن هاشم ، ومن أجل هذه الولادة قال سيف بن ذي يزن

(١) وجدت في اللسان : ه شقر بضم الشىء وفتحها ، مع فتح القاف : الديك ويقال : إن الناس أصبحوا يوما بمكة ، وعلى باب الندوة مكتوب :

ألهى قصيا عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير
وأكلها اللحم بحثا لا خليط له وقولها : رحلت عير ، أنت عير

فأنكر الناس ذلك . وقالوا : ما قالها إلا ابن الزبعرى ، وأجمع على ذلك رأيهم ، فمشوا إلى بنى سهم - وكان مما تنكر قريش وتعاب عليه أن يهجو بعضها بعضا - فقالوا لبنى سهم . . . ثم تمضى القصة كما رواها السهيلي ، إلى قوله : فربطوه إلى صخرة بالحجون . النظر ص ١٧٩ وما بعدها ج ؛ أمالى المرتضى تعليق الشنقيطى ط ١٣٢٥ هـ . وللسفاسير معان عدة فهي : جمع سفسير بكسر السين الأولى والآخرة وسكون الفاء . وهو التابع أو الذى يقوم على الناقة ، أو الإبل ليصلح من شأنها ، والمبقرى والحاذق بصناعته والقهرمان ، والسمسار ، وهذه هي المقصودة هنا .

(٢) في الأصل : المحجول وهو خطأ .

أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن^(١) لعبد المطلب حين وفد عليه ركب من قريش : مَرَحَبًا بابن أَخْتِنَا ، لَأَن سَلَمَى مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ سِبَا ، وَسَيْفٌ مِنْ جُمَيْرِ بْنِ سِبَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَرَحَبًا وَأَهْلًا ، وَنَاقَةً وَرَحْلًا ، وَمَلِكًا سَبَحَلًا ، يُعْطَى عَطَاءً جَزَلًا^(٢) . ثُمَّ بَشَّرَهُ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : مِثْلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ سِرٌّ وَبَرٌّ ، ثُمَّ أَجْزَلَ الْمَلِكُ حَبَاءَهُ ، وَقَضَّاهُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَانْصَرَفَ مَغْبُوطًا عَلَى مَا أَعْطَاهُ الْمَلِكُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّمَا بَشَّرَنِي بِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ مَا أَعْطَانِي . فِي خَبَرٍ فِيهِ طَوْل .

نَسَبُ أَهْمَجَةٍ :

وذكر نسب أحيحة بن الجلاح بن الحارث بن جحجج^(٤) ،

(١) في الطبري عن سيفان بن معد يكرب : من الناس من يقول : إنه سيف بن ذى يزن . ص ١٥٣ ج ٢ .

(٢) نسب القائل في أماليه هذا إلى عبد المطلب ، وهو خطأ صوبه البكري في التنبيه ص ١١٤ . فهو - كما ذكر السهيلي - قول سيف لعبد المطلب وسجل : بكسر ففتح فسكون ، أو سبجل مثل : سفرجل ، وسجل بفتح السين وإسكان الحاء المتقدمة على الباء : الضخم . وروى ملكا رجلا - بكسر الراء وفتح الباء وسكون الحاء ، وهي مثل : سبجل في المعنى . والرجلة : العظيمة الجيدة الخلق - بفتح الحاء - في طول . ويريد هنا : ملكا عظيما . وبعد د جزلا ، قول سيف : قد سمعنا مقاتلتكم ، وعرفنا قرابتكم ، فلکم الکرامة ما أقمتم ، والحباء إذا رجعتكم ، انظر ج ٢ ص ٢١٨ الأماط ٢ والتنبيه للبكري ص ١١٤ .

(٣) هذا من الغلو الذي لا يحتاج إليه مقام النبي ، الذي لم يكن يعرف هو د ص ، ولا أحد من أهله أنه هو النبي المبشر به في كتب أهل الكتاب .

(٤) في الروض : جحجج ، والتصوب من كتب النسب .

وقال ابن هشام : هو الحَرِيسُ يعنى . بالسَّينِ الْمُهْمَلَةِ - وقال الدَّارُ قُطَيْبٍ عن الزبير بن أبى بكر : أن كلَّ ما فى الأنصارِ فهو : حَرِيسٌ بالسَّينِ غير مُعْجَمَةٍ إلا هذا ، ووجدت فى حاشية كتاب أبى بحر - رحمه الله - صوابَ هذا الاسم يعنى فى نسب أُحِيحَةَ بن الجُلاحِ بن الحَرِيشِ بالشَّينِ المعجمة على لفظ الحَرِيشِ ابن كَعْبِ البَطْنِ الذى فى عامر بن صَمْعَصَمَةَ (١)

فصل : وأنشد لطرود بن كعب :

يَا لَيْلَةً هَيَّجَتْ لَيْلَاتِي إِحْدَى لَيْلَى الْقَسِيَّاتِ

أى : أنت إحدى ليلَى الْقَسِيَّاتِ . فَعِمِلَاتٌ مِنَ الْقَسَوَةِ ، أَى : لَالِينَ عِنْدَهُنَّ ، وَلَارَافَةٌ فِيهِنَّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُنَّ مِنَ الدَّرَمِ الْقَسَى ، وَهُوَ الزَّائِفُ ، وَقَدْ قِيلَ فِي الدَّرَمِ الْقَسَى : إِنَّهُ أَعْجَمِيٌّ مُعَرَّبٌ ، وَقِيلَ : هُوَ مِنَ الْقَسَاوَةِ لِأَنَّ الدَّرَمَ الطَّيِّبَ أَلْيَنُ مِنَ الزَّائِفِ (٢) ، وَالزَّائِفُ أَضْلَبُ مِنْهُ . وَنُصِبَ لَيْلَةً عَلَى التَّمْيِيزِ كَذَلِكَ ، قَالَ سِبْيَوْنِيَّةٌ فِي قَوْلِ الصَّلْتَانِ (٣) الْعَبْدَى .

(١) فى الاشتقاق : الحَرِيشُ بالشَّينِ بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَمْعَصَمَةَ .
(٢) فى اللسان : عام قسى - بفتح فكسر مع تضعيف الياء - شديد ذو قحط لا مطر فيه ، وعشية قسية : باردة . والقسية : الشديدة ، ويوم قسى مثقال شق : شديد من حرب أو شر . ودرهم قسى : جمع قسيان مثل صبي : وقيل درهم قسى : ضرب من الزيف ، أى فضة صلبة رديئة ليست بليثة ، وكل هذا يؤكد أنه استعمال عربى .

(٣) الصلطان : لقب ، وأصل الصلطان : النشيط الحديد الفؤاد من الخيل ، أو المضاء فى الأمور ، وهو : قثم بن خيثمة - كما نقل ابن قتيبة - أو خيبة ، وقال الأمدى عن أبى =

أيا شاعرا لا شاعرا اليوم مثله

==عبدة : قُتْمَ بْنَ خُشَيْمٍ ، وهو أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْزِ
ابن أفضس بن عبد القيس . والبيت من قصيدة أوردها المبرد في كتابه الاعتان ،
والقال في أماليه ، وابن قتبية في كتاب الشعراء ، وتتمه البيت :

جرير ، ولكن في كليب تواضع

وقد نظم الصلتان هذه القصيدة - وعدتها ثلاثة وعشرون - حينما جعلوا إليه
الحكم بين الفرزدق وجرير ، أيهما أشعر ، وأولها :

أنا الصَّلْتَانِي الَّذِي قَدْ عَلِمْتُ مَتَى مَا يَحْكُمُ فَهُوَ بِالْحَقِّ صَادِعٌ
وفي الأمالي : وفيها شاعرا لا شاعرا اليوم مثله ، ص ١٤٢ ج ٢ الأمالي
ومن القصيدة :

أرى الخنطفتي بذ الفرزدق شعره ولكن خيرا من كليب مجاشع
فيا شاعرا لا شاعرا اليوم مثله جرير . ولكن في كليب تواضع
فرضى الفرزدق حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة ،
من لامروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير ، ففضب من المنزلة التي
أنزله إياها فهجاه . والبيت المذكور في اللسان ص ٢٠٨ ج ٢ ، وانظر ص ٢٩ ج ٢
خزانة الأدب ط دار العصور ، وإليك بعض ما قيل فيه : قال الأعلام الشاهد فيه
على مذهب الخليل وسيبويه : نصب شاعرا بإضمار فعل على معنى الاختصاص
والتعجب ، والمنادى محذوف ، والمعنى : يا هؤلاء أو يا قوم ، عليكم شاعرا ، أو
حسبكم به شاعرا ، وقال النحاس : كأنه قال : يا قائل الشعر عليك شاعرا ، وإنما
امتنع عنده أن يكون منادى ، لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعر بالحضرة ، وهو
إنما قصد شاعرا بعينه ، وهو جرير ، وكان ينبغي أن يبينه على الضم على ما يجرى
عليه الخصوص بالنداء . أما أحمد بن يحيى ، فذكر أن شاعرا منصوب بالنداء
وفيه معنى التعجب ، وقال : إن العرب تنادى بالمدح والذم ، وتنصب بالنداء ،
فيقولون : يا فلان مثله ، وكذلك يا طيبتك من لياقة ، وكذلك شاعرا ، وفي —

وذلك أن في الكلام معنى التعجب .

وقوله : وَمَيِّتَ بَغَزَاتٍ . هي : غَزَّةٌ ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل رَبَضٍ ^(١) من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غَزَاتٌ في غَزَّةٍ ، ويقولون في بغداد : بَغَادِينَ ، كما قال بعضُ المُحَدِّثِينَ :

شَرِبْنَا فِي بَغَادِينَ عَلَى تِلْكَ التِّيَادِينَ

ولهذا نظائر ستمر في الكتاب - إن شاء الله - ومن هذا الباب :
حكمهم للبعضِ بِحُكْمِ الْكُلِّ ، كما سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ ، نحو قولهم : شَرِقتُ صَدْرُ

= الخزانة أيضا : أن المنادى محذوف ، وأن شاعرا ليس بمنادى ، لأنه مقصود إلى واحد بعينه ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : يا هذا حسبك به شاعرا على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ، ويشبه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيدا ، ويجوز أن يكون حسبك به على شريطة التفسير ، وبه في موضع اسم مرفوع لا بد منه ، ويجوز أن يكون الهاء للشاعر الذي جرى ذكره ، ثم وكده بقوله : جرير ، أي : هو جرير . وتقدير الخليل ويولس : يا قائل الشعر ، على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال : يا شعراء عليكم شاعرا لا شاعر اليوم مثله ، أي حسبكم به شاعرا ، فهذا ظاهر كلام سيديويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر المذكور ، وينتصب شاعرا على الحال ، ولا شاعر اليوم في موضع النعت ، واحتاج إلى إظهار قائل الشعر ونحوه ، حتى يكون المنادى معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر في حال ما هو شاعر لا شاعر مثله .

(١) ربض المدينة : ماحولها . وفي الروض دميث بغزات ، ولكن في السيرة دميث بين غزات ، .

القناة من الدَّم ، وذهبت بعض أصابعه (١) ، وتواضعت سورُ المدينة . وقد تركبت على هذا الأصلِ مسألةٌ من الفقه : قال الفقهاء ، أو أكثرهم : مَنْ حلف ألا يأكلَ هذا الرغيف ، فأكلَ بعضه ، فقد حنثَ ، فحكوا للبعضِ بحكم الكل ، وأطلقوا عليه اسمه . وفيه :

إن المُغِيرَاتِ وأبناءها مِنْ خيرِ أحياءِ وأمواتِ (٢)
فالمُغِيرَاتُ : بنو المغيرة ، وهو عبد مناف ، كما قالوا : المناذرة في بنى المُنْذِرِ ،
والأشْعَرُونَ في بنى أشعر بن أدد ، كما قال عليُّ بن عبد الله بن عباس في ابن الزبير :
أثرَ عليٍّ الحميدَاتِ والثَّوْبَاتِ والأَسَامَاتِ ، يعني : بنى حميد ، وبنى ثَوَيْتَ ،
وبنى أسامة ، وهم من بنى أسد بن عبد العزى (٣) .

(١) يقول الأعشى :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم
وأصل الصدر مذكر ، وأنث هنا ، إما لأنه أراد القناة ، أو لأن صدر القناة
قناة ، أو لأن صدر القناة منها كقولهم : ذهبت بعض أصابعه ، لأنهم يوثنون الاسم
المضاف إلى المؤنث ، واللسان ، ونص تعبير سيبويه في الكتاب : « وربما قالوا في
بعض الكلام : ذهبت بعض أصابعه ، وإنما أنث البعض ، لأنه أضافه إلى
مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يوثنه : لأنه لو قال : ذهبت عبد أمك لم
يحسن ، ثم استشهد بببيت الأعشى ، ثم قال : « لأن صدر القناة من مؤنث ، ومثله
قول جرير : « في ص ٢٥ ج ١ من كتاب سيبويه ،

إذا بعض السنين تعرقنا كفى الإيتام فقد أبى اليتيم
(٢) في الروض : « وأبناؤها ، والصواب ما أثبتته من السيرة .

(٣) حميد بن أسامة بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي
وثَوَيْت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأسامة بن زهير بن الحارث =

وكان اسمُ عبد مناف : المَغِيرَة ، وكان أوَّلَ بني عبد مناف هُلكاً :
هاشمٌ ، بِغَزَّةَ من أرض الشام ، ثم عبدُ شمس بمكة ، ثم المطلب برَدْمان من
أرض اليمن ، ثم نَوْفلاً بِسَلْمان من ناحية العراق .

فقيل لمطروود - فيما يزعمون - : لقد قلتَ فأحسنْتَ ، ولو كان أغفل مما
قلتَ كان أحسن ، فقال : أنظِرني ليالي ، فكثَّ أياما ، ثم قال :

يا عين جُودِي ، وأذري الدمع وانهمري	وابكي على السرِّ من كعبِ المَغِيراتِ
يا عين ، واسحِظِّي الدمع واحتفلي	وابكي خبيثَةَ نفسِي في المَلِماتِ
وابكي على كلِّ فَيَاضٍ أخى ثِقَةٍ	ضَخَمَ الدَّاسِيَةَ وهَابَ الجَزِيلاتِ
تَحْضِ الصَّرِيبةَ ، على الهَمِّ ، مُخْتَلَقِ	جَلَدِ النَّحِيْزَةِ ، ناءٍ بالعظِماتِ
صَغَبَ البديهة لا نِكْسَ ولا وَكَلَّ	ماضِي العَزِيمةَ ، مِتْلَافِ الكَرِيَماتِ
صَقَرٍ تَوَسَّطَ من كَعْبٍ إذا نُسِبوا	بُجْبُوحَةَ المَجْدِ والشَّمِّ الرَفِيعاتِ
ثم اندبى الفَيْضَ والفَيَاضَ مُطَلِّبا	واستَخْرَطى بعدَ فَيَضاتٍ بِجَمَّاتِ

وفيه « شرقى البَنِيَّاتِ » يعنى : البَنِيَّةُ ، وهى : الكعبة ، وهو نحو مما
تقدم فى غَزَّاتِ .

== بن أسد بن عبد العزى بن قصى . والاشعرون فى اللسان : نسبة إلى أشعر بن
يشجب بن يعرب بن قحطان ، وتقول العرب : جاء بك الاشعرون بحذف
ياء النسب .

أَمْسَى بَرْدُ مَآنَ عَنَّا الْيَوْمَ مُفْتَرِبَا
 وَابْكِي - لَكَ الْوَيْلُ - إِمَّا كُنْتُ بَاكِية
 وَهَاشِمٌ فِي ضَرْيَحٍ وَسَطَ بَلَقَعَةٍ
 وَنُوفَلٌ كَانَ دُونَ الْقَوْمِ خَالِصَتِي
 لَمْ أَلْقَ مِثْلَهُمْ عُجْمًا وَلَا عَرَبًا
 أَمْسَتْ دِيَارُهُمْ مِنْهُمْ مُعْطَلَةٌ
 أَنْفَاهُمْ الدَّهْرُ ، أَمْ كَلَّتْ سَيُوفُهُمْ
 أَصْبَحْتُ أَرْضِي مِنَ الْأَقْوَامِ بَعْدَهُمْ
 يَا عَيْنُ فَاكِبِي أَبَا الشُّعْثِ الشَّجِيَّاتِ
 يَبْكِينَ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشَى عَلَى قَدَمٍ
 يَبْكِينَ شَخْصًا طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ
 يَبْكِينَ عَمْرًا وَالْعَلَا إِذَا حَانَ مَضْرَعُهُ
 يَبْكِينَ مُسْتَكِينَاتٍ عَلَى حَزَنٍ
 يَبْكِينَ لَمَّا جَلَاهُنَّ الزَّمَانُ لَهُ
 مُحْتَزِمَاتٍ عَلَى أَوْسَاطِهِنَّ لِمَا
 أَبَيْتُ لَيْلِي أُرَاعِي النَّجْمَ مِنَ الْمِ
 مَا فِي الْقُرُومِ لِهَمٍّ عَدَلٌ وَلَا خَطَرٌ
 أَبْنَاؤُهُمْ خَيْرُ أَبْنَاءِ ، وَأَنْفُسُهُمْ
 كَمْ وَهَبُوا مِنْ طَيْرٍ سَابِحٍ أَرْنِ

يَا هَلْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْوَاتٍ
 لَعَبْدُ شَمْسٍ بِشَرْقِ الْبَنِيَّاتِ
 تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَاتٍ
 أَمْسَى بَسَلْمَانٍ فِي رَمْسٍ بِمَوَاةٍ
 إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ أَذْمُ الْمَطِيَّاتِ
 وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْنًا فِي السَّرِيَّاتِ
 أَمْ كُلُّ مَنْ عَاشَ أَزْوَادُ الْأَمْنِيَّاتِ
 بَسَطَ الْوَجُوهَ وَالْقَاءَ التَّحِيَّاتِ
 يَبْكِيهِ حُسْرًا مِثْلَ الْبَلِيَّاتِ
 يُعَوِّلُهُ بِدُمُوعٍ بَعْدَ عِبْرَاتٍ
 أَبِي الْهَضِيمَةِ ، فَرَاغَ الْجَلِيلَاتِ
 سَمَحَ السَّحَابَةِ ، بِسَامَ الْعَشِيَّاتِ
 يَا طَوَّلَ ذَلِكَ مِنْ حَزَنٍ وَعَوَّلَاتٍ
 خُضِرَ الْخُدُودُ كَأَمْثَالِ الْحَمِيَّاتِ
 جَرَّ الزَّمَانُ مِنْ أَحْدَاثِ الْمُصِيبَاتِ
 أَبْكِي ، وَتَبْكِي مَعِيَ شَجْوِي بُنْيَاتِي
 وَلَا لِمَنْ تَرَكُوا شَرُورِي بَقِيَّاتِ
 خَيْرُ النَّفُوسِ لَدَى جَهْدِ الْأَلْيَاتِ
 وَمَنْ طَيْرَةٌ نَهَبَ فِي طَيْرَاتِ

ومن سُيوف من الهندي مَخْلَصَةٍ ومن رِماح كَاشِطان الرِّكِيَّاتِ
ومن توابع ممَّا يُفْضِلُون بِهَا عِنْدَ الْمَسَائِلِ مِنْ بَذْلِ الْعَطِيَّاتِ
فلَوْحَسَبْتُ وَأَخْصَى الْحَاسِبُونَ مَعِيَ لَمْ أَقْضِ أَعْمَالَهُمْ تِلْكَ الْمَهْنِيَّاتِ
هُمْ الْمُدِلُّونَ إِمَّا مَعَشَرَ فَخَرُوا عِنْدَ الْفَخَّارِ بِأَنْسَابِ نَفِيَّاتِ
زَيْنُ الْبُيُوتِ الَّتِي خَلَوْا مَسَاكِنَهَا فَأَصْبَحَتْ مِنْهُمْ وَخْشًا خَلِيَّاتِ
أَقُولُ وَالْعَيْنُ لَا تَرَقَا مَدَامُهَا لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَصْحَابَ الرَّزِيَّاتِ

قال ابن هشام : الفَجَر : العطاء . قال أبو خراش الهذلي :

عَجَفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ بَذَى فَجَرَ تَأْوَى إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ

قال ابن إسحاق : أبو الشعث الشَّجِيَّاتِ : هاشم بن عبد مناف .

قال : ثم وَلِيَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بن هاشم السَّقَايَةَ وَالرَّقَادَةَ بَعْدَ عَمِّهِ الْمَطْلَبِ ،
فَأَقَامَهَا لِلنَّاسِ ، وَأَقَامَ لِقَوْمِهِ مَا كَانَ آبَاؤُهُ يُقِيمُونَ قَبْلَهُ لِقَوْمِهِمْ مِنْ أَسْرَمٍ ،
وَشَرُفٍ فِي قَوْمِهِ شَرَفًا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِهِ ، وَأَحَبَّهُ قَوْمُهُ وَعَظَمَ
خَطَرَهُ فِيهِمْ .

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

ثم إِنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ إِذْ أَتَى ، فَأَمَرَ بِحَفْرِ زَمْزَمَ .

قال ابن إسحاق : وكان أوَّلُ ما ابتدئ به عَبْدُ الْمَطْلَبِ مِنْ حَفْرِهَا ،
كَما حَدَّثَنِي يَرِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ الْمَصْرِيُّ عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِيِّ عَنْ

• • • • •

عبد الله بن زُرَيْرٍ الغافقي : أنه سَمِعَ عَلَى بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أَمَرَ عبدُ المطلب بحفرها ، قال :

قال عبدُ المطلب : إني لنأثم في الحجر إذا نأى آتٍ فقال : احفر طيبة . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي فَنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر برة . قال : قلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي ، فَنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر المَضْنونة قال : قلت : وما المَضْنونة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي ، فَنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال لا تَنزِفْ أبداً ولا تُدَمِّمْ ، تسقى الحجيج الأعظم ، وهى بين الفرث والدم ، عند نُقْرَةِ الغراب الأعظم ، عند قَرْيَةِ النمل .

قال ابن إسحاق : فلما بُيِّنَ له شأنها ، ودُلَّ على موضعها ، وعَرَفَ أنه قد صدق ، غَدَا بِمَعْوَلِهِ ومعه ابنُه الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولدٌ غيره فحَفَرَ فِيهَا . فلما بدا لعبد المطلب الطُّيُّ ، كَبَّرَ ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها بُرٌّ أَيْنَا إِسْمَاعِيلَ ، وإن لنا فيها حقاً فأشْرِكْنَا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأُعْطِيْتَهُ مِنْ بَيْنِكُمْ ، فقالوا له : فأَنْصِفْنَا ، فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى نَخَاصِمَكَ فِيهَا ، قال : فاجعلوا بيني وبينكم مَنْ شِئْتُمْ أَحَاكِمَكُمْ إِلَيْهِ ، قالوا : كاهنة بنى سَعْدٍ هَذَانِمْ ، قال : نعم ، قال : وكانت بأشراف الشام ، فركب عبدُ المطلب ومعه نَقَرٌ مِنْ بَنِي أَبِيهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وركب من كلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ

.

قريش نفر . قال : والأرضُ إذْ ذاك مَفَاوِز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المَفَاوِز بين الحجاز والشام ، فَنِي ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظمئوا حتى أيقنوا بالهدسكة ، فاستسقوا مَنْ معهم من قبائل قُريش ، فأبوا عليهم ، وقالوا : إنا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم ، وما يتخوَّف على نفسه وأصحابه ، قال : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : مارأينا إلا نَمِيعٌ لرأبك ، فمرنا بما شئت ، قال : فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة . فكلَّامات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه . حتى يكون آخركم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا ، قالوا : نَعَمْ ما أمرت به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانضرب في الأرض ، ولا نبتغي لأنفسنا ، لَعَجْز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ازتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا قرَّعوا ، ومن معهم من قبائل قُريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدَّم عبد المطلب إلى راحلته فركبها . فلما انبعثت به ، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب ، وكبَّر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ، واستسقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قُريش ، فقال : هلم إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا ، فجاؤا ، فشربوا واستسقوا . ثم قالوا : قد - والله - قضى لك علينا يا عبد المطلب ، والله لآنخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الثلاثة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع

ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى السكاهنة وخابوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذي بلغني من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم ، وقد سمعتُ من يُحدّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادعُ بالماء الرّويّ غير السّكدر يسقي حجيجَ الله في كل مَبرّ
ليس يُخاف منه شيء ما عمّر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قریش فقال : تعلّموا أني قد أمرت أن أحفرَ لكم زمزم ، فقالوا : فهل بُيِّن لك أين هي ؟ قال : لا . قالوا فارجع إلى مضجعتك الذي رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقاً من الله يُبيّن لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مضجعه ، فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهي تراث من أبيك الأعظم ، لا تُنزِفُ أبداً ولا تُدَمِّم ، تسقي الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسَم ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهي بين القرث والدم .

قال ابن هشام : هذا الكلام ، والكلام الذي قبله ، من حديث عليّ في حفر زمزم من قوله : « لا تُنزِفُ أبداً ولا تُدَمِّم » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً .

قال ابن إسحاق : فرعموا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هي ؟ قيل له

.

عند قرية النمل ، حيث ينقر الغراب غدا . والله أعلم أى ذلك كان .

فعدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنَيْن : إساف ونائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهما . فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جدّه ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وثنَيْنا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : دُدْ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضينَ لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غيرُ نازع خلّوا بينه وبين الحفر ، وكفّوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيرا ، حتى بدا له الطيّ ، فكبّر وعرف أنه قد صدق فلما تبادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جُرُمُهما فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافا قلعية وأدراعا فقامت له قريش يا عبد المطلب ، لانا معك في هذا شركٍ وحقّ ، قال : لا ، ولكن هلُمّ إلى أمرٍ نَعْفِ بيني وبينكم ، نضرب عليها بالقِداح ، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحين ، ولى قِدْحين ، ولكم قِدْحين ، فمن خرج له قِدْحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قِدْحاه فلا شيء له قالوا : أنصفت ، فجعل قِدْحين أصفرين للكعبة ، وقِدْحين أسودين لعبد المطلب ، وقِدْحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحب القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل — وهُبَل : صنم في جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يَمْنَى أبو سفيان بن حرب يوم أحدٍ حين قال : أغلِ هُبَلِ أى : أظهر دينك — وقام عبد المطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، فضرب صاحب القِداح ، فخرج الأصفران على الغزاليْن

.

للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف ، والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف
قِدْحاً قُرَيْش . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب
الفرالين من ذهب ، فكان أول ذهب حُلِيَّتُهُ الكعبة — فيما يزعمون —
ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

ذكر بئر قبائل قريش بمكة

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بِئِراً بمكة ،
فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق ، قال :

حفرَ عبدُ شمس بن عبد مناف الطَّوِيَّ ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند
البيضاء ، دار محمد بن يوسف .

وحفرَ هاشم بن عبد مناف بَدْرَ ، وهي البئر التي عند المُسْتَنْدَرِ ، خَطَمُ
الْخَنْدَمَةِ على قم شِغْبِ أبي طالب ، وزعموا أنه قال حين حفرَها : لأجعلَنَّها
بلاغاً للناس .

قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سقى الله أمواها عرفتُ مكانها جُراباً ومَلَكُوماً وبَدْرَ والفمرا

قال ابن إسحاق : وحفر سَجَلَةَ ، وهي بئر المُطْعِمِ بن عَدِيٍّ بن نوفل بن
عَبْدِ مَنْفٍ التي يَسْقُونَ عليها اليوم . ويزعم بنو نوفل أن المُطْعِمِ ابتاعها من
أسد بن هاشم ، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستغفَنُوا
بها عن تلك الآبار .

• • • • •

وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه، وحفرت بنو أسد بن عبد العزى :
سُمَيَّة ، وهى بئر بنى أسد . وحفرت بنو عبد الدار : أمّ أحراد . وحفرت بنو
جُمَح : السُّنْبُلَة ، وهى بئر خلف بن وهب . وحفرت بنو سَهْم : الفَمَر ، وهى
بئر بنى سَهْم ، وكانت آبار حفاثر خارجا من مكة قديمة من عهد مُرَّة بن كعب ،
وكلاب بن مُرَّة ، وكُتَيْب قريش الأوائل منها يشربون ، وهى رُم ، ورُم :
بئر مُرَّة بن كعب بن لؤى . وخُم ، وخُم . بئر بنى كلاب بن مُرَّة ، والحفَر .
قال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى :

قال ابن هشام : وهو أبو أبى جهنم بن حذيفة :

وقد ما غنيّا قبل ذلك حِقْبَةً ولا نَسْتَقى إلّا بَحْمً أو الحَفِرِ

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله

فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فعفّت زمزم على البئر التى كانت قبلها يَسْتَقى عليها الحاج
وانصرف الناسُ إليها لمساكنها من المسجد الحرام ؛ ولفضلها على ما سواها من
المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وافتخرت بها بنو
عبد مناف على قريش كلّها ، وعلى سائر العرب ، فقال مُسافر بن أبى عمرو
ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو يَفْخَر على قريش بما وُلوا عليهم
من السَّقَاية والرَّفَادَة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبِزَمَزَم حين ظهّرت لهم ،
وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد ، شرفُ بعضهم لبعض شرفٌ ،
وَفَضْلُ بعضهم لبعض فَضْل .

• • • • •

وَرَيْنَا الْجَدَّ مِنْ آبَا نَتْنَا فَنَمَى بِنَا صُعْدَا
أَلَمْ نَسْقِ الْحَجِيجَ وَنَسْجِرُ الدَّلَافَةَ الرُّفْدَا
وَمُنَلْنِي عِنْدَ تَقْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّدَا رُفْدَا
فَإِنْ نَهَلْتُكَ ، فَلَمْ تُنَمَلْكَ وَمَنْ ذَا خَالِدٍ أَبَدَا
وَزَمَزَمَ فِي أَرْوَمَتِنَا وَنَقَأَ عَيْنَ مَنْ جَسَدَا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدى بن كعب
ابن لؤى .

وساقى الحَجِيجَ ، ثم للخبز هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهرى
طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت سقايته فخرأ على كل ذى فخر

قال ابن هشام : يعنى عَبْدَ الْمُطَّلَبِ بن هاشم . وهذان البيتان في قصيدة
لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

وأنشد له في القصيدة التاوية : محض الضريبة ، على الهم مُخْتَلَق : أى
عظيم الخلق : جَلَدَ النَّحِيْزَةَ نَاءً بِالْعَظِيَّاتِ . ليس قوله : ناء من النأى ، فتكون
الهمزة فيه عين الفعل ، وإنما هو من ناء يَنْوُءُ إِذَا نَهَضَ (١) فالهمزة فيه لام
الفعل ، كما هو في جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فاعل ، والياء التى
بعد الهمزة هى : عين الفعل في جاء يحى .

(١) ناء بالحل نهض به مثقلا ، وناء به الحل إذا أنقله .

وفيه الشُّعَثُ الشَّجِيَّاتُ . فشدد ياء الشَّجِيَّ ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا :
ياء الشَّجِيَّ مخففة ، وياه الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبي تمام الطائي
في قوله :

أياويح الشَّجِيَّ من الخَلَى وَوَبَّحِ الدَّمْع من إحدى بَيَاتِ

واحتج بقول يعقوب في ذلك ، فقال له الطائي : ومن أفصح عندك :
ابن الجُرْمَانِيَّة يعقوب ، أم أبو الأسود الدُّوَلِيَّ حيث يقول !؟ :

وَيْلُ الشَّجِيَّ من الخَلَى فَإِنَّهُ وَصَبُ الْفَوَادِ بِشَجْوِهِ مَفْعُومٌ

قال المؤلف : وبيت مطرود أقوى في الحجة من بيت أبي الأسود الدُّوَلِيَّ ،
لأنه جاهلي مُحَكَّكٌ ، وأبو الأسود : أول من صنع النحو ، فشعره قريب من
التوليد ، ولا يمتنع في القياس أيضاً أن يقال : شَجِيٌّ وشَجٍ ، لأنه في معنى : حَزَنٌ
وحزين ، وقد قيل : من شَدَّدَ الياء ، فهو فَعِيلٌ بمعنى مفعول (١) .

(١) رجل شَجِى أى : حزين وامرأة شَجِيَّة — بكسر الجيم وفتح الياء من دون
تضعيف — وفي مثل العرب : وَيْلُ للشَّجِيَّ من الخَلَى ، دون تشديد ياء إحداهما ،
وقد تشدد ياء الشَّجِيَّ ، والاول أعرف . وحكى الجوهري عن المبرد أنه شدد
ياء الخلى وخفف ياء الشَّجِيَّ . قال : وقد شدد في الشعر :

نَامَ الْخَلِيُّونَ عَنِ لَيْلِ الشَّجِيَّةِ

فإن جعلنا الشَّجِيَّ فَعِيلًا من شَجَاه الحزن ، فهو : مشجوهٌ وشَجِيٌّ بالتشديد
لاغير ، وحكى ابن بري أن الصواب هو التشديد في ياء الشَّجِيَّ ، وأما الشَّجِيَّ
بالتخفيف فهو الذي أصابه الشَّجَسُ ، وهو التخصُّص ، وأما الحزين فهو الشَّجِيَّ =

وفيه بعد قوله : أبا الشعث الشجيات . يبيّنه حُسرًا مثل البليات .
البليّة : الناقة التي كانت تُنعقل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت

== بتشديد الياء . قال : ولو كان المثل : ويل الشجى بتخفيف الياء ، لكان ينبغي أن
يقال : ويل الشجى من المسخ ، لأن الإساغة ضد الشجا ، كما أن الفرح ضد الحزن
ثم قال ابن برى : فلماذا ننظر إلى توجيهه من ناحية القياس — وقد ثبت من جهة
السمع تشديد الياء — ثم قال : ووجهه أن يكون الشجى من شجوته أشجوه ،
فهو : مشجوشجى ، مثل : مجروح وجريح . وأما شج بالتخفيف فهو اسم الفاعل
من شجى يشجى - بكسر الجيم في الماضي وفتحها في المضارع - فهو شج . وقال
أبو زيد : الشجى : المشغول ، والخلّى : الفارغ ، وقال ابن السكيت : الشجى مقصور
والخلّى ممدود ، وفي الهذيب عن الشجى : أنه الذى شجى بمظم غصّ به حلقة ،
يقال : شجى يشجى شجى ، فهو شج ، وكذلك الذى شجى بالهم فلم يجد مخرجاً منه .
قال الأزهري : وهذا هو الكلام الفصيح . . ثم قال : فإن تجامل إنسان ، ومد الشجى
فه غمارج من جهة العربية تسوخ له مذهبه ، وهو أن تجعل الشجى بمعنى المشجوه .
فصيلاً من شجاه يشجوه ، والوجه الثانى : أن العرب تمد فعلاً بياء . فنقول : فلان قن
لكذا وقين ، وسميح وسميح ، وفلان كر للنائم وكرى . وقيل : إن مذهب
العرب توازن اللفظ كما وازنت الغدايا بالعشايا . وجمع الغداة غدوات . ومثل
ماساه وناءه . والاصل أناء . وكذلك وازنوا : الشجى بتشديد الياء بالخلّى .
ومعناه : ويل للهموم من الفارغ ، وعن ثعلب في الفصيح : ويل للشجى من الخلّى
بتشديد الياءين . وأنشد البيت الذى فى الروض . والشرطة الثانية من البيت ويل
الشجى ، وردت مرة فى اللسان : ونصب الفؤاد لشجوه مغموم ، وأخرى : وبحزنه
مغموم ، وانظر ص ٢٧٢ أدب الكاتب وقول السهلى : وبيت مطرود أقوى ،
يعنى البيت الذى يشرحه : وباعين قابكى أبا الشعث الشجيات ، والجرمقانى — بضم
الجيم وسكون الراء وضم الميم وفتح القاف وتضعيف الياء — واحد الجرامقة ، وهم
أنباط الشام ، أو هم قوم بالموصل أصلهم من العمم د عن اللسان .

.

جوعاً وعطشاً، ويقولون : إنه يُحْشَرُ رَاكِباً عليها ، ومن لم يُفْعَلْ معه هذا
حُشِرَ راجِلاً ، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ،
ومنهم زُهَيْرٌ ، فإنه قال :

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُجَلَّ قَيْنَقَمٌ
وقال الشاعر في البليَّةِ :

وَالْبَلَايَا رُءُوسُهَا فِي الْوَلَايَا مَا نَحَاتِ السَّمُومُ حُرَّ الْخُلُودِ (١)
والولاياء هي البراذع ، وكانوا يَنْقُبُونَ الْبِرْدَعةَ ، فيجملونها في عُنُقِ الْبَلِيَّةِ ،
وهي مَمْنُولةٌ ، حتى تموت ، وأوصى رجلُ ابْنَه عند الموت بهذا :

لَا تَتْرُكَنَّ أَبَاكَ يُحْشَرُ مَرَّةً عَدُوا يَخْرُؤُ عَلَى الْيَدَيْنِ ، وَيَنْكَبُ
في أبيات ذكرها الخطابي .

وقوله : قِيَامَا كَالْحَيَاتِ . أى : مُحْتَرِقَاتِ الْأَكْبَادِ كَالْبَقَرِ أَوْ الظِّبَاءِ الَّتِي
حَمِيتِ الْمَاءَ وَهِيَ عَاطِشَةٌ ، فَحِمِيَّةٌ بِمَعْنَى : تَحْمِيَّةٌ ، لَكِنِهَا جَاءَتْ بِالتَّاءِ ، لِأَنَّهَا أُجْرِيَتْ

(١) البيت في اللسان وأوله : كَالْبَلَايَا ، وَقَدْ لَسَبَهُ اللِّسَانُ إِلَى أَبِي زَبِيدٍ ، وَهُوَ
حَرْمَلَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ مَعَدٍ يَكْرِبُ الطَّاقِ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ إِسْلَامِيٌّ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا
وَزَعَمَ الطَّبْرِيُّ أَنَّهُ مَاتَ مُسْلِمًا ، وَفِي اسْمِهِ خِلَافٌ ، وَمِنْ قَوْلِهِ :

مُعَلَّلُ الْمَرءِ بِالرَّجَاءِ وَيُضْحَى غَرَضًا لِلْمَنُونِ نَصَبُ الْعُودِ
وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَنْصُبُ عُودًا تَجْعَلُهُ غَرَضًا ، فَيَصِيهِ بِهِضِ السَّهَامِ ، أَوْ يَقَعُ قَرِيبًا
مِنْهُ ، أَوْ تَشْعَبُ مِنْهُ شَيْئًا . فَضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا .

مجرى الأسماء كالرَّمِيَّةِ والضَّحِيَّةِ والطَّرِيْدَةِ^(١) وفي معنى الحَمِي قول رؤية :
قَوَاطِنُ مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الحِمَى^(٢) يريد الحمام المَحْمِيَّ ، أى : المنوع .

وقوله : فى رَمْسٍ بِمَوَاطِنَ : الأظهرُ فيه أن تكون الميم أصلية ، ويكون مما
ضوعفت فاؤه وعينه ، وَحَمَلَهُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ أُولَى لِكَثْرَتِهِ فِي الْكَلَامِ ، وَإِنْ
كَانَ أَصْلُ الْمِيمِ أَنْ تَكُونَ زَائِدَةً ، إِذَا كَانَتْ أَوَّلَ الْكَلِمَةِ الرَّبَاعِيَّةِ أَوِ الْخَمَاسِيَّةِ ،
إِلَّا أَنْ يَمْنَعَ مِنْ ذَلِكَ اسْتِقَاقٌ ، وَلَا اسْتِقَاقَ هُنَا ، أَوْ يَمْنَعَ مِنْ ذَلِكَ دَخُولُهُ
فِيمَا قَلَّ مِنَ الْكَلَامِ نَحْوُ : قَلْبٍ وَسَلَسٍ . قَالَ أَبُو عَلِيٍّ فِي الْمَرْمَرِ : حَمَلَهُ عَلَى
بَابٍ : قَرَقَرَوْبَرَبَرٍ أُولَى مِنْ حَمَلِهِ عَلَى بَابٍ : قَلْبٍ وَسَلَسٍ ، يَرِيدُ : إِنَّكَ إِنْ جَعَلْتَ
الْمِيمَ زَائِدَةً كَانَتْ فَاءُ الْفَعْلِ - وَهِيَ الرَّاءُ - مُضَاعَفَةً دُونَ عَيْنِ الْفَعْلِ ، وَهِيَ

- (١) قَالَ سَيِّبُوهُ : لَا يَجِيءُ هَذَا الضَّرْبُ عَلَى مَفْعَلٍ - بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الْعَيْنِ
- إِلَّا وَفِيهِ الْهَاءُ ، لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ عَلَى مَفْعَلٍ بغيرها اعتل ، فعدلوا إِلَى الْإِخْفِ .
(٢) وَمِنْهُ قَبْلُهُ :

وَرَبُّ هَذَا الْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ
وَالْقَاطِنَاتِ الْبَيْتِ غَيْرِ الرِّيمِ
قَوَاطِنَا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحِمَى

وَاللَّسَانُ مَادَّةُ قَطْنٍ ، وَقَدْ اسْتَشْهَدَ بِهِ سَيِّبُوهُ فِي كِتَابِهِ فِي بَابٍ : « أَعْلَمُ أَنَّهُ
يَجُوزُ فِي الشَّعْرِ مَا لَا يَجُوزُ فِي الْكَلَامِ مِنْ صَرْفٍ مَا لَا يَنْصَرَفُ ، يَشْبَهُونَهُ بِمَا
يَنْصَرَفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ لِأَنَّهَا أَسْمَاءٌ ؛ كَمَا أَنَّهَا أَسْمَاءٌ ، وَحَذَفُ مَا لَا يَحْذَفُ ، يَشْبَهُونَهُ بِمَا
قَدْ حَذَفَ ، أَوْ اسْتَعْمَلَ مَحْذُوفًا ، كَمَا قَالَ الْعَجَّاحُ . أَقُولُ : وَقَوَاطِنُ مَنْوُوءَةٌ مَنْصُوبَةٌ
فِي كِتَابِ سَيِّبُوهُ ، وَفِي اللَّسَانِ . وَرَوَى سَيِّبُوهُ هَذِهِ الشُّطْرَةَ مَرَّةً أُخْرَى هَكَذَا
« أَوَالفَا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحِمَى ، انْظُرْ ص ٨ ، ٥٦ مِنْ كِتَابِ سَيِّبُوهُ ط بُولَاق .

الميم ، وإذا جعلت الميم الأولى في مَرْمَرٍ أصلية ، كان (١) من باب ماضوعفت فيه الفاء والعين ، وهذا معنى قول سيبويه في المَرْمَر : مر ، وهو القياس المُسْتَدَبُّ ، والطَّرِيقُ المَهْمِيْعُ دون ما ضوعفت فيه الفاء وحدها ، فتأمله (٢) .

(١) في الأصل وكان .

(٢) يقول المازني في كتابه التصريف : « وأما الميم إذا كانت أولافهي زائدة بمنزلة الهمزة والياء ؛ لأن الميم أولا نظيرة الهمزة ، وشرحه ابن جني بقوله : « لا فصل بين الميم والهمزة إذا وقعتا أولا ، فتي وجب في الهمزة أن تكون زائدة ووقعت الميم موقعها ، فاقض بزيادتها ، ص ١٢٩ المنصف لابن جني . والمومة بفتح وسكون : المفاضة الواسعة للمساء ، وهي جماع أسماء الفلوات . وقال المبرد : يقال لها : البوابة أيضا ، وليس للكلمة اشتقاق . ويقول ابن جني في الخصائص : « اعلم أنه متى اجتمع معك في الأسماء والأفعال حرف أصل ، ومعه حرفان مثلان لاغير ، فهما أصلان ، متصلين كانا أو منفصلين . فالتصلان نحو : الحقف والصدد . وقلق وسلس ، وكذلك إن كان هناك زائد ، فالحال واحدة نحو حمام ويسالس . وكذلك كوكب ودودح ، ثم يقول : « فأما إذا كان معك أصلان ومعهما حرفان مثلان ، فعلى أضرب منها : أن يكون هناك تكرير على تساوى حال الحرفين ، فإذا كانا كذلك كانت الكلمة كلها أصولا نحو : قلقل وقرقر . فالكلمة إذاً لذلك رباعية . وكذلك إن اتفق الأول والثالث ، واختلف الثاني والرابع . فالمثلان أيضا : أصلان ، وذلك نحو : فرجح وقرقل ونبات الرجلة ، وقيص للنساء ، وكذلك إن اتفق الثاني والرابع ، واختلف الأول والثالث نحو : قسطاس وشعلع والطويل ، فالمثلان أيضا أصلان . وكل ذلك أصل رباعي ، وكذلك إن اتفق الأول والرابع واختلف الثاني والثالث ، فالمثلان أصلان ، والكلمة أيضا من بنات الأربعة مثل : فريق و دكان البقال ، وبلد وراء طرسوس ، وكذلك إن اتفق الأول والثاني ، واختلف الثالث والرابع ، فالمثلان أصلان ، والكلمة رباعية نحو : زيرفون . ومثاله ، فيعلول . وكذلك أيضا إن حصل معك ثلاثة أحرف أصول ، ومعهما =

وقوله : طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ. الْفَجَرُ : الجودُ ، شُبَّهَ بِانْفجارِ الماءِ . ويُروى
 ذَا فَتَعٍ ، وَ الْفَتَعُ : كثرة المال ، وقد قال أبو نَجِجٍ النَّقِيقُ :
 وقد أجودُ وما مالى بذى فَتَعٍ وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ (١)
 وقوله : بَسَامَ الْعَشِيَّاتِ : يعنى : أنه يضحك للأضيافِ ، وَيَبْسِمُ عند لقائهم
 كما قال الآخر ، وهو حاتم الطائي :

== مثلاًن غير ملتقيين ، فهما أيضا أصلان . نحو : شفشليق و العجوز المسترخية ،
 ص ٥٦ وما بعدها ، الخصائص ط ٢ ج ٢ ، وانظر شرح الشافية ج ١ ص ٥٩ ، وما بعدها
 ويقول ابن جنى فى الخصائص أيضا وهو يتكلم عن الاصلين الثلاثى والرابعى
 المتداخلين ، كقولهم سلس وسلسل ، وقلق وقلقل : وذهب أبو إسحاق فى نحو قلقل
 وصلصل وجرجر وقرقر إلى أنه فعل ، وأن الكلمة لذلك ثلاثية ، حتى كأن أبا إسحاق
 لم يسمع فى هذه اللغة الفاشية المنتشرة : بزغد وزغدب وسبط وسبطر ، ثم يقول :
 وإن تكرير الفاء لم يأت به ثبت إلا فى مرمريس . وحكى غير صاحب الكتاب :
 مرمريت ، وليس بالبعيد أن تكون التاء بدلا من السين ، كما أبدلت منها فى ست ،
 ص ٥٢ ، ٥٣ ج ٢ ، الخصائص ويقول فى ص ١٢ من المنصف أيضا : والفاء لم تكرر
 فى كلام العرب إلا فى حرف واحد ، وهو : مرمريس ، وهى الداهية والشدة ،
 فتكررت الفاء والعين ، ولا نظير لهذه الكلمة .

(١) والفتح أيضا : الكرم والجود والفضل الكثير ، ونشر الثناء الحسن
 ونفحة المسك . . وقد روى أن معاوية — رضى الله عنه — قال لابن أبى محجن
 النقي : أبوك الذى يقول :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقا
 ولا تدفنى فى الفلاة ، فإتنى أخاف إذا مامت ألا أذوقها

فقال ابن أبى محجن : أبى الذى يقول : وذكر البيت . وقد روى عجزه
 هكذا : وقد أكر وراء الحجر الفرق .

أُضاحك ضَيْفَى قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيَخْصِبُ (١) عِنْدِي، وَالْمَحَلَّ جَدِيبٌ
وَمَا الْخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْفِرَى وَلَكِنَّا وَجْهَ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ

حديث زمزم

وكانت زمزم - كما تقدم - سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ ، عليه السلام ، فَجَرَّهَا لَهُ رُوحُ
الْقُدُسِ بَعْقِيهِ ، وَفِي تَفْجِيرِهِ إِيَّاهَا بِالْقَبِ دُونَ أَنْ يُفَجِّرَهَا بِالْيَدِ أَوْ غَيْرِهِ : إِمَارَةٌ
إِلَى أَنَّهَا لِعَقْبِهِ وَرِاثَةٌ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأُمُّهُ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : (وَجَعَلَهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) الزخرف : ٤٣ . أَيْ : فِي أُمِّهِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢) - ثُمَّ
إِنْ زَمَزَمَ لَمَّا أُخْدِتْ جُرُومُهُ فِي الْحَرَمِ ، وَاسْتَخَفُّوا بِالْمَنَاسِكِ وَالْحَرَمِ ، وَبَغَى بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ وَاجْتَرَمَ ، تَفَوَّرَ مَاءُ زَمَزَمَ وَاكْتَتَمَ ، فَلَمَّا أَخْرَجَ اللَّهُ جُرُومَهُمْ مِنْ مَكَّةَ
بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرُهَا عِنْدَ الْحَرْثِ بْنِ مَضَاضٍ الْأَصْفَرِ إِلَى مَا كَانَ عِنْدَهُ
مِنْ مَالِ السَّكْبَةِ ، وَفِيهِ غَزَالَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَأَسْيَافٌ قَلْعِيَّةٌ (٣) كَانَ سَاسَانُ مَلِكُ
الْفُرسِ قَدْ أَهْدَاهَا إِلَى السَّكْبَةِ ، وَقِيلَ : سَابُورُ ، وَقَدْ قَدِمْنَا أَنْ الْاَوَائِلَ مِنْ مُلُوكِ

(١) من باب علم وضرب .

(٢) قال ابن كثير في تفسيرها : هذه الكلمة - وهي عبادة الله وحده
لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي : لا إله إلا الله ، أى جعلها دائمة
في ذريته ، يقتدى به فيها من هداية الله تعالى من ذرية إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -
وقال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم : يعنى : لا إله إلا الله
لا يزال في ذريته من يقولها ، وروى نحوه عن ابن عباس ، على أن هناك رواية :
أو قال بجناحه .

(٣) لسبة إلى قلعة بفتح فسكون بلد بالهند .

الْفُرْسِ كَانَتْ تَحْجُجُهَا إِلَى عَهْدِ سَاسَانَ ، أَوْ سَابُورَ ، فَلَمَّا عَلِمَ ابْنُ مِضَاضٍ أَنَّهُ مُخْرَجٌ مِنْهَا ، جَاءَ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ حَتَّى دَفَنَ ذَلِكَ فِي زَمْرَمَ ، وَعَقَّى عَلَيْهَا ، وَلَمْ تَزَلْ دَارِسَةً عَافِيَا أَثْرَهَا ، حَتَّى أَنَّ مَوْلِدَ الْمُبَارِكِ الَّذِي كَانَ يُسْتَسْقَى بِوَجْهِهِ غَيْثُ السَّمَاءِ وَتَفَجَّرَ مِنْ بَنَانِهِ بِنَابِيعُ الْمَاءِ ، صَاحِبِ الْكَوْثَرِ وَالْخَوْضِ الرَّوَّاءِ ، فَلَمَّا أَنَّ ظَهْرَهُ أَذِنَ لِلَّهِ تَعَالَى لِسُقْيَا أَبِيهِ أَنْ تَظْهَرَ ، وَلَمَّا انْدَفَنَ مِنْ مَائِهَا أَنْ تُجْتَهَرَ (٢) ، فَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ سَقَتِ النَّاسَ بَرَكَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّدَ وَسُقُوا بِدَعْوَتِهِ ، وَهُوَ طِفْلٌ حِينَ أُجْدَبَتِ الْبِلَدُ ، وَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ بِهِ جَدُّهُ مُسْتَسْقِيًا لِقُرَيْشٍ (٣) ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ - فِيمَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَسُقِيَتِ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا غُيُوثَ السَّمَاءِ فِي حَيَاتِهِ الْفَيِّنَةِ بَعْدَ الْفَيِّنَةِ ، وَالْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ ، وَتَارَةً بَدْعَانَهُ ، وَتَارَةً مِنْ بَنَانِهِ ، وَتَارَةً بِإِلْقَاءِ سَهْمِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اسْتَشْفَعَ عُمَرُ بَعْمَهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَامَ الرَّمَادَةِ (٤) ،

(١) وَلَكِنْ هَذَا الْإِسْتِسْقَاءُ لَيْسَ مِنْ هُدَى الْإِسْلَامِ .

(٢) اجْتَهَرَ الْبُئْرُ : نَقَاهَا ، أَوْ نَزَحَهَا أَوْ بَلَغَ الْمَاءُ .

(٣) قِصَّةُ مَوْضُوعَةٍ وَلَيْسَ الْإِسْتِسْقَاءُ الدِّينِيُّ الْحَقُّ مِنْ هَذَا الزَّعْمِ .

(٤) لَيْسَ مِنْ حُبِّ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ نَكْذِبَ لَهُ ، أَوْ نَكْذِبَ

عَلَيْهِ ، وَعَظَمَةُ الرَّسُولِ الْعَظِيمِ لَيْسَتْ فِي حَاجَةٍ إِلَى كَذِبٍ يَسَانِدُهَا ، لِأَنَّهَا قَامَتْ عَلَى الصِّدْقِ الْجَلِيلِ الْجَلِيلِ . وَصُورَةُ الْإِسْتِسْقَاءِ النَّبَوِيِّ نَهَتْهُ لَهَا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ :

«جَاءَ أَعْرَابِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . هَلَكْتَ الْمَاشِيَةُ ، وَهَلَكْتَ الْعِيَالُ ،

وَهَلَكَ النَّاسُ ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدَيْهِ يَدْعُو ، وَرَفَعَ النَّاسُ

أَيْدِيَهُمْ مَعَهُ يَدْعُونَ ، قَالَ : فَمَا خَرَجْنَا مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى مَطَرْنَا » مَخْتَصَرٌ مِنَ الْبُخَارِيِّ ،

وَحَدِيثُ اسْتِسْقَاءِ عُمَرَ بِالْعَبَّاسِ : « عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ

كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ =

وأقسم عليه به وبنبيه^(١)، فلم يبرح، حتى قاصوا المازرَ، واعتلقوا الحذاء،

==إليك بنينا، فتسقيننا، ولما نتوسل إليك بعم نبيك. فاسقنا، فيسقون) البخاري
ويقال: إنه كان في عام الرمادة العام الثامن عشر، ويقول العلامة السلفي السهسواني
الهندي تعليقا على هذا في كتابه: صيانة الإنسان عن وسوسة ابن دحلان: والمراد
بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس رضي الله عنه: هو
الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معبودة في الشرع، وهي أن يخرج من
يستسقى به إلى المصلى، فيستسقى، ويستقبل القبلة داعيا، ويحول رداءه، ويصلي
ركعتين، أو نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح، والدليل عليه قول
عمر رضي الله عنه اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا صلى الله عليه وسلم، فتسقيننا،
ولما نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا، ففي هذا القول دلالة واضحة على أن
التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، والتوسل بالنبي لم يكن
إلا بأن يخرج صلى الله عليه وسلم، ويستقبل القبلة ويحول رداءه، ويصلي ركعتين
أو نحوه من الهيئات الثابتة للاستسقاء، ولم يرد في حديث ضعيف فضلا عن الحسن
والصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به صلى الله عليه وسلم
من غير أن يفعل ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقيا، والدعاء والصلاة
وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة، وأقول: لو كان التوسل بذات الحي
أو الميت جائزا — لا بدعائه — لتوسل عمر بذات محمد — وهو ميت —
بدلا من توسله بالعباس. ولم يرد في حديث ما أن أحدا توسل بذات محمد في
استسقاء أو غيره، لأن ذات محمد موصى، ليست من كسب أحد.

(١) لم يرد شيء مما قال في حديث صحيح. وقد وردت أحاديث الاستسقاء
في البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرها،
وكلاهما تجمع على أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يدعو، وليس في شيء منها ما ذكره
السهيلي، وقد وردت صيغة الدعاء في حديث رواه أبو داود وأبو عوانة وابن
حبان والحاكم وصححه ابن السكن، وقال أبو داود: هذا حديث غريب لإسناده
جيد وهذه هي: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ==

وخاصوا الغُدرَان ، وَسمِعَت الرِّفَاقُ المَقْبَلَةُ إلى المَدِينَةِ في ذلكَ اليَومِ صَاحِبًا
بِصِيحٍ في السَّحَابِ : أَتَاكَ الغَوثُ أَبَا حَفْصٍ ، أَتَاكَ الغَوثُ أَبَا حَفْصٍ (١) ، كُلُّ
هَذَا بِرِكَهٍ المُبْتَعَثِ بِالرَّحْمَتَيْنِ ، وَالدَّاعِي إِلَى الحَيَاتَيْنِ الموعودَ بِهِمَا على يَدَيْهِ في
الدَّارَيْنِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَاةً تَصْعَدُ وَلَا تَنْفَدُ ، وَتَنْصِلُ وَلَا تَنْفَصِلُ ،
وَتُنْقِمُ ، وَلَا تَرِيْمُ ، إِنَّهُ مُنْعِمٌ كَرِيمٌ .

أَسْمَاءُ زَمْزَمَ :

فَصَلِّ : فَأَرَى عَبْدُ المَطْلَبِ في مَنَامِهِ : أَنَّ اخِرَ طَيْبَةٍ ، فَسُمِّيَتْ طَيْبَةً ، لِأَنَّهَا
لِلطَّيْبِينَ وَالتَّيْبَاتِ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَقِيلَ لَهُ :
أَحْمَقُ يَرَّةً ، وَهُوَ اسْمٌ صَادِقٌ عَلَيْهَا أَيْضًا ، لِأَنَّهَا قَاضَتْ الأَبْرَارَ ، وَغَاضَتْ عَنِ
الْفُجَّارِ ، وَقِيلَ لَهُ : اخِرُ المَضْنُونَةِ . قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : سُمِّيَتْ زَمْزَمُ : المَضْنُونَةُ
لِأَنَّهَا ضُنَّ بِهَا عَلَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَا يَتَضَلَّعُ مِنْهَا مُنَافِقٌ ، وَرَوَى الدَّارُقُطْنِيُّ
مَا يَقْوَى ذَلِكَ مُسْنَدًا عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ شَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ
فَلَيْتَضَلَّعَ ، فَإِنَّهُ فَرَّقُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَتَضَلَّعُوا (٢) مِنْهَا ،

== اللهُ مَا يَرِيدُ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْتَ الْغَنَى وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا
الْغَيْثَ ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ ،

(١) أَسَاطِيرُ مُرَدَّدَةٍ لَا تَعْرِفُهَا السَّيْرَةُ الْعَطْرَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبِهِ
عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٢) تَضَلَّعَ : اِمْتَلَأَ شَبْعًا وَرِيًّا ، وَالتَضَلَّعُ أَيْضًا : الْاِمْتَلَاءُ حَتَّى تَمْتَدَّ أَضْلَاعُهُ
عَلَى أَنْ مِثْلَ هَذِهِ الْإِحَادِيثِ لَمْ يَرْوَاهَا أَصْحَابُ الصَّحِيحِ . وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثُ :
الدَّارُقُطْنِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

أو كما قال . وفي تسميتها بالمُضْنُونَة رواية أخرى ، رواها الزبيرُ : أن عبدَ المطلب قيل له : اخفِرِ الْمُضْنُونَة ضَنَنْتَ بها على الناس إلا عليك ، أو كما قال .

العلامات التي رآها عبد المطلب وتأويلها :

وذلك عليها بعلاماتٍ ثلاثٍ : بُنْقَرَةُ الْغَرَابِ الْأَعْصَمِ ، وأنها بين الْفَرْثِ وَالدَّمِ ، وعند قرية التَّمَلِّ ، ويروى أنه لما قام لِيَحْفَرَهَا رأى مارِئِمَ مِنْ قرية النَّمَلِ وَنُقْرَةَ الْغَرَابِ، وَلَمْ يَرَ الْفَرْثَ وَالدَّمِ ، فبينما هو كذلك نَدَّتْ بَقْرَةٌ بِجَارِهَا، فلم يُذَرِكْهَا، حتى دخلت المسجد الحرام ، فنَحَرَهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي رُسِمَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فسال هناك الْفَرْثُ وَالدَّمُ ، فحَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حَيْثُ رُسِمَ لَهُ .

ولم تَخْصُ هذه العلامات الثلاث (١) بأن تكون دليلاً عليها إِلَّا الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ ، وفائدةُ مُشَاكِلةٍ فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ ، وَالتَّوَشُّمِ الصَّادِقِ لِمَعْنَى زَمْزَمَ وَمَائِمَا . أما الْفَرْثُ وَالدَّمُ ، فَإِنَّ مَاءَ هَاطِعَامَ مُطْعَمٌ ، وَشِفَاءٌ سَقَمٌ (٢) ، وَهِيَ لِمَاشِرٍ بِهِ (٣) ، وَقَدْ تَقَوَّتْ (٤)

(١) كل هذا من رواية محمد بن إسحاق لحسب .

(٢) يقول ابن الأثير في النهاية : «أى يشبع الإنسان إذا شرب ماءها، كما يشبع من الطعام» وقد ورد في صحيح مسلم في حديث إسلام أبي ذر أن رسول الله قال في زمزم : «لأنها طعام طعم وشفاء سقم» ونسب هذا في بعض الأحاديث إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار .

(٣) روى الإمام أحمد : «ماء زمزم لما شرب منه» ورواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن المؤمل ، وقد تسكلموا فيه . ولفظه : «ماء زمزم لما شرب له» ورواه سويد بن سعيد ولكن سويدا ضعيف . ورواه الحاكم مرفوعاً عن ابن عباس ، وفيه نظر . هذا وقد وردت تسمية زمزم ببرة . والمضنونة في حديث عن كعب الأحبار ، وحسبك به !!

(٤) حديث تَقَوَّتْ أَبِي ذَرٍّ بِمَاءِ زَمْزَمٍ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمَ .

(م ٨ — الروض الأنف ج ٢)

من مائها أبو ذر - رضى الله عنه - ثلاثين بين يوم وليلة ، فسمِنَ حتى تكسَّرت عُكُنُهُ ، [وما وجد على كبده سَخْفَةً ^(١) جوع] فهي إذا كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في اللبن : إذا شرب أحدكم اللبن ، فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يسدُّ مسدَّ الطعام والشراب إلا اللبن ، وقد قال الله تعالى في اللبن : (مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) النحل : ٦٦ . فظهرت هذه الشقيا المباركة بين القَرْنِ والدَّم ، وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها .

وأما قوله : الغُرَابُ الأعْصَمُ ، قال القُتَيْبِيُّ : الأعْصَمُ من الغِرْبَانِ الذى فى جناحيه بَيَاضٌ ، وسَمَلٌ على أبى عبيد لقوله فى شرح الحديث : الأعْصَمُ الذى فى يديه بياض ، وقال : كيف يكون للغراب يَدَانِ ؟ . وإنما أراد أبو عُبَيْدٍ أن هذا الوصف لذوات الأَرْبَعِ ؛ ولذلك قال : إن هذا الوصف فى الغِرْبَانِ عزيزٌ ، وكأنه ذهب إلى الذى أراد ابنُ قُتَيْبَةَ من بياض الجناحين ، ولولا ذلك لقال : إنه فى الغِرْبَانِ مُحَالٌ لا يتصور . وفى مُسْنَدِ ابنِ أبى شَيْبَةَ من طريق أبى أُمَامَةَ عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ما يُغْنَى عن قوليهما ، وفيه الشفاء : أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : المرأة الصالِحَةُ فى النساءِ كالغرابِ الأعْصَمِ قيل : يا رسول الله ، وما الغُرَابُ الأعْصَمُ ؟ قال : الذى إحدى رجليه بَيَاضُهُ ^(٢) .

(١) جمع عكنة : الطى الذى فى البطن من السن ، ويجمع على أعكان أيضا والسخفة : الهزال .

(٢) وعن الأزهري فى اللسان : أنه الأحمر الرجلين لقلته فى الغِرْبَانِ ، لأن أكثر الغِرْبَانِ : السود البقع . هذا والعرب تجعل البياض حمرة ، فيقال للمرأة البيضاء : الحمراء .

فالغراب في التأويل : فاسق ، وهو أسود ، فَذَلَّتْ نُقْرَتُهُ عند الكعبة على نُقْرَةِ
الْأَسْوَدِ الْحَبَشِيِّ بِمَقُولِهِ في أساس الكعبة يَهْدِمُهَا في آخر الزمان ، فكان
نَقْرُ الغراب في ذلك المكان يُؤذَنُ بما يفعله الفاسقُ الأسودُ في آخر الزمانِ
بِقِبْلَةِ الرَّحْنِ ، وَسُقْيَا أهل الإيمان ، وذلك عندما يُرفع القرآن ، وتحميا عبادة
الأوثان ، وفي الصحيح عن رسول - صلى الله عليه وسلم - : «لَيُخَرَّبَنَّ الكعبة
ذو السَّوَيْتَيْنِ من الحبشة» (١) وفي الصحيح أيضا من صفته : أنه [أسود] أَفْحَجٌ ،
[يقلمها حجرا حجراً] وهذا أيضا ينظر إلى كون الغراب أعْمَمٌ ؛ إِذِ الْفَحَجُ : تَبَاعُدٌ
في الرِّجْلَيْنِ ، كما أن الْعَمَمَ اختلافٌ فيهما ، والاختلافُ : تَبَاعُدٌ وقد عُرِفَ بذى
السَّوَيْتَيْنِ ، كما نُمِتَ الغرابُ بصفةٍ في ساقيه ، فتَأَمَّلْهُ ، وهذا من خَفِيِّ علم التأويل ،
لأنها كانت رُؤْيَا ، وإن شِئْتَ : كان من باب الزَّجْرِ والتَّوْشُمِ الصَّادِقِ (٢)
والاعتبار والتفكير في معالم حكمة - الله تعالى - فهذا سعيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ ،
وهو مَنْ هُوَ عَلِمَا وَوَرَعَا حين حَدَّثَ بِحديث البئر في البستان ، وأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم - قعد على قُمْحٍ (٣) ، وَدَلَّى رجله فيها ، ثم جاء أبو بكر
رضي الله عنه - ففعل مثل ذلك ، ثم جاء عمرُ - رضي الله عنه - ففعل مثل

(١) الحديث متفق عليه ، وفي أنى داود بسند ضعيف : «اتركوا الحبشة
ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السوَيْتَيْنِ من الحبشة» ، والسوَيْتَانِ
مثنى سويقة : تصغير لساق ، وهى مؤنثة . وقد صغر الساق ، لأن الغالب على سوق
الحبشة الدقة والخروشة ، وقد أبعد السبيل وأغرب في تأويلاته .

(٢) الزجر : أصله هو التيمن والتشؤم بالطير ، والتفؤل بطيرانها كالسائح
والبارح ، وهو نوع من السكاهنة والعيافة . والتوشم . أو الذكاة : الاعتبار
(٣) قف البئر : هو الدكة التى تجعل حولها .

ذلك ، ثم جاء عثمان ، فانتبذَ منهم ناحية ؛ وَقَعَدَ حَجْرَةً (١) . قال سعيد بن المسيَّب : فَأَوَّلْتُ ذلك قبورَهم ، اجتمعت قبورُ الثلاثة ، وانفرد قبرُ عثمان - رضى الله عنه - . والله سبحانه يقول : (إن في ذلك لآياتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ) الحجر : ٧٥ . فهذا من التَّوَسُّمِ وَالْفِرَاسَةِ الصادقة ، وإعمالِ الفكرِ في دلائلِ الحكمة ، واستنباطِ الفوائدِ اللطيفة من إشاراتِ الشريعة . وأمَّا قريةُ النمل ، ففيها من المُشَاكَلَةِ أيضا ، والمناسبة : أن زَمَزَمَ هى عينُ مَكَّةَ التى يَرِدُهَا الحَجيُّجُ والعُمَّارُ من كل جانب ، فيحملون إليها الثَبْرَ والشَّعِيرَ ، وغير ذلك وهى لا تحرث ولا تزرع ، كما قال سبحانه خبرا عن إبراهيم عليه السلام : (رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) . إلى قوله : (وَارزُقْنَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ [لعلهم يشكرون] إبراهيم : ٣٧) وقرية النمل لا تحرث ولا تَبْدُر ، وتجب الحبوب إلى قريبها من كل جانب ، وفى مَكَّةَ قال الله سبحانه : (وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) النحل : ١١٢ . مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماءَ فى الخَوْصِ : إذا جمَعْتُهُ ، والرُّؤْيَا تُعَبِّرُ عَلَى اللفظ تارة ، وعلى المعنى أخرى ، فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التأويل - والله أعلم .

مع صفات زمرم :

وقد قيل لعبد المطلب فى صفة زَمَزَمَ : لَا تَنْزِفُ أَبَدًا ، وَلَا تُدْخِمُ (٢) ،

(١) قعد حجرة : أى ناحية .

(٢) نزفت - بفتح النون والزاي - ماء البئر نفا : إذا نوحته كله ، ونزفت هى =

وهذا بُرْهَانٌ عَظِيمٌ ، لِأَنَّهُ لَمْ تَنْزِفْ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْنَ إِلَى الْيَوْمِ قَطُّ ، وَقَدْ وَقَعَ فِيهَا حَبَشِيٌّ فَتَزَحَّتْ مِنْ أَجْلِهِ ، فَوَجَدُوا مَاءَهَا يَتَوَرَّمُ ثَلَاثَةَ أَعْيُنٍ ، أَقْوَاهَا وَأَكْثَرُهَا مَاءً : مِنْ نَاحِيَةِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ الدَّارَقُطْنِيُّ .

وقوله : وَلَا تَنْدُمُ ، فِيهِ نَظَرٌ ، وَابْسِ هُوَ عَلَى مَا يَبْدُو مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ مِنْ أَنَّهَا لَا يَذْمُهَا أَحَدٌ ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الذَّمِّ لَكَانَ مَاؤُهَا أَعَذَبَ الْمِيَاءِ ، وَلَتَضَلَّعَ مِنْهُ كُلُّ مَنْ يَشْرِبُهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَتَضَلَّعُ مِنْهَا مَنَافِقٌ ، فَمَاؤُهَا إِذَا مَذْمُومٌ عِنْدَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَمِيرُ الْعِرَاقِ يَذْمُهَا ، وَيُسَمِّيهَا : أُمَّ جِمْلَانَ ^(١) ، وَاحْتَفَرُ بُرّاً خَارِجَ مَكَّةَ بِاسْمِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَجَمَلَ يُفَضِّلُهَا عَلَى زَمْزَمَ ، وَيَحْمِلُ النَّاسُ عَلَى التَّبَرُّكِ بِهَا دُونَ زَمْزَمَ جُرْأَةً مِنْهُ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَقَوْلُهُ حَيَاءٌ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْلَنُ وَيَفْصَحُ بِلَعْنِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا ، أَنَّهَا قَدْ ذُمَّتْ ، فَقَوْلُهُ إِذَا : لَا تَنْدُمُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : بَرَّ ذِمَّةً أَيْ : قَلِيلَةَ الْمَاءِ ، فَهُوَ مَنْ أَذْنَمَتِ الْبُيُوتُ إِذَا وَجَدَتْهَا ذِمَّةً : كَمَا تَقُولُ : أَجَبَنْتُ الرَّجُلَ : إِذَا وَجَدْتَهُ جَبَانًا ، وَأَكْذَبْتُهُ إِذَا

== يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَذَّى ، وَنَزَفَتْ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ ، وَعَنْ ابْنِ سَيِّدَةَ : نَزَفَ الْبُيُوتُ يَنْزِفُهَا وَأَنْزَفَهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، كَلَامُهُمَا نَزَحَهَا : وَأَنْزَفَتْ هِيَ نَزَحَتْ ، وَذَهَبَ مَاؤُهَا .

(١) جَمَلَ الْمَاءِ بِفَتْحٍ فَكَسَرَ جَمَلًا ، أَيْ : كَثُرَ فِيهِ الْجَمَلَانُ : جَمَعَ جَمَلَ وَهُوَ دَابَّةٌ سُودَاءُ مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ قِيلَ : هُوَ أَبُو جَعْرَانَ . وَلَعَلَّهَا فَرِيَّةٌ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوَاقِفِ ، الَّذِي يَرْغَبُهُمْ عَلَى الرِّضَا بِهَذَا الَّذِي نَسَبَ إِلَى خَالِدٍ .

وجدته كاذباً^(١)، وفي التنزيل: «فإيهام لا يكذبونك»^(٢) [ولكن الظالمين
بآيات الله ينجحون] الأنعام . ٣٣ وقد فسر أبو عبيد في غريب الحديث قوله
حتى مررنا ببرذمة : وأنشد .

نَحْيَسَةُ خُزْرًا كَانَ عِيُونَهَا ذِمَامُ الرَّكَايَا أَنْكَرَتِهَا الْمَوَاتِحُ^(٣)

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله . ولا تُدَمِّمُ ؛ لأنه نفي مطلق ، وخبر صادق

(١) يقول ابن جرير الطبري : «أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب
وكذبتة — بتضعيف الدال — إذا أخبرت أنه كاذب .»

(٢) الذي في المصحف هو ما أثبتناه ، ولكن السهيلي يعني القراءة الثانية ، وهي
مشهورة أيضا ، وهي : «لا يكذبونك» بضم الياء وسكون الكاف وتخفيف الدال ، وهي
قراءة نافع والكسائي من : أكذب ، أما قراءة المصحف : فن كذبه بتضعيف الدال .

(٣) البيت لذى الرثمة — بضم الراء أو كسرهما وتشديد الميم المفتوحة —
يصف إبلا غارت عيونها من السلال . وروايته في اللسان : «على حميريات ،
بدلا من نخيصة خزرأ» ، والإبل النخيسة هي التي لم تسرح ، ولكنها حبست للنحر
أو القسم ، والخزر : هو كسر العين بصرها خلقة أو ضيقها وصفرها . أو النظر
كأنه في أحد الشقين ، أو أن يفتح عينيه ويغمضهما ، وحول في إحدى العينين . وركايا
جمع ركية — بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء المفتوحة — البر — كما
في القاموس ، ومواتح : المنح — بفتح الميم وسكون التاء — جذبك رشاء
«حبل ، الدلو تمد بيد ، وتأخذ بيد على رأس البر . ومواتح : جمع مانح وهو
المستقى . والمانح الذي يملأ الدلو من أسفل البر . أنكرتها : أقلت ماءها ، والذمة :
البر قليلة الماء . يقول عن الإبل . إن أعينها غارت من التعب ، فكانها آبار
قليلة الماء . وفي الروض : أنكرتها ، فرواها اللسان في مادة ذمم «أنكرتها ،
وفسرها بما نقلته عنه ، ولكنه في مادة فتح ذكرها : أنكرتها .»

والله أعلم - وحديث البئر الذمّة التي ذكرها أبو عبيد ، حدثنا به أبو بكر بن العربي الحافظ ، قال : أخبرنا القاضي أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبي الرجاء قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد قال : حدثنا الخوث بن أبي أسامة . قال : حدثنا أبو النصر ، قال : حدثنا سليمان عن محمد بن يونس عن البراء قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مسير قاتينا على ركيّ ذمّة (١) . يعني : قليلة الماء قال : فنزل فيها ستة - أو سادسهم مائة (٢) ، فأدريت إلينا دلو ، قال : ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الركيّ . فحملنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثها . فرفعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فحنت بإنائي . هل أجد شيئا أجعله في حاتي ، فما وجدت ، فرفعت الدلو إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فغمس يده فيها ، فقال ما شاء الله أن يقول - قال : فأعيت إلينا الدلو بما فيها ، قال : فلقد رأيت أحدا أخرج شوب خشية الفرق . قال : ثم ساحت ، يعني : جرت نهرا (٣) .

(١) ركيّ - بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء - جنس للركية وهي البئر .

(٢) المبح - بفتح الميم وسكون الياء - أن تدخل البئر فتملا الدلو ، وذلك إذا قل ماؤها ، ودجل عاج ، وقوم مائة بفتح الحاء .

(٣) أصل الحديث في الصحيح باختصار كثير في إحدى الغزوات . وهذا الذي في الروض رواه أحمد والطبراني . ويقول الحافظ في الفتح : قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه ص ، أمر عنه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي . قلت : أخذ كلام عياض أو تصرف فيه . قال : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبيتنا ، وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين =

اشتقاق مفازة :

وذكر حديث عبد المطلب في مسيره مع قرش إلى الكاهنة ، وذكر
المفاز التي عطشوا فيها . المفوز : جمع مفازة ، وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال . روى
عن الأصمعي أنها سُميت مفازة على جهة التغاؤل لراكبها بالفوز والنجاة ،
ويذكر عن ابن الأعرابي أنه قال : سألت أبا الكثر : لم سميت القفلة مفازة ؟
فقال : لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز . وقال بعضهم : معناها : مهلكة
لأنه يقال : فاز الرجل ، وفوز وفاد وقطس : إذا هلك . وذكر في غير رواية
على ابن أبي طالب - رضوان الله عليه - ثم ادع بالماء الروي غير الكدر
يقال : ملا روي بالكسر والقصر ، ورواء بالفتح وللد^(١) وفيه :

= واحد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق . وعن
ابن سعد عند البخاري والترمذي ، وعن ابن عباس عند أحد الطبراني من
طريقين .. وأما تكثير الماء بأن يلجم يده ، أو يتغل فيه ، أو يأمر بوضع
شيء فيه كسهم من كفافه . فجاء في حديث عمران بن حصين في الصحيحين ،
وعن البراء بن عازب عند البخاري وأحد من طريقين ، وعن أبي قتادة عند
مسلم ، وعن أنس عند البيهقي في الدلائل .. وأما من رواها من أهل القرن الثاني
فهم أكثر عدداً ، وإن كان شطر طرقه لإفراد ، انتهى ما في الفتح ص ٤٥٦ ج ٦
وانظر بجمع الزوائد للهيتي . وأقول : كل ما يحدث هو بأمر الله سبحانه ، ولا
يستطيع مسلم أن ينكر أن الله سبحانه فجر الماء لموسى من الحجر ، وقال لعيسى
عن المائدة : « إني منزلها عليكم » والله الذي من بذلك قادر على أن يمن بهذا .
وموقفنا الإذعان ، والإيمان بأنه من قدرة الله وإذنه ، لا من قدرة نبي أو ولي ،
ولا بإذنه ولا بأمره .

(١) روى كفي ، وروى مثل : إلى ، ورواء مثل سماء : كثير مرو .

الجمع واسم الجمع :

يستقى حَجِيجُ اللَّهِ في كل مَبْرَءٍ الحَجِيجُ: جمع حاج . وفي الجموع على وزن فَعِيل كثير كالتَّعِيد والتَّعِير والتَّعِيز والأَبِيل !! وأحسبه اسما للجمع ؛ لأنه لو كان جماعه واحد من لفظه، لجرى على قياس واحد كسائر الجموع، وهذا يختلف واحدُه فحَجِيج واحدُه: حاج، وعبيد واحدُه: عُبدٌ، وبقير^(١) واحدُه: بقرة [ومَعِير: واحدُه: مَاعِر] إلى غير ذلك، فغائز أن يقال: إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة ؛ ولذلك لا يُصَغَّر على لفظه، كما تصغر أسماء الجموع ، فلا يقال في العبيد: عُبيد ، ولا في النخيل:

(١) في اللسان : البقير اسم للجمع ، أما الأَبِيل بفتح الهمزة وكسر الباء — فالخزمة من الحشيش والخطب ، والإبيل بكسر الهمزة وتضعيف الباء مع كسرهما: القطعة من الطير والخليل . وقيل هي مفرد أبابيل ، وربما كانت لبلا ، وهي تقع على الجمع، وليست بجمع والاسم جمع ، قاموس ، ويقول الجوهري إن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين ، فالتأنيث لازم لها، فإذا صغرتها دخلتها التاء ، فنقلت عن لبيل : أبيلة ، وعن غنم : غنيمة ، وقد فرق شارح السكاكية لابن الحاجب بين الجمع واسم الجمع بفروق تملخص في ثلاثة أوجه ، الأول: أن الجمع على صيغة خاصة من صيغ معدودة معروفة ، وهذه الصيغة تغاير صيغة المفرد ، إما ظاهرا ، وإما تقديرا . فالمغايرة الظاهرة إما بالحركات كأسد ، وأسد ونمر ونمر ، وإما بالحروف كرجال : جمع رجل وكتب جمع كتاب ، والمغايرة المقدرة كهجان وفلك ، ومن المغايرة الظاهرة : الجمع السالم مذكرا أو مؤنثا .

والثاني : أن للجمع واحدا من لفظه ، وليس لاسم الجمع واحد من لفظه ، بل له واحد من معناه ، فواحد الإبل : بعير أو ناقة ، وواحد الغنم : شاة . والثالث : أن الجمع يرد إلى واحد في النسب مطلقا ، وفي التصغير إن كان جمع كثرة . وأما اسم الجمع ، فلا يرد ، لأنه إما ألا يكون له واحد حتى يرد إليه ، وإما أن يكون له واحد ، لكن لا يصح الرد إليه لأن اسم الجمع لم يكن على صيغة من صيغ الجمع فهو كالمفرد في اللفظ . انظر ص ١٩٣ ج ٢ شرح الشافعية للرضي والتلخيص المذكور للأستاذة المحققة للشافعية .

نُخِيلٌ، بل يرد إلى واحد، كما ترد الجموع في التصغير، فيقال: نُخَيْلَاتٌ وَعُبَيْدُونَ، وإذا قلت: نخيل أو عبید، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس، قال الله سبحانه: (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) وقال: (وَمَارُبُّكَ بِظِلَامٍ لِّلْعَبِيدِ) فصلت: ٤٦، وحين ذكر الحاطبين منهم قال: العباد، وكذلك قال حين ذكر الثمر من النخيل: (وَالنَّخْلُ بِاسْقَاتٍ) ق: ١٠ وقال: (أَفْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) القمر: ٢٠ فتأمل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام، وأما في مذهب أهل اللغة، فلم يفرقوا هذا التفريق، ولا نهوا على هذا الغرض الدقيق.

شروح:

وقوله: في كل مَبَرٍّ: هو مَقْعَلٌ مِنَ الْبَرِّ، يريد: في مناسك الحج ومواقع الطاعة
وقوله: مثل نمام جافل لم يقسم. الجافل: من جَفَلَتِ الغنم: إذا انقلعت
بجملتها، ولم يُقَسَّمْ أى: لم يُتَوَزَّعْ، ولم يتفرق.

وقوله: ليس يخاف منه شيء ما عَمَرَ. أى: ما عمر هذا الماء، فإنه لا يؤذى،
ولا يخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط في شربها، بل هو بركة على كل
حال، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله: لَا تَنْزِفُ، ولا تُنْذِمَ عاقبة شربها، وهذا
تأويلٌ سائغٌ أيضا إلى ما قدمناه من التأويل، وكلاهما صحيح في صفتها.

وقوله: وضرب [في الباب] الفزالين^(١) حلية الكعبة، وهو أول ذهب حليت
به الكعبة، وقد قدمنا ذكر الفزالين، ومن أهدأها إلى الكعبة، ومن دفنها من
جرهم، وتقدم أن أول من كسا الكعبة: تُبَيْعٌ، وأنه أول من اتخذها غلقاً إلى أن

(١) ما بين قوسين زيادة من السيرة.

ضرب لها عبدُ المطلب بابَ حديد من تلك الأسلَاف ، واتخذ عبدُ المطلب حوضاً لزمر يسقى منه ، فكان يُخَرَّبُ له بالليل حَسَدًا له ، فلما غَمَّ ذلك قيل له في النوم : قل : لا أحلها لمغسل ، وهى لشارب حلٍّ وبلٍّ (١) وقد كَفَيْتَهُمْ ، فلما أصبح قال ذلك ، فكان بعدُ من أرادها بمسكروه رُمِيَ بداء في جسده ، حتى انهموا عنه . ذكره الزهرى في سيره .

بئار قريش بمكة :

وقوله : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئارا بمكة . ذكروا أن قصيًّا كان يسقى الحَجَّيجَ في حياضٍ من أَدَمَ ، وكان يُقَلُّ الماء إليها من آبارٍ خارجةٍ من مكة منها : بئرُ مَيْمُونِ الحَضْرَمِيِّ ، وكان يَنْبِذُ لهم الزبيب ، ثم احتفر قُصَيُّ العَجُولَ في دار أمِّ هانئ بنت أبي طالب ، وهى أول سقاية

(١) بل : شفاء ، وقيل : بل : مباح بلفح حير ، وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق شعرا قاله عبد المطلب حينئذ وهو :

اللهم أنت الملك المحمود ربى أنت المبدى المعيد
ومسك الراسية الجلود من عندك الطارف والتلبد
إن شئت ألهمت كما تريد لموضع الحلية والحديد
فبين اليوم لما تريد إني نذرت العاهد المعهود
اجعله رب لى فلا أعود

انظر ص ٢٤٦ ج ٢ البداية . هذا وفي السيرة عند قوله : « ثم أعطوا صاحب القداح ، زدت كلمة «القداح» بعد جملة «أعطوا» من البداية ص ٢٤٦ ج ٢ ، وقد جعل عبد المطلب لزمر حوضين . أحدهما : للشرب ، والآخر : للوضوء ، وقال : لا أحلها لمغسل ؛ لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه ج ٢ ص ٢٤٧ بداية .

اُحْتَفِرَتْ (١) بِمَكَّةَ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا اسْتَقَمُوا مِنْهَا ارْتَجَزُوا ، فَقَالُوا :
تُرَوَّى عَلَى الْعَجُولِ ، ثُمَّ نَنْطَلِقُ إِنْ قُصِيًّا قَدْ وَفَى وَقَدْ صَدَقَ
[بِشَبَعِ الْحِجْرِ وَرَى مُغْتَبِقَ] (٢)

فَلَمْ تَزَلِ الْعَجُولُ قَائِمَةً حَيَاةَ قُصَيٍّ ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ ، حَتَّى كَبِرَ عَبْدُ مَنْفٍ
ابْنُ قُصَيٍّ ، فَسَقَطَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُعَيْلٍ ، فَعَطَّلُوا الْعَجُولُ ، وَانْدَفَنْتِ ،
وَاحْتَفَرَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بَثْرًا ، وَاحْتَفَرُ قُصَيٌّ سَجَلَةً ، وَقَالَ حِينَ حَفَرَهَا :
أَنَا قُصَيٌّ ، وَحَفَرْتُ سَجَلَةً تُرَوَّى الْحَجَجِيحَ زُغْلَةً فَزُغْلَةً (٣)
وَقِيلَ : بَلْ حَفَرَهَا هَاشِمٌ ، وَوَهَبَهَا أَسَدُ بْنُ هَاشِمٍ لَعْدِيَّ بْنِ نُوْفَلٍ ،
وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ خَالِدَةُ بِنْتُ هَاشِمٍ :

نَحْنُ وَهَبْنَا لَعْدِيٍّ سَجَلَةً تُرَوَّى الْحَجَجِيحَ زُغْلَةً فَزُغْلَةً
وَأَمَّا أُمُّ أَحْرَادٍ الَّتِي ذَكَرَهَا ، فَأَحْرَادٌ : جَمْعٌ : حِرْدٌ ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ السَّنَامِ ،
فَكَأَنَّهَا سُمِّيَتْ بِهَذَا ، لِأَنَّهَا تُنْبِتُ الشَّحْمَ ، أَوْ تُسَمِّنُ الْإِبِلَ ، أَوْ نَحْوَ هَذَا
وَالْحِرْدُ : الْقَطَا (٤) الْوَارِدَةُ لِلْمَاءِ ، فَكَأَنَّهَا تَرْدُهَا الْقَطَا وَالطَّيْرُ ، فَيَكُونُ

(١) وَفِي الْمَرَادِدِ : أَنَّ الْعَجُولَ أَوَّلُ بَثْرٍ حَفَرَتْ بِمَكَّةَ ، وَقِيلَ : حَفَرَهَا عَبْدُ شَمْسٍ قَبْلَ
خَمٍ ، وَقِيلَ إِنْ أَصْلُهَا كَانَتْ رَكِيَّةً فِي دَارِ أُمِّ هَانِئٍ ، ثُمَّ وَسَعَهَا قُصَيٌّ ، أَوْ سَمَّاها كَذَلِكَ
(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ مَعْجَمِ الْبَكْرِيِّ . وَمُغْتَبِقٌ : أَصْلُ الْغُبُوقِ — كَصُبُورٍ —
مَائِشَرِبٍ بِالْعَشْيِ . وَغَبَقَهُ : سَقَاهُ ذَلِكَ ، فَاغْتَبَقَ هُوَ ، وَالْمُغْتَبِقُ — بِضَمِّ الْمِيمِ وَكَسْرِ
الْبَاءِ — مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ

(٣) الزُّغْلَةُ : الْجُرْعَةُ .

(٤) قَطَا حَرْدٌ : سَرَاعٌ . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ عَنْ هَذَا : إِنَّهُ خَطَأٌ . وَذَكَرَ أَنَّ الْقَطَا

أحراد جمع : حُرْد بالضم على هذا . وقالت أمية بنت عُمَيْلَةَ بن السَّبَّاق بن عبد الدار امرأة القَوَّام بن خُوَيْلِد حين حفرت بنو عبد الدار أمَّ أحراد : نحن حَفَرْنَا البَحْرَ أمَّ أحرادِ ليست كَبْدَرُ البرور^(١) الجُمَادِ

فأجابتها ضَرَّتُهَا : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه :

نحن حَفَرْنَا بَدْرَ^(٢) نسقى الحَجِيجَ الأكبر

من مُقْبِلٍ ومُذِيرٍ وأم أحرادَ شَرَّ^(٣)

وأما جُرَاب ، فيحتمل أن يكون بمعنى : جَرِيب^(٤) نحو : كبار وكبير ،

الحردى القصار الأرجل ، وهى موصوفة بذلك . وفى المراسد عن أم أحراد أنها جمع حريد ، وهو المنفرد عن حلة القوم .

(١) هكذا ، وهى غير مناسبة للمعنى ، فلعلها : البثور بضم الباء والثاء : جمع بثر بفتح الباء وسكون الثاء ، وفى اللسان : أنها الكرار — بكسر الكاف — جمع كر المواضع الذى يجمع فيه الماء الآجن ، ليصفو ، ويقال للبخیل : جراد كقطام ذماله .

(٢) فى غير الروض : بثر بفتح فسكون ، والبثر أرض حجارتها كحجارة الحرة إلا أنها بيض ، والماء البثر فى الغدير إذا ذهب ، وبقي على وجه الأرض منه شيء قليل

(٣) البيت : «سقى الله أمواها» لكثير عزة كما فى اللسان ، وكلها آبار بمكة ، وقال ابن برى : هذه كلها أسماء مياه ؛ بدليل إبدالها من قوله أمواها ، ودعا بالسقيا للأمواه ، وهو يريد أهلها النازلين بها .

(٤) الجريب من الطعام والأرض : مقدار معلوم ، والجريب : مكيال قدر أربعة أقفرة ، والجريب : قدر ما يزرع فيه من الأرض ، قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا ، والجمع : أجربة وجربان . وقيل : الجريب المزرعة ، والجريبة : الوادى وجمعه أجربة . ولم أجد فى اللسان جرابا لجريب . ولا فى القاموس .

والجريب : الوادى ، والجريبُ أيضاً : مِكْيَالٌ كبير ، والجريبُ أيضاً : المزرعة .
وأما مَلَكُوم فهو عندى مقلوب ، والأصل : مَمَكُول من : مَكَتُ
البئر : إذا استخرجت ماءها ، والمُكَلَّة : ماء (١) الرِّكِيَّة ، وقد قالوا : بئر
عَمِيقَة ، ومَعِيقَة ، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه :
مَمَكُول ومَلَكُوم ، والمَلَكُومُ فى اللغة : المظلوم إذا لم يكن مقلوباً (٢) .

وأما بَذَر فمن التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا
من غير مكان واحد ، وهذا البناء فى الأسماء قليل ، نحو : شَلَمٌ وخَضَمٌ وبَذَرٌ ،
وهى أسماء أعلام ، وشَلَمٌ : اسم بيت المقدس ، وأما فى غير الأعلام ، فلا يعرف
إلا البَقَم ، ولعل (٣) أصله أن يكون أعجميا ، فعرب .

(١) وضع اللسان ملكوم فى مادة لكم ، وفى المراسد : أنها اسم
المفعول من لكمة ، وفيه أن المسكلة بضم الميم وفتحها وسكون الكاف : جمة
البئر . الجمة المكان الذى يجتمع فيه ماء البئر . أو أول ما يستقى منها ، وفى اللسان :
المسكلة بضم الميم الشئ القليل من الماء يبقى فى البئر أو الإناء ، فهو من الاضداد
وبئر بمكولة : نزح ماؤها .

(٢) لم أجد للملكوم هذا المعنى لافى القاموس ، ولا فى اللسان ، ولها معنى الدفع
والضرب باليد مجوعة .

(٣) خضَم : اسم عنبر بن تميم ، وقال اللسان عن شلم : إنها عبرانية ، وزاد
من الأعلام : عثر بفتح العين ، وتضعيف الثاء مع فتح - اسم بالين ، أو واد من
أودية العقيق ، أو مأسدة . وفى المراسد أن أهل اليمن ينطقون عثر بتخفيف الثاء
«باسكانها» انظر المراسد ، ومعجم ما استعجم وياقوت . وفى اللسان أيضا : كَثَمَ
بوزن عثر : اسم موضع . أما بقم فاسم شجر عظام أو خشبة . وبضم الميم مثل =

وأما خُمّ وهى بئر مرة ، فهى من خَمَّتْ البيتَ إذا كنستهُ ، ويقال : فلان نَحْمُومُ القلبِ أى : نَقِيهِ ، فكأنها سُمِّيتَ بذلك لنقاها .

وأما غَدِيرُ خَمٍّ الذى عند الجُحْفَةِ ، فَسُمِّيتَ بَغِيضَةٍ^(١) عنده ، يقال لها : خُمّ فيما ذكروا . وأما رُمّ بئر بى كلاب بن مُرّة ، فمن رَمَتُ الشىءَ إذا جَمَعْتَهُ وأَصْلَحْتَهُ ، ومنه الحديث : كنا أهل ثُمّةٍ ورُمّةٍ^(٢) ، ومنه : الرُّمَّانُ فى قول سيبويه ، لأنه عنده فُغْلَانٌ ، وأما الأَخْفَشُ فيقول فيه : فُغْلَانٌ ، فيجعل فيه الثُّونَ أَصْلِيَّةً ، ويقول : إن سَمِّيتَ به رجلا صرّفته . ومن قول عبدِ شمس بن قُصَيٍّ :

==سكر شجر جوز ، وزاد ابن مالك ، شمر ، اسم فرس ، فصارت ستة أسماء ، وقد نظم ابن مالك أكثرها فيما يأتى :

وبئر وبقم وشمر وخضم وعثر لفعل

ص ٦٣ ج ٢ المزهري للسيوطي .

(١) الأجمة ، وهى مغيض ماء يجتمع ، فنبت فيه الشجر .

(٢) هو فى حديث أم عبد المطلب حين أخذه عمه منها : كنا ذوى ثمة ورمّة . يقال ، ماله ثم ولارم . فالتم : قاش البيت : والرم : مرمة البيت أى : متاعه كأنها أرادت : كنا القائمين بأمره منذ ولد إلى أن شب وقوى . وقيل : هو من قول أخوال أحيحة بن الجلاح . قال أبو عبيد : المحدثون يروونه بالضم ، والوجه عندى الفتح ، وهو لإصلاح الشىء وإحكامه ، وهو - أى الثم والرم - بمعنى الإصلاح . وقيل : هما بالضم مصدران . والمعنى على قول أبي عبيدة : كنا أهل تربيته والمتولين لإصلاح شأنه ، وقد رواه الهروى فى حرف الراء من قول أم عبد المطلب ، ورواه فى حرف التاء من قول أخوال أحيحة ، ورواه مالك فى الموطأ عن أحيحة .

حَفَرْتُ رُمًا ، وَحَفَرْتُ حُمًا حَتَّى تَرَى الْجَدَّ بِهَا قَد تَمَّ
وَأَمَّا سُقْيَةُ بَثْرُ بَنِي أَسَدٍ ، فَقَالَ فِيهَا الْخَوِيزِثُ بْنُ أَسَدٍ :
مَاءُ سُقْيَةٍ كَمَاءِ الْمُزْنِ وَلَيْسَ مَأْوُهَا بِطَرَقِ أَجْنٍ (٢)
وَأَمَّا سُنْبُلَةٌ : بَثْرُ بَنِي جُحَجٍ ، وَهِيَ بَثْرُ بَنِي خَلْفِ بْنِ وَهْبٍ - فَقَالَ فِيهَا
شَاعِرُهُمْ :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سُنْبُلَةً صَوَّبَ سَحَابِ ذَوِ الْجَلَالِ أَنْزَلَةً
ثُمَّ تَرَكْنَاهَا بِرَأْسِ الْقُنْبُلَةِ نَصَبُ مَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَعْبَلَةِ
نَحْنُ سَقَيْنَا النَّاسَ قَبْلَ الْمَسْئَلَةِ

من شرح شعر مسافر :

وَأَمَّا الْقَمَرُ : بَثْرُ بَنِي سَهْمٍ ، فَقَالَ فِيهَا بَعْضُهُمْ :
نَحْنُ حَفَرْنَا الْقَمَرَ لِلْحَجِيجِ تَشْجُ مَاءٍ أَيَّمَا مُجِيجِ
ذَكَرَ أَكْثَرُهُ أَبُو عُبَيْدِ الْبَكْرِى ، وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَرْجَازِ أَوْ أَكْثَرُهُ
فِي كِتَابِ الزُّبَيْرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .
فَصَل : وَذَكَرَ شَعْرَ مُسَافِرٍ بَنِي أَبِي عَمْرٍو بَنِي أُمَيَّةَ . وَاسْمُ أَبِي عَمْرٍو :
ذَكْوَان ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ أَبُو سَفْيَانَ :

(١) هِيَ سَقِيَّةٌ أَوْ شَفِيَّةٌ ، وَفِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ سَنَةِ ١٣٢٢ عَلَى هَامِشِ
الرُّوضِ : سَقِيَّةٌ .
(٢) الطَّرَقُ : الْمَاءُ الَّذِي خَوْضَتُهُ الْإِبِلُ ، وَبُولَتْ فِيهِ ، وَالْأَجْنُ : الْمَاءُ
الْمُتَغَيِّرُ الطَّعْمَ وَاللَّوْنَ .

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بْنَ أَبِي عَمَّةٍ رَوِ ، وَلَيْتَ يَقُولُهَا الْمَحْزُونُ
بُورِكَ أَلْمَيْتُ الْغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ نَضَحُ الرُّمَّانَ وَالزَّيْتُونَ (١)

في شعير يريته به ، وكان مات من حُبِّ صَعْبَةِ بِنْتِ الْخَضِرِيِّ .

وفي الشعر : وَنَحْنُ الدَّلَاقَةُ الرُّفْدَا (٢)

الرُّفْدُ : جمع رَفُودٍ من الرِّفْد ، وهي التي تملأ إناءين عند الحلب .
وقوله :

وَنُلْقَى عِنْدَ تَصْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّدَا رُفْدَا

هو جمع رَفُودٍ أيضاً من الرِّفْد وهو : العون ؛ والأول من الرِّفْد بفتح الراء
[وبكسرهما] وهو إناء كبير قال الشاعر :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَغْشَرٍ أَقْتَالَ (٣)

(١) ينسب هذا في اللسان إلى أبي طالب بن عبدالمطلب في مادة نضح. والنضح
تفطر الشجر بالورق .

(٢) فسر الخشني في شرحه للسيرة الدلاقة بقوله : بالإبل التي تمشي متمهلة
لكثرة سمنها . وفي اللسان ، المذلاقة بدلا من : الدلاقة . وفسر المذلاقة بأنها الناقة
السريعة . أما الدلاقة ففي اللسان ، الدلوق والدلقاء : التي تنكسر أسنانها من
الكبر فتجمع الماء والرفود من الإبل التي تملأ الرغد — بكسر الراء وفتحها — القدح
الضخم في حلبة واحدة ، أو هي الدائمة على حلبها ، أو التي تتابع الحلب .

(٣) جمع قتل بكسر القاف ، وهو العدو أو الصديق والنظير وابن العم
والشجاع والقرن . والرغد بفتح الراء وكسرهما والمرغد — بكسر الميم وفتح =
(٩ م — الروض الأنف ج ٢)

وذكر أم عبد الله بن عبد المطلب ، وهى : فاطمة بنت عمرو بن عائذ
ابن عمران^(١) هكذا قال ابن هشام . وقال ابن إسحاق : عائذ بن عبد بن
عمران بن مخزوم ، والصحيح ما قاله ابن هشام ؛ لأن الزبيريين ذكروا أن عبداً
هو أخو عائذ بن عمران ، وأن بنت عبد هى : صخره امرأة عمرو بن عائذ
على قول ابن إسحاق ؛ لأنها كانت له عمّة ، لابنت عمّ ، فتأمله ؛ فقد تكرر
هذا النسب فى السيرة مراراً ، وفى كل ذلك يقول ابن إسحاق : عائذ بن عبد
ابن عمران ، ويخالفه ابن هشام . وصخره بنت عبد أم فاطمة ، أمها :
تخمر بنت عبد بن قصي ، وأم تخمر : سلمى بنت عميرة^(٢) بن ودبة
ابن الحارث بن فهر . قاله الزبير :

== الفاء ، أو بفتح الميم وكسر الفاء — القذح العظيم ، وفى اللسان : هراقت السماء ماءها
تهريق ، والماء مهراق . الهاء فى ذلك كله متحركة ، لأنها ليست أصلية ، إنما هى بدل
من همزة : أراق ، وهرفت مثل أرفت . وقد نسب إلى الأزهرى ، ونسب إليه
أيضاً أنه قال : ومن قال : أهرقت فهو خطأ فى القياس . ومثل هرفت والاصل أرفت
قولهم هرحت الدابة وأرحتها ، وهزرت النار وأنرتها . وقال أبو زيد : الهاء منها
زائدة ، كما قالوا : أنهأت اللحم والاصل أنأته . وقال بعض النحويين إنما هو هراق
يهرق ؛ لأن الاصل من أراق يريق يؤريق لأن أفعل يفعل كان فى الاصل يؤفعل .
والجوهرى يقول : هراق الماء يهر يقه بفتح الهاء هراقة — بكسر الهاء — صبه
(١) هى كذلك فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٣ ونسب قريش

ص ١٧ وفى حذف نسب قريش للسدوسى ص ٥ .

(٢) فى نسب قريش : سلمى بنت عامرة بن عميرة الخ ص ١٧ .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبدُ المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين أتى من قريش مالتى عند حفر زمزم : لئن وادله عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمهم ، ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم اثبتوني ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ، وكان هبل على بر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة .

وكان عند هبل قداح سبعة ، كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه العقل ، إذا اختلفوا في العقل من تحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله . وقدح فيه : نعم . للأمر إذا أرادوه يضرب ، به في القداح ، فإن خرج قدح نعم ، عملوا به . وقدح فيه : لا ، إذا أرادوا أمرا ضربوا به في القداح ، فإن خرج ذلك القداح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه : منكم ، وقدح فيه ملصق : وقدح فيه : من غيركم : وقدح فيه : المياه ، إذا أرادوا أن يتحفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو ينكحوا منكحا ، أو يذنبوا

• • • • •

مَيْتًا ، أَوْ شَكُوا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ ، ذَهَبُوا بِهِ إِلَى هُبَلٍ وَبِمِثْلَةِ دَرَاهِمٍ وَجَزَرٍ ، فَأَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يَرِيدُونَ بِهِ مَا يَرِيدُونَ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا إِلَهَنَا هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ قَدْ أَرَدْنَا بِهِ كَذًا وَكَذًا ، فَأَخْرَجَ الْحَقُّ فِيهِ . ثُمَّ يَقُولُونَ لَصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ : فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مِنْكُمْ ، كَانَ مِنْهُمْ وَسِيطًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مِنْ غَيْرِكُمْ ، كَانَ حَلِيفًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مُلْصَقٌ ، كَانَ عَلَى مَنَزَلَتِهِ فِيهِمْ ، لَانْسَبَ لَهُ ، وَلَا حِلْفَ ، وَإِنْ خَرَجَ فِيهِ شَيْءٌ ، مِمَّا سِوَى هَذَا مِمَّا يَعْمَلُونَ بِهِ : نَعَمْ عَمَلُوا بِهِ ، وَإِنْ خَرَجَ : لَا ، أَخْرَوْهُ عَامَهُ ذَلِكَ ، خَتَى يَأْتُوهُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، يَنْتَهُونَ فِي أُمُورِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِمَّا خَرَجَتْ بِهِ الْقِدَاحُ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لَصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ عَلَى بَنِي هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هَذِهِ ، وَأَخْبِرْهُ بِنَذْرِهِ الَّذِي نَذَرُ ، فَأَعْطَاهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قِدْحَهُ الَّذِي فِيهِ اسْمُهُ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَصْفَرَ بَنِي أَبِيهِ ، كَانَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ وَأَبُو طَالِبٍ لِقَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ يَعْظَةَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَائِذُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ — فِيمَا يَزْعُمُونَ — أَحَبَّ وَلَدَيْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَيْهِ ، فَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَرَى أَنَّ السَّهْمَ إِذَا أَخْطَأَهُ فَقَدْ أَشْوَى . وَهُوَ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَلَمَّا أَخَذَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ الْقِدَاحَ لِيَضْرِبَ بِهَا ، قَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ عِنْدَ هُبَلٍ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ ضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ ، فَخَرَجَ الْقِدْحُ

• • • • •

على عبد الله ، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشَّعْرة ، ثم أقبل به إلى إساف وناثلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أُنْدَيْتِها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قُرَيْشُ وبنوه : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعْذِرَ فيه . لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحه ، فابقاء الناس على هذا ؟ ! وقال له الْمُغِيرَةُ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يَقْظَةَ - وكان عبد الله ابن أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعْذِرَ فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فَدَيْنَاهُ . وقالت له قريش وبنوه . لا نفعل ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإنَّ به عَرَافَةٌ لها تابع ، فسَلَّها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمرك وله فيه فَرَجٌ قَبِيلَتِهِ .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها - فيما يزعمون - بحَيْرٍ . فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبدُ المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونَذَرَهُ فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتيَنِي تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم غَدَا عليها ، فقالت لهم : قد جاءني الخبرُ ، كم الدِّيَّةُ فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرَّبوا صاحبكم ، وقرَّبوا عشرًا من الإبل ، ثم اضربوا عليها ، وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم ، فزِيدُوا من الإبل حتى يَرْضَى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فأنحروها عنه ، فقَدَرَضِي ربُّكم ، ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قَدِمُوا مَكَّةَ ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام

• • • • •

عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم قرَّبوا عبدَ الله وعشرًا من الإبل ، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هَبَل يدعو الله عزَّ وجلَّ !! ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزَّ وجلَّ ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثلاثين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ أربعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ خمسين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ستين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ سبعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثمانين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ تسعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا ، نِجْرَج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ مئة ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِجْرَج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رِضا ربِّكَ يا عبدَ المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أُضربَ عليها ثلاثَ مرات ، فضربوا على عبد الله ، وعلى الإبل ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، نِجْرَج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبدُ المطلب قائمٌ يدعو الله ، فضربوا ، نِجْرَج القِدْح على

• • • • •

الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج
القِدْح على الإبل : فُنَحِرَتْ : ثم تُرِكَت لا يُصَدَّ عنها إنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سُبُع .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يَصِحَّ عندنا عن أحد
من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضه لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فرّ به
- فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب
ابن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : وهى أخت وَرَقَة بن نوفل
ابن أسد بن عبد العزى : وهى عند الكعبة : فقالت له حين نظرت إلى وجهه :
أبني تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مثلُ الإبل التى نَحِرْتُ
عنك : وَقَعَ عَلَى الآن . قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خِلافَه . ولا فراقه .

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهرَة
ابن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر - وهو يومئذ سيّد
بني زُهرَة نسبا وشرفاً - فزوّجه ابنته آمنة بنت وَهْب ، وهى يومئذ أفضلُ
امرأة فى قُرَيْش نسبا وموضعا .

وهى لبّرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب
ابن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وبّرة : لأم حبيب بنت

• • • • •

أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم حبيب : ابنة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

فزعوا أنه دخل عليها حين أمليها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليوم ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس [لى] بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصّر واتبع الكتب : أنه كائن في هذه الأمة نبي .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار : أنه حدث ، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عامدا إلى آمنة ، فمرّ بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ثم مرّ بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بى وبين عينيّك غرة بيضاء ، فدعوتك فأبيت علىّ ، ودخلت على آمنة فذهبت بها .

قال ابن إسحاق : فزعوا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مرّ بها وبين عينيّه غرة مثل غرة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك

.

بني ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه - صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله

صلى الله عليه وسلم

ويرضعون - فيما يتحدث الناس والله أعلم - أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تحدث :

أنها أتيت ، حين حملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل لها : إنك قد حملت بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض ، فقولى : أعيذه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ، ثم سمّيه : محمداً . وراثة حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأت به قصور بصرى ، من أرض الشام .

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن هلك ، وأم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حامل به .

نذر عبد المطلب :

فصل : وذكر نذر عبد المطلب أن ينحدر ابنه إلى آخر الحديث . وفيه أن عبد الله ، يعنى : والد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أصغر بني أبيه ، وهذا غير معروف ، ولعلّ الرواية : أصغر بني أمّه ، وإلا فخمزة كان أصغر من عبد الله ، والعباس : أصغر من خمزة ، وروى عن العباس - رضى الله عنه - أنه قال : أذكر مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا

ابن ثلاثة أعوامٍ أو نحوها ، فجىء بى حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقنن
لى : قَبِّلْ أَخاك ، قَبِّلْ أَخاك ، فقبلته ، فكيف يصح أن يكونَ عبدُ الله هو
الأصغر مع هذا ؟ ! ولكن رواه البَكاؤى كما تقدم ، ولروايته وجه ، وهو
أن يكونَ أصغرَ ولد أبيه حين أراد نحْرَه ، ثم وُلد له بعد ذلك حَزْرَةُ
والعباسُ .

وسائرُ حديث عبد المطلب ليس فيه ما يُشكِل . وفيه أن الدِّيَّة كانت

(١) أولاد عبد المطلب هم — كافي لسب قريش : عبد الله ، وأبو طالب
— واسمه : عبد مناف — والزيبر ، وأم حكيم البيضاء الملقبة بالحصان — بفتح
الحاء — توأمة عبد الله والد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعاتكة ، ومرة ،
وأميمة ، وأروى أمهم : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحزرة ،
والمقوم ، وحجل أو جحل — واسمه : المغيرة — وصفية وأمهم : هالة بنت
أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والعباس وضرار ، وأمهما نائلة بنت جناب
ابن كليب ، والحارث وهو أكبر ولده ، وبه كان يكنى — وقثم هلك صغيرا وأمهما :
صفية بنت جندب بن حجير بن رثاب ، وأبو لهب — واسمه عبد العزى — وأمه :
لبنى بنت هاجر بن عبد مناف . والغيداق — واسمه : مصعب ، وأمه خزاعية
وفى جهرة أنساب العرب : عبد الله ، وأبو طالب ، وأبو لهب ، ويسكنى أبا عتبة
والزيبر والمقوم والحارث وحزرة والعباس ، وأربع بنات . فعبد الله ، وأبو طالب
والزيبر وأم حكيم ، وعاتكة ، ومرة ، وأميمة ، وأروى . أشقاء من
أم واحدة .

وحزرة والمقوم وحجل وصفية أشقاء من أم واحدة .

والعباس وضرار شقيقان ، والحارث ، وقثم شقيقان ، وأبو لهب من أم ،
والغيداق من أم .

بِعُشْرِ مِنَ الْإِبِلِ قَبْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ : وَأَوَّلُ مَنْ وُدِيَ بِالمائة إِذَا : عَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا ذَكَرَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانِ أَنَّ أَبَا سَيَّارَةَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ الدِّيَّةَ مائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ وُدِيَ بِالْإِبِلِ مِنَ الْعَرَبِ : فَزَيْدُ ابْنِ بَكْرٍ بَنِ هَوَازِنَ قَتَلَهُ أَخُوهُ مُعَاوِيَةُ جَدُّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَمْعَةَ (١) .

وَأَمَّا السَّكَاهَةُ الَّتِي تَحَاكُمُوا إِلَيْهَا بِالمَدِينَةِ فَاسْمُهَا : قُطْبَةُ . ذَكَرَهَا عَبْدُ الْغَنِيِّ فِي كِتَابِ الْغَوَامِضِ وَالْمُبَهَّمَاتِ ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ أَنَّ اسْمَهَا : سَجَّاحٌ .

تَرْوِيجَ عَبْدِ اللَّهِ :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ تَرْوِيجَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ أَمَنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ ، وَذَكَرَ الْبَرْقِيُّ فِي سَبَبِ تَرْوِيجِ عَبْدِ اللَّهِ أَمَنَةَ : أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلِبِ كَانَ يَأْتِي الْيَمِينَ ، وَكَانَ يَنْزِلُ فِيهَا عَلَى عَظِيمٍ مِنْ عِظَائِهِمْ ، فَيَنْزِلُ عِنْدَهُ مَرَّةً ، فَإِذَا عِنْدَهُ رَجُلٌ يَمْنَنُ قَرَأَ الْكِتَابَ ، فَقَالَ لَهُ : ائْذَنْ لِي أَقْسُ مِنْخِرَكَ (٢) ، فَقَالَ : دُونَكَ فَانْظُرْ ، فَقَالَ : أَرَى نُبُوَّةً وَمُلْكًا ، وَأَرَاهَا فِي الْمَنَافِقِينَ : عَبْدُ مَنَافٍ بْنُ قُصَيٍّ ، وَعَبْدُ مَنَافٍ بْنُ زَهْرَةَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الْمَطْلِبِ انْطَلَقَ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ،

(١) اسم زيد في جمهرة أنساب العرب : يزيد . وفيه أيضا أن يزيد هو الذي قتل معاوية ، لجعل فيه عامر بن الظرب العدة وافي مائة من الإبل ، وهي أول دية قضى فيها بذلك ، وتقول العرب إن لقمان كان جعلها قبل ذلك مائة جدي .
ص ٢٥٢ جمهرة ابن حزم .

(٢) في القاموس — بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما ، وكمجلس وملبول .
« بضم الميمين » : الأنف .

فتزوج عبدُ الْمُطَلِّبِ هَالَةَ بِنْتَ وَهَيْبٍ (١) ، وهى أم حمزة - رضى الله - عنه ، وزوج ابنته عبد الله آمنَةَ بنت وَهَبٍ ، فولدت له رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

مول أمهات النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر أمها وأم أمها ، والثالثة وهى : بَرَّةُ بنت عَوْفٍ (٢) ، وقد قدمنا فى أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة (٣) ونسبهن ، فليُنظَر هُنالك . وأما أم هالة فهى : الْعَبْلَةُ بنت المطلب ، وأمها : خديجة بنت سَعِيد بن سَهْم (٤) ، وقد أشكل على بعض الناس فى هذا الخبر أن عبد المطلب نذر

(١) فى نسب قريش : أهيب ص ١٧ ، وفى جهرة ابن حزم ص ١٣ : وهيب .
(٢) فى السيرة : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج . وفى كتاب حذف نسب قريش للسدوسى ص ٦ : ضبطت عويج بفتح العين . وكسر الواو . وأكثر المراجع ذكرته بضم العين وفتح الواو .

(٣) فى نسب قريش عن أم برة : وأمها أميمة بنت مالك بن غنم بن حنشل ابن عادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن مُهذِل ، وأمها : قلابة بنت الحارث - وهو أبو قلابة الشاعر ، وهو أقدم من قال الشعر فى هذيل . واسم أبى قلابة : الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن مُهذِل . وأمها : دَبَّةُ بنت الحارث بن تميم وأمها : لبنى بنت الحارث بن النشم بن جرمة بن أَسَيْد بن عمرو بن تميم بن مُرَّ بن أد بن طابخة بن الياس ص ٢١ وأم حبيب بنت أسد المذكورة فى السيرة سماها السدوسى : حبيبة ص ٦ .

(٤) فى نسب قريش ص ٩٢ ذكر أن أمها هى خديجة بنت سعيد بن بحر بن سهم بن عمرو بن مُهْصِيص ولكنّه ذكر فى ص ١٧ أن أمها هى خديجة بنت سَعِيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن مُهْصِيص : وليس لسهم بن عمرو ولد اسمه =

نَحَرَ أَحَدَ بَنِيهِ إِذَا بَلَغُوا عَشْرَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ تَزْوِيجَهُ هَالَةً أُمَّ ابْنِهِ حَمْزَةَ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ بَنْدَرِهِ ، حَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِنَّمَا وُلِدَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بَنْدَرِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ جَمِيعُ أَوْلَادِهِ عَشْرَةَ . وَلَا إِشْكَالَ فِي هَذَا ، فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا : كَانَ أَعْمَامُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اثْنَتَيْ عَشَرَ ، وَقَالَ أَبُو عُمَرَ ، فَإِنَّ صَحَّ هَذَا فَلَا إِشْكَالَ فِي الْخَبَرِ ، وَإِنْ صَحَّ قَوْلُ مَنْ قَالَ : كَانُوا عَشْرَةً بِلَا مَزِيدٍ ، فَالْوَلَدُ يَقَعُ عَلَى الْبَنِينَ وَبَنِيهِمْ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا ، فَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ عَشْرَةُ رِجَالٍ حِينَ وَفَى بَنْدَرِهِ .

المرأة التي دعت عبد الله :

ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعت المرأة الأُسْدِيَّةَ إلى نفسها لِمَا رَأَتْ فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ النَّبُوءَةِ ، وَرَجَتْ أَنْ تَحْمَلَ بِهَذَا النَّبِيِّ ، فَتَكُونَ أُمَّهُ دُونَ غَيْرِهَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ حِينَئِذٍ فِيمَا ذَكَرُوا :

أَمَا الْحَرَامُ فَالْحَامُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَأُسْتَبَيِّنَهُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِيهِ يَحْيَى الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ !
واسم هذه المرأة : رُقِيَّةُ ^(١) بنت نَوْفَلٍ أختُ ورقة بن نَوْفَلٍ ؛ تُكْنَى : أُمُّ

بحر . وإنما كل ولده سعد وسعيد وراثاب . ومن ولد سعد : سُعَيْبٌ الذي أعقب أولادا منهم : خديجة هذه التي يذكر أنها أم عبله . انظر ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ نسب قريش ، ولم يذكر من أولاد سعيد بن سهم من اسمها خديجة ، وإنما قال : إن أمها بنت سعيد بن سهم ص ٤٠٨ وانظر ص ١٥٤ وما بعدها جمهرة النسب .

(١) في البداية ج ٢ ص ٢٦٢ أن اسمها رُقَيْسَةُ . وقد روى ذلك البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق وانظر ص ٥٣ من شرح السيرة للخشنی .

وقال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر
البرقي عن هشام بن الكلبي ، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة (١)
بنت مُرٍّ ، كانت من أجل النساء وأعفن (٢) ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت
نور النبوة في وجهه ، فدعته إلى نكاحها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

إني رأيتُ مُحْيِلَةً نَشَأَتْ فَتَلَلَاتِ بِحَنَاتِمِ الْقَطْرِ (٣)
فَلَمَّا تَهَا نُورًا يُضِيءُ بِهِ مَا حَوْلَهُ كإضاءةِ الْفَجْرِ (٤)
وَرَأَيْتُ سُقْيَاهَا حَيًّا بَلَدٍ وَقَعَتْ بِهِ وَعِمَارَةُ الْفَقْرِ (٥)

(١) كانت - كما روى الخرائطي - كاهنة من أهل قبالة متهودة خثعمية ، وأنها
عرضت عليه مائة من الإبل ليقع عليها في لحظتها ، فأبى . وأقول : لم ترد مسألة
النور هذه في صحاح الأحاديث ، ولا يرفع من قيمة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن نردد
هذا . وقراءة بني زهرة بن كلاب من رسول الله «ص» من وجهين . أحدهما :
أنهم أقارب أمه ، والثاني : لإخوة قصي بن كلاب بن مرة ، وهو جد والد جد النبي .
والمشهور أن زهرة اسم الرجل - وهو المغيرة - أما ابن قتيبة ، فيقول : إنه اسم
امراته ص ٤١٧ ج ١١ فتح الباري .

(٢) في الأصل وأعفه .

(٣) الشعر ينسب أيضا إلى الخثعمية الكاهنة التي عرضت نفسها على عبد الله
والخيلة : السحابة التي تخالها ماطرة وهي بضم الميم وفتحها . وحناتم : جمع
حنتمة : السحابة السوداء لا متلاتها من الماء ، وفي الطبري : لمعت بدلا من : نشأت .
(٤) لماتها : أبصرتها .

وفي الطبري : له ، والبدر بدلا من به ، والفجر ، والبيت في اللسان .

(٥) لا يوجد هذا البيت في الطبري .

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : وُلِدَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل .
قال ابن إسحاق : وحدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قيس بن مخزومة . قال :

ولدتُ أنا ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ .
قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارَةَ الأنصاري . قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت ، قال : والله إني لفلان يَفْعَةُ ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعْقِلَ كلَّ ما سمعت ، إذ سمعتُ يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمَةٍ بِبَيْثَرَبَ : يا معشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : وياك مالك ؟ قال : طَلَعَ الليلةَ نجمُ أحمد الذي وُلِدَ به .

ورأيتُه شَرَفًا أبوء به (١) ما كُلُّ قَادِحٍ زَنَدَه يُورِي
لِلَّهِ ما زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ منك الذي اسْتَعْلَبَتْ وما تَدْرِي (٢)
وفي غريب ابن قتيبة : أن التي عرضت نفسها عليه هي : ليلي الْعَدَوِيَّةُ .

(١) في الطبري : فرجوتها فخرا أبوء به .
(٢) في الطبري : ثوبيك ما استلبت وما تدرى . هذا وقد ذكر الطبري لها قصيدة أخرى عدتها ست آيات وجاء في آخرها .
ولما حوت منه أمانة ما حوت خوت منه فخرا ما لذلك ثان

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ،
فقلت . ابنُ كَـمْ كان حسان بن ثابت مَـقْدَمَ رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وقَدِمَها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهو ابن ثلاث وخمسين سنَّةً ، فسمع حسانُ ما سَمِعَ ، وهو ابن
سبع سنين .

قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمُّه - صلى الله عليه وسلم - أرسلت إلى
جدِّه عبدِ المطلب : أنه قد وُلِدَ لك غلام ، فأَنَّهُ فانظر إليه ، فأناه فنظر إليه ،
وحدَّثته بما رأت حين حَمَلَتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمِرَتْ به أن تُسمِّيَه .
فیزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ،
ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمِّه فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله -
صلى الله عليه وسلم - الرضعا .

قال ابن هشام : المراضع . وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى
عليه السلام : « وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ » .

قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بنى سَعْدِ بن بكر ، يقال لها :
حليمة ابنةُ أبي ذؤيب .

وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنَةَ بن جابر بن رِزَامِ بن
ناصر بن فُضَيَّة بن نَصْر بن سَعْدِ بن بكر بن هوازن بن مَنْصُور بن عِكْرَمَةَ
ابن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَمِيلَانَ [بن مضر] .

• • • • •

واسم أبيه الذي أرضعه - صلى الله عليه وسلم - الحارث بن عبد العزى
ابن رفاعة ابن ملان بن ناصرة بن فضالة بن نضر بن سعد بن بكر
ابن هوازن .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة
بنت الحارث ، وخدامة بنت الحارث ، وهى الشيماء ، غلب ذلك على اسمها
فلا تُعرف فى قومها إلا به . وهم حليلة بنت أبى ذؤيب ، عبد الله بن الحارث ،
أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب
الجبلي : عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أو عن حدثه عنه قال :

كانت حليلة بنت أبى ذؤيب السعدية ، أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
التي أرضعته ، تحدث : أنها خرجت من بلدّها مع زوجها ، وابن لها صغير
ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، تلمس الرضعاء ، قالت : وذلك
فى سنة شهباء ، لم تبق لنا شيطا . قالت : فخرجت على أتان لى قمراء ، معنا
شارف لنا ، والله ما تبصّ بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا ،
من بكائه من الجوع ، ما فى يديّ ما يُغنيه ، وما فى شارفنا ما يُغديه - قال ابن
هشام : ويقال : يُغديه - ولكنّا كنّا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى

تلك ، فلقد أدمنتُ بالرَّكْب ، حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً ، حتى قَدِمْنَا مكة نلتمس الرضعاء ، فما مِنَّا امرأةٌ إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فتأباه ، إذا قيل لها إنه يَتِيم ، وذلك : أنا إنما كُنَّا نَرُجو المعروفَ من أبي الصبيِّ ، فكُنَّا نقول : يَتِيم ! وما عسى أن تصنع أمُّه وجَدُّه ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأةٌ قدمتْ معي إلا أخذتُ رضيعاً غيري ، فلما أجمعنا الانطلاقَ قلتُ لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجعَ من بين صَوَاحبي ولم أأخذُ رضيعاً ، والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم ، فلا أخذه ، قال : لا عليك أن تفعلِ ، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً . قالت : فذهبتُ إليه فأخذه ، وما تخَلَّني على أخذه إلا أني لم أجد غيرَه . قالت : فلما أخذه ، رجعتُ به إلى رَحْلي فلما وضعته في حِجْري أقبلَ عليه نَدَيَايَ بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِيَ ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيَ ، ثم ناما ، وما كُنَّا ننام معه قبلَ ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحَافِلٌ ، فحلبَ منها ما شَرِب ، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيّاً وشَبَعاً ، فبقنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي حين أضحنا . نَعْلَمِي والله يا حَكِيمَة ، لقد أخذت نَسمةً مباركة ، قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبتُ أتانِي ، وحملتُهُ عليها معي ، فوالله لقطعتُ بالرَّكْب ما يقدر عليها شيءٌ من خُرْمٍ ، حتى إنَّ صَوَاحبي ليقان لي : يا بنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربعي علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لمن : بلى والله ، إنها لهي هي ، فيقتلن : والله إن لها لساناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سَعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجَدَبَ منها . فكانت غنمي تروح على حين قَدِمْنَا به معنا شِباعاً لُبْنًا . فنحلبُ ونشرب .

وما يُحِبُّ إنسان قَطْرَةَ لبن ، ولا يجدها في ضَرْع . حتى كان الحاضرون من قَوْمنا يقولون لرُغَيَّانهم : ويلكم امْرَحُوا حيث يَمْرَح راعى بنت أبى ذؤيب فتروح أغنامهم جِيعاً ما تَبِضُّ بقطرة لبن ، وتروح غنمى شِباعاً لُبناً ، فلم نزل نتعرَّف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته ؛ وكان يَسِبُّ شِباعاً لا يَشِبُّ العِلَّمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفراً . قالت : فَقَدِمْنَا به على أُمِّه ونحن أحرصُ شىء على مُكْنه فِينا ؛ لما كُنَّا نرى من بَرَكة . فَكَلَّمْنَا أُمَّه ، وقالت لها : لو تركتِ بُنَى عِنْدى حتى يَفْأُظَّ ، فَإِنى أَخشى عليه وَبَأْ مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى رَدَّته معنا

قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مَقْدَمنا بأشهر مع أخيه لَمَّى يَهْمُ لَنَا خلف بيوتنا ، إِذْ أَنَا أَنَا أَخوه يَشْتَد ، فقال لى ولأبيه : ذاك أَخى القَرْشى قد أَخذه رجُلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعا ، فشَقَّا بطنه ، فهما يَسُوطانه قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائماً مُنْتَقِعاً وَجْههُ . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بُنَى ، قال : جاءنى رجُلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشَقَّا بطنى ، فالتمسا شيئاً لا أَدرى ما هو . قالت : فرجعنا إلى خِباءنا .

قالت : وقال لى أبوه : يا حَكِيمه ، لقد خَشِيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أَصِيب ، فَأَلْحَقِيه بأَهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فَقَدِمْنَا به على أُمِّه ، فقالت : ما أَقدمك به يا ظَنُرُ ، وقد كنتِ حَرِصَةً عليه ، وعلى مُكْنه عندك ؟ قالت : فقلت : قد بلغ الله بابنى وقضيتُ الذى على ، وتخوفت

الأحداث عليه ، فأدبته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقيني خبرك . قالت : فلم تدعني حتى أخبرنّها . قالت : أفتخوّفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبنيّ لشأنا ، أفلا أخبرك خبره . قالت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج مني نورٌ أضاء لي قصورَ بصرى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حُلّ قطُّ كان أخفّ ولا أيسرَ منه ، ووقع حين ولدته ، وإنه لواضعٌ يديّه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلقى راشدةً .

قال ابن إسحاق : وحدثني ثور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي : أن نفرًا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا له : يا رسول الله . أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصورَ الشام ، واسترضعتُ في بني سعد بن بكر . فبينما أنا مع أخٍ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا . إذ أتاني رجلان عليهما ثيابٌ بيض بطّست من ذهب مملوءة ثلجا . ثم أخذاني فشقّا بطني ، واستخرجا قلبي ، فشقّاه . فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها . ثم غسّلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بمشرة من أمته ، فوزنتني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمئة من أمته . فوزنتني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتني بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمة لوزنها .

فصل في المولد

في تفسير بقي بن مخلد أن إبليس - لعنه الله - رَنَّ أَرْبَعَ رَنَاتٍ : رَنَةً حين لُيِّنَ ، وَرَنَةً حين أُهَيِّطَ ، وَرَنَةً حين وُلِدَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وَرَنَةً حين أنزلت فاتحة الكتاب . قال : والرَّانُ والنَّخَارُ ^(١) من عمل الشيطان . قال : ويكره أن يقال : أمُّ الكتاب ، ولكن : فاتحة الكتاب . وروى عن عثمان بن أبي العاص عن أمه أمِّ عثمان ^(٢) التَّقِيَّةُ ، واسمها : فاطمة بنت عبد الله ، قالت : « حضرت ولادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرأيت البيت حين وُضِعَ قد امتلأ نوراً ، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علىَّ » . ذكره أبو عمر في كتاب النساء . وذكره

(١) الرنة : الصيحة الشديدة ، والصوت الحزين عند الغناء أو البكاء . والنخار صوت يخرج من الحياشيم .

(٢) في الأصل : « أبي العاص أمه عن أم عثمان ، والتصويب من كتب السنة وقد أسلم عثمان هذا في وفد ثقيف ، واستعمله النبي على الطائف ، وأقره أبو بكر ، ثم عمر . وهو الذي منع ثقيفا عن الردة إذ خطبهم ، فقال : كنتم آخر الناس لإسلاماً ، فلا تكونوا أولهم ارتداداً ، وجاء عنه أنه شهد آمنه لما ولدت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قصة أخرجها البيهقي في الدلائل والطبراني من طريق محمد بن أبي سويد للثقي عنه ، قال : حدثني أمي : فعلى هذا يكون عاش نحواً من ١٢٠ سنة . والإصابة رقم ٥٤٣٣ ، وحديثها لم يروه سوى البيهقي والطبري وابن عبد البر . ويقول الزركشي : إن ولادة النبي ، كانت نهاراً ، ونقل تضعيف ابن دحية لرواية تدل النجوم ليلة مولده .

الطَّبْرِيُّ أَيْضاً فِي التَّارِيخِ (١) . وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعْدُورًا مَسْرُورًا ، أَيْ : مَخْتُونًا مَقْطُوعَ الشَّرَةِ (٢) . يُقَالُ : عُذِرَ الصَّيِّئُ وَأُعْذِرَ . إِذَا خُتِنَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْدُثُ أَنَّهُمَا لَمْ تَجِدْ حِينَ تَحَلَّتْ بِهِ مَا تَجِدُهُ الْخَوَامِلُ مِنْ ثَقَلٍ وَلَا وَحَمٍ ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَمَّا وَضَعَتْهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ مَقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدَيْهِ ، مُشِيرًا بِالسَّبَابَةِ كَالْمُسَبِّحِهَا ، وَذَكَرَ ابْنُ دُرَيْدٍ أَنَّهُ أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ جَفَنَةً لثَلَايِرَاهُ أَحَدُ قَبْلِ جَدِّهِ ، لَجَاءَ جَدُّهُ ، وَالْجَفَنَةُ قَدْ انْفَلَقَتْ عَنْهُ (٣) ، وَلَمَّا قِيلَ لَهُ : مَا سَمَّيْتَ ابْنَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدًا ، فَقِيلَ لَهُ :

(١) ص ١٥٦ ج ٢ الطبري .

(٢) ضعف ابن كثير كل الأحاديث التي رويت عن هذا ثم قال : « وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضهم أنه متواتر ، وفي هذا كله نظر ، وقال عن الحديث الذي زعم فيه الراوي أن جبريل ختن النبي : « وهذا غريب جدا » . ثم قال : « وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه ، وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها ، ص ٢٦٥ ج ٢ البداية . وقال ابن القيم في زاد المعاد : « إنه روى في كونه ولد مخنوناً مسروراً حديث لا يصح ، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، ثم قال : « وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ، فإن كثيراً من الناس يولد مخنوناً ، ويقول ابن العديم : « إنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب .

(٣) الذي ذكره ابن دريد : « وكانت سنتهم في المولود إذا ولد في استقبال الليل كَفَسْتُوا عَلَيْهِ قَدْرًا حَتَّى يَصْبَحَ ، ففعلوا ذلك بالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَصْبَحُوا ، وَقَدْ انشَقَّتْ عَنْهُ الْقَدَرُ ، ص ٨ الاشتقاق ط ١ السنة المحمدية ، ولم يستندوا إلى أحد . وأقول : كل ما سبق ذكره لم يرد في حديث يعتد به . وليس الرسول عليه الصلاة والسلام في حاجة إلى أن نكذب له ، وليس من الصلاة عليه أن نكذب عليه !!

كيف سَمَّيْتَ باسمٍ ليس لأحدٍ من آبائك وقومك؟ ! فقال : إني لأرجو أن يَحْمَدَهُ أهلُ الأرضِ كُلِّهم (١) ، وذلك لرؤيا كان رآها عبدُ المطلب ، وقد ذكر حديثها عليُّ القَيَرَوَانِيُّ العائِرُ في كتابِ البُستان . قال : كان عبدُ المطلب قد رأى في منامه كأنَّ سِلْسِلَةً من فِضَّةٍ خرجت من ظَهْرِهِ لها طَرَفٌ في السماء وطَرَفٌ في الأرضِ ، وطرف في المشرقِ ، وطَرَفٌ في المغربِ ، ثم عادت كأنها شَجَرَةٌ ، على كُلِّ ورقةٍ منها نورٌ ، وإذا أهلُ المشرقِ والمغربِ كأنهم يَتَعَلَّقُونَ بها ، فَقَصَّصَهَا ، فَعُبِّرَتْ له بمولودٍ يكون من صُلْبِهِ يَتَّبِعُهُ أهلُ المشرقِ والمغربِ ، ويَحْمَدُهُ أهلُ السماءِ والأرضِ (٢) ، فلذلك سَمَّاهُ : محمداً مع ما حَدَّثَتْهُ به أمُّه حين قيل لها : إنك تَحْمَلِينَ بسيدِ هذه الأُمَّةِ ، فإذا وَضَعْتَهُ فسمِّيه محمداً . الحديث .

اسم محمد وأحمد :

قال المؤلف : لا يُعْرَفُ في العربِ من تَسَمَّى بهذا الاسم قبله - صلى الله عليه وسلم - إلا ثلاثة طمع آباؤهم - حين سمعوا بذكر محمد - صلى الله عليه وسلم - وبقرب زمانه ، وأنه يُبعثُ في الحجاز - أن يكون ولدا لهم . ذكرهم ابنُ فُورَكٍ في كتابِ الفصول ، وهم : محمد بن سفيان بن مُجاشع ، جدُّ جدِّ القَرَزْدَقِيِّ الشاعرِ ، والآخرُ : مُحَمَّدُ بنُ أَحْيَحَةَ بنِ الجُلاَحِ بنِ الحَرِيشِ بنِ جُمَحِي (٣) بن كُلفَةَ

(١) في الاشتقاق : أردت أن يُحْمَدَ في السموات والأرض .

(٢) سيأتي الكلام عن هذا كله والروايات وإميتها .

(٣) هو جَحْجَجَبِي - بفتح الجيم الأولى والأخرى . وبسكون الحاء وفتح الهاء . فقد ورد هكذا في نسب قريش ، وفي اللسان ، وفي الاشتقاق لابن دريد =

ابن عَوْف بن عَمْرُو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْسِ ، والآخر : محمد بن حُحْران بن رَبِيعَة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفَدُوا على بعض الملوك ، وكان عنده عِلْمٌ من الكتابِ الأوَّلِ ، فأخبرهم بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وباسمه ، وكان كلُّ واحدٍ منهم قد خَلَّفَ امرأته حاملاً ، فنَذَرَ كلُّ واحدٍ منهم : إن وُلِدَ له ذَكَرٌ أن يُسَمِّيَه محمداً ، ففعلوا ذلك .

قال المؤلف : وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمُحَمَّدُ في اللغة هو الذي يُحَمَّدُ محمداً بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّلٌ مثل : مُضَرَّبٌ ومُدَّحٌ إلا لمن تكرر فيه الفعلُ مرة بعد مرة .

وأما أحمد فهو اسمُه - صلى الله عليه وسلم - الذي سُمِّيَ به على لسان عيسى وموسى - عليهما السلام - ، فإنه منقول أيضاً من الصِّفَةِ التي معناها

== وفي القاموس ، وفي جهرة أنساب العرب . وفي الاشتقاق لابن دريد عن محمد بن أحبيحة أنه محمد بن بلال بن أحبيحة ، وفي جهرة أنساب العرب : محمد بن عقبة بن أحبيحة . وفي اللسان عن ابن بري أن من سمي في الجاهلية بمحمد سبعاً ، وقد عُدَّهم وذكر منهم الثلاثة الذين ذكروهم السبيلي . وانظر ص ١٦ نسب قريش ، ص ٩ الاشتقاق ، ص ٣١٥ جهرة ابن حزم ، ومادة حمد في اللسان ومادة جحب في القاموس . وفي الخزائن للبغدادى ورد أن الذين سموا باسم محمد في الجاهلية يبلغون عشرين أو خمسة عشر ، وذكر مغطاي أن عددهم خمسة عشر رجلاً . انظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق بتعليقات الأستاذ عبد السلام هارون ، هذا ويذكر ابن دريد أن العرب سمت في الجاهلية : أحمد ، وذكر منهم أربعة ص ٩ وما بعدها .

التفضيلُ ، فعنى أحمد : أى أحمَدُ الحامدين لربه ، وكذلك هو المعنى ؛ لأنه
تُنْتَجح عليه فى المقام المحمود محامد لم تُنْتَجح على أحد قبله ، فيحمد ربه بها ؛
ولذلك يُفقد له لواء الحمد .

وأما محمد فنقول من صفة أيضاً ، وهو فى معنى : محمود . ولكن فيه معنى
للمبالغة والتكرار ، فالحمدُ هو الذى يُحمد مرة بعد مرة ، كما أن المُكرَّم من
أكرم مرة بعد مرة ، وكذلك : المُمدِّح ، ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ،
والله - سبحانه - وتعالى سماه به قبل أن يُسمّى به نفسه ، فهذا علم من أعلام نبوته ؛
إذ كان اسمه صادقا عليه ، فهو محمود - عليه السلام - فى الدنيا بما هدَى
إليه ، ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة ، فقد تكرر
معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ، ثم إنه لم يكن محمداً ، حتى كان أحمداً حمد ربه
فنبأه وشرّفه ؛ فلذلك تقدم اسمُ أحمدَ على الاسم الذى هو مُحَمَّدٌ ، فذكره
عيسى - صلى الله عليه وسلم - فقال : اسمه أحمدٌ ، وذكره موسى
- صلى الله عليه وسلم - حين قال (١) له ربه : تلك أمة أحمد ، فقال : اللهم اجعلنى
من أمة أحمد ، فبأحمد ذكر قبل أن يُذكر بحمد ؛ لأن حمده لربه كان قبل
حمد الناس له ، فلما وُجد وبُعث ، كان محمداً بالفعل .

وكذلك فى الشفاعة يُحمد ربه بالحامد التى يفتحها عليه ، فيكون أحمد
الحامدين لربه ، ثم يُسمَّع فيُحمد على شفاعته . فانظر : كيف ترتب هذا

(١) قبل هذا ورد كما ذكر ابن القيم : « موسى قال لربه : يا رب لى أجد
أمة من شأنها كذا وكذا ، فاجعلهم أمتى ؟ » ص ١٢٦ جلاء الأفهام وهو حديث ساقط

الاسم قبل الاسم الآخر^(١) في الذكر والوجود ، وفي الدنيا والآخرة تلخ

(١) أطال ابن القيم في إبداع في شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفترق بين محمد وأحمد من وجهين. فقال : وأحدهما محمد إن : هو المحمود حدا بعد حد ، فهو دال على كثرة حد الحامدين له ، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه ، وأحد : أفعال تفضيل من الحمد يدل على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره ، فمحمد : زيادة حمد في السمية ، وأحد : زيادة في الكيفية. فيحمد أكثر حمد ، وأفضل حمد حده البشر. والوجه الثاني : أن محمدا هو المحمود حدا متكررا كما تقدم ، وأحد هو الذي حمده لربه أفضل من حد الحامدين غيره ، فدل أحد الاسمين وهو : محمد على كونه محمدا ، ودل الاسم الثاني ، وهو أحمد على كونه أحد الحامدين لربه ، ثم رد ابن القيم على السهيلي فقال : د وقد ظن طائفة منهم : أبو القاسم السهيلي وغيره أن تسميته — صلى الله عليه وسلم — بأحمد كانت قبل تسميته بمحمد ، ثم ذكر ابن القيم ما استدلل به السهيلي ، ثم قال : د وبنا على ذلك أن اسم أحمد تفضيل من فعل الفاعل ، أى : أحد الحامدين لربه ، ومحمد هو المحمود الذي تحمده الخلائق ، وإنما يترتب هذا الاسم بعد وجوده وظهوره ، فإنه حينئذ حمده أهل السماء والأرض ، ويوم القيامة يحمده أهل الموقف ، فلما ظهر إلى الوجود وترتب على ظهوره من الخيرات ما ترتب ، فحمده حينئذ الخلائق حدا مكررا ، فتأخرت تسميته بمحمد ، وهذا يقربه كل عالم من مؤمنى أهل الكتاب ، ومضى ابن القيم يناقش رأى السهيلي هذا ، فقال ردا عليه : إن محمدا — صلى الله عليه وسلم — سمي باسم محمد في التوراة ، وهى قبل الإنجيل ، ثم استشهد ابن القيم على رأيه هذا بآيات ذكر أنها من التوراة ، ومضى يثبت بتفسيرها أنها تؤيد ما ذهب إليه ، وقد أطال في هذا ، ثم قال : د والمقصود أن اسم النبي في التوراة محمد د ص ، كما هو في القرآن محمد ، وأما المسيح ، فإنما سماه : أحمد ... فإذا تسميته بأحمد وقعت متأخرة عن تسميته محمدا في التوراة ، ومتقدمة على تسميته محمدا في القرآن ، ف وقعت بين التسميتين محفوفة بهما وقد تقدم أن هذين الاسمين صفتان في الحقيقة . والوصفية فيها لاتنافى العلمانية ، وأن معناهما مقصود ، فعرف عند كل أمة بأعرف الوصفين عندها ، فمحمد =

لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين ، وانظر : كيف أنزلت عليه

== مفْعَل من الحمد ، وهو الكثير الخصال التي يحمد عليها حمدا متكررا حمدا بعد حمد . وهذا إنما يعرف بعد العلم بخصال الخير ، وأنواع العلوم والمعارف والأخلاق والأوصاف والأفعال التي يستحق تكرار الحمد عليها ، ولا ريب أن بنى إسرائيل هم أولو العلم الأول . . . فعرف النبي (ص) عند هذه الأمة باسم محمد الذي قد جمع خصال الخير التي يستحق أن يحمد عليها حمدا بعد حمد ، وعرف عند أمة المسيح بأحمد الذي يستحق أن يحمد أفضل مما يحمد غيره ، والذي حمده أفضل من حمد غيره ، فإن أمة المسيح أمة لهم من الرياضات والأخلاق والعبادات ما ليس لأمة موسى ، ولهذا كان غالب كتابهم مواعظ وأخلاقا وحضا على الإحسان . . . فجاء اسمه عندهذه الأمة بأفضل التفضيل الدال على الفضل والكمال ، كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة ، وجاء في الكتاب الجامع لمحاسن الكتب قبله — يعني القرآن — بالاسمين معا ، فتدبر هذا الفصل . . . وقال : إن الشرائع ثلاثه : شريعة عدل ، وهي : شريعة التوراة فيها الحكم والقصاص ، وشريعة فضل وهي : شريعة الإنجيل مشتملة على العفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان ، وشريعة جمعت هذا وهذا ، وهي : شريعة القرآن ، فإنه يذكر العدل ويوجبه ، والفضل ويندب إليه . وقول أبي القاسم — يعني السبيلي — إن اسم محمد — صلى الله عليه وسلم — إنما ترتب بعد ظهوره في الوجود ؛ لأنه حينئذ حمدا مكررا ، فكذلك يقال في اسمه أحمد أيضا ، سواء . وقوله في اسمه أحمد : إنه تقدم لكونه أحد الحامدين لربه ، وهذا يقدم على حمد الخلاق له فبناء منه على أنه — أى : أحد — تفضيل من فعل الفاعل ، وأمّا على القول الآخر الصحيح — يعني التفضيل من فعل المفعول — فلا يجيء هذا ، وقد ذهب ابن القيم إلى أن الاسمين محمدا وأحمد إنما يقعان على المنعول ، لأنه يحمد أكثر مما يحمد غيره وذلك أبلغ في مدحه وأتم معنى ، لأنه لو أريد به معنى الفاعل لسمى الحماد ، وهو كثير الحمد ، كما سمي : محمدا ، وهو المحمود كثيرا ؛ فإنه كان أكثر الخلق حمدا لربه ، فلو كان اسمه باعتبار الفاعل — يعني أنه فاعل الحمد — لكان الأول أن يسمى ==

سورة الحمد وخصَّ بها دون سائر الأنبياء ، وخص بلواء الحمد ، وخص بالمقام المحمود ، وانظر : كيف شرع لنا سُنَّة وقرآنا أن نقول عند اختتام الأفعال ، وانقضاء الأمور : الحمد لله رب العالمين . قال الله سبحانه وتعالى : « وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الزمر : ٧٥ . وقال أيضا : « وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ : أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » يونس : ١٠ . تنبيهنا لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور . وسَنَّ - صلى الله عليه وسلم - الحمد بعد الأكل والشرب ، وقال عند انقضاء السفر : آيِبُونَ تَائِبُونَ عَائِدُونَ لِرَبِّنَا حامدُونَ (١) .

ثم انظر لكونه - عليه السلام - خاتم الأنبياء ، ومؤذنا بانقضاء الرسالة ، وارتفاع الوحي ، ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الأمور ، مشروع عنده - تجدد معاني اسمائه جميعا ، وما خص به من الحمد والحمد مُشاكلا لمعناه ، مطابقا لصفته ، وفي ذلك بُرْهانٌ عظيمٌ ، وعَلَمٌ واضحٌ على نُبُوته ، وتخصيصُ الله له بكرامته ، وأنه

= حمادا ، كما أن اسم أمته : الحمادون . وأيضا فإن الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائله المحمودة التي لاجلها استحق أن يسمى : محمدا ، وأحمد ، فهو الذي يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوت عد العادين سمى باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيل والزيادة في القدر والصفة . ص ١٢٥ جلاء الأفهام للإمام ابن القيم .

(١) رواه مسلم .

قَدَّمْ لَهُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ قَبْلَ وَجُودِهِ تَكْرِيمًا لَهُ ، وَتَصَدِيقًا لِأَمْرِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَشَرَفَ وَكَرَّمَ .

تعويض عبد المطلب :

وَذِكْرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ دَخَلَ بِهِ السَّكْبَةَ وَعَوَّذَهُ ، وَدَعَا لَهُ . وَفِي غَيْرِ رَوَايَةٍ ابْنِ هِشَامٍ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَالَ وَهُوَ يَمُودُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغَلَامَ الطَّيِّبَ الْأُرْدَانِ
قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغُلَامَانِ أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
حَتَّى يَكُونَ بُلْفَةً الْفَتَيَانِ حَتَّى أَرَاهُ بِأَلْفِ الْبُنْيَانِ
أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَتَانٍ مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ
ذِي هِمَّةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ حَتَّى أَرَاهُ رَافِعَ السَّانِ (١)
أَنْتَ الَّذِي سُمِّيتَ فِي الْقُرْآنِ فِي كُتُبٍ ثَابِتَةٍ الثَّانِي
أُحَمَّدُ مَكْتُوبٌ عَلَى الْبَيَانِ (٢)

(١) كَذَا ١١ وَلَعَلَّهَا الشَّاقُ وَفِي رَوَايَةٍ : اللَّسَانُ .

(٢) فِي الْبَدَايَةِ : اللَّسَانُ ، وَلَيْسَ لِهَذَا سَنَدٌ صَحِيحٌ . وَفِي كَلِمَاتِهِ دَلِيلٌ أَنَّهُ كَذِبٌ مَفْتَرٍ . وَكَذَلِكَ مَا رَوَى ابْنُ هِشَامٍ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . دُ أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ ، فَقَدْ قَالَ الْعِرَاقِيُّ : لَا أَصْلَ لَهَا . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَقَالَ عَنْهُ الشَّامِيُّ : وَسَنَدُهُ وَاهٍ حَدَا .

تاريخ مولده :

فصل : وذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول ، وهو المعروف (١)

(١) روى مسلم في صحيحه أن أعرابيا سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن صيام يوم الاثنين فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل علي فيه » انفرد بإخراجه مسلم ، وروى أحد في حديث تفرد به أنه ولد يوم الاثنين واستنبيء يوم الاثنين . ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين .

والجمهور على أنه كان في ربيع الأول ، لكن متى ؟ ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب والواقدي أنه كان لليلتين خلتا منه .

ومن قالوا بأنه كان لثمان خلون منه : ابن حزم ، وقد روى هذا مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم ، وذكر ابن عبد البر أن أصحاب التواريخ صححوا هذا . وقطع به محمد بن موسى الخوارزمي الحافظ الكبير ، ورجحه أبو الخطاب بن دحية ، وقيل : كان لعشر خلون منه . وقيل لثنتي عشرة خلوت منه ، وقيل : لسبعة عشر ، وقيل : لثمان بقين منه .

وقيل : إنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار مستندا إلى أنه — صلى الله عليه وسلم — أوحى إليه في رمضان على رأس أربعين سنة من عمره ، فيكون مولده في رمضان ، وكان مولده لثنتي عشرة ليلة خلوت منه ، وكان مولده عام الفيل على قول الجمهور . قيل : كان بعده بشهر ، أو بأربعين يوما . أو بخمسين وقيل : إن عام الفيل كان قبله بعشر سنين . وقيل : بل بثلاث وعشرين سنين . وقيل : بل بثلاثين ، وقيل : بل بأربعين وقال ابن خياط : المجمع عليه أنه ولد عام الفيل ، ويقول النووي : ونقل إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري وخليفة ابن خياط وآخرون الإجماع عليه — أي : على أنه ولد عام الفيل — واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر .

وقال الزبير : كان مولده في رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به في أيام التشريق ، والله أعلم .

وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم ، وأنه - صلى الله عليه وسلم - ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغفر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبديين الزنابا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب زناباها ، ولا ضرر في الزنابا إنما تضر العقرب بذنباها ، ويليه من الأسد أليته ، وهو السماك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخالبه (١) ونابه .

وولد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت بعد محمد بن يوسف أخى الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجّت (٢) .

(١) خرافة ربط مولد الإنسان وحظوظ عيشه ، وأقدار حياته بالنجوم ومنازلها سخف عقلي ، وعوار في الدين . ولا أدري كيف يردد السبيلي مثل هذا الخرف . وغيره يزعم أن مولده ص ، كان والطالع لعشرين درجة من الجدى ، وكان المشتري وزحل في ثلاث درج من العقرب ، وهي درجة وسط السماء وكان موافقا من البروج الحمل عند طلوع القمر أول الليل ص ٢٦١ ج ٢ البداية والعقرب : برج في السماء ويؤنث ، وزنا بالعقرب أو زباياها : قرناها . وكوكبان نيران في قرني العقرب . والسماك الأعزل والرامي نجان نيران ، أوهما رجلا الأسد ، والغفر : منزلة للقمر : ثلاثة أنجم صفار وهي من الميزان .

(٢) كانت برفاق المدكك . وكانت من قبل بيد عقيل بن أبي طالب . ويقول ابن الأثير : إن المصطفى وهبها له ، فلما توفي باعها ولده ، وهذا الزقاق كان في شعب =

تحقيق وفاة أبيه :

وذكر أنه مات أبوه ، وهو حَمَلٌ^(١) ، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد . ذكره الدَّوْلَابِيُّ وغيره ، قيل : ابن شهرين ، ذكره [أحمد] ابن أبي خَيْثَمَةَ ، [زهير بن حرب] وقيل : أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب لِيَمْتَكِرَ لأهله تمرًا ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين شهرًا ، وأنشدوا رَجَزًا لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب :

أوصيك يا عبدَ مَنْأَفٍ بِعَدِي بِمَوْتِمْ بَعْدَ أَبِيهِ قَرْدٍ
فارقهُ وَهُوَ ضَجِيعُ المهدِ

وكان بينه وبين أبيه - عليه السلام - في السن ثمانية عشرَ عاما .

أبوه من الرضاعة :

وذكر الحارث بن عبد المِزَّى أبا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة ، ولم يذكر له إسلاما ، ولا ذكره كثير من ألف في الصحابة ،

== مشهور بشعب بنى هاشم من الطرف الشرقى لمكة . ويقال بالردم أو بعسفان ، ولما بيع الموضع لمحمد بن يوسف أدخله في داره التي يقال لها : البيضاء ، ولم يزل ذلك البيت كذلك حتى حجت الخيزران جارية المهدي فجعلته مسجدا يصلى فيه وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له : زقاق المولد . ص ٦١٤ القرى للمحب الطبري (١) توفي عن خمس وعشرين ، قال الواقدي : وهو الأثبت أو عن ثلاثين ، قاله الحاكم أو عن ثمان وعشرين ، أو عن ثمان عشرة سنة ، وصححه الحافظ العلائي وابن حجر واختاره السيوطي .

وقد ذكره يونس بن بكير في روايته ، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثني
والدى إسحاق بن يسار ، عن رجالٍ من بنى سعد بن بكر ، قال : قدم الحارث
ابن عبد العزى ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة على رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة حين أنزل عليه القرآن ، فقالت له قريش :
ألا تسمع يا حارث^(١) ما يقول أبوك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله
يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من
أطاعه ، فقد شئت أمرنا ، وفرق جماعتنا . فأناه ، فقال : أيُّ بُني مَالِك
ولقورك يشكونك ، ويزعمون أنك تقول : إن الناس يُبعثون بعد الموت ،
ثم يصيرون إلى جنةٍ ونارٍ ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعم أنا
أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت ، لقد أخذت بيدك ، حتى
أعرفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارثُ بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان
يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابني يدي ، فعرفني ما قال ، لم يرسلني إن شاء
الله حتى يدخلني الجنة^(٢) .

(١) ترخيم الحارث

(٢) لم يروه أحد غيره . وخاتمته مجرد تمن فقط ، وإلا فالرسول صلى الله
عليه وسلم قال لا عز أهل : العباس وصفية وفاطمة أن يعملوا ، لأنه لا يغنى عنهم
عن الله شيئا . هذا ، وفي أخذ عبد المطلب للرسول ص ، وهو طفل ، ودخوله
الكعبة : قد ورد في أصل الرواية عن ابن إسحاق أنه أدخله على هبل في جوف
الكعبة .

ملحوظة : حديث ابن مخزومة أنه هو ورسول الله لدان . رواه البيهقي وأحمد

(م - ١١ انروض الألف ج ٢)

تحقيق اسم ناصرة بن قصية :

وذكرنا صرّة بن قُصَيَّةَ في نسب حليلة . وهو عندهم : قُصَيَّةُ بالفاء تصغير : فَصَاة ، وهي النَّوَاة . ووقع في الأصل في جميع النسخ : قُصَيَّةُ بالقاف (١) . وقال أبو حنيفة أيضا : الْفَصَا : حَبُّ الزَّيْبِ ، وهو من هذا المعنى .

الشيء :

وذكر الشيئاء أخت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاة ، وقال .

== وروى قبات بن أشيم أنه حين ولد رسول الله رأى - أى قبات - خرق الفيل أخضر محيلا . وقد ورد هذا في حديث رواه الترمذى والحاكم عن ابن إسحاق .

وحديث اليهودى الذى خرج . رواه البيهقى وأبو نعيم . ونخرج على رأى سلفى جليل فنجده يقول : « لا خلاف أنه ولد - صلى الله عليه وسلم - بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل : تقدمه قدمها الله لنيبه وبيته ، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك ؛ لأنهم كانوا عباد أوثان ، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه إرماسا . وتقدمه للنبي - صلى الله عليه وسلم - الذى خرج من مكة وتعظيما للبيت الحرام ، ص ٣٢ ح ١ زاد المعاد لابن القيم . وذكر رأيين في وفاة أبيه أصحابها : أنه مات وهو حمل ، والآخر : أنه توفي بعد ولادته بسبعة أشهر .

هذا : ونيسان هو الشهر السابع من شهور السنة السريانية والعبرية ، ويقابل إبريل . وفي حديث حسان بن ثابت : سعد بن زرارة . صوابه : أسعد . ويفعة : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض « ص ٤٥ الخشنى » (١) في النسخة المطبوعة على هامش الروض : قصية بالفاء ، ويقول الخشنى ص ٤٥ أنه هو الصواب .

في اسمها : خِذَامَة بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حُدَاقَة بالخاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمر في كتاب النساء (١) .

(شرح ما في حديث الرضاع)

الرضعاء والمرضع :

قال ابن إسحاق : فالتمس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضعاء . قال ابن هشام : إنما هو المرأضع . قال : وفي كتاب الله سبحانه : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمُرَاضِعَ [مِنْ قَبْلُ]) القصص : ١٢ والذي قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المرأضع جمع : مُرْضِع ، والرضعاء : جمع رَضِيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق تخرج من وجهين ، أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذَوَات الرضعاء ، والثاني : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرْضِعَةً تُرْضِعُهُ ، فقد وجدوا له رضيعا ، يَرْضَعُ معه ، فلا يبعد أن يقال : التَّمَسُّوا لَهُ رَضِيعًا ، عِلْمًا أَنَّ الرَضِيعَ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ مُرْضِعٍ .

مرضعته عليه السلام :

وأرضعته - عليه السلام - — ثُوَيْبَةَ (٢) قبل حليمة . أرضعته

(١) في رواية : جدامة بضم الجيم أو جدامة وانظر ص ٥٤ . الحشني .
(٢) توفيت سنة سبع . قال ابن منده : اختلف في إسلامها ، وقال أبو نعيم : لا أعلم أحدا ذكره ، ص ١٣٧ ج ١ المواهب ، وحديث حليمة بهذا السند رواه الحاكم وابن حبان وابن راهويه وأبو ليلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم . وفي شرح =

وعمه حمزة وعبد الله بن جحش ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرف ذلك لثوينة ، ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروق ، فأخبر أنهما ماتا ، وسأل عن قرابتهما ، فلم يجد أحدا منهما حيا . وثوينة كانت جارية لأبي لهب ، وسنذكر بقية حديثها - إن شاء الله - عند وفاة أبي لهب .

يغذيه أو يغذيه :

وذكر قول حليمة : وليس في شاربنا ما يغذيه . وقال ابن هشام : ما يغذيه بالذال المنقوطة ، وهو أتم في المعنى من الاختصار على ذكر الفداء دون العشاء^(١) ، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة ، وعند بعض الناس رواية

المواهب أن النسوة اللاتي خرجت معهن حليمة كن عشرا . والسنة الشبهاء : ذات القحط والجذب ، والأرض الشبهاء : البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر . والأتان : الأنثى من الحير ، ولا يقال أتانته ، والقمران : التي في لونها بياض ، والصبي الذي كان مع حليمة هو : عبد الله بن الحارث . والشارف : الناقة المسنة ، ويقال للذكر والأنثى وما تبض بقطرة معناها : لا ترشح ولا تسيل ، ومن رواها بالصاد فعناها : ما يبرق عليها أثر لبن ، من البصيص ، وهو البريق واللمعان . ص ٥٥ الخشني

(١) يقول أبو ذر الخشني : « ومن رواه ما يغذيه فعناها : ما يمنعها ولا يمنعها من البكاء . يقال : أغذيت الرجل عن الشيء : إذا منعته منه . وقال ابن هشام : يغذيه . هذا من لفظ الغذاء ، ومن رواه : يغذيه بالعين المهملة فعناها : ما يشبعه بعض الشبع مأخوذ من النبات العذى ، وهو الذي يشرب في الصيف والشتاء بغرفة من الأرض دون أن يسقى ، أو الذي لا يسقيه إلا المطر . وتكون هذه هي الرواية الرابعة للكلمة

غير هاتين وهى يُعَذِّبُهُ بعينٍ مُهَمَّلَةٍ وذال منقوطة وباء مُعْجَمَةٌ بواحدة ، ومعناها عندهم : ما يُقْنَعُهُ حتى يرفع رأسه ، وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عَذَبَتْهُ وَأَعَذَبَتْهُ : إذا قطعتهُ عن الشرب ونحوه ، وَالْعَذُوبُ : الرافِعُ رأسه عن الماء ، وجمعه : عُدُوبٌ بالضم ، ولا يُعرفُ فَعُولٌ جُمِعَ على فَعُولٍ غيرُهُ : قاله أبو عُبَيْدٍ (١) والذي فى الأصل أَصَحُّ فى المعنى والنقل .

من شرح حديث الرضاعة :

وذكر قولها: حتى أَذْمَتْ بالركب . تريد : أَنهَا حَبَسَتْهُمْ ، وكأنه من الماء الدائم ، وهو الواقف ، وروى: حتى أَذْمَتْ . أى : أَذْمَتِ الأتانُ ، أى : جاءت بما تُذَمُّ عليه ، أو يكون من قولهم : بُرِّ ذَمَّةٌ ، أى : قليلة الماء ، وليست هذه عند أبى الوايد ، ولا فى أصل الشيخ أبى بَحرٍ ، وقد ذكرها قاسمٌ فى الدلائل ، ولم يذكر روايةً أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبى عُبَيْدَةَ : أَذَمَّ بالركب : إذا أَبْطَأَ ، حتى حَبَسَتْهُمْ : من البئر الذَّمَّةُ ، وهى القليلة الماء (٢) .

(١) فى اللسان جمعه : عَذَبَ بضم العين والذال ، وقد خطأ الأزهري بأعبيدة لأن فعولا - بفتح الاء - وضم العين - لا يكسر على فَعُولٍ بضم الفاء

(٢) عند أبى ذر الخشنى : أَذْمَتْ : تأخرت بالركب ، أى تأخر الركب بسببها والضمير الذى فى أَذْمَتْ يرجع إلى الأتان ، وفى رواية : أَذْمَتْ بالركب أى : أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها ، مأخوذ من الشيء الدائم ص ٥٥ . وصاحب حليلة المذكور فى القصة هو زوجها : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى ، وكنيته أبو ذؤيب ، وفى رواية أخرى لحديث الرضاع جاء بعد قول حليلة : فذهبت إلى مايل : فإذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يفرح منه المسك ، وتحنن

وذكر قولَ حليلةَ : فلما وضعتُه في حِجْرِي أَقْبَلَ عليه ندياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِيَ ، وشرب معه أخوه حتى روى .

وذكر غير ابن إسحاق أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - كان لا يقبل إلا على نديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر ، فيأباه كأنه قد أشعر - عليه السلام - أن معه شريكاً في لبانها ، وكان مَنفُوراً على العدل ، يجتنبولاً على المشاركة والفضل - صلى الله عليه وسلم .

التماس الأجر على الرضاع :

قال المؤلف : والتماسُ الأجر على الرضاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء العرب ، حتى جرى المثلُ : تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها^(١) ، وكان عند بعضهم لا بأس به ، فقد كانت حليلةُ وسيطة في بني سعد ، كريمةً من كرائم قومها ، بدليل اختيارِ الله - تعالى - إياها لِرَضاع نبيِّه - صلى الله عليه وسلم - كما اختار له أشرفَ البُطون والأصلاب . والرضاعُ كالنسب ؛ لأنه يُغيِّر

== حريم أخضر راقد على قفاه يفظ ، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله ، المواهب اللدنية في باب رضاعه ص ١٤٣ ج ١ ، هذا ورضاعه من ثوبة قد ورد في سياق حديث عن أم سلمة ، وقد رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والبيهقي د منتخب السنة ، ص ٦٠ > ١

(١) روايته : تجوع الحرة ، ولا تأكل بثدييها ، أى : لا تكون ظنراً ، وإن آذاها الجوع . ويروى : ولا تأكل ثدييها . وأول من قال ذلك : الحارث بن سليل الأسدي . في قصة طويلة روتها كتب الأمثال ، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال د مجمع الأمثال للميداني ،

الطباع . في المسندِ عن عائشةَ رضى الله عنها - ترفعه : « لَا تَسْتَرْضِعُوا الْحَمَقَ ؛ فَإِنَّ الْإِبْنَ يُورَثُ » ويحتمل أن تكونَ حليلةٌ ونسأه قومها طلبن الرضعاَ اضطارا للأزمة التي أصابتهم ، والسنة الشبهة التي اقتحمتهم .

لم كانت قريسه ترفع أولادها إلى المراضع ؟

وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العربِ أولادهم إلى المراضع ، فقد يكون ذلك لوجوه . أحدها : تفريغُ النساءِ إلى الأزواج ، كما قال عمارُ بن ياسرٍ لأُمِّ سَلَمَةَ - رضى الله عنها - وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزعَ من حَجْرِها زَيْنَبَ بنتِ أَبِي سَلَمَةَ ، فقال : « دَعَى هَذِهِ الْمَقْبُوحَةَ الْمَشْقُوحَةَ ^(١) » التي آذيتَ بها رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم » وقد يكون ذلك منهم أيضاً لِيَنْشَأَ الْوَلَدُ فِي الْأَغْرَابِ ، فيكونَ أَفْصَحَ لِللَّسَانِ ، وَأَجْلَدَ لِلْجِسْمِ ، وَأَجْدَرَ أَنْ لَا يَفَارِقَ الْهَيْئَةَ الْمَعْدِيَةَ ^(٢) » كما قال عُمرُ رضى الله عنه : تَمَعَّدُوا وَتَمَعَّرُوا ^(٣) واخْشَوْشُوا [رواه ابن أبي حذَرَد] . وقد قال - عليه السلام - لأبي بكرٍ - رضى الله عنه - حين قال له : ما رأيتَ أَفْصَحَ مِنْكَ بِارِسُولِ اللَّهِ ، فقال : وما يمنعني ، وأنا من قريش ، وأَرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ ؟! فهذا ونحوه كان يحملهم على دَفْعِ

(١) المشقوقة : المكسورة أو المبعدة ، من الشقح ، وهو الكسر أو البعد ومشقوقة اتباعاً لمقبوحة .

(٢) نسبة إلى قوم معد ، وكانوا أهل غلظ وقشع .

أى : تصلبوا ، وتشبهوا بمعد .

(٣) وتمعرزوا : تعزز لحمه : اشتد وصلب ، وتمعرز البعير : اشتد عدوه .

الرُّضْعَاءُ إِلَى الرَّاغِضِ الْأَعْرَابِيَّاتِ . وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ يَقُولُ : أَضْرَّ بِنَا حُبُّ الْوَلِيدِ ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ لَحَانًا ، وَكَانَ مُسْلِمًا نُفْصِيحًا ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ أَقَامَ مَعَ أُمِّهِ ، وَسُلَيْمَانُ وَغَيْرُهُ مِنْ إِخْوَتِهِ سَكَنُوا الْبَادِيَةَ ، فَتَعَرَّبُوا ، ثُمَّ أَذْبُوا فَتَعَادَبُوا ، وَكَانَ مِنْ قُرَيْشٍ أَعْرَابٌ ، وَمِنْهُمْ حَضَرٌ ، فَالْأَعْرَابُ مِنْهُمْ : بَنُو الْأَذْرَمِ وَبَنُو مُحَارِبٍ ، وَأَحْسَبُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الظَّوَاهِرِ ، وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ (١) .

شَوِّ الصَّدْر :

وَذَكَرَ قَوْلَ أَخِيهِ مِنَ الرُّضَاعَةِ : نَزَلَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ أَبْيَضَانِ ، فَشَقَّاعِنِ بَطْنَهُ ، وَهَما يَسُوطَانَهُ ، يَقَالُ : سَطَّتْ اللَّيْنُ أَوْ الدَّمَّ ، أَوْ غَيْرَهُمَا ، أَسُوطُهُ : إِذَا ضَرَبْتَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ . وَالْمِسْوَطُ : عُوْدٌ يُضْرَبُ بِهِ .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَيْهِ كُرَيْكِيَّانِ (٢) ، فَشَقَّ أَحَدُهُمَا بِمَنْقَرِهِ جَوْفَهُ ، وَمَجَّ الْآخَرَ بِمَنْقَرِهِ فِيهِ ثَلَجًا ، أَوْ بَرَدًا ، أَوْ نَحْوَ هَذَا ، وَهِيَ رِوَايَةٌ غَرِيبَةٌ ذَكَرَهَا يُونُسُ عَنْهُ ، وَاخْتَصَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَ نُزُولِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْ قُرَيْشٍ الْبَطَاحِ وَقُرَيْشٍ الظَّوَاهِرِ .

(٢) الْكُرَيْكِيُّ : طَائِرٌ كَبِيرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالرَّجْلَيْنِ أَبْتَرُ الذَّنْبِ . وَمَجَّ الْمَاءَ : لَفْظُهُ .

عنه - قال : « قلت : يا رسول الله كيف علمت أنك نبيٌّ ، وبم علمت حتى استنقِضْتَ ؟ قال : يا أبا ذرٍّ أتاني ملكان ، وأنا ببطحاء مكة ، فوقع أحدهما بالأرض ، وكان الآخرُ بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو : قال : فزِنهُ برجلٍ ، فوزَنني برجلٍ ، فرَجَحته ، ثم قال : زِنهُ بعشرة ، فوزَنني فرَجَحْتهم ، ثم قال : زِنهُ بمائة ، فوزَنني ، فرَجَحْتهم ، ثم قال : زِنهُ بألفٍ ، فوزَنني فرَجَحْتهم ، حتى جَبَلُوا يَبْتَنِّقُلُونَ عَلَيَّ مِنْ كِفَّةِ الْمِيزَانِ ، فقال أحدهما لصاحبه : شقُّ بطنه ، فشق بطني ، فأخرج قلبي ، فأخرج منه مَفْغَمَ الشَّيْطَانِ وَعَلَقَ الدَّمَ ، فَطَارَ حِمَاهُ ، فقال : أحدهما لصاحبه : اغْسِلْ بطنه غَسْلَ الْأَنْاءِ ، وَاغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْمَلَأِ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطِّ بطنه ، نَخَاطَ بَطْنِي ، وجعل الخاتم بين كَتِفَيَّ كما هو الآن ، وولِّيا عني ، فكأنني أعاين الْأَمْرَ مَعَايِنَةً » ففي هذا الحديث بيان لما أبهم في الأول ، لأنه قال : فأخرج منه مَفْغَمَ الشَّيْطَانِ ، وَعَلَقَ الدَّمَ ، فبيِّن أن الذي التمس فيه هو الذي يغمزه الشيطانُ من كُلِّ مَوْلُودٍ إِلَّا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ (١) - عليهما السلام - لقول أمها حَنَّةَ : « وَإِنِّي

(١) يشير إلى ما رواه البخاري ومسلم والترمذي : « ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان ، فيسئل صارخا من نخسه الشيطان إلا ابن مريم وأمه ، قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : (وإني أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ، قال عياض : يريد أن الله قبل دعائها مع أن الأنبياء معصومون ، وقال النووي : أشار عياض إلى أن جميع الأنبياء يشاركون عيسى في هذه الخصوصية . وسيأتي أن صدره شق أيضا ليلة الإسراء في حديث من طريق شريك في الصحيحين ، ودعوى أنه لا منافاة ، لاحتمال وقوع ذلك مرتين دعوى بلا بيضة ، وفي أحاديث خاتم النبوة »

أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» آل عمران : ٣٦ . فلم يصل إليه لذلك ، ولأنه لم يُخْلَقْ مِنْ مَنِيِّ الرَّجَالِ فَأَعِيذُهُ مِنْ مَغَمَزٍ ، وَإِنَّمَا خُلِقَ مِنْ نَفْخَةِ رُوحِ الْقُدُسِ ، ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد - صلى الله عليه وسلم - لأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - قد بُرِزَ مِنْ ذَلِكَ الْمَغَمَزِ ، ومُلِيَ قَلْبُهُ حِكْمَةً وإِيمَانًا ، بعد أن غَسَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ بِالنُّجْلِ وَالْبَرْدِ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْمَغَمَزُ فِيهِ لِمَوْضِعِ الشَّهْوَةِ الْمُحَرَّكَ لَأَمْنِيٍّ ، وَالشَّهْوَاتُ يُحْضِرُهَا الشَّيَاطِينُ ، لَا سِيمَا شَهْوَةٌ مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ الْمَغَمَزُ رَاجِعًا إِلَى الْأَبِّ ، لَا إِلَى الْإِبْنِ الْمُطَهَّرِ - صلى الله عليه وسلم - عليه .

وفي الحديث فائدة أخرى ، وهي مِنْ نَفْسِ الْعِلْمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ خَاتَمَ النَّبَوَّةِ لَمْ يَدْرُ هَلْ خُلِقَ بِهِ ، أَمْ وُضِعَ فِيهِ بَعْدَ مَا وُلِدَ ، أَوْ حِينَ نُبِّيَّ ، فَيَتَنَبَّهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَتَى وُضِعَ ، وَكَيْفَ وُضِعَ ، وَمَنْ وَضَعَهُ ، زَادَنَا اللَّهُ عِلْمًا ، وَأَوْزَعَنَا شُكْرًا مَا عَلَّمَ ، وَفِيهِ الْبَيَانُ لِمَا سَأَلَ عَنْهُ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَالَ : كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ (١)

== مغايرة لما ورد من وصف الخاتم هنا ، كما أن في ألفاظ بعض أحاديث الشق ما يوحي بأنه أحداث منام ، لا أحداث واقع ، أما الإسراء فيقظة بنص القرآن وسيأتي (١) كل حديث يزعم فيه أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعرف أنه نبي هو حديث كذب ، لا يعتد به ، لأنه - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يعرف حتى ليلة الوحي أنه نبي . هذا وعن خاتم النبوة ورد في حديث - رواه الشيخان والترمذي عن السائب بن يزيد : «نظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة، الزر : البيضة وعن جابر في مسلم : « رأيت خاتما في ظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأنه بيضة حمام ، وفي مسلم والترمذي : « كان خاتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي بين كتفيه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة ، وعن عبد الله بن سرة جس : « نظرت إلى خاتم النبوة بين =

نبي ، فأعلمه بكيفية ذلك ، غير أن في هذا الحديث ، وثما من بعض النقلة ، وهو قوله : بينما أنا بطحاء مكة ، وهذه القصة لم تعرض له إلا وهو في بني سعد مع حليلة ، كما ذكر ابن إسحاق وغيره ، وقد رواه البزار من طريق عروة عن أبي ذرٍّ - رضى الله عنه - فلم يذكر فيه بطحاء مكة .

== كنفه عند ناغض كتفه اليسرى جمعاً عليه خيلان ، كأمثال النأليل ، مسلم وأحمد . والناغض : أعلى الكنف ، أو ما يظهر من عظمه عند التحرك . 'مجمعاً : أى كصورة الكنف بعد جمع الأصابع وضمها . الخيلان : جمع خال وهى الغدة الصغيرة . النأليل : جمع : ثولول حييات تعلو الجسد ، وفى مسلم أيضاً عن جابر بن سمرة أنه كبيضة الحمامة . وعند الحاكم والترمذى وأبو يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن أحطب أن الخاتم شعر مجتمع عند كتفه ، وعند البخارى فى تاريخه والبيهقى أنه : لحم ناتئ ، وفى جامع الترمذى ودلائل البيهقى : كالتفاحة ، وعند ابن حبان . وفى تاريخ ابن عساكر والحاكم : كالبندقة . وعند الترمذى : كبُضعة ناشزة من اللحم . وعند الطبرانى : كان كأنه ركية عنز على طرف كتفه اليسر ، وعند ابن حبان : كان مثل البندقة من اللحم . . والحجلة تنطق بفتح الحاء والجيم ، وضم الحاء أو كسرهما وإسكان الجيم ، وضم الحاء وفتح الجيم . وجزم الترمذى بأن المراد بالحجلة : الطير المعروف ، وهو فى حجم الحمام ، أحمر المتقار والرجلين طيب اللحم ، وفسره النووى بأنها واحدة الحجال . وهى بيت كالأقبة . لها أزوار كبار وعرا ، أو كما فسره الأزهري فى التهذيب : بيت كالأقبة يستر بالثياب ، ويجعل له باب من جنسه ، فيه زر وعروة تشد إذا علقت

وقال القرطبي : اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفيه اليسر ، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة ، وإذا كبر جمع اليد . وفى الفتح : باب خاتم النبوة : أى صفته ، وهو الذى كان بين كتفى النبي ، وكان من علاماته التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها ، وسيأتى عنه بيان آخر

مَدِينَةُ السَّكِينَةِ :

وذكر فيه أنه قال : وَأُوتِيَتْ بِالسَّكِينَةِ كَأَنَّهَا رَهْرَهَةٌ ، فَوُضِعَتْ فِي صَدْرِي . قال : وَلَا أَعْلَمُ لِعُرْوَةِ سَمَاعٍ مِنْ أَبِي ذَرٍّ . وذكر من طريق آخر عن أَبِي ذَرٍّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَهُ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، وَزَنْتُ بِأَرْبَعِينَ ، أَنْتَ فِيهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ » وَالرَّهْرَهَةُ : بَصِيصُ الْبَشَرَةِ ، فَهَذَا بَيَانُ وَضْعِ الْخَاتَمِ مَتَى وَضَعَهُ .

مَسْأَلَةُ سُؤْلِ الصَّدرِ مَرَّةً أُخْرَى :

وَأَمَّا مَتَى وَجَبَتْ لَهُ النَّبُوءَةُ ، فَرَوَى عَنْ مَيْسَرَةَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النَّبُوءَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : وَأَدُمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، وَيُرْوَى : وَأَدُمُ مُجَنَّدَلٌ فِي طِينَتِهِ (١) .

(١) وهكذا كل إنسان في قَدَرٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عِنْدَهُ مَقَادِيرَ الْكَائِنَاتِ جَمِيعَهَا ، وَإِلَّا فَالَنَبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حَتَّى لَيْلَةِ الْوَحْيِ الْأُولَى أَنَّهُ نَبِيٌّ . أَوْ أَنَّ النَّبُوءَةَ سَنَاتِيهِ . وَإِلَّا مَا رَجَعَ فِي ارْتِجَافِهِ الشَّدِيدِ إِلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِحَدَّثِهَا أَنَّهُ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ . وَفِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ : وَلَإِنِّي لَمُكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النَّبِيِّينَ . وَحَدِيثُ الْعَرَبِ بَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : لَإِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ آدَمُ لَمُجَنَّدَلٌ فِي طِينَتِهِ ، وَسَاحِبُكُمْ عَنْ ذَلِكَ : لَإِنِّي دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبَشَارَةَ عِيسَى ، وَرَوَّيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ ، وَكَذَلِكَ أُمَمَاتُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نَوْرًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورَ الشَّامِ ، أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَّانٍ وَالْحَاكِمُ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ نَحْوَهُ ، وَنَصَهُ عَنْ لِقْمَةَ بْنِ عَامِرٍ سَمِعَتْ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ : قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ -

وهذا الخبر يُروى عنه - عليه السلام - على وجهين ، أحدهما : أنه سُقِّ عن قلبه ، وهو مع رابته ومُرُضته في بني سعد ، وأنه جرى بطَّنتٍ من ذهب ، فيه ثلج ففسل به قلبه ، والثاني فيه : أنه غُسِّل بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين أُعرج به إلى السماء بعد ما بُعث بأعوام ، وفيه أنه أتى بطَّنتٍ من ذهبٍ ممتلئ حكمة وإيمانا ، فأفْرِغ في قلبه . وذكر بعضُ من أَلَف في شرح الحديث أنه تعارض في الروایتين ، وجعل يأخذ في ترجيح الرواة وتغليب بعضها ، وليس الأمرُ كذلك ، بل كان هذا التقديسُ وهذا التطهيرُ مرتين .

الأولى : في حالِ الطُفُولِيَّةِ لِيُنَقَّى قَلْبُهُ مِنْ مَغَمَزِ الشَّيْطَانِ ، وَلِيُطَهَّرَ وَيُقَدَّسَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ ، حَتَّى لَا يَتَلَبَّسَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُعَابُ عَلَى الرَّجَالِ ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ إِلَّا التَّوْحِيدُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ : فَوَلِيًّا عَنِّي ، يَعْنِي : الْمَلَائِكِينَ ، وَكَأَنِّي أَعَيْنُ الْأَمْرَ مُعَايَنَةً .

والثانية : في حالِ الْاِكْتِهَالِ ، وَبَعْدَ مَا نُبِّئَ ، وَعِنْدَمَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى الْحُضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي لَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا مُقَدَّسٌ ، وَعُجِرَ بِهِ هُنَاكَ

== ما كان بدء أمرك؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاء منه قصور الشام ، تفرد به أحمد ، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة . وقد روى قصة شق الصدر في الطفولة أبو نعيم في الدلائل عن طريق عمر ابن صبح مطولة جدا ، وعمر متروك كذاب متهم بالوضع .

لَتُقَرَّضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ ، وَلْيُصَلِّيْ بِمَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ ، وَمِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ : الطُّهُورُ ،
قُدُّسٌ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَغُسْلٌ بِمَاءٍ زَمَزَمَ .

وَفِي الْمَرَّةِ الْأُولَى بِالتَّلَجِّ لِمَا يُشْعِرُ التَّلَجُّ مِنْ تَلَجِّ الْيَقِينِ وَبَرْدِهِ عَلَى الْقَوَادِ ،
وَكَذَلِكَ هُنَاكَ حَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَبِوَحْدَانِيَّةِ رَبِّهِ .

وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ ، فَقَدْ كَانَ مُوقِنًا مُنْبَأً ، فَإِنَّمَا طُهِرَ لِمَعْنَى آخِرٍ ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ .
مِنْ دُخُولِ حَضْرَةِ الْقُدُّسِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا ، وَلِقَاءِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ، فَفَسَلَهُ رُوحُ
الْقُدُّوسِ بِمَاءٍ زَمَزَمَ الَّتِي هِيَ هَزْمَةُ رُوحِ الْقُدُّوسِ ، وَهَمْزَةُ عَقَبِهِ (١) لِأَيِّهِ إِسْمَاعِيلُ .
عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجِئْتُ بِطَسْتٍ مُنْتَلِيءٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأُفْرِغْ فِي قَلْبِهِ ، وَقَدْ
كَانَ مُؤْمِنًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الْفَتْحُ : ٤
وَقَالَ : ﴿ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ الْمَدَّثَرُ : ٣١ . فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ يَكُونُ
الْإِيمَانُ وَالْحِكْمَةُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَالْإِيمَانُ عَرَضٌ ، وَالْأَعْرَاضُ لَا يَوْصَفُ
بِهَا إِلَّا مَحْمَلُهَا الَّذِي تَقُومُ بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ الْإِنْتِقَالُ ، لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ مِنْ صِفَةِ
الْأَجْسَامِ ، لَا مِنْ صِفَةِ الْأَعْرَاضِ ؟ قُلْنَا :

إِنَّمَا عُبِّرَ عَمَّا كَانَ فِي الطَّسْتِ بِالْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ ، كَمَا عُبِّرَ عَنِ الْبَيْنِ الَّذِي
شَرِبَهُ ، وَأُعْطِيَ فَضْلَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِالْعِلْمِ ، فَكَانَ تَأْوِيلُ مَا أُفْرِغَ فِي
قَلْبِهِ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، وَلَعَلَّ الَّذِي كَانَ فِي الطَّسْتِ كَانَ تَلَجًّا وَبَرْدًا - كَمَا ذَكَرَ فِي .

(١) هَزَمَ الْبُثْرَ : حَفَرَهَا ، وَالْهَمْزَةُ : الثَّقَرَةُ ، هَذَا وَمِثْلَانِي بَيَانُ أَنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ
مَفْرُوضَةً قَبْلَ الْإِسْرَاءِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ . هَذَا وَقَوْلُهُ : كَأَنِّي
أَعَايِنُ الْأَمْرَ مَعَايِنَةً يُوَكِّدُ أَنَّهُ رُؤْيَا مَنَامِيَّةٍ .

الحديث الأول - فمبر عنه في المرة الثانية بما يؤول إليه ، وعبر عنه في المرة الأولى بصورته التي رآها ؛ لأنه في المرة الأولى كان طفلاً ، فلما رأى الثلج في طست الذهب اعتقده ثلجاً ، حتى عرّف تأويله بعد . وفي المرة الثانية كان نديئاً ، فلما رأى طست الذهب مملوءاً ثلجاً علم التأويل لحينه واعتقده في ذلك المقام حكمة وإيماناً ، فكان لفظه في الحديثين على حسب اعتقاده في المقامين .

مناسبة الذهب للمعنى المقصود :

وكان الذهبُ في الحالتين جميعاً مناسباً للمعنى الذي قصدَ به . فإن نظرتَ إلى لفظِ الذهبِ ، فطابق للإذهابِ ، فإن الله - عز وجل - أراد أن يُذهبَ عنه الرِّجْسَ ، ويُطَهِّرَهُ تطهيراً ، وإن نظرتَ إلى معنى الذهبِ وأوصافِهِ وجذْبَتِهِ أنقى شيء وأصفاه ، يقال في المثل : أنقى من الذهب . وقالت بريرةُ في عائشة - رضى الله عنها - ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصَّائِغُ على الذهبِ الأحمر . وقال حذيفة في صلّة بن أشيم رضى الله عنهما : إنما قلبه من ذهب ، وقال جرير بن حازم في الخليل بن أحمد : إنه لرجلٌ من ذهب ، يريدون : النقاء من الأُمَيُوبِ ، فقد طابق طستُ الذهبِ ما أريد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من نقاء قلبه . ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابقة لهذا المقام ثقلُهُ ورُسُوبُهُ ، فإنه يُجْعَلُ في الزَّيْبِقِ الذي هو أثقلُ الأشياءِ ، فيرسب ، والله تعالى يقول : (إِنَّا سُنْقِلُهُ عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) المزمل : ٥٠ . وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : إنما ثقلت موازينُ المُحَقِّقِينَ يومَ القيامة ، لاتباعهم الحقَّ ، وحقُّ ليزانٍ لا يوضع فيه إلا الحقُّ

أن يكونَ تَمِيلًا ، وقال في أهلِ الباطلِ بعكسِ هذا . وقد روى : أنه أنزلَ عليه الوحي ، وهو على ناقته ، فَتَمَلَّ عليها حتى ساخت قوائمها في الأرض ، فقد تطابقت الصفةُ الممقولةُ والصفةُ المحسوسةُ . ومن أوصافِ الذهبِ أيضا أنه لا تأكله النارُ ، وكذلك القرآنُ : لا تأكل النارُ يومَ القيامةِ قلبًا وعاءً ، ولا تبدنًا عَمَلَ به ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم : « لو كان القرآنُ في إهابٍ ، ثم طُرِحَ في النارِ ما احترق ^(١) » ومن أوصافِ الذهبِ المناسبةِ لأوصافِ القرآنِ والوحي : أنَّ الأرضَ لا تُباليه ، وأن الثرى لا يذريه ، وكذلك القرآنُ لا يَخْلُقُ على كثرةِ الرَّدِّ ، ولا يستطاع تغييرُهُ ولا تبدلُهُ ، ومن أوصافه أيضا : نفاسته وعزَّته عند الناسِ ، وكذلك الحقُّ والقرآنُ عزَّيزٌ ، قال سبحانه : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) فَصَّلَتْ : ٤١ . فهذا إذا نظرت إلى أوصافِهِ ولَفِظِهِ ، وإذا نظرت إلى ذاته وظاهره ، فإنه زُخْرُفُ الدُّنيا وزينتها ، وقد فُتِحَ بالقرآنِ والوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمنه خزائنُ الملوكِ ، وتصيَّرَ إلى أيديهم ذهبُها وفضتها ، وجُمِعَ زُخْرُفُهَا وزينتها ، ثم وعدوا باتباعِ القرآنِ والوحي قُصُورَ الذهبِ والفضةِ في الجنةِ . قال - صلى الله عليه وسلم : « جَنَّتانِ من ذهبٍ ، آتيتُهُما وما فيهما من ذهب ^(٢) » وفي التنزيل : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِضُحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ) الزُّخْرُفُ : (٧١) وَيُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاورٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) الحج : ٢٣ وفاطر : ٣٣

() رواه الطبراني . وفي الجامع للسيوطي أنه ضعيف .

(٢) من حديث رواه الجماعة إلا أبا داود : وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن .

فكان ذلك الذهب يُشعر بالذهب الذي يصير إليه من اتبع الحق ، والقرآن وأوصافه تشعّر بأوصاف الحق ، والقرآن ولفظه يُشعر بإذهاب الرّجس ، كما تقدم ، فهذه حكم بالغة^(١) لمن تأمل ، واعتبار صحيح لمن تدبر ، والحمد لله .

وفى ذكر الطّستِ وحروفِ اسمِهِ حكمة تنظر إلى قوله تعالى : (طس . تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مبین^(٢)) النمل : ١ وما يستل عنه : هل خُص هو - صلى الله عليه وسلم - بفعل قلبه فى الطست ، أم فُعل ذلك بغيره من الأنبياء قبله ، وفى خبر التابوت والسكينة ، أنه كان فيه الطّستُ التى غُسلت فيها قلوبُ الأنبياء عليهم السلام . ذكره الطبرى^(٣) ، وقد انتزع بعضُ الفقهاء من حديث الطّست حيثُ جُعِلَ محلاً للإيمان والحكمة جوازَ تعلية المصحف بالذهب ، وهو فقه حسن^(٤) ، وفى حديث أبي ذر - رضى الله عنه - هذا الذى قدمناه ، متى علم أنه نبى .

- (١) تأويلات مغربة ، وإن كانت تشهد بذكاء ، لكنها لا ترف بسكينة على القلب ، وشأن القرآن أعظم .
- (٢) وهذا أغرب ، وأشدّ بعدا ، وتقرأ طس هكذا : « طاسين » .
- (٣) يشير إلى قوله تعالى : « وقال لهم نبيهم : إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سكينة من ربكم ، وبقيّة مما ترك آله موسى وآل هارون تحمله الملائكة » البقرة : ٢٤٨ . وقد روى العوفى عن ابن عباس أن السكينة هى الرحمة . كما فسرها عطاء تفسيرا طيبا ، إذ قال لابن جريج لما سأله عنها : أما تعرفون من آيات الله فتسكنون إليه . وروى ابن كثير ما ذكره السهيلي بصيغة تفيد تضعيفه إذ جاء قبله بكلمة : وقيل . وخب فيها وهب بن منبه ووضع ، فأتى بالعجب العجيب من الأساطير . فقال : السكينة : رأس مرة ميتة .
- (٤) رد ابن القيم هذا الرأى .

الحكمة في غم النبوة :

والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لما ملئ قلبه حكمةً وبقينا، خُتِمَ عليه كما يُخْتَمُ على الوعاء المملوء مسكاً أو دُرّاً ، وأما وَضْعُهُ عند نُفْضِ (١) كَتِفِهِ ، فَلأنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْ وَشْوَسَةِ الشَّيْطَانِ ، وَذَلِكَ الْمَوْضِعُ مِنْهُ يُوسُوسُ الشَّيْطَانُ لِابْنِ آدَمَ . رَوَى مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ (٢) ، فَأَرَى جَسَدَ أُمِّهِ (٣) يُرَى دَاخِلُهُ مِنْ خَارِجِهِ ، وَالشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ ضِفْدَعٍ عِنْدَ نُفْضِ كَتِفِهِ (٤) حِذَاءَ قَلْبِهِ ، لَهُ خُرْطُومٌ ، كَخُرْطُومِ الْبَعُوضَةِ ، وَقَدْ أَدْخَلَهُ إِلَى قَلْبِهِ يوسوس ، فإذا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الْعَبْدُ خُنِسَ (٥) .

(١) هو أعلى منقطع غضروف الكتف .

(٢) في شرح المواهب : « موضع الشيطان من ابن آدم . وفي النهاية : موقع

(٣) ضَبَطُهَا فِي اللِّسَانِ وَفِي مَعْجَمِ ابْنِ فَارَسٍ وَفِي النَّهْيَةِ هَكَذَا ، وَضَبَطَهَا الزَّرْقَانِيُّ بِضَمِّ الْمِيمِ الْأَوَّلَى وَسُكُونِ الثَّانِيَةِ . وَتَخْفِيفُ الْهَاءِ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ : أَمَاهَا ، أَيْ مَصْفًى ، وَفِي النَّهْيَةِ : أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ مِنْهَا مَا ، قَالَ : وَالْمَاهَا : الْبُلُورُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ صَفًى ، فَهُوَ مَعْنَى تَشْبِيهِهَا بِهِ . زَادَ فِي الْفَائِقِ : وَمَقْلُوبٌ مِنْ عَمُوهُ ، وَهُوَ مُفْعَلٌ مِنْ أَصْلِ الْمَاءِ . أَيْ يَجْعَلُ مَاءً ص ١٥٤ ج ١ .

(٤) في شرح المواهب : « وأرى الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه . »

(٥) في شرح المواهب : « وقد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، والحديث مقطوع . ص ١٥٤ ج ١ شرح المواهب . وفي اللسان نقلاً عن النهاية لابن الأثير : « فرأى فيما يرى النائم جسد رجل مُنَمَّسٍ . » وحذاء : مقابل . وخنس : تأخر وغاب . وانظر ص ٤٣٩ وما بعدها فتح الباري ج ٦ .

رواه ابنه النبي « ص » :

فصل : وكان ردّ حليمة إياه إلى أمّه وهو ابنُ خمسِ سنينَ وشهر ،
فيما ذكر أبو عمر^(١) ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداها بعد تزويجه خديجة
- رضى الله عنها - جاءتته تشكو إليه السنّة ، وأن قومها قد أسنّوا^(٢)
فسكّام لها خديجة ، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكّرات ، والمرة الثانية : يوم
حنين^(٣) وسيأتى ذكرها إن شاء الله .

تأويل النور الذي رآته آمنه :

فصل : وذكر النور الذي رآته آمنه ، حين ولدته عليه السلام ، فأضاءت
لها قصور الشام ، وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافة فيها
مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلادُ وغيرُها بنوره - صلى الله عليه وسلم -
وكذلك رأى خالد بن سَعِيد بن العاصي قبل المبعث يسير نوراً يخرج من
زَمْزَم ، حتى ظهرت له البُسر^(٤) في نخيل يَثْرِب ، فقصّها على أخيه عمرو ،

(١) يعنى ابن عبد البر . وفي الأصل : عمرو وهو خطأ . وفي المواهب
نقلنا عن ابن عبد البر أنها ردتّه بعد خمس وبومين ، وتفيد بعض الروايات أنها
ردته في السنة الثالثة ، أو الرابعة ، أو السادسة ، وجزم الحافظ العراقي وابن
حجر أنها ردتّه في الرابعة ص ١٥٠ ج ١ المواهب .

(٢) أسنّوا : أجدبوا .

(٣) ذكره الأماوى .

(٤) البسر أوله : ططلع ثم : خلال بالفتح ، ثم بلح بفتحين ، ثم مبشر ،

ثم : رُطِب ثم : تمر .

عود إلى حديث ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ما مِن نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى النَّعَمَ ، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه : « أنا أعرِبُكُمْ ، أنا قُرَشِيٌّ ، واشْتَرَضِصْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ » . [حديث ضعيف] : قال ابن إسحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون ، والله أعلم : أن أمَّه السعدية . لما قدمت به مكة أضلَّها في الناس ، وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتمسته فلم تجده ، فأنت عبد المطلب ، فقالت له : إني قد قدِّمتُ بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلَّنِي ، فوالله ما أدري أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجدَه ورقةُ بن نوفل بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناهُ بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه ، وهو يطوف بالكعبة يُعوِّذه ويدعوه ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم ، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرتُ لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نفرًا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعدَ فِطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلَّبوه ، ثم قالوا لها : لَمَّا أَخَذْنَا هَذَا الْغُلَامَ ، فَلَمَذْهَبْنَا بِهِ إِلَى مَلِكِنَا وَبَلَدِنَا ؛ فَإِنْ هَذَا غُلَامٌ كَأَنَّ لَهُ شَأْنٌ نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ ، فزعم الذي حدثني أنها لم تسكِّدْ تنفقت به منهم

فقال له : إنها حَفِيرَةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وإن هذا النور منهم ، فكان ذلك سببَ مُبَادَرَتِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ .

وفاة آمنة

وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أمه آمنة بنت وهب ، وجدّه عبد المطلب بن هاشم في كَلَاءَةِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ ، يُنَبِّئُهُ اللَّهُ نَبَاتًا حَسَنًا ، لَا يَرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - سِتًّا سَنِينَ ، تُوَفِّيَتْ أُمُّهُ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - آمَنَةُ تُوَفِّيَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - ابن ستّ سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، تُزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فَاتَتْ ، وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إِلَى مَكَّةَ .

قال ابن هشام : أُمُّ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ : سَلَمَى بِنْتُ عَمْرِو النَّجَّارِيَّةِ فَهَذِهِ الْخُبْرَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِيهِمْ .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوضَعُ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ فِرَاشٌ فِي ظِلِّ السَّكْبَةِ ، فَسَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْهِ ، لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إِجْلَالًا لَهُ ، قَالَ : فَسَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَأْتِي ، وَهُوَ غُلَامٌ جَنَمَرٌ ، حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ ، فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ ، لِيُوَخِّرُوهُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ

إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنِي ، فوالله إنَّ له لَشَأْناً ، ثُمَّ يُجْلِسْهُ مَعَهُ عَلَى الْفَرَّاشِ ،
وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ، وَيَسْرَهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ .

رعي الغنم :

فصل : وذكر قولَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ
رَعَى الْغَنَمَ . قِيلَ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَأَنَا » . وإنما أراد ابنُ إِسْحَاقَ .
بهذا الحديثِ رَعَايَتَهُ الْغَنَمَ فِي بَنِي سَعْدِ مَعَ أَخِيهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي
الصَّحِيحِ أَنَّهُ رَعَاهَا بِمَكَّةَ أَيْضاً عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ . ذكره البخاري ، وذكر
البخاري عنه أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ : مَا هَمَّمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ ،
وَرَوَى أَنَّ إِحْدَى الْمَرَّتَيْنِ كَانَ فِي غَنَمٍ يَرَعَاهَا هُوَ وَغُلَامٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ
لصاحبه : اكْفِنِي أَمْرَ الْغَنَمِ حَتَّى آتِيَ مَكَّةَ ، وَكَانَ بِهَا عُرْسٌ فِيهَا لُتُوٌّ وَزَمْرٌ ،
فَلَمَّا دَنَا مِنَ الدَّارِ لِيَحْضُرَ ذَلِكَ ، أُلْقِيَ عَلَيْهِ النَّوْمُ ، فَتَنَامَ حَتَّى ضَرَبَتْهُ الشَّمْسُ
عِصْمَةً مِنَ اللَّهِ لَهُ . وَفِي الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ قَالَ لصاحبه مثلاً ذَلِكَ ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ النَّوْمُ
فِيهَا ، كَمَا أُلْقِيَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . ذكر هذا المعنى ابنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ رِوَايَةٍ
الْبُكَّائِيِّ . وَفِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِلْقُتَيْبِيِّ : « بُعِثَ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
— وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ ، وَبُعِثَ دَاوُدُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ رَاعِي
غَنَمٍ ، وَبُعِثْتُ ، وَأَنَا رَاعِي غَنَمٍ أَهْلِي بِأَجْيَادٍ ^(١) » . وإنما جعل اللهُ هَذَا فِي الْأَنْبِيَاءِ

(١) جبل بمكة ، وهما أجيدان كبير وصغير ، وهما حلتان بمكة . وقيل
فيه : جِيَادٌ بِهَيْزِ أَلْفٍ وَقَدْ سَبَقَ .

تَقْدِمَةً لَهُمْ ، لِيَكُونُوا رِعَاةَ الْخَلْقِ ، وَلِتَكُونَ أُمَمُهُمْ رِعَايَاهُمْ ، وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ يَنْزِعُ عَلَى قَلِيبٍ (١) وَحَوْلَهَا غَنَمٌ سُودٌ ، وَغَنَمٌ عُفْرٌ (٢) . قَالَ : ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — فَزَعَزَعَهُ نَزْعًا ضَعِيفًا ، وَاللَّهُ يُغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا (٣) . يَعْنِي : الدَّلْوُ ، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى قَرِيَّةً (٤) فَأَوَّلَهَا النَّاسُ فِي الْخِلَافَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَلَوْلَا ذِكْرُ الْغَنَمِ السُّودِ وَالْعُفْرِ كَبَعْدَتِ الرُّثُوبَا عَنْ مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَالرَّعَايَةِ ؛ إِذِ الْغَنَمُ السُّودُ وَالْعُفْرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ لَمْ يَذْكُرُوا الْغَنَمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ . ذَكَرَهُ الْبَزَّازُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَيْضًا ، وَبِهِ يَصِحُّ الْمَعْنَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فِي كِفَايَةِ الْعَمَلِ :

فصل : وَذَكَرَ كَوْنُ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي كِفَالَةِ عَمِهِ يَكْلُوهُ

(١) الْقَلِيبُ : الْبُحْرُ قَبْلَ أَنْ تَبْنَى بِالْحِجَارَةِ وَنَحْوِهَا يَذْكُرُ وَيُؤْنَتُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : هِيَ الْبُحْرُ الْعَادِيَةُ الْقَدِيمَةُ . وَنَزَعُ الدَّلْوِ : اسْتَقَى بِهَا .

(٢) الْعُفْرُ : جَمْعُ عُفْرَاءَ : مَا يَعْلُو بَيَاضُهَا حُمْرَةً ، أَوِ الْبَيَاضُ لَيْسَتْ بِالشَّدِيدَةِ الْبَيَاضُ ، أَوِ الَّتِي فِي سِرَاتِهَا حُمْرَةٌ ، وَخَاصَرَتْهَا بَيَاضٌ . وَالسَّرَاةُ : أَعْلَى الظَّهْرِ وَالْوَسْطُ

(٣) السَّدَلْتُو الْعَظِيمَةُ .

(٤) يَعْمَلُ عَمَلَهُ الْعَظِيمَ ، وَبِقَطْعِ قِطْعِهِ . وَفَسَّرَ بِهِ تَقَالٍ : بِفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ أَيْضًا ، وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بِدُونِ ذِكْرِ الْغَنَمِ . وَحَدِيثٌ : أَنَا أَعْرَبُكُمْ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَفِي رَوَاتِهِ مَبْشَرُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ ، وَقَالَ السِّيُوطِيُّ : ضَعِيفٌ .

وَيَحْفَظُهُ . فَمِنْ حَفَظِ اللَّهِ لَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتِيمًا لَيْسَ لَهُ أَبٌ يَرْحُمُهُ ، وَلَا أُمَّ
تَرَأَاهُ (١) لِأَنَّهَا مَاتَتْ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَكَانَ عِيَالُ أَبِي طَالِبٍ ضَعْفًا ، وَعَيْشُهُمْ
شَقًّا (٢) ، فَكَانَ يَوْضِعُ الطَّعَامَ لَهُ وَلِلصَّبِيِّ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي طَالِبٍ ،
فَيَتَطَاوَلُونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَقَاعَرُ هُوَ ، وَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ ، وَتَنَفَّضُ يَدُهُ تَكَرُّمًا مِنْهُ
وَاسْتِحْيَاءً وَنِزَاهَةً نَفْسٍ وَقَنَاعَةً قَلْبٍ ، فَيَصْبَحُونَ غُصَصًا رُغَصًا ، مُصْفَرَّةً
أَلْوَانُهُمْ (٣) وَيُصْبِحُ هُوَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - صَقِيلًا دَهِينًا (٤) كَأَنَّهُ فِي أَنْعَمِ
عَيْشٍ ، وَأَعَزَّ كِفَايَةٍ ، لُطْفًا مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِهِ . كَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْفَتْحِيُّ
فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ .

موت آمنة وزيارته لها :

فصل : وذكر موت أمه آمنة بالأبواء ، وهو موضع معروف بين مكة

(١) تحبه وتحنو عليه وتعطف . والمذكور في السيرة مع الحفظ والسكارة
هو : عبد المطلب ، لا أبو طالب كما في الروض .

(٢) الضعف : كثرة العيال . والشظف والشظاف : الضيق والشدة ، وليس
العيش وشدة .

(٣) الرمس - كما في الصحاح - وسخ يجتمع في الموق ، فإن سال فهو غمص ، وإن
جده فهو رمص ، يقال : عين رمصاء ، وهو أرمص . وهو أغمص ، وهي غمصاء .
(٤) صقيل : مجلوع . ودهين : مدهون بالدهن كناية عن حسنه ونضارته .

وفي حديث الرضاع كلمات نفسرها هنا : ظئر : أصلها الناقة التي تعطف على ولد
غيرها ، فتدر عليه ، فسميت المرأة التي ترضع ولد غيرها ظئرا . والجفر :
الفليط الشديد . منتقع : متغير . الحافل : الممتلئ الضرع . اربعى علينا : أقمى
وانتظري . والعجف : الهزال « عن الحشني ص ٥٦ »

والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب كأنه سُمِّيَ بجمع بَوٍّ ، وهو جلد الخولر^(١)
المَحْشُوءُ بالتبن وغيره ، وقيل : سُمِّيَ بالأبواء لتَبَوُّءِ الشُّيُولِ فيه ، وكذلك
ذكر عن كثير . ذكره قاسم بن ثابت .

وفي الحديث أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — زار قبر أمه
بالأبواء في ألفِ مُقَنَّعٍ ، فسكى وأبكى ، وهذا حديث صحيح^(٢) ، وفي الصحيح
أيضاً أنه قال : استأذنت ربي في زيارة قبر أمي ، فأذن لي ، واستأذنته أن أستغفر
لها ، فلم يأذن لي^(٣) . وفي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ من حديث بُرَيْدَةَ أنه — صلى الله
عليه وسلم — حين أراد أن يستغفر لأمه ، ضرب جبريلُ عليه السلام في
صدره ، وقال له : لا تستغفر لمن كان مُشْرِكاً ، فرجع وهو حزين .

وفي الحديث زيادةٌ في غير الصحيح أنه سُئِلَ عن بُسْكَائِهِ ، فقال : ذكرت
ضَعْفَها وشدةَ عذابِ الله ، إن كان صَحَّ هذا .

(١) ولد الناقة حتى يفصل . وذكر صاحب المصباح : أن الأبواء قرية من أعمال الفرع
والفرع : قرية من نواحي الريزة عن يسار السقيا ، بينها وبين المدينة ثمانية برد ، من
المدينة بينها وبين الجحفة بما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . وقيل : جبل عن
يمين آره ويمين المصعد إلى مكة من المدينة .

(٢) رواه أحمد وفيه : وثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان ، فقام إليه عمر
ابن الخطاب ، وفداه بالأب والام ، وقال : رسول الله ، مالك ؟ قال : إني سألت
ربي عز وجل في الاستغفار لأمي ، فلم يأذن لي ، فدمعت عيناى رحمة لها
من النار . .

(٣) مسلم وابن ماجه .

وفي حديث آخر ما يُصَحِّحُهُ ، وهو أن رجلا قال له : يا رسول الله : أين أبي ؟ فقال : في النار ، فلما ولي الرجلُ ، قال عليه السلام : إن أبي وأباك في النار ^(١) ، وليس لنا أن نقول نحن هذا ^(٢) في أبيه — صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام : لا تُؤذُوا الأحياءِ بِسَبِّ الأَمْواتِ ، والله عزَّ وَجَلَّ يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .

(١) في رواية مسلم : فلما قفا : دعاه ، فقال : إن أبي وأباك في النار . والحديث رواه أبو داود أيضا . وقيل عن الرجل الذي سأل : أنه أبو رزين العقيلي أو حصين بن عبيد والد عمران . وفي مستند أحمد أن أبا رزين سأل عن أمه : أين هي ، فقال : كذلك . هذا ، وقد ذكر البيهقي عدة أحاديث في هذا ، ثم قال بعد روايته لها في دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده - عليه الصلاة والسلام - بهذه الصفة في الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ، ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدر في نسبه - عليه الصلاة والسلام - لأن أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم ، فلا يلزمهم تجديد العقد ، ولا مفارقتهم إذا كان مثله يجوز في الإسلام ، ويقول ابن كثير : وإخباره عن أبيه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطناه سنداً ومتناً — في تفسيرنا — عند تفسير قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإمراء : ١٥ . فيكون منهم من يجيب ، ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة والله الحمد والمنة ، ص ٢٨١ ج ٢ البداية ، ورغم هذا فإنني أذكر بقول الله : (تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون) البقرة : ١٤١ .

(٢) إذا سئلنا صدعنا بالحق .

الأحزاب : ٧٥ . وإنما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك الرجل هذه المقالة ، لأنه وجد في نفسه ، وقد قيل : إنه قال : أين أبوك أنت ؟ حينئذ قال ذلك ، وقد رواه مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ بغير هذا اللفظ ، فلم يذكر أنه قال له : إن أبي وأباك في النار ، ولكن ذكر أنه قال له : إذا مررت بقبر كافر ، فبشره بالنار (١) ، وروى حديث غريب لعله أن يصح . وجدته بخط جدِّي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي - رحمه الله - بسند فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتاب ، انْتُسِخَ مِنْ كِتَابِ مُعَوِّذِ بْنِ دَاوُدَ الزَّاهِدِ رَفَعَهُ إِلَى [عبد الرحمن ابن] [أبي الزناد عن] [هشام بن] [عروة] ، عن [أبيه عن] عائشة رضي الله عنها - أخبرت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأل ربَّه أن يُحْيِيَ أبويه ، فأحياهما له ، وآمنا به ، ثم أماتهما ، والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيُّه عليه السلام أهل أن يُخَصَّصَ بما شاء من فضله ، ويُنْعَمَ عليه بما شاء من كرامته - صلوات الله عليه وآله وسلم - قال القرطبي في تذكرته : جزم أبو بكر الخطيب في كتاب : السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب : الناسخ والنسوخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : حجَّ بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع ، فر على قبر أمه ، وهو بالكِّ حزين مُتَمَتِّمٌ ، فبكيت لبكائه - صلى الله عليه وسلم - ثم إنه نزل فقال : يا أحمراء استمسكي ، فاستندتُ إلى جنب البعير ، فمكث عنى طويلاً مَلِيًّا ، ثم إنه عاد إلي ، وهو فَرِحٌ مُتَبَتِّمٌ ، فقلت له : بأبي أنت وأمي

(١) ورواه البيهقي والبزار والطبراني في الكبير وفيه عن الآب : إنه في النار وقال عنه ابن كثير : غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وفاة عبد المطلب : ومارثي به من الشعر

فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد الفيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفي ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ثمانى سنين .

يارسول الله نزلت من عندي ، وأنت باك حزين مُقْتَمٌ . فبكيت لبكائك .
ثم عدت إلي ، وأنت فَرِحٌ مبتسم ، فَمِمَّ ذَا يارسول الله ، فقال : ذهبت لقبر
أمنة أُمي ، فسألت أن يحياها ، فأحياها فأمنت بي (١) ؛ أو قال : فأمنت .
وردها الله عز وجل .

(١) قال ابن كثير في البداية عن حديث ابن أبي الزناد : منكر جداً . وقال في التفسير عن أحد الأحاديث : وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه الخ وقال الدارقطني : باطل ، وكذا ما رواه السهيلي في الروض بسند فيه جماعة مجهولون أن الله أحيا له أباه وأمه ، وقال ابن دحية عن حديث إحياء الأم : وهذا الحديث موضوع يردده القرآن والإجماع . قال تعالى : ولا الذين يموتون ، وهم كفار ، وقال : دُفِيت وهو كافر ، فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة ، بل لو آمن عند المعايضة لم ينفعه ، وكيف بعد الإعادة ، ص ١٦٨ ح ١ المواهب .

وقيل إن أمه ماتت وسنه أربع كما حكى العراقي ومغلطاي ، وقيل : ست وبه قطع ابن إسحاق . وقيل : سبع كما حكاه ابن عبد البر ، وقيل : تسع ، وينسب إلى حكاية مغلطاي أيضاً ، وقيل : اثنتا عشرة سنة وشهر وعشرة أيام . وينسب إلى حكاية مغلطاي . وقيل : ثمان ، وهو قول ابن حبيب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سعيد بن المسيَّب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة ، وعَرَفَ أنه ميت جمع بناته ، وكنَّ ست نسوة : صفية ، وبرّة ، وعاتكة ، وأمّ حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، فقال لهن : ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيَّب ، كتبناه :

فقالَت صَفِيَّةُ بِنَةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَبْكِي أَبَاهَا :

أَرَقْتُ لَصَوْتِ نَائِحَةٍ بِذَنْبِلٍ	على رَجُلٍ بِقَارَعَةِ الصَّامِعِ
فَقَاصَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ دُمُوعِي	على خَدَى كُنُوحِدِرِ الْفَرِيدِ
على رَجُلٍ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغَلٍ	له الْفَضْلُ الْمُبِينُ على الْعَبِيدِ
على الْفَيَاضِ شَيْبَةً ذِي الْمَعَالِي	أَيُّكَ الْخَيْرِ وَارِثِ كُلِّ جُودِ
صَدُوقٍ فِي الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نِكْسٍ	وَلَا شَخْتُ الْمَقَامِ وَلَا سَنِيدِ
طَوِيلِ الْبَاعِ ، أَرْوَعَ شَيْظَمِي	مُطَاعٍ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدِ
رَفِيعِ الْبَيْتِ أَبْلَجَ ذِي فَضُولِ	وَعَيْثِ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْخُرُودِ
كَرِيمِ الْجَدِّ لَيْسَ بِذِي وُصُومِ	يَرُوقُ على السُّودِّ وَالْمَسُودِ
عَظِيمِ الْحَلِيمِ مَنْ نَقَرَ كِرَامِ	خَضَارِمَةٍ مَلَاوِنَةٍ أَسُودِ
فَلَوْ خَلَدَ امْرُؤٌ لِقَدِيمِ مَجْدِ	وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ
لَكَانَ مُخَلِّدًا أُخْرَى اللَّيَالِي	لِفَضْلِ الْمَجْدِ وَالْحُبِّ التَّلِيدِ

.....

وقالت برة بنت عبد المطلب تبكي أباه :

أَعْيَنِي جُودًا بِدَمْعٍ دِرَرٍ	على طَيِّبِ الْغَيْمِ وَالْمُقْتَصِرِ
على ماجد الجدِّ وارى الزَّناد	جميل الحَيِّاءِ عَظِيمِ الْخَطَرِ
على شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ	وذى الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُفْتَخَرِ
وذى الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ فِي النَّائِبَاتِ	كثيرِ الْمَكَارِمِ ، جَمِّ الْفَجَرِ
له فَضْلٌ تَجَدُّ عَلَى قَوْمِهِ	مُنِيرٌ ، يُلَوِّحُ كَقَصْوَةِ الْقَمَرِ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا ، فَلَمْ تُشَوِّهِهِ	بَصْرُفِ الْإِيَالَى ، وَرَبِّ الْقَدَرِ

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباه :

أَعْيَنِي جُودًا ، وَلَا تَبْخَلَا	بِدَمْعِكَا بَعْدَ نَوْمِ النَّيَامِ
أَعْيَنِيَّ وَاسْتَحْنَفِرَا وَاسْكُبَا	وَشُوبَا بَكَاءِكَا بِالتَّيْدَامِ
أَعْيَنِيَّ ، وَاسْتَخْرِطَا وَاسْجُمَا	على رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسِ كَهَامِ
على الْجَحْفَلِ الْعَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ	كريمِ الْمَسَاعِي ، وَفِي الدُّمَامِ
على شَيْبَةِ الْحَمْدِ ، وَارِي الزَّناد	وذى مَصْدُقٍ بَعْدُ ثَبَّتِ الْمَقَامِ
وَسَيْفٍ لَدَى الْحَرْبِ صَمُصَامَةٍ	وَمِرْدَى الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامِ
وَسَهْلٍ الْخَلِيقَةِ طَلَقَ الْيَدَيْنِ	وَفِيَّ عُدْمِلِي صَمِيمِ لُهَامِ
تَبَنَّاكَ فِي بَاذِخٍ بَيْتُهُ	رَفِيعُ الدُّوَابَةِ صَعْبِ الْعَرَامِ

وقالت أم حَكِيمِ الْبَيْضَاءِ بنت عَبْدِ الْمَطْلَبِ تبكي أباه :

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهْلِيْ وَبَكِّيْ ذَا الْمَدَى وَالْمَكْرُمَاتِ

.

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أَشْعَفِنِي . بَدَمَجْ مِنْ دُمُوعِ هَاطَلَاتِ
وَبَكِّي خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا أَبَاكَ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ
طَوِيلَ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا الْمَعَالَى كَرِيمَ الْخَلِيمِ تَحْمُودَ الْهَبَاتِ
وَصُولاَ لِلْقَرَابَةِ هِزْزِيَا وَغَيْثَا فِي السَّيْنِ الْمُحَلَاتِ
وَلَيْنَا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالَى تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاطِرَاتِ
عَقِيلَ بَنَى كِنَانَةَ وَالْمَرْجَى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهِنَاتِ
وَمَفْرَعَهَا إِذَا مَا هَاجَ هَيْجٌ بَدَاهِيَةَ ، وَخَضَمَ الْمُفَضَّلَاتِ
فَبَكِيهِ ، وَلَا تَسْمِي بِحُزْنٍ وَبَكِّي ، مَا بَقِيَتْ ، الْبَاكِيَاتِ

وَقَالَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا:

أَلَا هَلَاكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو النَّمَقْدِ وَسَاقِي الْحَجِيرِ ، وَالْحَامِي عَنِ الْمَجْدِ
وَمَنْ يُؤَلِّفُ الصَّيْفَ الْغَرِيبَ بِيُوتَهُ إِذَا مَا سَمَاءُ النَّاسِ تَبْخُلُ بِالرَّعْدِ
كَسَبْتُ وَلِيداً خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَى فَلَمْ تَنْفَكْ كَلْكُ تَزْدَادُ يَاشَدِيدَةَ الْحَمْدِ
أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَاضُ ، خَلَى مَكَانَهُ فَلَا تَبْعُدَنَّ ، فَكُلْ حَتَّى إِلَى بُعْدِ
فَإِنِّي لِبَاكَ — مَا بَقِيَتْ — وَمُوجَعٌ وَكَانَ لَهُ أَهْلًا لِمَا كَانَ مِنْ وَجْدِ
سَقَاكَ وَلِيُّ النَّاسِ فِي الْقَبْرِ مُنْطَرَأٌ فَسَوْفَ أَبْكِيهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَحْدِ
فَقَدْ كَانَ زَيْنَا لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَكَانَ تَحْمِيداً حَيْثُ مَا كَانَ مِنْ حَمْدِ

وَقَالَتْ أَرْوَى بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا:

بَكَتْ عَيْنِي ، وَحَقَّ لَهَا الْبُكَاءُ عَلَى سَمْعٍ ، سَجِيَّتُهُ الْحَيَاءُ

.

عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِي كَرِيمِ الْخَلِيمِ ، نَيْتُهُ الْعَلَامِ
 عَلَى الْفَيْضِ شَيْبَةُ ذِي الْمَعَالِي أَيْمِكَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاةُ
 طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ ، شَيْطَمِيَّ أَغْرَ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ
 أَقْبَ السَّكْشَحِ ، أَرْوَعُ ذِي فُضُولِ لَهُ الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَاءُ
 أَبِي الضَّمِيمِ ، أَبْلَجَ هَبْرِيَّ قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ لَهُ خَفَاءُ
 وَمَمْقِلِ مَالِكٍ ، وَرَبِيعِ فِهْرِ وَفَاصِلِهَا إِذَا التَّمِيسُ الْقَضَاءُ
 وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَمًا وَجُودًا وَبِأَسَا حِينَ تَنْسَكِبُ الدَّمَاءُ
 إِذَا هَابَ السَّكْمَةُ الْمَوْتُ حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ
 مَضَى قَدْماً بِذِي رُبْدٍ خَشِيبَ عَلَيْهِ حِينَ تُبْصِرُهُ الْبَهَاءُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَرَعَمَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ أَشَارَ بِرَأْسِهِ ، وَقَدْ
 أَضْمَتَ : أَنْ هَكَذَا فَأَبْكَيْنِي .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْمُسَيَّبُ بْنُ حَزْنِ بْنِ أَبِي وَهَبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانَ
 ابْنُ مَخْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ حُدَيْفَةُ بْنُ غَانِمٍ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ
 يَبْنِي عَبْدِ الْمَطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَهُ ، وَفَضْلَ قُصَى عَلَى
 قُرَيْشٍ ، وَفَضْلَ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ بَغْرَمَ أَرْبَعَةِ آلَافٍ دَرَاهِمَ
 بِمَكَّةَ ، فَوَقَفَ بِهَا فَمَرَّ بِهِ أَبُو هَلَبٍ عَبْدُ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ ، فَافْتَكَّهَ :

أَعْيَى جُودًا بِاللَّهِ مَوْعٍ عَلَى الصَّدْرِ وَلَا تَسَامَا ، أَسْقِيْتُمَا سَبَلَ الْقَطْرِ

وَجُودًا بَدِيعٌ، وَاسْفَحًا كُلَّ شَارِقٍ
وَسُحْحًا، وَجُمًّا، وَاسْجُمًّا مَا بَقِيَتْما
عَلَى رَجُلٍ جَدَلُ الْقَوَى، ذِي حَفِيفَةِ
عَلَى الْمَاجِدِ الْبُهْلُولِ ذِي الْبَاعِ وَاللَّهِ
عَلَى خَيْرِ خَافٍ مِنْ مَعْدَةٍ وَنَاعِلٍ
وَخَيْرِهِمْ أَصْلًا وَفِرْعَا وَمَعْدَنَا
وَأَوْلَاهُمْ بِالْمَجْدِ وَالْحِلْمِ وَالنَّهْيِ
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ
وَسَاقِي الْحَجِيجِ نَمَ لِلْخُبَرِ هَاشِمٍ
طَوَى زَمْرًا عِنْدَ الْمَقَامِ، فَأَصْبَحَتْ
لَيْبِكَ عَلَيْهِ كُلُّ عَانٍ بِكَرْبَةٍ
بَنُوهُ سَرَآةً، كَهْلُهُمْ وَشَبَابُهُمْ
قُصِيَّ الَّذِي عَادَى كِنَانَةَ كُلِّهَا
فَإِنْ نَكُ غَالَتُهُ الْأَمْنَايَا وَصَرُّ فُهَا
وَأَبْقَى رِجَالًا سَادَةً غَيْرَ عُزَلٍ
أَبُو عَتَبَةَ الْمُتَقَى إِلَى حِبَاءِهِ
وَحَمْزَةُ مِثْلَ الْبَدْرِ، يَهْتَزُّ لِلنَّدَى
وَعَبْدُ مَنْافٍ مَاجِدٌ ذُو حَفِيفَةِ
كُهُولُهُمْ خَيْرُ الْكُهُولِ، وَنَسْلُهُمْ

مُبَكَّاءُ أَمْرِي لَمْ يَشُوهُ نَائِبُ الدَّهْرِ
عَلَى ذِي حَيَاءٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَذِي سِنَرٍ
جَمِيلٍ الْمُحْيَا غَيْرِ نَكْسٍ وَلَا هَذَرٍ
رَبِيعُ لُؤَيٍّ فِي التُّحُوطِ وَفِي الْمُسَرِّ
كَرِيمُ الْمَسَاعِي، طَيْبُ الْخَلِيمِ وَالنَّجَرِ
وَأَحْظَاهُمْ بِالْمَكْرُمَاتِ وَبِالذِّكْرِ
وَبِالْفَضْلِ عِنْدَ الْمُجْهِفَاتِ مِنَ الْغُبَرِ
يُضَىءُ سَوَادَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ
وَعَبْدُ مَنْافٍ، ذَلِكَ السَّيِّدُ الْفَهْرِيُّ
سِقَايَتُهُ فَخْرًا عَلَى كُلِّ ذِي فَخْرٍ
وَأَلُ قُصَيٍّ مِنْ مُقِلٍّ وَذِي وَفَرٍ
تَفَلَّقَ عَنْهُمْ بَيْضَةُ الطَّائِرِ الصَّغِيرِ
وَرَابِطَ بَيْتِ اللَّهِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَقَدْ عَاشَ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةِ وَالْأَمْرِ
مَصَالِيَتَ، أَمْثَالُ الرُّدْبِيَّةِ الشُّمْرِ
أَغْرَ، هِجَانُ اللَّوْنِ مِنْ نَفَرِ غُرٍّ
نَقَى الثِّيَابِ وَالذَّمَامِ مِنَ الْغَدْرِ
وَصَوْلُ الَّذِي الْقُرْبَى رَجِيمُ بَذَى الصَّهْرِ
كَنَسَلُ الْمُلُوكِ، لَانْبُورٌ وَلَا تَحْرِي

متى ما تُلَاقِي منهمُ الدَّهْرَ نَاشِئًا تَحِيَّهِ بِإِجْرِيَا أَوَّالِهِ يَجْرِي
 ثُمَّ مَلَأُوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وَعِزَّةً إِذَا السُّبْحُ الْخَيْرَاتِ فِي سَالِفِ الْعَصْرِ
 وَفِيهِمْ بُنَاةٌ لِلْعُلَا ، وَعِمَارَةٌ وَعَبْدُ مَنْفَ جَدِّهِمْ ، جَابِرُ الْكَسْرِ
 يَأْكُلُح عَوْفَ بَنْتِهِ ، لِيُجِيرَنَا مِنْ أَعْدَانِنَا إِذَا أَسْلَمْتُنَا بَنُو فِهْرِ
 فَسِرْنَا يَهَامِيَّ الْبِلَادِ وَتَجَدَّهَا بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتْ الْعِيرُ فِي الْبَحْرِ
 وَهُمْ حَضَرُوا وَالنَّاسُ بَادٍ فَرِيْقُهُمْ وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا شَيْوُخُ بَنِي عَمْرِو
 بَنَوْهَا دِيَارًا جَمَّةً ، وَطَوَّأَهَا بِثَارًا تَسُحُّ الْمَاءَ مِنْ تَبِجِ الْبَحْرِ
 لَكِي يَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا ، وَغَيْرُهُمْ إِذَا ابْتَدَرُوهَا صُبْحَ تَابِعَةِ النَّخْرِ
 ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ تَظَلُّ رِكَابُهُمْ مُحَيَّسَةً بَيْنَ الْأَخَاشِبِ وَالْحِجْرِ
 وَقَدَمَا غَنِينَا قَبْلَ ذَلِكَ حَقِيبَةً وَلَا تَسْتَقِي إِلَّا بِحُمٍّ أَوْ الْحَفْرِ
 وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقِمُ دُونَهُ وَيَهْفُونَ عَنْ قَوْلِ السَّفَاهَةِ وَالْهَجْرِ
 وَهُمْ جَمْعُوا حَلْفَ الْأَحَاشِشِ كُلِّهَا وَهُمْ نَسَكَلُوا عَنَّا غَوَاةَ بَنِي بَسْكَرٍ
 فَخَارِجَ ، إِمَّا أَهْلِسْكَنَّ ، فَلَا نَزَلَ لَهُمْ شَاكِرٌ حَتَّى تُفَيِّبَ فِي الْقَبْرِ
 وَلَا نَسَ مَا أَسْدَى ابْنُ لُبْنَى ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَسْدَى بِدَا تَحْفُوقَةٍ مِنْكَ بِالشُّكْرِ
 وَأَنْتَ ابْنُ لُبْنَى مِنْ قُصَى إِذَا انْتَمَوْا بِحَيْثُ انْتَهَى قَصْدُ الْفَوَادِ مِنَ الصَّدْرِ
 وَأَنْتَ تَنَاوَلْتَ الْعُلَا ، فَجَمَعَتَهَا إِلَى مَحْتَدٍ لِلْمَجْدِ ذِي تَبِجِ جَسْرٍ
 سَبَقْتَ ، وَفَتَّ الْقَوْمَ بَذْلًا وَنَائِلًا وَسُدَّتْ وَلِيدًا كُلَّ ذِي سُودٍ دَعَمَرٍ
 وَأَمَّاكَ سِرٌّ مِنْ خَزَاعَةِ جَوْهَرٍ إِذَا حَصَلَ الْأَنْسَابُ يَوْمَا ذُوُوا الْخُبَرِ
 إِلَى سَبَأِ الْأَبْطَالِ تُنْتَمَى ، وَتَنْتَمَى فَأَكْرَمَ بِهَا مَنْسُوبَةٌ فِي دُرَا الزُّهَرِ

أَبُو شَمِيرٍ مِنْهُمْ ، وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ وَذُو جَدَانٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجُبَرِ
وَأَسْعَدُ قَادَ النَّاسِ عَشْرِينَ حِجَّةً يُؤَيِّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنَّصْرِ

قال ابن هشام : « أُمُّكَ سِرٌّ مِنْ خِرَازَةِ » ، يعنى : أبا لهب ، أمه : لُبْنَى
بنت هاجر الخَزَاعِي . وقوله : « بِإِجْرِيًّا أَوَائِلُهُ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال مَطْرُودُ بْنُ كَعْبٍ الْخَزَاعِيُّ يَبْنِكِي عَبْدَ الْمَطْلَبِ
وَبَنَى عَبْدَ مَنْفَافٍ :

بِأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنْفَافٍ
هَبَلَتْكَ أُمُّكَ ، لَوْ حَلَلْتَ بَدَارَهُم ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ
الْخَالِطِينَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
الْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِبْلَافِ
وَالْمُنْعَمِينَ إِذَا الرِّيَّاحُ تَنَاقَشَتْ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ
إِنَّمَا هَلَكْتَ أبا الْفَعَالِ فَمَا جَرَى مِنْ فَوْقِ مِثْلِكَ عِنْدَ ذَاتِ نِظَافٍ
إِلَّا أَيُّكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَحْدَهُ وَالْفَيْضِ مُطْلَبِ أَبِي الْأَضْيَافِ

قال ابن إسحاق : فلما هَلَكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ وَلِيَ زَمْزَمَ وَالسَّقَايَةَ
عليهما بعده الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَحْدَثِ إِخْوَتِهِ سِنًا ، فَلَمْ
تَزَلْ إِلَيْهِ ، حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامُ وَهُوَ بِيَدِهِ . فَأَقْرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَهُ
عَلَى مَا مَضَى مِنْ وَلَايَتِهِ ، فَهَبَى إِلَى آلِ الْعَبَّاسِ ، بَوْلَايَةِ الْعَبَّاسِ إِيَّاهَا ، إِلَى
الْيَوْمِ .

كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد عبد المطلب مع عمّه أبي طالب ، وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصي به عمّه أبا طالب ، وذلك لأنّ عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا طالب أخوان لأب وأمّ أُمّهمَا : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم [بن بَقَطَّة بن مُرَّة] .

قال ابن هاشم : عائذ بن عمران بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذي يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدّه ، فكان إليه ومعه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أبااه حدثه : أن رجلاً من لُثب - قال ابن هشام : ولُثب : من أزد شنوءة - كان عائفاً ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بفيلمانهم ينظر إليهم ، ويعتاف لهم فيهم . قال : فأتى به أبو طالب ، وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام . علىّ به ، فلمّا رأى أبو طالب حرّصه عليه غيَّبه عنه ، فجعل يقول : وَيَلَكُم ! رُدُّوا علىّ الغلام الذي رأيت آتياً ، فوالله لَيَكُونَنَّ له شأن . قال : فانطلق أبو طالب .

وفاة عبد المطلب

قول صفية :

ففاضت عند ذلك دُمُوعِي على خَدَّي كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ

يروى : كمنحدر بكسر الدال أى : كالدر المنحدر ، وَمُنْحَدَرٌ بفتح الدال
فيكون التشبيهُ راجعاً للفيض ، فعلى رواية الكسر : شَبَّهَتِ الدَّمْعَ بِالْدرِّ الْفَرِيدِ ،
وعلى رواية الفتح شَبَّهَتِ الْفَيْضَ بِالْأَمْحَدَارِ .

وقولها : أَيْبِكَ الْخَيْرِ . أرادت : الْخَيْرُ نَخَفْتُ ، كما يقال : هَيْنٌ وَهَيْنٌ ، وفى
التنزيل : (خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) الرحمن : ٧٠ . وكان اسمُ أمِّ الدرداء : خَيْرَةُ بنتُ أبي
حَدَرْد (١) وكذلك أم الحسن بن أبي الحسنِ البصرى ، اسمُها : خَيْرَةُ ، فهذان
المخفف ، ويموز أن يكونَ الْخَيْرُ هُنَا هو ضدُّ الشَّرِّ ، جعلته كله خيراً على المبالغة
كما تقول : ما زِيدُ إِلَّا عِلْمٌ أو حُسْنٌ ، وما أنت إِلَّا سَيْرٌ ، وهو تَجَازَ حَسَنٌ ،
فعلى هذا الوجه لَا يَشْنَى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُؤَنَّثُ ، فيقال : خَيْرَةُ .

(١) هى صحابية ، وكانت زوجا لآبى الدرداء . وكانت له زوجتان كل
واحدة منها كنيتهما : أم الدرداء ، وهما كبرى وصغرى . والكبرى : هى الصحابية ،
والصغرى : تابعة ، وهى التى روت فى الصحيح . أما الكبرى فليس لها فى الصحيحين
حديث ، وهى خَيْرَةُ بنتُ أبى حدرد ، واسمها : سلامة بن عمر . وهى أصلية
وفى القاموس : أبو الحدرد الأسلى : صحابى ، ولم يحمىء فمطلع بتكرير العين
غيره . والحدرد : القصير .

وقولها : ولا شَخَتْ المقام ولا سَنَيْدُ : الشَخْتُ : [الدقيق الضامِرُ لا هُزَّ الأ]
ضدُّ الضَّخْمِ ، تقول : ليس كذلك ، ولكنه ضَخْمُ المقام ظاهرُهُ . والسَّيْدُ :
الضَّعِيفُ الذي لا يَسْتَقِيلُ بنفسه ، حتى يَسْنُدَ رأيه إلى غيره .

وقولها : خَضَارِمَةٌ مَلَاوِيَّةٌ . ملاوئته : جَمْعُ مِلَاوَاتٍ ^(١) من اللَّوْنَةِ ، وهي
القوة ، كما قال المُكَعْبَرُ :

عند الحَفِيزَةِ إِنْ ذُو لَوْنَةٍ لَأَمَّا

وقد قيل : إِنْ اسْمَ اللَّيْثِ مِنْهُ أُخِذَ ، إِلَّا أَنْ وَآوَهُ انْقَلَبَتْ ياء ؛ لأنه
فَعِيلٌ ، فُخِفَ كما تقدم : فِي هَيْنٍ وَهَيْنٍ ، وَلَيْنٍ وَلَيْنٍ .
وقول بَرَّةَ :

أنته المنايا فلم تُشَوِّه

أى : لم نُصِيبِ الشَّوْى ^(٢) ، بل أصَابَتِ المَقْتَلُ ، وقد تقدم فى حديث
عبد المطلب وضرِّبه بالقِدَاحِ على عبد الله ، وكان يَرَى أَنْ السَّهْمَ إِذَا خَرَجَ
على غيره أَنَّهُ قد أُشْوِى ، أى : قد أخطأ مقتله ، أى : مقتل عبد المطلب وابنه ،

(١) فى اللسان : الملائكة بفتح الميم والمملووث : السيد الشريف والشيظلى :
اللقى الجسم . والخضارمة : جمع خضرم بكسر الخاء والراء : الكثير العطاء .
النكس : الضعيف الذى لا خير فيه . الحُرود : الناقة القليلة الدر .

(٢) الشوأة : جلدة الرأس ، والشوى : البدان والرجلان والأطراف ، وما كان
غير مقتل ،

ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذى أشوى وأخطأ، وبكلا الضبطين وجدته ، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرَكَ (١) فالأول من الشوى، وهذا من الشىّ بالنار ، قاله أبو حنيفة .

وقول عائكة : ومِرْدَى المَخَامِ ، المِرْدَى : مِفْعَل من الرَدَى ، وهو الحجر الذى يَقْتُل مَنْ أُصِيبَ بِهِ ، وفى المثل : كُتِبَ عِنْدَهُ مِرْدَاتُهُ (٢) [أى : يقرب منه حتفه ، لأنه يُرمى به فيقتل]

وقولها : وَفِ . أَى : وَفَى ، وخفف للضرورة ، وقولها : عُدْمِلَى . الْعُدْمِلَى : [وَالْعُدْمِلُ وَالْعُدْمِلَى] الشديد . وَاللَّهُمَّ : فُعَالٌ من لَمِمْتُ الشىءَ ، أَلْهَمَهُ : إذا ، ابْتَلَعْتَهُ ، قال الراجز : [رُؤْبَةُ بن العَجَّاج] .

كالخوت لا بُرُوبَهُ شَىءَ بَلَهَمَهُ يُصْبِحُ عَطْشَانًا (٣) وفى البحرِ قَمَهُ
ومنه سعى الجيش : أَلْهَمًا

(١) أفرَكَ : حان له أن يفرك . وفى اللسان : أشوى القمع : أفرَكَ ، واصلح أن يشوى .

(٢) هذا والخيم فى قصيدة برة : السجية والطبيعة . وطيب المعتصر : جواد حين يسأل .

(٣) فى الأصل : عند . وفى مجمع الامثال وسط الكلى : «عنده» . والمرداة : الحجر الذى يرمى به ، والضرب قليل الهداية ، فلا يتخذ حجره إلا عند حجر يكون علامة له . فن قصده ، فالحجر الذىرمى الضرب به يكون بالقرب منه . فعنى المثل : لا تأمن الحدثنان والسير . فإن الآفات مُعَدَّةٌ مع كل أحد : يصرب ان يتعرض للهِلْسَكَةِ .

(٤) فى ديوان رؤبة : ظلمان . وانظر ص ٣٤٣ > خزائن البغدادى .

وقولها : على الْجَحْفَلِ . جعلته كالجَحْفَلِ ، أى : يقوم وحده مقامه ،
وَالْجَحْفَلُ : لفظ مَنْحَوْتُ من أصلين ، من : جَحَفَ وَجَفَلَ ، وذلك أنه يَجْحَفُ
ما يمر عليه أى : يَقْشِرُهُ وَيَجْفِلُ : أى يَقْلَعُ (١) ونظيره نَهَشَلُ : الذئبُ ، هو
عندهم منحوت من أصلين أيضاً ، من : نَهَشَتُ اللحمَ ونَشَلْتُهُ (٢) وعاتكة : اسم
منقول من الصَّفَات ، يقال : امرأةٌ عاتِكةٌ ، وهى الْمُصَفَّرَةُ لبدنها بالزَّعْفَرَانِ
والطَّيِّبِ . وقال القُتَيْبِيُّ : عَتَكَتِ القوسُ : إِذَا قَدَمَتْ (٣) وبه سُمِّيت المرأةُ .
والقول الأول قولُ أبى حنيفة .

وقول أروى : وَمَعْقِلُ مالِكٍ وربيعٍ فِهْرٌ . تريد : بنى مالكٍ بن النضر
ابن كِنانةَ . وقولها : بذى رُبْدٍ . تريد : سيفاً ذا طرائقَ . والرُّبْدُ : الطرائقُ .
وقال صَخْرَةُ النُّعَيْمِ [الهَذَلِيُّ] :

وصارمٌ أَخْصَصَتْ خَشِيبَتَهُ أبيضُ مَهْوٌ فى مَتْنِهِ رُبْدٌ (٤)

(١) يجفل فى اللسان ويجحف : يقشر : وفى الأصل : جحف بدلا من جحف ،
وهذه أثبتنا خطأ الأولى .

(٢) نهشه : كمنعه ، نهسه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان ونثفه . ونشل
اللحم : أخرجه من القدر بيده بلامرفة ، أو أخذ بيده عضواً ، فتناول ما عليه
من اللحم بفيه .

(٣) فى القاموس : عتك القوس عتكاً . وعَتَوَكَ ، فهى عاتك :
احمرت قدماً ، وكذلك فى اللسان .

(٤) خشية فى الأصل : خشيشة ، وهو خطأ صوابه ، من اللسان . والخشيشة : الطبيعة
أخلصها المداوس والصقل ، يقال : خشب السيف : طبعه أو صقله . المهو : السيف
الرفيق الشفرتين . وهى على وزن قلع ، لأنها مقلوبة من موه ، لأنها من الماء الذى لأمه =

وقول عاتكة : تَبَنِّكَ في باذخ بيته . أى : تَبَنِّكَ بيته في باذخ من الشَّرَفِ ، ومعنى تَبَنِّكَ : تَأَصَّلَ من البُنْكَ وهو : الأَصْلُ . وَالبُنْكَ أَيْضاً : ضَرْبٌ من الطَّيْبِ ، وهو أَيْضاً عود السوس^(١) [شجر يغمى به البيوت ،

== هاء ، بدليل قولهم في جمعه : أمواه . والربد : شبه غبار أو مدب نمل في جوهره وقيل : الخشب الذى فى السيف هو أن يضع عليه سناناً عريضاً لمس ، فيدلك به . والمعنى : أن هذا السيف أرق حتى صار كالماء فى رفته . والبيت فى اللسان فى مادة خشب : ومرفه - برفعها ورفع أبيض - ومهو . وفى مادة : مها - وصارم ، كما فى الروض ، وقد ورد البيت فى معجم ابن فارس فى مادة ربد كما فى الروض وقال عن الربد : « فأما ربد السيف فهو فرند ديباجته ، وهى «ذلية» .

وقال فى مهو : « وسيف مهو : رفيق الحد كأنه يمر فى الضريبة مر الماء » . واللسان يرويه فى مادى ربد وهو كما ذكر الأستاذ عبد السلام هارون فى تعليقه على معجم ابن فارس . ويوجد البيت فى ديوان الهذليين وشرح السكرى للهذليين . . ومن معانى قصيدة عاتكة : اسحنفرا : صبا الدموع بكثرة . الالتدام : ضرب النساء وجوههن فى النياحة . استخرط الرجل فى البكاء : لج فيه . الكهام : الرجل السكليل السن . ومن معانى قصيدة أم حكيم : استلمى ، أظهرى البكاء . التيار : معظم الماء . والفراش : الماء العذب . الهيرزى : الحاذق فى أموره . تشتجر العوالى : تختلط الرماح فى الحرب . الهنات : جمع هنة ، وهى كناية عن القبيح . ولاتسسمى ، أرادت : ولاتسمى . ومن غريب شعر أميمة : ذو الفقد : الفياض الكثير العطاء ، فإنى لباك : أخبرت عن نفسها لإخبار المذكر على معنى الشخص . ومن غريب شعر أروى . السجية : الطبيعة ، أبطحى : نسبة إلى بطحاء مكة ، وهو الموضع السهل منها . الآقب : الضامر . الكشخ : النحصر .

(١) فى اللسان وفى القاموس ما وضعته بين قوسين عن عود السوس ، ويقول الأزهرى عن البُنْكَ : لأنها فارسية ومعناها : الأصل . ولهذا يقول ابن فارس فى مادة بُنْكَ : كلمة واحدة وهو قولهم : تبَنِّكَ بالمسكان ، أقام به .

وَيَدْخُلُ عَصِيرَهُ فِي الْأَدْوِيَةِ ، وَفِي عُرُوقِهِ حَلَاوَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَفِي فُرُوعِهِ مَرَارَةٌ] .
 وَقَوْلُهُ : فَأَشَارَ إِلَى بَيْنِ بَرَأْسِهِ ، وَقَدْ أُضْمِتْ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمِيمِ ، هَكَذَا قَيْدُهُ
 الشَّيْخُ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ ، وَيُقَالُ : صَمَتَ وَأَصْمَتَ ، وَسَكَتَ وَأَسَكَتَ
 بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، [وَسَمَحَ وَأَسَمَحَ ، وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَعَصَفَتْ ، وَطَلَعَتْ عَلَى الْقَوْمِ
 وَأَطْلَعَتْ . ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ] .

أَبُو جَهْمٍ :

وَذَكَرَ شِعْرَ حُذَيْفَةَ بْنِ غَانِمٍ الْعَدَوِيِّ ، وَهُوَ وَالِدُ أَبِي جَهْمِ بْنِ
 حُذَيْفَةَ (١) ، وَاسْمُ أَبِي جَهْمٍ : عُبَيْدٌ ، وَهُوَ الَّذِي أَهْدَى الْخُمَيْصَةَ (٢)

(١) قَالَ الْبُخَارِيُّ وَجَمَاعَةٌ : اسْمُهُ عَامِرٌ ، وَكُنْيَتُهُ فِي الْإِصَابَةِ : أَبُو الْجَهْمِ . وَأَبُو
 جَهْمٍ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ ، وَفِي نَسَبِ قُرَيْشٍ : أَبُو جَهْمٍ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ غَانِمٍ ، بْنُ عَامِرٍ ،
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَوْجٍ ، بْنُ عَدَى بْنِ كَعْبِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ . وَقَدْ ضَبَطَ
 النَّوَوِيُّ عُبَيْدَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَضَبَطَ فِي النَّسَبِ بِضَمِّهَا . انْظُرْ ص ٣٦٩ نَسَبِ
 قُرَيْشٍ ، وَتَرْجُمَةُ أَبِي جَهْمٍ فِي التَّهْذِيبِ لِلنَّوَوِيِّ .

(٢) الْخُمَيْصَةُ ، ثَوْبٌ حَرٌّ ، أَوْ صُوفٌ مُعَلَّمٌ ، وَقِيلَ : لَا تُسَمَّى خُمَيْصَةً إِلَّا أَنْ
 تَكُونَ سُودَاءَ مُعَمَّلَةٍ ، وَكَانَتْ مِنْ لِبَاسِ النَّاسِ قَدِيمًا . وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى مَا رَوَى
 فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : صَلَّى النَّبِيُّ -
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَسَلَّمَ - فِي خُمَيْصَةٍ لَهَا أَسْلَامٌ . فَقَالُوا : أَذْهَبُوا بِخُمَيْصَتِي هَذِهِ
 إِلَى أَبِي جَهْمٍ . وَاتَّفَقُوا بِأَنْتَبَاجَانِيَةِ أَبِي جَهْمٍ . فَبَيْنَمَا الِتَّفَاقُ عَنْ صَلَاقٍ .
 وَالْأَنْتَبَاجَانِيَةِ - بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكَسْرِهَا وَفَتْحِ الْهَمْزَةِ - أَنْتَبَاجَانِيَّةٌ ، وَهُوَ كَسَاءٌ
 يَتَّخِذُ مِنَ الصُّوفِ ، وَلَهُ خُمَلٌ [الْقَطِيفَةُ أَوْ أَهْدَابُهَا] ، وَلَا عَسَلَمَ لَهُ . وَهِيَ
 مِنْ أَدْوَنِ الثِّيَابِ الْغَلِيظَةِ . وَإِنَّمَا طَلَبَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْأَنْتَبَاجَانِيَّةَ
 لِتَلَايُوثِ رَدِّ الْهَدِيَّةِ - وَهِيَ الْخُمَيْصَةُ - فِي قَلْبِهِ .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى علمها . الحديث . وقد روى
أيضاً هذا الحديث على وجه آخر ، وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أتى يجمع بين ، فأعطى إحداهما أبا جهم ، وأمسك الأخرى ، وفيها علم ،
فلما نظر إلى علمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهم ، وأخذ الأخرى بدلا
منها ، هكذا رواه الزبير^(١) . وأم أبي جهم : بسيرة بنت عبد الله بن أذاة
ابن رباح ، وابن أذاة : هو خال أبي قحافة ، وسيأتي نسب أمه ، وقد قيل :
إن الشعر لحذافة بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافه ، وله يقول
فيه : أخرج إن أهلك . وفي الشعر : غير نكس ولا هذر . النكس من
السهم : الذي نكس في الكنانة ليمزه الرامي ، فلا يأخذه لرداءته . وقيل :
الذي انكسر أعلاه ، فنكس ورد أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمل .

وقوله : لا تبور ولا تحري . أي : لا تهلك ولا تنقص ، ويقال للأفمى : حارية
لرقتها^(٢) وفي الحديث : ما زال جسم أبي بكر يحري حزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أي : ينقص لحمه ، حتى مات ، والإجرباء : السيرة وهي
إفعلاء من الجري^(٣) ، وليس لها نظير في الأبنية إلا الإهجيراء في معنى

(١) رواه مرسل .

(٢) هي التي كبرت ، ونقص جسمها ، ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسما .

(٣) في الأصل : إجرباء والحري بالحاء وهو خطأ صوابه ما أثبتته . والإجرباء
في اللسان : الوجه الذي تأخذ فيه ، وتجري عليه . وتقصر وتمد .

• • • • •

الهِجْرِي (١)

وفيها قوله : وليس بها إلا شيوخ بنى عمرو . يريد : بَنَى هَاشِمٌ ؛ لأنَّ اسمَه عَمْرُو .

وفيها : غَيْرُ عَزَلٍ ، وهو : جمعُ أُعْزَلَ ، ولا يُجمعُ أَفْعَلَ على فَعَّلٍ ، ولكن جاء هكذا ؛ لأنَّ الأَعْزَلَ في مقابلة الرامح (٢) وقد يحملون الصفة على ضدها ، كما قالوا : عَدُوَّةٌ - بناءً التأنيث - حَمَلًا على صديقة ، وقد يجوز أن يكون أجراه تجرى : حُسْرٍ جمع : حَاسِرٍ ؛ لأنه قريبٌ منه في المعنى (٣)

تهامم وشأم :

وقوله : فسرنا تهاميَّ البلاد مخففاً مثل يمانياً ، والأصلُ في يَمَانٍ : يَمَيٌّ ، تخففوا الياء ، وعوضوا منها ألفاً ، والأصل في تهامٍ : تهاميٌّ بكسر التاء من تهاميٍّ لأنه منسوب إلى تهامة (٤) ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما فعلوا في يَمَانٍ

(١) الدأب والعادة والقول السيء وكثرة الكلام . ولا تسكاد تستعمل إلا في العادة الذميمة .

(٢) في اللسان : العزل ، بضم العين والزاي ، والأعزل الذي لا سلاح معه ، فهو يعتزل الحرب . أو الذي لا رمح معه . وجمعهما أعزال وعزُل وعُزْلان ، وعُزْلٌ . والأعزل والرامح : نجمان نيران . قال الأزهري : وفي نجوم السماء سماكان ، أحدهما : السماك الأعزل ، والآخر : السماك الرامح . وفي شرح الشافية للرضي . المطارد في تكسير أفعال : فعلاء . وفي مؤنثه : فَعْعَلٌ ، ولا يضم عينه إلا لضرورة الشعر ، ويحذف فَعْعَلان أيضاً كثيراً . كسودان وبيضان .

(٣) الحاسر : من لا مِفْقَر له ولا درع ، أو لا جنة له .

(٤) تهامة : تسائر البحر . منها : مكة . وقيل : طرف تهامة من قبل الحجاز : =

وفتحوا التاء من تَهَامٍ لما حذفوا الياء من آخره ، لتسكون الفتحة فيه كالعوض من الياء ، كما كانت الألف في يَمَانٍ ، وكذلك الألف في شَامٍ بفتح الهمزة ، وألف بعدها عَوْضًا من الياء المحذوفة ، فَإِنْ شَدَّدْتَ الياء من شَامٍ قلت : شَامِيَّ بسكون الهمزة ، وتذهب الألف التي كانت عوضا من الياء لرجوع الياء المحذوفة ، ولا تقول في غير النسب : شَامٍ بالفتح والهمز ، ولا في النسب إذا شددت (١)

==مدارج العرج ، وأول تهامة قبل نجد: ذات عرق ، وقيل : يخرج من مكة . فلا يزال في تهامة حتى يباغ عُسْتَفَان .

(١) هذا من النسب المسموع ، ويتميز هذا النوع بتخفيف ياء النسب المشددة ، والإتيان بألف للتعويض عنها قبل لام الكلمة . فيقال في يَمَنِيَّ : يَمَانِي وفي شَامِيَّ : شَامِي ياء واحدة ساكنة فيها . وبهذا يصير الاسم منقوصاً ، فتقول : قام اليماني ، رأيت اليماني ، ومررت باليماني . ولا تجتمع ألف التعويض مع الياء إلا شذوذاً في ضرورة الشعر . ويستحسن الاختصار على المسموع . ولم يرد غير يمان وشَامٍ وتهَامٍ وزاد الجوهري في الصحاح : نباتي ونباط ، وفي اللسان : ورجل شَامٍ وتهَامٍ إذا نسبت إلى تهامة والشام . وكذلك : رجل يمان ، زادوا ألفاً فخففوا ياء النسبة . وفيه أيضاً عن تهامة : والنسبة إليه تَهَامِيَّ بكسر التاء وتشديد الياء ، وتهَامٍ بفتح التاء على غير قياس ، كأنهم بنوا الاسم على تَهَمِيَّ أو تَهَمِيَّ ، ثم عوضوا الألف قبل الطرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها . ويقول الجوهري : إذا فتحت التاء في تهَامٍ لم تشدد ، كما قالوا : يمان وشَامٍ إلا أن الألف في تهَامٍ من لفظها والألف في يمان وشَامٍ عوض من ياء النسبة . وفي شرح الشافية ص ٨٣ ح ٢ : وقالوا : يمان وشَامٍ وتهَامٍ . ولأربع لها . والأصل : يَمَنِي وشَامِي وتهَمِي محذوف في الثلاثة إحدى ياء النسبة ، وأبدل منها الألف ، وجاء : يَمَنِي وشَامِي على الأصل ، وجاء تَهَامِي بكسر التاء وتشديد الياء منسوباً إلى تهامة ، وجاء يَمَانِي وشَامِي =

الياء شامية. وسألت الأستاذ أبا القاسم بن الرماك - وكان إماماً في صنعة العربية عن البيت الذي أملاه أبو علي في النوادر ، وهو قوله :

[أَتَظَنُّ عَنْ حَبِيبِكَ نِمَ تَبْكِي عَلَيْهِ ، فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ]
 [كَأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ لِلْبَيْتِ طَعْمًا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مُرٌّ الْمَذَاقِ]
 [أَقِمْ وَانْعَمْ بِطَوْلِ الْقَرَبِ مِنْهُ وَلَا تَظَنِّ فُتُكِبْتَ بِاشْتِيَاقِ]
 فما اعتاضَ الفَارِقُ مِنْ حَبِيبٍ وَلَوْ يُعْطَى الشَّامُ مَعَ الْعِرَاقِ
 فقال : مُحَدَّثٌ ، ولم يره حُجَّةً . وكذلك وَجَدْتُ فِي شِعْرِ حَبِيبٍ : الشَّامُ
 بالفتح كما في هذا البيت . وليس بحجة أيضاً .

[فِي اللِّسَانِ : « وَقَدْ جَاءَ الشَّامُ لَفَةً فِي الشَّامِ قَالَ الْمَجْنُونُ :
 وَخُبِّرْتُ لَيْلَى بِالشَّامِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودَهَا
 وَقَالَ آخَرُ :
 أَتَنَّا قَرِيشَ قَصَّهَا بِقَضِيضِهَا وَأَهْلَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ تَقْصِفُ (١)]
 وقوله :

مَنْزَفَ الْيَاءِ مِنْ هَاءِ الْكُنَايَةِ :
 حَذَفَ الْيَاءَ مِنْ هَاءِ الْكُنَايَةِ بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتْ الْعِيْرُ فِي الْبَحْرِ *

= وكانهما منسوبان إلى يمان وشام المنسويين بحذف ياء النسبة دون ألفها. إذ لا استئصال فيه كما استئصل النسبة إلى ذى الياء المشددة لو لم تحذف . والمراد يمان وشام في هذا موضع منسوب إلى الشام واليمن . فينسب الشيء إلى هذا المكان المنسوب . ويجوز أن يكون يمانى وشامى جمعاً بين العوض والمعوّض عنه وأن يكون الالف في يمانى للإشباع . وانظر المزهري على ص ١٠١ ح ٢ (١) عن اللسان والأمالى

.

ضرورة ، كما أنشد سيديويه : سأجعل عينيه لِنَفْسِهِ مَقْنَمًا (١) * في أبيات كثيرة
أنشدها سيديويه ، وهذا مع حذف الياء والواو ، وبقاء حركة الهاء ، فإن سكنت
الهاء بعد الحذف ، فهو أقل في الاستعمال من نحو هذا ، وأنشدوا :

وَنَضَوَاى مُشْتَقَان لَهْ أَرِقَان (٢)

وهذا الذى ذكرناه هو فى القياس أقوى ؛ لأنه من باب حل الوصل على
الوقف نحو قول الراجز :

لما رأى أن لادعة ولا شبح

ومنه فى التنزيل كثير نحو إثبات هاء السكت فى الوصل ، وإثبات الألف
من أنا ، وإثبات ألف الفواصل نحو : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ الأحزاب : ١٠٠
وهذا الذى ذكره سيديويه من الضرورة فى هاء الإضمار إنما هو إذا
تحرك ما قبلها نحو : به ولّه ، ولا يكون فى هاء المؤنث البتة خلفه الألف ، فإن
سكن ما قبل الهاء نحو : فيه وبنيه كان الحذف أحسن من الإثبات ؛ فإن قلت

(١) الشعر لمالك بن خزيمة الهمداني وهو :

فإن يك غثا أو سمينا فإننى سأجعل عينيه لنفسه مَقْنَمًا

أراد لنفسه ، لحذف الياء ضرورة فى الوصل تشبيها بها فى الوقف إذ قال :
لنفسه . يصف ضيفا فيقول : إنه يقدم إليه ما عنده من القرى ويحكمه فيه ،
ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه ، فيقنع بذلك انظر ص ١٠ ح ١ الكتاب
لسيديويه ط ١ .

(٢) النضو : البعير المهزول والناقة .

فقد قرأ عيسى بن مينا : نُصْلِهِ وَيُودُّهُ وَأَرْجِهْ (١) ونحو ذلك في اثني عشر

(١) يعني الآيات القرآنية : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ، ونُصْلُهُ جَهَنَّم ، وساءت مصيراً) النساء : ١١٥ و : (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدُّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدُّه إليك إلا ما دمت عليه قائماً) آل عمران : ٧٥ و : (قالوا : أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين) الأعراف : ١١١ . وفي « يؤدُّه ونُصْلُهُ » خمس قراءات . إحداها : بكسر الهاء ، وصلتها بياء في اللفظ ، والثانية : بكسر الهاء من غير ياء . اكتفى بالكسرة عن الياء لدالاتها عليها ، ولأن الأصل ألا يزداد على الهاء شيء كبقية الضمائر ، والثالثة : إسكان الهاء ، وذلك أنه أجرى الوصل مجرى الوقف ، وهو ضعيف ، وحق هاء الضمير الحركة ، وإنما تسكن هاء السكت ، والرابعة : ضم الهاء وصلتها بواو في اللفظ على تبين الهاء المضمومة بالواو ، لأنها من جفس الضمة كما بينت المكسورة بالياء . والخامسة : ضم الهاء من غير واو لدلالة الضمة عليها ، ولأنه الأصل ، ويجوز تحقيق الهمزة وإبدالها واوا للضممة قبلها . وأرجه يقرأ بالهمزة وضم الهاء من غير إشباع « أرجته » وهو الجيد ، وبالإشباع وهو ضعيف ، ويقرأ بكسر الهاء مع الهمزة وهو ضعيف ، ويقرأ من غير همزة من أرجيت بالياء ، ثم منهم من يكسر الهاء ويشبها ومن لا يشبها . ومنهم من يسكنها . هذا ، ومن معاني مفردات قصيدة حذيفة - كما ذكر الخشني : السبل : المطر : كل شارق : عند طلوع الشمس . سُحْحًا : صبا . جُمُعًا : أجمعاً وأكثر . واسجاً : أسبلاً . والحفيظة : الغضب مع عزة . والهدر : الكثير الكلام في غير فائدة . البهلول : السيد . واللهي : العطايا . وفي رواية : الندى ، وأخرى : النهش . والنجر : الأصل . والمجحفات : التي تذهب بالأموال . والغبر : السنين المقطعات . وسراة : خيار . غالته : ذهبت به . النقية : النفس وميمون النقية : يسعد فيما يتوجه له . مصاليت : شجعان . ردينية : رماح . حباء : عطاء . هجان اللون : بيض . والإجريا : ما يجري عليه من أفعال آبائه ويتعوده . وفي القاموس : الوجه الذي تأخذ فيه وتجري عليه . وهي بالمدة =

موضعاً بحذف الياء ، وقبل الهاء متحرك ، فكيف حسن هذا ؟ قلنا : إن ما قبل الهاء في هذه المواضع ساكن ، وهو الياء من نُصْلِيهِ وَيُودِّيهِ وَيُؤْتِيهِ ، ولكنه حذف للجازم ، فمن نظر إلى اللفظ ، وأن ما قبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتناها : به وله ، ومن نظر إلى الكلمة قبل دخول الجازم ، رأى ما قبل الهاء ساكناً ، فحذف الياء ، فهما وجهان حسنان بخلاف ما تقدم

من شرح قصيدة مزينة :

وذكر في هذا الشعر : وأسعدُ قَادِ الناس . وهو أسعدُ أبو حَسَّان بن أسعد ، وقد تقدم في التَّبَاعِيَةِ ، وكذلك أبو شَمِيرٍ ، وهو شَمِيرُ الذي بنى سَمَرْقَنْدَ (١) ، وأبوه : مالك ، يقال له : الأُمْلُوكُ (٢) ، ويحتمل أن يكونَ أرادَ أَبَا شَمِيرٍ النَّسَائِيَّ والدَّ الحَرِث بن أبي شَمِيرٍ . وعَمْرُو بن مالك الذي ذكرَ أَحْسَبَهُ عَمْرًا ذا الأذعار ، وقد تقدم في التَّبَاعِيَةِ ،

= القصر . تهاوى البلاد ونجدها : ما انخفض منها وما علا . ثَج الشيء : أَعْلَاهُ ومَعْظَمُهُ . مخيصة : مذلة . الأخاشب : جبال يسكنها وهما جبالان ، لجمعهما مع ما عليهما ، وخم : اسم بئر . والحفر : اسم بئر . والحُجْر : القبيح من الكلام الفاحش . والآحاييش : من حالف قريشاً من القبائل ودخل في عقدها وذمتها . ونكلوا : صرفوا . فخرج : أراد : يا خارجة فحذف حرف النداء ، ورخم . وأسدَى : أعطى ، والمحمد : الأصل . جسر : ماض في أموره قوى عليها . غمر : كثير العطاء . أملك سرّاً : خالصة النسب .

(١) في القاموس : شمر بن أفریخش غزا مدينة السغد ، فقلعها ، فقليل : شمر كند ، أو بناها ، فقليل : شمر كنت ، وهي بالتركية : القرية فعربت : سمرقند .

(٢) الأملوك : اسم جمع للملك ، وقوم من العرب ، أو هم مقاول حمير . (٢ م ١٤ — الروض الأنف ج ٢)

وهو من ملوك اليمن ، وإنما جعلهم مَفْخَرًا لأبي لهب ؛ لأن أمه خُزاعية من سبأ ، والتبابعة كُثْلهم من حِمْيَر بن سَبَأ ، وقد تقدم الخلاف في خُزَاعَة .

وأبو جَبْرِ الذي ذكره في هذا الشعر : ملكٌ من مُلوك اليمن ذكر القُتَيْبِيُّ أن سُمَيَّةَ أم زياد ، كانت لأبي جَبْرِ ملكٍ من ملوك اليمن ، دفعها إلى الحرث بن كَلْدَةَ الْمُتَطَبِّبِ في طِبِّ طَبَّه .

زيد أفضل إخوته :

وذكر ولاية العباس - رضى الله عنه - السَّقَايَة ، وقال : كان من أ حَدَثِ إِخْوَتِهِ سَنَا ، وكذلك قال في صفة النبي - صلى الله عليه وسلم : كان من أفضل قومه مُرُوءَةً ، وهذا مما منعه النحويون أن يقال : زيد أفضل إخوته ، وليس بممتنع ، وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره ، وحسن لأن المعنى : زيد يُفْضَلُ إِخْوَتَهُ ، أو يُفْضَلُ قَوْمَهُ ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير ، وإنما الذى يمتنع بإجماع : إضافة أفضل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أكرم أخويه ، إلا أن تقول : الأخوين ، بغير إضافة (١) .

(١) بما اشترط النحاة في أفضل التفضيل المضاف أن يكون المضاف بعضاً من المضاف إليه بشرط إرادة التفضيل ، وبقاء معناه وجوده . ويقول الأشموني في شرح الألفية : « وإن لم تنو بافعل معنى : من ، بأن لم تنو به المفاضلة أصلاً ، أو تنوياً ، لأعلى المضاف إليه وحده ، بل عليه وعلى كل ماسواه كقوله : الناقص والأشج (يعنى يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لنقصه أرزاق الجند ، وعمر بن عبد العزيز لشجته أصابته بضرب الدابة ، أعدلاً بنى مروان . أى : عادلاً ، فكان أفضل بمعنى فاعل ، وليس في هذا تفضيل ، ونحو : محمد - صلى الله عليه وسلم -

أفضل قريش . أى : أفضل الناس من بين قريش . وإضافة هذين النوعين مجرّد -

من شرح شعر مطرود :

فصل : وذكر في شعر مطرود : ممنوك من جَوْرِ ومن إقرار^(١) ،

==التخصيص ؛ ولذلك جازت إضافة أفعل فهما إلى ما ليس هو بعضه بخلاف المنوى فيه معنى من ، أى : لإرادة التفضيل ، فإنه لا يكون إلا بعض ما أضيف إليه ، فلذلك يجوز : يوسف أحسن إخوته ، إن قصد : الأحسن من بينهم ، أو قصد : حسنهم — رأى جعله صفة مشبهة — ويمتنع إن قصد أحسن منهم ، ص ٤١ ج ٣ ط ١٣٠٥ هـ ويقول ابن يعيش في شرح المفصل : قد علم أن أفعل إنما يضاف إلى ما هو بعضه . فليعلم أنه لا يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، وذلك أنك إذا أضفت الإخوة إلى ضميره خرج من جملتهم ، وإذا كان خارجا عنهم ، صار غيرهم وإذا صار غيرهم لم يحز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، كما لا يجوز أن تقول : الياقوت أفضل الزجاج ؛ لأنه ليس من الزجاج ، فينتزى يلزم من المسألة أحد أمرين ، كل واحد منهما يمتنع . أحدهما : ما ذكرناه من إضافة أفعل إلى غيره ، إذ إخوة زيد غير زيد . والثاني : إضافة الشيء إلى نفسه ، وذلك أننا قلنا : إن زيدا من جملة الإخوة — نظرا إلى مقتضى إضافة أفعل ، ثم أضفت الإخوة إلى ضمير زيد ، وهو من جملتهم — كنت قد أضفته إلى نفسه ، بإضافتك إياه إلى ضميره وذلك فاسد . فأما النوع الثاني — يعنى ابن يعيش : أفعل بمعنى فاعل ، وهو غير دال على معنى التفضيل — وهو أن يكون أفعل فيه للذات بمعنى فاعل ، فإنه يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، ولا يمتنع فيه كاستناعه من القسم الأول إذ المراد أنه فاضل فيهم ، لأنه لا يلزم في هذا النوع أن يكون أفعل بعض ما أضيف إليه ، وعليه جاء قولهم لنصيب الشاعر : أنت أشعر أهل جلدتك ، لأن أهل جلدته غيره . وإذا كانوا غيره لم تسن إضافة أفعل إذا كان هو إياه إليهم ؛ لما ذكرته ويجوز على الوجه الثاني لأنه بمعنى : الشاعر فيهم ، أو شاعرهم ، ص ٨ ج ٣ شرح المفصل لابن يعيش . وبهذا يتبين أن النحويين لم يمتنعوا هذا معنا . مطلقا . بل أجازوا نفس ما ذكره السهيلي .

(١) الذى فى السيرة ، ممنوك . والمقرف الذى دانى الهجنة من الفرس وغيره ==

أى : ممنوعك من أن تُسكِحَ بناتِكَ أو أخواتِكَ من لثيمٍ ، فيكون الابن مُقَرِّفاً لِلْوَمِ أبيه ، وكرم أمه ، فيلحقك وَصَمٌ من ذلك ، ونحو منه قول مُهْلِيل (١) :

أَنسَكِحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمَ (٢)

وهو الذى أمه عربية ، وأبوه ليس عربى ، فالإقرار من قبل الأب ، والهجنة من قبل الأم .

(١) المهليل : قال الأمدى : اسمه : امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب ، وهو الشاعر المشهور ، ويقال اسمه : عدى ، وقال ابن قتيبة : مهليل بن ربيعة ، هو : عدى بن ربيعة ، وسمى مهلهلاً ؛ لِأَنَّهُ هَلَّلَ الشَّعْرَ ، أى : أَرْقَلَهُ ، ويقال : ! إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَصَدَ الْقَصِيدَ . وهو خال امرئ القيس صاحب المعلقة . وهو أخو كليب الذى هاج بمقتله حرب البسوس . وقيل : إِنَّهُ مَاتَ أَسِيرًا ، وذلك أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ الْيَمَنُ نَزَلَ فِي بَنِي جَنْبٍ ، وجنب من مذحج ، فخطبوا إليه ابنته . فقال لهم : إِنِّى طَرِيدٌ بَيْنَكُمْ ، فَتَى أَنْسَكِحْتُمْ ؟ قالوا : فَأَجْبِرُوهُ عَلَى تَزْوِيجِهَا ، وساقوا إليه فى صداقها أَدَمًا ، فقال :

أَنسَكِحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمَ

ثم انحدر ، فلقبه عوف بن مالك أبو أسماء صاحبة المرقش الأكبر ، فأسره ، فمات فى أسره . وقيل فى وفاته غير ذلك ص ٢٣ وما بعدها ج ٢ خزانه الادب للبغدادى ط دار المصور .

(٢) قيل عن جنب إنه لقب لا اسم أب . وفى نهاية الارب ج ٣ ص ٦٧ جاء هذان البيتان :

أَعَزَّزْهُ عَلَى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيتُ أَخْتَ بَنَى الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُشَمٍ
لَيْسُوا بِأَكْفَاتِنَا الْكِرَامِ ، وَلَا يُغْنُونِ مِنْ ذُلَّةٍ وَلَا عَدَمٍ =

أى : أَنْكِحَتْ لِفَرْبَتِهَا مِنْ غَيْرِ كُفٍّ . قَالَ مَبْرَمَانُ (١) : أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ
ابن دريد : وَكَانَ الْخِلَاءُ مِنْ أَدَمَ ، بَخَاءٍ مَعْجَمَةِ الْأَعْلَى ، وَهُوَ خَطَأٌ وَتَصْحِيفٌ ،
وَلِنَّمَا هُوَ بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي تَصْحِيفَاتِ ابْنِ دُرَيْدٍ ، وَفِيهِ يَقُولُ الْمُفَجَّعُ
[البصري] رَدًّا عَلَى ابْنِ دُرَيْدٍ :

أَلَسْتَ قَدِيمًا جَمَلْتَ تَفْتَرُقُ مِ الْطَّرْفَ بِجَهْلٍ مَكَانَ تَفْتَرُقُ (٢)
وَقُلْتَ : كَانَ الْخِلَاءُ مِنْ أَدَمَ . وَهُوَ حِيَاءٌ يُهْدَى ، وَيُصَلِّدُ
وَذَلِكَ أَنَّ مُهْلِلًا نَزَلَ فِي جَنْبٍ ، وَهُوَ حَيٌّ وَضِيعٌ مِنْ مَذْحِجٍ .
فَخَطَبَتْ ابْنَتَهُ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ مَنَعَهَا ، فَزَوَّجَهَا ، وَكَانَ نَقْدُهَا مِنْ أَدَمَ ، فَأَنشَدَ :
أَنْكِحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْخِلَاءُ مِنْ أَدَمَ
لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ خَاطِبُهَا ضُرَّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بَدَمَ (٣)

= والاول منهما قبل : د أنكحها فقدما الخ ، والآخر بعد قوله : ولو بأبانين ،
الذي سيأتي . والأراقم : حى من تغلب قوم المهلهل . وقد تقدم من قبل الحديث
عن جنب .

(١) لقب لأبي بكر الأزمى .

(٢) تفترق الطرف : تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنا ، وانظر
المزهر ص ٣٦٦ ج ٢ للسيوطى فقيه قول المفتح . وقد روى بدر الدين الزركشى
ابن دريد بهذا التصحيف كما ذكر السبيل ، وأورده التيجانى فى تحفة العروس
وروى الشطرة الاولى هكذا : د ألم تصحف ، فقلت تفترق الخ ، وروى أيضا فى
غيره : د ألسنت مما صحت تفترق .

(٣) الابانان : جبلان بالبادية اسم أحدهما : أبان ، والآخر : متالع ، أحدهما =

وقوله : حتى تغيب الشمس بالرجاف^(١) . يعنى : البحر . لأنه يَرَجُفُ .
ومن أسمائه أيضاً : خُضَارَةٌ ، [سُمِّيَ بذلك لخُضْرَةِ مائه] . والدَّأْمَاءُ [سُمِّيَ بذلك
لتداؤم أمواجه أى : تراكمها ، وتكسر بعضها على بعض] وأبو خالد .

وقوله : عَمْدُ ذاتِ نِطَافٍ . النُّطْفُ^(٢) : اللؤلؤ الصافى . ووصيفةُ
مُنْطَفَةٍ [وَمُنْطَفَةٍ] أى : مُقَرَّطَةٍ بِتَوَمَتَيْنِ [والتَّوَمَةُ : اللؤلؤة ، أوحبة تعمل
من النضة كالذرة] والنُّطْفُ فى غير هذا : التَّاطُخُ بالقميب ، وكلاهما من
أصل واحد ، وإن كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى ؛ لأن النُّطْفَةَ هى الماء
القليل ، وقد يكون الكثير ، وكأن اللؤلؤ الصافى أخذ من صفاء النُّطْفَةِ .
والنُّطْفُ الذى هو العيب : أخذ من نُطْفَةِ الإنسان ، وهى ماؤه ، أى :
كانه لُطِخَ بها .

وقوله : والفَيْضُ مُطْلَبُ أبى الأضياف . يريد : أنه كان لأضيافه

== أبيض ، وهولبى أسد ، والآخِرُ : أسود ، وهولبى فزارة ، هذا ، وقد روى اللسان
البيتين . وفيهما : « الحباء ، ورُمْلٌ ، بدلا من « الحباء ، وخرج . »

(١) فى السيرة : فى الرجاف .

(٢) مفردا . نطفة كهزمة . بضم النون وفتح الطاء .

ملحوظة : فى السيرة أن فاطمة بنت عمرو بن عائذ هى أم عبدالله وأبى طالب . فى
نسب قريش وعند السدوسى هى : أمهما أيضاً ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم . وفى السيرة
فى نسب فاطمة هذه قال ابن إسحاق : « ابن عائذ بن عبد بن عمران ، وفى نسب
قريش لا توجد عبد بن عائذ وعمران ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم ، وعند السدوسى ،
ولم يلى هذا ذهب ابن هشام ، وما بين قوسين فى نسب زينة فاطمة من كتب النسب . »

كالأب . والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف . كما قال مرة بن
نخكان [السعدي التميمي سيد بني ربيعة] :

أدعى أباهم ، ولم أعرف بأبائهم وقد عمرت . ولم أعرف لهم نسبا

اللهي العائف :

فصل : وذكر خبر النبي العائف . قال ابن هشام : ولهب : حى من
الأزد : وقال غيره : وهو لب بن أخجن بن كعب بن الحارث بن كعب
ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وهى القبيلة التى تعرف بالعيافة
والزجر^(١) . ومنهم النبي الذى زجر حين وقعت الحصاة بصلعة عمر

(١) العيافة : تتبع آثار الأقدام والاختاف والحوافر فى المقابلة للأثر ، وهى
التي تكون فى تربة حرة تشكّل بشكل القدم . وقد اشتهر بها قديما بنو مدج قبيلة
من كنانة وبنو لب وبلوغ الأرب للألوسى ، وانظر ص ٤٩١ ، الاشتقاق ، واللسان
فى مادة لب ، والزجر : الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها وسائر
أحوالها واستعلام ما غاب عنهم . ويقول ابن خلدون عنه : هو ما يحدث من
بعض الناس من التسكّم بالغيّب عند سماع طائر أو حيوان . ويقول ابن القيم
فى مفتاح دار السعادة عنه : وأصل هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير ، والوحش
ويثيرونها ، فأتيا من منها وأخذ ذات اليمين سموه سائحا ، وما تيسر منها سموه ؛
بارحا ، وما استقبلهم منها فهو : الناطح ، وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد . ومن
العرب من يمين بالسائح ويتشاهم بالبارح ومنهم غير ذلك . وقيل عن السائح والبارح
غير هذا . ويقول الأزهري : العيافة : زجر الطير ، وهو أن يرى طائرا ، أو
غرابا ، فيتطير ، وإن لم ير شيئا ، فقال بالحدس كان : عيافة أيضا ، وفى القاموس :
العائف : المتشكك بالطير ، وكل هذا حرمة الإسلام ، وقيل فى تعريفهما غير ذلك .

قصة بحيرى

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركبٍ تاجرًا إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسيرَ صَبَّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فَرَقَّ له ، وقال : والله لَأُخْرُجَنَّ به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصِّرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له : بِحَيْرَى في صَوْمَعَةٍ ، وكان إليه عِلْمُ أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قَطَّ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون

رضى الله عنه - فَادَّخَلَهُ ، وذلك في الحج ، فقال : أَسْعِرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . والله لا يَحْجُجُ بعد هذا العام ، فكان كذلك (١) وَاللَّهِ : شَقَّ في الجبلِ (٢) [والجمع : ألْهَابٌ وَلُهوبٌ] . وَبَنُو ثَمَالَةَ رَهَطُ الْمُسَبِّرِ الثَّمَالِيِّ : هُمُ بَنُو أَسْلَمَ بْنِ أَخْجَنَ ابْنِ كَعْبٍ . وَثَمَالَةُ : أُمُّهُمْ . وَكَانَتِ الْعِيَافَةُ وَالزَّجَرُ في لُحْبٍ قال الشاعر (٣) :

سَأَلْتُ أَخَا لُحْبٍ لِيَزَجُرَ زَجْرَةً وَقَدْ رُدَّ زَجْرُ الْعَالَمِينَ إِلَى لُحْبٍ

وقوله : لِيَعْتَفَ لَهُمْ : وَهُوَ يَفْتَعِلُ مِنَ الْعَيْفِ . يقال : عَفَتُ الطَّيْرَ . وَاعْتَفَتْهَا عِيَافَةً وَاعْتِيَاً : وَعَفَتُ الطَّعَامَ أَعَافَهُ عَيْفًا . وَعَافَتِ الطَّيْرُ الْمَاءَ عِيَافًا .

(١) هذا خرف أسطورى . فالله وحده هو عالم الغيب .

(٢) عند ابن دريد في الاشتقاق ، واللُّهْبُ : الشعب الضيق في أعلى الجبل والجمع ألْهَابٌ وَلُهوبٌ .

(٣) هو كثير عزة ، والبيت في نهاية الأرب هكذا :

تيسمت لها أبتنى العلم عندها وقد رد علم الطائفين إلى لُحْبٍ

يتوارثونه كابرأ عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببَحْرَى ، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك ، فلا يكلمهم ، ولا يَعرِض لهم ، حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صَوْمَعْتِه صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في صَوْمَعْتِه في الرّكب حين أقبلوا ، وعَمَامَةٌ تُظِلُّه من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظلّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى العمامة حين أظلت الشجرة ، وهَمَّصَتْ أغصانُ الشجرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظلّ تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صَوْمَعْتِه وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يامعشر قُرَيْش ، فأنا أحبُّ أن تحضروا كلُّكم ، وصغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وخُرُّكم ، فقال له رجل منهم : والله يا بحيرى إن لك لشأناً اليوم ! ما كنتَ تصنع هذا بنا ، وقد كنّا نَمُرُّ بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضَيْفٌ ، وقد أحببتُ أن أكرمكم ، وأصنعَ لكم طعاماً ، فتأكلوا منه كلُّكم . فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم ، لحداثة سنه ، في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظرَ بحيرى في القوم لم يرَ الصَّفَّةَ التي يعرفُ ويحدِّث عنده ، فقال : يامعشر قُرَيْش : لا يتخلّفن أحدٌ منكم عن طعامي ، قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغى له أن يأتِكَ إلا غلامٌ ، وهو أحدثُ القوم سناً ، فتخلّف في رحالهم ، فقال : لاتفعلوا ، ادعوه ، فليحضّر هذا الطعام معكم قال : فقال رجل من قُرَيْش مع القوم : واللّات والعُزَّى ، إن كان

لَقَوْمٌ بَنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ . فَلَمَّا رَأَاهُ بَحِيرَى ، جَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ ، وَقَدْ كَانَ يَحِيدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا ، قَامَ إِلَيْهِ بَحِيرَى ، فَقَالَ : يَا غَلَامَ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَحِيرَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا ، فَرَعَمُوا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بُغْضَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ بَحِيرَى : فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي عَمَّا بَدَاكَ . فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ ، فَيُوافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ ، فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المِحْجَمِ .

قال ابن إسحاق : فلما فَرَّغَ ، أَقْبَلَ عَلَى عَمَّةِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْغَلَامُ مِنْكَ ؟ قَالَ : ابْنِي . قَالَ لَهُ بَحِيرَى : مَا هُوَ بَابُنْكَ ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغَلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهَ حَيًّا ، قَالَ : فَإِنَّ ابْنَ أَخِي ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَبُوهَ ؟ قَالَ : مَاتَ وَأُمُّهُ حُبَلَى بِهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَارْجِعْ بَابِنَ أَخِيكَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَاحْذَرِ عَلَيْهِ يَهُودَ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا ، فَإِنَّهَ كَاثِرٌ لِابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ ، فَاسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ .

فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمته مكة حين فرغ من تجارته بالشام
فزعوا فيأروى الناس : أن زُريرا وتما ماودريسا - وهم نفر من أهل الكتاب -
قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى عليه وسلم - مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر
الذى كان فيه مع عمه أبي طالب ، فأرادوه ، فردم عنه بحيرى ، وذكروا الله
وما يحدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم
يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه
وانصرفوا عنه . فشَبَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله تعالى يَكْلؤُهُ ، ويحفظه
ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان
رجلا أفضل قومه مُروءةً ، وأحسنهم خُلُقًا ، وأكرمهم حَسَبًا ، وأحسنهم
جِوَارًا ، وأعظمهم حِلْمًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأعظمهم أمانةً ، وأبعدهم من
الفحش والأخلاق التى تُدنِّسُ الرجال ، تنزُّها وتكرُّما ، حتى ما اسمه فى قومه
إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لى - يُحدِّث عما كان
الله يحفظه به فى صِغَرِهِ وأمر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتني فى غِلْمانٍ قُرَيْشٍ نَنَقُلُ حجارةً لبعض ما يلعب به الغلمانُ ،
كلُّنا قد تعرَّسَى ، وأخذ إزاره ، فجعله على رَقَبَتِهِ ، يحمل عليه الحجارة ، فإنى لأقبل
معه كذا وكذا وأدبر ، إذ لَكَمَتْنِي لَكِمٌ ما أراه ، لكمةً وَجِيعَةً ، ثم قال :
شدُّ عليك إزارك . قال : فأخذته وشدته علىّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على
رقبتى وإزارى علىّ من بين أصحابى .

فصل بحيرى :

فصل : فى قصه بحيرى وسفر أبى طالب بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وقع فى سِيرَ الزُّهْرَى أن بحيرى كان حَبْرًا من يَهُودِ تَيْسَمَاءَ (١) ، وفى المسعودى : أنه كان من عبد القيس ، واسمه : سَرْجِسُ ، وفى المعارف لابن قتيبة ، قال : سَمِعَ قبل الإسلام بقاليل هاتِفٌ يهتِفُ : أَلَا إِنَّ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ : بِحَيْرَى ، وَرِبَابُ بْنُ الْأَثَرَاءِ الشَّنَّى (٢) والثالثُ : الْمُنتَظَرُ ، فكان الثالثُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال الْفَتَيُّ : وَكَانَ قَبْرُ رَبَابِ الشَّنَّى ، وقبر ولده من بعده ، لا يزال يُرى عليها طَشٌّ ، وَالطَّشُّ : المطرُ الضَّعِيفُ (٣) .

وقال فيه : فَصَبَّ (٤) رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعمه . الصَّبَابَةُ : رِقَّةُ الشَّوْقِ ، يقال : صَدَبْتُ - بكسر الباء - أَصَبْتُ ، ويذكر عن بعض السَّلفِ أنه قرأ : ﴿ أَصَبْتُ إِلَيْهِمْ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ يوسف : ٣٣

(١) بليد فى أطراف الشام ، بينها وبين وادى القرى على طريق حاج دمشق .

(٢) هو فى المعارف : أرباب بن رثاب من عبد القيس .

(٣) نص قول ابن قتيبة فى المعارف : « كان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن إلا رأوا طشا على قبره ، ونص كلامه عن الرسول - كما زعموا - صلى الله عليه وسلم - « وآخر لم يأت بعد . النبي (ص) ، ص ٣٠ تحت باب : من كان على دين قبل مبعث النبي (ص) ، وهو خبر مصنوع ولا شك

(٤) وفى رواية - كما جاء فى الطبرى وشرح الحشنى - ضَبٌّ ، وفسرها الأخير بقوله : تلعن به وامتسك .

وفي غير رواية أبي بجر: ضَبَّتْ به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَى :
لَزِمَهُ قال الشاعر :

كَأَن فَوَادَى فِي يَدِ ضَبَّتَتْ بِهِ مُحَاذِرَةً أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِبُهُ

فكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إِذْ ذَاكَ ابْنُ تِسْعِ سَنِينَ فِيمَا
ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ أَلْفَ فِي السَّيْرِ ، وقال الطبري : ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً (١) .

من صفات هُتَمِ النبوة :

وذكر فيه خَاتَمَ النبوة وقول ابن هشام : كان كَأَثَرِ الْيَحْجَمِ يعني : أَثَرَ
الْمِحْجَمَةِ الْقَابِضَةِ عَلَى اللَّحْمِ ، حتى يَكُونُ نَاتِئًا . وفي الخبر أنه كان حوله
خِيَلَانٌ فِيهَا شَعْرَاتٌ سُودٌ . وفي صفته أيضا أنه كان كَالْتَفَاحَةِ ، وَكَزِرِّ الْحَجَلَةِ
وفسره الترمذي تفسيراً وهم فيه فقال : زِرُّ الْحَجَلَةِ يُقَالُ : إِنَّهُ بَيَضٌ لَهُ فَتَوَهُمُ
الْحَجَلَةُ مِنَ الْقَبْجِ (٢) وإِنَّمَا هِيَ حَبَلَةُ السَّرِيرِ ، وَاحِدَةٌ : الْحِجَالُ ، وَزِرُّهَا الَّذِي
يَدْخُلُ فِي عُرْوَتِهَا - قال علي - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - لِأَهْلِ الْعِرَاقِ : يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ :

(١) في الطبري : وهو ابن تسع سنين ، وقبل ، ثلاث عشرة . حكاه أبو عمر
وقال ابن الجوزي ، اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام . وفي سيرة مغلطاي : وشهر

(٢) هو الحجل ، وفي اللسان أنه الكروان ، وأنه معرب ، وهو بالفارسية .
كَبِجْ معرب ؛ لأن القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب ، وقد ضبط
البخاري الحجل بضم الحاء ، وقال : لأنه من حجل الفرس بضم الحاء وسكون الجيم ، الذي بين
عينيه ، وهو بعيد لأن الذي بين العينين اسمه الفرة لا الحجل ، والتحجيل في القوائم .

ولارِجَالٍ، وَيَاطْغَامَ الْأَحْلَامِ. وَيَا عَقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ (١). وفي حديث آخر: كان كبيضة الحمامة، وفي حديث عيَّاذ بن عبد عمرو، قال: رأيت خاتم النبوة، وكان كَرُكْبَةِ الْعُزْرِ. ذكره النعمريُّ مُسْنَدًا في كتاب الاستيعاب، فهذه خمس

(١) من خطبة منسوبة إلى علي بن أبي طالب، وقد رواها المبرد في أول الكامل وهي في كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضى خطبا رائعة، ونسبها إلى علي. وفي رأى كثير أنها للشريف نفسه، وفي المبرد كما هنا. ومعنى طغام: من لا معرفة عنده — كما ذكر المبرد — أو أوغاد الناس ورذائل الطير، مفردا: طغامة وفي نهج البلاغة: وحلوم الاطفال وعقول ربات الحجال، برفع حلوم وعقول. وربات الحجال: النساء. وبداية الخطبة كما في النهج: «أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحة الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة الخ، انظر ص ٧٤ وما بعدها نهج البلاغة ط الرحمانية، و ص ١٦٤ ج ١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ٣ دار الفكر لبنان.

(٢) أما عيَّاذ فترجمته في الإصابة عيَّاذ بن عمرو، أو ابن عبد عمرو الأزدي أو السلي أو عباد بدلا من عيَّاذ، وكان — كما جاء في بعض الروايات — يخدم النبي «ص»، فخطبه يهودى، فسقط رداؤه عن منكيه — وكان النبي صلى الله عليه وسلم — يكره أن يرى الخاتم. يقول عيَّاذ. فسويته عليه، فقال: من فعل هذا؟ فقلت، أنا. قال: تحول إلى، فجلست بين يديه، فوضع يده على رأسي، فأمرها على وجهي وصدرى، وكان الخاتم على طرف كتفه الأيسر، كأنه رقبة عزز وهذه رواية ابن منده والطبراني، ومن تبعهما وسنده ضعيف، وللخطيب من هذا الوجه، وفيه أن الخاتم مثل ركبة العنز، وفي سنده من لا يعرف «الإصابة باختصار». هذا وقد سبق الحديث عن الخاتم، ويقول ابن حجر في الفتح ما ورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم، أو الشامة السوداء، أو الخضراء — كما في تاريخ ابن أن خيشمة — المكتوب عليها: محمد رسول الله — كما في تاريخ الحاكم وغيره، أو سر فإنك المنصور، لم يثبت منها شيء، ولا يغتر بشيء مما وقع في صحيح ابن خبان؛ فإنه غفل حيث صحح ذلك.

روايات في صفة الخاتم : كالنفاحة وكتبضة الحامة ، وكزير الحجلة ، وكأثر المخرجم وكز كبة العنز ورواية سادسة : وهي رواية عبد الله بن سرجس : قال : رأيت خاتم النبوة كأجمع يعني : كالمخجمة ، [وهي الآلة التي يجتمع بها دم الحجامه عند المص] لا كجمع الكف ، ومعناه كمنى الأول أى كأثر الجمع . وقد قيل في الجمع : إنه جمع الكف : قاله القتيبي^(١) : والله أعلم .

ورواية سابعة عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - وقد سئل عن خاتم النبوة : فقال : بضعة ناشزة^(٢) هكذا : ووضع طرف السبابة في مفصل الإبهام ، أو دون المفصل ، ذكرها يونس عن ابن إسحاق ، وفي صفته أيضاً رواية ثامنة ، وهي رواية من شبهه بالسلعة^(٣) ، وذلك لتنوّه ، وقد تقدم حديث ، فيه عن أبي ذر - رضى الله عنه - مرفوعاً بيان وضع الخاتم بين كتفيه

(١) يقول الزرقاني في شرح المواهب عن تفسير السهلي . وهو تكلف والمتبادر في تفسير ابن قتيبة ، وقد تبعه عليه عياض ، والنووي والمصنف وغيرهم ، من ١٥٧ ج ١ وجمع بضم الجيم . وحكى ابن الجوزي وابن دحية كسرهما ، وجزم به في المفهم . والجمع صورة الكف بعد أن تجمع الأصابع وتضمها وحديث ابن سرجس في مسلم ومسنده أحمد .

(٢) حديث الخدري رواه الترمذي في الشمائل .

(٣) حديث السلعة رواه البيهقي ، وبضعة ناشزة : قطعة لحم مرتفعة ، وتروى بضعة بفتح الباء ، وضمتها وكسرهما ، انظر المواهب ص ١٥٥ ج ١ ، ولاحد عن الخدري : لحم ناشز بين كتفيه ، والبيهقي ، والبخاري في التاريخ عنه : لحم ناتئة وأحمد وابن سعد من طرق عن أبي رمانة ، والسلعة : زيادة تحدث في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت ، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة .

متى كان ، وروى التَّزَمِيدِيُّ^(١) في مصنفه ، قال : حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي ، حدثنا عبد الرحمن بن غَزْوَانَ أبو نوح ، أخبرنا يونس ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي - صلى الله عليه وسلم - في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ، فَحَلَّوْا رِحَالَهُمْ : فخرج إليهم الراهبُ ، وكانوا قبل ذلك يمرون به ، فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت : فجعل يتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ : وهم يَحْلُونَ رِحَالَهُمْ : حتى جاء فأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول ربِّ العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : ما عَلمَكَ ؟ . فقال : إنكم حين أشركم من العَقَبَةِ لم يبق حَجَرٌ ، ولا شجر إلا خَرَّ ساجداً : ولا يسجدان إلا للنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غُضْرُوفِ كتفه . ويقال : غُضْرُوفٌ مثل التفاحة . ثم رجع : فصنع لهم طعاما ، فلما أُنْهَمَ به - وكان هو في رِعْيَةِ الإبل - قال : أرسلوا إليهِ . فأقبل وعليه غَمَامَةٌ تَظِلُّهُ ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى قِوَمِ الشجرة ، فلما جالس مال قِوَمِ الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى قِوَمِ الشجرة مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم ، وهو ينأشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الرومَ إن رأَوْه عرفوه بالصفة ، فيقتُلونه ، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم فقالوا : جئنا أن هذا النبيَّ خارجٌ في هذا الشهر ،

(١) ورواه أيضاً الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وأبو نعيم والخرائطي وابن أبي عساكر ، وابن أبي شيبة .

فلم يبق طريق إلا يُبعث إليه بأناس ، وإنما قد اخترنا خيرة بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خففكم أحدٌ هو خير منكم ، فقالوا : إنما اخترنا خيرة لطريقك (١) هذا ، قال : أفراً أتيتم أمراً أراد الله أن يتفضيه : هل يستطيع أحدٌ من الناس رده؟ قالوا : لا ، قال : فبايعوه (٢) وأقاموا معه . قال : أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يُناشده حتى رده أبو طالب ، وبعث معه أبو بكر بلالا - رضى الله عنهما - وزوَّده الراهب من الكمك والزيت (٣) ، قال

(١) فى لفظ الحديث اضطراب وخطأ ، وفى المواهب وشرحها ما يأتى : ج ١ ص ١٩٥ : فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس ، وأنا هذا أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خففكم أحدٌ هو خير منكم؟ قالوا : إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا ، وانظر الخصائص للسيوطى ج ١ ص ٢٠٨ و ١٤٢ و ١ السيرة الحلبية .

(٢) معناه : بايعوا بحيرا على ألا يأخذوا النبی «ص» ، ولا يؤذوه على حسب ما أرسلوا فيه ، وأقاموا مع بحيرا خوفاً على أنفسهم إذا رجعوا بدونه ، انظر ص ٢٨٥ ج ٢ البداية والمواهب ، ومن أسماء بحيرا : جرجس وجرجيس .

وأكرر مرة أخرى بحجة من القرآن أن رسول الله «ص» لم يكن هو نفسه يعرف عن أمر نبوته شيئاً قبل أن ينزل عليه الوحي : والآيات التى جعلت آيات له - كما ورد فى القرآن والإنجيل والتوراة - لاتعلق بصفات جسمية ، وإنما بالحقائق التوراتية من دعوته صلى الله عليه وسلم ، فهو نبى أمى اسمه : أحمد يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث ، ويضع الأغلال والإصر عن البشر .

(٣) يقول القسطلانى والزرقانى فى المواهب وشرحه : « وضعف الذهبى الحديث - حديث بحيرى - لقوله فى آخره : وبعث معه أبو بكر بلالا ، فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلاً . قال ابن سيد الناس : لأنه حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، فإن المصطفى أزيد منه بعامين ، وكان له يومئذ تسعة أعوام على ما قاله الطبرى وغيره ، أو اثنا عشر عاماً على ما قاله آخرون ، ولا اشتري =

أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وما
قاله أبو طالب في هذه القصة :

== بلالا . قال اليعمرى : لأنه لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين
عاما ، فإنه كان لبني خلف الجمحين . وعندما عذب في الله اشتراه أبو بكر رحمة
له ، واستنقاذا له من أيديهم . ولفظ الذهب في الميزان في ترجمة عبد الرحمن ابن
غزوان : كان يحفظ وله مناكير ، وأنكر ماله : حديث عن يونس بن أبي إسحاق
عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبي موسى في سفر النبي ، وهو مرافق مع
أبي طالب إلى الشام .

وما يدل على أنه باطل قوله : وبعث معه أبو بكر بلالا ، وبلال لم يكن
خلق ، وأبو بكر كان صبيا ، وقال في تلخيص المستدرک بعد ما ذكر تصحيح
الحاكم للحديث : قلت : أظنه موضوعا ؛ فبعضه باطل ، ويقول عنه عباس الدوري :
ليس في الدنيا أحد يحدث به - أي بهذا الحديث - غير قراد أبي نوح - أي
عبد الرحمن بن غزوان - وقد سمعته منه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين لغرابته
وانفراده . وفي رواية الترمذی لم يذكر اسم الراهب ، وهو تارة يهودى ، وتارة
نصرانى ، وتارة ببحرى ، وأخرى سرجس وغيره !! هذا وبصرى التى فى القصة بلد
بالشام ، وهى قسبة كورة حوران . ولا ريب فى أن قصة ببحرى مخترعة وإفك
صراح ، وقد استغلها عدو الإسلام ، فزعموا أنه - صلى الله عليه وسلم - اقتبس
دينه مما تعلمه من رهبان النصارى وأجبار اليهود ، وقد تردى فى هذه المهلكة مؤرخ
ينتسب إلى الإسلام ، فزعم أن رحلتى الرسول إلى الشام كان لهما أثرهما فيما صدر
عنه من تشريع .

وأقول : لو أنها حدثت لتواتر خبرها ، ولأجَّ فى مكة وما حولها من القرى ،
ولبدا من رسول الله العلم بما جاءه ليلة الوحي الأولى ، وكيف ، وهو كما أكد
القرآن - لم يكن يعرف حتى الإيمان قبل الوحي ١١ .

هذا وفى رواياته متناقضات ، فبحيرى من يهود تيماء ، كما جاء فى بعض السنن
للزهرى ، وفى مروج الذهب وغيره أنه كان نصرانياً من عبد القيس . والرحلة
كانت مع أبي طالب ، والرحلة مع أبي بكر ، والرحلة وهو فى سن التاسعة ==

أَلَمْ تَرَنِي مِنْ بَعْدِهِمْ هَمَّتْهُ
بِأَحْمَدَ لَمَّا أَنْ شَدَّذْتُ مَطِيَّتِي
بِكِي حَزَنًا وَالْعَيْسُ قَدْ فَصَلَتْ بِنَا
ذَكَرْتُ أَبَاهُ ، ثُمَّ رَقَرْتُ عَبْرَةً
فَقُلْتُ : تَرَوْحَ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ
فَرُحْنَا مَعَ الْعَبْرِ الَّتِي رَاحَ أَهْلُهَا
بُفْرَقَةً حُرَّ الْوَالِدَيْنِ كِرَامٍ
لِتَرْحَلَ إِذْ وَدَّعْتُهُ بِسَلَامٍ
وَأَمْسَكْتُ بِالْكَافِينَ فَضْلَ زِمَامٍ
تَجُودُ مِنَ الْعَيْنِينَ ذَاتَ سِجَامٍ
مَوَاسِينَ فِي الْبَاسَاءِ غَيْرَ لَثَامٍ
شَامِي الْهَوَى ، وَالْأَصْلُ غَيْرُ شَامِي

== أو الثانية عشرة أو الثامنة عشرة . وأبو بكر هو الذي يتوجه إلى الراهب في زواية ، وبحيرا هو الذي ينزل في زواية ، والراهب مجهول الاسم في رواية ، والراهب سرجس ، أو جرجس ، أو جرجيس في رواية ١١ والراهب يحذر أبا طالب من الروم ، والراهب يحذر أبا طالب من اليهود في رواية ، وعدد الروم سبعة ، وعددهم تسعة في رواية . هذا الكاتب الهندي خذا بخش - على ما في قوله من اتهام لابن عباس بأنه واضع الحديث ، وابن عباس برىء من إفكك - يحكم بزييف هذه القصة فيقول : « ولكن القصة بأكملها ليست حقيقية ، بل موضوعة ، وهي من صنع خيال ابن عباس ١١ وربما تكون قد دونت حوالى سنة ١٠٠ هـ » ثم يستعرض موقف الصليبية من قصة هذا الراهب ، فيذكر أموراً مذهلة ترينا إلى أى حد استغل أعداء الدين هذه القصة المنتهرة ، فانظر كتابه (الحضارة الإسلامية ترجمة الدكتور الخربوطلى) من ص ٤٠ . ويقول المؤرخ سيدبو - رغم اعتداله : « وكان أول سفره إلى الشام مع عمه أبى طالب في سنة ٥٨٣ م فبلغ بصرى ، فاجتمع فيها ببحيرى الذى كان اسمه لدى النصارى جرجيس أو سرجيس ، فنال حظوة عنده ، ص ٦٦ تاريخ العرب العام ، ويقول غسٹاف لوبون عن قصة ببحيرى : (وتقول القصة : إن محمداً سافر مرة مع عمه إلى سورية ، فتعرف في بصرى براهب نسطورى في ديسر نصراني ، فتلقى منه علم التوراة) ص ١٣٠ حضارة العرب . وذكر هذا في مثل هذا الأسلوب الهادى الذى يختال بأنه سكتينة من اليقين يفتح قلب من لا يعي لهذا الباطل الصريح ١١

فَلَمَّا هَبَّ طِفْلاً أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ جِسَامَ
نَجَاءٍ بَحِيرَى عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِداً لَنَا بِشَرَابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامٍ
قَالَ : اجْمَعُوا أَصْحَابَكُمْ لَطْعَامَنَا فَقُلْنَا : جَمَعْنَا الْقَوْمَ غَيْرَ غَلَامٍ (١)
ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْهُ ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الشَّعْرَ .

مِفْظُهُ فِي الصَّفَرِ :

فصل : وَذَكَرَ مَا كَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْفَظُهُ بِهِ : أَنَّهُ كَانَ صَغِيراً يَلْعَبُ
مَعَ الْغُلَامَانِ ، فَتَمَرَّرَى فَلَاكِمَتُهُ لَا كَمَ . الْحَدِيثُ . وَهَذِهِ الْقِصَّةُ إِنَّمَا وَرَدَتْ
فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي حِينِ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ مَعَ قَوْمِهِ إِلَيْهَا ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَ أُرُزَّهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ
لِتَقْفِيَهُمُ الْحِجَارَةُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَحْمِلُهَا عَلَى
عَاتِقِهِ ، وَإِزَارُهُ مَشْدُودٌ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا بَنَ أَخِي !
لَوْ جَعَلْتَ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ ، فَفَعَلَ نَسَطَ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِزَارِي
إِزَارِي ! فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ ، وَقَامَ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ (٢) ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّهُ لَمَّا
سَقَطَ ، ضَمَّهُ الْعَبَّاسُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ نُودِيَ مِنَ
السَّمَاءِ : أَنْ اشْدُدْ عَلَيْكَ إِزَارَكَ يَا مُحَمَّدَ ، قَالَ : وَإِنِّ لَأَوَّلُ مَا نُودِيَ . وَحَدِيثُ
ابْنِ إِسْحَاقَ ، إِنْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ فِي صَفَرِهِ ، إِذْ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامَانِ : فَمَحَمَلُهُ عَلَى
أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً فِي حَالِ صَفَرِهِ ، وَمَرَّةً فِي أَوَّلِ اكْتِهَالِهِ هُنْدَ
بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ .

- (١) تَبْدُو فِي الشَّعْرِ رَاحِمَةُ الْوَضْعِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَصْرَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ سَمَةُ ،
وَلِهَذَا لَمْ يَرَوْهُ ابْنُ هِشَامَ .
(٢) الْحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمَ .

حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني أبو عُبَيْدَةَ النُّحْوِيُّ ، عن أبي عمرو بن العلاء - هاجت حربُ الفِجَارِ بين قُرَيْشٍ ، ومن معها من كِنانة ، وبين قَيْسِ عَيْلانَ . وكان الذي هاجها أنَّ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ بنَ عُثَيْبَةَ بنَ جَعْفَرِ بنِ كِلَابِ بنِ رَبِيعَةَ ابنِ عامِرِ بنِ صَعْمَةَ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوَازِنَ ، أجارَ أَطِيمَةَ للنعمانِ ابنِ الْمُنْذَرِ ، فقال له الْبَرَّاضُ بنُ قَيْسٍ ، أحدُ بني صَمْرَةَ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَنَافَةَ ابنِ كِنانة : أُنْجِرْها على كِنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الْخَلْقِ ، فخرجَ فيها عُرْوَةُ الرَّحَّالِ ، وخرجَ الْبَرَّاضُ يَطْنُبُ غَفَنَتَهُ ، حتى إذا كانَ بَتَيْمَنَ ذِي طَلَالٍ بِالْعَالِيَةِ ، غَفَلَ عُرْوَةُ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الْبَرَّاضُ ، فَقَتَلَهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، فذلِكَ سُمِّيَ : الْفِجَارُ . وقال الْبَرَّاضُ في ذلك :

وَدَاهِيَةٍ سَهُمُ الذِّسِّ قَبْلِي شَدَدْتُ لَهَا - بَنِي بَكْرٍ - ضُلُوعِي
هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بَنِي كِلَابٍ وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِيَ بِالْضُّرُوعِ
رَفَعْتُ لَهُ بَذَى طَلَالٍ كَفِّي فِخْرَ يَمِيدُ كَلْبُذَعِ الصَّرِيعِ

وقال لَبِيدُ بنُ مَالِكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلَابٍ :

أُبْلِغُ - إِنْ عَرَضَتْ - بَنِي كِلَابٍ وَعَامِرَ وَالْخُطُوبُ هَا مَوَالِي
وَبَلِّغْ إِنْ عَرَضَتْ بَنِي مُنْذِرٍ وَأَخْوََالَ الْقَتِيلِ بَنِي هِلَالٍ
بَأَنَّ الْوَافِدَ الرَّحَّالَ أَمْسَى مُقِيمًا عِنْدَ تَيْمَنَ ذِي طَلَالٍ

.

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قال ابن هشام : فأتى آتٍ قريشا ، فقال : إِنَّ الْبَرَّاضَ قَدْ قَتَلَ عُرْوَةَ ، وهم في الشهر الحرام بِمَسْكَظٍ ، فارتحلوا ، وهَوَازُنُ لَا تَشْمُرُ ، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هَوَازُنٌ ، ثم التَمَّوْا بعد هذا اليوم أياما ، والقَوْمُ مُتَسَانِدُونَ ، على كُلِّ قَبِيلٍ مِنْ قَرِيشٍ وَكِنَانَةٍ رَئِيسٌ مِنْهُمْ ، وعلى كُلِّ قَبِيلٍ مِنْ قَيْسٍ رَئِيسٌ مِنْهُمْ .

وشهد رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعض أيامهم ، أخرجهم أعمامهم معهم ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كُنْتُ أَنْبِئُ عَلَى أَعْمَامِي ، أَيْ : أَرُدُّ عَنْهُمْ ، نَبِيلَ عَدُوِّهِمْ ، إِذَا رَمَوْهُمْ بِهَا .

قال ابن إسحاق : هاجت حربُ الفِجَارِ ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ابنُ عشرين سنة ، وإِنَّمَا سَمِيَ يَوْمَ الْفِجَارِ ، بِمَا اسْتَحَلَّ هَذَانِ الْحَيَّانُ : كِنَانَةُ وَقَيْسُ عَيْلَانَ فِيهِ الْمَحَارِمُ بَيْنَهُمْ .

وكان قائدُ قريشٍ وكنانةَ حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وكان الظَّفَرُ في أولِ النهار لَمَيْسٍ عَلَى كِنَانَةٍ ، حتى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ النَّهَارِ كَانَ الظَّفَرُ لِسُكْنَانَةٍ عَلَى قَيْسٍ .

قال ابن هشام : وحديثُ الفِجَارِ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرْتُ ، وَإِنَّمَا مَنَعْنِي مِنْ اسْتِقْصَائِهِ قَطْعُهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

• • • • •

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمساً وعشرين سنة ، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المديني .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه ، بشئ يجعله لهم ، وكانت قريش قومًا تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بلغها ، من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكبرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تُعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فقبِلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قَدِمَ الشام .

فنزَلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطَّلَعَ الراهبُ إلى ميسرة ، فقال له : مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجلٌ من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهبُ : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبيٌّ .

• • • • •

ثم باع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سِلْعَتَهُ التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، ومعه مَيْسِرَةٌ ، فكان مَيْسِرَةٌ - فيما يزعمون - إذا كانت الهَاجِرَةُ ، واشتدَّ الحرُّ ، يرى مَلَكَ كَيْنٍ يُظَلِّلُهُ مِنَ الشَّمْسِ - وهو يسير على بعيره ، فلما قَدِمَ مكةَ على خديجة بما لها ، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريبا . وحدثها مَيْسِرَةٌ عن قول الراهب ، وعمّا كان يرى من إِظلالِ المَلَكَ كَيْنِ إِيَّاهُ ، وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفةً لبيبةً ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها مَيْسِرَةٌ بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت له - فيما يزعمون : يَا بَنَى عَمِّ ، إني قد رَغِبْتُ فَيْكَ لِقَرَابَتِكَ ، وَسِطَّتِكَ فِي قَوْمِكَ وَأَمَانَتِكَ ، وَحُسْنِ خَلْقِكَ ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذٍ أوسطَ نساءِ قريشِ نسباً ، وأعظمهنَّ شرفاً ، وأكثرهنَّ مالا ، كلُّ قَوْمِهَا كان حريصاً على ذلك منها لو يَقْدُرُ عليه .

وهي خديجة بنت خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصمِّ بْنِ رُوَاحَةَ بْنِ حَجَرَ بْنِ عَبْدِ بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُنْكَذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأم هالة : قِلَابَةُ بنت سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . فلما قالت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ ، ففُرجَ معه عُمَةُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - رحمه الله - حتى دخل على خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فخطبها إِيَّاهُ ، فتنزَّجها .

.

قال ابن هشام : وأُضِدَّ قَهْرُ رَسُولِ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — عشرين بَكْرَةً ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

قصة الفجار

والفجار بكسر الفاء بمعنى : الْمُفَاجِرَةُ كالقتالِ والمُفَاتَلَةِ ، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، فَفَجَرُوا فيه جميعاً ، فسمى : الْفِجَارَ ، وكانت للعرب فِجَارَاتٌ أربع ، ذكرها السعدي ، آخرها : فِجَارُ الْبَرَّاضِ ^(١) الذي ذكر في السيرة . وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مَذْكُورَة : يوم شَمْطَة ، ويوم الشَّرِبِ ، وهو أعظمها يوماً ، وفيه قَيْدُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُفْيَانَ وَأَبُو سُفْيَانَ أَبْنَاهُ أُمَيَّةَ أَنْفُسَهُمْ كَيْ لَا يَفِرُّوا ، فَسَمُّوا الْعَنَابِسَ ^(٢) ، ويوم الْحُرَيْرَةِ عند نخلة ، ويوم الشَّرِبِ انهزمت قيسٌ إِلَّا بَنِي نَضْرٍ مِنْهُمْ ، فَأَنْهَزَهُمْ قَيْسٌ ، وَإِنَّمَا لَمْ يُقَاتِلْ رَسُولُ اللَّهِ — صلى الله عليه وسلم — مع أَعْمَدِهِ ، وَكَانَ يَنْبُلُ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ كَانَ بَلَّغَ سِنِّ الْقِتَالِ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ حَرْبَ فِجَارٍ ، وَكَانُوا أَيْضاً كُلُّهُمْ كُفَّاراً ، وَلَمْ يَأْذِنْ اللَّهُ تَعَالَى لِمُؤْمِنٍ أَنْ يُقَاتِلَ إِلَّا لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَلِيَّةَ .

(١) هي : فِجَارُ الرَّجُلِ ، أَوْ فِجَارُ بَدْرِ بْنِ مَعْشَرٍ ، وَفِجَارُ الْقُرْدِ ، وَفِجَارُ الْمَرْأَةِ ، وَالْأُولَى بَيْنَ كِنَانَةَ وَهَوَازِنَ . وَالثَّانِيَةُ أَيْضاً : بَيْنَهُمَا ، وَالثَّلَاثَةُ : بَيْنَ قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ ، وَكَانَتْ الْبَرَّاضُ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ كُلِّهَا . وَبَيْنَ هَوَازِنَ . وَتُسَمَّى : ثَلَاثَةَ الْفِجَارَاتِ . الْأُولَى : أَيَّامُ الْمَجَارِ الْأُولَى . أَمَّا الْبَرَّاضُ فَالْفِجَارُ الْآخِرُ .

(٢) الْعَنَابِسُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَسَدِ ، وَالْعَنَابِسُ مِنْ قُرَيْشٍ أَوْلَادُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْكَبِيرِ ، وَهِيَ سِتَّةٌ ، مِنْهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ السَّهْلِيُّ وَالْآخَرُونَ هُمْ : أَبُو حَرْبٍ وَعَمْرُو وَأَبُو عَمْرٍو ، وَسَمُّوا بِالْأَسَدِ ، وَالْبَاقُونَ يُقَالُ لَهُمْ : الْإِنْعَابُ .

وَالْأَطِيمَةُ : عَيْرٌ تَحْمِلُ الْبَرْءَ وَالْعِطَرَ .

وقوله : بذى طَلَّالٍ (١) بتشديد اللام ، وإنما خففه لَبِيدٌ في الشعر الذي ذكره ابن إسحاق ههنا للضرورة .

منع تنوين العلم :

وقول البراءض : رفعت له بذى طَلَّالٍ كَفَى . فلم يصرفه ، يجوز أن يكون جعله اسمَ بُقْعَةٍ ، فتراكب إجراء الاسم للتأنيث والتعريف ، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذاتِ طَلَّالٍ ، أى : ذات هذا الاسم للمؤنث ، كما قالوا : ذو عمرو أى : صاحب هذا الاسم ، ولو كانت أنثى ، لقالوا : ذاتُ هذا ، فالجواب : أن قوله : بذى يجوز أن يكون وصفاً لطريق ، أو جانب مضاف إلى طَلَّالٍ اسم البقعة . وأحسن من هذا كله أن يكون طَلَّالُ اسماً مذكراً علماً ، والاسم العلم يجوز ترك صرفه في الشعر كثيراً ، وسيأتي في هذا الكتاب من الشواهد عليه ما يدل على كثرتة في الكلام ، ونؤخر القول في كشف هذه المسئلة وإيضاحها إلى أن تأتي تلك الشواهد . إن شاء الله . ووقع في شعر البراءض مُشَدَّداً ، وفي شعر لَبِيدٍ الذي بعد هذا مُخَفَّفاً ، وقلنا : إن لبيداً خففه للضرورة ، ولم يقل : إنه شَدَّدَ للضرورة ، وإن الأصل فيه التخفيف ، لأنه قَمَالٌ من الطَّلِّ ، كأنه موضعٌ يكثر فيه الطَّلُّ ، فَطَلَّالٌ بالتخفيف لا معنى له ، وأيضاً ؛ فإننا وجدناه في الكلام المنشور مُشَدَّداً ، وكذلك تقيد في كلام ابن

(١) تنطق بالظاء أيضاً ، وتيمن ذى طلال ، قيل : إنه واد إلى جنب فذلك ، والصحيح : أنه بعالية نجد ، كما ذكر ابن هشام . والعالية : كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائها إلى تهامة . وما كان دون ذلك : فالسافلة

إسحاق هذا في أصل الشيخ أبي بحر^(١).

من تفسير سمر البراصم :

وقوله في البيت الثاني : وألحقتُ الموالي بالضروع^(٢) . جمع : ضرع ، هو في معنى قولهم : ائيمم راضع ، أى : ألحقتُ الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع ، وأظهرت فسالتهم^(٣) وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وضرعاهم .

وقول ليبد : بين تيمن ذى طلال . بكسر الميم وفتحها ، ولم يضره لوزن الفعل ، والتعريف ؛ لأنه تفعل ، أو تفعل من التيمن أو التيمن . آخر أمر الفجاء :

وكان آخر أمر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بمسكاظ فجاءوا للوعد ، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عتبة بن ربيعة يتيماً في حجره ، فضن به حرب ، وأشفق من خروجه معه ، فخرج عتبة بغير إذنه ، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصقيين ينادى : يا معشر مضر ، علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصالح ، على أن ندفع إليكم دية قتلاكم ، ونغفو عن دمائنا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهننا مناً ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضوا ورضيت كنانة ، ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلاً : فيهم : حكيم بن حزام [بن خويلد] ، فلما رأيت بنو عامر بن صعصعة الرهن

(١) انظر عن هذا ص ٦١ شرح السيرة للنخعي .

(٢) في السيرة : وأرضعت .

(٣) الفصل من الرجال : الرذل .

في أيديهم ، عَفَوْا عن الدماء ، وأطلقوهم وانقضت حَرْبُ الْفِجَارِ (١) ، وكان يقال : لم يَسُدَّ من قريشٍ مُمْلِقٌ إِلَّا عُتْبَةُ وأبو طالب ، فإنهما سادا بغير مال .

فصل في تزويجه عليه السلام خديجة

رضي الله عنها

شرح قول الراهب :

ذكر فيه قول الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إِلَّا نَبِيٌّ . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعة إِلَّا نَبِيٌّ ، ولم يُرِدْ : ما نزل تحتها قط إِلَّا نَبِيٌّ ؛ لبعده العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان في لفظ الخبر : قَطُّ ، فقد تسكلم بها على جهة التوكيد للنفي ، والشجرة لَا تُعْمَرُ في العادة هذا الْعُمَرُ الطويل حتى يَدْرِي أنه لم يَنْزِلْ تحتها إِلَّا عيسى ، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - وَيَبْعُدُ في العادة أَيْضاً أن تكون شجرة تخلو من أن يَنْزِلَ تحتها أحدٌ ، حتى يحى نبي إِلَّا أن تَصِيحَّ رواية من قال في هذا الحديث : لم يَنْزِلْ تحتها أحدٌ بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - وهي رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم . وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نَسْطُوراً (٢) وليس هو بخيرا المتقدم ذكره .

- (١) ومن حديث حرب الفجار نُسِرَ ما ياتني : اللطيمة : الإبل تحمل التجارة والطيب واللبز وأشباههماء القوم متساندون : ليس لهم أمير واحد يجمعهم . ولم يرد في حضور النبي ، ص ، حرب الفجار حديث يعتد به .
- (٢) قلت : إن الصليبية استغلت هذه الأكذوبة ، فادعى أحدهم وهو =

تحقيق معنى الوسط :

وقول خديجة - رضى الله عنها : لِسِطَتِكَ فى عَشِيرَتِكَ ، وقوله فى وصفها : هى أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا . فالسَّطَةُ : من الوَسَطِ ، مَصْدَرٌ كَالْعِدَّةِ وَالزَّيْنَةِ ، وَالْوَسَطُ من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب ، وفى ذكر الشهادة . أما النسب ؛ فلأن أَوْسَطَ الْقَبِيلَةِ أَغْرَفُهَا ، وأولاهها بالصميم وأبعدُها عن الأطراف والوسيط ، وأجدرُ أن لاتضاف إليه الدعوة ؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان أَوْسَطُ من أجل هذا مدحاً فى النسب بهذا السبب ، وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه : (قال أوسطهم) وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة : ١٤٣ فكان هذا مدحاً فى الشهادة ؛ لأنها غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وَسَطًا كالميزان ، لا يميل مع أحد ، بل يُصَمِّمُ على الحقِّ تصميماً ، لا يجذبه هوى ، ولا يميل به رغبة ، ولا رهبة من هُنا ، ولا من هُنا ، فكان وصفه بأَوْسَطَ غايةً فى التزكية والتعديل ، وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط : الأفضل على الإطلاق ، وقالوا : معنى الصلاة الوُسْطَى : النُّضْلَى ، وليس كذلك ، بل هو فى جميع الأوصاف لأمَدَحٍ ولأَدَمٍّ ، كما يقتضى لفظ التَّوَسُّطِ ، فإذا كان وَسَطًا فى السَّيِّئِ ، فهى بين المُمِخَّةِ (١) والمعجَّاء . والوسط فى الجمال بين الحسناء

= نيكولس ، أن اثنين من اليهود ، ومسيحياً يعقوبياً يدعى : بحيرى أمدأ محمدأ بكثير من المعلومات التى استفاد منها فى دينه ص ٣٢ - الحضارة الإسلامية ، ويزعم « أندريا داندولو » أن هذا الراهب النسطورى « نسبته إلى فرقة مسيحية ، أراد محاربة الكنيسة ، فاستغل محمدأ فى هذا . وكلاماً مفتريات من تن فرية خبيثة انظر خدابخش الحضارة الإسلامية .

(١) فى اللسان : الممخة بضم فسكس نغاء مشددة مفتوحة : السمينة وفى المثل : بين الممخة والمعجَّاء .

والشَوْهَاءَ ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحا ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا فى المثل : أنقل من مُغَنٍّ وَسَطٍ على الذم ؛ لأن المغنى إن كان مُجيدا جدا أمتنع وأطرب ، وإن كان باردا جدا أضحك وألهى ، وذلك أيضا مما يمتنع . قال الجاحظ : وإنما الكَرْبُ الذى يَجْنُمُ على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس الغناء القاتر الوَسَطُ الذى لا يمتنع بِمُسْنٍ ، ولا يُضْحِكُ بِلَهْوٍ ، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو : أَوْسَطُ الناس . أى : أفضلهم ، ولا يوصف بأنه وَسَطٌ فى العلم ، ولا فى الجود ، ولا فى غير ذلك إلا فى النسب والشهادة ، كما تقدم ، والحمد لله ، والله المحمود .

من الذى زوج خديجة ؟

فصل : وذكر مشى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ مع عمه حمزة — رضى الله عنه — وذكر غيرُ ابن إسحاق أن خُوَيْلِدًا كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنسكح خديجة — رضى الله عنها — هو عمُّها عمرو بن أسد ، قاله المبرد وطائفة معه ، وقال أيضا : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى خَطَبَ خُطْبَةَ النكاح ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمداً يَمُنُّ لا يُؤازِرُ به فتى من قريش إلا رَجَحَ به شرفا ونُبلا وفضلا وعقلا ، وإن كان فى المال قُلٌّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْتَرْجَعَةٌ ، وله فى خديجة بنت خُوَيْلِدٍ رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » فقال عمرو : هو الفحل الذى لا يُقْدَعُ أنفه ، فأنسكحها منه ، ويقال : قاله وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، والذى قاله المبرد هو الصحيح ؛ لما رواه

(١) ونص الخطبة فى نهاية الأرب : والحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم =

الطَّبْرِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ عَائِشَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ — قَالَ : إِنْ عَمَرُوْا بَنَیَ الْأَسَدَ الَّذِي أَنْكَحَ خَدِيجَةَ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَنْ خُوِيلِدًا كَانَ قَدْ هَلَكَ قَبْلَ الْفَجَارِ ، وَخُوِيلِدُ ابْنُ الْأَسَدِ هُوَ الَّذِي نَازَعَ تُبْعَا الْآخَرَ حِينَ حَجَّ ، وَأَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ مَعَهُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَامَ فِي ذَلِكَ خُوِيلِدٌ ، وَقَامَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ إِنْ تُبْعَا رُوِيَ فِي مَنَامِهِ تَرْوِيْعًا شَدِيدًا حَتَّى تَرَكَ ذَلِكَ ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فصل : وذكر الزُّهْرِيُّ فِي سِيَرِهِ ، وَهِيَ أَوَّلُ سِيرَةِ أُلْفَتِ فِي .

== ووزرع إسماعيل ، وَضِيضِيَّةٌ مَعْدُ أَيُّ مَعْدَنِهِ وَأَصْلُهُ ، وَعَنْصَرٌ مُضَرٌّ ، وَجَعَلْنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ ، وَوُسْوَاسَ حَرَمِهِ ، وَجَعَلْنَا لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا ، وَحَرَمًا آمِنًا ، وَجَعَلْنَا الْحُكْمَ عَلَى النَّاسِ ، ثُمَّ إِنْ ابْنُ أَخِي هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يُوْزَنُ بِهِ رَجُلٌ إِلَّا رَجَحَ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ ، فَإِنَّ الْمَالَ ظَلَّ زَائِلٌ ، وَأَمْرٌ حَائِلٌ ، وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ ، وَقَدْ خُطِبَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا أَجَلُهُ وَعَاجِلُهُ مِنْ مَالٍ كَذَا . وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْدَ هَذَا نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَخُطِبَ جَلِيلٌ ، ص ٩٨ = ١٦ نَهَايَةُ الْأَرْبِ . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ صَدَاقَهَا كَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً ذَهَبًا وَنَشِيًّا ، وَقَالَ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ فِي السَّمَطِ الثَّمِينِ : إِنَّهُ كَانَ عَشْرِينَ بَكْرَةً وَفِي الْمُنْتَقَى : أَرْبَعُمِائَةَ دِينَارٍ . وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ خُطِبَ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا كَمَا ذَكَرْتَ ، وَفَضَّلَنَا عَلَى مَا عُدَدْتَ ، فَتَحَنَّنَ سَادَةً الْعَرَبِ وَقَادَتَهَا ، وَأَتَمَّ أَهْلُ ذَلِكَ كَلَامَهُ ، لَا تَنْكَرُ الْعَشِيرَةُ فَضْلَكُمْ ، وَلَا يَرِدُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَرْكٌ وَشَرْفُكُمْ ، وَقَدْ رَغَبْنَا فِي الْإِتِّصَالِ بِجَلِيلِكُمْ وَشَرْفِكُمْ ، فَاشْهَدُوا عَلَيَّ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ بَأَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ ثُمَّ سَكَتَ ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ ، قَدْ أَحْبَبْتَ . أَنْ يَشْرَكَكَ عَمُّهَا . فَقَالَ عَمُّهَا : اشْهَدُوا عَلَيَّ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَنِّي قَدْ أَنْكَحْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَشَهِدَ عَلَى ذَلِكَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ .

الإسلام ، كذا روى عن [عبد العزيز بن محمد بن عبيد] الدَّرَّاءُورِدِي أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لشريكه الذي كان يَتَجَرُّ معه في مالِ خديجة : هَلُمَّ فَلَمَنَّا حَدَّثَ عِنْدَ خَدِيجَةَ ، وَكَانَتْ تُسَكِّرُ مُمَّهَما وَتُحَفِّهُمَا (١) ، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مُسْتَمْدِثَةٌ (٢) — وهى الكاهنة — كذا قال الخطابي في شرح هذا الحديث ، فقالت له : جئت خاطبا يا محمد ، فقال : كلا ، فقالت : ولم ؟ ! فوالله ما فى قريش امرأة ، وإن كانت خديجة إلا تراك كُفْمًا لها ، فرجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خاطبا لخديجة مُسْتَحْفِيًا منها ، وكان خويلد أبوها سكران من الخمر ، فلما كَلَّم في ذلك أنسكحها ، فألقت عليه خديجة حُلَّةً وَضَمَّخَتْهُ بِخُلُوقٍ (٣) فلما صبحا من سُكْرِهِ قال : ما هذه الحُلَّةُ والطَّيِّبُ ؟ فقيل : إنك أنسكحت محمدا خديجة ، وقد ابتنى بها ، فأنكر ذلك ، ثم رَضِيَهُ وأمضاه ، ففى هذا الحديث أن أباهما كان حَيًّا ، وأنه دى أنسكحها . كما قال ابن إسحاق . وقال راجزٌ من أهل مكة فى ذلك :

لَا تَزْهَدِي خَدِيجَ فى مُحَمَّدٍ نَجْمٌ يَضِيءُ كِبَاضِءَ الْفَرْقَدِ (٤)

(١) التحفة بالضم وكهمزة : البر واللفظ والطرفة .

(٢) كانت من مولدات قريش ، يقال : يستنشى الاخبار ، أى : يبحث عنها . وقال الأزهري : إن مُسْتَمْدِثَةٌ علم املك الكاهنة .

(٣) الخلق : ضرب من الطيب . والضمخ : طخ الجسد بالطيب .

(٤) الفرقد : النجم الذى يهتدى به ، وفى شرح المواهب : كإضياء الفرقد .

بدلا من كإضياء الفرقد .

أولاده صلى الله عليه وسلم منها :

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَهُ كُلُّهُمْ إِلَّا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يُسَكَّنَى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ، والطَّيِّب ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

قال ابن هشام : أكبرُ بَنِيهِ : القاسم ، ثم الطَّيِّب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته : رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم ، والطَّيِّب ، والطاهرُ فهلكوا في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه : ماريةُ القبطية . حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن كهيعة ، قال : أم إبراهيم : ماريةُ سُرِّيَّةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم التي أهداها إليه الْمُتَّقِيسُ مِنْ حَفْنٍ مِنْ كُورَةِ أَنْصَمًا .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد المزى - وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تدبّع الكتب ، وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكُانِ يُظْلانهُ ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيٌ يُنْتَظَرُ ، هذا زمانه ، أو كما قال :

.

فَجْعَلَ وَرَقَةً يَسْتَبْطِئُ الْأَمْرَ وَيَقُولُ : حَتَّى مَتَى ؟ فَقَالَ وَرَقَةً فِي ذَلِكَ :

لَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لُجُوجًا	إِيَّاهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوُصِفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفِ	فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِطَنٍ الْمَسْكُوتِينَ عَلَى رَجَائِي	حَدِيثَكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلٍ قَسَّ	مِنَ الرَّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَمُوجَا
بَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا	وَيُخَصِّمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءُ نُورٍ	يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فِيَلْتَمَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا	وَيَلْتَمَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فِيَالْيَتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ	شَهِدْتُ فَكُنْتُ أَوَّلَهُمْ وَلُوجَا
وَلُوجَا فِي الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ	وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا
أُرْجَى بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعَا	إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَقَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّقَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ	بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَى تَكُنْ أُمُورٌ	يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَحِيجَا
وَأِنْ أَهْلَكَ فَكُلُّ فَتَى سَيَلْتَمَى	مِنَ الْأَقْدَارِ مَقْلَقَةً حُرُوجَا

وقيل : إن عمرو بن خويلد أخاها هو الذي أنسكحها منه ، ذكره ابن إسحاق في آخر الكتاب .

أولاده من خديجة :

فصل : وذكر ولده منها - صلى الله عليه وسلم - فذكر البنات ، وذكر القاسم والطاهر والطيب ، وذكر أن البنين هلكوا في الجاهلية ، وقال

الزبير — وهو أعلم بهذا الشأن — ولدت له القاسم وعبد الله ، وهو الطاهر ، وهو الطَّيِّبُ سُمِّيَ بالطاهر ، والطيبُ لأنه وُلِدَ بعد النبوة ، واسمُهُ الَّذِي سُمِّيَ بِهِ أَوَّلُ هُوَ : عبد الله ، وبلغ القاسمُ المشي ، غير أن رضاعته لم تكن كملت ، وقع في مُسْنَدِ الْفِرْيَابِيِّ أَنَّ خَدِيجَةَ دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بَعْدَ مَوْتِ الْقَاسِمِ ، وَهِيَ تَبْكِي : فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَرَّتْ لُبَيْنَةُ الْقَاسِمِ فَلَوْ كَانَ عَاشَ حَتَّى يَسْتَكْمَلَ رِضَاعَةَ لَهَوْنٍ عَلَيَّ ، فَقَالَ : إِنْ لَهُ مُرْضَعٌ فِي الْجَنَّةِ تَسْتَكْمِلُ رِضَاعَتَهُ ، فَقَالَتْ : لَوْ أَعْلِمُ ذَلِكَ لَهَوْنٍ عَلَيَّ ، فَقَالَ : إِنْ شِئْتَ أَسْمَعْتُكَ صَوْتَهُ فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَتْ : بَلْ أَصْدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . قَوْلُهَا ، لُبَيْنَةُ هِيَ تَصْغِيرُ لَبْنَةٍ ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّابَنِ ، كَالْعُسَيْلَةِ ، تَصْغِيرُ عَسَلَةٍ ذَكَرَ سَيْبُويه اللَّبْنَةَ وَالْعَسَلَةَ وَالشُّهْدَةَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى . قَالَ الْمُؤَلَّفُ : وَهَذَا مِنْ فَتَاهَا — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا — كَرِهَتْ أَنْ تُؤْمِنَ بِهَذَا الْأَمْرِ مُعَايِنَةً ، فَلَا يَكُونُ لَهَا أَجْرُ التَّصْدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ ، وَإِنَّمَا أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ . وَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ الْقَاسِمَ لَمْ يَهْلِكْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَاخْتَلَفُوا فِي الصَّغَرَى وَالْكَبْرَى مِنَ الْبَنَاتِ ، غَيْرَ أَنَّ أُمَّ كَلْثُومَ لَمْ تَسْكُنِ الْكَبْرَى مِنَ الْبَنَاتِ ، وَلَا فَاطِمَةَ ، وَالْأَصْحَحُ فِي فَاطِمَةَ أَنَّهَا أَصْغَرُ مِنْ أُمِّ كَلْثُومَ (١)

(١) فِي نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ٢١ : « فَوَلَدَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الْقَاسِمَ ، وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ ، ثُمَّ زَيْنَبُ ، ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ أُمُّ كَلْثُومَ ، ثُمَّ فَاطِمَةُ ، ثُمَّ رَقِيَّةُ هُمُ هَكَذَا الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ ، ثُمَّ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ وَلَدَتْ لَهُ مَارِيَةُ بِنْتُ شَمْعُونِ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ ، وَفِي زَادِ الْمَعَادِ : وَقَدْ قِيلَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ لَهَا أَسْنٌ مِنْ اخْتِيهَا ، وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : رَقِيَّةُ أَسْنُ الثَّلَاثِ ، وَأُمُّ كَلْثُومَ أَصْغَرُهُنَّ

خديجة وبجيرة وتبعها :

وخديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة في الجاهلية والإسلام ، وفي سير
الأنبياء . أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم -
حين أخبرها عن جبريل ، ولم تكن سمعت باسمه قط ، ركبت إلى بجيرة الراهب ،
واسمهُ سَرَجِس (١) فيما ذكر المسعودي ، فسألته عن جبريل ، فقال : قُدُوسٌ
قُدُوسٌ يا سيدة نساء قُريش أنى لك بهذا الاسم ؟ ! فقالت : بعلى وابن عمي
محمد أخبرني أنه يأتيه ، فقال : قُدُوس قُدُوس ما علم به إلا نبيٌّ مُقَرَّب ، فإنه
السفير بين الله وبين أنبيائه ، وإن الشيطان لا يجترئ أن يتَمَثَّل به ، ولا أن
يَتَسَمَّى باسمه ، وكان بمكة غلامٌ اِعْتَبَهُ بن ربيعة سيأتي ذكره ، اسمه : عَدَّاس
عنده علم من الكتاب ، فأرسلت إليه تسأله عن جبريل ، فقال : قُدُوسٌ
قُدُوسٌ ! ! أنى لهذه البلاد أن يُذكَرَ فيها جبريلُ يا سيدة نساء قريش ، فأخبرته
بما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال عَدَّاس مثل مقال الراهب ،
فكان مما زادها الله تعالى به إيماناً و يقيناً .

وذكر ابن إسحاق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، ولم يذكر اسم
الأصم ، وذكره الزبير وغيره ، فقال : جُنْدُب بن هِذَم بن حَجَر ، بفتح الحاء والجيم
من حَجَر . كذا قيده الدارقطني (٢) ، وأخوه : حُجَيْر بن عبد بن معيص بن عامر ،

(١) استقلت الصليبية هذا الإلفك المفترى ، فهبت القديسة العظيمة خديجة
بأنها كانت على صلة بهذا الراهب المزعوم .

(٢) صوب الحشنى أيضاً في ضبط حجر رواية الدارقطني ص ٦٢ وفي نسب
ص ٢١ ، ٢٣٠ قريش عن أم خديجة : « وأما : فاطمة بنت زائدة بن جندب ، وهو
الأصم بن هدم بن رواحة بن حجير بن عيدين معيص ، وضبط حَجَر بضم الحاء . »

وأما حَجْرٌ يسكون الجيم ففي حَى ذَى رُعَيْنٍ وإليه ينسب الحَجْرِيُّونَ ، وأما حَجْرٌ بكسر الحاء ، ففي بنى الدَّيَّانِ: عَبْدُ الحَجْرِ بن عبد المَدَّانِ ، وهم من بنى الحارث ابن كعب بن مَذْحِج ، وذكر يونس عن ابن إسحاق نسب أم خديجة ، كما ذكر في رواية ابن هشام ، وزاد فقال: كانت أم فاطمة بنت زائدة: هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عَبْدِ بن مُنْقِذِ بن عمرو بن مَعِيصِ بن عامر بن لُؤَيٍّ ، وأمها قِلَابَةُ ، وهى العَرِيقَةُ بنت سَعِيدِ بن سَعْدٍ (١) بن سهم بن عمرو بن هُصَيْنِ بن كعب بن لُؤَيٍّ وأُمُّها: أُمَيْمَةُ بنتُ عامرِ بن الحارثِ بن فِهْرِ (٢) .

من نزلت خديجة قبل الرسول ؟

وكانت خديجة قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند أبي هالة ، وهو هند بن زُرَّارَةَ ، وقد قيل في اسمه : زُرَّارَةَ ، وهند : ابنة : ابن النَّبَّاشِ من بنى عَدِيٍّ ابن جِرْوَةَ بن أُسَيْدٍ (٣) ابن عمرو ابن تميم ، فهو أُسَيْدِيٌّ بالتخفيف ، منسوب إلى أُسَيْدٍ بالتشديد ، كذا قال سيبويه في النسب إلى أُسَيْدٍ . وعدي بن جرّوة . يقال

(١) في نسب قريش : هالة ، وهى العرقه بنت سعيد بن سهم بن عمرو الخ . وأما قِلَابَةُ بنت سعيد بن سعد بن سهم فلا تلقب بالعرقه انظر ص ٢٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٣٨ نسب قريش . وفي نسب هالة جدة خديجة المذكور في ابن هشام مخالفة لما في نسب قريش ، فهو في هذا كما يأتى هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص ، ص ٢٢ و ص ٤٣٨

(٢) في نسب قريش : أُمَيْمَةُ بنت عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر .

(٣) في متشابه القبائل لابن حبيب : ه أن كل شئ في العرب أُسَيْدٌ - بفتح الهمزة وكسر السين سوى أُسَيْدِ بن عمرو في بنى تميم فإنه على مثال التصغير ، ص ٤٥١ ج ٢ المزهر .

إِنَّ الزُّبَيْرَ صَحَّفَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ عِزَّى بْنُ جِرْوَةَ ، وَكَانَتْ قَبْلَ أَبِي هَالَةَ عِنْدَ عَتِيقٍ ^(١) بَنَ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُحْرُومٍ ، وَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ مَنَافٍ بْنُ عَتِيقٍ ، كَذَا قَالَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ : وَلَدَتْ لَعَتِيقٍ جَارِيَةً اسْمُهَا : هِنْدُ ^(٢) .
وَوَلَدَتْ لِهِنْدَ أَبِي هَالَةَ ابْنًا اسْمُهُ : هِنْدُ ^(٣) أَيْضًا ، مَاتَ بِالطَّاعُونَ طَاعُونَِ الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوَ سَبْعِينَ أَلْفًا ، فَشَغِلَ النَّاسُ بِجَنَازَتِهِمْ عَنْ جَنَازَتِهِ ، فَلَمْ يَوْجَدْ مِنْ يَحْمِلُهَا ، فَصَاحَتْ نَادِبَتُهُ : وَاهِنْدُ بْنُ هِنْدَاهُ !! وَارِيبِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ تَبْقَ جِنَازَةٌ إِلَّا تَرَكْتُ ، وَاحْتَمَلْتُ جِنَازَتَهُ عَلَى أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ لِإِعْظَامِ لَرِيبِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَكَرَهُ الدَّوْلَابِيُّ ، وَخَلْدِيجَةُ مِنْ أَبِي هَالَةَ ابْنَانِ غَيْرَ هَذَا ، اسْمُ أَحَدِهِمَا : الطَّاهِرُ ، وَاسْمُ الْآخَرِ : هَالَةُ . وَاخْتَلَفَ فِي سَنَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ تَزَوَّجَ خَلْدِيجَةَ فَقِيلَ مَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَقِيلَ : كَانَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً ^(٤) .

مَارِيَّةُ وَإِبْرَاهِيمُ :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ أَنَّ خَلْدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَلَدَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَدَهُ كَلَّاهُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّهُ مِنْ مَارِيَّةَ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْمُعَمَّوْقِسُ ،

(١) وَقِيلَ : إِنَّ عَتِيقَ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ أَبِي هَالَةَ وَالْقَوْلَانِ فِي الْإِصَابَةِ .

(٢) قِيلَ : إِنَّهَا أَسْلَمَتْ وَلَهَا صَحْبَةٌ .

(٣) صَحَابِيُّ رَوَى حَدِيثَ صَفَةِ النَّبِيِّ شَهِدَ بِدِرَا ، وَقِيلَ : أَحَدًا . وَذَكَرَ الدَّارِقُطْنِيُّ وَابْنُ بَكَارٍ أَنَّهُ قُتِلَ مَعَ عَلِيِّ يَوْمَ الْجَمَلِ .

(٤) فِي الْبَيْهَقِيِّ وَالْحَاكِمِ أَنَّ عَمْرَهُ كَانَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ، وَعَمْرُهَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ .

وقد تقدم اسمُ الْمُقَوْسِ ، وأنه جُرْنُجُ بن مينا ، وذكرنا معنى الْمُقَوْسِ في أول الكتاب ، وذكرنا أنه أهدى ماريةَ مع حاطبِ بن أبي بلتعةَ ، ومع جَبْرِ مَوْلى أبي رُفَهِمِ الْفِقَارِيِّ ، واسم أبي رُفَهِمِ : كَلْتُومُ بن الْحَصَيْنِ . وذلك حين أرسلها إليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوهُ إلى الإسلام ، وأهدى معها أختها سِيرِينَ ، وهى التى وهبها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لِحَسَّانِ ابن ثابتٍ - رضى الله عنه - فأولدها عبد الرحمن بن حسان ، وأهدى معها الْمُقَوْسُ أيضاً غلاماً خَصِيّاً اسمه : مَابُورُ ، وبغلة تسمى : دُلْدُلُ ، وقدحاً من قَوَارِيرَ كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يشرب فيه ، وتوفيت ماريةَ - رضى الله عنها - سنة ستَّ عَشْرَةَ فى خلافةِ عُمرَ - رضى الله عنه - وكان عُمرُ هو الذى يَحْشُرُ الناسَ إلى جِنَازَتِها بنفسِهِ ، وهى ماريةُ بنتُ شَمْعُونِ (١) الْفِطِيطِيَّةُ من كُورَةِ حَفَنَ . وأما إبراهيمُ ابن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - مات ، وهو ابن ثمانيةَ عَشَرَ شَهْراً فى سنة عَشْرِ من الهجرة فى اليوم الذى كُفِّت فيه الشمسُ ، وكانت قابِلَتُهُ ، سَمَى امرأَةَ أبى رافعٍ ، وأرضعته أمُ بُرْدَةَ بنتُ الْمُنْذِرِ النَّجَّارِيَّةِ امرأَةَ الْبَرَاءِ بن أَوْسٍ ، وسَمَى : هى مَوْلَاةُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وقابلهُ بنى فاطمةَ كُلَّهم ، وهى غَسَلَتْها مع أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ الْخُثَمِيَّةِ ، وغسلها معها على بن أبى طالب - كَرَّمَ الله وجهَهُ - - وفى الْمُسْنَدِ من طريقِ أَنَسٍ أَنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - حين

(١) زاد فى نسب قريش بعد شمعون : ابن إبراهيم .

ولدت له ماريّة ابنة إبراهيم وقع في نفسه منه شيء ، حتى نزل جبريل عليه السلام ، فقال له : السلام عليك يا أبا إبراهيم ^(١) .

رزمه ورقة :

وذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وأم ورقة : هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي ، ولا عقب له ^(٢) ، وهو أحد من آمن بالنبي —

(١) في زاد المعاد : أن الطيب والظاهر لقبان لولده المسمى : عبد الله الذي ولد بعد النبوة . وأما إبراهيم فذكر ابن القيم أنه ولد في العام الثامن من الهجرة . وأن الذي بشره به هو أبو رافع مولاه . فوهب له عبدا ، أما الحديث المروى عن طريق ألس ، ففيه ابن لهيعة ، ولا يعتد بحديث يروى عن طريقه ، وفي روايات الحديث أن مابورا هذا كان يدخل كثيرا على مارية ، فهل يصدق مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لمثل هذا أن يغشى بيته هكذا ؟ وقد اختلف في مابور ، فقيل إنه أخوها ، وقيل أيضاً : إنه ابن عمها ، وهو خصي ، ويقول ابن أبي الحديد — على تشييعه — في شرحه لتهج البلاغة وهو يتحدث عما بهتت به عائشة ، وعن براءتها في سورة النور ، وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها ، وإنما أنزلت في مارية القبطية ، وما قذفت به مع الأسود القبطي . وجهدهم لإنزال ذلك في عائشة جحد لما يعلم ضرورة من الأخبار المتواترة . ص ٤٤٢ > ٣ طبع لبنان ، وأما المرتضى صاحب كتاب الآمال المعروف باسمه . فافترض صحة الحديث ، وزاح بزول ألفاظه انظر ص ٥٤ ج ١ أمالي المرتضى ط ١ .

(٢) اسم أبي كبير : منب بضم الميم وسكون النون وكسر الهاء انظر ص ٣٧٧ نسب قريش ، ٢٥٦ وما بعدها .

صلى الله عليه وسلم - قبل التَّبَثِ (١) ، وروى التِّرْمِذِيُّ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : رأيتُه في المنام ، وعليه ثيابٌ بيضٌ ، ولو كان من أهل النار ، لم تكن عليه ثيابٌ بيضٌ ، وهو حديثٌ في إسناده ضَعْفٌ . لأنه يدور على عُثْمَانَ بن عبد الرحمن ، ولكن يُقَوِّيه ما يأتي بعد هذا من قوله عليه السلام : رأيتُ النَّقْسَ يعني ، وَرَقَةً وعليه ثيابٌ حرير ، لأنه أولُ مَنْ آمَنَ بِي ، وصدقني ، وسيأتي بقيةٌ من خبره (٢) فيما بعد - إن شاء الله - وقد أُلْفِيتُ للحديث الذي خرَّجه التِّرْمِذِيُّ في وَرَقَةٍ إسناده جيداً غير الذي ذكره التِّرْمِذِيُّ ، وهو ما رواه الزُّبَيْرُ بن أبي بكر عن عبد الله بن مُعَاذِ الصَّنْعَانِيِّ عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ - رضى الله عنه - قال : سئل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عن ورقة بن نوفل ، كما بلغنا فقال : رأيتُه في المنام ، وعليه ثيابٌ (٣) بيضٌ ، فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياضَ ، وكان يذكر الله في سفره في الجاهلية ، ويسبِّحه ، وهو الذي يقول :

(١) يقول ابن عساكر : لا أعرف أحداً قال إنه - أى ورقة - أسلم .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل وقال : لأنه منقطع .

(٣) أخرجه أحمد عن طريق ابن لهيعة ، ولا يعتد بحديث يروى عن طريقه . وهكذا كل حديث يتحدث عن إسلام ورقة أو آخرته ، فهو ضعيف وحسبنا ما ورد عنه في الصحيحين .

لقد نصحت لأقوام ، وقلت لهم : أنا النذير ، فلا بفرزكم أحد
 لا تعبدن (١) إلها غير خالقكم فإن دعواكم (٢) فقولوا : بيننا جدد (٣)
 سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له وقبلنا (٤) سبح الجودي والجعد
 مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يناوي (٥) مذكاه أحد
 لا شيء مما ترى تبقى بشاسته يبقى الإله ويودي المال والولد
 لم نغن عن هرمز يوماً خزائنه وأخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
 ولا سليمان إذ تجرى الرياح به والإنس والجن فيما بينها مرد (٦)
 أين الملوك التي كانت لعزتها من كل أوب إليها وافد يقد
 حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من وزده يوماً كما وردوا (٧)

(١) في نسب قريش جعل لا نافية فأثبت الواو وهو خطأ - كما اعتقد - من محقق الكتاب .

(٢) في النسب « فإن أبيتم » .

(٣) في الأغاني وفي النسب « حدد ، بالحاء لا بالجيم » .

(٤) « في الأغاني » نعوذ به ، وقبل قد » .

(٥) في النسب : يساوى ، وفي الأغاني كما هنا .

(٦) في الأغاني : « والجن والإنس تجرى بينها البرد » وكذلك في نسب قريش بدون الواو قبل « الجن » .

(٧) هذا البيت غير موجود في الأغاني ص ١١٥ مجلد ٣ والقصيدة في نسب قريش ، وبينها وبين ما هنا اختلافات وزيادات مثل :

سبحان ذي العرش الخ فقد ورد هكذا في نسب قريش

سبحان ذي العرش لا شيء يعادله رب البرية فرد واحد حمد

وورد بعده في نسب قريش :

نسبه أبو الفرج (١) إلى وَرَقَةَ ، وفيه أبياتٌ تُنسب إلى أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ ، ومن قوله فيما خبرته به خديجةُ — رضى الله عنها — عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بالرَّجَالِ اصْرَفِ الدَّهْرَ وَالْقَدَرَ (٢)	وما لشيء قضاء الله من غير
حتى خديجةُ تدعوني لأخبرها	أمرأ أراه سيأتى الناس من آخر (٣)
نخبرتنى بأمرٍ قد سمعت به	فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمدَ يأتيه فيخبره	جبريلُ : إنك مبعوثٌ إلى البشر
فقلت : علّ الذى ترَجِّينَ ينجزه	لك الإلهُ فرَجِّى الخيرَ وانتظري
وأرسلته إلينا كي نسأله	عن أمرِهِ ما يَرى فى النومِ والسَّهرِ
فقال حين أنانا منطلقا عَجَبًا	يَقِفُ منه أعلى الجلدِ والشَّعرِ
إنى رأيتُ أمينَ الله واجهنى	فى صورة أكلت فى أهيبِ الصُّورِ
ثم استمر فكان الخوفُ بدعرتنى	مما يُسَلِّمُ من حولى من الشَّجرِ

== سبحانه ثم سبحانه يعود له وقبل سبحانه الجودى والحمد
والبيتان الأخيران فى الروض غير مذكورين فى النسب انظر نسب قريش
ص ٢٠٨ .

(١) يعنى صاحب كتاب الأغاني .

(٢) فى الإصابة د وصرف الدهر .

(٣) فى الإصابة .

هذى خديجة تأتيني لأخبرها وما لنا يخفى الغيب من خبر

فقلت : ظنى وما أدرى أبصُدُ قنّى أن سوف تُبْعَثُ تَمْلُومُنْزَلِ الشُّورِ
وسوف أبليكَ إنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهُمْ من الجهادِ بِلَا مَنٍّ وَلَا كَدَرٍ
مَتَى يَفْصِدُ بِهِ الْفِرْدُ :

فصل : وفي شعر وَرَقَةٍ :

بَيِّنُ الْمَسْكَتَيْنِ عَلَى رَجَائِي حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا
ثَنِيَّ مَكَّةَ ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ ؛ لِأَنَّ لَهَا بَطَاحًا وَظَوَاهِرَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ
الْبَطَاحِ ، وَمِنْ أَهْلِ الظُّوْهِرِ فِيمَا قَبْلَ ، عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ مَذْهَبًا فِي أَشْعَارِهَا فِي
تَثْنِيَةِ الْبُقْعَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَجَمْعِهَا نَحْوُ قَوْلِهِ : وَمَيِّتُ بَغْزَاتٍ . يَرِيدُ : بَغْزَةً وَبَغَادِينَ .
فِي بَغْدَادَ ، وَأَمَّا التَّثْنِيَةُ فَكَثِيرٌ نَحْوُ قَوْلِهِ :

بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ وَالْحَمَّتَيْنِ سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ دَارٍ (١)
وقول زهير : ودار لها بالرَّقْمَتَيْنِ (٢) . وقول ورقة من هذا : بيطن

(١) فِي اللِّسَانِ : الرَّقْمَةُ : الرُّوضَةُ ، وَرَقَّةُ الْوَادِي حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْمَاءُ . وَأَجْرٌ :
جَمْعُ جَرَوْ ، وَجَمْعُ الْعَمْرَسِ وَهِيَ امْرَأَةُ الرَّجُلِ وَرَجُلُهَا ، وَلِبْوَةُ الْأَسَدِ : أَعْرَاسُ
وَقَدْ اسْتَعَارَهُ الْهَذَلِيُّ لِلْأَسَدِ فَقَالَ :

لَيْتَ مَهْزَبُشْ مُدِلٌ حَوْلَ غَابَتِهِ بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ
قَالَ ابْنُ بَرِي : الْبَيْتُ لِلْمَلِكِ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْخُزَاعِيِّ وَقَبْلَهُ .

يَأْمِي لَا يَمُجِزُ الْإِيَّامَ مَجْمُورِيٌّ فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ رَزَاءُكُمْ وَفَرَّاسُ
الرِّزَامِ الَّذِي لَهُ زَيْبَرٌ ، وَالْفَرَّاسُ الَّذِي يَدُقُّ عُنُقَ فَرِيَّتِهِ

(٢) الرَّقْمَتَانِ — كَمَا فِي اللِّسَانِ — رَوْضَتَانِ بِنَاحِيَةِ الصَّيْفَانِ ، وَإِيَّاهُمَا أَرَادَ زَهِيرٌ .
وَدَارَ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيعُ وَشَمٌ فِي نَوَاشِرِ مَعْصَمٍ

المسكنين . لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ ، وقد أضاف إليها البظن ، كما أضافه المبرق حين قال :

يبطن مكة مقهور ومفتون .

وإنما يقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المعنى ، وقد قالوا : صدنا بقتوين^(١) وهو قنا اسم جبل ، وقال عنقرة .

شربت بماء الدخرضين^(٢) .

وهو من هذا الباب في أصح القولين ، قال عنقرة أيضا ،

بعنيزتين وأهلنا بالغيم^(٣)

(١) في القاموس : القنسوان . جبلان

(٢) الدخرضان : موضعان أحدهما : دخرض ، والآخر : وسيع وقال الجوهري : الدخرضان : اسم موضع . وقال : وسيع ودخرض ماءان تئاهما بلفظ الواحد ، وببت عنقرة :

شربت بماء الدخرضين ، فأصبحت

زوها تنفر عن جياض الديلم

(٣) في المراد : عنيزة . موضع بين البصرة ومكة ، وأيضاً : برعلى ميلين من القريتين بطن الرمة ، وعنيزة من أودية اليمامة قرب سواح ، وقرى عنيزة بالبحرين وعنيزتين تشبة الذي قبله . قيل : هو موضع آخر ، وقيل : هو الذي قبله ، ثنى كما قالوا في عمارة : عمايتان ، وفي رامة : رامتان وأمثاله كثير .

والغيم بالغين لا بالعين . ففي المراد . واللسان : الغيم : موضع في شعر عنقرة .

كيف المزار وقد تربع أهلها بعنيزتين وأهلنا بالغيم

وَعُثْرَةُ اسم موضع ، وقال الفرزدق :

عُثْرَةَ سَالِ الْمِرْبَدَانِ كِلَاهُمَا (١)

وإنما هو مِرْبَدُ البصرة . وقولهم :

تَسْأَلُنِي بِرَامَتَيْنِ سَلْجَمًا (٢)

(١) الشعر للفرزدق :

عُثْرَةَ سَالِ الْمِرْبَدَانِ كِلَاهُمَا عَجَاجَةٌ مَوْتٌ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
والمِرْبَدُ : المكان الذي يحبسون فيه الإبل وبه سمى مِرْبَدُ البصرة وبه كانت
مفاخرات الشعراء ، وبجالس الخطباء . وقال الجوهري في بيت الفرزدق إنه عني
به سكة المِرْبَدُ بالبصرة ، والسكة التي تليها من ناحية بني تميم جعلهما المِرْبَدَيْنِ كما يقال
الأحوصان وهما : الأحوص وعوف بن الأحوص ، اللسان المرصع ، ياقوت ،
(٢) رامة : منزل في طريق البصرة إلى مكة وبعده برحلة أخرى ديار بني تميم ،
وقيل : جبل لبني دارم ، ورامة أيضاً من قرى بيت المقدس ، والسلجم عدة معان منها
أنه نبت ، وقيل : هو ضرب من البقول . قال أبو حنيفة السلجم : معرب وأصله بالسّين
والعرب لا تتكلم به إلا بالسّين ، وكذا ذكره سيوطي بالسّين في باب علل
ما يجعله زائدا فقال : ويجعل السّين زائدة إذا كانت في مثل سلجم . وقيل لرامى .
لم زرعت السلجم ، فقال معاندة لقوله :

تَسْأَلُنِي بِرَامَتَيْنِ سَلْجَمًا

باقى لو سألت شتا أما

جاء به السكرى أو تجشما

لو أنها تطلب شيتا أما

وفي اللسان ، فاما لكثارتهم من ثنية راصة في الشعر فعلى قولهم للبيهر . ذوعثانين .
كأنه قسمها جزأين . ويقول ابن سيدة إنها سميت رامتين للضرورة لأنهما لو
كانتا أرضين لقليل : الرايتين .

وإنما هو رامة وهذا كثير . وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين في فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنتك إذا دخلتها ، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قُرَّةً ، وصدرَكَ مَمَرَّةً ، وفي التنزيل : ([لقد كان لِسَبَاءٍ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ . جَنَّاتٍ [عن يمين وشمال) إلى قوله سبحانه : ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ﴾ . سبأ : ١٥ . وفيه : ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ الآية . السكف : ٣٢ ، وفي آخرها : (ودخل جَنَّتَهُ) فأفرد بعد مائتي ، وهي ^(١) هي ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه ﴿ وَلَمَن خاف مقام ربه جَنَّاتٍ ﴾ الرحمن : ٤٦ ، والقول في هذه الآية يتسع ، والله المستعان .

النور والضياء :

فصل : وقال في هذا الشعر : ويظهر في البلاد ضياء نور . هذا البيت بوضع لك معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفي التنزيل : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ﴾ البقرة : ١٧ . وفيه : ﴿ جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ﴾ يونس : ٥ . لأن نور القمر ، لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، [و] لاسيما في طرفي الشهر ، وفي الصحيح : الصلاة نور ، والصبر ضياء ، وذلك أن الصلاة هي

(١) في البيضاوي : « أفراد الجنة ، لأن المراد ما هو جنته ، وهي ما متع به في الدنيا تنبيهاً على أنه لا جنة له غيرها ، ولاحظ له في الجنة التي وعد المتقون ، أولاً أعمال كل واحد من جنتيه بالأخرى ، أو لأن الدخول يكون في واحدة » . وهو أجود .

عمود الإسلام ، وهي ذكر وقرآن ، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن ، والذكر ، وفي أسماء البارئ سبحانه (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ . ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه - سبحانه - وقد أميت في غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والأرض ما فيه شفاء ، والحمد لله .

نونه الوقاية في إبه وأغوائها :

فصل : وفي شعر ورقة : فياليتني إذا ما كان ذاكم . بحذف نون الوقاية ، وحذفها مع ليت ردى ، وهو في لعل أحسن منه ، لقرب مخرج اللام من النون ، حتى لقد قالوا : لعلَّ وَلَعَنَّ ولأن بمعنى واحد ، ولاسيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بلعل ، وهذا يؤكّد حذف النون من لعلني ، وأحسن ما يكون حذف هذه النون في إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ لاجتماع النونات ، وحسنه في لعل أيضاً كثرة حروف الكلمة ، وفي التنزيل : ﴿لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ﴾ يوسف : ٤٦ . بغير نون ، وبجى ، هذه الياء في ليتي بغير نون مع أن ليت ناصبة ، بذلك على أن الاسم المضمر في ضربني هو الياء ، دون النون كما هو في : ضربك ، وضربه حرف واحد ، وهو الكاف ، ولو كان الاسم هو النون مع الياء - كما قالوا في المحفوض : منيَّ وعنيَّ بنونين نون : من ، ونون أخرى مع الياء ، فيإذاً الياء وحدها هي الاسم في حال الخفض ، وفي حال النصب .

مول تفرم صله المصدر عليه :

فصل : وفيه : حديثك أن أرى منه خروجاً . قوله منه الهاء راجعة على الحديث ،

وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدّر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من صلة أن ، فلا يتقدم ، فمن أطلق القول في هذا الأصل ، ولم يخص مصدراً من مصدر ، فقد أخطأ المَفْصِل ، ونَاهِ فِي تَضَلُّلٍ ؛ ففي التنزيل : ﴿ أَكُنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا [إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ] ﴾ يونس : ٢ . ومعناه : أكان عجباً للناس أن أوحينا ، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب ؛ لأنها ليست في موضع صفة ، ولا موضع حال لعدم العامل فيها ، وفيه أيضاً : ﴿ لَا يَتَّبِعُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴾ الكهف : ١٠٨ : ﴿ وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ الكهف : ٥٣ . وفيه أيضاً : ﴿ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾ الكهف : ١٨ . وتقول : لى فيك رغبة ، ومالى عنك مَعْوَالٌ ، فيحسُن كلُّ هذا بلا خلاف ، وقد أجاز ابن السراج أبو بكر ، و [محمد بن يزيد] المبرِّد أيضاً في ضَرْبًا زِيدًا ، إذا أردت الأمر : أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر ، وقال : لأن ضَرْبًا هاهنا في معنى : اضرب ، فقد خصص لك ضرباً من المصادر بجواز تقديم معمولها عليها فإن كان المصدر غير أمر ، وكان نكرة لم يتقدم المفعول خاصة عليه ، بخلاف المجرور والظرف ، فالواجب إذا رَبَطَ هذا الباب وتفصيله .

متى يجوز تقديم معمول المصدر ؟

فنقول : كل مصدر نكرة غير مضاف إلى ما بعده يجوز تقديم معموله عليه إلا المفعول لأن المصدر النكرة لا يتقدر بأن والفعل ؛ لأنك إن قدرته بأن والفعل بقي الفعل بلا فاعل ، وما كان مضافاً إلى ما بعده ، فالمضاف إليه فاعل في المعنى أو مفعول ؛ فلذلك يصير المصدر مقدراً بأن والفعل ، فقف على هذا الأصل ، فمنه (١٧٢ - الروض الأنف ج ٢)

حُسْنُ قول ورقة : أن أرى منه خُرُوجًا ، أى : أرى خروجا منه ، وكذلك لو ذكر الدخولُ ، فقال : أرى فيه دخولا ، يريد : دخولا فيه ، اسكان حسنا ، وتقول : اللهم اجعل من أمرنا فَرَجًا ونَحْرَجًا ، فَمِنْ أَمْرِنَا : متعاقبا بما بعده ، وهو مصدر ، ولا خفاء في حُسْنِ هذا التقديم لما ذكرناه .

ومن قول وَرَقَةَ بن نوفل في معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن إسحاق :

أُتْبِكِرُ أم أنت العَشِيَّةُ رَاغُ وفي الصدر من إضمارِكَ الحزن قَادِحُ (١)
لِفُرْقَةٍ قومٍ لا أحب فِرَاقَهُمْ كأنك عنهم بعدد يومين نازح
وأخبارِ صِدْقٍ خَبَرْتُ عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح
فتاك الذي وجهت ياخير حُرَّةً بَعُورٍ وبالنجدين حيث الصَّاحِصُ (٢)
إلى سُوْقٍ بُصِّرَى في الركاب التي غدت وَهْنٌ من الأحوال قُفُصٌ دَوَالِحُ (٣)
نَجَّرْنَا عن كلِّ خيرٍ بعلمه ولاحق أبوابُ أهنَّ مفتح

(١) إما أن تكون اسم فاعل من قدح الزند ، أو هي أكال يقع في الشجر والاسنان ، وهي الصدع في العود .

(٢) الغور : ما بين ذات عرق إلى البحر ، وكل ما انحدر مغربا عن تهامة ، وموضع بديار بني سليم . والنجد : ما خالف الغور أى تهامة : أعلاه : تهامة واليمن ، وأسفله : العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز . ذات عرق ، والصاحص : جمع صحصح الأرض الجرداء المستوية .

(٣) دلح كمنع مثنى بحمله منقبض الخطو لثقله ، والقفص : الموت السريع . والقعاص : داء في الصدر كأنه يكسر العنق ، وشاة قعوص : تضرب حالبة وتمنع الدرة .

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش في وضع الحجر

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم - خمساً وثلاثين سنة - اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يَهْمُونَ بذلك ، لِيُسَقِّفُوهَا وَيَهَابُونَ هَدْمَهَا ، وإنما كانت رَمَماً فوق القامة ، فأرادوا رَفْعَهَا وَتَسْقِيفَهَا ، وذلك أن نفرأ سرقوا كنزاً للكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده الكنز دُوَيْسَكا مولى لبني مُلَيْح بن عمرو من خزاعة. قال ابن هشام : قَطَعَتْ قريشُ يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْسَك وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدَّةَ لرجل من تجَّار الروم ، فتحطَّمت ، فأخذوا خَشَبَهَا فَأَعَدُّوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبضيَّ نَجَار ، فتهبأ لهم في أنفسهم بعضُ ما يُصْلَحُهَا وكانت حَيَّةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطْرَحُ فيها ما يهدى لها كل يوم ، فتمشَّرقُ على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا اخزأَلَتْ وَكَشَّتْ ، وفتحت فاهها ، وكانوا يهابونها . فبينما هي ذات يوم تتشَّرقُ على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع

بأن ابن عبد الله أحمد مُرْسَلٌ	إلى كلِّ مَنْ ضُمَّتْ عليه الأباطح
وخطي به أن سوف يُبْعَثَ صادقاً	كما أُرْسِلَ العبدان هودٌ وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يرى له	بهاً ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حيّاً لؤي جماعة	شبابهم والأشيون الجحَّاجُ (١)

(١) جمع جحجج وجحجاج : السيد.

بعث الله إليها طائراً فاخترطها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا نرجو أن يكون الله قدرغنى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحيلة .

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها ، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عبد بن عمران بن مخزوم . قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا معشر قريش ، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس ، والناس ينتحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي . أنه رأى ابنا لجمدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بطوف بالبيت ، فسأل عنه ، فقليل : هذا ابن لجمدة بن هبيرة ، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك : جد هذا ، يعني : أبا وهب الذي أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش : لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً . لا تدخلوا فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس .

فإن أبقى حتى يدرك الناس دهره فإنني به مستبشر الود فارجع
ولا فإنني يا خديجة — فاعلمي عن ارضك في الأرض العريضة سامع

قال ابن اسحاق : وأبو وهب : خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان شريفاً ، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبي وهب أنختُ مطيَّتي غدت من نداه رخلها غيرُ خائبِ
بأبيض من فرعى لؤي بن غالب إذا حُصِّلَت أنسابها في الدوائِبِ
أبي لأخذ الصِّم يرتاح للندى توسط جداه فرُوع الأطايِبِ
عظيم رماد القدر يلا حِفائِه من أُلْهِزْ يَعْلُوهُنَّ مثلُ السَّابِ

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة ، فكان شقُّ الباب لبني عبد مناف وزهرة
وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ، وقبائل من قريش
انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جحج وسهم ، ابني عمرو بن هُصَيْن بن
كعب بن لؤي . وكان شقُّ الحجر لبني عبد الدار بن قصي ، ولبنى أسد بن
المزى بن قصي ، ولبنى عدي بن كعب بن لؤي وهو الخطيمُ

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنه
أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المِعْوَل ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرْعَ قال
ابن هشام : ويقال : لم تَزِغْ — اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية
الركنَيْن ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : نفطرُ ، فإن أُصِيب لم نهدم
منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يُصِبْ شيء ، فقد رضى الله صنْعنا ،
فهدمنا . فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله ، فهدمَ وهدمَ الناسُ معه ،
حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساسِ أساسِ إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى
حجارة خضر كالأسنمة أخذ بعضهم بعضها .

• • • • •

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض مَنْ يَرَوِي الحديث : أن رجلاً من قُرَيْش ، ممن كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حَجَرَيْنِ منها لِيَقْلَعَ بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تَنَقَّضَتْ مَكَّةُ بِأَسْرَها ، فاتَّهَوْا عن ذلك الأساس .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسرّ يانية ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : « أنا الله ذو بَكَّة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصبرت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك خنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشابها ، مُبَارَكٌ لأهلها في الماء واللبن » .
قال ابن هشام : أخشابها : جبلها .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : « مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سُبُل ، لا يُحْلَها أولٌ من أهلها » .

قال ابن إسحاق : وزعم ليثُ بن أبي سليم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مَبْعَثِ النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه : « مَنْ يَزْرَعْ خَيْراً ، يَحْصُدْ غَبْطَةً ، وَمَنْ يَزْرَعْ شَرّاً ، يَحْصُدْ نَدَامَةً . تعملون السيئات ، وتُجْزَوْنَ الحسنات ! أَجَلٌ ، كما لا يُجْتَنَى مِنَ الشُّوكِ الْعَنْبِ » .

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قُرَيْشِ جَمَعَتِ الحجارة لبنائها ، كلُّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ على حِدَةٍ ، ثم بَنَوْها ، حتى بلغ البُنيان موضعَ الركن ، فاخْتَصَمُوا فيه ، كلُّ قَبِيلَةٍ تُرِيدُ أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تَحَاوَرُوا

.

وتحالفوا ، وأعدوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جَفَنَةَ مَمْلُوءَةً دِماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدِيٍّ بن كَعْب بن لُؤَيٍّ على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فَسَمُّوا : لَمَعَةَ الدِّم ، فسكنت قُرَيْش على ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أُمَيَّة بن الْمُغَيَّرَة بن عبد الله بن عُمَرَ بن خُزُوم ، وكان عَامِئِدٍ أَسَنَ قُرَيْش كلها ، قال : يا معشر قُرَيْش ! اجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أَوَّلَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا : فكان أَوَّلَ داخل عليهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينَا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمُّ إِلَى ثَوْبَا ، فَأَتَى بِهِ ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : لِنَأْخُذْ كُل قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ أَرْفَعُوهُ جَمِيعًا ، ففعلوا : حتى إذا بافوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قُرَيْش تَسْمَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحي : الأَمِين . فلما فرغوا من البنیان ، وبنوها على ما أرادوا ، قال الزُّبَيْر بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بُنْيَانَ الكعبة لها .

عَجِبْتُ لِمَا نَصَوَّبَتِ الْمُقَابُ إِلَى الثَّعْبَانِ وَهِيَ لَهَا اضْطِرَابُ
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ وَأَخِيَانًا يَكُونُ لَهَا وَثَابُ
إِذَا قُمْنَا إِلَى النَّاسِيسِ . شَدَّتْ تَهَيَّبُنَا الْبِنَاءُ . وَقَدْ تَهَابُ

فلما أن خَشِينَا الرَّجْزَ . جاءت عُقَابٌ تَتَلَسَّبُ لَهَا انْصِبابُ
فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا ، ثم خَلَّتْ لَنَا الْبُنْيَانُ ، لَيْسَ لَهُ حِجَابُ
فَقُنْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءِ لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالتُّرَابُ
غَدَاةَ تُرْفَعُ التَّاسِيسَ مِنْهُ وَلَيْسَ عَلَى مُسَوِّينَا رِثَابُ
أَعَزَّ بِهِ الْمَلِيكُ بَنِي لُؤْمَى فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَابُ
وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ وَامْرَأَةٌ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَابُ
فَقَبَوْنَا الْمَلِيكَ بِذَلِكَ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ يُبْتَلَسُّ الشَّوَابُ
قال ابن هشام : وَيُرْوَى :

وليسَ على مَسَاوِينَا رِثَابُ

وكانت الكعبة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى عَشْرَةَ
ذِرَاعًا ، وكانت تُكْسَى الْقَبَاطِي ، ثم كُسِيَتِ الْبُرُود . وأَوَّلُ مَنْ كَسَاهَا
الديباج : الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسَفَ .

بُنْيَانُ الْكَعْبَةِ

ففى خبرها أنها كانت رَضْمًا فوق القامة . الرَّضْمُ : أَنْ تُنَصَّدَ الْحِجَارَةُ بَعْضُهَا
عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ مِلَاطٍ ^(١) كما قال :
رُزِئْتُهُمْ فِي سَاعَةٍ جَرَعَتْهُمْ كُسُوسَ الْمَنَاطِ تَحْتَ صَخْرٍ مُرَضَّمٍ
وقوله : فوق القامة ، كلامٌ غَيْرُ مُبَيَّنٍّ لِمَقْدَارِ ارْتِفَاعِهَا إِذْ ذَاكَ ، وَذَكَرَ

(١) الطين يجعل بين ساقى البناء ، ويملأ به الحائط .

غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع ، فكانت ثمان عشرة ذراعا ، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يصعد إليها إلا في درج أو سلم ، وقد ذكرنا أول من عمل لها غلقاً ، وهو تبع . ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع ، فكانت سبعا وعشرين ذراعا ، وعلى ذلك هي الآن ، وكان بناؤها في الدهر خمس مرات . الأولى : حين بناها شيث بن آدم ^(١) ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس ، فوقعت في أستارها ، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تُجَمِّرها ، فطارت شرارة من المِجْمَرِ ^(٢) في أستارها ، فاحترقت ، فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره ، فهابوا هدمها ، وقالوا : نرى أن تصالح ما وهى ، ولا تهدم . فقال : لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكل صلاح . ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها . فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم ، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر . فحركوا حَجَرًا فَرَأَوْا تَحْتَهُ نَارًا وَهْوَ ^(٣) . أفزعهم فأمرهم أن يُقَرِّوْا

(١) أول من بناها إبراهيم .

(٢) ما يوضع فيه الجمر بالدخنة ، والعود نفسه . ويقال أيضاً بضم الميم الأولى وفتح الثانية .

(٣) لم يرد في الحديث الذى أخرجه مسلم ذكر لهذه النار بل ورد : ودفنوه . أى بناء الكعبة - حتى بلغوا به الأرض . فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه . وفيه أنه زاد فيه خمسة أذرع ، وأن طول الكعبة كان ثمانية عشر ذراعا ، فلما زاد فيه استقصره ، فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما : يدخل منه ، والآخر يخرج منه .

القواعد ، وأن يبنيوا من حيث انتهى الحفر . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد ، فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب ، واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا أجل يطوف بها ، فلما استتم بنيناها ، ألصق بابها بالأرض ، وعمل لها خلفاً أى : باباً آخر من ورائها ، وأدخل الحجرَ فيها ، وذلك لحديث حديثه به خالته عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : ألم ترَني قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة ، ثم قال عليه السلام : لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها ، وجعلت لها خلفاً^(١) وألصقت بابها بالأرض ، وأدخلت فيها الحجرَ أو كما قال — عليه السلام — قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على مقتضى حديث عائشة ، فلما قام عبد الملك بن مروان ، قال : لسنّا من تخليط أبي خُبَيْب^(٢) بشيء ، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما فرغ من بنيناها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع^(٣) ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، ومعه رجل آخر ،

(١) وردت في معناه أحاديث رواها البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والفسائى والترمذى .

(٢) هو عبد الله بن الزبير ، ويقال عنه وعن ابنه أو أخيه مصعب : الحبيبان
(٣) القبايع بضم القاف وفتح الباء : مكيال ضخمة ، ولقد لقب الحارث بهذا لأنه اتخذها ، أو لأنه قال لأهل البصرة حين ولى عليهم وأتوه بمكيال : إن مكيالكم هذا لقبايع ، وهو : الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . وقد سقط من الروض : ابن عبد الله ، وأمه : بنت أبرهة . ويقال إنه وجد الصليب في =

فحدثناه عن عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالحديث المتقدم ،

== عنقها حين ماتت ، وخرج إلى الناس . فقال : انصرفوا رحمكم الله ، فإن لما أهل دين هم أولى بها منا ومنكم ، فاستحسن ذلك منه . يقول عنه ابن سبة : « كان الحارث ابن عبد الله شريفا كريما ديننا وسيدا من سادات قريش ، وله قصص طريفة مع أخيه الشاعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة . انظر ص ٣١٨ نسب قريش ط ١ و ص ١١٤ المجلد الأول من الأغاني طبع لبنان . »

وفي حديث مسلم عما ذكره الروض عن هذا أن الحجاج لما قتل ابن الزبير كتب إلى عبد الملك يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاده في طوله فأفره ، وأما ما زاد فيه من الحجر ، فردّه إلى بنائه ، وسد الباب الذي فتحه ، فنقضه وأعادّه إلى بنائه . وفي رواية أخرى أن الحارث بن عبد الله وفد على عبد الملك بن مروان في خلافته ، فقال عبد الملك : ما أظن أبا مخشيب سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها ، فقال الحارث : « بلى أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حدائنه عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا ، فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلّمى لأريك ما تركوا منه ، وأراها قريباً من سبعة أذرع . هذا حديث عبد الله بن عبيد بن عمير في مسلم ، وزاد عليه الوليد بن عطاء : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض ، شرقياً وغربياً ، وهل تدريين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ قالت : قلت : لا . قال : تمزراً ألا يدخلها إلا من أرادوا ، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى ، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط . » وفي رواية : أن عبد الملك قال : قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين — ثم ذكر حديث عائشة — فقال الحارث لا نقل هذا يا أمير المؤمنين ؛ فإنّي سمعت أم المؤمنين تحدث هذا . قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير . ويقول ابن كثير : فهذا الحديث

فقدم ، وجعل يَنْسُكُ في الأرض بِمِخْصَرَةٍ في يده ، ويقول : وَدِدْتُ أَنِّي تَرَكْتُ
أَبَاخُبَيْبَ ، وَمَا تَحْمَلُ مِنْ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ الْمَرَّةُ الْخَامِسَةُ ، فَلَمَّا قَامَ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ ،
وَأَرَادَ أَنْ يَبْنِيهَا عَلَى مَابْنَاهَا ابْنُ الزَّبِيرِ ، وَشَاوَرَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ :
أَنْشُدْكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ تَجْعَلَ هَذَا الْبَيْتَ مَلْعَبَةً لِلْمُلُوكِ بَعْدَكَ ، لَا يَشَاءُ
أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُغَيِّرَهُ إِلَّا غَيْرُهُ (١) فَتَذْهَبُ هَيْئَتُهُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ ، فَصَرَفَهُ عَنْ
رَأْيِهِ فِيهِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ بَنَى فِي أَيَّامِ جُرْهُمٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ؛ لِأَنَّ السَّيْلَ كَانَ
قَدْ صَدَعَ حَائِطَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بَنِيَانًا عَلَى نَحْوِ مَا قَدَّمْنَا ، إِنَّمَا كَانَ إِصْلَاحًا لِمَا
وَهَى مِنْهُ ، وَجِدَارًا بَنَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيْلِ ، بَنَاهُ عَامِرُ الْجَارُودُ (٢) ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا
الْخَبَرُ ، وَكَانَتْ السَّكْعَةُ قَبْلَ أَنْ يَبْنِيهَا شَيْئٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيَمَةً مِنْ يَدِ قُوَّةِ حِمَارٍ
يَطُوفُ بِهَا آدَمُ ، وَيَأْنَسُ إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّهَا أَنْزَلَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَكَانَ قَدْ حَجَّ إِلَى
مَوْضِعِهَا مِنَ الْهِنْدِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ آدَمَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَاهَا ، ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي
غَيْرِ رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ . وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ مَوْضِعَهَا كَانَ غُثَاءً عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ
اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَلَمَّا بَدَأَ اللَّهُ يَخْلُقُ الْأَشْيَاءَ خَلَقَ التُّرْبَةَ قَبْلَ السَّمَاءِ ، فَلَمَّا

== كَالْمَقْطُوعِ بِهِ إِلَى عَائِشَةَ ؛ لِأَنَّهُ قَدَرَوْا عَنْهَا مِنْ طَرُقٍ صَحِيحَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، فَدَلَّ هَذَا عَلَى
صَوَابِ مَا فَعَلَهُ ابْنُ الزَّبِيرِ ، فَلَوْ تَوَكَّلْنَا لَكَانَ جَيِّدًا . وَلَكِنْ بَعْدَ مَا رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى
هَذَا الْحَالِ ، فَقَدْ كَرِهَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَغْيِرَ عَنْ حَالِهِ .

(١) نَقَلَ النُّوَوِيُّ وَعِيَاضُ أَنَّ هَذَا حَدَّثَ مِنَ الرَّشِيدِ أَوْ أَبِيهِ الْمُهَدِيِّ ، وَأَنَّ
مَا لَكَأَ قَالَ : مَالِكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . لَا تَجْعَلْ كَعَمَةِ اللَّهِ مَلْعَبَةً لِلْمُلُوكِ لَا يَشَاءُ
أَحَدٌ أَنْ يَهْدِمَهَا إِلَّا هَدَمَهَا .

(٢) انْظُرْ ص ١٤٤ مِنْ نَسَبِ قُرَيْشٍ ،

خلق السماء ، وقضاهن سبع سموات دحا الأرض ، أى : بسطها ، وذلك قوله سبحانه : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ النازعات : ٣ . وإنما دحاها من تحت مكة ؛ ولذلك سُمِّيَتْ أم القرى ، وفى التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت : ١١ لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم ^(١) ، فذلك حرما . وفى الحديث : أن الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض ، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن ، لأن المؤمن إنما حُرِّمَ دمه وعرضه وماله بطاعته لربه ، وأرض الحرم لما قالت : أَتَيْنَا طَائِعِينَ ، حُرِّمَ صيدها وشجرها وخلاها إلا الإذخر ^(٢) ، فلا حُرْمَةً إِلَّا لَئِى طَاعَةٍ ، جعلنا الله يَمِّنَ أطاعه .

(١) هذا من كلام كعب الأحبار وهو معروف بإسرائيلياته . وكل ما قيل عن حج آدم ، وعن أصل الكعبة وعن موضعها قبل إبراهيم وعن إجابة أرض الحرم . كل هذا أكاذيب مفتراة . ومن عيوب السبيل أنه يأتي أحيانا بأسطورة ثم يقيم عليها بناء يتوهمه ثابتا ، فليست أرض الحرم وحدها هى التى أطاعت الله ، بل الأرض كلها ، كما بين القرآن فإياها لم تحرم ؛ !

(٢) فى حديث أخرجه البخارى ومسلم . « إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ، فبى حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، ومعناه : أن الله قضى هذا كما قضى كل أمر له . هذا وفى حديث رواه مسلم : « إن إبراهيم حرم مكة ، ولأنى أحرم ما بين لابتيها ، وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن المدينة . « اللهم لى أحرم ما بين جليها مثل ما حرم لإبراهيم مكة ، وفى حديث رواه البخارى : « إن لإبراهيم حرم مكة ، ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم لإبراهيم مكة ، وهذه الأحاديث تؤكد أن إبراهيم هو الذى حرم مكة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم حرم المدينة كما حرم لإبراهيم مكة . . =

سبب آفر لبنان البيت :

وروى في سبب بنيان البيت خبر آخر ، وليس بمعارض لما تقدم ، وذلك أن الله سبحانه لما قال للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ البقرة : ٢٩ .

خافوا أن يكون الله عاتباً عليهم لاعتراضهم في علمه ، فطافوا بالعرش سبعا ، يسترضون ربهم ، ويتضرعون إليه ، فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة ، وأن يجعلوا طوافهم به ، فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ، ثم أمرهم أن يبنوا في كل سماء بيتا ، وفي كل أرض بيتا ، قال مجاهد : هي أربعة عشر بيتا ، كل بيت منها منّا صاحبه ، أى : في مقابلته ، لو سقطت لسقطت بعضها على بعض .

حول بناء الكعبة مرة أخرى :

روى أيضاً أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرض إلى منتهائها ، وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل ، فتلک القواعد من البيت التي رفع إبراهيم وإسماعيل ، فلما جاء الطوفان رفعت ، وأودع الحجر الأسود أبا قبيس (١) .

= وفي هذا نظر ، فالتة جل شأنه هو الذي يحل ويحرم لا النبيون ، ولم يذكر تحريم المدينة في القرآن كما ذكر تحريم مكة ، والإذخر : الحشيش الطيب الرائحة . (١) ليس لكل ما قاله عن الملائكة هنا سند صحيح ، ولم يرد حديث طواف الملائكة المذكور هنا سوى : « أبو الفرج » في كتابه « مشير الغرام » ، وليس من البر في الدين أن تفتري الأكاذيب لتعظيم أمر ، شأنه بالصدق في النفوس أعظم ، والحق لا يحويه لباطل ، والجمال يشينه الكذب

وذكر ابن هشام أن الماء لم يعلها حين الطوفان ، ولكنه قام حولها ، وبقيت في هواء إلى السماء ^(١) ، وأن نوحا قال لأهل السفينة ، وهي تطوف بالبيت : إنكم في حرم الله ، وحول بيته ، فأحرموا الله ، ولا يمس أحد امرأة ، وجعل بينهم وبين السماء حاجزا ، فتعدى حام ، فدعا عليه نوح أن يسودّ لون بنيه ، فاسودّ كوش بن حام ونسله إلى يوم القيامة ، وقد قيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا ^(٢) ، والله أعلم .

وذكر في الخبر عن ابن عباس ، قال : أول من عاذ بالكعبة حوت صغير ، خاف من حوت كبير ، فعاذ منه بالبيت ، وذلك أيام الطوفان . ذكره يحيى بن سلام ، فلما نضب ماء الطوفان ، كان مكان البيت ربوة من مدرة ^(٣) وحج إليه هود وصالح ، ومن آمن معهما ، وهو كذلك ^(٤) .

(١) كلام لا سند له ، وقد روى أن من أسباب بنائها احتراقها أو تصدعها من السيل ، فكيف لم ترتفع إلى الهواء .
هذا وفي السيرة عن السفينة أنها كانت لرجل من تجار الروم ، ولكن ورد عن الاموى أنها كانت لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحا قيصر مع باقوم الرومى إلى الكنيسة التي أحرقتها الفرس الحبشة . وقيل عن باقوم القبطى لأنه كان مولى سعيد بن العاصى بن أمية وفي الإصابة أن اسم الرجل الذى بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا ، وكان في سفينة حبستها الريح ، فخرجت إليها قريش ، وأخذوا خشبها ، وقالوا له : ابنها على بناء الكنائس .

(٢) لأنه رأى عورة أبيه لإصحاح ٩ سفر التكوين .

(٣) المدر — محرقة — قطع الطين اليابس ، أو العلك الذى لا رمل فيه واحدة مدرة .

(٤) لم يرد هذا في نقل صحيح .

وَيَذْكُرُ أَنَّ يَعْزُبَ قَالَ لهُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا نَبْنِيهِ ؟ قَالَ : إِنَّمَا بَيْنِيهِ نَبِيٌّ كَرِيمٌ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي يَتَّخِذُهُ الرَّحْمَنُ خَلِيلًا ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَشَبَّ إِسْمَاعِيلُ بِمَكَّةَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ ، فَدَلَّتهُ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ^(١) ، وَظَلَّلَتْ لَهُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ ، فَكَانَتْ عَلَيْهِ كَالْجُحْمَةِ ^(٢) ، وَذَلِكَ أَنَّ السَّكِينَةَ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ ، فَجُعِلَتْ عِلْمًا عَلَى قِبَلَتِهَا حِكْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ^(٣) ، وَبَنَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبُلٍ ، كَانَتْ الْمَلَأْسُكَةُ تَأْتِيهِ بِالْحِجَارَةِ مِنْهَا ، وَهِيَ : طَوْرُ تَيْنًا ، وَطَوْرُ زَيْتَا ^(٤) الَّذِينَ بِالشَّامِ ، وَالْجُودِيَّ وَهُوَ بِالْجَزِيرَةِ ^(٥) ، وَتَيْنَانَ ^(٦) وَحِرَاءَ وَهِيَ بِالْحَرَمِ ، كُلُّ هَذَا جَمْعُهُ مِنْ آثَارٍ مَرْوِيَةٍ . وَانْتَبَهَ لِحِكْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ جَعَلَ بِنَاءَهَا مِنْ خَمْسَةِ أَجْبُلٍ ، فَشَاكِلُ ذَلِكَ مَعْنَاهَا ؛ إِذْ هِيَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَعُمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ بَنَى عَلَى خَمْسٍ ، وَكَيْفَ دَلَّتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ؛ إِذْ هُوَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ ، وَالسَّكِينَةُ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَأَتَوْهَا

(١) وَهِيَ عِنْدَ رَوَاةِ هَذَا : رِيحٌ تَخْجُوجُ ، وَلَهَا رَأْسَانِ ، فَاتَّبَعَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَكَّةَ ، فَتَطَوَّاتُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ كَطَى الْجَحْفَةِ . وَالتَّخْجُوجُ : الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الْمَسَرَّةُ ، أَوْ الْمَلْتَوِيَّةُ فِي هَبْوِهَا .

(٢) بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي جَوَانِبِ الْحَوْضِ .

(٣) مَرَّةً أُخْرَى بَنَى عَلَى أُسْطُورَةٍ رَأَى وَحَدِيثُ السَّكِينَةِ لَيْسَ لَهُ سَنَدٌ صَحِيحٌ

(٤) تَيْنَا تَقَالُ بِالْكَسْرِ وَبِالْفَتْحِ وَيَقُولُ الْقَامُوسُ وَتَيْنَا هِيَ بِمَعْنَى سَيْنَاءَ

(٥) يَعْنِي جَزِيرَةَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ شَرْقِيٍّ دَجَلَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْمُوَصَّلِ

(٦) فِي الْمَرَاوِدِ ، لِبَنَانِ جَبَلَانِ قَرَبَ مَكَّةَ يُقَالُ لَهَا ، ابْنُ الْأَسْفَلِ وَابْنُ الْأَعْلَى

وَفَوْقَ ذَلِكَ جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ : الْمُبْرَكُ بَرَكَ الْقَبِيلُ بِهِ

وعليكم السكينة^(١) « فلما بلغ إبراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الأسود من جوف أبي قُبَيْس ، وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « أنزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم »^(٢) ، وروى الترمذى أيضاً من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعاً أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طُمِسَ من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب ، وفي رواية غيره : لأبرءا من استلمهما من الخرس والجذام والبرص^(٣) ، وروى غير الترمذى من طريق على رحمه الله أن العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره ألا يشركوا به شيئاً كتبه فى صكٍّ ، وألقمه الحجر الأسود ، ولذلك يقول المستمل له : إيماناً بك ، ووفاء بعهدك^(٤) ، وذكر هذا الخبر الزبير ، وزاد عليه أن الله سبحانه أجرى نهراً أطيب

(١) فى حديث رواه الجماعة إلا الترمذى : « إذا سمعتم الإقامة ، فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم ، فصلوا ، وما فاتكم فاتموا ،

(٢) لا يعتد بمثل هذا . وفى البخارى : « لجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وهما - أى إبراهيم وإسماعيل - يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » وهو عند ابن أبي حاتم من كلام السدى ، ولم يرو البخارى ولا مسلم شيئاً من هذا .

(٣) الأحاديث الصحيحة تخالف ما رواه الترمذى ، وتخالف ما رواه بعده ، والقرآن يؤكد أن الله هو الذى يده الشفاء لا الركن اليماني . وإنما هو مكر الأساطير بدين الله الحق ۱۱

(٤) لا يشهد لما قاله حديث صحيح ، ولا آية من كتاب الله ، وإليك التفسير الصحيح لآية أخذ العهد عن الحسن البصرى ، كما رواه عنه جماعة من السلف والخلف =

(م ١٨ - الروض الأنف > ٢)

من اللبن ، وأمين من الزبد ، فاستمد منه القلم الذى كتب العهد ، قال : وكان أبو قُبَيْس يسعى : الأمين ؛ لأن الركن كان مُودَّعا فيه ، وأنه نادى إبراهيم حين .

== (ولما أخذ ربك من بنى آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره (ذرياتهم) أى جعل نسلهم جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، كقوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) وقال : (ويجعلكم خلفاء الأرض) وقال : (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ثم قال : (وأشهدهم على أنفسهم : ألسنت بربكم ، قالوا : بلى) أى : أوجدكم شاهدين بذلك ، قائلين له حالا . وقال : أى الحسن البصرى - والشهادة تكون تارة بالقول ، وتارة تكون حالا . كما أن السؤال تارة يكون بالمقال ، وتارة يكون بالحال . قالوا - يعنى جماعة من السلف والخلف - ولما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم فى الإشراف ، فلو كان قد وقع هذا - يعنى استخراج الذرية من ظهر آدم واستنطاق الله لها - كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة له (ثم فسروا هذا الإشهاد بأنه الفطرة التى فطر الله الناس عليها من الإقرار بالتوحيد . انظر ابن كثير فى تفسير الآية . هذا وقد حكم الطبرى بعدم صحة نسبة ما روى من أحاديث فى هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالحديث موقوف على ابن عمر . ولهذا قال : الظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : « وأشهدهم على أنفسهم . ألسنت بربكم ؟ » قالوا : بلى شهدنا . فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا . فقالوا : بلى شهدنا . عليكم بما أقررتم به على أنفسكم . وفى مكان آخر : « وأشهدهم على أنفسهم ، أى : أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك . ويقول المرتضى فى أماليه . « وقد ظن بعض من لا بصيرة له ، ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية أن الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته ، وهم فى خلقت النذر ، فقرروهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه ، لأن الله تعالى قال : ولما أخذ ربك من بنى آدم ، ولم يقل . من آدم ، وقال : من ظهورهم ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ذرياتهم ، ولم يقل . ذريته ، ثم أخبر تعالى بأنه ==

بلغ بالبنيان إلى موضع الركن ، فأخبره عن الركن فيه ، ودله على موضعه (١) منه ،
وانتبه من ههنا إلى الحكمة في أن سوّده خطايا بني آدم دون غيره من حجارة
الكعبة وأستارها ، وذلك أن العهد الذي فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها
من توحيد الله ، فكل مولود يولد على تلك الفطرة ، وعلى ذلك الميثاق ، فلولا أن
أبويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، حتى يسود قلبه بالشرك ، لما حال عن
العهد ، فقد صار قلب ابن آدم محلاً لذلك العهد والميثاق ، وصار الحجر محلاً لما
كتب فيه من ذلك العهد والميثاق ، فتناسبا ، فاسودّ من الخطايا قلب ابن آدم
بعدما كان وُلد عليه من ذلك العهد ، واسود الحجر بعد ابيضاضه ، وكانت
الخطايا سببا في ذلك حكمة من الله سبحانه ، فهذا ما ذكر في بنيان الكعبة
ملخصا ، منه ما ذكر المأوردى ، ومنه ما ذكره الطبري ، ومنه ما وقع في كتاب
التمهيد لأبي عمر ، ونبد أخذتها من كتاب فضائل مكة لرزين بن معاوية ، ومن
كتاب أبي الوليد الأزرق في أخبار مكة ، ومن أحاديث في المسندات المروية ،
وسنورد في باقي الحديث بعض ما باعنا في ذلك مستعينين بالله . وأما الركن

= فعل ذلك ، ائلا يقولوا : إنهم كانوا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم ،
وأنهم نشئوا على دينهم وسنتهم ، وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه ،
وأنها تناولات من كان له آباء مشركون ، وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد
آدم ، فلهذه شهادة الظاهر بطلان تأويله ، ثم استشهد بدليل عقلي على بطلانه
أيضا . واستدل ببعض النقول الصحيحة ، انظر ص ٢٠ وما بعدها ط ١

(١) لست أدري — والسبيل رجل كبير العقل — كيف يردد هذه الأساطير

الصغيرة ١٩ .

الياماني فسُمي بالياني - فيما ذكر القَتَبِيُّ - لأن رجلا من اليمن بناء اسمه : أبيُّ بن سالم وأنشد :

لنا الركنُ من بيتِ الحرامِ وراثَةً بقيةَ ما أبقي أبيُّ بنُ سالم
مول بناء السجدة المحرام :

وأما المسجدُ الحرام فأول من بناء عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، وإنكم دخلتم عليها ، ولم تدخل عليكم ، فاشتري تلك الدورَ من أهلها وهدمها ، وبني المسجدَ المحيطَ بها ، ثم كان عثمان ، فاشتري دورا أخرى ، وأعلى في ثمنها ، وزاد في سعة المسجد فلما كان ابنُ الزبير زاد في إتقانه ، لافى سَعَتَهُ ، وجعل فيه عمداً من الرُخَام ، وزاد في أبوابه ، وحسَّنَها ، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائطِ المسجد ، وحمل إليه السَّوَارِي في البحر إلى جُدَّة ، واحتملت من جُدَّة على العجل إلى مكة ، وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباج ، وقد كنا قدّمنا أن ابنَ الزبير كساها الديباج قبل الحجاج ، ذكره الزبير بن بكار ، وذكرنا أيضاً أن خالد بن جعفر بن كلابٍ ممن كساها الديباج قبل الإسلام ، ثم كان الوليدُ بن عبد الملك ، فزاد في حُلِيِّها ، وصرف في مِيزابها وسَقْفها ما كان في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهبٍ وفضةٍ ، وكانت قد احتملت إليه من طَلَيْطَلَةٍ من جزيرة الأندلس ، وكانت لها أطواقٌ من ياقوتٍ وزَبَرَجَدٍ ، وكانت قد احتُمِلت على بغل قوى فتفسَّخ تحتها ، فضرَب منها الوليدُ حِلِيَةً

للكعبة ، فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهديُّ زاد أيضا في إتيان المسجد ، وتحسين هيئته ، ولم يحدث فيه بعد ذلك عملٌ إلى الآن . وفي اشتراء عمر وعثمان الدور التي زاد فيها دليلٌ على أن رباع أهل مكة ملكٌ لأهلها ، يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا ، وفي ذلك اختلاف .

كنز الكعبة والتجار القبطي :

فصل : وذكر ابن إسحاق دُونِكَا الذي سرق كنز الكعبة ، وتقدم أن سارقاً سرق من مالها في زمن جُرْهم ، وأنه دخل البئر التي فيها كنزُها فسقط عليه حجرٌ فخبسه فيها ، حتى أخرج منها ، وانزع السالُّ منه ، ثم بعث الله حية لها رأس كُرأس الجذدي ، بيضاء البطن سوداء المَتْنِ ، فكانت في بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين ، وهي التي ذكرها ابن إسحاق ، وكانه لا يدنو أحدٌ من بئر الكعبة إلا اخزألت^(١) أي : رفعت ذَنبها ، وكشَّته أي : صَوَّتت^(٢) . وذكر ابن إسحاق أن سفينةً رماها البحر إلى جدة ، فتحطمت ، وذكر غيره عن ابن مُنيبٍ أن سفينة خجَّتها الريح إلى الشَّعْبِيَّة ، وهو مَرَفَأُ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . والشَّعْبِيَّة بضم الشين ذكره البكري ، وفسر الخطابي خجَّتها : أي دفعته بقوة ، من الريح الخجُّوج أي : الدَّفُوع .

- (١) في الأصل ، وفي شرح السيرة للخشني : اخزألت بالخاء ، وهو خطأ صوبته من نسخ أخرى للسيرة ومن اللسان والقاموس .
(٢) وللخشني : الكشيش صوت جلدها إذا تقبض بعضه في بعض . وفيه السيرة . تشرق : أي تبرز للشمس .

قال ابن إسحاق : وكان بمكة نجار قبطى ، وذكر غيره أنه كان عاجاً (١)
 فى السفينة التى خبّتها الريح إلى الشَّعْبِيَّة ، وأن اسمَ ذلك النجار : يا قوم (٢)
 وكذلك روى أيضا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - من طَرْفَاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

الحية والدابة :

فصل : وذكر خبر الْعُقَابِ ، أو الطائر الذى اختطف الحية من بئر السكعبة ،
 وقال غيره : طرحها الطائر بِالْحَبُورِ ، فالتقمّتها الأرض . وقال محمد بن الحسن
 المقرئ هذا القول ، ثم قال : وهى الدابة التى تكلم الناس قبل يوم القيامة ،
 واسمها : أَقْصَى أَقْصَا ذِكْرٍ ، ومحمد بن الحسن المقرئ هو الْمَقَاشُ ، وهو من
 أهل العلم - والله أعلم بصحة ما قال ، غير أنه قد روى فى حديث آخر أن موسى
 عليه السلام سأل ربه أن يُرِيه الدابة التى تُكَلِّمُ النَّاسَ ، فأخرجها له من
 الأرض ، فرأى منظرا هالكا وأفرعه ، فقال : أَيْ رَبِّ : رُدَّهَا ، فَرَدَّهَا (٣) .
 لم نزع :

وذكر ابن إسحاق حديثَ الْحَجَرِ الذى أُخِذَ من السكعبة ، فوثب من يد
 آخذه ، حتى عاد إلى موضعه ، وقال غيره : ضربوا بِالْمَعْمُولِ فى حجر من أحجارها ،

(١) الرجل من كفار العجم .

(٢) وقيل . يا قوم أوبأ قول . وقد سبق وانظر ص ٦٣ شرح
 السيرة للبخارى .

(٣) لا يروى فى حقيقة صفات الدابة حديث يعتمد به . والدابة تطلق على الإنسان .
 فلنقف عند القرآن والنقاش يكذب ويروى المناكير وليس فى تفسيره حديث صحيح .

فلمعت بركة كادت تحطف أبصارهم ، وأخذ رجل منهم حجرا ، فطار من يده ، وعاد إلى موضعه . وذكر ابن إسحاق قولهم : اللهم لم ترع ، وهى كلمة تقال عند تسكين الرّوع ، والتأنيس ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولاروع في هذا الوطن فيُنْفَى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ، وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الرّوع الذى هو مُحالٌ في حق البارئ تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا ، جاز النطقُ بها^(١) ، وسيأتى في هذا الكتاب إن شاء الله زيادة بيان عند قوله : فاغفر فداءً لك ما اقتنينا .

ويروى أيضاً : اللهم لم ترع ، وهو جلي لا يشكل .

من تفسير صريح أبي لهب : وذكر قولهم : لا تُدْخِلُوا في هذا البيت مهرَ بَنِيّ وهى الزانية ، وهى فَعُول من البِغَاء ، فاندغمت الواو فى الياء ، ولا يجوز عندهم أن يكون على وزن فَعِيل ، لأن فَعِيلاً بمعنى : فاعل يكون بالهاء فى المؤنث كرحيمة وكريمة . وإنما يكون بغير هاء إذا كان فى معنى : مفعول نحو : امرأة جريح وقتيل .

وقوله : ولا بيع رباً يدل على أن الربا كان محرماً عليهم فى الجاهلية ، كما كان الظلم والبغاء ، وهو الزنا محرماً عليهم ، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع

(١) الرّوع : الفزع ، ولا يجوز مطلقاً نسبته إلى الله ، ثم إنه لم يرد قول صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا . وفى شرح الزرقاني على المواهب : اللهم لم ترع . أى : لم تفزع الكعبة ، فأضمرها لتقدم ذكرها ، وهذا أولى من إعادة السهلي الضمير لله ، وهو نقد حق ، وهو رأى الخشنى فى شرحه للسيرة . هذا إن كان للحديث سند صحيح .

إبراهيم عليه السلام ، كما كان بقي فيهم الحج والعمرة وشيء من أحكام الطلاق والعتيق وغير ذلك . وفي قوله سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ ﴾ البقرة : ٢٧٥ دليل على تقدم التحريم .

الحجر الذي كان مكتوباً :

فصل : وذكر الحجر الذي وجد مكتوباً في الكعبة ، وفيه : أنا الله ذوبكة . لحديث . روى مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ في الجامع عن الزهري أنه قال : بلغني أن قريشاً حين بنوا الكعبة ، وجدوا فيها حجراً ، وفيه ثلاثة صُفُوح (١) في الصَّفَحِ الأول : أنا الله ذوبكة صُفَّتْها يوم صُفَّت (٢) الشمس والقمر إلى آخر كلام بن إسحاق ، وفي الصَّفَحِ الثاني : أنا الله ذوبكة ، خلقت الرَّحِمَ ، واشتت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بَتَّته ، وفي الصَّفَحِ الثالث : أنا الله ذوبكة (٣) ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه ، وفي حديث ابن إسحاق : لا يُحِبُّهَا أُولُومَن أَهْلُهَا ، يريد - والله أعلم - ما كان من استحلال قريش القتال .

(١) في البداية : أصفح ، وهو أنسب وصفة الشيء : جانبه

(٢) في البداية : صنعها وهو يناسب رواية : خلقتها التي في السيرة

(٣) في البداية : . «إني أنا الله ، في جميع المواضع . والقصة ولاشك مصنوعة . ووراء بعضها رجل من أهل الكتاب ، ففيها ذكر السهيل وابن هشام ما يدل على هذه النسبة . وإن كانت كلمات حق . ففي الإصحاح الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى بعض كلماته . أما قوله : « خلقت الرحم » إلى تبته ، لحديث رواته أبو داود والترمذي « أنا الله وأنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بَتَّته ،

فيها أيام ابن الزبير، وحُصَيْنَ بنُ مُنَمَّرٍ ثم الحجاج بعده، ولذلك قال ابن أبي ربيعة :

أَلَا مَنْ لِقَابٍ مُعْنَى غَزَلٍ يُحِبُّ الْمُحِلَّةَ أُخْتِ الْمُحِلِّ

يعنى بالحلل : عبد الله بن الزبير لقتاله في الحرم .

هول الحجر الأسود وقواعد البيت :

فصل : وذكر اختلافهم في وضع الركن ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذي وضعه بيده ، وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدى ، وأنه صاح بأعلى صوته : يامعشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركن ، وهو شرفكم غلامٌ يتيمٌ دون ذوى أسنانكم ، فكاد يثير شراً فيما بينهم ، ثم سكتوا ذلك . وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام ابن الزبير ، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصلى بالناس في المسجد اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس في ذلك ، وخاف الخلاف ، فأقره أبوه . ذكر ذلك الزبير بن أبي بكر . وذكر ابن إسحق أيضاً أنهم أفضوا إلى قواعد البيت ، وإذا هم خُفِضَتْ كالأُسْنَمَةُ ، وليست هذه رواية السيرة ، إنما الصحيح في الكتاب : كالأُسْنَةِ ، وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحق والله أعلم ؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره ، وقد ذكر البخاري في بيان الكعبة هذا الخبر ، فقال فيه عن يزيد بن رومان : فنظرت إليها ، فإذا هي كأسنمة الإبل ، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلا في الزُرْقَةِ ، وتشبيهها بأسنمة

الإبل أولى ، لعظمها ، ولما تقدم في حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا (١) .

شعر الزبير بن عير المطلب :

فصل : وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب : عجبت لما تصوّبت
العقاب . إلى قوله : تَتَلَبَّثُ لها انصباب . قوله : تَتَلَبَّثُ ، يقال : اتَّالَبَّ
على طريقه إذا لم يُعَرِّجْ يَمْنَةً (٢) ولايسرة ، وكأنه منْحَوْتُ من أصلين كما تقدم
في مثل هذا من تلا : إذا تبع ، وأَلَبَ : إذا أقام ، وأَبَّ أيضاً قريبٌ من هذا
المعنى . يقال : أَبَّ إجابة - من كتاب العين - إذا استقام وتبها ، فكانه مُقِمٌّ
مُسْتَمِرٌّ على ما يتاوه ويتبعه مما هو بسبيله ، والاسم من اتَّالَبَّ : التَّلَائِبَةُ على
على وزن الظُّمَانِيَّةِ والقَشْعَرِيَّةِ ، قاله أبو عبيد .

وقوله : وليس على مُسَوِّينَا ثيابٌ . أى : مُسَوِّى البنيان . وهو فى

(١) عند أبى ذر الخشنى فى تفسير تشبيهها بالأسنة . وأراد أن الحجارة دخل
بعضها فى بعض كما تدخل عظام السنام بعضها فى بعض ، ومن رواه كالأسنة
فمؤ جمع سنان الرمح شبهها بالأسنة فى الخضرة ، وفى القصيدة البائية فى السيرة .
الذوائب : يريد الانساب الكريمة . والسباب : جمع سببية وهى ثياب رفاق بيض
شبهه الشحم الذى يعلو الجفان بها . عن الخشنى ، والحطيم : سعى حطياً ؛ لأن
الناس يزدحمون فيه ، حتى يحطم بعضهم بعضاً ، وقيل : لأن الثياب كانت تجرد فيه
عند الطواف . وذومكة : اسم المسجد ، ومكة : اسم البلدة . تحاوزوا : انحازت كل
قبيلة إلى جهة . هلم إلى ثوبا : هى كلبة سعى بها الفعل . ومعناه : أقبلوا إلينا
تتلب : تتابع فى انقضاءها

(٢) وفى القاموس : استقام وانتصب

حديث الخمس

قال ابن إسحاق : وقد كانت قُرَيْش - لا أدري أقبلَ القيل أم بعده - ابتدعت رأى الخمس رأياً رَأَوْهُ وأَدَارُوهُ ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحُرمة ، وولاية البيت ، وقُطَّانُ مكة وساكنُها ، فليس لأحدٍ من العرب مثلاً حقّاً ، ولا مثلاً منزلتنا ، ولا تَعْرِفُ له العربُ مثلاً ما تعرف لنا ، فلا نعظموا شيئاً من الحِلِّ كما تَعْتَمُونَ الحرم ، فإنَّكم إن فعلتم ذلك استخفت العربُ بِحُرْمَتِكُمْ ، وقالوا : قد عَظَّمُوا من الحِلِّ مثل ما عَظَّمُوا من الحرم . فتركوا الوقوفَ على عَرَفَةَ ، والإفاضة منها ، وهم يَعْرِفُونَ وَيَقْرُونَ أنها من المَشَاعِرِ والحجِّ ودين إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وَيَرَوْنَ لسائر العرب أن يُقْبِضُوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الحُرْمِ ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرمة ، ولا نَعْظُمَ غيرها ، كما نَعْظُمُ نحن الخمس ، والخمس : أهلُ الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلَدُوا من العرب من ساكنِ الحِلِّ والحرمِ مثلَ الذي لهم ، بولادتهم إياهم ، يَحِلُّ لهم ما يَحِلُّ لهم ، وَيَحْرُمُ عليهم ما يَحْرُمُ عليهم . وكانت كِنَانَةُ وَخَزَاعَةُ قد دخلوا معهم في ذلك .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عُبَيْدَةَ النُّجُومِيُّ : أن بني عامر بن صعصعة معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأنشدني لعَمْرِو بن مَعْدِيكَرْب :

معنى الحديث الصحيح في نقلناهم الحجارة إلى السكبة أنهم كانوا ينقلونها عُرَاءً ، ويرون ذلك ديناً ، وأنه من باب التَّشْمِيرِ والجِدِّ في الطاعة . وقول ابن هشام : ويروى : مَسَاوِينَا ، يريد : السَّوَاءَاتِ ، فهو جمع مَسَاءَةٍ ، مفعلة من السَّوَاءَةِ والأصل مَسَاوِيءٌ ، فسهلت الهمزة .

أَعْبَاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَاراً جِيَادُنَا بَدَثَلَيْتَ مَا نَاصَبْتَ بَعْدِي الْأَحَامِسَ

قال ابن هشام : تملّث : موضع من بلادهم . والشّيار : الحسان . يعنى بالأحامس :
بنى عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مرداس السلمي ، وكان أغار
على بنى زُبَيْد بثناليت . وهذا البيت في قصيدة لعمرؤ .

وَأُنْشِدُنِي لِلْقَيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ الدَّارِمِي فِي يَوْمِ جَبَلَةَ :

أَجْزِمُ إِلَيْكَ إِنِّهَا بَنُو عَبْسٍ الْعُغْشَرُ الْجِلَّةُ فِي الْقَوْمِ الْحَسِ

لأن بنى عبس كانوا يوم جَبَلَةَ حُلَفَاءَ فِي بَنِي عامر بن صعصعة .

ويومُ جَبَلَةَ : يومٌ كان بين بنى حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْد مَنَاةَ بن تَمِيم ،
وبين بنى عامر بن صعصعة ، فكان الظَّفَرُ فِيهِ لِبَنِي عامر بن صعصعة على بنى
حَنْظَلَةَ ، وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ لَقَيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ بن عُدُس ، وَأُسِرَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ بن
عُدُس ، وانهزم عَمْرُو بْنُ عَمْرُو بن عُدُس بن زَيْد بن عبد الله بن دَارِمِ بن
مالك بن حَنْظَلَةَ . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقَيْطًا وَحَاجِبًا وَعَمْرَ بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَا لِدَارِمِ

وهذا البيت في قصيدة له :

ثُمَّ اتَّقُوا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ فَكَانَ الظَّفَرُ لِحَنْظَلَةَ عَلَى بَنِي عامر ، وَقُتِلَ
يَوْمَئِذٍ حَسَّانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْكِنْدِيُّ ، وَهُوَ أَبُو كَبْشَةَ . وَأُسِرَ يَزِيدُ بْنُ الصَّمْعِقِ

• • • • •

السكلابي، وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عامر بن الطفيل .
ففيه يقول الفرزدق :

ومنهنّ إذ نجى طفيل بن مالك على قُرْزُل رَجَلارَ كَوْضِ الهَزَامِ
ونحنُ ضَرَبْنَا هَامَةَ ابنِ خُوَيْلِدٍ يزيد على أمِّ الفِرَاحِ الجَوَامِ
وهذان البيتان في قصيدة له :

فقال جرير :

ونحنُ خَضَبْنَا لابنَ كَنْبَشَةَ نَاجَهُ ولاقى امرأً في صَمَةِ الخَلِيلِ مِصْقَعَا
وهذا البيت في قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلَة ، ويوم ذى نَجَبٍ أطول مما ذكرنا . وإنما منعى من
استقصائه ما ذكرتُ في حديث يوم الفِجَارِ .

قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا :
لا يذنبى للحمس أن يأتقوا الأقط ، ولا يسأئوا السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا
بيتاً من شعير ، ولا يستظلوا - إن استظلوا - إلا في بيوت الأدم ما كانوا
حُرُمًا ، ثم رفعوا في ذلك ، فقالوا : لا يذنبى لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام
جاءوا به معهم من الحِلِّ إلى الحرم إذا جاءوا حُجَّاجاً أو عُمَّاراً ، ولا يطوفوا
بالبيت إذا قَدِموا أوَّلَ طَوَافِهِمْ إلا في ثياب الخمس . فإن لم يجدوا منها شيئاً
طافوا بالبيت عُرَاةً ، فإن تكرّم منهم مُتَكَرِّمٌ من رجل أو امرأة ، ولم يجد

.

ثياب الخمس . فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلِّ ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يمسسها هو ، ولا أحدٌ غيره أبداً .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عِراءَ ، أمّا الرجال فيطوفون عِراءَ . وأمّا النساء فتضع إحداهنّ ثيابها كلها إلا درعا مُفَرَّجا عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهي كذلك تطوف بالبيت :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ ، أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّ

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلِّ ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه ، فلا يقربهُ - وهو يُحِبُّهُ - :

كَفَى حَزَنًا كَرَّيْ عَلَيْهَا كَأَنَّهَا لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٌ يَقُولُ : لَا تُمْسُ .

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأنزل عليه حين أحكم له دينه . وشرع له سنن حجّه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة : ١٩٩ . يعنى قريشا ، والناس : العرب ، فرفعهم في سنّة الحجّ إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها ،

• • • • •

وأنزل الله عليه فيما كانوا حَرَمُوا على الناس من طعامهم ولُبوسهم عند البيت . حين طافوا عُرَاءَةً ، وحرّموا ما جاءوا به من الحلّ من الطعام : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا . إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ : مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . قُلْ : هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » . الأعراف : ٣١ : ٣٣ . فوضع الله تعالى أمرَ الخمس ، وما كانت قُرَيْشٌ ابتدعت منه ، عن الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني عبدُ الله بنُ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبي سُلَيْمَانَ بن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ ، عن عمِّه نافع بن جُبَيْر عن أبيه جُبَيْر بن مُطْعِمٍ . قال : لقد رأيت رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحي ، وإنه لواقفٌ على بَهِيرٍ له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقاً من الله له ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

الخمس

فصل : وذكر الخمس ، وما ابتدعته قريشٌ في ذلك ، والتَّحَنُّسُ : التَّشَدُّدُ ، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهبَ التَّزَهُدِ والتَّأَلُّهِ (١) ، فكانت نساؤهم

(١) في البداية أنهم لقبوا بهذا من الشدة في الدين والصلابة ، لأنهم عظموا الحرم تعظيماً زائدا بحيث التزموا بسببه ألا يخرجوا من ليلة عرفة . . فكانوا لا يقفون بعرفات مع عليهم أنها من مشاعر إبراهيم عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرروه من البدعة الفاسدة

لَا يَنْسُجَنَّ الشَّعَرَ وَلَا الْوَبَرَ، وَكَانُوا لَا يَسْلُكُونَ السَّمْنَ، وَسَلَا السَّمْنَ أَنْ
يُطْبَخَ الزُّبْدُ، حَتَّى يَصِيرَ سَمْنًا، قَالَ أَرْهَةُ :

إِن لَنَا صِرْمَةً مُحْيِيسَةً نَشْرَبُ أَلْبَانَهَا وَنَسْلُوها^(١)

ذكر قول ابن معد يكرب : أعباسُ لو كانت شياراً جِئادُنا . البيت :
شياراً من الشارة الحسنة يعنى : سماناً حسناً وبعد البيت :

ولسكنها قِيدَتْ بِصَعْدَةٍ مَرَّةً فَأَصْبَحْنَا مَاعِشِينَ إِلَّا تَسْكَارُسا^(٢)

وأنشد أيضاً : أَجْذِمُ إِلَيْكَ إِنَّمَا بَنُو عَبَسَ^(٣) . أَجْذِمَ : زَجَرُ
معروفٍ للخيل وكذلك : أَرْحِبُ ، وَهَبٌ وَهَقَطٌ وَهَقَبٌ^(٤) .

(١) صرمة بكسر الصاد: الإبل. مخيسة: لم تسرح ، وإنما حبست للنحرأ والقسم
(٢) تسكارش الشيء : تراكم وتلازب، وناصيت في البيت الذى قبله في السيرة
بالياء والباء معا — كما يقول الخشنى — معناها وهي بالياء : عارضة ، وأردت
المساواة في المنزلة ، وقد يكون ناصبت : بمعنى لإظهار العداوة ، وتثليث
موضع بالحجاز قرب مكة

(٣) في السيرة : د المعشر الجلة ، الجلة : العظام ، ومن رواه الجلة ، فعناه الذين
يسكنون الحل ، وفي رواية أبي ذر المعشم — وزن مقعد — بدلا من معشر *
(٤) هقط : تكرار من الطبع ، وفي اللسان : أرحبى أيضاً ، ولم أجد في مادة
هـب إلا وهب إذا زجر ، وفي مادة رحب روى بيت السكيت بن معروف
نعلها هي وهلا وأرحب وفي أبياتنا ولنا افلتينا

يوم جبلة :

وذكر يوم جبلة . وجبلة^(١) هضبة عالية ، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم في ذلك اليوم رئيس تجران ، وهو ابن الجون الكندي وأخ للنعمان بن المنذر ، أحسب اسمه : حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان لأمه ، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان بن قباد ، وكان مولد أبيه عبد الله لأربع وعشرين مضت من ملك أنوشروان المذكور ، فيبينه - عليه السلام - وبين أبيه عبد الله نحو من ثمان عشرة سنة .

عرس والحلة والطلس :

وذكر زُرارة بن عدس بن زيد ، وهو : عدس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عدس في العرب سواء فإنه مفتوح الدال . وذكر الحلة وهم ما عدا الحس ، وأنهم كانوا يطوفون عراة إن لم يجدوا ثياب أحس ، وكانوا يقصدون في ذلك طرح الثياب التي اقتروا فيها الذنوب عنهم ، ولم يذكر الطلس من العرب ، وهم صنف ثالث غير الحلة ، والحس كانوا يأتون من أقصى اليمن طلساً من الغبار ، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس ، فسموا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .

(١) في ٢٥ من نهاية الأرب كلام طويل عن أيام العرب . وفيه عن يوم جبلة أنه كان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وفي الأغاني بتسع وخمسين سنة ، وفي النقائض بسبع وخمسين . وأم الفراع : الرماح . الجواثم : الساكنة اللاطئة مع الأرض ، وسيأتي تفسير السهيل لها ، وهو مخالف للخشني

اللقى :

فصل : وذكر اللقى وهو الثوب الذى كان يُطْرَح بعد الطواف فلا يأخذه أحدٌ ، وأنشد :

كفى حَزَنَا كَرَّيْ عليه كَأَنَّهُ لَقَى بَيْنَ أَبْدَى الطَائِفِينَ حَرِيمٌ
حريم : أى مُحَرَّم ، لا يؤخذ ، ولا ينتفع به ، وكل شئ مُطْرَح ، فهو لَقَى .
قال الشاعر يصف فرخ قَطَاً :

تَرَوَى لَقَى الْبَقَى فِي مَنَاصِفِ (١) تَضَاهَى الشَّمْسُ ، فَمَا يَنْصَحِرُ

تَرَوَى بفتح التاء أى : تَشْتَقِى له ، ومن اللقى : حديث فاختة أم حكيم ابن حزام ، وكانت دَخَلَتِ الكعبة وهى حامل مُتِمِّ بِحَكِيم بن حزام ، فأجاءها المَخَاضُ ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعت فيها ، فُلِفَّتْ فى الأنطاع هى وجنيتها ، وَطَرِحَ مَثْبِرُهَا (٢) وثيابها التى كانت عايتها ، فجعلت لَقَى لاتقرب .

رمز المرأة الطائفة :

فصل : وذكر قول المرأة: اليوم يبدو بعضه ، أو كله (٣) البيتين ويذكر

(١) البيت لابن أحر ، والصفصف : المستوى من الأرض

(٢) الموضع تلد فيه المرأة

(٣) فى مسلم والنسائى وابن جرير عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء . الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وكانت المرأة تمول ، ثم ذكر البيت : اليوم يبدو بعضه أخ

أن هذه المرأة ، هي ضُبَاعَةُ بنت عامر بن صَعَصَعَةَ ، ثم من بنى سَلَمَةَ بن قُشَيْرٍ ، وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم خطبها ، فذُكِرَتْ له عنها كِبَرَةٌ ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كَمَدًا وحُزْنًا على ذلك قال المؤلف : إن كان صح هذا ، فما أخرها عن أن تكون أمًّا للمؤمنين ، وزوجا لرسول رب العالمين إلا قولها : اليوم يبدو بعضه أو كله . تَكْرِمَةً من الله لنبيه وعلمه منه بغيرته ، والله أَغْيَرُ منه .

أسطورة :

ومما ذُكِر من تَعَرِّيهِمْ في الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك ، فانضم الرجل إلى المرأة تَلَدُّدًا واستمعا ، فلصق عَضُدُهُ بِعَضِدِهَا ، ففزعوا عند ذلك ، وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحدهما على فكِّ عَضُدِهِ من عَضِدِهَا ، حتى قال لهما قائل : توبا مما كان في ضميركما ، وأخلصا الله التوبة ، ففعلوا ، فأنحل أحدهما من الآخر (١)

قرزل وطفيل :

وأشد لفزرذق :

ومنهم إذ نجي طَفِيلُ بن مالك على قُرْزُلٍ رَجَلَارُكُمْ ضَ المزامير (٢)

قُرْزُل : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : فارس قُرْزُل ، وقرزل : التقيد سمي الفرس به ، كأنه يقيد ما يسابقه (٣) ، كما قال امرؤ القيس :

(١) هي أسطورة تروى .

(٢) في التقائض : أرخى : ورجل .

(٣) وله عدة معانٍ آخر .

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

وُطْفَيْلٌ هَذَا هُوَ : وَالِدُ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ، عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ رَسُولِهِ ،
وَأَخُو طَفِيلٍ هَذَا : عَامِرٌ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ ، وَسَنَدُ كَرِّ لَمْ تُثْنِ مَلَاعِبُ ، وَنَذَرَ
لِأَخَوْتِهِ وَأَلْقَاهُمْ فِي السَّكَنَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الرَّهْمَةُ :

وَقَوْلُهُ : عَلَى أُمِّ الْفِرَاحِ الْجَوَائِمِ . يَعْنِي : الْهَامَةُ ، وَهِيَ الْبُومُ ، وَكَانُوا
يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قُتِلَ خَرَجَتْ مِنْ رَأْسِهِ هَامَةٌ تَصِيحُ : اسْقُونِي
اسْقُونِي ، حَتَّى يُؤْخَذَ بِثَأْرِهِ . قَالَ ذُو الْإِصْبَعِ الْمَدَوَانِي :
أَضْرِبْكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي (١)

شَرْحُ بَيْتِ جَبْرِ :

فَصَل : وَأَنْشُدِ الْجَرِيرَ :

وَنَحْنُ خَضَبْنَا لَابْنَ كَنْبَشَةَ تَاجَهُ وَلَاقَى أَمْرًا فِي صَنَمَةِ الْخَلِيلِ مِصْقَعًا

وَجَدْتُ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ هَذَا الْبَيْتَ . الْمَعْرُوفُ فِي الْلُغَةِ أَنْ - الْمِصْقَعُ :
الْخَطِيبُ الْبَالِغُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ ، لَكِنْ يُقَالُ فِي الْلُغَةِ : صَمَّقَهُ : إِذَا ضَرَبَهُ عَلَى
شَيْءٍ مُصَمَّتٍ يَابَسَ ، قَالَهُ الْأَصْمَعِيُّ ، فَيُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ مِصْقَعٌ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ

(١) الْبَيْتُ مِنْ عَمِيونَ قَصَائِدِهِ ، وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى مِنْهُ :
يَا عَمْرُو لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي

هذا المعنى ، فيقال منه : رجل مصقع كما يقال : مخرب وفي الحديث : إن سعدا لمخرب^(١) ، يعنى [ابن] أبى وقاص .

ما نزل من القرآن في أمر الخمس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الخمس ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ الآية . «الأعراف : ٣٠» فقوله : «كُلُوا وَاشْرَبُوا» إشارة إلى ما كانت الخمس حرمته من طعام الحج إلا طعام أحمس ، وخذوا زينتكم : بمعنى اللباس ، وَلَا تَتَعَرَّوْا ، ولذلك افتتح بقوله : يَا بَنِي آدَمَ ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه ، إذ ينصفان عليهما من ورق الجنة . أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة . كما قال : ملة أبيكم إبراهيم ، أى : إن كانت عبادة الأصنام دين آبائكم ، فإبراهيم أبوكم ، ولم يكن من المشركين ، ومما نزل في ذلك : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَنًّا وَتَصَدِيَّةً ﴾ الأنفال : ٣٥ . ففى التفسير أنهم كانوا يطوفون عراة ، ويصفقون بأيديهم ويصفرون ، فالسكاء : الصغير ، والتصدية : التصفيق^(٢) قال الراجز : وأنا من غرو الهوى أصدى . ومما نزل من أمر الخمس : ﴿ وَإِيسَ الْبِرُّ بَأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ البقرة : ١٨٩ .

(١) تشابه ألفاظه هنا بالخشنى في شرح السيرة . يقال : رجل حرب بفتح فسكون ، وحرب - بوزن منبر - ومحراب : شديد الحرب شجاع

(٢) رواه ابن أبى حاتم ، وقال مجاهد : وإنما كانوا يصنعون ذلك ، ليخطو بذلك على النبي ، ص ، صلاته . وقال الزهرى : يستهزئون بالمؤمنين

لأنَّ الحُمْسَ لَا يَدْخُلُونَ تَحْتَ سَقْفٍ ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ عَتَبَةٌ بَابٌ وَلَا غَيْرُهَا ، فَإِنْ احتَاجَ أَحَدُهُمْ إِلَى حَاجَةٍ فِي دَارِهِ تَسْمَى الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ مِنَ الْبَابِ ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَنْتُمْ الْبُيُوتَ مِنْ أَسْوَائِهَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الْبَقَرَةُ : ١٨٩ (١) .

وقوف النبي بعرفة قبل الهجرة والنبوة :

وذكر وقوف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة مع الناس قبل الهجرة ، وقبل النبوة توفيقاً من الله ، حتى لا يفوته ثوابُ الحج ، والوقوف بعرفة . قال جَمِيرُ بْنُ مُطِئِمٍ حِينَ رَأَاهُ واقفاً بعرفة مع الناس : هَذَا رَجُلٌ أَحْمَسُ ، فَمَا بِهِ لَا يَقِفُ مَعَ الْحُمْسِ حَيْثُ يَقْفُونَ (٢) ؟ !

(١) فِي هَذَا وَرَدَ عَنِ الْبَرَاءِ فِي الْبُخَارِيِّ : « كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَتَوْا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا » ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَانَ أَقْوَامٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا أَرَادُوا حُدُومَ سَفَرٍ ، وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَرِيدُ سَفَرَهُ الَّذِي خَرَجَ لَهُ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ أَنْ يَقِيمَ ، وَيُدْعَى سَفَرَهُ لَمْ يَدْخُلِ الْبَيْتَ مِنْ بَابِهِ ، وَلَكِنْ يَتَسَوَّرُهُ مِنْ قَبْلِ ظَهْرِهِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا . الْآيَةُ . أَقُولُ : وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى مَفْهُومِ الْآيَةِ وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ : كَانَ أَهْلُ يَثْرِبَ إِذَا رَجَعُوا مِنْ عِيدِهِمْ دَخَلُوا مَنَازِلَهُمْ مِنْ ظُهُورِهَا ، وَيُرُونَ أَنَّ ذَلِكَ أَذْنَى إِلَى الْبَرِّ . وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ مَدْنِيَّةٌ . (٢) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ . قَالَتْ : كَانَتْ قَرِيشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقْفُونَ بِالْمَزْدَلِفَةِ ، وَكَانُوا يَسْمُونَ : الْحُمْسَ ، وَسَاءَ الْعَرَبُ يَقْفُونَ بِعُرَفَاتٍ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنْ يَأْتِيَ عُرَفَاتَ ، ثُمَّ يَقِفُ بِهَا ، ثُمَّ يَفِضُ مِنْهَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ » ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَبِجَاهِدٍ وَعَطَاءٌ وَقَتَادَةُ وَالسَّديُّ وَغَيْرُهُمْ ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَحَكَى عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ =

إخبار الكهان من العرب ، والأخبار من يهود والرهبان من النصارى

قال ابن إسحاق : وكانت الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،
والكُهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل
مبعثه ، لما تقارب من زمانه . أمّا الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،
فعمّا وجدوا في كتبهم من صفة وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم
فيه ، وأمّا الكُهان من العرب : فأتتهم به الشياطين من الجن فيما سترق من
السمع إذ كانت وهى لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن
والكاهنة لا يزال يقع منهما ذِكْرُ بعضِ أموره ، لا تُلقى العربُ لذلك فيه
بالاً ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون .
فعرّفوها .

فلما تقارب أمرُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحصر مبعثه .
حُجبت الشياطين عن السَّمْع ؛ وحِيلَ بينها وبين المَعَاد التي كانت تُنمِد
لاستراق السمع فيها ، فرموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمرٍ حدث من

== وأخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال : أضللت بعيراً إلى بعرفة . فذهبت
أطلبه فإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - واقف ، قلت : إن هذا من الخمس
ما شأنه هنا ، وأخرجه البخاري ومسلم ، ثم رواه البخاري من حديث موسى
ابن شعبة عن كريب عن ابن عباس بما يفيد أن المراد من الإفاضة هي الإفاضة
من المزدلفة لرمي الجمار .

أمر الله في العباد ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حُجِبُوا عن السَّمْع ، فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : ﴿ قُلْ : أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ . فَقَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا مَّجْبَىٰ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا . . . إِلَى قَوْلِهِ : « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ، فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ سِihَابًا رَّصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ الْجِنُّ : ١ - ٦ - ٩ ، ١٠ .

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السَّمْع قبل ذلك ، لئلا يشكّل الوحيُ بشيء خبر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لو قوع الحجة ، وقطع الشبهة . فآمنوا وصدقوا ، ثم : ﴿ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا : يَاقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ، وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ . . . الآية . الأحقاف : ٣٠ .

وكان قول الجن : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا » . أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم

.....

إذا سافر فنزل بطن وادٍ من الأرض ليبيت فيه ، قال : إني أعوذ بعزب هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه .

قال ابن هشام : الرهق : الضيق والسفة . قال رؤبة بن العجاج .

إِذْ تَسْتَبِي الْحَيَّامَةَ الْمُرَهَّقَا

[يَمُقَلَّتِي رِيْمٍ وَحِيدٍ أَرْشَقَا]

وهذا البيت في أرجوزة له . والرهق أيضا : طلبك الشئ ، حتى تدنو منه ، فتأخذه . أو لا تأخذه . قال رؤبة بن العجاج يصف سمير وحش :

بَصْبَصْنِ وَأَفْشَعَرْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقِ

[يَمَصَّعْنَ بِالْأَذْنَابِ مِنْ لَوْحٍ وَبَقٍ]

وهذا البيت في أرجوزة له . والرهق أيضا : مصدر لقول الرجل : رهقت الإنم أو العسر ، الذى أرهقتني رهقا شديدا ، أى : حملت الإنم أو العسر الذى حملتني حملا شديدا ، وفي كتاب الله تعالى : ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ السكف : ٨٠ ، وقوله : ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ السكف : ٧٣ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن أول العرب فزع للرعى بالنجوم - حين رمى بها - هذا الحى من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بني علالج - قال : وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا - فقالوا له : يا عمرو : ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم

.

التي يُهتدى بها في البر والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ،
لما يُصلح النَّاس في معاشهم ، هي التي يُرمى بها ، فهو والله طَيُّ الدنيا ،
وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها ، وإن كانت نجومًا غيرها ، وهي ثابتة على
حاملها ، فهذا لأمرٌ أراد الله به هذا الخلق ، فما هو ؟

وقال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عليّ
ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفر من الأنصار :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : « ماذا كنتم تقولون في هذا الذَّجَم الذي
يُرمى به ؟ قالوا : يا نبي الله كنّا نقول حين رأيناها يُرمى بها : مات مَلِكٌ ، مُلْكٌ
مَلِكٌ ، وُلد مولودٌ ، مات مَوْلودٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك
كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خَدْمَةِ أَمْرٍ سمعه حَمَلَةٌ
العرش ، فَسَبَّحُوا ، فَسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ ، فَسَبَّحَ لَتَسْبِيحِهِمْ مَنْ تَحْتَ ذَلِكَ ،
فلا يزال التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْبَحُوا ثُمَّ
يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون : سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فَيَسْبَحُنَا
لَتَسْبِيحِهِمْ ، فيقولون : أَلَا تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ : مِمَّ سَبَّحُوا ؟ فيقولون مثل
ذلك ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، فيقال لهم : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون :
قَضَى اللَّهُ فِي خَدْمَةِ كَذَا وَكَذَا ، لِلأَمْرِ الَّذِي كَانَ ، فَيَهْبِطُ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ سَمَاءِ
إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَتَحَدَّثُوا بِهِ ، فَتَسْتَرِقُهُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ ،
عَلَى تَوْهَمٍ وَاخْتِلَافٍ ، ثُمَّ يَأْتُوا بِهِ السَّكَّانُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَيَجِدُونَهُمْ بِهِ ،
فَيَخْطُونُ وَيَصْصِبُونَ ، فَيَتَحَدَّثُ بِهِ السَّكَّانُ ، فَيَصْصِبُونَ بَعْضُهُمْ يُخْطَنُونَ بَعْضًا . ثُمَّ

• • • • •

إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقذفون بها ، فانقطعت
السكّانة اليوم ، فلا كهانة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن
ابن أبي لبيبة ، عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه بمثل حديث
ابن شهاب عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن امرأة من بنى سَهْم يقال لها
الغَيْطَنَةُ ، كانت كاهنة في الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي ،
فَأَنقَضَ تحتهَا ، ثم قال : أَذِرْ مَا أَذِرِ . يوم عَقَر وَنَحَرَ ، فقالت مُرَيْش حين
بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فَأَنقَضَ تحتهَا ، ثم قال :
شُعُوبٌ ، ماشُعُوبٌ ، تُصرع فيه كَغَبٍّ اجنُوبٌ : فلما بلغ ذلك قريشا ،
قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن ، فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه
حتى كانت وقعة بدرٍ وأحد بالشعب ، فمرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبتِهِ .

قال ابن هشام : الغَيْطَنَةُ : من بنى مُرَّةَ بن عَبْدِ مَنَاةَ بنِ كَنَانَةَ ،
إخوة مُدَلِّج بن مرة ، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله :

لَقَدْ سَفَهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خَلَفٍ قَيْضًا بَنَى وَالْغَيَاطِلِ
فَقِيلَ لَوْلَاهَا : الغياطل ، وهم من بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْنٍ . وهذا
البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني علي بن نافع الجُرَشِيُّ : أَنَّ جَدَّيَا بَطْنَا

• • • • •

من اليمن ، كان لهم كاهنٌ في الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله صلى الله وسلم ، وانتشر في العرب ، قالت له جَنب : انظرُ لنا في أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له في أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً مُتَّكِئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جملَ يَزُوءُ ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وظهر قلبه وحشاه ، ومُسْكَنُهُ فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتدَّ في جبله راجعاً من حيث جاء .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفَّان ، أنه حدث : أن عمر بن الخطاب ، بينما هو جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من العرب داخلاً المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لَعَلَّى شَرَكُهُ ما فارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية . فسَلَّمَ عليه الرجلُ ، ثم جلس ، فقال له عمر - رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهناً في الجاهلية ؟ فقال الرجل : سُبْحَانَ اللَّهِ يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتُ في ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رَعِيَّتِكَ منذ وَلَّيتَ ما وَايْتَ ، فقال عمر : اللهم غَفْراً ، قد كنَّا في الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام ، ونَعْتَنِقُ الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية ، قال : فأخبرني ما جاءك به صاحبُك ، قال : جاءني قبل الإسلام بشمراً أو شَيْعَةٍ ، فقال : ألم تَرَ إلى الجنِّ وإِبِلَاسِها ، وإِبَاسِها من دينها ، ولُحُوقِها بالقيلاص وأَحْلَاسِها .

• • • • •

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمرُ بن الخطاب عند ذاك يُحدّث الناس : والله إني لعندَ وثْنٍ من أوثان الجاهلية في نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب مجلاً ، فنحن ننتظر قسمة ليقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قطُّ أنفَذَ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شيعه ، يقول : يا ذريح ، أمرٌ نجيح ، رجل يصيح ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، باسان فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر .

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلِيسَ وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَخْلَاسِهَا

تَهْوَى إني مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَانَجَاسِهَا

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكهان من العرب .

فصل في الكهانة

رُوى في مآثور الأخبار أن إبليسَ كان يَحْتَرِقُ السَّمَوَاتِ قَبْلَ عِيسَى ، فلما بُعثَ عِيسَى ، أو وُلِدَ حُجِبَ عن ثلاث سَمَاوَاتٍ ، فلما وُلِدَ مُحَمَّدٌ حُجِبَ عنها كُلُّهَا ، وَقُدِّفَتِ الشَّيَاطِينُ بِالنَّجُومِ وَقَالَتْ قَرِيشٌ حِينَ كَثُرَ الْقَذْفُ بِالنَّجُومِ : قَامَتِ السَّاعَةُ ، فَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ : انظُرُوا إِلَى الْعَيُوقِ ^(١) فَإِنْ كَانَ رُمَى بِهِ ، فَقَدْ آنَ قِيَامُ السَّاعَةِ ، وَإِلَّا فَلَا ، وَمَنْ ذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ .

(١) نجم أحمر مضيء في طرف الحجره الايمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

رمي الشياطين :

وذكر ابن إسحاق في هذا الباب ما رُميت به الشياطين ، حين ظهر القذف بالنجوم ، ثلثا بلقيس بالوحي ، وليكون ذلك أظهر للحجة ، وأقطع للشبهة ، والذي قاله صحيح : ولكن القذف بالنجوم قد كان قديما ، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عوف بن الحزاع ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وكلهم جاهلي ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم ، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مُشكِل ابن قتيبة في تفسير سورة الجن (١) ، وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم : أكان في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلظَ وشُدَّ ، وفي قول الله سبحانه : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فوجدناها مُمِلَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴾ الجن : ٨ الآية ولم يقل : حُرست دلائل على أنه قد كان منه شيء ، فلما بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - مُلِمَّتْ حرسا شديداً وشُهَبًا ، وذلك لِمِنْحَسِمِ أمر الشياطين ، وتخليطهم ، ولتسكون الآية أبين ، والحجة أقطع ، وإن وجد اليوم كاهن ، فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع ، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة ، ثم بقيت منه ، أعنى من استراق السمع بقايا يسيرة

(١) انظر ص ١٨٤ ط ٢ كتاب القرطبي الذي هذب فيه ابن مطرف الكنتاني كتابي مشكل القرآن أو غريبه لابن قتيبة ، وفي هذا يقول ابن قتيبة : وفي أيدي الناس كتب الأعاجم ، وسيرهم تنبيه عن انقراض النجوم في كل عصر ، وكل زمان ، وفيه بشر بن خازم وهو خطأ صوابه ما أثبتته ، انظر ترجمة ابن أبي خازم في الشعر والشعراء لابن قتيبة ،

بدليل وجودهم على الثُّدُور في بعض الأزمنة ، وفي بعض البلاد . وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكُهَّان فقال : ليسوا بشيء ، فقيل : إنهم يتكلمون بالكلمة ، فتكون كما قالوا ، فقال : تلك الكلمة من الجن يحفظها الجنى ، فيُقرِّها في أذن وليه قرَّ الزُّجاجة ، فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة ، و يروى : قرَّ الدَّجاجة بالدال ، وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت في الدلائل . والزجاجة بالزاي أولى ؛ لما ثبت في الصحيح ، فيُقرِّها في أذن وليه ، كما تُقرُّ القارورة ، ومعنى يُقرِّها : يصبُّها ويُفرِّغها ، قال الرازي :

لَا تُفَرِّغَنَّ فِي أُذُنِي قَرَّهَا مَا يَسْتَفِرُّ فَأَرِيكَ فَقَرَّهَا

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس ، قال : إذا رمى الشهابُ الجنى لم يُخْطِئْهُ ، ويحرق ما أصاب ولا يقتله ، وعن الحسن قال : في أسرع من طرفة العين ، وفي تفسير ابن سلام أيضا عن أبي قتادة أنه كان مع قوم ، فرمى بنجم ، فقال : لَا تُتْبِعُوهُ أَبْصَارَكُمْ ، وفيه أيضا عن حمص أنه سأل الحسن : أَيُّتْبَعُ بَصَرَهُ السُّكُوبُ ، فقال : قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ الملك : ٥٠ . وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأعراف : ١٨٥ ، قال : كيف نعلم إذا لم ننظر إليه ، لَا تُتْبِعَنَّه بَصَرِي .

الجن الذين ذكرهم القرآن :

وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن والذين : ﴿ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ

(١) وفي رواية : قرَّ الزجاجة بالزاي ، أى : بصوتها إذا صب فيها الماء

مُنْذِرِينَ، قَالُوا: يَأْتُونَنَا إِنْ سَبَقْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى الْأَحْقَافَ: ٣٠. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ^(١). وَفِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهُودًا؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا: مَنْ بَعْدَ مُوسَى، وَلَمْ يَقُولُوا مِنْ بَعْدِ عِيسَى ذَكَرَهُ ابْنُ سَلَامٍ^(٢). وَكَانُوا سَبْعَةً، قَدْ ذُكِرُوا بِأَسْمَائِهِمْ فِي التَّفَاسِيرِ وَالْمُسْنَدَاتِ. وَهُمْ: شَاعِرٌ، وَمَاعِزٌ، وَمَنْشَى، وَلَا شَى، وَالْأَحْقَابُ، وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ ذَكَرَهُمُ ابْنُ دُرَيْدٍ، وَوُجِدَتْ فِي خَبَرٍ حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ الْإِسْبِيلِيُّ الْقَيْدِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ النَّسَائِيِّ فِي فَضْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَمْشِي فِي أَرْضِ فَلَاحٍ فَإِذَا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فَسَكَنَهَا بِفَضْلَةٍ مِنْ رِدَائِهِ، وَدَفَنَهَا فَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ: يَا سُرَّقُ اشْهَدْ، لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَقُولُ لَكَ: سَتَمُوتُ بِأَرْضِ فَلَاحٍ، فَيَسْكُنُكَ وَيُدْفَنُكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ الَّذِينَ تَسْمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنَا وَسُرَّقُ، وَهَذَا سُرَّقُ قَدْ مَاتَ. وَذَكَرَ ابْنُ سَلَامٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ [عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ] السَّبَّيْعِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —

(١) ذَكَرَ أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَعْرِفُهَا كَجَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّلَامِ، فَيَقُولُ: هَذِهِ نَصِيبُونَ وَهِيَ مَدِينَةُ عَامِرَةَ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ عَلَى جَادَةِ الْقَوَافِلِ مِنْ مَوْصِلَ إِلَى الشَّامِ وَنَصِيبِينَ أَيْضًا مِنْ قَرْيِ حَلَبٍ، وَنَصِيبِينَ كَذَلِكَ: مَدِينَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ كَبِيرَةٌ تَعْرِفُ بِنَصِيبِينَ الرُّومِ.

(٢) مَا هَذَا الَّذِي يَنْقُلُهُ عَنْ ابْنِ سَلَامٍ؟ إِنَّهُ تَهْوِيَةٌ خِيَالٍ. وَلَعَلَّهُمْ قَالُوا: مَنْ بَعْدَ مُوسَى، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ التَّوْرَةِ كِتَابٌ تَشْرِيعٌ يَنْسَخُ الشَّرَائِعَ قَبْلَهُ سِوَى الْقُرْآنِ، أَمَّا الْإِنْجِيلُ فَيَذْكُرُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ

يُشَوْنُ فَرُفَعُ نَحْمِ إِعْصَارَ ، ثُمَّ جَاءَ إِعْصَارُ أَعْظَمُ مِنْهُ ، ثُمَّ انْقَشَعَ ، فَإِذَا حَيَّةٌ قَتِيلٌ ، فَقَعَدَ رَجُلٌ مَنَا إِلَى رِذَائِهِ فَشَقَّهُ ، وَكَفَّنَ الْحَيَّةَ بِبَعْضِهِ وَدَفَنَهَا ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ إِذَا امْرَأَتَانِ تَتَسَاءَلَانِ : أَيَكُمُ دَفِنَ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ؟ فَقَالَا : مَا نَدْرِي مَنْ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ؟ فَقَالَا : إِنْ كُنْتُمْ ابْتِغَيْتُمُ الْأَجْرَ فَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ . إِنْ فَسَقَةَ الْجِنَّ اقْتَتَلُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ ، فَقَتَلَ عَمْرُو ، وَهُوَ الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتُمْ ، وَهُوَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ !!

ابن عسكروا والجن :

فصل : وأما ما ذكره في معنى قوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ﴾ الآية : الجن : ٦ . فقد رُوي في معنى ذلك عن حجاج ابن علاط السَّكَمِي ، وهو والد نصر بن حجاج الذي قيل فيه :

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى نَصْرِ ابْنِ حَجَّاجٍ (١)

(١) يقول البغدادي في الخزانة : وحكى السهيلي في الروض الأتف هذه الحكاية على خلاف ما تقدم . قال : الحجاج بن علاط : وهو والد نصر الذي حلقت عمر رأسه ، فقتله من المدينة ، فأتى الشام ، فنزل على أبي الأعور السلي فبويهته امرأته ، وهويها ، وفطن أبو الأعور لذلك ، بسبب يطول ذكره ، فابتنى له قبة في أقصى الحى ، فكان بها ، فاشتد ضناه بالمرأة حتى ماتت كلنا بها ، وسمى المضنى ، وضربت به الأمثال ، وذكر الأصهباني في كتاب الأمثال له خبره بطوله ، انتهى . أقول : والقصة مشهورة في كتب الأدب والأمثال . قالوا : أول من عس بالليل في الإسلام : عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فبينما يعس ليلة سمع امرأة تقول :

(م ٢٠ - الروض الأتف ج ٢)

== ياليت شعري عن نفسى أراهقة منى ، ولم أقض ما فيها من الحجاج
ألا سبيل إلى خمر فأشربها أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأخلاق ذى كرم سهل الحيا كريم غير فجفاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه ذى نجدات عن المكروب فراج
سامى النواظر من بهزله كرم تضى سفته فى الحالك الداجى
نعم الفتى فى سواد الليل نصرتة لياثس أو للمهوف ومحتاج
يامنية لم أرب فيها بضائرة والناس من صادق فيها ومن داجى

قالوا : فدعا عمر بالمرأة وهى الذلعة. لقب فريضة بنت همام أم الحجاج - وضربها
بالدرة ضربات، ثم سأل عنها، فلم يخبر عنها إلا بخير، وأتى بنصر، وأمر بشعره خلق.
ثم أرسل به إلى البصرة إلى مجاشع بن مسعود السلى، فكان ما كان منه بما ذكره
السهيل مختصراً — كما جاء فى خزائن البغدادى : وقيل إن المرأة أرسلت إلى عمر
بهذه الأبيات :

قل للإمام الذى تخشى بواده مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
إنى فتنت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف فاتر ساجى

أخ قالوا : فبكاه عمر ، وقال : الحمد لله الذى حبس الهوى التقوى . وبعد عمر
إلى المرأة : لم يلقنا عنك إلا خير، وقد ضرب المثل بالمرأة هذه، فقالوا : « أصب من
المتمنية ، ونصر ، فتالوا : « أدنف من المتمنى ، وقالوا : إن هذه المتمنية هى
الفريضة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفى. والبيت الأول يروى : « ألاسبيل إلى
خمر فأشربها ، وهى — كما يقص البغدادى — رواية الجاحظ وحمزة الأصهانى
والسهيل لكنك ترى الرواية فى الروض « أم لا سبيل أخ ، وروى المذائنى وغيره :
هل من سبيل ، ويروى الزجاج المصراع المذكور فى الروض :

أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

ودواه أبو على الفارسى فى إيضاح الشعر عن أبى عبيدة :

أولا سبيل إلى نصر بن حجاج

أنه قدِم مكة في ركب ، فأَجَنَّهُمْ لَّيْلُ بَوادٍ مُحُوفٍ مُوحِشٍ ، فقال له
الركب : قم خذ لنفسك أماناً ، ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :
أَعِيذُ نَفْسِي وَأَعِيذُ صَاحِبِي
مَنْ كُلِّ جَيْءٍ بِهَذَا النَّقْبِ
حَتَّى يُؤَبَّ سَالِمًا وَرَكْبِي

فسمع قارئاً : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْمِعْتُمْ أَنْ تَتْلُوا مِنْ
أَفْصَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [فَاتَّقُوا ، لَا تَتْلُوا إِلَّا بِإِذْنِ] ﴾ الآية .
الرحمن : ٣٣ . فما قدم مسكة خبَرَ كندَر قريش بما سمع ، فقالوا : أصبت (١)
يا أبا كلاب . إن هذا يزعم محمد أنه أنزل عليه ، فقال : والله لقد سمعته
وسمعه هؤلاء معي ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وابتنى بها
مسجداً فهو يُعرف به (٢) .

== على أن أو بمعنى : أوأول وروايته دألا ، يستشهد بها النحويون على أن
دألا ، تستعمل للمعنى . ويقول البغدادي : وقال قوم : هذا الشعر مصنوع
إلا البيت الأول دألا سبيل أخ ، وقد جمع البغدادي كل أطراف القصة ، وقال
عن الشعر : دألا يحق ما فيه من الاختلاف من جمع الجهات حتى في البيت الشاهد ،
انظر ص ٥٩ وما بعدها ، ط السلفية خزانة الأدب للبغدادي والأمثال
الميداني في حرف الصاد ما جاء منه على وزن أفعل . و ص ٥١٣ > ٢ ألفه
بأه ليوسف بن محمد البلوي .

(١) روى البلوي نفس القصة ، وفيها دألا صبات ، بدلا من أصبت وهو الأليق

(٢) ما ذكره هنا لا سند له . وسند كرماء ورد من أحاديث حول استماع الجن . روى

البهيقي في الدلائل عن ابن عباس : ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ==

الجن ولا رآهم . انطلق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها ، وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاريها يبتغون ما هذا الذى حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بنحلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم : ه قالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشـد ، فأما به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنزل الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم — (قل : أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحى إليه قول الجن ، ورواه البخارى عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيخان بن فروخ عن أبي عوانة به ، ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من حديث أبي عوانة ، وروى أحمد عن ابن عباس أنه قال : كان الجن يستمعون الرحى ، فيسمعون الكلمة ، فيريدون فيها عشرا ، فيكون ما سمعوا حقاً ، وما زادوا باطلا ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك ، فلما بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان أحدهم لا يأتى بمقعدة إلا رمى بشهاب يحرق ما أصابت

فشكروا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث . فبث جنوده فإذا بالنبي — صلى الله عليه وسلم — يحلى بين جبلى نخلة فأثروه ، فأخبروه . فقال : هذا الحدث الذى حدث فى الأرض . ورواه الترمذى والنسائى فى كتابى التفسير وقال الترمذى : حسن صحيح . وروى البخارى ، قال : حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة ، يقول : سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : إن نبي الله — صلى الله عليه وعلى آله وسلم — قال : إذا قضى الله تعالى الأمر فى السماء —

== ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ما ذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق ، وهو العلي الكبير ، فيسميها مسترق السمع ، ومسترقوا السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه خرفاه ، وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة ، فيلقها إلى من تحته ، ثم يلقها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها - وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قاله لنا يوم كذا وكذا : كذا ، وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء ، انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه . وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والله أعلم . وروى أحمد عن ابن عباس قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالسا في نفر من أصحابه ، فرمى بنجم ، فاستنار ، فقال - صلى الله عليه وسلم - ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نقول : يولد عظيم ، أو يموت عظيم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإني لا يرمى بها لموت أحد ولا حياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخير أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخير أهل السماء الذين يلون حملة العرش . فيقول الذين يلون حملة العرش حملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، وتخطفه الجن السمع ، فيرمون ، فاجاءوا به على وجهه ، فهو حق ، ولكنهم يفرقون فيه ويؤيدون ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومقل بن عبيد الله ، أربعتهم ، عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رجل من الأنصار به . وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به ، ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي . عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رجل من الأنصار - رضي الله عنه ، وحسب المؤمن في مثل هذا وغيره أن يتدبر القرآن أولا ، ثم الصحيح المشهود له بالصحة القوية من الحديث ==

مول انقطاع الكهانة :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس وفيه : كفا نقول إذا رأينا : يموت عظيم أو يولد (١) عظيم ، وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديماً ، ولكنه إذ بُعث الرسول عليه السلام غُظِّطَ وشُدِّدَ — كما قال الزهري — وملئت السماء حرساً . وقوله في آخر الحديث : وقد انقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة . يدل قوله : اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه ، والذي انقطع اليوم ، وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجَهْلَاء ، وعند تمسكها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبرٌ منهم عما يرونه في الأرض ، مِمَّا لا نراه نحن كسرقه سارقٍ ، أو خبيثته في مكان خفي (٢) ، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تحزُّوا وظَنُّوا ، فيصيبون قليلاً ، ويخطئون كثيراً .

وذلك القليل الذي يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة في العُفُفان ، كما

== لأن موضوع الجن من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، ولا يعرف إلا عن الوحي .
وقول الله تعالى في سورة الأحقاف وسورة الجن يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن الذين استمعوا له .

(١) ذكرته من قبل

(٢) هذا لافك يفتره الدجاجة . وأحب أن أذكر بقصة الجن الذين مات سليمان أمام أعينهم دون أن يعلموا (فلما خر تَسَبَّحْتِ الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) فلنتدبر هذه الآية المحكمة تؤمن بأن الجن لا يعرفون غيباً كما بين الله . بل لأنهم لم يعرفوا حتى ما وقع تحت عيونهم !!

في حديث البخاري ، فَيُطَرَّدُونَ بالنجوم ، فيضيئون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة — كما قال عليه السلام — في الحديث الذي قدمناه ، فإن قلت : فقد كان صاف بن صياد ، وكان يَتَكَلَّمُ ، ويدعى النبوة ، وخبأ له النبي — صلى الله عليه وسلم — خبيثاً ، فعلمه ، وهو الدُّخُّ (١) فأين انقطاع السكاهة في ذلك الزمان ؟ قلنا : عن هذا جوابان ، أحدهما ذكره الخطابي في أعلام الحديث قال : الدُّخُّ نبات يكون من النخيل ، وخبأ له عليه السلام : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ الدُّخان : ١٠ ، فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأ له النبي — صلى الله عليه وسلم .

(١) بضم الدال وفتحها : الدخان ، ويقول ابن الأثير في النهاية : وفسر في الحديث أنه أراد بذلك : (يوم تأتي السماء بدخان مبين) وقيل إن الدجال يقتله عيسى عليه السلام بجبل الدخان . انتهى . فيحتمل أن يكون أرادته تعريضاً بقتله ، لأن ابن صياد كان يظن أنه الدجال ، وحديث ابن صياد متفق عليه ، وفيه أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لابن صياد : ماذا ترى ؟ قال ابن صياد : يأتيني صادق وكاذب ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خلط عليك الأمر ، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لاني خبأت لك خبيثاً وخبأ له . (يوم تأتي السماء بدخان مبين) فقال : هو الدُّخُّ ، فقال : اخسأ : فلن تعدو قدرك الحديث . وإذا كان الله سبحانه قد نفي علم الغيب عن الجن وعن الملائكة وعن الرسل ، فكيف يجوز لنا أن ننسب إلى دجال كابن صياد أنه كان يعرف الغيب ؟ ولا أظن أن رسول الله ص ، — على فرض الصحة — قصد من الاختبار هل يعرف ابن صياد الغيب أو لا ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يؤمن قبل هذا بأن الله وحده هو عالم الغيب ، وأنه لا ابن صياد ، ولا غيره يعلمون من الغيب شيئاً . إنما قصد الرسول بالاختبار أن يظهر أمام الحضور وأن يوضح حقيقة ابن صياد . وهي أنه مفتر كذاب ، وأن علم الغيب إنما هو لله وحده .

الثانى : أن شيطانه كان يأتيه بما خفى من أخبار الأرض ، ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم ، فإن كان أراد بالدُّخَّ الدخان بقوة جُعِلَتْ لهم في أسماهم ليست لنا ، فأتى الكلمة عن لسان صافٍ وحدها، إذ لم يُمكن سماع سائر الآيات ؛ ولذلك قال له النبي - عليه السلام : اخسأ فلن تعدو قدر الله فيك أى : فلن تعدو منزلتك من المعجز عن علم الغيب ، وإنما الذى يمكن فى حقه هذا القدر دون مزيد عليه ، على هذا النحو فسرره الخطاى .

الغيطلة الطائفة وكرائها :

فصل : وذكر حديث الغيطلة الكاهنة ، قال : وهى من بنى مُرَّة بن عبد مناة بن كنانة أخى مُذَلِّج ، وهى : أم الغياطل الذى ذكر أبو طالب ، وسند ذكر معنى الغيطلة عند شعر أبى طالب إن شاء الله . ونذكر هاهنا ما ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر فى هذا الموضع . قال : الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِق ابن شَنُوق بن مُرَّة ، وشَنُوق أخو مُذَلِّج ، وهكذا ذكر نسبها الزبير .

وذكر قولها : شعوب وما شعوب ، تُصرِّع فيها كَعَبْ لَجُنُوب . كَعَبْ ههنا هو : كَعَبُ بن لُؤَيٍّ ، والذين صرَّعوا الجنوبيهم ببدرٍ وأحدٍ من أشرف قريش ، معظمهم من كعب بن لُؤَيٍّ ، وشُعُوبٌ ههنا أحسبه بضم الشين ، ولم أجده مقيدا ، وكأنه جَمْعُ شِعْبٍ ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يُدرَ ما قالت ، حتى قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ببدرٍ وأحدٍ بالشَّعْب (١) .

(١) ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمنية لا يصرف ص ٦٨ الخشنى .

وذكر قول التابع : أذُر ما أذُر ، وقيد عن أبي عليّ فيه رواية أخرى : وما بذُر ؟ وهي أبين من هذه ، وفي غير رواية البُكَائِي عن ابن إسحاق أن فاطمة بنت النعمان النَجَّارِيّة كان لها تابع من الجن ، وكان إذا جاءها اقتحم عليها في بيتها ، فلما كان في أول البعث أتاها ، فقمعد على حائط الدار ، ولم يدخل فقالت له : لم لا تدخل ؟ فقال : قد بُعث نبي بتحريم الزّنا ، فذلك أول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة (١) .

تقيف ولهب والرمي بالنجوم :

فصل : وذكر إنكار تقيف للرمي بالنجوم ، وما قاله عمرو بن أميّة أحد بني عِلاجٍ إلى آخر الحديث ، وهو كلام صحيح المعنى ، لكن فيه إيهاما لقوله : وإن كانت غير هذه النجوم فهو لأمرٍ حدث ، فما هو وقد فعل ما فعلت . تقيف بنو لُهبٍ عند فرعهم للرمي بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خَطَر ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة . روى أبو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لُهبٍ يقال له : لُهبٌ أو لُهبِيب (٢) . وقد تكلمنا على نسب لُهبٍ في هذا الكتاب . قال لُهبِيب : حضرت مع رسول

(١) لا أدري كيف يلحق السهلي وأمثاله آذانهم إلى مثل هذا الخرف ، وإلى الباطل الذي يؤكد القرآن أنه باطل . ولنتدبر عشرات الآيات في القرآن التي تنفي علم الغيب عن غير الله . وتابعتها : شيطان إنسى بدليل الزنا ١١
(٢) في الأصل : لُهبٍ أو لُهبِيب ، وهو خطأ صوبته من الإصابة ، فابن منده يقول : ولُهبِيب بالتصدير بن مالك اللّهي ، وأبو عمر يقول : لُهبٍ مكبرا وبه جزم الرشاطي . .

الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت عنده الكهانة ، فقالت : بأبى وأمى : نحن أول من عرف حراسة السماء ، وزجر الشياطين ، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له : خطر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً ، قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا ، فقلنا : يا خطرُ هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها ، فإننا قد فرعنا لها ، وخشينا سوء عاقبتها ؟ فقال :

إِنْتُونِي بِسَحَر

أَخْبِرْكُمْ أَخْبِر

أَلْبَحِيرِ أَمْ ضَرَر

أَوْ لَأَمْنٍ أَوْ حَذَر

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد في وجه السحر أتيناها ، فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص في السماء بعينه ، فننادينا : أخطرُ يا خطرُ ؟ فأوماً إلينا : أن أمسكوا ، فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ الكاهن رافعا صوته :

أَصَابَهُ إِصَابُهُ خَامَرُهُ عَقَابُهُ

عَاجِلُهُ عَذَابُهُ أَحْرَقَهُ شَهَابُهُ

زَالَهُ جَوَابُهُ

يَا وَيَا مَا حَالُهُ بَدَبَهُ بَلْبَالُهُ

عَاوَدَهُ خَبَالُهُ تَقَطَّطَتْ رِجَالُهُ

وَعُيِّرَتْ أَحْوَالُهُ

ثم أمسك طويلاً وهو يقول :

يا معشرَ بني قحطانِ أخبركم بالحقِّ والبيان
أقسمت بالسكعِ والأركانِ والبلدِ المؤمنِ الشَّدانِ
لقد مُنِعَ السمعَ عُنَاهُ الجانِ بثاقبِ بِكَفِّ ذى سلطانِ
من أجلِ مَبْعُوثِ عَظِيمِ الشانِ يُبْعَثُ بالتنزِيلِ والقرآنِ
وبالهدى وفصلِ القرآنِ تَبْطُلُ به عبادةُ الأوثانِ

قال: فقلنا: وَيُحَكِّ يا خَطَرُ إِنَّكَ لتذكرُ أمراً عظيماً، فإذا ترى لقومك؟ فقال:

أرى لِقَوْمِي ما أرى لِنَفْسِي أن يَتَّبِعُوا خَيْرَ نَبِيِّ الإنسِ
بُرْهَانُهُ مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ يُبْعَثُ في مَكَّةَ دارِ الحُجَّسِ
مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ غيرِ اللَّبْسِ

فقلنا له : يا خَطَرُ، وَرَمَنَ هو؟ فقال : والحياة والعيش . إنه لمن
قريش ، ما في حِلْمِهِ طَيْشٌ ، ولا في خَلْقِهِ هَيْشٌ (١) يكون في جَيْشٍ ، وأى
جَيْشٍ ، من آل قحطان وآل أَيْشٍ ، فقلت له : بين لنا: من أى قريش هو؟
فقال : والبيت ذى الدعائم ، والركن والأحائم ، إنه كَيْنِ نَجْلِ هاشم ، من
معشرِ كُرَاشٍ ، يُبْعَثُ بِالْمَلَأِ حِمٍ ، وقتل كل ظالم ، ثم قال : هذا هو البيان ،
أخبرنى به رئيس الجان ، ثم قال : الله أكبر ، جاء الحق وظهر ، وانقطع عن
الجن الخبر . ثم سكث وأغنى عليه ، فما أفاق إلا بعد ثلاثة ، فقال : لا إله إلا

(١) ليس في طبيعته وسجيته قول فيج .

الله ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لقد نطق عن مثل نبوءة ، وإنه يُبَيِّتُ يوم القيامة أمة وحده (١).

أصل ألف إصابه :

قال المؤلف : في هذا الخبر قوله : أصابه إصابه ، هكذا قيده بكسر الهمزة من إصابه على أبي بكر بن طاهر ، وأخبرني به عن أبي علي الفسائي ، ووجهه أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح [ووسادة وإسادة] ، والمعنى : أصابه وصابه جمع : وصَب مثل : بَجَل وجمالة ، معنى كلمة أبش والأشائم :

وقوله : من آل قحطان وآل أيش ، يعنى بآل قحطان : الأنصار ؛ لأنهم من قحطان . وأما آل أيش فيجتمعل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ، ينسبون إلى أيش ، فإن يكن هذا ، وإلا فله معنى في المدح غريب ، تقول : فلان أيش هو وابن أيش ، ومعناه : أى شىء أى شىء عظيم فكأنه أراد من آل قحطان ومن المهاجرين الذى يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم ، وما هم ؟ وزيد وما زيد ، وأى شىء زيد ، وأيش فى معنى : أى شىء ، كما يقال وَيْلَهُ فى معنى : ويل أمه (٢) على الحذف .

(١) هو فى الإصابة مع اختصار واختلاف يسير عما هنا . وعيب السهلى أنه يصدق مثل هذا ، ويعلق عليه كأنه صحيح . بينما يقول أبو عمر : إسناده ضعيف ، ورواته مجهولون ، وعارة بن زيد راوى الحديث اتهموه بوضع الحديث . (٢) ويل أمه : أى هو داهية . ويقول ابن جنى : وأما وزن قوله : ويلمه فإن حكيت أصله ، فوزنه (فَعْلُ غَله) وإن وزنت على ما صار إليه بعد التركيب فمثالها (فيعلة) بسكون الياء وضم العين وتضعيف اللام مع فتح فإن قلت : فإن هذا مثال غير موجود ، قيل : إنما ينكر هذا : لو كان المثال أصلا برأسه ، فاما وهو فرع أدى إليه التركيب شيئا بعد شىء ، فلا ينكر ذلك ... ويجوز =

لكثرة الاستعمال ، وهذا كما قال : هو في جيش أيما جيش ، والله أعلم . وأحسبه أراد بآل أيش : بنى أقيش ، وهم حلفاء الأنصار من الجن ؛ فحذف من الاسم حرفاء ، وقد تفعل العرب مثل هذا ، وقد وقع ذكر بنى أقيش في السيرة في حديث البَيِّمَةِ . وذكر الركن والأحائم يجوز أن يكون أراد : الأحوام بالواو ، فهمز الواو لانكسارها ، والأحوام : جمع أحوام والأحوام جميع حَوْم ، وهو الماء في البئر ، فكأنه أراد : ماء زمزم ، والحَوْم أيضاً : إبل كثيرة ترد الماء ، فعبر بالأحائم عن وُرَاد زمزم ، ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التي تحوم على الماء ، فيكون بمعنى الحوائم ، وقلب اللفظ ، فصار بعد فواعل : أفاعل ، والله أعلم .

دى جنب :

فصل : وذكر أن جَنْباً وهم حَيٌّ من النمين اجتمعوا إلى كاهن لهم ، فسألوه عن أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - حين رمى بالنجوم إلى آخر الحديث : جَنْبٌ هم من مَذْحِج ، وهم : عَيْدُ الله ، وَأَنْسُ الله ، وزَيْدُ الله ، وأَوْسُ الله ، وجُعْفَى ، والحسك ، وجرؤة ، بنو سعد العشيرة ^(١) بن مَذْحِج ، ومَذْحِج هو : مالك بن أدد ، وسموا : جنباً لأنهم جنبوا بنى عمهم ضداء = أن يكون قولهم : (ويله) أصله : ويل لأمه ، ثم حذف حرف الجر والهمزة - التي هي فاء - والتنوين ، أو لم ينون ، لأنه نوى المعرفة كغفاق ، فبقى : ويله (ص ١٦ التمام في تفسير أشعار هذيل ط بغداد . وقال ابن السجري ، أنها تنال بضم اللام وكسرهما ، وانظر ص ٢٥١ - ٣ خزانة البغدادي ط السلفية ، فقد فصل القول فيها . وفيه أن معناها مدح خرج بلفظ الذم . وأنها تنال للمستجاد وللدهية . (١) في جهمرة ابن حزم عن ولد سعد العشيرة أنهم : الحسك - وبه كان يكنى - والصعب ونمرة لأمهات شتى ، وجعفى وعائد الله ، وأوهن الله ، وزيد الله وأنس الله ، والحر أمهم : أسماء بنت أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة ص ٣٨٣

ويزيدا بنى سعد المشيرة بن مذحج (١) . قاله الدارقطني . وذكر في موضع آخر خلافا في أسماهم ، وذكر فيهم بنى غليّ بالغين ، وإس في العرب غليّ غيره ، قال مهليل :

أُنْكَحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْحِبَاءُ مِنْ أَدَمَ

وهي خلت في وسيم

فصل : وذكر حديث عمر ، وقوله للرجل : أ كفت كاهنًا في الجاهلية؟ فقال الرجل : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ خِلْتُ (٢) في ، واستقبلتني بأمر ما أراك استقبلت به أحداً منذ وليت ! وذكر الحديث ، وقوله : خِلْتُ في هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خِلْتُ وظننت ، كقولهم في المثل : مَنْ يَسْمَعِ يَخْلُ ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذف الجملة كلها جاز ؛ لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ، ففي قولهم : مَنْ يَسْمَعِ يَخْلُ دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفي قوله ، خِلْتُ في دليل أيضاً ، وهو قوله : في ، كأنه قال : خِلْتُ الشَّرَفِ أو نحو ، هذا وقوله : قبل الإسلام بشهر أو شيعة أي : دونه بقليل ، وشيعة كل شيء : ما هو تبع له ، وهو من

(١) في الاشتقاق لابن دريد وهو يتكلم عن مذحج (ومن بطونهم بنو منبه ابن حرب بن يزيد والحارث والغلي وسبحان وشمران وهنسان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا قومهم) ص ٤٥٥ .

(٢) يقال : خلت بالكسر إخال وهو الأفضح ، ويتوأسد يقولون : أخال بالفتح وهو القياس . المعنى : من يسمع أخبار الناس ومعايهم ، يقع في نفسه عليهم المكروه .

الشَّيَاحُ وَهِيَ : حَظْبُ صَفَارٍ تَجْمَلُ مَعَ الْكِبَارِ تَبْعَالِهَا ، وَمِنْهُ : الْمَشِيقَةُ ، وَهِيَ :
الشَّاةُ تَتَّبِعُ الْغَنَمَ ، لِأَنَّهَا دُونَهَا فِي الْقُوَّةِ .

جَلِيجٌ وَسَوَادٌ بَنُ قَارِبٍ :

وَالصَّوْتُ الَّذِي سَمِعَهُ عُمَرُ مِنَ الْعَجَلِ يَا جَلِيجَ^(١) سَمِعْتُ بِمَضِ أَشْيَاخَنَا
يَقُولُ : هُوَ اسْمُ شَيْطَانٍ ، وَالْجَلِيجُ فِي اللُّغَةِ : مَا تَطَايَرُ مِنْ رُءُوسِ النَّبَاتِ ، وَخَفَ
نَحْوُ الْقُطْنِ وَشَبَّهَهُ ، وَالْوَاحِدَةُ : جَلِيجَةٌ ، وَالَّذِي وَقَعَ فِي السَّيْرَةِ : يَأْذِرِيحُ ، وَكَأَنَّهُ
نِدَاءٌ لِلْعَجَلِ الْمَذْبُوحِ لِقَوْلِهِمْ : أَحْمَرُ ذَرِيحِي^٢ ، أَيْ : شَدِيدُ الْحُمْرَةِ ، فَصَارَ وَصْفًا
لِلْعَجَلِ الَّذِي يَحْمَرُّ مِنْ أَجْلِ الدَّمِ : وَمَنْ رَوَاهُ : يَا جَلِيجَ ، فَقَالَ لَهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى ؛ لِأَنَّ
الْعَجَلَ قَدْ جَلِيجَ أَيْ : كَشَفَ عَنْهُ الْجِلْدُ ، فَاللهُ أَعْلَمُ ، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ كَاهِنًا
هُوَ سَوَادُ بْنُ قَارِبِ الدَّوْسِيِّ فِي قَوْلِ ابْنِ السَّكْبِيِّ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : هُوَ
سَدُوسِي^(٢) وَفِيهِ يَقُولُ الْقَائِلُ :

أَلَا اللَّهُ عِلْمَ لَا يُجَارَى إِلَى الْغَايَاتِ فِي جَنَبِي سَوَادٍ
أَتَيْنَاهُ نَسَائِلَهُ امْتَحَانًا فَلَمْ يَبْعَلْ ، وَأَخْبَرَ بِالسَّدَادِ^(٣)

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي شَعْرِ وَخَبَرِ ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَائِلُ فِي أَمَالِيهِ ، وَدَرَوِي غَيْرُ
ابْنِ إِسْحَاقَ هَذَا الْخَبَرِ عَنْ عُمَرَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، وَأَنَّ عُمَرَ مَازَحَهُ ، فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ :

(١) هَذِهِ رَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ .

(٢) قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : كُلُّ سَدُوسٍ فِي الْعَرَبِ مَفْتُوحٌ إِلَّا سَدُوسُ بْنُ أَجْعَمَ
ابْنَ أَبِي عَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ .

(٣) فِي الْأَمَالِيِّ (وَتَحْسَبُ أَنَّ سَعِيدَ الْعَنَادِ) وَالْخَبَرَ كَمَا قَالَ مَطُولًا فِي الْأَمَالِيِّ
ص ٢٨٩ ط ٢٠ وَالشَّعْرَ مَنْسُوبًا إِلَى عَارِفِ الشَّاعِرِ . وَهُوَ كَلَامُ خُصْبَةٍ .
كَلَامٌ لَا يَخُونُ عَلَيْهِ عَقْلٌ ، وَلَا يَصَالِحُهُ دِينٌ

كَمَا نَتَكُّ بِسَوَادٍ! فغَضِبَ، وَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتِ عَلَى شَرٍّ مِنْ هَذَا مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَأَكْلِ الْعَيْتَاتِ، أَفْتُعِيرُنِي بِأَمْرِ تَبِتَ مِنْهُ؟! فَقَالَ عُمَرُ حِينَئِذٍ: اللَّهُمَّ غَنِّرَا. وَذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ سِيَّاقَةً حَسَنَةً وَزِيَادَةً مَقِيدَةً، وَذَكَرَ أَنَّهُ حَدَّثَ عُمَرَ أَنَّ رَثِيئَةً جَاءَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مَتَوَالِيَاتٍ، هُوَ فِيهَا كَلَّمَهَا بَيْنَ النَّأَمِ وَالْيَقْظَانِ، فَقَالَ: قُمْ بِسَوَادٍ، وَاسْمَعِ مَقَالَتِي، وَاعْقِلْ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ، قَدْ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَأَنْشَدَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ اللَّيَالِي ثَلَاثَةَ أَيْيَاتٍ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ وَقَافِيَتَاهَا مُخْتَلِفَةٌ:

عَجِبْتُ لِلْجِنَّ وَتَطْلُبُهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَقْتَابِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدَى مَا صَادَقُ الْجِنَّ كَكَذَابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قَدَامَهَا (١) كَاذُهَا

وَقَالَ لَهُ فِي الثَّانِيَةِ:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَخْلَاسِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدَى مَا طَاهَرُ الْجِنِّ كَاثْجَاسِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ ذُنَابِي الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهَا (٢)

(١) فِي الْخُصَائِصِ لِلْسَيُوطِيِّ: قَدَامَ، وَهُوَ صَحِيحُ الْمَعْنَى أَيْضًا.

(٢) فِي الْبَدَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ، وَفِي الْخُصَائِصِ لِلْسَيُوطِيِّ: مَا مَوْنُوهَا مِثْلُ أَرْجَاسِهَا - وَاسْمُ بَعِينِكَ إِلَى رَأْسِهَا. وَفِي السَّيْرَةِ الْخَلْبِيَّةِ: مَا خَيْرُ الْجِنِّ كَاثْجَاسِهَا، وَارْمِ بَعِينِكَ إِلَى رَأْسِهَا، بَدَلًا مِنْ: «مَا طَاهَرُ الْجِنِّ الْخُ» وَلَيْسَ ذُنَابِي الطَّيْرِ الْخُ.

وقال له في الثالثة :

عجبت للجنِّ وتنفَّارِها (١) وشَدَّها العيسَ بأَكوارِها
تَهَوَّى إلى مكة تبغى الهدى مامؤنُ الجنِّ ككفَّارِها (٢)
فارحل إلى الأتقين من هاشمٍ ليس قدامها كأدبارِها (٣)

وذكر تمام الخبر، وفي آخر شعر سواد قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنشده ما كان من الجنى رَئِيَّةً ثلاث ليال متواليات، وذلك قوله :

أنا نى نَجَّيْ بمد هَذِهِ وَرَقْدَةٍ (٤) ولم يك فيما قد بَلَوْتُ بكاذب
ثلاثَ لِيالٍ قولُهُ كل ليلة أتاكَ نَبِيٌّ (٥) من لُوئِيٍّ بن غالب
فَرَقَمْتُ أَذْيالَ الإزارِ وَشَمَرْتُ بِي العِرمِيسُ الوَجْناهُجُولِ السَّبَّاسِبِ (٦)
فأشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لا شَيْءَ غَيْرُهُ وَأَنْتَ مَأْمُونٌ على كل غائب

(١) في الخصائص : وتجسارها.

(٢) في الخصائص : ليس ذو الشر كأخيارها .

(٣) في الخصائص : مامؤنوا الجن ككفارها .

(٤) في الخصائص : درمي ، وليل وهجمة .

(٥) في الخصائص : رسول .

(٦) في الخصائص :

فشمريت عن ساقى الإزار ، ووسطت في الذَّعْصَلِبِ الوجناء عند السباسب
والعرمس : الناقة الصلبة . والوجناء : العظيمة الوجنتين . والهجول : جمع
هجل : المطمئن من الأرض . والسباسب : جمع . سبسب ، وهى المفازة من
الأرض ، أو الأرض البعيدة المستوية . والذعلب بكسر الذال واللام أو الذعلبة :
الناقة السريعة .

وَأَنْتَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَرِسِيلَةً (١) إِلَى اللَّهِ يَا بَنِيَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطْلَابِ
فَمُرُّنَا بِمَا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا (٢) وَإِنْ كَانَ فِيمَا جِئْتَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ يَمُنُّنِ (٣) فَتَيَلَّاعَنَّ سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ

(١) فِي الْخَصَائِصِ : شَفَاعَةٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَفْهَمُ أَنَّهُ وَرِسِيلَةٌ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالْمَعْنَى
الْشَّرْعِيَّةِ الْمَحْكَمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي الشَّرْكَ ، وَيُثْبِتُ التَّوْحِيدَ ، وَالْوَسِيلَةُ هُنَا : حُبُّهُ وَحُبُّ اللَّهِ
وَطَاعَتُهُ وَطَاعَةُ اللَّهِ ، أَيْ : اتِّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ ، وَالْإِنْتِهَاءُ عَمَّا نَهَى عَنْهُ . أَمَّا الْمَعْنَى
الشَّرْكَ الَّتِي يَنْبَغِي الْإِيمَانَ ، فَهُوَ أَنْ تَتَوَسَّلَ بِذَاتِهِ أَوْ قَبْرِهِ لَا بِطَاعَتِهِ وَحُبِّهِ .

(٢) فِي الْخَصَائِصِ : يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى ، وَفِي رِوَايَةٍ : يَا خَيْرَ مَرْسَلٍ .

(٣) فِي الْخَصَائِصِ : سَوَاكُ . وَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ هُوَ طَلَبُهَا عَنْ لَا يَمْلِكُهَا ، وَلَا
يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَطْلُبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الشَّفَاعَةَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا ، وَإِنَّمَا لَهُ أَنْ يَطْلُبَهَا مِنْ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلِتَتَدَبَّرَ مَعَا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : « مِنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » ، وَغَيْرِهَا .
مِنْ الْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ الشَّفَاعَةِ شَيْئًا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، وَهَذَا
الْبَيِّنُ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْقِصَّةَ مَوْضُوعَةٌ ، وَأَنَّ الْقِصْدَةَ مَصْنُوعَةٌ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ دِينِ صَحَابِيٍّ ، بَلْ
لَمْ يَكُنْ مِنْ دِينِ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ « ص » ، وَالْبَيِّنُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ
الَّتِي يَسْتَشْهَدُ بِهَا النَّحْوِيُّونَ . وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ : « يَمُنُّنِ » ، حَيْثُ أَدْخَلَ الْبَاءَ الزَّائِدَةَ
فِي خَبَرٍ لَا ، كَمَا تَدْخُلُ فِي الْخَبَرِ الْمُنْفِيِّ بِلَيْسَ وَمَا ، وَذَاكَ قَلِيلٌ ، وَهَذِهِ الْبَاءُ لَتَأْكِيدِ
النَّفْيِ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ، أَمَّا عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ فَهِيَ لِدَفْعِ تَوْحُمِ الْإِثْبَاتِ . وَرَأَى الْكُوفِيُّونَ هُوَ
الصَّحِيحُ . وَلَا نَافِيَةَ حِجَازِيَّةٍ تَعْمَلُ عَمَلُ لَيْسَ ، وَلِهَذَا رَفَعَتْ ذُو . وَقَدْ رَوَى
الْبُخَارِيُّ قِصَّةَ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَلِيمَانَ الْحَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ
وَهْبٍ ، عَنْ عُمَرُو - وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ - أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْرُورٍ - بَنِي حَوْزٍ -
عَمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ . وَسَوَادُ بْنُ قَارِبٍ مِنْ أَهْلِ السَّرَاةِ - كَمَا قِيلَ - مِنْ جِبَالِ الْبَلْقَاءِ
لَهُ صَحْبَةٌ - كَمَا يَحْكِي - وَوَفَادَةٌ . وَقِيلَ : كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْبَلْقَاءِ ، وَهَنَّاكَ فِي بَعْضِ
الطَّرِيقِ الَّتِي رَوَى مِنْهَا هَذَا الْحَدِيثُ مَا يُشِيرُ حَوْلَهُ الشُّكُّ ، بَلْ فِي الْفَافِظَةِ نَفْسُهَا .
وَالْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُ لَهُ ، وَتَدَبَّرْ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : (لِأَنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ ==

سواد وروس عند وفاة الرسول « ص » :

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقام حينئذ سواد ، فقال : يامعشر الأزد ، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ، ومن شقاؤهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم ، ومن لم تنفعه التجارب ضرته ، ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل ، وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ، وقد علمتم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم ، وأوعد قوما أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنعه منكم غدة ولا عدد ، وكل بلاء مذبذب إلا ما بقي أثره في الناس ، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكى من أهل العافية للعافية ، وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه ، فلم ترالوا خارجين مما فيه أهل البلاء ، داخلين مما فيه أهل العافية ، حتى قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيبكم وتقيبكم فعبّر الخطيب عن الشاهد ، ونقّب النقيب عن الغائب ، ولست أدري لعله تكون للناس جولة فإن تكن ، فالسلامة منها : الأناة ، والله يُحبّها ، فأجبه القوم وسمعوا قوله ، فقال في ذلك سواد بن قارب :

== لا تروهم ، والجليح - كما فسر - هو الوقح المكافح بالعداوة ، وفي رواية . يا آل ذريح ، وهو بطن مشهور في العرب ، والقلاص : جمع قلص ، وهذه جمع قلوص : الفتية من النياق ، والاحلاس : جمع حلس ما يوضع على ظهر البعير ليقى الرجل من الدبر ، وأبلس الرجل : سكت ذليلا أو مغلوبا ، والعيس : الإبل الكرام . انظر ص ١٤٤ > ٧ فتح الباري ، و ص ٢٥٢ > ١ الخصائص للسيوطي > ١ دار الكتب الحديثة ، ص ٦٨ شرح السيرة للخشني ، وبلوغ الأرب > ٣ ص . ٢٣ ، ٣٠٢ ، وجمع الزوائد للهيتمي .

جَلَّتْ مَصِيبُكَ الْغَدَاةَ سَوَادُ وَأَرَى الْمَصِيبَةَ بَعْدَهَا تَزْدَادُ
أَبْقَى لَنَا فَقْدُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ - مَا يَعْتَادُ
حُزْنًا لَعَمْرُكَ فِي الْفَوَادِ مُحَامِرًا أَوْهَلُ لِمَنْ فَقْدُ النَّبِيِّ فَوَادُ؟
كُنَّا نَحُلُّ بِهِ جَنَابًا مُمَرَّعًا جَفَّ الْجَنَابُ، فَأَجْدَبَ الرُّوَادُ
فَبَكَتْ عَلَيْهِ أَرْضُنَا وَسَمَاوُنَا وَتَصَدَّعَتْ وَجْدًا بِهِ الْأَكْبَادُ
قَلَّ الْمَتَاعُ بِهِ، وَكَانَ عِيَانُهُ خُمَسًا تَضَمَّنَ سَكْرَتِيهِ رِقَادُ
كَانَ الْعِيَانُ هُوَ الطَّرِيفَ وَحُزْنُهُ بَاقٍ لَعَمْرُكَ فِي النَّفُوسِ تِلَادُ
إِنِ النَّبِيَّ وَفَاتِهِ كَحَيَاتِهِ الْحَقُّ حَقٌّ وَالْجَهَادُ جِهَادُ
لَوْ قِيلَ: تَقْدُونُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا بُذِلَتْ لَهُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ
وَتَسَارَعَتْ فِيهِ النَّفُوسُ بِبَذْلِهَا هَذَا لَهُ الْأَغْيَابُ وَالْأَشْهَادُ
هَذَا، وَهَذَا لَا يَرِدُ نَبِيَّنَا لَوْ كَانَ يَقْدِيهِ فِدَاءُ سَوَادُ
أَتَى أَحَادِرَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةً أَمْرًا لِعَاصِفِ رِيحِهِ إِرْعَادُ
إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَاَنْتُمْ لِلْأَرْضِ - إِنْ رَجَفَتْ بَنَّا - أَوْتَادُ
لَوْ زَادَ قَوْمٌ قَوْقَ مُنْيَةِ صَاحِبِ زِدْتُمْ، وَابْسَ لِمُنْيَةِ مَزْدَادُ

هذه فريش

فَتَعْجَبُ الْقَوْمَ شِعْرُهُ، وَقَوْلُهُ: فَاجَابُوا إِلَى مَا أَحَبَ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ خَبَرُ
سَوْدَاءَ بِنْتِ زُهْرَةَ بْنِ كَلَابٍ، وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَ وُلِدَتْ وَرَأَاهَا أَبُوهَا زَرْقَاءُ
شَيْمَاءَ (١) أَمْرَ بَوَادِيهَا، وَكَانُوا يَشِدُّونَ مِنَ الْبَنَاتِ مَا كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ
فَأَرْسَلَهَا إِلَى الْحُجُوجِ لِيُتَدَفَّنَ هُنَاكَ، فَلَمَّا حَفَرُهَا الْحَافِرُ، وَأَرَادَ دَفْنَهَا سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ:
(١) صَافِيَةُ الْبَيَاضِ فِيهَا شَامَةٌ، تَعْطِيهَا جَمَالًا.

لَا تَذُنُ الصَّبِيَّةَ ، وَخَلَّهَا فِي الْبَرِيَّةِ ، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَعَادَ لِدَفْنِهَا ، فَسَمِعَ
الْهَاتِفَ يَهْتَفُ بِسَجْعٍ آخَرَ فِي الْمَعْنَى ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهَا ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ ، فَقَالَ :
إِنْ لَهَا لُشَانَا ، وَتَرَكَهَا ، فَكَانَتْ كَاهِنَةً قُرَيْشَ ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِبَنِي زُهْرَةَ : إِنْ
فِيكُمْ نَذِيرَةٌ ، أَوْ تِلْدٌ نَذِيرًا ، فَأَعْرِضُوا عَلَيَّ بَنَاتِكُمْ ، فَعُرِضَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ فِي
كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قَوْلًا ظَهَرَ بَعْدَ حِينٍ ، حَتَّى عُرِضَتْ عَلَيْهَا أَمْنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ ،
فَقَالَتْ : هَذِهِ النَّذِيرَةُ ، أَوْ تِلْدٌ نَذِيرًا ، وَهُوَ خَيْرٌ طَوِيلٌ ذَكَرَ الرَّبَّ بَسِيرًا مِنْهُ يَسِيرًا ،
وَأُورِدَهُ بِطَوْلِهِ أَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ ، وَفِيهِ ذَكَرَ جَهَنَّمَ — أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا — وَلَمْ
يَكُنْ اسْمُ جَهَنَّمَ ، مَسْئُوعًا بِهِ عِنْدَهُمْ ، فَقَالُوا لَهَا : وَمَا جَهَنَّمَ ، فَقَالَتْ : سَيُخْبِرُكُمْ
النَّذِيرُ عَنْهَا (١) .

(٢) ليس صدق النبوة في حاجة إلى أن نكذب له . وتصديق مثل هذه
المفتريات تكذيب للقرآن الذي يؤكد أن علم الغيب إنما هو لله وحده . وإذا كان
محمد « ص » نفسه لم يكن يعرف الإيمان قبل النبوة ، ولم يكن يعرف بالتالي أنه
نبي ، فكيف نسب هذا العلم إلى غيره من طواغيت الوثنية ؟ ! هذا وبعض اللغويين
يقول عن جهنم : إنها معربة ، والأكثرون على أنها عربية أصيلة من جهنم مثلثة
الجيـم - يقال : ركية جهنم أو جهنم : بعيدة القعر وحديث عاصم بن عمرو هو
في البداية عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصاري ، وفي تفسير ابن كثير : عاصم بن عمرو
عن قتادة . ورواه ابن إسحاق أيضا عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة ، أو سعيد
ابن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعث الله من العرب كفروا به وجحدوا
ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود
ابن سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد
صلى الله عليه وسلم ، ونحن أهل شرك . وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته ،

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن سحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه ، لِمَا كُنَّا نَسْمَعُ من رجال يهود ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ ، فَإِذَا نَلَيْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا لَنَا : إِنَّهُ تَقَارِبُ زَمَانُ نَبِيِّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرمَ ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَبْنَاهُ حِينَ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَمَّنَّا بِهِ ، وَكَفَرُوا بِهِ ، فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مِنَ الْبَقَرَةِ : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَذَمَّنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ) . الْبَقَرَةُ : ٧٩

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكمون ، وفي كتاب الله تعالى : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، فَقَالَ سَلَامٌ بِنَ مَشْكَمَ أَخُو بَنِي النَّضِيرِ : مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الَّذِي كُنَّا نَذْكُرُ لَكُمْ .

وقال أبو العالية في تفسير الآية : كانت اليهود تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نَجِدُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَنَا حَتَّى نَعَذِّبَ الْمُشْرِكِينَ وَنَقْتُلَهُمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ حَسَدًا لِلْعَرَبِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ : كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا هَذَا النَّبِيَّ يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ ، يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ ، أَيْ : يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ .

«وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ». الأعراف : ٨٩ .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن أبيد أخى بنى عبد الأشهل عن سلمة بن سلمة بن وقش - وكان سلمة من أصحاب بدر - قال : كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل ، قال : نخرج علينا يوماً من بيته ، حتى وقف على بنى عبد الأشهل - قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً ، على بردة لى ، مضطجع فيها بفناء أهلى - فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بمنا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ونحك يافلان !! أو ترى هذا كائنا ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجْزَوْنَ فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يُحْلَفُ به ، وبود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنوير فى الدار ، يُحمونه ثم يدخلونه إياه فيطيقونه عليه ، بأن ينجو من تلك النار غدا ، فقالوا له : ونحك يافلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن - فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلى ، وأنامن أحدثهم سناً ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلام عمره بذكره . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله . صلى الله عليه وسلم - وهو حى بين أظهرنا ، فأمنأ به ، وكفر به بغياً وحسداً . قال : فقلنا له : ونحك يافلان !! ألسنت الذى قلت لنا فيه ما قات ؟ قال : بلى . ولكن ليس به .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال :

• • • • •

قال لي : هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سَعْيَة وأسَد ابن عبيد نَفَرٍ من بني هَذَل ، إخوة بني قُرَيْظَة ، كانوا معهم في جاهليتهم . ثم كانوا ساداتهم في الإسلام . قال : قالت : لا ، قال : فإن رجلاً من يَهُودٍ من أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيَّيَّان ، قَدِمَ علينا قُبَيْل الإسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قَطُّ لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قَحَطَ عنا المطرُ قُلْنَا له : اخرج يا ابن الهَيَّيَّان فاستسقى لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تَقْدُموا بين يدي تَخْرِجَكم صدقة ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر : أو مُدَيْنٍ من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتْنا ، فيستسقى الله لنا . فوالله ما يَبْرَحُ يجلسه ، حتى تمر السحابة وتُسْقَى ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . قال : ثم حَضَرَتْه الوفاة عندنا . فلما عَرَفَ أنه مَيِّتٌ ، قال : يا معشر يَهُودَ ، ما ترونه أخرجني من أرض الخَمِيرِ والخَمِيرُ إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فإني إنما قَدِمْتُ هذه البلدة أتوكّف خروج نبي قد أظَلَّ زمانه ، وهذه البلدة مُهاجرة ، فسكنت أرجو أن يُبعثَ ، فاتبعه ، وقد أظَلَّكم زمانه ، فلا تُسَبِّحُنَّ إليه . يا معشر يهود ، فإنه يُبعثُ بسفك الدماء ، وسبّ الذراري والنساء مِن خالفه . فلا يَمْنَعُكم ذلك منه . فلما بُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاصر بني قُرَيْظَة ، قال هؤلاء الفِتية ، وكانوا شباباً أحداثاً : يا بني قُرَيْظَة ، والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابنُ الهَيَّيَّان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه هو بصفته ، فزولوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلبيهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود .

حديث سلمة :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث سلمة بن سلامة بن وقش ، وما سمع من اليهودي حين ذكر الجنة والنار ، وقال : آية ذلك نبي : مبعوث قد أظل زمانه إلى آخر الحديث ، وليس فيه إشكال ، وابن وقش يقال فيه : وقش بتحريك القاف وتسكينها ، والوقش : الحركة (١) .

حديث ابن الربيع بن سمية :

فصل : وذكر حديث ابن الهيثبان (٢) ، وما بشر به من أمر النبي — صلى الله عليه وسلم — وأن ذلك كان سبب إسلام ثعلبة بن سمية وأسيد بن سمية وأسدي بن سمية ، وهم من بني هذيل ، والهيثبان من المسميين بالصفات ، يقال : قطن هيثبان أي : منتفش ، وأنشد أبو حنيفة :

(١) روى حديث ابن وقش أحمد ، وصححه ابن حبان من طريقه ، ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير ج ٦ ص ٥٤ فتح الباري ، ص ٣٠٩ ج ٢ البداية . وقد ورد أن اسم الجار اليهودي هو : يوشع ، وهناك بعض كلمات في أحمد تخالف ما هنا . فقد ذكر فروة مكان بردة ، ويطبقونه مكان يطبقونه . ووضع كلة نحو مكان : إلى في قوله : إلى مكة . وذكر : ومتى تراه . بدلا من : متى تراه ؟

(٢) معناها : الكثير والجبان والليس والخفيف والراعي والتراب وزبد أفواه الإبل ، وقد يخفف ، وقد يقال : هيثبان . بتضعيف الياء مع فتحها . وقوله في حديث ابن الهيثبان : أتوكف خروج نبي : أنتظر وأستشعر . أطل زمانه : أشرف وقرب .

تَطِيرُ الْمَغَامَ الْهَيَّيَّانَ ، كَأَنَّهُ جَنَى عُمَيْرٍ تَذْفِيهِ أَشْدَاقُهَا الْهُدَلُ (١)
وَالْهَيَّيَّانَ أَيْضًا : الْجَبَانَ ، وَقَدْ قَدِمْنَا الْإِخْتِلَافَ فِي هَذَا ، وَأَمَّا أُسَيْدُ
ابْنِ سَعْنَةَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الْمَدَنِيِّ ،
عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ أَحَدُ رَوَاةِ الْمَغَازِي عَنْهُ أُسَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ بِضَمِّ الْأَلْفِ ، وَقَالَ
يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ قَوْلُ الْوَقْدِيِّ وَغَيْرِهِ أُسَيْدُ بَفَتْحِهَا قَالَ :
الْدَّارِقُطِيُّ : وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ ، وَلَا يَصِحُّ مَا قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،
وَبَنُو سَعْنَةَ هَؤُلَاءِ فِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (٢) ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ
قَائِمَةٌ ﴾ آلِ عِمْرَانَ : ١١٣ آيَةً ، وَسَعْنَةُ أَبُوهُمْ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ الْعَرِيضِ ، وَهُوَ
بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْيَاءُ الْمَنْقُوطَةُ بِأَتْنَيْنِ .

(١) الْبَيْتُ لَذِي الرِّمَةِ يَصِفُ إِبْلًا وَلِإِزْبَادَ مَشَافِرِهَا ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَجِي
الْعُشْرُ : يَخْرُجُ مِثْلَ رِمَانَةٍ صَغِيرَةٍ ، فَتَنْشَقُّ عَنْ مِثْلِ الْقَرِّ ، فَشَبَّهَ لِقَامَهَا بِهِ . . .
وَهُوَ فِي اللِّسَانِ : تَمَجُّجٌ . وَاللِّقَامُ : زَبْدُ أَفْوَاهِ الْإِبِلِ . وَالْعُشْرُ : نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ ،
يَحْتَشِي فِي الْخِتَادِ . وَالْهُدَلُ : اسْتِرْخَاءُ الْمَشْفَرِ الْأَسْفَلَ مِنَ الْجَمَلِ ، أَوْ عَظَمُ الشَّفَةِ
وَاسْتِرْخَاؤُهَا . وَهَذَا : جَمْعُ هَدَلَاءَ . وَفِي الرُّوضِ : خَبِي عَشْرُ تَبْقِيَةٍ وَهُوَ خَطَأٌ .
(٢) فِي ابْنِ كَثِيرٍ نَقْلًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيمَنْ آمَنَ مِنْ أَجْبَارِ أَهْلِ
الْكِتَابِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ ، وَثَعْلَبَةَ بْنِ شُعْبَةَ . وَفِي مُسْنَدِ أَحَدٍ عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ : أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى
الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ
أَحَدٌ يَذْكُرُ اللَّهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرَكُمْ . فَنَزَلَتْ : (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
— إِلَى قَوْلِهِ — وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) .

سنة الهجرة وإسلامه :

وأما سُنَّةُ بالنون ، فزيد بن سُنَّةٍ خبر من أحبار يهود ، كان قد دأب النبي — صلى الله عليه وسلم — فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألا تَقْضِيَنِي يا محمد ، فإنكم يا بني عبد المطلب مُطْلَقٌ ، وما أردت إلا أن أعلم علمكم ، فارتعد عمر ، ودار ، كأنه في قَلَاك ، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً ، وقال : تقول هذا لرسول الله ياعدو الله ؟ ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا إلى غير هذا منك أحوجُ يا عمر : أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التَّيْبَةِ ، قم فاقضه عني ، فوالله ما حل الأجل ، وزده عشرين صاعاً بما رَوَّعْتَهُ ، وفي حديث آخر : أنه قال : دعه ؛ فإنَّ اصحاب الحق مقالا ، ويذكر أنه أسلم^(١) لما رأى من موافقة وصف النبي عليه السلام لما كان عنده في التوراة ، وكان يحده موصوفاً بالحلم ، فلما رأى من حلمه ما رأى أسلم ، وتوفى غازي مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في غزوة تبوك ، ويقال في اسمه : سَفِيَّةُ بالياء كما في الأول ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون .

(١) روى قصة إسلامه الطبراني وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام ، قال زيد بن سمنة : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا خصلتين . لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً . . فذكر الحديث بطوله . . ومدار الحديث على محمد بن أبي السري الراوي له عن الوليد ، وثقه ابن معين ، ولىنه أبو حاتم ، وقال ابن عدى : محمد كثير الغلط . وأخرجه أبو نعيم في الدلائل .

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصمُ بنُ عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني سلمان الفارسي . مِنْ فِيهِ قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ إِصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا : جَيّ ، وَكَانَ أَبِي دِهْمَانَ قَرْيَتَهُ ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، لَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يوقدها ، لَا يَتْرَكُهَا تَحْبُو سَاعَةً . قَالَ : وَكَانَتْ لِأَبِي ضِيعَةٌ عَظِيمَةٌ ، قَالَ : فَشُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ لِي : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضِيعَتِي ، فَادْهَبْ إِلَيْهَا ، فَاطْلَعْهَا - وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ - ثُمَّ قَالَ لِي : وَلَا تَحْتَسِبْ عَنِّي ؛ فَإِنَّكَ إِنِ احْتَبَسْتَ عَنِّي . كُنْتُ أَهْمُ إِلَى مِنْ ضِيعَتِي ، وَشَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي . قَالَ : فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضِيعَتَهُ الَّتِي بَعَثَنِي إِلَيْهَا ، فَفَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كِنَائِسِ النَّصَارَى ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يَصَلُّونَ ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ ، فَحَبَسْتُ . أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا سَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ ، أَنْظَرُ مَا يَصْنَعُونَ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ ، أَعْجَبْتَنِي صَلَاتَهُمْ ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا بَرَّخْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَتَرَكْتُ ضِيعَةَ أَبِي فَلَمْ آتِهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا : بِالشَّامِ . فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي ، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي ، وَشَغَلْتَهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ : أَيُّ

• • • • •

بنى أين كنت؟ أو لم أكن عهدي إليك ما عهدي؟ قال: قلت له: يا أبت، مررتُ بأناس يصلُّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربت الشمس، قال: أى بُنى، ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينك، ودين آبائك خيرٌ منه، قال: قلت له: كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا. قال: تخافني، فجعل في رجلَيَّ قيداً، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدّم عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم. قال: قدّم عليهم ركبٌ من الشام تُجار من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قَضَوْا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فأخبروني بهم: قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم، أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلَيَّ، ثم خرجت معهم، حتى قدّمت الشام فلما قدّمتها قلت: مَنْ أفضلُ أهل هذا الدين إلماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة.

قال: بخيته، فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخذُك في كنيستك، فأتعلم منك، وأصلي معك، قال: ادخل، فدخلت معه. قال: وكان رجلٌ سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزته لنفسه، ولم يُعطِ المساكين، حتى جمع سبعَ قِلال من ذهب وورق. قال: فأبغضته بغضا شديداً، لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى، أيدفونوه، فقلتُ لهم: إن هذا كان رجلٌ سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جتمعوا بها، اكتنزها لنفسه، ولم يُعطِ المساكين شيئاً. قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟

.

قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزهِ ، قالوا : فدُنّا عليه ، قال : فأرَبَهُمْ موضعَهُ ، فاستخرجوا سَبْعَ قِلَالٍ مملوءة ذَهَباً وَوَرَقاً . قال : فلما رأوها قالوا : والله لا نَدْفِنُهُ أبداً . قال : فصَلُّوهُ ، ورجعوه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجمَلوه مكانه .

قال : يقول سلمان : فما رأيتُ رجلاً لا يصلي الخمس ، أرى أنه كان أفضلَ منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه . قال : فأحببته حبّاً لم أحبه شيئاً قبله مثله . قال : فأقمتُ معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلتُ له : يا فلان ، إني قد كنت معك ، وأحببتك حبّاً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حَضَرَكَ ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَنْ تُوصي بى ؟ وبِم تأمرنى ؟ قال : أى بُنى ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس ، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالحق به .

فلما مات وَغُيِبَ لحقتُ بصاحب المَوْصِل ، فقلت له : يا فلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحقَ بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، قال : فقال لى : أَرَمَ عندى ، فأقمتُ عنده ، فوجدته خيراً رجلاً على أمرٍ صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة ، قلت له يا فلان : إن فلانا أوصى بى إليك ، وأمرنى بالحق بك ، وقد حضركَ من أمر الله ماترى ، فإلى مَنْ تُوصي بى ؟ وبِم تأمرنى ؟ قال : يا بنى ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنتُ عليه ، إلا رجلاً بنَصْرَبين ، وهو فلان ، فالحق به .

فلما مات وعُيِّب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به .
صاحبائي ، فقال : أرقم عندي ، فأقمتُ عنده فوجدته على أمر صاحبيه . فأقمتُ مع
خير رجلٍ ، فوالله ما لبث أن نزل به الموتُ ، فلما حُضِر ، قلت له : يا فلان ،
إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من
توصى بي ؟ وبِمَ تأمرني ؟ قال : يا بني ، والله ما أعلمه بقي أحدٌ على أمرنا
أمرُك أن تأتيه إلا رجلاً بمشورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن
عليه ، فإن أحببت فأتِه ، فإنه على أمرنا .

فلما مات وعُيِّب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم
عندي ، فأقمتُ عند خير رجلٍ ، على هدى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت
حتى كانت لي بقرات وغنيمات . قال : ثم نزل به أمرُ الله ، فلما حُضِر ، قلت
له : يا فلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى
فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي ؟ وبِمَ تأمرني ؟ قال : أي
بني ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أمرُك به
أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبي ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ،
يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات .
لا تخفي ، يا كل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتمه خاتم النبوة ، فإن
استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وعُيِّب ، ومكثت بمشورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي
نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي

هذه وغُتِمتى هذه ، قالوا : نعم فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا ، وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلموني ، فباعوني من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذى وَصَفَ لى صاحبي ، ولم يَحِقَّ فى نفسي ، فبينما أنا عنده ، إذ قَدِمَ عليه ابنُ عمِّ له من بَنى قَرِيطَةَ من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فعرفتها بِصَفَةِ صاحبي ، فأقمت بها ، وبُعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من شغل الرِّقِّ ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إنى لافى رأس عَذَقٍ لسيدي أعمل له فيه بعضَ العمل ، وسيُدى جالس تحتى ، إذ أقبل ابنُ عمِّ له ، حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بنى قَيْلَةَ ، والله إنهم الآن ليجتمعون بِقُبَاءٍ على رجل قَدِمَ عليهم من مَكَّةَ اليوم ، يزعمون أنه نبيّ .

قال ابن هشام : قيلة : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن لَيْث ابن سَوْد بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة ، أم الأوس واخزرج .

قال النعمان بن بشير الأنصارى يمدح الأوس واخزرج :

بهايلُ من أولاد قَيْلَةَ لم يَحِدْ عليهم خَلِيطٌ فى مُخالطَةٍ عَتَبًا
مساميح أبطال يُرْأونَ للندى يَرَوْنَ عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبًا

وهذان البيتان فى قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود

• • • • •

ابن أبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال سلمان : فلما سمعتموها أخذتني العُرَواء . قال ابن هشام : العُرَواء : الرّعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عَرَقَ فهي الرّحضاء ، وكلاهما ممدود - حتى ظننتُ أني سأسقط على سيدي ، فزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكنني لكلمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عمك . قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أَسْتَشِيْبَتَهُ عما قال .

قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أُمِيتُ أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يُقْبَاء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالح ، ومعلك أصحاب لك غُرباء ذَوُّو حاجة ، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة ، فأيتكم أحقُّ به من غيركم ، قال : فقرَّبته إليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده ، فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه راحدة . قال ثم انصرفتُ عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، ثم جئت به ، فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسي : هاتان ثِقتان ، قال : ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بَقِيعُ الْفَرْدِ ، قد نَسِعَ جِنَازَةَ رجلٍ من أصحابه ، على شِمْلَتَانِ لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسأمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتمَ الذي وُصف لي صاحبي ، فلما رأني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

استدبرته ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَنْبِيتُ فِي شَيْءٍ وَصَفَ لِي ، فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ ،
فَنظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ ، فَأَكْبَبْتُ عَلَيْهِ أُقْبِلُهُ ، وَأَبْكَى . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَوَّلْ ، فَتَحَوَّلْتُ لِحَاسَتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي ،
كَأَنَّكَ يَا بَنَ عَبَّاسَ ، فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -
أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ . ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقْءُ حَتَّى قَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِدُرُوءِ أَحَدٍ .

قَالَ سَلْمَانُ : ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَاتِبُ يَسَلْمَانَ
فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثَةِ نَحْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ ، وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَةً . فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ : أَعِينُوا أَخَاكُمْ ، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ،
الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَةِ عَشْرَةَ وَدِيَّةً ،
وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ ، يُعِينُ الرَّجُلَ بِقَدَرِ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ ،
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا ، فَإِذَا فَرَّغْتَ
فَأْتِنِي ، أَكُنْ أَنَا أَضْعُفُهَا بِيَدِي . قَالَ : فَفَقَّرْتُ ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا
فَرَّغْتُ جِئْتُهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَفَرَّجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعِيَ إِلَيْهَا ،
فَجَعَلْنَا نَقْرُبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّةَ ، وَيَضَعُهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ،
حَتَّى قَرَعْنَا . فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ ، مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ . قَالَ :
فَأَدَيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَى الْمَالِ . فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمَثَلِ
بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ ، مِنْ بَعْضِ الْأَعَادِنِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ الْفَارَسِيُّ
الْمُسَكَّابُ ؟ قَالَ : فَدُعِيتُ لَهُ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ ، فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ .

قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله ممّا على ؟ فقال : خذها ، فإنّ الله سيؤدّي بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها - والذي نفسُ سلمان بيده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعتق سلمان . فشهدتُ مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أَخَذَ حُرّاً ، ثم لم يفتني معه مَشْهَدٌ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبّد القيس عن سلمان : أنه قال : لمّا قلت : وأين تقع هذه من الذي على يا رسول الله ؟ أخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلّبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفهم منها ، فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقهم كلّهم ، أربعين أوقية .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، قال : حدثت عن سلمان الفارسي : أنه قال : لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أخبره خبره : إن صاحبَ عمورية قال له : أتت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلاً بين غيضةين ، يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مُسْتَجِيراً ، يعترضه ذوؤُ الأسقام ، فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شفى ، فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغي ، فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجتُ حتى أتيت حيث وصف لي ، فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة ، مُسْتَجِيراً من إحدى الغيضةين إلى الأخرى ، فغشيته الناسُ بمرضاهم ، لا يدعو لمریض إلا شفى ، وغابوني عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل ،

.....

إِلَّا مَنْ كَبَّهُ . قَالَ : فَتَنَّاوْنَهُ : فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَالتَفَتَ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ
اللَّهُ ، أَخْبَرَنِي عَنْ الْحَنَفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ : إِنَّكَ لَتَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مَا يَسْأَلُ
عَنْهُ النَّاسُ الْيَوْمَ ، قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ بِهِذَا الدِّينَ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ، فَأَتِيَهُ
فَهُوَ يَحْمِلُكَ عَلَيْهِ . قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - لِسُلَيْمَانَ : لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي يَا سُلَيْمَانُ ، لَقَدْ لَقِيتَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ
عَلَى نَبِيئِنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ .

مَدْرِيْتُ - لُحَامَان :

فَصَل : وَذَكَرَ حَدِيثَ سُلَيْمَانَ بِطَوْلِهِ ، وَقَالَ : كُنْتُ مِنْ أَهْلِ إِصْبَهَانَ
هَكَذَا قِيْدَهُ الْبُسْكُرَى فِي كِتَابِ الْمُعْجَمِ بِالْكَسْرِ فِي الْهَمْزَةِ ^(١) ، وَإِصْبَهَ بِالْعَرَبِيَّةِ :
فَرَسٌ ، وَقِيلَ : هُوَ الْعُسْكَرُ ، فَمَعْنَى الْكَلِمَةِ : مَوْضِعُ الْعُسْكَرِ أَوْ الْخَلِيلِ ^(٢) ،
أَوْ نَحْوِ هَذَا . وَابْسَ فِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ عَلَى طَوْلِهِ إِشْكَالٌ ، وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ

(١) فِي الْمُرَادِدِ : فَتَحَ الْهَمْزَةُ هُوَ الْإِكْرُ وَالْأَشْهُرُ .

(٢) فِي الْبُسْكُرَى : إِصْبَهَ بِلِسَانِ الْفَرَسِ : الْبَلَدُ ، وَهَانَ : الْفَرَسُ . فَعْنَاهُ : بِلَهْ
الْفَرَسَانِ ، وَقَالَ : إِنْ إِصْبَهَ بِالْفَارْسِيَّةِ : الْعُسْكَرُ ، وَإِنْ هَانَ مَعْنَاهُ : ذَاكَ ، فَمَعْنَى الْاسْمِ :
الْعُسْكَرُ ذَاكَ . وَفِي الْمُرَادِدِ : إِنَّهَا لَنَظَرٌ مَعْرَبٌ مِنْ سَبَاهَانَ بِمَعْنَى : الْجَيْشِ ، فَيَكُونُ
مَعْنَاهُ عَلَى حَذْفِ الْمِصْصَافِ : مَدِينَةُ الْجَيْشِ . وَإِصْبَهَانَ - كَمَا فِي الْمُرَادِدِ - مَدِينَةٌ
عَظِيمَةٌ ، مَشْهُورَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْمَدَنِ وَأَعْيَانِهَا . وَأَصْبَهَانَ : اسْمٌ لِلْأَقْلِيمِ بِأَسْرِهِ ، وَكَانَتْ
مَدِينَتَهَا أَوَّلًا : جِيٍّ ، ثُمَّ صَارَتْ الْيَهُودِيَّةَ ، وَهِيَ مِنْ نَوَاحِي الْجَبَلِ .

في هذا الحديث : فلما رآني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — استذبرته ، ورأيت في حاشية الشيخ : أَسْتَدِيرُ به ، وكذلك وقع فيه : أحياها له بالفقير ، وفي حاشية الشيخ : الوجه التَّنْقِير .

أَسْمَاءُ النَّخْلَةِ :

وَالْفَقِيرُ لِلنَّخْلَةِ (١) . يقال لها في الكَرَمَةِ : حَيَّيَّة ، وجمعها : حَيَايَا ، وهي الخَفِيرَةُ ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي : رَيْسَةٌ ، ثم يقال لها : وَدِيَّةٌ ، ثم قَسِيْلَةٌ ، ثم أَشَاءَةٌ ، فإذا فانت اليد فهي : جَبَّارَةٌ ، وهي الْعَضِيدُ ، وَالْكَنْتِيلَةُ ، ويقال للتي لم تخرج من النواة ، لكنها اجْتُمِثَتْ من جنب أمها : قَلْعَةٌ وَجَيْثِيَّةٌ ، وهي الْجَنَائِثُ وَالْهَرَاءُ ، ويقال للنخلة الطويلة : عَوَانَةٌ بِلُغَةِ عُمَانَ ، وَعَيْدَانَةٌ بِلُغَةِ غَيْرِهِمْ ، وهي فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ (٢) بِالْمَسْكَانِ ، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين ، فجعلها تَارَةً : فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ ، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعَلَانَةً .

ومن الْفَسِيلَةِ حديث أنس : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

(١) في الخَشْنَى : أحياها له بالفقير ، أَى : بالحفر وبالفرس ، يقال ، فقر الأرض : إذا حفرها ، ومنه سميت البئر فقيرا . وقال الوقشي : الصواب هنا : التَّنْقِير . وأراد الوقشي هنا : المصدر ، وهو الْإِحْسَن . والفقير أيضا : البئر تنفرس فيها النخلة الصغيرة ، والمكان السهل يحفر فيه ، ويخرج الماء من القناة (٢) لزوم المسكان ، فلم يبرحه .

قال : إن قامت الساعة ، وبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فاستطاع أن يفرسها قبل أن تقوم الساعة ، فذَيَّفَ رِسْهَا (١) من مصنف حماد بن سلمة . والذين صحبوا سلمان من النصارى كانوا على الحقِّ على دين عيسى بن مريم ، وكانوا ثلاثين يُدَاوِلُونَهُ سَيِّدًا بَعْدَ سَيِّدٍ (٢) .

من فقه عربيّ سلحمان :

وذكر في آخر الحديث أنه جمع شيئًا ، فجاء به النبيّ — صلى الله عليه وسلم — ليختبره : أيا كل الصدقة ، أم لا ، فلم يسئله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحرٌّ أنت أم عَبْدٌ ، ولا : من أين لك هذا ، ففي هذا من الفقه : قبول الهدية وترك سؤال المُهْدِي ، وكذلك الصدقة .

حكم الصدقة للنبي ومصدر مال سلحمان :

وفي الحديث : مَنْ قُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ فَلْيَأْكُلْ وَلَا يَسْتَلْ . وذكر أبو عبيد في كتاب الأموال حديث سلمان حُجَّةً على من قال إن العبد لا يملك ، وقال : لو كان لا يملك ما قبل النبي — صلى الله عليه وسلم — صدقته ، ولا قال لأصحابه : كلوا صدقته . ذكر غير ابن إسحاق في حديث سلمان الوجه الذي جمع منه سلمان ما أهدى للنبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : قال سلمان : كنت عبداً لامرأة ، فسألتُ سيدتى أن تهبَ لى يوما ، ففعلت في ذلك اليوم على صاع أو

(١) أحد في مسنده ، والبخارى في الادب المفرد ، وقال السيوطي : ضعيف

(٢) في البخارى : تداول سليمان بضعة عشر من رب إلى رب .

صاعين من تمر، وجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما رأيته لا يأكل الصدقة، سألت سيدتي أن تهب لي يوماً آخر، فعملت فيه على ذلك، ثم جئت به هدية للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقبله وأكل منه، فبين في هذا الرواية الوجه الذي جمع منه سلمان ما ذكر في حديث ابن إسحاق، والصدقة التي قال النبي عليه السلام: لا تحلُّ لمحمد، ولا لآل محمد هي المفروضة دون التطوع، قاله الشافعي، غير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن تحل له صدقة الفرض ولا التطوع، وهو معنى قول مالك.

وقال الثوري: لا تحلُّ الصدقة لآل محمد فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم، لأن موالى القوم من أنفسهم، بذلك جاء الحديث. وقال مالك: تحل لمواليهم، وقالت جماعة، منهم أبو يوسف: لا تحلُّ لآل محمد صدقة غيرهم، وتحلُّ لهم صدقة بعضهم على بعض، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب (١).

(١) في حديث رواه مسلم: إنا لا نأكل الصدقة، وفي حديث رواه أحمد بإسناد قوى: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة. ويقول الفسطلاني: والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن أوساخ أموال الناس: ويقول الزرقاني عن الصدقة، ولأنها تنفي عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه. ص ٢٢٠ وما بعدها ج ه المواهب اللدنية. أما الهدية فكان يقبلها، ففي البخاري أنه أهديت إليه ديباج مزررة بالذهب، فقسمها في ناس من أصحابه، وعزل منها واحداً لمحرمة بن تنوفل. وفيه أيضاً أن ملك أيلة أهدى إليه بغلة بيضاء، فكساه رسول الله بردة وكان أصحابه يهدون إليه، فيكافئهم أضعافها. وفي حديث سلمان بضع كلمات إليك معها. دهقان: شيخ القرية العارف بالفلاحة، وما يصلح الأرض. فطن النار =

أول من مات بعد الهجرة :

وقول سلمان : فأنبت رسول الله وهو في جنازة بعض أصحابه . صاحبهُ .
الذي مات في تلك الأيام : كُنُتُوم بن الهِذَم الذي نزل عليه النبي - صلى الله
عليه وسلم . قال الطبري : أول من مات من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم
بعد قدومه المدينة بأيام قليلة : كُنُتُوم بن الهِذَم ^(١) ، ثم مات بعده أسعد بن
زُرارة .

فصل : وذكر ابن إسحاق في مكانة سلمان أنه فُقر لثلاثمائة وديّةٍ
أى : حفر ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضعها كلها بيده ، فلم
تَمُتْ منها وديّةٌ واحدة ، وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق
غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده وديّةً واحدة ، وغرس رسول الله -

==خادها . الأسقف في الكنيسة : هو عالم النصارى الذي يقيم لهم أمر دينهم ، ويقال :
أسقف بتخفيف الغاء أو تضعيفها مع ضم الهمة وإسكان السين وضم القاف . العذق بفتح
العين : النخلة . وبكسر ها : الكباسة وهي عنقود النخلة وبها ليل جمع بهلول ، السيد .
يراحون ؛ يهتزون . النجب : النذر . العرواء : الرعدة . الشملة . الكساء الغليظ
يلتحف به .

(١) ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن
عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي . ذكر ابن عتبة وغيره أنه
النبي د ص ، نزل عليه بقباء أول ما قدم المدينة . وآخرون قالوا : إنه نزل على
سعد بن خيشمه . قال الواقدي : كان نزوله على كلثوم ، وكان يتحدث في بيت سعد .
ابن خيشمة ؛ لأن منزله كان منزل القرآن .

صلى الله عليه وسلم - سائرهما ، فعاشرت كلها إلا التي غرس سلمان . هذا معنى حديث البخارى .

أسطورة نزول عيسى قبل بعثة النبي :

فصل : وذكر عن داود بن الحصين قال : حدثني مَنْ لا أنهم عن عمر ابن عبد العزيز قال : قال سلمان للنبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مُسْتَجِيرًا من غَيْضَةٍ إلى غَيْضَةٍ ، ويلقاه الناسُ بمرضاهم . فلا يدعوا لمرضى إلا شئى ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن كنت صدقتنى يا سلمان ، فقد رأيت عيسى بن مريم . إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك الرجل هو الحسن بن عمارة (١) ، وهو ضعيف بإجماع منهم ، فإن صح الحديث ، فلا نكارة في مَقْنِه ، فقد ذكر الطبرى أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع ، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذى فيه الصليب يَتَكَيَّان (٢) ، فكلهما ، وأخبرها أنه لم يُقتل ، وأن الله رفعه

(١) وقيل عن الرجل المبهم إنه شيخ عاصم بن عمر بن قتادة . والحديث أيضا منقطع بل معضل بين عمر بن العزيز وسلمان رضى الله عنه . وقوله : لئن كنت صدقتنى الخ غريب جداً بل منكر - كما ذكر ابن الأثير في البداية . ص ٣١٤ > ٢ .

(٢) إنها كذبة صالحة لا يجوز ترددها . ولأنه يدبر أن الله سبحانه لم يذكر لعيسى عليه السلام سوى ثلاثة أطوار ككل البشر : وهو السلام على يوم وُلِدَ ، ويوم أمُوت ، ويوم أبْنَعَثَ حيا ، كما قيلت تماما عن يحيى ، والصليبيون يزعمون أنه سيرل ، ويجعل العالم كله يكرز بالإنجيل ، وآيات نزوله : عودة ملك سليمان إلى اليهودا ومن =

وأرسل إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد ، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا، ولسكن لا يُعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح والله أعلم ، وروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام^(١) ، ويدفن إذا مات في الروضة التي فيها النبي عليه السلام .

== أين جاء الطبري وغيره بما زعموه عن نزول عيسى؟ وقد يقال هنا — كما قالوا — لنصح الخبر ، فإنه يدل على أن عيسى قد هرب من الذي جاءوا يطلبونه ليصلبوه ، وأن هؤلاء الطالبين أخذوا غيره ، وأن الذين رأوا عيسى بعد هذا ظنوا أنه بعث بعد صلبه ؛ إذ كانوا يظنون أنه قد أخذ ، وصلب .

(١) لا يستفيد من ترديد مثل هذا سوى الذين يحبون القضاء على الإسلام . وقد روى حديث نزول عيسى الشينخان والترمذي وأحد ، أما تزوجه فقد ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفا . وقد قيل : إن هذا الحديث معارض في دلالته بما تدل عليه أحاديث أخرى ، كالحديث الذي ورد في الصحيحين دالا على أن الحبش سينقضون الكعبة ، والحديث الذي ورد في البخاري مؤكدا أن بين يدي الساعة أي : قرب مجيئها — أياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع العلم ، ويكثر فيها الهرج — أي القتل — وكالحديث الذي شكاه بعض الناس لأنس من ظلم الحجاج فقال لهم : اصبروا فإنه لا يأت عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم . على حين يذكر في حديث عيسى أنه سيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، وأن المال سيفيض حتى لا يقبله أحد ، كما يؤكد زوال الشقاء والتباغض والتحاسد ، فأين هذا من ذلك؟ وهل يعتبر هذا شرا من أيامنا هذه ، كما يقول الحديث السابق؟ وقيل : إنه معارض أيضا بقوله سبحانه الذي يقص به قول عيسى يوم القيامة : « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد ، فأين الحديث هنا عن كسر الصليب وقتل الخنزير؟ لماذا لم يقل : فلما أنزلتني فعلت وفعلت ، وعلت أنهم غيروا ؟

ذكر وردة بن نوفل بن أسد بن العزى وعبيد الله

ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحاق : واجتمعت قُرَيْشُ يوماً في عيدٍ لهم عند صنمٍ من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وَيَنْحَرُونَ له ، وَيَكْتُمُونَ عنده ، وَيُذَيِّرُونَ به ، وكان ذلك عيداً لهم ، في كل سنة يوماً ، فخلص منهم أربعة نفر نجياً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكنتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : وردة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وعبيد الله بن جحش بن ريثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمه ، وكانت أمه أُمَيْمَةُ بنت عبد المطلب . وعثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤي ، فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ! ما حَجَرُ نَطِيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضرب ولا ينفع ! يا قوم اتمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم .

فأمَّا وردة بن نوفل فاستحکم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علماً من أهل الكتاب . وأمَّا عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم

• • • • •

حَبِيبَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ مُسْلِمَةً ، فَلَمَّا قَدِمَهَا تَنْصَرَّ ، وَفَارَقَ الْإِسْلَامَ ، حَتَّى هَلَكَ هُنَاكَ نَصْرَانِيًّا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ؛ قَالَ : كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ جَعْفَرٍ — حِينَ تَنْصَرَّ — يَمْزُرُ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ هُنَاكَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَيَقُولُ : فَقَعْنَا وَصَاصًا تَمْ ، أَيْ : أَبْصِرْنَا وَأَنْتُمْ تَلْتَمِسُونَ الْبَصَرَ ، وَلَمْ تُبْصِرُوا بَعْدَ ، وَذَلِكَ أَنَّ وَلَدَ الْكَلْبِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ ، صَاصًا ؛ لِيَنْظُرَ . وَقَوْلُهُ : فَقَعَّحَ : فَتَحَ عَيْنَيْهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ عَلَى أَمْرَاتِهِ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ فِيهَا إِلَى النَّجَاشِيِّ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمُرِيِّ ، نَخَطِبُهَا عَلَيْهِ النَّجَاشِيُّ ؛ فَرَزَّوْجَهُ إِيَّاهَا ، وَأَصْدَقَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعًا مِائَةً دِينَارًا . فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ : مَا نَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَقَفَّ صَدَاقَ النِّسَاءِ عَلَى أَرْبَعًا مِائَةً دِينَارًا إِلَّا عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ الَّذِي أَمْنَكَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَمَّا عُمَانُ بْنُ الْخَوَّارِثِ ، فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ فَتَنْصَرَّ ، وَحَسَنَتْ مَنَزَلَتُهُ عِنْدَهُ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَلِعُمَانُ بْنُ الْخَوَّارِثِ عِنْدَ قَيْصَرَ حَدِيثٌ ، مَنْعَنِي مِنْ ذِكْرِهِ مَا ذَكَرْتُ فِي حَدِيثِ حَرْبِ الْفِجَارِ .

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن نُفَيْل فوقف ، فلم يدخل في
يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميثة والدُم
والذبائح التي تذبح على الأوثان ، ونَهَى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبدُ
ربَّ إبراهيم ، وبادى قومه بغيِّب ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، عن أمِّه أسماء بنت
أبي بكر رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيْل شيخا كبيرا
مُسْنِدًا ظهره إلى السكبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذي نفسُ زيد
ابن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم
لو أني أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد
على راحته .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل
وعمر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالَا لرسول الله على الله عليه وسلم :
أَسْتَغْفِرُ لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم ، فإنه يُبعث أمةً وحده .

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيْل في فراق دين قومه ، وما كان لقي منهم
في ذلك :

أَرَبًا وَاحِدًا ، أُمُ الْفَرَبِ
عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعًا
كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبُورُ
فَلَا الْعُزَّى ، أَدِينُ وَلَا ابْنَتَيْنِهَا
وَلَا صَنْئَتِي بَنَى عَمْرٍو أَزُورُ

ولا مُبَلَّأً أَدِينُ ، وكانَ رَبًّا لَنَا فِي الدَّهْرِ إِذْ حِلْيِي يَسِيرُ
مُحِبَّتُ . وفي الأليالي مُعْجَبَاتُ وفي الأيامِ يَغْرِفُهَا البَصِيرُ
بَنَّ اللهَ قَدْ أَفْنَى رِجَالًا كَثِيرًا كَانَ شَأْنُهُمُ الفُجُورُ
وَأَبْقَى آخَرِينَ يَبْرِّ قَوْمَ قَتِيلُ مِنْهُمْ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ
وَبَيْنَا المَرَمَ يَعُثُرُ ثَابِ يَوْمَا كَمَا يَتَرَوَّحُ الغُضَنُ المَطِيرُ
وَلَسَكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمَنَ رَبِّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِي الرَّبُّ الغَفُورُ
فَتَقْوَى اللهَ رَبِّكُمْ أَحْفَظُوهَا مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا . لَا تَبُورُوا
تَرَى الأَبْرَارَ . دَارُهُمْ جَنَّاتُ وَلِلْكَفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ
وَحِزْنِي فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا يُبْلِقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً — قال ابن هشام : هي لِأُمَيَّةَ بن أبي
الصَّلْتِ في قصيدة له . إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز
البيت الأول عن غير ابن إسحاق : —

إلى الله أَهْدَى مِذْحَتِي وَثَنَاتِيَا وَقَوْلَا رَصِينَا لِابْنِي الدَّهْرِ بَاقِيَا
إلى المَلِكِ الأعلى الذی ليس فوقه إله ، وَلَا رَبُّ يَكُونُ مُدَانِيَا
أَلَا أَيُّهَا الإنسانُ إِيَّاكَ والرَّدَى فَإِنَّكَ لَا تَخْفِي مِنَ اللهِ خَافِيَا
وإِيَّاكَ لَا تَجْعَلُ مَعَ الله غَيْرَهُ فَإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا
حَنَانِيكَ إِنْ الجَنِّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ وَأَنْتَ إلهي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا
رَضِيتُ بِكَ — اللَّهُمَّ — رَبًّا فَلَنْ أَرَى أَدِينُ إلهًا غَيْرَكَ اللهُ ثَانِيَا

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مَنْ وَرَحْمَةٍ بَعَثَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيًا
فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوا إِلَى اللَّهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا
وَقُولَا لَهُ : أَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ بِلَا وَتَدٍ ، حَتَّى اطْمَأَنَّتُ كَمَا هِيَ
وَقُولَا لَهُ : أَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ بِلَا عَمَدٍ ، أَرْفَقَ - إِذَا - بِكَ بِأَيْنِي
وَقُولَا لَهُ : أَنْتَ سَوَّيْتَ وَسَطَهَا مُنِيرًا ، إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
وَقُولَا لَهُ : مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدُوَّةً

فِيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَاحِيَا -
وَقُولَا لَهُ : مَنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِي النَّزَى

فِيُصْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رَوْسِهِ وَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُوسُفَا وَقَدْ بَاتَ فِي أَعْصَافِ حُوتٍ لِبَالِيَا
وَإِنِّي لَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا لَا أَكْثِرُ - إِلَّا مَا غَفَرْتَ - خَطَايَا
فَرَبِّ الْعِبَادِ أَلْقَى سَيْبًا وَرَحْمَةً عَلَيَّ ، وَبَارَكَ فِي بَنِيَّ وَمَالِيَا
وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو يَعَانِبُ امْرَأَتَهُ صَفِيَّةَ بِنْتَ الْحَضْرَمِيِّ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسِمُ الْحَضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ أَحَدُ الصَّدَفِ ، وَاسِمُ الصَّدَفِ :
عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ أَحَدُ السَّكُونِ بْنِ أَشْرَسَ بْنِ كِنْدِيِّ ، وَيُقَالُ : كِنْدَةُ بْنُ
ثَوْرَ بْنِ مُرْتَعٍ بْنِ عُقَيْرِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدَ ابْنِ زَيْدِ بْنِ مِهْسَعٍ
ابْنِ عَمْرٍو ابْنِ عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ ، وَيُقَالُ : مُرْتَعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ
زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ .

قال ابن إسحاق: وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فكانت صفية بنت الحضرمي كلما رآته قد تهيأ للخروج، وأرادته؛ آذنت به الخطاب بن نفيل، وكان الخطاب ابن نفيل عمه وأخاه لأمه، وكان يعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطاب قد وغل صفية به، وقال: إذا رأيته قد تم بأمر، فأذيني به - فقال زيد:

لَا تَحْبِسْنِي فِي الْمَوَا نِ صَفِيٍّ مَادَانِي وَدَائِبُهُ
إِنِّي إِذَا خِفْتُ الْمَوَا نِ، مُتَيْعٌ ذُلُّ رِكَابِهِ
دُعُوصُ أَبْوَابِ الْمَلُوكِ لَكَ وَجَائِبُ لِلْخَرْقِ نَابُهُ
قَطَاعُ أَسْبَابِ تَذِلَ بَغِيرِ أَقْرَانِ صَعَابِهِ
وَأِنَّمَا أَخَذَ الْمَوَا نَ الْعَبْرُ إِذْ يُوَمِّى إِهَابِهِ
وَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَذِلَّ بِصِكَ جَنْبِيهِ صَلَابِهِ
وَأَخِي ابْنُ أُمِّى، ثُمَّ عَمِّى لَا يُوَاتِنِي خَطَابِهِ
وَإِذَا يُعَاتِبُنِي بِسُو ءِ قُلْتُ: أَعْيَانِي جَوَابِهِ
وَلَوْ أَشَاءَ لَقُلْتُ: مَا عِنْدِي مَفَاتِحُهُ وَبَابِهِ

قال ابن إسحاق: وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل: أن زيدا إذا كان استقبل الكعبة داخل المسجد، قال: لبيك حقاً حقاً، تبعيداً ورقاً.

• • • • •

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وَهُوَ قَائِمٌ
إِذَا قَالَ :

أَنْفِي لَكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمٌ مِمَّا تُجَنِّسُنِي فَإِنِّي جَاشِمٌ
الْبِرِّ أَتُنْفِي لَا الْخَال ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ .

قال ابن هشام : ويقال : البر أَتُنْفِي لَا الْخَال ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كَمَنْ قَالَ : قال
هو قوله : « مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ » عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تُحْمِلُ صَخْرًا ثَقَلَا
دَحَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ ، أَرْسَى عَلَيْهَا الْجَبَالَا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمَزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالَا
إِذَا هِيَ سَيِّقَتْ إِلَى بَلَدَةٍ أَطَاعَتْ ، فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سَجَالَا

وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حِراءَ
مقابل مكة ، ووكل به الخطابُ شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفاهم ،
فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرا منهم ، فإذا علموا
بذلك ، آذَنُوا بِهِ الْخَطَابُ ، فأخرجوه ، وآذَوْهُ كراهية أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ،
وَأَنْ يُتَابِعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى قِرَاقِهِ . فقال - وهو يعظم حرُمته على مَنْ اسْتَحَلَّ
منه ما استحل من قومه :

لَا تُهْمُ إِنِّي مُحَرِّمٌ لَا حِلَّهٗ وَإِنَّ بَيْتِي أَوْسَطَ الْمَحِلَّةِ

عند الصَّفَا لَيْسَ بَدَى مَضَلَّةً

ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأخبار ، حتى بلغ الموصلَ والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجاء الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بمِيقَةَ من أرض البلقاء ، كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفة دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطبدنا ما أنت بواجدٍ من يَحْمِلُكَ عليه اليوم ، ولكن قد أظَلَّ زمانُ نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفة ، فاتَّخِذْ بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شامَّ اليهودية والنصرانية ، فلم يَرَضْ شيئاً منهما ، فخرج سريعاً ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد نَحْمٍ ، عَدَوْا عليه فقتلوه - فقال وَرَقَةُ بن نوفل بن أسديبكيه :

رَشِدْتُ ، وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو ، وَإِنَّمَا	تَجَنَّبْتَ تَنْوَرًا مِنَ النَّارِ حَامِيًا
بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ	وَتَرَكْتَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِي كَاهِيًا
وإِذْ رَأَيْكَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ	وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِيًا
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ كَرِيمٍ مُقَامُهَا	تُعَلِّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيًا
تُلَاقِي خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا ، وَلَمْ تَكُنْ	مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَى الدَّارِ هَاوِيًا
وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ	وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَاوِيًا

قال ابن هشام : يُروى لِأُمِّيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ البيتان الأولان منها ، وآخرها

• • • • •

بيتا في قصيدة له . وقوله : « أوثان الطواغى » عن غير ابن إسحاق .

ذكر مربي ورقته بن نوفل :

فصل : وذكر حديث ورقة بن نوفل ^(١) ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان ابن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل وما تناجوا به ، وقال : زيد بن عمرو ابن نفيل إلى آخر النسب ، والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نفيل بن رباح ^(٢) بن عبد الله بن قُرَظ بن رِزاح ^(٣) بتقديم رباح على

(١) نسب ورقة ، هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وقد تقدم الكلام عنه . وفي الصحيحين ما يدل على أنه لقي النبي ، ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله إلى الإسلام . وحديث رؤية النبي لورقة في الجنة حديث منقطع ، وحديث أنه سأل رسول الله « ص » عن كيفية مجيء الوحي ، وأنه قال : يأتيني من السماء وجناحه أولو ، وباطن قدميه أخضر . هذا مروي عن طريق روح بن مسافر ، وهو أحد الضعفاء ، والحديث في روايته سماع ابن عباس من ورقة ، وابن عساكر يقول : لم يسمع ابن عباس من ورقة ، ولا أعرف أحدا قال : إنه أسلم .

(٢) في الإصابة : نفيل بن عبد العزى بن رباح .

(٣) في الإصابة بعده : ابن عدى بن كعب بن لؤي بن غالب . وإليك ما ذكر المصعب الزبيري عن هذا النسب : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ٣٤٦ نسب قريش ، ورزاح بكسر الراء وفتحها . والفتح عند الدارقطني . وقد وردت عن زيد عدة أحاديث ، منها ما رواه البخاري ، وفيه : « كان يحيي الموءودة يقول للرجل ، إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها أنا أكتفيكم مؤنتها ، فياخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفتك مؤنتها » .

وحديث إسناد ظهره إلى الكعبة . وسيأتي في الروض - أخرجه البخاري من =

عبد الله ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر ، وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح ، وإنما رزاح بالكسر : رزاح بن ربيعة أخو قصى لأمه الذي تقدم ذكره (١) .

الزواج من امرأة الأب في الجاهلية :

وأُمُّ زَيْدِ هِي : الحنيدة بنت خالد الفهمية ، وهي امرأة جده نقييل ولدت له الخطَّابَ (٢) فهو أخو الخطَّاب لأمه ، وابن أخيه ، وكان ذلك مُباحاً في الجاهلية بشرع متقدِّم (٣) ، ولم تكن من الحُرُمَاتِ التي انتَهَكُوهَا ، ولأمن العظائم التي ابتدعوها ، لأنه أمر كان في عهود نسب رسول الله — صلى الله

طريق هشام من طريق الليث تعليقا ، والنسائي من طريق أبي أسامة ، والبغوي من طريق علي بن مسهر كلهم عن هشام ، وزادوا فيه : « يحبي الموءودة يقول للرجل إن أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، فأنا أكفيك موتها » ، وورد في رواية الطبراني أنه كان يسجد للكعبة بدلا من راحته وقال عنه ابن دريد في الجهرة : رضى الأوثان في الجاهلية ، وامتنع من أكل ما ذبح لغير الله — عز وجل — والتزم الحنيفية دين إبراهيم ، إلى أن قتله أهل ميفعة ، قرية من قرى البلقاء بقرب دمشق من لحم أو جذام .

(١) والحديث الذي ذكره ابن إسحاق ، وفيه سؤال سعيد بن زيد وعمر ، بن الخطَّاب لرسول صلى الله عليه وسلم الاستغفار لزيد . . . في رواية أحمد والطبراني والبخاري أن سعيدا هو الذي سأل ، وقال البيهقي عن الحديث : فيه المسمودي وقد اختلف ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) وكان عمرو بن نقييل قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نقييل أخوه الخطَّاب .

(٣) من أين له هذا ؟

عليه وسلم — فِكِنَانَةُ تَزُوجُ امْرَأَةَ أَبِيهِ خُزَيْمَةَ ، وَهِيَ بَرَّةٌ بِنْتُ مُرَّةٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ النَّضْرَ بْنَ كِنَانَةَ ، وَهَاشِمٌ أَيْضًا قَدْ تَزُوجُ امْرَأَةَ أَبِيهِ وَائِدَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ ضَعِيفَةَ ^(١) ، وَلَكِنْ هُوَ خَارِجٌ عَنْ عُمُودِ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَنَّهَا لَمْ تَلِدْ جَدًّا لَهُ ، أَعْنَى : وَائِدَةَ ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَا مِنْ نِكَاحِ لَا مِنْ سِفَاحٍ ^(٢) ، وَلِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) النِّسَاءُ : ٢٢ . أَيْ : إِلَّا مَا سَلَفَ مِنْ تَحْلِيلِ ذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ : وَفَائِدَةُ هَذَا الِاسْتِثْنَاءُ الْأَلَّا يُغَابُ نَسَبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي أَجْدَادِهِ مَنْ كَانَ لِفَيْئَةٍ ^(٤) وَلَا مِنْ سِفَاحٍ . أَلَا نَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فِي شَيْءٍ نَهَى عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ : إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، نَحْوَ قَوْلِهِ : (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْنَا) وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ : (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) الْإِسْرَاءُ : ٣٠ . وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي نَهَى عَنْهَا إِلَّا فِي هَذِهِ ، وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ قَدْ كَانَ مَبَاحًا أَيْضًا فِي شَرَعٍ مِنْ قَبْلُنَا ، وَقَدْ جُمِعَ يَعْقُوبُ بْنُ رَاحِيلَ وَأَخْتَاهُ إِيَّاهُ ^(٥) فَقَوْلُهُ : إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ

(١) يَقُولُ الْمَصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ فِي نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ١٧ : « وَكَانَتْ ضَعِيفَةُ بِنْتُ هَاشِمٍ عِنْدَ عَبْدِ مَنَافٍ بِنِ زَهْرَةَ بِنِ كَلَابٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدُ يَغُوثَ ، وَعَبِيدُ يَغُوثَ ، (٢) لَا رَيْبَ فِي طَهَارَةِ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ نِكَاحٍ صَحِيحٍ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَبِيهِ وَآمَنَةَ أُمِّهِ . لَكِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَرْفَعُ هَذِهِ السَّكْلَةَ ، حَتَّى آدَمَ أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ ، وَلِهَذَا لَمْ يُخْرِجْهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ السَّيِّئَةِ ، فَلَا تَرَاهَا إِلَّا عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَابْنِ عَسَاكَرٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ . وَأَحْسَنُ تَعْبِيرٍ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ : « لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ » .

(٣) لَا يَجُوزُ قَصْرُ الْآيَةِ عَلَى مَا ذَكَرَ وَحْدَهُ .

(٤) الزَّوْنَا ، وَتَقَالُ بِكَسْرِ الْغَيْنِ وَفَتْحِهَا .

(٥) هُمَا فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ : رَاحِيلَ وَلَيْثَةَ ابْنَتَا لَابَانَ ، وَقَصَّتُهُمَا مَعَ يَعْقُوبَ =

الْتِفَانَةَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَتَذْيِيقَهُ عَلَى هَذَا الْمَغْزَى، وَهَذِهِ النِّسْكَةُ لَقِنَتْهَا مِنْ شَيْخِنَا
الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن العربي - رحمه الله - وزيد هذا هو: والد سعيد
ابن زيد أحد العشرة الذين شُهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأُمُّ سَعِيدٍ: فَاطِمَةُ بِنْتُ نَجَّاجَةَ
ابن خلف الخُزَاعِي [عند الزبير: بَعَجَّةُ بن أُمَيَّةَ بن خُوَيْلِدٍ بن خالد بن اليَمَعِر
بن خَزَاعَةَ].

تفسير بعض قول ابن محبس:

وذكر قول عبد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة: فَمَحَّنَا وَصَا صَائِمٌ،
وشرح فَمَحَّنَا بقوله: فَمَحَّحَ الْجُرُوءُ: إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ،
وَزَادَ: جَصَّصَ أَيْضًا، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ: بَصَّصَ بِالْبَاءِ حَكَاهَا عَنْ أَبِي زَيْدٍ (١)،
وَقَالَ الْقَسَالَى: إِنَّمَا رَوَاهُ الْبَصَرِيُّونَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ بَيَاءً مَنْقُوطَةً بِأَمْتَيْنِ، لِأَنَّ
الْيَاءَ تَبْدُلُ مِنَ الْجِيمِ كَثِيرًا كَمَا نَقُولُ: أَيْلٌ وَأَجَلٌ، وَلِرَوَايَةِ أَبِي عُبَيْدٍ وَجْهٌ،
وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ بَصَّصَ مِنَ الْبَصِصِ، وَهُوَ الْبَرِيقُ.

بعض الذين تنصروا:

فصل: وذكر عثمان بن الحويرث مع زيد، وورقة وعبيد الله بن جحش،
ثم قال: وأما عثمان بن الحويرث فإنه ذهب إلى الشام، وله فيها مع قيصر خبر،
ولم يذكر ذلك الخبر، وذكر البرقي عن ابن إسحاق أن عثمان بن الحويرث
قدم على قيصر، فقال له: إني أجعل لك خَرَجًا على قريش إن جاءوا

== في الإصحاح التاسع والعشرين من التكوين، وفيه أن لابان خدع يعقوب وزوجه
غير التي كان يريد بها أولاً، لأنها الكبرى، ثم زوجه لينة.

(١) في القاموس: يصص الجرو: جصص. وانظر ص ١٣٦ نوادر أبي زيد

الشام لتجارهم ، وإلا منعهم ، فأراد قيصر أن يفعل فخرج سعيد بن العاصي ابن أمية وأبو ذئب ، وهو : هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود بن نضر بن مالك بن حنبل بن عامر إلى الشام ، فأخذوا حبسا ، فمات أبو ذئب في الحبس ، وأما سعيد بن العاصي ، فإنه خرج الوليد بن المغيرة ، وهو أمية فتخلصوه في حديث طويل ، رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأَخْذَسِ . وأبو ذئب الذي ذكر هو : جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، يُكْنَى : أبا الحارث من فقهاء المدينة ، وأمه بُرَيْهَةُ بنت عبد الرحمن بن أبي ذئب ، وأما الزبير فذكر أن قيصر كان قد تَوَجَّعَ عُثْمَانَ ، ولولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا الملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إِنَّ مَكَّةَ حَيٌّ لَقَاحٌ لَا تَدِينُ الْمَلِكَ ^(١) ، فلم يتم له مراده ، قال : وكان يقال له : الْبَطْرِيقُ ^(٢) ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمى عَمْرُو بْنُ جَمْنَةَ الْغَسَّانِي الْمَلِكُ .

اعتزال زبير بن عمر بن نفيل الأوثان :

فصل : وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه طوائفهم ، وتركه أكل ما نُحِرَ [على الأوثان] ^(٣) والنَّصُبِ . روى البخاري عن محمد بن أبي بكر ،

(١) أى لا تخضع للملوك .

(٢) في القاموس : البطريق : ككبريت ، القائم من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ، ثم الطرخان على خمسة آلاف ، ثم القصر مَس على مائتين ، والمختال .

(٣) ما بين القوسين زده من السيرة .

قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثني سالم ابن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقي زيدا بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح^(١) قبل أن ينزل على النبي - عليه السلام - الوحي ، فقدّمت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ، سُفرةٌ أو قدّمها إليه النبي - صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل ما تذبجون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسمُ الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاةُ خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض الكَلأَ ، ثم تذبجونها على غير اسم الله ! إنكاراً لذلك ، وإعظاماً له . قال موسى بن سالم بن عبد الله : ولا أعلم إلا ما تُحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ، ويَدِّعُهُ ، فأتى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم ، وقال له إني لعلّ أن أدين بدينكم ، فأخبروني ، فقال : لا تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً ، وأنى أستطيعه ، فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد فأتى عالماً من النصارى ، فذكر مثله ، فقال لن : تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفرُّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ، ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأنى أستطيعه ، فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب ، أو مكان في طريق التنعيم .

يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً . ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه ، فقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم . وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مُسنداً ظهره إلى السكبة ، يقول : يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يُنحّي التّمودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أ كفيك مئوتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مئوتها . إلى هاهنا انتهى حديث البخاري . وفيه سؤال يقال : كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما ذبح على الثّصب ، وما لم يذكر اسمُ الله عليه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس في الحديث حين اُقيم به بلذّح ، فقدّمت إليه السّفرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكل منها ، وإنما في الحديث أن زيدا قال حين قدّمت السّرة : لا آكل مما لم يُذكر اسمُ الله عليه : الجواب الثاني (١) : أن زيدا إنما فعل ذلك برأى

(١) جوابه الثاني غير مقبول ، وزعمه أن ما ذبح لغير الله لم يكن محرماً في دين إبراهيم قول بغير دليل . والانصاب : أحجار كانت حول السكبة يذبحون عليها للأضنام . وإليك بعض الآراء حول هذا الحديث . قال ابن بطال : كانت السّفرة لقريش قدموها للنبي ، فأبى أن يأكل منها ، فقدمها النبي - صلى الله عليه وسلم - لزيد بن عمرو ، فأبى أن يأكل منها ، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها أولاً : إنا لأنّا كل ما ذبح على أنصا بكم . وقال صاحب الفتح : وما قاله محتمل ، لكن لا أدري من أين له الجزم بتلك .

رآه ، لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم الميته ، لا بتحريم ما ذُبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام ، وبعض الأصوليين يقولون : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة ، فإن قلنا بهذا ، وقلنا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما ذُبح على النصب ، فإنما قتل أمراً مباحاً ، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم ، وهو الصحيح ، فالذبايح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو ذلك ، مما أحله الله تعالى في دين من كان قبلنا ، ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل الله سبحانه : (ولا تأكلوا مما لم يُذَكَّرْ باسم الله عليه) الأنعام : ١٢١ . ألا ترى كيف بقيت ذبايح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من

— وقال الخطابي . كان النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام ، ويأكل ما عدا ذلك ، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه ، لأن الشرع لم يكن نزل بعد ، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة . وقال صاحب الفتح : وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال ، وعلى تقدير أن يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر المذكور ، فإنما يحمل على أنه إنما ذبح عليه لغير الأصنام . وأما قوله تعالى : وما ذبح على النصب ، فالمراد به ما ذبح عليها الأصنام ، وفي الفتح أيضاً : أن الجواب على قوله : فذبحنا شاة على بعض الانصاب يعني : الحجارة التي ليست بأصنام ، ولا معبودة وإنما هي من آلات الجزار التي يذبح عليها ؛ لأن النصب في الأصل حجر كبير ، فمنها ما يكون عندهم من جملة الأصنام ، فيذبحون له ، وعلى اسمه ، ومنها ما لا يعبد ، بل يكون من آلات الذبح ، فيذبح الذابح عليه لا للصنم ، وكان امتناع زيد منها حسماً للمادة .

الكُفْر، وعبادة الصُّلْبَان، فكذلك كان ما ذبحه أهلُ الأوثانِ مُحَلَّاً بالشرع
المتقدم، حتى خصه القرآن بالتحريم .

زبير وصعصعة والموءودة :

فصل : وذكر خبر الموءودة ، وما كان زيد يفعل في ذلك ، وقد كان
صَعَصَعَةُ بن معاويةَ جدَّ الفَرَزْدَقِ رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : هل لي في ذلك من أجر؟ فقال في أصح الروايتين :
لك أجره إذا منَّ الله عليك بالإسلام ، وقال المُبَرِّدُ في الكامل عن النبي
- صلى الله عليه وسلم - كلاماً لم يصح لفظه ولا معناه ، ولا يشهد له أصل .
والأصول تشهد له بهذه الرواية التي ذكرناها ؛ لما ثبت أن الكافر إذا أسلم ،
وحسُن إسلامه ، كُتِبَ له كلُّ حسنة كان زَلَفَها ، وهذا الحديث أخرجه
البخارى ، ولم يَذْكُرْ فيه : كل حسنة كان زَلَفَها ، وذكرها الدارقطني وغيره ،
ثم يكون القصاص بعد ذلك : الحسنَةُ بِعَشْرِ أمثالِها ، والموءودة مَفْعُولَةٌ من
وَأَدَّه إذا أنقله قال الفرزدق :

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَأْدَا تِ ، وَأَحْيَا الْوَيْدَ ، فَلَمْ يُؤَادِ

يعنى : جدَّ صَعَصَعَةَ بن معاوية بن ناجية بن عِمَّال بن محمد بن سفيان بن
مُجَاشِع . وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غَيْرَةً على البنات ، وما قاله الله في
القرآن هو الحق من قوله : (خَشْيَةَ إِبْلَاقٍ) وذكر النقاش في التفسير :
أنهم كانوا يَتَّيِدُونَ من البنات ، ما كان منهن زَرْقَاءُ أو بَرْشَاءُ أو شِجَاءُ أو

كَشَحَاءَ^(١) تَشَاوَمَا مِنْهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا الْقَوُودُ :
سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ^(٢) ﴾ التَّسْكُورِ : ٨ : ٩ .

العُزَّى :

فصل : وذكر شِعْرَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَفِيهِ : عَزَلْتُ اللَّاتُ وَالْعُزَّى .
جَمِيعًا . فَأَمَّا اللَّاتُ فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ، وَأَمَّا الْعُزَّى ، فَكَانَتْ نَحْلَاتٍ مَجْتَمِعَةً ،
وَكَانَ عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ قَدْ أَخْبَرَهُمْ — فِيمَا ذَكَرَ — أَنَّ الرَّبَّ يُشَقِّى بِالطَّائِفِ عِنْدَ
اللَّاتِ ، وَيُصَيِّفُ بِالْعُزَّى ، فَعَظُمُواهَا وَبَنَوْا لَهَا بَيْعًا ، وَكَانُوا يَهْدُونَ إِلَيْهِ كَمَا
يَهْدُونَ إِلَى السَّكْبَةِ ، وَهِيَ الَّتِي بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لِيَسْكَبَهَا ، فَقَالَ لَهُ سَادِمُهَا : يَا خَالِدُ اخْذَرَهَا ؛ فَإِنَّهَا تَجْدَعُ

(١) الزرقاء : العمياء أو من بها ذلك . والبرشاء : من فى لونها نقط مختلفة
حمر ، وأخرى سوداء أو غبراء . والشيماء : من كثرت فى بدنها الشامات ، والشامة .
علامة فى البدن ، يخالف لونها لون سائر ، والكشحاء : الموسومة بالنار فى كشحها .
بسبب داء فى كشحها ، وربما كانت : الكسحاء .

(٢) ورد فى فتح البارى ص ١١٥ ج ٧ : « كان أهل الجاهلية يدفنون البنات .
وهن بالحياة ، ويقال : كان أصلها من الغيرة عليهن لما وقع لبعض العرب حيث
سبي بنت آخر فاستفرشها ، فأراد أبوها أن يفتديها منه ، فخيرها ، فاختارت
الذى سبها ، خلف أبوها : ليقتلن كل بنت تولد له ، فتبع على ذلك ، غير أن
القرآن ذكر أن وأدهن كان خشية الفقر ، أو من الفقر . ولهذا قال سبحانه : « نحن
نرزقهم وإياكم . لمن كانوا يمدون خشية الفقر ، وقال لمن يمدون من الفقر : « نحن
نرزقكم وإياهم . عجل لهم البشارة برزق الوائدين ، فهى فى هذا المقام أولى
بالذكر .

وَتُسَكَّنُ ، (١) فهدمها خالد وترك منها جذمها (٢) وأساسها ، فقال قَتِيْمُهَا :
والله لتعودنَّ ولتنتقمينَّ مِمَّنْ فعل بها هذا ، فذُكِرَ - والله أعلم - أن رسولَ
الله - صلى الله عليه وسلم - قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره
أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسها ، فوجد فيها امرأة
سوداء مُنْتَفِشَةَ الشعر تَحْدِشُ وجهها ، (٣) ، فقتلها ، وهرب القَتِيْمُ ، وهو
يقول : لا تُعْبِدُ الْعَزَى بعد اليوم . هذا معنى ما ذكر أبو سعيد الدِّيسَابُورِي
في التَّبَعِثِ . وذكره الأزرَقِي أيضاً ورَزِين .

معنى يربل :

وقوله : فَيَرْبِلُ منهم الطفل الصغير . أقيت في حاشية الشيخ أبي بحر
رَبَلَ الطفلُ يَرْبِلُ إذا شب وعظم . يربل بفتح الباء أى يكبر وينبت ،
ومنه أخذ رَبِيلُ الأرض (٤) . وقوله : كما يَتَرَوَّحُ الغصنُ : أى : يَنْبُتُ
ورقه بعد سقوطه (٥) .

(١) في بعض الروايات ورد: أن ذلك كان حين أرسل خالد إلى ذى الخلصة
ليهدمها ، وفيها صنم يعبدونه ، فقال له السادن : لا تفعل ، فإنها مكنتك ، بضم
الميم وفتح الكاف وتضعيف النون مع كسرهما أى مقبضة يديك ، ومثلتهما .

(٢) الجذم بكسر الجيم وفتحها : الأصل

(٣) يجب أن نفهم أنها إن صح الحديث شيطانة من الإنس كانت تخدع
الناس بحيلها ، فيظنون أن للعزى حياة وقدرة أو جنيا يتلبس بها

(٤) في القاموس : ربلوا يربلون - بكسر الباء أو ضمها في المضارع ،
كثروا أو كثرت أموالهم وأولادهم وفي الحشنى : ربل الطفل يربل بضم الباء
في المضارع : شب وعظم ، والربل : ما اخضر من الشجر

(٥) عند الحشنى : يهتز ويخضر

أعراب نعت النكرة المتقدم :

وقوله : وللكفار حامية سَعِير . نصب حاميةً على الحال من سَعِير ؛ لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها نصب على الحال ، وأنشد سيبويه في مثله :

لِمِيَّةٍ مُوحِشًا طَلَلٌ^(١)

وأنشد أيضاً [لذي الرِّمَّة] :

وتحت العوالي والقنأ مُنتَكِنَةً ظِلَّاءَ أَعَارَتْهَا الْعِيُونَ الْجَاذِرُ

(١) يرى ابن الحاجب في أماليه على أبيات المفصل أنه يجوز أن تكون كلمة موحشاً حالاً من الضمير في دلمية ، لأن جعل الحال من المعرفة أولى من جعلها من النكرة متقدمة عليها ، لأن هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ، فكان أولى ، ويذهب ابن جني في شرح الحماسة والزخشرى في تفسير : « وجعلناها فجاجاً سبلاً ، والخبصى في شرحه لكافية ابن الحاجب يذهبون إلى أن موحشاً حال من طلل ، لأنها وصف للنكرة ، وتقدمت عليها ، والكرمانى يرى أن موحشاً لا يجوز أن تكون حالاً من طلل ؛ لأنها مبتدأ ، والحال لا تكون إلا من الفاعل أو المفعول ، والبيت هو :

لِمِيَّةٍ مَوْحِشًا طَلَلٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلَلٌ

والخلل - بكسر الخاء - جمع خلة وهي بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره والبيت ينسب لكثير عزة كما فعل سيبويه ص ٢٧٦ ١٠ الكتاب ، ومن يقول بهذا يرويه ولعزة موحشاً ، لأن عزة اسم محبوبة كثير ، وقيل إن البيت لذي الرمة ، ومن يقول بهذا يرويه : دلمية موحشاً ، لأن مية اسم محبوبة ذي الرمة انظر ص ٣٤٤ ج ٢ ، ص ١٨٩ ج ٣ - خزائن الأدب للبغدادى طبع السلفية وهناك آخر :

لِمِيَّةٍ مَوْحِشًا طَلَلٌ قَدِيمٌ عَفَاءٌ كُلُّ أَسْحَمٍ مُسْتَدِيمٌ

والعامل في هذا الحال : الاستقرار الذي يعمل في الطرف ، ويتعاقب به حرف الجر ، وهذا الحال على مذهب أبي الحسن الأخفش لا اعتراض فيها ؛ لأنه يجعل النكرة التي بعدها مرتفعة بالطرف ارتفاع الفاعل ، وأما على مذهب سيدييه ، فالمسئلة عسيرة جداً ؛ لأنه يلزمه أن يجعلها حالا من المضمر في الاستقرار ؛ لأنه معرفة ، فذلك أولى من أن يكون حالا من نكرة ، فإن قدر الاستقرار آخر الكلام ، وبعد المرفوع كان ذلك فاسداً ؛ لتقدم الحال على العامل المعنوي . وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا .

من معاني سمر زبير :

فصل : وأنشد أيضاً زبير : إلى الله أهدى مدحى وثنائياً . وفيه : ألا أيها الإنسان إياك والردى . تحذير من الردى ؛ والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروك ، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت ، ويبيده وبكشفه من جزاء الأعمال ؛ ولذلك قال : فإنك لا تخفى من الله خافياً . وفيه :

وإني وإن سبحتُ باسمك رَبَّنَا لَا كَثِيرُ إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَايَا

معنى البيت : إني لا أكثّر من هذا الدعاء الذي هو باسمك رَبَّنَا إلا ما غفرت « وما » بعد إلا زائدة ، وإن سبحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها ، كما تقول : إني لا أكثّر من هذا الدعاء الذي هو باسمك رَبَّنَا إلا والله يغفر لي لأفعل كذا ، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة ، أى : لا أعتد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي .

تفسير منانيك :

وقوله : حَنَانِيكَ بلفظ التثنية ، قال النحويون : يريد حنانا بعد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد . قال المؤلف رحمه الله : ويجوز أن يريد حنانا في الدنيا ، وحنانا في الآخرة ، وإذا قيل هذا لخلق نحو قول طرفة :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا حَمَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فإنما يريد : حناناً دَفَعُ ، وحناناً نَفَعَ ؛ لأن كل من أمَّل ما سكا ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيراً ، أو ليجلب إليه خيراً .

ترجمة أدين :

وقوله : فلن أرى أدين إلها . أى : أدين لإله ، وحذَف اللام وعدَّى الفعل ؛ لأنه في معنى : أعبد إلها .

مول اسم الله :

وقوله : غيرك الله يُرفع الماء ، أراد : يا الله ، وهذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام ، إلا أن حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الأسماء ، ألا ترى أنك تقول : يا أيها الرجل ، ولا ينادى اسم الله بيا أيها ، وتقطع همزته في النداء ، فتقول : يا الله ، ولا يكون ذلك في اسم غيره إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعروفة ، وأمل بعض

ذلك أن يُذكر فيما بعد - إن شاء الله - وقد استوفيناه في غير هذا الكتاب ،
وفيه بيت حسن لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره أبو الفرج (١) في أخبار
زيد وهو :

أدين إلهنا يُستجار ، ولا أرى أدين لمن لم يسمع الدهر داعياً
مُزف المناوى مع بقاء الباء :

وفيه : قلت : ألا يا اذهب (٢) على حذف المنادى ، كأنه قال : ألا يا هذا
اذهب ، كما قرئ : ألا يا اسجدوا ، يريد : يا قوم اسجدوا ، وكما قال غيلان :
ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى (٣)

(١) في كتابه الأغاني .

(٢) الذى فى السيرة : فقلت له : يا اذهب ، وفى بعض نسخها :
فقلت له : اذهب .

(٣) هو لذى الرمة ، غيلان بن عقبة من بنى صعب بن مالك بن عبد مناة
ويكنى أبا الحارث . انظر ص ٧٤ ج ١ خزائن الأدب ، ففيها تفصيل الأسباب
التي من أجلها لقب غيلان بذى الرمة ، وفى الروض بعضها ، وبيت الشعر كما قال ، وبقية :
« ولا زال منها بجرعائك القطر » . ويرى الجوهرى فى الصحاح أن قوله سبحانه :
« ألا يا اسجدوا » بالتحفيف معناه : يا هؤلاء اسجدوا ، لحذف المنادى اكتفاء
بحرف النداء . وقال غيره : إن ياقى هذا الموضع إنما هى للتنبيه ، كأنه قال :
ألا اسجدوا ، فلما أدخلت عليه ياء التنبيه سقطت الألف التي فى اسجدوا ، لأنها
ألف وصل ، وذهبت الألف التي فى « يا » لاجتماع الساكنين ، لأنها
والسين ساكتان

وفيه : اذهب وهارونُ ، عطفًا على الضمير في اذهب ، وهو قبيح إذا لم يؤكّد ، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدًا .

تصريف الطمأنت وأشباه :

وقوله : اطمأنت كما هيا ، وزنه أَفْلَعَلَّتْ ، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف ، لأنه من تطأمن أى : تطأطأ ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل ، فتكون أخف عليهم في اللفظ كما فعلوا في أشياء . حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين ^(١) . كما هيا . ما : زائدة لَتَكْفُفَ السكاف عن العمل ، وتسهيلًا للدخول على الجمل ، وهي : اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، التقدير : كما هي عليه ، والسكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذي دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سِرْتُ مثل سير زيد ؛ فمثل حال من سِيرَكَ الذي سرتة ، وفيه : أَرْفِقْ إِذَا بَكَ بَانِيَا . أَرْفِقْ تعجب ، وبك في موضع رفع لأن المعنى : رَفُفْتُ ، وبانيا تمييز ، لأنه يصلح أن يجر بمن ، كما تقول : أَحْسِنْ بَزِيدٍ مِنْ رَجُلٍ ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ؛ إذ قد

(١) وزن أشياء عند الاخفش : أفعلاء . وعند غيره أفعال ، وعند سيبويه . والخليل ، لفعاء ، ويقول الخليل : أشياء اسم للجمع ، كان أصله : فعلاء ، شيئا فاستثقلت الهمزتان ، فقلبا الهمزة الأولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما قلبوا أنوقا ، فقالوا : أَيْتَقَا ، وكما قلبوا ، قووسا : قسيًا . وقول الخليل هو مذهب سيبويه والمازني ، وجميع البصريين إلا الزيادي منهم . أما الاخفش ، فيقول : أصل أشياء ، أشياء على وزن أشياع ، فاجتمعت همزتان بينهما ألف . خففت الهمزة الأولى .

علم أنك متعجب منه ، وَلَبَسْتَ هَذَا الْمَعْنَى وَكَشَفَهُ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذَا - إِنْ شَاءَ
الله - وَبَعْدَ قَوْلِهِ :

وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لِيَالِيَا

بَيْتٌ لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَوَقَعَ فِي جَامِعِ ابْنِ وَهْبٍ وَهُوَ :

وَأَنْبَتَ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ أَصْبَحَ ضَاحِيًا (١)

صَفِيَّةُ بِنْتُ الْحُضْرَمِيِّ :

وَذَكَرَ صَفِيَّةُ بِنْتُ الْحُضْرَمِيِّ ، وَاسْمُ الْحُضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَارٍ (٢) ،
وَسَيِّئَاتِي ذَكَرَ نَسَبَهَا عِنْدَ ذِكْرِ أَخِيهَا بَعْدُ .

الرُّعْمُوسُ وَالْخُرْمُ فِي الشَّعْرِ :

وَقَوْلُهُ : دُعْمُوسُ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . يَرِيدُ : وَلَا جَأْفَ فِي أَبْوَابِ الْمُلُوكِ ، وَأَصْلُ
الدُّعْمُوسِ : سَمَكَةٌ صَغِيرَةٌ كَحَيَّةِ الْمَاءِ ، فَاسْتَعَارَهُ هُنَا ، وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثِ
أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : صَغَارَكُمْ دَعَامِيصُ (٣) الْجَنَّةِ ، وَكَمَا اسْتَعَارَتْ عَائِشَةُ الْعَصْفُورَ

(١) الْيَقْطِينُ : كُلُّ شَيْءٍ مَذْمُومٍ بَسَطًا فِي الْأَرْضِ ، وَمِنْهُ : الْقِرْعُ وَالْبَطِيخُ وَغَيْرُهُمَا .
وَضَاحِيًا : عَارِيًا بَارِزًا لِلشَّمْسِ .

(٢) فِي السِّيرَةِ وَرَدَ اسْمُ الْحُضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَادٍ . وَيَقُولُ الْخَشَنِيُّ :
وَالصَّوَابُ : عِمَادٌ لَا عِمَادَ . قَالَهُ ابْنُ الدَّبَاغِ وَابْنُ أَبِي الْخِصَالِ وَغَيْرُهُمَا .

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ خَالِيٍّ فِي الْأَدَبِ . وَقَدْ فَسَّرَ الْخَشَنِيُّ الدُّعْمُوسَ =

حين نظارت إلى طفل صغير قد مات ، فقالت : طُوبَى له عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل سوءاً ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك ؟ إن الله خلق الجنة ، وخلق لها أهلاً ، وخلق النار ، وخلق لها أهلاً » أخرجه مسلم ، وفي هذه الآيات خَرَمٌ في موضعين ، أحدهما قوله :

ولو أشاء لقلت ما عندى مَفَاتِيحُهُ وبابه

والآخر قوله :

وإنما أخذ الهوانَ إلا مَعِيْزُ إذ يُوهى إهابه

وقد تقدم مثل هذا في شعر ابن الزُبَيْرِ ، وتكلمنا عليه هناك بما فيه كفاية . وقوله : ويقول . إني لا أذِلُّ أى : يقول العَبْرُ ذلك بِصَلِّ جَنْبَيْهِ صِلَابُهُ ، أى : صِلَاب ما يوضع عليه ، وأضافها إلى العبْر لأنها عِبْوَةٌ وحمله .

لغويات ومجربات :

وذكر قوله : البرُّأبْنى لا الخال (١) قال ابن هشام : البرُّأبْنى : بالنصب ، والخال : الخَلِيلُ ، والكَبِيرُ : وقوله : ليس مُهَجَّرٌ كمن قال ، أى : ليس من هَجَّرَ وتَسَكَّيسُ ،

== بقوله : « درية نفوس في الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل الذي يكثر الدلوج في الأشياء . فيعنى أنه يكثر الدخول على الملوك . »

(١) هو في الطبراني والبراز مع اختلاف يسير ، وفيه المسعودى ، وقد اختلف

كَمَنَّ آثَرُ الْقَائِلَةِ وَالنَّوْمُ^(١)، فهو من : قال يَقِيلُ ؛ وهو ثلاثي ، ولكن لا يُتَعَجَّبُ منه . لا يقال : ما أَقِيلُه !! قال أهل النحو : اسْتَغْنَوْا عنه : بما أَنْوَمَه ، ولذكر السر^(٢) في امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا . وقول زيدة : إِنِّي مُحَرِّمٌ لَا حِلَّةَ . مُحَرِّمٌ أَي : ساكن بالحَرَمِ ، وَالْحِلَّةُ : أَهْلُ الْحِلِّ . يقال للواحد والجميع : حِلَّةَ . ذكر لقاء زيد الراهبِ بِمَيْفَعَةَ هَكَذَا تَقِيدُ فِي الْأَصْلِ بِكسر الميم من مَيْفَعَةَ^(٣) ، والقياس فيها : الفتح ؛ لأنه اسمٌ لموضعٍ أَخَذَ مِنَ الْيَقَاعِ ، وهو المرتفع من الأرض . وقوله : شَامَ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ ، هو فاعل من الشَّمَّ كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النَّسَّابَةَ مِنْ قُضَاعَةَ ، ثم انصرف ، فقال له النَّسَّابَةُ : شَأْنُكُمْ شَأْمَةُ الذِّئْبِ الْغَنَمَ^(٤) ، ثم تنصرف . في حديث ذكره أبو عليّ

(١) تعبير الحشنى في تفسيرها أبسط ، فقد قال : المهرج الذي يسير في الهاجرة أى : القائلة وقوله : كمن قال : يريد كمن استراح في القائلة ، ولم يسر ص ٧٤ .
(٢) في المطبوعة : السير .

(٣) في المراسد : بفتح الميم وبالفاء المفتوحة : قريبة من أرض البلقاء من الشام ، وهى أيضاً في دار همدان باليمن .

(٤) الخبر في الأمالى لأبي على القالى ص ٢٩٧ ط ٢ . وفيه أن يزيد سأل الشيخ : من الرجل ؟ ومن القوم ؟ فأرَمَّ القوم ينظرون إلى الشيخ هيبة له ، فقال الشيخ : رجل من مهرة - بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الراء - ابن حيدان - بفتح الحاء وسكون الياء - ابن عمرو بن الحاف بن قضاة ، فقلت - القائل يزيد - حياكم الله ، وانصرفت فقال الشيخ : قف أيها الرجل ، نسبنا فانتسبنا لك ، ثم انصرفت . ولم تكلمنا .. أو شاعمتنا مشامة الذئب الغنم ، ثم انصرفت ، والخبر كله خبر أدب لطيف .

في النواذر ، ومعناه : استخبر ، فاستعاره من الشم ، فنصب اليهودية والنصرانية
نصب المفعول ، ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شمت ، والفعل أولى
بهذا الموضع ، كما تقدم ، وقول ورقة : رشدت وأنعمت ابن عمرو ، أى : رشدت
وبالغت في الرشد ، كما يقال : أمتعنت النظر وأنعمته ، وقوله : ولو كان تحت
الأرض سبعين واديا بالنصب . نصب سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفة
للكرة ، كما قال : فلو كنت في جب ثمانين قامة^(١) وما [يكون] صفة
للكرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بُعد
تحت الأرض سبعين . كما تقول : بُعد طويلا ، أى : بعدا طويلا ، وإذا حذف
المصدر ، وأقت الصفة مقامه لم تكن إلاحالا ، وقد تقدم قول سيديويه في ذلك
في مسئلة : ساروا رؤو يدا ، ونحو هذا : دارى خلف دارك فرسخا ، أى : تقرب
منها فرسخا إن أردت القرب ، وكذلك إن أردت البعد ، فالبعد والقرب
مقدّران بالفرسخ ، فلو قلت : دارى تقرب منك قريبا مقدرا بفرسخ ، كان
بمنزلة من يقول : قريبا كثيرا أو قايلا ، فالفرسخ موضوع موضع كثير أو قليل
فإعرابه كإعرابه ، وكذلك قول الشاعر :

لانجبوا فلو ان طول قناته ميل إذا نظم الفوارس ميلا

(١) الشعر للأعشى ، وهو كما في اللسان :

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسم
وصف بالثمانين ، وإن كان اسما لأنه في معنى طويل . والبيت من شواهد

سيديويه .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

قال ابن إسحاق : وقد كان - فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم - فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أثبت يُحْتَسُّ الحواريُّ لهم ، حين نَسَخَ لهم الإنجيلَ عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله - صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضني فقد أبغض الرب ، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلي ، ما كانت لهم خطيئةٌ ، ولكن من الآن بطِروا وظَنُّوا أنهم -م- يُعْزَوْنِي ، وأيضا للرب ، ولكن لا بُدَّ من أن تم الكلمة التي في التَّامُوس : أنهم أبغضوني مجَّانا ، أي : باطلاً . فلو قد جاء المُنْحَمَّنا هذا الذي يُرْسَلُهُ الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذي من عند الرب خَرَجَ ، فهو شَهِيدٌ على وأنتم أيضا ؛ لأنكم قديما كنتم معي في هذا ، قلتُ لكم : لكيما لا تشكوا .

والمُنْحَمَّنا بالشريانيَّة : محمد : وهو بالرومية : البَرَقْلَيْطُس ، صل الله عليه وآله وسلم .

أى : نظمهم نظما مستطيلا ، ووضع ميلا موضع مُسْتَطِيلا ، فأعْرابه كإعْرابه ، فهو وَصَفٌ للمصدر ، وإذا أقيم الوصفُ مقامُ الموصوف في هذا الباب لم يكن حالا من الفاعل ، لكن من المصدر الذي يدل الفعلُ عليه بلفظه نحو : ساروا طويلا ، وسقيتها أحسنَ من سَقَى إليك ، ونحو ذلك .

بخمس الحوارى :

فصل : وذكر يُخَدِّسُ الْخَوَارِىَّ (١) وسيأتى فى آخر الكتاب ذكرُ الْخَوَارِىِّينَ كُلِّهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ . وذكر قوله : أَبْفَضْتُمُونِى بَحَّائِنَا ، أى : باطلا ، وكذلك جاء فى الحكمة : يَا بَنَى آدَمَ عَلِّمِ بَحَّائِنَا ، كما عَلَّمْتَ بَحَّائِنَا ، أى : بلائمن ، وفى وصايا الحكماء : شاورْ ذَوَى الْأَسْنَانِ وَالْعُقُولِ يُعْطُوكَ مِنْ رَأْيِهِمْ بَحَّائِنَا .

(١) هو يوحنا صاحب الإنجيل الرابع فى العهد الجديد . هذا وقد ورد ما قاله ابن هشام فى الإصحاح الخامس عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا ، وأذكره هنا — كما هو اليوم فى هذا الإنجيل — لنوازن ، ولنعرف تحريف الكلم عن مواضعه : « الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية ، وأما الآن ، فقد رأوا ، وأبغضوني أنا وأبى ، لكن لىكى تم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم لأنهم أبغضوني بلاسبب . ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى منى عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً ، لأنكم معى من الابتداء .. قد كلمتكم بهذا الكيلا تعثروا ، وأنقل ما ورد بعد هذا من نفس الإنجيل ، وفى نفس الغرض من الإصحاح رقم ١٦ . « أقول لكم الحق : لأنه خير لكم أن أطلق ، لأنه إن لم أطلق لا يأتىكم المعزى « فى نسخة : الفارقليط ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذاك يبكى العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة .. إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع ، يتكلم به ، ويخبركم بأموار آتية ، وهذه البشارة تنطبق تماماً على محمد صلى الله عليه وسلم . وهنالك كثير من البشارات التى وردت فى العهد القديم والعهد الجديد . وقد حرف المغرضون ترجمة كلمة الفارقليط لكيلا تنطبق البشارات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وحسبنا هذا ..

ما أخذوه بالثمن ، أى بطول التجارب ، ومن حفة النبي — صلى الله عليه وسلم — يقول الله سبحانه : أنت عَبْدِي ورسولي (١) سَمِّيتُكَ المتوَكِّلَ ، ليس بِفَظٍّ ولا غليظ ، ولا سَخَّاب (٢) في الأسواق ، ولا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئَةِ ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضَه الله حتى يقيم به المِلَّةَ العَوَّجَةَ ، فيفتح به عيوننا عُنيًا ، وآذاننا نُصْمًا ، وقلوبنا غُلْفًا ؛ بأن يقولوا : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

مس صفات النبي عند الأخبار

ومما وجد من صفته — صلى الله عليه وسلم — عند الأخبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان التيمي . قال : وكان من أخبار يهودَ باليمن ، فلما سمع بذكر النبي — صلى الله عليه وسلم — قدم عليه ، فسأله عن أشياء ، ثم قال : إن أباي كان يختم على سفرٍ ، ويقول : [لا تقرأه] على يهود (٣) حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب ، فإذا سمعتَ به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعتُ بك فتحت السفر ، فإذا فيه صِفَتُكَ كما أراك الساعة ، وإذا فيه : ما تُحِلُّ وما تُحَرِّمُ ، وإذا فيه : إنك خيرُ الأنبياء وأمتك خير الأمم ، واسمك : أحمد ، وأمتك الحامدون . قرُّ بانهم : دماؤهم ، وأناجيلهم : صدورهم ، وهم لا يحضرون قتالاً

(١) جاء قبله : د لانه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . (يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزا المؤمنين .

(٢) في رواية : صخاب أو صخوب .

(٣) أصل العبارة في الروض : د على سفر يقول . على يهود ، والعصوب . من السيرة الحلبية ص ٢٥٠ - ١ .

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الطلبي قال : فلما بلغ محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى الحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ : أَأَقْرَضُكُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ أَيْ تَقْل مَا حَمَلْتُمْ مِنْ عَهْدِي ۖ ﴾ : ﴿ قَالُوا : أَأَقْرَضْنَا ، قَالَ : فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران : ٨١ ، فأخذ

إلا وجبريل معهم ، يتحتمن الله عليهم كتبتن النسر على فراخه ، ثم قال لي : إذا سمعت به فاخرج إليه ، وآمن به ، وصدق به ، فكان النبي — صلى الله عليه وسلم — يحب أن يسمع أصحابه حديثه ، فأتاه يوماً ، فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم — يا نعمان حدثنا ، فابتدأ النعمان الحديث من أوله ، فرؤى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يومئذ يتبسّم ، ثم قال : أشهد أني رسول الله ، وهو الذي قتله الأسود العنسي ، وقطعه عضوا عضوا ، وهو يقول : إن محمداً رسول الله ، وإنك كذاب مُفترٍ على الله ، ثم حرّقه بالنار .

الله ميثاق النّبيّين جميعا بالتصديق له ، والنصر له من خالفه ، وأدّوا ذلك إلى من آمن بهم ، وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

قال ابن إسحاق : فذكر الزُّهري عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها أنها حدثته : أن أول ما بُدئ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به : الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح . قالت : وحَبَّبَ اللهُ تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحبَّ إليه من أن يخلو وحده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الملك بن عُبيد الله بن أبي سُفيان ابن العلاء ابن جارية النّفقِ ، وكان واعيةً ، عن بعض أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أراد الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسّرَ عنه البيوتُ ، ويُفِضُ إلى شعاب مكة وبُطون أوديتها ، فلا يمرُّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحجر ولا شجر ، إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حوله ، وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بمجرأ في شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، مولى آل الزبير .

• • • • •

قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزُّبَيْرِ وهو يقولُ لُعْبِيدُ بنِ مُعْمِرِ بنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيَّ :
 حَدَّثَنَا يَا عُبَيْدُ ، كيفَ كانَ بدءُ ما ابتَدَى به رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم من
 النبوة ، حينَ جاءه جبريلُ عليه السلام ؟ قال : فقال عبيدٌ — وأنا حاضرٌ —
 يُحَدِّثُ عبدَ الله بنَ الزُّبَيْرِ ، وَمَنْ عنده من الناس : كان رسولُ الله صلى الله
 عليه وسلم يُجَاوِرُ في حِراءَ من كلِّ سنة شهراً ، وكان ذلك مما تَحَنَّنَتْ به قريشٌ
 في الجاهلية . والتَّحَنُّنُ : التَّخَبُّرُ .

قال ابنُ إسحاق : وقال أبو طالب :

وَنُزِرَ وَمَنْ أَرَسَى نَبِيْرًا مَكَانَهُ وراقٍ لَبْرِقَى في حِراءَ وَنازِلِ

قال ابنُ هشام : تقول العرب : التَّحَنُّنُ والتَّخَنُّفُ ، يريدون الحَنِيْفِيَّةَ .
 فَيُبْدِلُونَ الفاءَ من الثاءِ ، كما قالوا : جَدَفٌ وَجَدَثٌ ، يريدون . القبر . قال رؤية .
 ابنُ العَجَّاجِ :

لو كان أحجارى مع الأجداف

يريد : الأجداث : وهذا البيت في أرجوزة له . ويدت أبي طالب في قصيدة ،
 له ، سَأَذْكُرُها إن شاء الله في موضعها .

قال ابنُ هشام : وحدثني أبو عُبَيْدَةَ أن العرب تقول : فُمٌّ ، في موضع : ثُمَّ ،
 يبدلون الفاءَ من الثاءِ .

قال ابنُ إسحاق : حدثني وهبُ بنُ كَيْسَانَ قال : قال عُبيدُ [بنِ عمير] :

• • • • •

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم
 مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، من
 شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة ، قبل أن
 يدخل بيته ، فيطوف بها سبعة ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ،
 حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة
 التي بعث الله تعالى فيها ، وذلك ، الشهر : شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلى جِراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي
 أكرمها الله فيها برسالاته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله
 تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني جبريل ، وأنا نائم ،
 بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال ففتني به ،
 حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتني
 به ، حتى ظننت أنه الموت . ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا
 أقرأ ؟ قال : ففتني به ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ،
 قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل
 ما صنع بي ، فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق .
 اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » : قال :
 فقرأتها ، ثم انتهى ، فانصرف عني ، وهبت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي
 كتابا . قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من
 السماء يقول يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل قال : فرفعت رأسي إلى
 السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدماه في أفق السماء يقول :

• • • • •

يا محمد، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فرقفت أنظر إليه فما أتقدم . وما أتأخرُ ، وجعلت أضرب وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلتُ واقفا ما أتقدم أمامي ، وما أرجع ورائي ، حتى بعثتُ خديجة رُسَلَهَا في طلي ، فبلغوا أعلى مسكة ، ورجعوا إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفتُ راجعا إلى أهلي ، حتى أتيت خديجة ، فجلستُ إلى نخلها مُضيفا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثتُ رُسلي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيتُ ، فقالت : أبشر يا بنَ عمِّ واثبتْ . فوالذي نفسُ خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصّر ، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قُدُّوس قُدُّوس ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، فقول لي : فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلقية ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا بن أخي أخبرني بما رأيتَ وسمعتَ ، فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذي نفسى بيده ، إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ

الأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى ، وَلَتَسْكَدَنَّ بَنَّةٌ وَلَتُؤْذِيَنَّ ، وَلَتُخْرِجَنَّ ، وَلَتُقَاتِلَنَّ .
وَلَمَّا أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَمْلِكُهُ ، ثُمَّ أَدْنَى رَأْسِهِ مِنْهُ ،
فَقَبَّلَ يَافُوكَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ : أَنَّهُ
حَدَّثَ عَنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَيُّ ابْنِ عَمٍّ ، أَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
قَالَتْ : فَإِذَا جَاءَكَ فَأُخْبِرَنِي بِهِ . فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَدِيجَةَ : يَا خَدِيجَةُ ، هَذَا جِبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي ، قَالَتْ :
قِمِّي يَا ابْنَةَ عَمٍّ فَاجْلِسِي عَلَى فَخْذِي الْيَسْرَى ، قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَجَلَسَ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَتَحْوَلُ ،
فَاجْلِسِي عَلَى فَخْذِي الْيُمْنَى ، قَالَتْ : فَتَحْوَلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَجَلَسَ عَلَى فَخْذِهَا الْيُمْنَى ، فَقَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَتَحْوَلُ
فَاجْلِسِي فِي حَجْرِي ، قَالَتْ : فَتَحْوَلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَلَسَ
فِي حَجْرِهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَتَجَسَّسْتُ وَأُلْقَيْتُ خِمَارَهَا -
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي حَجْرِهَا - ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : هَلْ تَرَاهُ ؟
قَالَ : لَا ، قَالَتْ يَا ابْنَةَ عَمٍّ ، اثْبُتْ وَأُبَشِّرْ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : قَدْ
سَمِعْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ حُسَيْنٍ تَحَدَّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ خَدِيجَةَ ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا
تَقُولُ : أَدْخَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دُرْعَيْهَا ، فَذَهَبَ عِنْدَ

«ذلك جبريل» ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا كمالك ، وما هو بشيطان .

كتاب المبعث

مَنْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ؟

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام (١) ، وهذا مَرَوِيٌّ عن ابن عباس ، وجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَقَبَاثِ بْنِ أَشْيَمٍ ، وعطاء وسعيد بن المُسَيَّبِ ، وأنس بن مالك . وهو صحيحٌ عند أهل السِّيَرِ والعِلْمِ بِالْأَثَرِ ، وقد روى أنه «نُبِّيٌّ لِأَرْبَعِينَ وَشَهْرَيْنِ مِنْ مَوْلَاهُ ، وَقِيلَ لِقَبَاثِ بْنِ أَشْيَمٍ : مَنْ أَكْبَرُ ، أَنْتَ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسَنُّ مِنْهُ ، وَوُلِدَ رَسُولُ

(١) اضطربت الأقوال حول سنة صلى الله عليه وسلم حين بعث . فبعض يقول : إنه بعث بعد اثنتين وأربعين سنة ، وهو مروي عن مكحول . وآخرون يقولون : وهو ابن ثلاث وأربعين ، وهو رأى الواقدي وابن عاصم والدولابي . وما ذكره ابن حجر في الفتح : حديث ابن عباس : فكث بمكة ثلاث عشرة أصبح بما عند أحمد من وجه آخر عنه : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاث وأربعين ، فكث بمكة عشرة ، وأصبح بما أخرجه مسلم من وجه آخر عنه : أقام بمكة خمس عشرة سنة .

وبعثه في رمضان هو المشهور عند الجمهور . وفي الفتح أيضاً : فعلى الصحيح المشهور أن مولده في ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر ، وفي حديث رواه الشيخان والترمذي أنه بعث لأربعين سنة ، ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفيل ، ووقفت بى أمى على روثِ الفيل
ويُروى: خَزَقِ الطير، فرأيته أَخْضَرَ مُحِيلاً ، أى: قد أتى عليه حَوْلٌ ، وفى غير
رواية البَـسْكَائى من هذا الكتاب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
قال لبلال : لَا يَفْتُكُ صِيَامُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ؛ فَإِنِى قَدْ وُلِدْتُ فِيهِ ، وَبُعِثْتُ فِيهِ ،
وَأَمُوتُ فِيهِ (١) .

إِعْرَابُ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ :

وذَكَرَ ابنُ إِسْحَاقَ قولَ الله سبحانه : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ » (٢) الْآيَةُ . وما فى هذه الآية : اسمٌ مُبْتَدَأُ (٣)
بمعنى : الذى ، والتقدير : لِلَّذِى آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ولا يصح أن
تكون فى موضع نصب على إضمار فعل ، كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل

(١) فى مسلم عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، سئل عن صوم يوم
الاثنين ، فقال : « ذَلِكَ يَوْمٌ وَلِدْتُ فِيهِ ، وَأُنْزِلَ عَلَىَّ فِيهِ ، أَحْمَدٌ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو
دَاوُدَ . وَزِيَادَةُ : « وَأَمُوتُ فِيهِ ، لَا تَتَّفَقُ وَهَدَى الْقُرْآنُ ، فَالْبُشْرَى لَا يَعْرِفُونَ :
مَتَى يَمُوتُونَ حَتَّى النَّبِيُّونَ .

(٢) يقول طائوس والحسن البصرى وقتادة فى تفسير الآية : « أَخَذَ اللَّهُ
مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ أَنْ يَصْدُقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ حَقٌّ . وَتَنْكِيرُ كَلِمَةِ رَسُولٍ
فِي الْآيَةِ يُؤَيِّدُهُ .

(٣) يقول العسكرى فى إعرابها : « فِيهَا وَجْهَانِ . أَحَدُهُمَا أَنْ مَا بِمَعْنَى الَّذِى
وَمَوْضِعُهَا رَفْعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَاللَّامُ : لَامُ الْإِبْتِدَاءِ دَخَلَتْ لِتَوْكِيدِ مَعْنَى التَّقْسِمِ ، وَفِي
الْخَبَرِ وَجْهَانِ . أَحَدُهُمَا : مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ . أَيْ الَّذِى أَوْ تَيْتَمُوهُ مِنَ الْكِتَابِ .
وَالثَّانِى : الْخَبَرُ : لِتَوْمِنِ بِهِ وَالْهَاءُ عَائِدَةٌ عَلَى الْمُبْتَدَأِ . وَاللَّامُ
(م ٢٥ — الرُّوضُ الْأَنْفُ ج ٢)

بضميره ، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها ، ومالا يجوز أن يعمل فيه ما قبله ، فلا يجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه ، وقد قيل : إن ماهذه شرط . والتقدير : لهما آيتكما من كتاب وحكمة لتؤمنن به ، وهو ظاهر قول سيبويه ، لأنه جعلها بمنزلة : إن ، وقول الخليل : إنها بمنزلة الذي ، أى : إنها اسم لا حرف ، ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا ، فتكون اسماً ، وتكون شرطاً ، ويحتمل أيضاً أن تكون على قول الخليل : خبرية في موضع رفع بالابتداء ، ويكون الخبر : لتؤمنن به ولتنصرنه ، وإن كان الضميران عائدين على الرسول ، لا على الذى ، ولكن لما قال : رسول مُصَدِّقٌ لما معكم ، ارتبط الكلام بعضه ببعض ، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود .

==جواب القسم ، لأن أخذ الميثاق قسم في المعنى ، فأما قوله : ثم جاءكم ، فهو معطوف على : ما آتيتكم ، والعائد على دماء من هذا المعطوف فيه وجهان . أحدهما : تقديره : ثم جاءكم به ، واستغنى عن إظهاره بقوله : به فيما بعد . والثاني : أن قوله : لما معكم في موضع الضمير ، تقديره : مصدق له ؛ لأن الذى معهم هو الذى آتاهم ويجوز أن يكون العائد ضمير الاستقرار العامل في مع ، ويجوز أن تكون الهاء في : به ، تعود على الرسول ، والعائد على المبتدأ : محذوف ، وسوغ ذلك طول الكلام ، وأن تصديق الرسول تصديق للذى أوتيته ، والقول الثاني : أن ما : شرط واللام قبله ، لتلقى القسم كالتى في قوله : اتن لم يفته المنافقون ، وليست لازمة بدليل قوله : وإن لم ينتهوا عما يقولون ، فعلى هذا تكون دماء في موضع نصب بآيت . والمفعول الثاني : ضمير المخاطب ، ودم من كتاب ، مثل دمن آية ، في قوله : ما ننسخ من آية ، وباقي الكلام على هذا الوجه ظاهر ، ثم ذكر وجه إعرابها إذا قرئت بفتح اللام وتشديد الميم ، كما ذكر قبل وجه إعرابها إذا قرئت بكسر اللام وتخفيف الميم ص ٨٣١ لأملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبرى .

على المبتدأ ، وله نظير في التنزيل منه قوله تعالى : (والذين يُتَوَقَّفُونَ مِنْكُمْ)
البقرة : ٢٣٤ خبره : يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِمْ ، ولم يعد على المبتدأ شيء ، لَنَسَبَتْ
الكلام بعبءه ببعض ، وقد لاح لي بعد نظري الكتاب أن الذي قاله الخليل
وقول سَيَبُوءُهُ قَوْلٌ واحد ، غير أنه قال : ودخول اللام على ما ، كدخولها على
إن ، يعني : في الجزاء ، ولم يرد أن يعمل ما جزاء ، وإنما تكلم على اللام خاصة
والله أعلم .

النُّبُوَّةُ وَأُولُو الْعِزْمِ :

وذكر قول ابن إسحق : والنُّبُوَّةُ أُنْقَالَ وَمُؤْنَةٌ لَا يَحْمِلُهَا وَلَا يَسْتَطِيعُهَا
إِلَّا أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ، ووقع في رواية يونس عن ابن إسحق في
هذا الموضع عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن مُنَبِّهٍ وهو
في مسجد مني - وذكر له يونسُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فقال : كان عبداً
صالحاً ، وكان في خَلْمَتِهِ ضِيقٌ ، فلما حُمِلَتْ عَلَيْهِ أُنْقَالُ النُّبُوَّةِ ، وَلَهَا أُنْقَالُ تَفْسَخَ
تَحْتَهَا تَفْسَخَ الرُّبْعِ تَحْتَ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ (١) ، فَأَلْقَاهَا عَنْهُ وَخَرَجَ هَارِباً ، وفي رواية
عن ابن إسحق : إن أُولَى الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ مِنْهُمْ : نُوحٌ وَهُودٌ وَإِبْرَاهِيمُ أَمَّا
نُوحٌ فَلَقَوْلُهُ : (يَا قَوْمِ إِنَّ كَيْدَ كُفْرٍ عَلَيْكُمْ فَتَقَامُوا) وتذكيري بآياتِ اللَّهِ (يونس : ٧١)
وأما هود فَلَقَوْلُهُ : (إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) هود : ٥٥
وأما إبراهيم ، فَلَقَوْلُهُ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ : (إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَنَحْنُ نَعْبُدُ اللَّهَ) هود : ٥٥

(١) الرُّبْعُ بضم الراء وفتح الباء : الفصيل ، ينتج في الربيع ، وهو أول النتائج
والمقصود : ضعف وعجز .

الله) وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء (١).

أول ما يرى به النبي صلى الله عليه وسلم من النبوة :

(فصل) وذكر ابن إسحق : ما بدى به النبي — صلى الله عليه وسلم — من النبوة، إذ كان لا يمر بحجر، ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله (٢)، وفي مصنف الترمذي ومسلم أيضاً أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن يُنزل عليّ، وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذي كان يسلم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم: الأظهر فيه أن يكون حقيقة، وأن يكون الله أنطقه إنطاقاً كما خلق الخنين في الجذع (٣)، ولكن ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف: الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت: عرض في قوله

(١) من أشهر الأقوال عن أولى العزم أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، ودليلهم أن الله نص على أسمائهم في الأحزاب فقال: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، ومنك، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) الأحزاب: ٧ كما نص عليهم في سورة الشورى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك، وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، الشورى: ١٣. وقيل لهم جميع الرسل، وتكون من لبيان الجفس.

(٢) في الترمذي والدارمي قال علي: كنت مع النبي د ص، بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله، وروى مثله الطبراني في الأوسط، وفيه مجهول.

(٣) ورد حنين الجذع في حديث رواه البخاري والذسائي والترمذي.

الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النظام ، فإنه زعم أنه جنس ، وجمله الأشعري اصطلاحاً كافى الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطلاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ، ولو قدّرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بُدّث من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم : أى ذلك كان ، أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمناً ، أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة ، وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة (١) ، وأما حنين الجذع فقد سمي حنيناً ، وحقيقة الحنين يقتضى شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، يفترونها ، فيكون مجازاً من قوله تعالى : (واستل القرية) (٢) والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها علم على نبوته — عليه السلام — غير أنه لا يسمى معجزة (٣) فى اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدّى به الخلق ، فعجزوا عن معارضته .

- (١) ليس لاحد أن يتكلم عن حقيقة مثل هذا ، فانه وحده هو أعلم بالحقيقة .
 (٢) القرية — كما يقول الراغب فى مفرداته — اسم للوضع الذى يجمع فيه الناس ، وللناس جميعاً . وبهذا لا يكون فى الآية مجاز كما هو المشهور .
 (٣) يجب أن نسميها بما سمى الله ، وهى : آية ، وبهذا تتجاوب الكلمة مع سكونة القلب والفكر وتقديسهما ، ونخلصها مما دار حول المعجزة من جدال ، واضطراب من شحناه وموازنات بينها وبين السحر والكرامة . والله سبحانه يسمي ما أعطاه للرسل آيات ، لا معجزات فلنقف عند هذا .

مدلول نفعل :

وذكر حديث عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ يَجَاوِرُ بِفَارِجِ رَأْيٍ (١) وَيَتَحَنَّنُ فِيهِ، قَالَ : وَالَّتِي حَنَنْتُ : التَّيَبُّرُّ . تَفْعُلُ مِنَ الْبِرِّ ، وَتَفْعُلُ : يَقْتَضِي الدَّخُولَ فِي الْفِعْلِ ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ فِيهَا مِثْلُ : تَنَقَّه وَتَعَبَّدَ وَتَذَنَّنَكَ وَقَدْ جَاءَتْ فِي أَلْفَاظٍ بِسِيرَةٍ تَعطى الخُروجَ عن الشيء ، وَاطَّرَاحَهُ ، كَالْتَأْتُمُ وَالتَّحَرُّجِ . وَالتَّحَنَّنُ بِالنَّاءِ الْمُمَثِّلَةِ (٢) ، لِأَنَّهُ مِنَ الْحَنَنْ ، وَهُوَ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ ، وَكَذَلِكَ

(١) جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذهاب إلى منى ، ويقصر ويمد
(٢) في كتاب الأضداد للصغاني : تحنن إذا أتى الحنن ، وإذا تجنبه ، ومثله في كتاب الأضداد لابن بكر الأنباري ، وفيه : تحوب الرجل إذا تجنب الحوب ، وهو الإثم العظيم ، ولا يستعمل تحوب في المعنى الآخر . وقال بعض أهل اللغة : تصدق الرجل إذا أعطى ، وتصدق إذا سأل ، ص ١٤٥ ، ١٥٤ الأضداد ط ١٣٢٥ هـ لمحمد ابن القاسم بن بشار الأنباري أبي بكر . ويقول الحشني عن رأي ابن هشام في التحنن وأنه التحنف : فالجيد فيه أن يكون فيه التحنن هو الخروج من الحنن أي : الإثم ، كما يكون التائب الخروج عن الإثم . لأن تفعل قد تستعمل في الخروج عن الشيء ، وفي الانسلاخ عنه ، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذي ذكره ابن هشام ، ص ٧٥ : هذا ولصيغة تفعل معان مذكورة في مصادر ما فانظرها مثل ج ١ ص ١٤٠ الشافية للرضي . وفي الصحيحين أنه جاور بحراء شهراً . وذكر ابن إسحاق أنه شهر رمضان . وليس هنالك نص صريح أو صحيح يبين لنا كيف كان يتحنن . وأذكر هنا بقول الله سبحانه عما كان عليه محمد قبل البعثة : وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، وقوله : ووجدك ضالاً فهدى ، فهي إذا كانت عزلة عن مجتمع جاهلي عربدت فيه الخطيئة . والمفهوم من كلام ابن هشام أن هذا التحنن أمر كانت تأتبه قريش في جاهليتها .

التَّقْدَرُ ، إنه هو تَبَاعُدُ عَنِ الْقَدَرِ ، وأما التَّحَنُّفُ بالفاء ، فهو من باب التَّبَرُّرِ ؛
لأنه من الحَنِيفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ ، وإن كَانَ الْفَاءُ مُبْدَلَةً مِنَ الثَّاءِ ، فهو من باب
التَّقْدَرِ والتَّحَنُّمِ ، وهو قول ابن هِشَامٍ ، وَاحْتِجَّ بِجَدَفٍ وَجَدَتْ ، وأنشد قول
رُؤْبَةَ : لو كان أَحْجَارِيَّ مع الْأَجْدَافِ ، وفي بيت رُؤْبَةَ هذا شاهدٌ وردَّ
على ابن جَنِّي حيث زعم في سِرِّ الصَّنَاعَةِ أَنَّ جَدَفَ الْفَاءِ لَا يَجْمَعُ عَلَى
أَجْدَافٍ ، واحتج بهذا المذهب في أَنَّ الثَّاءَ هِيَ الْأَصْلُ ، وقول رُؤْبَةَ (١) ردَّ
عليه ، والذي نذهب إليه أَنَّ الْفَاءَ هِيَ الْأَصْلُ فِي هَذَا الْحَرْفِ ، لأنه من الْجَدَفِ
وهو الْقَطْعُ ، ومنه يُجْدَافُ السَّفِينَةُ ، وفي حديث عمر في وصف الجن : شَرَابُهُمُ
الْجُدْفُ وَهِيَ الرِّغْوَةُ ، لأنها تُجْدَفُ مِنَ الْمَاءِ ، وقيل : هِيَ نَبَاتٌ يَقْطَعُ وَيُؤْكَلُ .
وقيل : كلُّ إِنَاءٍ كُشِفَ عَنْهُ غَطَاؤُهُ : جَدَفٌ ، والجُدْفُ : الْقَمَرُ مِنْ هَذَا ، فله مادة
وَأَصْلُ فِي الْاِسْتِنْقَاقِ ، فَأَجْدِرُ أَنَّ تَسْكُونَ الْفَاءَ هِيَ الْأَصْلُ وَالثَّاءُ دَاخِلَةٌ عَلَيْهَا . (٢)

حول مجاورته في حراء :

وقوله : يُجَاوِرُ فِي حَرَاءٍ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ . الجِوَارُ بِالْكَسْرِ فِي مَعْنَى الْمَجَاوِرَةِ

(١) هو جزء من بيت من أَرْجُوزَةٍ يعاتب بها رُؤْبَةُ أَبَاهُ الْعِجَاجُ . وقوله .
لَا تَمُجِّلَنَّ الْحَتَفَ ذَا الْإِتْلَافِ وَالِدَهُرُ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو الْاِزْدِلَافِ
بِالْمِرَّةِ ذُو عَصْفٍ وَذُو انْصِرَافٍ لو كان أَحْجَارِيَّ مع الْأَجْدَافِ
تَعَفَوْا عَلَى مُجَرِّئِ ثَوْمَةِ الْعُصَافِي تَضَرَّبَهَا الْأَمْطَارُ وَالسَّوَافِي
انظر ص ١٠٠ من ديوان رُؤْبَةَ ط ليدبي ببرلين

(٢) الجُدْفُ بِالذَّالِ وَالذَّالُ : الْقَبْرِ ، وكذلك الْجُدْتُ . وفي القاموس عن
الجُدْفِ أَنَّهُ نَبَاتٌ بِاللَّيْنِ يَعْنِي آكَلَهُ عَنْ شَرْبِ الْمَاءِ عَلَيْهِ . وهو أيضا مَارِيٌّ بِهِ التُّرَابُ
مِنْ زَيْدٍ أَوْقَذَى . وكل ما هو بِالذَّالِ مِنْ هَذَا يُقَالُ بِالذَّالِ أَيْضًا .

وهى الاعتكاف ، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد . كذلك قال ابن عبد البر ، ولذلك لم يُسمَّ جواره بِحِراءَ اعتكافاً ، لأن حِراءَ ليس من المسجد ، واسكنه من جبال الحرم ، وهو الجبل الذى نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال له تَبِيرُ وهو على ظهره : اهبط عني ؛ فإني أخاف أن تُقتل على ظهري فأعذب ، فناده حِراءَ : إني إلى إني يا رسول الله (١) .

كيفية الوحي :

فصل : وذكر نزول جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : في الحديث : فأتاني وأنا نائم ، وقال في آخره : فهبت من نومي ، فكأنما كُتِبَتْ في قلبي كتاباً ، وليس ذكرُ النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان في اليقظة ؛ لأنها قالت في أول الحديث : أول ما أبدى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حَبَّبَ الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاء الحق ، وهو بغار حِراءَ ، فجاءه جبريل . فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي - عليه السلام - بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة تَوْطئةً وتيسيراً عليه .

(١) حديث يروى في السير ، وذكره عياض في الشفاء بلا سند فهو أسطورة .

ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعيبتها ثقيل ، والبشر ضعيف ، وسيأتي في حديث الإسرائاء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه ، قد ثبت بالطرق الصّحاح عن عامر الشّامي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل به - إسرأفيل ، فكان يترأى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشئ ، (١) ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي ، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه - صلى الله عليه وسلم - في أحوال مختلفة ، فمنها : النوم كافي حديث ابن إسحاق ، وكما قالت عائشة أيضاً : أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الرؤيا الصادقة (٢) . وقد قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ . فقال له ابنه : ﴿ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ الصافات : ١٠٢ ، فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام ، كما يأتيهم في اليقظة .

ومنها : أن يُنْفَثَ في رُوعه الكلام نفثاً ، كما قال عليه السلام : إن رُوح القدس نَفَثَ في رُوعي أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها ، .

(١) هذا مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

(٢) ورد هذا في حديث - رواه الشيخان والترمذي . وقد روى البخاري حديث . الوحي في كتاب التعبير من صحيحه وفي التفسير ، وفي بدء الوحي ، واختار ما في التعبير ، لأن سياقه فيه أتم . وفي زاد المعاد أنه قيل : إن مدة الرؤية كانت ستة أشهر . ويقول النووي عن حديث الرؤيا الذي روته عائشة : إنه من مراسيل الصحابة ؛ لأن عائشة لم تدرك هذه القصة ، فتكون سمعتها من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو من صحابي . ص ٥٨١ ج ٨ فتح الباري .

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ^(١). وقال مجاهد، وأكثر المفسرين في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الشورى : ٥١ . قال هو أن يَنْفُثَ في رُوعه بالوحي .

ومنها : أن يأتيه الوحي في مثل صَلَصلةِ الْجُرَسِ^(٢)، وهو أشدُّ عليه، وقيل : إن ذلك لَيْسَتْ جَمِيعُ قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يسمع ، وألقن لما يلقى .

ومنها : أن يتمثل له الملكُ رجلاً ، فقد كان يأتيه في صورة دحية^(٣) بن

(١) أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة ، وعلم عليه السيوطي بأنه ضعيف ، ورواه بتمامه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود ، وابن ماجه عن جابر ، والطبراني من حديث أبي أمامة . والروع بضم الراء : النفس والقلب والذهن والعقل .

(٢) ورد هذا في حديث متفق عليه .

(٣) دحية بكسر الدال وقد تفتح - بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد ابن امرئ القيس بن الخزرج ، أول مشاهده الخندق . نزل دحياً وشق وسكن المزة ، وعاش إلى خلافة معاوية . وذكر مقاتل أن التجارة التي سيأقى ذكرها كانت لدحية قبل إسلامه . وكان معها طبل ، كما ورد في كتاب المراسيل في حديث رواه أبو داود . هذا وقد نزل جبريل على الرسول ص ، بصورة رجل غير دحية ، كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين ، وذلك حين جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان . وفي آخر الحديث . هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم . وقد وصف جبريل في صورته هذه - كما جاء في مسلم - بأنه رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فلو أنه كان في صورة دحية لعرفوه .

خليفة ، ويُروى أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق مُعَصِّرٌ^(١) إلا أخرجت تنظر إليه لفرط جماله . وقال ابن سلام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ﴾ الجمعة : ١١ . قال : كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله .

ومنها : أن يترأى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ، ينتشر منها الأول والثاني والياقوت .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجاب : إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء ، وإما في النوم ، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي ، قال : أتاني ربي في أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى ، فقلت : لا أدري . فوضع كفه بين كتفي ، فوجدت برزخاً بين مُنْذَوِيَّ^(٢) وتجلي لي علم كل شيء ، وقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى ، فقلت : في الكفارات ، فقال : وما هن ؟ فقلت : الوضوء عند الكبريات ، ونقل الأقدام إلى الحسنات ، وانتظار الصلوات بعد الصلوات ، فمن فعل ذلك عاش حميداً ، ومات حميداً ، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه ، وذكر الحديث^(٣) . فهذه ستة أحوال ، وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها ، وهي

(١) المرأة بلغت شبابها وأدركت .

(٢) ثندوة بضم فسكون ، فضم فواو مفتوحة فتاء ، وقد تفتح التاء : لحة الثدي أو أصله .

(٣) أحمد وعبد الرازق والترمذي والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ، وابن مردويه والطبراني من حديث معاذ ، وقال البيهقي في الاسماء والصفات : « هذا حديث مختلف في إسناده . ثم ذكر طرقه ، وقال : وكلها ضعيف ، وأحسن طريق فيه رواية جهم بن عبد الله - وهي منقطعة - ثم رواية موسى بن خلب =

نزل إسرائيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل^(١) فهذه سبعُ صور في كيفية نزول الوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - لم أرَ أحداً جمعها كهذا الجمع ، وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غُفْيَةٍ ، وقد أملينا أيضاً في حقيقة رؤيته عليه السلام ربّه في المنام على أحسن صورة ، ويروى : على صورة شاب مسئلةً بدبعة كاشفة لقناع اللبس ، فانتظر هنالك .

من تفسير حميد الوهمي :

فصل : وذكر في الحديث أن جبريل أتاه بِنَمَطٍ^(٢) من ديباج فيه كتاب . فقال : اقرأ ، قال بعض المفسرين في قوله : (ألم ذلك الكتاب لارب فيه) إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال : اقرأ ، وفي الآية أقوال غير هذه ، منها : أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه : ألم ؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله ، فهي كالترجمة له .

== وفيه ما يثبت أنه كان في النوم ، وذكر ابن الجوزي أن طرق هذا الحديث مضطربة .

(١) ورد في أثر عن الشعبي في تاريخ الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان وابن سعد والبيهقي . وهو مرسل أو معضل . وكلاهما من أقسام الضعيف ، وقد أنكره الواقدي ، وقال : لم يكن به من الملائكة إلا جبريل . قال الشامي . وهو المعتمد . وهو معارض للأحاديث الصحيحة .

(٢) وعاء كالسقط . وهذا من رسائل عبيد بن عمير .

معنى اقرأ باسم ربك :

وقوله : ما أنا بقارىء ، أى : إني أُمِّيٌّ ، فلا أقرأ الكتب ، قالها ^(١) ثلاثاً
فقليل له : اقرأ باسم ربك ، أى : إنك لا تقرؤه بحَوْلِكَ ، ولا بصفة نفسك ،
ولا بمعرفتكَ ، ولكن اقرأ مفتتحاً باسم ربك مستعينا به ، فهو يعلمك كما خلقك
وكأنزع عنك علقَ الدم ، ومَمَّزَ الشيطان بعد ما خلقه فيك ، كما خلقه في كل
إنسان . والآيتان المتقدمتان لمحمد ، والآخرتان : لأُمته ، وهما قوله تعالى : (الذى علمَ
بالقلم علمَ الإنسان ما لم يعلم) لأنها كانت أُمَّةً أُمِّيَّةً لا تكتب ، فصاروا أهل
كتاب ، وأصحابَ قلمٍ ، فتعلموا القرآن بالقلم ، وتعلمه نبيهم تلقيناً من جبريل
نزله على قلبه بإذن الله ، ليكون من المرسلين .

مول بسم الله :

فصل : وفي قوله : اقرأ باسم ربك من الفقه : وجوب استفتاح القراءة ببسم الله
الرحمن الرحيم ^(٢) ، غير أنه أمرٌ مُبْهِمٌ لم يبين له بأى اسم من أسماء ربه يفتح ،

(١) قيل إن ما استفهامية ، لما ورد في رواية أبي الاسود عن عروة : كيف
أقرأ ؟ وابن إسحاق عن عبيد بن عمير ، ماذا أقرأ ؟ وقد جوز الأخفش دخول
الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر بحسبك
وجعل الباء زائدة وسيأتى في الشرح وفي الروض .

(٢) أى ناوياً بقراءته وجه الله سبحانه ، ويجب في قراءة القرآن الاستفتاح
أولاً بالاستعاذة ، فقد جاء الأمر بها صريحاً في القرآن .

(٣) يقول ابن كثير : افتتح بها الصحابة كتاب الله ، واتفق العلماء على أنها
بعض آية من سورة النمل . ثم اختلفوا : هل هي آية مستقلة في أول كل سورة ، =

حتى جاء البيان بعد في قوله: (بسم الله تَجْرِهَا) هود: ٤١ ثم قوله تعالى: (وإنه بِسْمِ الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠. ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه بسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة ، وقد ثبتت في سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك ، وما ذكره البخارى من مصحف الحسن البصرى ، فشذوذ ، فهمى على هذا من القرآن ، إذ لا يكتب في المصحف ما ليس بقرآن ، ولا يلتزم قول الشافعى أنها آية من كل سورة ، ولا أنها آية من الفاتحة ، بل نقول: إنها آية من كتاب الله تعالى ، مقترنة مع السورة ، وهو قول داود وأبى حنيفة ، وهو قول بين القوتل أنصف ، وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سَبَّحت الجبال ، فقالت قريش : سَحَرَ محمد الجبال (١) ذكره النقاش ، وإن صح ما ذكره ، فلمعنى ما سَبَّحت عند نزولها خاصة ، وذلك أنها آية أنزلت على آل داود ، وقد كانت الجبال تَسْبِح مع داود ، كما قال الله تعالى : (إنا سَخَّرنا الجبالَ معه يُسَبِّحُن بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) ص : ١٨ وقال : (إنه من سُليمانَ ، وإنه بِسْمِ الله الرحمن الرحيم) النمل : ٣٠ .

وفي الحديث ذكر نَمَطَ الديباج من الكتاب ، وفيه دليل وإشارة إلى

== كتبت في أولها ، أو أنها بعض آية من كل سورة ، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها : أو أنها إنما كتبت للفصل بين السور لا أنها آية . على أقوال العلماء سلفا وخلفا ؟ هذا وفي صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « كانت قراءته مدا ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم بمد باسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم » .

(١) كيف عرفت قريش أنه تسبيح للجبال ؟ والله يقول : « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » فكيف يفقه عتاة الشرك ؟

أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زيئهم وزينتهم ، وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج (١) ، وفي سير موسى بن عقبة ، وسير سليمان بن المعتمر زيادة ، وهو أن جبريل أتاه بدر نوك (٢) من ديباج منسوج بالدُر والياقوت ، فأجلسه عليه ، غير أن موسى بن عقبة قال : ببساط ، ولم يقل : دُر نوك ، وقال في سير ابن المعتمر : إن الله تعالى أنزل عليه : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الآيات ، كأنه يشير به ، فمسح جبريل صدره ، وقال : اللهم اشرح صدره ، وارفع ذكره ، وضع عنه وزره ، ويصحح مارواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الآيات ، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذي كان من جبريل ، والله أعلم (٣) .

اللفظ :

وقوله في الحديث : ففطنى (٤) ، ويروى : فسأبنى ، ويروى : سأتنى ، وأحسبه أيضا يروى : فدعأتنى (٥) وكلها بمعنى واحد ، وهو أَلْخَنَقَ والغَمَ ، ومن الذَّغْتِ حديثه الآخر : أن الشيطان عرض له ، وهو يصلى قال : فدعأته ، حتى وجدت برْدَ لِسَانِهِ على يدي ، ثم ذكرت قول أخى سليمان : (رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا

(١) هكذا يبنى على روايات واهية أمورا هي حقائق لا تبنى على مثل هذا الباطل .
(٢) في النهاية لابن الأثير : ستر له نخل وجمعه : درانك ، ويقال : درموك أيضا ، وفي القاموس . ضرب من الثياب أو البسط كالدرنيك بكسر الدال والطنفسة كالدرنك كزروج .

(٣) رواية ضعيفة لا يعتد بها فلماذا يعتد بها السهيلي ؟

(٤) غطنى : ضمني وعصرنى ، والغت : حبس النفس .

(٥) ذعجه — أيضا — : ذاته ومعك في التراب ، ودفعه دفعا عنيفا وتقاله .

بالدال أيضا والسَّابُ : العصر في الخلق ، والسَّات : الخلق .

لا ينبغي لأحد من بعدى) الحديث ، وكان في ذلك إظهاراً للشدة والجِد في الأمر ، وأن يأخذ الكتاب بقوة ، ويترك الأناة فإنه أمر ليس بالهَيَّيْ ، وقد انتزع بعض التابعين وهو شُرَيْحُ القاضي من هذا : ألا يُضْرَب الصبي على القرآن

(١) في البخارى في باب التفسير : « إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة — أوكلة نحوها — ليقطع على الصلاة ، فأمكننى الله تبارك وتعالى منه ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد ، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم ، فذكرت قول أخى سليمان — عليه الصلاة والسلام : رب اغفر لى ، وهب لى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى ، قال روح — يعنى ابن عبادة راوى الحديث : فردّه خاسئاً . وهكذا رواه مسلم والنسائى من حديث شعبة به ، وروى مسلم فى صحيحه عن أبى الدرداء قال : قام رسول الله صلى عليه وسلم يصلى ، فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال صلى الله عليه وسلم : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه فى وجهى ، فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يتأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أن آخذه . والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به صبيان أهل المدينة . وفى حديث أحمد عن أبى سعيد الخدرى أنه كان فى صلاة الصبح فالتبست عليه القراءة ، وأنه قال بعد انتهاء الصلاة : (لو رأيتمنى وإبليس فأهويت بيدي ، فإزالت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين - الإبهام والى تليها - ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة) ولقد قيل هنا : كيف يقال : إن الرسول صلى الله عليه وسلم - ذكر دعوة سليمان ، ولم يذكر إنظار الله لإبليس حتى يوم الدين ؟ - وربنا أعلم بما كان .

إلا ثلاثاً كما غَطَّ جبريلُ عليه السلام محمداً - صلى الله عليه وسلم - ثلاثاً ، وعلى رواية ابن إسحاق أن ذلك في نومه كان^(١) ، يكون في تلك الغَطَّات الثلاث من التأويل ثلاثُ شدائد ، يُبْتَلَى بها أولاً ، ثم يأتي الفرج والروح ، وكذلك كان آقَى هو وأصحابه ، شدة من الجوع في شِعْب الخيف ، حين تعاقدت قريش الأبييعة وامنهم ، ولا يتركوا مِيرةً تصل إليهم ، وشدة أخرى من الخوف والإبعاد بالقتل ، وشدة أخرى من الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ، ثم كانت العاقبة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين .

ما أنا بقارى :

وقوله في حديث ابن إسحاق : أقرأ ، قال : ما أقرأ ، يحتمل أن تكون ما استفهاماً ، يريد : أى شئ أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفيًا ، ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفي ، أى : ما أحسن أن أقرأ ، كما تقدم من قوله : ما أنا بقارى^(٢) .

(١) رواية المنام من مراسيل عبيد بن عمير ، وهى مخالفة لرواية الصحيحين المسندة المرفوعة ، والجمع بين الروایتين بأن هذا كان مرتين : الأولى في المنام والآخرى في اليقظة تأويل فاسد ، فلو أن هذا حدث ، ما حدث له كل ذلك الذى أصابه من شدة الوحى في المرة الأخرى .

(٢) فإن قيل : لم كرر ثلاثاً ؟ أجاب أبو شامة : بأن يُحمل قوله أولاً : ما أنا بقارى على الامتناع ، وثانياً : على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثاً : على الاستفهام ، ويؤيده أن في رواية أبي الاسود في مغازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ ؟ وفي رواية ابن عمير عن ابن إسحاق : ماذا أقرأ ؟ ، وفي مرسل الزهرى في دلائل البهق : كيف أقرأ . وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية .

رؤيته جبريل ومعنى اسمه:

وذكر رؤيته لجبريل ، وهو صافٌ قدميه ، وفي حديث جابر أنه رآه على رَفْرَفٍ^(١) بين السماء والأرض ، ويروى: على عرش بين السماء والأرض ، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فُتِرَ عنه الوحي ، كان يأتي شواهيق الجبال بهم بأن يلتقي نفسه منها ، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض ، يقول له : أنت رسول الله ، وأنا جبريل . واسم جبريل سُرياني ، ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله ، وهو: إيل ، وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة ، وكذلك الإضافة في كلام العجم ، يقولون في غلام زيدٍ : زيد غلام ، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ، ويكون أولُ الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال في حديث ابن عباس: جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبد الله وعبد الرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء أفاضها مختلفة .

حول معنى إيل وخرافة السحابة :

وأما إيلٌ بالتشديد من قوله تعالى : (إِلَّا وَلَا ذِمَّةُ) التوبة : ١٠ فَحَذَّارِ

(١) البساط أو الستر ، وأصله ما كان من الديباج ، وغيره رقيقاً حسن الصنعة ، ثم توسع فيه .

حَذَرُ مَنْ أَنْ تَقُولَ فِيهِ : هُوَ اسْمُ (١) اللَّهِ ، فَتَسْمَى اللَّهُ بِاسْمٍ لَمْ يُسَمَّ بِهِ نَفْسُهُ أَلَا تَرَى أَنْ جَمِيعَ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى مَعْرِفَةٌ ، وَ«إِلَّ» نَكْرَةٌ ، وَحَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ نَكْرَةً ، وَإِنَّمَا الْأَلُّ كُلُّ مَا لَهُ حُرْمَةٌ وَحَقٌّ ، فِيمَا لَهُ حَقٌّ وَيَجِبُ تَعْظِيمُهُ : الْقَرَابَةُ وَالرَّحِمُ وَالْجَوَارِ وَالْعَهْدُ ، وَهُوَ مَنْ أَلَّتْ : إِذَا اجْتَهَدْتَ فِي الشَّيْءِ وَحَافِظْتَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ تَضْمِمْهُ ، وَمِنْهُ : الْأَلُّ فِي السَّيْرِ وَهُوَ الْجِدُّ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكُمَيْتِ [يَصْفِرُ جُلًّا] .

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءٍ مُجْدِبَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلَلِيهَا الْكَاعِبُ الْفَضْلُ (٢)
يريد : اجْتَهَدْتَ فِي الدَّعَاءِ ، وَإِذَا كَانَ الْأَلُّ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ ، فَالْإِلُّ بِالْكَسْرِ : الْأَسْمُ كَالذَّبْحِ مِنَ الذَّبْحِ ، فَهُوَ إِذَا شَيْءٌ الْحَافِظُ عَلَيْهِ ، وَقَوْلُ الصَّدِّيقِ : [عَنْ كَلَامِ مُسَيَّلَةَ] : هَذَا كَلَامٌ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ «إِلَّ وَلَا بَرٍّ» ، أَيْ : لَمْ يَصْدُرْ عَنْ رَبُّوبِيَّةٍ ، لِأَنَّ الرَّبُّوبِيَّةَ حَقُّهَا وَاجِبٌ مُعْظَمٌ ، وَكَذَلِكَ فَسَّرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَاتَّفَقَ فِي اسْمِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مُوَافِقٌ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِمَعْنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ أَعْجَمِيًّا ، فَإِنَّ الْجَبْرَ هُوَ إِصْلَاحُ مَا وَهَى ، وَجَبْرِيلَ مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ ، وَفِي الْوَحْيِ إِصْلَاحُ مَا فَسَدَ ، وَجَبَرَ مَا وَهَى مِنَ الدُّبْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا بِمَكَّةَ وَلَا بِأَرْضِ الْعَرَبِ فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ بِهِ انْطَلَقَتْ تَسْتَلُّ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ كَعَدَّاسٍ وَاسْتُطُورَ الرَّاهِبُ (٣) ، فَقَالَ لَهَا : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ! أَيْ لِهَذَا الْأَسْمُ أَنْ

(١) لَهُ الْحَقُّ فِي أَنْ يَحْذَرَ مِنْ هَذَا ، فَهُوَ أَيْسَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، وَإِنْ كَانَ مَوْجُودًا فِي بَعْضِ مَعَاجِمِ اللُّغَةِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : إِلَيْهَا ، وَالْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ هَكَذَا :

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلَلِيهَا الْكَاعِبُ الْفَضْلُ

(٣) تَكَلَّمْتُ عَنْ هَذَا مِنْ قَبْلُ ، وَعَدَّاسٌ - كَمَا قِيلَ - نَصْرَانِيٌّ مِنْ نَيْنَوَى وَانْظُرْ

قِصَّتُهُ فِي السَّيْرِ الْحَلَبِيِّ ص ٢٧٨ ج ١ .

يذكر في هذه البلاد ، وقد قدمنا هذا الخبر عنها ، وهو في سِيرِ التَّيْمِيِّ لما ذكرناه قبل ، وفي كتاب الْمُعْطِيِّ عن أَشْهَب قال : سئل مالك عن التَّيْمِيِّ بِجَبْرِيل أَوْ مِنْ يُسَمَّى بِهِ وَلَدَهُ ، فَكَرِهَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَعْجِبْهُ .

معنى الناموس :

وقول ورقة : لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ الذي كان يأتي موسى .
الناموس : صاحب سِرِّ الْمَلِكِ ، قال بعضهم : هو صاحب سِرِّ الْخَيْرِ ، وَالْجاسوسُ :
هو صاحب سِرِّ الشَّرِّ (١) ، وقد فسرهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَأَنشَدَ :

فَأَبْلَغُ يَزِيدَ إِنْ عَرَضْتَ وَمُنْذِرًا عَمَّهُمَا وَالْمُسْتَشِيرَ الْمُنَامِسَا (١)

لم ذكر موسى ولم يذكر عيسى :

وإنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ، وهو أقرب ، لأن وَرَقَةَ كَانَ قد تَنَصَّرَ ، وَالنَّصَارَى لَا يَقُولُونَ فِي عَيْسَى : إِنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ جَبْرِيلُ ، إِنَّمَا يَقُولُونَ فِيهِ :
إِنْ أَقْنُومًا (٢) مِنَ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ اللَّاهُوتِيَّةِ حُلْ بِنَاسُوتِ الْمَسِيحِ ، وَاتَّحَدَ بِهِ عَلَى اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الْحُلُولِ ، وَهُوَ أَقْنُومُ الْكَلِمَةِ ، وَالْكَلِمَةُ عَنْدهُمْ :
عِبَارَةٌ عَنِ الْعِلْمِ ، فَلِذَلِكَ كَانَ الْمَسِيحُ عَنْدهُمْ ، يَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَيُنْجِزُ بَمَا فِي غَدِّ ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ مَذْهَبِ النَّصَارَى الْكَذْبَةُ عَلَى اللَّهِ ، الْمُدَّعِينَ الْحَالَ ، عُدِلَ عَنْ ذِكْرِ

(١) جزم البخاري في أحاديث الأنبياء أنه صاحب السر ، وقال ابن حريز :
صاحب الوحي ، وأهل الكتاب يسمون جبريل : الناموس الأكبر . والحنيني
يقول : أصل الناموس هو : صاحب سر الرجل في خيره وشره .

(٢) البيت للكيميت كما ذكر اللسان وفيه : د وعمهما ، والمستسر ، بدلا من
« عمهما والمستشز » ومعنى المُسَامِس : الداخل في الناموس .
(٣) الأَقْنُوم : كلمة رومية معناها : الأصل .

عيسى إلى ذكر موسى لعله ، أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى ، لكن ورقة قد ثبت إيمانهُ بحمد عليه السلام^(١) وقد قدمنا حديث الترمذى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رآه في المنام ، وعليه ثياب بيض إلى آخر الحديث .

مول هاء السكت والفعل ترك :

وقول ورقة : **لُتَكْذَبَنَّ ، وَلَتُوْذَبَنَّ ،** ولا يُنطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت ، وليست بهاء إضممار . وقوله : **إن أدرك ذلك اليوم أنصرك** نصراً مؤزراً ، وقال في الحديث : **إن يُدْرِكَنِي يَوْمُكَ** وهو القياس ، لأن ورقة سابقٌ بالوجود ، والسابق هو الذى يُدْرِكُهُ من يأتى بعده ، كما جاء في الحديث : **أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى** ، ورواية ابن إسحاق أيضاً لها وجهٌ ، لأن المعنى : **أنرى ذلك اليوم** ، فسَمَى رؤيته إدراكاً ، وفي التنزيل :

(١) غير صواب قوله هذا ، فإن الجز الذين سمعوا القرآن قالوا : (سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) ، وخير أن نقول : إنه قال ذلك - كما ذكر الشيخ رشيد رضا رحمه الله في الوحي المحمدى - لأن الشبه بين الوحي إلى موسى ومحمد عليهما السلام أتم ؛ لأن كلا منهما أوقى شريعة تامة مستقلة في عباداتها ومعاملاتها وسياساتها وقوتها العسكرية ، وعيسى عليه السلام كان تابعاً لشريعة التوراة ، وناسخاً لبعض الأحكام التى يقتضيها الإصلاح ، ومبشراً بالنبي الذى يأتى بعده بالشرع الكامل العام الدائم . ولهذا يرد ابن حجر في فتح البارى بقوله : « أما ما تمحل له السهلى من أن ورقة كان على اعتقاد النصرانى في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد الألقاب ، فهو محال لا يعرج عليه في حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل في التبديل ولم يأخذ عن بدل ، ص ٢٩ ج ١ ط الحلبي وص ٢١٤ ج ١ شرح المواهب .

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أى : لا تراه على أحد القولين . وقوله : مُؤَزَّرًا من الأَزْر وهو القوة والمون .

شرح : أو مخرمى ؟

فصل : وفي حديث البخارى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لورقة : أَوْ مَخْرَجِيَّ هَمْ . لا بُدَّ من تشديد الياء فى مخرجى ، لأنه جمع ، والأصل مُخْرَجَوِيَّ فَأُدْغِمَتِ الْوَاوُ فِي الْيَاءِ (١) وهو خبر ابتداء مقدّم ، ولو كان المبتدأ اسماً ظاهر الجاز تخفيف الياء ، ويكون الاسم الظاهرُ فاعلاً لا مبتدأ ، كما تقول : أَضَارِبُ قَوْمُكَ ، أَخَارِجُ إِخْوَنُكَ فَتَفْرِدُ ، لأنك رفعت به فاعلاً ، وهو حَسَنٌ فى مذهب سيبويه والأخفش ، ولولا الاستفهام ما جاز الإفراد إلا على مذهب الأخفش ، فإنه يقول : قائم الزيدون دون استفهام ، فإن كان الاسم المبتدأ من الْمُضْمَرَّاتِ نحو : أَخَارِجُ أَنْتَ ، وَأَقَامُ هُوَ ؟ لم يصح فيه إلا الابتداء ، لأن الفاعلَ إِذَا كَانَ مُضْمَرًا لم يكن منفصلاً لا تقول : قام أنا ، ولا ذهب أنت

(١) فى المواهب : وأصله مخرجون لى حذفت اللام تخفيفاً ونون الجمع للاضافة إلى ياء المتكلم ، فصار : أَوْ مَخْرَجَوِيَّ اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو - بالسكون ، فقلبت ياء ، ثم أَدْغِمَتِ فِي يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ ، وقلبت الضمة : كسرة لمناسبة الياء ، والهمزة للاستفهام . ولم يقل : وَأَمَخْرَجِيَّ مع أن الأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف نحو : فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؛ لاختصاص الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيهاً على أصلها نحو : أَوَلَمْ يَسِيرُوا ؟ هذا مذهب سيبويه والجمهور ، والاستفهام : إنكارى ؛ لأنه استبعد إخراجهم من وطنه وهو حرم الله من دون سبب يقتضيه وكذلك ورد فى ص ٤٣ بدائع الفوائد ج ٣ للامام ابن القيم .

وكذلك لا تقول : أذاهب أنت على حدِّ الفاعل ولكن على المبتدأ ، وإذا كان على حدِّ المبتدأ ، فلا بد من جمع الخبر ، فعلى هذا تقول : أُخْرِجِيَّ هم ، تريد : أخرجوني ، ثم أضفت إلى الياء ، وحذفت النون ، وأدغمت الواو كما يقتضى القياس .

مول البافوخ والذهاب إلى ورقة :

فصل : وذكر أن ورقة بن نوفل لقي النبي عليه السلام ، فقبل يافوخه . قد تقدم ذكر اليافوخ ، وأنه يُفْعُول مَهْمُوز ، وأنه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يَشْتَدَّ وإنما يقال له : الغاذية ، وذكرنا قول العجاج :

ضَرَبْتُ إِذَا أَصَابَ الْيَافِيخَ حَقَرٌ . ولو كان يافوخ فاعُولاً ، كما ظن بعضهم لم يحز همزة في الواحد . ولا في الجمع ^(١) وفي رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي مَيْسَرَةَ عمرو بن شُرَحْبِيل ^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه

(١) هو في اللسان في مادة أفخ ، وقال : هو حيث التقي عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره ، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل . وفيه أيضا : قال الليث : من همز اليافوخ ؛ فهو على تقدير يفعول . ومن لم يهمز ، فهو على تقدير فاعول من اليفخ ، والهمز أصوب .

وفي القاموس : أَفَخَهُ : ضرب يافوخه والجمع : يوافيخ ، وهذا يدل على أن أصله يَفَخ ؛ ووهم الجوهري في ذكره هنا . وفي المعجم الوسيط جمعه : يوافيخ ، ولكنه قال : اليافوخ : هو اليافوخ وهو فجوة مغطاة بغشاء تكون عند تلاقي عظام الجمجمة ، وهما يافوخان ، يافوخ أمامي ، ويافوخ خلفي .

(٢) ذكره البخاري وغيره في التابعين ، وثقه ابن معين وآخرون ، وقد =

وسلم. قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً ، وقد خشيتُ والله أن يكونَ لهذا أمرٌ . قالت : معاذَ الله ما كان الله ليفعلَ ذلك بك . فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم . وتصدقُ الحديث ، فلما دخل أبو بكر ، وليس [عندها] رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم ذكرت خديجةَ له ذلك ، فقالت : يا عتيقُ اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ أبو بكر بيده . فقال : انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل . فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ، فانطلقا إليه ، فقَصَّا عليه ، فقال : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي : يا محمد يا محمد ، فانطلق هارباً في الأرض . فقال له : لا تفعل ، إذا أتاك فائتبت ، حتى تسمع ما يقول لك . ثم اتبني ، فأخبرني ، فلما خلا ناداه : يا محمد قل : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . حتى بلغ : ولا الضالين . قل : لا إله إلا الله . فأتى ورقة ، فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أبشِر ، ثم أبشِر فإنا أشهد أنك الذي بشر به ابنُ مريم ، وأنتك على مثل ناموس موسى ، وأنتك نبي مرسل ، وأنتك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركني ذلك لأجاهدَنَّ معك . فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأيتُ النفسَ في الجنة ، وعليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بي وصدقني ، يعني : ورقة ، وفي رواية .

== أخرج هذا الحديث البيهقي ، وذكر أنه منقطع ، وغرضه من سياقه بيان أمر معارض بحديث الصحيح في أن أول ما نزل : اقرأ . والمعجب أن يحاول العيني التوفيق بين هذه المتضادات بأن خديجة أرسلته مرة مع الصديق ، وذهبت هي به أخرى . وسألت عداساً بمكة ، وسافرت إلى بحيري - كما روى التيمي - وهو توفيق . يعتمد به .

يونسٍ أيضا أنه عليه السلام قال لرجل سَبَّ ورقة : أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي رَأَيْتُ
لورقة جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ ، وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار (١) .

لَقَدْ فَبَسَّتْ عَلَى نَفْسِي :

فصل : وفي الصحيح أنه قال لخديجة : لقد خشيت على نفسي ، وتكلم
العلماء في معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة ، فذهب أبو بكر الإسماعيلي (٢) إلى أن
هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلمُ بأن الذي جاءه ملك من
عند الله ، وكان أشق شيء عاياه أن يقال عنه : مجنون ، ولم ير الإسماعيلي أن
هذا محال في مبدأ الأمر ؛ لأن العلمَ الضروري قد لا يحصل دفعة واحدة ،
وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله ، فلا تدري أنْظُمَ هو أم نثر ، فإذا
استمر الإنشاد ، علمت قطعا أنه قُصِدَ به قَصْدُ الشعر ، كذلك لما استمر
الوحيُ واقتربت به القرآنُ المقتضية للعلم القطعي ، حصل العلم القطعي ، وقد
أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ
وَالْمُؤْمِنُونَ) إلى قوله : (وملائكته وكتبه ورُسُله) فإيمانه بالله وبملائكته
إيمان كسبيٍّ موعود عليه بالثواب الجزيل ، كما وعد على سائر أفعاله
المُكتسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح ، وقد قيل في قوله : لقد
خشيت على نفسي ، أى : خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة ، وأن أضعف
عنها ، ثم أزال الله خشيته ، ورزقه الأيدَ والقوة والثبات والعصمة ، وقد قيل :
إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ، ولا غرورَ ، فإنه بشر يخشى من القتل .

(١) ورواه الحاكم في مستدركه . وهذه روايات ساقطة لا يعتد بها .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني ، قال الحاكم :

كان واحداً عصره ، وشيخ الحديثين والفقهاء مات ٣٧١ .

والإذابة الشديدة ما يخشاه البشر، ثم يهون عليه الصبر في ذات الله كل خشية، ويحجب إلى قلبه كل شجاعة وقوة، وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها^(١).

(١) في فتح الباري: «اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً. أولها: الجنون، وأن يكون مارآه من جنس الكهانة. جاء مصرحاً به في عدة طرق، وأبطله أبو بكر بن العربي، وحق له أن يبطل، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له: أن الذي جاءه ملك، وأنه من عند الله تعالى. ثانيها: الهاجس وهو باطل أيضاً، لأنه لا يستقر، وهذا استقر، وحصلت بينهما المراجعة، ثالثها: الموت من شدة الرعب، رابعها: المرض، وقد جزم به ابن أبي جرة. خامسها: دوام المرض، سادسها: العجز عن حمل أعباء النبوة، سابعها: العجز عن النظر إلى الملك من الرعب، ثامنها: عدم الصبر على أذى قومه، تاسعها: أن يقتلوه، عاشرها: مفارقة الوطن، حادى عشرها: تكذيبهم إياه، ثاني عشرها: تعييرهم إياه، وأولى هذه الأقوال بالصواب وأسلمها من الارتباب: الثالث واللذان بعده، وما عداها معترض والله الموفق، ص ٢٧ ج ١ ط الحلبي.

هذا، ويحسن أن ننقل هنا بعض ما ورد في الصحيحين حول هذا عن مشكاة المعاصي عن ابن عباس، قال: بعث رسول الله ص، لأربعين سنة، فكف بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر عشر سنين، ومات، وهو ابن ثلاث وستين سنة. «متفق عليه»

وعنه: قال: أقام رسول الله ص، بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت، ويرى الضوء سبع سنين، ولا يرى شيئاً. وثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً، وتوفي وهو ابن خمس وستين «متفق عليه»، والأولى أضبط.

«بدء الوحي»

وعن عائشة رضي الله عنها: قالت: أول ما بدى به رسول الله ص، من

الوحي : الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حجب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو العبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاء الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني ، حتى بلغ مني الجهد . ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم (فرجع بها رسول الله - ص - يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة ، فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا ، والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتعقد الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، فقالت : يا بن عم . اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله - ص - خبر ما رأى فقال ورقة : هذا هو الناموس الذي أنزل الله على موسى . ياليتني فيها جذعاً . ياليتني أكون حياً ، إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله - ص - : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً . ثم لم ينشأ ورقة أن توفي ، وفتر الوحي و متفق عليه ، وزاد البخاري في حديث منقطع : و حتى حزن النبي - فيما بلغنا - وهو الزهري راوي الحديث السابق عن عائشة ، وأما هذا فرواه بلاغا ، فهو لهذا منقطع - حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رهوس شواحق الجبال ، فكلم أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه ، تبدى له جبريل ، فقال : يا محمد : إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه البخاري .

وعن جابر : أنه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحي قال : فبينما أنا أمشي =

== سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصرى ، فإذا الملك الذى جاء فى بحراء قاعد على كرمى بين السماء والأرض ، فجثت منه رعباً ، حتى كُهِيت إلى الأرض ، فجثت أهلى ، فقلت : زملونى زملونى ، فزملونى فأُنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر قم فأُنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ثم حمى الوحى وتتابع ومتفق عليه .

كيفية الوحى : وعن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ، فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله - ص - أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس - وهو أشده على - فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً ، فيكلمنى ، فأعنى ما يقول . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

مدة المجاورة : عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أبا سلة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ، قال : يا أيها المدثر ، قلت : يقولون : اقرأ بسم ربك قال أبو سلة : سألت جابراً عن ذلك ، وقلت له مثل الذى قلت لى : فقال لى جابر : لا أحديثك إلا بما حدثنا به رسول الله - ص - قال : جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فنوديت ، فنظرت عن يمينى ، فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالى فلم أر شيئاً ، ونظرت عن خلفى ، فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسى فرأيت شيئاً ، فأتيت خديجة ، فقلت : دثرونى ، فدثرونى ، وصبوا على ماء بارداً . فنزلت : (يا أيها المدثر قم فأُنذر وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) وذلك قبل أن تفرض الصلاة : «متفق عليه ورواه الترمذى والنسائى»

ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحنث بعد البعثة فى غار ما ، فهى إذا ليست سنة شرعية ، كان يعتكف فى المسجد العشر الأواخر من رمضان خُسب ، ولو كان يريد عبادة ، لتعبد فى البيت الحرام . إنما أراد البعد عن المجتمع الآبق الشريد . ولكنه فى النبوة عاش فى هذا المجتمع يدعو به إلى الحق ==

ويقاومه بالحق ، لأن الفرار من المعركة إلى خلوة أو كهف ليس من شيمة الرسل ولا المسلمين .

وإليك تفسير بعض ماورد في الحديث : فلق الصبح : ضوءه وإنارته والصبح نفسه : شبه ما جاء في الیقظة ، ووجد في الخارج ، طابقا لما رآه في النوم : بالصبح في إنارته ووضوحه .

• ما أنا بقارىء • ما : نافية ، وقيل : إنها استفهامية ، وضعف القاضى عياض هذا بدخول الباء في خبرها ، وهذه لا تدخل على ما الاستفهامية ولكن الأخفش يجوز دخول الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر حسبك ، والباء زائدة ، وقد يقوى هذا ما ذكرته من قبل من روايات حول هذا . غطنى ، ثبت لفظ اللفظ ثلاثا . في رواية البخارى للحديث في بابي التعبير والتفسير ، وسقطت الثانية في بدء الوحي .

• بلغ منى الجهد ، تروى بفتح الجيم والنصب أى بلغ اللفظ منى غاية وسمى ، وروى بضم الجيم والرفع ، أى : بلغ منى الجهد مبلغه . وزملونى ، غطونى بالثياب ولقونى بها ، الروح ، الفزع ، كلا ، نفى وإبعاد أى : لا تقل هذا ولا خوف عليك .

• لا يخزيك ، لا يهينك ولا يفضحك والكشمينى . يخزنك بالنون ، تصل الرحم ، تصل القرابة بإحسانك لإيهم وتحمل الكل : أى تحمل الثقل من كل ما يتكلف ، ويدخل فيه الإئفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك .

• تسكب المهدوم ، بفتح التاء . وروى بضمها أى : تعطى الناس ما لا يجدونه . وتقرى الضيف : تهى له طعامه وتنزله وتعين على نوائب الحق ، حوادث الحق ، وهذه جامعة لكل ما سبق ولغيره . وهى صفة جامعة لكل أعمال المروءة والبر والنجدة وورقة ابن نوفل ، وصفه الراوى في رواية أخرى : وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى . فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب . وفي رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية .

ومسلم : فكان يكتب الكتاب العربي ، وجمع بين الروايات بأنه كان يجيد الكتابة بتلك وبهذه . وإنما وصف بالكتابة - كما قيل - لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسرا . وقد وصف ورقة في بعض الروايات : « وكان شيخا كبيرا قد عمى » .

فقلت : « يا بن عم ، وقع في مسلم : أى عم ، وهو وهم ، وقيل لأنها قالت : ابن عم على حذف حرف النداء ، فتصحفت بن بأى ومن ابن أخيك » . وقيل : قالت هذا ، لأن عبد العزى الأب الثالث لورقة هو أخ لعبد مناف ، وهو الأب الرابع للنبي فكأنها قالت : من ابن أخى جدك . وقيل : لأن والده عبد الله في عدد النسب إلى قصى الذى يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الخيلية في درجة إخوته ، أو قالت على سبيل التوفير لسنة « جذعا » شابا ، وأصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا « لم ينشب » لم يلبث . وهذا أصح مما روى من أن ورقة كان يمر على بلال وهو يعذب ، وقد قيل : إن ورقة توفى في السنة الثالثة من النبوة ، وقيل : في الرابعة ، وزعم الواقدي أنه قتل ببلاد الحِم وجذام ، وقرر البلاذرى وغيره أنه دفن بمكة .

« قتر الوحى » احتبس « يتردى » يسقط « شواهن الجبال » أى : طواها ، وهو العالى الممتنع « الرُّجَز » الأوتان .

« صلصلة » صوت وأصلها وقوع الحديد بعضها على بعض . والصلصلة أشد من الصليل « يفصم عنى » ينفك وينجلي « يتفصد » يسيل تشبها في كثرته بالفصاد هذا وأول سورة نزلت : اقرأ ، وقد ورد هذا عند الشيخين والترمذى والحاكم والبيهقى والطبرانى وسعيد بن منصور في سننه . ولكن ورد في الصحيحين أيضا في حديث جابر أن يأياها المدثر ، هى أول ما نزل . قبل الفاتحة كما روى البيهقى . ويقول ابن حجر : الذى ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول .

ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق : فابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ البقرة : ١٨٥ . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ القدر . وقال الله تعالى : ﴿ حَمِّمُوا الْكِتَابَ الْمُحْيِينَ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ الدخان : ١ — ٥ . وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى أَتَجْعَلُ الْأَنْفَالَ : ٤١ . وَذَلِكَ مُلْتَقَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُشْرِكِينَ ببدر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التقى هو والمُشْرِكُونَ ببدر يوم الجمعة . صبيحة سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ تَمَامَ الْوَحْيُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وهو مؤمن بالله مُصَدِّق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حمَّله . على رضا العباد وسخطهم ، والنبوة أُنْقَالَ ومؤنة ، لا يحملها ، ولا يستطيع بها .

• • • • •

إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْنَ من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وآمنت به خديجة بنت خُوَيْلِد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه ، تخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بها إذا رجّع إليها ، تُنَبِّئُهُ ، وتخفف عليه ، وتصدقّه وتهوّن عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خديجة ببيت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصَب .

قال ابن هشام : القصب ههنا : اللؤاؤ المجوَّف .

قال ابن هشام : وحدثني مَنْ أثق به ، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أقرئ خديجة السلام من ربها ، فقال

• • • • •

رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام .

قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحي عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه ، فأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : ما صرّمك فترتك ، وما أبفضك منذ أحبك . ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ : أى : لما عندي من مرجعك إلى ، خير لك مما تجملت لك من الكرامة فى الدنيا . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ من الفلج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ يعرفه الله ما ابتداء به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنه عليه فى يتمه وعيّلته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته .

قال ابن هشام : سجد : سكن . قال أمية بن أبى الصلت الثقفى :

إِذَا أَتَى مَوْهِنًا وَقَدْ نَامَ صَحْبِي وَسَجَا اللَّيْلُ بِالظَّلَامِ الْبَهِيمِ
وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعَيْن إذا سكن طرفها : ساجية ، وسجا طرفها .

• • • • •

قال جرير بن الخطقي :

ولقد رَمَيْتَكَ — حين رُخِنَ — بأعين

يَقْتُلانِ من خَلَلِ الثُّرُورِ سَوَاجِي

وهذا البيت في قصيدة له . والعائل : الفقير : قال أبو خراش الهذلي :

إلى بيته بأوى الضربك إذا شتا ومُستَنبِحٌ بالي الدَّريسينِ عائلُ

وجمه : عالة وُذيل ، وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها —

إن شاء الله ، والعائل أيضاً : الذي يعمل العيال . والعائل أيضاً : الخائف .

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ ذَلِكْ أَذُنِي أَلَّا تَعُولُوا ﴾ النساء : ٣ . وقال أبو طالب :

بِمِيزَانٍ قِسْطٍ لَا يُخْسِ شَعِيرَةً له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل

وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها — إن شاء الله — في موضعها .

والعائل أيضاً : الشيء المُثْقَلُ المُعْي . يقول الرجل : قد عالى هذا الأمر : أى .

أثقلني وأعياني ، قال الفرزدق :

تَرَى الْفَرَّ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ إذا ما الأُمُرُ في الخلدنانِ عالا

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : أى لا تكن

جَبَّارًا ولا متكبرًا ، ولا فحاشًا قَطًّا على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وَأَمَّا

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ : أى : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من

النبوة فحدِّث ، أى اذكرها ، وادعُ إليها ، فجعل رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه ، وعلى العباد به من النبوة سِرًّا إلى مَنْ

يطمئن إليه من أهله .

• • • • •

متى نزل القرآن ؟

فصل : وذكر قول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ البقرة : ١٨٥ . إلى آخر الآية ، مستشهداً بذلك على أن القرآن أنزل في شهر رمضان ، وفي ليلة القدر من رمضان ، وهذا يحمل تأويلين : أحدهما : أن يكون أراد بدء النزول وأوله ؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان وغيره ، والثاني : ما قاله ابن عباس : أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، فجعل في بيت العزة مكنوناً في الصحف المسكونة ، المرفوعة المظهرة ، ثم نزلت منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين ، والنوازل الحادثة إلى أن توفي — صلى الله عليه وسلم — وهذا التأويل أشبه بالظاهر ، وأصح في النقل والله أعلم ^(١) .

(١) نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة ، أو إلى سماء الدنيا : كلام لا سند له . والصحيح وحدهما هو ما ورد في القرآن : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » . « إنا أنزلناه في ليلة القدر » ، « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » ، وآيات القرآن في وضوح جميل جليل يفهمها ذو الفطرة السليمة التي لم يفسدها جدل الكلام وسفسطته . وهي تؤكد أنه بدأ نزول القرآن في رمضان في ليلة القدر منه . وقوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » ، يشير إلى أن تاريخ ليلة القدر هو تاريخ ليلة بدر . وبدر كما يقال كانت في السابع عشر من رمضان .

ولهذا يقال إن ابتداء نزول القرآن كان في السابع عشر من رمضان . وإذا رجعنا إلى الأحاديث نستخرجها نبأ ليلة القدر التي فيها نزل القرآن ، فإننا سنجد ما يأتي : قيل : « إنها في الوتر من العشر الاواخر من رمضان » البخاري ، في السبع

مول إضافة شهر إلى رمضان :

فصل : وفي قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان ﴾ فذكر الشهر مضافاً إلى رمضان ، واختار الكتاب والمؤثّقون النطق به بهذا اللفظ دون أن يقولوا : كتب في رمضان ، وترجم البخاري والنسوي^(١) على جواز اللفظين جميعاً وأوردا حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ، وإذا

«الأواخر من رمضان» متفق عليه ، في تاسعة تبقى من العشر الأواخر أو في سابعة ، أو في خامسة ، البخاري ، في الليلة الحادية والعشرين من رمضان ، البخاري ، في الليلة الثالثة والعشرين ، مسلم ، في الليلة السابعة والعشرين ، مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي ، في التاسعة أو السابعة أو الخامسة ، البخاري ، بل ما من ليلة من ليالي رمضان سوى قلة قليلة إلا ورد فيها ما يفيد أنها ليلة القدر ، ولهذا اختلف العلماء في شأنها على أقوال كثيرة ، ذكر منها في فتح الباري ما لم يذكر غيره ، وقد ذكرها الشوكاني باختصار في نيل الأوطار ، فكانت خمسة وأربعين قولاً ، منها : أنها رفعت وهو قول الشيعة والفاكهاني من الحنفية ، ومنها : أنها خاصة بسنة واحدة ، وقعت في زمنه صلى الله عليه وسلم ، ومنها أنها خاصة بهذه الأمة ، ومنها أنها يمكن أن تكون في جميع السنة ، وهو المشهور عن الحنفية وجماعة من السلف ، ومنها أنها في ليلة معينة مهمة ، ومنها : أنها أول ليلة من رمضان حكى عن أبي رزين ، ومنها أنها ليلة النصف من شعبان ، أو النصف من رمضان ، أو ليلة سبع عشرة من رمضان الخ . . .

انظر ص ٢٧٢ هـ ٤ نيل الأوطار ط عثمان خليفة . وحير ما يقول البغوي : «أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ، ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعاً في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس» تفسير الخازن والبغوي لسورة القدر

(١) هو أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي ، وله مسند مشهور .

جاء رمضان ، ولم يقل : شهر رمضان ، وقد بينت أن لكل مقام مقامه ، ولا بد من ذكر شهر في مقام ، ومن حذفه في مقام آخر ، والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن ، والحكمة أيضاً في حذفه إذا حذف من اللفظ ، وأين يصلح الحذف ، ويكون أبلغ من الذكر ، كل هذا مبين في كتاب « نتائج الفكر » ، فهناك أوردنا فيه فوائد تعجز عنها هم أهل هذا العصر . أدناها تساوى رِخلة عند من عرف قدرها ، غير أنا نشير إلى بعضها ، فنقول : قال سيبويه : وما لا يكون العمل إلا فيه كله : المحرم وصفر ، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله ، وذلك إذا قلت : الأحد أو الاثنين ، فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفاً ، ولم يجر مجرى المفعولات ، وزال العموم من اللفظ ، لأنك تريد : في الشهر وفي اليوم ، ولذلك قال عليه السلام : من صام رمضان ، ولم يقل شهر رمضان ؛ ليكون العمل فيه كله ، وهذه إشارة إلى بعض تلك الفوائد التي أحكمناها في غير هذا الكتاب .

مب الرسول « ص » وطنه :

بقية من حديث ورقة ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : **لُتَكْذَبَنَّ** ، فلم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال : **وَلُتَوَذَّيَنَّ** ، فلم يقل له شيئاً ، ثم قال : **وَلُتُخْرِجَنَّ** ، فقال : **أَوْ تُخْرِجِيَّ** هم ؟ ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتة على النفس ، وأيضاً فإنه حرم الله وجوار بيته ، وبلدة أبيه إسماعيل ، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر لخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك ، فقال : **أَوْ تُخْرِجِيَّ** هم ؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو

تَرَدَّ إِلَى الْكَلَامِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَتُشْعِرُ الْمُخَاطَبَ بِأَنْ الِاسْتِفْهَامَ عَلَى جِهَةِ الْإِنْكَارِ ،
أَوْ التَّنَجُّعِ لِكَلَامِهِ أَوْ التَّأَلُّمِ مِنْهُ .

زَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ :

فَصَلَ : وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،
وَقَوْلُهُ : حَدَّثَنِي أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ أَنَّ خَدِيمَةً أَدْخَلَتْهُ بَيْنَ ثَوْبَيْهَا .
الْحَدِيثُ ^(١) عَبْدُ اللَّهِ هَذَا هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ ، وَأُمُّهُ : فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ أختُ سُكَيْنَةَ ، واسمها : آمَةُ ،
وَسُكَيْنَةُ لَقَبٌ لَهَا الَّتِي كَانَتْ ذَاتَ دُعَابَةٍ وَمَزْجٍ ، وَفِي سُكَيْنَةَ وَأُمِّهَا الرِّبَابُ
يَقُولُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ :

كَانَ اللَّيْلَ مُوَصُولًا بِلَيْلٍ إِذَا زَارَتْ سُكَيْنَةَ وَالرِّبَابَ ^(٢)
أَيُّ : زَادَتْ قَوْمَهَا ، وَهُمْ : بَنُو عَلْتَمٍ بْنِ جَنَابٍ مِنْ كَلْبٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ .

(٢) مِنْ قَصِيدَةٍ تَنْسَبُ إِلَى الْحُسَيْنِ فِي سُكَيْنَةَ ابْنَتِهِ وَأُمِّهَا الرِّبَابُ زَوْجَتَهُ ، مِنْهَا :

لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأَحِبُّ دَارًا تَضِيفُهَا سُكَيْنَةُ وَالرِّبَابُ
أَحِبُّهَا وَأَبْذُلُ بَعْدَ مَالِي وَلَيْسَ لِلْأُمِّيِّ فِيهَا عِتَابُ
وَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ عَتَبُوا مَطِيعًا حَيَاتِي ، أَوْ يَغِيدُنِي التَّرَابُ

وَهِيَ فِي الْأَغَانِي ، وَمُقَاتِلُ الطَّالِبِيِّينَ ، وَفِي نَسَبِ قَرِيشٍ ، انْظُرْ ص ٥٩ نَسَبُ

قَرِيشٍ ط ١ ،

كَتَبَ بْنِ عَلْنَمٍ^(١) ، ويعرف بنو كعب بن عَلْنَمِ بْنِ زَيْدَ غَيْرِ مَصْرُوفٍ ؛
لأنه اسمُ أمهم ، وعبد الله بن حسن هو والد الطالِبَيْنِ الْقَائِمَيْنِ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ،
وهم : مُحَمَّدٌ وَيَحْيَى وَإِدْرِيسُ^(٢) مات إدريس بإفريقية فأراً من الرشيد ، ومات
مسموماً في دُلَاعَةٍ^(٣) أَكَلَهَا ، ووقع في كتاب الزبير بن أبي بكر قال : قال
عبد الرحمن بن زيد : قال آدم عليه السلام : مِمَّا فَضَّلَ بِهِ عَلِيٌّ ابْنِي صَاحِبُ
الْبَعِيرِ أَنْ زَوْجَهُ كَانَتْ عَوْنًا لَهُ عَلَى تَبْلِيغِ أَمْرِ اللَّهِ ، وَأَنْ زَوْجِي كَانَتْ عَوْنًا
لِي عَلَى الْمَعْصِيَةِ^(٤) .

حديث عبد الله بن جعفر وغيره عن ضريحته :

فصل : وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم — أمر أن يبشر خديجة ببيت من قَصَبٍ ، لاصْتَحَبَ

(١) والرباب أم سكينه هي بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس بن جابر
ابن كعب بن علم بن جناب .

(٢) خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن على أبي جعفر المنصور
بالمدينة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة ، فقتلها عيسى بن موسى ، أما أخوها
موسى ، فاختلف بالبصرة ، فمثر عليه ، فعفا عنه المنصور ، أما سليمان أخوهم فقتل
بفتح في خلافة موسى ، أما أخوهم إدريس فقام بالمغرب ، وبه مات ، أما يحيى فقام
بالديلم ، ولكل منهم عقب سوى عيسى ، ومن أولاد عبد الله بن حسن : فاطمة
وزينب ورقية . انظر ص ٥٣ نسب قريش ط ١ وجمهرة ابن حزم ص ٣٩ ط ١ .

(٣) ضرب من محار البحر .

(٤) من أين جاء بهذا ؟

فيه ، ولا نَصَب . هذا حديث مُرْسَلٌ ^(١) ، وقد رواه مسلم متصلاً عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما غِرَّتْ على أحد ما غرت على خديجة ، ولقد هَلَكْتُ قبل أن يتزوجني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها ببیت من قَصَبٍ في الجنة .

وفي حديث آخر أن عائشة قالت : ما تذكّر من عجوزٍ حراء الشّدَقين هَلَكْتُ في الدهر ، قد أبدلَكَ الله خيراً منها ، فغضب ، وقال : والله ما أبدلتني الله خيراً منها ؛ آمَنْتُ بِحِينَ كَذَبَنِي النَّاسُ ، وَوَسَّيْتَنِي بِمَا لَهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقْتَ الْوَلَدَ مِنْهَا ، وَحَرَمْتَهُ مِنْ غَيْرِهَا ، وَرَوَى يُونُسُ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيْمَنِ الْخَزَوَمِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو تَجِيحٍ قَالَ : أَهْدَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَزُورًا أَوْ لَحْمًا ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَظْمًا مِنْهَا ، فَنَاقَلَهُ الرَّسُولُ بِيَدِهِ ؛ فَقَالَ : اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى فُلَانَةٍ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَمْ غَمِرْتُ ^(٢) بِذِكِّكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَغْضَبًا : إِنْ خَدِجَةُ أَوْصَتْنِي بِهَا ، فَغَارَتْ عَائِشَةُ ، وَقَالَتْ : لَسْكَانُهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِجَةُ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَغْضَبًا ، فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَإِذَا أُمُّ رُومَانَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا لَكَ وَلِعَائِشَةَ؟ ! إِنِّهَا حَدَّثَتْكَ ، وَإِنَّكَ أَحَقُّ مِنْ تَجَاوُزِهَا ، فَأَخَذَ بِشِدْقِ عَائِشَةَ ، وَقَالَ : أَلَسْتُ الْقَائِلَةَ : كَأَنَّمَا لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ امْرَأَةٌ إِلَّا

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد وردت البشارة في حديث رواه الشيخان والترمذي . ويقول ابن الأثير : لم يتقدمها رجل ولا امرأة بإجماع المسلمين ، ص ٢٣٧ - مواهب .
(٢) الغدر بالتحريك : زنى اللحم ، وما يعلق باليد من دسمه .

خديجة ، والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ، ورزقت مني الولد وحرمتموه ،
وفي صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : خير نساءها : مريم
بنت عمران ، وخير نساءها : خديجة ، والهاء في نساءها حين ذكر مريم عائدة
على السماء ، والهاء في نساءها حين ذكر خديجة عائدة على الأرض ، وذلك أن
هذا الحديث رواه وكيع وأبو أسامة وابن تميم في آخرين ، وأشار وكيع
من بينهم حين حدث بالحديث بإصبعه إلى السماء عند ذكر مريم ، وإلى الأرض
عند ذكر خديجة ، وهذه إشارة ليست من رأيه ، وإنما هي زيادة في حديثه عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - وزيادة العدل مقبولة ، ويحتمل أن يكون معنى
إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرها ، أي : هما خير نساء بين السماء والأرض .
وهذا أثبت عندى بظاهر الحديث . ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء في التفضيل
بين مريم وخديجة وعائشة - رضى الله عنهن - وأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -
وما نزع به كل فريق منهم .

مول ما بشرت به خديجة :

وأما قوله : بيت من قَصَبٍ ، فقد رواه الخطابي مفسراً ، وقال فيه :
قالت خديجة : يا رسول الله ، هل في الجنة قَصَبٌ ؟ فقال : إنه قَصَبٌ من لؤلؤ
مُجَبَّى . قال الخطابي : يجوز أن يكون معناه : مُجَوَّباً من قولك : جُبَّتِ الثوب
إذا خرقتة ، فيكون من المقلوب ، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّباً بباءين من الجب
وهو القطع أى : قطع داخله ^(١) ، وقابت الباء ياء ، كما قالوا : تظنيت من

(١) هو في السيرة : مجوف . وفي النهاية لابن الأثير : وقيل : هو من الجوبه
وهو نقير يجمع فيه الماء .

الظنّ ، وتمصّيت أظفاري ، وتسكلم أصحاب المعاني في هذا الحديث ، وقالوا : كيف لم يبشرها إلا ببيت ، وأدنى أهل الجنة منزلةً مَنْ يُعطى مسيرة ألف عام في الجنة ، كما في حديث ابن عمر ، خرّجه الترمذى ، وكيف لم ينعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نقي الصّخب وهو : رفع الصوت ، فأما أبو بكر الإسكاف ، فقال في كتاب فوائد الأخبار له : معنى الحديث : أنه بُشِّرَ بيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها ؛ ولذلك قال : لا صخب فيه ولا نصّب ، أى : لم تنصّب فيه ، ولم تصخب . أى : إنما أُعطيت زيادة على جميع العمل الذى نصبت فيه . قال المؤلف رحمه الله : لا أدرى ما هذا التأويل ، ولا يقتضيه ظاهر الحديث ، ولا يوجد شاهد يعضده ، وأما الخطابى ، فقال : البيت هاهنا عبارة عن قصر ، وقد يقال لمنزل الرجل : بيته ، والذى قاله صحيح ، يقال فى القوم : هم أهل بيت شرف وبيت عز ، وفى التنزيل : (غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ وقوله : بيت ، ولم يقل : بقصر معنى لائق بصورة الحال ، وذلك أنها كانت ربّة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلاّ بيتها حين آمنت ، وأيضاً فإنها أول من بنى بيتاً فى الإسلام بتزويجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورغبتها فيه ، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل ، وإن كان أشرف منه لما جاء : « من كسا مسلماً على عُرْي كساء الله من حلل الجنة ، ومن سقى مسلماً على ظمإ سقاه الله من الرحيق ^(١) » ، ومن هذا الباب قوله عليه السلام : من بنى لله

(١) روايته : أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عرى كساء الله تعالى من خضر =

مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ ^(١) لَمْ يَرِدْ مِثْلُهُ فِي كَوْنِهِ مَسْجِدًا ، وَلَا فِي صِفَتِهِ . وَلَكِنْ قَابِلُ الْبَنِيَانِ بِالْبَنِيَانِ ، أَيْ كَمَا بَنَى يُبْنَى لَهُ ، كَمَا قَابِلُ الْكُسُوءَةِ بِالْكُسُوءَةِ . وَالشَّقِيَاءُ ، بِالشَّقِيَاءِ ، فَهَاهُنَا وَقَعَتِ الْمِثَالَةُ ، لَا فِي ذَاتِ الْمَبْنِيِّ أَوْ الْمَكْسُوءِ ، وَإِذَا ثَبِتَ هَذَا ، فَهِنَّ هَاهُنَا اقْتَضَتْ الْفَصَاحَةُ أَنْ يُعَبَّرَ لَهَا عَمَّا بُشِّرَتْ بِهِ بِلَفْظِ الْبَيْتِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْهُ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْهُ ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ، وَمِنْ تَسْمِيَةِ الْجُزْءِ عَلَى الْفِعْلِ بِالْفِعْلِ فِي عَكْسِ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) : (وَمَسْكَرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ) ^(٢) .

== الجنة ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعِمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ . وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ . وَيَقُولُ الْمُنْذَرِيُّ عَنْهُ : رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي خَالِدٍ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّلَانِيِّ ، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ : بِتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ رَوَى مُوَقُوفًا عَلَى أَبِي سَعِيدٍ ، وَهُوَ أَصَحُّ وَأَشْبَهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ مُوَقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ .

(١) الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاحِدٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ عُثْمَانَ ، وَفِيهِ : « يَبْنَعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ » .

(٢) يَقُولُ الَّذِينَ يُؤَوِّلُونَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْقُرْآنُ عَنْ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا نِسْبَةُ الْكَيْدِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالنِّسْيَانِ إِلَى اللَّهِ مَا يَأْتِي : « هَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَحْسَنُ عَلَى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ ، وَيَحْسَنُ أَنْ يُضَافَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ابْتِدَاءً ، فَيَقَالُ : لِأَنَّهُ يَمْكُرُ وَيَكِيدُ وَيَخَادِعُ وَيَنْسَى ، وَلَوْ كَانَ حَقِيقَةً لَصَلَحَ إِطْلَاقُهُ مَفْتَرِدًا عَنْ مُقَابَلِهِ كَمَا يَصِحُّ أَنْ يَقَالُ : يَسْمَعُ وَيَرَى وَيَعْلَمُ وَيَقْدِرُ » . وَيَزِدُّ ابْنُ الْقَيْمِ رَدًّا طَيِّبًا فِي الصَّوَابِ الْمُرْسَلَةِ ، فَيَقُولُ : « الصَّوَابُ أَنْ مَعَانِيهَا - أَيْ الْكَيْدُ وَخِلَافُهُ - تَنْقَسِمُ إِلَى مَحْمُودٍ وَمَذْمُومٍ ، فَالْمَذْمُومُ مِنْهَا يَرْجِعُ إِلَى الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ . . . فَاكَانَ مِنْهَا مَتَضَمَّنًا لِلْكَذِبِ وَالظُّلْمِ ، فَهُوَ

وأما قوله: لا صَخَبَ فيه ، ولا نَهَبَ ، فإنه أيضاً من باب ما كنا بسبيله،

مذموم ، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح ، فهو حسن محمود ، فإن الخادع إذا خادع بباطل وظلم حسن من المجازى له أن يتخذه بحق وعدل، وكذلك إذا مكر واستهزأ ظالماً متعدياً ، كان المكربه والاستهزاء عدلاً حسناً ، كما فعله الصحابة بكمب بن الأشرف، وابن أبي الحقيق، وأبى رافع وغيرهم ممن كان يعادى رسول الله ﷺ ، نخادعوه حتى كفوا شره وأذاه بالقتل ، وكان هذا الخداع والمكر نصرة لله ورسوله . . وجزاء المسيء بمثل إساءته جائز في جميع الملل مستحسن في جميع العقول ؛ ولهذا كاد سبحانه ليوسف حين أظهر لإخوانه ما أبطن خلافه جزاء لهم على كيدهم له مع أبيه ، حيث أظهروا أمراً وأبطنوا خلافه ، ثم قرر أن هذه الأفعال لا يجوز ذمها على الإطلاق ، ولا مدحها على الإطلاق ، كما لا يجوز أن يشتق منها أسماء وصفات لله سبحانه ؛ لأن الله لا يوصف إلا بالأنواع المحمودة على الإطلاق ، ولهذا لم يرد في أسمائه الحسنى : المريد أو المتكلم أو الفاعل أو الصانع ؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى مدوح ومذموم ، فلا يجوز مطلقاً اشتقاق الماكر والخادع والمستهزئ بما ورد في الآيات ، وتسمية الله بها ، لأنه سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق . . فلا يكون الاستهزاء والمكر والخداع منه قبيحاً البتة ، فلا يتمتع وصفه به ابتداء لا على سبيل المقابلة . . فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجازاة ؛ إذ الموجب للمجازاة منتف ،

وأقول : كل مسلم يتدبر القرآن لا يشعر أبداً بمثل ما يفتره المعطلة والجهمية ولا يخر على آياته أصم أعمى ، ويفخر قلبه اليقين بأن الله الذي من علينا فعلنا البيان يستحيل أن نخكم عليه بأنه أخطأ في البيان عن صفاته وأسمائه وأفعاله ، أو أراد أن يضلنا بألفاظ لا يراد بها معانيها التي لها في لغة القرآن ، فلنصف الله بما وصف به نفسه ، ولنسمه بما سمي به نفسه ، ولننسب إليه ما نسب هو إلى نفسه جل جلاله دون تأويل أو تحريف أو تمثيل أو تشبيه أو تعطيل لشيء من هذا كله فإننا نؤمن بأن قوله - سبحانه - هو الحق ، وأنه ليس كمثل شيء .

لأنه - عليه السلام - دعاها إلى الإيمان، فأجابته عَفْواً ، لم تخوِجه إلى أن يَصْخَبَ كما يصْخَبُ البُعل إذا تَمَصَّت عليه حليته ، ولا أن يَنْصَبَ ، بل أزالته عنه كل نصب ، وآنته من كل وحشة ، وهَوَّنت عليه كل مكروه ، وأراحته بما لها من كل كَدٍّ ونَصَبٍ ، فوصف منزلها الذي بُشِّرَتْ به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته .

وأما قوله : من قَصَبَ ، ولم يقل : من لَوِثَ ، وإن كان المعنى واحداً ، ولكن في اختصاصه هذا اللفظ من المُشَاكَلَة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها - رضى الله عنها - كانت قد أحرزت قَصَبَ السَّبْقِ إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنِّسوان . والعربُ تسمى السابقَ مُحْرِزاً للقَصَبِ . قال الشاعر :

مَشَى ابنُ الزُّبَيْرِ الْقَهْقَرَى ، وتقدمت أُمِّيَّةٌ حتى أحرزوا القَصَبَاتِ
فاقتضت البلاغة أن يعبّر بالعبارة المشاكلة لعمليها في جميع ألفاظ الحديث فتأمله الموازنة بين غريجة وعائشة :

فصل : وذَكَر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخديجة : هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك . الحديث ^(١) يُذَكَّر عن أبي بكر بن داود أنه

(١) في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة : أتى جبريل النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . .

سُئِلَ: عائشة أفضل، أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل^(١)، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - فهي أفضل، قيل له: فمن أفضل، أخذت أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: إن فاطمة بضعة مني^(٢) فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحداً، وهذا استقراء حسن، ويشهد لصحة هذا الاستقراء أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه، وحلف ألا يحمله إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءت فاطمة لتحمّله، فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة مضغة مني، فحمله وسند ذكر الحديث بإسناده في موضعه، إن شاء الله تعالى، ويدل أيضاً على تفضيل فاطمة قوله - عليه السلام - لها: أما تَرْضَيْن أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة^(٣) إلاّ سرّيم؟ فدخل في هذا الحديث أمها وأخواتها، وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها، فقيل: إنها ولدت سيد هذه الأمة، وهو الحسن الذي يقول فيه النبي - صلى الله عليه وسلم:

(١) عن أبي سلمة أن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائش: هذا جبريل يقرئك السلام. قالت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت: وهو يرى ما لا أرى، متفق عليه.

(٢) عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ص، قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني، وفي رواية: يريني ما أراها، ويؤذيني ما آذها، متفق عليه.

(٥) في حديث متفق عليه عن عائشة: ألا تَرْضَيْن أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين، ولم يأت لمريم فيه ذكر.

إن ابني هذا سيد^(١)، وهو خليفة، بعلمها خليفة أيضاً، وأحسن من هذا القول قول : من قال: سادت أخواتها وأُمَّه، لأنهن مُتَن في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان في صحيفته ، ومات أبوها وهو سيد العالمين ، فكان رُزُؤُهُ في صحيفتها وميزانها ، وقد رَوَى البزار من طريق عائشة أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة : هي خير بناتي ؛ إنها أصيبت بي ، فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء أهل الجنة ، وهذا حسنٌ ، والله أعلم . ومن سُودُودِهَا أيضاً أن المهدي المُبَشَّر به آخر الزمان من ذُرِّيَّتِهَا ، فهي مخصوصة بهذا كله والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة^(٢) ، وقد جمعها أبو بكر بن أبي خنيفة فأكثر ، ومن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكافي في فوائده الأخبار مسنداً إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كَذَّبَ بالدَّجَال فقد كفر ، ومن كَذَّبَ بالمَهْدِيِّ فقد كفر^(٣) ، وقال : في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب^(٤) .

(١) من حديث رواه البخاري عن أبي بكرة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه ، وهو يقبل على الناس مرة ، وعليه أخرى ، ويقول : « إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، ونحن المسلمين لا يصح الآن أن نخوض في مثل هذا ، فقد أفضت كل واحدة منهن إلى الله سبحانه »

(٢) استغل هذه الاسطورة أعداء الله ، فظهر عشرات الدجاجة يزعم كل منهم أنه هو المهدي ، ولم يخرج البخاري ولا مسلم شيئاً عن المهدي ، وجميع الأحاديث الواردة فيه لا تخلو من نقد ، وقرأ في هذا مقدمة ابن خلدون تحت عنوان « فصل في أمر الفاطمي » ، (٣) لا يشهد لصحة هذا عقل ودلاد بن

(٤) نقل ابن خلدون عن السبيلي هذا في مقدمته ص ٢٧٢ طبع عبد الرحمن محمد وقال : وحبسك هذا غلوا . على أن أبابكر الإسكافي عندهم موضع .

الله السلام :

وقول خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام ، علمت بفقهم ان الله سبحانه لا يُرَدُّ عليه السلام ، كما يُرَدُّ على المخلوق ؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها : الله السلام ، فكيف أقول عليه السلام ، والسلام منه يُسْتَل ، ومنه يأتي ؟ ولكن على جبريل السلام ، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثناء عليه ، فجملت مكان رد التحية على الله ثناء عليه ، كما عملوا في التشهد حين قالوا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان ، فقيل لهم : لا تقولوا هذا ، ولكن قولوا : التحيات لله ، وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب فوائد جمعة في معنى التحيات إلى آخر التشهد . وقولها : ومنه السلام ، إن كانت أرادت السلام التحية ، فهو خير يراد به التشكر ، كما تقول : هذه النعمة من الله ، وإن كانت أرادت السلام بالسلامة من سوء ، فهو خير يراد به المسئلة ، كما تقول : منه يُسْتَل الخير . وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن السلام والسلامة بمعنى واحد كالرِّضَاغ والرِّضَاعَة ، ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاهنا التأنيت من التحديد لرأوا أن بينهما فرقانا عظيما ، وأن الجلال أعم من الجلالة بكثير ، وأن اللذاذ أبلغ من اللذاذَة ، وأن الرِّضَاعَة تقع على الرِّضْعَة الواحدة ، والرِّضَاغ أكثر من ذلك ، فكذلك السلام ، والسلامة ، وقَسْ على هذا : تَمْرَة وَتَمْرًا ، وَلَقَاءَة وَلَقَى ، وَضَرْبَة وَضَرْبًا ، إلى غير ذلك ، وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة ، وعهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جارٍ على نظام الحكمة ، كذلك سَلِمَ الثَّقَلَانِ من جَوْرٍ وظَلَمٍ أن يأتياهم من قبله سبحانه ، وإنما الكل مُدَبَّرٌ بفضلي أو عدل ، أما الكافر فلا يجرى عليه إلا عدله ، وأما المؤمن

فيعمره فضاه، فهو سبحانه في جميع أفعاله سلامٌ ، لا حَيْفَ ولا ظلمَ ، ولا تفاوتَ ولا اختلالَ ، ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به سلامته من الآفات والعيوب ، فقد أتى بشنيع من القول ، إنما السلامُ من سَلِمَ منه ، والسلامُ مَنْ سَلِمَ من غيره ، وانظر إلى قوله سبحانه : (كوني بَرْدًا وسلامًا) وإلى قوله : (سلام هي) ولا يقال في الحائط : سالم من الَعَمى ، ولا في الخَجَرِ أنه سالم من الزكّام ، أو من السُّعال إنما يقال : سالم فيمن تجوز عليه الآفة ، ويتوقعها ثم يَسَلِمَ منها ، والقُدُوسُ سبحانه مُتَعَالٍ عن توقع الآفات مُتَنَزِّهٌ عن جواز النقائص ، ومَنْ هذه صفته لا يقال : سَلِمَ ، ولا يَدَسَمُ بِسالم ، وهم قد جعلوا سلاما بمعنى سالم ، والذي ذكرناه أولُ ، هو معنى قول أكثر السالف والسّلامة : خَصْلَةٌ واحدة من خِصال السلام ^(١) :

فتره الومى :

فصل : وذكر فترة الوحي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر مقدار مدة الفترة ، وقد جاء في بعض الأحاديث المُسَنَدَة أنها كانت سنتين ونصف سنة ، فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مُسَكَّنَه بمكة كان عشر سنين ، وقول ابن عباس : ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وكان قد ابتدئ بالرويا الصادقة ستة أشهر ، فمن عدَّ مدة الفترة ، وأضاف إليها الأشهر الستة ، كانت كما قال

(١) في النهاية لابن الأثير عن السلام : وسلامته بما يلحق الخلق من العيب والفناء والسلام في الأصل : السلامة ، وعند الراغب في مفرداته : ووصف بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق ، وانظر ص ١٣٥ ج ٢ بدائع الفوائد .
(م ٢٨ — الروض الأنف ج ٢)

ابن عباس ، وَمَنْ عَدَّهَا مِنْ حِينَ حَمَى الْوَحْيَ وَتَتَابَعَ ، كَافِيَ حَدِيثُ جَابِرٍ كَانَتْ عَشْرَ سَنِينَ . وَوَجْهُ آخَرٍ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ : وَكُلَّ إِسْرَافِيلُ بَنِيَّةَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَ سَنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُ بِالْقُرْآنِ جِبْرِيلُ ^(١) وَقَدْ قَدَمْنَا هَذَا الْحَدِيثَ ، وَرَوَاهُ أَبُو عَمْرٍ فِي كِتَابِ الْاِسْتِيعَابِ ، وَإِذَا صَحَّ فَهُوَ أَيْضًا وَجْهٌ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

شرح شعر الهذلي والفرزدق :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي خراش خُوَيْلِدِ بْنِ مَرَّةٍ الْهَذَلِيِّ إِلَى بَيْتِهِ يَا أَوَى الضَّرِيكَ إِذَا شَتَا وَمُسْتَنْبِحٌ بَالِي الدَّرِيسِينَ عَائِلَ الضَّرِيكَ : الضَّعِيفُ الْمُسْتَظَرُّ ^(٢) وَالْمُسْتَنْبِحُ الَّذِي يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، فَيَنْبَحُ لِيَسْمَعَ نُبَاحَ كَلْبٍ ^(٣) وَالدَّرِيسُ : الثُّوبُ الْخَلْقِيُّ ، وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

(١) فِي فَتْحِ الْبَارِي : (هَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ السَّهِيلُ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ بِمُرْسَلِ الشَّعْبِيِّ لَا يَثْبُتُ ، وَقَدْ عَارَضَهُ مَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَدَّةَ الْفَتْرَةِ الْمَذْكُورَةِ كَانَتْ أَيَّامًا . ص ٣١ ج ١ الْحَلَبِيِّ وَقَالَ مَغَلْطَاي : « يَخْدُشُ فِيهِ - أَيْ فِي كَلَامِ السَّهِيلِ - مَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ وَمَعَانِي الزَّجَّاجِ : خَمْسَةَ عَشَرَ ، وَفِي تَفْسِيرِ مَقَاتِلِ : ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْأَشْبَهُ بِحَالِهِ عِنْدَ رَبِّهِ . لَا مَا ذَكَرَهُ السَّهِيلُ ، وَجَنَحَ لَصَحَّتِهِ ، ص ٢٣٦ شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ج ١

(٢) الضَّرِيكَ أَيْضًا : النَّسْرُ الذَّكْرُ وَالْاِحْتِمُ وَالزَّيْمُنُ - بِكَسْرِ الْمِيمِ - وَالضَّرِيرُ .

(٣) عَبَّرَ عَنْهَا الْخَشْنَى بِتَبْعِيرٍ أَوْضَحَ فَقَالَ : « الْمُسْتَنْبِحُ الَّذِي يَضِلُّ بِاللَّيْلِ ، فَيَنْبَحُ نُبَاحَ الْكَلَابِ ، لِتَسْمَعَهُ الْكَلَابُ فَتَجَاوِبَهُ ، فَيَعْلَمُ مَوْضِعَ الْبُيُوتِ ، فَيَقْصِدُهَا . »

وَيَقُولُ الْخَشْنَى عَنْ ثَنِيَّةِ الدَّرِيسِ : « وَثَنَاهُ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْإِزَارَ ، وَالرِّدَاءَ ، وَهُوَ أَقْلُ مَا يَكُونُ لِلرِّجَالِ مِنَ الْبِاسِ ، ص ٧٧ .

تَرَى الْعُرَّاءَ الْجَحَاجِجَ^(١) مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْخَدَتَانِ عَالَا
 قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالًا

يعنى : سعيد بن العاصى بن أمية ، ويقال : إن مروان بن الحكم حين سمع
 الفرزدق ينشد هذا البيت حسده ، فقال له : قل : قعودا ينظرون إلى سعيد
 يا أبا فراس . فقال له الفرزدق : والله يا أبا عبد الملك : إلا قياما على الأقدام^(٢) .
 وذكر سبب نزول سورة الضحى ، وأن ذلك لفترة الوحى عنه ، وخرج
 البخارى من طريق جندب بن سفيان^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى ،
 فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فقالت له امرأة : إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ،
 فأنزل الله تعالى سورة الضحى^(٤) .

(١) غر : ربهـا هكذا جمع أغر : المشهور ، وأصله الأبيض . والججاجج : جمع
 ججاجج وججاجج : السيد ، وأيضاً : الفصل من الرجال ، ومن جمعه : ججاججج ،
 وججاججة .

(٢) مدح الفرزدق سعيداً بهذا ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية
 رحمه الله ، وكان يوليه معاوية سنة ، ويولى مروان سنة أخرى ، ويقال إن
 الفرزدق قال لمروان : لا أقول إلا قياماً ، وإنك يا أبا عبد الملك لاصف من
 بينهم ، وصفن الرجل إذا رفع إحدى قدميه ، ووقف على الأخرى والخشني ص ٧٨
 (٣) سفيان : جده ، وأبوه : عبد الله . وهو ينسب إلى أبيه وإلى جده .
 (٤) وأخرجه مسلم ومالك وأحمد والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن
 جرير وقيل : إن هذه المرأة هى أم جميل امرأة أبى لهب .

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ
الْجُزءُ الثَّانِي وَبَلِيَّةِ الْجُزءِ الثَّالِثِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ
وأوله : ﴿ فَرَضُ الصَّلَاةِ ﴾

ملحوظات

تسكلم السهيلي عن بئار مكة في ص ١٢٣ - ٢٤ وما بعدها ، وقد زاد للبلاذري في كتابه فتوح البلدان عما ذكره السهيلي ، فقيما يتعلق بالعجول زاد بعد الشطرة الأولى :

قبل صدور الحاج من كل أفق

وزاد في سجلة بعد الشطرة الأولى :

في تربة ذات غداة سهلة

وزاد في شعر صفية المذكور في ص ١٢٥

فيها الجراد والذر وقذر لا يذكر

وعن بذر ورد :

ليست كبذر النذور الجراد

وبهذا استقام المعنى فقد كانت البرور في الروض .

ملحوظات عن الجزء الأول

في ص ٣٣٦ ١٠ ورد في السطر الحادي عشر نصف بيت من الشعر

اهتديت إلى تمامه ، فقد أنشده اللسان في مادة أوب وهو :

رَبَّاهُ شَمَاءَ لَا يَأْوِي لِقَلَمِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأُوبُ السَّبَلُ

والأوب اسم جمع ومعناه : النحل ، والسبل : المطر هذا وقد ندت عن

المين بعض أخطاء يسيرة جدا نرجو أن نتداركها بعد إن شاء الله .

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة. إنها رحلة مليئة بالتحديات، ولكنها مليئة أيضًا بالفرص. إنها رحلة نحو المستقبل، ولكنها رحلة نحو الحاضر. إنها رحلة نحو التغيير، ولكنها رحلة نحو البقاء. إنها رحلة نحو الحياة، ولكنها رحلة نحو الموت. إنها رحلة نحو الله، ولكنها رحلة نحو الإنسان. إنها رحلة نحو المعرفة، ولكنها رحلة نحو الحكمة. إنها رحلة نحو الحب، ولكنها رحلة نحو السلام. إنها رحلة نحو الخير، ولكنها رحلة نحو النور. إنها رحلة نحو الحياة، ولكنها رحلة نحو الموت. إنها رحلة نحو الله، ولكنها رحلة نحو الإنسان. إنها رحلة نحو المعرفة، ولكنها رحلة نحو الحكمة. إنها رحلة نحو الحب، ولكنها رحلة نحو السلام. إنها رحلة نحو الخير، ولكنها رحلة نحو النور.

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة.

محتویات الكتاب

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٦	أهبات الرسول «ص»، «س» ١		البيت «س»
٧	أمر جرم ودفن زمزم «س»	٢٨	قصي وزواجه وتولية أمر
٧	مولد النبي «ص»		البيت «س»
٩	زمزم	٢٩	ولاية الغوث إجازة الحج «س»
١٠	استيلاء كنانة وخزاعة على البيت	٣١	عدوان والإفاضة «س»
	ونقي جرم «س»	٣٢	قصي وخزاعة وولاية البيت
١١	شعر الحارث بن مضاض «س»	٣٣	نشأة قصي
١٢	شعر عمرو بن الحارث «س»	٣٤	الغوث بن مر وصوفة
١٣	حول زمزم	٣٤	لم سمى قصي قصيلاً «س»
١٣	لم نزلت هاجر وإسماعيل مكة	٣٧	بنو سعد وزيد مائة
١٥	قطورا وجرم والسميدع	٣٨	اشتقاق المزدلفة
١٦	جباد وقيقعان	٣٩	ذو الإصبع وآل ظرب
١٧	جرم تسرق مال الكعبة	٤١	أبو سيارة
١٨	بين جرم وخزاعة	٤٢	حول لاهم «ن. ل. س»
١٩	غربة الحارث بن مضاض	٤٣	لهنك «س. ن. ل.»
٢٠	ن شرح شعر ابن مضاض	٤٤	أمر عامر بن ظرب
٢١	واسط وعامر وجرم	٤٥	غلب قصي على أمر مكة
٢٢	مكة وأسماؤها	٥٠	الرفادة «س»
٢٤	ما وجد مكتوباً في الأحجار	٥١	الحكم بالآمارات
٢٧	استبداد قوم من خزاعة بولاية	٥٢	يعمر للشداخ

(١) «س» رمز عن السيرة ، و«ن. ل.» رمز عن النحو واللغة ، و«س.» رمز عن الشرح ، أما الروض فبدون رمز .

رقم	موضوع	رقم	الموضوع
٥٣	ولاية قصي البيت « ١ »	٨٧	عبد المطلب وابن ذى يزن
٥٣	رباع مكة	٨٨	نسب أحيحة
٥٥	دار الندوة	٨٩	الليلة القسية والدرهم القسي
٥٥	من تفسير شعر رزاح	٩٠	« ن . ل » شعر الصلتان
٥٨	شعر قصي والعذرتان	٩٠	أيا شاعرا لاشاعر اليوم مثله
٥٩	حوتسكة وأسلم	٩٠	« ن . ل » جمع يراد به المفرد « ن . ل »
٦١	الاختلاف بمد قصي وحلف	٩١	الحكم للبعض بحكم الكل
٦٣	المطبيين « س »	٩١	« ن . ل » شعر مطرود من عبد المطلب « س »
٦٥	حلف الفضول « س »	٩٣	حفر زمزم « س »
٦٥	هاشم ونسله « س »	٩٥	بثار قریش « س »
٦٦	شعر مطرود في بكاء بني عبد مناف « س »	١٠٠	ويل الشجى من في الحللى « ن . ل »
٦٧	حلف المطبيين	١٠٣	شرح شعر مطرود
٦٨	السناد والإقواء	١٠٤	نصريف ومائة ومرمر « ن . ل »
٧٠	حلف الفضول	١٠٦	قلن وسلس « ن . ل »
٧١	حرب الفجار	١٠٧	حديث زمزم
٧٣	القتول ونبيه بن الحجاج	١٠٩	الاستسقاء « س »
٧٥	الحلف وابن جدعان	١١٠	أسماء زمزم
٧٥	هل حضر النبي حرب الفجار؟ « س »	١١٢	تأويل العلامات التي رآها
٧٦	صَكَّهُ عُتَى « ن . ل » .	١١٣	عبد المطلب
٧٧	طعام ابن جدعان « س »	١١٦	من صفات زمزم
٧٨	ابن جدعان أسطورة	١١٩	نبح الماء من بين أصابعه « س »
٨١	موقف الإسلام من الحلف	١٢٠	اشتقاق مفازة « ن . ل »
٨٣	عن أولاد عبد مناف		
٨٤	طعام هاشم		
٨٤	ابن الزبير يمدح بني عبد مناف		

(١) الموضوع قد يذكر في السيرة وفي الروض ولهذا يتكرر ذكره في الفهرس .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٢١	الجمع واسم الجمع (ن . ل)	١٦٦	الناس الاجر على الرضاع
١٢٣	بشار قريش بمكة	١٦٧	لم كانت قريش تلتبس المراضع
١٢٨	من شرح شعر مسافر (١)	١٦٨	شق الصدر
١٣٠	هراق وأراق «س»	١٧٠	لم يكن النبي يعرف أنه نبي قبل البعثة «س»
١٣١	نذر عبد المطلب ذبح ولده «س»	١٧٠	تضارب ما قيل عن الخاتم النبوي
١٣٥	المرأة التي تعرضت لنكاح عبد الله «س»	١٧٢	حديث السكينة
١٣٧	ما قيل لآمنة عند حملها «س»	١٧٢	عن شق الصدر مرة أخرى
١٣٧	نذر عبد المطلب	١٧٥	لم اختير طست من ذهب
١٣٩	توزيع عبد الله	١٧٨	الحكمة في ختم النبوة
١٤٠	حول أمهاته صلى الله عليه وسلم	١٧٩	رد حليمة للنبي «س»
١٤١	المرأة التي دعت عبد الله	١٧٩	تأويل النور الذي رآته - آمنة -
١٤٣	ولادة الرسول «س»	١٨٠	عود إلى حديث ابن إسحاق عن الرضاع «س»
١٤٤	رضاعته وحضانه (س)	١٨١	وفاة آمنة «س»
١٤٥	قصة حليمة السعدية (س)	١٨٢	رعية الغنم
١٤٩	فصل في المولد	١٨٣	في كفالة العم
١٥٠	لم يولد صلى الله عليه وسلم محتونا	١٨٤	حوت آمنة وزياته لما حول
١٥١	تسميته (س)	١٨٥	أحاديث عن حكم أبويه
١٥٠	اسم محمد وأحمد	١٨٨	وفاة عبد المطلب ورشاه «س»
١٥٧	تعويض عبد المطلب	١٨٩	قصيدة صفية «س»
١٥٨	متى ولد وأين ولد النبي «س»	١٩٠	قصيدة برة وعاتكة وأم حكيم «س»
١٦٠	تحقيق وفاة أبيه «س»	١٩١	قصيدة أميمة وأروى «س»
١٦٠	أبوه من الرضاعة	١٩٢	قصيدة حذيفة بن غانم «س»
١٦٢	قصية أو فضية والشيء	١٩٥	قصيدة مطرود الخزاعي «س»
١٦٣	شرح حديث الرضاع	١٩٥	ولاية العباس السفاية «س»
١٦٤	يغذيه أو يغذيه		

(١) تقدم هذا العنوان قبل موضعه بأربعة أسطر .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٩٦	الرسول دس ، في كفاية		هذه الشجرة لإلا نبى
	أبى طالب دس ،	٢٣٧	تحقيق معنى الوسط
١٩٧	شرح شعر رثاء عبد المطلب	٢٣٨	من الذى زوج خديجة؟
٢٠٢	أبو جهنم	٢٤١	أولاده دس ،
٢٠٣	شرح شعر حذيفة بن غانم	٢٤١	تلقؤ ورقة دس ،
٢٠٤	تهام وشأم د ن . ل ،	٢٤٢	أولاده من خديجة
٢٠٦	حذف الياء من هاء الكتابة	٢٤٤	بين خديجة وبحيرى ونسبها
٢٠٩	من شرح شعر حذيفة	٢٤٥	من تزوجتهم خديجة قبل الرسول دس
٢١٠	رأى النحاة فى زيد أفضل إخوته	٢٤٦	مارية وإبراهيم
٢١١	من شرح شعر مطرود	٢٤٨	ترجمة ورقة
٢١٢	من شعر مهمل عن زواج ابنته	٢٥٢	مثنى يقصد به المفرد د ن . ل ،
٢١٤	الزطف	٢٥٥	النور والضياء د ن . ل ،
٢١٥	اللبى العائف	٢٥٦	نون الوقاية فى إن أوخوانها (ن . ل)
٢١٦	قصة بحيرى دس ،	٢٥٦	حول تقدم صلة المصدر عليه (ن . ل)
٢٢٠	شرح قصة بحيرى فى الروض	٢٥٧	متى يجوز تقديم معمول المصدر د ن . ل
٢٢١	من صفات خاتم النبوة	٢٥٩	بنيان الكعبة فى السيرة
٢٢٤	رواية الترمذى عن رحلة الشام	٢٦٤	بنيان الكعبة فى الروض
٢٢٦	نقد رواية الترمذى	٢٦٦	تجديد ابن الزبير لبنائها
٢٢٨	حفظ النبى دس ، فى صغره	٢٦٨	أساطير حول بناء الكعبة
٢٢٩	حرب الفجار دس ،	٢٧٣	العهد الذى أخذ على ذرية آدم دس ،
٢٣١	حديث تزوج خديجة دس ،	٢٧٦	حول بناء المسجد الحرام
١٣٣	قصة الفجار فى الروض	٢٧٧	كنز الكعبة والتجار القبطى
٢٣٤	منع تنوين العلم	٢٧٨	الحجوة والدابة
٢٣٥	من تفسير شعر البراءض	٢٧٨	تفسير : لم ترع
٢٣٥	آخر أمر الفجار	٢٧٩	حول حديث أبى لهب
٢٣٦	شرح قول الراهب : ما نزل تحت	٢٨٠	الحجر الذى كان مكتوبا عليه

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٢٨١	الحجر الأسود وقواعد البيت	٣١٠	انقطاع الكهانة
٢٨٢	شعر الزبير في بناء الكعبة	٣١١	قصة صاف بن صياد
٢٨٣	حديث الحمس في السيرة	٣١٢	حديث الغيطلة الكاهنة
٢٨٧	حديث الحمس في الروض		وفي الروض
٢٨٩	يوم جبلة وعدس والحلة والطللس	٣١٣	كاهن ثقيف ولهب
٢٩٠	اللقى يروى	٣١٦	أيش والاحاتم ون.ل.
٢٩٠	رجز المرأة الطائفة	٣١٧	حى جنب
٢٩١	قرزل وطفيل	٣١٨	حول حديث عمرو سواد بن قارب
٢٩٢	الهامة . شعر الجريز	٣٢٣	سواد ودوس عند وفاة
٢٩٣	مازل من القرآن في شأن الحمس		الرسول «ص»
٢٩٤	وقوف النبي بعرفة قبل النبوة	٣٢٤	كاهنة قريش
٢٩٤	موقف قريش في الحج في	٣٢٦	إمذار يهود بالرسول «ص»
	جاهليتها «ص.ش»	٣٢٨	ابن البيان
٢٩٥	الإخبار بمبعث نبي «ص»	٣٢٩	حديث سلمة وبني سعيد
٢٩٥	منع الجن من استراق السمع «ص»	٣٣١	إسلام سعة الخير
٢٩٧	أول فرع للرعى بالنجوم «ص»	٣٣٢	حديث إسلام سلمان «ص»
٢٩٨	كيف يسترق الجن السمع «ص»	٣٤٠	معنى لصبيان وشرح الروض
٢٩٩	حديث الغيطلة الكاهنة في السيرة		لحديث سلمان
	والروض	٣٤١	أسماء النخلة
٢٩٩	حديث كاهن جنب «ص»	٣٤٢	حكم الصدقة للنبي «ص» ومصدر
٣٠١	فصل في الكهانة		مال سليمان
٣٠٢	رمى الشياطين	٣٤٤	أول من مات بعد الهجرة
٣٠٣	الجن الذين ذكروا في القرآن	٣٤٥	أسطورة نزول عيسى قبل البعثة
٣٠٥	ابن علاط والجن	٣٤٨	ورقة وعبيد الله بن جحش
٣٠٥	قصة نصر بن حجاج «ص»		وعثمان بن الحويرث «ص»
٣٠٧	أحاديث حول استماع الجن «ص»	٣٤٩	زيد بن عمرو بن نفيل

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٣٥٥	حديث ورقة في الروض	٣٨٨	أول بدىء به من النبوة
٣٥٦	الزواج من امرأة الأب في الجاهلية	٣٩٠	مدلول تفعل ون. ل. ،
٣٥٨	معنى : ففتح الجرو	٣٩١	حول المجاورة في حراء
٣٥٨	من قصة ابن الحويرث	٣٩٢	كيفية الوحى
٣٥٩	اعتزال زيد بن عمرو بن نفيل	٣٩٦	من تفسير حديث الوحى
	الآوثان وتركه أكل ما ذبح على النصب	٣٩٧	معنى اقرأ باسم ربك
٣٦٣	زيد وصعصعة والموودة	٣٩٧	حول بسم الله
٣٦٤	شرح شعر زيد	٣٩٩	الغظ
٣٦٦	إعراب نعت النكرة المتقدم ونحوه	٤٠٠	العفريت الذى تفلت في الصلاة
٣٦٧	من معاني شعر زيد	٤٠١	ما أنا بقارىء
٣٦٨	تفسير حنانيك وحول اسم الله ون. ل. ،	٤٠٢	رؤية جبريل ومعنى اسم
٣٦٩	حذف المنادى مع بقاء الياء ون. ل. ،	٤٠٢	معنى لم وخراقة الرهبان
٣٧٠	تصريف اطعم أنت وأشياء ون. ل. ،	٤٠٤	معنى الناموس
٣٧١	الدعموص والخزم في الشعر	٤٠٤	لم ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ؟
٣٧٢	لغويات ونحويات	٤٠٥	حول هاء السكت والفعل تترك ون. ل. ،
٣٧٥	صفة الرسول وص. من الإنجيل	٤٠٦	شرح أو مخرجى ؟ ون. ل. ،
	« د س »	٤٠٧	يا فوخ ون. ل. ،
٣٧٦	بشارة لإنجيل يوحنا « د س »	٤٠٧	الذهاب إلى ورقة
٣٧٧	من صفات النبي عند الأخبار	٤٠٩	لقد خشيت على نفسى
	« د س »	٤١٠	المختار من أحاديث الوحى
٣٨٠	حديث الوحى « د س »		وشرحها « د س »
٣٨٤	كتاب المبعث	٤١٢	كيفية الوحى « د س »
٣٨٥	إعراب لما آتيتكم (ن. ل.)	٤١٢	مدة المجاورة في حراء « د س »
٣٧٨	النبوة وأولو العزم	٤١٣	تفسير مفردات حديث الوحى
			« د س »

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٤١٥	ابتداء تنزيل : القرآن « س »	٤٢٣	أحاديث عن فضل خديجة
٤١٦	إسلام خديجة « س »	٤٢٥	تفسير القصب
٤١٧	فترة الوحي « س »	٤٢٦	حول جزاء خديجة
٤١٧	من تفسير سورة الضحى « س »	٤٢٧	حول المسكر والنسيان « ش »
٤١٩	مق نزول القرآن	٤٢٩	الموازنة بين خديجة وعائشة
٤١٩	دعوى نزول القرآن جملة واحدة	٤٣٠	فضل فاطمة
	« ش »	٤٣١	الله السلام
٤٢٩	إضافه الشهر إلى رمضان	٤٣٢	فترة الوحي
٤٢١	حب الرسول « ص » وطنه	٤٣٤	شرح شعر للهدلى والفرزدق
٤٢٢	ذكر عبد الله بن حسن		ملحوظات

حمد وثناء

أحمد الله أن أعان ومن بالقدرة على عمل أجهد اليد والفكر والسمع والبصر لإجهادا لولا فضل الله ما تحملته . فالذى انصلت أسبابه المتينة بكتاب .
الروض الأنف يعلم أى فضل عظيم من الله من على به ، ولا أزعم أنى .
أدبت كل ما يجب ، وإنما أزعم أنى حاولت بصدق . وأعلن هنا شكرى .
للأخ أحمد حمدي الجرجسي صاحب المطبعة ، وإخوتي عمالها على أوفى .
جهد ، وأكرم تجاوب نبيل ؟

عبد الرحمن الوكيل

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة. إنها رحلة مليئة بالتحديات، ولكنها مليئة أيضًا بالفرص. إنها رحلة نحو المستقبل، ولكنها رحلة نحو الحاضر. إنها رحلة نحو التغيير، ولكنها رحلة نحو التحسين. إنها رحلة نحو الأفضل، ولكنها رحلة نحو الكمال.

المسيرة هي رحلة طويلة، ولكنها ليست مستقيمة.

المسيرة رفيع هاشم
غفر الله له ولوالديه

الروض الأليف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثالث

دارالنصر للطباعة
المدى المدى المدى

الرَّوَضُ الْأَنْفُ

فِي شَرْحِ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّهْمِيِّ

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

وَمَعَهُ

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْإِمَامِ ابْنِ هِشَامٍ

الْمُتَوَفَّى ٢١٨ هـ

الجزء الثالث

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ وَشَرْحٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلُ

يَطْلُبُ مِنْ

دَارِ الْكِتَابِ الْحَدِيثِ

صَاحِبَهَا تَوْفِيقَ عَفِيفِي

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد المرفق
رقم التسجيل ١٧٢٣٨
التاريخ: _____

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .
« أما بعد » فبإسم الله نقدم الجزء الثالث من « الروض الأنف » للسهيلى
والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا
هذا صالحاً عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

عبد الرحمن الوكيل

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى

على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافترضت الصلاة عليه ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعاً ، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فمزمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين : فتوضأ جبريل عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليُريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل ، فصلى به ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها ليُريها كيف الطهور للصلاة ، كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما صلى به جبريل ، فصلى بصلاته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عُثْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ ، مولى بنى تميم ، عن نافع بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - وكان نافع كثير الرواية - عن ابن عباس قال : لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام ، فصلّى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه ، فصلّى به الظهر من غد حين كان ظلُّه مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ، ثم صلى به الصبح مُسْفِراً غير مشرق ، ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم ، وصلاتك بالأمس

ذكر أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق : ثم كان أولَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه ، وصدق بما جاءه من الله تعالى : عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ بْنِ هَاشِمٍ - رضوان الله وسلامه عليه - وهو يومئذ ابن عَشْرَ سَنِينَ .

وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجیح ، عن مجاهد بن جَبْرِ بْنِ أَبِي الْحَجَّاجِ ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراد به من الخير ، أن قرّبنا أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبوطالب ذا عِيَالٍ

كثير ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للعبّاس عنه ، وكان من أبسر بني هاشم : يا عبّاس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه ، فلنُخَفِّفْ عنه من عياله ، آخذُ من بنيهِ رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، فنسكُلهما عنه ، فقال العبّاس : نعم ، فانطلقا ، حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عتيلاً ، فاصنعا ما شئتما قال ابن هشام : ويقال : عتيلاً وطالبا .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، فضمّه إليه ، وأخذ العبّاسُ جعفرًا فضمّه إليه ، فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً ، فاتبعه على رضى الله عنه ، وآمن به وصدّقه ، ولم يزل جعفرٌ عند العبّاس ، حتى أسلم واستغنى عنه .

أبو طالب يكتشف إيمان على :

قال ابن إسحاق : ذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه على بن أبي طالب مُستخفياً من أبيه أبي طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي ! ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أى عمّ هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رُسله ، ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال صلى الله عليه وسلم - بعثنى الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت أى عمّ ، أحقّ من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ،

وَأَحَقُّ مَنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ ، أَوْ كَمَا قَالَ . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : أَيُّ ابْنِ أَخِي ، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفَارِقَ دِينَ آبَائِي ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَلَسْكَنَ وَاللَّهِ لَا يُخَلِّصُ إِلَيْكَ شَيْءٌ نَسَكْرَهُ مَا بَقِيَتْ .

وَذَكَرُوا أَنَّهُ قَالَ لِمَلِيٍّ : أَيُّ بُنَيٍّ ، مَا هَذَا الدِّينَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَتِ ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِ اللَّهِ ، وَصَدَّقْتَهُ بِمَا جَاءَ بِهِ ، وَصَلَّيْتُ مَعَهُ لِلَّهِ وَاتَّبَعْتَهُ . فَرَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ لَهُ : أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالْزِمْنَاهُ .

✍

إِسْلَامُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ثَانِيًا

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ أَسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنُ شَرَحْبِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ الْكَلْبِيِّ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَوَّلَ ذَكَرَ أَسْلَمَ ، وَصَلَّى بَعْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بْنُ شَرَحْبِيلَ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ عَوْفِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُذْرَةَ بْنِ زَيْدِ اللَّاتِ بْنِ رُقَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبِ بْنِ وَبَرَةَ . وَكَانَ حَكِيمٌ بْنُ حِزَامٍ بْنُ خُوَيْلِدٍ قَدِمَ مِنَ الشَّامِ بِرُقَيْقٍ ، فَيَهْمُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَصَيْفٍ . فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عَمَّتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهَا : اخْتَارِي يَا عَمَّةُ أَيْ هَؤُلَاءِ الْغُلَامَانِ شِئْتِ فِهَوَ لَكَ ، فَاخْتَارَتْ زَيْدًا فَأَخَذَتْهُ ، فَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا ، فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهَا ، فَوَهَبَتْهُ لَهُ ، فَأَعْتَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبَنَّاهُ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوْحَىٰ إِلَيْهِ .

• • • • •

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَذْرِ مَا فَعَلَ أَحَىُّ، فَيَرْجَى أُمِّ آتَى دَوْنَهُ الْأَجَلَ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي ، وَإِنِّي لَسَائِلٌ أَغَالِكَ بَعْدَى السَّهْلِ ، أُمِّ غَالِكِ الْجَبَلِ
وَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرُ أَوْبَةً فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا رَجْوُكَ لِي بِجَلِ
تَذَكَّرْتَنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَتَعَرَّضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرَبَهَا أَفَلَ
وإِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ هَيَّجَنَ ذِكْرَهُ فَيَا طُولَ مَا حَزَنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلَ
سَأَعْمِلُ نَحْوَ الْعِيسَى فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا وَلَا أَسَامُ التَّطَوُّافِ أَوْ تَسَامُ الْإِبِلِ
حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَى مَنِيَّتِي فَكُلَّ أَمْرِي فَنَ ، وَإِنْ غَرَّه الْأَمَلُ

ثم قدم عليه - وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ شِئْتَ فَأَقِمْ عِنْدِي ، وَإِنْ شِئْتَ فَانْطَلِقْ مَعَ أَبِيكَ ، فقال : بَلْ أَقِمْ عِنْدَكَ . فلم يزل عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بعثه الله فصدقه وأسلم ، وصلى معه ، فلما أنزل الله عز وجل : « ادْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ » الأحزاب : ٥ قال : أنا زيد بن حارثة .

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة ، واسمه : عتيق ، واسم أبي قحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبي بكر : عبد الله ، وعتيق : لقب لحسن وجهه وعقته

قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه ، محبباً سَهْلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ، ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله ، وإلى الإسلام ممن وثق به من قومه ، ممن يشاه ويجاس إليه .

فرض الصلاة

وذكر حديث عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ : «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ، فزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ، وَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ» (١)، وذكر الْمُزَنِيُّ أَنَّ الصَّلَاةَ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ (٢) كَانَتْ صَلَاةً قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةً قَبْلَ طُلُوعِهَا، وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) (٣) غافر : ٥٥ . وقال يحيى

(١) البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والنسائى .

(٢) قال الحافظ فى الفتح : «كان صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء يصلى قطعاً ، وكذلك أصحابه ، أقول : وفى ختام سورة المزمل ، وهى التى نزلت بعد القلم : «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» آية : ٢٠ وفى سورة القلم : «أرأيت الذى يتهى عبداً إذ أصلى ، وهى قطعاً قبل الإسراء وفى المذثر بعدها عن المجرمين : (ما سلككم فى سقر ، قالوا : لم نك من المصلين) ٤٢ ، ٤٣ وآيات غيرها تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء .

(٣) لا تصلح دليلاً لما يقول ، إذ يمكن أن يفهم أن المقصود هو الأمر بالتسبيح طول اليوم .

ابن سلام مثله ، وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، ففعل هذا بمحتمل قول عائشة : فزيد في صلاة الحضر ، أى : زيد فيها حين أكملت خمسا ، فتكون الزيادة في الركعات ، وفي عدد الصلوات ، ويكون قولها : «فرضت الصلاة ركعتين» أى : قبل الإسراء ، وقد قال بهذا طائفة من السلف ، منهم : ابن عباس ، ويجوز أن يكون معنى قولها : فُرِضَت الصلاة : أى ليلة الإسراء ، حين فُرِضَت الخمسُ فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك ، وهذا هو المروى عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة ، ومن رواه هكذا الحسن والشَّعْبِيُّ أن الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام ، أو نحوه ، وقد ذكره أبو عمر ، وقد ذكر البخارى من رواية مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ عن عائشة قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ففرضت أربعا ، هكذا لفظ حديثه وههنا سؤال يقال : هل هذه الزيادة في الصلاة نَسْخٌ أم لا ؟ فيقال : أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة ، فَنَسْخٌ لأن النسخ رفع الحكم ، وقد ارتفع حكم الأجزاء من الركعتين ، وصار من سلم منهما عامدا أفسدهما ، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم ، وتحدث عامدا لم يُجزه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها ، فقد ارتفع حكم الأجزاء بالنسخ ، وأما الزيادة في عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين ، فيسمى نسخا على مذهب أبى حنيفة ، فإن الزيادة عنده على النص نسخ ، وجمهور المتكلمين على أنه ليس بنسخ واحتجاج الفريقين موضع غير هذا (١) .

(١) ليس في القرآن آية منسوخة بالمعنى الذى فسر به النسخ علماء الاصول والآيات التى =

الوضوء :

فصل : وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين هَمَزَ له بعقبه ،
فأنبع الماء ، وعلمه الوضوء ، وهذا الحديث مقطوع في السيرة ، ومثله لا يكون
أصلا في الأحكام الشرعية ، ولكنه قد روى مسندا إلى زيد بن حارثة - يرفعه -
غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن أبيه وقد ضُفِّفَ ، ولم يخرج
عنه مُسْلِمٌ ولا البخاري ؛ لأنه يقال : إن كتبه احترقت ، فكان يحدث من
حفظه ، وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول ، ويقال إنه القدي روى عنه
حديثَ بَيْعِ الْعُرْبَانِ (١) في الموطأ مالك ، عن الثقة عنده ، عن عمرو بن
شُعَيْبٍ ، فيقال : إن الثقة ههنا ابن أبيه ، ويقال : إن ابن وهب حدث به
عن ابن أبيه ، وحديث ابن أبيه هذا ، أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد
ابن العربي قال : نا أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء ، عن أبي نعيم الحافظ
قال : نا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال : نا الحارث بن أبي أسامة ، قال :
نا الحسن بن موسى عن ابن أبيه ، عن عقيل بن خالد عن الزهري ، عن عمرو
عن أسامة بن زيد ، قال : حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله - صلى الله عليه

ﷺ زعموا أنها مذكورة هي آيات يجب العمل بها . كل آية في المصحف الذي بأيدينا
يجب تدبرها والعمل بمقتضاها . ولنا حذر من القول بنسخ آية فيه فنحكم بطلان ما هو حق
(١) بيع العربان هو أن يشتري السلعة ، ويدفع إلى صاحبها شيئا ، على أنه إن
أمضى البيع حسب من الثمن ، وإن لم يمض البيع كان لصاحب السلعة ، ولم يرجمه المشتري ،
وهو بيع باطل عند الفقهاء لما فيه من الشرط والغرر وأجازه أحمد ، قال ابن الأثير ،
ويعيبه الذي ينتقل من قوله إلى أبيه

وسلم - في أول ما أوحى إليه أناه جبريل عليه السلام ، فعلمه الوضوء ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غُرْفَةً من ماء ، فنَضَحَ بها فَرَجَهُ ، وحدثنا به أيضا أبو بكر محمد ابن طاهر ، عن أبي علي الفسائي عن أبي عُمر النعمري ، عن أحمد بن قاسم ، عن قاسم بن أَصْبَغ ، عن الحارث بن أبي أسامة بالإسناد المتقدم ، فالوضوء على هذا الحديث مَكْنَىٌّ بِالْفَرَضِ ، مَدَنِيٌّ بِالتَّلَاوَةِ ، لأن آية الوضوء مدنية (١) ، وإنما قالت عائشة : فأنزل الله تعالى آية التيمم ، ولم تقل : آية الوضوء ، وهي هي ؛ لأن الوضوء قد كان مفروضا قبلُ ، غير أنه لم يكن قرآنا يقلى ، حتى نزلت آية المائدة .

إمامة جبريل :

وذكر حديث عبد الله بن عباس في إمامة جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) يقول ابن حجر في الفتح عن حديث ابن لهيعة : وهو مرسل ، ووصله أحمد من طريق ابن لهيعة ، لكن قال : عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد عن أبيه ، وأخرجه ابن ماجه من رواية راشد بن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه ، لكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند ، وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ، ولو ثبت لكان على شرط الصحيح . لكن المعروف رواية ابن لهيعة . هذا وقد روى حديث صلاة جبريل بالرسول أبو داود والترمذي مع اختلاف يسير عما في السيرة ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الحاكم والذهبي والنووي وغيرهم من « المشكاة » . وعن ابن مسعود عن النبي « نزل جبريل فأمنى ، فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات . — زاد في رواية — ثم قال : بهذا أمرت » رواه الخمسة إلا الترمذي — التاج ، .

وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس في اليومين ، وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع ؛ لأنَّ أهلَ الصحيح متفقون على أن هذه القصة ، كانت في الغدِّ من ليلة الإسراء ، وذلك بعد ما بُنِيَ بِخَمْسَةِ أَعوام ، وقد قيل إنَّ الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل : بعام ، فذكره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي ، وأول أحوال الصلاة .

أول من آمن :

وذكر أن أولَ ذَكَرٍ آمَنَ بالله عليّ - رضي الله عنه - ، وسيأتى قولُ من قال : أول من أسلم أبو بكر ، واسكن ذلك - والله أعلم - من الرجال ؛ لأن عليا كان حين أسلم صَبِيًّا لم يدرك ، ولا يختلف أن خديجة هي أول من آمن بالله ، وصدق رسوله ، وكان عليّ أصغر من جعفر بعشر سنين ^(١) ، وجعفر أصغر من عَقِيل بعشر سنين ، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين ، وكلهم أسلم إلا طالبا اختطفته الجن ، فذهب ولم يعلم بإسلامه ^(٢) ، وأمُّ عليّ : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وقد أسلمت ، وهي إحدى الفواطم التي قال فيهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعليّ رضي الله عنه : أقمسه بين الفواطم الثلاث ، يعني ثوبَ حَرِيرٍ ، قال الأَقْبِيُّ . يعني : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة بنت أسد ، ولا أدري من الثالثة ، ورواه عبد الغنى بن سعيد : أقمسه بين الفواطم الأربع ، وذكر

(١) هو كما قال في نسب قريش ص ٣٩ .

(٢) خرافة .

فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا، وقال : لا أدري من الرابعة ، قاله في كتاب
الفواض والمبهمات (١) .

إسلام زبير :

فصل : وذكر حديث زيد بن حارثة ، وقال فيه : حارثة بن سُرخَيْيل ،
وقال : ابن هشام شراحيل ، قال أصحاب النسب كما قال ابن هشام ، ورفع نسبه إلى
كلب بن وبرة ، وَوَبْرَة هو : ابن ثعلب بن حُلوان بن الحاف بن قضاة (٢) ، وأم زيد :

(١) استدل من حكموا بسبق على بحديث عند الطبراني أن النبي « ص » صلى
أول يوم الاثنين ، وصلت خديجة آخره ، وصلى على يوم الثلاثاء . وبما جاء
في المستدرک للحاكم : نبأ النبي يوم الاثنين ، وأسلم على يوم الثلاثاء . وإلى هذا
ذهب سلمان وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري ، وبما جاء في الطبراني عن الحسن
وغيره : كان أول من آمن على بن أبي طالب ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، أو ست
عشرة . بينما روى عن عروة أنه أسلم وهو ابن ثمان سنين وفيه ابن طيعة ، وفيه ضعف .

(٢) في جمهرة ابن حزم : حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة .
وجاء في مجمع الزوائد عن نسبه : بن ربيعة بن كليب بن وبرة بن الحارث بن قضاة
وفي جمهرة ابن حزم : زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن عامر بن النعمان
ابن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة
ابن كلب بن وبرة ، ونسبه في الإصابة : زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدود بن عوف
ابن كنانة بن بكر بن عوف بن زيد اللات بن ثور بن كلب بن وبرة السكلي
وما سألزده بين قوسين في نسب أمه من الإصابة .

هذا وقد اتفق على أنه أول من أسلم من الموالي . وقيل إن حكيم بن حزام
اشتراه لعمته خديجة بأربعمائة درهم كما جاء في الإصابة . أما كونه أول ذكر أسلم ،
فهو في حديث مرسل عند الطبراني كما في السيرة . وفي مجمع الزوائد أن خديجة
رضي الله عنها هي التي استوهته .

سُخْدَى بنت ثعلبة [بن عبد عامر] من بني مَعْنٍ من طَيِّءٍ ، وكانت قد خرجت بزید
العزيزَ أهلها ، فأصابته خيل من بني القَيْنِ بن جِسْرٍ ، فباعوه بسوق حُبَاشَةَ ،
وهو من أسواق العرب ، وزيدٌ يومئذ ابن ثمانية أعوام ، ثم كان من حديثه
ما ذكر ابن إسحاق ، ولما بلغ زيدا قول أبيه : بكيت على زيدٍ ، ولم أدر ما فعل .
الأميات . قال بحيث يسمعه الرؤكبان :

أحن إلى أهلي ، وإن كنت نائياً بأني قعيدُ البيت عند المشاعر
فكفُّوا من الوجد الذي قد شجاكم ولا تُعملوا في الأرضِ نص الأباغر
فإني بحمد الله في خير أُمرةٍ كرام مَعَدَّةٍ كابرًا بعد كابر

فبلغ أباه ^(١) قوله ، فجاء هو وعمه كعب ، حتى وقفاه في رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - بمكة ، وذلك قبل الإسلام ، فقال له : يا ابن عبد المطلب ، يا ابن سيد
قومه ، أنتم جيران الله ، وتفككون العاني ، وتطمعون الجائع ، وقد جثنا كم في
ابننا عبدك ^(٢) ، لتحسن إلينا في فدائه ، فقال : أو غير ذلك ؟ فقالا : وما هو ؟
فقال : أدعوه وأخبره ، فإن اختار كما فذاك ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي

(١) في الإصابة أن بعض الحجاج رأوا زيدا فمرفهم وعرفوه ، فطلب منهم أن
يلفوا أباه :

أحن إلى قومي وإن كنت نائياً بأني قطين البيت عند المشاعر
فانطلق الحجاج ، وأعلموا أباه ، ووصفوا له موضعه

(٢) في رواية : عندك .

(م — ٢ الروض الألف ج ٣)

أختار علي من اختارني (١) أحدا ، فقال له : قد زدت على النصف ، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما جاء قال : من هذان ؟ فقال : هذا أبي حارثة بن شراحيل ، وهذا عمي : كعب بن شراحيل ، فقال : قد خيرتك . إن شئت ذهبت معهما ، وإن شئت أقت معي ، فقال : بل أقيم معك (٢) ، فقال له أبوه : يا زيد أختار العبودية [على الحرية و] على أبيك (٣) وأمك وبلدك وقومك ؟ ! فقال : إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا ، وما أنا بالذي أفارقه أبداً . فعند ذلك أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده ، وقام به إلى الملاء من قريش (٤) ، فقال : اشهدوا أن هذا ابني ، وارثا وموروثا ، فطابت نفس أبيه عند ذلك ، وكان يدعى : زيد بن محمد ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ادعواهم لأبائهم ﴾ (٥) الأحزاب : ٥٠ .

وفي الشعر الذي ذكره ابن إسحاق لحارثة بعد قوله :

حياتي وإن تأتي (٦) على منيتي فكل امرئ فانٍ وإن غره الأمل

(١) في الإصابة : د فامن علينا ، وأحسن في فدائه ، فإننا سرفع لك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : زيد بن حارثة : فقال : أو غير ذلك . ادعوه ، فغيروه ، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار علي من اختارني فداء . (٢) في الإصابة : د أنت مني بمكان الأب والعم .

(٣) الزيادة من الإصابة

(٤) وقد أخرجه إلى الحجر كما ورد في الإصابة

(٥) عن عبد الله بن عمر ، قال : د إن زيد بن حارثة - رضي الله عنه -

مولي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن : ادعواهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، الصحيحان والترمذي والنسائي

(٦) في السيرة : أو تأتي

سأوصي به قيساً وعمراً كليهما وأوصي يزيد ثم أوصي به جبلاً^(١)
يعنى : يزيد بن كعب [بن شراحيل] وهو ابن عم زيد وأخوه [لأمه]^(٢)
ويعنى بجبل : جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أسنَّ منه . سئل جبلة : من أكبر
أنت أم زيد ؟ فقال : زيد أكبر منى ، وأنا ولدت قبله ، يريد : أنه أفضل منه بسبقه
للإسلام^(٣) .

إسلام أبي بكر :

فصل : وذكر إسلام أبي بكر ونسبه ، قال : واسمه : عبد الله ، وسمى عتيقاً
لِعَتَاقَةٍ وجهه ، والعتيقُ : الحَسَنُ^(٤) كأنه أعتق من الذم والعيب - وقيل : سمي
عتيقاً ؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت إن وُلِدَ لها ولَدٌ أن تسميه : عبد
الكعبة ، وتتصدق به عليها ، فلما عاش وشبَّ ، سمي : عتيقاً ، كأنه أعتق من
الموت^(٥) ، وكان يسمى أيضاً : عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول الله -

(١) في الإصابة : ثم من بعدهم جبل

(٢) الزيادة من الإصابة

(٣) ورد في البخارى عن ابن عمر : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
وايم الله إن كان خليفاً للإمامة - يعنى : زيد بن حارثة - وإن كان من أحب الناس إلى ،
هذا وقد قتل زيد فى غزوة مؤتة ، وهو أمير سنة ٨ هجرية

(٤) العتق أيضاً الكرم والنجابة والشرف والحرية .

(٥) فى الإصابة : فلما ولدته استقبلت به البيت ، فقالت : اللهم هذا عتيقك
من الموت ، فسموه لى ، وقيل : لقب بهذا لأنه قديم فى الخير ، أو لأنه لم يكن فى لسه
شئ يعاب به أهله .

صلى الله عليه وسلم - : عبد الله ^(١) ، وقيل : سمى : عتيقا ؛ لأن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - قال له حين أسلم : أنت عتيق من النار ^(٢) ، وقيل : كان
لأبيه ثلاثة من الولد : مُعْتَقٌ ومُعْتِقٌ وعَتِيقٌ ^(٣) ، وهو : أبو بكر ^(٤) ،
وسئل ابن معين عن أم أبي بكر فقال : أم الخير عند اسمها ، وهى : أم الخير
بنت صخر بن عمرو ^(٥) بنت عم أبي قحافة ، واسمها : سلى ، وتُكْنَى : أم
الخير ، وهى من اللبايعات ، وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأُثِمَ : قِيلَ - بياض بائنتين
منقوطة من أسفل - بنت أذاة بن رياح بن عبد الله بن قُرْطٍ بن رَزَاح بن عدي بن
كعب . وامرأة أبي بكر أم ابنه عبد الله وأسماء : قَتَلَةَ بنت عبد المزمى بقاء
منقوطة بائنتين من فوق ، وقيل فيها : بنت عبد أسعد بن نصر بن حنبل بن عامر

(١) عند سعيد بن منصور عن عائشة : قالت : اسم أبى بكر الذى سماه
عبد الله . ولكن غلب عليه اسم عتيق ، وقال مصعب الزبيري : قيل له عتيق
لأنه ، لم يكن فى نفسه شيء يمازى به .

(٢) فى الترمذى : قالت عائشة : دخل أبو بكر على رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - فقال : أنت عتيق الله من النار . قالت : فمن يومئذ سمى : عتيقا ،
وفى أبى يعلى بسنده إلى عائشة : من سره أن ينظر إلى عتيق من النار ، فليتنظر إلى
أبى بكر .

(٣) فى جمهرة ابن حزم : ولد أبى قحافة أبو بكر ، واسمه عبد الله ، وعتيق
ومعتق لاعتقب لهما ، ص ١٢٧ .

(٤) ورد نسب أبى بكر فى جمهرة ابن حزم ، وفى نسب قريش كما هو فى السيرة
أما فى الاشتقاق لابن دريد ، فليس فيه عمرو ، وفى تهذيب الاسماء واللغات
لننوى ، عمير ، بدلا من عمرو ، انظر ص ٢٧٥ نسب قريش .

(٥) فى الإصابة ، وفى نسب قريش ، وفى تهذيب النوى ، وفى جمهرة ابن

حزم : عامر .

وهو قول الزبير (١) وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرض عليه الإسلام ، فما عسكَمَ عند ذلك ، أى : ما تردد ، وكان من أسباب توفيق الله إياه - فيما ذكر - رؤيا رآها قبل ذلك ، وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة ، ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها ، فدخل في كل بيت منه شُعْبَةٌ ، ثم كأنه جُمِعَ في حِجْرِهِ ، فقَصَّها على بعض الكتابيين ، فمبها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظلم زمانه تتبعه ، وتكون أسعدَ الناس به ، فلما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، لم يتوقف ، وفي مدح حَسَّان الذي قاله فيه ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكره دليل على أنه أول من أسلم من الرجال ، وفيه :

خير البرية أتقاها ، وأفضلها بعد النبي ، وأوقاها بما حملا
والثاني التالى المحمود مشهده وأول الناس قدما صدق الرُّسُلَا (٢)

(١) نسبها في نسب قريش لأبى عبد الله الزبيرى : قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل ص ٢٧٦ وفى جمهرة ابن حزم : قتيلة بنت عبد العزى بن عبد بن سعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ص ١٢٧ (٢) قبلهما :

إذا تذكرت شجشوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
وقيل : إن ابن عباس كان يستشهد بهذه الآيات على أولية إسلام أبى بكر ، وفى الروض جاء الشطر الثانى من البيت الثانى هكذا : والثانى التالى صدق المرسل ، وقد روى هذا ابن عبد البر والطبرانى فى الكبير . وقد توفى أبو بكر رضى الله عنه فى ٤ من جمادى الأولى سنة ١٣ من الهجرة . وهو ابن ثلاث وستين ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر . وأولاده : عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسامة وأم كلثوم . وأم عائشة وعبد الرحمن : أم رومان بنت عامر بن عمار بن زهل بن دهمان بن الحارث بن تيم بن مالك بن كنانة ، وفى جمهرة ابن حزم ، وفى نسب قريش : بنت عبد شمس بن عَتَّاب بن أذينة بن سبيع بن عامر بن عويمر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة . نسب قريش ٢٧٦ .

الذين أسلموا بدعوة أبي بكر

فأسلم بدعائه - فيما بلغنى - عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي
ابن غالب ، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وسعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص : مالك بن أهيب بن عبد مناف
ابن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وظنحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن
مرة بن كعب بن لؤي ، فجاء بهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين
استجابوا له ، فأسلموا وصلوا ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول
فيما بلغنى : مادعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كنبوة ، ونظر
وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ماعكم عنه حين ذكرته له ،
وما تردد فيه .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبث . قال روبة بن العجاج :

.

وانصاع وثأب بها وما عكسكم

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام
فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

ثم أسلم أبو عُبَيْدَة ، واسمُه : عامر بن عبد الله بن الجراح بن
هلال بن أُمَيَّة بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْر . وأبو سَلَمَةَ ، واسمُه : عبد الله بن
عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب
ابن لؤي .

والأرقم بن أبي الأرقم . واسم أبي الأرقم : عبد مناف بن أسد — وكان
أسد يُكْنَى : أبا جُذُوب — بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب
ابن لؤي . وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن مجح بن عمرو
ابن هُصَيْن بن كعب بن لؤي . وأخواه : قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب
وعُبَيْدَة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن
كعب بن لؤي ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن
قرط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي ، وامراته : فاطمة بنت
الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدى
ابن كعب بن لؤي ، أخت عمر بن الخطاب . وأسما بنت أبي بكر . وعائشة
بنت أبي بكر ، وهى يومئذ صغيرة . وخباب بن الأرت ، حليف بنى زهرة .
قال ابن هشام : خباب بن الأرت من بنى تميم ، ويقال : هو من خزاعة .

• • • • •

قال ابن إسحاق : ومُعَيْزُ بن أَبِي وقَّاص ، أخو سَعْدِ بن أَبِي وقَّاص .
وعبدُ الله بن مَسْعُود بن الحارث بن شَمِخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل
ابن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُذَيْل حليف بنى زُهْرَةَ ، ومسعود بن القاري ،
وهو مَسْعُود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حَمَّالَة بن غالب بن
مُحَلَّم بن عائذة بن سُبَيْع بن الهون بن خَزَيْمَة من القارة .

قال ابن هشام : والقارة : لقب ، ولهم يقال :

قد أنصفت القارة من راماها

وكانوا قومًا رُمَاءً .

قال ابن إسحاق : وسكيطُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر
ابن مالك بن حِمْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وعيَّاش ،
ابن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة .
ابن كعب بن لؤى . وامراته أسماء بنت سلامة بن مخزبة التميمية .
وخُنَيْس بن خُذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص ،
ابن كعب بن لؤى . وسامر بن ربيعة بن عَنَز بن وائل ، حليف آل الخطَّاب .
ابن نُقَيْل بن عبد العزى .

قال ابن هشام : عَنَز بن وائل أخو بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن جَحْش بن رِثَاب بن يَعْمَر بن صَبْرَة بن

.....

مُرَّة بن كَبِير بن غَم بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمَة . وأخوه : أبو أحمد بن جَحْش ، حليفًا بنى أُمَيَّة بن عبد شمس . وجعفر بن أبي طالب ، وامرأته : أسماء بنت مَحْمُود بن النعمان بن كَعْب بن مالك بن قُحَافَة ، من خَنَعَم ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهَب بن خُذَافَة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَي ، وامرأته فاطمة بنت الْمُجَلَّل بن عبد الله . أبي قَيْس بن عبدود بن نَعْمَر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فهر . وأخوه خَطَّاب بن الحارث ، وامرأته فُكَيْهَة بنت يَسَار . ومَعْمَر بن الحارث ابن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهَب بن خُذَافَة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَي . والسائب بن عثمان بن مَطْعُون بن حَبِيب بن وَهَب . والمطلب ابن أزهري بن عَبدِ عَوْف بن عَبدِ بن الحارث بن زُهْرَة بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي ، وامرأته : رَمْلَة بنت أبي عَوْف بن صُبَيْرَة بن سَعِيد بن سعد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَي . والنَّحَام ، واسمه : نَعْم بن عبد الله بن أَسِيد ، أخو بني عَدِي بن كَعْب بن لُؤَي .

قال ابن هشام : هو نَعْم بن عبد الله بن أَسِيد بن عبد الله بن عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدِي بن كَعْب بن لُؤَي ، وإنما سُمِّي النَّحَام ، لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لقد سمعت نَحْمَة في الجنة .

قال ابن هشام : نَحْمَة : صوته وحِسَة .

قال ابن إسحاق : وعامر بن فُهَيْرَة ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه

.....

قال ابن هشام : عامر بن فهيرة مَوْلَد من مَوْلَدَى الأسد ، أسودُ اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم .

قال ابن إسحاق : وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعشم بن سعد بن مليح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هَمِينَة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن أوى بن غالب بن فهر . وأبو حذيفة ، واسمه : مِثْمَشَمٌ - فيما قال ابن هشام - بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وواقد بن عبد الله بن عبد مناف ابن عري بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف بنى عدى بن كعب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلة ، فباعوه من الخطَّاب بن ثفل ، فتبنَّاه ، فلما أنزل الله تعالى : « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ » الأحزاب : ه قال : أنا واقد بن عبد الله ، فيما قال أبو عمرو اللدني .

قال ابن إسحاق : وخالد وعامر وعافل وإياس بنو البكير ابن عبدالمطلب بن ناسب بن غيرة من بنى سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بنى

.....

عدى بن كعب . وعَمَّار بن ياسر ، حليف بنى مخزوم بن يَمَظَةَ .

قال ابن هشام : عَمَّار بن ياسر عَدَسِيٌّ مِنْ مَذْحِجٍ .

قال ابن إسحاق : وَصْهَيْب بن سِنَان ، أحد النَّمِرِ بن قاسط ، حليف بنى تَيْمِ بن مُرَّة .

قال ابن هشام : النَّمِرِ بن قاسط بن هَنْبِ بن أَفْصَى بن جَدِيلَةَ بن أَسَدِ ابن رَبِيعَةَ بن نَزَار ، ويقال : أَفْصَى بن دُعَيْمِ بن جَدِيلَةَ بن أَسَد ، ويقال : صُهَيْب : مولى عبد الله بن جُدْعَانَ بن عمرو بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن تَيْم .

ويقال : إِنَّهُ رُومِيٌّ . فَقَالَ بَعْضُ مَنْ ذَكَرَ أَنَّهُ مِنَ النَّمِرِ بن قاسط : إِنَّمَا كَانَ أَسِيرًا فِي أَرْضِ الرُّومِ ، فَاشْتَرَى مِنْهُمْ ، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صُهَيْبُ سَابِقِ الرُّومِ .

إِسْلَامُ أَبِي عُبَيْدَةَ وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ :

وَذَكَرَ إِسْلَامُ أَبِي عُبَيْدَةَ بن الْجُرَّاحِ واسمَهُ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ ، فَقِيلَ : عَبْدُ اللَّهِ بن عامر ، وَقِيلَ : عامر بن عبد الله . وَأُمُّهُ : أُمَيَّةُ بنتُ غَنَمِ بن جَابِرِ ابن عبد الْعَزْزِيِّ بن عَامِرَةَ بن وَدِيعَةَ بن الْحَارِثِ بن فِهْرٍ ، قَالَ الزُّبَيْرُ (١) .

وَذَكَرَ إِسْلَامُ سَعِيدِ بن زَيْدٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِيمَا مَضَى ، وَذَكَرْنَا أُمَّهُ فَاطِمَةَ بنتَ بَعْجَةَ (٢) بن خَلْفِ الْخَزَاعِيَّةِ ، وَمَا وَقَعَ فِي نَسَبِهِ مِنَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، وَمِنْ

(١) فِي ص ٤٤٥ مِنْ نَسَبِ قُرَيْشِ لَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِي ، وَفِي التَّهْذِيبِ لِلنَّوَوِيِّ أُمَيَّةُ بنتُ جَابِرٍ .

(٢) فِي الْإِصَابَةِ : بِعَجَّةِ بن مَلِيحٍ .

الفتح في رِزاح بن عدى والكسر ، وأن رِزاح بن ربيعة هو الذي لم يختلف في كسر الراء منه ، ويكنى سعيد : أبا الأعور ، توفي بأرضه بالعقيق ، ودفن بالدينة في أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة ، روى عنه ابن عُمر ، وعُمر بن حُرَيْث ، وأبو الطَّفَيْل عامر بن وَائِلَةَ وجماعة من التابعين^(١) ، ولم يرو عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا حديثين^(٢) . أحدهما : « من غَصَبَ شبرا من أرض طُوَّقه يوم القيامة من سبع أرضين^(٣) » وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة ، وأحد الذين رجف بهم الجبل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « اثْبُتْ حِرَاء ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ^(٤) » ويروى : اثبت أخذ^(٥) ،

(١) من كبارهم : أبو عثمان النهدي ، وابن المسيب ، وقيس بن أبي حازم وغيرهم
(٢) في ذخائر المواريث ذكر له عشرة أحاديث .

(٣) رواه البخاري في المظالم وبدء الخلق ، ومسلم في البيوع

(٤) بعد هذاورد : وقيل : ومن هم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف . قيل : ومن العاشر ؟ قال- أي سعيد بن زبير وروى الحديث - أنا ، رواه الترمذي وأبو داود

(٥) روى قصة أحد البخاري وأحمد والترمذي والنسائي وأبو حاتم وأبو داود . والذين كانوا معه : أبو بكر ، وعمر وعثمان وفيه : « فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ ، وَحَدِيثٌ ثَبِيرٌ - وهو جبل بالمزدلفة على يسار الذهاب إلى منى - عن ثمامة بن شراحيل اليماني . والذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر وعثمان . وفيه : « فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ . وقد أخرجه النسائي والترمذي والدارقطني . وفي حديث حراء المروى عن أبي هريرة أنه كان معه أبو بكر =

.

وأن القصة كانت في جبل أحد ، ويروى أنها كانت في جبل تبير ذكره الترمذى ، وأنهم كانوا أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الخلفاء الأربعة ، ولعل هذا أن يكون مراراً ، فتصح الأحاديث كلها ، والله أعلم .

إسلام سعد وابن عوف والحماس :

وذكر فيمن أسلم بعد أبي بكر سعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص : مالك بن أهيب ، وأهيب : هو عم أمية بنت وهب أم النبي — صلى الله عليه وسلم — والوقاص في اللغة ، هو واحد الوقايع وهو شبك يصطاد بها الطير ، وهو أيضاً فعال من وقص إذا انكسر عنقه ، وأم سعد : حنثة^(١) بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، يكنى : أبا إسحاق ، وهو أحد العشرة ، دعا له النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يسدّد الله سهمه ، وأن يجيب دعوته ، فكان دعاؤه أسرع الدعاء إجابة^(٢) . وفي الحديث أن

== وعمر وعثمان وطلحة والزبير ، وفي رواية : وسعد بن أبي وقاص ، ولم يذكر علياً في هذه الرواية ، وفيه : فاعليك إلا نبي أو صديق أو شهيد . وقد خرجهما مسلم ، والترمذى ، وذكر علياً ، ولم يذكر سعداً . ولكن الثابت أن سعداً مات بقصره بالعقيق قرب المدينة . ولم يستشهد .

(١) في الإصابة : حمزة ، ولعله خطأ مطبعي ، وكانت غير واضحة في الروض فأثبتها من نسب قريش ص ٢٦٣ .

(٢) في البخارى ومسلم والترمذى أن الرسول ص ، كان يقول له يوم أحد دارم ، فذاك أبى وأمى . وزاد الترمذى أيها الغلام الحزور ، الشديد القوى ، وروى البخارى عن سعد : لقد مكثت ثلاثة أيام ، ولمنى لثك الإسلام ، يعنى ثالث رجل أسلم ، وروى الترمذى : اللهم استجب لسعد إذا دعاك . مات سعد ==

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احذروا دعوة سعد . مات في خلافة معاوية .

وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عَبدِ عَوْف بن عبد بن الحارث ابن زُهْرَة ^(١) ، وهو أيضا أحد العشرة يكنى : أبا محمد ، أمُّه : الشَّفاء بنت عوف ابن عَبدِ بن الحارث ^(٢) وهي بنت عم عَوْف والد عبد الرحمن بن عوف ، فأبوها : عَوْف عم عوف وأخو عبد عوف .

== رضى الله عنه بالعقيق ، وحمل إلى المدينة ، وقال الواقدي : أثبت ما قيل في وقت وفاته أنها سنة خمس وخمسين ، وهو الذي بنى الكوفة ، وفتح مدائن كسرى واعتزل الفتنة . وعن عائشة قالت : سهر رسول الله د ص ، مقدمه المدينة ليلة ، فقال : ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسنى الليلة ، قالت : فيينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح ، فقال : من هذا ؟ قال : سعد بن أبي وقاص ، فقال له رسول الله : ما جاء بك ؟ فقال : وقع في نفسي خوف فجت أحرسك ، فدعا له رسول الله د ص ، ثم نام . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(١) نسبه هكذا في نسب قريش ، وقد سقط من نسبه في الإصابة : ابن بن عبد ، وبين الحارث ، أما في جمهرة ابن حزم ، فنسبه : عبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب .

(٨) في الإصابة جاء نسبا : أبوها : عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ابن زهرة . وهو خطأ لأنها بهذا تكون أخت عبد الرحمن . وفي نسب قريش : الشفاء بنت عوف بن الحارث بن زهرة . فأسقطه عبد بن الحارث ، من نسبا . وفي مكان آخر : د الشفاء بنت عوف بن عبد ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٣ وفي الإصابة : واسم أمه : صفية ، ويقال : الصفا ، حكاه ابن منده ذكر البخارى في تاريخه من طريق الزهرى : قال : أوصى عبد الرحمن بن عوف لكل من شهد بدرا بأربعمائة دينار ، فكانه مائة رجل ، مات سنة ٣١ أو ٣٢ هـ وعاش ٧٢ عاما . دفن بالبقيع وصلى عليه عثمان . أو الزبير .

وذكر نعيم بن عبد الله النخام^(١) ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم : سمعت نَحْمَةً في الجنة ، ولم يفسر النَحْمَ ما هو ، وهي سُعْلَةٌ مستطيلة ، ويقال للبخیل : نَحَّامٌ ؛ لأنه يَسْعُلُ إذا سئل يتشاغل بذلك ، وأنشد الزبير :
مالك لا ننحيم يارواحه إن النحيم للشقاة راحة

قال : ويقال للنَّحْمَةُ : نَحْطَةٌ ، وقال غيره : النَّحْطَةُ في الصدر ، والنَّحْمَةُ في الحلق ، والنَّحَامُ أيضاً طائر أحمر في عظم الإوز^(٢) .

عبد الله بن مسعود ومسعود الفاري :

وذكر عبد الله بن مسعود^(٣) بن شَمَخٍ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل

(١) نسبه في نسب قريش . نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد بن عوف . ابن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب ، أما في الإصابة فكما في السيرة ، أي : بإسقاط ابن بين عبد وعوف . وقد استشهد نعيم بأجنادين في خلافة عمر سنة خمس عشرة . وقيل : يوم موته في حياة النبي ﷺ .

(٢) في القاموس : نَحَطٌ يَنْحَطُ نَحِيْطًا : زفر زفيرًا ، النحاط كغراب : تردد البكاء في الصدر من غير أن يظهر كالنحط . وقال عن النحيم إنه كالزحير أو فوقه . وقال عن النخام بمعنى طائر لأنها على وزن غراب ، وخطأ الجوهرى في فتحها وشدها ، وفي الاستيعاب لابن عبد البر ، وعند ابن السكبي : أسيد بن عبد عوف . انظر الخشنى ص ٨٠ ، وفي كتاب حذف نسب قريش ص ٨٢ لمؤرج بن عمرو السدوسي . أسيد بن عبد عوف .

(٣) في الإصابة : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن فار . ابن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل الهذلي أبو عبد الرحمن . في جمهرة ابن حزم : شَمَخٌ و تميم .

ابن الحارث بن عويم بن سعد بن هذيل حليف بني زهرة، وقال في نسبه : كَاهِل ،
وقيده الوقشي بفتح الهاء من كَاهِل ، كَأْنُهُ شَمِيٌّ بالفعل من كَاهِل يُكَاهِلُ ،
كما قال - عليه السلام لرجل استأذنه في الجهاد - واسمه : جَاهِيَّةٌ - فقال : هل
في أهلك مِن كَاهِلٍ أَى : من قَوِيٍّ عَلَى التصرف (١) ، والا كتهال : القُوَّة .
وقال أبو عبيد : كَاهِلٌ أَى : أَسَنٌ ، وقال ابن الأعرابي : إنما لفظ الحديث هل
في أهلك من كاهن ، وَغَيْرُهُ الراوى له ، فقال : مِن كَاهِلٍ ، قال : وكاهن
الرجال ، هو الذى يخلف الرجل في أهله يقوم بأمرهم بعد ، يقال منه : كَهَنَ
يَكْنَهُن كِهَانَةً .

وذكر في نسبه أيضا شَمَخًا وهو من شَمَخَ بَأَنَفِهِ إِذَا رَفَعَهُ عِزَّةً . وأم
عبد الله هى : أم عبد بنت سَوْدٍ بن قديم بن صاهلة هذلية (٢) .

وذكر مسعوداً القارى ، وهو : مسعود بن ربيعة ورفع نسبه إلى الْهَوْنِ
ابن خَزِيمَةَ ، وهم القارّة وفيهم جرى المثل للمثل : قد أنصف للقارة من رامها .
قال الراجز :

قد علمت سَلْمَى ، وَمِنْ والاهَا أَنَا نَرِدُ الْخَلِيلَ عَنْ هَوَاهَا

(١) في النهاية والقاموس : ويروى من كاهل - بفتح ميم من - وهاء كاهل
باعتبارها فعلاً ماضياً أى تزوج . أو أسن

وفي الاشتقاق : من كاهل أى كهل يقوم بأمرهم ذوسن محتك

(٢) في الإصابة : أمه : أم عبيد بنت عبدود بن سود أو اسوامة بن مريم
وفى جهرة ابن حزم : وأم عبد الله بن مسعود : أم عبد من المهاجرات الأولى
من بني قديم بن صاهلة بن كاهل :

نردها دَامِيَّةٌ كُمَلَاهَا قد أنصف القَارَةَ مَنْ رامَاهَا
 إِنَّا إِذَا مَا فَنَسْنَا نَأَقَاهَا نَرُدُّ أُولَاهَا عَلَى أَخْرَاهَا
 وَسُمِّيَ بَنُو الْهُونِ بَنُ خَزَيْمَةَ قَارَةً لِقَوْلِ الشَّاعِرِ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ :
 دَعُونَا قَارَةً لَا تُذْعِرُونَا فَتُجْفِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ الظَّلِيمِ (١)
 هَكَذَا أَنْشَدَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِ الْأَنْسَابِ ، وَأَنْشَدَهُ قَاسِمٌ فِي الدَّلَائِلِ :
 دَعُونَا قَارَةً لَا تُذْعِرُونَا فَتَذْبِثَكَ الْقَرَابَةُ وَالذَّمَامُ
 وَكَانُوا رُمَاةَ الْحَدَقِ (٢) ، فَمِنْ رَامَاهُمْ فَقَدْ أَنْصَفَهُمْ ، وَالْقَارَةُ : أَرْضٌ كَثِيرَةٌ
 الْحِجَارَةِ ، وَجَمْعُهَا (٣) قُورٌ ، فَكَانَ مَعْنَى الْمَثَلِ عِنْدَهُمْ : أَنَّ الْقَارَةَ لَا تَنْقُذُ حِجَارَتُهَا
 إِذَا رَمَى بِهَا ، فَمِنْ رَامَاهَا فَقَدْ أَنْصَفَ .

وَهُمْ فِي نَسَبِ أَبِي هُرَيْرَةَ :

وَذَكَرَ أَبُو حَازِمٍ بَنَ عَبَّيَّةَ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسْمُهُ مِنْ هِشْمٍ ، وَهُوَ وَثَمٌ عِنْدَ
 أَهْلِ النَّسَبِ ، فَإِنْ مِنْهُمْ إِنَّمَا هُوَ أَبُو حَازِمٍ بَنُ الْغُبَرَةِ أَخُو دَاسِمٍ ، وَهَشَامُ
 ابْنُ الْغُبَرَةِ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ بَنِ عُمَرَ بْنِ نَخْزُومٍ ، وَأَمَّا أَبُو حَازِمٍ بَنُ عَبَّيَّةَ قَاسِمُهُ :

(١) فِي الْإِشْتِقَاقِ وَاللِّسَانِ : لَا تَنْفِرُونَا . وَفِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ : الْقَارَةُ قَبِيلَةٌ ، وَهُمْ
 عَضَلُ وَالْدِيشُ ابْنَا الْهُونِ بَنِ خَزَيْمَةَ ، وَإِنَّمَا سَمَوْا قَارَةً ، لِاجْتِمَاعِهِمْ وَالتَّفَاهُظِ لَهَا
 أَرَادَ الشَّدَاخُ أَنْ يَفْرُقَهُمْ فِي بَنِي كِنَانَةَ ، وَهُمْ الْيَوْمَ فِي الْيَمَنِ . وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .
 (٢) يَقَالُ : هُوَ مِنْ رُمَاةِ الْحَدَقِ : حَازِقٌ مَاهِرٌ فِي النَّضَالِ .

(٣) فِي الْإِشْتِقَاقِ : الْقَارَةُ : أَكْمَةُ سُودَاءَ فِيهَا حِجَارَةٌ ، وَفِي الْقَامُوسِ جَاءَ
 أَيْضًا أَنَّ الْجَبَلَ الصَّغِيرَ الْمُنْقَطِعَ عَنِ الْجِبَالِ ، أَوِ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ أَوِ الصَّخْرَةَ السُّودَاءَ
 وَجَمْعُهَا قَارَاتٌ وَقَارُوقُورٌ ، وَقِيرَانٌ . هَذَا وَفِي نَسَبِ مَسْعُودٍ فِي الْإِصَابَةِ
 بَعْدَ غَالِبٍ هُوَ ابْنُ عَائِدَةَ بَنِ نَذِيعِ بْنِ مَلِيحٍ ، وَعِنْدَ الْكَلْبِيِّ : مَسْعُودُ بْنُ عَامِرٍ
 ابْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَمِيرٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَخْلَدٍ بْنِ غَالِبٍ .

(م ٣ — الرُّوضُ الْأَنْفُ ج ٣)

قبس فيما ذكروا^(١).

عميس :

وذكر أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب ، وعميس أبوها هو : ابن مَعْد^(٢) بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن أقتل ، وهو : جماعة ختمت بن أثمار على الاختلاف في أثمار هذا ، وقد تقدم . وأما : هند بنت عوف بن زهير بن الحارث^(٣) من كنانة ، وهي أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أمهما واحدة ، وأخت لبابة أم الفضل امرأة العباس^(٤) ، وكن تسع أخوات^(٥) ، فيهن ، قال رسول الله

(١) في الإصابة أيضا مع هذا : وقيل : هاشم . استشهد يوم اليمامة ، وهو ابن ست وخمسين سنة ، وفي الحاشي ص ٨٠ مثل تصويب السهلي

(٢) هو بإسكان العين أو فتحها . ونسبه في نسب قريش : عميس بن عبد بن تميم ابن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أقتل ، وفي جهرة ابن حزم ، وعميس بن معد بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد ، ابن مالك بن بشر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن خشم . ص ٨٠ . نسب قريش : ٣٦٨ جهرة . والإصابة تنفق مع الروض حتى ربيعة . ثم قوله عن ربيعة : ابن غانم بن معاوية بن زيد النخعية . وقيل : وعميس هو ابن النعمان ابن كعب ، والباقي سواء .

(٣) قيل خولة بنت عوف بن زهير .

(٤) في الاشتقاق : أنها أم بني العباس بن عبد المطلب لإتماما وكثيراً .

(٥) قيل : عشر لام ، وست لام وأب .

— صلى الله عليه وسلم : الأخوات مؤمنات ، وكانت قبل جعفر عند حمزة .
 ابن عبد المطلب ، فولدت له أمة الله ، ثم كانت عند شداد بن الهاد ، فولدت له
 عبد الله وعبد الرحمن ، وقد قيل : بل التي كانت عند حمزة ، ثم عند شداد هي
 أختها : سلمى ، لأسماء ، وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق ، فولدت له محمد
 ابن أبي بكر ، وتزوجها بعده علي بن أبي طالب ، فولدت له يحيى . قال الكلبي :
 ولدت له مع يحيى عون بن علي ^(١) ، ولم يختلف أنها ولدت لجعفر ابنا اسمه :
 عون ^(٢) ، وولدت له أيضا عبد الله بن جعفر ، وكان جواد العرب في الإسلام ،
 وبنات عُمَيْس : أسماء وسلامة وسلمى ، وهن أخوات ميمونة وسائر
 أخواتها لأم .

تصويب في نسب بنى عدى :

وذكر ابن إسحاق في السابقين إلى الإسلام من بنى سَهْم : عبد الله بن قيس
 ابن الحارث بن عدى بن سَعِيد بن سَهْم ^(٣) ، وحيثما تكرّر نسب بنى عدى بن سعد

(١) في الإصابة أن الذى روى هذا هو ابن سعد عن الواقدي . أما ابن الكلبي
 فقال إنها ولدت له عوناً ، وقال أبو عمر : تفرد بذلك ابن الكلبي .
 (٢) ولدته له في الحبشة في هجرتها . وفي الإصابة أنها تزوجت أبا بكر بعد
 قتل زوجها جعفر ، وروى عمر بن شبة في كتاب مكة أن الرسول زوجها أبا بكر
 يوم حنين .

(٣) المذكور في السيرة في هذا الموضع : خنيس ، أما عبد الله فأخوه ، وكان خنيس
 زوج حفصة رضى الله عنها . وقد مات بجراحه يوم أحد ، وقد تزوج النبي صلى الله
 عليه وسلم حفصة بعده . ونسب خنيس في نسب قريش هو : خنيس بن حذافة
 ابن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وهو مطابق لما في السيرة =

ابن سهم يقول فيه ابنُ إسحاق : سَعِيدٌ^(١) ، والناس على خلافه ، وإنما هو سَعْدٌ ، وسيأتي في شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك ، وإنما سَعِيدٌ بن سَهْم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سَعِيد بن سهم وفي سهم : سَعِيدٌ آخر ، وهو ابن سعد المذكور ، وهو جد المطلب بن أبي وداعة ، واسم أبي وداعة : عوف بن صُبَيْرَة^(٢) ، ابن سَعِيد بن سعد ، وقد قيل في صُبَيْرَة : صُبَيْرَة بالضاد المعجمة ، وهو الذي كان شاباً جميلاً يلبس حلة ، ويقول للناس : هل ترون بي بأساً إعجاباً بنفسه ، فأصابته المنية بفتة ، فقال الشاعر فيه :

مَنْ يَأْمَنُ الْحَذَنَانَ بَعْدَ صُبَيْرَةِ الْقَرَشِيِّ مَا نَا
سَبَقَتْ مَنِيَّتُهُ الْمَشِيدَ بَ وَكَانَ مَنِيَّتُهُ أَفْتِلَاتًا^(٣)
عَمْرُ :

وذكر عامر بن ربيعة ، وقال : هو من عَمْرٍ بن وائل . عَمْرٌ بسكون النون ، ويذكر عن علي بن المديني أنه قال ، فيه عَمْرٌ بفتح النون ، والسكون أعرف . ذكر أهل النسب أن وائلاً [بن قاسط] كان إذا ولد له ولد ، خرج من خباته ،

ولهذا يكون السهيلي مخطئاً في نقله عن السيرة إذ ذكر عبد الله بن قيس بن الحارث بن عدى دون خنيس . وليس لعدى ولد اسمه الحارث ، فالحارث ابن قيس ، ووالد قيس هو عدى . (١) وقوله هنا حق ، وقد صوبتها في السيرة عن صاحب الروض ، وعن نسب قریش لأبي عبد الله المصعب الزبيري ص ٤٠٠ وما بعدها ، وعن جهمرة ابن حزم ص ١٥٤ ، وعن الإصابة في ترجمة خنيس .

(٢) هو كذلك في النسب أما في جمرة ابن حزم فببيرة وهو خطأ

(٣) منية : موت ، أفتلات : لجأة

فما وقعت عينه عليه سماه به ، فلما وُلد له بكر وقعت عينه على بَكْرٍ من الإبل ، فسماه به ، فلما وُلد له تغلب رأى نفسين يتغالبان ، فسماه تَغْلِبَ ، فلما وُلد له عَزْزٌ ، رأى عَزْزاً - وهى الأنثى من المعز - فسماه عَزْزاً ، فلما وُلد له الشَّخِصُ خرج فرأى شخصاً على بعلة صغيراً ، فسماه : الشَّخِصَ ، بهؤلاء الأربع (١) ، هم قبائل وائل ، وهم معظم ربيعة ، وهو عامر بن ربيعة العَنْزِيّ العَدَوِيُّ حليف لهم ، ويقال : هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رُقَيْدَةَ بن عَنْزٍ بن وائل بن قاسط ، وقيل : عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حُجَيْرٍ بن سلامان بن هَنْبٍ بن أَفْصَى بن دُعْمَى بن جَدِيلَةَ بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (٢)

إسلام عامر بن فهرية :

وذكر عامر بن فهرية مولى أبى بكر ، وفهرية : أمه ، وهى تصغره فِهر ، لأن الفِهر مؤنثة ، وكان عبداً أسوداً للطَّفِيل بن الحارث بن سَخْبَرَةَ (٣) اشتراه

(١) القصة فى الاشتقاق لابن دريد ص ٦ وفيها : د فإذا هو بشخص قد ارتفع له ، ولم تبينه نظراته ، وعن تغلب : وفغلبه أن يرى شيئاً فسماه تغلب ،
(٢) فى جهرة ابن حزم ص ٢٨٥ عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك ابن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حجير بن سلامان بن مالك بن ربيعة ابن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار . وفى الإصابة كالفب الاول فى الروض مات سنة ٣٢ هـ وقال أبو عبيدة سنة ٣٧ هـ ،

(٣) فى الإصابة الطمیل بن عبد الله بن سخبرة .

أبو بكر فأعتقه ، وأسلم قبل دخول النبي - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم ،
وسيانى في الكتاب نُبَذَ من أخباره ، منها : أنه قتله عامرُ بن الطفيل ^(١) يوم بئر
مَعُونَةَ ، فلما طعنه خرج من الطعنة نورٌ ، وكان عامر يقول : مَنْ رَجُلٌ لما طعنته
رُفِعَ ، حتى حالت السماء دونه ، هذه رواية البَـسْكَائِي عن ابن إسحاق ، وفي
رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عامراً سأل رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - حين قدم عليه ، وقال : يا محمد مَنْ رَجُلٌ من أصحابك لما طعنته
رُفِعَ إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن قُـهَيْرَةَ ، وروى هشامُ بن عُرْوَةَ عن أبيه :
أن عامراً التمس في القتلى يومئذ فلم يوجد ، فكانوا يرون أن الملائكة
رفعتهُ ، أو دفنته ^(٢) ذكره ابن المبارك .

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر السكلافي العامري مات كافراً بإجماع
أهل النقل . وفي الصحيح أنه قدم على النبي « ص » ، فقال له : لك أهل السهل ، ولـي
أهل المدر ، أو أكون خليفتك أو أغزوك بألف أشقر ، وألف شقراء ، فقال
« ص » : اللهم اكفني عامراً فطمن في بيت امرأة - فقال : ائتوني بفرسى ، فأت
على ظهر فرسه ، وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي .
(٢) قتل عامر وسنه أربعون سنة ، وفي البخارى أنه كان غلاماً لعبد الله بن
الطفيل بن سخبرة أخى عائشة لأمها ، وهو الذى كان يرعى بمنحة من غنم لآبى بكر -
كما جاء في البخارى - فيريحها على الرسول « ص » ، وأبى بكر ، وهما في غار ثور ،
فبيبتان - كما جاء في الحديث - في رسل - وهو ابن منحتهما - غنم - ورضيفهما
« الرسل اللبن » ، والرضيف اللبن الذى وضعت فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه
أو اللبن المغلى ، حتى ينقع عامر بهذه الغنم بغلس ، وكان يفعل هذا كل ليلة من
اليالى الثلاث دون أن يشعر به أحد . وقد روى البخارى أنه لما قتل الذين يثر
مَعُونَةَ ، وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار =

اصدع بما تؤمر وما المصيرية والنزى :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (١) الْحَجَر : ٩٤ .
والعنى : اصدع بالذى تؤمر به ، ولكنه لما عدّى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ،
وكان الحذف ههنا أحسن من ذكرها ؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما
تقتضيه النزى ، وقولهم : ماصع الفعل بتأويل المصدر ، راجع إلى معنى الذى إذا

== إلى قتيل ، فقال له عمرو : هذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيته بعد ما قتل
رفع إلى السماء ، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . ونلاحظ
أن قائل هذا هو عامر بن الطفيل الكافر .

(١) فى البخارى عن ابن عباس . قال : لما نزلت (وأنذر عشيرتك) جعل
النبي يدعوهم قبائل قبائل . وعن أبى هريرة أن النبي قال : يا بنى عبد مناف .
اشترؤا أنفسكم من الله . يا بنى عبد المطلب اشترؤا أنفسكم من الله . يا أم الزبير
يا بنى العوام عمة رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد اشترىا أنفسكما من الله . لا أملك
لكما من الله شيئا ، سلانى من مالى ما شئتما . وعن ابن عباس أيضا : و لما نزلت
وأنذر عشيرتك ، جعل النبي ينادى : يا بنى فهر يا بنى عدى يبطون قريش ،
وهذه القصة إن كانت وقعت فى صدر الإسلام بمكة ، فإن ابن عباس لا يدركها . لأنه
ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وفى نداء
فاطمة يومئذ أيضا ما يقتضى تأخر القصة ؛ لأنها كانت حينئذ صغيرة أو مراهقة ،
وإن كان أبو هريرة حضرها ، فلا يناسب الترجمة (يعنى ترجمة البخارى لهذا
الباب بقوله : باب من انتسب إلى آيائه فى الإسلام والجاهلية ، لأنه إنما أسلم
بعد الهجرة ، بمدة ، والذى يظهر أن ذلك وقع مرتين مرة فى صدر الإسلام -
ورواية ابن عباس وأبى هريرة لها من مراسيل الصحابة - ومرة بعد ذلك حيث
يمكن أن تدعى فيها فاطمة عليها السلام ، أو يحضر ذلك أبو هريرة أو ابن عباس
الحافظ فى الفتح ج ٦ ص ٣٣ ؛ طبعة ١ عبد الرحمن محمد . هذا وحديث
ابن إسحاق بعد يؤكد فرضية الصلاة قبل الإسراء .

تأملته ، وذلك أن الذى تصلح فى كل موضع تصلح فيه ما التى يسمونها الصدرية
نحو قول الشاعر :

عسى الأيام أن يرزجني نَ يَوْمًا كالذى كانوا^(١)

أى : كما كانوا ، فقول الله عز وجل إذا : « فاصدع بما تؤمر » ، إما أن
يكونَ معناه : بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه ، وإما أن يكون معناه : اصدع
بالأمر الذى تؤمره ، كما تقول : عجبت من الضرب الذى تضربه ، فتكون
ما ههنا عبارة عن الأمر الذى هو أمرُ الله تعالى ، ولا يكون الباء فيه دخول ،
ولا تقدير ، وعلى الوجه الأول تسكون ما مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبي
صلى الله عليه وسلم - والأظهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذى هو قول
الله ووحيه ، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى : ما ، وإن كانت بمعنى الذى
فى الوجهين جميعاً ، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف إلا الهاء وحدها ،
وإذا أردت معنى المأمور به ، حذفت باء وهاء ، فحذف واحد أيسر من حذفين .

(١) البيت للفند - بكسر الفاء - الرمانى بكسر الزاى وتشديد الميم ، وهو شهل
ابن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صعيب بن على بن بكر بن وائل جاهلى
قديم . وفى الحيوان للجاحظ : الرمانى وهو خطأ ، والقصيدة فى الحيوان ج ٦
ص ١٤٠ ط ١ : ساسى ، والامالى للقالى ، وهى فيه تسعة أبيات . وفى الحيوان :

عسى الايام ترجمهم جميعاً كالذى كانوا

وفى الامالى د ترجمن قوما ، ويقول البكرى فى السط عن شهل صاحب
الشعر ، وليس فى العرب شهل بشين معجمة غيره ، انظر ص ٢٦٠ ج ١ ط ١
الامالى للقالى ، وص ٥٧٨ سطر اللآلى للبكرى

مع أن صدَّعَه وبيانه إذا علقته بأمر الله ووحيه ، كان حقيقة ، وإذا علقته بالفعل الذى أمر به كان مجازا ، وإذا صرَّحت بلفظ الذى ، لم يكن حذفها بذلك الحسن . وتأمله فى القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ، وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة : ٢٣ ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تُمْنُونَ ﴾ التغابن : ٤ . و﴿ مَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ص : ٧٥ و﴿ لَا أُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ الكافرون . ولم يقل : خلقتُه ، وحذف الماء فى ذلك كله ، وقال فى الذى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ البقرة : ١٢١ و﴿ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ﴾ الحج : ٢٥ وما أشبه ذلك ، وإنما كان الحذف مع ما أحسن لما قدَّمناه من إيهامها ، فالذى فيها من الإيهام قَرَّبَها مِن ما التى هى شرط لفظا ومعنى ، ألا ترى أن ما إذا كانت شرطا تقول فيها : مَا تَصْنَعُ أَصْنَعُ مثله ، ولا تقول : مَا تَصْنَعُ ؛ لأن الفعل قد عمل فيها ، فلما ضارعتها هذه التى هى موصولة ، وهى بمعنى الذى الذى أجريت فى حذف الماء مجراها فى أكثر الكلام ، وهذه تفرقة فى عود الضمير على ما ، وعلى « الذى » يشهد لها التنزيل ، والقياس الذى ذكرناه من الإيهام ، ومع هذا لم نر أحداً نبَّه على هذه التفرقة ، ولا أشار إليها ، وقارىء القرآن محتاج إلى هذه التفرقة . وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذى ؛ لأنه أوجز ، ولكنه ليس كحُسْنِهِ مع مَنْ وَمَا ، فى التنزيل : ﴿ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ التغابن : ٨ فإن كان الفعل متعديا إلى اثنين كان إبراز الضمير أحسن من حذفه ، لئلا يتوهم أن الفعل واقع على المفعول الواحد ، وأنه مقتصر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ [وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي] جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ﴾ الحج : ٢٥ و﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ البقرة : ٢١ وشرح ابن هشام معنى قوله : اصدع شرحا صحيحا ، وتشمته أنه صدَّع على جهة البيان ، وتشبيهه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل . والقرآن نور ، فصدَّع به تلك الظلمة ، ومنه سُمي الفجر : صديعا ، لأنه يصدع ظلمة الليل ، وقال الشَّامُخُ :

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به. ثم إن الله - عز وجل - أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمره، واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾، وأعرض عن المشركين ﴿الحجر: ٩٤﴾. وقال تعالى: ﴿وأنذِر عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿الشعراء: ٢١٥: ٢١٧﴾

ترى السَّرْحَانَ مُفْتَرِشًا يَدِيهِ كَأَنَّ بِيَاضَ لَبَّتِهِ صَدِيعٌ^(١)

على هذا تأوله أكثر أهل المعاني، وقال قاسم بن ثابت: الصديق في هذا البيت: ثوب أسود تلبسه النواحة تحته ثوب أبيض، وتصدع الأسود عند صدرها سفيبدو الأبيض، وأنشد:

كَأَنَّهُنَّ^(٢) إِذْ وَرَدْنَ لِيَعَا نَوَاحَةً مُجْتَابَةً صَدِيدَا

(١) نسبة في اللسان في مادة صدع إلى عمرو بن معدى كرب، والشماخ شاعر ذيباني مختصرم وهو ابن ضرار بن سنان، وقيل اسمه: معقل والشماخ لقب له، وقيل اسمه: الهيثم، والاول أكثر. ص ٥٨ سطر اللآلي.
(٢) في معجم البكري: كأنها

قال ابن هشام : فاصدع : افرق بين الحق والباطل . قال أبو ذؤيب الهذلي ،
واسمه : خويلد بن خالد ، يصف أثن وخش وفخلها :

وكانهنَّ رِبابَةٌ ، وكأنَّه يَسْرُ بِفَيْضٍ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ
أى : يفرق على القِداح ويبين أنصاءها . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال
روبة بن المعجاج :

أنتَ الحليمُ ، والأَميرُ المُنتقمُ تَصْدَعُ بالحقِّ ، وتنفي مَن ظلمَ
وهذان البيتان فى أرجوزة له .

صلاة الرسول وأصحابه فى الشعاب

قال ابن إسحاق : وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلَّوا ،
ذهبوا فى الشَّعاب ، فاستخفَّوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبى وقاص
فى نَقَرٍ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى شِعْبٍ من شِعاب مكة ،
إذ ظهر عليهم نَقَرٌ من المشركين - وهم يصلُّون - فناكروهم ، وعابوا عليهم
ما يصنعون حتى قاتلهم ، فضرب سعدُ بن أبى وقاصٍ يومئذ رجلاً من المشركين
بلحى بغير ، فشجَّه ، فكان أول دم هُريق فى الإسلام .

عداوة الشرك للرسول ومساومته لعمه

قال ابن إسحاق : فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه
بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قَوْمُهُ ، ولم يردُّوا عليه - فيما بلغنى -

.....

حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه
وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مُستخفون .
وحَدِّب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمُه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ،
ومضى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - على أمر الله ، مُظهراً لأمره ، لا يردّه عنه
شيء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتَبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ ،
أنكروه عليه ، مِنْ فراقهم وعَيَّب آلهتهم ، ورأوا أن عَمّه أبا طالب قد حَدِّب
عليه ، وقام دونه ، فلم يُسلمه لهم ، مشى رجالٌ مِنْ أَشراف قُريش إلى أبي طالب ،
عُقبَةُ وشَيْبَةُ ابْنَا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة
ابن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب . وأبو سفيان بن حَرْب بن أُمَيَّة بن عبد شمس
ابن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر .

قال ابن هشام : واسم أبي سفيان : صخر .

قال ابن إسحاق: وأبو البختري، واسمه: العاص بن هشام بن الحارث
ابن أسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى.

قال ابن هشام : أبو البختري : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي
ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وأبو جهل — واسمه عمرو، وكان يسكني
أبا الحكم — ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة
ابن كعب بن لؤي . والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة

ابن مَرْثَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ . وَنُبِيَّهِ وَمُنْبَهَ ابْنِ الْحَبَّاجِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ حَذَيفَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ . وَالْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ بْنُ هَاشِمٍ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَوْ مَنْ مَشَى مِنْهُمْ . فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ ، إِنْ ابْنُ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلَهُنَا ، وَعَابَ دِينَنَا ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا ، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا ، فِيمَا أَنْ تُكْفِّهَ عَنَّا ، وَإِمَا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ ، فَكَفِّهِكَ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا ، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا ، فَانصَرَفُوا عَنْهُ .

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ شَرَى الْأَمْرَ بَيْنَهُ ، وَبَيْنَهُمْ حَتَّى تَبَاعَدَ الرِّجَالُ ، وَتَضَاعَفُوا ، وَأَكْثَرَتْ قُرَيْشٌ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا ، فَتَذَامَرُوا فِيهِ ، وَحَضَّ بِمَعْضِهِمْ بَعْضًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا طَالِبٍ ، إِنْ لَكَ سِنًا وَشَرَفًا وَمَنْزَلَةً فِينَا ، وَإِنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْتُكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَ عَنْهُ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَانْصَبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتَمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا ، وَعَيْبِ آلِهِنَا ، حَتَّى تُكْفِّهَ عَنَّا ، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ ، أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ . ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ ، فَعَظَّمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتِهِمْ ، وَلَمْ يَطِيبْ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَهُمْ وَلَا خِذْلَانَهُ .

.....

مناصرة أبي طالب للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأُخنس أنه حَدَّث : أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ قَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةُ ، بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَقَالَ لَهُ : يَا بَنَ أَخِي ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي ، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا ، لِلَّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ ، فَأَبَيْتُ عَلَىَّ ، وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تُحْمَلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ : فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَعْمَهُ فِيهِ أَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نَصْرَتِهِ وَالْتِيَامِ مَعَهُ . قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : يَا عَمَّ ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ ، مَا تَرَكْتُهُ . قَالَ : ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَبَكَى ثُمَّ قَامَ ، فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ ، فَقَالَ : أَقْبِلْ يَا بَنَ أَخِي ، قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَقَالَ : اذْهَبْ يَا بَنَ أَخِي ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُكَ لَشَيْءٍ أَبَدًا .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ إِنْ قُرَيْشًا حِينَ عَرَفُوا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خَذْلَانَ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَإِسْلَامَهُ وَإِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعَدَاوَتِهِمْ ، مَشَوْا إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَقَالُوا لَهُ — فِيمَا بَلَغَنِي — : يَا أَبَا طَالِبٍ ، هَذَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ ، أَنَّهُدُّ فَتًى فِي قُرَيْشٍ وَأَجْمَلُهُ ، نَغْذُهُ فَلَكَ عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ ، وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ ، وَأَسْلَمْنَا إِلَيْنَا ابْنَ أَخِيكَ هَذَا ، الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ

.....

آبائك ، و فرّق جماعة قومك ، وسفّه أحلامهم ، فنقته فلما هو رجل يرجل
 فقال : والله لبئس ما تسومونني ! أتعطونني ابنك أغذوه لكم ، وأعطيك ابني .
 تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً . قال : فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن
 عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص
 مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ، فقال أبو طالب للمطعم : والله
 ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا
 لك ، أو كما قال . قال : فحقب الأمر ، وحيت الحرب ، وتنايد القوم ، وبأدى
 بعضهم بعضا .

فقال أبو طالب عند ذلك - يعرض بالمطعم بن عدي - ويعم من خذله .
 من بني عبد مناف ، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويدكر ما سأله ، وما
 تباعد من أمرهم :

ألا قلّ لعمرو والوليد ومطعم
 من الخور حجاب كثير غاؤه
 تحلف خلف الورد ليس بلاحق
 إذا ما علا الفيقاء قيل له : وزر
 أرى أخويننا من أينا وأمنا
 إذا سئلا قالا : إلى غيرنا الأمر
 بلى لها أمر ، ولكن تجسنا

كما جرحمت من رأس ذي علق صخر
 أحص خصوصاً عبد شمس ونوفلاً
 مها أغمرنا للقوم في أخوينها
 قد أضجنا منهم أكفهما صفر

كُلُّهُمَا أَشْرَكَ كَافٍ لَلْجِدِّ مَنْ لَا أَبَا لَهُ مِنْ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرْسَلَ لَهُ ذِكْرُ
وَتَيْمٌ وَخَزُومٌ وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُنِيَ النَّصْرُ
فَوَاللَّهِ لَا تَنفَكَ مِنَّا عَدَاوَةٌ وَلَا مِنْهُمْ مَا كَانَ مِنْ نَسَلِنَا شَفَرُ
فَقَدْ سَنَنْتُ أَحْلَاهُمْ وَعُقُولُهُمْ وَكَانُوا كَجَفَرٍ بئس مَا صَنَعْتَ جَفَرُ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذا مروا بينهم على مَنْ فِي الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مِنْ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِينَ أَسْلَمُوا مَعَهُ ، فَوُثِّبَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ
عَلَى مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَعْذِبُونَهُمْ ، وَيَقْتُلُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَمَنْعَ اللَّهُ رَسُولَهُ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهُمْ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ قَامَ أَبُو طَالِبٍ ، حِينَ رَأَى
قَرِيشًا يَصْنَعُونَ مَا يَصْنَعُونَ فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ،
مِنْ مَنْعِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْقِيَامِ دُونَهُ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ،
وَقَامُوا مَعَهُ ، وَأَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ ، هَدَوْهُ
اللَّهُ الْمَلْعُونُ .

فلما رأى أبو طالب من قومه ما مره في جَهَنَّمِ مَعَهُ ، وَحَدَّبَهُمْ عَلَيْهِ ، جَعَلَ
يَمْدَحُهُمْ وَيَذْكُرُ قَدِيمَهُمْ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيهِمْ
وَمَكَاتِهِ مِنْهُمْ ، لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ ، وَلِيَتَّخِذُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَقَالَ :

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قَرِيشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا
فَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عِبْدٍ مَنَاظِرُهَا فِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

وإن فخرت يوماً ، فإنَّ مُحمّداً هو المُصطفى مِن سِرِّها وكرِّمها
مدّعت قُرَيْش غُثَّها وسمِّينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكُنَّا قديماً لا نقرُّ ظلاماً إذا ما تنوّا صُغر الخُدود نُقيمها
ونحى جماها كلَّ يومٍ كريمة وتضربُ عن أجحارها من يرومها
بنا انتعش العود الذَّواء ، وإنما بأُكُنّا تندي وتنعى أرومها

مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

أصل الصلوة لغة :

ذكر في الحديث : أن أبا طالب حدِّبَ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وقام دونه : أصل الحدِّب : انحناء في الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ، ورق
له كما قال النابغة :

حدِّبَتْ على بطون ضَبَّة كلها إن ظالماً فيهم ، وإن مظلوماً

ومثل ذلك الصلاة ، أصابها : انحناء وانعطاف من الصَّلوَيْن وهما : عرقان
في الظهر إلى الفخذين ، ثم قالوا : صَلَّى عليه ، أى : انحنى عليه ، ثم سموا الرحمة
حُنوًّا وصلوة ، إذا أرادوا المبالغة فيها ، فقولك : صلى الله على محمد ، هو أرق
وأبلغ من قولك : رحم الله محمداً في الحنو والعطف ^(١) . والصلاة أصلها

(١) ذكر القاموس لأصل هذه التعريفات : وسط الظهر منا ، ومن كل ذى أربع ،
أو ما انحدر من الوركين ، أو الفرجة بين الجاعرة والذبر ، والذنب ، أو ما عن يمين
الذنب وشماله ، وهما صلوان . ويقول المبرد : أصل الصلاة : الرحمة . والمشهور عند كثير
من المتأخرين أن صلاة الله على الرسول وعلينا هي رحمته ، وهو رأى ضعيف ، لأن الله يقول
عن عباده الصابرين : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) البقرة :
١٨٥ . فعطف الرحمة على الصلوات يقتضى المغايرة بينهما . كأن صلاة الله سبحانه خاصة =
(م - ٤ : الروض الاتف ج ٣)

في المحسوسات عَبَّرَ بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيداً كما قال الشاعر :

فما زلت في إينى [له] وتعطُّفِي عليه ، كما تحنو على الولد الأم

ومنه قيل : صَلَّيتُ على الميت أى : دعوت له دعاء مَنْ يحنو عليه ويتعطف عليه ، ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق : لا تقول : صَلَّيتُ على العدو ، أى : دعوت عليه . إنما يقال : صَلَّيتُ عليه في معنى الحُذْوِ والرحمة والعطف ؛ لأنها في الأصل انعطاف ، ومن أجل ذلك عُدَّتْ في اللفظ بعلى ، فتقول : صَلَّيتُ عليه ، أى : حَنَوْتُ عليه ، ولا تقول في الدعاء إلا : دعوتُ له ، فتُعَدُّ الفعل باللام ، إلاَّ أن تريد الشرَّ والدعاء على العدو ، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء ، وأهل اللغة لم يفرقوا ، ولكن قالوا : الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقاً ، ولم يفرِّقوا بين حالٍ وحالٍ ، ولا ذكروا التعدى باللام ، ولا بعلى ، ولا بد من تقييد العبارة ، لما ذكرناه ، وقد يكون الحُدْبُ أيضاً مستعملاً في معنى المخالفة إذا قرُنَ بالقَعْسِ كقول الشاعر :

== بالأنبياء والرسل والمؤمنين ، أما رحمته فقد وسعت كل شئ . ولو أننا تتبعنا آيات القرآن لوجدنا أن المراضع التي تذكر فيها الرحمة لا يحسن فيها وضع الصلاة مكانها ، ولهذا يقول ابن القيم عن معنى صلاتنا نحن على الرسول ، ص ، إنها اطلب من الله ما أخبر به عن صلاته . وصلاة ملائكته . وهى ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه فهى تتضمن الخبر والطلب . وإرادة من الله أن يعلى ذكره ويزيده تعظيماً وتشريفاً ، ص ٩٩ جلاء الأفهام ، وقد ذكر البغارى في صحيحه أن صلاة الله على نبيه هى ثناؤه عليه عند الملائكة

وإن حَدِّبُوا ، فاقْعَسْ ، وإن هم تقاعسوا
ليتنزعوا ما خَلَفَ ظَهْرَكَ فَاحْدَبْ^(١)
وكقول الآخر :

ولن يُنَهْنِه^(٢) قوما أنت خائِفُهُمْ كمثل وَفِكَ جُهْلًا بِجُهْلٍ
فاقْعَسْ إذا حَدِّبُوا ، واخذب إذا قَوَّسُوا
ووازن الشرَّ مِنْقَلًا بِمِنْقَالٍ
أَنشده الجاحظ في كتاب الحيوان له .

أبو البختري :

فصل : وذكر بحجى النفر من قریش إلى أبي طالب في أمر النبي صلى الله
عليه وسلم ، وذكر أنسابهم ، وذكر فيهم أبا البختري بن هشام ، قال : واسمه :
العاصي بن هشام ، وقال ابن هشام : هو العاصي بن هاشم ، والذي قاله ابن
إسحاق هو قول ابن الكلبي ، والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبي بكر
وقول مُصْعَبِ^(٣) وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر : سفيان
ابن العاصي .

(١) القعس بفتح القاف والعين ، ضد الحدب : دخول الظهر وخروج الصدر ،
والماضي : قعس كفرح - والبيت من قصيدة منسوبة إلى أبي الاسود الدؤلي ،
وهو في الحيوان هكذا : فإن حَدِّبُوا فاقْعَسْ .. ليستمسكوا بما وراءك فاحْدَبْ
ص ١٧٤ ج ٥ الحيوان للجاحظ ط ساسي

(٢) نهنه فلانا عن الشيء : زجره وكفه عنه ، ووقم الرجل يقمه وقا ، أكرهه
وأذله وقهره وقسره ، ووقه عنه : رده أقبح الرد .

(٣) هو كما قال في كتاب المصعب نسب قریش ص ٢٠٩ وكذلك في جمهرة

ابن حزم ص ١٠٨

لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسُ فِي يَمِينِي :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي على أن أدعَ هذا الذي جئت به ما تركته ، أو كما قال ^(١) . خَصَّ الشَّمْسَ بِالْيَمِينِ ؛ لأنها الآية المُبَصِّرَةُ ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية المُمَحِّوَّةُ ، وقد قال عمر - رحمه الله - لرجل ، قال له : إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نُجُومٌ ، فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية المُمَحِّوَّةُ ، اذهب ، فلا تعمل لي عملاً ، وكان غاملاً له ، فمزَّله ، فقتل الرجل في صِفِّينَ مع معاوية ، واسمه : حابس بن سعد ، وخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النِّيرَيْنِ حين ضَرَبَ المثل بهما ؛ لأن نورهما محسوسٌ ، والنورُ الذي جاء به من عند الله - وهو الذي أرادوه على تركه - هو لا حِجَالَةَ أَشْرَفُ من النور الخلقِ ، قال الله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ التوبة : ٣٣ . فاقتضت بلاغة النبوة - لما أرادوه على ترك النور الأعلى - أن يقابله بالنور الأدنى ، وأن يخص أعلى النيرين ، وهي الآية المبصرة بأشرف اليدين ، وهي اليمنى بلاغةً لامثلها ، وحكمةً لا يُجْهَلُ اللبيبُ فضلها .

البراء :

وقول ابن إسحاق : ظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قد بدا لعمه بَدَاءٌ ، أي : ظهر له رأى ، فسمى الرأى بَدَاءً ، لأنه شئ يبدو بعد ما خفى ، والمصدر

(١) لم يروه أحد من أصحاب الصحاح .

البَدءُ^(١) والبُدؤُ ، والاسم: البَداءُ ، ولا يقال في المصدر: بداله بُدؤٌ ، كما لا يقال: ظهر له ظهورٌ بالرفع ؛ لأن الذي يظهر ، ويبدو هاهنا هو الاسم: نحو البَداءُ وأنشد أبو علي :

لعلك والموعودُ حقٌ وفأوه بدالك في تلك القلوصِ بَداءُ^(٢)

ومن أجل أن البُدؤُ هو الظهور ، كان البَداءُ^(٣) في وصف الباري - سبحانه - محالا ؛ لأنه لا يبدو له شيء كان غائبا عنه ، والنسخُ للحكم ليس ببَداء كما توهمت الجبهة من الرافضة واليهود ، إنما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره ، وعلم علمه ، وقد يجوز أن يقال : بداله أن يفعل كذا ، ويكون معناه : أراد . وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب الشرع ، وقد صح في ذلك ما أخرجه البخاري في حديث الثلاثة : الأعمى والأفروع

(١) ليس لما قيل من قبل عن وضع الشمس والقمر سند صحيح ، فكيف يقيم عليه كل هذا ؟

(٢) القلوص من الإبل : الشابة ، والبيت من أبيات ذكرها أبو علي القالي في أماليه ص ٧١ ط ٢ غير منسوبة إلى أحد ، وهي قول رجل وعد رجلا قلوصا فأخلفه . ونقل البكري في السمط ص ٧٠ عن أبي عمرو الشيباني أنها لرجل من مزينة ، وذكر الأستاذ الميمنى في تحقيقه للسمط أنها لمحمد بن بشير الخارجي كما ورد في الأغاني

(٣) الشيعة هم القائلون بالبَداء ، وله معان - كما يقول الشهرستاني - (البَداء في العلم ، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبَداء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك) وهذا محال على الله سبحانه أن يرى شيئا ، ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما رأى ، فالله بكل شيء عليم .

والأبرص ، وأنه عليه السلام قال : بدا لله أن يتليهم ، فبدا هنا بمعنى : أراد ، وذكرنا الرافضة ، لأن ابن أعين ، ومن اتبعه منهم ، يجوزون البداء على الله تعالى ، ويجعلونه والنسخ شيئاً واحداً ، واليهود لا تجيز النسخ يحسبونه بداءً ، ومنهم من أجاز البداء كالرافضة ، ويروى أن علياً - رحمه الله - صلى يوماً ، ثم ضحك فسئل عن ضحكته فقال : تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ، ورآني أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم بنخلة^(١) فقال : ما هذا الفعل الذي أرى ، فلما أخبرناه ، قال : هذا حسن ، ولكن لا أفعله أبداً ، لا أحب أن تعلموني استيتي فتذكرت الآن قوله ، فضحكت .

عرصة قريش على أبي طالب :

فصل : وذكر قول المأثور من قريش لأبي طالب : هذا عمارة بن الوليد أنهدفتي في قريش ، وأجمله ، نخذه مكان ابن أخيك . أنهد . أى : أقوى وأجلد ، ويقال : فرس أنهد للذى يتقدم الخيل ، وأصل هذه الكلمة : التقدم ، ومنه يقال : أنهد ندى الجارية ، أى : برز قداماً . وعمار بن الوليد هذا المذكور هو : الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة فسحر هناك ، وجن ، وسنزيد في خبره شيئاً بعد هذا إن شاء الله .

(١) نخلة : أما كن متعددة منها : نخلة محمود ، وهو موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخيل وكروم ، ونخلة الشامية ، وهى ذات عرق وأعلى نخلة ذات عرق ، وهى لبنى سعد الذين أرضعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ونخلة اليامية وإد يصب فيه يدعان به مسجد للنبي .

وذكروا أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ غمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم : رأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأمة^(١) لا أعطيك ابنى تقتلونه أبدا ، وأخذ ابنكم أكفله ، وأغذوه ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق قال ابن إسحاق فحَقَّب الأمر عند ذلك ، يريد : اشتد ، وهو من قولك : حَقَّب البعير إذا راغ عنه الحَقَّب من شدة الجهد والنصب ، وإذا عسر عليه البول أيضا لشد الحَقَّب^(٢) على ذلك الموضع ، فيقال منه : حَقَّب البعير ، ثم يستعمل في الأمر إذا عَسِرَ ، وكذلك قوله : فَشَرَى الأمر عند ذلك ، أى : انتشر الشر ، ومنه الشَّرَى ، وهى قروح تنشر على^(٣) البدن ، يقال منه : شَرَى جلد الرجل ، يَشْرَى شَرَى .

(١) رثم الجرح بكسر الهمزة انضم والتأم ، رثمت الاني ولد هارأما ورأمانا هورثمانا أحبته وعطفت عليه .

وينسب إلى أبي طالب أنه قال للنبي هذا الشعر :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيننا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيوننا
ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى ولقد صدقت ، وكنت ثم أميننا
وعرضت ديننا لا بحالة أنه من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة ، أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مييننا

انظر المواهب ص ٢٤٨ .

(٢) الحزام إلى حقو البعير ، أو حبل يشد به الرجل في بطنه

(٣) عرفها القاموس بقوله : بشور صفار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا . وتشتد ليلا ،

سهر أبي طالب :

فصل : وذكر شعر أبي طالب :

أَلَا قُلْ لِعَمْرُو وَالْوَلِيدِ . إِلَى آخِرِ الشَّعْرِ

وفيه :

أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ حَيَاتِكُمْ ^(١) بَكَرُ

أى : إن بكرا من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياتكم
كما قال طرفة فى عمرو بن هند :

قَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرُو رَغُوثًا ^(٢) حَوْلَ قُبْتِنَا تَخُورُ

وقوله : من أُلْخُورُ حَبِيبَابُ . أُلْخُورُ ^(٣) الضَّعَافُ ، وَالْحَبِيبَابُ بِالْحَاءِ :
الصَّغِيرُ . وفى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر : جَبِيبَابُ ^(٤) بِالْجِيمِ ، وَفَسَّرَهُ فَقَالَ : هُوَ
السَّكْنِيرُ الْمَذْرُوعُ ، وَفِي الشَّعْرِ :

إِذَا مَا عَلَا الْفَيْفَاءُ قِيلَ لَهُ : وَبُرُّ

أى يُشَبَّهُ بِالْوَبْرِ لَصَفَرِهِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ : يَصْفُرُ فِي الْعَيْنِ لَعَلُّهُ
لِلسَّكَنِ وَبَعْدَهُ ، وَالْفَيْفَاءُ فَعْلَاءُ ، وَلَوْلَا قَوْلُهُم : الْفَيْفُ ، لَكَانَ حَمْلُهُ عَلَى بَابِهِ

(١) فى رواية : حَفَاطَتِكُمْ ، وَالْحَفَاطُ الْغَضَبُ ص ٨٢ الْحُشْنَى

(٢) الرُّغُوثُ هى كُلُّ مَرْضُوعَةٍ وَفِي الْأَصْلِ : لَيْتَ

(٣) جَمْعُ أَخُورِ

(٤) وَتُرْوَى بِالْحَاءِ . الضَّعِيفُ

القَضْفَاصِ والجَرْجَارِ أُولَى (١) ، ولكن سُمِعَ الْفَيْفُ ، فَعَلِمَ أَنَّ الْأَلْفَيْنِ زَائِدَتَانِ (٢) ، وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ قَاقٍ وَسَلَسَ الَّذِي ضَوَّعَتْ فِيهِ فَاءُ الْفَعْلِ دُونَ عَيْنِهِ ، وَهِيَ الْفَاظُ بِسِيرَةِ نَحْوِ قَلَقٍ وَسَلَسٍ وَثَلَثَ وَسُدُسٍ (٣) ، وَقَدْ اعْتَنَيْنَا بِمَجْمَعِهَا مِنَ الْكَلَامِ ، وَلَعَلَّ لَهَا مَوْضِعًا تَذَكَّرَ فِيهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا تَكُونُ أَلْفٌ فَيْفَاءً لِلإِلْحَاقِ فِيصْرَفُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ : فَعْلَالٌ ، فَإِنَّهُ قِيلَ : يَكُونُ مَا حَقًّا بِقَضْفَاصٍ وَبَابِهِ ، قَلْنَا : قَضْفَاصٌ ثَنَائِي مُضَافٌ ، فَلَا يُلْحَقُ بِهِ الثَّلَاثِي ، كَمَا لَا يُلْحَقُ الرَّبَاعِيُّ بِالثَّلَاثِي ، وَلَا الْأَكْثَرُ بِالْأَقَلِّ (٤) ، وَقَدْ حَكِيَ

(١) القَضْفَاصُ : أَشْنَانُ الشَّامِ ، أَوْ شَجَرٌ مِنَ الْخَضِرِ ، وَالْأَسَدُ ، وَيَضُمُّ وَلَيْسَ فَعْلَالٌ - يَضُمُّ الْفَاءَ - سِوَاهُ ، وَالْجَرْجَارُ كَالْقَرْقَارِ : نَبْتٌ ، وَمِنْ الْإِبِلِ : الْكَثِيرُ الصَّوْتِ .

(٢) فِي اللَّسَانِ ، بِالْفَيْفِ اسْتَدَلَّ سَبِيوِيهِ عَلَى أَنَّ أَلْفَ فَيْفَاءٍ زَائِدَةٌ ، وَفِيهِ عَنِ الْمُبَرَّدِ : « أَلْفٌ فَيْفَاءٌ زَائِدَةٌ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : فَيْفٌ ، وَفِي شَرْحِ الشَّافِيَةِ لِلرَّضِيِّ وَالْأَلْفُ فِي الْفَيْفَاءِ زَائِدَةٌ لِقَوْلِهِمْ : فَيْفٌ بِمَعْنَاهُ وَكَذَلِكَ الزِّيَادُ وَالصِّيَاءُ إِذْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ فَعْلَالٌ وَبَكْسَرُ الْفَاءِ وَسُكُونُ الْعَيْنِ إِلَّا مَصْدَرًا كَزَلْزَالٍ ، ص ٢٧٢ ج ٢ مطبوعة حجازي والزِّيَادُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرَصِ ، وَالصِّيَاءُ : الْحَشْفُ مِنَ التَّمْرِ ، أَوْ حَبُّ الْحَنْظَلِ لَيْسَ فِي جَوْفِهِ أَب .

(٣) إِذَا ضَبَطَ ثَلَاثٌ وَسُدُسٌ عَلَى أَنَّهَا فَعْلَالٌ كَانَا بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالْعَيْنِ ، وَمِنْ الْأَسْمَاءِ مِمَّا هُوَ كَذَلِكَ : دَعْدٌ وَتَوْتُ وَطُلُوطٌ وَالْحَبَّةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ ،

(٤) مَعْنَى الْإِلْحَاقِ فِي الْأَسْمِ وَالْفَعْلِ أَنَّ تَوْيِدَ حَرْفٍ أَوْ حَرْفَيْنِ عَلَى تَرْكِيبِهِ زِيَادَةٌ غَيْرُ مَطْرُودَةٍ فِي إِفَادَةِ مَعْنَى : لِيَصِيرَ ذَلِكَ التَّرْكِيبُ بِتِلْكَ الزِّيَادَةِ مِثْلَ كَلِمَةٍ أُخْرَى فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَحَرَكَاتِهَا الْمَعْنِيَةِ وَالسَّكَنَاتِ ، كُلُّ وَاحِدٍ فِي مِثْلِ مَكَانِهِ فِي الْمُلْحَقِ بِهَا ، وَفِي تَعَارُفِهَا : مِنَ الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ وَالْأَمْرِ وَالْمَصْدَرِ وَاسْمِ الْفَاعِلِ وَاسْمِ الْمَفْعُولِ إِنْ كَانَ الْمُلْحَقَةُ بِهِ فَعْلًا رُبَاعِيًا ، وَمِنْ التَّصْغِيرِ وَالتَّكْسِيرِ إِنْ كَانَ =

سفيانة بالقصر وليست ألقها للتأنيث ، إذ لا يجمع بين علامتي تأنيث ، فهي إذاً من باب أرطاة ونحوها (١) ، كأنها ملحقة بـسَلْمَة (٢) . وفي الشعر :

كَمَا جَزَّ بَحَّتْ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقٍ صَخْرُ . وترك صرف علق ، إما لأنه جعله باسم بقعة ، وإما لأنه اسم علم ، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر ، وإن لم يكن مؤنثاً ولا عجمياً نحو قول عباس بن مرداس :

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْجَمْعِ . ونحو قول الآخر :

يَا مَنْ جَفَانِي وَمَلَأَ نَسِيْتَ أَهْلًا وَسَهْلًا . وماتَ مَرْحَبُ لِمَا رَأَيْتَ مَالِي قَلًّا .

== الملحق به اسماء رباعية لاختصاصها ، وفائدة الإلحاق أنه ربما يحتاج في تلك الكلمة إلى مثل ذلك التركيب في شعر أو سجع ص ٥٢ ج ١ شرح شافية ابن الحاجب لمرضى الدين الاسترأبادي . م حجازي ، وانظر ص ١٣ المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني .

(١) شجرة ثمرها مر تأكلها الإبل ، وألقها للإلحاق ، فتنون نكرة لمعرفة أو ألقها أصلية ، فتنون دائماً ، أو ووزنها أفعول وموضعها المعتل . القاموس ، وفي الإنسان مادة رطا : « الأرطى شجر من شجر الرمل ، وهو أفعول من وجه ، وفعل من وجه ، لأنهم يقولون : أديم ماروط إذا دبغ بورقه ، ويقولون : أديم مرطى ، والواحدة : أرطاة ، ولحق تاء التأنيث فيه يدل على أن الألف فيه ليست للتأنيث ، وإنما هي للإلحاق ، أو بنى الاسم عليها

(٢) السلمية : الجسمية من النساء

فلم يصرف مَرَحَبًا ، وسيأتى فى هذا الكتاب شواهد كثيرة على هذا ، ونشرح العلة فيه إن شاء الله تعالى (١) ، ولوروى : من رأس ذى علق الصخر

(١) يقول ابن مالك فى الألفية :

ولا اضطرار أو تناسب صرف ذو المنع والمصرف قد لا ينصرف
وبقول الأشموى فى شرحه لها إن الكوفيين أجازوا منع المصرف
من الصرف للضرورة ، وأباه سائر البصريين ، والصحيح : الجواز ،
واختاره الناظم - يعنى ابن مالك الثبوت سماعه ، وقد فصل بعض المتأخرين بين ما فيه
علية ، فأجاز منعه لوجود إحدى علتين ، وبين ما ليس كذلك ، فصرفه ويؤيده أن
ذلك لم يسمع إلا فى العلم ، وأجاز قوم منهم : ثعلب ، وأحمد بن يحيى منع صرف
المنصرف اختياراً ص ٢٢٤ ج ٣ ط الأزهرية . وقد ذكر ابن هشام أن من
البصريين من أجاز ذلك ، وهما الأخفش والفارسي وأن من الكوفيين من منع ذلك
وهو أبو موسى الحامض من شيوخ الكوفيين وقد حكى الفخر الرازى عن أكثر
الكوفيين والأخفش أن السبب الواحد يمنع من الصرف ، ولم يفرق بين العلية
وغيرها انظر ص ٢٢٨ ج ٢ من كتاب شرح التصريح على التوضيح ط
التجارية ، وقد رد الدنوشرى المذهب الذى حكاه الفخر ؛ لأن الأصل فى الاسماء أن
تكون منصرفة . المصدر السابق الحاشية بهامشه للعليمى الخصى . ومن الآيات
التي ورد فيها منع المصرف :

طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت بشيب غائلة النفوس غدور
فنع صرف شيب وهو علم مصرف وهو شيب بن يزيد رأس الخوارج
: الأزارقة ، وفاعل طلب ضمير يعود على سفيان نائب الحاج ومثله :
وقائلة ما بال دوسر بعدنا صحا قابه عن آل ليلى وعن هند
من معانى قصيدة أنى طالب : حجاب : من معانيها : قصير ، أو الجمل
الضئيل . وتروى بالخاء أيضاً : الضعيف . ها أغمزا للقوم : أى سيلهم الطعن فيهم
تجرجم : سقط وانحدر . ذو علق : جبل فى ديار بنى أسد . والصفر : الخالى
من الآنية وغيره . إلا أن يرس له ذكر : أن يذكر ذكرا خنيا . من نسلنا =

بحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لـ كَانَ حَسَنًا ، كما قُرِئَ : قل : هو الله أحدٌ ،
الله الصَّمَدُ » بحذف التنوين من أحد ، وهي رواية عن أبي عمرو بن العلاء ،
وقال الشاعر :

حميد الذي أبيع داره

وقال آخر :

ولا ذا كرُ الله إلا قليلا

وأنشد قول أبي طالب :

إذا اجتمعت يوما قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا
قوله : سرها أى : وَسَطُهَا ، وسر الوادى وسِرَارَتُهُ : وَسَطُهُ ، وقد تقدم
متى يكون الوسط مدحا ، وأن ذلك فى موضعين : فى وصف الشهود ، وفى
النسب ، وبَيَّنَّا السر فى ذلك .

وقال فى القصيدة : ونضرب عن أحجارها مَنْ يَرُومُها . أى ندفع عن
حصونها ومما قلها ، وإن كانت الرواية : أججارها بتقديم الجيم ، فهو جمع جُجُر
والجُجُر هنا مُسْتَعَارٌ ، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها^(١) .

== شفر : أى : أحد ، يقال : ما بالدار أحد ، وما بها شفر ، وما بها كشيح ، وما بها
عريب ، وما بها ذبيح ؛ وما بها نافخ صرمه كلها بمعنى واحد . أى ما بها أحد .
(١) من معانى القصيدة غث : يعنى ليس له نسبة هنالك . وأصل الغث :
اللحم الضعيف . طاشت حلومها : ذهبت عقولها . انتعش العود الذواء : حيى .
وظهرت فيه الخضرة ، وأصل نعش : رفع . والعود الذواء الذى جفت رطوبته -
الاكناف : النواحي . وأرومها : جمع أرومه : الاصل . انظر ص ٨٣ -
وما بعدها لآبى ذر الخشنى فى شرح السيرة

موقف الوليد بن المغيرة من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش - وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا ، قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، فقل ، وأقم لنا رأيا نقول به ، قال : بل أنتم ، فقولوا أنتم ، قالوا : نقول : كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمنة الكاهن ولا سجنه ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقة ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كاه : رجزه وهزجه وقريضه وقبوضة ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدم ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن قرعه لجناة — قال ابن هشام : ويقال : لعذق — وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

ما نزل في حق الوليد من القرآن :

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ، وفي ذلك من قوله : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً ، وَمَهَدْتُ لَهُ لَئِيمِيّاً ، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً » المذثر : ١١-١٦ .
أى حصياً .

قال ابن هشام : عنيدا : معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :
ونحن ضراءبون رأس العنيد

وهذا البيت في أرجوزة له :

« سَأَرْهَقُهُ صَعُوداً ، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . .
ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ » المذثر : ١٧ : ٢٢ .

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج :

مُضَيَّرَ اللَّاحِظِينَ بَسْرًا مِنْهَا

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت في أرجوزة له :

« ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ : إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ » . المذثر : ٢٣ - ٢٥ .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى : في رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفيما جاء به من الله تعالى ، وفي النفر الذين كانوا معه يُصَتِّفُونَ الْقَوْلَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كَمَا أُنْزِلُنَا عَلَى الْمُقَدِّسِينَ .

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ . فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّهِنَّ أجمعِينَ . عَمَّا
كَانُوا يَعْمَلُونَ « الحجر : ٩٠ - ٩٣

قال ابن هشام : واحدة العِضِينَ : عِضَّةٌ ، يقول : عَصَوْنَهُ : فرقوه . قال
رؤبة بن العجاج :

وليس دينُ اللهِ بالمُعَصَى

وهذا البيت في أرجوزه له .

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفرُ يقولون ذلك في رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - لِمَنْ لَقُوا من الناس ، وصدرت العربُ من ذلك المَوْسِمِ بأمر
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

أبو طالب يفخر بنفسه وابن أخيه

فلما خشي أبو طالب دَهَاءَ العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي
تَعَوَّدَ فيها بِحَرَمِ مكة وبمكانه منها ، وتودَّدَ فيها أَشْرَافَ قومه ، وهو على ذلك
يُخَبِّرُهُمْ وَغَيْرَهُمْ في ذلك من شعره أنه غير مُسْلِمٍ رسولَ الله - صلى الله عليه
وسلم - ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه ، فقال :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَاوُدَ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمَزَائِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَنْظَنَّةَ يَعَصُونَ غَيْظًا خَلَفْنَا بِالْأَمَالِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَاءِ تَمَحُّجَةٍ
 وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
 قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِثَا جَه
 وَحَيْثُ يُنْذِرُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ
 مُؤَسَّمَةُ الْأَعْضَادِ ، أَوْ قَصَرَاتِهَا
 تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا ، وَالرُّخَامَ وَزِينَةً
 أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
 وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيَّةٍ
 وَثَوْرٍ ، وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
 وَبِالْبَيْتِ ، حَقَّ الْبَيْتِ ، مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ
 وَبِالْحَجَرِ الْمُسَوَّدِ إِذْ يَمْسَحُونَهُ
 وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
 وَأَشْوَاطِ بَيْنَ الْمَرُوتَيْنِ إِلَى الصَّفَا
 وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
 وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
 نَوَاقِفَهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةَ
 وَلَيْلَةَ جَمْعِ الْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى
 وَجَمْعِ إِذَا مَا الْمُقَرَّبَاتِ أَجَزَّ نَه

وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
 وَأَمْسَكَتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
 لَدَى حَيْثُ يُقْضَى حَلْفُهُ كُلُّ نَافِلٍ
 بِمُقْضَى السَّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلٍ
 مُحَيَّسَةٌ بَيْنَ السَّدِيسِ وَبَازِلٍ
 بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةٌ كَالْعَمَّاكِلِ
 عَلَيْنَا يَسُوءُ ، أَوْ مُلْحَجٌ بِيَاظِلٍ
 وَمِنْ مُلْحَقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ تُحَاوِلِ
 وَرَاقٍ لِيَزُقِي فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ
 وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ
 إِذَا اكْتَمَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
 عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيَا غَيْرَ نَاعِلِ
 وَمَا فِيهِمَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَائِلِ
 وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذَرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
 إِلَّا إِلَى مُقْضَى الشُّرَاجِ الْقَوَائِلِ
 يُقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرِّوَاكِلِ
 وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
 سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعٍ وَابِلِ

• • • • •

وبالجُمرة الكُبرى إذا صَدَّوْها
 وكِنْدَةَ إذْ هُمْ بِالْحِصَابِ عَشِيَّةَ
 حَلِيفَانِ شَدًّا عَقَدَ مَا احْتَفَلَا لَهُ
 وَحَطَّيْمُهُمْ سَمَرُ الرِّمَاحِ وَسَرَحُهُ
 يَقُولُ بَعْدَ هَذَا مِنْ مَعَاذِ لَعَائِلٍ
 يُطَاعُ بِنَا أَمْرُ الْعِدَا وَدَ أَنْنَا
 كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَتْرُكُ مَكَّةَ
 كَذَبْتُمْ - وَبَيْتِ اللَّهِ - نُبْزِي مُحَمَّدًا
 وَنُؤْمِلُهُ حَتَّى نُنْصِرَّ حَوْلَهُ
 وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
 وَحَتَّى تَرَى ذَا الضُّفْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ
 وَإِنَّا - لَعَمْرُ اللَّهِ - إِنْ جَدَّ مَا أَرَى
 بِكَفِّيَ فَتَى مِثْلَ الشَّهَابِ سَمِيدَعٍ
 شُهُورًا وَأَيَّامًا وَحَوْلًا مُجَرَّمًا
 وَمَاتَرَكُ قَوْمٍ - لَا أَبَالُكَ - سَيِّدًا
 وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَنَامُ بِوَجْهِهِ
 يُلَوِّذُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْزَى أَسِيدٌ وَبَكَرُهُ

وعثمان لم يَرْبَع علينا وقنفذ
أطاعا أبايًّا، وابن عَبدِ بَعُوشِهم
كما قد لَقِينَا مِنْ سُبَيْعٍ وَنَوَافِلِ
فإن يُلْقِيَا، أو يُمَكِّنِ اللهُ مِنْهُمَا
وذاك أبو عمرو أبى غير بُغضنا
يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُنْصَى وَمُضْبَحِ
وَيُؤَلِّي لَنَا بِاللَّهِ مَا إِنْ يَغُشُّنَا
أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنَا كُلَّ تَلْعَةٍ
وسائلُ أبا الوليد ماذا حَبَوْنَنَا
وَكُنْتَ امْرَأً مَعْنَى يُعَاشِ بَرَأِيهِ
فَعَتَبَهُ لَأَسْمَعَ بِنَا قَوْلَ كَاشِحِ
وَمَرَّ أَبُو سَفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضًا
يَفِرُّ إِلَى تَجْدِيدِ وَبَرْدِ مِيَاهِهِ
وَيُخْبِرُنَا فَعَلَ الْمُنَاصِحَ أَنَّهُ
أَمْطَعِمُ لَمْ أَخْذُلْكَ فِي يَوْمِ تَجْدِيدِ
وَلَا يَوْمَ خَضَمَ إِذْ أَنْوَكَ أَلِدَّةُ
أَمْطَعِمُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةُ
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوَافِلًا
ولكن أطاعا أَمَرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
وَلَمْ يَرْقُبَا فِينَا مَقَالَةَ قَائِلِ
وَكُلُّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لَمْ يُجَامِلِ
نَكِلُ لَهَا صَاعًا بِصَاعِ الْمُسَاكِلِ
لِيُظْمِنُنَا فِي أَهْلِ شَاءَ وَجَامِلِ
فَنَاجِ أبا عَمْرِو بِنَا ثُمَّ خَانِلِ
بَلَى قَدْ تَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ
مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبِ قَمَحَادِلِ
بَسْعِيكَ فِينَا مُعْرِضًا كَالْمُخَاتِلِ
وَرَحْمَتِهِ فِينَا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ
حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضِ ذِي دَغَائِلِ
كَأَمْرٍ قِيلَ مِنْ عِظَامِ التَّقَاوِلِ
وَيَزْعُمُ أَنِي لَسْتُ عَنْكُمْ بِغَافِلِ
شَفِيقٌ، وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَاحِلِ
وَلَا مُعْظَمَ عِنْدَ الْأُمُورِ الْجَلَائِلِ
أُولَى جَدَلٍ مِنَ الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ
وَإِنِّي مَتَى أَوْكَلْتُ فَلَسْتُ بِوَائِلِ
عُقُوبَةُ شَرٍّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلِ

.

بميزان قِشْطٍ لَا يُخْسِ شَعِيرَةً له شاهدٌ من نفسه غير عائل
 لقد سَفَهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بنى خَلْفَ قَيْضًا بَنًا وَالْعَبَاطِلَ
 وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ وَآلِ قُصَيٍّ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
 وَسَنَّهُمْ وَنَحْزُومُ تَمَالَوْا وَالْبُؤَا عَايِنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طَمَلٍ وَخَامِلِ
 فَعَبَدَ مَنَافَ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمٍ فَلَا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاعِلِ
 لَعَمْرِي لَقَدْ وَهَنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ وَجِئْتُمْ بِأَمْرِ مُخْطِئٍ لِلْمَفَاصِلِ
 وَكُنْتُمْ حَدِيثًا حَطَبَ قِذْرِ وَأَنْتُمْ أَلَا نَحِطَابُ أَفْذَرٍ وَمَرَاجِلِ
 لَيْسَ بِنِي عَبْدِ مَنَافٍ عُقُوقُنَا وَخِذْلَانُنَا، وَتَرْكُنَا فِي الْمَعَاقِلِ
 فَإِنَّ نَكْ قَوْمًا تَتَنَزَّرُ مَا صَنَعْتُمْ وَتَحْتَكِلِبُوهَا لِقَعَةٍ غَيْرَ بَاهِلِ
 وَسَائِطُ كَانَتْ فِي لَوْئِيٍّ بَنٍ غَالِبِ نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلُّ صَقَرٍ حُلَاحِلِ
 وَرَهْطُ نَفِيلٍ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى وَالْأُمُّ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلِ
 فَأَبْلَغَ قُصَيًّا أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنَا وَبَشَّرَ قُصَيًّا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذُلِ
 وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلًا قُصَيًّا عَظِيمَةً إِذَا مَا لَجَأْنَا دُونَهُمْ فِي الْأَمْدَاخِلِ
 وَلَوْ صَدَقُوا ضَرْبًا خِلَالَ بُيُوتِهِمْ لَكُنَّا أَسَى عِنْدَ النِّسَاءِ الْمَطَاغِلِ
 فَكُلُّ صَدِيقٍ وَابْنٍ أُخْتٍ نَعُدُّهُ لَعَمْرِي - وَجَدْنَا غَيْبَهُ غَيْرَ طَائِلِ
 سِوَى أَنْ رَهْطًا مِنْ كِلَابِ بَنِ مُرَّةٍ بَرَّاءَ إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَةٍ خَاذِلِ
 وَهَنَّا كَلِّهِمْ حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ وَيَخْشَرُ عَنَّا كُلُّ بَاغٍ وَجَاهِلِ
 وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السَّقَايَةِ فِيهِمْ وَنَحْنُ الْكُدَى مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلِ

شَبَابٍ مِنَ الْمُطَيَّبِينَ وَهَاشِمٍ كَبِيضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصَّيَاقِلِ
فَمَا أَدْرَكُوا ذَحْلًا وَلَا سَفَكُوا دَمًا وَلَا حَالَفُوا إِلَّا شِرَارَ الْقَبَائِلِ
بَضْرِبِ تَرَى الْفَتَيَانَ فِيهِ ، كَانَهُمْ ضَوَارِي أَسُودَ فَوْقَ لَحْمٍ خَرَادِلِ
بَنِي أُمَّةٍ مَحْبُوبَةٍ هِنْدِ كَيْتَةٍ بَنِي جُحَجٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بْنِ عَاقِلِ
وَلَكِنَّا نَسْلُ كِرَامٍ لِسَادَةٍ بِهِمْ نُمَيِّ الْأَقْوَامَ عِنْدَ الْبَوَاطِلِ
وَنَعْمَ ابْنُ أَخْتِ الْقَوْمِ غَيْرُ مُكَذِّبٍ زَهِيرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ
أَشْمٌ مِنَ الشَّمِّ الْبَهَائِلِ يَنْتَمِي إِلَى حَسْبٍ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ كَلِفْتُ وَجَدًا بِأَحَدٍ وَإِخْوَتَهُ دَابَّ الْمَحِبِّ الْمَوَاصِلِ
فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا وَزَيْنًا لِمَنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ
فَنَ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مَوْءَلٍ إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ يُؤَالِي إِلَيْهَا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجَىءَ بِسَبَّةٍ تُجَرِّئُ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازِلِ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنْ ابْنَنَا لَا مُكَذِّبُ لَدَيْنَا ، وَلَا يُغْنَى بِقَوْلِ الْبَاطِلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحَدٌ فِي أُرُومَةٍ تُقْصِرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُعْتَاطِلِ
حَدِيثُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالْكَلاكِ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرُ بَاطِلِ
رِجَالٌ كِرَامٌ غَيْرُ مِيلٍ نَمَاهُمْ إِلَى الْخَيْرِ آبَاءُ كِرَامِ الْمَحَاصِلِ

فإن تك كعبٌ من لؤى صُقيبةً فلا بدَّ يوماً مرّةً من تزايلٍ

قال ابن هشام : هذا ما صحّ لي من هذه القصيدة ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينسكراً أكثرها .

قال ابن هشام : وحدّثني مَنْ أثنى به ، قال : أقحط أهلُ المدينة ، فأتوا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فشكروا ذلك إليه ، فصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبرَ فاستسقى ، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهلُ الضواحي يشكون منه الفرقَ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ حَوِّأَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، فأنجاب السحابُ عن المدينة ، فصار حوَّاليتها كالإِكمال ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليومَ لسرّه ، فقال له بعضُ أصحابه : كأنك يا رسولَ الله أردت قوله :

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهه ثِمَالَ اليتامى هِمْمَةً لِلأراملِ

قال : أجل

قال ابن هشام : وقوله « وشِهرَقَه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والغياطل : من بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية . ومُطْعِمُ بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . وزُهَيْر بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمه : عاتكة بنت عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وأسيدٌ ، وبكرُهُ : عتّابُ بن أسيد بن أبي

.

العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وعثمان بن عبيد الله :
أخو طلحة بن عبيد الله التيمي . وقنفذ بن عُمير بن جذعان بن عمرو بن
كعب بن سعد بن تميم بن مرة . وأبو الوليد : عتبة بن ربيعة . وأبي :
الأخنس بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة بن كلاب .

قال ابن هشام : وإنما سمي الأخنس ؛ لأنه خنس بالقوم يوم بدر ، وإنما
اسمه : أبي ، وهو من بني عِلاج ، وهو عِلاج بن أبي سلمة بن عوف بن عتبة .
والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وسُبَيع
ابن خالد ، أخو بلحارث بن فهر . ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى
ابن قصي ، وهو ابن العدوية . وكان من شياطين قريش ، وهو الذي قرن
بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما في حبل حين أسلما ،
فبذلك كانا يُسميان : القرينين ، قتله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر .
وأبو عمرو : قُرَظَة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . «وقوم علينا أظنة» :
بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فهؤلاء الذين عدّد أبو طالب في شعره
من العرب .

ذكر الرسول «ص» ينتشر

فلما انتشر أمرُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - في العرب ، وبلغ البلدان ،
ذُكرَ بالمدينة ، ولم يكن حتى من العرب أعلمُ بأمر رسولِ الله - صلى الله عليه
وسلم - حين ذُكر ، وقبل أن يُذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج ،

• • • • •

بذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم
بنى بلادهم . فلما وقع ذكرهم بالمدينة ، وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف .
قال أبو قيس بن الأسلت . أخو بنى واقف .

أبو قيس بن الأسلت ونسبه وشعره في الرسول « ص »

قال ابن هشام : نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بنى واقف ،
ونسبه في حديث الفيل إلى خَطْمَة ؛ لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخى جده
الذى هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة أن الحكم بن عمرو الففارى من
مولد نَعِيلَة أخى غفار ، وهو غفار بن مُكَلِيل ، ونَعِيلَة بن مُكَلِيل بن ضَمْرَة بن بكر
ابن عبد مناة ، وقد قالوا : عُتْبَة بن غَزْوَان السُّلَمِيّ ، وهو من ولد مازن
ابن منصور وسليم : ابن منصور .

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بنى وائل ، ووائل ، وواقف
وخطْمَة إخوة من الأوس .

قال ابن إسحاق : فقال أبو قيس بن الأسلت — وكان يحب قريشا ،
وكان لهم صِهْرًا ، كانت عنده أزنْب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصَيّ ، وكان

.

يقيم عندهم السنين بامراته — قصيدة يعظم فيها الحرمه ، وينهى قرىشا فيها
عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ،
ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بلاء الله
عندهم ، ودفعه عنهم الفيل وكيداه عنهم ، فقال :

يا راكبا إماما عرّضت قَبْلَـنِ	مُعَلَّلَةً عَنى لُؤىَ بنِ غالِبِ
رسول امرى وقد راعه ذاتُ بَيْنِكُم	على النَّأىِ حَمَزونِ بِذلكِ ناصِبِ
وقد كانَ عَندى للهِمومِ مُعَرَّسٌ	فلم أَقْضِ مِنْها حاجَتى وَمَأْرِبِ
نُبَيْتُكُمْ شَرَجِينَ كلِّ قَبِيلَةٍ	لها أَرْمَلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكَ وَحاطِبِ
أُعِيدْكُمْ باللهِ مِنْ شَرِّ صُنْـمِكُم	وشرِّ تَباعِيكُم وَدَسِّ العَقاربِ
وَإِظْهَارِ أَخلاقِ ، وَنَجْوَى سَقِيمَةٍ	كَوَخِزِ الأَشافي وَقَمْها حَقُّ صائِبِ
فَذَكَّرْهُمْ باللهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ	وَإِحلالِ أَحرامِ الظُّبائِ الشَّوازِبِ
وَقُلْ لَهُمُ وَاللهِ بِحُكْمِ حُكْمَةٍ	ذَرُوا الحربَ تَذْهَبْ عَنْكُمُ فى المَرابِ
مَتى تَبْعُوهَا ، تَبْعُوهَا ذَمِيمَةٍ	هى القُولُ لِلأَقْصَيْنِ أَوْ لِلأَقاربِ
تُقَطَّعْ أَرْحامُها ، وَتُهْلِكُ أُمَمَةٌ	وَتَبْرى السَّدِيفِ مِنْ سَنامِ وَغارِبِ
وَتَسْتَبْدِلُوا بِالْأَتْحَمِيَّةِ بَعْدَها	شَلِيلًا وَأَصْداءَ ثِيابِ المُحارِبِ
وَبِالْمَنسِكَ وَالْكَافورِ غُرباً سَوابِغاً	كَأَنَّ قَتِيرَينِها عَيونُ الجَنادِبِ
فإِياكُمْ وَالْهَرَبَ لا تَعْلَمَنَّكُمْ	وَخَوْضاً وَخَيْمِ المائِ مُرّاً لِلشارِبِ
تَزِينُ لِلأَقْوامِ ، ثُمَّ يَرَوْنِها	بِعاقِبَةٍ إِذْ بَيَّنْتَ ، أَمَّ صاحِبِ

• • • • •

تَحْرِقُ ، لَا تُشَوِّى ضَعِيفًا ، وَتَنْتَحَى ذَوَى الْعِزِّ مِنْكُمْ بِالْخُوفِ الصَّوَابِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ فَعْتَبَرُوا أَوْ كَانَ فِي حَرْبِ حَاطِبٍ
وَكَمْ قَدْ أَصَابَتْ مِنْ شَرِّفٍ مُسَوَّدٍ طَوِيلِ الْعِمَادِ ، ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبٍ
عَظِيمٍ رَمَادِ النَّارِ يُخَمِّدُ أَمْرُهُ وَذَى شَيْمَةٍ تَحْضِرُ كَرِيمِ الْمَضَارِبِ
وَمَاءُ هَرِيقٍ فِي الضَّلَالِ كَأَنَّمَا أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
يُخَبِّرُكُمْ عَنْهَا أَمْرٌ حَقٌّ عَالِمٍ بِأَيَّامِهَا وَالْعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ
فَبَيِّعُوا الْحِرَابَ مِلْمُحَارِبَ ، وَاذْكُرُوا حِسَابَكُمْ ، وَاللَّهُ خَيْرُ مُحَاسِبٍ
وَلَيْ أَمْرِي ، فَاخْتَارْ دِينًا ، فَلَا يَكُنْ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا غَيْرَ رَبِّ الثَّوَابِ

أَقِيمُوا لَنَا دِينًا حَنِيفًا ، فَاتَمُّ لَنَا غَايَةٌ قَدْ يُهْتَدَى بِالدَّوَابِ
وَأَنْتُمْ لَهَذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ تَوْثُونَ ، وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ
وَأَنْتُمْ إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ جَوْهَرٌ لَكُمْ سُرَّةُ الْبَطْنَاءِ ثُمَّ الْأَرَانِبِ
تَصُونُونَ أَجْسَادًا كِرَامًا عَتِيقَةً مُهَذَّبَةً الْأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَائِبِ
يَرَى طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوِيَّوَتَكُمْ عَصَائِبَ هُنْكَ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ سَرَائِكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ أَهْلِ الْجَبَابِغِ
وَأَفْضَلُهُ رَأْيًا ، وَأَعْلَاهُ سُنَّةٌ وَأَقْوَلُهُ لَاحِقٌ وَسَطُ الْمَوَاقِبِ
فَقُومُوا ، فَصَلُّوا رَبَّكُمْ ، وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ

• • • • •

فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ يَلَاءٌ وَمَصْدَقٌ
 غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ
 كَتَبْتُهُ بِالسَّهْلِ مُتَمَنِّي، وَرَجَلُهُ عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ
 فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ، رَدَّاهُمْ جُنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبٍ
 فَوَلَّوْا سِرَاعًا هَارِبِينَ، وَلَمْ يَوْتِبْ إِلَى أَهْلِ مِ الْخُبَشِ غَيْرُ عَصَائِبِ
 فَإِنْ تَهَلَّكُوا، نَهَلِكُ وَتَهَلِكُ مَوَاسِمُ
 يُعَاشُ بِهَا، قَوْلٌ أَمْرِي غَيْرُ كَاذِبِ

قال ابن هشام : أنشدني بيته : « وماء هريق » ، وبيته : « فبيعوا
 الحراب » ، وقوله : « ولي أمرى فاختر » ، وقوله :

على القاذفات في رؤوس المناقب

أبو زيد الأنصاري وغيره .

- جرب داحس :

قال ابن هشام : وأما قوله :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس

نُحْدِثُنِي أَبُو عُبَيْدَةَ النَّحْوِيُّ : أَنَّ دَاخِسًا قَرَسَ كَانَ أَقْبَسَ بِنَ زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ
 بَيْنَ رَوَاحَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازِنَ بْنِ قُطَيْبَةَ بْنِ عَبْسَ بْنِ بَغِيضَ بْنِ رَيْثَ
 ابْنِ غَعْلَفَانَ ، أَجْرَاهُ مَعَ فَرَسٍ لِحُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ زَيْدِ بْنِ جُوَيْبَةَ بْنِ

• • • • •

أَوْذَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَدَى بْنِ قَزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَبِثِ بْنِ غَطَفَانَ ،
يَقَالُ لَهَا : الْغَبْرَاءُ . فَدَسَّ حُدَيْفَةُ قَوْمًا وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَضْرِبُوا وَجْهَ دَاحِسٍ ، إِنْ
رَأَوْهُ قَدْ جَاءَ سَابِقًا ، فَجَاءَ دَاحِسٌ سَابِقًا ، فَضَرَبُوا وَجْهَهُ ، وَجَاءَتِ الْغَبْرَاءُ . فَلَمَّا
جَاءَ فَارِسٌ دَاحِسٌ أَخْبَرَ قَيْسًا الْخَبَرَ ، فَوُثِبَ أَخُوهُ مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ ، فَلَطَمَ وَجْهَ
الْغَبْرَاءِ ، فَقَامَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ ، فَلَطَمَ مَالِكًا . ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْجُفَيْدِ الْعَبْسِيَّ لَقِيَ
عُوفَ بْنَ حُدَيْفَةَ فَمَقَتَلَهُ ، ثُمَّ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ بَنِي قَزَارَةَ مَالِكًا فَمَقَتَلَهُ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ
بَدْرِ أَخُو حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ :

قَتَلْنَا عُوفَ مَالِكًا وَهُوَ ثَأْرُنَا فَإِنْ تَطَلَّبُوا مَنَّا سَوَى الْحَقِّ تَنَدَّمُوا

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبِيَاتٍ لَهُ . وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ الْعَبْسِيُّ :

أَفْبَعَدَ مَقْتَلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

فَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَبْسٍ وَقَزَارَةَ ، فَقُتِلَ حُدَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ وَأَخُوهُ حَمَلُ
ابْنِ بَدْرِ ، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ جَدِيْمَةَ يَرْتِي حُدَيْفَةَ ، وَجَزَعَ عَلَيْهِ :

كَمْ فَارِسٍ يُدْعَى وَلَيْسَ بِفَارِسٍ وَعَلَى الْهَمَامَةِ فَارِسٌ ذُو مَصْدَقٍ
فَأَبْكُوا حُدَيْفَةَ لَنْ تُرْثَوْا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قَبَائِلُ لَمْ تُخْلَقْ

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي أَبِيَاتٍ لَهُ . وَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

عَلَى أَنْ أَلْقَى حَمَلُ بْنُ بَدْرِ بَنَى ، وَالظُّلُمُ مَرَّتَهُ وَخِيمُ

.

وهذا البيت في أبيات له : وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير :
تركتُ على الهباءِ غيرَ فخرٍ حذيفةً عنده قصْدُ العوالى
وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قيسٌ داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفةً
الخطارَ والحنفاء ، والأول أصحُّ الحديثين . وهو حديث طويل مَنعنى من .
استقصائه قطعهُ حديثَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرب حاطب

قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » . فيعنى حاطب بن الحارث .
ابن قيس بن هَيْشَةَ بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عَوْف بن
عَمْرُو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ، فخرج
إليه يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمَر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن
الخزرج بن الحارث بن الخزرج — وهو الذى يقال له : ابن فُسَيْحُم ، وفُسَيْحُم : أمه ،
وهى امرأة من لُحَيٍّ بن جَسْر — ليلاً فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج
فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فافتتلوا قتالا شديداً ، فكان
الظفر للخزرج على الأوس ، وقُتل يومئذٍ سُويد بن صامت بن خالد بن عطية .
ابن حَوْط بن حبيب بن عَمْرُو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قتله المُجَذَّر بن ذِيَادِ
البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج . فلما كان يوم أحد .

.

خرج المجذّر بن ذِيَّاد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخرج معه الحارث بن سُوَيْد بن صامت ، فوجد الحارثُ بن سُوَيْد غِرَّةً من المَجْدَر فقتله بأبيه .
وسأذكر حديثه في موضعه - إن شاء الله تعالى - ثم كانت بينهم حروب منغني .
من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس .

حكيم بن أمية ينهى قومه عن عداوة الرسول

قال ابن إسحاق : وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص التميمي ،
حليف بني أمية وقد أسلم ، يورّع قومه عَمَّا أجمعوا عليه من عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفاً مطاعاً :

هل قائلٌ قولاً من الحقّ قاعدٌ عليه، وهل غضبانٌ للرّشد سامعٌ
وهل سيّدٌ ترجو العشيرةُ نفعه لأقصى الموالى والأقارب جامعٌ
تبرأتُ إلا وجهه مَنْ يملك الصّبا وأهجركم مادام مُدلي ونازع
وأُسليمٌ وخيبي للإله ومنطقي ولو راعني مِنَ الصّديق روائع

موقف الوليد بن المغيرة :

وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله : فيما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - من الوحي والقرآن : قد سمعنا الشعر فما هو بهزجه ، ولا رجزه .
والهزج من أعارض الشعر معروفٌ عند العروضيين ، ولا أعرفُ له اشتقاقاً

إلا أن يكون من قولهم في وصف الذباب : هَزَجٌ ، أى : مُتَرَنِّمٌ (١) ، وأما الرَّجَزُ فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرَّجَازة ، وهو شيء يعدل به الحمل ، وكذلك الرَّجَزُ في الشعر أشطار مُعَدَّلَةٌ ، ويجوز أن يكون من رَجَزَتْ الناقة إذا أصابها رَغْدَةٌ عند قيامها ، كما قال الشاعر : حتى تقوم تكلف الرجزاء (٢) فالمرتجز كأنه مُرْتَمِدٌّ عند إنشاده لقصير الأبيات (٣) .

(١) في المعجم الوسيط : هزج بفتح فسكر هزجا بفتح أوله وثانيه : تغنى . والهزج كل صوت فيه ترنم خفيف مطرب وصوت فيه بحج ، وصوت الرعد وصوت الذباب ، ونوع من بحور الشعر العربي والفارسي ، سمى بذلك لتقارب أجزائه ، وهى : مقاعيلن ست مرات ، مجزوء وجوبا ، أى بأربع تفعيلات ، كل اثنين في شطرة

(٢) المظرة في اللسان وفيه : الرجزاء ، وفي الروض كانت الرجزاء بلامزة .

وفي أمالي القالى ج ٢ ص ٢٨٠ والرجز أن يعد عجز البعير إذا أراد النهوض ، وأنشد :

تجد القيام كأنما هو نجدة حتى تقوم تكلف الرجزاء
وفي سبط اللآلى شرح أمالي القالى للبكرى : وهو لآلى النجم ارتجله عند عبد الملك حين قال له : إنك لا تحسن القصيد ، فقال : إني لأحسنه ، فقال : فقل في هذه الجارية ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : شعشاء ، وكانت أدماء ، فقال :

علق الهوى ببائل الشعشاء والموت بعض حبائل الأهواء
والنجدة الشجاعة والشدة ص ٩٢٤ .

(٣) الرجز : بحر من بحور الشعر ، وقد قال الحرابي : لم يبلغنى أنه جرى على

.

وقوله : قد سمعنا الكهان ، فما هو بَرْمَزَمَةِ الكاهِنِ ولا سَجْمَه : الزَّمَزَمَةُ صوت ضعيف كنعو ما كانت الفُرْسُ تفعله عند شربها الماء ، ويقال أيضا : زَمَزَمَ الرَّغْدُ ، وهو صوت له قبل التَّهْدِيرِ ، وكذلك الكُتَّان ، كانت لهم زَمَزَمَةُ الله أعلم بكَيْفِيَّتِهَا ، وأما زَمَزَمَةُ الفُرْسِ ، فكانت من أنوفهم .

وقول الوليد : إن أصله لَمَعْدَقٌ ، وإن فَرْعَه لَجَنَآةٌ . استعارة من النخلة التي ثَبَتَ أصلُها ، وقوى وطاب فرعها إذا جنى^(١) ، والنخلة هي : المَعْدَقُ بفتح

== لسان النبي صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز لإلضربان : المنهوك والمشطور ولم يعدهما الخليل شعرا ، فالمنهوك كقوله : في حديث رواه البخاري وأحمد ومسلم والنسائي :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب .
والمشطور كقوله ، في رواية جندب ، هو في البخاري . .

هل أنت إلا أصابع دمية وفي سبيل الله ما لقيت
وقوله : أنا ابن عبد المطلب ليس افتخارا ، فقد كان يكره الانتساب إلى الآباء الكفار . ولكنه أشار إلى رؤيا رآها عبد المطلب كانت مشهورة عندهم ، رأى تصديقها ، فذكرهم إياها بهذا القول وانظر النباية لابن الأثير ، والرجز مركب من «مستفعلن» ست مرات . والمشطور منه ما كان على ثلاث تفعيلات ، ويعتبر البيت في الوقت . نفسه شطرة فلا يحزأ به ذلك مثل :

رب أخ لي لم تلده أمي
والمنهوك ما بقي على تفعيلتين
مثل :

إلهنا ما أعد لك

ولم تكن العرب تعرف لهذه البحور هذه الأسماء .

(١) كل ما يجنى فهو جنى وجنأة ، وفي حواشي أبي ذر : أي : فيه تمر يجنى ، وفي =

العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ؛ لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ، ورواية ابن هشام : إن أصله لَغَدَقٌ ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غَيَّدَقَ الرجلُ إذا كثر بصاقه ، وأخذُ أعمام النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يُسَمَّى : الْغَيَّدَاقَ لِكثَرَةِ عَطَائِهِ ، وَالْغَيَّدَاقُ أَيْضاً وَلَدُ الضَّبِّ ، وهو أكبر من الحِجْلِ قاله قُطْرُبٌ في كتاب الأفعال (١) .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول الله تعالى : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً » الآيات التي نزلت في الوليد ، وفيها له تهديد ووعيد شديد ، لأن مَعْنَى : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ » أي دَعْنِي وإِيَاهُ ، فسترى ما أصنع به ، كما قال : « فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ » الفلم : ٤٤ وهي كلمة بقولها المغتاض إذا اشتد غيظه وغيضه ، وكره أن يُشَقِّقَ لِمَنْ اغتاض عليه ، فعنى الكلام : أي : لاشفاعة تنفع لهذا الكافر ، ولا استغفار يا محمد منك ، ولا من غيرك وقوله : « وبنين شهوداً » أي : مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه ، لأن ماله كان ممدوداً والمال المدود عندهم : اثنا عشر ألف دينار ، فصاعداً « وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً »

رواية البيهقي : « وإنه لمشر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته ، وفي رواية الحاكم : « وإنه لمنير أعلاه مشرق أسفله ، وقد أخرج الحديث الحاكم وصححه عن ابن عباس ، وقريب منه ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق أخرى .

(١) انظر ص ٩٢ نوادر أبي زيد .

أَيُّ هَيَّاتُ لَهُ ، وَقَدِمَتْ لَهُ مَقْدَمَاتُ اسْتِغْثَارِ جَا لَهُ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا » هِيَ عَقَبَةٌ فِي جَهَنَّمَ ، يُقَالُ لَهَا : الصَّعُودُ مَسِيرُهَا سَبْعِينَ سَنَةً ، يَكْلَفُ الْكَافِرُ أَنْ يَصْعَدَهَا ، فَإِذَا صَعَدَهَا بَعْدَ عَذَابٍ طَوِيلٍ صَبَّ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَلَا يَنْتَفِسُ ، ثُمَّ لَا يَزَالُ كَذَلِكَ أَبَدًا ، كَذَلِكَ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ (١) .

وقوله سبحانه : « فَقَتِلْ كَيْفَ قَدَّرَ » أَيُّ : لَعْنٍ كَيْفَا كَانَ تَقْدِيرُهُ . فَكَيْفَ هَاهُنَا مِنْ حُرُوفِ الشَّرْطِ ، وَقِيلَ مَعْنَى قَتْلٍ : أَيُّ هُوَ : أَهْلٌ أَنْ يُدْعَى عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ ، وَقَدْ فَسَّرَ ابْنُ هِشَامٍ : بَسْرُ وَالْبَسْرُ أَيْضًا : الْقَهْرُ ، وَالْبَسْرُ حُلُّ الْفَصْلِ عَلَى النَّاقَةِ قَبْلَ وَقْتِ الضَّرَابِ . وَفَسَّرَ عِضِينَ ، وَجَعَلَهُ مِنْ عَضَّيْتُ أَيُّ فَرَّقْتُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا تَعْضِيَّةٌ فِي مِيرَاثٍ إِلَّا مَا احْتَمَلَهُ الْقَدَمُ » وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ مُوَافِقٌ لِلْمَذْهَبِ ابْنِ الْقَاسِمِ وَرَأْيُهُ فِي كُلِّ مَا لَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِذَا قَسَمَ (٢) . أَوْ كَانَ فِيهِ ضَرَرٌ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ أَلَا يَقْسَمُ ، وَهُوَ خِلَافُ رَأْيِ مَالِكٍ ، وَحُجَّةُ مَالِكٍ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « يَمَّا قُلْ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَفْرُوضًا » النِّسَاءُ : ٧ . وَقَدْ قِيلَ فِي عِضِينَ إِنَّهُ جَمْعُ عِضَّةٍ ، وَهِيَ السَّحَرُ وَأَنْشَدُوا :

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ ثُمَّ قَالَ : غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لُحَيْعَةَ عَنْ دِرَاجٍ ، وَابْنِ لُحَيْعَةَ ضَعِيفٌ ، وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ : هُوَ تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ، فَقَدْ قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ : سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا : أَيُّ مُشَقَّةً مِنَ الْعَذَابِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ : عَذَابٌ لَارَاحَةَ فِيهِ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ . أَوْ قَرِيبًا مِنَ الْعَذَابِ الشَّاقِّ لِبَعْدِهِ عَنِ الْإِيمَانِ .

(٢) مِثْلُ هَذَا الَّذِي يُضَارُّ بِهِ الْوَرِثَةُ : قَسَمُ الْجَوْهَرَةِ أَوْ الطَّيْلِيسَانِ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَهَذَا بَيَّاعٌ وَيَقْسَمُ ثَمَنَهُ بَيْنَ الْوَرِثَةِ ، لِأَنَّ التَّقْسِيمَ فِيهِ ضَرَرٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الْوَرِثَةِ . (م - ٦ - الرُّوضُ الْإِنْفِ ج ٣)

أعوذ بربي من النافثات في عَقْدِ المَاضِي المَاضِي
ومنه قولهم :

يَا لِلْعَضِيَّةِ^(١) وَيَا لِلْأَفِيكَةِ [وَيَا لِلْبَيْتَةِ]

شرح لاصية أبي طالب :

فصل : وذكر قصيدة أبي طالب إلى آخرها ، وفيها : وأبيض عَضِيَّةٍ
من ثُرَاثِ المَقَاوِلِ . قد شرحنا الأقيال والمَقَاوِلِ ، فيما تقدم ، وثرَاثِ أصله :
وُورَاثِ من وُورَثَ ، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا في مواضع محفوظة ،
وعِلْمُهَا كثرة وجود التاء في تصاريف الكلمة ، فالثرَاثِ مال قد تُوُورَثَ ،
وتَوَارَثَهُ قوم عن قوم ، فالتاء مستعملة في التورِثِ والتوارث ، وكذلك تجاه
البيت ، التاء مستعملة في التَوَجُّهِ والتَّوَجُّيه ونحوه ، فلما ألقوها في تصاريف الكلمة :
لم ينسكروا قلب الواو إليها ، كما فعلوا في ريحان وهو من الرُّوح لكثرة الياء .

(١) كسرت اللام في ثلاث الكلمات على معنى : اعجبوا لهذا العضية الخ ، فإذا
فتحت فمعناه الاستغاثة ، ويقال ذلك عند التعجب من الإفك العظيم والزيادة من
اللسان . وعضه بفتح الضاد وكسرهما . وأعضه جاء بالعضية ، وعضه يعضه .
بفتح الضاد . قال فيه ما لم يكن وفي البخاري عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال :
هم أهل الكتاب جزأوه أجزاء ، فأمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ونسب إلى ابن عباس
أيضاً في غير البخاري أنه قال عن عضين : السحر . قال عكرمة : العضه : السحر .
بلسان فريش . ورأى ابن عباس الذي ذكره البخاري هو الأوفق

في تصاريف الكلمة ، كما قدمنا قبل ، وهي في تراث وبابه أبعد ؛ لأن الياء المألوفة في مادة الكلمة زائدة ، وياه ربحان ليست كذلك ، وكذلك التَّكَاة من توكلات وتترى من التواتر ، والتَّوَلَّج من التَّوَلَّج والمُتَلَّج ، لأنهم يقولون : اتَّلَجَ بالتشديد ، فتصير الواو تاء للإدغام ، حتى يقولوا : مُتَلَّج فيجعلونها تاء دون الإدغام ، وهذا أشبه بقياس ربحان وبابه ؛ فإن التاء الأولى من مُتَلَّج أصلية وهي في مُتَلَّج إذا ضُعِّفَت أصلية أيضاً ، فهي هي ، فقف على هذا الأصل ؛ فإنه سر الباب (١) . وأراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكا ، ولا كان فيهم من ملكٍ بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل : هل كان في آباءه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابنُ ذى يزن لعبد المطلب هباتٍ جزلة حين وفد عليه مع قريش ، يهنتونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعامين .

وقوله : مُوسِمَةُ الأَعْضَادِ أو قَصْرَاتِهَا : يعنى [مُعَلِّمَةٌ] بِسَمَةِ فِي أَعْضَادِهَا (٢) ،

(١) جاء في شرح الشافية للرضي : وأعلم أن التاء قريبة من الواو في المخرج لكون التاء من أصول الثنايا ، والواو من الشفتين ، ويجمعهما الهمس ، فتتبع التاء بدلا منها كثيرا ، لكنه مع ذلك غير مطرد إلا في باب افتعل نحو تراث وتولج وتترى من المواثرة والتلج بضم التاء وفتح اللام وفرخ العقاب ، والتكأة وتقوى وتوراة عند البصريين فوعلة من وري الزند كتولج ، فإن كتاب الله نور ، وعند الكوفيين هما تفعلة وتفعّل ، والاول أولى لكون فوعّل أكثر من تفعّل ، ص ٨٠ - ٣٠ ومنه تجاه ، وتكلان وتلاد ، وتيقور ، وتهمة وتوأم ، وتخمة وتلاد فأصلها : وجه ، ووكل وولاد ، ووقر ووهم ووأم ووخم وولاد وأصل توراة : ووراة .

(٢) موسمة الأعضاء : معلمة ، والسمة العلامة ، القصرات : أصول الاعناق وزيادة معلبة التي وضعها بين قوسين يقتضيها السياق .

ويقال لذلك الوسم السَّطَاع والخَبَاط في الفخذ والرقمة أيضاً في المَضد ، ويقال للوسم في الكَشْح : الكِشاح ولما في قَصرة العُنُق : العِلَاط ، والمَلَطَتَان والشَّعْب أيضاً في العنق ، وهو كالمَحَجَن ، وفي العُنُق وسم آخر أيضاً يقال له : قَيْدُ الْفَرَس . قال الراجز :

كُومٌ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَيْدُ الْفَرَسِ تنجوا إذا الليل تدانى ، والتبس

ولوسوم الإبل أسماء كثيرة وباب طويل ، ذكر أبو عبيد أكثره في كتاب الإبل ، فمنها الْمُشَيْطَلَةُ والمُفَمَّاة والقُرْمَة وهي في الأنف ، وكذلك الجُرْف والخَطَاف وهي في العنق ، والدَّلْو والمُشْط وَالْفَرْتَاغ والثَوْتُور والدَّمَاع في موضع الدمع ، والصَّدَاغ في موضع الصَّدْغ واللَّجَام من الخلد إلى العين ، يقال منه : بعير مَلْجُوم ، والهِلَال والخِرَاش وهو من الصَّدْغ إلى الذقن .

وقوله : أَوْقَصَرَاتِهَا جمع قَصْرَة ، وهي أصل العنق ، وخفضها بالمعطف على الأعضاء ، ولا يجوز أن تكون في موضع نصب كما تقول : هو ضارب الرجل وزيداً في باب اسم الفاعل ؛ لأن قوله : مَوْسِمَةُ الأَعْضَاد من باب الصفة المشبهة ، وهي لا تعمل إلا مُضْمَرَة ، واسم الفاعل يُضْمَر إذا عطف على المخفوض ، وذلك أن الصفة لا تعمل بالمعنى ، وإنما تعمل بِشَبْهِ لَفْظِي يَدْنَاهَا ، وبين اسم الفاعل ، فإذا زال اللفظ ، ورجع إلى الإضمار لم تعمل ، وتختلف اسم الفاعل أيضاً ؛ لأن معمولها لا يتقدم عليها ، كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل ، وذلك أن منصوبها فاعل في المعنى ، والفاعل لا يتقدم ، والصفة

لا يُفصل بينها وبين منصوبها بالظرف ، ويجوز ذلك في اسم الفاعل ، والصفة لا تعمل إلا بمعنى الحال ، واسمُ الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، نعم ويعمل بمعنى الماضي إذا دخلت عليه الألف واللام ، ولوروى : موسمة الأعضاء بنصب الدال على معنى : موسمة الأعضاء بالتنوين ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، لجاز كما روى في شعر خندج (١) :

كَبِكْرٍ مُقَانَاةٍ بِيَاضٍ

(١) في الأصل : جندج ، ومقناة التي ستأتي في الشطرة ، وهما خطأ ، والصواب ما أثبتته ، وجاء صواب مقناة في موضع آخر من الروض . وخندج هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلي ، والشعر من معلقته المشهورة ، والرواية في المعلقة ، وفي اللسان هكذا .

كَبِكْرٍ الْمُقَانَاةِ الْبِيَاضِ بِصَفْرَةٍ غَذاها نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرَ مُحَلَّلٍ
البكر من كل صنف مالم يسبقه مثله . والمقناة : الخلط ، والمقناة — كما يقول الزوزني — مصوغة للفعول دون المصدر ، وفي اللسان : في شرح كبكر الخ . . . أي : كالبيضة التي هي أول بيضة باضتها النعامة التي قوتى بياضها بصفرة ، أي : خلط بياضها بصفرة . . . فترك الألف واللام من البكر ، وأضاف البكر إلى نعمتها ، وفي اللسان له معنى آخر : « أراد : كبكر الصدفة المقناة البياض بصفرة ؛ لأن في الصدفة لونين من بياض وصفرة أضاف الدرة إليها ، وبكر الصدفة درتها التي لم ير مثلاً . . . شبهها في صفاء اللون ونقاؤه بدرة فريدة تضمنتها صدفة بيضاء شابت بياضها صفرة ، ويقول الزوزني : يورى البيت بنصب البياض وخفضه ، وهما جيدان بمنزلة قولهم زيد الحسن الوجه ، والحسن الوجه الخفض على الإضافة والنصب على التشبيه كقولهم : زيد الضارب الرجل ، ص ١٥ وما بعدهما لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ط ١٢٨٨ واللسان مادة قنا . هذا ورواية مقناة مقترنة بالألف واللام لاتأني بالتنوين . وقد جاء تصويب مقناة في مكان آخر بمقناة .

بالنصب وبالرفع أيضاً ، أى : البياض منها على نية التنوين فى مقاناة ، وحذفه لالتقاء الساكنين ، وأما الخفض فلا خفاء به ، وإذا كانت القصرات مخفوضة بالمطف على الأعضاد ، ففيه شاهد لمن قال : هو حسن وجهه كما روى سيبويه حين أنشد :

كَمَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا (١)

(١) أنشده سيبويه فى الكتاب ص ١٠٢ ط ١ ص ١٣١٦ فى بيتين للشاخ ابن ضرار من قصيدة تبلغ أكثر من عشرين بيتاً ، والبيتان اللذان أنشدهما سيبويه

أمن دمتين عرس الركب فيهما بحقل الرخامى قد عفا طلالهما
أقامت على ربعيها جارتا صفا كميता الأعلى جونتا مصطلاهما

وتروى الشطرة الثانية من البيت الأول : « قد أنى لبلاهما » وفى الشعر شاهد على أن الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهر مضاف إلى ضمير صاحبها . والدمنة : الموضع الذى أثر الناس فيه بنزولهم وإقامتهم ، وعرس : نزل آخر الليل قليلا للاستراحة ، والركب : جمع ركب والطلال : ما بقى من آثار الدار ، والرخامى : شجر مثل الضال ، وهو السدر البرى . والبلى : الفناء ، وأنى : حان . والربع : الدار والمنزل ، والضمير فى ربعيها للدمنتين خلافا للمرتضى الذى يزعم فى أماليه أنه لامرأتين سيأتى ذكرهما ، ولم يتقدم . والصفى : الجبل . وجارتاه : أنثيتان . أى حيران للقدر — مقطوعتان من الجبل ، وتقربان منه ، فيكون هو ثالثة الاثنتى . وكميता الأعلى : صفة جارتا صفا ، وكميता مثنى : كميता بالتصغير من الكميता ، وهى الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد ، الأعلى : أعلى الجارتين شبه أعلاهما بلون الكميता ؛ لأن النار لم تصل إليه ففسوده ، وجونتا مصطلاهما =

وفي حديث أم زرع : صِفَرُ رَدَائِهَا ، وَمِلءُ كَسَائِهَا (١) مثل حَسَنَةُ وَجْهِهَا ،

== صفة أخرى لجارتا صفا ، والجونة : السوداء ، وهو صفة مشبهة ، والمصطل على اسم مكان الصلاة ، أى : الاحتراق بالنار ، فيكون المصطل على موضع إحراق النار . يريد إن أسافل الأثافي والأثافي هي أرجل القدر الذى يطبخ عليه ، قد اسودت من إيقاد النار بينها . . . كل هذا فى وصف القدر الذى كان للأحبة بجوار الجبل يوقدون فيه النار . ومحل الشاهد فى قوله : جوتنا مصطلها . فإنه أضاف جوتنا إلى مصطلها ، لجوتنا بمنزلة : حسنتا ، ومصطلها بمنزلة . وجهها ، والضمير الذى فى مصطلها يعود على قوله : جارتا صفا ، وفى خزائن الأدب للبغدادى تفصيل لما دار حول هذا البيت الذى استشهد به سيبويه ، أقامت على ربيعهما ، الخ فى قرابة عشر صفحات من ٢١٩ إلى ٢٢٨ > ٤ ط السلفية ، وانظر كتاب سيبويه ص ١٠٢ > ١ ، والامالى للمرتضى > ٣ ص ١١٨ والاشمونى مع حاشية الصبان > ٣ ص ١٠ ط ١٣٠٥ .

(١) حديث أم زرع أخرجه البخارى ومسلم والترمذى فى الشمائل والطبرانى وأبو يعلى وغيرهم ، وفيه تتحدث عائشة - رضى الله عنها - عن إحدى عشرة امرأة من أهل اليمن تعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ، ثم مضت تقص عائشة ما قالته كل زوجة حتى الحادية عشرة التى قالت : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ . . ثم مضت هذه فى ثنائها العظم على زوجها وأهله حتى بلغت ذكر ابنة أبى زرع ، فقالت عنها : طوع أبيها ، وطوع أمها ، وزين أهلها ونسائها ، وملء كسائها ، وصفر رداثها ، وغيظ جارها ، ثم تختم عائشة رضى الله عنها قصة أم زرع بأن زوجها طلقها ، فنسكت بعده رجلا سريا تقول عنه أم زرع : ولو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع . قالت عائشة : فقال لى رسول الله ص . كنت لك كأتى زرع لأم زرع ، إلا أنه طلقها ، وإنى لا أطلقك ، فقالت عائشة : وبأى أنت وأمى ، لانت خير لى من أبى زرع لأم زرع والمقصود من صفر رداثها أنها ضامرة البطن ، فكان رداؤها صفرا أى خاليا لشدة ضمور بطنها ، والرداء يفتى إلى البطن ، فيقع عليه .

وفي الأمالى من صفة النبي صلى الله عليه وسلم : شَتْنُ الكَفَيْنِ (١) طَوِيلُ
أَصَابِعِهِ ، أَعْنَى : مثل صِفْرِ رَدَائِهَا .

وقوله : ترى الودع فيه . الْوَدَعُ ، وَالْوَدْعُ بالسكون والفتح : خرزاته
تنظم ، ويتحلى بها النساء والصبيان كما قال :

[السَّنُّ مِنْ جَلَنَزِيْرٍ عَوْزَمٍ خَلَقِيْ]
وَالْحِلْمُ حِلْمٌ صَبِيْ يَمْرُسِيْ (٢) الْوَدْعَ

وقال الشاعر :

إِنْ الرُّوَاةُ بَلَا قَهْمٍ لَّمَّا حَفَظُوا مِثْلَ الْجَمَالِ عَلَيْهَا يُحْمَلُ الْوَدْعُ
لَا الْوَدْعُ يَنْفَعُهُ حَمْلُ الْجَمَالِ لَهُ وَلَا الْجَمَالُ بِحَمْلِ الْوَدْعِ تَنْتَفِعُ

ويقال : إِنْ هَذِهِ الْخُرَزَاتُ يَقْذِفُهَا الْبَحْرُ ، وَأَسْمَا حَيَوَانَ فِي جَوْفِ الْبَحْرِ ،
فَإِذَا قَذَفَهَا مَاتَتْ ، وَلَهَا بَرِيقٌ وَلَوْنٌ حَسَنٌ ، وَتَصْلُبُ صَلَابَةَ الْحَجَرِ ، فَتَنْقَبُ ،
وَيَتَخَذُ مِنْهَا الْقَلَائِدُ ، وَاسْمُهَا مُشْتَقٌّ مِنْ وَدَعْتُهُ أَيْ : تَرَكْتُهُ ، لِأَنَّ الْبَحْرَ يَنْقُصُ .

(١) ورد أنه شتن الكفين والقدمين في أحاديث بعضها رواه البخاري
والترمذي ، والمعنى أن كفيه وقدميه يميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو اللحم
في أنامله غلظ بلا قصر ويحمد هذا في الرجل لأنه أشد لقبضته ، ويذم في النعام
وفي حديث المغيرة : شش الكف . أى غليظته ،

(٢) يلوكه ويمصه والبيت في الأصابعيات لرجل من تميم

عنها وبدعها ، فهي ودّع مثل قَبْض ونَفَض^(١) ، وإذا قلت الودّع بالسكون فهي من باب ما سمي بالمصدر .

وقوله : والرّثام أى : ما قطع من الرّثام ، فنظم وهو حجر أبيض .
 ناصع : والعناكل : أراد العناكيل^(٢) ، لحذف الياء ضرورة كما قال ابن
 مضاض : وفيها المصافر ، أراد : المصافير ، وفي أول القصيدة : وقد حالفوا قوماً
 علينا أظفّة [جمع ظنّين^(٣)] أى مُتَمِّم ، ولو كان بالضاد مع قوله : علينا ، لعاد
 معناه مدحاً لهم ، كأنه قال : أشجّة علينا ، كما أنشد عمرو بن بحر [الجاحظ] :

لو كنت في قوم عليك أشجّة عليك ألا إن من طاح طائح
 يودون لو خاطوا عليك جلودهم

وهـل يدفع الموت النفوس الشعائخ^(٤) .

(١) القبض بمعنى : مقبوض . النفض بفتح وسكون : مصدر نفضت الثوب
 والشجرة وبالتحريك ما تساقط من الورق والثمر والنفض بقاء ساكنة مع كسر
 النون : خرم النحل في العسالة أو مامات منه فيها . أو هو بالقاف وبالتحريك :
 ما سقط من الورق والثمر وحب العنب حين يوجد بعضه في بعض .

(٢) العناكل : جمع عسكال ، وعسكول : الأغصان التي يثبت عليها الثمر
 الخشنى .

(٣) زيادة ليست في الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) البيتان في البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص ٥٠ - ٥١
 ط ١٩٤٨ والبيت الأول يروى هكذا . .

لقد كنت في قوم عليك أشجّة بنفسك لولا أن من طاح طائح
 وهما للأغر ، والأغر لقب لشاعرين من بني يشكر بن وائل .

.

وفيها :

وَنُورٍ وَمِنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ وِرَاقٍ لِيرَقِي فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

نور : جبل بمكة ، وثبير : جبل من جبالها ذكروا أن ثبيراً كان رجلاً من هذيل مات في ذلك الجبل ، فعرف الجبل به ، كما عرف أبو قبيس بقبيس بن شالح رجل من جرهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مضاء ، وبين ابنة عمه مية ، فنذرت ألا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها ، فحلف ليقتلن قبيساً ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وانقطع خبره فإمّات ، وإما تردى منه ، فسمى الجبل : أبا قبيس^(١) وهو خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الكتاب .

وقوله : وِرَاقٍ لِيرَقِي قد تقدم القول فيه ، وأصح الروايتين فيه : وِرَاقٍ لِيرَقِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ^(٢) . قال البرقي : هكذا رواه ابن إسحاق وغيره ، وهو الصواب . قال المؤلف : فالوهم فيه إذا من ابن هشام ، أو من البكائي . والله أعلم .

وقوله : وبالحجر الأسود ، فيه زحاف^(٣) يسمى : الكف ، وهو حذف

(١) في القاموس : سمى برجل من مذحج حداد لأنه أول من بنى فيه :

(٢) وفي رواية : وعير وِرَاقٍ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ . . وعير : اسم جبل .

(٣) في السيرة : المسود . فلا يكون زحاف الكف

النون من مفاعيلن^(١) وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول خُنْدُجٍ :

أَلَا رَبَّ يَوْمَ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ^(٢)

وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك .

وقوله : إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل . الأصائل : جمع أصيلة ، والأصل جمع أصيل ، وذلك أن فعاثل جمع فعيلة ، والأصيلة : لغة معروفة في الأصيل ، وظن بعضهم أن أصائل : جمع آصال على وزن أفعال ، وآصال : جمع أصل نحو أطناب وطنب ، وأصل : جمع أصيل مثل رُغِفَ : جمع رغيف ، فأصائل على قولهم : بَجَعَ بَجْعَ الْجَمْعِ ، وهذا خطأ بين من وجوه ، منها : أن جمع جمع الجمع لم يوجد قط في الكلام ، فيكون هذا نظيره ، وعن جهة القياس إذ كانوا لا يجمعون الجمع الذي ليس لأدنى العدد ، فأحرى ألا يجمعوا جمع الجمع ، وأبين خطأ في هذا القول غفلتهم عن الهمة التي هي فاء الفعل التي في أصيل وأصل ، وكذلك هي فاء الفعل في أصائل ، لأنها فعاثل ، وتوهوها زائدة كالتى في أقاويل ، ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل ، وإنما هي عينه ، كما هي في أصيل وأصل ، فلو كانت أصائل جمع آصال ، مثل أقوال

(١) من تفعيلات البحر الطويل وهي : فعولن مفاعيلن . أربع مرات للبيت الواحد .

(٢) هو من معلقته ، وشطرته الأخرى : ولاسيما يوم بدارة جملج . وللشطرة الأولى رواية لم يدخلها زحاف الكف ، وهي : ألا رب يوم كان منهن صالح . ودارة جملج : غدبر بعينه .

وأقاول لا اجتمعت همزة الجمع مع همزة الأصل ولقالوا فيه : أواصيل بقسميل .
 الهمزة الثانية ، ووجه آخر من الخطأ بين أيضاً ، وهو أن أقاعيل جمع أفعال ،
 لا بُدَّ من ياءٍ قبل آخره ، كما قالوا في أقاول ، فكان يكون أواصيل .
 وليس في أصائل حرف مَدَّوَيْنٍ قبل آخره إنما هي همزة فعائِل ، ومن الخطأ
 في قولهم أيضاً : أن جعلوا أصلاً جمعاً كثيراً مثل رُغِف ، ثم زعموا أن أصالا
 جمعٌ له ، فهم بمنزلة من قال في رُغِف جمع أرغاف ، فإن قيل : فجمع أى شيء .
 هي أصال ؟ قلنا : جمع أصل الذي هو اسم مُفْرَد في معنى الأصائل لا جمع
 أصل الذي هو جمع ، فإن قيل : فهل يقال أصل واحد ، كما يقال أصيل واحد ؟
 قلنا : قد قال بعضُ أرباب اللغة ذلك ، واستشهدوا بقول الأعشى :

يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذدنا الأصل^(١)

أى : دنا الأصيل ، فإن صح أن الأصل بمعنى الأصيل ، وإلا فآصال جمع
 أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طَوَى^(٢) وأطواء ، ولا أعرف أحداً
 قال هذا القول ، أعنى : بجمع جمع الجمع غير الزَّجَاجِيِّ وابن عزيز .

(١) قصيدة أولها : ودع هريرة إن الركب مرتحل ، ومنها قبل هذا البيت .

ماروضة من رياض الحزية معشبة	خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق	مؤزر بعيم الثنبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة	ولا بأحسن منها إذدنا الأصل

(٢) الطوى كغنى : البثر .

وقوله : وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة . يعنى موضع قدميه حين غسلت كُنته^(١) رأسه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليُفسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها في أن يطالع رَزْكَته^(٢) بمكة ، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غيرةً من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آيةً . قال الله سبحانه : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ آل عمران : ٩٧ أى : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مقاماً بدلاً من آيات ، قال : المقامُ جمع مقامة ، وقيل : بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه^(٣) .

وقوله : بين المَرَوَتَيْنِ : هو كنعنو ما تقدم في بطن المسكتين والحُمَتَيْنِ

(١) الكنيت بفتح فكسر : سقاء مسيك - بكسر فسین مشددة مكسورة - كثير الأخذ للماء والسكنة : امرأة الابن يعنى امرأة إسماعيل

(٢) بسكون الراء وفتح التاء بيض النعام يريد به ولده إسماعيل وأمه هاجر ولو روى بكسر الراء لكان من التركة ، وهى الشئ المتروك .

(٣) روى عن ابن عباس أن المقام هو الحرم كله ، أو الحج كله ، وعن سعيد بن جبير : الحجر مقام إبراهيم ، فكان يقوم عليه ، ويناوله إسماعيل الحجارة ، ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلت رجلاه ، واختار ابن كثير أنه الحجر الذى كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أثناء إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ، ويناوله الحجارة ، فيضعها بيده لرفع الجدار . وكما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التى تليها ، وكان هذا المقام ملصقاً بجدار الكعبة قديماً ، ومكانه اليوم معروف .

وَعُنَيَزَتَيْنِ ، مما ورد مُثْنِيٍّ من أسماء المواضع ، وهو واحد في الحقيقة ، وذكرنا
العلة في مجيئه مثنى ومجموعا في الشعر . وفيها قوله :

وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا قَصَدُوا لَهُ إِلَّا لَا

البيت . فالمشعر الأقصى : عَرَفَةُ ، وَالْأَلَا : جبل عَرَفَةَ . قال الذابغة :
يَرْزُنَ إِلَّا لَا سَيْرُهُنَّ التَّدَاقُعُ (١)

وسمى : إِلَّا لَا لأن الحجاج إذا رآوه أُلُوفاً السير أى : اجتهدوا فيه :
ليدركوا الموقف قال الراجز :

مُهَرَّزَ أَبَى الْخُبْحَابِ لَا تَشَلَّى بَارَكَ فَيْكَ اللَّهُ مِنْ ذِي أُلٍّ (٢)

والشَّراج : جمع شَرَجٍ ، وهو مسيل الماء ، والقوابِلُ : المتقابلة . وفيها
قوله : وَحَطِيمُهُمْ سُمَّرَ الصَّفَاحِ : جمع صَفَح ، وهو سَطْحُ الجبل ، والشمر
يجوز أن يكون أراد به السَّمَرُ ، يقال فيه : سَمَرٌ وَسَمَرٌ بسكون الميم ، ويجوز نقل
ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين ، كما قالوا فى حَسَنَ : حُسْنٌ ، وكذا وقع
فى الأصل بضم السين ، غير أن هذا النقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو التمدح .

(١) شطرة البيت الأولى : « بمصطلحات من لاصاف وثيرة ، وفى المراسد :
إلال : جبل بعرفات . قيل جبل رمل بعرفات عليه يقوم الإمام ، وقيل عن يمين
الإمام ، وقيل : هو جبل عرفة نفسه . وفى البكرى قريب بما ذكر المراسد .
وقد يقال عنه الإلال ، وإلال كسحاب أو كبلال .

(٢) البيت لأبى الخضر اليربوعى يمدح عبد الملك بن مروان ، وكان أجزى .
مهما ، فسبق . وانظر ص ٢٣ لإصلاح المنطق لابن السكيت .

نحو حَسُنْ وقُبُحْ ، كما قال : وحُسْنٌ ذَا أدبٍ . أَيْ حَسُنْ ذَا أدبٍ (١) ، وجائز أن يراد بالشَّمْر ههنا جمع : أَسْمَرٌ وَاَسْمَرٌ ويكون وصفاً للنبات ، والشجر كما يوصف بالذُّهْمَة إذا كان مُحَضَّرًا ، وفي التنزيل : ﴿ مُذَاهِمَاتَانِ ﴾ الرحمن : ٦٤ . أَيْ : خضراوان إلى السواد .

وقوله : وشِبْرَقَةٌ . وهو نبات يقال لياسه : الحَلِي ، والرطبة : الشَّبْرِق .

(١) يقول الجوهري : تقول : قد حسن الشيء ، وإن شئت خففت الضمة ، فقلت : حسن الشيء بسكون السين ، ولا يجوز أن تنقل الضمة إلى الحاء ، لأنه خبر . وإنما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح والذم لأنه يشبه في جواز النقل بنعم وبئس ، وذلك أن الأصل فيها : نعم وبئس . . . قال سهرورد بن حنظلة الغنوي :

لم يمنع الناس مني ما أردت ، وما أعطيهم ما أرادوا حسن ذَا أدبٍ
أَيْ حسن هذا أدباً ، فخفف ، ونقله اللسان ، في مادة حسن وقال ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ١٤ : « يقال : عظم بضم - الظاء - البطن بطنك - وعظم بسكون الظاء - البطن بطنك بتخفيف الضمة ، ويقال عظم - بضم العين وسكون الظاء - البطن بطنك ، يخففون ضمة الظاء ، وينقلونها إلى العين ، وإنما يكون النقل فيما يكون مدحاً أو ذماً ، فإذا لم يكن مدحاً ولا ذماً ، كان الضم والتخفيف ، ولم يكن النقل ، تقول : حسن الوجه - بضم السين وجهك ، وحسن بفتح الحاء سكون السين الوجه وجهك : وحسن بضم الحاء وسكون السين الوجه وجهك وقد حسن بسكون السين وجهك وفتح الحاء ، وحسن بضم السين وجهك قال : حسن على أن يكون على مذهب نعم وبئس ، نقل وسطه إلى أوله ، ومالم يحسن لم ينقل ، وقد حسن وجهك لا تنقل ضمة السين إلى الحاء وقد فصل هذا أيضاً التبريري في تهذيب إصلاح المنطق ص ٤٥ ط أول ، ثم قال =

وقوله : نبذى محمداً (١) أى نسلبه ونُغلب عليه .
 وقوله : نهوض الرّوايا . هى الإبل تحمل الماء واحداً منها : راوية ،
 والأسقيفة أيضاً يقال لها : روايا ، وأصل هذا الجمع : رَوَاوَى ثم يصير فى القياس :
 رَوَائى مثل حوائل جمع : حول ، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا
 الياء قبلها ، وصار وزنه : فوالع ، وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين ، واو فواعل ،
 الواو التى هى عين الفعل ، ووجه آخر ، وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب
 همزة فى الجمع لوقوع الألف بين واوين ، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء ، كما فعلوا
 فى خطايا وبابه ، مما الهمزة فيه معترضة فى الجمع ، والصّلاصل . المزايدات لها
 صلصلة بالماء (٢) ،

وفى قولها : غير ذَرَبٍ مواكل . وهو مخفف من ذَرِبَ والذَرِبُ : اللسان
 الفاحش المنطق ، والمواكل الذى لا يجد عنده فهو يكل أموره إلى غيره .

= فى شرح هذا البيت : د يريد أنه يقهر الناس ، فيمنعهم ما يريدون منه ،
 ولا يمنعون ما يريد منهم لعزه ، وجعله أدبا حسنا ، وقال أبو العلاء فى معنى
 هذا البيت : كان ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ، ولا يعطيهم ، وهو صواب ،
 وإذا فاعل حسن ، وأدبا منصوب على التمييز ، وأراد حسن ، فخفف ، ونقل ،
 لأن هذا مذهب التعجب

(١) فى السيرة والروض يبنى بالذال وهو خطأ والصواب نبزى أى نسلب
 ونغلب عليه — كما شرح الخشنى وصاحب الروض — وقد رواه اللسان فى مادة :
 يبرزى على البناء للفعول ورفع محمد . ونقل عن شمر أن معناه : يقهر ويستذل ،
 وأنه من باب ضررته وأضررت به . . وأراد : لا يبرزى ، فحذف لامن
 جواب القسم ، وهى مرادة ، أى لا يقهر ، ولم نقاتل عنه وندافع
 (٢) فى شرح السيرة للخشنى : الصلاصل : جمع صلصلة . وهى بقية الماء .

وفيها قوله : ثَمَالِ الْيَتَامَى ، أَى : يَتَمُّهُمْ ، ويقوم بهم ، يقال : هو ثَمَالٌ .
مالٍ أَى يقوم به .

وفيها : قوله لِيُطْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلٍ . الشَّاءُ وَالشَّوَى : اسم للجمع مثل
الباقِر والبقير ، ولا واحد لشاء ، والشَّوَى من لفظه ، وإذا قالوا فى الواحد :
شاة ، فليس من هذا ؛ لأن لام الفعل فى شاة هاء بدليل قولهم فى التصغير :
شَوِيَّةٌ ، وفى الجمع شياه ، والجامل (١) اسم جمع بمنزلة الباقِر .

وقوله : وَكُنْتُمْ زَمَانًا (٢) حَطَبَ قَدِيرٍ : حَطَب اسم للجمع مثل رَكَب ،
وَأَيْس بجمع ، لأنك تقول فى تصغيره : حُطِيبٌ وَرُكَيْبٌ .

وقوله : حِطَابُ أَقْدَرٍ : هو جمع حَاطِبٍ فلا يُصَغَّر ، إلا أن ترده
إلى الواحد ، فتقول : حُوَيْطِبُونَ ، ومعنى البيت : أَى : كنتم متفقين لا مُحَاطِبُونَ
إلا لِقَدِيرٍ واحدة ، فأنتم الآن بخلاف ذلك .

وفيها قوله : مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبٍ ، فَمَجَادِلٍ . أراد الأخشاب ، وهى
جبال مكة (٣) ، وجاء به على أَخْشَبٍ ، لأنه فى معنى أَجْبَلٍ ، مع أن الاسم

(١) فى القاموس أن جامل جمع جمل .

(٢) فى السيرة : وَكُنْتُمْ حَدِيثًا

(٣) هى أربعة أخشاب ، فأخشبا مكة : جبلاها ، وأخشبا المدينة : حرتاها
المكتنفتان لها ، وهما لابتاها ، وأخشب الصمان فى محلة بنى تميم ، ويروى : أخشب
على أنها مفرد

قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك ، والمَجَادِل : جمع مجْدَل وهو : القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة ، فقصور الشام أو العراق ، والغاء من قوله : فجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو ، كقوله بين الدَّخُول فَحَوَمَل . وتقول : مُطِرْنَا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه ، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى .

وقوله : أُولَى جَدَلٍ من اَلْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ يُرَوى بالجيم وبالحاء فمن رواه بالجيم فهو من الْمُسَاجِلَةِ في القول ، وأصله في استقاء الماء بالسَّجَل ، وصَبَّه فكأنه جمع مَسَاجِلِ على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، أو جمع مِسْجَلٍ بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه المساحِل بالحاء ، فهو جمع مِسْجَل وهو اللسان ، وليس بصفة للخصوم ، إنما هو مخفوض بالإضافة ، أى : خصماء الألسنة ، وقال ابن أحرر : مَنْ خَطِيبٌ إِذَا مَا انْحَلَّ مِسْجَلُهُ (١) .

أى : لسانه وهو أيضاً من السَّجَل وهو الصَّبُّ ، ومنه حديث أيوب حين فرج عنه ، فجاءت سحابة فسَحَلَتْ في بَيْدَرِهِ ذهباً ، وجاءت أخرى فسَحَلَتْ في البيدرِ الآخرِ فضة (٢) .

(١) روايته في اللسان :

ومن خطيب إذا ما انساح مسحله مفرج القول ميسورا ومعسورا
ومن معاني مسجل أيضا : الخطيب الماضي وغير هذا .

(٢) البيدر : الجرن أو القمح ونحوه بعد دياسه . ويقول الحافظ في الفتح =

فصل : وفيها :

لقد سَمَّيْتُمْ أَحْلَامُ قَوْمِ تَبَا. لَوْأَ بَنِي خَدَفٍ قَيْضًا بَنَّا وَالْفَيَّاطِلَ

قَيْضًا أَيْ : معاوضة ، ومنه قول النبي عليه السلام لذي الجَوْشَن (١) :
إِنْ شِئْتُ قَايَضْتُكَ بِهِ الْخِتَارَ مِنْ دُرُوعٍ بَدْرٍ ، فقال : مَا كُنْتُ لِأَقِيضَهُ

== ولم يثبت عند البخارى فى قصة أيوب شىء سوى : «بيننا أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل يحثى فى ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لاغنى لى عن بركتك ، . ومسألة السحابة عند ابن أبى حاتم وابن جريج وابن حبان والحاكم ، ولكنها لا تخلو من غرابة ونكارة ، أقول : ويجب أن نقف عند الذى ذكره القرآن ، وما صح صحة قوية عن رسول الله «ص» حتى لا نرجم بالغيب فى قصص النبيين التى وصلت زياداتها إلينا عن طريق أسفار اليهود ، وألسنة اليهود التى نافقت بكلمة النوحيد ، وخدع بها الكثير من ذوى القلوب الصافية

(١) أصل الجوشن : الصدر والدرع ، قال أبو السعادات ابن الأثير : يقال لأنه لقب ذا الجوشن ، لأنه دخل على كسرى ، فأعطاه جوشنا ، فلبسه فكان أول عربى لبسه ، وقال غيره : لأن صدره كان ناتئا . وفى القاموس مثله ، واختلف فى اسمه فقيل اسمه : أوس بن الأعور ، وقيل : شرحبيل . وهو الأشهر . بن الأعور بن عمرو ابن معاوية ، وينتهى إلى عامر بن صعصعة . وقيل : عثمان بن نوفل . وفى القاموس : شرحبيل بن قرط الأعور . ويقول ابن حجر فى الإصابة له حديث عند أبى داود من طريق أبى إسحاق عنه ، ويقال : إنه لم يسمع منه ، وإنما سمعه من ولده شمر . وفى ذخائر المواريث أن حديثه هذا هو الذى ذكره السهيلي : «أتيت التبي «ص» بعد أن فرغ من أهل بدر وابن فرس لى يقال لها الترحاء ، وذكر أن أبا داود رواه فى الجهاد عن مسدد .

اليوم بشيء يعنى : قرسًا له ، يقال له : ابن القرحاء . وقال أبو الشيص^(١) :

لاتنكرى صدّى ولا إعراضى ليس المقلُّ عن الزمان براض
بُدلت من بُردِ الشباب مُلاءةً خلَقًا ، وبئس مُثوبة المُقتاضِ

والغياطل : بنو سهم ، لأن أمهم الغَيَطَلَةُ ، وقد تقدم نسبها ، وقيل :
إن بنى سهم سُموا بالغياطل ، لأن رجلا منهم قتل جانا طاف بالبيت سَبْعًا ، ثم
خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكة ، حتى فزعوا من شدة الظلمة التي
أصابتهم^(٢) ، والغَيَطَلَةُ : الظلمة الشديدة ، والغَيَطَلَةُ أيضًا : الشجر الملتف ،
والغَيَطَلَةُ : اختلاط الأصوات ، والغيطلة : البقرة الوحشية ، والغيطلة : غلبة
النعاس ، وقوله : يُحْسُ شَعيرةً ، أى : ينقص ، وأُخْسِيسُ : الناقص من كل
شئ ، ويروى فى غير السيرة : يُحْصُ بالصاد والحاء مهملةً من حصَّ الشَّعر :

(١) هو محمد بن رزين ، أو ابن عبد الله بن رزين ، وأبو الشيص : لقب غلب
عليه ، والشيص : ردى التمر ، وكان من شعراء الرشيد ، فأخمل أبو نواس ومسلم
ابن الوليد ذكره ، ومن قصيدته هذه :

ولقد أقول لشيبة أبصرتهم فى مفرق ، فنحتها إعراضى
عنى إليك ، فلمست منتها ، ولو عممت منك مفارقى ببياض
هل لى سوى عشرين عاما قدمضت مع ستة فى إثرهن مواضى
ولقلبا أرتاع تنك . وإننى فيما هويت وإن وزعت لماض
فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى وعلى أن ألقاك بالمقراض
انظر ص ٣٣٧ سمط الألى ، ونسكت الهميان : كان أبو الشيص أعمى ،
وص ١٢٣ > ٢ ايان للجاحظ بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون

(٢) أسطورة

إذا أذهب^(١) . وقوله : من كل طِمْلٍ وخاملٍ : الطِّمْلُ : اللص ، كذا وجدته في كتاب أبي بحر ، وفي العين : الطِّمْلُ الرجل الفاحش ، والطِّمْلُ والطِّمْلَالُ : الفقير ، والطِّمْلُ : الذئب^(٢) . وقوله : رِقْعَةٌ غَيْرُ باهلٍ : الباهل : الناقة التي لا صِرَارَ على أخلافها ، فهي مباحة الخلب يقال : ناقة مَصْرُورَة ، إذا كان على خلفها صِرار يمنع الفصيل من أن يرضع ، وليست المَصْرَاة من هذا المعنى ، إنما هي التي تجمع لبنها في ضرعها ، فهو من الماء الصَّرَى^(٣) ، وقد غلط أبو علي في البارع ، فجعل المَصْرَاة بمعنى المَصْرُورَة ، وله وجه بعيد ، وذلك أن يُحْتَجَّجَ له بقلب إحدى الرايين ياء مثل : قَصَّيْتُ أَضْفَارِي ، غير أنه بعيد في المعنى ، وقالت امرأة المغيرة تعاتب زوجها ، وتذكر أنها جاءته كالناقة الباهلة التي لا صِرار على أخلافها : أَطْعَمْتُكَ مَادُومِي وَأَبْشَنْتُكَ مَسْكُومِي ، وَجِئْتُكَ باهلاً غَيْرَ ذَاتِ صِرَارٍ ، وفي الحديث : لا تورد الإبل بُهْلاً [أَوْ بُهْلاً] ، فإن الشياطين تَرْضَعُهَا ، أى : لا أصرّة عليها .

وفيها قوله : بُرْأَ إلينا من مَعَقَّةٍ خاذلٍ . يقال قومٌ بُرْأَ [بالضم]^(٤)

(١) ويروى : لا يخبس : من قولهم : خاس بالعهد : إذا نقضه وأفسده .
والعائل هنا : الخائر ، الخشنى ص ٩١ .

(٢) وكذلك الطمّل . بكسر الطاء والميم وتشديد اللام ، والطملال بكسر الطاء أما الفقير : فالطمّل . والطملال والطمليل بكسر الطاء في الجميع ، والطملول بضمها ، اللسان .

(٣) الذي طال مكثه .

(٤) الزيادة يقتضيها السياق وزيادة بهل من اللسان

وَبَرَّاءٌ بِالْفَتْحِ ، وَبِرَّاءٌ بِالْكَسْرِ ، فَأَمَّا بِرَّاءٌ بِالْكَسْرِ ، فَمَجْمُوعٌ بِرَّاءٌ ، مِثْلُ
كَرِيمٍ وَكَرَامٍ ، وَأَمَّا بِرَّاءٌ فَصَدْرٌ ، مِثْلُ سَلَامٍ وَالْهَمْزَةُ فِيهِ ، وَفِي الَّذِي قَبْلَهُ
لَامُ الْفَعْلِ ، وَيُقَالُ : رَجُلٌ بِرَّاءٌ وَرَجُلَانِ بِرَّاءٌ ، وَإِذَا كَسَرْتَهَا أَوْ ضَمَّمْتَهَا
لَمْ يَجْزِ إِلَّا فِي الْجَمْعِ ، وَأَمَّا بُرَّاءٌ بِضَمِّ الْبَاءِ ، فَالْأَصْلُ فِيهِ بُرَّاءٌ مِثْلُ كُرَّمَاءَ
فَاسْتَمْتَلُوا اجْتِمَاعَ الْهَمْزَتَيْنِ ، فَحَذَفُوا الْأُولَى ، وَكَانَ وَزْنُهُ فُعَلَاءَ ، فَلَمَّا حَذَفُوا
الَّتِي هِيَ لَامُ الْفَعْلِ صَارَ وَزْنُهُ فُعَاءَ ، وَانْصَرَفَ لِأَنَّهُ أَشْبَهَ فُعَلَاءَ ، وَالنَّسَبُ (١)
إِلَيْهِ إِذَا سُمِّيَتْ بِهِ : بُرَّاءُ ، وَالنَّسَبُ إِلَى الْآخَرِينَ بِرَّائِيٌّ وَبِرَّائِيٌّ ، وَزَعَمَ
بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ بُرَّاءَ بِضَمِّ أَوَّلِهِ مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي جَاءَ عَلَى فُعَالٍ ، وَهِيَ ثَمَانِيَةُ أَلْفَاظٍ : فَرِيرٌ
وَفُرَّارٌ وَعُرْنٌ وَعُرْنٌ (٢) ، وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، وَقَالَ النُّحَاسُ : بُرَّاءٌ بِضَمِّ الْبَاءِ .

(١) حَكِي الْفَرَّاءُ فِي بُرَّاءٍ أَنَّهُ غَيْرُ مَضْرُوفٍ عَلَى حَذْفِ أَحَدِي الْهَمْزَتَيْنِ .
وَنَصَّ ابْنُ جَنِّي عَلَى أَنَّ لِبَرِّاءٍ أَرْبَعَةَ جُمُوعٍ : بُرَّاءٌ مِثْلُ ظَرِيفٍ وَظُرَافٍ ، وَبَرَّاءٌ
مِثْلُ : شَرِيفٍ وَشُرَفَاءَ ، وَأَبْرِيَاءَ مِثْلُ أَصْدِقَاءَ ، وَبَرَّاءٌ مِثْلُ تَوَّامٍ وَرَبَّاءَ بِضَمِّ الْأَوَّلِ
فِيهِمَا جَمْعُ تَوَّامٍ ، وَرَبِّي .

(٢) فِي أَدَبِ السَّكَاةِ ص ٥٥٨ لابن قتيبة : « قَالَ الْفَرَّاءُ : الْفُرَّارُ بِضَمِّ الْفَاءِ
وُلِدَ الْبَقْرَةُ الْوَحْشِيَّةُ قَالَ : وَيُقَالُ : فَرِيرٌ وَفُرَّارٌ مِثْلُ طَوِيلٍ وَطَوَالٍ وَكَانَ غَيْرُهُ
يُزَعَمُ أَنَّ فَرَّارًا : جَمْعُ فَرِيرٍ ، وَفِي الْقَامُوسِ : فَرِيرٌ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَفُرَّارٌ بِضَمِّ الْفَاءِ وَفُرُورٌ
بِفَتْحِ الْفَاءِ الْخَوْلُ وَالنَّعْجَةُ وَالْمَاعِزُ وَالْبَقْرَةُ الْوَحْشِيَّةُ ، أَوْ هِيَ الْخُرْفَانُ وَالْحِلْلَانُ ،
وَجَمْعُهَا فَرَارٌ نَادِرٌ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، لَمْ يَأْتِ شَيْءٌ مِنَ الْجَمْعِ عَلَى فُعَالٍ إِلَّا أَحْرَفَ :
هَذَا أَحَدُهَا . وَأَمَّا عَرَقٌ فَالْعَظْمُ أَكُلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ ، وَمِثْلُهُ عَرَاقٌ بِضَمِّ الْعَيْنِ .
وَيَقُولُ الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ : لَمْ يَأْتِ مِنْ فُعَالٍ بِضَمِّ الْفَاءِ جَمْعًا إِلَّا أَحْرَفَ قَلِيلَةٌ
جَدًّا مِثْلُ رَبَابٍ جَمْعُ رَبِيٍّ بِضَمِّ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ مَعَ فَتْحِ وَهِيَ الْحَدِيثَةُ
النَّتَاجُ وَنَعَمَ جَفَالٌ : السَّكْرَةُ الشَّعْرُ ، وَنَعَمَ كِبَابٌ كَثِيرَةٌ ، وَفُرَّارٌ جَمْعُ فَرِيرٍ وَهُوَ
وُلِدَ الْبَقْرَةُ ، وَبَرَّاءٌ : جَمْعُ بِرَّاءٍ . وَعِنْدَ ابْنِ السَّكَيْتِ وَالسَّيْرِي أَنَّهَا تَوَّامٌ جَمْعٌ =

الاستسقاء :

فصل : وذكر حديث استسقاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
بالمدينة ، وهو حديث مَرَوِي من طرق كثيرة ، وبألفاظ مختلفة .

وقوله : حتى أتاه أهل الضواحي يشكون للفرق. الضواحي : جمع ضاحية ،
وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يُكِنُّ من المطر ، ولا منجاة من
السيول ، وقيل : ضاحية كل بلد : خارجه . وقوله عليه السلام : اللهم حوالينا ،
ولا علينا ، كقوله في حديث آخر : اللهم منابت الشجر ، وبطون الأودية ،
وظهور الآكام ، فلم يقل : اللهم ارفعه عنا — هو من حسن الأدب في الدعاء ؛
لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف
رحمته ، وإنما يُسْتَل سبجانه كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، ففيه تعليم
كيفية الاستسقاء . وقال : اللهم منابت الشجر ، ولم يقل : أضرفها إلى منابت
الشجر ؛ لأن الرب تعالى أعلم بوجه اللطف ، وطريق المصاحبة كان ذلك بمطر

== ثوأم ، وشاة ربي وغنم رباب ، وظئر وظوار وعرق بنتج العين وعراق ورخل بكسر
الراء ورخال وفريز وفرار وكل الجمع بضم الأول . وقال الزجاجي مثل قول السيرافي . وقال
ابن خالويه في كتاب ليس : عرق وعراق ، ورخل من أولاد الضأن ورخال وشاة ربي
ورباب ، وتوأم وتوأم ، وفريز وفرار ولد الظبية ونذل ونذال ورذال وثني
وثناء ، وهو الولد الذي بعد البكر ، وناقة بسط أو بسط بضم الباء أو كسرهما إذا
كانت غزيرة والجمع : بساط ، فتكون ثلاث عشرة كلمة . وزاد الزمخشري : عرام بمعنى
عراق . ونظمها في أبيات وزاد السيوطي عنه : نذال « ص ٧٢ ، المزهري للسيوطي ج ٢

أَوْ بِنْدَى أَوْ طَلٍّ ، أَوْ كَيْفَ شَاءَ ، وَكَذَلِكَ بَطُونُ الْأَوْدِيَةِ ، وَالْقَدَرُ الَّذِي يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ مِنْ مَائِهَا .

فصل : فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ قَالَ أَبُو طَالِبٍ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

وَلَمْ يَرَهُ قَطُّ اسْتَسْقَى ، وَإِنَّمَا كَانَتْ اسْتِسْقَاءَاتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ
فِي سَفَرٍ وَحَضَرَ ، وَفِيهَا شَوْهَدٌ مَا كَانَ مِنْ سُرْعَةِ إِجَابَةِ اللَّهِ لَهُ .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ شَاهَدَ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا فِي حَيَاةِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .
مَادِلُهُ عَلَى مَا قَالَ ، رَوَى أَبُو سَلْمَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ [بْنُ الْخَطَّابِ ،
الْخَطَّابِيُّ] الْبُسْتِيُّ النِّيسَابُورِيُّ (١) ، أَنَّ رُقَيْقَةَ (٢) بِنْتَ أَبِي صَيْفِيٍّ بْنِ هَاشِمٍ قَالَتْ :
تَتَابَعْتُ عَلَى قَرِيشٍ سِنُوجَذْبٍ قَدْ أَقْحَلَتْ الظَّلْفَ ، وَأَرْقَتِ الْعِظْمَ ، فَبَدَأَ أَنَا
رَاقِدَةً الْإِهِمَّ ، أَوْ مُهْدَمَةً ، وَمَعِيَ صِنْوَى إِذْ أَنَا بِهَاتِفٍ صَيِّتٍ يَصْرُخُ
بِصَوْتٍ صَحِيلٍ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْبَعُوثُ مِنْكُمْ ، هَذَا إِبْرَاهُ .

(١) هُوَ صَاحِبُ مَعَالِمِ السَّنَنِ تَوَفَّى بِبَسْتٍ سَنَةَ ٣٨٨ هـ كَأَنَّهُ فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ،
وَفِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ . وَفِي اللَّبَابِ لِابْنِ الْأَثِيرِ أَنَّهُ تَوَفَّى سَنَةَ ٣٥٤ هـ . وَبَسْتُ مَدِينَةٌ
مِنْ بِلَادِ كَابُلَ بَيْنَ هِرَاةَ وَغَزْنَةَ وَقَدْ سَمِعَ فِي اسْمِهِ : أَحْمَدُ ، وَالْأَصَحُّ حَمْدُكَ ذَكَرَ
وَالزِّيَادَةُ الْمَوْضُوعَةَ بَيْنَ قَوْسَيْنِ مِنَ اللَّبَابِ لِابْنِ الْأَثِيرِ .

(٢) اسْمُهَا فِي نَسَبِ قَرِيشٍ : رُقَيْقَةُ ، وَنَصُّ قَوْلِهِ عَنْ أَبِي صَيْفِيٍّ : انْقَرَضَ
إِلَّا مِنْ بَنَتِ رُقَيْقَةَ ، ص ١٦ وَلَكِنَّهَا رُقَيْقَةُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكُتُبِ . وَفِي الْإِشْتِقَاقِ أَنَّ
أَبَا صَيْفِيٍّ أَحَدَ مَنْ حَضَرَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ حَلَفَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَخِزَاعَةُ ص ٦٩ .

نُجُومِهِ ، فَحَيَّ هَلَاً بِالْحَيَا وَالْخُصْب ، أَلَا فَانْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا طَوَّالاً عَظَمًا
أَبْيَضَ قَطَا ، أَشَمَّ الْعَرَنِينَ ، لَهُ نَخْرٌ بِكَظِيمٍ^(١) عَلَيْهِ . أَلَا فَلْيَخْلُصْ هُوَ وَوَلَدُهُ ،
وَلْيَذْلِفْ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ ، أَلَا فَلْيَسْتُشُوا مِنَ الْمَاءِ ، وَلْيَسْتُوا مِنَ
الطَّيْبِ ، وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، أَلَا وَفِيهِمُ الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ لَذَاتُهُ ، أَلَا فَلْيَذْغُ
الرَّجُلُ ، وَلْيُؤَمِّنِ الْقَوْمُ ، أَلَا فَفِثْتُمْ أَبَدًا مَا عَشْتُمْ . قَالَتْ : فَأَصَبَحْتُ مَذْعُورَةٌ
قَدْ قَفَّ جِلْدِي ، وَوَلَّهِ عَقْلِي ، فَأَقْتَصَصْتُ رُؤْيَايَ ، فَوَالْحَرَمَةِ وَالْحَرَمِ إِنْ بَقِيَ
أَبْطَحِي^(٢) إِلَّا قَالَ : هَذَا شَيْبَةُ الْخَمْدِ ، وَتَغَامَّتْ عِنْدَهُ قَرِيشٌ ، وَاقْبَضَ إِلَيْهِ
النَّاسُ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ ، فَشَتُّوا وَمَشُّوا وَاسْتَلَمُوا وَاطُوفُوا ، ثُمَّ ارْتَقَوْا
أَبَا قُبَيْسٍ ، وَطَفِقَ الْقَوْمُ يَدْفُونَ حَوْلَهُ ، مَا لِمَنْ يَدْرِكُ سَمِيئَهُمْ مُهَلَّةً ، حَتَّى قَرُّوا
بِذُرَّةِ الْجَبَلِ ، وَاسْتَمَكَّوْا جَنَابِيهِ ، فَقَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ ، فَأَعْتَصَدَ ابْنَ ابْنِهِ
مُحَمَّدًا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَرَفَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غُلَامٌ قَدْ أَيْقَعَ ،
أَوْ قَدْ كَرَّبَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ سَادَّ الْخَلَّةَ ، وَكَاشَفَ الْكُرْبَةَ أَنْتَ عَالِمُ غَيْرِ
مُعَلِّمٍ ، وَمَسْتُولُ غَيْرِ مُبْخَلٍّ ، وَهَذِهِ عِبْدَاؤُكَ ، وَإِلْمَاؤُكَ بِعَذِرَاتِ حَرَمِكَ
يَشْكُونَ إِلَيْكَ سَنَتَهُمْ ، فَامْتَمِّنْ اللَّهُمَّ ، وَأَمِطْرِنَّا عَلَيْنَا غَيْثًا مَرِيحًا مُفْدِقًا ،
فَمَارَامُوا وَالْبَيْتَ ، حَتَّى انْفَجَرَتِ السَّمَاءُ بِمَائِهَا ، وَكَظَّ الْوَادِي بِتَجِيجِهِ . رَوَاهُ
أَبُو سُلَيْمَانَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ . قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْبُخْتَرِيِّ ، نَا
يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَمِيدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ مَرَّ

(١) لَا يَبْدُ بِهِ وَلَا يَظْهَرُ .

(٢) فِي رِوَايَةٍ وَفِثْتُمْ فِي شُعَابِ مَكَّةَ فَا بَقِيَ بِهَا أَبْطَحِي الْخَ ،

نا عبد العزيز بن عمران ، عن ابن حوَيِّصَة ، قال يحدث مخْرَمَة بن نفِيل عن
أُمّه رُقَيْقَة بنت أبي صَيْقٍ .

وذكر الحديث ، ورواه بإسناد آخر إلى رُقَيْقَة ، وفيه : ألا فانظروا
منكم رجلا وسيطا عظاما جُساما أو طَف الأهداب ، وأن عبد المطلب قام
ومعه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أَيْفَعَ أو كَرَبَ ، وذكر
القصة (١) .

(١) دلت الأحاديث الصحيحة على مشروعية صلاة الاستسقاء ، وبذلك قال
جمهور العلماء من السلف والخلف ، ولم يخالف في ذلك إلا أبو حنيفة مستدلا
بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة ، وقد وقع الإجماع من المثبتين للصلاة
على أنها ركعتان ، ووقع الاتفاق على أنها سنة غير واجبة . وفي كيفيتها خلاف
مخارج لإليها في كتب السنة والفقهاء . أقول : إذا كان المعتمد هنا هو الحديث ، فلم
نلا نقول إنها تجوز بصلاة فيها دعاء ، وتجوز بالدعاء من غير صلاة ؟

هذا وليس في البخاري ما رواه ابن هشام إنما فيه ما رواه بسنده عن
عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر
أبي طالب « وأبيض الخ » ، وروى أيضاً من حديث سالم عن أبيه : ربما ذكرت
قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي يستسقى . فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :
« وأبيض الخ » ، أما القول المنسوب إلى الرسول « من » في السيرة : لو كان أبو طالب الخ
فلم يروه أحد من أصحاب الصحيح كالحديث الذي ذكر في الروض . وأحب أن
أذكر هنا بما رواه الخمسة عن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ، وهو يخطب يوم الجمعة ، فقال : يا رسول الله هلكت المواشي ،
وانقطعت السبل ، فادع الله ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية :
فرفع يديه — ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، فطروا من جمعة —

ابن الأُسَلْتِ وقصيدته :

فصل : وذكر ابنُ هشام^(١) كل من سماه أبو طالب في قصيدته ،

== إلى جمعة ، فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله تهدمت البيوت ، وتقطعت السبل ، وهلكت المواشي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم على رؤوس الجبال والآكام وبطون الأودية ومنايات الشجر ، وفي رواية : اللهم حولينا ، ولا علينا ، فانجابت عن المدينة انجياب الثوب ، فجعلت تمطر حولها ، لا تمطر بها قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل رواه الحسن إلا الترمذى . وفى الحديث المتفق عليه أنه «ص» خرج بالناس إلى المصلى يستسقى ، فصلى بهم بركعتين جهر فيهما بالقراءة ، واستقبل القبلة يدعو ، ورفع يديه ، فما حول رداءه حين استقبل القبلة ، وكان إذا رأى المطر يقول : اللهم صيبا نافعا ، وروى عنه أنه كان يخرج متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا . الترمذى والنسائي وأبو داود وابن هاجة .

ومن الأحاديث الصحيحة ، تؤمن أن الاستسقاء النبوى إنما هو إلى الله . ضراعة وإبتال في صلاة أو في غير صلاة ، وأن التوسل بذات فلان أو وجهه أو جاهه ليس من هدى الرسول «ص» ولا سنته ، فلنحذر نزغة الشرك ، ولم يخرج قصة عبد المطلب أحد من أصحاب الصحيح ، وإنما هي عند ابن عساكر وابن أبي الدنيا وابن سعد والبيهقى والطبرانى . ورواية الحديث بهذه الصورة لا توحى بالاعتداء . فإنه عمل عبد المطلب ، وهى لا تثبت جواز الاستسقاء بالوجه أو بالذرات ، فالرواية تسند إلى عبد المطلب أنه دعا الله ، ولم يدعه بوجه أحد أو ذات أحد .

ولم تسند إليه الرواية أنه حمل محمدا معه ليستسقى بوجهه أو بذاته . وحمل عبد المطلب ابن ابنه في مثل هذا أمر تفرضه عاطفة رجل شيخ ، فقد ابنه ، فهو يحبه مرتين في هذا الحفيد العظيم .

(١) ذكر ابن هشام حديث الأحنس ، وهو صحابى من مسلمة الفتح شهد حنيناً ومات أول خلافة عمر

أو أشار إليه ، وعرف بهم تعريفاً مُستغنياً عن المزيد . وذكر قصيدة أبي قيس صَيْفِي بن الأَسَلْتِ ، واسمُ الأَسَلْتِ : عامرٌ ، والأَسَلْتُ : هو الشديد الأفطس يقال : سَلَتَ اللهُ أنْفَهَ ، ومن أسلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله ، فلما كتب له عهدَه أبي أن يقبله ، وقال : لا حاجة لي به . إني سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : إن الوُلاةَ يجاء بهم يوم القيامة ، فيقفون على جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فمن كان مُطَاوِعاً لله تناوله بيمينه حتى ينجيهِ ، ومن كان عاصياً لله انخرق به الجسر إلى وادٍ من نارٍ تذهب التهابابا ، قال : فأرسل عمرُ إلى أبي ذَرٍّ ، وإلى سَلْمَانَ ، فقال لأبي ذَرٍّ : أنت سمعت هذا من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : نعم والله ، وبعد الوادي وادٍ آخر من نارٍ . قال : وسأل سَلْمَانَ ، فذكره أن يخبره بشيء ، فقال عمر : من يأخذها بما فيها (١) ؟ فقال أبو ذر . من سَلَتَ اللهُ أنْفَهَ وعينيه ، وأُضْرِعَ خَدَّه إلى الأرض . ذكره ابن أبي شيبة .

وأول القصيدة : يارا كبا إماماً عَرَضْتَ قَبْلَئِنْ . البيت . الْمُغْلَلَةُ : الداخلة إلى أفهى ما يراد بُلُوغُه منها (٢) ، ومنه تغفل في البلاد : إذا بالغ في الدخول فيها ، وأصله : تَغَلَّلَ وَمُغْلَلَةٌ ، وَلَكِنْ قَلَبُوا إِحْدَى اللَّامَيْنِ غَيْنًا ، كما فعلوا في كثير من المضاعف ، وأصله من الغل والغلالة ، فأما الغلُّ فلما يستمر النبات والشجرُ ، وأما الغلالةُ فساترة لما تحتمل وفيها . نُبَيْتُكُمْ شَرَّ جَيْنِ . أي : فريقين مختلفين ، وَنُبَيْتُكُمْ لفظٌ مشكل .

(١) يعني الخلافة .

(٢) المغللة : الرسالة .

وفى حاشية الشيخ : نبئتكم شرّ جن^(١) ، وهو بين فى المعنى ، وفيه زحاف خرم ، ولكن لا يعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ التَّبَيُّت فى هذا البيت ، فبمعيد من معناه ، والأزْمَلُ : الصوت ، والمُذْكَى : الذى يوقد النار ، والخطاب : الذى يخطب لها ، ضرب هذا مثلاً لنار الحرب ، كما قال الآخر :

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ بَحْرِ وَيوشك أن يكون لها ضرام
فإن النارَ بالعودين تَذْكَى وإن الحربَ أولها الكلامُ^(٢)

وقوله : هى الغول للأدنى^(٣) ، أى : هى الهلاك ، يقال : الغضبُ : غول الحِلْمِ ، أى يهلكه ، والغُولُ بفتح الغين : وجع البطن ، قاله البخارى فى تفسير قوله : ﴿ لا فيها غَوْلٌ ﴾ . وقوله : وإحلال إحرارِ الظباءِ الشَّوْازِبِ^(٤) .
أى : إن بلدكم بلدٌ حرّامٌ تأمن فيه الظباءِ الشَّوْازِبِ التى تأتية من بُعدٍ ، لتأمن

(١) والذى فى السيرة : نبئتكم .

(٢) من أبيات ضمنها نصر بن سيار والى خراسان فى آخر أيام بنى أمية - كتابه إلى مروان بن محمد حينما وجد أمر أبى مسلم الخراسانى يشتد فى الدعوة إلى آل العباس . ومنها :

أقول من التعجب : ليت شعرى أبقاها أمية أم نيام
فإن يك قومنا أضحووا نياما فقل : قوموا ، فقد حان القيام
فقرى عن رحالك ، ثم قولى على الإسلام والعرب السلام
ص ٢٥٦ - ٣٠ مروح الذهب .

(٣) فى السيرة : للأفصين .

(٤) التى يحرم صيدها فى الحرم والحشنى ،

فيه ، فهي شازِبة أى : ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تحلوا بالطباء فيه ، فأحرى ألا تحلوا بدمائكم ، وإحرامُ الأطباء : كونها في الحرم ، يقال لمن دخل في الشهر الحرام ، أو في البلد الحرام : مُحْرَمٌ . والأَتْحَمِيَّةُ : ثياب رِفاق تصنع باليمن ، والشليل : دِرْعٌ قصيرة^(١) ، والأَصْدَاءُ : جمع صَدَأ الحديد ، والقَتِير : حَلَقُ الدَّرْعِ^(٢) شبهها بعيون الجراد ، وأخذ هذا المعنى التَّنَوُّحُ . فقال :

كأثوابِ الأرقامِ مَزَقَها نَخَاطَها بأعينها الجرادُ
وقوله في وصف الحرب :

تَزَيَّنَ الأَقْوامُ ، ثم يَرَوْنَهَا بعاقبةٍ إذ بَيَّتَتْ أُمُّ صَاحِبِ
هو كقول عمرو بن معدى كرب :

الحربُ أولُ ما تكونُ فَتِيَّةٌ تسمى بِبَزَّتِها لَكلِ جَهْولِ
حتى إذا اشتعلت وشَبَّ ضِرامُها ولَّتْ عَجْوزاً غيرَ ذاتِ خَيلِ
شَطَاءَ جَزَتْ رَأْسَها ، فتنكرت مكروهةً للشَّمِّ والتَّقْيِيلِ

(١) أو هي ثياب تلبس تحت الدروع .

(٢) في اللسان : الصدا مهموز مقصور : الطبع والدنس يركب الحديد ، وصدا الحديد : وسخه . وفي شرح الخشني : أصداء : يعني دروعا متغيرة بالصدا . وفي الخشني أيضاً : أن القتير : مسامير حلق الدروع

فقوله : أم صاحب ، أى : مجوزاً كأم صاحب لك ، إذ لا يصعب الرجل إلا رجلٌ في سنه ، وفي جامع البخارى : كانوا إذا وقعت الحرب يأمرؤن ، يحفظ هذه الأبيات ، يعنى : أبيات عمرو المتقدمة . وقوله : ألم تعلموا ما كان في حرب داحس . يذكّر معنى داحس إذا ذكره ابن إسحاق بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى .

وقوله فيها : وَلِيَّ امْرِئٍ فاختار ديناً فإنما (١) . أى : هو ولي امرئ . اختار ديناً ، والفاء زائدة على أصل أبي الحسن ، قال في قولهم : زيداً فاضرب : الفاء مُعَلِّقَةٌ أى : زائدة ، ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر ، كأنه قال : ولي امرئ تدبّر ، فاختار ديناً ، أو نحو هذا ، وقد تقدم شرح باقى القصيدة فى آخر قصة الحبشة .

وقال فيها : كريم المضارب ، وفي حاشية كتاب الشيخ : لعله الضرائب ، يريد : جمع ضريبة ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوف غير مذمومة ، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالكارم .

وفيهما قوله : وماء هُرَيْقٍ فى الضلال . ويروى : فى الصّلال جمع صالّة ، وهى الأرض التى لا تمسك الماء . أى رُبّ ماء هُرَيْقٍ فى الضلال من أجل السراب ، لأنه لا يُهْرِيقُ ماءً من أجل السراب إلا ضال غير مميز بمواضع

(١) فى السيرة : فلا يكن بدلاً من « فإنما »

الماء ، وأذاعت به ، أى : بددته ، فلم ينتفع به ، وهذا مثل ضربه للنظر فى عواقب الأمور ، ويروى : وما أهريق فى أمر ، ومعناه : والذي أهريق فى أمر الضلال ، فوصل ألف القطع ضرورة ، ويقال : أريق الماء ، وأهريق بالجمع بين الهمزة والماء ، وهى أقلها ، ولتحليلها موضع غير هذا .

وقوله فيها : بين سافٍ وحاصب : السافى : الذى يرمى بالتراب ، والحاصب الذى يقذف بالحصى .

وفى ذكر الجباجب ، وهى منازل منى . كذا قال ابن إسحاق ، وقال البرقي : هى حُفَرٌ بمنى ، يجمع فيها دم البُدن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها ، وقيل : الجباجب : البُكُروش . يقال للكرش : جُبُجبة بفتح الجيم ، والذي تقدم واحدُه : جُبُجبة بالضم (١) .

عرب داحس :

فصل : وذكر حديث حرب داحس مختصراً ، وداحس : اسم فارس كان لقيس بن أبى زهير ، ومعنى داحس : مدحوس كما قيل : ماء دافق ، أى : مدفوق ، والدَّاحْسُ : إدخال اليد بقوة فى ضيق ، كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - مر بفلام يسلم شاة ، فأمره أن يقتنعى ليريه ، ثم دَحَسَ (٢)

(١) المراد : المجببة بالضم : ماء معروف بنواحي اليمامة . والجبا جب والاشائب : جبال مكة .

(٢) أدخلها بين جلدها ولحمها ليسلمها ، وفى الأصل عن الإبط التى ستأتى : الارتبط : والتصويب من اللسان والنهاية لابن الأثير

عليه السلام بيده بين الجلد واللحم ، حتى بلغ الإبط ثم صلى ، ولم يتوضأ .
 فداحس سى بهذا الاسم ؛ لأن أمه كانت لرجل من بنى تميم ، ثم من بنى
 يربوع اسمه : قرواش بن عوف ، وكان اسم الفرس : جَلَوَى ، وكان ذو العقال
 قرساً عتيقاً يحوط بن جابر ، فخرجت به فتانان له ، لتسقياه ، فبصر بجَلَوَى ،
 فأدلى حين (١) رآها ، فضحك غلّة كانوا هنالك ، فاستحيت الفتانان ،
 ونكستا رأسيهما ، فأفلت ذو العقال حتى نزا على جَلَوَى ، وقيل ذلك ليحوط
 فأقبل مضطرباً ، وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب ، ثم دحسها في رحم
 الفرس ، فسطأ عليها ، فأخرج ماء الفحل منها ، واشتملت الرحم على بقية
 الماء ، وحملت بمهر فسمّوه : داحساً ، وأظهر ما فيه أن يكون مثل : لابن
 وتامر ، وأن لا يكون فاعلاً بمعنى مفعول ، فهو داحس بن ذى العقال بن
 الأعوج الذى تُنسب إليه الخيل الأعوجية (٢) فى قول بعضهم ، وقد تقدم غير
 هذا القول - ابن سبيل (٣) ، وكان لغنى بن يعصر ، وفيه يقال :

(١) أدلى الفرس وغيره أخرج جردانه ليبول ، أو يضرب .

(٢) أعوج : فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات كان لكندة ، فأخذته
 سليم ، ثم صار إلى بني هلال ، أو صار إليهم من بنى آكل المرار ، وفرس لغنى
 ابن أعصر أو يعصر كما فى الروض

(٣) فى اللسان عن الأصمعى أن سبل هى أم أعوج وكانت لغنى ، وأعوج
 لبني آكل المرار ، ثم صار لبني هلال بن عامر

(٨٢ - الروض الأوفى - ٣)

إن الجواد بن الجواد بن سبيل إن ديموا جاد ، وإن جاد وبك (١)

وفي ذى العقال يقول جرير :

تمسى جياذ الخليل حول بيوتنا من آل أعوج ، أولذى العقال (٢) ،

وأنشد :

أقبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار (٣) ،

وفيه إقواء ، وهو حذف نصف سبب من القسم الأول ، وقد تسكمتها

على معنى الإقواء قبل ، وأما اختلاف التوافق فيسمى : اكتفاء ، وإقواء أيضاً

لأنه من الكفاء ، فكأنه جعل الرفع كفتاً للخفض ، فسوى بينهما

وفيه قوله :

(١) قال ابن بري : الشعر لجهنم بن شبل ، وقال أبو زياد السكابي : وهو

من بني كعب بن بكر . . قال وقد أدركته يرعد رأسه ، وهو يقول :

أنا الجواد بن الجواد بن سبيل إن ديموا جاد ، وإن جادوا وإن

قال ابن بري : فثبت بهذا أن سبيل اسم رجل وليس باسم فرس . هذا ما ذكره

اللسان في مادة سبيل ، وفي مادة : دوم رواه : وهو الجواد الخ .

(٢) وفي النقائض : إن الجياذ بيتن حول قباينا

(٣) القصيدة للربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن قارب العبسي ،

وقد ذكر ابن هشام نسبه مختصراً وأول قصيدته :

نام الخلى ، وما أغمض حمار من سيء النبا الجليل السارى ،

ص ٨١ وما بعدها : النقائض بين جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر

ابن المثنى ط ١٣٥٣ هـ ص ١٥١ : أأما المرتضى

ترجو النساء عواقب الاطهار . كقول الاخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال : إن حرب داحس دامت أربعين سنة ، لم تحمل فيها أنثى ، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين ، وذكر الأصبهاني أن حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة ، وقد تقدم يوم جبلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في تلك الأيام ، وقال لييد :

وَعَنَيْتُ حَرَسًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ
لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ

وكان لييد في حرب جبلة ابن عشرين سنين ، وقوله : حرساً أى : وقتاً من الدهر ، ويروى سبتاً والمعنى واحد ، وكان إجراء داحس والغبراء على ذات الإصايد موضع في بلاد فزارة ، وكان آخر أيام حرب داحس بقلته من أرض قيس ، وهناك اصطاحت عيس ومنولة : وهى أم بنى فزارة : شمع وعدي ومازن ، فيقال لهذا الموضع : قلته ، وأما قلته فهو موضع بالحجاز ، وفيه اعتزل سعد بن أبي وقاص حين قتل عثمان ، وأمر ألا يتحدث بشيء من أخبار

(١) في اللسان في مادة سبت وجرى رواه :

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس . وفي الاصل : مجراء

(٢) في المراد : الإصايد : اسم الماء الذى لطم عليه داحس ، وكانت الحرب المشهورة بسببها ، وذات الإصايد . ردهة في ديار بنى عيس وسط هضبة القليب

ذكرى مآلقيه رسول الله صلى عليه وسلم من قومه

مفتريات قريش وإيذاؤهم للرسول (ص) :

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم : سفهاءهم ، فكذبوه ، وأذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مبأد لهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .

الناس ، وألا يسمع منها شيئاً ، حتى يصطلحوا ، ويقال : إن الحنفاء كانت فرس حذيفة^(١) ، وأنها أجريت مع الغبراء ذلك اليوم ، قال الشاعر :

إذا كان غيرُ الله للمرء عُدَّةً أنته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرَّت الحنفاء حَتَفَ حذيفة وكان يراها عُدَّةً للشدائد^(٢)
وأما حرب حاطب الذي ذكرها ، فهي حرب كانت على يد حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشَةَ بن الأوس ، فنُسبت إليه ، وكانت بين الأوس والخزرج .

(١) في اللسان أن الحنفاء أخت داحس لآبيه من ولد العقال ، والغبراء : خالة داحس ، وأخته لآبيه ١١ والحنفاء : فرس حبر بن معاوية .

(٢) فصل القول في حرب داحس كتاب النقائص بين جرير والفرزدق

لابي عبيدة ص ٧٦ - ١

قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة
ابن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر
مارأيت قريشا أصابوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما كانوا يطشرون من
عداوته ؟ قال : حضرتهُم ، وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر ، فذكروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا
الرجل قط : سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب
أهلتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا ، فبيناهم في ذلك إذ طلع
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم
طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ، ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه
بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم مر بهم
الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : أتسمعون يامعشر قريش؟! أما والذي
نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح . قال : فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم
رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك
ليزفوه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ،
فوالله ما كنت جهولا . قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى
إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم
ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادا لكم بما تسكرون تركتموه .
فبيناهم في ذلك طلع عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوثبوا إليه وثبة

.

رجل واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم؟! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذى أقول ذلك ، قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه . قال : فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكي ويقول : أقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أمّ كلثوم ابنة أبي بكر ، أنها قالت : رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدعوا فرق رأسه ، مما جعدوه بلحيته ، وكان رجلاً كثير الشعر .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حرّاً ولا عبداً ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدنّ من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ» المدثر : ١ ، ٢

إسلام حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : حدثني رجل من أسلم ، كان واعيةً : أن أبا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله - صلى الله

.

عليه وسلم ، ومَوْلَاةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ
ابْنِ مُرَّةٍ فِي مَسْكَنٍ لَهَا تَسْمَعُ ذَلِكَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ ، فَعَمِدَ إِلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ
عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ ، فَلَمْ يَلْبَثْ حِمْرَةٌ بَنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ
أَقْبَلَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ ، رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ ، وَكَانَ صَاحِبَ قَنْصٍ يَرْمِيهِ ، وَيُخْرِجُ
لَهُ ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى أَهْلِهِ ، حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ،
وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمْرَ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَقَفَ ، وَسَلَامَ ، وَتَحَدَّثَ
مَعَهُمْ ، وَكَانَ أَعَزَّ فَتًى فِي قُرَيْشٍ ، وَأَشَدَّ شَكِيمَةً ، فَلَمَّا مَرَّ بِالْمَوْلَاةِ ، وَقَدْ رَجَعَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِهِ قَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا عُمَارَةَ ، لَوْ رَأَيْتَ
مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ آتِفًا مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ : وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا ،
فَإِذَا هُوَ وَسْبُهُ وَيُلْغِ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ ، وَلَمْ يَكَلِّمْهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم
يَقِفْ عَلَى أَحَدٍ ، مُعِدًّا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِعَ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ
نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ ، رَفَعَ الْقَوْسَ ،
فَضْرَبَهُ بِهَا ، فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً ، ثُمَّ قَالَ : أَتَشْتَمُهُ ، فَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ
مَا يَقُولُ ؟! فَرَدَّ ذَلِكَ عَلَى إِنْ اسْتَطَعْتَ . فَقَامَتِ رَجَالٌ مِنْ بَنِي نَخْزَوْمٍ إِلَى حِمْرَةٍ ،
لِيَنْصَرُوا أَبَا جَهْلٍ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَّيْتُ
ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا ، وَتَمَّ حِمْرَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى إِسْلَامِهِ ، وَعَلَى مَا تَابَعَ
عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْمِهِ . فَلَمَّا أَسْلَمَ حِمْرَةُ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ

.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّز وأمتنع ، وأن حمزة سيممعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عتبة بن ربيعة يذهب إلى الرسول (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيّداً - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش - ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه ، وأعرضَ عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها ، فنعطيه أيّها شاء ، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَرِيدون ويكثرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه ، فكلّمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا بن أخي ، إنك منّا حيثُ قد علمتَ من السّطة في المشيرة ، والمساكن في النّسب ، وإليك قد أنيت قومك بأمر عظيم ، فرقتَ به جماعتهم ، وسفّهتَ به أعلامهم ، وعيّتَ به آلهتهم ودينهم ، وكفّرتَ به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع ، قال : يا بن أخي . إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سوتناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا ، وإن كان

.....

هذا الذى يأتىك رثيماً تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبْرثك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُدَاوَى منه ، أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع منى ، قال : أفعل ، فقال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم . نَزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، وَقَالُوا : قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ . فصلت : ١ - ٥ . ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما ، يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : تحلف بالله : لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورأى أنى قد سمعتُ قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش ! أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل ، وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعتُ منه نبأ عظيم ، فإن تُصِبه العربُ فقد كُفِيتُمُوهُ بغيركم ، وإن يَظْهَرُ على العرب ، فذلكمُ مَنَّا لكم ، وعزه عزُّكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قولوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأى فيه ، فاصنعوا مابدا لكم .

بين النبي (ص) وبين قريش

قال ابن إسحاق : ثم إن الإسلام جعل يَفْشُو بِمَكَّةَ فِي قَبَائِلِ قُرَيْشٍ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَقُرَيْشٍ تَحْبِسُ مَنْ قَدَرَتْ عَلَى حَبْسِهِ ، وَتَفْتَنُ مِنْ اسْتَطَاعَتْ فِتْنَتَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ إِنْ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ - كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، وَعَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :

اجتمع عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَالْأَسَدُ بْنُ الْمُطَلِّبِ بْنُ أَسَدٍ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسَدِ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، وَأَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ ، وَنُبَيْهَةُ وَمُنَبِّهَةُ ابْنَتَا الْحِجَّاجِ السَّهْمِيِّانِ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، أَوْ مِنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ . قَالَ : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا فِيهِ ، فَبْعَثُوا إِلَيْهِ : إِنْ أَشْرَافُ قَوْمِكَ قَدْ اجتمعوا لَكَ لِيَكَلِّمُوكَ ، فَأَتَهُمْ ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَرِيعًا ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فِيمَا كَلَّمَهُمْ فِيهِ بَدَاءً ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا يَحِبُّ رَشْدَهُمْ ، وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنْهُمْ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ ؛ لِنَكَلِّمَكَ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ نَدْخُلُ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ ، لَقَدْ شَتَمْتَ الْآبَاءَ ، وَغَيَّبْتَ

.....

والله ، وشتمت الآلهة ، وسفّمت الأحلام ، وفزقت الجماعة ، فما بقي أمرٌ
 تحبيح إلا قد جثته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا
 الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن
 كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نُسودك علينا ، وإن كنت تريد
 به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا نراه قد غلب عليك
 - وكانوا يسمون التابع من الجن رثيا - فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا
 في طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نُعذر فيك ، فقال لهم رسولُ الله
 - صلى الله عليه وسلم : ما بي ما تقولون ، ما جئتُ بما جثتكم به أطلبُ
 أموالكم ، ولا الشرفَ فيكم ، ولا الملكَ عليكم . ولكن الله بعثني إليكم
 رسولا ، وأنزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبأنفثكم
 برسالات ربي ، ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا مني ما جثتكم به ، فهو حظكم في
 الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أُصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ،
 أو كما قال - صلى الله عليه وسلم - قالوا : يا محمد ، فإن كنت غيرَ قابلٍ منا شيئا
 مما عَرَضناه عليك ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بِلداً ، ولا
 أقلَّ ماءً ، ولا أشدَّ عيشاً منا ، فسَلْ لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليُسِّرْ
 عنا هذه الجبالَ التي قد ضَيَّقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها
 أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث
 لنا منهم : قُصَى بن كلاب ، فإنه كان شيخَ صدق ، فنسألهم عما تقول : أحقّ
 هو أم باطل ، فإن صدقوك ، وصنعتَ ما سألتناك ، صدَّقناك ، وعرفنا به منزلتَكَ

• • • • •

من الله ، وأنه بعثك رسولاً - كما تقول - فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه :
 ما بهذا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ ، إنما جِئْتُكُمْ من الله بما ابْعَثَنِي بِهِ ، وقد بَلَّغْتُكُمْ
 مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ ، فَهُوَ حِطُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ
 عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، قَالُوا : فَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ
 هَذَا لَنَا ، نَخْذُ لِنَفْسِكَ ، سَلِّ رَبِّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَعَكَ مَلَكًا يَصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ ،
 وَيَرْاجِعُنَا عَنْكَ وَسَلِّهِ ، فَلْيَجْعَلْ لَكَ جَنَانًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ
 يُغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي ، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ كَمَا تَقُومُ ، وَتَلْتَمِسُ لِلْعَاشِ
 كَمَا نَلْتَمِسُهُ ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَكَ وَمَنْزِلَتَكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا
 كَمَا تَزْعُمُ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، وَمَا أَنَا
 بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا ، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِشِيرَاءٍ
 وَنَذِيرٍ - أَوْ كَمَا قَالَ - فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ ، فَهُوَ حِطُّكُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، قَالُوا :
 فَاسْقُطِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا كِسْفًا كَمَا زَعَمْتَ أَنْ رَبَّكَ لَوْ شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ لَكَ إِلَّا أَنْ
 تَفْعَلَ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ
 شَاءَ أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ فَعَلَ ، قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَفَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ ،
 وَنَسْأَلُكَ عَمَّا سَأَلْنَاكَ عَنْهُ ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ مَا نَطْلُبُ ، فَيَتَقَدَّمَ إِلَيْكَ فَيُعَلِّمُكَ
 مَا تَرْاجِعُنَا بِهِ ، وَيُنْخَبِرُكَ مَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا ، إِذَا لَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ مَا جِئْتَنَا بِهِ ؟
 إِنَّهُ قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ إِنَّمَا يَمْلِكُ هَذَا رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ يُقَالُ لَهُ : الرَّحْنُ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ
 لَا نُؤْمِنُ بِالرَّحْنِ أَبَدًا ، فَقَدْ أَغْذَرْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا تَتْرُكُكَ .

• • • • •

هو ما بلغت منّا حتى نهلكك ، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة
وهي بنات الله . وقال : قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة
قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، قام عنهم ، وقام معه
عبدُ الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وهو ابن عمته
فهو لعائكة بنت عبد المطلب — فقال له : يا محمد ، عَرَضَ عليك قومك
ما عَرَضُوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ، ليعرفوا بها منزلتك من
الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك
ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن
تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل — أو كما قال له — فوالله
لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ، ثم ترقى فيه ، وأنا أنظر إليك
حتى تأتينا ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول .
وانم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — وانصرف رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إلى أهله
حزينا أسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْه ، ولما رأى من
مُباعديهم إياه .

فلما قام عنهم رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — قال أبو جهل : يا معشرَ
قريش ، إن محمداً قد أبى إلا ما ترَوْنَ من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه
أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجاسنَّ له غداً بجحر ما أطيق حمله

.

- أو كما قال - فإذا سجد في صلاته ، فَضَخْتُ به رأسه ، فأسلموني عند ذلك ،
أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدأ لهم ، قالوا : والله
لا نُسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله - صلى
الله عليه وسلم - ينتظره ، وغدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما كان يغدو ،
وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة وقبيلته إلى الشام ، فكان إذا صلى
صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام .
فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي وقد غدت قريش ، فجلسوا في أنديتهم
ينتظرون ما أبو جهل فاعل . فلما سجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً . مُنتَقِماً
لونه مرعوباً . قد يبست يده على حجره . حتى قذف الحجر من يده . وقامت
إليه رجال قريش . فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قتت إليه لأفعل به
ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عارض لي دونه فحلت من الإبل ، لا
والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل قصرته ، ولا أنيا به لفحل قط . فهم بي
أن يا كلني .

قال بن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
ذلك جبريل عليه السلام : لو دنا لأخذه .

فلما قال لهم ذلك أبو جهل . قام النضر بن الحارث بن كلفة بن علقمة
ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي .

.

قال ابن هشام : ويقال : النضرُ بنُ الحارث بن علقمة بن كلدانة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يا معشر قريش . إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتُم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أرضاكم فيكم . وأصدقكم حديثا . وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم به جاءكم به . قلتم : ساحرٌ ، لا والله ما هو بساحر . لقد رأينا السجرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم : كاهن . لا والله ما هو بكاهن ؛ قد رأينا الكهنة ، وتخالجهم . وسَمِعْنَا سَجْعَهُمْ ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ؛ قد رأينا الشعرَ ، وسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلَّهَا : هَزَجَهُ وَرَجَزَهُ ، وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنونَ ، فها هو بخنقه ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم .

وكان النضر بن الحارث من شياطين قُريش ، ومن كان يؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رُسُتُم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مجلسا فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نعمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قُريش ، أحسنُ حديثا منه ، فهلُمُّ إلى ، فأنا أحدثكم أحسنَ من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورُسُتُم واسبنديار . ثم يقول : بماذا محمدٌ أحسنُ حديثا مني ؟

.....

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأُنزل مثل ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول - فيما بلغنى : نزل
فيه ثمان آيات من القرآن : قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذَا تُلِيَتْ سَلَمِيهِ آيَاتُنَا قَالَ
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . القلم : ١٥ وكلَّ ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ
إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لها : سلامهم عن محمد ، وصفا لهم صِفَتَهُ ،
وأخبرهم بقوله ، فإنهم أهلُ الكتاب الأول ، وعندهم عِلْمٌ ليس عندنا من علم
الأنبياء ، فخرَجَا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبارَ يهود عن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - وَوصَفَا لهم أمره . وأخبرهم ببعض قوله . وقالوا لهم : إنكم أهلُ
التَّوراة . وقد جِئْنَاكم لتُخْذِرُونَا عن صاحبنا هذا . فقالت لها أحبار يهود : سَلُّوهُ
عن ثلاث نَأْمُرْكم بهنَّ . فإن أخبركم بهنَّ ، فهو نبيٌّ مُرْسَلٌ . وإن لم يفعل فالرجل
مُتَقَوِّلٌ . قَرَوْا فيه رأيكم . سَلُّوهُ عن فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ
أَمْرُهُمْ ، فإنه قد كان لهم حديثٌ عَجَبٌ ، وسَلُّوهُ عن رجل طَوَّافٍ قد بلغ مشارقَ
الأرض ومغاربها ما كان نَبَأُهُ ، وسَلُّوهُ عن الرُّوحِ ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك
فاتَّبِعُوهُ ، فإنه نبيٌّ . وإن لم يفعل ، فهو رجلٌ مُتَقَوِّلٌ . فاصنعوا في أمره ما بدا
لكم . فأقبل النضر بن الحارث ، وعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بن أبي عمرو بن أمية بن
عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيٍّ حتى قدما مَكَّةَ على قُرَيْشٍ . فقالا : يا معشر
قُرَيْشٍ ، قد جِئْنَاكم بفَصْلٍ ما بينكم وبين محمدٍ . قد أخبرنا أحبارُ يهود أن

تَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَمَرُونَا بِهَا ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَبَّلٌ . فَرَوَا فِيهِ رَأْيَكُمْ .

فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبَرْنَا عَنْ فَتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ قِصَّةٌ عَجَبٌ ، وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوَافًا قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا . وَأَخْبَرَنَا عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخْبِرْكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا ، وَلَمْ يَسْتَنْ ، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ ، فَكَثُرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَخَيَا ، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ ، حَتَّى أَزْجِفَ أَهْلُ مَكَّةَ وَقَالُوا : وَعَدْنَا مُحَمَّدٌ غَدًا ، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً . قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ . فَمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ ، وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُكِّثُ الْوَحْيِ عَنْهُ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، فِيهَا مَعَانِيَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ ، وَخَبَرُ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِتْنَةِ ، وَالرَّجُلِ الطَّوَافِ ، وَالرُّوحِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَذَكَرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِلْجِبْرِيلِ حِينَ جَاءَهُ : لَقَدْ احْتَبَسْتَ عَنِّي يَا جِبْرِيلُ حَتَّى سَوْتُ ظَنًّا ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : « وَمَا نَقَّزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » مَرْيَمَ : ٦٤ . فَانْتَقَحَ السُّورَةَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِحَمْدِهِ وَذَكَرَ نُبُوَّةَ رَسُولِهِ ، لِمَا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ الْكَهْفِ : ١ : ٢٦ . يَعْنِي : مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

إِنَّكَ رَسُولُ مَنِي : أَى تَحْقِيقِ لِمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ نَبِيِّتِكَ . ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ
عَوَاجِزًا قَيِّمًا ﴾ : أَى : مُعْتَدِلًا ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ . ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ
لَدُنْهُ ﴾ : أَى عَاجِلَ عَقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَعَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ مِنْ عِنْدِ
رَبِّكَ الَّذِي بَعَثَكَ رَسُولًا . ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ
أَنَّهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ، مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَرْبَابٌ ﴾ : أَى دَارِ الْخَالِدِ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا
الَّذِينَ صَدَّقُوا بِمَا جِئْتُ بِهِ مِمَّا كَذَّبَكَ بِهِ غَيْرُهُمْ ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ مِنْ
الْأَعْمَالِ . ﴿ وَبُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ يَعْنِي : قَرِيشًا فِي قَوْلِهِمْ :
إِنَّا نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ ، وَهِيَ بَنَاتُ اللَّهِ . ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾ الَّذِينَ
أَعْظَمُوا فِرَاقَهُمْ وَعَظِيبَ دِينِهِمْ . ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾
أَى : لِقَوْلِهِمْ : إِنِ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ . ﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ، فَلَعَلَّكَ
بِاخْتِغَانِكَ ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾
أَى : لِحُزْنِهِ عَلَيْهِمْ حِينَ فَاتَهُ مَا كَانَ يَرْجُو مِنْهُمْ ، أَى : لَا نَفْعَ لِي .

قال ابن هشام : باخع نفسك ، أَى : مُهْلِكَ نَفْسَكَ ، فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ
قال ذو الرِّمَّة :

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لَشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْقَادِرُ
وَجَمْعُهُ : بَاخِعُونَ وَبَخَعَةٌ . وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ :
قَدْ بَخَعْتُ لَهُ نَفْسِي وَنَفْسِي ، أَى جَعَلْتُ لَهُ . ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ
زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ .

قال ابن إسحاق : أى : أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتي . ﴿وإنما
تجاءلون ما عليها صعيداً جرّزاً﴾ : أى : الأرض ، وإن ما عليها لقان وزائل ،
وإن المرجع إلى ، فأجزى كلاً بعمله ، فلا تأس ، ولا تحزنك ما تسمع
وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صُعد . قال ذو الرِّثمة : يصف
ظنبيا صغيراً :

كأنه بالضحي ترمى الصعيد به دبابة في عظام الرأس خرطوم

وهذا البيت في قصيدة له . والصعيد أيضاً : الطريق . وقد جاء في الحديث :
﴿إياكم والقعود على الصُّعدات﴾ يريد الطرق . وأجرز : الأرض التي لا تُنبت
شيئاً ، وجمعها : أجزاز . ويقال : سنة جرّز ، وسنن أجزاز ، وهى التي
لا يكون فيها عطر ، وتكون فيها جدوية ويُنسـوشدة . قال ذو الرِّثمة
يصف إبلاً :

طوى النخز والأجزاز ما في بطونها فما بقيت إلا الصلوع الجراشع

وهذا البيت في قصيدة له :

حول سورة الكهف

قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سأله عنه من شأن الفتية .
فقال : ﴿إِذْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ :

أى : قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُجَجِي ما هو أعجب من ذلك .
قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذي رُقِمَ فيه بنجرهم ، وجمعه : رُقُم .
قال العجاج :

وَمُسْتَقَرُّ الْمُصْحَفِ الْمُرْقَمِ

وهذا البيت في أرجوة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا : رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ : لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾ : أى : بصدق الخبر عنهم : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ، فَقَالُوا : رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴾ : أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلو ومجاوزه الحق . قال أعشى بن قيس ابن ثعلبة :

لَا يَنْتَهَوْنَ ، وَلَا يَنْتَهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَيْتُ وَالْقُلُوبُ
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ هَوَلَاءَ قَوْمُ مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ آلِهَةٍ لَوْ لَا يَأْتُونَ عَائِيَهُمْ سُلْطَانٌ
بَيِّنٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَإِذِ ابْتَغَزَ لُثَمُومٌ ،
وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، فَأَوْوَا إِلَى السَّكَنَفِ ، يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
رَحْمَتِهِ ، وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ
تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ،
وَهُمْ فِي فِتْنَةٍ مِنْهُ ﴾ .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزَّور : وقال امرؤ القيس بن خُجَر :

وَإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلِّكًا بِسِيرٍ تَرَى مِنْهُ الْفُرَانِقَ أَزُورَا

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أبو الزَّحَف الكَلْبِيُّ يصف بلدًا :

جَابُ الْمُنْدَى عَنْ هَوَانَا أَزُورُ يُنْقِضِي الْمَطَايَا خِمْسَهُ الْعَشْرُ

وهذان البيتان في أرجوزة له . و « تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ » :

تجاوزهم وتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إِلَى ظُلْمٍ يَقَرِّضُنْ أَفْوَازَ مُشْرِفٍ شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ

وهذا البيت في قصيدة له . والفجوة : السمة ، وجمعها : الفجاء

قال الشاعر :

.

الْبَسْتُ قَوْمَكَ نَحْزَاةً وَمَنْقَصَةً حَتَّى أَبْجَحُوا، وَخَلَّوْا فُجُوةَ الدَّارِ

« ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ » أَى فِي الْحُجَّةِ عَلَى مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، مِمَّنْ أَمَرَ هَؤُلَاءِ بِمَسْأَلَتِكَ عَنْهُمْ فِي صِدْقِ نَبِيِّكَ بِتَحْقِيقِ
 الْخَبَرِ عَنْهُمْ . ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
 وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ، وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَذَاتَ
 الشَّمَالِ وَكَلِّبُهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ » .

قال ابن هشام : الوصيد : الباب . قال العباسي ، واسمه : عُيَيْدُ بْنُ وَهَبٍ :

بَارِضٍ فَلَاةٍ لَا يَسُدُّ وَصِيدُهَا عَلَى ، وَمَعْرُوفٍ بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ

وهذا البيت في أبيات له . والوصيد أيضا : الفناء ، وجمعه : وصائد ،
 ووُصِد ، ووُصِدَان ، وأُصِد ، وأُصِدَان .

﴿ لَوِاطَأَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلِيَّتٌ مِنْهُمْ فِرَارًا ، وَكَلِمَتٌ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾
 . . . إلى قوله : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ ﴾ أهل السلطان والملك
 : منهم : ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا سَاقِقُونَ ﴾ يعنى : أحبار يهود الذين أمروهم
 بالمسألة عنهم : ﴿ ثَلَاثَةٌ رَأَوْهُمْ كَلْبُهُمْ وَبِئْسَ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
 رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ أَى : لا علم لهم (وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ
 بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) :
 أَى : لا تكابرهم . ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ فإيهام لا علم لهم بهم .
 ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَاذْكُرْ

رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿١٠﴾
 أَيُّ : وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ سَأَلُوكَ عَنْهُ كَمَا قُلْتَ فِي هَذَا : إني مخبركم غداً . واستثنى
 مَسِيئَةَ اللَّهِ ، واذكر ربك إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ : عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا .
 سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ رَشَدًا ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَنَا صَانِعٌ فِي ذَلِكَ . ﴿١١﴾ وَلَبِثُوا
 فِي كُفْرِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسَعًا ﴿١٢﴾ : أَيُّ : سَيَقُولُونَ ذَلِكَ .
 ﴿١٣﴾ قُلْ : اللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ، لَهُ الْغَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ
 وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٤﴾ أَيُّ
 لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا سَأَلُوكَ عَنْهُ .

وقال فيما سأله عنه من أمر الرجل الطواف : ﴿١٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي
 الْقَرْنَيْنِ قُلْ : سَأَلْتُوْا عَلَيْهِمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ
 وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبَعِ سَبَبًا ﴿١٦﴾ الكهف : ٨٣ حتى انتهى إلى آخر
 قصة خبره .

وكان من خبر ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهُ أَوْتِيَ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدٌ غَيْرُهُ فَدَّتْ لَهُ
 الْأَسْبَابُ ، حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يبطأ أرضاً إلا
 سُلِّطَ عَلَى أَهْلِهَا ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراء شيء
 من الخلق .

قال ابن إسحاق : حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم ، فيما توارثوا
 من علمه : أَن ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، اسمه : مَرْزَبَانُ بْنُ مَرْذَبَةَ
 الْيُونَانِي ، من ولد يونان بن يافث بن نوح .

• • • • •

قال ابن هشام : واسمه : الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية ،
فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلابي
وكان رجلاً قد أدرك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سُئِلَ عن ذى
القرنين ، فقال : مَلِكٌ مَسَحَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بِالْأَسْبَابِ .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقول : يا ذا القرنين ،
فقال عمر : اللَّهُمَّ غَفِّراً ، أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ تَسْمُوا بِالْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَسْمِيَ بِالْمَلَأُئِسِكَةِ ؟
قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسول الله - صلى
الله عليه وسلم ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أسباب نزول بعض الآيات وعن الروح :

وقال تعالى فيما سأله عنه من أمر الروح : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ،
قُلِ : الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء : ٨٥ .

قال ابن إسحاق : وحدثت عن ابن عباس ، أنه قال : لما قدم رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - المدينة ، قالت أخبار يهود : يا محمد ، رأيت قولك :
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال : كلا ، قالوا :
فإنك تتلو فيما جاءك : أَنَا قَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ فِيهَا بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ . فقال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم : إنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم

.....

لَوْ أَقْتَمْتُمُوهُ . قال : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ : ﴿ وَلَوْ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان : ٢٧ : أى : إن التوراة في هذا من علم الله قليل .

عن تسيير الجبال وبعث الموتى :

قال : وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلَهُ قَوْمُهُ لَأَنْفُسِهِمْ مِنْ تَسْيِيرِ الْجِبَالِ ، وَتَقْطِيعِ الْأَرْضِ ، وَبَعَثَ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ مِنَ الْمَوْتَى : ﴿ وَلَوْ أَنْ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُلُّ نَفْسٍ لَبِئْسَ لَبِئْسَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْبَغْيًا ﴾ أى : لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِمْ : خُذْ لِنَفْسِكَ ، مَا سَأَلُوهُ أَنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُ جَنَانًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا ، وَيَبْعَثَ مَعَهُ مَلَكَ يَصْدَقُهُ بِمَا يَقُولُ ، وَيُرَدُّ عَنْهُ : ﴿ وَقَالُوا : مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ؟ لَوْ أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ، أَوْ يُنْفِقْ إِلَيْنَا كَنْزًا ، أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ : إِنَّ تَنْبِيْعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُسْجُورًا انْظُرْ : كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ، فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ، تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾ : أى من أن تمشي في الأسواق وتلتبس المعاش ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾ الفرقان ٧ : ١٠ .

• • • • •

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَطْمَهِمَ كَيْتًا كُلُّونَ الطَّعَامَ ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ مَكِينَةً ، أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ الفرقان : ٢٠ أى جعلت بعضكم لبعض بلاء ، لتصبروا ، ولوشئت أن أجعل الدنيا مع رُسلى فلا يُخالفوا لفعلت .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا : أَوْ تَكُونَ لَكَ جَمْعَةٌ مِنْ نَحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مَكِيًّا ، أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ . حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا يَقْرَوُهُ . قُلْ : سُبْحَانَ رَبِّي . هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ . الإسراء : ٩٠ - ٩٥ .

قال ابن هشام : ينبوع : مانع من الماء من الأرض وغيرها . وجمعه ينابيع . قال ابن هرمة . واسمه : إبراهيم بن عبد الله الفهري .

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَجْرَةً تُزِفُ الشُّثُونَ . وَدَمْعُكَ الْيَنْبُوعُ

وهذا البيت في قصيدة له . وَالْكَسْفُ الْقِطْعُ مِنَ الْعَذَابِ . وَوَاحِدَتُهُ : كِسْفَةٌ . مِثْلُ سِدْرَةٍ وَسِدْرٍ . وَهِيَ أَيْضًا : وَاحِدَةُ الْكَسْفِ . وَالْقَبِيلُ : يَكُونُ مَقَابِلَةً وَمَعَانِيَةً .. وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ : أى : عيانا . وَأَنْشَدَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ الْأَعَشَى بْنُ قَيْسٍ بَنِي ثَعْلَبَةَ :

أَصْلَحَكُمْ ، حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى يُسَرِّتُهَا قَبِيلُهَا

.....

يعنى : القابلة ؛ لأنها تُقابِلها ، وتقبِل ولدها . وهذا البيت في قصيدة له . ويقال :
القبيل : جمعه قُبُل ، وهى الجماعات ، وفي كتاب الله تعالى : ﴿ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ﴾ . الأنعام : ١١١ فقبِل : جمع قبيل ، مثل سُبُل : جمع سبيل
وسُرُر : جمع سرير ، وقُمص : جمع قميص . والقبيل أيضا : فى مَثَل من الأمثال
وهو قولهم : ما يعرف قَبِيلًا من دَير : أى : لا يعرف ما أقبل ممَّا أدبر ، قال
الكُميت بن زيد :

تَفَرَّقَتِ الْأُمُورُ بِوَجْهِتِهِمْ فَمَا عَرَفُوا الدَّيْرَ مِنَ الْقَبِيلِ

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا : القتل ، فما قُتِل إلى
الذراع فهو القَبيل ، وما قُتِل إلى أطراف الأصابع فهو الدَّير ، وهو من الإقبال
والإدبار الذى ذكرتُ . ويقال : قَتَلُ الْمَغْزَل . فإذا قُتِل إلى الركبة فهو القَبيل ،
وإذا قُتِل إلى الْوَرِكِ فهو الدَّير . والقَبيل أيضا : قومُ الرجل . والزخرف :
الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

مِنْ طَلَلِ أُنْسَى تَخَالَ الْمُضْحَقَا رُسُومَهُ وَالْمُذْهَبَ الْمُزَخْرَفَا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ، ويقال أيضا لكلِّ مُزَيَّنٍ : مُزَخْرَف .

قال ابن إسحاق : وأنزل عليه فى قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما تعلمك
رجل باليامة . يقال له : الرحمن . ولن نؤمن به أبداً : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي
أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُو عَلَيَّهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . وَهُمْ

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ . قُلْ : هُوَ رَبِّي . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ .
وإليه متاب ﴿ . الرعد : ٣٠ .

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام - لعنه الله - وما هم به : ﴿ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ وَأَمَرَ بِالْعَقْوَىٰ ، أَرَأَيْتَ
إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ
لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ،
كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ سورة العاق .

قال ابن هشام : كنسفعاً : لنجذب ، ولناخذن . قال الشاعر :

قومٌ إِذَا سَمِعُوا الصُّرَاخَ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْحِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ

والنادى : المجلس الذي يجتمع فيه القوم ، ويقضون فيه أمورهم .
وفي كتاب الله تعالى : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ العنكبوت : ٢٩
وهو الندى . قال عبيد بن الأبرص :

اذهب إليك فإني من بني أسد أهل الندى ، وأهل الجرد والنادى

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مريم . ٧٣ . وجمعه : أندية . يقول :
فلْيَدْعُ أَهْلَ نَادِيهِ . كما قال تعالى : ﴿ وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ يوسف : ٨٢ يريد
أهل القرية . قال سلامة بن جندل ، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم :

يَوْمَانِ : يَوْمُ مَقَامَاتٍ ، وَأَنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ

.

وهذا البيت في قصيدة له . وقال السكيت بن زيد :

لا مَهَازِيرَ فِي النَّدَى مَكَاثِيرَ وَلَا مُضْمِتِينَ بِالْإِفْحَامِ

وهذا البيت في قصيدة له . ويقال : النّادى : الجلّساء . والزبانية : الغلاظة . الشّداد ، وهم في هذا الموضع : خزانة النار . والزبانية أيضاً في الدنيا : أعوان الرجل الذين يخدمونه ويُعينونه ، والواحد : زبنيّة . قل ابن الزبعرى في ذلك :

مَطَاعِمُ فِي الْمَقْرَى ، مَطَاعِينُ فِي الْوَعَى

زَبَانِيَّةٌ غُثْبٌ ، عِظَامٌ حُلُومُهَا

يقول : شِدَادٌ . وهذا البيت في أبيات له . وقال صخر بن عبد الله الهذلي ، وهو صخر النّعيّ :

وَمِنْ كَبِيرٍ نَقَرٌ زَبَانِيَّةٌ

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عَرَضُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ : ﴿ قُلْ : مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . سَبَأُ : ٤٧ ﴾ .

فلما جاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ، وَعَرَفُوا صِدْقَهُ فِيمَا حَدَّثَ ، وَمَوْقِعَ نُبُوَّتِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ حِينَ سَأَلُوهُ عَمَّا

.....

سألوا عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين أتباعه وتصديقه فَعَتُوا على الله وتركوا أمره عيانا ، ولجؤا فيما هم عليه من الكُفر ، فقال قائلهم : لَا تَسْمَعُوا لهذا القرآن والعوا فيه لعلكم تغلبون ، أى : اجعلوه لغوا وباطلا ، واتخذوه هُزُوءاً لعلكم تغلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصتموه يوما غلبكم .

فقال أبو جهل يوما — وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعمُ محمدٌ أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار ، ويحبسونكم فيها تسعةَ عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً ، وكثرةً ، أفيعجزُ كلُّ مائة رجلٍ منكم عن رجلٍ منهم ؟ فأُنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . المذثر : ٣١ إلى آخر القصة ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — بالقرآن وهو يصلى ، يتفرقون عنه ، ويأبون أن يستمعوا له ، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن ، وهو يصلى ، استرق السمعَ دونهم فرَقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشيةً أذاهم ، فلم يستمع ، وإن خَفَضَ رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — صوته ، فظن الذى يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته ، وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه .

قال ابن إسحاق : حدثني داود بن الحصين ، مولى عمرو بن عثمان ، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم :

.

إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء : ١١٠ . من أجل أولئك النفر . يقول : لا تجهر بصلواتك فيفترقوا عنك ، ولا تخافت بها ، فلا يسمعوها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم ، لعلَّ يرعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به .

أول صحابي جهر بالقرآن :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة عبدُ الله ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : اجتمع يوما أصحابُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : والله ما سمعتُ قريشَ هذا القرآن يُجهر لها به قطُّ ، فمن رجل يُسمعه لهم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قلوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرةٌ يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي . قال : ففدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريشٌ في أنديةٍها حتى قام عند المقام ثم قرأ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ رافعا بها صوته ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ قال : ثم استقبلها بقرؤها . قال : فتأملوه فجعلا يقولون . ماذا قال ابنُ أمِّ عبدٍ ؟ قال : ثم قالوا : ليتلو بعض ما جاء به محمدٌ ، فقاموا إليه ، فجعلا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خَشِينَا عَلَيْكَ فقال : ما كان أعداء الله أهونَ على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً ، قالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعتمهم ما يكرهون .

.

مالقى رسول الله (ص) من قومه :

فصل : فيما لقي رسول الله صلى عليه وسلم من قومه ، ذكر ابن إسحاق والواقدي والتيمي ، وابن عُبَيْة وغيرهم في هذا الباب أموراً كثيرةً تتقارب ألفاظها ومعانيها ، وبعضهم يزيد على بعض ، فمنها حَثُّ سفهاءهم الترابَ على رأسه ، ومنها أنهم كانوا يَنْضِدُون^(١) الْفَرَثَ والأَفْعَاثَ والدماءَ على بابه ، ويطرحون رَحِمَ الشاةِ في بُرْمَتِهِ ، ومنها : بَصْقُ أُمَيَّةَ بن خلف في وجهه ، ومنها : وطء عقبة بن أبي مُعَيْط^(٢) على رقبته ، وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ، ومنها أخذُهم بِمُخَنَّقِهِ حين اجتمعوا له عند الحِجْر ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وزاد غيره الخبر أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فَجَبَذُوا

(١) يَنْضِدُونَ : يضعون بعضه فوق بعض ، والألفاظ جمع الفحث — يسكون الحاء وكسرها — شيء متصل بالكركش ذو أطباق وأجواف ، والفرت ما في داخل الكركش

(٢) قتل بعد بدر ، وقيل : قتل صبراً مع النصر في بدر وقد روى البخاري في كتاب خلق أفعال العباد . وأبو يعلى وابن حبان عن عمرو بن العاصي : « ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا يوم أغروا به وهم في ظل الكعبة جلوس ، وهو يصلي عند المقام ، فقام إليه عقبة ، فجعل رداه في عنقه ، ثم جذبه ، حتى وجب لركبتيه ، وتصايح الناس ، وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضيق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ورائه ، وهو يقول : أقتلون رجلاً أن يقول : ربي الله ، ثم انصرفوا عنه ، فلما قضى صلاته ، مربهم ، فقال : والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح ، فقال له أبو جهل : يا محمد ما كنت جهولاً ، فقال : أنت منهم »

رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره ، وأما السَّبُّ والهَجْو والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبائه ، وهو ينظر ، فقد ذكر من ذلك ابن إسحاق ما في الكتاب ، وقد قال أبو جهل لسميَّة أمِّ عُمَار بن ياسر : ما آمنت بمحمد إلا لأنك عَشِقتَه بلحاله ، ثم طعنها بالحربة في قُبُلها حتى قتلها ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة .

السبب في تلقيب بالمدثر والنذير العربيه :

وذكر ابن إسحاق قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « دَثِرُونِي دَثِرُونِي » فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ ^(١) قال بعض أهل العلم : في تسميته إياه

(١) ذكر في أسباب نزول هذه الآيات — روايتان . أما الاولى : فعن يحيى قال : سألت أبا سلة رضى الله عنه : أى القرآن أنزل أول ؟ فقال : يا أيها المدثر . قلت : أنبتت : أنه اقرأ باسم ربك ، فقال : لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : جاورت في حراء ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فاستبطنت الوادى ، فنوديت ، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى ، وعن شمالى فإذا هو جالس على عرش بين السماء والارض ، فأتيت خديجة ، فقلت : دَثِرُونِي ، وَصَبُوا عَلَى مَاءٍ بَارِداً ، ففعلوا ، وَأَنزَلَ عَلَى : يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ، قُمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ، رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

أما الرواية الاخرى فعن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو يحدث عن فترة الوحى ، فقال فى حديثه : « فبينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض ، فجلست منه رعباً ، فرجعت ، فقلت : زملونى ، فدَثِرُونِي ، فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ — إِلَى — وَالرَّجْزُ فَاهْجُرْ قَبْلَ أَنْ تَقْرَءَ الصَّلَاةَ . البخارى ومسلم والإمام أحمد . والروايتان عن جابر بن عبد الله .

وذكر الطبرانى رواية ثالثة يسند ضعيف عن ابن عباس قال : إن الوليد ابن المغيرة صنع لقريش طعاماً ، فلما أكلوا منه قال : ما تقولون فى هذا الرجل ؟

بِالْمَدَّثَرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُلَاطَفَةٌ وَتَأْنِيسٌ ، وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا قَصَدَتْ الْمَلَاظِفَةَ أَنْ تَسْمِيَ الْخَاطِبَ بِاسْمِ مُشْتَقٍّ مِنَ الْحَالَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَذِيفَةِ : قُمْ يَا نَوْمَانُ ، وَقَوْلُهُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَقَدْ تَرَبَّ جَنْبُهُ : قُمْ يَا تُرَابٍ ^(١) . فَلَوْ نَادَاهُ سَبْحَانَهُ ، وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْكَرْبِ بِاسْمِهِ ، أَوْ بِالْأَمْرِ الْمَجْرُودِ مِنْ هَذِهِ الْمَلَاظِفَةِ لَهَالَهُ ذَلِكَ ، وَلَسَكُنَ لَمَّا بَدَى ، يَأْيَاسُهَا الْمُدَّثَرُ أَنْسَ ، وَعَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ رَاضٍ عَنْهُ ، أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ عِنْدَمَا لَقِيَ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ وَالْكَرْبِ مَا لَقِيَ : رَبِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي ^(٢) إِلَى آخِرِ الدَّعَاءِ ، فَكَانَ مَطْلُوبُهُ رِضَا رَبِّهِ ، وَبِهِ كَانَتْ تَهَوَّنَ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ يَنْتَظِمُ بِأَيَّاهَا الْمُدَّثَرُ مَعَ قَوْلِهِ : قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَمَا الرِّابِطُ بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ ، حَتَّى يَلْتَمِثَا فِي قَانُونِ الْبَلَاغَةِ ، وَيَقْشَا كَلَا فِي حِكْمِ الْفَصَاحَةِ ؟ قُلْنَا : مِنْ صِفَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ حِينَ قَالَ : أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ ، وَهُوَ مَثَلٌ ، عُرُوفٌ عِنْدَ الْعَرَبِ ، يَقَالُ لِمَنْ أُنْذَرَ بِقُرْبِ

== فَقَالَ بَعْضُهُمْ : سَاحِرٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَيْسَ بِسَاحِرٍ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَاهِنٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَيْسَ بِكَاهِنٍ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : شَاعِرٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَيْسَ بِشَاعِرٍ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ سِحْرٌ يُوَثِّرُ ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنَّهُ سِحْرٌ يُوَثِّرُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَحَزَنَ ، وَقَنَعَ رَأْسَهُ ، وَتَدَثَّرَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثَرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ، وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ ، وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) وَأَخْرَجَهُ الْبَزَارُ بِنَحْوِهِ عَنْ جَابِرٍ .

(١) كَانَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ قَدْ غَاضَبَ فَاطِمَةَ ، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلَ فَاطِمَةَ ، وَعَلِمَ بِهَذَا ، أَرْسَلَ مِنْ يَحِثُّ عَنْهُ ، لِحَاجَةٍ ، فَأَخْبِرَهُ أَنَّهُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَجَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تَرَابٌ . فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمْسَحُهُ عَنْهُ ، وَيَقُولُ : قُمْ يَا تَرَابُ ، قُمْ يَا تَرَابُ .. مَخْتَصِرٌ مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

(٢) مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ .

العدو ، وبالف في الإنذار ، وهو النذير العُرْيَان^(١) ، وذلك أن النذير الجادَّ يُجَرِّدُ ثوبه ، ويُشير به إذا خاف أن يسبق العدوُّ صوته ، وقد قيل : إن أصل المثل لرجل من خَثَمَ سلبه العدوُّ ثوبه ، وقطعوا يده ، فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال ، فقوله عليه السلام : أنا النذير العريان أى : مثلى مثل ذلك ، والتدثر بالثياب مُضَادٌّ لِلتَّعَرَّى ، فكان فى قوله : (يا أيها المدثر) مع قوله : (قم فأنذر) والنذيرُ الجادُّ يسمى : العُرْيَان : تشاكل يَيْنَ ، والثمام بديعٌ وسَمَاقَةٌ فى المعنى ، وجَزَّ آله فى اللفظ .

تقديم المفعول على الفعل :

وقوله بعد هذا : (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أى : ربك كبير ، لا غيره لا يكبر عليك شيء من أمر الخلق ، وفى تقديم المفعول على فعل الأمر إخلاصٌ ، ومثله قوله : إِيَّاكَ نَعْبُدُ [وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] أى : لا نعبد غيرك [ولا نستعين إلا بك]^(٢) ، ولم يقل : نعبدك ونستعينك ، وفى الحديث : إذا قال العبد : إِيَّاكَ نعبد ، وإِيَّاكَ نستعين ، يقول الله تعالى : أخلص لى عبدى العبادة ، واستعاننى عليها ، فهذه بينى وبين عبدى^(٣) .

(١) روى الصحيحان قول النبي ﷺ : « إنما مثلى ، ومثل ما بعثنى الله كمثل رجل أتى قومه ، فقال : يا قوم : إني رأيت الجيش بعينى ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة من قومه ، فأدلجوا ، وانطلقوا على مهلبهم ، فنجوا ، وكذبت طائفة منهم ، فأصبحوا مكاظم ، فصبحهم الجيش ، فأهلكهم ، واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى ، واتبع ما جئت به ، ومثل من عصانى ، وكذب ما جئت به من الحق » وانظر بجمع الأمثال

(٢) الزيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) فى رواية مسلم : « وإذا قال : إِيَّاكَ نعبد ، وإِيَّاكَ نستعين ، قال : هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل »

عتبة بن ربيعة والرئي :

فصل : وذكر قول عتبة : إن كان هذا رئيًّا تراه . ولفظة بني تميم : رئيًّا بكسر الراء ، وكذلك يقولون في كل فعل عين الفعل منه همزة ، أو غيرها من حروف الخلق ، يكسرون أوله ، مثل : رحيم وشهيد والرئي : ففعل بمعنى مفعول ^(١) ، ولا يكون إلا من الجن ، ولا يكون ففعل بمعنى مفعول في غير الجن . إلا أن يؤثر فيه الفقل نحو : جريح وقتيل وذبيح وطحين ، ولا يقال من الشكر : شكير ، ولا ذكرته فهو ذكير ، ولا فيمن لطيم : لطيم إلا أن تغير منه اللطمة ، كما قالوا : لطيم الشيطان . قال ابن الزبير حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق [ابن العاص] ^(٢) : ألا إن أباذبان قتل لطيم الشيطان : ﴿ كذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ الأنعام : ٢٩ . وقالوا من الحمد : حميد ، ذهبوا به مذهب كريم ، وكذلك قالوا في الجن : رئي ، وإن كانت الرؤيا لا تؤثر في المرئي ؛ لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونجى .

(١) وعن اللحياني : رئي بكسر الراء — إذا كان يحبه ويؤلفه ، وفي اللسان كذلك : هو ففعل أو فمفعول سمي به لأنه يترامى لمتبوعه ، أو هو من الرأى من قولهم : فلان رئي قومه بفتح الراء وكسر الهمزة وتضعيف الياء ، إذا كان صاحب وأهم . وحروف الخلق هي حروف الهجاء التي تخرج من الخلق عند النطق ، وهي الهمزة والحاء والخاء والعين والغين والهاء .

(٢) الذي قتله عبد الملك بن مروان ، وكان الأشدق يلقب بلطيم الشيطان فلما بلغ ابن الزبير مقتله ، وهو بمكة صعد المنير ، وقال ما ذكره السهيلي ، وأبو ذبان بكسر الذال وتشديد الباء مع فتح كنية لعبد الملك بن مروان ، وقد كنى بها لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه (ص ٧٩ الاشتقاق لابن دريد وتعليقاته للأستاذ عبد السلام هارون) .

(٣) عن قصة عتبة روى عبد ابن حميد في مسنده عن ابن أبي شيبة بسنده عن

جابر وأبو يعلى أيضا بسنده عن جابر : (اجتمعت قريش يوما ، فقالوا : انظروا
أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا ،
وشئت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكنمه ولننظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما تعلم
أحدا غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة ، فقال : يا محمد
أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله «ص» فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟
فسكت رسول الله «ص» فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا
الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم حتى نسمع قولك ،
وإنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشئت
أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش
ساحرا وأن في قريش كاهنا ، والله ما تنتظر إلا مثل صيحة الجبل أن يقوم
بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى تتفانى . أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة
جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وأخذنا ، وإن كان إنما بك من الباءة ،
فاختر أي نساء قريش شئت ، فلنزوجك عشرا ، فقال رسول الله «ص» فرغت ؟
قال : نعم ، فقرأ رسول الله «ص» من أول سورة فصلت إلى قوله سبحانه :
(فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة :
حسبك حسبك ما عندك غير هذا ؟ فقال رسول الله «ص» لا . فرجع إلى قريش ،
قالوا : ما وراءك . قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته
قالوا : فهل أجابك ؟ قال : نعم والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قاله ، غير أنه
أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : وبيك يكلمك الرجل بالعربية
لا تدرى ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة ، وقد
ساقه البغوى بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي
الكوفي ، وقد ضعف بعض الشيء عن الزبال بن حرملة عن جابر ، فذكر الحديث
إلى قوله « فإن أعرضوا » فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم ، ورجع إلى
أهله ، ولم يخرج إلى قريش ، واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش
والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد ، وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة

إسلام حمزة :

فصل : وذكر إسلام حمزة ، وأمه : هالة بنت أبي هيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأهيب : عم أمه بنت وهب تزوجها عبد المطلب ، وتزوج ابنه عبد الله أمته في ساعة واحدة ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة . وولدت أمته لعبد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أرضعتهما ثوبية كما تقدم ، وزاد غير

أصابعه ، فانطلقوا بنا إليه ، فانطلقوا إليه ، فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبأت إلى محمد ، وأعجبك طعامه ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فنضب عتبة ، وأقسم ألا يكلم محمدا أبداً . وقال : والله لقد علمت أني من أكثر قريش مالا ، ولكني أتيتك ، وقصصت عليه القصة ، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ، ولا كهانة ، ولا سحر . وقرأ السورة إلى قوله تعالى : (فإن أعرضوا .) فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يكف ، وقد علمت أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب ، تخشيت أن ينزل بكم العذاب ، وسياق ابن إسحاق أشبه .

(١) حمزة هو أخو النبي «ص» من الرضاعة أرضعتهما - كما سيذكر السبيل - ثوبية مولاة أبي لهب ، وقد ثبت هذا في الصحيحين . وقد أسلم حمزة في الثانية أو الثالثة - كما في الإصابة والاستيعاب - أو في السادسة كما ذكر ابن الجوزي .

(١) في الإصابة أنه ولد قبل النبي بأربع ، ولا يشك هذا مع حديث الأخوة من الرضاعة إذ يمكن القول بأنها أرضعتهما في زمنين مختلفين . وكنيته : أبو عماره بابن له من امرأة من بني النجار ، وقيل : هي بنت له ، وقيل : كنيته أبو يعلى الذي قيل إنه لم يعيش له ولد سواه . وفي ابن هشام أن التي كلمته هي مولاة عبد الله بن جدعان . وعند غيره أن صفية أخته هي التي كلمته . ولا منافاة فمعد ابن أبي حاتم : أخبرته امرأتان .

ابن إسحاق في إسلام حمزة أنه قال : لما احتملني الغضب ، وقلت : أنا على قوله ، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي ، وبت من الشك في أمر عظيم لا أكتعل بنوم ، ثم أتيت الكعبة ، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدري للحق ، ويذهب غي الرب (١) فما استتممت دعائي حتى زاح غي الباطل ، وامتلأ قلبي يقينا — أو كما قال — فغدوت إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمري ، فدعا لي بأن يُنَبِّئَنِي الله ، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم :

حَدَّثَ اللَّهُ حِينَ هَدَى فُؤَادِي	إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِدِينَ الْخَنِيفِ
لِدِينٍ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ	خَيْرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفِ
إِذَا تَلَيْتُ رِسَالَهُ عَلَيْنَا	تَحَدَّرَ دَمْعُ ذِي الْأَبِّ الْخَصِيفِ
رِسَائِلُ جَاءَ أَحَدٌ مِنْ هَدَاها	بِآيَاتٍ مُبَيِّنَةٍ الْحُرُوفِ
وَأَحَدٌ مُصْطَفَى فِينَا (٢) مَطَاعٌ	فَلَا تَغْشَوْهُ بِالْقَوْلِ الْعَنِيفِ
فَلَا وَاللَّهِ نُسَلِّهِ لِقَوْمٍ	وَلَمَّا نَقَضَ فِيهِمُ السِّمُوفِ
وَفَرَّكَ مِنْهُمْ قَتْلَى بَقَاعٍ	عَلَيْهَا الطَّيْرُ كَالْوَرْدِ الْعُكُوفِ

(١) وعند يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه قال لنفسه بعد رجوعه من شج أبي جهل : أنت سيد قریش اتبعت هذا الصابي ، وتركت دين آبائك . للبوت خير لك مما صنعت . ثم قال : اللهم إن كان هذا رشدا ، فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي بما وقعت فيه مخرجا . ثم غدا إلى رسول الله يطلب نصيحته ، فوعظه حتى ثبت إيمانه .

(٢) في الأصل : فينا مصطفي وهو خطأ يكسر البيت .

وقد خُبرت ما صنعت ثقيف به ، فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس شرَّ جزاء قومٍ ولا أسقام صَوَّبَ التعريف.

طلب الآيات :

فصل : وذكر ما سأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم ، وإزالة
الملائكة عليه ، وغير ذلك ، جهلا منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق ، وتعبدهم
بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة ، فيقع الثواب
على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء ، وحصل لهم العلم الضروري ، بطلت
الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب ، إذ لا يؤجر الإنسان على ما ليس
من كسبه ، كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم
من الدلائل ما يقتضى النظر فيه العلم الكسبي ، وذلك لا يحصل إلا بفعل من
أفعال القلب ، وهو النظر في الدليل ، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق
الرسول ، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعون ، ويفنيهم عن
إرسال الرسل إليهم ، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين ، فجعل الأمر
يُعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكير واعتبار ؛ لأنها دار تعبد واختبار ،
وجعل الأمر يُعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار ، لا يستحق به ثواب ولا جزاء ،
وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى ، حكمة دبرها ، وقضية
أحكامها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَسْنَا أَنْ تُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
الْأَوَّلُونَ ﴾ الإسراء : ٥٩ . يريد - فيما قال أهل التأويل - إن التكذيب
بِالآيات نحو ما سأله من إزالة الجبال عنهم وإزالة الملائكة يوجب في حكم

الله ، أَلَّا يُكَلِّبُ السَّكَافِرِينَ بِهَا ، وَأَنْ يَعاْجِلَهُمْ بِالنِّقْمَةِ ، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون ، فلو أعطيت قريش ما سألوه من الآيات ، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يَلْتَبِثُوا ، والسكن الله أكرم محمدا في الأمة التي أرسله إليهم ثم إذ قد سبق في علمه أن يكذب به مَنْ يكذب ، ويصدق به مَنْ يصدق ، وابتعته رحمة للعالمين بَرَّةً^(١) وفاجر ، أما البرُّ فرحمته إليهم في الدنيا والآخرة ، وأما الفاجر ، فإنهم أمنوا من الخُصْفِ والفرق وإرسال حاصب عليهم من السماء . كذلك قال بعض أهل التفسير في قوله : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء : ١٠٧ مع أنهم لم يسألوا ما سألوا من الآيات إلا تَعَثُّوا واستهزاء ، لاعلى جهة الاسترشاد ، ودفع الشك ، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف ، قال الله سبحانه : ﴿ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ المنكوتة ٥١ الآية ، وفي هذا المعنى قيل :

لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مَبِينَةٌ كَانَتْ بِدَاهَتُهُ مُنْبِتِيكَ بِالْخَبَرِ

وقد ذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية أنهم سألوا أن يجعل لهم الصفة

(١) يقول ابن كثير عن مجلس المشركين وسؤالهم ما سألوا : « وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له ، لو علم الله منهم أنهم إنما يسألون ذلك استرشادا لا جيوها إليه ، ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا فقبل رسول الله صر : إن شئت أعطيناهم ما سألوا ، فإن كفروا عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة . فقال : بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة ، وختم كلام ابن كثير ورد في حديث رواه أحمد عن ابن عباس .

ذهبوا ، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَدْعُو اللَّهَ لَهُمْ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا شِئْتُمْ إِنْ شِئْتُمْ فَعَلْتُمْ مَا سَأَلْتُمْ ، ثُمَّ لَا تُدْلِيْثُكُمْ إِنْ كَذَبْتُمْ بَعْدَ مَعَايِنَةِ الْآيَةِ ، فَقَالُوا : لَاحَاجَةٌ لَنَا بِهَا (١) .

عبد الله بن أبي أمية :

فصل : وذكر قول عبد الله بن أبي أمية له ، واسم أبي أمية : حُذَيْفَةُ : وَاللَّهُ لَا أَوْ مِنْ بَكَ حَتَّى تَتَّخِذَ سُلَامًا (٢) إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ ، وَقَدْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ إِسْلَامِهِ .

هم أبي جهل بإلقاء الحجر :

وذكر خبر أبي جهل ، وما هم به من إلقاء الحجر على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو ساجد ، وقد رواه النَّسَوِيُّ بِإِسْنَادٍ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ : فَنَكَّصَ أَبُو جَهْلٍ عَلَى عَقْبَيْهِ ، فَقَالُوا : مَا لَكَ ؟ فَقَالَ : إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَتَخْتَدِقًا مِنْ نَارٍ ، وَهُوَ لَا وَأُجْنَحَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ دَنَا لَخْتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا ، وَخَرَّجَهُ أَيْضًا . وَذَكَرَ النَّسَوِيُّ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لَهُ :

(١) روى أحمد قريباً منه

(٢) في ابن كثير بعد حديثه في السيرة : حتى تأتيا : وتأتاني معك بصحيفة منشورة ، ومعك أربعة : . الخ .

(٣) وابن حنبل والفساني وابن جرير وابن أبي حاتم ، وسياق نص الأحاديث التي ذكرت حول هذا في الصفحة الآتية .

ألم أنهلك؟ فوالله ما بمكة نادٍ أعز من نادى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلْيَدْعُ ناديه ﴾ ، سَدَّعُ الزَّبَانِيَّةَ ^(١) العلق .

(١) روى البخارى عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم - فقال : لئن فعل ، لأخذته الملائكة ، وكذا رواه الترمذى والنسائى فى تفسيرهما ، وهكذا رواه ابن جرير .

وروى أحمد والترمذى والنسائى وابن جرير — وهذا لفظه من طريق داود ابن أبى هند — عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند المقام ، فمر به أبو جهل بن هشام ، فقال : يا محمد ! ألم أنهلك عن هذا ؟ وتوعدده ، فأغلظ له رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وانتهره ، فقال : يا محمد بأى شئ تهددنى ؟ أما والله لئن لا أكثر هذا الوادى نادياً فأنزل الله : ﴿ فلیدع ناديه ﴾ ، سندع الزبانية) وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وعن أبى هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعرف محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ، قال : فقال : والللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبتة ولأعقرن وجهه فى التراب ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يصلى ليلاً على رقبتة ، قال : فما لجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى يديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ فقال إن بينى وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا ، قال : وأنزل الله لا أدرى فى حديث أبى هريرة أم لا : (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة ، رواه مسلم وابن حنبل والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم ، وهكذا تؤكد هذه الأحاديث فرضية الصلاة قبل الإسراء .

تفسير أُرأيت:

قال محمد بن يزيد: في الكلام حذف، تقديره: أُرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى، أمصيب هو أو مُحطى؟ وكذلك في قوله: ﴿أُرأيت إن كان على الهدى﴾ العلق كأنه قال: أليس من ينهيه بضال؟ وقوله ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ العلق أى لَنَأْخُذَنَّ بها إلى النار، وقيل معنى السَّفْع ههنا: إزالته وقهره، والنادى والنَّدَى والمُنْتَدَى بمعنى واحد، وهو: مجلسُ القوم الذين يَتَنَادَوْنَ إليه، وقال أهل التفسير فيه أقوالاً متقاربة، قال بعضهم: فَلْيَدْعُ حَيَّه، وقال بعضهم: عَشِيرَتَه، وقال بعضهم: مجلسه، وفي أُرأيت معنى: أخبرنى، ولذلك قال سيبويه: لم يجز إلغاؤها، كما تُلغى: علمت إذا قلت: علمت أُرأيت عندك أم عَمَرْتُ، ولا يجوز هذا في: أُرأيت، ولا بُدَّ من النَّصْب إذا قلت: أُرأيت زَيْداً، أبُو مَنْ هو؟ قال سيبويه: لأن دخول معنى أخبرنى فيها لا يجعلها بمنزلة: أخبرنى في جميع أحوالها، قال المؤلف: وظاهر القرآن يقضى بخلاف ما قال سيبويه إلا بعد البيان، وذلك أنها في القرآن مُلغاة؛ لأن الاستفهام هو مطلوبها، وعليه وقعت في قوله: ﴿أُرأيت، إن كَذَّبَ وتولى، أَلَمْ يَظُنْ﴾ العلق: فقوله: أَلَمْ يَظُنْ: استفهام، وعليه وقعت: أُرأيت، وكذلك: أُرأيتُمْ، وأُرأيتُكُمْ في الأنعام، فإن الاستفهام واقع بعدها نحو: ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام: ٤٧. وهذا هو الذى منع سيبويه في: أُرأيت وأُرأيتك أبومن أنت؟ وأما البيان فالذى قاله سيبويه صحيح، ولكن إذا ولى الاستفهام: أُرأيت، ولم يكن لها مَفْعُولٌ سوى الجملة، رأما في هذه المواضع التى فى التنزيل، فليست الجملةُ المستنهمُ عنها هى مَفْعُول: أُرأيت، إنما مَفْعُولُها محذوفٌ يدل عليه

الشرطُ ، ولا بد من الشرط بعدها في هذه الصور ؛ لأن المعنى : أرأيتم صنيعكم إن كان كذا ، وكذا ، كما يقول القائل : أرأيت إن لقيت العدو أقتاتله أم لا ؟ تقدير الكلام : أرأيت رأيك أو صنيعك إن لقيت العدو فخرف الشرط ، وهو : إن ، دالٌّ على ذلك المحذوف ، ومُرْتَبِط به ، والجملة المستفهم عنها كلامٌ مُستأنف منقطع ، إلا أن فيه زيادةً بيانٍ لما يستفهم عنه ، ولو زال الشرط ، ووليها الاستفهام أَقْبَحُ كما قال سيديويه ، ويحسنُ في : علمت ، وهل علمت وهل رأيت ، وإنما قُبِحَ مع رأيت خاصة ، وهي التي دخلها معنى : أخبرني فتدبرّه .

الأساطير ومسمى عن الفرس :

فصل : وذكر حديث النَّضر بن الحارث ، وما نزل فيه من قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ واحد الأساطير : أَسْطُورَةٌ كَأَخْذُوثَةٍ وَأَحَادِيثَ ، وهو ما سَطَرَهُ الْأَوَّلُونَ ، وقيل : أساطير : جمع أسطار ، وأسطارٌ جمع : سَطَرٌ بفتح الطاء ، وأما سَطَرٌ بسكون الطاء ، فجمعه : أسطُرٌّ ، وجمع الجمع : أساطر بغير ياء ، وذكر أن النضر بن الحارث كان يُحَدِّثُ قريشاً بأحاديث رُسُتَمَ وأُسْقَنْدِيَاذَ ، وما تعلم في بلاد الفرس من أخبارهم ، وذكر ما أنزل الله في ذلك من قوله ، وقد قيل فيه نزلت : ﴿ وَمَنْ قَالَ : سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ الأَنْعَامُ : ٩٣ . وأما أحاديث رستم ، ففي تاريخ الطبري أن رُسْتَمَ بن ريسان ^(١) كان يحارب كي يستاسب بن كي لهراسب ، بعد ما قتل أباه لطراسب ابن كي اجو . وكى

(١) في الطبري ص ٥٠٤ ج ١ رستم الشديد بن دستان بن بريمان ،

في أوائل هذه الأسماء عبارة عن البهاء ، ويقال : عبارة عن إدراك الثأر ، ويقال لهؤلاء الملوك : الكينية من أجل هذا ، وكان رُسْتَمُ الذي يقال له : رُسْتَمُ سيّد بنى ريسان من ملوك الترك ، وكان كى يستاسب قد غضب على ابنه ، فسجنه حسداً له على مآظير من وقائمه في الترك ، حتى صار الذكر له ، فعندها ظهرت الترك على بلاد فارس ، وسبّوا بنّين : ليستاسب ، اسم إحداهما : خانة ، أو نحو هذا ، فلما رأى يستاسب ألاّ يدين له بقتالهم أطلق ابنه من السجن ، وهو اسفندياز ، ورضى عنه وولاه أمر الجيوش ، فنهد إلى رستم ، وكانت بينهما ملاحم يطول ذكرها ، لكنه قتل رستم ، واستباح عساكره ، ودوخ في بلاد الترك ، واستخرج أختيه من أيديهم ، ثم مات اسفندياز قبل أبيه ، وكان ملك أبيه نحواً من مائة عام ، ثم عهد إلى بهمن بن اسفندياز ، فولاه الأمر بعد موته وبهمن بلغهم : الحسن النية ، ودام ملكه نيفاً على مائة عام ، وكان له ابنان : ساسان ودارا ، وقد أُمليفا في أول الكتاب طرفاً من حديث ساسان وبنيه ، وهم الساسانية الذين قام عليهم الإسلام ، ورُسْتَمُ آخرُ مذكور أيضاً قبل هذا في أحاديث كى قباز ، وكان قبل عهد سليمان ، ثم كان رستم وزيراً بعد كى قباز لابنه كى قاووس ، وكانت الجن قد سُخِّرَتْ له . يقال إن سليمان أمرهم بذلك ، فبلغ ملكه من المعائب ما لا يكاد أن يصدقه ذوو العقول لخروجها عن المعتاد لكن محمد بن جرير الطبرى ذكر منها أخباراً عجيبة (١) .

(١) إنما سخر الجن بأمر الله لسليمان ، لا بأمر سليمان . وانظر ما قصه

السهيلى في الطبرى ج ١ من ص ٥٠٤ ط المعارف ، وفيه : سیاوخش بدلا من

شاوخش ، وفيه بعض ما يخالف ما هنا ، ففى ص ٥٦٤ ج ١ يذكر الطبرى أن

وذكر أنه هم بما هم به نمرود من الصعود إلى السماء ، فطرحته الريح ،
وضغضعت أركانه ، وهدمت بنيانه^(۱) ، ثم ناب إليه بعض جنوده ، فصار كسائر
الملوك يغلب تارة ، ويغلب بخلاف ما كان قبل ذلك ، وسار بجنوده إلى اليمن
فنهّد إليه عمرو ذو الأذعار ، فهزمه عمرو ، وأخذه أسيرا ، وحبسّه في تحبس حتى
جاء رؤسّتم ، وكان صاحب أمره ، فاستنقذه من عمرو ، إمّا بطّوع ، وإمّا بإكراه ،
ورده إلى بلاد فارس . ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب ،
وكان رستم هو القيمّ على شاوخش والكافل له في صفّره ، وكان آخر أمر
شاوخش بعد عجائب أن قتله قراسيات ، وقام ابنه كي خسرو يطلب بثأره ،
فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثّلها ، وكان الظفر له ، فلما ظفروا رأى
أمله في أعدائه ماملأ عينه قوّة ، وقلبه سرورا زهد في الدنيا ، وأراد السياحة
في الأرض ، فتعأت به أبناء فارس ، وحذرتّه من شتات السّمل بعده ، وشماتة
العدو ، فاستخاف عليهم : كي لهراسب ، بن كي اجو ، بن كي كينه ، بن كي
قاووس المتقدم ذكره^(۲) ، ولا أدري : هل رستم الذي قتله أسفندياذ هو رؤسّتم

== مقتل اسفنديار كان على يد رستم ، وأما الذي قتل رستم وأباه دستان فهو أزدشير
بهمن ابن بشتاسب ص ۵۶۸ .

(۱) في الطبري ص ۵۰۷ ج ۱ ويذكر الطبري عن كي قارسي : « أن الله أعطاه قوة
ارتفع بها ، ومن معه في الهواء ، حتى انتهى إلى السحاب ، ثم إن الله سلبهم تلك ،
القوة ، فسقطوا ، فهلكوا ، وأفلت كي قاوس بنفسه ، أكانت لبيهم معرفة
بغزو الفضاء ؟ وقد ظهر الترك على بلاد فارس في عهد ملك الترك خراسف . واسم
ابنة ليستاسب الأخرى : باذفراه

(۲) نسبه في الطبري هكذا : كيلهراسب بن كيوجي بن كيمنوش بن كيافوشين
ابن كييه بن كيبياذ الأكبر ص ۵۱۵ ، وتستطيع فصل كي عن كل اسم بما سبق .

صاحب كي قاووس ، أم غيره ، والظاهر أنه ليس به ، لأن مدة ماين كي قاووس
وكي يستاسب بعيدة جدا ، وأحسبه كما قدمنا أنه كان من الترك ، وهذا كله
كان في مدة الكينية ، وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بُخْتَنَصَّرَ البابلي
على العراق ، فكان من أموره مع بني إسرائيل وإثخانته فيهم ، وهدمه لبیت
المقدس وإحراقه للتوراة وقتله لأولاد الأنبياء ، واسترقاقه لنساء ملوكهم
ولفرارهم مع عيشه في بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ، ماهو مشهور
في كتب التفسير ، ومعلوم عند أصحاب التواريخ (١) .

فهذه جملة مختصرة تشرح لك ماوقع في كتاب ابن إسحاق من ذكر رستم
واسفندياذ ، وكانت الكينية قبل مدة عيسى بن مريم ، أولهم في عهد أفریدُون
قبل موسى عليه السلام بمئتين من السنين ، وآخرهم في مدة الاسكندر

(١) أخبار بختنصر في الجزء الأول من تاريخ الطبري ص ٥٢٨ ، وكان
في أيام لمراسب أحد ملوك الفرس ، ويذكر الطبري أن بختنصر وجد في سجن بني
إسرائيل لمراميا النبي ، فسأله : ما خطبك : فأخبره أن الله بعثه إلى قومه — بني
إسرائيل ؛ ليحذرهم الذي حل بهم — يعني : من بختنصر — فكذبوه ، وحبسوه .
فقال بختنصر : يئس القوم قوم عصوا رسول ربهم . ثم أطلق سراحه ، وأحسن
إليه ص ٥٢٨ ج ١ وفي سفر أرميا لإصحاح ٢٦ أن بني إسرائيل هموا بقتل
أرميا لأنه قال لهم : ارجعوا كل واحد عن طريقه الرديء وعن شر أعمالكم ..
ولا تسلكوا وراء آلهة أخرى لتعبدوها وتسجدوا لها ، لإصحاح ٢٥ ، وفيه أيضا أنه
يحذرهم من : نبوخذ نصر ، أي : بختنصر فإن الله سيسلطه عليهم إن لم يرجعوا .
ويقع سفر أرميا هذا في أكثر من ستين صفحة ، وكله حول هذا . وبعده سفر آخر
اسمه : مراثي أرميا ، وهي منسوبة إليه في رثاء أو رشليم بعد تخريب بختنصر لها .

ابن قليس^(١) والإسكندر هو الذى سلب ملكهم ، وقتل دارا بن دارا ، وهو آخرهم ، ثم كانت الأشغانية مع ملوك الطوائف أربعمائة وثمانين عاما ، وقيل : أقل من ذلك فى قول الطبرى ، وقول المسعودى : خمسمائة وعشر سنين فى خلال أمرهم بُعث عيسى بن مريم ، ثم كانت الساسانية نحواً من ثلاثين ملكاً حتى قام الإسلام ، ففُضَّ خَدَمَتُهُمْ . وَخَصَّدَ شَوْكَتَهُمْ ، وَهَدَمَ هَيْاءَ كُلِّهِمْ ، وَأَطْفَأَ شَجَرَتَهُمْ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فى خلافة عمر .

عن سورى الكهف والفرقان - سبب نزول الكهف :

فصل : وذكر ابن إسحاق إرسال قُرَيْشِ النَّضْرِ بن الحارث وعُقْبَةَ بن أبى سَعِيْطٍ إلى يهود ، وما رجعا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألوه عن الأمور الثلاثة التى قالت اليهود : إن أخبركم بها فهو نبي أو إله فهو مُتَقَوِّلٌ ، فقال لهم : سأخبركم غدا ، ولم يقل : إن شاء الله ، فأبطأ عنه الوحي فى قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً^(٢) ، وفى سير التميمي وموسى بن عُقْبَةَ

(١) يعنى إسكندر المقدونى بن فليبس .

(٢) جاء فى حديث روى بعضه فى كتب الصحاح ما يخالف ما ذهب إليه ابن إسحاق فى شأن إرسال النضر وعقبة ، وإليك ما روى فى هذا الشأن .

روى البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وقال : إنه صحيح - عن ابن مسعود : « كنت أمتشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرث المدينة ، وهو متوكئ على عسيب ، فرى يقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، قال : فسألوه عن الروح ، فقالوا : يا محمد : ما الروح ؟ فما زال متوكئاً على العسيب ، قال : فظننت أنه — (١١ م — الروض الأنف ج ٣)

أن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف .
لم قدم الحمد على الكتاب ؟ !

وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه ، وذكر نبوة نبيه . حمده لنفسه تعالى .
خبرنا بطئه الأمر والتعليم لعبده كيف يحمده ، إذ لولا ذلك لاقتضت الحال
الوقوف عن تسميته ، والعبارات عن جلاله ، لقصور كل عبارة عما هنا لك من
الجلال ، وأوصاف الكمال ، ولما كان الحمد واجباً على العبد قدم في هذه الآية ليقترن
في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه ، وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه ،
وفي سورة الفرقان قال : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده » وبدأ بذكر
الفرقان الذي هو الكتاب المبارك . قال الله سبحانه : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه ﴾ (١)

== يوحى إليه ، فقال : (ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم
من العلم إلا قليلاً) قال : فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم : لا تسألوه ،
وفي رواية البخاري : فلم يرد عليهم شيئاً ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقامت مقامى
فلما نزل الوحي ، قال : (ويسألونك عن الروح قل : الروح من أمر ربي) .
والمشكل هنا أن سورة الإسراء : مكية وظاهر القصة يوحى بأن الآية مدنية .
ولو كان الأمر قاصراً على الرواية الأولى : وفطننت أنه يوحى إليه ، قلنا إن
الرسول إنما سكنت ليتذكر الآية التي يرد بها عليهم ، فظن ابن مسعود أنه يوحى
إليه ، إما ابن كثير فيقول : « وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه
بالمدينة مرة ثانية ، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه
يجيبهم عما سألوهم بالآية المنقدم لإنزالها عليه . والذي يدل على نزول هذه الآية
بمكة ما رواه أحمد أن قريشاً قالت لليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ،
فقالوا : سلوه عن الروح ، فنزلت الآية ، وإجابة ابن كثير غير منة والعسيب :
عصن من جريد النخلة .

(١) هذا جزء من آية رقم ٩٢ و ١٥٥ من سورة الانعام . والذي ذكره ==

مُبَارَكٌ ﴿ فلما افتتح السورة بتبارك الذي ، بدأ بذكر الفرقان ، وهو الكتاب المبارك ، ثم قال : على عبده ، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب ، وتقديم ذكر الكتاب عليه في سورة الفرقان ، وما في ذلك من تشاكل اللفظ والنظام الكلامي نرى الإعجازَ ظاهراً ، والحكمة باهرةً ، والبرهان واضحاً ، وأنشد لذي الرمة .

شرح شواهد شعرية :

كَأَنَّهُ بِالضُّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ دَبَّابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومُ
يَصِفُ وَلَدَ الظُّبَيْيَةِ : وَالْخُرْطُومُ : مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ ، أَيْ : كَأَنَّهُ مِنْ نَشَاطِهِ
دَبَّتِ الْخَمْرُ فِي رَأْسِهِ . وَأُنْشِدَ لَهُ أَيْضاً :
طَوَى الْفَخْزُ وَالْأَجْرَازُ الْبَيْتَ . وَالنَّخْرُ : النَّخْسُ ، وَالنَّحَازُ : دَاءٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ
وَالنَّحِيزَةَ : الْغَرِيزَةَ ، وَالنَّحِيزَةُ (١) : نَسِيجَةُ الْخَزَامِ : وَالضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ . هُوَ
جَمْعُ جُرْشُعٍ . قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ . الْجُرْشُعُ : الْعَظِيمُ الصَّدْرُ ، فَمَعْنَاهُ إِذَا فِي الْبَيْتِ
عَلَى هَذَا : الضُّلُوعُ مِنَ الْهَزَالِ قَدْ نَتَأَتْ ، وَبَرَزَتْ كَالصَّدْرِ الْبَارِزِ .

== ابن إسحاق في أسباب نزول ، وما تنزل إلا بأمر ربك ، روى فيه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ ، لجبرائيل : ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ قال : فنزلت هذه الآية ، انفرد بإخراجه البخاري فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبي نعيم عن عمر بن ذر

(١) في اللسان أيضاً : النخر : الضرب والدفع والسعال عامة ، والنحاز : داء يأخذ الإبل والدواب ، والنحيزة : الطريق بعينه . وشيء ينسج أعرض من الحزام يخاط على طرف شقة البيت ، وفي القاموس : تكون على الفساطيط والبيوت ، والأجراز : جميع جرز : السنة أو الأرض المجذبة .

الرفيم وأهل الكهف :

فصل : و ذكر الرفيم وفيه سوى مقاله أقوال . روى عن أنس أنه قال : الرفيمُ : الكلبُ ، وعن كعب أنه قال : هو اسم القرية التي خرجوا منها ، وقيل : هو اسم الوادى وقيل : هو صخرة ، ويقال : لوح كتب فيه أسماءهم ودينهم وقصتهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم إلا الرفيم والغسلين وحناناً والأواء (١) ، وقد ذكرت أسماءهم على الاختلاف فى بعض ألفاظها وهى : مليخا ، كسليما ، مرطوش ابن أنس ، اريطانس ، أيونس ، شاطيطوش (٢) . وقيل فى اسم مدينتهم : أفوس ، واختلف فى بقائهم إلى الآن ، فروى عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقى شيء منهم ، بل صاروا تراباً قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا ، وأن الأرض لم تأكلهم ، ولم تغيرهم ، وأنهم على مقربة من القسطنطينية ، فالله أعلم . روى أنهم سيحجون البيت إذا نزل عيسى بن مريم . ألفت هذا الخبر فى كتاب البدء لابن أبى خيثمة (٣) .

إعراب أمضى :

وذكر قول الله تعالى : ﴿ لَنَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا ﴾ الكهف : ٢٠ قد أملينا فى إعراب هذه الآية نحواً من كراسة . وذكرنا ماوهم فيه الزجاج من إعرابها : حيث جعل أحصى اسماً فى موضع رفع على خبر المبتدأ ، وأمدًا : تمييز وهذا لا يصح ؛ لأن التمييز هو الفاعل فى المعنى ، فإذا قلت : أيهم أعلم أباً ، فالأب هو العالم ، وكذلك إذا قلت أيهم أفره عبداً ، فالعبد هو الفاره ،

(١) لاشك فى أنه نقل غير صحيح عن ابن عباس يراد به غرض حديث .

(٢) رجم بالغيب فالسند فى معرفتها ضعيف جداً .

(٣) الخبر فيما نقل عن ابن عباس معلقاً بعبارة فالتأمل .

فيلزم على قوله إذا أن يكون الأمد فاعلا بالإحصاء ، وهذا محال ، بل هو
مفعول ، وأحصى : فعل ماضٍ ، وهو الناصب له ، وذكرنا في ذلك الإملة
أن أيهم ، قد يجوز فيه النصب بما قبله إذا جعلته خبرا ، وذلك على شروط
بينها هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها ، أى : ومواضعها ، وكشفنا
أسرارها .

عن الضرب وزرور الشمس وفائدة القصة :

وقوله سبحانه : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أى : أعمناهم ، وإنما قيل في النائم :
ضرب على أذنه ؛ لأن النائم ينتبه من جهة السَّمْع ، والضرب هنا مُستعار من
ضربت القفل على الباب ، وذكر قوله تعالى : ﴿ تَزَاوَرُ عَنْ كَنُفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾
الآية . وقيل في تَقَرُّضِهِمْ : تحاذيهم ، وقيل : تتجاوزهم شيئا شيئا من القرض ،
وهو القطع ، أى : تقطع ما هنالك من الأرض ، وهذا كله شرح اللفظ ،
وأما فائدة المعنى ، فإنه بين أنهم في مَقْنُوقَةٍ من الأرض ، لا تدخل عليهم الشمس ،
فتحرقهم ، وتبلى ثيابهم ، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال .
لئلا تأكلهم الأرض ، والفائدة العظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم
في الكهف ، وحال كلبهم ، وأين هو من الكهف ، وأنه بالوَصِيدِ منه ، وأن
باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت ، وأن هذا البيان لا يكاد يعرفه
من رآهم ، فإن المطلع عليهم يُملأ منهم رُعبا ، فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق
من أحوالهم ، والنبي عليه السلام لم يرم قط ، ولا سمع بهم ، ولا قرأ كتابا فيه
صفتهم ؛ لأنه أُمِّيٌّ في أمة أمية ، وقد جاءكم ببيان لا يأتي به من وصل إليهم
حتى إن كلبهم قد ذكر ، وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوَصِيدِ ، وهم في

النجوم، وفي هذا كله برهان عظيم على نبوته، ودليل واضح على صدقه، وأنه غير متقول، كما زعموا، فقف بقلبك على مضمون هذه الأوصاف، والبراديبها تعصم إن شاء الله مما وقعت فيه المُلحِدة من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله، وقولهم: أى فائدة في أن تكون الشمس تَزَاوَرُ عن كهفهم، وهكذا هو كل بيت يكون في مَقْنُوَةٍ، أى: بابه لجهة الشمال، فنبه أهل المعاني على الفائدة الأولى المنبئة عن لطف الله بهم، حيث جعلهم في مَقْنُوَةٍ تزاور عنهم الشمس فلا تؤذيهم، فيقال: لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا: فما في ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة، وما فيه من معنى اللطف بهم؟ فالجواب: ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً، حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب، فكيف من لم يرههم، ولا سمع بهم، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي، والبرهان السكافي، والرعب الذي كان يلحق المُطَّلِعَ عليهم، قيل: كان مما طالت شعورهم وأظفارهم. ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه: ﴿فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أى: في فضاء، ومع أنهم في فضاء منه، فلا تصيبهم الشمس. قال ابن سلام: فهذه آية. قال: وكانوا يقابون في السنة مرتين (١)، ومن فوائد الآية: أنه أخرج الكلب عن التقلب، فقال: بأسط ذراعيه، ومع أنه كان لا يقلب لم تأكله الأرض؛ لأن التقايب كان من فعل الملائكة بهم، والملائكة أولياء المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والكلب خارج من هذه الآية. ألا تراء

(١) قوله: مرتين رجم بالغيب أيضاً، واللفظ يفيد أكثر من مرتين.

كيف قال : بالوصيد ، أى : بقناء الغار لادخالهم ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب (١) فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام . قال ابن سلام : وإنما كانوا يقلّبون فى الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا .

المتنازعون فى امرهم :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : (قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذنّ عليهم مسجداً) الكهف : ٢١ وقال : يعنى أصحاب السلطان ، فاستدل بعض أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله : لننخذنّ عليهم مسجداً (٢) . وذكر الطبرى أن أهل

(١) البخارى ومسلم والترمذى وأحمد والنسائى وابن ماجة . ولكن الله لم يذكر كلب أهل الكهف بما يفيد لعنه ، وقد أباح الله فى القرآن لنا تربية الجوارح ، وأكل ما صادته ، يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (وما علمتم من الجوارح) : « وأحل لكم ما صدتموه بالجوارح وهى من السكلاب والفهود والصقور وأشباهاها ، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة . وقد ثبت فى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله إني أرسل السكلاب المعلبة ، وأذكر اسم الله ، فقال : إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك قلت : وإن قتلن ؟ قال : وإن قتلن ، ما لم يشركها كلب ليس منها ، فذلك إنما سميت على كلبك ، ولم تتم على غيره فأصيب . قلت له : يخافى أرمى بالمعراض الصيد ، فقال : إذا رميت بالمعراض فخرق فسكله ، وإن أصابه بعرض ، فإنه وقيد ، فلا تأكله ، خرق السهم وخسق : إذا أصاب الرمية ونفذ فيها . والمعراض بالسكسر : سهم بلا ريش ولا فصل ، وإنما يصيب بعرضه دون حده ، وشاة وقيد : قتلت بالخشب . فلعن المراد : كلب الزبنة لا كلب الصيد والحارث .

(٢) ذكرت مراراً أن دين رسل الله جميعاً من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم - هو دين الإسلام . ويقال عن أتباعهم إنهم مسلمون ، والذين

تلك المدينة تنازعوا قبل مبعضهم في الأجساد والأرواح : كيف تكون إعادتها يوم القيامة ، فقال قوم : تعاد الأجساد كما كانت بأرواحها ، كما يقوله أهل الإسلام ، وخالفهم آخرون ، وقالوا : تبعث الأرواح دون الأجساد ، كما يقوله النصراني ، وشَرِيَّ بينهم الشرُّ ، واشتد الخلاف ، واشتد على مَنَزلهم ما نزل بقومه من ذلك ، فلبس المُسُوح ، وافتش الرماد ، وأقبل على البكاء والتضرع إلى الله أن يريه الفصل فيما اختلفوا فيه ، فأحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك ، فكان من حديثهم ما عرف وشهر ، فقال الملك لقومه : هذه آية أظهرها الله لكم لتتفقوا ، وتعلموا أن الله عز وجل كما أحياهؤلاء ، وأعاد أرواحهم إلى أجسادهم ، فكذلك يعمد الخلق يوم القيامة كما بدأهم ، فرجع الكل إلى ما قاله الملك ، وعلموا أنه الحق .

== تنازعوا في أمر الفتية طائفتان . إحداهما قالت ما يقوله المسلم الذي بكل الأمر إلى الله ، ولا يمدو على الغيب . إذ قالت : « ابنوا عليهم بنياناً ، وعللت الأمر بكلمة مؤمنة ، لا تصدر إلا عن مؤمن ، وهي قولهم : « ربه أعلم بهم ، وفي كل لفظة هنا إشراقة من نور الإيمان القوى بالله . أما الآخرون ، فقد وصفوا بغير ما يوصف به المؤمن التقي الخاشع ، إذ وصفوا بأنهم : « غلبوا على أمرهم ، فهم إذا أخذوا الأمر بالقهر والغلبة دون ترو أو نزوع إلى معرفة أمر الله ، أو انعطاف إلى خشوع . ثم اقترحوا مصممين على ما اقترحوا : « لنتخذن عليهم مسجداً ، هكذا بالتوكيد والقهر المستعلي . ووازن بين اقتراح الآواين وهو بناء بنيان عليهم ، أي : سد باب الكهف تجده عملاً إسلامياً ، وبين اقتراح الآخرين ، وهو اتخاذ مسجد ، واتخاذ المساجد على القبور أمر اعنه الله ورسوله ، وهو أشمل من إقامة مسجد

عن واو الثمانية :

فعل : وذكر قول الله سبحانه ﴿ وَيَقُولُونَ : سَبْعَةٌ وَثَامَنُهُمْ ﴾ قدر
أفردنا للكلام على هذه الواو التي يسميها بعض الناس : واو الثمانية (١) باباً

(١) أى الواو التي تأتي بعد استيفاء سبعة أشياء ، ثم تذكر قبل الثامن ،
وقد استشهد أصحابها بقوله سبحانه : « الثابتون العابدون الحامدون السائحون
الراكون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، التوبة : ١١٢ »
فقالوا : إن الواو جاءت بعد استيفاء الأوصاف السبعة . واستدلوا أيضاً بقوله
سبحانه : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات
قانتات تائبات ، عابدات ، سائحات ثيبات وأبكاراً) التحريم : هـ فجاءت بعد
استيفاء الأوصاف السبعة . واستشهدوا بالآية التي سيحكم عنها السبيل : « سبعة
وثامنهم » . واستشهدوا أيضاً بقوله سبحانه : (وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة
زمرأ ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، الزمر : ٣ - ٧ . فأتى بالواو لما كانت
أبواب الجنة ثمانية . وقال في النار : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، لما كانت
سبعة . وقد رد الإمام ابن القيم على هذا رداً طيباً . فقال عن آية التوبة باختصار :
إن كل صفة لم تعطف على ما قبلها فيها كان فيه تنبيه على أنها في اجتماعها كالوصف
الواحد لموصوف واحد ، فلم يحتج إلى عطف . فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، وهما متلازمان مستمدان من مادة واحدة ، حسن العطف ليتبين أن
كل وصف منهما قائم على حدته ، مطلوب تعيينه ، لا يكتفى فيه حصول الوصف الآخر ،
بل لا بد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحه ، ونهيه عن المنكر بصريحه ، وأيضاً لحسن
العطف ههنا ما تقدم من التضاد ، فلما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
ضدين أحدهما : طلب الإيجاد ، والآخر : طلب الإعدام ، كانا كالنوعين المتغايرين
المتضادين . وقال : عن آية التحريم : إن دخول الواو قبل أبكار متعين ؛ لأن
الأوصاف التي قبلها المراد اجتماعها في النساء . وأما وصفا البكارة والثبوبة ،
فلا يمكن اجتماعهما ، فعين العطف ؛ لأن المقصود أنه يزوجه بالنودين : الثيبات
والأبكار ، وسيأتي الكلام عن آية الكهف . أما آية الزمر عن الجنة والنار ، فقال :
لادلالة في اللفظ على الثمانية حتى تدخل الواو لأجلها ، بل هذا من باب حذف

طويلا ، والذي يليق بهذا الموضع أن تعلم : أن هذا الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مُضمَّر ، تقديره : نعم ، وثامنهم كلهم ، وذلك أن قائلا لوقال : إن زيدا شاعرٌ ، فقلت له : وفاقه ، كنت قد صدقته ، كأنك قلت : نعم هو كذلك ، وفاقه أيضا ، وفي الحديث : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أتيتوضاً بما أفضلت الخمر ، فقال : وبما أفضلت السباع . يريد : نعم ، وبما أفضلت السباع . خرج الدارقطني . وفي التنزيل : (وارزق أهله من الثمرات مَنْ آمَنَ منهم بالله واليوم الآخر ، قال : وَمَنْ كَفَرَ) البقرة : ١٢٦ هو من هذا الباب . فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم : ويقولون : سبعة ، فقال سبحانه : « وثامنهم كلهم » وإيس كذلك : سادسهم كلهم ، ورابعهم كلهم ؛ لأنه في موضع النعت لما

الجواب لنسكتة بديدة ، وهي أن تفتيح أبواب النار كان حال موافاة أهلها ، ففتحت في وجوههم ؛ لأنه أبلغ في مفاجأة المكروه ، وأما الجنة فلما كانت ذات الكرامة ، وهي مائدة الله ، وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره ، شرع لهم أبوابها ، ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب ، أتى بالواو العاطفة هكذا ، الدالة على أنهم جاءوها بعد ما فتحت أبوابها ، وحذف الجواب تفخيما لشأنه ، وتعظيما لقدره كعادتهم في حذف الأجوبة ، ويقول عن دعوى واو الثمانية في مسألة أبواب الجنة في مكان آخر : « إن هذا لو صح ، فإنما يكون إذا كانت الثمانية منسوقة في اللفظ واحدا بعد واحد ، فيذهبون إلى السبعة ، ثم يستأنفون العدد من الثمانية بالواو ، وهنا لا ذكر للفظ الثمانية في الآية ولا عدها ، انظر ص ٥٢ وما بعدها ج ٣ بدائع الفوائد و ص ١٧٤ ج ٢ من نفس الكتاب وفيه قال : « على أن في كون الواو تيمية للثمانية كلاما آخر قد ذكرناه في الفتح المبكى ، وبيننا المواضع التي نأدعي فيها أن الواو للثمانية ، وأين يمكن دعوى ذلك ، وأين يستحيل » .

قوله ، فهو داخل تحت قوله سبحانه : (رَجَاءً بِالْغَيْبِ) ولم يقل ذلك في آخر القصة (١) .

آية الاستثناء :

فصل : وذكر قول الله تعالى (وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ) وفسره ، فقال : أى استثنى شيئا من الله . الشيئة : مصدر شاء يشاء ، كما أن الخليفة مصدر خاف يخاف ، ولكن هذا التفسير ، وإن كان صحيح المعنى ، فلفظ الآية مُشْكِلٌ جداً ؛ لأننا نقوله : (لَا تَقُولَنَّ لشيءٍ) إني فاعل ذلك غداً) الكهف : ٢٣ نهى عن أن يقول هذا الكلام ، ولم ينه عن أن يصله بإلا أن يشاء الله ، فيكون العبد المنهى عن هذا القول منهيًا أيضا عن أن يصله بقوله إلا أن يشاء الله . هذا محال : فقوله إذاً : إلا أن يشاء الله استثناء من الله ، راجع إلى أول الكلام ، وهذا أيضا إذا تأملته نقض لعزيمة النهى ، وإبطال إحصائه ، فإن السيد إذا قال لعبده : لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم ، فقد حل عقدة النهى ؛ لأن مشيئة الله للفعل لا تعلم إلا بالفعل ، فله عيب إذا أن يقوم ، ويقول : قد شاء الله أن تقوم ، فلا يكون للنهى معنى على هذا ، فإذا لم يكن رد حرف الاستثناء إلى النهى ، ولا هو من

(١) يقول الإمام ابن القيم عن كلام السهيلي هذا « واستنباطه حسن ، غير أنه إنما يفيد » يعنى أن الواو تقتضى تقرير الجملة الأولى ، إذا كان المعطوف بالواو ليس داخلا في جملة قولهم : بل يكون قد حكى سبحانه أنهم قالوا : سبعة ، ثم أخبر تعالى أن ثامنهم الكلب ، حينئذ يكون ذلك تقريراً لما قالوه ، وإخباراً بكون الكلب ثامناً ، وأما إذا كان الإخبار عن الكلب من جملة قولهم ، وأنهم قالوا هذا ، وهذا ، لم يظهر ما قاله ، ولا تقتضى الواو في ذلك تقريراً ولا تصديقا فتأمله دس ١٧٦ ج ٢ بدائع الفوائد وانظر أيضاً ج ٣ ص ٥٤ .

الكلام الذى نهى العبد عنه ، فقد تبين إشكاله ، والجواب : أن فى الكلام حذفاً وإضماراً تقديره : ولا تقولن : إني فاعل ذلك غداً إلا ذا كراً إلا أن يشاء الله ، أو ناطقاً بأن يشاء الله ، ومعناه : إلا ذا كراً شينة الله ، كما قال ابن إسحاق : لأن الشئنة مصدر ، وأن مع الفعل ، فى تأويل المصدر ، وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر ، والعرب تحذف القول ، وتكتفى بالقول . ففى التنزيل : (فأما الذين اسودَّتْ وجوههمُ أ كَفَرْتُمْ) آل عمران : ١٠٦ أى : يقال لهم : أ كَفَرْتُمْ ، فحذف القول ، وبقي الكلام المقول ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ الرعد : ٢٤ أى يقولون : سلام عليكم ، وهو كثير ، وكذلك إذا قوله ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ هى من كلام الناهى له سبحانه ، ثم أضمر القول ، وهو الذكر الذى قدمناه ، وبقي القول ، وهو : أن يشاء الله ، وهذا القدر يكفى فى هذا المقام ، وإن كان فى الآية من البسط والتفتيش ما هو أكثر من هذا .

ولبشوا فى كفهم :

فصل : وقد فسر قوله تعالى : ﴿ ولبشوا فى كفهم ﴾ فقال : معناه أى : سيقولون ذلك ، وهو أحد التأويلات فيها ، وعلى هذا القول قرأ ابن مسعود : وقالوا : لبشوا ، بزيادة قالوا . ثم قال ابن إسحاق : قل : ربى أعلم بما لبشوا ، وهو وهم من المؤلف أو غيره ، وإنما التلاوة : ﴿ قُلْ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِشُوا ﴾ (١)

(١) فى النسخة التى معى : هى كما فى المصحف . وتأويل ابن هشام قوله تعالى : « ولبشوا فى كفهم » ، تأويل رائع ، إذ يجعل هذا القول من قول أهل الكتاب ، وبهذا يستقيم ضمنا للآية . ويتفق هذا مع ما بعده ، وهو قوله سبحانه : (قل الله أعلم بما لبشوا)

وقد قيل : إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار كُتُبِهِمْ ، ولكن لما علم استبعاد قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار ، وعُلم أن فيه تنازعا بين الناس ، فمن سَمَّ قال : ﴿ قل : الله أعلم بما لبثوا ﴾ وقوله : ﴿ ثلاثمائة سنين ، وازدادوا تسعا ﴾ أى : إنها ثلاثمائة بحساب العجم ، وإن حسبت الأهلّة ، فقد زاد العدد تسعا ، لأن ثلاثمائة سنة بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر ^(١) فإن قيل : فكيف قال ثلاثمائة سنين ، ولم يقل : سنة ، وهو قياس العدد في العربية ^(٢) ، لأن المائة تضاف إلى لفظ الواحد ، فالجواب أن سنين في الآية بدل مما قبله ، ليس على حد الإضافة ولا التمييز ، ولحكمة عظيمة عُدل باللفظ عن الإضافة إلى البدل ، وذلك أنه لو قال : ثلاثمائة سنة ، لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس ، والناس فيهم طائفتان : طائفة عرفوا طول لُبِّهِمْ ، ولم يعلموا كمية السنين ، فعرفهم أنها ثلاثمائة ، وطائفة لم يعرفوا طول لبثهم ، ولا شيئا من خبرهم ، فلما قال : ثلاثمائة معروفا للأولين بالكمية التي شكّوا فيها ، مبينا للآخرين أن هذه الثلاثمائة سنون ، وليست أياما ولا شهوراً ، فانظم البيان للطائفتين

== اذ لو كان : « ولبثوا » من كلام الله نفسه ما كان لقوله : قل الله أعلم معنى .
وقراءة ابن مسعود قراءة شاذة ورواية قتادة لها منقطعة .

(١) بل تزيد عن هذا . وهذا تأويل لا يليق بكتاب الله ، ولا بكلام الله إنما يضطرون إليه ، لأنهم يرون أن قوله تعالى : « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين » هو من قول الله نفسه ، وليس قولاً يقصه الله عن غيره ، وليس في الآية ما يشير مطافاً إلى هذا الأربيل ، وقد أعرب سنين بدلا ؛ لأن تمييز العدد ثم ما بعدها يكون مفردا مجرورا بإضافة كقوله تعالى . فأما الله مائة عام ثم بعثه ، وكقوله : « كآلف سنه بما تعدون » .

من ذكر العدد ، وجمع العدود ، وتبين أنه بدل ؛ إذ البدل يراد به : تبين ما قبله ، ألا ترى أن اليهود قد كانوا عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأ عجيبا ، ولم يكن العجب إلا من طول كُتبتهم غير أنهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل ، فأخبر أن تلك السنين ثلاثمائة ، ثم لو وقف الكلام ههنا لقالت العرب ، ومن لم يسمع بخبرهم : ماهذه الثلاثمائة ؟ فقال كالمبين لهم : سنين ، وقد روى معنى هذا : التفسير عن الضحاك ، ذكره الفحاح .

السنة والعام :

فصل : وقال : سنين ، ولم يقل أعواما ، والسنة والعام ، وإن اتسعت العرب .
فيهما ، واستعملت كل واحد منهما مكان الآخر اتساعا ، ولكن بينهما في حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام قرقا ، فخذّه أولا من الاشتقاق ، فإن السنة من سَنَا يَسْنُو إذا دار حول البئر ، والدابة : هي السَّانِيَةُ ، فكذلك السنة دَوْرَةٌ من دورات الشمس ، وقد تسمى السنة : دارا ، ففي الخبر : إن بين آدم ونوح ألف دار ، أي : ألف سنة ، هذا أصل الاسم ، ومن ثم قالوا : أكلتهم السَّنة ، فسموا شدة القحط سَنَةً ، قال الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ الأعراف : ١٣ ومن ثم قيل : أسنت القوم إذا أقحطوا ، وكان وزنه أفعَتوا . لا أفعَلُوا ، كذلك قال بعضهم ، وجعل سيبويه التاء بدلا من الواو ، فهي عنده : أفعَلُوا ، لأن الجذوبة والخصب معتبر بالشتاء والصيف ، وحساب العجم إنما هو بالسنين الشمسية بها يؤرّخون ، وأصحاب الكهف من أمة عجمية ، والنصارى يعرفون حديثهم ، ويؤرّخون به ، فجاء اللفظ في القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم ، وتمم الفائدة بقوله : وازدادوا تسما ليوافق حساب العرب ، فإن

حسابهم بالشهور القمرية كالبحر ونحوها^(١) وانظر بعد هذا إلى قوله :
﴿ تَزْرَعُونَ سَنِينَ دَأْبًا ﴾ يوسف : ٧٤ الآية ، ولم يقل أعواما ، نفيه شاهد
لما تقدم : غير أنه قال : (ثم يأتي من بعد ذلك عام) ، ولم يقل : سنة عدولا عن اللفظ
المشترك ، فإن السنة قد يعبر بها عن الشدة والأزمة^(٢) كما تقدم ، فلو قال : سنة
فذهب الوهم إليها ؛ لأن العام أقل أياما من السنة ، وإنما دلت الرؤيا على سبع
سنين شداد ، وإذا انقضى العدد ، فليس بعد الشدة إلا رخاء ، وليس في الرؤيا
ما يدل على مدة ذلك الرخاء ، ولا يمكن أن يكون أقل من عام ، والزيادة على
العام مشكوك فيها ، لا تقتضيها الرؤيا ، فحكم بالأقل ، وترك ما يقع فيه الشك من
الزيادة على العام ، فهاتان فائدتان في اللفظ . بالعام في هذا الموطن ، وأما قوله :
(وبلغ أربعين سنة) فإنما ذكر السنين ، وهي أطول من الأعوام ، لأنه مخبر
عن اكتهال الإنسان ، وتمام قوته واستوائه ، فلفظ السنين أولى بهذا الموطن ؛
لأنها أكمل من الأعوام ، وفائدة أخرى : أنه خبر عن السن ، والسن معتبر
بالسنين ، لأن أصل السن في الحيوان لا يعتبر إلا بالسنة الشمسية ، لأن
النتاج ، والحمل يكون بالربيع والصيف ، حتى قيل رباعي للكبيرة وصيفي^(٣) لهؤخره ،
قال الرازي :

(١) رأى يحتاج إلى دليل أقوى مما ذكر .

(٢) في الراغب : أكثر ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الحرب .

(٣) في القاموس : د جمع الربيع : ربع بضمين ، وكسر د : الفصل يفتح في
الربيع ، وهو أول النتاج . . فإذا نتج في آخر النتاج فبيع ، وهي هبة ،

إِنْ بَنَى صَبِيَّةً صَبِيْفِيُونُ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رَبِيعِيُونُ^(١)

فاستعمله في الآدميين ، فلما قيل في التفصيل ونحوه : ابن سنة وابن سنتين ، قيل ذلك في الآدميين ، وإن كان أصله في الماشية لما قدمنا ، وأما قوله : ﴿ وَحَلَّهُ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ فلأنه قال سبحانه : ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِةِ ، قُلْ : هِيَ وَاقِيَتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ البقرة : ١٨٩ فالرضاع من الأحكام الشرعية ، وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهلة ، وكذلك قوله : ﴿ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا ﴾ ولم يقل : سنة ؛ لأنه يعني شهر الحرم وربيع إلى آخر العام ، ولم يكونوا يحسبون بأيلول ولا بتشرين ولا بغير^(٢) ، وهي الشهور الشمسية وقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ إخباراً منه لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته وحسابهم بالأعوام والأهلة كما وقَّت لهم سبحانه ، وقوله سبحانه في قصة نوح : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ العنكبوت : ١٤٠ قيل : إنما ذكر أول السنين ؛ لأنه كان في شذائد

(١) البيت لسعد بن مالك بن ضبيعة ، وقيل : هي لا كثم بن صيفى ، اللسان مادة ربيع ، وصيف ، ونسبه أبو زيد الأنصارى في نوادره إلى أكرم بن صيفى . وقال : . يقال : أضاف الرجل فهو مصيف إذا ترك النساء شاباً لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده : صيفيون ، ثم استشهد بهذا البيت ثم قال : . الربيعيون الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال ، ص ٨٧ طبع لبنان .

وفي إصلاح المنطق ص ٤٧٠ : . يقال للرجل إذا ولد له في فتاء السن : قد أربيع ، وهو مربيع وولده : ربيعون ، وإذا تأخر ولده إلى آخر عمره قيل : أضاف فلان ، وهو مصيف ، وولده : صيفيون ، ثم استشهد بهذا البيت ص ٢٠ ، يعني ينابر .

مدته كلها إلا خمسين عاماً منذ جاءه الفرج ، وأتاه الفوت ، ويجوز أن يكون الله - سبحانه - علم أن عمره كان ألفاً ، إلا أن الخمسين منها ، كانت أعواماً ، فيكون عمره ألف سنة ، تفقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة ؛ لأن خمسين عاماً بحساب الأهلة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف ، فإن كان الله سبحانه قد علم هذا من عمره ، فاللفظ موافق لهذا المعنى ، وإلا ففى القول الأول مقنع ، والله أعلم بما أراد ، فتأمل هذا ، فإن العلم بتنزيل الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها اللائقة بها يفتح لك باباً من العلم بإعجاز القرآن ، وابن هذا الأصل تعرف المعنى في قوله تعالى : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ المعارج : ٤ . وقوله تعالى : ﴿ وإن يوماً عند ربك [كـألف سنة مما تعدون] ﴾ الحجر : ٤٧ وأنه كلام ورد في معرض التكثير والتفخيم ، لطول ذلك اليوم والسنة أطول من العام ، كما تقدم ، فلفظها أليق بهذا المقام .

ذكر قصة الرجل الطواف نوى القرنين :

فصل : وذكر قصة الرجل الطواف ، والحديث الذي جاء فيه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه كان مَلِكاً مسح الأرض بالأسباب ، ولم يشرح معنى الأسباب . ولأهل التفسير فيه أقوال متقاربة ، قالوا في قوله تعالى : ﴿ وآتيناه من كل شئ سبباً ﴾ الكهف : ٨٤ : أى : علماً يتبعه ، وفي قوله تعالى : ﴿ فأتبع سبباً ﴾ الكهف : ٨٥ : أى : طريقاً موصلة ، وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب السببُ : حبل من نور ، كان ملائكة يمشى به بين يديه ، فيتبعه ، وقد قيل في اسم ذلك الملك : زياقيل ، وهذا يقرب من قول من قال : سبباً أى : طريقاً ، ويقرب ذلك

(م — ١٢ الروض الأوف ج ٢)

أن يكون تفسيراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : مسح الأرض بالأسباب^(١) واختاف في تسميته بذى القرنين ، كما اختاف في اسمه ، واسم أبيه ، فأصبح ما جاء في ذلك ما روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : سأل ابن الكوّاء على بنه أبي طالب ، فقال : أرأيت ذا القرنين ، أنبيا كان أم ملكاً ؟ فقال : لا نبيا كان ولا ملكاً ، ولكن كان عبداً صالحاً دعاه قومه إلى عبادة الله ، فضربوه على قَرَني رأسه ضربتين ، وفيكم مثله . يعنى : نفسه ، وقيل : كانت له ضفيران من شعر ، والعرب تسمى الخصلة من الشعر : قرناً ، وقيل : إنه رأى في المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بقَرْني الشمس ، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب ، وذكر هذا الخبر على بن أبي طالب أثير واني العابد في كتاب البستان له ، قال : وبهذا سمي ذا القرنين ، وأما اسمه ، فقال ابن هشام في هذا الكتاب : اسمه مَرْزَبَن بن مَرْزَبَة بذال مفتوحة في اسم أبيه ، وزاى في اسمه ، وقيل فيه :

(١) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وغيرهم عن السبب : العلم . وقال قتادة أيضاً : منازل الأرض وأعلامها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : تعلم اللسنة . أما كعب الاحبار ، فيروى عنه ابن لهيعة أنه قال : كان يربط خيله بالثرى . وقد أنكر معاوية على كعب قوله هذا وكان يقول عن كعب : وإن كنا لتبلو عليه الكذب . وما أحسن ما يقول ابن كثير : قال الله في حق بلقيس : وأوتيت من كل شيء . أى : بما يوتى مثلها من الملوك . وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب ، أى : الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعداء ، وكبت ملوك الأرض . وإذلال أهل الشرك قد أوتي من كل شيء بما يحتاج إليه مثله سبياً ، والله أعلم . خلاصة هذا أن الله من عليه . فعلمه أسباب ما سخره له ، ومسألة الملاك يهودية صارخة .

(٢) في السيرة : مرزبان .

هرمس^(١) ، وقيل : هرديس . وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب^(٢) اسمه الصَّعْب بن ذى مَرَّانِد، وهو أول التَّبَابَةِ ، وهو الذى حكم لإبراهيم عليه السلام فى بئر السبع حين حاكم إليه فيها ، وقيل : لأنه أفريدون بن أمثيان الذى قتل الضحاك^(٣) ، ويروى فى خطبة قيس بن ساعدة التى خطبها بسوق عكاظ ، أنه قال فيها : يامعشر إياد ! أين الصَّعْب ذو القرنين ، مَلَكُ الخافقين ، وأذلَّ الثقلين ، وعمر ألفين ، ثم كان ذلك كالْحِظَّة عين ، وأنشد ابن هشام للأعشى :

والصَّعْبُ ذو القرنين أَصْبَحَ ثَاوِيَاً بِالْحَنْوِ فى جَدَثِ أُمَيْمٍ مُّقِيمٍ^(٤)

(١) زابر دأكولا والدار نهلى .

(٢) ذكره فى كتاب د النيجان ، فى ملوك حمير وروايته عن وهب بن منبه
(٣) تقرأ أخبار الضحاك وأفريدون فى الطبرى ص ١٩٤ ج ١ المعارف
(٤) هو فى اللسان والمخير : للبيد . ورواه ابن كثير فى البداية ونقلا عن السهيلي فى الروض
الأنف ، أشم مقيما ، بدلا من د أميم مقيم ، كما فى نسخة الروض التى بين أيدينا
انظر ص ١٠٥ ج ٢ البداية . وفى فتح البارى : والذى يقوى أن ذا القرنين من
العرب أنهم ذكروه كثيرا فى أشعارهم . قال الأعشى بن ثعلبة .

والصَّعْب ذو القرنين أُمسى ثَاوِيَاً بِالْحَنْوِ فى جَدَثِ هُنَاكَ مُّقِيمٍ
والحنو بكسر المهملة وسكون التون فى ناحية المشرق ، وقال الربيع بن ضبيع :
والصَّعْب ذو القرنين عمر مَلِكُهُ أَلْفَيْنِ أُمسى بَعْدَ ذَاكَ رَمِيمَا
وقال قيس بن ساعدة .

والصَّعْب ذو القرنين أَصْبَحَ ثَاوِيَاً بِاللَّحْدِ بَيْنَ مَلَاعِبِ الْأَرِيَاكِ
وقال النعمان بن بشير الأنصارى الصحابى ابن الصحابي :
ومن ذا يعادينا من الناس معشر كرام ، وذو القرنين منا وحاتم
ووقع ذكر ذى القرنين فى شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة وغيرهم
ص ٢٦١ ج ٦ فتح البارى للمحافظ بن حجر ط ١٣٣٨

وقوله بالحَنُويَريد : حَنُو قُرَاقِر الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق، وقول ابن هشام فى السيرة : إنه من أهل مِصْرَ، وإنه الإسكندر الذى بنى الإسكندرية، فعرفت به : قولٌ بعيد مما تقدم ، ويحتمل أن يكون الإسكندر سُمى ذا القرنين أيضاً تشبيهاً له بالأول، لأنه ملك ما بين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضاً، وأذل ملوك فارس، وقتل دارا بن دارا، وأذل ملوك الروم وغيرهم، وقال الطبرى فى الإسكندر : وهو اسكندروس بن قليقوس، ويقال فيه : ابن قليس، وكانت أمه زِنْجِيَّة، وكانت أُهْدِيَتْ لدارا الأكبر أو سبأها، فوجد منها نَكْهَةً استتقلاهما، فعملت ببقلة، يقل لها : اندروس، فحملت منه بدارا الأصغر، فلما وضعته ردها، فتزوجها والد الإسكندر، فحملت منه بالإسكندروس، فاسمه عندهم مُشْتَقٌّ من تلك البقلة التى طهرت أمه بها فيما ذكروا، وذكر عن الزبير : أنه قال : ذو القرنين هو : عبد الله بن الضحاك بن مَعْدَةَ [وقال ابن حبيب فى] الْمُحَبَّرِ فى ذكر ملوك الحيرة، قال : الصَّعْبُ بن قرين [بن الهمال] (٢) : هو ذو القرنين، ويحتمل أن يكونوا ملوكاً فى أوقاتٍ شَتَّى، يسمى كل واحد منهم : ذا القرنين والله أعلم . والأول كان على عهد إبراهيم عليه السلام، وهو صاحب الخضر حين طلب عين الحياة فوجدها الخضر، ولم يجدها ذو القرنين، حالت بينه وبينها الظلمات التى وقع فيها هو وأجناده فى خبر طويل مذكور فى بعض التفاسير مشهور عند الأخباريين (١) .

(١) وهى أخبار ترضى عشاق الأساطير . وأسارى العبودية الوثنية فلم يجهول، وقد اخترع المفترعون عين الحياة؛ لئلا ينسبوا إلى الخضر الخلود والبقاء حتى الآن . وهى فرية لا يصدقها مسلم ! لأنها أسطورة .
(٢) الزيادة من المحبر .

حكم التسمي بأسماء النبيين

وأما قول عمر لرجل سمعه يقول : ياذا القرنين : لم يكفكم أن تتسموا بالأنبياء حتى تسميتهم بالملائكة ، إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام ، فهو ملك ، لا يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا الحق ، وإن كان قاله بتأويل تأوله [فقد] خالفه علي في الخبر المتقدم ، والله أعلم أي الخبرين أصح نقلاً ، غير أن الرواية المتقدمة عن علي يقويها ما نقله أهل الأخبار عن ذى القرنين ، والله أعلم ^(١) . وكان من مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمي بأسماء الأنبياء ، فقد أنكر على المغيرة تكنيته بأبي عيسى ، وأنكر على صهيب تكنيته بأبي يحيى ، فأخبر كل واحد منهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كنأه بذلك ، فسكت ، وكان عمر إنما كره من ذلك إلا كثاراً ، وأن يظن أن المسلمين شرافاً في الأسم إذا سُمي باسم نبي ، أو أنه ينفعه ذلك في الآخرة ، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه ، هو أعلم بما كره من ذلك ^(٢) . وإلا فقد سُمي بمحمد طائفة من الصحابة منهم : أبو بكر وعلي وطلحة وأبو حذيفة وأبو جهم ابن حذيفة ، وخاطب وخطاب ابنا الحارث ، كل هؤلاء الحمددين كانوا يُكنون بأبي القاسم إلا محمد بن خطاب ، وسمي أبو موسى ابناً له بموسى ، فكان يُكنى به ، وأسيّد بن حنظل سمي ابنه بيحيى ، وعلم به النبي عليه السلام فلم يُنكر عليه ، وكان لطلحة عشرة من الولد ، كلُّهم يُسمي باسم نبي ، منهم : موسى بن طلحة عيسى ، وإسحاق ويعقوب وإبراهيم ، ومحمد ، وكان للزبير

(١) نستطيع الجزم بأن الخبر المنسوب إلى عمر خبر غير صحيح ، لأنه يخالف هدى القرآن ، ويخالف المعروف من سيرة عمر وعلمه وفقهه .

(٢) هذا تعليل طيب من السبيل .

عشرة ، كلُّهم يسمي باسم شهيد ، فقال له طلحة : أنا أسميهم بأسماء الأنبياء ، وأنت تسميهم بأسماء الشهداء ، فقال له الزبير : فإني أطمع أن يكون بنى شهداء ، ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء ، ذكره بن أبي خيثمة ، وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ابنه إبراهيم ، والآثار في هذا المعنى كثيرة ، وفي السنن لأبي داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : سَمُّوا بأسماء الأنبياء ، وهذا محمول على الإباحة ، لا على الوجوب ، وأما التَّسْمِي بِمُحَمَّد ، ففي مُسْنَد الحارث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من كان له ثلاثة من الولد ، ولم يُسَمِّ أحدهم بِمُحَمَّد ، فقد جَهِل ^(١) ، وفي الْمُعْطِي عن مالك أنه سُئِلَ عَنْ اسمِه مُحَمَّد ، ويكنى أبا القاسم ، فلم يَرَبِّه بِأَسَا ، فقيل له : أَكُنَيْتَ ابْنَكَ أبا القاسم ، واسمه محمد ؟ فقال : ما كُنَيْتُهُ بها ولكن أهله يُكْنُونُهُ بها ، ولم أسمع في ذلك نَهْيًا ، ولا أرى بذلك بِأَسَا ، وهذا يدل على أَنَّ مالكا لم يبلغه ، أو لم يصح عنده حديث النهي عن ذلك ، وقد رواه أهل الصحيح ^(٢)

(١) عن جابر رضي الله عنه ، قال : ولد لرجل منا غلام ، فسماه القاسم ، فقالوا لا تكنيته حتى نسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : سموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي ، رواه الأربعة ، ولعل المقصود - والله أعلم - العمل بمقتضاه طول مدة حياته - صلى الله عليه وسلم - فقط . وسيأتي رأى ابن سيرين . وعن الاسماء ورد حديث رواه ابن عمر رضي الله عنها : « إن أحب أسماءكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، مسلم وأبو داود والترمذي . وعن أبي هريرة عن النبي « ص » : « أخرج الاسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، رواه الأربعة وزاد مسلم « لا مالك إلا الله تعالى ، وعن ابن عمر قال : « إن ابنة لعمرك كانت تسمى عاصية ، فسماها رسول الله « ص » جميلة ، مسلم وأبو داود والترمذي ونسبة تطبع بتدبر هذه الأحاديث تبين الهدى في الاسماء . وأخرج = أوضع

خالفه أعلم - ولعله بلغه حديث عائشة أنه عليه السلام - قال : ما الذى أحلَّ اسمى وحرَّم كُنْيَتِي ، وهذا هو الناسخ لحديث النهي ، والله أعلم ، وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يَتَكَنَّى بِأَبِي القاسم ، كان اسمه محمداً ، أو لم يكن . وطائفة إنما يكرهونه لمن اسمه محمد ، وفي المَعْيِطِ أيضاً أنه سُئِلَ عن التسمية بِمَهْدَى فخره ، وقال : وما علمه بأنه مَهْدَى ، وأباح التسمية بالهادى ، وقال : لأن الهادى هو الذى يهْدَى إلى الطريق ، وقد قدمنا كراهية مالك للتسْمِى بِجَبْرِيل . وقد ذكر ابن إسحاق كراهية عُمرَ للتسْمِى بِأَسْمَاءِ الملائكة ، وكره مالك التسمي بِيَاسِينَ^(١) .

الروح والنفس :

فصل : وذكر سؤالهم عن الروح ، وما أنزل الله فيه من قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾^(٢) الآية ورُوى عن ابن إسحاق من غير طريق البَسْكَائِيُّ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذَا الْخَبَرِ : فناداهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم : هو جبريلُ ، وهذه الرواية عن ابن إسحاق تدل على خلاف ما روى غيره أن يهوداً قالت لقريش : اسأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، فإن أخبركم به فليس بنبي ، وإن لم يخبركم فهو نبي ، وقال ابن إسحاق فيما تقدم من الحديث : اسأَلُوهُ عَنِ الرُّجُلِ

(١) ليس ياسين اسماً للرسول وحده ، كما يظن بعض المفسرين ، إنما هي مثل : حم ، وطس و طه ونون فهي مركبة من حرفين : الياء والسين .
(٢) سبق ذكر الأحاديث حول هذا

الطَّوَّافِ ، وعن الفِثْيَةِ ، وعن الروح ، فإن أخبركم وإلا فالرجل مُتَقَوِّلٌ . فسوَّى في الخبر بين الروح وغيره ، واختلف أهل التأويل في الروح المستولم عنه ، فقال بعضهم : هو جبريل ؛ لأنه الروح الأمين ، وروح القدس ، وعلى هذا رواية ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لقريش حين سأله : هو جبريل ، وقالت طائفة : الروح خلق من الملائكة على صور بني آدم ، وقالت طائفة : الروح خلق يرون الملائكة ، ولا تراهم ، فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم ، وروى عن علي أنه قال : الرُّوحُ مَلَكٌ له مائة ألف رأس ، لكل رأس مائة ألف وجه ، في كل وجه مائة ألف فم ، في كل فم مائة ألف لسان ، يُسَبِّحُ الله بلغات مختلفة ^(١) ، وقالت طائفة : الروح الذئب سألت عنه يهود هو : روح الإنسان ، ثم اختلف أصحاب هذا القول ، فمنهم من قال : لم يجبههم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن سؤالهم ، لأنهم سأله تَعَمُّقًا واستهزاء ، فقال الله له : قُل : الروح من أمر ربي ، ولم يأمركم أن تبين لهم ، وقالت طائفة : بل قد أخبرهم الله به ، وأجابهم عما سألوا ؛ لأنه قال لنبيه : قُلِ الرُّوحُ من أمر ربي ، وأمرُ الرَّبِّ هو الشرع ، والكتاب الذي جاء به ، فمن دخل في الشرع وتفقه في الكتاب والسنة عَرَفَ الرُّوحَ ، فكان معنى الكلام : ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتكم عنه ، فإنه من أمر ربي ، أي : من الأمر الذي جئت به مُبَلِّغًا عن ربي ، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفته من جهة الطبيعة ، ولا من جهة الفلسفة ، ولا من جهة الرأي

إنما هي ـ فتريات على منها يرى .

والقياس ، وإنما يُعرف من جهة الشرع ، فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه : ﴿ تُمَمَّ سَوَاءً وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ السجدة : ٨٠ أى من روح الحياة ، والحياة من صفات الله سبحانه ، والنفخ في الحقيقة مضاف إلى مَلَكٍ ينفخ فيه بأمر رَبِّهِ ، وتنظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأرواحَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، وأنها تتعارف^(١) وَتَتَشَامَّ في الهواء ، وأنها تُقَبِّضُ من الأجساد بعد الموت ، وأنها تُسْتَلُّ في القبر ، فتفهم السؤال وتسمع وترى ، وتُنَعَّم وتُعَذَّب وتَلْنَد وتَأَلَّم ، وهذه كلها من صفات الأجسام ، فتعرف أنها أجسام بهذه الدلائل ، لكنها ليست كالأجساد في كثافتها وثقلها ، وإظلامها ، إذ الأجساد خلقت من ماء وطين وحماء مَسْنُون ، فهو أصلها ، والأرواحُ خُلِقَتْ مما قال الله تعالى ، وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك . والملائكة خلقت من نور كما جاء في الصحيح^(٢) ، وإن كان قد أضاف النفخ إلى نفسه ، فكذلك أضاف قَبْضَ الأرواح إلى نفسه فقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر : ٤٢ وأضاف ذلك إلى الملك أيضاً فقال : ﴿ قُلْ : يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾ السجدة : ١١ والفعل مضاف إلى الملك مجازاً ، وإلى الرب حقيقة ، فهو أيضاً جِسْمٌ ، واسكنه من جنس الريح ، ولذلك سُمِّيَ رُوحاً من لفظ الريح ، ونفخُ الملك في معنى الريح غير أنه ضمُّ أوله ؛ لأنه نُوراني ،

(١) «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها اختلف وما تناكر منها اختلف» مسلم والبخارى في الأدب وغيرهما .

(٢) في مسلم عن عائشة : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

والرياح هواء متحرك ، وإذا كان الشرع قد عرّفنا من معاني الروح وصفاته بهذا القدر ، فقد عرّف من جهة أمره كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ : الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ وقوله : من أمر ربّي أيضاً ، ولم يقل من أمر الله ، ولا من أمر ربكم يدل على خصوص ، وعلى ما قدمناه من أنه لا يعلمه إلا من أخذ معناه من قول الله سبحانه ، وقول رسوله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقہ في الدين ، فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه ، فقد أحالهم على موضع العلم به (١) .

الفرق بين الروح والنفس :

فصل : وما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف : هل هي النفس أو غيرها ، وقد كثرت في ذلك الأقوال ، واضطربت المذاهب ، فتعلق قوم

(١) وأحسن ما قيل : إن المفصود بالروح هو القرآن نفسه ، وقد كان الكلام قبل هذا في شأنه ، وقد وصف كلام الله بأنه روح في القرآن : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) النحل : ٢ (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) غافر : ١٥ (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الشورى : ٥٢ وهذا الرأي قريب عما ذكره السهيلي حول أمر الله . وليت السهيلي سكّ عند الصحيح المنقول ١١ فقد بلغت الأقوال في حقيقة النفس والروح بلغت المائة أو الألف كما نقل الزرقاني في شرح المواهب عن ابن جماعة : ويقول ابن بطال شارح البخاري ومن شيوخ ابن عبد البر عن الروح « الإنسانى » : « معرفة حقيقتها بما استأثر الله بعلمه » وقال القرطبي عن الحكمة « في إلهام حقيقة الروح : « إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق » أي الله ، من باب أولى ،

بظواهر من الأحاديث لا توجب القطع ، لأنها نقل آحاد^(١) ، وأيضاً فإن ألفاظها محتملة للتأويل ، ومجازات العرف واتساعاتها في الكلام كثيرة ، فما تعلقوا به في أن الروح هي النفس قول بلال : « أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ »^(٢) مع قول النبي عليه السلام : إن الله قبض أرواحنا ، وقوله — عز وجل — ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ ﴾ والمقبوضة هي الأرواح ، ولم يفرقوا بين القبض والتوفي ، ولا بين الأخذ في قول بلال : « أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ » وبين قول النبي عليه السلام : « قبض أرواحنا » ، وتنقيح الأقوال وترجيحها بطول .

وقد روى أبو عمر في التمهيد حديثاً يدل على خلاف مذهبهم في أن النفس هي الروح ، لكن علله فيه أن الله خلق آدم ، وجعل فيه نفساً وروحاً ، فمن الروح : عفافه ، وفهمه وحلمه وسخاؤه ، ووقاؤه ، ومن النفس : شهوته وطيشه وسفاهه وغضبه ، ونحو هذا ، وهذا الحديث معناه صحيح إذا تَوَاطَلَّ صحَّ نقله أو لم يصح ، وسبيلك أن تنظر في كتاب الله أولاً ، لا إلى الأحاديث التي تُنقل مرة على اللفظ ، ومرة على المعنى ، وتختلف فيها ألفاظ الحديثين^(٣) ، فنقول قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾^(٤) ولم يقل : من نفسي وكذلك قال : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ السجدة : ٩ ولم يقل من

(١) لماذا إذاً يأخذ بأضعف الأحاديث ؟

(٢) من حديث في البخاري ومسلم وغيرهما

(٣) هذا مبدأ عظيم ، غير أن السهيلي لم يأخذ به في كثير من الأحيان ، فاعتمد على أضعف الأحاديث .

(٤) ذكرت مرة في سورة الحجر رقم ٢٩ وفي ص رقم ٧٢ .

نفسه ، ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا ، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام ، وذلك يدل على أن بينهما فرقا في المعنى ، وبالعكس هذا قوله سبحانه : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ولم يقل : تعلم ما في روحي ، ولا أعلم ما في روحك ، ولا يحسن هذا القول أيضاً أن يقوله غير عيسى (١) ، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد ، كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ولا يحسن في الكلام : يقولون في أرواحهم ، وقال تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ ولم يقل : أن تقول روح ، ولا يقوله أعرابي ، فإين إذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ؟! ولكن بقيت دقيقة يُعرف منها السر والحقيقة ، ولا يكون بين القولين اختلاف متباين إن شاء الله ، فنقول وبالله التوفيق : الروح مشتق من الريح ، وهو جسم هوائي لطيف ، به تكون حياة الجسد عادة ، أجراها الله تعالى : لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة ، حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذي هو في تجايف الجسد ، كما قال ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى ، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعري ، ومعنى كلامهم واحد أو متقارب .

الروح سبب الحياة :

فصل : فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة ، أجراها الله تعالى ، فهو

(١) قول النبوة أزكى الأقوال وأهداها . فلم لا يقولها غير عيسى ؟

كالماء الجارى فى عروق الشجرة صُعدا ، حتى تحيا به عادة ، فنسميه ماء باعتبار
أَوَّلِيَّتِهِ ، ونسمى أيضاً هذا روحاً باعتبار أوليته ، واعتبار النفخة التى هى ربح ،
فنادام الجنين فى بطن أمه حَيًّا ، فهو ذو روح ، فإذا نشأوا اكتسب ذلك الروحُ
أخلاقاً وأوصافاً لم تكن فيه ، وأقبل على مصالح الجسم كلفا به ، وعشق مصالح
الجسد ولذاته ، ودفع المضار عنه سى : نفساً ، كما يكتسب الماء الصاعد
فى الشجرة من الشجرة أوصافاً لم تكن فيه ، فالماء فى العنبة مثلاً هو : ماء
باعتبار الأصل والبدأة ، ففيه من الماء لليوعة والرطوبة ، وفيه من العنبة
الحلاوة ، وأوصاف آخر ، فتسميه مُصْطَافاً إن شئت ، أو خيراً إن شئت ، أو غير
ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الأوصاف ، فمن قال : إن النفس هى الروحُ
على الإطلاق من غير تقييد ، فلم يحسن العبارة ، وإنما فيها من الروح الأوصاف
التي تقتضيها نفخة الملك ، وَالْمَلَكُ موصوف بكلِّ خالقٍ كريم ؛ ولذلك قال
فى الحديث : فمن الروح عفافه وحلمه ووقاؤه وفهمه ، ومن النفس شهوته وغضبه
وطيشه ، وذلك أن الروح كما قدمنا مازج الجسد الذى فيه الدم ، ويسمى الدم :
نفساً ، وهو مجرى الشيطان ، وقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسرِّ لعله أن
يفهم مما نحن بسبيله ، فمن يعرف جوهر الكلام ، ويُنزل الألفاظ منازلها ،
لا يُسمى رُوحاً إلا ما وقع به الفرق بين الجماد والحى ، والذي كان سبباً للحياة ،
كما فى الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفة ، ونفخ الروح فيها ، ولا يُقال :
نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع فى الكلام ، وتسمية الشيء بما يؤول إليه ،

(١) مصطار بضم الميم : الخمر ، ومصطار يكسر الميم وبالسين : الخمرة الصارعة
لشاربها أو الحامضة أو الحديثة .

ومن ههنا سمى جبريل عليه السلام : روحا ، والوحى : روحا ، لأن به تكون حياة القلوب ، قال الله سبحانه : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ ثَوْرًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] وقال في الكفار : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ النحل : ٢١ وقال في النفس ما تقدم ، وقال : ﴿ إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةً بِالسُّوءِ ﴾ يوسف : ٥٣ ولم يقل إن الروحَ لَأَمَّارَةٌ ؛ لأن الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ، ولا يسمى أيضاً نفساً ، كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة ، وما كان نحوها ، والماء النازل من السماء جنس واحد ، فإذا مازج أجساد الشجر كالتفاح والفرسك^(١) والحنظل والعُشْبَرِ ، وغير ذلك اختلفت أنواعه ، كذلك الروح الباطنة التى هى من عند الله ، هى جنس واحد ، وقد أضافها إلى نفسه تشريفاً لها حين قال : وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، ثم يخالط الأجساد التى خلقت من طين ، وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبث ، فينزع كل فرع إلى أصله ، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق فى أم الكتاب ، وإلى ما دبره وأحكمه الحكيم الخبير ، فعند ذلك تنفافر النفوس ، أو تتقارب ، وتتجأب أو تنبأض على حسب التشاكل فى أصل الخلقة ، وهى معنى قول النبى — صلى الله عليه وسلم : فلما تعارف منها ائتاف ، وما تناكر منها اختلف . وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له : « إن نفسى غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام ؛ فإنها صادفت عندك بعض جواهرها ، والشئ يتبع بعضه بعضاً » .

(١) الفرسك ، الخوخ أو ضرب منه أجرد أحمر ، أو ما يتفلق عن نواه والعشْبَرِ شجر يخرج من زهره وشعبه سكر .

الإنسان روح وجسد :

فصل : وقد يُعبرُ بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده ، فتقول : عندي ثلاثة أنفس ، ولاتقول : عندي ثلاثة أرواح ، لا يعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدم ذكره ، وإنما اتسع في النفس ، وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح ، حتى صار يسمى نفسا ، وطراً هذا الاسم بسبب الجسد ، كما يطرأ على الماء في الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومُرٌّ وحَرِّيفٍ ، وغير ذلك فتحصل من مضمون ما ذكرنا ألا يقال في النفس : هي الروح على الإطلاق ، حتى تُقيد بما تقدم ، ولا يقال في الروح : هو النفس إلا كما يقال في المعنى هو الإنسان ، أو كما يقال للماء المغدّى للسكرمة هو : الخمر ، أو الخل ، على معنى أنه ستنضاف إليه أوصاف يسمى بها خراً أو خلا ، فتقيد الألفاظ هو : معنى الكلام ، وتنزيل كل لفظ في موضعه ، هو معنى البلاغة فافهمه .

النفس

فصل : وإذا ثبت هذا فلم يبق إلا قول بلال : أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ ، فذكر النفس ؛ لأنه معتذر من ترك عمل أمر به ، والأعمال مضافة إلى النفس : لأن الأعمال جَسَدَانِيَّةٌ ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم : إن الله قبض أرواحنا ، فذكر الروح الذي هو الأصل ، لأنه أنسهم من فزعهم ، فأعلمهم أن خالق الأرواح يقبضها إذا شاء ، فلا تنبسط انبساطها في اليقظة وروح النائم وإن وُصِفَ بالقبض ، فلا يدل لفظ القَبْضِ على انتزاعه بالكلية .

كما لا يدل قوله سبحانه في الظل : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ الفرقان : ٤٦ . على إعدام الظل بالسكينة ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ فلم يقل : الأرواح ، لأنه وعظ العباد الخافلين عنه ، فأخبر أنه يتوفى أنفسهم ، ثم يعيدها حتى يتوفاها ، فلا يعيدها إلى الحشر لِتَزْدَجِرَ النفوسُ بهذه العظة عن سوء أعمالها ؛ إذ الآية مكينة ، والخطابُ للكفار ، وقد نزلت الألفاظ منازلها في الحديث والقرآن ، وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة .

ابن هرمة :

فصل : واستشهد ابن هشام بقول ابن هرمة ونسبه فقال : فهرى ، وإنما هو خُلجى ، والخُلج اسمه : قيس ابن الحارث بن فهر ، واختلف في تسمية بنى

(١) في الاشتقاق : والخُلج بطن يزعمون أنهم من قريش منهم ابن هرمة الشاعر ، وفيه أيضاً : الخُلج يفتح فكسر الشاعر ، واسمه : عبد الله ، وسمى الخُلج لقوله :

كان تخاليج الأشطان فيها شأبيب تجود من النوادي

وفي حاشية الاشتقاق للاستاذ عبد السلام هارون : وأما خُلج بكسر الخاء وتخفيف اللام وسكونها فهو عبد الله بن الحارث بن عمرو بن وهب ابن الحارث ، بن سعد الجمفى ، وقيل : الخُلج يفتح الخاء وكسر اللام . وفي الطبقات لابن قتيبة عنه : هو من الخُلج من قيس عيلان ، ويقال : لأنهم من قريش ، وفي الأغاني أن نسبه ينتهى إلى قيس بن الحارث ، وقيس : هم الخُلج .. فلما تولى عثمان أثبتهم فى بنى الحارث بن فهر ، وجعل لهم ديوانا ، فسموا الخُلج ، لأنهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ، وورد عن ابن هرمة فى سمط اللآلى للبكرى ما نصه : إبراهيم بن على بن سلمة من هرمة من خُلج

مقيس بن الحارث الخُلج ، فقييل : لأنهم اختلجوا من قريش وسكان مكة ،
وقيل : لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء ، ونسبوا إليه ، وابن هرمة واسمه :
إبراهيم بن علي بن هرمة ، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية ، وبيته :
وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عِبْرَةً نَزِفَ الشُّنُونُ وَدَمَعَكَ الْيَنْبُوعُ

والشُّنُونُ : مجارى الدمع ، وهى أطباق الرأس ، وهى أربعة للرجل ،
وثلاثة للمرأة ، كذلك ذكروا عن أهل التشريح ، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت
في الدلائل ، فالله أعلم .

من شرح الآيات :

وكل ما شرح ابن هشام من الآيات التى تلاها ابن إسحاق ، فقد تقدم
ما يحتاج بيانه منه ، وفي قوله سبحانه : ﴿ بَنِيَّتٌ مِنْ زُخْرُفٍ ﴾ دليل على أن البيت
يراد به : القصر والمنزل ، وإن كان عظيما ، فإنه يسمى بيتا كما قدمنا فى شرح
بيت القصب فى حديث خديجة .

== قريش - بزيادة : ابن سلمة قبل ابن هرمة - والخلج هو : قيس بن الحارث بن
فهر ، سموا بذلك لأنهم كانوا فى عدوان ، ثم فى هوازن ، فلما استخلف عمر
أتوه ليفرض لهم ، فأنكر نسبهم ، فلما استخلف عثمان أتوه ، فأنبتهم فى بنى الحارث
ابن فهر ، فسموا بذلك : الخلج ، لأنهم اختلجوا عن كانوا معه ، ثم ذكر أن
الموضع الذى نزلوا فيه كان على خالج بالمدينة . وأن ابن هرمة من متقدمى الشعراء
ومن أدرك الدولتين الأموية والهاشمية يكنى أبا إسحاق . . وفى السيرة : إبراهيم بن
عبد الله ، وهند مصعب الزبيرى عن السكبي ورد نسبه : سلمة بن عامر بن هرمة بن
الهديل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عدى بن قيس بن الحارث بن فهر
انظر ٢٩٨ سمط اللالى ، والمذهبي يضبط الخلج بضم فسكون

(م ١٣ - الروض الأفج ٣)

هزنة جهنم وأبو الأشد بن :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي جهل مستهزئاً : يزعم محمد أن جنود ربه التي يخوفكم بها تسعة عشر ، وأنتم الناس ، إلى آخر القصة . وأهل التفسير يعززون هذه المقالة إلى أبي الأشد بن الجُمحى (١) ، واسمه : كَلْدَة بن أسيد بن خلف ، وأبو دَهَبَل الشاعر هو ابن أخيه ، واسمه : وَهَب بن زَمْعَة بن أسيد بن خلف ابن وَهَب بن حُذافة بن جُمح ، وكانت عند أبي دَهَبَل التَّوْأمة التي يعرف بها صالح مولى التَّوْأمة ، وهي أخت عبد الله بن صَفْوَان بن أمية ، ولدت له عبد الرحمن قتل يوم الجمل ، وأنه قال : اكفوني منهم اثنين ، وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه ، وكان بلغ من شدته - فيما زعموا - أنه كان يقف على

(١) وقيل كما ذكر ابن أبي حاتم : إن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن خزنة جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم ، فجاء رجل ، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى عليه ساعته : (عليه تسعة عشر) الخ .

وهناك رواية أخرى للترمذي وأحمد والبخاري أن رجلاً جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له : غلب أصحابك اليوم ، فقال : بأى شيء ، قال : سألتهم يهود : هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار - ؟ قالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفغلب قوم يسألون عما لا يعلمون ، فقالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم - على بأعداء الله ، لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهره ، فأرسل إليهم محمد فدعاهم ، قالوا : يا أبا القاسم : كم عدة خزنة أهل النار : قال : هكذا ، وطبق كمين منهم طبق كفيه مرتين ، وعقد واحدة الخ

جلد البقرة، ويجاذبه عشرة، لينتزعه من تحت قدمه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، وقد دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المصارعة، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم مراراً، فلم يؤمن، وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى رُكَّانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب، وسيأتي في الكتاب والله أعلم، وأما ما قال أهل التأويل في خزنة جهنم التسعة عشر، فروى عن كعب أنه قال: بيد كل واحد منهم عمود له شُعْبَتَان، وإنه ليدفع بالشعبة تسعين ألفاً إلى النار، وقد أملينا في معنى أبواب الجنة وأبواب النار فائدة عددها وتسميتها، وذكر الزبانية، والحكمة في كونهم عدداً قليلاً مسألة في قريب من جزء، فلتنظر هناك.

بهت الرسول «ص» أنه بشر يعلمهم :

فصل : وذكر قول قريش : إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا لا نؤمن بالرحمن ، فأنزل الله سبحانه : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ : هُوَ رَبِّي ﴾ كان مُسَيِّمَةُ بن حبيب الحنفي ، ثم أحد بنى الدُّوَل قد تسمى : بالرحمن في الجاهلية ، وكان من المعمرين ، ذكر وَثِيمة بن موسى أن مسيلة تسمى بِالرَّحْمَنِ قبل أن يولد عبدُ اللهِ أو رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم .

كبير :

وأنشد في تفسير الزبانية :

الذين استمعوا إلى قراءة النبي (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث : أن أباسفيان بن حرب ، وأباجهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، خرجوا ليلة ؛ يستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجلٍ منهم مجلسا يستمع فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا . فجمعهم الطريقُ ، فتلاّوا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رأيكم بعضُ سفهاءكم لأوقفتم في أنفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجلٍ منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا ، فجمعهم الطريقُ ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أوّل مرة ، ثم انصرفوا . حتى

ومن كبيرٍ نقره زبانيه^(١)

وجدت في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت : كبير : حتى من هذيل قال المؤلف : وفي أسد أيضا : كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، ومن ذريته : بنو جحش بن ريان بن يعمر بن صنبوة بن مرة بن كبير^(٢) ولعل الراجز أن يكون أراد هؤلاء ، فإنهم أشهر ، والله أعلم ، وبنو كبير أيضا : بطن من بني غامد ، وهم من الأزد ، والذي تقدم ذكره من هذيل هو : كبير بن طابخة بن إليان ابن سعد بن هذيل .

(١) سبق ذكر الأحاديث التي وردت في هذا الشأن ، والذي نقله السهيلي عن كعب الأحبار في أمر خزنة جهنم لاسند له

(٢) من شعراء هذيل من كنيته أبو كبير ، وفي اللسان : كبير بن هند : حتى من هذيل .

إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتماهد ألا نعود ، فتماهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنسُ بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أباسفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أباحنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أباحنظلة والله لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يُراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها ، قال الأخنسُ : وأنا والذي حلفت به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تمازجنا على الرؤى كعب ، وكُنَّا كقِرَتي رهان ، قالوا : من أنبي يأتيه الوحى من السماء ، فتي نُذكرك مثل هذه ، والله لا نُؤمن به أبداً ، ولا نصدقه . قال : فقام عنه الأخنسُ وتركه .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله ، قالوا يهزمون به : (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) لا نفقه ما تقول : (وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) لا نسمع ما تقول : (وَمَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ) قد حال بيننا وبينك (فاعمل) بما أنت عليه (إِنَّا عَامِلُونَ) بما نحن عليه ، إِنَّا لا نفقه عنك شيئاً ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ﴾

الْقُرْآنَ جَمَعْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾
إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَذْبَارِهِمْ
نُفُورًا ﴾ الإسراء : ٤٥ ، ٤٦ أى : كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جملت
على قلوبهم أكمة ، وفي آذانهم وقرا ، وبينك وبينهم حجابا بزعمهم ؛ أى :
إني لم أفعل ذلك . ﴿ فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ، إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ :
وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ، إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ : إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْخُورًا ﴾
الإسراء : ٤٧ أى : ذلك ماتوا صوا به من ترك ما بعثك به إليهم . ﴿ انظُرْ :
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء : ٤٨
أى : أخطأوا المثل الذى ضربوا لك ، فلا يُصِيبُونَ به هُدًى ، ولا يَعْتَدِلُ
لَهُمْ فِيهِ قَوْلٌ ﴿ وَقَالُوا : أَوَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمُسْبِقُونَ خَلَقًا
جَدِيدًا ﴾ أى : قد جئتُ نُخَبِّرُنَا : أَنَّا سُنَبِّئُكَ بِعَدَمِ تَوَاتُكِ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا
وَذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ . ﴿ قُلْ : كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ
فِي صُدُورِكُمْ ، فَسَيَقُولُونَ : مَنْ يُعِيدُنَا ، قُلْ : الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
الإسراء : ٤٩ - ٥١ : أى : الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب
بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس
رضي الله عنهما ، قال : سأله عن قول الله تعالى : ﴿ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي
صُدُورِكُمْ ﴾ ما الذى أراد الله به ؟ فقال : الموت .

تذكر عدوان المشركين على المستضعفين من أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم ، وأتبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يخذلونها ويعدونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم ، يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

تعذيب بلال وعتقه

وكان بلال مولى أبي بكر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جحج ، مؤلداً من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اسم أمه : حماة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج يخرج به إذا سميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد . فتعبد اللات والعزى ؛ فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعدب بذلك ، وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد ، أحد ، والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جحج ، فيقول : أحلف بالله أني قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا ، حتى مر به أبو بكر

الصدِّيق بن أبي نُحَافَة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يوماً ، وَهُم يُصْنَعُونَ ذَلِكَ بِهِ ، وَكَانَتْ دَارُ أَبِي بَكْرٍ فِي بَنِي جُحَاح ، فَقَالَ لِأُمِيَّةَ بِنِ خَاف : أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمَسْكَنِ ؟! حَتَّى مَتَى ؟ قَالَ : أَنْتِ الَّتِي أَفْسَدْتَهُ ، فَأَنْقِذِيهِ مِمَّا تَرَى ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَفْعَلُ عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ أُجِلِدُ مِنْهُ وَأَقْوَى ، عَلَى دِينِكَ ، أُعْطِيكَهُ بِهِ ، قَالَ : قَدْ قَبِلْتُ فَقَالَ : هَوِّلَكَ . فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ غُلَامَهُ ذَلِكَ وَأَخَذَهُ فَأَعْتَقَهُ .

من عتقاه أبي بكر

ثُمَّ أَغْنَقَ مَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يَهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَ رِقَابٍ ، بِلَالُ سَابِعُهُمْ : عَامِرُ بْنُ قُهَيْرَةَ ، شَهِيدٌ بِدِرَآءٍ وَأُحْدَا ، وَقُتِلَ يَوْمَ بَثْرِ مَعُونَةَ شَهِيداً ، وَأُمُّ شُمَيْسٍ وَزَيْنَبَةُ ، وَأَصِيبُ بَصْرَها حِينَ أَعْتَقَهَا ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : مَا أَذْهَبَ بَصْرَها إِلَّا اللَّاتُ وَالْأُمَزَى ؟ فَقَالَتْ : كَذَبُوا - وَبَيْتُ اللَّهِ - مَا تَضُرُّ اللَّاتُ وَالْأُمَزَى ، وَمَا تَنْفَعَانِ ، فَرَدَّ اللَّهُ بَصْرَها .

وَأَغْنَقَ النَّهْدِيَّةَ وَبَنَتْهَا ، وَكَانَتْ لَامْرَأَةً مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، فَمَرَّبَهَا وَقَدْ بَعَثَهَا سَيِّدَتُهُمَا بَطْحِينَ لَهَا ، وَهِيَ تَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أَعْتَقُكُمَا أَبَدًا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : حَلًّا يَا أُمَّ فُلَانٍ ، فَقَالَتْ : حَلٌّ ، أَنْتِ أَفْسَدْتَهُمَا فَأَعْتَقْتَهُمَا - قَالَ : فَبِكُمُ هُمَا ؟ قَالَتْ : بَكْذَا وَكْذَا ، قَالَ : قَدْ أَخَذْتُهُمَا وَمَا حُرَّتَانِ ، أَرْجِعِيهِمَا إِلَيْهَا طَحِينِيهَا ، قَالَتَا : أَوْ نَقْرُغْ مِنْهُ يَا أَبَا بَكْرٍ ، ثُمَّ نَرُدَّهُ إِلَيْهَا ؟! قَالَ : وَذَلِكَ إِنْ شِئْتُمَا .

وَمَرَّ بِحَارِيَّةَ بِنْتِ مُؤَمَّلَ ، حَتَّى مِنْ بَنِي عَدَى بْنِ كَعْبٍ ، وَكَانَتْ مَسْلُوعَةً

.....

وعمر بن الخطاب يُعذّبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها ، حتى إذا ملّ قال : إني أعتذر إليك ، إني لم أتركك إلا مَلَالَةً ، فتقول : كذلك فعل الله بك ، فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

بين أبي بكر وأبيه

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن عامر ابن عبد الله بن الزبير ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو جحافة لأبي بكر : يا بُنَيَّ ، إني أراك تُغْتَبِقُ رِقَاباً ضِعَافاً ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلاً جُلُوداً يمنعونك ، ويقومون دونك ؟ قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبتِ ، إني إنما أريد ما أريد ، لله عزّ وجل ، قال : فَيُتَحَدَّثُ أَنَّهُ مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا فِيهِ ، وَفِيَا قَالَهُ أَبُوهُ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ ، وَانْتَقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ الليل : ٥ ، ٦ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ الليل : ١٩ ، ٢١ .

تعذيب عمار بن ياسر

قال ابن إسحاق : وكانت بنو نَجْرُومٍ يَخْرُجُونَ بَعْمَارَ بْنَ يَاسِرٍ ، وَبِأَبِيهِ - وَأُمِّهِ - وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ - إِذَا حَمِيتِ الظَّهِيرَةُ ، يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمْضَاءِ مَكَّةَ ، فَيَمْرُ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَقُولُ ، فَيَا بُلْغَنِي : صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ ، مُوعِدُكُمْ الْجَنَّةَ . فَأَمَّا أُمُّهُ فَقَتَلُوهَا ، وَهِيَ تَأْبَى إِلَّا الْإِسْلَامَ .

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغَرِّى بِهِمْ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، إِذَا سَمِعَ

.

بِالرجل قد أسلم ، له شرف ومَنعة أَنبَه وأخْزاه وقال : تركتَ دينَ أبيك
بوهو خير منك : لَنُفسَهنَّ حِلْمَكَ وَلنُفْيَكنَّ رَأْيَكَ ، ولنضعنَّ شرفَكَ ،
وإن كان تاجراً ، قال : والله لَنُكسِدَنَّ تجارتَكَ ، ولنُهْلِكَنَّ مالَكَ ، وإن كان
ضعيفاً ضربه وأغرى به .

فتنة المعذبين

قال ابن إسحاق : وحدثني حَكِيم بن جُبَيْر عن سَعِيد بن جُبَيْر ، قال :
قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذِّرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله ،
إن كانوا ليضربون أحدهم ، ويُجيعونه ، ويُعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي
جالسا من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يُعطِهم ما سألوه من الفِتنَةِ ، حتى
يقولوا له ، آلاآتُ والعزَى إلهُك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الجعل
يُخبر بهم ، فيقولون له : أهذا الجعل إلهُك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتدأ
منهم ممَّا يبلغون من جهده .

رفض تسليم الوليد لتقتله قريش

قال ابن إسحاق : وحدثني الزبير بن عُسكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد
أنه حَدَّثَ أن رجالا من بني مخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد ، حين أسلم
أخوه الوليد بن الوليد ، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد
أسلبوا ، منهم : سلمة بن هشام ، وعيَّاش بن أبي ربيعة . قال : فقالوا له —
سوخشوا شرهم : إنا قد أردنا أن نُعَاتِبَ هؤلاء الفِتنَةَ على هذا الدين الذي
تأحدثوا ، فإنَّا نأمن بذلك في غيرهم . قال : هذا ، فماليكم به . فماتبوه وإياكم
نفسه . وأنشأ يقول :

.....

أَلَا لَا يُقَتِّلَنَّ أَخِي عُيَيْشٍ فَيَبْقَى بَيْنَنَا أَبَدًا تَلَا حِي

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله انن قتلتموه ، لأقتلن أشرفكم رجلاً . قال :
فقالوا : اللهم العنه . من يُفرّر بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل
أشرفنا رجلاً . قال : فتركوه ونزعوا عنه . قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
حايصيب أصحابه من البلاء . وما هو فيه من العافية . بمكانه من الله ، ومن عمه أبي
طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمتنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرجتم
إلى أرض الحبشة ، فإن بها ماسكا لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق ، حتى
يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، نخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله
يدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشة

وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس
ابن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته : رقية بنت
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو خديفة

.....

ابن عُثْمَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ : سَهْلَةُ بِنْتُ سَهْلِيلَ بْنِ عَمْرِو ، أَحَدُ
 بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَلَدَتْ لَهُ بَارِضَ الْحَبْشَةِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حَذَافَةَ . وَمِنْ بَنِي أَسَدَ
 ابْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ بْنِ مُخَوَّلَةَ بْنِ أَسَدَ . وَمِنْ بَنِي
 عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ : مُضْعَبُ بْنُ عُصَيْرٍ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ . وَمِنْ
 بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ : عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْحَارِثِ
 ابْنِ زُهْرَةَ . وَمِنْ بَنِي تَخْزُومَ ابْنِ يَقْطَنَةَ بْنِ مُرَّةَ : أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ
 هِلَالٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمرَ بْنِ تَخْزُومَ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ
 ابْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمرَ بْنِ تَخْزُومَ . وَمِنْ بَنِي جُمَحٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْيصَ
 بْنِ كَعْبٍ : عُمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ وَهْبٍ بْنِ حُذَامَةَ بْنِ جُمَحٍ . وَمِنْ
 بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ : عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ ، حَلِيفُ آلِ الْخَطَّابِ ، مِنْ عَنَزٍ بْنِ وَائِلٍ مَعَهُ
 امْرَأَتُهُ : لَيْلَى بِنْتُ أَبِي حَثْمَةَ بْنِ حَذَافَةَ بْنِ غَانِمٍ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ .
 مِنْ عُبَيْدِ بْنِ عُويْجٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ . وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ أَبُو سَكْبَرَةَ
 ابْنِ أَبِي رُهمَ بْنِ هَبْدِ الْعُزَّى بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ وُدٍّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ
 ابْنِ حَسَلِ بْنِ عَامِرَ ، وَيُقَالُ : بَلْ أَبُو حَاطِبٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وُدٍّ
 ابْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَلِ بْنِ عَامِرَ .

وَيُقَالُ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَدَمَهَا . وَمِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ : سَهْلُ بْنُ بَيْضَاءَ ،
 وَهُوَ : سَهْلُ بْنُ وَهْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ هِلَالٍ بْنِ أَهْيَبٍ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الْحَارِثِ .
 فَكَانَ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةُ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ ، فِيمَا بَلَغْنِي .
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، فِيمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ
 أَهْلِ الْعِلْمِ .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ،
وتتابع المسلمون ، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج
بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم وبنى أمية

ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لؤي بن غالب بن فهر : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ،
معه امرأته : أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ،
ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبي العاص
ابن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعمر بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : فاطمة بنت صقوان
ابن أمية ابن محرز بن حميل بن شق بن ربيعة بن مخدج السكناي ، وأخوه
خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : أمية بنت خلف بن أسعد
ابن عامر بن بياضة بن سبيع بن جهم بن سعد بن مديح بن عمرو ، من خزاعة
قال ابن هشام : ويقال : هُمينة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمة بنت
خالد ، فتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير ،
وخالد بن الزبير .

.

المهاجرون من بنى أسد وبنى عبد شمس

ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمه : عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وأخوه عبید الله بن جحش ، معه امرأته : أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمه ، معه امرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ، وهؤلاء آل سَعِيد بن العاص ، سبعة نفر .

قال ابن هشام : مُعَيْقِب من دؤس .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف ، أبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وأبو موسى الأشعري ، واسمه : عبد الله ابن قيس جليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلا .

المهاجرون من بنى نوفل وبنى أسد

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب ابن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن مَنصور بن عكرمة بن خَصفة ابن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، رجل .

ومن بنى أسد بن عبد المزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد ، والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ، ويزيد بن زَمعة بن الأسود ابن المطلب بن أسد . وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد ، أربعة نفر .

• • • • •

المهاجرون من بنى عبد وعبد الدار ولدى قصى

ومن بنى عبد بن قصى : طليب بن عمير بن وهب بن أبى كثير بن عبد
[ابن قصى] رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مضعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .
ابن عبد الدار ، وسويط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عُميلة بن السباق .
ابن عبد الدار ، وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف .
ابن عبد الدار ، معه امرأة أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أقيش بن عامر .
ابن بياضة بن سبيع بن جُعْثمة بن سعد بن مَليح بن عمرو ، من خزاعة ، وابناه :
عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .
ابن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كَلْدَة بن علقمة بن عبد مناف .
ابن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بنى زهرة وبنى هذيل وبهراء

ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد
ابن الحارث بن زهرة ، وعامر بن أبى وقاص ، وأبو وقاص : مالك بن أهيب .
ابن عبد مناف ابن زهرة ، والمطلب بن أذهر بن عبد عوف بن عبد الحارث .
ابن زهرة ، معه امرأة : رَمْلَة بنت أبى عوف بن ضُبيرة بن سعيد بن سعد .
ابن سَهم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب .

ومن حلفائهم من هذيل : عبد الله بن مسمود بن الحارث بن شَمخ .

.....

ابن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأخوه:
عُتْبة بن مسعود .

ومن بهراء : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة
ابن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لؤي بن ثعلبة بن مالك بن الشريد
ابن أبي أهوز بن أبي فائس بن دُرَيْم بن القَيْن بن أهود بن بهراء بن عمرو
ابن الحاف بن قُضاعة .

قال ابن هشام : ويقال هَزَل بن فاس بن ذرّ ، ودَهِير بن ثور .
قال ابن إسحاق : وكان يقال له : المقداد بن الأسود بن عبد يَغُوث
ابن وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، وذلك أنه تَبَنَّاه في الجاهلية ، وحالقه ،
سنة نحر .

المهاجرون من بني تميم وبني مخزوم

ومن بني تميم بن مرة : الحارث بن خالد بن صَخْر بن عامر بن عمرو
ابن كعب بن سعد بن تميم ، معه امرأته رَيْطَة بنت الحارث بن جبلة بن عامر
ابن كعب بن سعد بن تميم ، وَلَدَتْ له بأرض الحبشة موسى بن الحارث ،
وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وعمرو
ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، رجلان .

ومن بني مخزوم بن يَقْظَة بن مُرّة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ومعه امرأته : أمّ سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة

.

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمي شماساً ؛ لأن شماساً من الشامسة ، قدم مكة في الجاهلية ، وكان جميلاً فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة - وكان خال شماس : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء ابن أخته عثمان بن عثمان ، فسمي : شماساً . فيما ذكر ابن شهاب وغيره .

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم ومن بني جمح

قال ابن هشام: ويقال: حُبْشِيَّة بن سلول ، وهو الذي يقال له مُعْتَبَر
ابن حمران .

ومن بنى مُجَمِّح بن عمرو بن هُصَيْيص بن كعب : عثمان بن مَظْعُون
ابن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وأخواه :
قُدَامة بن مَظْعُون ، وعبدُ الله بن مَظْعُون ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر
ابن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ، معه امرأته : فاطمة بنت الْمُجَلَّل
ابن عبد الله بن أبي قَيْس بن عبدود بن نَصْر بن مالك بن حِثْل بن عامر ،
وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما بنت الْمُجَلَّل ، وأخوه : حطَّاب
ابن الحارث ، معه امرأته فُكَيْهة بنت يسار ، وسفيان بن مَعْمَر بن حَبِيب
ابن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ، معه ابناه جابر بن سفيان ، وجُنادة بن سفيان ،
ومعه امرأته حَسَنَة ، وهى أمهما ، وأخوها من أمهما : شَرَحْبِيل بن حَسَنَة ،
أحد الفوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحد الفوث بن مُرَّة ، أخى تميم
ابن مُرَّة .

المهاجرون من بنى سهم وبنى عدى وبنى عامر

قال ابن إسحاق : وعثمان بن ربيعة بن أَهْبَان بن وَهَب بن حُذَافَة بن مُجَمِّح ،
أحد عشر رجلا .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْيص بن كعب : خنيس بن حُذَافَة بن
قَيْس بن عدى بن سعد بن سَهْم ، وعبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عدى
ابن سعد بن سهل ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سَهْم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقيس بن خُذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن خُذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعبد الله بن خُذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، ومَعْمَر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وبِشْر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعُمَيْر بن رِثَاب بن خُذافة بن مُهْشَم بن سعد بن سهم ، ومُحَمِّمَة بن الجزاء ، حليف لهم ، من بنى زُبَيْد ، أربعة عشر رجلاً .

ومن بنى عدى بن كعب : مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلَة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى ، وعروة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى ، وعدى بن نَضْلَة بن عبد العزى بن حُرْثَان بن عوف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عدى ، وابنه النعمان بن عدى ، وعامر بن ربيعة ، حليف لآل الخطّاب ، من عَنَز بن وائل ، معه امرأته : ليلي بنت أبي حَثْمَة بن غانم . خمسة نفر .

ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حِثْل بن عامر ، معه امرأته :

• • • • •

أُمُّ كُنْثُومَ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ دُودٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَخْرَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنِ
عَبْدُودٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ دُودٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَسَلِيطُ بْنُ
عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ دُودٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَأَخُوهُ :
السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرِو ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ : سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ
ابْنِ عَبْدِ دُودٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَمَالِكُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ
ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ دُودٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ :
عَمْرَةُ بِنْتُ السَّعْدِيِّ بْنِ وَقْدَانَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ دُودٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ
حِجْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَحَاطِبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ دُودٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرٍ ، وَسَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ ، حَلِيفُ لَهُمْ . ثَمَانِيَةَ نَفَرٍ .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

المهاجرون من بنى الحارث

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث ابن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ،
وهو : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث
ابن فهر ، وسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ ، وهو : سُهَيْلُ بْنُ وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ هلال بن
أَهْنَبِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَلَكِنْ أُمُّهُ غَلَبَتْ عَلَى نَسَبِهِ ، فَهُوَ يَنْسَبُ إِلَيْهَا ،
وَهِيَ : دَعْدُ بِنْتُ جَعْدَمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ ظَرِبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرِ ، وَكَانَتْ

.

تدعى : بِيضاء ، وعمر بن أَبِي سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة
ابن الحارث ، وعِيَّاض بن زهير بن أبي شَدَّاد بن ربيعة بن هلال بن أهيب
ابن ضبة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة
ابن الحارث ، وعمر بن الحارث بن زهير بن أبي شَدَّاد بن ربيعة بن هلال بن مالك
ابن ضبة بن الحارث ، وعثمان بن عَبْد غَنَم بن زهير بن أبي شَدَّاد بن ربيعة
ابن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر
ابن أُمَيَّة بن ظَرْب بن الحارث بن فهر ، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيط
ابن عامر بن أُمَيَّة بن ظَرْب بن الحارث بن فهر . ثمانية نفر .

عدد الذين هاجروا إلى الحبشة

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى
أبنائهم الذين أخرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن
كان عَمَّار بن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيه .

من شعر الهجرة الحبشية

وكان مما قيل من الشعر في الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن قيس
ابن عدى بن سعد بن سَهْم ، حين أمَّنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جِوار
النجاشي ، وعبدوا الله ، لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن النجاشي
جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يا رَاكِباً بَلَّغْنِي عَنِّي مُغْلَغَلَةً مَنْ كَانَ يَرْجُو بِلَاغَ اللَّهِ وَالِدِينَ
كل امرئ من عباد الله مُضْطَهَد بِيْظَنٍ مَسْكَةٍ مَقْمُورٍ وَمَقْمُونِ

أَنَا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةً تَنْجِي مِنَ الذَّلِّ وَالْمَخْزَةِ وَالْهُونِ
فَلَا تَقِيمُوا عَلَى ذُلِّ الْحَيَاةِ ، وَخِزْيِ فِي فِي الْمَمَاتِ ، وَعَيْبِ غَيْرِ مَأْمُونِ
إِنَّا تَبِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاطَّرَحُوا قَوْلَ النَّبِيِّ ، وَعَالُوا فِي الْمَوَازِينِ
فَاجْعَلْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ بَغَوْا وَعَائِذَا بِكَ أَنْ يَغْلُوا فَيُظْفَرُونِ

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نفي قُريش إياهم من بلادهم ، ويعتابهم
بعض قومه في ذلك :

أَبْتَ كَبِدِي لِأَكْذِبِنِكَ قَتْلَهُمْ عَلَى ، وَتَأْبَاهُ عَلَى أَنَامِلِي
وَكَيْفَ قِتَالِي مَفْشَرًا أَدْبُوكُمْ عَلَى الْحَقِّ أَنْ لَا تُأْشِبُوهُ بِبَاطِلِ
نَفَثِهِمْ عِبَادُ الْجَنِّ مِنْ حُرِّ أَرْضِهِمْ فَاضْحَحُوا عَلَى أَمْرِ شَدِيدِ الْبَلَابِلِ
فَإِنْ نَكَ كَانَتْ فِي عَدِي أَمَانَةٌ

عدي بن سعد عن مُتَقَى ، أو تواصل
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم
وبدلت شِبْلًا شِبْلَ كُلِّ خَبِيثَةٍ بِحَمْدِ الَّذِي لَا يُطْغِي بِالْجُمَائِلِ
بَذَى فَجَرٍ مَأْوَى الضَّعَافِ الْأَرَامِلِ
وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وَتِلْكَ قُرَيْشٌ تَجْعَدُ اللَّهُ حَقَّهُ كَمَا جَعَدَتْ عَادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرُ
فَإِنْ أَنَا لَمْ أَتْرِقْ فَلَا يَسْعَنِي مِنَ الْأَرْضِ بَرٌّ ذُو فَضَاءٍ وَلَا بَحْرُ
بَارِضٍ بِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ أَبْيَنُ مَا فِي النَّفْسِ إِذْ بَلَغَ النَّقَرُ

• • • • •

فَقَسَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ — يَرْحَمُهُ اللَّهُ — لِبَيْتِهِ الَّذِي قَالَ: الْمُبْرِقُ .
وَقَالَ عُمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ يُعَانِبُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ بْنِ وَهْبٍ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ ،
هُوَ ابْنُ عَمِّهِ ، وَكَانَ يُؤْذِيهِ فِي إِسْلَامِهِ ، وَكَانَ أُمَيَّةٌ شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ فِي زَمَانِهِ
بِذَلِكَ :

أَتَيْمَ بْنَ عَمْرٍو لِلَّذِي جَاءَ بِفُضَّةٍ
وَمِنْ دُونِهِ الشَّرْمَانِ وَالْبَرْكُ أَكْتَمُ
نَاخِرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ آمِنًا وَأَسْكَنْتَنِي فِي صَرْحٍ بِيضَاءٍ تَقْدَعُ
تَرِيشَ نَيْلًا لَا يُؤَاتِيكَ رَيْشُهَا وَتَبْرَى نَيْلًا رَيْشُهَا لَكَ أَجْمَعُ
وَحَارَبْتَ أَقْوَامًا كِرَامًا أَعِزَّةً
وَأَهْلَكَتَ أَقْوَامًا بِهِمْ كُنْتَ تَفْزَعُ
سَقَمْتُ إِنْ نَابَتْكَ يَوْمًا مُلَمَّةٌ وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشُ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ
وَتَيْمَ بْنَ عَمْرٍو ، الَّذِي يَدْعُو عُمَانُ ، جُمَحُ ، كَانَ اسْمُهُ : نَيْمًا .

هول آيات من القرآن :

فصل : وذكر استماع أبي جهل وأبي سفيان والأخنس إلى قول أبي جهل :
خَلَمَا تَجَاذَيْنَا عَلَى الرُّكْبِ . وَقَعَ فِي الْجَهْرَةِ : الْجَاذِي : الْمُقْبِي عَلَى قَدَمَيْهِ ^(١) قَالَ : وَرَبَّمَا
جَعَلُوا الْجَاذِي وَالْجَائِي سَوَاءً .

(١) فِي الْقَامُوسِ : جَذَا جَذُوا وَجَذُوا كَسَمُوا ثَبَتَ قَائِمًا ، كَأَجَذَى ، أَوْ جَشَا ،
أَوْ قَامَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ : وَتَجَاذَى : نَسَلَ ، وَهِيَ فِي النُّسخَةِ الَّتِي مَعِيَ
أَبَا بَنْ هِشَامٍ : تَجَاذَيْنَا .

وذكر قول الله سبحانه خبراً عنهم : ﴿ جَعَلْنَا بَيْنَكَ ، وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ الإسراء : ٤٥ قال بعضهم : مستور بمعنى : ساتر كما قال : «وكان وعدُهُ مَأْتِيًا» أي : آتياً ، والصحيح أن مستوراً هنا على بابهِ : لأنه حِجَابٌ على القلب ، فهو لا يرى .

وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله : ﴿ أَوْ خَافًا مِمَّا يَكْبُرُ

== هذا وقد ذكر ابن هشام سبب نزول قوله سبحانه : «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» وإليك هنا ما ورد عن هذا في الصحيحين وأحمد عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — مشوار بمكة : (ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها) قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ، وسبوا من أنزله ، ومن جاء به ، قال : فقال الله لنبيه — صلى الله عليه وسلم — (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك ، فيسمع المشركون ، فيسبون القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه منك : (وابتغ بين ذلك سبيلاً) ولكن قصر الآية على هذا السبب يجعلها معطلة الآن ، إذ ما هم بيننا مثل هؤلاء المشركين الذين نخشاهم . ومن زعم أنها للدعاء فقد أخطأ ، فالدعاء يقول الله فيه : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) وقد روى عن ابن عباس : «لا تصل مراعاة الناس ، ولا تدعها مخافة الناس» ، وعن الحسن البصري : لا تحسن علانياتها ، وتسمى سريرتها .

وقد روى ابن جرير عن ابن سيرين قوله : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ، فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أنا جئ ربي عز وجل — وقد علم حاجتي ، فقيل : أحسنت ، وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال أطر الدشيطان ، وأوقفوا لوسنان ، قيل : أحسنت ، فلما نزلت : (ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً) قيل لأبي بكر : ارفع شيئاً ، وقيل لعمر : اخفض شيئاً . هذا هدى القرآن في القراءة في الصلاة .

في صدوركم ﴿ فقال : الموت ، وهو تفسير يحتاج إلى تفسير ، ورأيت لبعض المتأخرين فيه ، قال : أراد ابن عباس أن الموت سيفني كما يفنى كل شيء ، كما جاء أنه يُذبح على الصُّراط ، فكان المعنى أن لو كنتم حجارة أو حديدًا لأدرككم الفناء والموت ، ولو كنتم الموت الذي هو كبير في صدوركم ، فلا بُدَّ لكم من الفناء - والله أعلم - بتأويل ذلك ، وقد بقي في نفسى من تأويل هذه الآية شيء ^(١) ، حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى - وقوله سبحانه : ﴿ وَأَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ يجوز أن يكون : نفوراً : جمع نافر ، فيكون نصباً على الحال ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً لولوا . وما أنزل الله في استماعهم : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ، أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الْكُفْرَ ؟ ﴾ يونس : ٤٢ ألا ترى كيف جمع يستمعون ، والجل على اللفظ إذا قرُب منه أحسن ، ألا ترى إلى قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ فأفرد ، حملاً على لفظ مَنْ ، وقال في آخر الآية : ولا خوفٌ عليهم ، فجمع حملاً على المعنى ، لما بعد عن اللفظ ، وهكذا كان القياس في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ ﴾ ، ولكن لما كانوا جماعة ، ونزلت الآية فيهم بأعيانهم ، صار المعنى : ومنهم نفر يستمعون ، يعنى أولئك النفر ، وهم أبو جهل وأبو سفيان والأحنس بن شريق ، ألا ترى كيف قال بعد : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ﴾ فأفرد حملاً على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم ، والله أعلم .

(١) الآية واضحة يعنى : أى خلق يكبر في صدور هؤلاء ومنهم على شاكلتهم ، ولهذا قال مجاهد : السماء والأرض والجبال ، وفي رواية : ما شئتم فكونوا ، فسيمدكم الله بعد موتكم .

المكره على الكفر والمعصية :

فصل : وذكر تعذيب من أسلم وطرحهم في الرّمضاء ، وكانو يلبسونهم
أدراع الحديد ، حتى أعطوهم بالسنتهم ما سألوا من كلمة الكفر إلا بلالا - رحمه
الله - وأنزل الله فيهم : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ ونزل
في عَمَّارٍ وأبيه : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ ^(١) ولما كان الإيمان أصله
في القلب ، رخص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه
حتى يأمن . قال ابن مسعود : ما من كلمة تدفع عن سوطين إلا قُلتها هذا
في القول ، فأما الفعل ، فتنقسم فيه الحال : فمنه ما لا خلاف في جوازه كشرب
الخمر ، إذا خاف على نفسه القتل ، وإن لم يخف إلا مادون القتل ، فالصبر له
أفضل ، وإن لم يخف في ذلك إلا كسجن يوم ، أو طرف من الهوان خفيف ،
فلا تحل له المعصية من أجل ذلك ، وأما الإكراه على القتل ، فلا خلاف
في حظره ؛ لأنه إنما رخص له فيما دون القتل ، ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة ،

(١) روى العوفي عن ابن عباس أن الآية : « إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ » نزلت في حق عمار
ابن ياسر ، وهكذا قال الشعبي وقتادة وأبو مالك وابن جرير ، ورواه البيهقي ، وفيه
أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر آلهتهم بخير ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : يا رسول الله
لما تركت حتى سببتك ، وذكرت آلهتهم بخير ، قال : كيف تجد قلبك ؟ قال :
مطمئنا بالإيمان ، فقال : إن عادوا فعد . أما الأخرى فلم يذكر لها سبب .
وروى قصة تعذيب بلال أحمد في مسنده ، وروى ابن أبي شيبة أن أبا بكر
اشترى بخمس أواق وهو مدفون ، كما روى الطبراني أن عامر بن فهيرة كان ممن
يعذب في الله ، فاشترى أبو بكر وأعتقه .

وهي نفسه ، فأما إذا دَفَعَ عن نفسه بنفسٍ أخرى ، فلا رُخْصَة ، واختلف في الإكراه على الزَّنى ، فذكر عن ابن الماجشون أنه قال : لا رُخْصَة فيه ؛ لأنه لا ينتشر له إلا عن إرادة في القلب أو شهوة ، وأفعال القلب لا تُباح مع الإكراه ، وقال غيره : بل يرخص في ذلك لمن خاف القتل ، لأن انبعاث الشهوة عند المماسّة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مَضْغ الطعام ، وقد يجوز أكل الحرام إذا أكره عليه .

فصل : واختلف الأصوليون في مسألة من الإكراه ، وهي : هل المُكْرَه على الفعل مخاطبٌ بالفعل ، أم لا ؟ فقالت المعتزلة : لا يصح الأمر بالفعل مع الإكراه عليه ، وقالت الأشعرية : ذلك جائز ؛ لأن العزم إنما هو فعل القلب ، وقد يتصور منه في ذلك الحين العزم والنية ، وهي القصد إلى امتثال أمر الله تعالى ، وإن كان ظاهره أنه يفعله خوفاً من الناس ، وذلك إذا أكرهه على فرض كالصلاة مثلاً ، إذا قيل : صلِّ وإلا قُتلت ، وأما إذا قيل له : إن صليت قُتلت ، فظن القاضى أن الخلاف بيننا ، وبين المعتزلة في ذلك ، وغلطه بعض أصحابه ، وقالوا : لا خلاف في هذه المسئلة أنه مخاطبٌ بالصلاة مأمورٌ بها ، وإن رخص له في تركها ، فليس بالترخيص مما يخرجُه عن حكم الخطاب ، وإنما يرفع عنه الإكراه المائم ، ولا يخرجُه عن أن يكون مخاطباً بها ، وهذا الغلط المنسوب إلى القاضى في هذه المسئلة ليس بقول له ، وإنما حكاة في كتاب التقريب والإرشاد عن طائفة من الفقهاء . قالوا : لا يتصور القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه . قال القاضى : وهذا باطل ؛ لأنه يتصور انكشافه عنه مع الإكراه ، فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له ، وبه يتعلق التكليف ، فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين

هذا القول الذى أبطله ، وبين بطلانه ، وإنما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه فى المسألة ، وأقف على حقيقة مذهبه ، وهو برىء من الغلط فيها .

آل ياسر :

فصل : وذكر فيمن عُدَّ فى الله : سُمِّيَّةُ أُمِّ عِمَارٍ ، وقد ذكرنا قتلَ أبي جهلٍ لها ، وهى أول شهيد فى الإسلام ، وروى أن عماراً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد بلغ منا العذابُ كل مبلغ ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : صبراً أبا اليقظان^(١) ، ثم قال : اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار ، وسُمِّيَّةُ أمه ، وهى بنت خَيْطٍ^(٢) ، كانت مَوَلَاةً لأبي حذيفة بن المغيرة ، واسمه مُهَشَّمٌ ، وهو عم أبي جهل ، وغلط ابن قُتَيْبَةَ فيها ، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كَلْدَةَ خلف عليها بعد ياسر ، فولدت له سلمة بن الأزرق ، وقال أهل العلم بالنساء : إنما سُمِّيَّةُ أُم سلمة بن الأزرق سُمِّيَّةُ أُخْرَى ، وهى أم زياد ابن أبى سفيان ، لا أم عمار ، وعمارٌ وَالْحَوَيْرِثُ وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك ابن كِنانة بن قيس بن الحُصَيْن بن لُؤْزِينَ ، ويقال الوُزَيْم بن ثَعْلَبَةَ بن عوف بن عامر بن حارثة بن زيام بن عَنَسٍ^(٣) بن مالك بن أَدَدَ بن زيد العنسي المَذْحِجِيَّ

(١) ذكره ابن عبد البر .

(٢) وقيل خباط بضم الحاء وتشديد الباء ، وعند الفاكهي : خبط بفتح الحاء وسكون الباء وعند ابن سعد أنها بنت سليم

(٣) فى الاشتقاق : عمار والحريث وعبد الله بنو ياسر . وفيه الوزيم . ويام بدلا من زيام وهذه أيضاً فى الإصابة . وقد روى أحمد فى مسنده أن الرسول ص ، مر على عمار وآبيه وأمه ، وهم يعذبون ، فقال أبو عمار : يا رسول الله الدهر هكذا ؟ فقال له : —

حليف لبني مخزوم ، ومن ولد عمار : عبدُ الله بن سعد بن الحسن بن عثمان
ابن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ، وهو المقتول بالأندلس ، قتله
عبد الرحمن بن معاوية .

زَنْبِرَةٌ وَغَيْرُهَا :

فصل : وذكر زَنْبِرَةٌ (١) التي أعتقها أبو بكر ، وأول اسمها : زاي مكسورة
بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فَعِيلَةٍ ، هكذا سمحت الرواية في الكتاب ،
والزَنْبِرَةُ : واحدة الزنانير ، وهي الحصا الصغار (٢) ، قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول
فيها : زَنْبِرَةٌ بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ، ولا تُعرف زَنْبِرَةٌ في النساء ،
وأما في الرجال فَزَنْبِرَةُ بن زُبَيْر بن مخزوم بن صَاهِلَة بن كاهل بن الحارث
ابن تميم بن سعد بن هُدَيل بن مَدْرَكَة بن الياس بن مُصَر ، وابنه : خالد بن
زَنْبِرَة ، وهو الفَرَقُ قاله الدارقطني .

أُمُّ عُبَيْس :

فصل : وذكر أُمُّ عُبَيْس (٣) ، وكانت لبني تميم بن مُرَّة أعتقها أبو بكر ،

النبي «ص» اصبر ثم قال : اللهم غفرا لآل ياسر ، وقد فعلت . وعند الطبراني
في الأوسط : اصبروا آل ياسر موعدهم الجنة . أو أبشروا آل ياسر موعدهم الجنة
(١) كان أبو جهل ينهكم بها وبمن آمن ، فيقول : « ألا تعجبون إلى هؤلاء
وأتباعهم . لو كان ما أتى محمد خيرا وحقا ماسبقونا إليه ، أفتسبقنا زنبرة إلى
رشد » ص ٢٦٩ شرح المواهب .

(٢) وذباب صغار أيضاً .

(٣) أو عنيس ، أو عبيس بالتصغير .

وذکر غیر ابن إسحاق هؤلاء الذين عذبوا في الله لما أعطوا بالسنتهم ما سئلوا من الكفر ، جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنطاع الأدم فيها الماء ، فوضعوهم فيها ، وأخذوهم بأطراف الأنطاع ، واحتملوهم إلا بلالا .

عن بلال :

وقول ورقة بن نوفل : لئن قتلتُموه يعني : بلالا ، وهو على هذا الحال لا تأخذنه حنانا^(١) . أى : لا تأخذن قبره منسكا ومستزحما . والحنان : الرحمة ، وكان بلال رحمه الله يكنى : أبا عبد الكريم ، وقيل : أبا عبد الله ، وأخته غفرة ، وقد تقدم في أول الكتاب ذكر عمر مولى غفرة ، وهى هذه . والغفرة : الأنثى من أولاد الأراوى^(٢) ، والذكر : غفر .

باب الهجرة إلى أرض الحبشة

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب ، وأما النجاشي فاسم لكل ملك إلى الحبشة ، كما أن كسرى اسم لمن ملك الفرس ، وخاقان اسم للملك الترك كائنا من كان ، وبطليموس : اسم لمن ملك اليونان ، وقد ذكرنا هذا المعنى قبل ، واسم هذا النجاشي : أضحمة^(٣) بن أبجر . وتفسيره : عطية . وذكر

(١) هو عند الزبير بن بكار وأبي الفتح اليعمرى .

(٢) أراوى بفتح أوله وثانيه وكسر الواء وتضميف الياء : جمع قلة لأروية بضم أو كسر فسكون فكسرت فتح مع تشديد : أنثى الوعول ، أو أنثى التيس الجبلى ، وكذلك غفرة وجمع الكثرة : أروى على وزن أفعال ، على غير قياس . وفى اللسان عن أبي العباس : والصحيح عندي أن أراوى تسكير أروية . كأرجوحة وأراجيح ، والأروى : اسم للجمع ، وأروى تنون ولا تنون . انظر اللسان مادة روى ،

(٣) كذلك ورد اسمه فى البخارى ، وفى مصنف ابن أبى شيبة بحذف الحمة وحكى —

في أول من خرج إلى الحبشة : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — وكان حين تزوجها يَغْنِيها النساء :

أَحْسَنُ شَخْصِينَ رَأَى إِنْسَانٌ رُقَيْيَةً وَبَعْلَهَا عُثْمَانُ

ولدت رقية لعثمان ابنة عبد الله ، وبه كان يكنى ، ومات عبد الله وهو ابن
ست سنين ، وكان سبب موته أن ديكاً نقره في عينه ، فتورم وجهه فمضى .
ومات . وذلك في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، ثم كنى بعد ذلك
أباً عمرو ، وهذا هو عبد الله الأصغر . وعبد الله الأكبر هو ابنه من فاختة بنت
غزوان ، وأكبر بنيه بعد هذين : عمرو ، ومن بنيه عمر و خالد وسعيد والوليد
والمغيرة وعبد الملك (١) وأبان ، وفي السيرة من غير هذه الرواية أن رقية كانت .

الإسماعيل : أصحمة وقيل : أصحبة وقيل : صحبة ، وقيل : مصحمة ، وقيل اسمه : مكحول .
وقال مغلطاي : ملك الترك خاقان ، والروم : قيصر واليمن : تبع ، واليونان :
بطليموس ، واليهود : القبطون فيما قيل ، والمعروف : مالح ، وملك الصابئة :
الفرود ودهمز ، وملك الهند : يعفور ، والزنج : زغانة ، ومصر والشام : فرعون ،
فإن أضيف إليهما الإسكندرية سمي : العزيز ، ويقال المقوقس . وملك المعجم :
كسرى ، وملك فرغانة : الإخشيد ، والعرب من قبل المعجم : النعمان ، وملك
البربر : جالوت . وجمع الحبش : أحبوش بضم أوله ، وأما قولهم : الحبش فعلى غير
قياس ، وقالوا : حبشان وقالوا : أحبش وأصل التحبش : التجميع . وكان
التجاشى قديماً لقباً للملوك الحبشة ، ثم غير إلى الخطى . والنجاشى إما بفتح النون
وإسكان الياء أو تشديدها أو بكسر النون مع مد الشين .

(١) في نسب قريش : عمرو وعمر و خالد وأبان وحريم وأههم : أم عمرو
بنت جندب بن عمر بن حمة من الأزدمن دوس . ومنهم الوليد وسعيد وأم عثمان —

من أحسن البشر ، وأن رجلاً من الحبشة رأوها بأرضهم ، فكانوا يُدْرِكُون^(١) إذا رأوها إعجاباً منهم بحسنها ، فكانت تتأذى بذلك ، وكانوا لا يستطيعون لغزبتهم أن يقولوا لهم شيئاً ، حتى خرج أولئك النفر مع البجاشى إلى عدوه الذى كان ثار عليه ، فقتلوا جميعاً ، فاستراحت منهم ، وظهر النجاشى على عدوه ، وروى الزبير فى حديث أسنده أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث رجلاً يُلْطَفُ إلى عثمان ورقية ، فاحتبس عليه الرسول ، فقال له عليه السلام : إن شئت أخبرتك ما حبسك ، قال : نعم ، قال : وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما .

وذكر ابن إسحاق تسمية المهاجرين^(٢) إلى أرض الحبشة ، وقد تقدم التعريف ببعضهم ، وذكرنا سبب إسلام عمرو بن سعيد بن العاصى ، وأنه

== أمهم : فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المخيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ومنهم عبد الملك لا بقية له ، وتوفى رجلاً ، أمه : أم البنين بنت عيينة بن حصين ابن حذيفة بن بدر . ومنهم : عائشة ، وأم أبان ، وأم عمرو . وأمهم : رملة بنت شيبه بن ربيعة بن عبد شمس ص ١٠٤

(٢) الدررلة كثر ذمة وسبحة أى بكسر ففتح فسكون ففتح : لعبة للعجم أو ضرب من الرقص أو هى حبشية

(٣) فى فتح البارى : أن الهجرة وقعت مرتين ، وذكر أهل السير أن الأولى كانت فى شهر رجب من سنة خمس من المبعث ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نساء ، وقيل : وامرأتان ، وقيل : كانوا اثني عشر رجلاً ، وقيل : كانوا عشرة ، وأنهم خرجوا . حتى وصلوا إلى شعبة مكان على ساحل البحر الأحمر ، فاستأجروا سفينة — فى غير الفتح : سفينتين — بنصف دينار

رأى نوراً خرج من زمزم أضأت له منه نخل المدينة ، حتى رأوا البُئمرَ فيها ،
فقص رؤياه ، فقيل له : هذه بئر بنى عبد المطلب ، وهذا النور فيهم يكون ،
فكان سبباً ليداره للإسلام .

رؤيا سعد ومالك ولدى العاص :

وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذه الرؤيا إنما كانت لأخيه ، وأن عمراً هو الذى
عبرها له ، وهذا هو الصحيح فيها ، والله أعلم ، وأما أخوه خالد بن سعيد ، فكان
يرى - قبل أن يسلم - نفسه قد أشتى على نار تأجج ، وكان رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قد أخذ بجُجزته^(١) ، يصرفه عنها ، فلما استيقظ علم أن نجاته من النار
على يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أظهر إيمانه ضربه أبوه بمِرْعَةٍ ،
حتى كسرها على رأسه ، وحلف ألا ينطق عليه ، وأغرى به إخوته ، فطردوه
وآذوه ، فانقطع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى هاجر إلى أرض الحيشة
- كما ذكر ابن إسحاق - وأبوه سعيد بن العاصى أبو أحيحة الذى يقول فيه القائل :

أبو أحيحة :

أبو أحيحة من يعم عِمَّتَهُ يُضْرَبُ وإن كان ذا مال وذاعدد
وكان إذا اعتمَّ لم يعتم قرشى إعظماً له^(٢) ، وقد قيل في عِمَّتِهِ أيضاً
ما أنشده عمرو بن بحر الجاحظ :

وكان أبو أحيحة قد علمتم بمكة غير مُهْتَضَمٍ ذميم
إذا شَدَّ العصابة ذات يومٍ وقام إلى المجالس والخصوم

(١) الحجرة : معقد الإزار

(٢) انظر أيضاً ص ٧٨ الاشتقاق ، وفيه يقول فوق ما ذكره السهيلي :
أحيحة : تصغير : أحة ، وهو ما يجده الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحزن .
(م - ١٥ الروض الأثف ج ٣)

لقد حرمت على من كان يمشی بمكة غير مُحَقَّرٍ لِلنِّم (١)
 مات أُحَيَّةَ الذي كان يُكْنَى به في حرب الفِجَار ، وأسلم من بنيهِ أربعة
 أَبَانُ وَخَالِدٌ وَعَمْرُو والحَكَمُ الذي سمَّاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 عبدَ الله ، ومات أُحَيَّةَ بن سعيد ، والعاصي بن سعيد وغيرها من بنيهِ على
 الكفر، قتل العاصي منهم يوم بدر كافرين .

أمة بنت خالد وأبوها :

وذكر أمة بنت خالد بن سعيد التي ولدت بأرض الحبشة ، قال : وتزوجها
 الزبير بن العوام ، وهي التي كساها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي .

(١) الأبيات لأبي قيس بن الأسات، وهي في البيان والتبيين للجاحظ ص ٩٧
 ح ٣ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر . والشطيرة الثانية من البيت الثالث هكذا :
 بمكة غير مدخل سقيم ، وبعدها .

وكان البختری غداة جمع	يدافعهم بلبان الحكيم
بأزهر من سمرات بني لؤي	كبدل الليل راق على النجوم
هو البيت الذي بنيت عليه	قريش السر في الزمان القديم
وسطت ذوائب الفرعين منهم	فأنت ابواب سرهم الصميم

وفي الروض : « إذا ما شد العصاة ، وهو خطأ .

ملحوظة : ما زدت في الانساب هو من نسب قريش ، كما حدث في نسب
 عبد الرحمن بن عوف . فقد زدت بين عبد الحارث كلمة ابن من صفحة ٢٦٥ .
 ومن الإصابة وتمت خلافاً يسيرة عما هنا . ويقول ابن سعد إن الخطاب
 كان قد تبني عامر بن ربيعة ، فكان يقال لعامر بن الخطاب حتى نزلت :
 ادعهم لأبائهم .

صغيرة، وجعل يقول : سَنَاهُ ، سَنَاهُ يا أم خالد !! أى : حَسَنٌ حَسَنٌ^(١) بلغة الحبشة ، وكانت قد تعلمت لسان الحبشة ؛ لأنها ولدت بأرضهم ، وولدت للزبير عمراً وخالداً، يقال : إن أباهما خالد بن سعيد أول من كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، مات بأجنادَيْنِ^(٢) شهيداً ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد استعمله على صَنَعَاءَ واليمن ، فلما توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد أبو بكر أن يستعمله ، فقال : لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبداً ، ويُروى أن أباه سعيد بن العاصى مرض ، فقال : إن رفعنى الله من مرضى لا يعبد إله ابن أبى كَبْشَةَ^(٣) بمكة أبداً ، فقال ابنه خالد : اللهم لاترفعه فهلك مكانه ، فهو لاء بنو سعيد بن العاصى بن أمية :

عبد شمس :

وعثمان : هو ابن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، ولا يختلف في عبد شمس أنه بالذال ، وأما عَبْ شمس بن سعيد بن زيد مناة بن تميم ،
(١) حديثها في البخارى ، وأن النبى كساها خميصة لها أعلام ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمسح الأعلام بيده ، ويقول : سناه سناه . قال الحميدى : يعنى : حسن حسن ويقال سنا بالتشديد والتخفيف أو سناه

(٢) إذا نطقت بفتح الدال كسرت النون كالشنى ، وإذا قرئت بكسر الدال فتحت النون كالجمع

(٣) أبو كبشة هو : وجز بن غالب الذى كانت قريش تنسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليه ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - خالف دين قريش ، فقالت قريش : نزع أبو كبشة ، لأن أبأ كبشة خالف الناس في عبادة الشعري ، والعرب تزعم أن أحدا لا يعمل شيئاً إلا يعرق بنزعه مثبته . وكان أبو كبشة سيداً في خزاعة . لم يعيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم به من تقصير كان فيه ، ولكنهم أرادوا أن يشبهوه بخلاف أبى كبشة ، فيقولون : خالف كما خالف أبو كبشة .
ص ٢٦٢ نسب قريش .

فقال فيه أبو عبيد وأُقتبِ : عبد شمس كما في الأول . وقال أكثر الناس فيه : عَبُّ شمس^(١) ، ثم اختلفوا في معناه ، فقليل ، معناه : عبد شمس ، لكن أدغمت الدال ، وقيل : بل [عَبُّ شمسٍ] هو عَبُّ الشمس هو ضَوْوُها أو صفاؤها ، وقيل في المثل : هو أبرد من عَبْرُ أي : البرد ، وبعضهم يقول : وهو المبرد : من عَبِّ قُرْ أي : بياض قُرٍّ ، ومن حَبِّ قُرٍّ أيضاً^(٢) . وفيه قول ثالث : أعنى : عَبُّ شمس . وهو مروى عن ابن عمر . وقال معناه : عَبُّه شمس بالهمز . ثم حذفت الهمزة تسهيلاً . وعَبَّ الشمس . وعَبَّوها مثله^(٣) .

عمار لم يهاجر إلى الحبشة :

وشك ابن إسحاق في عمار بن ياسر : هل هاجر إلى أرض الحبشة ، أم لا . والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عُقَيْبَةَ . وغيرها أنه لم يكن فيهم .

(١) يكتب : عبشمس ، ولقبه : مقروع ويقال بتضعيف الباء مع الإضافة (٢) في القاموس . حقر ، بفتح فسكون فضم فراء مشددة ، كفعل ذكره في اللابنية ، ولم يفسروه ، ومعناه : البرد حب الغمام ، يقال : أبرد من حقر ، ويقال : عبقر ، وأصله : حب قر ، بفتح حاء حب وتشديد الباء مع إضافتها إلى قر ، والقر — بضم القاف — البرد ، والدليل على ما ذكرته : أن أبا عمر ابن العلاء يرويه : أبرد من عب قر ، والعب — بفتح فتضميف : اسم للبرد . انتهى . وعب الشمس الذي هو ضَوْوُها بفتح العين وتشديد الباء أو تخفيفها .

(٢) ضَوْوُها ويقول محمد بن حبيب في كتابه متشابه القبائل : كل شيء في العرب عبد شمس غير عبشمس بن سعد في تميم ، وعبشمس بن آخر في طي . هكذا قال بسكون الباء فيهما ، وذكر غيره أن الذي في تميم : عبشمس — بفتح الياء — والذي في طي : عبشمس بكسر الباء . انظر ص ٤٥٠ ح ٢ المزهر

مول بنى الحارث بن قيس:

وذكر ابن إسحاق من بنى الحارث بن قيس من هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث . وذكره الواقدي وغيره . والحارث ابن قيس كان أبوه^(١) من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ الحجر : ٩٥ .

مول بنى زهرة وطبيب بن عبد :

وذكر من بنى زهرة من هاجر إلى أرض الحبشة ، وهم ستة نفر ، ولم يذكر السابع ، وهو : عبد الله بن شهاب^(٢) جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، وكان اسمه : عبد الجان ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله^(٣) مات بمكة بعد الفتح^(٤) وأخوه : عبد الله الأصغر شهد أحداً مع المشركين ، ثم أسلم .

(١) الحارث بن قيس بن عدى السهمي إليه في الجاهلية كانت الحكومة والأموال . ذكر ابن عبد البر أنه أسلم ، وهاجر إلى الحبشة مع بنيه الحارث وبشر ومعمّر ، وتلقاه ابن الأثير بأن الزبير بن بكار وابن الكلبي ذكرا أنه كان من المستهزئين ، وزاد الذهبي في التجريد : لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبا عمر ، وردّه في الإصابة بأنه ذكره في الصحابة أيضاً : أبو عبيد ومصعب والطبر وغيرهم ، ولا مانع من أن يكون قد تاب وصحب وهاجر ، والآية ليست صريحة في عدم توبة بعضهم .

(٢) هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن زهرة بن كلاب الزهري . ذكره الزهري والزبير وغيرهما فيمن هاجر إلى الحبشة ، ومات بمكة قبل هجرة المدينة وكذا قال الطبري

(٣) عن ابن سعد والزبير وزاد ابن سعد : ليس له حديث

(٤) رد الحافظ في الإصابة قوله هذا ؛ لأنه مأخوذ عن رواية الواقسي

وذكر المطلب بن عبدعوف ولم يذكر أخاه طايبا ، وكلاهما هاجر إلى أرض الحبشة ، ومات بها ، وهما أخوا أزهر بن عبدعوف .

من شعر الهجرة الحبشية ومسانيد النخوية :

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث ما قاله في أرض الحبشة ، وفيه قوله :

أَلْحَقْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَغَوْا وَعَانَدَا بِكَ أَنْ يَغُورُوا فَيُطْفِئُونِي

أنشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك لإظهاره ، وذلك لحكمة ، وهى أن الفعل لو ظهر لم يحل أن يكون ماضيا أو مستقبلا ، فالماضى يوم الانقطاع ، والمتكلم إنما يريد أنه في مقام العائد ، وفي حال عود ، والفعل المستقبل أيضا يؤذن بالانتظار ، وفعل الحال مشترك مع المستقبل في لفظ واحد ، وذلك يوم أنه غير عائد ، فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدل على ما يريد ، فإن عاندا كقائم وقاعد ، وهو الذى يسمى عند الكوفيين : الدائم ، فالقائل : عاندا بك يارب ، إنما يريد : أنا في حال عياد بك ، والعامل في هذه الحال : تكلمه ونداؤه ، أى : أقول قولى هذا عاندا ، وليس تقديره : عذت ولا أعوذ ، إنما يريد أن يسمعه ربه ، أو يراه عاندا به .

وقوله : أن يعلو يجوز أن تكون أن مع ما بعدها في موضع نصب ،

== عن الزهرى ، وهى تقول أنه قدم مع جعفر في السفينة . لكن الوقاصى ضعيف . وذكر البخارى في تاريخه عن عبد الله أنه أقام بالحبشة .

(١) فى السيرة : فاجعل عذابك . وانظر ص ١٧ ج ١ من كتاب سيبويه

وفي موضع خفض عند النحويين ، أما النصب فعلى إضمار الفعل ، لأنه قال :
عائذاً ، فأعلم أنه خائف ، فكأنه قال : أخاف أن يعلو فيطففوني ، وأما الخفض
فعلى إضمار حرف الجر ، فكأنه قال : من أن يعلو ، وهو مذهب الخليل
وسيبويه في أن الخففة وأن المشددة نحو قوله تعالى : ﴿ إِن هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً ﴾ الأنبياء : ٩٣ تقديره : لأن هذه ، وجاز إضمار حرف الجر في هذين
الموضعين ، وإن كانت حروف الجر لا تضم ، لأنهما موصولتان بما بعدها ،
فطال الاسم بالصلة ، فجاز حذف الجر تخفيفاً .

ولقائل أن يقول : هذه دعوى ادعيتم أن أن وما بعدها اسم مخفوض ،
وهو لا يظهر فيه الخفض ، ثم بنيت التعاميل على غير أصل ؛ لأن الخفض لم يثبت
بعد ، فنقول : إنما علمنا أنه في موضع خفض لوقوعه في موضع لا يقع فيه
إلا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه : ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ ﴾ التوبة : ٩٧ ونحو قوله تعالى : ﴿ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ التوبة : ١٠٨ ونحو
قوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ البقرة : ٢٨ . فقوله تعالى : أجدروا ، معناه :
بأن لا يعلموا ، فلو كان قبل أن فعل قلنا : حذف حرف الجر ، فتعدى الفعل ،
فنصب ، ولكن أجدروا أحق اسمان لا يعملان ، فمن هاهنا عرف النحويون أنه
في موضع خاض ؛ إذ لا ناصب له ، وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة ،
وأن ذلك هو الذي سوغ لهم إضمار حرف الجر ، فتعاميل مدخول ، ينتقض عليهم
بالأسماء الموصولة كالذي ومن وما ، فإنها قد طال بالصلة ، ومع ذلك لا يجوز
إضمار حرف الجر فيها ، لا تقول : خرجت ما عندك ، ولا هربت الذي عندك

أى : من الذى عندك ، وتقول : خرجت أن يرانى زيد ، وفرت أن يرانى عمرو ، أى : من أن يرانى ، ولأن يرانى بدل ، على أن العلة غير ما قالوا ، وهى أن أن مع الفعل ليس باسم محض ، وإنما هو فى تأويل اسم ، والاسم المحض ما دل عليه حرف الجر ، فلا بد إذاً من إظهار حرف الجر إذا جئت به ؛ لأنه اسم قابل لدخول الخوافض عليه ، وأما أن فحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ، ولا على الفعل المتصل به فلا تقول : هو اسم مخفوض ، إنما هو فى تأويل اسم مخفوض ، فمن هاهنا فرقت العرب بينه ، وبين غيره من الأسماء ، فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهراً جاز ، لأنه فى تأويل اسم ، وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضاً التفتاً إلى أن الحرف الجار لا يدخل على الحرف ، ولا على الفعل . فحسن إسقاطه مراعاة للفظ أن ، ولللفظ الفعل ، وقلنا : هو فى موضع خفض . على معنى أن الكلام يؤول إلى الاسم المخفوض ، لا أنه يظهر فيه خفض . أو يقدر تقدير المبنى الذى منعه البناء من ظهور الخفض فيه ، حتى يشبه أن فنقول : هو اسم مبنى على السكون ، لا بل نقول : هى حرف ، والحرف لا يدخل عليه حرف الجر ، لا مضمراً ولا مظهراً ، وإنما هو تقدير فى المعنى ، لا فى اللفظ ، فافهمه .

و يضاف اسم إلى أنه المصدرية :

فصل : واعلم أن [أن] التى فى تأويل المصدر لا يضاف إليها اسم . تقول : هذا موضع أن تقعد ويوم خروجك ، ولا تقول : يوم أن تخرج ؛ لأنها ليست باسم كما قدمنا ، وإنما تضاف إلى الأسماء المحضة ، لا إلى التأويل ، ولا يضاف إليها أيضاً

اسم الفاعل ، لا بمعنى المُنْعَى ، ولا بمعنى الاستقبال ، ولا المصدر إلا على وجه واحد نحو : مخافة أن تقوم ، وذلك إذا أردت معنى المفعول بأن وما بعدها ، وأما على نحو إضافة المصدر إلى الفاعل ، فلا يجوز ذلك .

وإنما تكون فاعلة مع الفعل إذا ذكرته قبلها نحو : يسرنى أن تقوم . وأما مع المصدر مضافا إليها فلا ، وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معا ، وكل هذا الأسرار بديعة موضعها غير هذا ، لكنى أقول ههنا قولاً لا نقابها هذا . الموضع ، فإنى لم أذكر الخفض بإضمار حرف الجر ، فى أن وإن إلا مساعداً لمن تقدم ، فعليه بنيت التعليل والتأصيل ، وإذا أبيت من التقليد فلا إضمار لحروف الجر فيها ، وإنما هو النصب بفعل مضمر أو مظهر ، أما قوله تعالى : ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ فإنما لما قال أحق علم أنه يوجب عليه أن يقوم فيه ، وكذلك أجدر ألا يعلموا ، ومعنى أجدر : أخلاق وأقرب ، ولما ثبتت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك ألا يعلموا ؛ فصار منصوباً فى المعنى ، ولوجئت بالمصدر الذى هو اسم محض . نحو : القيام والعلم لم يصح إضمار هذا الفعل ؛ لأن أجدر وأحق ونحوهما اسمان . يضافان إلى ما بعدهما ، فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق ، قلت : أحق قيامك . لا نقاب المعنى .

ولو نصبته بإضمار الفعل الذى أضمرت مع أن لم يكن دليل عليه ؛ لأن الاسم يطلب الإضافة ، فيمنع من الإضمار والنصب ، وإذا وقعت بعده لم يطلب الإضافة ؛ لما قدمناه من امتناع إضافة الأسماء إليها ، وإنما اخترنا هذا المذهب ، وآثرناه على ما تقدم من إضمار الخافض ؛ لأننا قد نجد لها فى مواضع مجرورة .

ولا يجوز إضمار حرف الجر ، كقولك : سر إلى أن تطلع الشمس ، ولا يجوز
إضمار إلى ههنا ، وكذلك تقول : هذا خير من أن تفعل كذا ، ولا يجوز أيضاً
إضمار من ، ولو كان حرف الجر معها للعتين المتقدمتين لا طَرَدَ جواز ذلك
فيها على الإطلاق ، وإنما هي أبداً إذا لم يكن معها حرف الجر ظاهراً مفعولة
بفعل مضمر ، وقد تكون فاعلة ، ولكن بفعل ظاهر نحو : يعجبني أن تقوم ،
وأما خرجت أن أرى زيداً فعلى إضمار الإرادة والقصد ، كأنك أردت : أن أراه ،
أو أن لا أراه ؛ لأن كل من فعل فعلاً ، فقد أراد به أمراً ما ، لكفك إن جعلت
مكانها المصدر لم يحز الإضمار أو قُبِحَ ؛ لأن المصدر تعمل فيه الأفعال الظاهرة
إذا كانت متعدية ، وتصل إليه بحرف جر إذا لم تكن متعدية ، وأن مع الفعل
لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة ، تقول : رأيت قيام زيد ،
ولا تقول : أن يقوم ، وسمعت كلامك ، ولا تقول : سمعت أن تتكلم ، وإنما
يتعاقب بها ، وتعمل فيها الأفعال الباطنة نحو : خفت واشتهيت وكرهت ، وما كان
مخفياً معنى هذا أو قريباً منه ، فإذا سمع المخاطب أن مع الفعل لم يذهب وَهْمُهُ بحكم
العادة إلا إلى هذه المعاني ، فإن كانت ظاهرة فذاك ، وإلا اعتقدنا أنها مضمرة ،
وأن الفعل الظاهر دالٌّ عليها ، وغيرها من الأسماء ليس كذلك ، إذا وقع قبلها
مفعول من أفعال الجوارح الظاهرة ، وقع عليها إن كان متعدياً أو وُصِلَ بحرف ،
إن كان غير متعد ، ومنع من الإضمار أنه لفظي ، والإضمار معنوي إلا في باب
اللفعل من أجله ، وقد قدمنا فيه سرّاً بديعاً فيما سبق من هذا الكتاب .

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث شعراً فيه :

كَمَا جَعَدْتُ عَادَ وَمَدْيَنَ وَالْحِجْرَ

أما عاد فقد تقدم نسبها ، وأما الحِجْرُ فليست بأمة ، ولكنها ديار ثمود .
أراد : أهل الحِجْر ، وأما مَدْيَنُ فأمة شعيب ، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه
السلام ، وأما قطور ابنت يقطان الكنعانية ، ولدت له ثمانية من الولد تناسلت
منهم أمم ، وقد سمي بهم في كتاب التعريف والإعلام ، وفي أول هذا الكتاب .
وفيه أيضاً قوله : فَإِنْ أَنَا لَمْ أُبْرِقْ فَلَا يَسَعْنِي . البيت ، قال : وبه سمي
«أُلبْرِق» ، قال المؤلف : وفي هذا حجة على الأصمعيّ حين منع أن يقال : أرعد
وأبرق ، وذُكر له قول الكُمَيْت :

أَرْعَدُ وَأُبْرِقُ بِإِزِيدٍ (١)

فلم يره حجة ، [وقال : الكميت جُرْمَقَانِيٌّ من أهل الموصل] ليس بحجة ،
والحقه بالحدثين لتأخر زمانه ، كما فعل بذي الرّمة حين احتج عليه بقوله :

(١) في إصلاح المنطق لابن السكيت : وقد برق في الوعيد ورعد ببرق ويرعد .
— وزن نصر قال الأصمعي : ولا يقال أرعد وأبرق ، وحكي اللغتين أبو عبيدة
وأبو عمرو ، فاحتج على الأصمعي بيت الكميت .

أَرْعَدُ وَأُبْرِقُ بِإِزِيدٍ يَدُ فَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرٍ

فقال : ليس قول الكميت بحجة ، هو مولد ، واحتج بيت المتلبس :

فَإِذَا حَلَلْتُ وَدُونَ يَدِي غَاوَةٌ فَابْرِقْ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَأَرْعَدُ

ص ٢١٦ ط د . المعارف . مصر ، وانظر ص ٩٧ ج ١ أمالي والسمط ص ٣٠٠

ذو زَوْجَةٍ بِالْمِضَرِّ أُمُّ ذُو خُصُومَةٍ

فأبى أن يقول : زوجة بهاء الثأيت ، وقال : طالما أكل ذو الرِّمَّةِ الزيتَ في حوانيت البقالين^(١) ، وبيت المُبرِّق في هذا حجة بلا خلاف ، وقد وجد أُرْعَدَ وأَبْرَقَ في غير هذا البيت ، مما تقوم به الحجة أيضاً ، وبيت المُبرِّق هذا يحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يكون من أبرق في الأرض إذا ذهب بها لامن أُرعد وأبرق ، وكذلك وجدته في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت منسوباً للمُضْعَب ، قال : الإبراق : الذهاب^(٢) ، وفي العين : أبرقت الناقة بذنبها إذا ضربت به يمينا وشمالا ، وهو في معنى الذهاب في الأرض ، لأنه جَوْلَان فيها ، وهي البروق ، قال نَهْشَلُ بْنُ دَارِمٍ لأخيه سَلِيطَ - وقد لأمه على ترك الكلام في بعض المواطن : لأحسن تَأَنَّمَاكَ ، وَلَا تَكْذَأَبَكَ ، تَشُولُ بِلسانك شَوْلَانَ البروق . وذكر في الشعر :

يلين مافي النفس إذ بلغ النَّقْرُ^(٣)

ويروى : يُلَيِّنُ مافي الصدر . والنَّقْرُ : البحثُ عن الشيء ، وأكثر ما يقال فيه : التَّنْقِيرُ ، واستشهد عبدُ الله المُبرِّقُ في غَزْوَةِ الطائف ، وكان أبوه الحارثُ من المستهزئين ، وكان جدُّه قيسُ أعزَّ قريش في زمانه ، يروى أن عبدَ المطلب كانُ

(١) يقال : أبرق طعامه بزيت أو سمن : جعل منه فيه قليلاً

(٢) فسرهما المصعب بما قال السهيلي في ص ٤٠١ . من كتابه نسب قريش .

(٣) في السيرة : أبين ما في النفس ، وفي نسب قريش ص ٤٠١ يبينه ما في الصدر .

مَيَنْفَزُ^(١) ابنه عبد الله ، والد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو طفل ،
فيقول :

كَأَنَّهُ فِي الْعَرْقِيسُ بْنُ عَدَى فِي دَارِ قَيْسِ النَّدَى يَنْتَدَى^(٢)
قاله الزبير بن أبي بكر :
مول لادم التعجب :

فصل : وذكر شعر عثمان بن مظعون :
أَتَيْمَ بْنَ عَمْرِوٍ لِلَّذِي جَاءَ بِفُضَّةٍ

أراه : عجبا للذي جاء ، والعرب تسكن في هذه اللام في التعجب ، كقوله
عليه السلام : لِهَذَا الْعَبْدِ الْخَبِيثِ جَاءَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي خُلِقَ
مِنْهَا ، قاله في عَبْدٍ خَبِيثٍ دُفِنَ بِالْمَدِينَةِ ، وقال في جنازة سعد بن معاذ وهو واقف
على قبره ، وتقهقر ثم قال : سُبْحَانَ اللَّهِ لِهَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ضَمَّ عَلَيْهِ الْقَبْرُ ثُمَّ فُرِجَ
عنه ، وقيل في قوله سبحانه : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ أقوال منها : أنها متعلقة
بمعنى التعجب ، كأنه قال : اعجبوا لإيلاف قريش ، وبِفُضَّةٍ نُصِبَ عَلَى التَّمْيِيزِ

(١) في الأصل ينقر ، وهو خطأ كان أيضاً في نسب قريش ، وأصلحه محققه ،
في القاموس : فزعه تنفيذا : رقصه ، وكذلك في اللسان .
(٢) في الاشتقاق ص ١٢٠ : وكان عبد المطلب يرقص ابنه الحارث
أو الزبير فيقول :

يَا بَابِي يَا بَابِي يَا بَابِي كَأَنَّهُ فِي الْعَرْقِيسِ بْنُ عَدَى
والشطرة الثانية روايتها هكذا : فِي دَارِ قَيْسِ يَنْتَدَى أَهْلُ النَّدَى ، ص ٤٠٠ ،
نسب قريش .

كأنه قال : يا عجباً لما جاء به من بُغْضَةٍ ، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله ،
وروى الزبير هذا البيت :

أَتَيْتُم بَنَ عَمْرٍِ لِلَّذِي فَارَضِغُهُ

من معاني شعر ابن مظهر

وكذلك روى في هذا الشعر : في صرح بَيْطَاءُ تُقَدِّعُ بِالطَّاءِ وَفَتَحَ الْبَاءِ
وَكَسَرَهَا ، وَقَالَ بَيْطَاءُ : اسم سفينة ، وَتُقَدِّعُ بِالذَّالِ ، أَي : تَدْفَعُ ، وَزَعِمَ أَنَّ
تَيْمَ بْنَ عَمْرٍو وَهُوَ جُحَّحٌ سُمِّيَ جُحَّحًا ؛ لِأَنَّ أَخَاهُ سَهْمَ بْنَ عَمْرٍو - وَكَانَ اسْمُهُ
زَيْدًا - سَابَقَهُ إِلَى غَايَةٍ ، فَجَمَعَ عَنْهَا تَيْمٌ ، فَسُمِّيَ جُحَّحًا ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا زَيْدٌ ،
فَقِيلَ : قَدْ سَهَّمَ (١) زَيْدٌ فُسِمَى : سَهْمًا .

وقوله : وَمِنْ دُونِنَا الشَّرْمَانُ . الشَّرْم : الْبَحْرُ (٢) وَقَالَ الشَّرْمَانُ بِالتَّنْثِيَةِ ؛
لِأَنَّهُ أَرَادَ الْبَحْرَ الْمِلْحَ ، وَالْبَحْرَ الْعَذْبَ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾
وَالشَّرْمُ مَنْ : شَرَمْتُ الشَّيْءَ إِذَا خَرَقْتُهُ ، وَكَذَلِكَ الْبَحْرُ مَنْ بَحَرْتُ الْأَرْضَ
إِذَا خَرَقْتُهَا ، وَمِنْهُ سَمِيَتِ الْبَحِيرَةُ لِخُرْقِ أَذُنِهَا وَالْبَرْكُ : مَا أَطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ
وَاتَّسَعَ ، وَلَمْ يَكُنْ مُنْتَصِبًا كَالْجِبَالِ .

وقوله : فِي صَرْحٍ بِيضَاءَ . يَرِيدُ : مَدِينَةَ الْحَبْشَةِ ، وَأَصْلُ الصَّرْحِ : الْقَصْرُ ، يَرِيدُ :
أَنَّهُ سَاكِنٌ عِنْدَ صَرْحِ النَّجَاشِيِّ .

(١) يُقَالُ : سَاهَمَ الْقَوْمُ ، فَسَهْمٌ : غَلْبُهُمْ .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : لُجَّةُ الْبَحْرِ ، أَوْ الْخَلِيجُ مِنْهُ ، وَفِي شَرْحِ السَّيْرَةِ لِلْخَشَنِيِّ أَيْضًا :
الشَّرْمَانُ بَضْمُ النَّوْنِ : مَوْضِعٌ . وَيَقُولُ عَنْ دِ الْبَرْكِ أَكْتَعُ ، هَذِهِ رَوَايَةٌ غَرِيبَةٌ
لِأَنَّهُ أَكْدَ بِأَكْتَعٍ دُونَ أَنْ يَتَقَدَّمَ : أَجْمَعُ .

وقوله : تُقَدِّعُ أَى : تُسَكِّرُهُ ، كَأَنَّهُ مِنْ أَفْذَعْتَ الشَّيْءَ ، إِذَا صَادَقْتَهُ قَدِّعًا
ويقال أَيْضًا : قَدِّعْتُ الرَّجُلَ إِذَا رَمَيْتَهُ بِالْفَحْشِ ، يَرِيدُ أَنْ أَرْضَ الْحَبْشَةَ
مُقَدَّوْعَةً ، وَأَحْسَبُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ تَصْغِيفًا ، وَالصَّحِيحُ : مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ قَوْلِ الزُّبَيْرِ
وَرِوَايَتِهِ ، وَأَنَّهُ بَيْطَاءٌ بَاطِءٌ ، وَتُقَدِّعُ بِالْدَّالِ .

وقوله : وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشَ يَرِيدُ أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ ^(١) ، يُقَالُ : أَوْ شَابَ .
وَأَوْبَاشٌ ، وَالْأَوْبَاشُ أَيْضًا شَجَرٌ مَتَفَرِّقٌ ، وَالْوَبْشُ بِيَاضٍ فِي أَظْفَارِ الْأَحْدَاثِ .
الْعَبَابُ :

وَذَكَرَ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ مِنْ بَنِي عَدَى : مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .
ابْنُ نَضْلَةَ ، وَقَالَ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ : إِنَّمَا هُوَ : مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعِ
ابْنِ نَضْلَةَ .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : نَضْلَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حُرْثَانَ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُبَيْدٍ فِي حَاشِيَةِ
كِتَابِ الشَّيْخِ قَالَ : إِنَّمَا هُوَ نَضْلَةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ عُبَيْدٍ بْنِ عَوْيَجَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَوْلُ
مُصْعَبٍ فِي كِتَابِ النَّسَبِ ^(٢) . وَذَكَرَ فِي بَنِي عَدَى : عُرْوَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
حُرْثَانَ ، كَذَا فِي كِتَابِ الْمُصْعَبِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : عَمْرُو بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ أَوْ عُرْوَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ
عَلَى الشَّكِّ وَذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ فِي كِتَابِ الْأَسْتِيعَابِ فَقَالَ فِيهِ : عُرْوَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَيُقَالُ
ابْنُ أُمَيَّةَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حُرْثَانَ ، قَالَ : وَأُمُهُ ، أُمُّ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِي ، فَهُوَ

(١) عِنْدَ الْخَشْنِيِّ : الضَّعْفَاءُ الدَّاخِلُونَ فِي الْقَوْمِ ، وَهُوَ مِنْهُمْ . وَالْبَطَارِقَةُ :
الْوُزَرَاءُ .

(٢) هُوَ كَمَا ذَكَرَ فِي جَهْرَةَ ابْنِ حَزْمٍ ص ١٤٧ وَمَا بَعْدَهَا ، وَفِي نَسَبِ قُرَيْشٍ
لِلْمُصْعَبِ الزُّبَيْرِيُّ ص ٣٨٢ ، ص ٣٨٦ وَزَادَ بَعْدَ عَوْيَجَ : ابْنُ عَدَى بْنُ كَعْبٍ .

أخوه لأم^(١) .

قال المؤلف : وأمه اسمها : ليلى ، وتلقب بالنابغة ، وهى من بنى ربيعة ثم من بنى جَلَّان^(٢) قال أبو عمر : ويقال فيه : ابن أبى أثانة ، قال المؤلف : وقد قدمنا أن المصعب الزبيرى شك فيه ، فقال : عروة ، أو عمرو ، وأما الزبير : فقال عمرو بن أبى أثانة ، ولم يشك ، ثم قال أبو عمر : لم يذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وذكره الواقدي ، وأبو معشر وموسى بن عقبة ، قال المؤلف : وهذا وهم من أبى عمر - رحمه الله - فإن ابن إسحاق ذكره فيهم ، غير أنه نسبته إلى جده عبد العزى ، وأسقط اسم أبيه أبى أثانة ، وقال حين ذكر من هاجر من بنى عدى بعد ما عدم خمسة ، قال :

(١) فى نسب قريش د ولد أبو أثانة بن عبد العزى ، عمرو بن أبى أثانة ، وعروة بن أبى أثانة ، وهو من مهاجرة الحبشة ، وأمه : النابغة بنت حرملة أخواه لأمه : عمرو بن العاصى وأرنب بنت عفيف بن أبى العاصى بن أمية . ابن عبد شمس ، ص ٣٨١ . وانظر ٤٠٩ من نفس الكتاب ، فليس فيه شك ، وإنما هما ولدان . أحدهما : عمرو ، والآخر عروة . وتوجد لهما ترجمتان فى الإصابة ، إلا أنه قال عن عروة - ولعله تصحيف - بن أبانة . ثم قال : ويقال ابن أبى أبانة : ابن عبد العزى ، بن حرام بن عوف بن عبيد بن عويج الخ وفى جمهرة ابن حزم - وعمرو بن أبى أثانة بن عبد العزى بن حريثان بن عوف بن عويج بن عدى . ابن كعب من مهاجرة الحبشة وهو أخو عمرو بن العاص لأمه وأخوه عروة . ابن أبى أثانة من مهاجرة الحبشة ص ١٤٨ وفى ص ١٥٤ منه د وأخواه لأمه - . يعنى عمرو وعروة أبنا أبى أثانة الحبشة .

(٢) فى نسب قريش أن أمه : سبية من بنى عنزة ص ٤٠٩ وفى الإصابة : أمه من بنى عنزة . وفى جمهرة ابن حزم كما فى نسب قريش واسمها : النابغة ص ١٥٤ .

أربعة نفر ، وهو وهم من ابن إسحاق ، وذكر فيهم مع الخمسة : ليلي بنت أبي حنيفة امرأة عامر بن ربيعة ، فهم على هذا ستة ، غير أنه يحتمل أن يريد أربعة نفر دون حليفهم عامر ، وما أظنه قصد هذا ؛ لأن من عادته أن يعد الحلفاء مع الصميم ؛ لأن الدعوة تجمعهم .

أم سلمة :

وذكر أم سلمة وبعلمها أبا سلمة ، توفي عنها بالمدينة ، وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر اسمها هذا ، وقيل في اسمها : رملة ^(١) ، وأبوها أبو أمية اسمها : حذيفة يعرف بزاد الراكب ^(٢) .

وذكر أنها ولدت بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ، وكان اسم زينب

(١) في الإصابة اسمها : هند . وقال عن القول بأن اسمها رملة : ليس بشيء .
(٢) وقيل أيضاً : سهيل ولقب بهذا ؛ لأنه كان إذا سافر لم توقد معه نار إلى أن يرجع . ورثاه أبو طالب :

ألا إن خير الناس غير مدافع بسرو سحيم غيبته المقابر

بومنها :

وكان إذا يأتي من الشام قافلاً تقدمه - تسعى إلينا - البشائر
وهناك غيره من قريش أزود الركب : أبو أمية بن المغيرة ، مسافر
ابن أبي عمرو بن أمية ، زمعة بن الأسود ، لأنهم - كما في اللسان - كانوا إذا
سافروا ، فخرج معهم الناس لم يتخذوا زاداً معهم ، ولم يوقدوا ، يكفونهم ويغنونهم
يقول : المصعب الزبيري : رثاه أبو طالب :

وقد أيقن الركب الذي أنت فيهم إذا رحلوا يوماً بأنك عاقر
فسمي زاد الركب ، واسمه : حذيفة ، وكانت عنده عاتكة بنت عبد المطلب .
انظر الاشتقاق ص ١٥٠ ، ٩٤ واللسان مادة : زود والإصابة ترجمة أم سلمة ،
بونسب قريش ص ٣٠٠ .

(م ١٦ - الروض الأنف ج ٣)

برّة ، فسمّاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب ، كانت زينبُ هذه عند عبد الله بن زَمْعَةَ ، وكانت قد دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يفتسل ، وهى إذ ذاك طفلة ، فَتَضَحَّ في وجهها من الماء ، فلم يزل ماء الشباب في وجهها (١) ، حتى عجزت وقاربت المائة ، وكانت من أفقه أهل زمانها ، وأدركت وقعة الحرّة بالمدينة (٢) ، وقُتِل لها في ذلك اليوم ولدان ، اسم أحدهما : كبير ، والآخر : يزيد من عبد الله بن زَمْعَةَ ، فكانت تبكى على أحدهما ، ولا تبكى على الآخر ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أبكيه لأنه جرد سيفه وقتل ، والآخر لا أبكيه لأنه لزم بيته ، وكف يده حتى قتل ، روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ابتنى بأم سلمة دخل عليها بيتها في ظلمة ، فوطئ على زينب ، فبكت ، فلما كان من الليلة الأخرى دخل في ظلمة أيضا ، فقال : أنظروا زنا بكم أن لا أطأ عليها (٣) ، أو قال : أخروا ذكره الزبير ، وفي هذه الحديث توهين لرواية من روى أنه كان يرى بالليل ، كما يرى بالنهار .

(١) حديث تغيير الاسم أسنده ابن خيشمة من طريق محمد بن عمرو بن عطاء عنها ، وذكر مثله في زينب بنت جحش ، وأصله في مسلم في حق زينب هذه وفي حق جويرية بنت الحارث ، ومسألة نضح الماء ذكرها ابن حجر في الإصابة . وروى أنها كانت أفقه امرأة بالمدينة ، وأما نداؤها بزنا ب بضم الزاى ، فقد ورد في حديث رواه النسائي فزوجها - أى أم سلمة - فجعل يأتيها ، فيقول : أين زنا ب ،

(٢) وقعت سنة ٦٣ هـ

(٣) سبق الحديث عن هذا

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد آمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلاًين من قريش جلدتين إلى النجاشي ، فيردهم إليهم ؛ ليقتنوه في دينهم ، ويخرجوهم من دارهم ، التي اطمأنوا بها ، وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمر بن العاص بن وائل ، وجموعاً لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

النور الذي ظهر على قبر النجاشي :

فصل : وذكر حديث عائشة : كما نتحدث أنه لا يزال يرى على قبر النجاشي نور ، وقد خرج أبو داود من طريق سلمة بن الفضل ، وعن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عائشة ، وأورده في باب : النور يرى عند الشهيد ، وليس في هذا الحديث ولا غيره ما يدل على أن النجاشي مات شهيداً ، وأحسبه أراد : أن يشهد بهذا الحديث ما وقع في كتب التاريخ من أن عبد الرحمن ابن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذي يقال له : ذو النور ، وكان على باب الأبواب فقتله الترك زمان عمر ، فهو لا يزال يرى على قبره نور ، وبعض هذا حديث النجاشي ، يقول : فإذا كان النجاشي - وليس بشهيد - يرى عنده نور ، فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه : ﴿ وَالشَّهيداء عند ربهم ، لهم أجرهم ونورهم ﴾ (١) الحديد : ١٩ .

(١) الواضح أن هذا في الآخرة ، ولا أدري لماذا خالف مبدأه ، فاعتمد على أحاديث واهية ، وفي سلمة بن الفضل تشيع وسيأتي حديث النور في ص ٢٥١ .

فقال أبو طالب - حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه - أبيتا للنجاشي
يخصه على حسن جوارهم ، والدفع عنهم :

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر

وعمر وأعداء العدو الأقارب

وهل نالت أفعال النجاشي جعفراً وأصحابه أوعاق ذلك شاغب

تعلم - أبيت الأمن - أنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلمها بك لازب

وأنت فيض ذو سجال غزيرة ينال الأعداء نفعها والأقارب

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاؤنا بها
خير جار : النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نؤذى ، ولا نسمع
شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا
رجلين منهم جلدتين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ،
وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم ، فجمعوا له أدما كثيراً ، ولم يتركوا من
بطارقتهم بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ،
وعمر بن العاص ، وأسروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعاً إلى كل بطريق هديته
قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن
يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ،

• • • • •

ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبقَ من بطارقتِه بِطريقٍ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَه قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النِّجَاشِي ، وَقَالَا لِكُلِّ بِطَرِيقٍ مِنْهُمْ : إِنَّهُ قَدْ ضَوَّى إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ ، مِنْ غُلْمَانٍ سَفَهَاءَ ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ ، لِيُرِدَهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ ، فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا ، وَلَا يَكَلِّمَهُمْ ، فَإِنْ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمَ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُمَا : نَعَمْ . ثُمَّ إِنَّهُمَا قَدَمَا هَدَايَاهُمَا إِلَى النِّجَاشِي فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا ، ثُمَّ كَلَّمَاهُ ، فَقَالَا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّهُ قَدْ ضَوَّى إِلَى بَلَدِكَ مِنْ غُلْمَانٍ سَفَهَاءَ ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ ، وَجَاءُوا بِدِينٍ ابْتَدَعُوهُ ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ ، وَلَا أَنْتَ ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ : لَتُرِدَهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمَ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ ، وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ . قَالَتْ : وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُمُ النِّجَاشِي . قَالَتْ : فَقَالَتْ بِطَارِقَتِهِ حَوْلَهُ : صَدَقَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمَ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ ، فَأَسَلِمَهُمْ إِلَيْهِمَا ، فَلِيَرَدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ . قَالَتْ : فَغَضِبَ النِّجَاشِي ، ثُمَّ قَالَ : لَا هَذَا اللَّهُ ، إِذَنْ لَا أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْهِمَا ، وَلَا يُكَادِقُوهُمْ جَاوِرُونِي ، وَنَزَلُوا بِبِلَادِي ، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ ، حَتَّى أَدْعُوهُمْ ، فَأَسْأَلُهُمْ عَمَّا يَقُولُ دُذَانٍ فِي أَمْرِهِمْ ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ ، أُسَلِّمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا ، وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا ، وَأَحْسَنْتُ جَوَارِهِمْ مَا جَاوِرُونِي .

حوار بين النجاشي وبين المهاجرين

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما نقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول : والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم كأننا في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، قدشروا مصاحفهم حوله سألهم ، فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ! قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنّا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكاننا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ؛ لنوحِّدَه ونعبده ، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده - لا نشرك به شيئاً - وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت : فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنّا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحلّ لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنّا

.

نستحل من الخبائث ، فمما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحاولوا يديننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال النجاشي : فاقرأه على ، قالت : فقرأ عليه صدرا من : ﴿ كهيعص ﴾ . قالت : فبكى والله النجاشي ، حتى اخضعت لحية ، وبكت أساقفته ، حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكم ، ولا يكادون .

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لا ندينه غداً عنهم بما أستاذل به خضرأهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أنقى الرجلين فينا : لا نفعل ؛ فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرته أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبدٌ ، قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ، ليسألم عنه . وقالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول - والله - [فيه] ما قال الله ، وما جاءنا به نبيُّنا ، كائنا في ذلك ما هو كائن . قالت : فمما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال [له] جعفر ابن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم : هو عبدُ الله

ورسوله ، وروحه ، وكلامته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . قالت : فضربه
النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عودا ، ثم قال : والله ما عدا عيسى .
ابن مريم ما فات هذا العود ، قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال .
ما قال ، فقال : وإن تخزئتم والله ، اذهبوا فأنتم شُيُومٌ بأرضي - والشُيُوم :
الآمنون - من سبكم غريم ، ثم قال : من سبكم غريم ، ثم قال : من سبكم غريم .
ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني آذيت رجلاً منكم - قال ابن هشام :
ويقال : دبري من ذهب . ويقال فأنتم شُيُوم ، والدبر - بلسان الحبشة :
الجليل - ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة .
حين ردّ عليّ مديني ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه .
قالت : فخرجا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاء به ، وأقمنا عنده
بغير دار ، مع خير جار .

المهاجرون وانتصار النجاشي

قالت : فوالله إننا لعلّ ذلك ، إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينارعه فيه .
مديني . قالت : فوالله ما علمتنا حزناً حزننا قط كان أشدّ علينا من حزننا .
حزناه عند ذلك ، تخوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتى رجلٌ
لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه ، قالت : وسار إليه النجاشي ،
وبينهما عرض النبل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -
من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ، ثم يأتينا بالخبر ؟ قلت : فقال الزبير .
ابن العوام : أنا ، قالوا : فأنتم - وكان من أحدث القوم سناً - قالت : فنفعوا .

له قِرْبَةً . فجعلها في صدره ، ثم سَبَّحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النبل التي بها ،
مُلتقى القوم ، ثم انطلق حتى حَضَرَهم ، قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور
على عدوّه ، والمتمسكين له في بلاده ، قالت : فوالله إنا لعلّ ذلك مُتَوَقِّعون
لِمَا هو كائن ، إذ طلع الزُّبَيْر وهو يسعى ، فلمع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا ،
فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده . قالت : فوالله
ما علمتنا فَرِحْنَا فرحة قطّ مثلها . قالت : ورجع النجاشي ، وقد أهلك الله
عدوّه ، ومكن له في بلاده ، واستوثقَ عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير
مَنْزِل ، حتى قدمنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصه تملك النجاشي على الحبشة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : فحدثت عُرْوَةُ بن الزبير حديثَ أبي بكر
ابن عبد الرحمن ، عن أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل
تدري ما قوله : ما أخذ الله مني الرِّشْوَةَ حين ردّ عليّ مُلْكِي ، فأخذ الرِّشْوَةَ
فيه ، وما أطاع النَّاسَ فيّ ، فأطيع النَّاسَ فيه ؟ قال : قالت : لا ، قال : فإن
عائشة أمّ المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملكَ قومه ، ولم يكن له ولدٌ إلا
النجاشي ، وكان للنجاشي عمّ ، له من صلبه اثنا عشر رجلاً ، وكانوا أهلَ
بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أنّا قتلنا أبا النجاشي ، ومَلَكْنَا أخاه
فإنه لا ولدَ له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلاً ، فتوارثوا
مُلْكَهُ من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهرًا ، فغَدَوْا على أبي النجاشي فقتلوه ،
ومَلَكُوا أخاه ، فكتبوا على ذلك حيناً .

.....

ونشأ النجاشي مع عمّه - وكان ليبيّا حازماً من الرجال - فغلب على أمر عمّه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشة مكانه منه ، قالت بينها : والله لقد غلب هذا المتى على أمر عمّه ، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرّف أنا نحن قتلنا أباه . فمشّوا إلى عمّه ، فقالوا : إِمّا أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنّا قد خِفناه على أنفسنا ، قال : ويلكم ! قتلْتُ أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجته من بلادكم . قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجّار بستمائة درهم ، فغذّوه في سفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العشيّ من ذلك اليوم ، هاجت سحابة من سحاب الخريف ، فخرج عمّه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة ، فقتلته . قالت : ففرغت الحبشة إلى ولده ، فإذا هو مُحَيِّق ، ليس في ولده خيرٌ ، فخرج على الحبشة أمرهم .

فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلّموا والله أن يملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي يقيم غدوةً ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة ، فأدركوه الآن . قالت : فخرجوا في طلبه ، وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه ، فأخذوه منه ، ثم جاءوا به ، ففقدوا عليه التاج ، وأقعدوه على سرير الملك ، فملكوه .

فجاءهم الناجر الذي كانوا باعوه منه ، فقال : إِمّا أن تُعطوني مالى ، وإِمّا أن أكلمه في ذلك ؟ قالوا : لا نُعطيك شيئاً ، قال : إذن والله أكلمه ، قالوا : فدونك وإيّاه . قالت : فجاءه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعت

.....

غلاماً من قوم بالسوق يستأجرون درهم ، فأخذوه إلى غلامى ، وأخذوا دراهمى ، حتى إذا سرت بغلامى ، أدركونى ، فأخذوا غلامى ، ومنعوني دراهمى . قالت : فقال لهم النجاشى : لتُعْطَنَّهُ دراهمه ، أو ليضعنَّ غلامه يده فى يده ، فليذهبنَّ به حيث شاء ، قالوا : بل نُعطيه دراهمه . قالت : فذلك يقول : ما أخذ الله منى رشوة حين ردَّ على مُلْكى ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فى ، فأطاع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أوّل ما خبر من صلابته فى دينه ، وعدَّله فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت : لما مات النجاشى ، كان يُتحدّث أنه لا يزال يرى على قبره نورٌ .

إسلام النجاشى والصلاة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة ، فقالوا للنجاشى : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه قال : فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهدّياً لهم شُفنا ، وقال : اركبوا فيها ، وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله ، وروحه ، وكلته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله فى قبالة عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصَفَّوا له ، فقال : يامعشر الحبشة ، ألسنَّ أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف رأيتم

• • • • •

سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما لكم؟ قالوا: فارت ديننا، وزعمت أن عيسى عبدٌ، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابنُ الله، فقال النجاشي، ووضع يده على صدره على قَبَائِهِ: هو يشهد أن عيسى بنَ مريم لم يَزِدْ على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كَتَبَ، فرضوا وانصرفوا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فلما مات النجاشي صلى الله عليه واستغفر له.

إرسال قريش إلى النجاشي في أمر أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن إسحاق أنهم أرسلوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة، وأهدوا معهما هدايا إلى النجاشي. وعبد الله بن أبي ربيعة هذا كان اسمه بَجِيرًا^(١)، فسماه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حين أسلم: عبد الله، وأبوه: أبو ربيعة ذو الرحمن، وفيه يقول ابن الزُّبَيْرِ:

بَجِير ابن ذى الرحمن قرَّب مجاسي وراح علينا فضله وهو عاتم^(٢)

(١) بَجِير بفتح وكسر أو ضم الباء وسكون الياء، هذا وذكر الذهبي في أعلام النبلاء ج ١ ص ١٥١ أن الذين هاجروا كانوا ثمانين. ويؤيده ما روى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: بعثنا النبي - ص - إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً ص ١٤٨ > ٧ فتح الباي، وذكر ابن جرير أنهم ٨٢ وشك في عمار هل كان فيهم أولاً، وقيل: إن عدة كل نسائهم كانت ثمان في عشرة امرأة.

(٢) في نسب قريش: يروح علينا فضله غير عاتم، وفي الإصابة أيضاً: غير عاتم، وهو الصواب فعاتم: بطل، فقوله: كما في السهيلي: وهو عاتم لا يستقيم مع غرض الشاعر.

واسم أبي ربيعة : عمرو ، وقيل : مُحَذِّبَةُ ، وأم عبد الله بن أبي ربيعة : أسماء بنت مُحَرَّبَةَ التميمية ^(١) ، وهي أم أبي جهل بن هشام ، وعبدُ الله بن أبي ربيعة هذا هو والدُ عُمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ، ووالد الحارث أمير البصرة المعروف بالقُبَاع ، وكان في أيام عمر واليًّا على الجند ، وفي أيام عثمان ، فلما سمع بمحضر عثمان ، جاء لينصره ، فسقط عن دابته فمات .

عمارة بن الوليد بن المغيرة :

فصل : وكان معهما في ذلك السفر عمارة بن الوليد بن المغيرة الذي تقدم ذكره حين قالت قريش لأبي طالب : خذُ عمارة بدلا من محمد ، وادفع إلينا محمدا نقتله ، وكانُ عمارة من أجل الناس ، فذكر أصحاب الأخبار أنهم أرسلوه مع عمرو بن العاصي إلى النجاشي ، ولم يذكره ابن إسحاق في رواية ابن هشام ، وذكر حديثه مع عمرو في رواية يونس ، ولسكن في غير هذه القصة المذكورة ها هنا ، ولعل إرسالهم إياه مع عمرو ، كان في المرة الأخرى التي سيأتي ذكرها في السيرة عند حديث إسلام عمرو ، ويؤمن ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج الأصبهاني ، وذكر أن عمرو سافر بامرأته ، فلما ركبوا البحر ، وكانُ عمارة قد هوى امرأة عمرو وهويته ، فعزما على دفع عمرو ، أو كان ذلك من عمارة على غير قصد فدفع عمرا ، فسقط في البحر ، فسبح عمرو ، ونادى أصحاب السفينة

(١) في نسب قريش ص ٢١٨ أسماء بنت مُحَرَّبَةَ بن جندل بن أبيير بن نهشل ابن دارم ، وفي الإصابة : بنت مخزومة ، وفي القاموس : أسماء بنت مُحَرَّبَةَ واسم ذى الرعين في نسب قريش : عمرو ، أما حذيفة فأخوه زاد الركب .

فأخذوه، ورفعوه إلى السفينة، فأضمرها عمرو في نفسه، ولم يبدها لعمارة، بل قال لامرأته- فيما ذكر أبو الفرج- قَبِّلِي ابن عمك عُمارة لتطيبَ بذلك نفسه، فلما أنيا أرض الحبشة مكر به عمرو، وقال: إني قد كتبت لني بنى سهم ليبرءوا من دمي لك، فاكتب أنت لبنى مخزوم ليبرءوا من دمك لي، حتى تعلم قریش أنا قد تصافينا، فلما كتبت عُمارة، إلى بنى مخزوم، وتبرءوا من دمه لبنى سهم، قال شيخ من قریش: قُتل عُمارة- والله- وعلم أنه مكر من عمرو، ثم أخذ عمرو يحرص عُمارة على التعرض لآراء النجاشي، وقال له: أنت امرؤ جميل، وهن النساء يُحِبُّنَ الجمال من الرجال، فاعلمها أن تشفع لنا عند الملك في قضاء حاجتنا، فنعل عُمارة فلما رأى عمرو ذلك، وتكرر عُمارة على امرأة الملك، ورأى إنايتها إليه، أتى الملك مُتَتَصِّحًا، وجاءه بأمرأة عرفها الملك، قد كان عُمارة أطاع عمرًا عليها، فأذركته غيرة الملك، وقال: لولا أنه جارى لقتلته، ولكن سأفعل به ما هو شرٌّ من القتل، فدعا بالسَّوَّاحِر، فأمرهن أن يَسْحَرْنَ، فنفضن في إحليله^(١) نفخةً، طار منها هائمًا على وجهه، حتى لحق بالوَحُوشِ في الجبال، وكان يرى آدميا فيفر منه، وكان ذلك آخر العهد به، زمن عمر ابن الخطاب، فجاء ابنُ عمه عبدُ الله بن أبي ربيعة إلى عمر، واستأذنه، في المسير إليه لعله يجده، فأذن له عمر فسار عبدُ الله إلى أرض الحبشة، فأكثر النَّسْدة عنه، والنحص عن أمره، حتى أخبر أنه- بِتَحْمِيلٍ^(٢) يرد مع الوحوش، إذا وردت، ويصدرُ معها إذا صدرت، فسار إليه حتى كَمَنَ له في الطريق إلى

(١) الإحليل: مخرج البول من ذكر الإنسان واللبن من الثدي والضرع.

(٢) الحيل: الماء المستنقع في بطن واد:

الماء ، فإذا هو قد غطاه شعره ، وطالت أظفاره ، وتمزقت عليه ثيابه ، حتى كأنه شيطان ، فقبض عليه عبد الله ، وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه ، وهو ينتفض منه ، ويقول : أرسلني يا بخير ، أرسلني يا بخير ، وأبى عبد الله أن يرسله ، حتى مات بين يديه ، وهو خبر مشهور اختصره بعض من ألف في السير ، وطوله أبو الفرج ، وأوردته على معنى كلامه ، متحريراً لبعض ألفاظه^(١) .

عن حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي :

فصل : وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي ، وما قال له جعفر إلى آخر القصة^(٢) ، وأيس فيها إشكال ، وفيه من الفقه : الخروج عن الوطن ، وإن كان الوطن مملكة على فضلها ، إذا كان الخروج فراراً بالدين ، وإن لم يكن إلى إسلام ، فإن الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ، ولا يقولون : هو عبد الله ، وقد تبين ذلك في هذا الحديث ، وسبوا بهذه مهاجرين ، وهم أصحاب الهجرتين الذين أنثنى الله عليهم بالسبق ، فقال : ﴿ والسابقون الأولون ﴾ وجاء

(١) في نسب قريش : فلدا يئس عمرو — يعني من استجابة النجاشي له في أمر المهاجرين محل بعمارة — أي كادله — عند النجاشي فذبح النجاشي في أحليله سحراً ، فذهب مع الوحش فيما تقول قريش . فلم يزل مستوحشاً يرد الماء في جزيرة بأرض الحبشة ، وفيه أنه قال لآخيه عبد الله : يا بخير أرسلني ، فإني أموت إن أمسكتني ، فأمسكه ، فمات في يده ص ٣٢٢ . والقصة خرافة ، ومصعب دقيق في تعبيره إذ يقول : « فيما تقول قريش ، فهي إذا أقاويل » .

(٢) يقول ابن تيمية عن قصة المهاجرين في حديث أم سلمة . « وقد ذكر قصتهم جماعة من العلماء والحفاظ كالأحد بن حنبل في المستند ، وابن سعد في الطبقات وأبي نعيم في الحلية وغيرهم وذكرها أهل التفسير والحديث والفقه وهي متواترة عند العلماء » ص ٨١ > ١ الجواب الصحيح ، طبع المدني .

في التفسير : أنهم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا المهجرتين ، وقد قيل أيضا : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة ، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر ، لما كان فعلهم ذلك احتياطا على دينهم ، ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمنين مطمئنين ، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد ، وأوذى على الحق مؤمن ، ورأى الباطل قاهرا للحق ، ورجا أن يكون في بلد آخر - أي بلد كان - يخلى بينه وبين دينه ، ويظهر فيه عبادة ربه ، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن ، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ البقرة : ١١٥ .

فصل : وليس في باقي حديثهم شيء يُشَرَّح ، قد شرح ابن هشام الشُّيُوم ، وهم الآمنون ، فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية ، وأن تكون من شِمَت السيف إذا أغمدته ، لأن الآمنَ مُغَمَّدٌ عنه السيف ، أو لأنه مصُونٌ في صَوَانٍ^(١) وحرز كالسيف في غمده .

وقوله : ضَوَى إِلَيْكَ فِتْنَةٌ^(٢) أي : أووا إليك ، ولا ذوابك ، وأما ضَوَى بكسر الواو ، فهو من الضَّوَى مقصور ، وهو الهزال ، وقال الشاعر :

(١) في الأصل : صور بالحبشية وسيوم : آمن أو جمع سائم بالعربية

(٢) في السيرة : غدان

فتى لم تلده بنتٌ عم قريبه —

فَيَضُؤَى ، وقد يَضُؤَى رَدِيدُ أَغْرَائِبِ (١)

ومنه الحديث : اغتربوا لاتضؤوا ، يقول : إن تزويج القرائب يورث الضؤى

في الولد (٢) ، والضعف في القلب ، قال الراجز :

إِنَّ بِلَالًا لَمْ تَشْفِهْهُ أَثْمَ لَمْ يَتَنَاسَبْ خَالَهُ وَعَمَّهُ

إضافة العين إلى الله :

وفيه : قومهم أعلى بهم عينا ، أى : أبصر بهم ، أى : عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم ، فالعين هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار ، لا بمعنى العين التي هي الجارحة ، وما سميت الجارحة عينا إلا مجازا ؛ لأنها موضع العيان ، وقد قالوا : عانه يعينه عينا إذا رآه ، وإن كان الأشهر في هذا أن يقال : عاينه معاينة ، والأشهر في عنت أن يكون بمعنى الإصابة بالعين ، وإنما أوردنا هذا الكلام ، لتعلم أن العين في أصل وضع اللغة صفة لا جارحة ، وأنها إذا أضيفت إلى البارئ سبحانه ، فإنها حقيقة نحو قول أم سلمة لعائشة : بعين الله مَهْوَكَ ، وعلى رسول الله تَرْدُين ؟ وفي التنزيل : ﴿ وَلِتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي ﴾ وقد أملينا في المسائل

(١) في اللسان : القرائب بالقاف .

(٢) تدبر قول الله سبحانه : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ ، وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَبَنَاتِ عُمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ ، وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ، وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسُهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْكَحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ » الأحزاب : ٥٠ ، وقوله تعالى : « فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ » وأنكِحوا

(م — ١٧ الروض الأنف ج ٣)

المفردات : مسئلة في هذا المعنى ، وفيها الرد على من أجاز التثنية في العين مع إضاقها إلى الله تعالى ^(١) ، وقاسها على اليدين ، وفيها الرد على من احتج بقول النبي عليه السلام : إن ربكم ليس بأعور ^(٢) ، وأوردنا في ذلك ما فيه شفاء ، وأتبعناه بمعان بديعة في معنى عَوْرِ الدَّجَال ، فلينظر هنالك .

معنى أنه عيسى كلمة الله وروحه :

وقول جعفر في عيسى : هو رُوح الله وكلته ، ومعنى : كلته أى : قال له ، كما قال لآدم حين خلقه من تراب ، ثم قل له : كن فيكون ، ولم يقل : فكان ، لثلاث يتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير ، وإما هو واقع للحال ، فقوله : —

== الأيايم منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، النور : ٣٢ بتدبر هذه البيئات . يتجلى لك أنها هي الهدى .

(١) الدين الحق في هذا - وهو دين السلف الصالح لا الخلف الطالح - أن نصف الله سبحانه ، ونسميه بكل ما وصف وسمى به نفسه ، وننسب إليه كل ما نسبته جل شأنه إلى نفسه ، وننفي عنه كل ما نفاه عن نفسه ، فله سبحانه عين حق ، ولكنها ليست كعين البشر ؛ لأن الله ليس كمثله شيء . ولا يصح تأويل العين تأويلاً هو تحريف للكلم عن مواضعه ، فنضع لها معنى مبتدعاً ليس لها في لغة القرآن .

(٢) في حديث رواه البخاري ومسلم : إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله تعالى . ليس بأعور ، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى — أى الجهة اليمنى — كأن عينه غنبة طافية ، هذا عن ابن عمر ، وورد في حديث رواه البخاري ومسلم أيضاً عن أنس : إن ربكم ليس بأعور ، واقرأ ما كتب الإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة عن العين ، وما شابه هذا مما نسب الله إلى نفسه ، لتؤمن بتدبر القرآن أن الله لا ينسب إلى نفسه إلا حقاً .

فيسكون مُشعرٌ بوقوع الفعل في حال القول ، وتوجه الفعل بيسير على القول ،
لا يمكن مستقدم ولا مستأخر ، فهذا معنى الكلمة ، وأما روح الله بئلا أنه نفخة
روح القدس في جيب الطاهرة المقدسة ، والقدس : الطهارة من كل ما يشين ،
أو يعيب ، أو تقذرُه نفس ، أو يكرهه شرع ، وجبريل : روح القدس ، لأنه
روح لم يُخلق من مَنِيٍّ ، ولا صدر عن شهوة ، فهو مُضاف إلى الله سبحانه
إضافة تشريف وتكريم ؛ لأنه صادر عن الحضرة المقدسة ^(١) ، وعيسى عليه
السلام صادر عنه ، فهو : روح الله على هذا المعنى ؛ إذ النفخ قد يسمى : روحاً
أيضاً ، كما قال غيلان [بن عقبة ذو الرمة] يصف النار :

فقلت له : ارفعها إليك ، وأحياها بروحك ، واقدرها لها قيتةً بديراً ^(٢)

وأضف هذا الكلام في روح القدس ، وفي تسمية النفخ روحاً إلى

(١) كلمة الحضرة لا يجوز نسبتها إلى الله ، إنما هو تعبير مبتدع لهذه النسبة . هذا ويؤيد قول
ابن تيمية عن رواية ابن إسحاق بسنده عن أم سلمة في شأن النجاشي : « وقد روى
جمل هذه القصة أبو داود في سننه من حديث أبي موسى ، ص ٨٧ » الجواب
الصحيح ، وفي رواية أن جعفر قرأ على النجاشي أربعين آية من أولها إلى قوله
سبحانه : « إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون » وفي رواية :
« بلوها بدموعهم » بدلا من : « أخضلوا مصاحفهم » وهي بمعناها . وفي رواية أن
النجاشي قال : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة ، وأظنها أدق .
هذا وقد راجعت الحديث على رواية ابن تيمية له

(٢) البيت في اللسان ، وروايته :

فقلت له : خذها إليك وأحياها بروحك واقته لها قيتة قدرا
واقته لنارك قيتة ، أي : أطعمها ، يأمره بالرفق والنفخ القليل

ما ذكرناه قبل في حقيقة الروح ، وشرح معناه فإنه تكملة له .

النجاشي أصحمة :

فصل : وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ما سكه ، وأن قومه كانوا باعوه ، فلما مرج أمر الحبشة ، أخذوه من سيده واستردوه . وظاهر الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتي به بلاده لقوله : خرجوا في طلبه ، فأدركوه ، وقد بين في حديث آخر أن سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلا ، وهو الذي يقتضيه قوله : فلما مرج على الحبشة أمرهم ، وضاق عليهم ما هم فيه ، وهذا يدل على طول المدة في مغيبيه عنهم ، وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي علم بها قبل من عنده من المسلمين ، فأرسل إليهم ، فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مسحاً ، وقعد على التراب والرماد ، فقالوا له : ما هذا أيها الملك ؟ ! فقال : إنا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعبده ، وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا ، وإن الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة ، وهي أن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بوادٍ يقال له : بدر كثير الأراك ، كنت أرى فيه الغنم على سيدي ، وهو من بني ضمرة ، وأن الله دهم أعداءه فيه ، ونصر دينه ، فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب ، فمن هنا - والله أعلم - تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين ثلثت عليه ، حتى بكى ، وأخضل لحيته ، وروى عنه أنه قال : إنا نجد في الإنجيل أن اللعنة تقع في الأرض إذا كانت إمارة الصبيان .

مريت الهجرة إلى الحبشة :

فصل : ومما في حديث الهجرة إلى الحبشة من الفقه أن جَعْفَر بن أَبِي طَالِبٍ قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : كيف نصلي في السفينة إذا ركبنا في البحر؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صلّ قائماً إلا أن تخاف الغرق . خرجه الدَّارَقُطْنِي ، ولكن في إسناده مقال ، وفي مُسْنَد ابن أبي شيبة : وصلى أنس في السفينة جالسا . وذكر البخاري عن الحسن : يصلي قائماً إلا أن يَضُرَّ بأهلهما .

مول كتاب النجاشي والصلاة عليه :

فصل : وذكر الكتاب الذي كتبه النجاشي ، وجعله بين صدره وقبائه ، وقال للقوم : أشهد أن عيسى لم يزد على هذا ، وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذبا صَراحاً ، ولا أن يعطى بلسانه الكفر ، وإن أكره ما أمكنه الحيلة ، وفي المعارض مندوحة عن الكذب^(١) ، وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام : ليس بالكاذب من أصاح بين اثنين ، فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عقبة . قالوا : معناه أن يُعرَضَ ، ولا يُفصَحَ بالكذب ، مثل أن يقول : سمعته يستغفر لك ، ويدعوك ، وهو يعني أنه سمعه يستغفر للمسلمين ، ويدعولهم ؛ لأن الآخر من جملة المسلمين ، ويحتال في التعريض

(١) إن في المعارض لمندوحة عن الكذب ، أخرجه — كما يقول ابن الأثير — أبو عبيد وغيره ، وهو حديث مرفوع . والمعارض : جمع معارض من التعريض ، وهو خلاف التصريح من القول ، يقال : عرفت ذلك في معارض كلامه ومعرض كلامه . ومندوحة : فسحة وسعة .

ما استطاع ، ولا يختلق الكذبَ اختلاقاً ، وكذلك في خُدعة الحرب يُورَى ،
ويُكْنَى ، ولا يختلق الكذب يستحله بما جاء من إباحة الكذب في خُدع
الحرب ، هذا كله ما وجد إلى الكناية سبيلاً .

وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : صلى على النجاشي ،
واستغفر^(١) له ، وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالقبعة ، رفع
إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه ، وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون ،
فقالوا : أيصلى على هذا العِلج ؟ ! فأنزل الله تعالى^(٢) :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِمْ ﴾ آل عمران : ١٩٩ ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نذر

(١) روى صلاة الرسول - ص ، على النجاشي : البخاري ومسلم وأحمد والنسائي
والترمذي والطبراني . والرواية المتفق عليها : « توفي اليوم رجل صالح من الحبش
فهللوا ، فصلوا عليه ، فصفقنا خلفه ، فصلى رسول الله عليه ، ونحن صفوف »
وعن جابر أن النبي صلى على أوصحة النجاشي ، فكبر أربعاً

(٢) ليست هذه الرواية في الصحيح ، وإنما هو عند ابن أبي حاتم وابن مردويه
وعبد بن حميد . وروى الحاكم أن الآية في حق النجاشي ، وحديث النور على
قبره رواه أبو داود بسنده عن محمد بن إسحاق . ولو كان هذا حقاً لتواتر
خبره . وأجب أن أعرج على مسألة شرعية هي صلاة الجنازة على الغائب وحكمها .
وليك خلاصة القول : ذهب الشافعي وأحمد وجمهور السلف إلى مشروعية الصلاة
على الغائب عن البلد ، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن صلاة الغائب غير
مشروعة مطلقاً . واعتذروا عن القصة بأن النجاشي كان بأرض ليس فيها من

مولى على بن أبى طالب ، كان ابناً للنجاشى نفسه^(١) ، وأن علياً وجده عند
تتاجر بمكة ، فاشتراه منه ، وأعتقه . مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين .
وذكر أن الحبشة مَرَجَ عليها أمرها بعد النجاشى ، وأنهم أرسلوا وفداً
منهم إلى أبى نَزَرَ ، وهو مع على ليمسكوه ويتوجوه ، ولم يختلفوا عليه فأبى .
وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله على الإسلام ، قال : وكان أبو نَزَرَ
من أطول الناس قامه ، وأحسنهم وجهاً ، قال : ولم يكن لونه كألوان الحبشة ،
ولكن إذا رأيته قلت : هذا رجل من العرب .

== يصى عليه ، ولهذا قال الخطابي : لا يصى على الغائب إلا إذا وقع موته بأرض
أيس فيها من يصى عليه ، وترجم بهذا أبو داود .
وقد اختار ابن تيمية هذا مستدلاً بما أخرجه الطيالسى وأحمد وابن ماجه
وابن قانع والطبرانى والضياء المقدسى ، وعن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد
أن النبي « ص » قال : « إن أخاكم مات بغير أرضكم ، فقوموا فصلوا عليه » .
واستدلوا أيضاً بأن صلاة الرضول على النجاشى كانت خاصة لأنه لم يثبت أنه صلى
على ميت غائباً غيره ، وردوا على من جاء بأحاديث تثبت غير هذا بأن أسانيد
هذه الأحاديث ليست بالقوية . وقال الذهبي عن معاوية بن معاوية الذى زعموا
أن النبي صلى عليه أنه لا يعلم فى الصحابة من اسمه معاوية بن معاوية ، وكذلك تكلم
فيه البخارى . وقال ابن القيم لا يصح حديث صلاته على معاوية بن معاوية ،
لأن فى إسناده العلاء بن يزيد ، وقد قال عنه ابن المدينى أنه كان يضع الحديث ،
وأقول : وهذا هو الصواب ، ولكن إذا كان هذا هو الحكم فبن الإسلام يدعوننا إلى أن
ندعو لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان بالمغفرة .

(١) له ترجمة فى الإصابه . ذكره الذهبي مستدركاً ، وقال : يقال إنه ولد
لـ النجاشى جاء وأسلم ، وكان مع النبي « ص » فى مؤنته . وقال الحافظ : إنه قرأ قصته
فى كتاب الكامل للمبرد ، وأنه كان من أبناء ملوك الاعاجم ، وأنه أسلم صغيراً
على يد النبي صلى الله عليه وسلم وأن أمره انتهى إلى أن كان مع فاطمة ثم مع ولدها .

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة على قُرَيْش ، ولم يُدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وردّهما النجاشيُّ بما يكرهونه ، وأسلم عمرُ بن الخطاب - وكان رجلاً ذا شَكِيمَةٍ لا يُرام ما وراء ظهره - امتنع به أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبجُمُوعَةٍ حتّى عازَوْا قُرَيْشاً ، وكان عبدُ الله بن مسعود يقول : ما كنّا نقدر على أن نصلى عند السكبة ، حتّى أسلم عمر بن الخطّاب ، فلما أسلم قاتل قُرَيْشاً ، حتّى صلى عند السكبة ، وصليّنا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خَرَجَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائي : قال : حدثني مِسْعَرُ بن كِدّام ، عن سَفْدِ بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحةً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنّا مانصلي عند السكبة حتّى أسلم عمر ، فلما أسلم ، قاتل قُرَيْشاً حتّى صلى عند السكبة ، وصليّنا معه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عِيَّاش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حَتْمَةَ ، قالت :

والله إنّنا لَنُتَحَلُّ إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامرٌ في بعض حاجاتنا ،

.....

إِذْ أَقْبَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَىَّ ، وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ — قَالَتْ : وَكَذَلِكَ نَلْقَى مِنْهُ الْبَلَاءَ أَذَى لَنَا ، وَشِدَّةَ عَلَيْنَا — قَالَتْ : فَقَالَ : إِنَّهُ لِلانْطِلَاقِ يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ . قَالَتْ : فَقُلْتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ ، لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضِ اللَّهِ ، أَذْبَتُمُونَا . وَقَهَرْتُمُونَا ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ مَخْرَجًا . قَالَتْ : فَقَالَ : صَحِّبْكُمْ اللَّهُ ، وَرَأَيْتَ لَهُ رِقَّةً ، لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ أَخْزَنَهُ — فِيمَا أَرَى — خُرُوجَنَا . قَالَتْ : فَبَاءَ عَامِرٌ بِحَاجَتِهِ تِلْكَ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ آتِفًا وَرِقَّتَهُ وَخُزْنَهِ عَلَيْنَا ! قَالَ : أَطْمَعْتَ فِي إِسْلَامِهِ ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَلَا يُسْلِمُ الَّذِي رَأَيْتَ ، حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ ؛ قَالَتْ : يَا سَا مِنْهُ ، لِمَا كَانَ يُرَى مِنْ غِلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فِيمَا بَلَغَنِي أَنَّ أَخْتَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ ، وَكَانَتْ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ ، وَكَانَتْ قَدْ أُسْلِمَتْ وَأُسْلِمَ بَعْلُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَهُمَا مُسْتَخْفِيَانِ بِإِسْلَامِهِمَا مِنْ عُمَرَ ، وَكَانَ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّامُ مِنْ مَكَّةَ ، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ ، مِنْ بَنِي عَدَى بْنِ كَعْبٍ قَدْ أُسْلِمَ ، وَكَانَ أَيْضًا يَسْتَخْفِي بِإِسْلَامِهِ قَرَقًا مِنْ قَوْمِهِ ، وَكَانَ خُبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ يَخْتَلِفُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ ، فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مَتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يَرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أَنَّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصُّفَا ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — عُمَةُ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصَّدِيقُ ، وَعَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، مِمَّنْ كَانَ .

• • • • •

أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض
الحبشة ، فلقبه نعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا
هذا الصابي ، الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب
آلهتها ، فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى
بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ! أفلا ترجع إلى أهل
بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : حَتَمْتُك وابن عمك سعيد
ابن زيد بن عمرو ، وأختك : فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلمنا ، وتابعا
محمدا على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما
خباب بن الأرت معه صحيفة ، فيها : « طه » يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حس
عمر تغيب خباب في مخدع لهم - أوفى بمض البيت - وأخذت فاطمة بنت
الخطاب الصحيفة ، فجعلتها تحت نغذاها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت
قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهينة التي سمعت ؟ قال له : ما
سمعت شيئاً ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش
بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ،
فضر بها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا ، وآمننا
بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك : فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما
صنع ، فارتعوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفاً
أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتبها ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته :
إننا نخشاك عليها ، قال : لا تخافي ، وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها إليها ،
فلما قال ذلك ، طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجس ، على

.....

شريكك ، وإنه لا يسها إلا الطاهر ، فقام عمر ، فاغتسل ، فأعطته الصحيفة
 فيها : « طه » فقرأها ، فلما قرأ منها صدرأ ، قال : ما أحسن هذا الكلام
 وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو
 أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس ، وهو يقول : اللهم أيد
 الإسلام بأبي الحکم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فالحمد لله يا عمر : فقال
 له عند ذلك عمر : فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه ، فأسلم ، فقال له خباب :
 هو في بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ،
 ثم عمد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ،
 فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 فحظر من خلل الباب ، فرآه متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - وهو قزع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب
 متوشحاً بالسيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد
 خيراً بذلناه له ، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم : أئذن له ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ حُجْرته ، أو بجمع ردايه ، ثم جَبَذَ به
 جبذةً شديدةً ، وقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى
 ينزل الله بك قارعةً ، فقال عمر : يا رسول الله ، جئتُك لأومن بالله وبرسوله ،
 وبما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً
 عَرَفَ أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر
 قد أسلم .

• • • • •

فتفرق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكانهم ، وقد عَزَّوَا في أنفسهم حين أسلم عُمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيَمْنَعَانِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وَيَنْتَصِفُونَ بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطَّاب حين أسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ الله بن أبي نجيح السَّكِّي ، عن أصحابه : عطاء ، ومجاهد ، أو عَمَّن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مُبَاعِداً ، وكنت صاحبَ خَمَرٍ في الجاهليَّة ، أحبُّها وأُسَرُّها ، وكان لنا مجلسٌ يَجْتَمِعُ فيه رجال من قُرَيْشٍ بِالخَزَوْرَةِ ، عند دُور آل عمر بن عبد بن عُمَران الخزومي ، قال : فخرجت ليلةً أريدُ مُجَسَّائِي أولئك في مجلسهم ذلك ، قال : فحُتُّمْ فلم أجدُ فيه منهم أحداً . قال : فقلت : لو أني جِئْتُ فلانا الخَمَّار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلِّي أجدُ عنده خمرأً فأشرب منها . قال : فخرجتُ فحُتُّتُه فلم أجدُه . قال : فقلت : فلو أني جِئْتُ السَّكْبَةَ ، فطُفْتُ بها سبعةً أو سبعةً . قال : فجِئْتُ للمسجد أريدُ أن أطوفَ بالسَّكْبَةِ ، فإذا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قائمٌ يصلي ، وكان إذا صلى استقبل الشام ، وجعل السَّكْبَةَ بينه وبين الشام ، وكان مُصَلِّاه بين الرُّكْنَيْنِ : الركنَ الأسود ، والركنَ اليماني . قال : فقات حين رأيته : والله لو أني استمعتُ لحمدِ اللَّيْلَةِ حتَّى أسمعَ ما يقول ! قال : فقلت : لئن دنوتُ منه أستمعُ منه لأروِّعَنَّهُ ، فجِئْتُ من قِبَلِ الْحَجَرِ ، فدخلتُ تحت ثيابها ، فجعلتُ أمشي رُوَيْداً ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قائمٌ يصلي يقرأ القرآن ، حتَّى قمت في قِبَلَتِهِ مستقبلاً ، ما بيني .

• • • • •

هو بينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رقي له قاي ، فبكيتُ
ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك ، حتى قضى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن
أبي حسين ، وكانت طريقه ، حتى يجزَع المسمى ، ثم يسلك بين دار عباس
ابن المطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري ، ثم على دار الأخنس
ابن شريق ، حتى يدخل بيته ، وكان مسكنه - صلى الله عليه وسلم - في الدار
الرفقاء ، التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان . قال عمر رضي الله عنه :
فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهر ، أدركته ، فلما سمع
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسي عرفني ، فظن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - أني إنما تبعته لأؤذيه ، فنهمني ، ثم قال : ما جاء بك يابن
الخطاب هذه الساعة ؟ قال : جئت لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من
عند الله ، قال : فحمد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : قد هداك
الله يا عمر ، ثم مسح صدرى ، ودعا لي بالثبات ، ثم انصرف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر ،
قال : لما أسلم أبي عمر ، قال : أى قريش أنقل للحديث ؟ ف قيل له : جميل بن معمر
الجمحي . قال : ففدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : فعدوت أتبع أئرد ، وأنظر
ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمت يا جميل

.....

أنى قد أسلمت : ودخات في دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجرد رداءه .
واتبعه عمر ، واتبعه أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صرّخ بأعلى صوته :
يا معشر قريش ، وهم في أنديتهم حول باب الكعبة ، ألا إن عمر بن الخطاب
قد صبأ ، قال : يقول عمر من خلفه : كذّاب ، والكنى قد أسلمت ، وشهدت أن
لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فابرح يقاتلهم ويقاتلونهم
حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطّاح ، فقعّد وقاموا على رأسه ، وهو
يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنّا ثلثمائة رجل لتركناها
لكم ، أو لتركتموها لنا ، قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ،
عليه حلة حبرّة ، وقيص مؤشّى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟
قالوا : صبأ عمر ، فقال : فمه ، رجل اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟ أترون
بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلّوا عن الرجل . قال : فوالله
لكأنما كانوا ثوبا كُشِط عنه . قال : فقات لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة :
يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ؟
فقال : ذلك ، أى بنى ، العاص بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل
الذى زجر القوم عنك يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ، جزاه الله خيراً ؟ قال :
يا بنى ذاك العاص بن وائل ، لاجزاه الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر ،
أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة ، تذكّرت أى أهل مكة

أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوةً حتى أتته ، فأخبره أني قد أسلمت .
قال : قلت : أبو جهل - وكان عمر تلخمة بنت هشام بن المغيرة - قال : فأقبلت
حين أصبحت ، حتى ضربت عليه بابي . قال : نخرج إلى أبو جهل ، فقال :
مرحباً وأهلاً بابن أختي ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأخبرك أني قد آمنت
بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، قال : ف ضرب الباب في وجهي ، وقال :
قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

إسلام عمر وعمر بن الخطاب :

فصل : في حديث إسلام عمر . ذكره إلى آخره ، وليس فيه إشكال ،
وكان إسلام عمر والمسلمون إذ ذاك بضعة وأربعون رجلاً ، وإحدى عشرة (١) .
امرأة .

(١) في رواية ابن أبي خيثمة عن عمر نفسه : « لقد رأيتني ، وما أسلم
مع رسول الله إلا تسعة وثلاثون رجلاً ، فكملهم أربعين ، فأظهر الله دينه ، وأعز
الإسلام . وروى البزار نحوه من حديث ابن عباس ، ولقد قيل : إنه أسلم في ذي
الحجة سنة ست من المبعث ، وحكى ابن الجوزي في بعض كتبه الاتفاق عليه ،
ولكنه في التلقيح قال : سنة ست وأخمس ، وروى أبو نعيم في الدلائل أن إسلامه
كان بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام ، وحديث ابن مسعود عن أثر إسلامه في البخاري :
فقد روى بسنده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : « ما زلنا أعزة منذ أسلم
عمر » ، والحديث الآخر من رواية البكاء عن ابن مسعود رواه ابن أبي شيبة ،
والطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود ، وفيه : « والله
ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر » وروى ابن سعد من حديث
صريب ، قال : لما أسلم عمر قال المشركون : انصف القوم منا . وروى البزار »

وفيه : أن خَبَّابًا وهو ابن الأَرْتِّ كان يقرئُ فاطمة بنت الخطاب القرآن ،
بالتسب ، وهو خُزاعي بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعي ،
وكان قد وقع عليه سبَاء ، فاشترته وأعتقته ، فولأؤهُ لها ، وكان أبوه

والطبراني من حديث ابن عباس نحوه ، وفي حديث إسلام عمر أن أخته هي
فاطمة ، وهذا على الأكثر ، وقيل — كما حكى الدارقطني — اسمها : أميمة . وقال
الحافظ في الإصابة كان اسمها : فاطمة ولقبها : أميمة ، وكنيتها : أم جميل ، وفي
نسب قريش لا توجد أخت لعمر اسمها فاطمة ، وإنما صفية وأميمة فقط ص ٣٤٧ .

وفي بعض روايات حديث إسلامه أن عمر قال بعد أن أخبر بإسلام أخته
« وقد كان — صلى الله عليه وسلم — يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به
قوة ، فيكونان معه ويصبيان من طعامه وقد ضم إلى زوج أختي رجلين » .

وحديث : اللهم أيد الإسلام بأبي الحَكَم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ،
روايته عند الترمذى : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين ، بأبي جهل أو بعمر ،
فكان أحبهما إليه عمر » . قال الترمذى : حسن صحيح ، وصححه ابن حبان . وفي إسناد
خارجه بن عبد الله صدوق فيه مقال ، ولكن له شاهد من حديث ابن عباس أخرجه
الترمذى أيضاً ، ومن حديث أنس ، وروى أحمد نحوه ، ورواه الحاكم بلفظ : أيد ،
بدل : أعز . وأخرجه الحاكم ، وصححه عن نافع عن ابن عمر عن ابن عباس رفعه :
اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة ، وأخرجه ابن ماجه وابن حبان ، وقال
الحاكم : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي من حديث عائشة . والرواية
الجارية على الالسنه ، بأحب العمرين : لا أصل لها في شيء من طرق الحديث
وهناك رواية طيبة المعنى عن عائشة : قالت : لما قال صلى الله عليه وسلم : اللهم أعز
بالإسلام ، لأن الإسلام يعز ولا يعز . وقد قال أبو بكر التاريخي أن عمر سئل عن قوله
اللهم أيد الإسلام ، فقال : معاذ الله . هذا وقد ولد عمر بعد الفجار بثلاث
عشرة سنة .

لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة^(١)، فهو زُهْرِي بالحلف، وهو ابن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمية بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كان قَيْنًا يعمل السميوف في الجاهلية، وقد قيل: إن أمه كانت أم سباع الخزاعية، ولم يلحقه سباء، ولكنه انتهى إلى حلفاء أمه بنى زهرة، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا يحيى، وقيل أبا محمد مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ما شهد مع عليّ صفيين والنهروان، وقيل: بل مات سنة سبع وثلاثين. ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقي في ذات الله، فكشف ظهره، فقال عمر: مارأيت كالיום، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أوقدت لى نار، فما أطفأها إلا شحبي.

تطهير عمر ليس القرآن:

فصل: وفيه ذكر تطهير عمر ليس القرآن، وقول أخته: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة، وهو قول مالك في الموطأ، واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس، ولكنهم وإن كانوا الملائكة، ففي وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضى ألا يمسسه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير، ولكنه حكم مندوب إليه؛ وليس محمولا على الفرض، وكذلك ما كتب به رسول

(١) النسب هكذا في كتاب نسب قريش ص ٢٦٥ أما في جمهرة ابن حزم ص ١٢١ وما بعدها: فعوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، وفي الإصابة كما في نسب قريش، لكن سقطت كلمة ابن بين عبد وبين الحارث.

(م - ١٨ - الروض الأنف ج ٣)

الله — صلى الله عليه وسلم — لعمر بن حزم^(١) : « وَأَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ » ليس على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبين منه في الآية ؛ لأنه جاء بلفظ النهي عن مسه على غير طهارة ، ولكن في كتابه إلى هرقل بهذه الآية : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ ﴾ آل عمران : ٦٤ دليل على ما قلناه ، وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة من سلف ، منهم الحكم بن عتيبة وحماد بن أبي سليمان إلى إباحة مس المصحف على غير طهارة ، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل ، وقالوا : حديث عمرو بن حزم مُرْسَلٌ ، فلم يروه حجة ، والدارقطني قد أسنده من طرق حسان ، أقواها : رواية أبي داود الطيالسي عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده ، وما يقوى أن المُطَهَّرِينَ في الآية هم الملائكة ، أنه لم يقل : المتطهرون ، وإنما قال المُطَهَّرُونَ ، وفرق ما بين المتطهر والمطهر : أن المتطهر مَنْ فَعَلَ الطُّهُورَ^(٢) ، وأدخل نفسه فيه كالمُتَّفِقِهِ من يدخل نفسه في الفقه ، وكذلك الْمُتَّفَعِّلُ في أكثر الكلام ، وأنشد سيبويه :

(١) هو في الموطأ ، وعند أبي داود في المراسيل من حديث الزهري ، قال : قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « وَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ ، وَيَعْلَقُ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : وَمِثْلُ هَذَا لَا يَنْبَغِي الْإِخْذُ بِهِ . » وقال عن سندی الدارقطني للحديث : وفي إسناد كل منهما نظر . أفول : والضمير في الآية يرجع الى الكتاب المكنون لا إلى القرآن .

(٢) الطهور — بضم الطاء — التطهر ، وبفتحتها الماء ، وإن كان سيبويه يرى أن الطهور — بفتح الطاء يقع على الماء والمصدر معا .

وَقَيْسُ عَيْلَانَ وَمِنْ تَقَيْسًا^(١)

فَالْأَدَمِيُونَ مُتَطَهَّرُونَ إِذَا تَطَهَّرُوا ، وَالْمَلَائِكَةُ مُطَهَّرُونَ خِلْقَةً ، وَالْأَدَمِيَاتُ إِذَا تَطَهَّرْنَ : مُتَطَهَّرَاتٌ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ البقرة : ٢٢٢ والحدود العينية مُطَهَّرَاتُ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ النساء : ٥٧ وَهَذَا فَرْقٌ بَيْنَ وَقُوعِ لَتَأْوِيلِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَالْقَوْلِ عِنْدِي

(١) فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ : وَقَيْسُ عَيْلَانَ تَرْكِيبٌ إِضَافِي ، لِأَنَّ عَيْلَانَ اسْمَ فَرَسٍ قَيْسٍ لَا أَبِيهِ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ النَّاسِ — كَذَا فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ — وَلَيْسَ عَيْلَانَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ غَيْرُهُ . وَمَا عَدَاهُ عَيْلَانَ . وَفِي شَرْحِ أَدَبِ الْكَاتِبِ لِلْجَوَالِيْقِيِّ : قَيْسُ عَيْلَانَ بْنُ مَضَرَ ، وَيُقَالُ : قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ ، وَكَانَ النَّاسُ مِثْلَانَا . وَكَانَ إِذَا نَفَدَ سَالَهُ أَتَى أَخَاهُ الْيَاسَ ، فَيُنَاصِفُهُ مَا لَهُ أَحْيَانًا ، وَيُوَاسِيهِ أَحْيَانًا ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَتَمَّاهُ قَالَ لَهُ الْيَاسُ : غَلَبْتَ عَلَيْكَ الْعَمِيلَةَ ، فَأَنْتَ عَيْلَانَ ، فَسَمِيَ لَذَلِكَ عَيْلَانَ ، وَمَنْ قَالَ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ ، فَإِنَّ عَيْلَانَ كَانَ عَبْدًا لِمَضَرَ حَضَنَ ابْنَهُ النَّاسَ ، فَغَلَبَ عَلَى نَسَبِهِ وَمِثْلُهُ فِي الْأَنْسَابِ لِلْكَلْبِيِّ . قَالَ : كَانَ عَيْلَانَ عَبْدًا لِمَضَرَ ، حَضَنَ ابْنَهُ النَّاسَ ص ٩٦ ج ١ خَزَانَةُ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ ط دَارُ الْعَصُورِ ، وَانْظُرْ ص ٥٧ ؛ أَدَبُ الْكَاتِبِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ ، وَص ٢٢٢ شَرْحُ أَدَبِ الْكَاتِبِ لِلْجَوَالِيْقِيِّ ، وَفِي اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ قَيْسٍ : أَبُو قَبِيلَةَ مِنْ مَضَرَ وَهُوَ قَيْسُ عَيْلَانَ ، وَاسْمُهُ : النَّاسُ بْنُ مَضَرَ بْنِ نَزَارٍ ، وَقَيْسُ لَقَبُهُ ، يُقَالُ : تَقَيْسٌ فَلَانٌ إِذَا تَشَبَّهَ بِهِمْ ، أَوْ تَمَسَّكَ مِنْهُمْ بِسَبَبٍ إِمَّا بِمُحَلِّفٍ أَوْ جَوَارٍ أَوْ وِلَاءٍ . وَقَدْ نَسَبَ سَبِيحُوهَ الْبَيْتَ إِلَى رُؤْبَةٍ مَعَ رَفْعِ السَّيْنِ مِنْ قَيْسٍ . وَلَكِنْ ابْنُ بَرٍّ يَقُولُ : الرَّجَزُ لِلْعِجَاجِ وَلَيْسَ لِرُؤْبَةٍ ، وَصَوَابُ إِنْشَادِهِ :

وَقَيْسُ بْنُ نَصَبِ السَّيْنِ لِأَنَّ قَبِيلَهُ :

وَلَمَّا دَعَوْتَ مِنْ تَمِيمٍ أَرُوسًا

وَجَوَابُ لَمَّا فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ :

تَقَاعَسَ الْعَزْزُ بِنَا فَاقْعَدْنَا

في الرسول عليه السلام أنه مُتَطَهَّر ومُطَهَّر ، أما متطَهَّر ؛ فلأنه بشر آدمي يغتسل من الجنابة ، ويتوضأ من الحدث ، وأمامطَهَّر ؛ فلأنه قد غُسل باطنه ، وشُقَّ عن قلبه ، ومُلئ حكمة وإيماناً فهو مُطَهَّر ومُتَطَهَّر ، واضم هذا الفصل إلى ما تقدم في ذكر مولده من هذا المعنى ، فإنه تكملة والحمد لله .

وفي تطهر عمر قبل أن يُظهر الإسلام قوة لقول ابن القاسم : إن الكافر إذا تطهر قبل أن يظهر إسلامه ، ويشهد الشهادتين أنه مُجْزِيٌّ لَهُ ، وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثير من الفقهاء ، وكذلك في خبر إسلام سعد بن مُعَاذٍ على يدى مُصْعَب بن عُمَيْر ، وقد سأله : كيف يصنع من يريد الدخول في هذا الدين ، فقال : يتطهر ، ثم يشهد بشهادة الحق ، ففعل ذلك هو وأُسَيْد بن حُضَيْر^(١) ، وحديث إسلام عمر ، وإن كان من أحاديث السَّيَر ، فقد خرَّجه الدارقُطني في سننه ، غير أنه خرَّج أيضاً من طريق أنس أن أخت عمر قالت له : إنك رَجَسٌ ، ولا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، فقم فاعتسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم أخذ الصحيفة وفيها سورة طه ، ففي هذه الرواية أنه كان وضوءاً ، ولم يكن اغتسلاً ، وفي رواية يونس : أن عمر حين قرأ في الصحيفة سورة طه انتهى منها إلى قوله :

(١) في الاصل : حصين وهو خطأ صوابه ما أثبتته . وفي القاموس عن أسيد : « وكامير سبعة صحابييون ، وخمسة تابعيون ، وكزبير : ابن حضير وابن ثعلبة وابن يربوع وابن ساعدة وابن ظهير وابن أبي الجداء وابن أخي رافع بن خديج وابن سعية ، أو هو كامير صحابييون ، أما ابن حبيب في كتابه متشابه القبايل ، فيقول : « كل شيء في العرب أسيد — كامير — فهو على فعيل سوى أسيد بن عمرو في بني تميم فإنه على مثال التصغير ، انظر القاموس وص ٥١ المزهج ٢ »

﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ : ١٥ فقال : ما أطيّب هذا الكلام وأحسنه ، وذكر هذا الحديث بطوله ، وفيه أن الصحيفة كان فيها مع سورة طه : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وأن عمر انتهى في قراءتها إلى قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْفِرَتْ﴾ .

زيادة في إسلام عمر :

فصل : وذكر ابن سُنَجْرُ زيادة في إسلام عمر ، قال : حدثنا أبو المغيرة قال : ناصفوان ابن عمرو ، قال : حدثني شُرَيْحُ بن عبيد ، قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقامت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال : قلت : هذا والله شاعر ، كما قالت قريش ، فقرأ : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وما هو بقول شاعر ، قليلاً ما تُؤْمِنُونَ﴾ قال : قلت : كاهنٌ علم ما في نفسي ، فقال : ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلاً مَا تَدَّكَّرُونَ﴾ إلى آخر السورة (٢) قال : فوق الإسلام في قلبي كل موقع ، وقال عمر حين أسلم :

الحمد لله ذي العَمَنِ الذي وَجَبَتْ له علينا أياذِ مالهـا غير
وقد بدأنا فكذبنا ، فقال لنا صدق الحديث نبيٌّ عنده الخبر
وقد ظلمتُ ابنةَ الخطابِ ثم هدى ربِّي عَشِيَّةً قالوا : قد صَبَأَ عمر
وقد نَدِمْتُ على ما كان من زَلَلٍ بظلمها حين تُتلى عندها السُور

(١) رواه أحمد ، ولعل الرواية التي ذكر فيها أنه سمع القرآن والرسول يصلي جوار الكعبة هي أقرب الروايات اتساقاً مع حال عمر .

لما دعت ربَّها ذا العرش جاهدة والدُّمْعُ من عَيْنِهَا عَجَلَانُ يَبْتَدِرُ
أيقنتُ أن الذي تدعوه خالقُها فسكاد تسبقني من عِبْرَةِ دِرَرُ
فقلت : أشهد أن الله خالقنا وأن أحمدَ فينا اليوم مشتهر
نبيُّ صِدْقٍ أتى بالحقِّ مِنْ ثَقَةٍ وافي الأمانة ما في عُوده خَوَرُ

رواه يونس عن ابن إسحاق . وذكر البرزاري في إسلام عمر أنه قال :
فلما أخذت الصحيفة ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، فجعلت أفكر : من
أى شيء اشتق^(١) ، ثم قرأت فيها : ﴿ سَبِّحِ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
[وهو العزيز الحكيم] ﴾ أول الحديد . وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت :
﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٢) الحديد : ٧ . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن
محمدًا رسول الله .

من تفسير حديث إسلام عمر :

فصل : وفي حديث إسلام عمر : قال : ما هذه التَّهْنِئَةُ ، والتَّهْنِئَةُ : كلام
لا يفهم ، واسم الفاعل منه مُتَهَنِّمٌ ، كأنه تصغير ، وليس بتصغير ، ومثله المُبَيِّطِرُ ،
والمُتَهَنِّمِينَ ، والمُبَيِّطِرُ بالقاف ، وهو المهاجر من بلد إلى بلد ، والمُسَيِّطِرُ ، ولو
صغرت واحدا من هذه الأسماء لحذفت الياء الزائدة ، كما تحذف الألف من
مفاعل ، وتالحق ياء التصغير في موضعها ، فيعود اللفظ إلى ما كان ، فيقال في تصغير
مُهَنِّمٍ ومُبَيِّطِرٍ : مُهَنِّمٌ ومُبَيِّطِرٌ ، فإن قيل : فَهَلَّا قُلْتُمْ : إنه لا يُصَغَّرُ ؛ إذ لا يُعْقَلُ

(١) في الأصل : في أى شيء . والتصويب من شرح المواهب ص ٢٧٤ ج ١

(٢) ولكن سورة الحديد مدنية . وقصة عمر مكية .

تصغيراً على لفظ التكبير ، وإلا فما الفرق ؟ فالجواب أنه قد يظهر الفرق بينهما في مواضع ، منها : الجمع ، فإنك تجمع مُبَيَّطراً : مَبَاطِر بحذف الياء ، وإذا كان مُصَغَّراً لا يجمع إلا بالواو والنون ، فتقول : مُبَيَّطرون ، وذلك أن التصغير لا يكسر ؛ لأن تكسيه يؤدي إلى حذف الياء في الخماسي ؛ لأنها زائدة كالآلف ، فيذهب معنى التصغير^(١) ، وأما الثلاثي المصغر فيؤدي تكسيه إلى تحريك ياء التصغير أو همزها ، وذلك أن يقال في فُلَيْس فلائس ، فيذهب أيضاً معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التي هي دالة عليه ، ولو بَنَيْتَ اسمَ فاعل من : بَيَّاس لقلت فيه مُبَيَّس ، ولو سهلت الهمزة حركت الياء فقلت فيه : مُبَيَّس ، وتقول في تصغيره إذا صغرتَه مُبَيَّس بالإدغام ، كما تقول [في] أبوس : أبيس ، ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت ، كما تنقلها في اسم الفاعل من بَيَّاس ونحوه ، إذا سهلت الهمزة ، وهذه مسألة من التصغير بدیعة يقوم على تصحيحها البرهان .

حول التبريم وهكذا :

فصل : وفي حديث إسلام عمر : فَتَمَّه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) نقل الصبان في حاشيته على شرح الأشموني هذه العقرة عن السهيلي هكذا : « لو كسر حذفت ياؤه ؛ لأنه خماسي ثنائيه زائد فيزول علم التصغير ، هذا وقد أنكر الأشموني تصغير هذه الأسماء التي ذكرها السهيلي وفي شرح الشافعية للرضي « جرت عادتهم ألا يجمعوا المصغر إلا بجمع السلامة إما بالواو والنون أو بالآلف والياء ، قيل : وذلك لمضارعة التصغير للجمع الأقصى بزيادة حرف لين ثالثة ، ولا يجمع الجمع الأقصى إلا بجمع السلامة كالصرادين والصواحيبات ، ص ٢٨١ ثم بقول : « وإذا صغرت مبيطراً ومسيطراً كان التصغير بانط المسكير ، لأنك تحذف الياء كما تحذف النون في منطلق ، وتجيء بياء التصغير ، في مكانه ، ولو صغرتما تصغير الترقيم لقات : بطير ، وسطير ، ص ٢٨٣ ج ١

أى: زجره ، والنَّهْيُ : زَجْرُ الأسد، والنَّهْيُ : الحَدَّاد والنَّهْيُ : طائر^(١)، وفيه قول العاصي بن وائل قال : هَكَذَا [خلوا] عن الرجل^(٢) ، وهى كلمة معناها : الأمر بالتَّعْنِي ، فليس يعمل فيها ما قبلها ، كما يعمل إذا قلت : اجلس هكذا ، أى : على هذه الحال ، وإن كان لا بد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر ، لأنها كافُ التشبيه دخلت على ذا ، وها : تَنْبِيْهُ ، فيقدر العامل إذا مُضْمَرًا ، كأنك قلت : ارجعوا هكذا ، وتأخروا هكذا ، واستغنى بقولك : هكذا عن الفعل ، كما استغنى برُؤُوداً عن ارفق .

جميل بن مَعْمَر :

فصل : وذكر قول عمر لجميل بن مَعْمَر الْجَمْعَى : إني قد أسلمت ، وبايعت محمداً ، فصرخ جميل بأعلى صوته : ألا إن عمر قد صَبَأَ . جميل هذا هو الذى كان يقال له : ذو القليين^(٣) ، وفيه نزلت فى أحد الأقوال : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ الأحزاب . ٤٠ ، وفيه قيل .

(١) نهى : بضم النون أو كسرهما وكسر الميم وتشديد الياء : صاحب الدير والطريق السهل ، وبفتح النون وكسرهما حداد ونجار ، وبفتحها وكسرهما من غير ياء فى الآخر : حداد ونجار ، ونهأ بضم النون : طائر ، بوم ، راهب فى دير ، نهأ بفتح النون وتشديد الهاء : أسد .

(٢) فى السيرة : هكذا خلوا عن الرجل وقد أضفتها عنها إلى الروض . ويجوز أن نجعل هكذا مع ما قبلها ، فيكون الكلام : يسلبون لكم صاحبكم هكذا ، ثم يبدأ الكلام الآخر : خلوا عن الرجل .

(٣) فى الاشتقاق لابن دريد أنه وهب بن عمير وكان من أحفظ الناس ، وكانوا

وكيف ثَوَّأَتِي بالمدينة بعدما قَضَى وَطَرًا منها جميل بن مَعْمَرٍ

وهو البيت الذي تَغَنَّى به عبد الرحمن بن عوف في منزله ، واستأذن عمر فسمعه ، وهو يتَغَنَّى ، وينشد بالركبانية ، وهو غناء يُحْدَى به الرُّكَّابُ ، فلما دخل عمرُ قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا ، قلنا ما يقول الناس في بيوتهم ، وقلب المبرد هذا الحديث ، وجعل المنشد عُمرَ ، والمستأذن عبدَ الرحمن ، ورواه الزبير^(١) كما تقدم ، وهو أعلم بهذا الشأن .

== يقولون له قلبان من حفظه ، فأنزل الله عز وجل : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) . أما جميل فقال عنه في الاشتقاق : كان من أئم قريش لا يكتُم شيئاً ، ص ١٣٠ ، وفي نسب قريش ورد كما قال السهيلي ، وأنه قيل له ذو القلبين لعقله ، وأنه شهد مع النبي حنيناً ، فقتل زهير بن الأغر الهذلي ص ٣٩٥ ، ولا نسب بينه وبين جميل صاحب بشينة . وفي ابن كثير أنها نزلت في رجل من قريش ، يقال له : ذو القلبين ، وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر . فأنزل الله هذه الآية رداً عليه . هكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير ، بينما يروى أحمد في مسنده بسنده ، عن ابن أبي ظبيان أن أباة حدثه قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ما عني بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلي فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترون له قلبين . قلباً معكم ، وقلباً معهم ، فأنزلها الله ، وهكذا رواه الترمذي ، ثم قال : وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وروى عبد الرزاق بسنده عن الزهري أنه بلغه أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل . يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك ، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد . . . أقول . وهذا أليق وأنسب ، فسياق الكلام في التنبؤ وزيد بن حارثة .

(١) الذي في نسب قريش لمصعب الزبيري أن عمر مر بابن عوف ورباح بن عمرو يغنيهم غناء الركبان : فقال عمر : ما هذا ؟ فقال عبد الرحمن : لا بأس نلهو ونقصر السفر عنا ، فقال لهم عمر رضي الله عنه : فعليكم إذا بشعر ضرار بن الخطاب ابن مرداس ص ٤٤٨

خبر الصحيفة

قال ابن إسحاق : فلما رأت قُرَيْشٌ أَنَّ أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أماناً وقراراً ، وأن النجاشيَّ قد منع مَنْ لجأ إليه منهم ، وأنَّ عمر قد أسلم ، فكان هو وحرزة بن عبد المطلب مع رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وجعل الإسلامُ يَفْشُو في القبائل ، اجتمعوا واثمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب ، على أن لا يُنْكَحُوا إليهم ولا يُنْكَحُوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جَوْفِ الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصورُ بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ - قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث - فدعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَشَلَّ بعضُ أصابعه .

قال ابن إسحاق : فلما فملت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شِعْبِهِ واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم : أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش ، فظاهروهم .

موقف أبي لهب من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقي هند بنت عُمَيَّة بن ربيعة ، حين فارق قومه ، وظاهر عليهم قريشا ، فقال : يا بنت عتبة ؛

• • • • •

هل نصرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقيهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول : يعدنى محمد أشياء لأراها ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يدي ويقول : تَبَّالِكُمَا ، ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ، فأُنزل الله تعالى فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ ﴾ .

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حميد بن خذرة الخارجي : أحد بني هلال بن عامر بن صعصعة :
يا طيب إننا في مَغْشَرٍ ذهبَت مَسْعَاتُهُمْ فِي التَّبَارِ والتَّيْبِ
وهذا البيت في قصيدة له .

شعر أبي طالب

قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قريش ، وصنعوا فيه الذى صنعوا ، قال أبو طالب :

ألا أبلغنا عنى على ذاتِ بَيْنِنَا	لَوْيًّا وَخُصًّا مِنْ لَوْيِّ بَنِي كَعْبِ
ألم تَعْلَمُوا أَنَا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا	نَبِيًّا كَمَوْسَى خُطِّ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ
وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ حَبَّةَ	وَلَا خَيْرَ تَمَنَّ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ
وَأَنَّ الَّذِي أَلْصَقْتُمْ مِنْ كِتَابِكُمْ	لَكُمْ كَائِنَ نَحْسًا كَرَاغِيَةِ السَّقْبِ
أَفِيَقُوا أَفِيَقُوا ، قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى	وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَحْنِ ذَنْبًا كَذَى الذَّنْبِ
وَلَا تَنْتَبِعُوا أَمْرَ الْوُشَاءِ ، وَتَقْطَعُوا	أَوَاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ

• • • • •

وتَسْتَجِلُّوْا حَرْبًا عَوَانًا ، وربما أَمَرَ عَلَى مِنْ ذَاقِهِ جَلْبُ الْحَرْبِ
 فَلَسْنَا - وَرَبَّ الْبَيْتِ - نُسْلُ أَحَدًا لَعَزَاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمانِ وَلَا كَرْبِ
 وَلَمَّا تَبَيَّنْ مَنْنَا ، وَمِنْكُمْ سَوَالِفِ وَأَيْدٍ أُتْرِتَ بِالْقَسَاسِيَةِ الشُّهْبِ
 بِمَعْتَرِكِ ضَيْقِ تَرَى كِسْرَ الْقَنَا بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّغْمَ ، يَفْكُنْ كَالشَّرْبِ
 كَأَنَّ مُجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ وَمَقَمَّةِ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةِ الْحَرْبِ
 أَلَيْسَ أَبُوْنَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالْإِيمَانِ وَبِالضَّرْبِ
 وَلَسْنَا نَعْلُ الْحَرْبَ ، حَتَّى تَمَلَّنَا وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْوِبُ مِنَ النَّكْبِ
 وَكَفَّنَا أَهْلُ الْخَفَائِظِ وَالنُّهَى إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ السَّكَمَاتِ مِنَ الرَّعْبِ

فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ سَدَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى جُهِدُوا لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ ، إِلَّا سِرًّا
 مُسْتَخْفِيًا بِهِ مَنْ أَرَادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ .

من جهالة أبي جهل

وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكرون - لِقَى حَكِيمِ بْنِ حِزَامِ بْنِ
 خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ ، مَعَهُ غُلَامٌ يَحْمِلُ قَمِيحًا يُرِيدُ بِهِ عَمَتَهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَهِيَ
 عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَعَهُ فِي الشُّعْبِ ، فَتَعَلَّقَ بِهِ ، وَقَالَ :
 أَتَذْهَبُ بِالطَّعَامِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ؟ وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ أَنْتِ وَطَعَامُكَ ، حَتَّى أَفْضَحَكَ
 بِمَكَّةَ . فَنَجَّاهُ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هَاشِمٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ [بْنُ عَبْدِ الْعَزَى] ،
 فَقَالَ : مَا لَكَ وَلَهُ ؟ فَقَالَ : يَحْمِلُ الطَّعَامَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ : طَعَامٌ
 كَانَ لِعَمَّتِهِ عِنْدَهُ بَعَثَتْ إِلَيْهِ [فِيهِ] ، أَفَتَمْنَعُهُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامِهَا ؟ ! خَلَّ سَبِيلَ الرَّجُلِ ،
 فَأَبَى أَبُو جَهْلٌ ، حَتَّى نَالَ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ ، فَأَخَذَ أَبُو الْبَخْتَرِيُّ الْحَيَّ بَعِيرٌ ،
 فَضَرَبَهُ بِهِ فَشَجَّهُ ، وَوُطِئَهُ وَطَأً شَدِيدًا ، وَحُمُزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَرِيبٌ يَرَى

.

ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فيشتموا بهم ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، منادياً بأمر الله لا يتقى فيه أحداً من الناس .

مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عثم وقومه من بنى هاشم وبنى المطلب دونه ، وحالوا بينهم ، وبين ما أرادوا من البطش به ، يهيمونه ، ويستهمزون به ، ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداشهم ، وفيمن نصب اعداوته منهم ، ومنهم من سمى لنا .

أبو لهب وامرأته

ومنهم من نزل فيه القرآن في عامّة من ذكر الله من الكفار ، فكان ممن سُمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن : عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أمّ جميل بنت حرب بن أمية ، حاملة الخطب ، وإسمها سماها الله تعالى حاملة الخطب ؛ لأنها كانت - فيما بلغني - تحمّل الشوك ، فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم - حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ » .

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

يَوْمَ تُبْدَى لَنَا قُتَيْلَةٌ عَنْ جِيدِ أُسَيْلٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ
وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمسد : شجرٌ يدقُّ كما يدقُّ
الكتَّان ، فتفتل منه حبال . قال النابغة الذبياني - واسمه : زياد بن عمرو
ابن معاوية :

مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّخْضِ بَازِلُهَا لَهْ صَرِيفٌ صَرِيفٌ الْقَعْوُ بِالْمَسَدِ
وهذا البيت في قصيدة له ، وواحدته : مَسَدَةٌ .

قال ابن إسحاق : فذُكر لي : أَنَّ أُمَّ جَمِيلَ : حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، حِينَ سَمِعَتْ
مَا نَزَلَ فِيهَا ، وَفِي زَوْجِهَا مِنَ الْقُرْآنِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكُفَّةِ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَفِي يَدَيْهَا فِئْرٌ
مِنْ حِجَارَةٍ ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا أَخَذَ اللَّهُ بَبَصَرِهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَلَا تَرَى إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَيْنَ صَاحِبُكَ ، فَقَدْ بَلَغَنِي
أَنَّهُ يَهْجُونِي ؟ وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتَهُ لَضَرَبْتُ بِهِذَا الْفِهْرَ فَاهُ ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَشَاعِرَةٌ ،
ثُمَّ قَالَتْ :

مُذَمِّمًا عَصَيْنَا وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا
وَدِينَهُ قَلَيْنَا

ثُمَّ انصرفت ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تَرَاهَا رَأَتْكَ ؟ فَقَالَ :
مَارَأْتَنِي ، لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ بَبَصَرِهَا عَنِّي .

قال ابن هشام : قولها : « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش إنما تسمي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
مُذَمَّمًا ، ثم يَسُبُّونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش ، يسبون ويهجون مُذَمَّمًا ،
وأنا محمد !

إيذاء أمية بن خلف للرسول صلى الله عليه وسلم
وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُحَمَح ، كان إذا رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَبَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ
لُحْزَةً ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا لَا يَمُنُّبَذَنَّ
فِي الْحُطَمَةِ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفِتَنِ
لِأَنَّهُا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ » .

قال ابن هشام : الهمزة : الذي يشتم الرجل علانية ، وَيَكْسِرُ عَيْنِيهِ
عليه ، وَيَقْمَرُ بِهِ . قال حسان بن ثابت :

هَمَزْتُكَ فَاخْتَضَعْتُ لِنَفْسٍ بِقَافِيَةٍ تَأْجِجُ كَالشَّوَاطِرِ
وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : همزات . والهمزة : الذي يعيب الناس
سرًا ويؤذيهم . قال رؤبة بن العجاج :

فِي ظِلِّ عَصْرَى بَاطِلٍ وَلَمَزَى

وهذا البيت في أرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

.

إيذاء العاص للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السهمي ، كان خباب بن الأرت ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتيلاً بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً عملها له ، حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما يتغنى أهلها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب ، أو خدم ؟ قال خباب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خباب ، حتى أرجع إلى تلك الدار ، فأقضيك هنالك حقك ، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب أثر عند الله منى ، ولا أعظم حظاً في ذلك ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ، أَطْلَعَ الْغَيْبَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَنَرَاهُ مَائِقُولٌ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ « هي وما قبلها من سورة مريم ٧٧ - ٨٠ » .

إيذاء أبي جهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ولقى أبو جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - فقال له : والله يا محمد ، لتتركن سب آلهتنا ، أو لنسبن إلهك الذي تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الأنعام : ١٠٨ . فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

إيذاء النضر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً، فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن، وحذر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رستم الشديد، وعن اسفنديار، وملوك فارس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين، اكتبتها كما اكتبتها. فأنزل الله فيه: ﴿ وَقَالُوا: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، قُلْ: أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الفرقان: ٥، ٦. ونزل فيه: ﴿ إِذَا تُنْفَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾. ونزل فيه: ﴿ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْفَلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الجاثية: ٨، ٧.

قال ابن هشام: الأفاك: الكذاب. وفي كتاب الله تعالى: « أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ يَقُولُونَ: وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ الصفات: ١٥١، ١٥٢. هو قال روبة:

لا مريء أفك قولاً إفكاً

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً - فيما بلغني -

مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث ، حتى جلس معهم في المجلس ، وفي المجلس غير واحد من قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى أخفه ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إِنَّا نَكُفِّرُ بَكُلِّ نَسِيبٍ وَكَفَّارَةٍ مِنَ النَّاسِ وَمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كُنْ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ الأنبياء ٩٨ - ١٠٠ .

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به . قال أبو ذؤيب الهذلي واسمُه : خوبلد بن خالد .

فَاطِفِيْ ، وَلَا تُوقِدِ ، وَلَا تَكُ مُحْصِبًا

لنَارِ الْعُدَاةِ أَنْ تَطِيرَ بِشَكَايَها

وهذا البيت في أبيات له . ويُروى : « وَلَا تَكُ مُخْضِبًا » . قال الشاعر :

حَصَبَاتُ لَه نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا وَمَا كَانَ لَوْلَا حَضَاةُ النَّارِ يَهْتَدِي

ابن الزبيري والأخنس وما قيل فيهما

قال ابن إسحاق : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأقبل عبد الله ابن الزبيري السهمي حتى جالس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبيري : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبيري : أما والله .

لو وجدته تخلصته ، فسلوا محمدا : أكل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع مَنْ عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهودُ تعبد عزيراً والقصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فعجب الوليد ، ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم . فذكر ذلك لرسول الله صلى عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع مَنْ عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ، وَهُمْ فِي مَا اشْتَمَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢ : أى عيسى بن مريم ، وعزيراً ، ومن عبدوا من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله .

ونزل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْمِعُونَهُ بِالْقَوْلِ ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَمْتَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ : ٢٧ . إلى قوله : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ إِنِّي إِلَٰهُ مِنْ دُونِهِ ، فَذَلِكَ تَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩ .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعبد من دون الله ، وعجيب الوليد ، ومن حصره من حُجَّتِه وخصومته : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف : ٥٧ . أى : يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

.....

ثم ذكر عيسى بن مريم فقال : ﴿ إِن هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الأنبياء : ٥٩ : ٦١ أى : ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : ﴿ لَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

والأخمسُ بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زهرة ، وكان من أشرف القوم ، ومن يستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويردّ عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مِّبِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَعِيمٍ ﴾ القلم : ١٠ ، ١١ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ زَنِيمٌ ﴾ ، ولم يقل : زَنِيمٌ لِعِيبٍ فِي نَسَبِهِ : لأن الله لا يعيب أحدا بنسب ، ولكنه حقق بذلك نعمته ليعرف . والزنيم : العديد للقوم ، وقد قال الخطيب التميمي في الجاهلية : زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ

ما قيل في الوليد بن المغيرة وأبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط

والوليد بن المغيرة ، قال : أُيُنْزَلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَأُتْرَكُ وَأَنَا كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسِيدُهَا ، وَيُتْرَكُ أَبُو مَسْعُودٍ عَمْرُو بْنُ عُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ سَيِّدُ ثَقِيفٍ ، وَنَحْنُ عَظِيمَا الْقَرَبَتَيْنِ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ، فَمَا بَلَّغْنِي : ﴿ وَقَالُوا : لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف : ٣٠ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وَأَبَىٰ بَنَ خَلْفَ بَنَ وَهَبَ بَنَ خُذَافَةَ بَنَ جُحَحَ ، وَعُقْبَةَ بَنَ أَبِي مُعَيْطَ ،
وَكَاثَنَا مُتَصَافِيَيْنَ ، حَسَنًا مَا بَيْنَهُمَا . فَكَانَ عُقْبَةُ قَدْ جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَمِعَ مِنْهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أُبَيًّا ، فَأَتَى عُقْبَةَ ، فَقَالَ : أَلَمْ يَبْلُغْنِي
أَنَّكَ جَالَسْتَ مُحَمَّدًا ، وَسَمِعْتَ مِنْهُ ! ثُمَّ قَالَ : وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ أَنْ
أُكَلِّمَكَ - وَاسْتَغْلَظَ مِنَ الدِّينِ - إِنْ أَنْتَ جَلَسْتَ إِلَيْهِ ، أَوْ سَمِعْتَ مِنْهُ ، أَوْ لَمْ
تَأْتِهِ ، فَتَقْتَفِلْ فِي وَجْهِهِ . فَفَعَلَ مِنْ ذَلِكَ عَدُوُّ اللَّهِ عُقْبَةُ بَنَ أَبِي مُعَيْطَ لَعَنَهُ اللَّهُ .
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصِيُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي
اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾
الفرقان : ٢٧ - ٢٩ .

وَمَشَى أَبُو بَنَ خَلْفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِعَظَمٍ بِالِ
قَدِ ارْفَتَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدَ ، أَنْتَ تَزْعُمُ أَنْ يَبِيعَ هَذَا بَعْدَ مَا أَرِمَ ، ثُمَّ فَتَنَهُ
بِيَدِهِ ، ثُمَّ نَفَخَهُ فِي الرِّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ ، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، يَبِيعُهُ اللَّهُ وَإِلَيْكَ بَعْدَ مَا تَسْكُونَانِ
هَكَذَا ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ اللَّهُ النَّارَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَلَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ : مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ ، وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ : يُحْيِيهَا
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ، فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يس ٧٩ ، ٨٠ .

ما قيل في حق الذين اعترضوا الرسول في الطواف

واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة -
فيما بلغنى - الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة ،
وأمية بن خاف ، والمعاصم بن وائل السهمي ، وكانوا ذوى أسنان في قومهم ،
فقالوا : يا محمد ، هلم فلتعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشرك نحن وأنت
في الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنّا قد أخذنا بحظّا منه ، وإن
كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظّك منه ، فأنزل الله تعالى
فيهم : ﴿ قُلْ : يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ
هَادِيُونَ مَا أَعْبُدُ . أَسْكُمُ دِينُكُمْ . وَلِي دِينٌ ﴾ الكافرون . أى : إن كنتم
لا تعبدون إلا الله ، إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم
دينكم جميعا ، ولى دينى .

ما قيل في حق أبى جهل

وأبو جهل بن هشام - لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها
لهم ، قال : يامعشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها
محمد ؟ قالوا : لا ، قال : عجوة يثرب بالزبد ، والله لئن استمكنّا منها لانتزقنّها
تزيقّا . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ، طَعَامُ الْأَثِيمِ ،
كَأْمَلٍ يَبْعَثُ فِي الْبُطُونِ كَعَلَى الْحَمِيمِ ﴾ الجاثية : ٤٤ - ٤٦ . أى : ليس
كما يقول .

• • • • •

قال ابن هشام : الملل : كل شيء أذيقه ، من نحاس أو رصاص ، أو
مطأ شبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة .

وبلقنا عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال : كان عبد الله بن مسعود والياً
للمعر بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوماً بغضه ، فأذيت ،
فجعلت تلون ألواناً ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ، قال : فأدخلوهم ،
فأدخلوا فقال : إن أدنى ما أتم راهون شبها بالمهل لهذا ، وقال الشاعر :

يَسْقِيهِ رَبِّي حَمِيمَ الْمُهْلِ يَجْرَعُهُ يَشْوِي الْوَجْهَ فَهُوَ فِي بَطْنِهِ صَهْرُ
وقال عبد الله بن الزبير الأسدي :

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يَمُتْ ففي النار يُسْقَى مُهْلَهَا وَصَدِيدَهَا
وهذا البيت في قصيدة له .

ويقال : إن الملل : صديد الجسد .

بلغنا أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - لما حضر ، أمر بثوبين
كَبِيسَيْنِ يُغْسَلَانِ ، فيكفن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أغفأك الله يا أبت
عنهما ، فاشتر كفننا ، فقال : إنما هي ساعة حتى يصير إلى المنزل . قال الشاعر :

شَابَ بِالْمَاءِ مِنْهُ مُهْلًا كَرِيهَا ثُمَّ عَلَّ الْمَنُونُ بِعَدِّ النَّهَالِ

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ،
وَنُحُوتِهِمْ ، فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء : ٦٠ .

قصة ابن أم مكتوم

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع في إسلامه ، فبينما هو في ذلك ، إذ مر به

.....

ابن أم مكتوم الأعشى ، فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يستقرئ القرآن ، فشقّ ذلك منه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا ، وتركه . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ أي : إنما بعثتك بشيرا ونذيرا ، لم أخصّ بك أحدا دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تصدّين به لمن لا يريد .

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحد بنى عامر بن لؤي ، واسمه : عبدالله ، ويقال : عمرو .

حديث الصحيفة التي كتبتها قريش

ذكر فيه قول أبي لهب ليديه : تَبَالَكُمَا ، لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَ ﴾ ، هذا الذي ذكره ابن إسحاق . يشبهه أن يكون سببا لذكر الله سبحانه يديه ، حيث يقول : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ وأما قوله : وَتَبَ ، فتفسيره ما جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد ابن جبير عن ابن عباس ، قال : لما أنزل الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء : ٢١٤ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الصفا ، فصعد

عليه ، فهتف : يَا صَبَاحَاهُ ، فلما اجتمعوا إليه ، قال : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ؟ قالوا : مَا جَرَّ بِنَاعِيكَ كَذِبًا ، قال : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فقال أبو لهب : تَبًّا لَكَ أَلْهَذَا جَمْعَتُنَا؟! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (١) ، وَقَدْ تَبَّ . هكذا قرأ مجاهد والأعمش ، وهى - والله أعلم - قراءة مأخوذة عن ابن مسعود ، لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظًا كثيرة تعين على التفسير (٢) قال مجاهد : لو كنت

(١) رواه الشيخان والترمذى .

(٢) يجب أن نؤمن بأن هذا المصحف الذى نحن معه نتدبره ، فيه كل كلام الله الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم دون نقص أو زيادة . وما يروى من مثل هذا . فإما أن تكون رواية ساقطة ، وإما أن يكون من كلام ابن مسعود تعليقا منه على بعض آيات الكتاب المبين . كيف نحكم أن مثل « وقد تب » كانت في المصحف ثم رفعت منه ؟ أو كيف نحكم أن آية كذا كانت فيه ، ثم حذفت ؟ وأين نحن بهذا من قول الله : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر : ٩ . كيف نضرب المتواتر المحفوظ بحفظ الله بروايات ساقطة واهية مهما كان شأن روايتها ، وشأن السكتب التى وردت فيها ؟ وما الفرق بيننا وبين من يزعمون أن مصحفنا هذا ناقص مبتور حذف منه أبو بكر وعمر ما حذفوا ؟ أقذفوا بكل قول يزعم هذا فى جحيم .

بعض ما قيل عن الصحيفة :

قيل : لأنها كانت فى هلال المحرم سنة سبع من النبوة ، ورد هذا فى ابن سعد وابن عبد البر : وجزم به الحافظ فى الفتح ، وقيل : سنة ثمان وكان اجتماعهم بخيف بنى كسنة وهو المحصب واختلف فى اسم كاتب الصحيفة . وفى رواية أنهم تواتروا على هذا حتى يسلبوا رسول الله « ص » للقتل ، وكانت مدة الشعب سنتين كما ذكر ابن سعد أو ثلاثا كما ذكر موسى بن عقبة وفى نسب قریش ص ٢٥٤ أن الذى كتب الصحيفة عامر الشاعر لا منصور ابنه .

قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسئل ابن عباس ، ما احتججت أن أسئله عن كثير مما سألته ، وكذلك زيادة قد في هذه الآية ، فسمعت أنه خبر من الله تعالى ، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء ، كما قال تعالى : ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يَوْمَ فَكُونَ ﴾ التوبة : ٣٠ ، أى : إنهم أهل أن يقال لهم هذا ، فتبت يدا أبى حطب ، ليس من باب : قاتلهم الله ، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله ، واليدان : آلة الكسب ، وأهله وماله مما كسب فقوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، تفسيره : قوله : ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ وولد الرجل من كسبه ، كما جاء في الحديث ، أى : خسرت يداه هذا الذى كسبت ، وقوله : ﴿ وَتَبَّ ﴾ ، تفسيره . ﴿ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أى : قد خسر نفسه بدخوله النار ، وقول أبى حطب : تَبَّا لَهَا ، ما أرى فيها شيئا ، يعنى : يديه : سبب لنزول تَبَّتْ يدا كما تقدم .

وقوله في الحديث الآخر : تَبَّا لَكَ يَا مُحَمَّد ، سبب لنزول قوله سبحانه : ﴿ وَتَبَّ ﴾ (١) فالكلمتان في التنزيل مبنيتان على السببين ، والآيتان بعدهما تفسير للتبيين . تَبَّابٌ يديه ، وتبَّابه هو في نفسه ، والتَّبُّبُ على وزن التَّلَفِّفِ

(١) وحدث عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال . أخبر رجل يقال له : ربيعة بن عباد من بنى الدئل ، وكان جاهليا ، فأسلم ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم — في الجاهلية في سوق ذى الحجاز ، وهو يقول : (يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلاحوا) والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء لوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب يتيهه حيث ذهب ، فسألت عنه ، فقالوا : هذا عمه أبو لهب . تفرد به أحمد .

لأنه في معناه ، والتَّبَابُ كَهلاكِ والخَسَارِ وزناً ومعنى ، ولذلك قيل فيه :
تَدَبُّ وتَبَابٌ .

من تفسير شعر أبي طالب :

فصل : ذكر شعر أبي طالب :

ألا أبلغا عني على ذاتِ يميننا

قال قاسم بن ثابت : ذات يميننا ، وذات يده ، وما كان نحوه : صفةٌ
لخذوفٍ مؤنث ، كأنه يريد الحال التي هي ذات يمينهم كما قال الله سبحانه :
﴿ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ يَمِينِكُمْ ﴾ الأنفال : ١ فكذاك إذا قلت : ذات يده .
سيريد أمواله ، أو مكتسباته ، كما قال عايه السلام : « أرعاه على زوج في ذات
يده ^(١) » ، وكذلك إذا قلت : لقيته ذات يوم ، أي : لقاءً أو مرةً ذات يوم ،
فلما حذف الموصوف ، وبقيت الصفة صارت كالحال لا تتمم كن ، ولا ترفع
في باب مالم يُسمَّ فاعله ، كما ترفع الظروف المتمكنة ، وإنما هو كقولك : سير
عليه شديداً وطويلاً ، وقول الخثعمي - واسمه : أنس بن مالك [مدرك] : عزمت
على إقامة ذات صباح ، ليس هو عندي من هذا الباب ، وإن كان سيدي به قد
جعلها لغة لثختم ، ولكنه على معنى إقامة يوم ، وكل يوم هو ذو صباح ، كما
تقول : ما كلني ذو شفة ، أي : متكلم ، وهامرت بذي نس ، فلا يكون من

(١) هو جزء من حديث رواه الشيخان : « خير لسان ركن الإبل صالحو
خساء قریش أحناء على واد في صفره ، وأرعاه على زوج في ذات يده . »

باب : ذَاتَ مَرَّةٍ الذى لا يتمكّن فى الكلام ، وقد وجدت فى حديث قَيْلَةَ بنتِ خُزَيْمَةَ ، وهو حديث طويل وقع فى مسند ابن أبى شَيْبَةَ : أَنَّ أختها قالت لبعائها : إِنْ أختى تريد المسير مع زوجها خُرَيْثِ بنِ حَسَّانَ ذا صباح بين سمع الأرض وبصرها ، فهذا يكون من باب : ذات مرة ، وذات يوم ، غير أنه ورد مذكراً ؛ لأنه تشتغل تاء التانيث مع الصاد ، وتوالى الحركات ، فحذفوها ، فقالوا : لقيته ذا صباح ، وهذا لا يتمكّن كما لا يتمكّن : ذات يوم وذات حين ، ولا يضاف إليه مصدر ، ولا غيره . وقول الخُثَمِيِّ : عزمت على إقامة ذى صباح قد أضاف إليه ، فكيف يضيف إليه ، ثم ينصبه ، أو كيف يضارع الحال مع إضافة المصدر إليه ؟ فكذلك خفضه ، وأخرجه عن نظائره ، إلا أن يكون سيبويه سمع خثعم يقولون : سرت فى ذات يوم ، أو سير عليه ذات يوم برفع التاء ، فحينئذ يسوغ له أن يقول : لغة خثعم ، وأما البيت الذى تقدم فالشاهد له فيه ، وما أظن خثعم ، ولا أحداً من العرب يحيز التمسك فى نحو هذا ، وإخراجه عن النصب ، والله أعلم .

والله للبرّة :

فصل : وفيه : ولا خير ممن خصّه الله بالحب .

وهو مشكل جداً لأن لا فى باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا مُنَوَّنًا تقول : لا خَيْرًا من زيد فى الدار ، ولا شرًّا من فلان ، وإنما تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بما بعده ، كقوله تعالى : ﴿ لا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ يوسف : ٩٢ . لأن عليكم ليس من صلة

التثريب ، لأنه في موضع الخبر ، وأشبهه ما يقال في بيت أبي طالب أن خيرا مخفف ، من خَيْرٍ كَهَيْنَ وَمَيَّتَ [من هَيْنَ وَمَيَّتَ] وفي التنزيل : ﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ الرحمن : ٧٠ هو مخفف من خَيْرَات .

عود إلى سرح شعر أبي طالب :

وقوله : يَمُن . من ، متعلقة بحذوف ، كأنه قال : لا خير أخيرِ مِنْ خَصَمِهِ الله ، وخَيْرٌ وأَخَيْرٌ : لفظان من جنس واحد ، فحُسن الحذف استئقلا لتكرار اللفظ ، كما حَسَن : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ البقرة : ١٧٧ . وفي الخُجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ البقرة : ١٩٧ لما في تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان ، وأغرب من هذا قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ ﴾ يونس : ١١ أى : لو عجله لهم إذا استعجلوا به استعجالاً مثل استعجالهم بالخير ، فحسن هذا الكلام لما في الكلام من ثقل التكرار ، وإذا حذفوا حرفا واحدا لهذه العلة كقولهم : بَلَّيَحْرَثُ^(١) بنو فلان ، وظَلَّتْ وأَحْشَتْ فأحرى أن يحذفوا كلمة من حروف ، فهذا أصل مُطَرِّدٌ ، ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة ؛ لأن خَيْرًا من زيد وإنما معناه : أخير من زيد ، وكذلك : شَرٌّ من فلان ، إنما أصله : أشرُّ على وزن أفعل ،

(١) في الأصل بياض بعد كلمة بالحرث ، ولكن في اللسان : د . وقولهم : بالحرث لبنى الحرث بن كعب من شواذ الإدغام ، لأن النون واللام قريبا المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفوا النون . كما قالوا : مست ، وظلت . بفتح الميم والطاء وسكون السين واللام ، كذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعنبر ، وبلهجم ، فأما إذا لم تظهر اللام ، فلا يكون ذلك ، مادة حرث .

وحذفت الهمزة تخفيفاً ، وأُفعل لا ينصرف ، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونُؤن ، فإذا توهمتها غير ساقطة التثاناً إلى أصل السكامة ، لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر .

وقوله : بالقُساسِيَّةِ الشُّهْب ، يعنى : السيوف ، نسبها إلى قُساس ، وهو معدن حديد لبنى أسد ، وقيل اسم للجبل الذى فيه المعدن : قال الراجز يصف قُاساً :

أحضر من معدنِ ذِي قُساس كأنه فى الخَيْدِ ذى الأضراس

يُرْمى به فى البلدِ الدَّهَّاسِ^(١)

وقال أبو عبيد فى القُساسِيَّةِ : لا أدرى إلى أى شىء نُسِبَ ، والذى ذكرناه قاله المُبرِّد ، وقوله : ذى قُساس كما حكى ، ذو زيد ، أى : صاحب هذا الاسم ، وفى أقيالِ جَحِير : ذو كَلَّاعٍ ، وذو عَمْرُو ، أضيف المسمى إلى اسمه ، كما قالوا : زيد بَطَّةً ، أضافوه إلى لقبه^(٢)

(١) فى معجم ابن فارس « قساس » بلد تنسب إليه السيوف القساسية . وفى المراصد : جبل لبنى نمير ، وقيل لبنى أسد ، وبالأصا دجل لهم أيضاً فيه معدن حديد تنسب السيوف القساسية إليه ، ويقال : إن قساس معدن الحديد بأرمينية ، والدَّهَّاس : المكان السهل .

(٢) الأسماء المفردة تضاف إلى ألقابها ، وحينئذ تكون الألقاب معارف ، وتتعرف بها الأسماء ، كما قيل : قيس فقة . وزيد بطه وسعيد كرز ويجوز بفتح تاء فقة وبطه وزاى كرز . مادة قطن فى اللسان ، وانظر أيضاً مادة بطه وكرز ، وذو الكلالع الاكبر : يزيد بن النعمان . والاصغر : سميع بن ناكور من نسل الاكبر .

وذكر فيه النسر الطخمة ، قيل : هي السود الرموس بمقاله صاحب المين .
وقال أيضاً : الطخمة سواد في مقدم الأنف .

وقوله : كراغية السقب يريد ولد الناقة التي عقرها قدار^(١) ، فرغا ولدها .
فصاح برغائه كل شيء له صوت ، فملكتم ثمود عند ذلك ، فضربت العرب .
ذلك مثلاً في كل هلكة . كما قال علقمة [بن عبدة] :

رغا فوقهم سقب السماء فدا حصَّ بشكته لم يستلب وسليب
وقال آخر :

(١) اسمه في القاموس : قدار بن سالف ، ويقال هو الذي عقر ناقة صالح .
وهو أحيمر ثمود . وروى أحمد بنسند في مسنده عن عبد الله بن زمعة قال : خطب
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر الناقة ، وذكر الذي عقرها ، فقال :
إذ انبعث أشقاها ، انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رده مثل أبي زمعة .
ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير .

وبشؤم قدار ضرب المثل يقول الشاعر :

وكان أضرفيم من سبيل إذا وافي وأشأم من قدار
ويقال : قدار بن قديرة باسم أمه ، انظر الأمثال للميداني ، مثل رقم ٤٠٢١ .
وسمط اللآل ص ٨٤٥ ، وفي معلقة زهير عن الحرب :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كآحر عاد ، ثم ترضع فتفظم
وأحر عاد هو قدار . والسقب : ولد الناقة عامة ، أو ساعة يولد ،
أو خاص بالذكر ، وفي ابن هشام ورد نسب أبي اليخترى : ابن هشام بن الحارث
بن أسد ، فصوبته من نسب قريش ، ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى .

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ عَلَى جَانِبِ الثَّرَثَارِ رَاغِيَةَ الْبَيْكُرِ^(١)
ذَكَرَ أُمَّ جَمِيلَ وَالْمَسَدَ وَغَنَابَهَا:

قِصْل : وَذَكَرَ أُمَّ جَمِيلَ بِنْتَ حَرْبِ عَمَةِ مَعَاوِيَةَ ، وَذَكَرَ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ
الشُّوْكَ ، وَتَطْرَحُهُ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا :
﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْخُطْبِ ﴾ قَالَ الْمُؤَاف : فَلَمَّا كَتَبَنِي عَنْ ذَلِكَ الشُّوْكَ بِالْخُطْبِ ،
وَالْخُطْبُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي حَبْلٍ ، مِنْ ثَمَّ جَمَلَ الْحَبْلُ فِي عُنُقِهَا ، لِيُقَابِلَ الْجَزَاءَ
الْفَعْلُ .

وَقَوْلُهُ : مِنْ مَسَدٍ ، هُوَ مِنْ مَسَدَتِ الْحَبْلُ إِذَا أَحْكَمْتَ قَتْلَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ :
مِنْ مَسَدٍ ، وَلَمْ يَقُلْ : حَبْلٌ مَسْدُولا تَمْسُودُ لِمَعْنَى لَطِيفٍ ، ذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ ،
قَالَ : الْمَسَدُ يُعَبَّرُ بِهِ فِي الْعَرَفِ عَنْ حَبْلِ الدَّلْوِ ، وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ يُصْنَعُ بِهَا فِي النَّارِ
مَا يُصْنَعُ بِالدَّلْوِ ، تُرْفَعُ بِالْمَسَدِ فِي عُنُقِهَا إِلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يُرْمَى بِهَا إِلَى
تَقَعْرِهَا هَكَذَا أَبَدًا ، وَقَوْلُهُمْ : إِنْ الْمَسَدُ هُوَ حَبْلُ الدَّلْوِ فِي الْعَرَفِ صَحِيحٌ
فَإِنَّمَا لَمْ نَجِدْهُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا كَذَلِكَ ، كَقَوْلِ [النَّابِغَةِ] الذُّبْيَانِي .

لَهُ صَرِيْفٌ صَرِيْفٌ الْقَعْوُ بِالْمَسَدِ^(٢)

(١) الثَّرَثَارُ : هُوَ فِي بَرِيَّةِ نَجْدٍ ، وَادٌ عَظِيمٌ بِالْجَزِيرَةِ .

(٢) الْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ سَيَبَوِيهِ فِي الْكِتَابِ ، وَالشَّاهِدُ فِيهِ نَصْبُ صَرِيْفٍ ، الْآخَرَى
عَلَى الْمَصْدَرِ الْمَشْبَهَةِ بِهِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ فِعْلٌ مُضَمَّرٌ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : وَلَهُ صَرِيْفٌ ،
هَكَذَا قَالَ : بَازِلُهَا يَصْرِفُ صَرِيْفًا مِثْلَ صَرِيْفِ الْقَعْوِ ، وَرَفَعَهُ عَلَى الْبَدَلِ جَائِزٌ .
يُوصَفُ لِلنَّاقَةِ بِالْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ ، فَيَقُولُ : كَأَنَّمَا قَذَفَتْ بِاللَّحْمِ قَذْفًا لَتَرَ كَمَهُ عَلَيْهَا .

وقال الآخر وهو يستقى على إبله :

يَا مَسْدُ الْخُلُوصِ تَعَوِّذُ مِنِّي إِنْ تَكْ لَدُنَّا كَيْفًا فَإِنِّي
مَا شئتُ مِنْ أَشْمَطَ مُقْسَيْنٍ (١)

== والنحوض : اللحم . ودخيسه : ما قد اخل منه وترا كب ، والبازل : سن تخرج عند بزولها ، وذلك العام التاسع من سنها ، وعند ذلك تكمل قوتها . ويقال لها : بازل : والصريف : صوت أنيابها إذا حكّت بعضها ببعض نشاطاً أو لإعباء ، والقعو : ما تدور فيه البكرة إذا كان من خشب ، وجمعها قعي ، فإذا كان من حديد ، فهو خطاف ص ١٧٨ > ١ الكتاب لسيبويه ويدت علقمة ص ١٧٢ أمالي .

(١) أنشده اللسان في مادتي مسد ، وقسن . وفي الاصل الحوض ، مكسين والتصويب من اللسان ، ومعجم ابن فارس الذي أنشد الأخيرتين في مادة قسن والمقسن : الصلب من الرجال . ويكون كبير السن ، والأشمت من خالط سواد شعره بياض . وبعد هذه :

تقصص كفاه بحبل الشن مثل قاص الاحراد المستن

يقول : تعوذ مني ، فإنني أستقي بك كثيراً ، فتقطع إن تك لدنا ، أي : ناعما مثنيًا ، وفي مقسن . وهو السكهل الشديد الذي لم تنقص السنون منه شيئاً . ويروي : إن تك شبا ، أي : شاباً . وتقصص : ترتفع كفاه بالحبل إذا جذب به . والاحرد : البعير الذي يرفع يديه في سيره ، ثم يخطبهما الأرض ، والمستن الذي يمشي على وجهه ، وأراد بالشن : الدلو ص ٨٩ تهذيب لمصالح المنطق لأبي زكريا يحيى بن علي بن الخطاط التبريزي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ط أولى وفي اللسان أيضاً :

المقسين : الشيخ القديم وكذلك البعير ، فإذا اشتقوا منها فعلا على مثل أفعال بتشديد اللام همزوا فقالوا : اقسأن . وقيل المقسن الذي قد انتهى في سنه ، فليس به ضعف كبير . ولا قوة شباب وقيل : هو الذي في آخر شبابه وأول كبره ، وافسأن الشيء اشتد

(م — ٢٠ الروض الأنف ج ٣)

وقال آخر :

يَا رَبَّ غِبْسٍ لَا تُبَارِكْ فِي أَحَدٍ فِي قَائِمٍ مِنْهُمْ ، وَلَا فِي مَنْ قَعَدَ
غَيْرِ الْأُولَى شَدُّوا بِأَطْرَافِ الْمَسَدِ

أى : استقوا ، وقال آخر ، وهو يستقى :

وَمَسَدٍ أَمِرٌّ مِنْ أَيْانِي لَيْسَ بِأَنْيَابٍ وَلَا حَقَائِقٍ (١)

يريد : جمع أَيْنُقْ ، وأَيْنُقْ : جمع نافذة مقلوب ، وأصله : أَنْوَقْ ، فقلب ، وأبدلت
الواو ياء ؛ لأنها قد أبدلت ياء للكسرة ، إذا قالوا : نِيَّاق ، وقلبوه فرارا من
اجتماع همزتين لو قالوا : أَنْوَقْ عَلَى الْأَصْلِ ، يريد أن المسد من جلودها . وفي
الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في المدينة : قد حرمتها إلا
لِعَصْفُورٍ قَتَبٍ (٢) ، أو مَسَدٍ مَحَالَةٍ ، وَالْمَحَالَةُ : الْبَسْكَرَةُ . وفي حديث آخر :

(١) قبلهما .

إن سرك الإرواء غير سابق فاعمل بغرب مثل غرب طارق
أو د فاعجل ، ويروى : غير سائق . وأمر : قتل . والرجز لعمارة
ابن طارق - أو عمار ، أو لعقبة الهجيمي ، والانياب : جمع ناب ، وهى
الناقة الهرمة ، والحقائق جمع : حقة وهى التى دخلت فى السنة الرابعة ، يريد : هو
جلد ثنية أو رباعية ، أو سدس أو بازل .

(٢) القتب : جميع أذاة السانية أو الساقية ، القتب : بفتح القاف والتاء
أو بكسر القاف وسكون التاء ، والعصفور : الحشيب الذى يشد به
ردوس الأفتاب .

أنه حرمها بريدًا في بريد إلا المِنْجَدَةُ أو مسد ، والمِنْجَدَةُ : عصا الراعى .
وقال أبو حنيفة في النبات : كلُّ مَسَدٍ رِشَاءٌ ، وأنشد :

وَبَكْرَةٌ وَمَحْجُورًا صَرَّارًا وَمَسَدًا مِنْ أَبْقٍ مُعَارًا
وَالْأَبْقُ : الْقَنْبُ ، وَالزَّبْرُ : الْكَيَّانُ ، وأنشد أيضًا :

أُزْعِمَا تَمْطِيَا وَمَثَا بِالْمَسَدِ الْمَمْلُوثِ أَوْ يَرِمَا

فقد بان لك بهذا أن المَسَدَ جبل البئر ، وقد جاء في صفة جهنم - أعاذنا الله منها - أنها كُطِيتْ البئر لها قَرْنَانِ ، وَالْقَرْنَانِ مِنَ الْبَيْرِ : كَالدَّعَامَتَيْنِ لِلْبَكْرَةِ ، فقد بان لك بهذا كله ، ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابه وأليم عقابه ، وبهذا تناسب الكلام ، وكثرت معانيه ، وتنزه عن أن يكون فيه حَسُوٌّ أو لَعُوٌّ - تعالى الله منزله ؛ فإنه كتاب عزيز .

وقول مجاهد : إنها السِّلْسِلَةُ التي ذَرَعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا لَا يَنْفِي مَا تَقْدُمُ ، إِذْ يَحُوزُ أَنْ يَرَبِّقَ^(١) في تلك السِّلْسِلَةِ أُمَّ جَمِيلٍ وَغَيْرَهَا ، فقد قال أبو الدرداء لأمراءه : يَا أُمَّ الدَّرَادِ إِنَّ لِلَّهِ سِلْسِلَةً تَعْلَى بِهَا مَرَاجِلُ جَهَنَّمَ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَقَدْ نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ نَصْفِهَا بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، فَاجْتَهِدِي فِي النِّجَاةِ مِنَ النِّصْفِ الْآخِرِ بِالْحُضِّ عَلَى طَعَامِ الْمَسَاكِينِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ : إِنَّهَا

(١) يربقه : يجعل رأسه في الرَبْقَةِ ، وهى العروة في حبل يشد به البهم ،
وفي الأصل : يربق ولم أهتد إلى ضبط البيت السابق

كانت تمشي بالتمائم لا ينفى حملها للشوك^(١) ، وهو في كلام العرب سائغ أيضا ،
فقد قال ابن الأستأقريش حين اختلفوا :

وَنُبِّئْتُكُمْ شَرَّ جَيْنٍ^(٢) كُلِّ قَبِيلَةٍ لَهَا زُمْلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكَ وَحَاطِبِ

فالمذكى الذى يذكى نأر العداوة ، والحادب الذى ينمى ويفرى كالحطاب
للنار ، ومن هذا المعنى ، وكأنه مُنتزع منه قول النبى - صلى الله عليه وسلم :
« لا يدخل الجنة قَتَاتٌ^(٣) » والقَتَات هو الذى يجمع القَتَّ ، وهو ما يوقد به النار
من حشيش وحطب صفار .

عن الجيد والعنق :

وقوله : فى جيـ - لها ، ولم يقل : فى عنقها ، والمعروف أن يذكأر العنق
إذا ذكر الغل ، أو الصَّفْع ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فى أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً ﴾
يس : ٨ ويذكر الجيد إذا ذكر الحلي أو الحسن ، فإنما حسن ههنا ذكر الجيد
فى حُكم البلاغة ؛ لأنها امرأة ، والنساء تحلى أجياذهن ، وأم جميل لا حلي لها
فى الآخرة إلا الحبل المجمع فى عنقها ، فلما أقيم لها ذلك مقام الحلى ذكر
الجيد معه ، فتأمله ؛ فإنه معنى لطيف ، ألا ترى إلى قول الأعشى :

يَوْمَ تُبْدَى لَنَا قَتَيْلَةٌ عَنْ جِيْدِ

(١) فى الأصل : الشرك

(٢) الشرج : الضرب ، يقال : هما شرج واحد أى : ضرب واحد

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ، والقَتَات هو الإناث ، وقيل

هو الذى يتسمع على القوم ، وهم لا يعلمون ، ثم ينم .

ولم يقل : عن عنق ، وقول الآخر :
وأحسنُ من عقد المليحة جيدها

ولم يقل : عنقها ، ولو قاله لكان غثًا من الكلام ، فإنما يحسن ذكر
الجيد حيث قلنا ، وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾
آل عمران : ٢١ أى لا بشرى لهم إلا ذلك ، وقول الشاعر [عمرو بن معدى كَرَب] :
[وَخَيْلٍ قَدْ دَلَقْتُ لَهَا خَيْلٍ] تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ

أى : لا تحية لهم . كذلك قوله : فى جيدها حبل من مسد ، أى : ليس
ثمَّ جيدٌ يُحَلَّى ، إنما هو حبل المسد ، وانظر كيف قال : وامراته ، ولم يقل :
وزوجه ؛ لأنها ليست بزوجه فى الآخرة ، ولأن التزويج حلية شرعية ، وهو
من أمر الدين يجردها من هذه الصفة ، كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط ، فلم يقل :
زوج نوح ، وقد قال لآدم : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ﴾ البقرة : ٣٥ وقال لنبيه
عليه السلام : (قل لأزواجك) ، وقال : (وأزواجه أمهاتهم) ، إلا أن يكون
مساق الكلام فى ذكر الولادة والحمل ، ونحو ذلك ، فيكون حينئذ لفظ المرأة
لائقًا بذلك الموطن ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ مريم : ٨٠ ،
﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتَهُ فِي صَرَّةٍ ﴾ الذاريات : ٢٩ لأن الصفة التى هى الأنوثة هى
المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجا .

غلو فى الوصف بالحسن

فصل : وأنشد شاهدا على الجيد قول الأعشى :

يَوْمَ تَبْدَى لَنَا مُقْتِيلَةٌ عَنْ جِيدٍ أَسِيلٍ تَزِينُهُ الْأَطَوِقُ

وقوله : تزيينه أى : تزيده حسنا ، وهذا من القصد فى الكلام ، وقد أبى

المُولَدُونَ إِلَّا الْغُلُو فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَأَنْ يُغْلَبُوهُ فَقَالَ فِي الْحِمَاسَةِ حُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ [الْأَسَدِيُّ] :

مُبَلَّلَةُ الْأَطْرَافِ زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيْنَتْهَا عَقُودُهَا
وَقَالَ خَالِدُ الْقَسْرِيِّ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ تَسَكَّنَ الْخِلَافَةَ زَيْنَتَهُ ،
فَأَنْتَ زَيْنَتُهَا ، وَمَنْ تَسَكَّنَ شَرَفَتَهُ ، فَأَنْتَ شَرَفَتُهَا ، وَأَنْتَ كَمَا قَالَ [مَالِكٌ]
ابْنُ أَسْمَاءَ :

وَتَزِيدُنِي أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا إِنْ تَمَسَّيْتَنِي ، أَيْنَ مِثْلُكَ أَيْنَا
وَإِذَا الدُّرُزَانُ حُسْنَ وَجُوهِهِ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَانَا
فَقَالَ عُمَرُ : إِنْ صَاحِبَكُمُ أَعْطَى مَقُولًا ، وَلَمْ يُعْطَ مَقُولًا ، قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَإِنَّمَا
لَمْ يَحْسُنْ هَذَا مِنْ خَالِدٍ لَمَّا قَصَدَ بِهِ التَّمْلُقَ ، وَإِلَّا فَقَدْ صَدَرَ مِثْلُ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ
الصَّدِّيقِ ، فَحُسْنُ لَمَّا عَصَدَهُ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالتَّحَرُّيِ لِلْحَقِّ ، وَابْتَعَدَ عَنِ التَّمْلُقِ
وَالْخِلَابَةِ ، وَذَلِكَ حِينَ عَهْدَ إِلَى عُثْمَانَ بِالْخِلَافَةِ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ عَهْدَهُ مَخْتُومًا ، وَهُوَ
لَا يَعْرِفُ مَا فِيهِ ، فَلَمَّا عَرَفَ مَا فِيهِ رَجَعَ إِلَيْهِ حَزِينًا كَهَيْئَةِ التَّكَلُّفِ : يَقُولُ : حَمَلْتَنِي
عَيْنًا أَلَا أُضْطَلَعُ بِهِ ، وَأُورِدْتَنِي مُورِدًا لَا أَدْرِي : كَيْفَ الصَّدْرَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ
الصَّدِّيقُ : مَا آثَرْتُكَ بِهَا ، وَلَكِنِّي آثَرْتُهَا بِكَ ، وَمَا قَصَدْتَ مَسَاءَتِكَ ،
وَلَكِن رَجَوْتُ إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِكَ ، وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الْخَطِيئَةَ قَوْلَهُ :
مَا آثَرْتُكَ بِهَا إِذْ قَدَّمْتُكَ لَهَا لَكِن لَأَنْفُسَهُمْ كَانَتْ بِهَا الْإِثْرُ^(١)

(١) أَنَشَدَهُ اللَّسَانُ وَقَالَ : وَكَأَنَّ الْإِثْرَ : جَمْعُ الْإِثْرَةِ ، وَهِيَ الْإِثْرَةُ .
وَفِي الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ الْخَطِيئَةِ : أَنَّ الْخَطِيئَةَ أَنَشَدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ
حِينَ شَفَعَ فِيهِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ ، فَأَخْرَجَهُ عُمَرُ مِنْ مَحْبَسِهِ وَمِنْهَا :
مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرْخٍ زَغَبَ الْخَوَاصِلِ لِأَمَاءٍ وَلَا شَجَرٍ

وقَدْ سَبَّكَ هَذَا الْمَعْنَى فِي النَّسِيبِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ الرَّومِيُّ ، قَالَ :
وَأَحْسَنُ مِنْ عِدَدِ الْمَلِيحَةِ جِيدُهَا وَأَحْسَنُ مِنْ سِرِّهَا الْمَتَجَرِّدُ

ومما هو دون الغلو ، وفوق التَّقْصِيرِ قول الرُّضِيِّ :

حَلَّتْهُ جِيدُهُ ، لَا مَا يُقَلَّدُهُ وَكُحِّلَهُ مَا بَعَيْنِيهِ مِنَ الْكَحَلِ
ونحو منه ما أنشده النُّعَالِيُّ :

وَمَا الْخَلِيُّ إِلَّا حِيلَةٌ مِنْ تَقْيِصَةٍ يُتَمَّمُ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الْحُسْنُ قَصُرَا
فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْجَمَالُ مُوفِرَا فَحُسْبُكَ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يُزَوَّرَا

وسمعت القاضي أبا بكر محمد بن العربي يقول : حج أبو الفضل الجوهري
الزاهد ذات مرة ، فلما أشرف على الكعبة ، ورأى ما عليها من الديباج
تمثل ، وقال :

مَا عُلِّقَ الْخَلِيُّ عَلَى صَدْرِهَا إِلَّا لِمَا يُخْشَى مِنَ الْعَيْنِ
تَقُولُ وَالذُّرُّ عَلَى نَحْرِهَا : مَنْ عُلِّقَ الشَّيْنُ عَلَى الزَّيْنِ

وبيت الأعشى المتقدم بعده :

== وقبل آيت الذي رواه السهيلي :

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النہی البشر
وروايته في الإغاني : كانت بك الإثر ، وهي أدق . وللبيت رواية أخرى
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن بها استأثروا إذ كانت الإثر

وَشَتَّيتِ كَالْأَقْحَمَانِ جَلَاهُ الظَّلُّ فِيهِ عُدُوبَةٌ وَاتَّسَقُ
وَأُمَيْثُ جَثَلِ النَّبَاتِ تُرَوِّى ٥ كَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مِفْتَاقُ
رُؤْيَا طِفْلَةٍ الْأَنَامِلِ كَالَّذِي يَمِيَّةٌ لَاعَانِسٌ وَلَا مِهْزَاقُ
الفهر :

وذكر قول أم جميل لأبي بكر : لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا
الفهر . المعروف في الفهر : التأنيث ، وتصغيره فُهيْرة ، ووقع ههنا مذكرا (١) .

(١) في المعجم الوسيط أنه يذكر ويؤنث ، وهو — كما في القاموس —
الحجر قدر ما يندق به الجوز ، أو ما يملأ الكف ، ويرى الخشنى في شرح السيرة أنه
يذكر ويؤنث ، واسم امرأة أبي لُهب : أروى . ويقول المصعب في نسب قرش أن
أبا لُهب كان يكنى بأسماء بنيه كلهم وهم عتبة ومعتب وعنتيبة ، وكنى بأبي لُهب
لإشراق وجهه ، وكل أولاده من أم جميل التي يقول فيها الأحوص الشاعر
الأنصاري :

كل الحبال حبال الداس من شعر وحبلها وسط أهل النار من مسد
وقال ابن كثير : وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده : فلهذا
تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم . وعن مجاهد وعكرمة والحسن
وقنادة والثوري والسدي — واختاره ابن جرير — أنها كانت تمشي بالأميمة ، وقال
سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة . فقالت : لأنفقنها في عداوة محمد —
يعنى ، فأعقبا الله منها حبلاً في جديدها من مسد النار ، وقيل : إنها كانت عوراء
وقد روى حديث مجيئها إلى رسول الله وأبي بكر وعدم رؤيتها للنبي . ص ،
البيزار بسنده عن ابن عباس ، وروى قريباً منه ابن أبي حاتم بسنده عن أسماء .
وقد تحقق ما أخبر به الله . فلم يؤمن أبو لُهب وامرأته . وأبيات شعرها : مذمما
الخ ، مروية في كتب أخرى مختلفة الترتيب عما هنا وأخرج ابن أبي حاتم عن عثمان
وابن عمر قالوا : مازلنا نسمع أن ويل لكل همزة نزلت في أبي بن خلف ،
وأخرج عن السدي أنها نزلت في الأخنس بن شريق ، وأخرج ابن جرير عن =

مول قولهم : مذمم وحديث خباب :

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا ترون إلى ما يدفع الله عني من أذى قریش ، يشتمون ويهجون مَذْمَمًا وأنا محمد ؟ ! » ، وأدخل النسوي هذا الحديث في كتاب الطلاق في باب : « من طلق بكلام لا يشبه الطلاق ، فإنه غير لازم » وهو فقه حسن لقول النبي - صلى الله عليه وسلم : ألا ترون إلى ما يدفع الله عني ، فجعل أذاهم مصروفًا عنه ، لما سَبَّوْا مَذْمَمًا ، ومُذْمَمًا لا يشبه أن يكون اسمًا له ، فكذلك إذا قال لها : كلّي واشتريني ، وأراد به الطلاق لم يلزمه وكان مصروفًا عنه ؛ لأن مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق .

فصل : وذكر حديث خَبَّاب^(١) مع العاصي بن وائل ، وما أنزل الله فيه من قوله : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾ وقد تقدم الكلام على : أَرَأَيْتَ ، وأنه لا يجوز أن يليها الاستفهام ، كما يلي : علمت ونحوها ، وهي هُنا : عاملة في الذي كفر ، وقد قدمنا من القول فيها ما يغني عن إعادته هُنا ، فليُنظر في سورة : اقرأ ، وحديث نزولها

سر الذرائع :

فصل : وذكر قول أبي جهل لتكفّن عن سب آل هُتَنا أو لتسبّن إلهك ، فأنزل الله تعالى^(٢) ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ ﴾

= رجل من أهل الرقة أنها نزلت في جميل بن عامر الجمحي ، وقد روى ابن المنذر عن ابن إسحاق أنها في حق أمية كما في السيرة .

(١) حديث خباب أخرجه الشيخان والترمذي وأحمد .

(٢) نسب إلى علي بن أبي طالب أنه روى عن ابن عباس أن الذي اقترف =

عَدُّوا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١٠٨﴾ « الأنعام : ١٠٨ » الآية . وهذا الآية أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومراعاتها في البيوع وكثير من الأحكام ، وذلك أن سب آلهتهم كان من الدين ، فلما كان سبها إلى سبهم الباري - سبحانه - نهى عن سب آلهتهم ، فكذلك ما يخاف منه الذريعة إلى الربا ، ينبغى الزجر عنه ، ومن الذرائع ما يقرب من الحرام ، ومنها ما يبعد فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ، ولم يجعل الشافعي الذريعة إلى الحرام أصلاً ، ولا كره شيئاً من البيوع انتفى فيها الذريعة إلى الربا ، وقال : تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ، ومن حجبتهم : قول عمر بن الخطاب : إنما الربا على من قصد الربا ، وقول النبي عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى »^(١) فيه أيضاً متعلق لهم . وقالوا : ونهيه تعالى عن سب آلهتهم ، لئلا يسب الله تعالى ليس من هذا الباب ؛ لأنه لا تهمة فيه مؤمن ولا تضيق عليه ، وكما تنقضي الذريعة

== هذا إنما هم جماعة من المشركين لا أبو جهل وحده . وذكر عبد الرزاق أن المسلمين هم الذين كانوا يسبون أصنام الكفار . فيسب الكفار الله عدواً . والآية تفيد ذلك

(١) زعم البعض أن هذا الحديث متواتر . وهذا خطأ إذ لم يروه عن النبي ص ، إلا أحمد . ولم يروه عن عمر إلا علقمة ، ولم يروه عن علقمة إلا محمد ابن إبراهيم . ولم يروه عنه إلا يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعنه انتشر . فقليل رواه عنه أكثر من مائتي راو . وقيل : سبعائة . من أعيانهم : مالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم . وقد روى هذا الحديث البخاري وسلمه رواتره في النسائي وابن ماجه وأحمد والدارقطني وابن حبان والبيهقي ، ولم يخرجوه مالك في الموطأ . ولكن ابن منده يزعم أن أكثر من صحابي رواه غير أنه اتفق على أنه لا يصح مسنداً إلا من رواية عمر .

إلى تحايل ما حرم الله ، فكذلك ينبغي أن يُبقى تحريم ما أحل الله ، فتحريم
الطرفين ذميم ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، والربا معلوم ، فما ليس من الربا فهو
من البيع ، والكلام في هذه المسألة للطائفتين ، **والاحتجاج للفرقتين يتسع مجالُه**
ويصدنا عن مقصودنا من الكتاب^(١).

(١) فصل الإمام ابن تيمية القول تفصيلا في هذه المسألة في كتابه القيم
« إقامة الدليل على إبطال التحليل » المطبوع مع مجموعة فتاويه فقال : « إن الله
سبحانه ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ، ونهى عنها .

والذريعة : ما كان وسيلة وطريقا إلى الشيء ، لكن صارت في عرف
الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم ، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن
فيها مفسدة ، ولهذا قيل : الذريعة : الفعل الذي ظاهره أنه مباح ، وهو وسيلة
إلى فعل المحرم ، أما إذا أفضت إلى فساد ليس هو فعلا كافضاً شرب الخمر إلى
السكر ، وإفضاء الزنا إلى اختلاط المياه ، أو كان الشيء نفسه فسادا كالقتل والظلم
فهذا ليس من هذا الباب ، فإننا نعلم أنما حرمت الأشياء لكونها في نفسها فسادا
بحيث تكون ضررا لا منفعة فيه ، أو لكونها مفضية إلى فساد بحيث تكون
هي في نفسها فيها منفعة ، وهي مفضية إلى ضرر أكثر منه ، فتحرم فإن كان ذلك
الفساد فعل محظور سميت : ذريعة ، وإلا سميت سببا ومقتضيا ، ونحو ذلك من
الاسماء المشهورة .

ثم هذه الذرائع إذا كانت تفضي إلى المحرم غالبا ، فإنه يحرمها مطلقا ،
وكذلك إن كانت قد تفضي ، وقد لا تفضي ، لكن الطبع متفاض لإفضائها ،
وأما إن كانت إنما تفضي أحيانا ، فإن لم يكن فيها مصلحة راجحة على هذا
الإفضاء القليل ، وإلا حرمها أيضاً ، ثم هذه الذرائع منها ما يفضي إلى المسكروه
بدون قصد فاعلها ، ومنها ما تكون إباحتها مفضية للتوسل بها إلى المحارم ، فهذا
القسم الثاني يجامع الحيل بحيث قد يقترن به الاحتيال تارة ، وقد لا يقترن ، كأن =

عن النضر بن الحارث ورسم :

فصل : حديث النضر بن الحارث ، وقال في نسبه : كَلْدَة بن علقمة وغيره من النُّسَاب يقول : علقمة بن كَلْدَة^(١) ، وكذلك ألفتني في حاشية كتاب الشيخ
الحليل قد تكون بالذرائع ، وقد تكون بأسباب مباحة في الأصل ليست ذرائع ،
فصارت الأنعام ثلاثة :

الأول : ماهو ذريعة وهو بما يَحْتال به كالجمع بين البيع والسلف ،
وكاشتراء البائع السلعة من مشتريها بأقل من الثمن تارة . وبأكثر أخرى .

الثاني : ماهو ذريعة لا يَحْتال بها كسب الاوثان . فإنه ذريعة إلى سب الله تعالى ، وكذلك سب الرجل والد غيره فإنه ذريعة إلى أن يسب والده ، وإن كان هذان لا يقصهما مؤمن .

الثالث : ما يحال به من المباحات في الأصل كبيع النصاب في أثناء الحول
فرارا من الزكاة ، وكإغلاء الثمن لإسقاط الشفعة .

والغرض هنا أن الذرائع حرمها الشارع ، وإن لم يقصد بها المحرم خشية
إفضاؤها إلى المحرم ، فإذا قصد بالشئ نفس المحرم كان أولى بالتحريم من الذرائع .
وللشريعة أسرار في سد الفساد ، وحسم مادة الشر لعلم الشارع بما جملت عليه
النفوس ، وبما يخفى على الناس من خفى هداها الذي لا يزال يسرى فيها حتى
يقودها إلى الهلكة . فن تحذلق على الشارع ، واعتقد في بعض المحرمات أنه إنما
حرم لعله كذا ، وتلك العلة مقصودة . فستباح به هذا التأويل . فهو ظلم لنفسه ،
جهول بأمر ربه . وهو إن نجا من الكفر ، لم ينج غالبا من بدعة أو فسق
أو قلة فتمه في الدين ، وعدم بصيرة . أما شواهد هذه القاعدة فأكثر من أن تحصر ،
فذكر منها ما حضر ، ثم أتى الإمام بثلاثين شاهدا أو دليلا على هذا استغرقت
ست صفحات . فانظرها في كتابه ص ٢٥٦ وما بعدها ٢ الفتاوى الكبرى لآي
العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني نشر دار
الكتب الحديثة .

(١) ورد نسبه هكذا في نسبه قریش في ص ٢٥٥ .

أبي بحر عن أبي الوليد ، وحديث النضر : أنه تعلم أخبار رستم واسبندياذ ، وكان يقول : اكتبتها كما اكتبها محمد ، ووقع في الأصل : اكتبها كما اكتبها محمد ، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد : اكتبها^(١) كما اكتبها ، ورستم الشيد^(٢) بالفارسية معناه : ذو الضياء ، والياء في الشيد والألف سواء ، ومنه « أرغشاذ » وقد تقدم شرحه ، ومنه « جم شاذ » ، وهو من أول ملوك « الأرض » ، وهو الذي قتله الضحاك « بيوراسب » ، ثم عاش إلى مدة « أفريزون وأبيه جم » ، وبين « أفريزون » وبين « جم » تسعة آباء ، وقال له حين قتله : ما قتلتك بجم ، وما أنت له بكفاء ، ولكن قتلتك بثور كان في داره ، وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسبندياذ في الجزء قبل هذا .

حديث ابن الزبيري وعمر بن الخطاب :

وذكر حديث ابن الزبيري ، وقوله : إنا نعبد الملائكة ، وأن النصاري تعبد المسيح إلى آخر كلامه ، وما أنزل الله في ذلك من قوله تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية قال المؤلف : ولو تأمل ابن الزبيري وغيره من كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين :

(١) في السيرة التي معي : رواية أبي الوليد .

(٢) في السيرة : الشديد . هذا ويذكر ابن جرير أن النبي « ص » قتل عقبة بن أبي معيط ، وطعنه بن عدى والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا ، وأن المقداد هو الذي أسر النضر ، فلما أمر الرسول بقتله ، قال المقداد : يا رسول الله أسيري ، فقال رسول الله « ص » : إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول . هذا والمحض : ما تحرك به النار ، واحتضاً النار : ألهمها وسعها .

أحدهما : أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش وعبدة الأصنام ، وقوله
إنا نعبد الملائكة حَيْدَةً ، وإنما وقع الكلام والمُحَاجَّة في اللَّات والعُزَّى
وَهَبَل ، وغير ذلك من أصنامهم .

والثاني : أن لفظ التلاوة : ﴿إِنكُمْ وَمَاتَعْبُدُونَ﴾ ولم يقل : وَمَنْ تَعْبُدُونَ ،
فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعُزَيْر والملائكة وهم يعقلون ، والأصنامُ
لا تعقل ، ومن ثَمَّ جاءت الآية بلفظ : ما الواقعة على ما لا يعقل ، وإنما تقع ما
على ما يعقل ، وتُعلم بقرينة من التعظيم والإبهام ، ولعلنا نشرحها ونبينها فيما بعد إن
قُدر لنا ذلك ، وسبب عبادة النصارى المسيح معروف ، وأما عبادة اليهود
عُزَيْرًا ، وقولهم فيه : إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم ، وسببه فيما ذكر
عبد بن حميد السكَّشي ، أن التوراة لما اخْتَرَقَتْ أَيَّامَ بُحْتِ نَصْر^(١) ، وذهب
بذهابها دين اليهود ، فلما تاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظم الكرب ،
فبينما عزيز يبكي لفقد التوراة ، إذ مر بامرأة جاثمة على قبر قد نشرت شعرها ،
فقال لها عزيز : من أنت ؟ قالت : أنا إيليا أم القرى أبكى على ولدى ، وأنت
تبكى على كتابك ، وقالت له : إذا كان غداً . فأت هذا المكان ، فلما أن جاء
من الغد للساعة التي وعدته ، إذا هو بإنسان خارج من الأرض في يده كهيئة

(١) ضبط كتاب أدب السكائب لابن قتيبة بخت نصر فتح الباء وضم التاء .
والمعروف المشهور ما ضبطه به ، يقول شهاب الدين أحمد الخفاجي في شفاء الغليل
عن بختنصر إنه بهضم الباء ، واسمه معرب مركب كحضر موت أو بعليك نص
عليه سيبويه . وهو عند ابن السيد معرب بوخت بمعنى : ابن ، ونصر : اسم صنم
وجد عنده ، وسمى به إذ لم يعرف له أب .

القارورة ، فيها نور ، فقال له : افتح فاك ، فألقاها في جوفه ، فكتب عزيرُ
التوراة - كما أنزلها الله ، ثم قدر على التوراة بعد ما كانت دفنت أن ظهرت ،
فعرضت التوراة ، وما كان عزيرُ كَتَب ، فوجدوه سواء ، فنها قالوا : إنه
ولّد الله تعالى عن ذلك^(٢).

معصيه جهنم :

وقوله حَصَبُ جَهَنَّمَ ، هو من باب الْقَبْضِ وَالنَّفْضِ^(٣) وَالْحَصَبُ يسكون
الصاد كالقَبْضِ وَالنَّفْضِ ، ومنه الحاصب في قوله سبحانه : ﴿ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ
حَاصِبًا ﴾ ويروى : حَصَبُ جَهَنَّمَ بضاد معجمة في شواذ القراءات ، وهو من
حَضَبَتِ النَّارَ^(٤) بمنزلة حَضَأَتْهَا ، يقال : أَرْتَيْتُهَا وَأَنْقَبْتُهَا وَحَشَشْتُهَا وَأَذْكِتُهَا
وفسر ابن إسحاق قوله : يَصْدُونَ ، ومن قرأ : يَصْدُونَ فمعناه : يعجبون^(٥).

(١) لا شك في أنها فرية يهودية . فعزرا السكاهن اليهودي الأكبر هو الذى
عبث بالتوراة أيام الأسر ، ودس فيها ماس بعد أن أحرقت ، وراح هو يملئها
من حفظه وهواه . وذلك بشهادة كبار مؤرخى الغرب مثل د . ول . ديورانت ،
(٢) يعنى أنه فعل د . بفتح الفاء والعين ، بمعنى مفعول ، فالنفض بمعنى منقوض
وحصب وقبض كذلك . يقول الازهرى : د الحصب : الحطب الذى يلقى في تنور
أو في وقر د . أما مادام غير مستعمل للسجور ، فلا يسمى حصباء

(٣) في اللسان : الحصب : الحطب في لغة اليمن ، وقيل : هو كل ما ألقى
في النار من حطب وغيره ، يهيجها به ، وحصب النار يحضبها : رفعها . وقال الكسائى
حصببت النار إذا خبت ، فألقيت عليها الحطب ، لتقد . والمحصب : المسعر ، وهو
عود تحرك به النار .

(٤) قراءة المصحف بكسر الصاد أى يصيحون فرحاً . وقرأ نافع وابن عامر
والكسائى بضم الصاد وهو من الصدود أى عن الحق ، وقيل : هما لغتان مثل
يعكف ويعكف بكسر عين الفعل وضبها ، وقد أخرج حديث ابن الزبيرى =

ما نزل في الأخنس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في الأخنس بن شريق - واسمه : أبي من قوله تعالى : ﴿ عُلِّلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ وقد قيل : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقد قيل : في الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وقال ابن عباس : نزلت في رجل من قريش له زَمَتَانِ كَزَمَتِي الشاة . رواه البخاري بإسناده عنه ^(٦) . وفي رواية أخرى أنه قال : الزنيم الذي زَمَتَانِ من الشر يعرف بها ، كما تعرف الشاة بزمنتها ، وروى عن ابن عباس أيضا مثل ما قال ابن إسحق أن الزنيم الملقب بالقوم ، وليس منهم ، قال ذلك بن الأزرق الحروري ، وقال : أما سمعت قول

== ابن مردويه . وعند ابن أبي حاتم أنها نزلت لما قال المشركون : فاملائكم وعزير وعيسى يعبدون ، وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس في سبب نزول : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً ، أنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير ، وقد علمت قريش أن النصراني تعبد عيسى بن مريم : عليهما الصلاة والسلام . وما تقول في محمد - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا محمد . ألسنت تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبدًا من عباد الله صالحا ، فإن كنت صادقًا كان آلهتهم كما يقولون قال : فأنزل الله عز وجل : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً ، الآية . ورواه ابن أبي حاتم مع اختلاف يسير . » (٦) رواه البخاري في باب التفسير : « له زمنة مثل الشاة » وأخرجه الحاكم بطريق أخرى نحوه

(٧) نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة . وكان أول اجتماع الخوارج به ، فنسبوا إليه ، منهم : عمران بن حطان وخلق كثير . وهذا النسب شاذ فإن الاسم الذي آخره همزة بعد ألف للتانيث ، تقلب الهمزة فيه واوا ، وشذ عن القاعدة عدة أسماء منها : صنعاني وبهراني وروحاني ، وجلولي وحروري نسبة إلى صنعاء ، وبهراء قبيلة من قضاة ، وروحاء موضع قرب المدينة وجلولاء وحروراء وهما موضعان بالعراق ، وسياق

حَسَّان : زَنِيم تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ ^(١) الْبَيْت ، وَقَدْ أُنْشِدَ ابْنُ هِشَامٍ هَذَا الْبَيْتَ مُسْتَشْهِدًا بِهِ وَنَسَبَهُ لِلْخَطِيمِ الْقَمِيمِيِّ ، وَالْأَعْرَفُ أَنَّهُ لِحَسَّانَ ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(٢) ، وَأَمَّا الْعُتْلُ فَهُوَ الْفَلِيطُ الْجَانِي مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ ﴾ [إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ] الدَّخَانُ : ٤٧ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ : كُلُّ عُتْلٍ جَوْازٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعٍ مَنَاعٍ » ^(٣) .

(١) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الزَّيْمُ الْمَعْلُوقُ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ مِنْهُمْ ، قَالَ الشَّاعِرُ : زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ مِنْ أَبَوِهِ . وَقَالَ حَسَّانُ : وَأَنْتَ زَنِيمٌ لِيَطُ فِي آلِ هَاشِمٍ . قَالَ وَيُقَالُ لِلتَّيْسِ : زَنِيمٌ لَهُ زَنْمَتَانِ ص ٥٣٨ ح ٨ فَتَحَ الْبَارِي . وَمَعْنَى حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ مَشْهُورًا بِالسُّوءِ كَشَهْرَةِ الشَّاةِ ذَاتِ الزَّيْمَةِ مِنْ بَيْنِ أَخْوَانِهَا . وَبَقِيَّةُ بَيْتِ حَسَّانَ : « كَمَا نِيَطُ خَلْفَ الرَّكْبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ » وَبَقِيَّةُ بَيْتِ « زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ » بِغْيِ الْأَمِّ ذُو حَسَبٍ لَتِيمٍ .

(٢) رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ زَنِيمٌ : قَالَ : الدَّعَى الْفَاحِشُ اللَّثِيمُ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ » الْبَيْت . وَيَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ قَوْلًا جَامِعًا ، « وَالْأَقْوَالُ فِي هَذَا — أَيْ فِي مَعْنَى زَنِيمٍ — كَثِيرَةٌ وَتَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَاهُ ، وَهُوَ أَنَّ الزَّيْمَ هُوَ الْمَشْهُورُ بِالشَّرِّ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ، وَغَالِبًا يَكُونُ دَعِيًّا وَلَدَنًّا ، فَإِنَّهُ فِي الْغَالِبِ يَتَسَلَّطُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ ، مَا لَا يَتَسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهِ » وَالزَّيْمَةُ شَيْءٌ يَكُونُ لِلْعَزِزِّ فِي آذَانِهَا كَالْقِرْطِ ، وَهِيَ أَيْضًا شَيْءٌ يَقْطَعُ مِنْ أُذُنِ الْخَيْرِ وَيَتْرَكَ مَعْلَقًا .

(٣) فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ وَكِيعٍ : « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ جَوْازٍ مُسْتَكْبِرٍ ، وَقَالَ وَكِيعٌ : « كُلُّ جَوْازٍ جَعْظَرِي مُسْتَكْبِرٍ » أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَبَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَشُعْبَةَ ، كِلَاهُمَا عَنْ سَعِيدِ ابْنِ خَالِدٍ بِهِ ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ « ص » قَالَ عِنْدَ ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ : « كُلُّ جَعْظَرِي جَوْازٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعٍ مَنَاعٍ » وَرَوَاهُ بِسَنَدٍ (م - ٢١ الرُّوسُ الْأَنْفُ ج ٣)

قل يأبىها الظفرون:

فصل : و ذكر قولهم الذى أنزل الله فيه : ﴿ قل : يا أيها الكافرون ﴾ إلى آخرها فقال : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ أى : فى الحال : ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ أى : فى المستقبل ، وكذلك : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ فإن قيل : كيف يقول لهم : ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم قد قالوا : هلم فلنعبد ربك ، وتعبد ربنا ، كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه ؟ فالجواب من وجهين :

آخر عن عبد الرحمن بن غنم : أن الرسول ﷺ ص ، قال عن العتل الزنيم : « الشديد الخلق المصحح الأكل الشروب الواجد للطعام والشراب ، الظلوم للناس رحيمه الجوف » . الجامع على بفتح الجيم وسكون العين وفتح الظاء وكسر الراء وتشديد الياء : اللفظ الغليظ والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو : الضخم المختال والكثير الكلام والجلبة فى الشر .

ويقول ابن كثير عما ذكر من سبب نزول : « ويوم يعض الظالم على يديه » : « وسواء أكان سبب نزولها فى عقبة أو غيره فإنها عامة فى كل ظالم ، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، ويعض على يديه ، وهو قول جميل ، وقيل : إن العظيمين فيما جاء فى السيرة من سبب نزول : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القرينتين عظيم » ، إنهما الوليد بن المغيرة ، وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفى . وعن ابن عباس أنهم يعنون جبارا من جبابرة قريش . والقرينتان هما : مكة والطائف . وجميل قول ابن كثير : « والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أى البلدتين كان ، وجميل منه أيضا أن يقول عن سبب نزول : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » ، « هى عامة فى كل من أنكر البعث واللام والآل فى الإنسان للجنس يعم كل منكر للبعث ، فقد اختلف فى شأن سبب نزولها فابن أبي حاتم ينسب القصة إلى العاصم بن وائل ، وذكر ابن جرير من بين ما ذكر أنه عبد الله ابن أبى ، غير أن هذا منكر ؛ لأن ابن أبى مدنى والآية مكية

أحدهما : أنه علم أنهم لا يفعلون ، فأخبر بما علم . الثاني : أنهم لو عبدوه على الوجه الذى قالوه ما كانت عبادة ، ولا يسمى عابداً لله من عبده سنة ، وعبد غيره . أخرى ، فإن قيل : كيف قال : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ولم يقل : من أعبد ، وقد قال أهل العربية : إن ما تقع على ما لا يعقل ، فكيف عبّر به عن البارئ تعالى ؟ فالجواب : أننا قد ذكرنا فيما قبل أن ما قد تقع على من يعقل بقربنة ، فهذا أو ان ذكرها ، وتلك القربنة : الإيهام والمبالغة فى التعظيم والتفخيم ، وهى فى معنى الإيهام ^(١) لأن من جلت عظمته ، حتى خرجت عن الحصر ، وعجزت الأنفهام عن كنهه ذاته ، وجب أن يقال فيه : هو ما هو كقول العرب : سُبْحَانَ مَا سَبَّح الرعدُ بحمده ، ومنه قوله : ﴿ والسماء وما بناها ﴾ ^(٢) فليس كونه عالماً مما يوجب له من التعظيم ما يوجب له أنه بنى السموات ، ودحا الأرض ، فكان المعنى : إنه

(١) ما : اسم مبهم غاية الإيهام حتى إنما تقع على كل شيء ، وتقع على ما ليس بشيء . فيجوز أن تقول : إن الله يعلم ما كان ، وما لم يكن

(٢) ويقول ابن القيم عن هذا : لأن القسم تعظيم للمقسم به ، واستحقاقه للتعظيم من حيث ما أظهر هذا الخلق العظيم الذى هو السماء . ومن حيث سواها وزينها بحكمتها ، فاستحق التعظيم . وثبت قدرته ، فلو قال : ومن بناها لم يكن فى اللفظ دليل على استحقاقه القسم من حيث اقتدر على بنائها ، ولما كان المعنى مقصوراً على ذاته ونفسه ، دون الإيعاء إلى أفعاله الدالة على عظمتها المنبئة عن حكمتها ، المفصحة باستحقاقه للتعظيم من خلقته ، وكذلك قولهم : سبحان ما يسبح الرعد بحمده . لأن الرعد صوت عظيم من جرم عظيم ، والمسبح به لاحالة أعظم ، فاستحقاقه للتسبيح من حيث يستحقه العظيّمات من خلقه ، لا من حيث كان يعلم ، ولا تقل يعقل فى هذا الموضع .

شيئاً بناها أعظم ، أو ما أعظمه من شيء ! فلفظ ما في هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كائننا ما كان هذا الفاعل لهذا ، فما أعظمه ، وكذلك قوله تعالى في قصة آدم : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ ^(١) ولم يقل : لمن خلقت ، وهو يعقل ، لأن السجود لم يجب له من حيث كان يعقل ، ولا من حيث كان لا يعقل ، ولكن من حيث أمروا بالسجود له ، فكائننا ما كان ذلك المخلوق ، فقد وجب عليهم ما أمروا به ، فن هاهنا حسنت ما في هذا الموضع ، لا من جهة التعظيم له ، ولكن من جهة ما يقتضيه الأمر من السجود له ، فكائننا من كان ، وأما قوله تعالى : ﴿ لَا أُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ فواقعة على ما لا يعقل ؛ لأنهم كانوا

(١) ويقول ابن القيم عن استعمال ما في الآية : وهذا كلام ورد في معرض التوبيخ والتبكيك للعين على امتناعه عن السجود ، ولم يستحق هذا التبكيك والتوبيخ حيث كان السجود لمن يعقل ، ولكن للمعصية والتكبر على ما لم يخلقه ؛ إذ لا ينبغي التكبر لمخلوق على مثله ، إنما التكبر للخالق وحده ، فكأنه يقول سبحانه : لم عصيتني وتكبرت على ما لم تخلقه ، وخلقتني أنا . وشرفته ، وأمرتني بالسجود له ؟ فهذا موضع ما ؛ لأن معناها أبلغ ولفظها أعم ، وهو في الحجة أوقع . وللعذر والشبهة أقطع ، فلو قال : ما منعك أن تسجد لمن خلقت ، لكان مستهزأ . مجردا من توبيخ وتبكيك ، ولتوهم أنه وجب السجود لله من حيث كان يعقل . والملة موجودة في ذاته وعينه ، وليس المراد كذلك ، وإنما المراد توبيخه وتبكيكه على ترك سجوده لما خلق الله وأمره بالسجود له ؛ ولهذا عدل عن اسم آدم العلم مع كونه أخص ، وأتى بالاسم الموصول الدال على جهة التشریف المقتضية لإسجاده له وهو كونه خلقه بيديه ، وأنت لو وضعت مكان ما لفظة من لما رأيت هذا المعنى المذكور في الصلة ، وأن ما جرى بها وصلة إلى ذكر الصلة . فلا حجة إذ التعمين بالذكر ؛ إذ له أريد التعمين لكان بالاسم العلم أولى وأحرى .

يعبدون الأصنام، وقوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ اقتضاها الإيهام، وتعظيم المعبود مع أن الحس منهم مانع لهم أن يعبدوا معبوده كأئنا ما كان، فحسنت ما في هذا الموضع لهذه الوجوه، فبهذه القرائن يحسن وقوع ما على أولى العلم^(١) وبقيت نكتة بدیعة يتعين التنبيه عايتها، وهو قوله تعالى: ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتم﴾ بلفظ الماضي، ثم قال: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ بلفظ المضارع في الآيتين جميعاً، إذا أخبر عن نفسه قال: ما أعبد، ولم يقل: ما عبدت، والنكتة في ذلك أن ما لما فيها من الإيهام - وإن كانت خبرية - تعطى معنى الشرط، فكانه

(١) يعبر ابن القيم عن «ما» في قوله: «لا أعبد ما تعبدون، ما على بابها، لأنها رافعة على معبوده»، ص، على الإطلاق؛ لأن امتناعهم من عبادة الله ليس لذاته، بل كانوا يظنون أنهم يعبدون الله، ولكنهم كانوا جاهلين به، فقوله: «ولا أنتم عابدون ما أعبد، أى: لا أنتم تعبدون معبودى، ومعبوده هو «ص» كان عارفاً به دونهم، وهم جاهلون به... وقال بعضهم: إن ما هنا مصدرية لاموصولة. أى: لا تعبدون عبادتى، ويلزم من تنزيههم «لعلمها تبرئته بدليل ما سياتى» عن عبادته. تنزيههم «لعلمها كالسابقة» عن المعبود، لأن العبادة متعلقة به، وليس هذا بشئ؛ إذ المقصود براءته من معبودهم وإعلامه أنهم بريئون من معبوده تعالى، فالمقصود: المعبود لا العبادة، ثم قال «وعندى وجه» وهو أن المقصود هنا ذكر المعبود الموصوف بكونه أهلاً للعبادة مستحقاً لها، فأقرب ما الدالة على هذا المعنى، كأنه قيل: «ولا أنتم عابدون معبودى الموصوف بأنه المعبود الحق، ولو أتى بلفظة من لكانت إنما تدل على الذات فقط، ويكون ذكر الصلة تعريفاً، لا أنه هو جهة العبادة، ففرق بين أن يكون كونه تعالى أهلاً لأن يعبد تعريف محض، أو وصف مقتضى لعبادته... وهذا معنى قول محقق النجاة أن ما أتت لصفات من يعلم ص ١٣٣ - ١٥ بدائع الفوائد لابن القيم وما بعدها. وقد ذكر وجوهاً أخرى عظيمة أيضاً

قال : مهما عبدتم شيئاً ، فإنى لا أعبد ، والشرط يحول المستقبل إلى لفظ الماضى ، تقول : إذا قام زيد غداً فعلت كذا ، وإن خرج زيد غداً خرجت ، فما فيها راحة الشرط من أجل إيهامها ؛ فلذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضى ، ولا يدخل الشرط على فعل الحال ، ولذلك قال فى أول السورة : ماتعبدون ؛ لأنه حال الآن راحة الشرط معدومة فيها مع الحال ، وكذلك راحة الشرط معدومة فى قوله : عابدون ما أعبد ؛ لأنه - عليه السلام - يستحيل أن يتحول عن عبادة ربه ؛ لأنه معصوم ، فلم يستقم تقديره بهما ، كما استقام ذلك فى حقهم ؛ لأنهم فى قبضة الشيطان يقودهم بأهوائهم ؛ فجاز أن يعبدوا اليوم شيئاً ، ويعبدوا غداً غيره ، ولكن مهما عبدوا شيئاً ، فالرسول عليه السلام لا يعبد ؛ فلذلك قال : ولا أنتم عابدون ما أعبد فى الحال وفى المآل ، لما علم من عصمة الله له ، ولما علم الله من ثباته على توحيده ، فلا مدخل لمعنى الشرط فى حقه عليه السلام ، وإذا لم يدخل الشرط فى الكلام بقى الفعل المستقبل على لفظه ، كما تراه ، ونظير هذه المسألة قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ اضطربوا فى إعرابها وتقديرها لما كانت من بمعنى الذى ، وجاء بكان على لفظ الماضى ، وفهمها الزجاج ، فأشار إلى أن مَنْ فيها طرفٌ من معنى الشرط ؛ ولذلك جاءت كان بلفظ الماضى بعده ، فصار معنى الكلام : من يكن صبيّاً ، فكيف يكلم ؟! لما أشارت إلى الصبي : أن كَلَّمُوهُ ، ولو قالوا : كيف نكلم من هو فى المهد الآن لكان الإنكار والتعجب مخصوصاً به ، فلما قالوا : كيف نكلم من كان ، صار الكلام أبلغ فى الاحتجاج للعموم الداخلى فيه . إلى هذا الفرض أشار أبو إسحاق ، وهو الذى أراد ، وإن لم يكن هذا لفظه ، فليس المقصود العباوات ،

وإنما المقصود تصحيح المعاني المتلقة من الألفاظ والإشارات^(١).

الزقوم :

فصل : وذكر حديث أبي جهل حين ذكر شجرة الزقوم^(٢) يقال : إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قریش، وأن رجلاً أخبره أن أهل يثرب : يقولون تزقمت : إذا أكلت التمر بالزبد ، فجعل بحمله اسم الزقوم من ذلك استهزاء ، وقيل : إن لهذا الاسم أصلاً في لغة اليمن ، وأن الزقوم عندهم كل ما يتقيأ منه . وذكر أبو حنيفة في النبات : أن شجرة باليمن يقال لها : الزقوم ، لا ورق لها وفروعها أشبه شيء برعوس الحيات ، فهي كريهة المنظر ، وفي تفسير ابن سلام

(١) أخذ ابن القيم ما قاله السبيل وفصله بأسلوب أوضح في بدائع الفوائد . ثم قال : . . . وقيل : وكيف يكون في الشرط ، وقد عمل فيها الفعل ، ولا جواب لها ، وهي موصولة ، فما أبعد الشرط منها ، قلنا : لم نقل : إنها شرط لنفسها ، وسكن فيها راحة منه ، وطرف من معناه لوقوعها على غير معين ، وإيهامها بغير المعبودات وعمومها ، وأنت إذا ذقت معنى هذا الكلام وجدت معنى الشرط بإدبا على صفحاته ، فإذا قلت لرجل ما تخالفه في كل ما يفعل : أنا لا أفعل ما تفعل . أأنت ترى معنى الشرط قائماً في كلامك وقصدك ، وأن روح هذا الكلام : مهما فعلت من شيء فإني لا أفعله . ثم قال : . . . وإذا ثبت هذا فقد صححت الحكمة التي من أجلها جاء الفعل بلفظ الماضي من قوله : ولا أنا عابد ما عبدتم ، بخلاف قوله : (ولا أنتم عابدون ما أعبد) لبعدها فيها عن معنى الشرط تضييقاً من الله على عصمة نبيه أن يكون له معبود سواه . وأن ينتقل بغير المعبودات تنقل الكافرين ، ص ١٣٦ ج ١ بدائع الفوائد . وقد استوفى القول في بدائع السورة العظيمة بأسلوب بديع رحمه الله

(٢) يقول ابن كثير : لا شك في دخوله — أي دخول أبي جهل — في هذه الآية ، ولكن ليست خاصة به ،

والمأوردى أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أعادنا الله منها ، وأن أهل النار يتحدرون إليها . قال ابن سلام : وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر .

وقوله : الملعونة في القرآن ، أى : الملعون كلها^(١) ، وقيل : بل هو وصف لها كما يقال : يوم ملعون أى مشئوم .

حديث ابن أم مكتوم :

فصل : وذكر حديث ابن أم مكتوم ، وذكر اسمه ونسبه وأم مكتوم : اسمها : عاتكة بنت عبد الله بن عذكثة بن عامر بن مخزوم^(٢) .

وذكر الرجل الذى كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الوليد ابن المغيرة ، وقد قيل : كان أمية بن خلف ، وفي حديث الموطأ : عظيم من

(١) ذكر البخارى وأحمد أنها شجرة الزقوم ، وقد زعم أعداء بنى أمية أن المقصود بالشجرة هم بنو أمية ، وأتوا بحديث قال عنه ابن كثير : وهو غريب ضعيف . وقد ذكر عنها في القرآن ما هو قربن اللعنة : ولأنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، ظلمها كأنه رموس الشياطين ، الصفات ٦٤ ، ٦٥ (إن شجرة الزقوم طعام الإثيم كالمهل يغلى في البطون كغلي الحميم) الدخان : ٤٣ - ٤٦ . حسبنا أنها وصفت بأنها ملعونة لنؤمن بأنها ملعونة ، هي ومن ستكون هي طعامه .

(٢) في نسب قريش عن أم مكتوم : تزوجها قيس بن زائدة بن الأصم ابن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى فولدت له عمرا ، وهو الأعمى الذى ذكر الله تبارك وتعالى ، فقال : وعبس وتولى أن جاءه الأعمى . . . في الإصابة وجمهرة ابن حزم أنه كان ابن خال خديجة . انظر ص ٣٤٣ نسب قريش . وفي الجمهرة في نسب أمه : عنكشة بن عاتكة بن مخزوم وفي النسب : و عنكشة بن عامر ، انظر ص ٦٢٢ . جمهرة ابن حزم

عظماء المشركين^(١)، ولم يسمه، وفي قوله سبحانه: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ من النقص
أن لا غيبته في ذكر الإنسان بما ظهر في خلقته من عمى أو عرج، إلا أن يقصد
به الازدراء، فيلحق المآثم به؛ لأنه من أفعال الجاهلين، قال الله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة: ٦٧. وفي ذكره
إياه بالعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب؛ لأنه قال: ﴿
أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ فذكر الحىء مع العمى، وذلك ينبىء عن تجشّم كلفة
ومن تجشّم القصد إليك على ضعفه، فخفك الإقبال عليه، لا الإعراض عنه،
فإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - معتوبا على توليه عن الأعمى، فغيره أحق
بالعتب، مع أنه لم يكن آمن بعد، ألا تراه يقول: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يِزْ كُي﴾
الآية ولو كان قد صحّ إيمانه، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - ولو أعرض لكان العتب أشد، والله أعلم، وكذلك لم يكن
ليخبر عنه، ويسميه بالاسم المشتق من العمى، دون الاسم المشتق من الإيمان.
والإسلام، لو كان دخل في الإيمان قبل ذلك والله أعلم، وإنما دخل فيه بعد
نزول الآية، ويدل على ذلك قوله للنبي - صلى الله عليه وسلم: استأذني يا محمد
ولم يقل: استأذني^(٢) يا رسول الله، مع أن ظاهر الكلام يدل على أن الهاء في لعله
يزكى عائدة على الأعمى، لا على الكافر؛ لأنه لم يتقدم له ذكر بعد، ولعل

- (١) وعند أبي يعلى أن الرجل هو أبي بن خلف، وعنده في رواية أخرى هو
وابن جرير: رجل من عظماء المشركين، وكذا رواه الترمذي ومالك، وذكر
ابن جرير وابن أبي حاتم أنهم: عتبة بن ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب.
(٢) في ابن جرير والترمذي ومالك: أرشدني كما ذكر ابن كثير، ولم يذكر =

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن ما كانوا يتحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوارٍ أو مستخفيا

فكان ممن قدم عليه مكة منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا ، ومن حبس عنه ، حتى فاته بدرٌ وغيره ، ومن مات بمكة . منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصي : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم . هو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، امرأته سہلة بنت سہيل .

ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش بن رثاب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان ، حليف لهم ، من نخس عيلان .

تتعلق التَّرجي والانتظار ، ولو كان إيمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترحي والانتظار للتَّركي ، والله أعلم .

== بعدها شيئاً . وفي رواية لابن جرير وابن أبي حاتم ، أن عبد الله جاء يستقرئ الرسول - ص ، آية من القرآن ، ويقول : رسول الله علني بما عليك الله . وقول السهيلي : أظهر ، فالقرآن يفيد أنه جاء في خشية يريد أن يركي

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد
ابن أسد .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مُصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
وسُوَيْبُ بن سعد بن حَرَملة .

ومن بنى عبد بن قصى : طَلَيْب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد .
ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن
عبد بن الحارث بن زهرة ، والمقداد بن عمرو ، حليف لهم ، وعبد الله بن مسعود ،
حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله
ابن عمرو بن مخزوم ، معه امرأته : أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وشماس
ابن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم . وسلمة ابن
هشام بن المغيرة ، حبسه عنه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق ، وعياش ،
ابن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل
ابن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجعا به إلى مكة ، فحبساه بها حتى مضى بدر
وأحد والخندق .

ومن حلفائهم : عمار بن ياسر ، يُشكّ فيه ، أكان خرج إلى الحبشة
أم لا ؟ ومعتب بن عوف بن عامر من خزاعة .

ومن بنى جحج بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : عثمان بن مظعون بن
حبيب بن وهب بن حذافة بن جحج ، وابنه : السائب بن عثمان ، وقُدّامة بن
مظعون ، وعبد الله بن مظعون .

.

ومن بنى سَنَم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : خُنَيْس بن حُذَافَة بن قَيْس بن عَدِيٍّ ، وهشام بن العاص بن وائل ، حُبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، حتى قدم بعد بدرٍ وأُحُدٍ والخندق .

ومن بنى عَدِيٍّ بن كَعْب : عامر بن رَبِيعَة ، حليف لهم ، معه امرأته : لَيْلى . بنت أبي حَثْمَة بن حُذَافَة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤيٍّ : عبدُ الله بن مَخْرَمَة بن عبد العُزَيٍّ بن أبي قَيْسٍ - وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو ، وكان حبس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بدرٍ ، فأنحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد معه بدرًا ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العُزَيٍّ ، معه امرأته : أم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته : سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس ، مات بمكة قبل هجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، خلف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سَوْدَة بنت زَمْعَة :

ومن حلفائهم سعد بن خَوْلَة .

ومن بنى الحارث بن فِهْرٍ : أبو عُبَيْدَة بن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبي شَدَّاد ، وسُهَيْل بن بَيْضَاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربِيعَة بن هلال ، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربِيعَة ابن هلال « كنيته : أبو سعد كما في الإصابة » .

فجميع من قَدِم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون

رجالاً، فكان مَنْ دخل منهم بجوارٍ ، فيمن سُمِّي لنا : عثمانُ بن مَظْعُون بن حبيب الجُمَحِي ، دخل بجوارٍ من الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمةَ بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، دخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطلب ، وكان خاله . وأُمُّ أبي سلمة : برة بنت عبد المطلب .

قصة ابن مظعون مع الوليد

قال ابن إسحاق : فأما عثمان بن مظعون ، فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف حدثني عن حدثه عن عثمان ، قال : لما رأى عثمان بن مظعون حافيه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من البلاء ، وهو يفدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غدوى ورواحي آمننا بجوار رجلٍ من أهل الشرك - وأصحابي ، وأهل ديني يَلْقَوْنَ من البلاء والأذى في الله مالا يُصِيبُنِي - لنقص كبير في نفسي ، فشئى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وقت ذِمَّتِكَ ، قد رددت إليك جوارك ، فقال له : لم يابن أخى ؟ لعله آذاك أحدٌ من قومي ، قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجيرَ بغيره ؟ قال : فانطلقْ إلى المسجد ، فارددْ على جوارى علانيةً ، كما أجزأك اللانية . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يردّ على جوارى ، قال : صدق ، قد وجدته رفياً كريماً الجوار ، ولكنى قد أحببتُ أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددتُ عليه جواره ،

ثم انصرف عثمان ، و كبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش يُنشد لهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال كبيد :

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل

قال عثمان : صدقت ، قال :

وكلّ نعيم لاحالة زائل

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . قال كبيد بن ربيعة : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤدّي جليصكم ، فمتى حدّث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدنّ في نفسك من قوله ، فردّ عليه عثمان حتى شرى أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل ، فلطم عينه ، فخصّرها ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لعنّة ، لقد كنت في ذمة منيعة . قال : يقول عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب . أختمها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبدشمس ، فقال له الوليد : هلمّ يابن أخي ، إن شئت فمعدّ إلى جوارك ، فقال : لا .

أبو سلمة في جوار أبي طالب

قال ابن إسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد ، فحدثني أبي إسحاق ابن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة أنه حدّثه : أن أبا سلمة

لما استجار بأبي طالب ، مشى إليه رجال من بنى مخزوم ، فقالوا : يا أبا طالب ، لقد منعت مناً ابن أخيك محمداً ، فمالك ولصاحبنا تمنعه مناً؟ قال : إنه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي ، فقام أبو لهب ، فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه ، أو لنقومن معه في كل ما قام فيه ، حتى يبلغ ما أراد . قال : فقالوا : بل ننصرف عما تكرم يا أبا عتبة ، وكان لهم ولياً وناصرأ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتقوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أبو طالب بحرضه أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وإن امرأ أبو عتبة عمه لفي روضة ما إن يسأم المظالم
أقول له - وأين منه نصيحتي أبا معتب تبت سوادك قائم
فلا تقبلن الدهر ماعشت خطة تسب بها ، إماما هبطت المواسم
وول سبيل العجز غيرك منهم فإنك لم تخلق على العجز لازم
وحارب ، فإن الحرب نصف وما ترى

أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالم
وكيف ولم يجنوا عليك عزيمة ولم يخذلوك غاماً ، أو مغارماً
جزى الله عناً عبد شمس ونو فلا وتيما ونحزوما عتوقا ومائماً
بتفريقهم من بعدود ألفة جماعتنا ، كيما ينالوا المحارماً
كذبهم وبيت الله نبي محمداً ولما تروا يوماً لدى الشعب قائماً

قال ابن هشام : نبزى : نساب . قال ابن هشام : وبقي منها بيت تركناه .

أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - كما حدثني : محمد بن مسلم الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنهما ، حين ضاقت عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الهجرة ، فأذن له ، فخرج أبو بكر مهاجراً ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين ، آقاه ابن الدغنة ، أخو بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش .

قال ابن إسحاق : والأحابيش : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، والهُون ابن خزيمة بن مذركة ، وبنو المصطلق من خزاعة .

قال ابن هشام : تحالفوا جميعاً ، فسموا الأحابيش للحباف .
ويقال : ابن الدغينة .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فقال ابن الدغنة : أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجنى قومي وآذونى ، وضيقوا على ، قال : ولم ؟ فوالله إنك لآثرين العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف . وتكسب المعدوم ، أرجع ، وأنت فى جوارى ، فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة ، قام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش ، إني قد أجرت ابن أبى قحافة ،

.

مقلا يعرضنَّ له أحدٌ إلا يجير . قالت : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبي بكر مسجِدٌ عند باب داره في بني جُحج ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلا رفيقا ، إذا قرأ القرآن استبكي . قالت : فيقف عليه الصبيان موالعبيد والنساء ، يعجبون لما يَرَوْنَ من هيئته . قالت : ففشي رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّغْنَةِ ، فقالوا له : يا ابن الدُّغْنَةِ ، إنك لم تُجر هذا الرجل ، لئوذيْنَا ! إنه رجل إذا صلى ، وقرأ ما جاء به محمدٌ يرق ويبيكي ، وكانت له هيئة ونحو ، نحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضَمَمَتِنا أن يَفْتِنهم ، فأتته فمره أن يدخل بيته ، فلم يصنع فيه ما شاء . قالت : ففشي ابن الدُّغْنَةِ إليه ، فقال له : يا أبا بكر ، ما لي لم أجرك لئوذي قومك ، إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك ، فاصنع فيه ما أحببت ، قال : أو أردت عليك جوارك . وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد على جِواري ، قال : قد رددته عليك . قالت : فقام ابن الدُّغْنَةِ ، فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أبي خفاة قد رد علي جِواري ، فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد قال : كَتَبَ سَفِيَه من سُمَّهَاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحشا على رأسه ترابا . قال : ففرَّ بأبي بكر الوليد بن المُغيرة ، أو العاص بن وائل . قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى ما يصنع هذا السقيء ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أي ربَّ ، ما أجلمك ! أي ربَّ ، ما أحلمك ! أي ربَّ ، ما أحلمك !

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي كتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفرًا من قريش ، ولم يُبَلِّ فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيْب بن نصر بن مالك بن حِصَل بن عامر بن لُؤَيٍّ ، وذلك أنه كان ابن أخى نَعْلَةٍ ابن هاشم بن عَبْد مناف لأُمِّه ، فكان هشام لبني هاشم واصلًا ، وكان ذا شرف في قومه فكان - فيما باغى - يأتى بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا ، قد أوقره طعامًا ، حتى إذا أقبل به فَمَ الشعب ، خلع خِطَامَه من رأسه ، ثم ضرب على جَنْبِه ، فيدخل الشعب عليهم ، ثم يأتى به قد أوقره بَرًّا ، فيفعل به مثل ذلك .

قال ابن إسحاق : ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكانت أمه : عائكة بنت عبد المطلب - فقال : يا زهير ، أقد رَضِيتَ أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يُبتاع منهم ، ولا يَنْكحون ، ولا يَنْكح إليهم ؟ أما إنى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبدًا ، قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر ،

لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا حَتَّى أَنْقَضَهَا ، قَالَ : قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا قَالَ : فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
أَنَا ، قَالَ لَهُ زَهِيرٌ : أَبْنَانَا رَجُلَانِ ثَالِثًا .

فَذَهَبَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدَى ، فَقَالَ لَهُ : يَا مُطْعِمُ أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ يَهْلِكَ
بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ ، مُوَافِقٌ لِقَرِيشٍ فِيهِ ؟
أَلَمْ يَأْتِ اللَّهُ لِنِ اسْمُكَتْمِهِمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدُهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سِرَاعًا ، قَالَ : وَيْحَكَ ؟
فَإِذَا أَصْنَعُ ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، قَالَ : قَدْ وَجَدْتَ ثَانِيًا ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
أَنَا ، قَالَ : أَبْنَانَا ثَالِثًا ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : زَهِيرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ،
قَالَ : أَبْنَانَا رَابِعًا .

فَذَهَبَ إِلَى أَبِي الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ لَهُ نَحْوُ مَا قَالَ لِمُطْعِمِ بْنِ عَدَى ،
فَقَالَ : وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يَعِينُ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : زَهِيرُ
ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدَى ، وَأَنَا مَعَكُمْ ، قَالَ : أَبْنَانَا خَامِسًا .

فَذَهَبَ إِلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ ، فَسَكَكَمَهُ ، وَذَكَرَ لَهُ
قِرَابَتَهُمْ وَحَقَّهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : وَهَلْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ سَمَى لَهُ الْقَوْمَ .

فَاتَّعَدُوا خَطْمَ الْحُجُوجِ لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَاجْتَمَعُوا هُنَاكَ ، فَاجْمَعُوا أَسْرَهُمْ
وَتَعَاقَدُوا عَلَى الْقِيَامِ فِي الصَّحْفَةِ ، حَتَّى يَنْقَضُوا ، وَقَالَ زَهِيرٌ : أَنَا أَبَدُوكُمْ
فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى أَنْدِيَتِهِمْ ، وَغَدَا زَهِيرُ بْنُ
أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : يَا هَلَّ

• • • • •

مكة ، أنا كلُّ الطعام ، و نلبس الثياب ، و بنو هاشم هلكت لا يباع ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشقَّ هذه الصحيفةُ القاطعة الظَّالمة .

قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشقَّ ، قال زَمْعَةُ بن الأسود : أنت والله أكذبُ ، ما رَضِينَا كتابها حيثُ كُتِبَتْ ، قال أبو البَخْتَرِي : صدَقَ زَمْعَةُ ، لا نرضى ما كُتِبَ فيها ، ولا نُقرُّ به ، قال المطعم بن عديٍّ : صدقُما ، وكذبُ مَنْ قال غيرَ ذلك ، نَبِأَ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا ، و ما كُتِبَ فيها ، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضِيَ بليلى ، تُشَوِّرُ فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد ، فقام المُطْعِم إلى الصحيفة ليشقَّها ، فوجد الأَرْضَةَ قد أكلتها ، إلَّا : « باسمك اللهم » .

وكان كاتب الصحيفة مَنْصُور بن عِكرمة . فشَلَّتْ يَدُهُ فَمَا يَزْعُمُونَ .

قال ابن هشام : و ذكر بعضُ أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي طالب : يا عمُّ ، إن رَبِّي الله قد سَلَطَ الأَرْضَةَ على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسماً هو الله إلَّا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلم والقطيعة والبُهتان فقال : أربُّك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحدٌ ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهكمم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي ، فأنهوا عن قَطِيعَتنا ، وانزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخي ، فقال القوم : رَضِينَا ، فتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هي كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم

ذلك شراً . فعند ذلك صنع الرَّهْط من قُرَيْش في نَقْض الصَّحِيفَةِ ما صنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها . قال أبو طالب ،
فما كان من أمر أولئك النَّفَر الذين قاموا في نَقْضها يمدحهم :

أَلَا هَلْ أَتَى بِخَزِينَا صُنْعُ رَبِّنَا	على تأييمهم والله بالنَّاسِ أَرْوَدُ
فِيخْبِرُهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مَزَقَّتْ	وَأَنَّ كُلَّ مَالٍ يَرْضَاهُ اللَّهُ مُفْسَدٌ
تَرَاوَحَهَا إِنْكَ ، وَسِجَرٌ مُجْمَعٌ	وَلَمْ يُلَفَّ سِجَرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ
تَدَاعَى لَهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِقَرْقَرٍ	فَطَاثَرُهَا فِي رَأْسِهَا يَتَرَدَّدُ
وَكَانَتْ كِفَاءً رَفْعَةً بِأَثِيمَةٍ	لِيَقْطَعَ مِنْهَا سَاعِدٌ وَمُقَلَّدٌ
وَيَظُنُّ أَهْلُ الْمَسْكِنِ ، فَيَهْرُبُوا	فَرَأَتْهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الشَّرِّ تُرْعَدُ
وَيُتْرَكُ حَرَاثٌ يَقْلَبُ أَمْرَهُ	أَيُّهُمْ فِيهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَيُنْجِدُ
وَتَصْعَدُ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ كَتِيبَةٌ	لَهَا حُدُجٌ سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَدُ
فَمَنْ يَنْشَرُ مِنْ حُضَارِ مَكَّةَ عِزُّهُ	فَعِزَّتْنَا فِي بَطْنِ مَسَكَّةَ أَتَلَدُ
نَشَأْنَا بِهَا ، وَالنَّاسُ فِيهَا قَلَائِلُ	فَلَمْ نَنْفَكِكَ نَزَادُ خَيْرًا وَنَحْمَدُ
وَنُطْعَمُ حَتَّى يَتَرَكَ النَّاسُ فَضْلَهُمْ	إِذَا جَعَلْتَ أَيْدِي الْمُفِيضِينَ تُرْعَدُ
جَزَى اللَّهُ رَهْطًا بِالْحُجُونَ تَبَاعُوا	على مَلَأَ يَهْدِي لَحْزَمٍ وَيُرْشِدُ
قُعُودًا لَدَى خَطْمِ الْحُجُونَ كَانَهُمْ	مَقَاوِلَةٌ ، بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَعْجَدُ
أَعَانَ عَلَيْهَا كُلُّ صَقَرٍ كَأَنَّهُ	إِذَا مَامَشَى فِي رَفْرِفِ الدَّرْعِ أَحْرَدُ
جَرَى عَلَى جُلَى الْخَطُوبِ ، كَأَنَّهُ	شِهَابٌ بَكْمَى قَابَسٍ يَتَوَقَّدُ

من الأكرمين من لَوَّيَّ بن غالب إذا سيم خَسَفَا وَجْهَهُ يَتَرَبَّدُ
طويل النِّجاد خارج نصفُ ساقِهِ على وَجْهِهِ يُسْقَى الغَمامُ وَيُسَمَدُ
عظيم الرِّماد ، سيد وابن سيِّد يَحْضُ على مَقَرِّ الضيُوفِ ، وَيَحْشَدُ
ويبنى لأبناء العَشيرة صالِحاً إذا نحن طُفْنَا في البلاد ، وَيَمْهَدُ
أَلَطَّ بهذا الصِّلح كلُّ مُبَرِّأ عظيم اللِّواء أمره ثُمَّ يُحْمَدُ
قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لِيَالِهِمْ ، ثُمَّ أَصْبَحُوا على مَهَلٍ ، وَسَائِرُ النَّاسِ رُقِدَ
هُمْ رَجَعُوا سَهْلَ بَنِ بِيضَاءِ رَاضِيَا وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدُ
مَتَى شَرَكِ الْأَقْوَامُ فِي جَلِّ أَمْرِنَا وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهَا نُتَوَدَّدُ
وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقِرُّ ظِلَامَةً وَنُذْرِكُ مَا شَأْنُنَا ، وَلَا نَتَشَدَّدُ
فَمَا لَقَعْنِي هَلْ لَسَكُمُ فِي نُفُوسِكُمْ وَهَلْ لَكُمُ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدُ
فَانِي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلُ لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَسَكَّمْتُ أَسْوَدُ

وقال حَسَّانُ بن ثابت يَبْكِي الْمُطْعِمَ بن عَدِيَّ حينَ مَاتَ ، وَيَذْكُرُ قِيَامَهُ
فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ :

أَيَاعِينَ فَا بَكِي سَيِّدَ الْقَوْمِ وَاسْفَحِي بَدَمَجْ ، وَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْكَبِي الدَّمَ
وَبَكِّي عَظِيمَ الْمَشْعَرَيْنِ كَلِيمَا عَلَى النَّاسِ مَعْرُوفًا لَهُ مَا تَسْكَلُمَا
فَلَوْ كَانَ مَجْدٌ يُخَالِدُ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الْيَوْمَ مُطْعِمَا
أَجَزْتَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْهُمْ ، فَأَصْبَحُوا عِبِيدَكَ ، مَا لَبَّى مُهَلِّ وَأَحْرَمَا
فَلَوْ سُئِلْتُ عَنْهُ مَعَدَّةً بِأَمْرِهَا وَقَحْطَانِ ، أَوْ بَاقِي بَقِيَّةِ جُرْهَمَا

أَقَالُوا : هُوَ الْمَوْفَى بِخُفْرَةِ جَارِهِ وَذِمَّتُهُ يَوْمًا إِذَا مَا تَدَمَّما
فَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ عَلَى مِثْلِهِ فِيهِمْ أَعَزَّ وَأَغْضَابًا
سَوَآبِي إِذَا يَأْبَى وَالْأَيْنَ شَيْمَةً وَأَنُومَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : وأما قوله : « أجرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يُجِيبُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ
إِلَيْهِ ، مِنْ تَصَدِيقِهِ وَنَصْرَتِهِ ، صَارَ إِلَى حِرَاءَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ ،
لِيُجِيرَهُ ، فَقَالَ : أَنَا حَلِيفٌ ، وَالْحَلِيفُ لَا يُجِيرُ ، فَبَعَثَ إِلَى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ،
فَقَالَ : إِنْ بَنَى عَامِرَ لَا تُجِيرُ عَلَى بَنَى كَعْبٍ . فَبَعَثَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ ، فَأَجَابَهُ
إِلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ تَسَلَّحَ الْمُطْعِمُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، وَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا الْمَسْجِدَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ ادْخُلْ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
مُخْطَافًا بِالْبَيْتِ ، وَصَلَّى عِنْدَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَعْنَى حَسَانُ
ابن ثابت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا : يمدح هشام بن عمرو لقيامه
بِخِي الصَّحِيفَةِ :

هَلْ يُوفِينَ بَنُو أُمِّيَّةٍ ذِمَّةً عَقْدًا كَمَا أُوفِيَ جِوَارُ هِشَامٍ
مِنْ مَقْعَرٍ لَا يَفْدِرُونَ بِجَارِهِمُ لِلْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبٍ بَنِ سُهَّامٍ
وَإِذَا بَنُو حِجْلٍ أَجَارُوا ذِمَّةً أَوْفَوْا وَأَدَّوْا جَارَهُمْ بِسَلَامٍ
وَكَانَ هِشَامُ أَخَا سُحَّامٍ : قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيَقَالُ : سُحَّامُ .

قصة الغرائب وإسلام مكة :

وذكر ما بلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة ، وكان باطلا ، وسببه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة النجم ، فألقى الشيطان في أمْنِيَّتِهِ ، أى : في تلاوته عند ذكر اللات والعزى ، وإسْمَهُمْ أَنَّهُمْ أَقْرَانَةُ الْعُلَى ، وإن شَفَاعَتَهُمْ أَتْرَتَجَى ، فطار ذلك بكفة ، فُسِّرَ المشركون ، وقالوا : قد ذكر آلهتنا بخير فسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخرها ، وسجد المشركون ، والمسلمون ، ثم أنزل الله تعالى : ﴿ فَيَنْسَخِ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ﴾ الآية ، فمن هاهنا اتصل بهم في أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا ، ذكره موسى بن عقبة . وابن إسحاق من غير رواية البُكَائِي ، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ، ومن صححه قال فيه أقوالا ، منها : أن الشيطان قال ذلك وأشاعه . والرسول - عليه السلام - لم ينطق به ، وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لمحمد ما أتيتك بهذا ، ومنها : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قالها من قبل نفسه . وعنى بها الملائكة : إن شفاعتهم أَتْرَتَجَى ^(١) . ومنها : أن النبي - عليه السلام - قاله حاكيا عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجبا من كفرهم .

(١) وهى أيضاً كلمة لا يقولها خاتم النبيين وأعظم المؤمنين ، فإنه الشفاعة لا ترتجى إلا من الله سبحانه ، فهو الذى له وحده الشفاعة : (قل : لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٤ (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) طه : ١٠٩ . والسهلى على إطالته وإطنابه في مواضع تستحق الإيجاز لا أدري كيف خطف القول هنا ، وترك القرية تحاول مخادعة القلوب بد فكأن المؤلف الكبير لم يرد لها أن تموت

والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته ، والله أعلم ^(١) .

(١) روى الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر والبخاري وابن مردويه وغيرهم هذه الفرية التي نفثها أحقاد الزنادقة في صورة حديث منسوب إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ، يقول إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قرأ بمكة : والنجم ، فلما بلغ : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى ، فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا ، فنزلت الآية . وذكر القاضي عياض ما يلي : ويروى : ترتضى ، وفي رواية : إن شفاعتها لترتجى ، وإنما لمع الغرائق العلى . وفي أخرى : والغرائقة العلى تلك الشفاعة ترتجى ، ووقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه ، وأن النبي « ص » كان تمنى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه ، وفي رواية أخرى : ألا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه ، وذكر هذه القصة . وأن جبريل — عليه السلام — جاءه ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ السكبتين قال له : ما جئتكم بها تين ، لحزن لذلك النبي « ص » ، فأنزل الله تعالى تسلياً له : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى » . الآية . وقوله : (وإن كادوا ليفتنونك) وباطل القصة المفتراة أسود قائم . ولكنى عنت بنقل الرد عليها ؛ لأن هذه الاسماء الآتية ذكرت مع هذه القصة ، ولا شك في أن كثرة منهم لا يمكن أن تصدق أنه يروها ، أو يصدق بها مثل ابن عباس رضى الله عنه ، وتدبر هذه الاسماء التي جعلتنى أعنى بدحض هذه الفرية الملعونة : « سعيد بن جبير ، شعبة ، أمية بن خالد الذى يقال عنه : إنه ثقة مشهور ، وأبو بشر ، ومحمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس وابن شهاب الزهري ، والسدى ، وموسى ابن عقبة ، وابن إسحاق وعكرمة وسليمان التميمي ، والعمري والبخاري ، من هؤلاء من له ذكر بايمان عظيم ومن له ذكر بما ينال شيئا من صدق إيمانه ، وعفا الله عن رواها دون تعقيب يهدمها من هؤلاء الذين نسبت إليهم رواية ما لهذه الأكذوبة ، وإليك ما رده القاضي عياض في الشفاء على تلك الفرية النجسة : « هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند متصل سليم ، وإنما أولع به وبمثله

وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر ، وذكر فيهم طلّيبا ، وقال

المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلففون من الصحف كل صحيح وسقيم ، وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملاحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه في الصلاة وآخر يقول : قالها في نادى قومه حين نزلت عليه السورة ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه ، وأن النبي « ص » لما عرضها على جبريل ، قال : ما هكذا أقرأتكم . وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي « ص » قرأها ، فلما بلغ النبي « ص » ذلك قال : والله ما هكذا نزلت — إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ، ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين ، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيها حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : فيما أحسب أن النبي « ص » كان بمكة وذكر القصة . قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي « ص » بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عز شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فقد بين لك أبو بكر — رحمه الله — أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه . كما ذكرنا الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه ، وأما حديث الكلبي فغما لا يجوز الرواية عنه ، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار ، والذى منه في الصحيح أن النبي « ص » قرأ : والنجم وهو بمكة ، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ، أقول : قوله الذى في الصحيح يعنى ما روى في البخارى ومسلم عن ابن مسعود ، وليس فيه حديث الغرائيق ، بل روى هذا الحديث عن طرق كثيرة ، وليس فيها حديث الغرائيق ، وبعد أن فرغ القاضي عياض من

في نسبه: ابن أبي كبير بن عبد بن قصى، وزيادة أبي كبير في هذا للوضع لا يوافق عليه

توهين القرية من طريق النقل، معنى يكر عليها بالحجة العقلية الدامغة، فيقول: «أجمعت الأمة على عصمته - ص - ونزاهته عن مثل هذه النقيصة إماماً من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله، وهو كفر، أو أن يتصور عليه الشيطان، ويشبه عليه القرآن، حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي - ص - أن من القرآن ما ليس منه حتى ينسبه جبريل - عليه السلام - وذلك كله ممنوع في حقه - صلى الله عليه وسلم - أو يقول ذلك النبي - ص - من قبل نفسه عمداً، وذلك كفر، أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله، وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته - ص - من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمداً ولا سهواً، أو أن يشبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقى الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو أن يقول على الله لا عمداً، ولا سهواً ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالى: (ولو نحول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين) الخافه: ٤٤ - ٤٧ وقال تعالى: (ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً، إذا لذقناك ضعف الحياة وضعف الموت، ثم لا تجد لك علينا نصيراً) الإسراء: ٧٥. ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام، متناقض الأقسام، عتريج المدح بالذم. متخاذل التأليف والنظم. ولما كان النبي - ص -، ولا من يحضرته من المسلمين. وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك. وهذا لا يخفى على أدنى متأمل. فكيف من رجح حلمه. واتسع في باب التبيان. ومعرفة فصيح الكلام علمه، ثم أكد أن القصة لو حدثت لوجدت بها تقريش على المسلمين الصولة. ولأقامت اليهود بها عليهم الحجة. لأنهم كانوا يتربصون بالنبي وبالمسلمين لأقل فتنة، ولكنا نجد هذه القصة مروية عن طريق ضعيفة. وأنه لم يرو عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم يسبها بنت شفة، ولا شك في إدخال بعض شياطين الجن والإنس هذا الحديث على بعض مغفل

المحدثين ، ليلبس به على ضعفاء المسلمين ص ١١٦ وما بعدها > ٢ الشفاء طبعة سنة ١٢٩٠ هـ مطبعة خليل أفندي

وتدبر مع هذا قول الله سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر : ٩ وقوله : (بأيتها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٩٧ فإن زاد أو نقص فما بلغ رسالته . إنا بلغ حقا متمزجا بباطل . وتدبر قوله العظيم : (وما ينطق عن الهوى إنا هو إله وحى يوحى) النجم : ٣ : ٤ وقوله سبحانه : (ستقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) الأعلى

والفخر الرازى — على ما فيه — يقول : هذه القصة باطلة وموضوعة ولا يجوز القول بها . وقال البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل .

والمراد بالفرانتيق : الأصنام . وهى فى الأصل : الذكور من طير الماء . وقيل : الطويل العنق الأبيض ، وقيل : هو السكركى ، واحدها : غرنوق بضم النون والغين . وبكسر الغين وإسكان الراء وفتح النون . وبضم الغين وفتح النون . وغرنيق بكسر الغين والنون ، وغرناق بفتح الغين والراء والنون ، وغرناق بكسر الغين وإسكان الراء . وغرائق : الشاب الأبيض الجميل ، وجمعها : الغرائق والغرائيق . وقد شبهوا أصنامهم بالفرانتيق وهى الطيور التى تعلو فى السماء وترتفع .. والعجب أن الحافظ بن حجر يحاول فى الفتح الدفاع عن قواعد المحدثين ، ويغفل عن الطعنة الفادرة التى اقترفت ضد الرسالة والرسول . فيقول عن النقد العظيم الذى وجهه القاضى عياض لطرق الحديث : « وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد . فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخرجها دل ذلك على أن لها أصلا . وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح . وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضهم ببعض ، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر ، ص ٣٥٥ ج ٨ لست أدري أيمكن أن نجعل لقواعد بشرية متناهية مكانة فوق الحق المبين . من هدى الله ؟ إنا هنا يجب أن نعتصم بقواعد الحق المبين ، لا بقواعد المحدثين . التى يؤدى الدفاع عنها هنا إلى النيل من قداسة القرآن وعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما إذا وجدنا أن التأويلات التافهة التى سئلت بها هذه

وكذلك وجدت في حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا^(١) وذكره أبو عمر ونسبه كما نسبه ابن إسحاق بزيادة: أبي كبير ، وكان بدرى في إحدى الروايتين عن ابن إسحاق ، وكذلك قال الواقدي وابن عتبة ، ومات بأجنادين شهيدا لا عقب له .

تأويل : كل سىء ما فعله الله باطل :

فصل : وذكر قول كبيد :

== القواعد تأويلات لا يشهد لها نقل ، ولا يحترمها عقل ، القضية المعروضة :
أيسجد محمد لصنم ، ويثنى على صنم ، ويفترى على الله الكذب ؟ أيخفى على محمد — وقد هداه القرآن — حقيقة الكفر والفاظ الكفر ويعبث الشيطان به ؟ كل مسلم يلعن من ينسب إلى الرسول هذا الفرية الخبيثة الجاحدة .

وأقول هنا تعليقا على قوله سبحانه : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) لأنها وردت في سورة الحج عقب التذكير بالقوم الذين كذبوا رسلهم ، وبعض مواقف المشركين منه صلى الله عليه وسلم ، وإملاء الله للقرى وهي ظالمة ، وكذلك التذكير بمصير الصالحين والمعاندين . إن ورودها كذلك يؤكد أن التمنى المقصود هو تمنيه صلى الله عليه وسلم لإسلام قومه . كما تمنى الرسل والنبيون قبله . وأن إلقاء الشيطان في أمنية الرسول (ص) هو وسوسته التي يبشها في نفوس أوليائه ؛ ليحملهم على البقاء على الكفر ، فلا تتحقق أمنية الرسول (ص) ، وأما نسخ الله لما يلقى الشيطان ، فهو نصره لرسوله وتأيد له حتى يؤمن الكثير من قومه ، كما فعل بيونس وغيره . والله أعلم .

(١) ورد نسبه في نسب قريش دون ذكر أبي كبير ص ٢٥٦ أما أبو كبير فهو منهب بن عبد بن قصى في نسب قريش . شهد بدرًا مع النبي ﷺ ، وقتل يوم اليرموك شهيدا . ص ٢٥٧ .

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

وقصة ابن مظعون إلى آخرها ، وليس فيها ما يشكل غير سؤال واحد ، وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ قولَ لَيْبِد :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ^(١)

فصدقه في هذا القول وهو - عليه السلام - يقول في مناجاته : «أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، ولقاؤك حق»^(٢) . فكيف يجتمع هذا مع قوله :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

فالجواب من وجهين أحدهما : أن يريد بقوله : ما خلا الله : ما عداه ، وعدا رحمته التي وعد بها من رحمه ، والنار وما توعده من عقابه ، وما سوى هذا فباطل . أى : مضمحل والجواب الثانى : أن الجنة والنار وإن كانتا حقا ، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما ، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما ، وأنه يخالق الدوام لأهلهما على .

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة . وفي رواية لمسلم : أَصْدَقُ بَيْتٍ . وفي رواية لأحمد والترمذي عن أبي هريرة : أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ، وهذه الرواية ترفع إشكال السهيلي ، وقد عد البخاري وابن أبي خيثمة وغيرهما ، لبيدا ، في الصحابة . وقيل : عاش قرنا ونصفا أو أكثر ، ومات في خلافة عثمان . وهو القائل .

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد
(٢) رواه البخاري

قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات ، وهو قول الأشعري ،
وإنما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال ، وهو القديم^(١) الذي انعدامه
محال ؛ ولذلك قال عليه السلام : أنت الحق بالألف واللام ، أي المستحق لهذا الاسم
على الحقيقة ، وقولك الحق ؛ لأن قوله قديم ، وليس بمخلوق فيبيد ، ووعده
الحق ، كذلك ، لأن وعده كلامه ، وهذا مقتضى الألف واللام ، ثم قال : والجنة
حق ، والنار حق بغير ألف ولام ، ولقاؤك حق كذلك ، لأن هذه أمور مُحَدَّثَات
والحدَث لا يجب له البقاء من جهة ذاته ، وإنما علمنا بقاءها من جهة الخبر
الصائق الذي لا يجوز عليه الخلف ، لا من جهة استحالة البقاء عليها ، كما يستحيل
على القديم - سبحانه - الذي هو الحق ، وما خلاه باطل ، فإمّا جوهر وإمّا
عرض ، وليس في الأعراض إلا ما يجب له الفناء ، ولا في الجواهر إلا ما يجوز
عليه الفناء والبطول ، وإن بقي ولم يبطل فحائز أن يبطل . وأما الحق - سبحانه -

(١) لم يرد في قرآن ولا سنة وصف الله بالقدم ، وإنما ورد في القرآن وصفه
بأنه الأول . أما القدم فكانت صفة للضلال : (قالوا : تالله إنك لفي ضلالك
القديم) يوسف : ٩٥ وللعرجون : (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم) يس : ٣٩ والإفك : (وإذ لم يمتدوا به ، فسيقولون : هذا إفك قديم)
الاحقاف : ١١ والآباء الضالين السابقين : (قال : أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم
وآبائكم إلا قدمون . فإنهم عدول إلا رب العالمين) الشعراء : ٧٦ ولا يجوز
وصف الله بصفة هذا استعملها . وهذه موارد في القرآن الكريم ، كما لا يجوز
أن يسمى الله أو يوصف إلا بما سمي ووصف به نفسه . ولو وضعت صفة أنه
« الأول » بدلا من قديم لاستراح الفكر البشري من هذا الجدل المحموم الذي
استمر حتى الآن حول صفة القدم ومدلولها ونسبتها إلى الله والعالم . فلا ينكر حتى
زنادقة الفلسفة وملحدو الإشرافية أنه سبحانه هو : الأول .

فليس من الجواهر والأعراض ، فاستحال عليه ما يجب لما ، أو يجوز عليهما .
ذكر حديث أبي بكر مع ابن الدغنة :

وذكر حديث أبي بكر حين لقي ابن الدغنة ، واسمه : مالك ، وهو سيد
الأحايش ، وقد سماهم ابن إسحاق ، وهم : بنو الحارث وبنو النون من كنانة ،
وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا ، أى : تجموا ، فسموا الأحايش . قيل :
لأنهم تحالفوا عند جبيل ، يقال له حبشي^(١) ، فاشتق لهم منه هذا الاسم .
وقوله لأبي بكر : إنك لتكسب المعدوم^(٢) ، يقال : كسبت الرجل مالا ،

(١) قال عنه ابن دريد فى الاشتقاق : جبيل يقال له حبشى . ص ١٩٣ .

(٢) فى رواية للبخارى أنه قال له : « إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم
وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » ، ونحن نلاحظ أنه
عين ما قالته أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم حين
عاد إلى البيت ليلة الوحي

والحديث فى البخارى بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وفيه أن
أبا بكر خرج مهاجرا إلى أرض الحبشة حتى بلغ برك - الكسر أشهر - الغاد ، والدغنة
بفتح الدال وكسر الغين وتخفيف النون ، أوفتها وفتح النون مع تشديدها ، أو بضم الدال
والغين وتشديد النون ، وسمى بهذا لاسترخاء فى لسانه . أو لأن الدغنة أمه ، أو أم
أبيه ، وقيل : دابته . وفى رواية البخارى : « وارتحل معه ابن الدغنة فظاف
إلى الدغنة عشية فى أشراف قریش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله .
ولا يخرج ، وفيه أيضاً : « فلبث أبو بكر بذلك بعدد ربه فى داره ، ولا يستعلن
بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجدا بفناء داره ،
وكان يصل فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتقذف عليه لساء المشركين وأبنائهم » .
رواه البخارى فى باب الهجرة إلى المدينة مطولا ، وفى مواضع أخرى مختصرا .

فتعلمه إلى مفعولين . هذا قول الأَصْمَعِيِّ ، وحكى غيره : أَكْسَبْتُهُ مَالاً ، فعنى : تَكَسَّبُ المَعْدُومَ ، أى : تَكَسَّبَ غَيْرُكَ ما هو معدوم عنده ، والدَّغْنَةُ : اسم امرأة عُرف بها الرجل ، والدَّغْنُ : الغنمُ يبقى بعد المطر .

عن الشعب ونقض الصحيفة :

فصل : وذكر نقض الصحيفة ، وقيام هشام فيها ونسبه ، فقال : هشام بن الحارث ، بن حُبَيْبٍ ، وفي الحاشية عن أبي الوليد : إنما هو هشام بن عمرو ابن ربيعة بن الحارث ^(١) ، وهكذا وقع نسبه في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وكان أبوه عمرو أخا نضلة بن هاشم لأمه .

وذكر أنه كان يأتى بالبعير قد أوقره بَرًّا بالزأى المعجمة ، وفي غير نسخة الشيخ أبى بجر : بَرًّا ، وفي رواية يونس : بَرًّا أو بُرًّا على الشك من الراوى .

وذكر أن منصور بن عكرمة كان كاتب الصحيفة ، فشلت يده ، وللنسأب

(١) لعل المؤلف كانت بيده نسخة من السيرة غير التى معنا ، فالتى معنا فيها : هاشم بن عمرو بن ربيعة ، ونسبه مختلف عما فى كتاب نسب قريش ، فهو فيه هكذا : د هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى ، فهو فى النسب كما ترى من نسل جذيمة بن مالك ، أما فى السيرة فهو من نسل نصر بن مالك شقيق جذيمة ، وقد قال مصعب عن هاشم هذا : د وهو الذى قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم فى نفر قاموا معه ، منهم : مطعم بن عدى بن نوفل وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وأبو البختري بن هشام بن الحارث فى رجال من قريش ، ص ٣١ ، وانظر أيضاً ص ٤١٢ عن سلالة عامر بن لؤى

من قریش فی کتاب الصحیفة قولان، أحدهما : أن كاتب الصحیفة هو : بَغِيضُ ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والقول الثاني : أنه مَنْصُور ابن عَبْد شَرْحَبِيل بن هاشم من بني عبد الدار أيضا ، وهو خلاف قول ابن إسحاق ، ولم يذكر الزَّيْبُرُ في كتاب الصحیفة غير هذين القولين ، والزَّيْبُرِيُّونَ أعلم بأنساب قومهم (١) .

وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الشَّعْب من ضيق الحصار لا يبايعون ولا يبايكون ، وفي الصحيح : أنهم جُهِدُوا حتى كانوا يأكلون الخَبْطَ وَوَرَقَ السَّمَرِ ، حتى إن أحدهم لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ (٢) ، وكان فيهم سعدُ بن أبي وقَّاص . روى أنه قال : لقد جُعت ، حتى إنى وطئت ذات ليلة على شيء رطب ، فوضعت في فمي وبلعته ، وما أدري ما هو إلى الآن ، وفي رواية يونس : أن سعداً قال : خَرَجْتُ ذات ليلة لأبول ، فسمعت قَفْقَعَةً تحت البول ، فإذا قطعة من جِلْدٍ بعير يابسة ، فأخذتها وغسلتها ، ثم أحرقتها ثم رَضَضْتُهَا ، وَسَفَفْتُهَا بالماء ، فَقَوَّيْتُ بها ثلاثاً ، وكانوا إذا قدمت العيرُ مكة يأتي أحدهم السوقَ ليشتري شيئاً من الطعام لعياله ، فيقوم أبولهب عدوُّ الله ، فيقول :

(١) ذكرهما المصعب الزبيري ص ٢٢٢ نسب قریش ، وذكر أن كنية

منصور هي : أبو الروم

(٢) في اللسان : ورواها الذي في حديث سعد : إن كان أحدهم ليضع كما تضع

الشاة . أراد : أن نجوم - النجو : ما يخرج من البطن من غائط - كان يخرج بمرأٍ ليلبسه من أكلهم ورق السمر ، وعدم الغذاء المألوف ، مادة وضع .

يامعشر التجار : غَالُوا عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، حَتَّى لَا يُدْرِكُوا مَعَكُمْ شَيْئًا ، فَقَدْ
عَلِمْتُمْ مَالِي وَوَفَاءَ ذِمَّتِي ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا خَسَارَ عَلَيْكُمْ ، فَيَزِيدُونَ عَلَيْهِمْ فِي السَّلْعَةِ ،
قِيمَتَهَا أَضْعَافًا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَطْفَالِهِ ، وَهُمْ يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ ، وَلا يَسُوفُ فِي يَدَيْهِ
شَيْءٌ يُطْعِمُهُمْ بِهِ ، وَيَغْدُو التَّجَارُ عَلَى أَبِي لَهَبٍ ، فَيَرْجِعُهُمْ فِيمَا اشْتَرَوْا مِنَ الطَّعَامِ
وَاللِّبَاسِ ، حَتَّى جُمِعَ الدُّلُومُنُونَ ، وَمِنْ مَعَهُمْ جُوعًا وَعُرْيًا ، وَهَذِهِ إِحْدَى
الشَّدَائِدِ الثَّلَاثِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا تَأْوِيلُ الْفَطَّاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي غَطَّاهُ جَبْرِيلُ حِينَ
قَالَ لَهُ : اقْرَأْ ، قَالَ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَانَ فِي الْيَقَظَةِ ، وَلَكِنْ مَعَ
ذَلِكَ لَهُ فِي مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ تَأْوِيلٌ وَإِيمَاءٌ ، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى هَذَا قَبْلَ ،
وإِلَى آخِرِ حَدِيثِ الصَّحِيفَةِ لَيْسَ فِيهَا مَا يَشْكُلُ ^(١) .

(١) كَانَ ابْتِدَاءُ حَصْرِهِمْ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْمَبْعَثِ . فَأَقَامُوا سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا
كَما رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَجَزَمَ مُوسَى بْنُ عَقِبَةَ بِأَنَّهَا كَانَتْ ثَلَاثَ سَنِينَ . وَذَكَرَ
الْوَاقِدِيُّ أَنَّ خُرُوجَهُمْ مِنَ الشَّعْبِ كَانَ فِي سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ الْمَبْعَثِ ، وَمَاتَ أَبُو طَالِبٍ
بَعْدَ أَنْ خَرَجُوا بِقَلِيلٍ . وَيَقُولُ الْحَافِظُ فِي فَتْحِ الْبَارِي : « وَلَمَّا لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ الْبَخَّارِيِّ
شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ اكْتَفَى بِإِبْرَادِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : نَصَهُ : « قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
(ص) حِينَ أَرَادَ حَنِينًا : مَنَزَلْنَا غُدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كَنْانَةَ ، حَيْثُ
تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ ، لِأَنَّ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَصْلِ الْقِصَّةِ ، لِأَنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ أَهْلُ
الْمَغَازِي مِنْ ذَلِكَ كَالْإِشْرَاحِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ : عَلَى الْكُفْرِ ، ص ١٥٢ وَمَا بَعْدَهَا .
ج ٧ فِتْحُ الْبَارِي .

وَيَقُولُ الْحَافِظُ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ أَيْضًا عَمَّا أَكَلْتَهُ الْأَرْضُ مِنَ الصَّحِيفَةِ :
« أَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ وَمُوسَى بْنُ عَقِبَةَ وَعُرْوَةُ فَذَكَرُوا عَكْسَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَرْضَ لَمْ
تَدْعُ اسْمًا لِلَّهِ إِلَّا أَكَلْتَهُ ، وَبَقِيَ مَا فِيهَا مِنَ الظُّلْمِ وَالْقَطِيعَةِ ، قَالَ الْبَرْهَانُ مَا حَاصِلُهُ :
وَهَذَا أُثْبِتَ مِنَ الْأَوَّلِ ص ٢٩٠ ج ١ شَرْحُ الْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ .

شرح داليت أبي طالب :

وقول أبي طالب : ألا^(١) قد أتى بَحْرَيْنَا ، يعنى الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى البَحْر لركوبهم إياه ، وهسكذا وجه النسب إليه ، وقد قال عليه السلام : إذا نشأت بَحْرِيَّة ، وزعم ابن سيدة فى كتاب المحكم له أن العرب تنسب إلى البحر : بَحْرَانِي على غير قياس ، وأنه من شَوَاز النسب ، ونسب هذا القول إلى سيبويه والخليل ، ولم يقله سيبويه قط ، وإنما قال فى شَوَاز النسب : تقول فى بَهْرَاء : بَهْرَانِي ، وفى صنعاء : صَنْعَانِي ، كما تقول : بَحْرَانِي فى النسب إلى البَحْرَيْنِ التى هى مدينة ، وعلى هذا تلقاء جميع النحاة ، وتأولوه من كلام سيبويه ، وإنما شبه على ابن سيدة لقول الخليل فى هذه المسألة ، أعنى مسألة النسب إلى البحرين ، كأنهم بَنَوْا البحر على بَحْرَان ، وإنما أراد لفظ البحرين^(٢) ألا تراه يقول

(١) فى السيرة : ألا هل .

(٢) قياسها : بحراني . ولكمهم قالوا : بحراني ، فقياس المثني المجمعول نونه معتقب الإعراب أن يكون فى الأحوال بالآلف ، فيلزم البحرين الياء شاذ لاذن وإذا جعل نون المثني معتقب الإعراب لم يحذف فى النسب لاهو ولا الآلف فقل : بحراني على أنه منسوب إلى البحران المجمعول نونه معتقب الإعراب ص ٨٢ شرح الشافعية ، وللتوضيح أقول : من العلماء من يلزم المثني إذا سمي به الآلف والنون ويعربه إعراب ما لا ينصرف ، ومنهم من يلزمه الآلف والنون وبصرفه فتظهر علامات الإعراب على النون رفعا وجرا ونصبا ، ولا تكون الآلف علامة إعراب ، ولهذا ينسب إلى المثني حينئذ دون حذف شيء منه مثل بحراني . وقياس صنعاء وبهراء فى النسب : بهراوى وصنعاوى مثل حراوى ، ولكمهم أبدلوا النون من الواو شذوذا للنسبة التى بينهما . وقيل فى النون التى فى صنعاني لأنها بدل من الهمزة فى صنعاء ، أو بدل من الواو فى نسبها القياسى ، وهو صنعاوى كأنهم قالوا : صنعاوى كصحراوى ، ثم أبدلوا من الواو نونا ، وهو المختار عند

في كتاب العين : تقول بَحْرَانِي في النسب إلى الْبَحْرَيْن ، ولم يذكر النسب إلى البحر أصلاً للعلم به ، وأنه على القياس جار ، وفي الغريب المصنف عن الزيدى أنه قال : إنما ^(١) قالوا : بَحْرَانِي في النسب إلى الْبَحْرَيْن ، ولم يقولوا : بَحْرِي ليفرقوا بينه وبين النسب إلى الْبَحْرِ ، وما زال ابن سيدة يعثر في هذا الكتاب وغيره [عثرات] يذمى منها الأَظْلُ ، وَيَدْحَضُ دَحَضَات تُخْرِجُهُ إِلَى سَبِيل مَنْ ضَلَّ ^(٢) ألا تراه قال في هذا الباب : وذكر بحيرة طَبْرِية ، فقال : هي من أعلام خروج الدجال ، وأن ماءها يَبْس عند خروجه ، والحديث : إنما جاء في ^(٣) عين زُغَر ، وإنما ذكرت بحيرة طَبْرِية في حديث بأجوج ومأجوج ،

== الزخشرى ، لأن النون من الفم ، والهمزة من أقصى الحلق ، فلا مناسبة بينهما ، أما النون فتقارب الواو . وقد سبق ذكر شيء من هذا . هذا وقد ورد في اللسان منسوباً إلى ابن سيدة : والنسب إلى البحر : بَحْرَانِي على غير قياس . قال سيويوه قال الخليل : كأنهم بنوا الاسم على فعْلان ، ثم نقل ابن منظور بعد هذا عين ما ذكره السهيلي رداً على ابن سيدة ، وقد نسبته إلى السهيلي . وفيه : « اشبهته على ابن سيدة ، بدلاً من شبه . والزيدى بدلاً من الزيدى . »

(١) في الأصل : إذا ، والتصويب من اللسان ص ٢٣٣ الذي وردت فيه نفس هذه الفقرة .

(٢) الأَظْلُ باطن الإصبع ، ودَحَضُ كقطع : زلقت رجله .

(٣) في اللسان : غور . وفي معجم البكري : عين زُغَر اختلف فيها ، فقيل هي بالشام . قال الكلبي : زُغَر : امرأة نسبت إليها هذه العين . وفي حديث على أن عين زُغَر بالبصرة . وعين زُغَر هي التي سألت عنها الدجال في حديث تميم الداري . وقال ابن سهل الأحول : سميت بزُغَر بنت لوط . وفي المراسد : قرية يشارف الشام في طرف البحيرة المنتنة ، وتسمى البحيرة بها ، وهي قرب الكرك .

وأنهم يشربون ماءها ، وقال في الجار في غير هذا الكتاب : [إنما] هي التي ترى بعرفة ، وهذه هفوة لا تُقال ، وعثرة ^(١) [لا] لعالمها ^(٢) وكم له من هذا إذا تكلم في النسب وغيره ^(٣) ، ومن النسب إلى البحر قوله عليه السلام لأسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة : البَحْرِيَّةُ الحَبَشِيَّةُ ، فهذا مثل قول أبي طالب : ألا هل أتى بحريِّينا .

وقوله : والله بالناس أرودُ : أى : أرْفُقُ ، ومنه : رُوَيْدُكَ ، أى : رِفْقًا جاء بلفظ التصغير ؛ لأنهم يريدون به تقايلا أى : أرْفُق قليلا ، وليس له مكبر من لفظه ؛ لأن المصدر : إروادا ، إلا أن يكون من باب تصغير الترخيم ، وهو أن تصغر الاسم الذى فيه الزوائد ، فمحذفها في التصغير ، فتحذف في أسود : سُوَيْدُ ، وفي مثل إرواد : رُوَيْدُ ^(٤) .

وقوله : من ليس فيها بقرقر : أى : ليس بذليل ، لأن القَرَقَر : الأرضُ

(١) لما : صوت معناه : الدعاء للعائر بأن يرتفع من عثرته . يقال : لعالفلان وفى الدعاء عليه بالتعس : يقولون : لا لعاله . والسياق يقتضى وجود كلمة : لا . وقد وضعتها لهذا ، ومع ذلك فهى فى اللسان الذى نقل هذا النص كله عن السهيلي .
(٢) إلى هنا انتهى ما نقله اللسان عن الروض ، وقد نقل من أول : زعم ابن سيدة فى كتاب المحكم .

(٣) تصغير الترخيم شاذ قليل ، ويرى اقراء أن العلم وحده هو الذى يصغر تصغير الترخيم ، لأن ما يبق منه بعد الترخيم دليل على ما حذف لشبهة العلم ، وأجازه البصريون فى غير العلم واستشهدوا بالمثل : عرف حميق جملة فصغر أحق تصغير ترخيم .

الْمَوْطُوءَةُ الَّتِي لَا تَمْنَعُ سَائِكَهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ : لَيْسَ بِذِي هَزَلٍ ، لِأَنَّ الْقَرْقَرَةَ : الضَّحْكَ .

وقوله : وطائرهما في رأسها يتردد . أى : حفظها من الشُّومر والشر ، خوف التَّنْزِيلِ : ﴿الزَّمْنَاءُ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ﴾ الإسراء : ١٣ . وقوله : لَهَا حُدُجٌ سَهْمٌ وقوسٌ ومِرْهَدٌ، وجدت في حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبي الوليد الكِنَانِي على هذا البيت : لعله حُدُجٌ بضم الحاء والذال جمع حِدْجٍ على ما حكى الفارسي ، وَأُنْشِدَ شَاهِدًا عَلَيْهِ عَنْ ثَعْلَبٍ :

قَدْ أَفَانَسْنَا الْخُؤُولَ وَالْحُدُجَ

ونظيره : سِتْرُوسُتْرُ، ذكر ذلك عنه ابنُ سَيِّدَةٍ في محكمه، فيكون المعنى : إِنْ الَّذِي يَقُومُ لَهَا مَقَامُ الْحُدُجِ سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَدٌ . إلى هنا انتهى ما في حاشية كتاب الشيخ . قال المؤلف : وفي الدين : الْحُدُجُ : حَسَكُ الْقُطْبِ [مَادَامَ رَطْبًا] فيكون ^(١) الْحُدُجُ فِي الْبَيْتِ مُسْتَعَارًا مِنْ هَذَا ، أَيْ : لَهَا حَسَكٌ ، ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ : سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَدٌ ^(٢) ، هَكَذَا فِي الْأَصْلِ بِالرَّاءِ وَكُسْرِ الْمِيمِ

(١) الْقُطْبُ : ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ يَذْهَبُ حَبَالًا عَلَى الْأَرْضِ طَوِيلًا ، وَهُوَ زَهْرَةٌ صَفْرَاءُ ، وَشَوْكُهُ إِذَا حَصَدَ وَيَبَسَ يَشَقُّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَطْنُوهُ ، وَفِي الْأَصْلِ : الْحُدُجُ حَسَكُ الْعَبْطِ ، وَالْعَبْطُ : الْقَطَنُ ، وَهَذَا لَا يَتَّفِقُ مَعَ مَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ : وَالْحُدُجُ حَسَكٌ ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنَ اللِّسَانِ ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ زِيَادَةٌ مِنَ اللِّسَانِ ، وَقَوْلُ الْفَارَسِيِّ عَنْ ثَعْلَبٍ مَوْجُودٌ فِي اللِّسَانِ ، وَقَدْ فَسَّرَهَا أَبُو ذَرٍّ الْخَشَنِيُّ بِمَا يَأْتِي : دَحْدَجُ كَثْرَةٍ ، وَأَصْلُ الْحُدُجِ : صَفَارُ الْخَنْظَلِ وَالْخَشْخَاشِ ، فَشَبَّهَ كَثَرَتَهُمْ بِهِ .

(٢) عِنْدَ الْخَشَنِيِّ : مِرْهَدٌ بَفَتْحِ الْمِيمِ : رَمَحٌ لِينٌ ، وَمَنْ رَوَاهُ فَرَهْدٌ ، فَعَنَاهُ

فيحتمل أن يكون مقلوبا من مَرْهَدٍ : مَفْعَلٌ من رَهَدَ الثوبَ إذا مزقه ، ويعنى به رُمْحًا أو سيفًا ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرّهيد ، وهو الناعم أى : ينعم صاحبه بالظفر ، أو ينعم هو بالرّسّ من الدّم ، وفي بعض النسخ : مَزْهَدٌ بفتح الميم والزاي ، فإن صحت الرواية به ، فمعناه : مَزْهَدٌ في الحياة ، وحرّص على الممات ، والله أعلم . وقوله فيها : إذا جعلت أيدي المقيضين تُرْعَدُ . يعنى : أيدي المقيضين بالقداح في الميسر ، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا سخيٌّ ، ويسمون من لا يدخل معهم في ذلك : الْبَرَمَ . وقالت امرأة لبعلمها - وكان برمًا بخيلا ، ورأته بقرن بَضْعَتَيْنِ في الأكل : أْبْرَمًا قَرُونًا^(١) ويسمونه أيضًا الْخُصُورَةَ . يريد أبو طالب : إنهم يطعمون إذا بخل الناس . والميسر : هى الجزورُ التى تُقَسِّمُ ، يقال : يَسِرْتُ إذا قسمت ، هكذا فسرهُ الْقُتَيْبِيُّ وأنشد :

أقول لهم بالشَّعبِ إذ يَسِرُونِني أَلَمْ يَأسُوا أنى ابنُ فُارسٍ زَهْدِمَ^(٢)

قال : يَسِرُونِني أى : يَفْتَسِمُونِ مالى ، ويُرَوى : يَأْسِرُونِني من الأشرار .

==الرمح الذى إذا طعن به ، وسع الخرق ، ومن رواه مزهد ، فهو ضعيف لا معنى له إلا أن يراد به الشدة على معنى الاشتقاق .

(١) فى اللسان : وفى المثل : أبرمًا قرونًا . أى : هو برم ويأكل مع ذلك تمرتين تمرتين .

(٢) البيت فى اللسان ، وقد نسبته فى مادة يسر إلى سحيم بن وثيل البربوعى . وفيه : ألم تعملوا بدلا من : ألم يأسوا . كان وقع عليه سباء فضربه عليه بالسهم . وفى مادة زهدم يقول : قال ابن بَرى : زهدم : اسم لفرس . لسحيم بن وثيل ، وفيه يقول ابن جابر : أقول لهم بالشعب الخ . والزهدم : الصقر ، وزهدم : اسم فرس ، وفارس يقال له : فارس زهدم .

وقوله: رَفَرَفِ الدَّرْعُ أَحَرَدُ. رَفَرَفُ الدَّرْعِ: فُضُولُهَا، وقيل في معنى: رَفَرَفِ خُضْرٍ: فضول القُرْشِ والبُسْطِ، وهو قول ابن عباس، وعن علي أنها: المَرافِقُ، وعن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: الزفارف: رياض الجنة، والأحَرَدُ الذي في مشيه تتأقُلُ، وهو من الحَرَدِ، وهو: عَيْبُ فِي الرُّجْلِ. وفيه: هَمَزٌ واسْهَلُ بْنُ بَيْضَاءَ راضياً. سهل هذا هو: ابن وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ هِلَالِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ، يعرف: بابن البَيْضَاءَ^(١)، وهي أمه، واسمها: دَعْدُ بنت جَحْدَمَ بْنِ أُمَيَّةَ ابن ضَرِبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ، وهم ثلاثة إخوة: سَهْلٌ وسُهَيْلٌ وصفوان بنو البَيْضَاءَ. وقوله:

وإني وإياكم كما قال قائل لديك البيان لو تكلمت أسود^(٢)

أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل، فلم يعرف قاتله، فنال أوليما المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلاً.

(١) ورد نسب وهب في نسب قريش هكذا: « وهب، بن ربعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث، ص ٤٤٦ ولم يذكر غير سهيل وصفوان ابن وهب بن ربعة بن هلال، لكن في جمهرة ابن حزم: « سهل بن وهب بن ربعة بن عامر بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر » ص ١٦٧ جمهرة ابن حزم، ولم يذكر سهيلاً. والام في النسب هي: دعد بنت جحدم بن عمرو بن عائش، وفي جمهرة ابن حزم جاء بعد عائش: ابن المطرف بن حارث بن فهر.

(٢) في النسخة التي معنا: « فإني وإياكم، وفي القاموس: أسود العين، وأسود النساء، وأسود العماريات، وأسود الدم، وأسود الحى: جبال، وفي الحاشية أسود: اسم رجل، وأراد: يا أسود، وهو مثل يضرب للقادر على الشيء ولا يفعله ص ١٠٩.

قول مسنده في مطعم وهشام بن عمرو :

فصل : وذكر قول حسان في مطعم بن عدي ، وذكر جواره للنبي - عليه السلام - وذلك حين رجع من الطائف ، وقيامه في أمر الصحيفة :
 « فلو كان مجذبا يخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجذبه اليوم مطعميا ^(١) »
 وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة ، لأنه قدم الفاعل ، وهو مضاف إلى ضمير المفعول ، فصار في الضرورة ؛ مثل قوله :

جزى ربُّه عني عدي بن حاتم ^(٢)

(١) استشهد به ابن عقيل في شرح الالفية ، وهو يشرح قول ابن مالك .

وشاع نحو خاف به عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

أى : شاع تقديم المفعول المشتمل على ضمير يرجع إلى الفاعل المتأخر ، وشذ عود الضمير من الفاعل المتقدم على المفعول المتأخر ، وإنما شذ ذلك لأن فيه عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة ؛ لأن الشجر مفعول به ، وهو متأخر لفظا ، والأصل فيه أن ينفصل عن الفعل ، فهو متأخر رتبة . وقد أجاز هذا الأخفش - وابن جني وأبو عبد الله الطوال وابن مالك في التسهيل ، ونصر الجرجاني مذهب الأخفش ، وفي بيتنا هذا آخر المفعول وهو مطعم عن الفاعل ، وهو مجده مع أن الفاعل مضاف إلى ضمير يعود على المفعول ، فيقتضى رجوع الضمير إلى متأخر لفظا ورتبة . والبيت في الاشتقاق : « فلو أن مجذبا خلد الخ ص ٨٨ .

(٢) البيت لابن الأسود الدؤلي يهجو عدي بن حاتم الطائي ، وبقيته : « جزاء الكلاب العاويات وقد فعل » . وقد نسبته ابن جني إلى النابغة الذبياني . والشاهد فيه تأخير المفعول وهو عدي ، وقدم الفاعل وهو ربّه مع اتصال الفاعل بضمير يعود على المفعول . انظر خزائن الأدب للبغدادي ص ٢٠٩ وما بعدها . وشرح ابن عقيل الالفية ص ١٠٤٢ بتحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد .

غير أنه في هذا البيت أشبه قليلا لتقدم ذكر مُطْعِم ، فكأنه قال : أبقى
مجدُّ هذا المذكور المتقدم ذِكْرُهُ مُطْعِمًا . ووضع الظاهر موضع المضمرة ، كما لو قلت :
إن زيدا ضربت جاريته زيدا ، أى : ضربت جاريته إياه ، ولا بأس بمثل
هذا ، ولا سيما إذا قصدت قصدَ التعظيم وتفخيم ذكر المدوح ، كما قال الشاعر :

ومالَى أَن أَكُونَ أَعْيَبُ يَحْيَى وَيَحْيَى طَاهِرِ الْأَثْوَابِ بَرٍّ

ويجوز نصبه عندى على البدل من قوله : وَبَكَّى عَظِيمَ الْمُشْعِرِينَ ، ويكون
المفعول من قوله : أبقى مجدُّه محذوفا ، فكأنه قال : أبقاه مجدُّه أبدا ، والمفعول
اللافتح في حذفه ، إذا دل عليه الكلام كما في هذا البيت .

وذكر قول حسان في هشام بن عمرو ، وقال فيه : للهارث بن حُبَيْبٍ
ابن سُخَّام ، وقد تقدم نسبه ، وهو حُبَيْبٌ بالتخفيف تصغير حَبٍّ ، وجعله
حسان تصغير حُبَيْب ، فشده ، وليس هذا من باب الضرورة ؛ إذ لا يسوغ
أن يقال في فُلَيْسٍ : فُلَيْسٌ ، ولا في كُذِّيبٍ : كُذِّيبٌ في شعر ولا غيره ، ولكن
لما كان الحُبُّ والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر ، وهو حَسَنٌ
في الشعر ، وسائغ في الكلام ، وهشام بن عمرو هذا أسلم ، وهو معدود في المؤلفة
مقلوبهم ، وكانوا أربعين رجلا فيما ذكروا .

وقوله : ابن سُخَّام ، هو : اسم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه : سُخَّامٌ
بشين معجمة ، وألفت في حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدة الدَّسَابَةِ وعَوَانَةَ
يقولون فيه : سُخَّامٌ بسين وحاء مهملتين ، والذي في الأصل من قول ابن هشام :

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما يرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه . وجعلت قريش ، حين منعه الله منهم ، يحذرونه الناس ، ومن قدم عليهم من العرب . وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث : أنه قدم مكة - ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها - فمشى إليه رجال من قريش - وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيبا - فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرّق جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وإنا نكوله كالسحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئاً .

سخام بسين مهملة ، وخاء معجمة ^(١) ولفظ سُخَام من شَخِمَ الطعام ، وخَشِمَ إذا تغيرت رائحته ، قاله أبو حنيفة .

(١) في نسب قريش ص ٣٢٤ أن سخاما بالشين والحاء هو: جذيمة بن مالك بن حسل ، وأنه جد هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بضم الحاء - ابن جذيمة ابن مالك بن حسل . وفيه أيضا أن حبيباً بن جذيمة يقال له : سخام ، وأن أمه هي مارية بنت عبد معيص . وفي النسب بيت آخر غير ثلاثة الأبيات التي في السيرة :
أخنى بنو خلف وأخنى قنقذ وأبو الربيع ، وطار ثوب هشام
ونسب هشام في الجمهرة كما هو في النسب ص ١٦٠ ، وفي الإصابة : حنيف بدلا من حبيب . وأن هشاما أعطاه النبي (ص) دون المائة من غنائم حنين .

قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلّمه ، حتى حشوتُ في أذني حين غدوتُ إلى المسجد كُرسُفاً فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع . قال : فغدوتُ إلى المسجد ، فإذا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قائمٌ يصلي عند السكبة . قال : فقمْتُ منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعضَ قوله . قال : فسمعتُ كلاماً حسناً . قال : فقلت في نفسي : وائسُ كل أُمي !! والله إنِّي لرجُلٌ كئيبٌ شاعرٌ ما يخفى على الحسنُ من القبيح ، فما يمتنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ! فإن كان الذي يأتي به حسناً قَبِلْتُهُ ، وإن كان قبيحاً تركْتُهُ .

قال : فمكنتُ حتى انصرف رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيته فأتبعْتُهُ ، حتى إذا دخل بيته دخلْتُ عليه ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قالوا لي كذا وكذا - للذي قالوا - فوالله ما برحوا يُخَوِّفونني أمرَكَ حتى سددت أذني بكرسُفٍ لئلا أسمع قولَكَ ، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولَكَ ، فسمعتُهُ قولاً حسناً ، فأعرض على مَرَك . قال : فعرض عليّ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام ، وتلا عليّ القرآن ، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدلَ منه ، قال : فأسلمت ، وشهدتُ شهادة الحق ، وقلت : يا نبيَّ الله إنني امرؤٌ مُطاعٌ في قومي ، وأنا راجعٌ إليهم ، وداعيتهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يجعل لي آيةً تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال : اللهم اجعل له آية .

قال : فخرجتُ إلى قومي ، حتى إذا كنتُ بِشَنِيَّةٍ تُطْلَعُني على الحاضر وقع

نورَين عينيَّ مثلُ المصباح ، فقلت : اللهم في غير وجهي ، إني أخشى ، أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم . قال : فتحوّل فوق في رأس سوطي . قال : فجعل الحاضرُ يترأّون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا أهبط إليهم من الثَّنية ، قال : حتى جنبهم فأصبحتُ فيهم .

إسلام والد الطفيل وزوجته

قال : فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخا كبيرا ، قال : فقلت : إليك عني . يا أبت ، فلستُ منك ، ولستَ مني ، قال : ولم يابني ؟ قال : قلت : أسلمتُ ، وتابعت دينَ محمد - صلى الله عليه وسلم - قال : أى بنى ، فديني دينك ، قال : فقلت : فاذهب ، فاغتسل ، وطهّر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمتُ . قال : فاذهب فاغتسل ، وطهّر ثيابه . قال : ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام ، فأسلم .

قال : ثم أتتني صاحبتى ، فقلت : إليك عني ، فلستُ منك ولستَ مني ، قالت : لمَ ؟ بأبى أنت وأُمى ، قال : قلت : قد فترق بينى وبينك الإسلام ، وتابعتُ دينَ محمد - صلى الله عليه وسلم - قالت : فديني دينك ، قال : قلت : فاذهبي إلى حنّاء ذى الشرى - قال ابن هشام : ويقال : حمى ذى الشرى - فتطهّرى منه .

ذو الشرى صنما لدؤس ، وكان الحمى حمى حمّوه له ، به وشلّ من ماء يهبط من جبل .

قال : قالت : بأبي أنت وأمي ، أتخشى على الصبيّة من ذى الشّرى شيئا .
قال : قلت : لا ، أنا ضامنٌ لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضتُ
عابها الإسلام ، فأسلمت .

ثم دعوت دّوسا إلى الإسلام ، فأبطئوا علىّ ، ثم جئتُ رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - بمكّة ، فقلت له : يا نبيّ الله ، إنه قد غلبني على دّوس
الزّنا ، فادّعُ الله عليهم ، فقال : اللهمّ اهْدِ دّوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم
وارفُق بهم ، قال : فلم أزل بأرض دّوس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، ومضى بدرّ وأحدّ والخندق ،
ثم قدمتُ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمن أسلمَ معي من قومي ،
ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين
بيتا من دّوس ، ثم لحقنا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر ، فأسلمَ لفسا
مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى إذا فتح الله عليه مكة -
قال : قلت : يا رسول الله ، ابعثنى إلى ذى الكفّين ، ضمّ عمرو بن مُحَمّة
حتى أُحرّقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ، ويقول :

يا ذا الكفّين لَسْتُ مِنْ عُبَادِكَ مِيلادنا أَقْدَمُ مِنْ مِيلادِكَ

إني حشوتُ النَّارَ فِي فُؤادِكَ

.....

قال : ثم رجع إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكان معه بالمدينة ، حتى قبض اللهُ رسولهُ — صلى الله عليه وسلم — فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم ، حتى فرغوا من طليحة ، ومن أرض نجد كلها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة — ومعه ابنةُ عمرو بن الطفيل — فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا ، فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق ، وأنه خرج من فمي طائرٌ ، وأنه لقيتني امرأة ، فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ، ثم رأيتُه حبس عني ، قالوا : خيرا . قال : أمّا أنا والله ، فقد أولعتها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أمّا حلق رأسي فوضعه ، وأمّا الطائر الذي خرج من فمي فروحى ، وأمّا المرأة التي أدخلتني فرجها ، فالأرض تحفر لي ، فأغيب فيها ، أما طلب ابني إياي ثم حبسه عني ، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني ، فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبَلَّ منها ، ثم قتل عام اليزموك في زمن عمر رضى الله عنه شهيدا .

من قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم : أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، [بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دؤمي ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار] خرج إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يريد الإسلام . فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لَمْ تَقْتِمِضْ غَيْفَكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَبَتْ كَلِمَاتِ السَّامِ مُسْتَهْدَا
 وَمَا ذَاكَ مِنْ عَشَقِ النِّسَاءِ ، وَإِنَّمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خَلَّةَ مَهْدَا
 وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ إِذَا أَصْلَحْتَ كَفَايَ عَادَ ، فَأَفْسَدَا
 كَهَوْلًا وَشُبَّانًا فَقَدْتُ وَثَرَوَةً فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا ١١
 وَمَا زِلْتُ أَبْغِي الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ وَلِيدًا وَكِهْلًا حِينَ شَبْتُ وَأَمْرَدَا
 وَأَبْتَذِلُ الْعِيسَ الْعَرَاقِيلَ تَعْتَلِي مَسَافَةً مَا بَيْنَ الذُّجَيْرِ فَصْرَخَدَا
 يَا أَيُّهَا السَّائِلُ أَيْنَ يَمُتُ فَلَيْتَ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعَدَا
 مَغَانٍ تَسْأَلِي عَنِّي ، فَيَارُبَّ سَائِلٍ حَفَى عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَضْعَدَا
 أَجَدَّتْ بِرِجْلَيْهَا النِّجَاءَ ، وَرَاجَعَتْ يَدَاهَا خِنَافًا لَيْثًا غَيْرَ أَحْرَدَا
 وَفِيهَا - إِذَا مَا هَجَّرَتْ - عَجْرَفِيَّةٌ إِذَا خَلَبَتْ حِرْبَاءَ الظُّهَيْرَةِ أَضِيدَا
 وَأَلَيْتُ لَا آوِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَفَى حَتَّى تَلَاقِي مُحَمَّدَا
 مَتَى مَا تُفَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ تُرَاحِي ، وَتَنْلِقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى
 نَبِيًّا يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذَكَرُهُ أَغَارَ لَعْمَرَى فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا
 لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِيبُ وَنَائِلٌ وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانَعَهُ غَدَا
 أَجِدُّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى ، وَأَشْهَدَا
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بَزَادَ مِنَ الثَّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
 نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونُ كَمَثَلِهِ فَتَرْصِدَ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا
 فَايَاكَ وَالْعَمِيَّتَاتِ لَا تَقْرُبْنَهَا وَلَا تَأْخُذْنَ سَهْمًا حَدِيدًا ، لَتَقْصِدَا
 وَذَا الْغُصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْدُسْكَ سَكَنَهُ وَلَا تَعْبِدِ الْأَوْثَانَ ، وَاللَّهِ فَاْعْبُدَا

ولا تَقْرَبَنَّ حُرَّةً كَانَ سِرُّهَا عَلَيْكَ حَرَامًا فَإِنَّكَ كَعَيْنٍ أَوْ تَابِدًا
وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَىٰ فَلَا تَقْطَعْهُ لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقِيدًا
وَسَبِّحْ عَلَىٰ حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَىٰ وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْمَدًا
وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْعَرَةِ مُخْلَدًا

مصير الأعشى

فلما كان بمكة أو قريباً منها ، اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؛ ليسلم ، فقال له : يا أبا بصير ، إنه مُحَرَّمُ الزَّنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمرٌ مالى فيه من أَرَب ، فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر ، فقال الأعشى : أمّا هذمه فوالله إنَّ في النفس منها أُمَلَّالَات ، ولكنى منصرفٌ فأتروى منها عاى هذا ، ثم آتية فأسلم . فانصرف فمات في عامه ذلك ، ولم يَعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذلة أبي جهل

قال ابن إسحاق : وقد كان عدوَّ الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبغضه إياه ، وشدة عليه ، يُذَلُّه الله له إزاراً .

أبو جهل والإراشي

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي ،
وكان واعية ، قال : قدم رجلٌ من إراش - قال ابن هشام : ويقال : لإراشة -
يأبل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمطّله بأثمانها . فأقبل الإراشي حتى
وقف على نادٍ من قريش ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في ناحية المسجد
جالسٌ ، فقال : يامعشر قريش ، مَنْ رجلٌ يؤدّيني على أبي الحكم بن هشام ،
فإني رجلٌ غريب ، ابنُ سَبِيل ، وقد غلبني على حقّي ؟ : فقال له أهلُ ذلك
المجلس : أترى ذلك الرجلَ الجالس - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهم يهزءون به ؛ لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهبْ إليه ،
فإنه يُؤدّيك عليه .

فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :
يا عبد الله إنَّ أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حقّي لي قبّله ، وأنا غريب
ابن سَبِيل ، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجلٍ يؤدّيني عليه ، يأخذني حقّي
منه ، فأشاروا لي إليك ، فخذْ لي حقّي منه ، يرحمك الله ، قال : انطلقْ إليه ،
وقام معه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوه قام معه ، قالوا لرجل
من معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءه ، فضربه
عليه بابَه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إليّ ، ففرجْ إليّ ، وما في
وجهه من رائحة ، قد انتقمَ لونه ، فقال : أعطِ هذا الرجل حَقّه ، قال : نعم ،

.....

لا تبرح حتى أعطيه الذى له ، قال : فدخل ، فخرج إليه بحقه ، فدفعه إليه . قال : ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال للإراشى : الحق بشأنك ، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لى حقى .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابة ، فخرج إليه ومامعه رُوحه ، فقال له : أعط هذا حقه ، فقال : نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : ويلك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب على بابى ، وسمعت صوته ، فمئنت رعباً ، ثم خرجتُ إليه ، وإن فوق رأسه لَمَحْلاً من الإبل ، مارأيت مثلَ هامته ، ولا قصرتَه ، ولا أنيابَه لَفَحْلٍ قط ، والله لو أبيتُ لأكلنى .

رُكَّانَةُ وَمَصَارِعَتُهُ

قال ابن إسحاق : وحدثني أبى إسحاقُ بن يسار ، قال : كان رُكَّانَةُ ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطالب بن عبد مناف أشدَّ مُؤْرِشٍ ، فخلا يوماً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بعض شِهابِ مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارُكَّانَةُ ، ألا تتقى الله ، وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إني لو أعلم أن الذى تقول حقٌ لا تبعثك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

• • • • •

أَفَرَأَيْتَ إِنْ صَرَعتُكَ ، أَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَقُولُ حَقٌّ ؟ قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك . قال : فقام إليه رُكَّانة يصارعه ، فلما بطش به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أضجعه ، وهو لا يملك من نفسه شيئاً ، ثم قال : عُدْ يا محمد ، فعاد فصرعه ، فقال يا محمد : والله إن هذا لَلْمَجْبَبُ ، أتصرعني ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأعجبُ من ذلك إن شئتُ أن أريكه ، إن اتَّقَيْتَ اللهَ واتبعتَ أمري ، قال : ما هو ؟ قال : أدعوك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني ، قال : اذْعُمها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فقال لها : ارجعي إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها ! عليه وسلم - قال : فذهب رُكَّانة إلى قومه ، فقال : يا بني عبد مناف ، ساحِرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله ما رأيت أُسحرَ منه قطُّ ، ثم أخبرهم بالذي رأى ، والذي صنع .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة - عشرون رجلاً ، أو قريبٌ من ذلك من النصارى ، حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكَلَّمُوهُ وسألوه ، ورجالٌ من قُرَيْشٍ في أُنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ السَّكْبَةِ ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما أرادوا ، دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الله - عزَّ وجلَّ - وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا

.....

الله ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيِّبكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترنادون لهم ؛ فقاتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمنن مجائسكم عنده ، حتى فارقت دينكم ، وصدقتموه ببال ، ما نعلم ركبا أحق منكم ، أو كما قالوا ، فقالوا لهم : سلام عليكم ، لأنجاهلكم ، انا مانحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرا .

ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أى ذلك كان . فيقال - والله أعلم - فيهم نزلت هؤلاء الآيات : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » .. إلى قوله : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ » القصص : ٥٣ ، ٥٣ ، ٥٥ .

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن ، فقال لي : ما سمع من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه ، والآية من سورة المائدة من قوله : « ذَلِكَ بِأَنَّهُ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » .. إلى قوله : « فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » المائدة : ٨٣ ، ٨٣ .

قال ابن إسحاق وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا جلس

• • • • •

في المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خباب ، وعمار ، وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن محرز ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ! لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصهم الله به دوننا . فأنزل الله تعالى فيهم : « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَكَفُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا : أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ . وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ، فَقُلْ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » الأنعام : ٥٢ - ٥٤ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - كثيراً ما يجلس عند «المروة» إلى مبيعة غلام نصراني ، يقال له : جبر ، عبد لبني الحضرمي ، كانوا يقولون : والله ما يعلم محمدٌ كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني ، غلام بني الحضرمي ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ : إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » النحل : ١٠٣ .

قال ابن هشام : يُلْحِدُونَ إليه : يميلون ، والإلحاد : الميل عن الحق .

قال روبة بن العجاج :

إِذَا تَبِعَ الضَّحَّاكَ كُلَّ مُلْحِدٍ [وَنَحْنُ ضَرَّابُونَ هَامَ الْمُتَدِّ]

ابن هشام : يعني الضحَّاك الخارجي ، وهذا البيت في أرجوزة له

مول حديث طفيل الدوسي وزى الكفين :

فصل : وذكر حديث طفيل بن عمرو الدوسي ، وهو طفيل بن عمرو ابن طريف بن العاصي بن ثعلبة بن سليم بن جهم بن دوس إلى آخره ^(١) وليس فيه إشكال إلا قوله : حنا ذى الشرى ، وقد قال ابن هشام : هو حى ، وهو موضع حموة لصنمهم ذى الشرى ، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون قد تبدل من الميم ، كما قالوا : حلان وحلام للجدي ، ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن تحنية الوادى ، وهو ما انحنى منه .

وقوله : يا ذا الكفين است من عبادكا . أراد : الكفين بالتشديد ، تخفف للضرورة ، غير أن فى نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى : ذا الكفين ، وتخفف .

(١) فى الإصابة : ابن فهم بدلا من : جهم . وله فيها نسب آخر هو : ابن عبد عمرو بن عبدالله بن مالك ، بن عمرو بن فهم ، لقبه : ذو النور ، وحكى المرزبانى فى معجمه أنه الطفيل بن عمرو بن حمزة ويقول ابن حجر فى الإصابة عن قصة الطفيل فى السيرة : ذكره ابن إسحاق فى سائر النسخ بلا إسناد ، وأخرجه ابن سعد أيضا من وجه آخر وكذلك الاموى عن ابن الكلبي بإسناد آخر . هذا وقد ذكر ابن حبان أنه مات باليرموك ، وقيل : بأجنادين كما ذكر موسى بن عقبة . وأبو الاسود عن عروة .

(٢) فى الاصنام لابن الكلبي ص ٢٧ ط ١ : وكان لدوس ثم ابنى منه ابن دوس صنم يقال له : ذو الكفين ، فلما أسلموا بعث النبي ﷺ ص ، الطفيل ابن عمر الدوسى لخرقة . وروى الرجز ، وفى جمهرة ابن حزم : كان لخرزاعة ودوس ، كسره عمرو بن حمزة الدوسى ، ص ٤٦٠ ، وفى المراسد أن فاه تخفف وتضعف . و- ذكره القاموس فى مادة كف .

الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف في غير الشعر ، فإن صح هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تننية كَفء ، من كفأت الإناء ، أو إذا كفء بمعنى كفء ؟ ثم سُمَّلت الهمزة ، وألقيت حركتها على الفاء ، كما يقال : ائْتَلَبْ و ائْتَلَبْ^(١) ، وفي الحديث : أن أهل الحاضر من دَوَسٍ كانوا يترأءونه في الثَّنية ، وفي سوطه كالقنديل المعلق^(٢) ، وذكره المبرِّد فقال في لفظ الحديث : جعلوا ينظرون إلى الجبل ، وهو يهتف من شدة الضياء والنور ، وروى ، أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : لما قال طفيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - إن

(١) يقول ابن الحاجب في باب تخفيف الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها : والمتحركة إن كان قبلها ساكن ، وهو واو أو ياء زائدتان لغير الإلحاق قلبت إليها ، وأدغمت فيها كخطية ، ومقروءة ، وأفيس . . . وإن كان حرفا صحيحا أو معتلا غير ذلك نقلت حركتها إليه ، وحذفت نحو : مسلة وخب وشى وسو ، ص ٣٢ - ٣ شرح الشافعية ، ويقول الرضى : أعلم أنه إذا وقف على المتحركة المتطرفة ، فإذا أن يوقف على مذهب أهل التحقيق ، أو على مذهب أهل التخفيف ، فالأول معنى حكمه مستوفى في باب الوقف ، وأما على مذهب أهل التخفيف فإنه تخفف الهمزة أولا ؛ لأن حالة الوصل متقدمة على حالة الوقف ، ونقل الهمزة حاصل حالة الوصل ، فتخفف على ما هو حق التخفيف من النقل والحذف في نحو الخب والقلب والإدغام في نحو : بوى ومقروء ، فيبقى الخب بتحريك الباء كالدم ، ثم يوقف عليه بالسكون المحض ، والروم أو الإشمام أو التضعيف ، ص ٤٣ - ٣ شرح الشافعية .

(٢) هذا كلام رواه الطبري وأبو الفرج الأصبهاني عن طريق ابن الكلبي ، فتأمل الطريق . وحادث مثل هذا كان يدعو إلى أن تتواتر عن الناس أخباره ، لا أن يروى هكذا كوسوسة الشيطان تحصره الملائكة .

دوسا غلب عليها الزنى والربا ، قادع الله عليهم ، قلنا : هلكت دوس ، حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم اهد دوسا^(١) .

الأعشى ودالبنة ومحمزة والسرف :

فصل : وذكر ابن هشام حديث الأعشى^(٢) وقصيدة إلى آخرها ، فلما كان قريبا من مكة لقيه بعض المشركين ، فقال : إلى أين يا أبا بصير ؟ الحديث ، وذكر تحريمه الخمر ، وتحريمه الزنى ، وقول الأعشى : أما الخمر ففي الناس منها علالات وقال غير ابن هشام : كان القائل للأعشى هذه المقالة أبو جهل . قالها في دار عتبة ابن ربيعة ، وكان نازلا عنده ، قال المؤلف : وهذه غفلة من ابن هشام ، ومن قال بقوله ، فإن الناس يجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد^(٣) ، وحرمت في سورة المائدة ، وهي من آخر ما نزل ، وفي

(١) رواه الشيخان

(٢) كان أبوه قيس يدعى : قنيل الجوع ؛ لأنه دخل غارا . ف وقعت صخرة ، فسدت الغار ، فمات جوعا ص ٨٣ سط اللآلى ، وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة أن رحلته كانت في صالح الحديبية ، وهذا يوافق ما ذهب إليه السهيلي ، وما ذكر عن تحريم الخمر ، وما ورد في القصيدة

ونسبه في الأغاني : ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ، ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن الخ وما بين قوسين في السيرة زده عن الأغاني . كان الأعشى يلقب بصناجة العرب ، لأنه — كما يقول صاحب الأغاني — كان يغنى في شعره .

(٢) تظاهرت عدة أحاديث تؤيد هذا الرأي ، وفي البخارى بسنده عن ساجر قال : أصبح أناس غداة أحد الخمر ، فقتلوا من يومهم شهداء ، وذلك قبل تحريمها ،

الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها ، وغنمته القينتان : ألا يا حمز ،
للشرف^(١) النواء ، فبقر خواصر الشارفين ، واجتنب أسنمتهم .

(١) الحديث كما قال . وخلاصته أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان
قد أعطى عليا شارفا - والشارف من الإبل الناقة التي قد أسنت - من
غنائم بدر غير شارف آخر كان لعل نصيبا من غنائم بدر ، وذهب على لبعض
شأنه ، والشارفان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار ، فلما عاد على وجدتهما ، وقد
قطعت أسنمتهما ، وبقرت خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما ، فبكى على ، وعرف
أن فاعل ذلك هو عمه حمزة الذي كان مع جماعة من الأنصار يشربون الخمر ،
فسكر ، وغنمته جاريتان شعرا - سيأتى بعد - فقام وفعل بالشارفين ما تقدم ذكره ،
فذهب على يشكو للنبي ﷺ ، فذهب النبي ﷺ إلى البيت الذي فيه حمزة ،
وطفق يلومه ، فراح يصعد النظر في رسول الله ﷺ ، عدة مرات ، ثم قال
حمزة : هل أنتم إلا عبيد لأبي ، فعرف الرسول ﷺ ، أنه قد ثمل - أى غشاه
السكر - فنكص على عقبيه القهقري ، وقد غنت الجاريتان حمزة بما يأتى :

ألا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء
ضع السكين في اللبات منها وضر جن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبها لشرب قديدا من طيبخ أو شواء

وقد أراد الذى أمر القينتين أن تغنيا هذا بعث همه حمزة - لما عرف من
كرمه - لنهر الناقتين . والنواء بكسر النون جمع نارية ، وهى الناقة السمينة .
والشرب بكسر الشين وسكون الراء جمع شارب ، والفناء بكسر الفاء : جانب الدار
التي كانوا فيها ، وضرج : لطح ، القديد : اللحم المطبوخ . وفى معجم الشعراء
المرزبانى أن هذا الشعر لعبد الله بن السائب بن أبي السائب المخزومي ، ولكنه غير
أنصارى . والقهقري : المشى إلى خلف ، وهذه حكمة عظيمة من الرسول ﷺ ، إذ
خشى ازدياد عبث حمزة في حال سكره ، فينتقل من القول إلى الفعل . وعند
ابن أبي شيبة أن الرسول ﷺ ، أغرم حمزة ثمن الناقتين . وقد روى البخارى
في الحديث في باب الخس ، وغنائم بدر

وقوله للنبي عليه السلام: هل أنتم إلاَّ عبيدٌ لآبائي ، وهو ثَمَل . الحديث بطوله . فإن صح خبر الأعشى ، وما ذكر له في الخمر ، فلم يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة ، ويكون القائل له : أما علمت أنه يحرم الخمر ، من المنافقين ، أو من اليهود ، فالله أعلم . وفي التفسير ما يدل على هذا قوله : فإن لها في أهل يثرب موعدا ، وقد ألفت لقالى رواية عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : لقي الأعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكر له أنه يحرم الخمر ، فرجع ، فهذا أولى بالصواب ، وقول الأعشى : أتروى منها هذا العام ، ثم أعود فأسلم لا يخرجني عن الكفر بإجماع ، قال الإسفرايني في عقيدته : إذا قال المؤمن سأ كفر : غدا أو بعد غد ، فهو كافر لحينه بإجماع ، وإذا قال الكافر : سأؤمن غدا ، أو بعد فهو على كفره ، لا يخرجني عن حكم الكفر إلاَّ إيمانه إذا آمن ، ولا خلاف في هذا والله المستعان .

وقوله : أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرْمَدًا ، لم ينصب ليلة على الظرف ؛ لأن ذلك يفسد معنى البيت ، ولكن أراد المصدر فحذفه ، والمعنى : اغتماض ليلة أرمد . فحذف المضاف إلى الليلة ، وأقامها مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه ^(١) ، وقد روى هذا البيت : ليلك بالكاف ، ومعناه : غمض أرمد ، وقيل : بل أرمد على هزم.

(١) قال الفارسي : أراد : اغتماض ليلة أرمد ، وليس بظرف ، ونسب الاغتماض إلى الليل ، كما قال عز وجل : بل مكر الليل والنهار ، ص ٤٠ سمط اللال للبكري

الرواية من صفة الليل ، أى حال منه على المجاز ، كما تقول : ليلى ساهر .

وقوله : تناسيت قبل اليوم خُلة مَهْدَدَا . مَهْدَدٌ : فَعْلٌ من المَهْد ، ولولا
تجيام الدليل على أن الميم أصلية لحسبنا بأنه مَفْعَلٌ ؛ لأن الكلمة الرباعية إذا كان
أولها ميماً أو همزة ، فحملها على الزيادة ، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية ،
والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف فى الدال ؛ إذ لو كانت الميم زائدة
لما ظهر التضعيف ، ولعلت فيه : مَهْدٌ كما تقول : مَرَدٌ ومَكْرٌ ومَفَرٌ كل ماوزنه
مَفْعَلٌ من المضاعف ، وإنما الدال فى مَهْدَدٌ ضوعفت ليلحق ببناء جَعْفَرُ (١)

(١) يقول أبو عثمان المازنى فى التصريف فى باب الإلحاق المطرد فى الأسماء
والأفعال : د أما المطرد الذى لا ينكسر ، فأن يكون موضع اللام من الثلاثة
مكرراً للإلحاق مثل مهدد وقردد وعندد ، ص ٧٤

ويقول ابن جنى فى المنصف شرح التصريف : د اعلم أنك إذا استوفيت
ثلاثة أحرف من الأصون ثم تكررت اللام قضيت بزيادتها ، وذلك نحو قردد
وجلبب فالدال والباء الأخيرتان زائدتان ؛ لأنهما قد تكررتا ، ولو كان موضع
الدال الأخيرة حرف غير الدال لكانت الكلمة رباعية ، ص ٤٧

وفى ص ١٤١ يقول أبو عثمان المازنى : د ومهدد الميم فيه أصل ؛ لأنها لو كانت
زائدة لكانت مهدا : د بفتح الميم والهاء وتضعيف الدال ، لأن مفعلاً : د بفتح الميم
وسكون الفاء وفتح العين ، من المضاعف يحىء مدغماً نحو مرد ومسد . ويشرح
ابن جنى هذا بقوله : د فظهور الدالين يدل على أنه فعلل بمنزلة قردد فإن قال
قائل فقد قالوا : محبب فبينوا وهو مفعول — فما تنكر أن يكون مهدد أيضاً
مفعلاً من الهد ؛ قيل محبب شاذ لا يقاس عليه ، وقياسه محب كمرد ومسد ثم بين
أن محبب علم ، والأعلام تغير كثيراً عما عليه أكثر الأسماء ، ولهذا جاز
فى محبب إظهار التضعيف ، ثم قال : فإن قال قائل فإن مهدد اسم علم ، وهو اسم
امرأة ، فما تنكر أن يكون مهدد مثل محبب ، إذ هو علم مثله ؟ ثم أجاب هو عن =

وقوله : إذا خِلَتْ حِرْبَاءُ الظَّهيرةِ أَصِيدَا . والأصيد : المائل العنق .
ولما كانت الحِرْبَاءُ تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت في وسط
السماء في أول الزوال ، كالأصيد ، وذلك أحر ما تكون الرَّمْضاء . يصف ناقته
بالنشاط ، وقوة المشي في ذلك الوقت .

وقوله : خِفافاً لِمَاتِينَا . في العين : خَنَفَتِ الناقةُ تخنِفُ يديها في السير .
إذا مالت بهما نشاطاً ، وناقة خَنُوف قال الراجز .

إن الشَّوَاءَ وَالذَّسِيلَ وَلِرُغْفٍ وَالْقَيْنَةَ الحِسمَاءَ ، وَالكَاسَ الْأُنْفَ .
للظاعنين الخيلَ ، والخيلُ خُنْفٌ ^(١)

== هذا بقوله : إن محبب مفعول من الحب ، أما مهدد فليس فيها دليل يدل على أنها
من الهد ، دون المهد ، فيقضى بأنه مفعول ، انظر ص ٤١ ، ٤٧ ، ١٤١ من كتاب
المنصف لابن جني بشرحه التصريف للمازني ، انظر أيضاً ص ٥٨ > ٣٠
الخصائص وص ١٤ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٤ من شرح شافية ابن الحاجب ج ١

(١) الرجز للقيط بن زرارة ، وفي اللسان : النشيل ، وقطف بدلا من النسيل .
وخنف ، وللضاربين الهام بدلا من : الظاعنين الخيل . والشواء : لحم مشوى .
والنشيل على رواية اللسان : ما طبخ من اللحم بغير توابل يخرج من المرق ،
وينشل . ويقال أيضاً ، نشل اللحم : أخذ بيده عضواً ، فتناول ما عليه من اللحم .
بفيه وهو النشيل ، واللحم الذي يؤخذ قبل النضج ، والقينة : الجارية المغنية ،
الكأس الأنف : هي التي لم يشرب بها قبل ، والقطف : جمع قطوف ، وهي التي
تسمى السير

وقوله : لَيْتَمَا غَيْرَ أَحْرَدَا^(١) أُمَي : تفعل ذلك من غير حَرَدٍ في يديها ، أُمَي اعوجاج ، والنَجِيرُ وَصْرٌ خَدُّ بِلْدَان ، وأهل النَجِير أول من ارتد في خلافة أبي بكر بعد أهل^(٢) دَبَا وكان أهل دبا قد حاصروهم حَذِيفَةَ بنَ أُسَيْد ، وحاصر أهل النَجِير زياد بن لبيد بأمر أبي بكر ، حتى نزلوا على حكمه . وأما وَصْرٌ خَدُّ فبلد طيب الأعذاب ، وإليه تنسب الخمرُ الصَّرْخَدِيَّة . وفي الأملأ : ولَدَّ كَطْعَمِ الصَّرْخَدِي تركته

(١) البيت في اللسان في مادة : خنف .

(٢) بفتح الدال على وزن فعل مع القصر : سوق من أسواق العرب بعمان ، ومدينة عظيمة مشهورة بعمان كانت قصبتها ، وبضم مع تشديد الباء من نواحي البصرة فيها أنهار وقرى ، والدبا بالتحريف : موضع بظهر الحيرة معروف ، وفي هامش نسخة من معجم ما استمعجم : دبا : لأحدى فرقتي العرب يجتمع فيها تجار أهل الهند والسند . والصين وأهل المشرق والمغرب ،

(٣) تمام البيت : « بأرض العد امن خشية الحدثان » وبعده :

ومبدل الشحنةا يبنى وبينه دعوت وقد طال السرى ، فدعاني

لذ : يعنى النوم ، والصرخدى : العسل كذا قال أبو المياس ، والعدا : الأعداء ، الحدثان : ما يحدث من الامور . وقال أبو بكر : اللذ : اللذيذ يعنى النوم والصرخدى : الخمر ، وقوله : ومبدل الشحنةا ، يعنى : كلبه وذلك أن الرجل إذا تحير في الليل ، فلم يدر أين البيوت نبح ، فتسعه الكلاب ، فتنبح ، فيقصد أصواتها . ص ٢١٠ ج ١ أملأ القالى ط ٢ ولم ينسبهما إلى أحد . وهما في حيوان الجاحظ ص ١٢١ > ١ . تحت عنوان : وقال آخر يصف كلبا ، والبيت الأول في اللسان رواه في مادة : لذ، وصرخد، وقال . قال ابن برى : البيت للراعى، وعجزه : دفعته . عشية خمس القوم والعين عاشقة ، أراد أنه لما دخل ديار أعدائه لم يتم حذارا لهم . وهذه الرواية الأخيرة رواه اللسان في مادة صرخد.

وقوله : وآليت لا آوى لها من كلاله ، ولا من وجى^(١) ، أى : لأرق لها ، يقال : آويت للضعيف إية ومأوية^(٢) إذا رقت له كبدا .

وقوله : أغار لعمري في البلاد وأنجداء المعروف في اللغة : غار وأنجد ، وقد أنشدوا هذا البيت : لعمري غار في البلاد وأنجدا . والغور : ما انخفض من الأرض ، والنجد : ما ارتفع منها ، وإنما تركوا القياس في الغور ، ولم يأت على أفعل إلا قليلا ، وكان قياسه أن يكون مثل أنجد ، وأنهم ؛ لأنهم من أم الغور ، فقد هبط ونزل ، فصار من باب غار المله ، ونحو ذلك ، فإن أردت : أشرف على الغور ، قلت : أغار ، ولا يكون خارجا عن القياس^(٣)

وقال : صرخد : موضع نسب إليه الشراب في قول الراعي ، ثم روى البيت بالرواية الأخيرة .

ولذ كطعم الصرخدى طارحته عشية خمس القوم والقوم عاشقة وفي المراصد : صرخد : قلعة ملاصقة لبلد حوران حصينة وولاية واسعة حسنة ، وينسب إلى صرخد الخمر الجيد . وقد وصفها أبو الفداء في التقويم وصفا دقيقا ، ومن قاله أن من شرقيها يسلك الإنسان طريقا إلى العراق يتطلب من السائر عشرة أيام ليصل إلى بغداد .

(١) في الاغانى : فأليت لا أرى . والاغانى حفى كما في السيرة ، وفي تجريد الاغانى : وجى كما في الروض . وهناك في الاغانى مقابلة أخرى هيئة لما هنا .

(٢) في القاموس : أوى له كروى أوية ، ولاية ومأوية ، ومأواة : رق .

(٣) وفي الاغانى عن مصيره : « فبلغ خبره قريشا ، فرصداه على طريقه ، وقالوا : هذا صناجة العرب ما مدح أحدا قط إلا رفع من قدره ، فلما ورد عليهم ، قالوا له : أين أردت يا أبا بصير قال : أردت صاحبكم هذا لاسلم ، قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق ، قال : وما هن ؟

وقوله : وليس عطاء اليوم مانعة غذا . معناه على رفع العطاء ونصب مانع ، أى : ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعاً له غذا من أن يعطيه ، فالهاء عائدة على المدح ، فلو كانت عائدة على العطاء لقال : وليس عطاء اليوم مانع هو ، بإبراز الضمير الفاعل ، لأن الصفة إذا جرت على غير من هى له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل ، وذلك لسر بيناه فى غير هذا الموضع لم يذكره الناس ، ولو نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك لإظهاره ، لأنه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويكون اسم ليس على هذا مضمرافياً عائداً على النبي صلى الله عليه وسلم .

== فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا ، قال : لقد تركنى الزنا ، وما تركته ، ثم ماذا ؟ قال : القمار ، قال : لعل إن لقيته أن أصيب منه عوضاً عن القمار ، ثم ماذا ؟ قالوا : الربا . قال : ما دنت ولا أدنت ، ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر ، قال : أوه ، أرجع إلى صباقة قد بقيت لى فى المهراس ، فأشربها فقال له أبو سفيان : هل لك فى خير مما صمت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن ، وهو الآن فى هدنة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنتك هذه ، وننظر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أئيتة ، ورجع بعد أن أخذ مائة بعير . ورواية الأغاني تتفق وما قيل عن تحريم الخمر ، وما روى فى بعض الأحاديث عن زمن تحريمها . وعن مصير الأعشى يقول الأغاني : فلما كان بقاع منفوخة رمى به بعيره فقتله ، ورواية الأغاني قريبة جداً من رواية ابن قتيبة فى طبقات الشعراء .

غور كل شيء : قمره وعمقه وبعمده ، وقال الفراء : أغار بمعنى : غار . ويقول ابن منظور . وقد روى بيت أعشى مخروم النصف : غار لعمري فى البلاد وأنجدنا . وقال الجوهري : غار يغور غورا ، أى : أتى الغور ، ولا يقال : أغار . وقال الأصمعي عن معنى أغار فى بيت الأعشى : أسرع ، وأنجد : أى ارتفع ، ولم يرد فى البيت : أتى الغور ، ولا أنجد ، قال : وليس عند الأصمعي فى إتيان الغور إلا غار . وانظر مادة غور ، ففيها تفصيل أكثر .

(م — ٢٥ الروض الأنف ج ٢)

وقوله : فَاَنْكَحَنَّ اَوْ تَأَبَّدَا . يريد : اَوْ تَرْهَّبْ ؛ لَأَنَّ الرَّاهِبَ أَبَدًا عَزَبَ
فَقِيلَ لَهُ : مَتَأَبَّدَا اشْتَقَ مِنْ لَفْظِ الْأَبَدِ .

وقوله : فَاللَّهُ فَاعْبَدَا ، وَقَفَ عَلَى النَّونِ الْخَفِيفَةِ بِالْأَلْفِ ، وَكَذَلِكَ
فَاَنْكَحَنَّ اَوْ تَأَبَّدَا ، وَلِذَلِكَ كَتَبْتُ فِي الْخَطِّ بِالْأَلْفِ ، لَأَنَّ الْوَقْفَ عَلَيْهَا بِالْأَلْفِ ،
وَقَدْ قِيلَ فِي مِثْلِ هَذَا : لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدِ النَّونَ الْخَفِيفَةَ ، وَنَمَّا خَاطَبَ الْوَاحِدَ
بِمُخَاطَبِ الْاِثْنَيْنِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَعْرُوفٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَأَنْشَدُوا فِي ذَلِكَ :
فَإِنْ تَزَجُرَانِي يَا ابْنَ عَفَانَ أَزْدَجِرْ وَإِنْ تَدَعَانِي أَحْمَ عَرْضًا مُنْعِمًا^(١)
وَأَنْشَدُوا أَيْضًا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَقُلْتُ لِصَاحِبِي : لَا تَحْمِسَانَا بِنَزْعِ أَصُولِهَا وَاجْتِثْ شَيْخًا^(٢)

(١) الْبَيْتُ لِسُوَيْدِ بْنِ كِرَاعِ الْعُكْلِيِّ ، وَكَانَ سُويِدٌ قَدْ هَجَا بِهِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ دَارِمٍ ، فَاسْتَعْدُوا عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ ، فَأَرَادَ ضَرْبَهُ ، فَقَالَ سُويِدٌ
قَصِيدَةً أُولَاهَا :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَوْفِيِّ لَيْلَى الْاَثَرِيِّ إِلَى ابْنِ كِرَاعٍ لَا يَزَالُ مَفْرَعًا
مُخَافَةً هَذِينَ الْأَمِيرِينَ سَهَدَتْ رِقَادَى وَغَشْتَقَى بِيَاضًا مَفْرَعًا
وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ خَاطَبَ اِثْنَيْنِ لَا وَاحِدًا . بِدَلِيلِ قَوْلِهِ أَيْضًا .

فَإِنْ أَنْتُمَا أَحْكَمْتَانِي فَارْجِرَا أَرَاهُطُ تَوْذِيئِي مِنَ النَّاسِ رَضْعًا
(٢) فِي رِوَايَةٍ : وَاجْدِزْ أَيْ : اجْتَزْ ، وَالْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ لِمُضَرَّسِ بْنِ رَبِيعٍ
الْفَقْعَسِيِّ الْأَسَدِيِّ ، وَهِيَ :

وَضَيْفٌ جَاءَنَا وَاللَّيْلُ دَاجٌ وَرِيحُ الْقَرِّ تَحْفَظُ مِنْهُ رُوحًا
وَنَسَبُهُ الْجَوْهَرِيُّ لِيَزِيدُ بْنُ الْعَطَّارِ فَقُلَا عَنِ الْكِسَائِيِّ ، وَلَكِنْ ابْنُ بَرَوَيْ
فِي أَمَالِيهِ عَلَى الصَّحَاحِ يُوَكِّدُ أَنَّهُ لِمُضَرَّسٍ ، وَفِي رِوَايَةٍ : فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَحْمِسْنِي .

ولا يمكن إرادة النون الخفيفة في هذين البيتين ، لأنها لا تكون ألفا ،
إلا في الوقف ، وهذا الفعل قد اتصل به الضمير ، فلا يصح اعتقاد الوقف
عليه دون الضمير ، وحكى أن الحجاج قال : يا حرسى اضربا عنقه ، وقد يمكن
فيه حمل الوصل على الوقف ، ويحتمل أن يريد : اضرب أنت وصاحبك ،
وقد قيل في قوله سبحانه : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ إن الخطاب للمالك وحده حملا على
هذا الباب ، وقيل : بل هو راجع إلى قوله تعالى : (سائق وشهيد) وفي القصيدة
زيادة لم تقع في رواية ابن هشام وهي قوله في وصف الناقة :

فأما إذا ما أذْجَلَتْ ، فترى لها رقيبين نجماً لا يغيب وفراً قد

وقع هذا البيت بعد قوله : ليغا غير أحردا

وقوله في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : أغار لعمري في البلاد
وأنجدا . وبعده :

به أنقذ الله الأنام من العمى وما كان فيهم من يرّيع إلى هدى

حديث الإراشى :

فصل : وذكر حديث الإراشى الذي قدم مكة ، واستعدى على أبي جهل .
قال ابن إسحاق : هو من إراش ، وهو ابن الغوث أو ابن عمرو^(١) ،
ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهو والد أنمار الذي
ولد بحيلة وختم . وإراشة الذي ذكر ابن هشام : بطن من خثعم ، وإراشة

(١) في جمهرة ابن حزم : إراش بن عمرو بن الغوث الخ

مذكوزة في المالميق في نسب فرعون صاحب مصر ، وفي بَيْلٍ أَيْضًا بنو لإراشة^(١) ، وقوله : مَنْ [رجل] يؤدبني على أبي الحكم أى : يعيننى على أخذ حقى منه ، وهو من الأداة التى توصل الإنسان إلى ما يريد ، كأداة الحرب ، وأداة الصانع ، فالخاكم يؤدى الخضم ، أى يوصله إلى مطلبه ، وقد قيل : إن الهمزة بدل من عين ، ويؤدّى ويمدى بمعنى واحد ، أى : يزيل العُدوان ، والعداء وهو : الظلم ، كما تقول : هو يُشْكِيك أى : يزيل شكوكك ، وفي حديث خباب : شكونا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرَّ الرَّمضاء ، فلم يُشْكنا معناه على أحد القولين : لم يرفع شكوانا ولم يُزْ لها .

وقوله : نخرج إليه ، وما فى وجهه رائحة ، أى : بقية روح ، فكان معناه : روح باقية ، فلذلك جاء به على وزن فاعله ، والدليل على أنه أراد معنى الروح وإن جاء به على بناء فاعلة قول الإراشى فى آخر الحديث : خرج إلى : وما عنده رُوحه .

مصارعة ركانة :

فصل : وذكر حديث رُكَانَة ومصارعته للنبي - صلى الله عليه وسلم -^(٢)

(١) وفي الاشتقاق : ومن بنى عنز لإراشة .

(٢) قصة المصارعة مشهورة لركانة لكن جاء من وجه آخر أنه يزيد ابن ركانة . وفي حديث المصارعة اضطراب . ولقد قال الترمذى عن حديث المصارعة الذى أخرجه هو وأبو داود من رواية أبي الحسن العسقلانى عن أبى جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه : غريب ، وليس لإسناده بقاء . وحديث للشجرة التى طلب الرسول - صلى الله عليه وسلم - مشهاة لإسناده هدى القرآن .

وقد تقدم مثل هذا الحديث عن أبي الأشدين الجُمَحِيِّ ، ولعلهما أن يكونا جميعاً صارعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم التعريف بأبي الأشدين ، وباسمه ونسبه ؛ ورُكَّانَة هذا هو : ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب من مَسَلَمَةَ الفتح ، وتوفي في خلافة معاوية ، وهو الذي طلق امرأته ألبتة ، فسأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نيته ، فقال : إنما أردت واحدة ، فردها عليه ^(١) ، ومن حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إن لكل

(١) روى أبو داود في سننه عن نافع بن عجير بن عبد يزيد بن ركانة أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته سهيمة ألبتة ، فأخبر النبي « ص » بذلك ، وقال : والله ما أردت إلا واحدة ، فقال النبي « ص » ، والله ما أردت إلا واحدة ؟ فقال ركانة : والله ما أردت إلا واحدة ، فردها إليه رسول الله « ص » ، فطلقها الثانية في زمن عمر ، والثالثة في زمن عثمان ، وفي جامع الترمذي عن عبد الله ابن يزيد بن ركانة عن أبيه عن جده أنه طلق امرأته ألبتة ، فأتى رسول الله « ص » فقال له : ما أردت ؟ قال واحدة ، قال : آله ، قال : آله . قال : هو على ما أردت ، قال الترمذي : لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وسألت محمداً - يعني البخاري - عن هذا الحديث ؟ فقال : فيه اضطراب . فتارة يقول : طلقها ثلاثاً وتارة يقول : واحدة ، وتارة يقول : ألبتة ، وقال أحمد : وطرقه كلها ضعيفة . أقول : إن القرآن يفرض أن يكون الطلاق بشروطه المذكورة في الكتاب ، مرة بعد مرة حتى يبلغ ثلاثاً ، وبعدها لا تحل حتى تنكح زوجاً آخر . ولا يصح إيقاع الطلاق مطلقاً إلا بعد القيام بما فرض الله من وعظ وهجر في المضاجع وضرب يقصد به التأديب ، ثم تحكيم مؤمنين خبيرين بالحكومة ، فإن لم يصل معها إلى غاية تقيم البتة على مودة ورحمة ، وتمكنهما من إقامة حدود الله ، تربص بها حتى تظهر بما يأتيها كل شهر ، ثم بعد هذا يوقع الطلاق مرة واحدة قبل أن يمسا ، وكذلك في المرة الثانية —

دين خلقا، وخلق هذا الدين الحياء^(١)، ولأبنة يزيد بن رُكَّانة صحبة أيضاً، ويروى عن يزيد بن رُكَّانة ابنه على، وكان على قد أعطى من الأبد والقوة ما لم يُعط أحد، نزع في ذلك إلى جد رُكَّانة، وله في ذلك أخبار ذكرها الفاكهي، منها: خبره مع يزيد بن معاوية، وكان يزيد بن معاوية من أشد العرب، فصارع يوماً، فصرعه على سرعة لم يسمع بمثله، ثم حمله بعد ذلك على فرس جُوح لا يطلق، فعلم على ما يراد به، فلما تجمَّع به الفرس ضمَّ عليه نخذه صمَّة نفق منها الفرس، وذكر عنه أيضاً أنه تأبَّط رجلين أيديْن، ثم جرى بهما، وهما تحت إبطيه حتى صاح: الموت الموت، فأطاقهما.

وفد نصارى الحبشة:

فصل: وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وإيمانهم، وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ ولم يقل: من النصارى، ولا سمَّاهم هو سبحانه بهذا الاسم، وإنما حكى قولهم الذى قالوه حين عرفوا بأنفسهم، ثم شهد لهم بالإيمان، وذكر أنه أنابهم الجنة، وإذا كانوا هكذا

== ثم الأخيرة أمام عدلين في كل مرة. ولنتدبر سورة الطلاق، وآيات الطلاق في سورة البقرة نجد القرآن يهدينا إلى أن الله لم يشرع لإيقاع الثلاث جملة واحدة ألبتة. وحسبنا قوله سبحانه: (لِلطَّلَاقِ مَرَّتَانِ) فإن العرب في لغتها لا تعقل وقوع المراتين إلا متعاقبتين، وثبت أدلة أخرى، وحسبنا ما ذكرناه.

(١) رواه ابن ماجة عن أنس وابن عباس كما ذكر السيوطي في الجامع الصغير وقال عنه: ضعيف.

فليسوا بنصارى ، هم من أمة محمد - عليه السلام - وإنما عُرف النصارى بهذا الاسم ، لأن مبدأ دينهم كان من ناصرة قرية بالشام ، فاشتق اسمهم منهم ، كما اشتق اسم اليهود من يهود بن يعقوب ، ثم لا يقال لمن أسلم منهم : يهودى اسم الإسلام أولى بهم جميعاً من . ذلك النسب ^(١) .

عن غلام الميعة وصهيب وأبي فكيهة :

فصل : ذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس إلى مبيعة

(١) هدى القرآن يؤكد أن كل رسول دعا إلى الإسلام ، لانه هو دين الله الذى به أرسلوا جميعاً ، ويقول الدكتور بوست فى قاموسه عن يهود : « أطلقت هذه الكلمة أولاً على بنى يهوذا تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا : إسرائيل إلى أن تشلت الأسباط أولاً ، وأسر يهوذا ثانياً ، فن ثم دعى جميع نسل يعقوب يهوداً ، وفى أيام المسيح والرسول انقسم كل العالم إلى يهود وأمم ، وقد روى البيهقى حديث هؤلاء فى دلائل النبوة وأعلام الرسالة . هذا وقد ذكر النسائى أن آيات سورة المائدة (ذلك بأن منهم قسيسين) قد نزلت فى حق النجاشى ، بينما يروى الطبرانى أنها فى حق كرايين أى : فلاحين ، جاءوا مع جعفر بن أبى طالب ص ٨٦ ج ٢ تفسير ابن كثير . وهذا الاختلاف يحتم علينا ألا نعتد كثيراً على ما روى من أسباب النزول . وذكر الإمام أحمد وابن جرير ، وابن أبى حاتم فيما نزل فى حق المستضعفين أن الذى مر على الرسول . « ص ، هو الأقرع ابن حابس التميمى وعيينة بن حصن . فطلبوا منه أن يبعد المستضعفين عنه ، وأن يقعد معهم متى شاء حين يفرغون منه ، فأجابهم إلى طلبهم ، ولكن قال ابن كثير عنه : لانه حديث غريب ، لأن الآية مكية . والأقرع وعيينة ، إنما أسلما بعد الهجرة بزمان طويل ، وروى الحاكم غير هذا .

غُلام^(١) . المبيعة : مَفْعَلَةٌ مثل المعيشة ، وقد يجوز أن يكون مَفْعَلَةٌ بضم العين - وهو قول الأخفش ، وأما قولهم : سلمة مَبِيعة فمفعولة ، حُذفت الواو منها في قول سيبويه حين سكنوا الياء استئقالا للضمة ، وفي قول أبي الحسن الأخفش إن الياء بدل من الواو الزائدة في مَبِيُوعَة ، ووزنها عنده : مَفْعُولَةٌ بحذف العين ، وللإسلام على هذين المذهبين موضع غير هذا .

وذكر صُهَيْبًا وأبا فَكِيهَة ، وسند ذكر اسم أبي فَكِيهَة ، والتعريف به فيما بعد لأنه بذريٌّ ، وكذلك صُهَيْبُ بن سِنَان ، ونقتصر في هذا الموضع على ذكر اسمه وهو : يسار مولى عبد الدار^(١) .

(١) هناك خلاف حول اسم هذا الغلام وحول الذين افتروا قالة السوء ، فعن قتادة ، أن اسمه يعيش ، وعن ابن عباس أن اسمه بلعام ، وكان المشركون يرون رسول الله حين يدخل عليه ، ويخرج من عنده ، فقالوا هذه الفرية ، وقال الضحاک : هو سلمان الفارسي ولكن الآية مكية ، وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، وروى عن عبد الله بن مسلم أنه كان له غلامان روميان يقرآن كتاباً لهما بلسانهما ، فكان النبي (ص) يمر بهما ، فيسمع منهما ، فقال المشركون ما قالوا . وروى الزهري عن ابن المسيب أن الذي هتت الرسول دس ، بهذه القالة الكاذبة رجل كان يكتب الوحي للرسول دس ، ثم ارتد بعد ذلك . وهي أقوال يضرب بعضها بعضها . ولقد رد الله على الفرية رداً هو الحق الذي يزهد الباطل ، فلنتدبره .

(٢) قيل لانه : مولى صفوان بن أمية . ويقال إن أصله من الأزد ، وقيل إن اسمه أفلح بن يسار ، وإن كان ينسب إلى الأشعرين .

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق : وكان العاص بن وائل السهمي - فيما بلغني - إذا ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : دعوه ، فإنما هو رجل أبتى ، لا عقب له ، لومات لاقطع ذكركم ، واسترحم الله منه ، فأنزل الله في ذلك : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ مَا هُوَ خَيْرُ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . وَالْكَوْثَرُ الْعَظِيمُ .

الكوثر في الشعر

قال ابن إسحاق : قال لبيد بن ربيعة الكلابي :

وصاحبٌ مَلْحُوبٌ فُجِعْنَا بِيَوْمِهِ وعند الرِّدَاعِ بيتُ آخرِ كَوْثَرٍ
يقول : عظيم .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له . وصاحب مَلْحُوبٌ : عَوْفُ ابن الأَحْوَصِ بن جَعْفَر بن كِلَاب ، مات بِمَلْحُوب . وقوله : عند الرِّدَاعِ بيت آخر كَوْثَر : يعنى شريح بن الأَحْوَص بن جَعْفَر بن كِلَاب ، مات بالرِّدَاعِ . وكَوْثَر : أراد الكثير ، ولفظه مشتق من لفظ الكثير . قال السُّكَيْت بن زَيْد يمدح هِشَام بن عبد الملك بن مروان :

وأنت كثيرٌ يا بنَ مَرْوَانَ طَيِّبٌ وكان أبوك ابنُ العقائلِ كَوْثَرٌ
وهذا البيت في قصيدة له . وقال أُمَيَّة بن أَبِي عَائِد الهذلي يصف حمار وحش :

نَحَامِي الْحَقِيقِ إِذَا مَا احْتَدَمْنَ وَحَمَحَمْنَ فِي كَوْثَرٍ كَالْجِلَالِ
يعني بالكوثر : الغبار الكثير ، شبهه لكثرة عليه بالجلال . وهذا
البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : حدثني جعفر بن عمرو — قال ابن هشام : هو جعفر
ابن عمرو بن أمية الضمري — عن عبد الله بن مسلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب
الزهرى ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقيل له : يا رسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال : نهر كما بين صنعاء
إلى أيلة ، آينته كعدد نجوم السماء ، ترده طيور لها كأعناق الإبل . قال : يقول
عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لنا عمة ، قال : آكلها أنعم منها .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت فى هذا الحديث أو غيره أنه قال — صلى الله
عليه وسلم : « مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا » .

نزول : (وقالوا لولا نزل عليه ملك)

قال ابن إسحاق : ودعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قومه إلى الإسلام ،
وكلمهم ، فأبلغ إليهم ، فقال له زمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ،
والأسود بن عبد يغوث ، وأبى بن خلف ، والعاص بن وائل : لو جعل معك
يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من
قولهم : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر
مهم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ، وللبسنا عليهم
ما يبدسون) الأنعام : ٨ ، ٩ .

نزول : (ولقد استهزى برسلك من قبلك)

قال ابن إسحاق : ومَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — بالوليد بن المغيرة ، وأمّية بن خلف ، وبأبي جهل بن هشام ، فغمزوه وهمزوه ، واستهزوا به ، فغاظه ذلك : فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم : (وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ، فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) الأنبياء : ٤١ .

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدثنا يزيد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبلي قال : ثم أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم — من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس من إيلياء ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش ، وفي القبائل كلها .

قال ابن إسحاق : كان من الحديث فيما بلغني عن مَسْرَاه — صلى الله عليه وسلم — عن عبد الله بن مسعود ، وأبي سعيد الخدري ، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والحسن بن أبي الحسن البصري ، وابن شهاب الزهري ، وقتادة وغيرهم من أهل العلم ، وأمّ هاني بنت أبي طالب ، ما اجتمع في هذا الحديث ، كلّ يحدّث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أُسرى به — صلى الله عليه وسلم ، وكان في مَسْرَاه ، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ،

• • • • •

وهُدًى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به كيف شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانته العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد .

رأوية ابن مسعود

فكان عبدُ الله بن مسعود — فيما بلغنى — عنه — يقول :

أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالبُرَاق — وهى الدابة التى كانت تُحْمَلُ عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرَها فى منتهى طرفها — فحُمِلَ عليها ، ثم خرج به صاحبُه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ الخليلَ وموسى وعيسى فى نَقَرٍ من الأنبياء قد جُمِعُوا له ، فصلَّى بهم . ثم أتى بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسمعتُ قائلاً يقول حين عُرِضَتْ عَلَى : إِنْ أَخَذَ الْمَاءَ ، غَرِقَ وَغَرِقَتْ أُمَّتُهُ ، وَإِنْ أَخَذَ الْخَمْرَ غَوَى ، وَغَوَتْ أُمَّتُهُ ، وَإِنْ أَخَذَ اللَّبَنَ هُدًى ، وَهُدِيتْ أُمَّتُهُ . قال : فَأَخَذْتُ إِنْاءَ اللَّبَنِ ، فَشَرَبْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ لِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هُدِيتَ وَهُدِيتْ أُمَّتُكَ يَا مُحَمَّدُ .

حديث الحسن

قال ابن إسحاق : وحُدِّثَ عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائمٌ فى الحِجْر ، إذ جاءنى جبريلُ ، فمَهَمَنِي بِقَدَمِهِ ، فجلست فلم أَرِ شيئاً ، فعُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي ، فجاءنى الثانية فمَهَمَنِي بِقَدَمِهِ ،

فجلستُ فلم أرَ شيئاً ، فعدتُ إلى مَضْجَعِي ، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه ، فجلستُ ، فأخذ بَعْضُي ، فقامت معه نَخرج إلى بابِ المسجد ، فإذا دَابَّةٌ أبيضُ ، بين البغل - والحمار - في فَخَذَيْهِ جَنَاحَانِ يُحْفِزُ بِهِمَا رِجْلَيْهِ ، يضع يده في مُنتَهَى طَرَفِهِ ، فحملني عليه ، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

حديث قتادة

قال ابن إسحاق ، وحُدِّثت عن قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ : حُدِّثتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ ؛ لِأُرْكَبَهُ شَمَسَ ، فَوَضَعَ جَبْرِيلُ يَدَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَسْتَعِجِي يَا بَرَأَقُ مِمَّا تَصْنَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَكِبْتُكَ عَبْدٌ لِلَّهِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ . قَالَ : فَاسْتَحْيَا حَتَّى ارْقَضَ عَرَقًا ، ثُمَّ قَرَأَ حَتَّى رَكِبْتَهُ .

من حديث الحسن

قال الحسنُ في حديثه : فَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَضَى جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَوَجَدَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَّهمُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَلَّى بِهِمْ ، ثُمَّ أَتَى يَأْنَاءَيْنِ ، فِي أَحَدِهِمَا : خَر ، وَفِي الْآخَرِ : كَبَن . قَالَ : فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيْنَاءَ اللَّبَنِ ، فَشَرَبَ مِنْهُ ، وَتَرَكَ إِيْنَاءَ الْخَمْرِ . قَالَ : فَقَالَ : لَهُ جَبْرِيلُ : هُدَيْتَ لِلْفِطْرَةِ ، وَهُدَيْتَ أُمَّتَكَ يَا مُحَمَّدُ ، وَحُرِّمْتَ عَلَيْكُمُ الْخَمْرَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا

• • • • •

أصبح غداً على قريش ، فأخبرهم الخبر . فقال أكثر الناس : هذا والله الأمرُ
الْبَيِّن ، والله إن العيرَ لَتُطْرَدَ شهراً من مكة إلى الشام مُدْبِرَةً ، وشهراً مقبلةً .
أفيذهب ذلك محمدٌ في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ! قال : فارتدَّ كثيرٌ ممن
كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بَكْرٍ ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في
صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع إلى
مكة . قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، هاهو ذاك
في المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ،
فما يُعجبكم من ذلك ؟ ! فوالله إنه ليُخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض
في ساعةٍ من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعدُ مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى
انتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله . أحدثتَ
هؤلاء القومَ أنك أتيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : يا نبي الله ،
فصفه لي ، فإني قد جئتُه - قال الحسن : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
فرفع لي حتى نظرتُ إليه - فجعل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يصفه لأبي
بكر : ويقول أبو بكر : صدقت ، أشهد أنك رسولُ الله ، كلما وصف له منه شيئاً ،
قال : صدقت ، أشهد أنك رسولُ الله ، حتى انتهى ، قال رسولُ الله - صلى الله
عليه وسلم - لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق ، فيومئذ سماء الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتدَّ عن إسلامه لذلك : (وَمَا جَعَلْنَا
الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ، وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُخَوِّفُهُمْ
فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا » الإسراء : ٦٠ .

فهذا حديث الحسن عن مَسْرِي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما دخل فيه من حديث قتادة .

الإسراء رؤيا

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أبي بكر : أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فُقدَ جَسَدُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله أسرى بروحه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُثْمَةَ بن المُغيرة بن الأَخْنَس : أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سُئِلَ عن مَسْرِي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة .

فلم يُنْكَرْ ذلك من قولها ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) الإسراء : ٦٠ . ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) الصافات : ١٠٢ . ثم مضى على ذلك . فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونِيَامًا .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : تنام عيناى ، وقلبي يقظان . والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعائني فيه ما عاين ، من أمر الله ، على أى حاله كان : نائمًا ، أو يقظان ، كل ذلك حقٌ وصدق .

الصفات التي وصف بها النبي بعض الرسل

قال ابن إسحاق : وزعم الزُّهْرِيُّ عن سعيد بن المسيَّب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، وأما موسى فرجل آدمٌ طويلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أَفْقَى كَأَنَّهُ من رجال شَنْوَاءَةٍ ، وأما عيسى بن مريم ، فرجل أحمر ، بين القصير والطويل ، سَبَطَ الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من دِيَمَاس ، تَخَالَ رَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً ، وليس به ماء ، أشبه رجالكم به عُروة بن مَسْعُود النخعي

قال ابن هشام وكانت صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر عمر مولى غُفْرَةَ عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب ، قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام ، إذا نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال - : لم يكن بالطَّوِيلِ الْمُمَغْطِ ، ولا القصيرِ الْمُتَرَدِّدِ ، وكان رُبْعَةً من القوم ، ولم يكن بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ ولا السَّبَطِ ، كان جَعْدًا رَجُلًا ، ولم يكن بِالْمُطَهَّمِ ولا الْمُسَكَّنَمِ وكان أبيضَ مُشْرَبًا ، أَدْعَجَ العينين ، أَهْدَبَ الْأَشْفَارَ ، جليلُ الْمَشَاشِ الْكَتَدِ ، دَقِيقُ الْمَسْرُوبَةِ أَجْرَدَ ، شَتْنُ الْكَفَّينِ وَالْقَدَمَيْنِ ، إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ ، كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ ، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ مَعَا ، بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو صلى الله عليه وسلم خاتمُ النَّبِيِّينَ ، أَجْوَدُ النَّاسِ كَفًّا ، وَأَجْرَأُ النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً ، وَأَوْفَى النَّاسِ ذِمَّةً ، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً ، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً ،

.....

من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم .

حديث أم هانئ عن الإسراء

قال محمد بن إسحاق : وكان - فيما باغنى - عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها + واسمها : هند - في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقول : ما أمرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وهو في بيتي ، نائم عندي تلك الليلة في بيتي ، فصلّى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهينّا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما صلى الصبح ، وصليّنا معه ، قال : يا أم هانئ ، لقد صليتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيت - بهذا الوادي ، ثم جئتُ بيت المقدس فصليتُ فيه ، ثم قد صليتُ صلاة الغداة معكم الآن كاترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطرف رِدائه ، فتكشّف عن بطنه كأنه قُبْطِيَّة مَطْوِيَّة ، فقلت له : يا نبيّ الله ، لا تحدث بهذا الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ، قال : والله لأحدثنهموه . قالت : فقلت لجارية لي حَبَشِيَّة : ويحك اتبعي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تسمعي ما يقول للناس ، وما يقولون له . فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس أخبرهم ، فعجبوا وقالوا : ما آية ذلك يا محمد ؟ فإنّا لم نسمع بمثل هذا قط ، قال : آية ذلك أني مررتُ بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنقرهم حسّ الدابة ، فندّ لهم بعيرٌ ، قد لثّمهم عليه ، وأنا موجهٌ إلى الشام . ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ بضجّنان مررتُ بعير بني فلان ، فوجدتُ القوم نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطّوا عليه

بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن غيرهم الآن تصوب من البيضاء ، نفيّة التخمير يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان ، إحداهما سوداء ، والأخرى برقاء . قالت : فابتدر القوم الثنية ، فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم ، وسألهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءاً ماء ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماء . وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنفرتنا في الوادي الذي ذكره ، وندلنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

الأنهر والكوتر :

فصل : وذكر قول العاصي بن وائل : إن محمداً أبتر إذا مات انقطع ذكره ، وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة الكوتر على قول ابن إسحاق ، وأكثر المفسرين . وقيل : إن أبا جهل هو الذي قال ذلك . وقد قيل : كعب ابن الأشرف ، ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون سورة الكوتر مدنية ، وقد روى يونس عن أبي عبد الله الجعفي عن جابر الجعفي عن محمد بن علي ، قال : كان القاسم ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بلغ أن يركب الدابة ، ويسير على النجيبية ، فلما قبضه الله ، قال العاصي : أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » . عَوْضا يا محمد من مصيبتك بالقاسم : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِن شَاءَ نَبِّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » . ولم يقل : إن شانتك أبتر^(١) يتضمن اختصاصه بهذا الوصف ، لأن هو في مثل هذا

(١) في الكلام نقص لعله : فقله : هو الأبتر .

الموضع تعطى الاختصاص ، مثل أن يقول قائل : إن زيدا فاسق ، فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره ، فإذا قلت : إن زيدا هو الفاسق ، فمعناه : هو الفاسق الذى زعمت ^(١) ، فدل على أن بالخضرة من يزعم غير ذلك ، وهكذا قال الجرجاني وغيره فى تفسير هذه الآية أن هو تعطى الاختصاص ، وكذلك قلوا فى قوله سبحانه : (وأنه هو أغنى وأقنى) لما كان العباد ^(٢) يتوهمون أن غير الله قد يغنى ، قال : هو أغنى وأقنى ، أى : لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو أمات وأحيا » إذ كانوا قد يتوهمون فى الإحياء والإماتة ماتوهمهم النمرود حين قال : أنا أخى وأميت ، أى : أنا أقتل من شئت ، وأسكن من شئت ، فقال عز وجل : وأنه هو أمات وأحيا أى : لا غيره ، وكذلك قوله تعالى : (وأنه هو ربُّ الشعرى) ^(٣) أى : هو الربُّ لا غيره ، إذ كانوا قد اتخذوا أربابا من دونه ، منها : الشعرى ، فلما قال : وأنه خلق الزوجين ، وأنه أهلك عاداً استغنى الكلام عن هو التى تعطى معنى الاختصاص ، لأنه فعل لم يبدئه أحد ، وإذا ثبت هذا ، فكذلك قوله : إن شئت هو الأبتى أى : لا أنت . والأبتى : الذى لا عقب له يتبعه ، فعدمه كالأبتى الذى هو عديم

(١) فى الأصل : التى .

(٢) التعبير الدقيق : بعض العبد .

(٣) هذه الآيات من سورة النجم وترتيبها : (وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تمنى ، وأن عليه النشأة الآخرة . وأنه هو أغنى وأقنى ، وأنه هو رب الشعرى) النجم ٤٤ — ٤٩ . وأقنى : أعطى المال المتخذ قنية . والشعرى : كوكب خلف الجوزاء أشد ضياء من الغميصاء وفى القاموس : الشعرى : العبور ، والشعرى : الغميصاء اختا سميل .

الذَّنب، فإذا ما قلت هذا، ونظرت إلى العاصي، وكان ذا ولد، وعقب، وولده مُعْتَرِضٌ وهشام ابنا العاصي بن وائل، فكيف يثبت له البتَر، واخضاع الولد، وهو ذو ولد ونَسْلٍ، ونفيه عن نبيه، وهو يقول: «ما كان مُحَمَّدٌ أباً أحَدٍ من رجالكم» الأحزاب الآية: ٤٠. فالجواب: أن العاصي وإن كان ذا ولد - فقد انقطعت الصِصْمَةُ مِيقِنُهُ وبينهم، فليسوا بأتباع له، لأن الإسلام قد حجزهم عنه، فلا يرثهم ولا يرثونه، وهم من أتباع محمد عليه السلام، وأزواجه أمهاتهم، وهو أبٌ لهم، كما قرأ: أُبَيُّ ابن كعب: «وأزواجه أمهاتهم، وهو أبٌ لهم»^(١)، والنبي أولى بهم» كما قال الله سبحانه، فهم وجميع المؤمنين أتباع النبي في الدنيا، وأتباعه في الآخرة إلى حوضه، وهذا معنى الكَوْنِ، وهو موجود في الدنيا لكثرة أتباعه فيها، ليعذَى

(١) لا يتصور مسلم أن قوله: وهو أب لهم، آية من القرآن، لأنها ليست في المصحف. وما ليس في المصحف فلا يعده مسلم قرآناً أبداً كان راويه. والحديث الذي رواه البخاري حول الآية: ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة. اقرءوا إن شئتم: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأبما مؤمن ترك حالاً فليرثه عصبة من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني، فأنا مولاه، ولم ترد تلك القراءة عن طريق صحيح، والعجيب أن تسند هذه القراءة إلى أبي بكر كعب وابن عباس، وأنها تروى عن معاوية وبجاهد وعكرمة والحسن ١١ تدبر هذه الأسماء المحشودة وراءه وهو أب لهم، والله يقول: (ما كان محمد أباً أحَدٍ من رجالكم) ففي القراءة مخالفة صريحة للآية المحككة، ثم هي توحى كغيرها من القراءات المفضرة بأن المصحف الذي بأيدينا ينقص بعض آيات أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم. ومحاولة التأويل، أو الدفاع عن هذه القراءات محاولة يكيد بها الشيطان، ويمكر ضد القرآن، ومساندة لرواة مجهولين دسوا، وكتب يحاول بعض الناس أن يرفعوها فوق القرآن.

أرواحهم بما فيه حياتهم من العلم ، وكثرة أتباعه في الآخرة ليسقيهم من حوضه ما فيه الحياة الباقية ، وعدو الله العاصي على هذا هو الأبر على الحقيقة ، إذ قد انقطع ذنبه وأتباعه ، وصاروا تبعاً لحمد - صلى الله عليه وسلم - ولذلك قبل تغييره للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالبتر بما هو ضده من الكوثر ؛ فإن الكثرة تضاد معنى القلة ، ولو قال في جواب اللعين : إنا أعطيناك الحوض الذى من صفته كذا وكذا لم يكن رداً عليه ، ولا مُشاكلاً لجوابه ، ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير ؛ والعدد الجَم الغفير المُضاد للمعنى البتر ، وأن ذلك في الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذى أعطاه ، فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض ، بل يجمع هذا المعنى كله ، ويشتمل عليه ، ولذلك كانت آيته كعدد النجوم^(١) ، ويقال : هذه الصفة في الدنيا : علماء الأمة من أصحابه ومن بعدهم ، فقد قال : أصحابي كالنجوم^(٢) ، وهم يرؤون العلم عنه ، ويؤدونه

(١) في حديث متفق عليه : د حوضى مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظلم أبداً . كما وردت مسألة الكيزان هذه في روايتين عند مسلم ، إحداهما عن أبي هريرة ، والأخرى عن أنس . ولكن لتذكر مع هذا حديثاً آخر : د قال رسول الله ص : د إني فرطكم على الحوض ، من مر على شرب ، ومن شرب لم يظلم أبداً ، ليردن على أقوام أعرفهم ، ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم ، فأقول إنهم منى ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدي ، متفق عليه .

(٢) في حديث رواه رزين : د أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وقد قال عنه المحدث الفاضل الشيخ محمد ناصر الالباني : حديث باطل ، وإسناده واه جداً . ص ٢١٩ ج ٣ مشكاة المصابيح .

إلى مَنْ بعدهم ، كما تَرَوِي الآنيَّةُ في الحوض ، وتسقى الواردةَ عليه : تقول :
رَوَيْتُ الماءَ، أى : استَقَيْتُهُ كما تقول : رَوَيْتُ العلمَ ، وكلاهما فيه حياة ، ومنه قيل
لمن روى علماً أو شعراً : راوية تشبيهاً بالمَزَادَةِ أو الدَّابَّةِ التي يُحْمَلُ عليها الماء
وليس من بابِ عِلَامَةٍ وَنَسَابَةٍ ، وفي حديث أبي بَرَزَةَ في صفة الحوض أنها
تَنْزَوُ في أَكْفِ المؤمنين ، يعنى الآنيَّةُ ، وَحَصْبَاءُ الحوض : اللؤلؤُ والياقوتُ ^(١) ،
ويقابلهما في الدنيا الحُكْمُ الماثورةُ عنه ، ألا ترى أن اللؤلؤَ في علم التعبير حِكْمٌ
وفوائدٌ علم ، وفي صفة الحوض له المسك ، أى : حَمَائَتُهُ ^(٢) ويقابله في الدنيا : طيبُ
الثناء على العلماء ، وأتباع النبي الأتقياء ، كما أن المسك ، في : علم التعبير ثناءٌ حَسَنٌ ،
وعلم التعبير من علم الثَّبُوءَةِ مُقْتَبَسٌ . وذكر في صفة الحوض الطيرُ التي ترده
كأعناق البُخْتِ ^(٣) ، ويقابله من صفة العلم في الدنيا وُرُودُ الطالبين من كل
صُقْعٍ ^(٤) وتُقطر على حضرة العلم وانتياهم إياها في زمن النبي - صلى الله عليه
وسلم - وبعده ، فتأمل صفة الكوثر معقولة في الدنيا ، مُحسوسة في الآخرة مُدْرَكَةٌ

(١) في حديث رواه النسائي : حصباءه اللؤلؤ والياقوت

(٢) كذا بالأصل ، والجملة : الطين الأسود ، وفي حديث رواه البخاري عن
الكوثر : « فإذا طينه مسك أذفر » .

وفي حديث رواه أحمد : « وضربت يدي في ترابه ، فإذا مسك أذفر » ، وفي
حديث آخر : « وضرب يده إلى أرضه ، فأخرج من طينه المسك » .

(٣) البخت : نوع من الإبل طويلة الأعناق ، وقد ذكرت في حديث رواه
الترمذي ، وصححه الحاكم ، وفيه : « أو أعناق الجزر ، جمع جزور : البعير .

(٤) ناحية .

بأنعيان - هنالك بين لك إعجازُ التنزيل ومطابقة السورة - لسبب - نزولها ،
ولذلك قال فضيل: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) أى : تواضع لمن أعطاك الكوثر
بالصلاة له ، فإن الكثرة فى الدنيا تقتضى فى أكثر الخلق الكبر: وتحدو
إلى الفخر والخيبة ، فلذلك كان عليه السلام طائفاً رأسه عام الفتح حين رأى
كثرة أتباعه ، وهو على الرحلة حتى ألصق عُنُقُونَهُ^(١) بالرَّحْلِ امْتِثَالاً لَأَمْرِ
ربه ، وكذلك أمره بالانحر شُكْراً له ، ورفع اليدين إلى النَّحْرِ^(٢) فى الصلاة عند
استقبال القبلة التى عندها ينحر ، وإليها يهدى معناه : الجمع بين الفعلين - النحر
للمأمور به يوم الأضحى ، والإشارة إليه فى الصلاة برفع اليدين إلى النَّحْرِ ، كما أن
القبلة نَحْجُوجَةٌ مُصَلَّى إِلَيْهَا ، فَكَذَلِكَ يَنْحَرُ عَنْدها ، ويشار إلى النحر عند
استقبالها، وإلى هذا التفت عليه السلام حين قال : مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا ، واستقبل
قبلتنا ، وَنَسَكَ نُسُكَنَا فهو مسلم ، وقد قال الله سبحانه: «قُلْ : إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي
وَنَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِأَشْرِيكَ لَهُ ، وبذلك أُمِرْتُ ، وأنا أولُ المسلمين»
الأنعام ١٦٢، ١٦٣ فقرن بين الصلاة إلى الكعبة ، والنُّسُكِ إليها ، كما قرن بينهما
حين قال: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» وذكر فى صفة الحوض: كما بين صُنْعَاءَ
وَأَيْسَلَةَ^(٣) وقد جاء فيه أيضاً فى الصحيح «كما بين جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ^(٤)» وبينهما

(١) العشون : ما ثبت على الذقة - وتحتة سفلا .

(٢) النحر : أعلى الصدر .

(٣) من حديث رواه الطبرانى وابن حبان . وأيلة : مدينه على ساحل بحر
القلزم ، ما إلى الشام . وأيلة : موضع برضى .

(٤) جرباء - وفى الأصل : جرباء موضع من أعمال عمان بالبلقاء من
أرض الشام . وهما واردتان فى حديث متفق عليه . وجرباء تقصر وتمد ، والقصر
أولى .

مسافة بعيدة ، وفي الصحيح أيضاً في صفته : كما بين عَدَنَ أَبِينَ إِلَى عَمَّانَ ، وقد تقدم ذكر أَبِينَ ، وأنه ابن زهير بن أَيْمَنَ بن خَيْرٍ ، وأن عَدَنَ سميت برجل من خَيْرِ عَدَنَ بها ، أَيْ : أقام ، وتقدم أيضاً ما قاله الطبري أن عَدَنَ وَأَبِينَ هما ابنا عَدَنان أخوا معد ، وأما عَمَّانُ بتشديد الميم وفتح العين ، فهي بالشام قرب دمشق ، سميت بِعَمَّانَ بن لُوط بن هَارَانَ ، كان سَكَنَها - فيما ذكرُوا - وأما عُمَّانُ بضم العين وتخفيف الميم ، فهو باليمن سميت بِعُمَّانَ بن سِنَانٍ ، وهو من ولد إبراهيم - فيما ذكرُوا - وفيه نظر ؛ إذ لا يُعْرَفُ في ولد إبراهيم لصلبه من اسمه سِنَانٍ . وفي صفة الحوض أيضاً كما بين الكوفة ومكة ، وكما بين بيت المقدس والكعبة ، وهذه كلها روايات متقاربة المعاني ، وإن كانت المسافات بعضها أبعدَ من بعض ، فكذلك الحوض أيضاً له طول وعرض وزوايا وأركان ، فيكون اختلافُ هذه المسافات التي في الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ، ولا أظنُّ أن كِبَادَنَا في الآخرة إليه . ومما جاء في معنى الكوثر مارواه ابن أبي نجيم عن عائشة - قالت : الكوثر نهر في الجنة ، لا يُدْخِلُ أحدٌ إصْبَعِيهِ في أذنيه إلا سَمِعَ خَيْرَ ذلك النهر ، وقع هذا الحديث في السيرة من رواية يونس ، وراوه الدارقطني من طريق مالك بن مَعْمُولٍ عن الشَّعْبِيِّ عن مَسْرُوقٍ عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إن الله أعطاني نهرًا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتي أن يسمع خير ذلك الكوثر إلا سمعه ، قلت : يارسول الله وكيف ذلك ؟ قال : أَدْخِلِي أُصْبَعِيكَ في أَذْيِكَ وَشُدِّي ، فالذي تسمعين فيهما من خير الكوثر ^(١) » وروى

(١) حديث ابن أبي نجيم منقطع ، وحديث الدارقطني مرفوع .

الدارقطني من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلی : « والذي نفسي بيده إنك لذائدٌ عن حَوْضِي يومَ القيامة تذود عنه كفارُ الأمم ، كما تزداد الإبلُ الضالة عن الماء بعضاً من عوسج^(١) ، إلا أن هذا الحديث يرويه حرَّامُ بن عثمان عن ابنِ جابرٍ ، وقد سئل مالك عنه ، فقال : ليس بثقة ، وأغلظ فيه الشافعي القول ، وأما قوله - عليه السلام - : ومنبري على حوضي ، فقد قيل في معناه أقوالٌ ، ويفسره عندى الحديث الآخر ، وهو قوله عليه السلام ، وهو على المنبر : « إني لأنظر إلى حوضي الآن^(٢) » من مقامى هذا « فتأمله .

استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر :

وذكر ابن هشام فى الاستشهاد على معنى الكوثر قول لبيد بن ربيعة :
 وصاحبٌ ملحوبٌ فجِئنا بيومه وعند الرِّداعِ بيتُ آخرِ كوثرٍ
 وبالفورَةِ الحُرَّابِ ذو الفضلِ عامرٌ فنعم ضياءه الطارقِ المُنَوَّرِ^(٣)
 يعنى عامر بن مالك مُلَاعِبَ الأَسِنَّةِ ، وهو عم أبيبٍ ، وسنذكر : لِمَ سُمِّيَ
 مُلَاعِبَ الأَسِنَّةِ إذا جاء ذكرُه إن شاء الله تعالى . وصاحبٌ ملحوبٌ : عوفُ

-
- (١) شجر من شجر الشوك له ثمر مدور ، كأنه خرز العقيق « المعجم الوسيط ،
 (٢) عجب من السهيل أن يعتد بمثل هذه الداهيات التى أنف أصحاب
 الصحيح من ذكرها !!
 (٣) بيت الكميث الذى فى السيرة فى الاشتقاق واللسان ، وفيه : الخلافة
 مكان : العقائل .

ابن الأخوص ، وقد ذكره ابن هشام . والذي عند الرّداع : شريح بن الأخوص
في قوله ، وقال غيره : هو حبان بن عتبة بن مالك بن جعفر بن كلاب .
والرّداع : من أرض اليمامة . وملحوب : مفعول من خلّبت العود ، إذا
قشرته ، فكان هذا الموضع سُمي ملحوبا ، لأنه لا أكرم فيه ولا شجر .

ذكر حديث المستهزين :

وذكر حديث المستهزين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل
الله فيهم من قوله تعالى : « وأما المستهزون برسل من قبلك » الآية الأنبياء : ٤١ .
فقال فيها : استهزيء برسل ثم قال : فإني بالذين سخروا منهم ، ولم يقل :
استهزءوا ، ثم قال : ما كانوا به يستهزون ولم يقل : يستخرون . ولا بد في حكمة
في هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازل ، فقوله : استهزيء برسل ، أي :
أسمعوا من الكلام الذي يُسمى استهزاء ما ساءهم تأنيسه ، ليتأني بمن قبله
من الرسل ، وإنما سُمي استهزاء إذا كان مسموعا ، وهو من فعل الجاهلين :
قال الله تعالى : « أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا قَالَ : أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ »
البقرة : ٦٧ . وأما السخرُ والسخرى ، فقد يكون في النفس غير مسموع ،
ولذلك تقول : سخرت منه ، كما تقول : عَجِبْتُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ الْعَجَبُ لَا يَخْتَصُّ
بالمعنى المذموم ، كما يختص السخرُ ، وفي التنزيل خبرا عن نوح : « إِنْ تَسْخَرُوا
مِنَّا ، فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ » ، كما تسخرون « هود : ٢٨ ولم يقل : نستَهزِي بِكُمْ
كما تستهزون ؛ لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء ، إنما هو من فعل الجاهلين
كما قدمنا من قول موسى عليه السلام ، فإني يسخر : أي ، يعجب من كفر من

يَسْخَرُ بِهِ ، وَمَنْ سَخَّرَ عَقُولَهُمْ . فَإِنْ قُلْتَ : فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) ، قَالُوا : الْعَرَبُ تُسَمَّى الْجَزَاءَ عَلَى الْفِعْلِ بِاسْمِ الْفِعْلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَلْسِيهِمْ) وَهُوَ مَجَازٌ حَسَنٌ ^(١) وَأَمَّا الِاسْتِهْزَاءُ الَّذِي كُنَّا بِصَدْرِهِ ، فَهُوَ الْمُسَمَّى اسْتِهْزَاءً حَقِيقَةً ، وَلَا يَرْضَى بِهِ إِلَّا جَهُولٌ . ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : (فَحَاقَ بِالذِّينِ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أَيْ حَاقَ بِهِمْ مِنَ الْوَعِيدِ الْمُبْلَغِ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فَزَلَّتْ كُلُّ كَلِمَةٍ عَنَّا ، وَلَمْ يَحْسُنْ فِي حَكْمِ الْبَلَاغَةِ وَضْعُ وَاحِدَةٍ مَكَانَ الْأُخْرَى . وَذَكَرَ أَيْضًا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًَا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) أَيْ : لَوْ جَعَلْنَاهُ الرُّسُولَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ ، وَلَدَخَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّبْسِ فِيهِ مَادَخَلُ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ وَقَوْلُهُ : لَكَبَسْنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ ، فَهُوَ يُعْنِي مَنْ شَاءَ عَنِ الْحَقِّ ، وَيَفْتَحُ بَصِيرَةً مَنْ شَاءَ ، وَقَوْلُهُ : مَا يَلْبَسُونَ ، مَعْنَاهُ : يَلْبَسُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ ، لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ ، وَلَكِنْ جَعَدُوا بِهَا ، وَاسْتَدَيْقَتْنَاهَا أَنْفُسُهُمْ ، فَجَعَلُوا ، يَلْبَسُونَ أَيْ يَلْبَسُ ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْبَسُونَ عَلَى أَهْلِيهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ ، أَيْ : يَخْلُطُونَ عَلَيْهِمْ بِالْبَاطِلِ ، تَقُولُ الْعَرَبُ : لَكَبَسْتُ عَلَيْهِمْ

(١) سَبَقَ التَّعْلِيلُ عَلَى مِثْلِ هَذَا . وَالنِّسْيَانُ هُنَا حَقِيقَةٌ لَا مَجَازَ ، لِأَنَّ أَصْلَ النِّسْيَانِ — كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ : التَّرْكُ . وَيَقُولُ ابْنُ فَارَسٍ فِي مَعْجَمِهِ عَنْ أَصْلِ الْمَادَّةِ إِنَّهَا أَصْلَانِ : أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى إِغْنَالِ الشَّيْءِ ، وَالثَّانِي : عَلَى تَرْكِ الشَّيْءِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : تَرَكُوا اللَّهَ فَتَرَكَهُمْ ، هَذَا لِأَنَّ دَعْوَى الْمَجَازِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ دَعْوَى تَجْمَعُ بَيْنَ الْحَمَاقَةِ وَالْجُرْأَةِ وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ . وَلَا سِيَّامَا وَأَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا .

الأمْرَ أَلْبَسَهُ ، أى : سترته وخلطته ، ومن لبس الثياب : لبست ألبس ، لأنه فى معنى كَسَيْتُ ، وفى مُقَابَلَةِ عَرَيْتُ ، فجاء على وزنه ، والآخر فى معنى : خَلَطْتُ أو سَتَرْتُ ، فجاء على وزنه .

شرح ما فى حديث الإسراء من المشكل

اتفقت الرواة على تسميته إسرائاً ، ولم يُسمَّه أحدٌ منهم : سُرَى ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سَرَى وأَسْرَى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يُحَقِّقُوا العبارة ، وذلك أن القُرَّاء لم يختلفوا فى التلاوة من قوله : (سُبْحَانَ الذى أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ولم يقل : سَرَى ، وقال : والليل إذا يسر ، ولم يقل : يُسْرِى ، فدل على أن السُرَى من سَرَيْتَ إذا سِرْتَ ليلاً ، وهى مؤنثة ^(١) تقول : طالت سُرَاكَ الليلة ، والإسراء مُتَعَدِّ فى المعنى ، ولكن حذف مفعوله كثيراً حتى ظن أهل اللغة أنهما بمعنى واحد ، لما رأوا أنها غير متعديين إلى مفعول فى اللفظ ، وإنما أسرى بعبده ، أى : جعل البراق يسرى ، كما تقول : أمضيتُهُ ، أى : جعلته يتمضى ، لكن كثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه ، أو للاستغناء عن ذكره ، إذ المقصود بالخبر ذكر محمد ، لا ذكر الدابة التى سارت به ، وجاز فى قصة لوط عليه السلام . أن يقال له : فأسرِ بأهلك : أى فاسر بهم ، وإن يقرأ فأسرِ بأهلك بالقطع ، أى : فأسرِ بهم ما يتحتمون عليه من دابة أو نحوها ، ولم يتصور ذلك فى السرى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يجوز أن يقال سَرَى بعبده بوجه

(١) فى اللسان أنها تذكر وتؤنث .

من الوجوه ؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة فتدبره .
وكذلك تسامح النحويون أيضا في الباء والهمزة ، وجعلوها بمعنى واحد
في حكم التعدية ، ولو كان ما قالوه أصلا لجاز في : أمرضته أن تقول : مَرَضْتُ به ،
وفي أسَقَمْتُهُ : أن تقول : سَقِمْتُ به ، وفي أَعَمَيْتُهُ أن تقول : عَمَيْتُ به قياسا
على : أَذْهَبْتُهُ وَأَذْهَبْتُ به ، وبإبي الله ذلك والعالمون ؛ فإنما الباء تعطى مع التعدية
طَرَفًا من المشاركة في الفعل ، ولا تعطيه الهمزة ، فإذا قلت : أقمته ، فعناه :
جعلته يقعد ، ولكنك شاركته في القعود ، فجذبته بيدك إلى الأرض ، أو نحو
ذلك ، فلا بد من طَرَفٍ من المشاركة إذا قعدت به ، ودخلت به ، وذهبت به
بخلاف أدخلته وأذهبته .

فإن قلت : فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم ، وذهب بسمعهم وأبصارهم
ويتعالى - سبحانه - عن أن يوصف بالذهاب ، و يضاف إليه طرف منه ،
وإنما معناه : أذهب نورهم وسمعهم . قلنا : في الجواب عن هذا : أن النور
والسمع والبصر كان بيده سبحانه ، وقد قال : بيده الخير ، وهذا من الخير
الذي بيده ، وإذا كان بيده ، فجائز أن يقال ذَهَبَ به على المعنى الذي يقتضيه
قوله سبحانه بِيَدِهِ الْخَيْرُ كأننا ما كان ذلك المعنى ، فعليه ينبنى ذلك المعنى
الآخر الذي في قوله : ذهب الله بنورهم مجازاً كان أو حقيقةً ، ألا ترى أنه
لما ذكر الرّجس كيف قال : « لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ » الأحزاب : ٣٣ .
ولم يقل يَذْهَبُ به ، وكذلك قال : « وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ الشَّيْطَانُ »
الأَنْفَال : ١١ تعليماً لعباده حسن الأدب معه ، حتى لا يضاف إلى القدوس
سبحانه - لفظاً ومعنى شيء من الأرجاس ، وإن كانت خالقاً له ومُلكاً

فلا يقال : هي بيده على الخصوص ، تحسینا للمعارة وتنزيها له ، وفي مثل النور والسمع والبصر یَحْسُنُ أن يقال : هي بيده ، فحُسُنَ على هذا أن يقال : ذَهَبَ به ، وأما أُسْرِى بعبده ، فإن دخول الباء فيه ليس من هذا القبيل ، فإنه فعل يتعدى إلى مفعول ، وذلك المفعول المشرى هو الذى سَرَى بالعبد فشادكه بالشرى ، كما قدمنا فى قَعَدْتُ به أنه يُعْطَى المشاركة فى الفعل ، أو فى طَرَفٍ منه ، فتأمله ^(١) .

(١) علق ابن القيم على قوله سبحانه : أسرى بعبده ، فقال : د فى قوله تعالى : (أسرى بعبده) دون بعث بعبده ، وأرسل به ما يفيد مصاحبة له فى مسراه فبن الباء هنا للمصاحبة كمى فى قوله : هاجر بأهله ، وسافر بفلامه ، وليست للمتعدية . فإن أسرى يتعدى بنفسه ، يقال : سرى به ، وأسراه ، وهذا لأن ذلك السرى كان أعظم أسفاره - صلى الله عليه وسلم - والسفر يعتمد الصاحب ، ولهذا كان - صلى الله عليه وسلم - إذا سافر يقول : ا م م أنت الصاحب فى السفر . فإن قيل : فهذا المعنى يفهم من الفعل الثلاثى لو قيل : سرى بعبده ، فما فائدة الجمع بين الهمزة والباء ، ففيه أجوبة ، ثم رفض ما أجاب به غيره ثم قال : والجواب الصحيح أن الثلاثى المتعدى بالباء يفهم منه شيان أحدهما : صدور الفعل من فاعله : الثانى : مصاحبته لما دخلت عليه الباء . فإذا قلت : سرت بزيد ، وسافرت به كنت قد وجد منك السرى والسفر مصاحبا لزيد فيه . وأما المتعدى بالهمزة ، فيقتضى إيقاع الفعل بالمفعول فقط ، كقوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ، . ونظائره فإذا قرن هذا المتعدى بالهمزة بالباء أفاد إيقاع الفعل على المفعول مع المصاحبة المفهومة من الباء ، ولو أتى فيه بالثلاثى فهم منه معنى المشاركة فى مصدره ، وهو : تنوع فتأمله ، ص ٢٠٣ - ٣ بدائع الفوائد .

أكله الإسراء يقظة أم مناما :

فصل : وتقدم بين يدي الكلام في هذا الباب : هل كان الإسراء في يقظة .
بجسده ، أو كان في نومه بروحه ، كما قال سبحانه : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي نَوْمِهَا » الزمر : ٤٣ وقد ذكر ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنها كانت رؤيا حق ، وأن عائشة قالت : لم تفقد بدنه ، وإنما عرج بروحه تلك الليلة ، ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه : « وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » الإسراء ٦٠ . ولم يقل : الرؤيا ، وإنما يُسَمَّى رؤيا ما كان في النوم في عرف اللغة ، ويحتجون أيضاً بحديث البخاري عن أنس بن مالك قال : ليلة أُسْرِى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو هذا ، وهو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم فكان تلك الليلة ، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى ، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يُكَلِّمُوهُ ، حتى احْتَمَلُوهُ فوضعوهُ عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل . الحديث بطوله ، وقال في آخره : واستيقظ ، وهو في المسجد الحرام ، وهذا نص لا إشكال فيه أنها كانت رؤيا صادقة ، وقال أصحاب القول الثاني : قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة ، وأنشدوا للراعي يصف صائدا :

وَكَبَّرَ لَارْثُويَا ، وَهَشَّ فَوَادُهُ وَبَشَّرَ قَلْبَا كَانَ جَمًّا بَلَابِلُهُ^(١)

قالوا : وفي الآية بيان أنها كانت في اليقظة ، لأنه قال : « وما جعلنا الرُّثُويَا التي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير من أسلم ، وقال الكفار : يزعم محمد أنه أتى بيتَ الْمَقْدِسِ ، ورجع إلى مكة ليلته ، والعرير تطرد إليها شهراً مُقْبِلَةً وشهراً مُدْبِرَةً ، ولو كانت رؤيا نوم ، لم يستبعد أحدٌ منهم هذا ، فمعلوم أن الدائم قد يرى نفسه في السماء ، وفي المشرق والمغرب ، فلا يستبعد منه ذلك واحتج هؤلاء أيضاً بشربه الماء من الإناء الذي كان مُعْطًى عند القوم ، ووجدوه حين أصبح لا ماء فيه ، وبإرشاده للذين نَدَّ بعيرُهم حين أنفرهم حِسُّ الدابة ، وهو الْبَرَأَقُ حتى دَلَّهم عليه ، فأخبر أهل مكة بأمارته ذلك ، حتى ذكر الْغَرَارَتَيْنِ السَّوْدَاءِ وَالْبَرَقَاءِ^(٢) كافي هذا الكتاب ، وفي رواية يونس : أنه وعدَ قريشاً بِقُدُومِ الْعِرِّ التي أُرْسَدَهم إلى البعير ، وشرب إِنْاءَهُمْ ، وأنهم سَيَقْدُمُونَ ويُخْبِرُونَ بذلك ،

(١) البلابل : شدة الهم والوسواس في الصدر . والراعي هو : عبيد بن حصين ابن معاوية من بني نعيم ، يكنى أبا جندل أو أبا نوح شاعر إسلامي ، وهم أهل بيت سؤدد . وسمى الراعي لقوله :

ضعيف العصا بادي العروق تخاله عليها إذا ما أعمل الناس لأصبعها
حذا لابل إن تلبس الريح مرة يدعها ويخف الصوت حتى تربعا
لما أمرها حتى إذا ما تبسوات لاختفاها مرعى تبوأ مضجعا

(٢) اجتمع فيها سواد وبياض . وفي الرواية أنها بيضاء

فقالوا : يا محمد متى يقدمون ؟ فقال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم ، ولم يقدموا ، حتى كَرَبَت الشمسُ أن تغربَ ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف ، قلل : ولم يحبس الشمس إلا له ذلك اليوم ، وليوشع بن نون ^(١) ولهذا كله لا يكون إلا يقظة ، وذهبت طائفة ثالثة ، منهم : شيخنا القاضي أبوبكر [ابن العربي] رجة الله إلى تصديق المقالتين ، وتصحيح الحديتين ، وأن الإسراء كان مرتين ، إحداهما : كان في نومه وتوطئة له وتيسيراً عليه ، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهله عليه بالرؤيا ؛ لأن هو له عظيم ، فجاءه في اليقظة على توطئة وتقدمة ، رفقا من الله بعبدته وتسهيلا عليه ، ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء ، وأنهم قالوا : كان الإسراء مرتين : مرة في نومه ، ومرة في يقظته بيدنه صلى الله عليه وسلم .

(١) هو في موسى - كما يقال - ونبي بنى إسرائيل بعده ، واسمه عند الكتابيين : يشوع ، وسقره يقع بعد سفر التثنية من العهد القديم ، وهم يروون أن يوشع حاصر أريحا ، فلما غربت الشمس ، أو كادت تغرب ، ويدخل عليهم السبت الذي جعل عليهم ، وشرع لهم قال لها : إنك مأمورة ، وأنا مأمور اللهم احبسها على ، فحبسها الله حتى تمكن من فتح البلد ، وزادوا فقالوا : وأمر للقمر ، فوقف عن الطلوع .

ثم يروى ابن كثير حديثا عن الإمام أحمد : « إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس ، فكيف إذن حبست للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ وفي مسلم حديث يفيد أن الله حبس الشمس لنبي غزا . لكنه لم يصرح فيه باسم يوشع انظر ص ٣٢٣ ج ١ البداية والنهاية لابن كثير ج ١

ص ١٣٤٨

(م — ٢٧ الروض الأثف ج ٣)

قال المؤلف : وهذا القول هو الذى يصح ، وبه تتفق معانى الأخبار ،
الأتري أنه قال فى حديث أنس الذى قدمنا ذكره : أنه ثلاثه نفر قبل أن
يُوحى إليه ، ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة ، وحين فُرضت الصلاة^(١)
كما قدمنا فى الجزء قبل هذا ، وقيل كان قبل الهجرة بعام ، ولذلك قال فى
الحديث : فارتد كثير من كان قد أسلم ، ورواة الحديثين حفاظ ، فلا يستقيم
الجمع بين الروایتين إلا أن يكون الإسراء مرتين ، وكذلك ذكر فى حديث
أنس : أنه لقي إبراهيم فى السماء السادسة وموسى فى السابعة ، وفى أكثر
الروايات الصحيحة أنه رأى إبراهيم عند البيت المعمور فى السماء السابعة ،
ولقى موسى فى السادسة ، وفى رواية ابن إسحاق أتى بثلاثة آنية ، أحدها ماء
فقال قائل : إن أخذ الماء غرق ، وغرقت أمته ، وفى إحدى روايات البخارى
فى الجامع الصحيح : أنه أتى بإناء فيه عسل ، ولم يذكر الماء والرواة أثبت ،
وبلا سبيل إلى تكذيب بعضهم ولا توهينهم ، فدل على صحة القول بأنه كان
مرتين ، وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقا ، ولكن فى حالتين ووقتین
مع ما يشهد له من ظاهر القرآن ، فإن الله سبحانه يقول : « ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى » ثم قال : (مَا كَذَبَ
الْفُؤَادُ مَا رَأَى) النجم : ٨ ، ١١ فهذا نحو ما وقع فى حديث أنس من قوله :
فما يراه قلبه ، وعينه نائمة^(٢) والفؤاد : هو القلب ، ثم قال : « أَقْبَمَارُونَهُ عَلَى

(١) بل الثابت من آيات القرآن أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء .

(٢) فى البخارى : باب : كان النبى ﷺ ، تنام عينه ، ولا ينام قلبه .

رواه سعيد بن ميناء عن جابر عن النبى ﷺ .

ما يرى) ولم يقل : ما قد رأى، فدل على أن ثمَّ رؤيةً أخرى بعد هذه ، ثم قال :
(ولقد رآه نزلةً أخرى) أى : فى نزلةٍ نزلها جبريلُ إليه مرةً ، فراه فى
صورته التى هو عليها (عند سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، إذ يَفْشَى السُّدْرَةَ مَا يَفْشَى)
قال : يَفْشَاهَا فَرَّاشٌ من ذَهَبٍ ، وفى رواية : يَذْتَمِرُ منها الياقوتُ ، ونمرُها
مثل قِلَالٍ هَجَرَ^(١) ثم قال : (ما زَاغَ الْبَصَرُ) ولم يقل : الْفُؤَادُ ، كما قال
فى التى قبل هذه ، فدل على أنها رؤيةٌ عينٍ وبصرٍ فى النَّزَلَةِ الأخرى، ثم قال :
(لقد رأى من آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)^(٢) ، وإذا كانت رؤية عينٍ : فهى من
الآياتِ الْكُبْرَى ، ومن أعظم البراهين والعبر ، وصارت الرؤيا الأولى
بالإضافة إلى الأخرى ليست من الْكُبْرَى؛ لأن ما يراه العبدُ فى منامه دون ما يراه
فى يقظته لاحتمالَ ، وكذلك قال فى أكثر الأحاديث إنه رأى عند سِدْرَةِ الْمُنتَهَى
نهرين ظاهرين ، ونهرين باطنين ، وأخبره جبريل أن الظاهرين : النيلُ
والفرات ، وذكر فى حديث أنس أنه رأى هذين النهرين فى السماء الدنيا ،
وقال له الملك : هما النيلُ والفراتُ، أصلهما وعنصرهما ، فيحتمل أن يكون رأى
فى حال اليقظة منبعمهما ، ورأى فى المرة الأولى النهرين دون أن يرى أصلهما
والله أعلم . فقد جاء فى تفسير قوله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماءً بِقَدَرٍ
فَأَنسَكْنَاهُ فى الأرضِ) المؤمنون : ١٨ أنهمَا النيل والفرات أنزلا من الجنة

- (١) قرية كانت من قرى المدينة ، وليست هجر البحرين ، وكانت تعمل بها
القلال تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء ، سميت قلة لأنها ترفع وتحمل .
(٢) الآيات السابقة كلها من سورة النجم .

من أسفل درجة منها على جفاح جبريل ، فأودعهما بطون الجبال^(١) ثم إن

(١) بما أومن به أنه من الخير تخطئة حديث يرويه راوي يخالف المحكم الصريح من كتاب الله ، والواقع المحس بكل نوع من الإحساس ، فهذا أفضل من أن نحتج بشأن حديث ينتج عنه تكذيب القرآن ، وتكذيب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ورمى الإسلام بأنه عفن وخرافة ، والإسلام هو الحق والنور والحياة ، وأرجو أن يكون قولي واضحا : والحديث الذي يخالف المحكم الصريح من القرآن ، والواقع المشهود الملموس المحس ، وقد أكد القرآن الإسراء ، وآياته المحكمة تقطع به وحددت مكان الإسراء ، ومن لمس جانب هذا الحق بأثارة من شك ، فقد أثم لاثما عظيما وباه بخسران مبین ، وقارئ القرآن عن الإسراء لا يرتاب في شيء ، فإن هو عرج على بعض الأحاديث ، وبعضها يخالف لبعض ربما أثارته نزعة من ريبة ، لهذا يجب علينا أن نستمع إلى ما يصادق القرآن منها ، ونضرب صفحا عن الأخرى ، تدبر أمر النيل والفرات ، وأين هما ، ثم اقرأ ماورد في بعض الأحاديث عنهما نجد شيئا لا يمكن تصديقه إلا بضروب بعيدة من خرف التأويل ، ألا يكفي أن نتدبر قوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير) كلام يملأ القلب والعقل والشعور نورا وهداية وبصرا وإيمانا وتسييحا لله الذي فعل بعبده ذلك .

هذا وقد عرض السهيلي أمورا منها : رأى القائلين بأن الإسراء كان مرتين جرة في نومه ، ومرة في يقظته . وإليك عرض الإمام ابن القيم لهذا : قال موسى ابن عقبة عن الزهري : عرج بروح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس ، وإلى السماء قبل خروجه إلى المدينة بسنة . . .

وكان الإسراء مرة واحدة ، وقيل : مرتين ، مرة يقظة ، ومرة مناما ، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك ، وقوله : ثم استيقظت ، وبين سائر الروايات ، ومنهم من قال : بل كان هذا مرتين ، مرة قبل الوحي لقوله في حديث شريك : وذلك قبل أن يوحى إليه ، ومرة بعد =

الوحي كما دلت عليه سائر الأحاديث . ومنهم من قال : بل ثلاث مرات ، مرة قبل الوحي ، ومرة بعده ، وكل هذا خبط ، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوها مرة أخرى ، فكلمنا اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع . والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة . ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه مراراً كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى ، حتى تصير خمسا ، ثم يقول : أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي ، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ، ثم يحطها عشرا عشرا ١٤ وقد غلط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد المسند منه ، ثم قال : فقدم وأخر ، وزاد ونقص ، ولم يسرد الحديث ، وأجاد رحمه الله ، ص ١٣٠ ٢٠ زاد المعاد ط السنة المحمدية . وعن المعراج بقظة أو مناماً يقول الإمام الجليل أيضاً : وقد نقل عن ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالاً : إنما كان الإسراء بروحه ، ولم يفقد جسده . ونقل عن الحسن البصري نحو ذلك ، ولكن ينبغي أن يعلم الفرق بين أن يقال : كان الإسراء مناماً ، وبين أن يقال : كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم ، وعائشة ومعاوية لم يقلوا : كان مناماً ، وإنما قالوا : أسرى بروحه ، ولم يفقد جسده . وفرق بين الأمرين ، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للعلوم في الصور المحسوسة ، فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء ، أو ذهب به إلى مكة وأقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ، ولم تذهب ، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال .

والذين قالوا : عرج برسول الله - صلى الله عليه وسلم - طائفتان ، طائفة قالت : عرج بروحه وبدنه ، وطائفة قالت : عرج بروحه ، ولم يفقد بدنه ، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناماً ، وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسرى بها ، وعرج بها حقيقة ، وباشرت من جنس ما تابشر بعد المفارقة ، وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها إلى السماوات سماء سماء ، حتى يفتنى بها =

== إلى السماء السابعة ، فتقف بين يدي الله عز وجل ، فيأمر فيها بما يشاء ، ثم تنزل إلى الأرض . والذي كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ، ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم ، لكن لما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مقام خرق العوائد . . عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إماتة ، ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة ، ص ١٢٨ المصدر السابق ، وهو تأويل جيد للإمام الجليل .

ويقول الإمام الشوكاني : « وقد اختلف أهل العلم : هل كان الإسراء بجسده مع روحه ، أو بروحه فقط ؟ فذهب معظم السلف والخلف إلى الأول ، وذهب إلى الثاني طائفة من أهل العلم ، منهم : عائشة ومعاوية والحسن وابن إسحاق ، وحكاه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان ، وذهبت طائفة إلى التفصيل ، فقالوا : كان الإسراء بجسده يقظة إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واستدلوا على هذا التفصيل بقوله : إلى المسجد الأقصى ، فجعله غاية للإسراء بذاته ، فلو كان الإسراء من بيت المقدس إلى السماء وقع بذاته لذكره ، والذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس ، ثم إلى السماوات ، ولا حاجة إلى التأويل ، ص ١٩٩ ح ٢ فتح القدير ط مصطفى البابي الحلبي . ولو أن الشوكاني قال : بعض الأحاديث الصحيحة ، لمكان أوفق لأن بعض الأحاديث الصحيحة أيضاً تدل على أنه كان بروحه .

تاريخ الإسراء : كما يتحدث الإمام الشوكاني عن تاريخ الإسراء بقوله : « وقد اختلف أيضاً في تاريخ الإسراء ، فروى أن ذلك كان قبل الهجرة إلى المدينة بسنة ، وروى أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام ، ووجه ذلك أن خديجة حصلت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ماتت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل بثلاث ، وقيل بأربع ، ولم تفرض الصلاة إلا ليلة الإسراء ، وقد استدلل بهذا ابن عبد البر على ذلك ، وقد اختلفت الرواية عن الزهري . ومن قال : بأن =

الإسراء كان قبل الهجرة بسنة الزهري في رواية عنه ، وكذلك الحري ، فإنه قال : أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة . وقال ابن القاسم في تاريخه : كان الإسراء بعد مبعثه بثانية عشر شهراً قال ابن عبد البر : لا أعلم أحداً من أهل السير قال يمثل هذا . وروى عن الزهري أنه أسرى به قبل مبعثه بسبعة أعوام ، وروى عنه أنه قال : كان قبل مبعثه بخمسة سنين ، وروى يونس عن عروة عن عائشة أنها قالت : توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة ، ص ٢٠٠ المصدر السابق . وأقول : سبق أن بينت أن القرآن يؤكد أن الصلاة فرضت في بداية مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وقد تحدث السهيلي عن قوله سبحانه (ثم دنا فتدلى) الخ

وإليك رأى السلف في هذا ينقله الإمام ابن القيم أيضاً ، وأنا أنقله عنه من المصدر السابق : « وأما قوله تعالى في سورة النجم (ثم دنا فتدلى) فهو غير الدنو والتدلى في قصة الإسراء ، فإن الذي في سورة النجم هو : دنو جبريل وتدليه ، كما قالت عائشة وابن مسعود ، والسياق يدل عليه ، فإنه قال : (علمه شديد القوى) وهو جبريل : (ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الأعلى ، ثم دنا فتدلى) فالضائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى ، وهو ذو المرة — أى القوة — وهو الذى استوى بالافق الأعلى ، وهو الذى دنا فتدلى ، فكان محمد - صلى الله عليه وسلم - قدر قاب قوسين أو أدنى ، فأما الدنو والتدلى الذى في حديث الإسراء ، فذلك صريح في أنه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه ، ولا تعرض في سورة النجم لذلك ، بل فيها أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . وهذا هو جبريل رآه محمد - صلى الله عليه وسلم - على صورته مرتين مرة في الأرض ، ومرة عند سدرة المنتهى ، ص ١٢٧ المصدر السابق . وبهذا يسقط استدلال السهيلي بأن الإسراء كان مرتين .

وعن مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج يقول الإمام ابن القيم أيضاً : « واختلف الصحابة : هل رأى ربه تلك الليلة أم لا ؟ فصح =

عن ابن عباس أنه رأى ربه ، وصح عنه أنه قال : رآه بفؤاده ، وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك ، وقالوا : إن قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) إنما هو جبريل ، وصح عن أبي ذر أنه سأله : هل رأيت ربك ، فقال : نور أنى أراه أى حال بينى وبين رؤيته النور ، كما قال فى لفظ آخر : رأيت نورا ، وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على أنه لم يره . قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : وليس قول ابن عباس إنه رآه مناقضا لهذا ، ولا قوله : رآه بفؤاده ، وقد صح عنه أنه قال : رأيت ربى تبارك وتعالى ، ولكن لم يكن هذا فى الإسراء ، ولكن كان فى المدينة لما احتبس فى صلاة الصبح ، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة فى منامه ، وعلى هذا بنى الإمام أحمد ، وقال : نعم رآه حقا ، فإن رؤيا الأنبياء حق ، ولا بد . ولكن لم يقل أحد : إنه رآه بعينى رأسه بقظة ، ومن حكى عنه ذلك ، فقد وهم عليه ، ولكن قال مرة : رآه ، ومرة قال : رآه بفؤاده ، فحكيت عنه روايتان ، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعينى رأسه ، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك ، وأما قول ابن عباس إنه رآه بفؤاده مرتين ، فإن كان استناده إلى قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى) فم قال : (ولقد رآه نزلة أخرى) - والظاهر أنه مستنده - فقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم - أن هذا المرقى جبريل ، رآه مرتين فى صورته التى خلق عليها ، وقول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد فى قوله : رآه بفؤاده ، والله أعلم ، ص ٢٧ المصدر السابق . وقد يقال : رأى آخر هو أن الإسراء به صلى الله عليه وسلم كان بجسده وروحه ، أما المعراج فكان بروحه كما شرح الإمام ابن القيم ، بدليل ما ورد فى بعض الروايات . فرواية شريك لا يذكر فيها الإسراء مطلقا . وفى رواية عن أنس أيضا : « بينما أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام ، فوكر بين كتفى ، فقممت إلى شجرة فيها كوكرى الطير ، فقممت فى أحدهما ، وقعدت فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين ، وأنا أقلب طرفى ، ولو شئت أن أمس السماء لمست ، . . . هذه أيضا لم يأت فيها ذكر الإسراء إلى المسجد الأقصى ، ولا للبراق . وفى رواية =

== أنس بن مالك بن صعصعة يقول : « بينما أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر مضطجما - إذ أتاني آت ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة ، قال : فأتاني ، فقد ما بين هذه إلى هذه أي من ثغرة نحره إلى مشعرته . أو من قصته إلى مشعرته ، ولم يأت كذلك ذكر الإسراء ، وفي رواية أخرى : فرج سقف بيتي ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، فمرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب تمتلئ حكمة وإيمانا ، فأفرغها في صدرى ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء . . . لعل هذه الروايات تعين على إثبات هذا الرأي الأخير ، وهو أن المعراج شيء ، والإسراء شيء آخر ، وأن أن المعراج كان بالروح ، وهذه هي الرؤيا التي أراها الله ، أما الإسراء ، فكان بحسده وروحه .

هذا وقد أجريت بعض مقارنات بين الروايات المختلفة عن بعض الأمور التي وردت في قصة ، وإليك بعضها :

المسكان الذي كان منه الإسراء : سنغفل التعبير بما يأتي :

« ورد في رواية » ، وورد في رواية أخرى للاختصار ، وإليك ما ورد عن مكان الإسراء : المسجد الحرام . فرج عن سقف بيته ، وهو في مكة . بيت أم هانئ . وقد جاءت هذه الرواية بصورة تأكيد ، وذلك إذ تقول أم هانئ : « ما أسرى برسول الله » ص ، إلا وهو في بيتي فائم عندي . وبعض الروايات أغفلت ذكر المسكان .

البراق أو ما حمل عليه : بعض الروايات أغفلت ذكره . دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل - أتى به مسرجا ملجما ، فاستصعب ، فخره جبريل ، فرفض عرقه : حمل على البراق ، فأوثق الدابة ، أو قال : الفرس . شجرة فيها كوكري الطير ، فقعدها في أحدهما ، وقعد جبريل في الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سادت الخافقين . ينفي جذيفة بن النيمان أنه ربطه ، وإنما سخره له الله . سمي فرسا ، وراح يصفها النبي لأبي بكر ، لأن أبا بكر كان قد رآها من قبل ،

شق الصدر: كان قبل الوحى، وقد جاءه ثلاثة نفر، وهو قائم فى المسجد الحرام، فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه، ولا يتام قلبه، فلم يكلموه، حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق ما بين نحره إلى لبتة النخ. أتاه ثلاثة، فشق أحدهم من ثغرة نحره إلى مشعرة، أو من قصته إلى شعرة. . . جاء جبريل وميكائيل، فشق بطنه. فرج سقف بيته، وهو بمكة فنزل جبريل، ففرج صدره، ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب مملئة حكمة وإيمانا، فأفرغها فى صدره، وصلى بهم أطبقه.

صلاته ليلة الإسراء: صلى ركعتين فى بيت المقدس. صلى بطيبة وبطور سيناء

وبيت لحم، حيث ولد عيسى وصلى فى بيت المقدس، حيث جمع له الأنبياء عليهم السلام، فقدمه جبريل، حتى أمهم، يقسم حذيفة بن اليمان أنه ما صلى فى المسجد الأقصى، ولا دخله هو وجبريل، وأنهما مازا يلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء، صلى فى بيت المقدس حيث اجتمع ناس كثيرون، ثم أذن مؤذن، فقامت الصلاة، ويروى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فقمنا صفوفًا ننظر من يؤمننا، فأخذ بيدى جبريل عليه السلام، فقدمنى فصليت بهم، فلما انصرفت، قال جبريل: يا محمد أتدرى من صلى خلفك؟ قال: قلت: لا، قال: صلى خلفك كل نبي، بعثه الله عز وجل. بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمرهم تلك الليلة. صلى فى بيت المقدس، وصلى النبيون أجمعون معه. صلى فى بيت المقدس، كما صلى فى البيت المعمور. هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء، فصلى بهم. كانت صلاته بالأنبياء فى السماء، وكانت صلاته أول دخوله إلى بيت المقدس.

الآية التى شرب منها: أتى بها بعد صلاته ركعتين فى بيت المقدس قبل العروج.

وهما: خروا لبن، وأسند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، اختيار اللبن. عرض عليه خمر وماء ولبن عند بيت المقدس. عرضت عليه الآية فى السماء بعد أن رفع إلى البيت المعمور. وكانت آية خمر ولبن وعسل. إناء من لبن وإناء عسل بين يدي.

== شيخ متكىء ، وهو الذى قال لجبريل : اختار صاحبك الفطرة . بعد انصرافه من بيت المقدس أتى له بقدرحين من لبن وعسل . جىء له بكأس من عسل ولبن ، وهو فى المسجد . بعد خروجه من بيت المقدس جىء له بإناء فيه ماء ، فشرب يسيرا ، وإناء فيه ابن فشرب حتى روى ، وإناء فيه خمر فلم يشرب :

الأنبياء الذين لقيهم فى السموات : سأذكر ما ورد فى عدة روايات فى الرواية الأولى : فى السماء الأولى آدم وعنصرا النيل والفرات والكوثر ، وفى الثانية إدريس ولم يذكر من فى الثالثة ، وفى الرابعة : هارون ، ومن فى الخامسة لم يحفظ الراوى اسمه ، وفى السادسة : إبراهيم ، وفى السابعة موسى .

فى الرواية الثانية آدم فى السماء الأولى ، وفى الثانية : يحيى وعيسى . وفى الثالثة : يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة : هارون ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة : إبراهيم وهو مستند إلى البيت المعمور .

وفى الرواية الثالثة : فتح له باب من أبواب السماء ، فرأى النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب : رفرف الدر والياقوت ، وأوحى إلى الرسول د ص .

حاشاء الله أن يوحى . ولم يذكر شيئا عن النبيين .

وفى الرواية الرابعة : فى السماء الأولى : آدم فى الأولى ، وفى الثانية : عيسى ويحيى وفى الثالثة : يوسف ، وفى الرابعة : هارون ، وفى الخامسة إدريس ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة إبراهيم .

وفى الرواية الخامسة : آدم فى الأولى ، فى الثانية عيسى وابن خالته يحيى ، وفى الثالثة : يوسف . فى السماء الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون ، فى السادسة : موسى ، فى السابعة : إبراهيم . والكوثر فوق السابعة :

وفى الرواية السادسة : فى الأولى : آدم ، فى الثانية : عيسى ويحيى ، وفى الثالثة : يوسف . فى الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون . فى السادسة : موسى ، وفى السابعة : إبراهيم . وعند سدرة المنتهى فوق ذلك وجد أربعة الأنهار منها : النيل والفرات ، ثم رفع إلى البيت المعمور .

==

== وفي الرواية السابعة : في الأولى : آدم ، ثم عرج إلى السماء الثانية ، وذكر أنه وجد في السماوات إدريس وموسى وعيسى ، ولكن لم يثبت منازلهم ، وذكر أنه وجد إبراهيم في السادسة

وفي الرواية الثامنة : كالرواية السابقة . وفي الرواية التاسعة : وجد ملكا يقال له : إسماعيل ، وهو صاحب السماء الدنيا ، ووجد في السماء الأولى آدم ، وفي الثانية : يوسف ، وفي الثالثة : يحيى وعيسى ، وفي الرابعة : إدريس ، وفي الخامسة : هارون ، وفي السادسة : موسى ، وفي السابعة : إبراهيم .
وفي الرواية العاشرة : في الأولى : آدم ، وفي الثانية : عيسى ويحيى ، وفي الثالثة : يوسف ، في الرابعة : إدريس : في الخامسة : هارون . في السادسة : موسى . في السابعة : إبراهيم .

الأنهار : في السماء الدنيا نهران ، هما : عنصرا النيل والفرات ، كما وجد الكوثر : فوق ظهر السماء السابعة عند سدرة المنتهى : أربعة أنهار ، اثنان باطنان والآخران : النيل والفرات . الكوثر : ينشق من عين تخرج من سدرة المنتهى التي فوق السماء السابعة ، وهناك أيضاً نهر يسمى الرحمة اغتسل فيه النبي ﷺ ، فغفر له كل ذنب ، أنهار أولها : رحمة الله ، والثاني : نعمة الله ، والثالث : سقاهم ربهم شرابا طهوراً .
بهذا العرض يتجلى لنا وجود ما لا يمكن أن يوصف إلا بالتضاد أو التناقض ، ولا يمكن أن يتصور مسلم أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يأتي بمثل هذا التناقض ، أو يحكم على الشيء بالنقي ، وبالإثبات في آن واحد .

الإسراء حق ، لأنه من إخبار القرآن ، فلنحرص على عدم التوسع في ذكر الروايات التي يناقض بعضها بعضاً ، أو يحكم عليه الواقع المشهود المحسوس بأنه وضع خيال .

وليحذر المتهاوكون الظن بأننا نضرب صفحا عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما نضرب صفحا عن أحاديث الرواة الذين يخطئون ساهين ، أو يتعمدون الخطأ ماكرين . ألا ترون إلى المفسر السلفي الجليل الإمام ابن كثير كيف يقول عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر الذي أخرج له البخاري حديثه ==

الله سبحانه سيرفعهما ، ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الإيمان ، فلا يبقى على الأرض خير ، وذلك قوله تعالى : (وإنا على ذهاب به لقادرون) وفي حديث مشتهر ذكره النحاس في المعاني بأنهم من هذا فاختصرته ، ووقع في كتاب المعلم للمازري قول رابع في الجمع بين الأقوال قال : كان الإسراء بجسده في اللحظة إلى بيت المقدس ، فكانت رؤيا عين ، ثم أسرى بروحه إلى فوق سبع سموات ، ولذلك شفع الكفار قوله : وأتيت بيت المقدس في ليلتي هذه ، ولم يشنعوا قوله فيما سوى ذلك (١) .

== الإسراء في كتاب التوحيد : وإن شريك . اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ، ولم يضبطه ، ويقول عن روايات حديث الإسراء : « وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه ، أو زاد بعضهم فيه ، أو نقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة ، فأثبت إسراءات متعددة ، فقد أبعد ، وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب ، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ، ومنه إلى السماء ، وفرح بهذا المسلك ، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات ، وهذا بعيد جداً ، انظر تفسير سورة الإسراء من تفسير ابن كثير ، ولعلنا ندرك أنه ما دفع هؤلاء إلى هذا إلا التناقض البادى بين روايات حديث الإسراء ، وإلا إيمانهم بأن كل هذه المتناقضات تنسب حقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما أنا غاو من أن الرسول لا يقول إلا حقاً وصدقاً ، ولا يمكن أن يصيبه النسيان الماكر ، وهو يقص علينا آية من آيات ربه الكبرى . وما عرضت نفسي لغضب الناس إلا اتقاء لغضب الله ، فإن يك هذا الظن منى صواباً فمن الله ، وإلا فني ، والله الهادي إلى ما يحبه ويرضاه .

(١) هذا رأى شديد ، وهو بعض مذهب إليه الإمام ابن القيم .

شمس البراق :

فصل : ومما يُسأل عنه في هذا الحديث شمسُ البراق حين ركبه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له جبريل : أما تستحي يا براقُ ، فما ركبك عبدُ الله قبل محمد هو أكرمُ عليه منه ، فقد قيل : في نفرته ما قاله ابن بطّال في شرح الجامع الصحيح ، قال : كان ذلك لبعده عهدُ البراقِ بالأنبياء ، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وروى غيره في ذلك سبباً آخر قال في روايته في حديث الإسراء : قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمسَ به البراقُ : لعلك يا محمد مَسَسَتْ الصَّفْرَاءُ اليوم ، فأخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه مامَسَهَا إلا أنه مرَّ بها ، فقال : تَباً لمن يعبدك من دون الله ، ومامَسَهَا إلا لذلك ، وذكر هذه الرواية أبو سعيد النَّيسَابُورِي في شرف المصطفى ، فالله أعلم ، وقد جاء ذكر الصَّفْرَاءِ في مُسْنَدِ البَزَّار ، وأنها كانت صَمًا بعضُهُ من ذهب فكسرها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح ، وفي الحديث الذي خرجه التِّرْمِذِيُّ^(١) من طريق بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ^(٢) أنه - عليه السلام - حين انتهى

(١) يقول ابن الأثير في الباب لأنها نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بليخ الذي يقال له جيحون ، والناس مختلفون في كيفية هذه النسبة ، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم بضمها ، وبعضهم بكسرها . والمنداول على لسان أهل تلك المدينة : بفتح التاء وكسر الميم ، والذي كنا نعرفه فيه قديماً كسر التاء والميم جميعاً ، والذي يقوله المنفوقون ، وأهل المعرفة بضم التاء والميم ، وبعض هذا في المراسد .

(٢) قيل اسمه عامر : وبريدة لقب ، وفي الصحيحين أنه غزا مع النبي «ص» .

ست عشرة غزوة

إلى بيت المقدس ، قال جبريل : بإصبعه إلى الصخرة ، فخرقها فشد بها البراق^(١) ، وصلى ، وأن حذيفة أنكر هذه الرواية ، وقال : لم يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة^(٢) ، وفي هذا من الفقه على رواية بريدة : التنبيه على الأخذ بالحزم مع صحة التوكل ، وأن الإيمان بالقدر كما - روى عن وهب بن منبه - لا يمنع الحازم من توثق المهالك . قال وهب : وجدته في سبعين كتابا من كتب

(١) رواه أبو بكر البزار ، وقال : لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نائلة ، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة . وقد رواه الترمذي في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم . وقال : غريب .

(٢) في الأصل : لم أيفر منه . وفي حديث حذيفة هذا تعبير محكم المعنى ، فقد سمع زر بن حبیش - يحدث عن ليلة الإسماء ، فقال له : ما اسمك يا أصلم ؟ فأنا أعرف وجهك ، ولا أدري ما اسمك ؟ قال زر : أنا زر ابن حبیش ، فقال له حذيفة : فما علمك بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى فيه ليلتنا ، أى : في بيت المقدس ؟ فقال زر : القرآن يخبرني بذلك ، فقال حذيفة كلمته الرائعة التي تشع بنور الحق العظيم : من تكلم بالقرآن أفلاح ، ثم طلب من زر أن يقرأ ، فقرأ : سبحان الذي أسرى ، فقال حذيفة : يا أصلم ! هل تجد صلى فيه ؟ فقال زر : لا : فقال حذيفة : والله ما صلى فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلتنا ، ولو صلى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه ، كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق . والله ما زالا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، فرأيا الجنة والنار ، ووعد الآخرة أجمع ، ثم عادا عودهما على بدشما ، قال زر : ثم ضحك حتى رأيت نواجذه قال حذيفة : ويحدثون أنه ربطه لايفر منه ، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة . وقد روى حديث حذيفة هذا الإمام أحمد ، وأبو داود الطيالسي ، والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حسن

الله القديمة^(١) ، وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم : « قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ »^(٢) فإِيمَانُهُ صلى الله عليه وسلم بأنه قد سُخِّرَ له كإِيمَانِهِ بِقَدْرِ الله وعِلْمِهِ بأنه سبق في عِلْمِ الكتاب ماسبق ، ومع ذلك كَانَ يَتَزَوَّدُ في أسفاره وَيُعَدُّ السلاح في حُرُوبِهِ ، حتى لَقَدْ ظَاهَرَ بين دِرْعَيْنِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ . وَرَبَطَهُ لِلْبُرَاقِ فِي حَلَقَةِ الْبَابِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ ، وهو حديث صحيح ، وقد رواه غير بُرَيْدَةَ وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ مِنْ طَرِيقِ أَنَسٍ ، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعِيدٍ ، وَغَيْرِهِمَا أَعْنَى رَبَطَهُ لِلْبُرَاقِ فِي الْحَلَقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرَبُّطُهُ فِيهَا إِلَّا نَبِيَّاهُ ، غَيْرَ أَنَّ الْحَدِيثَ يَرْوِيهِ دَاوُدُ بْنُ الْحُجْبَرِ ، وهو ضعيف .

معنى قول الملائكة : من معك

معنى قول الملائكة : من معك ومما يُسْأَلُ عنه قولُ الملائكة في كل سماء الجبريل : مَنْ مَعَكَ ، فيقول : محمد ، فيقولون : أَوْقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ فيقول : نعم هكذا لفظ الحديث في الصَّحاح ، ومعنى سؤالهم عن الْبَعْثِ إِلَيْهِ فيما قال بعض أهل العلم ، أَى : قد بعث إليه إلى السماء كما قد وجدوا في العلم أنه سيعرج به ، ولو أرادوا بَعَثَهُ إِلَى الْخَلْقِ ، لَقَالُوا : أَوْقَدْ بُعِثَ ، ولم يقولوا إليه ، مع أنه يبعد أن يخفى عن الملائكة بَعَثَهُ إِلَى الْخَلْقِ ، فلا يعلمون به إلى ليلة الإسراء ، وفي الحديث الذي تقدم في هذا الكتاب بياناً أيضاً حين ذكر تسبيح ملائكة السماء السابعة ، ثم تسبيح ملائكة كل سماء ، ثم يسأل بعضهم بعضاً : مِمَّ سَبَّحْتُمْ حتى ينتهى السؤال إلى ملائكة السماء السابعة ، فيقولون : قَضَى رَبُّنَا فِي خَلْقِهِ

(١) ياويل التفسير من مخترعات وهب

(٢) في الجامع الصغير للسيوطي : « اعقلها وتوكل » وراه الترمذي عن أنس

وهو ضعيف

كذا ، ثم ينتهى الخبرُ إلى سماء الدنيا - الحديث بطوله ، وفى هذا ما يدل على أن
الملائكة قد علمت بنبوّة محمد - صلى الله عليه وسلم - حين نُبئ ، وإنما قالت :
أُوْقد بعث لآلئيه ، أى قد بعث إليه بالبراق كما تقدّم على أن فى حديث أنس أن
ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل : أُوْقد بعث ، كما وقع فى السيرة وليس
فى أول الحديث : إليه ، هذا إنما جاء فى حديث الرؤيا التى رآها بقلبه ،
كما قدمنا ، وأن ذلك قبل أن يُوحى إليه كما جاء فى الحديث بعينه ، وفى هذا
قوة لما تقدم من أن الإسراء كان رؤيا ، ثم كان رؤية ؛ ولذلك لم نجد فى رواية
من الروايات أن الملائكة قالوا : أُوْقد بعث إليه إلا فى ذلك الحديث ،
فإنه أعلم .

باب الحفظة :

وذكر باب الحفظة ، وأن عليه ملكا يقال له : إسماعيل ، وقد جاء ذكره
فى مُسند الحارث ، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك
سبعون ألف^(١) ملك ، هكذا لفظ الحديث فى رواية الحارث ، وفى رواية
ابن إسحاق : اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث ، وفى مُسند
الحارث أيضا .

(١) أخرجه البيهقى فى كتاب دلائل النبوة وأوله يخالف الروايات الأخرى
فبينما أنا نائم عشاء فى المسجد الحرام ، إذ أتانى آت ، فأيقظنى ، فاستيقظت ،
فلم أر شيئا ، فإذا أنا بكهيفة خيال ، فأتبعته بهرى ؛ حتى خرجت من المسجد
الحرام الخ .

وذكر سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، فقال: لو غطيت بورقة من ورقها هذه الأمة لغطتهم
وفي صفتها من رواية الجميع: فإذا ثمرها كَقِلَالِ هَجَرٍ، وفي حديثِ الثَّلَثَيْنِ
من كتاب الطهارة، من رواية ابن جُرَيْج: إذا كان الماء مُلْتَيْنِ من قِلَالِ
هَجَرٍ لم يحمل الخبث^(١) قالوا: والقلتان منها تسعان خمسمائة رطل، قال
الترمذي: وذلك نحو من تخمس قَرَبٍ، وفي تفسير ابن سلام قال عن بعض
السلف: إنها سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، لأن روح المؤمن ينتهي به إليها،
فتصلى عليه هنالك الملائكة المقربون. قال ذلك في تفسير عليين،

آدم في سماء الدنيا والأسود التي رآها:

فصل: وفيه أنه رأى آدم في سماء الدنيا، وعن يمينه أسودة، وعن شماله
أسودة، وأن جبريل أعلمه أن الأسودة التي عن يمينه هم: أصحاب اليمين،
وفي رواية ابن إسحاق: تعرض عليه أرواح ذُرِّيَّتِهِ، فإذا نظر إلى الذين عن
يمينه ضحك، وقد سئل عن هذا، فقل: كيف رأى عن يمينه أرواح أصحاب
اليمين، ولم يكن إذ ذاك من أصحاب اليمين إلا نفر قليل، ولعله لم يكن مات

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي مولاهم المكي
أبو الوليد، ويقال: أبو خالد، وهو من تابعي التابعين توفي سنة ١٥٠ وقيل
غير ذلك.

(٢) تكلمنا عنه من قبل، وأقول: ورد في نيل الأوطار الإمام الشوكاني:
«وأما التقييد بقِلَالِ هَجَرٍ، فلم يثبت مرفوعاً إلا من رواية المغيرة بن صقلاب
عند ابن عدى، وهو منكر الحديث. قال النفيل: لم يكن مؤتمناً على الحديث،
وقال ابن عدى: لا يتابع على عامة حديثه، ص ٣١ ط عثمان خليفة.

تلك الليلة منهم أحد ، وظاهر الحديث يقضى أنهم كانوا جماعة . فالجواب أن يقال : إن كان الإسراء رؤيا بقلبه ، فتأويلها أن ذلك سيكون ، وإن كانت رؤيا عين ، كما قال ابن عباس وغيره بمعناه : أن ذلك أرواح المؤمنين رآها هنالك ، لأن الله تعالى يتوفى الخلق في منامهم ، كما قال في التنزيل : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر ٤٣ فصعد بالأرواح إلى هنالك ، فراها ثم أعيدت إلى أجسادها . وجواب آخر : وهو أن أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة المدثر في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ - فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ٣٩ : ٤٠ . قال ابن عباس : هم الأطفال الذين ماتوا صغاراً ، ولذلك سألوا الجرمين : (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ) لأنهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين ، وقد ثبت في الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة إبراهيم عليه السلام ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل حين رآهم في الروضة مع إبراهيم : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ فقال : أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً ، فقال له : وأولاد الكافرين ، قال : وأولاد الكافرين . خرجه البخاري في الحديث الطويل من كتاب الجنائز ، وخرجه في موضع آخر ، فقال فيه : أولاد الناس ، فهو في الحديث الأول نص ، وفي الثاني عموم ، وقد روى في أطفال الكافرين أنهم خدم لأهل الجنة ، فعلى هذا لا يبعد أن يكون الذي رآه عن يمين آدم من نسم ذريته أرواح هؤلاء ، وفي هذا ما يدفع تشعيب هذا السؤال والاعتراض منه .

من حكم الماء :

فصل : وفيه شُرْبُهُ من إناء القوم ، وهو مُنْطَى ، والماء وإن كان لا يُمْلِكُ
والناس شُرَكَاءَ فيه ، وفي النار والكَلأ كما جاء في الحديث ، لكن المستقى
إذا أحرزه في وعائه ، فقد ملكه ، فكيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم
شُرْبُهُ وهو يملك لغيره ، وأملاك الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ، ولادماؤهم .

فالجواب أن العرب في الجاهلية كان في عُرْفِ العادة عندهم إباحة الرُّسُلِ
لأبن السبيل فضلاعن الماء ، وكانوا يعمدون بذلك إلى رعائهم ، ويشترطونه عليهم
عند عقد إيجارهم : ألا يمتنعوا الرُّسُلَ ، وهو اللبن من أحدٍ مربيهم ، وللحكم في
العُرْفِ في الشريعة أصولٌ تشهد له ، وقد ترجم البخاري عليه في كتاب البيوع ،
وخرج حديث هِنْدِ بنتِ عُمَيَّةَ ، وفيه : خُذِي ما يكفيك وولدك بالمعروف .

عن دخول بيت المقدس وصفه الأنبياء :

فصل : وذكر فيه أنه دخل بيت المقدس ، ووجد فيه نفراً من الأنبياء ،
فصلى بهم ، وفي حديث الترمذي الذي قد مناه عن حُدَيْفَةَ أنه أنكر أن
يكون صلى بهم ، وقال : مازال من ظهر البُرَاقِ ، حتى رأى الجنة والنار ،
وما وعده الله تعالى ، ثم عاد إلى الأرض ، وزيادة العدل مقبولة ، ورواية من
أثبت مُقَدِّمَةً على رواية مَنْ نَقَى ، وذكر فيه صفة الأنبياء ، وقال في عيسى :
كان رأسه يَقْطُرُ ماءً وليس به ماء ، وكأنه خرج من دِيَمَاسٍ والدِّيمَاسُ : الخُمَامُ ،

وأصله : دِمَّاسٌ ويجمع على دَمَامِيسَ ، وقد قيل في جمعه : دَيَامِيسُ ^(١) ، ومثله :
 قيراط وديناروديباج ، الأصل فيها كلها : التضعيف ، ثم قلب الحرف المدغم ياء ،
 فلما جمعوها وصغروا ، ردّوه إلى أصله ، فقالوا : قرايط ودنانير : [وقُرِئَ رِيطُ
 ودُنَيْنِيرُ] ^(٢) ، غير أنهم لم يقولوا : دنابير ولا قياريط ، كما قالوا : دَيَامِيسُ ،
 وقالوا : دَبَابِيجٌ ودَيَابِيجٌ ^(٣) ، وأصلُ الدَّمَسِ : التغطيتُ ومنه لَيْلٌ دَامِسٌ ، وفي
 هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرُّبِّيِّ والخِصْبِ الذي يكون
 في أيامه إذ أُهْرِيطَ إلى الأرض والله أعلم .

وذكر في صفة موسى أنه آدمٌ طَوَّالٌ ، ولو صفه إياه بالأدَمَةِ أصلٌ في كتاب
 الله تعالى ، قاله الطَّبْرِي عند تفسير قوله : ﴿ تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ قال :
 في خروج يده ببيضاء آية في أن خرجت ببيضاء مخالفاً لونها لسائر لون جسدِه ،
 وذلك دليل بين على الأدَمَةِ التي هي خلافُ البياض ^(٤) .

وذكر إبراهيم فقال : لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه ،

(١) في اللسان : إن فتحت الدال جمع على دياميس مثل شيطان وشياطين ،
 وإن كسرتها جمعت على دماميس ،

(٢) زيادة يقتضيها السباق .

(٣) في اللسان مادة دز : قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباج
 أصلها أعجمية ، غير أن العرب تكلمت بها قديماً ، فصارت عربية .

(٤) الذي في الطبري في تفسير الآية : وذكر أن موسى عليه السلام كان رجلاً
 آدم ، فأدخل يده في جيبه ، ثم أخرجها ببيضاء من غير سوء من غير برص ،
 مثل الثلج ، ثم ردها ، فخرجت كما كانت على لونه .

يعنى : نفسه ، وفى آخر هذا الكلام إشكالٌ من أجل أن أشبه منصوبٌ
فى الموضعين ، ولكن إذا فهمت معناه ، عرفت إعرابه ، ومعناه : لم أر رجلا
أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم به منه ^(١) ، ثم كرر أشبه توكيدا فصارت لغوا كالمقحم
وصاحبكم معطوفٌ على الضمير الذى فى أشبه الأول الذى هو نعتٌ لرجل ،
وحسن العطف عليه ، وإن لم يؤكد بهو ، كما حسن فى قوله تعالى : ﴿ مَا أَشْرَكْنَا
وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ من أجل الفصل بلا النافية ، ولو أسقط من الكلام أشبه الثانى ،
لكان حسنا جدا ، ولو آخر صاحبكم فقال : ولا أشبه به صاحبكم منه بلفظ ،
ويكون فاعلا بأشبه الثانية ، ويكون من باب قولهم : مارأيت رجلا أحسن
فى عينه الكحل من زيد ، وهى مسألة عذراء لم تفتقر لها أيدى النحاة ^(٢) ،
بعد ولم يشف منها متقدمٌ منهم ، ولا متأخرٌ بمن رأينا كلامه فيها وقد أملينا
فى غير هذا الكتاب فيها تحقيقا شافيا .

صفة النبى صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر فى صفة - النبى - صلى الله عليه وسلم - مما نعت به على بن
أبى طالب - رضى الله عنه - فقال : لم يكن بالطويل الممّغط بالغين المعجمة ،

(١) رواية مسلم : أشبه الناس به صاحبكم - يعنى نفسه ، .

(٢) هى مسألة مفصلة فى كتب النحو عن عمل أفعل التفضيل ورفع له اللام
الظاهر ، فانظر لها مثلا ص ١٠٦ > ٢ من شرح التصريح على التوضيح ، ص ٤٦
> ٣ من حاشية الصبان على شرح الاشمونى ط ١٣٠٥ هـ ص ٢٥٢ > ٣ النحو
الوافى للأستاذ عباس حسن .

وفي غير هذه الرواية. بالعين المهملة ، وذكر الأوصاف إلى آخرها وقد شرحها أبو عبيد ، فقال عن الأصمى ، والكسائي وأبي عمرو وغير واحد : قوله : ليس بالطويل الممّعط أى : ليس بالبائن الطويل ، ولا القصير المتردّد^(١) يعنى : الذى تردد خدّه بعضه على بعض ، وهو مجتمع ليس بسبط الخلق يقول : فليس هو كذلك ، ولكن ربعة بين الرجلين ، وهكذا صفة صلى الله عليه وسلم .
وفي حديث آخر : ضرب اللحم بين الرجلين .

وقوله : ليس بالمطهم ، قال الأصمى : هو التام كل شيء منه على حدته ، فهو بارع الجمال ، وقال غير الأصمى المكنّهم المدور الوجه ، يقول : ليس كذلك ، ولكنه مسنون ، وقوله : مشرب يعنى الذى أشرب حمرة ، والأدعج العين : الشديد سواد العين قال الأصمى : الدعجة : هى السواد ، والجليل المشاش : العظيم العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين ، وقوله : السكتد هو : الكاهل ، وما يليه من جسده ، وقوله شثن الكفّين والقدمين يعنى : أنهما إلى الغلظ . وقوله : ليس بالسبط ولا الجعد القطط ، فالقطط : الشديد الجعودة مثل شعور الحبشة ، ووقع فى غريب الحديث لأبي عبيد التام كل شيء منه على حدته . يقول : ليس كذلك ، ولكنه بارع الجمال ، فهذه الكلمة ، أعنى : ليس كذلك محلة بالشرح ، وقد وجدته فى رواية أخرى عن أبي عبيد بإسقاط : يقول كذلك ، ولكن على نص ذكرناه آنفاً

(١) وردت هذه الأوصاف فى حديث رواه الترمذى وإسناده ضعيف .

قصة المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لما فرغتُ من صلاة كان في بيت المقدس ، أتى بالمعراج - ولم أر شيئاً قط أحسن منه - وهو

عنه عن الأصمعي ، والذي في غريب الحديث من تلك الزيادة وَهُمْ وَقَعَ فِي الْكِتَابِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وأما ما رواه الترمذي عن الأصمعي في شرح المطهر قال : هو البادن : الكثير اللحم ، ذكره عن أبي جعفر ، عن الأصمعي ، وذكر عنه في المَمْفُط نحو ما قدمناه ، قال : وسمعتُ أعرابياً يقول مَمْفُطٌ فِي نُشَابَةِ أَيْ : مَدَّهَا ، وفي كتاب العين : مَمْفُطُ الشئ ، إِذَا مَدَّدْتَهُ ، وقال في باب العين المهملة مَمْعُطٌ ^(١) الشئ . إِذَا مَدَّدْتَهُ ، كما قال في العين المعجمة ، فعلى هذا يقال فيه مَمْعُطٌ وَمَمْعُطٌ ، ووزنه مُنْفَعِلٌ ، واندغمت النون في الميم ، كما اندغمت في محوته فأنحى لها أمن التباسه بالمضاعف ، ولم يدغموا النون في الميم في شاة زَمَاءٌ ، ولا في غَنَمٍ لثلاث ياءين بالمضاعف ، لو قالوا : أَرْمَاءٌ وَغَنَاءٌ ، وقد ذكرنا قبل ما وهم فيه التَّزْمِينُ من تفسير زَرْزَرَ الْحَبْلَةَ حَيْثُ قَالَ : يُقَالُ إِنَّهُ بَيِّضٌ لَهُ ، حَيْثُ تَكَلَّمْنَا هَلْ خَاتِمُ النَّبُوءَةِ وَصَفْتَهُ ، واختلاف الرواية فيه والحمد لله .

(١) كذلك يقول اللسان .

الذى يَمُدُّ إِلَيْهِ مِيتَكُمْ عَيْنِيهِ إِذَا حُضِرَ ، فَأَضْعُدْنِي صَاحِبِي فِيهِ ، حَتَّى أَنْتَهِيَ .
بِى إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ ، يُقَالُ لَهُ : بَابُ الْخَفِظَةِ ، عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ ، يُقَالُ لَهُ : إِسْمَاعِيلُ ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، تَحْتَ يَدَى
كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ - قَالَ : يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - حِينَ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ : وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ - فَلَمَّا دَخَلَ بِي ،
قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ . قَالَ : أَوْ قَدْ بُعِثَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
فَدَعَا لِي بِخَيْرٍ : وَقَالَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ حَدِّثِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : تَلَقَّيْنِي الْمَلَائِكَةُ حِينَ دَخَلْتُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ
يَلْقَنِى مَلَكٌ إِلَّا ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا ، يَقُولُ خَيْرًا وَيَدْعُو بِي ، حَتَّى آتَيْنِى مَلَكٌ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالُوا ، وَدَعَا بِمِثْلِ مَا دَعَاؤُهُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَضْحَكْ ،
وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلَ مَا رَأَيْتُ مِنْ غَيْرِهِ ، فَقُلْتُ لَجَبْرِيلَ : يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَذَا
الْمَلِكُ الَّذِى قَالَ لِي كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ وَلَمْ يَضْحَكْ إِلَيَّ ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلَ
الَّذِى رَأَيْتُ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : فَقَالَ لِي جَبْرِيلُ : أَمَا إِنَّهُ لَوْ ضَحِكَ إِلَيَّ أَحَدٌ كَانَ
قَبْلَكَ ، أَوْ كَانَ ضَاحِكًا إِلَى أَحَدٍ بَعْدَكَ ، لَضَحِكَ إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَضْحَكُ ،
هَذَا مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ
لَجَبْرِيلَ : وَهُوَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَكَانِ الَّذِى وَصَفَ لَكُمْ (مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينُ) :
أَلَا تَأْمُرُهُ أَنْ يُرِيَنِي النَّارَ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، يَا مَالِكُ ، أَرِ مُحَمَّدًا النَّارَ . قَالَ : فَكَشَفَ
عَنْهَا غِطَاءَهَا ، فَفَارَتْ ، وَارْتَفَعَتْ ، حَتَّى ظَنَنْتُ : لَتَأْخُذَنِّ مَا أَرَى . قَالَ :

فقلت لجبريل : يا جبريل ، مُرّه ، فليردّها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها : اخبي ، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه . فما شبّهت رُجوعها إلا وقوع الغال . حتى إذا دخلت من حيثُ خرجتُ ردّ عليها غطاءها .

قال أبو سعيد الخدري في حديثه : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : لما دخلتُ السماء الدنيا ، رأيت بها رجلاً جالساً تعرض عليه أرواح بني آدم ، فيقول لبعضها ، إذا عرضت عليه خيراً ويُسرّ به ، ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أفٍّ ، ويُعَبِّس وجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سرّ بها ، وقال روح طيبة خرجت من جسد طيب . وإذا مرت به روح الكافر منهم أفّف منها ، وكَرِهها ، وساء ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال ثم رأيت رجالاً لهم مَشَافِر كَمَشَافِر الإبل ، في أيديهم قِطْع من نار كالآفهار ، يقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أديبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكّلة أموال اليتامى ظالماً .

قال : ثم رأيت رجالاً لهم بُطُون لم أرَ مثلاً قطُّ بسبيل آل فرعون ، يَمْرُون عليهم كالإبل الممّؤومة حين يُعرضون على النار ، يطئونهم لا يقتلون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . قال قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء أكّلة الربا .

.....

قال : ثم رأيتُ رجالا بين أيديهم لحم ثمين طيّب ، إلى جنبه لحم غثٌ
مفتن ، يأكلون من الغثِ المفتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من
هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحلّ الله لهم من النساء ،
ويذهبون إلى ما حرّم الله عليهم منهن .

قال : ثم رأيتُ نساءً معلّقاتٌ بشدّين ، فقلتُ : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال :
هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن عمرو ، عن القاسم بن محمد أن
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : اشتدّ غضب الله على امرأة أدخلت
على قوم من ليس منهم ، فأكل حرائبهم ، واطلع على عوراتهم .

عود إلى حديث الخدرى : ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدرى ، قال :
ثم أضعنني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى ،
بن زكريّا ، قال : ثم أضعنني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة
القمر ليلة البدر ، قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن
يعقوب . قال : ثم أضعنني إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟
قال : هذا إدريس — قال : يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم : ورفعناه
مكانا عليّاً — قال : ثم أضعنني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كنهل أبيض الرأس
واللحية ، عظيم العنان ، لم أر كنهلاً أبجل منه ، قال قلت : من هذا يا جبريل ؟
قال : هذا المَحَبَّبُ في قومه هارون بن عمران ، قال : ثم أضعنني إلى السماء
السادسة ، فإذا فيها رجل آدمٌ طويلٌ أقفى كأنه من رجال شُوءة ؛ فقلت له :

.

من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أضعدي إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كَهْلٌ جالس على كرسيٍّ إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألفَ ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، قال : قلت : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بي الجنة ، فرأيتُ فيها جاريةً لساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتني حين رأيْتُها ، فقالت : لزيد بن حارثة . فبشّر بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها : من هذا ياجبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون : أو قد بعث ؟ فيقول : نعم ، فيقولون : حياه الله من أخٍ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم .

قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأقبأت راجعاً ، فلما مررت بموسى بن عمران ونعم صاحبُ كان لكم ، سألتني كم فُرض عليكم من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم ؛ فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني ، وعن أمتي ، فوضع عني عشراً . ثم انصرفت فررت على موسى فقال لي مثل ذلك ، فرجعت فسألت ربي ، فوضع عني عشراً .

.

ثم انصرفت ، فمرت على موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فرجعت فسألته فوضع
عنى عشراً ، ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قال : فارجع
فاسأل ، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنى ، إلا خمس صلوات فى كل يوم
وليلة . ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى مثل ، ذلك ، فقلت : قد راجعت ربه
وسألته ، حتى استحيت منه ، فما أنا بفاعل رواه البيهقى فى كتاب دلائل
النبوة وابن جرير وابن أبى حاتم .

فمن أداهن منكم إيماناً بهن ، واحتساباً لهن ، كان له أجرٌ خسين صلاة
مكتوبة . رواه . وفى الحديث غرابة ونكارة .

رؤية النبي ربه :

فصل : وقد تكلم العلماء فى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء ،
فروى مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه ، وقالت من زعم أن محمداً
رأى ربه ، فقد أعظم على الله الفرية ، واحتجت بقوله سبحانه (لا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ ، وهو يُدْرِكُ الْبْصَارَ) الأنعام : ١٠٣ وفى مصنف الترمذى عن
ابن عباس وكعب الأحبار أنه رآه ، قال كعب : إن الله أقسم رؤيته وكلامه
بين موسى ومحمد ، وفى صحيح مسلم عن أبى ذرٍّ قلت : يا رسول الله هل رأيت
ربك ؟ قال : رأيتُ نوراً ، وفى حديث آخر من كتاب مسلم أنه قال : نوراً أنى
أراه ، وليس فى هذا الحديث بيان شاف أنه رآه ، وحكى عن أبى الحسن
الأشعري أنه قال : رآه بعينى رأسه ، وفى تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه
سئل : هل رأى محمد ربه ، فقال : رآه رآه رآه حتى انقطع صوته ، وفى تفسير

عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال الزهري :
ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس ، وفي تفسير ابن سلام عن عروة أنه
كان إذ ذكر إنكار عائشة أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى
ربه يشتد ذلك عليه ، وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه ؟
روى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال : سأل مروان أبا هريرة :
هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم ، وفي رواية يونس أن ابن عمر أرسل إلى ابن
عباس يسأله : هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم رآه ، فقال ابن عمر : وكيف رآه ،
فقال ابن عباس كلاما كرهت أن أوردته بلفظه لما يؤم من التشبيه ، ولو صح
لكان له تأويل والله أعلم ، والمتحصل من هذه الأقوال - والله أعلم - أنه رآه
لا على أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة
المظى والنعم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يؤم قوله : رأيت
نوراً ونوراً أنى أراه في الرؤية الأخرى والله أعلم .

وأما الدنو والتدلى فهما خبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بعض
المفسرين ، وقيل إن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام تدلى إلى محمد حتى دنا منه .
وهذا قول طائفة أيضاً ، وفي الجامع الصحيح في إحدى الروايات منه : فتدلى
الجبار ، وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره ،
أو للغفلة عن موضعه ، ولا استحالة فيه ؛ لأن حديث الإسراء إن كان رؤيا رآها
بقلبه وعينه نائمة - كما في حديث أنس فلا إشكال فيما يراه في نومه عليه السلام
فقد رآه في أحسن صورة ووضع كفه بين كتفيه ، حتى وجد بردها بين ثديه .

رواه الترمذى^(١) من طريق معاذ في حديث طويل ، ولما كانت هذه رؤياه

(١) الحديث كما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعنى في النوم - فقال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملائكة على ؟ قال : قلت لا ، فوضع يده بين كفتي حتى وجدت بردها بين ثديي - وأقال نحري فعملت في السموات والأرض ، ثم قال : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائكة الأعلى ؟ قال : قلت : نعم يختصمون في الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قال : قلت المسكك في المساجد بعد الصلوات ، والمشى على الأقدام إلى الجماعات ، وإبلاغ الوضوء في المسكاره ، من فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، وقال : قل يا محمد إذا صليت . اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون . قال : والدرجات : بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام ، ورواه أحمد أيضاً بسنده عن معاذ قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح ، حتى كدنا نترأى قرن الشمس ، فخرج - صلى الله عليه وسلم - سريعاً فتوب بالصلوة ، فصلى ، وتجاوز في صلاته ، فلما سلم ، قال - صلى الله عليه وسلم - كما أنتم ، ثم أقبل إلينا ، فقال : إني قتت من الليل ، فصليت ما قدر لي ، فنعست في صلاتي حتى استيقظت ، فإذا أنا بزبي عز وجل في أحسن صورة ، الخ ولكنه قال في هذه الرواية : فتجلى لي كل شيء وعرفت ، بدلا من : فعلت ما في السموات الأرض . وشتان ما هما في الدلالة . وعن الدرجات قال فيها : نين الكلام بدلا من إفشاء السلام . أما الدعاء ففي رواية معاذ أن الله قال له : سل ، قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين . وأن تغفر لي ، وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك ، أما في رواية ابن عباس ، فقد ورد أن الله هو الذي طلب منه أن يقول هذا ، وعلمه إياه . هذا والحديث رواه الترمذى من حديث جهم بن عبد الله

اليمامي ، وقال : حسن صحيح ، وهو في السنن من طرق . ويقول ابن كثير : وهو حديث المتناهم المشهور ، ومن جعله يقظة ، فقد غلط .

وما أعظم فقه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فيما رواه أحد بسنده عن عامر ، قال : أتى مسروق عائشة ، فقال : يا أم المؤمنين : هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم — ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن ، فقد كذب . من حدثك أن محمدا رأى ربه ، فقد كذب ، ثم قرأت : (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد ، فقد كذب . ثم قرأت : (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام) الآية . ومن أخبرك أن محمدا قد كتم ، فقد كذب ، ثم قرأت : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) واكفنه رأى جبريل في صورته مرتين ، وتدير ما رواه أحمد بسنده عن مسروق قال : كنت عند عائشة ، فقلت : أليس الله يقول : (ولقد رآه بالأفق المبين — ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت : أنا أول هذه الأمة ، سألت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عنها ، فقال : إنما ذاك جبريل . لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهبطا من السماء إلى الأرض سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض ، وأخرجه في الصحاحين من حديث الشعبي به . ولمسلم في الرؤية طريقان بلفظين عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : نوراني أراه . والآخر : رأيت نورا . وقد حكى الخلال في علمه أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث ، فقال : ما زلت منكرا له ، وما أدري ما وجهه . . ويقول الأئمة : إن عائشة سألت عن الرؤية بعد الإسراء ، ولم يثبت لها النبي الرؤية ، ومن قال : إنه خاطبها على قدر عقلها ، أو حاول تخطيطها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد ، فإنه هو المخطئ . وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال في قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى) قال : رأى جبريل عليه السلام . وحسبنا هذا .

لم ينكرها أحدٌ من أهل العلم ، ولا استبشعها ، وقد بينا أننا أن حديث الإسراء كان رؤيا ثم كان يقظة فإن كان قوله فتدلى الجبارُ في المرة التي كان فيها غير قائم ، وكان الإسراء بحسده ، فيقال فيه من التأويل ما يقال في قوله : ينزل ربنا كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا ، فليس بأبعد منه في باب التأويل ، فلا نكارة فيه كان في نوم أو يقظة ، وقد أشرنا إلى تمام هذا المعنى في شرح ما تضمنه لفظ القوسين من قوله : قَابَ قَوْسَيْنِ في جزء أُمْلِيَانِه في شرح سبحان الله سبحانه . تضمّن لطائف من معنى التقديس والتسبيح ، فلينظر هناك وأُمْلِيَانَا أيضاً . في معنى رؤية الرب سبحانه في المنام ، وفي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ مسألة لقناع الحقيقة في ذلك كاشفةً فمن أراد فهم الرؤية والرؤيا فلينظرها هناك ، ويقوى ما ذكرناه من معنى إضافة التدلّي إلى الرَّبِّ سبحانه كما في حديث البخاري مارواه ابن سنجر مُسْنَدًا إلى شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ ، قال : لما صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، فلما أحس جبريل بدُنُوِّ الرَّبِّ خرَّ ساجدًا ، فلم يزل يُسَبِّحُ سُبْحَانَ رَبِّ الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبَرِيَاءِ والعظمة حتى قضى الله إلى عبده ما قضى ، قال : ثم رفع رأسه ، فرأيته في خلقه الذي خُلِقَ عليه منظومًا أَجْنَحُهُ بِالزَّبَرَجَدِ وَالْأَوَّلُ وَالْيَاقُوتُ ، فخُيِّلَ إِلَيَّ أَن حَابِينَ عَيْنِيهِ قَدْ سَدَّ الْأَفْقِينَ ، وَكُنْتُ لَا أَرَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَكُنْتُ أَكْثَرُ مَا أَرَاهُ عَلَى صُورَةِ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ ، وَكَانَ أَحْيَانًا لَا يَرَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَّا كَمَا يَرَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ مِنْ وَرَاءِ الْغُرْبَالِ ^(١) .

(١) حديث متهافت . أما رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل على صورة دحية ، فقد ورد في روايات صحيحة .

لقاؤه للنبیین :

فصل : ومما سئل عنه من حديث الإسراء ، وتكلم فيه لقاؤه لآدم في السماء الدنيا ، ولإبراهيم في السماء السابعة ، وغيرهما من الأنبياء الذين لقيهم في غير هاتين السماءين ، والحكمة في اختصاص كل واحد منهم بالسماء التي رآه فيها ،
وسؤال آخر في اختصاص هؤلاء الأنبياء باللقاء دون غيرهم ، وإن كان رأى الأنبياء كلهم ، فما الحكمة في اختصاص هؤلاء الأنبياء بالذكر ؟ وقد تكلم أبو الحسن بن بطال في شرح البخارى على هذا السؤال ، فلم يصنع شيئاً ، ومغزى كلامه الذى أشار إليه أن الأنبياء لما علموا بقدمه عليهم ابتدروا إلى لقائه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم ، فمنهم من أسرع ، ومنهم من أبطأ . إلى هذا المعنى أشار فلم يزد عليه ، والذى أقول في هذا : إن مأخذ فهمه من علم التعبير ، فإنه من علم النبوة ، وأهل التعبير يقولون : من رأى نبياً بعينه في المنام ، فإن رؤياه تؤذن بما يشبه حال ذلك النبي من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التى أخبر بها عن الأنبياء في القرآن ، والحديث ، وحديث الإسراء . كان بمكة وهى حرم الله وأمنه وقطأنها جيران الله ، لأن فيها بيته ، فأول ما رأى عليه من الأنبياء آدم الذى كان فى أمن الله وجواره ، فأخرجه عدوهم إبليس منها ، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته ، فكربه ذلك ونعمه . وأشبعت قصته في هذا قصة آدم ، مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البرّ والفاجر منهم ، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين ، لأن أرواح أهل الشقاء لا تبلغ في السماء ، ولا تفتح لهم أبوابها كما قال الله تعالى ، ثم رأى

في الثانية عيسى ويحيى وهما الأمة حنان باليهود ، أما عيسى فكذبته اليهود وأذته ، وهُمُوا بقتله فرفعه الله ، وأما يحيى فقتلوه ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان ، وكانت محنته فيها باليهود ، آذوه وظَاهَرُوا عليه وَهُمُوا بإلقاء الصَّخْرَةِ عليه ، ليقتلوه فَنَجَّاهُ اللهُ تعالى كما نَجَّى عيسى منهم ، ثم سَمَّوه في الشاة ، فلم تزل تلك الأَكَلَّة تعاوده ، حتى قطعت أبهره^(١) كما قال عند الموت ، وهكذا فعلوا بابنَي الحالة : عيسى ويحيى ، لأنَّ أمَّ يحيى أشياعُ بنت عمران أخت مريم ، أمهما : حَنَّة ، وأما لقاءه ليوسفَ في السماء الثالثة ، فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف ، وذلك بأن يوسف ظَفِرَ بإخوته بعد ما أخرجوه من بين ظَهْرَانِيهِمْ ففصح عنهم ، وقال لا تَتْرِبَ عليكم الآية ، وكذلك نبينا - عليه السلام أَسَرَ يوم بدرٍ جُمْلَةً من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباسُ ، وابن عمه عقيل ، فنهَم من أطلق ، ومنهم من قَبِل فداءه ، ثم ظهر عليهم بعد ذلك عامَ الفتح لجمعهم ، فقال لهم : أقول ما قال أخى يوسف لا تَتْرِبَ عليكم اليوم ، ثم لقاءه لإدريسَ في السماء الرابعة ، وهو المكان الذى سماه الله مكانا عليا ، وإدريس أول من آتاه الله الخطَّ بالقلم ، فكان ذلك مُؤْذَنًا بحالة رابعة ، وهى عُلُوُّ شأنه - عليه السلام - حتى أخاف الملوك وكتب إليهم يدعُوهم إلى طاعته ، حتى قال أبو سفيان ، وهو عند ملك الروم ، حين جاءه كتابُ للنبي عليه السلام ، ورأى ما رأى من خَوْفِ هِرقل :

(١) الأبهر : الظهر وعرق فيه ، ووريد العنق والاكمل . وقد ذكر قصة الشاة المسمومة البخارى وغيره .

لقد أمر أمر ابن أبي كَبْشَةَ^(١)، حتى أصبح يخافه مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض، فمنهم من اتبعه على دينه كالنَّجَاشِي، ومَلِكَ هَمَانَ، ومنهم من هادنه، وأهدى إليه وأتحفه كَهْرَقْل والمُقَوِّس ومنهم من تعصَّى عليه، فأظهره الله عليه، فهذا مقام على، وخط بالقلم كنفجو مأوتى إدريس - عليه السلام - ولقاؤه في السماء الخامسة لهارون المُجَبَّب في قومه يؤذن بحب قريب، وجميع العرب له بعد بُغْضهم فيه، ولقاؤه في السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها، وأدخل بنى إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم، وكذلك غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبوك من أرض الشام، وظهر على صاحب دَوَمَةَ حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا، وافتتح مكة، ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه، ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم - عليه السلام - لحكمتين: إحداهما: أنه رآه عند البيت المعمور مُسْنِداً ظهره إليه والبيت المعمور حيال مكة، وإليه تحج الملائكة، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة، وأذن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - حجَّه إلى البيت الحرام، وحجَّ معه نحو من سبعين ألفاً من المسلمين، ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تؤذن بالحج، لأنه الداعى إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوبة، فقد انتظم في هذا الكلام الجواب عن

(١) أى كثر وارتفع شأنه يعنى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم ذكر

السؤالين المتقدمين ، أحدهما : السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر ، والآخر :
السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة ، وكان الخزم
ترك التكلف لتأويل ما لم يرد فيه نصٌّ عن السلف ، ولكن عارض هذا
الفرض ما يجب من التفكير في حكمة الله ، والتدبر لآيات الله ، وقولُ الله تعالى :
﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وقد رُوِيَ أَنَّ تَفَكُّرَ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ
عِبَادَةٍ سَنَةٍ ^(١) ما لم يكن النظر والتفكير مجرداً من ملاحظة الكتاب والسنة ،
ومقتضى كلام العرب ، فعند ذلك يكون القولُ في الكتاب والسنة بغير علم عصمنا
الله - تعالى - من ذلك ^(٢) ، وجعلنا من الْمُتَمَتِّلِينَ لِأَمْرِهِ حيث يقول : فاعتبروا
يا أولى الأبصار وليدبروا آياته ، وليتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ ، ولولا إسرارُ
الناسِ إلى إنكار ما جهلوه ، وغَلَطُ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لأبداننا
مِنْ سِرِّ هذا السؤال ، وكشفنا عن الحكمة في هؤلاء الأنبياء المسلمين في هذه
المراتب أكثر مما كشفنا ^(٣).

البيت المعمور :

فصل : وذكر البيت المعمور ، وأنه يَدْخُلُهُ كل يوم سبعون ألف ملكٍ
روى ابن سنجر عن علي - رحمه الله - قال : البيتُ المعمور بيتٌ في السماء السابعة

(١) التفكير نفسه في خلق السموات والأرض وغيرهما من أجل أنواع
العبادة ، فكيف نجعل التفكير شيئاً والعبادة شيئاً آخر ؟ وهذا يدل على ضعف
الحديث .

(٢) هذه رائعة من السهيلي ، فلنتدبرها باحتفال تستحقه

(٣) والحق أنه لم يكشف ، وإنما اعتسف .

يقال له : الضَّرَاحُ ، واسم السماء السابعة : عَرِيْبًا^(١) ، روى أبو بكر الخطيب بإسناد صحيح إلى وَهْب بن مُنَبِّه قال : من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له نُورٌ يملأ ما بين عَرِيْبَاءَ وجريباء وجريبا ، وهي الأرض السابعة^(٢) ، وذكر عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية عند كل دحية سبعون ألف ملك رواء عنه أبو التَّيَّاح [يزيد الضُّبَعِيُّ] قال أبو سلمة : قلتُ ما الدَّحِيَّةُ ؟ قال : الرئيس . وروى ابنُ سنجر أيضا من طريق أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : في السماء السابعة بيتٌ يقال له : المَعْمُورُ بِحِيَالٍ مَكَّةَ ، وفي السماء السابعة نهرٌ يقال له الحيوان^(٣) يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماساً ، ثم يخرج فينتفض انتفاضة ، يخر عنه سبعون ألف قطرة ، يخلق الله من كل قطرة ملكا ويؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ، [و] يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفاً يُسَبِّحُونَ الله [فيه]

(١) في القاموس واللسان والنهاية لابن الأثير أن اسم السماء السابعة : عروباء
(٢) في اللسان : الجرباء : السماء سميت بذلك لما فيها من الكواكب ، وقيل : سميت بذلك لموضع المجرة كأنها جربت بالنجوم . وقيل : الجرباء من السماء : الناحية التي لا يدور فيها فلك الشمس والقمر . . والجرباء والمساء : السماء للدنيا . . وأرض جرباء محلة وقحوظة لا شيء فيها ، وفي القاموس عن الجرباء أنها قرية بمنجب أذرح ، ثم قال : وغلط من قال : بينهما ثلاثة أيام ، وإنما الوهم من رواية الحديث من إسقاط زيادة ذكرها الدارقطني ، وهي : ما بين ناحيتي حوض كما بين المدينة وجرباء وأذرح .

(٣) في ابن أبي حاتم : وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان .

نإلى أن تقوم الساعة» (١)

فرصة الصلاة :

فصل : وأما فرض الصلاة عليه هذالك ، ففيه التنبيه على فضلها ، حيث سلم تُفرض إلّا فى الحضرة (٢) المُقدّسة ؛ ولذلك كانت الطهارة من شأنها ، ومن شرائط أدائها ، والتنبيه على أنها مناجاة الرب ، وأن الرب تعالى مُقبِلٌ بوجهه على المصلّى يناجيه يقول : حَمْدَنى عبدى ، أَثْنَى عَلَى عَبْدِى (٣) إلى آخر

(١) الحديث أخرجه ابن أبى حاتم ، وقد تكلم عنه ابن كثير ، فقال : وهذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن جناح ، وهذا وهو القرشى الأموى مولاهم أبو سعيد الدمشقى ، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ ، منهم : الجوزجاني والعقبلى والحاكم أبو عبد الله النيسابورى وغيرهم ، وقال الحاكم : لا أصل له من حديث أبى هريرة ، ولا سعيد ، ولا الزهرى ، تفسير سورة الطور .

(٢) سبق بيان أن آيات القرآن تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل هذا ، وإلا -وجب القول بأن الإسراء كان فى عقب المبعث مباشرة . هذا ، ولا يجوز أن نقول : الحضرة المقدسة ، فإنه لا يعد تعبيراً إسلامياً ، ولكنه تعبير صوفى قديم ولم يرد فى قرآن أو حديث ، ولم يجر على لسان صحابى أو تابعى ، ولا يجوز أن ننسب إلى الله سبحانه إلا ما نسب هو -جل شأنه - إلى نفسه .

(٣) من حديث رواه مسلم والنسائى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ، فهى خداج - ثلاثاً - غير تمام فقبل لأبى هريرة : إنا نكون خلف الإمام ، فقال اقرأ بها فى نفسك ، فإنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله - عز وجل - قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين . ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدنى عبدى ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله أثنى على عبدى ، =

السورة ، وهذا مُشاكِلة لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب ، وناجاه ، ولم يرج به حتى طَهَّرَ ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلي للصلاة ، وأُخْرِجَ عن الدنيا بجسمه ، كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ، ويحرَّم عليه كل شيء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين ، وهو بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا فهي البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلي له سبحانه .

فرصة الصلوات خمسين

فصل وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات . وقد روى أيضا أنها حطت خمسا بعد خمس ، وقد يمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخمس في العشر ، فقد تكلم في هذا النقص من الفريضة

== فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلى عبدي. فإذا قال: إياك نعبد، وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. أقول: إن القرآن يفرض على كل مسلم إذا قرأ القرآن أن يستمع وينصت، وعلى هذا يجب على المأموم - خلافا لما في الحديث - ألا يقرأ بالفتحة في نفسه، وهو يسمع القرآن من الإمام، لأن الله يقول: (وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له، وأنصتوا لعلكم ترحمون) . الأعراف: ٢٠٤ . والقول بأن الأمر موجه إلى من يكونون في غير الصلاة قول على الله بغير علم .

أَهُوَ نَسْخٌ أَمْ لَا ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : هُوَ مِنْ بَابِ نَسَخَ الْعِبَادَةَ قَبْلَ الْعَمَلِ .
بِهَا ، وَأَنْكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ النُّجَاسَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا الْبِنَاءُ عَلَى
أَصْلِهِ وَمَذْهَبُهُ فِي أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا يَجُوزُ نَسْخُهَا قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنَ
الْبَدَاءِ ، وَالْبَدَاءُ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ . الثَّانِي : أَنَّ الْعِبَادَةَ إِنْ جَازَ نَسْخُهَا قَبْلَ
الْعَمَلِ بِهَا عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ ، فَلَيْسَ يَجُوزُ عِنْدَ أَحَدٍ نَسْخُهَا قَبْلَ هَبْوَطِهَا إِلَى
الْأَرْضِ وَوَصُولِهَا إِلَى الْمُخَاطَبِينَ : قَالَ : وَإِنَّمَا أَدْعَى النِّسْخَ فِي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ
لِلْمَوْضُوعَةِ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ الْقَاشَانِي ، لِيَصَحِّحَ بِذَلِكَ مَذْهَبَهُ فِي أَنَّ الْبَيَانَ لَا يَتَأَخَّرُ ،
ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : إِنَّمَا هِيَ شِفَاعَةٌ شَفَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
لَأُمَّتِهِ وَمَرَاةً رَاجِعَةً رَاجِعَهَا رَبُّهُ ، لِيُخَفِّفَ عَنْ أُمَّتِهِ ، وَلَا يُسَمَّى مِثْلَ هَذَا نَسْخًا .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : أَمَّا مَذْهَبُهُ فِي أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُنَسَخُ قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا ، وَأَنَّ
ذَلِكَ بَدَاءٌ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْبَدَاءِ أَنْ يَبْدُوَ لِلْأَمْرِ رَأْيٌ يَتَّبِعُهُ لَهُ
الصَّوَابُ فِيهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ تَبَيَّنَ ، وَهَذَا مُحَالٌ فِي حَقِّ مَنْ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ بِعِلْمٍ
قَدِيمٍ^(١) ، وَلَا يَسُ النِّسْخُ مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ إِذَا النِّسْخُ تَبْدِيلُ حُكْمٍ بِحُكْمٍ ، وَالْكُلُّ

(١) فِي اللِّسَانِ : دَ الْبَدَاءُ : اسْتِصْوَابُ شَيْءٍ عِلْمَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَعْلَمْ ، وَذَلِكَ عَلَى
اللَّهِ غَيْرُ جَائِزٍ ، وَيَقُولُ الشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي الْمَلَلِ وَالنَّجَلِ : دَ الْبَدَاءُ لَهُ مَعَانٍ :
الْبَدَاءُ فِي الْعِلْمِ ، وَهُوَ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ صَوَابٌ عَلَى خِلَافِ مَا أَزَادَ وَحُكْمٌ ، وَالْبَدَاءُ
فِي الْأَمْرِ ، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بَعْدَهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، قَالَ هَذَا وَهُوَ
يَتَحَدَّثُ عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ أَحَدِ زَعَمَاءِ فِرْقَةِ الشَّيْعَةِ الْأَوَائِلِ ، ثُمَّ قَالَ :
دَ وَإِنَّمَا صَارَ الْمُخْتَارُ إِلَى اخْتِيَارِ الْقَوْلِ بِالْبَدَاءِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَدْعَى عِلْمَ مَا يَحْدُثُ مِنْ
الْأَحْوَالِ إِمَّا بِوَحْيٍ يُوْحَى إِلَيْهِ ، وَإِمَّا بِرِسَالَةٍ مِنْ قَبْلِ الْإِمَامِ ، فَكَانَ إِذَا
وَجَدَ أَصْحَابَهُ بِكُنْهٍ شَيْءٍ ، وَحَدُوثَ حَادِثَةٍ ، فَإِنْ وَافَقَ كُونَهُ قَوْلُهُ جَعَلَهُ دَلِيلًا .

في سابق علمه ومقتضى حكمته، كنسخه المرض بالصحة، والصحة بالمرض، ونحو ذلك، وأيضاً بأن العبد المأمور يجب عليه عند توجه الأمر إليه ثلاث عبادات: الفعل الذي أمر به، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر، واعتقاد الوجوب إن كان واجباً فإن نسخ الحكم قبل الفعل، فقد حصلت فائدتان: العزم واعتقاد الوجوب. وعلم الله ذلك منه، فصح امتحانه له واختباره إياه، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته، وإنما الذي لا يجوز نسخ الأمر قبل نزوله، وقبل علم الخطاب به، والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها، فليس هو حقيقة النسخ، لأن العبادة المأمور بها قد مضت، وإنما جاء الخطاب بالنهي عن مثلها لاعتبارها، وقولنا في الخمس والأربعين صلاة الموضوعة عن محمد وأمه أحد وجهين، إما أن يكون نسخ ماوجب على النبي صلى الله عليه وسلم من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب، وهذا قد قدمنا أنه نسخ على الحقيقة، ونسخ عنه ماوجب عليه من التبليغ، فقد كان في كل مرة عازماً على تبليغ ماأمر به، وقول أبي جعفر: إنما كان شافعاً ومراجماً ينفي النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم، فشفاعته عليه السلام لأمه كانت سبباً للنسخ لمُبْطَلَةً لحقيقته،

== على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم، وكان لا يفرق بين النسخ والبداء، ص ٢٣٧ - الملل والنحل للشهرستاني ط مكتبة الحسين التجارية قالبداء إذن أسطورة ملعونة، ومحال نسبتها إلى الله سبحانه ولا يجوز وصف علم الله بأنه قديم، كما لا يجوز وصف الله بهذه الصفة كما سبق بيانه. كما أنه لا يجوز أن يقال عن آية في القرآن إنها منسوخة، فكل آية في القرآن هي حق لا ريب فيه، وكل آية فيه يجب أن تؤمن بأنها غير منسوخة.

ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس في خاصته ، وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لا يتصور نسخ بالحكم قبل بلوغه إلى المأمور ، كما قدمنا ، وهذا كله أحد الوجهين في الحديث .

والوجه الثاني أن يكون هذا خبراً لا تعبدًا ، وإذا كان خبراً لم يدخله النسخ ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربّه أن على أمته خمسين صلاة ، بمعناه : أنها خمسون في اللوح المحفوظ ، وكذلك قال في آخر الحديث : هي خمس وهي خمسون ، والخمسة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أنها خمسون بالفعل ، فلم يزل يراجع ربّه حتى بين له أنها خمسون في الثواب لا بالعمل . فإن قيل : فما معنى نقصها عشرين بعد عشر ؟ قلنا : ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها ، وقد جاء في الحديث أنه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها ، وأن العبد يصلي الصلاة ، فيكتب له نصفها ربعها حتى انتهى إلى عشرين ، ووقف ، فهي خمس في حق من كتب له عشرين ، وعشر في حق من كتب له أكثر من ذلك ، وخمسون في حق من كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكال سجودها وركوعها .

أوصاف من الملائكة :

فصل : وذكر أنه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكاً مستبشراً إلا ما لكأخازن جهنم ، وذلك أنه لم يضحك لأحدٍ قبله ، ولا هو ضاحك لأحد ، ومضدق هذا في كتاب الله تعالى ، قال الله سبحانه ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ التحريم : ٦ وهم موكلون بغضب الله تعالى ، فالغضب لا يزالهم

أبداً ، وفي هذا الحديث معارضة للحديث الذي في صفة ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جهنم ، وكذلك يعارضه ما خرّج الدارقطني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبسم في الصلاة ، فلما انصرف سُئل عن ذلك ، فقال : رأيت ميكائيلَ راجعاً من طلب القوم ، على جناحيه الغبارُ فضحك إليّ ، فتبسمت إليه ، وإذا صح الحديثان ، فوجه الجمع بينهما : أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيكون الحديث الأول حدثاً به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعدُ بما حدث به من ضحكِهِ إليه ، والله أعلم ولم يرَ مالكا على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه .

أكله السبا في رؤيا المعراج :

وذكر أكلة الربا وأنهم بسبيل آلِ فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة ، وهي العطاش ، والهُيَام : شدة العطش ، وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مَهيومة ، كما لا يقال معطوشة ، إنما يقال هائم وهيان ، وقد يقال : هُيومٌ ويجمع على هيم ، ووزنه فعل بالضم لكن كسرٍ من أجل الياء كما قال تعالى : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴾ الواقعة : ٥٥ ولكن جاء في الحديث مَهيومة ، كأنه شيء فعل بها كالمَحمومة والمَجنونة وكالمَتهوم ، وهو الذي لا يشبع وكان قياس للياء أن تعقل ، فيقال : مَهيمة ، كما يقال : مَبيعة في معنى مَبْيُوعة ،

واسكن صحت الياء ، لأنها في معنى الميومة كما صحت الواو في عور لأنه في معنى أعور ، كما صحت في اجتوروا لأنه في معنى : تَجَاوَرُوا ، وإنما رَأَمَ مَنْتَفِخَةً بطونهم ؛ لأن العقوبة مُشَاكِلَةٌ للذنب ، فأكل الربا يربو بطنه ، كما أراد أن يربو ماله بأكل ما حُرِّمَ عليه ، فَمُحِقَتِ البركة من ماله ، وَجُعِلَتْ نَفْخًا في بطنه ، حتى يقوم كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطانُ من المَسِّ ، وإنما جُمِعُوا بطريق آل فرعون يَمرون عليهم غُدُوًّا وَعَشِيًّا لأن آل فرعون هم أشد الناس عذابا يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ اذْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر : ٤٦ . فخصَّوا بسبيلهم ، ليعلم أن الذين هم أشد الناس عذابا يطئونهم فضلا عن غيرهم من الكفار ، وهم لا يستطيعون القيام ، ومعنى كونهم في طريق جهنم بحيث يُمرُّ بالكفار عليهم ، أن الله سبحانه قد أوقف أمرهم بين أن ينتهوا ، فيكون خيرا لهم ، وبين أن يعودوا ويصروا ، فيدخلهم النار ، وهذه صفة مَنْ هو في طريق النار قال الله تعالى : ﴿ فَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَله ماسلف وأمره إلى الله ﴾ البقرة : ٢٧٥ . إلى آخر الآية وفي بعض المسندات أنه رأى بطونهم كالبيوت ، يعني : أَكَلَةُ الرِّبَا ، وفيها حَيَاتٌ ترى خارج البطون . فإن قيل : هذه الأحوال التي وصفها عن أَكَلَةِ الرِّبَا إن كانت عبارة عن حالهم في الآخرة ، قَالَ فرعون في الآخرة قد أَدْخِلُوا أَشَدَّ الْعَذَابِ ، وإنما يُعْرَضُونَ على النارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا في البرزخ ، وإن كانت هذه الحال التي رَأَمَ عليها في البرزخ ، فأى بطون لهم ، وقد صاروا عظاما ورفاتا ، وَمَزَقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ فالجواب أنه إما رَأَمَ في البرزخ ، لأنه حديثٌ عما رأى ، وهذه الحال هي حال

أرواحهم بعد الموت ، وفيها تصحيح لمن قال : الأرواحُ أجسادٌ لطيفة قابلة للنعيم والعذاب ، فيخلق الله في تلك الأرواح من الآلام ما يجده مَنْ انتفخ بطنه حتى وُطئ بالأقدام ، ولا يستطيع من قيامٍ ، وليس في هذا الحديث دليلٌ على أنهم أشدَّ عذاباً من آلِ فرعونَ ، ولسكن فيه دليل على أنهم يطوُّهم آلُ فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الرِّبَا ماداموا في البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة ، كما يقوم الذي يتخبطه الشيطانُ من المَسِّ ، ثم ينادى منادى الله ﴿ أَذْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر : ٤٦ وكذلك ما رأى من النساء المملقات بديهن^(١) يجوز أن يكون رأى أرواحهنَّ ، وقد خلق فيها من الآلام ما يجده مَنْ هذه حاله ، ويحتمل أيضاً أن يكون مثلت له حالهن في الآخرة ، وذكر الذين يدعون ما أحل الله من نسائهم ، ويأتون ما حرم عليهم ، وهذا نص على تحريم إتيان النساء في أعجازهن ، وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع ، وقد ذكرنا المواضع التي يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله ، ومن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكرنا ما جاء في ذلك عن ابن عباس من قوله : هو الكفر ، وقول ابن عمر : هي اللواطية الصغرى ، وأما الإجماع ، فإن المرأة تُردُّ بداء الفرج ، ولو جاز وطؤها في المسلك الآخر ما أجمعوا على ردّها بداء الفرج ، وقد مهّدنا الأدلة على هذه المسألة مُفرّدة في غير هذا الإملاء بما فيه شفاء والحمد لله

(١) لم يخرج له أحد من أصحاب الصحيح ، وفي بعض رواياته غرابة ونسكارة .

الولد لغير رشدة :

وقوله : فأكل حرائبهم : الحُرْبَةُ : المال ، وهو من الحرب ، وهو السَّكْبُ ، يريد أن الولد إذا كان لغير رشدة نُسب إلى الذي وُلد على فراشه ، فيأكل كل من ماله صغيراً ، وينظر إلى بناته من غير أمه وإلى أخواته ، وتسَنَّ بَعَمَاتٍ له ، وإلى أمِّه وليست بجدة له ، وهذا فساد كبير ، وإنما قدَّم ذكر الأكل من حُرْبته وماله قبل الاطلاع على عَوْرَاتِهِ ، وإن كان الاطلاع على العَوْرَاتِ أشنع ، لأن نفقته عليه أول من حال صغره ، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عَوْرَاتِهِ ، أولاً يبلغ ، وأيضاً فإن الأم أرضعته بلبانها ، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزَّوْجُ أباً له من الرضاعة ، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة ، وفي ذلك نقصان من الشناعة ، فإن بلغ الصَّبِي ، وثابت الأم ، وأعلمته أنه لغير رشدة . ليستعفَّ عن ميراثهم ، ويكف عن الاطلاع على عَوْرَاتِهِمْ ، أو علم ذلك بقَرِينَةٍ حَالٍ وجب عليه ذلك وإن كان شرُّ الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزَّنا ، وقد تَوَوَّلَ حَدِيثُ شَرِّ الثلاثة على وُجُوهِ ، هذا أقربها إلى الصواب ، لقوله عليه السلام : أَكَلْ حَرَائِبِهِمْ ، واطَّلَعَ على عَوْرَاتِهِمْ ، ومن فعل هذا عن عَمْدٍ وقصد فهو شرُّ الناس ، وإن لم يعلم فأكله وإطلاعه شرُّ عمل ، وأبواه حين زَنِيا فارقا ذلك العمل الخبيث لحيتهما والابن في عمل خبيثٍ من مَدَشَّهِ إِلَى وفاته ، ، فعمله شرُّ عمل .

حكم الحاكم لا يحل الحرام :

وفي هذا الحديث من الفقه أيضاً أن حكم الحاكم لا يحل حراماً ، وذلك أن الولد في حكم الشريعة للفراش إلا أن يُنْفَقَ بِاللَّعَانِ ، فإذا حكم الحاكم بهذا ، وعلم

«الولدُ عند بلوغه خلاف ماحكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ماحرّم الله عليه من أكل الحرائب والاطلاع على العورات ، وفي هذا ردُّ لمذهب أبي حنيفة من قوله: إن حكم الحاكم قد يحل مايعلم أنه حرام مثل أن يشهد شاهدان على رجل أنه طلق ، وهما يعلمان أنه لم يطلق فيقبل القاضي شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل ، فإذا بانّت منه كان لأحد الشاهدين أن ينكحها مع علمه بأنه قد شهد زوراً ، لم يقل أبو حنيفة بهذا القول في الأموال لقول النبي عليه السلام «إنما أنا بشرٌ وإنكم تختصمون إليّ ، ولعلّ أحدكم أن يكون ألحن بحجّته من صاحبه ، فأفضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيتُ له بشيء من حقِّ أخيه ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار^(١)» ففي هذا الحديث مع الذي تقدّم ردُّ لمذهبه ، ولا حجة له في أن يقول ذلك مخصوص بالأموال من وجهين : أحدهما : أن أن القياس أصل من أصوله ، وقياس المسألتين واحد ، الثاني : أنه قال من حق أخيه ، ولم يقل من مال أخيه ، وهذا لفظ يعم الحقوق كلها قال المؤلف : وعندي أن أبا حنيفة رحمه الله : إنما بنى هذه المسألة على أصله في طلاق المُكرّه ، فإنه

(١) رواه الجماعة . ومعنى ألحن : أبلغ كما وقع في الصحيحين أي : أحسن الإيراداً للكلام ، ولا بد من تقدير محذوف لتصحيح معناه . وهو أي وهو كاذب ، ويسمى هذا عند علماء الأصول : دلالة اقتضاء ، لأن اللفظ الظاهر المذكور يقتضي هذا المحذوف ، وقد يكون معناه : أعرف بالحجة ، وأقطن لها من غيره . ويقال : لحنت فلان إذا قلت له قولاً يفهمه ، ويخفى على غيره لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم ، فاللحن : الميل عن جهة الاستقامة ، يقال : لحن فلان في كلامه : إذا مال عن صحيح المنطق . وفي رواية «ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض ، فأفضي بنحو ما أسمع ،

عنده لازم فإذا أكره الرجلُ على الطلاق ، وقلنا يلزم الطلاق له ، فقد حرمت المرأة عليه ، وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها من شاء فالإثم إنما تعلق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح ، وقد خالفه فقهاء الحجاز في طلاق المكره ، وقولهم يعضده الأثر ، وقول أبي حنيفة يعضده النظر ، والخوض في هذه المسألة يصدنا عما نحن بسبيله .

مطلبه إدريس

فصل : وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى : (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) مريم ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس . فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ، ورفع مَلَكٌ كان صديقاً له ، وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر ، وكان إدريس سألَه أن يُريَه الجنة ، فأذن له الله في ذلك ، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك مَلَكٌ للموت ، فعجب ، وقال أمرت أن أقبض روح إدريس الساعة في السماء الرابعة ، فقبضه هنالك ، فرفعه حياً إلى ذلك المكان العلى خاص له دون الأنبياء^(١).

(١) يقول ابن كثير عن هذا : « وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيباً ، ثم ذكر الأثر بطوله ، بخبره المشعوم ، وكذبه الملعون ، ثم قال بعده : « هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارة والله أعلم ، تفسير الآية من سورة مريم . أما المكان العلى فقد ذكر الحسن وغيره أنه الجنة . ونحذر من موبقات كعب

(م ٣٠ — الروض الاتق ج ٣)

قول الأنبياء في كل سماء :

فصل : وذكر من قول الأنبياء له في كل سماء : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ،
وقول آدم وإبراهيم : بالابن الصالح وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حُجَّةَ مَنْ
قال : إن إدريسَ ليس بجدِّ لُتُوحٍ ، ولا هو من آباء رسولِ الله - صلى الله عليه -
وسلم - لأنه قال مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ، ولم يقل : بالابن الصالح

خرافة طلب موسى أنه يكون من أمة أحمد :

وأما اعتناء موسى - عليه السلام - بهذه الأمة وإلحاحه على نبيها أن يشفع
لها ، ويسأل التخفيف عنها ، فاقوله - والله أعلم - حين قُضِيَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ بِجَانِبِ
الْغَرْبِ ، ورأى صفات أمة محمد عليه السلام في الألواح ، وجعل يقول : إني
أجد في الألواح أُمَّةً صَفْتُهُمْ كَذَا ، اللهم اجعلهم أمتي ، فيقال له : تلك أمة
أحمد ، وهو حديث مشهور ^(١) ، فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتنى
بالقوم مَنْ هُوَ مِنْهُمْ ، لقواه : اللهم اجْعَلْنِي مِنْهُمْ ، والله أعلم .

(١) هو مشهور ، ولكن شهرة الباطل الماكر ، والضلالة اللثيمة ،
وقد أخرجه أبو نعيم في الدلائل ، ولم يخرج أحد من أصحاب الصحيح .
وكيف يطلب موسى من الله أن تكون هذه الأمة التي ستأتي بعده بقرون أمته ؟
وكيف تصدق أو كيف يستقيم القول بأنه أعطى خصلتي الرسالة والتكليم بعد هذه
المنافشة ، على حين كان هورسولا مكلما قبل أن تنزل الألواح عليه . فقد ورد
في ختام الحديث . أن موسى قال : يا رب فاجعلني من أمة أحمد ، فأعطى عند
ذلك خصلتين ، فقال : (يا موسى إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي ،
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) إنها خرافة ظاهرها - نزع إلى تمجيد
النبي د ص ، وباطنها - بهته بالكذب والخرف اللاحق ،

بعض مرائي :

ومما جاء في حديث الإسراء مما لم يذكره ابن اسحاق في مُسند الحارث ابن أبي أسامة أنه - عليه السلام - ناداه مناد ، وهو على ظهر البُراق : يا محمد ، فلم يعرج عليه ، ثم ناداه آخر : يا محمد يا محمد ثلاثا ، فلم يعرج عليه ، ثم لقِيته امرأة عليها من كُلِّ زينة ناشرةٌ يديها ، تقول : يا محمد يا محمد ، حتى تَغَشَّتْهُ ، فلم يعرج عليها ، ثم سأل جبريلَ عما رأى ، فأخبره ، فقال : أما للننادي الأول ، فداعى اليهود لو أُجِبَّتْهُ لَتَمَوَّدَتْ أمتك ، وأما الآخر فداعى النصارى ، ولو أُجِبَّتْهُ لَتَنَصَّرَتْ أمتك ، وأما المرأة التي كان عليها من كل زينة ، فإنها الدنيا لو أُجِبَّتْهَا لَأَثَرَتِ الدنيا على الآخرة^(١) .

(١) وردت في حديث رواه البيهقي في الدلائل بسنده إلى أبي سعيد الخدري وابن جرير . ورواه ابن أبي حاتم بسياق طويل كما يقول ابن كثير - حسن أنبق أجود مما سافه غيره على غرابته وما فيه من النسكرة .

تم بحمد الله
الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع
ان شاء الله
وأوله : ﴿ كفاية الله أمر المستهزئين ﴾

فهرس

الجزء الثالث من الروض الأنف

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٦	ابتداء فرض الصلاة د س	٣٩	تفسير ونحو : اصدع بما تؤمر د ن ، ل
٧	أول من أسلم د س	٣٩	حول ما المصدرية والذي ن ، ل
٩	إسلام زيد بن حارثة د	٤٢	مبادأة رسول الله د ص د س
١٠	إسلام أبي بكر	٤٣	صلاة الرسول وصحبه في الشعاب د س
١١	فرض الصلاة	٤٣	عداوة الشرك للرسول د ص
١٢	لا نسخ في القرآن د س	٤٦	مناصرة أبي طالب للرسول د ص
١٣	الوضوء	٤٩	مبادأة رسول الله أبو البختری
١٤	جبريل يؤم الرسول د ص	٥٠	لو وضعوا الشمس في يميني
١٥	أول من آمن	٥٤	عرض قرش على أبي طالب
١٦	إسلام زيد	٥٦	شرح شعر لآبي طالب
١٩	إسلام أبي بكر	٦١	موقف الوليد بن المغيرة من القرآن د س
٢٢	من أسلموا على يد أبي بكر د س	٦٣	أبو طالب يفخر بأبن أخيه د
٢٧	إسلام أبي عبيدة وسعيد بن زيد	٦٣	لامية أبي طالب د
٢٩	إسلام سعد و ابن عوف والنحام	٦٩	شرح ابن هشام لبعض القصيدة د
٣١	ابن مسعود ومسعود القارى	٧٠	ذكره صلى الله عليه وسلم بنقشه
٣٣	تصحیح نسب أبي حذيفة		
٣٤	عميس		
٣٥	تصحیح في نسب بنى عدی		
٣٧	إسلام عامر بن فهيرة		
٣٨	عامر بن الطفيل د ش		

س = سيرة . ش = شرح . وما ليس أمامه شيء أو أمامه راء فهو من الروض ، ود ن ، مسائل نحوية ولغة

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٧١	أبو قيس بن الأسلت ونسبه دس،	١٣١	حول سورة الكهف دس،
٧٢	قصيدة ابن الأسلت د	١٤٣	أول من جهر بالقرآن د
٧٤	داحس والغبراء د	١٤٤	مالقي رسول الله د ص، د
٧٦	حرب حاطب د	١٤٥	المذثر والنذير والعريان
٧٧	حكيم بن أمية ينهى عن عداوة	١٤٧	تقديم المفعول على الفعل
	الرسول دس،	١٤٨	الرقى وعتبة بن ربيعة
٧٧	موقف الوليد من القرآن د	١٥٠	إسلام حمزة
٨٠	ذرفى ومن خلقت وحيدا	١٥٢	طلبهم الآيات
٨٢	شرح لامية أبي طالب	١٥٤	عبد الله بن أبي أمية
٨٢	قلب الواو تاء د ن . ل،	١٥٤	هم أبي جهم بالقاء الحجر
٨٤	وسوم الإبل	١٥٦	أرايت د ن . ل،
٨٤	حول الصفة المشبهة د ن . ل،	١٥٧	الأساطير وشيء عن الفرس
٨٧	حديث أم زرع د ش،	١٦١	عن الكهف والفرقان
٨٨	الودع والودع .	١٦٢	لم قدم الحمد على الكتاب؟
٨٩	من شرح لامية أبي طالب	١٦٣	شرح شواهد شعرية
٩٤	حسن ذا أدبا د ن . ل،	١٦٤	الرقيم وأهل الكهف
٩٥	عود إلى شرح اللامية د ن . ل،	١٦٤	إعراب أحصى د ن . ل،
١٠٢	برىء وبراء وما يشبههما	١٦٥	عن الكهف مرة أخرى
١٠٣	الاستسقاء	١٦٩	واو الثمانية د ن . ل،
١٠٧	ابن الأسلت وقصيدته	١٧١	آية الاستسقاء
١١٢	حرب داحس	١٧٢	ولبثوا في كهفهم
١١٦	حرب حاطب	١٧٤	السنة والعام د ن . ل،
١١٦	مالقيه الرسول دس،	١٧٧	ذو القرنين
١١٨	إسلام حمزة د	١٨١	حكم التسمي بأسماء النبيين
١٢٠	الرسول د ص، وعتبة د	١٨٢	الروح والنفس
١٢٢	بين النبي د ص، وبين قريش د	١٨٨	الروح سبب الحياة

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
١٩١	الإنسان روح وجسد	٢٢٧	عبد شمس
١٩١	النفس	٢٢٨	عمار لم يهاجر إلى الحبشة
١٩٢	ابن هرمة	٢٢٩	حول بنى الحارث بن قيس
١٩٤	خزنة جهنم	٢٢٩	حول بنى زهرة وطليب بن عبيد
١٩٥	بهته «س» ، بأن بشرأ يعلمه	٢٣٠	عن شعر الهجرة الحبشية ونحوياته
١٩٦	المستمعون لتلاوة النبي «س»		«ن . ل»
١٩٩	المدوان على المستضعفين	٢٣٢	حول أن المصدريه «ن . ل»
١٩٩	تعذيب بلال وعقه	٢٣٧	حول لام التعجب
٢٠٠	من عتقاء أبي بكر	٢٣٨	من معاني شعر ابن مظعون
٢٠١	بين أبي بكر وأبيه	٢٣٩	أنساب
٢٠١	تعذيب عمار	٢٤١	أم سلمة
٢٠٢	فتنة المعذبين	٢٤٣	قريش تطلب المهاجرين «س»
٢٠٢	رفض تسليم الوليد بن الوليد	٢٤٣	النور الذي كان على قبر النجاشي
٢٠٣	الهجرة الأولى إلى الحبشة		«س»
٢٠٥	المهاجرون إلى الحبشة	٢٤٦	حوار بين النجاشي وبين المهاجرين
٢١٣	من شعر الهجرة الحبشية		«س»
٢١٥	حول آيات من القرآن	٢٤٨	المهاجرون وانتصار النجاشي
٢١٨	حكم المسكره على الكفر والمعصية	٢٤٩	تملك النجاشي على الحبشة
٢٢٠	آل ياسر	٢٥٢	قريش تطلب المهاجرين
٢٢١	زينة وغيرها	٢٥٣	عمارة بن الوليد بن المغيرة
٢٢١	أم عيسى	٢٥٥	حول حديث المهاجرين مع النجاشي
٢٢٢	عن بلال		إضافة العين إلى الله
٢٢٢	عن الهجرة إلى الحبشة	٢٥٧	معنى ان عيسى كلمة الله وروحه
٢٢٢	النجاشي وعثمان ورقية	٢٥٨	من هدى السلف في الصفات «س»
٢٢٥	رؤيا ورقية ولدى العاص	٢٥٨	كلمة وحضرة ونسبتها إلى الله «س»
٢٢٦	أمة بنت خالد وأبوها	٢٥٩	

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٢٦٠	أصحمة النجاشي	٢٩٧	كمال المصحف وتامه «ش»
٢٦١	من فقه حديث الهجرة الحبشية	٢٩٨	بعض ما قيل عن الصحيفة «ش»
٢٦١	الصلاة على النجاشي	٢٩٩	تفسير بائية أبي طالب
٢٦٢	حكم الصلاة على الغائب	٣٠٠	لا التي للتبرئة «ن. ل.»
٢٦٤	إسلام عمر «س»	٣٠١	عود إلى شرح البائية
٢٧١	عن إسلام عمر و حديث خباب	٣٠٤	مسند أم جميل
	«س»	٣٠٨	عن الجيد والعنق «ن. ل.»
٢٨٢	خبر الصحيفة القرشية «س»	٣٠٩	غلو في الوصف بالحسن
٢٨٢	موقف أبي لب	٣١٢	الفهر
٢٨٣	بائية أبي طالب	٣١٣	حول خباب وقولهم مذمم
٢٨٤	من جهالة أبي جهل	٣١٣	سد الذرائع
٢٨٥	ما لقي رسول الله من قومه	٣١٤	إنما الأعمال بالنيات «ش»
٢٨٥	أبو لب وامراته	٣١٥	شرح ابن تيمية لسد
٢٨٧	أمية بن خلف		الذرائع «ش»
٢٨٨	العاص بن وائل	٣١٦	عن النضر ورستم
٢٨٨	أبو جهل	٣١٧	ابن الزبير وعزير (١)
٢٨٩	النضر بن الحارث	٣١٩	حصب جهنم
٢٩٠	ابن الزمري والأخنس	٣٢٠	عما نزل في حق الأخنس
٢٩٢	ما نزل في حق الوليد بن المغيرة	٣٢٠	عن النسب على غير قياس «ش»
	وأبي بن خلف وعقبة بن أبي	٣٢١	الزيم «ر. ش»
	معيط «س»	٣٢٢	تفسير سورة الكافرون
٢٩٤	ما نزل في حق من اعترضوا	٣٢٤	عن كلمة «ما. ن. ل.»
	طواف الرسول «س»	٣٢٧	الزقوم
٢٩٤	ما قيل في حق أبي جهل «س»	٣٢٨	حديث ابن أم مكتوم
٢٩٥	قصة ابن أم مكتوم «س»	٣٣٠	العائدون من الحبشة «س»
٢٩٦	حديث صحيفة قریش «س»	٣٣٣	قصة ابن مظعون مع الوليد

(١) ذكرت خطأ في العنوان (عزير)

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٣٣٤	أبو سلمة في جوار أبي طالب « د س »	٣٩١	عن غلام المبيعة وصهيب وأبي فكيمة
٣٣٦	أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة « د »	٣٩٣	سبب نزول الكوثر « د س »
٣٣٨	نقض الصحيفة « د »	٣٩٣	الكوثر في الشعر « د »
٣٤٤	قصة الغرائب « د ش ر »	٣٩٤	وقالوا لولا نزل عليه ملك « د »
٣٤٩	كل شيء ما خلا الله باطل	٣٩٥	ولقد استهزى برسول من قبلك « د »
٣٥٢	أبو بكر وابن الدغنة	٣٩٥	الإسراء والمعراج « د س »
٣٥٣	عن الشعب ونقض الصحيفة	٤٠١	حديث أم هانئ عن الإسراء « د »
٣٥٦	شرح دالية أبي طالب	٤٠٢	الآبتر والكوثر « د ر »
٣٥٦	النسب على غير قياس « د ش »	٤٠٩	استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر « د ر »
٣٥٧	عود إلى الدالية « د ر »	٤١٠	ذكر حديث المستهزئين « د ر »
٣٦٢	شمر حسان في مطعم وهشام	٤١٢	شرح ما في حديث الإسراء من المشكل « د ر »
٣٦٤	إسلام الطفيل « د س »	٤١٥	أكان الإسراء يقظة أم منام « د ر »
٣٦٨	قصة الأعشى	٤١٧	أكان الإسراء مرتين « د ر »
٣٧٠	ذلة أبي جهل والإراشي « د س »	٤٢٠	حول الإسراء والمعراج « د ش »
٣٧٢	ركانة ومصارعة « د »	٤٢٢	رأى الشوكاني « د ش »
٣٧٣	قدوم وفد النصارى من الحبشة « د »	٤٢٣	رأى ابن القيم « د ش »
٣٧٦	حول حديث الطفيل الدوسي « د ر »	٤٢٥	موازيات بين الروايات « د ش »
٣٧٧	خبء وخب « د ش »	٤٣٠	شماس البراق « د ر »
٣٧٨	دالية الأعشى وحمزة والشرف « د ر »	٤٣٢	قول الملائكة : من معك ؟
٣٨٠	عود إلى دالية الأعشى	٤٣٣	باب الحفظة « د ر »
٣٨٤	أغار وأنجد « د ن ل »	٤٣٤	آدم في سماء الدنيا والأسودة التي رآها « د ر »
٣٨٦	حول الوقف على النون الخفيفة « د ن ل »	٤٣٦	من حكم الماء « د ر »
٣٨٨	مصارعة ركانة		
٣٩٠	وفد نصارى الحبشة		

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٤٣٦	عن دخول بيت المقدس وصفة	٤٥٩	أوصاف من الملائكة « ر »
	الأنبياء « ر »	٤٦٠	أكله الرباني رؤيا المعراج « ر »
٤٣٨	صفة النبي صلى الله عليه وسلم	٤٦٣	الولد لغير رشدة « ر »
٤٤٠	قصة المعراج « ر »	٤٦٢	حكم الحاكم لا يحل الحرام « ر »
٤٤٥	رؤية النبي ربه « ر »	٤٦٥	مكان لإدريس « ر »
٤٥٠	لقاءه للأنبياء « ر »	٤٦٦	قول الأنبياء في كل سماء « ر »
٤٥٣	البيت المعمور « ر »	٤٦٦	خرافة طالب موسى أن يكون من
٤٥٤	فرض الصلاة « ر »		أمة أحمد « ر »
٤٥٦	فرض الصلوات الخمس « ر »	٤٦٧	بعض ما رأى

بموت الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء الثالث من
كتاب الروض الأنف بمطابع دار النصر ١٣ شارع
سعد الله بالدرب الأحمر - بالقاهرة

محرم سنة ١٣٨٩ هـ
مارس سنة ١٩٦٩ م

دار النصر

المسيرة رفيع همام
غفر الله له ولوالديه

الروضات الألف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الرَّوَضُ الْأَنْفُ

فِي شَرْحِ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

لِلْإِمَامِ الْمُحَدِّثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّهْمِيِّ

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

وَمَعَهُ

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْإِمَامِ ابْنِ هِشَامٍ

الْمُتَوَفَّى ٢١٨ هـ

الجزء الرابع

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ وَشَرْحٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلُ

يَطْلُبُ مِنْ

دَارِ الْكِتَابِ الْحَدِيثِ

١١ شارع الجمهورية - تيفنون ٧ - ٩١٦١

سأهبها توفيقاً معني

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد المعرفي
رقم التسجيل ١٧٢٣٨
التاريخ: _____

مفتش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء الرابع من السيرة وشرحها « الروض الأنف »
للإمام السهيلي والله وحده أسأل أن يعين على تمامه

عبد الرحمن الوكيل

كفاية الله أمر المستهزئين

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - على أمر الله تعالى صابراً محتسباً ، مؤدياً إلى قومه النصيحة على ما يلقي منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء . وكان عظماء المستهزئين - كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومهم ، وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم .

من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب : الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة ، وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به ، فقال : اللهم أعم بصره وأنكله ولده .

ومن بنى زهرة بن كلاب : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : العاص بن وائل بن هشام . قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سَعِيد بن سَهْم . ومن بنى خُزاعة : الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو ابن لؤي بن مِلْكَان .

فلما تمادوا في الشر ، وأكثروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الاستهزاء ، أنزل الله تعالى عليه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ .
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾
الحجر : ٩٣ - ٩٥ .

قال ابن إسحاق لحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره
من العلماء أن جبريل أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يطوفون بالبيت ،
فقام ، وقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنبه فرمى به الأسود بن المطلب ،
فرمى في وجهه بورقة خضراء ، فعمى ، ورمى به الأسود بن عبد يغوث ، فأشار
إلى بطنه ، فاستسقى فمات منه حبنا . ورمى به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر
جرح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يجر سبيله ،
وذلك أنه مرّ برجل من خزاعة وهو يرش نبلا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ،
فخدش في رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء ، فانتفض به ، فقتله . ورمى به
العاص بن وائل ، فأشار إلى أخص رجله ، وخرج على حمار له يريد الطائف ،
فرأى به على شبارقة ، فدخلت في أخص رجله شوكة ، فقتلته ورمى به الحارث
ابن الظلال ، فأشار إلى رأسه ، فامتخص قتيحا فقتله .

الوليد وأبو أزيهر

قال ابن إسحاق : فلما حضرت الوائد الوفاة دعا بنيهِ ، وكانوا ثلاثة :
هشام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أي بني ،

أوصيكم بثلاث ، فلا تُضيّعوا فيهن : دَمِي فِي خُرَاعَةٍ ، فَلَا تَطْلُغَنَّ ، وَاللّٰهُ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَهْمَ مِنْهُ بَرَاءً ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُسَبُّوا بِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَرِبَايَ فِي تَقْيِيفٍ ، فَلَا تَدْعُوهُ حَتَّى تَأْخُذُوهُ ، وَغَمْرِي عِنْدَ أَبِي أَزْيَهْرٍ ، فَلَا يَفُو تَنَسُّكُم بِهِ . وَكَانَ أَبُو أَزْيَهْرٍ قَدْ زَوَّجَهُ بَنَاتًا ، ثُمَّ أَمْسَكَهَا عَنْهُ فَلَمْ يَدْخُلْهَا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ .

فلما هلك الوليد بن المغيرة ، وثبت بنو مخزوم على خُرَاعَةٍ يطلبون منهم عقل الوليد ، وقالوا : إِنَّمَا قَتَلَهُ سَهْمٌ صَاحِبُكُمْ - وَكَانَ لِبْنِي كَعْبٍ حِلْفٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ - فَأَبَتْ عَلَيْهِمْ خُرَاعَةُ ذَلِكَ ، حَتَّى تَقَاوُلُوا أَشْعَارًا ، وَغُلُظَ بَيْنَهُمُ الْأُمُورَ - وَكَانَ الَّذِي أَصَابَ الْوَلِيدَ سَهْمُهُ رَجُلًا مِنْ بَنِي كَعْبٍ بَنِي عَمْرِو بْنِ خُرَاعَةٍ - فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ :

إِنِّي زَعِيمٌ أَنْ تَسِيرُوا ، فَتَهْرُبُوا وَأَنْ تَتْرَكَوا الظَّهْرَانَ تَعْمَوِي ثَعَالِيهِ
وَأَنْ تَتْرَكَوا مَاءَ بَجِزْعَةٍ أَطْرَقَا وَأَنْ تَسْأَلُوا : أَيْ الْأَرَاكِ أَطَايِبِهِ ؟
فَإِنَّا أَنْاسٌ لَا تَطْلُ دِمَاؤُنَا وَلَا يَتَعَالَى صَاعِدًا مِنْ نَحَارِهِ

وَكَانَتِ الظَّهْرَانُ وَالْأَرَاكِ مَنَازِلَ بَنِي كَعْبٍ ، مِنْ خُرَاعَةٍ . فَأَجَابَهُ الْجَلُونَ
ابْنُ أَبِي الْجَلُونَ : أَخُو بَنِي كَعْبٍ بَنِي عَمْرِو الْأَخْزَاعِيِّ ، فَقَالَ :

وَاللّٰهُ لَا نُؤْتِي الْوَلِيدَ ظُلَامَةً وَلَمَّا قَرَوْا يَوْمًا تَزُولُ كَوَاكِبُهُ
وَيَصْرَعُ مِنْكُمْ مُسْمِنٌ بَعْدَ مُسْمِنٍ وَتُفْتَحُ بَعْدَ الْمَوْتِ قَسْرًا مَشَارِبُهُ
إِذَا مَا أَكَلْتُمْ خُبْزَكُمْ وَخَزِيرَكُمْ فَكَلَّكُمْ بِأَكْيَ الْوَلِيدِ وَنَادَبَهُ

.....

ثم إن الناس تراءوا وعرفوا أنما يخشى القوم السُّبَّةَ ، فأعطتهم خزاعةً
بعض العقل ، وانصرفوا من بعض . فلما اصطاح القوم قال الجون بن
أبي الجون :

وقائلةً لَمَّا اصطَلَحْنَا تَعَجُّبًا لَمَّا قَدْ حَمَلْنَا لِلْوَلِيدِ وَقَائِلِ
أَلَمْ تُقْسِمُوا تَوْتُونَا الْوَلِيدَ ظُلَامَةً وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا كَثِيرَ الْبَلَابِلِ
فَنَحْنُ خَلَطْنَا الْحَرْبَ بِالسَّلَامِ فَاسْتَوَتْ فَأَمَّ هَوَاهُ آمَنَّا كُلَّ رَاحِلِ

ثم لم يلبثه الجون بن أبي الجون حتى افتخر بقتل الوليد ، وذكر أنهم
أصابوه ، وكان ذلك باطلا . فلحق بالوليد وبوكده وقومه من ذلك ما حذرده ،
فقال الجون بن أبي الجون :

أَلَا زَعَمَ الْمُغِيرَةُ أَنْ كَفَبَا مَكَّةَ مِنْهُمْ قَدَرٌ كَثِيرُ
فَلَا تَفْخَرُ مُغِيرَةُ أَنْ تَرَاهَا بِهَا يَمْشِي الْمُعَلَّجُ وَالْمَهِيرُ
بِهَا آبَاؤُنَا ، وَبِهَا وَلَدُنَا كَمَا أُرْسَى بِمَشْبَتِهِ ثَمِيرُ
وَمَا قَالَ الْمُغِيرَةُ ذَلِكَ إِلَّا لِيَعْلَمَ شَأْنُنَا أَوْ يَسْتَشِيرُ
فَإِنَّ دَمَ الْوَلِيدِ يُطَلَّ لَنَا نَطْلٌ دِمَاءُ أَنْتَ بِهَا خَبِيرُ
كَسَاهُ النَّاتِكُ الْمَيِّمُونَ سَمَمًا زُعَافًا وَهُوَ مَمْتَلِيٌّ بِهِيرُ
فَخَرَّ بِيْطْنُ مَكَّةَ مُسَلَّحِيًّا كَأَنَّهُ عِنْدَ وَجْبَتِهِ بَعِيرُ
سَيَكْفِينِي مِطَالُ أَبِي هِشَامٍ صَغَارُ جَفَّةٍ - دَةُ الْأُوبَارِ خُورُ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا أفدع فيه

ثورة لمقتل أبي أزيهر

قال ابن إسحاق : ثم عدا هشامُ بن الوليد على أبي أزيهر ، وهو بسوق ذى المجاز ، وكانت عند أبي سفيان بن حرب بنت أزيهر ، وكان أبو أزيهر رجلاً شريفاً في قومه - فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده ، لوصية أبيه إياه ، وذلك بعد أن هاجر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ومضى بدره ، وأصيب به مَنْ أصيب من أشراف قريش من المشركين ؛ ففرج يزيد بن أبي سفيان ، فجمع بني عبد مناف ، وأبو سفيان بن ذى المجاز ، فقال الناس : أخفراً أبو سفيان في صهره ، فهو تائر به ، فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد - وكان أبو سفيان رجلاً حليماً منكرراً ، يحب قومه حباً شديداً - انحط سريعا إلى مكة ، وخشى أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأتى ابنه وهو في الحديد ، في قومه من بني عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده ، ثم ضرب به على رأسه ضربةً هذه منها ، ثم قال له ؛ فَبَحِكْ الله ! أتريد أن تضرب قريشا بعضهم ببعض في رجل من دؤس . سنؤتيهم العقل إن قبالوه ، وأطفاً ذلك الأمر .

فانبعث حسان بن ثابت يُحَرِّضُ في دَمِ أبي أزيهر ، ويعيرُ أبا سفيان خِفَرَتَهُ وَيُجَنِّبُهُ ، فقال :

غدا أهلُ صَوْجِي ذى المجازِ كَلِمِهِمَا وجارَ ابنِ حَرْبٍ بِالْقَمَسِ مَا يَغْدُو
ولم يمنع العَيْرُ الصَّرِوطُ ذِمَارَهُ ومامنعت غَزَاةٌ وَالِدَهَا هِنْدُ

.

كسك هشام بن الوليد ثيابه فأبلى وأخلف مثلها جُددًا بعدُ
قضى وطراً منه فأصبح ماجداً وأصبحت رخواً ماتحِبّ وماتعدو
فلو أن أشياء ببدري تشاهدوا لَبَلَّ نعال القوم مُعْتَبِطٌ وزد

فلما بلغ أبا سفيان قولُ حسان قال : يريد حسان أن يضرب بعضنا
ببعض في رجل من دوس ! بئس والله ماظن !

آية الربا من البقرة

ولما أسلم أهل الطائف كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد في ربا الوليد ، الذي كان في ثقيف ، لما كان أبوه أو صاه به .

قال ابن إسحاق : فذكر لي بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم
ما بقي من الربا بأيدى الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الربا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) البقرة : ٢٧٨
إلى آخر القصة فيها .

الهمم بأخذ ثار أبي أزيهر

ولم يكن في أبي أزيهر ثارٌ نعلمه ، حتى حَجَزَ الإسلامُ بين الناس ، إلا
أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري خرج في نفر من قُرَيش إلى أرض
دوس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان ، مولاة لدوس ، وكانت تمشط
النساء ، وتجهز العرائس ، فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر ، فقامت دونهم
أم غيلان ونسوة معها ، حتى منعتهن ، فقال ضرار بن الخطاب في ذلك :

• • • • •

جَزَى اللَّهُ عَمَّا أُمَّ غَيْلَانَ صَالِحًا وَنَسَوْتَهَا إِذْ هُنَّ شُغِفَتْ عَوَاطِلُ
فَهِنْ دَفَعْنَ الْمَوْتَ بَعْدَ اقْتِرَابِهِ وَقَدْ بَرَزَتْ لِلْمُتَأَثِّرِينَ الْمَقَاتِلُ
دَعَتْ دَعْوَةً دَوَّسًا فَسَالَتْ شَعَابُهَا بَعِزٌّ وَأَدَّتْهَا الشَّرَاجُ الْقَوَابِلُ
وَعَمْرًا جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَمَّا وَنَى وَمَا بَرَدَتْ مِنْهُ لَدَى التَّفَاصِلِ
فَجَرَدَتْ سَيْفِي ثُمَّ قَتَتْ بِنَصْلِهِ وَعَنْ أَى نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِي أَقَاتِلُ

عمل أم غيلان

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن التي قامت دون ضرار أم جميل ،
ويقال : أم غيلان ، قال : ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل
فيمين قام دونه .

فلما قام عمر بن الخطاب أته أم جميل ، وهي ترى أنه أخوه : فلما
اندهست له عرف القصة ، فقال : إني لست بأخيه إلا في الإسلام ، وهو غاز ،
وقد عرفت منك عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

قال الراوى : قال ابن هشام : وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد ،
فجعل يضر به بعرض الرمح ، ويقول : انج يا بن الخطاب لا أقتلك ، فكان
عمر يمرقها له بعد إسلامه .

من المؤذنين لرسول الله

قال ابن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيته أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعقوبة بن أبي معيط ، وعدى

ابن حمرّاء الثقفى ، وابن الأصداء الهذلى ، وكانوا جيرانه لم يُسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبى العاص ، فكان أحدهم - فيما ذكرلى - يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رَحِمَ الشاة وهو يُصَلّى ، وكان أحدهم يطرحها فى بُرْمته إذا نُصِبَتْ له . حتى اتخذ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا طرَحوا عليه ذلك الأذى ، كما حدثنى عمرُ بن عبد الله بن عروة ابن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، يخرج به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيقف به على بابهِ ، ثم يقول : يا بَنَى عبد مناف ، أى جوارٍ هذا ! ثم يُلقيه فى الطريق .

ما عاناه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبى طالب وخديجة

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هَدَّكَ فى عام واحد ، فتتابعت على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المصائبُ بهُلك خديجة ، وكانت له وَزِيرَ صِدْقٍ على الإسلام ، يشكو إليها ، وبهُلك عمُّه أبى طالب ، وكان له عضداً وَحِرْزاً فى أمره ، وَمَنْعَةً وناصراً على قومه ، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين . فلما هلك أبو طالب ، نالت قريشٌ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تَطْمَعُ به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سَفِيهٌ من سُفهاء قريش ، فذثر على رأسه تراباً .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال : لما نثر ذلك السفيةُ على رأس رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك الترابَ

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : لا تبكي يا بُنَيَّةُ ، فإن الله مانعُ أباك . قال : ويقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

ما حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم

وبين أبي طالب والمشركين

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشاً ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر ، قد أسلما وقد فشا أمرُ محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، ولئيعطيه منّا ، والله ما نأمن أن يبتزّونا أمرنا .

قال ابن إسحاق : فحدثني العباسُ بن عبد الله بن مَعْبُد عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : مشوا إلى أبي طالب فكلّموه ، وهم أشراف قومه : عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشrafهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منّا حيث قد علمت ، وقد حَضَرَكَ ماترى ، وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعُه ، فخذْ له منّا ، وخذْ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكف عنه ، وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه ، فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يا بن أخى : هؤلاء أشرافُ قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليعطوك ،

.

ولياخذوا منك . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، كلمة واحدة تعطونهاها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ، قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه . قال : فصقّوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا ، إن أمرك لعجب : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمُعْطِيكم شيئًا مما تريدون فانطلقوا ، وانصأوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه . قال : ثم تفرّقوا .

الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخي ، ما رأيتك سألتهم شَطَطًا ؛ فلما قالها أبو طالب ظمِع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في إسلامه ، فجعل يقول له : أي عمّ ، فأنت قتلها ، أستعمل لك بها الشفاعة يوم القيامة . قال : فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا ابن أخي ، والله لو لا مخافة السُّبَّة عليك ، وعلى بني أبيك من بعدى ، وأن تظن قُرَيْش إلى قتلها جَزَعًا من الموت لقتلها ، لا أقولها إلا لأمرِك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت ، قال : نظر العباسُ إليه يحرك شفّته . قال له : فأعصني إليه بأذنه ، قال : فقال يا ابن أخي ، والله لقد قال أخى الكلمة التي أمرته أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب

قال : وأنزل الله تعالى في الرَّهط الذين كانوا اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردوا عليه ما وردوا : « ص . والقرآن ذى الذِّكْر ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) . . إلى قوله تعالى : (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ . وانطلقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهِمْ كُمْ . إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَاد . ما سمعنا بهذا في المِلَّةِ الْآخِرَةِ) يعنون النصارى ، لقولهم : (إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ) - (إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) ثم هلك أبو طالب .

عن المستنزيين وملطمة

فصل : وذكر حديث المستنزيين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنْ كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَنْزِينَ ﴾ الحجر : ٩٥ وذكر فيهم الحارث بن الطَّلَاطِلَة ^(١) ، والطَّلَاطِلَة : أمه ، قاله أبو الوليد الوقشي ، والطَّلَاطِلَة في اللغة : الداهية ، قال أبو عبيد : كُلُّ دَاءٍ عُضَالٌ فَهُوَ : طَّلَاطِلَة ، وذكر في نسبه عبد عمرو بن مِلْسَكَان بالضبطين جميعا ، وفي حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبي بحر ، قال : قد تقدم من قول ابن حبيب انحوى أن الناس ليس فيهم مِلْسَكَان بفتح الميم واللام إلا مِلْسَكَان بن جَرَم بن زَبَّان بن حُلُوان عِمْران بن الحُفَاف بن قُضَاعَة ، ومِلْسَكَان بن عباد بن عِيَاض ابن عُقْبَة بن السَّكُون بن أَشْرَس ، وإخوة عدى هم : نُجَيْب عرفوا بأهملهم

(١) هو في تفسير ابن كثير : ابن غيطلة ، وغيطة أمه

(م - ٢ الروض الأنف ج ٤)

تُجِيب بنت دُهم بن ثوبان ، وهم من كِنْدَةَ ، وكل من في الناس وغيرهما
مِلْكَان مكسور الميم ساكن اللام ، وقال مشايخ خزاعة : في خزاعة مَلَكَانُ^(١)
بفتح الميم ، قال القاضي : يعنى ابن حبيب : مَلَكَان بن أَفْصَى بن حارثة بن ثعلبة
ابن عمرو بن عامر ، وقال غير ابن حبيب كالذى يخرج من عبارته : إن الذى
في خَزَاعَةَ إنما هو مِلْكَان بن أَفْصَى مثل مِلْكَان بن عدى بن عبد مناف
من الرباب الذين منهم ذو الرِّثْمَة الشاعر ، ومثل مِلْكَان بن عبد مناف من الرباب
أيضاً رَهْط سُفْيَان بن سَعِيد الثَّوْرِي . وذكر في المستهزئين الأسود بن عبد يغوث
الزهري روى أنه لما أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ نزل جبريل
عليه السلام فخفا ظهر الأسود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خالى خالى^(٢)
فقال له جبريل : خَلَّ عنك ، ثم حناه حتى قتله ، ذكره الدَّارُ قُطْنِي :

(١) ضبط أبو على القالى نفلا عن ابن الأنبارى ملكان بن حزم بن زبان
بفتح الميم وسكون اللام في ص ١٩٠ > ٢ وفى ص ٢٠٩ > ٣ قال : كل
ما في العرب : ملكان ، بكسر الميم مع سكون اللام ، إلا ملكان بفتح الميم
وسكون اللام ، بن جرم بن ربان بالجيم والراء في جرم وبالراء في ربان . وقال
البكرى في النسيب على أروام القالى في أماليه : الذى في جرم بن ربان هو : ملكان
بفتح اللام والميم ، وليس هو بإسكان اللام كما أورده ، وكذلك ملكان بن عباد
ابن عياض بن عقبة بن السكون ، وهذا باب واسع ، والذى ذكر منه أبو على
برض قليل ، من غد ، وغيض من فيض ، ص ١١٦ التنبية ط ٢

(٢) هو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم لا خاله ، وقد اضطربت الروايات
في مصيره ، فجداهن ما ذكر ابن إسحاق في السيرة ، والثانية هذه التى نقلها السهيلي
عن الدارقطنى ، وهى عند ابن أبي حاتم والبلاذرى عن عكرمة ، وأنه حنا ظهره
حتى احقوق صدره ، أى انحنى ، وأخرى أنه خرج من عند أهله حتى فأصابته

ميراث الوليد بن المغيرة :

فصل : وذكر وفاة الوليد بن المغيرة ، وقوله لبنيه : وعُقْرِي عند أبي أزيهر الدؤسي لا تدعوه^(١) العقر : دية الفرج المنصوب ، وأصله في البكر من أجل القدمية ، ومنه عقر السرج الفرس : إذا أدماه ، وبَيْضُهُ العقر منه ؛ لأنهم كانوا يقيسون البكر بالبَيْضَةِ^(٢) ، ليعرفوا بكورتها ، وقيل : عقر بضم العين ، لأنه بمعنى يضع .

عن مقتل أبي أزيهر وموقف دوس :

وذكر قتل هشام بن الوليد لأبي أزيهر وخبر أم غيلان مع ضرار حين أجارته ، ومن تمام الخبر : أن دوسا لما بلغها مقتل أبي أزيهر الدؤسي ، وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم ، فقتلوا منهم بُجَيْر بن العوام أخا الزبير ، وأرادوا قتل ضرار بن الخطاب ، فأجارته أم غيلان وابنها عوف ، قال ضرار : لقد أذخاني بين درعها وبدنها ، حتى إنى لأجد تسديد ركبها ، والتسديد : موضع الخلق من الشعر ، وكان الذي قتل بُجَيْراً صبيح بن سعد أو مليح ابن سعد جد أبي هريرة لأمه ؛ لأن أمه أميمة بنت مليح أو صبيح .

== السوم ، حتى صار حبشيا ، فلم يمهأه ، فصار يطوف بشعاب مكة ، حتى مات عطشا ، وأخرى أنه عطش ، فشرب حتى انشق بطنه ، وأخرى . وأخرى . فهل يسكن قلب إلى مثل هذه المضطربات ؟

(١) الذي في السيرة : فلا يفوتكم .

(٢) في القاموس عن العقر أنه استبراء المرأة ، لينظر أبكر هي أم غير بكر .

عن أطرقا ومن أعظم أنه :

فصل : وذكر شعر عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وفيه :

وأن تتركوا ماءً يَجْزَعَةُ أَطْرِقًا

وَالْجِزْعَةُ وَالْجِزْعُ بمعنى واحد ، وهو معظم الوادى ، وقال ابن الأعرابي : هو ما انثنى منه ، وأطرقا اسم علم لموضع سعى بفعل الأملاتين ، فهو محكي لا يُعَرَّبُ ، وقيل : إن أصل تسميته بذلك أن ثلاثة نفر مروا بها خائفين ، فسمع أحدهم صوتا ، فقال لصاحبيه : أطرقا ، أى : أنصتا ، حتى نرى ما هذا الصوت ، فسمى المكان بأطرقا^(١) ، والله أعلم . وذكر شعر الجون بن أبي الجون ، وفيه :

أَلَمْ تُقْسِمُوا تَوْتُوا الْوَلِيدَ ظُلَامَةً

أراد : أن توتوا ، ومعناه : أن لا توتوا كما جاء فى التنزيل : (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) النساء : ١٧٦ فى قول طائفة ، ومعناه عندى : كره لكم أن تَضِلُّوا^(٢) ، وقد قدمنا فى الجزء قبل هذا كلام على أن ، ومقتضاها وشيئا من

(١) هو كما ذكر فى مراصد الاطلاع ، وفيه أن أطرقا موضع بنواحى مكة من منازل خراة وهذيل .

(٢) يقول الليثواى فى تفسير الآية : أى يبين الله لكم ضلالكم الذى من شأنكم إذا خليتكم وطباعكم لتحتزوا عنه ، وتتحروا خلافه ، أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا ، وقيل : لئلا تضلوا ، فحذف لا ، وهو قول الكوفيين ،

أسرارها فيه غنية ، وإذا كان الكلامُ محمولا على معناها فالنصب جائزٌ ، والرفع جائزٌ أيضا ، كما أنشدوا :

ألا أيُّ هذا الرَّاجِرِ أَحْضَرُ الْوَغَى ^(١)

بنصب : أَحْضَرَ ورفعهُ ، وأنشد سيديويه :

وَنَهَيْتُ نَفْسِي بعدما كِدْتُ أَفْعَلَهُ ^(٢)

يريد : أن أفْعَلَهُ ، وإذا رفعت في هذا الموضع لم يُذهب الرفعُ معنى أن فقد

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد البكري ، وبنيته :

وأن أشهد اللذات هل أمت محلى

وبعد :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فذرني أبادرها بما ملكك يدي

والبيت من شواهد سيديويه في الكتاب ص ٤٥٢ ج ١ ، ويستدل به الكوفيون على أن الناصبة تعمل في غير المواضع المحدودة ، ودليلهم : أن الشاعر عطف عليه قوله : وأن أشهد . ومنع البصريون ذلك بأن عوامل الأفعال ضعيفة لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذف ارتفع العمل . وقالوا : إن رواية البيت عندهم إنما هي بالرفع . انظر ص ٨٣ ج ١ خزائن الأدب ص ٣٣٨ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوي ط ١٩١٤ ، ص ٤٥٣ ج ١ الكتاب لسيدويه (٢) هو من شواهد سيديويه . وقد نسبته إلى عمار بن جوين الطائي ، وأوله :

فلم أر مثلاً خياسة واحد

وقد عقب عليه سيديويه بقوله : وحله على أن : لأن الشعر قد يستعملون أن ههنا مضطربين كثيرا ، ص ١٥٥ ج ١ الكتاب لسيدويه ، وقال عنه اللسان : هو لعمر بن جوين ، أو لعمري القيس ، وفيه : واجد بدلا من : واحد . ونقل عن سيديويه ما قاله . والخيانة : المغنم .

حكى سيديويه : مره يحفرها^(١) ، وقدره تقديرين ، أحدهما : أن يريدَ الحال أى :
 مُرّه حافراً لها ، والثانى : أن يريد : مُرّه أن يحفرها ، وارتفع الفعل لما ذهب
 أن من اللفظ ، وبيّن ابنُ جنى الفرقَ بين التقديرين ، وقال : إذا نويت أن
 فالفعلُ مستقبل ، وإذا لم تنوِها فالفعل حاضر ، وههنا مسألة من العرب ذكرها
 للطبرى ، قال : العرب تقول لمن توجه فى أمر : تصنع ماذا وتفعل ؟ ماذا على
 تقدير : تريد أن تصنع ماذا ، فإذا قالوا : تريد ماذا لم يكن إلا رفعا ، لأن المعنى
 الذى يجلب معنى أن الناصبة ليس فى قوله : تريد ؛ إذ لا يسقيم أن تقول : تريد
 أن تريد ماذا ، يعنى : أن الإرادة لا تراد .

شعر الجور :

وذكر شعر الجون أيضا ، وفيه :

بها يمشى المُملَهجُ والمُهيرُ

المهير : ابن المهورة الحرّة والمُملَهجُ : المتردد فى الإماء^(٢) كأنه منحوت من

(١) ورد قوله هذا فى ص ٥١ ، وما بعدها ج ١ الكتاب اسديويه ، وهو من
 شواهد المذكورة تحت باب : وهذا باب من الجزء ينجزم فيه الفعل إذا كان
 جوابا لأمر أو نهي أو استفهام أو تمن أو عرض ،
 (٢) فى شرح السيرة لأبى ذر الحثنى : والمهير : الصحيح النسب ، يريد أن أمه
 حرة بئر ، والمعلج : المطعون عليه فى فيه ، وهو الاحق أيضا ، وفى اللسان :
 المعلج أن يؤخذ الجلد فيقدم إلى النار حتى يلين ، فيه ضغ ، ويبلع ، وكان ذلك
 من ما كل القوم فى المجاعات . . والمعلج : الذى ولد من جنسين مختلفين ، والذى
 ليس بخالص النسب .

أَصْلِينَ : من الْعَلَجِ لِأَنَّ الْأَمَّةَ : عِلْجَةٌ ، ومن اللَّهْجِ ^(١) ، كَأَنَّ وَاطِيَاءَ الْأَمَّةِ
قَدْ لَهَجَ بِهَا ، فَذُجِّتَ لَفْظُ الْمُعَلَّجِ مِنْ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ .

وفيه :

كَمَا أُرْسِيَ بِمَثْبِقِهِ كَبِيرُ

كذاتحت الرواية في أرسى بالتخفيف وهو زحاف داخل على زحاف : لأن
تسكين اللام من مفاعلتين في الوافر زحاف ، ولكنه حسن كثير ، فلما كثرت
شبهه هذا الشاعر بمفاعيل ؛ لأنه على وزنه ، ومفاعيل أن يحسن حذف الياء منها
في الطويل ، فيصير فعلن مفاعيلن فلذلك أدخل هذا الشاعر الزحاف على
مفاعلتين لأنه بعد السكون في وزن مفاعيلن التي تحذف ياؤها حذفاً مستحسنًا ،
فتدبره ، فإنه مليح في علم العروض ^(١) .

من أسواق العرب :

فصل : وأشد الحسن بن ثابت :

(١) من معاني العليج : الرجل من كفار العجم . والهج : الولوع بالشيء . ولهج
به إذا أغرى به ، فذا بر عليه ، ومن معاني القصيدة كما ذكر الخشني . أرسى : استقر
وثبت ، والزحاف : الذي فيه السم ، والبهير من البهر وهو انقطاع النفس ،
والمسلح : الممد وبالهاء المهملة ذكره صاحب كتاب العين لا غير . وعند وجهه ٤ :
أي سقطته والخور : العزيرات اللبن

(٢) سبق الكلام عن هذه المصطلحات .

غدا أهل ضَوْجِي ذِي المجازِ بُحْرَةٍ^(١)

ضَوْجُ الوادى : جانبه ، وذو المجاز : سوقٌ عند عَرَفَة كانت العربُ إذا حَبَّتْ أقامت بسوق عكاظٍ شهرَ شَوَّالٍ ، ثم تنتقل إلى سوق مِجَنَّة^(٢) فتقيم فيه عشرين يوما من ذى القعدة ، ثم تنتقل إلى سوق ذى المجاز^(٣) فتقيم فيه إلى أيام الحج ، وكانوا يتفخرون في سوق عكاظ شهر شوال إذا اجتمعوا ، ويقال : عَكَظَ الرجلُ صاحبه إذا فخره وغلبه بالمفاخرة ، فسميت عكاظ لذلك^(٤) .

(١) السحرة : السحر الأعلى . والبيت في الفسخ التي بين يدي ، وفي شرح السيرة للبخشنى : غدا أهل ضوجى ذى المجاز كليهما .
(٢) فى المراصد عن مجنة : اسم سوق للعرب كانت فى الجاهلية ، قيل : بمر الظهران . قرب جبل يقال له : الأصفر كانت به تقوم العشرة الأواخر من ذى القعدة ، وقبلها من أوله عكاظ ، وقيل مجنة : بلد على أميال من مكة ، وقيل : جبيل بجانب طفيل ، وهو ابنى الدبل . ويقول ياقوت فى معجمه : وإياه أراد بلال حين كان يتمثل :

ألا ليت شعرى هل أبين ليلة بواد ، وحولى أذخر وجليل
وعمل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل
(٣) ذو المجاز : موضع سوق بعرفه على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرسخ . كانت به تقوم فى الجاهلية ثمانية أيام ، وقيل : هو ماء من أصل كبكب لهذا خلف عرفة . وككبب جبل خلف عرفات مشرف عليه ، قيل هو الجبل الأحمر الذى يجعله الواقف بعرفة فى ظهره .

(٤) فى القاموس . عكَظَ يعكظه : حبسه وعركه ، وأهره ورد عليه فخره ، وكغراب : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذى القعدة ، وتستمر عشرين يوما . وتجتمع قبائل العرب ، فيتعاكظون ، أى يتفخرون ويتناشدون .

وذكر :

كَبَلَّ نِعَالَ الْقَوْمِ مُغْتَبِطٌ وَرَدُّ

يعنى : الدَّمَّ الْعَبِيطَ^(١) .

ما أنزل الله فى الربا

فصل : وذكر ما أنزل الله فى الربا الآيات من سورة البقرة ، وقد قدمنا فى حديث بنىان السكعبة من قولهم : لاتنفقوا فيها رباً ولا منهر بغي ، وأن فى ذلك دليلاً على قدّم تحريمه عليهم فى شرع إبراهيم عليه السلام ، أوفى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين^(٢) وذلك أنه من أقبح الأعمال لما فيه من هدم جانب المروءة ، وإيثار الخرض مع بعد الأمل ، ونسيان بفتة الأجل ، وترك التوسعة وحسن المعاملة ، ومن تأمل أبواب الربا لاح له شر التحريم من جهة الجشع المانع من حسن المعاشرة والذريعة إلى ترك القرض ، وما فيه ، وفى التوسعة من مكارم الأخلاق ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٣) البقرة : ٢٧٩ . غضبا منه على أهله ، ولهذا النكته .

(١) الخالص الطرى .

(٢) ورد فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر الخروج أحد أسفار العهد القديم الذى بيد اليهود والمسيحيين : « إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذى عندك فلا تكون له كالرأى لا تعذعوا عليه ربا » رقم ٢٦ .

(٣) يقول الإمام ابن القيم حول هذه الآية : « لم يحى هذا الوعيد فى كبيرة سوى الربا ، وقطع الطريق ، والسعي فى الأرض بالامساة ، لأن كل واحد منهما مفسد فى الأرض ، قاطع الطريق على الناس . هذا يقره لهم ، وتسلمه عليهم ، =

قالت عائشة لأُمّ حجة مولاة زيد بن أرقم : أبلغني زيدا تعني زيدا بن أرقم أن قد أبطل جهادَه مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ذكرت لها عنه مسألة من البيوع تشبه الربا ، فقالت : أبطل جهادَه ، ولم تقل صلاتَه ولا صيامَه ، لأن السيئات لا تُحْطِطُ الحَسَنَاتِ ، ولكن خَصَّتِ الجهادَ بالإبطال ، لأنه حرب لأعداء الله ، وآكلُ الربا قد أذن بحربٍ من الله ، فهو ضده ، ولا يجتمع الضدان ، وهذا معنى ذكره أبو الحسن بن بطال في شرح الجامع ، وتلك المسألة مذكورة في المُدَوَّنَةِ ، لكن إسنادُها إلى عائشة ضعيف .

وفاة أبي طالب ووصيته

ذكر ابن إسحاق وفاة أبي طالب إلى آخر القصة ، وفيها قال العباس : والله لقد قال أخى الكلمة التي أمرته بها ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

== وهذا باقتناعه من تفريج كرباتهم إلا بتحميلهم كربات أشد منها ، فأخبر عن قطاع الطريق بأنهم يحاربون الله ورسوله ، وآذن هؤلاء إن لم يتركوا الربا بحربه وحرب رسوله ، التفسير القيم لابن القيم ص ١٧٢ طالسنة المحمدية ١٣٦٨ ، ١٩٤٩ . وقد ورد حديث : لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آكل الربا ، وموكله وشاهديه ، وكاتبه الخ . وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه . - جئنا الله لعنته . -

من معاني قصيدة ضرار بن الخطاب : الشعث : المتغيرات الشعور ، العواطل : اللاتى لا حل لها . الشعاب : جمع شعبة ، وهو مسيل الماء في الحرة ، والقوابل : التي تقابل بعضها بمضا ، الشراج : جمع شرج وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل . الوقي : الضعف والفتور ، ونصل السيف : حده . وعن شرح السيرة لأبي ذر بن القاموس .

قال المؤلف : شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعد ما أسلم ، لكانت مقبولة ، ولم يرد بقوله لم أسمع ، لأن الشاهد العدل إذا قال : سمعت ، وقال من هو أعدل منه : لم أسمع أخذَ بقول من أثبت السماع ، لأن عدم السماع يحتمل أسبابا منعت الشاهد من السمع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يُسَلِّمَ مع أن الصحيح من الأثر ، قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك^(١) وأثبت نزول هذه الآية فيه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة : ١١٣ وثبت في الصحيح أيضا أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبا طالب كان يحوِّطك وينصرك ، ويفض بك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : « نعم وجدته في غمراتٍ من النار ، فأخرجته إلى ضحضاح » وفى الصحيح أيضا من طريق أبي سعيد ، أنه - عليه السلام - قال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاحٍ من النار يبلغ كعبيه يلقى منه دماغه وفى رواية أخرى : كما يلقى المرءُ جُلُ بالقُمَّقُم ، وهى مُشكِلة^(٢) ، وقال بعض أهل العلم :

(١) أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي - ص - وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية . فقال : أى عم ، قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال : أنا على ملة عبد المطلب ، فقال النبي - ص - لاستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فنزلت : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) قال : ونزلت فيه : (إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء) وقد أخرجه البخارى ومسلم

(٢) لأن الرجل : قدر من نحاس ، والقمقم أيضا : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ، ويكون ضيق الرأس ، ويقول ابن الأثير فى النهاية تعليقا على هذه =

الْقُمْمُ : هو البُسْرُ الأخضر يُطبخ في المِرْجَل استعجالاً لنضجه ، يفعل ذلك أهل الحاجة ، وفي رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة ، وهي أنه قال : يغلى منها دماغه حتى يسيل على قدميه ، ومن باب النظر في حكمة الله ، ومشكلة الجزاء للعمل أن أبا طالب كان مع رسول الله يحملته مُتَحَزِّباً به ، إلا أنه مثبت لقدميه على مِلة عبد المطلب ، حتى قال عند الموت : أنا على مِلة عبد المطلب ، فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته إياها على ملة آبائه ، ثبتنا الله على الصراط المستقيم .

وذكر قول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة : ١٣ وقد استغفر عليه السلام يوم أُحُدٍ فقال : اللهم اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون ، وذلك حين جَرَحَ المشركون وجهه وقتلوا عمه . وكثيراً من أصحابه ، ولا يصح أن تكون الآية نزلت في عمه ناسخة لاستغفاره يوم أُحُدٍ ، لأنَّ وفاة عمه كانت قبل ذلك بمكة ، ولا ينسخ المتقدم المتأخر ، وقد أجيب عن هذا السؤال بأجوبة : أن قيل : استغفاره لقومه مشروطٌ بتوبتهم من الشرك ، كأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفر لهم ويُقوَّى هذا القول رواية من روى : اللهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون ، وقد ذكرها ابن إسحاق ، رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ ، وقيل مغفرة تصرف عنهم عقوبة الدنيا من المسخ والخسف ، ونحو ذلك ، ووجه

= الرواية : د هكذا روى ، ورواه بعضهم : كما يغلى المِرْجَل والقُمَم وهو أبين إن ساعدته صحة الرواية ،

ثالث ، وهو أن تكون الآية تأخر نزولها ، فنزلت بالمدينة ناسخة الاستغفار للمشركين ، فيكون سبب نزولها متقدما ، ونزولها متأخرا لاسيما ، وهي في سورة براءة وبراءة ، من آخر ما نزل ، فتكون على هذا ناسخة للاستغفارين جميعا ، وفي الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على أبي طالب عند موته ، وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ، فقال : أنا على ملة عبد المطلب ، وظاهر الحديث يقتضى أن عبد المطلب مات على الشرك ، ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافا في عبد المطلب ، وأنه قد قال فيه : مات مسلما لما رأى من الدلائل على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد^(١) ، فالله أعلم ، غير أن في مسند البزار ، وفي كتاب النسوى من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة ، وقد عزت فوما من الأنصار عن ميثمهم : لعلك بلغت معهم الكد ، ويروى الكرى بالراء ، يعنى : القبور ، فقالت : لا ، فقال : لو كنت معهم الكد^(٢) أو كما قال ، مارأيت

(١) النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه لم يكن يعلم شيئا عن نبوته قبل المبعث تدبر قول ربنا سبحانه : (ووجدك ضالا فهدى) وقوله : (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) .

(٢) الرواية لو بلغت معهم الكدى ، أو : لو بلغت ما معهم . وقد ورد تفسير الكدى بالقبور عن ربيعة بن سيف من تابعي أهل مصر ، وفيه مقال لا يقدح في حسن الإسناد ، وفي الرواية أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين سأل فاطمة عن ذلك أنها قالت له : معاذ الله ، وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر . رواه أبو داود والنسائي .

الجنة، حتى يراها جدُّ أبيك، وقد أخرجه أبو داود، ولم يذكر فيه حتى يدخلها جدُّ أبيك، وكذلك لم يذكر فيه: ما دخلت الجنة، وفي قوله: جدُّ أبيك، ولم يقل: جدك يعني: أباه توطئة للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه، وآمنا به، فالله أعلم، ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله، حتى يدخلها جدُّ أبيك، فتتوهم أنه الجد الكافر، ومن جدوده عليه السلام: إسماعيل وإبراهيم، لأن قوله عليه السلام حق، وبلوغها معهم الكُدَى لا يوجب خلودا في النار، فهذا من لطيف الكفاية فافهمه، وحكى عن هشام ابن السائب وأبنته أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم، فقال: يامعشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، فيكم السيد المطاع، وفيكم المقدم الشجاع، والواسع الباع، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المسائر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلکم بذلکم علی الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة، والناسُ اكم حزب، وعلى حربكم ألب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية^(١)، فإن فيها مرصاةً للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطأة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها، فإن في صلة الرحيم منسأةً في الأجل، وسعةً في العدد، واتركوا البغى والمعتوق، ففيهما هلكة القرون قبلكم، أجيئوا إلا اعى، وأعطوا السائل، فإن فيهما شرف الحياة والمات، عليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة، فإن فيهما محبة في الخالص، ومكرمة في العام، وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين.

(١) البنية: السكبة.

في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاء
بأمر قبله الجفنان ، وأنكره اللسان مخافة الشنان ، وائتم الله كافي أنظر إلى .
صعاليك^(١) العرب ، وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس ،
قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ،
فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنانا ودورها خرابا ، وضعفاؤها أربابا ،
وإذا أعظمهم عليه ، أخو جهم إليه ، وأبعدهم منه ، أخو جهم عنده ، قد محضته .
العرب ودادها ، وأصفت له فؤادها ، وأعطته قيادها ، دونكم يامشر قريش .
ابن أبيكم ، كونوا له ولادة ولحزبه حمة ، والله لا يسلك أحد منكم سبيله .
إلا رشد ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سمد ، ولو كان لنفسي مدة ، ولأجلي .
تأخير ، لكففت عنه الهزاهز^(٢) ، ولدافعت عنه الدواهي ، ثم هلك :

تفسير المشي في سورة ص :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في قولهم : ﴿ إِنْ امْشُوا ، واضربوا على
أهليكم ﴾ وذكر بعض أهل التفسير أن قولهم : امشوا من المشاء ، لامن المشي .
والمشاء : ثمنه المال وزيادته ، يقال مشى الرجل ، وأمشى : إذا نما ماله .
قال الشاعر :

وكل فتى وإن أمشى وأثرى ستمخاجة عن الدنيا مئون^(٣)

(١) جمع : معلوك : الفقير

(٢) الهزاهز : الفتن يهتز فيها الداس . وفي الأصل : عند الهزاهز وهو خطأ

(٣) البيت للناطقة الديباني ، وبعده :

وكل فتى بما عملت يدها وما أجرت عوامله رهين

وقال الراجز :

وَالشَّاءُ لَا تَمْشِي عَلَى الْهَمْلَعِ^(١)

أى : لا تكثر ، والهمْلَعُ : الذئب ، وقاله الخطابي في معنى الآية ، كأنهم أرادوا أن المشاء والبركة في صبرهم على آلهتهم ، وحملها على المشى أظهر في اللغة ، والله أعلم .

تتابع المصائب بموت خديجة :

وذكر تتابع المصائب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بموت خديجة ثم بموت عمه ، وذكر الزبير في حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة ، وهى فى الموت ، فقال : تكرهين ما أرى منك يا خديجة ،

(١) الرجز غير منسوب فى اللسان إلى أحد فى مادتي هملع ، ومادة مشى ، وهو فى هذه هكذا :

هـلى لا تحسن قولاً ففعمى
العير لا يمشى مع الهملع
لا تأمرينى ببنيات أسفع

يعنى الغنم . وأسفع : اسم كبش
وفى مادة هملع :

لا تأمرينى ببنيات أسفع
فالشاة لا تمشى مع الهملع

والهملع والسملع : الذئب الخفيف ، وقوله لا تمشى مع الهملع ، أى :
لا تكثر مع الذئب .

الرسول يسعى إلى الطائف

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله - صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فتفرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، يلتبس الثَّهْمَةَ من ثقيف ، والمَنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فتخرج إليهم وحده .

موقف ثقيف من الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمَّد إلى نَفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم إخوة ثلاثة : عَبْدُ يَالِيلَ بن عمرو بن عُمَيْر ، ومَسْعُود بن عُمَيْر ، وحَبِيب بن عمرو بن عُمَيْر بن عوف بن

وقد يحمل الله في الحكره خيرا أشعرت أن الله قد أعلمني أنه سَيَزُوجُنِي مَعَكَ في الجنة مريم ابنة عمران ، وَكُلُّكُمْ أخت موسى ، وآسية امرأة فرعون ، فقالت . آله أعلمك بهذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، فقالت : بالرفاء والبنين ، وذكر أيضا في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطعم خديجة مِن عَنَبِ الْجَنَّةِ (١) .

(١) ليس لهذا سند صحيح

(م ٣ - الروض الأتق ج ٤)

عُقْدَةُ بَنِي غَيْرَةَ بْنِ عَوْفٍ بَنٍ ثَقِيفٍ ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ .
فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ
لَهُ مِنْ نَصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ :
هُوَ يَمُرُّ بِثِيَابِ الْكُفَّةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ ؛ وَقَالَ الْآخَرُ : أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا
يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ ! وَقَالَ الثَّالِثُ : وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمُكَ أَبَدًا . لَنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنْ
اللَّهِ كَمَا تَقُولُ ، لَأَنْتَ أَكْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أُرَدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامُ ، وَلَنْ كُنْتَ
تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ ، مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَكَلِّمَكَ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ بَدَأَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ — فِيمَا ذُكِرَ لِي — : إِذَا
فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاصْنَعُوا عَنِّي ، وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمْلِغَ قَوْمَهُ
عَنْهُ ، فَيُذْثِرَهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَالَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ :

وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَرُّوا لَقَتَيْ عَامِرٍ وَتَمَصَّبُوا

فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَأَغْرَوْا بِهِ سَفَاهَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ ، يَسْبُونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ ، حَتَّى
اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَأَجْلَسُوهُ إِلَى حَائِطِ لُعْتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَهُمَا
فِيهِ ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سَفَاهٍ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتَّبِعُهُ ، فَعَمِدَ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ مِنْ عَنَبٍ .
فَجَلَسَ فِيهِ . وَابْنُ رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ ، وَيَرَيَانِ مَالِقِي مِنْ سُفَهَاءِ أَهْلِ الطَّائِفِ .
وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِيمَا ذُكِرَ لِي — الْمَرْأَةَ الَّتِي مِنْ بَنِي
جُمَحٍ ، فَقَالَ لَهَا : مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَجَائِكَ ؟

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فِيمَا ذُكِرَ لِي : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ
أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حَيَاتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربّي ، إلى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

قال : فلما رآه ابنا ربّيعه ، عتبة وشيبة ، ومالقي ، تحركت له رحمته فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عدّاس فقالا له : خذ قطعا من العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل عدّاس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال له : كُلْ ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده ، قال : باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عدّاس في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أيّ البلاد أنت يا عدّاس ، وما دينك ؟ قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال له عدّاس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخى ، كان نبيا وأنا نبي ، فأكبّ عدّاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال : يقول ابنا ربّيعه أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءها عدّاس ، قال له : ويلك يا عدّاس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : ياسيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني

بأمر ما يعلمه إلا نبيّ ، قال له : ويحك يا عدّاس ، لا يضرّ فَنَكَّ عن دينك ، فإنّ دينك خير من دينه .

أمر جن نصيبين

قال : ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة ، حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي ، فرّ به النفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم - فيما ذكر لي - سبعة نفر من جنّ أهل نصيبين فاستمعوا له ، فلما قرع من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا . فقصّ الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عزّ وجلّ ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَيُخِرُّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة .

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

نفسه على القبائل

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشدّ ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلاً مستضعفين ، ممن آمن به . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم ، إذا كانت ،

على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن
يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثني من أصحابنا ، من لا أتهم ، عن زيد بن أسلم عن
ربيعة بن عباد الدبلي أو من حدثه أبو الزناد عنه - قال ابن هشام : ربيعة
ابن عباد .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ،
قال : سمعت ربيعة بن عباد ، يحدثه أبي ، قال : إني لأغلام شاب مع أبي عيسى ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول :
يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ،
وأن تحلوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي ، وتصدقوا
بي ، وتمنعوني ، حتى أبين عن الله ما بعثني به . قال : وخلفه رجل أخول
وضي ، له غديرتان عليه حلة عدنية ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوله ، وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إن هذا إنما يدعوكم
أن تسلكوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك
ابن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبي : يا أبت ، من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال :
هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو لهب .

قال ابن هشام : قال النابغة :

.....

كَأَنَّكَ مِنْ جَهْلِ بَنِي أَقْيَشٍ يُقَتِّعُ خَلْفَ رَجُلَيْهِ بِشَنِّ

قال ابن إسحاق : حدثنا ابنُ شهاب الزهريّ : أنه أتى كِنْدَةَ في منازلهم ،
وفيهمْ سيّدُهم يقال له : مُلَيْح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ،
فأبَوْا عليه .

العرض على بني كلب

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين :
أنه أتى كَلْبًا في منازلهم ، إلى بَطْنٍ منهم يقال لهم : بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله
وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقولُ لهم : يا بني عبد الله ، إن الله عزّ وجلّ
قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

العرض على بني حنيفة

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حَنِيفَةَ في منازلهم ، فدعاهم إلى الله
وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ عليه رداً منهم .

العرض على بني عامر

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهريّ أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم
إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم - يقال له :

بَيْحَرَةَ بْنِ فِرَاسٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فِرَاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ
ابْنِ كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَنْصَعَةَ : وَاللَّهِ ، لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ هَذَا الْفَتَى
مِنْ قُرَيْشٍ ، لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ ، ثُمَّ قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ نَابِعُنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ ،
ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ ، أَيْكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : الْأَمْرُ إِلَى
اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ : أَفَتُنْهَدِفُ نَحُورَنَا لِلْعَرَبِ دُونَكَ ، فَإِذَا
أَظْهَرَكَ اللَّهُ كَانَ الْأَمْرُ لِفَرَسِنَا ! لِاحَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ .

فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ رَجَعَتْ بَنُو عَامِرٍ إِلَى شَيْخِهِمْ ، قَدْ كَانَتْ أَدْرَكَهُ
الْحَسَنُ ، حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمُ الْمَوَاسِمَ ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ حَدَّثُوهُ
بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ ، فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْعَامَ سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ
فِي مَوْسِمِهِمْ ، فَقَالُوا : جَاءَنَا فَتَى مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَزْعُمُ
أَنَّهُ نَبِيٌّ ، يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَمْنَعَهُ وَنَقُومَ مَعَهُ ، وَنَخْرُجَ بِهِ إِلَى بِلَادِنَا . قَالَ : فَوَضَعَ
الشَّيْخُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَامِرٍ ، هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ ، هَلْ لِدُنَاكَ بَايَا
مِنْ مَطْلَبٍ ، وَالَّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ ، مَا تَقُولُهَا إِسْمَاعِيلِي قَطُّ ، وَإِنِهَا لِحَقٌّ ،
غَايِبٌ رَأَيْكُمْ كَانَتْ عَنْكُمْ .

عرض على العرب في المواسم

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ ،
كَلَّمَا اجْتَمَعَ لَهُ النَّاسُ بِالْمَوَاسِمِ أَتَاهُمْ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ ،
وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ اللَّهِ مِنَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ ، وَهُوَ لَا يَسْمَعُ

• • • • •

بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسمٌ وشرف ، إلا تصدّى له ، فدعاه إلى الله .
وعرض عليه ما عنده .

حديث سويد بن صامت

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، ثم الظفري
عن أشياخ من قومه ، قالوا :

قدم سويد بن صامت ، أخو بني عمرو بن عوف ، بمكة حاجاً أو مُعتمراً .
وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل ، بجلده وشعره وشرفه ونسبه ،
وهو الذي يقول :

ألا ربّ من تدعو صديقا ولو ترى مقاتله بالغيب ساءك ما يفرى ،
مقاتله كالشهد ما كان شاهداً وبالغيب مأثور على نُفرة الدهر
يسرك باديه وتحت أديمه نيمه غشّ تبترى عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتمٌ من الغلّ والبغضاء بالنظر الشرر
قرشني بخير طالما قد برّيتني وخير للوالى من يرش ولا يبرى .

وهو الذي يقول : ونافر رجلاً من بني مُسلم ، ثم أحد بني زُعب بن
مالك مئة ناقة ، إلى كاهنة من كهّان العرب ، فقضت له . فانصرف عنها هو
والسلمي ليس معهما غيرها ، فلما فرقت بينهما الطريق ، قال : مالي ، يا أختي .
بني مُسلم قال : أبعثُ إليك به ؛ قال : فمن لي بذلك إذا فُتّني به ؟ قال : أنا .

• • • • •

قال : كلا ، والذي نفس سُؤيدٍ بيده ، لا تفارقني حتى أوتى بمالي ، فأخذوا
فضرب به الأرض ، ثم أوثقه رباطاً ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف ،
فلم يزل عنده حتى بعثت إليه مُسلم بالذي له ، فقال في ذلك :

لا تحسبني يا بن زُرْعين مالك كمن كنت تُردى بالغيوب وتختل
تمحوت قِرْنا إذ صُرعت بعزة كذلك إن الحازم المتحول
ضربت به إبط الشمال فلم يزل على كل حال خده هو أسفل
في أشعار كثيرة كان يقولها .

فعصدي له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله
وإلى الإسلام ، فقال له سُؤيد : ففعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له
رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال بحجة لقمان - يعني حكمة لقمان .
فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها عليّ فعرّضها عليه ، فقال له :
إن هذا الكلامَ حسنٌ ، والذي معي أفضلُ من هذا ، قرآنُ أنزله الله تعالى عليّ ،
هو هُدى ونور . فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى
الإسلام ، فلم يَبْعُدْ منه ، وقال : إن هذا القولُ حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم
المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخوارج ، فإني كان رجالٌ من قومه
ليقولون : إنا لنراه قد قُتل وهو مُسلم . وكان قتله قبل يوم بُعث .

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق : وحدثني الحَصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن مُعَاذ عن محمود بن لَبِيد ، قال : لما قَدِمَ أَبُو الْحَيْسَر ، أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ ، مَكَّةَ ومعه فِثْيَةٌ من بنى عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَبِهِمُ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ ، يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ من قُرَيْشٍ على قومهم من الْخَزَرَجِ ، سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَتَاهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ؟ فَقَالُوا لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بِعَثْنِي إِلَى الْعِبَادِ ، أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْزَلَ عَلَى الْكِتَابِ . قَالَ : ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ . قَالَ : فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَّثَنَا : أَيُّ قَوْمٍ ، هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ . قَالَ : فَيَأْخُذُ أَبُو الْحَيْسَر ، أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ ، حَفْنَةً من تَرَابِ الْبَطْحَاءِ ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَقَالَ : دَعْنَا مِنْكَ ، فَلَمَّ مَرَى . فَقَدْ جِئْنَا لغيرِ هَذَا . قَالَ : فَصَمَّتْ إِيَّاسُ ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ ، وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ وَقْعَةٌ بُعَاثَ بَيْنِ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ .

قال : ثُمَّ لَمْ يَلِمْثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ . قَالَ محمود بن لَبِيد : فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ من قَوْمِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ : أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا بِمَعُونَةِ يَهْلُلُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَكْبِّرُهُ ، وَيُحَمِّدُهُ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّى مَاتَ ، فَمَا كَانُوا يَشْكُونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا ، لَقَدْ كَانَ اشْتَعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، حِينَ سَمِعَ من رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَمِعَ .

.....

الرسول مع نفر من الخزرج عند العقبة

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه ، وإعزاز نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز مواعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، في التّوسم الذي لقيه فيه النّفَرُ من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كلّ موسم . فبينما هو عند العقبة آقَى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نَفَرٌ من الخزرج ، قال : أمِنَ موالى يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون ؟ كَلِمَكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعِلْم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نَبِيّاً مبعوث الآن ، قد أظلم زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فحلفهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تملّموا والله إنه للنبيّ الذي توعّدكم به يهود ، فلا تسبّوهم . فاجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه وقبّلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولاقوم بينهم إيمان العداوة

.....

والشرّ ما بينهم ، فمضى أن يجمعهم الله بك ، فستقدم عليهم ، فنذعوهم إلى
أمرك ، وتعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه
فلا رجل أعزّ منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ،
وقد آمنوا وصدقوا .

أسماء الخزرجيين الذين اتقوا بالرسول عند العقبة

قال ابن إسحاق : وهم - فيما ذكر لي : ستة نفر من الخزرج ، منهم من
بنى النجار - وهو تيم الله - ثم من بني مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن
الخرزج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعد بن زُرارة بن عدس بن عبید
ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ، وعوف بن الحارث
ابن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عفراء
قال ابن هشام : وعفراء بنت عبید بن ثعلبة بن عبید بن غنم
ابن مالك بن النجار .

قال ابن إسحاق : ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن
عبید حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج : رافع بن مالك بن
العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق .
قال ابن هشام : ويقال عامر بن الأزرق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سلمة بن سعد بن علي بن ساردة بن يزيد
ابن جشم بن الخزرج ، ثم من بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة
ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد .

قال ابن هشام : عمرو بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة :
عقبة بن عامر بن نابت بن زيد بن حرام .

ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة : جابر بن عبد الله
ابن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودعاهم إلى الإسلام حتى فتوا فيهم ، فلم يبق دار من دُور الأنصار إلا وفيها
ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

وسندكر السبب في تسميتها بالطائف ، وأن الدمون !! رجل من الصديق
من حضر موت نزلها ، فقال لأهلها . ألا أبني لكم حائطاً يطيف ببلدتكم
فيبناه ، فسميت : الطائف ، وقيل غير ذلك مما سندكره .

وقوله : فيذكرها عليه ، قد فسرهُ ابن هشام ، وأنشد :

ذُرُّوا لقتلى عامرٍ وتعضُّبوا

وفي الحديث لما نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء قال :
ذئير النساء على أزواجهن ، وفسره أبو عبيد بالنشوز على الأزواج ، وأنشد
البيت الذي أنشده ابن هشام ، ومعنى كلامهما واحد .

وذكر مالقي من أشراف ثقيف ، وذكر موسى بن عقبة زيادة في الحديث .
حين أغرؤا به سفهاءهم ، قال : وكان يمشي بين سباطين منهم ، فكلما نعلوا
قدما ، رَجَمُوا عَرَاقِيْبَهُ بالحجارة ، حتى اختضب نعلاه بالدماء ، وذكر التميميُّ
كما ذكر ابن عقبة ، وزاد قال : كان إذا أَذْلَقْتَهُ^(١) الحجارة ، قعد إلى الأرض ،
فيأخذون بِعَصِيدِهِ^(٢) ، فيقيمونه فإذا مشى رَجَمَوْهُ ، وهم يضحكون حتى انتهى .
إلى الموضع الذي ذكره ابن إسحاق من حائط عُتْبَةَ وشَيْبَةَ .

قال ابن إسحاق : فجلس إلى ظل حَبْلَةٍ ، والحَبْلَةُ السَّكْرَمَةُ ، اشتق اسمها
من الحَبْل ، لأنها تحمل بالعنب ، ولذلك فتح حَمْلَ الشجرة والنخلة ، فقليل :
حَمْلٌ بفتح الحاء تشبيها بحمل المرأة ، وقد يقال فيه : حَمْلٌ بالكسر تشبيها بالحمل
الذي على الظهر^(٣) ، ومن قال في السكرمة حَبْلَةٌ بسكون الباء ، فليس بالمعروف ،

(١) في النهاية لابن الأثير : . في حديث ما عز : فلما أَذْلَقْتَهُ الحجارة جمر
وفر ، أى بلغب منه منتهى الجهد حتى قلق .

(٢) فيها أربع لغات : كسر الضاد وضهها وسكونها مع فتح العين ، وبضم
العين مع سكون الضاد

(٣) في إصلاح المنطق لابن السكيت : الحمل - بفتح الحاء - ما كان في بطن ،
أو على رأس شجرة ، وجمعه أحمال ، والحمل - بكسر الحاء - ما حمل على ظهر
أو رأس

وقد قال أبو الحسن بن كيسان في نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع حبيل الحبلية^(١)، إنه بيع العنب قبل أن يطيب ، كما جاء في الحديث الآخر من نهيه عن بيع التمر قبل أن يبدو صلاحه ، وهو قول غريب لم يذهب إليه أحد في تأويل الحديث ، وقد قال عمر بن الخطاب في الأرضين التي افتتحت في زمانه - وقد قيل له : قسمها على الذين افتتحوها - فقال : والله لأدعنها حتى يجاهد بها حبيل الحبلية ، يريد : أولادها في البطون. ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال ، والقول الذي ذكره أبو الحسن في حبيل الحبلية وقع في كتاب الألفاظ ليعقوب وإما أشكل عليه وعلى غيره دخول الهاء في الحبلية ، حتى قالوا فيه أقوالاً كلها هباء ، فمنهم من قال : إنما قال الحبلية لأنها بهيمة أو جنيينة ، ومنهم من قال : دخلت للجماعة ، ومنهم من قال : للمبالغة ، وهذا كله ينعكس عليهم بقوله : حبيل الحبلية ، فإنه لم تدخل التاء إلا في أحد اللفظين دون الثاني ، وتبطل أيضاً على من قال أراد : معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم ، وإما النكتة في ذلك أن الحبل مادام حبلاً لا يدرى : أذكر هو أم أنثى ، لم يسم حبلاً ، فإذا كانت أنثى ، وبلغت حد الحمل ، فعبرت فذاك الحبل هو الذي نهى عن بيعه ، والأول قد علمت أنوثته بعد الولادة ، فعبر عنه بالحبلية ، وصار معنى الكلام أنه نهى عن بيع حبيل الجنيينة التي كانت حبلاً لا يعرف ما هي ، ثم عرف بعد الوضع ، وكذلك في الآدميين ، فإذا لا يقال لها : حبلية إلا بعد المعرفة بأنها أنثى ،

(١) في القاموس : الحبلية - بضم الحاء - الكرم أو أصل من أصوله - والحبل محركة : شجر العنب ، وربما سكن

وعند ذكر الحبل الثانى لأن هذه الأتى قبل أن تحبل ، وهى صغيرة : رِخْلَى ، وتسمى أيضا حائلا وأشباه ذلك ، وقد زال عنها اسم الحبل فإذا حبلت ، وذكر حملها وازدوج ذكره مع الحالة الأولى التى كانت فيها حبلا فُرق بين اللفظين بتاء التأنيث ، وخص اللفظ الذى هو عبارة عن الأتى بالتاء دون اللفظ الذى لا يدرى ماهو : أذكر أم أنثى ، وقد كان المعنى قريبا والمأخذ سهلا لا يحتاج إلى هذه الإطالة لولا ما قدمناه من تخليطهم فى تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذى لا يقدر قدره فى البلاغة إلا هالم بجوهر الكلام .

نور الله ووجهه

فصل : وذكر دعاءه - عليه السلام - عند الشدة ، وقوله : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي إلى آخر الدعاء ، وفيه : أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أشرقت به الظلمات ، وصلىح عليه أمر الدنيا والآخرة ، ويسأل عن النور هنا ، ومعنى الوجه ، وإشراق الظلمات ، أما الوجه إذا جاء ذكره فى الكتاب والسنة ، فهو ينقسم فى الذكر إلى موطنين : موطن تقرب واسترضاء بعمل ، كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وكقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ فالطلب فى هذا الموطن : رضاه وقبوله للعمل ، وإقباله على العبد العامل ، وأصله أن من رضى عنك ، أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ، ولم يُرِكَ وَجْهَهُ ، فأفاد قوله : بوجهك ها هنا معنى الرضى والقبول ، والإقبال ، وليس بصلة فى الكلام كما قال أبو عبيدة لأن قوله ذلك هُراء من القول ، ومعنى الصلة عنده : أنها كلمة لا تفيد إلا تأكيذاً للكلام ،

وهذا قولٌ من غُلْظِ طبعه وبعْدُ بالجمّةِ عن فهم البلاغةِ قلبه وكذلك قال هو
ومن قلّده في قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ الرحمن : ٢٧ أى
يبقى ربك ، وكلّ شيء هالك إلا وجهه ، أى : إلا إياه ، فعلى هذا قد خلا ذكر ،
الوجه من حكمة ، وكيف تخلو كلمة منه من الحكمة ، وهو الكتاب الحكيم ،
ولكن هذا هو الموطن الثانى من مواطن ذكر الوجه ، والمعنى به مظهر إلى
القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، والوجه لغة مظهر من الشيء
معمولاً كان أو محسوساً ، تقول : هذا وجه المسألة ، ووجه الحديث ، أى :
الظاهر إلى رأيك منه ، وكذلك الثوب مظهر إلى بصرك منه ، والبصائر
لا تحيط بأوصاف جلاله ، وما يظهر لها من ذلك أقل مما يغيب عنها ، وهو
الظاهر والباطن - تعالى وجلّ - وكذلك فى الجنة نظر أهلها إلى وجهه سبحانه
إنما هو نظر إلى ما يرون من ظاهر جلاله إليهم عند تجليه ، ورفع الحجاب
عنهم ، وما لا يدركون من ذلك الجلال أكثر مما أدركوا .

وقوله سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والإكرام ﴾ الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ لما كانت السموات والأرض ، قد أظهرت من
قدرته وسلطانه ، ما أظهرت أخبر تعالى أن فناءها لا يُغيّر ما علم من سلطانه وظهر
إلى البصائر من جلاله ، فقد كان ذلك الجلال قبل أن يخلقها ، وهو باق بعد
فنائها كما كان فى القِدَم ، فهو ذو الجلال والإكرام ، قال الحسن : معناه : تتجلّل
بالبهاء وأكرم من شاء بالنظر إلى وجهه أما الأشعرى فذهب فى معنى الوجه
إلى ما ذهب فيه من معنى العين واليد ، وأنها صفات لله تعالى لم تعلم من جهة
(م ٤ — الروض الافر ج ٤)

العقول ، ولا من جهة الشرع المنقول ، وهذه عَجْمَةٌ أيضاً فإنه نزل بلسان عربى مبين ، فقد فهمته العرب لما نزل بلسانها ، وليس فى لغتها أن الوجبة حَقَّةٌ ولا إشكال على المؤمن منهم ، ولا على الكافر فى معنى هذه الآى التى احتيج آخر الزمان إلى الكلام فيها مع العجمان ، لأن المؤمن لم يخش على عقيدته شكاً ولا تشبيهاً ، فلم يستفسر أحدٌ منهم رسولَ الله عليه السلام ، ولا سألته عن هذه الآية التى هى اليوم مشكلة عند عوام الناس ^(١) ، ولا الكافر فى ذلك

(١) كلامه هنا جيد ، ولقد سأل الصحابة عن المحيض ، والانفال واليتامى ، والقتال فى الشهر الحرام ، وعن الخمر والميسر ، وعما ينفقون ، وعن غير ذلك كما بين كتاب الله ، والمتدبر لما أثبتته القرآن من أسئلتهم لا يجد من بينها سؤالاً عن عين الله أو وجهه أو يديه عما يؤكد أنهم آمنوا بأن الله سبحانه كله هذا الذى ذكر فى القرآن ، وأنهم آمنوا بأن ما يضاف إلى الخلاق لا يمكن أن يكون مشبهاً لما يضاف إلى المخلوق ، لأن الله يقول (ليس كمثله شيء) ولأن العقل الصحيح يحيل ذلك

أما الأشعرى فهو على بن إسماعيل بن إسحاق وكنيته أبو الحسن ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ أو ٢٦٠ هـ وقد أقام على دين المعتزلة قرابة أربعين عاماً ، ثم غاب عن الناس مدة خمسة عشر يوماً ، ثم خرج إلى المسجد الجامع بالبصرة ، فضعف على منبره ونادى بصوت جهورى : أنا فلان بن فلان ، اشهدوا على أنى كنت على غير دين الإسلام ، وأنى قد أسلبت الساعة . وأنى تائب عما كنت أقول بالاعتزال ، ثم نزل ، ومضى يؤلف الكتب ضد المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج ، ولكن كان لا يزال يعانى مسأمن الاعتزال بدا فى تأويله لبعض الصفات فكان مذهبه مزيجاً من آراء المعتزلة وآراء المحدثين ، ثم انتهى به الأمر إلى تأييد مذهب أهل السنة فى الصفات . وإليك ما انتهى إليه أمره فى أمر الصفات الإلهية : د إن كثيراً من الزائعين عن الحق من المعتزلة ، وأهل القدر مالت بهم ==

== أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ، ومن مضى من أسلافهم ، فتأولوا من القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً ، ولا أوضح به برهاناً ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا روايات الصحابة عليهم السلام عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في رؤية الله عز وجل بالأبصار ، ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله : (لما خلقت بيدي) وأنكروا أن يكون له عين مع قوله (تجري بأعيننا) ، (ولتصنع على عني)

وبعد أن أصدر حكمه على مؤولة الصفات ومعطلتها بالزيف قال : • فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة . فمرفرنا قولكم الذي به تقولون ودباتكم التي بها تدينون ، قيل له : قولنا الذي نقوله به ، ودباننا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا ﷺ ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، ثم فصل معتقده تفصيلاً واضحاً ، ورد في قوة على مؤولة الصفات ، وإليك بعض ما قاله : • فن سألنا ، فقال : أتقولون : إن لله سبحانه وجهاً ؟ قيل له نقول ذلك خلافاً لما قاله المعتدون . وقد دل على ذلك قول الله عز وجل : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وإن سئلنا : أتقولون : إن لله يدين ؟ قيل نقول ذلك ، وقد دل عليه قوله عز وجل : (يد الله فوق أيديهم) وقال عز وجل : (لما خلقت يسدي) وقل عز وجل : (بل يدها مبسوطتان) الخ . وقد ذكر كل هذا في كتابه الإبانة تحت هذا العنوان • باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين ، كما فصل معتقده في كتابه (مقالات الإسلاميين ، وقد ورد معتقده في كتاب الإبانة من ص ٧ إلى ص ٤١ وهو مطبوع سنة ١٣٤٨ . أما في مقالات الإسلاميين فقد ورد في ص ٣٣ وما بعدها ١٠ من طبع النهضة . وانظر أيضاً تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري للامام ابن عسكاز فقد فصل ما ذكره الأشعري في الإبانة ، وانظر كتاب الصفات الإلهية ، فقد استقصيت فيه القول عن الصفات عن ==

الزمان لم يتعلق بها في معرض المناقضة والمجادلة ، كما فعلوا في قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ

== أكثر أئمة الاشاعرة كالباقلاني والجويني وابن فورك والرازي والغزالي .
هذا وقد فصل الإمام الجليل ابن القيم آراء المؤولة والمعطلة في الصفات
كتاباً بالصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ط السلفية سنة ١٣٤٨ هـ وإليك بعض
ما ذكره باختصار : وجه الرب جل جلاله حيث ورد في الكتاب والسنة ،
فليس بمجاز بل على حقيقته ، واختلف المعطلون في جهة التجوز في هذا فقالت
طائفة : لفظ الوجه زائد ، والتقدير : وبقي ربك . . وقالت فرقة أخرى منهم
الوجه بمعنى الذات ، وهذا قول أولئك وإن اختلفوا في التعبير عنه ، وقالت
فرقة : ثوابه ، وجزاؤه ، فجعله مؤلداً مخلوقاً منفصلاً ، قالوا : لأن المراد هو
الثواب ، وهذه أقوال تعود بوجه الله العظيم من أن يجعلنا من أهلها . ثم ذكر
الإمام ابن القيم مارد به عثمان بن سعيد الدرامي على بشر المريسي فقال : دلتنا فرغ
المريسي من إنكار اليمين ونفيهما عن الله أقبل قبل وجهه الله ذي الجلال والإكرام ،
لينفيه عنه ، كما نفى عنه اليمين ، فلم يدع غاية في إنكار وجهه الله ذي الجلال
والإكرام والجحود به حتى ادعى أن وجهه الله الذي وصفه بأنه ذو الجلال
والإكرام مخلوق ، لأنه ادعى أنه أعمال مخلوقة يتوجه بها إليه ، وثواب
ولأنهم مخلوق يثيب به العامل ، وزعم أنه قبله الله ، وقبله الله لا شك مخلوقة .
ثم ذكر بالتفصيل مارد به الدرامي على المريسي لإثبات أن الله وجهاً حقيقة
لا مجازاً بسنة وعشرين وجهاً منها : أن الصحابة رضوا الله عنهم والتابعين وجميع
أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على
أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة ، وهي الزيادة التي فسر بها النبي د ص ،
والصحابه : (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فروى مسلم في صحيحه بإسناده
عن النبي د ص ، في قوله : (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : النظر إلى وجه
الله تعالى ، فمن أنكر حقيقة الوجه ، لم يكن للنظر عنده حقيقة ولا سيما إذا أنكر
الوجه والعلو فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد ص ١٧٤ وما بعدها ص ٢ الصواعق
المرسلة .

وما تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴿ الأنبياء : ٩٨ ولا قال أحدٌ منهم : يزعم محمد أن الله ما يشبهه شيء من خلقه ، ثم يُثبِت له وجهاً ويدين إلى غير ذلك فدل على أنهم لم يَرَوْا في الآية إشكالا ، وتلقَّوا معانيها على غير التشبيه ، وعرفوا من سَمَانَةِ الكلام ، ومَلَاحة الاستعارة أنه مُعْجِزٌ ، فلم يَتَعَاطَوْا له مُعَارضة ، ولا تَوَهَّوْا فيه مُناقضة ، وقد أُمْلينا في معنى اليدين واليمين مسألةً بدیعةً جدا ، فلتنظر هنالك .

وأما النورُ فعِبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الإلهية ، وبه أشرقت الظلمات ، أى أشرقت محالها وهى القلوب التى كانت فيها ظلماتُ الجهالة والشكوك ، فاستنارت القلوبُ بنور الله ، وقد قال المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ أى : مَثَلُ نُورِهِ فى قلب فى المؤمن كَمِشْكَاةٍ ، فهو إذا نور الإيمان والعرفة : المَجْلَى لكل ظلمةٍ وشك ، قال كعب : المِشْكَاةُ مَثَلُ لِقْمِهِ ، والمصباحُ مَثَلُ لِسَانِهِ ، والزجاجة : مَثَلُ لَصَدْرِهِ ، أو لقلبه أى : قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال أَعُوذُ بنور وجهك ، ولو قال : ينورك لحسنٌ ، ولكن توسل إليه بما أودع قلبه من نوره ، فتوسل إلى نعمته بنعمته وإلى فضله ورحمته بفضله ورحمته ، وقد تكون الظلماتُ هاهنا أيضاً الظلماتُ المحسوسة وإشراقها جلالها على خالقها ، وكذلك الأنوار المحسوسة ، الكلُّ دالٌّ عليه فهو نور النور ، أى : مظهره مُنَوِّرُ الظلمات ، أى جاعلها نوراً فى حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى ^(١) .

(١) الله نور : رد الإحمام ابن القيم على من زعم أن هذا الاسم مجاز فى كتابه =

== «الصواعق، رذا عظيما، وإليك بعض ما ذكره «إن النور جاء في أسمائه تعالى، وهذا الاسم عما تلقته الأمة بالقبول، وأثبتوه في أسمائه الحسنى . . ومحال أن يسمى نفسه نورا، وليس له نور ولاصفة النور ثابتة له، كما أن من المستحيل أن يكون غليظا قديرا سميعا بصيرا، ولا علم له ولا قدرة بل صحة هذه الأسماء عليه مستلزمة لشبوت معانيها له، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه، والثاني باطل قطعاً فتمين الأول، ثم يقول: «إن النبي «ص» لما سأله أبوذر هل رأيت ربك، قال: «نور أنى أراه، رواه مسلم في صحيحه، وفي الحديث قولان: أحدهما: أن معناه: ثم نور، أى: فهناك نور منغى رؤيته، ويدل على هذا المعنى شيئان أحدهما: قوله في اللفظ الآخر في الحديث. رأيت نورا، فهذا النور الذى رآه، هو الذى حال بينه وبين رؤية الذات. الثانى: قوله فى حديث أبى موسى: «إن الله لا ينام، ولا يفتنى له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، رواه مسلم فى صحيحه . . المعنى الثانى فى الحديث أنه سبحانه نور، فلا يمكنى رؤيته، لأن نوره الذى لو كشف الحجاب عنه لأحرقت السموات والأرض وما بينهما ما منع من رؤيته، فإن كان المراد هو المعنى الثانى، فظاهر، وإن كان الأول فلا ريب أنه إذا كان نور الحجاب مانعا من ذاته، فنور ذاته سبحانه أعظم من نور الحجاب، بل الحجاب إنما استتار بنوره، فإن نور السموات إذا كان من نور وجهه — كما قال عبد الله بن مسعود — فنور الحجاب الذى فوق السموات أولى أن يكون من نوره، وهل يعقل أن يكون النور حجاب من ليس له نور؟ هذا أبين المحال، وعلى هذا، فلا تناقض بين قوله: «ص: رأيت نورا، وبين قوله: «نور أنى أراه، فإن المنفى مكافئة للرؤية الذات المقدسة، والمثبت: رؤية مظهر من نور الذات، ثم يقول: «ما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس أن النبي «ص» كان يقول إذا قام من الليل: اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، الحديث وهو يقتضى أن كونه =

== نور السموات والأرض مغاير لكونه رب السموات والأرض ، ومعلوم أن إصلاحه السموات والأرض بالأنوار وهدايته لمن فيها هي ربوبيته ، فدل على أن معنى كونه نور السموات والأرض أمر وراء ربوبيتهما ، ثم ذكر ما نقله ابن فورك عن مذهب الأشعرى في هذا ، فقال : « إن المشهور من مذهبه - يعنى مذهب الأشعرى - بأن الله سبحانه نور لا كالأنوار حقيقة لا بمعنى أنه هاد ، وعلى ذلك نص - أى الأشعرى - في كتاب التوحيد في باب مفرد لذلك تكلم فيه على المعزلة ، إذ تأولوا ذلك على معنى أنه هاد ، فقال : إن سأل عن الله عز وجل أنور هو ؟ قيل له : كلامك يحتمل وجهين إن كنت تريد أنه نور يتجزأ يمحور عليه الزيادة والنقصان ، فلا وهذه صفة النور المخلوق ، وإن كنت تريد معنى ما قاله الله سبحانه : (الله نور السموات والأرض) فأنه سبحانه نور السموات والأرض على ما قال ، فإن قال : فما معنى قولك : نور ؟ قيل له : قد أخبرناك ما معنى النور المخلوق ، وما معنى النور الخالق ، وهو سبحانه الذى ليس كمثله شئ ، ومن تعدى أن يقول : الله نور ، فقد تعدى إلى غير سبيل المؤمنين ، لأن الله لم يكن يسمى نفسه لعباده بما ليس هو به ، فإن قال لا أعرف النور إلا هذا النور الماضى المتجزى ، قيل له : فإن كان لا يكون نور إلا كذلك ، فكذلك لا يكون شيئاً إلا وحكمه حكم ذلك الشئ ، ثم قال ابن فورك : فإذا قال الله عز وجل : إني نور ، قلت : أنا هو نور على ما قال سبحانه وتعالى ، وقلت أنت ليس هو نوراً ، فمن المثبت له على الحقيقة : أنا أو أنت ؟ وكيف يتبين الحق فيه إلا من جهة ما أخبر الله سبحانه ، والدافع لما قال الله كافر بالله ، ثم ذكر ابن القيم ما يأتي : « وقال أبو بكر بن العربي : قد اختلف الناس بعد معرفتهم بالنور على ستة أقوال ، الأول : معناه : هاد ، قاله ابن عباس ، والثاني معناه : منور ، قاله ابن مسعود . : . والثالث ، مزين ، وهو يرجع إلى معنى منور قاله أنى بن كعب ، الرابع : أنه ظاهر ، الخامس : ذو النور . السادس : أنه نور لا كالأنوار ، قاله أبو الحسن الأشعرى قال : وقالت المعزلة : لا يقال له نور إلا بإضافة ، قال : الصحيح عندنا أنه نور ، لا كالأنوار ، لأنه حقيقة ، ==

فهر عدراس

فصل : و ذكر خبر عدّاس غلام عُتْبَةَ وشَيْبَةَ ابْنَيْ ربيعة حين جاء بالقِطْفِ من عندهما إلى آخر القصة ، وفيه قبولُ هدية المشرِك ، وأن لا يتورّع عن طعامه ، وسيأتى استقصاء ذلك إن شاء الله تعالى ، وزاد التَّيْمِيُّ فيها أن عدّاساً حين سمعه يذكر يونسَ بن مَتَّى قال : والله لقد خرّجت منها يعني : نيتوى^(١) ، وما فيها عشرة يعرفون : مامّتي ، فمن أين عرفت أنت ممتي ، وأنت أمي ، وفي أمة أمّية ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هو أخي ، كان نبيا ، وأنا نبي ، وذكروا أيضاً أن عدّاساً لما أراد سيدها الخروج إلى بدر أمراه بالخروج معهم فقال لهما : أقتال ذلك الرجل الذي رأيته بجائط - كما تريدان ، والله ما تقوم له الجبال ، فقالا له : ونحك يا عدّاس : قد سحرك بلسانه ، وعند مالقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل الطائف ، مالقي ، ودعا بالدعاء^(٢) المتقدم ، نزل عليه جبريلُ ومعه ملك الجبال كما روى البخاري عن عبد الله بن يوسف ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : حدثني عروة أن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حدثته أنها قالت للنبي عايه السلام : هل أتى عليك يومٌ كان أشدّ

والعدول عن الحقيقة إلى أنه هاد ومنور ، وما أشبه ذلك هو مجاز من غير دليل لا يصح ، ثم ضعف ما نقل عن ابن عباس ، لأنه منقطع - راجع الجزء الثاني من الصواعق المرسلة من ص ١٨٨ إلى ص ٢٠٥ .

(١) تروى بضم النون أيضاً والفتح أشهر بالخشنى .

(٢) لم يخرج حديث هذا الدعاء سوى الطبراني عن عبد الله بن جعفر .

عليك من أحدٍ ؟ فقال : لقد لقيتُ من قومك ، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرَضْتُ نفسي على ابن عبدِ يَلِيلَ بن عبدِ كَلَالٍ ، فلم يجِبني إلى ما أردت ، فانطلقت على وجهي ، وأنا مهموم ، فلم أستَفِقْ إلا وأنا بقرنِ الثعالبِ ^(١) ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظَلَّتني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وماردُوا عليك ، وقد بعث إليك ملكَ الجبال ، لتأمره بما شئتَ فيهم ، فناداني ملكُ الجبال ، فسلمَ عليَّ فقال : يا محمد ذلك لك ، إن شئتَ أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئاً . هكذا قال في الحديث : ابن عبدِ كَلَالٍ ، وهو خلاف ما نسبته ابن إسحاق .

عن نصيبين :

فصل : وذَكَرَ حديث وفد جنِّ نصيبين ، وما أنزل الله فيهم ، وقد أُمِلنا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفاً من أخبارهم وبيّنا هنالك أسماءهم ، ونصيبين مدينتُهُ بالشام أتت عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . رُوِيَ أَنَّهُ قال : رفعت إلى نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله أن يعذب نهرها ، وينضُر شجرها ، ويطيب ثمرها أو قال : ويكثر ثمرها ، وتقدم في أسمائهم ما ذكره ، ابن دُرَيْد . قال : هم : منشى وماشى وشاصر وماصر والأحقب ، ولم يزد على

(١) هي ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة .

تسمية هؤلاء ، وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم ، وفي الصحيح أن الذي أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجن ليلة الجن شجرة ، وأنهم سألوه الزاد ، فقال : « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدهم . أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعر علف لدوابهم . زاد ابن سلام في تفسيره أن البعر يعود خضراً لدوابهم ، ثم نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يستنجى بالعظم والروث ، وقال : إنه زاد إخوانكم من الجن ، ولفظ الحديث في كتاب مسلم كما قدمناه : « كل عظم ذكر اسم الله عليه » ، ولفظه في كتاب أبي داود : « كل عظم لم يذكر اسم الله عليه » ، وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبي داود ، وقال بعض العلماء رواية مسلم في الجن المؤمنين ، والرواية الأخرى في حق الشياطين منهم ، وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث إلا أنا نذكره الإطالة ، وفي هذا ردٌّ على من زعم أن الجن لا يأكل ولا يشرب ، وتأولوا قوله - عليه السلام - إن الشيطان يأكل يشمه ، ويشرب يشمه على غير ظاهره ، وهم ثلاثة أصناف كما جاء في حديث آخر : صنف على صور الحيات ، وصنف على صور الكلاب سود ، وصنف ریح طيارة أو قال : هفافة ذؤوا أجنحة ، وزاد بعض الرواة في الحديث : وصنف يحلون ويضعون ، وهم السمالي ، ولعل هذا الصنف الطيار هو الذي لا يأكل ، ولا يشرب إن صح القول المتقدم والله أعلم . وروينا في حديث سمعته يقرأ على الشيخ الحافظ أبي بكر بن العربي بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشي إذ جاءت حية ، فقامت إلى جنبه ، وأدنت فافاها من أذنه ، وكانت تناجيه ، أو نحو هذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم فانصرفت ، قال جابر : فسألته ، فأخبرني أنه

رجل من الجن ، وأنه قال له : مُرْ أَمَتَكَ لَا يَسْتَجِوَا بِالرُّؤُثِ ، وَلَا بِالرَّمَّةِ ،
فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لَنَا فِي ذَلِكَ رِزْقًا .

ذكر عرصه نفسه على القبائل :

فصل : وذكر عَرَضَهُ نَفْسَهُ — صلى الله عليه وسلم — على القبائل ، ليؤمنوا به ،
ولينصروه قبيلةً قبيلةً ، فذكر بنى حنيفة ، واسم حنيفة : أُنَالُ بْنُ الْجُيَمِ ، ولجيم :
تَصْنِيرُ اللَّجَمِ ، وهى دُوَيْبَةُ ، قال قَطْرُبُ ، وأنشد :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُو سِ إِلَى سَبَّةٍ مِثْلِ جَحْرِ اللَّجَمِ

ابن صَعْبِ بْنِ عَلَى بْنِ بَكْرِ بْنِ وائِلِ ، وسمى حنيفةً لَخَفِ كَانَ فِي رَجُلِيهِ ،
وقيل : بل حنيفة أمهم ، وهى بنت كاهل بن أَسَدٍ عُرِفُوا بِهَا ، وهم أهل اليامة ،
وأصحاب مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ ، وقد أُمْلِينَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ سَبَبَ نَزْوِهِمْ
إِلَى يَامَةَ وَأَوَّلَ مَنْ نَزَلَهَا مِنْهُمْ .

وذكر بَيْحَرَةَ بْنِ فِرَاسِ الْعَامِرِيِّ ، وقوله لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :
أَفَنُهِدُ نَحْوَرَنَا ، لِلْعَرَبِ دُونَكَ . نُهْدِفُ أَى : نجعلها هَدَفًا لِسَهَامِهِمْ ،
وَالنُّهْدَفُ : الْغَرَضُ .

وذكر قولَ الشَّيْخِ : هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ ، أَى : تَدَارُكٍ ، وهو تَفَاعُلٌ مِنْ
مَنْ : تَلَا فَيُتْمِمْ ، وهل لَدُنَا بِأَهَا مِنْ مَطْلَبٍ : مِثْلُ ضَرْبٍ لِمَافَاتِهِ مِنْهَا ،
هو أصله : مِنْ ذُنَابَى الطَّائِرِ : إِذَا أَقْلَتِ مِنَ الْحَبَالَةِ ، فَطَلَبَتْ الْأَخْذَ بِذُنَابَاهُ ،
وقال : مَا تَقُولُهَا إِسْمَاعِيلُ قَطْ أَى : مَا ادْعَى النُّبُوَّةَ كَاذِبًا أَحَدٌ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلِ

عرضه نفسه على كندة :

فصل : وذكر عرضه نفسه على كندة ، وهم بنو ثور بن مرة بن أدد بن زيد بن ميسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا^(١) على أحد الأقوال بين النسابين في كندة ، وسمى كندة لأنه كند أباه ، أى عقه^(٢) ، وسمى ابنه مرتعاً لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعاً ، فهم بنو مرتع ابن ثور ، وقد قيل إن ثوراً هو مرتع ، وكندة أبوه^(٣) .

في هذا الكتاب تنمة لفائده

فصل : وذكر غير ابن إسحاق ما لم يذكر ابن إسحاق مما رأيت إملأه بعضه في هذا الكتاب تنمة لفائده . ذكر قاسم بن ثابت والخطابي عرضه .

(١) نسب ثور في جهمرة ابن حزم هكذا : وهؤلاء بنو كندة ، وهو ثور ابن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ص ٣٩٤ ، ٣٩٩ وهو في قلائد الجمان للقلقشندى .
أبى العباس أحمد بن على ص ٧١ كما في الجهمرة .

(٢) في الاشتقاق لابن دريد : ومن قبائل زيد بن كهلان : كندة ، وهو كندى ، واسمه : ثور وكندة من قولهم : كند نعمة الله عز وجل ، أى كفرها ، ومن قول الله جل ثناؤه : إن الإنسان لربه لكنود ص ٣٦٢ وقال صاحب حماة ، وسمى كندة لأنه كند أباه أى كفر نعمته ص ٧١ قلائد الجمان .

(٣) في جهمرة ابن حزم : ولد كندة بن عفير : معاوية وأشرس ، ثم يقول : من بطون كندة : معاوية ووهب وبدار والرائش بطون كبار ، وهم بنو الحارث ابن معاوية بن ثور بن مرتع ، وهو عمرو بن معاوية بن كندة ، ص ٣٩٩ وعلى هذا يكون مرتع هو ابن ابن كندة .

نفسه على بنى ذهل بن ثعلبة ، ثم على بنى شيخان بن ثعلبة ، فذكر الخطابي
 وقاسم^(١) جميعا ما كان من كلام أبي بكر مع دغفل بن حنظلة الذهلي زاد
 قاسم تسكلة الحديث فرأينا أن نذكر زيادة قاسم ، فإنها مما تليق بهذا الكتاب
 قال : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار ، فتقدم أبو بكر ، وسلم
 قال على : وكان أبو بكر مُقدِّما في كل خير ، فقال ثَمَنُ القوم ، فقالوا : من
 شيخان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :
 يا أبي أنت وأمي ، هؤلاء غُرَرٌ في قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو وهاني بن
 قبيصة ، ومثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ؛ وكان مفروق بن عمرو قد
 غلبهم جحالا وإسانا^(٢) وكانت له غديرتان تسقطان على ترابتيه^(٣) ، وكان أدنى
 القوم مجلسا من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال له مفروق
 إنا لنزيد على الألف ، وإن تُغلب ألف من قلة فقال أبو بكر : كيف المنعة

(١) ذكر الزرقاني في شرحه على المواهب ص ٣٠٩ ج ١ شرح المواهب أن
 هذا الحديث أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقي بإسناد حسن عن ابن عباس . وأقرأ
 في الأمالى صفحتي ٢٨٤ ج ٢ ، ص ٢٥ ج ٣ الأمالى ٢ وفي حاشية الاشتقاق بقلم
 الاستاذ عبد السلام هارون : « بخط مغلطى : دغفل هذا لقي النبي عليه السلام ،
 وهو ابن ثلاث وستين سنة قاله البخارى . وقال : لا يعرف له إدراك النبي عليه
 السلام وتابعه على القول جماعة منهم : ابن حبان والزهرى وابن سعد وابن أبي
 حاتم ، والعسكرى . ص ٣٥١ الاشتقاق .

(٢) انظر الاشتقاق ص ٣٥٨ ، وفيه عن هاني : وكان شرفيا عظيم القدر .
 وكان نصرانيا ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ، ومات بالكوفة .

(٣) الترية : واحدة الترائب ، وهي عظام الصدر .

فِيكُمْ؟ فَقَالَ مَفْرُوقٌ: عَلَيْنَا الْجَهْدُ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ جَدٌ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ الْحَرْبُ ؟
يُدْعِيكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ؟ فَقَالَ مَفْرُوقٌ : إِنَّا لَأَشَدُّ مَا نَكُونُ غَضَبًا لِحَيْنِ نَلْقَى ، وَإِنَّا
لَأَشَدُّ مَا نَكُونُ لِقَاءَ حَيْنِ نَغْضَبُ ، وَإِنَّا لَنُؤَثِّرُ الْجِيَادَ عَلَى الْأَوْلَادِ ، وَالسَّلَاحَ عَلَى
الْقَاحِ (١) ، وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، يُدِيلُنَا مَرَّةً وَيُدِيلُ عَلَيْنَا ، لَعَلَّكَ أَخُو قُرَيْشٍ ؟
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَوْ قَدْ بَلَغَكُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَهَاهُو ذَا ، فَقَالَ مَفْرُوقٌ : قَدْ بَلَغُنَا
أَنَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ ، فَإِلَى مَ تَدْعُو إِلَيْهِ يَا أَخَا قُرَيْشٍ ؟ فَتَقْدُمُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَدْعُو إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِلَى أَنْ تُؤْوُونِي ، وَتَنْصُرُونِي ، فَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ ظَاهَرَتْ
عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَكَذَبَتْ رَسُولَهُ ، وَاسْتَفْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ، فَقَالَ مَفْرُوقٌ : وَإِلَى مَ تَدْعُو أَيْضًا يَا أَخَا قُرَيْشٍ ؟ فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وِإِبَاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا النِّوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكَ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) الْأَنْعَامُ : ١٥١
فَقَالَ مَفْرُوقٌ : وَإِلَى مَ تَدْعُو أَيْضًا يَا أَخَا قُرَيْشٍ ؟ فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالنَّبْغِ ، يَعْظُمُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) النُّجُلُ : ٩٠ فَقَالَ
مَفْرُوقٌ : دَعَوَتَ وَاللَّهُ يَا أَخَا قُرَيْشٍ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ ، -
وَاللَّهُ لَقَدْ أَفْلَكَ قَوْمٌ كَذَّبُوكَ ، وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَشْرَكَكَ -

في الكلام هاني بن قبيصة ، فقال : وهذا هاني بن قبيصة شيخنا ، وصاحب ديننا ، فقال هاني : قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش ، وإني أرى أن تر كفا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي ، وقلة نظير في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن ترجع وترجع وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى ، فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا ، وصاحب حربنا ، فقال المثنى : قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش ، والجواب : هو جواب هاني بن قبيصة في تركنا ديننا ، واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا ، ليس له أول ولا آخر ، وإنما نزلنا بين صريان اليمامة والسمامة ^(١) ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم ما هذان الصريان ؟ فقال أنهار كسرى ، ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى ، فذنب صاحبيه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب ، فذنبه مغفور وعذره مقبول ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا يُحدث حديثا ولا يُزوي مُحدثنا ، وإني أرى هذا

(١) في النهاية لابن الأثير : وإنما نزلنا الصريين ، وهو الصواب ، ثم قال اليمامة والسمامة . وقال عن المهرى : وهو الماء المجتمع ، وذكرها مرة أخرى في مادة صير . وفي حديث عرضه على القبائل : قال له المثنى بن حارثة : إنا نزلنا بين صيرين : اليمامة والسمامة . فقال رسول الله ص : : وما هذان الصيران ؟ فقال : مياه العرب ، وأنهار كسرى الصير : الماء الذي يحضره الناس ، وقد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء . ويروى : بين صيرتين وهي فعلة منه ، ويروى بين صيرين تثنية صرى . وقد تقدم النهاية مادة صرى وصير لابن الأثير . والصواب : السمادة ، وهي بادية بين الكوفة والسماء . أدماة لسلب .

الأمر الذى تدعونا إليه هو ما تـسـكره الملوك ، فإن أحببت أن تؤوبك
ونفـصرك مما يلى مياه القرب ، قـتـلنا فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -
ما أسأتم فى الرد ، إذ أفصحتهم بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه
من جميع جوانبه أرايتـم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم
وأموالهم ويفرشكم نساءهم ، أنسبـجـون الله وتقدسونه ، فقال النعمان بن
سـرـيك : اللهم لك ذا ، فتلا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿ إنا أرسلناك
شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ ثم نهض النبي -
صلى الله عليه وسلم - فأخذ بيدي ، فقال : يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق
فى الجاهلية ، ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجزون
فما بينهم قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس واخترج ، فما نهضنا حتى بايعوا
النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكانوا صدقاء صبراء ، وروى فى حديث مسند
إلى طارق ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : رأيتـه بسوق
ذى المجاز يعرض نفسه على القبائل ، يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله
تفليحوا ، وخلقه رجل له غديرتان يرجمه بالحجارة ، حتى أذني كعبيه ، يقول :
يا أيها الناس لاتسمعوا منه ، فإنه كذاب ، فسألت عنه ، فقيل : هو غلام
عبد المطاب ، قلت ومن الرجل يرجمه ؟ فقيل لى : هو عمه عبد العزى أبو لهب ،
وذكر الحديث بطوله . خرجه الدارقطني ، ووقع أيضا فى السيرة من رواية
يونس .

حديث سويد بن صامت:

فصل: ذكر حديث سويد بن صامت وشعره ، وفي الشعر :

وبالغيب ماثور على مُعَزَّةِ النَّحْرِ

يعنى السيف ، وماثور : من الأثر وهو : فرند^(١) السيف ، ويقال فيه :
أثر وأثر . قال الشاعر :

جلاها الصَّيْعُولُونَ فَأَخْصَوْهَا

خِفَافًا كُلُّهَا يَتَّقِي بَأْثَرَ^(٢)

أراد : يَتَّقِي ، وسويد : هو : السكامل ، وهو ابن الصلت بن حوط

(١) جوهر السيف وشبهه والسيف نفسه

(٢) البيت أنشده عيسى بن عمر لخفاف بن ندبة .

وقبل البيت :

ولم أرقبهم حياً لقاها أقاموا بين قاصية وحجر
رماح مثقف حملت نصالا يلحن كأنهن نجوم بدر

انظر ص ١٢٥ ج ٢ الأما إلى اللقائي ط ٢ ، ص ٧٥٢ سمط اللآلى للقالى

والمعنى : إذا نظر الناظر إليها اتصل شعاعها بعينه ، فلم يتمكن من النظر إليها
فذلك اتقاؤها بأثرها والاصمعى لا يعرف في الأثر إلا الفتح يقال : سيف ماثور
أى فى متنه أثر ، وقيل هو الذى يقال إنه يعملته الجن ، وليس من الأثر الذى هو
الفرند . قال ابن سيدة : وعندى أن الماثور مفعول لا فعل له كما ذهب إليه أبو على
فى المغشود الذى هو الجبان

(م — ه الروض الأثف ج ٤)

ابن حبيب بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس^(١) وأمه أنبلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو [بن زيد بن لبيد بن خدش بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار] تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج أم عبد المطلب ابن هاشم ، فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب ، وبنت سويد هي أم عاتكة أخت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل امرأة عمر بن الخطاب ، فهو جدّها لأُمّها واسم أمّها: زينب ، وقيل : جليلة بنت سويد ، هكذا ذكره الزبير بن أبى بكر^(٢) .

ذكر مجده لقمان :

فصل : وذكر مجلّة لقمان ، وهى الصحيفة ، وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة ، أما الجلالة فمن صفة الخلق ، والجلال من صفة الله تعالى ، وقد أجاز بعضهم أن يقال فى الخلق جلال وجلالة وأنشد :

(١) نسبه فى جمهرة ابن حزم هكذا : « سويد بن الصامت بن خالد بن عطية ابن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوسى ، وقد تقدم نسبه فى السيرة كما ذكر ابن حزم ، ولكن فيها حوط بالحاء المهملة ، وفى الإصابة : سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة الأوسى ذكره ابن شاهين وقال : شك فى إسلامه ، وقال أبو عمر : أنا أشك فيه كما شك غيرى . . . ويعلق ابن حجر على ما روى ابن إسحاق بقوله : فإن صح ما قالوا لم يعد فى الصحابة لأنه لم يلتق النبي . . . ص ، مؤننا .

(٢) يقول الخشنى فى شرح السيرة ص ١١٧ عن بنى زعب لأنها بفتح الزاى وضمتها وكسرها والعين المهملة . وزغب بالزاء المكسورة والغين المعجمة قيده الدارقطنى ، وذكر أن الطبرى حكاه كذلك

فَلَاذَا جَلَالِ هَيْبَتِهِ لِحِلَّةٍ لَّالَةٍ وَلَاذَا ضِيَاعٍ مَنْ يَثْرُكُنَ لِلْفَقْرِ^(١)

وَلَقَمَانُ كَانَ نَوِيًّا مِنْ أَهْلِ أَيْلَةٍ وَهُوَ لَقَمَانُ بْنُ عَنَقَمَانَ بْنِ سُرُورٍ^(٢) فِيمَا ذَكَرُوا
وَابْنَهُ الَّذِي ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ هُوَ ثَارَانُ فِيمَا ذَكَرَ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ ، وَقَدْ قِيلَ
فِي اسْمِهِ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَابْنُ بَلْعَمَانَ بْنِ عَادِ الْحَمِيرِيِّ .

ذَكَرَ قَدُومُ أَبِي الْحَبِيرِ :

فَصَلَ : وَذَكَرَ قَدُومُ أَبِي الْحَبِيرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعِ بْنِ يَطْلُبِ الْحَلْفِ ، وَذَلِكَ :

(١) الْبَيْتُ لِهَدْبَةَ بْنِ خَشْرَمِ بْنِ كَرْزٍ : بْنُ حَجَرِ بْنِ أَبِي حَبِةِ السَّكَاكِينِ صَاحِبِ
الْعَزَى وَسَادَتِهَا أَحَدُ بَنِي سَعْدِ هَذِيمٍ مِنْ قَضَاعَةَ . وَهَدْبَةُ : شَاعِرٌ إِسْلَامِي يَكْنَى
أَبَا عَمِيرٍ : وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

رَأَيْتُ أَخَا الدُّنْيَا ، وَإِنْ كَانَ خَافِضًا أَخَاسَفْرِيسَرِي بِهِ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي
وَالْأَرْضُ كَمَنْ صَالِحٍ قَدْ تَكَمَّاتَ عَلَيْهِ فَوَارَتْهُ بِكَمَاعَةِ الْقَفْرِ
وَيُرْوَى الْبَيْتُ الْأَوَّلُ هَكَذَا :

أَلَا يَا قَوْمَ النَّوَابِ وَاللُّدْمِ وَاللَّهْرُ يَأْتِي حَتْفَهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
انْظُرْ ص ٢٤٦ - ١ - الْأَمَالِيُّ لِلْقَالِي ط ٢ ، ص ٥٥٦ ، ٦٣٩ سَمَطُ الْكَلِيِّ لِلْبَكْرِ
وَمَرْجِعُ السَّهْبِيِّ فِي هَذَا هُوَ الْأَمَالِيُّ ، وَرَأَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ الْجَلَالَ لَا يَقَالُ
إِلَّا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ وَقَدْ يَقَالُ :

وَيَعْقِبُ الْبَكْرِيُّ فِي السَّمَطِ عَلَى رَأْيِ الْقَالِي فِي كَلِمَةِ مَجْلَةٍ بِفَتْحِ الْجِيمِ : إِنَّمَا هُوَ
مَجْلَةٌ — بِكَسْرِ الْجِيمِ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : كُلُّ كِتَابٍ عِنْدَ الْعَرَبِ مَجْلَةٌ بِكَسْرِ الْجِيمِ ،
وَقَدْ رَوَى غَيْرُهُ فِيهِ الْفَتْحُ

(٢) فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ : سَدُوسٌ ، وَفِيهِ يَذْكَرُ أَنَّ الْأَكْثَرِينَ مِنَ
السَّلَافِ عَلَى أَنَّ لَقَمَانَ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا مِنْ غَيْرِ نَبْوَةٍ . وَفِيهِ وَفِي غَيْرِهِ تَفْصِيلَاتٌ
كَثِيرَةٌ عَنْهُ .

بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج ، وهي حرب بُعث المذكورة ، ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثيرٌ من صناديدهم وأشرفهم ، وبُعث اسم أرضٍ بها عرفت ^(١) .

بدء إسلام الأنصار

ولم يكن الأنصار اسما لهم في الجاهلية ، حتى سَمَّاهم الله به في الإسلام ، وهم : بنو الأوس والخزرج ، والخزرج : الريح الباردة ^(٢) وقال بعضهم : وهي الجنوبُ خاصةً ، ودخول الألف واللام في الأوس على حد دخولها في التيم جمع : تيمى وهو من باب : روى ورؤم ، لأن الأوس هي العطية أو العوض ، ومثل هذا إذا كان علماً لا يدخله الألف واللام ، ألا ترى أن كل أوس في العرب غير هذا ، فإنه بغير ألف ولام كأوس بن جازئة الطائي وغيره

(١) يقول الخشنى « يروى هنا : بغاث بالغين المعجمة أيضاً ، ويصرف ولا يصرف ، ويقول البكري في معجم ما استعجم « ذكر عن الخليل : بغاث ولم يسمع من غيره ،

هذا ويقال إن القبائل التي عرض نفسه عليها أيام المواسم هي بنو عامر وغسان وبنو فزارة ، وبنو مرة وبنو حنيفة ، وبنو سليم ، وبنو عيس ، وبنو نصر ، وثلعة بن عكابة ، وكندة ، وكتب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة وقيس ابن الخطيم ، وأبو الحيسر أنس بن أبي رافع « هكذا في إمتاع الأسماع لتقى الدين أحمد بن علي لمقرئى ١ ط ١٩٤١ ص ٣٠ ، وفيه أنه بدأ بكندة ، ثم أتى كلباً ثم بنى حنيفة ، ثم بنى عامر .

(٢) في الاشتقاق لابن دريد : الخزرج : الريح العاصف ص ٤٣٧ .

وكذلك ، أوس^(١) وأويس : الذئب قال الراجز :

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْهُ وَالْأَمْرُ عَمَّمْ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أُوَيْسٌ بِالْفَنَمِ^(٢)

وأبوهم^(٣) حارثة بن ثعلبة [بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة
الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي] ، وهو أيضاً :
والدُّخْرَاعَةَ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، وأُمهم^(٤) : قَيْلَةُ بِنْتُ كَاهِلِ بْنِ عُذْرَةَ قُضَاعِيَّةٌ
ويقال : هِيَ بِنْتُ جَفْنَةَ ، واسمها غَلْبَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ ، وقيل : بِنْتُ سَنَعٍ^(٥)
ابن الهون بن خزيمة بن مدركة ، قاله الزبير بن أبي بكر في كتاب أخبار المدينة .
والأنصار : جمع ناصِر على غير قياس في جمع فاعل^(٦) ، ولكن على

(١) أوس بن حارثة بن لام رأس طيء ، عاش — كما قيل — مائتي سنة ،
وهناك أوس بن حجر الشاعر الجاهلي ، وأوس بن حذيفة من فرسان ثقيف الذي
أدرك الإسلام وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوس بن المعلّى ، وأوس
مغراء وأوس مناة الحنيك من خثعم ، ولكن هناك الأوس من صعب بن ممان .

(٢) البيت للهدل ، وهو في اللسان :

يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ ، وَالْأَمْرُ أَمَّمْ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أُوَيْسٌ فِي الْفَنَمِ

(٣) أى والد الأوس والخزرج .

(٤) أى أم الأوس والخزرج ، ونسبها في جمهرة ابن حزم هكذا . وقيلة
بنت الأرم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء ، ص ٣١٢ ط ١ والزيادة
التي زدتها من الجمهرة .

(٥) اسمه في نسب قريش . يثع .

(٦) إذا كان فاعل وصفا دالا على غريزة وسجية أو أمر فطري فإنه يجمع

تقدير حذف الألف من ناصر ، لأنها زائدة ، فالأسم على تقدير حذفها : ثلثي
والثلاثي يجمع على أفعال ، وقد قالوا في نحوه صاحب وأصحاب وشاهد
وأشهاد .

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لِلنَّفَرِ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَمِنْ مَوَالِي
يَهُودِ أَنْتُمْ أَمْ مِنْ حُلَقَائِهِمْ ، والمولى يجمع : الخليف وابن العم والمُعْتَق والمُعْتَق
لأنه مَفْعَلٌ من الولاية ، وجاء على وزن مفعول ، لأنه مَفْرَعٌ ومُلَجَأٌ لَوَلِيَّهِ فجاء
على وزن ماهو في معناه .

وذكر النفرة القادمين في العام الثاني الذين يبايعوه بَيْعَةَ النِّسَاءِ ، وقد ذكر
الله تعالى بَيْعَةَ النِّسَاءِ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ : (يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ
شَيْئًا) الممتحنة ٤٣١ الآية ، فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على انتقال ،
وكانت مبايعته للنساء أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهِنَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ ، فَإِذَا أَقْرَبْنَ بِالْسَّكَنِ
قَالَ : قَدْ بَايَعْتُمُكُنَّ ، ومما سبب يده يد امرأة في مبايعة^(١) كذلك قالت

على فعلام مثل شاعر وشعراء ، وعافل وعقلاء ، وكذلك إذا كان دالا على ما يشبه
الغريزة والسجية في طول بقائها مثل صالح وصلحاء ، وإذا كان فاعل دالا على
وصف يدل على آفة طارئة من ألم أو عيب ، أو نقص ، أو موت جمع على فعلى
مثل هالك وهلكى .

(١) في حديث رواه البخاري عن عائشة أنها قالت : وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ
يَدُهُ امْرَأَةً فِي الْمُبَايَعَةِ قَطُّ ، مَا يَبَايِعُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ : قَدْ بَايَعْتُمُكُنَّ عَلَى ذَلِكَ ،
وفي حديث آخر رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حديث سفيان
ابن عيينة ، والنسائي أيضا من حديث الثوري ومالك بن أنس كلهم عن محمد

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العامُ المُقْبِلُ وَاثَى المَوْسِمُ من الأنصار اثنا عشر رجلاً ،
فلقوه بالعقبة ؛ وهى العقبة الأولى ، فهايموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
على بَيْعة النساء ، وذلك قِيلَ أَنْ يُفْتَرَضَ عليهم الحرب .

منهم من بنى النَجَّار ، ثم بنى مالك بن النَجَّار : أسعدُ بن زُرارة بن عُدَس
ابن عُبيد بن ثعلبة بن غَنَم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أُمَامَة ؛ وَعَوْف ،
ومعاذ ، ابنا الحارث بن رَقَاعَة بن سَواد بن مالك بن غَنَم بن مالك بن النَجَّار ،
وهما ابنا عَمْرَاء .

عائشة ، وقد روى أنها كن يأخذن بيده في البيعة من فوق ثَوْبٍ ، وهو قول
عامر الشعبي ، ذكره عنه ابن سلام في تفسيره ، والأول أصح وقد ذكر أبو بكر
محمد بن الحسن المقرئ النقاش في صفة بيعة النساء وجهاً ثالثاً أورد فيه آثاراً ،
وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يغمس يده في إناء وتغمس المرأة
يدها فيه عند المبايعة ، فيسكون ذلك عقداً للبيعة ، وليس هذا بالشهور ، ولا هو
عند أهل الحديث بالثبوت ، غير أن ابن إسحاق أيضاً قد ذكره في رواية عن
يونس عن أبان بن أبي صالح ، وذكر أنساب الذين بايعوه ، وسنعيده في بيعة
العقبة وغزاة بدر ، وهناك يقع التنبيه على ما يحتاج إليه بقول الله :

ابن المنكدر ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث محمد
ابن المنكدر . في هذا الحديث ورد : قلنا يا رسول الله : ألا تصافحنا ؟ قال : لا
إلا أصافح النساء ، إنما قولى لامرأة واحدة قولى لماقة امرأه .

ومن بنى زريق بن عامر : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر
ابن زريق ، وذكوان بن عبد قيس بن خلد بن مخلد بن عامر بن زريق .
قال ابن هشام : ذكوان ، مهاجرى أنصارى .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى غنم بن عوف بن عمرو بن
عوف بن الخزرج ، وهم القواقل : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم
ابن فهر بن ثعلبة بن غنم ، وأبو عبد الرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خزعة
ابن أصرم بن عمرو بن عمار ، من بنى غصيفة ، من بنى ، حليف لهم .

قال ابن هشام : وإنما قيل لهم : القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم
الرجل دفعوا له سهماء ، وقالوا له : قَوِّ قَلْ به . يَثْرِبَ حيث شئت .
قال ابن هشام : القَوِّ قَلَّة : ضرب من المشى .

وقال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من
بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك
ابن العجلان .

ومن بنى سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم
ابن الخزرج ، ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن سلمة : عتبة بن عامر
ابن نابي بن زيد بن حرام .

ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة قطبة بن عامر بن حديدة بن
أصم بن غنم بن سواد .

رجال العقبة من الأوس

وشَهِدَها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني
عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :
أبو الهيثم بن التيمّان ، واسمه مالك .
قال ابن هشام : التيمّان : يخفف ويثقل ، كقوله ميت وميت .

رجال العقبة الأولى من بني عمرو

ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عويم بن ساعدة .

بيعة العقبة

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن (أبي) مرثد
ابن عبد الله اليزني ، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي ، عن عبادة بن
الصامت ، قال : كنت فيمن حَضَرَ العقبة الأولى ، وكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رجلاً ،
فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تُفترض
الحرب ، على أن لا نُشرك بالله شيئاً ، ولا نَسْرِق ، ولا نَزْنِي ، ولا نقتل
أولادنا ، ولا نأْتِي بيهتان تُفتربه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نَعْصِيه في
معروف . فان وَفَّيْتُمْ فلَكُمْ الجنة . وإن غَشِيتُمْ من ذلك شيئاً فأمرُكم إلى الله
عَزَّ وجلَّ إن شاء عَذَّب وإن شاء غَفَرَ .

قال ابن إسحاق وذكر ابنُ شهاب الزهري ، عن عائذ الله بن عبد الله

أَخْبَرَنِي أَبِي إِدْرِيسُ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ قَالَ : بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِيَ مِهْمَتَانِ تَقْتَرِبُهُمَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ فَأُخِذْتُمْ بِحَدِّهِ فِي الدُّنْيَا ، فَهُوَ كِفَّارَةٌ لَهُ ، وَإِنْ سَتَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ .

مصعب بن عمير ووفد العقبة

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم ، بعث رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أَنْ يُقْرِئَهُم الْقُرْآنَ ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ ، وَيُبَيِّنَهُمْ فِي الدِّينِ ، فَكَانَ يُسَمَّى الْمُقَرِّئَ بِالْمَدِينَةِ : مُصْعَبُ . وَكَانَ مَنَزَلُهُ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ بْنِ عَدَسَ ، أَبِي أُمَامَةَ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أَنَّهُ كَانَ يَصِلُ بِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ كَرِهَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَوْمَّهُ بَعْضُ .

أول جمعة أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي أُمَامَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كُنْتُ قَائِدَ أَبِي ،

كعب بن مالك ، حين ذهبَ بصره ، فكنتُ إذا خرجتُ به إلى الجمعة ،
فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة ، أسعد بن زُرارة . قال : فكثرتُ حيناً
على ذلك : لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت في
نفسى : والله إن هذا بنى كعجزة ، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى
على أبي أمامة أسعد بن زُرارة ؟ قال : فخرجتُ به في يوم الجمعة كما كنتُ أخرج ،
فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت له : يا أبت ، مالك
إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة ؟ قال : أى بُنى ، كان أول
من جُمع بنا بالمدينة في هَزمِ النَّدِيت ، من حرّة بنى بياضة ، يقال له : نَقِيع
الْخَفِضَات ، قال قات : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلاً .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِب ، وعبد الله
ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أسعد بن زُرارة خرج بمُصَافٍ
ابن عُثَيْر يريد به دارَ بنى عَبْدِ الْأَشْهَل ، ودارَ بنى ظَفَر ، وكان سعد بن معاذ
ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زُرارة ،
فدخل به حائطاً من حوائط بنى ظَفَر .

قال ابن هشام : واسم ظَفَر : كَعْب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك
ابن الأوس - قالوا : على بئر يقال لها : بئر مَرَق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع
إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، يومئذ سيداً
مقومهم من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِك على دين قومه ، فلما سمعا به

قال سعد بن معاذ لأسيّد بن حُضَيْر: لا أبالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانهمما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيئتكَ ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدّما ، قال : فأخذ أسيّد بن حُضَيْر حرّبتَه ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعدُ بن زُرارة ، قال لمصعب بن عمير : هذا سيّد قومه قد جاءك ، فاصدّق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكله . قال : فوقف عليهما مُتَشَمِّمًا ، فقال : ماجاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلسُ فنسمع ، فإن رضيتَ أمرًا قبلتَه ، وإن كرهته كفّ عنك ماتكره ؟ قال : أنصفت ، ثم رَكَزَ حرّبتَه وجلس إليهما ، فكلممه مُصْعَبُ بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا : فيما يذكّر عنهما : والله لعرّفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم في إشرافه وتَسَهُّله ، ثم قال : ما أحسنَ هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قال له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلى . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورأى رجلا إن اتبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حرّبتَه وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مُقبلا ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيّدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندهم ، فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كآمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتُهما فقالا : نفعل ما أحببتُ .

• • • • •

وقد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليُخفروك قال : فقام سعد مُغضباً مبادراً ، تخوّفاً للذى ذكر له من بنى حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ، ثم خرج إليهما ؛ فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف سعد أن أسيده إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشككاً ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني ، أتغشانا في دارينا بما نكره — وقد قال أسعد بن زُرارة لمصعب بن عمير : أى مُصعب ، جاءك والله سيّد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان — قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزّلنا عنك ما نكره ؟ قال سعد . أنصفت ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالوا : فعرّفنا والله في وجه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسبّله ؛ ثم قال لهما : كيف تَصْنَعُونَ إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا : تغتسل فتطهّر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ، قال . فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيده بن حُضَيْر .

قال : فلما رآه قومه مقبلاً ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعملون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأميننا نقيبة ؛ قال : فإن

.....

كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا : فوالله ما أُنسى في دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة ، ورجع أسعد ومُصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ، وهو صيفي ، وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعون ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرُّ وأحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

أَرْبَّ النَّاسِ أَشْيَاءُ أَلَمْتُ	يُلَفُّ الصَّعْبُ مِنْهَا بِالْدَّلُولِ
أَرْبَّ النَّاسِ أَمَّا إِذْ ضَلَلْنَا	فَيَسِّرْنَا لِمَعْرُوفِ السَّبِيلِ
فَلَوْلَا رَبُّنَا كُنَّا يَهُودًا	وَمَا دِينَ الْيَهُودِ بَذَى شُكُولِ
وَلَوْلَا رَبُّنَا كُنَّا نَصَارَى	مَعَ الرُّهْبَانِ فِي جَبَلِ الْجَلِيلِ
وَلَكِنَّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا	حَنِيفًا دِينُنَا عَنْ كُلِّ جِيلِ
نَسُوقُ الْهَدْيَ تَرْسُفُ مَذْعَنَاتُ	مَكْشَفَةُ الْمَنَاكِبِ فِي الْجُلُولِ

قال ابن هشام : أنشدني قوله : فلولا ربنا ، وقوله : لولا ربنا ، وقوله : مكشفة المناكب في الجلول ، رجل من الأنصار ، أو من خزاعة .

أمر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم إن مُضْعَب بن عُمَيْر رَجَعَ إلى مكة ، وخرج مَنْ
خرج من الأنصار المسلمين إلى الموسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشُّرك ، حتى
قَدَمُوا مكة ، فواعدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، من أوسط أيام
التَّشْرِيق ، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لِنَبِيِّهِ ، وإِعْزَازَ
الإسلام وأَهله ، وإِذْلال الشُّرك وأَهله .

البراء بن معرور وصلاة الكعبة

قال ابن إسحاق : حدَّثني مُعَيْد بن كَعْب بن مالك بن أبي كعب بن
القَيْن ، أخو بني سامة ، إن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الأنصار ،
حدَّثه أن أباه كعباً حدَّثه ، وكان كعبٌ ممن شَهِدَ العقبة وبايع رسولَ الله صلى الله
عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا من المُشْرِكِينَ ، وقد صَلَّينا
وَقَفَّيْنَا ، ومعنا البراء بن معرور ، سيِّدُنَا وكبيرُنَا ، فلما وَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا ،
وخرَجْنَا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء ، إني قد رأيت رأياً ، فوالله
ما أَدْرِي ، أنوافقوني عليه ، أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قد رأيت أن لا أدع
هذه البَيْتَةَ مني بظَهْرٍ ، يعني : الكعبة ، وأن أَصِلَّ إليها . قال : قلنا ، والله
ما بلغنا أن نبيِّنا صلى الله عليه وسلم يصلِّي إلَّا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه .
قال : فقال : إني لأصلُّ إليها قال : قلنا له : لكنَّا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرت
الصلاة صَلَّينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قَدَمْنَا مكة . قال : وقد

كنا عبيداً عليه ما صنع ، وأتى إلا الإقامة على ذلك . فلما قَدِمنا مكة قال لي :
يا ابن أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نسأله عما
صنعتُ في سفرى هذا ، فإنه والله لقد وَقَعَ في نفسى منه شيء ، لِمَا رأيتُ من
خِلافكم إِبَّأى فيه . قال : نخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكنّا لا نعرفه ، ولم نَرَهُ قَبْلَ ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ؛ قال : فهل
تعرفان العباس بن عبد المطلب عمّه ؟ قال : قلنا : نعم — قال : وقد كنّا
نعرف العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً — قال : فإذا دخلنا المسجد
فهو الرجلُ الجالسُ مع العباس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالسٌ ،
ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ معه ، فسأمتنا ثم جلسنا إليه . فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟
قال : نعم ، هذا البراء بن معرور ، سيّد قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال :
فوالله ما أنسى قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم . فقال
البراء بن معرور : يابى الله ، إني خرجتُ في سفرى هذا ، وقد هداني الله
للإسلام ، فرأيتُ أن لا أجعل هذه التَّيْدِيَّةَ مَنى بظَهْر ، فصليتُ إليها ، وقد
خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسى من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟
قال : قد كنتَ على قِبلة لو صبرتَ عليها . قال : فرجع البراء إلى قِبلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهلُه يزعمون أنه صلى إلى
الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عون بن أيوب الأنصاري :

يومنا الممسلي أول الناس مُقْبِلًا على كَعْبَةِ الرَّحْمَنِ بين المشاعير

يعنى البراء بن مَعْرُور . وهذا البيت في قصيدة له .

إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام

قال ابن إسحاق : حدثني معبد بن كعب ، أن أخاه عبد الله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه ، قال كعب : ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق . قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإننا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطباً للنار غدا ، ثم دعونا إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإيانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا .

أمر أنان في البيعة

قال : فبينا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل تسلياً للقطا

مُسْتَخْفَيْن ، حتى اجتمعنا في الشَّعْب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نساءنا نُسَيِّمُهُ بِنْتُ كَعْب ، أُمُّ عُمَارَةَ ، إحدى نساء بني مازن ابن النَجَّار ، وأسماء بنت عَمْرٍو بن عَدِيّ بن نَابِي ، إحدى نساء بني سلمة ، وهي أُمُّ مَنِيْع .

العباس والأنصار

قال : فاجتمعنا في الشَّعْب ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعهُ العَبَّاسُ بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أَحَبُّ أَنْ يُخْضَرَ أَمْرَ ابن أخيه ويتوثَّقَ له . فلما جَلَسَ كان أوَّلَ متكلِّم العَبَّاسِ بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج — قال ، وكانت العرب إنما يسمُّون هذا الحيَّ من الأنصار ، الخزرج ، خزرجها وأوسها — : إن محمداً منّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم ، والحقَّ بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وأقربون له بما دعوتهم إليه ، ومانعوه ممن خلفه ، فأنتم ومانعتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذِلُوهُ بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده . قال ، فقلنا له ، قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، نخذُ لنفسك ولربِّك ما أحببت .

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار

قال ، فتكلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ، ثم قال ، أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال ، فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال ، نعم ، والذي بعثك بالحق ،
لننفعنك مما تمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ،
وأهل الخلقة ، ورتناها كابرأ [عن كابر] . قال ، فاعترض القول ، والبراء يكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الهيثم بن النبهان فقال يا رسول الله ، إن
بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإننا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن
فعلنا ذلك ، ثم أظهر الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ،
أحارب من حاربتهم ، وأسالم من سالمهم . . .
قال ابن هشام . ويقال : الهدم الهدم : أى ذمتي ذمتكم وحُرمتي
حُرمتكم .

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم
اثني عشر نقيبا ، ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثني عشر
نقيبا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

أسماء النقباء الاثني عشر وتمام خبر العقبة

النقباء من الخزرج

قال ابن هشام : من الخزرج - فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن
محمد بن إسحاق الملقب - : أبو أمامة أسعد بن زُرارة بن عُدس بن عبيد بن
ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجَّار ، وهو : تميم الله بن ثعلبة عمرو بن الخزرج
[بن حارثة] ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن

.

أمرئ القيس بن مالك بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث
ابن الخزرج، وعبدالله بن رَوَاحَةَ بن ثعلبة أمرئ القيس بن عمرو بن
أمرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث
ابن الخزرج، ورافع بن مالك بن العَجَلَانِ بن عمرو بن عامر بن زُرَيْقِ بن
عَبْد حارثة بن مالك بن غَضَب بن جُشَم بن الْخَزْرَجِ ؛ والبراء بن معرور بن
صخر بن خَدَّسَاء بن سِنَان بن عُبَيْد بن عَدِي بن غَنَم بن كَعْب بن سَلَمَة
ابن سَعْد بن علي بن أسد بن سَارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ، وعبدالله
ابن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة بن حَرَام بن كعب بن غَنَم بن كَعْب بن سَلَمَة
ابن سَعْد بن علي بن أسد بن سَارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ، وعُبَادَة
ابن الصامت بن قَيْس بن أَضْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنَم بن سالم بن عَوْف
ابن عمرو بن عَوْف بن الخزرج .

قال ابن هشام : هو غَنَم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف
ابن الخزرج .

قال ابن إسحاق : وسعد بن عُبَادَة بن دُلَيْم بن حارثة بن أَبِي خُزَيْمَة
ابن ثعلبة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كَعْب بن الخزرج ، والمفذر
ابن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذَان بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن
الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - قال ابن هشام : ويقال : ابن
خُنَيْش .

النقباء من الأوس

ومن الأوس أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرِ بْنِ سِمَاكِ بْنِ عَتِيكَ بْنِ رَافِعِ بْنِ
 امرئ القيس بن زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ [بن جُشَمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ
 ابْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ ، وسعد بن خَيْثَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
 مَالِكِ بْنِ كَعْبِ بْنِ النَّحَّاطِ بْنِ كَعْبِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ غَنَمِ بْنِ السَّلَمِ بْنِ امْرِئِ
 الْقَيْسِ] [بن ثعلبة بن عمرو بن عوف] [بن مالك بن الأوس] [ابن حارثة] [ورفاعة
 ابن عبد المُنْذِرِ بْنِ زُبَيْرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو
 ابْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ .

شعر كعب بن مالك عن النقباء

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التَّمِيمِ ، ولا يعدّون
 رفاعَةَ . وقال كعب بن مالك يذكرهم ، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري :

أُبَلِّغُ أُبَيًّا أَنَّهُ قَالَ رَأَيْتُهُ	وَحَانَ غَدَاةُ الشَّعْبِ وَالْحَيْنُ وَقَعُ
أَبَى اللَّهُ مَا مَنَنْتَكَ نَفْسُكَ لِمَنَّهُ	بِمِرْصَادِ أَمْرِ النَّاسِ رَاءً وَسَامِعُ
وَأُبَلِّغُ أَبَا سُقَيَانَ أَنَّ قَدْ بَدَا لَنَا	بِأَحَدِ نَوْرٍ مِنْ هُدَى اللَّهِ سَاطِعُ
فَلَا تَرْغَبَنَّ فِي حَشْدِ أَمْرِ تُرِيدُهُ	وَأَلْبِ وَجْمَعُ كُلِّ مَا أَنْتَ جَامِعُ
وَدُونَكَ فاعْلَمْ أَنَّ نَقْضَ عُهُودِنَا	أَبَاهُ عَلَيْكَ الرَّهْطُ حِينَ تَبَايَعُوا
أَبَاهُ الْبَرَاءِ وَابْنُ عَمْرِو كَلَامِهَا	وَأَسْعُدُ يَا أَبَاهُ عَلَيْكَ وَرَافِعُ

• • • • •

وَسَعْدُ أَبَاهُ السَّاعِدِيُّ وَمُنْذِرٌ لَأَنْفِكَ إِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ جَادِعٌ
وَمَا ابْنُ رَبِيعٍ إِنْ تَنَاوَلْتَ عَهْدَهُ بِمُسْلِمِهِ لَا يَطْمَعُنْ سَمٌّ طَامِعٌ
وَأَيْضًا فَلَا يُعْطِيكَهُ ابْنُ رَوَاحَةَ وَإِخْفَارُهُ مِنْ دُونِهِ السَّمُّ نَاقِعٌ
وَفَاءٌ بِهِ وَالْقَوَلِيُّ بْنُ صَامَتٍ بِمَنْدُوحَةٍ عَمَّا تَحَاوُلُ يَافِعٌ
أَبُو هَيْثَمٍ أَيْضًا وَفِيَّ بِمِثْلِهَا وَفَاءٌ بِمَا أُعْطِيَ مِنَ الْعَهْدِ خَانِعٌ
وَمَا ابْنُ حُضَيْرٍ إِنْ أُرِدْتَ بِمَطْمَعٍ فَهَلْ أَنْتَ عَنْ أُخْوَوقَةِ الْغَيِّ نَازِعٌ؟
وَسَعْدُ أَخُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَإِنَّهُ ضَرُوحٌ لَمَّا حَاوَلْتَ أَمْرَ مَانِعٍ
أُولَئِكَ نَجُومٌ لَا يُعْبُكُ مِنْهُمْ عَلَيْكَ بِنَجَسٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَامِعٌ

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التميمي ، ولم يذكر رفاعه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للثقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لميمى بن مریم ، وأنا كفيل على قومي - يعني المسلمين - قالوا : نعم .

ما قاله العباس بن عباد للخزرج قبل المبايعة

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن النعمان لما اجتمعوا للبيعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري ، أخو بني سالم بن عوف : يامعشر الخزرج ، هل تدرؤون علام تبأيون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبأيونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا تبايعتم أموالكم

• • • • •

مُصِيبَةٍ ، وَأَشْرَأُ فَمَكِّمُ قَتْلًا أَسْلَمْتُمُوهُ ، فَمِنْ الْآنَ ، فَهُوَ وَاللَّهُ - إِنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ عَلَى
نَهْكَةِ الْأَمْوَالِ ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ ، فَخُذُوهُ ، فَهُوَ وَاللَّهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،
قُولُوا : فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ ، فَمَالَنَا بِذَلِكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفِينَا ؟ قَالَ : الْجَنَّةُ . قَالُوا : أَبْطُ بِدَاك ، فَبَسَطَ
يَدَهُ فَبَايَعُوهُ .

وَأَمَّا عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ فَقَالَ : وَاللَّهُ مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيَشُدَّ
الْعَقْدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْنَاقِهِمْ .

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيُوْخِرَ الْقَوْمَ تِلْكَ
الْأَيَّامَ ، رَجَاءُ أَنْ يَحْضُرَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولٍ ، فَيَسْكُونُ أَقْوَى لِأَمْرِ
الْقَوْمِ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَىِّ ذَلِكَ كَانَ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : سَلُولٌ : امْرَأَةٌ مِنْ خُرَازْمِ ، وَهِيَ أُمُّ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ
الْحَارِثِ .

أَوَّلُ صَحَابِيٍّ ضَرَبَ عَلَى يَدِ الرَّسُولِ

فِي بَيْعَةِ الْعَقِيقَةِ الثَّانِيَةِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَبَنُو النُّجَّارِ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ ، أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ ،
كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِهِ ، وَبَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَقُولُونَ : بَلْ أَبُو الْهَيْثَمِ
بِْنُ التَّيْهَانِ .

.....

قال ابن إسحاق : قال الزهري : حدثني معبد بن كعب بن مالك ، فحدثني في حديثه ، عن أخيه عبد الله بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ، ثم بايع بعد القوم .

الشیطان وبيعة العقبة

فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة : بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباجب - والجباجب : المغازل - هل لكم في مذمم والضباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أرب العقبة ، هذا ابن أرب - قال ابن هشام : ويقال ابن أرب استمع أي عدو الله ، أما والله لأفرغن لك .

الرسول لا يستجيب لطلب الحرب من الأنصار

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضوا إلى رحالكم . قال فقال له العباس بن عباد بن نضلة : والله الذي بملك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسياً فناً ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فبينما عليها حتى أصبحنا .

مجادلة جلة قريش للأنصار في شأن البيعة

فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، لانه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، ولانه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا ، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم . قال : فانبعث من هناك من مشركي قومنا يخلفون بالله ما كان من هذا شىء ، وما علمناه . قال : وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم ، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وعليه ثعلبان له جديدان . قال : فقلت له كلمة — كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا — يا أبا جابر ، أما تستطيع أن تتخذ ، وأنت سيّد من ساداتنا ، مثل نعلني هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسَمِعَها الحارث ، فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلى ، وقال : والله لتنفق عليهما . قال : يقول : أبو جابر : مه ، أخفّلت والله الفتى ، فاردّد إليه نعليه . قال : قلت لا : والله لا أردّهما ، فألّ والله صالح ، لنن صدق الفأل لأسلّنه .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي بكر : أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلّول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول ، فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومي ليتفقوا على بمثل هذا ، وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه .

.

قريش تطلب الأنصار وتأسر سعد بن عبادة

قال : وَنَفَرَ النَّاسُ مِنْ مِثِّي ، فَتَمَنَّطَسَ الْقَوْمُ الْخَبَرَ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ كَانَ ، وَخَرَجُوا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ ، فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ بِأَذَاخِرِ ، وَالْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو ، أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَكِلَاهُمَا كَانَ نَقِيبًا . فَأَمَّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ الْقَوْمَ ، وَأَمَّا سَعْدٌ فَأَخَذُوهُ ، فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِدَسْعٍ رَخْلَةٍ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتَّى أَذْخَلُوهُ مَكَّةَ يَضْرِبُونَهُ ، وَيَجْذِبُونَهُ ، بِحُمَاقِهِ ، وَكَانَ ذَا شَعْرِ كَثِيرٍ .

خلاص سعد بن عبادة

قال سعد : فَوَاللَّهِ إِنِّي لِنِي أَيْدِيهِمْ إِذْ طَاعَ عَلِيٌّ تَفَرُّتُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ رَجُلٌ وَضِيءٌ أبيضٌ ، شَعْشَاعٌ ، حَلَوٌ مِنَ الرِّجَالِ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الطَّوِيلُ الْحَسَنُ قَالَ رُوْبَةٌ : يَمْطُوهُ مِنْ شَعْشَاعٍ غَيْرِ مُودَّنٍ . يَعْنِي عَنِ الْبَعِيرِ غَيْرِ قَصِيرٍ يَقُولُ مُودَّنُ الْيَدِ أَيْ : نَاقِصُ الْيَدِ يَمْطُوهُ مِنَ السَّيْرِ شَعْشَاعٌ : حَلَوٌ مِنَ الرِّجَالِ .

قال : قُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنْ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ ، فَعِنْدَ هَذَا ، قَالَ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَاكَمَنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً . قَالَ : قُلْتُ فِي نَفْسِي ، لَا وَاللَّهِ مَا عِنْدَهُمْ بَعْدَ هَذَا مِنْ خَيْرٍ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لِنِي أَيْدِيهِمْ يَسْتَحْبُونَنِي إِذْ أَوَى لِي رَجُلٌ يَمِّنُ كَانَ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : وَنَحْنُكَ ! أَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ جَوَارٌ وَلَا عَهْدٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى ، وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَجِيرُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ابْنِ عَدَى بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ تِجَارَةً ، وَأَمْنَهُمْ مِمَّنْ أَرَادَ ظَلَمَهُمْ بِيَلَادِي ،

.....

ولاحث ابن حَرْب بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، قال : ويحك !
 فاهتِف باسم الرجلين ، واذا ذكر ما بينك وبينهما . قال . ففعلتُ ، وخرج ذلك
 الرجلُ إليهما ، فوجدَهما في المَسْجِدِ عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من
 الخَزَرَجِ الآن يُضْرَبُ بالأُطْحَ كِهتِفِ بكما ، ويذكر أن يدينه ويدنكها ،
 جواراً ، قالَا : مَنْ هو ؟ قال سعد بن عُبَادَة ، قالَا : صدق والله ، إن كان كَيْجِيرُ
 لنا تَجَارِفاً ، وَيَمْنَعُهُمْ أَنْ يُظْلَمُوا ببلده : قال : فجاءا فخلَّصا سعداً من أيديهم ،
 فانطلق . وكان الذي لَسَكَمَ سعداً ، سُهَيْلُ بن عمرو ، أخو بني عامر بن لُؤَيٍّ .

قال ابن هشام : وكان الرجلُ الذي أوى إليه ، أبا البَخْتَرِيِّ بن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان أوَّلُ شَعْرِ قَيْلٍ في الهجرة يَدْتَنُ ، قالها ضِرَارُ

ابن الخطَّاب بن مِرْدَاس ، أخو بني محارب بن فهر :

تَدَارَكْتَ سَعْدًا عَنَوَةً فَأَخَذَتْهُ وَكَانَ شِفَاءً لَوْ تَدَارَكْتَ مُنْذِرَا
 وَلَوْ نَلَقَتْهُ طُلَّتْ هُنَاكَ جِرَاحُهُ وَكَانَتْ حَرِيًّا أَنْ يُهَانَ وَيُهْذَرَا

قال ابن هشام : ويروى :

وَكَانَ حَقِيقًا أَنْ يُهَانَ وَيُهْذَرَا

قال ابن إسحاق : فأجابه حَسَّان بن ثابت فيهما فقال ،

لَسْتُ إِلَى سَعْدٍ وَلَا الْمَرْءِ مُنْذِرٍ إِذَا مَا طَايَا الْقَوْمَ أَصْبَحْنَ ضَمَرَا
 فَلَوْلَا أَبُو وَهْبٍ لَمَرَّتْ قِصَائِدُ عَلَى شَرَفِ الْبَرَفَاءِ يَهُوَيْنَ حُمَرَا

أَتَفْخُرُ بِالسَّكَّانِ لَمَّا أَبَسَّتْهُ وقد تلبس الأنباطُ رِبطاً مُعَقِّراً
فَلا تَكُ كالْوَسنانِ يَحْلُمُ أَنَّهُ بَقَرِيَّةٌ كِسرَى أَوْ بَقَرِيَّةٌ قَيْصَرُ
وَلَا تَكُ كَالشُّكْلَى وَكَانَتْ بِمَعَزَلٍ عن الشُّكْلَى لو كان الفؤادَ تَفَكِّراً
وَلَا تَكُ كَالشَّاةِ الَّتِي كَانَ حَقْفُهَا بِحَفْرِ ذِرَاعَيْهَا فَلَمْ تَرْضَ مُحْفَراً
وَلَا تَكُ كَالْعَاوِي فَأَقْبَلَ نَحْرَهُ ولم يَحْشَ سَهْمًا مِنَ الذَّبَلِ مُضْمَراً
فَإِنَّا وَمَنْ يُهْدِي الْقَصَائِدَ نَحْوَنَا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمَرًّا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرِ

وذكر في أنساب المبايعين له في العقبية الأولى في بني سلمة منهم : سادرة.
ابن يزيد بن جشم ، وتزيد بناء منقوطة باثنتين من فوق ، ولا يعرف في العرب
تزيد إلا هذا ، وتزيد بن الحاف بن قضاة ، وهم الذين تنسب إليهم الثياب
التزيدية ، وأما سلمة بكسر اللام ، فهم من الأنصار سمي بالسلمة واحدة.
السَّلام ، وهي الحجارة ، قال الشاعر :

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاتِبُنِي يَرْمِي وَرَأْيِي بِالسَّهْمِ وَالسَّلْمَةِ^(١)

وفي جُعْفِي : سلمة بن عمرو بن دهل بن مروان بن جُعْفِي وفي جُهَيْنَةَ سلمة

(١) في اللسان : أنشد أبو عبيد في السلمة :

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاتِبُنِي يَرْمِي وَرَأْيِي بِالسَّهْمِ وَالسَّلْمَةِ
وَأَرَادَ : والسلمة ، وهي من لغات حمير قال ابن بري هو : البجير بن عفة
الطائي ، قال : وصوابه :

وإن مولاي ذد يعاتبني لا احنة عنده ، ولا جرمة
ينصرف منك غير معتذر يرمي ورأى بالسهم والسلمة

ابن نصر بن غطفان قاله ابن حبيب النسابة^(١) وفي الصحابة عمرو بن سلمة أبو بريدة الجرهمي الذي أمّ قومه ، وهو ابن ست سنين أو سبع ، وفي الرواة عبدالله بن سلمة وينسب إلى بني سلمة هؤلاء سلمى بالفتح ، كما ينسب إلى بني سلمة ، وهم بطنان من بني عامر يقال لهم : السّكّات ، يقال لأحدهم سلمة الخيّر ، والآخر سلمة الشرّ ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وأما بنو سلمية بياء في دؤس ، وهم بنو سلمية بن مالك بن قهم بن غنم بن دؤس ، وسليمة هذا هو أخو جذيمة الأبرش ، وهو الذي قتل أخاه مالكاً^(٢) قتل خطأ ، ويقال في النسب إليه : سلمى أيضاً وهو النّياس ، وقد قيل : سلمى كما قيل في عميرة عميرة .

وذكر بني جذارة من بني النجار ، وجذارة وخدّارة : أخوان ، وغيره

(١) في القاموس : « بنو سلمة بطن من الانصار ، وابن كهلاء في بجيلة ، وابن الحارث في كندة ، وابن عمرو بن ذهل وابن غطفان بن قيس ، وعميرة بن خفاف بن سلمة ، وعبد الله بن سلمة البدرى الاحدى ، وعمرو بن سلمة الحمداني ، وعبد الله بن سلمة المرادى وأخطأ الجوهرى في قوله : وليس سلمة في العرب غير بطن الانصار ، وذكر أيضاً في الصحابة سلمة بن حنظلة السحيمي وابن قيس الجرهمي .

(٢) في الاشتقاق : وسليمة الذي رمى أباه بسهم ، فقتله وله يقول مالك .

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني ويروى : استبد . وفي مادة سدّد في اللسان يذكر ابن برى أنه رآه في شعر عقيل بن علفة يقول في ابنه علس حين رماه بسهم ، ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين ص ٢٣١ - ٣ إلى معد بن أوس انظر ص ٤٩٧ ، ٥٤٣ الاشتقاق لابن دريد ط ، السنة المحمدية ص ٢٦٨

يقول في جِدَارَة : خُدَّارَة بالخاء المضمومة ، وهكذا قيده أبو عمرو ، كذلك ذكره ابن دريد في الاشتقاق ، وهو أشبه بالصَّواب لأنه أخو خِدْرَة^(١) وكثيرا ما يجعلون أسماء الإخوة مُشْتَقَّةً بعضهم من بعض .

وذكر القَوَاقِلُ وهم بنو عمرو بن غَنَم بن مالك ، وذكر تسميتهم القَوَاقِلُ ، وأن ذلك لقولهم إذا أجاروا أحدا : قَوَّ قِلَ حَيْثُ شئت ، وفي الأنصار : القَوَاقِلُ والجُعَادِرُ^(٢) وهما بطنان من الأوس ، وسبب تسميتهما : واحد في المعنى ، أما الجُعَادِرُ فكانوا إذا أجاروا أحدا أعطوه سَنَها ، وقالوا له : جَعَدِرْ به حيث شئت ، كما كانت القَوَاقِلُ^(٣) تفعل ، وهم بنو زَيْد ، بن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعَة [بن زَيْد] يقال لهم كسر الذهب ، وهما جميعاً من الأوس . قال الشاعر :

فإن لنا بين الجوارى وليدةً مُقَابَلَةً بين الجُعَادِرِ^(٤) والكَسْرِ
مَتى تدع في الزيد بن زَيْد بن مالك وزيد بن عمرو تأيها عِزَّةُ الْخَفَرِ

وذكر فيهم أبا الهيثم بن التَّيْهَان ، ولم ينسبه ، ولا نسبه في أهل العقبة الثانية ، ولا في غزوة بدر ، وهو مالك بن التَّيْهَان ، واسم التَّيْهَان أيضاً مالكُ

(١) انظر ص ٤٥٥ الاشتقاق ط السنة المحمدية .

(٢) في الاشتقاق : د ومرة ، وهم الجُعَادِرَة ، ص ٣٧ وقد جلعهم ابن دريد بطنان من الأوس وكذلك ابن حزم ص ٣٣٥ أما القَوَاقِلُ ، فهم من الخزرج .

(٣) القولة عند ابن دريد : التغلغل في الشيء والدخول فيه ص ٤٥٦ .

(٤) الجُعَادِرَة هم بنو مرة بن مالك بن الأوس .

ابن عَتِيكَ بن عمرو بن عبد الأعم بن عامر بن زَعُون^(١) ، بن جُشَم بن الحارث بن الحُزْرَج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري حليف بنى عبد الأشهل كان أحد النُقباء ليلة العقبة ، ثم شهد بدرًا ، واختلف في وقت وفاته ، فأصح ما قيل فيه إنه شهد مع عليٍّ صَفِّين^(٢) ، وقتل فيها رحمه الله ، وأحسب ابن إسحاق وابن هشام تركا نسبه على جلالته في الأنصار وشهرده . هذه المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لاختلاف فيه ، فقد وجدت في شعر عبد الله بن رَوَاحَةَ حين أضاف أبو الهيثم رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - في منزله ومعه أبو بكر وعمر ، فذبح لهم عَنَاقًا^(٣) وأتاهم بِقَنَوقٍ من رُطَبَ الحديث بطوله ، فقال ابن رَوَاحَةَ في ذلك :

فلم أرَ كالإسلام عِزًّا لأهله ولا مثل أضيافٍ لأُرَاشِيٍّ مَعَشَرَا

فجعله إرَاشِيًّا كما ترى ، والأُرَاشِيُّ منسوب إلى إرَاشَةَ في خِزَامَةٍ ، أو إلى إرَاش بن حِلْيَان بن العَوْثِ فالله أعلم : أهو أنصاري بالحلف أم بالنسب المذكور ، قبل هذا ، ونقلته من قول أبي عُمرَ في الاستيعاب ، وقد قيل : إرَاش-

(١) في الاصل: زعون والتصويب من الإصابة ونسبه فيها كما في الروض وفي الإصابة : والروايات عن أبي الهيثم كلها فيها نظر ، وليست تأتي من وجه يثبت .

(٢) وهذا ساقه أبو بشر الدولابي من طريق صالح بن الوجيه ، وعبد الرحمن بن بديل وآخرون . وصفيين أرض فوق بالس بمقدار نصف مرحلة ، وهما غربي الفرات بها كانت الوقعة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وبالس هي أول مدن الشام من العراق وهي فرضة الفرات لأهل الشام

(٣) العناق : الأنثى من ولد المعز

بلوي من بنى إراشة بن فاران بن عمرو بن بلي ، والهيثم في اللغة : فرخ
[النسر ، أو] العقاب ، والهيثم أيضاً ضرب من العشب فيما ذكر أبو حنيفة ،
وبه سمي الرجل هيثماً أو بالمعنى الأول وأنشد :

رَعَتْ بِقَرَانِ الْحَزَنِ رَوْضًا مَنُورًا عَمِيماً مِنَ الظَّلَاعِ وَالْهَيْثَمِ الْجَعْدِ

ذكر بيمعهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء
ألا يسرن قوا ، ولا يزنوا إلى آخر الآية ، وقيل في قوله عز وجل خبرا عن
بيعة النساء : ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِيْهَتَانِ ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بعلها ، وليس منه ،
وقيل : هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجمعة ونحوها ، والأول
يشبه أن يبايع عليه الرجال ، وكذلك قيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَعْصِيكَ ﴾
في معروف : أنه النوح ، وهذا أيضا ليس من شأن الرجال ، فدل على
ضعف قول من خصه بالنوح ، وخص البيهتان بإلحاق الولد بالرجل ،
وليس منه ، وقيل : يفترقه بين أيديهن يعني : الكذب وعيب الناس
بما ليس فيهم ، وأرجلهم يعني : المشي في معصية ، ولا يعصيك في معروف ،
أي : في خير تأمرهن به ، والمعروف : اسم جامع لمكارم الأخلاق ، وماعرف
حسنة ولم تنكره القلوب ، وهذا معنى يعم الرجال والنساء ، وذكر ابن
إسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن : أن قال : وَلَا تَفْشُشْنَ
أزواجكن ، قالت : إحداهن وما غش أزواجنا فقال : أن تأخذى من ماله

فَتُحَاكِي بِهِ غَيْرَهُ (١).

هجرة مصعب بن عمير

فصل : و ذكر هجرة مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وهو الْمُقَرِّي ، وهو أول من سُمِّيَ بهذا ، أعنى الْمُقَرِّي ، يُكْنَى أبا عبد الله ، كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشاً وأعطرهم ، وكانت أمه شديدة الكلف به ، وكان يبيت وقب الحليس (٢) عند رأسه ، يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه ، ونهكت جسمه حتى كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إليه ، وعليه فروة قد رفعها ، فيبكي لما كان يعرف من نعمته ، وحلفت أمه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها ، فكانت تقف للشمس حتى تسقط منفسياً عليها ، وكان بنوها ينحشون فاهها يشجاراً (٣) ، وهو عود فيصبئون فيه الحساء لئلا تموت ، وسندكر اسمها ونسبها عند ذكره في البذر بين إن شاء الله تعالى ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكره ، فيقول : ما رأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ذكره الواقدي . وذكر أيضاً بإسناد له ، قال : كان

(١) في حديث رواه أحمد بسنده عن سلمى بنت قيس إحدى خالات الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) القعب : القدح الضخم الجافي ، والحليس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ، ثم يندرج منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .

(٣) أصله : عود يجعل في فم الجدي لئلا يرضع . وحديث بكاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين كان يرى مصعباً رواه الترمذي بسنده فيه ضعف .

(م ٧ — الروض الأنف ج ٤)

مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ فَتَى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَالًا وَسِنًا وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحْبَاهَانِهِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ ، وَكَانَ أَغْطَرُ أَهْلِ مَكَّةَ يَلْبَسُ الْخُضْرَ مِنْهُ مِنَ النَّعَالِ ^(١)

وَذَكَرَ أَنَّ مَنَزْلَهُ كَانَ عَلَى أَسْعَدِينَ زُرَّارَةً ، مَنَزَلٌ بَفَتْحِ الزَّائِي ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا وَقَعَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ مَنَزَلِ فُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ ، فَهُوَ بِالْفَتْحِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ الْمَصْدَرَ ، وَلَمْ يَرِدِ الْمَسْكَنُ ، وَكَذَلِكَ قِيمَةُ الشَّيْخِ أَبُو بَحْرٍ بَفَتْحِ الزَّائِي ، وَأَمَّا أُمُّ قَيْسِ بِنْتُ مُحْصِنِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَجْرَةِ بَنِي أَسَدٍ ، فَاسْمُهَا أَمْنَةُ وَهِيَ أُخْتُ عَكَاشَةَ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرْتُ فِي الْمَوْطَأِ وَأَنَّهَا أَنْتَ بَابِنِ لَهَا صَغِيرٌ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أول صفحة :

فصل : وذكر أول من جَمَعَ بالمدينة ، وهو أبو أمّامة ، وذكر غيره أن أول من جَمَعَ بهم مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ مَنْ جَمَعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِمَكَّةَ لِحُطْبِ وَذَكَرَ وَبَشَّرَ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَضَّ عَلَى اتِّبَاعِهِ ، وَهُوَ كُفَيْبُ بْنُ لُؤَيٍّ ^(٢) وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَمَّى الْقُرُوبَةَ الْجُمُعَةَ ، وَمَعْنَى الْقُرُوبَةِ الرَّحْمَةُ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِيهَا فَيَأْكُلُونَ الزَّبِيرَ ابْنُ دُبَّكَارٍ ، فَيُخْطَبُهُمْ ، فَيَقُولُ : أَمَا بَعْدَ فَاعَلَمُوا وَتَعَالَمُوا إِنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ مَهَادَةٌ ،

^(١) نسبة إلى حضرموت ، وهي نعال ملصقة .

^(٢) وسبق تعليل على ذلك .

والجبالُ أوتاد، والسماءُ بناء، والنجومُ سُمُلٌ^(١)، ثم يأمرهم بصلَّةِ الرَّحِمِ، ويبشرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم^(٢)، ويقول: حَرَّمُكُمْ يَأْتِي عِظْمُوهُ، فسيكون له نبأٌ عظيم، ويخرج منه نبي كريم، ثم يقول في شعر ذكره:

على غَمَلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فيخبر أخباراً صدوقٌ خبيرها
صُروفٌ رأيناها تُقَتِّبُ أَهْلَهَا لها عَقْدٌ ما يستحيل مريرها
ثم يقول:

بِالْيَتَنِيِّ شَاهِدٌ فَجَوَّاءَ دَعْوَتِهِ إِذَا قُرَيْشٌ تَبَعَّى الْحَقَّ خِذْلَانَا^(٣)
وأما أول من جمع في الإسلام فهو مَنْ ذُكِرْنَا.

نَقِيعُ الْخَضَمَاتِ:

وذكر ابن إسحاق أنه جمع بهم أبو أَمَامَةَ عند هَزَمِ النَّبِيتِ فِي بَقِيعِ
يَقَالُ لَهُ بَقِيعُ الْخَضَمَاتِ. بَقِيعٌ بِالْبَاءِ وَجَدْتُهُ فِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَجْرٍ، وَكَذَلِكَ

(١) هكذا بالأصل، ولم أهتم إلى صوابها.

(٢) النبي نفسه لم يكن حتى ليلة المبعث يعرف شيئاً عن نبوته. يجوز أن نفهم على فرض صحة النقل — أنه كان يبشرهم بمبعث نبي، ويقول عنه الجاحظ «ومن الخطباء القدماء: كعب بن لؤي، وكان يخطب على العرب عامة، ويحضر كنانة على البر، فلما مات أكبروا موته، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب إلى عام الفيل، ص ٣٥ ج ١ البيان والتبيين بتحقيق عبد السلام هارون.

(٣) في الأصل: لجواء، وهو خطأ. وللمكلمة روايتان إحداهما: لجواء أي: معنى، ونجواء، والممد للضرورة وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف أي دعوته السر. وقد سبق التعليق على البيت في الجزء الأول.

وجده في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكره البكري في كتاب مُعْجَم ما استعجم من أسماء البقع أنه نقيع بالنون ، ذكره في باب النون والقاف ^(١) ، وقال : هَزَم النَّبَيْت : جَبَلٌ على بريد من المدينة ، وفي غريب الحديث : أنه عليه السلام حى غرز النقيع . قال الخطابي : النقيعُ : القاعُ ، وَالْعَرَزُ شبه الثَّام ^(٢) وسيأتى تفسيره فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ومعنى الخَضَمَاتِ من الخَضَم ، وهو الأكل بالقم كله ، والخَضَمُ بأطراف الأسنان ، ويقال : هو أكل اليابس ، والخَضَمُ : أكل الرطب ، فكأنه جمع خَضَمَة ، وهى الماشية التى تخضم ، فكأنه سعى بذلك لخضب كان فيه ، وأما البقيع بالباء فهو أقرب إلى المدينة منه بكثير ، وأما بقيع الخَبْجَة بخاء وجيم وباءين ، فجاء ذكره في سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ^(٣) : والخَبْجَة : شَجَرَةٌ عُرِفَ بِهَا .

الجمعة :

فصل : وتجميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجمعة وتسميتهم إياها بهذا الاسم وكانت تسمى العَرُوبَة - كان عن هِدَايَةِ من الله تعالى لهم

(١) يقول الخشنى فى شرح السيرة عن نقيع الخضمات : « وقع فى الرواية هنا بالباء والنون ، والصواب بالنون ، وهو موضع يستنقع فيه الماء ، والنقيع : البئر » ص ١١٨ . وهو فى معجم ياقوت : نقيع . وكذلك صاحب المراسد .

(٢) فى القاموس عن الغرز : ضرب من الثام أو نباته كنبات الإذخر من شر المرعى .

(٣) رواه فى باب الركاز بسنده عن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وخلاصته أن المقداد وجد ببقيع الخبج حجرا وجد به عدة دنائير ، وأن النبي دعا له بالبركة فيها بعد أن علم أنه لم يهوا إلى الحجر بيديه .

قبل أن يؤثروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فاستقر فرضها واستمر حكمها ، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - في يوم الجمعة : أَضَلَّتْهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، وَهَذَا كَمَا اللَّهُ إِلَيْهِ .

ذكر السكشي ، وهو عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ قَالَ : نَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : جَمَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ ، وَقَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الْجُمُعَةُ ، وَهُمْ الَّذِينَ سَمَّوْا الْجُمُعَةَ ، قَالَ الْأَنْصَارُ : لِلْيَهُودِ يَوْمٌ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، وَلِلنَّصَارَى مِثْلُ ذَلِكَ ، فَهَلُمُّ ، فَلَنَجْعَلَ يَوْمًا نَجْتَمِعُ فِيهِ ، وَنَذْكُرُ اللَّهَ ، وَنُصَلِّي وَنُشْكِرُ ، أَوْ كَمَا قَالُوا ، فَقَالُوا : يَوْمَ السَّبْتِ لِلْيَهُودِ ، وَيَوْمَ الْأَحَدِ لِلنَّصَارَى ، فَاجْمَعُوا يَوْمَ الْعَرُوبَةِ ، كَانُوا يَسْمُونُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمَ الْعَرُوبَةِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ، فَصَلَّى بِهِمْ يَوْمَئِذٍ رَكْعَتَيْنِ ، فَذَكَرَهُمْ ، فَسَمَوْا الْجُمُعَةَ حِينَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَذَبَحَ لَهُمْ شَاةً فَتَقَدَّسُوا وَتَعَشَّوْا مِنْ شَاةٍ ، وَذَلِكَ أَلْفَتَهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي ذَلِكَ : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الْجُمُعَةُ : ٩ .

قال المؤلف : ومع توفيق الله لهم إليه ، فيبعد أن يكون فعلهم ذلك عن غير إذن من النبي - صلى الله عليه وسلم - أهم ، فقد روى الدار أقطبي عن عُثْمَانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ السَّمَّالِ ، قَالَ : نَا أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنِ غَالِبِ الْبَاهِلِيِّ ، قَالَ : نَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو زَيْدٍ أَمَدَنِي ، قَالَ : نَا الْمَعْبُورَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسول الله صلى الله

عليه سلم - أن يجمع بمكة ، ولا يبدى لهم ، فكتب إلى مُضْعَب بن عُمَيْر :
أما بعد : فانظر اليوم لذي تنجهر فيه اليهود بالزُّبُورِ لِسَبْتِهِمْ ، فاجتمعوا نساءكم
وأبناءكم ، فإذا مال النهارُ عن شَطْرِهِ عند الزَّوال من يوم الجمعة ، فتقربوا إلى
الله بركعتين قال : فأول من جَمَعَ : مُضْعَبُ بن عُمَيْر ، حتى قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم - المدينة ، فجمع عند الزوال من الظهر ، وأظهر ذلك ، ومعنى
قول النبي - صلى الله عليه وسلم - أَضَلَّتْهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، وهذا كَمِ اللهُ إِلَيْهِ
فَمَا ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ الْيَهُودَ أَمَرُوا بِيَوْمٍ مِنَ الْأَسْبُوعِ ، يَعِظُّمُونَ اللهُ فِيهِ ،
ويَتَفَرَّغُونَ لِعِبَادَتِهِ ، فَاخْتَارُوا مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمُ السَّبْتَ فَأَلْزَمُوهُ فِي شَرْعِهِمْ ،
كَذَلِكَ النَّصَارَى أَمَرُوا عَلَى لِسَانِ عِيسَى بِيَوْمٍ مِنَ الْأَسْبُوعِ ، فَاخْتَارُوا مِنْ قَبْلِ
أَنْفُسِهِمُ الْأَحَدَ ، فَأَلْزَمُوهُ شَرْعًا لَهُمْ .

قال المؤلف : وكان اليهودُ إنما اختاروا السبتَ ، لأنهم اعتقدوه اليومَ
السَّابِعَ ، ثم زادوا الكُفْرَ أَنَّ اللهَ اسْتَرَاخَ فِيهِ ، تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ ، لَأَنْ بَدَأَ
الْخَلْقَ عِنْدَ الْأَحَدِ ، وَآخِرَ السَّيِّئَةِ الْأَيَّامِ الَّتِي خَلَقَ اللهُ فِيهَا الْخَلْقَ الْجَمْعَةَ ، وَهُوَ
أَيْضًا مَذْهَبُ النَّصَارَى ، فَاخْتَارُوا الْأَحَدَ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ الْأَيَّامِ فِي زَعْمِهِمْ ،
وَقَدْ شَهِدَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلْفَرِيقَيْنِ بِإِضْلَالِ الْيَوْمِ ، وَقَالَ
فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ إِنَّ اللهَ خَلَقَ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، فَبَيَّنَ أَنَّ أَوَّلَ الْأَيَّامِ الَّتِي خَلَقَ
اللهُ فِيهَا الْخَلْقَ السَّبْتَ ، وَآخِرَ الْأَيَّامِ السَّيِّئَةِ إِذَا الْحَيْسُ ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ
إِسْحَاقَ فِيمَا ذَكَرَ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ ، وَفِي الْأَثَرِ أَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سُمِّيَ الْجُمُعَةَ ، لِأَنَّهُ
يُجْمَعُ فِيهِ خَلْقُ آدَمَ ، رَوَى ذَلِكَ عَنْ سَلْمَانَ وَغَيْرِهِ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي حَدِيثِ

الْكُشَى أَنْ الْأَنْصَارَ سَمَوْهُ جُمُعَةً لاجتماعهم فيه ، فهداهم الله إلى التسمية ،
وهدهم إلى اختيار اليوم ، وموافقة الحكمة أن الله تعالى لما بدأ فيه خَلْقَ آدَمَ ،
وَجَعَلَ فِيهِ بَذْنَهُ هَذَا الْجِنْسَ ، وَهُوَ الْبَشَرُ ، وَجَعَلَ فِيهِ أَيْضًا فَنَاءَهُمْ
وَاقْتِضَاءَهُمْ إِذْ فِيهِ يَقُومُ السَّاعَةُ ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ ذِكْرِ وَعِبَادَةٍ ، لِأَنَّهُ
تَذَكُّرَةٌ بِالْمَبْدَأِ ، وَتَذَكُّرَةٌ بِالْمَعَادِ ، وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاسْمَعُوا إِلَى ذِكْرِ
اللَّهِ وَذَرُّوا الْبَيْعَ ﴾ الْجُمُعَةُ : ٩ وَخَصَّ الْبَيْعَ لِأَنَّهُ يَوْمٌ يُذَكَّرُ بِاليَوْمِ الَّذِي
لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ مَعَهُ أَنَّهُ وَثَرٌ لِلْأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَهُ فِي الْأَصَحِّ مِنَ الْقَوْلِ ،
وَاللَّهُ يَحِبُّ الْوَثَرَ ، لِأَنَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ فَكَانَ مِنْ هُدَى اللَّهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ أَلْهِمُوا
إِلَيْهِ ثُمَّ أَقْرَؤُوا عَلَيْهِ كَمَا وافقوا الحكمة فيه ، فَهَمَّ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
كَأَنَّ قَالِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا أَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي اخْتَارُوهُ سَابِقٌ لِمَا اخْتَارَتْهُ الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى ، وَمَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ يَقْرَأُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سُورَةَ السَّجْدَةِ فِي صَبْحِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ الْبَطِينُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كِلَاهُمَا عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرَوَاهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَيْضًا عُرْوَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ذَكَرَهُ الْبَزَارُ ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الْعَمَالِ لَهُ عَنِ الْأَحْوَصِ ، وَرَوَاهُ أَيْضًا
عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ ، وَعَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ السَّيِّئَةِ الْأَيَّامِ وَاتِّبَاعِهَا بِذِكْرِ خَلْقِ آدَمَ مِنْ طِينٍ ،
وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَنْبِيْهُهَا مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْحِكْمَةِ ، وَتَذَكُّرَةٌ لِلْغُلُوبِ

بهذه الموعظة^(١) .

(١) أخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام ابن منبه قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم ، فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فالتناص لنا فيه تبع . اليهود غدا ، والنصارى بعد غد ، لفظ البخارى ، وفى لفظ لمسلم : أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا ، فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة . نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والاولون يوم القيامة ، المقضى بينهم قبل الخلائق ، والمسلم لا يطمئن قلبه فيما يتعلق بالعبادة إلا لما نقل نقلا صحيحاً يفرم القلب بالسكينة : والروح بالولاء له ، ولن تطمئن نفس مسلم إلى أن الجمعة كانت صلاة ابتدعها الانصار من عندهم . والقارىء المتدبر لآية الجمعة فى سورة الجمعة يؤمن أن صلاة الجمعة مفروضة من عند الله ، لا من عند الانصار ، ولا من عند النبي « ص » ، فالنبي لا يفرض أمراً ، وإنما الذى يفرض هو ربنا سبحانه وتعالى .

أما زعم اليهود عن السبت ، فقد ورد عندهم فى سفر التكوين ما يأتى : « فأكملت السموات والأرض ، وكل جندهما ، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع ، وقدمه ، لانه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالفاً » الإصحاح الثانى الفقرات : ١ ، ٢ ، ٣ ، والقرآن الكريم يدفع زورهم هذا بأنه بهتان أثم . وتدبر قول الله سبحانه (ولقد خلقنا السموات والأرض ، وما بينهما فى ستة أيام ، وما مسنا من لغوب) ق : ٢٨ واللغوب : التعب والاعياء ، هكذا اليهود لا يسكن حقدهم إلا أن يسبوا الله جل جلاله . ثم تدبر عن أيام الخلق هذه الآية البينة : (قل أنتم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتعملون

وأما قراءته : ﴿ هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ ٱلْدَّهْرِ ﴾ فى الركعة الثانية ، فلما فيها من ذكر السَّعْيِ وشكر الله لهم عليه يقول : ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ مع ما فى أولها من ذكر بدء خلق الإنسان ، وأنه لم يكن قبل شيئاً مذكوراً ، وقد قال فى يوم الجمعة ﴿ فَاسْتَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فنبه بقراءته إياها على التأهب للسعى المشكور عليه والله أعلم ، ألا ترى أنه كان كثيراً ما يقرأ فى صلاة الجمعة أيضاً يَهْلُ أَنْكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ، وذلك أن فيها : ﴿ لَسَعِيهَا رَاضِيَةً ﴾ كما فى سورة الجمعة ، ﴿ فَاسْتَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فَاسْتَحَبَّ عَلَيْهِ السَّلام أن يقرأ فى الثانية ما فيه

له أن داداً ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ، سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء ، وهى دخان ، فقال لها ، والأرض : أنتيا طوعاً أو كرهاً قالنا أتيننا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمراً ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم (فصلت : ٩ - ١٢ هذا هو الهدى الذى يتلألا فيه الحق ، يشرق منه نور الله . وأما حديث أبى هريرة « أخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يمدى ، فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المسكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل ، أما هذا فقد رواه مسلم والشافعى فى كتابيهما من حديث ابن جريج ، وهو — كما قيل — من غرائب الصحيح ، وقد علله البخارى فى التاريخ ، فقال رواه بعضهم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن كعب الأحمري أنهما تتجلى لنا حكمة الهداية الإلهية فى قول سبجانه : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضداً) الكهف : ١٥ فلا يجوز لمسلم أن يقول عن خلق السموات والأرض شيئاً غير ما قال الله سبحانه .

رضاهم بسعيهم للأمور به في السورة الأولى .

نفظ الجمعة :

ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع ، كما قدمنا وكان على وزن فُعْلَةٌ وفُعْلَةٌ لأنه في معنى قُرْبَةٍ ، وقُرْبَةٍ والعرب تأتي بالفظ الكلمة على وزن ما هو في معناها ، وقالوا : عُمَرَةُ ، فاشتقوا اسمها من عِمَارَةِ المسجد الحرام ، وبنوه على فُعْلَةٍ لأنها وُضِلَتْ وقُرْبَةٌ إلى الله ، ولهذا الأصل فروغ في كلام العرب ، ونظائر لهذين الأسمين يُقِيمُنَا تتبعه عمارن بسايله ، وفيما قدَّمناه ما هو أكثر من أَمَجَةٍ دالة ، وقالوا في الجمعة جَمَعَ بِشَدِيدِ الْمَيْمِ كما قالوا عَيَّدَ إِذَا شَهِدَ الْعِيدَ ، وعَرَّفَ إِذَا شَهِدَ عَرَفَةً ، ولا يقال في غير الْجُمُعَةِ إِلا جَمَعَ بِالْتَّخْفِيفِ ، وفي البخاري : أول من عَرَّفَ بِالْبَصْرَةِ : ابنُ عَبَّاسٍ ، والتعريف إنما هو عَرَفَاتٌ ، فكيف بالبصرة ، ولكن معناه أنه رضى الله عنه إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ يَوْمَ عَرَفَةٍ أَخَذَ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَالضَّرَاعَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، كما يفعل أهلُ عَرَفَةٍ (١) .

أيام الأسبوع :

وليس في تسميته هذه الأيام والإثنين إلى الخميس ما يشد قول من قال : إن أول الأسبوع : الأحدُ وسابِعُهَا السبتُ ، كما قال أهل الكتاب لأنها تسمية طارئة ، وإنما كانت أسماؤها في اللغة القديمة شِيَارَ وَأَوَّلَ وَأَهْوَنَ وَجُبَّارَ وَدُبَّارَ وَمُونِسُ وَالْعَرُوبَةُ (٢) ، وأسمائها بالبريانية قبل هذا (١) وفيها أيضاً جمعة إذ ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنه يجمع الناس كما يقال دجل همزة لمزة ضحكة .

(٢) سبق الكلام عنها . وقد جمعها الشاعر في قوله :

أَوَّلُ أَنْ أَعِيشَ . وَأَنْ يَوْمِي بأول ، أو بأهْوَنَ أو جبَّارَ
أو التالى : دُبَّارَ ، فَإِنْ أَفْتَهُ فُونِسُ أو عَرُوبَةً أو شِيَارَ

أبو جاد هُوَز حُطِّي إلى آخرها، ولو كان الله تعالى ذكرها في القرآن بهذه الأسماء المشتقة من العدد، لقُلْنَا: هي تسمية صادقة على المسمَّى بها، ولكنه لم يذكر حنبا إلا الجُمُعة والسَّبْتُ^(١)، وليس من المُشْتَقَّة من العَدَدِ، ولم يُسمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالأحد والاثنين إلى سائرهما إلا حاكيا للغة قومه لا مُبْتَدِئًا لتسميتهما، ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معاني هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم، فألقوا عليها هذه الأسماء اتباعا لهم، وإلَّا فَقَدْ قدمنا ما ورد في الصحيح من قوله عليه السلام: إن الله خلق التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ والجبال يوم الأحد، الحديث، والمعجب من الطَّبَرِيِّ على تَبَجُّره في العلم كيف خالف مقتضى

أراد: فبمؤنس، وترك صرفه على اللغة القديمة، وإن شئت جعلته على لغة من رأى ترك صرف ما ينصرف... قال أبو موسى الخامض: قلت لأبي العباس: هذا الشعر موضوع، قال: لم؟ قلت: لأن مؤنسا وجبارا ودبارا وشيارا تنصرف، وقد ترك صرفها، فقال: هذا جائز في الكلام فكيف في الشعر؟ وقال اللحاني: كان أبو زياد وأبو الجراح يقولان: مضت الجمعة بما فيها، فيوحدان ويؤثنان، وكانا يقولان: مضى السبت بما فيه فيوحدان ويذكران، وكذلك الأحد، ثم اختلفا فيما بعد، فكان أبو زياد يقول: مضى الاثنين بما فيه وكذلك يفعل في الثلاثاء والأربعاء والخميس. أما أبو الجراح فكان يقول: مضى الاثنين بما فيهما، ومضى الثلاثاء بما فيهن، ومضى الأربعاء بما فيهن، ومضى الخميس بما فيهن، فيجمع ويؤنث يخرج ذلك مخرج العدد. اللسان مادة جمع وعرب.

(١) ورد ذكر الجمعة مرة واحدة في القرآن في سورة الجمعة الآية رقم ٩، أما السبت فذكر ست مرات في القرآن في البقرة والنساء والأعراف والنحل، وجاء الفعل: يسبتون مرة واحدة في الأعراف.

هذا الحديث ، وأغتنق في الرد على ابن إسحاق وغيره ، وعال إلى قول اليهود في أن الأحد هو الأول ويوم الجمعة سادس لا وتر وإنما الوتر في قولهم يوم السبت مع مائت من قوله عليه السلام : أضلّهُ اليهود والنصارى ، وهذا كم الله إليه ، وما احتج به بالطبري^(١) من حديث آخر ، فليس في الصحة كالذي قدمناه ، وقد يمكن فيه التأويل أيضا ، فقف بقلبك على حكمة الله تعالى في تعبد الخلق به لما فيه من التذكيرة بإنشاء هذا الجنس ومبدئه ، كما قدمنا ، ولما فيه أيضا من التذكيرة بأحدية الله سبحانه ، وانفراده قبل الخلق بنفسه ، فإليك إذا كنت في الجمعة ، وتفكرت في كل جمعة قبله حتى يترقى وهُك إلى الجمعة التي خلق فيها أبوك آدم ثم فسكرت في الأيام الستة التي قبل يوم الجمعة ،

(١) اختلاف لأطائل تحته . ولنتدبر معا ما ذكرت به من قبل من قول الله سبحانه (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم) هذا وقد ورد في سفر التكوين أول أسفار التوراة كما يقول النصارى واليهود ، أن الله خلق الليل والنهار في اليوم الأول ، وخلق السماء في اليوم الثاني ، وخلق الأرض بنباتها وشجرها في اليوم الثالث ، وخلق أنوار السماء ونجومها في اليوم الرابع ، وخلق ما في البحر من زحافات ، وما في الأرض من طير ، وكل ذوات الأنفس الحية - ما عدا الإنسان - في اليوم الخامس ، ثم عمل وحوش الأرض وبهائمها ودباباتها ، ثم قال « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهتنا ، فيسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكر و أنثى خلقهم ، كل هذا في اليوم السادس ، ثم يقول السفر « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فلنتدبر ما يروى لنا من غير القرآن ، فقد يكون من هذه الأسفار ، ونحن لا ندرى .

وجدت في كل يومٍ منها حِنْسًا من المخلوقات موجوداً إلى السَّبْتِ ، ثم انقطع
وهُمُك فلم تجد في الجمعة التي تلي ذلك السبتَ وجوداً إلا للواحد الصَّمدِ الوتر ،
فقد ذَكَرَتِ الجمعةُ مَنْ تَفَكَّرَ بَوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَأَوَّلِيَّتِهِ ، فوجب أن يُؤَكِّدَ
في هذا اليوم توحيدُ القلبِ للربِّ بالذِّكْر له ، كما قال تعالى : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ
اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ الجمعة . وأن يتأكَّد ذلك الذِّكْرُ بالعمل ، وذلك بأن
يكون العملُ مشاكلاً لمعنى التوحيد ، فيكون الاجتماع في مسجد واحدٍ من
المساجد ، وإلى إمام واحد من الأئمة ، ويخطب ذلك الإمام ، فيذكِّر بوحْدَانِيَةِ
الله تعالى وبلقائه ، فيشاكل الفعل القول ، والقول المعتقد ، فتأمل هذه
الأغراض بقلبك ، فإنها تذكرة بالحق ، وقد زدنا على ما شرطنا في أول
الكتاب معاني لم تكن هنالك ، وعدنا بها ، ولكن الكلام يفتح بعضه باب
بعض ، ويحدو المتكلم قصد البيان إلى الإطالة ، ولا بأس بالزيادة من
الخير ، والله المستعان .

إسلام سعد بن معاذ وأسيود بن حضير

وسمع أهل مكة هاتفا يهتف ، ويقول قبل إسلام سعد :

فإن يسلم السَّعدان يصبح محمدٌ بحمكة لا يخشى خلافَ المَخَافِ

فَحَسِبُوا أَنَّهُ يَرِيدُ بِالسَّعْدَيْنِ : الْقَبِيلَتَيْنِ سَعْدُ هَذَيْنِ مِنْ قُضَاعَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ

زَيْدٍ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، حَقِّ سَمْعُوهُ يَقُولُ :

فِيَا سَعْدَ سَعْدِ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرَا
وَيَا سَعْدَ سَعْدِ الْخَزْرَجِينَ الْغَطَّارِفِ
أَجِيئَا إِلَى دَاعِي الْهَدْيِ ، وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنْمِيَّةَ عَارِفِ (١)
فَعَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنَّهُ يَرِيدُ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ .

هل يفصل الكافر إذا أسلم ؟

وذكر فيه اغتسالهما حين أسلما بأمر مُصَنَّبِ بْنِ عُصَيْنَرٍ لهما بذلك ، فذلك
السُّنَّةُ فِي كُلِّ كَافِرٍ يَسْلَمُ ، ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي نِيَّةِ الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ بِاِغْتِسَالِهِ ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ يَتَوَيَّ بِهٖ رَفْعُ الْجَنَابَةِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَتَوَيَّ التَّعَبُّدَ ، وَلَا حُكْمَ
لِلْجَنَابَةِ فِي حَقِّهِ ، لِأَنَّ مَعْنَى الْأَمْرِ بِهٖ اسْتِبَاحَةُ الصَّلَاةِ ، وَالْكَافِرُ لَا يُصَلِّي ،
وَأِنْ كَانَ مَخْطُبًا فِي أَصْحَحِ الْقَوْلَيْنِ ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ مُشْرُوطٌ بِالْإِيمَانِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ
الْإِيمَانُ - وَهُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ - فَأَجْدِرُ أَنْ يَكُونَ - الشَّرْطُ الثَّانِي - وَهُوَ
الْفَسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ غَيْرَ مُقَيَّدٍ بِشَيْءٍ ، فَإِذَا أَسْلَمَ هَدَمَ الْإِسْلَامُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، فَلَمْ
يَجِبْ عَلَيْهِ إِعَادَةُ صَلَاةٍ مَضَتْ ، وَإِذَا سَقَطَتِ الصَّلَاةُ سَقَطَتْ عَنْهُ شُرُوطُهَا ،
وَاسْتَأْنَفَ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ ، فَتَجِبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ مِنْ حِينَ بَسَلَ بِشُرُوطِ

(١) هذا الصامح أو الهاتف هو أحد الشعراء ، ولهذا يقول ابن حجر في فتح
الباري عن السعدين : وإياهما أراد الشاعر بقوله ، ثم روى البيت : فإن يسلم
ص ٩٧ فتح الباري ص ٧ وبعد البيت الأخير :

فإن ثواب الله للعالم الهدى جنان من الفردوس ذات رقارف
وقد رواه البخاري في التاريخ الأوسط ولكن لم يخرج في الصحيح

أدائها من وضوء وغسل من جنابة ، إذا اجْتَنَبَ بعد إسلامه ، وغير ذلك من شروط صحة الصلاة ، ورأيت لبعض المتأخرين أن اغتساله سُنَّةٌ لأفريضة وليس عندي بالبَيِّن لأن الله سبحانه يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ التوبة : ٢٨ . وحكم النجاسة إنما يُرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالتفحيس لموضع الجنابة ؛ لأنه قد علق الحكم بصفة الشرك ، والحكم المَعْلَل بالصفة مرتبطٌ بها فإذا ارتفع حكم الشرك بالإيمان لم يبق للجنابة حكم كما إذا كان المسلم جُنُبًا ، ثم بال فالتطهر من الجنابة ، يرفع عنه حكم الحَدَث الأصغر ، وهو حَدَثُ الوُضوء ، لأن الطهارة الصَّغرى داخلةٌ في الكبرى ، وتطهره من تَنَجِّيسِ الشرك بإيمانه هو أيضًا بالإضافة إلى الطهر من الجنابة ، الطهارة الكبرى ، فينبغي أن تكون مُغْنِيَةً عنها ، كما كانت الطهارة من الجنابة مُغْنِيَةً عن الطهارة من الحَدَث ، إذ ليست واحدة من هذه الطهارات منزلةً لِعَيْنِ نجاسة فيها ، فينبغي بعد هذا أن أمره بالاغتسال تعبد ، والحكم بأنه غير فرض تحكُّم والله أعلم ، غير أن الترمذی خرج حديث قيس بن عاصم حين أسلم فأمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل . قال الترمذی : وعلى هذا العمل عند أهل العلم يَسْتَحِبُّونَ للكافر إذا أسلم أن يغتسل ، ويغسل ثيابه ، فقال : يَسْتَحِبُّونَ ، وجعلها مسألة استخباب .

من شرح شعر ابن الأسيات :

فضل : وذكر شعر أبي قيس بن الأسيات ، وفيه قوله :

ولولا ربُّنا كُفَّا يَهُودًا وما دينُ اليهود بنى سُكُول .

أراد جمع : شَكْلٌ ، وشَكْلُ الشيء - بالفتح ^(١) - هو مثله ، والشَّكْلُ بالكسر الدَّلُّ والحُسْنُ ، فكأنه أراد أن دين اليهود بدُّعٌ ، فليس له شكول أى : ليس له نظير في الحقائق ، ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول ، وقد قال الطائي :

وقلت : أخى ، قالوا : أخٌ من قرآنيةٍ فقلت لهم : إن الشُّكُولَ أقاربُ
قَرِيبَى في رأْيِ وِدِينِي وَمَذْهَبِي وإن باعدتنا في الخطوب المناسب
وقال فيه : مع الرهبان في جَبَلِ الجليل . الجليلُ بالجيم الثَّامُ ، وهذا الجبل
من جبال الشام معروف بهذا الاسم ^(٢) .

ذكر البراء بن معرور ، وصلاته إلى القبلة

ذكر حديث كعب بن مالك حين حجَّ في نَفَرٍ من قومه مع البراء بن معرورٍ ، فكانوا يصلون إلى بيت المقدس ، وكان البراء يصل إلى الكعبة

(١) في القاموس أنه يكسر أيضاً

(٢) في المراصد : جبل الجليل : في ساحل الشام تمتد إلى قرب مصر . قيل هو جبل يقبل من الحجاز ، فإكان بفلسطين فهو جبل الخمل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وهو بدمشق : لبنان وبحمص : سنير . وفي قاموس الدكتور بوست : أن الجليل كانت القسم الشمالي لفلسطين ، ويحدها من الشمال نهر القاسمية ، ومن الشرق : الأردن وبحر الجليل ، ومن الجنوب : السامرة ، ومن الغرب فينيقية الممتدة من الكوامل إلى صور ، وكانت الجليل قسمين العليا ويسكنها السوريون والفينيقيون ، والعرب ، والسفلى ، فكانت بقرب بحر طبرية ، وكان يسكنها أسباط إساكروزبولون وغيرهم .

الحديث - إلى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قد كنت على قبلة
لو صبرت إليها ففقه قوله : لو صبرت عليها : أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلى ؛
لأنه كان متأولاً .

قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم :

وفي الحديث : دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يصلي
بمكة إلى بيت المقدس ، وهو قول ابن عباس ، وقالت طائفة : ماصلى إلى بيت
المقدس إلا مذ قدِم المدينة بمسجده عشر شهراً أو ستة عشر شهراً^(١) ، فعلى هذا

(١) روى البخارى بسنده عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر
شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة
للصبر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل من كان صلى معه ، فرأى أهل المسجد ، وهم
راكعون ، قال : أشهد بالله : لقد صليت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل
مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة ، قبل أن تحول
قبل البيت رجالاً قتلوا لم ندر ما تقول فيهم ، فأنزل الله : (وما كان الله ليضيع
إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) . أقول : لعل الراوى يريد أنه بهذا الجزء
من الآية اطمأن كل امرئ مسلم إلى هذا المعنى ، أو لعله أراد الآية كلها ، إذ
لا يعقل تأخر جزء من آية هذا شأنه وإرتباطه الوثيق بما قبله عن جزئه الأول
المتتم لمعناه . وقد انفرد البخارى به من هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه
آخر وورد في البخارى أيضاً : بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء
جاء فقال : أنزل الله على النبي قرآنا أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، فتوجهوا
إلى الكعبة ، وأخرجه مسلم أيضاً . وإليك ما قاله ابن كثير في تفسيره : وقد جاء
في هذا الباب أحاديث كثيرة ، وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله - صلى الله

يكون في القبلة نَسْخَانُ نَسْخٍ سُنَّةٍ بِسُنَّةٍ ، ونسخ سُنَّةٍ بقرآن ، وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة ، فروى عنه من طرق صحاح ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس ، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعاً لم يبين توجُّهه إلى بيت المقدس للناس ، حتى خرج من مكة والله أعلم . قال الله تعالى له في الآية الناسخة : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

عليه وسلم - أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فكان يصلى بين الركبتين ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس ، قاله ابن عباس والجمهور ، ثم اختلف هؤلاء ، هل كان الأمر به بالقرآن ، أو بغيره ؟ على قوانين ، وحكى القرطبي في تفسيره . . أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام ، والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد مقدمه - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهراً ، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق ، نخطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس ، فأعلمهم بذلك ، وكان أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر ، كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء ، ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن المعلى أنها الظهر . . . وذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن تحويل القبلة نزل على رسول الله ، وقد صلى ركعتين من الظهر ، وذلك في مسجد بنى سلفة ، فسمى مسجد القبلتين : وفي حديث نبيلة بنت مسلم أنهم جاءهم الخبر بذلك ، وهم في صلاة الظهر ، قال : فتحولت الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر القمري ، وأما أهل قباء ، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين ، وهي محاولة للجمع بين التي تروى أنها صلاة العصر ، وبين التي تروى أنها صلاة الصبح . .

للمسجد الحرام ﴿ البقرة : ١٥٠ ﴾ : من أى جهة جئت إلى الصلاة ،
وخرجت إليها فاستقبل الكعبة كنت مُسْتَقْدِرًا لبیت المقدس ، أو لم تسكن ،
لأنه كان بمكة يتحرّى في استقباله بيت المقدس أن تكون الكعبة بين يديه ،
وتدبر قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ ﴾ وقال لأمتة :
﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ولم يقل : حينما خرجتم ، وذلك
أنه كان عليه السلام إمام المسلمين ، فكان يخرج إليهم إلى كل صلاة ليصلى بهم ،
وكان ذلك واجبا عليه إذ كان الإمام المقتدى به فأفاد ذكرُ الخروج في خاصّته
في هذا المعنى ، ولم يكن حكم غيره هكذا ، يقتضى الخروج ، ولا سيما النساء ،
ومن لاجتماع عليه ، وكرر الباري تعالى الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث
آيات ، لأن المؤمنين لتحويل القبلة ، كانوا ثلاثة أصنافٍ من الناس اليهود ،
لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم ، وأهل الرّيب والنفاق اشتد
إنكارهم له أنه كان أول نسخ نزل ، وكفار قُريش قالوا : ندیم محمد على فراق
ديننا فسيرجع إليه كما رجع إلى قِبَلَتِنَا ، وكانوا قبل ذلك يحتجّون عليه ،
فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل ، وقد فارق قبلة
إبراهيم وإسماعيل ، وآثر عليها قبلة اليهود ، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى
الكعبة ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ البقرة : ١٥٠
على الاستثناء المنقطع ، أى : لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون (١)

(١) يرى بعض المفسرين أنه غير منقطع ، لأن هذا لا يرد في الكلام البليغ
الفصيح . يقول البيضاوى عن الاستثناء هنا : إلا الذين ظلموا منهم استثناء من
الناس ، أى لئلا يكون لاحد من الناس حجة إلا للمعاندين منهم فإنهم يقولون

وقال سبحانه : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ البقرة : ١٤٧ أى : من الذين شكوا وامْتَرَوْا ، ومعنى : الحق من ربك أى الذى أمرتك به من التوجه إلى البيت الحرام ، هو الحق الذى كان عليه الأنبياء قبلك فَلَا تَمْتَرَنَّ ذلك وقال : ﴿ وَإِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ البقرة : ١٤٤ وقال : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ١٤٦ أى يكتمون ما علموا من أن الكعبة هى قبلة الأنبياء ، وروى أبو داود السنجري فى كتاب الناسخ والمنسوخ له وهو فى روايتنا عنه بسند رفيع حدثنا الإمام الحافظ أبو بكر بن العربى قال : أنا أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أيوب للبزار ، قال : أنا أبو على بن شاذان قال : أنا أبو بكر الفقيه النجار أحمد بن

ما تحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه ، وحبا لبلده ، أو : بداله فرجع إلى قبلة آبائه ، ويوشك أن يرجع إلى دينهم ، وسمى هذه حجة كقوله تعالى : (حجهم داخضة عند ربهم) لأنهم يسوقون مساقها وقيل : الحجة بمعنى الاحتجاج ، وقيل : الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا . . . وقرئ (إلا الذين ظلموا منهم) على أنه استثناء بحرف التثنية ، : وفى تفسير الجلالين : « إلا الذين ظلموا منهم بالعناد ، فإنهم يقولون : ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائه ، والاستثناء متصل ، والمعنى : لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء . ويقول ابن كثير « إلا الذين ظلموا منهم يعنى : مشركى قريش ، ووجه بعضهم حجة الظلمة — وهى داخضة — أن قالوا : هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم ، فإن كان توجهه إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم ، فلم يرجع عنه ؟ والجواب : أن الله تعالى اختار له التوجه إلى البيت المقدس أولا لما له تعالى فى ذلك من الحكمة ، فأطاع ربه تعالى فى ذلك ، ثم صرفه إلى قبلة إبراهيم ، وهى الكعبة ، فامتثل أمر الله فى ذلك أيضا ،

سُلَيْمَانُ عَنْهُ ، قَالَ : نَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : نَا عُبَيْسَةُ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شُهَابٍ
 قَالَ : كَانَ سَالِمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَا يَعْظُمُ إِلَّا بِلِيَاءِ كَمَا يَعْظُمُهَا أَهْلُ بَيْتِهِ ، قَالَ : فَسَرَتْ
 مَعَهُ ، وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ ، قَالَ : وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، قَالَ سَالِمَانُ : وَهُوَ
 جَالِسٌ فِيهِ : وَاللَّهِ إِنْ فِي هَذِهِ الْقِبْلَةِ الَّتِي صَلَّى إِلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى لَمَجَبَّهَا ،
 قَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ : أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَقْرَأُ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَقْرَأُ التَّوْرَةَ ، فَلَمْ يَجِدْهَا فِي الْيَهُودِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ،
 وَلَكِنْ تَابَوْتُ السَّكِينَةَ كَانَ عَلَى الصَّخْرَةِ ، فَلَمَّا غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
 بَنِي إِسْرَائِيلَ رَفَعَهُ ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُمْ إِلَى الصَّخْرَةِ عَنْ مُشَاوَرَةٍ مِنْهُمْ ، وَرَوَى
 أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا أَنَّ يَهُودِيًّا خَاصِمَ أَبَا الْعَالِيَةِ فِي الْقِبْلَةِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ :
 إِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَصَلِّي عِنْدَ الصَّخْرَةِ ، وَيَسْتَقْبِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ، فَكَانَتْ
 السَّكْبَةُ قِبْلَةً ، وَكَانَتْ الصَّخْرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ الْيَهُودِيُّ : بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَسْجِدُ
 صَالِحٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : فَإِنِّي صَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِ صَالِحٍ
 وَقِبْلَتُهُ السَّكْبَةُ ، وَأَخْبَرَ أَبُو الْعَالِيَةِ أَنَّهُ رَأَى مَسْجِدَ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَقِبْلَتَهُ
 السَّكْبَةَ ، وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يَقُولُ لِلْجِبْرِيلِ :
 وَدِدْتُ أَنْ اللَّهُ حَوَّلَنِي عَنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ ، فَيَقُولُ لَهُ جِبْرِيلُ : إِنْمَا أَنَا عَبْدٌ مُأْمُورٌ ،
 وَرَوَى غَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ يُنْذِرُهُ بِصَرْهٍ إِذَا عَرَّجَ إِلَى السَّمَاءِ حِرْصًا عَلَى أَنْ يَأْمُرَهُ
 بِالتَّوَجُّهِ إِلَى السَّكْبَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾
 الْآيَةُ : الْبَقَرَةُ ١٤٤ .

أم عمارة وأم منيع في بيعة العقبة الأخرى :

وذكر بيعة العقبة ، وذكر عِدَّة أصحاب بَيْعَةِ العقبة ، وأنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، وهما : أم عُمَارَة وهي نُسَيْبَةُ بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وشهدت يوم اليمامة ، وباشرت القتال بنفسها ، وشاركت ابنها عبد الله في قتل مُسَيْلِمَةَ ، فُقِطَتْ يَدُهَا ، وَجُرِحَتْ اثنا عشر جُرْحًا ، ثم عاشت بعد ذلك دَهْرًا ، وكان الناس يأتونها بمرضاهم ، لِيَتَشَفَى لَهُمْ ، فتمسح بيدها الشَّلَاءُ على العليل ، وتدعوه ، فَقُلَّ مَا مَسَحَتْ يَدِهَا ذَا عَاقِبَةٍ إِلَّا بَرِيَ^(١) .

والأخرى : أسماء بنت عمرو أم مَنِيْع ، وقد رفع في نسبها ونسب الأخرى ابن إسحاق ، ويُرْوَى أن أم عُمَارَة قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أرى كلَّ شيءٍ إلا للرجال ، وما أرى للنساء شيئًا ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿لِإِنِّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾^(٢) الآية .

(١) المسلم يدين بأن الشفاء بيد الله وحده . تدبر ما قص الله عن إبراهيم من قوله : (وإذا مرضت فهو يشفين) وليس من أسباب الشفاء أن تمسح امرأة بيدها جسم إنسان ، ولكن من أسبابه الدعاء ، وما أحل الله من دواء يصفه الطبيب .

(٢) المشهور — كما روى الإمام أحمد والنسائي وابن جرير — أن أم سلمة رضي الله عنها هي التي قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما لنا لا نذكر في القرآن ، كما يذكر الرجال ؟ فنزلت الآية .

قول البراء بن معرور :

وذكر قول البراء بن معرور ، وهو أول من ضرب بيده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالبيعة على اختلاف في ذلك قد ذكره ابن إسحاق ، فقال : نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه أئزنا ، أراد : نساءنا ، والعرب تسمى عن المرأة بالإزار ، وتسمى أيضاً بالإزار عن النفس ، وتجعل الثوب عبارة عن لابس كما قال :

رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِفَافٍ فَلَا تَرَى لَهَا شَبْهًا إِلَّا الْعَمَامَ الْمُتَفَرِّقًا^(١)
أى : بأبدان خفاف ، فقوله مما نمنع أئزنا يحتمل الوجهين جميعا ، وقد قال الفارسي في قول الرجل الذى كتب إلى عمر من الغزو يذكره بأهله :
أَلَا أَبْلِغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَّةً إِزَارِي
قال : الإزار : كناية عن الأهل ، وهو في موضع نصب بالإغراء أى : احفظ إزارى ، وقال ابن قتيبة : الإزار في هذا البيت كناية عن نفسه ، ومعناه فداك نفسى ، وهذا القول هو الرضى في العربية ، والذي قاله الفارسي بعيد عن الصواب ، لأنه أضمر المبتدأ ، وأضمر الفعل الناصب للإزار ، ولادليل عليه لبعده ، عنه ، وبعد البيت ما يدل على صحة القول المختار وهو :

قَلَانِصَنَا هَذَاكَ اللَّهُ مُهْلًا شَقِلْنَا عَنْكَ زَمَنَ الْحِصَارِ^(٢)

(١) البيت لليل الاخيلى ص ٩٢٢ سمط الكلى .

(٢) أصل القصة أن نفيلة الأكبر الاشجعى — وكنيته أبو المنهال — كتب إلى عمر أبياتا من الشعر يشير فيها إلى رجل كان واليا على مدينتهم يخرج الجوارى

إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو ، فيعقلن ، ويقول : لا يمشی فی العقال
إلا الحصان ، فربما وقعت ، فتكشفت ، وكان اسم هذا الرجل جمعة بن عبد الله
السلي ، فقال ما ذكر السهيلي وبعدهما :

فأقلص وجدن معقلات قفا سلع بمختلف النجار
قلائص من بني كعب بن عمرو وأسلم أو جهينة أو غفار
يعقلن جمعة من سليم غوى يمتنحى سقط العذارى
يعقلن أبيض شيطمي وبش معقل الذود الخييار
وفي وفاة الوفا للسمهودي : « من بني سعد بن بكر ، أو أسلم ، بدلا عما ذكر

في البيت الثالث :

وكنى بالقلاص عن النساء ، ونصها على الإغراء ، فلما وقف عمر - رضي
الله عنه - على الأبيات عزله ، وسأله عن ذلك الأمر ، فاعترف ، فجلده مائة
معقولا ، وأطرده إلى الشام ، ثم سئل فيه ، فأخرجه من الشام ، ولم يأذن له
في دخول المدينة ، ثم سئل فيه أن يدخل ليجمع ، فساكن إذا رآه عمر
توعده ، فقال :

أكل الدهر جمعة مستحق أبا حفص لستم أو وعيد
فأنا بالبرى براه عذر ولا بالخالع الرسن الشرود
وقول جمعة : فذلك الخ : أي أهلي ونفسي . وقال الجرمي : يريد بالإزار
ههنا : المرأة . والقصة مشهورة ، وقد رويت لغيره ، ورواها الآمدي فقال
عن جمعة : كان غزلا صاحب نساء يمدثن ويضحكن ، ويمازحن ، فيكنه
يحتمن عنده ، فيأخذ المرأة فيعقلها ، ثم يأمرها أن تمشي فتتعث ، فتقع ،
فتتكشف ، فيتأضحكن من ذلك إلخ وقد ذكر ابن حجر ترجمته في الإصابة
في القسم الثالث فيمن أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم يرد أنه رأى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم . ونفيلة في الإصابة : بقيلة الأكبر الأشجعي من بني بكر
ابن أشجع ، وهو بقاف مصغر ، ذكره الآمدي في حرف الموحدة . وقال الزبير
ابن بكار : سميت العتي بصحفة ، فيقول : نفيلة ، وقد شهد نفيلة أو بقيلة
القيادية مع عمر . أنظر اللسان مادة أزر ، والإصابة ترجمة بقيلة ، وجمعة حدة

فَنَصَبَ قَلَائِصَنَا بِالْإِضْمَارِ الَّذِي جَعَلَهُ الْفَارِسِيُّ نَاصِبًا لِلْإِزَارِ .

ترجمة البراء :

وَالْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ يُكْنَى أَبَا بَشْرٍ بَابْنِهِ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ ، وَهُوَ الَّذِي أَكَلَ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ ^(١) ، فَمَاتَ وَمَعْرُورُ اسْمُ
أَبِيهِ ، مَعْنَاهُ : مَقْصُودٌ يُقَالُ : عَرَّهْ وَاعْتَرَّهْ إِذَا قَصَدَ ^(٢) ، وَالْبَرَاءُ هَذَا مِنْ صَلَّى
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى قَبْرِهْ ^(٣) بَعْدَ مَوْتِهِ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا ، وَفِي
هَذَا الْحَدِيثِ الصَّلَاةُ عَلَى الْقَبْرِ ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ سِتِّ طُرُقٍ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَه أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَذَكَرَهَا كُلُّهَا أَبُو عُمَرَ فِي التَّهْمِيدِ ، وَزَادَ
ثَلَاثَ طُرُقٍ لَمْ يَذْكُرْهَا ابْنُ حَنْبَلٍ ، فَهِيَ إِذَا تُرْوَى مِنْ - تَسْعِ طُرُقٍ أَعْنَى أَنْ -
تَسْمَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ رَوَوْا صَلَاتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْقَبْرِ ، فَفَنَهْمُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَنْسَ
ابْنُ مَالِكٍ وَبُرَيْدَةُ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَعَامِرُ بْنُ قُتَيْبَةَ وَأَبُو قَتَادَةَ
الْأَنْصَارِيُّ ، وَسَهْلُ بْنُ حَنْظَلٍ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَحَدِيثُهُ مُرْسَلٌ ، وَأَصْحَاهُ
إِسْنَادًا حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ .

والهدم الهدم

وَذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلْبَيَّاعِينَ لَهُ : بِلِ الدَّمِ الدَّمُ
وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْهَدْمُ بَفَتْحِ الدَّالِ . قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : كَانَتْ

(١) شهد بَشْرُ الْمُقْبَةِ وَبَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا ، وَمَاتَ بَعْدَ خَيْرٍ .

(٢) فِي اللَّسَانِ : عَرَّهْ يَعْرِهْ عَمَّا وَاعْتَرَّهْ ، وَاعْتَرَّ بِهِ : إِذَا أَتَاهُ ، فَعَطَّلَ مَعْرُوفَهُ .

(٣) هَذَا لِأَنَّهُ مَاتَ - كَمَا قِيلَ - قَبْلَ قِيَامِ النَّبِيِّ وَصَّ ، بِبَشْرٍ .

العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمي دمك وهذمي هذمك ، أى :
ما هذمت من الدماء ، هذمته أنا ، ويقال أيضاً : بل اللذم اللذم والهذم
الهذم ، وأنشد :

ثم الخلق . بهذمي ولذي

فَاللَّذْمُ : جمع لادم ، وهم أهله الذين يَلْتَدِمُونَ عليه إذا مات ، وهو من
لذمت صدره : إذا ضربته . والهدم قال ابن هشام : الحُرْمَةُ ، وإنما كنى عن
حُرْمَةِ الرجل وأهله بالهذم ، لأنهم كانوا أهل نُجْمَةٍ وارتحال ، ولهم بيوت
يستخفونها يوم ظعنهم ، فكلموا ظعنوا هدموها ، والهذم بمعنى المهدوم
كالقبض بمعنى المقبوض ، ثم جعلوا الهذم وهو البيت المهدوم عبارة عما
حوى ، ثم قال : هذمي هذمك أى : رحلتى مع رحلتك أى لا أظعن وأدعك
وأنشد يعقوب :

تمضى إذا زجرت عن سؤاقي قدماً كأنها هذم في الجفر منقاص^(١)

(١) إذا حركت دال الهدم ، فهي القبر ، فيكون المعنى : أقبر حيث
تقبرون ، وقيل : هو المنزل : أى منزل لكم : منزلى ، وبالفتح أيضاً والسكون :
إهدار دم القتل ، فيكون المعنى : إن طلب دمكم ، فقد طلب دمي وإن
أهدر دمكم ، فقد أهدر دمي لاستحكام الالفة . وفسرها ابن الأعرابي عند
التحريك بقوله : إن ظلمتم فقد ظلمت ، فسر أبو عبيدة : الدم الدم والهدم
الهدم بقوله : حرمتى مع حرمتكم ، ويبنى مع بيتكم ، وفسر الحقي بهذمي
ولدى بقوله : بأصلى وموضعى ، وفسر أبو الهيثم : الدم الدم الخ بقوله إن قتلتى
إنسان طلبت بدى كما تطلب بدم وليك ، ومن هدم لى عزا وشرقا فقد هدمه

من ولي النقباء :

فصل : وذكر الاثني عشر نقيباً ، وشعر كعب فيهم إلى آخره ، وليس فيه ما يشكل ، وإنما جعلهم عليه السلام اثني عشر نقيباً اقتداءً بقوله تعالى في قوم موسى ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ وقد سمينا أولئك النقباء بأسمائهم^(١) في كتاب التعريف والإعلام ، فليُنظر هنالك .

منك ، وكل من قتل ولي ، فقد قتل وليك ، ومن أراد هدمك ، فقد قصصني بذلك . وقال الأزهري : ومن رواء الهدم الهدم والهدم بسكون الذال - فهو على قول الخليف : تطلب بدى ، وأنا أطلب بدمك ، وما هدمت من الدماء هدمت أى : ما عفوت عنه ، وأهدرته ، فقد عفوت عنه ، وتركته . وقال الفراء : عن دخول أل على الهدم والدم والدم : العرب تدخل الالف واللام اللتين للتعريف على الأسم ، فتقومان مقام الإضافة كقول الله عز وجل : (فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هى المأوى) . . أى : الجحيم مأواه ، أما الزجاج فتدبرها بقوله فإن الجحيم هى المأوى له . وقال ابن الأثير فى رواية الدم الدم : هو أن يهتر دم القتل المعنى : إن طلب دمكم ، فقد طلب دى . ويرى ابن الأعرابي فى اللدم أنها الحرم جمع لادم فالمعنى : حرمكم : حرمى . ويقول أبو عبيدة : اللدم : الحرم . جمع لادم سمى نساء الرجل وحرمه لدماً لأنهن يلتصقن عليه إذا مات . . واللدم : ضرب المرأة صدرها وقيل : الاطم والضرب بشىء ثقيل انظر اللسان والنهاية لابن الأثير فى مادى : لدم وهدم

(١) فى نسب عبد الله بن رواحة ، زدت ثعلبة ، والأغر من الجمرة لابن حزم ص ٣٤٤ ط ١ ومن الإصابة : لقب امرؤ القيس بأنه الأغر وفى نسب سعد بن عباد يقول الحشنى ص ١١٩ ابن حزيمة بدلا من خزيمة وقال : بالحاء المهملة المفتوحة والزاء المكسورة هو الصواب كذا قيده الدارقطنى . وورد كذلك فى ص ٢٦٩ من المجد لمحمد بن حبيب : وفى نسب رافع بن مالك

وروى عن الزُّهْرِي أَنَّهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلأَوْسِ وَالخَزْرَجِ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِمُ النِّقْبَاءُ : لَا يَفْضِلُنَّ أَحَدُكُمْ فَإِنِّي أَفْعَلُ مَا أَوْسَرُ ، وَجَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى جَنْبِهِ يَشِيرُ إِلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، وَرَوَى فِي الْمَعْيِطِيِّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ رَوَى حَدِيثَ النِّقْبَاءِ عَنْ شَيْخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَ مَالِكٌ : وَكُنْتُ أُعْجِبُ كَيْفَ جَاءَ هَذَا رَجُلَانِ مِنْ قَبِيلَةٍ ، وَرَجُلٌ مِنْ أُخْرَى حَتَّى حُدِّثَتْ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، وَأَنَّ جَبْرِيلَ هُوَ الَّذِي وَلَّاهُمْ ، وَأَشَارَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِهِمْ .

ابن العجلان زادت جمرة ابن حزم بعد زريق : بن عامر بن زريق ، وفي نسب رفاعة ابن زبير ، وهي في الإصابة والجمهرة : زر ص ٣١٤ وفي إمتاع الأسماع : زبير وفي بعض نسخ السيرة : زبير ، وقد اختلف في اسمه فقيل : بشير وقيل مروان وقيل يشير ، وكنيته : أبو لبابة

وسقطت . مالك التي قبل : ابن الأوس من الإصابة ، كما سقط من نسبه في الجمهرة بن عمرو ، عوف . ومازده في السيرة من الأنساب أخذته من كتاب المجد لابن حبيب ص ٢٦٨ وما بعدها . وإليك ما شرح به الخشن بعض كلمات قصيدة كعب بن مالك : قال رأيته : بطل . فلا ترعين أي لا تبعين ، ألب : جمع . جادع : قاطع ، إخفاره : نقض عهده ، نافع : ثابت ، بمندوحة : بمتمتع ، يافع : موضع مرتفع ، ومن رواه : باقع فعناه : بعيد وهو مأخوذ من بقع الأرض ، وخانع : مقر متذل . ضروح : مانع ودافع عن نفسه من قولهم : ضرحت الدابة برجلها إذا ضربتها . وهنا لك بين القصيدة في ابن هشام وبينها في المجد بعض اختلافات يسيرة . ففي البيت الثالث : أضالنا أي أضلنا لنا بدلا من : بدلنا . ولا ترعين بدلا من : لا ترغبين . ولا تطمعنك المطامع بدلا من : لا يطمعننك المطامع . ومن الحية خانع بدلا من : العهد خانع . وم الأمر صانع بدلا من : الأمر صانع . وإن يفيك بدلا من : لا يفيك .

تفسير بعض ما وقع في وجهه

وذكر أن الشيطان صرّخ من رأس العقبة بأنفذ صوت . قال الشيخ أبو بحر : هكذا وقع في الأمهات ، وأصلحناه عن القاضي أبي الوليد : بأبعد ، قال المؤلف : ولا معنى لهذا الإصلاح ، لأن وصف الصوت بالنفاذ صحيح هو أفصح من وصفه بالبعد ، وقد مضى في حديث عمر مع السكاهن ، قال : لقد سمعت من صوت العجل صوتا ما سمعت أنفذ منه ، وفي الصحيح : أن الله تعالى يَخْشُرُ الخلق يوم القيامة في صَرْدَحٍ^(١) واحد ، فَيَنْفُذُهُمُ البصرُ ويسمعهم الداعي وكذلك وجدته في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق : بأنفذ صوت كما كان في الأصل .

وقوله : يا أهل الجُبَّاجِبِ ، يعني : منازل مني ، وأصله : أن الأوعية من الأدم كالزَّبِيلِ ونحوه يسمى : جَبْجَبَةً ، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية ، وقوله عليه السلام حين صرخ إبليس : يا أهل الجُبَّاجِبِ ، هذا أَرْبُ الْعَقْبَةِ ، هذا ابن أَرْبِ . قال ابن هشام : ويقال : ابن أَرْبٍ كذا تقيد في هذا الموضع أَرْبُ الْعَقْبَةِ وقال ابن ماكولا : أم كُرْز بنت الأَرْبِ بن عمرو بن بَكِيل بن هَمْدَان جدة العباس ، أم أمه : سيلة ، وقال : لا يعرف الأَرْبُ في الأسماء إلا هذا ، وأَرْبُ الْعَقْبَةِ ، وهو اسم شيطان ، ووقع في هذه النسخة في غزوة أُحُدٍ لِأَرْبِ الْعَقْبَةِ بكسر الهمزة وسكون الزاي ، وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له

(١) صردح وصرдах : المكان المستوى

حين رأى رجلاً طوله شبرانٍ على بَرْدَعَةٍ رَحِلِهِ [فأخذ السوط فأتاه] ، فقال :
 ما أنت ؟ فقال أَرَبٌ ، قال : وما أَرَبٌ ؟ قال : رجل من الجن ؛ فضربه على رأسه
 بعود السوط ، حتى باص ، أَى هَرَبَ ، وقال يعقوب في الألفاظ : الأَرَبُ :
 القصير . وحديث ابن الزبير ذكره العُشَيْبِيُّ في الغريب ، قاله أعلم أَى اللفظين
 أصح ؟ وابن أَرَبٍ في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فَعْمَلًا من الإَرَبِ^(١)
 أيضاً ، والأَرَبُ : البخيل ، وأَرَبٌ : اسم ريح من الرياح الأربع^(٢) ،
 والأَرَبُ الفزع أيضاً^(٣) ، والأَرَبُ : الرجل المتقارب المشى^(٤) ، وهو على
 وزن أفعَلَ ، قاله صاحب العين ، ويحتمل أن يكون ابن أَرَبٍ من هذا أيضاً ،
 وأما البخيل فأَرَبٌ على وزن فَعْمَلٍ لأن يعقوب حكى في الألفاظ : امرأة أَرَبِيَّةَ^(٥)

(١) الإزب في اللسان في مادة أزب فتكون على وزن فعل : ومعناها
 اللثيم والدقيق المفاصل الضاوي يكون ضميلاً . والإزب من الرجال : القصير
 الغليظ والقصير الدم . وقد جعل اللسان أزب في مادة أزب ، وقال عن الإزب
 في الحديث : هو الشيطان اسمه ؛ أزب العقبة ، وهو الحية أما عن الأزب
 في مادة زب ، فهو الكثير الشعر .

(٢) جعلها القاموس واللسان وابن فارس في معجمه في مادة زب فتكون
 على وزن أفعَلَ ، وقال عنها إنها الجنوب في لغة هذيل : أوهى الريح النسيكباء التي
 تجري بين الصبا والجنوب .

(٣) في مادة زب في القاموس واللسان فوزنها : أفعَلَ .

(٤) هي كالتى قبلها في المادة والوزن .

(٥) جعلها اللسان في مادة زب وهي إزبية فتكون : إفعلة بكسر الهمزة
 وسكون الفاء وفتح العين وتضعيف اللام مع فتح ، وهكذا ضبطها اللسان
 والقاموس ، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس : وقال الخليل : الإزب :
 الدقيق المفاصل ، ويقال هو البخيل ،

ولو كان عن وزن أفعل في المذكر لقليل في المؤنث زَيْبًا إِلَّا أَنْ فَعِيلًا فِي أَبْنِيَةِ
الْأَسْمَاءِ عَزِيزٌ ، وَقَدْ قَالُوا فِي ضَهْيَاءَ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تَحِيضُ مِنَ النِّسَاءِ ، فَعَلَى جَعَلُوا
الْهَمْزَةَ زَائِدَةً وَهِيَ عِنْدِي فَعِيلٌ لِأَنَّ الْهَمْزَةَ فِي قِرَاءَةِ عَاصِمٍ لَامُ الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
(يُضَاهُونَ) وَالضَّهْيَاءُ مِنْ هَذَا لِأَنَّهَا تُضَاهِي الرَّجُلَ أَيُ : تُشَبِّهُهُ وَيُقَالُ فِيهِ : ضَهْيَاءُ^(١)
بِالْمَدِّ ، فَلَا إِشْكَالَ فِيهَا أَنَّهَا لِلتَّأْنِيثِ عَلَى لُغَةٍ مِنْ قَالِ ضَاهَيْتِ بِالْيَاءِ ، وَقَدْ يَجُوزُ

(١) فِي اللِّسَانِ دُ ضَهْيَاءُ : فَعَلًا الْهَمْزَةُ زَائِدَةٌ كَمَا زِيدَتْ فِي . شَمَالٌ ، وَغَرَقِي .
الْبَيْضُ ، قَالَ : وَلَا تَعْلَمُ الْهَمْزَةُ زِيدَتْ غَيْرَ أَوَّلٍ إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ ، وَيَجُوزُ أَنْ
تَكُونَ الضَّهْيَاءُ بِوِزْنِ الضَّمِيمِ . فَعِيلًا ، وَإِنْ كَانَتْ لَا نَظِيرَ لَهَا فِي السِّكَلَامِ ، فَقَدْ
قَالُوا : كَنْهِيلٌ - شَجَرٌ عَظَامٌ - وَلَا نَظِيرَ لَهُ . قَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ : الضَّهْيَاءُ وَالضَّهْيَاءُ عَلَى
فَعْلَاءَ . . . وَقَالَ بَعْضُهُمُ الضَّهْيَاءُ مَمْدُودٌ الَّتِي لَا تَحِيضُ وَهِيَ حَبْلِي . قَالَ ابْنُ جَنَى :
امْرَأَةٌ ضَهْيَاءٌ وَزَنَاهَا : فَعْلَاءٌ لِقَوْلِهِمْ فِي مَعْنَاهَا : ضَهْيَاءُ . . . وَأَجَازَ أَبُو إِسْحَاقَ
فِي هَمْزَةٍ : ضَهْيَاءٌ أَنْ تَكُونَ أَصْلًا ، وَتَكُونَ الْيَاءُ هِيَ الزَّائِدَةُ ، فَعَلَى هَذَا تَكُونَ
السَّكَمَةُ : فَعِيلَةٌ ، وَذَهَبَ فِي ذَلِكَ مَذْهَبًا مِنَ الْإِشْتِقَاقِ حَسَنًا لَوْلَا شَيْءٌ اعْتَرَضَهُ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : يُقَالُ : ضَاهَيْتِ زَيْدًا وَضَاهَأَتْ زَيْدًا بِالْيَاءِ وَالْهَمْزَةِ ، قَالَ :
وَالضَّهْيَاءُ هِيَ الَّتِي لَا تَحِيضُ ، وَقِيلَ هِيَ الَّتِي لَا تُدَى لَهَا ، قَالَ فَيَكُونُ ضَهْيَاءٌ :
فَعِيلَةٌ مِنْ ضَاهَأَتْ . وَقَالَ ابْنُ جَنَى عَنْ هَذَا إِنَّهُ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي السِّكَلَامِ
فَعِيلٌ يَفْتَحُ الْفَاءَ إِنَّمَا فَعِيلٌ بِكَسْرِهَا نَحْوُ حَذِيمٍ ، وَطَرِيمٍ ، وَغَرِينٍ وَالْقَاطِعِ ،
وَالطَّرِيمِ الْعَسَلِ أَوْ السَّحَابِ الْكَثِيفِ ، وَالْغَرِينِ أَوْ الْغَرِينِ : الطَّيْنُ يَحْمِلُهُ السَّيْلُ ،
وغير ذلك ، وَلَمْ يَأْتِ الْقِتْعُ فِي هَذَا الْفَنِّ ثَبَاتًا ، إِنَّمَا حَكَاهُ قَوْمٌ شَاذًا . . . وَحَكَى
أَبُو عَمْرٍو : امْرَأَةٌ ضَهْيَاءٌ وَضَهْيَاءٌ بِالتَّاءِ وَالْهَاءِ الَّتِي لَا تَطْمُتُ . . . وَهَذَا يَقْتَضِي
أَنْ يَكُونَ الضَّهْيَاءُ مَقْصُورًا . وَقَالَ غَيْرُهُ الضَّهْوَاءُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَمْ تَهْدُ . . . وَالضَّهْيَاءُ
مَقْصُورٌ : الْأَرْضُ الَّتِي لَا تَنْبَتُ ، وَحَكَى الْجَوْهَرِيُّ أَنَّ الضَّهْيَاءَ مَمْدُودٌ شَجَرٌ ،
وَاحِدَتُهُ : ضَهْيَاءٌ ،

أَنْ يَكُونَ أَزْبَبَ وَأَزْيَبَةً مِثْلَ أَرْمَلَ وَأَرْمَلَةً فَلَا يَكُونُ فَغَيًّا . وروى
أبو الأشهب عن الحسن قال لما بويع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمعنى
صرخ الشيطان ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا أبو لُبَيْنٍ ^(١)
قد أُنذِرَ بكم ، فَتَفَرَّقُوا .

تذكير فاعيل وتأنيها :

فصل : وذكر الحارث بن هشام حين رمى بنعليه إلى جابر : قال : وكان
عليه نعلان جديدان ، والنعل : مؤنثة ، ولكن لا يقال : جَدِيدَةٌ في النصيح
من الكلام ، وإنما يُقال : مِلْحَفَةٌ جديد لأنها في معنى مَجْدُودَةٌ أى : مقطوعة ،
فهي من باب كَفَّ خَضِيب ، وامرأة قَتِيل ، قال سيبويه : ومن قال جَدِيدَةٌ ،
فإنما أراد معنى حديثه ، أراد سيبويه أن حديثه ، بمعنى حادثة وكل فاعيل بمعنى
مطاعل يدخله التاء في المؤنث ^(٢)

(١) هي - كما في القاموس اسم ابنة إبليس لعنه الله تعالى . . وأبو لبين :
الذكر .

(٢) في إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت ما يأتي : تقول :
هذه ملحفة جديد ، وهذه ملحفة خلق ؛ ولا تقل : جديدة ، ولا خلقة ، وإنما قيل
جديد بغير هاء ؛ لأنها في تأويل مجدودة أى : مقطوعة حين قطعها الحائك . . .
وإذا كان فاعيل نعتا لمؤنث ، وهو في تأويل مفعول ، كان بغير هاء نحو : لحية
دهين ، لأنها في تأويل مدهونة ، وكف خضيب ، لأنها في تأويل مخضوبة ،
وملحفة غسيل وامرأة لديغ ، ودابة كسير ، وركبة دفين إذا اندفن بعضها ؛
وركابا دفن ، وتقول : هذا فرس جواد بهم ، وهذه فرس جواد بهم . . . وعين
كحيل ، وناقة بغير إذا شق بطنها عن ولدها ، وامرأة لعين وجريح وقَتِيل ، فإذا

من أنفاب الطويل :

وذكر قول سمد حين أسرته قريش : فأتاني رجل وضى . شَعَشَعَ . والشَفَشَعَ
والشَفَشَعَانِ^(١) : الطويل من الرجال ، وكذلك السَلْهَبُ واللَّصَّةُ مَبُ

لم تذكر المرأة قلت : هذه قتيلة بنى فلان ، وكذلك : مررت بقتيلة ، وقد تأتي
فصيحة بالهاء ، وهي في تأويل مفعول بها تخرج مخرج الأسماء ، ولا يذهب بها
مذهب النعوت ، نحو : النطحية والذبيحة والفريسة وأكلة السبع والخنيفة
والعليقة ، وهما البعير يوجهه الرجل مع القوم يمتارون ، فيعطهم دراهم ، ليتأزوا
له معهم عليه . . . والمربية من الغنم ، والعليقة : الباهية والفريقة التمر والحلبة جميعا
تجمل للنفساء ، وذكر ابن السكيت غيرها كالنقيعة والنخيسة والقظية والتريكة
والنجيرة والبسيصة والرجيعة ص ٣٧٧ ط دار المعارف ١٩٤٩ م وفي أدب
الكاتب لابن قتيبة ، وما كان على فاعل نعمنا للمؤنث ، وهو في تأويل مفعول
كان بغير هاء نحو : كف خضيب وملحفة غسيل ، وربما جاء بالهاء يذهب بها
مذهب النعوت نحو للنطحية والذبيحة والفريسة ، وأكلة السبع . . . وتقول :
هذه ذبيحتك ، وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت ألا ترى أنك تقول :
هذا وهي حية ، وإنما هي بمنزلة : ضحية ، وكذلك شاة رمى ، وتقول بئس
الرمية الأرنب ، إنما يريد : بئس الشيء بما يرمى الأرنب ، فهذا بمنزلة الذبيحة
خاذا لم يجر فيه مفعول ، فهو بالهاء نحو : مربيضة وكبيرة وصغيرة وطريقة ،
وجامت أشياء شاذة قالوا : نافقة سديس وريح خريق ، وكتيبة حصيف ، وإن
كان فاعل في تأويل فاعل كان مؤنثه بالهاء نحو رحيمة وعليمة وكريمة ، ص ٢٨٩
ط أولى ١٣٥٥ م

(١) الزبارة من القاموس . والرجز الذي وردت فيه كلمة شعشاع ، هو
الرؤبة انظر ديوان رؤبة ص ١٦٢ طبع برلين ، ص ١٢٠ شرح السيرة للخصني ،
وقد شرحه بما يأتي : ديطوه : يمد ، يعني : طول عنق البعير ، وغير مودن
أي قصير ويرى غير . . . وكذلك وقع في رجز رؤبة ، ووقع هنا بالعين
مهملة ، ص ١٢٠ .

والشَوْقَبُ و [الشَّرْعَبُ] والشَّرْجَبُ والخِيقُ والشَّوْذَبُ الطويل مع رقة في
أسماء كثيرة .

فعاني الكلمات :

وقوله أوى إليه رجل أى رقى له ، يقال أوى أوىة [وأوىة] مأوىة .

وقوله فتنطس القوم الخبر أى : أكثروا البحث عنه ، والْتَمَطَسُ ، تدقيق

النظر . قال الرازي : [رؤبة بن العجاج]

وقد أكون عندها نقريسا طيبا بأدواء النساء نطيسا (١)

وذكر قول ضرار بن الخطاب :

وكان شقاء وتداركت مُتَذَرَا

وضرار بن الخطاب : وضرار كان شاعر قريش وفاز سَمَاء ، ولم يكن في قريش

أشعر منه ، [عبد الله] ثم ابن الزبير بن قيس بن عدى ، وكان جدّه

مِرْدَاسُ رَئِيسَ بَنِي مُحَارِبٍ بن فُهْرٍ في الجاهلية يسير فيهم بالمرْبَاع ، وهو

رُبْعُ القَعِيمَةِ ، وكان أبوه أيام الفجار رَئِيسَ بَنِي مُحَارِبٍ بن فُهْرٍ أسلمَ ران

عام الفتح .

(١) الرجز لرقبة بن العجاج يمدح به أبان بن الوليد البجلي . ورواية

الديوان هكذا :

وقد أكون مرة نطيساً

بمخبء أدواء الصبا نقريسا

نص من الديوان طبع برلين . ورواه الخشنى في شرح السيرة كما رواه

السهيلي ولكنه ذكر الصبا بدلا من النساء

ولائك كالشاة التي كان حَتَفُها بِحَقَرِ ذراعِها ، فلم ترض محفرا

تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرا كالباحث عن المذبة (١)
وأشدد أبو عثمان [الجاحظ] عمرو بن البحر . [لَأَفَرَزْدَق] :

وكان يُجِيرُ الناسَ من سَيْفِ مالِكٍ فأصبحَ يَبْغِي نَفْسَهُ مِن يُجِيرُها

وكانَ كَمَنْزِ السَّوءِ قامتِ بِظِلْفِها إلى مُذْبِيةٍ نَحَتِ الترابَ تُجِيرُها

(١) قال البحترى في حماسه : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعيجة ، فأراد ذبحها ، ولم يكن معه شيء يذبحها به ، فبينما هو يفسك في ذلك ، رأى ذلك يصنع إذ حفرت النعيجة بأظلافها الأرض ، فأبرؤت عن سكين كانت منذفة في التراب ، فذبحها بها ، وضرب العرب بها المثل والبيتان بعدهما :

سَتَعْلَمُ عَبْدُ الْقَيْسِ إِنْ زَالَ مَلِكُها عَلَى أَى حالٍ يَسْتَمِرُّ مَرِيرُها

وهما في البيان والتبيين ص ١٥٩ ج ٣ للجاحظ بتحقيق الامتياز عبد السلام هارون ، وأشدهما أيضا في كتابه الحيوان ، وهما أيضا في ديوان الفرزدق ص ٢٤٩ . ومن معاني قصيدة حسان كما بين الخشنى : البرقاء : موضع . جبر : قبيصة . الربط : الملاحف البيض في واحدتها : ربطة . الانباط : قوم من العجم . والوسنان التام . كمرى : ملك للفوس ، وقيصر : ملك الروم . الشكلى : المرأة الفاقدة ولدها . والنحر : الصدر .

قصّة صنم عمرو بن الجموح

فلما قَدِمُوا القَدِينَةَ أَظْهَرُوا الإِسْلَامَ بِهَا ، وَفِي قَوْمِهِمْ بَقَايَا مِنْ شُيُوخَ لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ مِنَ الشَّرْكِ ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامِ بْنِ كَعْبِ بْنِ غَنَمٍ ابْنِ كَعْبِ بْنِ سَلَمَةَ ، وَكَانَ ابْنُهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو شَهِيدَ الْعُقَبَةِ ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ بَنِي سَلَمَةَ ، وَشَرِيفًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، وَكَانَ قَدْ أَخَذَ فِي دَارِهِ صَنَمًا مِنْ خَشَبٍ ، يُقَالُ لَهُ : مَنَآةٌ ، كَمَا كَانَتْ الْأَشْرَافُ يَصْنَعُونَ ، يَتَّخِذُهُ إِمَامًا تَعْظُمُهُ وَيُطَهَّرُهُ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ فَتَيَّانُ بْنُ بَنِي سَلَمَةَ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَابْنُهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو ، فِي فَتَيَّانٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ الْعُقَبَةَ ، كَانُوا يُدْجِلُونَ بِاللَّيْلِ عَلَى صَنَمِ عَمْرٍو ذَلِكَ ، فَيَحْمِلُونَهُ فَيَطْرَحُونَهُ فِي بَعْضِ حُقَرِ بَنِي سَلَمَةَ ، وَفِيهَا عَذَرُ النَّاسِ ، مُنْكَسًا عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَمْرُو ، قَالَ : وَيْلَكُمْ ! مَنْ عَدَا عَلَى آلِهَتِنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ ؟ قَالَ : نَحْمُ يَفْدُو بِتَمَسِّهِ ، حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلِمَ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ لَأَخْرَجْنَاهُ . فَإِذَا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرُو ، عَدَّوْا عَلَيْهِ ، فَفَعَلُوا بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَفْدُو فَيَجِدُهُ فِي مِثْلِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى ، فَيَغْسِلُهُ وَيُطَهِّرُهُ وَيُطَيِّبُهُ ، ثُمَّ يَفْدُونَ عَلَيْهِ إِذَا أَمْسَى ، فَيَفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ ، اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ الْقَوَّةُ يَوْمًا ، فَغَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ ، ثُمَّ جَاءَ بِنَتِفَةٍ فَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ مَنْ يَصْنَعُ بِكَ مَا تَرَى ، فَإِنْ كَانَ فَيْكَ خَيْرٌ فَاثْنَعْنِي ، فَهَذَا السِّيفُ مُعَاذُ . فَلَمَّا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرُو ، غَدَّوْا عَلَيْهِ ، فَأَخَذُوا السِّيفَ مِنْ عُنُقِهِ ، ثُمَّ أَخَذُوا كِتَابًا مِثْقَالَ فَرَسٍ نَوَّاهُ بِهِ بِحَبْلٍ ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بئرٍ مِنْ آبَارِ

سَلَامَةً ، فِيهَا عِذْرٌ مِنْ عِذْرِ النَّاسِ ، ثُمَّ غَدَا عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ
الَّذِي كَانَ بِهِ .

إسلام عمرو بن الجموح

نَفَرَ جَ يَنْبَعُهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبَيْتِ مُنْكَسًا مَقْرُونًا بِكَلْبٍ مَيْتٍ ، فَلَمَّا
رَأَاهُ وَأَبْصَرَ شَأْنَهُ ، وَكَلَّمَهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَسْلَمَ بِرِضَاةِ اللَّهِ ، وَحَسُنَ
إِسْلَامُهُ . قَالَ حِينَ أَسْلَمَ ، وَعَرَفَ مِنْ اللَّهِ مَا عَرَفَ ، وَهُوَ يَذْكُرُ صَنْمَهُ ذَلِكَ
وَعَا بَصَرًا مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعَمَى وَالضَّلَالَةِ :

وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطٌ بَيْتٍ فِي قَرْنٍ
أَفٍّ لِمَاكَ إِلَهًا مُسْتَعْدِنٌ الْآنَ فَتَشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْغَيْبِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمِنَّةِ الْوَاهِبِ الرِّزَاقِ دِيَانَ الدِّينِ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبْرِ مُرْتَهِنٍ
بِأَحَدِ الْمَهْدِيِّ النَّبِيِّ الْمُرْتَهِنِ

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ فِي بَيْعَةِ الْحَوْزِ ، حِينَ أْذِنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ فِي الْقِتَالِ
شُرُوطًا سَوِيَّ شَرْطُهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعَقْبَةِ الْأُولَى ، كَانَتْ الْأُولَى عَلَى بَيْعَةِ النَّسَاءِ ،
وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ أْذِنَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُحَرِّبِ ،
فَلَمَّا أْذِنَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا ، وَبَيَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَقْبَةِ الْأُخْرَى

على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه واشترط على القوم لزبه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجعّة.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه الوليد، عن جده عبادة بن الصامت، وكان أحد النقباء، قال:

بأيما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب — وكان عبادة من الإثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على بيعة النساء — على السمع والطاعة، في عُسْرُنَا وَيُسْرُنَا وَمُنْشَطُنَا وَمُكْرَهُنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّائِمَةً.

أسماء من شهد العقبة

قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من شهد العقبة، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من الأوس والخزرج، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين.

شهد بها من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأشهل ابن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أسيد ابن حضير بن سمالك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، نقيب لم يشهد بدرًا. وأبو الهيثم بن التيمان، واسمه مالك، شهد بدرًا. وسلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل، شهد بدرًا، ثلاثة نفر. قال ابن هشام: ويقال: ابن زعوراء بفتح العين.

قال ابن إسحاق: ومن بني حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو

ابن مالك بن الأوس : طهير بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة .
وأبو بردة بن نيار ، واسمه هانيء بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان
ابن غنم بن ذبيان بن ميم بن كاهل بن ذهل بن دهم بن ثعلبي بن عمرو بن الحاف
ابن قضاة ، حليف لهم ، شهد بدرأ [أو بهير] بن الهيثم ، من بني
نابي بن مجدعة بن حارثة . ثلاثة نفر .

ومن بني عمرو بن عوف مالك بن الأوس : سمع بن خيشمة بن الحارث
ابن مالك بن كعب بن النخاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ
القيس بن مالك بن الأوس ، نقيب ، شهد بدرأ ، فقتل به مع رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - شهيداً .

قال ابن هشام : ونسبه ابن إسحاق في بني عمرو بن عوف ، وهو من بني
غنم ابن السلم ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل في القوم ، ويكون فيهم
فينسب إليهم .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير بن زيد بن أمية بن زيد
ابن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شهد بدرأ . وعبد الله بن جبير بن
الغيمان بن أمية بن البرك - واسم البرك : امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو
شهد بدرأ ، وقتل يوم أحد شهيداً أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
الرماة ، ويقال : أمية بن البرك ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ومعن بن عدي بن الجذ بن العجلان بن [حارثة]

ابن ضَبَيْعَةَ [بن حرام] لهم من بَيْلَى ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، ومُشَاهِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، قُتِلَ يومَ البِئْمَةِ شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وعُويْم بن سَاعِدَةَ ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق . خمسة نفر .

جميع من شهد البقية من الأوس أحدَ عشرَ رجلاً .

وشهدا من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني النَّجَّار ، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النَّجَّار شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمُشَاهِدَ كلها ، مات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية . ابن أبي سفيان . ومُعَاذ بن الحارث بن رِفَاعَةَ بن سَوَاد بن مالك بن غنم بن مالك . ابن النَّجَّار ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمُشَاهِدَ كلها ، وهو ابن عَفْرَاء . وأخوه : عوف بن الحارث ، شهد بدرًا وقُتِلَ به شهيداً ، وهو الذي قُتِلَ أَبَا جَهْل بن هشام بن المغيرة ، وهو لعَفْرَاء — ويقال : رِفَاعَةَ بن الحارث بن سَوَاد ، فيما قال ابن هشام — ومُعَاذ بن حَزِم بن زيد بن لَوْذَانَ بن عمرو ابن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النَّجَّار . شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمُشَاهِدَ كلها ، قُتِلَ يومَ البِئْمَةِ شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وأسْمَدُ بن زُرَّاءَ بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النَّجَّار ، نقيب ، مات قبل بدرٍ ومُشَاهِدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبْنَى ، وهو أبو أَمَامَةَ . ستة نفر . ومن بني عمرو بن مَيْمُون — ومَيْمُون : عامر بن مالك بن النَّجَّار : سَهْل بن عَتِيكَ .

ابن مثنان بن عمرو بن عتيك بن عمرو ، شهيد بدمراً . رجل من بني النجار .
ومن بني عمرو ابن مالك بن النجار ، وهم بنو حديلة - قال ابن هشام :
حديلة : بنت مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبدحارثة بن مالك بن غضب
ابن جثم بن الخزرج - أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو
ابن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك ، شهيد بدمراً . وأبو طلحة ، وهو
زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو
ابن مالك ، شهيد بدمراً . رجلان .

ومن بني مازن بن النجار : قيس بن أبي صفصة ، واسم أبي صفصة :
عمرو بن زيد بن عوف بن مبدؤل بن عمرو بن غنم بن مازن ، شهيد بدمراً ،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جولة على الساقة يومئذ . وعمرو بن غزيرة
ابن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبدؤل بن عمرو بن غنم بن مازن ، والجلان .
الجميع من شهد العقبة من بني النجار أحد عشر رجلاً .
قال ابن هشام : عمرو بن غزيرة بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذي
ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غزيرة بن عطية بن خنساء .

من شهدها من بني النجار بن الخزرج

قال ابن إسحاق : ومن بني النجار بن الخزرج : سعد بن الربيع بن عمرو
ابن أبي زهير بن مالك بن أمية القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن
نخع بن الخزرج بن الحارث ، شهيد بدمراً ، وقتل يوم أخذ شهيداً .

وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك [الأغر]
ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهد بدرًا وقُتل يوم أحد شهيداً
وعبدُ الله بن رواحة [بن ثعلبة] بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس
ابن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ،
شهد بدرًا وأحدًا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا
الفتح وما بعده ، وقُتل يوم مؤتة شهيداً أميراً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وبشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس بن زيد بن مالك [الأغر] بن ثعلبة ابن
كعب بن الخزرج بن الحارث ، أبو النعمان ابن يسير شهد بدرًا . وعبدُ الله بن
زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد [مناة] بن الحارث بن الخزرج [بن خازنة]
شهد بدرًا ، وهو الذي أرى النداء للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله - صلى الله
عليه وسلم فأمر به . وخالد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن
امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث
[ابن الخزرج] شهد بدرًا وأحدًا والخندق وقُتل يوم بني قريظة شهيداً ، طُرحت
عليه راحي من أطعم من أطامها فشدَّ حَتْمه شدًّا شديداً ، فقال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - إنَّ له لأجرَ شهيدٍ . وعقبه بن عمرو
ابن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن جدارة بن عوف بن الحارث [بن الخزرج]
وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سناً ، مات في أيام معاوية ، لم
يشهد بدرًا سبعة نفر .

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب

ابن جُشَم بن الخَزرج : زِيَادُ بْنُ كَبِيدٍ بن ثَعْلَبَةَ بن سِنَان بن عامر بن عَدِيٍّ
ابن أُمَيَّة بن بَيَاضَةَ ، شَهِيدٌ بَدْرًا . وَفَرَوَةَ بن عمرو بن وَدَقَةَ بن عُبَيْد بن
عامر بن بَيَاضَةَ ، شَهِيدٌ بَدْرًا . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ وَدَقَةُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَالِدُ بْنُ قَيْسٍ بن مَالِكِ بن الْعَجْلَانِ بن عامر بن بَيَاضَةَ ،
شَهِيدٌ بَدْرًا . ثَلَاثَةُ نَفَرٍ .

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ بن عامر بن زُرَيْقٍ بن عَبْدِ حَارِثَةَ بن مَالِكِ بن غَضَبٍ
ابن جُشَم بن الخَزرج : رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بن الْعَجْلَانِ بن عمرو بن عامر بن زُرَيْقٍ ،
نَقِيبٌ . وَذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ بن خَلْدَةَ بن مُخَلَّدٍ بن عامر بن زُرَيْقٍ [بن
عامر بن زُرَيْقٍ بن عَبْدِ حَارِثَةَ] ، وَكَانَ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَكَانَ مَعَهُ بِمَكَّةَ وَهَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَبَكَانَ
يُقَالُ لَهُ : مُهَاجِرِي أَنْصَارِي ؛ شَهِيدٌ بَدْرًا وَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا . وَعَبَادُ بْنُ قَيْسٍ
ابن عامر بن خَلْدَةَ بن مُخَلَّدٍ بن عامر بن زُرَيْقٍ ، شَهِيدٌ بَدْرًا . وَالْحَارِثُ بْنُ
قَيْسٍ بن خَالِدِ بن مُخَلَّدٍ بن عامر بن زُرَيْقٍ ، وَهُوَ أَبُو خَالِدٍ شَهِيدٌ بَدْرًا .
أَرْبَعَةُ نَفَرٍ .

وَمِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ بن سَعْدٍ بن عَلِيِّ بن أُسَيْدٍ بن سَارِدَةَ بن تَزِيدٍ بن جُشَمِ بْنِ
الخَزرج ؛ ثُمَّ مِنْ بَنِي عُيَيْنَةَ بن عَدِيٍّ بن غَنَمٍ بن كَعْبٍ بن سُلَيْمَةَ : الْبَرَاءُ بْنُ
مَعْرُورٍ بن صَخْرٍ بن خَنْسَاءَ بن سِنَانِ بن عُيَيْنَةَ بن عَدِيٍّ بن غَنَمٍ ، نَقِيبٌ ،
وَهُوَ الَّذِي تَزَعَّمُ بَنُو سُلَيْمَةَ أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

.....

عليه وسلم وشرط له ، واشترط عليه ، ثم توفي قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وابنه بشر بن البراء بن معرور ، شهد بدرًا وأُخذًا والخندق ، ومات بخیبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التي رُمي فيها . - وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سأل بني سلمة : من سيّدكم يا بني سلمة ؟ فقالوا : الجُدُّ بن قيس ، على بُخْلِهِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأى داء أكبر من البُخل ! سيّد بني سلمة الأبيض الجفد بشر بن البراء بن معرور . وسنان بن صخر بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدرًا ، والطّفيل بن النعمان خنساء بن سنان ابن عبيد ، شهد بدرًا ، وقُتل يوم الخندق شهيدًا . ومَعْقِل بن المُنذر بن سرح ابن خنساء بن عبيد ، شهد بدرًا . ويّزید بن المنذر بن سرح ابن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرًا . ومُسْعُود بن يزيد بن سُبَيْع بن خنساء بن سنان بن عبيد . والضّحّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، شهد بدرًا ، ويّزید بن خِدَام أو [بن حرام أو خدارة] بن سُبَيْع بن خنساء ابن سنان بن عبيد . وجُبّار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد [بن عدي بن غم بن كعب بن سلمة] ، شهد بدرًا .

قال ابن هشام : ويقال : جبّار بن صخر بن أمية بن خنساء :

قال ابن إسحاق : والطّفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد [وهو ابن عم الطّفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان] ، شهد بدرًا . أحد عشر رجلًا . ومن بني سواد بن غم بن كعب بن سلمة ، ثم من بني كعب بن سواد :

كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن وائل .
ومن بني غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : سليم بن عمرو بن حديدة
ابن عمرو بن غنم ، شهد بدرًا . وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم ،
شهد بدرًا . ويزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم ، وهو أبو المذرم ،
شهد بدرًا . وأبو اليسر ، واسمه : كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن
غنم [بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة] ، شهد بدرًا . وصيفي بن
سواد بن عباد بن عمرو بن غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : صيفي بن أسود بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد ،
وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بني نابی بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب
ابن سلمة : ثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابی ، شهد بدرًا ، وقتل بالخطبة
شهيدًا . وعمرو بن غنمة بن عدي بن نابی ، وعفيس بن عامر بن عدي بن
نابی ، شهد بدرًا . وعبد الله بن أنيس ، حليف لهم من قضاة . وخالد بن
عمرو بن عدي بن نابی . خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة :
عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، تميمي ، شهد بدرًا ، وقتل يوم
أحد شهيدًا ، وابنه جابر بن عبد الله . ومعاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن
حرام ، شهد بدرًا . وثابت بن الجذع - والجذع : ثعلبة بن زيد بن الحارث

ابن حرام - شهد بدرًا ، وفُتِلَ بالطائف شهيدًا . وعمير بن الحارث بن ثعلبة .
ابن زيد بن الحارث بن حرام ، شهد بدرًا . قال ابن هشام : عمير بن الحارث .
ابن لبدة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق . وخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن القُرَافِرِ
[أو القُرَافِر] حليف لهم من بَيْلٍ ومُعَاذُ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عاتِذ
ابن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد ، ويقال :
أسد بن ساردة بن يزيد بن جُشم بن الخزرج ، وكان في بني سلامة ، شهد بدرًا ،
والمشاهد كلها ومات بعمّوامين ، عام الطاعون بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب .
رضي الله عنه ، وإنما ادعته بقو سلامة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجُدِّ بن
قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلامة
لأمه . سبعة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عباد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي .
ابن سبعة .

قال ابن إسحاق : ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم بن عوف .
ابن عمرو بن عوف بن الخزرج : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ابن
فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف ، نقيب ، شهد بدرًا والمشاهد كلها .
قال ابن هشام : هو غنم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن
عوف بن الخزرج .

قال ابن إسحاق : والعباس بن عُبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له : مهاجرى أنصارى وقُتل يوم أحد شهيدا . وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن أضرم بن عمرو ابن عمارة ، حليف لهم من بنى غصينة من بلي . وعُثرو بن الحارث بن لبدة ابن عمرو بن ثعلبة : أربعة نفر ، وهم القوافل .

ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبلى - قال ابن هشام : الحُبلى : سالم بن غنم بن عوف ، وإمما سى : الحُبلى - لعظم بطنه : رفاعه بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم ، شهد بدرًا ، وهو أبو الوليد .

قال ابن هشام : ويقال : رفاعه : ابن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جُشم بن مالك بن سالم .

قال ابن إسحاق : وعُقبه بن وهب بن كَلدة بن الجعد بن هلال بن الحارث ابن عمرو بن عدى بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد ابن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، شهد بدرًا ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

قال ابن هشام : رجلان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عبادة ابن ذؤيب بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ؛ والمندر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد ابن ثعلبة بن جشم بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدرًا وأحدًا ، وقُتل يوم بدر معونة أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي كان يقال له : أعنق ليموت . رجلاً .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوافق النساء ، إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقرن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن .

ومن بنى مازن بن الذجاج : نُسَيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْدُول بن عمرو بن غنم بن مازن [بن الذجاج] ، وهي أم عُمارة ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشهدت معها أختها . وزوجها زيد بن عاصم بن كعب . وابناها : حبيب بن زيد ، وعبد الله بن زيد ، وابنها حبيب الذي أخذه مُسَيْلِمَةُ السَّكْدَابِ الحَنْفِيُّ ، صاحب اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده ، ولا يزيد على ذلك ، وإذا ذُكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ، وإذا ذُكر له مُسَيْلِمَةُ قال لا أسمع - فخرجت إلى اليمامة مع المسلمين ، فباشرت

الحرب بنفسها . حتى قتل الله مُسَيْلَمَةَ ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً ، من بين طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حَبَّان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَفْصَعة .

ومن بنى سلمة : أم مَنيع ؛ واسمها : أسماء بنت عمرو بن عدى بن ثابِث ابن عمرو بن سواد بن غَنَم بن كعب بن سلمة .

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال

بسم الله الرحمن الرحيم . قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّاءِي ، عن محمد بن إسحاق المِطَّلِيّ : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم يُحَلَّ له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوسهم من بلادهم ، فهم من بين مَقْتُون في دينه ، ومن بين معذَّب في أيديهم ، وبينهم هارب في البلاد فراراً منهم ، منهم مَنْ بأرض الحبشة ، ومنهم مَنْ بالمدينة ، وفي كل وجه ؛ فلما عَتَتْ قريش على الله عزَّ وجلَّ ، وردوا عليه بما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وعَذَّبُوا ونَفَوْا مَنْ عِندَهُم ووجدَه وصديق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عزَّ وجلَّ لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبلى عليهم ، فكانت أول آية

أُنزلت في إذنه له في الحرب ، وإحلاله له الدماء والقتال ، لمن بغى عليهم ، فَمَا
 بَلَغَنِي عَنْ مُعْرُوءَ بْنِ الزَّيْبِرِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ أَذِنَ
 لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْسَهُمْ ظَلَمُوا ، وَإِنْ اللَّهُ عَلَى نَعْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ
 أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ دَفَعُ اللَّهُ
 النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصُلُواتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا
 اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَكَيُنْصَرَّنَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ
 إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ،
 وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ : أَيُّ أُنَى إِنَّمَا أَحَلَّتْ لَهُمُ الْقِتَالُ
 لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَنْبٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ ، إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ ،
 وَأَنَّهُمْ إِذَا ظَهَرُوا أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ
 الْمُنْكَرِ ، يَعْنِي النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ،
 ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ : أَيُّ :
 حَتَّى لَا يَكُونَ مَوْءِنٌ عَنْ دِينِهِ : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ : أَيُّ حَتَّى يَعْبُدَ اللَّهَ ،
 لَا يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ .

الْإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ مَكَّةَ بِالْهَجْرَةِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَرْبِ ، وَبَاسِيَ
 هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنُّصْرَةِ لَهُ وَلِمَنِ اتَّبَعَهُ ، وَأَوَى إِلَيْهِمْ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ
 وَمَنْ مَعَهُ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْهَجْرَةِ إِلَيْهَا ، وَاللَّخُوقَ

ياخوانهم من الأنصار، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا وداراً
تأمنون بها . فخرجوا أرسالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
يفتظر أن يأذن له ربّه في الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

المهاجرون إلى المدينة

هجرة أبي سلمة وزوجه ، وحديثها عما لقيا

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم من المهاجرين من قريش ، من بنى مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد بن
هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه : عبد الله ، هاجر إلى المدينة
قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ،
خرج إلى المدينة مهاجرا .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن سلمة بن عبد الله
ابن عمر بن أبي سلمة ، عن جدّته أم سلمة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،
قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعمير ثم سمّاني عليه ،
وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجرى ، ثم خرج بي يقودني بعمير ،
فلما رأته رجال بني المغييرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا
هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرايت صاحبك هذه ؟ علام نتركك تسير بها في
البلاد ؟ قالت : ففزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه . قالت : وغضب
عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبي سلمة ، فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا

عندها إذا نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا بُنَيَّ سَلَمَةَ بينهم حتى خلموا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففترق بيني وبين زوجي وبين ابني . قالت : فكنت أخرج كلَّ غداة فأجاس بالأبطاح ، فما أزال أبكي ، حتى أمسى سنة أو قريباً منها حتى مرَّ بي رجلٌ من بني عُمَيٍّ ، أحدُ بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحماني فقال لبني المغيرة : ألا تُخْرِجون هذه المسكينة ، فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! قالت : فقالوا لي : الحقَّ بزواجك إن شئتِ . قالت : ورده بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني . قالت : فارتحلتُ بعبيري ثم أخذتُ ابني فوضعتُه في حجرى ، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة . قالت : وما معنى أجد من خلق الله . قالت : فقلت : أتبلغُ بمن لقيتُ حتى أقدمَ على زوجي ، حتى إذا كنتُ بالثَّغَمِيمِ أَقْبَيْتُ عُمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنَ أَبِي طَالِحَةَ ، أخا بني عبد الدان فقال لي : إلى أين يا بنتُ أبي أُمَيَّة ؟ قالت : فقلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ماممك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا الله وُجَيَّ هذا . قال : والله مالك من مترك ، فأخذ بِحِطَامِ البعير ، فانطلق معي يَهْوِي بِي ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قطَّ ، أرى أنه كان أكرمَ منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بِي ، ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلتُ استأخر بعبيري ، فخطَّ عنه ، ثم قيَّده في الشجرة ، ثم تنحَّى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الرَّواح ، قام إلى عبيري فقدمه فَرَحَلَه ، ثم استأخر عني ، وقال : اركبي . فاذا ركبتُ واستويتُ على عبيري أتى فأخذ بِحِطَامِهِ ، فقاده ، حتى ينزل بِي . فلم يزل يصنع ذلك بِي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء ، قال : زوجك

• • • • •

في هذه القرية -- وكان أبو سلمة بها نازلا - فادخلها على بركة الله ،
ثم انصرف راجعا إلى مكة .

قال : فسكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب
آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة .

هجرة عامر وزوجه وهجرة بني جحش

قال ابن إسحاق : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة :
عامر بن ربيعة ، حليف بني عدى بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حنمة
ابن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عدى بن كعب . ثم عبد الله بن
جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن
أحمد بن خزيمه ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد
ابن جحش ، وهو أبو أحمد - وكان أبو أحمد رجلاً ضريب البصر ، وكان
يطوف مكة ، أعلاها وأسفلها ، بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفرعة
بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم -
فقلعت دار بني جحش هجرة ، ففر بها عتبة بن ربيعة ، والعباس بن
عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وهي دار أبان بن عثمان اليوم
التي بالردم ، وهم مُصَمِّدُونَ إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق
أبوابها يباباً ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفّس الصعداء ، ثم قال :
وكل دار وإن طالَّت سلامتها . يوماً ستُدركها النكباء والحبوب

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دُوَادٍ الإيَادِي فِي قَصِيدَةٍ لَهُ . وَالْجُوب : التَّوَجُّع .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ قَالَ عَتَبَةُ : أَصْبَحْتُ دَارُ بَنِي جَحْشٍ خَلَاءَ مَنْ أَهْلِهَا . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَمَا تَبَكَّى عَلَيْهِ مِنْ قُلِّ بْنِ قُلٍّ .

قال ابن هشام القُلُّ : الْوَاحِد . قَالَ لَبِيدُ بْنُ رِيبَعَةَ :

سَكَلْتُ بَنِي حَرَّةٍ مُصِيرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرْتُ مِنَ الْقَدْرِ

قال ابن إسحاق : ثُمَّ قَالَ : هَذَا عَمَلُ ابْنِ أَخِي هَذَا ، فَرَّقَ بَيْنَهُمَا ، وَشَنَّتْ أُمُّرُنَا وَقَطَعَ بَيْنَهُمَا فَكَانَ مَنْزِلُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، وَأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ جَحْشٍ ، عَلَى مِشْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ زَنْبَرٍ بَقَاءً ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ أَرْسَالًا ، وَكَانَ بَنُو غَنَمِ بْنِ دُوَادٍ أَهْلَ إِسْلَامٍ ، قَدْ أَوْعَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَجْرَةً رَجُلَهُمْ وَنِسَاؤَهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، وَأَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ ابْنِ جَحْشٍ ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مَخْصَنٍ ، وَشُعْبَاعُ ، وَعَقْبَةُ ، ابْنَا وَهْبٍ وَأَزِيدُ ابْنُ حُمَيْرَةَ .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ ابْنُ حُمَيْرَةَ .

قال ابن إسحاق : وَبَنَاتُهُ ، وَسَمِيحَةُ بْنُ رُقَيْشٍ ، وَغَمْرُ بْنُ نَضْلَةَ ، وَيزِيدُ بْنُ رُقَيْشٍ ، وَرُقَيْسُ بْنُ جَابِرٍ ، وَعَمْرُو بْنُ مَخْصَنٍ ، وَمَالِكُ بْنُ عَمْرٍو ، وَصَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو ، وَتَمْفُفُ بْنُ عَمْرٍو ، وَرَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمٍ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ عُبَيْدٍ ،

وتَمَّام بن عبيدة ، وسَخْبَرَة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش .

ومن نساءهم : زينب بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجُدَامَة بنت جندل ، وأم قيس بنت مَحْصَن ، وأم حبيب بنت ثَمَامَة ، وآمنة [أو أمينة] بنت رُقَيْش ، وسَخْبَرَة بنت تميم ، وَحَنَة بنت جحش .

وقال أبو أحمد بن جحش بن رثاب ، وهو يذكر هجرة بني أسد ابن خزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإيعابهم في ذلك حين دُعوا إلى الهجرة :

ولو حلفت بين الصفا أم أحمد	ومرّوتها بالله برّت يمينها
لنحْنُ الألى كُنّا بها، ثم لم نزل	بمكة حتى عاد غثا سمينا
بها خيمت غم بن دودان وابتنى	وما إن غدت غنم وخفت قطينا
إلى الله تغدو بين مشى وواحد	ودين رسول الله بالحق دينها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضا :

لما رأتني أم أحمد غاديا	بذمة من أخشى بغيث وأزهب
تقول : فإما كنت لابد فاعلا	فيمم بنا البلدان ولتقأ يثرب
فلت لها : بل يثرب اليوم وجهتنا	وما يشا الرحمن فالعبد يركب
إلى الله وجهى والرسول ومن يتم	إلى الله يوما وجهه لا ينجب

فكم قد تركنا من حميم مناصيح وناصحة تبكى بدّمع وتندب .
 ترى أن وترأ نأيفاً عن بلادنا ونحن نرى أن الرغائب نطلب .
 دعوت بني غنم ليحفن دماهم وللاح للناس ملحب .
 أجابوا بحمد الله لما دعاهم إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا .
 وكنا وأصحابنا فارقوا الهدى أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا .
 كفوجين : أمّا منهما فموفق على الحق مهدي ، وفوج معذب .
 طغوا وتمنّوا كذبة وأزلهم عن الحق إبليس نخابوا وخيبوا .
 ورعنا إلى قول النبي محمد فطاب ولاة الحق منا وطيبوا .
 تمت بأرحام إليهم قريبة ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب .
 فأي ابن أخت بعدنا يأمّنكم وأية صهر بعد صهرى ثرب .
 ستعلم يوماً أينما إذ ترايلوا وزبل أمر الناس للحق أضوب .

قال ابن هشام : قوله « ولتناً يثرب » ، وقوله « إذ لا تقرب » ، عن
 غير ابن إسحاق . قال ابن هشام : يريد بقوله : « إذ » ، كقول الله عز وجل :
 « إذ الظالمون موقوفون عند ربهم » قال أبو النجم العجلي :

ثم جزاه الله عنّا إذ جزى جنّات عدن في العمالي والعلا

إسلام عمرو بن الجموح وصنمه :

فصل في إسلام عمرو بن الجموح ، وذكر صنمه الذي كان يعبد ، واسمه مناة ، وزنه فَعْلَةٌ من منيت الدم وغيره : إذا صَبَبْتَهُ ، لأن الدماء كانت تُخَنَّى عنده تَقَرُّبًا إليه ، ومنه سُمِّيَتِ الأصنامُ الدَّمِيَّةُ ، وفي الحديث : لا والدَّمِيَّ لا أرى - بما تقول بأسا ، وكذلك مناة الطاغية التي كانوا يَهْلُون إليها بُقْدِيدَ والحِطُّ من من هذا المطلع ما في قوله تعالى ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ النجم ، من الفائدة جعلها ثالثة للثلاث والعزى ، وأخرى بالإضافة إلى مناة التي كان يعبد ها عمرو ابن الجموح وغيره من قومه ، فهما مناتان ، وإحداها عن الأخرى بالإضافة إلى صاحبتهما .
وقوله :

الآن فَتَشْنُكَ عَنْ سُوءِ الْعَيْنِ

العين في الرأى يقال غَيْنَ رَأْيِهِ كما يقال سَفِهَ نَفْسَهُ ، فنصبوا ، لأن المعنى : خَسِرَ نَفْسَهُ ، وأَوْبَقَهَا وأَفْسَدَ رَأْيَهُ ونحو هذا .

وقوله إلهًا مُسْتَدَنٌ من السِّدَّانَةِ ، وهى خِدْمَةُ البيت وتعظيمه .

وقوله دَيَّانُ الدِّينِ : الدِّينُ جمع دِيبَةٍ ، وهى العادة ، ويقال لها دِينٌ أيضا ، وقال ابنُ الطَّحْطِيةِ ، واسمه يزيد^(٢) :

(١) ولهذا فرما الحسن بن بقره : مستقل مستعبد .

(٢) اختلف في نسبه ، فهو عند أبي عمرو والشيباني : أبو المكشوح يزيد

أرى سَبْعَةً يَسْعُونَ لِلْوَصْلِ كُلِّهِمْ له عند كَيْلٍ دِينَةٍ يَسْتَدِينُهَا
فَالْقَيْتُ سَهْمِي بَيْنَهُمْ حِينَ أَوْخَشُوا فما صار لي في الْقَسَمِ إِلَّا ثَمِينًا^(١)

ويجوز أن يكون أراد بالدين : الأديان أى هو دَيَّانُ أَهْلِ الْأَدْيَانِ ،
ولكن جمعها على الدين ، لأنها مِثْلٌ وَنَحْلٌ ، كما قالوا في جمع : الْحُرَّةُ : حرَّارٌ ،
الأنهن في معنى السَّكَرَاتِ والمقاتل ، وكذلك مَرَاثِرُ الشَّجَرِ ، وإن كانت
الواحدة مُرَّةً ، ولكنها في معنى فعيلة ، لأنها عَسِيرَةٌ فِي الذَّوْقِ ، وشديدة على
الآكل ، وكريهة إليه .

تفسير بعض الأَنسَاب :

فصل : وذكر ابن إسحاق تسمية من حَضَرَ الْعَقَبَةِ ، وذكر أنسابهم إِلَّا

ابن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .
وقيل : إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة ، وذكر ابن الكلبي أنه يزيد بن الصمة أحد
بنى سلمة الخير بن قشير ، وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير . يقول
حنه أبو الحسن علي بن عبدالله الطوسي : « كان ابن الطثرية شاعرا مطبوعا عاقلا
فصيححا كامل الأدب وافر المروءة لا يماح ، ولا يطمعن عليه ، والطثرية أمه ، وهي
من بني طائر بن عاز بن وائل . وقد ضبطها ابن خلكان بفتح الطاء وسكون الثاء ،
ور ضبط في القاموس واللسان بفتح الثاء : وهو من شعراء الحجازة لأبي تمام والبيت
الثاني في اللسان في مادة ثمن .

(١) أَوْخَشَ الْقَوْمَ : ودوا أو السهام في الرماية مرة أخرى ، والثمين : جزء من
الثمانية ، وفي اللسان : وسطهم بدلا من : بينهم لأن فعله غالبا يجمع على فعل ،
مثل أغرفة وغرف ، فصدية وفدى ، وأما فعائل ففقيس في كل من باعى : اسم
أوصف — مؤنث لفظيا أو مثنويا فإله هذه الموائد . وكانت ألقاب أم وأوتان

أَبَا الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا اسْمَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ ، وَمَاقِيلَ فِي نَسَبِهِ فِي ذِكْرِ الْعُقَبَةِ الْأُولَى ^(١) .

وَذَكَرَ قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، وَالْقُطَيْبَةُ فِيمَا ذَكَرَ أَبُو حَنِيفَةَ وَاحِدَةَ الْقُطَبِ ، وَهِيَ شَوْكَةٌ ^(٢) . مَدْحَرَجَةٌ فِيهَا ثَلَاثُ شَوَيْكَاتٍ ، وَهِيَ تَشْبَهُ حَسَكَ السَّعْدَانِ ، وَقَدْ بَانَ بَنَعْتُ أَبِي حَنِيفَةَ لَهُ أَنَّهُ الَّذِي نَسَمِيهِ بِيَلَادِنَا حَصَّصَ الْأَمِيرَ . وَالْقُطَيْبَةُ طَرَفُ النَّصْلِ .

وَذَكَرَ ذُكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ ، وَنَسَبَهُ إِلَى عَامِرِ بْنِ زُرَيْقٍ بْنِ عَامِرِ بْنِ زُرَيْقٍ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ غَضَبٍ بْنِ جُشَمٍ ، وَالغَضَبُ فِي اللَّفْظَةِ : الشَّدِيدُ الْحَمْرَةِ ^(٣) ، وَجُشَمٌ مَمْدُودٌ عَنْ جَانِبِهِ ، وَهُوَ مَنْ جَشِمَتْ الْأُمُرُ [تَكَلَّفَتْهُ عَلَى مَشَقَّةٍ] كَمَا عَدَّلُوا عُمَرَ عَنْ عَامِرٍ ^(٤) وَقَدْ أَمَلَيْنَا جُزْءًا فِي أَسْرَارِ مَا يَنْصَرَفُ ، وَمَا لَا يَنْصَرَفُ .

(١) مَازَدَتْهُ فِي السَّيْرِ مِنْ نَسَبٍ مَعْنَى بَنٍ عَدَى وَغَيْرِهِ مِنَ الْإِصَابَةِ .
(٢) الْقُطَيْبَةُ ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ يَذْهَبُ حَبَالًا عَلَى الْأَرْضِ طَوِيلًا ، وَلَهُ زَهْرَةٌ صَفْرَاءُ ، وَشَوْكَتُهُ إِذَا أَحْصَدَ وَيَبِسَ يَشِقُّ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَطْشَوْهَا ، مَدْحَرَجَةٌ كَأَنَّهَا حَصَاةٌ . وَالْحَسَكُ : نَبَاتٌ لَهُ ثَمَرَةٌ خَشَنَةٌ تَتَمَلَّقُ بِأَصْوَابِ النَّعْمِ وَأَوْبَارِ الْإِبِلِ ، وَمِنْهُ حَسَكُ السَّعْدَانِ ، وَالسَّعْدَانُ : نَبْتُ مَنْ أَفْضَلَ مَرَاعَى الْإِبِلِ ، وَمِنْهُ : مَرَعَى ، وَلَا كَالسَّعْدَانِ ، وَلَهُ شَوْكٌ تَشْبَهُ بِهِ حَلَّةُ الثَّدْيِ . وَهَذَا الْمَثَلُ يَضْرِبُ لِلشَّيْءِ بِفَضْلِهِ عَلَى أَقْرَانِهِ

(٣) فِي الْإِشْتِقَاقِ : الْغَضَبُ : الْأَحْمَرُ الْغَلِيظُ ، وَالْغَضَبَةُ الصَّخْرَةُ الْخَشَنَةُ ص ٤٦١ .

(٤) فِي الْإِشْتِقَاقِ : وَمَنْ قَوْلِهِمْ : جَشِمْتَ إِلَيْكَ هَذَا الْأَمْرَ ، أَيْ : تَحَمَّلْتَهُ ثِقَلًا ، وَجُشَمَ الْبَعِيرُ : صَدْرُهُ وَكُلُّهُ ، ص ٢٥٢ .

شَرَحْنَا فِيهِ فائدة العدل عن فاعل إلى فَعَل ، ومأخوذة العدل والْمَقْصُود به ، ولم كَمْ يُعَدَّل عن أسماء الأجناس ، ولم كَمْ يَكُن إلا في الصفات ولم كَمْ يَكُن من الصفات إلا في مثل عامر وِرَافِر وقائم^(١) ، ولم يَكُن في مالِك وصالح وسالم ، ولم خص فعل هذا البناء بالعدل إليه ، وهل عُدِل إلى بناء غيره ، أم لا ولم منع التَّنْفِض والتَّنْوِين إذا كان معدولاً إلى هذا البناء ، فمن اشتاق إلى معرفة هذه الأسرار فَلْيَنْظُرْهَا هُنَالِكَ ، فإن ابن جني قد حام في كتاب الخصائص على بعضها ، فما وَرَدَ ، وصَاصَاً فما فَتَحَ^(٢) .

وذكر في بنى سِيَاضَة عمرو بن وَدَّاقَ بذال مُعْجَمَة ، وقال ابن هشام : وَدَّاقَ بذال مَهْمَلَة ، وهو الأصح ، والوَدَّاقَة : الروضة الناعمة سُمِّيَتْ بذلك ، لأنها تقطر ماء من نعمتها ، والأُدَاقُ الذَّكَرُ ، وأصله : وَدَاقٌ ، سُمِّيَ بذلك الموضع قطر الماء والمنى منه^(٣) ، ويقال للروضة الناعمة : الدَّقْرَى ، وعروبن

(١) قَمْ - في القاموس - الكثير العطاء معدول عن قائم ، والجموع للخير والعيال ، وزفر : الأسد والشجاع ، والبحر والنهر الكثير الماء ، الذي يحمل الانتقال ، أى : القوى على حمل القرب ، والجلل الضخم ، والكتيبة لمخ .
(٢) فتَحَ الجرو ، فتح عينيه أول ما يفتح ، وهو صغير ، وصَاصَاً الجرو : حاول النظر ولما تنفتح عيناه ، ويقال : فتَحْنَا ، وصَاصَاتِم : أبصرنا الحق ، ولم تبصروه .

(٣) العبارة مضطربة ولعلها : لقطر الماء .. الخ . وفي القاموس عن وداف : وكفراب : الذكر لما يدف منه من المنى وغيره ، وفي اللسان : د والأداف : الذكر القطراشه الهمزة فيه : بدل من الواو ، وهو مما لم فيه البدل ، إذ لم تسمعهم قالوا : وداف . وفي الحديث : في الأداف الدية يعنى الذكر ، قال ابن الأثير :

وَدَفَّةٌ هَذَا هُوَ النَّبِيَّاضِيُّ الَّذِي رَوَى عَنْهُ مَالِكٌ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ ، وَلَمْ يُسَمِّهِ .
وَفِي الْأَنْصَارِ [مِنْ قِبَائِلِ الْخَزْرَجِ] بَنُو النَّجَّارِ ، وَهُمْ تَبِعُوا اللَّهَ بْنَ تَمَلْبَةَ .
سَمَى النَّجَّارُ فِيمَا ذَكَرُوا لِأَنَّهُ نَجَّرَ وَجْهَ رَجُلٍ بِقُدُومٍ وَقِيلَ : كَانَ نَجَّارًا ، وَتَمَلْبَةُ
فِي الْعَرَبِ كَثِيرٌ فِي الرِّجَالِ ، وَقُلٌّ مَا يُسَمُّونَ بِشَعْلَبَ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْقِيَاسُ .
كَأَيْسَمُونُ بِزَمِيرٍ وَسَبْعٌ وَذَيْبٌ ^(١) ، وَلَكِنْ التَّعْلَبُ اسْمٌ مُشْتَرَكٌ ، إِذْ يُقَالُ
تَعْلَبُ الرَّمْحُ ، وَتَعْلَبُ الْخَوْضُ ^(٢) ، وَهُوَ مَخْرَجُ الْمَاءِ مِنْهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ
حَتَّى قَامَ أَبُو لَبَابَةَ يَسُدُّ تَعْلَبَ مِرْبَدَةَ بَرْدَانَهُ ^(٣) ، فَكَأَنَّهُمْ عَدَلُوا عَنِ التَّسْمِيَةِ

سَمَاءٌ بِمَا يَقَطُرُ مِنْهَا بِحَاجَا ، وَفِي اللِّسَانِ عَنِ الْوَدْفَةِ : الْوَدْفَةُ — بِسُكُونِ الدَّالِ —
الْوَدْفَةُ : الرُّوضَةُ النَّاضِرَةُ الْمُتَخِيلَةُ ، وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : الْوَدْفَةُ بِفَتْحِ الدَّالِ نَدَى
الرُّوضَةِ الْخَضِرَاءِ مِنْ نَبْتٍ .

(١) يَقُولُ ابْنُ حَرِيرٍ عَنْ مَذَاهِبِ الْعَرَبِ فِي التَّسْمِيَةِ : « وَمِنْهَا أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ
يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ وَأَمْرَأَتُهُ تَمْخَضُ ، فَيَسْمَى ابْنُهُ بِأَوَّلِ مَا يَلْقَاهُ مِنْ ذَلِكَ ، نَحْوُ :
تَعْلَبُ وَتَمَلْبَةُ ، وَضَبُ وَضْبَةٌ ، وَخَزَرُ وَضَبِيَّةٌ ، وَكَلْبُ وَكَلِيبٌ ، وَنَحَارُ وَفَرْدُ
وَخَزِيرٌ . . . وَكَذَلِكَ أَيْضًا تَسْمَى بِأَوَّلِ مَا يَسْنَحُ أَوْ يَبْرَحُ لَهَا مِنَ الطَّيْرِ نَحْوُ :
غُرَابٌ وَضُرْدٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، ص ٦ الْإِسْتِقْبَاقُ ، وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ سِوَى بَطْنٍ وَاحِدٍ
مِنْ قِبَائِلِ قَضَاعَةَ سَمَى بِشَعْلَبَ بَيْنَمَا وَجَدَتْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَمَوًا بِشَعْلَبَةٍ وَهَنَّاكَ اثْنَانِ
وَعِشْرُونَ صَحَابِيًّا كُلُّهُمْ تَسْمَى بِاسْمِ تَعْلَبَةٍ .

(٢) تَعْلَبُ الرَّمْحُ : طَرَفُهُ الدَّخَالُ فِي جِبَةِ السِّنَانِ

(٣) فِي الْنَهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ فِي حَدِيثِ الْأَسْتِمْقَاءِ : اَللَّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يَقُومَ
أَبُو لَبَابَةَ يَسُدُّ تَعْلَبَ مِرْيَدَةَ بِإِزَارِهِ . الْمِرْيَدَةُ : مَوْضِعٌ يَجْفَفُ فِيهِ التَّمْرُ ، وَتَعْلَبَةُ
تَقْبَةُ الْقَلْبِ يُسِيلُ مِنْهُ مَاءُ الْمَطَرِ ، وَفِي مَكَانٍ آخَرَ يَقُولُ : يَعْنِي مَوْضِعَ ثَمَرِهِ .
أَنْظُرْ مَا دَقَّ تَعْلَبَ وَرَبْدَ فِي الْنَهَايَةِ . وَفِي الرُّوضِ : يَسُدُّ تَعْلَبَ وَهُوَ خَطَأٌ .



بشعلب لهذا الاشتراك ، مع أن الثعلبية أحق لأدراكها^(١) وأغبر على أجرائها من الثعلب .

وذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبنى سلمة من سيدكم ؟ فقالوا جد بن قيس على بخل فيه ، فقال : وأى داء أكبر من البخل ؟ بل سيدكم الأبيض الجعد : بشر بن البراء ، وروى عن الزهري وعاصم الشعبي . أنهما قالوا في هذا الحديث عن النبي عليه السلام : بل سيدكم عمرو بن الجموح ، وقال شاعر الأنصار في ذلك :

وقال رسول الله ، والحق قوله كمن قال منا من تمعدون سيّدا
فقالوا له : جد بن قيس على التي مُبَخِّلُهُ فِيهَا ، وما كان أسودا
فسود عمرو بن الجموح لجوده وحق لعمرٍو عندنا أن يسودا

ذكر فديج بن سلامة البلوي :

فضل : وذكر فديج بن سلامة البلوي ، وهو : فديج بن ماء منقوطة : مفتوحة ودال مكسورة ، كذا ذكره الدارقطني وغيره ، وذكره الطبري ، وقال : شهد العقبة ، ولم يشهد بدر ، وقال : يُكْنَى أبا رشيد : وذكر معاذ بن جبل رُسبه إلى أدّى بن سعد بن علي أخى سلمة ، وذلك

(١) أدراس جمع درص بفتح الدال وكسرهما : ولد القنفذ والأرنب واليربوع والمارة والهرة ونحوها ، وبالكسر جنين الاتان . والجمع أيضا درصة ودرسان ، ودروص وأدرص . والجرو بثلاثة - أى بكسر الجيم وفتحها وضمة - صغير كل شيء حتى الحنظل والبطيخ ونحوه ج أجر وجراء وولد الكلب والأسد ج أجر واجرية وأجراء وجراء .

انفرض عَقِبُ أَدَىٍّ ، وآخرُ من مات منهم عبدُ الرحمن بن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وقد يقال في أَدَىٍّ أيضا : أَدُنْ في غير رواية ابن إسحاق وابن هشام .

وذكر أن مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ مات في طاعون عَمَواس ، هكذا تقيد في النسخة عَمَواس بسكون الميم ^(١) ، وقال فيه البكري في كتاب المعجم من أسماء البقع : عَمَواس بفتح الميم والعين ، وهي قرية بالشام عُرِفَ الطاعون بها لأنه منها بدأ . وقيل : إنما سمي : طاعون عَمَواس لأنه عَمَّ وآسى أى جعل بعض الناس أُنسوة بعض .

وذكر يزيد بن ثعلبة بن خَزَمَةَ بسكون الزاي كذا قال فيه ابن إسحاق وابن الكلبي ، وقال الطبري فيه خَزَمَةَ بتحريك الزاي ، وهو بَلَوِيٌّ من بني عَمَّارة بفتح العين وتشديد الميم ، ولا يعرف عَمَّارة في العرب إلا هذا ، كما لا يُعرَفُ عَمَّارة بكسر العين إلا أُبَيٌّ بن عَمَّارة الذي يروى حديثا في المسح على الخفين ، وقد قيل فيه عَمَّارة بضم العين ، وأما سوى هذين فعَمَّارة بالضم ، غير أن الدَّارَ قُطَنِيَّ ذكر بن مُحَمَّدٍ بن حبيب عن ابن الكلبي في نسب قُضاعة : قال مُدْرِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَمَمَاتِيُّ بن عَمَّارة بن ذُوَيْدِ بْنِ مَالِكٍ . وفي النساء عَمَّارة

(١) في المراسد : رواه الزحشرى بكسر أوله وكسر ثانيه ، وغيره بفتح أوله وثانيه : كورة من فلسطين قرب بيت المقدس وكانت عمواس قصبتها قديما ، وهي ضيعة جليلة على ستة أميال من بيت المقدس ، منها كان ابتداء الطاعون المنسوب إليها في زمن عمر . قيل : مات فيه خمسة وعشرون ألفا ، وفي ياقوت أن عمواس بكسر العين وسكون الميم .

بنت نافع ، وهى أم محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق ، وفى الأنصار خزنة سوى هذا المذكور بفتح الزاى كثير .

وذكر بنى الحُبلى والنسب إليه حُبلى بضم الحاء والباء قاله سيبويه على غير قياس ، النَّسَب ، وتوهم بعض من ألف فى العربية أن سِيدِيَّوِيَه قال فيه : حُبلى بفتح الباء لما ذكره مع جُدَيْمٍ فى النسب إلى جَذِيْمَةٍ ولم يذكره سيبويه معه ، لأنه على وزنه ، ولكن لأنه شاذ مثله فى القياس الذى ذكرناه عن سيبويه من تقييده بالضم ، ذكره أبو عليّ القمّالى فى البارع ، وقال هكذا تقييد فى النسخ الصحيحة من سيبويه ، وحسبك من هذا أن جميع المحدثين يقولون : أبو عبد الرحمن الحُبلى بضمّين ، لا يختلفون فى ذلك ، فدل هذا كله على غلط من نسب إلى سيبويه أنه فتح الباء ^(١) .

منى أسلم عثمان بن أبي طلحة :

فصل : وذكر هجرة أم سلمة وصحبة عثمان بن طلحة لها ، وهو يومئذ

(١) فى القاموس : د الحبل ، بضم الحاء وسكون الباء وفتح اللام ، لقب سالم بن غنم بن عوف لعظم بطنه من ولده : بنو الحبل بطن من الأنصار ، وهو حبل بضم الحاء وسكون الباء - وبضمتين ، وكجهنى ،

وفى الباب لابن الأثير الحبل بضم الحاء والباء ونقل عن السمعاني ، وذكر سيبويه التحوى : الحبل بفتح الباء وقال : هو منسوب إلى بنى الحبل . وقال : الحبل بضم الحاء وسكون الباء وإمالة اللام لقب سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج بن حارثة قال ابن السكيت : إنما سمي الحبل لعظم بطنه . وانظر ص ٥٩ الاشتقاق .

(م ١١ — الروض الأثف ج ٤)

على كفره ، وإنما أسلم عُثمان في هُدنة الحُدَيْبِيَّة^(١) ، وهاجر قبل الفتح مع خالد ابن الوليد ، وقتل يوم أُحُدٍ إخوته مُسَافِع ، وِكَلاب والحارث ، وأبوم وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أيضا يوم أحد كافرين وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وإلى ابن عمه شَيْبَةَ بن أبي عثمان بن أبي طلحة ، وهو جد بني شَيْبَةَ حَجَّيَّة الكعبة ، واسم أبي طلحة جدم : عبد الله بن عبد العُزَّى ، وقُتِلَ عُثمان رحمه الله شهيدا بأَجْنَادَيْنِ في أول خلافة عمر .

هجرة بني جحش :

وذكر هجرة بني جَحَش ، وهم : عبد الله وأبو أحمد واسمه : عبد ، وقد كان أخوهم عُبَيْدُ الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كُهَا ﴾ الأحزاب وأم حبيب بنت جَحَش التي كانت تُسَمَّحَاضُ ، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وَحَمْنَةُ بنت جحش التي كانت تحت مُصَنِّب بن عُمَيْر ، وكانت تُسَمَّحَاضُ أيضا ، وقد روى أن زينب استحيضت أيضا ، ووقع في الموطأ أن زينب بنت جَحَش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تُسَمَّحَاضُ ، ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف ، ولا قاله أحد والفَلَط لا يسلم منه بشر ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ،

(١) بتخفيف الياء الثانية مع فتحها ، وقيل : أهل المدينة يقولونها : وأهل العراق يخففونها .

ويقال فيها أم حبيبة ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح ، أخبرني أن أم حبيب كان اسمها : زينب فمما زَيْنَبَانِ غلبت على إحداهما الكُنية ، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وَهْمٌ ولا غلط والله أعلم . وكان اسم زينب بنت جحش : بَرَّةَ فسماها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب ، وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيته عليه السلام ، كان اسمها بَرَّةَ ، فسماها زينب كأنه كره أن تُزَكَّى المرأة نفسها بهذا الاسم ، وكان اسم جحش بن رثاب : بَرَّةَ بضم الباء ، فقالت زينب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله لو غيرت اسم أبي ، فإن البرَّةَ صغيرة ، فقيل : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لها : لو أبوك مُسْلِمًا لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت ، ولكني قد سميته جَحْشًا والجحش أكبر من البرَّةِ . ذكر هذا الحديث مُستنداً في كتاب المؤتاف والمختلف أبو الحسن الدارقطني .

الشعر الذي تمثل به أبو سفيان :

فصل : ذكر البيت الذي تمثل به أبو سفيان حين مرَّ بدار بني جحش
تَحْقِيقُ أَبْوَابُهَا ، وهو قوله :

وكل بَيْتٍ وإن طالت سلامته يوماً ستدركه الأنكباء والخوب
كل امرئ بقاء الموت مرتين كأنه غَرَضٌ للموت منصوب
والشعر لأبي ذؤاد الإيادي واسمه : حَنْظَلَةُ بن شريق ، وقيل جارية بن
الحجاج ذكر دار بني جحش ، وأنها عند دار أبان بن عثمان بالرَّذَم ، والرَّذَمُ

حَمْرُ رُدِّمَ بالقتلى في الجاهلية ، فسمى : الرِّدْمَ ، وذلك في حرب كانت بين بني
بَجَع ، وبين بني الحارث بن فهر ، وكانت الذِّبْرَةُ فيها على بني الحارث ، ولذلك
قَالَ عَدُوهُمْ ، فهم أَفْلُ قَرِيشَ عَدُوًّا .

وذكر ابن إسحاق شعر أبي أحمد بن جَعَشٍ وفيه :

إِلَى اللَّهِ وَجْهِي وَالرَّسُولَ وَمَنْ يُقِمُّ إِلَى اللَّهِ يَوْمًا وَجْهَهُ لَا يُخَيِّبُ

هكذا يروى بكسر الباء على الإفواء، ولو روى بالرفع لجاز على الضرورة
ويكون تقديره : فَلَا يُخَيِّبُ بِإِضْمَارِ الْفَاءِ فِي مَذْهَبِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، وفي مذهب
سيبويه : يجوز أيضًا لا على إضمار الفاء ، ولكن على نية التقديم للفعل على
الشرط كما أنشدوا :

إِنَّكَ إِنْ يُفْرَعْ أَخُوكَ تُفْرَعُ^(١)

وهو مع إن أحسن ، لأن التقدير إِنَّكَ تُفْرَعُ إِنْ يُفْرَعْ أَخُوكَ ،
وأنشدوا أيضًا :

مَنْ يَقْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهُ^(٢)

(١) البيت لجرير بن عبد الله البجلي ، وقد سبق . وهو في كتاب سيبويه
ص ٤٣٦ ط ١ ص ١٠٠ والشاهد - فيه كما يقول السيرافي - على مذهب سيبويه :
تقديم تفرع في النية ، وتضمنه الجواب في المعنى . والتقدير : إِنَّكَ تَفْرَعُ إِنْ
يَفْرَعُ أَخُوكَ ، وهذا من ضرورة الشعراء لأن حرف الشرط قد جزم الأول ،
لحكم أن يجزم الآخر وهو عند المبرد على حذف الفاء . والاقارع من بني تميم .

(٢) هو من شواهد سيبويه أيضًا في الكتاب ص ٤٣٥ ط ١

على هذا التقدير ، وفي الشعر أيضاً :

ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب

وتأول ابن هشام إذ هنا بمعنى : إذا وهو خطأ من وجهين ، أحدهما : أن الفعل المضارع لا يحسن بعد إذا مع حرف النفي ، وإنما يحسن بعد إذ كقوله سبحانه : ﴿ إذ يقول المنافقون ﴾ ولو قلت : سأتيك إذا تقول كذا ، كان قبيلها إذا آخرتها ، أو قدمت الفعل لما في إذا من معنى الشرط ، وإنما يحسن هذا في حروف الشرط مع لفظ الماضي ، تقول : سأتيك إن قام زيد وإذا قام زيد ، ويقبح : سأتيك إن يقيم زيد لأن حرف الشرط إذا آخر ألغى ، وإذا ألغى لم يقع الفعل المعرب بعده ، غير أنه حسن في كيف نحوه قوله سبحانه ﴿ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ وَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿ لَسِرَّ بَدِيعَ لَعَلْنَا نَذْكُرَهُ إِن وَجَدْنَا إِشْفَرْتِنَا مَحْزَرًا ، ويحسن الفعل المستقبل مع إذا بعد التَّسْمِ كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ لانعدام معنى الشرط فيه ، فهذا وجه ، والوجه الثاني : أن إذ بمعنى إذا غير معروف في الكلام ، ولا حكاة تثبت ، وما استشهد به من قول رُوْبَةَ ليس على ما ظن إنما معناه : ثم جزاه الله ربى إن جزى ، أى من أجل أن نفعى وجزى عى ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ ففاعل جزى : مضمير عائد على الرجل الممدوح ، وإذا بمعنى أن المفتوحة كذا قال سيدي

والشاهد فيه : حذف الفاء من الجواب ضرورة ، والتقدير : فإله يشكره وفي الكتاب : يشكرها ، وزعم الأصمعي أن النحويين غيروا ، وأن الرواية : من يفعل الخير ، فالرحمن يشكره .

في سواد الكتاب ، ويشهد له قوله سبحانه : ﴿ بعد إذ أنتم مُسْلِمُونَ ﴾ وعليه يحمل قوله سبحانه ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴾ وغفل النسوى عما في الكتاب من هذا ، وجعل الفعل المستقبل الذي بعد لن عاملا في الظرف الماضي ، فصار بمنزلة من يقول : سأتيك اليوم أمس ، وهذا هراء من القول ، وغفلة عما في كتاب سيبويه ، وآيت شِعْرِي ما يقول في قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ : هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴾ فإن جَوَز وقوع المستقبل في الظرف الماضي على أصله الفاسد ، فكيف يعمل ما بعد إلقاء فيما قبلها لا سيما مع السين ، وهو قبيح أن تقول : غدا سأتيك ، فكيف إن قلت : غدا فسأتيك ، فكيف إن زدت على هذا وقلت : أمس فسأتيك ، وإذ على أصله بمنزلة أمس ، فهذه فضائح لا غطاء عليها .

فإن قال قائل : فكيف الوجه في قوله سبحانه ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُّوا ﴾ وكذلك : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ الْجُرْمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ ﴾ أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى إذا التي تعطى الاستقبال ؟

قيل له : وكيف تكون بمعنى إذا ، وإذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر ، وقد قال سبحانه : ﴿ إِذْ الْجُرْمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ ﴾ وإنما التقدير : ولو ترى غَدَمَهُمْ وَحُزْنَهم في ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار ، فإذا ظرف ماض على أصله ، ولا يمكن بالإضافة إلى حزنهم وندامتهم ، فالحزن والندامة واقعان بعد لماينة والتوقيف ، فقد صار وقت التوقيف ماضيا بالإضافة إلى ما بعده ، والذي بعده هو مفعول ترى ، وهذا نحو مما يتوهم في قوله سبحانه : ﴿ فَأَنْطَلَقَا ﴾ حق إذا

وَرَكِبًا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ فَيَتَوَحَّمُ أَنْ إِذَا هَاهُنَا بِمَعْنَى إِذْ ، لِأَنَّهُ حَدِيثٌ قَدْ مَضَى ،
وَلَيْسَ كَمَا يَتَوَحَّمُ ، بَلْ هِيَ عَلَى بَابِهَا ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهَا مُسْتَقْبَلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْإِنْطِلَاقِ ،
لِأَنَّهُ بَعْدَهُ ، وَالْإِنْطِلَاقُ قَبْلَهُ ، وَلَوْلَا حَتَّى ، مَا جَازَ أَنْ يُقَالَ إِلَّا انْطِلَاقًا إِذْ رَكِبًا ،
وَلَكِنْ مَعْنَى الْغَايَةِ فِي حَتَّى دَلَّ عَلَى أَنَّ الرُّكُوبَ كَانَ بَعْدَ الْإِنْطِلَاقِ وَإِذَا كَانَ
بَعْدَهُ ، فَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ مَسْأَلَتُنَا الْحَزْنَ ، وَسُوءَ الْحَالِ الَّذِي
هُوَ مَفْعُولٌ لَتَرَى ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَذْكُورٍ فِي اللَّفْظِ ، فَهُوَ بَعْدَ وَقْتُ الْوُقُوفِ ،
فَوَقْتُ الْوُقُوفِ مَاضٍ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَدَمِنْ حَذَفَ ، فَكَذَلِكَ نَقْدَرُ
حَذْفًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ وَنَحْوُهُ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى أَنْ ،
فَلَا يَدُلُّهَا مِنْ تَعَلُّقٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : جُزَيْتُمْ بِهَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ ظَلَمْتُمْ ، أَوْ مِنْ أَجْلِ
أَنْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ضَلُّوا .

وَذَكَرَ فِي نِسَاءٍ بَنَى جَعَشَ : جُدَامَةٌ بِنْتُ جَنْدَلٍ ، وَأَحْسَبُهُ إِذَا أَرَادَ جُدَامَةً
بِنْتُ وَهَبِ بْنِ مِخْصَنٍ ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ الرُّضَاعِ فِي الْمَوْطَأِ ، وَقَالَ
فِيهَا خَلْفُ بْنُ هِشَامِ الْبَزَارِ : جُدَامَةٌ بِالذَّالِ الْمَنْقُوطَةِ هَكَذَا ذَكَرَ عَنْهُ مُسْلِمٌ بْنُ
الْحُجَّاجِ ، وَالْمَعْرُوفُ : جُدَامَةٌ بِالذَّالِ ^(١) ، وَقَدْ يُقَالُ فِيهَا جُدَامَةٌ بِالْتَّشْدِيدِ ،

(١) فِي الْقَامُوسِ : وَجُدَامَةٌ كَثَامَةٌ بِنْتُ وَهَبٍ ، وَبِنْتُ جَنْدَلٍ ، وَبِنْتُ الْحَارِثِ
صَحَابِيَّاتٌ وَهِيَ مَا يَسْتَخْرَجُ مِنَ السَّنْبِلِ بِالْخَشَبِ . وَفِي الْإِصَابَةِ عَنْ جُدَامَةِ بِنْتُ
جَنْدَلٍ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْهَا : وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي التَّذْوِيلِ أَنَّهَا هِيَ
بِنْتُ وَهَبٍ . . وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَتْ تَحْتَ أَنَيْسَ بْنِ قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ . كَمَا جَاءَ
فِي الْإِصَابَةِ عَنْ جُدَامَةِ بِنْتُ وَهَبٍ الْأَسَدِيَّةِ : وَيُقَالُ بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ رَوَتْ عَنْ النَّبِيِّ
« ص » فِي رِضَاعِ الْحَامِلِ ، رَوَتْ عَنْهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ ، أَخْرَجَ حَدِيثُهَا فِي الْمَوْطَأِ ،

والجُدَّامة قصب الزرع ، وأملى علينا أبو بكر الحافظ ، وكتبت عنه بخط يدي .
قال المبارك بن -بد الجبار عن أبي إسحاق البرمكي عن محمد بن زكريا بن جبويه
عن أبي عمر الزاهد المطرز قال : الجُدَّامة : بتشديد الدال طَرَف السَّعْفَةِ وبه
سميت المرأة ، وكانت جُدَّامة بنت وهب تحت أنيس بن قتادة الأنصاري .
وأما جُدَّامة بنت جندل ، فلا تُعرف في آل جحش الأسديين ، ولا في غيرهم .
ولعله وهم وقع في الكتاب ، وأنها بنت وهب بن مِخْصَن بنت أخى عكاشة .
ابن مِخْصَن ، كما قدمنا والله أعلم .

وذكر في بنى أسد ثَقَف بن عمرو ، ويقال فيه : ثَقَفٌ شهيد هو وأخوه ،
مِدْلاج [أو مدلج] بدرا وقتل يوم أحد شهيدا . وقال موسى بن عقبة قتل يوم
خَيْبَر قتله أسير [بن رزام] اليهودي ^(١) .

وذكر فيهم أم حبيب بنت ثُمَامَة ، وهي بما أغفله أبو عمرو في كتابه ، وأغفل
أيضا ذكر ثُمَام بن عبيدة ^(٢) ، وهو ممن ذكره ابن إسحاق في هذه الجملة
المذكورين من بنى أسد .

ولفظه : عن جدَّامة الأسدية أنها سمعت النبي ﷺ يقول : لقد هممت أن
أنهى عن الغيلة . ، الحديث ، وفي بعض طرقه عند مسلم : عن جدَّامة بنت
وهب أخت عكاشة بن وهب قالت : حضرت عند النبي ﷺ ، في أناس ،
وهو يقول : فذكر الحديث . . وأورده ابن مندة بلفظ الموطأ في جدَّامة
ابن جندل .

(١) ويقول الواقدي عن مدلاج إنه شهيد المشاهد كلها ، ومات سنة خمسين
وتبعه ابن عبد البر في ذلك ، الإصابة ، أما ثَقَف ، فيكما قاله .
(٢) ترجم ابن حجر لأم حبيب في سطرين فقط ، ولم يترجم لثُمَام .

وذكر ابن إسحاق في هذه الجملة أربد بن جحيرة الأسدي بالجيم ، وقاله ابن هشام : مُحَيْرَة بالحاء ، ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بخلاف ما رواه البكاءي وابن هشام ، فقال فيه ابن مُحَيْر بتشديد الياء ، كأنه تصغير حمار .

وذكر فيهم مُحَرِّز بن نَضْلَة ، ولم يرفع نسبه ، وهو ابن نَضْلَة بن عبد الله بن ابن مُرَّة بن غَنَم ^(١) بن دُودَان بن أَسَد [بن خزيمة] قتل في غزوة ذي قرد شهيداً ^(٢) ، وكان قد شهد بدرا ، وكان يعرف بالأخزم ، ويقاب : مُهَيَّرَة ، وقال فيه موسى بن عقبة مُحَرِّز بن وَهَب ، ولم يقل ابن نَضْلَة .

وذكر ابن إسحاق أيضاً يزيد بن رُقَيْش ، وبعضهم يقول فيه : أربد ولا يصح ، وهو ابن رُقَيْش بن رِثَاب بن يَعْمَر بن كَثِير بن غَنَم بن دُودَان ، وذكر فيهم رَبِيعَة بن أَكْثَم ، ولم ينسبه وهو ابن أَكْثَم بن سَخْبَرَة بن عمرو ابن نُفَيْر بن عامر بن غَنَم بن دُودَان بن أَسَد يكنى : أبا يزيد ، وكان قصيراً دَحْدَحاً مُقْتَل يوم خيبر بالنَّطَاة قتله الحارث اليهودي ^(٣) .

(١) في الإصابة بن مرة بن كشير بن غنم ، وفي إمتاع الاسماع مرة بن كبير بن غنم .

(٢) ماء على ليلتين من المدينة بينهما وبين خيبر . خرج إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طلب عيينة بن حصن قال حسان :

كانوا بدار ناعمين فبدلوا أيام ذي قرد وجاءوه عباد

(٣) نطاة : اسم لأرض خيبر ، وقيل حصن بخيبر أو عين بها يسقى بعض نخيل قراها ، وهي وبشة ، وفي القاموس تطلق أيضاً على حمى خيبر . وبالألف واللام : الشمر وخ .

هجرة عمر وقصة عياش معه

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة الخزومي حتى قدما المدينة . فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : اتعدت ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعياش بن أبي ربيعة [واسمه : عمرو وبلقب ذا الرحمين] ، وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التناضيب من أضاة بني غنار ، فوق سرف ، وقلنا : أيننا لم يصح عندها فقد حبس فليمنض صاحباه . قال : فأصبحت أنا وعياش ابن أبي ربيعة عند التناضيب ، وحبس عنا هشام ، وقتن فافتتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلما وقالوا : إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرق لها ، فقلت له : يا عياش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك العمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت . قال : فقال : أبرأ قسم أمي ، ولي هنالك مال فأخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أني لن أكثر قریش مالا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما . قال : فأبى علي إلا أن يخرج معهما ؛ فلما أبى إلا ذلك ؛ قال : قلت له : أمّا إذ قد فعلت ما فعلت ، فليخذ ناقتي هذه ، فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها ، فان رابك من القوم ريب ، فانج عليها :

• • • • •

نُفِرَجَ عَلَيْهَا مَعَهُمَا ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِيَعُضِ الطَّرِيقِ ، قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : يَا ابْنَ أَخِي ، وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَمْلَظْتُ بِعِيرِي هَذَا ، أَفَلَا تُنْقِصِنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَأَنَاخَ ، وَأَنَاخَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَّوَا عَلَيْهِ ، فَأَوْثَقَاهُ وَرَبَطَاهُ ، ثُمَّ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ ، وَفَتَنَاهُ فَافْتَنَّ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : لَخَدَّثَنِي بِهِ بَعْضُ آلِ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ : أَنَّهُمَا حِينَ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ دَخَلَا بِهِ نَهَارًا مَوْثِقًا ، ثُمَّ قَالَا : يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، هَكَذَا فَاغْلُظُوا . يَسْفُهَانِكُمْ ، كَمَا فَعَلْنَا بِسَفِينِنَا هَذَا .

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَدَّثَنِي نَافِعٌ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ عُمَرَ فِي حَدِيثِهِ ، قَالَ : فَكُنَّا نَقُولُ : مَا اللَّهُ بِقَابِلٍ مِمَّنْ افْتَنَّ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا تَوْبَةً ، قَوْمٌ عَرَفُوا اللَّهَ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءِ أَصَابِهِمْ ! قَالَ : وَكَانُوا يَقُولُونَ : ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ . فَلَمَّا قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ ، وَفِي قَوْلِنَا وَقَوْلِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بُغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . فَكَتَبْتُهَا بِيَدِي فِي صَحِيفَةٍ ، وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِي قَالَ : فَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِي : فَلَمَّا أَتَنَنِي جَعَلْتُ أَقْرُؤُهَا بِذِي طَوًى ،

صنَّدها فيه وأصَوَّبَ ولا أفهمها ، حتى قلت اللهم قَهْمَنيها . قال : فأتى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بيمري ، فجلست عليه ، فلحقتُ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بالمدينة .

الوليد بن الوليد وعياش وهشام

قال ابن هشام : فحدثني من أتى به : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو بالمدينة : مَنْ لى بعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاصي ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما ، فقال لها : أين تريدن يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين - أعنيهما - فتبعهما حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين في بيت لاسقف له ؛ فلما أمسى تسوَّر عليهما ، ثم أخذ سمرة . فوضعها تحت قيديَّهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه : « ذو المروة » لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثر فدميت أصبعه ، فقال : هل أنت إلا أصبعٌ دميت وفي سبيل الله ما لقيت . ثم قدم بهما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة .

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ، ومن خلق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمر وعبد الله ابنا سُرَاقَة ابن المعتز وخنيس بن حذافة السهمي . وكان ضمَّره على ابنته حَفْصَة بنت

عمر، خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده - وسعيد بن زيد بن عمرو
ابن نفيل، وواقد بن عبد الله التميمي، حليف لهم؛ وخولي بن أبي خولي،
ومالك بن أبي خولي حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خولي: من بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي
ابن بكر بن وائل.

قال ابن إسحاق: وبنو البكير أربعهم: إياس بن البكير، وعامل
ابن البكير، وعامر بن البكير، وخالد بن البكير، وحلفاؤهم من بني سعد
ابن ليث، علي رفاعه ابن عبد المنذر بن زنبر، في بني عمرو بن عوف بقاء،
وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة.

ثم تتابع المهاجرون، فزول طلحة بن عبيد الله بن عثمان، وصهيب بن
سنان على خبيب بن إيساف أخى بلحارث بن الخزرج بالشح. قال ابن هشام:
ويقال: يساف فيما أخبرني عنه ابن إسحاق. ويقال: بل نزل طلحة بن عبيد الله
على أسعد بن زُرارة، أخى بني الذَّجَار.

قال ابن هشام: وذُكر لي عن أبي عثمان النهدي، أنه قال: بلغني أن
أن صُهَيْباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صُغُلوكا حقيراً، فكثُر
مَالُكَ عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله
لا يكون ذلك، فقال لهم صُهَيْب: أرايتم إن جعلت لكم مالى أتملّون سبيلى؟
قلوا: نعم. قال: فإني جعلت لكم مالى. قال: فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فقال رَيْحَ صُهَيْب رَيْحَ صُهَيْب.

منزل حمزة وزيد وأبي مرثد وابنه وأنسة وأبي كبشة

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مرثد كنان بن حصن .

قال ابن هشام : ويقال ، ابن حصين - وابنه مرثد الغنويان ، حليفاه حمزة . ابن عبد المطلب ، وأنسة ، وأبو كبشة ، موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل كُنتوم بن هذم ، أخى بنى عمرو بن عوف بقباء : ويقال : بل نزلوا على سعد بن خيثمة ؛ ويقال . بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة ، أخى بنى النجّار . كل ذلك يقال :

ونزل عُبَيْدَةُ بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطُّفَيْل بن الحارث ، والحُصَيْن . ابن الحارث ؛ ومِسْطَاح بن أَثَّانَةَ بن عَبَّاد بن المطلب ، وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمَةَ ، أخو بنى عبد الدار ، وطُلَيْب بن عُمَيْر ، أخو بنى عبد بن قُصَيٍّ ، وخُبَّابٌ مولى عُثْبَةَ بن غَزْوَانَ ، على عبد الله بن سلمة ، أخى بَلْعَجَلَانَ بَقْبَاء . ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، أخى بَلْعَارِث بن الخزرج ، فى دار بَلْعَارِث بن الخزرج .

ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبرة بن أبي رُثَم بن عبد المُزَيِّ ، على مُنْذِر بن محمد بن عُقْبَةَ بن أَحْيَحَةَ بن الجَلَّاح بالمُضَبَّة ، دار بنى جَحْجَجِي .

ونزل مُصْطَب بن عُمَيْر بن هاشم ، أخو بنى عبد الدار على سعد بن مُعَاذَةَ . ابن النعمان ، أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار بنى عبد الأشهل .

ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن هشام : سالم مولى أبي حذيفة سائبة ، لثبينة [أو ثبينة] بنت يمار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، سببته فانقطع إلى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه ، فقيل : سالم مولى أبي حذيفة ويقال : كانت ثبينة بنت يمار تحت أبي حذيفة بن عتبة فاعتقت سالما سائبة . فقيل : سالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عبادة بن بشر بن وقش أخى بنى عبد الأشهل فى دار عبد الأشهل .

ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر ، أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار ، فلذلك كان حسان يحب عثمان ويكيه حين قتل . وكان يقال : نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خثيمة ، وذلك أنه كان عزبا ، فله أعلم أى ذلك كان .

خبر الندوة وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى خنافة الصديق رضى الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فيقطع أبو بكر أن يكونه .

.....

الملا من قريش يتشاورون في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ولما رأت قريش أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قد صارت له شِيعَةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدٍ ، ورأوا خروج أصحابه من
المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منعة ، تحذروا
خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم .
فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش
لا تقضى أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثني من أصحابنا ، عن عبد الله بن
أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، وغيره ممن لا أنهم ، عن عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أجمعوا لذلك ، واتعدوا أن يدخلوا في
دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غدوا
في اليوم الذي اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرنحة ، فاعترضهم
إبليس في هيئة شيخ جليل ، عليه بقة ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفا
على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له ،
فحضر معكم لسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يُقدِّمكم منه رأياً ونصيحا ، قالوا :
أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش ، من بني
عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن

بنى نوفل بن عبد مناف : طُعَيْمَةُ بن عَدِيّ ، وَجُبَيْر بن مُطْعِم ، والحارث بن عامر بن نوفل : ومن بنى عبد الدار بن قَعِيّ : النضر بن الحارث بن كَلْدَةَ .
ومن بنى أسد بن عبد العزى : أبو البَحْتَرِيّ بن هشام ، وزَمْعَةُ بن الأسود ابن الْمُطَلِّب ، وحكيم بن حزام . ومن بنى مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بنى سَهْم : نُبَيْهَةُ وَمُنْبَهَةُ ابنا الحَجَّاج ، ومن بنى جُمَح : أُمَيَّة بن خَلْفٍ ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فلإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا .
قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تَرَبَّصُوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زُهَيْراً والنابعة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يُصِيبَهُ ما أصابهم ، فقال الشيخ النَّجْدِيّ : لا والله ، ما هذا لكم برأى . والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنَّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فَلَاؤُشْكُوا أن يثبوا عليكم ، فينزِعوه من أيديكم ، ثم يُكَاثِرُوكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا في غيره ، فتشاوروا . ثم قال قائل منهم : نُخْرِجْهُ من بين أظهرنا ، فنفنيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله ما نُبَالِي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصاحبنا أمرنا وألفتنا كما كانت .
فقال الشيخ النَّجْدِيّ : لا والله ، ما هذا لكم برأى ، ألم تَرَوْا حُسْنَ حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أنتم

أن يحلّ على حيّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم ، حتى يظأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أسركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبّروا فيه رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل ابن هشام : والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كلّ فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم . قال : فقال الشيخ النجديّ : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي الذي لا رأى غيره ، فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

مما يقال عن ليلة الهجرة

فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تَبْتَ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه . قال : فلمّا كانت عَشَمَةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يَرْصُدُونَهُ متى ينام فيُنبِون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعليّ بن أبي طالب : نَمْ على فراشي وتَسَجَّ بِبُرْدِي هذا الحُضْرَمِيّ الأخضر ، فَنَمْ فيه ، فانه لن يَخْلُصَ إليك شيء تَكْرَهُه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في بُرْدِهِ ذلك إذا نام .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظيّ

.

قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعِثَ من بعد موتكم ، فجُعِلَت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بُعِثَ من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تُحْرَقُونَ فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَفْنَةً من تراب في يده ، ثم قال أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يَرَوْنَهُ ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : ﴿ يَس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * نَزَّلَ الْقُرْآنَ بِالرُّوحِ الْكَافِرِ * إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ حتى فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فاتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خَيَّبَكُمُ الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفأترون ما بكم ؟ قال : فوضع كلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلَّعون ، فيرون عليًّا على الفراش مُتَسَجِّجًا بِبُرْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فيقولون : والله إن هذا لحمدٌ نائمٌ ، عليه بُرْدُهُ . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي - رضي الله عنه - عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا .

.

الآيات التي نزلت في تربص المشركين بالنبي

قال ابن إسحاق : وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا له : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ، وقول الله عز وجل : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ .

قال ابن هشام : المنون : الموت . ورب المنون : ما يريب ويعرض منها .

قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِنَ الْمُنُونُ وَرَيْبُهَا تَتَوَجَّعُ والدهم ليس بمعتب من يجزع

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك

في الهجرة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذاملا ، فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتعجل ، لعل الله يجد لك صاحبا ، قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يعنى نفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين ، فاحتبسهما في داره ، يعلفهما لإعدادا لذلك .

• • • • •

الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهري قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر ، قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت : فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عني من عندك : فقال : يا رسول الله ، إنماها ابتئى ، وما ذاك ؟ فذاك أبي وأمي ! فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر ، الصعبة يا رسول الله : قال : الصعبة . قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ، ثم قال : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتكما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقط - رجلا من بني الدليل بن بكر [وهو من بني عبد بن عدى - هاديا خريتا - والخريت : الماهر بالهداية - قد غمّس حلفا في آل العاصي بن وائل السهمي - عن البخاري] ، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو ، وكان مشركا - يدلها على الطريق ، فدفا إليهما راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاها لميعادهما .

الذين كانوا يعلمون بالهجرة

قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغنى ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ، حين خرج ، إلا على بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر . أما على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ، التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحدٌ عنده شئ ، يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لئلا يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى الغار

قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبي قُحافة ، فخرجا من خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ فى ظهر بيته ، ثم عمداً إلى غَارِ بِثَوْرِ - جبل بأسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن قُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يُرِيحُهَا عليهما ، يأتيهما إذا أمسى فى الغار . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يُصلحهما .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن الحسن بن أبي الحسن

البصري قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلمس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حية ، بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

الذين قاموا بشئون الرسول في الغار

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة ، لمن يردّه عليهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر رضى الله عنه ، يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعق عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاها صاحبهما الذي استأجرا به يديرهما وبعير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما بسفرتهم ، ونسيت أن تجعل لهما عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة ، فاذا ليس لهما عصام ، فتجلى نطاقها فتجمله عصاما ، ثم علقته به .

لم سميت أسماء بذات النطاقين

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاق ، لذلك .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين .

وتفسيره : أنها لما أرادت أن تملّق السفارة شقّت نطاقهما بائنين ، فعلمت
السفيرة بواحد ، وانتطقت بالآخر .

راحلة النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فلما قرّب أبو بكر ، رضى الله عنه ، الراحلتين إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدّم له أفضلهما ، ثم قال : اركب ، فذاك
أبى وأمى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بغيراً ليس لي ، قال :
فهى لك يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، قال : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها
به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به ، قال : هى لك يا رسول الله . فركبها
وانطلقا . وأزدف أبو بكر الصديق رضى الله عنه عامر بن فهيرة مولاة خلفه ،
ليخدمهما فى الطريق .

أبو جهل يضرب أسماء بنت أبي بكر

قال ابن إسحاق : فحدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، أتانا نفر من قُريش ،
فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجتُ إليهم ؛ فقالوا :
أين أبوك يا بنتَ أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أين أبى . قالت :
فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدّى لطمة طرح منها قُرطى .

خبر الجنى الذى تغنى بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم

قالت : ثم انصرفوا . فكشنا ثلاث ليال ، وما ندرى أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خيرَ جزائه رفيقن حلاً خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصـد

نسب أم معبد

قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، امرأة من بنى كعب ، من خزاعة . وقوله « حلا خيمتى » و « هما نزلا بالبر ثم تروحا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما : فلما قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وعامر بن قيس مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقط دليلهما .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أَرْبِقَط .

آل أبي بكر بعد هجرته

قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عباداً حدثته عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدّي أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إني لأراه قد فجّعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت ! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضَع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس . إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

خبر سراقَة بن مالك

قال ابن إسحاق وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُم حدثه . عن أبيه ، عن عمه سُرّاقَة بن مالك بن جُعْشُم ، قال . لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . قال : فبينما أنا جالس في نادى قومي إذ أقبل رجلٌ

• • • • •

منّا ، حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت رَكْبَةً ثلاثة مرّة وعلى آفنا ،
إني لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعيني : أن اسكت ثم قلت
قليلاً ، إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله : ثم سكنت . قال ثم مكنت
ثم قت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي ، فقيد لي إلى بطن الوادي ، وأمرت
بسلاحي ، فأخرج لي من دُبُر حجرتي ، ثم أخذت قِداحي التي أستقسم بها ،
ثم انطلقت ، فلبست لَأَمَتِي ثم أخرجت قِداحي ، فاستقسمت بها ؛ فخرج
السهم الذي أكره « لا يضره » قال : وكنت أرجو أن أردّه على
قريش ، فأخذ المائة الناقة . قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسي يشتدّ
بني عثري ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال ثم أخرجت
قِداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » . قال : فأبيت
إلا أن أتبعه . قال : فركبت في أثره ، فبينما فرسي يشتدّ بي ، عثري ، فسقطت
عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ ، قال : ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج
السهم الذي أكره « لا يضره » قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت في أثره .
فلما بدا لي القوم ورأيتهم ، عثري بفرسي ، فذهبت يداه في الأرض ، وسقطت
عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالإعصار . قال : فعرفت
حين رأيت ذلك أنه قد مُنِعَ مني ، وأنه ظاهر . قال : فناديت القوم : فقلت : أنا
سُرّاقة بن جُغُشُم : انظروني أكلكم ، فوالله لا أريكم ، ولا يأتيكم مني شيء
تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : قل له :
وما تبتغي منا ؟ قال فقال ذلك أبو بكر ، قال : قلت : تكتب لي كتابا يكون
آية بيني وبينك . قال : اكتب له يا أبا بكر .

فكتب لي كتابا في عَظْم ، أو في رقعة ، أو في خَزَفَة ، ثم ألقاه إليّ .
 فأخذته ، فجعلته في كِنَانَتِي ، ثم رجعت ، فبسكت فلم أذكر شيئا مما كان حتى
 إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حُنين والطائف ،
 خرجت ومعى الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجِعرانة . قال : فدخلت في كَتِيبَةٍ من
 من خيل الأنصار . قال : فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون : إليك إليك ،
 ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته
 والله لكأني أنظر إلى ساقه في غَرَزِه كأنها جُمَّارَةٌ . قال : فرفعت يدي
 بالكتاب ، ثم قلت : يا رسول الله ، هذا كتابك لي ، أنا سُرَاقَةُ بن جُعْشَم ؛
 قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبرٍّ ، ادْنُ . قال :
 فدنوت منه ، فأسلمت . ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عنه فساأذكره ، إلا أني قلت : يا رسول الله ، الضلالة من الإبل تَغْشَى حِيَاضِي ،
 وقد ملأتها لإبلى ، هل لي من أجر في أن أسقيها ؟ قال : نعم ، في كل ذات
 كبعد حرّى أجر . قال : ثم رجعت إلى قومي ، فسقت إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم صدقتي . قال ابن هشام : عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جُعْشَم .

هجرة عمر وعياش

ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد ، كأنه جمع تَنْضُبْ [واحدته
 تَنْضُبَةٌ] وهو ضَرْب من الشجر ، تألفه الحَرْبَاءُ . قال الشاعر :

إِنِّي أُتِيحُ لَهُ حَرْبَاءُ تَنْضُبِيَّةٍ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُنْسِكَأً سَاقَا

ويقال لثمره الممتع وهو فُنْعَلِل أدغمت النون في الميم وظاهر قول سيبويه :
أنه فعلل وأنه مما لحقته الزيادة بالتضعيف ، والقول الأول يقوِّيه أن مثله
الهُنْدَلِع^(١) ، وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر القِشْي كما تتخذ من النَّبَع
والشوط والشريان والسراء والأشكل ، ودخان التنضب ، ذكره أبو حنيفة
في النبات .

وقال الجُعْدِيُّ :

كَأَنَّ الْغُبَارَ الَّذِي غَادَرَتْ ضَحِيًّا دَوَاخِرُ مِنْ تَنْضُبٍ
شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه. وقال آخر [عُقَيْل بن عُمَلة المُرِّي] :

(١) اسم بقلة ، ويقول ابن جنى في المنصف إن الالحاء الخناسية تجيء على
أربعة أمثلة وخامس لم يذكره سيبويه ففعلل وفعلل وفعلل . . .
والخامس الذي لم يذكره سيبويه فعلل ، وهو هندلج ، وقالوا : هو اسم بقلة ،
ومن ادعى ذلك احتاج أن يدل على أن النون من الأصل ، ص ٣٠ . ١
وفي شرح الشافية عن أوزان الاسم الخماسي : د وزاد محمد بن لسرى في الخماسي
خامسا ، وهو الهندلج لبقلة ، والحق : الحكم بزيادة النون لأنه إذا تردد الحرف
بين الإصالة والزيادة والوزنان باعتبارهما نادرا فالأولى : الحكم بالزيادة
لكثرة ذى الزيادة كما يجيء ، ولو جاز أن يكون هندلج فعلا لجاز أن يكون
كنهبل فعلا وذلك خرق لا يرفع فتسكثر الأصول ، ص ٤٩ . ١ . والكنهبل
بفتح الباء وضمتها : شجر عظام وهو من العضاء ويقول سيبويه إن النون فيه
زائدة لأنه ليس في الكلام على مثال سفرجل بضم الجيم .
ويقول الخشني : د التناضب بضم الصاد . يقال : هو اسم موضع ، ومن
رواه بالكسر ، فهو جمع تنضب ، وهو شجر واحدته : تنضبة ، ويده الوقشي ؛
التناضب بكسر الصاد ، .

وَهَلْ أَشْهَدَنْ خَيْلاً كَأَنْ غُبَارَهَا بِأَسْفَلِ عِلْسَكْدُ دَوَاخِنْ تَنْضُبِ

وأضأةُ بنى غِفَارٍ على عشرة أميال من مَكَّةَ ، والأضأةُ الغديرُ ، كأنها مقلوب من وَضأة على وزن فَعْلَة ، واشتقاقه من الوَضَاعَةِ بالمد وهي النظافة ، لأن الماء ينظف ، وجمع الأضأة إضَاءً وقال النابغة [في صفة الدروع] :

عُلَيْنَ بِكَذْيُونٍ وَأَبْطَنَ كُرَّةً وَهُنَّ إِضَاءٌ صَانِيَاتُ الْغَلَائِلِ

[وأضيآت ، وأضوات وأضاً وإضون] . وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب ، فتكون الهمزة بدلا من الواو المكسورة في وضاء ، وقياس الواو المكسورة تقتضى الهمز على أصل الاشتقاق ، ويكون الواحد مقلوبا لأن الواو المفتوحة لاتهمز ، مع أن لام الفعل غير همزة ، وقد يجوز أن يكون الجمع محمولا على الواحد فيكون مقلوبا مثله ^(١) ، ويقال أضأءه بالمد ، وقد يجمع أضأة على إاضين ، قاله أبو حنيفة وأنشد :

مَحَافِرُ كَأَسْرِيَةٍ الْإِضِينَا

الْأَسْرِيَةُ : جمع سَرِيَّةٍ ، وهو الجُدُول ، ويقال له أيضا : السَّهِيد .

(١) ومثلهما : إساد في : وساد وإشاح ، في وشاح . وإعاء في وعاء . وفي اللسان : قال أبو الحسن : هذا الذى حكىته من حل أضأء على الواو بدليل : أضوات حكاية جميع أهل اللغة ، وقد حمله سيلبويه على الياء ، قال : ولا وجه له عندى البتة لقولهم أضوات وعدم ما يستدل به على أنه من الياء . قال والذى أوجه كلامه عليه أن تكون أضأء قلعة من قولهم : آض يشيخ على القلب ، لأن بعض الغدير يرجع إلى بعض ، ولا سيما إذا صفقته الريح .

قول هشام بن العاص :

فصل : وذكر نزول الآية : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الزمر ٥٣ الآية في المستضعفين بمكة ، وقول هشام ابن العاص : فاجأتني وأنا بذى طوى . طوى^(١) : مقصور موضع بأسفل مكة ، ذكر أن آدم لما أهبط إلى الهند ، ومشى إلى مكة ، وجعل الملائكة ، تنتظره بذى طوى ، وأنهم قالوا له : يا آدم مازلنا ننتظرك هاهنا منذ ألفي سنة^(٢) ، وروى أن آدم كان إذا أتى البيت خلع نعليه بذى طوى ، وأما ذو طواء بالمد ، فوضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكري ، وأما طوى بضم الطاء والقصر المذكور في التنزيل ، فهو بالشام اسم للوادي المقدس ، وقد قيل : ليس باسم له ، وإنما هو من صفة التقديس ، أى : المقدس مرتين .

نزول طلحة وصهيب علي خبيب بن إساف :

فصل : وذكر نزول طلحة وصهيب علي خبيب بن إساف ويقال فيه يساف بياء مفتوحة في غير رواية الكتاب ، وهو إساف بن عتبة ، ولم يكن

(١) مثلثة الطاء وتنون ولا تنون . فن نونه فهو اسم للوادي أو الجبل ، وهو مذكور اسمي بمذكر على فعل كجهم وصردين لم ينونه جعله معدولا عن طاء ، أو باعتباره اسما للبقعة . وقرأ بن كثير ونافع وأبو عمرو وبعثوب الحضرمي : طوى غير منون ، وقرأها الكسائي وعاصم وحزة وابن عامر : طوى منونا في السورتين . ويقول ابن الأثير : وذو طوى : موضع عند باب مكة .

(٢) كلامه لا مسند له .

حين نزول المهاجرين عليه مُسلمًا في قول الواقدي بل تأخر إسلامه ، حتى خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر ، قال خُبَيْبٌ : فخرجت معه أنا ورجل من قومي ، وقلنا له : نكره أن يشهد قومنا مشهداً لا يشهده معهم ، فقال : أَسَلَمْتُمَا ؟ قلنا : لا ، فقال : ارجعا ، فإننا لا نستعين بمشرك .

وخُبَيْبٌ هو الذي خلف على بنت خارجة بعد أبي بكر الصديق ، واسمها : حَبِيبَةُ ، وهي التي يقول فيها أبو بكر عند وفاته : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية ^(١) ، وهي : بنت خارجة بن أبي زهير ^(٢) ، والجارية : أم كلثوم بنت أبي بكر ، مات خُبَيْبٌ في خلافة عثمان ، وهو جدُّ خُبَيْبِ بن عبد الرحمن ، الذي يروى عنه مالكٌ في مُوطَّئِهِ .

أبو كبشة

وذكر أنسٌ وأبا كبشة في الذين نزلوا على كلثوم بن الهذم ، فأما أنسٌ مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو من مُولَدِي السَّراة ، ويُكنى : أبا مَسْرُوح ، وقيل : أبا مِشْرَح شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله

(١) في الإصابة : ما أظنها إلا أنثى . غير أن إيمان أبي بكر ، وتدبره العظيم للقرآن يمنعان من أن نظن بأبي بكر مثل هذا فالقرآن يقول عن الله سبحانه في أمور الغيب اني يعلمها : (ويعلم ما في الأرحام) .

(٢) في الإصابة : بنت خارجة بن زيد أو بنت زيد بن خارجة . وفي ترجمته هو ذكر : زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج .

— صلى الله عليه وسلم — ومات في خلافة أبي بكر ، وأبو كَبْشَةَ اسمه : سليم يقال إنه من فارس ، ويقال : من مُوَلَّدِي أَرْضِ دَوْس ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وأما الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام إليه ، وتقول : قال ابن أبي كَبْشَةَ وفعل ابن أبي كَبْشَةَ ، ف قيل فيه أقوال : قيل : إنها كُنية أبيه لأمه وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وقيل : كُنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى ، وقيل : إن سَلَمَى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كَبْشَةَ ، وهو عمرو بن لَبِيد ، وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشَّعْرَى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه فلجروا عن دين قومه ^(١) .

وذكر الدارقطني اسم أبي كَبْشَةَ هذا في المؤتلف والمختلف ، فقال : اسمه وَجْزُ بْنُ غَالِبٍ ، وهو خُزَاعِيٌّ ^(٢) ، وهو من بني غُبْشَانَ ^(٣) .

(١) سبق هذا ، وقد نقلته عن صاحب نسب قريش ، وقد ذكر ابن حبيب في كتابه المحبر أن وهباً جد النبي « ص » ، لأمه كان يكنى أبا كَبْشَةَ ، وكذلك عمرو ابن زيد البخاري ، وهو أبو سلمى أم عبد المطلب ، وكذلك وجز بن غالب ، وهو جد النبي « ص » ، من قبل أمه أم وهب بن عبد مناف ، وكذلك غُبْشَانَ بن عمرو ابن لُؤَيٍّ وهو الذي كان يعبد الشعري ، وكذلك حاضن الرسول « ص » ، الحارث ابن عبد العزى ص ١٢٩ .

(٢) يقول ابن دريد ، في الاشتقاق وهو يتحدث عن خزاعة « ومنهم : أبو قبيلة ، وهو وجز بن غالب ، وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ٤٨٠ .

(٣) في الأصل : وغمشان ، وهو خطأ . أبو غبشان : خزاعي كان يلي سدانة

(م ١٣ — الروض الانف ج ٤)

وذكر نزولهم بقباء ، وهو مسكن بنى عمرو بن عوف وهو على فرسخ
من المدينة ، وهو يمد ويُقصر ويؤثث ويذكر ، ويُصرف ولا يُصرف ،
وأُشد أبو حاتم في صرفه :

وَلَا يَفِيَسُّكُمْ قُبَا [و] عَوَارِضًا وَلَا قِبَلَنَ الْخَيْلَ لَابَةَ ضَرْعَدٍ^(١)

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت في الدلائل قُبَا بضم القاف و [فتح] الباء
وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعاً ، وإنما هو كما أنشده سيديويه : قَنَّا
وعَوَارِضًا ، لأن قَنَّا جَبَلٌ عند عَوَارِضٍ يقال له ، ولجل آخر معه قَنَوَانٌ^(٢) .

الكعبة قبل قریش ، فاجتمع مع قهى في شرب بالطائف ، فأسكره قهى ثم
اشترى المفاتيح منه بزق خمر ، وأشهد عليه ، ودفعها لابنه عبد الدار وطير به
إلى مكة ، فأفاق أبو غبشان أندم من الكسوى ، فضربت به الأمثال في الحمق
والندم ، وخسارة الصفقة ، القاموس ، وقد سبق رأى ابن هشام فيه .

(١) أنشده سيديويه مرتين في صفحتي ٨٢ ، ١٠٩ من الجزء الأول من كتابه ،
ونسبه لعامر بن الطفيل ورواه مرة بالفاء ومرة بالواو في لابغينكم . وقد
اشتبه به على نصب قنا وعوارض مع إسقاط حرف الجر ضرورة لأنهما
مكانان مختصان لا ينتهيان انتصاب الظرف ، وهما بمنزلة ذهب الشام في الشذوذ
والحذف . والقاعر يريد : بقنا وعوارض ولكنه شبهه بدخلت البيت ، وقلب
الظهر والبطن .

(٢) في المراسد عن عوارض : جبل ببلاد طيء وقيل : هو لبنى أسد ،
وقيل : قنا وعوارض جبلان لبنى فزارة وقيل : جبل أسود في أعلى دار طيء .
وناحية دار فزارة . وقيل عن قنوين لأنهما جبلان تلقاء الحاجر لبنى مرة . وقيل
وهما عوارض وقنا ، سميا قنوين كما دثمت في ثنية الشيء ومقارنه كالعمرين
والقمرين .

وبينهما وبين قباء مسافات وبلاد ، فلا يصح أن يقرن قباء الذي عند المدينة مع عوارض وقنوين ، وكذا قال البكري في مُعْجَم ما استعجم وأنشد :
[لمعل بن ضرار بن سنان الملقب بالشماخ] .

كأنها لما بدا عوارض الليل بين قنوين رايض
وقباء : مأخوذ من القبو ، وهو الغم والجمع قاله أبو حنيفة ، وقال :
القواي : هن اللواتي يجمعن العصفر واحدتهن : قايبة . قال : وأهل العربية
يسمون الضمة من الحركات قَبْوًا^(٢) ، وأما أقولهم : لا والذي أخرج قوبًا من
من قايبة يعنون : الفرخ من البَيضة^(٣) فن قال فيه : قايبة بتقديم الباء ، فهو

(١) ذكره اللسان في مادة ربيض ، وفي مادة جله ونسبه في هذه إلى الشماخ .
ورواه في جله هكذا :

كأنها وقد بدا عوارض بحلة الوادي قضا نوايض
ورواه في ربيض كما في الروض وزاد ما وصفته بين قوسين والجملة :
ما استقبلك من حروف الوادي .

(٢) في اللسان : أهل المدينة يقولون للضمة : قبوة . . والقبوة : الغم ،
قال الخليل : نبرة مقبوة أي : مضمومة .

(٣) في اللسان : د قاب الطائر بيضته ، أي : فلقها . فانهابت البيضة وتوالت
بمعنى ، والقائبة والقابة : البيضة ، والقوب بالضم الفرخ . . وسمى الفرخ : قوبا
لانقياب البيضة عنه . ويقال قابة وقوب بمعنى : قايبة وقوب . قال : وفي حديث
عمر : أنه نهى عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، وقال : إنكم إن اعتمرتم في أشهر الحج
رأيتموها مجزئة من حجكم ، وفرغ حجكم ، وكانت قايبة من قوب . ضرب
هذا مثلا لجلاء مكة من المعتمرين سائر السنة ، والمعنى : أن الفرخ إذا فارق
بيضته لم يعد إليها ، وكذا إذا اعتمرُوا في أشهر الحج لم يعودوا إلى مكة .

الْقَبْرِ الَّذِي يَقْدَمُ ، وَمَنْ قَالَ فِيهِ : قَابِيَّةٌ ، فَهُوَ مِنْ لَفْظِ الْقُوبِ لِأَنَّهَا تَقُوبُ عَنْهُ ، أَيْ تَقَشِّرُ قَالَ الْمَكْمِيتُ يَصِفُ النِّسَاءَ :

لَهْنٌ وَلِلْمَشْيَبِ وَمَنْ عَالَاهُ مِنْ الْأَمْثَالِ قَابِيَّةٌ وَقُوبٌ^(١)

وفى حديث عمر : فسكانت قَابِيَّةٌ قُوبٌ^(٢) عامها ، بمعنى : العُمرة فى أشهر الحج ، وقد ذكر أن قُبَاءَ اسم بئر عُرِفَتْ القرية بها .

سالم مولى أبى حنيفة

فصل : وذكر سالم مولى أبى حنيفة الذى كان أبو حنيفة قد تبناه كما تبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيدا ، وكان سائبةً أَى : لَوْلَاءَ عليه لأحد ، وذكر المرأة التى أعتقته سائبةً ، وهى ثيمية بنت يعار ، وقد قيل فى اسمها بِشَيْئَةٍ ذكره أبو عمر ، وذكر عن الزُّهْرَى أنه كان يقول فيها : بنت تَعَارٍ^(٣) ، وقال ابن شيبه فى المعارف : اسمها سَلْمَى [وقال ابن حبان : يقال لها : لَيْلَة] ويقال فى اسمها أيضاً : عمرة ، وقد أبطل التَّمْثِيلُ فى الْعِتْقِ كثيرٌ من العلماء ، وجعلوا الْوَلَاءَ لكل مَنْ أَعْتَقَ أَخْذاً بحديث النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وَحَلَّاهُ على العموم ، ولما روى أيضاً عن مسعود أنه قال : لاسائبة فى الإسلام ،

(١) رواه اللسان فى مادة قوب ولم يروه فى قبو . وفيه : قَابِيَّةٌ وقوب . .
مثل هرب النساء من الشيوخ بهرب القوب - وهو الفرخ - من القابية ، وهى البيضة ، فقال : لا ترجع الحسناء إلى الشيخ كما لا يرجع الفرخ إلى البيضة ،
(٢) فى النهاية لابن الأثير : فسكانت قَابِيَّةٌ قوب عامها ، ثم فسره بما نقله اللسان عنه .

(٣) وقيل : فاطمة بنت يعار ، وفى اسم سالم خلاف .

ورأى مالكٌ ميراثَ السائبة لجماعة المسلمين ، ولم ير ولاءه لمن سَيَّبه ، فكان للتسيب والعنق عنده حَكمان مختلفان ، وسالم هذا هو الذى أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَمَلَةَ بنت سُهَيْل أن ترضعه ليحرُم عليها ، فأرضعته وهو ذو لحية ^(١) :

فإن قيل : كيف جازله أن ينظر إلى نديها ، فقد روى فى ذلك أنها حلبت له فى مِسْقَط ^(٢) وشرب اللبن ، ذكر ذلك محمد بن حبيب .

(١) عند مسلم من طريق القاسم عن عائشة أن سالما كان مع أبي حذيفة ، فأتت سَمَلَةَ بنت سهيل بن عمرو رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فقالت : إن سالما بلغ ما يبلغ الرجال ، وأنه يدخل على ، وأظن فى نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا ، فقال : أرضعيه تحرى عليه ، ورواه مالك فى الموطأ عن الزهري عن عروة : وأخرجه البخارى من طريق الليث عن الزهري موصولا . لكن أصدق حكم الرضاة نلى من هو فى مثل سنه ، والقرآن يقول : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاة) ويخبر أن حمل الطفل وفصاله ثلاثون شهرا ؟ فهل يمكن أن يسمى رضيعا رجلا فى مثل سن أبي حذيفة وله لحية ؟ هذا وقد روى البخارى ومسلم والفسائى والترمذى من طريق مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رفعه خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل . وكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه ، فأنكحه ابنة أخته فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، فلما أنزل الله : (ادعهم لأبائهم) رد كل أحد تبني ابنا من أولئك إلى أبيه . ومن لم يعرف أبوه رد إلى مواليه . أخرجه مالك فى الموطأ عن الزهري عن عروة بهذا ، وفيه قصة إرضاعه .

(٢) ويحكى أيضا بضم الميم والعين وسكون السين وهو آنية السعوط تعليق على منازل المهاجرين : يقول الحشنى عن خباب مولى عتبة أى يروى

اجتماع قريش للتشاور في أمر النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر فيه تمثل إبليس - حين أتاها - في صورة شيخ جليل وانتسابه إلى أهل نجد .

قوله في صورة شيخ جليل يقول : جَلَّ الرجل وجلت المرأة إذا أسَّنت ، قال الشاعر :

وما حظها أن قيل عزَّت وجلَّت

ويقال منه : جلَّت يارجل بفتح اللام ، وقياسه جلَّت لأن اسم الفاعل منه : جليل ، ولكن تركوا الضم في المضاعف كله استقلا له مع التضعيف إلا في كُلبت ، فأنت لبيب ، حكاه سيبويه بالضم على الأصل^(١) .

أيضاً بحاء مبهمة مضمومة وباء مخففة وقول ابن هشام : ونزل الأعزاب . صوابه : كما قال الوقشي : الأعراب ، ص ١٢٥ شرح السيرة لأبي ذر الحشني ولعلمها : الأعزاب ، لأن جمع عرب أعزاب ، القاموس .

(١) في مسند قهضة الهجرة ذكر مجاهد بن جبر في خلاصة تذهيب السكال للحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الانتصارى ط أولى : مجاهد بن جبر بإسكان الموحدة . للحشني وفي بعض نسخ السيرة : جبير ، وخبير ، ويقول الحشني والصحيح : جبير ص ١٢٦ . وفي اللسان عن لبيب وقد لببت - يضم الباء الأولى - لب - بفتح اللام - ولببت بكسر الباء الأولى قلب بفتح اللام . وفي التذهيب حكى : لببت بالضم ، وهو نادر لا نظير له في المضاعف الحديث أخرجه البخاري في أبواب الاستسقاء . باب ما قيل في الزلازل والآيات بسنده عن نافع عن ابن عمر قال : قال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا ، قال : قالوا : وفي نجدنا ، فقال : قال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قال : قالوا : وفي نجدنا . قال : قال : هنالك الزلازل والعن ، وبها يطلع قرن الشيطان ،

وقال القابسي : سقط ذكر النبي « ص » من النسخ ، ولا بد منه ، لأن مثله لا يقال بالرأى : وأخرجه البخارى فى كتاب الفتن . وقد صرح فيه بذكر النبي « ص » ، وقوله : فأظنه قال فى الثالثة : هنالك الزلازل الخ . وأخرجه الترمذى . وفى مجمع الروائد . فقال رجل : وفى شرقنا يا رسول الله بدلا من : وفى نجدنا وأنه قال فى المرة الثانية : اللهم بارك لنا فى شامنا ، وفى يمننا إن من هناك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الكفر ، وبه الداء العضال ، رواء الطبراني فى الأوسط واللفظ له . وأحمد ولفظه أن رسول الله « ص » قال اللهم بارك لنا فى شامنا ويمننا مرتين ، فقال رجل وفى مشرقنا يا رسول الله ، فقال رسول الله « ص » : من هناك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الشرك . . . ويقول الخطابي فى بيان المراد من نجد من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجد بادية العراق ونواحيها ، وهى مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد : ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور ، فإنه ما انخفض منها وتهامة . كلها من الغور ، ومكة من تهامة ، أقول . وهى هذه الأحاديث لا يجوز أخذها على إطلاقها بل لا يجوز مطلقا أن نستعملها استعمال أولئك الذين أوغروا فى الصدور الأحقاد ، وأرثوا العصبية المقيتة الحمقاء بسببها . فسبوا كل نجد ، وذموا كل عراقى . وما أجمل ما يقول العلامة الهندى الشيخ محمد بشير السهسوانى « ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة فى مثل تلك البلاد ، فقد عاب جهنم والامة وسبهم وآذاهم بنجر ما اكتسبوا ، وقد داوول الله تعالى الأيام بين البقاع والبلاد كما داوولها بين الناس والعباد . . . قال تعالى : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وكمن بالله قد فتحت ، وصارت من خير بلاد المسلمين بعد أن كانت فى أيدي الفراعنة والمشرىكين والفلاسفة والصابئين والكفرة من المجوس ، وأهل الكتابىين ، بل الخربة التى كانت بها قبور المشرىكين صارت مسجدا هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام ودفن بها أفضل المرسلين ، وسادات المؤمنين ، ص ٤٤ ط صيانة الإنسان . ولوحلنا ما روى على هوى الحاملين للأحقاد لقلنا عن المدينة بحماسة المعصية لأنها دار فتنة فقد ورد فى حديث متفق عليه : أنه « ص » أشرف على

ولمّا قال لهم : إني من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة ، لأنهم قالوا : لا يدخلن معكم في المشاورة أحدٌ من أهل تِهَامَة لأن هوام مع محمد ، فلذلك تمثّل لهم في صورة شيخ نجدى ، وقد ذكرنا في خبر بُنيان الكعبة أنه تمثّل في صورة شيخ نجدى أيضاً ، حين حكّوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمر الركن : مَنْ يرفعه ، فصاح الشيخ النجدى : يامعشر قریش : أقدم ورضيتُم أن يليه هذا العلم دون أشرافكم وذوى أسنانكم ، فإن صح هذا الخبرُ فليعني آخر تمثّل نجدياً ، وذلك أن نجداً منها يطلع قرنُ الشيطان ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قيل له : وفي نجدنا يا رسول الله ؟ قال : هنالك الزلازل والفتن ، ومنها يطلع قرنُ الشيطان ، فلم يبارك عليها ، كما بَارَكَ على اليمن والشام وغيرها ، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرق ، فقال : إن الفتن هاهنا من حيث يطلع قرنُ الشيطان ، وفي حديث ابن عمر ، أنه حين قال هذا الكلام ، ووقف عند باب عائشة ، ونظر إلى المشرق فقال : وفي وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن ، وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة واتّهم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن : أيقظوا صَوَاحِبَ الْحَجَرِ ، والله أعلم .

وذكر تشاورهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن بعضهم أشار بأن

أطمع حصن عال أو بناء مرتفع ، من أطام المدينة ، فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالوا : لا . قال فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقوع المطر . فلنحذر هوى الشيطان ، وفتنه العصبية ١١ .

يُجَبَسُ فِي بَيْتٍ ، وَبَعْضُهُمْ بِإِخْرَاجِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَنَفِيهِ ، وَلَمْ يُسَمَّ قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ ، وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ : الَّذِي أَشَارَ بِجَبَسِهِ هُوَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ .
ابْنُ هِشَامٍ ، وَالَّذِي أَشَارَ بِإِخْرَاجِهِ وَنَفِيهِ هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ رِبِيعَةُ بْنُ عَمْرِو ، أَحَدُ
بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَقَوْلُ أَبِي جَهْلٍ : نَسِيبًا وَسَيْطًا ، هُوَ مِنَ السُّطَّةِ فِي الْعَشِيرَةِ ،
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابِ تَرْوِيحِهِ خَدِيجَةُ مَعْنَى التَّوَسِيطِ ، وَأَيْنَ يَكُونُ مَدْحًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَى بَابِهِ يَتَطَلَّعُونَ ، فَيُرُونَ عَالِيًا وَعَلِيًّا وَعَلَيْهِ بُرْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُظَنُّونَهُ إِيَّاهُ ، فَلَمْ يَزَالُوا قِيَامًا حَتَّى أَصْبَحُوا ، فَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ
التَّفْسِيرِ السَّبَبَ الْمَانِعَ لَهُمْ مِنَ التَّعَقُّبِ عَلَيْهِ فِي الدَّارِ مَعَ قِصْرِ الْجِدَارِ ، وَأَنَّهُمْ
إِنَّمَا جَاءُوا لِقَتْلِهِ ، فَذَكَرَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُمْ هُمُومًا بِالْوُلُوجِ عَلَيْهِ ، فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ
مِنَ الدَّارِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لَلشُّبَّةِ فِي الْعَرَبِ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنَّا
أَنَا تَسَوَّرْنَا الْحَيْطَانَ عَلَى بَنَاتِ الْمَمِ ، وَهَتَكُنَا سِتْرَ حُرْمَتِنَا ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي
أَقَامَهُمْ بِالْبَابِ حَتَّى أَصْبَحُوا يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ ، ثُمَّ طَمَسَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْهُ حِينَ
خَرَجَ ، وَفِي قِرَاءَةِ الْآيَاتِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ : يَاسَ (١) مِنَ الْفَقْهِ التَّنْذِيرُ
بِقِرَاءَةِ الْخَائِفِينَ لَهَا اقْتِدَاءً بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ رَوَى الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ
فِي مُسْنَدِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِكْرِ فَضْلِ يَاسَ أَنَّهَا إِنْ قُرِئَتْ خَافَ
أَمِنْ ، أَوْ جَائِعَ شَيْعٍ أَوْ عَارِ كُسَى ، أَوْ عَاطَشَ سُقْيَ حَتَّى ذَكَرَ خِلَالَ كَثِيرَةٍ (٢) .

- (١) تَقْرَأُ هَكَذَا : يَاسِينَ وَهِيَ مِثْلُ حَمْدِ حَامِيمٍ ، وَطَلْعٍ وَطَاهَا ، فَهِيَ
لَيْسَتْ بِاسْمٍ لِلنَّبِيِّ دَسٍّ ، وَإِنَّمَا هِيَ مِثْلُ غَيْرِهَا مِمَّا ذَكَرْتُ مِنْ أَوَائِلِ السُّورِ .
(٢) لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الصَّحِيحِ . وَلَوْ أَنَّ التَّلَاوَةَ لِهَذِهِ السُّورَةِ تَعْطِي

وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله في ذلك ، وشرح ابن هشام رَبِّبَ الْمُتَنُونَ ،
وأنشد قول أبي ذؤيب :

أمن المنونِ وزَيِّبه تنفجع

والمُنُونُ يذكر ويؤنث ، فمن جعلها عبارةً عن المنيّة أو حوادث الدهر
: أنث ، ومن جعلها عبارةً عن الدهر ذكر ، وربُّ المنون ما يربُّك من تغير
الأحوال فيه ، سُمِّيتِ الْمُتَنُونَ لنزعها مَنَنِ الأشياءِ أَى : قواها ، وقيل : بل
سميت مُتُونًا لقطعها دون الأمال من قولهم : حَبِلَ مَتْنٌ أَى : مقطوع ، وفي
التنزيل قوله تعالى ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أَى غير مقطوع .

إذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة

ذكر فيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أتى بيتَ أبي بكر
في الظَّهيرة : قالت عائشة : وفي البيت أنا وأختي أسماء فقال أخرج من معك ،
فقال أبو بكر : إنما هما بنتاي يا رسول الله .

وقال في جامع البخاري : إنما هم أهلُك يا رسول الله ، وذلك أن عائشة
قد كان أبوها أنكحها منه قبل ^(١) ذلك ، وكذلك روى عن أمها أم رومان

كل هذا الذي ذكر لكان باعة القرآن على المقابر أولى الناس في الدنيا والآخرة
هناء ورخاء وعزة وكرامة . إن التلاوة بلا تدبر لا تفي شيئاً .

(١) أخرج البخاري بسنده عن هشام عن أبيه قال : توفيت خديجة قبل
خروج النبي ص ، إلى المدينة بثلاث سنين فلبت سنتين ، أو قريباً من ذلك .

بنت عامر بن عويمر ، ويقال في اسم أبيها : رَوْمَانُ بفتح الراء أيضاً ، فقال ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام في حديث طويل ثابت اختصرته : إن أبا بكر حين هاجر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم خلف بناته بمكة ، فلما قدموا المدينة أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة وأبا رافع مولاة ، وأرسل أبو بكر عبد الله بن أَرْيَظ [الليلي]^(١) ، وأرسل معهم خمسمائة درهم ، فاشترى بها ظفراً بَقْدِيدٍ ، ثم قدموا مكة فخرجوا بَسُودَةَ بنت زَمَّةَ ، وبفاطمة وبأم كُلثُوم . قالت عائشة : وخرجت أمي معهم ومع طَلْحَةَ ابن عُبَيْدِ اللَّهِ مصطحبين ، فلما كنا بَقْدِيدٍ نفر البعير الذي كنت عليه أنا وأمي : أم رومان في مِحْفَةٍ ، فجعلت أمي تنادي : وَأَبْنَيْتَاهُ وَأَعْرُوسَاهُ ! وفي رواية

ونكح عائشة ، وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين ، وفي الحديث إشكال . وقد ذكر الحافظ في الفتح رفعاً لهذا الإشكال إذ قال : إن مراده من قوله في الحديث : فلبث سنتين أو قريباً من ذلك . . المراد أنه لم يدخل على أحد من النساء ، ثم دخل على سودة قبل أن يهاجر ، ثم بنى بعائشة بعد أن هاجر ، فكان ذكر سودة سقط على بعض روايته . ويقول الماوردي : **اللفظ** يقولون : تزوج عائشة قبل سودة ، والمحدثون يقولون : تزوج سودة قبل عائشة . وقد يجمع بينهما بأنه عقد على عائشة ، ولم يدخل بها ، ودخل بسودة . ص ١٧٩ > ٧ فتح الباري .

(١) هكذا ضبطه الحافظ في الفتح . وقال : وقيل بضم الدال وكسر ثانيه مهموز ، وهو ابن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل : من بنى عدى ابن عمرو بن خزاعة . وفي رواية الأمامي عن ابن إسحاق : ابن أريقد ، وعند موسى بن عقبة : أريقه لكن باطاء وعند ابن سعد : أريقط وعن مالك اسمه : رقيق . وفي شرح السيرة لابن ذر أنه الليثي عبد الله بن أريقط

يونس عن ابن إسحاق ، وفيه قالت عائشة : فسمعت قائلاً يقول - ولا أرى أحداً - ألقى خطامه ، فألقيته من يدي ، فقام البعير يستدير به ، كأن إنساناً تحته يمسكه ، حتى هبط البعير من الشذية ، فسلم الله ، فقدمنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بيني المسجد وأبياتنا له ، فنزلت مع أبي بكر ، ونزلت سودة بنت زمعة في بيتها ، فقال أبو بكر : ألا تبني بأهلك يا رسول الله ؟ فقال : لولا الصداق ، قالت : فدفع إليه ثنثي عشرة أوقية ، وثناً ، والنش : عشرون درهماً وذكر الحديث . ورواه ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .

لم استريت الراحمين :

وفي حديث ابن إسحاق أن أبا بكر كان قد أعد راكبتين ، فقدم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - واحدة ، وهي أفضاهما ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إني لا أركب بعيراً ليس لي فقال أبو بكر : هو لك . يا رسول الله ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : بالثمن ، فقال أبو بكر : بالثمن يا رسول الله فركبها ، فسئِل بعض أهل العلم : لم لم يقبلها إلا بالثمن ، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل ، وقد قال عليه السلام : ليس من أحد آمن على في أهل ومال من أبي بكر^(١) ، وقد دفع إليه حين نبى .

(١) في رواية للبخاري : إن من آمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر وفي رواية أخرى إن آمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر . وقد قيل : إن الرفع خطأ لأنه اسم إن . وقيل : إن وجه الرفع بتقدير ضمير الشأن أي أنه الجار والمجرور بعده خبر مقدم ، وأبو بكر مبتدأ مؤخر ، أو على أن مجموع السكتية

بمائسة ثنتي عشرة أوقية ونشأ ، فلم يَأْب من ذلك فقال المسئول إنما ذلك لشكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبةً منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما ، وهو قولُ حَسَنٍ حَدَّثَنِي بهذا بعضُ أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبي الحسن بن اللوان رحمه الله .

ذكر ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام

وذكر ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام : أن الناقة التي ابتاعها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من أبي بكر يومئذ هي : ناقته التي تسمى بالجُدعاء ، وهي غير العَضْبَاء التي جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ناقةً صالح ، وأنها تحشر معه يوم القيامة ، فقال له رجل : وأنت يومئذ على العَضْبَاء يا رسول الله ، فقال : لا . ابنتي فاطمة تُحْشَر على العَضْبَاء ، وأُحْشَر أنا على البَرّاق ، ويُحْشَر هذا على ناقةٍ من نُوق

اسم فلا يعرب ما وقع فيها من الاداءة أو إن بمعنى نعم ، أو إن من زائدة على رأى الكسائي . وأمن أفعل تفضيل من المن بمعنى العطاء والبذل ، بمعنى أن أبذل الناس لنفسه وماله . لآمن المنة التي تفسد الصنيعة ، ولكن يشرحه الداودي على أنه من المنة وتقديره لو كان يتجه لأحد الامتنان على نبي الله ، لتوجه له . وفي رواية ابن عباس : ليس أحد من الناس آمن على في نفسه وماله من أبي بكر . ووجود من باعتبارها غير زائدة يفيد أن لغيره مشاركة ما في الأفضلية ، ولكنه المقدم . ويؤيد هذا ما وراء الترمذي : وما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ، ما خلا أبا بكر ، فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة ، وهذا يدل على ثبوت منة للغير ، إلا أن لأبي بكر رجحانا .

الجنة وأشار إلى بلال^(١).

وذكر أذانه في الموقف في حديث طويل يرويه عبد الحميد بن كيسان عن
سُوَيْد بن عُفَيْر ، وعبد الحميد مجهول عندهم .

وفي مسند البزار عن أنس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على العُضباء ، وليست بالجدعاء ، فهذا من قول أنس : إنها غير الجدعاء ، وهو
الصحيح ، لأنها غُفِمت ، وأخذ صاحبها العقيلي بالمدينة ، فقال : بم أخذتني يا محمد ،
وأخذت سابقة الحاج ، يعني : العُضباء ، فقال : أخذتك بجزيرة حُلَفائك .

بطء الفرح من أبي بكر :

وذكر ابن إسحاق في قول عائشة - رضى الله عنها - ما كتفُ أرى أحداً
يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح . قالت ذلك لصفير
سناها ، وأنها لم تسكن علمت بذلك قبل ، وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى ،

(١) الروايات الصحيحة في كتب السنة المعتبرة تخالف ما ذكر هنا عن هذا
النوع من الحشر . هذا وقد ذكر الواقدي أن الناقة التي أخذها رسول الله «ص» .
هي القصواء ، وأنها كانت من نعم بنى قشير . ويذكر ابن إسحاق أنها الجدعاء ،
وأنها من لبل بنى الحريش وكذلك روى ابن حبان من طريق هشام عن أبيه .
هذا وما رواه ابن إسحاق عن الهجرة عن لايتهم عن عروة قد ورد في البخاري .
ما هو قريب منه . ولم يرد في البخاري وغيره قصة الندوة . ولا رمى التراب
في الوجوه . ورواية البخاري هنا هي الرواية التي تسكن إليها النفس ، ولا يتوجه
بها سؤال لماذا لم يقتحم الراغبون في قتله عليه الباب ؟ ، وليس فيها خرافة تشكل
الشیطان بصورة شيخ نجدى .

فأخذته استحسانا له ، فقال الطائي يصف السحاب :

دُهم إذا وَكَّفَتْ في رَوْضِهِ طِفْقَتْ عيونُ أزهارِها تبكي من الفرح-

وقال أبو الطيب ، وزاد على هذا المعنى :

فلا تُنْكِرَنَّ لها صَرْعَةً فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ ما يَقْتُلُ

وقال بعض المُحدِّثين :

وَرَدَ الْكِتَابُ مِنَ الْحَبِيبِ بَأَنَّهُ سَيُزَوِّنِي فَاسْتَمَبَّرْتُ أَجْفَانِي

غلب السرور عَلَى حَتَّى لَمِنَهُ مِنْ فَرَطٍ ما قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي

ياعينُ صارَ الدَّمْعُ عِنْدَكَ عَادَةً تَبْكِينَ في فَرَحٍ وفي أَخْزَانِ

مكة والمدينة :

فصل : ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة ، ووقف على الحزورة^(١) ،
ونظر إلى البيت ، فقال : والله إنك لأحبُّ أرضٍ الله لي ، وإنك لأحبُّ أرضٍ الله
إلي الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت^(٢) . برويه الزُّهريُّ عن أبي سلمة .

(١) الحزورة كانت سوق مكة ، وأدخلت في المسجد لما زيد ، وباب
الحزورة معروف من أبواب المسجد الحرام . وعن ابن الأثير في النهاية أنها موضع
بمكة عند باب الخياطين ، وهو بوزن قسورة . وعن الشافعي : الناس يمددون
الحزورة ، والحديبية ، وهما مخففتان .

(٢) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ،
وأخرجه أبو حاتم بن حبان في التتقاسيم والأنواع ، وسعيد بن منصور في سننه
وذكره رزين عن الموطأ ، ولكنه ليس في موطأ يحيى بن يحيى ، وأخرجه أحمد
في المسند

عن عبد الله بن عدي بن الحمراء يرفعه ، وبعضهم يقول فيه : عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، وهو من أصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة ، وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعاً : إن صلاةً في المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه^(١) فإذا كانت الأعمال تبعاً للصلاة ، فكل حسنة تعمل في الحرام ، فهي بمائة ألف حسنة ، وقد جاء هذا منصوصاً من طريق ابن عباس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : من حج ماشياً كتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنة فيه بمائة ألف حسنة [قال عطاء : ولا أحسب السيئة إلا مثلها] أسنده البزار^(٢) .

حديث الغار

وهو غار في جبل ثور ، وهو الجبل الذي ذكره في تحريم المدينة ، وأنها حرام ما بين غير إلى ثور ، وهو وهم في الحديث ، لأن ثوراً من جبال مكة ، وإنما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين غير إلى كذا ، كأن الحدث قد نسي اسم المكان ، فكفى عنه بكذا^(٣) .

- (١) في رواية لابن ماجه ، والعدد مختلف في روايات الحديث المختلفة .
- (٢) لا يتعلق ثواب الحج بمشي أو ركوب وإنما يتخلق بما وقر في القلب المؤمن . وهو يأتي بأركانه ، فكلم من رجل حج ماشياً ، ولم ينل غير مشقة مشيه ، وكل من رجل حج راكباً له بكل نامة حسنة وحسنات .
- (٣) الحديث أخرجه الشيخان ، وقد رواه مسلم بلفظ : المدينة حرم ما بين غير إلى ثور ، والبخاري بلفظ : المدينة حرم ما بين غير إلى كذا . وأبو داود

بلفظ : المدينة حرام ما بين عاير إلى ثور . . وعاير جبل كبير مشهور في قبلة المدينة بقرب ذى الحليفة ميقات المدينة وقيل غير ذلك . وأما ثور فليس المقصود به جبل ثور الذى هو من جبال مكة ، وإنما هو جبل صغير خلف أحد وقد استشكل العلماء الحديث ظنا منهم أنه ليس بالمدينة ثور ، ولهذا ذكر في أكثر الروايات عند البخارى : من عاير إلى كذا ، وفي بعضها : من عير إلى كذا ، ولم يبين النهاية ، فكأنه يرى أن ذكر ثور وهم ، فأسقطه ، وترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ، ليتبين الوهم ، وضرب آخرون عليه ، وقال المازرى نقل بعض أهل العلم : أن ذكر ثور هنا ، وهم من الراوى ، لأن ثورا بمكة ، والصحيح : إلى أحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : إن الحديث أصله من عير إلى أحد . وقد روى الطبرانى الحديث : ما بين عير وأحد حرام حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وقال الحازمى : الرواية الصحيحة : ما بين عير إلى أحد . وقيل إلى ثور ، وليس له معنى . وقال ابن قدامة : يحتمل أن المراد تحريم قدر ما بين ثور وعير اللذين بمكة . . وقد قال البيهقي : بلغنى عن أبي عبيد أنه قال في كتاب الجبال : بلغنى أن بالمدينة جبلا يقال له : ثور . ونقل المجد في ترجمة عير عن نصر أن ثورا جبلا عند أحد . وقد رد الجلال المطرى في تاريخه على من أنكر وجود ثور ، وقال : إنه خلف أحد من شماليه صغير مدور . .

وقال الأفشهرى : وقد استقصينا من أهل المدينة خبر جبل يقال له : ثور عندهم . فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد يعرفه القدماء دون المحدثين من أهل المدينة . وقال أبو العباس بن تيمية : ثور جبل في ناحية أحد ، وهو غير جبل ثور الذى بمكة . ويقول المحب الطبرى إن المحدث ابن مزروع البصرى أخبره أن حذاء أحد عن يساره جبلا صغيرا يقال له ثور ، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه ، لطوائف من العرب العارفين تلك المواضع . . وتواردت أخبارهم على تصديق بعضهم بعضاً . أنظر ص ٦٤ ١٠ وقام الوفا للسهودى ص ١٢٢٦ و ص ٦٢٠ وما بعدها القرى للمحب الطبرى ص ١٩٤٨ .

(م ١٤ — الروض الأنف ج ٤)

وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فيما شرح من الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما دخله وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الرأاة : قال قاسم : وهي شجرة معروفة ، فحجبت عن الغار أعين الكفار .

وقال أبو حنيفة : الرأاة : من أغلاث الشجر ، وتكون مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان ، وزهر أبيض تُحشى به المخآة ، فيكون كالريش خلفته ولينه ، لأنه كالقطن أنشد :

تري وَدَكَ الشَّريف على كَلَاهِم كمثل الرأاة كَبَدَه الصَّقيعُ

وفي مُسنَد البزار : أن الله تعالى أمر العنكبوتَ فَنَسَجَتْ على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وَخَشِيتَيْنِ ، فوقعتا على وجه الغار ، وأن ذلك مما صدَّ للمشركين عنه ، وأن حمام الحرم من نسل تَيْنِكَ الحمامتين ، وروى أن أبا بكر - رضى الله عنه حين دخله وتقدم إلى دخوله - قبلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليقية بنفسه ، رأى فيه جُحراً فألقاه عَقِبَهُ ، لئلا يخرج منه ما يؤذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وفي الصحيح عن أنس : قال : قال أبو بكر - رضى الله عنه - لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وهما في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما^(١) ، وروى أيضا أنهم لما نعى عليهم الأثر جاؤا بالقاءة ، فجعلوا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ومسلم والترمذي وأحمد .
أورد هنا كلمة موجزة عن الهجرة : قال صلى الله عليه وسلم : رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة . أبو

هجر ، فإذا هي المدينة ، رواه الشيخان ولكن ورد في البيهقي أنها هجر أو يثرب ، ولم يذكر الجماعة . كما أخرج الترمذي والحاكم أنه . ج ، قال : إن الله أوحى إلى : أي هؤلاء الثلاثة نزلت هي دار هجرتك : المدينة . أو البحرين ، أو قنسرين . وزاد الحاكم : فاختار المدينة . وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي في التلخيص . أما في الميزان ، فورد أنه حديث منكر . أقدم الترمذي على تحسينه ، بل قال : غريب .

متى خرج النبي من مكة : يحزم بعض الرواة ومنهم ابن إسحاق أنه خرج أول يوم من ربيع الأول وأنه قدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول . أي بعد بيعة العقبة بشهرين وبضعة عشر يوماً ، أما الحاكم فيذكر أن خروجه كان بعدها بثلاثة أشهر أو قريباً منها . كما يؤكد تواتر الأخبار أنه خرج يوم الإثنين وأن دخوله المدينة كان يوم الإثنين . وقيل إنه خرج في صفر ، وقدم المدينة في ربيع . وقيل . كان خروجه من مكة يوم الخميس . وقول ابن إسحاق هو المشهور مدة مقامه بمكة : في البخاري عن ابن عباس أنه مكث بها ثلاث عشرة سنة . وفي مسلم وعن ابن عباس أيضاً خمس عشرة سنة ، وابن حجر يصح رواية البخاري . وعن عروة أنه مكث بمكة عشر سنين ، ورواه أحمد عن ابن عباس والبخاري في باب الوفاة عنه وعن عائشة أيضاً . وقد ورد في بعض نسخ مسلم بيت أبي قيس صرمة :

ثوى في قریش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقي صديقاً موافقاً
وهذا يخالف ذلك .

العنكبوت والحمامتان والشجرة : لم يرد لها ذكر فيما روى من حديث صحيح ولهذا لم ترد في واحد من الكتب الستة وتدبر هذه الآية الكريمة (إلا تنصروه ، فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين ، إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) أنها حامية أو عنكبوت ، أو شجرة ، أم هنا سكينه و جنود لم يروا ؟ الآية الكبرى هنا هي أن الله صرف قلوبهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة . . . تدبرها جيداً

يَقْقُونَ الأثر ، حتى انتهوا إلى باب الغار ، وقد أنبَت الله عليه ما ذكرنا في الحديث قبل هذا ، فعند ما رأى أبو بكر رضى الله عنه القافة اشتد حزنه

القاصون الأثر أولو خبرة ودراية تامة بقص الأثر ، ولقد أدت بهم الأدلة إلى المثلث أمام باب الغار ، ويشعر بهم النبي « ص » ، وأبو بكر . ويقول أبو بكر لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا . وتدبر قوله تحت قدميه لئلا يرى أنهم كانوا قايدين خطوة أو نصفها من باب الغار . . ويقول الرسول « ص » ، مجيباً صاحبه مذكراً بحفظ الله سبحانه : ما ظنك يا أبا بكر باثنين ، الله ثالثهما . كما روى البخارى - وتدبر مع الحديث قوله سبحانه : (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) - هذا هو القهر الأعظم الذى لا يغلبه قهر آخر ، ولا تقف أمام سلطانه الأعظم قوى ولا قدر فلماذا نصرف القلب عن تدبر جلال الآية الكبرى هنا من صرف الله عنه قلوبهم وأعينهم وأسماعهم وإحساساتهم ، إلى رواية راهية تصور حمامة وعنكبوتا . سل نفسك . . كيف لم يبصروه والواقع المحسوس الملموس المشهود يؤكد أنه هنا ؟ لم لم ينظر أحدهم تحت قدميه ، وكل شيء يؤكد أن المنشود العظيم في الغار ؟ والرغبة الملحة في النفس تدفع إلى استنباء الرمل والحصى والصخر والجبل عن منشودهم . والرمل والحصى وكل شيء تحت العين وصوبها يملأ حتى عقل الغيب بهم هذه الدلالة البينة الواضحة المستمدة من أدلة لا يمكن أن يصرف الإنسان عنها نزعة من شك . الدلالة التى تشبه في وضوحها وضوح أن الواحد نصف الإثنين كانت الدلالة ، وكانت الأدلة حينئذ لا تحتل سوى شيء واحد هو أن محمداً « ص » ، في الغار . فلم لم ينظروا ؟ ليست الحمامتان ولا العنكبوت . . إنما هو هذا السلطان الأعظم الذى يعرف القلوب ، ويصرف الأبصار والاسماع عما تريد وتحب وإن كان منها قيد شعرة . إنما هو القهر الإلهى الأكبر والجبروت الاسمى الذى لا يدع لاحد قدرة تقفه لحظة أمامه ، وهو جل شأنه يريد ذلك . ولو أن نصاً ثابتاً تحدث عن الحمامتين والعنكبوت ما انصرف عنه الفكر ولا القلم ، فانه قادر سبحانه على أعظم [وأعظم .

على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : إن قتلتُ فإيما ، أنا رجل واحد ، وإن قُتلتَ أنتَ هلكتِ الأمة ، فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحزن إن الله معنا ، ألا ترى كيف قال : لا تحزن ، ولم يقل لا تخف !! لأن حزنه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شغله عن خوفه على نفسه ، ولأنه أيضاً رأى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النَّصَب ، وكونه في ضيقة الغار مع فرقة الأهل ، ووحشة الغربة ، وكان أرقَّ الناسِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشتَقهم عليه ، فحزن لذلك ، وقد روى أنه قال : نظرت إلى قدمي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الغار ، وقد تَفَطَّرَ نادماً ، فاستَبَكَيْتُ ، وعلمت أنه عليه السلام لم يكن تعود الخفاء والجفوة ^(١) ، وأما الخوف فقد كان عنده من اليقين بوعد الله بالنصر لديبه . ما يسكن خوفه ، وقول الله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ قال أكثر أهل التفسير : يريد على أبي بكر ، وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه ^(٢) ، وقوله : ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ الهاء في أيده راجعة على النبي ، والجنود : الملائكة أنزلهم عليه في الغار ، فبشروه بالنصر على أعدائه ، فأيدته ذلك ، وقواه على الصبر [و] قيل أيده

(١) ليس لهذا من سند صحيح . وعند ابن حبان أنهما ركبا حتى أتيا الغار ، فتواريا .

(٢) يقول ابن كثير في تفسير الآية : « أي تأييده ونصره عليه . أي على الرسول » ص ، في أشهر القولين . وقيل على أبي بكر ، وروى عن ابن عباس وغيره ، قالوا : لأن الرسول » ص ، لم تزل معه سكينته ، وهذا لا ينافي بتجدد سكينته خاصة بتلك الحال ، ولهذا قال : وأيده بجنود لم تروها ، يقصد ابن كثير أن عود الضمير في قوله « أيده » يؤكد عود الضمير على النبي » ص ، في قوله « عليه »

بمجنود لم تروها ، بمعنى : يوم بدر وحنين وغيرها من مشاهدته ، وقد قيل :
الهاء راجعة على النبي عليه السلام في الموضعين جميعاً وأبو بكر تبع له ، فدخل
في حكم السكينة بالمعنى ، وكان في مصحف حَقَصَة^(١) : فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِمَا ،
وقيل : إن حزن أبي بكر كان عند ما رأى بعض الكفار يبول عند الفار ،

(١) لا يصح أبداً إطلاق مثل هذه التعبيرات ، فالقرآن الذي نزل الله على
محمد ص ، وهو الذي نتلوه الآن في المصحف ، وكل حديث يوحى بأن المصحف
فيه نقص يجب رفضه ، واعتباره قرية لعينة . والذين يؤمنون بأن في المصحف
نقصاً كبيراً هم الرافضة ، وقد حاجن أحد قضاة الشيعة في قطر عربي ، فبنت أهل
السنة بأن كتبهم هي التي تروى أن في القرآن نقصاً ، وذكرني ببعض ماجاء في
بعض الأحاديث !!

وأهل السنة بالمعنى الخاص الذين يؤكدون بسلوكهم ومعتقدهم أنهم أهل
السنة لا يمكن أن ينسبوا إلى المصحف هذا الزور ، ولا أن يصموه بهذا البهتان .
أما الرافضة ، فإليك ما روي في كتابهم السكاني للكليني - وهو يعادل البخاري
عند غيرهم - عن جابر - أي الجمعي - قال : سمعت أبا جعفر يقول : ما ادعى
أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه -
كما أنزله الله - إلا علي بن أبي طالب ، والائمة من بعده ، وعن أبي بصير قال :
دخلت على أبي عبد الله . . . إلى أن قال له أبو عبد الله : وإن عندنا لمصحف
فاطمة عليها السلام . . . قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال مصحف فيه مثل قرآنكم
هذا ثلاث مرات . والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، ص ٥٤ ، ٥٧ من كتاب
المكافي للكليني ط ١٢٧٨ .

ولقد كان أخبار النصارى من الأسبانيين يحتجون على ابن حزم بدعوى
الرافضة تحريف القرآن ، فكل يقول : إن الروافض ليسوا من المسلمين ،
ص ٢ ص ٧٨ الفصل ٨ وانظر ص ٨ من مقدمة محب الدين الخطيب للمنتقى
للذهبي وهو مختصر منهاج السنة النوية للإمام ابن تيمية .

خاشق أن يكونوا قد رأوها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا تحزن ، فإنهم لو رأونا لم يستقبلونا بفروجهم عند البول ، ولا تشاغلوا بشيء عن أخذنا ، والله أعلم ^(١) .

الرد على الرافضة فيما بهتوا به أبا بكر :

فصل : وزعمت الرافضة ^(٢) أن في قوله عليه السلام لأبي بكر لا تحزن غصاً من أبي بكر وذمناً له ؛ فإن حزنه ذلك : إن كان طاعةً فالرسول عليه السلام لا ينهي عن الطاعة ، فلم يبق إلا أنه معصية ، فيقال لهم على جهة الجدال : قد قل الله لحمد عليه السلام : ﴿ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ يس : ٧٦ وقال : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ آل عمران : ١٧٦ وقال لموسى : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ طه : ٢١ وقالت الملائكة للوط : لا تخف ، ولا تحزن ، فإن زعمتم أن الأنبياء حين قيل لهم هذا كانوا في حال معصية ، فقد كفرتم ، ونقضتم أصلكم في وجوب العصمة للإمام المعصوم في زعمكم ، فإن الأنبياء هم الأئمة المعصومون بإجماع ، وإنما قوله : لا تحزن ، وقول الله لحمد : لا يحزنك ،

(١) هذا بعض ما يقال ، والله أعلم بحقيقته ، والمفروض تدبر ما ذكر في القرآن عن النبي ص ، وعن صاحبه ، وهما في الغار وكيف أن الكفر الغليظ الكنود ، وتحتم إمرته المال والسلاح والسلطة والقدرة لم تستطع الوصول إلى من في الغار وهي تمر يد كالا باليسة على بابها ١٩

(٢) هم الشيعة الذين رفضوا إمامة زيد بن يحيى .

والله أعلم بالصواب

وقوله لأتبيأه مثل هذا تسكين الجأشهم^(١) وتبشير لهم وتأنيس على جهة النهي الذي زعموا ، ولكن كما قال سبحانه : ﴿ تَقَرَّبْ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾^(٢) فصلت : ٣٠ وهذا القول إنما يقال لهم عند المعاينة ، وليس إذ ذاك أمر بطاعة ولا نهى عن معصية .

ووجه آخر من التحقيق ، وهو أن النهى عن الفعل لا يقضى كون المنهى فيه ، فقد نهى الله نبيه عن أشياء ، ونهى عباده المؤمنين ، فلم يقتض ذلك أنهم كانوا فاعلين لتلك الأشياء في حال النهى ، لأن فعل النهى فعل مستقبل ، فكذلك قوله : لأبى بكر : لا تحزن ، لو كان الحزن كما زعموا لم يكن فيه على أبى بكر - رضى الله عنه - ما ادَّعَوْا من الفَضِّ ، وأما ما ذكرناه نحن من حزنه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان طاعة ، فلم ينه عنه الرسول عليه السلام إلا رفقا به وتبشيرا له لا كراهية لعمله ، وإذا نظرت للمعاني بعين الإنصاف لا بعين الشهوة والتعصب للمذاهب لاحت الحقائق ، واتضح الطرائق والله الموفق للصواب .

معية الله مع رسوله وصاحبه :

وانتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله تعالى لقوله : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة : ٤٠ كيف كان معهما بالمعنى ، وباللفظ ، أما المعنى

(١) الجأش : رواع القلب إذا اضطرت عند الفزع ، ونفس الإنسان جمعه .
جشوش : الغاموس .

(٢) والآية في حق الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا . فهي في حق خير فئة مؤمنة

فكان معهما بالنصر والإرفاد^(١) والهداية والإرشاد ، وأما اللفظ فإن اسم الله تعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله ، وإذا دُعي ف قيل : يا رسول الله ، أو فعل رسول الله ، ثم كان لصاحبه كذلك يقال : يا خليفة رسول الله ، وفعل خليفة رسول الله ، فكان يُذكر معهما ، بالرسالة وبالخلافة ، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون .

حديث سراقه بن مالك بن جعشم الكنعاني

ثم المذلجيّ أحد بني مُذَاجِر بن مُرّة بن تميم بن عبد مناة بن كنانة . وقد ذكر ابن إسحاق حديثه حين بذلت قريش مائة ناقة لمن رد عليهم محمداً عليه السلام ، وأن سرافة استقسم بالأزلام ، فخرج السهم الذي يكره ، وهو الذي كان فيه مكتوباً لا تُضره إلى آخر القصة ، وأن قوائم فرسه حين قربة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساحت في الأرض ، وتبعها عُثان ، وهو : الدخان وجمعه عَوَاثِن . وذكر غير ابن إسحاق أن أبا جهل لأمه حين رجع بلا شيء ، فقال وكان شاعراً :

أباحكم والله لو كنت شاهداً	لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علت ولم تشكك بأن محمداً	رسول بيزهان فن ذا يُقاومه ؟
عليك بكف القوم عنه ، فإننى	أرى أمره يوما ستبدو معالمه .
بأمر يود الناس فيه بأسرهم	بأن جميع الناس طراً يسألهم .

وقد قدمنا في هذا الكتاب عند ذكر كسرى ما فعله عمر بن الخطاب حين أتى بتاج كسرى ، وسواريه ومنطقته ، وأنه دعا بسراقة ، وكان أربّ النراعين^(١) ، فخلاه حلية كسرى ، وقال له : ارفع يديك ، وقل : الحمد لله الذي سلب هذا كسرى الملك الذي كان يزعم أنه ربّ الناس وكساها أعرابيا من بني مُذَلِج^(٢) . فقال ذلك سراقة ، وإنما فعلها عمر لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قد بشر بها سراقة حين أسلم ، وأخبره أن الله سيفتح عليه بلاد فارس ، ويُغَنِّمَهُ مُلْكُ كِسْرَى ، فاستبعد ذلك مُسْرَاقَةً في نفسه ، وقال : أأَكْسِرَى ملك الملوك ؟ فأخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن حليته ستجعل عليه تحميماً للوعد ، وإن كان أعرابيا بؤالا على عقبه ، ولكن الله يُعِزُّ بالإسلام أهله ، ويُشِيعُ على محمد وأُمَّته نعمته وفضله .

وفي السير من رواية يونس شعر لأبي بكر رضى الله عنه في قصة الفار :

قال النبي ولم يزل يُوقَّرُ في ونحن في سُدَفٍ من ظُلْمَةِ الفار^(٣)

(١) التزبب في الإنسان : كثرة الشعر وطوله .

(٢) في رواية : كسرى بن هرمز . وقصة سراقة في البخاري . ولكن ليس في روايته مسألة السوارين ، إنما فيها أنه قال بعد أن حدث أفرسه ما حدث والتقى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الديبة ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأني ، ولم يسألاني إلا أن قال : اخف عنا ، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن . فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب في رقعة من أديم . . .

(٣) سدف بفتح السين : الظلمة والليل وسواده ، وبضمها : جمع سدف : الظلمة والقطعة من الليل .

(١) النراعين : النراة

لَا تَخْشَ شَيْئًا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ثَالِثُنَا وَقَدْ تَوَكَّلْ لِي مِنْهُ بِإِظْهَارِ
وَأَمَّا كَيْدُ مَنْ تَخْشَى بَوَادِرَهُ كَيْدُ الشَّيَاطِينِ كَادَتْهُ لِكُفَّارِ
وَاللَّهُ مُهِلَّكُمْ طُرًّا بِمَا كَسَبُوا وَجَاعِلُ الْمُنتَهَى مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ
وَأَنْتَ مُرْتَحِلٌ عَنْهُمْ وَتَارِكُهُمْ إِمَّا غُدُوًّا وَإِمَّا مَدْلُجٌ سَارِي
وَهَاجِرٌ أَرْضَهُمْ حَتَّى يَكُونَ لَنَا قَوْمٌ عَلَيْهِمْ ذُؤُوءٌ عِزٌّ وَأَنْصَارِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ وَارَتْهَا جَوَانِبُهُ وَسَدَّ مِنْ دُونِ مَنْ تَخْشَى بِاسْتِكَارِ
سَارِ الْأَرَبِ قَطُ يَهْدِينَا وَأَبْنُ قُهُ يَنْعَبِينَ بِالْقَرَمِ نَعْبًا تَحْتَ أَكْوَارِ
يَغْسِفْنَ عَرْضَ الْأَنْبَا بِعَدَا طَوْلَهَا وَكُلَّ سَهَبٍ رَقَاقِ الثَّرَابِ مَوَارِ
حَتَّى إِذَا قُلْتُ: قَدْ أَنْجَدَنَ عَارِضَهَا مِنْ مَدْلُجٍ فَارِسٌ فِي مَنْصَبٍ وَارِ
يُرْدِي بِهِ مُشْرِفَ الْأَفْطَارِ مُعْتَزَمٌ

كَالسَّيِّدِ ذِي اللَّابِئَةِ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي
مَقَالٌ: كُتِبُوا وَقُلْتُ: إِنْ كَرَرْتَنَا مِنْ دُونِهَا لَكَ نَصْرُ الْخَالِقِ الْبَارِي
أَنَّ يَخْسِفَ الْأَرْضَ بِالْأَحْوَى وَفَارِسَهُ

فَانْظُرْ إِلَى أَرْبُعٍ فِي الْأَرْضِ غَوَّارِ
فَهَيْلَ لِمَا رَأَى أَرْسَاخَ مُقَرَّبِهِ قَدْ سَخُنَ فِي الْأَرْضِ لَمْ يُخْفَرْ بِمُحْفَارِ
فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ تُطْلِقُوا فَرَسِي وَتَأْخُذُوا مَوْتِي فِي نَصْحِ أَسْرَارِ
وَأَصْرِفُ الْخَلَى عَنْكُمْ إِنْ لَقِيتَهُمْ وَأَنْ أَعَوَّرَ مِنْهُمْ عَيْنَ غَوَّارِ
فَادْعُوا الَّذِي هُوَ عَنْكُمْ كَفَّ عَوَّرَتَنَا يُطْلِقُ جَوَادِي وَأَنْتُمْ خَيْرُ أَهْبَارِ

فقال قولا رسول الله مُبْتَهَلًا ياربَّ إن كان منه غير إخفَار
فَنَجِّهِ سَالِمًا مِنْ شَرِّ دَعْوَتِنَا وَمُنْهَرَهُ مُطْلَقًا مِنْ كَلَمِ آثَارِ
فَأَظْهَرِ اللَّهَ إِذْ يَدْعُو حَوَافِرَهُ وَفَازَ فَارِسُهُ مِنْ هَوْلِ أَخْطَارِ^(١)

حديث أم معبد

وذكر عن أسماء بنت أبي بكر حين خفي عليها ، وعلى من معها أمرُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدروا أين توجه ، حتى أتى رجل من
الجن يسمعون صوته ، ولا يرونه ، فرأى مكة والناس يتبعونه وهو ينشد
هذه الأبيات :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ	رَفِيقِينَ حَلًّا خَيَّمَتِي أُمُّ مَعْبِدٍ
هَما نَزَلَا بِالْبَرِّ ثُمَّ تَرَحَّلَا ^(٢)	فَأَفْلَحَ مِنْ أُمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
لَيْلَتِ بْنِ كَعْبٍ مَقَامَ فَتَاتِهِمْ	وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ
فِي الْقَصَى مَازَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ	بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يُجَازِي وَسُودِدِ
سَلُوا أَخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا	فَإِنْ كُمْ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدُ
دَعَاها بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّيْتُ	لَهُ بِصَرِيحِ ضَرَّةٍ الشَّاةِ مُزِيدٍ
فَنَادَرَهَا رَهْنًا لَدَيْهَا بِحَالٍ	يُرَدِّدُهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدٍ

(١) في القصيدة صنعة لا تدل على العصر المنسوبة إليه . وليس فيها روح
إيمان أبي بكر . ولهذا لم ترو في كتب السنة المعتبرة .

(٢) في السيرة : تروحا

ويروى أن حَسَّانَ بن ثابت لما بلغه شعرُ الجني ، وماهتف به في مكة قال بحبيبه :

لقد خابَ قومٌ غابَ عنهم نبيُّهم وقد سرَّ مَنْ يَسْرى إليهم ويَفْتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحلَّ على قوم بنور مُجَدِّد
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم وأرشدهم مَنْ يَتَّبِع الحقَّ يَرشُد
وهل يَسْتَوِي ضلالُ قوم تَسَفَّهوا عما يَتَّبِع هاد بها كل مهتد^(١)

(١) قصة أم معبد ضعيفة السند ، وقد أخرجها البغوي وابن شاهين وابن السكن وابن مندة والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم من طريق حزام بن هشام ابن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده ، وبعضها في تاريخ الطبري ، أنظر ص ٦٦ ، ٦٧ ، الخصائص للسيوطي دار الكتب الحديثة وص ٣٨٠ ، ٣٨١ الطبري ط دار المعارف .

والقصيدة مروية بروايات مختلفة فنها :

جزى الله خيرا والجزاء بكفه رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما رحلا بالحق وانتزلا به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فا حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السائح المتجدد
ولم يصرح في رواية البغوي ومن ذكرتهم بعده بذكر الجني وإنما قيل في روايتهم ، فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه ، ولكن غرام الرواة بالجزء جعلهم يفرمون بذكرهم وراء كل شأن عجيب ١١ رواية البيت في وفاء الوفا وفي الاكتفاء للكلاعي هكذا :

وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا عمى وهداة يهتدون يمهتد
وفي شرح السيرة الشنشي :

وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا وشاد به نال الهدى كل مهتدى
وفي المواهب : الشطرة الثانية هكذا : عمى وهداة يهتدون يمهتدى .

لقد نَزَلَتْ مِنْهُ إِلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ رَكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ
نَبِيِّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ^(٢)

(١) وفي رواية أخرى : مسجد .

ولما في حديث أم معبد من أسلوب أدبي ممتاز أحييت نقله وقد ذكر السهيلي باختصار : روى ابن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده أن رسول الله ص - حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر : عامر ابن فهيرة ، ودليلهما الليثي : عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت برزة جلدة تحتبى بفناء القبة ، ثم تسقى ، وتطعم ، فسألوها لحما وتمرا ، ليشتروا منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا وكان القوم مرملين مشتين - وبروى : مسنتين فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى شاة في كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . فقال : هل بها من لبن ؟ قالت هي أجهد من ذلك . قال أنا ذنين لي أن أحلبها ، قالت : بآبي أنت وأمي إن رأيت بها فاحلبها ، فدعا بها رسول الله - ص - فسح بيده ضرعها ، وسمى الله ودعائها في شاتها ، فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا بإفناء يرض الردهط ، فحلب فيه ثجما حتى علاه لبنها - وفي رواية : حتى علته الرغبة ، أو حتى علاه البهاء - ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب آخرهم - صلى الله عليه وسلم - ثم أراضوا ، ثم حلب فيه ثانية بعد بدءه حتى ملأ الإباء ، ثم غادره عندها ثم بإيها - يعني على الإسلام ، ثم ارتحلوا عنها ، فإلبئت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزأ عجافا يتساوكن هزلي ، لا تنقى بهن ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب ، وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ، والشاة عازب حيال ، ولا حلب في البيت ؟ قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، وقال : صفيه لي يا أم معبد ، قالت : رأيته رجلا ظاهر الوضأة ، أبلج الوجه حسن الخلق ، لم تبعه ثملة - أو نحلة - ولم تزر به صعلقة ، وسيم قسيم ، في عينيه دمع ، وفي أشفاره نطف أو غطف - والشك من أبي محمد بن مسلم - وبروى : وطف ، وفي صورته صحل ، وفي عنقه -

سطح ، وفي لحيته كشاشة أحور أ كحل أزج أقرن شديد سواد الشعر ، إن صمت ، فعليه الوقار ، وإن تكلم سما ، وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأباهم من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ، ولا هذر ، كأن منطقهم خرزات نظمن - أو ، ربة خرزات نظم تحدرن لا بائن من طول ، ولا تقصمه عين من قصر ، غصنا بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال : أنصتوا له ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا معتد .

قال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة لقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، نقلت الحديث من شرح السيرة لأبي ذر الخشني ص ١٢٦ وما بعدها ، مراجعا على ص ٤٦٦ .
١ - الخصائص للسيوطي ط دار الكتب الحديثة وص ١٣٩ - ٢ - زاد المعاد لابن القيم . إليك شرح أبي ذر لمفردات الحديث : برزة المرأة التي طعنت في السن فهي تبرز للرجال ، ولا تحتجب عنهم ، جلدة : جلزة وصفها بالجزالة . مرملين : أرمل الرجل : إذا نفذ زاده في سفر أو حضر . مشتين : أي داخلين في زمن الشتاء ، ومن رواء : مشتين ، فعناه : دخلوا في سنة الجذب والقحط . وكسر اليت جانبته ، يقال بكسر الكاف وفنتها . والجهد : المشقة والضعف . تفاجت : أي فتحت رجلها للحلب . يربض الرهط : يبالغ في ربههم ويثقلهم حتى يلصقهم بالأرض ، يقال ربضت الدابة وغيرها ، وأربضتها أي جعلتها تلصق بالأرض ، والرهط : ما بين الثلاثة إلى العشرة . ثجا : أي سائلا ، والماء الشجاج : السائل . علاه البهاء : يريق الرغوة ولعائنها أراضوا : كرروا الشرب حتى بالغوا في الري يقال : أراض الوادي : إذا كثر ماؤه ، واستنقع . وكذلك الحوض ، وفي بعض الروايات : ثم أراضوا عللا بمد نهل . ذكر ذلك ابن قتيبة ، والنهل : الشرب الثاني . غادره : تركه ، ومنه سمى الغدير ، لأن السيل غادره ، أي تركه . عجاف : ضعاف . تشاركن هزلا ، أي تساوين في الضعف و (يتساوكن هزلي) : يتمايلن من شدة ضعفهن . غارب : بعيد المرعى . حيال : جمع حائل ، وهي التي لم تحمل ، ولا

حلوب : يعنى : شاة تحلب ، وقد تكون الحلوب واحدا ، وقد يكون جمعا . ظاهر
الوضاءة : الوضاءة : حسن الوجه . ونظافته . ومنه اشتقاق الوضوء . أبلج
الوجه : مشرق الوجه ، يقال تبليج الصبح إذا أشرق وأثار . لم يعبه نحله : يعنى :
ضعفه وصغره ، وهو من الجسم الناحل ، وهو القليل اللحم . ولم يزر : لم يقصر ،
والصقل والصقلة : جلدة الخاصرة ، تريد : أنه ناعم الجسم ، ضامر الخاصرة ،
وهو من الأوصاف الحسنة . وفى بعض روايات هذا الحديث : لم تدبه ثجلة . ولم
يزر به صعلة ، فالثجلة : عظم البطن ، يقال : بطن أمجل إذا كان عظيما ، والصعلة
صغر الرأس ، ومنه يقال للنعام : ضعل . وقسيم : الحسن والوضاءة الثابتة .
سوقسيم : كأن كل عضو من وجهه أخذ قسمة من الجمال . الدعج : شدة سواد
العين . د الأشفار : أهداب العين ، فى أشفاره عطف أو غطف ، ويروى : وطف
الوطف : طول شعر أشفار العين ، وقال صاحب كتاب العين : الغطف بالعين
المعجمة ، مثل الوطف ، وأما العطف بالعين المهملة ، فلا معنى له هنا ، وقد فسره
بعضهم ، فقال : هو أن تطول أشفار العين حتى تمعطف . صحل : الصحل : البحر ،
يريد : أنه ليس بمحاد الصوت . فى عنقه سطع : أى : لإشراف وطول ، يقال :
عنى سطعا إذا أشرفت وطالت ، فى لحيته كثائة : الكثائة : دقة نبات شعر
اللاحية مع استدارة فيها . أزج أقرن : الزوج : دقة شعر الحاجبين مع طولها ،
والقرن : أن يتصل ما بينهما بالشعر علاه البهاء : البهاء هنا : حسن الظاهر . فصل لآنور
ولا هذر : الفصل : الكلام البين ، والنزر : الكلام القليل ، والهذر : الكلام
الكثير . وأرادت أن كلامه ليس بقليل ، فينسب إلى المي ، ولا بكثير فينسب إلى
التزيد . لا بأتى من طول : طوله ليس بمفرط لا تقتحمه عين : أى : لا تحتقره ،
يقال رأيت فلانا فاقتمحته عيني ، أى : احتقرته أنضر الثلاثة : أى : أنعم الثلاثة
من النضرة ، وهو النعيم . محفود : مخدوم ، والحفدة : الخدمة ، ويقال : حفدت
الرجل : إذا خدمته ، محشود : محفوف به . قال ابن طريف : يقال : حشدت
الرجل إذا أطقت به ، واستشهد بلفظة محشود من هذا الحديث ، ولا معتمد : أى
غير ظالم د أحور أكحل : الحور بياض العين الواضح ، والكحل : سواد أشفار

وإن قال في يومٍ مقالة غائب فتصدُّقه في اليوم أو في ضُحَى الغدِ
لِيَهْنِ أبا بكر سعادةُ جدِّه بصحبته مَنْ يُسْعِدُ اللهُ يُسْعِدِ

وزاد يونس في روايته أن قريشاً لما سمعت الهاتِفَ من الجن أرسلوا إلى
أمِّ معبد، وهي بخيمتها، فقالوا : هل مرَّ بك محمد الذي من جدِّيته كذا ،
فقلت : لا أدري ما تقولون ، وإنما ضافني حالبُ الشاة الحائل ، وكانوا أربعة
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر ، وعامر بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر ،
وقد تقدم التعريف به وطرفٌ من ذكر فضائله في هجرة الحبشة ، والرابع عبد الله بن
أَرْيَقِط اللَّيْثِي ولم يكن إذ ذاك مسلماً ، ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم
بعد ذلك ، وجاء في حديث أنهم استأجروه ، وكان هادياً خريّتها ، واخترَّيتُ :
الماهرُ بالطريق الذي يَهْتَدِي بمثل خَرَّتِ الإبرة ، ويقال له : انْخَوْتُعُ أيضاً
قال الراجز :

يضل فيها انْخَوْتُعُ الْمُشْهَرُّ

نسب أمِّ معبد وزوجها :

وأما أم معبد التي مرَّ بخيمتها ، فاسمها : عاتكة بنت خالد إحدى بنى

العين كأنها مكحلة . خرزات : حبات اللؤلؤ ونحوه . النظم : العقد المنظوم .
يتحدرون : إذا انفرط العقد في العنق ، فأخذت الحبات تنزل واحدة بعد واحدة
ربعة : وسط في الطول . وقد وردت عدة أحاديث في صفاته الجسمية متفق عليها
بين البخاري ومسلم ، فانظرها .

(١٥٣ — الروض الأنف ج ٤)

كعب من خُزَاعَةَ ، وهى أخت حُبَيْش بن خالد ، وله صحبة ورواية ، ويقال له الأشعر ، وأخوها : حُبَيْش بن خالد سيأتى ذكره والخلاف فى اسمه وخالد الأشعر أبوها ، هو : ابن خُنَيْف بن مُنْقِذ بن رَبِيعَة بن أَصْرَم بن ضُبَيْس بن حرام بن حُبَيْشِيَّة بن كَعْب بن عمرو وهو أبو خُزَاعَةَ^(١) .
وزوجها أبو معبد يقال إن له رواية أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - توفي فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ، ولا يُعرف اسمه ، وكان منزلاً أم معبد بَقْدِيد ، وقد روى حديثها بألفاظ مختلفة متقاربة المعانى ، وقد رواه ابن قُتَيْبَةَ فى غريب الحديث ، وتَقَصَّى شرح ألفاظه ، وفيه أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأم معبد : وكان القومُ رُُمَالَيْنِ مُسْنَدَيْنِ ، فطلبوا لبنًا أو لحماً يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئاً ، فنظر إلى شاة فى كِسْرِ الخَيْمَةِ خلفها الجُحْدُ عن الغنم ، فسألها : هل بها من ابن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك ، فقال أتأذنين لى أن أخلبها ، فقالت بأبى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا بالشاة ، فاعْتَقَلَهَا ، وَمَسَحَ ضَرْعَهَا ، فتفاجت ودرت واجترت ، ودعا بإناء يُرَبِّضُ الرَّهْطُ أى : يشبع الجماعة حتى يُرَبِّضُوا ، فحلب فيه حتى ملأه ، وسقى القوم حتى رَوَوْا ثم شرب آخرهم ، ثم حلب فيه مرة أخرى عَمَلًا بعد نَهْلٍ ، ثم غادره عندها ، وذهبوا ، فجاء أبو معبد ، وكان غائبة

(١) نسب أبيهما فى الإصابة : خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة فانظرها بن
أصرم بن ضبيس بمجمة ثم مشاة ثم موحدة ثم مهملة ابن حرام الخ .
(٢) أنظر الإصابة ترجمة رقم ١٠٥٠

فلما رأى الابن قال : ماهذا يا أم معبد أنى لك هذا والشاء عازب حِيَالٌ ،
ولا حَلُوبَةٌ بالبيت ، فقالت : لا والله ، إلا أنه سرّاً بنا رجلٌ مُبَارَكٌ ، فقال :
صِفْه يا أم معبد، فوصفته بما ذكر الْقَسْبِيُّ وغيره في الحديث ، ومما ذكره القَتَبِيُّ :
فشربوا حتى أراضوا جعله القَتَبِيُّ من استَراض الوادى : إذا استَنَقَعَ ومن
الرَّوْضَةِ وهى بَقِيَّةُ الماء فى الحوض وأنشد :

وَرَوْضَةٌ سَقِيَتْ فِيهَا نَضْوَى^(١)

ورواه التَّمَرِيُّ حتى آرضوا على وزن آمنوا ، أى ضَرَبُوا بأنفسهم إلى
الأرض من الرى ، وفى حديث آخر أن آل أبى مَعْبِد كانوا يؤرخون بذلك ،
اليوم ، ويسمونه : يوم الرجل المبارك ، يقولون فعلنا كَيْتَ وَكَيْتَ قبل أن
يأتينا الرجل المبارك ، أو بعد ما جاء الرجل المبارك ، ثم إنها أتت المدينة بعد ذلك
بما شاء الله ، ومعها ابنٌ صغير قد بلغ السَّعْيَ فمر بالمدينة على مسجد رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وهو يكلم الناس على الْمَنَبَرِ فانطلق إلى أمه يَسْتَدُّ ،
فقال لها يا أمّ تاءُ إني رأيت اليوم الرجل المبارك ، فقالت له : يا بنى وَيَحْكُ هو
رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم .

(١) فى اللسان : نضوى وهى أنثى البعير المهزول . قال ابن برى : وأنشد أبو
عمرو فى نوادره وذكر أنه لهُمان السعدى :

وروضة فى الحوض قد سقيتها نضوى وأرض قد أبت طويتها
وأراض الحوض غطى أسفله الماء ، استراض تبطح فيه الماء على وجهه ،
واستراض الوادى استنقع فيه الماء ، قال : وكان الروضة سميت روضة لاستراض
الماء فيها .

طريق الهجرة

قال ابن إسحاق : فلما خرج بهما دليلهما عبدُ الله بن أرقط ، سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمّج ، ثم استجاز بهما ، حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قديداً ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخرار ، ثم سلك بهما نِذْيَةَ العَرَّة ، ثم سلك بهما لَقْفًا .

قال ابن هشام : ويقال : لَفْتًا . قال مَعْقِل بن خُوَيْلِد الهُذَلِي :

تَزِيْعًا مُخْلِجًا مِنْ أَهْلِ لَفْتٍ لَحِيٍّ بَيْنَ أَثَلَةٍ وَالذَّجَامِ

قال ابن إسحاق : ثم . أجاز بهما مَذْلُجَةً لِقْفٍ ثم استبطن بهما مَذْلُجَةً مَجَاجٍ - ويقال : مَجَاجٍ ، فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مَرَجِيحَ مَجَاجٍ ،

ومما يُسأل عنه في هذا الحديث أن يقال : هل استمرت تلك القَبْرَكة في شاة أم معبد بعد ذلك اليوم ، أم عادت إلى حالها ؟ وفي الخبر عن هشام بن حُبَيْش الكعبي ، قال : أنا رأيت تلك الشاة وإنها التأدُم أمَّ معبد وجميع صرِمها ، أي : أهل ذلك الماء ، وفي الحديث أيضاً من الغريب في وصف الشاة : قال ما كان فيها بُصْرَةٌ وهي النقطة من اللبن تبصر بالعين .

ثم تبطن بهما مَرَجِح من ذى الغضوين - قال ابن هشام : ويقال : الغضوين -
ثم بطن ذى كَشْر ، ثم أخذ بهما على الجذأجد ، ثم على الأجرد ، ثم سلك
بهما ذَا سَلَم ، من بطن أعداء مَدْلَجَة تَعِين ، ثم على العباييد . قال ابن هشام :
ويقال : العباييب ، ويقال : العثيانة . يريد : العباييب .

قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما الفأجة ، ويقال : القاحة ، فيما قال
ابن هشام .

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العرج ، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم ،
فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم ، يقال له : أوس بن
حُجْر ، على جمل له - يقال له : ابن الرداء - إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له ، يقال
له : مسعود بن هُنَيْدَة ، ثم خرج بهما دليهما من العرج ، فسلك بهما ثَنِيَّة
العائر ، عن يمين رَكُوبَة - ويقال : ثنية الفائر ، فيما قال ابن هشام - حتى هبط
بهما بطن رِثْم ، ثم قدم بهما قُبَاء ، على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتي عشرة
ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتدَّ الضحَاء ، وكادت
الشمس تعتلد .

النزول بقباء

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
عن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة ، قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمَخْرَج رسول الله صلى الله عليه

وسلم من مكة ، وتوَكَّفنا قدومَه ، كما نخرج إذا صلينا الصبح ، إلى ظاهر حَرَّتْنا ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمسُ على الظلال فإذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك في أيام حارَّة . حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلٌ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أوّل من رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وأنا ننتظر قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْبِلَةَ ، هذا جدُّكم قد جاء . قال : نخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى ظلِّ نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثلِ سَفِّه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل ذلك ، ورَكِبَ الناس وما يعرفونه من أبى بكر ، حتى زال الظلُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظَلَّ بردائه ، فعرفناه عند ذلك .

المنازل التى نزلات بقباء

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - على كُثُوم بن هِذَم ، أخى بنى عمرو بن عَوْف ، ثم أحد بنى عُبيد : ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثَمَة . ويقول من يذكر أنه نزل على كُثُوم بن هِذَم : إنما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خرج من منزل كُثُوم بن هِذَم جالس للناس فى بيت سعد بن خَيْثَمَة . وذلك أنه كان عَزَباً لا أهل له ، وكان منزلُ الْمُزَابِ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فن

هناك يقال : نزل على سعد بن خيثة ، وكان يقال لبنت سعد بن خيثة :
بيت العزّاب . فإله أعلم أى ذلك كان ، كلاً قد سمعنا .

ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خبيب بن إيساف ، أحد بنى
الحارث بن الخزرج بالشنع . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد بن
أبي زهير ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام على بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ
منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كُثُوم بن هذم .

سهيل بن حنيف وامرأة مسلمة

فكان على بن أبي طالب ، وإنما كانت إقامته بقاء ليلة أو ليلتين يقول :
كانت بقاء امرأة لازوج لها ، مسلمة . قال : فرأيت إنسانا يأتيها من جوف
الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيه شيئاً معه فتأخذه . قال :
فاستربتُ بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك
بابك كل ليلة ، فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ماهو ، وأنت امرأة
مسلمة لازوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف بن واهب ، قد عرف أنى
امرأة لا أحدى ، فإذا أمسى عدا على أو ثان قومه فكسرها ، ثم جاءنى بها ،
فقال : احتطبي بهذا ، فكان على رضى الله عنه يَأْتِرُ ذلك من أمر سهل بن
حنيف ، حتى هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : وحدثني هذا ، من حديث علي رضي الله عنه ، ههنا
ابن سعد بن سهل بن حنيف ، رضي الله عنه .

بناء مسجد قباء

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، في بني عمرو
ابن عوف ، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس
مسجده .

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبني عمرو بن عوف يزعمون أنه
مكث فيهم أكثر من ذلك ، فالله أعلم أي ذلك كان . فأدركت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذي في
بطن الوادي ، وادي راثوناء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

القبائل تعترضه لينزل عندها

فأتاه عثبان بن مالك ، وعباس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم
ابن عوف ، فقالوا : يا رسول الله . أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة ؛ قال :
خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، لناقة : فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنت
دار بني بياضة ، تلقاه زياد بن كبيد ، وفروة بن عمرو ، في رجال من بني بياضة .
فقالوا : يا رسول الله : هلم إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها .
فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بني ساعدة .
اعترضه سعد بن عباد ، والمندر بن عمرو ، في رجال من بني ساعدة ، فقالوا :

يارسول الله ، هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، نخلوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رَوَاحَة ، في رجال من بني الحارث ابن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، نخلوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بني عدى بن النجار ، وهم أخواله دُنْيَا - أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو ، إحدى نسائهم - اعترضه سَاطِيط بن قيس ، وأبو سَلِيط أُسَيْرَة ابن أبي خارجة ، في رجال من بني عدى بن النجار ، فقالوا : يارسول الله ، هلمّ إلى أخوالك ، إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، نخلوا سبيلها ، فانطلقت .

مَبْرَكُ النَّااقَةِ بَدَارُ بَنِي مَالِكِ بْنِ النُّجَّارِ

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النُّجَّار ، بركت على باب مسجده . صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مَرَبْدٌ لَغْلَامِينَ يَتِيمَيْنِ من بني النُّجَّار ، ثم من بني مالك بن النُّجَّار ، وهما في حِجْرٍ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاء ، سَهْلٌ وَسُهَيْلُ ابْنَيْ عَمْرٍو . فلما بَرَكْتَ - ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها - لم ينزل ، وثبت . فسارت غير بعيد ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زِيَامَهَا لَا يَتْنِهَا بِهِ ، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مَبْرَكِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فبركت فيه ، ثم تَحَلَّحَتْ وَرَزَمَتْ وَوَضَعَتْ جِرَانَهَا ، فنزل عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رَحْلَهُ ، فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم ، وسأل عن المَرَبْدَ لِمَن هو ؟ فقال له مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ : هو
يارسول الله سَهْلٌ وَسَهْلٌ ابْنِي عَمْرُو ، وهما يتيمان لى ، وسأرضيهما منه ،
فَاتَّخَذَهُ مَسْجِدًا .

المسجد والمسكن

قال : فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبْنَى مَسْجِدًا ، ونزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى بَنَى مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ ، فَعَمِلَ فِيهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَرْغَبَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَمَلِ فِيهِ ، فَعَمِلَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ
وَالْأَنْصَارُ ، وَدَأَّبُوا فِيهِ ، فَقَالَ قَاتِلُ بْنُ الْمُسْلِمِينَ :

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَفْعَلُ لَذَلِكَ مَقَامَ الْعَمَلِ الْمُضِلِّ

وَارْتَجَزَ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ يَدْنُونَهُ يَقُولُونَ :

لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

قال ابن إسحاق : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ

الْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ .

عمار والفئة الباغية

قال : فدخل عمار بن ياسر ، وقد أُنْقَلَوْهُ بِاللَّيْلِ ، فَقَالَ : يارسول الله ،

اقْتُلُونِي ، يَحْمِلُونَ عَلَيَّ مَا لَا يَحْمِلُونَ . قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

.

فَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْفُضُ وَفَرْتَهُ بِيَدِهِ ، كَانَ رَجُلًا جَعْدًا ،
وَهُوَ يَقُولُ : وَيْحَ ابْنِ سُمَيَّةَ ، لَيْسُوا بِالَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ ، إِنَّمَا تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ .

ارتجاز على

وارتجز على بن أبي طالب رضى الله عنه يومئذ :

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ يَدَأُبُ فِيهِ قَائِمًا وَقَاعِدًا
وَمَنْ يُرَى عَنِ الْغُبَارِ حَائِدًا

قال ابن هشام : سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر ، عن هذا
الترجز ، فقالوا : بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به ، فلا يُدْرَى : أهو قائله
أم غيره .

مشادة عمار

قال ابن إسحاق : فأخذها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها .

قال ابن هشام : فلما أكثر ، ظنّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه إنما يُعرّض به ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البسكاني ، عن
ابن إسحاق ، وقد سمى ابنُ إسحاق الرجل .

الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي بعمار

قال ابن إسحاق : فقال : قد سمعتُ ما تقول منذ اليوم يا ابنِ سُمَيَّةَ ، والله إني
للأراني سأعرض هذه العصا لأنفك . قال : وفي يده عصا . قال : ففضب

.....

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ما لهم ولعمَّار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، إن عماراً جِلْدَةً ما بين عَيْنَيَّ وَأَنْفِي ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُسْتَبَقِ فاجْتَنَبُوهُ .

إضافة بناء أول مسجد إلى عمار

قال ابن هشام : وذكر سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ زَكْرِيَّا ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ :
إِنْ أَوَّلَ مَنْ بَنَى مَسْجِداً عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ .

الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب ، حتى بُنِيَ لَهُ مَسْجِدُهُ وَمَسَاكِنُهُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَسَاكِنِهِ مِنْ بَيْتِ أَبِي أَيُوبَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوَانَهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرْثَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزْزَانِيِّ ، عَنْ أَبِي رُغْمِ السَّامِيِّ ، قَالَ : حدثني أبو أيوب ، قال : لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، نزل في السُّفْلِ ، وَأَنَا وَأُمُّ أَبِي أَيُوبَ فِي الْعُلُوِّ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، بَأبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِنِّي لَا أَكْرَهُ وَأَعْظَمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ ، وَتَكُونَ تَحْتِي ، فَظَهَرَ أَنْتَ فَسَكَنَ فِي الْعُلُوِّ ، وَنَزَلَ نَحْنُ فَسَكَنَ فِي السُّفْلِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا أَيُوبَ ، إِنْ أَرَفَقَ بَنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا ، أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ .

.....

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سُفْلِهِ ، وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حُبُّ لفا فيه ماء فُقِّمَتْ أنا وأمُّ أيوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا ، مالنا لحافَ غيرها ، نَذْشَفُ بها الماءَ ، نخوفا أن يَقْطُرَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم - منه شيءٌ فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له القشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا رَدَّ علينا فضله تَيَمَّمْتُ أنا وأمُّ أيوبَ موضعَ يده ، فأكلنا منه نَبْتَنِي بِذَلِكَ البركة ، حتى بعثنا إليه ليلةَ بَعَثَانِهِ وقد جَمَلْنَا له بصلا أو ثُومًا ، فردَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أَرِ ليدِه فيه أثرًا قال : لَجِئْتُهُ فِرْعَا ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمِّي رددتَ عشاءك ، ولم أَرِ فيه موضعَ يدك ، وكنتُ إذا رددته علينا ، تَيَمَّمْتُ أنا وأمُّ أيوبَ موضعَ يدك ، نَبْتَنِي بِذَلِكَ البركة ؛ قال : إني وجدت فيه ريحَ هذه الشجرة ، وأنا رجلُ أناجى ، فأَمَّا أنتم فكلوه . قال : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد .

تلاحق المهاجرين

قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم أحد ، إلا مفتون أو محبوس ، ولم يُوعَبْ أهلُ هجرة من مكة بأهلهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أهلُ دُورِ مُسَمَّونَ : بنو مِظْمُونٍ من جُحجْ ؛ وبنو جَحْشٍ بنِ رِثَابٍ ، حلفاء بنى أُمَيَّةَ ؛ وبنو الأُبَكَّيرِ ، من بنى سعد بن ليث ، حلفاء بنى عَدِيٍّ بنِ كَعْبٍ ، فإن دُورَهم غُلِّمَتْ بِمكة هجرةً ، ليس فيها ساكن .

.....

قصة أبي سفيان مع بني جحش

ولما خرج بنو جحش بن رثاب من دارهم ، عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعهم من عمرو بن علقمة ، أخى بنى عامر بن لؤى ؛ فلما بلغ بنى جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة ؟ قال : بلى ؛ قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كاه أبو أحمد فى دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الناس لأبى أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا فى شيء من أموالكم أصيب منكم فى الله عز وجل ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لأبى سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن أمر عوافيه ندامه
دار ابن عمك بعثها تقضى بها عنك الغرامه
وحايفكم بالله رب الناس مجتهد القسامه
أذهب بها ، أذهب بها طوّقتها طوق الحمامه

انتشار الإسلام ومن بقى على شركه

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قدّمها شهر ربيع الأول ، إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بُنى له فيها مسجده ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحى من الأنصار ، فلم يبق دار من دور

الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خَطْمَة ، وواقف ، ووائل ، وأمّية ،
وتلك أوس الله ، وهم حيّ من الأوس ، فانهم أقاموا على شركهم .

الخطبة الأولى

وكانت أوّل خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن
أبي سَلَمَة بن عبد الرحمن - نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لم يقل - أنه قام فيهم ، حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ،
أيها الناس ، فقد مّوا لأنفسكم تَعَلَّيْنِ وَالله لِيُضَعَّقَنَّ أهلكم ، ثم كَيْدَعَنَّ
غَنَمَهُ ليس لها راع ، ثم ليقولنّ له ربه ، وليس له تَرْجَان ولا حاجبٌ يَحْجِبُهُ
دونه : ألم يأتك رسولى فبَلَّغَكَ ، وآتَيْتَكَ مَالاً وَأَفْضَلْتَ عَلَيْكَ ؟ فما قَدِّمْتَ
لنفسك ؟ فلم ينظُرَنَّ يميناً ولا شمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظُرَنَّ قدامه فلا يرى
غير جهنم . فمن استطاع أن يبق وجهه من النار ولو بِشِقِّ من تمره فليفعل ، ومن
لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تُجْزَى الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الخطبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة
أخرى ، فقال : إن الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك

و تعالی ، قد أفلح من زَيَّنَه اللهُ في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه ، أَحَبُّوا ، مَا أَحَبَّ اللهُ ، أَحَبُّوا اللهُ من كلِّ قلوبكم ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللهِ وَذِكْرَهُ ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي ، قَدْ سَمَاءَ اللهُ خَيْرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَمُصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ ، الصَّالِحِ الْحَدِيثِ ، وَمِنْ كُلِّ مَا أُوتِيَ النَّاسُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، فَاعْبُدُوا اللهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَاصْدُقُوا اللهُ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ بَيْنَكُمْ ، إِنْ اللهُ يَفْضُضُ أَنْ يَنْكَثَ عَهْدُهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

كتاب المواقعة لليهود

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشروط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون ، بينهم ، وهم يَفِدُون عَانِيَهُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ؛ وَبَنُو وَفٍ عَلَى رَبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُم الْأُولَى ، كُلِّ طَائِفَةٍ تَفْدَى عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رَبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُم الْأُولَى ، وَكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدَى عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ،

وبنو الحارث على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جُشَمٍ على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الذَّجَارِ على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عَوْفٍ على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النَّبَيْتِ على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الْأَوْسِ على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فِداء نَأْوِ عَقْلٍ .

قال ابن هشام : الْمُفْرَحُ : الْمُثْقَلُ بِالْدِّينِ وَالسَّكْثِيرُ الْعِيَالُ . قال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمَانَةً وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفَرَحْتَكَ الْوَدَائِعُ

وَأَنْ لَا يَخَالَفَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنٌ دُونَهُ ؛ وَإِنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَقِينَ عَلَى مَنْ جَنَى مِنْهُمْ ، أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ ، أَوْ إِثْمٍ ، أَوْ عِدْوَانٍ ، أَوْ فُسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَإِنْ أَيْدِيهِمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا ، وَلَوْ كَانَ وَلَدٌ أَحَدِهِمْ ؛ وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ ، وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ ، وَإِنْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَاحِدَةٌ ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَإِنْ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا مِنْ تَبِعْنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنْ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسُوءَةَ ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ ؛ وَإِنْ سَلِمَ الْمُؤْمِنِينَ

واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غزاة غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يُبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ؛ وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ، ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بيّنة فإنه قودّ به إلا أن يرضى وليّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحلّ لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر مُخَدِّثًا ، ولا يُؤويه ؛ وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، ولأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، والمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه ، وأهل بيته ، وإن ليهود بنى النجّار مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى جُشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن لبني الشُّطيبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن البرّ دون الإثم ، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم ؛ إن بطانة يهود كأنفسهم ؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا ينحجز على ثار

جُرْح ، وإِنَّه من فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، إِلا مَنْ ظَلَمَ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَيْمَنِ هَذَا ، وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ ، وَإِنَّه لَمْ يَأْتُمْ أَمْرٌ بِحَالِفِهِ ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ ، وَإِنَّ الْيَهُودَ يَنْفَقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ ، وَإِنْ يَثْرِبُ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَإِنْ الْجَارُ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٍ ، وَإِنَّه لَا تُبْجَرُ حُرْمَةٌ إِلا بِأَذْنِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّه مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فُسَادُهُ ، فَإِنْ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَتَقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَيْمَنَ ، وَإِنَّه لَا تُبْجَرُ قَرِيشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبُ ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى صَاحِبٍ يَصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ ، فَانْهَمُ يَصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ ، وَإِنْهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَانْهَمُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، إِلا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ ، عَلَى كُلِّ أَنْاسٍ حَصَّتْهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبِلَهُمْ ، وَإِنَّ يَهُودَ الْأَوْسَ ، وَمَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ ، عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، مَعَ الْبِرِّ الْخَصْ ، مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ .

قال ابن هشام : ويقال : مع البرِّ المُحْسِنُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ .

قال ابن إسحاق : وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ ، لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلا عَلَى نَفْسِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَيْمَنَ ، وَإِنَّه لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَأَيْمَنَ ، وَإِنَّه مَنْ خَرَجَ آمِنٌ ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ ، إِلا مَنْ ظَلَمَ أَوْ آثَمَ ، وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

• • • • •

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق : وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال - فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل : تَأَخَّوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : هَذَا أَخِي فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، وَلِإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ، وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ خَطِيرٌ وَلَا نَظِيرٌ مِنَ الْعِبَادِ ، وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَخَوَيْنِ ، وَكَانَ حِمَزةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَيْدُ ابْنِ حَارِثَةَ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَخَوَيْنِ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى حِمَزةُ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ حَضَرَهُ الْقِتَالُ لَمَّا حَدَثَ بِهِ حَدَثُ الْمَوْتِ ، وَجَعَفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ذُو الْجَنَاحَيْنِ ، الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، أَخُو بَنِي سُلَيْمَةَ ، أَخَوَيْنِ .

قال ابن هشام : وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائباً بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ابن أبي قحافة ، وَخَارِجَةُ بْنُ زُهَيْرٍ ، أَخُو بَلْعَارِثُ بْنُ الْخَزْرَجِ ، أَخَوَيْنِ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعِثْبَانُ بْنُ مَالِكٍ ، أَخُو بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ أَخَوَيْنِ ؛ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَاسْمُهُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، أَخَوَيْنِ . وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ، أَخُو بَلْعَارِثُ بْنُ الْخَزْرَجِ ، أَخَوَيْنِ . وَالزَّيْبُرُ

ابن العوام ، وسلامة بن سلامة بن وقش ، أخو بني عبد الأشهل ، أخوين .
ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود ، حليف ، بني زهرة ، أخوين ، وثمان
ابن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر ، أخو بني النجار ، أخوين . وطاحنة بن
عبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، أخوين . وسعيد بن زيد بن
عمرو بن نفيل ، وأبي بن كعب ، أخو بني النجار : أخوين ؛ ومصعب بن
عمير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بني النجار : أخوين ،
وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعبد بن بشر بن وقش ، أخو بني عبد الأشهل :
أخوين . وعمار بن ياسر ، حليف بني مخزوم ، وحذيفة بن اليمان ، أخو بني
عبد عابس ، حليف بني عبد الأشهل : أخوين . ويقال : ثابت بن قيس بن
الشماس ، أخو بلحارث بن الخزرج ، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعمار بن ياسر : أخوين . وأبو ذر ، وهو برير بن جندادة الغفاري والمنذر
ابن عمرو ، المغنق لموت ، أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : أخوين .
قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذر : جندب
ابن جندادة .

قال ابن إسحاق : وكان حاطب بن أبي بلتعة ، حليف بني أسد بن
عبد العزى وعويم بن ساعدة ، أخو بني عمرو بن عوف ، أخوين ، وسلمان
الفارسي ، وأبو الدرداء ، عويمر بن ثعلبة ، أخو بلحارث بن الخزرج ،
أخوين .

قال ابن هشام : عويمر بن عامر ، ويقال : عويمر بن زيد .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رُوَيْحَةَ ، عبد الله بن عبد الرحمن الأنخعي ، ثم أحدُ الفزَع ، أخوين . فهؤلاء من سُمى لنا ، فمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه .

بلال يوصى بديوانه لأبى رُوَيْحَةَ

فلما دَوَّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مُجاهداً ، فقال عمرُ لبلال : إلی من تجعل ديوانَكَ يا بلال ؟ قال : مع أبى رُوَيْحَةَ ، لا أفارقه أبداً ، للأخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى ، فضمَّ إليهِ ، وضمَّ ديوان الحبشة إلى خَتَم ، لمكان بلال منهم ، فهو فى خَتَم إلى هذا اليوم بالشام .

أبو أمامة

قال ابن إسحاق : وهلك فى تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعدُ بن زُرارة ، والمسجد يبنى ، أخذته الذبحة أو الشقة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بئس الميثُ أبو أمامة ، ليهود ومُنافقوا العرب يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئا .

• • • • •

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري : أنه لما مات أبو أمامة ، أسعدُ بن زُرارة ، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو أمامة نقيبهم ، فقالوا له : يا رسول الله ، إن هذا قد كان منّا حيثُ قد علمتَ ، فأجعلُ منّا رجلاً مكانه يُقيم من أمرنا ما كان يُقيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخوالي ، وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصّ بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بنى النجار الذي يُعدّون على قومهم ، أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم .

بدر في طريق الهجرة :

وذكر أن دليهما سلك بهما عُسقان . قال المؤلف رضى الله عنه : وقد روى عن كثير أنه قال : سُمي عُسقان لتعشّف السيول فيه ، وسُئل عن الأبواء^(١) الذي فيه قبرُ آمنَةَ النَّبي صلى الله عليه وسلم : لم سمي الأبواء ؟ فقال : لأن السيول تَدَبّوهُ أى : تحل به ، وبعسقان فيما روى كان مسكن الجذماء ، ورأيت في بعض المسندات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعُسقان وبه الجذماء فأسرع المشى ولم ينظر إليهم ، وقال : إن كان شيء من العليل يعدى

(١) عسقان : قيل منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل : عسقان بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل : هو قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلاً من مكة ، وهى حدّ تهامة . والأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مائة وثلاثة وعشرون ميلاً ، وقيل : جبل عن عين آوة وعن المضعد إلى مكة من المدينة الماصد .

فهو هذا ، وهذا الحديث هو من روايتي ، لأنه في مسند الحارث بن أبي أسامة .
وقد تقدم اتصال سندي به ، وكنت رأيت قبل في مسند وكيع بن الجراح ،
وليس لي فيه إسناد .

فصل : وذكر أن دليلهم سلك بهم أئمتنا ثنية المرأة ، كذا وجدته مخفف
الراء مقيدا ، كأنه مُسَمَّلُ الهزرة من المرأة .

وذكر أئمتنا بفتح اللام مقيدا في قول ابن إسحاق ، وفي رواية ابن هشام :
أئمتنا ، واستشهد ابن هشام بقول مَعْقِل [بن خُوَيْلِد] الهذلي :

تَزِيمًا مُحَلِّيًا مِنْ أَهْلِ لَفْتٍ لِحَيٍّ بَيْنَ أَثَلَّةٍ فَالْجَمَامِ (١)
وَأَلْفَيْتَ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ قَالَ : لَفْتُ بِكَسْرِ اللّامِ أَلْفَيْتَهُ
فِي شَعْرِ مَعْقِلٍ هَذَا فِي أَشْعَارٍ هُذَيْلٍ فِي نَسَخَتِي ، وَهِيَ نَسْخَةٌ صَحِيحَةٌ جَدًّا ،
وَكَذَلِكَ أَلْفَاءُ مَنْ وَثَّقَتْهُ وَكَافَّتَهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ لِي فِي شَعْرِ مَعْقِلٍ هَذَا فِي أَشْعَارِ

(١) التزيع : الغريب والبعيد أو من أمه سبية أو الشريف . والمحلب : الممين
من غير قومك . وقد رواه اللسان في مادة حلب :
صريح حلب من أهل نجد . إلخ .

وفي المراءى عن لفت : قيده القاضى عياض على ثلاثة أوجه : بفتح اللام
وسكون الفاء ولفظ بالتحريك ، وبكسر اللام وسكون الفاء وهي ثنية بين مكة
والمدينة قيل : هي ثنية جبل قديد وستاق والبيت والننى بعده في معجم البكري
في مادة لفت : صريحاً محلياً ، وقد ضبطها بكسر اللام وفتحها فقط مع سكون
الفاء .

هَذَيْلٌ مَكْسُورٌ اللَّامُ فِي نَسْخَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْقَالِيِ الْمَقْرُوءَةِ عَلَى الزِّيَادِيِّ ، ثُمَّ عَلَى
الْأَحْوَلِ ، ثُمَّ قَرَأَتْهَا عَلَى ابْنِ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَفِيهَا صَرِيحٌ مُخْلِياً ، وَكَذَلِكَ
كَانَ الضَّبْطُ فِي هَذَا الْكِتَابِ قَدِيمًا ، حَتَّى ضَبَطْتُهُ بِالْفَتْحِ عَنِ الْفَاضِي ، وَعَلَى
مَا وَقَعَ فِي غَيْرِهَا أَنْتَهَى كَلَامُ أَبِي بَحْرٍ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ : لِفَتَا ،
فَقَمِيده بِكسر اللام كما ذكر أبو بَحْرٍ وَأَنشَدَ قَبْلَهُ :

لَعَنُوكَ مَا خَشِيتُ ، وَقَدْ بَلَّغْنَا جِبَالَ الْجَوْزِ مِنْ بَلَدٍ تَهَامُ
صَرِيحًا مُخْلِياً الْبَيْتَ .

وَذَكَرَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي سَلَكَ عَلَيْهَا ، وَذَكَرَ فِيهَا مَجَاجَ بِكسر الميم وَجِيهَيْنِ ،
وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ فِيهَا : تَجَاجَ بِالْفَتْحِ ، وَقَدْ أَلْفَيْتُ شَاهِدًا لِرَوَايَةِ ابْنِ
إِسْحَاقَ فِي لَقْفٍ ، وَفِيهِ ذَكَرَ تَجَاجَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ بَعْدَ الْجِيمِ ، وَهُوَ قَوْلُ مُحَمَّدِ
ابْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ :

لَعَنَ اللَّهُ بَطْنَ لَقْفٍ مَسِيلاً وَتَجَاحًا وَمَا أُحِبُّ تَجَاحًا
لَقَيْتُ نَاقَتِي بِهِ ، وَبَلَقْفٍ بِلَاءً مُجْدِبًا وَأَرْضًا شَحَاحًا

هَكَذَا ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَقْفٍ آخِرٌ غَيْرُ لَقْفٍ فِيمَا
قَالَ الْبَكْرِيُّ .

وَذَكَرَ مَرْجِحٌ بِتَقْدِيمِ الْجِيمِ عَلَى الْحَاءِ ، وَذَكَرَ مَدْلُجَةً تَقْنِ (١) بِكسر التاء .

(١) فِي النَّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : إِنَّمَا هُوَ الْجَدُّ وَهُوَ الْبَرُّ الْجَمِيدَةُ .
الْمَوَاضِعُ مِنَ الْكَلَامِ .

والهاء ، والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فَعِلَلْ إلا أن يقوم دليل من اشتقاق على زيادة التاء ، أو تصح رواية من رواه تُعْفِن بضم التاء ، فإن صحَّتْ فالتاء زائدة ، كسرت أو ضمت ^(١) وَتُعْفِن صخرة ، يقال لها : أم عَفَى عُرِفَتْ بامرأة كانت تسكن هناك ، فمر بها النبي صلى الله عليه وسلم واستسقاها فلم تستقه ، فدعا عليها فَمَسَخَتْ صخرة ، فهي تلك الصخرة فيما يذكره .

وذكر الجَدَّاجِدَ بجيمين ودالين كأنها جمع جُدْجُد ، وأحسبها آباراً ففي الحديث : أتينا على بئر جُدْجُد ، قال أبو عبيد : الصواب : بئر جُدْ أي قديمة ، وقال الهَرَوِيُّ عن اليزيدي : وقد يقال : بئر جدجد قال : وهو كما يقال في النكح كَمَكُم وفي الرِّفِّ رَفْرَف .

وذكر العبابيد كأنه جمع عباد ، وقال ابن هشام : هي العبابيب ، كأنها جمع : عُبَاب من عَبَبْتُ الماءَ عبًّا ، فكأنها - والله أعلم - مياه تَعْبُ عُبَاباً أو تُعَبُّ عُبَا .

وذكر الفاجّة بفاء وجيم ، وقال ابن هشام : هي : القاحّة بالقاف والحاء ^(٢) .

(١) في المراد : ضبط تعون : بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون اسم عين ماء على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة . وفي معجم البلدان روى بفتح أوله كسر هائه وبضم أوله .

(٢) هي - كما قال ابن هشام - في المراد ، وأنها على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا ، وقيل : موضع بين الجنة وقديد .

قصة أوس بن حجر :

وذكر قدومهم على أوس بن حجر ، وهو أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي ، وبعضهم يقول فيه : ابن حجر ، وهو قول الدارقطني ، والمعروف ، ابن حجر بضم الحاء ، وقد تقدم في المبعث ذكر من اسمه حجر^(١) في أنساب قريش ، ومن يسمى : حُجْرًا من غيرهم بسكون الجيم ، ومن يسمى الحجر بكسر الحاء ، فانظر هنالك عند ذكر خديجة وأُمها ، ولا يختلف في أوس بن ابن حجر أنه بفتحتين .

وذكر أن أوسا حمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جمل له ، يقال له : ابن الرداء ، وفي رواية بونس بن بكير عن ابن إسحق يقال له : الرّدّاح ، وفي الخطابي أنه قال لعلامة مسعود ، وهو مسعود بن هنيّدة : أسلك بهم الخارق بالقف ، قال : والصحيح المخارم ، يعني : مخارم الطريق ، وفي الذسوي أن مسعودا هذا قال : فكنت آخذ بهم إخفاء الطريق . وقفه هذا أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم إخفاء الطريق ومخارقه ، وذكر

(١) في الاشتقاق : أوس بن حجر بفتح الحاء والجيم ، وفيه أيضا : د وقد سمى العرب حجرا وحجرا ، وحجيرا ، ص ٢٠٧ .

وفي القاموس : د حجر بالضم وبضمّتين : والد امرئ القيس وجده الأعلى . وابن ربيعة ، وابن عدى وابن النعمان وابن يزيد صحابيون ، وابن العنيس : تابعي سوبالتحريك والد أوس الصحابي ، والد الجاهل الشاعر ، والد أنس المحدث ، وأوسا بالفتح .

الذَّسَوِي في حديث مسعود هذا : أن أبا بكر قال له : انت أبا تميم ، فقل له :
يحملني على بعير ويبيعني إلينا بزاد ، ودليل يدلنا ، ففي هذا أن أوساً كان يُكَنَّى
أبا تميم ، وأن مسعوداً هذا قد روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وحفظ عنه حديثاً في الخمس وحديثاً في صلاة الإمام بالواحد والإثنين ذكره
الذَّسَوِي في هذا الحديث ، غير أنه قال في مسعود هذا : غلام قرّة الأسلمى .
وقال أبو عمر : قد قيل في أوس هذا إن اسمه تميم ، ويكنى أبا أوس قاله أعلم^(١) .

وروى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لمسعود حين انصرف
إلى سيده مُرْسِيْدُكَ أن يسمي الإبل في أعناقها قَيْدَ الْفَرَسِ^(٢) ، فلم تزل تلك
سَمَتَهُمْ في إبلهم ، وقد ذكرنا في شرح قصيدة أبي طالب عند قوله : مُوسِمَةُ الْأَعْضَادِ
أَسْمَاءُ السَّمَاتِ كَالْعِرَاضِ وَالْخَبَاطِ وَالْهَلَالِ ، وذكرنا قَيْدَ الْفَرَسِ ، وأنه سَمَتُهُ
في أعناقها ، وقول الراجز :

(١) قصة أوس لم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة ، فالذين رووها هم
البعوي وابن السكن وابن مندة أو الطبراني . وقصة مسعود بن هنيئة عند الحاكم
في الأكليل . واسم أوس يتردد في الإصابة تميم بن أوس بن حجر أبي أوس
الأسلمى وبين أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمى ويكنى : أبا تميم وربما ينسب
إلى جده فقيل : أوس بن حجر وفيه عن روى عنهم أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم
وأبا بكر وهما متوجهان إلى المدينة بقمح وات بين الجحفة وهرشي ، وهما على
جمل ، فحملهما على ظل له من إبله . وأوس من أهل العرج . وقال ابن جبان والطبراني :
له صحبة ، ولم يخرج حديثه .

(٢) صورة هذه السمة : حلقتان بينهما مدة مفردات ابن الأثير واللسان
وذكر الجوهري أنها سمة تكون في عنق البعير على صورة القيد .

كُومٌ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَيْدُ الْفَرَسِ تَنْجُو إِذَا اللَّيْلُ تَدَانَى وَالْقَمَسُ

مَنْ قَدِمَ الرِّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ؟

كَانَ قُدُومُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْ ربيعِ الأولِ ، وَفِي شَهْرِ أَيْلُولَ مِنْ شَهْرِ الْعَجَمِ ، وَقَالَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ قَدِمَ لِمَنْ خَلَوْنَ مِنْ ربيعِ الأولِ ، وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : خَرَجَ مِنَ الْغَارِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ ربيعِ الأولِ ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْهُ ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ^(١) .

كَلِثُومُ بْنُ الْهَرَمِ :

فَصَل : وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ نَزُولَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى كَلِثُومِ بْنِ الْهَرَمِ ، وَكَلِثُومٌ هَذَا كُنْيَتُهُ أَبُو قَيْسٍ ، وَهُوَ كَلِثُومُ بْنُ الْهَرَمِ . ابْنُ أُمِّ الْقَيْسِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ ^(٢) ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا مَاتَ بَعْدَ قُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ بَيْسِيرَ ، هُوَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ مِنَ الْأَنْصَارِ بَعْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ مَاتَ بَعْدَهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بِأَيَّامٍ ، وَسَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَقَالُ لَبَيْتُهُ : بَيْتُ الْعُزَابِ هَكَذَا رَوَى ، وَصَوَابُهُ : الْأَعَزْبُ ؛ لِأَنَّهُ

(١) فِي الْفَتْحِ : لَيْلَةٌ وَحَوْلَ تَارِيخِ دُخُولِهِ الْمَدِينَةَ يَدُورُ خِلَافَ شَدِيدٍ . انْظُرْ ص ٣٥٠ وَمَا بَعْدَهَا ١ - شَرْحُ الْمَوَاهِبِ لِلزُّرْقَانِيِّ .

(٢) فِي جَهْمَةِ ابْنِ حَزْمٍ يَرِدُ بَعْدَ الْحَارِثِ بْنِ زَيْدٍ مَا يَأْتِي : بَنُو عُبَيْدِ بْنِ زَيْدٍ إلخ .

جمع عَزَبٍ ، يقال : رجل عَزَبٌ ، وامرأة عَزَبٌ ، وقد قيل : امرأة عَزَبَةٌ .
بالتاء^(١) .

تأسيس مسجد قباء :

فصل : وذكر تأسيس مسجد قُباء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسه لبني عمرو بن عَوْفٍ ، ثم انتقل إلى المدينة ، وذكر ابن أبي خَيْثَمَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسسه ، كان هو أول من وضع حَجَرًا في قبَلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حَجَرِ أَبِي بَكْرٍ ، ثم أخذ الناسُ في البنيان . في الخطابي عن الشُّمُوسِ بنت النعمان [بن عامر ابن مجمع الأنصارية] قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء . يأتي بالحجر قد صَهَرَهُ إلى بَطْنِهِ ، فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يُقَلِّه فلا يستطيع حتى يأمره أن بدعه ويأخذ غيره . يقال : صَهَرَهُ وَأَصْهَرَهُ إذا ألصقه بالشئ ، ومنه اشتقاق الصَّهْرِ في القرابة^(٢) ، وهذا المسجد أول مسجد بنى في الإسلام ، وفي أهله نزلت ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ التوبة : ١٠٨ فهو على هذا المسجد الذي أسس على التقوى ، وإن كان قد روى أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال : هو

(١) في اللسان: رجل عَزَبٌ وه عَذَابَةٌ لِأَهْلِ لَهُ ، ونظيره : مطرابة . ومطواعة . وامرأه عَزْبَةٌ وعَزَبٌ : لآزوج لها . . والجمع أعزاب والعزاب الذين لآزواج . لهم من الرجال والنساء .

(٢) في رواية أخرى : فمصره إلى بطنه : أي أضافه وأماله .

مسجدي هذا ، وفي رواية أخرى قال : وفي الآخر خير كثير ، وقد قال لبنى عمرو بن عوف حين نزلت : « لَمَسْجِدُ أُسُسَ عَلَى التَّقْوَى » مَا لَطَّهُورَ الَّذِي أُنْشِئَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ ؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستنجاء بالحجر ، فقال : هوذا كم قَعَلَيْكُمْوه^(١) وليس بين الحديثين تعارضٌ كلاهما أُسُسٌ على التقوى ، غير أن قوله سبحانه : من أول يوم يقتضى مسجد قباء لأن تأسيسه كان في أول يوم من حلول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار معجزته والبلد الذي هو مُهَاجِرُهُ .

التاريخ العربي :

وفي قوله سبحانه : ﴿ من أول يوم ﴾ وقد علم أنه ليس أول الأيام كلها ، ولا أضافه إلى شيء في اللفظ الظاهر [فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمّر] فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ ، فاتفق رأيهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة لأنه الوقت الذي عزّ فيه الإسلام ، والذي أُمِر فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسس المساجد . وَعَبَدَ اللَّهُ آمَنًا كما يحب^(٢) ، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل ، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله

(١) ورد هذا في روايات بينها وبين بعضها خلاف في الطبراني وأحمد وابن خزيمة . وقد أخرج عبد الرزاق والبخاري عن عروة وابن عائذ عن ابن عباس : الذي بنى فيه المسجد الذي أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف . ولكن ورد في مسلم وأحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري أنه مسجد المدينة ، وبهذا جرم الإمام مالك .

(٢) نقل الحافظ في الفتح عبارة السهيلي ، فقال : « وأفاد السهيلي أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) لأن من

المعلوم أنه ليس أول الأيام مطلقاً، فتبين أنه أضيف إلى شيء مضمّر ، وهو أول الزمن الذي عز فيه الإسلام، وعبد فيه النبي وص، ربه آمناً ، وابتدأ بناء المسجد ، فوافق رأى الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم ، وفهمنا من فعلهم أن قوله تعالى من أول يوم أنه أول أيام التاريخ الإسلامي . كذلك قال - يعنى السهيلي - ويعقب الحافظ على هذا بقوله : « والمتبادر أن معنى قوله من أول يوم أى دخل فيه النبي وص ، وأصحابه المدينة ، والله أعلم » .

ويقول ابن المنير : « كلام السهيلي تكلف وتعسف وخروج عن تقدير الأقدمين ، فإنهم قدروه : من تأسيس أول يوم فسكانه قيل : من أول يوم وقع فيه التأسيس وهذا تقدير تقتضيه العربية » ص ٣٥٣ ج ١ المراهب . وعن أمر التاريخ روى الحاكم في الإكليل عن الزهرى أن النبي وص ، هو الذى أمر بالتاريخ وهو بقاء . والحديث معضل والمشهور خلافه . وأخرج أبو نعيم الفضل بن دكين في تاريخه ومن طريقه الحاكم من طريق الشعبي أن أبا موسى كتب إلى عمر إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ ، فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم : أرخ بالمبعث ، وبعضهم : بالهجرة ، فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها أو بالمحرم ، لأنه منهصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه ، وذلك سنة سبع عشرة ، وقيل كما روى ابن خيثمة عن ابن سيرين سنة سبع عشرة . وقيل : ست عشرة في ربيع الأول والذى يفهم من مجموع الآثار أن الذى أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلى وقيل : إن أول من أرخ يعلى بن أمية حين كان باليمن حكاة مغلطى ، ورواه أحمد بإسناد صحيح عن يعلى لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى . ويقول الزرقانى : « ولم يؤرخوا بالمولد ولا بالمبعث ، لأن وقتها لا يتخلو من نزاع من حيث الاختلاف فيهما ، ولا بالوفاة النبوية لما يقع في تذكره من الأسف والتألم على فراقه ص ٢١٤ ج ٧ فتح البارى وص ٣٥٢ ج ١ شرح المواهب وأقول من يتدبر كلمة عمر رضى الله عنه في وصف الهجرة يعرف لماذا اختاروا التاريخ بالهجرة دون غيره ، وعن التاريخ العربى انظر كتاب المحبر لمحمد بن حبيب ص ٥ ط الهند .

سبحانه من أول يوم أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذي يورّخ به الآن، فإن كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا هذا من الآية ، فهو الظن بأفهامهم ، فهم أعلمُ الناس بكتاب الله وتأويله ، وأفهمهم بما في القرآن من إشارات وإفصاح ، وإن كان ذلك منهم عن رأي واجتهاد ، فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن يفعل ، إذ لا يعقل قول القائل : فعلته أول يوم إلا بإضافة إلى عامٍ معلوم أو شهرٍ معلوم ، أو تاريخ معلوم ، وليس هاهنا إضافة في المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حال فتدبره ففقيه معتبر لمن اذْكُر وعِلْمٌ لمن رأى بعين فؤاده واستبصر والحمد لله .

من ردّ قولها على الزمان :

وليس يحتاج في قوله من أول يوم إلى إضمار كما قرره بعض النحاة : من تأسيس أول يوم ، فراراً من دخول من على الزمان ، ولو لفظ بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم ، فإضماره للتأسيس لا يفيد شيئاً ، ومن تدخل على الزمان ، وغيره ، ففي التنزيل ﴿ من قبل ومن بعد ﴾ والقبيل واليُومُ زمان ، وفي الحديث : ما من دابة إلا وهى مُصَيَّخَةٌ^(١) يوم الجمعة من حين تطلع الشمس إلى أن تغرب ، وفي شعر النابغة [في وصف سيفوف] :

(١) يروى : مصيخة أى مصغية .

تُورِثُ مَنْ أَزْمَانَ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرُبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ^(٢)

(١) جاء في معنى اللبيب عن من ما يأتي تأتي على خمسة عشر وجها أحدها : ابتداء الغاية ، وهو الغالب عليها حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه ، وتقع لهذا المعنى في غير الزمان نحو : من المسجد الحرام . إنه من سليمان قال الكوفيون والآخرش والمبرد وابن درستويه : وفي الزمان أيضا بدليل : من أول يوم ، وفي الحديث : فطرننا من الجمعة إلى الجمعة . وقال النابغة :

تخزين من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جربن كل التجارب
وقيل : التقدير من مضى أزمان يوم حليلة ، ومن تأسيس أول يوم ، ورده السبيلي بأنه لو قيل هكذا لاحتيج إلى تقدير الزمان ، وعلق الأمير في حاشيته على هذا بقوله : والظاهر أنه لارد وأنه لا مانع من جعله نفس المضى ، والتأسيس مبدأ كما تجعل الدار مبدأ للخروج ، ولا حاجة لتقدير زمن ، ثم معنى ابتداء الخروج مثلا من الدار أنه أول ما تحقق نشأ منها وكذا ابتداء العلم من زيد في قولك أخذت العلم من زيد ، وليس بلازم أن الخروج مثلا أمر يمتد له مبدأ لما أنه يقال : خرجت من الدار بمجرد مفارقتها لها ، وكذلك الابتداء في إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة أي نداء ناشئا من يوم الجمعة ، وأما من أول يوم ، فالمراد بالتأسيس فيه : الوضع والبناء لا خصوص وضع الأساس الذي لا يمتد ، وتوقف الرضى في معنى الابتداء في الآيتين ، وقال : الظاهر أنها بمعنى في ، ونياية حروف الجر بعضها عن بعض غير عزيزة ، ثم قال : الظاهر مذهب الكوفيين ، وأنها تأتي للابتداء في الزمان إذ لا مانع من قولك صمت من أول الشهره إلى آخره . ونمت من أول الليل إلى آخره ، وأقول إن من تفيد ابتداء الغاية المكانية باتفاق من البصريين والكوفيين ، بدليل أن الغاية تنتهى بعدها . ويرى الكوفيون والآخرش والمبرد وابن درستويه وبعض البصريين أنها تفيد أيضا ابتداء الغاية الزمانية . والتماهد ما ذكر والحديث المروى في البخارى : فطرننا من الجمعة إلى الجمعة ، وقول بعض العرب الذى رواه الآخرش فى المعانى : من الآن إلى الغد .

[تَقْدُ السُّلُوقَى الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقَدْنَ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْخُبَّاحِ]

وبين من الداخلة على الزمان ، وبين منذ فرق بديع قد بيناه في شرح آية الوصية^(١).

والبيت للتأنيذ الذي يأتي كما قال من قصيدته التي مدح بها النعمان وأولها :
كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطي . الكواكب
والرواية المشهورة : تخيرن بدلا من تورثن . والشاهد في البيت قوله : من
أزمان حيث جاءت من هنا لا ابتداء الغاية أي المسافة في الزمان ، وقد أجاب
البصريون القائلون بأنها لا ابتداء الغاية في المكان فقط عن هذا بقولهم إن في البيت
حذف مضاف : أي من استقرار زمان يوم حليلة ورد عليهم بأن الأصل
عدم الحذف .

ويوم حليلة نسبة إلى حليلة بنت الحارث بن أبي شمر ملك غسان ولخم ،
وكان أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء ، فأخرجت لهم طيبا فطيبتهم ،
فقالوا ما يوم حليلة بسر . يضرب مثلا في كل أمر متعالم مشهور . وقال المبرد :
هو أشهر أيام العرب . وفي هذا اليوم قتل المنذر ، وقيل قتل في يوم عين أباغ وهو
يوم وقعة بين غسان ولخم أيضا . أنظر بجمع الامثال رقم ٣٨١٤ = السنة
المحمدية والتبصريح على التوضيح لابن هشام والأزهري ص ٧ = ط ١٠ . مصطفي
محمد ، ص ٢٠٥ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوي ص ١٩١٤ م
ص ١٣ = ٢ من معنى اللبيب لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد
ابن عبد الله بن هشام ط ١٣٢٨ هـ ، .

(١) أنظر معنى منذ ومنذ في معنى اللبيب تحت المادة . وفي نوادر أبي زيد :
« منذ ومنذ لا ابتداء الغاية في الزمان ، ومن لا ابتداء الغاية في سائر الأشياء والزمان
وإن انفرد بمنذ ومنذ ، فالأصل فيه أن تدخل عليه من . » ص ٢١ .

تحلّل وتلحّج :

فصل : وذكر لقاء كل قبيلة من الأنصار له يقولون : هَلُمَّ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ ، فيقول : خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ حَتَّى بَرَكْتَ بِمَوْضِعِ مَسْجِدِهِ ، وَقَالَ تَحَلَّلْتُ وَرَزَمْتُ وَأَلَقْتُ بِحِجْرَانِهَا أَيْ : بِعَنْقِهَا ، وَفَسَّرَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ عَلَى تَحَلَّلَحَ أَيْ : لَزِمَ مَكَانَهُ . وَلَمْ يَبْرَحْ ، وَأَنشَدَ :

أَنَاسٌ إِذَا قِيلَ انْفِرُوا قَدْ انْتَبَهَتْ أَقَامُوا عَلَى أَثْقَالِهِمْ وَتَلَحَّجُوا

قال : وَأَمَّا تَحَلَّلَ بِتَقْدِيمِ الْحَاءِ عَلَى اللَّامِ فَعِنَاهُ : زَالَ عَنْ مَوْضِعِهِ ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ قَوَى مِنْ جِهَةِ الْاِشْتِقَاقِ ، فَإِنَّ التَّلَحُّجَّ يُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ لِحَحَتٍ عَيْنُهُ : إِذَا التَّصَقَّتْ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي لَحًا ^(١) .

(١) فِي اللِّسَانِ لِحَحَتٌ عَيْنُهُ تَلَحَّجَ لِحْحًا بِإِظْهَارِ التَّضْعِيفِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَحْرَفِ الَّتِي أُخْرِجَتْ عَلَى الْأَصْلِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مُنْهَبَةً عَلَى أَصْلِهَا وَدَلِيلًا عَلَى أُولِيَةِ حَالِهَا ، وَالْإِدْغَامِ لَفَةً ، وَفِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ لِابْنِ السَّكَيْتِ : دَكَلٌ مَا كَانَ عَلَى فَعَلَتْ سَاكِنَةً التَّاءُ مِنْ ذَوَاتِ التَّضْعِيفِ ، فَهُوَ مَدْغَمٌ نَحْوُ : صَمَتِ الْمَرْأَةُ وَأَشْبَاهُهُ إِلَّا أَجْرَفًا جَاءَتْ نَوَادِرُ فِي إِظْهَارِ التَّضْعِيفِ ، وَهِيَ : لِحَحَتٌ عَيْنُهُ : إِذَا التَّصَقَّتْ ، وَمِنْهُ قِيلَ : هُوَ ابْنُ عَمِّي لَحًا ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لَحٍ وَلَحٍ . وَقَدْ دَشِشَتْ الدَّابَّةُ وَصَكَّكَتْ ، وَقَدْ ضَبَبَ الْبَلَدُ : إِذَا كَثُرَ ضَبَابُهُ ، وَقَدْ أَلَّلَ السَّقَاءُ : إِذَا تَغَيَّرَتْ رِيحُهُ ، وَقَدْ قَطَطَ شَعْرُهُ ، ص ٢٤٢ إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ لِابْنِ السَّكَيْتِ ط الْمَعَارِفُ وَفِي اللِّسَانِ : وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لَحٍ فِي النُّكْرَةِ بِالنُّكْرِ لَأَنَّهُ نَعَتْ لِلْعَمِّ ، وَابْنُ عَمِّي لَحًا فِي الْمَعْرِفَةِ أَيْ : لِأَزَقِ النِّسْبِ مِنْ ذَلِكَ ، وَنُصِبَ لَحًا عَلَى الْحَالِ ، لِأَنَّهُ مَاقْبَلُهُ مَعْرِفَةٌ ، وَالْوَاحِدُ وَالْاِثْنَانُ وَالْجَمْعُ وَالْمَوْثُوثُ فِي هَذَا سِوَاهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ . وَقَالَ اللُّحْيَانِيُّ : هُمَا ابْنَا عَمِّ لَحٍ وَهُمَا ابْنَا خَالَه ، وَلَا يُقَالُ : هُمَا ابْنَا خَالَ لَحًا ، وَلَا ابْنَا عَمَّةَ لَحًا لِأَنَّهُمَا

وأما التَّحْلِيلُ : فَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْحُلِّ وَالْإِنْحِلَالِ بَيِّنٌ ، لِأَنَّهُ انْفِكَكَ شَيْءٌ مِنْ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ الرِّوَايَةُ فِي سِيرَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ : تَحْلَلْتُمْ بِتَقْدِيمِ الْحَاءِ عَلَى اللَّامِ ، وَهُوَ خِلَافُ الْمَعْنَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَقْلُوبًا مِنْ تَحْلَلْتُمْ ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ : لَصِقَتْ بِمَوْضِعِهَا ، وَأَقَامَتْ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي فَسَّرَهَا ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي تَحْلَلْتُمْ .

وأما قوله : وَرَزَمْتَ فيقال : رَزَمْتَ النَّاقَةَ رُزُومًا إِذَا أَقَامَتْ مِنَ الْكَلَالِ وَنُوقَ رَزَمِي ، وَأَمَا أُرْزَمْتُ بِالْأَلْفِ ، فَعْنَاهُ : رَغْتُ ، وَرَجَعْتُ فِي رُعَاهَا ، وَيُقَالُ مِنْهُ : أُرْزَمَ الرِّعْدُ ، وَأُرْزَمَتِ الرِّيحُ قَالَهُ صَاحِبُ الْعَيْنِ ، وَفِي غَيْرِ هَذِهِ السِّيرَةِ : أَنَّهُمَا أَلْقَتْ بِحِرَانِهَا فِي دَارِ بَنِي النَّجَارِ جَعَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، وَهُوَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ يَنْخُسُهَا رَجَاءً أَنْ تَقُومَ فَتَبْرُكُ فِي دَارِ بَنِي سَلَمَةَ ، فَلَمْ تَفْعَلْ .

المربد وصامباه :

وقوله كَانَ الْمَسْجِدَ مِرْبَدًا . الْمِرْبَدُ وَالْجَرِينُ [وَالْجُرْنُ وَالْمِجْرَنُ] وَالْمِسْطَحُ^(١) وَهُوَ بِالْفَارْسِيَّةِ : مِسْطَاحٌ وَالْجَوْخَارُ وَالْبَيْدَرُ وَالْأَنْدَرَانُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ لِلْمَوْضِعِ الَّتِي يُجْعَلُ فِيهِ الزَّرْعُ وَلِتَمْرُ اللَّتَيْبِيسِ ، وَأَنْشَدَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي الْمِسْطَحِ [لَتَيْمِ بْنِ مُقْبِلٍ] :

مفترقان ، إذ هما رجل وامرأة ، وإذا لم يكن ابن العم لحا ، وكان رجلا من العشيرة قلت : هو ابن عم السكالة ، وابن عم كلاله ، وهذا البيت الذي أشده ابن قتيبة هو لابن مقبل وروايته

فِي اللِّسَانِ : بِحَيِّ إِذَا قِيلَ : اظْمَنُوا . . . إلخ .

(١) الْمِسْطَاحُ تَكَسَّرَ فِيهِ وَتَفْتَحُ .

تري الأَمْعَزَ المَحْزُوفِ كَأَنَّهُ من الحَرِّ في نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحٌ^(١)
قال : والمَحْزُوفُ من : حَزَوْتُ الشَّيْءَ : إِذَا أَظْهَرْتَهُ . وَالْمِسْطَحُ هو
بالفارسية : مشطح ، وأما الْمِسْطَحُ الذي ، هو عود الخُبَاءِ قَعَرِيَّةٌ .

وذكر أن ذلك المِرْبَدَ كان لِسَهْلٍ وَسُهَيْلِ ابْنَيْ عَمْرِو يَتِيمَيْنِ فِي حِجْرٍ
مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا ، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ : كَانَا يَتِيمَيْنِ
فِي حِجْرٍ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ^(٢) وَهَما ابْنَا رَافِعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرِو بْنِ عُيَيْدٍ
ابْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ شَهِدَ سُهَيْلٌ مِنْهُمَا بَدْرًا ، وَالْمُشَاهِدَ كُلَّهُما ،
وَمَاتَ فِي خِلاَفَةِ عَمْرِو يَشْهَدُ سَهْلٌ بَدْرًا ، وَشَهِدَ غَيْرُهَا وَمَاتَ قَبْلَ أَخِيهِ سُهَيْلٍ .

مول بنيان المسجد :

فصل : وذكرُ بُنْيَانِ المسجدِ إلى آخرِ القصةِ ، وفي الصحيح أنه قال : يا بني
النَّجَّارُ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ^(٣) [هذا] حينَ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا ، [فَقَالُوا : لَا ، وَاللَّهِ

(١) روايته في اللسان :

إِذَا الْأَمْعَزُ المَحْزُوفُ آضٌ كَأَنَّهُ من الحَرِّ في حَدِّ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحٌ
وقد ذكره اللسان لبيان أن المسطح معناه : حَصِيرٌ يَسْفُ من خِوَصِ الدَّوْمِ
لَا أَنَّ الْمِسْطَحَ هو البيدر . والأَمْعَزُ : الْأَرْضُ الْحَزَنَةُ الْغَلِيظَةُ ذَاتُ الْحِجَارَةِ أَوْ
الْمَسْكَنِ الصَّلْبِ الْكَثِيرِ الْحَصَى وَقَدْ فُسِّرَ الْأَصْمَعِيُّ الْمِرْبَدَ بِقَوْلِهِ : كُلُّ شَيْءٍ حَبِسَتْ
فِيهِ الْإِبِلُ أَوْ الْغَنَمُ ، وَبِهِ سَمِيَ مِرْبَدُ الْبَصْرَةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ مَوْضِعَ سُوقِ الْإِبِلِ .
(٢) في رواية أبي ذرٍّ وحده : سَعْدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وفي رواية الباقرين : أَسْعَدُ ،
وهو الوجه : لِأَنَّ أَخَاهُ سَعْدًا تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ . وَحَكَى الزُّبَيْرُ أَنَّهُمَا كَانَا فِي حِجْرٍ
أَبِي أَيُّوبَ .

(٣) في رواية البخاري : ثَامِنُونِي حَائِطِكُمْ .

لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ، وفي رواية أخرى في الصحيح أيضا : « ثم دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذاه مسجدا ، فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، ثم بنياه مسجدا » ، وقد ترجم البخاري على هذه المسألة لِقَهِ ، وهو أن البائع أولى بتسمية الثمن الذي يطلبه ، قال أنس : وكان في موضع المسجد نَحْلٌ وَخَرَبٌ ومقابر مشركين ، فأمر بالقبور فَنُبِشَتْ وبالنَّحْرِبِ^(١) فَسُوِّيَتْ ، وبالنَّحْلِ فَقُطِعَتْ .

ويُروى في هذا الحديث نَحْلٌ وَحَرَثٌ مكان قوله : وَخَرِبٌ ، وروى عن الشَّفاء بنت عبد الرحمن الأنصارية قالت : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - حين بنى المسجد يُؤمُّه جبريلُ إلى الكعبة وبقم له القبلة .

(١) بكسر الحاء وفتح الراء ، وقال الخطابي : أكثر الرواة بالفتح ، ثم الكسر ، وحدثناه الخيام بالكسر ثم الفتح ، ثم حكى احتمالات منها : الخرب : بهم أوله وسكون ثانيه ، وهى الخروق المستديرة فى الأرض ، والجرف بكسر الجيم وفتح الراء : ما تجرفه السيول وتأكله من الأرض ، والحدب : المرتفع من الأرض بفتح الحاء والبدال . قال : وهذا لائق بقوله : فسويت لأنه إنما يسوى المساكن المحدوب وكذا الذى جرفته السيول ، وأما الخراب ، فيبنى ويعمر دون أن يصلح ويسوى . . ورد الحافظ فى الفتح عليه : وما المانع من تسوية الخراب بأن يزال ما بقى منه ، ويسوى أرضه ، ولا ينبغي الالتفات إلى هذه الاحتمالات مع توجيه الرواية الصحيحة . د ص ٢٠٣ ٧ فتح البارى ط ١٣٤٨ . وفى بعض الروايات عن معمر عن الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يعطيها ثمنه وقال غير معمر : أعطاهما عشرة دنانير ، وعند الزبير أن أبا أيوب أرضاهما عن ثمنه .

وذكر فيه قول الرجل لعمّار : قد سمعتُ ماتقول يابن سُمَيَّة . قال ابن هشام : وقد سمي ابن إسحاق الرجل ، وكره ابن هشام أن يسميه كي لا يُذكر أحدٌ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكرهه ، فلا ينبغي إذا البحثُ على اسمه .

سمية أم عمار :

وسُمَيَّة : أم عمار وقد تقدم التعريف بها في الهجرة الأولى ونهبنا على غلط ابن قتيبة فيها فإنه جعلها وسُمَيَّة أمّ زياد واحدة وسُمَيَّة أم زياد كانت للحارث بن كَلْدَةَ المَتَطَبِّب ، والأولى : مَوْلَاةُ لبني مخزوم وهي سُمَيَّة بنت خباط^(١) ، كما تقدم ، وكان أهدى سُمَيَّة إلى الحرث رجلٌ من ملوك اليمَن : يقال له أبو جَبَر ، وذلك أنه عالج من داء كان به فَبَرى ، فوهبها له ، وكانت قبل أبي جبر للملك من ملوك الفرس وقد عليه أبو جَبَر ، فأهداها إليه الملكُ ذكره ابن قُتَيْبَةَ^(٢) ، وفي جامع معمر بن راشد أن عمارا كان يَنْقُلُ في بُنْيَانِ المسجدِ كِبَيْتَيْنِ ، كِبَيْتَةٌ

(١) في الإصابة: سمية بنت خباط بمججمة مضمومة ، وموحدة ثقيلة ، ويقال : بمشاة - أى ياء - تحتانية ، وعند الفاكهي : سمية بنت خبط بفتح أوله بغير ألف كانت سابعة سبعة في الإسلام . وما يذكره السهيلي ذكره أبو عمر . أما سمية أم زياد فذكرها ابن حجر في القسم الثالث ، أو قال : ولم يرد ما يدل على أنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها ولدت للحارث بن كلدَةَ التي كان يطؤها بملك اليمين : نافعا ونفيعا ، فانتفى منه لأنه رآه أسود ، ثم وهبها لزوجته ، فزوجتها عبدا روميا لها ، فولدت له زيادا فأعتقه صفيه زوجة الحارث .

(٢) في الإصابة أن السكوى اليشكري سمي سمية من الروم ، ثم وهبها للحارث ابن كلدَةَ ووهب ابن قتيبة هذا هو في كتابه المعارف ص ٧٦ ط ١٣٠٠ هـ .

عنه ، وَاَبْنَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالنَّاسُ يَنْقُلُونَ كَبِيْنَةً
وَاحِدَةً ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلنَّاسِ أَجْرُؤُ لَكَ ، أَجْرَانِ ، وَآخِرُ
زَادَكَ مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةُ ابْنِ ، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَلَمَّا قُتِلَ يَوْمَ صِفِّينَ دَخَلَ
عَمْرُو عَلَى مَعَاوِيَةَ فَرِزَعَا ، فَقَالَ : قُتِلَ عَمَّارٌ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : فَمَاذَا ؟ فَقَالَ عَمْرُو :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ
دَحَضْتَ فِي بَوْلِكَ ^(١) ، أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ ؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ مِنْ أَخْرَجَهُ ^(٢) ؟

(١) ذَلَقَتْ .

(هـ) وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ ، يَقُولُ لِأَبِيهِ عَمْرُو : قَدْ قَتَلْنَا هَذَا الرَّجُلَ ، وَقَدْ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مَا قَالَا ، قَالَ : أَيُّ رَجُلٍ ؟ قَالَ : عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ،
أَمَّا تَذَكُّرُ يَوْمَ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ فَكُنَّا نَحْمِلُ ابْنَةَ ابْنَةِ ،
وَعَمَّارٌ يَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لِبَنَتَيْنِ لِمَخٍ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذَا الْبِنَاءَ كَانَ فِي الْخَامِسَةِ مِنْ
الْحِجْرَةِ أَوْ بَعْدَهَا ، لِأَنَّ عَمَّارًا أَسْلَمَ فِي الْخَامِسَةِ ١١ وَيَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ تَعْلِيْقًا
عَلَى حَدِيثٍ : تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ ، تَسْكُمُ فِيهِ بَعْضُهُمْ ، وَبَعْضُهُمْ تَأْوِلُهُ عَلَى أَنَّ الْبَاغِيَّ
الطَّالِبُ ، وَهَذَا لِأَنَّهُ ، وَأَمَّا السَّلَفُ كَأَنِّي حَسِيفَةٌ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ ، فَيَقُولُونَ
لَمْ يَوْجَدْ شَرْطُ قِتَالِ الطَّائِفَةِ الْبَاغِيَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْ بِقِتَالِهَا ابْتِدَاءً ، بَلْ أَمَرَ إِذَا
اِقْتَتَلَتْ طَائِفَتَانِ أَنْ يَصْلَحَ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ : إِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا قُوَّتِلَتْ ، وَلِهَذَا كَانَ
هَذَا الْقِتَالُ عِنْدَ أَحَدٍ وَمَالِكٌ قِتَالُ فِتْنَةٍ ، وَأَبُو حَسِيفَةَ يَقُولُ : لَا يَهْجُوزُ قِتَالُ الْبَغَاةِ
حَتَّى يَبْدُوَ بِقِتَالِ الْإِمَامِ ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَبْدُوْا ، وَفِي مَكَانٍ آخَرَ يَقُولُ : كَانَ عَلَى
وَمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَطْلُبُ لِكَبِّ الدِّمَاءِ مِنْ أَكْثَرِ الْمُقْتَتَلِينَ ، لَسَكُنَ
غُلْبًا فِيمَا وَقَعَ ، وَالْفِتْنَةُ إِذَا ثَارَتْ عَجَزَ الْحِسْمَاءِ عَنْ إِطْفَاءِ نَارِهَا ، وَكَانَ فِي الْمُسْكِرِينَ
مِثْلُ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ ، وَهَاشِمِ بْنِ عَتَبَةَ الْمُرْقَالِ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ،
وَأَبِي الْأَعْوَرِ السُّلَمِيِّ ، وَنَحْوَهُمْ مِنَ الْمُحْرَضِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَوْمٌ يَنْتَصِرُونَ لِعِثْمَانَ
ظَايِبَةَ الْإِنْتِصَارِ ، وَقَوْمٌ يَنْفِرُونَ عَنْهُ ، وَقَوْمٌ يَنْتَصِرُونَ لِعَلِيٍّ ، وَقَوْمٌ يَنْفِرُونَ عَنْهُ ،

إضافة بناء المسجد إلى عمار :

وذكر ابن إسحاق في هذا الموضع الحديث الوارد في عمار ، وهو : أول من بنى لله مسجداً عمار بن ياسر ، فيقال : كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد ، وقد بناه معه الناس ؟ فيقول إنما عني بهذا الحديث مسجد قباء ، لأن عماراً هو الذى أشار على النبی - صلى الله عليه وسلم - ببنيانه ، وهو جمع الحجاره له ، فلما أسس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استتم بنيانه عماراً .

أطوار بناء المسجد :

كذلك ذكر ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : وبنى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللبن ، ويقال : بل من حجارة منضوذة بعضها على بعض ، وجعلت عمده من جذوع

وقتل الفتنة مثل قتال الجاهلية لاتنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم ، ص ٢٦٣ ولقد حاول ملك الروم استغلال معركة صفين ، فحشد جيوشا كثيرة وحاول الاقتراب من الحدود الإسلامية ، فكتب إليه معاوية رضى الله عنه : « واقه لأن لم تفته وترجع إلى بلادك ، لاصطلحن أنا وابن عمى عليك ، ولاخرجك من جميع بلادك ، ولاضيقن عليك الأرض بما رحبت ، فجبن ملك الروم ٨ ص ١٨٩ البداية والنهاية لابن كثير . ويقول الاستاذ محب الخطيب : « وكان معاوية يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البغى في حرب صفين لأنه لم يردّها ، ولم يبتدئها ، ولم يأت لها إلا بعد أن خرج على من الكوفة ، وضرب معسكره في النخيلة ليسير إلى الشام ، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية : إنما قتله من أخرجه ، انظر ص ٢٥١ ، ص ٢٦٣ من كتاب المنتقى للإمام الذهبي الذى اختصر فيه كتاب منهاج السفة للإمام ابن تيمية .

النخل ، فنَحَرَتْ في خلافة عُمرَ فَجَرَّدها ، فلما كان بناء بالحجارة المنقوشة بالقَصَّة وسَقَفَه بالسَّاج^(١) ، وجعل قبلته من الحجارة ، فلما كانت أيام بني العباس بنى محمد بن أبي جَعْفَر المسمى بِالْمُهْدِي ، ووسعه وزاد فيه ، وذلك في سنة ستين ومائة ، ثم زاد فيه المأمونُ بن الرَّشيد في سنة ثنتين ومائتين ، وأقن بنيانه ، ونقش فيه : هذا ما أمر به عبدُ الله المأمون في كلام كثير كَرِهْتُ الإطالة بذكره ، ثم لم يبلغنا أن أحداً غيَّر منه شيئاً ، ولا أحدث فيه عملاً .

بيوت النبي صلى الله عليه وسلم :

وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعة ، بعضها من جريدِ مُطَيَّن^(٢) بالطَّيْن وسقفها جريد ، وبعضها من حِجارة مَرْضُومَةٍ ، بعضها فوق بعض ، مسقفة بالجريد أيضاً . وقال الحسن بن أبي الحسن^(٣) : كنت أدخل بيوت النبي

(١) القصة : الجص لغة حجازية ، وتقصيص الدار : تجميعها والساج : ضرب من الشجر يعظم جدا ، ويذهب طولاً وعرضاً ، وله ورق كبير ، يغطي الرجل بورقة منه فيقيه المطر ، واحده : ساجة . المامجم الوسيط ، ورواية الصحيحين عن القبلة : « فصفوا النخل قبله المسجد ، وجعلوا عضادته الحجارة ، وعضادات الباب : خشبتان منصوبتان مثبتتان في الحائط على جانبيه ويقال إن معنى صف للنخل قبله : جعلها سوارى في جهة القبلة ، ليسقف عليها ، كافي الصحيح من أن عمده كانت خشب النخل .

(٢) ينكر بعضهم هذه اللغة ، ويقول ، طانه من باب باع ، فهو مطين بفتح فكسر .

(٣) ذكر في إلام الساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى أنه : الحسن البصري وذكر أنه نقله عن السهيلي . انظر ص ٢٢٤ .

عليه السلام ، وأنا غلام مراهق ، فأناال السقف بيدي ، وكانت حُجْرُهُ
- عليه السلام - أْكْسِيَّةً من شعر مربوطة في خشب عَرَعَرٍ^(١) وفي تاريخ
البخارى أن بابهُ - عليه السلام - كان يُفَرِّع بالأظافر ، أى لا حَلَقَ له ،
ولما تُوفِّيَ أزواجه عليه السلام خُلِطَت البيوتُ والحُجَرُ بالمسجد ، وذلك
في زمن عَبدِ الملك ، فلما ورد كتابُهُ بذلك ضَجَّ أهلُ المدينة بالبكاء ، كيوم
وفاته عليه السلام ، وكان سريره خَشَبَاتٍ مشدودةً بالليف ، بيعت زمن بنى
أُمَيَّةَ ، فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم قاله ابن قتيبة . وهذا يدل على أن
بيوته عليه السلام إذا أُضيفت إليه ، فهي إضافة مِلْكٍ ، كقوله تعالى :
﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ وإذا أُضيفت إلى أزواجه كقوله : ﴿ وَقرْنَنِي
بُيُوتِي كُنَّ ﴾ فأيست بإضافة مِلْكٍ ، وذلك أن ما كان مِنْ كَالِهِ عايه السلام ،
فليس بِمَوْزُوْثٍ عنه^(٢) .

(١) جنس أشجار وجنابات من فصيلة الصنوبريات . فيه أنواع تصالح
للأخراج وللنزين أنواعه كثيرة ، المعجم الوسيط ، وفي القاموس أنه شجر
السرو فارسية .

(٢) وعن المسجد والبيوت روى عن أنوار بنت مالك أم زيد بن ثابت
أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ ، يصلى بالناس
الصلوات الخمس ، ويجمع بهم في مسجد بناه في مرود سهل وسهيل ابنى رافع
ابن أبي عمرو بن عايد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار قالت : فأ نظر إلى
رسول الله ﷺ ، لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه ، فهو مسجده اليوم .

ووقع في رواية عطاء بن خالد عند ابن عايد أنه ﷺ ، صلى فيه — وهو
عريش — اثني عشر يوماً ، ثم بناه ، وسقفه وسيقاني ما يشهد له .
وروى أحمد عن طلحة بن علي قال : جئت إلى النبي ﷺ ، وأصحابه يبنون

المسجد ، قال : فكأنه لم يعجبه عملهم ، قال : فأخذت المسحات ، فخلطت بها الطين ، فكأنه أعجبه أخذى المسحاة وعملى ، فقال : دعوا الحنفى والطين ، فإنه من أصنعكم للطين . وفى كتاب رزين أن الصحابة لما كثروا قالوا : يا رسول الله لو زيد فيه ، ففعل ، فرفعوا أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة وجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وكذا فى العرض . وكان مربعا . وفى حديث حصار عثمان يأتى قول عثمان : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو . أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يبتاع مربداً بنى فلان غفر الله له ، فابتعته بعشرين ألفاً ، أو خمسة وعشرين ألفاً ، فأثبت النبی د ص ، فقلت : قد ابتعته ، فقال : جعله فى مسجدنا ، وأجره لك ؟ قالوا : اللهم نعم ،

هذا وقد ورد فى ذرع المسجد هذا عدة روايات : فهو سبعون ذراعاً فى ستين أو يزيد ، الذراع المقصود ذراع الآدمى ، ، أو هو مائة ذراع فى مائة وأنه مربع ، أو هو : أقل من مائة ، وقيل لأنه بناء أولاً أقل من مائة فى مائة ثم بناه وزاد عليه مثله فى الدور ، وليس المراد هنا فى هذه الرواية مثله فى الأذرع لأنه كان حتى نهاية القرن التاسع الهجرى لا يبلغ مائة وخمسين ذراعاً والرواية الأولى بالقبول أنه كان سبعين فى ستين .

الصفة : هى — كما قال ابن حجر — مكان فى مؤخر المسجد مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ، ولا أهل ، وكانوا يكثرون فيه ويقولون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر . وعن ابن سعد أن أهل الصفة كانوا أناساً فقراء لا منازل لهم . فكانوا ينامون فى المسجد لا مأوى لهم غيره ، وقريب من هذا فى البخارى .

الزيادات فى المسجد : روى البخارى وأبو داود عن نافع أن عبد الله ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مبنيًا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنائه فى عهد رسول الله د ص ، باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشباً ، ثم غيره عثمان ، فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره

بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .
زيادة عمر : في الحديث السابق ورد أن عمر زاد فيه ، وقد روى أحمد عن
نافع أن عمر رضى ، زاد في المسجد من الأسطوانة إلى المقصورة ، وقال عمر :
لولا أنى سمعت رسول الله ص ، يقول : ينبغي أن يزيد في المسجد ما زدت في
المسجد شيئا . وذكر ابن سعد أنه لما كثر المسلمون في عهد عمر رضى الله عنه -
وضاق بهم للمسجد ، اشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن
عبد المطلب وحجر أمهات المؤمنين . ولكن العباس تصدق بداره ، فقبلها عمر ،
وأدخلها في المسجد - وروى البيهقي نحوه في كتاب الرجعة عن أبي هريرة .
وحسبنا هذا

زيادة عثمان : لما ولي عثمان كله الكاس أن يزيد في مسجدهم ، وشكوا إليه
صفة يوم الجمعة حتى لأنهم ليصلون في الرحاب . فشاور عثمان أهل الرأي ، فأجمعوا
على أن يهدمه ويزيد فيه وفي البخارى ومسلم عن عبيد الله الخولاني أنه سمع عثمان
عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ص ، إنكم قد أكثرتم ، وإنى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجدا لله بنى الله له في
الجنة مثله ، وفي مسلم أنه أراد بناء المسجد ، فكره الناس ذلك ، وأحبوا أن
يدعه على هيئته .

وقد روى أن عثمان بدأ بهذا في شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وأنه
فرع منه حين دخلت السنة للال المحرم سنة ثلاثين ، أو قبل أن يقتل بأربع سنين
ويروى أن القصة الجص ، كانت تحمل إلى عثمان ، وهو يبنى مسجد رسول الله
ص - من بطن نخل ، وأنه كان يقوم على رجله ، والعمال يعملون فيه ، حتى
تأتى الصلاة ، فيصلى بهم ، وربما نام ثم رجع ، وربما نام في المسجد . وعن
خارجة بن زيد قال : هدم عثمان بن عفان المسجد ، وزاد في قبلته ، ولم يزد في
شرقيه ، وزاد في غربيه قدر أسطوانه ، وبناء بالحجارة المنقوشة والقصة وعسب
النخل والجريد وبيضه بالقصة ، وقدر زيد بن ثابت أساطينه ، فجعلها على قدر

النخل ، وجعل فيه طبقانا مما يلي المشرق والمغرب ، وزاد فيه إلى الشام
خمسین ذراعاً . .

وهناك عدة روايات أخرى بعضها يقارب هذه والآخر يباعدھا
زيادة الوليد بن عبد الملك : نقل رزين أن المسجد بعد أن زاد فيه عثمان رضي
الله عنه لم يزد فيه على ولا معاوية رضي الله عنهما ، ولا يزيد ولا مروان ولا ابنة
عبد الملك شيئاً ، حتى كان الوليد بن عبد الملك وكان عمر بن عبد العزيز عامله على
المدينة ومكة ، فبعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بمال ، وقال له : من باعك ،
فأعطه ثمنه ، ومن أبي فاهدم عليه ، وأعطه المال ، فإن أبي أن يأخذه فأصره
إلى الفقراء . وقد روى أن عمر اشترى ما حول المسجد من المشرق والمغرب والشام ،
وأنه أراد ابتياع بيت حفصة رضي الله عنها ، فأرسل إلى رجال من آل عمر ، وانتهى
الامر إلى هدم البيت لإدخاله في المسجد ، وإلى إعطائهم طريقاً إلى المسجد تنتهي
إلى الاسطوانة ، مع توسعتها . وكانت قبل ذلك ضيقة قدر ما يمر الرجل منحرفاً .
هذا ونهجم أخبار المؤرخين على أن حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
أدخلت في المسجد بأمر الوليد ، ويقول عطاء الخراساني : حضرت كتاب الوليد
يقرأ يأمر بإدخال حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرأيت يوماً كان أكثر باكية
من ذلك اليوم . قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول : والله لو ددت أنهم
تركوها على حالها . ويقول عبد الله بن زيد الهذلي : نه رأى بيوت أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر كانت بالبن رلها حجر من جريد مطرود بالطين عدت
تسعة أبيات بمحجراتها . وكانت الحجرات شرقي المسجد وقبله ، خارجة من المسجد
مديرة به إلا من الغرب ، وهذا الرأي يخالف ما ذكر السهيلي من أنها أدخلت
في زمن عبد الملك . كما أدخل فيه عمر دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التي
يقال لها : القرايين ويقال إن الوليد طلب من ملك الروم أن يعينه بمال
وفسيفساء ، فبعث إليه بأحمال منها ، وبعدد من المال . قيل كانوا ثمانين : أربعين
من الروم وأربعين من القبط . ، كما قيل إنه بعث إليه بعدة ألوف من الذهب ،
وبأحمال من سلاسل القناديل .

ويقال إن عمر هدمه سنة إحدى وتسعين هـ وأن البناء كان بالحجارة المنقوشة ، وقصة بطن نخل وعمله بالفسيفساء وهى ألوان من الخرز يركب فى حيطان البيوت والمرمر ، وعمل سقفه بالساج ، وماء الذهب ، وجعل عمود المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، ويقال إن عمر لما صار إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والانصار والعرب والموالي ، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا ، فكانت زيادة الوليد من المشرق إلى المغرب ست أساطين ، وزاد إلى الشام من الأسطوانة المربعة التى فى القبر أربع عشرة أسطوانة . ومكث فى بنائه ثلاث سنين .

كما روى أن عمل القبط كان مقدم المسجد ، وكانت الروم تعمل ما خرج من المسجد جوانبه ومؤخره ، فقال سعيد بن المسيب عن القبط : عمل هؤلاء أحكم . ويروى أن عثمان مات وليس فى المسجد شرفات ولا محراب ، وأن أول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز ، وأنه هو الذى عمل الميازيب التى من الرصاص ، ولكن روى من طريق آخر أن الذى عمل الشرفات هو عبد الواحد بن عبد الله وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة . وعمر توفى سنة ١٠١ ولما احترق المسجد جددت له شرفات سنة ٧٦٧ فى أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد صاحب مصر . أما مناراته ، وماذنه ، فأحدثها عمر أيضاً ويشهد لهذا مارواه ابن إسحاق وأبو داود والبيهقى أن امرأة من بنى النجار قالت : كانت يذن من أطول بيت حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتى بسجدة ، فيجلس على البيت ، لينظر إلى الفجر ، فإذا رأى تمطى ، ثم قال : اللهم إني أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت : ثم يؤذن . القبر : حين رزى المسلمون بموت النبي عليه الصلاة والسلام اختلفوا فى مكان دفنه ، ثم روى لهم أنه يدفن حيث مات ، فاهتدوا ، وكان أبو عبيدة يضرح — والضرح هو الشق فى وسطه القبر — وأبو طلحة يلحد — واللحد : الشق يعمل فى جانب القبر ، فيميل عن وسطه — فقال الصحابة : نستخير ربنا ، ونبعث إليهما ، فأبهما سبق تركناه ، فأرسل إليهما ، فسبق أبو طلحة ، فلحدوا للنبي كما ورد فى مسند أحمد وسنن ابن ماجه وغيرهما .

فلما دفن في حجرة السيدة عائشة حيث مات قالت ابنته فاطمة : أطابت نفوسكم أن تحشوا على رسول الله وص، التراب ، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها ، ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك إلا لأننا قهرنا على فعله امتثالا لأمره .

وقد روى البخارى في موضعين من الجنائز ، وفي المغازى ، ومسلم في الصلاة أن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذى لم يقم منه - أو توفي فيه : دلعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى - أو خشى - أن يتخذ قبره مسجدا ، ولم يجلس أحد على قبره صلى الله عليه وسلم ولم يصل إليه ، ولا عليه ، لأنه قال - كما روى مسلم : د لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها أو عليها ، وروى مسلم أنه قال هذا في مرضه الذى مات منه قبل موته بخمس وأنه قال : د فلا تتخذوا القبور مساجد ، فأنى أنها كم عن ذلك ، ولم يورده رجل ولا امرأة ، ولم يعلق عليه قنديل ولا غيره ، لأن الواقع كان يمنع الرجال من ذلك ، أفكان يستطيع أحد أن يقتحم على عائشة بيتها ؟ ثم إن ابن عباس روى لهم ما يأتى : د لعن رسول الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج . ورواه الخمسة إلا ابن ماجه ، كما روى لهم أبو هريرة ما يأتى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم د لأن يجلس أحدكم على جمرة ، فتحرق ثيابه ، فتخلص إلى جلد ، خير له من أن يجلس على قبر ، د ولم يخصص قبره عليه الصلاة والسلام ، ولم يكتب عليه شيء ، لأن جابرا روى لهم : د نهى النبي صلى الله عليه وسلم - أن يخصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه ، رواه أحمد ومسلم والذسائى وأبو داود والترمذى وصححه ، ولفظه : د نهى أن تخصص القبور ، وأن يكتب عليها ، وأن يبنى عليها ، وأن توطأ ، وفي لفظ الذسائى : د ونهى أن يبنى على القبر ، أو يزد عليه ، أو يخصص ، أو يكتب عليه .

ولم يستطع أحد أن يقيم له ضربحا ، أو يعلى من قبره ، لأنهم كانوا يعلمون (م ١٨ — الروض الاف ج ٤) .

ما قاله على لابي الهياج الاسدى « أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » ، رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه . وكان هديهم هذا ، فقد روى مسلم أن فضالة بن عبيد أمر بقبر فسوى ، ثم قال : تمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، يأمر بتسويتها . ولقد روى ابن سعد فى طبقاته بسنده عن مالك بن أنس : قسم بيت عائشة باثنين : « قسم كان فيه القبر ، وقسم كان تكون فيه عائشة ، وبينهما حائط فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلاً ، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهى جامعة عليها ثيابها ، كما روى أن عمر هو أول من بنى جداراً على بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - . وورد أن هذا الجدار كان قصيراً ثم بناه عبد الله بن الزبير . وروى البخارى فى صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه : لما سقط عنهم الحائط - يعنى حائط حجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فى زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان أخذوا فى بنائه فقيدت لهم قدم ، ففزعوا ، وظنوا أنها قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فاجدوا أحداً يعلم ذلك ، حتى قال لهم عروة : لا والله ما هى قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ما هى إلا قدم عمر ولما أدخل عمر بن عبد العزيز حجرات أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - فى المسجد نازله عروة منازلة شديدة كيلاً يجعل قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فى المسجد ، فأبى وقال : كتاب أمير المؤمنين لا بد من إيفاده ، ولكنه جعل حجرة السيدة عائشة مثلثة الشكل محذرة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلى إلى جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة . .

ثم جرت ما جرت ، واقترب الناس ما اقتربوا من عبادة القبر . لهذا يجب العمل على أفراد القبر عن المسجد اعتداء بهدى الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم . فليس من تكريم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يعبد قبره من دون الله ، أو أن يتمسح به ، أو يستجار به ، أو . . . مما يحاول اقترافه عبدة الفياطين . وما أجل ما قاله الإمام الشوكانى وهو يشرح حديث النهى عن رفع القبور . ومن رفع القبور الداخلة تحت الحديث دخولاً أولياً : القبر والمشاهد المعمورة على القبور . وأيضاً هو من اتخذ القبور مساجد ، وقد لعن النبي - صلى الله عليه وسلم - فاعل ذلك .. وكفى سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاصد يبكى لها الإسلام

منها : اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار الأصنام ، وعظم ذلك ، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ، ودفع الضرر ، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الخوائج ، وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشهدوا إليها الرجال ، وتمسحوا بها ، واستغاثوا ، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ، ويغار حمية للدين الحنيف لا عالماً ، ولا متعلماً ، ولا أميراً ، ولا وزيراً ولا ملسكاً ، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه عين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً ، فإذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعقدك الولي الفلاني تلعم وتلسكاً وأبي واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال إنه تعالى ثانی اثنين أو ثالث ثلاثة . فياعلماء الدين ، وبأملوك المسلمين : أى رزء للإسلام أشد من الكفر ١٩

وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ١٩

وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟

وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا ١٩

لقد أسمعتم لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها أضأت ولكن أنت تنفخ في رماذ

أفيسمع المسلمون من رجل لا يستطيع أحد أن ينال من علمه وفقهه

وإخلاصه ؟ ؟

وإنه ليروى أن الوليد لما قدم حاجا جعل يطوف في المسجد ، وينظر إليه .

ويصيح بعمرها هنا ، ومعه أبان بن عثمان : فلما استنفد الوليد النظر إلى المسجد

التفت إلى أبان ، وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟ قال أبان : إنا ببنينا بنيان المساجد

وبنينا ببناء الكنائس ص ٣٧٠ السهمودي ١

وصف المسجد في القرن السادس : وقد ورد للمسجد وصف دقيق من كاتب

مراكشي عاش في القرن السادس الهجري نقله بنصه عن كتابه والاستبصار

في عجائب الأمصار : « ومسجد النبي » ص ، « مستطيل غير مربع يزيد طوله على عرضه مائة ذراع ، وسماه المسجد منقوشة مدهونة محفورة مذهبة كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز أسود بعضه على بعض ملبسة بالجيار ، وهو ليس على أقواس إلا ما كان إلى الصحن ، فانه أقواس معقودة وجوها منزولة بالفسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار والأعمدة التي إلى صحن المسجد هي أقصر من التي عليها سماه المسجد ، وتلك الأقواس التي إلى صحن المسجد منطقة بشرابيب الساج ، مقدم المسجد خمس بلاطات معترضة ، ومؤخره مثل ذلك ، ومجنبه المسجد الشرقية فيها ثلاث بلاطات معترضة ، ومجنبته الغربية أربع بلاطات ، ومن مقدم المسجد إلى الصحن أحد عشر قوسا ، وكذلك من مجنبته الأخرى . وطول المسجد من ركن منار بلال - رضى الله عنه - وهو الذي بإزاء قبر النبي » ص إلى ركن مؤخره ، وعرضه من باب جبريل عليه السلام ، وهو الذي بإزاء قبر النبي » ص ، إلى باب الرحمة التي بجنب دار السيدة مائة وسبعون ذراعاً ، ص ٢٧ ط ١٩٥٨ نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد .

حجرات أزواج النبي » ص : يقول الذهبي في بلبل الروض : لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ، ولا أحسبه بعد ذلك . إنما كان يريد بيتا واحدا حيثئذ لسودة أم المؤمنين ، ثم لم يحتاج إلى بيت آخر حتى بنى بعائشة في شوال سنة اثنتين ، وكأنه عليه السلام بناها في أزمان مختلفة ، ص ٢٢٤ أعلام الساجد .

وفي رواية أنه لما انصرف النبي » ص من خيبر وزاد في مسجده البنية الثانية ضرب الحجرات ما بين القبلة إلى الشام ، ولم يضربها غربية ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من الغرب ، وكانت لها أبواب في المسجد . وسائر الروايات فهد ما ذكر السهيلي تقرر أن أبواب بيوت زوجات النبي كانت مستورة بالمسوح ، وقال ابن عطاء عن أبيه : وكانت بيوت أزواج النبي » ص ، يقوم الرجل فيمس سقف البيت ، والحجرات سقف عليها المسوح ، وقد وصف عطاء الخراساني حجرات أزواج النبي بأنها كانت من جريد على أبوابها المسوح

من شعر أسود . كما يروى أن أحدهم قال حين هدمت : ليتها تركت حتى يقصر الناس عن البناء ، ويرى الناس ما رضى الله لنبيه ، وخوائن الدنيا بيده . هذا ولفظ الحجرة في هذه الآثار لا يراد به جملة البيت كما في قوله تعالى : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون : بل يراد ما يتخذ حجرة للبيت عند بابه مثل الحريم للبيت ، وكانت هذه من جريد النخل ، بخلاف الحجر لتي هي المساكن فإنها كانت من اللبن ، كما يروى أن بعضهم كانت له حجرة ، وبمضن لم يكن له حجرة ، وكان بيت فاطمة مع على خلف حجرة عائشة لم يزل حتى أدخله الوليد في المسجد ، وكان بيت عائشة بمأبى الشام ، وكان ذا مصراع واحد . وما يوضح مسمى الحجرة التي قدام البيت ما في سنن أبي داود وغيره عن ابن عمر : قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ، فالمخدع أستر من البيت الذي يقعد فيه ، والبيت أستر من الحجرة التي هي أقرب إلى الباب والطريق ، وكانت حجر عائشة وسودة وحفصة - رضى الله عنهن - لا صقة بالمسجد لأنه بنى بمن قبل غيرهن ، وآخر من تزوجها صفية لما فتح خيبر سنة تسع من الهجرة ، وحيفئذ اتخذها بيتا ، وكان أبعد عن المسجد من غيره كما يستفاد من حديث ورد في الصحيحين ، وفيه أنه خرج مع صفية من المسجد ليوصلها إلى سكنها ، ولو كان بيتها متصلا بالمسجد لم يفعل .

وحين دخلت حجرة عائشة في المسجد سد عمر بن عبد العزيز باب الحجرة ، وبني حائطا آخر عليها غير الحائط القديم . فالواجب - كما بينا من قبل - أن يعود كل شيء إلى مكانه ، وأن يفصل بين القبر والمسجد ، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، انظر كتابي الرد على البكري والرد على الإخنائي للامام ابن تيمية المطبوعين معا سنة ١٣٤٦ هـ ولا سيما من ص ١٨٤ من كتاب الرد على الإخنائي ، وانظر ص ٢٩٢ وما بعدها ٨ شرح المواهب اللدنية ، وكتاب وفاء الوفاء ١٠ من ص ٢٢٩ إلى ٣٧٩ ط ١٣٢٦ هـ ونيل الأوطار ٤ ص ٨٣ ط عثمان خايفة ١٣٥٧ وكتاب الخصائص للسبوطي ص ٣٩٦ ٣ بتحقيق فضيلة الشيخ هـ راس .

حب . حباب :

فصل : وذكر حديث أم أيوب ، وقولها : انكسر حُبُّ لنا . الحُبُّ
جَرَّةٌ كبيرة ، جَمْعُهُ [أَحَبُّ وَحِبَابٌ] حَبِيبُهُ مِثْلُ جُحْرٍ وَجِجَرَةٍ [وَأَجْحَارِ
وَجِجَرٍ] وَكَأَنَّهُ أَخَذَ لَفْظَهُ مِنْ حَبَابِ الْمَاءِ أَوْ مِنْ حَبِيبَةٍ ، وَحَبَابُهُ بِالْأَلْفِ :
ترافعه . قال الشاعر :

كَأَنَّ صَلَا جَهِيْزَةَ حِينَ تَمْشِي حَبَابُ الْمَاءِ يَتَّبِعُ الْحَبَابَا^(١)

نشر دار الكتب الحديثة ، والنصوص التي نقلتها عن الحجرات نقل أكثرها
الإمام ابن تيمية عن كتاب أخبار المدينة لأبي زيد عمر بن شبة النخعي ، وانظر
كتاب القرى للمحب الطبري ص ٢٢٩ ط الحلبي . وأما السرير الذي تحدث عنه
السهيلي ، فقد ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : [إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدْمًا - أَيْ : جِلْدًا - حَشْوُهُ : لَيْفٌ ،
وَكَذَلِكَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَوَرَدَ أَنَّهُ نَامَ عَلَى حَصِيرٍ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ ، أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ
وَالْتِّرْمِذِيُّ ، وَالْحَاكِمُ ، وَرَوَى ابْنُ حِبَانَ أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، سَرِيرٌ مَرْمَلٌ - بَضْمُ
الْمِمْ وَفَتْحُ الرَّاءِ وَتَشْدِيدُ الْمِمْ الْمَفْتُوحَةُ - بِالْبَرْدِيِّ ، وَعَلَيْهِ كَسَاءٌ أَسْوَدٌ مَحْشُوٌّ بِالْبَرْدِيِّ
وَالْبَرْدِيُّ نَبَاتٌ يَعْمَلُ مِنْهُ الْحَصِرُ . وَالْمَعْنَى : أَنَّ قَوَائِمَ السَّرِيرِ مَوْصُولَةٌ مَغْطَاةٌ
بِمَانِسَجٍ مِنْ نَبَاتِ الْبَرْدِيِّ . وَفِي حَدِيثٍ هَمَزٌ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رِمَالٍ سَرِيرٍ وَفِي رِوَايَةٍ : عَلَى رِمَالٍ حَصِيرٍ . وَالرِّمَالُ :
مارمل أي نسج .

(١) البيت في اللسان في مادة حب غير منسوب إلى أحد وفيه قامة بدلا
من . تمشي ، وفيه الحب : حب الماء وهو تكسره وهو الحباب . . . وقيل حباب
الماء موجه الذي يتبع بعضه بعضا . . . وقال الأصمعي : حباب الماء الطرائق التي في
الماء كأنها الرشي ، والصل : المعجزة .

وَالْحَبِّ بُغَيْرِ أَلْفٍ نَفَاخَاتٍ بَيِّضٌ صِفَارٌ تَكُونُ عَلَى وَجْهِ الشَّرَابِ
قَالَ ابْنُ ثَابِتٍ ^(١) .

الشوم :

وذكر قوله عليه السلام لأُم أيوب - حين رَدَّ عليها الثَّريدَ من أَجل
الثَّوم: أَنَا رَجُلٌ أَنَا حَيٌّ ، وروى غيره حديث أُم أيوب، وقال فيه : إِنِ الْمَلَأُ - كَـ
تَتَأَذَّى بِمَا يَتَأَذَّى بِهِ الْإِنْسُ ^(٢) . وروى أَن خَصِيفَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ رَأَيْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : الْحَدِيثُ الَّذِي
تُرَوِّيه عَنْكَ أُمُّ أَيُّوبَ أَنَّ الْمَلَأُ - كَـ تَتَأَذَّى بِمَا يَتَأَذَّى بِهِ الْإِنْسُ أَصَحِّحُ هُوَ ؟
قَالَ : نَعَمْ .

مصير منزل أبي أيوب

ومنزله أبي أيوب الذي نزل فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - تصير بعده
إلى أَفْلَحَ مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ ، فاشتراه منه بعد مَا خَرِبَ ، وَتَمَلَّكَتْ حَيْطَانُهُ

(١) فِي اللِّسَانِ عَنِ الْحَبَابِ - بِالْأَلْفِ - أَنَّهَا النِّفَاخَاتُ وَالنِّفَاخُ عَنِ التَّطَفُّو
عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ كَأَنَّهَا الْقَوَارِيرُ . وَحَبُّ الْأَسْنَانِ : تَنَضُّدُهَا .

(٢) وَرَدَ حَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ فِي مُسْلِمٍ وَفِيهِ أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ
دَسَ : : أَحْرَامٌ هُوَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَكْرَهٌ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ . قَالَ أَبُو أَيُّوبَ :
فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا كَرِهْتَ . وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ دَسَ ، قَالَ : مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا
فَلْيَعْتَزِلْنَا ، أَوْ قَالَ : فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، أَوْ لِيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ ، وَإِنَّ النَّبِيَّ دَسَ ، أَتَى
بِقَدْرِ فِيهِ خَضِرَاتٍ مِنْ بَقُولِ . فَوُجِدَ لَهَا رِيحًا ، فَقَالَ قَرِيبُهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ
وَقَالَ : كُلِّي فَإِنِّي أَنَا حَيٌّ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

المَغِيرَةُ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار بعد حيلة احتالها عليه
المَغِيرَةُ ذكرها الزبير ، ثم أصلح المَغِيرَةُ ما وَحَى منه ، وتصدق به على أهل بيت
من فقراء المدينة ، فكان بعد ذلك ابنُ أفلَحَ يقول للمَغِيرَةِ : جَدَّعْتَنِي ،
فيقول له المَغِيرَةُ : لَا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ . هذا معنى ما ذكره الزُّبَيْرُ بن أبي بكر^(١)

من قصة أبي سفيان مع بني محس

وذكر قول أبي أحمد بن جحش لأبي سفيان :

دارَ ابنِ عَمِّكَ بِقَتْمَا تقضى بها عنك الفرامة
إذهبُ بها لإذهب بها طَوَّقَتْهَا طَوَّقَ الحَمَامَةُ

أبو أحمد هذا اسمه عَيْدٌ ، وقيل : مُنَمَّاةٌ ، والأول أصح ، وكانت عنده الفارعة
بنت أبي سفيان ، وبهذا السبب تَطَرَّقَ أبو سفيان إلى بيع دارِ بني جَحْشٍ إذ
كانت بنته فيهم . مات أبو أحمد بعد أخته زينب أم المؤمنين في خلافة عمر .

وقوله لأبي سفيان طَوَّقَتْهَا طَوَّقَ الحَمَامَةُ مُتَنَزِّعٌ من قول النبي - صلى الله

(١) ذكر ابن إسحاق أن بيت أبي أيوب بناه تبع الأول لما مر بالمدينة
للنبي دس ، ينزله إذا قدم المدينة ، اقتداول البيت الملاك إلى أن صار لأبي
أيوب ! وهى ولا شك خرافة حين يقال إن تبعا بناها للنبي دس ، فما كان تبع
لها حتى يعرف الغيب ، أو ما كان تبع يعرف ما لم يعرفه النبي نفسه تحت أيلة
الوحى . . ويقال إن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل سيف
الدين بكر بن أيوب بن شادى اشترى عرصة دار أبي أيوب ، وبناها مدرسة لتدريس
المذاهب الأربعة .

عليه وسلم - مَنْ غَصَبَ شِبْرًا مِنْ أَرْضٍ طَوَّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ^(١) وقال طَوَّقَ الحمامة ، لأن طوقها لا يفارقها ، ولا تلقيه عن نفسها أبداً ، كما يفعل مَنْ لَبَسَ طَوَّقًا مِنَ الْآدَمِيِّينَ ، ففي هذا البيت من السَّمانَةِ وَحَلَاوَةِ الْإِشَارَةِ وَمَلَاَحَةِ الْاسْتِعَارَةِ مالا مزيدَ عليه ، وفي قوله : طَوَّقَ الْحَمَامَةَ رَدًّا عَلَى مَنْ تَأَوَّلَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ أَنَّهُ مِنَ الطَّائِفَةِ ، لَامِنْ الطَّوَّقِ فِي الْعَنْقِ ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ ، مَعَ أَنَّ الْبُخَارِيَّ قَدْ رَوَاهُ ، فَقَالَ فِي بَعْضِ رَوَايَتِهِ لَهُ : خُسِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ^(٢) ، وفي مسند ابن أبي شَيْبَةَ : مَنْ غَصَبَ شِبْرًا مِنْ أَرْضٍ جَاءَ بِهِ إِسْطَاطَمًا فِي عُنُقِهِ ، وَالْإِسْطَاطَمُ كَالْحَلِاقِ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَسِطَامُ السَّيْفِ . حَدَّثَهُ^(٣) .

الخطبة :

فصل : وذكر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيها يقول الله عز وجل لعبده : أَلَمْ أَوْتِكَ مَالًا وَأَفْضَلَ عَلَيْكَ ، فإِذَا قَدَّمْتَ ؟ وفي غير هذا الكتاب زيادة ، وهي : أَلَمْ أَوْتِكَ مَالًا ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَعُ وَتَدَسَّعُ ؟ وفسره ابن الأنباري ، فقال : هو مثل ، وأصله : أَنْ الرَّئِيسَ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ

(١) متفق عليه .

(٢) فسرهما ابن الأثير في النهاية بما يأتي : أَيْ يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَتَصِيرُ الْقِطْعَةُ الْمَغْصُوبَةُ فِي عُنُقِهِ كَالطَّوَّقِ ، وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يَطْوِقَ حُلْمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَيْ بِكَفٍّ ، فَيَكُونُ مِنْ طَوَّقِ التَّسْكِيْفِ لَامِنْ طَوَّقِ التَّقْلِيدِ .

(٣) سِطَامٌ أَوْ إِسْطَاطَمٌ : الْحَدِيدَةُ الَّتِي تَحْرُكُهَا النَّارُ وَتَسْمَعُ فِي النَّهَايَةِ لِبَنِ الْأَثِيرِ .

يَرْبِعُ قَوْمَهُ أَى : يأخذ المِرْبَاعَ إذا غزا وَيَدْسَعُ : أَى يُعْطَى وَيَدْفَعُ من المَالِ
لَمَنْ شَاءَ ، ومده قولهم : فلان ضَخَّمُ الدَّرْسِيعةُ ^(١) .

الحب :

وذكر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثانية ، وفيها : أَحِبُّوا
الله من كل قلوبكم ، يريد أن يَسْتَغْرِقَ حُبُّ الله جميع أجزاء القلب ، فيكون
ذكره وعمله خارجا من قلبه خالصا لله ، وإضافة الحب إلى الله تعالى من عبده
مجاز حسن لأن حقيقة المحبة : إرادة بقارنها استِدْعاء للمحبوب إماما بالطبع ،
وإماما بالشرع ، وقد كشفنا معناها بفاية البيان في شرح قوله عليه السلام : إِنْ
الله [تعالى] سَجِئٌ يَحِبُّ الْجَمَالَ ^(٢) ونبهنا هنالك على تقصير أبى المعالى رحمه الله
في شرح المحبة في كتاب الإرادة من كتاب الشامل فَلْتُنْظَرْ هنالك ^(٣) .

(١) أصل الدسع : الدفع . وضخم الدسيعة : واسع العطية ، ومعنى ألم أجعلك
لخ - كما في النهاية لابن الأثير : ألم أجعلك رئيسا مظانا ، لأن الملك كان يأخذ الربع
من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه .

(٢) رواه مسلم والترمذى والطبرانى في الكبير والحاكم في مستدرکه .

(٣) أحسن من تسكلم عن الحب هو الإمام ابن القيم في كتابيه « روضة
المحبين ، وكتاب « مدارج السالكين » ، وفي هذا الأخير يقول الإمام الجليل إن
الكلام عن الحب معلق بطرفين : « محبة العبد لربه ، وطرف محبة الرب لعبده .
والناس في إثبات ذلك ونفيه أربعة أقسام : فأهل يحبهم الله ويحبونه على
إثبات الطرفين ، وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر ، ولانسبة لسائر المحاب
إليها ، وهى حقيقة : لا إله إلا الله ، وكذلك عندم محبة الرب لاوليائه وأنبيائه
ورسله صفة زائدة على رحمته وإحسانه ، وعطائه ، فإن ذلك أثر المحبة وموجها ،

فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب .
والجهمية المعطلة عكس هؤلاء ، فانه عندهم لا يحب ولا يحب ، ولم يمكنهم
تكذيب النصوص ، فأولوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته .
والازدياد من الأعمال ؛ ليتألوا بها الثواب ، وإن أطلقوا عليهم بها لفظ المحبة ،
فلما ينالون به من الثواب والأجر والثواب المنفصل عندهم : هو المحبوب لذاته ،
والرب تعالى محبوب لغيره حب الوسائل .

وأولوا نصوص محبته لهم بإحسانه إليهم ، وإعطائهم الثواب ، وربما أولوها
بثناؤه عليهم ، ومدحه لهم ، ونحو ذلك . وربما أولوها بآرادته لذلك .
فتارة يؤولونها بالمفعول المنفصل ، وتارة يؤولونها بنفس الإرادة .
ويقولون : الإرادة إن تعلقت بتخصيص العبد بالأحوال والمقامات العملية ،
سميت محبة ، وإن تعلقت بالعقوبة والانتقام سميت غضبا . وإن تعلقت بعموم
الإحسان والإنعام الخاص سميت برا ، وإن تعلقت بإيصاله في خفاء من حيث
لا يشعر أولا يحتسب سميت : لطفنا ، وهي واحدة ، ولها أسماء ، وأحكام باعتبار
متعلقاتها .

ومن جعل محبته للعبد ثناءه عليه ومدحه له . ردها إلى صفة الكلام ، فهي
عنده من صفات الذات ، لا من صفات الأفعال ، والفعل عنده نفس المفعول ،
فلم يقم بذات الرب محبة لعبده ولا لأنبيائه ، ورسله ألبته .
ومن ردها إلى صفة الإرادة جعلها من صفات الذات باعتبار أصل الإرادة ،
ومن صفات الأفعال باعتبار متعلقها .

ولما رأى هؤلاء أن المحبة إرادة ، وأن الإرادة لا تتعلق إلا بالمحدث
المقدور . والقديم ويستحيل أن يراد أنكرها محبة العباد ، والملائكة والأنبياء
والرسل له . وقالوا : لا معنى إلا إرادة التقرب إليه ، والتعظيم له ، وإرادة عبادته ،
فأنكروا خاصة الإلهية ، وخاصة العبودية ، واعتقدوا أن هذا من موجبات
التوحيد والتنزيه ، فعندهم لا يتم التوحيد والتنزيه ، إلا بمحمد حقيقة الإلهية ، ومحمد
حقيقة العبودية .

وجميع طرق الأدلة : عقلا ، ونقلا ، وفطرة وقياسا واعتبارا . . تدل على إثبات محبة العبد لربه ، والرب لعبده . .

ثم قال إن من أنكروا المحبة : « قد أنكروا خاصة الخلق والامر ، والغاية التي وجدوا لاجلها ، فإن الخلق والامر والثواب والعقاب إنما نشأ عن المحبة ، ولأجلها ، وهي الحق الذي به خلقت السموات والأرض ، وهي الحق الذي تضمنته الامر والنهي ، وهي سر التأليه ، وتوحيدها ، هو : شهادة أن لا إله إلا الله . . . والقرآن والسنة ملوآن بذكر من يحبه الله سبحانه ، من عباده المؤمنين . وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم كذوله تعالى : (والله يحب الصابرين) آل عمران : ١٤٦ (والله يحب المحسنين) آل عمران ١٣٤ ، ١٤٨ .

وكم في السنة : أحب الأعمال إلى الله كذا كذا فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ، وانعطلت منازل السير إلى الله ، فانها روح مقام ومنزلة وعمل ، والمحبة حقيقة العبودية . . فمنكر هذه المسألة ومعطلها من القلوب معطل لذلك كله ، وحجابها أكشف الحجب ، وقاها أقمى القلوب ، وأبعدها عن الله ، وهو منكر لحلة إبراهيم عليه السلام ، فإن الحلة كال المحبة ، ص ١٨ إلى ص ٢٧ باختصار ط ٣ ط السنة المحمدية .

وبالنصوص القرآنية يثبت لنا أن الحب ليس هو الإرادة ، وإنما هو صفة أخرى . والذين ينكرون حب الله لعباده ، وحب العباد لله ، قوم عيونهم وأفكارهم مشدودة إلى صفات البشر بكل ما لهذه الصفات البشرية من خصائص ، وظنوا - خاضعين في هذا لأفكار غير عربية وغير إسلامية أنهم إن وصفوا الله بهذه الصفات التي بها وصف الله نفسه . أو أضافوا إليه من الأفعال والأسماء ما أضافه إلى نفسه . . ظنوا أنهم إن فعلوا ذلك أسندوا إلى الله ما يسندونه من لوازم هذه الصفات في بشريتها إلى البشر ، زعموا أن من لوازم الحب اللطف والقلق والخوف والشوق والفقر ، والشعور بالنقص فنقصوا عن الله صفة أنه يحب أو أنه استوى ، أو . . لأن هذه الصفات تستلزم ما يستحيل إطلاقه على الله . وهذا الظن قهور وتقصير . وإفراط في المادية ، واستفراق في الذهول عن الحقيقة ، فإن الصفة

تستمد قيمتها من موصوفها . بل إن الصفات تتغير وتباین لوازمها تبعاً لتباين الموصوفات في الخلق أنفسهم ، فغضبي ليس عين غضبك وحبي ليس عين حبك . وحبنا ليس حب الآخرين . فما بالنا بصفات الخالق ؟ فكيف نُسند إلى صفات الخلاق ما نُسند إلى صفات البشر من لوازم وخصائص ؟ وكيف نظن أن حب الله مثل حب خلقه ! حتى نحمل عليه ما نحمله عليهم ؟ وكيف نجرؤ على أن نجرد صفات الله من معانيها ، أو ننقيها عنه ونحن مستعبدون لظنون وأوهام ضرب الشيطان بها أفكار غيرنا وقلوبهم فأعماهم وأضلهم عن سواء الدليل ؟ وكيف نموى بين صفتين ، لم يجعل الله إحداهما عين الأخرى ، كيف نسوى بين الإرادة والمحبة ، والله يقول : (قل : من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة) الأحزاب : ١٧ (قل : فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً ، أو أراد بكم نفعاً) الفتح : ١١ (إن أرادني الله بضرٍ هل هن كاشفات ضره ، أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) الزمر : ٣٨ (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينا ، ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) الإسراء : ١٦

(ومن يرد الله فتنته ، فلن تملك له من الله شيئاً) المائدة : ٤١
(إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً) يس : ٢٣ أو يمكن أن نضع الحب مكان الإرادة في هذه الآية ؟
لقد تكرر إسناد الحب إلى الله في القرآن إثباتاً قرابة عشرين مرة ، وفي كل مرة يتعلق الحب بصفة في العبد تجعله من خير العباد الذين يستحقون هذه المحبة الإلهية ، فهو جل شأنه يحب المحسنين ، والتوابين والمنطهرين ، والمتقين والصابرين ، والمتوكلين ، والمقسطين والمطهرين والذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، والاذلة على المؤمنين الأئمة على الكافرين ، والذين يحبونه ، ويتبعون نبيه ، وهو لا يحب المعتدين ، ولا يحب الفساد ولا المفسدين ، ولا يحب الكفار الأثيم ولا يحب الظالمين ، ولا يحب من كان مختالاً فخوراً ولا يحب المسرفين ، ولا يحب الخائنين ، ولا يحب المستكبرين ، ولا يحب كل خوان فخور ، ولا يحب الفرحين ، ولا يحب الكافرين ، هكذا يثبت الله حبه

من شرح الخطبة

وقوله عليه السلام : لَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذَكَرَهُ ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى . الماء في قوله : فإنه لا يجوز أن تكون عائدة على كلام الله سبحانه ، ولكنها ضمير الأمر والحديث ، فكأنه قال : إن الحديث من كل ما يخلق الله يختار ، فالأعمال إذاً كلها من خلق الله قد اختار منها ما شاء قال سبحانه : ﴿ [وَرَبِّكَ] يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ القصص : ٦٨ ، وقوله : قد سماه خيره من الأعمال ، يعنى : الذكر ، وتلاوة القرآن ؛ لقوله سبحانه : ويختار ، فقد اختاره من الأعمال .

وقوله : والمصطفى من عباده ، أى : وسعى المصطفى من عباده بقوله : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ الحج : ٧٥ ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أى : العمل الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم ، فلا نكون من على هذا للتبويض ، إنما نكون لابتداء الناية ، لأنه عملٌ استخراجيه منهم بتوقيفه إياهم . والتأويل الأول أقرب مأخذاً والله أعلم بما أراد رسوله .

لقوم ، وينفيه عن آخرين ، وبهذا الإثبات والنفي ، تأكد ثبوت هذه الصفة الإلهية له سبحانه . فلتؤمن بأن الله يحب ، ولنقل إن الله يحب ، ولنسعد بأن الله يحب ، ولنشعر بروح وريحان حين نذكر ونقرأ ونقول : إن الله يحب ، ولن تلس خاطرة من فكرة مهما كان شأنها فى الصغر أو الكبر أن حب الله يشبه حب خلقه . إلا إذا كان ثمة لإنسان يجعل الله بعض خلقه . . . وجل جلال الله سبحانه أن يشبهه بشئ ، أو تنفى عنه ما أثبتته لنفسه .

وقوله في أول الخطبة^(١) إن الحمد لله أحمده هكذا برفع الدال من قوله: الحمد لله وجدته مقيداً مصححاً عليه ، وإعرابه ليس على الحكاية ، ولكن على إضمار الأمر كأنه قال : إن الأمر الذي أذكره ، وحذف الماء العائدة على الأمر كي لا يقدم شيئاً في اللفظ من الأسماء على قوله : الحمد لله ، وليس تقديم إن في اللفظ من باب تقديم الأسماء ، لأنها حرف مؤكّد لما بعده مع مافي اللفظ من التحرى للفظ القرآن والتميم به ، والله أعلم .

وكانت خطبته في تلك الأيام على جذع ، فلما صنع له المنبر من طرفاء الغابة^(٢) ، وصنعه له عبد لامرأة من الأنصار اسمه باقوم^(٣) خار الجذع خواراً

(١) روى أبو داود عن الخطبة الثانية ما يأتي : عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي إذا تشهد قال : الحمد لله . . . الحديث إلى قوله لا شريك له . وقد صحح النووي إسناد هذا الحديث في شرحه لمسلم . هذا ويرى الحسن البصري ، وداود الظاهري ، والحويني والشوكاني أن الخطبة مندوبة ، وليست بواجبة .

(٢) شجر ، الواحدة : طرفة ، وقال سيديويه : الطرفاء واحد وجمع . وبصفتها المعجم الوسيط بقوله جنس جنبات وجنديات للقرنين من الفصيلة الطرفارية ، ومنها : الأثل ، وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أنه صنع له من أثل الغابة ، ويقول الزرقاني في المواهب : وهو شجر كالطرفاء لاشوك له ، وخشبه جيد ، يعمل منه القصاع والأواني ، والغابة : موضع بالعوالي

(٣) واختلف في اسم صانعه ، ففي الصحيح أنه ميمون مولى امرأة من الأنصار ، وقيل : مولى سعد بن عباد ، فكانه في الأصل مولى امرأته ، ونسب إلى سعد مجازاً - وقد اختلف أيضاً في اسم امرأة سعد - وروى أبو نعيم أن صانعه باقوم الرومي مولى سعيد بن العاص ، أو باقول ، أو صباح ، أو قبيصة ، أو مينا ، أو صالح أو كلاب ، وكلاهما مولى العباس ، أو إبراهيم ، أو تميم الباري

الفاقة الخُلُوج ، حتى نزل عليه السلام ، فالتزمه ، وقال : لو لم ألتزمه ما زال يخُور إلى يوم القيامة ، ثم دفنه ، وإنما دفنه ، لأنه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه وحنينه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ الآية ، وإلى قوله عليه السلام في النخلة : مثلها كمثل المؤمن ، وحديث خُوارِ الجذع وحنينه منقول نقل التواتر لكثرة من شاهد خُواره من الخلق وكلهم نقل ذلك ، أو سمعه من غيره فلم ينكروه^(١).

كما ورد في أبي داود . ويقول الحافظ في الفتح : وليس في جميع الروايات التي مِمى فيها النجار شيء قوى السند سوى الحديث الذي رواه أبو داود عن ابن عمر لكن لم يصرح فيه بأن صانعه تميم . وأشبه الأقوال بالصواب بأنه ميمون لكونه من طريق سهل بن سعد . وكان المنبر ذا ثلاث درجات ، وزاد فيه مروان ست درجات لما كثرت الناس ، ولما احترق المسجد سنة ٦٥٤ جدد المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين منبرا ، ثم أرسل الظاهر بيبرس بعد عشر سنين منبرا ، فأزيل منبر المظفر ، ولم يزل منبر بيبرس إلى سنة ٨٢٠ ، ثم أرسل المؤيد شيخ منبرا ، فبقى سنة ٨٦٧ ، فأرسل الظاهر خشتقدم منبرا .

(١) يقول القاضى عياض فى الشفاء عن حديث حنين الجذع : حديث حنين الجذع مشهور منتشر ، والخبر به متواتر ، أخرجه أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم أبى بن كعب وجابر وأنس وابن عمر وابن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدرى وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبى وداعة ، وقد أخرج البخارى الحديث فى علامات النبوة ، والترمذى فى الصلاة عن نافع عن ابن عمر ، ورواه أحمد من رواية أبى جناب وهو ضعيف عن أبيه أبى حية عن ابن عمر ، ورواه ابن ماجة وأبو يعلى الموصلى وغيرهما من رواية حاد بن مسلمة عن ثابت عن أنس ، ورواه الترمذى ومحممه وأبو يعلى وابن خزيمة والطبرانى والحاكم ومحممه ، وقال على شرط مسلم يلزمه إخراجهم من رواية

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين اليهود

شرط لهم فيه ، وشرط عليهم ، وأمنهم فيه على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، وكانت أرض يثرب لهم قبل نزول الأنصار بها ، فلما كان سئل العرم ، وتفرقت سبائ نزلت الأوس والخزرج بأمر طريفة السكاهنة ، وأمر

إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس ، ورواه الطبراني من رواية الحسن عن أنس ، ورواه أحمد بن منيع والطبراني وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عامر عن ابن عباس . ورواه أحمد والدارمي وأبو يعلى وابن ماجه وغيرهم من رواية الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه . ورواه الدارمي من رواية أبي حازم عن سهل بن سعد ، ورواه أبو محمد الحسن بن علي الجوهري من رواية عبد العزيز بن رواد عن نافع عن تميم الداري . وقال الحافظ في الفتح : « حنين الجذع والشفق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم من لا ممارسة في الله ، والله أعلم ، وقال البيهقي : « قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف ورووها عن السلف رواية الأخبار الخاصة كالتكليف ،

أقول : زالت آية الجذع ، وبقيت آية الله الكبرى التي من بها على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي القرآن ، ومن يتدبر القرآن يجد هاديا إلى الأدلة التي بها تثبت نبوة عبده وخاتم أنبيائه ، وذكر فيه من آياته الكبرى ما ذكر . والله بمن على عبده بما شاء .

والناقة الخلود : التي اختاب ولدها أي انتزع منها . وحديث النخلة في الجامع الصغير : « مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء ففعلك » وقال عنه رواه الطبراني عن ابن عمر !

(في بيان الاختصاص)

عِمْرَان بن عامر ، فإنه كان كاهنًا أيضًا وبما سَجَعَتْ به لكل قبيلة من سَبَا ، فَسَجَعَتْ لِبَنِي حَارِثَةَ بن ثَعْلَبَةَ . وهم الأوس والخزرجُ أن يَنْزِلُوا بِثَرْبِ ذاتِ النَّخْلِ فنزلوها على يَهُودَ وحالوهم وأقاموا معهم ، فكانت الدارُ واحدةً .

متى دخل اليهود يثرب؟

والسبب في كون اليهود بالمدينة ، وهى وسط أرض العرب مع أن اليهود أصلهم من أرض كَنْعَانَ أن بنى إسرائيل كانت تغير عليهم الْعَمَالِيقُ من أرض الحجاز، وكانت منازلهم يَثْرِبَ وَالْجُحَفَةَ إلى مكة ، فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى ، فوجه إليهم جيشًا ، وأمرهم أن يقتلوه ، ولا يُبْقُوا منهم أحدًا ، ففعلوا وتركوا منهم ابنَ ملك لهم كان غلامًا حسنًا ، فرثوا له ، ويقال للملك : الأرقم بن أبى الأرقم فيما ذكر الزبير ثم رجعوا إلى الشام وموسى قدم مات ، فقالت بنو إسرائيل لهم : قد عصيتم وخالفتم ، فلا تُؤْوِيكُم ، فقالوا : نرجع إلى البلاد التى غُلِبْنَا عليها ففكون بها ، فرجعوا إلى يثرب ، فاستوطنوها وتناسلوا بها إلى أن نزلت عليهم الأوسُ والخزرجُ بعد سيل العَرَم . هذا معنى ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتابه السكبير المعروف : بكتاب الأغاني ، وإن كان الزُّبَيْرُ قد ذكره أيضًا في أخبار المدينة ، ولا أحسب هذا صحيحًا لبعده عُمُرِ موسى عليه السلام ، والذي قال غيره إن طائفة من بنى إسرائيل لحقت بأرض الحجاز حين دَوَّخَ بَحْتُ نَصْرَ الْبَابِلِ في بلادهم ، وجاس خلال ديارهم ، فحينئذ لحق من لحق منهم بالحجاز كقَرِظَةَ والنَّضِيرِ ، وسكنوا خَيْبَرَ والمدينة ، وهذا معنى ما ذكر الطبرى والله أعلم .

اسم يثرب

وأما يَثْرِبُ فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فُعرفت باسمه ، وهو يَثْرِبُ بن قَاف بن عَيْل بن مَهْلِيل بن عَوْص بن عِمْلَاق بن لَؤْذ بن إِزْم ، وفي بعض هذه الأسماء اختلافٌ وبنو عَيْل هم الذين سكفوا الجَحْفَةَ فَأُجْحَفَتْ بهم السيولُ وبذلك سُمِّيتِ الجَحْفَةُ ^(١) ، فلما احتلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كره لها هذا الاسم أعنى : يَثْرِب لما فيه من لفظ التَّثْرِيب ، وسماها طَيِّبَةَ والمدِينَةَ .

فإن قلت : وكيف كره اسمًا ذكرها الله في القرآن به ، وهو الْمُثَقَدِي بكتاب الله ، وأهلُ أن لا يُعَدِّلَ عن تسمية الله ؟ قلنا إن الله - سبحانه - إنما ذكرها بهذا الاسم حاكياً عن المنافقين ؛ إذ قالت طائفة منهم : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ فنبههم بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله ، وأبوا إلا ما كانوا عليه في جاهليتهم ، والله سبحانه قد سماها : المدينة ، فقال غير حالكٍ عن أحد : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [التوبة ١٢٠] ، وفي الخبر عن كُفِّبِ الأَحْبَارُ قال : إنا نجد في التَّوْرَةِ يقول الله للمدينة يَا طَابَةُ يَا طَيِّبَةُ يَا مَسْكِينَةَ لَا تَقْبَلِ السُّكُوزَ أَرْفَعِ أَجَاجِيرَكَ عَلَى أَجَاجِيرِ ^(٢) الْقُرَى ، وقد روى هذا الحديث عن

(١) أُجْحَفَ به : ذهب به ، وكان اسم الجحفة : مهيعة د معجم البكري ،

المراسد ، القاموس ،

(٢) أَجَاجِير : جمع إجار ، وهو السطح الذي ليس حواليه ما يرد الساقط

عنه ، والأناجير جمع أيضا

على بن أبي طالب يرفعه ، وروى أيضا أن لها في التوراة أحد عشر اسما :
المدينة وطابة وطيبنة والمسيكية والجابرة والمحببة والمحبوبة والقاصمة
والمجيرة والعذراء والمرحومة (١) ، وروى في معنى قوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ

(١) في تسميتها روى مسلم عن جابر بن سمرة قال : كان الناس يقولون :
يشرب والمدينة ، فقال رسـ ول الله صلى الله عليه وسلم — إن الله عز وجل
سماها : طابة .

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إنها طيبة ،
وإنها تنفي الخبيث ، كما تنفي النار خبث الفضة ، مسلم أيضا ،
وعن أحمد : من سمى المدينة ، فليستغفر الله عز وجل ، هي طابة ،
هي طابة

وقال الأزهري : كره ذكر الثرب ، لأنه فساد في لسان العرب
ويرى ابن فارس وقطرب أن المدينة من دان إذا أطاع ، فتكون الميم زائدة ،
وقيل من مدن بالمكان إذا أقام به ، فتكون الميم أصلية وجمعها مدن بضم الدال
ولساكنها ومدائن وترك الهمزة أفصح ، والنسب إلى المدينة مدني ، وإلى مدينة
المنصور مديني ، وإلى مدائن كسرى : مدائني وقيل : مدني إذا نسبت الرجل
والثوب . أما الطير فديني . والطاب والطيب لغتان بمعنى . وحديث كعب رواه
ابن زبالة وما أضعفه .

وقد ذكرت لها أسماء أخرى منهما : طيبة بتعديد الياء ، والمطيبة بتشديد الياء
مع فتحها ، والدار والهذراء - لشدة حرارتها - ، والحبيبية ، ومدخل صدق ،
ودار السنة ، ودار الهجرة ، والبلاط ، والإيمان ، ويندر ، ويندد والبحرة
والبحيرة . وقد غالى السهمودي فذكر لها أكثر من تسعين اسما ، راجع ص ٢٣٢
إعلام الساجد ص ٧ وفاء الوفا للسهمودي ، ص ٦٢٠ القرى للمحب الطبري .

وقد اختلف في يشرب - كما قال ابن دقيق العيد في شرح الإمام - : هل هو
اسم يرادف المدينة ، أو هو اسم لقطر محدود ، والمدينة في ناحية منه ؟ وعن

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ [وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ] الإسراء : ٨٠ أنها المدينة ، وأن ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مَسَكَّةٌ و﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ الأنصار .

تفسير على رباعاتهم :

وفي الكتاب : بنو فلان على رباعاتهم . هكذا رواه أبو عبيد عن ابن بكير عن عَقِيلِ بْنِ خَالِدٍ [بن عقيل الأيلي] عن الزهري ورواه عن عبد الله ابن صالح بهذا الإسناد ، فقال : رَبَاعَتِهِمْ . الألف بعد الباء ، ثم قال أبو عبيد : يقال : فلان على رباعة قومه إذا كان نقيبهم ووافدهم .

قال المؤلف : وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى ، لأنها ولاية ، وإن جعل الرباعة مصدراً فالقياس فتح الزاء ، أى على شأنهم وعادتهم من أحكام الدِّيَّاتِ والدماء ^(١) يتماقلون معاقلهم الأولى : جمع : مَعْقَلَةٌ وَمَعْقَلَةٌ مِنَ الْعَقْلِ

أبي عبيد : يشرب اسم أرض ، ومدينة الرسول في ناحية منها ، . وقيل : أرض وقعت المدينة في ناحية منها أو أن يشرب اسم للمدينة ، هكذا ورد في الكشف . وقال ابن عطية : يشرب قطر محدود ، والمدينة في طرف منه ، وقد غلب السهمودي ، فجمع لها أكثر من تسعين اسماً . وانظر ص ١٠٩ وما بعدها ١٠٠ بقاء الوفاء في سكنائها وما ذكر في سبب نزول اليهود بها وبيان منازلهم .

(١) في النهاية لابن الأثير : يقال القوم على رباعتهم ، ورباعهم أى : على استقامتهم ، يريد : أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه ، ورباعة الرجل : شأنه وحاله التي هو رابع عليها ، أى : ثابت مقيم . وعند الحشني : الربعة والرباعة الحال التي جاء الإسلام ، وهم عليها ، ويقال : فلان يقوم برباعة أهله ، إذا كان يقوم بأمرهم وشأنهم ص ١٢٥

وهو الدِّبَّةُ ^(١) .

من كلمات الكتاب :

وقال في الكتاب : وَالْأَيُّتْرَكَ مُفْرَحٌ ، وفسره ابن هِشَام كما فسرهُ
أبو عُبَيْد أنه الذي أثقله الدِّبْنُ ، وأنشد البيت الذي أنشده أبو عُبَيْد ^(٢) .

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمَانَةً وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفَرَحْتَكَ الْوَدَائِعُ
أى : أثقلتكَ يحوز أن يكون من أفعال السَّبِّ ، أى سَلَبْتَكَ الْفَرَحَ ،
كما قيل : أَقْطَطَ الرَّجُلُ إِذَا عَدَلَ ، أى : أزال التَّسْطَ ، وهو الإِعْوِجَاجُ ،
ويحوز أن تكون الفاء مُبَدَّلَةً من باء ، فيكون من التَّبَرُّح وهو الشدة ،
تقول : لقيت من فلان بَرِّحًا أى : شِدَّةً ، وذكر أبو عُبَيْد رواية أخرى
مُفْرَجٌ بِالْجِيمِ ، وذكر في معناه أقوالا ، منها أنه الذي لادبوان له ، ومنها : أنه
القتيل بين القريتين لا يُدْزَى من قتله ، ومنها أنه في معنى الْمُفْرَجِ بِالْهَاءِ أى :

(١) يقال : بنو فلان على معاقلم التي كانوا عليها ، أى : مراتبهم وحالاتهم ،
وسميت دية القتل : عقلا ، لأن القتلى كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل ،
فَعَقَلَهَا بِفَنَاءِ أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ ، أى شدها في عقلها ، ليسلها إليهم ، ويقبضوها منه ،
فسميت الدية : عقلا بالمصدر ، يقال : عقل البعير يعقله عقلا ، وجمعها عقول ،
والعاقلة : هى العصبية والأفازب من قبل الآب الذين يعطون دية قتل الخطأ . وهى
صفة جماعة عاقلة ، وأصلها اسم فاعلة من العقل ، وهى من الصفات الغالبة انظر مادة
عقل فى النهاية لابن الأثير

(٢) فى اللسان أبو عبيدة ، ونسبه ليهسى العذرى ، وقبله :
إِذَا أَنْتَ أَكْثَرْتَ الْإِخْلَاءَ صَادَفْتَ بِهِمْ حَاجَةَ بَعْضِ الَّذِي أَنْتَ مَانِعٌ

الذى لا شئ له ، وقد أثقله الدين ، أو نحو (١) هذا فيُقَصَّى عنه من بيت المال .
وفيه : ولا يُوتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ ، أى : لا يُؤَبِّقُ ، ويهلك إِلَّا نفسه ، يقال
وَتَغَّ الرجلُ ، وأوتغَه غيره ، تاله أبو عبيد . ومعنى قوله يُبَيِّء هو من البَوَاء ،
أى : المساواة ، ومنه قول مُهَلْمِل حين قَتَلَ ابْنًا للحارث بن عُبَاد : بُوٌّ بِشَسِج
تَغْلٍ كَلْتِيب (٢) .

وقوله : إِنْ الْبِرِّ دُونَ الْإِثْمِ ، أى : إِنْ الْبِرِّ وَالْوَفَاءِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَاجِزًا
عَنِ الْإِثْمِ .

وقوله : وَإِنْ اللَّهُ عَلَى أَتَقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ ، أى : إِنْ اللَّهُ وَحْزِبَهُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الرِّضَى بِهِ ، وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : إِنَّمَا كَتَبَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَذَا الْكِتَابَ قَبْلَ أَنْ تُفَرَضَ الْجِزْيَةُ ،

(١) وفى اللسان عن أبى عبيد : أَنْ الْمَفْرَجِ هُوَ الَّذِى يَسْلَمُ ، وَلَا يُوَالِ أَحَدًا
فَإِذَا جَنَى جُنَايَةً ، كَانَتْ جُنَايَتُهُ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ ، لِأَنَّهُ لَا عَاقِلَةَ لَهُ .

(٢) حين نشب الشر استعرت الحرب بين بكر وتغلب أربعة سنين ، وكان الحارث
ابن عباد البكرى قد اعتزل القسوم ، فلما استعحر القتل فى بكر ، اجتمعوا إليه
وقالوا : قد فنى قومك فأرسل الحارث إلى مهلمل أخى كليب بجيرا ابنه يناشده
السلام ، فقد أدرك وتوه من بكر ، فلما عرف المهمل أن يجيرا هو ابن الحارث
ابن عباد قتله قائلا : بُوٌّ بِشَسِج نَعْلُ كَلْتِيب ، فلما علم أبوه الحارث بهذا خرج يقاتل
المهمل وبنى تغلب ثائرا بجيرا ابنه ، وأنشأ يقول :

قربا مربوط النعامـة منى إن بيع الكريم بالشسع غالى
قربا مربوط النعامـة منى لقحت حرب وائل عن حيال
لم أكن من جناتها . علم الله ولانى بشرها اليوم صالى
وبروى : بجرها . والنعامـة : فرس الحارث ، وكانت هزيمة تغلب على يد الحارث .

وإذا كان الإسلام ضعيفاً . قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المَعْنَم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب .

المؤاخاة بين الصحابة

فصل المؤاخاة بين الصحابة : آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وَحْشَةُ الْعُرْبَةِ ويؤنسهم من مفارقة الأهل والمقربة ، ويُسَدُّ أَرْزُ بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشَّمْلُ ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ الأنفال ٧٥ أعنى في الميراث^(١) ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة

(١) من أين جاء بهذا ، وليس في آيات الميراث شيء من هذا ؟ ، هذا وقد أنكر الإمام ابن تيمية رضي الله عنه في منهاج السنة النبوية المؤاخاة بين المهاجرين والمهاجرين . وأقول : إنه ينكر هذه المؤاخاة بمعناها الخاص المعروف ، وإلا فالمسلم من أول يوم هو أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . ولنتدبر ما ذكر الله في أول سورة الحشر عما فعل الأنصار بأخوتهم المهاجرين ، ففى هدى الله هداية الحق والنور المبين لا في كلام السهيلي أو غيره .

ويقول الإمام ابن القيم : « وقد قيل : لأنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية ، واتخذ فيها علياً أخاً لنفسه .

والثابت الأول . يعنى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار - والمهاجرون كانوا مستغنيين بأخوة الإسلام ، وأخوة الدار ، وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار ، ولو آخى بين المهاجرين ، كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه ، ورفيقه في الهجرة ، وأنبسه في الفار ، وأفضل الصحابة ، وأكرمهم عليه : أبو بكر الصديق ، وقد قال : لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً ، لا تتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام أفضل ، « الصحيحان

فقال : ﴿ إِمَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ يعنى فى التَّوَادُّ وُشْمُولُ الدَّعْوَةِ .
وذكر مؤاخاته بين أبى ذَرٍّ وَالْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرٍو ، وقد ذكرنا إنكار الواقدي
لذلك فى آخر حديث بيعة العقبة .

نسب أبى الدرداء :

فصل : وذكر مؤاخاة سَلَمَانَ وَأَبى الدَّرْدَاءِ ، وأبو الدَّرْدَاءِ اسمه عُوَيْمَرُ
ابن عامر ، وقيل عُوَيْمَرُ بن زيد بن ثعلبة ، وقيل : عُوَيْمَرُ بن مالك بن
ثعلبة بن عمرو بن قيس بن أُمَيَّةَ من بَلَحَارِثِ^(١) بن الْخَزَرَجِ ، أمه : سَجْبَةُ
بنت وَاقِد بن عمرو بن الإطنابة ، وامراته : أم الدَّرْدَاءِ ، اسمها : خَيْرَةُ بنت
أبى حذَرْدٍ ، وأم الدرداء الصغرى ، اسمها : جُمَانَةُ ، مات أبو الدرداء بدمشق
سنة اثنين وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين^(٢) .

من حديث أنس ، وفى لفظ : ولكن أخى وصاحبى ، وهذه الاخوة فى الإسلام
وإن كانت عامة كما قال : وددت أن قد رأيتنا إخواننا ؟ قالوا : ألسنا إخوانك ؟
قال : أنتم أصحابى ، وإخوانى : قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ، ولم يرونى
رواه مسلم .

فلاصديق من هذه الاخوة أعلى مراتبها ، كماله من الصحبة أعلى مراتبها ،
فالصحابة لهم الاخوة ومزية الصحبة ولاتباعهم الاخوة والصحبة . ص ١٧٦
٢٠ زاد المعاد ط السنة المحمدية .

(١) اختلف فى اسم أبيه ، ف قيل : عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله
أو زيد ، وأبوه : ابن قيس بن أُمَيَّةَ بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج
الأنصارى الخزرجى ، الإصابة

(٢) قيل مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال ابن عبد البر إنه مات
بعد صفين ، والاصح عند أصحاب الحديث أنه مات فى خلافة عثمان .

نَسَبُ الْفَرْعِ

فصل وذكر مؤاخاة أبي رُوَيْحَةَ وبلالٍ ، وسماه: عَبْدَ اللَّهِ بن عبد الرحمن ، وقال : هو أحد الْفَرْعِ^(١) ، لم يبينه بأكثر من هذا ، وَالْفَرْعُ عند أهل النسب ، هو ابن شَهْرَانَ بن عَفْرِس بن حُلْف بن أَفْتَل ، وَأَفْتَلُ هو خَتَمٌ . وقد تقدم في أول الكتاب : لِمَ سَمِيَ خَتَمٌ وهو ابن أُمِّمَار ، وقد تقدم خِلَاف النسابين فيما بعد أُمِّمَارٍ .

وَالْفَرْعُ هذا بفتح الزاي ، وأما الْفَرْعُ بسكونها ، فهو الْفَرْعُ بن عبد الله ابن ربيعة [بن جندل] ، وكذلك الْفَرْعُ في خُرَاعَةَ ، وفي كلب هما ساكنان أيضاً قاله ابن حبيب ، وقال الدَّارِقُطْنِيُّ : الْفَرْعُ بفتح الزاي : رَجُلٌ يَرَوَى عن ابن عمر .

وذكر آخر في الرواة أيضاً بفتح الزاي يَرَوَى حديثاً في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لأبي رُوَيْحَةَ الخنعمي لواء عام الفتح ، وأمره أن ينادي : مَنْ دَخَلَ تَحْتَ لَوَاءِ أَبِي رُوَيْحَةَ ، فهو آمن .

مُؤَاخَاةُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بِلْمَعَةَ

فصل : وذكر مؤاخاة حَاطِبِ بْنِ أَبِي بِلْمَعَةَ^(٢) وَعُؤَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ ،

(١) ويروى بالقاف كما ذكر الحُشْنِي .

(٢) نسب حاطب في الإصابة : حاطب بن أبي بلمعة بن عمر بن عيمر بن سلمة ابن صعب بن سهل الخنعمي .

خبر الأذان

قال ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمرُ الأنصار ، استحكم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وفُرض الحلال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها إنما يجتمع الناسُ إليه للصلاة حين مَوَاقِيتِها ، بغير دَعْوَةٍ فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها أن يحمل بوقاً كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس ، فَنُحِتَ ليُضرب به للمسلمين للصلاة .

رؤيا عبد الله بن زيد

فبينما هم على ذلك ، إذ رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، أخو بلحارث بن الخزرج ، النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائف : مرّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوساً في يده ، فقلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال :

وقال في حاطب : حليف بنى أسد ، وقال غيره : كان عبداً لُعْبِيدَ الله بن حميد ابن زهير بن أسد بن عبد العزى ، وقيل : كان من مذحج ، والأشهر : أنه من لخم بن عدي ، واسم أبي بَلْتَعَةَ عمرو بن أشدّ بن معاذ . والبَلْتَعَةُ من قولهم تَبَلَّتَع الرجلُ إذا تَطَرَّف ، قاله أبو عبيد في الغريب المصنف .

وما تصنع به؟ قال : قلت : ندعوا به إلى الصلاة ، قال : أَفَلَا أدلك على خيرٍ من ذلك؟ قال : قلت : وما هو؟ قال : تقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنها لزويكاً حق ، إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه ، فليؤذّن بها ، فإنه أندى صوتاً منك . فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب ، وهو في بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يجر رداءه ، وهو يقول : يانبي الله ، والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فله الحمد على ذلك .

رؤيا عمر في الأذان

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن نعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج ، قال : قال لى عطاء : سمعت عبيد بن عمير الليثي يقول : أئتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس ، إذ رأى عمر بن الخطاب في المنام : لا تجملوا الناقوس ، بل أذنوا للصلاة . فذهب عمر

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذي رأى ، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك ، فما راع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سبقك بذلك الوحي .

ما كان يقوله بلال في الفجر

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بني النجار ، قالت : كان يتي من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة ، فيأتي بسحر ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطى ، ثم قال : اللهم إني أحمدك وأستعينك على قریش أن يقيموا على دينك . قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة

أبو قيس بن أبي أنس

قال ابن إسحاق : فلما اطمانت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره ، وأظهر الله بها دينه ، وسره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، أخو بني عدى بن النجار .

قال ابن هشام : أبو قيس ، صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار .

قال ابن إسحاق : وكان رجلاً قد ترهب في الجاهلية ، ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء ، وهم

.....

بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له ، فأتخذه مسجدا لا تدخله عليه فيه طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرها ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قوَّالا بالحق معظما لله عز وجل في جاهليته ، يقول أشعارا في ذلك حسنا - وهو الذي يقول :

يقول أبو قيس وأصبح غاديا : أَلَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ وَصَاتِي فَأَفْعَلُوا
فَأَوْصِيَكُمْ بِاللَّهِ وَالْبِرِّ وَالتَّقَى وَأَعْرَاضَكُمْ وَالْبِرِّ بِاللَّهِ أَوَّلُ
وَلَمَنْ قَوْمُكُمْ سَادُوا فَلَا تَحْسُدْنَهُمْ وَلَمَنْ كَفْتُمْ أَهْلَ الرِّيَاسَةِ فَأَعْدِلُوا
وَلَمَنْ نَزَلَتْ إِحْدَى الدَّوَاهِي بِقَوْمِكُمْ فَأَنْفَسِكُمْ دُونَ الْعَشِيرَةِ فَأَجْعَلُوا
وَلَمَنْ نَابَ غُرْمٌ فَادِحٌ فَارْفُقُوا وَمَا تَحْمَلُوكُمْ فِي الْأُمَامَاتِ فَأَحْمِلُوا
وَلَمَنْ أَنْتُمْ أُمَرَتُمْ فَمَتَّقُوا وَلَمَنْ كَانَ فَضْلُ الْخَيْرِ فِيكُمْ فَأَفْضِلُوا

قال ابن هشام : ويروى :

وَلَمَنْ نَابَ أَمْرٌ فَادِحٌ فَارْفُدُوهُمْ

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضا :

سَبَّحُوا اللَّهَ شَرَقَ كُلِّ صَبَاحٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ وَكُلَّ هِلَالٍ
عَالَمِ السَّرِّ وَالْبَيَانِ لَدَيْنَا لَيْسَ مَا قَالَ رَبُّنَا بَضَلَالٍ
وَلَهُ الطَّيْرُ تَسْتَرِيدٌ وَتَأْوِي فِي وَكُورٍ مِنْ آمِنَاتِ الْجِبَالِ
وَلَهُ الْوَحْشُ بِالْفَلَاةِ تَرَاهَا فِي حِقَافٍ وَفِي ظِلَالِ الرَّمَالِ

• • • • •

وله هَوَدْتُ يَهُودُ ودانت كلَّ دين إذا ذَكَرْتَ عُضال
وله شَمْسَ النَّصَارَى وقامُوا كلَّ عَيْدٍ لِرَبِّهِمْ واختِفَال
وله الرَّاهِبُ الحَبِيسُ تَراهُ رَهْنَ بُوسٍ وَكَانَ نَاعِمَ بال
يَا بَنِي الْأَرْحَامِ لَا تَقْطَعُوهَا وصلُّوها قَصِيَّةً من طِوَالِ
واتَّقُوا اللَّهَ في ضِعَافِ الْيَتَامَى ربَّما يُسْتَحْلُ غَيْرُ الْحَلَالِ
واعلَمُوا أَنَّهُ لِلْيَتِيمِ وَلِيًّا عالمًا يَهْتَدِي بِغَيْرِ السُّوَالِ
ثمَّ مالَ الْيَتِيمِ لَا تَأْكُلُوهُ إِنَّ مالَ الْيَتِيمِ يرعاه والى
يَا بَنِي ، التَّخَوُّمِ لَا تَخْزِلُوهَا إِنَّ خَزَلَ التَّخَوُّمِ ذُو عُقَالِ
يَا بَنِي الْأَيَّامِ لَا تَأْمَنُوهَا واحذروا مَكْرَهَا ومَرَّ اللَّيَالِ
واعلَمُوا أَنَّهُ مَرَّهَا لِنَفَادِ الْخَلْقِ ما كان من جَدِيدٍ وبالى
واجتمعوا أَمْرَكُمْ على الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وترك الْخُلْفَا وأخذ الْحَلَالِ

وقال أبو قَيْسٍ صِرْمَةٌ أَيْضًا ، يَذْكُرُ مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ
من الْإِسْلَامِ ، وما خَصَّهُمُ اللَّهُ بِهِ من نُزُولِ رِسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ :

ثَوَى في قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صَدِيقًا مُوَانِيًا
وَيَعْرِضُ في أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ فلم يَرَّ من يُوَوِّى ولم يَرَّ دَاعِيًا
فَلَمَّا أَنَا أَنَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ فأصبحَ مَسْرُورًا بِطِيبَةِ رَاضِيَا
وَأَلْنَى صَدِيقًا واطْمَأَنَّتْ بِهِ الذُّوَى وكانَ لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بِادِيَا
يَقْصُ لَنَا ما قالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ وما قالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمَناذِرِيا

فأصبح لا يخشى من الناس واحداً قريباً ولا يخشى من الناس نائياً
 بذلنا له الأموال من حلّ مالنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
 ونعلم أنّ الله لا شيء غيره ونعلم أنّ الله أفضل هاديا
 نعدى الذى عادى من الناس كلهم جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا
 أقول إذا أدعوك فى كلّ بيعة : تباركت قدأ كثرت لاسمك داعيا
 أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة حنانيك لا تظهر على الأعاديا
 فطأ مُعرِضاً إن الختوف كثيرة وإياك لا تُنبقى لنفسك باقيا
 فوالله ما يدرى الفتى كيف يتقى إذا هو لم يجعل له الله واقيا
 ولا تحفلُ التخلُّ المعيمة ربها إذا أصبحت رياءً وأصبح ثاويا
 قال ابن هشام : البيت الذى أوله :

فطأ مُعرِضاً إنَّ الختوفَ كثيرةٌ

والبيت الذى يليه :

فوالله ما يدرى الفتى كيف يتقى

لأفنون التغلبي ، وهو صريم بن معشر ، فى أبيات له .

الاعداء من يهود

قال ابن إسحاق : وَنَصَبَتْ عِنْدَ ذَلِكَ أَحْبَارُ يَهُودَ - لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْعِدَاوَةَ ، بَغِيًّا وَحَسَدًا وَضِعْفًا ، لِمَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْعَرَبَ مِنْ أَخْذِهِ رَسُولَهُ مِنْهُمْ ، وَإِنِضَافِ إِلَيْهِمْ رِجَالًا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخِزْرِجِ ، مِمَّنْ كَانَ عَلَى عِلَى جَاهِلِيَّتِهِ فَكَانُوا أَهْلَ نِفَاقٍ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْبُعْثِ ، إِلَّا أَنَّ الْإِسْلَامَ قَهَرَهُمْ بِظُهُورِهِ وَاجْتِمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِ ، فَظَهَرُوا بِالْإِسْلَامِ ، وَاتَّخَذُوهُ جُنَّةً مِنَ الْقَتْلِ وَنَافَقُوا فِي السَّرِّ ، وَكَانَ هَوَامُّهُمُ مَعَ يَهُودَ ، لَتَكْذِيبِهِمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجُعُودِهِمُ الْإِسْلَامَ . وَكَانَتْ أَحْبَارُ يَهُودَ هُمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ - رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَتَعَمَّقُونَهُ ، وَيَأْتُونَهُ بِاللَّبْسِ ، لِيَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، فَكَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِيهِمْ فِيمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ ، إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمَسَائِلِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَ عَنْهَا .

من يهود بنى النضير

منهم : حُمَيْي بن أخطب ، وأخواه أبو يامير بن أخطب ، وجُدَي بن أخطب ، وسَلَام بن مِشْكَم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق ، وسَلَام بن أبي الحُقَيْق ، أبو رافع الأعور ، وهو الذى قتله أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بخيبر - والربيع بن الربيع بن أبي الحُقَيْق ، وعمر بن جحاش ، وكعب بن الأشرف ، وهو من طيء ، ثم أحد بنى نهبان ، وإمُّه من بنى النضير ، والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، وكردم بن قيس ، حليف

كعب بن الأشرف ، فهو لاء من بنى القنصير .

من يهود بنى ثعلبة

ومن بنى ثعلبة ابن الفطيمون : عبد الله بن صوريّا الأعور ، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ؛ وابن صكوبا ، ومُخْبِرِيق ، وكان حَبْرَهُمْ ، أَسْلَمَ .

من يهود بنى قينقاع

ومن بنى قينقاع : زيد بن اللصيت - ويقال : ابن اللصيت - فيما قال ابن هشام - وسعد بن حنيفة ، ومحمود بن سيجان ، وعزيز بن أبي عزيز ، وعبد الله ابن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف .

قال ابن إسحاق : وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنجاص ، وأشيع ، ونُعْمان بن أضاء ، وبجرى بن عمرو ، وشأس بن عدى ، وشأس ابن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونُعْمان بن عمرو ، وسُكَيْن بن أبي سُكَيْن ، وعدى بن زيد ، ونُعْمان بن أبي أوفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك ابن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف .

قال ابن إسحاق : وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، و خالد وأزار بن أبي أزار . قال ابن هشام : ويقال : أزر بن أزر .

قال ابن إسحاق : ورافع بن حارثة ، ورافع بن حُرْبِلَة ، ورافع بن خارجة ،

.....

ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن الثابت ، وعبدالله بن سلام بن الحارث ،
وكان حَبْرَهُمْ وأَعْلَمُهُمْ ، وكان اسمه الْحَصَيْن ، فلما أسلم سماه رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم - عبدَ الله . فهؤلاء من بنى قَيْنُقَاع .

من يهود بنى قريظة

ومن بنى قُريظة : الزُّبَيْر بن بَاطَن وَهَب ، وَعَزَّال بن شَمُوِيل ،
وكعب بن أسد ، وهو صاحب عَقْد بنى قُريظة الذى نُقِضَ عام الأحزاب ،
وشَمُوِيل بن زيد ، وَجَبَل بن عمرو بن سُكَيْفَة ، وَالذَّحَّام بن زيد ، وَقَرْدَم
ابن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبى نافع ، وأبو نافع ، وعدى
ابن زيد ، والحارث بن عَوْف ، وَكَرْدَم بن زيد ، وَأَسَامَة بن حَبِيب ، ورافع
ابن رُمَيْلَة ، وَجَبَل بن أبى قُشَيْر ، وَوَهَب بن يَهُوذَا ، فهؤلاء من بنى قُريظة .

من يهود بنى زريق

ومن يهود بنى زُرَيْق : كَبِيد بن أَغْصَم ، وهو الذى أَخَذَ رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم عن نسائه .

من يهود بنى حارثة

ومن يهود بنى حارثة : كَنَانَة بن صُورِيَا .

من يهود بني عمرو

ومن يهود بني عمرو بن عوف : قرؤم بن عمرو .

من يهود بني النجار

ومن يهود بني النجار : سلسلة بن برهام .

فهؤلاء أحبار اليهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وأصحاب المسألة ، والنصب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومُخَيَّرِيق .

إسلام عبد الله بن سلام

قال ابن إسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سلام ، كما حدثني بعض أهله عنه . وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً علماً ، قال : لما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفتُ صفته واسمَه وزمانَه الذي كنّا نتوَكَّف له ، فكنتُ مُسِرّاً لذلك ، صامتا عليه ، حتى قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نزل بُقُبَاء ، في بني عمرو بن عوف ، أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلةٍ لي أعمل فيها ، وعمتي خالدةُ ابنة الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعتُ الخبرَ بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرتُ ، فقالت لي عمّتي ، حين سمعتُ تكبيرى : خيِّبك الله ، والله لو كنتُ سمعتُ بموسى ابن عمران قادمًا مازِدْتُ ، قال : فقلتُ لها : أىَّ عمّة ، هو والله أخو موسى

ابنِ عمران ، وعلى دينه ، بُعِثَ بما بُعِثَ به . قال : فقالت : أى ابنِ أخى ، أهو النّبىّ الذى كُنّا نُنْخِبرُ أنّه يبعثُ مع نَفَسِ السّاعةِ ؟ قال : فقلتُ لها : نعم . قال : فقالت : فذاك إذا . قال : ثم خرجتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمتُ ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتى ، فأمرتهم فأسلموا .

قال : وكنتمُ إسلامى من يهود ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلتُ له : يا رسول الله ، إن يهودَ قومٌ بُهتُ وإنى أحبّ أنْ تدخلنى فى بعضِ مبيوتك ، وتغيّبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى ، حتى يُخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يَقْلَمُوا بِإسلامى ، فإنهم إن عَلِمُوا به بهتُونى وعابُونى . قال : فأدخلنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بعضِ مبيوته ، ودخلوا عليه ، فكَلَّمُوهُ وساءلوه ، ثم قال لهم : أى رجلٍ الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وابن سيّدنا ، وحَبْرنا وعالمنا . قال : فلما قَرَعُوا من قولهم ، خرجتُ عليهم ، فقلتُ لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسولُ الله ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة باسمه وصِفَتِهِ ، فإنى أشهدُ أنّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، رأوا من به وأصدقوه وأعرفه ، فقالوا : كذبتِ ثم وقموا بى ، قال : فقلتُ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قومٌ بُهتُ ، أهلُ غَدْرٍ وكَذِبٍ وفُجورٍ ! قال : فأظهرتُ إسلامى وإسلام أهل بيتى ، وأسلمتِ عمتى خالدة بنت الخارث ، فحسنُ إسلامها .

حديث مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان من حديث مُخِيرِيق ، وكان حبراً عالماً ، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصِفَتِهِ ، وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أحد ، وكان يوم أحد يوم السبت ، قال : يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم كَلَقٌ . قالوا : إن اليوم يوم السبت ؛ قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قُتِلَ هذا اليوم ، فأموالي لحمد - صلى الله عليه وسلم - يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتِل . فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : مخيريق خير يهود . وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعاثه صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

شهادة عن صفية

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت : كنت أحب ولدي أبي إليه ، وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولديهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل قباء ، في بني عمرو بن عوف ، غداً عليه أبي ، حيي بن أخطب ، وعمي : أبو ياسر بن

أخطب ، مُعَلِّسَيْن . قالت : فلم يَزِجْما حتى كانا مع غروب الشمس . قالت :
فَأَتَيَا كَاللَّيْنِ كَمَلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى . قالت : فَمَشِشْتُ إِلَيْهِمَا
كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا التَفْتُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْبَغَمِ .
قالت : وَسَمِعْتُ عُمَى أَبَا يَاسِرٍ ، وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي : حُيِّ بْنِ أَخْطَبَ : أَهْوَهُو؟
قال : نَعَمْ وَاللَّهِ ؛ قال : أَتَمَرَفُهُ ؟ وَتُنْثَبِتُهُ ؟ قال : نَعَمْ ، قال : فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟
قال : عِدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ .

من اجتمع إلى يهود من منافقي الأنصار منافقو بني عمرو

قال ابن إسحاق : وَكَانَ رِجْمَانُ انْصَافٍ إِلَى يَهُودَ ، مِنْ سَمَى لَنَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ
مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ . مِنَ الْأَوْسِ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ مِنْ
مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ ؛ ثُمَّ مِنْ بَنِي لَوْذَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ : زُوَيْ بْنُ الْحَارِثِ .

منافقو حبيب

وَمِنْ بَنِي حُبَيْبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ : جُلَاسُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ ،
وَأَخُوهُ الْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ .

من نفاق جلاس

وَجُلَاسٌ لَذِي قَالَ - وَكَانَ مِنْ تَخَالُفٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - إِنَّكَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَادِقًا لِنَجْدٍ شَرٍّ مِنَ الْحُمْرِ . فَرَفَعَ ذَلِكَ

من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عُمير بن سعد ، أحدهم ، وكان في حِجْر جُلّاس ، خَلَف جُلّاسٌ على أُمّه بعد أبيه ، فقال له عُمير بن سعد : والله يا جُلّاس ، إنك لأحبّ الناس إلىّ ، وأحسنهم عندى يداً ، وأعزّهم علىّ أن يصيبه شيء يكرهه ، ولقد قلتَ مقالةً لئن رفعتها عليك لأفضحتك ، ولئن صمتُ عليها ليهلكنّ ديني ، وليحدّها أيسرُ علىّ من الأخرى . ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له ما قال جُلّاس ، فخاف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كذب علىّ عُمير ، وما قلتُ ما قال عُمير ابن سعد . فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا ، وَآقَدُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، وَهُمْ بِمَا كَلَمَ بَنَالُوا ، وَمَا تَقَمُّوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ التوبة : ٧٤ .

قال ابن هشام : الأليم : المومع . قال ذو الرمة يصف إبلا :

وترفع من صدور شمر ذلاتٍ يصكّ وجوهها وهجّ أليم

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسنت توبته ، حتى عُرف منه الخير

والإسلام .

ارتداد الحارث بن سويد وغدره

وأخوه الحارث بن سويد ، الذي قتل المجذّر بن زياد البَلَوِيّ ، وقيسَ ابن زيد ، أحد بنى ضُبَيْعة ، يوم أحد . خرج مع المسلمين ، وكان منافقا ، فلما التقى الناسُ عدّا عليهما ، فقتلهما ثم حلق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذّر بن زياد قتل سُوَيْدَ بن صامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب الحارث ابن سويد غرّة المجذّر بن زياد ، ليقتله بأبيه ، فقتله وحده ، وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : والدليل على أنه لم يقتل قيس بن زيد ، أن ابن إسحاق لم يذكره في قَتْلَى أُحُد .

قال ابن إسحاق : قتل سُوَيْدَ بن صامت مُعَاذُ بن عَفْرَاءَ غِيلَةً ، في غير حرب ، رماهم بسهم فقتله قبل يوم بُعَاثٍ .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكر - قد أمر عُمر بن الخطّاب بقتله إن هو ظفر به ، فقاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جُلاس يطلب التّوبة ، ويرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغني عن ابن عباس - : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ، وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران : ٨٦ إلى آخر القصة .

مناققو بنى ضبيعة

ومن بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : بجاد
ابن عثمان بن عامر .

مناققو بنى لوزان

ومن بنى لوزان بن عمرو بن عوف : نبتل بن الحارث ، وهو الذى قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى : من أحب أن ينظر إلى الشيطان ،
فليَنظر إلى نبتل بن الحارث ، وكان رجلا جسيما أذلم ، تأثر شعر الرأس
أحمر العيين ، أسفع الخدين ، وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتحدث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهو الذى قال :
إنما محمد أذن ، من حديثه شيئا صدقه . فأنزل الله عز وجل فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ
الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ : هُوَ أذنٌ ، قُلْ أذنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ،
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض رجال بلعجلان أنه حدث : أن جبريل
عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له إنه يجلس إليك رجل أذلم ،
تأثر شعر الرأس ، أسفع الخدين أحمر العيين ، كأنهما قد ران من صفر ،
كبداه أغلظ من كبد الحمار ، ينقل حديثك إلى المنافقين ، فاحذره . وكانت
تلك صفة نبتل بن الحارث ، فيما يذكرون .

منافقو بنى ضبيعة

ومن بنى ضبيعة : أبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ،
وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهداه الله لئن آتانا من
فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، الخ القصة . ومعتب الذى قال يوم
أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا . فأنزل الله تعالى فى ذلك من
قوله ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
الْجَاهِلِيَّةِ ، يَقُولُونَ لو كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ إلى آخر
القصة . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أن نأكل كُنُوز
كسرى وقيصصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فأنزل الله عز وجل
فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ والحارث بن حاطب .

معتب وابنا حاطب بدريون وليسوا منافقين

قال ابن هشام : معتب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم
من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به
من أهل العلم ، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد
فى أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وعبداد بن حنيفة ، أخو سهل بن حنيف ؛ وبحنج ،

وهم ممن كان بنى مسجد الضرار ، وعمرو بن خِذام ، وعبد الله بن نَبْتَل .

من بنى ثعلبية

ومن بنى ثعلبية بن عمرو بن عَوْف : جارية بن عاصم بن العَطَّاف ، وابناه : زيد ومُجَمِّع ، ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار . وكان مجمّع غلاماً محدثاً قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلى بهم فيه ، ثم إنه لما أخرب المسجد ، وذهب رجالٌ من بنى عمرو بن عوف ، كانوا يصلون ببني عمرو ابن عوف في مسجدهم ، وكان زمانُ عمر بن الخطَّاب ، كَلَّم في مجمّع ليصلى بهم ؛ فقال : لا ، أو ايس يا مامر المنافقين في مسجد الضرار ؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله الذي لا إله إلا هو ، ما علمت بشيء من أمرهم ، ولست كنى كنت غلاماً قارئاً للقرآن . وكانوا لا قرآن معهم ، فقدّموني أصلى بهم ، وما أرى أمرهم ، إلا على أحسن ماذكروا . فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه .

من بنى أمية

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : ودِيعَة بن ثابت ، وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنّا نخوض ونلعب . فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَأَلَتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ . . . إلى آخر القصة .

من بنى عبيد

ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : خِذام بن خالد ، وهو الذى أخرج

• مسجد الضرار من داره ؛ وبشر ورافع ، ابنا زيد •

من بنى النبيت

ومن بنى النبيت - قال ابن هشام : النبيت : عمرو بن مالك بن الأوس - قال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس : مِربع بن قَيْظَى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامداً إلى أحد : لا أُحِلُّ لك يا محمد ، إن كنت نبيا ، أن تمرّ فى حائطى ، وأخذ فى يده حَفَنَةً من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أُصِيب بهذا التراب غيرك لميْتُكَ به ، فابتدره القومُ ليقْتُلُوهُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ، فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصيرة . فضر به سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشجّه ؛ وأخوه أوس بن قَيْظَى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأذن لنا فلنرجع إليها . فأنزل الله تعالى فيه ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ .

قال ابن هشام : عورة ، أى مُغَوَّرَةٌ للعدوّ وضائعة ؛ وجمعها : عورات . قال النابغة الذبياني :

مَتَى تَلَقَّاهُمْ لَا تَلَقُ لِلْبَيْتِ عَوْرَةً وَلَا الْجَارِ تَحْرُومًا وَلَا الْأَمْرِ ضَائِعًا

• • • • •

وهذا البيت في أبيات له . والمورة (أيضا) : عورة الرجل ، وهي حرمة .
والمورة (أيضا) السوءة .

من بنى ظفر

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظفر ، واسم ظفر : كعب بن الحارث بن
الخرزج حاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد عسا في جاهليته وكان
له ابن من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته
الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها
من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يا بن حاطب
بالجنة . قال فتجهم نفاقه حينئذ ، فجعل يقول أبوه أجل جنة والله من حرمل ،
غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال ابن إسحاق : وبشير بن أبيرق ، وهو أبو طعمة ، سارق الدرعين ،
الذي أنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ، إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِمًا ﴾ وقزمان : حليف لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قتالا
شديدا حتى قتل بضعة نفر من المشركين ، فأثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار
بنى ظفر ، فقال له رجال من المسلمين : أبشر يا قزمان ، فقد أبليت اليوم ،

.

وقد أصابك ما ترى في الله : قال : بماذا أبشر ، فوالله ما قاتلت إلا حمية عن قومي ؛ فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهما من كفائته ، فقطع بهدروا هشا يده ، فقتل نفسه .

من بنى عبد الأشهل

قال ابن إسحاق : ولم يكن في بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحاك بن ثابت ، أحد بنى كعب ، رهط سعد بن زيد ، قد كان يتيهم بالنفاق وحُبَّ يهود .

قال حسان بن ثابت :

من مُلِّغُ الضحَّاك أنَّ عُرُوقَهُ أَعْيَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنْ تَتَمَجَّدَا
أَتَحِبُّ يَهُودَانَ الْحِجَازِ وَدِيَنَهُمْ كِبَدَ الْحِمَارِ ، وَلَا تَحِبُّ مُحَمَّدَا
دِينَا لَعَمْرِي لَا يُوَافِقُ دِينُنَا مَا اسْتَنْ آلٌ فِي الْقَضَاءِ وَخَوْدَا

وكان جُلاس بن سُويد بن صامت قَبْلَ تَوْبَتِهِ - فيما بلغني - ومعتب ابن قشير ، ورافع بن زيد ، وبشر ، وكانوا يُدْعَوْنَ بِالْإِسْلَامِ ، فدعاهم رجال من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الكُفَّان ، حَكَّام أهل الجاهلية ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا » . . . إلى آخر القصة .

.....

من الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بنى النجَّار : رافعُ بن ودِيعَة ، وزيد بن عمرو ،
وعمر بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهيل .

من بنى جشم

ومن بنى جُشم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلِمة : الجَدُّ بن قيس ، وهو
الذى يقول : يا محمد ، ائذن لى ، ولا تفتنى . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى ، وَلَا تَفْتِنِى أَلَا فى الفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
بِالْكَافِرِينَ ﴾ . . . إلى آخر القصة .

من بنى عوف

ومن بنى عوف بن الخزرج : عبدُ الله بن أبى بن سلُول ، وكان رأسَ
المُنافقين وإليه يجتمعون ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ
الأعرُ منها الأذلَّ فى غزوة بنى المُصطلق . وفى قوله ذلك ، نزلت سورة
المُنافقين بأسرها . وفيه وفى ودِيعَة - رجل من بنى عوف - ومالك بن
أبى قَوْفل ، وسُويد ، وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبى بن سلُول ؛
وعبد الله بن أبى بن سلُول . فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسُّون إلى بنى
النضير حين حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا ، فوالله لئن
أخرجتم المخرجنَّ معكم ولا نطاع فيكم أحدا أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم .
فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ

.

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَّا أَخْرَجْتُمُ الْفَخْرُجَنَ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ
فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾ ، ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله : ﴿ كَذَلِكِ الشَّيْطَانُ
إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

من أسلم من أحبار يهود نفاقا

قال ابن إسحاق : وكان ممن تَعَوَّذَ بالإسلام ، ودخل فيه مع المسلمين
وأظهره وهو مُنَافِقٌ ، من أحبار يهود :

من بنى قَيْنِقَاعَ

من بنى قَيْنِقَاعَ : سَعْدُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَزَيْدُ بْنُ اللَّصِيَّتِ ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَوْفَى
ابن عمرو ، وعثمان بن أوفى . وزيد بن اللصيت ، الذي قاتل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بسوق بنى قَيْنِقَاعَ ، وهو الذي قال ، حين ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين نَاقَتُهُ !
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رَحْلِهِ ،
ودلَّ الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على نَاقَتِهِ « إِنْ قَاتَلَا قَالَ :
يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، ولا يدرى أين نَاقَتُهُ ؟ وإني والله ما أعلم إلا
ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها ، فهي في هذا الشَّعْبِ ، قد حبستها شجرة
بزمَامِهَا ، فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله

.....

عليه وسلم ، وكما وصف « ورافعُ بن حُرَيْمِلَة ، وهو الذى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حين مات : قد مات اليوم عظيمٌ من عطاء المنافقين ؛ ورفاعة بن زيد بن الثابت ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هَبَّت عليه الرياح ، وهو قافلٌ من غزوة بنى المصطلق ، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها ؛ فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا ، فإنما هَبَّت لموتِ عَظِيمٍ من عطاء الكفار . فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن الثابت مات ذلك اليوم الذى هَبَّت فيه الرياحُ وسلسلة بن بَرْهَام . وكنانة بن صُورِيا .

طرد المنافقين من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديثَ المسلمين ، ويسفخرون ويستهنئون بدينهم ، فاجتمع يوما فى المسجد منهم ناسٌ فرآهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم ، خافضى أصواتهم ، قد لَصِق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجا عَنيفاً ، فقام أبو أيُّوب ، خالد بن زيد بن كُليب ، إلى عمرو بن قيس ، أحدِ بنى غَم بن مالك بن النجار - كان صاحبَ آلهتهم فى الجاهلية فأخذ برجله فسحبهُ ، حتى أخرجهُ من المسجد ، وهو يقول : أنخرِجنى يا أبا أيوب من مربدِ بنى نَعْلَبَة ، ثم أقبل أبو أيوب أيضا إلى رافع بن ودِيعَة ، أحد بنى النجار فلبَّيه بردائه ثم نثره نثراً شديداً ، ولطم وجهه ، ثم أخرجهُ من المسجد .

.....

وأبو أيوب يقول له : أَفَ لَكَ مَنَافِقًا خَبِيثًا : أَدْرَا جَكَ يَا مَنَافِقُ مِنْ مَسْجِدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن هشام : أَيْ ارْجِعْ مِنَ الطَّرِيقِ الَّتِي جِئْتَ مِنْهَا . قال الشاعر :

فَوَلَّى وَأَذْبَرَ أَدْرَا جَهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ نَمًّا

وقام عمارة بن حَزَمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو ، وَكَانَ رَجُلًا طَوِيلَ الْأَخْيَةِ ، فَأَخَذَ
بِلَحْيَتِهِ فَقَادَهُ بِهَا قَوْدًا عَنِيْفًا حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ جَمَعَ عِمَارَةَ بِدَيْهِ
فَلَدَّمَهُ بِهِمَا فِي صَدْرِهِ لَذْمَةً خَرَّتْ مِنْهَا . قال : يَقُولُ : خَدَشْتَنِي يَا عِمَارَةُ ؛ قَالَ :
أَبْعَدَكَ اللَّهُ يَا مَنَافِقُ ، فَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْعَذَابِ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَا تَقْرُبَنَّ
مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن هشام : اللَّدْمُ : اللَّضْرِبُ بِيَطْنِ الْكَفِّ . قال تميم بن أبي
بن مُقْبِلٍ :

وَالْفُؤَادُ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ لَدَمَ الْوَلِيدِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ

قال ابن هشام : الْغَيْبُ : مَا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْأَبْهَرُ : عِرْقُ الْقَلْبِ .

قال ابن إسحاق : وَقَامَ أَبُو مُحَمَّدٍ ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي النُّجَّارِ ، كَانَ بَدْرِيًّا ،
وَأَبُو مُحَمَّدٍ مَسْمُودٌ بَنَ أَوْسُ بْنُ زَيْدٍ بَنَ أَضْرَمَ بَنَ زَيْدٍ بَنَ ثَقْلَبَةَ بَنَ غَنَمٍ
ابْنِ مَالِكِ بْنِ النُّجَّارِ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَهْلٍ ، وَكَانَ قَيْسٌ غُلَامًا شَابًا ،
وَكَانَ لَا يَعْلَمُ فِي الْمَنَافِقِينَ شَابًا غَيْرَهُ ، فَجَعَلَ يَدْنَعُ فِي قَفَاهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ
الْمَسْجِدِ .

وقام رجل من بَلْخَدْرَةَ بنِ الْخَزْرَجِ ، رهط أبي سعيد الْخُدْرِي ، يقال له :
عبد الله بن الحارث ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنافقين
من المسجد إلى رجل يُقال له : الحارث بن عمرو ، وكان ذا أُجَمَّة ، فأخذ
بُجَمَّتَهُ فسحب به سحباً عنيفاً ، على مامرته به من الأرض ، حتى أخرجه من
المسجد . قال : يقول المنافق : لقد أغلظت يا بن الحارث ؛ فقال له ؛ إنك أهلٌ
لذلك ، أى عدوّ الله لما أنزل الله فيك ، فلا تقرب من مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فإنك نجس .

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زُوَيٍّ بن الحارث ، فأخرجه
من المسجد إخراجاً عنيفاً ، وأقف منه ، وقال : غلب عليك الشيطانُ وأمره .
فهؤلاء من حضر المسجد يومئذٍ من المنافقين ، وأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بإخراجهم .

ما نزل من البقرة فى المنافقين ويهود

ما نزل فى الأحزاب

ففى هؤلاء من أحبار يهود ، والمنافقين من الأوس والخزرج ، نزل
صدرُ سورة البقرة إلى المائة منها - فيما بلغنى - والله أعلم .

يقول الله سبحانه وبجمله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْكِتَابَ لَارِيبَ فِيهِ ﴾ ، أى
لا شك فيه .

• • • • •

قال ابن هشام : قال ساعدة بن جُوَيْبَةَ الهذلي :

فقالوا عهدنا القوم قد حَصَرُوا به فلا رَبَّيبَ أن قد كان ثمَّ طَلِيمُ

وهذا البيت في قصيدة له ، واربَّيب (أيضا) : الرِّيبَة . قال خالد بن
زُهَيْر الهذلي :

كَأَنِّي أُرِيْبُهُ بِرَبِّبِ

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

كَأَنِّي أُرْبَتُهُ بِرَبِّبِ

وهذا البيت في أبيات له . وهو ابن أخي أَبِي ذُوَيْبِ الهذلي .

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ، أى الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون
من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أى يُقيمون الصلاة بفرضها ،
ويؤتون الزكاة احتسابا لها : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِنْ قَبْلِكَ﴾ ، أى يصدقونك بما جئت به من الله عز وجل ، وما جاء به
مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، لا يفترون بينهم ، ولا يمجحدون ما جاءهم به من
رَبِّهِمْ . ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب
والميزان ، أى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من
ربك ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ، أى على نور من ربهم واستقامة
على ما جاءهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أى الذين أدركوا ما طلبوا ونَجَوْا

.....

من شرّ مامنه هربوا . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أى بما أنزل إليك ، وإن قالوا إنا قد آمنّا بما جاءنا قبلك ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ، ممّا جاءهم به غيرك ، فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من علمك . ﴿ خَسِمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ أى عن الهدى أن يُصِيبوه أبداً ، يعنى بما كذبوك به من الحقّ الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكلّ ما كان قبلك ، ولهم بما هم عليه من خلافك عذابٌ عظيم .

فهذا فى الأخبار من يهود ، فيما كذبوا به من الحقّ بعد معرفته .

ما نزل فى منافقى الأوس والخزرج

﴿ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ، أى شكّ ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ ، أى شكّا ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ، قالوا إنما نحن مصلحون ﴿ أى إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب . يقول الله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنّهم

هُمْ الشُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴿﴾ مِنْ يَهُودَ ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ ، وَخِلَافَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﴿﴾ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴿﴾ ، أَيْ إِنَّا عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ . ﴿﴾ إِنَّمَا نَخْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿﴾ : أَيْ إِنَّمَا نَسْتَهْزِئُ بِالْقَوْمِ ، وَنَلْعَبُ بِهِمْ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿﴾ .

تفسير بن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام يَعْمَهُونَ : يَحَارُونَ . تقول العرب : رجل عَمَهُ وعامه : أَيْ حيران . قال رؤبة بن العجاج يصف بلدا :

أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعَمَهُ

وهذا البيت في أرجوزة له . فالْعَمَهُ : جمع عامه ؛ وأما عَمِهِ ، فجمعه : عَمَهُونَ . والمرأة : عَمِيَّةٌ وَعَمِيَاءُ .

﴿﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى ﴿﴾ : أَيْ السَّكْفَرُ بِالْإِيمَانِ ﴿﴾ قَمَارَ بَحْتٍ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُتَّقِدِينَ ﴿﴾ .

قال ابن إسحاق : ثم ضرب لهم مثلا ، فقال تعالى ﴿﴾ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿﴾ أَيْ لَا يَبْصِرُونَ الْحَقَّ وَيَقُولُونَ بِهِ حَقًّا إِذَا خَرَجُوا بِهِ مِنْ ظُلُمَةِ السَّكْفَرِ أَطْفَأُوهُ بِكُفْرِهِمْ بِهِ وَنَفَاقَتِهِمْ فِيهِ ، فَتَرَكَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلُمَاتِ السَّكْفَرِ فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ هُدًى ، وَلَا يَسْتَقِيمُونَ عَلَىٰ حَقٍّ : ﴿﴾ صُمُّ بَكْمٌ غَمِيٌّ قَهْمٌ

.

لَا يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ : أى لا يرجعون إلى الهدى ، صُمُّ بُكْمٌ عُمَى عن الخير ،
لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاةً ما كانوا على مالم عليه ﴿٢﴾ أَوْ كَصَيْبٍ
مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ
الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٣﴾ .

قال ابن هشام : الصَّيْبُ : المطر ، وهو من صاب يصوب ، مثل قولهم :
السَّيْدُ ، من ساد يسود ، والمَيِّتُ : من مات يموت ؛ وجمعه : صَيَّابٌ . قال
عَلَقَمَةُ بْنُ عَبْدَةَ ، أَحَدُ بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَيْمٍ :
كَانَهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيْبٌ
وفيها :

فَلَا تَعْلَى بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ سَقَتَكَ رَوَايَا الْمُرْنِ حَيْثُ تُصُوبُ .

وهذان البيتان في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى هم من ظلمة مالم فيه من الكفر والحذر من القتل ،
مِنَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخِلَافِ وَالتَّخَوُّفِ لَكُمْ ، عَلَى مِثْلِ مَا وَصَفَ ، مِنَ الَّذِي هُوَ
(ف) ظِلْمَةُ الصَّيْبِ ، يجعل أصابعه في أذنيه من الصوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ . يقول :
وَاللَّهُ مَنَزَلَ ذَلِكَ بِهِمْ مِنَ النِّقْمَةِ ، أى هو محيط بالكافرين ﴿١﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ
يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢﴾ : أى لشدة ضوء الحق ﴿٣﴾ كُلُّهَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا
أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴿٤﴾ ، أى يعرفون الحق ويتكلمون به ، فهم من قولهم به-
على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه في الكفر قاموا متحيرين . ﴿٥﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴿ أَى لِمَا تَرَكُوا مِنَ الْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ للفریقین جمیعا ، من الکفار والمنافقین ، أَى وَحَّدُوا رَبَّكُمْ ﴿ الَّذِی خَلَقَکُمْ وَالَّذِینَ مِنْ قَبْلُکُمْ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ ﴾ * الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّکُمْ ، فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال ، واحدهم ندّ . قال لعبيد بن ربيعة :

أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَدَّ لَهُ بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَقُلْ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أَى لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرَهُ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ . ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ أَى فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ، ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ . وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ أَى مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَعْوَانِكُمْ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَافِينَ ﴾ ، فَإِنْ كَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ الْحَقُّ ﴿ فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

.

أَيُّ لَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ .

ثُمَّ رَغَّبَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ نَقِضَ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ لِقَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُمْ ، وَذَكَرَ لَهُمْ بَدْءَ خَلْقِهِمْ حِينَ خَلَقَهُمْ ، وَشَأْنَ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمْرَهُ ، وَكَيْفَ صُنِعَ بِهِ حِينَ خَالَفَ عَنْ طَاعَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ! الْأَحْبَارُ مِنْ يَهُودٍ ﴾ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴿ أَيُّ بِلَاثِي عِنْدَكُمْ وَعِنْدَ آبَائِكُمْ ، لَمَّا كَانَ نَجَاحُهَا بِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ وَأَوْفُوا بَعَهْدِي الَّذِي أَخَذْتُ فِي أَعْنَاقِكُمْ لِنَبِيِّ أَحْمَدَ إِذَا جَاءَكُمْ ﴿ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ أَنْجِزْ لَكُمْ مَا وَعَدْتَكُمْ عَلَى تَصَدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ بِوَضْعِ مَا كَانَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَصَارِ وَالْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَعْنَاقِكُمْ بَذَنُوبِكُمْ الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَحْدَاثِكُمْ ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ أَيُّ أَنْ أُنْزَلَ بِكُمْ مَا أُنْزِلَتْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ مِنَ النَّفَقَاتِ الَّتِي قَدْ عَرَفْتُمْ ، مِنَ التَّسَخُّعِ وَغَيْرِهِ ﴾ وَآمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ، وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ وَعِنْدَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ فِيهِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِ ﴾ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أَيُّ لَا تَكْتُمُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِرِسُولِي وَبِمَاجَاءِ بِهِ ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِيمَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْكِتَابِ الَّتِي بَأْيَدِيكُمْ ﴾ أَنْتُمْ تُرَوِّنَ النَّاسَ بِالْبَرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ الْكِتَابَ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴾ أَيُّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ النَّاسُ عَنِ الْكُفْرِ بِمَا عِنْدَكُمْ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْعَهْدِ مِنَ التَّوْرَةِ وَتَتْرَكُونَ أَنْفُسَكُمْ ، أَيُّ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِمَا فِيهَا مِنْ عَمَلِي إِلَيْكُمْ فِي تَصَدِيقِ رِسُولِي وَتَنْفُضُونَ مِيثَاقِي ، وَتَجْحَدُونَ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ كِتَابِي .

ثم عدّد عليهم أحداثهم ، فذكر لهم العجلَ وما صنعوا فيه ، وتوبته عليهم ، وإفلاته إياهم ، ثم قولهم : ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : جهرة ، أى ظاهراً لنا لا شئ يستره عنا . قال أبو الأخرز الحِمَاني ، واسمه قُتيبة :

يَجْهَرُ أَجْوَافَ الْمِيَاهِ السَّدْمِ

وهذا البيت في أرجوزة له .

يَجْهَرُ : يقول : يُظْهِرُ الْمَاءَ وَيَكْشِفُ عَنْهُ مَا يَسْتَرُهُ مِنَ الرَّمْلِ وَغَيْرِهِ .

قال ابن إسحاق : وأخذ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرتهم ، ثم إحياء إياهم بعد موتهم ، وتظليله عليهم الغمام ، وإنزاله عليهم المنّ والسلوى ، وقوله لهم : ﴿ اذْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ، أى قولوا ما أمركم به أخطّ به ذنوبكم عنكم ؛ وتبديلهم ذلك من قوله استهزاءً بأمره ، وإفلاته إياهم ذلك بعد هُزْنِهِمْ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المنّ : شئ كان يسقط في السَّحَرِ على شجرهم ، فيجتنبونه حُلْواً مثل العسل ، فيشربونه ويأكلونه . قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :
لَوْ أَطْعَمُوا الْمَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمْ مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمْ نَجْمًا

وهذا البيت في قصيدة له . والسلوى : طير ؛ واحدها : سلواة ؛ ويقال :
لأنها الشماني ، ويقال للعسل (أيضا) : السلوى . وقال خالد بن زهير الهذلي :
وقاسمها بالله حقا لأنتم ألد من السلوى إذا ما نشورها
وهذا البيت في قصيدة له . وحطة : أى حطأ عنا ذنوبنا .

قال ابن إسحاق : وكان من تبدلهم ذلك ، كما حدثني صالح بن كيسان .
عن صالح مولى التوءمة بنت أمية بن خلف ، عن أبي هريرة ومن لا أنهم ، عن
ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دَخَلُوا الباب الذى .
أَمَرُوا أَنْ يَدْخُلُوا مِنْهُ سُجَّدًا يَرْحَفُونَ ، وهم يقولون حِنط في شعير .
قال ابن هشام : ويروى : حنطة في شعيرة :

قال ابن إسحاق : واستسقاء موسى لقومه ، وأمره (إياه) أَنْ يَضْرِبَ
بِعَصَاهُ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ لَهُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، لِكُلِّ سِبْطٍ عَيْنٌ يَشْرَبُونَ .
منها ، قد علم كل سِبْطٍ عَيْنَهُ الَّتِي مِنْهَا يَشْرَبُ ؛ وقواهم لموسى عليه السلام :
﴿ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ
الْأَرْضُ مِنْ بَيْنِهَا وَفِثَائِهَا وَفُومًا ﴾ .

قال ابن هشام : الفوم : الحنطة . قال أمية بن الصلت التقي :
فوق شيزى مثل الجوابى عليها قَطَعَ كالوذيل فى رَنَى فُوم .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الذيل : قطع الفضة والفوم : القمح ؛ واحده : فومة .
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿وَعَدَسِيهَا وَبَصَالِيهَا ، قَالَ أَسْتَتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِاللَّهِ هُوَ خَيْرٌ *
أَخْضِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَاسْأَلَتُمْ﴾ .

قال ابن إسحاق : فلم يفعلوا . وَرَفَعَهُ الطُّورُ فَوَقَّعَهُمْ لِيَأْخُذُوا مَا أُوتُوا ؛
وَالْمَسِيحَ الَّذِي كَانَ فِيهِمْ ، إِذْ جَعَلَهُمْ قِرْدَةً بِأَحْدَانِهِمْ ، وَالبقرة التي أَرَاهُمُ اللَّهُ
عِزًّا وَجَلَّ بِهَا الْعِبْرَةَ فِي الْقَتِيلِ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، حَتَّى بَيَّنَّ اللَّهُ لَهُمْ أَمْرَهُ ، بَعْدَ
الْتِرَدُّدِ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ الْبَقَرَةِ ؛ وَقِسْوَةَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى
كَانَتْ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قِسْوَةً . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِنَّ مِنَْ الْحِجَارَةِ لَمَا
يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أَيُّ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَأَلَيْنُ مِنْ قُلُوبِكُمْ عَمَّا تَدْعُونَ
إِلَيْهِ مِنْ الْحَقِّ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

ثُمَّ قَالَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَمَّا مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤَيِّسُهُمْ مِنْهُمْ ﴿أَفَتَقْطَعُونَ
أَنْ يُؤْمِنُوا بِكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وَلَيْسَ قَوْلُهُ يَسْمَعُونَ التَّوْرَةَ ،
أَنْ كَلَّمَهُمْ قَدْ سَمِعَهَا ، وَلَكِنَّهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ، أَيُّ خَاصَّةٌ .

قال ابن إسحاق ، فيما بلغني عن بعض أهل العلم : قالوا لموسى : يَا مُوسَى ،
قَدْ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رُؤْيَا اللَّهِ ، فَاسْمَعْنَا كَلَامَهُ حِينَ يَكَلِّمُكَ ، فَطَلَبَ ذَلِكَ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ رَبِّهِ ، فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، مُرُّهُمْ فَلْيَطَّهَّرُوا ، أَوْ لِيُطَهَّرُوا ثِيَابَهُمْ ،
وَلِيَصُومُوا ، ففعلوا . ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ حَتَّى أَتَى بِهِمُ الطُّورَ ؛ فَلَمَّا غَشِيَهُمُ الْغَمَامُ
أَمَرَهُمُ مُوسَى فَوَقَعُوا سُجَّدًا ، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ، فَسَمِعُوا كَلَامَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، يَا مَرْهُمُ

• • • • •

وَيَنْهَاهُمْ ، حَتَّى عَقَلُوا عَنْهُ مَا سَمِعُوا ، ثُمَّ انْصَرَفَ بِهِمْ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ حَرْفُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَقَالُوا ، حِينَ قَالَ مُوسَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : إِنْ اللَّهُ قَدْ أَمَرَكُمْ بِكَذَا وَكَذَا ، قَالَ ذَلِكَ الْفَرِيقُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّمَا قَالَ كَذَا وَكَذَا ، خِلَافًا لِمَا قَالَ اللَّهُ لَهُمْ ، فَهَمَّ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ ، أَيْ بِصَاحِبِهِمْ رَسُولِ اللَّهِ ، وَاسْكَنَهُ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً . ﴿ وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرٍ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا ﴾ : لَا تَحْدِثُوا الْعَرَبَ بِهَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ فِيهِمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرٍ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ لِيُخَاجِبُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَفْقَهُونَ ﴾ ، أَيْ تُقَرُّونَ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِهِ ، وَهُوَ يُخَبِّرُكُمْ أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ وَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا ؛ أَجْعِدُوهُ وَلَا تُقَرُّوْا لَهُمْ بِهِ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَمِنْهُمْ امْتِيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام ، عن أبي عبيدة : إِمَّا أَمَانِيٌّ : إِلا قِراءة ، لِأَنَّ الْأَمِيَّ : الَّذِي يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ . يَقُولُ : لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا (أَنَّهُمْ) يَقْرَءُونَهُ .

قال ابن هشام : عن أبي عبيدة ويونس أنهما تأولا ذلك عن العرب .
في قول الله عز وجل ، حدثني أبو عبيدة بذلك .

قال ابن هشام : وحدثني يونس بن حبيب النحوي وأبو عبيدة : أن
العرب تقول : تمنى ، في معنى قرأ . وفي كتاب الله تبارك وتعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى
الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴿١﴾ . قال : وأنشدني أبو عبيدة النحوي :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وَآخِرَهُ وَافَى حِمَامُ الْقَادِرِ
وَأَنشَدَنِي أَيْضًا :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ فِي اللَّيْلِ خَالِيَا تَمَنَّى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رِسْلِ

وواحدة الأمانى : أُمْنِيَّة . والأمانى (أيضا) : أن يتمنى الرجل المال أو غيره ..

قال ابن إسحاق : ﴿ وَإِنْ أُمُّهُمْ إِلَّا يَطْنُونَ ﴾ : أى لا يعلمون الكتاب .
ولا يدرون مافيه ، وهم يجحدون نبوتك بالظن . ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّهَا النَّارُ
إِلَّا أَبَا مَاعْدُودَةَ ، قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ
أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

دعوى اليهود قلة العذاب في الآخرة ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وحدثني مولى يزيد بن ثابت عن عكرمة ، أو عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة واليهود تقول : إنما مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يُعذب الله
الناس في النار بكلّ ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام
الآخرة ، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله في ذلك من قولهم :
﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾ * قُلْ أَخَذْتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ
كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ أى من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر
بمثل ما كفرتم به ، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أى خلدوا أبداً . ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ : أى من آمن بما كفرتم به ، وعمل
بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها ، يُنْجِبُهُمْ أَنْ الثَّوَابَ بِالْخَيْرِ وَالْشَّرِّ
مُعْتَمِدٌ عَلَى أَهْلِهِ أَبَداً ، لا انقطاع له .

قال ابن إسحاق : ثم قال (الله عز وجل) يُؤَنِّبُهُمْ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ أى ميثاقكم ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ،
وَوَدَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾
أى تركتم ذلك كله ليس بالتقص . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ
دِمَاءَكُمْ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب،

قال ابن هشام : تسفكون : تصبئون . تقول العرب : سفك دمه ، أى صبّيه ، وسفك الزق ، أى هرقه . قال الشاعر :

وكنا إذا ما الضيف حلّ بأرضنا سفكنا دماء البدن في تربة الحال

قال ابن هشام : يعنى « بالحال » : الطين الذى يخاططه الرمل ، وهو الذى تقول له العرب : السهلة . وقد جاء فى الحديث : أن جبريل لما قال فرعون : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ أخذ من حال البحر ﴿ وحمّأته ﴾ فضرب به وجه فرعون . (والحال : مثل الحماة) .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَا تَخْرِجُونْ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴾ على أن هذا حق من ميثاق عليكم ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ أى أهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى تُفَادُوهُمْ ﴾ وقد عرّفتم أن ذلك عليكم فى دينكم ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ : فى كتابكم ﴿ إخراجهم ، أَفْقَتُوا مِنْهُمْ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَبَعْضِ ﴾ ، (أى) أنفادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفاراً بذلك . ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا

بِالْآخِرَةِ ، فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ، وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٠﴾ فَأَنْبِئْهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ ، وَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ سَفَكَ دِمَائِهِمْ ، وَافْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا فِدَاءَ أَسْرَاهُمْ .

فَكَانُوا فَرِيقَيْنِ ، مِنْهُمْ بَنُو قَيْنُقَاعَ وَلَقُفْهِمْ ، حُلَفَاءُ الْخَزْرَجِ ، وَالنَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ وَلَقُفْهِمْ ، حُلَفَاءُ الْأَوْسِ . فَكَانُوا إِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ حَرْبٌ خَرَجَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ مَعَ الْخَزْرَجِ وَخَرَجَتْ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ مَعَ الْأَوْسِ يُظَاهِرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ حُلَفَاءَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ ، حَتَّى يَتَسَافَكُوا دِمَاءَهُمْ بَيْنَهُمْ وَبِأَيْدِيهِمُ التَّوْرَةُ يَعْرِفُونَ فِيهَا مَا عَلَيْهِمْ وَمَالَهُمْ ، وَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَهْلُ شِرْكٍ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ . لَا يَعْرِفُونَ جَنَّةً وَلَا نَارًا ، وَلَا بَعَثَ وَلَا قِيَامَةَ ، وَلَا كِتَابًا ، وَلَا حَلَالًا وَلَا حَرَامًا ، فَإِذَا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا افْتَدَوْا أَسْرَاهُمْ تَصَدِيقًا لِمَا فِي التَّوْرَةِ ، وَأَخَذَ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، يَفْتَدِي بَنُو قَيْنُقَاعَ مَنْ كَانَ مِنْ أَسْرَاهُمْ فِي أَيْدِي الْأَوْسِ وَتَفْتَدِي النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ مَا فِي أَيْدِي الْخَزْرَجِ مِنْهُمْ وَيُطْلُونَ مَا أَصَابُوا مِنَ الدَّمَاءِ ، وَقَتْلَى مِنْ قَتَلُوا مِنْهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، مُظَاهَرَةً لِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ حِينَ أَنْبِئَهُمْ بِذَلِكَ : ﴿ أَقْتُوْهُمْ مِنْ بَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ ﴾ ، أَيْ تُفَادِيهِ بِحُكْمِ التَّوْرَةِ وَتَقْتُلُهُ ، وَفِي حُكْمِ التَّوْرَةِ أَنْ لَا تَفْعَلَ ، تَقْتُلُهُ وَتُخْرِجُهُ مِنْ دَارِهِ وَتُظَاهِرُ عَلَيْهِ مِنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ ، وَيَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِهِ ، ابْتِغَاءَ عَرْضِ الدُّنْيَا . فَبِمَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ مَعَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ - فِيمَا بَلَغَنِي - نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ

بالرُّسُلِ ، وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴿١٠﴾ ، أَى الْآيَاتِ الَّتِي وَضَعْتَ عَلَى يَدَيْهِ ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَخَلْقِهِ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، ثُمَّ يَفْخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ ، وَالتَّخْلِيعِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْغُيُوبِ مِمَّا يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَمَارَدَ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوْرَةِ مَعَ الْإِنْجِيلِ ، الَّذِي أَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ . ثُمَّ ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، فَقَالَ : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ، فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ وَفَرِّقُوا تَقْتُلُونَ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ : فِي أَكْفَةٍ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْثُومُونَ * وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَوْمِهِ ، قَالَ : قَالُوا : فِينَا وَاللَّهِ وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ ، كُنَّا قَدْ عَلَوْنَاهُمْ ظَهْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَنَحْنُ أَهْلُ شَرْكَ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ فَكَانُوا يَقُولُونَ لَنَا : إِنْ نَبِيًّا يَبْعَثُ الْآنَ نَقْبَعُهُ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ ، نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرمَ . فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيْشٍ فَاتَّبَعْنَاهُ كَفَرُوا بِهِ . يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بَلْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ، أَى أَنْ جَعَلَهُ فِي غَيْرِهِمْ : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُبِينٌ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : فباءوا بغضب : أى اعترفوا به واحتملوه . قال أعشى
بنى قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حُبلى يَسْرَتها قَبِيلها

(قال ابن هشام : يَسْرَتها : أجلستها للولادة . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيعوا من
التوراة ، وهى معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم الذى
أحدث الله إليهم .

ثم أنبهم برفع الطُور عليهم ، وانخاذهم العِجل إلهاً دون ربهم ، يقول
الله تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ
عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ ، فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكَذَّبُ عند الله ، فأبوا ذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم . يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَلَنْ
يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ﴾ ، أى يعلمهم بما عندهم من العلم بك ،
والكفر بذلك ، فيقال : لو تمَنَّوْهُ يومَ قال ذلك لهم مابق على وجه الأرض
يهودى إلا مات . ثم ذكر رغبتهم فى الحياة الدنيا وطول العمر ، فقال تعالى :
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ اليهود ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

يَوْمَ أَحَدُهُمْ كَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۚ ، أى ما هو بمُنْجِيه من العذاب ، وذلك أَنَّ الْمُشْرِكَ لَا يَرْجُو بَعَثًا بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَهُوَ يَجِبُ طَوْلُ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّ الْيَهُودِيَّ قَدْ عَرَفَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخِزْيِ بِمَا ضَيَّعَ مِمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ . ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ .

سؤال اليهود الرسول ، وإجابته لهم عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : حدثني عبدُ الله بن (عبد) الرحمن بن أبي حسين المسكي عن شهر بن حوشب الأشعري : أن نفرًا من أخبار يهود جاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن أربع نسألك عنهن ، فإن فعلتَ ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنَّا بك . قال : فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه لئن أنا أخبرْتُكم بذلك لتصدقُنَّني ؟ قالوا : نعم ، قال : فاسألوا عما بدا لكم ، قالوا فأخبرنا كيف يشبه الولد أمَّه ، وإنما النُّظْفَةُ من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنشدكم بالله وبآيَّامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نُظْفَةَ الرجل بيضاء غليظة ، ونُظْفَةُ المرأة صفراء رقيقة ، فأَيُّهُمَا عَلَتْ صاحِبَتُها كان لها الشُّبُه ؟ قالوا : اللهم نعم . فأخبرنا كيف نومك ؟ فقال : أنشدكم بالله وبآيَّامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لستُ به تنام عينُه وقلْبُه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ، قال : فكذلك نومي ، تنام

عيني وقلبي يقظان . قالوا : فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال :
أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام
والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها ، وأنه اشتكى شكوى ، فعافاه الله منها ،
فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله ، فحرم على نفسه لحوم
الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم
بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذي يأتي بالوحي ؟ قالوا :
اللهم نعم ، ولكنه يا محمد لنا عدو ، وهو ملك ، إنما يأتي بالشدّة وبسفك
الدماء ، ولولا ذلك لاتبعناك ، قال : فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ قُلْ مَنْ
كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى ﴿ أَوْ كُنَّا عَاهِدُوا عَنْهَا
تَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ تَبَذَّ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ
عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ، أَى السحر ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ
كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ ﴾ .

إنكار اليهود نبوة داود عليه السلام

ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني -

لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين ، قال بعضُ أخبارهم : ألا تعجبون من
 محمد ، يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً . فأنزل
 الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ
 كَفَرُوا ﴾ ، أي بإتباعهم السحر وعملهم به . ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ
 بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ من لا أتهم عن عكرمة ، عن ابن
 عباس ، أنه كان يقول : الذي حرّم إسرائيل على نفسه زائدنا الكبد
 والكليتان والشحم ، إلا ما كان على الظهر ، فإن ذلك كان يُقَرَّبُ للقراب
 فتأكله النار .

كتاب به صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر ،
 فيما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن
 ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب
 موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى : ألا إن الله قد قال لكم يامعشر
 أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
 وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
 يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ

• • • • •

الشُّجُود، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيْفِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

وإني أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذي ألبس البحر لبائسكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله ، إلا أخبرتموني : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا تكره عليكم . ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ - فادعواكم إلى الله وإلى نبيه .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : شطؤه : فراخه ، وواحدته : شطأة . تقول العرب : قد أشطأ الزرع إذا أخرج فراخه . وآزره : عاونه ، فصار الذي قبله مثل الأمهات . قال اسرؤ القيس بن حُجر الكندي :

بمَحْنَمَةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَّ تَبَتُّهَا بَجَرٍّ جُيُوشِ غَانِمِينَ وَخُيِّبِ

وهذا البيت في قصيدة له . وقال حميد بن مالك الأرقط ، أحد بني ربيعة ابن مالك بن زيد مناة :

زَرْعًا وَقَضْبًا مُؤَزَّرَ النَّيَاتِ

.

وهذا البيت في أرجوزة له . وسوقه غير مهموز جمع ساق ، لساقه .
الشجرة .

ما نزل في أبي ياسر وأخيه

قال ابن إسحاق : وكان من نزل فيه القرآن ، بخاصة من الأخبار وكفار
يهود ، الذي كانوا يسألونه ويتعنتونه ليلبسوا الحق بالباطل - فيما ذكر لي عن
عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رثاب - أن أبا ياسر بن أخطب مر
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة البقرة : ﴿ ألم ذلك
الكتاب لا ريب فيه ﴾ ، فأتى أخاه حُيَّ بن أخطب في رجال من يهود ،
فقال : تعلموا والله ، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه : ﴿ ألم ذلك الكتاب ﴾ ،
فقالوا : أنت سمعته ؟ فقال : نعم ، فمشى حُيَّ بن أخطب في أولئك النفر من يهود
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك
تتلو فيما أنزل إليك : ﴿ ألم ذلك الكتاب ﴾ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : بلى ، قالوا : أجبك بها جبريل من عند الله ؟ فقال : نعم ، قالوا : لقد
بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين النبي منهم مائة ملكه ، وما أكل أمته
غيرك ، فقال حُيَّ بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ،
واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفتمدخلون في دين
إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قال ماذا ؟ قال :
﴿ المص ﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم

أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم ﴿ الر' ﴾ قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان ، هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم ﴿ المر' ﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حُيَّ بن أخطب وابن معه من الأحرار : ما يدريكم لعله قد مُجِّع هذا كله لحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، كذلك سبع مائة وأربع وثلاثون سنة ، فقالوا : لقد تشابه علينا أمره . فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَآخَرٌ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من لا أنهم من أهل العلم يذكر : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في أهل نَجْرَان ، حين قَدِمُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مَرْيَم عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن أبي أُمَامَةَ بن سَهْل بن حُنَيْف ، أنه قد سمع : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في نفر من يهود ، ولم يُفسَّر ذلك لي . فوالله أعلم أي ذلك كان .

كفر اليهود به صلى الله عليه وسلم بعد استفتاحهم به وما نزل في ذلك

قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس بنوا الخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر ابن البراء بن معرور ، أخو بني سامة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، ونخبروننا أنه مبعوث ، وتصِفونه لنا بصفته ، فقال سلام بن مشكم ، أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كننا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعَنَّاهُ اللَّهُ . عَلَى السَّكَافِرِينَ ﴾ .

ما نزل في نكران مالك بن الصييف العهد إليهم بالنبي

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصييف ، حين مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه : والله ما عهد إلينا في محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق . فأنزل الله فيه :

﴿ أَوْ كَلَّمَا هَادُوا عَهْدًا عَنْهُمْ فَأَخَذَهُمْ ﴾ . لا يُؤْمِنُونَ .

مانزل في قول أبي صلوبا « ما جئتنا بشيء نعرفه »

وقال أبو صلوبا الفطيموني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية فننتبئك لها . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : ﴿ وَآقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ .

مانزل في قول ابن حريمة ووهب

وقال رافع بن خزيمة ، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، اثبتنا بكتاب نُنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفَجَّرَ لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سواء السبيل : وسط السبيل . قال حسان بن ثابت :
يا وَبَحْ أنصار النبي ورَهْطه بعد الْمُقَيَّبِ في سواء المُلْجَدِ
وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

مانزل في صد حي وأخيه الناس عن الإسلام

قال ابن إسحاق : وكان حَيّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشدّ يهود للعرب حسداً ، إذ خصّهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُودُنَّكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ . حسداً من عند أنفسهم ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فاعفوا واصفحوا حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

تنازع اليهود والنصارى

عند الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ولَمَّا قَدِمَ أَهْلُ نَجْرَانٍ مِنَ النَّصَارَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَتْهُمْ أَحْبَارُ يَهُودَ ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ : مَا أَنتُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَكَفَّرَ بَعِيسَى وَبِالْإِجِيلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ نَجْرَانٍ مِنَ النَّصَارَى لِلْيَهُودِ : مَا أَنتُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَجَعَدَ نُبُوَّةَ مُوسَى وَكَفَرَ بِالتَّوْرَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ كَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى كَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ، كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، أَيْ كُلٌّ يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقُ مَا كَفَرُ بِهِ ، أَيْ يَكْفِرُ الْيَهُودُ بِبَعِيسَى ، وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا مَا أَخَذَ

• • • • •

الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما في يد صاحبه .

ما نزل في طلب ابن حريملة أن يكلمه الله

قال ابن إسحاق : وقال رافعُ من حُرَيْمِلَةَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن كنت رسولاً من الله كما تقول ، فقل لله فنيكلمنا حتى نسمع كلامه . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ، أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ، قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

ما نزل في سؤال ابن صوريا للنبي عليه الصلا والسلام بأن يهود

وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفطيموني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهدى إلا مانحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهدي ، وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصارى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . ثم القصة إلى قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَآلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ، وَلَا تُسْئَلُونَ عَنْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

مقالة اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ولما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصُرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس ، وقرذم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق ، فقالوا : يا محمد ، ماؤلاًك عن قبلك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَاؤَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ، قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا * وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ لِمَنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ أي ابتلاء واختباراً ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ أي من الفتن : أي الذين ثبَّت الله ﴿ وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّعَ إِيمانَكُمْ ﴾ أي إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم بنبيكم ، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة ، وطاعتكم بنبيكم فيها : أي ليعطينكم أجراً كليهما جميعاً ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً ۖ

تَرْضَاهَا ، قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ قَوُّوْا
وُجُوْهَكُمْ شَطْرَهُ ۖ

تفسير ابن هشام لبعض العرب

قال ابن هشام : شطره : نحوه وقصده . قال عمرو بن أحمـر الباهلي - وباهلة
ابن يعصر بن سمد بن قيس بن عيلان - يصف ناقة له .

تعدو بنا شطر جمع وهي عاقدة قد كارب العقد من إفادها الخقبا
وهذا البيت في قصيدة له .

وقال قيس بن خويلد الهذلي يصف ناقته :

إِذَا النَّمُوسَ بِهَا دَاوَى نُحَامِهَا فَشَطَرَهَا نَظَرُ اللَّامِنِينَ مَحْسُورُ
وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : والنموس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ،
من قوله : وهو حسير .

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ،
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ
آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ ، وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ
قِبْلَةَ بَعْضٍ ، وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ،
إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۖ

وسأل معاذ بن جبل ، أخو بني سلمة ، وسعد بن معاذ ، أخو بني عبد الأشهل
مخارجة بن زيد ، أخو بلحارث بن الخزرج ، نفرأ من أحبار يهود عن بعض
ما في التوراة ، فكتموم إياه ، وأبوا أن يخبروه عنه . فأنزل الله تعالى فيهم :
(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَنْهَكُ اللَّهُ وَيَنْهَعُهُمُ اللَّاعِنُونَ) .

قال : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغَّبهم فيه ، وحذَّرهم عذابَ الله ونقمته ؛ فقال له رافعُ بن خارجة ، ومالك بن عوف : بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلمَ وخيراً مِنَّا . فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك من قَوْلِهِمَا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ .

جمعهم في سوق بني قينقاع

ولما أصاب الله عز وجل قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود في سوق بني قينقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يا معشر يهود ، أسئلوكم قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشا ، فقالوا له : يا محمد ، لا يفرّك من نفسك أنك قتلت نقرأ من قريش ، كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنت لم تلق مثلاً ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيٌ مِّمَّنْ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ * قد كان لكم آية في فتنة التقتا ، فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد المتضرر من يشاء ، إن في ذلك لآية لأولى الأبصار ﴿ آل عمران : ١٢ ، ١٣ .

دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس

قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه ، قالا : فإن إبراهيم كان يهودياً ؟ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتهلم إلى التوراة ، فهي بيننا وبينكم ، فأبى عليه . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ * ذلك بأنهم قالوا : لن نتمسك بالقرآن

إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، وَغَرَّكُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٠﴾

اختلاف اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام

وقال أخصابُ يهودَ ونصارى نجران ، حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا ، فقالت الأخصاب : ما كان إبراهيمُ إلا يهودياً ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيمُ إلا نصرانياً . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَآ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ * ما كان إبراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنْ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ما نزل فيهم به بعضهم من الإيمان غدوة

والكفر عشية

وقال عبدُ الله بن صيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوةً ، ونكفر به عشيةً ، حتى نلبسَ عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَدْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ * وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي

.....

أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ *
وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ، قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُوتَى
أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾

مانزل في قول أبي رافع والنجراني

« أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى »

وقال أبو رافع القرظي ، حين اجتمعت الأخبار من يهود ، والنصارى
من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام :
أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من
أهل نجران نصراني ، يقال له : الربيبس ، (و يروي : الرئيس ، والرئيس) :
أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثني
الله ، ولا أمرني ؛ أو كما قال . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿ مَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ، ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ
الْكِتَابَ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ بَعْدَ إِذْ
أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

قال ابن هشام : الربانيون : العلماء الفقهاء السادة ، واحدهم : رباني .

.

قال الشاعر :

لو كنتُ مرَّتْهُنَا فِي الْقَوْسِ أَفْتَنِي مِنْهَا السَّكَّامُ وَرَبَّانِي أَخْبَارِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : القوسُ : صومعة الراهب . وأفتنى ، لغة تميم . وفتنى ، لغة قيس .

قال جرير :

لَا وَصَلَ إِذْ صَرَمْتُ هِنْدٌ وَلَوْ وَقَفْتُ لَأَسْتَنْزَلَتْنِي وَذَا الْمِسْحَيْنِ فِي الْقَوْسِ
أى صومعة الراهب . والرَّبَّانِي : مشتق من الرب ، وهو السيد . وفى كتاب الله : ﴿ فَيَسْقِي رَبُّهُ خَيْرًا ﴾ ، أى سيده .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

مانزل فى أخذ الميثاق عليهم

قال ابن إسحاق : ثم ذكر ما أخذ الله عليهم ، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذ هو جاءهم ، وإقرارهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَئِنْ آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ إلى آخر القصة .

.....

سعيهم في الوقعة بين الأنصار

قال ابن إسحاق : ومَرَّ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ ، وكان شيخاً قد عسا ، عظيم الكُفْرِ شديد الضَّغْنِ على المُسلمين ، شديد الحسد لهم ، على أَنْفَرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج . في مجلس قد جَمَعَهُمْ ، يتحدثون فيه ، فغَاظَهُ ما رَأَى من أَلْفَتِهِمْ وجماعتهم ، وصَلَحَ ذاتَ بَيْنِهِمْ على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع مَلَأُ بنى قَيْلَةٍ بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع مَلَأُومٌ بها من قَرَار . فأمرَ فَتَى شاباً من يَهُودَ كان معهم ، فقال : اعْمِدْ إِلَيْهِمْ ، فاجلسْ معهم ، ثم اذْكُرْ يومَ بُعَاثَ وما كان قَبْلَهُ وأنشدهم بعضَ ما كانوا اتَّفَقُوا فيه مِنَ الأشعار .

شيء عن يوم بعث

وكان يوم بُعَاثَ يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرجُ ، وكان الظفر فيه يومئذٍ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذٍ حُضَيْرُ بْنُ سِمَاكٍ الأشْهَلِيُّ ، أَبُو أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ؛ وعلى الخزرج عمرو بن النُّعْمَانِ الْبَيَاضِيُّ ، فَقُتِلَا جَمِيعاً .

قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسلت :

على أن قد فُجِعْتُ بِذِي حِفَاظٍ فَمَا وَدَّيْ لَهُ حُزْنَ رَحِيْنٍ

.....

فَأَمَّا تَقْتُلُوهُ فَإِنَّ عَمْرَأَ أَعْضَّ بِرَأْسِهِ عَضْبَ سَنِينَ
وهذان البيتان في قصيدة له . وحديث يوم بُعث أطول مما ذكرتُ ،
وإنما منعتي من استقصائه ما ذكرت من القَـطْع .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سنين : مسنون ، من سنَّه ، إذا شحذه .

قال ابن إسحاق : ففعل . فعكَّـم القومُ عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا
حتى تَواثب رجالان من الحَيَّين على الرُّكـب ، أوس بن قَيْظى ، أحد بَنِي
حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجَبَّار بن صخر ، أحد بَنِي سَلَمَة من الخزرج ،
فَتَقَاوَلَا ثم قال أحدهما لصاحبه : إِنْ شِئْتُمْ رَدِّدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَة ، فغضب
الفریقان جميعا ، وقالوا : قد فَعَلْنَا ، موعدكم الظَّاهِرَة - والظَّاهِرَة : الحرّة -
السَّالِحَ السَّلَاح . فخرجوا إِلَيْهَا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى جَاءَهُمْ ، قَالَ :
يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُ اللَّهُ ، أَيْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَنْظِرَكُمْ بَعْدَ أَنْ
هَدَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ
بِهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَمَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا تَرْغَة مِنَ الشَّيْطَانِ ،
وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَبَكَوْا وَعَانَقَ الرِّجَالُ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا ، ثُمَّ انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مُطِيعِينَ ،
فَدَأَى اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَأْسَ بَنِي قَيْسٍ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْسِ
ابْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ،

وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُوهَا عِوَجًا ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَوْسٍ بْنِ قَيْظٍ وَجَبَّارِ بْنِ صَخْرٍ وَمَن كَانَ مَعَهُمَا مَن قَوْمَهُمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا عَمَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ شَأْسٌ مِّنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ : ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ آوَتْهُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمُ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنْفَلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾ . . . إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

ما نزل في قولهم : « ما آمن إلا شرارنا »

قال ابن إسحاق : وأما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سَعِيَّة ، وأُسَيْدُ بْنُ سَمِيَّة ، وأُسْدُ بْنُ عُبَيْد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبارُ يهود ، أهل الكُفْرِ منهم : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من أختارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿لَيْسُوا بِسَوَاءٍ ، مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : آناء الليل : ساعات الليل ، وواحدها : لآنى . قال :
 الْمُتَخَلِّلُ الْهُدَلَى ، واسمه مالك بن عويمر ، يرثى أئيلة ابنه :
 حُلُوْ وَمَرَّ كَعَطْفِ الْقِدْحِ شِيمَتُهُ فِي كُلِّ لَآئِي قَضَاهُ اللَّيْلُ يُنْتَعَلُ
 وهذا البيت فى قصيدة له . وقال كبيد بن ربيعة يصف حمار وخش :
 يَطْرَبُ آناء النهار كأنه غوى سقاء فى التجار نديم
 وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : لآنى مقصور فيما أخبرنى يونس .

﴿ يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

ما نزل فى هبى المسلمين عن مباطنة اليهود

قال ابن إسحاق : وكان رجال من المسلمين يؤاصلون رجالا من اليهود ،
 لما كان بينهم من الجوار والخلف ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهام عن مباطنهم :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ، لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
 وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ،
 قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَآنَتْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ ،
 وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ، وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ ، أى تؤمنون بكتابكم ،
 وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق
 بالبغضاء لهم منهم لكم ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَاوَا عَصَاؤُا ،

عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ، قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ .

ما كان بين أبي بكر وفنحاص

ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم ، يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم سواحبارهم ، ومعه خبر من أحبارهم ، يقال له : أشيع ، فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص ! اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن عمدا لرسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص لأبي بكر : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا فقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنى ، ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم أصحابكم ، ينهناكم عن الربا ويُعطينا ، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا . قال فغضب أبو بكر ، ففُصِرَ وجه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم ، لضربت رأسك ، أى عدو الله . قال : فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيما ، إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبتُ الله مما قال ، وضربت وجهه . ففجِدَ ذلك فنحاص ، وقال : ما قلتُ ذلك . فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردّا عليه ، وَتَصَدِّقًا لِأَبِي بَكْرٍ : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ

وَنَحْنُ أَغْنِيَاهُ ، سَنَكْتُبُ مَا قُلُوا ، وَفَعَلْنَاهُمْ الْآيَاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ .

ونزل في أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وما بلغه في ذلك من الغضب :
﴿ وَلَنَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِنْ مِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا . وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

نم قال فيما قال فنحاص والأخبار معه من يهود : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُخْبِتُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ
ظُهُورِهِمْ ، وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّنًا قَلِيلًا ، فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعنى فنحاص ، وأشيع
وأشباههما من الأخبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا
للناس من الضلالة ، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا ، أن يقول الناس :
علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملهم على هدى ولا حق ، ويحبون أن يقول
الناس قد فعلوا .

أمرهم المؤمنين بالبخل

قال ابن إسحاق : وكان كرزدم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ،
وأسماء بن حبيب ، ونافع بن أبي نافع ، وبخري بن عمرو ، وحبي بن أخطب ،
ورفاعه بن زيد بن الثابت ، يأتون رجالا من الأنصار كانوا يخاطبونهم ،

• • • • •

يَنْتَصِحُونَ لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ :
لَا تُنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ فِي ذَهَابِهَا ، وَلَا تُسَارِعُوا فِي النِّفْقَةِ :
فَإِنَّكُمْ لَا تَذَرُونَ عَلَامَ يَكُونُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أَيْ مِنْ
التَّوْرَةِ ، الَّتِي فِيهَا تَصَدِّقُ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ،
وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . . . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ
بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ .

جحدهم الحق

قال ابن إسحاق : وكان رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ النَّابُوتِ مِنْ عُظَمَاءِ يَهُودَ ، إِذَا كَلَّمَ
رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَّى لِسَانَهُ ، وَقَالَ : أُرْعِنَا سَمْعَكَ يَا مُحَمَّدُ ، حَتَّى
تُنْفِثَ مِنْكَ ، ثُمَّ طَمَعَنَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَابَهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا ، وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ * مِنَ الَّذِينَ
هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ
غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا ، (أَيْ رَاعِنَا سَمْعَكَ) ﴿ لَيًّا بِالسِّتَرِ ، وَطَمَعًا فِي الدِّينِ ،
وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَانْظُرْنَا ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ
وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

وَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤَسَاءَ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ ، مِنْهُمْ :

.

عبد الله بن صوريا الأعور، وكعب بن أسد، فقال لهم : يا معشر يهود، اتقوا الله .
 وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئْتُكم به حَقٌّ ، قالوا : ما نعرف .
 ذلك يا أحمد : فجدوا ما عرفوا ، وأصرُّوا على الكفر ، فأنزل الله تعالى فيهم
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ نَنْطِمِسَ وُجُوهًا فَنَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا ، أَوْ نَنْقُصَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ
 السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : نَطْمَسَ : نَمَسَحَهَا فَنَسَوِيهَا ، فلا يُرى فيها عينٌ ولا أنفٌ .
 ولا فمٌ ، ولا شيء مما يُرى في الوجه ، وكذلك ﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ . الطموس
 العين : الذي ليس بين جفنيه شقٌّ . ويقال طَمَسَتِ الْكِتَابَ والآثر ، فلا يُرى
 منه شيء . قال الأخطل ، واسمه الفوث بن هُبيرة بن الصلت التغلبي ، يصف
 إبلا كَلَّفَهَا ما ذكر :

وَتَكَلِّمُفْنَاهَا كُلَّ طَامِسَةِ الصَّوَى شَطَوْنَ تَرَى حِرْبَاءَهَا يَتَمَلَلُ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : واحدة الصوى : صُوتٌ . والصوى : الأعلام التي يُستدلُّ
 بها على الطرق والمياه .

قال ابن هشام : يقول : مُسِحَّتْ فَاسْتَوَتْ بِالْأَرْضِ ، فليس فيها
 [شيء نأقَى ..]

• • • • •

الشفر الذين حزبوا الأحزاب

قال ابن إسحاق : وكان الذين حزبوا الأحزاب من قُريش و غطفان و بنو قُريظة حُيَيَّ بن أخطب ، و سلام بن أبي الحقيق ، أبو رافع ، و الربيع بن الربيع ، ابن أبي الحقيق ، و أبو عمار ، و وُخوح بن عامر ، و هُوَذَة بن قيس . فأما وُخوح ، و أبو عمار ، و هُوَذَة ، فن بنى وائل ، و كان سائرهم من بنى النضير . فلما قدموا على قُريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود ، و أهل العلم بالكتاب الأول ، فسألهم : دِينُكُمْ خير أم دِين محمد ؟ فسألهم ، فقالوا : بل دِينُكُمْ خير من دِينه ، و أنتمْ أَهْدَى منه و ممن اتبعه . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَفْسِيًّا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الجِبت (عند العرب) : ماعُبد من دون الله تبارك و تعالى . و الطاغوت : كل ما أضلَّ عن الحق . و جمع الجبت : جُبت ؛ و جمع الطاغوت : طواغيت .

قال ابن هشام : و بلغنا عن ابن أبي نجيح أنه قال : الجِبتُ : السحر ؛ و الطاغوت : الشيطان .

﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ ﴾

.

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَآتَيْنَاهُمْ
مُلْكًا عَظِيمًا .

إنكارهم التنزيل

قال ابن إسحاق : وقال سُكَيْن وعدي بن زيد : يا محمد ، مانعنا أن الله
أنزل على بشر من شيء بعد موسى . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولها :
﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَشْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ
وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ
قَبْلُ ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ،
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ .

ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ، فقال لهم :
أما والله إنكم لتعلمون أني رسول من الله إليكم : قالوا : مانعنا ، وما نشهد
عليه . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ
إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ .

• • • • •

اجتماعهم على طرح الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية العامريين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري . فلما خلا بعضهم ببعض قالوا : لن نَجِدُوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن رجل يَظْهَرُ على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة فيرجمنا منه ؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب : أنا ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد هو وقومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هَالِكٌ لَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ادعائهم أنهم أحباء الله

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيمان بن أضاء ، وبخزى بن عمرو ، وشأس بن عدي ، فكلّموه وكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحذّره من عقوبته ؛ فقالوا : ما نخوفنا يا محمد ، نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصاري . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذّرم غيرَ الله وعقوبته ، فأبَوْا عليه ، وكفّروا بما جاءهم به ، فقال لهم مُعَاذُ بْنُ جَبَل ، وسعدُ بْنُ عُبَادَةَ وعُقْبَةُ بْنُ وَهَب : يا معشرَ يهود ، اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تدكرونه لنا قبلَ مَبِئْثِهِ ، وتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ ، فقال رافعُ بْنُ حُرَيْمَةَ ، ووَهْبُ بْنُ يَهُوذَا : ما قلنا لكم هذا قطّ ، وما أنزل الله من كتابٍ بعد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ .

ثم قصّ عليهم خبرَ موسى وما لقي منهم ، وانتقاضهم عليه ، وما ردّوا عليه من أمر الله حتى تاهوا في الأرض أربعين سنة عقوبة .

رجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حكم الرجم

قال ابن إسحاق : وحدثني ابنُ شهاب الزهري أنه سمع رجلاً من مُزَيْنَةَ من أهل العلم ، يحدث سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْب ، أن أبا هريرة حدثهم : أن أحبارَ يهودَ اجتمعوا في بيتِ الْمَذْرَاس حين قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زنى رجلٌ منهم بعد إحصائه بامرأةٍ من يهودَ قد أَحْصَنَتْ ، فقالوا : ابستوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فسلّوه كيف الحكمُ فيهما ، وولوه

الحكم عليهما ، فإن عمل فيهما بعملكم من التَّجْبِيَةِ : والتَّجْبِيَةُ : الخلدُ بجِلٍ من ليفٍ مَطْلِيٍّ بقار ، ثم تُسَوَّدُ وجوههما ، ثم يُحْمَلَانِ عَلَى حَمَارَيْنِ ، وَتُجْعَلُ وجوههما من قِبَلِ أَدْبَارِ الْحَمَارَيْنِ - فَاتَّبِعُوهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ مَلِكٌ ، وَصَدَقُوهُ ، وَإِن هُوَ حَكَمَ فِيهِمَا بِالرَّجْمِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ ، فَاجْذَرُوهُ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَنْ يَسْلَبَ كَمُوهُ . فَاتَّبِعُوهُ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا رَجُلٌ قَدْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ قَدْ أَحْصَنَتْ ، فَاحْكُمْ فِيهِمَا ، فَقَدْ وَائِيكَ الْحُكْمُ فِيهِمَا . فَخَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى أَحْبَارَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَدْرَاسِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ أَخْرِجُوا إِلَيَّ عُلَمَاءَكُمْ ، فَأَخْرَجَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعضُ بني قُرَيْظَةَ : أَنَّهُمْ قَدْ أَخْرَجُوا إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ مَعَ ابْنِ صُورِيَا ، أَبَا يَاسِرَ بْنَ أَخْطَبٍ ، وَوَهْبَ بْنَ يَهُوذَا ، فَقَالُوا هَؤُلَاءِ عُلَمَاؤُنَا . فَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ حَصَلَ أَمْرُهُمْ ، إِلَى أَنْ قَالُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ صُورِيَا : هَذَا مِنْ أَعْلَمَ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْرَةِ .

قال ابن هشام : من قوله : « وَحَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِي قُرَيْظَةَ - إِلَى أَعْلَمَ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْرَةِ » مِنْ قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَمَابَعْدَهُ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ .

فَخَلَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ غُلَامًا شَابًّا مِنْ أَحَدِهِمْ سِنًا فَأَلْظَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْأَلَةَ ، يَقُولُ لَهُ : يَا ابْنَ صُورِيَا ، أَتُنْشِدُكَ اللَّهَ وَأَذْكَرُكَ بِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ حَكَمَ فِيمَنْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِالرَّجْمِ فِي التَّوْرَةِ ؟ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ ، أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ أَنَّكَ كُنْتُمْ مُرْسَلًا وَلَسْكَنْهُمْ يَحْسُدُونَكَ . قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم . فأمر بهما فرُجِمَا عند باب مسجده في بني غَنَمِ بن مالك بن الفِجَّار .
ثم كفر بعد ذلك ابن صُورِيَا ، وجَعَد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا : آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ أي : الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلفوا ، وأمرهم بما أمرهم به من تحريف الحكم عن مواضعه . ثم قال : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ ﴾ ، أي الرجم ﴿ فَاحْذَرُوا ﴾ إلى آخر القصة .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن يزيد بن رُكَّانَةَ عن إسماعيل بن طلحة بن إبراهيم ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برَّجَمَهُمَا ، فرُجِمَا بِيَابِ مسجده ، فلما وجد اليهودي مسَّ الحجارة قام إلى صاحبتة ، فَعَجَنًا عليها ، بقيها مسَّ الحجارة ، حتى قُتِلَا جميعا .

قول : وكان ذلك مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في تحقيق الزنا منهما .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن نافع مولى عبد الله ابن عمر عن عبد الله بن عمر ، لَمَّا حَكَّمُوا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، دعاهم بالتوراة ، وجَلَسَ حَبْرٌ مِنْهُمْ يَتْلُوها ، وقد وضع يده على آية الرجم ،

• • • • •

قال : ف ضرب عبدُ الله بن سلام يد الخبر ، ثم قال : هذه يانبيُّ الله آية الرجم ، يَأْتِي أَنْ يَتْلَوْهَا عَلَيْكَ ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ويحكم يامعشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حُكم الله وهو بأيديكم ؟ قال : فقالوا : أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِينَا يُعْمَلُ بِهِ ، حَتَّى زَنَى رَجُلٌ مِنَّا بِمَدِّ إِحْصَانِهِ ، مِنْ بُيُوتِ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الشَّرَفِ ، فَمَنَعَهُ الْمَلِكُ مِنَ الرَّجْمِ ، ثُمَّ زَنَى رَجُلٌ بَعْدَهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَرْجُمَهُ ، فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ ، حَتَّى تَرْجُمَ فَلَانَا ، فَلَمَّا قَالُوا لَهُ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا فَأَصْلَحُوا أَمْرَهُمْ عَلَى التَّجَنُّبِ ، وَأَمَانُوا ذِكْرَ الرَّجْمِ وَالْعَمَلُ بِهِ . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَخْبَى أَمْرُ اللَّهِ وَكِتَابُهُ وَعَمَلُ بِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ . قال عبد الله بن عمر : فَكَانَتْ فِيمَنْ رَجَّمَهُمَا .

ظلمهم في الدية

قال ابن إسحاق : وحدثني داودُ بن الحصين عن عكرمة ، عن ابن عباس : أَنَّ الْآيَاتِ مِنَ الْمَائِدَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ﴾ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي الدِّيَةِ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَذَلِكَ أَنْ قَتَلَ بَنِي النَّضِيرِ ، وَكَانَ لَهُمْ شَرَفٌ ، يُؤَدُّونَ الدِّيَةَ كَامِلَةً ، وَأَنْ بَنِي قُرَيْظَةَ كَانُوا يُؤَدُّونَ نِصْفَ الدِّيَةِ ، فَتَحَاكَمُوا فِي ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِيهِمْ ، فَخَلَمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَقِّ فِي ذَلِكَ ، فَجَعَلَ الدِّيَةَ سَوَاءً .

.....

قال ابن إسحاق : فإله أعلم أى ذلك كان .

قصدهم الفتنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن أسد ، وابن صُلُوبا ، وعبد الله بن صُورِيا ، وشأس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نقتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه ، فقالوا له : يا محمد ، إنا قد عرفت أننا أحبارُ يهود وأشرافهم وساداتهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعناك يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، أفنجاكم إليكم ففَقَضَى لنا عليهم ، وثمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فأنزل الله فيهم : **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفَاسِقُونَ أَفْحُكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝**

جحودهم نبوة عيسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : وأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ منهم : أبو ياسر ابن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وخالد ، وزيد ، وإزار ابن أبي إزار ، وأشبع ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : **﴿ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أُنزِلَ إِلَى الْبَرَاءِ هَيْمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ إِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ،**

• • • • •

وَمَا أَوْتَى النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٠﴾ . فلما ذكر عيسى بن مريم جعدوا نُبُوته ، وقالوا : لا نُؤْمِنُ بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْفَعُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ ؛ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

ادعائوهم أنهم على الحق

وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَافِعُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَسَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ ، وَمَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ ، وَرَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ ، وَتُؤْمِنُ بِمَا عِدْنَا مِنَ التَّوْرَةِ ، وَتَشْهَدُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ حَقٌّ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَسَكُنْكُمْ أَحَدُتُمْ وَجَعَدْتُمْ مَا فِيهَا مِمَّا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمِيثَاقِ فِيهَا ، وَكُتِبَتْ مِنْهَا مَا أَمَرْتُمْ أَنْ تُبَيِّفُوهُ لِلنَّاسِ ، فَبَرِئْتُ مِنْ إِحْدَانِكُمْ ؛ قَالُوا فَإِنَّا نَأْخُذُ بِمَا فِي أَيْدِينَا ، فَإِنَّا عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ ، وَلَا نُؤْمِنُ بِكَ ، وَلَا نَتَّبِعُكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُتَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

إشراكهم بالله

قال ابن إسحاق : وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّحْمُ بْنُ زَيْدٍ ،

• • • • •

نَوَاقِرُ دَمِّ بَنِ كَعْبٍ ، وَبَحْرَى بَنِ عَمْرٍو ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَمَا تَعْلَمُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا غَيْرَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، بِذَلِكَ بُعِثْتُ ، وَإِلَى ذَلِكَ أَدْعُو . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْمِهِمْ : ﴿ قُلْ : أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ، قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَوْحَى إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، أَلَا إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى ، قُلْ لَا أَشْهَدُ ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ، وَلَا إِلَهَ بَرِيٍّ إِلَّا نَمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

نهيہ تعالیٰ للمؤمنین عن موادہم

وَكَانَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ مِنَ التَّابُوتِ ، وَسُوَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَنَافَقًا فَكَانَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُوَادُّونَهُمَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَّارَ أَوْلِيَاءَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . . . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ .

سؤالہم عن قیام الساعۃ

وَقَالَ جَبَلُ بْنُ أَبِي قُبَيْرٍ ، وَشَمْوِيلُ بْنُ زَيْدٍ ، رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنَا ، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا كَمَا تَقُولُ ؟ فَأَنْزَلَ

• • • • •

الله تعالى فيهما ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّ ، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، تَقُلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَنَفَسَةٍ ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

تفسير بن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أَيَّانَ مُرْسَاهَا : متى مُرْسَاهَا . قال قيس بن الخدّادية الخزاعي :

فَجِئْتُ وَمُحَنِّي السَّرَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا لِأَسْأَلَهَا أَيَّانَ مَنْ سَارَ رَاجِعُ ؟

وهذا البيت في قصيدة له . ومرساها : منتهاها ، وجمعه : مَراس . قال السكيت بن زيد الأسدي :

والمُصِيدِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ الدَّاسُ سُ وَمُرْسَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ

وهذا البيت في قصيدة له ومُرْسَى السفينة : حتى تنتهي . وحَفِيٌّ عنها - على التقديم والتأخير - يقول : يسألونك عنها كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهِمْ ، فتخبرهم بما لا تخبر به غيرهم . والحَفِيٌّ : البَرُّ المتمهد . وفي كتاب الله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِهِ حَفِيًّا ﴾ . وجمعه : أَحْفِيَاء . وقال الأعشى بن قيس بن ثعلبة :

فَإِنْ تَسْأَلْنِي عَنْ فَيَارُبِّ سَائِلٍ حَفِيٌّ عَنِ الْأَعَشَى بِهِ حَيْثُ أَضْعَدَا

وهذا البيت في قصيدة له . والحَفِيٌّ : أَيْضًا : الْمُسْتَحْفَى عَنْ عِلْمِ الشَّيْءِ ، للبالغ في طلبه .

• • • • •

ادعائهم أن عزيراً ابن الله

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ، ونعمان بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، وشأس بن قيس ، ومالك ، ابن الصيف ، فقالوا له : كيف ننبئك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله ؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ . إلى آخر القصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يضاھون : أى يشاكل قولهم قول الذين كفروا ، نحو أن تحدث بحديث ، فيحدث آخر بمثله ، فهو يضاھيك .

طلبهم كتاباً من السماء

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سفيان ، ونعمان بن أضاء ، وبنجرى بن عمرو ، وعزير بن أبي عزير ، وسلام بن مشكم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذى جئت به لحق من عند الله ، فإننا لانراه متسقاً كما تنسق التوراة ؟ فقال : لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة .

• • • • •

«وَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ مَا جَاءُوا بِهِ» ؛ فقالوا عند ذلك ،
 «وهم جميع : فنحاص ، وعبد الله بن صُورِيا ، وابن صُلُوبا ، وكنانة بن الربيع
 ابن أبي الحقيق ، وأشيع ، وكعب بن أسد ، وشمویل بن زيد ، وجبل بن عمرو
 ابن سُكينة : يا محمد ، أما يَمُنُّكَ هذا إنس ولا وجن ؟ قال فقال لهم رسولُ الله
 صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، وإني لرسولُ الله ،
 أتجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة ؟ فقالوا : يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله
 إذا بعثه ما يشاء ويقدِّر منه على ما أراد ، فَأَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ نَقْرُوهُ
 وَنَعْرِفُهُ ، وَإِلَّا جِئْنَاكَ بِمِثْلِ مَا تَأْتِي بِهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَفِيَّا قَالُوا :
 «قُلْ إِنِّي اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
 لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَآؤُكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الظهير : المون . ومنه قول العرب : تظاهروا عليه ، أى
 تعاونوا عليه . قال الشاعر :

يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ أَصْبَحْتَ لِلدَّيْنِ قَوَامًا وَلِلْإِمَامِ ظَهِيرًا
 أى عونًا ؛ وجهه : ظهراء .

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين

قال ابن إسحاق : وقال حُيَّي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، وأبو رافع
 وأشيع ، وشمویل بن زيد ، لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما تكون النبوة .

في العرب واسكن صاحبك ملك . ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذى القرنين فقص عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه ، مما كان قصه على قريش ، وهم كانوا ممن أسروا قريشا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، حين بعثوا إليهم النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط .

تهجمهم على ذات الله

وغضب الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهط من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق ، **«الخلق»** ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ، ثم ساورهم غضبا لربه . قال : فجاءه جبريل عليه السلام فمسكته ، فقال : خفف عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه : **﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾** .

قال : فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصِّف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول ، وساورهم . فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له مثل ما قال له أوّل مرة ، وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه . يقول الله تعالى : **﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ**

مَطُورَاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ ١ 》 .

قال ابن إسحاق : وحدثني عُتْبَةُ بْنُ مُسْلَمٍ ، مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ :
ابن عبد الرحمن ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ « يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ
الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟ فَذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ
الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ » ثُمَّ لِيَتَفَلَّرَ
الرَّجُلُ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا ، وَلَيْسْتَ عِزَّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الصمد : الذي يُصَمَدُ إليه ، ويُفزع إليه ، قالت هند
بنت مَعْبُدِ بْنِ نَضْلَةَ تَبَنَّى عمرو بن مَسْعُودٍ ، وَخَالِدُ بْنُ نَضْلَةَ ، عَمَّيْهَا الْأَسَدِيَّيْنِ ،
وَمَا اللَّذَانِ قَتَلَ الثُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ اللَّخْمِيَّ ، وَابْنِي الْغَرِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ بِالْكُوفَةِ
عليهما :

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بَعْمُرُو بْنُ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

بدء الأذان

ذكر حديث^(١) عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، هكذا ذكره ، -

(١) قال الترمذي : لا تعرف له عن النبي — ص — شيئاً يصح إلا هذا
الحديث ، وكذا قال ابن عدي ، وخطأ الحافظ في الإصابة من قال ذلك وذكر
أنه جمع له ستة أو سبعة أحاديث في جزء مفرد .

مواكثر النسب يقولون : زيد بن عبدربه ، وعلبة أخوزيد ذكر حديثه عندما شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الأذان ، فقال بعضهم : ناقوس كنا قوس النصارى ، وقال بعضهم : بوق كبوق اليهود ، وفي غير السيرة أنهم ذكروا الشُّبُورَ ، وهو البوق . قال الأصمعيُّ للمفضل ، وقد نازعه في معنى بيت من الشعر ، فرفع المفضل صوته ، فقال الأصمعيُّ لو نَفَخْتَ في الشُّبُور ما نفعك ، تكلم كلام النمل وأصِـب !! .

وذكروا أيضاً القُنع وهو القَرْن ، وقال بعضهم : هو تصحيف إنما هو القُنع والقُنعُ أولى بالصواب^(١) ، لأنه من أُنْعِصَ صَوْتُهُ إذا رفعه ، وقال بعضهم : بل نوقد ناراً ، ونرفعها ، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، وقال بعضهم : بل نبعث رجلاً ينادى بالصلاة ، فبينما هم في ذلك أرى عبد الله بن زيد

(١) يذكر ابن الأثير أنها رويت بالباء والتاء والياء والنون ، وأشهرها وأكثرها : النون . قال الخطابي : سألت عنه غير واحد من أهل اللغة ، فلم يثبتوا لي على شيء واحد — ثم ذكر مثل ما قاله السهيلي في اشتقاقه — ويقول الزمخشري : أو لأن أطرافه أُنْعِمت إلى داخله ، أي عطفت ، وقال الخطابي عن القبع إنه سمى بهذا لأنه يبيع فم صاحبه ، أي يستره ، أو من قُبعت الجِوَالِق والجِراب إذا بُدِئت أطرافه إلى داخل . وقيل : القُنع من قُنع في الأرض : إذا ذهب ، وقيل : القُنع ، وهو دود يكون في الخشب . قال الخطابي : ومدار هذا الحرف على هشيم ، وكان كثير اللحم والتحريف على جلاله محله في الحديث هذا ويقول الدكتور بوست عن البوق عند اليهود : آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا يصوتون بها في الأعياد ، وعند إعطاء علامة الحرب ، وما أشبه ، وكانت أبواب السكينة من الفضة .

الرؤيا التي ذكر ابن إسحاق ، فلما أخبر بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمره أن يُلقبها على بلال ، قال : يا رسول الله أنارأيتمها ، وأنا كنت أحبها لنفسى ، فقال : ليؤذن بلال ، ولتقيم أنت ، ففى هذا من الفقه جواز أن يؤذن الرجل ، وقيم غيره وهو معارض لحديث زياد بن عبد الله الصّدّيّ حين قال له النبي - صلى الله عليه وسلم : مَنْ أذن فهو أحق أن يُقيم ^(١) ، فى حديث طويل إلا أنه يدور على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفریقیّ وهو ضعيف ^(٢) ، والأول أصح منه . قال أبو داود : وتزعم الأنصار أن عبد الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضاً ، ولولا ذلك لأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) عن زياد بن الحارث الصّدّيّ قال قال رسول الله ﷺ ، يا أخا صداه أذن ، قال : فأذنت ، وذلك حين أضاء الفجر ، قال : فلما توضأ رسول الله ﷺ قام إلى الصلاة ، فأراد بلال أن يقيم ، فقال رسول الله ﷺ ، يقيم أخو صداه فإن من أذن فهو يقيم . رواه الخمسة إلا النسائي واللفظ لأحمد .

(٢) وثقه يحيى بن سعيد القطان ، قال أحمد : حديثه منكر . قال يعقوب ابن شعبة : رجل صالح من الأمرين بالمعروف ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه لا يتابع عليه . قال البخارى : هو مقارب الحديث مات سنة ١٥٦ هـ خلاصة تذهيب الكمال . وقال الترمذى عن هذا الحديث : إنما نعرفه من حديث الإفريقى ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره . وقال أحمد : لا أكتب حديث الإفريقى . قال : ورأيت محمد بن إسماعيل يقوى أمره ، ويقول : هو مقارب الحديث ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن من أذن فهو يقيم . وكان سفيان الثورى يعظمه نيل الأوطار - ٢ ص ٥٦ ط عثمان خليفة .

وهناك تناقض بين نقل الخرجى فى التذهيب ، وبين ما فى نيل الأوطار فى حكم يحيى بن سعيد . وحديث « فأقام هو ، وأذن بلال » فى إسناده محمد بن عمر الرافعى ، وهو ضعيف ضعفه القطان وابن نمير ويحيى بن معين .

بالأذان ، وقد تسكمت العلماء في الحكمة التي خصت الأذان بأن رآه رجل من المسلمين في نومه ، ولم يكن عَنْ وَحْيٍ من الله انبيه كسائر العبادات والأحكام الشرعية ، وفي قول النبي - صلى الله عليه وسلم - له : إنها لرؤيا حق ، ثم بنى حكم الأذان عليها ، وهل كان ذلك عن وحى من الله له ، أم لا ؟ وليس في الحديث دليل على أن قوله ذلك كان عن وَحْيٍ ، وتكلموا : لِمَ لم يُؤذَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل أذن قط مرة من عمره . دهره أم لا ؟ .

فأما الحكمة في تخصيص الأذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحى فلأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُرِيَه ليلة الإسراء ، وَأُتِمِمَهُ مَشَاهِدَةً فوق سَمِيعِ سَمَوَاتٍ^(١) ، وهذا أقوى من الوحى ، فلما تأخر فرض الأذان إلى المدينة ، وأرادوا لإعلام الناس بوقت الصلاة تَلَبَّثَ الوحى حتى رأى عبد الله الرؤيا ، فوافقت ما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؛ فلذلك قال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، وعلم حينئذ أن مُراد الحق بما رآه في السماء ، أن يكون سُنَّةٌ في الأرض^(٢) ، وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر الأنصاري .

(١) رواه البزار في مسنده ، وفي إسناده : زياد بن المنذر الهمداني أو الهندي أبو الجارود الأعمى الكوفي رأس الجارودية مبتدع ضال . كذبه ابن معين . وقال عنه كذاب عدو الله واتهمه ابن حبان بالوضع . وقال الذهبي وابن كثير : هذا الحديث من وضعه ، فكيف يستند السهيلي إلى حديث مثل هذا ؟ وفي هذا الحديث يزعم أن النبي صعد إلى ما فوق السماء بالبراق .

(٢) كل هذا يبينه على بيت عنكيبوت . يتمثل في صورة حديث لعن الله مفتريه .

مع أن السكينة تنطق على لسان عُمر وافتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين ، لما فيه من التثوية من الله لهبده ، والرفع لذكره ، فلأن يكون ذلك على غير لسانه أنونه به وأفضم لشأنه ، وهذا معنى بيّن فإن الله سبحانه يقول : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فَمِنْ رَفَعِ ذِكْرَهُ أَنْ أَشَادَ بِهِ عَلَى لِسَانٍ غَيْرِهِ . فَإِنْ قِيلَ : وَمَنْ رَوَى أَنَّهُ أَرَى النَّدَاءَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، قُلْنَا : هُوَ فِي مَسْنَدِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ الْبِزَارِ .

حدثنا أبو بكر محمد بن طاهر الإشبيلي سماعاً وإجازةً عن أبي علي الفسائي عن أبي عمر التَّمَرِيِّ بإسناده إلى البزار ، قال البزار : نا محمد بن عثمان بن مَخْلَدٍ ، نا أبي عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، عن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - قال : لما أراد الله أن يُعَلِّمَ رَسُولَهُ الْأَذَانَ أَنَاهُ جَبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبُرَاقُ ، فَذَهَبَ يَرْكَبُهَا ، فَاسْتَصْعِبَتْ ، فَقَالَ لَهَا جَبْرِيلُ : اسْكُنِي فَوَاقِيَّ مَارَكَبِكَ عَبْدُ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن - تبارك وتعالى - قال : فبينما هو كذلك ، إذ خرج ملكٌ من الحجاب ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا جبريل مَنْ هَذَا ؟ فقال والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكاناً ، وإن هذا الملكَ ما رأيته مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ ، فقال ؟ الملك : الله أكبر ، الله أكبر قال فليل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : فليل له من وراء الحجاب صدق عبدي أنا الله لا إله إلا أنا ، قال : فقال

لِلْمَلَكِ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي
أَنَا أَرْسَلْتُ مُحَمَّدًا ، قَالَ الْمَلَكُ حَتَّى عَلَى الصَّلَاةِ ، حَتَّى عَلَى الْفَلَاحِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلَكُ :
اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ
أَنَا أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ قَالَ : فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : صَدَقَ
عَبْدِي أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، قَالَ : ثُمَّ أَخَذَ الْمَلَكُ بِيَدِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فَقَدَّمَهُ فَأَمَّ أَهْلَ السَّمَاءِ ، فِيهِمْ آدَمُ وَنُوحٌ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ : يَوْمَئِذٍ
أَكَمَلَ اللَّهُ الْحَمْدَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الشَّرَفَ عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَأَخْلَقَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا لِمَا يَفْضُذُهُ وَيُشَاكِلُهُ
مِنْ أَحَادِيثِ الْإِسْرَاءِ فَبِمَجْمُوعِهَا يَحْصُلُ أَنَّ مَعَانِيَ الصَّلَاةِ كُلِّهَا وَأَكْثَرَهَا ،
قَدْ جُمِعَ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ ، أَعْنَى الْإِسْرَاءِ ، لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - رَفَعَ الصَّلَاةَ الَّتِي
هِيَ مُنَاجَاةٌ عَنْ أَنْ تُفَرِّضَ فِي الْأَرْضِ ، لَكِنْ بِالْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَعِنْدَ
الْكَعْبَةِ الْعَالِيَا ، وَهِيَ الْبَيْتُ الْمُعَمُّورُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ هَذَا الْفَرَضِ ، وَنَبْذًا
مِنْ هَذَا الْمَقْصِدِ فِي شَرْحِ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَيَنْضَافُ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُ
الْأَذَانِ الَّذِي تَضُمُّنُهُ حَدِيثُ الْبَزَارِ مَعَ مَا رَوَى أَيْضًا أَنَّهُ مَرَّةً وَهُوَ عَلَى الْبَرَقِ
بِمَلَائِكَةِ قِيَامٍ ، وَمَلَائِكَةِ رُكُوعٍ ، وَمَلَائِكَةِ سُجُودٍ وَمَلَائِكَةِ جُلُوسٍ ،
وَالْكُلُّ يُصَلُّونَ لِلَّهِ ، فَجُمِعَتْ لَهُ هَذِهِ الْأَحْوَالُ فِي صَلَاتِهِ ، وَحِينَ مَثَلُ بِالْمَقَامِ
الْأَعْلَى ، وَدَنَا فَتَدَلَّى أَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولَ : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ إِلَى قَوْلِهِ : الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ ،
فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَقَالَ السَّلَامُ

علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلا الله ،
وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجمع ذلك له في تشهده .

وانظر بقلبك كيف شُرِعَ له عليه السلام ولأئمة أن يقولوا تسع مرات
في اليوم والليلة في تسع جلسات في الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات : السلام
علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، فيحيون ويحيون تحية من عند الله مباركة
طيبة ، ومن قوله : السلام علينا كما قيل لهم ، فسلموا على أنفسكم تحية من
عند الله ، ومن ثم قال : الطيبات المباركات ، كما في رواية ابن عباس في التشهد
انظر إلى هذا كله كيف حيا وحي تسع مرات ، حَيَّته ملائكة كل سماء ،
وحَيَّاهم ، ثم ملائكة الكرسي ، ثم ملائكة العرش ، فهذه تسع ، فجعل
التشهد في الصلوات على عدد تلك المرات التي سلم فيها وسلم عليه ، وكلها تحيات
لله ، أي : من عند الله مباركة طيبة ، هذا إلى نُسكت ذكرناها في شرح سُبحان
الله وبحمده ، فإذا جمعت بعض ما ذكرناه إلى بعض عرَفت جملة من أسرار
الصلوة وفوائدها الجليلة دون الخفية ، وأما بقية أسرارها وما تضمنته أحاديث
الإسراء من أنوارها ، وما في الأذان من لطائف المعاني والحكم ، في افتتاحه
بالتكبير وختمه بالتكبير مع التكرار ، وقول : لا إله إلا الله في آخره ،
وأشهد أن لا إله إلا الله في أوله ، وما تحت هذا كله من الحكم الإلهية التي
تملأ الصدور هيبة وتُنور القلوب بنور المحبة ، وكذلك ماتضمنته الصلاة
في شفعها ووترها والتكبير في أركانها ، ورفع اليدين في افتتاحها ،
وتخصيص البقرة المسكونة بالموحِّه إليها ، مع فوائد الوضوء من الأحداث لها ،
فإن في ذلك كله من فوائد الحكمة ، ولطائف المعرفة ما يزيد في تلج الصدور ،

وَيَكْجُلُ عَيْنَ الْبَصِيرَةِ بِالضِّيَاءِ وَالنُّورِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَنْزِعَ فِي ذَلِكَ بِمَنْزَعِ
فَلَسَنِيَّ أَوْ مَقَالَةِ بِدْعِيَّ ، أَوْ رَأْيٍ تَجَرَّدَ مِنْ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ ، وَلَكِنْ
بِتَلَوِيحَاتٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ ، وَإِشَارَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ يَغْضُدُ بَعْضُهَا بِمِثْلِهَا ،
وَيُنَادِي بَعْضُهَا بِتَصْدِيقِ بَعْضٍ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء ٨٢ . لَكِنْ أَضْرَبْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَنْ بَثِّ هَذِهِ
الْأَسْرَارِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُخْرِجُ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ ، وَيَشْتَغِلُ عَمَّا صَحَّدْنَا إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ
الْكِتَابِ ، وَوَعَدْنَا بِهِ الْفَاضِلَ فِيهِ مِنْ شَرْحِ لَفَظَاتٍ وَأَنْسَابٍ وَأَدَابٍ ، وَاللَّهُ
الْمُسْتَعْمَانُ .

وَقَدْ عُرِفَتْ رُؤْيَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ وَكَيْفِيَّتُهَا بِرَوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِ ،
وَلَمْ تُعَرَفْ كَيْفِيَّتُهُ رُؤْيَا عُمَرَ حِينَ أَرَى الْفَدَاءَ ، وَقَدْ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي رَأَى ،
لَكِنْ فِي مُسْنَدِ الْحَارِثِ بَيَانٌ لَهَا . رَوَى الْحَارِثُ [بْنُ أَبِي أُسَامَةَ] فِي مُسْنَدِهِ (١) ،
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : أَوَّلُ مَنْ أَدَّانَ بِالصَّلَاةِ جَبْرِيلُ أَدَّانَ
بِهَا فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا فَسَمِعَهُ عُمَرُ وَبِلَالٌ فَسَبَقَ عُمَرُ بِلَالًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبِلَالٍ : سَبَقَكَ بِهَا عُمَرُ ، وَذَكَرَ
بَاقِيَ الْحَدِيثِ . وَظَاهِرُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ عُمَرَ سَمِعَ ذَلِكَ فِي الْيَقَظَةِ ، وَكَذَلِكَ رُؤْيَا
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ فِي الْأَذَانِ رَأَاهَا ، وَهُوَ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقَظَانِ : قَالَ : وَلَوْ شِئْتُ
لَقُلْتُ : كُنْتُ يَقَظًا (٢) .

(١) رَوَاهُ بِسَنَدٍ وَاهٍ عَنْ كَثِيرِ الْخَضَرِيِّ .

(٢) فِي رَوَايَةِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ : وَلَوْ قُلْتُ : إِنِّي لَمْ أَكُنْ
فَأَتَمًّا لَصَدَقْتُ

فصل : وأما قولُ السائل : هل أذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه قطُّ ، فقد روى الترمذى من طريقٍ يدور على عمر بن الرماح^(١) يرفعه إلى أبي هريرة^(٢) أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - أذن في سفرٍ، وصلى بأصحابه، وهم على رَواحِلِهِمْ ، السماء من فوقهم والْبِلَّةُ من أسفلهم ، فنَزَعَ بعضُ الناس بهذا الحديث إلى أنه أذن بنفسه ، وأسندَه الدَّارَقُطْنِي بإسناد الترمذى إلا أنه لم يذكر عمر بن الرماح ، ووافقه فيما بعده من إسنادٍ ومَتْنٍ ، لكنه قال فيه :

= وهذا للنفس أن تلح في معرفة كيف كان ينادى للصلاة قيل الهجرة ؟ يحزم ابن المنذر بأنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة إلى أن وقَّع التشاور في ذلك . ولكن توجد بعض الأحاديث عند الطبراني والدارقطني وغيرهما تدل على أنه شرع في مكة . غير أن رجال السند يضعفون هذه الأحاديث . على أن الحرية الرحبية التي من بها الله على نبيه وأصحابه في المدينة توحى بأن الحاجة إلى الإعلام بالصلاة راحت تلح على النفوس ، وكانت القسوة الباغية من تمريش تكبتها في النفس ، ولا تدع لها قبل الهجرة باباً تنطلق منه .

(١) هو ابن ميمون بن بحر بن سعد الرماح البلخي أبو علي أو سعد هو الرماح ، فنسبه إلى جده الأعلى قاضى بلخ المتوفى سنة ١٧١ روى له الترمذى ، ووثقه ابن معين وأبو داود

(٢) الحديث عند الترمذى والدارقطني من حديث يعلى بن مرة بن وهب الثقفي من بايع تحت الشجرة ، فسبق السهيلي حفظه ، أو سبق مستمليه قلعه ، لأنه كان ضريراً . الزرقاني على المواهب ص ٣٨٠ و١ وقال الترمذى عن الحديث : غريب تفرد به عمر بن الرماح ، ولا يعرف إلا من حديثه .

فقام المؤذن ، فأذن ، ولم يقل : أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمُتَصَلِّ يَقْضِي عَلَى الْمُجْمَلِ الْمُحْتَمَلِ ، والله أعلم .

حديث صرمة بن أبي أنس

واسم أبي أنس : قَيْسُ بنِ صِرْمَةَ بنِ مَالِكِ بنِ عَدِي بنِ غَمْرٍ بنِ غَنَمٍ (١) ابنِ عَدِي بنِ النَّجَّارِ الأنصاري ، وهو الذي أنزل الله فيه ، وفي غمْر رضى الله عنهما : ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ البقرة : ١٨٧ إلى قوله : ﴿ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ فهذه في عمر ، ثم قال : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ إلى آخر الآية ، فهذه في صِرْمَةَ بنِ أبي أنس (٢) ، وذلك أن إتيان النساء ليلاً في رَمَضَانَ

(١) في الإصابة : عامر بن غانم . وفيه أيضاً : صرمة بن أنس ، ويقال : ابن أبي أنس ، ويقال : ابن قيس وكنيته : أبو قيس . وفي حرف القاف يقول قيس بن صرمة ، وقيل : صرمة بن مالك أبو صرمة . وقيل : قيس بن أنس أبو صرمة . وفرق ابن حبان بين قيس بن مالك وقيس بن صرمة ، فقال في كل منهما له صحبة . وفي جبهة ابن حزم عن بني عدى بن النجار « منهم : صرمة بن أبي أنس ، واسم أبي أنس : قيس بن صرمة بن مالك بن عدى بن النجار أسلم ، وهو شيخ كبير ، وكان قد رفض الأوثان في الجاهلية ، وعنه : أنس بن صرمة الشاعر ، وهو الذي يقول « ثوى في قریش بضعة عشرة حجة . . . الخ » ص ٣٣٠ ط أولى .

(٢) ورد مثل هذا في حديث رواه أحمد وأبوداد والحاكم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ولكن هذا لم يسمع من معاذ ، ورواية البخاري على اختصارها عظيمة هنا ، فقد زوى بسنده عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء « رضى » لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان جال =

كان مُحَرَّمًا عليهم في أول الإسلام بعد النوم ، وكذلك الأكلُ والشرب
كان مُحَرَّمًا عليهم بعد النوم (١) فأما عمر ، فأراد امرأته ذات ليلة ، فقالت له :
إني قد نمت ، فقال : كذبت ثم وقع عليها ، وأما صِرْمَةٌ فإنه عمل في حائِطه
وهو صائم ، فجاء الليل وقد جَهَدَهُ السَّكَلَالُ فغلبته عينه قبل أن يفطر ، فجاءته
امرأته بطعام كانت قد صنعت له ، فوجدته قد نام ، فقالت له : انْخَبِئْ لَكَ حَرَمٌ
عليك الطعامُ والشرابُ فبات صائمًا ، وأصبح إلى حائِطه يعمل فيه ، فمرَّ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طَلِيحٌ قَدْ جَهَدَهُ العطشُ مع ما به من
الجوع والنَّصَب ، فسأله رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بقصته فرقَّ
له عليه السلام ، ودمعت عيناه ، فأنزل الله تعالى الرُّخْصَةَ ، وجاء بالقرج . بدأ
بقصة عمر لفضله ، فقال : ﴿ فَالآن بَاشِرُوهُمْ ﴾ ثم بَصْرْمَةٌ فقال : ﴿ وَكُلُوا
واشْرَبُوا ﴾ قال بعضُ أشياخ الصوفية : هذه العناية من الله أخطأ عمر خَطِيئَةً
فَرُحِّمَتِ الْأُمَّةُ بِسَبَبِهَا (٢) .

== يخونون أنفسهم ، فأنزل الله تعالى : (علم الله أنكم كنتم تخفون أن أنفسكم ،
فتاب عليكم) الآية .

(١) وقيل : كان إلى صلاة العشاء ، أو ينام .

(٢) الرواية الصحيحة عند البخاري : وكان رجال يخونون أنفسهم ، فهي ليست

خطيئة ، ولا خطأ عمر وحده ، وإن صح الحديث الذي ينسب إلى عمر هذا .

من شرح شعره :

وذكر من شعر صرمة :

فأوصيكم بالله والبرِّ والثَّقَى وأعراضكم والبرِّ بالله أولُ

برفع البر على الابتداء ، وأولُ خبرٌ له ، وقد يحتمل في الظاهر أن يكون ظرفاً في موضع الخبر ، ولكن لا يجوز ذلك في هذه الظروف المبنية على الضم أن تكون خبر المبتدأ ، لا تقول : الصلاة ، قبلُ إلا أن تقول : قبل كذا ، ولا الخروج بعدُ إلا أن تقول : بعد كذا ، وذلك ليسرَّ دقيق قد حوِّم عليهما ابنُ جني (١) فلم يُصِبِ المَفْصِل ، والذي منع من ذلك أن هذه الغايات إنما تعمل فيها الأفعال المملوطة بها لأنها غايات لأفعالٍ متقدمة ، فإذا لم تأت بفعل يعمل فيها ، لم تكن غايةً لشيء مذكور ، وصار العامل فيها معنويًا ، وهو : الاستقرار ، وهي مضافة في المعنى إلى شيء ، والشيء المضاف إليه معنوي ، لا لفظي ، فلا يدل العاملُ المعنوي على معنوي آخر ، إنما يدل عليه الظاهرُ اللفظي ، فتأملْه ، فالضمة في أولُ على هذا حركة إعراب ، لا حركة بناء ، ولو قال : ابدأ بالبر أولُ لكانت حركة بناء ، لكن من رواه : والبرُّ بالله أولُ بخفض الراء من البر فأول حينئذ ظرف مبنى على الضم يعمل فيه : أوصيكم وفيه : وإن أنتم أمعزتم فتعففوا ، الإمرار : الفقر (٢) .

(١) أنظر ص ٣٦٢ > ٢ الخصائص لابن جني .

(٢) في رواية — كما ذكر الحشني — أمعزتم : أي أصابتكم شدة ، من قولهم

رجل ما عز ومعز أي شديد .

ومن شعره :

سَبِّحُوا اللَّهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاحٍ طلعت شَمْسُهُ وَكُلَّ هِلَالٍ

الشرق : طلوع الشمس ، وهو من أسمائها أيضا ، وكذلك الشَّرْق بفتح الراء وكلَّ هلال بالنصب على الظرف ، أى : وقت كلِّ هلال ، ولو قلت فى مثل هذا : وكلَّ قمر على الظرف ، لم يجوز ، لأن الهلال قد أُجْرِى مُجَرِّى المصادر فى قولهم : الليلة الهلال ؛ فلذلك صح أن يكون ظرفا لأن المصادر قد تكون ظرفا لمعانٍ وأسرارٍ ليس هذا موضعا لذكرها ، ولو خفضت وكلَّ هلال عطفا على صباح ، لم يجوز لأن الشرق لا يضاف إلى الهلال كما يضاف إلى الصباح .
وفيه :

وله شَمْسَ النصارى

يعنى دين الشَّامِسة^(١) ، وهم الرُّهْبَانُ لأنهم يُشَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ ، يريدون .
تعذيب النفوسِ بذلك فى زعمهم .

وفيه :

يَا بَنِي الْأَرْحَامِ لَا تَنْقَطِعُوا

بنصب الأرحام ، وهو أجود من الرفع فى هذا الموضع للنهى .
وقوله :

وَصِلُوهَا قَصِيرَةً مِنْ طَوَالٍ

(١) الشماس : خادم الكنيسة ، ومرتبته دون القسيس .

وقد أملينا فيها في غير هذا الكتاب ما نعيده ههنا بحول الله ، وأملينا أيضاً في معنى الرَّحِمِ واشتقاق الأم لإضافة الرَّحِمِ إليها ، ووضعها فيه عند خلق آدم وحواء ، وكون الأم أعظم حظاً في البرِّ من الأب ، مع أنها في اليراث دونه . أسراراً بديعة ، ومعاني لطيفة أودعناها كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية . فلتنظر هنالك .

وأما قوله : قصيرة من طوال ، فيحتمل تأويلين أحدهما : أن يريد : صلوا قصرها من طولكم ، أى : كونوا أنتم طوالاً بالصلة والبر إن قصرتم . هى ، وفي الحديث : [أنه قال لأزواجه] : أَسْرَعُكُمْ حُوقَابِي : أطولكن بداً [فاجتمعن يتطاولن ، فطالهن سودة ، فماتت زينب أولهن] أراد الطول . بالصدقة والبر ، فكانت تلك صفة زينب بنت جحش^(١) . والتأويل الآخر : أن يريد مدحا لقومه بأن أرحامهم قصيرة النسب ، ولكنها من قوم طواله . كما قال :

أحبُّ من النسوان كلَّ طَوِيلَةٍ لها نسبٌ في الصالحين قصيرٌ
وقال الطائي :

أنتم بنو النَّسَبِ القصيرِ وطولكم بادٍ على الكُبراء والأشرافِ
والنَّسَبُ القصير : أن يقول : أنا ابنُ فلانٍ فيُعَرَفُ ، وتلك : صفة .

(١) المعنى في الحديث : أمدكن بداً بالمطاء من الطول ، فظننه من الطول . وكانت زينب تعمل بيدها وتصدق به . النهاية لابن الأثير .

الأشراف ، ومن ليس بشريف لا يُعرف حتى يأتي بنسبة طويلة يبلغ بها رأس القبيلة . وقد قال رؤبة : قال لي النسابة : من أنت انتسب ، فقلت : رؤبة بن العجاج ، فقال : قصرت وعرفت . وقوله :

إن خزل التَّخُومِ ذو عُقال

التَّخُومُ : جمع : تَخُومَة ، ومن قال : تُخَمُّ في الواحد ، قال في الجمع تُخُوم بضم التاء (١) ، وأراد بها الأرف [أو الأَرث] وهي الحدود ، وقال أبو حنيفة : التَّخُومُ والتَّخُوم : حدود البلاد والقرى ، ولم يذكر في حدود الأختال الأرف . والمُعَال . ما يمنع الرجل من المشي ، ويُعقلها يريد أن العظم يُخَلَّف صاحبه ويُعقله عن السَّباق ، ويُحبسه في مضائق الاحتِاق .

وذكر قصيدته الياثية ، وقال فيها : فَطَأْ مُعْرِضًا . البيت ، قال ابن هشام : هو لأفنون التغلبي ، واسمه صُرَيْمُ بن مَعْشَر [بن ذهل بن تميم بن عمرو ابن عمرو بن مالك بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب (٢)] . قال المؤلف وسمى أفنونا في قول ابن دُرَيْدٍ لبیت قاله فيه :

(١) يرى القراء أنها بضم التاء ، ويرى الكسائي أنها بفتحها ويقول أبو عبيد : أصحاب العربية يقولون : هي التَّخُوم بفتح التاء ويجعلونها واحدة ، وأما أهل الشام فيقولون : التَّخُوم يجعلونها جمعا ، والواحد : تَخَم . وقال ابن بري تخوم وتخوم وزبور وزبور ، وعذوب وعذوب - بالفتح أو الضم - في هذه الأحرف الثلاثة . وينسب هذا البيت أيضاً إلى أحيحة بن الجلاح .

(٢) وأفنون بضم الاول أو فتحه ، وفي مؤلف الأمدى أن اسمه : ظالم .

مَنْيَتَنَا الْوَرَّ يَا أَفَنُونَ مَظَنُونًا (١)

أو نحو هذا اللفظ . والأَفَنُونَ : الغُصْنُ الناعم ، والأَفَنُونَ أيضاً العجوز
الفانية ، وأفَنُونَ هو الذى يقول :

لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمٍ	غَذِيَّ بِهِمْ وَلَقَمَانٍ وَذِي جَدَنٍ
لَمَّا وَقَوْا بِأَخِيهِمْ مِنْ مُهَوَّلَةٍ	أَخَا السَّكُونِ وَلَا جَارُوا عَنْ السَّكَنِ
أَنَّنِي جَزَوًا عَامِرًا سُوءَى بِفَعْلِهِمْ	أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي الشُّوءَى مِنَ الْخُسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعُلُوقُ بِهِ	رُثْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَاضَ بِاللَّبَنِ (٢)

(١) فى سبط اللآلى :

منيتنا الود يامضنون مضموننا أزماننا إن للشبان أفنونا
وبعض الشطرة الآخيرة فى الاشتقاق لابن دريد . انظر ص ٦٨٤ السبط ،
ص ٢٣٦ الاشتقاق

(٢) البيت الاول فى اللسان ، وفيه : ولقمانا وذاجدن ، وفى المفضليات
الضبي ص ٣٠ ط ١٣٢٤ هـ ، وفى البيان والتبيين ٢ ص ٩ ط ١٣٦٧ هـ
« ريت فيهم ، ومن لقمان أوجدن ، وعدة القصيدة فى المفضليات تسعة أبيات ،
ومنها فى البيان أربعة الأبيات التى ذكرها السبلى ، ومنها فى أمالى القالى البيت
الثالث والرابع ص ٥١ ط ٢ ، وفى سبط اللآلى ورد قبل البيت الثالث بيتان
آخران . وفى البيان والتبيين عن رُثْمَانٍ د أصله : الرقة والرحمة والردوم أرق
من الردوف ، فقال : « رُثْمَانُ أَنْفٍ ، كأنها تبر ولدها بأنفها وتمنعه اللبن ، ص ٩
٢ وفى معنى اللبيب لابن هشام ورد البيتان الثالث والرابع . وفيه عن العلوق :
الناقة التى علق قلبها بولدها ، وذلك أنه ينحر ، ثم يحشى جلده تبنا ، ويعمل بين
يديها لتشمه ، فتدر عليه ، فبى تسكن إليه مرة وتفر عنه أخرى ، وهذا
البيت ينشد لمن يعد بالجبل ، ولا يفعله ، لانطواء قلبه على ضده . هذا وقد نقل
عن الكسائى أنه يرى رفع رُثْمَانٍ على أنها بدل من ما ، كما يرى نصبها بتعطى ،
وجرها على أنها بدل من الهاء ، أما الأصمعى وابن الشجرى فينسكran الرفع . أنظر =

وقول ابن هشام في البيتين : قَطَأَ مُعْرِضًا والذي بعده أنهما لأَفَنُونَ .
التَّغْلِبِيُّ مذكور عند أهل الأخبار ، ولها سبب ذكروا أن أَفَنُونًا خرج
في ركبٍ ، فمروا بَرَبْوَةٍ تعرف : بالإِلَهِةِ (١) ، وكان الكاهنُ قبل ذلك
قد حدثه أنه يموت بها ، فربها في ذلك الركب ، فلما أشرفوا عليها وأُغْلِمَ
باسمها ، كَرِهَ المرورَ بها ، وأبوا أصحابه إلا أن يَمُرُّوا بها ، وقالوا له : لا تنزل
عندها ، ولكن نَجُوزُها سَعْيًا ، فلما دنا منها بركت به ناقته على حَيَّةٍ ، فنزل
لينظر فَنَمَشَتْهُ الحَيَّةُ ، فمات ، فَقَبِرُهُ هنالك ، وقيل في حديثه : إنه مَرَّ بها ليلاً ،
فلم يعرف بها حتى رَبَضَ البَعِيرُ الذي كان عليه ، وعلم أنه عند الإِلَهِةِ فَجَزَع ،
فقيل له : لا بأس عليك ، فقال فِلمَ رَبَضَ البَعِيرُ ، فأرسلها مثلاً . ذكره يعقوب ،
وعندما أحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكر ابن إسحاق وبمدهما :
كَفَى حَزَنًا أَنْ يَرَحَلَ الرَّكْبُ غُدْوَةً وَأُتْرِكَ فِي جَنبِ الإِلَهِةِ ذُوبًا (٢)

تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن

ذكر فيهم جُدَيَّ بن أخطب ، بالجيم ، وهو أخو حُيَّ بن أخطب .

== ص ٤٠ ح ١ معنى اللبيب ط ١٣٢٨ والابيات مشروحة بالتفصيل في المفضليات ،
وخزانة الادب للبغدادى .

(١) الإِلاهة على وزن الفعالة : قارة بالساعة من دار كلب ، وهى بين ديار
تغلب والشام .

(٢) أنظر عن القصة ص ١٨٦ ح ١ معجم ما استعجم .

وَأَمَّا حَدَّثِي بِالْحَاءِ ، فَذَكَرَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي نَسَبِ عُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ
ابْنِ حَدَّثِي التَّمِيمِيِّ فَارِسِ الْعَرَبِ .

وَذَكَرَ عَزِيزُ بْنُ أَبِي عَزِيزٍ وَأَلْفَيْتُ بِحُطِّ الْحَافِظِ أَبِي بَحْرٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
يَقُولُ عَزِيزُ بْنُ أَبِي عَزِيزٍ ، بَزَائِينَ قَيْدَنَاهُ فِي الْجُزْءِ قَبْلَ .

وَذَكَرَ ثَعْلَبَةُ بْنُ الْفِطَيَّوْنِ وَالْفِطَيَّوْنُ كَلِمَةً عِبْرَانِيَّةً ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ
مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْيَهُودِ ، وَمَلَكَهُمْ ، كَمَا أَنَّ النَّجَاشِيَّ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَنْ مَلَكَ
الْحَبَشَةَ ، وَخَافَانَ مَلَكَ التُّرْكِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْبَابِ جُمْلَةٌ .

وَذَكَرَ فِيهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا^(١) الْأَعُورَ ، وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ بِالتَّوْرَةِ ،
ذَكَرَ النَّقَّاشُ أَنَّهُ أَسْلَمَ لِمَا تَحَقَّقَ مِنْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي التَّوْرَةِ ،
وَأَنَّهُ هُوَ وَلَيْسَ فِي سِيرَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ ذِكْرُ إِسْلَامِهِ .

يهود المدينة :

فصل : وقوله : ومن يهود بني زُرَيْقٍ ، ومن يهود بني حارثة ، وذكروا
قَبَائِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَإِنَّمَا الْيَهُودُ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَجُمْلَةٌ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ
وَخَيْرِ إِمَامِهِمْ [بَنُو] قُرَيْظَةَ [وَبَنُو] النَّضِيرَ وَبَنُو قَيْنُقَاجَ ، غَيْرَ أَنَّ فِي الْأَوْسِ
وَالنَّخْرَجِ مَنْ قَدْ تَهَوَّدَ ، وَكَانَ مِنْ نَسَائِهِمْ مَنْ تَنَذَرُ إِذَا وَلَدَتْ إِنْ عَاشَ
وَلَدُهَا أَنَّ تَهَوَّدَهُ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ عِنْدَهُمْ كَانُوا أَهْلَ عِلْمٍ وَكِتَابٍ ، وَفِي هَؤُلَاءِ

(١) فِي الْأَصْلِ : صَوْرِي ؛ وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْقَامُوسِ . وَفِيهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَذَا
أَسْلَمَ مِنْ كُفْرٍ .

الأبناء الذين تَهَوَّدُوا نزلت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة : ٢٥٦ حين أراد آباؤهم إكراههم على الإسلام في أحد الأقوال ^(١) .

السحر المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وأما أبيب بن الأعصم ، الذي ذكره من يهود بني زُرَيْقٍ ، وقال : هو الذي أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه يعني من الأخذ ، وهي ضرب من السحر . في الخبر أن القاسم بن محمد بن الحنفية ، كان مؤخذاً عن مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يستطيع أن يدخله ، وكان أبيب هذا قد سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وجعل سحره في مشطٍ ومشاطة .

(١) الحديث مروي عن ابن عباس : كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهود ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الانصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا ، فأنزل الله عز وجل : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) رواه أبو داود والنسائي جميعاً عن بندار به ، ومن وجوه آخر عن شعبة به نحوه ، ورواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه . وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وغيرهم . وبسنن آخر روى ابن إسحاق عن ابن عباس نفسه أنها نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له : الحصيني كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلاً مسلماً ، فقال للنبي د ص ، ألا أستكرهما . فانهما قد أبيا لإلا النصرانية ، وقيل غير ذلك . ويقول ابن كثير في تفسير الآية : لا تكروها أحداً على الدخول في دين الإسلام ، فانه بين واضح جلي دلالته وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، . . . وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الانصار ، وإن كان حكمها عاماً ،

وروى : مُشَاقَّةٌ بِالْقَافِ ، وهى مُشَاقَّةُ السَّكَنَانِ ، وَجُفٌّ طَلْمَةٌ ^(١) ذِكْرٌ ، هِىَ
فُجَّالُ النَّخْلِ ، وهى ذُكَّارُهُ . وَالْجُفُّ : غِلَافٌ لِلطَّلْمَةِ ، وَيَكُونُ لغيرِهَا ، وَيُقَالُ
لِلجُفِّ الْقِيْقَاءُ وَتُصْنَعُ مِنْهُ آتِيَةٌ يُقَالُ لَهَا : التَّلَاتِلُ [جمع : تَلَقَلَةٌ] قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ .
وَدَفَنَهُ فِي بَثْرَذَى أَرْوَانَ ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ : دَرَوَانٌ تَحْتَ رَاعُوفَةٍ .
الْبَثْر [أَوْ رَاعُوفَتِهَا] ، وهى صَخْرَةٌ فِي أَسْفَلِهِ يَقِفُ عَلَيْهَا الْمَائِجُ ^(٢) ، وَهَذَا
الْحَدِيثُ مَشْهُورٌ عِنْدَ النَّاسِ ، ثَابِتٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، غَيْرَ أَنِّى لَمْ أَجِدْ
فِي السُّكُتِ الْمَشْهُورَةِ : كَمْ كَبِثَ - رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِذَلِكَ السَّحَرِ ،
حَتَّى شَفِىَ مِنْهُ ، ثُمَّ وَقَعْتَ عَلَى الْبَيَانِ فِي جَامِعِ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ . رَوَى مَعْمَرٌ
عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : سَحَرِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةً يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ
يَفْعَلُ الْفِعْلَ ، وَهُوَ لَا يَفْعَلُهُ ^(٣) ، وَقَدْ طَعَنَتِ الْمُعْتَزَلَةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَطَوَائِفُ
مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ ، وَقَالُوا لَا يَجُوزُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُسَحَّرُوا ، وَلَوْ جَازَ أَنْ يُسَحَّرُوا ،
لَجَازَ أَنْ يُجْنَثُوا . وَنَزَعَ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاللَّهُ يُعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ ﴾
وَالْحَدِيثُ ثَابِتٌ خَرَّجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ ، وَلَا مَطْمَئِنَ فِيهِ مِنْ جِهَةِ النُّقْلِ ، وَلَا مِنْ
جِهَةِ الْعَقْلِ ، لِأَنَّ الْعِصْمَةَ إِنَّمَا وَجَبَتْ لَهُمْ فِي عَقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ ، وَأَمَّا أَبْدَانُهُمْ ،
فَإِنَّهُمْ يُبَيِّتُونَ فِيهَا ، وَيُخَلِّصُ إِلَيْهِمْ بِالْجِرَاحَةِ وَالضَّرْبِ وَالسُّمُومِ وَالْقَتْلِ .

(١) الطَّلْمَةُ : الْقِطْعَةُ مِنْ طَلْعِ النَّخْلِ ، وَالطَّلْعُ : غِلَافٌ يَشَقُّ الْكُوزَ يَنْفَتَحُ
عَنْ حَبِّ مَنْضُودٍ ، فِيهِ مَادَّةٌ لِإِخْصَابِ النَّخْلَةِ

(٢) الرَّاعُوفَةُ أَيْضًا صَخْرَةٌ تَكُونُ عَلَى رَأْسِ الْبَثْرِ يَقُومُ عَلَيْهَا الْمُسْتَقَى .
وَالْمَائِجُ : الْمُسْتَقَى .

(٣) أَلَيْسَ التَّخْيِيلُ تَخْلِيظًا أَوْ اخْتِلَاطًا عَقْلِيًّا ؟

والأخذة التي أخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هذا الفن ، إنما كانت في بعض جوارحه دون بعض (١) .

وأما قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فإنه قد روى أنه كان

(١) نعرض هنا بعض روايات الحديث . روى الإمام أحمد بسنده عن زيد ابن أرقم قال : سحر النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل من اليهود ، فاشتكى لذلك أياما ، قال : فجاءه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ، وعقد لك عقدا في بئر كذ وكذا ، فأرسل إليها من يحىء بها ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستخرجها ، فجاءه بها ، خللها ، قال : فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عقال ، فاذا ذكر ذلك اليهودي ، ولا رآه في وجهه حتى مات . ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية محمد بن حازم الضري . ويثبت الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اشتكى أياما لكن لم يذكر ما اشتكى منه ، ولا تحدث عن المشط والمشاطة ولا شيء مما ورد . ويقول ابن الأثير عن التعبير بكانما نشط من عقال أن التعبير بنشط ليس بصحيح ، والصواب : أنشط يقال : نشطت العقدة إذا عقدتها ، وأنشطتها وأنشطتها : إذا خللتها . . أقول : وهذا التعبير يؤكد أن ما أصاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يشمل كل جسده .

أما البخاري فيروى بسنده عن عائشة قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ، ولا يأتيهن . قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر ، إذا كان كذا . فقال يا عائشة أعلمت أن الله قد أفنانى فيما استفتيته فيه . أفنانى رجلان فقعده أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للآخر . ما بال الرجل ؟ قال مطبوب ، المطبوب : المسحور ، قال : ومن طبه ؟ قال لبيد بن أعسم ، رجل من بنى زريق حليف اليهود ، وكان منافقا ، قال : وفيم ؟ قال : فى مشط ومشاطة . قال : وأين ؟ قال : فى جف طلعة ذكر تحت رعوقة فى بئر ذروان . قالت : فأتى البئر ، حتى استخرجه . فقال : هذه البئر التى أريتها ، وكان ماءها نقاعة الحناء ، وكان نخلها رموس الشياطين ، قال فاستخرج ، فقلت : =

== أفلا تنشرت ، فقال : أما الله فقد شفاني ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا ، وأسنده من حديث عيسى بن بولس وأبي ضمرة أنس بن عياض ، وأبي أسامة ، ويحيى القطان ، وفيه قالت : حتى يخيل إليه أنه فعل الشيء ، ولم يفعله ، وعنده ، فأمر بالبئر ، فدفنت ، وذكر رواية عن هشام أيضا ابن أبي الزناد ، واليث بن سعد ، وقد رواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة ، وعبدالله ابن نمير ، ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به ، ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن ميمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لبث النبي دس ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي ، فاتاه ملسكان ، جلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجله ، فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن حله ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، وذكر تمام الحديث .

وفي بعض الروايات ورد أن الرسول دس ، أرسل عليا والزبير وعمار ابن ياسر . وأنهم وجدوا فيه وترا معقودا فيه اثنا عشر عقدة مفروزة بالإبراة ، فأنزل الله السورتين ، فاجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة .

ورواية البخاري ومسلم . لم تتحدث عن جبريل ، وإنما عن رجلين . ، ثم هي تؤكد أنه دس ، كان مطبوبا ، أي مسحورا . وأنه كان يرى أنه يأتي النساء ، ولا يأتيهن ، وأنه أبي الرقية . ورواية أحمد عن إبراهيم بن خالد تثبت أنه ظل ستة أشهر يرى أنه يأتي ، ولا يأتي .

كما نجد في بعض روايات الحديث ما يفيد أن الرسول دس ، أرسل من يحيى بالسحر ، وفي غيرها ضده .

هذا والسحر — كما يقول الراغب — يقال على معان ، الأول : الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ بصرف الأبصار عما يفعله لحفة يد ، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائن للأجماع . وعلى ذلك : (سحرُوا عَيْنَ النَّاسِ) (يخيل إليه من سحرهم) . الثاني : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه كقوله : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم) وعلى ذلك قوله : (وليكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) . والثالث : ما يذهب إليه الاغتمام ، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته ينير == (م ٢٦ — الروض الأثف ج ٤)

= الصور والطبائع ، فيجعل الإنسان حمارا ، ولا حقيقة لذلك عند المحققين .
وقد تصور من السحر تارة حسنة ، فقيل : إن من البيان لسحرا ، وتارة :
دقة فعله ، حتى قالت الأطباء : الطبيعة ساحرة ، وسهوا الغداء سحرا من حيث
إنه يدق ويلطف تأثيره ، وعند ابن فارس في مقاييسه : السين والحاء والراء :
أصول ثلاثة متباينة ، أحدها : عضو من الأعضاء ، والآخر : خدع وشبهة ،
والثالث : وقت من الأوقات ، . . ثم يقول عن السحر : قال قوم هو لإخراج
الباطل في صور الحق ، ويقال : هو الخديعة ، هذا معنى السحر في اللغة التي
شرفها الله ، فنزل بها القرآن .

ولنتدبر معا بعض ماورد في القرآن مما لهذا الأمر صلة وثيقة به . يقص
ربنا سبحانه قول موسى للسحرة في قوله جل شأنه : (فلما ألقوا قال موسى :
ما جئتم به السحر ، إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين) يونس : ٨١ .
والمعنى واضح وضوح الحق في القرآن . هو أن الله سبحانه يبطل السحر الذي
يحيى به السحرة ضد النبوة . وتدبر ختام الآية الكريمة . ويقص الله سبحانه ما قاله
المشركون عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (يقول الظالمون : إن تتبعون إلا
رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال ، فضلوا ، فلا يستطيعون
سييلا) الإسراء : ٤٧ ، ٤٨ فهت الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رجل مسحور
هو قول الظالمين الذين ضلوا ، فلا يستطيعون سييلا وقد ورد هذا المعنى أيضا
في سورة الفرقان : (وقال الظالمون : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف
ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سييلا) الفرقان : ٨ ، ٩ .

كما يقص الله سبحانه أن فرعون قد هت موسى (إني لأظنك يا موسى
مسحورا) الإسراء : ١٠١ . والمعجب هنا أن فرعون على حقه ووجوده
وتوحش الظلم في أعماقه وأعماله قال أظنك ، ونسمع من يؤكد أن النبي صلى الله
عليه وسلم يسحره يهودى ، ويظل النبي د ص ، مسحورا ستة أشهر ، وهو يرى
الشيء عين نقيضه ، وإحساسه بما يوقظ الإحساس الخامد بقوة إحساس مختلط .
ماذا يدل عليه الزعم بأنه كان يرى أنه بآتى النساء ، ولا يأتين ؟ يدل على أنه قد
تجرد من كل تمييز ولهذا قال سنيان : وهذا أشد ما يكون من السحر . إذا كان =

= مثل هذا اليهودى القذر اليد والدين واللؤم يهيمن بدجله على خير نبي ، هو خير ولى ، وخير صديق ، فاذا بقى من نبوة تقاوم ؟ وإذا كان الله سبحانه قد قال لإبليس (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، إلا من اتبعك من الغاوين) الحجرات : ٢٤ ، أفيكون لجنده عليهم سلطان ؟ إن الشيخ السبيلى يزعم أن الأمر كان يتعلق بحسد النبي د ص ، لا بعقله ١١ كيف يزعم هذا ، وهو يروى عن روى أنه كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتين ؟ وإذا كان هذا ليس تخليطاً عقلياً ، وغمة فكرية وشعورية ، فاذا يكون التخليط ، وكيف تكون الغمة الفكرية الشعورية ، وكيف تقلد فرعون والظالمين في بهت صفوة الخلق أجمعين ؟ وإذا كان قد ورد في رواية متفق عليها أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ، وما فعله ؟ وستة أشهر ؟

إن أجل ما يمتاز به الرسل — صلوات الله وسلامه عليهم — تلك اليقظة العقلية التي لا تغفل عن عوار في الكفر أو الخلق أو الشعور ، والتي لا يتصور مطلقاً فيها التسوية بين الشيء ونقيضه ، فكيف استطاع يهودى بمشط ومشاطة أن يجعل هذه اليقظة العقلية الملهمة الرائعة خرفاً ؟ ثم إننا لم نسمع مطلقاً فيما روى — أن الرسول د ص ، قد احتبس عن أصحابه ستة أشهر بسبب هذا الخرف ، أو يمكن أن نظن أنه يلتقى بالناس ويحاط بهم . ، ويعلمهم ويهديهم ، وهو بهذا الخرف ، أو بهذا الوسواس ، أو بهذا الشعور النفسى المخطم ، أو بهذا الحطام من بقايا رجل يختاره الله لحتم النبوة ، ثم يدعه لليهودى قذر يسيطر على فكره وعاطفته وتمييزه ، فيرى الشيء عين نقيضه ؟ .

إننا حين نفترض صحة الحديث ، فأنى أتصور الأمر كما يأتى : أصيب عليه العلة والسلام بمرض ما لم يمسس به نباهة عقل ، ولا تألق فكر ، ولا إثراق روح ، ولا تسامى وعى إلى أعلى الذرى التي تكون لافق الوعى الإنسانى ، فإياك إذا كانت تهديه أضواء النبوة ، وتخلق به هدايتها ؟ وأتصور أن اليهودى قام بهذا السحر ، وأن الذى كان بالرسول — صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن أتصور أنه أثر =

يُحْرَسُ فِي الْغَزْوِ ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، فَأَمَرَ حُرَّاسَهُ أَنْ يَنْصَرَفُوا عَنْهُ ،
وَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِكُمْ ، فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ مِنَ النَّاسِ ^(١) ، أَوْ كَمَا قَالَ .

فَقَعَّ مَهْرَبُ السَّحَرِ :

وَأَمَّا مَا فِيهِ مِنَ الْفَقْهِ ، فَإِنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ : هَلَّا تَنْذَرْتَنِي ، فَقَالَ : أَمَّا أَنَا
فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ، وَهُوَ حَدِيثٌ مُشْكِلٌ
فِي ظَاهِرِهِ ، وَإِنَّمَا جَاءَ الْإِشْكَالُ فِيهِ مِنْ قِبَلِ الرِّوَاةِ ، فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا جَوَابَيْنِ

== من سحر اليهودي القذر ، وإنما عائشة - رضى الله عنها - هى التى ربطت بين
سحر اليهودى حين علمت بما فعله ، وبين ما أصيب به النبى صلى الله عليه وسلم ،
ولا سيما وقد كان الأمر بالمدينة ، وفيها اليهود الذين كانوا يصورون للناس أن
لسحرم القدرة التى لا تقاومها قوة .

أريد أن أقول شيئاً آخر . ليس من الخير أن نقول سنداً فيه محاولة لهدم أقوى
سند في الوجود . سند النبوة الخاتمة لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .
وليست العصمة التامة لأحد ، والله وحده هو الذى يعصمنا .

(١) الذى فى الصحيحين وأحمد أن عائشة - رضى الله عنها - كانت تحدث أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة ، وهى إلى جنبه ، قالت : فقلت :
ما شأنك يا رسول الله ؟ قال لبيت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسنى الليلة . قالت :
فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح ، فقال من هذا ، فقال : أنا سعد
ابن مالك ، فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لأحرسك يا رسول الله ، قالت :
فسمعت غطيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه . وفي بعض الروايات أن
أن هذا حدث ذات ليلة مقدمه المدينة على أثر هجرته إليه ، وبعد أن بنى بماءشة
في السنة الثانية . أما ما رواه السهيلي فقد ورد فيما روى أن أنى حاتم والترمذى
بحم قال : وهذا حديث غريب .

لسكلامين كلاماً واحداً ، وذلك أن عائشة قالت له أيضاً : هَلَّا اسْتَخْرَجْتَهُ ،
أى : هَلَّا اسْتَخْرَجْتَ السَّحَرَ مِنَ الْجُفِّ وَالْمُشَاظَةِ ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَذَلِكَ
قَالَ : وَأَكْرَهُ أَنْ أَثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ، فَإِنَّ ابْنَ بَطَالٍ : كَرِهَ أَنْ يُخْرِجَهُ ، فَيَتَعَلَّمَ
مِنْهُ بَعْضُ النَّاسِ ، فَذَلِكَ هُوَ الشَّرُّ الَّذِى كَرِهَهُ .

قال المؤلف : ويجوز أن يكون الشرُّ غيرَ هذا ، وذلك أن الساحر كان
من بنى زُرَيْقٍ ، فَلَوْ أَظْهَرَ سَحْرَهُ لِلنَّاسِ ، وَأَرَاهِمُ إِيَّاهُ لِأَوْشَكَ أَنْ يُرِيدَ طَائِفَةٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُ ، وَيَتَعَصَّبَ لَهُ آخَرُونَ مِنْ عَشِيرَتِهِ فَيَثُورَ شَرٌّ كَانَتْ فِي حَدِيثِ
الْإِنْفِكِ مِنَ الشَّرِّ مَاسِيًّا تَبَيَّنَ .

وقول عائشة : هَلَّا اسْتَخْرَجْتَهُ هُوَ فِي حَدِيثَيْنِ رَوَاهُمَا الْبُخَارِيُّ جَمِيعًا ،
وَأَمَّا جَوَابُهُ لَهَا فِي حَدِيثٍ : هَلَّا تَنَشَّرْتَ : بِقَوْلِهِ أَمَا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ ، وَجَوَابُهُ
لَهَا حِينَ قَالَتْ : هَلَّا اسْتَخْرَجْتَهُ : بِأَنْ قَالَ : أَكْرَهُ أَنْ أَثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ،
فَلَمَّا جُمِعَ الرَّاوِى بَيْنَ الْجَوَابَيْنِ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ اسْتَفْتَى الْكَلَامُ ، وَإِذَا
نُظِرَتْ الْأَحَادِيثُ مُتَفَرِّقَةً مُتَبَيَّنَتْ ، وَعَلَى هَذَا الدَّخْوِ شَرَحَ هَذَا الْحَدِيثَ
ابْنُ بَطَالٍ .

وَأَمَّا الْفَقْهُ الَّذِى أَشْرْنَا إِلَيْهِ فَهُوَ لِإِبَاحَةِ النَّشْرَةِ^(١) مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ :
هَلَّا تَنَشَّرْتَ ، وَلَمْ يَنْكَرْ عَلَيْهَا قَوْلَهَا .

(١) النشرة : ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسا
من الجن ، سميت نشرة ، لأنه ينشر بها عنه ما خاومه من الداء . وقال الحسن :
نشرة من السحر ، وقد نشرت عنه تنشيروا .

وذكر البخاري عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن النشرة للذي يؤخذ
 من أهله ، فقال : لا بأس لم ينفه عن الصلاح ، إنما نهى عن الفساد ، ومن
 استطاع أن ينفق أخاه فليفعل . ومن الناس من كره النشرة على العموم ،
 ونزع بحديث خرجه أبو داود مرفوعاً : أن النشرة من عمل الشيطان ،
 وهذا - والله أعلم - في النشرة التي فيها الخواتم والعزائم ، ومالا يفهم من
 الأسماء العجمية^(١) ، ولولا الإطالة للخرجة لنا عن غرضنا لقدرنا الرخصة
 بالآثار ، وهذا القدر كاف ، والله المستعان . وكانت عقد السحر أحد عشر
 عقدة ، فأنزل الله تعالى المعوذتين أحد عشر آية ، فأحلت بكل آية عقدة^(٢) ،
 قال تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ الْمُعْذَاتِ فِي الْمُعَدِّ ﴾ ولم يقل النفائين ، وإنما
 كان الذي سحره رجلاً^(٣) والجواب : أن الحديث قد رواه إسماعيل الفاضل ،

(١) من يتأمل فيما قيل عنه إنه رقى شرعية يحد دعاء إلى الله سبحانه ، فلم
 تسمى هذه الدعوات الطيبات نشرات أورقي ؟ وللاسمين مالهما من إيجاء غير طيب
 بل إيجاء يغلب أن يكون خبيثاً ، بل إن الكثير من الرقي هو عين الشرك . فلنقل :
 إن المفروض هو الدعاء ، بدلا من القول : إن الرقي أو النشرات مباحة ، فنزاع
 بالناس إلى اتخاذ أحط وسائل الشرك قربا إلى الله ١١

(٢) هذا مما روي بلا إسناد ، وفي حديثه نكارة وغرابة ، ورغم هذا ففي
 الحديث أنها اثنتا عشرة عقدة ١١ أما الآيات ، فإحدى عشرة ١١

(٣) يقول بعض المفسرين قولاً طيباً : المراد بالنفث في العقد : إبطال
 عزائم الرجال بالخليل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حله . ويقول
 الشيخ حامد الفقير رحمه الله تعليقا على تفسير ابن القيم للمعوذتين : النفث الذي
 يليق بعظمة بلاغة القرآن ، وفخامة أسلوبه : هو نفث المفسدين سموهم بالكذب
 والغيبة والنميمة وقالة السوء ، في عقد الصلوات بين الناس ، حتى ينكروا عرى =

موزاد في روايته أن زينب اليهودية أعانت كلبيد بن الأعقم على ذلك السحر ،
مع أن الأخذة في الغالب من عمل النساء وكيدهن .

إسلام عبد الله بن سلام

سَلَام هو بتخفيف اللام ، ولا يوجد من اسمه سَلَام بالتخفيف في المسلمين
الآن السَلَام من أسماء الله ، فيقال عبد السَلَام ، ويقال سَلَام بالتشديد ،
وهو كثير ، وإنما سَلَامٌ بالتخفيف في اليهود ، وهو والد عبد الله بن
سَلَام منهم .

ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبي لدى كئنا نخبز أنه مُبْعَثُ مع نَفْسِ
السَّاعَةِ ، وهذا الكلام في معنى قوله عليه السلام : إني لأجد نَفْسَ السَّاعَةِ بين
كتفي ، وفي معنى قوله : ﴿ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ ومن كان
بين يدي طَالِبُهُ ، فَنَفْسُ الطَّالِبِ بَيْنَ كَفْتَيْهِ ^(١) ، وكأنَّ النَّفْسَ في هذا الحديث

== الزوجية والمودة والرحمة وغيرها ، وشر وضرر هذا في الناس أكثر جدا من
شر من يقولون : إنهم سحرة ، ص ٥٧١ التفسير القيم ط ١ . وقيل عن تأنيث
النَّفَاثَاتِ أن المراد : النفوس : أقول : وهذا هو الاوفق ، وليعم كل نافث
ونافثة .

(١) فسر ابن الأثير القول بقوله : أي بعثت وقد حان قيام الساعة وقرب . .
فأطلق النفس على القرب ، وقيل معناه أنه جعل للساعة نفسا كنفس الإنسان ،
أراد : أني بعثت في وقت قريب منها أحس فيه بنفسها كما يحس بنفس الإنسان
إذا قرب منه ، يعني : بعثت في وقت بانث أشراطها فيه ، وظهرت علاماتها ،
ويروى في نسَم الساعة . وفي الترمذي : بعثت في نفس الساعة ، فسبقتها ، كما
سبقت هذه ، وأشار بأصبعه السبابة والوسطى . .

عبارة عن الفتن المؤذنة بقيام الساعة ، وكان بدؤها حين ولى أمته ظهره .
 خارجا من بين ظمرائهم إلى الله تعالى ، ألا تراه يقول فى حديث آخر : وأما
 أمان لأمتي ، فإذا ذهب أمتي ما يؤعدون ، فكانت بعده الفتنة ثم
 الهرج^(١) المتصل بيوم القيامة ، ونحو من هذا قوله عليه السلام : بُعِثْتُ أَنَا
 والساعة كَهَاتَيْنِ^(٢) ، بمعنى السَّابَّةِ وَالْوُسْطَى ، وهو حديث يرويه أنس بن
 مالك ، وابن بُرَيْدَةَ عن أبيه ، وجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، وجابر بن سُمَيْرَةَ وأبو هُرَيْرَةَ .
 وسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ كُلُّهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِي حَدِيثٍ
 سَهْلٍ سَبَقَتْهُمَا بِمَا سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ ، يَعْنِي : الْوُسْطَى وَالسَّابَّةَ ، وَفِي بَعْضِ الْأَفَاضِ
 الْحَدِيثُ : إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقَنِي . وَرَوَاهُ أَيْضًا : أَبُو جُبَيْرَةَ فَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جِئْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ فِي
 نَفْسٍ مِنَ السَّاعَةِ ، أَوْ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ ، خَرَجَهَا الطَّبْرَى بِجَمِيعِ أَسَانِيدِهَا ،
 وَبَعْضُهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ ، وَفِي بَعْضِهَا زِيَادَةٌ عَلَى بَعْضٍ .

وخالدة بنت الحارث قد ذكر إسلامها ، وهى مما أغفله أبو عمر فى كتابه
 الصحابة ، وقد استدر كناها عليه فى جملة الاستدراكات التى ألحقناها بكتابه .

وذكر حديث مُحْيِرِيقٍ ، وقال فيه : مُحْيِرِيقٌ خَيْرُ يَهُودَ ، وَمُحْيِرِيقٌ مُسْلِمٌ ،
 وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي مُسْلِمٍ : هُوَ خَيْرُ النَّصَارَى ، وَلَا خَيْرُ الْيَهُودِ ، لِأَنَّ أَفْعَلَ
 مِنْ كَذَا إِذَا أُضِيفَ فَهُوَ بَعْضُ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ . فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ جَازَ هَذَا ؟ قُلْنَا :

(١) الهرج : القتل .

(٢) متفق عليه .

لأنه قال خير يهود ، ولم يقل خير اليهود ، ويهود اسم علم كشمود ، يقال :
لأنهم نسبوا إلى يهود بن يعقوب ، ثم عُرِبَت الذال دالا ، فإذا قلت : اليهود
بالألِف واللام ، احتمل وجهين النسب والدين الذي هو اليهودية^(١) ، أما النسب
فعلى حد قولهم التَّيْمُ فِي التَّيْمِيَّينَ وأما الدين فعلى حَدِّ قولك : النصراني
والجوسُ أعني : أنها صفة ، لا أنها نَسَبٌ إلى أب . وفي القرآن لفظُ ثالث ،
لا يتصور فيه إلا معنى واحد ، وهو الدين دون النسب ، وهو قوله سبحانه :
﴿ وَقَالُوا : كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ البقرة : ١٣٥ . بحذف الياء ، ولم يقل :
كونوا يهودَ لأنه أراد التَّهَوُّدَ ، وهو التَّدْيُنُ بدينهم ، ولو قال : كونوا يهوداً
بالتدين ، لجاز أيضاً على أحد الوجهين المتقدمين ، ولو قيل لقوم من العرب :
كونوا يهودَ بغير تنوين ، لكان محالاً ، لأن تبديلَ النَّسَبِ حقيقة محال ،
وقد قيل في هود : جمع هائد^(٢) ، وهو في معنى ما قلناه ، فلتعرف الفرقَ بين
قولك هوداً بغير ياء ، ويهوداً بالياء والتنوين ، ويهودَ بغير تنوين ، فإنها
تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم . ولم يُسَلِّم من أخبار يهودَ على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا اثنان . وقد جاء في الحديث : لو اتبعني عَشْرَةٌ من اليهود
لم يبق في الأرض يهودى إلا اتبعني^(٣) . رواه أبو هريرة . وسمع كعبُ الأخبار

(١) ليس ديناً لاهياً ، إنما هو من افتراء شهبوات حاخاميم اليهود وأجبارهم .
(٢) تاب ورجع إلى الحق ، وقد مثلوها في الجمع بمجائل وعائط ، من النوق .
مفرد حول وعوط .

(٣) في الجامع الصغير للسيوطي : لو آمن بي عشرة من اليهود ، لآمن بي
اليهود ، وذكر أن البخاري أخرجه .

أبا هريرة يحدث ، فقال له : إنما الحديث : اثنا عشر من اليهود ، ومصدق ذلك في القرآن (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) فسكت أبو هريرة . قال ابن سيرين : أبو هريرة أصدق من كعب قال يحيى بن سلام كلاهما : (صدق) ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أراد : لو اتبعني عشرة من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما .

ذكر المنافقين

فصل : وذكر نبتلاً من المنافقين ، قال : وكان أذلم ، والأذلم الأسود الطويل من كل شيء . وقيل لجماعة النمل : دبلم ، لسوادهم من كتاب العين . وذكر الحارث بن سويد ، وقتله للمجذر بن ذباد . واسم المجذر : عبد الله ، والمجذر : الغليظ الخلق (١) .

وذكر أن الله تعالى أنزل في الحارث بن سويد وارتداده : ﴿ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ﴾ آل عمران : ٨٦ فقيل : إن هذه الآية مقصورة على سببها مخصوصة بن سبب في علم الله أنه لا يهديه من كفره ، ولا يتوب عليه من ظلمه ، وإلا فالتوبة مفروضة ، وقد تاب قوم بعد ارتدادهم فقيل توبتهم . وقيل ليس فيها نفي لقبول التوبة ، فإنه قال : كيف يهدي الله ، ولم يقل لا يهدي الله ، على أنه قد قال في آخرها : (والله لا يهدي القوم الظالمين) وذلك يرجع إلى الخصوص ، كما قدمنا أو إلى معنى الهداية في الظلمة التي عند الصراط بالنور

(١) في الاشتقاق لابن دريد : رجل مجذر : قصير متقارب الخلق .

«النام يوم القيامة ، فان ذلك مُتَّفِقٌ عَمَّن مَاتَ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْ كُفْرِهِ وَظُلْمِهِ .
سوالله أعلم (١) .

ذكر حديث بشير^(٢) بن أبيرق سارق الدرعين

وذكر أن الله أنزل فيه : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾
النساء : ١٧ الآية : وكان من قصة الدرعين ، وقصة بشير أن بنى أبيرق ،
وهم ثلاثة بشير ومُبَشِّر وبِشْر^(٣) نقبوا مشربة^(٤) (٤) أو نقبها بشير وحده على
ما قال ابن إسحاق ، وكانت المشربة لرِقاعة بن زبد ، وسرقوا أدرعاه ،
وطامأ فمثر على ذلك ، فجاء ابن أخيه قتادة بن النعمان يشكو بهم إلى رسول

(١) روى النسائي والحاكم وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس قال : كان
رجل من الأنصار أسلم ، ثم ارتد ، ولحق بالشرك ، ثم ندم ، فأرسل إلى قومه : أن
سلوا إلى رسول الله : هل لي من توبة ، فنزلت : (كيف يهدي الله) . . الآية ،
فأرسل إليه قومه ، فأسلم . وأخرج عبد الرزاق أنها نزلت في حق الحارث
ابن سويد ، وأنه حسن إسلامه بعد ارتداده .

وأذكر هنا معاني بعض ما تركه السهيلي من شرح السيرة للخشني . الشمر دلات :
الإبل الطرال . والوهج : شدة الحر . بجاد بن عثمان : بالنون والباء ، وقيده
الدارقطني بالباء . . نائر شعر الرأس : مرتفعه . أسفع : السفعة : حمرة تضرب
إلى سواد .

(٢) قيده الدارقطني بضم الباء . وفي السيرة بفتحها .
(٣) في الأصل بشير وهو خطأ . وفي تفسير الطبري ضبط بشير بضم الباء .
ويقول الخشني : وقع هنا بشير ، بفتح الباء ، وقال الدارقطني : إنما هو بشير بضم الباء .
(٤) بضم الراء وفتحها : الغرفة .

الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء أسيد بن عروة بن أبيرق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء عمدوا إلى أهل بيتهم أهل صلاح ودين ، فأبذوهم بالسرقة ، ورزقهم بها من غير بينة ، وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قتادة ورعاة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ النساء ١٠٧ الآية ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ لَئِيمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ﴾ النساء ١١٢ وكان البريء الذي رموه بالسرقة لبيد بن سهيل : قالوا : ما سرقناه ، وإنما سرقه لبيد بن ابن سهيل ، فبرأه الله ، فلما أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل ، هرب ابن أبيرق السارق إلى مكة ، ونزل على سلافة بنت سعد بن شهيد^(١) ، فقال فيها حسان بن ثابت بيتا ، يعرض فيه بها ، فقالت : إنما أهديت لى شعر حسان ، وأخذت رخله ، فطرحتة خارج المنزل^(٢) ، وقالت : حلفت وسدت وخرقت^(٣) إن بت في منزلى ليلة سوداء ، فهرب إلى خيبر ، ثم إنه نقب بيتا ذات ليلة ، فسقط الحائط عليه فمات . ذكر هذا الحديث بكثير من ألفاظه الترمذي ، وذكره

(١) في تفسير الطبري : بنت سعد بن سهيل ، وفي تفسير ابن كثير : بنت سعد بن سمية .

(٢) في تفسير الطبري ، فوضعت على رأسها ، ثم خرجت فرمته بالإبطح .

(٣) الحالقة : التي تحلق شعرها عند المصيبة . وهي في الأصل : حلفت وفيها ورد من حديث أنه لعن من النساء الحالقة والساقطة والخارقة . وفي اللسان في مادة حلق : وفي حديث ليس منا من سلق أو حلق أو خرق ، أى ليس من سنتنا رفع الصوت في المصائب ولا حلق الشعر ، ولا خرق الثياب . . وسلافة تدعو على نفسها بهذه الأشياء .

الكشّي والطبري بالفاظ مختلفة ، وذكر قصة موته يحيى بن سلام في تفسيره . ووقع اسمه في أكثر التفاسير : طُعْمَة بن أُبَيْرِق (١) وفي كتب الحديث : بَشِير بن أُبَيْرِق ، وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : بَشِير أبو طُعْمَة فليس طُعْمَة إذاً اسماً له ، وإنما هو أبو طُعْمَة ، كما ذكر ابن إسحاق في هذه الرواية والله أعلم . وفي رواية يونس أيضاً أن الحائط الذي سقط عليه كان الطائف لا بخيبر ، كما قال ابن سلام ، وأن أهل الطائف قالوا حينئذ : ما فارق محمداً من أصحابه من فيه خير . والأبيات التي روى بها حسّان المرأة ، وهي من بني عمرو بن عوف ، وقد تقدم اسمها :

وما سارق الدّرْعَيْنِ إذ كنت ذا كرا بذى كَرَمٍ من الرجال أودعه
وقد أنزلته بنتُ سعدٍ فأصبحتُ يَنازِعُها جَارَاسَتِها وتُنازِعُه
ظَنَنْتُمْ بأن يَخْفَى الذي قد صَنَعْتُمْ وفيكم نَبِيٌّ عنده الوحي واضعه

وقع هذا البيت في كتاب سَيِّدِيَّوَيْه (٢) . وذكر الشعر والخبر بطوله ابن إسحاق في رواية يونس عنه .

(١) هو كذلك في تفسير الطبري .

(٢) في سَيِّدِيَّوَيْه ص ٢٤٢ > ١ ط ١ « وفينا نبى ، ويقول شارح شواهد : الشاهد فيه جرى قوله واضعه على النبي ص ، مع إعادة الضمير على الوحي ، وهو لا يحتمل القلب كما تقدم في الباب ، وقد رد عليه هذا التقدير وجعل الضمير عائداً على الذي قد صنعتم على تقدير : وفينا نبى واضع ما قد صنعتم ، لا على الوحي كما قدره والحجة سَيِّدِيَّوَيْه أن رده على الوحي أولى لأنه يريد : يضع فينا ما يوحى إليه ، فينبئنا بصنيعكم على الحقيقة ، وإذا رد الضمير على الذي كان التقدير : واضع الذي صنعتم =

فصل : وأنشد ابن هشام :

لَدَمَ الْوَلِيدَ وراءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ

والبيت لقيم بن أبي ابن مُقْبِل ، وَاللَّدَمُ : الضربُ ، والغيب : العائز من الأرض .

باب إخراج المنافقين :

وذكر ابن إسحاق في باب إخراج المنافقين من المسجد أبا محمد ، وقال : هو رجل من بني النجار ، ولم يُعَرَّفْه بأكثر من هذا ، وهو : أبو محمد مسمود . ابن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ^(١) ، يعدُّ في الشاميين ، وهو الذي زعم أن الوثرَ واجب ، فقال عبادة : كذب أبو محمد ، وهو معدود في البُدْرِيِّين عند الواقدي وطائفة ، ولم يذكره ابن إسحاق فيهم .

== مطلقا دون ربطه بالوحي الذي هو كشف الحقيقة ، والوضع هنا النشر والبيان . أقول : وما أظن حسانا ينطق بالبيت الثاني ، فهو لا يتفق مع أدب الصحابة . وهو قد لم تقم عليه بيعة .

(١) في الإصابة : مسمود بن أوس بن أصرم بن زيد الخ . وقال ابن عبد البر أدخل الواقدي وابن عمار بين أوس وأصرم زيदा آخر . وفي جمهرة ابن حزم ص ٢٢٩ كما في الروض . ويقول جعفر المستغفري : أبو محمد الذي كذبه عبادة في وجوب الوثر اسمه : مسمود بن زيد بن سبيع . هذا وقد وهم ابن عبد البر فزعم أن ابن إسحاق لم يذكره في البُدْرِيِّين ، وهو قد ذكره فيمن شهدا . من بني زيد بن ثعلبة

ذكر ما أنزل الله في المنافقين :

فصل : وذكر ما أنزل الله في المنافقين والأخبار ومن يهود من صدر
سورة البقرة ، واستشهد ابن هشام على الرب بمعنى الريبة بقول خالد بن زهير
ابن أخت أبي ذؤيب ، واسم أبي ذؤيب : خويلد بن خالد ، والرجز الذي
استشهد ببيت منه :

يا قوم مالي وأبا ذؤيب كنت إذا أتيتك من غيب
يُسْمِعُ عَطْفِي وَيَمْسُهُ نَوْبِي كَأَنِّي أُرْبَتُهُ بِرَبِّهِ

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته ، فلذلك ، قال هذا .

وذكر ابن إسحاق : والذين يقيمون الصلاة ، وأغفل التلاوة : وإنما هو :
﴿ الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ﴾ البقرة : ٣ . وكذلك وجدته مُتَّبِعًا
عليه في حاشية الشيخ : وفي الإيمان بالغيب أنوال ، منها أن الغيب ههنا ما بعد
الموت من أمور الآخرة ، ومنها : أن الغيب : القدر ، ومنها قول من قال : إن
الغيب القلب ، أي يؤمنون بقلوبهم ، وقيل : يؤمنون بالغيب ، أي بالله عز وجل ،
وأحسن ما في هذه الأقوال قول الربيع بن أنس ، أي : يؤمنون بظواهر الغيب ،
أي : ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون إذا غابوا
عنهم ، ويُبدل على صحة هذا التأويل : بسياقة الكلام ، مع قوله عز وجل ﴿ يخشون
ربهم بالغيب ﴾ فلا يحتمل قوله : يخشون ربهم بالغيب إلا تأويلا واحداً ،
فالله يرد ما اختلف فيه . وقوله سبحانه : لا ريب فيه ، وقد ارتاب فيه كثير

من الناس ، قيل : هو على الخصوص في المؤمنين ، أى لاريب فيه عند . قال المؤلف : رضى الله عنه : وهذا ضعيف لأن التبرئة تعطى العموم ، وأصح منه : أن الكلام ظاهره الخبر ، ومعناه : النهى ، أى : لا ترتابوا ، وهذا النهى عام لا يخص ، وأدق من هذا أن يكون خبراً محضاً عن القرآن ، أى : ليس فيه ما يُريب ، تقول : رابى منك كذا وكذا ، إذا رأيت مائتة كبر ، وليس في القرآن ما تُذكره العقول . والريبُ ، وإن كان مَصْدَرًا فقد يُعَبَّرُ به عن الشيء الذى يُريب ، كما يُعَبَّرُ بالضيف عن الضائف ، وبالطيف عن الخيال الطائف ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ ليوم لا ريب فيه ﴾ فهذا خبر ، لأن النهى لا يكون في موضع الصفة .

وقوله : لا ريب فيه في موضع الصفة ليوم ، والحياة بعد الموت ليس فيه ما يُريبك ، لأن من قدر على البدأة ، فهو على الإعادة أقدر ، وليس الريب بمعنى الشك على الإطلاق ، لأنك تقول : رابى منك رائب ، ولا تقول شكنى ، بل تقول : ارتبت كما تقول شككت ، فالأرتياب : قريب من الشك^(١) .

وذكر قول الله سبحانه ﴿ في قلوبهم مَرَضٌ ﴾ وأصل المرض : الضعف

(١) يقول الراغب في مفرداته : الشك : اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما . والريب : أن تنوهم بالشيء ، أمراً ، فينكشف عما تنوهمه ويقول الإمام ابن تيمية في كتابه مقدمة في أصول التفسير ص ١٦ : ومن قال لاريب : لا شك ، فهذا تقريب ، وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة كما قال : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك . فيكما أن اليقين ضمن السكون والطمأنينة ، فالريب ضده ، ط السلفية

وَفُتُورُ الْأَعْضَاءِ، وَهُوَ هَاهُنَا ضَعْفُ الْيَقِينِ، وَفُتُورُ الْقَلْبِ عَنْ كَدِّ النَّظَرِ، وَعَطْفٌ:
غَزَادَهُمُ اللَّهُ، وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ لَا يُعْطَفُ عَلَى الْاسْمِ، وَلَا عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ،
لَوْ قُلْتُ: فِي الدَّارِ زَيْدٌ، فَأَعْطَيْتَهُ دِرْهَمًا لَمْ يَجُزْ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ:
غِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ كَمَعْنَى مَرَضَتْ، قُلُوبُهُمْ صَحَّ عَطْفُ الْفِعْلِ عَلَيْهِ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ سَبْحَانَهُ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ فِي التَّلَاوَةِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ، كَمَا وَهُمْ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ. وَبَنُو إِسْرَائِيلَ: هُمُ بَنُو يَعْقُوبَ، وَكَانَ
يُسَمَّى: إِسْرَائِيلَ، أَيْ سَرِيءُ اللَّهِ^(١) لَكِنْ لَمْ يُذَكَّرُوا فِي الْقِرَاءَةِ إِلَّا
أَضْيَفُوا إِلَى إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يُسَمَّوْا فِيهِ: بَنُو يَعْقُوبَ، وَمَقَى، ذُكِرَ إِبْرَاهِيمُ
وِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبُ لَمْ يُسَمَّ إِسْرَائِيلَ، وَذَلِكَ لِحِكْمَةِ فُرْقَانِيَّةٍ، وَهُوَ أَنَّ الْقَوْمَ
لَمَّا خُوطِبُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَذُكِّرُوا بِدِينِ أَسْلَافِهِمْ مَوْعِظَةً لَهُمْ، وَتَنْبِيْهَا مِنْ
غَفْلَتِهِمْ سُمُّوا بِالْإِسْمِ الَّذِي فِيهِ تَذَكُّرٌ بِاللَّهِ، فَإِنْ إِسْرَائِيلَ اسْمٌ مُضَافٌ إِلَى

(١) فِي قَامُوسِ الدُّكْتُورِ بُوْسْتِ أَنْ مَعْنَى إِسْرَائِيلَ هُوَ: الْأَمِيرُ الْمُجَاهِدُ مَعَ
اللَّهِ، ثُمَّ أُطْلِقَ هَذَا اللَّقْبُ عَلَى جَمِيعِ ذُرِّيَةِ يَعْقُوبَ إِلَى حِينِ انْفِصَالِ عَشْرَةِ الْأَسْبَاطِ
عَنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَتَحْيِيزِهِمْ مَمْلَكَةً وَحِدَهَا، فَأُطْلِقَ عَلَيْهَا مَمْلَكَةُ إِسْرَائِيلَ تَمَيِّزًا لَهَا
عَنْ مَمْلَكَةِ يَهُوذَا. وَالْعَجِيبُ الْغَرِيبُ أَنَّ الْإِصْحَاحَ الثَّالِثَ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ سَفَرِ
التَّسْكُونِ يَقْصُ أَنْ اللَّهَ لَقِبَ يَعْقُوبَ بِإِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ صَارَعَ اللَّهَ — وَهُوَ فِي صُورَةِ
إِنْسَانٍ — يَعْقُوبَ وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرْبَ حَقٍّ فَخَذَهُ، فَانْخَلَعَ حَقٌّ فَخَذَ
يَعْقُوبَ فِي مَصَارَعَتِهِ مَعَهُ، وَقَالَ: أَطْلُقْنِي، لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ: لَا أَطْلُقُكَ
إِنْ لَمْ تَبَارِكْنِي، فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبَ، فَقَالَ: لَا يَدْعَى اسْمُكَ
فِيهَا بَعْدَ يَعْقُوبَ، بَلْ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ، فَقَرَأَتْ ٢٦
— ٢٩ أَوَّلًا يَعْرِفُ اللَّهُ اسْمَ يَعْقُوبَ؟ أَوْ يَبْلُغُ الْعَدُوَانِ عَلَى اللَّهِ هَذَا الْحَدَّ؟.

(م ٢٧ — الرُّوسُ الْآفَ ج ٤)

الله تعالى في التأويل . ألا ترى : كيف نَبَّه على هذا المعنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - حين دعا إلى الإسلام قوما ، يقال لهم : بنو عبد الله ، فقال لهم : يا بنى عبدِ الله ، إن الله قد حَسَّن اسمَ أبيكم يَحْرُضُهم بذلك على ما يقتضيه اسمهم من العبودية لله ، فكذلك قوله سبحانه : يا بنى إسرائيل إنما ورد في معرض التذكير لهم بدين أبيهم ، وعبوديته لله ، فكان ذكرهم بهذا الاسم أليق بمقام التذكير والتخريض من أن يقول لهم : يا بنى يعقوب ، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره بإسحاق ، ثم يعقوب كان لفظ يعقوب أولى بذلك للمقام ، لأنها موهبة بعقب أخرى ، وبُشِّرَ عقب بها بُشْرَى وإن كان اسمُ يعقوب عبرانياً ، ولكن لفظه موافق للعربى في العقب والتعقيب^(١) ، فانظر مُشاكلة الاسمين للمقامين ، فإنه من باب النظر في إعجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الكلام في منازل اللاتفة به .

حديث أبي ياسر بن أخطب :

فصل : وذكر ابنُ إسحاق حديثَ أبي ياسر بن أخطب وأخيه حي بن أخطب حين سمعا المص^(٢) ونحوها من الحروف ، وأنهم أخذوا تأويلها من حروف أبجد إلى قوله : لعله قد جمع لحمد وأمه هذا كله : قال المؤلف : وهذا

(١) في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين عن عيسو بن إسحاق وأمهما تلدهما : وبعد ذلك خرج أخوه ، ويده قابضة بعقب عيسو ، فدعى اسمه : يعقوب . .

(٢) تقرأ هكذا : ألف لام ميم صاد .

القول من أحبار يهود ، وما تأولوه من معاني هذه الحروف محتمل ، حتى الآن أن يكون من بعض مادات عليه هذه الحروف المقطعة ، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ، ولا صدقهم^(١) . وقال في حديث آخر : لا تُصدّقوا أهل الكتاب ، ولا تُكذّبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وبرسوله^(٢) ، وإذا كان في حدّ الاحتمال وجب أن يُفحص عنه في الشريعة هل يُشير إلى صحته كتاب أو سنة ، فوجدنا في التنزيل ﴿ ولأن يوماً عند ربك كألف سنة تعدّون ﴾ ووجدنا في حديث زمّل الخزاعي حين قص على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا ، وقال فيها : رأيتك يا رسول الله على منبر له سبع درجات ، وإلى جنبه ناقة عجفاء ، كأنك تبعثها ، ففسر له النبي صلى الله عليه وسلم الناقة بقيام الساعة التي أنذر بها ، وقال في المنبر : ودرجاته الدنيا : سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفا ، والحديث وإن كان ضعيف الإسناد ، فقد روى موقوفاً على ابن عباس من طريق صحيح ، أنه قال : الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة ، وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخر يوم منها . وقد مضت منه سنون ، أو قال : مئتون ، وصحح أبو جعفر الطبري هذا الأصل ، وعضده بآثار ، وذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُبعث أنا والساعة

(١) كلام يهود خرف وشعبذة ، فكيف يصدق . هذا والحروف المقطعة التي افتتحت بها السور أربعة عشر حرفاً بحذف المكرر منها مجمعها قولك : د نص حكيم قاطم له سر ، وهي نصف الحروف عدداً ، وتشتمل على أصناف أجناس الحروف .

(٢) هذا إذا كان لا يخالف نصاً صحيحاً أو عقلاً صحيحاً .

كهايتين (٢) ، وإنما سَبَقَتْهُمَا بما سَبَقَتْ هذه هذه ، يعني : الوسطى والسَّبَّابة ، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة صحيحها وأورد منها قوله عليه السلام : ان يُعْجِزَ الله أن يؤخَّرَ هذه الأمة نصفَ يوم ، يعني : خمسمائة عام ، وقد خرج ، هذا الحديث الأخير أبو داود أيضاً . قال الطبري : وهذا في معنى ما قبله يشهد له وبينه فإن الوسطى تزيد على السَّبَّابة بنصف سُبُع أصْبَح ، كما أن نصف يوم من سبعة نصف سبع . قال المؤلف : وقد مضت الخمسمائة من وفاته إلى اليوم بَدَيْفٍ عليها ، وليس في قوله : ان يُعْجِزَ الله أن يؤخَّرَ هذه الأمة نصفَ يوم ما ينفي الزيادة على النصف ، ولا في قوله : بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله ، فقد قيل في تأويله غير هذا ، وهو أن ليس بينهما وبين الساعة نبي غيره ، ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها ، كما قال سبحانه : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ، ﴿ وَأَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ولكن إذا قلنا : إنه - عليه السلام - بُعِثَ في الألف الآخر بعد ما مضت منه سنون ، ونظرنا بعدُ إلى الحروف المقطعة في أوائل السور ، وجدناها أربعة عَشَرَ حرفاً يجمعها : قولك

ألم يسطع نص حق كره

ثم نأخذ العدد على حساب أبي جاد ، فنجد : ق مائة ، و : ر مائتين ، و : س ثلاثمائة ، فهذه ستمائة ، و : ع سبعين ، و : ص ستين ، فهذه سبعمائة

وثلاثون ، و : ن خمسين ، و : ك عشرين ، فهذه ثمانمائة ، و : م أربعين ، و : ل ثلاثين ، فهذه ثمانمائة وسبعون ، و : ي عشرة ، و : ط تسعة ، و : ا واحد ، فهذه ثمانمائة وتسعون ، و : ح ثمانية ، و : ه خمسة ، فهذه تسعمائة وثلاثة ، ولم يُسمَّ الله سبحانه في أوائل السور إلا هذه الحروف ، فليس يبعد أن يكون من بعض مُتَقَضِّياتها وبعض فوائدها الإشارةُ إلى هذا العدد من السنين لما قد مناه في حديث الألف السابع الذي بعث فيه عليه السلام ، غير أن الحسابَ محتمل أن يكون من مبعثه ، أو من وفاته ، أو من هجرته ، وكلُّ قريبٍ بمضنه من بعض ، فقد جاء أشرطها ، ولكن لا تأنيكم إلا بَفْتَةٍ^(١) ، وقد روى أن المتوكل العباسي سأل جعفر بن عبد الواحد القماني ، وهو عباسي أيضاً : عما بقي من الدنيا ، فحدثه بحديث يرفعه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إن أحسنت أمتي ، فبقاؤها يومٌ من أيام الآخرة ، وذلك ألف سنة ، وإن أساءت ، فنصفُ يوم ، ففي هذا الحديث تكميل للحديث المتقدم وبيان له ؛ إذ قد انقضت الخمسمائة ، والأمة باقية والحمد لله^(٢) .

معاني الحروف في أوائل السور :

فصل : ولهذه الحروف في أوائل السور معانٍ بَجَّةٌ وفوائد لطيفة ، وما كان الله تعالى ليُنَزِّل في الكتابِ ما لا فائدة فيه ، ولا ليخاطب نبيّه وذوئ البابِ

-
- (١) هذا من قول الله ، وهي تضرب كل ما ذكر السبيلي عن دلالة الحروف العددية ، وتدمغه بأنه خرف يهودي وقد كذب الواقع ما خرفوا به .
(٢) كيف يجعل من حجته الأساطير والكيك المحموم من أحقاد اليهود ؟

من صحبه بما لا يفهمون ، وقد أنزله بيانا للناس ، وشفاء لما في الصدور ، وفي تخصيصه هذه الحروف الأربعة عَشَرَ بالذكر دون غيرها حكمة بل حِكْمٌ ، وفي إنزالها مُقَطَّعة على هيئة التَّمَجُّجِي فوائِدُ علمية وقفية ، وفي تخصيصه إياها بأوائل السور ، وفي أن كانت في بعض السُورِ ، دون بعضِ فوائِدُ أيضًا ، وفي اقتران الألف باللام ، وتقديمها عليها معاني وفوائِدُ ، وفي إرداف الألف واللام بالميم تارةً ، وبالراء أخرى ، ولا توجد الألف ، واللام في أوائل السور ، إلا هكذا مع تكررها ثلاث عشرة مرة فوائِدُ أيضًا ، وفي إنزال الكاف قبل الهاء ، والهاء قبل الياء ثم العين ثم الصاد من كهيمص^(١) معاني أكثرها تنبيه عليها آيات من الكتاب ، وتبين المراد بها لمن تدبرها . والتدبرُ والتذكر واجبٌ على أولى الأبواب ، والخوضُ في إيراد هذه المعاني ، والقصدُ لإيضاح ملاحى عند الفكر والنظر فيها ، مع إيراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثر وعربية ونظرٍ يُخرجنا عن مقصود الكتاب وينأى بنا عن موضوعه والمراد به ، ويقضى أفرادَ جزءٍ أشرح ما أمكن من ذلك ، ولعله أن يكون ، إن ساعد القدر ؛ والله المستعان ، وهو ولي التوفيق ، لا شريك له .

ذكر تحويل القبلة :

فصل : وذكر تحويل القبلة ، وما قالته جماعة يهودَ حين قالوا : يا محمد ماؤلاًك عن قبلتك ، وهم السفهاء^(٢) من الناس ، فيهم نزات هذه الآية .

(١) اقرأ هكذا : كاف هايا عين ساد .

(٢) يرى الزجاج أن السفهاء هم المشركون ، ويرى مجاهد أنهم أحبار اليهود ،

وقال : سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بأنهم سيقولون ذلك ، أى : لم
آمركم بتحويلها إلا وقد علمت أن سيقولون ما قالوه ، وقد ذكرنا فى حديث
الحجر ، قصة البراء بن معرور فوائده فى معنى تحويل القبلة ، فلتنظر هنالك (١)
وأنشد فى تفسير الشطر بيت ابن أحر :

تعدو بنا شطرَ جمعٍ وهى عاقدةٌ قد قارب العقدُ من إيفادِها الحقبَا

وألفتُ فى حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه . قال من إيفادها :
من إشرافها ، كذا قال محمد بن عبد الله البرقي ، وقال كارب موضع قارب ،
ووقع فى شعر ابن أحر :

تعدو بنا عرضَ جمعٍ وهى مؤقدةٌ قد قارب الفرضُ من إيفادِها الحقبَا

تعدو : من العدو بنا وبرحلى : يعنى غلامه . عرضَ جمعٍ : يعنى مكة ،
وعرضَ أحب إلى ، وعرض : كثرة الناس ، عن الأصمى ، ومؤقدة ، أى :

== ويرى السدى أنهم المنافقون . ويقول ابن كثير قوله حق : والآية عامة فى
هؤلاء كلهم .

وفى البخارى أنه صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكذلك فى مسلم
وعند ابن أبي حاتم . ويحكى القرطبي فى تفسيره عن عكرمة وأبي العالية والحسن
البصرى أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام ، يرى ابن عباس
وغيره أن التوجه كان بأمر الله . وقد سبق ذكر شيء عن هذا .

(١) يقول البيضاوى : وفائدة تقديم الإخبار به : توطئ النفس
ولإعداد الجواب .

مشفرة. أوفد : إذا أشرف ، وروى غيره : وهى عاقدة ، يريد عنقها لاويتها (١) والقرض : اليطآن وهو حزام الرجل . من إيفادها ، أى إشرافها ، وقد اقتادت : نصبت عنقها وعصرت بذنبها وتحامصت ببطنها فقرب كل واحد من القرصين والحقب من صاحبه بذلك . هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته وقبل البيت :

أنشأت أسأله عن حال رِفْقَتِهِ فقال : حَى فَإِنَّ الرِّكْبَ قَدْ نَصَبَا (٢).

ما أنزل الله في بنى قينقاع

فصل : وذكر ما أنزل الله سبحانه في بنى قينقاع ، وقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم : لو حاربتنا ، لعلمت أننا نحن الفاس : ﴿ قل : للذين كفروا سَتُغْلَبُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ فن قرأه : يَرَوْنَهُمْ بالياء ، فعناه أن الكفار يرون المؤمنين مثليهم ، وإن كانوا أقل منهم له أكثرهم بالملائكة . فإن قيل : وكيف وهو يقول في آية أخرى : ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ قيل : كان هذا قبل القتال عندما حَزَرَ الكفار المؤمنين ، فأوهم

(١) في اللسان : ناقة عافد : تعقد بذنبها عند اللقاح ، وظبي عاقد : واضع عنقه على عجزه قد عطفه للنوم . وفي شرح السيرة لابن ذر الحشنى : ناقة عاقدة : إذا عقدت ذنبها بين فخذيهما في أول ما تحمل .

(٢) في اللسان :

أنشأت أسأله ما بال رِفْقَتِهِ حَى الجول . فإن الركب قد ذهب

وحى : حث ودعاء .

قليلًا ، فتجاسروا عليهم ثم أمدهم الله بالملائكة ، فأروهم ، كثيرًا فانهزموا ، .
وقيل : إن الهاء في يَرَوْنَهُمْ عائدة على الكفار ، وإن المؤمنين رأَوْهُمْ مثلهم ، .
وكانوا ثلاثة أمثالهم ، فقللهم في عيون المؤمنين ، وأما من قرأها بالتاء ، فيجوز
أن يكون الخطاب لليهود ، أى تَرَوْنَ المشركين يوم بدرٍ مثلي المؤمنين ، وذلك
أنهم كانوا ألفًا ، فاختزل عنهم الأخنسُ بن شريقٍ بنى زهرة ، فصاروا
سبعائة أو نحوها ، ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين ، أى : ترون أيها
المشركون المؤمنين مثلهم ، حين أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام إلى المعنى
الأول الذى قدمناه فى قراءة من قرأ بالياء . وفى الآية تخليط عن الفراء أضربنا
عن ذكره ^(١) ، وجُلُّ ما ذكرناه آنفًا مذكور فى التفاسير بألفاظ مختلفة .

وذكر ابنُ هشام فى الربانيين أنهم العلماء الفقهاء السادة وفى البخارى عن
بعض أهل العلم قال : الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، وقيل
نسبوا إلى علم الرب والفقہ فيما أنزل وزيدت فيه الألف والنون لتفخيم الاسم ،
وأنشد ابن هشام :

(١) ذكر الفراء هذا فى كتابه معانى القرآن ص ١٩٤ - طدار الكتب . وقد
خطأ القرطبي الفراء فى قوله إن معنى أحتاج إلى مثله أنك محتاج إليه وإلى مثله .
قال القرطبي عن هذا إنه بعيد غير معروف فى اللغة .

هذا وقد قرأنا فى يعقوب : ترونها . والباقيون بالياء . وإذا كان الخطاب لليهود ،
فيحتمل أن تكون الإشارة إلى وقائع أخرى حدثت لبني إسرائيل مثل قصة
طالوت مع جالوت . . وقيل : إن الرائي والمرئيين هم المقاتلون فى سبيل الله
فالمعنى أنهم يرون أنفسهم مثلى ما هم عليه عدا .

لو كنتُ مرتهناً في القوسِ أفتنني منها الكلامُ ورباني أخبار

وقال : القوس : الصومعة ، ومن كلام العرب : أنا بالقوس وأنت بالقوس^(١) ، فكيف نجتمع ؟ وقال في أفتنني : هي لغة تميم ، وفرق سيدييه بين فتنته وأفتنته ، وجعله من قول الخليل ، قال أفتنته : صيرته مفتتناً ونحو هذا ، وفتنته ، جمعت فيه فتنة^(٢) ، كما تقول : كحلته جمعت في عينيه كحلاً ، ومال هذا الفرق إلى أن فتنته صرفته ، فجاء على وزنه ، لأن المفتون مضمروف عن حق ، وأفتنته بمعنى أضلته وأغويته ، فجاء على وزن ماهو في معناه ، وأما فتنت الحديد في النار ، فعلى وزن فملت ، لا غير ؛ لأنها في معنى : خبرتها ، وبلوتها ونحو ذلك^(٣) .

(١) القرقوس : القاع الاملس الغليظ الاجرد الذي ليس عليه شيء . . وقد سبق الكلام عن هذا في الجزء الاول . ويرى سيديوه أن العرب زادوا ألفاً ونوناً في الرباني ، لأنهم أرادوا تخصيصه بعلم الرب دون غيره ، كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم ، وهو كما يقال : رجل شعرائي ولحيائي ورقباني إذا خص بكثرة الشعر وطول اللحية ، وغلط الرقبة ، فإذا نسبوا إلى الشعر قالوا : شعري ، وإلى الرقبة قالوا : رقبتي ، وإلى اللحية : لحيي . أقول : وأحسن ما قيل في تعريفه . العالم العامل المعلم .

(٢) وفي اللسان أيضاً : فتن الرجل بالمرأة ، وافتتن ، وأهل الحجاز يقولون : فتنته المرأة إذا ولته وأحبها وأهل نجد يقولون : أفتنته . وعند الحشني : فتن لغة قيس ، وافتن لغة تميم . ومرتهنا وتروى : مرتهبا .

(٣) في مفردات الراغب الاصفهاني : أصل الفتن : إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته . وفي معجم ابن فارس عن مادة الكلمة أنها تدل على ابتلاء واختبار . . وفتنت الذهب بالنار : إذا امتحنته . . وانكرا الاصمعي : =

.

تفسير آناء الليل:

فصل وذكر ابن هشام في تفسير آناء الليل ، قال : واحد الآناء لئى ،
 حواشيه عليه بقول الهذلى ^(١) ، ثم أغرب بما حدثه به يونس ، فقال : ويقال
 لئى فيما حدثنى يونس بن حبيب ، وهذا الذى قاله آخرأ هو لغة القرآن ، قال
 الله تعالى : (غير ناظر بن إناءه) .

ذكر حمل هذه الآيات المنزلة في قصص الأرباب :

فصل : وذكر ابن إسحاق مجلاً من الآيات المنزلة في قصص الأرباب
 يومسائلهم كلها واضحة ، والتكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب إلى تفسير
 القرآن ، وفي جملتها قوله تعالى ﴿ أَيْبَانُ مُرْسَاها ﴾ وقال الفراء فى أَيْبَان : هى
 كلمتان ، جملة واحدة ، والأصل : أى آن ، والآن والأوان بمعنى واحد ،
 كما يقال : راح ورياح ، وأنشد :

== أفن . هذا وبنت جرير الذى فى السيرة هو هكذ فى اللسان :

لاوصل إذ صرفت هند ولوقفت لاستفتنتى وذا المسحين فى القوس

يوعده :

قد كنت قربا لنا يا هند فاعتبرى ماذا يربك من شيبى وتقوى

(١) لبنت المتنخل رواية أخرى فى اللسان هى :

السالك الثغر عثيا مواده بكل لى قضاء الليل ينتعل

ورواية السيرة وردت فى اللسان ، وفيها مرته بدلا من شيمته ، وسبق بيان

لئى وشيمته : طبيعته .

نَشَاوَى نَسَاقُوا بِالرَّيَّاحِ الْمُفْلَقِلِ (١)

وقد ذكر المروى في أيان وجهها آخر ، قال يجوز أن يكون أصله : أيوان فاندغمت الياء في الواو مثل قِيَام .

وذكر آية التَّيِّهِ وحبس بنى إسرائيل فيه أربعين سنة عقوبة من الله تعالى لخالفهم أمره حين فزعوا من الجبارين أعظم أجسامهم ، وقال لهم رجلا ن وهما يَوْشَعَ بْن نُونٍ مِنْ سَبْطِ يَوْسَفَ ، وَكَالِبُ بْنُ يَوْفِيَا مِنْ سَبْطِ يَامِينَ (٢) اَدْخُلُوا

(١) البيت في اللسان لاسرى القيس في مادة ريج وفي مادة أين قال : أنشد أبو القمقام ، وشطرته الأولى :

ورواية للشطرة الثانية في المقامات بشرح الزوزنى : كان مكالى الجواء عديقه
صبحن سلافا من رحيق مفلغل

والراح والرياح بفتح الراء : الخمر ، وقد أنشد اللسان البيت في ريج ، وأين .
وبقية كلام الفراء أن الآن حرف بنى على الألف واللام ، ولم يخلعاً منه . وترك
على مذهب الصفة ، لأنه صفة في المعنى واللفظ . ويرى أن الآن أصلها الأران ،
لحدفت منها الألف ، وغيرت واوها إلى الألف .

(٢) بين القرآن القصة بجلاء لكن لم يرد فيه اسم يوشع وكالب لكن ورد
ذكرهما في أسفار العهد القديم . ويقول الدكتور بوست عن يوشع إنه خليفة
موسى ، وهو ابن نون من سبط أفرايم ولد في مصر ، وكان أولا خادم موسى ،
واسمه في الأصل : هو شع . . وكان هو وكالب الرجلين اللذين تكلماً بالحق
بخصوص البلاد التي تجسسوها . وانظر سفر الخروج والعدد . وكالب عندهم هو
ابن يفتة — بفتح الياء وضم الفاء وتضعيف النون مع فتح القنزة أحد الجواسيس
الإثني عشر الذين أرسلهم موسى إلى أرض كنعان . ويجب أن نأخذ ما يقصه علينا بنو
إسرائيل بحذر بالغ ، ونقد بصير . وحسبنا قصص القرآن الكريم .

عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴿ فلما عَصَوْهَا دعا عليهم موسى ، ففأهاوا ، أى تحيروا ، وكانوا ستمائة ألف مقاتل ، ففأهاوا فى سِتَّةِ فِرَاسِيخَ من الأرض ، يمشون النهار كله ، ثم يُنْسُونَ حيث أصبحوا ، وَيُضْبِحُونَ حيثُ أُمْسَوْا . وفى تلك السنين أنزل عليهم المن والسلوى ، لأنهم شغلوا عن المعاشِ بالتيه فى الأرضِ ، وأُبْقِيَتْ عليهم ثيابهم لِاتِّخْلَقَ ، وَلِاتَنْسَخَ ، ونطول مع الصغير ، إذا طال ، وفيها استسقى لهم موسى ، فَأَمَرَ أَنْ يَأْخُذَ حَجَرًا من الطُّورِ ، فيضربه بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عَيْنًا ، وفيها ظَلَّلَ عليهم الغمامُ لأنهم كانوا فى البرِّيَّةِ ، فُظِلُّوا من الشمسِ ، وذلك أن موسى كان نَدِمَ حين دعا عليهم لما رأى من جهلهم وحيرتهم فى التيه ، فكان يدعو الله لهم فى هذه الأمور ؛ لئلا يَهْلِكُوا فى التيه جوعاً أو عُزْباً أو عَطْشًا ، فلما آسَى عليهم قال الله له : ﴿ لَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ أى : الذين فَسَقُوا أى : خرجوا عن أَمْرِكَ . ومات فى أيام التيه جميعُ كبارهم إلا يُوشَعَ وكابَ فما دَخَلَ الأرضَ على الجبارين إلا خَلَوْفُهُمْ وأبْنَاؤُهُمْ ، وقيل : إن موسى مات فى تلك السنين أيضاً ولم يشهد الفتحَ مع يُوشَعَ ، وقيل : بل كان مع يُوشَعَ حين افتتحها (١) .

(١) أصل قصة التيه فى القرآن . أما هذه التفصيلات ، فمن أسفار

بنى إسرائيل .

ذكر المرحوم من اليهود

فصل : وذكر المرحومة من اليهود ، وأن صاحبها الذي رُجم معها حنكاً عليها بنفسه^(١) ليقبها الحجارة . حنكاً بالحاء تقيد في إحدى الروايتين عن أبي الوليد .

(١) يقول الدكتور بوست في قاموسه عن الرجم في العهد القديم : نوع من أنواع العقاب كان كثير الاستعمال لمقاصدة المجرمين الاشقياء حتى إذا لم يذكر نوع القصاص فالغالب أنه الرجم ، فكان يرحم المجرمون وعبداء الأصنام ومدلسو البيت ومرتكبو الفحشاء والمتوردون من البنين ، فيخرج بالمجرم إلى خارج المدينة ، وحسب زعم البعض كان يربط ، وأول من يبدأ برجمه اليهود ، والأرجح أنهم كانوا يزعون ثيابهم لكي يتمكنوا من إجراء العمل بقوة وانشاط ، مادة رجم وقد ورد في سفر التثنية من العهد القديم ما يأتي : « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها ، فأخرجوها كليهما إلى باب تلك المدينة ، وأرجوها بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه . » الإصحاح ٢٢ فقرة ٣٢ - ٣٤ . كما ورد في الإصحاح المتم للعشرين من سفر اللاويين من العهد القديم ما يأتي : « وإذا زنى رجل مع امرأة ، فإذا زنى مع امرأة قريبة ، فإنه يقتل الزاني والزانية ، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه ، فقد كشف عورة أبيه . » إنهما يقتلان كلاهما ، دمه عليهما ، وإذا اضطجع رجل مع كخته - والكخة امرأة الإبن أو الأخ - فإنهما يقتلان كلاهما ، قد فعلا فاحشة دمه عليهما ، وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا إنهما يقتلان دمه عليهما ، وإذا اتخذ رجل امرأة وأمه ، فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإبائهما لكيلا يكون رذيلة بينكم ، وفيه أيضاً أن المرأة التي تزعم أن فيها جانا يجب أن ترحم بالحجارة وكذلك الرجل . . أما الرجم فحكمه لم يرد في القرآن والزعم بأنه كان ثم نسخ لفظه وبقي حكمه دعوى بلا بينة ، والقرآن حين ذكر حد الزنى في سورة النور لم يفرق بين محصن وغير محصن بل جاء بالوصف ، ورتب =

وكذلك في الموطأ من رواية يحيى ، لجعل يحنى عليها ، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد : جَنَّا بالجبم والمهز ، وعلى هذه الرواية فسرهُ أبو عبيد ، والجَنَاء : الانحناء^(١) ، قال الشاعر عَوْفُ بْنُ مُحَلَّم :

وَبَدَلْتَنِي بِالشَّطَاطِ الْجَنَّا وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ^(٢)

وفي حُثْوَةٍ عليها من الفقه : أنهما لم يكونا في حُفْرَتَيْنِ ، كما ذهب إليه كثير من الفقهاء في سُنَّةِ الرَّجْمِ ، وكذلك رَوَى عن علي رحمه الله ، أنه

== عليه العقوبة ، (لزانية والزاني فاجلدا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولكن ورد في بعض الأحاديث أنه حدث رجم .

(١) في القاموس : جنأ عليه كجعل وخرج جنوا ، وجنأ : أكب كأجنأ ، وجانأ ، وتجانأ . وفي النهاية لابن الأثير : أجنأ يحنى لإجناء ، وفي رواية أخرى : فلقد رأيته : يحانى عليها مفاعلة من جانأ يحانى .

(٢) أول القصيدة :

يا ابن الذي دان له المشرقان طرا ، وقد دان له المغربان
إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
وبدلتني بالشطاط الجنأ وكنت كالصعدة تحت السنان

وعدة القصيدة في أمالي القائل : عشرة أبيات ، وسببها أن عوفا دخل على عبد الله بن طاهر ، فسلم عليه عبد الله ، فلم يسمع ، فأعلم بذلك . فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة . . وعوف يكنى أبا محم أو أبا المنهال ، وهو شاعر مجيد من شعراء الدولة الهاشمية . والشطاط : حسن القوام والاعتدال ، والصعد : العتاة المستوية انظر ص ٥٠ ١٠٠ الامالى ط ٢ و ١٩٨ سمط الالى للبكرى .

حفر لُشْرَاحَةَ بِنْتِ مَالِكِ التَّهْمَدَانِيَةِ حينَ رَجَمَهَا . وأما الأحاديثُ فأكثرُها على تركِ الخَفَرِ للرجومِ ، واسمُ هذهِ المرجومةِ : بُسْرَةُ ، فيما ذكر بعضُ أهلِ العلمِ ، وفي قصتهما أنزلَ اللهُ : ﴿ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ ، يعنى محمداً ، وَمَنْ حَكَمَ بِالرَّجْمِ قَبْلَهُ ، لَأَنَّهُ حَكَمَ بِالرَّجْمِ لَأُولَئِكَ الْيَهُودُ الَّذِينَ تَحَاكَمُوا إِلَيْهِ ، وَالرَّبَّانِيُّونَ . يعنى : عبدُ اللهِ بنِ سَلامٍ وابنُ صُورِي من الأَحْبَارِ بما اسْتَحْفَظُوا من كتابِ اللهِ ، لأنهم حَفِظُوا أَنَّ الرَّجْمَ في التَّوْرَةِ ، لكنهم بدلُوا وغيرُوا ، وكانوا عليه شُهَدَاءَ ؛ لأنهم شَهِدُوا بذلك على اليهود إلى قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ فحَكَمَ بِالرَّجْمِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذا يبين لك أَنَّ الرَّجْمَ في القرآنِ ، وعلى هذا فسرهُ مَالِكٌ فيما بلغنِي ، ولذلك قال عليه السلام للرجلين : لَأَحْكُمَنَّ بَيْنَكُمَا بَكْتَابِ اللهِ ، فحَكَمَ بِالرَّجْمِ ، كما في الكتابِ المنزَّلِ على موسى وعلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا ، وقد قيل في معنى الحديثِ أقوالٌ غيرُ هذا ، والصحيح ما ذكرنا (١) .

(١) روى البخاري ومسلم ومالك وغيرهم أن اليهود جاءوا إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ، ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة ، ففشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع فإذا آية الرجم ، فقالوا صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم — فرجما ، فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة ، هذا لفظ البخاري . ولستطيع أن نفهم من هذا أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إنما رجع إلى حكم التوراة ، لأنه لم يكن قد نزل حكم =

واستشهد ابن هشام في تفسير الجهرة بقول أبي الأخرز الحِمَّاني ، واسمه :
قَتِيْبَة ، وَحِمَّانُ هُوَ ابْنُ كَعْبٍ ^(١) بَنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، فَقَالَ :
يَجْهَرُ أَفْوَاهُ الْمِيَاهِ السَّدَمُ

يَقَالُ : مَا سِدَامٌ إِذَا غَطَاهُ الرَّمْلُ ، وَجَمْعُهُ : سُدَمٌ ، وَجَمْعُهُ عَلَى سَدَمٍ غَرِيبٌ ، وَيَقَالُ أَيْضًا سِدَامٌ وَأَسْدَامٌ ^(٢) وَنَحْوُ مِنْ قَوْلِهِ يَجْهَرُ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي أَبِيهَا . وَاجْتَهَرَ لَهُمْ عَيْنُ الرَّوَاءِ ^(٣) ، وَأَنْشَدَ فِي تَفْسِيرِ الْقَوْمِ
وَأَنَّهُ الْبُرُ :

== الزنا ، وإلا لبادرهم ببيان حكم الله الذي في القرآن قبل أن يسألهم عن حكم الله
الذي في التوراة التي يهيمون عليها القرآن . وكل روايات الحديث توحى بهذا المعنى
وقصر وصف الربانيين على ابن سلام وابن صوري ، وقصر وصف المسلمين
على ما قصره عليه . كل هذا لادليل عليه . فلم لا يعمم معنى الآية ، فيتناول كل
أنبياء بنى إسرائيل الذين حكموا بالتوراة من بعد موسى ، وكل الربانيين ؟
ثم أين آية الرجم في القرآن حتى يصدق ما ذهب إليه السهيلي ؟

(١) في الباب لابن الأثير : حمان ، وهى قبيلة من تميم ، وهو حمان
ابن عبد العزيز بن كعب النخ بزيادة عبد العزيز عما في الروض .

(٢) في اللسان : ماء سدم - بفتح السين والdal - وسدم - بفتح فسكسر -
وسدم - بضم فضم - وسدوم - بضم السين والdal - مندق ، والجمع : أسدام
وسدام بكسر السين في هذه ، وقد قيل الواحد والجمع في ذلك سواء . والرجز في
السيرة : يجهر أجواف .

(٣) في النهاية لابن الأثير : اجتهر دفن الرواء هو بالفتح والمد : الماء
الكثير ، وقيل : العذب الذي فيه للواردين رى .

فَوْقَ شِيزَى مِثْلَ الْجَوَابِي عَلَيْهَا قِطْعٌ كَالْوَذِيلِ فِي نَقْيِ قَوْمِ
الشِّيزَى : خَشَبٌ أَسْوَدُ تُصْنَعُ مِنْهُ الْجَفَانُ [مفردها : جَفَنَةٌ ، وَهِيَ الْقِصْمَةُ ،
وَالْجَوَابِي : جَمْعُ جَابِيَةٍ : الْحَوْضُ يُجْبَى فِيهِ الْمَاءُ لِلْإِبْلِ] ، وَالْوَذِيلُ : جَمْعُ
وَذِيلَةٍ وَهِيَ السَّبِيكَةُ مِنَ الْقِضَّةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَتُرَيْكٌ وَجْهًا كَالْوَذِيلَةِ لَارِيَّانٍ مَمْتَلِءٍ وَلَا جَنَمَ

وَمِنْهُ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ لِمَعَاوِيَةَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أُلْفَيْتُ أَمْرَكَ ، وَهُوَ
أَشَدُّ انْفِصَاحًا مِنْ حُقِّ الْكَهُولِ . كَذَاكَ رَوَاهُ التَّهْرَوِيُّ ، وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ :
الْكَهْدَلُ ، فَمَا زِلْتُ أُرْمُهُ بِوُذَائِلِهِ ، وَأَصِلُهُ ، بِوَصَائِلِهِ ، حَتَّى تَرَكْتُهُ عَلَى
مِثْلِ فَلَكَةِ الْمَدَرِ . حُقِّ الْكَهُولِ : بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ، وَكَأَنَّ الْقَالَءَ الْهَرَوِيَّ ، قَالَهُ
أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ فِي كِتَابِ الْيَاقُوتِ ، كَمَا وَقَعَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِلْقُتَيْبِيِّ قَالَهُ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَزَازِ فِي الْكِتَابِ الْكَبِيرِ ، قَالَ : الْكَهْدَلُ : الْعَنْكَبُوتُ ، وَقِيلَ
فِي الْكَهُولِ إِنَّهُ تَمْدَى الْعَجُوزُ ، وَفِي الْعَيْنِ : الْوَذِيلَةُ : الْمِرْآةُ ^(١) ، وَقِيلَ فِي الْقَوْمِ :
إِنَّهُ الثَّوْمُ ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ قَتِيبَةَ ، وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ :
وَتُومَهَا ، وَلاَحِجَّةُ فِي هَذَا لِأَنَّهُ أَبُو حَنِيفَةَ فِي النَّبَاتِ : أَنَّ الثَّوْمَ ، هُوَ الْبُرَّةُ ،

(١) فِي النَّهَايَةِ لابْنِ الْأَثِيرِ عَنِ الْكَهُولِ : رَوَاهَا الْأَزْهَرِيُّ بِفَتْحِ الْكَافِ
وَضَمِّ الْهَاءِ ، وَقَالَ : هِيَ الْعَنْكَبُوتُ ، وَرَوَاهَا الْخَطَّابِيُّ وَالزَّخَرِيُّ بِسُكُونِ الْهَاءِ .
وَفَتْحِ الْكَافِ وَالْوَوِ ، وَقَالَا : هِيَ الْعَنْكَبُوتُ . . . وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ : أَمَّا حَقُّ الْكَهْدَلِ ،
فَلَمْ أَسْمَعْ فِيهِ شَيْئًا مِنْ يَوْثَنِ بَعْلِهِ ، بَلْغَنِي أَنَّهُ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ تَمْدَى
الْعَجُوزُ ، وَقِيلَ : الْعَجُوزُ نَفْسُهَا ، وَحَقُّهَا : تَمْدِيهَا .

وأنه يقال بالفاء وبالثاء ، ومن الشاهد على القوم وأنه البرُّ قول أبي أحيحة
ابن الجلاح ، وقيل هو لأبي مخجنٍ الثَّقَفِيُّ :

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا
سكن المدينة عن زراعة قوم^(١)

وأشد في بعض ما قَسَر بيت الأخطل ، قال : وهو الغوثُ بن هُبَيْرَةَ
ابن الصَّلْت^(٢) ، يُكنى أبا مالك ، والمعروف : غِيَاثُ بن الغوثِ بن هُبَيْرَةَ
ابن الصَّلْت ، وتُسمى : الأخطل لقوله :

كَعَمْرُكَ لِمَنِي وابني جُعَيْلٍ وأُمُّهُمَا لَأَسْتَأَرَّ لَيْسِمُ
كل أربعة إستأَر^(٣) قيل : إن كعبَ بن جُعَيْلٍ قال له في خبر جرى بينهما ،

(١) نسبه الاخفش إلى أبي مخجن ، وروايته في اللسان هكذا :
قد كنت أحسبني كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة قوم
(٢) الاخطل في سبط الآلى : غياث بن غوث ، وفي ديوانه برواية السكري :
غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو بن سيحان بن العذولس بن عمرو بن مالك بن
جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفي الأغاني ابن الطارقة ، ويقال :
ابن السحيان بن عمرو بن العذولس . وعن المدائني : غوث بن مسلمة بن طارقة
انظر ص ٤٤ من السبط .

(٣) وقيل الإستار : رابع أربعة . وقيل هو معرب عن الفارسية ، وأصله
جهار ، ويجمع أساتير ، وقال أبو حاتم : ثلاثة أسائر . . ويقول ابن قتيبة
عن الاخطل : وسمى الاخطل ، من الخطل ، وهو استرخاء الأذنين . .
قال شارحه ابن السيد : لا أعلم أحدا ذكر أن الاخطل كان طويل الأذنين
مسترخيها ، والمعروف أنه لقب الاخطل لبذاءته وسلطة لسانه ، وذلك أن ابني

والأخطل يومئذٍ غلامٌ يقرّزُ ، أى : كما يَبْنَدِي^(١) يقول :

قُبِّحَ ذاكَ الوجهُ غِيبُ الحُلمِ^(٢)

فقالُ الأخطلُ ، ولم يَكُنْ

وفعلَ كعَبُ بنِ جُعَيْلٍ أُمّه^(٣)

فقال جُعَيْلٌ : إناكَ لأُخْطَلُ^(٤)

جميل احتسبا إليه مع أمهما ، فقال البيت الذى ذكره السهيلي ، فقيل : إنه لاخطل
فلومه هذا اللقب .

(١) القرزمة : أن يقول الشعر فى أول أمره قبل أن يستحكم طبعه ، وتقوى
قريحته .

(٢) فى الاغانى : شاهد هذا الوجه الخ ، وفى خزانة الادب ويل لهذا الوجه

(٣) فى الاغانى : بدل د وفعل ، كلمة يقبح ذكرها وقد استبدلها السهيلي ،
ولهذا قال : ولم يكن يعنى أن الاخطل ذكرها صريحة .

(٤) الخبر بطوله فى الاغانى ص ٢٨ > ٨ ط لبنان ، وانظر خزانة البغدادي
ص ٣٠٨ وما بعدها ١ طبع دار المصور .

تم بحمد الله
، الجزء الرابع ويليهِ الجزء الخامس
ان شاء الله

وأوله : ﴿ ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم ﴾

فهرس

الجزء الرابع من الروض الأنف

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٥	المقدمة	٢٣	من أسواق العرب
٧	كفاية الله أمر المستهزين «س»	٢٥	ما أنزل الله في الربا
٨	الوليد وأبو أزيهر	٢٦	وفاة أبي طالب ووصيته
١١	ثورة لمقتل أبي أزيهر	٣١	تفسير المشي في سورة ص
١٢	آية الربا من البقرة	٣٢	تابع المصائب بموت خديجة
١٣	الهم بأخذ ثأر أبا أزيهر	٣٣	الرسول يسمى إلى الطائف «س»
١٣	عمل أم غيلان	٣٣	موقف ثقيف من الرسول ص
١٣	من المؤذنين لرسول الله	٣٦	أمرجن نصيبين
١٤	ما ساءل الرسول ص بعد وفاة	٣٦	عرض رسول الله ص نفسه على
	أبي طالب وخديجة «س»		القبائل «س»
١٥	ما حدث بين النبي «ص» وبين	٢٨	العرض غلي بنى كلب
	أبي طالب والمشركين «س»	٣٨	«س» «س» «س» حنيفة
١٦	الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب	٣٨	«س» «س» «س» عامر
١٧	ما نزل فيمن طلبوا العهد على	٣٩	عرض على العرب في المواسم
	الرسول عند أبي طالب «س»	٤٠	حديث سويد بن صامت
١٧	عن المستهزين ومملكان	٤٢	إسلام إياس بن معاذ وقصة
١٩	حديث الوليد بن المغيرة		أبي الحخير «س»
١٩	عن مقتل أبي أزيهر وموقف ثورس	٤٣	الرسول مع نفر من الخزرج
٢٠	عن أطراف ومن أحكامه أن		عند العقبة «س»
٢٢	شعر الجون		

س = سيرة . ووما ليس أمامه شيء فهو من الروض .

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٤٤	أسماء الخزرجين الذين التقوا بالرسول عند العقبة «س»	٨٢	عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار «س»
٤٥	خروج النبي ص إلى الطائف	٨٣	أسماء النقباء الاثني عشر وتمام خبر العقبة «س»
٤٨	نور الله ووجهه	٨٣	النقباء من العقبة «س»
٥٦	خبر عداس	٨٥	النقباء من الأوس «س»
٥٧	جن نصيبين	٨٥	شعر كعب بن مالك عن النقباء «س»
٥٩	ذكر عرض نفسه على القبايل	٨٦	ما قاله العياض بن عباد للخزرج قبل المبايعة «س»
٦٠	عرض نفسه على كندة	٨٧	أول صحابي ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية «س»
٦٠	في هذا الكتاب تمة لفائده	٨٨	اشيطان وبيعة العقبة «س»
٦٥	حديث سويد بن صامت	٨٨	الرسول لا يستجيب لطلب الحرب من الأنصار «س»
٦٦	ذكر مجلة لقمان	٨٩	مجادلة جلة قريش للأنصار في شأن البيعة «س»
٦٧	ذكر قدوم أبي الحيسر	٩٠	قريش تطلب الأنصار وتأمرو سعد بن عباد «س»
٦٨	بدء إسلام الأنصار	٩٠	خلاص سعد بن عباد «س»
٧١	بيعة العقبة الأولى «س»	٩٧	هجرة مصعب بن عمير
٧٣	رجال العقبة من الأوس «س»	٩٨	أول جمعة
٧٣	رجال العقبة الأولى من بني عمرو «س»	٩٩	نقيع الخضات
٧٣	بيعة العقبة «س»	١٠٠	الجمعة
٧٤	مصعب بن عمير وفد العقبة «س»	١٠٦	لفظ الجمعة
٧٤	أول جمعة أقيمت بالمدينة «س»	١٠٦	أيام الأسبوع
٧٥	إسلام سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير «س»		
٨١	إسلام عبد الله بن عمرو		
٨١	ابن حزام «س»		
٨١	أمراةان في البيعة «س»		
٨٢	العباس والأنصار «س»		

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
١٠٩	إسلام سعد بن معاذ وأسييد	١٤٧	الإذن لمسلمي مكة بالهجرة «س»
	ابن حضير	١٤٨	المهاجرون إلى المدينة م
١١٠	هل يغتسل الكافر إذا أسلم	١٤٨	هجرة أبي سلمة وزوجته ،
١١١	من شرح شعر ابن الأسلت		وحديثها عما لقيا «س»
١١٢	ذكر البراء بن معرور ، وصلاته	١٥٠	هجرة طاهر وزوجه وهجرة
	إلى القبلة		بنى جحش «س»
١١٣	قبلة الرسول ص	١٥٤	إسلام عمرو بن الجوح وصنم
١١٨	أم عمارة وأم منيع في بيعه	١٥٥	تفسير بعض الانساب
	العقبة الأخرى	١٥٩	ذكر خديج بن سلامة البلوي
١١٩	قول البراء بن معرور	١٦١	متى أسلم عثمان بن أبي طلحة
١٢١	ترجمة البراء	١٦٢	هجرة بنى جحش
١٢١	والهدم الهدم	١٦٣	الشعر الذي تمثل به أبو سفيان
١٢٣	من ولي النقباء	١٧٠	هجرة عمر وقصة عياش معه «س»
١٢٥	تفسير بعض ما وقع في وجدته	١٧١	كتاب عمر إلى هشام بن العاصي «
١٢٨	تذكير فعيل وتأنيثها	١٧٢	الوليد بن الوليد وعياش وهشام «
١٢٩	من ألقاب الطويل	١٧٢	منازل المهاجرين بالمدينة «
١٣٠	معاني الكلمات	١٧٤	منزل حمزة وزيد وأبي رثد
١٣١	حول فصيحة حسان		وأبنته وأبنته وأبي كبشة «س»
١٣٣	قصة صنم عمر وبن الجوح «س»	١٧٥	خبر الندوة وهجرة الرسول
١٣٤	إسلام عمرو بن الجوح «		صلى الله عليه وسلم «س»
١٣٤	شروط البيعة في العقبة الأخيرة «	١٧٦	الملا من قريش يتشاورون في
١٣٥	أسماء من شهد العقبة «		أمر الرسول ص «س»
١٣٨	من شهد بها من بلحارث	١٧٨	بما يقال عن ليلة الهجرة «س»
	ابن الخزرج «س»	١٨٠	الآيات التي نزلت في تربص
١٤٦	نزل الأمر لرسول الله ص		المشركين بالنبي «س»
	في القتال «س»	١٨١	الهجرة إلى المدينة «س»

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
١٨٢	الذين كانوا يعلدون بالهجرة «س»	٢٠٧	مكة والمدينة
١٨٢	الرسول ص وأبو بكر في النار »	٢٠٨	حديث الغار
١٨٢	الذين قاموا بدشون الرسول في الغار «س»	٢١٥	الرد على الرافضة فيما بهتوا به أبا بكر
١٨٣	لم معيت أساء بذات النطاقين «س»	٢١٦	معية الله مع رسوله وصاحبه
١٨٤	راحلة النبي ص	٢١٧	حديث سراقه بن مالك بن جعشم
١٨٤	أبو جهل يضرب أسماء بنت أبي بكر «س»		الكناني
١٨٥	خير الجنى الذي تغنى بمقدم الرسول ص «س»	٢٢٠	حديث أم معبد
١٨٥	نسب أم معبد «س»	٢٢٥	نسب أم معبد وزوجها
١٨٦	آل أبي بكر بعد هجرته	٢٢٨	طريق الهجرة «س»
١٨٦	خبر سراقه بن مالك	٢٢٩	النزول بقباء
١٨٨	هجرة عمر وعياش	٢٣٠	المنازل التي نزلت بقباء
١٩١	قول هشام بن العاص	٢٣٢	سهيل بن جندب وامرأة مسلحة
١٩١	نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف	٢٣٢	بناء مسجد قباء
١٩٢	أبو كبشه	٢٣٣	القبائل تعترضه لينزل عندها
١٩٦	سالم مولى أبي حذيفة	٢٣٣	مبرك الناقة بدار بن مالك
١٩٨	اجتماع قريش للشاور في أمر النبي ص		ابن النجار «س»
٢٠٢	إذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة	٢٣٤	المسجد والمسكن «س»
٢٠٤	لم اشترت الراحلة	٢٣٤	عمار والفئة الباغية «س»
٢٠٥	ذكر ابن اسحاق في غير رواية	٢٣٥	ارتجاج على
٢٠٦	بكاء الفرج من أبي بكر	٢٣٥	مشادة عمار
		٢٣٥	الرسول ص يوصي بعمار
		٢٣٦	إضافة بناء أول مسجد إلى عمار «س»
		٢٣٦	الرسول ص في بيت أبي أيوب
		٢٣٧	تلاحق المهاجرين

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٢٣٨	قصة أبي سفيان مع بني حنشل	٢٨٠	من قصة أبي سفيان مع بني حنشل
٢٣٨	انتشار الإسلام ومن بقي على	٢٨١	الخطبة
	شركه	٢٨٢	الحب
٢٣٩	الخطبة الأولى	٢٨٦	من شرح الخطبة
٢٣٩	الخطبة الثانية	٢٨٩	كتاب رسول الله ص فيا بينه وبين
٢٤٠	كتاب المواعدة لليهود		اليهود
٢٤٤	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	٢٩٠	متى دخل اليهود يثرب ؟
٢٤٦	بلال يوصي بديوانه لابن رويحه	٢٩١	اسم يثرب
٢٤٦	أبو أمامة	٢٩٣	تفسير على رباعهم
٢٤٧	بلاد في طريق الهجرة	٢٩٤	من كلمات الكتاب
٢٥١	قصة أوس بن حجر	٢٩٦	المؤاخاة بين الصحابة
٢٥٣	متى قدم الرسول من المدينة	٢٩٧	نسب أبي الدرداء
٢٥٣	كلثوم بن الهدم	٢٩٨	نسب الفزع
٢٥٤	تأسيس مسجد قباء	٢٩٨	مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة
٢٥٥	التاريخ العربي	٢٩٩	خبر الأذان
٢٥٧	من ودخلها على الزمان	٢٩٩	رؤيا عبد الله بن زيد
٢٦٠	تحلحل وتلحلح	٣٠٠	رؤيا عمر في الأذان
٢٦١	المريد وصاحبه	٣٠١	ما كان يقوله بلال في الفجر
٢٦٢	حول بتيان المسجد	٣٠١	أبو قيس بن أبي أنس
٢٦٤	سمية أم عمار	٣٠٥	الاعداء من يهود
٢٦٦	إضافة بناء المسجد إلى عمار	٣٠٥	من يهود بنى النصير
٢٦٦	أطوار بناء المسجد	٣٠٦	من يهود بنى ثعلبه
٢٦٧	بيوت النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٦	من يهود بنى قيتقاع
٢٧٨	حب حباب	٣٠٧	من يهود بنى قريظة
٢٧٩	الشوم	٣٠٧	من يهود بنى زريق
٢٧٩	مصير منزل أبي أيوب	٣٠٧	من يهود بنى حارثة

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٣٠٨	من يهود بني عمرو «س»	٣٢١	من أسلم من أحبار يهود نفاقا «س»
٣٠٨	من يهود بني النجار »	٣٢١	من بني قينقاع »
٣٠٨	اسلام عبد الله بن سلام »	٣٢٢	طرد المنافقين من مسجد الرسول
٣١٠	حديث مخبريق »		صلى الله عليه وسلم «س»
٣١٠	شهادة عن صفية »	٣٢٤	مازل من البقرة في المنافقين
١١١	من اجتمع إلى يهود من منافق		ويهود ما نزل في الاحبار «س»
	الانصار منافقون بنى	٣٢٦	ما نزل في منافق الاوس والخزرج
	عمرو «س»	٣٢٧	تفسير ابن هشام لبعض الغريب »
٣١١	منافقو حبيب »	٣٢٥	دعوى اليهود قيلة العذاب في
٣١١	من نفاق جلاس »		الآخرة ورد الله عليهم «س»
٣١٣	ارتداد الحارث بن سويد	٣٣٧	تفسير ابن هشام لبعض الغريب »
	وغدره «س»	٣٤١	سؤال اليهود الرسول، وإجابته
٣١٤	منافقو بنى ضبيعة »		لهم عليه الصلاة والسلام «س»
٣١٤	منافقو بنى لوزان »	٣٤٢	إنكار اليهود نبوة داود عليه
٣١٥	منافقو بنى ضبيعة »		السلام ورد الله عليهم «س»
٣١٥	معتب وابنا حاطب بدريون	٣٤٣	كتابة صلى الله عليه وسلم إلى
	وليسوا منافقين «س»		يهود خيبر «س»
٣١٦	من بنى ثعلبة »	٣٤٤	تفسير ابن هشام لبعض الغريب »
٣١٦	من بنى أمية »	٣٤٥	ما نزل في أبي ياسر وأخيه »
٣١٦	من بنى عبيد »	٣٤٧	كفر اليهود به ص بعد استفتائهم
٣١٧	من بنى النبيت »		وما نزل في ذلك «س»
٣١٨	من بنى ظفر »	٣٤٧	ما نزل في نكران مالك بن الصيف
٣١٩	من عبد الأشهل »		العهد اليهم بالنبي «س»
٣٢٠	من الخزرج »	٣٤٨	ما نزل في قول أبي مسلوبا
٣٢٠	من بنى جشم »		«ما جئتنا بشيء نعرفه» «س»
٣٢٠	من بنى عوف »	٣٤٨	ما نزل في قول ابن حريمة ووهب »

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٣٤٨	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٥٧	ما نزل في أخذ الميثاق عليهم «س»
٣٤٩	ما نزل في صدحي وأخيه الناس	٣٥٨	سعيهم في الوقعة بين الأنصار «
	عن الإسلام «س»	٣٥٨	شيء عن يوم بعث
٣٤٩	تنازع اليهود والنصارى عند	٣٥٩	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «
	الرسول صلى الله عليه وسلم «س»	٣٦٠	ما نزل في قولهم «ما آمن لإثرائنا» «
٣٥٠	ما نزل في طلب ابن حريملة أن	٣٦١	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «
	يكلمه الله «س»	٣٦١	ما كان في نهي المسلمين عن مباينة
٣٥٠	ما نزل في سؤال ابن صوريا		اليهود «س»
	لنبي عليه الصلاة والسلام	٣٦٢	ما كان بين أبي بكر وفنحاص «س»
	بأن يهود «س»	٣٦٢	أمرهم المؤمنين بالبخل
٣٥١	مقالة اليهود عند صرف القبلة	٣٦٤	جحدهم الحق «
	إلى الكعبة «س»	٣٦٥	تفسير ابن هشام الغريب «
٣٥٢	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٦٦	النفر الذين حاربوا الأحزاب «
٣٥٣	كنائهم ما في التوراة من الحق «	٣٦٦	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «
٣٥٣	جوابهم للنبي عليه الصلاة والسلام	٣٦٧	أنكارهم التنزيل «
	حين دعاهم إلى الإسلام «س»	٣٦٨	جتماعهم على طرح الصخرة على
٣٥٤	جمعهم في سوق بنى قينقاع «		رسول الله ص «س»
٣٥٤	دخوله ص بيت المدراس «	٣٦٨	ادعائهم أنهم أحباء الله «
٣٥٥	اختلاف اليهود والنصارى في	٣٦٩	إنكارهم نزول كتاب بعد موسى
	إبراهيم عليه السلام «س»		عليه السلام «س»
٣٥٥	ما نزل فيهم به بعضهم من الإيمان	٣٦٩	رجوعهم إلى النبي ص في حكم الرحم «
	غدوة والكهر عشية «س»	٣٧٢	ظلمهم في الديعة «
٣٥٦	ما نزل في قول أبي رافع والنجراني	٣٧٢	نصدهم الفتنة رسول الله ص «
	«أريد أن تعبدك كما تعبد	٣٧٢	جحدهم نبوة عيسى عليه السلام «
	النصارى عيسى «س»	٣٧٤	ادعائهم أنهم على الحق «
٣٥٧	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٧٤	إشراكهم بالله «

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٣٧٥	نبيه تعالى للمؤمنين عن موادتهم «س»	٣٩٧	يهود المدينة
٣٧٥	سؤالهم عن قيام الساعة «س»	٣٩٨	السحر المنسوب إلى النبي ص
٣٧٦	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٤٠٤	فقه حديث السحر
٣٧٧	ادعائهم أن عزيراً ابن الله «س»	٤٠٧	إسلام عبد الله بن سلام
٣٧٧	طلبهم كتاباً من السماء «س»	٤١٠	ذكر المنافقين
٣٧٨	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٤١١	ذكر حديث بشير بن أبيرق سارق
٣٧٨	سؤالهم له ص عن ذى القرنين «س»		الدرعين
٣٧٩	تهميمهم على ذات الله وغضب الرسول	٤١٥	ذكر ما أنزل الله في المنافقين
	ص لذلك «س»	٤١٨	حديث أبي ياسر بن أخطب
٣٨٠	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٤٢١	معاني الحروف في أوائل السور
٣٨٠	بدء الآذان	٤٢٢	ذكر تحويل القبلة
٣٨٩	حديث صرمة بن أبي أنس	٤٢٤	ما أنزل الله في بني قينقاع
٣٩١	من شرح شعره	٤٢٧	تفسير آناه الليل
٣٩٦	تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن	٤٢٧	ذكر جمل من الآيات المنزلة في
			قصص الاحبار

بعون الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء الرابع من
كتاب الروض الأنف بمطابع دار النصر ١٣ شارع
سعد الله بالدرب الأحمر - بالقاهرة

جاءى الثانى ١٣٨٩ هـ
أغسطس ١٩٦٩ م

دار النصر

المليحة رفع همل
غفر الله له ولوالديه

الروض الالاف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الرَّوْضُ الْإِنْفِ

فِي شَرْحِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

لِلْإِمَامِ الْمُحَدِّثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّهْمِيِّ

٥٠٨١ - ٥٠٨

وَمَعَهُ

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء الخامس

تحقیق و تعلیق و شرح

عبد الرحمن الوكيل

دار الكتب الإسلامية (مكتبة توفيق عفيفي عام
١٤٠٧ ش/ ١٩٨٦ م) - مكة ٩٦٦٠٧

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء الخامس من السيرة وشرحها « الروض الأنف »
للإمام السهيلي والله وحده أسأل أن يعين على تمامه

عبد الرحمن الوكيل

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف

قال ابن إسحاق: وقَّع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران، سِتُّون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم بثول أمرهم: العاقب، أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه: عبد المسيح، والسيد لم: نَمَلَمُ، وصاحب راحلهم ومجتمعتهم، واسمه: الأنيهم، وأبو حارثة ابن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم.

منزلة أبي حارثة عند ملوك الروم

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودرس كتبهم، حتى حسن عليه في دينهم، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لِمَا يَبْغَاهُم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

السبب في إسلام كرز بن علقمة

فلما رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران، جلس أبو حارثة على بَقْلَةٍ له مَوْجَّها، وإلى جنبه أخ له، يقال له: كُوز بن علقمة. قال ابن هشام:

ويقال : كُرُز - فمَثَرَتْ بِنْتُهُ أَبِي حَارِثَةَ ، فَقَالَ كُرُز : تَعَسَّ الْأَبْعَدُ : يريد : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له أبو حارثة : بلى أنت تَعَسَّت ! فقال : وَلِمَ يَا أَخِي ؟ قال : والله إنه للنبي الذي كنّا ننتظر ، فقال له كُرُز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شَرَفُونَا وَمَوَّلُونَا وَكَرَّمُونَا ، وقد أبوا إلا خِلَافَهُ ، فلو فعلتُ نَزَعُوا مِنِّي كُلَّ مَا رَى . فأضمر عليها منه أخوه كُرُز بن عُلَقَمَةَ ، حتى أسلم بعد ذلك . فهو كان يُحَدِّثُ عَنْهُ هَذَا الْحَدِيثَ فَمَا بَلَغَنِي .

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس منهم

قال ابن هشام : وبَلَغَنِي أَنَّ رُؤَسَاءَ نَجْرَانَ كَانُوا يَجُورُونَ كُتُبًا عِنْدَهُمْ . فَكَلَّمَا مَاتَ رَئِيسٌ مِنْهُمْ ، فَأَفْضَتِ الرِّيَاسَةُ إِلَى غَيْرِهِ ، خَتَمَ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ خَاتَمًا مَعَ الْخَوَاتِمِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهُ وَلَمْ يَكْبِرْهَا ، فَخَرَجَ الرَّئِيسُ الَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمْشِي ، فَمَثَرَتْ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : تَعَسَّ الْأَبْعَدُ ! يريد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال له أبوه : لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ ، وَاسْمُهُ فِي الْوَضَائِعِ ، يَعْنِي : الْكُتُبِ ، فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَكُنْ لَابْنِهِ هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ شَدَّ فَكَسَرَ الْخَوَاتِمَ ، فَوَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ وَحُجٌّ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلْبًا وَضِيئُهَا مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِيئُهَا
مُخَالَفَةُ دِينِ النَّصَارَى دِينُهَا

قال ابن هشام : الوضين : الحزام ، حزام الناقة . وقال هشام بن عروة :
وزاد فيه أهل العراق :

مُتَرَضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا

فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه .

صلاة النصارى إلى المشرق

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما قَدِمُوا عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ مَسْجِدَهُ حِينَ صَلَّى الْمَصْرُ ،
عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الْحَبَرَاتِ ، جُبَّ وَأَزْدِيَّةٌ ، فِي جَمَالِ رِجَالِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ .
قال : يقول بعض من رَأَاهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَئِذٍ :
مَا رَأَيْنَا وَفَدًا مِثْلَهُمْ ، وَقَدْ حَانَتْ صَلَاتُهُمْ ، فَقَامُوا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَصَلُّونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دُعُومُ : فَصَلُّوا إِلَى
الْمَشْرِقِ .

أَسْمَاءُ وَفَدِ نَجْرَانٍ وَمَعْتَقَدُهُمْ

وَمَجَادِلَتُهُمُ الرُّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال ابن إسحاق : فَكَانَتْ تَسْمِيَةُ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ ، الَّذِينَ يَثُولُ إِلَيْهِمْ
أَسْرُهُمْ : الْعَاقِبُ ، وَهُوَ عَبْدُ الْمَسِيحِ ، وَالسَّيِّدُ وَهُوَ الْأَيُّهَمُ ، وَأَبُو حَارِثَةَ بْنِ
عَلْقَمَةَ أَخُو بَنِي بَكْرٍ بْنِ وَاثِلٍ ، وَأَوْسُ ، وَالْحَارِثُ ، وَزَيْدٌ ، وَقَيْسٌ ، وَزَيْدٌ ،
وَنَبِيهٌ ، وَخُوَيْلِدٌ ، وَعَمْرُو ، وَخَالِدٌ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَيُحْنَسُ ، فِي سِتِّينَ رَاكِبًا .

فكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم أبو حارثة بن علقمة ، والمقاب
عبد المسيح ، والأبهم السيد - وهم من النصرانية على دين الملك ، مع اختلاف
من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث
ثلاثة . وكذلك قول النصرانية .

فهم يحتجون في قولهم : « هو الله » بأنه كان يُحْيِي الموتى ، ويُبْرِئُ
الأسقام ، ويُخْبِرُ بالغيوب ، وَيَخْلُقُ من الطين كهيئة الطير ، ثم يَنْفِخُ فِيهِ -
فيكون طائراً ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى : ﴿ وَنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ .
ويحتجون في قولهم : « إنه ولد الله » بأنهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ،
وقد تكلم في الهدى ، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله .

ويحتجون في قولهم : « إنه ثالث ثلاثة » بقول الله : قَعَلْنَا ، وَأَمَرْنَا ،
وَخَلَقْنَا ، وَقَضَيْنَا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلهة ، وقضيت ،
وأمرت ، وخلق ، ولكنه هو وعيسى ومريم . ففي كل ذلك من قولهم
قد نزل القرآن - فلما كلمه الجنان ، قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أسلما ، قالا : قد أسلما ، قال : إنكما لم تُسَلِّمَا ، فأسلما ، قالا : بلى ، قد أسلما
قبلك . قال : كذبتما ، يمتنكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما
الصليب ، وأكلكما الخنزير ؛ قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت عنهما رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - فلم يُجِبهما .

تفسير ما نزل من آل عمران في وفد نجران

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، فقال جل وعز : ﴿ اَلَمْ اَللهُ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ . فافتتح السورة بتمنيزه نفسه عما قالوا ، وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لا شريك له فيه ، ردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجا بقولهم عليهم في صاحبهم ، ليعرفهم بذلك ضلالتهم ، فقال : ﴿ اَلَمْ اَللهُ لَا اِلَهَ اِلَّا هُوَ ﴾ ليس معه غيره شريك في أمره ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ الحي الذي لا يموت ، وقد مات عيسى وصلب في قولهم . والقيوم : القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به ، وذهب عنه إلى غيره . ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ، أي بالصدق فيما اختلفوا فيه : ﴿ وَأُنْزِلَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ ﴾ : التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله : ﴿ وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ ﴾ ، أي الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره ﴿ اِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَاللّٰهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ ، أي : إن الله منتقم ممن كفر بآياته ، بعد علمه بها ، ومعرفة بما جاء منه فيها : ﴿ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْاَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ، أي قد علم ما يربدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى ، إذ جعلوه إلهًا وربًا ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غيره بالله ، وكفرا به . ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْاَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ أي : قد كان عيسى ممن

صُورَ في الأرحام ، لا يدفعون ذلك ولا يفكرونه ، كما صُورَ غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلهاء ، وقد كان بذلك المنزل ؟ ثم قال تعالى إنزاهاً لنفسه ، وتوحيداً لها عما جعلوا معه : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، العزيز في انتصاره بمن كفر به إذا شاء ، الحكيم في حجته وعذره إلى عباده . ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ فيهن حُجَّةُ الربِّ ، وعِصْمَةُ العباد ، ودَفْعُ الْخُصُومِ والباطل ، ليس لهنّ نصريف ولا تحريف عما وُضِعَ عليه ﴿ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ لهنّ نصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهنّ العباد ، كما ابتلام في الحلال والحرام ، ألا يُصْرَفْنَ إلى الباطل ، ولا يُحَرَّفْنَ عن الحق . يقول عز وجل : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ ، أي : مِيل عن الهدى ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ ، أي مانصرف منه ، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأخذوا ؛ لتكون لهم حجة ، ولهم على ما قالوا شبهة ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ ، أي : اللبس ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ . ذلك على حارَكَيَا من الضلالة في قولهم : خلقنا وقضينا . يقول : ﴿ وَمَا يَنْطَلِقُ تَأْوِيلُهُ ﴾ ، أي : الذي به أرادوا ما أرادوا ﴿ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد ، من رب واحد ؟ ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، وانسحق بقواهم الكتاب ، وصدق بعضه بعضاً ، فنظمت به الحُجَّةُ ، وظهر به المذر ، وراح به الباطل ، ودفع به الكفر . يقول الله تعالى في مثل هذا : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ في مثل هذا ﴿ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

.....

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) : أى لا تعمل قلوبنا ، وإن ميلنا بأحداثنا . (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) . ثم قال : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْثَلَاثَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ) بخلاف ما قلوا (فَأَمَّا بِالْقِسْطِ) ، أى بالعدل (فَمَا يَرِيدُ) (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ الْإِسْلَامِ) : أى ما أنت عليه يا محمد : التوحيد لله رب العالمين والصدق للرسول . (وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُولُوا السِّكِّاتِ إِلَّا مِنْ بُعْدٍ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) ، أى : الذى جاءك ، أى : أن الله الواحد الذى ليس له شريك . (بَيِّنَاتٍ بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ ، فَبَيْنَ اللَّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ) ، أى : بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وغفلنا وأمرنا ، فأما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق . (فَقُلْ أَصَلَّيْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ) ، أى وحده . (وَمَنْ اتَّبَعَنِي ، وَقُلْ لِّلَّذِينَ أُوتُوا السِّكِّاتِ وَالْأُمِّيِّينَ) الذين لا كتاب لهم (أَسَلَّمْتُمْ) ، فإن أسلفوا فقد اعتدوا ، وإن توتلوا فأما عَلَيْكَ الْجَلَاحُ ، والله بصير بالعباد .

ما نزل من القرآن فيما ابتدعته اليهود والنصارى

ثم جمع أهل الكتابين جميعاً ، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا ، من اليهود والنصارى ، فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَيَتَّبِعُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ) إلى قوله : (قُلْ : اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ) ، أى : رب العباد ، والملِك الذى لا يقضى فيهم غيره (تُوْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ،

وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴿١٤﴾ ، أَيْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ ﴿١٥﴾ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ ، أَيْ: لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُكَ بِسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ . ﴿١٧﴾ تَوَلَّجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ، وَتَوَلَّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ، وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ﴿١٨﴾ بِتِلْكَ الْقُدْرَةِ ﴿١٩﴾ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٠﴾ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُكَ ، وَلَا يَصْنَعُهُ إِلَّا أَنْتَ ، أَيْ: فَإِنْ كُنْتَ سَأَلْتَ عِيسَى عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ ، مِنْ أَحْيَاءِ الْوُفَى ، وَإِبْرَاءِ الْأَقَامِ وَالْخَلْقِ لِلطَّيْرِ مِنَ الطَّيْرِ ، وَالْإِبْخِلَارِ مِنَ الْعِثُوبِ ، لِأَجْعَلَهُ بِهَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَتَعْبَهُ بِقَالِهِ فِي نَبْوَتِهِ الَّتِي بَعَثَتْهَا إِلَى قَوْمِهِ ، فَإِنْ مِنْ سُلْطَانِي وَقُدْرَتِي مَا لَمْ أُعْطَهُ عَلَيْكَ الْمُلُوكُ بَأَمْنِ النَّبْوَةِ ، وَوَضَعَهَا حَيْثُ شِئْتَ ، وَإِبْلَاجِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ ، وَالنَّهَارِ فِي اللَّيْلِ ، وَإِخْرَاجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَمِيتِ ، وَإِخْرَاجِ الْمَمِيتِ مِنَ الْحَيِّ ، وَدَرْقِ مَنْ شِئْتَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ ؛ فَكُلَّ ذَلِكَ لَمْ أُسَلِّطْ عِيسَى عَلَيْهِ ، وَلَمْ أُمْلِكْهُ إِيَّاهُ ، أَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ عِبْرَةً وَبَيِّنَةً ! أَنْ لَوْ كَانَ إِلَهًُا كَانَ ذَلِكَ كَأَنَّهُ إِلَهٌ ، وَهُوَ فِي عَلَيْهِمْ يَهْرَبُ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَيَنْتَقِلُ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ ، مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

مانزل من القرآن في وعظ المؤمنين وتحذيرهم

ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ، ثم قال : ﴿ قُلْ : إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ ، أَيْ : إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ قَوْلِكُمْ حَقًّا ، حُبًّا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا لَهُ ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ، أَيْ : فَاَتَّبِعْنِي مِنْ كُفْرِكُمْ ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . قُلْ : أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ .

ما نزل من القرآن في خلق عيسى

ثم استقبل لهم أمر عيسى: (عليه السلام)، وكيف كان بدء ما أراد الله به، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ، وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ثم ذكر أمر امرأة عمران، وقولها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، أي: نذرته فجعلته عتيقاً، تعبّده لله، لا ينفع به شيء من الدنيا: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبِّي بِمَا وَضَعْتَ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾، أي: ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرراً لك نذيرة ﴿وَإِنِّي تَحَمَّلْتُهَا مُرِيمًا، وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بدأيتها وأنها.

قال ابن هشام: كفّلها: ضمّها.

آيات عن زكريا ومريم

قال ابن إسحاق: فذكرها بالآية، ثم فصل خبرها وخبر زكريا، وما دعا به، وما أعطاه، إذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم، وقول الملائكة وطهرتك واصطفاك لها ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يقول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَمَا كُنْتَ لَتَيْهِمْ﴾

أى : ما كنت معهم (إِذْ يُلْقُونَ أَفْلَاسَهُمْ أَيْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أفلامهم : مهامهم ، يعنى قِدامهم التى استتموا بها عليها ، فخرج قدح زكريا فضعها ، فيما قال الحسن بن أبى الحسن البصرى .

دعوى كفالة جريج الراهب لمريم

قال ابن إسحاق : كفّلها ما هنا جريج الراهب ، رجل من بني إسرائيل نكح ، خرج السهم عليه بحملها ، فحملها ، وكان زكريا قد كفّلها قبل ذلك ، فأصابته بني إسرائيل أزمة شديدة ، فمضوا زكريا عن حملها ، فاستتموا عليها أئيم بكفلها ، فخرج السهم على جريج الراهب بكفلها فكفلها . (وما كنت أتيتهم إِذْ يَخْتَصِمُونَ) ، أى : ما كنت معهم إِذْ يَخْتَصِمُونَ فيها . يخبره بخفى ما كسوامته من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به مما اختصوا به .

ثم قال : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ : الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) ، أى : هكذا كان اسمه ، لا كما يقولون فيه (وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أى عند الله (وَمِنَ الْمُتَّقِينَ) • وَيُسَكِّمُ النَّاسَ فِي الْعَهْدِ وَكَثَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) يخبرهم بحالاته التى بتقلب فيها في عمره ، كضرب بني آدم في أعمارهم ، صفاراً وكباراً ، إلا أن الله خصه

بالكلام في مَهْدِهِ آيَةُ لِنُبُوَّتِهِ ، وَتَعْرِيفًا لِلْعِبَادِ بِوَقْعِ قُدْرَتِهِ . ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَتَنِي
يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ؟ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ ، أَيْ
يَصْنَعُ مَا أَرَادَ ، وَيَخْلُقُ مَا يَشَاءُ مِنْ بَشَرٍ أَوْ غَيْرِ بَشَرٍ ﴿ إِذَا قَعَى أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُ كُنْ ﴾ ، مِمَّا يَشَاءُ وَكَيْفَ شَاءَ ، ﴿ فَيَكُونُ ﴾ كَمَا أَرَادَ .

ما نزل من القرآن في بيان آيات عيسى عليه السلام

نَمَّ أَخْبَرَهَا بِمَا يَرِيدُ بِهِ ، فَقَالَ : ﴿ وَبَيَّنَّا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْتَّوْرَةَ ﴾
الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ مِنْ عِنْدِ مُوسَى قَبْلَهُ ﴿ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ، كِتَابًا آخَرَ أَحَدَنَهُ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ إِلَّا ذِكْرُهُ أَنَّهُ كَانَتْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِمَدَّةٍ ﴿ وَرَسُولًا
إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَتَى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ، أَيْ يَحَقِّقُ بِهَا
نُبُوَّتِي ، أَتَى رَسُولٌ مِنْهُ إِلَيْكُمْ ﴿ أَتَى أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ
فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الَّذِي بَعْنَى إِلَيْكُمْ ، وَهُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
﴿ وَأَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض التريب

قال ابن هشام : الأكمة : الذي يولد أعمى . قال رؤبة بن المعجاج :

هَرَجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الْأَكْمَةِ

(وجمعه : كمة) . قال ابن هشام : هَرَجْتُ : صحت بالأسد ، وجابتُ

عليه . وهذا البيت في أرجوزة له .

﴿ وَأُخْبِيَ الصَّوْتِي بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ ﴾ ، أنى رسول الله من الله إليكم ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ ، أى لما سَبَقْنِي عنها ﴿ وَذُحِّلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، أى أخبركم به أنه كان عليكم حراماً فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم ، فتصيبون يسره وتخرجون من تبعاته ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ، فاتقوا الله وأطيعوا . إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴿ أى تهرباً من الذين يقولون فيه ، واحتجاجاً لرَبِّه عليهم ، ﴿ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ، أى هذا الذى قد حملتكم عليه وجِئْتُكُمْ به . ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ ، والعدوان عليه ، ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ هذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم ﴿ وَاشْهَدْنَا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، أى هكذا كان قولهم وإيمانهم .

رفع عيسى عليه السلام

ثم ذكر (سبحانه وتعالى) رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال : ﴿ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ لِّمَا كَرِهْتُمْ ﴾ . ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقرّوا لليهود بصلبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ اذْهَبْ هَذَا وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، إذ هموا منك بما هموا ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ .

ثم القصة ؛ حتى انتهى إلى قوله : ﴿ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ آيَاتِ
وَالدَّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ القاطع الفاصل الحق ، الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر
عن عيسى ، وعمّا اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلنّ خبراً غيره . ﴿ إِنْ مَثَلَ
عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ ﴾ فاستمع ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴾ الحق من ربك ؛ أى ماجاءك من الخبر عن عيسى ﴿ فَلَا تَكُنْ
مِنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴾ ، أى قد جاءك الحق من ربك فلا تمتنّ فيه ، وإن قالوا :
خلق عيسى من غير ذكّر فقد خلقت آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير
أشئ ولا ذكّر ، فكان كما كان عيسى لحما ودما ، وشعراً وبشراً ، فليس
خلق عيسى من غير ذكّر بأعجب من هذا . ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ
مَاجَاءِكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ، أى من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان
أمره ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَكُمْ ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : قال : أبو عبيدة : نَبْتَهِلْ : ندعو باللعنة ، قال أعشى
بنى قيس بن ثعلبة :

لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَّاتَهَا حَطَبًا نَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَنَبْتَهِلْ
وهذا البيت فى قصيدة له . يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بهل
الله فلانا ، أى لعنه ، وعليه بهلة الله . (قال ابن هشام) : ويقال : بهلة الله ،
أى لعنة الله ، ونبتهل أيضا : نجهد ، فى الدعاء .

قال ابن إسحاق : ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ الذى جئتُ به من الخبر من هيسى
﴿ لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ من أمره ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَان تَوَلَّوْا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ • قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ،
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ • فدعاهم إلى النصف ، وقطع عنهم الحاجة .

إياؤهم الملائنة

فأما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه ، وبالفصل عن
القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من ملاعتهم إن ردوا ذلك عليه ، فدعاهم إلى
ذلك ؛ فقالوا له : يا أبا القاسم ، دَعْنَا نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا ، ثُمَّ نَأْتِيكَ بِمَا نُرِيدُ أَنْ
نَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ . فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوْا بِالْعَاقِبِ ، وكان ذا رأيهم ،
فقالوا : يا عبد المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عَرَفْتُمْ
إِنْ مُحَمَّدًا لَنَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، ولقد جاءكم بالفصل من خَيْرِ صَاحِبِكُمْ ، ولقد عَلِمْتُمْ
مَالَعَانَ قَوْمٍ نَبِيًّا قَطُّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ ، وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ ، وَإِنَّهُ لَلْأَسْتَنْصَالُ
مِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَيْبَيْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ ، فَوادِعُوا الرِّجْلَ ، ثُمَّ انصرفوا إلى بلادكم . فَأَتَوْا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا أَلَّا نُنْزِلَ عَنْكَ ،
وَأَنْ نَتْرَكَكَ عَلَى دِينِكَ وَنَرْجِعَ عَلَى دِينِنَا ، وَلَسْكَنَ ابْنُ مَعْنَا رَجُلًا مِنْ

• • • • •

أصحابك تَرْضَاهُ لَنَا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رَضًا .

تولية أبي عبيدة أمورهم

قال محمد بن جعفر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إئتوني المشيئة أبث معكم القوي الأمين قال : فكان عمر بن الخطاب يقول : ما أحببت الإمارة قط حُبِّي إياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرُحْتُ إلى الظُّهر رمه جُرًا ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره ، فجملت أُنطاول له ليراني ، فلم يزل يلتبس ببصره حتى رأى أبا عبيدة ابن الجراح ، فدعاه فقال : اخرج معهم ، فأقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة .

نبذ من ذكر المنافقين

ابن أبي وابن صيفي

قال ابن إسحاق : وقَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة - كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة - وسَيِّدُ أهلها عبدُ الله بن أبي ابن سلول القَوْفي ثم أحدُ بني الحُبَلِي ، لا يَخْتَلَف عليه في شَرَفه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين ، حتى جاء الإسلام ، غيره ، ومعه في الأوس رجل ، هو في قومه من الأوس شريفٌ مُطاع ، أبو عامر عبد عمرو بن صَيْفِي بن النُّعْمان ، أحدُ بني ضُبَيْعة بن زيد ، وهو أبو حَنْظَلَة ،

الفيل يوم أحد ، وكان قد ترهب في الجاهلية وأبى المسوح ، وكان يُقال له : الراهب . فَشَقِيَا بِشَرَفِهِمَا وَضَرَّاهُمَا .

إسلام ابن أبي

فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموه الخرز ليتوجوه ، ثم يمسكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وهم على ذلك . فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكاً . فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مُصرّاً على نفاق وضغن .

إصرار ابن صيفي على كفره

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلاً مفارقاً للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما حدثني محمد بن أبي أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر : لا تقولوا الراهب ولكن قولوا : الفاسق .

ما نال ابن صيفي جزاء تعريضه بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن عبد الله بن أبي الحَكَم ، وكان قد أدرك وسمع ، وكان راوية : أن أبا عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة ، قبل أن يخرج إلى مكة ، فقال : ما هذا الدين الذي جئت به ؟

فقال : جئتُ بالحنيفية دينِ إبراهيم ، قال : فأنا عليها ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنك لستَ عليها ؛ قال : بلى ، قال : إنك أدخلتَ يا محمد في الحنيفية ما ليس منها ، قال : ما فعلتُ ، ولسكني جنتُ بها بيضاء نقية ؛ قال : الكاذبُ أمانة الله طريداً غريباً وحيداً - برّض رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي أنك جئتَ بها كذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فن كذب ففعل الله تعالى ذلك به . فكان هو ذلك عدو الله ، خرج إلى مكة ، فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج إلى الطائف . فلما أسلم أهلُ الطائف لحقّ بالشام . فأت بها طريداً غريباً وحيداً .

الاحتكام الى قيصر في ميراثه

وكان قد خرج معه علقمة بن عُلانة بن عوف بن الأخوص بن جعفر بن كلاب ، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي ، فلما مات اختصما في ميراثه إلى قيصر ، صاحب الروم . فقال قيصر : يرث أهلُ الدّر أهلُ الدّر ، ويرث أهلُ الوبر أهلُ الوبر ، فورّثه كنانة بن عبد ياليل بالدّر دون علقمة .

هجاء كعب لابن صيفي

فقال كعبُ بن مالك لأبي عامر فيما صنع :
مَعَاذَ اللَّهِ مَنْ عَمِلَ خَيْثَ كَسَفِيكَ فِي الْعَشِيرَةِ عِبْدَ عَمْرُو
فَمَا قُلْتَ لِي شَرَفٌ وَنَحْلٌ قَدْ دُمَا بَعْتَ إِيمَانَا بِكُفْرٍ

قال ابن هشام : ويروى :

فَإِذَا قُلْتُ لِي شَرَفٌ وَمَالٌ

قال ابن إسحاق : وأما عبدُ الله بن أبي قُظَامٍ على شِرفِهِ في قومه متردِّداً ،
حتى غلبه الإسلامُ ، فدخل فيه كارها .

خروج قوم ابن أبي عليه وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مُسلم الزُّهري ، عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ ،
عن أسامة بن زيد بن حارثة ، حبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
ركبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى سَمْعَدِ بْنِ عُبَادَةَ يعموده من شَكْوَى
أصابه على حمارٍ عليه إكاف ، فوقه قَطيْفَةٌ قَدَ كِيَةٍ مُحَطَّطَةٌ بِحِجَلٍ من إيف ،
وأزْدَفَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَلْفَهُ قال : فمرَّ بعبدِ الله بن أبي ،
وهو (في) ظلِّ مُزَاحِمٍ أَطْمِهِ .

قال ابن هشام : مزاحم : اسم الأطم .

قال ابن إسحاق : وحوله رجالٌ من قومه . فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه
عليه وسلم تَدَمَّعَ من أن يجاوزَه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلاً فتلا
القرآن ودعا إلى الله عزَّ وجلَّ ، وذكر بالله وحذَّر ، وبشر وأنذر قال :
وهو زامٌ لا يتكلم ، حتى إذا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مقالته ،
قال : يا هذا ، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً فاجلس في بيتك
فإن جاءك له خُدَّتُهُ إِيَّاهُ ، (و) من لم يأتك فلا تَمُتْهُ به ، ولا تَأْتُهُ في مجلسه

بما يكره منه . قال : فقال عبد الله بن رَوَاحَة في رجال كانوا عنده من المسلمين :
بلى ، فاعشنا به ، واثنتنا في ، مجالسنا ودُورنا وبُيُوتنا ، فهو والله عما نحب
ومما أكرمنا الله به وهدانا له ، فقال عبد الله بن أبي حنينة رأى من خلاف قومه
مارأى :

... حتى ما يَكُن مَمْلُوكًا خَصْمُكَ لَا تَزَلْ تَدِلُّ وَبِصْرَعِكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ وَإِنْ جُدَّ يَوْمًا رِيشُهُ فَهُوَ وَاقِعٌ

قال ابن هشام : البيت الثاني عن غير ابن إسحاق .

غضب الرسول صلى الله عليه وسلم من كلام ابن أبي

قال ابن إسحاق : وحدثني الزُّهْرِيُّ ، عن عُرْوَةَ بن الزَّيْبِر ، عن أسامة ،
قال : وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على سعد بن عُبَادَة ، وفي وجهه
ما قال عدو الله ابن أبي ، فقال : والله يا رسول الله إني لأرى في وَجْهِكَ شَيْئًا ،
لَسَكَانَكَ سَمِعْتَ شَيْئًا تَسْكُرُهُ ؛ قال : أجل ثم أخبره بما قال ابن أبي : فقال
سعد : يا رسول الله ، أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لَنَنْظِمُ لَهُ
الْحَرْزَ لِنَتَوَجَّهُ ، فوالله إنه ليرى أن قد سلبته مُدَّكَ .

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرض أبي بكر وعامر وبلال وحديث عائشة عنهم

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة ، وعمر بن عبد الله بن عروة ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحصى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . قالت فكان أبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وبلال ، مولى أبي بكر ، مع أبي بكر في بيت واحد ، فأصابهم الحصى ، فدخلت عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت له كيف تجدك يا أبت ؟ فقال :

كل امرئ مصيب في أهله والوت أذنى من شرك تغله

قالت : فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول . قالت : ثم دنوت إلى عامر ابن فهيرة فقلت له كيف تجدك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجلباب حقه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يخنى جلده بروقه

يريد : بطاقته ، فيما قال ابن هشام : قالت : فقلت : والله ما يدري عامر

ما يقول ! قالت وكان بلال إذا تركبته الحمى اضطجع بفناء البيت ، ثم رفع
عقيرته فقال :

ألا إيتَ شِعْرى هل أبيتَ ليلةً يَفْجَ وَوَلَى إِذْخِرْ وَجَلِيل
وَهَلْ أَرِدْتَ بوما مِياهَ مَحْنَةٍ وَهَلْ يَبْدُونَ لى شامةً وَطَفِيل
قال ابن هشام : شامة وطفيل : جيلان بمكة .

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل وباء المدينة إلى مهيمة

قالت عائشة رضى الله عنها : فذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما سمعتُ منهم ، فقلت : إنهم كَيَهْتَدُونَ وما يَهْتَدُونَ من شدة الحمى . قالت :
فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبتَ إلينا
مكة ، أو أشدَّ ، وبارك لنا في مُدَّها وصاعها وانقل وباءها إلى مَهْمِيعةٍ ومَهْمِيعةٍ :
الجحفة .

ما جاهد المسلمون من الوباء

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن عمرو بن
العاصي : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما قَدِمَ المدينة هو وأصحابه أصابهم
حمى المدينة ، حتى جُهِدوا مرضا ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيِّه صلى الله
عليه وسلم ، حتى كانوا ما يَصْلُونَ إِلَّا وَهُمْ قَعُود ، قال : فخرج عليهم رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم وهم يَصْلُونَ كذلك ، فقال لهم : اعلَمُوا أن صلاةَ القاعد

على النصف من صلاة القائم . قال : ففجشم المسلمون القيامَ على ما بهم من الضعف والضعف التماس الفضل .

بدء قتال المشركين

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيأ لحربه ، قام فيما أمره الله به من جهاد عدوه ، وقتال من أمره الله به ممن يليه من المشركين ، مشركي العرب ، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة .

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

قد تقدم أن نجران عرفت بنجران بن زبد بن بشجب بن يعرب بن قحطان ، وأما أهلها فهم : بنو الحارث بن كعب من مذحج .

ياؤبل كن فيسكوه :

ذكر فيه قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم : من أبوه يا محمد ، يمنون عيسى ، فأنزل الله تعالى ﴿ إِنْ مَثَلْ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ وفيها نُكْتَةٌ ، فإن ظاهر الكلام أن يقول : خلقه من تراب ، ثم قال له : كُنْ فَكَانَ ، فيعطف بلفظ الماضي على للآضي ، والجواب : أن الفاء تعطى التَّعْقِيبَ والتَّسْيِيبَ ، فلو قال : فَكَانَ لم تدل الفاء إلا على التسبب ، وأن القول سَبَبٌ لِلْكَوْنِ ، فلما جاء بلفظ الحال دَلَّ مع التسبب على استعقاب الكون للأمر من غير مهل ، وأن الأمر بين الكاف والنون ، قال له : كُنْ فإِذَا

هو كائنٌ ، واقتضى لفظُ **فَقُلَ الْحَالِ كَوْنَهُ** في الحال، فإن قيل وهي مسألة أخرى : إن آدم مكث دهرًا طويلا ^(١) ، وهو طين صَلْصَالٌ ، وقوله للشيء : كن فيكون يقتضى التعقيب ، وقد خالق السموات والأرض في ستة أيام ، وهي ستة آلاف سنة ^(٢) ، فأين قوله . كن فيكون من هذا ؟

فالجواب : ما قاله أهلُ العلم في هذه المسألة ، وهو أن قول الباري سبحانه : كن يتوجه إلى الخلق مطلقا ومقيدا ، فإذا كان مطلقا كان كما أراد لحيثه ، وإذا كان مقيدا بصفة أو بزمان كان كما أراد على حسب ذلك الزمان الذي تقيد الأمر به ، فإن قال له : كن في ألف سنة ، كان في ألف سنة ، وإن قال له : كن فيما دون اللحظة كان كذلك .

تأويل آيات محكمات :

فصل. وذكر حذرت سورة آل عمران ، وقُسر منه كثيرا ، فمنه قوله سبحانه : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ وهو ما لا يحتمل إلا تأويلا واحدا ، وهو عندي من **أَحْكَمَتُ الْفَرَسَ بِحِكْمَتِهِ** ، أى : منعت من العدول عن طريقه كما قال حسان :

(١) من أين جاء بهذا ؟

(٢) لم يرد بهذا حديث صحيح ، ولأن كثير تفسير أقوله تعالى : وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ، أى : هو تعالى لا يمحس ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد بالنسبة إلى حلمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر ، وأنه لا يفوته شيء ، وإن أهل وأتظر وأمل ، وهو تفسير جميل يدفع القول بأن اليوم يساوى ستة آلاف سنة ، وثبت أحاديث تدل على أن ستة أيام بأيامنا هذه . وخير للمسلم أن يقف عند الذى ذكر في القرآن .

وَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَن هَجَانَا

أى : نُنَاجِمُهُ فَنَمْنَعُهُ ، وكذلك الآية المُحْكِمَةُ لَا تَتَصَرَّفُ بِقَارِئِهَا
التَّأْوِيلَاتُ ، وَلَا تَتَعَارِضُ عَلَيْهِ الاحْتِمَالَاتُ ، وليس من لَفْظِ الْحِكْمَةِ ، لأنَّ
الْقُرْآنَ كُلَّهُ حِكْمَةٌ وَعِلْمٌ . والمُتَشَابَهُ يَمِيلُ بِالنَّظَرِ فِيهِ إِلَى وَجُوهِ مُخْتَلِفَةٍ ، وطَرَفِ
مُتَبَايِنَةٍ ، وقوله سَبْعَانَهُ : ﴿ كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ هَذَا مِنَ الْحِكْمَةِ وَمِنَ
الْإِحْكَامِ الَّذِي هُوَ الْإِتْقَانُ ، فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمٌ عَلَى هَذَا ، وهو كُلُّهُ مِنْ هَذَا
الْوَجْهِ مُتَشَابَهُ أَيْضًا ، لأنَّ بَعْضَهُ يُشَبِّهُهُ بِبَعْضٍ فِي بَرَاةِ اللَّفْظِ ، وَإِعْجَازِ النِّظْمِ ،
وَجَزَالَةِ الْمَعْنَى ، وَبِدَائِعِ الْحِكْمَةِ ، فَكُلُّهُ مُتَشَابَهُ وَكُلُّهُ مُحْكَمٌ ، وَعَلَى الْمَعْنَى
الْأُولَى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ (وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) فَأَهْلُ الزَّيْبِ يَعْطِفُونَ
الْمُتَشَابِهَ عَلَى أَهْوَائِهِمْ وَيُجَادِلُونَ بِهِ عَنْ آرَائِهِمْ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَرُدُّونَ
الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْحَكْمِ أَخْذًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى
اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ وَعِلْمًا بِأَنَّ الْكُلَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَلَا يَخَالِفُ بَعْضُهُ بَعْضًا . رَوَتْ
عَائِشَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ قَالَ : إِذَا
رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ ، فَهَمُّ أَوْلَاكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ (١) : وَلِلَّسَّافِ فِي مَعْنَى

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَحْمَدُ وَلَفْظُ
الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : « دُلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، هَذِهِ الْآيَةُ (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ) إِلَى قَوْلِهِ : (وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَؤُلَآءِ الْآيَاتِ) قَالَتْ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ

المُحكّم ومعنى التشابه أقوال متقاربة ، إلا أن منهم من يرى الوقف على قوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ ويروونه تمام الكلام ، ويحتجون بقراءة ابن عباس ويقولُ الرَّسِيخُونَ فِي الْعِلْمِ ^(١) ، وهو قول عمر بن عبد العزيز أن الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل ، وإن علموا التفسير . والتأويلُ عند هؤلاء غيرُ التفسير ، إنما هو عندهم في معنى قوله سبحانه : ﴿ يوم يأتي تأويله ﴾ ^(٢) وطائفةٌ

- (١) لا يعتمد بمثل هذه القراءات التي لا ترد عن طريق سند صحيح قوى .
- (٢) التأويل : تفعيل من آل يشول إلى كذا إذا صار إليه ، فالتأويل : التصيير ، وأولنه تأويلا : إذا صيرته إليه . وتسمى العاقبة : تأويلا ، لأن الأمر يصير إليها ، وتسمى حقيقة الشيء الخبر به تأويلا لأن الأمر ينتهي إليه ، ومنه قوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله) فجاء تأويله مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد وتفصيله والجنة والنار ، وتسمى العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلا لأنها بيان لمقصود الفاعل ، وغرضه من الفعل الذي لم يعرف الرائي له غرضه به ، ومنه قول الخضر لموسى : (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) . فالتأويل في كتاب الله المراد منه : حقيقة المعنى الذي يشول إليه اللفظ ، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج ، فإن الكلام نوعان ، خبر وطلب فتأويل الخبر هو الحقيقة ، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعد والمتوعد به وتأويل ما أخبر الله به من صفاته العلى ، وأفعاله نفس ما هو عليه سبحانه ، وما هو موصوف به من الصفات العلى . وتأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور بها وأما التأويل في اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث فرادهم به معنى التفسير والبيان . وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين ، فرادهم بالتأويل : صرف اللفظ عن ظاهره ، وهو معنى للتأويل لا يوجد في لغة القرآن انظر ص ١٠ > ١ مختصر الصواعق المرسله للإمام ابن القيم ط السلفية المكية سنة ١٣٤٨ هـ وإذا كان التأويل بمعنى الحقيقة الموجودة في الخارج وكان بالنسبة =

يرين أن قوله : والراسخون مَتَّطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ ، وأنهم عالمون بالتأويل ، ويحتجون بما يطول ذكره من أثر ونظر ، والذي أرتضيه من ذلك مذهب ثالث ، وهو الذي قاله ابن إسحاق في هذا الكتاب ، ومعناه كله أن الكلام قَدَّمَ فِي قَوْلِهِ : وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون في العلم : مبتدأ ، لكن لانقول : إنهم لا يعلمون تأويله . كما قالت الطائفة الأولى ، ولكن نقول : إنهم يَمْلُؤُونَهُ بَرْدَ التَّشَابُه إِلَى الْمُحْكَم ، وبلا استدلال على التَخَفُّ بِالْجُلِيِّ ، وعلى المختلف فيه بِالْمُتَّقِي عَلَيْهِ ، فَتَنْفُذُ بِذَلِكَ الْحُجَّةُ ، وَيُزَاحُ الْبَاطِلُ ، وَتَعْظُمُ دَرَجَةُ الْعَالَمِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّهُ يَقُولُ : آمَنْتُ بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّي فَكَيْفَ يَخْتَلَفُ ؟ ! وإما كَانَ الْعِلْمَانِ مُخْتَلِفَيْنِ : عِلْمُ اللَّهِ ، وَعِلْمُ الرَّاخِصِينَ فِي الْعِلْمِ لَمْ يَجْزُ عَطْفُ : « الرَّاخِصُونَ » عَلَى مَا قَبْلَهُ ، فَاللَّهُ يَعْنِي تَأْوِيلَهُ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ ^(١)

== لصفات الله وأسمائه ، هو نفس ما هو عليه سبحانه ، وما هو موصوف به من الصفات ، فإن أحدا لا يعلم شيئا من هذا ، ولا يستطيعه حتى الراسخون في العلم . أما إذا كان بمعنى التفسير والبيان ، فالراسخون يعلمون ، كتفسير الاستواء بملو العلى الغفار ، وإذا كان التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره بقرينة مزعومة فهو معنى باطل كتأويل الاستواء بالاستيلاء ، وخرج صاحب هذا التأويل في زعمه من شنيع إلى ما هو أشد شناعة وغلظا فيها ، وما في إخبار الله عن نفسه بأنه استوى أثاره من شناعة ، وإلا حكمنا على ربنا بأنه لا يحسن البيان ، أو بأنه يخبر عن نفسه بما ليس لوجوده أو لمعناه حقيقة ، أو يخبر عن نفسه بما فيه شناعة ، وأما في الإخبار عنه بأنه استولى فففيه ما فيه ، فيه بهت الله بما لم يقله ، فيه الحكم على الله بأنه غلب يوما على أمره ، فالاستيلاء يفيد المنالفة ، فيه الزعم بأننا أحسن بيانا من الله في التعبير عن صفاته . ومعاذ الله جل شأنه

(١) لم يرد لا في القرآن ، ولا في الحديث الصحيح وصف علم الله بهذه الصفة

التي لا توحى إلا بالعبادة .

لا يتذكر ، ولا يتفكر ، ولا يتدقيق نظر ، ولا يفحص عن دليل ، فلا يعلم تأويله هكذا إلا الله . والراشخون في العلم يملون تأويله بالفحص عن الدليل ، وبتدقيق النظر وتشديد العبر ، فهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ وهذا معنى كلام ابن إسحاق في الآية .

اجتماع الفيسين للذات :

فصل : وذكر احتجاج الأحرار والتيسيين من أهل تخران بقوله عز وجل : خَلَقْنَا وَأَمَرْنَا وَأَنشَأْنَا ذَلِكَ ، وقالوا هذا يدل على أنه ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم ، وهذا من الزنح بالمشابه ، دون رده إلى المحكم نحو قوله : ﴿ وَاللَّهِكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ و : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والعجب من ضعف عقولهم : كيف احتجوا على محمد بما أنزل على محمد ، وهو أعلم بمعنى ما أنزل عليه ، لأن هذا اللفظ الذي احتجوا به تجاز عربي ، وليس هو لفظ التوراة والإنجيل ، وأصل هذا الجاز في العربية أن الكتاب إذا صدر عن حضرة ملك كانت العبارة فيه عن الملك بلفظ الجمع دلالة على أنه كلام ملك فتبوع على أمره . وقوله ، قلما خاطبهم الله تعالى بهذا الكتاب العزيز أنزله على مذاهبهم في الكلام ، وجاء اللفظ فيه على أسلوب الكلام الصادر عن حضرة الملك ، وليس هذا في غير اللسان العربي ، ولا يتطرق هذا الجاز في حكم العقل إلى الكلام القديم ، إنما هو في اللفظ المنزل ، ولذلك نجد إذا أخبر من قول قاله لنبى قبلنا ، أو خاطب به غيرنا نحو قوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ ولم يقل : خَلَقْنَا بأيدينا ، كما قال : مما عملته أيدينا ، وقال حكاية عن رحيه لموسى : ﴿ وَلِئْتَصَّنَع عَلَى ﴾ (٣٢ - الروض الأنف ج ٥)

عَيْنِي) ولم يقل : كما قال في الآية الأخرى : (تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا) لأنه أخبر عن قولٍ قاله لم ينزله بهذا اللسان العربي ولم يَحْك لَفْظًا أَنْزَلَهُ، وإنما أخبر عن المعنى، وليس الجاز في المعنى، وكذلك لا يجوز لمبسد أن يقول رَبُّ اغْفِرُوا، ولا ارْتَحُونِي، ولا عَلَيَّكُمْ تَوَكَّلْتُ، ولا إِلَيْكُمْ أَنْتَبْتُ، ولا قَالَهَا نَسِيْتُ قَطُّ في مناجاته، ولا نبي في دعائه لوجهين، أحدهما : أنه واجب على العبد أن يُشعر قلبه التوحيد، حتى يشأ كل لفظه عقده. الثاني : ما قدمناه من سير هذا الجاز، وأن سببه صدور الكلام عن حضرة الملك موافقة للعرب في هذا الأسلوب من كلامها، واختصاصها بعبادة لو كهوا وأشرافها، ولا ننظر لقول من قال في هذه المسألة، وبذلك رُوجعوا، بمعنى : بلفظ الجمع، واحتج بقوله سبحانه خبراً عَنْ حُضْرَةِ اللُّوتِ مِنَ الْكُفَّارِ إِذْ يَقُولُ : رَبُّ ارْجِعُونِ، فيقال له : هذا خبر عَنْ حُضْرَةِ الشَّيَاطِينِ، ألا ترى قبله : وَأَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَنْ يَحْضُرُونِ، فإِذَا جَاءَ هَذَا حِكَايَةً عَنْ حُضْرَةِ الشَّيَاطِينِ، وحضرته زبانية المذاب وجرى على لسانه في اللوت ما كان يعتاده في الحياة من رد الأمر إلى المخلوقين، فإِذَا خَلَطَ، فقال : رَبُّ، ثم قال : ارْجِعُونِ^(١)، وإِلَّا فَأَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْكَيْدُ لِهَذَا اللَّفْظِ فِي مَخَاطَبَةِ الرَّبِّ سبحانه : هل قُلْتَ قَطُّ في دعائك : ارْتَحُونِ يَا رَبُّ، وَاَرْزُقُونِ ؟ بل لو سمعتَ غَيْرَكَ يَقُولُهَا اسْطَوَبْتَ بِهِ، وأما قولُ

(١) سبقه إلى هذا ابن جرير الطبري، ففيه : وإنما ابتدء الكلام بمخاطبة الله جل ثناؤه، لأنهم استغاثوا به، ثم رجعوا إلى مسئلة الملائكة الرجوع والرد إلى الدنيا، ونقل عن بعض نحوي الكوفة : قيل ذلك كذلك لأنه لما جرى على وصف الله نفسه من قوله : (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) في غير مكان من القرآن، فجرى هذا على ذاك،

مالك وغيره من الفقهاء الأمر عندنا ، أو رأينا كذا ، أو نرى كذا ، فأما ذلك ، لأنه قول لم يفرد به ، ولو انفرد به لكان بدعة ، ولم يقصد به تعظيما لنفسه ، لا هو ولا غيره من أهل الدين والدعة .

مجموعهم لألوهية عيسى :

وأما احتجاج القسيسين بأنه كان يحيى الموتى ، ويخاق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه ، فلو تفكروا لأبصروا أنها حجة عليهم ، لأن الله تعالى خصه دون الأنبياء بمعجزات تبطل مقالة من كذبه ، وتبطل أيضا مقالة من زعم أنه إله أو ابن الإله واستحال عنده أن يكون مخلوقا من غير أب ، فكان نفخه في الطين ، فيكون طائرا حيا : تنبيه لهم لو عقّلوه على أن مثله كمثل آدم خلق من طين ، ثم نفخ فيه الروح ، فكان بشرا حيا ، فنفخ الروح في الطائر الذي خلقه عيسى من طين ليس بأعجب من ذلك ، الكل فعل الله ، وكذلك إحياءه الموتى ، وكلامه في المهد ، كل ذلك يدل على أنه مخلوق من نفخة روح القدس في جيب أمه ، ولم يخلق من ميثى الرجال ، فكان معنى الروح فيه - عليه السلام - أقوى منه في غيره ، فكانت معجزاته روحانية دالة على قوة المناسبة بينه وبين روح الحياة ، ومن ذلك بقاؤه حيا إلى قرب الساعة . ورؤى عن أبي بن كعب أن الروح الذي تمثّل لها بشرا هو الروح الذي حملت به ، وهو عيسى عليه السلام دخل من فيها إلى جوفها . رواه الكشي بإسناد حسن يرفعه إلى أبي^(١) ، وخص بإبراء الأئمة والأبرص ،

(١) بدعة توحى إليك بأن وراءها خرافا صليبا . فالصلبية نزع هذا . =

وفي تخصيصه بإبراء هاتين الآفتين مُشَاكَّةً لِمَعْنَاهُ - عليه السلام - وذلك أن
فرقة عَمِيَّتْ بَصَاثَرَهُمْ ، فَكَذَّبُوا نُبُوَّتَهُ ، وهم اليهودُ وطائفةٌ غَلَوَا في تعظيمه
بمد ما أَبْيَضَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْإِيمَانِ ، ثم أَفْسَدُوا إِيْمَانَهُمْ بِالْغُلُوِّ ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
الْأَبْرَصِ أَيْبَيْضٌ بِيَاضًا فَاسِدًا ، وَمَثَلُ الْآخَرِينَ مَثَلُ الْأَكْمَةِ الْأَعْمَى ،
وقد أعطاه الله من الدلائل على الفريقين ما يُبْطِلُ الْمَقَالَاتَيْنِ (١) ، ودلائلُ الْخُدُوثِ
تُنْشِئُ لَهُ الْمُبُودِيَّةَ ، وَتَنْقِي عَنْهُ الرُّبُوبِيَّةَ ، وَخَصَائِصُ مُعْجَزَاتِهِ تَنْقِي عَنْ
أُمَّةِ الرِّيْبَةِ وَتُنْشِئُ لَهُ وَلَهَا النُّبُوَّةَ وَالصِّدْقِيَّةَ ، فَكَانَ فِي مَسِيحِ الْهَدَى مِنْ
الْآيَاتِ مَا يُشَاكِلُ حَالَهُ ، وَمَعْنَاهُ حِكْمَةٌ مِنْ اللَّهِ ، كَمَا جَمَلَ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ
مِنْ مَسِيحِ الضَّلَالَةِ ، وَهُوَ الْأَغْوَرُ الدَّجَالُ مَا يَشَاكِلُ حَالَهُ ، وَيُنَاسِبُ صُورَتَهُ
الْبَاطِنَةَ ، عَلَى نَحْوِ مَا شَرَحْنَا وَبَيَّنَّا فِي إِمْلَاءِ أَمْلِينَاهُ عَلَى هَذِهِ النُّكْتَةِ فِي غَيْرِ
هَذَا الْكِتَابِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

وَضَعْنَاهَا أَنْتَى :

فصل: واذكر في تفسير ما نزل فيهم قول حَنَّةَ أُمِّ مَرْيَمَ ، وَهِيَ بِنْتُ مَائَانَ (٢)

== وَهَدَى اللَّهُ فِي الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْتُ الْحَادِرَةَ بَيْنَ الرُّوحِ الْمُتَمَثِّلِ بِشَرَا وَبَيْنَ مَرْيَمَ
تَنْقِي هَذَا الْمَقْهُومَ الصَّلَاحِي .

(١) يُوْجَدُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَبْرَصَ كَانَ يَعِيشُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
مُنْبُوذًا مِنَ الْمَجْتَمَعِ عَكْوَماً بِنَجَاسَتِهِ مِنَ الْكَهَنَةِ . أَقْرَأْ تَفْصِيلَ أَحْكَامِهِ هُوَ وَغَيْرِهِ
فِي سَفَرِ الْلاوِيِّينَ لَا سِيَّامَا الْإِصْحَاحَ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْهُ .

(٢) مِنْ أَيْنَ جَاءَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءُ ؟ الْخَيْرُ أَنَّ نَقْفَ عِنْدَ الْحَدِّ الَّذِي بَيْنَ الْقُرْآنِ .

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ قال بعضُ أهل التأويل : أشارت إلى معنى التخيُّصِ
أن الأُنْثَى تخيُّصٌ ، فلا تخدمُ المجدَّ ، ولذلك قال : (وليس الذَّكَرُ كالأُنْثَى)
لأنَّ الذَّكَرَ لا يَخِيصُ ، فهو أبداً في خِدْمَةِ المجدِّ ، وهذه إشارةٌ حَسَنَةٌ . فإن
قيل : كان القياسُ في الكلام أن يُقال : وليس الأُنْثَى كالذَّكَرِ ، لأنها دُونُهُ ،
فما باله بدأ بالذَّكَرِ ؟ والجواب : أن الأُنْثَى إنما هي دُونُ الذَّكَرِ في نَظَرِ
العَبْدِ لِنَفْسِهِ ؛ لأنه يَهْوَى ذُكْرانَ البنين ، وهم مع الأموال زينة الحياة الدنيا
وأقربُ إلى فتنة العبد ، ونَظَرُ الربِّ للعبد خَيْرٌ من نظره لنفسه ، فليس الذَّكَرُ
كالأُنْثَى على هذا ، بل الأُنْثَى أَفْضَلُ في المَوْهَبَةِ ، ألا تراه يقول سبحانه :
﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً ﴾ فبدأ بذكرِ هِنَ قَبْلَ الذَّكَورِ ، وفي الحديث : ابدؤوا
بالإناثِ ، يعني : في الرحمة وإدخال السرورِ على البنين ، وفي الحديث أيضاً : « مَنْ
عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلَ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةُ كَهَاتَيْنِ » (١) فترتب الكلامُ في التنزيلِ
على حَسَبِ الْأَفْضَلِ في نظر الله للعبد ، والله أعلم بما أراد .

الباهلة

فصل : وذكر دُعَاءِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْلَ نَجْرَانَ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ (٢) ، وأنهم

(١) رواية مسلم : « من عال جاريَتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو
وضم أصابعه ، وقريب من هذه رواية الترمذي .

(٢) أخرج البخاري بسنده عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : جاء العاقب
والسيد صاحبنا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه قال :
فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعناه لانفلق نحن ولا عقبنا
من بعدنا ، قال : إنا نعطيك ما سألتنا ، وأبعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث =

رَضُوا بِبَذْلِ الْجِزْيَةِ وَالصَّغَارِ ، وَأَنْ لَا يُبْلَغُهُمْ ، وَكَذَلِكَ رَوَى أَنْ
بَعْضُهُمْ قَالَ لِبَعْضٍ : إِنْ لَا عَمْتُمُوهُ ، وَدَعَوْهُمْ بِالْأَمْنَةِ عَلَى السَّكَاذِبِ اضْطَرَمَّ
الرَّوَادِي إِلَيْكُمْ نَارًا ، وَفِي تَفْسِيرِ السَّكَّاشِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
لَقَدْ تَدَلَّى إِلَيْهِمُ الْعَذَابُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ بَاهُؤُنِي لَأَسْتَوْصِلُوا مِنْ عَلَيَّ
جَدِيدِ الْأَرْضِ .

نكتة : في قوله : ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَ [نِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ] ﴾ بدأ
بالأبناء والنساء قبل الأنفس . والجواب : أن أهل التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم ،
أَي لِيَدْعُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ : فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ،
أَي : يَسَلِّمُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَبَدَأَ بِذِكْرِ الْأَوْلَادِ الَّذِينَ هُمْ فَلَذَ الْأَكْبَادُ ،
ثُمَّ بِالنِّسَاءِ الَّتِي جَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، ثُمَّ مَنْ وَرَاءَهُمْ مَنْ
دُعِيَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَدْعُو نَفْسَهُ ، وَانْتِظَمَ الْكَلَامُ عَلَى الْأَسْلُوبِ
الْمُعْتَادِ فِي عِجَازِ الْقُرْآنِ . وَفِي حَدِيثِ أَهْلِ نَجْرَانَ زِيَادَةٌ كَثِيرَةٌ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ
مِنْ غَيْرِ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ ، مِنْهَا أَنَّ رَاهِبَ نَجْرَانَ حِينَ رَجَعَ الْوَفْدُ وَأَخْبَرُوهُ
أَنَّ الْبَرْدَ رَحَلَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَمِعَ مِنْهُ وَأَهْدَى إِلَيْهِ الْقَضِيبَ
وَالْقَمْبَ وَالْبُرْدَ (١) الَّذِي هُوَ الْآنَ عِنْدَ خُلَفَاءِ بَنِي الْمُبَاسِ يَتَوَارَثُونَهُ .

== مِمَّا إِلَّا أَمِينًا فَقَالَ : لَا يَمُنُّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ الْأَمِينِ ، فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَلَمَّا قَامَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأَمَةُ » ، وَرَوَاهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ بِنَحْوِهِ .
وَمِنْ حَدِيثٍ آخَرَ : لَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يَبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَرَجَعُوا
لَا يَجْنُونَ مَالًا ، وَلَا أَهْلًا ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

(١) البرد : ثوب مخطط ، والقمب : القدح الضخم ، والقضيب : السيف

اللطيف الدقيق

سَلُولُ :

فصل : وذكر قصة عبد الله بن أبي بن سلُول ، وسلُول : هي أم أبي ، وهي خَزَاعِيَّة ، وهو أبي بن مالك من بني الحُبَلَى ، واسم الحُبَلَى : سالم والنَّسَبُ إليه : حُبَلَى بضمين ، كرهوا أن يقولوا : حُبَلَوِيٌّ أو حُبَلِيٌّ أو حُبَلَاوِيٌّ على قياس النَّسَب ، لأن حُبَلَى وسَكْرَى ونحوهما إذا كانا اسما لرجل ، لم يجر في الجمع على حُكْم التَّائِيث ، وكذلك قَمَلَاء بالمد تقول في جمع رجل اسمه : سَلَمَى أو وَرَقَاء الوُرَقَاوُونَ والسَّلَمُونَ ، وهذا بخلاف تاء التَّائِيث ، فإنك تقول في طَلْحَة اسم رجل طَلْحَات ، كما كنت تقول في غير القَلَمِيَّة ، لأن التاء لا تكون إلا للتَّائِيث ، والألف تكون للتَّائِيث وغيره ، فلما كانت ألف التَّائِيث بخلاف تاء التَّائِيث في الأسماء والأعلام كان النسب إليها مخالفا للنسب إلى ما فيه ألف التَّائِيث في غير الأعلام ، غير أن هذا في باب النسب لا يطرِد وإن اطرَدَ الجمع ، كما قدمنا ، وكانت التُّكْنَةُ التي خُصَّ بها النسبُ في بني الحُبَلَى بمخالفة القياس كراهيتهم لحكم التَّائِيث فيه لأن الحُبَلَى وصف المرأة بالحُبَل ، فليس كراهيتهم لبقاء حكم التَّائِيث فيمن اسمه سَلَمَى من الرجال ككراهيتهم لبقاء حكم التَّائِيث فيمن اسمه : حُبَلَى ؛ فذلك غيَروا النسب ، حتى كأنهم نَسَبُوا إلى حُبَلٍ والله أعلم ^(١) .

(١) في الباب لابن الأثير : الحبل بضم الحاء المهملة والباء الموحدة . قال أبو على البغدادى في كتاب التاريخ : فلان الحبل منسوب إلى حمى من اليمن من الانصار يقال لهم : بنو الحبل . وذكر سيويه النحوى : الحبل يفتح الباء ؛ وقال : هو منسوب إلى بنى الحبل والمشهور بهذه النسبة أبو عبد الرحمن الحبل من تميم أهل مصر . ثم قال ابن الأثير : هذا نص كلام السمعاني لم أسقط منه شيئا ، وهو يدل على أن أبا عبد الرحمن الحبل من بنى الحبل من الانصار ، وليس كذلك ، إنما هو منسوب إلى بطن من المعافر ، وهم أيضا من اليمن ، وأما بنو =

وأما سَلُولٌ في خِزاعة ، وقد تقدم عند ذكر حَبِشِيَّة بن سَلُولٍ قاسمٌ رَجُلٌ مِصرُوفٍ ، وأما بنو سَلُولٍ بن صَمْعَمَةَ إِخْوَةُ بنِي عامِرٍ فهم : بنو مَرَّةَ بنِ صَمْعَمَةَ . وسَلُولٌ : أمهم ، وهى بنتُ ذَهْلٍ بن شَيْبَانَ ، فجميع ما وقع لابنِ إِسحاق في السَّيَر من سَلُولٍ : ثلاثة : واحدٌ اسمُ رجلٍ مِصرُوفٍ ، وثنتانِ غيرُ مِصرُوفَتين ، وهما اللتان ذكرنا .

الملك في العرب

ودكر أن الأنصار كانوا قَدْ نَظَّمُوا الْخُرَزَ لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي لَيْتَوُجُومٍ . وَيُمَلِّكُوهُ عَلَيْهِمْ ، وذلك أن الأنصارَ يَمَنُّ ، وقد كانت الملوكُ الْمُتَوَجُّونَ من اليَمَنِ في آلِ قَحْطَانَ ، وكان أولُ من تَتَوَجَّعَ مِنْهُمْ سَبَأُ بنُ بَشَجَبَ بنِ يَرْزُبَ بنِ قَحْطَانَ ، ولم يُتَوَجَّعْ من العربِ إِلَّا قَحْطَانِيٌّ كَذَلِكَ قال أَبُو عُبَيْدَةَ ، ف قيل له : قد تَتَوَجَّعَ هَوْدَةُ بنُ عَلِيٍّ الحَنَفِيُّ صاحبُ اليمامةِ ، وقال فيه الأَعَشَى :

= الحبلى من الانصار ، فينسب إليهم عبد الله بن أبي مالك بن الحارث بن عبيد ابن مالك بن سالم الحبلى وأم أبي سلول الخزاعية ، ثم قال ابن الأثير : و الحبلى : بضم الحاء وسكون الباء الموحدة وإمالة اللام ، هذه اللفظة لقب سالم بن غنم ابن عوف بن الحزرج بن حارثة قال ابن الكلبي : إنما سُمِّيَ الحبلى لعظم بطنه ، ثم قال ابن الأثير : و قلت وهذه الترجمة أيضاً لفظ السمعاني ولا شك أنه ظن أن سالم ابن غنم بن عوف هو غير الذى تقدم في الترجمة قبلها ، ولعله اشتبه عليه حيث رأى في تلك الأولى أن الحبلى منسوب إلى حمى من اليمن من الانصار ورأى هنا أنه لقب سالم ، وهو من الانصار ، والانصار من اليمن ، ولولا أنه ظن أنهما اثنان لما ترجم عليهما ترجمتين ، والله أعلم . وفي القاموس عن النسب إلى بنى الحبلى : وهو حبلى بالضم وبضميتين ، وكجبنى ،

من يرى هَوْدَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّيِّبٍ إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ النَّجَاجِ أَوْ وَضَعَا (١)

وفي الخرزات التي بمعنى الناج يقول الشاعر [ليبيد يذكر الحارث بن أبي شمر النَسَّائي] .

رَعَى خَزَرَاتِ الْمَلِكِ عِشْرِينَ رِحْجَةً
وعِشْرِينَ حَقِي قَادَ وَالشَّيْبُ شَائِلٌ (٢)

وقال أبو غبيدة : لم يكن ناجا ، وإنما كانت خرزات تُنظَّم ، وكان سببُ تَتَوَجَّحِ هَوْدَةَ أَنَّهُ أَجَارَ لَطِيمَةً لِكَيْ تَسْرِيَ مِنْهَا مَنْ أَرَادَهَا مِنَ الْعَرَبِ ، فلما وفد عليه تَوَجَّهَ لذلك ومَلَّكَه :

مزامير الممر :

فصل : وذكر في حديث عبد الله بن أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) البيت في اللسان في مادة هود : « من يلقى هودة يسجد غير متَّيِّبٍ » وهذا هو الصواب . وأتأب : خزي واستحيا .

(٢) قبل البيت :

وغسان زلت يوم جلق زلة لسيدها والاربعى الملاحل

وبعده :

فأضحى كالأحلام النيام نعيمهم وأي نعيم خلته لا يزال
اللسان والاحمال ص ٧٥ ط ٢ . ويعني بالبيت المذكور في الروض أنه ساء الملك أربعين سنة ، وقال يقول : مات : أما فاد يفيد : تبخر .

مرَّ به ، وهو في ظِلِّ مُزَاحِمِ أَطْمِهِ ، وَأَطَامُ لِلدِّينَةِ : سَطُوحٌ (١) ، ولها أسماء ،
فمنها مُزَاحِمٌ ومنها الزُّورَاءُ أَطْمٌ بنى الْجَلَّاحُ ، ومنها مَرَضُ أَطْمٍ بنى سَاعِدَةُ ،
ومنها : فَارِغُ أَطْمٍ بنى حُدَيْلَةَ ، ومنها مِسْقَطُ (٢) ، ومنها : رَاقِمٌ ، وفي مَعْرُضٍ
يقول الشاعر :

وَنَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ بُضَاعَةٍ كُلِّهَا وَنَحْنُ بَيْنَنَا مَعْرُضًا فَهُوَ مُشْرِفُ
فَأَصْبَحَ مَعْمُورًا طَوِيلًا قَدَّالَهُ وَتَحَزَّبُ أَطَامٌ بِهَا وَتَقَصَّفُ
وَبُضَاعَةُ أَرْضُ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَإِلَيْهَا تُنْسَبُ بَنُو بَنِي بُضَاعَةَ . وَالْأَجَشُّ
وَكُنَّ بَقْبَاءَ ، وَالْحَمِيمُ وَالنَّوَاهِجَانِ ، وَهِيَ أَطْمَانُ لِبْنِي أَنْيْفٍ وَصِرَّارٍ وَكَانَ
بِالْجَوَانِيَّةِ وَالرَّيَّانِ وَالشَّيْبَانِ وَهُوَ فِي نَمْعٍ . وَرَاتِجٌ وَالْأَبْيَضُ ، وَمِنْهَا عَاصِمٌ
وَالرَّغْلُ (٣) وَكَانَ لِحَضِرِ بْنِ سِمَاكٍ ، وَمِنْهَا خَيْطٌ وَوَاسِطٌ وَحُبَيْشٌ ، وَالْأَغْلَبُ
وَمَنْعِي ، فَهَذِهِ أَطَامُ لِلدِّينَةِ ذَكَرَ أَكْثَرَهَا الزَّيْبِيُّ ، وَالْأَطْمُ : اسْمٌ مَأْخُوذٌ مِنْ
انْتَقَطَ : إِذَا ارْتَفَعَ وَعَلَا ، يُقَالُ : انْتَقَطَ عَلَى فُلَانٍ إِذَا غَضِبَ وَانْتَفَخَ ،
وَالْأَطَاتُ : نِيرَانٌ مَعْرُوفَةٌ فِي جِبَالٍ لَا تَحْمَدُ فِيهَا ، تَأْخُذُ بِأَعْنَاقِ السَّمَاءِ ، فَهِيَ

(١) جمع القلة أَطَام ، والكثرة : أَطُومٌ وَأَطْمٌ . والمفرد : أَطْمَةٌ ، وهو كل
بيت مربع مسطح ، أو الحصن المبنى بالحجارة .

(٢) في الأصل مسقط والتصويب من وفاء الوفاء وهي أَطْمٌ لبني حُدَيْلَةَ
غربي مسجد أبي بن كعب ص ٣٧٤ > ٢ .

(٣) ضبطها البكري بفتح الراء ، وكذا صاحب الراصد ، وفي وفاء الوفاء
المسمو به بكرة الراء ، وقال : أَلِمْ بِمَنَازِلِ عَبْدِ الْأَنْهَلِ ص ٣١٢ > ٢ .

تأبداً باقية ، لأنها في معادن الكبريت ، وقد ذكر المسعودي منها جملة ، وذكر مواضعها ، وقول عبد الله بن أبي :

مَتَى مَا يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصْمُكَ لَا تَزَلْ تَذِلُّ وَيَضْرَعُكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ

يقال : إن ابن أبي تمثّل بهما ، ويقال : إنهما خلفا بن نُدْبَةَ وخُفَافُ هو : ابنُ عمرو بن الشريد أحدُ غُرَبَانِ^(١) العرب ، وأُمّه . نُدْبَةُ ، ويقال فيها : نُدْبَةُ ، ونُدْبَةُ ، وهو سُلَى .

وذكر في حديث عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على سعد بن عبادَةَ يعودُه ، وفي رواية يونس زيادة ، فيها فقه قال : كان سعدُ - قد دعاه رجلٌ من الليل فخرج إليه فضربه الرجلُ بسيف فأشواه^(٢) ، فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعودُه من تلك الضربة ، ولامه على خروجه ليلاً ، وهذا هو موضع الفقه .

وعك أبي بكر ويهول وعامر

فصل : وذكر حديث عائشة حين وعك أبو بكر ، وبلال وعامر بن مُهَيَّرَةَ ، وما أجابوها به من أَرَجَزَ فيذكر أن قول عامر :

(١) غُرَبَانِ العرب : سودانهم . والأغربة في الجاهلية : عترة وخفاف ، وأبو عمير بن الحباب ، وسليك بن السلكة . وهشام بن عقبة بن أبي معيط إلا أنه مخضرم . ومن الإسلاميين : عبد الله بن خازم ، وهشام بن أبي عمير ، وهمام ابن مطرف ، ومنتشر بن وهب ، ومطر بن أوفى ، وتأبط شراً ، والشنفرى وحاجز غير منسوب .

(٢) لم يصب منه مقتلاً .

أقد وجدتُ الموتَ قبلَ ذَوِّقِهِ (١)

إنه لعقرو بن مامة، وفي هذا الخبر وما ذكر فيه من حينهم إلى مكة ما جُبِلَتْ عليه النفوسُ من حُبِّ الوطن والحنين إليه، وقد جاء في حديث أصيل الفقاري^(٢)، ويقال فيه: الهُدلي أنه قديم من مكة، فسأله عائشة: كيف تركت مكة يا أصيل؟ فقال: تركتها حين ابيضت أباطحها، وأحجن ثمأمها، وأعذق إذخرها، وأمشر سلمها، فأغرورقت عيما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: لا تشوقنا يا أصيل، ويروى أنه قال له: دَعِ القلوبَ تنقر^(٣) وقد قال الأول:

أَلَا لَيْتَ شِمْرِي هَلْ أَبَيْتَنَّ لَيْلَةً بوادي الخزامي حيث رُبَّنِي أَهْلِي
بلاد بها نَيْطَتْ عَلَى تَمَامِي وَقُطُنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي غَمْلِي
وأما قول بلال:

(١) الحديث في البخاري وغيره:

(٢) هو ابن عبد الله أو ابن سفيان، وقيل في نسبة الخزاعي أيضاً.
(٣) لم يرو هذا أحد من أصحاب الكتب الستة، وإنما رواه الخطابي في غريبه وأبو موسى في الذيل، والجاحظ في كتاب البيان. وأحجن الثمام: خرجت حبيته أي خوصه أو بدا ورقه، وأعذق الإذخر: خرج ثمره، وأمشر سلمها: المشرة: شبه خوصة تخرج في العضاة، وفي كثير من الشجر. يقال مشر الشجر، ومشر وأمشر.

بَفَجٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرْتُ وَجَلِيلُ

فَفَجٍّ مَوْضِعٌ خَارِجٌ مَكَّةَ بِهِ مُؤَيَّةٌ يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ :

مَاذَا بَفَجٍّ مِنَ الْإِشْرَاقِ وَالطَّيِّبِ وَمِنْ جَوَارِي نَبِيَّاتٍ رَعَائِبِ (٢)

وَبَفَجٍّ اغْتَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُحْرَمٌ ، وَالْإِذْخِرُ مِنْ نَبَاتِ مَكَّةَ . قَالَ أَحْمَدُ بْنُ دَاوُدَ وَهُوَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوْرِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ النَّبَاتِ : الْإِذْخِرُ فِيمَا حَكَى عَنْ الْأَعْرَابِ الْأَوَّلِ لَهُ أَصْلٌ مُنْدَفِقٌ وَقُضْبَانٌ دَقَاقٌ ، وَهُوَ ذَفِيرُ الرِّيحِ ، وَهُوَ مِثْلُ الْأَصْلِ أَصْلُ الْكَوْلَانِ إِلَّا أَنَّهُ أُغْرَضُ كَمُؤَيَّةٍ (٣) ، وَلَهُ ثَمَرَةٌ كَأَنَّهَا مَكَّاسِحُ الْقَصَبِ (٤) إِلَّا أَنَّهَا أَرْقٌ وَأَصْفَرُ . قَالَ أَبُو زَبَادٍ : الْإِذْخِرُ يُشَبَّهُ فِي نَبَاتِهِ بِنَبَاتِ الْأَسَلِ الَّذِي تُمَلِّمُ مِنْهُ الْخُمْرُ ، وَيُشَبَّهُ نَبَاتُهُ الْفَرْزُ ، وَالْفَرْزُ ضَرْبٌ مِنَ الثَّمَامِ ، وَاحِدَتُهُ : غَرَزَةٌ ، وَيُتَّخَذُ مِنَ الْفَرْزِ

(١) رَوَاةُ الْبُخَارِيِّ وَبِاقُوتُ : بِوَادٍ بَدَلًا مِنْ فَجٍّ ، وَتُرْوَى : فَجٌّ كَمَا جَاءَ فِي اللِّسَانِ وَالْمُرَاصِدِ وَكَأُورِي الْخَشْنِيِّ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ الْقَنَوِيِّ وَالْهَمْدَانِيِّ فِي صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَفِي كِتَابِهِ مَخْتَصَرُ الْبَلَدَانِ ، وَبِاقُوتُ فِي كِتَابِهِ الْمَشْتَرَكِ وَصَفًا : وَفِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ، وَقَالَ عَنْهُ : « مَوْضِعٌ عِنْدَ مَكَّةَ ، وَقِيلَ : وَادٍ دَفَنَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَهُوَ أَيْضًا مَاءٌ أَقْطَمَهُ النَّبِيُّ دَسً ، وَعَظِيمُ بْنُ الْحَارِثِ الْحَارِثِيُّ » . (٢) جَارِيَةٌ رَعْبُوبٌ وَرَعْبُوبَةٌ ، وَرَعْيِبٌ الْحَسَنَةُ الْفَضَّةُ الطَّوِيلَةُ الْحُلُوةُ النَّاعِمَةُ . . .

(٣) هُوَ الْبَرْدِيُّ . وَفِي الْمَحْكَمِ : نَبَاتٌ يَنْبِتُ فِي الْمَاءِ مِثْلُ الْبَرْدِيِّ ، وَهُوَ يَفْتَحُ الْكَافَ ، وَقَدْ تَضَمَّ .

(٤) مَكَّاسِحٌ : جَمْعٌ : مَكْسَحَةٌ الْمَكْنَسَةُ .

الغرايل والأذخر أرق منه ، والأذخر يُطحن في الطيب ، وقال أبو عمرو : وهو من الجنة ، ولما ثبت الأذخر منفردة ، وقال في الجليل من أبي نصر : إن أهل الحجاز يستون الثَّامَ الجليل ، ومعنى الجنة التي ذكر أبو عمرو : وهو كل نبات له أصول ثابتة ، لا تذهب بذهاب فرع في الفيط ، وتفتح في الخريف ، وليست كالشجر الذي يبقى أصله وفرعه في الفيط ، ولا كالنجم الذي يذهب فرع وأصله ، فلا يعود إلا زرعته جانب النجم والشجر ، فسمي جنة^(١) ، ويقال للجنة أيضاً : الطريقة ، قاله أبو حنيفة . ومجنة سوق من أسواق العرب بين عكاظ وذى المجاز ، وكلها ، أسواق قد تقدم ذكرها . ومجنة يجوز أن تكون مفعلة وفعله ، فقد قال سيدي : في المِجن إن ميمه أصلية ، وأنه فعل ، وخالفه في ذلك الناس وجملوه مفعلاً ، من جن إذا ستر ، ومن أسواقهم أيضاً حباشة ، وهي أبعد من هذه ، وأما شامة وطفيل ، فقال الخطابي في كتاب الأعلام في شرح البخاري : كنت أحببهما جيلين ، حتى مهرتُ بهما ، ووقفت عليهما فإذا هما عيتان من ماء ، ويقوى قول الخطابي إنهما عيتان قول كثير :

وما أنسَم الأشياءَ لا أنسَ موقفاً لنا ، ولها بالخبث خبت طفيل^(٢)

- (١) الجنة : عامة الشجر التي تتربل في الصيف ، أو ما كان بين الشجر والبقل .
(٢) من قصيدة أولها :

ألا حياء ليلي أجد رحيلي وأذن أصحابي غداً بقفول

والقصيدة بطولها في الأمالى ، وقد ورد بيت السبيل هكذا :

تواهقن بالحجاج من بطن نخلة ومن عزور والخبث خبت طفيل

وَالْخُبْتُ : مُنْخَفَضُ الْأَرْضِ .

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مَكَّةَ ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدَّهَا وَصَاعِهَا ^(١) . يَعْنِي الطَّعَامَ الَّذِي يُكَالُ بِالصَّاعِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : « كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ » ^(٢) ، وَشَكَا إِلَيْهِ قَوْمٌ سُرْعَةَ فَنَاءِ طَعَامِهِمْ ، فَقَالَ : أَتَسِيلُونَ أَمْ تَسْكِيلُونَ ؟ فَقَالُوا : بَلْ نَسِيلُ ، فَقَالَ : كِيلُوا وَلَا تَسِيلُوا ^(٣) . وَمِنْ رَوَاهُ : قُوتُوا طَعَامَكُمْ يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ ^(٤) ، فَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ : تَصْفِيرُ الْأَرِغَةِ ، وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبَزَارُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَذَكَرَنِي تَفْسِيرُهُ مَا قُلْنَا ، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْمُدُّ فِي كِتَابِ الْأَمْوَالِ ، أَعْنَى مُدَّ الْمَدِينَةِ فَقَالَ : هُوَ رِطْلٌ وَثُلُثٌ ، وَالرِّطْلُ : مِائَةٌ وَثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَالذَّرْهَمُ خَمْسُونَ حَبَّةً وَخَمْسَانِ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : وَأَنْتَقِلْ مُخَايَا : ، وَاجْعَلْهَا مَنَاجِيَةً ، وَهِيَ الْجُحْفَةُ ، كَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَرِدْ لِإِعْكَادِ الْحُمَى عَنْ جَمِيعِ أَرْضِ الْإِسْلَامِ .

(١) فِي مُسْلِمَ : اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، وَصَحَّحَهَا وَبَارَكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا ، وَحَوَّلَ حَامَهَا إِلَى الْجُحْفَةِ ، وَفِي الْبُخَارِيِّ : اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ . اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مَدَنَانَا ، وَصَحَّحَهَا لَنَا وَأَنْتَقِلْ حَامَهَا إِلَى الْجُحْفَةِ .

(٢) الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ .

(٣) يَقُولُ ابْنُ أَثِيرٍ فِي النَّهَائَةِ : دُكِلَ شَيْءٌ أُرْسِلَتْهُ إِرْسَالًا مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ . أَوْ رَمَلَ فَقَدْ هَلَتْهُ هَيْلًا . يُقَالُ : هَلَّتِ الْمَاءُ ، وَأَهْلَتْهُ إِذَا صَبِيَتْ وَأُرْسِلَتْ .

(٤) الطَّبْرَانِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَدْ سَثَلَ الْأَوْزَاعِي عَنْهُ فَقَالَ : صَفَرُ الْأَرِغَةِ

ولو أراد ذلك لقال: انقلُ نَحْمَاها ، ولم يَحْصُ مَوْضِعًا ، أو كان يَحْصُ بِلَادَ الكُفَر ، وذلك - والله أعلم - لأنه قد نَهَى عَنْ سَبِّ الْحَمَى وَأَتَمَّهَا فِي حَدِيثِ أُمِّ الْكَسْبِ ^(١) وأخبر أنها طهورٌ ، وأنها حَظٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ ^(٢) ،

(١) روى مسلم في صحيحه عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب ، أو أم المسيب ، فقال : « مالك ترفرفين ؟ قالت الحمى ، لا بارك الله فيها ، فقال : لا تسبي الحمى ، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكبر خبث الحديد ، وفي رواية : ترفرفين . والمعنى متقارب . فالقصد : الرعدة التي تحصل للمحموم . ومن البين هنا أن أم المسيب قالت : لا بارك الله في الحمى ، فهو دليل حقيق نفس وبرم بالحمى ، فأريد لها اليأس بالصبر والجلد . بدليل ما ورد . حديث رواه الطبراني عن فاطمة الخزاعية أنها قالت : « عاد النبي ﷺ ، امرأة من الأنصار ، وهي وجعة ، فقال : لها : كيف تهدينك ؟ قالت : خير ، إلا أن أم ملدم قد برحت بي ، فقال النبي ﷺ : اصبري ، فإنها تذهب خبث ابن آدم ، كما يذهب الكبر خبث الحديد ، وأم ملدم كنية الحمى والميم الأولى مكسورة زائدة . وألدمت عليه الحمى : دامت ، وبعضهم يقولها بالذال المعجمة .

(٢) ورد ذلك في حديث رواه أحمد ، الحمى كبير من جهنم ، فأصاب المؤمن منها كان حظه من جهنم ، وعند الطبراني ، الحمى من فيج جهنم وهي نصيب المؤمن من النار ، وورد وصفها بأنها طهور في حديث رواه أحمد وابن حبان والطبراني قيل فيه إن أم ملدم - وهي الحمى استأذنت على رسول الله ﷺ ، فأمر بها إلى أهل قباء ، فأصابهم منها غث شديد ، ففكروا إلى النبي ﷺ ، فقال : ما شتم : إن شتم دعوت الله ، فكشفها عنكم ، وإن شتم أن تكونوا لكم طهورا ؟ قالوا : أو تفعله ؟ قال : نعم قالوا : فدعها .

وأقول : لا يتصور مسلم في رسول الله ﷺ ، وهو بالمؤمنين رهوف رحيم كما وصفه الله - يطلب من الله أن ينقل مثل هذا المرض الذي يرمق ، ويؤمن من قوة الجماعة الإسلامية إلى بلد إسلامية أبدا . وتدبر أن الله قال له =

فجمع بين الرِّفْقِ بأصحابه فدَعَا لَهُمْ بِالشِّفَاءِ مِنْهَا ، وَبَيَّنَّ أَنْ لَا يَعْزَمُوا أَيْضًا
الْأَجْرَ فِيمَا يُصِيبُوا مِنْهَا ، فَلَمْ يُبْعِدْهَا كُلَّ الْبُعْدِ .

وَأَمَّا مَهَبَةُ ، فَقَدْ اشْتَدَّ الْوَبَاءُ فِيهَا بِسَبَبِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ، حَتَّى قِيلَ : إِنْ
الطَّائِرُ يَمُرُّ بِقَدِيرٍ خُمٍّ فَيَسْتَقِمُّ ، وَغَدِيرٍ خُمٍّ فِيهَا ، وَيُقَالُ : إِنَّهَا ، مَا وُلِدَ فِيهَا
مَوْلُودٌ فَلْيَبْلُغِ الْحُلُمَ ، وَهِيَ أَرْضُ بَجْعَةٍ (١) لَا تُسْكَنُ ، وَلَا يُقَامُ فِيهَا إِقَامَةٌ
دَائِمَةٌ فِيمَا بَلَفَنِي وَلِلَّهِ أَعْلَمُ .

وَذَكَرَ تَحْرِيمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةِ ، وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ
عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : كُنْتُ أَصْطَادُ فِي حَرَمِ الْمَدِينَةِ
بِالْوَقَاقِيسِ ، وَهِيَ شِبَاكُ الطَّيْرِ ، فَاصْطَلَتْ نَهْسًا ، فَأَخَذَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ،
وَصَلَّكَ فِي قَفَايَ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ .

وَذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، وَقَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صَلَاةُ الْقَاعِدِ

== حِينَ دَعَا عَلَى مَنْ آذَوْهُ : لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، فَكَيْفَ بِنَاصِرِهِ وَعِزِّهِ ؟
وَلَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ خَرِزْمَةَ فِي صَحِيحِهِ :
« لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى خُدَمِكُمْ ،
وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تَوَافَقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عِظَامُكُمْ ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ ،
فَكَيْفَ يَدْعُو عَلَى أَهْلِ جَهَنَّمَ ، أَوْ عَلَى أَهْلِ قَبَاءٍ ؟ مَا ذَنْبُ أَهْلِ الْبَلَدَيْنِ ؟ » وَهَلْ
يَتَّفَقُ هَذَا مَعَ الْحَقِّقِ الْعَظِيمِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ثُمَّ إِنْ هَدَى الْإِسْلَامُ
يُؤَكِّدُ أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْمِيَ فِي سَبِيلِ أَنْ يُشْفِيَهُ اللَّهُ مِنْ مَرَضِهِ ، وَأَنْ يَضْرَعَ
إِلَى اللَّهِ بِهَذَا فِي كُلِّ أَوْقَاتٍ مَرَضِهِ .

(١) النَجْمَةُ : طَلَبُ الْكَلَا وَمَسَاقَطُ الْغَيْثِ . وَمَا سَبَقَ عَنْ جَهَنَّمَ كَلَامٌ لَا يَبْصَحُ
أَنْ يَكْتُبَ ، وَلَا أَنْ يَرُدَّ .

على النصف من صلاة القائم حين رآهم يصلون مُؤدّاً من الوُغكِ ، قال
 فَتَجَسَّسَ النَّاسُ الْقِيَامَ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الشُّكِّ : وهذا الحديث بهذا اللفظ يُوِّى
 ما تأوله الخطابي في صلاة القاعد أنها على النصف من صلاة القائم ، ثم قال
 الخطابي : إنما ذلك للضعيف الذي يستطيع القيام بكلفة ، وإن كان عاجزاً عن
 القيام البتة ، فصلاته مثل صلاة القائم ، وهذا كله في الفريضة ، والنافلة ،
 وخالف أبو عبيد في تخصيصه هذا الحديث بصلاة النافلة في حال الصحة ،
 واحتج الخطابي بحديث عمر بن الخطاب بن حصين ، وفيه : وصلاته قائماً على النصف
 من صلاته قاعداً ، قال : وقد أجمعت الأمة أن لا يصلّي أحدٌ مضطجاً إلا من
 مرض ، فدل على أنه لم يرد بهذا الحديث كله إلا المريض الذي يتقدّر على
 القيام بكلفة ، أو على القعود بمشقة ، ونسب بعض الناس النسوي إلى التضعيف
 في هذا الحديث ، وقالوا إنما هو وصلاته قائماً على النصف من صلاته قاعداً ،
 فتوهمه النسوي قائماً ، أي مضطجاً ، فترجم عليه في كتابه : باب صلاة النائم ،
 وليس كما قالوا ، فإن في الرواية الثانية : وصلاة النائم على النصف من صلاة
 القاعد ، ومثل هذا لا يتصعّف ، وقول الخطابي : أجمعت الأمة على أن المضطجع
 لا يصلّي في حال الصحة نافلة ولا غيرها ، وافقه أبو عمر على ادعاء الإجماع
 في هذه المسألة ، وليست بمسألة إجماع كما زعموا ، بل كان من السلف من
 يُجيز للصحيح أن يتنفل مضطجاً ، منهم الحسن البصري ، ذكر ذلك أبو عيسى
 الترمذي في مصنفه .

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدم عن عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا يزيد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق الملقب ، قال : قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين ، حين اشتدَّ الضحَاء ، وكادت الشمس تمعدل ، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، وهو التاريخ ، (فيما) قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابنُ ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله عزَّ وجلَّ بثلاث عشرة سنة ، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول ، وشهر ربيع الآخر ، وجاديين ، ورجباً ، وشعبان ، وشهر رمضان ، وشوالاً ، وذا القعدة ، وذا الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والحجرم ، ثم خرج غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عباد .

غزوة ودان

وهي أول غزواته عليه الصلاة والسلام

موادعة بني ضمرة والرجوع من غير حرب

قال ابن إسحاق : حتى بلغ ودان ، وهي غزوة الأنباء ، يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوَادَعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه منهم عليهم نخشى بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه

• • • • •

ذلك . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ،
فأقام بها بقية صفر ، وصدر من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها .

سرية عبيدة بن الحارث

وهي أول راية عقد لها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مقامه ذلك
بالمدينة عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين أو ثمانين راكباً
من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز ،
بأسفل ثنية المرأة ، فلقى بها جمعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا
أن سمد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى به
في الإسلام .

من فر من المشركين إلى المسلمين

ثم انصرف القوم عن القوم ، وللمسلمين حامية . وفر من المشركين إلى
المسلمين المقداد بن عمرو البصري ، حليف بني زُهرة ، وعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ابن
جابر المازني ، حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ، ولكنهما
خرجا ليتوصلا بالكفار . وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل .

قال ابن هشام : حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء ، عن أبي عمرو المدني :

أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِمْ مَكْرَزُ بْنُ جَنْفَصٍ بْنِ الْأَخِيْفِ ، أَحَدُ بَنِي مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ
لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ رِفْهَرٍ .
شِعْرُ أَبِي بَكْرٍ فِيهَا

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، في غزوة عُبَيْدَةَ
ابن الحَارِثِ : قال ابن هشام : وأكثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشِّعْرِ يُبَكِّرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ
لأبي بكر رضي الله عنه :

أَمِنْ طَيْفٍ سَلَسَى بِالْبِطَاحِ الدَّمَائِثِ	أُرِقْتُ وَأَمْرِي فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثِ
تَرَى مِنْ لُؤَيٍّ فِرْقَةً لَا يَصْدُهَا	عَنِ الْكُفْرِ تَذَكِيرٌ وَلَا يَبْعَثُ بَاعِثِ
رَسُولٌ أَنَا هُمْ صَادِقٌ فَتَكْذِبُوا	عَلَيْهِ وَقُلُوا : لَسْتُ فِينَا بِمَا كَثِ
إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْخَلْقِ أَذْبَرُوا	وَهَرُوا وَهَرِيرَ الْمُجْدِبَرَاتِ اللَّوَامِثِ
فَكَمْ قَدْ مَتَّعْنَا بِهِمْ بِقَرَابَةِ	وَتَرَكْنَا الثَّقَى شَيْءَ لَهْمٍ غَيْرِ كَارِثِ
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعُقُوبِهِمْ	فَمَا طَيِّبَاتِ الْحِلِّ مِثْلُ الْخَبَائِثِ
وَأِنْ يَزِدُّ كِبَاطَهُمْ سِيَانَهُمْ وَضَلَالَتَهُمْ	فَلَيْسَ عَذَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ بِلَايِثِ
وَنَحْنُ النَّاسُ مِنْ ذُوَابَةِ غَالِبِ	لَنَا الْعَرُ مِنْهَا فِي الْقُرُوعِ الْأَنَائِثِ
فَقُولِي رَبِّ الرَّاqِصَاتِ عَشِيَّةَ	حَرَاجِيحٍ تُخَلِّدِي فِي السَّرِيحِ الرِّثَائِثِ
كَذُمِ ظُلُمَاءَ حَوْلِ مَكَّةَ عَسْكَفِ	يَرِيدُنْ حِيَاضَ الْبُحْرِ ذَاتِ النَّبَائِثِ
أَنْ لَمْ يُضَيِّعُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالِهِمْ	وَأَيْتُ إِذَا آيَتْ قَوْلًا بِحَائِثِ
لَتَتَبَدَّلَ رَسْمُهُمْ غَارَةً ذَاتُ مَصْدَقِ	تُحَرِّمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ

فَمُنَادِرٌ قَتَلَ تَمَصِّبَ الظَّيْرِ خَوْلَهُمْ وَلَا تَرَأَى الْكُفَّارَ رَأَى ابْنَ حَارِثٍ
فَأَبَانُخُ بْنُ سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةٌ وَكُلَّ كَفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَّ بَاثِلٌ
فَإِنْ تَشَعُّثُوا عَرْضِي عَلَى سُومَرِائِكُمْ فَإِنِّي مِنْ أَعْرَاضِكُمْ غَيْرُ شَاعِثٍ

فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرَى السَّهْمِيُّ فَقَالَ :

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ أَفْقَرْتَ بِالْعَتَاثِ بِكَيْتَ بَعِيٍّ دَمْعُهَا غَيْرُ لَابِثٍ
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ وَالذَّهْرِ كُلِّهِ لَهُ عَجَبٌ مِنْ سَابِقَاتٍ وَحَادِثٍ
بَلْجِشٍ أَنَا ذِي عُرَامٍ يَقُودُهُ عُبَيْدَةُ يُدْعَى فِي الْهِيَاجِ ابْنَ حَارِثٍ
لَتَنْتَرِكَ أَصْنَامًا بِمَسَكَّةٍ عُكْفَا مَوَارِيثَ مَوْرُوثٍ كَرَاهِمٍ لَوَارِثٍ
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ بِسُرٍّ رُدْبِنَةٍ وَجُرْدٍ عَتَاقٍ فِي الْعَجَاجِ آوَاهِثٍ
وَبَيْضٍ كَانَ الْمَلَحَ فَوْقَ مُتُونِهَا بِأَيْدِي كُمَاءٍ كَاللُّيُوثِ الْعَوَانِثِ
فَقِيمَ بِهَا إِضْغَارٌ مَنْ كَانَ مَائِلًا وَنَشَفَى الدَّخُولَ عَاجِلًا غَيْرَ لَابِثٍ
فَكَفُّوا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَهَيْبَةٍ وَأَعْجَبَهُمْ أَمْرٌ لَهُمْ أَمْرٌ رَائِثٍ
وَلَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا نَاحَ نِسْوَةٍ أَبَايَ لَهُمْ ، مِنْ بَيْنِ نَسْرِ وَطَامِثٍ
وَقَدْ غُودِرَتْ قَتْلَى يُخْبِرُ مِنْهُمْ خَفِيٌّ بِهِمْ أَوْ غَافِلٌ غَيْرُ بَاثِلٍ
فَأَبَانُخُ ابَا بَكْرٍ لَدَيْكَ رِسَالَةٌ قَمَا أَنْتَ عَنْ أَعْرَاضٍ فَتَهْرَبُ بَاكِثٍ
وَلَمَّا تَجِبَ مِنِّي يَمِينٌ غَلِيظَةٌ تُجَدِّدُ حَرْبًا حَلَقَةً غَيْرَ حَانِثٍ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحداً ، وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكر

هذه القصيدة لابن الزبعرى .

شعر ابن أبي وقاص في رميته

قال ابن إسحاق : وقال سعد بن أبي وقاص في رميته تلك فيما يذكرون :

ألا هل أتى رسول الله أنى تخيتُ صحابتي بصدور تنبلى
أذود بها أوائلهم ذيادةً بكلّ حُزونة وبكلّ سهل
فَمَا يَفْتَدُ رامٍ في عَدُوٍّ بهم يا رسول الله قبلى
وذلك أنّ دينك دينُ صِدْقٍ وذو حقّ أتيت به وعدل
يَنْجِي الْمُؤْمِنُونَ به ، وَيُجْزِي به الكفّار عند مقام مهل
فَمَهْلًا قَدْ غَوَيْتَ فلا تَعْبِي غوى الحى ويحك يا ابن جهل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لسعد .

أول راية في الإسلام كانت امييدة

قال ابن إسحاق : فكانت رايةً عُميدة بن الحارث - فيما بلغنى - أول راية عقدّها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ، لأحد من المسلمين . وبعضُ العلماء يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمته حين أقبل من غزوة الأبواء ، قبل أن يصل إلى المدينة .

سرية حمزة إلى سيف البحر

ما جرى بين المسلمين والكفار

وبعث في مقامه ذلك ، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سيف البحر ،

من ناحية العيص ، في ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد . فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مائة راكب من أهل مكة . فجز بينهم تجدي بن عمرو الجهنى . وكان موادعا للفرقيين جميعا ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

كانت راية حمزة أول راية في الإسلام وشعر حمزة في ذلك

وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين . وذلك أن بعثه وبعث عبدة كانا معا ، فشبّه ذلك على الناس . وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شعرا يذكّر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان حمزة قد قال ذلك ، فقد صدق إن شاء الله ، لم يكن يقول إلا حقا ، فأنه أعلم أى ذلك كان . فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا . فعبيدة بن الحارث أول من عقده . فقال حمزة في ذلك ، فيما يزعمون :

قال ابن هشام : وأكبر أهل العلم بالشعر ينسب هذا الشعر لحمزة رضى الله عنه :

ألا يا قَوْمِي للتَّحَلُّمِ والجَهْلِ وللنَّقصِ من رَأْيِ الرِّجَالِ ولِلْعَقْلِ
وللرَّأْيِ كِبِينَا بِالْمَظَالِمِ لم نَطَأْ لهُم حُرُمَاتٍ من سَوَامٍ ولا أَهْلِ
كَأَنَّا تَبَلْنَا هُمْ ولا تَبَلْ عِنْدَنَا لَهُم غَيْرُ أَمْرٍ بِالْعَفَا وبِالْعَدْلِ
وَأَمْرٍ بِإِسْلَامٍ فلا يَقْبَلُونَهُ وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزِلَةِ النَّزْلِ

فَمَا بَرِحُوا حَتَّى انْتَدَبْتُ لِفَارَةَ لَهُمْ حَيْثُ حَلُّوا أَيْتَنِي رَاحَةَ الْفَضْلِ
بِأَسْرِ رَسُولِ اللَّهِ، أَوَّلَ خَافِقٍ عَلَيْهِ لَوْلَا لَمْ يَكُن لَاحَ مِنْ قَبْلِي
لَوْلَا لَدَيْهِ النَّصْرُ مِنْ ذِي كِرَامَةٍ إِلَهُ عَزِيزٍ فَعَلَهُ أَفْضَلُ الْفِعْلِ
عَشِيَّةً سَارُوا حَاشِدِينَ وَكَلْنَا مَرَّاجِلَهُ مِنْ غَيْظِ أَصْحَابِهِ نَعْلِي
فَلَمَّا تَرَادَيْنَا أَنَاخُوا فَعَقَّلُوا مَطَايَا وَعَقَلْنَا مَدَى غَرَضِ النَّبْلِ
فَقُلْنَا لَهُمْ : حَبِلَ إِلَهُهُ نَصِيرُنَا وَمَا لَكُمْ إِلَّا الضَّلَالَةُ مِنْ حَبْلِ
فَنَارِ أَبُو جَهْلٍ هُنَاكَ بَاغِيَا نَخَابَ وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ أَبِي جَهْلٍ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبَا وَهُمْ مِثْنَانِ بَعْدَ وَاحِدَةٍ فَضْلٍ
فَيَا لَأَوْيَ لَا تَطِيعُوا غَوَاتَكُمْ وَفِيئُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّهَجُّ السَّهْلِ
فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ تَدْعُوا بِالنَّدَامَةِ وَالْشُّكْلِ

شعر أبي جهل في الرد على حمزة

فَأَجَابَهُ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ :

عَجِبْتُ لِأَسْبَابِ الْخَفِيفَةِ وَالْجَهْلِ وَلِلتَّارِكِينَ مَا وَجَدْنَا جُدُودَنَا
أَتَوْنَا بِإِفْكَ كَيْ بُضَلُوا عُقُولَنَا عَلَيْهِ ذَوِي الْأَحْسَابِ وَالشُّوُودُ الْجَزَلُ
فَقُلْنَا لَهُمْ : يَا قَوْمَنَا لَا تَخَالِفُوا وَلَيْسَ مُضِلًّا إِنْ فَكُّهُمْ عَقْلَ ذِي عَقْلِ
فَلَا تَكُنْ إِنْ تَفَعَّلُوا تَدْعُ نِسْوَةً عَلَى قَوْمِكُمْ إِنْ الْخِلَافَ مَدَى الْجَهْلِ
وَلَمَّا تَرَجِعُوا عَمَّا فَعَلْتُمْ فَإِنَّا لَهْنٌ بِوَالِكٍ بِالرَّزِيَّةِ وَالشُّكْلِ
بَنُو عَمِّكُمْ أَهْلُ الْخِفَائِظِ وَالْفَضْلِ

انقالوا لنا : إِنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا رِضًا لَدَوِي لِأَحْلَامٍ مَنَا وَذِي الْعَقْلِ
 فَلَمَّا أَبَوْا إِلَّا الْخِلَافَ وَزَيْنُوا جِجَاعَ الْأُمُورِ بِالْقَبِيحِ مِنَ الْفِعْلِ
 تَبَيَّنَتْهُمْ بِالسَّاحِلَيْنِ بَغَارَةٌ لَأَتْرُكُهُمْ كَالْقَصْفِ لَيْسَ بِنَذَى أَصْلٍ
 قَوَّرَعْنِي تَجِدِي عَنْهُمْ وَتُحْبَتِي وَقَدْ وَازَرُونِي بِالسُّيُوفِ وَبِالنَّبْلِ
 لِإِلٍ عَلَيْنَا وَاجِبٍ لَانْضِيهِ أَمِينَ قَوَاهِ غَيْرِ مُنْتَكِبِ الْخَبْلِ
 فَلَوْلَا بَيْنُ عَمْرٍو كُنْتُ غَادِرْتُ مِنْهُمْ مَلَا حِمَّ الطَّيْرِ الْمَكُوفِ بِلَا تَبْلِ
 وَلَكِنَّهُ آلَى يَالٍ فَقَلَصْتُ بِأَيْمَانِنَا حَدُّ السُّيُوفِ عَنِ الْقَتْلِ
 فَإِنْ تُبْقِي الْأَيَّامُ أَرْجِعْ عَلَيْهِمْ بِبَيْضِ رِقَاقِ الْحَدِّ مُخَدَّمَةِ الْعَقْلِ
 بِأَبْدَى مُحَاوَةٍ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ كَرَامِ الْمَسَاحِي فِي الْجُدُوبَةِ وَالْمَحَلِّ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبي جهل .

غزوة بواط

قال ابن إسحاق . ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع لأوّل يريد قريشا .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .
 قال ابن إسحاق : حتى بلغ بواط ، من ناحية رَضَوِي ، ثم رجع إلى
 المدينة ولم يلق كيدا ، فلبث بها بقيّة شهر ربيع الآخر ، وبعض جمادى الأولى .

غزوة المشيرة

أبوسلمة على المدينة

ثم غزا قريشا، فأحضر على المدينة أباسلمة بن عبد الأسد، فيما قال ابن هشام.

الطريق إلى المشيرة

قال ابن إسحاق: فسلك على نقب بني دينار، ثم على قنياء الخبار، فنزل تحت شجرة بيضاء ابن أزهري، يقال لها: ذات الساق، فصلى عندها. فقام مسجده صلى الله عليه وسلم، ووضعه له عندها طعاماً، فأكل منه، وأكل الناس معه، فموضع أناسي البزمة معلوم هنالك، واستقى له من ماء به، يقال له: المشترب، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلالق يسار، وسلك شعبة يقال لها: شعبة عبد الله، وذلك اسمها اليوم، ثم صاب لليسار حتى هبط يذيل، فنزل بمجمعهم ويجمع الصبوة، واستقى من ينز بالصبوة، ثم سلك الفرس: فرس ممل، حتى أتى الطريق بصحيرات الجاه، ثم اعتدل به الطريق، حتى نزل المشيرة من بطن ينبع. فأقام بها مجادى الأولى وليالى من مجادى الآخرة، وادع فيها بني مذليج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً.

تسكنية على بابي تراب

وفي تلك الغزوة قال لعل بن أبي طالب عليه السلام ما قال .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن محمد بن خيثم المحاربي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن محمد بن خيثم أبي يزيد ، عن عمار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلى بن أبي طالب رقيقين في غزوة العشيرة ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها ، رأينا أناسا من بني مُدَلِج يعملون في عين لهم وفي نخل ، فقال لي علي بن أبي طالب : يا أبا اليقظان ، هل لك في أن تأتي هؤلاء القوم ، فننظر كيف يعملون ؟ قال : قلت : إن شئت ؟ قال : لئن شئت ، فنظرنا إلى عملهم ساعة ، ثم غَشِينَا النَّوْمَ . فانطلقت أنا وعلى حتى اضطجعتنا في صُور من النخل ، وفي دَفْعَاء من التراب فنمنا ، فوالله ما أَهَبْنَا إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم يُحَرِّكُنَا بِرِجْلِهِ . وقد أَتَرَبْنَا من تلك الدَفْعَاء التي نَمْنَا فيها ، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل بن أبي طالب : مالك يا أبا تراب ؟ لما يرى عليه من التراب ، ثم قال : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَشَقِّ النَّاسِ رَجُلَيْنِ ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قل : أَحْيِمُزْ تَمُودُ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ ، والذي يَضْرِبُكَ بِأَعْلَى عَلَى هَذِهِ - ووضع يده على قرنيه - حتى يُبِيلَ فَمِنْ هَذِهِ . وأخذ بلحيته .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سَمِيَ عَلِيًّا أبا تراب ، أنه كان إذا عَتَبَ عَلَى فَاطِمَةَ فِي شَيْءٍ لَمْ يَكْلُمَهَا ، وَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا تَكْرَهَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ يَأْخُذُ تَرَابًا فَيَضَعُهُ عَلَى رَأْسِهِ .

قال : فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب عَرَفَ أنه عائِبٌ على فاطمة ، فيقول : مالك يا أبا تراب ؟ قلَّه أعلم أيّ ذلك كان .

سرية سعد بن أبي وقاص

ذهابه إلى الخرار ورجوعه من غير حرب

قال ابن إسحاق : وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سعد بن أبي وقاص ، في ثمانية زَهْط من المُمَاجِرِينَ تَفْجِرُ حَتَّى بَلَغَ الْخَرَّارَ من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يبق كيداً .

قال ابن هشام : ذكر بعضُ أهل العلم أن بَعَثَ سَعْدٌ هَذَا كان بعد حمزة

غزوة سفوان

وهي غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ولم يُقَمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قَدِمَ من غَزْوَةِ الْعُشْبَيْرَةِ إِلَّا لِيَالِي قَلَائِلَ لَا تَبْلُغُ الْعَشَرَ ، حَتَّى أَغَارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفَهْرِيُّ عَلَى مَرْحِ الْمَدِينَةِ ، تَخْرُجُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلْبِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ، فَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ .

قال ابن إسحاق : حَتَّى بَلَغَ وَدَايَا ، يُقَالُ لَهُ : سَفْوَانٌ ، مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرٍ ، وَفَاتَهُ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ ، فَلَمْ يُذَكَّرْ ، وَهِيَ غَزْوَةُ بَدْرِ الْأُولَى . ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَرَجَبًا وَشَعْبَانَ

.

سرية عبد الله بن جحش

ونزول : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾

كتاب الرسول له

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ بْنِ رِثَابِ الْأَسَدِيِّ فِي رَجَبٍ ، مَقْفَلَةً مِنْ بَدْرِ الْأُولَى ، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمِينَ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ ، فَيَمُضِيَ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ ، لَا يَسْتَكْرِهَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا .

وَكَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ : ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ابْنُ عَبْدِ مَنَافٍ : أَبُو حُدَافَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ؛ وَمِنْ حُلَفَائِهِمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْقَوْمِ ، وَعُسْكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ بْنُ حُرْثَانَ ، أَحَدُ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، حَلِيفٌ لَهُمْ . وَمِنْ بَنِي تَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ : عُتْبَةُ ابْنُ غَزْوَانَ بْنِ جَابِرٍ ، حَلِيفٌ لَهُمْ . وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ : سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ . وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ عَنَزِ ابْنِ وَائِلٍ ، وَوَاقدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَرِينِ بْنِ تَمْلَةَ بْنِ يَرْبُوعٍ ، أَحَدُ بَنِي تَيْمٍ ، حَلِيفٌ لَهُمْ ، وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ كَيْثٍ ، حَلِيفٌ لَهُمْ . وَمِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ : سُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ :

فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ يَوْمَئِذٍ فَتَحَ السِّكَاةَ ، فَنَظَرَ فِيهِ فَإِذَا فِيهِ : إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَاْمُضْ حَتَّى تَنْزِلَ نَحْلَةً ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، فَتَرُصِدْ

بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة ، أرصد بها قريشا ، حتى آتيه منهم بخبر ؛ وقد نهاني أن أشتكره أحداً منكم . فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليتنطق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فإني لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد .

وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن ، فوق القرع ، يقال له : بحران ، أضل سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان بعيراً لهما ، كانا يعتقبانه . فتخلفا عليه في طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زيبا وأدما ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو ابن الحضرمي .

الخلافا حول نسب الحضرمي

قال ابن هشام : واسم الحضرمي : عبد الله بن عبّاد ، ويقال : مالك ابن عبّاد أحد الصّديف ، واسم الصّديف : عمرو بن مالك ، أحد السّكّون ابن أُمّرس بن كندة ، ويقال : كندى .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميّ ، والحكم بن كيسان ، مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم ، فأشرف لهم عُكاشة بن
محض وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمتوا ، وقالوا عُمار ، لا بأس عليكم
منهم . وتشاور القوم فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم والله لن
تركهم القوم هذه الليلة لئلا يدخل الحرم ، فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم
لنقتلنهم في الشهر الحرام ؛ فتردد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا
أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ مامهم .
فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر
عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ؛ وأفلت القوم نوفل بن عبد الله
فأعجزهم . وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسيرين ، حتى
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش : أن عبد الله قال لأصحابه :
إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخمس وذلك أن يفرض الله تعالى
الخمس من الغنائم - فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العبير ، وقسم
سائرها بين أصحابه .

الرسول صلى الله عليه وسلم يستنكر القتال في الشهر الحرام

قال ابن إسحاق : فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛
قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . فوقف العبير والأسيرين . وأبى أن
يأخذ من ذلك شيئا ؛ فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط في أيدي
القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسرؤا فيه الرجال ؛ فقال من يرد عليهم من المسلمين ، ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان .

وقالت يهود - فقاءلُ بذلك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحرب ؛ والحضرمي ، حضرت الحرب ؛ وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لالهم .

ما نزل من القرآن في فعل ابن جحش

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ ، فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَمِ ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي إن كنتم قتلتهم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهل ، أكبر عند الله من قتل من قتلتهم منهم ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ : أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه ، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ﴾ إن استمطعوا ﴿ : أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غير تائبين ولا نازعين . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّقِّ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم المير والأسيرين ،

وبعث إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُفديكموها حتى يقدم صاحبانا - يعني سعد ابن أبي وقاص ، وعُتْبة بن غزوَان - فأنّا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبَيْكم . فقدم سعد وعُتْبة ، فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل يوم بُئر معونة شهيداً . وأما عثمان بن عبد الله فلهيَق بِمَكَّة ، فأت بها كافراً .

فلما تجلَّى عن عبد الله بن جَحْش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمِعُوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله : أنْطَمِع ، أن تكون لنا غزوة مُعْطَى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ إِنِّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء .

والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جَحْش : أن الله عز وجل قسم النِّيء حين أحلَّه ، فجعل أربعة أخماس لمن أفاءه الله ، وخمسا إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبد الله بن جَحْش صنع في تلك المير .

قال ابن هشام : وهي أول غنينة غنمها المسلمون . وعمر بن الخطاب .

أول من قتله المسلمون ، وعثمانُ بن عبد الله ، والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون .

ما قيل من شعر في هذه السرية

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عبد الله ابن جحش ، ويقال : بل عبدُ الله جحش قالها ، حين قالت قريش : قد أحل محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجال - قال ابن هشام : هي لميد الله بن جحش :

تُعَدُّون قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً	وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرَّشْدَ رَاشِدًا
صُدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ	وَكُفْرُكُمْ بِهِ وَافْقُهُ رَاشِدًا
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ	لَيْثًا يَرَى اللَّهَ فِي الْبَيْتِ سَاجِدًا
فَإِنَّا وَإِنْ عَزَّيْمُونَا بِمَقْتَلِهِ	وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدًا
سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْخَضِرِيِّ رِمَاحَنَا	بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدًا
دُمَا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَمَّانَ بَيْنَنَا	يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقَدِّ عَانِدًا

صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ويقال : صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ .

تاريخ الهجرة، وغزوة ودّان

ذكر قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة يوم الاثنين في شهر ربيع ، وقد قدمنا في باب الهجرة ما قاله ابن الكلبي وغيره في ذلك ، وفي أي شهر كان قدومه من شهور العجم .

وذكر أنه أقام بالمدينة بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ، ومُجَادَيْن وكان القياس أن يقول : وشهرَي مُجَادِي ، أو يقول : وبقيّة ربيع وربيعاً الآخر ، كما قال في سائر الشهور ، ولكن الشهر إذا سمّيته بالاسم العلم ، لم يكن ظرفاً ، وكانت الإقامة أو العمل فيه كُله إلا أن تقول شهر كذا ، كما تقدم من كلامنا على شهر رَمَضَانَ في حديث التَّبَعِثِ ، وكذلك قال سيبويه ، فقول ابن إسحاق : مُجَادَيْن وَرَجَبًا مستقيم على هذا الأصل .

وقوله : بقية شهر ربيع ، فلأن العمل والإقامة كان في بعضه : فذلك لم يقل : بقية ربيع الأوّل ، لكنه قال : وشهر ربيع الآخر ليزدوج الكلام ويُسَاكِل ماقبله ، وهذا كله من فصاحته رحمه الله أو من فصاحة مَنْ كان قبله إن كان رواه على اللفظ .

وقوله : ومُجَادَيْن وَرَجَبًا . كان القياس أن يقول : والمُجَادَيْن بالألف واللام ، لأنه اسمٌ علمٌ ، ولا يثنى العلم ، فيكون معرفة إلا أن تُدْخِل عليه الألف واللام ، فتقول : الزَيْدَانِ والمُعَمَّرَانِ ، لكنه أجراه بفصاحته مجرى أَبَانَيْنِ وَقَتُونَيْنِ ، وكل واحد من هذين اسمٌ لجنّتين ، ولا تدخله الألف واللام ، لأن

تدريقه لم يزل بالتثنية ، لأنها أبدأ امتلا زمان ، فالتثنية لازمة لها مع العلمية بخلاف الآدميين ، ولما كان مجادبان شهرين متفكرين جعلهما في الزمان كأبانيين في المكان ، ولم يحملهما كالزبدتين والممرتين اللذين لا تلازم بينهما ، وهذا كلام العرب . قال الحطائنة :

باتت له بكثيب جرّبة ليلة وطفاء بين مجادين درور

فإن قلت : فقد قالوا : السما كين في النجوم ، وهما متلازمان ، وكذلك السرطان ، قلنا : إنما كان ذلك لوجود معنى الصفة فيهما ، وهو عنده من باب الحارث ، والعباس في الآدميين ، وأكشف سرّ العلمية في الشهور والأيام وتقسيم أنواع العلمية ، والمراد بها في موضع غير هذا ، وإنما أعجبتني فصاحة ابن إسحاق في قوله : بقية شهر كذا وشهر كذا ومجادين ورجباً وشعبان ونزل الألفاظ عند منازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها ، رحمه الله .

غزوة عبدة بن الحارث :

وذكر في غزوة عبدة ولقائه المشركين : وعلى المشركين مكرز بن حنص بن الأخيف ، هكذا الرواية حيث وقع بكسر الميم . وذكر ابن ماكولا في المؤلف والمختلف عن أبي عبدة النسابة أنه كان يقول فيه مكرز بفتح الميم ، وكأنه مفعّل أو مفعّل من السكريز ، وهو الأقط^(١) وكذلك ذكر هو وغيره في الأخيف ههنا أنه بفتح الهمزة وسكون الخاء ، وكان ابن ماكولا وحده

(١) الأقط : ابن عمض يحمّد حتى يستحجر وبطنخ ، أو بطبخ به .

يقول في الأَخِيفِ من بنى أَسْتَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ ، وهو جد أَخَشَشَاشِ
الْتِمِيمِ : أَخِيفٌ بِضَمِّ الهمزة وفتح الخاء ، وقال الدارقطني : أَخِيفٌ كما قالوا
في الأول .

شرح الفصيحة النسبوية إلى أبي بكر وفصيحة ابن الزبير وأبي جهل :
فصل : وذكر ابن إسحاق الفصيحة التي تُنمَرُ إلى أبي بكر ، وتقيضها
لابن الزُّبَيْرِ ، والزُّبَيْرِ في اللغة السَّيِّءُ الخُلُقُ ^(١) ، يقال : رجل زُبَيْرِي ،
وامرأة زُبَيْرَاء ، والزُّبَيْرِي أيضاً البعير الأَزَبُ الكثير شعر الأذنين مع
قصر ، قاله الزبير . وفي هذا الشعر أو الذي بعده ذكر الدُّبَّةِ وهو الكَثِيبُ
من الرَّمْلِ ، وأما الدُّبَّةُ بِضَمِّ الدال فإنه يقال : جرى فلان على دُبَّةِ فلان أي
على سُنَّتِهِ وطريقته ، والدُّبَّةُ أيضاً ظرف للزيت ^(٢) ، قال الرازي :

لِيكَ بِالْمَنْفِ عِفَاصُ الدُّبَّةِ

والدُّبَّةُ بكسر الدال هيئة الديب ، وليس فيها ما يشكل معناه .

وقوله :

تَحْدِي فِي السَّرِيحِ الرَّحْمَاتِ

(١) في الاشتقاق : رجل زُبَيْرِي : إذا كان غليظا كثير الشعر ، وامرأة
زُبَيْرَاء : غليظة كثيرة شعر الجسد .

(٢) الدبة الذي هو الموضع الكثير الرمل يضرب مثلا للدمر الشديد . يقال
وقع فلان في دبة من الرمل ، لأن الجمل إذا وقع فيه تمب .

السريع : شبه الخل تلبسه أخفاف الإبل ، يريد : أن هذه الإبل
الخرائج ، وهى الطوال تمضى أى : تسرع فى سريع قد رث من طول
السير . قال الشاعر :

دَوِّمِ الأَيْدِ يَحْبِطُنَ السَّرِيحَا

وذكر القناع ، واحدها : عَنَقَتْ ، وهو من أكرم منابت المشب ،
قوله أبو حنيفة ، وفى العين : العَنَقَتْ ظَهْرُ الكَثِيبِ الذى لآنبات فيه .

وذكر ابن هشام أن قوما من أهل العلم بالشعر أنكروا أن تكون هذه
القصيدَةُ لأبي بكر ، وبشهادة إِصْحَاقَ مَنْ أنكر أن تكون له . رَوَى عبدُ الرزاق
عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ عن عائشة قالت « كَذَبَ مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ
أبا بكرٍ قال بيتَ شعري في الإسلام » رواه محمدُ البخارى عن أبي التَّوَكُّلِ عن
عبدِ الرزاق^(١) . وقول ابن الزُّهْرِيِّ : بين نَسْرٍ وطَامِثٍ ، والنَّسْرُ : حمل
المرأة فى أوله ، والطَامِثُ معروف^(٢) . يقال نَسِئْتُ المرأةَ [نَسَأً] إذا تأخر حَيْضُهَا
من أجل الحمل^(٣) . من كتاب العين

وقولُ أبي بكرٍ : رَبَّ^(٤) ابن حارث . يعنى : عُنَيْدَةُ بن الحارث
ابن عبد المطلب .

- (١) كذلك ذكر أبو ذر الغفنى فى شرحه للسيرة . (٢) الحائض .
(٣) فى القاموس : النسىء بالتثنية : المرأة المظنون بها الحمل كالنساء ،
أو التى ظهر حملها ، ونسئت المرأة : تأخر حَيْضُهَا عن وقتها ، فرجى أنها حبل .
(٤) فى السيرة : رَأَى من الرأفة ، وإليك معانى بعض ما ترك السبيل من =

أسماء ممنوعة من التنوين :

وقول أبي جهل :

وورّعني نجدى عنهم ومُحِبَّتِي

ترك صرف نجدى^(١)، لأنه علم، وترك التنوين في المعارف كلها أصل لا يُدَوَّن.

== قصيد أبي بكر وابن الزبيرى تنقله من شرح أبي ذر. الدعائم : الرمال اللينة . هروا : وثبوا كما تشب الكلاب . المحجرات : بمعنى : الكلاب التي أحجرت وألجأت إلى مواضعها . اللواحم : أى التي أخرجت ألسنتها وتمعت أنفاسها . متتنا : اتصلنا . غير كارت : غير محزن . الفروع الأثابت : الكثيرة المتجمعة . أولى : أحلف وأقسم . الرافصات : بمعنى الإبل ، والرقص : ضرب من المشى . حراجيج : مفرد ما : حرجوج — وقد فسرهما السهيلي — وتروى عنا جيج : أى الحسان السريع : قطع جلود تربط على أخفاف الإبل مخافة أن تصيبها الحجارة . الرثايب : بمعنى : البالية الخلقة . آدم ظباء : السمرة الظهور البيض البطون . عكف : مقيمة . النبات : جمع نبيشة ، وهى تراب يخرج من البئر إذا نقيت . تمصب الطير : تجتمع . تشعشعوا : تغيروا وتفرقوا لاث : عتبس ويروى لاث ، أى : غير ما كث . عرام : كثرة وشدة . الهياج : الحرب ، سمر : رماح ، وردينة : امرأة تنسب إليها الرماح . جرد : القصيرات الشعر أو السريعة . والعجاج : الغبار عوائث : مفسدات . أصعار أو أصفاء : أميل . الذحول : جمع ذحل : طلب الثار . راث : بطل . أياى : ليس لهم أزواج . حنى : كثير السؤال .

شرح أبيات سعد : الحزونة : الوعر من الأرض . سيف البحر : ساحله . العيص : موضع ، وأصل العيص منبت الشجر

شرح قصيدة حمزة : السوام : الإبل المرسلة فى المرعى . بتلناهم : عاديناهم . وبالتل : العداوة ، ويقال طلب الثار . المراحل : جمع مرجل : القدر .

(١) هو نجدى بن عمرو الجهنى .

نُصِّرَ وَلَا مُبْهِمٌ ، وَلَا مَا فِيهِ الْآلِفُ وَاللَّامُ وَلَا مُضَافٌ ، وَكَذَلِكَ كَانَ الْقِيَاسُ فِي الْعَلَمِ ، فَإِذَا لَمْ يُدَوَّنْ فِي الشَّعْرِ فَهُوَ الْأَصْلُ فِيهِ ، لِأَن دُخُولَ التَّنْوِينِ فِي الْأَسْمَاءِ إِنَّمَا هُوَ عَلَامَةٌ لَانْفِصَالِهَا عَنِ الْإِضَافَةِ ، فَمَا لَا يُضَافُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَنْوِينٍ ، وَقَدْ كَشَفْنَا سِرَّ التَّنْوِينِ وَاجْتِنَاعِ التَّنْوِينِ وَانْقِصَافِ مَا لَا يَنْصَرِفُ فِي مَسْئَلَةٍ أُفْرَدْنَا فِي هَذَا الْبَابِ ، وَأَتَيْنَا فِيهَا بِالْعَجَبِ الْمُعْجَبِ ، وَالشَّوَاهِدُ عَلَى حَذْفِ التَّنْوِينِ فِي الشَّعْرِ مِنَ الْأَسْمَاءِ كَثِيرٌ جَدًّا ، فَتَأَمَّلْ فِي أَشْعَارِ الْإِيَّةِ وَالنَّبِيِّ ، أَوْ تَجَدَّهَا ، وَغَرَضُنَا فِي شَرْحِ هَذِهِ الْأَشْعَارِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ السَّيْرَةِ أَنْ نَشْرَحَ مِنْهَا مَا اسْتَفْتَلَقَ لِقِطْعَةٍ جَدًّا ، أَوْ غَمَضَ إِعْرَابُهُ عَلَى شَرْطِنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ .

رواية سمر الكفرة :-

لَكِنِّي لَا أَعْرِضُ لَشَيْءٍ مِنْ أَشْعَارِ الْكُفَرَةِ الَّتِي نَالُوا فِيهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا شَعْرَ مَنْ أَسْلَمَ وَتَبَّ كِضْرَارُ وَابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَقَدْ كَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِعْلَ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي إِدْخَالِهِ الشَّعْرَ الَّذِي نِيلَ فِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمِنْ النَّاسِ مَنْ اعْتَذَرَ عَنْهُ : قَالَ حِكَايَةُ الْكُفَرِ لَيْسَ بِكُفَرٍ وَالشَّعْرُ كَلَامٌ . وَلَا فَرْقَ أَنْ يُرَوِيَ كَلَامُ الْكُفَرَةِ وَمُحَاجَّتُهُمُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَدُّهُمْ عَلَيْهِ مَشْهُورٌ وَبَيْنَ أَنْ يُرَوِيَ مِنْظُومًا ، وَقَدْ حَكَى رَبُّنَا سَبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مَقَالَاتِ الْأُمَمِ لِأَنْبِيَائِهَا ، وَمَا طَعَنُوا بِهِ عَلَيْهِمْ ، فَمَا ذُكِرَ مِنْ هَذَا عَلَى جِهَةِ الْحِكَايَةِ نَظْمًا أَوْ نَثْرًا فَإِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ الْإِعْتِبَارُ بِمَا مَضَى ، وَتَذَكُّرُ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْهَدَى ، وَالْإِنْقَازِ مِنَ الْعَمَى . وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَأَنْ يَمْتَلِي ، خَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْنَجًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِي »

شِعْرًا»^(١) وتَأَوَّلَتْه عائشة رضى الله عنها فى الأشعار التى هُجِيَ بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنكرت قولَ مَنْ حمّله على الموم فى جميع الشعر ، وإذا قلنا بما روى عن عائشة فى ذلك ، فليس فى الحديث إلا عيب امتلاء الجوف منه . وأما رواية اليسير منه على جهة الحكاية ، أو الاستشهاد على اللغة ، فلم يدخل فى النهى ، وقد رد أبو عبيد على من تأوّل الحديث فى الشعر الذى هُجِيَ به الإسلام ، وقال : رواية نصف بيت من ذلك الشعر حرّم ، فكيف يُخصّ امتلاء الجوف منه بالقدم ، وعائشة أعلم ، فإن البيتَ والبيتين والأبيات من تلك الأشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام للنثور الذى ذمّوا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لافرق وقول عائشة القى ، قدمناه ذكره ابن وهب فى جامعه ، وعلى القول بالإباحة ، فإن النفس تقدّر تلك الأشعار وتبغضها وقائلها فى الله ، فالإعراض عنها خيرٌ من التلّوض فيها والتّبع لمعانها .

غزوة بواط

وبُواطُ جَبَلان قرعان لأصل ، وأحدُهما : جَلْدى ، والآخر غَوْرى ، وفى الجَلْدى بنو دِينَارٍ [موالى بنى كَنْيَب بن كثير] يُنْسَبون إلى دِينَار مولى عبد الملك بن مَرْوان^(٢) .

- (١) متفق عليه ، ورواه أيضا أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .
(٢) ما بين قوسين من معجم ما استمعته الذى نقل عنه السبلى ، ويقول البكرى عن دِينَارٍ إنه كان طيبا لعبد الملك بن مرون .

ذكر فيه استخلاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على للديبة السائب
ابن مَظْمُونٍ ، وهو أخو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن
جهم ، شهد بدرًا في قول ابن إسحاق ، ولم يذكره موسى بن عوف في البدرين ،
وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخي هذا ، فشهد بدرًا في قول جميعهم إلا ابن
الكلب ، وقتل يوم اليمامة شهيداً^(١) .

غزوة العشيرة

يقال فيها : العَشِيرَة والمَشِيرَاء وبالسبب المهمة أيضاً العُسَيْرَة والعُسِيرَاء ،
أخبرني بذلك الإمام الحافظ أبو بكر رحمه الله ، وفي البخاري : أن قتادة
سُئِلَ عنها فقال : العُسَيْرُ^(٢) ، ومعنى العُسَيْرَة والعُسِيرَاء ، أنه اسم مُصَفَّرٌ من
العُسْرَاء والعُسْرَى ، وإذا صغر تصغير الترخيم قيل : عُسَيْرَة ، وهي بنته
تكون أذنة أي عَصِيفَة ، ثم تكون سَحَاء ، ثم يقال لها العُسْرَى . قال الشاعر :

(١) كان ابن الكلبي يقول إن البدرى هو السائب بن مظعون عم السائب بن عثمان
بجرح السائب بن مظعون في غزوة اليمامة ، ومات من جرحه وهو ابن بضعة
وثلاثين سنة .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ : كُنْتُ إِلَى جَنْبِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، فَقِيلَ لَهُ :
كَمْ غَزَا النَّبِيَّ ﷺ ، مِنْ غَزْوَةٍ . قَالَ : تِسْعَ عَشْرَةٍ ، قِيلَ : كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ ؟
قَالَ : سَبْعَ عَشْرَةٍ . قُلْتُ : فَأَيُّهُمُ كَانَ أَوَّلَ ؟ قَالَ : الْعُسَيْرَةُ أَوْ الْعُسِيرَاءُ . فَذَكَرْتُ لِقَتَادَةَ قَالَ :
الْعُسَيْرَةُ . لَكِنْ وَرَدَ فِي عِدَّةٍ مِنْ رَوَايَاتٍ أُخْرَى أَنَّ الْغَزَوَاتِ إِحْدَى وَعِشْرُونَ ،
فَقُلْتُ : فَاهُ اثْنَانِ لَصَفَرٍ سَنَةٍ ، أَوْ لِمِثْلِهِ عِدَّتَيْنِ وَاحِدَةٍ . بَعْضُ قَرِيبَةٍ إِلَى
الْأَحْزَابِ ، أَوْ ضَمُّ الطَّائِفِ إِلَى حَنْبِنٍ . وَالَّذِي سَأَلَ قَتَادَةَ مُحَدِّثٌ . وَرَوَايَةُ
الْزَّمَزَمِيِّ : أَيْتُهُنَّ ، فَيَكُونُ الْخَطَأُ فِي : أَيُّهُمَا مِنَ الْبُخَارِيِّ ، أَوْ مِنْ شَخْصٍ عَدَاكَ —

وما مَنَعَهَا الماءَ إِلَّا ضَنَانَةً بِأَطْرَافِ عُسْرَى شَوْكَهَا قَدْ تَحَدَّدَا

ومعنى هذا البيت كفى الحديث : « لَا يَمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِمَنْعِهِ بِهِ »
الْكَلَّا^(١) ، وأما العُسْرَى بالشين المنقوطة ، فواحدة العُسر مُصَفَّرَةٌ .

وذكر فيها الضَّبُوعَةُ ، وهو : اسم موضع ، وهو قُعُولَةٌ مَنُ ضَبَّعَتِ الْإِبِلُ ؛
إِذَا امْرَأَتُ أَضْبَاعَهَا فِي السَّيْرِ^(٢) وفي الضَّبُوعَةِ نَزْلٌ عِنْدَ شَجَرَةٍ ، يُقَالُ لَهَا :
ذَاتُ السَّاقِ ، وَابْنَتِي ثُمَّ مَسْجِدًا ، وَاسْتَشَقَى مِنْ مَاءٍ هُنَاكَ يُقَالُ لَهُ الْمَشْرِبُ .
كَذَلِكَ جَاءَ فِي رَوَايَةِ الْبَكَّاكِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ :

وذكر فيه مَلَلًا ، وهو اسم موضع يقال : إِنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ مَلَلًا ؛ لِأَنَ الْمَاشِي إِلَيْهِ
مِنَ الْمَدِينَةِ لَا يَبْلُغُهُ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ وَمَلَلٍ ، وَهُوَ عَلَى عَشْرِينَ مِيلًا مِنَ الْمَدِينَةِ ،
أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا . وَذَكَرَ الْخَلَّاتِيُّ وَهُوَ آبَارٌ مَعْلُومَةٌ^(٣) .
وَرَوَاهَا غَيْرُ أَبِي الْوَلِيدِ الْخَلَّاتِيُّ بِحَاءٍ مَنقُوطَةٍ ، وَفَسَّرَهَا بَعْضُهُمْ :

= ابن محمد المستدي ، أو من شيخه وهب بن جرير . ووقع في الترمذي أن الغزوة :
العُسْرَى أَوْ الْعُسَيْرَ . وَقَوْلُ قَتَادَةَ هُوَ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ السَّيْرِ .

(١) فسرهُ ابْنُ الْأَثِيرِ بِقَوْلِهِ : هُوَ تَقَعُ الْبِشْرُ الْمُبَاحَةُ ، أَيْ : لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ
يَنْلِظَ عَلَيْهِ ، وَيَمْنَعُ النَّاسَ مِنْهُ حَتَّى يَحْزُوهُ فِي إِتَاءِهِ وَيَمْلِكُهُ ، وَفَسَّرَهُ لَا يَمْنَعُ
فَضْلُ الْمَاءِ ، فَقَطَّ بِقَوْلِهِ : « هُوَ أَنْ يَسْقَى الرَّجُلُ أَرْضَهُ ، ثُمَّ تَبْقَى مِنَ الْمَاءِ بَقِيَّةٌ
لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا ، فَلَا يَحْزُو لَهُ أَنْ يَبِيعَهَا وَلَا يَمْنَعُ مِنْهَا أَحَدٌ أَنْتَفِعَ بِهِ . هَذَا إِذَا لَمْ
لَمْ يَكُنِ الْمَاءُ مِلْكَهُ ، أَوْ عَلَى قَوْلٍ مِنْ بَرَى أَنَّ الْمَاءَ لَا يَمْلِكُ ، .
(٢) أَيْ أَمْرَعَتْ فِي السَّيْرِ .

(٣) ابْنُ بَرِّ بْنِ رُفَيْدَةَ بْنِ أَبِي الْقَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ

جمع خَلِيقَةٌ وهي البئر التي لاماء فيها (١)، وأكثر روايات الكتاب على هذا
فأله أعلم .

وذكر فرش مَلَلٍ ، والفرشُ فيما ذكر أبو حنيفة : مكانٌ مُسْتَوٍ بُنِيَ
الْعُرْفُطُ وَالسَّيَالُ وَالسُّرُّ يكون نحواً من ميل أو فرسخ ، فإن أنبت العُرْفُطُ
وحده فهو وَهْطٌ ، وإن أنبت الطَّلَحَ وحده ، فهو غَوْلٌ وجمعه غيلان على غير
قياس ، وإن أنبت النَّصِيَّ وَالصُّلَيَّانَ ، وكان نحواً من ميلين قيل له : لِيَمَّةٌ .

تسكنية على بأبي تراب :

وذكر حديثين في تسكنية على بأبي تراب ، وأصح من ذلك ما رواه البخاري
في جامعه : وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجده في المسجد نائماً
وقد تَرَبَّ جنبه ، فجعل يَحُثُّ الترابَ عن جنبه ، ويقول : قم أبا تراب ،
وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة ، وهذا معنى الحديث ، وما ذكره ابن
إسحاق من حديث عمار مخالف له ، إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنَّاهُ بها مرتين ، مرَّةً في المسجد ، ومرَّةً في هذه الغزوة ، فأله أعلم .

أشقى الناس

وذكر أشقى الناس قال : وهو أحيمر ثمود الذي عقر ناقه صالح واسمه :

(١) قال أبو ذر : والخليفة أيضاً موضع فيه مزارع ونخل وقصور لقوم
آل الزبير .

قَدَارُ بْنُ سَالَفٍ وَأُمُّهُ قُدَيْرَةُ وَهُوَ مِنَ التَّسْعَةِ رَهْطِ الْمَذْكُورِينَ فِي سُورَةِ النَّمْلِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ أَسْمَاءَهُمْ فِي كِتَابِ التَّمْرِيفِ وَالْإِعْلَامِ .

مُؤَادَةُ بَنِي ضَمْرَةَ

وَذَكَرَ مُؤَادَةُ بْنُ ضَمْرَةَ ، وَهُوَ بَطْنٌ مِنْ كِنَانَةَ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي لَيْثٍ ، وَهُوَ بَنُو غِفَارٍ وَبَنُو نَعِيلَةَ بَنِي مُكَيْلٍ (١) ، بَنِي ضَمْرَةَ ، وَكَانَتْ نَسْخَةُ الْمُؤَادَةِ فِيهَا ذِكْرُ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِبَنِي ضَمْرَةَ ، فَإِنَّهُمْ آمَنُوا عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَنْصُرْ عَلَى مَنْ رَأَوْهُمْ إِلَّا أَنْ يُحَارِبُوا فِي دِينِ اللَّهِ مَا بَلَ بَحْرُ صُوقَةٍ ، وَإِنْ النَّبِيُّ إِذَا دَعَاهُمْ لِنَصْرِهِ ، أَجَابُوهُ ، عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، وَلَهُمْ النَّصْرُ عَلَى مَنْ بَرَّ مِنْهُمْ وَاتَّقَى »

سُرْيَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ

صَحَّةُ الرِّوَايَةِ بِالْمُتَاوَلَةِ

وَهُوَ الْمَجْدَعُ فِي اللَّهِ ، وَسَيَّاتَى حَدِيثُهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ وَتَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ احْتِجَاجًا بِهِ عَلَى صَحَّةِ الرِّوَايَةِ بِالْمُتَاوَلَةِ ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَاولَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ كِتَابَتَهُ ، فَفَتَحَهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ فَعَمِلَ عَلَى مَا فِيهِ . وَكَذَلِكَ الْعَالَمُ إِذَا نَاولَ التَّلِيدَ كِتَابًا جَازَ لَهُ أَنْ يَرَوِي .

(١) فِي الْقَامُوسِ : مُلِكٌ

عنه ما فيه ، وهو فقهٌ صحيح ، غير أن الناس جعلوا المناوَلَةَ اليوم على غير هذه الصورة .
 يأتي الطالبُ الشيخَ ، فيقول : ناوِلني كتابك ، فيناوله ثم يُمسك متاعه عنده ،
 ثم ينصرف الطالبُ ، فيقول : حدّثني فلانٌ مُناوَلَةً ، وهذه رواية لا تصح على
 هذا الوجه ، حتى يذهب بالكتاب معه ، وقد أذن له أن يُحدّث بما فيه عنه ،
 ومَن قال بصحة المناوَلَة على الوجه الذي ذكرناه مالكُ بن أنسٍ . روى إسماعيلُ
 ابن صالح عنه أنه أخرَجَ لهم كتباً مُشدُّودَةً ، فقال : هذه كتبِي صححتها
 ورويتها ، فارزوها عني ، فقال له إسماعيلُ بن صالح : فتمول : حدّثنا مالكٌ ؟
 قال : نعم ، روى قصةَ إسماعيلَ هذه الدَّارَاقُطِيُّ في كتاب رِوَاةِ مالكٍ
 رحمه الله .

اولاد الحضرمي :

وذكر عمرو بن الحَضْرَمِيِّ ، وكانوا ثلاثة : عمرًا وعامرا والعلاء ، فأما
 العلاء فن أفاضل الصحابة ، وأختمهم الصَّعْبَةُ أم طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ الله ، وكانت
 قبل أبيه عند أبي سفيان بن حَرْب ، وفيها يقول حين فارقها :

وإني وصَّيْتُهُ بما نرى بعيدان والودُّ ودٌّ قريب
 فإن لا يكنْ نَسَبٌ ثاقِبٌ فعند الفتاة جَمالٌ وطيبٌ
 فيال قصي ألا تَمُجِبون إلى التَّوْبَرِ صار الغزال الرَّيْبُ

وفي نسب بني الحَضْرَمِيِّ اضطراب ، فقد قيل ما قاله ابن إسحاق ، وقيل :
 هو عبد الله بن عماد بن ربيعة ، وقيل ابن عِيَاد ، وابن عِبَاد بالبلاء ، والذي
 ذكره ابن إسحاق أصح ، وهم من الصَّدِيف ، ويقال فيه : الصَّدِيف بكسر

اللدال ، قاله ابن دُرَيْد ، والصدف : مالك بن مَرْثَع بن ثَوْر^(١) وهو كِنْدَة .
وقد قدمنا ما قيل في اسم كِنْدَة وفي معناه في البحث ، وقد قيل في الصدف هو
ابن سَمَال بن دُعْنَى بن زياد بن حَضْرَمَوْت ، وقيل في حَضْرَمَوْت : إنه من
ولادِ حَيْبَر بن سَبَأ ، وقيل : هو ابن قَحْطَان بن عابر^(٢) ، والله أعلم .

تحريم القتال في الأشهر الحرم

وذكر الشهر الحرام ، وما كان من أهل التَّسْرِيقِ فيه ، وأنه سَقَطَ في أيديهم
لما أصابوا فيه من الدَّم ، وذلك أن تحريم القتال في الأشهر الحرم كان
حُكْمًا مَعْمُولًا به من عهد إبراهيم وإسماعيل ، وكان من حُرُمَاتِ الله ،
ومما جعله مَصْلَحَةً لأهل مَكَّة ، قال الله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ
الحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ المائدة : ٩٧ وذلك لما دعا إبراهيمُ لذرِّيَّته
بمكة ، إذ كانوا بَوَادٍ غير ذِي زَرْعٍ أن يجعلَ أُفْدَةً من الناس تهوَّى إليهم ،
فكان فيما فُرِضَ على الناس من حَجِّ البيتِ قِوَامًا لمصلحتهم ومماشيهم ، ثم جعل
الأشهر الحرم أربعة : ثلاثة سَرْدَاء ، وواحدًا فردًا ، وهو رَجَب ، أما الثلاثة

(١) في جهرة ابن حزم : والصدف هم في بني حضرموت ، وهو الصدف
ابن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر . وقال عن العلاء هو
ابن عبد الله بن عبدة ، بن ضهاد ، بن مالك . وقال أبو ذر الخشنى : عبد الله
ابن عناد ص ٤٣٠ جهرة . وفي القاموس عن مَرْثَع وكمحسن أو محدث لقب
عمرو بن معاوية بن ثور جد لامرئ القيس بن حجر ، ولقب به ، لأنه كان
يقال له : أرتعنا في أرضك ، فيقول : قد أرتعت مكان كذا ، وكذا ،
(٢) وقيل هو ابن يقظان أخى قحطان ص ٤٢٩ الجهرة .

غزوة بدر الكبرى

غير أنى سفیان

قال ابن إسحاق. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفیان بن حرب متبلاً من الشام في غير قريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من

فنيان الحجاج وإردن إلى مكة ، وصادرين عنها شهراً قبل شهر الحج ، وشهراً بعده قدراً يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ، ثم يرجع ، حكمة من الله ، وأما رجب فللمؤمنين يأمنون فيه مقبلين وراجعين نصف الشهر للإقبال ، ونصفه للإياب ، إذ لا تكون العمرة من أقصى بلاد العرب كما يكون الحج ، ألا ترى أننا لا نقتصر من بلاد المغرب ، فإذا أردنا عمرة فإنما تكون مع الحج ، وأقصى منازل المؤمنين بين مسيرة خمسة عشر يوماً ، فكانت الأوقات تأتيهم في المواسم ، وفي سائر العام تنقطع عنهم ذوائب العرب وقطاع السبل ، فكان في رجب أمان للسالكين إليها مصلحة لأهلها ونظراً من الله لهم دبره وأبقاه من ملة إبراهيم لم يمتد حتى جاء الإسلام ، فكان القتال فيه محرماً كذلك صدرأ من الإسلام ، ثم أباحت آية السيف ، وبقيت حرمة الأشهر الحرم لم يندسخ ، قال الله سبحانه : ﴿ مِنْهَا أَرْبَعٌ حُرٌّمْ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ التوبة : ٣٦ ، فتمظيم حرمتها باقٍ ، وإن أبيع القتال ، وقد روى عن عطاء أن تحريم القتال فيها حكم ثابت لم يندسخ ، وقد تقدم في باب نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر سَمَدِ رَجَب ، وهو أول من سنّه للعرب فيما زعموا .

تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أريمون ، منهم نحرمة بن نوفل
ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمر بن العاص بن وائل بن هشام .

ندب المسلمين للغير وحذر أبي سفيان

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن العاص بن وائل بن هشام .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ،
وعبد الله بن أبي بكر وي زيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من
علمائنا عن ابن عباس ، كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم
فيما سقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندب المسلمين إليهم وقال هذه عير قريش فيها
أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها . فانتدب الناس نخف بعضهم
ونقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى
حرباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويأل من ألقى من
الركبان تخوفاً على أمر الناس . حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن
محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك . فاستأجر ضئخم بن
عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ،
ويُنْخِبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه . فخرج ضئخم بن عمرو سريعاً
إلى مكة .

ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحاق : فأخبرني من لا أنسهم عن عكرمة عن ابن عباس ، وزيد ابن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قالا : وقدرأت عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفزعها . فبعثت إلى أخيها العباس ابن عبد المطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظمتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شرّ ومُصيبة ، فأكتم عني ما أحدثك به ؛ فقال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيتُ راكبا أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غُدرُ لمصارِعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه : ثم دخل المسجد والناس يُتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمنثاها : ألا انفروا يا آل غُدرُ لمصارِعكم في ثلاث : ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمنثاها . ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفقت ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ، ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلقه ؛ قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتمتها ، ولا تذكرها لأحد .

ذبوع الرؤيا وما أحدثت بين أبي جهل والعباس

ثم خرج العباس ، فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقا ، فذكرها له ، واستكتمتها إياها . فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، فقشا الحديث بمكة ، حتى تحدثت به قریش في أنديتها .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبئية ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال تلك الرؤيا التي رأت عاتكة ؟ قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنقبأ نسأؤكم ، قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، فكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب . قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً : قال . ثم نفرنا .

فلما أمسيت ، لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أفرتم لهذا الفاسق الحديث أن ينع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غير شيء مما سمعت ، قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير . وإيم الله لأنعرضن له ، فإن عاد لأكرهينك كنهه .

قالت : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مُنضب أرى أني قد فاني منه أمر أحب أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيت ، فوالله إنني لأمشي نحوه أنعرضه ، ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر . قال : إذ خرج نحو باب

.

المسجد يشتد . قال : نقات في نفسي : ماله امنه الله ، أكل هذا فرق مني أن
أشاته ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو
يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره ، قد جدع بعيره ، وحول رحله ،
وشق قيصره ، وهو يقول : يا مشر قریش ، اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع
أبي سفيان قد عرض لما محمد في أصحابه ، لا أرى أن تُذكروها ، الفوث
الفوث . قال : فشغلي عنه وشغله عني ما جاء من الأمر .

قریش تتجهز للخروج

فجهز الناس سرّاعاً ، وقالوا : أبطن محمد وأصحابه أن تكون كعير
ابن الحنظري ، كلا والله ليعلمن غير ذلك . فسكنوا بين رجلين ، إما خارج
وإما باعث مكانه رجلاً . وأوعبت قریش ، فلم يتخاف من أشرافها أحد .
إلا أن أبا لب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاصي بن هشام
ابن المغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ،
فاستأجره بها على أن يجزي عنه ، بمئة فخرج عنه ، وتخلف أبو لب .

خروج عقبة

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نعيم : أن أمية بن خلف كان
أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جليلاً ، فأناه عقبة بن أبي معيط ، وهو
جالس في المسجد بين ظهرائي قومه ، بمجمرة يحمليها ، فيها نار ومجمرة حتى

وضمها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي استَجِيزْ ، فإنما أنت من النساء ؛ قال : قَبَحَكَ اللهُ وَقَبَحَ مَا جُنْتَ بِهِ ، قال : ثم تَجَهَّزْ فخرج مع الناس .

ما وقع بين قريش وكنانة

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا المسير ، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبدمناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا ، وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر - كما حدثني بعض بني عامر بن لؤي - ، عن محمد بن سعيد بن المسيب - في ابن لِحَفْصِ بْنِ الْأَخِيفِ ، أحد بني مَعِيصِ بْنِ عامر بن لؤي - ، خرج يَهْتَنِي ضِلَّةً لَهُ بِضَجَّتَانِ ، وهو غلام حَدَثَ فِي رَأْسِهِ ذُوَابَةٌ ، وعليه حُلَّةٌ لَهُ ، وكان غلاما وضيئا نظيفا ، فَرَّ بِعامر بن يَزِيدَ بْنِ عامر بن المُلُوحِ ، أحد بني يَمْرُوتَ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عامر بن كَيْثِ بْنِ بكر بن عبدمناة بن كنانة ، وهو بِضَجَّتَانِ ، وهو سيد بني بكر بومئذ ، فَرَأَاهُ فَأَعْجَبَهُ ؛ فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا ابن لِحَفْصِ بْنِ الْأَخِيفِ الْقُرَشِيِّ . فلما وَلَّى الْغُلَامُ ، قال عامر بن زيد : يا بني بكر ، ملكم في قُريش من دم ؟ قالوا : بلى والله ، إن لنا فيهم لدماء ؛ قال ما كان رجلا ، ليقتل هذا الغلام برَجُلِهِ إِلَّا كَانَ قَدْ اسْتَوْفَى دَمَهُ ؛ قال : فتبعه رجلٌ من بني بكر فقتله بدم كان له في قُريش ؛ فتكَلَّمْتُ فِيهِ قُريش ، فقال عامر بن يزيد : يا معشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء ، فما شئتم . إن شئتم فأذوا علينا ما لنا قَبْلَكُمْ ، ونؤدِّي ما لكم قَبْلَنَا ، وإن شئتم فأما هي الدماء : رجلٌ برجل ، فتجافوا عما لكم قَبْلَنَا ، ونتجافى عما لنا قَبْلَكُمْ ، فها أن ذلك الغلام على هذا

الحَيَّ من قريش ، وقالوا : صدق ، رجلٌ رجلٌ . فَلَبَّيْوا عنه ، فلم يطلبوا به .
 قال : فبينما أخوه مَكْرَزُ بن حَفْصِ بن الأَخِيْفِ يسير بِمَرِّ الظَّهْرانِ ، إذْ
 نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر المُلَوَّحِ على جبل له ، فلما رآه أقبل إليه حتى
 أناخ به ، وعامرٌ متوشَّحٌ سيفه ، فعلاه مَكْرَزُ بسيفه حتى قتله ، ثم خاض بطنه
 بسيفه ، ثم أتى به مكة ، فعلقه من الليل بأستار السكبية . فلما أصبحت قريشٌ
 رأوا سيفَ عامر بن يزيد بن عامر معلقاً بأستار السكبية ، ففرّوه ، فقالوا :
 إن هذا لسيفُ عامر بن يزيد ، عدا عليه مَكْرَزُ بن حَفْصِ فقتله ، فكان ذلك
 من أمرهم . فبيناهم في ذلك من حربهم ، حَجَزَ الإسلام بين الناس ؛ فقتلوا
 به ، حتى أجمعت قريشُ المسير إلى بدر ، فذكروا الذي بينهم وبين بني
 بكر نخافوهم .

وقال مَكْرَزُ بن حَفْصِ في قتله عامراً :

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ هُوَ عَامِرٌ	تَذَكَّرْتُ أَشْلَاءَ الْحَبِيبِ الْمُلَحَّبِ
وَقُلْتُ لِنَفْسِي : إِنَّهُ هُوَ عَامِرٌ	فَلَا تَرَهَيْبِيهِ ، وَانْظُرِي أَيَّ مَرْكَبِ
وَأَيَقَنْتُ أَنِّي إِنْ أَجَلَّه ضَرْبَةً	مَتَى مَا أَصِيبُهُ بِالْفَرَاغِ يَمُطَّبِ
خَفَضْتُ لَهُ جَأَشِي وَأَتَيْتُ كَلْسَكَلِي	عَلَى بَطْلِ شَاكِي السَّلَاحِ مُجَرَّبِ
وَلَمْ أَكْ أَلَمَّا التَفْتُ رُوْعِي وَرُوْعَهُ	عُصَاةَ هُجْنٍ مِنْ نِسَاءٍ وَلَا أَبِ
حَلَّتْ بِهِ وَتَرَى وَلَمْ أَنْسَ دَخْلَهُ	إِذَا مَا تَنَاسَيْتِي دَخَلَهُ كُلُّ عَيْبِ

قال ابن هشام : الفراء في غير هذا الموضع : الرجل الأضبط ، وفي هذا

للوضع : السيف. والقيح : الذى لا عقل له ، ويقال : تيس الظباء وفحل النعام.
قال الخليل : الميهب : الرجل الضعيف عن إدراك وتفهيمه .

الشیطان وقريش

وقال ابن إسحاق : وحديثى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال .
لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر ، فسكاد ذلك
بئسهم ، فتبدى لهم إبليس فى صورة سراققة بن مالك بن جشم المدلجى ،
وكان من أشرف بنى كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جار من أن تأتكم كنانة .
من خلفكم بشىء تكرهونه ، فخرجوا سراعا .

خروجه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليال مضت .
من شهر رمضان فى أصحابه - قال ابن هشام : خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلون .
من شهر رمضان - واستعمل عمرو بن أم مكتوم - ويقال اسمه : عبد الله .
ابن أم مكتوم أخا بنى عامر بن لوئى ، على الصلاة بالناس ، ثم رد أبا لبابة
من الروحاء ، واستعمله على المدينة .

اللواء والزياتان

قال ابن إسحاق : ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .
ابن عبد الدار - قال ابن هشام : وكان أبيب .

قال ابن إسحاق : وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان .
سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب ، يقال لها : العُقاب ، والأخرى مع
بعض الأنصار .

إبل المسلمين إلى بدر

قال ابن إسحاق : وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ سبعين بعيراً ، فاعتقبوها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي
ابن أبي طالب ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة
ابن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو كبشة ، وأنسة ، مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم - يعتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن
ابن عوف يعتقبون بعيراً .

قال ابن إسحاق : وجعل على الساقة قيس بن أبي صمصمة أخا بني
مازن بن الذكوان . وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ ، فيما قال ابن هشام .

الطريق إلى بدر

قال ابن إسحاق : فسلكت طريقه من المدينة إلى مكة ، على ثقب المدينة .
ثم على العتيق ، ثم على ذي الحليفة ، ثم على أولات الجليش .

قال ابن هشام : ذات الجليش .

قال ابن إسحاق : ثم مرّ على ثربان ثم على مَلَل ، ثم على غميس الحمام .

من مَرَبِّينِ ، ثم على صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ ، ثم على السَّيَالَةِ ، ثم على فَجِّ الرُّوحَاءِ ،
ثم على شَنْوَكَةَ ، وهى الطريق المُعْتَدَلَةُ ، حتى إذا كان بِمِرْقِ الطُّبِّيَّةِ - قال
ابن هشام : الطُّبِّيَّةُ : عن غير ابن إسحاق - لَقُوا رجلاً من الأعراب ،
فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : سَلِّمْ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، قال : أفيكم رسولُ الله؟ قالوا : نعم ، فسَلِّمْ عليه ، ثم قال :
إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ فَأخْبِرْنِي عَمَّا فِي بطنِ نَاقَتِي هذه . قال له سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ
ابن وَقَشٍ : لَا تَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَأَقْبِلْ عَلَى فَاْنَا أَخْبِرَكَ
عن ذلك . نزوتَ عليها ، ففى بطنها منك سَخْلَةٌ ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، مَهْ ، أَفَجَحَشْتَ عَلَى الرَّجُلِ ، ثم أَعْرَضَ عَنْ سَلَمَةَ .

ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَجَّجِجَ ، وهى بئر الرُّوحَاءِ ،
ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان بِالْمُنْعَرَفِ ، ترك طريقَ مَكَّةَ بَيْسَارَ ، وسلك
ذَاتَ الْيَمِينِ عَلَى النَّازِيَةِ ، يريد بدرأً ، فسلَّك فى ناحية منها ، حتى جَزَعَ وادياً ،
يقال له رُحْقَانُ ، بين النازية وبين مَضِيقِ الصَّفْرَاءِ ، ثم على المَضِيقِ ،
ثم انصبَّ منه ، حتى إذا كان قَرِيباً مِنَ الصَّفْرَاءِ ، بعثَ بِسَبْسَسِ بْنِ عَمْرٍو
الْجُهَنِّىَّ ، حليفَ بنى سَاعِدَةَ ، وَعَدِيَّ بْنَ أَبِي الرَّغْبَاءِ الْجُهَنِّىَّ ، حليفَ بنى
النَّجَّارِ ، إِلَى بَدْرِ يَتَحَسَّسَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَغَيْرِهِ .
ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وَقَدَّرَ مَهَا . فلما استقبل الصَّفْرَاءَ ،
وهى قرية بين جبَلَيْنِ ، سأل عن جَبَلَيْهِمَا مَا اسْمَاهُمَا ؟ فقالوا : يقال لأحدهما ،
هَذَا مُسْلِحَ ، وَالْآخَرُ : هَذَا نُحْرَى وَسأل عن أهلها ، فقيل : بنو النار وبنو

حُرَّاق ، بطنان من بني غفار فسكرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُروَر
بينهما ، وتقاتل بأسمائهما وأهلئهما . فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصَّفرَاء ييسار ، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له : ذَفْرَان ، فجزع فيه ،
ثم نزل .

قول أبي بكر وعمر والمقداد في الجهاد

وأناه الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليمموا عيرهم ، فاستشار الناس ، وأخبرهم
عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن . ثم قام عمرُ بن الخطاب ،
فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك
الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ أَذْهَبَ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلَا ، إِنَّا ههنا قاعدُونَ ﴾ . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا
إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد لجالدنا
معك من دونه ، حتى تبُلِّغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ،
ودعاه به .

الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير الأنصار

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس . وإنما
يريد الأنصار ، وذلك أنهم عددُ الناس ، وأنهم حين يابيهوه بالعقبة ، قالوا :
يا رسول الله : إنا بُرَاء من ذِمَّتِكَ حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ،
فأنت في ذِمَّتِنَا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يَتَخَوَّفُ أَلَّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرى عَلَيْهَا نَصْرَهُ إِلَّا مِنْ دَهْمِهِ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِ مِنْ بِلَادِهِمْ .
 فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ : وَاللَّهِ لَسْكَانُكَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَجَلٌ ، قَالَ : أَقْدَامُنَا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ ، وَاعْتَمَدْنَا أَنْ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُيُودَنَا وَمَوَائِقَنَا ، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَاْمضْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضَّضْتَهُ لُحْضُنَاهُ مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا ، إِنَّا لَصَبِيرٌ فِي الْحَرْبِ ، صُدُقٌ فِي الْأَقَامِ . اْمْلِ اللَّهُ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقْرُبُهُ عَيْنُكَ ، فَيَسِّرْ بِنَا عَلَى بَرَكَاتِهِ . فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ سَعْدٍ ، وَنَشَّطَهُ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ قَالَ : سِيرُوا وَأَبْشُرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاللَّهُ لَسْكَانِي الْآنَ أَنْظُرَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ .

تفرق أخبار قريش

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذِي قُرَّانَ ، فَسَلَكَ عَلَى ثَنَائِيَا . يُقَالُ لَهَا الْأَصَافِرُ ؛ ثُمَّ اعْطَتْ مِنْهَا إِلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ : الدِّيَّةُ ، وَتَرَكَ الْخَنَانُ يَمِينًا ، وَهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ ، فَرَكِبَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الرَّجُلُ هُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ .

قال ابن إسحاق كما حدثني محمد بن يحيى بن حبان : حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بانته عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبر كما حتى تُخبراني مِن أنما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ، قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا المكان الذي فيه قريش . فلما فرغ من خبره ، قال : بمن أنما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : مامن ماء ، أمن ماء العراق ؟

قال ابن هشام : يقال : ذلك الشيخ سُفَيان الصَّمَرِيُّ .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعثَ عليّ بن أبي طالب ، والزُّبَيْرَ بن العوّام ، وسعدَ بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر ، يلتصقون الخبر له عليه - كما حدثني يزيدُ ابن رومان ، عن عروة بن الزُّبَيْر - فأصابوا رَاوِيَةَ لِقُرَيْشٍ فيها أسلم غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، فقالا : نحن سُقاة قريش ، بعثونا ننتقمهم من الماء . فذكره القومُ خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سُفَيان ، فصرّبوها . فلما أذتقوها قالوا : نحن لأبي سفیان ، فتركوها . وركع رسول الله

.....

صلى الله عليه وسلم وسجد سجدة ، ثم سلم ، وقال إذا صدقاكم ضرَبتموهما ،
وإذا كذباكم تَرَكتُموهما ، صدقا والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش ؟
قالا : هم والله وراء هذا السكيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والسكيب :
العقنقل - فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القوم ؟ قالا : كثير ،
قال : ما عدتُهم ؟ قالا : لا ندرى ، قال كم يَنَحَرُونَ كلَّ يوم ؟ قال : يوما
تسما ، ويوما عشرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم فيما بين
السمائة والأف . ثم قال لهما : فَمَنْ فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة
ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ،
ونوفل بن خوَيْلِد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ بن نوفل ،
والنضر بن الحارث ، وزَمْعَةُ بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمِيَّة بن
خَلَف ، ونُبَيْه ، ومُتَّيِّبُ ابْنِ الْحَجَّاج ، وسُهَيْل بن عمرو ، وعُمرُو بن عبد ود .
فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال هذه مكة قد أفلحت إليكم
أفلاذَ كبدها .

قال ابن إسحاق : وكان بَسْبَسُ بن عمرو ، وعدِيٌّ بن أبي الزَّغْبَاءِ
قد مَضَيَا حتى نزلا بدراً ، فأنالا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذَا شَفَا لهما
يَسْتَقِيَانِ فيه ، وتَجَدَّى بنُ عَمْرُو الجُهَنِيِّ على الماء . فسمع عدِيٌّ وبَسْبَسُ
جَارِيَتَيْنِ من جوارى الحاضر وهما يَتَلَازمان على الماء ، والمأزومة تقول
لصاحبتها : إنما تأتي العير غداً أو بعد غد ، فأعلُهم ، ثم أفضيك الذي لك .
قال تجدِي : صدقتِ . ثم خلص بينهما . وسمع ذلك عدِيٌّ وبَسْبَسُ ، فجلسا

على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبراهما
بما سمعا .

نجاة أبي سفيان بالمير

وأقبل أبو سفيان بن حرب ، حتى تقدم المير حذراً ، حتى ورد ثلثاء ،
فقال لمجدى بن عمرو : هل أحسست أحداً ، فقال : مارأيت أحداً أنكره .
إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا في شئ لهما ،
ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخهما ، فأخذ من أبعاد بعيريهما ، فقتله ، فإذا فيه
النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريما ، فضرب
وجهه عن الطريق فساحل بها ، وترك بدرأ يبسار ، وانطلق حتى أسرع .

رؤيا جهيم بن الصلت

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة ، رأى جهيم بن الصلت ابن تحرمة
ابن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني رأيت فيما يرى النائم ، وإني
كأبى النائم واليقظان . إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على قرس حتى وقف ، ومعه
بعيره ؛ ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن
هشام ، وأممية بن خلف ، وفلان وفلان ، فمدّ رجلا بمن قتل يوم بدر ، من
أشراف قريش ، ثم رأيت ضرب في آنية بعيره ، ثم أرسله في العسكر .
فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه .

قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضا نبي آخر من بني المطلب ،
سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

كان أبو سفيان لا يريد حرباً

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى
قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيبركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجأها
الله ، فارجموا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا ترجع حتى يرد بدرأ .
وكان بدر مؤسماً من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوق كل عام - فنقيم عليه
ثلاثاً ، فننجز الجزر ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، ونعزف علينا القيان ،
وتسمع بنا العرب ويمسرونا وجمعنا ، فلا يزالون يهابونا أبداً بعدها ، فامضوا .

رجوع بني زهرة

وقال الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكان حليفاً لبني
زهرة وهم بالحنفة : يا بني زهرة ، قد نجى الله لكم أموالكم ، وخأص لكم
صاحبكم مخزومة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا لي جبينها
وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة ، لا ما يقول هذا ، يعني
أبا جهل : فرجعوا ، فلم يشهدوها زهرى واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعاً .
ولم يكن بقى من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس ، إلا بني عدي بن
كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد ، فرجت بنو زهرة مع الأحنس بن
شريق ، فلم يشهد بدرأ من هاتين القبيلتين أحد ، ومشى القوم . وكان بين

طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا :
والله لقد عرفنا يا بني هاشم ، وإن أخرجتم ممنا ، أن هؤلاءكم لمح ، محمد خرج
طالب إلى مكة مع من رجع . وقال طالب بن أبي طالب :

لَا فَرْقَ إِذَا يَغْزُونَ طَالِبٌ فِي عَصْبَةِ تَخَالَفَ مُحَارِبٌ
فِي مَقْبِ مِنْ هَذِهِ الْعِقَابِ فَلْيَكُنِ الْمَلُوبُ غَيْرَ الْمَالِ
وَالْمَلُوبُ غَيْرَ الْمَالِ

قال ابن هشام : قوله فليكن الملوب ، وقوله : ولكن الملوب عن
غير واحد من الرواة للشعر .

منزل المسلمين ومنزل قريش

قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من
الوادي ، خلف العتق وبطن الوادي ، وهو بيليل ، بين بدر وبين العتق ،
الكتيب الذي سمى قريش ، والعتق ببدر في العدوة العليا من بطن بيليل
إلى المدينة . وبعث الله السماء ، وكان الوادي دكسلا ، فأصاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه منها ما لبس لهم الأرض ولم ينفهم عن السير ، وأصاب قريشا
منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

مشورة الحباب

قال ابن إسحاق : مُفَدَّتْ عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلِيبَةَ ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا : أَنَّ

الحُباب بن المنذر بن الجُمُوح قال : يارسول الله ، أرأيتَ هذا المنزل ، أمْزَلًا
أنزَلَكَ اللهُ لئلا نأْن نتقدّمه ، ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرأى والحرب
والمسكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمسكيدة ، فقال : يارسول الله ،
فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله ،
ثم نعور ما وراءه من القُلب ، ثم نذبى عليه حوضاً فنملأه ماء ، ثم نُقاتل
القوم ، فنشرب ولا يشربون ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لقد
أشرتَ بالرأى . فانهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - ومن معه من الناس -
فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فمُورث ،
وبنى حوضاً على القلب الذى نزل عليه فملأه ماء ، ثم قذفوا فيه الآية .

بناء العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث : أن سعد بن
معاذ قال : يا نبي الله ، ألا تبنى لك عريشاً تكون فيه ، ويُعدُّ عندك ركائبك ،
ثم تلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ،
وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك ، فلهجت بمن وراءنا ، فقد تخلف
عنا أقوام ، يا نبي الله ، ما نحن بأشدّ لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى
حرباً ما تخلفوا عنك ، يملكك الله بهم ، بناصحتك ويجاهدون معك : فأننى
عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعاه بخير . ثم بُنى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عريشٌ ، فكان فيه .

ارتحال قريش

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العققل - وهو الكتيب الذي جاءوا منه إلى الوادي - قال : اللهم هذه قريش قد أقبات بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولاك ، اللهم فتفرك الذي وعدتني ، اللهم أخرجهم الفداء .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - (وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر - إن يكن في أحد من القوم خير فبند صاحب الجمل الأحمر إن يطعموه يرشدوا .

وقد كان خفاف بن أيماء بن رخصة الغفاري ، أو أبوه أيماء بن رخصة الغفاري ، بعث إلى قريش ، حين مرثوا به ، أبنا له بجزائره أهداها لهم ، وقال : إن أحببتهم أن تمدكم بسلاح ورجال فعلننا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أن وصلتك رحم ، قد قضيت الذي عليك ، فتممري لئن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من صمت عنهم ، ولئن كنا إنما نقاتل الله ، كما يزعم محمد ، فلا أحد بالله من حاقة .

فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم . فاشرب منه رجل يومئذ إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام ، فإنه

لم يُقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحُصِّن إسلامه . فكان إذا اجتهد في يمينه ، قال : لا والذي نَجَّاني من يوم بدر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياء من الأنصار ، قالوا : لما اطمأن القوم ، بمشوا عُمر بن وهب الجمحي فقالوا : اعزُّر ، لنا أصحاب محمد ، قال : فاستجَّال بفرسه حول المشرك ثم رجع إليهم ، فقال ثلاث مائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر القوم كميناً أو مدد ؟ قال : فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما وجدت شيئاً ، ولكني قد رأيت ، بامعشر قريش ، البلاءيا تحمل المنايا ، نواضح يتَّرب تحمل الموت النافع ، قوم ليس معهم منعة ولا منجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم ، حتى يقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فَرَوْا رأيكم .

فلما سمع حَكيم بن حزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عُثْبَةَ بن ربيعة ، فقال يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدُها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حَكيم ؟ قال : ترجع بالنَّدس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي ، قال : قد فعلت ، أنت على بذلك ، إنما هو حليف ، فملى عَقْلُهُ وما أُصِيبَ من ماله ، فأتى ابن الحنظليَّة .

نسب الحنظلية

قال ابن هشام : والحنظلية أم أبي جهل ، وهى أسماء بنت مخزبة ، أحد بنى نضل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم - فأنى لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره ، يعنى أبا جهل بن هشام . ثم قام عتبة ابن ربيعة خطيباً ، فقال : يا مشرقيش ، إنكم والله ما تضمنون بأن تنفقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله إن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا واخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تمرضوا منه ما تريدون .

قال حكيم : فانطلقت حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نثل درعاً له من جراحها ، فهو يهينها قال ابن هشام : يهينها - فقلت له : يا أبا الحكم إن عتبة أرساني إليك بكذا وكذا ، للذى قال ، فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلاً والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بمبتة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت نارك بعينك ، فقم فأنشد حفرتك ، ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحضرمي فاكشف ثم صرخ : واعمراه ، واعمراه ،

فخبت الحربُ وحَقِبَ الناسُ ، واستَوْسَقُوا على مامٍ عليه من الشرِّ ، وأُفِدَ على الناسِ الرَّأْيُ الَّذِي دَعَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ .

فلما بَلَغَ عُتْبَةُ قولُ أَبِي جَهْلٍ « انتَفَخَ واللهُ سَحْرَهُ » ، قال : سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ أَسْنَتِهِ مِنْ انتَفَخِ سَحْرِهِ ، أَنَا أَمْ هُوَ ؟ .

قال ابن هشام : السَّحْرُ : الرُّةُ وما حولها مما يَمْلُقُ بِالْخُلُقُومِ من فوق الثَّوْرَةِ . وما كان تحت الثَّوْرَةِ ، فهو القُصْبُ ، ومنه قوله : رأيت هَمْرًا بن لَحَى يَجْرُ قُصْبَهُ في النارِ : قال ابن هشام : حدثني بذلك أَبُو عُبَيْدَةَ .

ثم التمس عُتْبَةُ بَيْضَةً يُدْخِلُهَا في رأسه ، فَاوْجَدَ في الْجَلِيشِ بَيْضَةً تَسْمُهُ مِنْ عِظَمِ هَامَتِهِ ، فلما رَأَى ذلك اعْتَجَرَ على رأسه بِبُرْدٍ لَهُ .

مقتل الأسود المخزومي

قال ابن إسحاق : وقد خرج الأسودُ بن عبد الأسدِ المخزومي ، وكان رجلاً شَهِيراً سَئِيًّا انْطَلَقَ ، فقال : أَعَاهِدُ اللهَ لِأَشْرَبَيْنِ مِنْ حَوْضِهِمْ ، أَوْ لِأَهْدَمَيْنِهِ ، أَوْ لَأَمَوْتَيْنِ دُونَهُ ، فلما أخرج خرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزةُ فَأَطَنَّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ ، وهو دون الحوضِ ، فوقع على ظهره تَشَخُّبَ رِجْلِهِ دَمًا نَحْوَ أَصْحَابِهِ ، ثم حَبَا إلى الحوضِ حتى اقْتَحَمَ فِيهِ ، يريد (زعم) - أن يُبَرِّئَ يَمِينَهُ ، وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله في الحوضِ .

دعاء عتبة إلى المبارزة

قال : ثم خرج بعد مُعْتَبَة بن ربيعة ، بين أخيه شَيْبَة بن ربيعة وابنه الوليد ابن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فُتَيْمَة من الأنصار ثلاثة ، وهم : عَوْف ، وسُعْوَذ ، ابنا الحارث — وأمهما عَفْرَاء — ورجل آخر يقال : هو عبد الله بن رَوَاحَة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا رهط من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى مُنَادِيهم يا محمد ، أخرج إلينا كُفَاءنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عُبَيْدَة بن الحارث ، وقم يا حمزة وقم يا علي ، فلما قاموا دَنَوْا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عُبَيْدَة : عُبَيْدَة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ، قالوا : نعم ، أ كُفَاء كرام . فبارز عُبَيْدَة ، وكان أسنَّ القوم ، عتبة (بن) ربيعة ، وبارز حمزة شَيْبَة ابن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يُجْهِل شَيْبَة أن قتله ؛ وأما علي فلم يُجْهِل الوليد أن قتله ؛ واختلف عُبَيْدَة وعُتْبَة بينهما ضَرْبَتَيْن ، كلاهما أثبت صاحبه ؛ وكرَّ حمزة وعلي بأسيافهما على عُتْبَة فذَقَا عليه ، واختلفا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عُتْبَة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار ، حين انتسبوا : أ كُفَاء كرام ، إنما نريد قومنا .

التقاء الفريقين

قال ابن إسحاق : ثم تراخف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أسر

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يَحْمِلُوا حتى يأمرهم ، وقتل : إن
اكتنفتكم القوم فانضوهم عنكم بالنبل ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم
في العريش ، معه أبو بكر الصديق .

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين .

ابن غزيرة وضرب الرسول له في بطنه بالقدح

قال ابن إسحاق : وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من
قومه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ،
وفي يده قدح يُمدل به القوم ، فرمى بسواد بن غزيرة ، حليف بني عدي .
ابن النجار - قال ابن هشام : يقال ، سواد ؛ مثقلة ، وسواد في الأنصار غير
هذا ، مخفف - وهو مُستَنقِل من الصف - قال ابن هشام : ويقال : مُستَنصِل
من الصف - فطمع في بطنه بالقدح ، وقال : استو ياسواد ، فقال : يا رسول الله
أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل ، قال : فَأَقْدَنِي . فكشف رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : استقد ، قال : فأعنته فقبِل بطنه : فقال :
ما حملك على هذا ياسواد ؟ قال : يا رسول الله ، حَصْر ما ترى ، فأردت أن
يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جِلْدِي جِلْدُكَ . فدعاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخير وقال له .

مناشدة الرسول ربه النصر

قال ابن إسحاق : ثم عدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم العفوف ، ورجع إلى القریش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ليس معه فيه غيره ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُناشد ربه ما وعدّه من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد ، وأبو بكر يقول : يا نبي الله : بمضّ مُناشدتك ربك ، فإن الله مُنجز لك ما وعدك . وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في اليريش ، ثم انتبه فقال : أبشروا يا أبا بكر ، أذاك نصر الله . هذا جبريل أخذ بعنان قوس بقوده ، على ثناياه النقع .

أول قتل

قال ابن إسحاق : وقد رمى منجّع ، مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، فكان أول قتل من المسلمين ، ثم رمى حارثة بن سراقة ، أحد بني عدي ابن النجّار ، وهو يشرب من الخوض ، بسهم فأصاب نحره ، فقتل .

تحرير المسلمين على القتال

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخرّضهم ، وقال : والذي نفس محمد بيده ، لا يُقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً مُحْتَسِباً ، مُقْبِلاً غير مُدِير ، إلا أدخله الله الجنة . فقال عُمر بن الحُصّام ، أخو بني سلّة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بئح بئح ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني

• • • • •

هؤلاء؟ ثم قذف الثمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القومَ حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عَفراء قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُكَ الرَّبُّ مِنْ عَبْدِهِ ، قال : بِنَفْسِهِ يَدُهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا . فَتَزَعُ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْرِ الْعُدْرِيِّ ، حليف بني زُهرة ، أنه حدثه : أنه لَمَّا لَقِيَ النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، قَالَ أَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ : اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ ، وَأَنَا نَا بِمَا لَا يُعْرِفُ ، فَأَخَذَهُ الْعَدَاةُ . فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتَحُ .

رمى الرسول للمشركين بالحصباء

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَ قَرِيشًا بِهَا ، ثُمَّ قَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، ثُمَّ تَفَحَّهْمُ بِهَا ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ : شُدُّوا ، فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ ، فَقَتَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ قُتِلَ مِنْ عَنَادِيدِ قُرَيْشٍ ، وَأَسْرَ مِنْ أَسْرٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ . فَلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ بِأَسْرُونِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ قَائِمٌ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ ، الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُتَوَشِّجًا السَّيْفَ ، فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - فِي وَجْهِهِ

سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لكانك يا سعد تكره ما يصنع القوم ، قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وثمة أوقعها الله بأهل الشرك . فكان الإمتحان في القتل بأهل الشرك أحب إلي من استبقاء الرجال .

نهى النبي أصحابه عن قتل ناس من المشركين

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أن رجلا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها ، لا حاجة لهم بقتلنا ، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام ابن الحارث ابن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله ، فانه إنما أخرج مستكرها . قال : فقال : أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا . وترك العباس ، والله آئنا لقيته لألحمته السيف . قال ابن هشام : ويقال : لألحمته (السيف) - قال : فبانت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمر ابن الخطاب : يا أبا حفص - قال عمر : والله إنه لأول يوم كئنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص - أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ؟ فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلا أضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نأق . فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة

التي قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً ، إلا أن تكفّرَها عني الشهادة .
فقتل يوم اليمامة شهيداً .

قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل
أبي البختري لأنه كان أكفّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلّغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض
الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب . فلقبه المجذر بن
زيد البلوي ، حليف الأنصار ، ثم من بني سالم بن عوف ، فقال المجذر
لأبي البختري : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد نهانا عن قتلك -
ومع أبي البختري زميل له قد خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن منيعة
بنت زهير بن الحارث بن أسد ؛ وجنادة رجل من بني كيث . واسم
أبي البختري : العاص - قال : وزميلي ؟ فقال له المجذر : لا والله ، ما نحن
بتارك زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك ؛
فقال : لا والله ، إذن لأموت أنا وهو جميعاً ، لا نتحدث عني نساء مكة أني
تركت زميلي حرصاً على الحياة . فقال أبو البختري حين نازله المجذر ، وأبي
إلا القتال ، يرتجز :

لن يُسلم ابنُ حرٍّ زميله حتى يموت أو يرى سبيه

فاقتلا ، فقتله المجذر بن زيد . وقال المجذر بن زيد في قتله
أبا البختري :

إِمَّا جِئْتَ أَوْ قَصِيتَ نَسَبِي فَأَقْبِدِ النَّسْبَةَ أَنِي مِنْ بَيْلِ
الطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْبَرْبَرِيِّ وَالضَّارِبِينَ السَّكْبَشِ حَتَّى يَنْجَنِي
بَشَرُ بَيْتِي مِنْ أَبْوَةِ الْبَخْتَرِيِّ أَوْ بَشَرُنْ بِمَنْلَاهَا مِثْلِي بَيْ
أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَصْلِي مِنْ بَيْلِ أَطْمَنْ بِالصَّعْدَةِ حَتَّى تَنْقُتِي
وَأَعْيِطَ التَّيْرَنُ بِمَضْبِ مَشْرِقِي أَرْزِمَ لِمَوْتِ كَارِزَامِ التَّمَرِيِّ
فَلَا بَرَى مَجْدَرَا يَنْفَرِي قَرَى

قال ابن هشام : « المري » عن غير ابن إسحاق . والمري : الناقة التي
يُنْتَزَلُ ابنها على عسر .

قال ابن إسحاق : ثم إن الجذوة أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
والذي بمثك بالحق لقد جهدتُ عليه أن يَسْتَأْسِرَ فَأَنِيكَ بِهِ ، (فَأَجَبَنِي) إِلَّا أَنْ
يُقَاتِلَنِي ، فَقَاتَلَهُ فَنَقِلْتُهُ .

قال ابن هشام : أبو البختري : العاص بن هشام بن الحارث بن أسد .

مقتل أمية بن خلف

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ،
قال ابن إسحاق : وحدثني أيضا عبد الله بن أبي بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن
ابن عوف قال : كان أمية بن خلف لي صديقا بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو ،
فَنَسَمَيْتُ ، حين أسلمت ، عبد الرحمن ، ونحن بمكة ، فكان يلقاني إِذْ نَحْنُ
بِمَكَّةَ فيقول : يَا عَبْدَ عَمْرُو ، أَرِغِبْتَ عَنْ اسْمِ تَمَّاكَهَ أَبَوَاكَ ؟ فَأَقُولُ : نَعَمْ ،

فيقول : فإني لا أعرف الرحمن ، فأجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تُجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ، قال : فكان إذا دعاني : يا عبد عمرو ، لم أجبه ، قال : فقلت له : يا أبا علي ، اجعل ماشيت ، قال : فأنت عبدُ الإله ؛ قال : فقلت : نعم ، قال : فسكنت إذا سررتُ به قال : يا عبد الإله فأجيبه ، فأحدثت معه . حتى إذا كان يومَ بدر ، سررتُ به وهو واقفٌ مع ابنه ، علي بن أمية ، أخذ بيده ، ومعى أذراع ، قد استلبتها ، فأنا أحملها . فلما رآني قال لي : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ؛ فقال : يا عبد الإله ؟ فقلت : نعم ، قال : هل لك في ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأذراع التي معك ؟ قال : قلت : نعم ، ها الله ذا ، قال : فطرحْتُ الأذراع من يدي ، وأخذت بيده ويدَ ابنه ، وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط . أما لكم حاجة في اللابن ؟ (قال) : ثم خرجت أمشي بهما .

قال ابن هشام : يريد بالابن ، أن من أسرني افتديتُ منه يابِل كثيرة اللابن .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لي أمية بن خلف ، وأنا بينه وبين ابنه ، أخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل منكم المُعَلَّم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ؛ قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ؛ قال عبد الرحمن : فوالله إني لأقودها إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يمدب بلالا بمكة على ترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رمضاء مكة إذا سميت ، فيُضجعه .

على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحد أحد . قال : فلما رآه ، قال رأس الكفر أمية بن خلف ، لانبجوت إن نجما . قال : قلت : أى بلال ، أبأسيرى قال : لانبجوت إن نجما . قال : قلت : أنسمع يابن السوداء ، قال : لانبجوت إن نجما . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف ، لانبجوت إن نجما . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذب عنه . قال : فأخلف رجل السيف ، فضرب رجل ابنه فوقه ، وصاح أمية صيحة مسمعت مثلها قط : قال : قتلته أنج بنفك ، ولا نجاء بك فوالله ما أغنى عنك شيئا . قال : فهبروها بأسيا فهم ، حتى فرغوا منها . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، ذهبت أذراعى وتجننى بأسيرى .

شهود الملائكة وقعة بدر

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال : حدثني رجل من بنى غفار ، قال أقبلت أنا وابن عمى حتى أضمدنا في جيل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننظر الوقعة على من تكون الدبرة ففتنهيب مع من ينهيب . قال : فبينما نحن في الجبل ، إذ دنت مناسحابة ، فسمعنا فيها تخمجة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقدّم خيروم ، فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكذت أهلك ، ثم تماسكت .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدرًا ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليوم ببدر ومعي بصرى لأريقكم الشعب الذي خرجت منه للملائكة ، لا أشك فيه ولا أتمارى .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن رجال من بني مازن بن النجار ، عن أبي داود الساري ، وكان شهد بدرًا ، قال ، إنى لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن مقيم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عاثم بيضاء قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حنين عاثم خمرًا .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن علي بن أبي طالب قال : العاثم : نيجان العرب ، وكانت سيماء الملائكة يوم بدر عاثم بيضاء قد أرسلوها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن مقيم ، عن ابن عباس ، قال : ولم يُقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يَكُونُونَ فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يَضْرِبُونَ .

مقتل أبي جهل

قال ابن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز ، وهو يقاتل ويقول :
 ما تنقيم الحرب العوان مني ، فإزل علمين عديت سيئي
 لئلا هذا ولدني أمي

شعار المسلمين يدر

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
 بدر : أحد أحد .

عود إلى مقتل أبي جهل

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ،
 أمر بأبي جهل أن يلتبس في القتلى .

وكان أول من أتى أبا جهل ، كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة ، عن
 ابن عباس ، وعبد الله بن أبي بكر أيضا قد حدثني ذلك ، قالا : قال معاذ بن
 عمرو بن الجوح ، أخو بني سلمة : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الخرجة
 - قال ابن هشام : الخرجة : الشجر الكثيف ، وفي الحديث عن عمر بن الخطاب :
 أنه سأل أعرابيا عن الخرجة ؛ فقال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها -
 وهم يقولون : أبو الحكم لا يخص إليه . قال : فلما سمعتموها جعلته من شأني ،
 فصعدت نحوه ، فلما أمكنتني حملت عليه ، فضربت ضربة أطنت قدمه

بنصف ساقه ، فوالله ما شَبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تَطِيح من تحت مِرْضَخَةٍ :
النَّوى حين يُضرب بها . قال : وضربني ابنه عِكْرِمَةُ على عاتقي ، فَتَقَارَحَ
يدي فتعلقت بجلدة من جَنَبي ، وأجهدني القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامَّةَ يومى ،
وإلى لأشجُّها خلفي ، فلما آذنتني وضمتُ عليها قدمي ، ثم تطيتُ بها عليها
حتى طرحتها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمانُ عثمان .

ثم مرَّ بأبي جهل وهو عَقِيرٌ ، مُعَوِّذُ بن عَفْرَاءَ ، فغربه حتى أثبتته ،
فتركه وبه رمقٌ . وقاتل مُعَوِّذٌ حتى قُتل ، فرعَّبُ الله بن مَسْعُودَ بأبي جهل ،
حين أُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُلْتَمَسَ في القَتْلِ ، وقد قال لهم
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - انظروا ، إن خَفِيَ عليكم في القَتْلِ ،
إلى أثر جرح في رُكبتِه ، فإني أزدحتُ يوما أنا وهو على مَأْدِبَةٍ لعبدِ الله بن
جُدْعَانَ ، ونحن غلامان ، وكنتُ أشْفَ منه ببَيسير ، قد دفعته فوقَ على رُكبتِه ،
فُجِحِشَ في إحداها جَحْشًا لم يزل أثرُه به . قال عبدُ الله بن مَسْعُودَ : فوجدته
بِأَخْرِ رَمَقٍ فعرفته ، فوضعتُ رِجْلِي على عنقه - قال : وقد كان ضَبَّحَ بي
مَرَّةً بِمِكةَ ، فَأَذِنِي وَلَسَّكَرَنِي ، ثم قلتُ له : هل أخزأك الله يا عدوَّ الله ؟ قال :
وبماذا أخزاني ، أعمدُ من رجل قَتَلْتُمُوهُ ، أَخْبَرَنِي مَنْ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ بِمِكةَ :
قلت : لله ولرسوله .

قال ابن هشام : ضَبَّحَ : قبضَ عليه ولزِمَه . قال ضابيُّ بن الحارث .

الْبُرْجِيُّ :

فأصبحتُ مما كان بيني وبينكم من الودِّ مثل الضابطِ الماءِ باليدِ
قال ابن هشام : ويقال : أعارني رجل قتلتموه ، أخبرتني من الدائرة
اليوم ؟

قال ابن إسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم ، أن ابن مسعود
كان يقول :

قال لي : لقد ارتقيتُ مرتقى صعباً يارؤيبي الغم ، قال : ثم اختبرتُ
رأسه ثم جئتُ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا
رأسُ عدو الله أبي جهل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله
الذي لا إله غيره - قال : وكانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال :
قلت نعم ، والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحمد الله .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي : أن
عمر بن الخطأب قال لسعيد بن العاص ، ومرو به : إني أراك كأن في نفسك
شيئاً ، أراك تظن أني قتلُ أباك ، إني لو قتلتُه لم أعذر إليك من قتله ،
ولسكني قتاتُ خالي العاص بن هشام بن العنبرة ، فأما أبوك فإني مررتُ
وهو يبحثُ بحثَ الثور بروقه فحدثُ عنه ، وقصدَ له ابنُ عمِّه على قتلته .

غزوة بدر

وَبَدْرُ : اسم بئر حفروها رجلٌ من غِفَارٍ ، ثم من بني الناز منهم ، اسمه :
بَدْرُ ، وقد ذكرنا في هذا الكتاب قول مَنْ قال : هو بَدْرُ بْنُ قُرَيْشٍ بْنِ
يَحْيَى الَّذِي سَمِيَتْ قُرَيْشٌ بِهِ . وَرَوَى يُونُسُ عَنْ ابْنِ أَبِي زَكْرِيَاءَ الشَّعْبِيِّ
قال : بدر : اسم رجل كانت له بدر .

خمسة الأخبار :

فصل : وذكروا أبا سُفْيَانَ ، وأنه حين دنا من الحِجَازِ ، كان يتَحَسَّسُ
الأخبارَ . التَّحَسُّسُ بالخاء : أَنْ تَتَسَمَّعَ الأخبارَ بنفسك ، والتَّجَسُّسُ بالجيم : هو
أَنْ تَفْحَصَ عنها بغيرك ، وفي الحديث « لَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا تَحَسَّسُوا »^(١)
رُؤْيَا عاتكة :

وذكر رؤيا عاتكة والصارخ الذي رآته يصرخ بأعلى صوته : يَا الْقُدْرُ !!
هكذا هو بغم الغين والدال جمع غُدُور ، ولا تصح رواية من رَوَاهُ : بِالْقُدْرِ
بفتح الدال مع كسرى الراء ، ولا فتحها ، لأنه لا يقادى واحدا ، ولأن لام
الاستغثة لا تدخل على مثل هذا البناء في النداء ، وإنما يقول : يَا قُدْرُ انْهَرُوا
وَنَحْرُ يَضًا هُم ، أَيْ : إِنْ تَخَلَّفْتُمْ ، فَأَنْتُمْ غُدْرُ لقومكم وفتحت لام الاستغثة ،
لأن النادى قد وقع موقع الاسم المضمَر ، ولذلك بنى ، فلما دخلت عليه لام
الاستغثة وهى لام جر فتحت كما تفتح لام الجر إذا دخلت على المضمرات ،

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود ومالك .

هذا قول ابن السراج ، ولأبي سعيد السَّيرافي فيها تعليلٌ غير هذا كرهنا الإطالة بذكره ، وهذا القول مبني في شرح يالْغُدْرُ إنما هو على رواية الشيخ ، وما وقع في أصله ، وأما أبو عُبَيْدَة ، فقال في المصنف : تقول ياغُدْرُ ، أى : ياغادر ، فإذا جمعت قلت يا آل غُدْرَ^(١) ، وهكذا والله أعلم . كان الأصل في هذا الخبر ، والذي تقدم تغيير .

وقوله ، ثم مثل به بعيره على أبي قَبَيْسٍ ، سُمِّيَ هذا الجبل أبا قَبَيْسٍ رجل هلك فيه من جُرْمِهِمْ اسمه قَبَيْسُ بن شالْحٍ ، وقع ذكره في حديث عمرو بن مُضَاضٍ ، كما سُمِّيَ حُذَيْنُ الذي كانت فيه حُفَيْنٌ بِحُفَيْنِ بن قَالِيَةَ بن مِهْلَابٍ^(٢) ، أظنه كان من العماليق ، وقد ذكره البكري في كتاب مُعْجَم ما استعجم .

معنى اللبّاط :

وذكر حديث أبي آتِبٍ ، وبهشمة العاصي بن هشام ، وكان لاط له بأربعة آلاف درهمٍ . لاط له : أى أرزى له ، وكذلك جاء اللَّيْاطُ مُقْسَمًا في غريب الحديث للخطّابي ، وهو قوله عليه السلام في الكتاب الذي كتبه لتقيف : وما كان لهم من دينٍ لارغبن فيه فهو لِيَّاطٌ مُبَرَّأٌ من الله . وقال أبو عُبَيْدَة :

(١) في اللسان : ويقال في الجمع : يال غدر .

(٢) هو في شعر النكروين : مهملاتيل وضبطوه فيه بفتح الميم وسكون الهاء ، وفتح اللام الأولى وسكون الثانية ، وهو ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم كما ذكر في السفر ، وفي معجم البكري عن حنين : سمي بحنين بن قايبة بن مهلايل .

وسمى الربا لِيَاطًا ، لآنه مُلصَقٌ بالبيع ، وليس يبيع ، وقيل للربا لِيَاطًا لآنه ، لاصقٌ بصاحبه لا يَفْضِيهِ ، ولا يُوَضَّعُ عنه ، وأصل هذا اللفظ من اللصوق .

الحُمْرة والأُلُوَّة :

وعَزَمَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ عَلَى الْقُعُودِ ، وَأَنَّ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَهُ بِمِجْمَرَةٍ فِيهَا نَارٌ وَمِجْمَرٌ ، وَقَالَ : اسْتَجِمِرْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ ، الْمِجْمَرَةُ : هِيَ الْأَدَاةُ الَّتِي يُجْعَلُ فِيهَا الْبَخُورُ ، وَالْمِجْمَرُ هُوَ الْبَخُورُ نَفْسُهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ فِي صِفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَجَامِيرُهُمُ الْأُلُوَّةُ^(١) ، فَهَذَا يَجْمَعُ مِجْمَرٌ لِمِجْمَرَةٍ ، وَالْأُلُوَّةُ : هِيَ الْعُودُ الرَّطْبُ ، وَفِيهَا أَرْبَعُ لُتَاةٍ أُلُوَّةٌ وَأُلُوَّةٌ ، وَلُوَّةٌ بِفَسْرِ أَلِفٍ وَلِائَةٍ ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ .

وَذَكَرَ فِي شَعْرِ مَكْرَزٍ :

تَذَكَرْتُ أَشْلَاءَ الْحَيْبِ الْمَلْحَبِ

يُتْرَعُ شَعْرُ مَكْرَزٍ :

الْأَشْلَاءُ : أَعْضَاءُ مُقَطَّعَةٌ ، وَالْمَلْحَبُ مِنْ قَوْلِهِمْ : لَحَبْتُ اللَّحْمَ إِذَا قَطَعْتَهُ طَوَلًا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْعَيْنِ .

وَذَكَرَ فِي شَعْرِ مَكْرَزٍ :

(١) وَرَدَ هَذَا فِي حَدِيثٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ ، وَيَرَاهَا الْأَصْمَعِيُّ كَلِمَةً فَارْسِيَّةً ، وَأَبُو مَنْصُورٍ يَرَاهَا هِنْدِيَّةً . وَجَمَعَ أُلُوَّةٌ : الْأَوِيَّةُ .

متى ما أَجَلُّهُ الْفَرَاقِرُ يَنْطَبِ (١)

وقد فسر ابن هشام الْفَرَاقِرَ ، وقال : هو اسم سيف ، وهو عندى من
فَرَقَرِ الْأَحْمَ إِذَا قَطَعَهُ أَشَدُّ أَبُو عُبَيْد :

كَكُتَابٍ ظَمَمَ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ يَعْطَلُ بِالْحَلِيبِ فِي الْفَاسِ
أُنْحَى عَلَيْهِ يَوْمًا يُفَرِّقُهُ إِنْ يَلْغُ فِي الدِّمَاءِ يَنْتَهِسُ
وَيُرْوَى : يُشْرِثِرُهُ . وَالْمَنْهَبُ الَّذِي لَا قِلَّ لَهُ ، ويقال لذكر النعم
عَبَّابٌ (٢) .

مواضع نزل فيها ١ . سول صلى الله عليه وسلم :

وذكر عِرْقِ الظُّبَيْيَّةِ ، وَالظُّبَيْيَّةُ : شَجَرَةٌ شَبَّهَ الْقَتَادَةَ يُسْتَقَلُّ بِهَا ،
وَجَدَهَا . ظُبَيَّانَ ، وكذلك ذكر السَّيَّالَةَ فِي طَرِيقِ بَدْرَ ، وَالسَّيَّالُ شَجَرٌ ،
ويقال : هُوَ عِظَامُ السَّلَمِ ، قاله أبو حنيفة .

وذكر النَّازِيَّةَ ، وهى رَحْبَةٌ واسعة فيها عِصَاةٌ وَمُرُوجٌ (٣) .

وذكر سَجَسَجًا ، وهى بِالرَّوْتَحَاءِ ، وسميت سَجَسَجًا ، لأنها بين جَبَلَيْنِ ،

(١) هى فى نسخ السيرة التى بين يدي : متى ما أصبه .

(٢) فى شرح السيرة النخعى : والغيب بالهين المعجمة للغافل الناسى وبالعين

الرجل الضعيف عن طلب وتره . ويروى هنا بالوجهين ص ١٥٤

(٣) العضاة جمع عظامه : أعظم الشجر أو كل ذات شوك ، ومروج : جمع

مروج : الموضع ترمى فيه الحواب

وكل شيء بين شَيْئَيْنِ ، فهو : سَجَسَجٌ . وفي الحديث : إن هواء الجنة سَجَسَجٌ ،
أى : لا حَرٌّ ولا بَرْدٌ ، وهو عندى من لفظ السَّجَاج ، وهو آتِنٌ غيرُ خَالِصٍ ،
وذلك إذا أكثر مزجه بالماء ، قال الشاعر :

وَيَشْرِبُهَا مَزْجًا وَيَسْقِي عِيَالَهُ سَجَاجًا كَأَقْرَابِ الثَّمَابِ أَوْرَقًا

وهذا القول جارٍ على قياس مَنْ يقول : إن الثَّرَثَارَةَ من لفظ : الثَّرَثُ ،
ورَفَرَقْتُ من لفظ : رَفَقْتُ إلى آخر الباب .

وذكر الصَّغَرَاءُ ، وهى واد كبير .

أَنَاب :

وذكر بَسْبَسَ بن عمرو الجُمَيْي ، وَعَدِيَّ بن أبى الزَّغْبَاء حين بعثهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَحَسَّسَانِ الْأَخْبَارَ عَنْ عِيرِ قُرَيْشٍ ، وفي مُصَنَّفٍ
أبى داود : بَسْبَسَةَ مكان بَسْبَسٍ وبعض رواة أبى داود يقول بُسْبَسَةَ بضم
الباء : وكذلك وقع في كتاب مسلم^(١) ونسبه ابن إسحاق إلى جُهَيْنَةَ ، ونسبه

(١) في الإصابة عن بسبسة وهو بموحدين مفتوحين بينهما مهملة ساكنة
مهملة مفتوحة ، ويقال له : بسبس بغير هاء وهو قول ابن إسحاق وغيره ،
شهد بدرًا بائعًا ، ووقع ذكره في صحيح مسلم من حديث أنس ، قال : بعث
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبسة عينا ينظر ما صنعت عير أبى سفيان ،
فذكر الحديث في قصة بدر ، وهو بموحدين وزن فعلة ، وحكى عياض أنه في
مسلم بموحدة مصغرة ، ورواه أبو داود ووقع عنده بسبسة بصيغة التصغير ،
وكذا قال ابن الأثير أنه رأى في أصل ابن مندة . لكن بغير هاء .
والصواب الأول ، . وفي جمهرة ابن حزم : بسبس ص ٤١٥ .

غيره إلى ذبيان ، وقال : هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو
ابن سعد بن ذبيان^(١) ، وأما عدي بن أبي الزغباء ، واسم أبي الزغباء : سنان.
ابن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن بُذيل ، وليس في العرب بُذيل بالذال المنقوطة
غير هذا ، قاله الدار قطني ، وهو بُذيل بن سعد بن عدي بن كاهل بن نهر
ابن ملك بن غطفان بن قيس بن جُهينة ، وجُهينة : وهو ابن سود بن
أسلم بضم اللام بن الحنف بن فضاعة ، قال موسى بن عقبة : عدي بن أبي
الزغباء حليف بني مالك بن النجار مات في خلافة عمر ، وكان قد شهد
بدرًا وأُحدًا والتفندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الطيرة وكراهية الاسم الفحيح :

وذكر أنه عليه السلام مر بجبلين ، فقال على اسميهما ، قيل له : أحدهما
مُذِجٌ والآخر مُخْرِيٌّ ، فعدل عن طريقتهما ، وليس هذا من باب الطيرة^(٢) ،
التي نهى عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن من باب كراهية

(١) زاد في الإصـابة بعد خرشة : بن زيد ، وبعد ذبيان : بن رشدان .
ابن غطفان ، بن قيس بن جهينة ، وفي جمهرة ابن حزم كما في الروض ، ثم ذكر
بعد رشدان : ابن قيس بن جهينة ، فأسقط غطفان ص ٤١٥ .

(٢) الطيرة : ما يتشام به من العال الرديء ، وقد روى أبو داود والترمذي
وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذي : حسن صحيح : « الطيرة شرك ،
الطيرة شرك ، الطيرة شرك : وما لنا إلا ، ولكن الله يذهب بالوكل ، . ومعنى :
وما لنا إلا أي : وما لنا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك ، ولكن الله يذهب
ذلك عن قلب كل من يتوكل عليه . وذكر البخاري أن قوله : وما لنا إلى آخره .
من كلام ابن مسعود مدح غير مرفوع .

الاسم القبيح ، فقد كان عليه السلام يكتب إلى أسرائه إذا بُرِّدَ إلى بريداً فاجعلوه خَسَنَ الرَّوْجِ حَسَنَ الْإِسْمِ ، ذكره البزار من طريق بُرَيْدَةَ ، وقد قال في لِقَاحَةٍ : من يَحْلِبُ هذه ؟ فقام رجل : فقال أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنت ؟ فقال : مُرَّةٌ ، فقال : ائعد ، حتى قل آخرهم : اسمي : يَمِيشُ ، قال : احْلِبْ . اختصرت الحديث وفيه زيادة رواها ابن وهب ، قال : فقام عمر : فقال : لا أدري أقول أم أسكت ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل ، فقال له : قد كنت نَهَيْتُنَا عَنِ التَّطْيِيرِ ، فقال عليه السلام : ما تَطْيِيرُ ، ولكني آتَرْتُ الْإِسْمَ الْحَسَنَ ، أو كما قال عليه السلام . وقد أُمْلِيتُ في شَرْحِ حَدِيثِ الْمُوْطَأُ فِي الشُّؤْمِ ، وأنه إن كان في المرأة والفرس والدار تحقيقاً وبياناً شافياً لمعناه ، وكشفاً عن فقهه لم أر أحداً - والحمد لله - سَبَقَنِي إلى مثله .

مبداً سلمى ومخرى

وهذان الجبلان لتسميتهما بهذين الاسمين سبباً ، وهو أن عبداً لبنى غِفَارٍ كان يَرْعَى بهما غنماً لسيده ، فرجع ذات يوم عن المرعى ، فقال له سيده : لم رجعت ؟ فقال : إن هذا الجبل مسلح للغنم ، وإن هذا الآخر مخرب (١) ، فُسِّمَيَا بذلك . وجدت ذلك بخط الشيخ الحافظ فيما نقل عن التوقيفى .

(١) ولكن موضع الخرب يقال له مخرة - بفتح الميم والراء ، ومخرأة بدون همزة ، ومخرأة - بفتح الميم وضم الراء .

برك الفماد :

وذكر قول القناد : ولو بافت بنا برك الفماد ، وجدت في بعض كتب
التفسير أنها مدينة الخبيثة ^(١) .

تعبير قاتب الشركيين

وذكر القُتُب التي احتقرها للمشركون ليشرعوا منها ، قال : فلمر بتلك
الْقُتُبِ فَعُورَتْ ، وهي كلمة قبيلة ، وذلك أن الْقُتُبَ لما كان غنيًا جعلها كمين
الإنسان ، ويقال في عين الإنسان : عُرَتْها فَعَارَتْ ، ولا يقال : عُورَتْها ،
وكذلك قال في الْقُتُبِ عُورَتْ بسكون الواو ولكن لم يرد الفعل لما لم يُسَمَّ
فاعله ، ضُمَّت العين ، فجاء على لغة من يقول : قول القَوْلِ وبُوعِ المتاع ^(٢) ، وهي

(١) ضبطها البكري في معجمه فقال : « برك بكسر أوله وإسكان ثانيه ،
وهو في أقاصى مَجَر إلا أنه منضاف إليها . هو برك الفماد الذي ورد في الحديث
القاد بالعين المعجمة تَضُم وتكسر لغتان بعد ميم وألف ودال مهملة ، وقال
الهمداني في صفة جزيرة العرب ص ٢٠٤ ط ١٩٥٢ : وهو أقصى حِجَر باليمن ،
وقال ياقوت في الاشتراك وضعًا والمفترق صقعًا » باب برك ثمانية مواضع بكسر
الباء وسكون الراء وكاف . الأول موضع بناحية اليمن في نصف لاطيق بين مكة
وزيد ، ثم ذكر باقي المواضع . وفي المراسد موضع وراء مكة بخمس ليال بما يلي
البحر ، وقيل : بلد باليمن ، وهو أقصى حِجَر باليمن ،

(٢) يستشهد النحاة على هذه اللفظة بيت رؤية :

ليت ، وهل ينفع شيئًا ليت ليت شبابا بوع فاشترت
وقد ورد في كتب النحاة هكذا على حين يروى في ديوان رؤية باللفظة الفصحى ،

أى : بيع بدلًا من بوع

لغة هُذَيْل وبنى دُبَيْر من بنى أُسَد وبنى قَعَس ، وبنو دُبَيْر هو تصغير أدَبَر على التَّخْمِيم ، وإن كانت لغة رديئة ، فقد حُسِّنَتْ هنا للمحافظة على لفظ الواو ، إذ لو قالوا : عيرت فأَمِيت الواو ، لم يعرف أنه من العَوَر إلا بعد نظر ، كما حافظوا في جمع عيد على لفظ الياء في عيد فقالوا : أعيَاد ، وتركوا القياس الذي في ربيع وأرواح على أن أرباحا لغة بنى أُسَد كي لا تذهب من اللفظ الدلالة على معنى المين ، وإن كان من العَوْدَةِ ، وقس على هذا القول ، وصحة الواو فيه ، وكما حافظوا على الضمة في سُبُوح وقُدُوس ، وقياسه : أن يكون على فَعُول بفتح الفاء كَنُتُوم وشَيْطُوط^(١) وبابه ، واسكن حافظوا على الضمَّتين ، لِيَسْلَمَ لفظُ القُدُس والشُّبُحات وسُبُحان الله يَسْتَشِيرُ المتكلمُ بهذين الاسمين . معنى القُدُس ، ومعنى سُبُحان من أول وهلة ، ولما ذكرناه كثيرة نظائرُ يُخْرِجُنا إِبْرَادُها عن القَرَضِ .

= كما استشهد الامثوني بقول الراجز :

حوكت على نيرين إذ تحاك تخبط الشوك ، ولا تشاك
على حين يروى باللغة الفصحى : حيك .

والفعل الثلاثي المعمل الوسط يجوز في فائه ثلاثة أشياء : الكسر ، الإشمام ، الضم بشرط أمن اللبس . والإشمام هو الإتيان بحركة بين الضم والكسر على الفاء ، بأن يؤتى بجزء من الضم قليل سابق ، وجزء من الكسرة كثير لاحق . ويسمى القراء هذا : روحا ، وقد قدى في السبعة بالإشمام . قيل وغيض . وأفصح اللغات الكسر ، ثم الإشمام ، والضم : أردوها . وقد أورد ابن مالك اللغات الثلاثة في الفيته .

(١) تنوم : شجرة أو حبة ، والشبوط : نوع من السمك .

تفسير كلمات

وذكر قول أبي جهل : قم فانشد خُفْرَتَكَ ، أى : اطلب من قُريش
الوفاء بخُفْرَتِهِمْ لك ، لأنه كان حليفا لهم وجارا ، يقال : خُفَرْتُ الرجلَ خُفْرَةً
إذا أُجِرْتَهُ ، والخفير : المجير . قال [عدى بن زيد] العبادى .

مَنْ رَأَيْتَ الْأَيَّامَ خَلَلْنَ أُمَّ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرٌ^(١)

وقوله : خَفِيتُ الحربُ ، يقال : خَفِبَ الأمرُ إذا اشتد ، وضاعت فيه
المسالكُ ، وهو مُتَعَمَّرٌ من خَفِبَ البعيرُ إذا اشتدَّ عليه الخقبُ وهو الحزام
الأسفل ، ورائح حتى يَبْلُغَ نَيْلَهُ^(٢) ، فضاك عليه مسلكُ البَولِ .

وقول غنبة في أبي جهل : سيملم مُصَفِّرُ اسْتِه من انتفخ سَجَرُهُ . السَجَرُ
والسَجَرُ الرُّنَّةُ ، والسَجَرُ أيضاً بفتح الحاء ، وهو قياسٌ في كل اسمٍ على فَعْلٍ
إذا كانَ عَيْنُ الفَعْلِ حَرْفَ حَلْقٍ^(٣) ، أن يحوز فيه الفتحُ ، فيقال في الدَّهْرِ :
الدَّهْرُ ، وفي اللَّحْمِ : اللَّحْمُ ، حتى قالوا في النَّحْوِ النَّحْوُ ، ذكرها ابن جني ،
ولم يعتمدوا على هذا التحريك الذى من أجل حَرْفِ التَّحْلُقِ لما كانَ لِأَوَّلِهِ ،

(١) سبقت قصيدته التى منها هذا البيت في الجزء الاول . والبيت في الأغاني :

ومن رأيت المنون ، ص ١١٥ المجلد الثانى ط لبنان .

(٢) بالكسر وبالفتح شئ . بين رجلى البعير الخلفيتين يستحي من ذكره وتستطيع

لمح معناه .

(٣) هى حروف الهجاء التى تخرج عند اللزق من الحلق ، وهى الهمزة والهاء

والعين والحاء والظين والحاء .

فلم يقلبوا الواو من أجله ألفا حين قالوا : النَّحَوِ وَالزَّهْدَ ، ولو اغتدوا بالفتحة ،
لقالبوا الواو ألفا ، كما لم يمتدوا بها في : يَهَبُ وَيَضَعُ ، إذ كان الفتح فيه من
أجل حرف الخلق ، ولو اغتدوا به ، لرُدوا الواو فقالوا : يَوْضَعُ وَيَوْهَبُ ،
كما قالوا : يَوْجَلُ .

من قائل أبي عذرها وماء أبي مهمل

وقوله مُصَفَّرُ اسْتِه : كلمة لم يَخْتَرعها عُتْبَةُ ، ولا هو بأبي عذرها ، قد
قيلت قبله لقابوس بن النعمان ، أو لقابوس بن المنذر ، لأنه كان مَرَفَّها لا يَمَزُو
في الحروب ، فقيل له : مُصَفَّرُ اسْتِه ، يريدون : صُفْرَةُ الْخُلُقِ وَالطَّيِّبِ ،
وقد قال هذه الكلمة قيس بن زهير في حُدُوفَةِ يوم التَّجَاوُفِ ، ولم يقل أحد
إن حُدُوفَةَ كان مَسْتَوْهاً ، فإذا لا يَصِحُّ قول من قال في أبي جهل من قول
عُتْبَةَ فيه هذه الكلمة : إنه كان مَسْتَوْها والله أعلم .

وسادة العرب لاستعمل الخلق والطيب إلا في الدعة والخفض وتعيبه
في الحرب أشد العيب ، وأحسب أن أبا جهل لما سلمت العير ، وأراد أن ،
يَنْحَرَ الْجَزُورَ ، وبشرب الخمر يبدد ، وتعرف عليه القيان بها استعمل الطيب
أو هم به ، فلذلك قال له عُتْبَةُ هذه المقالة ، ألا ترى إلى قول الشاعر في
بنى مخزوم :

وَمِنْ جَهْلٍ أَبُو جَهْلٍ أَخُوكُمْ غَزَا بَدْرًا بِمَجْمَرَةٍ وَنَوَّرَ

يريد : أنه تَبَخَّرَ وَتَطَيَّبَ في الحرب .

وقوله : مُصَفَّرٌ اسْتَه (١) إنما أراد مُصَفَّرٌ بَدَنَهُ ، وليسكنه قصد المبالغة في الذمّ نخص منه بالذكر ما يسوؤه أن يُذكر .

قول سواد بن غزيرة

فصل ، وذكر قصة سواد بن غزيرة حين مر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مُسْتَنْصِلٌ أمام الصف ، قال ابن هشام : ويقال : مُسْتَنْصِلٌ . قوله : مُسْتَنْصِلٌ أمام الصف ، يقال استنصت واستنصت وأبرندعت وأبرنبت بالراء المهملة وبالألف ، هكذا تنقيد في الغريب المصنف ، كل هذا إذا تقدمت . سوادٌ هذا بتخفيف الواو (٢) ، وكل سواد في العرب ، فكذلك بتخفيف الواو ونجح السنين إلا عمرو بن سواد أحد بني عامر بن لؤي من شيوخ الحديث ، وسواد بنهم السنين ، وتخفيف الواو ، هو ابن مري بن إراشة ابن قضاة ثم من جليّ خلفاء الأنصار ، ووقع في الأصل من كلام ابن هشام سواد مثله ابن غزيرة ، وهو خطأ ، إنما الصواب ما تقدم ، وسواد هذا هو عامل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على خيبر الذي جاءه بقميص جنيب ، ذكره مالك في الموطأ ولم يُسمه .

وقول ابن هشام مُسْتَنْصِلٌ ، منناه : خارج من الصف من قولك :

(١) يقول أبو ذر الغفري : العرب تقول هذا القول للرجل الجبان ،

ولا تزيد به الذم . ص ١٥٧ .

(٢) وابن هشام يقول إن الواو مثقلة . وقد قيده بالتخفيف - كما ذكر أبو ذر الغفري - الدارقطني وعبد القتي ص ١٥٧ . وقول ابن هشام خطأ كما سيبين السبلي .

نَهَضَتُ الرَّمْحَ إِذَا أُخْرِجْتَ تَمَتِّعُهُ (١) مِنَ السَّيْفِ .

تفسير بعض مناسبتك :

وذكر قول أبي بكرٍ بعضَ مُنَاشِدَتِكَ رَبَّكَ ، فإنَّ اللهَ مُنَاجِرُكَ
ما وعدَكَ ، رواه غير ابنِ إسحاق كذلك مُنَاشِدَتَكَ ، وفسره قاسمٌ في الدلائل ،
فقال : كذلك قد يرادُّ بها معنى الإغراء والأدبُ بالكَتفِ عن الفعل ،
وأنشد الجريز :

[تقول وقد تراحت الطائيا] كَذَلِكَ الْقَوْلُ لِيْ عَلَيْكَ عَيْتًا (٢)

أى : حَسْبُكَ مِنَ الْقَوْلِ ، فدعه ، وفي البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لأنجشة يا أنجشة رُوَيْدُكَ سَوْفَكَ بالقوارير ، وأورده مروة أخرى فقال فيه
سَوْفَكَ (٣) وإنما دخله معنى النصب كما دخل : عَلَيْكَ رَيْدًا معنى النصب ، وفي

(١) المطلوب هنا : طرف الرمح الداخل في حبة السياف ، ونصل من الاضداد
تدل على الإخراج والإدخال في هذا المعنى .

(٢) في الأصل لجهر والنصوب من المواهب وكذلك الشطر الأول
ص ٤٢٢ ، ١ المواهب : وقد خطأ الحافظ من زعم أن كذاك تصحيف لكفاك .
ورواية كذاك وردت في رواية مسلم وسنن أبي داود والترمذى .

(٣) روى أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال :
كان أنجشة يحذر بالنساء ، وكان الهراء بن مالك يجدهم بالرجال ، فإذا أعقب الإبل
قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنجشة رويدك سَوْفَكَ بالقوارير . ورواه
الشيخان مختصراً عن طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس . ورواه مسلم عن
طريق سليمان بن طرخان التيمي عن أنس قال : كان للنبي « ص » جاد يقال له : —

دونك ، لأنك إذا قلت دونك زيدا وهو يطلبه فقد أعلته بمكانه فكانك قلت : خذ ، ومألة كذلك من هذا الباب لأنك إذا قلت : كذلك القول أو السير ، فكانك قلت : كذلك أمرت فأكف ودع ، فأصل البابين واحد وهو ظرف بـمـده ابتداء ، وهو خير يتضمن معنى الأمر أو الإغراء بالشئ ، أو تركه ، فنصبوا بما في ضمن الكلام ، وحسن ذلك حيث لم يعدلوا عن عامل لفظي إلى معنوي ، وإنما عدلوا عن معنوي إلى معنوي ، ولو أنهم حين قالوا : دونك زيدا يلقظون بالفعل فيقولون استقر دونك زيد ، وهم يريدون الإغراء به والأمر بأخذه . أما جاز النصب بوجه ، لأن الفعل ظاهر لفظي ، فهو أقوى من المعنوي .

معنى مناصرة أبي بكر

فصل : وفي هذا الحديث من المعاني أن يقال : كيف جمل أبو بكر بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ، ويقوى رجاءه ويثبتته ، ومقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو المقام الأحمد

== أنجشة ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - ، رويدك سوقك بالقوارير . وهناك خلاف حول شخصية أنجشة . وقد شبه النساء بالقوارير من الزجاج لأنه يسرع إليها الكسر ، وكان أنجشة يحدو وينشد الفريض والرجز ، فلم يأمن أن يصيبهن أو يقع في قلوبهن حدائره ، فأمره بالكف عن ذلك . وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرع في المشي واشتدت ، فأزعجت الراكب ، وأتعبته ، فنهاه عن ذلك ، لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة ، وسميت القارورة بهذا لاستمرار الشراب فيها . ابن الأثير .

وبقيته فوق بين كل أحد ، فسمعت شيخنا الحافظ ^(١) - رحمه الله - يقول في هذا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف ، وكان ص حه في مقام الرجاء ، وكلا ، النعامين سواء في الفضل ، لا يريد ^(٢) أن النبي والصديق سواء ، ولكن الرجاء والخوف مقامان لا بد للايمان منهما ، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرجاء لله ، والنبي عليه السلام كان في مقام الخوف من الله ، لأن الله أن يفعل ما شاء ، تخاف أن لا يعبد الله في الأرض بعدها ، تخوفه ذلك عبادة . وأما قاسم بن ثابت ، فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا ، وقال : إنما قال ذلك الصديق مأوية للنبي عليه السلام ورقة عليه ، لما رأى من نصيبه في الدعاء والتضرع حتى سقط رداه عن منكبتيه ، فقال له : بعض هذا يا رسول الله ، أي : لم تُعَبُّ نفسك هذا التعب ، والله قد وعدك بالنصر ، وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

(١) يعني القاضي أبا بكر بن العربي .

(٢) يعني شيخه ابن العربي ، وهي في الأصل : نريد ، والتصويب من

المواهب ص ٤٢٠ - ١ .

(٣) القول الأول قول الصوفية ، والمقام عندهم كما عرفه القشيري في رسالته : ما يتحقق به العبد بمنزلته من الآداب بما يتوصل إليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلب ، ومقاساة تكلف ، فقام كل أحد : موضع إقامته عند ذلك ، وما هو مشغل بالرياضة له ، وقد عرف أبو علي الدقاق الخوف بقوله : الخوف ألا تبطل نفسك بعسى وسوف . وعرفوا الرجاء بقولهم : ثقة الجود من الكريم الودود ، ولهما تعريفات أخرى غير هذا . وأقول : لا يمكن أن يتصل الرجاء عن الخوف ولا الخوف عن الرجاء أبداً ، فقلب المسلم ، والمسلم الحق يغمر قلبه الرجاء ، والخوف مما في كل أحواله . والصوفية يشترطون على الدرويش ، أو التابع =

= ألا يتنى من مقام إلى آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام ١١ ثم قالوا : ولا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود ١١ يعنون الشهود الإلهي ١١ أفيتنى هذا مع روح الإسلام ؟ ، وكيف يعيش الإنسان في مقام الخوف وحده ؟ ولا ينتقل إلى مقام الرجاء إلا بشهود ؟ . وكيف تظن بالنبي العظيم صلى الله عليه وسلم مثل هذا الظن ؟

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدرك تماماً حقيقة الموقف ، وكان على بينة بما يترتب على الهزيمة والنصر ، أكثر وأعظم من أبي بكر ، فاتفقت مشاعره بهذا الإدراك خوفاً ورجاءاً ، أما أبو بكر فقد تعبط إدراكه للأمر عن الاتفاق الرفيع الاسمى الذى تأتى قوة إدراك الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما شغله عن المواقف قليلاً ، أو شغله من الموقف حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ما قال رضى الله عنه وأرضاه . ولقد أبدع الحافظ فى الفتح ، وهو يفسر قوله ص ، إن تلك هذه المصيبة لا تعبد : « وإنما قل ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين ، فلو هلك هو ومن معه حينئذ ، لم يبعث أحد من يدعو إلى الإيمان ، ولا تستمر المشركون بمبدون غير الله » وهو يبين تماماً كيف كان الرسول ص ، ينظر إلى الموقف . . . وفى مسلم أن النبي قال هذا الكلام أيضاً يوم أحد . أما المناشدة . فى البخارى فى المغازى أن أبا بكر قال : حسبك . وفى التفسير : وقد ألححت على ربك . روى مسلم : يابى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك . وقد فسر الخطايب المناشدة بقوله : لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ص ، فى تلك الحال ، بل الحاصل للنبي صلى الله عليه وسلم شقيقته دلى أصحابه ، وتقوية قلوبهم ، لأنه كان أول مشهد شهده ، فبالغ فى التوجه والدعاء والابتهاال ، لتسكن نفوسهم عند ذلك ، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال أبو بكر ما قال ، كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما رجا أبو بكر فى نفسه من التقوية والطمأنينة ص ٢٣١ > ٧ فتح البارى ط عبد الرحمن محمد .

جهاد النبي في المعركة :

قال المؤلف : وأما شِدَّةُ اجتهادِ النبي - صلى الله عليه وسلم - ونصيه في الدعاء فإنه رأى الملائكة تنصب في القتال وجبريل على ثنائيه الغبار ، وأنصارُ الله يخوضون غمار الموت . والجهادُ على ضربين : جهاد بالسيف ، وجهاد بالدُّعاء ، ومن سُنَّةِ الإمام أن يكون من وراء الجُنْدِ لا يقاتل معهم ، فكان الكلُّ في اجتهادٍ وجِدِّ ، ولم يكن يُرِجَحُ نفسه من أحدِ الجِدِّين والجهاديين ، وأنصارُ الله وملائكته يجتهدون ، ولا ليُوَثِّرَ الدَّعَاةُ ، وحزبُ الله مع أعدائه يَجْتَلِدُونَ .

المفاعلة :

وقوله بعضُ مُنَادِيكَ رَبِّكَ ، والمفاعلة لا تكون إلا من اثنين والربُّ لا يَشُدُّ عَبْدَهُ ، وإنما ذلك لأنها مُنَاجَاةٌ للربِّ ، ومحاولةٌ لأمرٍ يريدُه ، فلذلك جاءت على بناء المفاعلة ، ولا بُدَّ في هذا الباب من فَعْلَيْنِ لَفَاعِلَيْنِ ، إِمَّا مُتَّفَعَيْنِ في اللفظ ، وإِمَّا مُتَّفَعَيْنِ في المعنى ، وظنُّ أكثرِ أهلِ اللغة أنها قد تكون من واحدٍ نحو : عاقبت العبدَ وطارقتُ النملَ ، وسافرتُ ، وعافاه الله ، فنقول : أَمَّا عاقبتُ العبدَ فهي مُعَامَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، عامِلَكَ بِالذَّنْبِ ، وعاملته بالعموَّة ، فأخِذْ لفظها من العموَّة ، ووزنها من المُعَامَرَةِ ، وأما طارقتُ النملَ ، فمن الطرق وهو القوة ، فقد قَوَّيْتُهَا وَقَوَّيْتُكَ عَلَى الْمَشْيِ ، فلفظها من الطرق ، وبناؤها على وزن المُعَامَرَةِ وَالْمُقَاوَاةِ ، فهذا اتِّفَاقٌ في المعنى ، وإن لم يكن في اللفظ ، وأما سافر الرجلُ فمن سَفَرْتِ : إِذَا كَسَفَتْ عَنْ وَجْهِكَ ، فقد

سَفَرُ اقْوَمِ ، وَسَفَرُوا لَهُ ، فَهَذِهِ مُوَافَقَةٌ فِي الِالْفَظِ وَالْمَعْنَى ، وَأَمَّا الْمَعَاوَاةُ ، فَإِنَّ السَّيِّدَ يُعْنَى عَبْدُهُ مِنْ بَلَاءٍ فَيُعْنَى الْعَبْدُ سَيِّدَهُ مِنَ الشُّكْوَى وَالْإِلْحَاحِ ، فَهَذِهِ مُوَافَقَةٌ فِي الِالْفَظِ ، ثُمَّ تَضَافُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ اتِّسَاعًا فِي السَّكَلَامِ ، وَبَحَازًا حَسَنًا .

عَصَبٌ وَعَصَمٌ :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا جبريلُ على تنفائيه النَّعْمُ ، وهو الْغُبَارُ ، وفي حديث آخر أنه قال : رأيته على قَرَسٍ له شَقَرَاءُ ، وعليه عِمَامَةٌ أَحْمَرَاءُ ، وَقَدْ عَصَمَ بِشَنَيْنَةِ الْغُبَارِ ؛ قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : عَصَمَ وَعَصَبَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، يُقَالُ : عَصَبَ الرِّيقُ بِفَيْهِ ، إِذَا يَدَسَّ وَأَنْشَدَ (١) :

يَعَصِبُ فَاهُ الرِّيقُ أَيْ عَصَبَ عَصَبَ الْجُبَابِ بِشَفَاةِ الْوُطْبِ

(١) الرجز لأبي محمد النعماني كما في اللسان وشرح لإصلاح المنطق للتبريزي . .
وفي إصلاح المنطق لابن السكيت : العصب — يفتح فسكون مصدر عصب الريق
بفيه يعصب عصباً إذا دبس ، وقد عصب فاه الريق . قال ابن أحرر :
حتى يعصب الريق بالضم

ثم روى بيت النعماني ثم قال : والجباب ما اجتمع على فم الوطب
مثل الزبد من لبن الإبل ، فالجباب للابل مثل الزبد للغنم ص ٤٦ ط دار
المعارف وانظر الامالي ١ ص ٢٧ ط ٢ ونسب ط اللآل ص ١٢٥ وفيه
وعصب الريق يكون من الجبن في مواطن الحرب ومن الحصر والعبي في مواطن
الجدال ، وانظر نوادر أبي زيد الانصاري ص ٢١ ورواد عن الجباب ، وربما
دهن به الاعراب ، ولم ينسب البيت إلى أحد . وعصب بفتح الصاد وكسرهما كما
في اللسان .

وخالفه قاسم بن ثابت ، وقال : هو عَصَمٌ مِنَ الْعَصِمِ وَالْعَصَمِ ، وهى كالبقية تبقى فى اليد وغيرها من لَطَخِ حِنَاءٍ أَوْ عَرَقٍ أَوْ شَيْءٍ يَلْصِقُ بِالْعَصْدِ ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : أعطنى عَصَمَ حِفَائِكَ ، أى ما سَلَكْتِ من حِنَائِهَا ، وقَشَرْتِهِ من يدها .

حديث عمر بن الخطاب :

فصل : وذكر حديث عُثَيْرِ بْنِ الْحُطَّامِ بْنِ الْجُمُوحِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حِرَامٍ حِينَ أُلْقِيَ التَّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : بَيْخٌ بَيْخٌ ، وهى كَلِمَةٌ ، معناها التمتع ، وفيها لغات بَيْخٌ بسكون الخاء وبكسرهما مع التنوين ، ويتشديدها مُنَوَّنَةٌ ، وغير مُنَوَّنَةٌ ، وفى حديث مسلم والبخارى : أن هذه القصة كانت أيضاً يوم أُحُدٍ لَسَكَنَهُ لَمْ يُسَمَّ فِيهَا عُثَيْرًا ، ولا غيره فإله أعلم .

حديث عوف بن عفراء :

وقول عوف بن عفراء : مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَدْ قِيلَ فِي عَوْفٍ : عَوْذٌ بِالذَّالِ الْمُنْقَوِطَةِ ، ويقوى هذا القول أن أخويه : مُعَاذٌ وَمُعَوَّذٌ .

ضحك الرب :

ويضحك الربُّ ، أى يُرَضِّيه غاية الرضى ، وحقيقته أنه رَضِيَ معه تبشيراً وإظهار كرامة ، وذلك أن الضحك مُضَادٌّ لِلْعُصَبِ ، وقد يَفْضُبُ السَّيِّدُ ، ولا يمكنه يَفْعُو وَيُبْقَى الْعُصْبُ ، فإذا رَضِيَ ، فذلك أكثر من العفو ، فإذا ضحك فذلك غاية الرضى ؛ إذ قد يَرْضَى ولا يُظْهِرُ ما فى نفسه من الرضى ، فمُعَبَّرٌ عَنْ

الرَّضَى وإظهاره بالضحك في حقِّ الربِّ سُبحانَهُ تَجَازاً وبِلاغةً ، وتَضَمُّناً
لهذه المعاني في لَفْظٍ وَجِيزٍ ؛ ولذلك قال عليه السلام في طَلْحَةِ بنِ الْبَرَاءِ : اللهم
الْقِ طَلْحَةَ يَضْحَكُ إِلَيْكَ ، وتضحك إليه ، فعنى هذا : القه إلقاء مُتَجَابِّينَ
مُتَظَمِّينَ لما في أنفسهما من رِضَى ، وَتَحَبُّةٍ ، فإذا قيل : تَحِيَّكَ الرَّبُّ لِقُلَانٍ ،
فهى كلمة وجيزة تتضمن رِضَى مع محبة وإظهار بشرى وكرامة ، لا مزيدَ عليها ،
فهى من جوامع السَّكِيمِ التى أوتِيها عليه السلام ^(١) .

(١) لا يمر بخاطر مسلم ولا فكره حين يسمع بالضحك منسوباً إلى الله سبحانه ما يمر
بخاطره أو فكره حين يسمع به منسوباً إلى البشر ، ولا يتصور مسلم أن صورة
الضحك البشرى ، وما يستلزمه وما يحدث حين يكون يمكن أن ينسب إلى الله
سبحانه ، فهذا ضحك البشر ، وذاك ضحك الله الذى ليس كمثله شئ . ولما انقاف
عن تأويله بشئ آخر حين يصح نقلاً نسبته إلى الله جل وعلا . وأصل الضحك
لغة : يفيد الانكشاف والبروز ، وكل من أبدى عن أمر كان مستوراً . قيل :
قد ضحك . كما تقول : ضحكت الأرض بالنبات إذا ظهر فيها ، وانفتق
عن زهره وهو لا يسألزم انبساط الوجه وتكسر الأسنان إلا حين يكون منسوباً
إلى البشر ، أما حين ينسب إلى الله سبحانه ، فلا يسألزم شيئاً مما نسب إلى الخلق ،
لأنه جل شأنه الخالق . هذا ولم يرد نسبة الضحك في القرآن إلى الله سبحانه .
وإنما ورد في الحديث مثل : ويضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما
يدخل الجنة يقاتل هذا في سبيل الله ، فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل ، فيقاتل في
سبيل الله ، فيستشهد ، البخارى ومسلم . وكفوله صلى الله عليه وسلم الأنصارى
وامرأته اللذين استضافا رجلاً ، : ولقد ضحك الله الليلة - أو عجب من فعالهما
من حديث رواه البخارى ومسلم . وانظر ص ٦٧ ، الاحكام والصمات لآبى بكر
أحمد بن الحسين بن على البيهقى ، مطبعة السعادة .

شرح كلام أبي البخترى والمجذر

فصل : وقول أبي البخترى أنا وزميل . الزميل : الرديف ، ومنه :
أزْدَمَلَ الرجلُ بحمله إذا ألقاه على ظهره ، وفي مُسْنَدِ الحارثِ عن ابن مسعود ،
قال : كنا نَتَمَاقَبُ يومَ بذْرِ ثلاثة على بَعِيرٍ ، فكانَ عليٌّ وأبو لُبَابَةَ زَمِيلَيَّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كانت عُمُيقَتُهُ - عليه السلام - قالَا له
أزْكَبُ ، ولَمْ تَنْشِ عَنْكَ يا رسولَ الله ، فيقول : ما أنتما بأقوى على المشي مني ،
ولا أنا بأنغى عن الأجر منكما .

وقول المجذر : كَارَزَامَ المَعْرَى . المَعْرَى : الناقة تُعْرَى للحَبَابِ ، أى
تُتَمَسَّحُ أَخْلَاقُهَا . وإِرْزَامُهَا : صَوْنُهَا وَهَذْرُهَا ، وقد تقدم الفرق بين أَرْزَمَتْ
وَرَزَمَتْ ^(١) .

(١) فى اللسان : رزمت الناقة ترزم وترزم بضم الزاى أو كسرهما رزوما
ورزاما بالضم : قامت من الإعياء والهزال فلم تتحرك ففى رازم ، وأرزمتم
الناقة إرزاما : وهو صوت تخرجه من حلقها لا يفتح به فم ، وإليك بعض معانى
قصيدة المجذر : الرماح اليزنى : المنسوبة إلى ذى يزن ، وهو ملك من ملوك
اليمن . والكبش : رئيس القوم . والصعدة : عصا الرمح ، ثم يسمى
الرمح : صعدة . وأعبط : أقتل والعبط : القتل من غير سبب ، والقرن :
المقاوم فى الحرب . والعضب : السيف المقاطع . والمشرقى : منسوب إلى المشارف
وهى قرى بالشام . وفى كتاب العين أن المرى هى الناقة الغزيرة اللبن . يفرى
فرى : أتى بأمر عجيب ، عن أبى ذر الغفنى فى شرح السيرة .

تفسيرها الله وهبروه:

وقول عبد الرحمن بن عوف لِأُمِّيَّةَ : هَا الله ذَا^(١) . هَا : تنبيهة ، وذا إشارة إلى نفسه ، وقال بعضهم : إلى القسم ، أى : هذا قسمي ، وأراها إشارة إلى الْمُقْسِمِ ، وخُفِضَ اسمُ الله بحرفِ القسمِ أَضْمَرَهُ ، وقام التنبيهُ مقامه ، كما يقوم الاستفهام مقامه ، فَكَانَ هَا : هَا نَذْرًا مُقْسِمًا ، وفصل بالاسم المقسم به ، بين هَا وذا ، فَعَلِمَ أَنَّهُ هُوَ الْمُقْسِمُ فَاسْتَفْنِي عَنْ أَنَا ، وكذلك قول أبي بكر : لَاهَا الله ذَا ، وقول زُهَيْر :

تَعْلَمَنَّ هَا لَعَنَرُ اللهِ ذَا قَتْمًا^(٢)

(١) هي في النسخة المطبوعة مع الروض : هَا إله ذَا .

(٢) بقيته . فاقصد بذرعك وانظر أين ينسلك .

وإذا دخلت هَا على إله ففيه أربعة أوجه أكثرها : إثبات ألف هَا ، وحذف همزة الوصل من إله فيلتقى ساكنان : ألف هَا ، واللام الأولى من : إله ، وكان القياس حذف الألف ، لأن مثل ذلك إنما ينتظر في كلمة واحدة كالأضالين ، أما في كلمتين فالواجب الحذف ، نحو ذَا إله وما إله ، إلا أنه لم يحذف في الأغلب ههنا ليكون كالتنبيه على كون ألف هَا من تمام ذَا ، فإن هَا إله ذَا ، يحذف ألف هَا ربما يوم أن الهاء عوض عن همزة إله كهرقت في أرقت ، وهياك في إياك .
والثانية وهي المتوسطة في القلة والكثرة — هَا إله ذَا ، يحذف ألف هَا لساكنين كما في ذَا إله ، وما إله ، ولكونها حرفا كلا ، وما وذا .
والثالثة — وهي دون الثانية في الكثرة — إثبات ألف هَا ، وقطع همزة إله مع كونها في الدرج .

والرابعة : حكاها أبو علي — وهي أقل الجميع — هَا إله يحذف همزة الوصل وفتح ألف هَا لساكنين بعد قلبها همزة ، كما في الضالين ، ودأبة . قال الخليل : =

أكد بالمصدر قَسَمَهُ الذى دل عليه لفظه المتقدم .

وقوله : هَبْرُوهُ بأسيافهم من التَّهْبَرَةِ وهى القِطْعَةُ العظيمة من اللحم ،
أى أَطَمَوْهُ .

وذكر قول الغِفَارِيِّ حين سمع سَحْمَةَ الخيلِ فى السَّحَابَةِ ، وَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ :
أَفْدُمُ حَبْرُومُ . أَفْدُمُ بضم الدال ، أى أَفْدُمُ الخيلَ ، وهو اسمُ فرسٍ جَبَرِيَلٍ ،

= ذا من جملة جواب القسم ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، أى الامر ذا ، أو فاعل :
أى ليكون ذا ، أو لا يكون ذا ، والجواب الذى يأتى بعد نفيًا أو إثباتًا نحو :
ها الله ذا لافعلن ، أو لا أفعل بدل من الأول ، ولا يقاس عليه ، فلا يقال :
ها الله أخوك أى لانا أخوك ونحوه . وقال الأخفش : ذا من تمام القسم ، إما صفة
لله ، أى الله الحاضر الناظر ، أو مبتدأ محذوف الخبر ، أى ذا قسمى ، فبعد هذا
إما أن يجىء الجواب ، أو يحذف مع القرينة ، الرضى فى شرح كافية ابن الحاجب
ج ٢ ص ٢١٢ أما معنى التمييز ، فقد ذكر الرضى أن معناها القسم ، ثم ذكر
الاختلاف حول الهاء ، فقال : « وإذا حذف حرف القسم الاصلى أعنى : الهاء ،
فإن لم يبدل منها ، فاختار النصب بفعل القسم ، ويختص لفظه الله بجوارز الجزم مع
حذف الجار بلا عوض ، نحو : الكعبة لافعلن ، وتختص لفظه الله بتمويضها ،
أو همزة الاستفهام من الجار وكذا يعرض من الجار فيها قطع همزة الله فى الدرج ،
فكانها حذفت الدرج ، ثم ردت عوضا من الحرف ، وجار الله جعل هذه
الحرف بدلا من الواو ، ولعل ذلك لاختصاصها بلفظة الله كالثناء ، فإذا جئت
بهاء التنبيه بدلا ، فلا بد أن تجىء بلفظة ذا بعد للقسم به ، نحو : لاها الله ذا ،
ورأى ها الله ذا . . والظاهر أن حرف التنبيه من تمام اسم الإشارة . . قدم على
لنظ المقسم به عند حذف الحرف ليكون عوضا منه ، ج ٢ ص ٢١١ ، ٢١٢
شرح الكافية وانظر ص ٢١٣ ج ٢ شرح الشافى للرضى . وقد نقانا كلام
المكافىة من هامش الشافى للمحققين .

وهو قيمول من الخزيم ، ولخيزوم أيضا أعلى الصدر ، فيجوز أن يكون أيضا
سُمي به ؛ لأنه صدرت خيل الثلاثسكة ، ومتقدم عليها ، والحياسة أيضا فرس
أخرى لجبريل لا تمس شيئا إلا حَيَّ ، وهي التي قبض من أثرها السامري ،
فألقاها في العجل الذي صاغه من ذهب ، فكان له خوار ، ذكره الزجاج (١) .

(١) ليس لما نقله عن الزجاج حجة وقبض السامري بتفسير المفسرين شيء
لا يستنده حديث ولا عقل . . والقرآن لم يأت بذكر لفرس : لا لجبريل في
الآية ، وإنما أتى بقوله سبحانه : (تقبضت قبضة من أثر الرسول) هكذا بأداة
التعريف ، التي تفهمنا أنه رسول معروف ، ولم يكن ثم غير هارون وموسى ،
كيف عرف السامري جبريل ؟ وكيف قبض القبضة ؟ وكيف ينسب إلى فرس أنه
يجعل كل شيء يمر عليه حيا ؟ والسامري نسبة إلى شامر . والشين في العبرية يغلب أن
تكون سين في العربية ، وشامر معناها : حارس . واليهود والنصارى يسمون هارون
عليه السلام بأنه هو الذي صنع لهم لعجل ، ففي الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر
الخروج ورد : ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب
على هارون ، وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذي
أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون : اتزعوا أفرط الذهب
التي في آذان نساءكم وفيكم وبناتكم ، وأتوني بها ، فزع كل الشعب أفرط الذهب
التي في آذانهم ، وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالإزميل ،
وصنعه عجلا مسبوكا ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر ،
فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ، هذه صورة من صور تحريف الكلام عن
مواضعه ، فقد رفع اسم السامري ، ووضع مكانه اسم هارون . ولا يتصور إنسان
سوى اليهود والنصارى ومن في قلبه مس يهودية أو نصرانية أن نبيا عظيما
كهارون يتردى في هذه الوثنية التي أرسله الله بتدميرها . . ولكنهم قوم يفترون
على الله الكذب ، وقد بهتوا سليمان بعبادة الأصنام ، وداود بالزنا والقتل غيلة .
وقد يكون العجل الذي جاء به السامري عجلا حقيقيا ، ويكون معنى د من ، في =

نسب أبي داود المازني :

فصل : وذكر أبا داود المازني وقوله : اقد اُنْبِئْتُ رَجُلًا من المشركين ، فسقط رأسه قبل أن أصل إليه . اسم أبي داود هذا عَمْرُو ، وقيل : عُمَيْر بن عامر^(١) ، وهذا هو الذي قتل أبا البَخْتَرِيِّ بن هِشَام ، وأخذ سيفه في قول طائفة من أهل السَّيَر غير ابن إسحاق وقال ابن إسحاق قتله أَلْمَجْدَرُ كما تقدم .

لغويات

وقول مُعَاذِ بن عَمْرُو في مَقْتَلِ أَبِي جَهْلٍ : مَاشَبَهَتْ رَجُلَهُ حِينَ طَاحَتْ

= قوله سبحانه (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلًا جسدا لـخوار) يكون معناها على البدل . ويكون المعنى أن السامري خدع بني إسرائيل ، فأخذ منهم حليهم ، ثم أخرج لهم عجلًا حقيقيا بدلا من الحلى الذى أخفاه لنفسه ، وهذا يتفق مع التحريق والنسف ، لأن الحلى تهنر ، ولا تذرى ، وتظل جسدا كما هي ، أو يكون السامري قد صنع العجل بطريقة خاصة تجعله يحدث ذلك الخوار ، ويكون الحلى نوعا مما يحرق ويذرى .

أما القبضة التى قبضها ، فقد قال فيها الشيخ عبد الوهاب النجار ما يأتى :
 و إنه قبض قبضة من أثر الرسول ، أى تعليمه وأحكام التوحيد التى جاء بها الرسول — وهو موسى — فنبذنها ، أى ألقيتها ، وأهلستها ، وكذلك سولت لى نفسى ، وهو رأى يحق أن نتكر فيه ، فكل آراء المفسرين حول هذا تعتمد على خرافة قبض السامري من فرس جبريل ١١ رأى يبنى على أسطورة يجب أن ينبذ
 (١) عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن ابن النجار ، الإصابة عن ابن البرقي ، وقد ذكره مسلم والفساق والطبرى وابن الجاررد وابن السكن وأبو أحمد . كلهم ذكروه بكنيته : أبي دارد ، وبعضهم كناه بأبي دؤاد بتقديم الهمزة على الألف .

إِلَّا بِالْإِنْوَاءِ تَطِيحُ مِنْ تَحْتِ الْمِرْضَخَةِ . طاحت : ذهبت ، ولا يكون إلا ذهاب هلاكه ، والمِرْضَخَةُ . كالإِرْزَبَةِ ^(١) يُدَقُّ بِهَا النَوَى لِلْعَافِ ، وَالرَّضْخُ بِالْحَاءِ مُهْمَلَةٌ : كَسَرُ الْيَاسِ ، وَالرَّضْخُ كَسَرُ الرُّطْبِ ، وَوَقَعَ فِي أَصْلِ الشَّيْخِ الْمِرْضَخَةِ بِالْحَاءِ وَالْخَاءِ مَعًا ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَسَرُ لِمَا صُلِبَ ، وَأَشَدُّ قَوْلُ الطَّائِي :

أَتَرْضَخَنِي وَضَحَ النَّوَى وَهِيَ مُضْمَتٌ
وَبَاكُنِي أَكَلَ الدَّبَابَ وَهُوَ جَانِعٌ
وَإِنَّمَا نَحْتَجُوا ^(٢) بقول الطائي ، وهو حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ لَعَلَّهُ ، لِأَنَّهُ
عَرَبِيٌّ يَحْتَجُّ بِلَفْظِهِ ^(٣) .

الغلامان اللذان قتلا أبا جهل :
وذكر الغلامين اللذين قتلا أبا جهل ، وأنها مَعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ

(١) الإِرْزَبَةُ أَوْ الْمِرْزَبَةُ : عَصِيَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ .

(٢) لَعَلُّهُمَا نَحْتَجُّ أَوْ : احْتَجُّوا .

(٣) قَالَ أَبُو النَّجْمِ :

بِكُلِّ وَابٍ لِلْحَصَى رِضَاحٌ لَيْسَ بِمِصْطَرٍ وَلَا فَرِشَاحٍ
الوَابُ : الشَّدِيدُ الْقَوَى وَالْمِصْطَرُ : الضَّيْقُ ، وَالْفَرِشَاحُ : الْمُنْبَطِحُ . وَمِنْ
رَجَزِ أَبِي جَهْلٍ وَهُوَ يَقَاتِلُ : الْبَازِلُ : الَّذِي خَرَجَ تَائِبُهُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ السَّنِ تَكْتَمِلُ
قُوَّتُهُ ، وَالرَّجَزُ يُقَالُ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَبِي جَهْلٍ وَإِنَّمَا تَمَثَّلُ بِهِ .

وَمِنْ مَعَانِي حَدِيثِ قَتْلِ أَبِي جَهْلٍ : أَطْنَتَ قَدَمَهُ : أَطَارَتْ قَدَمَهُ . وَأَجْهَضْنِي
الْقِتَالَ : غَلَبْنِي وَاشْتَدَّ عَلَيَّ .

وَمُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّهُمَا مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ وَمُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ ، وَعَفْرَاءُ هِيَ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ عُرِفَ بِهَا بَنُو عَفْرَاءَ (١) وَأَبُوهُمْ الْحَارِثُ بْنُ رِقَاعَةَ بْنِ سَوَادٍ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي ذَلِكَ ، وَرَوَايَةُ ابْنِ إِدْرِيسَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، كَأَنَّهُ كَتَبَ مُسْلِمَ ، قَالَ أَبُو عَمَرَ : وَأَصَحُّ مِنْ هَذَا كَلَّهُ حَدِيثُ أَنَسٍ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ يَأْتِنِي بِخَبَرٍ أَبِي جَهْلٍ ، الْحَدِيثُ ، وَفِيهِ أَنْ ابْنِي عَفْرَاءَ قَتَلَهُ .

وَقَوْلُ أَبِي جَهْلٍ : أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ ، وَيُرْوَى قَتَلَهُ قَوْمُهُ ، أَيْ : هَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ (٢) ، وَهُوَ مَعْنَى تَفْسِيرِ ابْنِ هِشَامٍ ، حَيْثُ قَالَ : أَيْ لَيْسَ عَلَيْهِ عَارٌ ، وَالْأَوَّلُ : تَفْسِيرُ أَبِي عُبَيْدٍ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ [أُنْشِدَ] : شَاهِدًا عَلَيْهِ :

[تُقَدَّمُ قَيْسٌ كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةً وَيُذَنُّ عَلَيْهَا فِي الرِّخَاءِ ذُنُوبُهَا]

(١) فِي جَهْرَةِ ابْنِ حَزْم : ص ٣٢٩ عَفْرَاءُ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكٍ . وَفِي الْإِصَابَةِ : عَفْرَاءُ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَوَادٍ بْنِ غَنَمٍ ، وَيُقَالُ : ثَعْلَبَةُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَذَكَرَهَا ابْنُ حَبِيبٍ فِي الْمُبَايَعَاتِ ، وَهِيَ وَالِدَةُ مُعَاذٍ وَمُعَوِّذٍ وَعُوفِ بْنِ الْحَارِثِ يُقَالُ لِكُلِّ مَنِ مِنْ ابْنِ عَفْرَاءَ . وَعَفْرَاءُ هَذِهِ لَهَا خَصِيصَةٌ لَا تَوْجَدُ لغيرِهَا ، وَهِيَ أَنَّهُ تَزَوَّجَتْ بَعْدَ الْحَارِثِ الْبَكِيرِ بْنِ يَالِيلِ اللَّيْثِيِّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ أَرْبَعَةً : لِمَاسًا وَعَاقِلًا وَخَالِدًا وَعَامِرًا ، وَكُلُّهُمْ شَهِدُوا بِدَرَا وَكَذَلِكَ لِأَخَوْتِهِمْ لِأَمِّهِمْ بَنُو الْحَارِثِ ، فَانْتَظَمَ مِنْ هَذَا أَمْرًا مَحَابِيَةَ لَهَا سَبْعَةُ أَوْلَادٍ شَهِدُوا كَالْمِمْ بِدَرَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(٢) فِي اللِّسَانِ مَنْسُوبًا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ أَنْ مَعْنَاهُ : هَلْ زَادَ عَلَى سَيِّدِ قَوْمِهِ ، هَلْ كَانَ إِلَّا هَذَا . . وَقَالَ شُعْر : هَذَا اسْتِفْهَامٌ ، أَيْ : أَعْجَبَ مِنْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : كَانَ الْأَصْلُ : أَعْمَدُ مِنْ سَيِّدٍ أَنْخَفَفَتْ لِأَحَدٍ الْمِزَانَيْنِ .

وَأَعَدُّ مِنْ قَوْمِ كَفَّائِهِمْ أَخُوهُمْ صِدَامَ لَأَعَادِي حِينَ قَاتَتْ نِيُوبَهَا (١)

قال المؤلف رضى الله عنه : وهو عندي من قولهم عَمِدَ البعيرُ يَفْعَدُ : إذا انْفَسَخَ سَنَامُهُ ، فهلك ، أى أَهْلَكَ مِنْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ ، وما ذكره ابن إسحاق من قول أبي جهل هذا ، وما ذكروه أيضاً من قوله لابن مسعود : لقد اِرْتَقَيْتَ مُرْتَقَى صَفْبَا يَارُوتَيْي الغم . مُرْتَقَى صَفْبَا يعرض ما وقع في سِرِّ ابن شهاب وفي مغازي ابن عتبة (٢) أن ابن مسعود وجدته جالسا لا يتحرك ، ولا يتكلم فسلبه درعاً ، فإذا في بدنه نُكْتٌ سَوْدٌ ، فحلَّ تَسْبِغَةَ الْبَيْضَةِ (٣) ، وهو لا يتكلم ، واختَرَطَ سَيْفَهُ يعني سيف أبي جهل فضرب به عنقه ، ثم سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين احتمل رأسه إني عن تلك النُّكْتِ الثُّودِ التي رآها في بدنه ، فأخبره عليه السلام أن ثلاثكة قتلته ، وأن تلك آثارُ ضَرْبَاتِ الْمَلَائِكَةِ ، وروى يونس عن أبي العُمَيْسِ ، قال : أَرَانِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَيْفَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قال : هذا سيف

(١) البيت منسوب إلى ابن ميادة ، ونسبه الأزهري إلى ابن مقبل ، وقد زدت البيت من اللسان ، ويفسره الخشن بما يأتي منسوب إلى سراج ابن يزيد أكبر من رجل قتلتموه على سبيل التحقير منه لعلمهم به ، ص ١٦٠ .

(٢) قال عنها مالك : مغازي موسى بن عتبة أصبح المغازي ص ١٨٢ > ٢ . السيرة الحلبية

(٣) التَّسْبِغَةُ بكسر الباء وفتحها : ما توصل به البيضة من حلق الذراع فقتل العنق ، وهي تسابغ وتسبغ أيضاً . والبيضة الخوذة .

أبى جهل حين قتله فأخذه فإذا سيفٌ قصير عريض فيه قبائيعُ فضةٌ ^(١) وحلق فضةٌ قال أبو عُمَيْسٍ ، فضرب به القاسمُ عنقَ تَوْرٍ فقطعه ، وتَلَمَّ فيه ثَلَمًا ، فرأيت القاسمَ جَزَعَ من ثَلَمِهِ جَزَعًا شديدًا .
إضمار حرف الجر :

وقول النبی علیه السلام الذى لا إله إلا هو ، بالخفض عند سبويه وغيره ، لأن الاستفهام عوضٌ من الخافض عنده ، وإذا كنت مُخْبِرًا قلت : الله بالنصب لا يميز المبرّد غيره ، وأجاز سبويه الخفض أيضاً لأنه قَسَمٌ ، وقد عرف أن القاسم به مخفوضٌ بالباء أو بالواو ، ولا يجوز إضمار حروف الجر إلا فى مثل هذا الموضع ؛ أو ما كثر استعماله جداً كما زوى أن رؤيّة كان يقول ، إذا قيل له كيف أصبحت ؟ خير عافاك الله ^(٢) .

وقول النبی - صلى الله عليه وسلم - فى أبى جهل حين ذكر مزاحمته له فى سَادَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ ، وقد تقدم فى المولد التعريفُ بعبدِ الله بنِ جُدْعَانَ وذكّرنا خبرَ جَفَنَتِهِ ، وسبب غناه بعد أن كان صُغُلًا كما باتم بيان .

(١) جمع فييعة وهى التى تكون على رأس قائم السيف أو ما تحت شاربي السيف
(٢) التقدير : على خير ، أو بخير ، ومثل هذا يقتصر فيه على السماع ، ومنه قول الفرزدق :

إذا قيل : أى الناس شر قبيلة أشارت كليب بالاكف الأصابع
أى إلى كليب ، ومنه قول الشاعر :
وكريمة من آل قيس ألفته حتى تبندخ فارتمى الاعلام
أى : إلى الاعلام .

ويطرد إضمار حرف الجر فى ثلاثة عشر موضعاً تنظر فى كتب النحو .
يقول ابن مالك فى ألفيته :
وقد يمر بسوى رب لى حذف ، وبعضه يرى مطرداً

خبر عكاشة بن محصن

قال ابن إسحاق : وقال عكاشة بن محصن بن حُرثان الأسدي ، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف ، يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جُذْلاً من حطب ، فقال : قاتل بهذا يا عكاشة ، فلما أخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزء ، فعاد سيفاً في يده طويل القامة ، شديد المثنى ، أبيض الحديد ، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى : العَوْن . ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل في الردة ، وهو عنده ، قتله طليحة بن خويلد الأسدي ، فقال طليحة في ذلك :

فما ظنكم بالقوم إذ قتلوهم ألبسوا وإن لم يُسلِّموا رجال
فإن تك أذاودُ أصيبن ونسوة فلن تذهبوا فرغاً بقتل حبال
نصبت لهم صدرَ الحِمالَةِ لها معاودةٌ قيلَ الكُلاءَ نزال
فيوما تراها في الجلال مصونة وبوما تراها غيرَ ذاتِ جلال
عشيّةً غادرتُ ابنَ أقرمِ ثاويًا وعكاشة الغنميَّ عندَ حبال

قال ابن هشام : حبال : ابن طليحة بن خويلد . وابن أقرم : ثابت بن أقرم الأنصاري .

قال ابن إسحاق وعكاشة بن محصن الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل الجنة سبعون ألفاً من

أمتي على صورة القمر ليلة البدر، قال : يا رسول الله ، ادعُ الله أن يجعلني منهم ؛ قال : إنك منهم ، أو اللهم اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار . فقال : يا رسول الله ، ادعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا عن أهله : منّا خيرُ فارس في العرب ؛ قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : عكاشة بن محصن ، فقال ضرار بن الأزور الأسدي : ذاك رجل منّا يا رسول الله ؛ قال : ليس منكم ولكنه منّا للحلف .

حديث بين أبي بكر وابنه عبد الرحمن يوم بدر

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن ، وهو يومئذ مع المشركين ، فقال : أين مالي يا خبيث ؟ فقال عبد الرحمن : لم يبق غيرُ شِكةٍ ويَغُوبٍ وصارٍ . يقتل ضلالُ الشَّيبِ فيما ذكر لي عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي .

طرح المشركين في القليب

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في القليب طرَحوا فيه ، إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ في دِرْعه

فَمَلَأَهَا ، فَذَهَبُوا لِيَحْرُكُوهُ ، فَتَزَالُ نَخْمُهُ ، فَأَقْرَؤُهُ ، وَأَلْقُوا عَلَيْهِ مَا غِيبَهُ
مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ . فَلَمَّا أَلْقَاهُمْ فِي الْقَلِيبِ ، وَقَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِ
وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ؟ قَالَتْ : فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْكُكُم
قَوْمًا مَوْتَى ؟ فَقَالَ لَهُمْ : لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقًّا .

قَالَتْ عَائِشَةُ : وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : لَقَدْ سَمِعُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ ، وَإِنَّمَا قَالَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ عَلِمُوا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ الطَّوِيلُ . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ :
سَمِعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
جَوْفِ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ ، يَا عُبَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَيَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ،
وَيَا أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفٍ ، وَيَا أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ ، فَمَعَدَدٌ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْقَلِيبِ :
هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ؟ فَقَالَ
الْمُسْلِمُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُنَادِي قَوْمًا قَدْ جَافَوْا ؟ قَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعٍ لِمَا
أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَسْكَنْهُمْ لَا يَسْتِطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ : يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ ، بئسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كَفْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ ،
كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَقْتَنِي النَّاسُ ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَأَوَانِي النَّاسُ ، وَقَاتَلْتُمُونِي
وَنَصَرْتَنِي النَّاسُ ؛ ثُمَّ قَالَ : هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ لِلْمَقَالَةِ الَّتِي قَالَ .

شعر حسان فيمن ألقوا في القلب

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

عرفت ديار زَيْنَب بالكَيْبِ كحطّ الوَحْي في الورق القَيْبِ
تَدَاوَلَهَا الرِّبَاحُ وكلّ جَوْنٍ من الوَسْمَى مُنْهَمِرٍ مَكُوبِ
فَأَمَسَى رَسْمُهَا خَلَقًا وَأَمَسَتْ يَبَايَا بَعْدَ سَاكِئِهَا الْحَبِيبِ
فَدَغَّ عَنْكَ التَّدَكُّرُ كُلَّ يَوْمٍ وَرُدَّ حَرَارَةُ الصَّدْرِ السَّكِينِ
وخبّر بالذي لَاعِيبَ فِيهِ بِصِدْقٍ غَيْرِ إِخْبَارِ السَّكُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِكُ غَدَاةَ بَدْرِ لَنَا فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَحْمَهُمُ حِرَالُ بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْغُرُوبِ
فَلَا قَيْنَاهُمْ مَنْأً يَجْمَعُ كَأَسَدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشَيْبِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ وَازَرُوهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي آفَحِ الْحُرُوبِ
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرَهَقَاتٍ وَكُلُّ مَجْرَبٍ خَاطِي السُّكُوبِ
بَنُو الْأَوْسِ الْمَطَارِفُ وَازَرَتْهَا بَنُو النَّجَّارِ فِي الدِّينِ الصَّالِبِ
فَقَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيحًا وَعُقْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رِجَالِ ذَوِي حَسْبٍ إِذَا نُسِبُوا حَسِيبِ
يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَدْ فَنَانُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ
أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ ؟
فَا نَطَقُوا ، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا : صَدَقْتَ وَكَنتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبِ

قال ابن إسحاق : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلقوا في القليب ، أخذ عُتْبَةُ بن ربيعة ، فسُجِبَ إلى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بانى - في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فاذا هو كئيب قد تغير لونه ، فقال : يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : لا ، والله يارسول الله ، ما شككتُ في أبي ولا في مفرعه ، ولا كئيتُ كنتُ أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا ، فسكنتُ أرجو أن يَهْدِيَهُ ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرتُ مآلات عليه من الكفر ، بعد الذي كنتُ أرجو له ، أحزنتُ ذلك ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيرا .

من نزل فيهم : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم)

وكان الفتيمة الذين قتلوا بيدى ، فنزل فيهم من القرآن ، فيما ذكر لنا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا ، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ فِتْيَةٌ مُسَمَّيْنَ . من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الحارث بن زمة بن الأسود بن ابن عبد المطلب بن أسد .

ومن بنى مخزوم : أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى جُحج : عليُّ بنُ أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُحج .

ومن بنى سَهَم : العاصُ بن مُنْبه بن الحجاج بن عامر بن حُذيفة بن سَعْد

ابن سَهَم .

وذلك أنهم كانوا أسلموا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حبسهم آبائهم وعشائهم بمكة وقتلهم فافتتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعا .

ذكر النية بيدر

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في المشرك ، مما جمع الناسُ ، فجمع ، فاختلف المسلمون فيه ، فقال من بجمعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يُقاتلون العدوَّ ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم ؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يُخالفَ إليه العدوُّ : والله ما أنتم بأحقَّ به منا ، والله لقد رأينا أن نقتل العدوَّ إذ منحننا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يَمْنعه ولكنَّا خِفْنَا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كَرَّةَ العدوِّ ، فقُتِلنا دونه ، فما أنتم بأحقَّ به منا .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي - واسمه صُدَي - ابن عجلان فيما قال ابن هشام - قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ،

فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلقتنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين من بؤاء يقول : على السواء .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد الساعدي ملاًك بن ربيعة ، قال : أصبت سيف بني عائد المخزوميين الذي يسمى المرزبان يوم بدر ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما في أيديهم من النفل ، أقبلت حتى ألقيتها في النفل . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئاً سئل ، فعرّفه الأرقم ابن أبي الأرقم ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه .

بعث ابن رواحة وزيد بشيرين

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله ابن رواحة بشيراً إلى أهل المدينة ، بما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة . قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر - حين سوي لنا التراب على رقيقة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي كانت عند عثمان بن عفان . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفي عليهما مع عثمان - أن زيد بن حارثة قد قديم . قال : فجننته وهو واقف بالمصلى قد غشيته الناس ، وهو يقول : قُتِل عُتْبَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزَمَعة بن الأود ، وأبو البختري

والعاصُ بن هشام ، وأُمَيَّة بن خَلَف ، وَنُبَيْه ومُتَّيِّب ابنا الحَجَّاج . قال : قلت :
يا أَبَتِ ، أحقّ هذا ؟ قال : نعم ، والله يا بُنَيَّ .

قُفُول رسول الله من بدر

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ، ومعه الأسارى من
المُشركين ، وفيهم عُقبة بن أبي مُعَيْط ، والنُّضْر بن الحارث ، واحتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم معه النِّفْل الذي أُصِيب من المُشركين ، وجعل على النِّفْل عبد الله
بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْدُول بن عمرو بن غَنَم بن مازن بن النُّجَّار ؛
فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام : يقال : إِنَّهُ عَدَى بن أبي الزَّغْبَاء :

أَقِمْ لَهَا صُدُورَهَا يَا بَسْبَسُ أَيْسُ بَذَى الطَّاحِ لَهَا مُعَرَّسُ
وَلَا بَصَحْرَاءُ تُغَيِّرُ تَحْبَسُ إِنَّ مَطَايَا الْقَوْمِ لَا تُنْحِيَسُ
فِيهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَكْسِيَسُ قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَفَرَ الْأَخْنَسُ

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى إذا خرج من مَضِيق الصَّغْرَاء
نَزَلَ عَلَى كَيْدَجِ بْنِ الْمَضِيقِ وَبَيْنَ الْفَارِزَةِ - يُقَالُ لَهُ : سَيْر - إِلَى سَرْحَةِ بَه .
فَقَسَمَ هُنَاكَ النِّفْلَ الذي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ ،
ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ أَتَتْهُ الْمَسَامِينُ
يَهْنُتُونَهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَسَامِينِ ، فَقَالَ لَهُمْ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ -
كَأَخَذْتَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ ، وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ : مَا الَّذِي يَهْنُتُونَنا بِهِ ؟

فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلعا كالْبُذُنِ المَعْقَلَةِ ، فَنَحَرْنَاها ، فَنَبَسَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أَيْ ابنِ أُخْتِي ، أُولَئِكَ التَّلَا .

قال ابن هشام : اللَّأ : الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر وعقبة

قال ابن إسحاق : حتَّى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّفراء قُتِلَ النُّضْرُ بنُ الحارث ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ، كما أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ خَرَجَ حتَّى إذا كان بِعِرْقِ الظَّئِبَةِ قُتِلَ عُقْبَةُ بنُ أَبِي مُطَيْط .

قال ابن هشام : عِرْقِ الظَّئِبَةِ عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

قال ابن إسحاق : وَالَّذِي أَسَرَّ عُقْبَةَ : عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَيَّامَةَ أَحَدُ بَنِي الْعَجْلَانِ .

قال ابن إسحاق : فَقَالَ عُقْبَةُ حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِقَتْلِهِ : فَنَاصِبِيَّةٌ بِأَمْرٍ ؟ قُل : النَّارُ . فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ بنُ أَبِي الْأَقْلَحِ الْأَنْصَارِيُّ ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ ، كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ مُحَمَّدٍ بنُ عَمَارٍ بنُ يَاسِرٍ .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ فِيمَا ذَكَرَ لِي ابْنُ شِهَابٍ الزَّهْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

قال ابن إسحاق : ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هند ،
مولى قرظة بن كعمرو البياضى بمحبيت ملوه حبسا .

وقال ابن هشام : الخيمت : الزمى ، وكان قد تخلف عن بدر ، ثم شهد
المشهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كان حجّام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هو أبو هند
امرؤ من الأنصار فأنكحوه ، وأنكحوا إليه ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم
المدينة قبل الأسارى بيوم .

قال ابن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن
عبد الرحمن ابن أسعد بن زُرارة ، قال : قدم بالأسارى حين قدم بهم ،
وسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند آل عفرأ ، فى مناحهم
على عوف ومعوذ ابني عفرأ ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب .

قال : تقول سودة : والله إني لمتهم إذ أتينا ، قليل : هؤلاء الأسارى ،
قد أتى بهم قالت : فرجعت إلى بيتي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ،
وإذا أبو يزيد سُمَيْل بن عمرو فى ناحية الحجرة ، مجموعة يده إلى عنقه بمحبل
قالت : فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أى
أبا يزيد : أعطيتم بأيديكم ، ألا مُم كراما ، فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم من البيت : يا سودة ، أهلك الله ورسوله تمرّضين ؟ قالت :

قلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، ماملكت نفسي حين رأيت
أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت .

قال ابن إسحاق : وحدثني نُبَيْه بن وَهَب ، أخو بني عبد الدار . أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرتقهم بين أصحابه ، وقال :
اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْراً . قال : وكان أبو عَزِيز بن عُمَيْر بن هاشم ،
أخو مُضْعَب بن عُمَيْر لأبيه وأمه في الأسارى .

قال : فقال أبو عَزِيز : مرّ بي أخى مُضْعَب بن عمير ورجل من
الأنصار يَأْسِرُنِي ، فقال : شُدَّ يَدُكَ بِهِ ، فَإِنَّ أُمَّه ذَاتُ مَتَاعٍ ، أَمَلَهَا تَقْدِيرَهُ
مِنْكَ ، قال : وكنت في رَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ ، فَكَانُوا
إِذَا قَدِمُوا غَدَاءَهُمْ وَعِشَاءَهُمْ خُصُونِي بِالْخُبْزِ ، وَأَكَلُوا التَّمْرَ ، لَوْصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ بِنَا ، مَا تَقَعَّ فِي بَدْرِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كَثْرَةَ خُبْزٍ إِلَّا تَفَخَّحَ
بِهَا . قال : فَاسْتَحْيَيْ فَارِدَهَا عَلَى أَحَدِهِمْ ، فِيرُدَّهَا عَلَى مَا يَمْسُهَا .

بلوغ مصاب قریش إلى مكة

قال ابن هشام : وكان أبو عَزِيز صاحبَ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَبْدُرُ بَعْدَ النَّفَرِ
ابن الحارث ، فلما قال أخوه مُضْعَب بن عمير لأبي الدَّيْسَرِ ، وهو الذي أسره ،
ما قال قال له أبو عَزِيز : يَا أَخِي ، هَذِهِ وَصَائُتُكَ بِي ، فَقَالَ لَهُ مُضْعَبُ :
إِنَّهُ أَخِي دُونَكَ . فَصَائَاتُ أُمِّهِ عَنْ أَغْلَى مَا فُؤِدِي بِهِ قُرَشِيٍّ ، فَقِيلَ لَهَا : أَرْبَعَةٌ
آلَافٍ دَرَاهِمٍ ، فَبِعْتَ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دَرَاهِمٍ ، فَقَدْتَهُ بِهَا .

قال ابن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحذيثمان بن عبد الله الخزاعي ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِل عُتْبَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمِّيَّة بن خلف ، وزَمْعَةُ بن الأسود ، ونُبَيْه ومَنْبَه ابنا الحِجَّاج ، وأبو البختري بن هشام ، فلما جعل يُبَدِّدُ أَشْرَافَ قريش ؛ قال صَفْوَان بن أُمَيَّة ، وهو قاعد في الحِجْر : والله إن يَفْقُلَ هذا فاسئلوه عني ؛ فقالوا : ما فعل صَفْوَان بن أُمَيَّة ؟ قال : هاهو ذك جالسا في الحِجْر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلَا .

قال ابن إسحاق : وحدثني حُسَيْن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما لالعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دَخَلْنَا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس بهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه ، وكان أبو لهب قد تخاف عن بدر ، فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخاف رجلٌ إلا بعث مكانه رجلاً ، فلما جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبتهم الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوَّةً وعزاً . قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل الأقداح . أنحمتُ في حُجْرَةٍ زَمَزَم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحمتُ أقداحي ، وعندي أم الفضل جالسة ، وقد سرتنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه يَسْرُ ، حتى جالس على طُنب الحُجْرَةِ ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالسٌ إذ قال الناس : هذا

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب - قال ابن هشام : واسم أبي سفيان
 المغيرة - قد قدم قال : فقال أبو لهب : هلم إلي ، فعدت لك لعمري الخبر ، قال :
 نجس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يا بن أخي ، أخبرني كيف كان أمر الناس ؟
 قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمَنَحْنَاهُمْ أَكْتَانًا يَقُودُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا ،
 وَيَأْمُرُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا ، وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجلا
 بيضا ، على خيل بلقي ، بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئا ، ولا يقوم
 لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طُنب الحجرة بيدي ، ثم قلت : تلك والله
 الملائكة ؛ قال : فرفع أبو لهب يده ففُضِرَ بِهَا وَجْهِي ضَرْبَةً شَدِيدَةً . قال :
 وثاورته فاحتملني ففُضِرَ بِي الْأَرْضَ ، ثم برك على بضر بني ، وكنت رجلا
 ضعيفا ، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة ، فأخذته ففُضِرَ بِهِ ضَرْبَةً
 فَلَمَّتْ فِي رَأْسِهِ شَجَّةً مُنْكَرَةً ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده فقام ،
 مُوَلِّيًا ذَلِيلًا ، فوالله ما عاش إلا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْعَدَسَةِ فَقَتَلَتْهُ .

نواح قريش على قتلاهم

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ،
 قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه ،
 فيشتموا بكم ؛ ولا تبهثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يأرب عليكم محمد
 وأصحابه في الفداء . قال : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من
 ولده ، زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَعَقِيلُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ ، وكان يحب
 أن يبكي على بنيهِ ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لفلان له .

وقد ذهب بصره : انظر هل أحل النخب ؛ هل بكت قریش على قتلاها ؟
لعل أبكى على أبي حكيمة ، بنى زمعة ، فإن جوف قد احترق قال : فلما رجع
إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكى على بغير لها أضلته . قال : فذاك حين
يقول الأسود :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ الشُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتْ الْجُدُودُ
عَلَى بَذْرِ مَرَاةِ بَنِي هُصَيْنٍ وَتَحْزُومِ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأَسُودِ
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي جَمِيعًا وَمَا لِي بِحَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدِ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رَجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمُ بَذْرِ لَمْ يَسُودُوا

قال ابن هشام : هذا إقواء ، وهي مشهورة من أشعارهم ، وهي عندنا
إكفاء . وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ما هو أشهر من هذا .

قال ابن إسحاق : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضُبيرة السهمي ،
فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : إن له بمكة ابناً كئيباً تاجراً ذا مال ،
وكأنكم به قد جاءكم في طلب فداء أبيه ؛ فلما قالت قریش لا نمنجلوا بفداء
أسرائكم لا يأترب عليكم محمدٌ وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة - وهو
الذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عني : صدقتم ، لا نمنجلوا ،
وانسل من الليل فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به .

.

أمر سهيل بن عمرو وفداؤه

(قال) : ثم بعثت قريش في فداء الأسارى ، تقديم مكرز بن حنص
ابن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم ،
أخو بني سالم بن عوف ، فقال :

أَسَرْتُ سُهَيْلًا فَلَا أَبْقَى أَسِيرًا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَمَمِ
وَحِنْدِفُ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَتَى فَتَاهَا سُهَيْلٌ إِذَا يُظْلَمُ
ضَرَبْتُ بِذِي الشَّرِّ حَتَّى انْتَهَى وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ذِي الْعَلَمِ
وَكَانَ سُهَيْلٌ رَجُلًا أَعْلَمَ مِنْ شَفْعَةِ الشُّفْلِ .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينسكروا هذا الشعر لمالك بن
الدخشم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء ، أخو بني عامر بن
لؤي : أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ،
دعني أنزع نيتي سهيل بن عمرو ، ويدلح لسانه ، فلا يقوم عليك خطيبا
في موطن أبداً ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثل به فيمثل
الله بي وإن كنت نبيا .

قال ابن إسحاق وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في
هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقامه لاتذمه .

قال ابن هشام : وسأذكر حديث ذلك المقام في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق فلما قال لهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات
الذى لنا ، قال : اجملوا رجلى مكان رجله ، وخذلوا سبيله حتى يبعث إليكم
بفدائه ، فخذلوا سبيل سهيل ، وحبسوا مكرزا مكانه عندهم ، فقال مكرز :

قَدَيْتُ بِأَذْوَادِ ثِمَالٍ سِبَاً فَتَى بِنَالِ الصَّعِيمِ غَرْمُهَا لَا أَمَوَالِيَا
رَهَنْتُ يَدِي وَالْمَالِ أَيْسَرُ مِنْ يَدِي عَلَيَّ ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ الْمَخَازِيَا
وَقَاتِ سَهَيْلَ خَيْرُنَا فَادْهَبُوا بِهِ لِأُبْنِئَنَا حَتَّى نُدِيرَ الْأَمَانِيَا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينسب هذا لمكرز .

أسر عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان عمرو بن
أبي سفيان بن حرب ، وكان لبنت عتبة بن أبي معيط - قال ابن هشام :
أم عمرو بن أبي سفيان بنت أبي عمرو ، وأخت أبي معيط بن أبي عمرو -
أسيراً في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسرى بدر .

قال ابن هشام : أسره علي بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : فقيلاً لأبي سفيان :
أفدي عمراً ابنك ، قال : أجمع على دمي ومالي ! فقتلوا حنظلة ، وأندى عمراً !
دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم .

قال : فبينما هو كذلك ، فحبسوا المدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فَإِذَا خَرَجَ سَعْدُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ أَكَّالٍ ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ثُمَّ أَحَدُ
بَنِي مُعَاوِيَةَ مُعْتَمِرًا وَمَعَهُ مَرْبِئَةٌ لَهُ ، وَكَانَ شَيْخًا مُسْلِمًا ، فِي غَنَمٍ لَهُ بِالْقَمِيعِ : فَخَرَجَ
مِنْ هُنَالِكَ مُعْتَمِرًا ، وَلَا يَخْشَى الَّذِي صُنِعَ بِهِ ، لَمْ يَظُنَّ أَنَّهُ يُجْبَسُ بِمَكَّةَ ، إِنَّمَا
جَاءَهُ مُعْتَمِرًا : وَقَدْ كَانَ عَمِدَ قَرِيبًا لَا يَفْرُضُونَ لِأَحَدٍ جَاءَ حَاجًّا ، أَوْ مُعْتَمِرًا
إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَمَدَّ عَلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِمَكَّةَ فَخَبَسَهُ بِابْنِهِ عَمْرِو ، ثُمَّ قَالَ
أَبُو سُفْيَانَ :

أَرْهَطَ ابْنَ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَعَايَدْتُمْ لَا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الْكَنَابِلَا
ظَنَّ بَنِي عَمْرِو لِثَامَ أَفِئَّةً لَنْ يَمُوتَ بَنُوكُوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَنَابِلَا
فَوَجَّابُهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ :

لَوْ كَانَ سَعْدٌ يَوْمَ مَكَّةَ مُطْلَقًا لَا كَثَرَ فِيكُمْ قَبْلَ أَنْ يُوَاسِرَ الْقَتْلَا
يَقْضُبُ حُسَامٌ أَوْ يَصْفَرَاءُ كَثْمَةً نَحْنُ إِذَا مَا أَنْبَضَتْ تَحْفِزُ النِّبْلَا
وَمَشَى بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ
خَبْرَهُ ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَيُنْفِكُوهُ عَنْ صَاحِبِهِمْ ،
فَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَبَعَثُوا بِهِ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ ، فَنُفِيَ
سَبِيلَ سَعْدٍ .

أَسْرَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّيْعِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ كَانَ فِي الْأَسَارَى أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّيْعِ
الْبَنُ عَبْدِ الْمُزَيِّ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ ، حَتَّى رَسَلَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَوْجُ
بَنْتِهِ زَيْنَبُ .

قال ابن هشام : أسره خراش بن الضمة ، أحد بني حرام .

سبب زواج أبي العاص من زينب

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المقنودين : مالا ، وأمانة ، وتجارة ، وكان له بنت خويلد ، وكانت خديجة خالته . فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي ، فزوجها ، وكانت تعدّه بمنزلة ولدها . فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم نسبته آمنت به خديجة وبناته ، فصدقته ، وشهدن أن ما جاء به الحق ، ودبرن بدینه ، وثبت أبو العاص على شركه .

سمى قريش في تطليق بنات الرسول من أزواجهن

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبي لهب رقيقة ، أو أم كلثوم . فلما بادى قريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة ، قالوا : إنكم قد قرعتم محمداً من همه ، فردوا عليه بناته ، فاشغلوه بهن . فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت ، قال : لا والله ، إني لا أفارق صاحبتى ، وما أحب أن لي بامرأتى امرأة من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه في صهره خيراً ، فيما بلغنى . ثم مشوا إلى عتبة بن أبي لهب ، فقالوا له : طلق بنت محمد ونحن نتركك أي امرأة من قريش شئت ، فقال : إن زوجتموني بنت

أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ ، أَوْ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَارَقَتْهَا . فَرَوَّجُوهُ بِنْتُ
سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَفَارَقَهَا ، وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِهَا ، فَخَرَجَهَا اللَّهُ مِنْ يَدِهِ كَرَامَةً
لَهَا ، وَهُوَ تَالَهُ ، وَخَنَفَ عَلَيْهَا عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ بِعَدُوهِ .

أَبُو الْعَاصِ عِنْدَ الرَّسُولِ وَبِعَتْ زَيْنَبُ فِي فِدَائِهِ

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحِلُّ بِمَكَّةَ وَلَا يَحْرَمُ ، مَغْلُوبًا عَلَى
أَمْرِهِ ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حِينَ أُسْلِمَتْ وَبَيْنَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ ، إِلَّا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا ، فَأَقَامَتْ مَعَهُ عَلَى إِسْلَامِهَا وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ ، حَتَّى
هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا صَارَتْ قَرِيبًا إِلَى بَدْرَ ، حَارَفَهُمْ
أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ فَضُيَّبَ فِي الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرَ ، فَسَكَنَ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِثْرُ بَيْرَ ، عَنْ
أَبِيهِ عِبَادَ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَائِهِمْ ، بَعِثَتْ
زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بِمَالٍ ،
وَبِعَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ خَدِيجَةُ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ آتَى
عَلَيْهَا ، قَالَتْ : فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَّ هَارِقَةً شَدِيدَةً وَقَالَ :
إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطِيقُوا لَهَا أَسِيرَهَا ، وَتَرَدُّوا عَلَيْهَا مَالَهَا ، فَافْعَلُوا ، فَقَالُوا : نَعَمْ
يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَطَلَعُوهُ ، وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي هَذَا .

.....

خروج زينب إلى المدينة

تأهبها وإرسال الرسول رجلين ليصحبها

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه ، أو وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، أن يَحْلِيَ سَبِيلَ زينب إليه ، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه ، ولم يَظْهَر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فَيُعْلَم ما هو ، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخُلِيَ سَبِيلُهُ ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكاتته ، فقال : كونا بِسَبْعِينَ يَأْجِجَ حتى نمر بكم زينب ، فتصحبها حتى تأتينا بها ، فخرجا مكاتهما ، وذلك بعد بذر بشهر أو شَئِيعِهِ ، فلما قَدِم أبو العاص مكة أمرها بالحقوق بأبيها ، فخرجت تجهز .

هند تحاول تعرف أمر زينب

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : حدثت عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهز بمكة للْحُقُوقِ بأبي لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : يا بنت محمد ، ألم يبلغني أنك تُريدِين اللّٰهُوَ بِأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردت ذلك ، فقالت : أي ابنة عَمِّي ، لا تفعل ، إن كانت لك حاجةٌ بمتاعٍ عَمَّا يَرْتَفِقُ بك في سفرك ، أو بمالٍ تَتَبَلَّغِينَ به إلى أبيك ، فإن عندي حاجتك ، فلا تَصْطَلِني مني ، فإنه لا بدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لَتَفْعَل ، قالت : واسكني خِفَّتُها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك ، وتجهزت .

ما أصاب زينب من قریش عند خروجها ومشورة أبي سفيان

فلما قرغت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدّم لها نحوها
كِنَانَةُ بن الربيع أخو زوجها بمِيراً ، فزكّبتها ، وأخذ قوسه وكِنَانَتَهُ ،
ثم خرج بها نهراً يُقودُ بها ، وهي في هودج لها . وتحدث بذلك رجالٌ من
قُرَيش ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذى طوى ، فكان أول من سبق
إليها هَبَار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد المزی ، وثُمَّ نَهْرِي ، فروعها هَبَار
بالرمح وهي في هودجها ، وكانت المرأة حاملاً - فيما يزعمون - فلما ريمت
طرحت ذا بطنها وبرك حوها كِنَانَةُ ، ونثر كِنَانَتَهُ ، ثم قال : والله لا يذو
منى رجلٌ إلا وضعت فيه سهماً ، فتكرّر الناسُ عنه . وأتى أبو سفيان
في جَلَّة من قُرَيش فقال : أيها الرجل ، كيف عنا نبلك حتى نكلمك ،
فكفّ ؛ فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال إنك لم تُصِيبْ ، خرجت
بالمرأة على ردوس الناسِ علانية ، وقد عرفت مُصِيبَتَنَا وَنَكْبَتَنَا ، ومادخل
علينا من محمد ، فيظن الناسُ إذا خرجت بابتنته إليه علانية على ردوس الناسِ
من بين أظهرنا أن ذلك عن ذلّ أصابنا عن مُصِيبَتِنَا الّتي كانت ، وأن ذلك منّا
ضعف ووهن ، وامرئى مالفاً بحُبْسِهَا عن أبيها من حاجة ، ومالفاً في ذلك من
نُورَةٍ ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات ، وتحدث الناسُ أن
قد ردّ دَنَاهَا ، فسَلَّهَا سِرّاً ، وألحقها بأبيها ؛ قال : ففعل . فأقامت ليلتي ، حتى
إذا هدأت الأصواتُ خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة
وصاحبه ، فقَدِمَا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر لأبي خيثمة فيما حدث لزئنب

قال ابن إسحاق : فقال عبد الله بن رَوَاحَةَ ، أو أبو خَيْثَمَةَ ، أخو بني سالم بن عوف ، في الذي كان من أمر زئنب ، قال ابن هشام : هي لأبي خَيْثَمَةَ :

أَتَانِي الَّذِي لَا يَمْدُنُ الدَّاسُ قَدْرَهُ لَزَيْنَبَ فِيهِمْ مِنْ غَفُوقٍ وَمَتَانٍ
وَأَخْرَاجُهَا لَمْ يُخْزَرْ فِيهَا مُحَمَّدٌ عَلَى مَاقِطٍ وَبَيْنَنَا عِطْرٌ مَنِيَسٌ
وَأَمْسَى أَبُو سَفْيَانَ مِنْ حِلْفٍ ضَمَمَ وَمِنْ حَرْبِنَا فِي رَغَمٍ أَنْفٍ وَمَنْدَمٍ
قَرْنًا ابْنَهُ عَمْرًا وَمَوْلَى يَمِينِهِ بَذَى حَتَقٍ جَالِدِ الْعَلَّاحِلِ مُحْكَمٍ
فَانْفَسْتُ لَا تَنْفُكُ مِنَّا كِتَابُ سُرَاةٍ تُخَيِّسُ فِي الْهَامِ مَسْوَمٍ
تَرْوَعُ قَرِيبًا أَلْكَفَرُ حَتَّى نَعْلَمَهَا بِخَاطِمَةٍ فَوْقَ الْأَنْوَفِ عَيْسَمٍ
نُزَلْنَاهُمْ أَكْنَافَ نَجْدٍ وَنَخْلَةٍ وَإِنْ يُتَمِّمُوا بِالْخَيْلِ وَالرَّجُلِ نُتَيْمٍ
بَدَا الدَّفْعُ حَتَّى لَا يَمُوجَ سِرْبُنَا وَنُدَجِثَهُمْ آثَارَ عَادٍ وَجُرْنَمٍ
وَيَنْتَدِمُ قَوْمٌ لَمْ يُطِيعُوا مُحَمَّدًا عَلَى أَمْرِهِمْ وَأَيَّ حَيْثُ تَنْتَدِمُ
فَأَنْبِئْنِي أبا سَفْيَانَ إِمَّا لَقِيْتَهُ لَنْ أَنْتَ لَمْ تُخَيِّصْ سَجُودًا وَتُسَلِّمُ
فَأَنْبِئْنِي بِمُخْزِي فِي الْحَيَاةِ مُمَجَّلٍ وَسِرْبَالٍ قَارٍ خَالِدًا فِي جَهَمٍ
قال ابن هشام : ويروى : وسربال نار .

الخلاص بين ابن إسحاق وابن هشام في مولى عيين أبي سفيان

قال ابن إسحاق : ومولى عيين أبي سفيان ، الذي يعني : عامر بن الحضرمي ، كان في الأداري ، وكان حلف الطرمي إلى حرب بن أمية .

قال ابن هشام : مولى يمين أبي سفيان ، الذى يعنى : عقبة بن عبد الحارث
ابن الحضرمي ، فاما عامر بن الحضرمي فقتل يوم بدر .

شعر هند وكنانة في خروج زينب

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هند بنت عتبة ، فقالت لهم :
أفي السلم أغياراً جفاءً وغِلظةً وفي الحرب أشباه النساء التوارك
وقال كنانة بن الربيع في أمر زينب ، حين دَفَعَهَا إلى الرُّجُلين :
عَحِيتُ مُبَارَ وَأَوْبَاشَ قَوْمِهِ يُرِيدُونَ إِخْفَارِي بَيْنْتَ مُحَمَّدٍ
وَلَسْتُ أَبَالِي مَا حِيتُ عَدِيدَهُمْ وَمَا اسْتَجَمَعَتْ قُبُضَايَدِي بِالْمُهَنْدِ

الرسول يحل دم هبار

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابن الأشج ، عن سليمان بن بَسَارٍ ، عن أبي إسحاق الدَّؤَسِيِّ ، عن أبي هريرة ،
قال : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً أَنَا فِيهَا ، فقال لنا : إِنْ ظَفِرْتُمْ
بِهَبَّارِ بْنِ الْأَسْوَدِ ، أَوْ الرَّجُلِ (الْآخِر) الَّذِي سَبَقَ مَعَهُ إِلَى زَيْنَبَ - قَالَ ابْنُ
هَشَامٍ : وَقَدْ سَمِعْتُ ابْنَ إِسْحَاقَ الرَّجُلَ فِي حَدِيثِهِ (وَقَالَ : هُوَ نَافِعُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ)
فَحَرَقُوهَا بِالنَّارِ . قَالَ : فَلَمَّا كَانَ الْمَدُ بَعَثَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أُمَرْتُكُمْ
بِتَحْرِيقِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْذَبَ
بِالنَّارِ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ بِهِمَا فَاتْلُوهُمَا .

إسلام أبي العاص بن الربيع

استيلاء المسلمين على نخجوة معه وإجارة زينب له

قال ابن إسحاق : وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حين فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ، وكان رجلاً مأموناً ، بمال له وأموال لرجال من قريش ، أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً ، بقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا مأمته ، وأعجزهم هارباً ، فلما قدّمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجار بها فأجارته ، وجاء في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح - كما حدثني يزيد ابن رومان - فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . قال : فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أما والذي نفس محمد بيده ما علمتُ بشيء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم ، إنه يُجبر على المسلمين أذنانهم . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أي بُنية ، أترى مشواه ، ولا يتخلصن إليك ، فإنك لا تحلين له .

المسلمون يردون عليه ماله ثم يسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى التَّيْرَةِ الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسبنوا وتردوا عليه الذي له ، فإننا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فية الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحق به ؛ فقالوا يا رسول الله ، بل نرده عليه ، فردوه عليه ، حتى إن الرجل لياتي بالذَّلو ، وياتي الرجل بالثَّخنة وبالإداوة ، حتى إن أحدهم لياتي بالشُّظاظ ؛ حتى ردوا عليه ماله بأسره ، لا يفقد منه شيئا . ثم احتمل إلى مكة ، فأدى إلى كل ذي مال من قُريش ماله ، ومن كان أبضع معه ، ثم قال : يا معشر قُريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا . فجزاك الله خيرا ، فقد وجدناك وفيا كريما . قل : فأننا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، والله مامنني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أني أردت أن آكل أموالكم ، فلما آذاهم الله إليكم وفرغت منها أسامت . ثم خرج حتى قديم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زوجته ترد إليه

قال ابن إسحاق : وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : ردَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينبَ على النكاح الأول لم يُحدِّث شيئا (بعد ست سنين) .

مثل من أمانة أبي العاص

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموالُ المشركين ، قيل له : هل لك أن تُضَيِّمَ وتأخذ هذه الأموالَ ، فإنها أموالُ المشركين ؟ فقال أبو العاص : شئ ما أبدأ به إسلامي . أن أخون أمانتي .

قال ابن هشام : وحدثني عبدُ الوارث بن سعيد الثوري ، عن داود ابن أبي هند ، عن عامر الشعبي ، بنحو من حديث أبي عبيدة ، عن أبي العاص .

الذين أطلقوا من غير فداء

قال ابن إسحاق : فكان ممن سُتِيَ لنا من الأسارى ثَمَنٌ مَنَّ عليه بفداء ، من بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو العاص بن الربيع بن عبدالمزني ابن عبد شمس مَنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بحثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه . ومن بني نخزوم بن بقطعة : المطالب ابن حنطب بن الحارث بن عبيدة بن عمر بن نخزوم . كان لبعض بني الحارث ابن الخزرج ، فترك في أيديهم حتى خنوا سبيته . فذبح بقومه .

قال ابن هشام : أسره خالد بن زيد ، أبو أيوب الأنصاري ، أخو بني النجار .

قال ابن إسحاق : وصنيق بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن

.....

تُخْرُوم ، تُرِكَ في أَيْدِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا لَمْ يَأْتْ أَحَدٌ فِي فِدَائِهِ أَخَذُوا عَلَيْهِ لِيَبْتَنَ
إِلَيْهِمْ بِنْدَانَهُ ، فَنَحَلُوا سَبِيلَهُ ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ شَيْءٌ ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ :
وَمَا كَانَ صَنِيفِي لِيُوفِيَ ذِمَّةً قَفَا تَغْلِبُ أَغْيَا بَعْضِ الْمَوَارِدِ

قال ابن هشام : وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأبو عَزَّة ، عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أَهْيَبِ بْنِ حُذَافَةَ
ابن بُجَح ، كان محتاجاً ذَا بَنَاتٍ ، فَسَكَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ عَرَفْتَ مَالِي مِنْ مَالٍ ، وَإِنِّي لَذُو حَاجَةٍ ، وَذُو عِيَالٍ ، فَأَمِّنْ
عَلَيَّ ؛ فَنَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَلَا يُظَاهِرَ عَلَيْهِ
أَحَدًا . فَقَالَ أَبُو عَزَّةَ فِي ذَلِكَ ، يمدح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِدَكَرِ
فَضْلِهِ فِي قَوْمِهِ :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدًا بَأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلَايِكُ تَحِيَّةُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ وَبُوءَتْ فِينَا مَبَاةً أَمَّا دَرَجَاتُ سَهْلَةٍ وَصُغُودُ
فَأَنَّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لُمَحَارَبُ شَقِيقٌ وَمَنْ سَأَلْتَهُ لَسَمِيدُ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِّرْتُ بِدِرْأٍ وَأَهْلِهِ نَأَوْتُ مَا بِي : خَشْرَةٌ وَقَمُودُ

نَحْنُ الْقُدَاءُ

قال ابن هشام : كَانَ قُدَاءُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِلرَّجُلِ ،
إِلَى أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، إِلَّا مَنْ لَا شَيْءَ لَهُ ، فَنَزَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ .

خبر عكاشة بن محصن

يقال فيه عكاشة بالتشديد والتخفيف ، وهو من عكش على القوم إذا تحل عليهم ، قاله صاحب العين ، وقال غيره العكاشة [والعكاش] المنكبوت ، وأما سيفه الذي كان جزلاً من حطب ، فقد قيل إنه لم يزل متوارثاً عند آل عكاشة ، وقد روى مثل قول عكاشة في السيف عن عبد الله بن جحش ، وسيأتي ، ذكرها عند غزوة أحد ، وأما قوله :

فإن يذهبوا قرناً بقتل حبال

فالقرع أن يطل الدم ، ولا يطلب بثاره ، وحبال : هو ابن أخي طليحة لا ابنه ، وهو حبال بن مسleme بن خويلد ، ومسleme : أبوه هو الذي قتل عكاشة ، اعتنقه مسleme وضربه طليحة على قوس ، يقال لها : الزمزم . وكان ثابت على فرس يقال لها : المجبر ، وقصته مشهورة في أخبار الردة .

وذكر الواقدي في الردة بعد قوله :

فَيَوْمًا تَرَاهَا فِي الْجَلالِ مَصُونَةً وَيَوْمًا تَرَاهَا فِي ظِلَالِ عَوَالٍ
إلى آخر الشعر .

وذكر في الخبر أن عكاشة وثابت بن أقرم البجلي حلفي الأنصار كانوا في جيش خالد حين نهّد إلى طليحة ، فاستقدا أمام جيش خالد للمسلمين ،

فوقها في خيل الطليحة ، وهو فيهم ، فاستشهدا معاً ، وذلك في يوم بُرَاخَةَ^(١) ،
كذلك قال كل من أنف في السَّيْرِ إِلَّا سَلَامَانَ النَّبِيِّ ، فإنه ذكر أَنَّ عُسْكَاشَةَ
قتل في سَرِيَّةَ بِعَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي أَسَدَ ، وَالْأَوَّلُ
هو المعروف .

— سَبَقَكَ بِهَا عُسْكَاشَةُ :

وذكر قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُسْكَاشَةَ حين قال : ادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ ، فدعاه ، ثم قام رجل آخر ، فقال : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني
مِنْهُمْ ، فقال : سَبَقَكَ بِهَا عُسْكَاشَةُ^(٢) . هكذا الحديثُ في الصَّحاحِ ، وزاد
ابن إسحاق : وَبَرَدَتْ الدَّعْوَةُ .

وذكر أبو عمر النَّمَرِيُّ عن بعض أهل العلم ، ولم يسمهم أَنَّ الرجل الذي
قيل له : سَبَقَكَ بِهَا عُسْكَاشَةُ كان مُناقِفاً ، ولذلك لم يدْعُ له رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال الزَّوْافُ : وهذا لا يصح ؛ لأنَّ في مُسْنَدِ الزُّبَّارِ من طريق
أَبِي صَالِحٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ في هذا الحديث قال : فقام رجل من خيار المهاجرين ،
فقال : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ ، قال ابن بَطَّالٍ معنى قوله : سَبَقَكَ بِهَا
عُسْكَاشَةُ ، أَيْ : سَبَقَكَ بِهذه الصِّفَةِ التي هي صِفَةُ السَّابِقِينَ أَلْفَا ، تَرَكُ التَّطَيُّرَ

(١) بُرَاخَةُ : قال الأصمعي : هي ماء لطى ، وقال أبو عمرو الشيباني : ماء
لبنى أسد معجم البكري ، المراءد .
(٢) وهو في البخاري ومسلم ، وقد صارت الكلمة مثلاً يضرب لغيره
في الأمر

ونحوه ، ولم يقل : لست منهم ، ولا على أخلاقهم بحسن أدبه عليه السلام ،
وَتَلَطَّفَ فِي الْكَلَامِ [و] لَا يَجْمَعُ أَصْحَابَهُ الْكِرَامَ .

قال المؤلف رضى الله عنه - والذي عندي في هذا أنها كانت ساعة إجابة .
عَلِمَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا انْقَضَتْ ، قَالَ لِلرَّجُلِ مَا قَالِ ، يَبِينُ هَذَا حَدِيثُ أَبِي سَمِيدٍ
الْخُدْرِيِّ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيهِ بَعْدَ ذِكْرِ عُكَّاشَةَ ، قَامَ رَجُلٌ آخَرُ ، فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ
أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ مِنْهُمْ ، ثُمَّ سَكَنُوا سَاعَةً يَتَعَدُّونَ ، ثُمَّ قَامَ
الثَّالِثُ ، فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ ، وَصَاحِبُهُ ،
وَلَوْ قُلْتَ لَقُلْتُ ، وَلَوْ قُلْتُ لَوَجَّهْتُ ، وَهِيَ فِي مَسْنَدِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، وَفِي مَسْنَدِ
الْبَزَارِ أَيْضًا . وَيَقْوَى هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا رَوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ ، فَإِنَّهُ زَادَ ، فَقَالَ
فِيهَا سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ وَبَرَدَتْ الدَّعْوَةُ ، فَقِفْ عَلَى مَا ذَكَرْتَهُ فِي تَفْسِيرِ
حَدِيثِ عَكَّاشَةَ ، فَإِنَّهُ مِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْكِتَابِ . وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا أَمْدَرُ ، وَهُوَ
مِنَ الْمُتَقَبَّاتِ . سَمِعْتُ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَادَةَ سَيِّدُ الْخَزَرَجِ ، لِأَنَّهُ نَهَشَتْهُ حَيَّةٌ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ الْخُرُوجَ .
هَذَا قَوْلُ الْقَتَنِبِيِّ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَلَا ابْنُ عُقَيْبَةَ فِي الْبَدْرِيِّينَ .
وَقَدْ ذَكَرَهُ طَائِفَةٌ فِيهِمْ ، مِنْهُمْ ابْنُ السَّكْبِيِّ وَجَمَاعَةٌ .

نداء أصحاب القليب

مسألة مخوية :

وقوله عليه السلام : يَا عُمَيْبَةُ بْنُ رَيْيَةَ ، وَيَا شَيْبَةَ بْنَ رَيْيَةَ : اخذني ،
يُحْمَزُ بِشَيْبَةَ بْنَ رَيْيَةَ ، بِضَمِّ التَّاءِ وَنَصْبِ النُّونِ وَبِنَهْجِهِمَا جَمِيعًا ، أَمَا مِنْ يَقُولُ :

جاءني زيد بن فلان بالثنتين ، فهو الذي يقول : يا زيدُ ابنَ بضم الدال ، ويكتب ابنُ بالآلف على هذا ، ومن يقول جاءني زيدُ بنُ بلا تنوين ، فهو الذي يقول في النداء يا زيدُ بنَ بنصب الدال ، ويكتب ابنا بغير ألف ، لأنه جعل الابن مع ما قبله إسماً واحداً ، فعلى هذا تقول يا حارثُ ابنَ عمرو فتكتبه بألف ، لأنك أردت يا حارثُ بالضم ، لأنك لو أردت يا حارثُ بنَ بالنصب لم ترحمه ، لأنه قد صار وسط الاسم ، وقد جعله سيبويه بمنزلة قولك : أمراً ، وكذلك قوله : ويا أبا جهل بن هشام إن نوت اللام من أبي جهل كتبت بالابن بألف ، وإن لم تنوّه كتبت بغير ألف .

وذكر إنكار عائشة أن يكون عليه السلام قال : لقد تيمموا ما قلت ، قالت : وإنا قال : لقد علموا أن الذي كنت أقول حق . قال للوفاء : وعائشة لم تحضر وغيرهما ممن حضر أحفظ للفظ عليه السلام ، وقد قالوا له : يا رسول الله اتخاطب قوماً قد جئتموا أو أجيئوا^(١) ، فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين ، جاز أن يكونوا سامعين ؛ إما بأذان رؤوسهم إذا قلنا : إن الروح يُعاد إلى الجسد أو إلى بعض الجسد عند المسألة ، وهو قول الأكثرين من أهل الشئمة ، وإما بأذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح ، من غير رجوع منه إلى الجسد ، أو إلى بعضه ، وقد روى أن عائشة احتجت بقول الله سبحانه : ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ أفأنت تسمع الصم أو تهدي

(١) أي أتيتوا ، أو صاروا جئنا .

الْمُنَى أَي : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَهْدِي وَيُوفِّقُ وَيُوصِلُ الْمَوْعِظَةَ إِلَى آذَانِ الْقُلُوبِ ، لَا أَنْتَ ، وَجَعَلَ الْكُفَّارَ أَمْوَاتًا وَخَمًا عَلَى جِهَةِ التَّشْبِيهِ بِالْأَمْوَاتِ ، وَبِالْصَّمِّ ، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يُسَمِّعُهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، إِذَا شَاءَ لَا نَبِيَّهَ ، وَلَا أَحَدًا ، فَإِذَا لَا تَمَعَّتْ بِالْآيَةِ مِنْ وَجْهِينَ ، أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا إِنَّمَا تَرَاتُ فِي دُعَاءِ الْكُفَّارِ إِلَى الْإِيمَانِ .

الثَّانِي أَنَّهُ إِنَّمَا نَفَى عَنْ نَبِيِّهِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَسْمُوعُ لَهُمْ ، وَصَدَّقَ اللَّهُ فَإِنَّهُ لَا يُسَمِّعُهُمْ إِذَا شَاءَ إِلَّا هُوَ ، وَيَفْعَلُ مَا شَاءَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) .

(١) إِبْنُ الْأَمْرِ هُنَا أَمْرُ حُضُورِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ الْقَصَّةَ أَوْ عَدَمَ حُضُورِهَا ، وَإِنَّمَا الْأَمْرُ عَقِيدَةٌ تَتَعَلَّقُ بِعَالَمِ الْغَيْبِ ، وَبِفَرَضٍ عَلَى كُلِّ مَعْرِفَتِهَا الْإِيمَانُ بِهَا عَنْ لَيْثَةٍ . وَالسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ حَضَرَتْ الْقَصَّةَ ، فَالرَّوَايَةُ تَوَكَّدَتْ أَنَّهَا عَلِمَتْ بِهَا مِشَافَهَةً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِدَلِيلِ تَوَكُّدِهَا الْكَلَامَ ، وَقَدْ كَانَتْ حَقًّا وَصَفَهَا الْإِسْمَاعِيلِيُّ كَانَ عِنْدَ عَائِشَةَ مِنَ الْفَهْمِ وَالذِّكَا . وَكَثْرَةُ الرَّوَايَةِ وَالْفُورُصُ عَلَى غَوَامِضِ الْعِلْمِ مَا لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ ، وَلَعَلَّهَا سَمِعَتْ هَذَا الْحَدِيثَ يَرُدُّ ، فَسَأَلَتْ عَنْهُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَلِمَتْ مِنْهُ مَا قَالَهُ حِينَئِذٍ ، فَفَنَفَتْ مَا نَفَتْ ، وَأَثْبَتَتْ مَا أَثْبَتَتْ وَالْآيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ الَّتِي اسْتَشْهَدَتْ بِهَا نَصُّ قَاطِعٍ فِي النَّفْيِ الَّذِي قَالَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ، وَعَلَى فَرَضِ صَحَّةِ أَنَّ الْآيَةَ فِيهَا مِجَازٌ ، وَأَنَّهَا تَنْفِي السَّمَاعَ عَنِ الْكُفَّارِ الْمَشْبُهِينَ بِمَنْ فِي الْقُبُورِ ، أَقُولُ : عَلَى فَرَضِ صَحَّةِ هَذَا ، فَإِنْ هَذَا التَّنْسِيرُ يُؤَكِّدُ هَجْهَ فَهْمِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ تَوَكُّدًا قَوِيًّا ، فَلَوْلَا ثُبُوتُ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْمَعُ مَنْ فِي الْقُبُورِ مَا صَحَّ تَشْبِيهُ الْكُفَّارِ بِالْمَوْتِيِّ فَكَانَ الْمَعْنَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ كَالْمَوْتِيِّ ، وَأَنْتَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِي ، وَمَنْ فِي قُبُورِهِمْ فَكَذَلِكَ لَا تَسْتَطِيعُ إِسْمَاعُ هَؤُلَاءِ ، وَلَكِنْ مَاذَا يَقُولُ السَّبِيلُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : (فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِي ، وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ، وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ) فَبِهَا مَوْتِي وَصَمِّ ، وَقَدْ نَفَى اللَّهُ إِسْمَاعَ نَبِيِّهِ لِلصَّغْفَرِيِّ ، وَفِي هَذَا تَصْوِيبُ أَفْهَمِ السَّيِّدَةِ =

من معاني شعر عباس :

فصل : وذكر شعر حسان وقال فيه :

كَخَطِّ الْوَحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبُ

القشيبُ في اللغة : الجديدُ ، ولا معنى له في هذا البيت ، لأنهم إذا وصفوا
الرسومَ وشبَّهوها بالسكتيب في الورق ، فإنما يصفون الخط حينئذ بالدُّرُوسِ
والأَمْحَاءِ ، فإن ذلك أدل على عَفَاءِ الديار وطُمُوسِ الآثار ، وكثرة ذلك
في الشعر تنفي عن الاستشهاد عليه ، ولكن منه قول النابغة :

[وقفت فيها أصيلاًنا أسائلها عيت جوابا وما بالربع من أحد
إلا الأوارى لأياما أبينها والنوى كالحوض بالملحومة الجلد^(١)]

وقول زهير :

[وقفت بها من بعد عشرين حجةً] فَلَأَيَّا عَرَفْتَ الدارَ بعد توهم^(٢)

= عائشة ، وإثبات أنه هو الحق ، والعلم هنا لا يثبت السمع من الرسول وإنما يثبت
أن علمهم من الله سبحانه دون أن يسمعوا شيئاً من الرسول ، من نفسه .

(١) لم يكن في الروض غير قوله : لأياما أبينها . فرأيت ذكر البيتين ليم المعنى .

(٢) لم يكن في الروض غير الشطرة الثانية . وأصيلاًنا تروى : أصيلاً ،

أو : أصيلاًكي . والأوارى : جمع آرية وهي الإحية التي تشد بها الدابة . والآي :

الجد ، والنوى : الحفيرة حول البيت والحيمة تمنع السيل والمطر . والجلد :

الأرض يصعب حفرها .

وقال آخر :

وإلا رُسُوم الدارِ قَفَرًا كأنها سَطُورٌ يحاها البَاهِلُ بنُ أَصَمَّا
ولكن أراد حسان بالقشيب هاهنا الذي خالطه ما يُفْسِده ، إِمَّا مِنْ
دَنَسٍ ، وإِمَّا مِنْ قِدَمٍ ، يقال : طَعَامٌ مُقَشَّبٌ ، إذا كان فيه السُّمُّ . وقال
الشاعر : [خُوْ بِلْد بن مرة أبو خِراش الهُدَلِيُّ] :
[به نَدَعُ السَّكِيَّ على يديه] نحر نخاله نَسْرًا قَشِيْبًا^(١)

معناه : مَسْمُومٌ ، لأن القَشِبَ هو السم^(٢) قاله ابن قُتَيْبَةَ في تفسير حديث
آخرُ من يخرج من النار ، وفيه قَشَبِي رِيحُهَا ، وأحرقني ذكاهَا . وقال أبو حنيفة
في القَشِبِ هو : نبات رَطْبٌ مَسْمُومٌ يُنْصَبُ لسباع الطير في لحم ، فإذا
أكلته ماتت ، قال : والعرب يُحَنَّبُونَهُ ماشيتهم في المرعى ، كي لا تُحَطَّمَهُ ، فيفوح
من ريحِهِ ما يقتلها ، فقوله في البيت الذي استشهد به القُتَيْبِيُّ : نخاله نَسْرًا قَشِيْبًا ،
أى : نَسْرًا أكل ذلك القَشِبَ في اللحم والله أعلم ، قال : والألْبُ أَيْضًا ،
ضَرْبٌ مِنَ القَشِبِ ، إن وجدت ريحَهُ سباعُ الطير عَمِيَتْ وَصَمَّتْ ، وإن أكلته
ماتت ، قال : والضَّجَّاجُ أَيْضًا : كُلُّ نباتٍ مَسْمُومٍ .

(١) في الأصل : فخر نخاله نَسْرًا قَشِيْبًا . فأكملت وغيرت من اللسان . وهناك
بيت قبله .

ولو لا نحن أَرْهَقَهُ صَيْبٌ حِصَامُ الحَدِّ مَطْرَدًا خَشِيْبًا
(٢) وهو أَيْضًا الخَلْطُ وسَقَى السم والإصابة بالمَكْرُوهِ المستَفْذَرِ والافتراء
واكتساب الحَدِّ أو الذم والإفساد واللَطْخُ بالشئ والتعْيِيرُ وإزالة العقل
وصقل السيف .

معنى إلقائهم في القلب :

فصل : فإن قيل : ما معنى إلقائهم في القلب ، وما فيه من الفقه ؛ قلنا : كان من سُنَّة عليه السلام في معارضة إذا مر بحيفة إنسان أمر بدفعه لا يسأل عنه مؤمناً ، كان أو كافراً ، هكذا وقع في الشَّيْنِ لِذَلِكَ طَيِّ ، فإلقائهم في القلب من هَذَا الباب ، غير أنه كره أن يُشَقَّ على أصحابه لكثرة جِيفِ الكفار أن يأمرهم بدفعهم ، فكان جرؤهم إلى القلب أَيْسَرَ عليهم ، ووافق أن القلب حفره رجل من بني النار ، اسمه : بَدْرٌ ، فكان . فالأَمَدُ لَهُمْ ، وهذا على أحد القولين في بدرٍ ، والله أعلم .

عود إلى شعر صباه :

وفيه حسن أيضاً :

بنو الأوسِ الفطاريِّ وازرتها

ولو قال آزرتها بالهمز لجاز ، وكان من الأُزْرِ ، وفي التنزيل (فَأَزْرَهُ) أى : شَدَّ أَزْرَهُ ، وَقَوَّاهُ ، ولسكن أراد حسان معنى الوزير ، فإنه سمي وزيراً من الوزرِ ، وهو الثقل ، لأنه يَحْمِلُ عن صاحبه ثَقَلًا وَبُعِينَةً ، وقيل هو من الوزرِ ، وهو الملجأ ، لأن الوزيرَ يُلْجَأُ إلى رأيه ، وقد أُلْفِيَتْهُ في نسخة الشيخ أبي بحر : آزرتها مُصْلَحًا بغير واو إلا أنَّ وازرتها وزنه : فَأَعْلَتْ ، وآزرت وزنه أَعْلَتْ .

وقوله :

وَعُتْبَةً قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ

معنى الجبوب :

الجبوب اسمٌ للأرض ، لأنها تُحِبُّ أى تحفر وتُحِبُّ من دُفِن فيها ، أى تقطعه ، وهذا القول أولى ، لأنهم قالوا جُبُوبٌ مثل : صُبُور وشَكُور فى المؤنث ، ولم يقولوا جَبُوبَةٌ ، فيكون من باب حَلُوبَةٍ وَرَكُوبَةٍ ، ويدخلون فيها الألف واللام تارةً ، فيقولون : الجبُوب ، كما فى هذا البيت ، وتارةً يعملونه اسماً علماً ، فيقولون : جَبُوب ، مثل شُعُوب ، قال الشاعر :

بَنَى عَلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مَكَانَهُ نَوَى بَيْنَ أَحْجَارِ رَهِينِ جَبُوبِ

ومنه قيل : جَبَّانٌ وَجَبَّانَةٌ للأرض التى يُدْفَنُ فيها الموتى ، فهو قَمْلَانٌ من الجُبِّ والجُبُوبِ ، وهو قولُ الخليل فى معنى الجَبَّانِ ، وغيره يجعله فعلاً من الجُبْنِ .

مرة أخرى شعر مسامه :

وقوله :

خَاطَى السُّكُوبِ

أى مُسَكِّنِزِ السُّكُوبِ قَوِيَّهَا [والسُّكُوبُ : عُقْدُ القَنَاةِ] ، وقولُ حَسَّانَ : الفَطَارِيفُ ، أراد : الفَطَارِيفُ كما تقدم فى شعر الجُرْهُمِيِّ :

تَطْلُ بِهَا أُنْمَا وَفِيهَا الْعَصَافِرُ

أَرَادَ الْعَصَافِرُ ، وَحَذَفَ الْيَاءَ ضَرُورَةً .

تفسير قول ابن أبي بكر :

فصل : وذكر قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه لابنه يوم بدر أين

مالى يا خبيثُ ، فقال :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا شِكَّةٌ^(١) وَيَعْبُوبُ

الشِّكَّةُ : السِّلَاحُ ، وَالْيَعْبُوبُ مِنْ الْخِيلِ : الشَّدِيدُ الْجَرْمِ ، وَيُقَالُ :
الطَوِيلُ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ ، لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ عُبَابِ الْمَاءِ ، وَهُوَ شِدَّةُ جَرِيهِ ،
وَيُقَالُ لِلْجَدْوْلِ الْكَثِيرِ الْمَاءِ : يَعْْبُوبُ ، وَقَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَرَسٌ اسْمُهُ : السَّكْبُ وَهُوَ مِنْ سَكَبْتُ الْمَاءَ^(٢) ، فَهَذَا يَقْوَى مَعْنَى الْيَعْبُوبِ ،
وَذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ لِأَبِيهِ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ :
يَا أَبَتِ لَقَدْ أَهْدَفْتُ لِي يَوْمَ بَدْرٍ مِرَارًا فَصَدَفْتُ عَنْكَ ، فَقَالَ اللَّهُ لَوْ كُنْتُ
أَهْدَفْتُ لِي أَنْتَ مَا صَدَفْتُ عَنْكَ^(٣) .

(١) في السيرة : غير شكة .

(٢) يصف صاحب القاموس الفرض المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، بقوله : وكان
كميتا أغر محجلا مطلق اليمنى ، ويقال بفتح السين أيضا . ويقال سكب الماء فسكب
هو سكوبا .

(٣) في النهاية لابن الأثير يقال : ه أهدف له الشيء واستهدف إذا دنأ منه
وانتصب له مستقبلا ، وفيها ضمت بدلا من صدف ودمناها : عدات وهات .

العرسه والعريش :

فصل : وذكر تنازعهم في النفل ، وما احتجت به الطائفة الذين كانوا يَحْمُونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، والعريش : كل ما أظلك وعلاك من فوقك ، فإن علوته أنت فهو عَرْشُك ، لا عَرِيش ، والعريش أيضا فيما ذكر أبو حنيفة أربع نخلات أو خمس في أصل واحد .

بنو عابد وبنو عائذ :

وذكر قول أبي أسيد : وَجَدْتُ يَوْمَ بدر سيف بني عابد الذي يقال له التمرزبان . بنو عابد في بني تَخْزُوم ، وهم بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن تَخْزُوم ، وأما بنو عائذ بالياء والذال المعجمة ، فهم بنو عائذ بن عمران بن تَخْزُوم رَهْط آل المَسَيَّب ، والأولون رَهْط آل بني السائب .

حول القسم :

وأما قوله : قسمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن بَوَائِر يقول : على سَوَائِر ، فقد رواه أبو عُبَيْدٍ في الأموال ، فقال فيه : قسمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن فَوَائِر ، وفسره ، فقال : جعل بعضهم فوق بعض ، أي فضل في القسم مَنْ رَأَى تَفْضِيلَهُ ، وفي غريب الحديث قولاً آخر ، وهو أن معنى عن فَوَائِر : التَّسَرُّعُ في القسم كَفَوَائِقِ النَّاظَةِ ، ورواية ابن إسحاق أشهر وأثبتت عند أهل الحديث (١)

(١) فَوَائِقُ بضم الفاء وفتحها ، وفي النهاية لابن الأثير : قسمها في قدر فَوَائِقُ =

سبب نزول أول الانفال :

وفي الحديث الذي ذكره أبو عبيد أن سعد بن أبي وقاص ، قال : قتلت يوم بدر العاصي بن سعيد بن العاصي ، وأخذت سيفه ، وكان يقال له : ذو الكتيفة . فأنيت به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقلت : يا رسول الله ، نفلني ، فأمرني أن أجمعه في القبط^(١) ، فأخذني ما لا يعلمه إلا الله ، فقلت : قتل أخى عمير وأخذ سلمي فأزل الله ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ الآية ، فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف^(٢) ، قال أبو عبيد وأهل السير يقولون : قتل العاصي بن سعيد على بن أبي طالب رضى الله عنه .

== ناقة ، وهو ما بين الحلبتين من الراحة... وعن هاهنا بمنزلتها في قولك : أعطيتك عن رغبة وطيب نفس ، لأن الفاعل وقت إنشاء الفعل إذا كان متصفاً بذلك كان الفعل صادراً عنه لا محالة ومجاوزاً له .

(١) القبط بفتح القاف والباء : المقبوض .

(٢) رواه الإمام أحمد ، وروى أيضاً بسنده عن سعد بن مالك ، قال : قلت يا رسول الله قد شفاني الله اليوم من المشركين ، فهب لي هذا السيف فقال : إن هذا السيف لا لك ، ولا لى ضمه . قال : فوضعت ، ثم رجعت ، فقلت : عسى أن يعطى هذا السيف من لا يبلى بلأى قال : فإذا رجل يدعوني من ورائى قال : قلت قد أنزل الله في شيئاً ؟ قال : كنت سألتنى السيف ، وليس هو لى وإنه قد وهب لك ، فهو لك ، قال : وأنزل الله هذه الآية : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قل : الأنفال لله والرسول) ورواه أبو داود والترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن صحيح ، ورواه على نحو آخر مسلم . وروى فى أسباب نزولها أشياء أخرى .

عقبة بن أبي معيط :

فصل : وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ، قال وكان الذي أسره عبد الله بن سَلَمَةَ ، وسَلَمَةُ هذا بكسر اللام ، وهو سَلَمَةُ بن مالك أحد بني العَجْلَانِ بَلَوِي بالنسب أنصاري بالحلف ، قُتِلَ يومَ أُحُدٍ شهيداً وأما عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ ، فاسم أبي مُعَيْطٍ أَبَانُ بن أبي عمرو ، واسمُهُ ذَكْوَانُ بن أُمَيَّةَ ، يقال : كان أُمَيَّةُ ، قد سَأَى (١) أُمَةً أو بَقَتْ أُمَةً له ، خُصِمَاتُ بَابِي عمرو ، فَاسْتَنَاحَقَهُ بِحُكْمِ الجَاهِلِيَّةِ ؛ ولذلك قال مُعَرَّرُ بنُ الحَطَّابِ - رضى الله عنه - عُقْبَةُ حين (٢) قال : أُنْقِلُ من بين قُرَيْشٍ صَبْرًا ، فقال عمر : حَنَّ قِدْحُ لَيْسَ (٣) منها ، يُعَرِّضُ بِنَسَبِهِ ، وذلك أن القِدَاحَ في التَّيْسِ ربما جُمِلَ معها قِدْحٌ مستعار قد جُرِّبَ منه القِدَاحُ واليَمَنُ فَيَسْتَعَارُ لذلك ، وَيُسَمَّى . المَنِيحَ ، فإذا حُرِّكَ في الزَّيَابَةِ مع القِدَاحِ تَمَيَّزَ صَوْتُهُ لِمُخَالَفَةِ جَوْهَرِهِ جَوْهَرُ القِدَاحِ ، فيقال حينئذ : حَنَّ قِدْحُ لَيْسَ

(١) ساعى الامة : طلبها للبغاء ، وفجر بها

(٢) في النهاية لابن الاثير أنه قال ذلك للوليد بن عقبة الذي ولاء عثمان الكوفة وأعمالها .

(٣) هو مثل يضرب إلى رجل ينتمى إلى نسب لَيْسَ منه ، أو يدعى ما ليس منه في شيء ، والقِدَح بالكسر أحد سهام الميسر . وأبو عمرو بن أمية قد تزوج امرأة أبيه زوجة إياها ابنا أبو العاص بن أمية أخوه لآبيه ، وكان نسكاها ينسكه الجاهلية ص ٩٩ نسب قريش

منها ، فتمثل عمرُ بهذا المثل ، يريد أن عُقْبَةَ إيس من قُرَيْش (١) ، وكذلك روى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال حينئذٍ : إنما أنت يهوديٌّ من أهل صفورية (٢) ، لأن الأمة التي وليت أباها كانت يهوديٌّ من أهل صفورية ، واسمها : تَرْفِي ، قاله القُتَيْبِيُّ (٣) ، وكذلك قال دَعْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ النَّسَّابُ إِمَارِيَّةَ حين سألها : هل أدركت عبدَ المطلب ؟ فقال : نعم أدركته شيخاً وسبياً قمياً جَسِيماً يحُثُّ به عَشْرَةٌ مِنْ بَنِيهِ كَأَنَّهُم النُّجُومُ ، قال : فهل رأيت أُمِّيَّةَ ابن عبد شمس ؟ قال : نعم رأيت أخِيْفِشُ أَرْبِقُ (٤) دِمِيًّا ، يتودده عبده ذَكَوَانُ ، فقال : ويحك ذلك ابنه أبو عمرو ، فقال دَعْفَلُ : أنتم تقولون ذلك .

الطعن في نسب بني أمية :

قال المؤلف :

وهذا الطعن خاص بنسب عُقْبَةَ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ ، وفي نسب أُمِّيَّةَ نَفْسِهِ مَعْلُومَةٌ

(١) جعله ابن دريد في الاشتقاق من رجال قريش ، وكذلك المؤرخ ابن عمرو الدوسي .

(٢) كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام قرب طبرية .

(٣) يقال للأمة والبغى : ترفى كجبل ، وترفى وابن ترفى : ولد البغى ، ويجهوز أن تكون ترفى من ربيت : إذا أذهب النظر إليها . يقال : إن أمية جد أبيه خرج إلى الشام ، فوقع على يهودية لها زوج من صفورية فولدت ذَكَوَانَ المسكني أبا عمرو ، وهو والد أبي معيط علي فراش اليهودي ، فاستلحقه بحكم الجاهلية .

(٤) أخيفش تسخير أخفش والحفش فساد في العين يضعف منه نورها ، وأفعض دائماً من غير وجع والورقة خضرة في سواد العين ، وقيل : هو أن يتفشى سوادها بياض . وقيل : الزرق تحجيل يكون دون الأشاعر ، أو بياض لا لطيف بالعظم كله ، ولكن وضع في بعضه .

أخرى نعم جميع الفصيلة ، وهى ماروى عن سَفِينَةَ^(١) مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ حين قيل له : إن بنى أُمِّيَّة يزعمون أن الخِلَافَةَ فيهم ، فقال : كذبت استأه بنى الزَّرْقَاءُ ، بل هم مُلُوكٌ ، ومن شر الملوك ، فيقال : إن الزَّرْقَاءُ هذه هى [أُمِّ] أُمِّيَّة بن عَبْدِ شَمْسٍ^(٢) ، واسمها أُرْنَبُ ، قاله الأَصْبَهَانِي فى كتاب الأمثال ، قال : وكانت فى الجاهلية من صَوَاحِبِ الرايات^(٣) .

قال المؤلف رضى الله عنه : وقد عَفَا اللهُ عن أمرِ الجاهليَّةِ ، ونهى عن الطعن فى الأنساب ، ولو لم يجب الكفُّ عن نَسَبِ بنى أُمِّيَّة إلا لموضع عُثْمَانَ ابن عَفَّان رضى الله عنه ، لكان حَرَى بذلك .

أبو هند المجام :

فصل وذكر أبا هند الحَجَّام ، وأنه لقي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

(١) وقيل : هو مولى رسول الله ، ص ، واسمه مهران .

(٢) كلمة أم غير موجودة بالأصل ، والسياق يفرضها وفى نسب قريش أن أم أُمِّيَّة هى نفجة بنت عبيد بن رواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ص ٩٧ وفى السدوسى أن اسمها تعجز ابنة عبيد بن رواس بن كلاب الخ ص ٣٠

(٣) يرى الشهرستانى أنها امرأة كان يختلف إليها النفر فى الجاهلية ، وكلهم يوافقها فى طهر واحد ، فإذا ولدت ألزمت الولد أحدهم وهذه تدعى : المقسمة وبرى غيره أن البغايا كن ينصبن على أبواب رايات ، يدخل عليها الكثير ، فإذا حملت ووضعت جمعوا لها ، ودعوا "ثقافة" ، فيلحقونه بشبيهه . ولهذا لا يمكن تصديق ما زعمه الإصبهاني ، وهو يرى عن فارسيتة التى تحاول النيل من

أشراف العرب

مُنْصَرَفَهُ مِنْ بَدْرٍ . أَبُو هِنْدُ اسْمُهُ : عَبْدُ اللَّهِ ، وَهُوَ مَوْلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْبَيَّارِيِّ ،
وَأُمَّا طَيْبَةُ (١) الْحَجَّامُ فَهُوَ مَوْلَى بَنِي حَارِثَةَ ، وَاسْمُهُ : نَافِعٌ ، وَقِيلَ : دُنَيْرٌ
وَقِيلَ مَيْسَرَةُ ، وَلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا .

أَسَارَى بَدْرٍ

ذَكَرَ فِيهِمْ أَبُو عَزِيزٍ بْنُ عُمَيْرٍ حِينَ مَرَّ بِهِ ، وَهُوَ أَسِيرٌ عَلَى أَخِيهِ مُصْعَبٍ ،
فَقَالَ مُصْعَبٌ لِلَّذِي أَسْرَهُ : اشْدُدْ يَدَيْكَ (٢) بِهِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابِ الْهَجْرَةِ خَبَرُ إِسْلَامِ مُصْعَبٍ ،
وَمَا كَانَتْ أُمُّهُ تَصْنَعُ بِهِ ، وَأَرْجَأْتُ التَّعْرِيفَ بِهِ وَبِإِخْوَتِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَأَمَّا
أَبُو عَزِيزٍ ، فَاسْمُهُ زُرَّارَةُ ، وَأُمُّهُ الَّتِي أَرْسَلَتْ فِي فِدَائِهِ أُمُّ الْخُفَّاسِ بِنْتُ مَالِكِ
الْعَاصِرِيَّةِ ، وَهِيَ أُمُّ أَخِيهِ مُصْعَبٍ ، وَأَخْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُمَيْرٍ ، وَهِنْدُ هِيَ أُمُّ شَيْبَةَ
ابْنِ عُثْمَانَ حَاجِبِ السَّكْبَةِ ، جَدُّ بَنِي شَيْبَةَ أَسْلَمَ أَبُو عَزِيزٍ ، وَرَوَى الْحَدِيثَ ،
وَأَسْلَمَ إِخْوَتُهُ أَبُو الرُّومِ ، وَأَبُو يَزِيدَ ، وَلَا خَفَاءَ بِإِسْلَامِ مُصْعَبٍ أَخِيهِ ، وَغُلَظَ
الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، فَقَالَ : قُتِلَ أَبُو عَزِيزٍ يَوْمَ أَحُدٍ كَافِرًا ، وَلَمْ يَصْحَ هَذَا عِنْدَ
أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ نُبَيْهَةُ بْنُ وَهْبٍ وَغَيْرُهُ ، وَلَعَلَّ الْقَتُولَ
بِأَحَدٍ كَافِرًا أَخْلَخَ لَهُمْ غَيْرُهُ .

(١) الصَّوَابُ : أَبُو طَيْبَةٍ ، وَاسْمُهُ كَمَا قَالَ السَّهْلِيُّ نَافِعٌ أَوْ مَيْسَرَةُ وَكُنْيَتُهُ كَمَا
قَدِمْتُ : أَبُو طَيْبَةٍ ، وَقَدْ ثَبَتَ ذِكْرُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ حَجَّجَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلَّهُ وَسَلَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَجَابِرٍ وَغَيْرِهِمَا .
(٢) فِي السِّيَرَةِ : شَدِيدُكَ .

خبر أبي رافع حين قدم قل قريش

اسم أبي رافع : أسلم^(١) ، وقال ابن مَعِينٍ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ ، وقيل اسمه : هُرْمُزُ ، وكان عبداً قَبْطِيّاً للعباس ، فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم العباسُ وبشر أبو رافع رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - بإسلامه ، فأعتقه ، فكان مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل : كان عبداً لبني سعيد ابن العاصي ، وهم عشرة فأعتقوه إلا خالد بن سعيد ، فإنه وَهَبَ حِصَّتَهُ فِيهِ للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأعتقه النبي - صلى الله عليه وسلم - والأول أصح توفى في قول الواقدي قبل مقتل عثمان بيسير .

اسم الفضل وضربه لأبي لهب :

وذكر أبا لهب وضربه لأبي رافع حين ذكر للملائكة وانتصار أم الفضل له وضربه لأبي لهب ، وأم الفضل هي أباة الكبرى بنت الحارث [بن حزن ابن بُجَيْرَ بن الهَزَم بن رُوَيْبَةَ بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَفْصَةَ] الهِلَالِيَّةُ أختُ مَيْمُونَةَ ، وأختها أباة الصغرى أم خالد بن الوليد ، ولدت أم الفضل من العباس سبعة بُحْبَاءَ قال الشاعر :

مَا وَلَدَتْ مَحَبَّةً مِنْ فَحْلِ كَسْبَةٍ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ

(١) وقيل : سنان ، وقيل : يسار ، وقيل : صالح ، وقيل : عبد الرحمن ، وقيل : قزمان ، وقيل : يزيد ، وقيل : ثابت . قال ابن عبد البر : أشهر ما قيل في اسمه : أسلم ، وقال مصعب الزبيري : اسمه إبراهيم ، وألقبه بربه ، وهو تهذيب إبراهيم .

وهم عبد الله وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، والفضل ، ومعبود ، وقثم ^(١) ،
ويقال في السابع : كثير بن العباس ، والأصح في كثير أن أمه رومية ، ولم تلد
أم الفضل من العباس إلا من تميمنا وأختا لهم ، وهى أم حبيب ، وقد
ذكرها ابن إسحاق في رواية يونس [بن بكير] ، وذكر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم رآها وهى طفلة تدب بين يديه ، فقال : إن بلغت هذه وأنا
حى تزوجتها ، فقيض عليه السلام قبل أن تبلغ فتزوجها سفيان بن الأسود

(١) هذا رأى محمد بن حبيب في المحرر ص ٤٠٩ . وقد ذكر مصعب الزبيري
لها ستا هم الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وقثم ، ومعبود وأم حبيب . والعباس
من غيرها الحارث وأمه من هذيل ، وكثير وتام وأمهما : أم ولد ، وأمنة لام
ولد ، وصفية لام ولد . والمؤرخ السدوسي يذكر له ثلاثة أولاد : وفي نهاية
الارب للقلقشندي أنه كان للعباس تسعة أولاد منهم الفضل وعبد الله وعبيد الله
وقثم وعبد الرحمن ومعبود وأمه لبابة ثم تام وكثير والحارث ولم يذكر أمهم
ص ١٤٢ ط ١٩٥٩ لابي العباس أحمد القلقشندي وكذلك ذكر في كتابه قلائد
الجمان ص ١٥٦ . وقد زدت في نسب لبابة ما ورد في نسب قريش للزبيري ،
وحذف من نسب قريش ص ٢٧ للسدوسي ص ٣٢ أما ابن دريد في الاشتقاق
فذكر أنهم أحد عشر ابنا وعد مهم من أساؤهم : عبدان وصبح ومسر ومعبود ،
والعجيب أنه لم يذكر منهم عبد الله . هذا وقد كان العباس يحمل تاما ويقول :

تموا بتمام فصاروا عشرة يارب فاجعلهم كراما وره

واجعل لهم ذكرا وأتم النثره

ويذكر ابن حبيب ص ٤٦ في المحرر أن قتما كان يشبه النبي ، وأن العباس كان
يرفضه بقوله .

أيا بنى يا قسم أيا شبيه ذى الكرم

ابن عبد الأسد [بن هلال بن عبد الله بن عمرو] المَخْزُومِي فولدت له رِزْقًا وَلُبَابَةً^(١) .

وذكر ابن إسحاق أن أبا كَهِب حين ضربته أم الفضل بالعمود على رأسه قام منكسراً ، ولم يَبْثْ إلا يسيراً ، حتى رماه الله بالعدسة فقتله .

وذكر الطَّبْرِيُّ في كتابه أن العدسة قرحة كانت العرب تَنَشَأُ مِنْهَا ، وَيَرَوْنَ أَنَّهَا تُغْدِي أَشَدَّ الْعَدْوَى ، فلما رُمِيَ بها أبو كَهِب ، تباعد عنه بنوه ، فبقي ثلاثاً لا تُقَرَّبُ جنازته ، ولا يُدَقَّنُ ، فلما خافوا السُّبَّةَ دفعوه بعود في حفرة ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه^(٢) وقال ابن إسحاق في رواية يُونُس لم يحفروا له ، ولكن أُسْنِدَ إلى حائطٍ وقُذِفَتْ عليه الحجارة من خَلْفِ الحائطِ وَوَرَى^(٣) وذكر أن عائشة كانت إذا مررت بموضعه ذلك غطَّت

(١) في كتاب نسب قريش لمصعب الزبيدي ذكر أن اسم زوجها الأسود ابن سفيان بن عبد الأسد الخ . وفي الإصابة : الأسود بن سنان ، وفي كتاب النسب أنها ولدت للأسود : رزقا وعبد الله .

(٢) نص تعبير الطبري في تاريخه ، فلقد تركه أبناءه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنه حتى أتته في بيته . وكانت قريش تنقى العدسة وعدتها كما يتقى الناس الطاعون ، حتى قال لهما رجل : ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أتته في بيته لا تفيانه ، فقالا : إنا نخشى هذه القرحة الخ ، ص ٦٢ ، ٢ الطبري ظ المعارف . وقد عرف ابن الأثير في النهاية العدسة بقوله بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالباً .

(٣) نص تعبير الطبري : فغسلوه إلا قذفوا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ،

ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار ، وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه ، =

وجهمها^(١) ، وفي صحيح البخارى أن بعض أهله رآه فى المنام فى شَرِّ رَحِيبة^(٢) ،
وهى الحالة ، فقال : ما لقيتُ بعدكم ، بمعنى . راحة ، غير أنى سُمِّيتُ فى مثل هذه
بِمَعْنَى ثَوْبَةٍ ، هكذا فى رواية الأصيلى عن أبى زيد ، وفى رواية غيره ، قال :
ما لقيتُ بعدكم راحة ، غير أنى سُمِّيتُ فى مثل هذه ، وأشار إلى الثَّغَرِ بين
السَّكَاةِ والإِبْهَامِ ، بِمَعْنَى ثَوْبَةٍ^(٣) ، وفى غير البخارى أن الذى رآه من أهله
هو أخوه العباس ، قال : مكثتُ حَوْلًا بعد موتِ أبى لُحَبْ لا أراه فى نوم ، ثم
رأيتُه فى شَرِّ حُلٍّ ، فقال : ما لقيتُ بعدكم رَاحَةً إلا أن العذابَ يخفف عني كُلَّ

== ص ٤٦٢ - ٤٦٣ . وأولاد أبى لُحَبْ هم : عتبة ومعتب أسلا يوم الفتح وميتا
يوم حنين ، وأختهما درة لها صحبة ، وهى من المهاجرات ، وأما عتيبة فقتله
الأسد بالزرقاء من أرض الشام ، وقد روى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم دخل
يوم الفتح بين عتبة ومعتب يقول للناس : هذا أخواى وابناهمى — فرحا
بإسلامهما — استوهبتهما من الله ، فوهبهما لى .

(١) قال الزرقانى فى شرحه على المواب اللدنية : قال البرهان : الظاهر أن
ذلك لثقله ، فسكانه كان يظهر من قبره إهانة له أبدا ، ويحتمل أن عليها ذلك
لكونه محل عذاب ، كما فعل — صلى الله عليه وسلم — حين مر بالحجر ، فنطى
وجهه بثوبه واستحث راحلته ، إشارة إلى التباعده عنه ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(٢) فى رواية الشيخين : خيبة ، فقد أخرجنا عن عروة قال أعتق أبولُحَبْ
ثوبية ، فأرضعت رسول الله ﷺ ، فلما مات أبولُحَبْ أريه بعض أهله فى النوم
بشر خيبة ، فقال له : ماذا لقيت ؟ قال : لم ألق بعدكم رخاء .

(٣) التى أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم : قال أبو نعيم : لا أعلم أحدا
أثبت إسلامها ، وفى طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تسلم ماتت سنة سبع
مرجع النبي ﷺ ، من خير . وكانت خديجة تسكرها وهى ملك أبى لُحَبْ ،
وسألته أن يبيعهما لها فامتنع ، فلما هاجر النبي ﷺ ، ص ، أعتقهما .

يوم اثنين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد يوم الإثنين ، وكانت
نُورِيَّةٌ قد بَشَّرته بمولده ، فقالت له : أَشَعَرْتُ أَنْ آمِنَةً وَلَدْتُ غُلَامًا لِأَخِيكَ
عَبْدِ اللَّهِ ؟ فقال لها : اذهبي ، فأنتِ حُرَّةٌ ، فنفعه ذلك ^(١) ، وهو في النار كما نفع
أخاه أبا طالب ذبُّه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو أهون أهل النار
عَذَابًا ، وقد تقدم في باب أبي طالب أن هذا النفع إنما هو نُقْصَانٌ مِنَ الْعَذَابِ ،
وإِلَّا فَعَمَلُ الْكَافِر كُلِّهِ مُحْطٌ بِلا خِلَافٍ ، أى : لا يجده ^(٢) في ميزانه ،
ولا يدخل به جَنَّةٌ ، وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَصَلِّي نُورِيَّةً
من المدينة وَيُتَحَفِّفُهَا ؛ لأنها كانت أرضعته ، وأرضعت عمه حمزة ، ولما افتتح
مكة سأل عنها ، وعن ابن لها اسمه : مَسْرُوحٌ ، فأخبر أنها قد ماتا ^(٣) .

(١) هو لم يعتقها إلا بعد الهجرة ، وليس للمشرك عند الله عمل فكل عمله
حابط . يقول سبحانه (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت
ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين) الزمر : ٢٥ وقال : (ومن يكفر
بالإيمان ، فقد حبط عمله) المائدة : ٥ وقال (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في
الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) هود : ١٥ ١٦
هذه الآية تؤكد أن هؤلاء يوفون أعمالهم في الدنيا ، أما في الآخرة فليس لهم
من جزاء إلا النار . والاستثناء هنا لا يدع شيئاً من ظن أو توهم حول هذا .
كما تؤكد أن ما صنعوا في الدنيا حابط عند الله ، وأن ما عملوه كان باطلاً .

(٢) إن نقصان العذاب ثواب ورحمة ، فكيف لا يجد شيئاً في ميزانه ،
ثم ينال ثواباً ورحمة .

(٣) مات ابنها قبلها . ويقول الحافظ في الإصابة : هـ ولم أئف في شيء .

من تلحقه على إسلام ابنها مسروح ، وهو محتمل ،

ضُبَيْرَة :

وذكر المَطْلِبُ بْنُ أَبِي وَدَاعَةَ بْنِ ضُبَيْرَةَ ، وقد ذكر الخطابي عن العَنْبَرِيِّ أنه يقال فيه : ضُبَيْرَةُ بالضاد للمعجمة ، واسم أبي ضُبَيْرَةَ : عَوْفٌ .

ابن الدُخْشُم :

وذكر مالك ، بن الدُخْشُم [بن مِرْضَخَةَ] ويقال فيه : الدُّخَيْش ، ويقال فيه : ابن الدُّخَيْش^(١) ، ويقال : إنه الذي سارَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من الأنصار ، فلم يدر ما سارَّه به حتى جهر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو يستأذنه في قتله ، وهو في حديث الموطأ ، والذي سارَّه هو عِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ^(٢) ، وقد برأ النبي صلى الله عليه وسلم مالكَ بن الدُّخْشُم من النفاق ، حيث قال : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قالوا : بلى ، قال أليس يُصَلِّي ؟ قالوا : بلى ، فقال في حديث الموطأ : أولئك الذين نهانى الله عنهم ، وقال

(١) جملة ابن دريد من الخزرج ، أما الحفاظ في الفتح ، فيقول إنه من بني عوف بن عمرو بن عوف الانصاري الأوسي .

ملحوظة : ذكر ابن هشام عن البيت الأخير من قصيدة الأسود الدالية أن فيه لإقواء . قال أبو ذر النخعي عن هذا وهو الذي ساء لا كفاء أكثر الناس من أهل القوافي بسميه : لإقواء ، والإقواء عندهم : اختلاف الحركات ، والإقواء : اختلاف الحروف في القوافي ، ص ١٦٣ .

(٢) عِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ بن عمرو بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن عوف بن الخزرج الانصاري الخزرجي السلمي وحديثه في الصحيحين ، وأنه كان إمام قومه بني سالم

في حديث مُسْلِمٍ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مِنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَنَعَّى بِهَا
وَجْهَ اللَّهِ .

مول شعر مكرز :

وذكر مَكْرَزُ ، وقد تقدم في اسم مَكْرَزٍ أَنَّهُ يُقَالُ بِكسر الميم وفتحها ،
ولكن لا يُرْوَى في السيرة إلا بالكسر .

وقول مَكْرَزُ :

قَدَيْتُ بِأَذْوَادِ ثِمَانٍ سِبَاقِي

بكسر التاء من ثِمَانٍ ، لأنه جمع ثَمَنٍ ، مثل تَمِينٍ وسمان^(١) .

أبو العاصي بن الربيع :

وذكر أبا العاصي بن الربيع بن عبد العُزَّى ، واسم أبي العاصي : أَيْقِطٌ ،
وقيل فيه : هاشم وقيل مِنْهُمْ^(٢) ، وقيل هَشِيمٌ ، وهو الذي يقول في أهله
زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وكان بالشام تاجراً حين قالها :

(١) يقول الخشني : من رواه ثمان بكسر التاء ، فعناه ، فالية الثمن ، ومن

رواه بفتح التاء ، فهو من العدد ص ١٦٤ .

(٢) يقال بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الشين ، أو بضم الميم وفتح الهاء
وكسر الشين الثقيلة . وكان يلقب جرير البطحاء والأدنين ، ومن أسماه أيضاً :
ياسر أو قاسم .

ذَكَرَتْ زَيْنَبُ لَمَّا يَمَمَتْ إِصْحَامًا^(١) فَقُلْتُ: سَقِيَ الشَّخْصَ يَسْكُنُ الْحَرَمَاتِ
بْنْتُ الْأَمِينِ جَزَاهَا اللَّهُ صَالِحَةً وَكُلُّ بَغْلٍ سَيُثْنِي بِالَّذِي عَلِمَا

وَأَدَّتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَامَةً وَعَلِيًّا ، مَاتَ
عَلِيٌّ وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَتَزَوَّجَ أُمَامَةُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ الْمَغِيرَةُ بْنُ
نَوْفَلٍ^(٢) ، وَهِيَ الَّتِي جَاءَ فِيهَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ عَمْرُو بْنُ سَلِيمٍ الزُّرْقِيُّ عَنْ
أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَصَلِّي ، وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ
بِنْتُ زَيْنَبٍ الْحَدِيثُ^(٣) قَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِيمٍ : كَانَتْ تِلْكَ الصَّلَاةُ صَلَاةَ الصُّبْحِ ،
هَكَذَا رَوَاهُ [عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ] بْنُ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ عَتَّابٍ عَنْ عَمْرُو
ابْنِ سَالِمٍ ، وَرَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ السِّيَرَةِ عَنِ الْمُقْبَرِيِّ عَنْ عَمْرُو بْنِ سَلِيمٍ ،
فَقَالَ فِيهِ : فِي إِحْدَى صَلَاتَي الظُّهْرِ أَوْ الْمَعْرِ ، وَكَانَ الَّذِي أَسْرَأَ أَبَا الْعَاصِي مِنْ
الْأَنْصَارِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ ، ذَكَرَهُ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَكَانَتْ رَقِيقَةً بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ ، وَأُمُّ كَلْبُومَ تَحْتَ عُتْبَةَ ،

(١) يَقُولُ الْبُكْرِيُّ فِي مَجْمَعِهِ عَنْ إِصْحَامٍ : وَادِ دُونَ الْمَدِينَةِ أَوْ جَبَلٍ لِأَشْجَعٍ
وَجَمِينَةٍ أَوْ وَادٍ لَهُمْ . وَفِي الْمُرَاصِدِ : مَا تَطَوَّاهُ الْحَاجُّ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْبَيْتِ عِنْدَ السَّمِينَةِ ،
وَقِيلَ هُوَ الْوَادِي الَّذِي فِيهِ مَدِينَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخ .

(٢) تَزَوَّجَهَا عَلَى بَعْدِ مَوْتِ خَالَاتِهَا فَاطِمَةَ لَوْصِيَةَ مِنْهَا ، وَقَدْ زَوَّجَهَا لَهُ الزُّبَيْرُ ،
وَتَزَوَّجَهَا الْمَغِيرَةُ بَوْصِيَةَ مِنْ عَلِيٍّ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ السِّيَرَةُ الْخَلِيبِيَّةُ .

(٣) حَدِيثُ صَلَاةِ الرَّسُولِ د ص ، وَهُوَ يَحْمِلُ أُمَامَةَ مَوْجُودٌ فِي السَّحَابِيِّينَ
وَقَدْ مَاتَتْ أُمَامَةُ عِنْدَ الْمَغِيرَةِ ، فَلَيْسَ لَزَيْنَبٍ عَقَبٌ .

فطلقاها بمزم أبيهما عليهما وأمهما حين (١) نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾
فأما عُقَيْبَةُ ، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يُسَلِّطَ الله عليه كَلْبًا من
كلابه فافترسه الأسدُ من بين أصحابه ، وم نيام حوله ، وأما عُقَيْبَةُ ومُعْتَبٌ
ابنا أبي لهب ، فأسلما ولهما عقب .

وقوله في خبر هندٍ فلا تَضْطَئِي مني . تَضْطَئِي ، أى : لا تَنَقِصْنِي عَنِّي
وشاهدُهُ [قَوْلُ الطَّرْمَاحِ بْنِ حَكِيمٍ] :

إِذَا ذُكِرَتْ مَسْمَاءُ وَالِدُهَا ضَطَّئِي وَلَا يَضْطَئِي مِنْ شَتَمِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ (٢)

هكذا وجدته في حاشية الشيخ ، وقد روى هذا البيت في الحماسة :
يَضْئِي بِالضَادِّ الْمُعْجَمَةِ ، وكأنه يفتعل من الضنى وهو الضعف .

(١) أنظر ص ٢٢ كتاب نسب قريش المصنوب الزبيرى .

(٢) البيت من قصيدة الطرماح بن حكيم أولها

لقد زادنى حبا لنفسى أنى بغض إلى كل امرئ غير طائل

وإنى شقى بالتام ولا ترى شقيا بهم إلا كريم الفضائل

وهى فى الحماسة : بضطئى كما روى السهيل البيت ، لا كما قال بعده . وقد شرح

بما يأتى : اضطئى افتعل من الضنى أى أنه بضئ إذا ذكر صنيع والده لتبجحه ومع

هذا يشتم أهل الفضائل ولا يضئ منه . ويقول النخسن فى شرح السيرة فى تفسير

تضطن : من رواء بالضاد والنون المخنفة ، فعناه : لا تخفى ولا تستعجى وأصله :

الهمز ، يقال : اصطنأت المرأة : إذا استحييت ، فحذف الهمزة تخفيفا . ومن

رواه : تظطن فوو من ظننت أنى بمعنى : اتهمت ، أى : لا تمنى ولا تسترب منى .

اتباع قريش لزَيْنَب :

فصل : وذكر خروج زَيْنَبَ بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة ، واتباع قريش لها ، قال : وسبق إليها هَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَالْفَهْرِيُّ ، ولم يُسَمَّ ابنُ إِسْحَاقِ الْفَهْرِيُّ ، وقال ابنُ هِشَامٍ : هو نافع بن هَبْدِ قَيْسٍ ، وفي غير السيرة أنه خالد بن عبد قَيْسٍ ، هكذا ذكره البزار فيما بلغني .

وذكر أن زَيْنَبَ حين رَوَّعَهَا هَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ أَلْقَتْ ذَا بَطْنَهَا ، وزاد غير ابنِ إِسْحَاقٍ أنه نَحَسَّ بِهَا الرَّاحِلَةَ فَسَقَطَتْ عَلَى صَخْرَةٍ ، وهى حامل فهلك جَنِينُهَا ، ولم تزل تُهْزِقُ الدَّمَاءَ حَتَّى مَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ بِهـ - د إسلام بعلها أبى العاصى .

وذكر الزبير أن هَبَارَ بْنَ الْأَسْوَدِ لما أسلم وصحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان المسلمون يَسُبُّونَهُ بِمَا فَعَلَ ، حتى شكوا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : سُبِّ مِنْ سَبِّكَ يَا هَبَارُ ، فكف الناسُ عن سَبِّهِ بعد . ولدت زَيْنَبُ [أُمَامَةُ] وهى التى جاء فيها الحديث رواه عُمَرُو بْنُ السَّيِّدِ ابْنُ خُلْدَةَ بْنِ مَخْلَدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ زُرَيْقِ الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كان يُصَلِّي وهو حاملُ أُمَامَةَ بنتِ زَيْنَبَ الحديث . قال عُمَرُو بْنُ سَلِيمٍ إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا .

تفسير قصيدة أبى خَيْثَمَةَ :

وذكر شعر ابن رَوَّاحَةَ ، وقيل بل قالها أبو خَيْثَمَةَ ، وفيها :

على مَا قَطِرَ وَيَبْنَا عِطْرُ مَنْشَمٍ

الْمَأْقَطُ : مُعْتَرِكُ الْحَرْبِ ^(١) ، وَعِطْرُ مَنْشَمٍ كِتَابَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْحَرْبِ ، وَهُوَ مِثْلُ ، وَأَصْلُهُ - فَيَا زَعْمَاءُ - أَنْ مَنْشَمٍ كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ خُزَاعَةَ تَبِيعَ الْعَطَرِ وَالطِّيبِ ، فَيُشْتَرَى مِنْهَا لِلْوَقْتِ ، حَتَّى تَنْشَأَ مَوَاجِهًا لَذَلِكَ ، وَقِيلَ : إِنْ قَوْمًا تَحَالَفُوا عَلَى الْمَوْتِ ، فَمَسَّوْا أَيْدِيَهُمْ فِي طِيبِ مَنْشَمٍ الْمَذْكُورَةِ تَأْكِيدًا لِلْحِلْفِ ، فَضَرِبَ طِيبُهَا مِثْلًا فِي شِدَّةِ الْحَرْبِ ، وَقِيلَ : مَنْشَمٌ امْرَأَةٌ مِنْ غُدَادَةَ ، وَهُوَ بَطْنٌ مِنْ تَيْمِيمٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي بَرَبُوعَ بْنِ حَنْظَلَةَ وَأَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ صَاحِبَةُ بَسَارٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَسَارُ الْكَوَاعِبِ ، وَأَنَّهُ كَانَ عَبْدًا لَهَا ، وَأَنَّهُ رَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : أُمِثِلْ حَتَّى أَثْمَتَكَ طِيبَ الْحَرَائِرِ ، فَلَمَّا أَمَكَّنَهَا مِنْ أَنْفِهِ أَنْخَرَتْ عَلَيْهِ بِالْمَوْسَى حَتَّى أَوْعَيْتَهُ ^(٢) جَدْعًا ، فَقِيلَ فِي الْمِثْلِ لَاقَى الَّذِي لَاقَى بَسَارُ الْكَوَاعِبِ ، فَقِيلَ : عِطْرُ مَنْشَمٍ ^(٣)

(١) الْمَأْقَطُ : الضَّيِيقُ فِي الْحَرْبِ ، وَقَالَ ابْنُ سِرَاجٍ : الْمَأْقَطُ : مَوْضِعُ الْحَرْبِ غَيْرُ مَهْمُوزٍ مِنَ الْمَقْطُ وَهُوَ الضَّرْبُ وَالْحُشْنُ ص ١٦٥ .
(٢) اسْتَأْصَلَتْهُ .

(٣) اخْتَلَفَ الرُّوَاةُ فِي لَفْظِ هَذَا الْإِسْمِ وَمَعْنَاهُ وَاسْتِثْقَاةُ ، وَفِي سَبَبِ الْمِثْلِ فَانَّهُ يُقَالُ : مَنْشَمٌ يَفْتَحُ الشَّيْءَ وَكَسَرَهَا وَمَشَامٌ . وَفِي مَعْنَاهُ قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ إِنَّ الْمَنْشَمَ هُوَ الشَّرُّ بَعِيْنُهُ ، وَزَعَمَ غَيْرُهُ أَنَّهُ شَيْءٌ يَكُونُ فِي سَبِيلِ الْعَطَرِ يَسْمِيهِ الْعَطَارُونَ : قُرُونُ السَّبِيلِ ، وَهِيَ سَمُ سَاعَةٍ ، وَقِيلَ إِنَّ الْمَنْشَمَ تَمْرَةٌ سَوْدَاءُ مُنْقَنَةٌ وَقِيلَ اسْمُ امْرَأَةٍ ، وَأَمَّا اسْتِثْقَاةُ مَنْشَمٍ فَقَالُوا لِأَنَّهُ اسْمٌ وَخُذُوا كَسَائِرَ الْأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ . وَقِيلَ هُوَ اسْمٌ وَفَعَلَ ، فَأَصْلُهُ : مِنْ شَمَ ، فَحَذَفُوا الْيَاءَ الثَّانِيَةَ وَجَعَلُوا الْأَوَّلَى حَرْفَ إِعْرَابٍ ، وَقِيلَ : هُوَ مَنْ نَشَمَ فِي كَذَا إِذَا بَدَأَ فِيهِ . وَهَنَاكَ اخْتِلَافٌ فِي سَبَبِ الْمِثْلِ مَذْكُورٍ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ذِكْرُ بَسَارٍ .

وفي الشعر :

بذى حَلَقِي جَلَدَ الصَّلَاصِلِ مُحْكَمَ

يعنى : الغلّ ، والصَّلَاصِلِ جمع : صَلَصَلَة ، وهى صَلَصَلَة الحديد .

وذكر قول هند بنتِ عُمَيْيَةَ لِقُلُوبِ قُرَيْشٍ حين رجموا من بدر .

أَفِي السَّلَمِ أَعْيَاراً جَفَاءً وَغِلْظَةً وفي الحرب أشباه النساء العوارِكُ^(١)

يقال : عَرَكَتِ المرأةُ وَدَرَسَتْ وَطَمِثَتْ إذا حاضت ، وقد قيل أيضاً

يقال : ضَجِكَتْ إذا حاضت ، وتناول عليه قوله تعالى ﴿ [وامرأته قائمة]

فَضَجِكَتْ فَبَشَّرَناها بِاسْحَاقَ ﴾ وقد قيل أيضاً : يقال : أَكْبَرَتِ المرأةُ

إذا حاضت ، وحمل بعضهم عليه قوله تعالى : ﴿ أَكْبَرَتْهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾

والهاء على هذا القول من أَكْبَرَتْهُ عائدةٌ على المصدر ، وهو تناولٌ ضعيف ،

وَنَصَبَ أَعْيَاراً على الحال ، والعامل فيه فعلٌ مُخْتَزَلٌ لأنه أقام الأعيار مقام

اسمٍ مُشْتَقٍّ ، فكأنه قال : أَفِي السَّلَمِ بُلْدَاءُ جَفَاءَ مِثْلَ الأَعْيَارِ ، ونصب جَفَاءَ

وغلظةً نَصَبَ المصدرِ المَوْضُوعِ مَوْضِعَ الحال ، كما تقول : زبد الأسدُ شِدَّةً ،

أى يماثلُه مِثْلُهُ شديدة ، فالشدةُ صفةٌ للمِثْلِ ، كما أن المشافهةَ صفةٌ للمُكاملة ، إذا

قلت : كَلَّمْتُهُ مُشافهةً فهذه حال من المصدر في الحقيقة ، وتعلّق حرفُ الجرِّ

(١) البيت من شواهد سيبويه في الكتاب ، وأعياراً وأشياء النساء

منصوبان عنده على المصدر ، أما عند السيرافي فنصوبان على الحال . والأعبار :

جمع عير — بفتح العين الحار أهليا كان أم وحشيا . والجفاء : الغلظة . والهل :

القوم المنهزمون ، والاستهزام في البيت لتوبيخ .

من قولها : أفي السَّلم ، بما أدَّته الأعيار من معنى الفعل ، فكأنها قالت : أفي السَّلم تَتَبَلَّدُونَ ، وهذا الفعل الحِزَلُ الناصب للأعيار لا يجوز إظهاره للسر الذي نبهنا عليه في قول المبرق [عبد الله بن الحارث] :

وَعَائِذَا بِكَ أَنْ يَطْلُوا قَيْطُفُونِي

أنظروا في الهجرة إلى الحبشة .

رد زينب على زوجها :

وذكر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ردَّ زينب على أبي العاصي على النكاح الأول ، لم يحدث شيئاً بعد ست سنين ، ويعارض هذا الحديث ما رواه حمزو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديد ، وهذا الحديث هو الذي عليه العمل ، وإن كان حديث داود بن الحصين أصحَّ إسناده عند أهل الحديث ولكن لم يَقُلْ به أحدٌ من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام قد كان فرق بينهما ، قال الله تعالى : ﴿ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ ، وَلَا مُمْحِلُونَ لَهُنَّ ﴾ ومن جماع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأول ، أي : على مثل النكاح الأول ، في الصداق والحباء لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ، ولا غيره .

سُرع بطل في مقتل أمية :

وذكر قتل بلالٍ لأُمَيَّة بن خلف ولم يذكر شعره في ذلك ، وذكره ابن إسحاق في غير هذه الرواية وهو :

فلما التقينا لم نَكْذِبْ بِمَحْمَلَةٍ عليهم بأسيافٍ لنا كالعناقِ
ومطرُورَةٍ مُحَرُّ الظُّبَاةِ كأنها إِذَا رُفِعَتْ أَشْطَانُ ذَاتِ الْبَارِقِ
بني مُجَمِّحٍ قد حلَّ قَدْحُ بشيخكم على ماءٍ بَذَرِ رَأْسِ كُلِّ مُنَافِقِ
هَجَمْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ وَاسْتَجَرَتْ بِهِ مَصَالِيتُ الْأَنْصَارِ غَيْرُ زَوَاقِ
هَوَى حِينَ لَا قَانَا وَفُرِّقَ جَمْعُهُ على وَجْهِهِ فِي النَّارِ مِنْ رَأْسِ حَالِقِ

وذكر الزبير في هذا الخبر عن ابن سلام عن محمد بن سلمة أن أمية حين أحاطت به الأنصار ، قال : يا أَحَدُ رَأْيٍ ، أَمَا لَكُمْ بِاللَّيْلِ حَاجَةٌ ؟ قال : وكان أمية يُذَكِّرُ بفصاحته ، ومعنى هذا الكلام : هل رأى أَحَدٌ مثل هذا ، ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث أسنده عن مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، قال : قال النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حِينَ نَزَلَتْ ﴿ قُلْ : إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ الزخرف : ٨١ الآية ، وكان النضر قد قال : الملائكة بناتُ الرَّحْمَنِ ، فلما سَمِعَ الآية قال أَلَا تَرَاهُ قَدْ صَدَّقَنِي ، فقال له أمية بن خلف - وكان أفصح منه - لا والله ، بل كَذَّبَكَ ، فقال : ما كان للرحمن من ولد ، وروى عن ثعلب أنه قال في قول أمية ، يا أَحَدُ : يَا سِتْفَتَاحَ ، ومعناه يا هُوَلَاءِ أَحَدُ رَأْيٍ .

إسلام عمير بن وهب

صفوان يحرضه على قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجُمحى مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قُريش في الحِجْر بَيْسَر ، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قُريش ، ومَن كان يُؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويلقون منه عَفَاء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر .

قال ابن هشام : أسره رفاعه بن رافع أحد بنى زُرَيْق .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : فذكر أصحاب القَليب ومُصابهم ، فقال صفوان : والله إن في العيش بدمهم خير ؛ قال له عمير : صدقت والله ، أما والله لولا ديني على ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبتُ إلى محمد حتى أقتله : فإن لي قبلهم علة : ابني أسير في أيديهم ؛ قال : فاغتنمها صفوان وقال : على دينك ، أنا أنقضه عنك ، وعيالك مع عيالي أو أسيرهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويهجز عنهم ، فقال له عمير : فاكتم شأني وشأنك ؛ قال : أفعل .

رؤية عمر له وإخباره الرسول بأمره

قال : ثم أمر عمير بَسِيفه ، فشجذ له وسُم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ؛

فبينما عمرُ بن الخطَّاب في نفر من المسلمين يتحدَّثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوِّهم، إذ نظر عمرُ إلى مُعمر بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشِّحاً السَّيف، فقال: هذا السَّكَّاب عدوُّ الله مُعمر ابن وهب، والله ما جاء إلا لشرٍّ، وهو الذي حرَّش بيننا، وحزَّرنَّا للقوم يوم بدر.

ثم دخل مُعمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله، هذا عدوُّ الله مُعمر بن وهب قد جاء متوشِّحاً سَيْفَه؛ قال: فأدْخِلْهُ عَلَيَّ، قال: فأقبل مُعمر حتى أخذ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ فَلَجَّ بِهِ بِهَا، وقال لرجالٍ مَن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فانه غيرُ ملُحون؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرسول يُحدِّثه بما بينه هو وصفوان فيسلم

فأما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وعمرُ آخِذٌ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ، قال: أُرْسِلْهُ بِأَعْمَر، اذْنُ بِأُمِّعِر؛ قدنا ثم قال: إنَّهم أوصباحا، وكانت تحية أهل الجاهليَّة بينهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أكرمنا الله بتحية خيرة من تحيتك يا مُعمر، بالسلام: تحية أهل الجنة؛ فقال: أما والله يا محمد إنَّ كنتُ بها لحديث عهد؛ قال: فما جاء بك يا مُعمر؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه؛ قال فما بالُ السيف في عنقك؟ قال: فبجها الله من سيوف، وهل أغنت عناً شيئاً؟ قال: صدقني، ما الذي جئت له؟

قال : ماجئتُ إلا لذلك ، قال : بل قدمت أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر ، فذكرتما أصحابَ القَآئِب من قُرَيْش ، ثم قلت : لولا دَيْنٌ هَلِيٌّ وعِيَالٌ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدَيْنِكَ وعِيَالِكَ ، على أن تقتلني له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك ؛ قال مُعْمِر : أشهد أنك رسولُ الله ، وقد كذباً يارسول الله نكذبتك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساتني هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فقهوا أحوالكم في دينه وأفريئوه القرآن ، وأطيلوا له أسيره ، ففعلوا .

رجوعه إلى مكة يدعو للإسلام

ثم قال : يارسول الله ، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أن تأذن لي ، فأقدم مكة ، فأدعهم إلى الله تعالى ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم؟ قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة . وكان صفوان ابن أمية حين خرج مُعْمِر بن وهب ، يقول : أبشروا بوقعة تأتكم الآن في أيام ، تُنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الرُّكبان ، حتى قدم راكبٌ فأخبره عن إسلامه ، خلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بفتح أبداً . قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ،

ويؤذي مَنْ خالفه أذىً شديداً ، فأسلم على يديه ناسٌ كثير .

هو أو ابن هشام الذي رأى إبليس . وما نزل فيه

قال ابن إسحاق : ومُحْمِر بن وَهَب ، أو الحارث بن هشام ، قد ذُكر لي أحدهما ، الذي رأى إبليس حين نَكَصَ على عَقْبَيْهِ يوم بدر ، فقال : أين ، أي سُرَاق ؟ ومثَلْ عَدُوَّ اللَّهِ فذهب ، فأنزل الله تعالى فيه . ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ ﴾ . فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتشبُّه سُراقَة بن مالك بن جُفشم لهم ، حين ذكروا ما بينهم وبين بني بَكْر بن عبد مَنَافَة بن كِنانة في الحرب التي كانت بينهم . يقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقِسْمَتَانِ ﴾ ونظر عَدُوَّ اللَّهِ إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيد الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوهم ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ . وصدق عَدُوَّ اللَّهِ ، رأى ما لم يَرَوْا ، وقال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ . فذكر لي أنهم كانوا يَرَوْنَهُ في كل منزل في صُورَة سُراقَة لا يُنْكَرُونَهُ ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان نَكَصَ على عَقْبَيْهِ ، فأوردتهم ثم أسلمهم .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : نَكَصَ : رجع . قال أَوْس بن حَجَر ، أحد بني أُسَيْد ابن عَمْرٍو بن تَمِيم :

نَكَصْنُمُ عَلَى أَعْتَابِكُمْ يَوْمَ جَنَّتُمْ
تُرْجُونُ أَفْئَالَ الْخَلَيْسِ الْعَرَمِ
وهذا البيت في قصيدة له .

شمر لحسان في الفخر بقومه وما كان من تغرير إبليس بقريش

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ آوُوا نَبِيَّهِمْ	وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كَثِيرًا
إِلَّا خَصَائِصَ أَقْوَامٍ هُمْ سَلَفٌ	لِلصَّالِحِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ أَنْصَارُ
مُسْتَبْشِرِينَ بِقَسَمِ اللَّهِ قَوْمُهُمْ	لَمَّا أَتَاهُمْ كَرِيمُ الْأَصْلِ مُخْتَارُ
أَهْلًا وَسَهْلًا فِي أَمْنٍ وَفِي سَمَةٍ	نِعْمَ النَّبِيُّ وَنِعْمَ الْقَسَمُ وَالْجَارُ
فَانْزَلُوهُ بَدَارَ لَا يُخَافُ بِهَا	مَنْ كَانَ جَارَهُمْ دَارًا هِيَ الدَّارُ
وَقَاسِمُوهُ بِهَا الْأَمْوَالَ إِذَا فَدِمُوا	مُهَاجِرِينَ وَقَسَمُ الْجَاهِلِ الدَّارُ
سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَدْرِ خَلِيفَتِهِمْ	لَوْ يَمْلِكُونَ بَقِيَّةَ الْعِلْمِ مَا سَارُوا
دَلَامُكُمْ بِغُرُورٍ نَمِ اسْلِمَهُمْ	إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمِنْ وَالَاءِ غَرَارُ
وَقَالَ إِنِّي لَكُمْ جَارٌ فَأَوْزَدَهُمْ	شَرَّ الْمَوَارِدِ فِيهِ الْخَزْيُ وَالْمَاءُ
نَمِ التَّفِينَا فَوَلُّوا عَنْ سَرَاتِهِمْ	مَنْ مُنْجِدِينَ وَمَنْهُمْ فَرْقَةٌ غَارُوا

قال ابن هشام : أنشدني قوله « لَمَّا أَتَاهُمْ كَرِيمُ الْأَصْلِ مُخْتَارُ » أبو زيد .

الأنصاري .

المطمعون من قریش

من بنی هاشم

قال ابن إسحاق : وكان المطمعون ، من قریش ، ثم من بنی هاشم بن عبد مناف : العباس بن عبد المطلب بن هاشم .

من بنی عبد شمس

ومن بنی عبد شمس بن عبد مناف : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

من بنی نوفل

ومن بنی نوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، وطعينة ابن عدی بن نوفل ، يعقبان ذلك .

من بنی أسد

ومن بنی أسد بن عبد المزی : أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد ، وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، يعقبان ذلك .

من بنی عبد الدار

ومن بنی عبد الدار بن قصي : النضر بن الحارث بن كلفة بن علقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار .

.....

نسب النضر

قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلْدَة بن عبد مناف بن عبد الدار .

من بنى مخزوم

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن بَقْطَة : أبا جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

من بنى جمح

ومن بنى جمح : أُمَيَّة بن خَلَف بن وَهَب بن حُذَافَة بن جُمَح .

من بنى سهم

ومن بنى سهم بن عمرو : نُذَيْيها ومُنْذِيها ابني الحجاج بن عامر بن حُذَيْفَة ابن سمعد بن سَهْم ، بِمُتَقَبِلان ذلك .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن أَوْي : سُهَيْل بن عمرو بن عَبْد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِصَل بن عامر .

أسماء خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أنه كان مع المسلمين يوم بدر من الخيل ، قَرَسَ مَرْتَد بن أَبِي مَرْتَد العَنَوِي ، وكان يقال له : السَّيْل ؛

وفرس الممداد بن عمرو البهراي ، وكان يقال له : بفرجة ، ويقال : سبعة ؛
وفرس الزبير بن العوام ، وكان يقال له : اليقوب .

خيل المشركين

قال ابن هشام : ومع المشركين مائة فرس .

نزول سورة الأنفال

ما نزل في تقسيم الأنفال

قال ابن إسحاق . فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها ، فكان مما نزل منها في اختلافهم في الغنل حين اختلفوا فيه ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

فكان عبادة بن الصامت - فيما بلغني - إذا سئل عن الأنفال ، قال :
فينا معشر أهل بدر نزلت ، حين اختلفنا في الغنل يوم بدر ، فانتزع الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا ؛ فردّه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقسمه بيننا عن بواء - يقول : على السواء - وكان في ذلك تقوى الله وطاعته ،
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصلاح ذات البين .

ما نزل في خروج القوم مع الرسول للملاقاة قريش

ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف

القومُ أَنْ قَرِيشًا قَدْ سَارُوا إِلَيْهِمْ ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا يُرِيدُونَ الْعِيرَ طَمَعًا فِي الْغَنِيمَةِ .
 فقال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 لَكَارِهُِونَ ﴾ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
 وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ : أى كراهية للاقاء القوم ، وإنكاراً لتسير قريش ، حين
 ذكروا لهم ﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ
 أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ : أى الغنيمة دون الحرب ﴿ وَيُرِيدُ
 اللَّهُ أَنْ يَحِقَّ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ : أى بالواقعة التى
 أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر ﴿ إِذْ تَسْتَفِئُونَ رَبَّكُمْ ﴾ : أى لدعائهم
 حين نظروا إلى كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ : بدعاء
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم ﴿ أَنِّي مُبَدِّلُكُمْ بِالْفِائِزِ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾
 مُرْدِفِينَ ﴾ * ﴿ إِذْ يُفَشِّحُ الْمُنَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ ﴾ : أى أنزلت عليكم الأمانة حين
 نتم لانتخافون ﴿ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ : للمطر الذى أصابهم تلك
 الليلة ، فحبس المشركين أن يسبقوا إلى الماء ، وخلق سبيل المسلمين إليه
 ﴿ لِيُطَمَّرَ كُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
 وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ : أى ليذهب عنكم شك الشيطان ، لتخوينه بإيام
 عدوهم ، واستجلاد الأرض لهم ، حتى انتهوا إلى منازلهم التى سبقوا إليه
 عدوهم .

ما نزل فى تبشير المسلمين بالمساعدة والنصر ، وتحريضهم

ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا أَلَّابِينَ

آمَنُوا ﴿ : أَى آزَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ ،
فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْدَقِ ، وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ ، ثُمَّ قَالَ :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَقِيمُوا الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُومُوا الْأَذْيَارَ *
وَمَنْ يُولِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ ، فَقَدْ
بَاءَ بِقَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ : أَى تَحْرِيطًا لَهُمْ
عَلَى عَدُوِّهِمْ لِئَلَّا يَسْكُلُوا عَنْهُمْ إِذَا لَقَوْهُمْ ، وَقَدْ وَعَدَهُمُ اللَّهُ فِيهِمْ مَا وَعَدَهُمْ .

ما نزل في رمى الرسول للمشركين بالحصباء

ثُمَّ قَالَ تَمَالَى فِي رَمَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِيَّاهُمْ بِالْحَصْبَاءِ مِنْ
يَدِهِ ، حِينَ رَمَاهُمْ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ : أَى لَمْ يَكُنْ
ذَلِكَ بِرَمِيكَ ، لَوْلَا الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ نَعْمَتِكَ ، وَمَا أَتَى فِي صُدُورِ
عَدُوِّكَ مِنْهَا حِينَ هَزَمَهُمُ اللَّهُ ﴿ وَرَجُلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بِلَاءٌ حَسَنًا ﴾ : أَى
لَيُعْرِفَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ فِي إِظْهَارِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَفَلَّةَ عَدَدِهِمْ ،
لَيَعْرِفُوا بِذَلِكَ حَقَّهُ ، وَيَشْكُرُوا بِذَلِكَ نِعْمَتَهُ .

ما نزل في الاستفتاح

ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ : أَى لَقَوْلِ أَبِي جَهْلٍ :
اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحْمِ ، وَأَتَانَا بِمَا لَا يُعْرِفُ ، فَأَحْنَهُ الْغَدَاةَ . وَالِاسْتِفْتَاحُ :
الْإِنْصَافُ فِي الدَّعَاءِ .

يقول الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَإِنْ تَذَنَّهُوا ﴾ : أى لقربش ﴿ فَهَوْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾
وَإِنْ تَعُودُوا تَعَذَّ : أى بمثل الوقفة التى أصبناكم بها يوم بدر : ﴿ وَلَنْ
تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ ﴾ شيننا ولَوْ كَثُرَتْ وَإِنْ اللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : أى أن
عددكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تُغْنِيَ عَنْكُمْ شَيْئًا ، وإني مع المؤمنين ، أنصرهم
على من خالفهم .

ما نزل فى حض المسامين على طاعة الرسول

ثم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَوَلَّوْا
عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ : أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون
أنكم منه ، ﴿ وَلَا تَسْكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ : أى
كل المناقنين الذين يُظهرون له الطاعة ، ويسرون له المعصية ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ
عِنْدَ اللَّهِ السَّمُ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ ﴾ : أى المناقنون الذين نهيتكم أن
تسكنوا مثلهم ، بُكْمٌ عن الخير ، صُمٌّ عن الحق ، لا يقرعون : لا يعرفون
ما عليهم فى ذلك من النِّقمة والتَّبعة ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ ،
أى لأنفذ لهم الذى قالوا بأنفسهم ، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ،
ولو خرجوا معكم ﴿ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ما وفوا لكم بشيء مما خرجوا
عليه . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ ﴾ : أى للحرب التى أعزكم الله بها بسد الذلّ ، وقواكم بها بعد
الضعف ، وممّعكم بها من عدوّكم بعد القهر منهم لكم ، ﴿ وَإِذَا كُورُوا إِذْ أَنْتُمْ
قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ ، فَاَوَّاكُمْ ﴾

وَأَبْدَكُمْ بِتَعْلِيهِمْ ، وَرَدَّ قَسَمُكُمْ مِنَ الطَّائِبَاتِ أَعْلَكُمْ تَشْكُرُونَ *
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿ أَى لَا تَظَاهَرُوا لَهُ مِنَ الْحَقِّ مَا يَرْضَى بِهِ مِنْكُمْ ، ثُمَّ تَخْلَقُوهُ فِي الدَّرِّ
 إِلَى غَيْرِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ هَلَاكٌ لِأَمَانَاتِكُمْ ، وَخِيَانَةٌ لَأَنْفُسِكُمْ . ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا إِنِ اتَّقَوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ، وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ،
 وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ : أَى فَصْلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ،
 لِيُظَاهِرَ اللَّهُ بِهِ حَقَّكُمْ ، وَيُغْفِيَ بِهِ بَاطِلَ مَنْ خَالَفَكُمْ .

ما نزل في ذكر نعمة الله على الرسول

ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه ، حين مَكَرَ به القَوْمُ
 لِيَقْتُلُوهُ أَوْ يُسَبِّحُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَبِيرُ
 الْمَاكِرِينَ ﴾ : أَى فَكَّرْتُ بِهِمْ بِكَيْدِي الْمَتِينِ حَتَّى خَاصَمْتُكَ مِنْهُمْ .

ما نزل في غرة قريش واستفتاحهم

ثم ذكر غرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم ، إِذَا قَالُوا : ﴿ اَللَّهُمَّ إِنَّا
 كَانَتْ هَذِهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ أَى مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا
 مِنَ السَّمَاءِ ﴾ كَمَا أَمْطَرَهَا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿ أَوْ ائْتِنَا بِمَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أَى بِهِمْ
 مَا عَذَّبْتَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَنَا ، وَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنْ اللَّهُ لَا يَمْدُنَا وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُهُ ،
 وَلَمْ يَمْدُبْ أُمَّةً وَنَبِّئُهَا مِنْهَا حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا . وَذَلِكَ مِنْ قَوَائِمِ وَرَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ، فَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَذْكُرُ
 جِهَاتِهِمْ وَغَرَّتَهُمْ وَاسْتَفْتَحَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، حِينَ نَقَى سُوءَ أَعْمَالِهِمْ :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ لى لقولهم : إنا نستغفروك محمد بين أظهرنا ، ثم قال ﴿ وَمَا لَهُمْ إِلَّا لِيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾ وإن كنت بين أظهرهم ، وإن كانوا يستغفرون كما يقولون ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ : أى من آمن بالله وعنده : أى أنت ومن اتبعك ، ﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُفْضُونَ ﴾ الذين يحرّمون حرّمه ويقيمون الصلاة عنده : أى أنت ومن آمن بك ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ وما كان صلاتهم عند البيت التى يزعمون أنه يذفع بها عنهم ﴿ إِلَّا مُسْكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المساء : الصغير . والتصدية : التصفيق . قال عنترة بن عمرو (ابن شداد) العبسى :

وَلَرُبَّ قِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ حِجْدًا لَا تَمْسُكُو فَرِيضَتَهُ كِشْدَقِ الْأَعْلَامِ
يعنى : صوت خروج الدم من الطمعة ، كأنه الصغير . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الطرماح بن حاكم الطائى :

لَهَا كَلِمًا رِيْمَتْ صَدَاةٌ وَرَكْدَةٌ بِمُصْدَانِ أَعْلَى أَبِي شَمَامِ الْجَوَانِ
وهذا البيت فى قصيدة له . يعنى الأزوية ، يقول : إذا فرغت قرعت بيدها الصفاة ثم ركبت تشمع جدى قرعها بيدها الصفاة مثل التصفيق .
والمصدان : الحِرْز . وابنا شمام : جبلان .

قال ابن إسحاق : وذلك ما لا يرضى الله عز وجل ولا يحبُّه ،
سواء ما افترض عليهم ، ولا ما أسهم به ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴾ : أى لما أوقع بهم يوم بدر من القتل .

للمدة بين (يا أيها المزمل) وبدر

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن
أبيه عباد ، عن عائشة قالت : ما كان بين نزول : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴾ ، وقول
الله تعالى فيها : ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ . إِنَّ
لَلَّهِ بِنَا أَنْكَالًا وَجَجِيًّا . وطامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿ إلا يسير ، حتى أصاب
اللهُ قُرَيْشًا بِالْوَقْعَةِ يَوْمَ بَدْرٍ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأنكال : القيود ؛ واحدها : نِكل . قال رؤبة بن العجاج :

يَكْفِيكَ نِكْلِي بَقَى كُلُّ نِكْلٍ

وهذا البيت في أرجوزة له .

ما نزل فيمن عاونوا أبا سفيان

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً
ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ . يعنى النفر الذين مشوا

إلى أبي سفيان ، وإلى من كان له مالٌ من قريش في تلك التجارة ، فسألوهم
أن يُقوِّوهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلوا .

ثم قال : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ
وَإِنْ يَمْوَدُّوا ﴿ حَرْبِكَ ﴾ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّابِينَ ﴾ أى من قُتل منهم
يوم بدر .

الأمر بقتال الكفار

ثم قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ
لِلَّهِ ﴾ : أى حتى لا يُفتن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس له فيه
شريك ، ويُخضع مادونه من الأنداد ﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ﴿ فَأَعِزُّوهُ ﴾ أى الله
مَوْلَاكُمْ ﴿ الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر في كثرة عددهم وقلة عددكم
﴿ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ .

ما نزل في تقسيم الفىء

ثم أعلمهم مقاسم الفىء وحُكْمه فيه ، حين أحله لهم ، فقال ﴿ وَاعْتَمُوا
أَتَمًّا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ
الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى يوم فرقت فيه
بين الحق والباطل بقدرتى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ

الدُّنْيَا ﴿ مِنْ الْوَادِي ﴾ وَنَمَّ بِالْبُدْوَةِ الْقَصْوَى ﴿ مِنْ الْوَادِي إِلَى مَكَّة ﴾
 وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴿ : أَيْ عِيرَ أَبِي سُفْيَانَ الَّتِي خَرَجَ لَتَأْخُذَهَا
 وَخَرَجُوا لِيَتَمَتَّعُوا مِنْ غَيْرِ مِيعَادٍ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ
 فِي الْمِيعَادِ ﴿ أَيْ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ مِيعَادٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ ثُمَّ بَلَغَكُمْ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ ،
 وَقَلَّةُ عَدَدِكُمْ مَا أَتَيْتُمُوهُمْ ﴾ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴿ أَيْ لِيَقْضَى
 مَا أَرَادَ بِقُدْرَتِهِ مِنْ إِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَإِدْلالِ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ عَنْ غَيْرِ بَلَاءٍ
 مِنْكُمْ ، فَفَعَلَ مَا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ بِلُطْفِهِ ، ثُمَّ قَالَ ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ،
 وَغُبِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أَيْ لِيَكْفَرَ مَنْ كَفَرَ
 بَعْدَ الْحِجَّةِ لَمَّا رَأَى مِنَ الْآيَةِ وَالْعِزَّةِ ، وَيُؤْمِنَ مَنْ آمَنَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ .

ما نزل في لطف الله بالرسول

ثُمَّ ذَكَرَ لُطْفَهُ بِهِ وَكَيْدَهُ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ
 قَلِيلًا ، وَلَوْ أَرَأَوْكُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِ يُدَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، فَسَكَانَ مَا أَرَاكَ مِنْ ذَلِكَ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِهِ
 عَلَيْهِمْ ، شَجَّعَهُمْ بِهَا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَكَفَّ يَهَا عَنْهُمْ مَا تُخَوِّفُ عَلَيْهِمْ مِنْ
 ضَعْفِهِمْ ، أَعْلَمَهُ بِمَا فِيهِمْ .

قال ابن هشام : تُخَوِّفُ : مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها
 ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْفَتْحِيتُمْ فِي أُغْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُؤْتِلُكُمْ فِي أُغْيُنِهِمْ
 لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ : أَيْ لِيُؤَافِقَ بَيْنَهُمْ عَلَى الْحَرْبِ لِلنَّعْمَةِ مِنْ
 أَرَادَ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُ ، وَالْإِنْعَامَ عَلَى مَنْ أَرَادَ إِمْعَامَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ ، مِنْ أَهْلِ وَلَايَتِهِ .

ما نزل في وعظ المسلمين وتعليمهم خطط الحرب

ثم وعظهم وقههم وأعلمهم الذي ينبغي لهم أن يسيروا به في حربهم ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا أَقِمْتُمْ فِتْنَةً ﴾ فقاتلوهم في سبيل الله عز وجل ﴿ فَانْبِئُوهُمْ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الذي له بذلتم أنفسكم ، والوفاء لله بما أعطيتوه من بيمتكم ﴿ تَعْلَمُكُمْ مُتَفَاحُونَ ﴾ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا : أي لا تختلفوا فيتفرق أمركم ﴿ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أي وتذهب حدتكم ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ أي إلى معكم إذا فعلتم ذلك ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَنْظُرُونَ ﴾ الناس : أي لا تكونوا كأي جهل وأصحابه ، الذين قالوا : لا نرجع حتى نأتي بذكر فننصر بها الجزر ونسقي بها الحمر ، ونعرف علينا فيها القيان ، ونسمع العرب : أي لا يكون أمركم رياء ، ولا سئمة ، ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا الله بالنية والحسنة في نصر دينكم ، وموازنة نبيكم ، لا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ ﴾ .

قال ابن هشام : وقد مضى تفسير هذه الآية .

قال ابن إسحاق : ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر ، وما يفعلون عند موتهم ، ووصفهم بصفتهم ، وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عنهم ، حتى انتهى

إِلَى أَنْ قَالَ ﴿ فَلَا تَتَّبِعُهُمْ فِي الْخُرْبِ فَغَرَّبَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَنْذَرُونَ ﴾ أَيْ فَسَكَّلَ بِهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ
مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾
إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ
لَا تُظْلَمُونَ ﴾ : أَيْ لَا يَضِيعُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرُهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَعَاجِلُ خَلْقِهِ
فِي الدُّنْيَا . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِبْهُمْ ﴾ : أَيْ إِنْ دَعَوْكَ
إِلَى السَّلَامِ عَلَى الْإِسْلَامِ فَصَاحِبِهِمْ عَلَيْهِ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ : إِنْ اللَّهُ كَانِيكَ
﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : جنحوا للسلم : مالوا إليك للسلم . الجنوح : الميل . قال
كبيد بن ربيعة :

جُنُوحُ الْمَالِكِيِّ عَلَى يَدَيْهِ مُسَكِبًا يَجْتَلِي نَقَبَ النَّصَالِ

وهذا البيت في قصيدة له . والسلام أيضا : الصلاح ، وفي كتاب الله عز وجل :
﴿ فَلَا تَسْخَرُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ ، ويقرأ ﴿ إِلَى السَّلَامِ ﴾ ،
وهو ذلك المعنى . قال زهير بن أبي سلمى :

وَقَدْ قُلْنَا إِنْ نَذَرِكَ السَّلَامُ وَاسْعَا بِمَالٍ وَمَمْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمَ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : وبلغني عن الحسن بن أبي الحسن البصري ، أنه كان

يقول : ﴿ وَإِنْ جَعَلُوا لَكُمْ فِي الدِّينِ آتَمًا اذْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ﴾ وبقراءة ﴿ فِي السَّلَامِ ﴾ ، وهو الإسلام .
قال أمية بن أبي الصلت :

فَمَا أَنَابُوا لَكُمْ حِينَ تُنذِرُهُمْ رُسُلُ الْإِلَهِ وَمَا كَانُوا لَهُ عَصْدًا
وهذا البيت في قصيدة له . وتقول العرب لذكور تعمل مستطيعة : السَّلَم .
قال طرفة بن العبد ، أحد بني قيس بن ثعلبة ، يصف ناقة له :

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْئِلَانِ كَأَنَّمَا تَمُرُّ بِسَلْحَى حَالِحٍ مُتَشَدِّدٍ
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخَذُوا مِنْكَ الْوَيْلَ فَإِنَّكَ أَنْتَ عَلَيْهِمْ قَدِيرٌ ﴾
﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ بعد الضعف ﴿ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾
على الهدى الذي بمنك الله به إليهم ﴿ لَوْ أَتَقَفْتُمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَفَقْتُ
بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَئِنْ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾ بدينه الذي جمعهم عليه ﴿ إِنَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

ثم قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ
صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ : أى لا يفتكرون على نية ولا حق ولا معرفة
بغير ولا شر .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن عطاء بن أبي رباح ،
عن عبد الله بن عباس قال : لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين ، وأعظموا
أن يُقاتلوا عشرون مائتين ، ، ومائة ألفاً ، خفف الله عنهم ، فنسخها الآية
الأخرى ، فقال : ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا
ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ . قال : فكانوا إذا كانوا على
الشطر من عدوهم لم يذبح لهم أن يفرّوا منهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم
يجب عليهم قتالهم وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم .

ما نزل في الأسارى والمغانم

قال ابن إسحاق : ثم عاتبه الله تعالى في الأسارى ، وأخذ المغانم ،
ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغانم من عدو له .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد أبو جعفر بن علي بن الحسين ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَجُمِلْتُ لِي الْأَرْضُ
مَسْجِداً وَطَهُوراً ، وأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلَمِ ، وأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تُحَلَّلْ لِي نَبِيٌّ
كَانَ قَبْلِي ، وأُعْطِيتُ الشَّقَاعَةَ ، خمس لم يؤتَهنَّ نبي قبل .

قال ابن إسحاق : فقال : (ما كان لِنَبِيٍّ) : أى قبلك (أن يَكُونَ لَهُ
اِسْمَرَى) مِنْ عَدُوِّهِ (حَتَّى يُشَخِّنَ فِي الْأَرْضِ) أى يُشَخِّنَ عَدُوَّهُ ، حَتَّى يَنْفِيَهُ
مِنَ الْأَرْضِ ﴿ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ : أى المَتَاعَ ، الفَدَاءَ بِأَخْذِ الرِّجَالِ

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ : أى قتلهم لظهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تدرك به الآخرة ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ : أى من الأسارى والمغانم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أى لولا أنه سبق منى أنى لا أعذب إلا بعد النهى ولم يك نهاهم ، لمدببتكم فيما صنعتهم ، ثم أحانها له ولهم رحمة منه ، وعائدة من الرحمن الرحيم . فقال ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ غَفُورًا رَحِيمٌ﴾ . ثم قال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِنِ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِرْكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

ما نزل فى التواصل بين المسلمين

وحضّ السامعين على التواصل ، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية فى الدين دون مَنْ سواهم ، وجعل الكفار بمصّهم أولياء بعض ، ثم قال ﴿إِلَّا تَقْتُلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أى بوالِ الْمُؤْمِنِ الْمُؤْمِنِ من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به . ﴿تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أى شبهة فى الحقّ والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض بتولى المؤمنين الكافر دون المؤمنين .

ثم ردّ المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم إلى الأرحام التى بينهم ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَيْنَهُمْ أُولَى بِمَقْعِدٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أى بالميراث ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

إسلام عمير بن وهب :

فصل : وذكر إسلام عمير بن وهب إلى آخره ، وليس فيه ما يشكل

هل نجس إبليس في غزوة بدر ؟ :

وذكر في آخر الحديث أن عمير بن وهب هو الذي رأى إبليس يوم بدر حين نكس على عقبيه ، وذكر غيره أن الحارث بن هشام تثبت به ، وهو يرى أنه سُرَّاقَةُ بْنُ مَالِكٍ ، فقال : إِيَّا أَيْنَ سُرَّاقَةُ أَيْنَ نَفَرٌ فَلَكُمُ لَكُمَّةٌ لِمَرَحَةٍ عَلَى قَفَاهُ ، ثم قال إني أخاف الله رب العالمين ، وإنما كان تمثلاً في صورة سُرَّاقَةِ الدُّلْجِيِّ ، لأنهم خافوا من بني مُدْلَجٍ أن يعرضوا لهم ، فيسملوهم من أجل الدماء التي كانت بينهم ، فتمثل لهم إبليس في صورة سُرَّاقَةِ الدُّلْجِيِّ ، وقال إني جَارُُّكُمْ مِنَ النَّاسِ ، أي : من بني مُدْلَجٍ ، ويروى أنهم رأوا مَرَّاقَةً بِمَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فقالوا له : يَا سُرَّاقَةُ أَخْرَمْتَ الصَّفَّ ، وأوقعت نينا المزعمة ؟ فقال : والله ما علمت بشيء من أمركم ، حتى كانت هزيمتكم ، ما شهدت ، وما علمت فما صدقوه ، حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فإعلموا أنه كان إبليس تمثلاً لهم .

وقول الأعمى : إني أخافُ الله ربَّ العالمين ، لأهل التأويل فيه أقوال أحدها : أنه كذب في قوله : إني أخاف الله ، لأن الكافر لا يخاف الله ، الثاني : أنه رأى جنود الله تنزل من السماء ، فخاف أن يكون اليوم الموعود الذي قال الله فيه : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ وقيل أيضاً :

إنما خاف أن تدركه الملائكة لما رأى من فقلها بحزبه الكافرين ، وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل أن قريشاً حين توجهت إلى بدر مرّ هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون ، وهو ينشد بأنفذ صوت ، ولا يرى شخصه (١) :

أَزَارَ الْحَبِيبِيُونَ بَدْرًا وَقِيَمَةً
سَيَنْقُضُ مِنْهَا رُكْنٌ كَسَرَى وَقَيْصَرَا

(١) لم يخرج قصة تمثل إبليس في صورة سراقه أحد من أصحاب الصحيح فهي إما من رواية السكبي عن ابن عباس ، وهي أو هن من بيت العنكبوت ، فإذا انضم إليها رواية محمد بن مروان السدي الصغير ، فهي سلسلة الكذب . وأما على بن أبي طلحة ، فقد أجمعوا على أنه لم يسمع من ابن عباس ، وإنما أخذ عن مجاهد أو سعيد بن جبير ، ولا خلاف في كونهما من الثقات ، ولكن ابن عباس كان ابن خمس سنين يوم بدر ، فروايته لأخبارها منقطعة . كما روى الواقدي ، وهو غير ثقة في الرواية . انظر تفسير المنار للآية .

أقول والله تعالى يقول عن إبليس (إنه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم) ويقول : (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إني بوء منك ، إني أخاف الله) الأولى تثبت أننا لا نرى إبليس و قبيله وهو برانا ، والآخرى تشبه آية الأنفال ، فهل يتمثل الشيطان جسدا لكل كافر ويقول له هذا ؟ كما أن الله يقول (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) فلم لا يكون الشيطان هنا شيطانا من الإنس ؟ أو يكون هو الشيطان بوسوسته هو و قبيله لا بحمده ؟ وأقرأ سورة الناس ، ولهذا لم يخرج القصة أحد من أصحاب الكتب الستة .

أَبَادَتْ رِجَالاً مِنْ لُؤْمِيٍّ ، وَأَبْرَزَتْ خَرَائِدَ يَنْصُرِينَ التَّرَائِبَ حُسْرًا
فِيَا وَبَيْحَ مَنْ أَمْسَى عَدُوًّا مُحَمَّدٍ لَقَدْ جَارَ عَنْ قَصْدِ الْهَدَى وَتَحَيَّرَا

فَقَالَ قَائِلُهُمْ : مَنْ الْخَنِيفِيُّونَ ؟ فَقَالُوا : هُمُ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ
عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَنِيفِ ، نَحْنُ لَمْ يَلْبِثُوا أَنْ جَاءَهُمُ الْخَبِيرُ الْيَقِينُ ^(١) .

ذَكَرَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي بَدْرِ

أَنْزَلَ سُورَةَ الْأَنْفَالِ بِأَسْرِهَا ، وَالْأَنْفَالُ هِيَ الْغَنَائِمُ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ
فِي كِتَابِ الْأَمْوَالِ : التَّقْلُ : إِحْسَانٌ وَتَفَضُّلٌ مِنَ الْمُنْعِمِ فَسَمِيَتْ الْغَنَائِمُ أَنْفَالًا ،
لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَفَضَّلَ بِهَا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَمْ يُحْلَمْ لَأَحَدٍ قَبْلَهُمْ . قَالَ الْمَوْلَفُ :
أَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ بِهَا فَصَحِيحٌ ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا أُحِلَّتِ الْغَنَائِمُ
لَأَحَدٍ سِوَا الرُّمُوسِ قَبْلَكُمْ ، إِذَا مَا كَانَتْ نَارُ تَنْزِيلٍ مِنَ السَّمَاءِ فَمَا كَلِمًا ^(٢) ،

(١) لَوْلَا وَحْيُ اللَّهِ مَا عَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَهُ الْجَنُّ . فَكَيْفَ
يَصْدُقُ مِثْلُ هَذَا ؟

مُلْحَوظَةٌ : عَنْ الْمُطَمِّعِينَ يَوْمَ بَدْرِ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ النَّسَائِيَّةَ مَعَهُمْ شَيْبَةُ
ابْنِ رَيْطَةَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ ، وَلَا النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ كِلْدَةَ ، كَمَا رَوَى عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْمَزْنِيِّ قَوْلَهُ إِنَّ قَرِيشًا كَفَّاتُ قُدُورَ الْعَبَّاسِ ، وَلَمْ تَطْعَمْهَا لَعَلَّهَا بِمِثْلِهِ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ « ص » . ثُمَّ قَالَ : قَتَلُوا بِأَسْرِهِمْ يَوْمَ بَدْرِ ، وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ
وَسَهِيلٌ ، فَكَانَ مِنْ كِبَارِ الْمُسْلِمِينَ ص ١٨٢ الْمَجْرُ .

(٢) فِي حَدِيثٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ عَنْ نَبِيِّ وَقَوْمِهِ « فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ
مِنَ الذَّهَبِ ، فَوَضَعُوهَا ، فَجَاءَتِ النَّارُ ، فَأَكَلَتْهَا ، زَادَ فِي رِوَايَةٍ : فَلَمْ تَحْمَلِ الْغَنَائِمَ لِأَحَدٍ
قَبْلَنَا ، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ ، رَأَى ضَعْفُنَا وَعِجْزَنَا ، فَأَحْلَاهَا لَنَا ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
(م ١٥٠ - الرُّوسُ الْأَنْفُ ج ٥)

وأما قوله : قُسِّيتِ الْغَنَائِمُ أَنْفَالًا لِهَذَا ، فلا أحسبه صحيحاً ، فقد كانت العرب في الجاهلية الجُهْلَاء تسميها أنفالاً .

وقد أنشد ابن هشام لأوس بن حَجَر الأسدي ، وهو جاهلي قديم ^(١) :

نَكَّسْتُمْ عَلَى أَغْطَابِكُمْ يَوْمَ جَيْشِكُمْ تَرْجُونَ أَنْفَالَ الْخَيْسِ الْقَرْمَرِ ^(٢)

ففي هذا البيت أنها كانت تسمى أنفالاً قبل أن يُجْلِبَهَا اللهُ لِحَمْدِ وَأُمْتِهِ ، فأصل اشتقاقها إداً من النَّفْلِ ، وهو الزيادة لأنها زيادة في أموال الغامعين ، وفي بيت أوس بن حجر أيضاً شاهد آخر على أن الجيش كان يسمى : خَيْسًا ، في الجاهلية ^(٣) ، لأن قوما زعموا أن اسم الخيس من الجيش الذي يؤخذ من المنعم ، وهذا لم يكن حتى جاء الإسلام ، وإنما كان لصاحب الجيش الرُّبْعُ ، وهو الْبِرْبَاعُ ، وسيأتي القول في اشتقاقه فيما بعد إن شاء الله . قرأ ابن مسعود وعطاء ﴿ يَسْتَلُونَكَ الْأَنْفَالَ ﴾ وقرأت الجماعة : ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ والمعنى صحيح في القراءتين ؛ لأنهم سألوها وسألوا عنها لمن هي .

وقول عُبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ : نَزَلَتْ فِينَا أَهْلَ بَدْرٍ : ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ لأننا تنازعنا في النَّفْلِ ، وساءت فيه أخلاقنا ، كذلك جاء في التفسير لمعتمد بن

(١) كان شاعر مضر حتى أسقطه زهير

(٢) تروى ترجون . أما ترجون ، فمعناه : تساقون سوقاً رقيقاً .

(٣) قيل : سمى كذلك لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة .

حميد ، وغيره أن عبادة بن الصامت مع الذين كانوا معه ، وأبا اليسر كتب ابن عمرو في طائفة معه ، وكان أبو اليسر قد قتل قتيابين ، وأسر أسيرين ، تنازعوا ، فقال الذين حووا للمغم : نحن أحق به ، وقال الذين شغلوا بالقتال ، واتباع القوم نحن أحق به ، فانتزع الله منهم وردّه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم حديث سمعدين أبي وقاص ، حين جاء بالسيف ، فأمر أن يجمعه في القميص ، فشق ذلك عليه ، وكان السيْفُ للعمامى بن سعيد ، يقال له ذو الكفنية ، فلما نزلت الآية أعطى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - السيْفَ لسمد ، وقسم الغنيمة عن بواء أى : على سواء ، وقد قدمنا الحديث الذى ذكره أبو عبيد ، وفيه أنه قسمها على فواق ، فأنزل الله بعد : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ الآية فنسخت ﴿ قل : الأنفال لله والرسول ﴾ وهو أصح الأنوال أنها منسوخة ^(١) . وأما من زعم أن الأنفال ماضية من المدو إلى المسامين من من دابة ، أو نحوها ، فليست منسوخة عنده ، وكذلك قول مجاهد إن الأنفال ، هو الخمس نفسه ، وإنما تكون منسوخة إذا قلنا إنها جملة الغنائم ، وهو

(١) قال ابن زيد : الآية محكمة وليست منسوخة . وقد سبق الرأى فى النسخ وبيان أنه ليس فى كتاب الله الذى بين أيدينا آية منسوخة ، أو يطل العمل بها ويقول ابن كثير من رأى الذى قال بالنسخ : وهذا الذى قاله بعيد ، لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، وتلك نزلت فى بنى النضير ، ولا خلاف بين علماء السير والمغازى قاطبة أن بنى النضير بعد بدر ، وهذا أمر لا شك فيه ، ولا يرتاب ، فمن يفرق بين معنى الفى والغنيمة يقول : تلك نزلت فى أموال الفى ، وهذه فى الغنائم ، ومن يجعل أمر الغنائم والفى راجعا إلى رأى الإمام يقول : لا منافاة بين آية الخمس ، وبين التخميس إذا رآه الإمام والله أعلم .

القول الذي تشهد له الآثار ، قال أبو عبيد : والأنفال تنقسم أربعة أقسام
نفل لا يُخمس ، ونفل من رأس الغنيمة ، ونفل من الخمس ، ونفل السرايا
وهو بعد إخراج الخمس ، ونفل من خمس الخمس ، فأما الذي ليس فيه
خمس ولا يخرج من رأس الغنيمة ، ولا من الخمس ، فهو سلب القتيل
يقتل في غير موقعة الحرب ، وفي غير الزحف ، فهو ملك للقاتل ، وهذا القول
هو قول الأوزاعي ، وأهل الشام ، وقول طائفة من أهل الحديث وفيه قول
ثان ، وهو أن السلب من بجملة النفل يُخمس مع الغنيمة ، وهو قول مالك ،
وهو معنى قول ابن عباس الذي في الموطأ حين سأله رجل عن الأنفال ، فقال :
الفرس من النفل والدّرع من النفل ، وقال في غير الموطأ في هذا الحديث :
الفرس من النفل ، وفي النفل الخمس أن الوليد بن مسلم روى هذا الحديث ،
فقال في آخره : يريد أن السلب للقاتل ، ففسره على مذهب شيخه ، ومن
حجبتهم أيضاً أن عمر رضى الله عنه خمس سلب البراء بن مالك حين قتل
مرزبان الزّارة فسلبه سيّواريه ومنطقته ، وما كان عليه ، فبلغ ثمنه ثلاثين ألفاً ،
وقال أصحاب القول الأول لأحبة في حديث عمر ، لأنه إنما خمس المرزبان ،
لأنه استكثره ، وقال : قد كان السلب لا يُخمس ، وإن سلب البراء بلغ
ثلاثين ألفاً ، وأنا خامسه ، واحتجوا بحديث سلمة بن الأكوع ، إذ قتل
قتيلاً ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له سلبه أجمع . ومن حجة
مالك ، ومن قال بقوله : عموم آية الخمس ، فإنه قال : ﴿ وَاغْلُظْ أَيْمَانَهُمْ ﴾
من شيء فإن لله خمسته : وللرسول وحديث خالد بن الوليد الذي رواه مسلم
وأبو داود أن عوف بن مالك قال : قتل رجل من بجملة رجاء من العدو

فأراد سَلْبَهُ ، فَنَمَهُ ذَاكَ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ ، فَأَخْبَرَ عَوْفٌ رَسُولَ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ خَالِدٌ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ ؟ فَقَالَ : اسْتَكْثَرْتُهُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : ادْفَعْهُ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَ عَوْفٌ خَالِدًا فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ ، وَقَالَ :
هَلْ أُنْجِزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - [فَسَمِعَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] فَاسْتَفْضَبَ ، فَقَالَ : لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ ،
هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوهُ إِلَى أَمْرَائِي [إِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَمِثْلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَرْحَى لِإِبِلَا
وَعِثَا ، فَرَعَاهَا ، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقِيهَا ، فَأَوْرَدَهَا خَوْضًا فَشَرَعَتْ فِيهِ ، فَشَرِبَتْ
صَفْوَهُ وَتَرَكَّتْ كِدْرَهُ فَصَنَوْهُ لَكُمْ وَكَدَرَهُ عَلَيْهِمْ . رواه أحمد وسم] .
وَلَوْ كَانَ السَّلْبُ حَقًّا لَهُ مِنْ رَأْسِ الْغَنِيمَةِ لِلدَّرْدَةِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَمَا هُوَ الْقِسْمُ الْوَاحِدُ مِنَ النَّفْلِ .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي : هُوَ مِنْ رَأْسِ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ تَحْيِيسِهَا ، وَهُوَ مَا يُعْطَى الْأَدِلَّةَ
الَّذِينَ يَدُلُّونَ عَلَى عَوْرَةِ الْعَدُوِّ ، وَيَدُلُّونَ [عَلَى] الطَّرِيقِ ، وَمَا يُعْطَى الدُّعَاةُ وَغَيْرُهُ
مِمَّا يَنْتَفِعُ أَهْلُ الْجَيْشِ بِهِ عَامَّةً .

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ مَا يُنْفَلُهُ السَّرَابَا ، فَقَدْ كَانَتْ تُنْفَلُ فِي الْبَدَأَةِ الرَّبِيعُ
بَعْدَ الْخُمْسِ ، وَفِي الْعَوْدَةِ الثَّانِي مِمَّا غَنِمُوهُ ، كَذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ
مُسْكُحُولٌ عَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ ^(١) ، وَأَخَذَتْ بِهِ طَائِفَةٌ .

وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ مِنَ النَّفْلِ : مَا يُنْفَلُهُ الْإِمَامُ مِنَ الْخُمْسِ لِأَهْلِ الْغِنَاءِ وَالْمَنْفَعَةِ ،
لَأَنَّ مَا كَانَ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْغَنِيمَةِ ، فَهُوَ لِلْإِمَامِ بَعْدَهُ بِتَضَرُّفِهِ فِيمَا

(١) أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، نَفَلَ
الرَّابِعَ بَعْدَ الْخُمْسِ فِي بَدَأَتِهِ ، وَنَفَلَ الثَّانِي بَعْدَ الْخُمْسِ فِي رَجَعَتِهِ .

كان النبي عليه السلام يَصْرِفُه ، وهو قول مالك وأكثر العلماء ^(١) ، وقالت طائفة هو مَقْصُورٌ على الأصناف التي ذُكِرَتْ في القرآن ، وهم ذُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِين وابن السبيل ، وقد أُعْطِيَ الْمَتَدَادُ حِمَاراً من الْخُمْسِ أعطاه له بعضُ الأسماء ، فردّه لما لم يكن من هؤلاء الأصناف المذكورين ، وأما أَنَسُ بن مالك ، فإنه فعل خلاف هذا ، أعطاه مُعَاوِيَةُ ثَلَاثِينَ رَأْساً من الْغَنِيمة فَبَيَّ أَنْ يَقْبَلَهَا ، إلا أن تكون من الْخُمْسِ ، وأصح القولين : أَنَّ الْإِمَامَ له النَّظَرُ في ذلك ، فإن رأى صَرَفَ الْخُمْسَ إلى منافع المسلمين ، ولم تكن بالأصناف الأربعة حاجة شديدة إليه صَرَفَهُ ؛ وَإِلَّا بَدَأَ بِهِمْ ، وَصَرَفَ بِقِيَّتِهِ فيما يرى ، واخْتَلَفَ في ذَوِي الْقُرْبَى مَنْهُمْ ، فقال ابن عباس : كُنَّا نَرَى أَنَّهُمْ بَنُو هَاشِمٍ ، فَأَبَى ذَلِكَ عَائِنَا قَوْمُنَا ، وقالوا هم قريش كلهم ، كذلك قال في الكتاب الذي كتبه إلى نَجْدَةَ الْحَزَوِيِّ ^(٢) ، واختلفوا أيضاً في قرابة الإمام بعد النبي صلى الله عليه وسلم : أَمْ دَاخِلُونَ في الآية أم لا ؟ ^(٣) والصحيح :

(١) يقول ابن كثير : وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية : وهذا قول مالك ، وأكثر السلف ، وهو أصح الأقوال .
(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . وفي حديث مسلم : لَنَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ . وفي بعض رواياته : لَنَّهُمْ لَمْ يَفَارِقُونَا في جاهلية ولا إسلام .

(٣) اختلف في الخمس الذي كان للرسول ص ، ماذا يصنع به بعده ، فقال قائلون : يكون لمن يلي الأمر بعده ، وقد روى هذا عن أبي بكر وعلى وقتادة وجماعة وروى فيه حديث مرفوع ، وقال آخرون : يصرف في مصالح المسلمين ، وقال غيرهم : بل هو مردود على بقية الأصناف ذوى القربى واليتامى والمساكين

دخولهم في ذَوِي الْقُرْبَى ، لقوله عليه السلام : إِذَا أطعمَ اللهُ نبيّاً طَعْمَةً ، فهي للخليفة بعده ، أو قال : للقائم بعده . وما اختلفوا فيه من معنى آية الْخُمْسِ : قسم خُمْسِ الْخُمْسِ ، فقال أبو العالية في قوله : ﴿ فَأَن لَّهْ خُمُسُهُ ﴾ أى : لأكعبة ، يُخْرَجُ لها نصيبٌ من الْخُمْسِ ، وللرسول نصيبٌ ، وباقي الخمس للأربعة الأصناف . وقالت طائفة : خُمْسُ الْخُمْسِ للرسول ، وباقيه للأربعة الأصناف . وقالت طائفة : الخمس كُلُّهُ للرسول يصرفه في تلك الأصناف وغيرها ، وإنما قال الله : ﴿ وللرسول ﴾ تنبيهاً على شَرَفِ المكسب وطيب المنعم ، كذلك قال في الشيء ، وهو ما آفاه الله على السامعين من الأرضين التي كانت لأهل الكفر فقال فيه : ﴿ فليله ﴾ وللرسول . الآية ، ولم يقل في آيات الصَّدَقَاتِ مثل ذلك ، ولا أضافها لنفسه ولا للرسول ، لأن الصَّدَقَةَ أوساخُ الناس ، فلا تطيبُ لحمد ، ولا لآل محمد ، فقال فيها : ﴿ إنما الصَّدَقَاتُ للفقراء والمساكين ﴾ الآية ، أى : ليست لأحد إلا لهؤلاء ، وهذا كله قول سفيان الثوري ، وتفسيره ، وسيأتي القول في غزوة حُنَيْنٍ فيما أعطى النبي - صلى الله عليه وسلم - للمؤمنة قلوبهم ، هل كان من رأس الغنيمة أم من الْخُمْسِ أم من خُمْسِ الْخُمْسِ إن شاء الله .

عن قتال المروسة :

فصل : وذكر قوله سبحانه ﴿ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ وقد قال في أخرى : ﴿ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾ فقيل في معناه : إن الألف أَرْدَقَهُم بثلاثة آلاف ، فكان الأكثر مدداً للأقل ، وكان الألف مُرْدِفِينَ لمن وراءهم بكسر الدال من مردفين ، وكانوا أيضاً مُرْدِفِينَ بهم بفتح الدال ،

والألف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين ، وهم الذين قال الله لهم : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وكانوا في صور الرجال ، ويقولون للمؤمنين اثبتوا ، فإن غدوكم قليل ، وإن الله معكم ونحو هذا ، وقول الله سبحانه : ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ جاء في التفسير أنه ما وقعت ضربة يوم بدر إلا في رأس أو مفصل ، وكانوا يعرفون قتل الملائكة من قتلاهم ، بآثار سود في الأعناق وفي البنان ، كذلك ذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية ^(١) ، ويقال لفصل الأصابع وغيره ببنان

(١) يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله — في تفسير المنار : مقتضى السياق أن وحى الله للملائكة قد تم بأمره إياهم بقتل المؤمنين كما يدل عليه الحصر في قوله عن إمداد الملائكة : (وما جعله الله للبشرى) إلخ وقوله تعالى : (سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب) الخ : بدء كلام خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون تنمة للبشرى فيكون الأمر بالضرب موجهاً إلى المؤمنين قطعاً ، وعليه المحققون الذين جزموا بأن الملائكة لم تقاتل يوم بدر تبعاً لما قبله من الآيات ، وقيل إن هذا مما أوحى إلى الملائكة ، وتأوله هؤلاء بأنه تعالى أمرهم بأن يلقوا هذا المعنى في قلوب المؤمنين بالإلهام كما كان الشيطان يخوفهم ، ويبقى في قلوبهم ضده بالوشواس ، ولا يرد على الأول ما قيل من أنه لا يصح إلا إذا كان الخطاب قد وجه إلى المؤمنين قبل القتال ، والسورة قد نزلت بعده ، لأن نزول السورة بنظامها وترتيبها بعده لا ينافي حصول معناها قبله ، وفي أثناءه فإن الإشارة بالإمداد بالملائكة ، وما وليه قد حصل قبل القتال ، وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ثم ذكرهم الله تعالى به بانزال السورة برحمته تذكيراً بمنته ، ولولا هذا لم تكن الإشارة تلك الفائدة ، والخطاب في السياق كله موجه إلى المؤمنين ، إنما ذكر فيها وحيه تعالى للملائكة بما ذكر عرضاً ، . . . وقد وردت روايات ضعيفة تدل على قتال الملائكة لم يعاها الإمام ابن جرير بشيء منها .

= وإذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانية التي تضاعف القوة المعنوية ، وتسهيله لهم الأسباب الحسية كإنزال المطر ، وما كان له من الفوائد لم يكن كافياً لنصره إياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان ألف — وقيل آلاف — من الملائكة يقاتلون معهم . . . فأى مزية لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين من غزوا بعدهم ، وأذلوا المشركين ، وقتلوا منهم الألوف ، وبماذا استحقوا قول الرسول : « وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وفي كتب السير وصف للمعركة علم منه القاتلون والأسرون لأشد المشركين بأساً ، فهل تمارض هذه البيانات النقلية والمقلية بروايات لم يرها شيخ المفسرين ابن جرير بأن تنقل ، ولم يذكر ابن كثير منها إلا قول الربيع ابن أنس : كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة من قتلوا بضرب فوق الأعناق ، وقلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به . . . ومن أين جاء الربيع بهذه الدعوى ، ومن الذي روى من القتل بهذه الصفة ؟ وكم عدد من قتل الملائكة من السبعين ؟ ، وعدد من قتل أهل بدر غير من سماوا وقالوا : قتلهم فلان وفلان كفاتنا الله ثم هذه الروايات الباطلة التي شوهت التفسير ، وقابت الحقائق حتى إنها خالفت نص القرآن نفسه ، فإله تعالى يقول في إمداد الملائكة (وما جعله الله إلا بشري ، وانطأ من به قلوبكم) وهذه الروايات تقول : بل جعلها مقاتلة ، وأن هؤلاء السبعين الذين قتلوا من المشركين لم يكن قتلهم إلا باجتماع ألف أو ألوف من الملائكة عليهم مع المسلمين الذين خضعهم الله بما ذكر من أسباب النصر المتعددة .

ألا إن في هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم ونهضهم شأن أفضل أصحاب الرسول : « وس » ، وأشجعهم ما لا يصدر من عاقل إلا وقد سلب عقله لتصبح روايات باطلة لا يصح لها سند ، ولم يرفع منها إلا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الألوسي وغيره بنير سند ، وابن عباس لم يحضر غزوة بدر لأنه كان صغيراً ، فرواياته عنها حتى في الصحيح مرسل ، وقد =

واحدثها بِنَاءَةً، وهو من أبْنٍ بالسكان^(١) إذا أقام فيه وثبت ، قاله الزجاج .

وقوله ﴿ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ، وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾ الآية ، كان العدو قد أحرزوا الماءَ دون المؤمنين ، وخطروا القُلُوبَ لأنفسهم ، وكان المسلمون قد أهدنوا وأجَنَبَ بعضهم ، وهم لا يصلون إلى الماء ، فوسوس الشيطانُ لهم أو لبعضهم ، وقال : تزعمون أنكم على الحق ، وقد سَبَقَكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ إلى الماء ، وأنتم عطاشٌ وتصلُّون بلا وضوء ، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطشُ رِقَابَكُمْ ، ويذهب قُورُكُمْ فيتعكَّوا فيكم كيف شاؤوا ، فأرسل الله تعالى السماءَ فخلَّتْ عَرَالِيهَا^(٢) فتطهروا ورووا وتلبَّتْ الأرضُ لأقدامهم وكانت ريماً لا وسَّبخاتٍ ، فنبتت فيها أقدامهم وذهب عنهم رِجْزُ الشيطانِ ، ثم نهضوا إلى أعدائهم فغلبوهم على الماء ، وغاروا القُلُوبَ التي كانت تلي العدو فمطش السكفارُ ، وجاء النصرُ من عند الله ، وقبضَ النبي صلى الله عليه وسلم - قَبْضَةً مِنَ الْبَاطِحَاءِ وَرَمَاهُمْ بِهَا ، فَلَا تُعْيُونَ جَمِيعَ الْعُسْكَرِ ،

== روى عن غير الصحابة حتى عن كعب الأحبار وأمثاله ، وأقول : الحقيقة القرآنية تؤكد أن الملائكة لم تقابل مع أهل بدر ، وإنما كانوا - كما وصفهم الله - بشرى للمؤمنين . وتؤكد أن قوله تعالى (فاضربوا فرق الأعناق) الخ إنما هو موجه إلى المؤمنين لا إلى الملائكة . والدليل : تدبر الآيات ، لا الخنوع لواهي الروايات .

(١) يقال : أبنت بالسكان إبناً إذا أقم به ، وابن بين - بكسر الباء - بنا ، وابن أقام به أيضاً .

(٢) جمع عزلاء : مصب الماء من الراوية ونحوها .

وذلك قوله سبحانه : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ أى : عمَّ جميعهم ، ولم يكن فى قبضتك إلا ما يبلغ بعضهم ، فالله هو الذى رمى سائرهم إِذْ رَمَيْتَ أنت القليل منهم ، فهذا قول ، وقال أحمد بن يحيى : ممناه : وما رَمَيْتَ قلوبهم بالرَّغَب حين رَمَيْتَ الخُصْبَاءَ ، ولكن الله رمى وقال هبة الله بن سلامة : الرَّمَى أَخَذَ وَإِرْسَالٌ وَإِصَابَةٌ وَتَبَايَعٌ ، فالذى أثبت الله لنبيه هو الأخذ والإرسال ، والذى نفى عنه هو الإصابة والتبايع ، وأثبتهما لنفسه .

مول التولى يوم الزحف والانتصارات الإسلامية الباهرة :

وقوله : ﴿ فَلَا تُؤْثِرُوا الْأَذْيَارَ ﴾ الآية قال الحسن : ليس الفرار من الزحف من الكبار إلا يَوْمَ بَدْرٍ وفى المَدْحَةِ السَّكْبَرِى التى تاتى آخرَ الزمان . وقال غيره : هو من الكبار إِذَا حضر الإمامُ ولم يتَّحِزَّ إلى فِتْنَةٍ فَمَا إِذَا كَانَ الْفِرَارُ إِلَى الْإِمَامِ ، فهو مُتَّحِزٌّ إلى فِتْنَةٍ ، وقد قال ضر بن الخطاب حين باقه قتلُ أبى عبيد بن مسعود ، وما أوقع الفرسُ بالمسلمين : هَلَا تَحِزُّ إِلَى أَبُو عَبِيدَ بْنِ مَسْعُودَ ، فَإِنِ فِتْنَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَرَوَى مِثْلُ هَذَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ رَجَعُوا مِنْ غَزْوَةِ مُؤَتَةَ ^(١) ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : نَحْنُ الْفَرَارُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : بَلْ أَنْتُمْ الْفَكَارُونَ ^(٢) ، وَأَنَا فِتْنَتُكُمْ ،

(١) مؤتة قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام .

(٢) السكارون إلى الحرب والعطافون نحرها ، يقال للرجل يولى عن الحرب ثم يكر راجعا إليها : عكر واعتكر وقد ورد هذا فى حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من طريق عن يزيد بن أبى زياد ، وقال =

وهو حديث مشهور اختصرته ، والقدر الذي يحرم منه الفرار الواحد مع الواحد ،
والواحد مع الاثنين ، فإذا كان الواحد لثلاثة ، لم يصح على الفرار فراره ،
كان متحيزاً إلى فئة أو لم يكن . وذكر أبو الوليد بن رشد^(١) في مقدماته عن

== الترمذي : حسن لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زياد . هذا وقد روى البخاري
ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل :
يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم
الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات
الغافلات المؤمنات » وفي سنن أبي داود والنسائي ومستدرک الحاكم وتفسير
ابن جرير وابن مردويه من حديث داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد
أنه قال في هذه الآية : « إنما أنزلت في أمثل بدر » هذا وما أجل ما قاله
ابن كثير — بعد أن أورد الذي سبق وغيره ما يفيد أن الآية خاصة بأهل بدر
، وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراماً على غير أهل بدر ، وإن
كان سبب نزول الآية فيهم ، كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم من أن الفرار
من الزحف من الموبقات ، كما هو مذهب الجماهير والله أعلم .

(١) في بداية المجمع ص ٣١٢ ط ١ ص ٣٢٣ ، لابي الوليد محمد بن أحمد بن
محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، وأما معرفة العدد الذين لا يجوز الفرار منهم
فهم الضعف وذلك بمجموع عليه أقوله تعالى : (الآن خفف الله عنكم وعام أن فيكم
ضعفاً) الآية وذهب ابن الماجشون ورواه عن مالك أن الضعف إنما يعتبر في
القوة لا في العدد ، وأنه يجوز أن يفر الواحد عن واحد إذا كان أعتق جواداً منه
وأجود سلاحاً وأشد قوة ، ويقول الشافعي : « إذا غزا المسلمون ، فلقوا ضعفاءهم من
المدو حرم عليهم أن يولوا إلا متحرفين لقتال أو متحيزين إلى فئة ، وإن كان
المشركون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا ، ولا يستوجبوا السخط
عندي من الله لو ولوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة » ص ١٤٤
ج ٢ الزواجر لابن حجر المصني ط ١٣٥٦ وانظر الأحكام السلطانية =

بعض الفقهاء ، قال : إذا كان المسلمون اثنا عشر ألفاً لم يَجْزُ لهم الفرار من
ثلاثة أمثالهم ، ولأمن أكثر من ذلك ، لقوله عليه السلام : لن تُغْلِبَ اثنا
عَشَرَ ألفاً من قِلَّةٍ ، وقد كان وقوف الواحد إلى العشرة حتماً في أول الأمر ،
ثم خفف الله ذلك ونسخه بقوله : ﴿الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ﴾ ، وعلم أن فيكم
ضعفاً ﴿الآية﴾ كذلك روى عن ابن عباس ، وهو قول العلماء ، ولكن
لا يَتَّبِعِينَ فيه النَّسخُ ، لأن قوله ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ إلى آخر
الآية خبرٌ ، والخبر لا يدخله النَّسخُ ، وقوله : ﴿الآن خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ﴾ يدل على
أن تمَّ حُكْمُا منسوخاً ، وهو الثُّبُوتُ للعشرة ، فإذا للآية ظهيرٌ وبطنٌ ،
فظاهرها خبر ، ووعد من الله تعالى أن تغلب العشرة المائة ، وباطنها وجوبُ
الثُّبُوتِ للمائة ، ويدل على هذا الحكم قوله : ﴿حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾
فتعلق النَّسخُ بهذا الحكم الباطن ، وبقي الخبرُ وعداً حَقّاً قد أبصره المؤمنون -
عياًتاً في زمنِ عمر بن الخطاب ، وفي بقية خلافة أبي بكر في تحاربة الروم وفارس
بالمِراق وبالشام ، ففي تلك الملاحم هَزَمَتِ المِتون الآلاف من المشركين ،
وقد هَزَمَ خالدُ بنُ الوليد مائة ألفٍ حين إقباله من المِراق إلى الشام ولم يبلغ
عسكرُه خمسة آلافٍ ، بل قد رأيت في بعض فتوح الشام أنه كان يومئذٍ
في ألفِ فارسٍ ، وكان قد أقبل من المِراق مدداً للمسلمين الذين بالشام ،
وكان الرومُ في أربعمائة ألفٍ ، فلقى منهم خالد مائة ألفٍ ففَضَّ جمعهم

== لأن يمل والماردى . وقد قال الحرقى لا يجوز للمسلم أن يهرب من كافرين ،
ومباح له أن يهرب من ثلاثة فإن خشي الأسر قاتل حتى يقتل ، ص ٣٠ الاحكام
السلطانية لأبى يعلى ط ١٣٥٦ هـ .

وهزمهم^(١)، وقد هزم أهل القادسية جيوش رستم وقتلوه وكان رستم في أكثر من مائتي ألف^(٢)، ولم يكن المسلمون في عشر ذلك العدد وجاؤا معهم بالفيلة أمثال الحصون عليها الرجال ففرت الفيلة، وأطاحت ما عليها، ولم يردّها شيء، دون البلد الذي خرجت منه، وكذلك ما ظهر من فتح الله ونصره على بدئ موسى بن نصير بأفريقية، والأندلس^(٣)، فقد كان في ذلك أعجب العجب، فكان وعد الله مفعولا ونصره للمسلمين ناجزا، والحمد لله.

(١) أظنه يقصد رقمة أجنادين، فقد شهدا من الروم مائة ألف. وقد كانت في سنة ١٢ هـ.

(٢) القادسية: قرية قرب الكوفة من جهة البر بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا، وقد كانت معركتها العظيمة سنة ١٤ أو ١٥ هـ، وقيل كان في آخر سنة ١٦ هـ كان عدد الفيلة فيها ثلاثة وثلاثين وفيها كتب عمر إلى سعد: لا بكرينك ما بأنيك عنهم، ولا ما يأتونك به. واستعن بالله، وتوكل عليه، وأبمك إليهم رجلا من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه، فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم، وقلجا عليهم، واكتب إلي في كل يوم. وقد ذكر ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف، وأوردستما كان في ستين ألفا.

(٣) لإفريقية في العربية قديما مفهوم غير مالها الآن. فهي — كما في مرادد الاطلاع — بلاد واسعة وعلبة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس. وحده إفريقية من طرابلس المغرب من جهة برقة والإسكندرية وإلى بحاية — بحاية على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب — وقيل إلى مليانة. وقبل: طولها من برقة شرقا إلى طنجة المضراء غربا وعرضها من البحر إلى الرمال التي أولها بلاد السودان.

وقد بدأ غزو إفريقية في عهد عثمان بن عفان على يد واليه على مصر اعيد لله بن سعد بن أبي سرح، وذلك في سنة ٢٧ هـ = ٦٤٧ م أو بعد هذا بعام =

وقال النقاش في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ معناه : إن يصبروا يغلبوا ، وغلبتهم ليس بأن يسلّموا كلهم ، ولكن من سلم منهم رأى غلبة أهل دينه ، وظهورهم على الكفر ، ولا يقدح في وعد الله أن يستشهد جملة من الصابرين ، وإنما هذا كقوله : ﴿ قَاتِلُوا

= أو عامين ، وكانت تحت يد المسيحيين وقد أتم فتح طرابلس المغرب ، غير أنه اكتفى آنذاك بفرض الجزية على أهلها ، وفي عهد معاوية بن خديج أمير مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٧ هـ = ٦٦٧ م أو بعدها استترف الحرب ضد الحكم النصراني في إفريقية فأوغل حتى مشارف جزيرة صقلية .

أما الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للحكم الإسلامي في إفريقية فهو عقبة ابن نافع وهو ابن خالة عمرو بن العاص فتح برقة ، وفي سنة ٥٠ هـ = ٦٧٠ م استطاع القضاء على الحكم النصراني في شمال إفريقيا مرة واحدة بمعارنة البربر ، وأنشأ مدينة عسكرية في القيروان ، وجعلها مقلا وحصنا لسكره ، واهتم بولاية إفريقية ، ثم مرل ، ثم أماده يزيد بن معاوية إلى غيلة سنة ٦٣ هـ = ٦٨٢ م فأوغل حتى بلغ المحيط .

ولكن البربر ولم يكونوا قد خضعوا خضوعا كاملا اقتزعوا تونس من سنة ٦٤ هـ - ٧٤ هـ = ٦٨٢ - ٦٩٣ م ثم استرده حسان بن النعمان من ٧٤ - ٧٩ هـ = ٧٩٣ - ٦٩٨ م وقد عين عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز واليا على مصر شمال إفريقيا وفي عهده قضى نهائيا على المعارضة البربرية ، وقد عين على إفريقية الشمالية موسى بن نصير ولما تولي الوليد بن عبد الملك أفر ولاية موسى ، وأرسل هذا مولاه طارقا بجيش أكثره من البربر لاستطلاع أمر الاندلس في سنة ٩٢ هـ = ٧١١ م ووجه طارق إلى المملكة القوطية في معركة وادي بكة ضربة قاضية قتل فيها ملكهم لذريق . واستطاع طارق وموسى الذي نزل إلى الاندلس أيضا بجيش عربي إخضاع أسبانية الشمالية كلها من سرقطة إلى نبرة .

هكذا كان أبائنا ، فلنكن مثلم فيما به اتصروا ، لا فيما به هزموا ١١

الذين لا يؤمنون بالله ﴿ إلى قوله ﴾ حتى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ حَاغِرُونَ ﴿ فقد نُجِزَ الوعودُ وَغُلِبُوا كَمَا وَعِدُوا . هذا معنى كلامه ، والذي قدمناه أبين .

الذين في قلوبهم مرضه في بدر :

وفي هذه السورة قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^(١)
نزلت في قوم من أهل مكة آمنوا ولم يهاجروا، ثم خَرَجُوا مع المشركين إلى
بدر، فلما رأوا قِلَّةَ المسلمين شكَّوا، وقالوا غَرٌّ هؤلاء دينهم، منهم قيسُ
ابنُ الوليد بن الأُميرة، وقيس بن الفاكه وجماعةٌ سماهم أبو بكر النقيش^(٢)،
وهم الذين قُتِلُوا فضربت الملائكةُ وجوههم وأدبارهم.

رَأَى الْإِنْسَانُ وَأَبَى جَهْلٌ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ أَبُو بَنِي بَنُو مِنْ نِثْمَانَةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَسَمِيَ
الْأَخْنَسُ ابْنُ شَرِيقٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَهَبٍ بْنِ عَلَاجٍ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْغُفَرِيِّ
ابْنِ غَيْرَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَا بِأَبِي جَهْلٍ حِينَ تَرَاوَى الْجُلُمَانُ ، فَقَالَ : أَتَرَى أَنْ
عَمْدًا يَكْذِبُ ؟ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : كَيْفَ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ ، وَقَدْ كُنَّا نَسَمِّيهِ الْأَمِينَ ،
لأنَّهُ مَا كَذَبَ قَطُّ ، وَلَكِنْ إِذَا اجْتَمَعْتَ فِي بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ السُّمَاءُ وَالرَّفَادَةُ
وَالْمَشُورَةُ ، نَمَّ تَسْكُونُ فِيهِمُ النَّبُوءَةُ ، فَأَيُّ شَيْءٍ يَقِي لَنَا ، فَعِنْدَ الْأَخْنَسِ
الْأَخْنَسُ بَيْنَ زُهْرَةَ وَحُشْدٍ إِبْلِيسُ جَمِيعُ جُنُودِهِ ، وَجَاءَ بِنَفْسِهِ ، وَنَزَلَ

(١) ذكر مجاهد منهم أيضاً . الحارث بن زمة بن الأسود بن المطلب ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاص بن منه بن الحجاج ، تفسير ابن كثير .

جبريل بألف من الملائكة في صُور الرجال ، فكان في خمسمائة من الملائكة في الميمنة ، وميكائيل في خمسمائة من الملائكة في الميسرة ، ووراءهم مَدَدٌ لم يُقاتلوا ، وهم الآلاف المذكورون في سورة آل عمران ، وكان إسماعيلُ وَسَطَ الصَّفِّ لا يقاتل ، كما يقاتل غيره من الملائكة ، وكان الرجل يرى المَلَكَ على صورة رجلٍ يعرفه ، وهو يُشَبِّهه ويقول له : ما أَنتَ بِشَيْءٍ ، فكَرُّوا عليهم ^(١) ، وهذا في معنى قوله سبحانه (فَتَشَبَّهُوا الَّذِينَ آمَنُوا) ذكره ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام ، وفي مثل هذا يقول حسان :

مِيكَالُ مَعَكَ وَجِبْرِيلُ كَلَامَا مَدَدٌ لِنَصْرِكَ مِنْ عَزِيزٍ قَادِرٍ

ويقال : كان مع المسلمين يومئذ سبعون من الجن ، كانوا قد أسلموا .

من المأخوذ ؟

وذكر قول الله تعالى : (تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ) ولم يذكر الآخرين من هم ، وقيل في ذلك أقوال قيل : هم المنافقون ، وقيل : هم اليهود ^(٢) وأصح ما في ذلك أنهم الجن ، لرواية ابن أبي شيبة عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في آخرين من دونهم

(١) قول لا سند له ، وقد سبق الحديث عن هذا ، ولم يكن المشركون في القوة التي تحتاج إلى جبريل ومعه خمسمائة في الميمنة ، وميكائيل في الميسرة منهم في الميسرة ١١

(٢) رأى جماعة في الآخرين أنهم بنو قريظة ، ورأى السدي أنهم فارس (١٦ م — الروض الأتق ج ٥)

قال هم الجن ثم قال عليه السلام : إن الشيطان لا يَحْبُلُ أَحَدًا في دارٍ فيها قَرَسٌ عَتِيقٌ ، ذكره الحارثُ في مُسْنَدِهِ ^(١) وأنشد :

جُنُوحَ الْمَالِكِيِّ عَلَى يَدَيْهِ مَكْبًا يَجْتَلِي نُقَبَ النُّصَالِ

المالِكِيُّ : الصَّيْقَلُ . وَنُقَبُ النُّصَالِ : جَرَبُ الْحَدِيدِ ، وَصَدَوُهُ ، وَهُوَ فِي مَعْنَى الثُّقْبِ ، وَاحْدَتُهَا نُقْبَةٌ ^(٢) .

مول غنائم بدر :

فصل : وذكر في السورة : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ بمعنى بإحلال الغنائم لحمدٍ وامته آمسكم فيما أخذتم عذابٌ عظيمٌ ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم : - لقد عُرضَ عليَّ عذابُكم أدنى من هذه الشجرة ^(٣) ، وقال : لو نزل عذابٌ مانجا منه إلا عُمرُ ، لأنَّ عُمرَ كان قد أشار عليه بقتل الأسارى والإمّانِ في القتل ، وأشار أبو بكر بالإبقاء ، فأخذ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني . ولكن قال عنه ابن كثير في تفسيره : وهذا الحديث منكّر لا يصح إسناده ولا متنه ، ثم قال : وقال عن رأى القائلين بأنهم المنافقون : وهذا أشبه الأقوال ، ويشهد له قوله تعالى : (ومن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ، لا تعلمهم نحن نعلمهم) ، وابن كثير استهدف فأصاب . وفي الآية دليل آخر ، لا تعلمهم ، أما اليهود ونصارى ، فكان المسلمون يعلمون بهم .

(٢) المالِكِيُّ : الحداد وهو هنا الصيقل ، ويجتلي : يجلو ويصقل ، والنصال : جمع نصل ، وهو حديدة السهم .

(٣) من حديث رواه أحمد ومسلم .

بقول أبي بكر ، ثم نزلت الآية : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وروى أبو عبيد من طريق عبد الله بن مسعود قال : لما كان يوم بدر ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الأسارى ، فقال : ماذا ترون ؟ فقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخزجوك ، أضرب أعناقهم ، وقال عبد الله بن رَوَاحَةَ : يا رسول الله أنت بوادٍ كثير الخطب ، فأضربه نارا ، ثم أقيم فيها ، فقال العباس : قطع الله رحمتك ، فقال أبو بكر : يا رسول الله عزتكَ ، وأصلك وقومك تجاوز عنهم ، يَسْتَنْقِذُهم الله بك من النار ، ثم دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ الْقَوْلَ مَا قَالَ عُمَرُ ، وَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ الْقَوْلَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا قَوْلُكُمْ فِي هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، إِنْ مَتَلَهُمَا كَمَثَلِ إِخْوَةٍ لَكُمْ ، كَانُوا قَبْلَكُمْ ، قَالَ نُوحٌ : ﴿ رَبِّ لَا تَنْزِلْ عَلَى الْأَرْضِ ﴾ الآية ، وقال موسى : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ الآية ، وقال عيسى : ﴿ إِنْ تُنْفَذُوا بِهِمْ فَأَنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ الآية ، وقال إبراهيم : ﴿ فَتَنِّ تَبَعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ الآية . وَإِنْ اللَّهُ يُشَدِّدُ قُلُوبَ رَجَالٍ ، حَتَّى تَسْكُونَ كَالْحَجَرِ ، وَمُيَلِّينَ قُلُوبَ رَجَالٍ ، حَتَّى تَسْكُونَ أَلَيَّنَ مِنَ اللَّيْنِ ، وَبُرُوى مِنَ اللَّيْنِ ، وَإِنْ بِكُمْ عَيْلَةٌ فَلَا يَفْلِتُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ خَرَبَةٍ عُنْتِي . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ [بن مسعود] : فَقَاتُ إِلَّا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ ، وَقَدْ كُنْتُ سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ الْإِسْلَامَ ، قَالَ : فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَى السَّمَاءِ مَتَى تَقَعُ عَلَى الْحِجَارَةِ فَقُلْتُ : أَقْدَمَ الْقَوْلَ بَيْنَ بَدْنَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ ، فَفَرَحْتُ بِذَلِكَ ^(١) ،

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ،

ولم يخرجاه .

قال أبو عبيدة: أما أهل المعرفة بالمغازي ، فإنهم يقولون إنما هو سهيل بن بيضاء أخو سهيل ، فأتانا ، سهيل ، فساكن من المهاجرين ، وقد شهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدرًا ، ثم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقد بملها بمال ، إنما كان يمينًا أو يفادي أسيرًا بأسير ، كذلك قال أبو عبيد : وذلك والله أعلم لقوله : (تريدون عرض الدنيا) بمعنى الفداء بالمال ، وإن كان قد أحل ذلك وماليه ، واسكن ما أملاه الرسول بعد ذلك أفضل من الدين أو المفاداة بالرجال ، ألا ترى إلى قوله سبحانه (فإيماننا بعدد وإيمان فداء) كيف قدم الدين على الفداء ، فلذلك اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمه ، وأما مذاهب الفقهاء في هذا ، فالأوزاعي وسفيان ومالك يكرهون أخذ المال في الأسير ، لما في ذلك من تقوية العدو بالرجال ^(١) ، واختافوا في

(١) بسط الشيخ رشيد رضا القول في تفسيره في هذه المسألة ، ثم قال - رحمه الله - : د وجلة القول في تفسير الآيات الثلاث أنه ليس من سنة الأنبياء ، ولا مما ينبض لاحد منهم أن يكون له أسرى يفادهم ، أو يمن عليهم إلا بعد أن يكون له القلب والسلطان على أعدائه وأعداء الله الكافرين لئلا يفنى أخذه الأسرى إلى ضعف المؤمنين وقوة أعدائهم وجراتهم وعدوانهم عليهم ، وأن ما فعله المؤمنون من مفاداة أسرى بدر بالمال كان ذنباً سيئاً بإرادة جمهورهم عرض الحياة الدنيا على ما كان من ذنب أخذهم لهم قبل الإثمان الذي تقتضيه الحكمة بأعلاء كلمة الله تعالى ، وجعل كلمة الدين ككفروا السفلى ، ولولا ذلك لسألوا الرسول . د ص ، كما سألوه عن الأنفال من قبله ، وأنه لولا كتاب من الله سبق مقتضاه عدم عقابهم على ذنب أخذ الفداء قبل إذنه تعالى ، وعلى خلاف شفته وبالف حكمة لمسه عذاب عظيم في أخذهم ذلك وأنه تعالى أحل لهم ما أخذوا وغفر لهم ذنبهم ، بأخذه قبل إحلاله ، والله غفور رحيم .

الصفير إذا كان معه أمه ، فأجاز فداءه بالمال أهل العراق ، واختلف فيه عن مالك ، والصحيح منه ، وكان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم في الأسرى ، ففدى نفسه ، وفدى أبنى أخيه (١) ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : لقد تركتني أتسكف قريشاً فقيراً مُهدماً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين الذهب (٢) التي تركتها عند أم الفضل وعددها كذا وكذا ، وقلت لها كيت وكيت ، فقال : من أعمالك بهذا يا ابن أخي ؟ فقال : الله ، فقال : حديث ما أطلع عليه إلا عالم الأسرار أشهد أنك رسول الله ، فحينئذ أسلم العباس ، وكان في الأسرى من يكتب ، ولم يكن في الأنصار أحد يُحسن الكتابة فكان منهم من لا مال له ، فيقبل منه أن يُعلم عشرة من الفلانة الكتابة ، ويحلى سبيله ، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلبة الأنصار ، وهذه عيون أخبار ، وصاتها بما ذكره ابن إسحاق في يوم بدر جمعها من كتب التفاسير والسير وخصتها .

فيل بمر :

فصل : وذكر ابن إسحاق الخليل التي كانت للمسلمين يوم بدر ، فذكر

(١) هما نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب . وفي صحيح البخاري عن ابن شهاب قال حدثنا أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار قالوا يا رسول الله ائذن لنا فليترك لابن أختنا عباس فداءه ، قال : لا والله لا تذكرون منه درهماً ، هذا وقد قيل إن العباس افتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب .

(٢) يؤث أحباناً .

بِعَزْجَةِ قَرَسِ الْمُتَدَادِ ، وَالْيَعُوبَ فَرَسَ الزُّبَيْرِ ، وَفَرَسًا لِمُرْتَدِّ الْفَنَوِيِّ ،
ولم يكن لهم يومئذ خيلٌ إلا هذه ، وفي فرس الزبير اختلافٌ ، وقد كان للنبي
صلى الله عليه وسلم خيلٌ بعد هذا اليوم ، منها : السَّكْبُ وَالزَّازُ وَالْمُرْتَجِزُ
وَاللَّحِيفُ^(١) ، وقد ذكره البخاري من حديث عباس بن سهل عن أبيه ، قال :
ويقال فيه : اللَّحِيفُ بِالْخَاءِ الْمُجْمَعَةِ^(٢) ، وقال اللُّقْمِيُّ : كان المُرْتَجِزُ قَرَسًا
اشتراه عليه السلام من أعْرَابِيٍّ ، ثم أنكر الأعْرَابِيُّ أَنْ يَكُونَ بَاعَهُ مِنْهُ ، فَشَهِدَ
خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ بِالْبَيْعِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
بِمَ تَشْهَدُ ؟ قَالَ : أَشْهَدُ بِصَدَقَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَجُعِلَتْ شَهَادَتُهُ شَهَادَةً رَجَائِي ،
وَالْحَدِيثُ مَشْهُورٌ ، غَيْرَ أَنِّي فِي مُسْنَدِ الْحَارِثِ زِيَادَةً فِيهِ ، وَهِيَ أَنَّهُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
رَدَّ الْقَرَسَ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ ، وَقَالَ : لَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، فَأَصْبَحْتَ مِنَ الْغَدِ
شَائِلَةً بِرَجُلَيْهَا ، أَيْ : قَدْ مَاتَتْ . قَالَ الطَّبْرِيُّ : وَمَنْ خَيَّيْنَاهُ الضَّرْسُ ،
وَمُلَاوِخٌ ، وَالْوَرْدُ^(٣) وَهُوَ الَّذِي وَهَبَ لِعُمَرَ ، فَعَمِلَ عَلَيْهِ عُمَرُ رَجُلًا فِي سَبِيلِ

(١) سمى السكب بهذا لكثرة جريه ، كأنما يصب جريه صبا ، والزاز أشد
تلوذه واجتماع خافقه ، ولوله لشيء لوق به كأنه يلوق بالمطلوب امرءته ، والمرتجز :
لحسن صهيله ، واللحيف لطول ذنبه ، كأنه يلحف الأرض بذنبه أى يغطيها ،
ويروى بالجيم ، فإن صح ، فانه من السرعة ، لأن اللحيف سهم عريض النصل .
(٢) يقول ابن الأثير : رواه البخاري هكذا ولم يتحققه ، والمُروء
بالخاء المهملة والجيم .

(٣) الضرس - بفتح فكسر - الصعب السوء الخلق وهي في الأصل : الضريس
وهو خطأ صوبته من النهاية والطبري والقلاءوس ، وكان أول ما غزا عليه أحد .
وملأوح - بضم الميم وكسر الواو : الضاهر الذي لا يسكن ، والمُروء المفاش ، =

الله ، وحديثه في الموطأ ، وكان له عليه السلام من الدروع : ذاتُ الفضولِ ،
وأخرى يقال لها : فضةٌ ، ورأية يقال لها المُقَابُ ، وقوسان أحدهما : الصُفراءُ ،
والأخرى : الزَّوْراءُ وسيُفقه : ذو الفقارِ لِفَقَرَاتِ كانت في وَسَطِهِ ^(١) ، وكان لُنَبِيَّهِ
وَمُنَبِّهِ ابْنِي الحجاجِ سُلَيْبَاهُ يومَ بَدْرٍ ، ويقال : إن أصله كان من حديدَةٍ وَجِدَتْ
مَدْفُونَةً عند الكعبة ، فصُخِّعَ منها ذو الفقارُ ، وصَمَّهَ صَامَةً عَمْرُو بْنُ مَعْدِي
كَرِبَ التي وهبها خالد بن سعيد ، وكانت مَشْهُورَةً عند العرب ، وكان له
حَرْبَةٌ يُقَالُ لَهَا : النَّبِيعَةُ ، وذكر المَقْبِلِيُّ في كتاب الضَّمَمَاءِ جملة من آلاته
عليه السلام في حديث أسنده ، فمنها الجمع اسم كَمَا نَتَيْهِ ، والدلة اسم لمرآة كان ينظر

= والعظيم الألواح . وزاد ابن الجوزي في كتابه الوفا : الطرف ، وهو الكريم
الطرفين . وقد ذكر الطبري أن ملاوح كان لابي بردة بن نيار ، وذكر فيه
الظرب عدلا من الطرف عند ابن الجوزي . ويقول إن لازاز هدية من المقوقس
ولخيف أهداه ربيعة بن أبي البراء ، والظرف أهداه له فروة بن عمر الجذامي ،
والورد أهداه له تميم الداري . كما ذكر له فرسا يسمى البعسوب ص ١٧٤ ط ٣٠
المعارف . وذكر ابن القيم له فرسا آخر اسمه : سبعة ، وذكر أن الإمام أبا
عبدالله محمد بن إسحاق بن جماعة جمعها في بليت شعر :

والخيل : سكب لخيف سبعة ظرب لازاز مرئجز ورد لها أمرار

ص ٦٩ ج ١ زاد المعاد

(١) يقول ابن الأثير لأنه كان فيه حفر صغار حسان . وضبطه ابن القيم
ص ٦٧ ج ١ زاد المعاد بفتح الفاء وكسرها ، وذكر له صلى الله عليه وسلم ثمانية
أسياف أخرى كما ذكر له سبعة أدرع منها ما ذكر السهيلي ، وست قمى منها
أيضا ما ذكر السهيلي ، وأما حربته فاسمها النبعاء كما يروى في حديث رواه الطبراني

فيها ، وقضيب يسمى : المَشُوق ، وذكر الجَلَمَيْنِ^(١) ، ونسبت ما قال في اسمه ، وأما بغلته دُلْدُلٌ وحماره عَفِيرٌ^(٢) ، فقد ذكرناهما في كتاب الأعلام ، وذكرنا ما كان في أمر الحمار من الآيات : وزدنا هنالك في استقصاء هذا الباب ، ورأينا أن لا نخلي هذا الكتاب عما ذكرنا هنالك ، أو أكثره ، وأما دُلْدُلٌ فماتت في زمن معاوية ، وهي التي أهداها إليه المَمُوقِسُ ، وأما اليمفور فطرح نفسه في بئر يوم مات النبي - صلى الله عليه وسلم - فمات ، وذكر ابن قوزك في كتاب الفصول أنه كان من منافع خيبر ، وأنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له : يا رسول الله أنا زباد بن شهاب ، وقد كان في آبائي ستون حماراً كلهم ركبته نبي ، فاركبني أنت ، وزاد الجويني في كتاب الشامل^(٣) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل إليه هذا الحمار ، فيذهب حتى يضرب برأسه الباب ، فيخرج الرجل ، فيعلم أنه قد أرسل إليه ، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان له ترنس فيما ذكر الطبري فيه تمثال كَرَأْسِ الكَنْبُسِ وكان يكرهه فيه ، فأصبح ذات يوم قد

(١) الجلم الذي يجهز به الشعر والصوف ، والجلمان شفرتاها ، وهكذا يقال متى كالمقص والمقصين .

(٢) وفي رواية : يعفور . ويذكر الطبري أنه قيل أيضاً إن دلدل هدية من فرده بن عمر الجذامي كما ذكر ابن القسيم أنه كان له دس ، أربع بغلات منها دلدل .

(٣) ص ١٧٨ ط المعارف . ولا أخرى من أين جاء ابن قوزك والجويني بما ذكر عن الحمارين ٢٢٢ .

انعمي^(١) ، ولم يبق منه أثر ، وأما رداؤه عليه السلام ، فكان يقال له :
 الخضرى ، وبه كان يشهد العيدين ، كان طوله أذرع وأذرع وعرضه ذراعان
 وشبر^(٢) ، وكان له جفنة عظيمة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال جرى
 ذكرها في حديث خرجه أبو داود ، فهذه جملة تشرئب إلى معرفتها أنفس
 الطالبين ، وترتاح بالذاكرة بها قلوب المتأدبين ، وكل ما كان من باب المعرفة
 بنبينا عليه السلام ، ومتصلا بأخبار سيرته مما يؤيق الأسماع ، ويهز بأرواح
 الحجة الطباع^(٣) ، والحمد لله على ما علم من ذلك .

(١) ذكر ابن القيم له اثنين آخرين . وأنه وضع بدء على التمثال ، فاعني
 ص ٦٧ > ١ زاد المعاد .
 (٢) في زاد المعاد لابن القيم ، قال الواقدي : كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع
 في ثلاثة وشبر ، وإزاره من لسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر ، في عرض ذراعين
 وشبر ، ص ٧١ > ١ زاد المعاد وانظر فيه تفصيل ملايه صلى الله عليه وسلم ،
 وفي ص ٥٦٨ > ٢ الوفا بأحوال المصطفى والمواهب الدنية بداية الجزء الخامس .
 (٣) لا ريب في أن كل ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم يثير ما يثير في
 النفس من شوق وحزن قد تعبر عنها أحيانا الدموع أصدق الدموع ، وتهفو بالروح
 إلى حيث كانت تلك السيرة القدسية . غير أنا نقول دائما : إننا يجب أن نعني بسيرة
 النبي صلى الله عليه بعد البعثة ، حيث فرض الله علينا أن نكون لنا وحده - صلى الله
 عليه وسلم - هو الأسوة الحسنة . ولقد قوم القرآن لنا حياته عليه الصلاة والسلام
 قبل البعثة وبعدها ، فلنهد بنور القرآن في هذا التقويم لبيكون لنا نبراسا
 وفيصلا فيما يجب علينا أن نأثى به . وهامى ذى آيات من القرآن بها نسترشد
 ونستهدى في هذا .

محمد قبل البعثة : ولا ريب في أن النص من القرآن يلغى كل وصف يعارضه ،
 ويحكم بطلانه . فلنتدبر مما . (ألم يمدك يتجا فآوى . ووجدك ضالا فهدى . =

= ووجدك عائلاً فأغنى) والمهم هنا الآية الثانية ، ونحذر أن نفتقد العاطفة الساحرة عن حقيقة معناها ونحذر أيضاً من إلغاء معناها ، وإلا كان الكفر الصراح البواح ، ونحذر أيضاً من أن نظن أن الإيمان بها ينال من مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتدبر معنا أيضاً : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لممت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم ، وما يضرونك من شيء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً) النساء : ١١٣ . فما أضل الذين يزعمون أنه كان يعلم بالقرآن قبل نزوله . بداية الآية تؤكد وجود بشرية فقيرة إلى عون الله وفضله ، وختامها يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم الكتاب ، ولا الحكمة ، وأنه علم من الله ما لم يكن يعلم . ولنتدبر معنا أيضاً : (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا راحة من ربك ، فلا تكونن ظهيراً للكافرين) القصص : ٨٦ (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تحطه يمينك إذا لا رتاب المبطلون) العنكبوت : ٤٨ .

(وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا . وإليك النهدى إلى صراط مستقيم) النورى : ٥٢ .

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات . قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل : ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلونه عليكم ، ولا أدراك به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله . أفلا تعقلون) يونس : ١٥ ، ١٦ . هذا تقويم لحياة النبي صلى الله عليه وسلم ، يؤكد لنا ما يأتي بعرضه : إنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف الكتاب ولم يكن يعرف الإيمان ، وأن الله وجده ضالاً ، فهداه ، وأنه لم يكن يوجو أن يلقى إليه الكتاب ، ولهذا لم يفرض الله علينا الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في هذه الفترة ، وإنما فرض علينا أن نتخذة أسوة بعد أن صار رسولا

تقوم حياته بعد الرسالة :

= يقول سبحانه في سورة النجم (ما ضل صاحبكم ، وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى) جاءه الوحى ، فكانت هذه الصفات العظيمة التى بها زكى الله فكره وقلبه ولسانه .

(فآمنوا بالله ورسوله النبى الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون) الاعراف : ١٥٨ .

(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ينزل عليكم آياتنا ويذكركم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة : ١٥١ .
وهذا تقويم لرسالته وأثرها فى البشرية

(قل : أطيعوا الله والرسول ، فان تولوا ، فان الله لا يحب الكافرين) آل عمران : ٣٢ .

(إن الله وملائكته يصلون على النبى بأبواب الدين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) الأحزاب : ٥٦ . وأى تمجيد أعظم من هذا لعبد اصطفاه الله ليختم به النبوة ؟

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠ .

هكذا تؤكد الآية أن من بايع محمداً - صلى الله عليه وسلم - فإنما بايع الله سبحانه ، أفرجو البشر فى تطلّعها إلى الخلود مقاماً أعظم ؟ كلا . ثم تدبر هذا التقويم الأعظم إذ يجعل الله طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هى القاعدة لطاعته ، أو الممرّاج إلى طاعته جعل شأنه ، وهذا فى قوله سبحانه (من يطع الرسول ، فقد أطاع الله) النساء : ٨٠ .

(قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعونى ، يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم) .

فليس ثمة وسيلة إلى محبة الله سوى طاعته صلى الله عليه وسلم واتباعه .

(ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)

الأحزاب : ٤٠ .

(إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة ، وأعد لهم عذاباً

مهيئاً) الأحزاب : ٥٧ .

= هو الخاتم للنبوة . ومن يؤذنه رجته لعنة الله في الدارين ، ونجرح العذاب الممسين .

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا) الاحزاب : ٢١ .

وتدبر قوله جل شأنه (رسول الله) آقى بالوصف الذى به فرض علينا أن نتخذه أسوة ، وصف أنه رسول الله ، لو وضع مكانها كان لكم في محمد ، افرض علينا اتخاذه أسوة في حاله قبل البعثة وبعدها .
(إنك ميت ، وإلهم ميتون)

فا حذر أن يوم بك الخيال ، فتظنه خالدا قاله يقول (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفان مت فهم الخالدون) ووضع إنك وإلهم هكذا متجاورين في الآية إلى تؤكد أنه سيموت تؤكد لك أن موته هو موتنا ، حتى لا يتخذ عنك بالتقوية دجال .

لهذا يجب علينا أن نذكر أنفسنا وأبنائنا وإخواننا دائما بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته أكثر من التذكير بمولده صلى الله عليه وسلم . ولتقارن بين القرآن وبين أسطورة هذى بها ابن عربى فأجت أجيح النار في المشيم ، وسلبت ألوف الألوف حسن اعتقادهم في الله ورسوله ، وقد ردد هذه الأسطورة في كتابه الكبير (الفتوحات المكية) ونسب نقلها الشمرانى في التمجيد والتمظيم وذلك في كتابه ، والكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر ، . وإليك ما قاله ابن عربى : « أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى القرآن بمجلا قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور ، فقيل له : لا تعجل بالقرآن الذى عندك قبل جبريل ، فتلقه على الأمة مجملا ، فلا يفهم أحد عنك لعدم تفصيله ، من ٦ الكبريت الأحمر المطبوع على هامش اليواقيت والجواهر سنة ١٣٠٧ هـ وتأمل قول عبد الكريم الجبلى — وهو من هو — عند الصوفية (اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس الحميدة من ذاته ، وذات الحق جامعة للضدين ، خلق الملائكة العالين في حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ، وخلق الإنس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد =

من شهد بدرًا من المسلمين

من بني هاشم والمطلب

قال ابن إسحاق : وهذه تشيعة من شهد بدرًا من المسلمين ، ثم من (فريش ، ثم من) بني هاشم بن عبد مناف وبني المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة .

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، أسد الله وأسد رسوله ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وزيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلابي ، أنعم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن الثعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة ابن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن أفيدة بن ثور بن كعب ابن وبرة .

== ص ٤١ ح ٢٠ الإنسان الكامل ط ١٢٩٤ وإذا سئل الصوفية عن الحقيقة المحمدية قالوا هي ذات الله في تعينها الأول . وراجع ما كتبت في كتابي هذه هي الصوفية ، وكتابي مصرع التصوف ، هدانا الله إلى الحق ، ورزقنا الحية له على بصيرة .

قال ابن إسحاق : وأنسُ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأبو كُبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أنسُ : حبشي ، وأبو كُبشة : فارسي .

قال ابن إسحاق وأبو مَرْثَدٍ كَنَازُ بْنُ حِصْنِ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
يَرْبُوعِ بْنِ خَرْشَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ جِلَانَ بْنِ غَنَمِ بْنِ غَنِيٍّ بْنِ يَمْثُصَ .
ابن سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ .

قال ابن هشام : كَنَازُ بْنُ حُصَيْنِ .

قال ابن إسحاق : وابنه مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ ، خَلِيفَةُ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛
وعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ ؛ وأخوه الطُّعَيْلُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَالْحَصَيْنُ بْنُ الْحَارِثِ ؛
وَبِسْطَاحٌ ، واسمه : عَوْفُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ . اثنا عشر رجلاً .

من بني عبد شمس

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية
ابن عبد شمس ، تخلف على امرأته رُقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
فَضْرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسْمَهُ ، قال : وأجرى بإرسول الله ؟
قال : وأجرله ؛ وأبو حذيفة بن حذيفة بن دُبَيْمَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ؛ وسالم ، مولى
أبي حذيفة .

قال ابن هشام : واسم أبي حذيفة : مِثْمَمٌ .

نسب سالم

قال ابن هشام : وسالم ، سائبة لثبينة بنت يمار بن زبد بن عبيد بن زبد
ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، سببت فأنقطع إلى
أبي حذيفة فتبنّاه ، ويقال : كانت ثبينة بنت يمار تحت أبي حذيفة بن عتبة ،
فأعتقت سالما سائبة ، فقيل : سالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : وزعموا أن صبيحا مولى أبي الهـ اص بن أبية بن
عبد شمس تجهّر للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرض ، فحمل
على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛
ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من حلفاء بني عبد شمس

وشهد بدرأ من حلفاء بني عبد شمس ، ثم من بني أسد بن خزيمه :
عبد الله بن جحش بن رئاب بن يغمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم
ابن دودان بن أسد ؛ وعكاشة بن محصن بن حُرثان بن قيس بن مرة
ابن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وشجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد
ابن ضبيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وأخوه عتبة بن
وهب ؛ ويزيد بن رقيش بن رئاب بن يغمر بن صبرة بن مرة بن كبير
ابن غنم بن دودان بن أسد ؛ وأبو سنان بن محصن بن حُرثان بن قيس ، أخو
عكاشة بن محصن ؛ وابنه سنان بن أبي سنان ، ومحرز بن نضلة بن عبد الله

ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وربيع بن أكتم بن سخبرة
ابن عمرو بن أكتيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد

من حلفاء بني كبير

ومن حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد : ثقف بن عمرو،
وأخوه : مالك بن عمرو، ومذلاج بن عمرو .

قال ابن هشام : مذلاج بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وهم من بني حجر، آل بني سليم . وأبو نخشى،
حليف لهم . ستة عشر رجلاً .

قال ابن هشام : أبو نخشى طائي ، واسمه : سويد بن نخشى .

من بني نوفل

قال ابن إسحاق : ومن بني نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن
جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن
خصفة بن قبس بن عيلان ؛ وخباب ، مولى عتبة بن غزوان - رجلاً .

من بني أسد

ومن بني أسد بن عبد المطلب بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد
ابن أسد ؛ وحاطب بن أبي بلتعة ، وسعد مولى حاطب . ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : حاطب بن أبي بِلْتَمَة ، واسم أبي بِلْتَمَة : عمرو ، لُحَيّ ،
وسمى مولى حاطب ، كَلْبِيّ .

من بني عبد الدار

قال ابن إسحاق : ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ : مُضَنَّب بن عُثَيْر بن
هَاشِم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ ؛ وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمَة بن
مالك بن عُمَيْلَة بن السَّبَّاق بن عبد الدار بن قُصَيّ . رجلان .

من بني زهرة

ومن بني زُهْرَة بن كلاب : عبد الرحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن
عبد بن الحارث بن زُهْرَة ؛ وسعد بن أبي وقاص - وأبو وقاص مالك بن
أهيب بن عبد مناف بن زُهْرَة . وأخوه عُثَيْر بن أبي وقاص .

ومن حُلَفَائِهِم : الْقَدَادُ بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن
مَطْرُود بن عمرو بن سعد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن
هَزَل بن قائش بن دُرَيْم بن القَيْن بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف
ابن قُضَاعَة . قال ابن هشام : ويقال : هَزَل بن قاس بن ذَر - ودَهِير بن نور .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شَمِخ بن نَحْرُوم
ابن ضَاهِلَة بن كاهِل بن الحارث بن تَمِيم بن سعد بن هَذِيل ، ومسعود بن ربيعة
ابن عمرو بن سعد بن عبد المطلب بن سَمَاءَة بن غالب بن مُحَلَّم بن عائذ بن سُبَيْع بن
الْهُنُون بن خُزَيْمَة ، من القارة .

قال ابن هشام : القارة : لقب لهم . ويقال :
قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا
وكانوا رماة .

قال ابن إسحاق : وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة بن غبشان بن
سكهم بن ماسكان بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، من خزاعة .
قال ابن هشام : وإنا قيل له : ذو الشمالين ، لأنه كان أعسر ، واسمه عمير .
قال ابن إسحاق : وخبّاب بن الأرت ، ثمانية نفر .
قال ابن هشام : خبيب بن الأرت ، من بني تميم ، وله عقب ، وهم بالكوفة ؛
ويقال : خبيب من خزاعة .

من بني تميم

قال ابن إسحاق : ومن بني تميم بن مرة : أبو بكر الصديق ، واسمه عتيق
ابن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم .
قال ابن هشام : اسم أبي بكر : عبد الله ، وعتيق : لقب ، لحسن وجهه
وعتقه .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبي بكر - وبلال مولد من مولدى بنى
مُجَح ، اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف ، وهو بلال بن رباح ، لا عقب له -
وعامر بن مغيرة .

.....

قال ابن هشام : عامر بن قُمَيْرَة ، مولد من مولدى الأسد ، أسود ،
اشتراه أبو بكر منهم .

قال ابن إسحاق : وصُهِيب بن سِنَان ، من النمر بن قاسط .

نسب النمر

قال ابن هشام : النمر : ابن قاسط بن هُثَب بن أفعى بن جديلة بن أسد
ابن ربيعة بن نزار ؛ ويقال : أفعى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن
نزار ، ويقال : صُهِيب ، مولى عبد الله بن جذعان بن عمرو بن كعب بن سعد
ابن تميم ، ويقال : إنه رُومى . فقال بعض من ذكر إنه من النمر بن قاسط :
إنما كان أسيراً فى الروم فاشترى منهم . وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم : صُهِيب سابق الروم .

قال ابن إسحاق : وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد
ابن تميم ، كان بالشام ، فقدم بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
بدر ، فكلّمه ، فضرب له بسهمه ، فقال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرُك .
خسة نفر .

من بنى مخزوم

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مُرّة : أبو سَلَمَة بن
عبد الأسد ، واسمُ أبى سَلَمَة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن
مخزوم ؛ وشماس بن عثمان بن الشريد بن سُؤَيْد بن هَرْمَةَ بن عامر بن مخزوم .

.....

سبب تسمية الشماس

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سُمي شماساً ، لأن شماساً من الشَّمامسة قَدِم مكة في الجاهلية ، وكان جليلاً ، فمَجَّب الناسُ من جماله . فقال عُتْبَةُ بن ربيعة ، وكان خالَ شماس : ها أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فأتى بابن أخيه عثمان بن عثمان فُسِّي شماساً ، فيما ذكر ابنُ شِهَاب الزهري وغيره .

قال ابن إسحاق : والأرقمُ بن أبي الأرقم ، واسم أبي الأرقم : عبدُ مناف ابن أسد ، وكان أسدُ يُسكنى : أبا جُنْدَب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وعُمَار بن ياسر .

قال ابن هشام : عُمَار بن ياسر ، عَدِيّ ، من مَدْحَج .

قال ابن إسحاق : ومُعْتَب بن عَوف بن عامر بن الفضل بن عَفِيف بن كُثَيْب بن حُبْشِيَّة بن سَلُول بن كَثَب بن عمرو ، حليف ، لهم من خُرَاعة ، وهو الذي يُدعى : عَيْهَامَة ، خمسة نفر .

من بني عدى وحلفائهم

ومن بني عدى بن كعب : عمرُ بن الخطَّاب بن مُنْقِل بن عبد العزى ابن رباح بن عبد الله بن قُرْط بن رِزَاح بن عدى ؛ وأخوه زيد بن الخطَّاب ؛ ومِنْهَج ، مولى عمر بن الخطَّاب ، من أهل اليمن ، وكان أوَّلَ قَتِيل من المسلمين بين الصَّفَيْن يوم بَدْر ، رُمي بسهم .

قال ابن هشام : مِنْهَج ، من عكَّ بن عَدْنان .

قال ابن إسحاق : وعمر بن سُراقَة بن المُعْتَمِر بن أنس بن أذاة بن عبد الله بن قُرْط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب ؛ وأخوه عبد الله ابن سُراقَة ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف لهم ، وخولى بن أبي خولى ومالك بن أبي خولى ، حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولى ، من بني عجل بن نجيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وعامر بن ربيعة ، حليف آل الخطّاب ، من عتر ابن وائل .

قال ابن هشام : عتير بن وائل : ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : أفصى : ابن دُعْمَى بن جديلة .

قال ابن إسحاق : وعامر بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة ، من بني سعد بن ليث ؛ وعافل بن البكير ؛ وخالد بن البكير ، وإياس بن البكير ، حلفاء بني عدى بن كعب ؛ وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب ، قَدِمَ من الشام بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلّمه ، فقُصِرَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسمه ؛ قال : وأجرى يارسول الله ؟ قال : وأجرِك . أربعة عشر رجلا .

من بنى جمع وحلفائهم

ومن بنى جمع بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : عثمان بن مَظْمُون بن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن جُمَح ؛ وابنه السائب بن عثمان ؛ وأخواه قُدَامَة ابن مَظْمُون ؛ وعبدُ الله بن مَظْمُون ؛ ومَعمر بن الحارث بن مَعمر بن حَبِيب ابن وَهَب بن حُذَافَة بن جُمَح . خمسة نفر .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن خُنَيْس بن حُذَافَة بن قَيْس بن عَدَى بن سَعْد بن سَهْم . رجل .

من بنى عامر

قال ابن إسحاق : من بنى عامر بن لُؤَيٍّ : ثم من بنى مالك بن حِثْل بن عامر : أبو سَبْرَة بن أبي رُمَيْح بن عبد العُزَي بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِثْل عبد الله بن نَحْرَة بن عبد العُزَي بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك ؛ وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِثْل - كان خرج مع أبيه سُهَيْل بن عمرو ، فلما نزل الناس بِلَدِ أُمِّ قَيْسٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهدا معه - ومُعِير ابن عَوْف ، مولى سُهَيْل بن عمرو ؛ وسعد بن خَوْلَة ، حليف لهم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خَوْلَة ، من اليمن

من بنى الحارث

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن قَهْر : أبو عُبَيْدَة بن الجراح ،

وهو عامر بن الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث وعمرو
ابن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن
الحارث ؛ وسهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أبي أهيب بن ضبة بن
الحارث ؛ وأخوه صفوان بن وهب ، وهما ابنا بيضاء ؛ وعمرو بن أبي سرح
ابن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث . خمسة نفر .

عدد من شهد بدرًا من المهاجرين

فجميع من شهد بدرًا من المهاجرين ، ومن ضرب له رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسهمه وأجره ، ثلاثة وثمانون رجلاً .

قال ابن هشام : كثير من أهل العلم ، غير ابن إسحاق ، يذكرون
في المهاجرين بيدر ، في بني عامر بن لؤي : وهب بن سعد بن أبي سرح ،
وحاطب بن عمرو ؛ وفي بني الحارث بن قهر : عياض بن أبي زهير .

الأنصار ومن معهم

من بني عبد الأشهل

قال ابن إسحاق : وشهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
للسلبيين ثم من الأنصار ، ثم من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ،
ثم من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك
ابن الأوس سعد بن هذال بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ؛

وعمر بن مُعَاذ بن الثُّعَيْبَان ، والحارث بن أَوْس بن مُعَاذ بن الثُّعَيْبَان ، والحارث بن
ابن أَنَس بن رَافِع بن امرئ القيس .

من بنى عبيد بن كعب وحلفائهم

ومن بنى عُبَيْدُ بن كعب بن عبد الأشهل : سعدُ بن زَيْد بن مالك بن .
عُبَيْد . ومن بنى زَعُورَا بن عبد الأشهل - قال ابن هشام : ويقال : زَعُورَا -
سَلَمَةُ بن سَلَامَةَ بن وَقْش بن زُعْبَةَ ، وَعَبَّادُ بن بَشَر بن وَقْش بن زُعْبَةَ بن
زَعُورَا ، وسَلَمَةُ بن ثابت بن وَقْش ، ورافِع بن يَزِيد بن كُرْز بن سَكَن بن
زَعُورَا ، والحارث بن خَزَمَةَ بن عَدِيّ بن أَبِي بن غَزَم بن سالم بن عَوْف .
ابن عمرو بن عَوْف بن الخزرج حليف لهم من بنى عَوْف بن الخزرج ومحمد بن
مسلمة بن خالد بن عَدِيّ بن جَدَّة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بنى
حارثة بن الحارث ، وسَلَمَةُ بن أسلم بن حَرِيش بن عَدِيّ بن جَدَّة بن حارثة .
ابن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث .

قال ابن هشام : أسلم : بن حَرِيش بن عَدِيّ .

قال ابن إسحاق : وأبو الهيثم بن التَّيَّهَان ، وعُبَيْد بن التَّيَّهَان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التَّيَّهَان .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن سَهْل . خمسة عشر رجلا .

قال ابن هشام : عبدُ الله بن سَهْل : أخو بنى زَعُورَا ؛ ويقال : من غَسَّان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظَفَر ، ثم من بنى سَوَاد بن كَعْب ، وكعب :
هو ظَفَر . قال ابن هشام : ظَفَر : ابن الخُزْج بن عمرو بن مالك الأوس :
تقادةُ بن النُّعْمان بن زيد بن عامر بن سَوَاد ؛ وعُبَيْد بن أَوْس بن مالك بن
سَوَاد ، رجالان .

سبب تسمية عبيد بمقرن

قال ابن هشام : عُبَيْد بن أَوْس الذي يُقال له : مقرن ، لأنه قرن أربعة
أسرى في يوم بدر . وهو الذي أسر عَقِيل بن أبي طالب يومئذ .
من بنى عبد بن رزاح وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عُبَيْد بن رِزَاح بن كعب : نَصْرُ بن الحارث
ابن عبد ؛ ومعتب بن عبد .

ومن حلفائهم ، من بنى : عبدُ الله بن طارق . ثلاثة نفر .

من بنى حارثة

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخُزْج بن عمرو بن مالك بن الأوس :
مسعود بن سَمْد بن عامر بن عدي بن جُشَم بن بَجْدعة بن حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : مسعود بن عبد سعد .

قال ابن إسحاق : وأبو عَبْس بن جَبْرِ بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن
بَجْدعة بن حارثة .

ومن حلفائهم ، ثم من بلى : أبو بُردة بن نيار ، واسمه : هاني بن نيار
ابن عمرو بن عبّيد بن كلاب بن دُهمان بن غنم بن ذُبَيان بن مُهميم بن كاهل
ابن ذُهل بن هُثَي بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . ثلاثة نفر .

من بنى عمرو

قال ابن إسحاق : ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ،
ثم من بنى ضُبَيْعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : عامر بن
ثابت بن قيس ، وقيس أبو الأفلح بن عِصْمَة بن مالك بن أمة بن ضُبَيْعة -
ومعْتَب بن قُشير بن مُكَيْل بن زيد بن العَطَاف بن ضُبَيْعة ؛ وأبو مُكَيْل بن
الأزعر بن زيد بن العَطَاف بن ضُبَيْعة ، وعمرو بن معبد بن الأزهر بن زيد
ابن العَطَاف بن ضُبَيْعة .

قال ابن هشام : عمير بن معبد .

قال ابن إسحاق : وسهل بن حنيف بن واهب بن العسكيم بن ثعلبة بن
مجدعة بن الحارث : ابن عمرو ، وعمرو الذي يقال له : مجزج بن حنّس
ابن عوف بن عمرو بن عوف . خمسة نفر .

من بنى أمية

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : مُبَشِّر بن عبد المُنذر بن زَنْبِر بن زيد
ابن أمية ، ورقاعة بن عبد المُنذر بن زَنْبِر ، وسعد بن عبّيد بن النعمان بن

قيس بن عمرو بن زيد بن أمية : وعموم بن ساعدة ، ورافع بن عذبة .
وعذبة أمه ، وفيما قال ابن هشام وعبيد بن أبي عبيد ، وتعليه بن حاطب .

وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر ، والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرجعهما ، وأمر أبا لبابة على المدينة ، فضرب لها بسمين
مع أصحاب بدر . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ردهما من الروحاء .
قال ابن هشام : وحاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية ، واسم أبي لبابة : بشير .

من بنى عبيد وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : أنيس بن قتادة بن
ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد .

ومن حلفائهم من بنى : مثن بن عدي بن الجدر بن العجلان بن ضبيعة
وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان ، وعبد الله بن سلمة بن مالك
ابن الحارث بن عدي بن العجلان ، وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن
العجلان ؛ وربيع بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجدر بن العجلان . وخرج
عاصم بن عدي بن الجدر بن العجلان ، فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر . سبعة نفر .

من بنى ثعلبة

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : هبّد الله بن جبير بن النعمان بن أمية

ابن البرك - واسم البرك : امرؤ القيس بن ثعلبة - وعاصم بن قيس .
قال ابن هشام : عاصم بن قيس : ابن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ .
القيس بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وأبو ضيَّاح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ .
القيس بن ثعلبة ؛ وأبو حنّة .

قال ابن هشام : وهو أخو أبي ضيَّاح ، ويقال : أبو حية . ويقال لامرئ .
القيس : البرك بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وسالم بن مخير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن
امرئ القيس بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : ثابت : ابن عمرو بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : والحارث بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن
ثعلبة وخوات بن جبير بن النعمان ، ضرب له رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بسهم مع أصحاب بدر . سبعة نفر .

من بني جحجي وحلفائهم

ومن بني جحجي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف : منذر بن
محمد بن عتبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجي بن كلفة .
قال ابن هشام : ويقال : الحريش بن جحجي .

.

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بنى أنيف : أبو عقيل بن عبد الله
ابن نعلبة بن يبيحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أنيف بن جشم
ابن عبد الله بن تميم بن إراش بن عامر بن عَمَيْلَة بن قَسَمِيل بن قَران بن بلي
ابن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال تميم بن إراشة ، وقسميل بن قَران .

من بنى غنم

وقال ابن إسحاق : ومن بنى غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن
الأوس سعد بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النعاط بن كعب
ابن حارثة بن غنم ؛ ومُنْذَر بن قُدَامَة بن عَرَجَة ؛ ومالك بن قُدَامَة بن عَرَجَة .

قال ابن هشام : عرجة : ابن كعب بن النعاط بن كعب بن حارثة بن غنم .

قال ابن إسحاق : والحارث بن عَرَجَة ؛ و تميم ، مولى بنى غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : تميم : مولى سَمْد بن خَيْثمة .

من بنى معاوية وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف :

جَبْر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هَيْثَة بن الحارث بن أُمَيَّة بن معاوية ؛
ومالك بن نُمَيْلَة ، حليف لهم من مُزَيْنَة ، والنُّعْمان بن عَصْر ، حليف لهم من
بلي . ثلاثة نفر .

.....

عدد من شهد بدرأ من الأوس

فجميع من شهد بدرأ من الأوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضرب له بسهمه وأجره ، أحد وستون رجلاً .

من بنى امرئ القيس

قال ابن إسحاق : وشهد بدرأ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، ثم من الأنصار ، ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، ثم من بنى امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة . ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبي زهير . ابن مالك بن امرئ القيس ، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك . ابن امرئ القيس ، وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو . ابن امرئ القيس ، وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس ، أربعة نفر .

من بنى زيد

ومن بنى زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : بشير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس بن زيد . قال ابن هشام : ويقال : جِلاس ، وهو عندنا خطأ . وأخوه سَمَّاك بن سعد . رجلان .

من بنى عدي

ومن بنى عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : سُبَيع بن قيس

عَيْشَةُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَدَى ، وَعَبَادُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ عَيْشَةَ أَخُوهُ .

قال ابن هشام : ويُقال : قيس : ابن عَدَسَةَ بْنِ أُمَيَّةَ .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن عبدس . ثلاثة نفر .

من بني أحر

ومن بني أحر بن حارثة بن ثعلبة بن كَعْبٍ بن الخزرج بن الحارث بن
الخزرج : يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحر ، وهو الذي يُقال له :
ابن فُسْحَمٍ رجل .

قال ابن هشام : فُسْحَمُ أُمُّهُ ، وهي امرأة من القَيْنِ بن جَسْر .

من بني جشم

قال ابن إسحاق : ومن بني جُشَمٍ بن الحارث بن الخزرج ، وزيد بن
الحارث بن الخزرج ، وهما التَّوَّاعِلَانِ : خُثَيْبُ بْنُ إِسَافَ بْنِ عِقَبَةَ بْنِ عمرو بن
خَدِيجِ بْنِ عامر بن جُشَمٍ ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد ،
وأخوه حُرَيْثُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، زَعَمُوا ، وَصَفِيَّانِ بْنِ بَشَرٍ . أربعة نفر .

قال ابن هشام : صَفِيَّانِ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد .

من بني جدارة

قال ابن إسحاق : ومن بني جِدَارَةَ بن عوف بن الحارث بن الخزرج :

كثير بن يمار بن قيس بن عدي بن أمية بن جذارة ، وعبد الله بن محمد بن
بن حارثة .

قال ابن هشام : وعبد الله بن عمير بن عدي بن أمية بن جذارة .

قال ابن إسحاق : وزيد بن المزين بن قيس بن عدي بن أمية بن جذارة .

قال ابن هشام : زيد بن المري .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عرفة بن عدي بن أمية بن جذارة .

أربعة نفر .

من بني الأبحر

ومن بني الأبحر ، وهم بنو خذرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : عبد الله
ابن ربيع بن قيس بن عمرو بن عباد بن الأبحر . رجل .

من بني عوف

ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني عبيد بن مالك بن سالم بن غنم
ابن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحنبل - قال ابن هشام : الحنبل : سالم بن
غنم بن عوف ، وإنما سمي الحنبل ، لعظم بطنه : عبد الله بن عبد الله بن أبي
ابن مالك بن الحارث بن عبيد (الشهور بابن سلول) ، وإنما سلول امرأة ،
وهي أم أبي : وأوس بن خول بن عبد الله بن الحارث بن عبيد . رجلان .

من بنى جزء وحلفائهم

ومن بنى جزء : بن عدى بن مالك بن سالم بن غنم : زيد بن وديمة بن
همرو بن قيس بن جزء ؛ وعقبة بن وهب بن كلفة ، حليف لهم من بنى عبد الله
ابن غطفان ؛ ورفاعة بن عمرو بن زيد بن همرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم
ابن غنم ؛ وعامر بن سلمة بن ملحمر ، حليف لهم من أهل اليمن . قال ابن
هشام : ويقال : عمرو بن سلمة وهو من بلي ، من قضاة .

قال ابن إسحاق : وأبو مخيضة مقبذ بن عباد بن قشير بن المقدم بن
سالم بن غنم .

قال ابن هشام : مقبذ بن عبادة بن قشغر بن المقدم ، ويقال : عبادة بن
قيس بن المقدم .

وقال ابن إسحاق : وعامر بن البكير ، حليف لهم . ستة نفر .

قال ابن هشام : عامر بن العكير ، ويقال : عامر بن العكير .

من بنى سالم

قال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن الحزرج ، ثم من
بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نوفل بن عبد الله بن نضلة بن مالك
ابن العجلان بن العجلان . وجل .

من بنى أصرم

ومن بنى أصرم بن قهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف - قال ابن هشام : هذا غنم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وغنم بن سالم ، الذي قبله على ما قال ابن إسحاق - : عبادة بن الصامت بن قيس ابن أصرم ؛ وأخوه أوس بن الصامت . رجلان .

من بنى دعد

ومن بنى دعد بن قهر بن ثعلبة بن غنم : النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد ، والنعمان الذي يقال له . قوئل . رجل .

ومن بنى قريش بن غنم بن أمية بن لؤذان بن سالم - قال ابن هشام : ويقال قريش بن غنم - ثابت بن هزال بن عمرو بن قريش . رجل .

ومن بنى مريض بن غنم بن سالم : مالك بن الدخشم بن مريض . رجل . قال ابن هشام : مالك بن الدخشم : ابن مالك بن الدخشم بن مريض .

من بنى لؤذان وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى لؤذان بن سالم : ربيع بن إلياس بن عمرو ابن غنم بن أمية بن لؤذان ، وأخوه ورقة بن إلياس ، وعمرو بن إلياس ، حليف لهم من أهل اليمن . ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن إلياس ، أخو ربيع وورقة .

قال ابن إسحاق : ومن حلماهم من بلى ، ثم من بنى غصينة - قال ابن هشام : غصينة ، أمهم ، وأبوهم عمرو بن عمار - الجذر بن زياد بن عمرو بن زُمزَمَة بن عمرو بن عمار بن مالك بن غصينة بن عمرو بن مُبْتِيرة بن مَشْنُو ابن قَسر بن تميم بن إراش بن عامر بن مُعَيْلة بن قَسَمِيل بن قَران بن بلى ابن عمرو بن الحلاف بن قضاة .

قال ابن هشام : ويقال : قَسر بن تميم بن إراشة ، وقسميل بن قاران .
واسم الجذَر : عبد الله .

قال ابن إسحاق : وعُبادَة بن أَخْشَدَش بن عمرو بن زُمزَمَة ، ونَحَاب ابن ثعلبة بن حَزَمَة بن أَصْرَم بن عمرو بن عمار .

قال ابن هشام : ويقال بِحَثَّ بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن ثعلبة بن حَزَمَة بن أَصْرَم . وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن مُعاية - حليف لهم - من بهراء ، قد شهد بدرًا ، خمسة نفر .

قال ابن هشام : عتبة بن بهز ، من بنى سليم .

من بنى ساعدة

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كَثَب بن الخزرج ، ثم من بنى ثعلبة ابن الخزرج بن ساعدة : أبو دُجَانَة ، سمالك بن خَرَشَة

قال ابن هشام : أبو دُجانة : (سِمَاك) بن أَوْس بن خَرَشَةَ بن لَوْذَانَ بن
عَبْد وَدَّ بن زَيْد بن ثَعْلَبَة .

قال ابن إسحاق : والمُنْذِر بن عمرو بن خَنْبَس بن حَارِثَة بن لَوْذَانَ بن
عبد وَدَّ بن زَيْد بن ثَعْلَبَة . رجُلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خَنْبَس .

من بنى البدي وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى البديّ بن عاصِر بن عَوْف بن حارِثَة بن عمرو
ابن الخَزْرَج بن ساعدة : أبو أُسَيْد مالك بن ربيعة بن البديّ ، ومالك بن
مسعود وهو إلى البديّ . رجُلان .

قال ابن هشام : مالك بن مسعود : ابن البديّ ، فيما ذكر لي بمصرُ
أهل العلم .

من بنى طريف وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى طريف بن الخَزْرَج بن ساعدة : عبدُ رَبِّه بن
حَقّ بن أَوْس بن وَقْش بن ثَعْلَبَة بن طَرِيف . رجل .

ومن حلفائهم ، من جُهينة : كعبُ بن حمار بن ثَعْلَبَة .

قال ابن هشام : ويقال : كعب : ابن جَحَّار ، وهو من غُبْشَان .

قال ابن إسحاق : وضَمْرَة وزياد وبَسْبَس ، بنو عمرو .

قال ابن هشام : ضمرة وزيد ، ابنا بشر .
قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عامر ، من بلي . خمسة نفر .

من بني جشم

ومن بني جشم بن الخزرج ، ثم من بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن
سليلة بن تميم بن جشم بن الخزرج ثم من بني حرام بن كعب بن غنم
ابن كعب بن سلمة : خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ،
والحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام ، ومخير بن الحمام بن الجموح
ابن زيد بن حرام ، وتميم مولى خراش بن الصمة وعبد الله بن عمرو بن حرام
ابن ثعلبة بن حرام ، وهماذين عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عمرو بن الجموح
ابن زيد بن حرام ، وخالد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وعقبة بن
عامر بن نابت بن زيد بن حرام ، وحبيب بن أسود ، مولى لهم ، وثابت بن
ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام ، وثعلبة الذي يقال له : الجذع ، وعمير
ابن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام . اثنا عشر رجلا .

نسب الجموح

قال ابن هشام : كل ما كان هاهنا الجموح ، (فهو الجموح) بن زيد
ابن حرام ، إلا ما كان من جد الصمة (بن عمرو) ، فانه الجموح بن حرام .
قال ابن هشام : عمير بن الحارث : ابن كبدة بن ثعلبة .

.

من بنى عبيد وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة ،
ثم من بنى خنساء بن سنان بن عبيد : بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن
مالك بن خنساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء ، والطفيل بن النعمان بن
ابن خنساء ، وسنان بن صفى بن صخر بن خنساء ، وعبد الله بن الجعد بن قيس
ابن صخر بن خنساء ، ومعتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء ، وجبار
ابن صخر بن أمية بن خنساء ، وخارجة بن حنجر ، وعبد الله بن حنجر ،
حليفان لهم من أشجع ، من بنى دهمان . نسمة نمر .

قال ابن هشام : ويقال : جبار : بن صخر بن أمية بن خنساء .

من بنى خناس

قال ابن إسحاق : ومن بنى خناس بن سنان عبيد : يزيد بن المنذر بن
سرح بن خناس ، وممقل بن المنذر بن سرح بن خناس ، وعبد الله بن النعمان
ابن بلذمة .

قال ابن هشام : ويقال : بلذمة وبلذمة .

قال ابن إسحاق : والصحاح بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن
عدى ، وسواد بن زريق بن ثعلبة بن عبيد بن عدى .

قال ابن هشام : ويقال : سواد : ابن رزن بن زيد بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : ومَعْبِد بن قَيْس بن صَخْر بن حَرَام بن رَيْبِعة بن عَدِيّ
ابن غَنَم بن كَعْب بن سَلِمة . ويقال : معبد بن قَيْس : ابن صَيْفِي بن صَخْر
ابن حَرَام بن رَيْبِعة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن قَيْس بن صَخْر بن حَرَام بن رَيْبِعة بن
عَدِيّ بن غَنَم . سبعة نفر .

من بني النعمان

ومن بني النُّعْمان بن سِنان بن عُبيد : عبدُ الله بن عبد مناف بن النُّعْمان ؛
وجابر بن عبد الله بن رِثاب بن النُّعْمان : وخَلِيدة بن قَيْس بن النُّعْمان .
والنُّعْمان بن سِنان ، مولى لهم . أربعة نفر .

من بني سواد

ومن بني سَواد بن غَنَم بن كَعْب بن سَلِمة ، ثم من بني حَدِيدة بن عمرو
ابن غَنَم بن سَواد . قال ابن هشام : عمرو بن سَواد ، ليس لسَواد ابن يقال
له غَنَم : أبو المُنذر ، وهو يَزِيد بن عامر بن حَدِيدة ؛ وسُلَيم بن عمرو بن
حَدِيدة ؛ وقُطَبة بن عامر بن حَدِيدة ؛ وعنترَةُ مولى سُلَيم بن عمرو . أربعة نفر .
قال ابن هشام : عنترَةُ ، من بني سُلَيم بن مَنصور ، ثم من بني ذَكوان .

من بني عدي بن نابی

قال ابن إسحاق : ومن بني عَدِيّ بن نَابِي بن عمرو بن سَواد بن غَنَم :

عَبَسَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَدَى ، وَثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمَةَ بْنِ عَدَى ، وَأَبُو الْيَسْرِ ، وَهُوَ
 كَعْبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبَّادَ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمَ بْنِ سَوَادَ ؛ وَسَهْلُ بْنُ قَيْسَ بْنِ
 أَبِي كَعْبَ بْنِ الْقَيْنِ بْنِ كَعْبَ بْنِ سَوَادَ ، وَعَمْرِو بْنُ طَلْحٍ بْنِ زَيْدِ بْنِ أُمَيَّةَ
 ابْنِ سَنَانِ بْنِ كَعْبَ بْنِ غَنَمَ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَوْسَ بْنِ عَائِذَ
 ابْنِ عَدَى بْنِ كَعْبَ بْنِ عَدَى بْنِ أَدَى بْنِ سَعْدِ بْنِ هَلِيٍّ بْنِ أَسَدَ بْنِ سَارِدَةَ بْنِ
 تَزِيدَ بْنِ جُثَمَ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرَ . سِتَّةَ نَفَرٍ .
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَوْسٌ : ابْنُ عَبَّادَ بْنِ عَدَى بْنِ كَعْبَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَدَى
 ابْنِ سَعْدٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَإِنَّمَا نَسَبُ ابْنِ إِسْحَاقَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فِي بَنِي سَوَادَ ،
 وَلَيْسَ مِنْهُمْ ، لِأَنَّهُ فِيهِمْ .

تسمية من كسروا آلهة بني سلمة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَالَّذِينَ كَسَرُوا آلِهَةَ بَنِي سَلَمَةَ : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ،
 وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسَ ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ غَنَمَةَ ، وَهُمْ فِي بَنِي سَوَادَ بْنِ غَنَمَ .

من بني زريق

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ ابْنِ عَامِرٍ ابْنِ زُرَيْقٍ ابْنِ عَبْدِ حَارِثَةَ ابْنِ
 مَالِكِ بْنِ غَضَبَ بْنِ جُثَمَ بْنِ الْخَزْرَجِ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مُخَلَّدَ بْنِ عَامِرٍ ابْنِ زُرَيْقٍ -
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : عَامِرٌ : ابْنُ الْأَزْرَقِ ، قَيْسُ بْنُ مُخَمَّرِ بْنِ خَالِدِ
 ابْنِ مُخَلَّدٍ .

قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن حصن :

قال ابن إسحاق : وأبو خالد وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مخلد
وجبير بن إياس بن خالد بن مخلد ، وأبو عبادة ، وهو سعد بن عثمان بن خلدة
ابن مخلد وأخوه عقبة بن عثمان بن خلدة بن مخلد ؛ وذكوان بن عبد قيس
ابن خلدة بن مخلد ؛ ومسمود بن خلدة بن عامر بن مخلد . سبعة نفر .

من بني خالد

ومن بني خالد بن عامر بن زريق : عبادة بن قيس بن عامر بن خالد . رجل .

من بني خلدة

ومن بني خلدة بن عامر بن زريق : أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد
ابن خلدة ، والفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة .

قال ابن هشام : بشر بن الفاكه .

قال ابن إسحاق : ومعاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وأخوه : عائد
ابن ماعص بن قيس بن خلدة ، ومسمود بن سعد بن قيس بن خلدة . خمسة نفر .

من بني العجلان

ومن بني العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق : رفاعه بن رافع بن
العجلان وأخوه خلاد بن رافع بن مالك بن العجلان ، وعبيد بن زيد بن عامر
ابن العجلان . ثلاثة نفر .

من بني يياضة

ومن بني بَيَاضَةَ بن عامر بن زُرَيْق . زياد بن كَبِيد بن ثعلبة بن سنان
ابن عامر بن عَدِي بن أُمَيَّة بن بَيَاضَةَ ، وقُروَةُ بن عمرو بن وَدَّعَة بن عبيد
ابن عامر بن بَيَاضَةَ .

قال ابن هشام : ويقال : وَدَّعَة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العَجَلان بن عامر بن
بَيَاضَةَ ، ورُجَيْلَة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بَيَاضَةَ .

قال ابن هشام : ويقال : رُخَيْلَة .

قال ابن إسحاق : وعَطِيَّة بن نُورَة بن عامر بن عطية بن عامر بن
بَيَاضَةَ ، وخَلِيفَة بن عَدِي بن عمرو بن مالك بن عامر بن فُهَيْرَة بن بَيَاضَةَ .
ستة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عَلِيفَة .

من بني حبيب

قال ابن إسحاق : ومن بني حَبِيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضَب
ابن جُشَم بن الخَزرج : رافعُ بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عَدِي بن زيد
ابن ثعلبة بن زيد مناة بن حَبِيب . رجل .

من بني النجار

قال ابن إسحاق : ومن بني النجار ، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن
الغزرج ثم من بني غنم بن مالك بن النجار ، ثم من بني ثعلبة بن عبد عوف بن
غنم : أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة . رجل .

من بني عسيرة

ومن بني عسيرة بن عبد عوف بن غنم : ثابت بن خالد بن النعمان بن
خنساء بن عسيرة . رجل .

قال ابن هشام : ويقال : عسير ، وعسيرة .

من بني عمرو

قال ابن إسحاق : ومن بني عمرو بن عبد عوف بن غنم : عمار بن
حزم بن زيد بن لؤذان بن عمرو ، وسراقة بن كعب بن عبد العزى بن
غزيرة بن عمرو . رجلان .

من بني عبيد بن ثعلبة

ومن بني عبيد بن ثعلبة بن غنم : حارثة بن النعمان بن زيد بن عبيد ،
وسليم بن قيس بن قنهد : واسم قنهد : خالد بن قيس بن عبيد . رجلان .

قال ابن هشام : حارثة بن النعمان : ابن نفع بن زيد .

من بنى عائد وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عائد بن ثعلبة بن غنم - ويقال عابد فيما قال
ابن هشام : سهيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائد، وعدى بن الزغباء ، حليف
لهم من جبهة . رجلا .

من بنى زيد

ومن بنى زيد بن ثعلبة بن غنم : مسعود بن أوس بن زيد ، وأبو خزيمة
ابن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد ، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد .
ثلاثة نفر .

من بنى سواد وحلفائهم

ومن بنى سواد بن مالك بن غنم : عوف ، ومعوذ ، ومعاذ ، بنو الحارث
ابن رفاعه بن سواد ، وهم بنو عفراء .

نسب عفراء

قال ابن هشام : عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم بن
مالك بن النجار ، ويقال رفاعه : بن الحارث بن سواد .

قال ابن إسحاق : والثعمان بن عمرو بن رفاعه بن سواد ، ويقال :
نعمان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعامر بن مخلد بن الحارث بن سواد ، وعبد الله بن

.....

قَيْسُ بْنُ خَالِدِ بْنِ خَلْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَوَادٍ ، وَعُصَيْبَةُ ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ أَشْجَعٍ ، وَوَدِيعَةُ بْنُ عَمْرٍو ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ جُهَيْنَةَ ، وَثَابِتُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ زَيْدِ ابْنِ عَدِيِّ بْنِ سَوَادٍ . (و) زَعَمُوا أَنَّ أَبَا الْحَمْرَاءَ ، مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ عَفْرَاءَ ، قَدْ شَهِدَ بِذُرٍّ . عَشْرَةَ نَفَرٍ .

قال ابن هشام : أبو الحَمْرَاءُ ، مولى الحارث بن رفاعة .

من بنى عامر بن مالك

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن مالك بن النَجَّارِ - وعامر : مَبْذُولٌ ثُمَّ مِنْ بَنِي عَتِيكَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَبْذُولٍ : ثَمْلَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ مِحْصَنَ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَتِيكَ ، وَسَهْلُ بْنُ عَتِيكَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الثُّمَّانِ بْنِ عَتِيكَ ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصُّمَّةِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَتِيكَ ، كَمِيرُ بِهِ بِالرَّوْحَاءِ فَقَضَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِهِ . ثَلَاثَةَ نَفَرٍ .

من بنى عمرو بن مالك

ومن بنى عمرو بن مالك بن النَجَّارِ - وهم بنو خُدَيْلَةَ - ثُمَّ مِنْ بَنِي قَيْسِ ابْنِ عُبَيْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَجَّارِ .

نسب خديلة

قال ابن هشام : خُدَيْلَةُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ حَارِثَةَ ابْنِ مَالِكِ بْنِ غَضَبِ بْنِ جُشَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَهِيَ أُمُّ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَجَّارِ ، قَبَنُو مُعَاوِيَةَ يَذْتَسِبُونَ إِلَيْهَا .

قال ابن إسحاق : أبي بن كعب بن قيس ، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس . رجلان .

من بني عدى بن عمرو

ومن بني عدى بن عمرو بن مالك بن النجار :

قال ابن هشام : وهم بنو مَالة بنت عوف بن عبدمناة بن عمرو بن مالك ابن كِنانة بن خُزَيمَة ، ويقال : إسمها من بني زُرَيْق ، وهي أم عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، فبنو عدى ينسبون إليها :

أوسُ بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَناة بن عدى ، وأبو شَيْخ أبي بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَناة بن عدى . قال ابن هشام : أبو شيخ أبي بن ثابت ، أخو حَسَّان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وأبو طلحة ، وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَناة بن عدى . ثلاثة نفر .

من بني عدى بن النجار

ومن بني عدى بن النجار ، ثم من (بني) عدى بن عامر بن غَنَم بن النجار : حارثة بن سُرَاقَة بن الحارث بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر ، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر ، وهو أبو حَكيم ، وسَاطِيط بن قَيس بن عمرو بن عَتِيك بن مالك بن عدى بن عامر ،

وأبو سَلَيْط ؛ وهو أُسَيْرَةُ بن عمرو ؛ وعمرو أبو خَارِجَةَ بن قَيْس بن مالك
ابن عَدِي بن عامر ؛ وثابت بن خُنْسَاء بن عمرو بن مالك بن عَدِي بن عامر ؛
وعامر بن أُمَيَّة بن زَيْد بن الْحُسَيْن بن مالك بن عَدِي بن عامر ؛ ومُحَرِّز
ابن عامر بن مالك بن عَدِي بن عامر ؛ وسواد بن غَزِيَّة بن أَهْتَب ، حليف
لهم من بَلَى . ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : سَوَاد .

من بنى حرام بن جندب

قال ابن إسحاق : ومن بنى حَرَام بن جُنْدَب بن عامر بن غَنَم بن عَدِي
ابن النَجَّار : أبو زَيْد ، قَيْس بن سَكَن بن قَيْس بن زَعُوراء بن حَرَام ،
وأبو الأَعُور بن الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حَرَام .

قال ابن هشام : ويقال : أبو الأَعُور : الحارث بن ظالم .

قال ابن إسحاق : وسَلِيم بن مِلْحَان ؛ وحَرَام بن مِلْحَان - واسم مِلْحَان :
مالك بن خالد بن زَيْد بن حَرَام . أربعة نفر .

من بنى مازن بن النجار وحلفائهم

ومن بنى مازن بن النَجَّار ، ثم من بنى عَوْف بن مَبْدُول بن عمرو بن
غَنَم بن مازن بن النَجَّار : قَيْسُ بن أَبِي صَمْعَةَ - واسم صَمْعَةَ : عمرو بن
زَيْد بن عَوْف - وعبدُ اللهِ بن كَعْب بن عمرو بن عَوْف ؛ وعُصَيْمَة ، حليف
لهم من بنى أُسَد بن خُزَيْمَة . ثلاثة نفر .

من بنى خنساء بن مبدول

ومن بنى خنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن : أبو داود عمير
ابن عامر بن مالك بن خنساء ، ومُراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء . رجلان .

من بنى ثعلبة بن مازن

ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجَّار : قيس بن مُحمَّد بن ثعلبة بن صخر
ابن حبيب بن الحارث بن ثعلبة . رجل .

من بنى دينار بن النجار

ومن بنى دينار بن النجار ، ثم من بنى مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة
ابن دينار بن النجار : النُّعمان : بن عبد عمرو بن مسعود ، والضحاك بن
عبد عمرو بن مسعود ، وسليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن
دينار ، وهو أخو الضحاك والنُّعمان ابني عبد عمرو ، لأُمهما ، وجابر بن خالد
ابن عبد الأشهل بن حارثة ، وسعد بن سهيل بن عبد الأشهل . خمسة نفر .

ومن بنى قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار :
كعب بن زيد بن قيس : وبُجَيْر بن أبي بُجَيْر ، حليف لهم . رجلان .

قال ابن هشام : بُجَيْر : من عُبَيْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَانَ ،
ثم من بنى جذيمة بن رَوَاحَة .

قال ابن إسحاق : فجمع من شهد بدرًا من الخزرج مائة وسبعون رجلاً .

من قات ابن إسحاق ذكروهم

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بذكر في الخزرج ببدر ، في بني العجلان
ابن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : عتيان بن
مالك بن عمرو بن العجلان ؛ ومذليل بن وبرة بن خالد بن العجلان ؛ وعصمة
ابن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان .

وفي بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ،
وهم في بني زريق هلال بن المثلبي بن لؤذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن
نضلة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب .

عدد البدرين جميعاً

قال ابن إسحاق : لجميع من شهد بذكراً من المسلمين ، من المهاجرين
والأنصار من شهداهم ، ومن ضرب له بسهمه وأخوه ثلاث مائة رجل
وأربعة عشر رجلاً ؛ من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً ، من الأوس واحد
وستون رجلاً ، ومن الخزرج مائة وستون رجلاً .

من استشهد من المسلمين يوم بدر

القرشيون من بني عبد المطلب

واستشهد من المسلمين يوم بدر ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من
قريش ؛ ثم من بني المطلب بن عبد مناف : عبيدة بن الحارث بن المطلب

قتله عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، قَطَعَ رَجُلَهُ ، فَمَاتَ بِالصُّفْرَاءِ . رجل .

من بني زُهْرَةَ

ومن بني زُهْرَةَ بْنِ كَلَابٍ : مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، أَعْيَبُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ .
ابن زُهْرَةَ ، وهو أَخُو سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ ؛ وَذُو الشَّامَلِينَ .
ابن عبد عمرو بن نَضْلَةَ ، حَايِفُ لَهْمٍ مِنْ خُرَاعَةَ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي غُبُثَانَ . رجلان .

من بني عَدَى

ومن بني عَدَى بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ ؛ عَاقِلُ بْنُ الْبَكْبَكِيِّ ، حَلِيفُ لَهْمٍ مِنْ
بَنِي سَعْدٍ بْنِ كَيْثٍ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِنَانَةَ ؛ وَمِهْجَعٌ ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ . رجلان .

من بني الحارث بن فهر

ومن بني الحارث بن فهر : صَفْوَانُ بْنُ بَيْضَاءَ رَجُلٌ . ستة نفر .

ومن الأنصار

ومن الأنصار ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ؛ سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ ، وَمُبَشَّرُ
ابْنِ عَبْدِ الْمُنْذَرِ بْنِ زَاهِرٍ . رجلان .

من بني الحارث بن الخزرج

ومن بني الحارث بن الخزرج : يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَهُوَ الَّذِي يُجَالُ لَهُ .
ابن مُنْعَمٍ . رجل .

من بني سلمة

ومن بني سلمة : ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة :
مكير بن الحكم . رجل .

من بني حبيب

ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غنم بن كعب بن غنم : ربيع بن
الشملي . رجل .

من بني النجار

ومن بني النجار : حارثة بن سُرَاقَة بن الحارث . رجل .

من بني غنم

ومن بني غنم بن مالك بن النجار : عوف ومعوذ ، ابنا الحارث بن رفاعه
ابن سواد ، وهما ابنا عقراء . رجلان . ثمانية نفر .

تسحية من شهد بدرًا

قد تقدم التعريف بكثير منهم ، ومن غيرهم ممن جرى ذكره في السيرة
والتنبيه إلى ما تنكشف إليه نفس الطالب من هذا الفن وسائرهم قد نسبته
إلى إسحاق وابن هشام في هذا الباب ، ونسبنا نحن فيما تقدم طائفة لم ينسبهم
إلى إسحاق في هذا الباب ، منهم : أبو الهيثم [مالك] بن التيهان تقدم التعريف
به في بيعة العقبة وأنه من بني إراش في قول ابن إسحاق ، وقال ابن
هشام : إراشة .

في نسخة الشيخ أبي بحر وغيرها من النسخ الصحاح ، وهو وم ، والصواب :
عياضُ بن زُهَيْر ، وليس الوم فيه من ابن إسحاق ، لأنه قد ذكره في المهاجرين
إلى الحبشة ، فقال فيه ابن زهير على الصواب ، وكذلك قال في ابن أخيه عمرو
ابن الحارث بن زهير ، وغنمُ بن زهير والدُ عياض بن غنم صاحب الفتوحات
الذي يقول فيه ابن الرقيات :

وعياضٌ وما عياضُ بن غنم كان من خير من تَجِنُّ النساءُ

والحارثُ بن زهير والدُ عمرو بن الحارث بن زهير ، وقد ذكر ابن إسحاق
عمرو بن الحارث أيضاً ؛ فقال فيه : ابن زهير لا ابن أبي زهير والحمد لله .

وذكر ابن إسحاق في البدرين عاصم بن عدي لم يشهد بها ، لأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم رده من الزوجه لسبب ذكره موسى بن عقبة وغيره ،
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه شيء عن أهل مسجد القنطرة ،
وكان قد استخلفه على قباء والعمالية ، فرده لينظر في ذلك ، وضرب له بسهميه مع
أهل بدر ، وعاصم هو المذكور في حديث اللعان الذي يقول له عويمر
الجلاني وهو عويمر بن أبيهش ، ويقال فيه : ابن أشقر ذسل لي باعاصم عن
ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم ^(١) توفي سنة خمس وأربعين ، وهو ابن
عشرين ومائة بسكنى أبا عمرو ، وقيل : أبا عبد الله .

(١) أخرج حديثه البخاري ومسلم وبقية الجماعة إلا الترمذي وأخرجه أحمد

قصة خوات:

وذكر ابن إسحاق فيمن رده النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر ، وضرب له بسهمه خوات بن جبير ، رده من الصفراء ، وسبب ذلك - فيما ذكر ابن عقبة أن حَجَرًا أصابه في رجله قورقة عليه ، واعتكث ، فردّه النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك ، وهو صاحب خولة ذات النخيين في الجاهلية ، وهي امرأة من بني تميم الله بن ثعلبة بن ع - كآبة بن صاب بن علي بن بكر بن وائل ، ويروي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سأله عنها وتبسم فقال : يا رسول الله قد رزق الله خيرًا ، وأعوذ بالله من الخور بعد الكور^(١) ، وروي أنه قال له : ما فعل بك الشارد ؟ فقال : قيد الإسلام يا رسول الله ، وقيل معنى قوله : بك الشارد : أنه مر في الجاهلية بذيوق أهجه حشمن ، فبالمن أن يفتنان له قيداً لمير له ، زعم أنه شارد ، وجاس إليهن بهذه العلة ، فربه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يتحدث إليهن ، فأعرض عنه وعنهن ، فلما أسلم سأله عن ذلك البعير الشارد ، وهو يتبسم له ، فقال خوات : قيد الإسلام يا رسول الله^(٢) ، قال الواقدي : يكنى أبا صالح ، وروي النعمري

(١) أي من نقصان بعد الزيادة ، وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وقيل : من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم ، وأصله من نقض العمارة بعد لفها .

(٢) رواه البغوي والطبراني من طريق جرير بن حازم عن زيد بن أسلم وفيه يقول خوات: نزلت مع النبي دس ، بم الظهران ، قال : فخرجت من خباي ، فاذا لسوة يتحدثن ، فأعجبني ، فرجعت ، فأخذت حلي ، فلبستها ، وجلست =

في حديث مُسْنَدٍ إِلَى خَوَاتِ أَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، كَتَبَهُ : أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ فِي رَكْبٍ ، فَقَالَ لَهُ الرَّكْبُ غَفْنَا مِنْ شِعْرِ ضَرَّارٍ ، فَقَالَ عُمَرُ : دَعُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَغْنِيْنَا بُنْيَاتٍ ^(١) فَوَادَهُ قَالَ : فَأَنْشِذْهُمْ حَتَّى السَّجَرِ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِرْقِعْ لِسَانَكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقَدْ أَشَجَرْنَا .

نسب النعمان بن عَصَرٍ :

وَذَكَرَ النُّعْمَانُ بْنُ عَصَرٍ ، وَلَمْ يَنْسِبْهُ ، وَهُوَ ابْنُ عَصَرٍ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَذِيمِ الْبَلَوِيِّ ، وَقِيلَ عَصَرُ بْنُ عُثَيْدٍ بْنِ وَائِلَةَ بْنِ حَارِثَةَ الْبَلَوِيِّ ، قَتَلَ بِالْحِمَاةِ .

== إِلَيْنَا ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْتِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ هَبْتُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : جَمَلٌ لِي شَرِدَ ، وَأَنَا لَأُبْتَغِي لَهُ قَيْدًا . . . وَقَوْلُهُ هُنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْنِي أَنَّهُ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ لَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَالنَّحْيُ : زَقَّ لِلْحَمَنِ . وَقَدْ خَرِبَ الْمَثَلُ بِقِصَّةِ خَوَاتِ مَعَ خَوْلِهِ ، فَقِيلَ : أَشْغَلَ مِنْ ذَاتِ النَّحْيِينَ ، وَفِي الْمَثَلِ مَا يُشْهِى مِنْ ذِكْرِهِ هُنَا فَاظْطَرَّ فِي كِتَابِ الْأَمْثَالِ . فِي الْأَمْثَالِ لِلْبَيْدَانِيِّ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : يَا خَوَاتِ كَيْفَ شَرَاكَ ، أَوْ كَيْفَ شَرَاكَ ، وَفِي رِوَايَةِ حَمْزَةٍ : مَا فَعَلَ بِمِيرِكَ ؟ أَيْ شَرِدَ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : أَمَا مِنْذُ أَسْلَمْتُ — أَوْ مِنْذُ قَيْدِهِ الْإِسْلَامَ — فَلَا .

(١) فِي الْإِصَابَةِ : بَيِّنَات . وَحَدِيثُهُ هَذَا ذَكَرَهُ الدَّرَجُاجُ فِي تَارِيخِهِ فَوْفَ شَيْءٍ لَا يَمْتَدُّ بِهِ . وَقَدْ قَصَّ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قِصَّةَ ذَاتِ النَّحْيِينَ عَنْ ابْنِ سَبْرِينَ بِأَسْلُوبِ غَيْرِنَاهُ : كَانَتْ امْرَأَةٌ تَبِيعَ سَمَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ ، فَوَجَدَهَا خَالِيَةً ، فَأَرَادَهَا فَأَبَتْ فَخَرَجَ ، فَتَنَكَّرَ وَرَجَعَ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَمْنٍ طَيِّبٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَحَمَلَتْ زَقًّا فَوَادَهُ ، فَقَالَ : أَرِيدُ أَطِيبَ مِنْهُ ، فَأَمْسَكِيهِ ، وَحَمَلَتْ آخَرَ ، فَقَالَ : أَمْسَكِيهِ ، فَقَدْ أَتَقَلْتُ بِعَيْرِي قَالَتْ : اصْبِرْ حَتَّى أَوْثِقَ الْأَوَّلَ ، قَالَ : لَا ، وَلَا تَرَكْنِي مِنْ يَدِي يَهْرَانِي ، فَأَنَّى أَخَافُ إِلَّا أَجِدَ بِعَيْرِي ، فَأَمْسَكِيهِ بِيَدِي الْآخَرَى ، فَأَنْقَضَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا فَمَعْنَى حَاجَتِهِ ، قَالَتْ لَهُ : لَا يَهْنَاكَ .

نصوب أنساب :

وذكر في نسب زيد بن وديمة جزء بن عدي .

وذكر أبو بجر أنه قيده عن أبي الوليد جزء بسكون الزاي ، وأنه لم يجده عن غيره إلا بكسر الزاي .

وذكر رافع بن عنبدة ، وقال : هي أمه ، ولم يذكر أباه ، واسمه : عبد الحارث ، والعنبدة حب الزبيب ، ويقال : هو الزبيب ، وأما عجم الزبيب ، فهو الفرسيد [أو الفرسيد أو الفرساد] قاله أبو حنيفة .

وذكر كعب بن جهم ، والجهم والزاي ، كما قال ابن هشام ، لا كما قال ابن إسحاق ، فإن أهل النسب على ما قال ابن هشام ، غير أن الدارقطني قيده فيه رواية ثالثة : ابن جهم بنون وحده مكسورة .

وذكر فيهم أبو حمضة ، واسمه : معبد بن عباد : قال أبو عمر : كذا قيده إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ، وغيره يقول فيه عن ابن إسحاق يقول فيه : أبو حمضة بناء منقوطة وصاد مهمل .

وذكر في البلويين أبا عقيل ، ولم يسمه وكان اسمه في الجاهلية عبد المرمى ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن عدو الأوثان ابن عبد الله بن ثعلبة قتل باليمامة .

صاحب الصاع :

وأما أبو عقيل صاحب الصاع الذي أقره المنافقون ، فاسمه حنححات ،

وفيه أنزلت : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وذلك أنه جاء بصاع من تمر فوضعه في القرقعة حين حث النبي - صلى الله عليه وسلم - على النفقة في سبيل الله، فضحك منه المنافقون وقالوا : إن الله لنعني عن صاع أبي عقيل ^(١).

قريبوسه أو قريوش :

وقع في أنساب البذريين ابن قريوش بكسر القاف والشين المنقوطة وقال ابن هشام : قريبوس بالسين المهملة ، كذا قيده أبو الوليد ، وفي أكثر الروايات قريوش بفتح القاف والياء المضمومة المنقوطة بواحدة ، قريوش : فعيول من التقرش ، وهو التكبش ، وبالشين فعيول من القرس ، وهو لمبود ، وقريوش بالشين المنقوطة أصبح فيه لأنه من التقرش وهو التكبش ، كما سُميت قريش به ، قاله قطرب ، ويؤمن لم يشهد بدراً ثمذر ، وهو من النقباء سمع بن عبادة سيد الخزرج لأنه نهشقه حية ، فلم يستطع الخروج ، هذا قول القتيبي ، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ولا ابن عتبة ، وقد ذكره طائفة فيهم : ابن الكلبي وجماعة .

وذكر أبو الضيَّاح واسمه النعمان ، وقيل عُمير بن ثابت بن النعمان ، قتل يوم خيبر .

مبارزة أو جذارة :

وذكر في بني النجار من ينسب إلى جذارة بن الحارث ، وجذارة أخو

(١) حديثه في البخاري ومسلم .

خُدْرَةَ رَهْطِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَغَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ يَقُولُ فِي حَدِيثِهِ خُدْرَةَ
بِالْخَاءِ الْمَضْمُونَةِ ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ ^(١) ، وَكَذَلِكَ قِيْدُهُ الْخُدْرِيُّ ، فَبِمَا خُدْرَةُ
وَحُدَاوَةُ ابْنِ الْحَارِثِ بِالْخَاءِ الْمَنْقُوطَةِ ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، كَذَلِكَ قَالَ
أَبُو عَمْرٍو ، وَقِيْدُهُ الشَّيْخُ أَبُو تَمْرٍ عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ فَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ .
رَجِيْلَةُ لُورَجِيْلَةُ :

وَذَكَرَ رُجَيْلَةَ بِنْتُ نَعْلَبَةَ ، وَقِيْدُ فِي رِوَايَةِ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ رُجَيْلَةَ بِالْخَاءِ
الْمَنْقُوطَةِ ، كَمَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ .

تَصْوِيبُ نَسَبٍ :

وَذَكَرَ فِيهِمْ أَبَا شَيْخٍ بَنٍ ثَابِتٍ ، وَاسْمُهُ : أَبِي وَهُوَ أَخُو حَسَّانَ ، وَقِيلَ
بَلْ هُوَ ابْنُ أَبِي بَنٍ ثَابِتٍ وَحَسَّانُ عَمُّهُ ، وَوَقَعَ فِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَعْرٍ
غَلَطٌ أَصَابَهُ ، وَكَانَ قَبْلَ الْإِصْلَاحِ أَبُو شَيْخٍ أَبِي بَنٍ ثَابِتٍ بَنِ الْمُنْذِرِ .

قَوْلُ الَّذِينَ اسْتَقْرَهُوا فِي بَعْرِ :

فَصَلَ وَذَكَرَ فِيمَنْ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ بَدْرٍ : عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ قَدَرْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، لِأَنَّهُ اسْتَصْفَرَهُ ،
فَبَكَى عُمَيْرٌ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَاءَهُ أَذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ ،
فَقُتِلَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً ، قَتَلَهُ الْعَاصِيُّ بْنُ سَعِيدٍ .

(١) فِي الْإِشْتِقَاقِ ص ٤٥٥ .

وذكر ابن إسحاق حادثة بن سُرَاقَةَ ، فبين قَتْل يوم بدر وهو أول قَتْل من المسلمين في ذلك اليوم ، رماه حَبَّان بن العَرَقَةِ بسهم فأصاب جَنْجَرَتَهُ ، فمات ، وجاءت أمه وهي الربيع بنت النضر عمَّة أنس ، فقالت : يا رسول الله قد علمت موضع حادثة مني فإن يكن في الجنة أصير وأحْدِسب ، وإن يكن غير ذلك ، فستري ما أصنع ، فقال : أَوْجَنَّة واحدة هي ؟ إنما هي جِنَات وإن أبنك منها لبي الفِرْدَوْس^(١) .

وذكر فيهم مُعَمَّر بن الحُمام بن الجُمُوح ، وقد قدمنا ذكره ، وقُتِله خالد ابن الأعلم .

ذو الشمالين وذو اليمين :

وذكر ذا الشمالين الخَزَاعِي القُبَشَانِي حليف بنى زُهْرَةَ ، وهو الذي ذكره الزُهْرِيُّ في حديث التسليم من ركعتين ، قال : فقام ذو الشمالين رجُل من بنى زُهْرَةَ ، فقال : أقصرت الصلاة ، أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَصَدَقَ ذو اليمين ؟ لم يروه أحدنا هكذا بهذا اللفظ ، إلا ابن شِهَاب الزُهْرِيُّ ، وهو غلط عند أهل الحديث ، وإنما هو ذو اليمين الشَّامِيُّ ، واسمه : خِرْبَاق^(٢) وذو الشمالين قَتِل يوم بدر ، وحديث التسليم من

(١) روى حديثه حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس أحد والطبراني ، والله هنا

رواية ثابت .

(٢) في تهذيب الاسماء واللغات للنووي : الخرباق . ويقول أبو ذر الحاشي :

ذو الشمالين رجل من خزاعة من بنى زهرة ، وذو اليمين رجل من بنى سليم .

رَكَعَتَيْنِ ، شَهِدَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَكَانَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ بَدْرٍ بَسْتَيْنِ (١) ، وَبَاتَ
ذُو الْيَدَيْنِ السُّلَمِيُّ فِي خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ ، وَرَوَى عَنْهُ حَدِيثُهُ فِي الْقَسِيمِ ابْنُهُ مُطَيْرُ بْنُ
الْخُرَبَاقِ ، يَرْوِيهِ عَنْ مُطَيْرِ ابْنِهِ شُعَيْثُ بْنُ مُطَيْرٍ .

فَطَا الْمَرْو

وَلَمَّا رَأَى الْمُبَرِّدُ حَدِيثَ الزُّهْرِيِّ : فَقَامَ ذُو الشَّالَيْنِ ، وَفِي آخِرِهِ أَصَدَقُ
ذُو الْيَدَيْنِ ؟ قَالَ : هُوَ ذُو الشَّالَيْنِ وَذُو الْيَدَيْنِ ، كَانَ يُسَمَّى بِهَمَا جَمِيعًا ، وَجَهِلَ
مَا قَالَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسِّيَرِ فِي ذِي الشَّالَيْنِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ رِوَايَةَ إِلَّا الرِّوَايَةَ الَّتِي

(١) يَقُولُ النَّوَوِيُّ : وَوَقَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ إِذَا أَسْلَمَ عَامٌ خَيْرٌ
سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ بَعْدَ بَدْرٍ بِخَمْسِ سِنِينَ ، وَقَالَ : وَقَالَ ابْنُ عِيدٍ الْبَرِّ : وَاتَّفَقُوا عَلَى
أَنَّ الزُّهْرِيَّ غَلِطَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ . قَالَ الْغُلَمَاءُ : وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ لِأَنَّهُ
كَانَ فِي يَدَيْهِ طَوْلٌ . هَذَا وَحَدِيثُ التَّسْلِيمِ مِنْ رَكَعَتَيْنِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
وَالْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ
ثُمَّ سَلَّمَ ، فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضَبَانٌ ،
وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى الْبَصْرِ ، وَخَرَجَتِ الْبُرْعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالُوا :
قَصُرَتِ الصَّلَاةُ ؟ وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَهَابَا أَنْ يَنْكَلِمَاهُ ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ
يَقَالُ لَهُ : ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : أُنْسِيتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ ؟ فَقَالَ : لَمْ
أُنْسَ وَلَمْ تَقْصُرْ ، فَقَالَ : يَا كَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ ، فَتَقَدَّمَ ، فَصَلَّى مَا تَرَكَ
ثُمَّ سَلَّمَ ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سَجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ ، ثُمَّ كَبَّرَ
وَسَجَدَ مِثْلَ سَجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ ، فَرُبَّمَا سَأَلُوهُ ، ثُمَّ سَلَّمَ ،
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رِوَايَةٍ : بَيْنَمَا أَنَا أَصِلُ مَعَ النَّبِيِّ دُحْنًا ، صَلَاةُ الظُّهْرِ سَلَّمَ مِنْ
رَكَعَتَيْنِ . أَحَدٌ وَمُسْلِمٌ . وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ أَنَّ ذَا الْيَدَيْنِ قَالَ : بَلَى قَدْ
نَسِيتُ وَالسَّرْعَانَ بَعْضَ السَّيْنِ وَسَكُونِ الرَّأْيِ أَوْ فَتَحَهَا : أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا وَالْعِشِيِّ :
مَا بَيْنَ الزَّالِ وَالْغُرُوبِ . وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي رِوَايَةٍ : صَلَّى بِنَا الظُّهْرَ أَوْ الْعَصْرَ . وَفِي
مُسْلِمٍ : الْعَصْرُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ . وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ : الظُّهْرُ كَذَلِكَ ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ :
إِحْدَى صَلَاتِي الْعِشِيِّ إِمَّا الظُّهْرَ وَإِمَّا الْعَصْرَ . قَالَ لِحَافِظِ فِي الْفَتْحِ : وَالظَّاهِرُ أَنَّ

ففيها الفلط ، قال ذلك في آخر كتاب الكامل في باب الأذواء يوم بدر .
 ومن البدرين خليفة بن عديّ البياضي أيضاً ، هكذا اسمه عند أهل
 السير ، وسماه ابن إسحاق فقال خليفة بن عديّ بالخاء . ومن شهد بدرأ ، ولم
 يذكره ابن هشام عن البسكني ، وذكره ابن إسحاق في رواية إبراهيم عن سعد
 عنه : عياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن وهيب بن ضبة بن
 الحارث بن فهر وهو من هاجر إلى أرض الحبشة ، وقد ذكره في البدرين
 موسى بن عقبة وخليفة بن خياط وجماعة . ومن ذكر في البدرين ولم
 يذكره ابن إسحاق يزيد بن الأخنس الشدبي ، وابنه معن بن يزيد وأبوه
 الأخنس ، ولا يُعرف من شهد بدرأ ثلاثة أب وابن وجد إلا هؤلاء ،
 وأكثر أهل العلم بالسير لا يصحّ شهودهم بدرأ لكن شهدوا بيعة الرضوان ،
 ويزيد بن الأخنس هذا هو ابن الأخنس بن جناب بن حبيب بن جرّة بضم الجيم بن
 زغب من بني بهثة بن سليم . قال ابن مأكولا^(١) : لا يُعرف جرّة بضم الجيم
 إلا هذا ، ولا جرّة بكسر الجيم إلا السوم بنت عمرو بن جرّة من بني ضمرة .
 أم الشدّاخ واسمه يغمّر بن عوف ، وقد تقدّم ذكره في حديث قُصيّ ولم يُسمّى
 الشدّاخ . ومن ذكره البخاري في البدرين خديم بن فاتك [بن الأخرم]
 وأخوه سيرة الأسديان^(٢) . ومن ذكره البخاري في البدرين من بني سميّة

- (١) هو علي بن عبد الله بن علي بن جعفر ولد سنة ٤٢١ وتوفي سنة ٤٨٦ .
 (٢) فقال بفتح الهمزة وسكون السين ، نسبة إلى الأزد وهي يقال بالسين
 أيضاً ، وقيل بفتح السين نسبة إلى بني أسد بن خزيمة . وقد روى الطبراني أن
 خزيمة وسيرة شهدا بدرا ، واستنكر الواقدي ذلك وقال إنما أسلم خزيمة وأخوه
 بعد الفتح وهو خريم بن فاتك بن الأخرم ويقال : خريم بن الأخرم بن شداد =

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام ، وقال أبو عمر : لا يصح شهوده بذكر ،
وذكر اختلاف الناس في ذلك ، وفي السنن لأبي داود أن جابراً قال : كنت
أُمنع أصحابي النساء يوم بدر ، أي : كان صَغيراً فلم يُنهم له ، وزعم بعضهم
أن هذه الرواية تصحيف ، وأن الصحيح كنتُ مُنهيح أصحابي يوم بدر ،
والمُنهيح ^(١) : السهم ، يريد أنهم كانوا يُرسلونه في حوائجهم ليصغر سنه .
ومن شهد بذكره ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام : طَلَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ^(٢)
مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ قُصَيٍّ ، وأمه أروى عمّة رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

= ابن عمرو بن الفاتك الأسدي . وهو في ترجمة أخيه سبرة يسميه خزيمة
وذكر مرة خطأ : خزيمة .

(١) في القاموس : منيح : فتح بلا نصيب ، وقدح يستطاع تيمنا بفوزه ،
أو قدح له سهم .

(٢) من المهاجرين الأولين ، قتل بأجنادين شهيداً وليس له عقب ، وله
تقول أمه :

إن طلبنا نصر ابن خاله
أساء في ذى دمه وماله

ص ١٩ نسب قریش .

من قتل بيدر من المشركين

من بنى عبد شمس

وقُتل من المشركين يوم بدر من قريش ، ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف : حنظلة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وقتله زيد ابن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابن هشام ، ويقال اشترك فيه حمزة وعلي وزيد ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والحارث بن الخزيمى ، وعاصم بن الخزيمى حليفان لهم قتل عامراً : همأر بن ياسر ؛ وقتل الحارث : النعمان بن عَصْر ، حليفه للأوس ، فيما قال ابن هشام . ومخير بن أبي عمير ، وابنه : موليان لهم . قتل مخير بن أبي عمير : سالم ، مولى أبي حذيفة ؛ فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعبيدة بن سميد (بن) العاص بن أمية بن عبد شمس ، قتله الزبير بن العوام ، والعاص بن سميد بن العاص بن أمية قتله علي بن أبي طالب . وعُتْبة بن أبي مُعيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، أخو بني عمرو بن عوف ، صبراً .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علي بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وعُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله عبيدة ابن الحارث بن المُطَّلَب .

قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وطلح .

قال ابن إسحاق : وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتل حمزة بن عبد المطلب ؛ والوليد بن عتبة بن ربيعة ، قتل علي بن أبي طالب ؛ وعامر بن عبد الله ، حليف لهم من بني عامر بن بغيض ، قتل علي بن أبي طالب .

اثنا عشر رجلا .

من بني نوفل

ومن بني نوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، قتل - فيما يذكرون - خبيب بن إسماعيل ، أخو بني الحارث بن الخزرج ؛ وطبيعة بن ابن عدي بن نوفل ، قتل علي بن أبي طالب ؛ ويقال : حمزة بن عبد المطلب . ورجلان .

من بني أسد

ومن بني أسد بن عبد المطلب بن قصى : زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد .

قال ابن هشام : قتل ثابت بن الجذع ، أخو بني حرام ، فيما قال ابن هشام .

ويقال : اشترك فيه حمزة وطلح بن أبي طالب ونابت .

قال ابن إسحاق : والحارث بن زمعة ، قتل عامر بن عامر - فيما قال ابن هشام - وعقيل بن الأسود بن المطلب ، قتل حمزة وطلح ، اشتركا فيه - فيما

قال ابن هشام - وأبو البختري ، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ،
قتله المجدد بن زياد الهلوي .

قال ابن هشام : أبو البختري : العاص بن هشام .

قال ابن إسحاق : ونوفل بن خويلد بن أسد ، وهو ابن القدوة ، على
خزاعة ، وهو الذي قرن أبا بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله حين أسلما
في حبل ، فكانا يُسميان : القرينين لذلك ، وكان من شياطين قريش - قتله
علي بن أبي طالب . خمسة نفر .

من بني عبد الدار

ومن بني عبد الدار بن قصي : النضر بن الحارث بن كلاب بن علقمة بن
عبد مناف بن عبد الدار ، قتله علي بن أبي طالب صبراً عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالصفراء ، فيما يذكرون .

قال ابن هشام : بالأثيل . قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث :
ابن علقمة بن كلاب بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : وزيد بن مليس ، مولى عمر بن هشام بن عبد مناف
ابن عبد الدار . رجلاً .

قال ابن هشام : قتل زيد بن مليس بلال بن رباح ، مولى أبي بكر ،
وزيد حليف لبني عبد الدار من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال :
قتله المقداد بن عمرو .

من بنى تيم بن مرة

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مرة : محمد بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

قال ابن هشام : قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : عبد الرحمن بن عوف .
قال ابن إسحاق : وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صهيب بن سنان . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مخزوم بن بقطعة بن مرة : أبو جهل بن هشام - واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، فقطع رجله ، وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ، ثم ضربه مموذ ابن عفراء حتى أنبتته ، ثم تركه وبه رمق : ثم دُفِنَ عليه عبد الله بن مسعود واحتز رأسه ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتبس في القتلى - والعاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله عمر بن الخطاب ويزيد بن عبد الله ، حليف لهم من بنى تيم .

قال ابن هشام ثم أحد بنى عمرو بن تيم ، وكان شجاعا ، قتله عمار ابن ياسر .

قال ابن إسحاق : وأبو مسافع الأشعري ، حليف لهم ، قتله أبو دجانة الساعدي - فيما قال ابن هشام - وحرملة بن عمرو ، حليف لهم .

قال ابن هشام :

قتله خارجة بن زيد بن أبي زهير ، أخو بلحارث بن الخزرج ، ويقال :
بل علي بن أبي طالب - فيما قال ابن هشام - وحرمة ، من الأسد .

قال ابن إسحاق : ومسمود بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب
فيما قال ابن هشام - وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة .

قال ابن هشام . قتله حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله علي بن
أبي طالب ، ويقال : قتله عمار بن ياسر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ورقاعة بن أبي رقاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن
نخزوم قتله سعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج ، فيما قال ابن هشام :
والمُنذر بن أبي رقاعة بن عابد ، قتله مَعْن بن عدى بن الجُد بن العجلان
حليف بني عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فيما قال ابن
هشام ، وعبد الله بن المُنذر بن أبي رقاعة بن عابد ، قتله علي بن أبي طالب ،
فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن
مُحمر بن نخزوم .

قال ابن هشام : السائب بن أبي السائب شريك رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ الشَّريك

السائبُ لا يشارى ولا يُمارى، وكان أسلم فحسن إسلامه - فيما بلغنا - والله أعلم.

وذكر ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس : أن السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش، وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين.

قال ابن هشام : وذكر غيرُ ابن إسحاق : أن الذي قتله الزبير بن العوام.

قال ابن إسحاق : والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله حمزة بن عبد المطلب، وحاجبُ بن السائب بن عويمر ابن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم. قال ابن هشام : ويقال : عائذ : ابن عمران بن مخزوم، ويقال : حاجز بن السائب - والذي قتل حاجب بن السائب على بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق : وعويمر بن السائب بن عويمر، قتله الأثمة بن مالك القوقلى مبارزة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : وعمرو بن سُفْيَان، وجابر بن سُفْيَان، حليفان لهم من طي، قتل عمر أيزيد بن رقيش، وقتل جابر أبو بُردة بن نيار، (فما) قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : سبعة عشر رجلا.

من بنى سهم

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لؤي : مُنَبِّه بن الحجاج

ابن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم ، قتله أبو اليسر ، أخو بني سلمة ، وابنه
العاص بن مُنَبِّه بن الحجاج ، قتله علي بن أبي طالب فيما قال ابن هشام : وَنَبِيْهِ
ابن الحجاج بن عامر ، قتله حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبي وقاص اشتركا
فيه ، فيما قال ابن هشام ، وأبو العاص بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم .
قال ابن هشام : قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : النعمان بن مالك القوقلي ،
ويقال : أبو دجانة .

قال ابن إسحاق : وعاصم بن عوف بن ضبيعة بن سعيد بن سعد بن سهم ،
قتله أبو اليسر ، أخو بني سلمة ، فيما قال ابن هشام . خمسة نفر .

من بني جمح

ومن بني مُجَحِّح بن عمرو بن هُصَيِّص بن كَعْب بن اَوْي : أُمَيَّة بن خلف
ابن وهب بن حذافة بن مُجَحِّح ، قتله رجل من الأنصار من بني مازن .
قال ابن هشام : ويقال : بل قتله مُعَاذ بن عَفْرَاء وخارجة بن زيد وخبيب
ابن إساف ، اشتركوا في قتله .

قال ابن إسحاق : وابنه علي بن أُمَيَّة بن خَلَف ، قتله عمار بن ياسر ؛
وأونس بن مِثْر بن لوزان بن سعد بن مُجَحِّح ، قتله علي بن أبي طالب فيما قال
ابن هشام ، ويقال : قتله الحصين بن الحارث بن المطلب وعُثْمَان بن مَظْعُون ،
اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ثلاثة نفر .

من بنى حاصر

ومن بنى حاصر بن لؤى : معاوية بن عامر ، حليف لهم من عبد القيس ، قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : قتله عكاشة بن محصن ، فيما قال ابن هشام . قال ابن إسحاق : ومعه بن وهب ، حليف لهم من بني كلب بن عوف ابن كعب بن عامر بن كيث ، قتل معبدأ خالداً وإياس ابنا البكير ، ويقال : أبو دجانة ، فيما قال ابن هشام . رجلا .

عدهم

قال ابن هشام : فجميع من أحصى لنا من قتلى قریش يوم بدر : خمسون رجلا .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة ، عن أبي عمرو : أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبعين رجلا ، والأمرى كذلك ، وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن المسيب . وفي كتاب الله تبارك وتعالى : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُهْجِبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ﴾ يقول لأصحاب أحد - وكان من استشهد منهم سبعين رجلا - يقول : قد أصبتم يوم بدر مثلي من استشهد منكم يوم أحد ، سبعين قتيلا وسبعين أسيراً . وأشدني أبو زيد الأنصاري لكمب بن مالك :

فأقام بالعطن المعطن منهم سبعون ، عتبة منهم والأشود

قال ابن هشام : يعني قتلى بدر . وهذا البيت في قصيدة له في حديث يوم أحد سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها .

من فات ابن إسحاق ذكرهم

قال ابن هشام : وعن لم يذكر ابن إسحاق من هؤلاء السبعة القتل :

من بني عبد شمس

من بني عبد شمس بن عبد مناف : وهبُ بن الحارث ، من بني أعمار بن
بفيض ، حليف لهم ، وعامرُ بن زيد ، حليف لهم من اليمن رجلان .

من بني أسد

من بني أسد بن عبد العزى : عتبة بن زيد ، حليف لهم من اليمن ، وعمر
مولى لهم رجلان .

من بني عبد الدار

ومن بني عبد الدار بن قصى : نبيه بن زيد بن مليس ، وعبيد بن
سليط ، حليف لهم من قيس . رجلان .

من بني تيم

ومن بني تيم بن مرة : مالكُ بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة بن
عبيد الله بن عثمان أسرفات في الأسارى ، قُتِلَ في القتلى ، ويقال : وعمر
ابن عبد الله بن جذعان . رجلان .

من بني مخزوم

ومن بني مخزوم بن يقظة : حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد

ابن أبي وقاص، وهشام بن أبي حذيفة بن الأُميرة، قتله صُهَيْب بن سنان، وزهيرُ
ابن أبي رِفاعَة، قتله أبو أسيد مالك بن ربيعة، والسائب بن أبي رِفاعَة قتله
عبدُ الرحمن بن عوف، وعائذ بن السائب بن عويمر، أسرهم افتدى فأت
في الطريق من جراحةٍ جرحه إياها حمزةُ بن عبد المطلب، وعُمير حليف لهم
من طَيِّء، وخيار، حليف لهم من القارة سبعة نفر.

من بنى جمع

ومن بنى مُجَمِّع بن عمرو: سَبْرَة بن مالك، حليف لهم. رجل.

من بنى مسهم

ومن بنى سَمُهم بن عمرو: الحارث بن مُنَبِّه بن الحجاج، قتله صُهَيْب بن
سنان، وعامر بن عوف بن ضُبيرة، أخو عاصم بن ضُبيرة، قتله عبد الله
ابن سلمة العَجَلاني، ويقال: أبو دُجانة. رجلان.

ذكر أسرى قريش يوم بدر

من بنى هاشم

قال ابن إسحاق: وأسر من المُشركين من قريش يومَ بدر، من بنى هاشم
ابن عبد مناف: عَقِيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم؛ ونوفل بن
الحارث بن عبد المطلب بن هاشم.

من بنى المطلب

ومن بنى المطلب بن عبد مناف: السائب بن عُبيد بن يزيد بن هاشم بن

المطلب ؛ وُثَّان بن عمرو بن عاتمة بن المطلب . رجلان .

من بني عبد شمس وحلفائهم

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : عمرو بن أبي شُفَيان بن حَرْب بن أمية بن عبد شمس ؛ والحارث بن أبي وجرّة بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، ويقال : ابن أبي وخرّة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن (عبد) شمس ؛ وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس .

ومن حلفائهم أبو ديشة بن أبي عمرو ؛ وعمرو بن الأزرق ، وعقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي . سبعة نفر .

من بني نوفل وحلفائهم

ومن بني نوفل بن عبد مناف : عدى بن الحليار بن عدى بن نوفل ؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخي غزوان بن جابر ، حليف لهم من بني مزن بن منصور ؛ وأبو ثور ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

من بني عبد الدار وحلفائهم

ومن بني عبد الدار بن أمي : أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ؛ والأسود بن عامر ، حليف لهم . ويقولون : نحن بنو الأسود ابن عامر بن عمرو بن الحارث بن السباق . رجلان .

من بني أسد وحلفائهم

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي . السائب بن أبي حبيش بن المطالب بن أسد ؛ والحويث بن عباد بن عثمان بن أسد .
قال ابن هشام : هو الحارث بن عائد بن عثمان بن أسد .
قال ابن إسحاق : وسالم بن شمّاس ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

من بني مخزوم

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة : خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ؛ وأمّية بن أبي حذيفة بن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وصيفي ابن أبي رفاعه بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأبو المنذر بن أبي رفاعه بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ؛ وأبو عطاء عبد الله بن أبي السائب ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد ابن عمر بن مخزوم ؛ وخالد بن الأعم ، حليف لهم ، وهو كان - فيما يذكرون - أول من ولّى فارساً منهمزماً ، وهو الذي يقول :

ولسنا على الأدبار تدمي كلومنا ولسكن على أقدامنا يقطر الدّم
تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويروى : « لسنا على الأغقاب » .
وخالد بن الأعم ، من خزاعة ، ويقال : عُقيلي .

من بنى سهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب :
أبو وداعة بن خبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، كان أول أسير افتدى من
أسرى بدر افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة ؛ وقزوة بن قيس بن عدي بن
حذافة بن سعد بن سهم ، وحَنْظَلَة بن قبيصة بن حذافة بن سعد بن سهم ،
والحجاج بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم . أربعة نفر .

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبدُ الله بن أبي بن
خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ؛ وأبو عزة عمرو بن عبد بن عثمان بن
وُهيب بن حذافة بن جُمَح ، والفاكه ، وولي أمية بن خلف ، ادّعاء بعد ذلك
رباح بن العُتُرف ، وهو يزعم أنه من بنى شَمَاح بن مُحارب بن فهر - ويقال :
إن الفاكه : ابن جَرُول بن حذيم بن عوف بن غَضَب بن شَمَاح بن مُحارب
ابن فهر - ووُهَب بن عُمَيْر بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ،
وربيعة بن دَرَّاج بن العنيس بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جُمَح . خمسة نفر .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لُؤي : سُهَيْل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نَضْر
ابن مالك بن حِسل بن عامر ، أسره مالك بن الدُخْشُم ، أخو بني سالم بن
عَوْف ؛ وعبد بن زَمْعَة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نَضْر بن

مالك بن حِسل بن عامر ، وعبد الرحمن بن مَشْنُوهُ بن وَقْدَان بن قَيْس بن
عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حِسل بن عامر . ثلاثة نفر .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فهر : الطَّائِل بن أَبِي قُنَيْع ، وَعُتْبَةُ بن عمرو بن
جَعْلَم . رجلان .
قال ابن إسحاق : فجميع من حُفِظَ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا .

مافات ابن إسحاق ذكركم

قال ابن هشام : وقع من جملة العدد رجل لم تذكر اسمه .
ومن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى :

من بنى هاشم

من بنى هاشم بن عبد مناف : عتبة ، حليف لهم من بنى قِطْر . رجل .

من بنى المطلب

ومن بنى المطلب بن عبد مناف : عَمِيل بن عمرو ، حليف لهم ، وأخوه تميم
ابن عمرو ، وابنه . ثلاثة نفر .

من بنى عبد شمس

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن أسيد بن أبي العيص ،
وأبو العريض يسار ، مولى العاص بن أمية . رجلان .

من بني نوفل

ومن بني نوفل بن عبد مناف : نَبْهَان ، مولى لهم . رجل .

من بني أسد

ومن بني أسد بن عبد المزی : عبدُ الله بن حميد بن زهير بن الحارث . رجل .

من بني عبد الدار

ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ : عَقِيل ، حليف لهم من اليمن . رجل .

من بني تيم

ومن بني تيم بن مُرّة : مُسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم . رجلان .

من بني نخزوم

ومن بني نخزوم بن يَظْظَة : سَقْفِيسُ بن السائب . رجل .

من بني جمح

ومن بني جمح بن عمرو : عمرو بن أبي بن خلف ، وأبورُهم بن عبد الله ، حليف لهم ، وحليف لهم ذهب عنى اسمه ، وموَلَيان لأُمَيَّة بن خلف ، أحدهما اسطاس ، وأبورافع ، غلام أُمَيَّة بن خلف . ستة نفر .

من بنى سهم

ومن بنى سهم بن عمرو : أسلم ، مولى نبيه الحجاج رجل .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لؤى : حبيب بن جابر ، والسائب بن مالك . رجلان .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فهر : شافع وشافع ، حليفان لهم من أرض الين .
رجلان .

ما قيل من الشعر فى يوم بدر

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم بدر ، وتراد به القوم
بينهم لما كان فيه ، قول حزة بن عبد المطلب رحمه الله :

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضها :

ألم ترَ أمراً كان من عجب الدهر	وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك إلا أن قوماً أفادم	فخانوا تواص بالمعقوق وبالكفر
عشية راووا نحو بدر بجمعهم	فكانوا رهوناً للركية من بدر
وكنّا طلبنا العير لم نبغ غيرها	فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مشنوبة	لنا غير طمن بالثقة الشر

.....

وَصَرَبٌ بِيضٍ يَخْتَلِي الْهَامَ حَدُّهَا مُشَهَّرَةٌ الْأَلْوَانُ بَيِّنَةُ الْأَثَرِ
وَنَحْنُ تَرَكْنَا عُتْبَةَ الْغَنَى ثَاوِيًا وَشَيْبَةَ فِي الْقَتْلِ تَجَرَّ جَمٌّ فِي الْحَفْرِ
وَعَمْرُو ثَوَى فِيمَنْ ثَوَى مِنْ مُحَاتِهِمْ فَشَقَّتْ جُيُوبُ الْغَائِمَاتِ عَلَى عَمْرُو
جُيُوبُ نِسَاءٍ مِنْ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ كَرَامَ تَفَرَّغَ الدَّوَابِّ مِنْ فِهْرِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ قُتِلُوا فِي ضَلَالِهِمْ وَخَلَوْا لَوَاءَ غَيْرِ مُحْتَظَرِ النَّفَرِ
لِوَاءِ ضَلَالٍ قَادَ إِبَائِسُ أَهْلَهُ نَحَاسَ بِهِمْ ، إِنْ الْخَبِيثُ إِلَى غَدْرِ
وَقَالَ لَهُمْ ، إِذْ عَيْنَ الْأَمْرِ وَاضِحًا بَرَرْتُ إِلَيْكُمْ مَا بَى الْيَوْمَ مِنْ صَبْرِ
فَإِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَإِنِّي أَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو قَسْرِ
فَقَدَّمَهُمْ لِلْحَجَّيْنِ حَتَّى تَوَرَّطُوا وَكَانَ بَمَا لَمْ يَخْبِرِ الْقَوْمُ ذَا خُبْرِ
فَكَانُوا غَدَاةَ الْبَيْتِ أَلْقَا وَجَعُنَا ثَلَاثُ مِثْقَلٍ كَالْمُسَدَّمَةِ الزُّهْرِ
وَفِينَا جُنُودَ اللَّهِ حِينَ يُمَدَّنَا بِهِمْ فِي مَقَامٍ نَمُّ مُسْتَوْضَحِ الذِّكْرِ
فَشَدَّ بِهِمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا لَدَى مَأْزِقٍ فِيهِ مَنَابِهُمُ تَجْزَى

فَأَجَابَهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ الْمُفَيْرَةِ ، فَقَالَ :

أَلَا يَا قَوْمِي لِلصَّبَابَةِ وَالْتِهَجْرِ وَلِلدَّمْعِ مِنْ عَيْنِي جَوْدًا كَأَنَّهُ
عَلَى الْبَطْلِ الْخُلُو الشَّمَائِلِ إِذْ ثَوَى رَهْنٍ مَقَامٍ لِلرَّكِيَّةِ مِنْ بَدْرِ
فَلَا تَبْمُدَّنْ يَاعَمْرُو مِنْ ذِي مُرَابَةِ وَمَنْ ذِي نِدَمٍ كَانَ ذَا خُلُقٍ غَمَرِ
فَإِنْ بِكَ قَوْمٌ صَادَفُوا مِنْكَ دَوْلَةً فَلَا بُدَّ لِلْأَيَّامِ مِنْ دُولِ الدَّهْرِ

فقد كنت في صَرف الزمان الذي مضى

تُريهم هَوَانًا منك ذَا سُبُلٍ وَغُرٍ
فَالَا أُمْتُ بَاعَمُرُوا أَرْثُكَ نَارًا
وَأَقَطَعُ ظَهْرًا مِنْ رِجَالٍ بِمَعْشَرٍ
أَغْرَمَ مَا جَمَعُوا مِنْ وَشِيظَةٍ
وَنَحْنُ الصَّمِيمُ فِي النَّبَاتِ مِنْ تَهَرٍ
وَأَلَهَةٍ لَا تَرْكُوهَا لَدَى الْفَخْرِ
تَوَارِنَهَا أَبَاؤُكُمْ وَوَرِثَتُمْ
فَمَا لِحَلِيمٍ قَدْ أَرَادَ هَلَاكَكُمْ
وَجِدُوا لِمَنْ عَادَيْتُمْ وَتَوَازَرُوا
لَقَلَّكُمْ أَنْ تَتَأَرَّوْا بِأَخِيكُمْ
بِمَطَرَاتٍ فِي الْأَكْفِ كَانَهَا
كَانَ مَدَبٌ الذَّرَّ فَوْقَ مُتُونِهَا
إِذَا جُرِدَتْ يَوْمًا لِأَعْدَائِهَا الْخَزَرُ

قال ابن هشام : أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابنُ إسحاق ،
وهما « الفخر » في آخر البيت ، و« فالحلیم » في أول البيت ، لأنه نال فيهما
من النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب في يوم بدر :

قال ابن هشام : ولم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا يقيضها ،
وإنما كتبناها لأنه يقال : إن عمرو بن عبد الله بن جُدعان قُتل يوم بدر ،

ولم يذكره ابن إسحاق في القتلى ، وذكره في هذا الشعر :

ألم تر أن الله أبلى رسوله
بما أنزل الكفار دار مدلة
فأسمى رسول الله قد عز نصره
فجاء بفرقان من الله منزل
فأمن أقوام بذاك وأيقنوا
وأنكر أقوام فزأغت قلوبهم
وأمكن منهم يوم بذر رسوله
بأيديهم بيض خفاف عصوا بها
فكم تركوا من ناشئ ذي حمية
تديت عيون الدائمات عليهم
نوايح تنعى عتبة النوى وابنه
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم
ثوى منهم في بئر بدر عصابة
دعا النوى منهم من دعا فأجابه
فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزل
عن الشغب والعُدوان في أشغل الشغل

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة ، فقال :

عَجِبْتُ لِقَوَامِ تَغْنَى سَفِيهِهِمْ بِأَسْرِ سَفَاهِ ذِي اعْتِرَاضِ وَذِي بُغْلٍ
تَغْنَى بِقَتْلِ يَوْمَ بَدْرٍ تَتَابَعُوا كِرَامَ الْمَسَاهِي مِنْ غُلَامٍ وَمِنْ كَهْلٍ
مَصَالِيَتْ بِيضٍ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَامِ طَاعِيمٍ فِي الْمَحَلِّ
أُصِيبُوا كِرَامًا لَمْ يَبْدِعُوا عَشِيرَةً بِقَوْمِ سِوَاهِمِ نَازِحِي الدَّارِ وَالْأَصْلِ
كَأَصْبَحَتْ غَنَانُ فِكْمِ بَطَانَةٍ لَكُمْ بَدَلًا مِنْهَا فَيَاكَ مِنْ فِعْلِ
عُقُوتًا وَإِنَّمَا بَيْنَنَا وَقَطِيعَةٌ يَرَى جَوْرَكُمْ فِيهَا ذُو الرَأْيِ وَالْعَقْلِ
فَإِنْ بِكَ قَوْمٌ قَدْ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخَيْرُ الْمَنَائِي مَا يَكُونُ مِنَ الْقَتْلِ
فَلَا تَفْرَحُوا أَنْ تَقْتُلُوهُمْ فَقَتْلُهُمْ لَكُمْ كَأَنْ خَبَلًا مُقِيمًا عَلَى خَبْلِ
فَإِنْكُمْ إِنْ تَبَرَحُوا بَعْدَ قَتْلِهِمْ شِدَّتِيَا هَوَا كَمْ غَيْرُ مَجْتَمَعِي الشَّمْلِ
بِقَدِّ ابْنِ جُدْعَانَ الْحَمِيدِ فِعَالُهُ وَعُتْبَةَ وَالْمَذْعُورَ فَيْكُمْ أَمَا جَهْلُ
وَشِدَّتِي فِيهِمْ وَالْوَلِيدِ وَفِيهِمْ أُمِيَّةَ مَأْوَى الْمُغْتَرِبِينَ وَذُو الرَّجْلِ
أُولَئِكَ فَابِكِ ثُمَّ لَا تَبْكِي غَيْرَهُمْ نَوَاحٍ تَدْعُو بِالرِّزْيَةِ وَالشُّكْلِ
وَقُولُوا لِأَهْلِ الْمَسْكَنِينَ تَحَاشَدُوا وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ ذِي النَّخْلِ
جَمِيعًا وَحَاطُوا آلَ كَعْبٍ وَذُبُّوا بِحَالَةِ الْأَلْوَانِ مُحَدَّثَةِ الصَّقْلِ
وَالَا فَبَيْتُوا خَائِنِينَ وَأُصِيبُوا أَذْلَ لَوْطَاءِ الْوَاطِئِينَ مِنَ النَّخْلِ
عَلَى أُنْسَى وَاللَّاتِ يَا نَوْمُ فَاعْلَمُوا بِكُمْ وَاتَّقُوا أَنْ لَا تُقِيمُوا عَلَى تَبْلِ
سِوَى جَمْعِكُمْ لِلْسَّابِغَاتِ وَاللَّقَنَا وَلِلْبَيْضِ وَالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ وَالْقَتْلِ

وقال ضرار بن الخطَّاب بن مرداس، أخو بني محارب بن فهر في يوم بدر:

عَجِبْتُ لَفَخْرِ الْأَوْسِ وَالْحُلَيْنِ دَائِرَ عَلَيْهِمُ غَدَاً وَاللَّهْرُ فِيهِ بَصَائِرُ
وَفَخْرُ بَنِي النَّجَّارِ وَإِنْ كَانَ مُمَشَّرُ أَصِيبُوا يَبْذُرُ كُلَّهُمْ نَمَّ صَابِرُ
فَإِنْ تَكُ قَتْلُ غُودِرَتْ مِنْ رَجَالِنَا فَإِنَّا رَجَالٌ بِمَدْمِ سَنُقَادِرُ
وَتَرَدِّي بِنَا الْجُرُودِ الْمُنَاجِبِجُ وَسَطَكُمْ

بَنِي الْأَوْسِ حَتَّى يَشْفَى النَّفْسَ نَائِرُ
وَوَسْطَ بَنِي النَّجَّارِ سَوْفَ نَكْرَهَا لَهَا بِالْقَنَا وَالْدَارِعِينَ زَوَاغِرُ
فَنَتْرَكُ صَرْعَى تَعَصِبُ الطَّيْرِ حَوْلَهُمْ وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْأَمَانِيُّ نَاصِرُ
وَتَبْكِيهِمْ مِنْ أَهْلِ يَنْزِبَ نِسْوَةً لَمْ يَهَأْ لَيْلٌ عَنِ النَّوْمِ سَاهِرُ
وَذَلِكَ أَنَا لَا تَزَالُ سَيُوفُنَا بَيْنَ دَمٍّ مِمَّنْ يَحَارِبُنْ مَائِرُ
فَإِنْ تَظْفَرُوا فِي يَوْمٍ يَبْذُرُ فَإِنَّمَا بِأَحَدٍ أَمْسَى جَدُّكُمْ وَهُوَ ظَاهِرُ
وَبِالْغَفْرِ الْأَخْيَارِ مِمْ أَوْلِيَاؤُهُ يُحَامُونَ فِي الْأَوَاءِ وَالْمَوْتُ حَاضِرُ
يُمَدُّ أَبُو بَكْرٍ وَحِزَّةٌ فِيهِمْ وَيُدْعَى عَلَى وَسْطِ مَنْ أَنْتَ ذَا كَرُ
وَيُدْعَى أَبُو حَقِصٍ وَعُمَانُ مِنْهُمْ وَسَعْدٌ إِذَا مَا كَانَ فِي الْحَرْبِ حَاضِرُ
أَوَانِكَ لَا مَنَ تَنْجَتْ فِي دِيَارِهَا بَنُو الْأَوْسِ وَالنَّجَّارِ حِينَ نَفَاخِرُ
وَلَسَكُنْ أَبُومَ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ إِذَا مَدَّتْ الْأَنْسَابُ كَتَمَ وَعَايِرُ
مِ الطَّاعِنُونَ الْخَلِيلَ فِي كُلِّ مَمَرَكُ غَدَاةَ الْمِيَاكِ الْأَطْيَبُونَ الْأَكَاوِرُ

فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ، فَقَالَ :

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهِ قَادِرٌ عَلَى مَا أَرَادَ ، لَيْسَ اللَّهُ قَاهِرُ

قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نَلَاقِيَ مَعْشَرًا بَقَوْا وَسَبِيلَ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ
وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مِنْ بَلِيهِمْ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَجْتَمِعَ مُتَحَاوِرُونَ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تُحَاوِلْ غَيْرَنَا بِأَجْمَعِهَا كَعَبٌ جَمِيعًا وَعَامِرُ
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ لَهُ مَقِيلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ تَحْتَ لَوَائِهِ يُنَمِّشُونَ فِي الْمَادِي وَالنَّقْعُ مُنِيرُ
فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ وَكُلٌّ مُجَاهِدُ لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبِيلُ النَّفْسِ صَاحِرُ
شَهِدْنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَارِبٌ غَيْرُهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرُ
وَقَدْ عُرِّتَ بِيضٌ خِفَافٌ كَأَنَّهَا مَقَابِيِسُ يُزْهِيهَا لَعِينُكَ شَاهِرُ
بَيْنَ أَبْدَانَا جَمْعَهُمْ فَتَبَدَّدُوا وَكَانَ يُلَاقِي الْحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرُ
فَكَبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيحًا لَوَجْهِهِ وَعَتَبَهُ قَدْ غَادَرَنَّهُ وَهُوَ عَائِرُ
وَشَيْبَةُ وَالتَّمِيمِيُّ غَادَرْنَ فِي الْوَغَى وَمِنْهُمْ إِلَّا بَذَى الْعَرْشِ كَافِرُ
فَأَمْسَوْا وَقُودَ النَّارِ فِي مُسْتَقَرِّهَا وَكُلَّ كُفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَاحِرُ
تَلَطَّى عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَدْ شَبَّ تَحْمِيلُهَا بِزُبُرِ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرُ
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا قَوْلُوا وَقَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرُ
لَأْمُرٍ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَُوا بِهِ وَلَيْسَ لِأَمْرِ تَحْمِيهِ اللَّهُ زَاجِرُ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الرَّسْمِيُّ يَبْكِي قَتْلَى بَدْرٍ :

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَتُرْوَى لِلْأَعَشِيِّ بْنِ زُرَّارَةَ بْنِ النَّبَّاشِ ، أَحَدِ بَنِي أَسِيدِ

ابْنِ مَرْوَانَ بْنِ تَمِيمٍ ، حَلِيفَ بَنِي نَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ .

قال ابن إسحاق : حليفُ بني عبد الدار :

ماذا على بدْرٍ وماذا حَوْلَه من فِثْمَةٍ يبيض الوجوه كِرَامِـ
تركوا نُبِيَّها خَلْفَهُمْ وَمُنَبَّها وابنِ ربيعة خَيْرَ خَصْمِـ فِثَامِـ
والحارثَ الفَيَّاضَ يَبْرِقُ وَجْهَه كالبدْرِ جَلَى لَيْلَةٍ الإِظْلَامِـ
والعاصيَ بنَ مُنَبِّهٍ ذا مِرَّةٍ رُمُحاً تَمِيحُها غَيْرَ ذِي أَوْصَامِـ
تَنمى به أَعْرَاقُه وَجُـدُودُه ومآثرُ الأَخْوالِ والأَنْعَامِـ
وإذا بَكَى بَاكٍ فَأَعْوَلَ شَجْوَه فقلَى الرئِيسَ المَاجِدِ ابنَ هِشَامِـ
حيًّا الإِلَهَ أبا الوليدِ وَرَحْمَـطَـه رَبُّ الأَنامِ ، وَخَصَّـمُ بَـسْـلامِـ

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري ، فقال :

ابنك بَكَتَ عَيْنُكَ نَمَ تَبَادَرَتْ بَدَمَ تُقَلِّ غُرُوبُها سَجَامِـ
ماذا بَكَيتَ به الدِّينَ تَتَابِعُوا هَلَا ذَكَرْتَ مَكَارِمَ الأَقْوامِـ
وذكرتَ مِنَّا ما جَدَأَ ذا هِمَّةٍ سَمِعَ الخَلِيقَ صادِقَ الإِقْدَامِـ
أَعْنَى النَبِيِّ أَخَا السَّكَّارِ والنَّدَى وأَبْرَأَ مِنْ يُولَى عِلى الإِنْسَامِـ
فَلَمَّـسْـلَه وَلَمَّـسْـلَ ما يَدْعُو لَه كان المَدْحَ نَمَّ غَيْرَ كَهَامِـ

شعر لحسان في بدر أيضا

وقال حسان بن ثابت الأنصاري أيضا :

تَبَلَّتْ فَوادِـكَ في القَتامِ خَرَبِدَةٌ تَشْفِي الضَّجِيعَ بِيَّارِدِ بَسَامِـ

كَالْمِسْكِ تَخْلُطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ
 تُفْجِعُ الْخَمِيصَةَ بُيُوتُهَا مُتَضَدَّةً
 بُنِيتْ عَلَى قَطَنِ أَجَمٍّ كَأَنَّهُ
 وَتَكَادُ تَكْسِلُ أَنْ تَحْيَ فِرَاشَهَا
 أَمَّا النَّهَارُ فَلَا أَفْئَرَّ ذِكْرَهَا
 أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَنْزَلْتُ ذِكْرَهَا
 يَا مَنْ لِمَا ذَلَّ تَلُومُ سَفَاهَةٍ
 بَكَرْتُ عَلَى بَسْخَرَةٍ بَعْدَ الْبَكْرِ
 زَعَمْتُ بَانَ الْمَرْءُ بِكَرْبٍ عُمَرَهُ
 إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي
 تَرَكَ الْأَحْبَةَ أَنْ يُقَاتَلَ دُونَهُمْ
 تَذَرُ الْعَنَاجِيحَ الْجِيَادَ بِقَفَرَةٍ
 مَلَأْتُ بِهِ الْفَرَجَيْنِ فَارْمَدْتُ بِهِ
 وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَمْرِكَ
 طَحَنَتْهُمْ، وَاللَّهُ يُهْزِلُ أَمْرَهُ،
 لَوْلَا الْإِلَهِ وَجَزِيُّهَا لَتَزَكَّهَ
 مَنْ بَيْنَ مَأْسُورٍ بِشَدٍّ وَنَاقَةٍ
 وَمَجْدَلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَاغُوَةٍ
 بِالْعَارِ وَالذِّلِّ الْمُبِينِ إِذْ رَأَى
 أَوْ عَاتَقَ كَدِمَ الذَّبِيحِ مُدَامَ
 بَلْمَاءٍ غَيْرُ وَشِيكَةِ الْأَقْسَامِ
 فَضْلًا إِذَا قَمَدَتْ مَدَاكُ رُخَامِ
 فِي جِسْمِ خَرَّابَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ
 وَاللَّيْلِ تُوزِعُنِي بِهَا أَحْلَامِي
 حَتَّى تُغَيِّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي
 وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الْهَوَى لُؤَامِي
 وَتَقَارُبٍ مِنْ حَادِثِ الْأَيَّامِ
 عَدَمٌ لِمُتَكَبِّرٍ مِنَ الْأَصْرَامِ
 فَجَعَلَتْ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
 وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَجِلَامِ
 مَرَّةَ الدَّمُوكِ بِمُخَصِّدٍ وَرِجَامِ
 وَتَوَى أَحَبَّتُهُ بَشَرَةً مَقَامِ
 نَمَرَ الْإِلَهِ بِهِ ذَوَى الْإِسْلَامِ
 حَرْبٌ بُشِبُ سَعِيرُهَا بِضَرَامِ
 جَزَرَ السَّبَاعِ وَدُسْنُهُ بِحَوَامِ
 صَقِيرٍ إِذَا لَاقَى الْأَصِنَّةَ حَامِ
 حَتَّى تَزُولَ شِوَامُخُ الْأَغْلَامِ
 بِيضَ الشُّيُوفِ تَسُوقِي كُلَّ هَمَامِ

يَبْدِي أَغْرًا إِذَا اتَمَّى لَمْ يُغْزِهِ نَسَبُ الْقِصَارِ سَمِيدَعٍ مَقْدَامِ
بِضْرٍ إِذَا لَاقَتْ حَدِيدًا صَمَمَتْ كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَالِ كُلِّ غَمَامِ

شعر الحارث في الرد علي حسان

فأجابه الحارث بن هشام ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

اللَّهُ أَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ فِتَالَهُمْ حَتَّى حَبَوْا مُهْرِي بِأَشَقَرِ مُزِيدِ
وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنِ افْتُلْتُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَنْكِى عَدُوْمِي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَخِيَّةُ فِيهِمْ طَعْمًا لَهُمْ بِقَطَابِ يَوْمِ مَقِيدِ

قال ابن إسحاق : قالها الحارث يعتذر من فراره يوم بدر .

قال ابن هشام : تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها ، لأنه أقذع فيها .

شعر لحسان فيها أيضا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت :

لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشَ يَوْمَ بَدْرٍ غَدَاةَ الْأَسْرِ وَالْأَقْتَلِ الشَّدِيدِ
بَانًا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي مُحَامَةَ الْحَرْبِ يَوْمَ أَبِي الْوَلِيدِ
قَتَلْنَا ابْنَتِي رُبَيْعَةَ يَوْمَ سَارَا إِلَيْنَا فِي مَضَاعِفَةِ الْحَدِيدِ
وَفَرَّ بِهَا حَكِيمٌ يَوْمَ جَالَتْ بَنُو النَّجَارِ تَنْخَطِرُ كَالْأَسُودِ
وَوَلَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ جُمُوعٌ فَهَرَّ وَأَسْلَمَهَا الْخَوَارِثُ مِنْ بَعِيدِ

لقد لا قَيتُم ذُلًا وقَتلاً جَبِيزاً نافذاً تحت الوَرِيدِ
وكلُّ القَوْمِ قَدْ وَلُوا جَمِيعاً ولم يَلُفُوا على الحَسْبِ التَّايِدِ
وقال حسان بن ثابت أيضاً :

يا حار قد عَوَلْتَ غير مُموَّلٍ عند الهِياجِ وساعةِ الأَخسابِ
إذ تَمْتَطِي سُرُوحَ اليَدِينِ نَجِيبَةً مَرُطَى الجِراءِ طَوِيلَةَ الأَقْرَابِ
والقَوْمُ خَلَفَكَ قد تَرَكْتَ قَتْلَهُمَ تَرْجُو النِّجَاءَ وليس حينَ ذَهَابِ
الْأَعْظَمَتِ على ابنِ أُمِّكَ إِذْ تَوَيَّ قَعَصَ الأُسْنَةِ ضَائِعِ الأَسْلَابِ
عَجَلَ المَلِكُ لَهْ فَأَهْلَكَ جَمْعَهُ بِشَارٍ مُخْزِيَةٍ وَسُوءِ عَذَابِ
قال ابن هشام : رَكَنَّا مِنْهَا يَتًّا واحداً أَفْذَعَ فِيهِ .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قال ابن هشام : يقول قال : بل قالما عبد الله بن الحارث الصَّهْمِيُّ :

مُسْتَشْعِرِي خَلْقِ المَآذِي بِقَدُمِهِمُ جَلَدُ الذَّجِيرَةِ ماضٍ غَيْرُ رِعْدِيدِ
أَعْنَى رَسولَ اللَّهِ الخَلْقَ فَضَّلَهُ على البَرِيَّةِ بِالتَّقْوَى وبِالْجُودِ
وقد زَعَمَ أَنَّ تَحَمُّوا ذِمَّتَنا وَمَا بَدَّرَ زَعَمَ غَيْرُ مَوْرُودِ
ثُمَّ وَرَدْنَا وَلَمْ نَسْمَعْ أَقْوَالَكُمْ حَتَّى شَرَبْنَا رِواءَ غَيْرِ تَصْرِيدِ
مُسْتَعْمِلِينَ بِمَحَبَلٍ غَيْرِ مُنْجِزِمْ مُسْتَعْمِلِينَ مِنْ عِبَالِ اللَّهِ مَمْدُودِ
فِينَا الرِّسُولُ وَفِينَا الخَلْقُ نَتَّبِعُهُ حَتَّى المَمَاتِ وَتَصْرُغُ غَيْرُ مُخْذُودِ

وافٍ وماضٍ شهابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ بَذَرْتُ أُنَارَ عَلَى كُلِّ الْأُمَامِ جِيدِ

قال ابن هشام : بيتنا : « مُسْتَعَصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِذٍ » عن أبي زيد الأنصاري

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

خَابَتْ بَنُو أَسَدٍ وَأَبَا غَزِيْهِمْ	يَوْمَ الْقَلْبِ بِسَوْءٍ وَفُضُوْحٍ
مِنْهُمْ أَبُو الْعَاصِي تَجَدَّلَ مُتَقَصِّصًا	عَنْ ظَهْرِ صَادِقَةِ الدَّجَاءِ سَبُوحٍ
حَيْنًا لَهُ مِنْ مَانِعٍ بِسِلَاحِهِ	لَمَّا نَوَى بِمَقَامِهِ الْمَذْبُوحِ
وَالرَّهْ زَمْعُهُ قَدْ تَرَكْنَ وَنَحْرُهُ	يَدْمَى بِعَانِدٍ مُتَمَطِّلٍ مَسْتَفْجِحِ
مُتَوَسِّدًا حُرَّ الْجَبِينِ مُعَقَّرًا	قَدْ عُرِّ مَارِنٍ أَنْفِهِ بِقَبُوحِ
وَنَجَابِ بْنِ قَيْسٍ فِي بَقِيَّةِ رَهْطِهِ	بَشَفَا الرَّمَاقِ مُوَالِيَا بِمَجْرُوحِ

وقال حسان بن ثابت أيضا :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ آتَى أَهْلَ مَكَّةَ	إِبَارَتُنَا السَّكْمَارِ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ
قَتَلْنَا سَرَاةَ الْقَوْمِ عِنْدَ بَحَالِنَا	فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ
قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ قَيْلِهِ	وَشَيْئَةَ يَكْبُو لِلْيَدَيْنِ وَاللَّنَجْرِ
قَتَلْنَا سُؤْيِدًا ثُمَّ عُتْبَةَ بَعْدَهُ	وَطُعْنِمَةَ أَيْضًا عِنْدَ ثَاوِرَةِ الْقَمَرِ
فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرَزَّإٍ	لَهُ حَسَبٌ فِي قَوْمِهِ نَابِهَ الذِّكْرِ
تَرْكُلَامُ لَلْعَاوِيَاتِ يَلْبَنَنْهُمْ	وَيَصْلَوْنَ نَارًا بَعْدُ حَامِيَةَ الْقَمَرِ
لَقَمْرِكَ مَا حَامَتْ فَوَارِسُ مَالِكٍ	وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ التَّقَيْنَا عَلَى بَذَرِ

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته :

قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ قَبْلَهُ وَشَيْبَةَ يَكْبُرُ لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّحْرِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

نَجَّى حَكِيمًا يَوْمَ بَذَرَ شَدُّهُ كَنَجَاءِ مُهْرٍ مِنْ بَنَاتِ الْأَعْوَجِ
لَمَّا رَأَى بَذْرًا حَسِيلُ جِلَاحِهِ بِكَتِيبَةِ خَضِرَاءٍ مِنْ بَلْخَزْرَجِ
لَا يَنْكُلُونَ إِذَا لَقُوا أَعْدَاءَهُمْ يَمْشُونَ عَائِدَةَ الطَّرِيقِ الْمَنْهَجِ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ مَا جِدَّ ذِي مَنَعَةٍ بَطَلَ بِمَهْلَكَةِ الْجَبَانِ الْمُخْرَجِ
وَمُسَوِّدٍ يُغَطِّي الْجَزِيلَ بِكُفِّهِ حَمَّالِ أَثْقَالِ الْهَيَاتِ مُتَوَجِّعِ
زَيْنِ النَّدَى مُعَاوِدٍ يَوْمَ الرَّغَى ضَرْبِ السَّكَمِ بِكُلِّ أَبِيضٍ سَاجِعِ

قال ابن هشام : قوله سَاجِعٍ ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان أيضا :

فَمَا نَحْشَى بِحَوْلِ اللَّهِ قَوْمًا وَإِنْ كَثُرُوا وَأَجَمَتِ الزُّحُوفُ
إِذَا مَا أَلْبُوا جَمْعًا عَلَيْنَا كَفَانَا حَدَّ مِ رَبِّ رَهَوفِ
سَمَوْنَا يَوْمَ بَذَرَ بِالْعَوَالِي سِرَاعًا مَا نُضْمِعُهَا الْخُتُوفِ
فَلَمْ تَرِ عُصْبَةً فِي النَّاسِ أَنْسَى لِمَنْ عَادُوا إِذَا أَقْبَحَتْ كَشُوفِ
وَلَكِنَّا نَوَكَّلْنَا وَقُلْنَا مَا نَتْرُكُهَا وَمَقَعْنَا الشُّبُوفِ
أَقْبَيْنَاهُمْ بِهَا أَمَّا سَمَوْنَا وَنَحْنُ عِصَابَةٌ وَهُمْ أُلُوفِ

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يهجو بني جحجح ومن أصيب منهم :
 جَحَجَتْ بَنُو جُجْجَحٍ لَشِمَّةً جَدَّاهُمْ إِنَّ الدَّائِلَ مُوَكَّلٌ بِذَائِلِ
 قَتَلَتْ بَنُو جُجْجَحٍ بَيْدَرُ عَتُوءَهُ وَتَعَاذَكُوا سَفِيًّا بِكُلِّ سَبِيلِ
 جَعَدُوا الْكِتَابَ وَكَذَّبُوا بِحَمْدِ وَاللَّهِ يُظْهِرُ دِينَ كُلِّ رَسُولِ
 لَقِنَ الْإِلَهُ أبا خَزِيمَةَ وَابْنَهُ وَالْخَالِدَيْنِ ، وَصَاعِدَ بْنَ عَقِيلِ

شعر عبيدة بن الحارث في قطع رجله

قال ابن إسحاق : وقال عبيدة بن الحارث بن المطلب في يوم بدر ، وفي
 قطع رجله حين أصيب ، في مبارزته هو وحزبه وعلى حين بارزوا عدوهم . قال
 ابن هشام ، وبعض أهل العلم بالشعر ينسبونها لعبيدة :

سَدَّ بُلُغُ عَمَّا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَمَّةُ	يَهْبُ لَهَا مَنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ نَائِيَا
بِعُقْبَةِ إِذْ وَلَّى وَشَيْبَةَ بَعْدَهُ	وَمَا كَانَ فِيهَا بِكَرُ عُقْبَةَ رَاضِيَا
فَإِنْ تَقَطَّعُوا رِجْلِي فَإِنِّي مُسْلِمٌ	أُرْجَى بِهَا عَيْشًا مِنَ اللَّهِ دَانِيَا
مَعَ الْخُورِ أَمْنَالِ التَّمَائِلِ أُخْلِصَتْ	مَعَ الْجَنَّةِ الْعُلَمِيَا لِمَنْ كَانَ عَلِيَا
وَبِفَتْ بِهَا عَيْشًا تَمَرَّقْتُ صَفْوَهُ	وَعَالَجَتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الْأَدَانِيَا
فَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلٍ مَنَّهُ	بَثُوبٍ مِنَ الْإِسْلَامِ غَطَّى الْمَسَاوِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهًا إِلَيَّ قِتَالُهُمْ	غَدَاةَ دَعَا الْأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا
وَلَمْ يَبْغِ إِذْ سَأَلُوا النَّبِيَّ سِوَاءَنَا	ثَلَاثَتُنَا حَتَّى حَضَرْنَا النَّسَادِيَا
أَقِيْنَاهُمْ كَالْأَسَدِ تَخْطِرُ بِأَلْقَانَا	نُقَاتِلُ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا

فَبَا بَرَحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا تَلَاثَتْنَا حَتَّى أَزِيرُوا التَّنَائِيَا
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : لَمَّا أَصِيبَتْ رَجُلٌ عُيَيْدَةُ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَدْرَكَ أَبُو طَالِبٍ
 هَذَا الْيَوْمَ لَعَلَّمَنِي أَحَقُّ مِنْهُ بِمَا قَالَ حِينَ يَقُولُ :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدٌ وَلَمَّا نَطَاعَنَ دُونَهُ وَنُضَاضِلِ
 وَنُسَلِّهِ حَتَّى نُصْرَعَ حَوَلَهُ وَنَذْهَلَ عَنِ أَبْنَائِنَا وَالْخَلَائِلِ
 وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي قَصِيدَةِ لَأَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا فِيهَا مَعْنَى مِنْ هَذَا
 الْكِتَابِ .

رثاء كعب لعبيدة بن الحارث

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا هَلَكَ عُيَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ مُصَابٍ رَجُلَةً يَوْمَ بَدْرٍ ،
 قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ يَبْكِيهِ :

أَيَا عَيْنٍ جُودِي وَلَا تَنْخَلِي بِدِفْعِكَ حَقًّا وَلَا تَنْزُرِي
 عَلَى سَيِّدِ هَدَنَّا هَذَا كَرِيمَ الْمَشَاهِدِ وَالْمُنْعَمِ
 جَرِيءِ الْقَدَمِ شَاكِي السَّلَاحِ كَرِيمِ النَّثَا طَيِّبِ التَّكْرِيرِ
 عُيَيْدَةُ أَمْسَى وَلَا تَرْجِيهِ لُفْرِ عَرَانَا وَلَا مُتَّكِرِ
 وَقَدْ كَانَ يَنْحُمِي غَدَاةَ الْقِتَالِ لِحَامِيَةِ الْجَنْشِ بِالْبَيْتِ

شعر لكعب في بدر

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَيْضًا ، فِي يَوْمِ بَدْرٍ :

ألا هل أتى غسان في نأى دارها وأخبرُ شئراً بالأُمور عليمها
 بأن قد رَمَقْنَا عن قِيسٍ عداوةً مَسَدَ مَعَا جُهَّالِهَا وحَايِمِهَا
 لأنَّا عَبَدْنَا اللهَ لم نَرْجُ غيرَه رَجَاءَ الْيَحْيَانِ إِذْ أَنَا نَا زَعِيمِهَا
 نبيّ له في قَوْمِهِ إِزْثُ عِزَّةٍ وَأَعْرَاقُ صَدَقٍ هَذَبَتْهَا أُرُومِهَا
 فَسَارُوا وَبِزْنَانَا فَالْتَقَيْنَا كَأَنَّا أُسُودَ لِقَاءٍ لَا يَرْحَى كَلِيمِهَا
 ضَرَبْنَاهُمْ حَتَّى هَوَى فِي مَكْرَتِنَا لَمَنْخَرٍ سَوْدٍ مِنْ لُؤْمَى عَظِيمِهَا
 فَوَلَّوْا وَدُسْنَاهُمْ بَيِضُ صَوَارِمٍ سَوَالٍ عَلَيْنَا حِلْفُهَا وَصَمِيمِهَا

وقال كعب بن مالك أيضا :

لَقَمَرُ أَبِيكُمْ يَا بَنِي لُؤْمَى عَلَى زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وَانْقِصَاءِ
 أَمَّا حَامَتُ فَوَارِسُكُمْ بَيِّدِرٍ وَلَا صَبْرُوا بِهِ عِنْدَ الْإِقَاءِ
 وَرَدْنَاهُ بَنُورَ اللَّهِ يَجْلُو دُجَى الظُّلُمَاءِ غَنَّا وَالْعِطَاءِ
 رَسُولُ اللَّهِ يَتَسَدُّنَا بِأَمْرٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَحْكَمَ بِالْقَضَاءِ
 فَمَا ظَفَرَتْ فَوَارِسُكُمْ بَيِّدِرٍ وَمَا رَجَعُوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاهِ
 فَلَا تَفْجَلُ أَبَا سُفْيَانَ نَوَارِقُ جِيَادِ الْخَلِيلِ تَطَانِعُ مِنْ كَدَا
 بِقَصْرِ اللَّهِ رُوحُ الْقُدُسِ فِيهَا وَمِيكَالٌ ، فَيَا طَيْبَ اللَّيَالِ

شعر طالب في مدح الرسول وبكاء أصحاب القلب

وقال طالب بن أبي طالب ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكي
 أصحاب القلب من قُرَيْشِ يوم بدر :

أَلَا إِنَّ غِيِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْبًا تُبَكِّي عَلَى كَعْبٍ وَمَا إِنْ تَرَى كَعْبًا
 أَلَا إِنَّ كَعْبًا فِي الْحُرُوبِ تَحَاذَلُوا وَأَيُّ دَاهٍ ذَا الدَّهْرِ وَاجْتَرَحُوا ذُنُوبًا
 وَعَامِرٌ تَبْكِي لِلْمَلَأَاتِ غُدُوءَ فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى لَهَا قُرْبًا
 هَا أَخَوَايَ لَنْ يُمَدَّدَا إِمِّيَّةً تُقَدُّ وَلَنْ يُنْتَامَ جَارُهَا غَضْبًا
 فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلَا فِدَا لَكُمَا لَا تَبْغِيَا بَيْنَنَا حَرْبًا
 وَلَا تُضَيِّجُوا مَنْ بَعْدُودٍ وَالْفَةِ أَحَادِيثَ فِيهَا كُلُّكُمْ يَشْكِي النَّكْبَا
 أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ وَجَيْشٍ أَيْ يَكْسُومُ إِذْ مَلَّثُوا الشُّعْبَا
 فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ لَا ضَبْحُكُمْ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبًا
 فَمَا إِنْ جَنِينَا فِي أَقْرَبِ عَظِيمَةٍ سِوَى أَنْ تَحْمِيْنَا خَيْرَ مَنْ وَطَىءَ الْقُرْبَا
 أَخَا ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ مُرَّرًا كَرِيمًا تَسَاءُ لَا بَخِيلًا وَلَا ذَرْبًا
 يُطِيفُ بِهِ الْعَافُونَ يَمْشُونَ بَابَهُ يَوْثُمُونَ بِحَرًّا لَا تَزُورُوا وَلَا صَرْبًا
 فَوَاللَّهِ لَا تَنْفَكْ نَفْسِي حَزِينَةً

تَحْمَلُ حَتَّى تَصْدُقُوا الْخَرْجَ الْفَرْبَا

شعر ضرار في رثاء أبي جهل

وقل ضرار بن الخطَّاب الفهري ، يرثي أبا جهل :

أَلَا مَنْ لَمِينٍ بَانَتِ اللَّيْلُ لَمْ تَنْمِ تُرَاقِبُ تَجَمَّانَ فِي سَوَادٍ مِنَ الظُّلَمِ
 كَانَ قَذَى فِيهَا وَلَيْسَ بِهَا قَذَى سِوَى غَبْرَةٍ مِنْ جَائِلِ الدَّمْعِ تَنْسَجِمِ
 قَبْلَ أَنْ قُرَيْشًا أَنْ خَيْرَ نَدْبِهَا وَأَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي بِسَاقٍ عَلَى قَدَمِ

تَوَى يَوْمَ بَدْرٍ رَهْنُ خَوَصَاءِ رَهْنِهَا كَرِيمُ السَّاعِي غَيْرُ وَغْدٍ وَلَا بَرَمِ
قَالَتْ لَا تَنْفِكَ عَيْنِي بَعْدَ بَعْدِ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ رُئُوسِ أَبِي الْحَكَمِ
عَلَى هَالِكٍ أَشْجَى لَوْيَ بْنِ غَالِبِ أَمْتَهُ الْمَنَايَا يَوْمَ بَدْرٍ فَلَمْ يَرِمِ
تَرَى كِسْرَ الْخَطَطَى فِي تَحْزِينِ مُهْرِهِ لَدَى بَائِنٍ مِنْ لَحْمِهِ يَبْنِيهَا خِذَمِ
وَمَا كَانَ لَيْثٌ سَاكِنٌ بِطَنْ بَيْشَةٍ لَدَى غَلَلٍ يَجْزَى بِبَطْنِهَا فِي أَجَمِ
بَاحِرًا مِنْهُ حِينَ تَخْتَلِفُ الْقَنَا وَتُدْعَى نَزَالٍ فِي الْقَمَاقِمِ الْبُهَمِ
فَلَا تَجْزِعُوا آلَ الْمُفْبِرَةِ وَاصْبِرُوا عَلَيْهِ وَمَنْ يَجْزِعَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلَمْ
وَجِدُّوْا فَإِنَّ الْمَوْتَ مَكْرُمَةً لَكُمْ وَمَا بَعْدَهُ فِي آخِرِ الْعَيْشِ مِنْ تَدَمِ
وَقَدْ قُلْتُ إِنَّ الرِّيحَ طَائِبَةٌ لَكُمْ وَعِزُّ الْقَامِ غَيْرُ شَكٍّ لَدَى قَهَمِ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لِإِضْرَارِ .

شعر الحارث بن هشام في رثاء أبي جهل

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام ، يبيكي أخاه أبا جهل :

أَلَا يَا لَهْفٍ نَفْسِي بِمَدِّ عَمْرٍو وَهَلْ يُغْنِي التَّلْثُفُ مِنْ قَتِيلِ
يُخْبِرُنِي الْمُخْبِرُ أَنَّ عَمْرًا أَمَامَ الْقَوْمِ فِي جَفْرِ مُحِيلِ
فَقَدْ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ ذَلِكَ حَقًّا وَأَنْتَ لِمَا تَقْدَمُ غَسِيرُ فِيلِ
وَكُنْتُ بِبِنْعَمَةٍ مَا دُمْتُ حَيًّا فَقَدْ خُلِفْتُ فِي دَرَجِ الْمَسِيلِ
كَأَنِّي حِينَ أَمْسَى لَا أَرَاهُ ضَعِيفُ الْعَقْدِ ذُو هَمٍّ طَوِيلِ
طَى عَمْرُو إِذَا أَمْسَيْتُ يَوْمًا وَطَرَفٍ مِنْ تَذْكُرِهِ كَلِيلِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينسبونها للحارث بن هشام؛ وقوله:
« لا في جفر » عن غير ابن إسحاق.

شعر ابن الأسود في بكاء قتي بدر

قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر بن الأسود بن شُموب الليثي، وهو شَداد
ابن الأسود:

نُحْيِي بِالسَّلَامَةِ أُمَّ بَكْرٍ وهل لي بمد قومي من سلام
فَإِذَا بِالْقَلْبِ قَلْبِي بَدْرٍ من القينات والشرب الكرام
وماذا بِالْقَلْبِ قَلْبِي بَدْرٍ من الشيزي تُسَكَّلُ بالسَّام
وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ طَوِيٌّ بَدْرٍ من الحومات والدَّعَمِ المَسَام
وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ طَوِيٌّ بَدْرٍ من الغايات والدُّسْعِ المِظَام
وأحباب الكريم أبي علي أخى الكاس الكريمة والنَّدَام
وإنك لو رأيت أبا عقيل وأحباب الثَّغِيَّةِ مِنْ نَعَام
إِذَا أَظْلَلَتْ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِم كَأَمْ السَّعْبِ جَانَّةِ المَرَام
يُخَبِّرُنَا الرَّسُولُ لَسَوْفَ نَحْيَا وكيف لقاء أصداء وهام؟

قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة النحوي:

يُخَبِّرُنَا الرَّسُولُ بَأَن سَنَحْيَا وكيف حَيَاةُ أصداء وهام
قال: وكان قد أسلم ثم ارتد.

شعر أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر

وقال ابن إسحاق : وقال أمية بن أبي الصلت ، يرثي من أصيب من قريش

يوم بدر :

الأُتَيْبِيَّةِ عَلَى الْكِرَامِ مَبْنَى الْكِرَامِ أُولَى التَّمَادُخِ
كِبْرًا كَالْحَمَامِ عَلَى قُرُوعِ الْأَيْكِ فِي الْفُصْنِ الْجَوَانِحِ
يَبْكِينَ حَرَى مُتَشَكِّبِينَ بِرُخْنٍ مَعَ الرِّوَانِحِ
أَمثالُ مَنْ الْبَاكِهَا تِ الْمَعْمُولَاتِ مِنَ التَّوَانِحِ
مَنْ يَبْكِيهِمْ يَبْكُ عَلَى حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كُلُّ مَادِحِ
مَاذَا يَذَرُ فَالْعَقْنَقَلُ مِنْ مَرَاذِيهِ جَعَالِحِ
مَسْدَفِ الْبَرَقَيْنِ فَالْمَنْ نَانَ مِنْ طَرَفِ الْأَوَاشِحِ
مُشْمَطِ وَشُبَّانِ بِهَا لَيْلٌ مَقَاوِيرِ وَحَاوِحِ
أَلَا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى وَاقْدُ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحِ
أَنْ قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مَكَّةَ فَهِيَ مُوحِشَا الْأَبَاطِحِ
مَنْ كَلَّ بِطَرِيقِ لِبَطْرِيقِ نَقَى الْقَوْنِ وَاضِحِ
دُعْمُوسِ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ وَجَانِبِ الْفُرْقِ قَاتِحِ
مِنْ التَّيْرَاطَةِ الْخِلَاجَةِ الْمَلَاوِنَةِ الْمَنَاجِحِ
الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ الْأَسْمِينَ بِكُلِّ صَالِحِ
الْمُطْمِئِنِّينَ الشَّحْمِ فَوْقَ الْخَبْزِ شَحْمًا كَالْأَنَافِحِ

تَقُلُّ الْجِفَانُ مَعَ الْجِفَانِ نَ إِلَى جِفَانٍ كَالْمَنَاضِحِ
 لَيْسَتْ بِأَصْفَارٍ إِمَّنْ يَغْفُو وَلَا رَحَ رَحَارِحَ
 لِلضَّيْفِ نَمِ الضَّيْفِ بِمَدِّ [الضيف] وَالْبَسْطِ السَّلَاطِحِ
 وَهُبِ الْمُنِينَ مِنَ الْمُنِينَ إِلَى الْمُنِينَ مِنَ اللَّوَانِ
 سَوَقِ الْمُؤَبَّلِ لِلْمُؤَبَّلِ صَادِرَاتٍ عَنْ بِلَادِ
 لِكِرَامِهِمْ نَوَقِ السِّكْرَامِ مَزْبَقِ وَزَنَ الرَّوَاجِحِ
 كَسْتَقْلُ الْأَرْطَالِ بِالْقَسَطِ فِي الْأَيْدِي الْمَوَانِحِ
 خَذَلْتَهُمْ فِتْنَةً وَهُمْ يَحْمُونَ عَوْرَاتِ النَّصَانِحِ
 الضَّارِبِينَ التَّقْدِيمِيَّةَ بِالْمُهَنْدَةِ الصَّفَانِحِ
 وَأَقْدَ عَفَانِي صَوْنُهُمْ مِنْ بَيْنِ مُسْتَنْقِي وَصَانِحِ
 اللَّهُ دَرُّ بَنِي عَالِيٍّ أَيْمٍ مِنْهُمْ وَنَاكِحِ
 إِنْ لَمْ يُبَيِّرُوا غَارَةَ شَجْوَاءَ تُجْجِرُ كُلَّ نَاجِحِ
 بِالْمُقَرَّبَاتِ ، الْمُبْعَدَاتِ ، الطَّاحَاتِ مَعَ الطَّوَامِحِ
 مُرَدًّا عَلَى جُرْدٍ إِلَى أُسْدٍ مُكَالِبَةِ كَوَالِحِ
 وَيُلَاقِي قِرْنَ قِرْنَهُ مَشَى الْمُصَافِحِ لِلْمُصَافِحِ
 بَرْهَاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْفٍ بَيْنَ ذِي بَدَنٍ وَرَامِحِ

قال ابن هشام : تركنا منها يبتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنشدني غيره واحد من أهل العلم بالشعر يديته :

وَبَلَقَ قِرْنَ قِرْنَهُ مَثَى الْمُصَافِحِ
وَأَشَدَّنِي أَيْضًا:

وَهُبُّ اللَّيْنِ مِنَ اللَّيْنِ إِلَى اللَّيْنِ مِنَ الْوَاقِعِ
سَوَقَ الْمُؤَبَّلَ لِلْمُؤَبَّلِ صَادِرَاتٍ عَنْ بِلَادِحِ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ، يَبْكِي زَمْعَةَ بْنَ الْأَسْوَدِ،
وَقَتْلَى بَنِي أَسَدٍ:

عَيْنُ بَكِّي بِالسُّبُلَاتِ أَبَا الْخَارِثِ لَا تَذْخِرِي عَلَى زَمْعَةَ
وَابْكِي عَقِيلَ بْنَ أَسْوَدٍ أَسَدَ الْبَأْسِ لِيَوْمِ الْهَيْجِجِ وَالْدَّقَقَةِ
تِلْكَ بَنُو أَسَدٍ إِخْوَةُ الْجَوْزِ زَاءُ لَأَخَانَةٍ وَلَا خَدَعَةٍ
مُمُّ الْأُسْرَةِ الْوَسِيطَةِ مِنْ كَفْسٍ وَهُمْ ذِرْوَةُ النَّامِ وَالْقَمْعَةِ
أَنْبَتُوا مِنْ مَعَاشِرِ شَعْرِ الرَّأْسِ وَهُمْ الْحَقُومُ الْمَنْعَقَةِ
أَمْسَى بَنُو عَمِّهِمْ إِذَا حَقَّرَ الْبَأْسُ أَكْبَادَهُمْ عَلَيْهِمْ وَجِجَهُ
وَهُمُ الْمُطْعَمُونَ إِذْ قَحَطَ الْقَطَارُ وَحَالَتْ فَلَا تَرَى قَرْعَهُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هَذِهِ الرِّوَايَةُ لِهَذَا الشَّعْرِ مُخْتَلِطَةٌ، أَيْسَتْ بِصَحِيحَةِ الْبِنَاءِ،
لَكِنْ أَشَدَّنِي أَبُو مُخْرَزٍ خَلْفَ الْأَحْمَرِ وَغَيْرُهُ، رَوَى بَعْضُهُ مَا لَمْ يَرَوْهُ بَعْضُ:

عَيْنُ بَكِّي بِالسُّبُلَاتِ أَبَا الْخَارِثِ لَا تَذْخِرِي عَلَى زَمْعَةَ
وَعَقِيلَ بْنَ أَسْوَدٍ أَسَدَ الْبَأْسِ لِيَوْمِ الْهَيْجِجِ وَالْدَّقَقَةِ

قَتَلَ مِثْلَ هُلُكِهِمْ خَوَاتِ الْجَوْ زَاهٍ ، لَا خَانَةَ وَلَا خَدَعَهُ
وَمُمُّ الْأَسْرَةِ الْوَسِيطَةُ مِنْ كَنْسِيٍّ ، وَفِيهِمْ كَذِرْوَةُ الْقَمْعَةِ
أَنْبَتُوا مِنْ مَمَاشِيرِ شَعَرِ الرَّاسِ ، وَهُمْ الْحَقُومُ الْمَنَعَةِ
فَبَنَوْا عَنْهُمْ إِذَا حَقَّرَ الْبَأْسُ عَلَيْهِمْ أَكْبَادُهُمْ وَجِهَهُ
وَهُمْ الْمُطْعَمُونَ إِذَا فَحَطَ الْقَطْرُ وَحَالَاتِ فَلَا تَرَى قَزَعَهُ

شُورَى أَبِي أُسَامَةَ

قال ابن إسحاق : وقال أبو أسامة ، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث
ابن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدى بن جشم بن معاوية حليف بني مخزوم
قال ابن هشام : وكان مشركا وكان ممر بهبيرة بن أبي وهب وهم منهزمون
يوم بدر ، وقد أعني هبيرة ، فقام فألقى عنه درعه وحمله فضى به ، قال ابن
هشام : وهذه أصح أشعار أهل بدر :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْقَوْمَ حَقُّوا	وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ لِنَقَرٍ
وَأَنْ تَرَكْتُ سِرَّاءَ الْقَوْمِ حَرَعَى	كَأَنَّ خَيْبَارَهُمْ أَذْبَحُ عِثْرَ
وَكَانَتْ بُحْمَةٌ وَافَتْ حِمَامًا	وَلَقَيْنَا الْمَنَايَا يَوْمَ بَدْرِ
نَصَدَّ عَنِ الطَّارِقِ وَأَذَرَ كَوَا	كَأَنَّ زُهَاءَهُمْ عِيْطَانُ بَحْرِ
وَقَالَ الْفَاتِلُونَ : مَنْ ابْنُ قَيْسٍ ؟	فَقُلْتُ : أَبُو أُسَامَةَ ، غَيْرَ فَخْرٍ
أَمَّا الْجَشِي كَيْمَا تَعْرِفُونِي	أَبِيْنُ نِصْبَتِي تَقْرَأُ بَنَقْرَ
فَإِنْ نَكَتُ فِي الْغَلَاصِمِ مِنْ قُرَيْشٍ	فَلَأِي مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ

فَأَبْلَغَ مَا لَكَ لَمَّا غَشِينَا وَعِنْدَكَ مَالٍ - إِنْ نَبَأَتْ - خُبْرِي
وَأَبْلَغَ إِنْ بَلَغْتَ الرَّءْ عَنَّا هُبَيْرَةُ ، وَهُوَ ذُو عِلْمٍ وَقَدْرٍ
بَاتِي إِذْ دُعِيتُ إِلَى أَقِيدِ كَرَرْتُ وَلَمْ يَصْنُقْ بِالْكَرِّ صَدْرِي
عَشِيَّةً لَا يَكْرَهُ عَلَى مُضَافٍ وَلَا ذِي نِعْمَةٍ مِنْهُمْ وَصِيْرٍ
فَدُونَكُمْ بِنِي لَأَيِّ أَخَاكُمْ وَدُونِكَ مَالِكَ يَا أُمَّ عَمْرُو
فَلَوْلَا مَشْهُدِي قَامَتْ عَلَيْهِ مُوَقَّفَةُ الْقَوَائِمِ أُمَّ أَجْرِي
دَفُوعٌ لِلْقُبُورِ بِمَنْكِبَيْهَا كَانَ يَوْجُوهُهَا تَحْمِيْمٌ قَدْرٍ
فَأَقْسِمُ بِالَّذِي قَدْ كَانَ رَبِّي وَأَنْصَابٍ لَدَى الْجِمَارَاتِ مُنْفَرٍ
لَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا حَسْبِي إِذَا مَا تَبَدَّلَتِ الْجُلُودُ جُلُودَ زَيْمَرٍ
فَمَا إِنْ خَادِرٌ مِنْ أَسَدٍ تَرَجٍ مُدِلٌّ عَنبَسٌ فِي النَّيْلِ مُجْرِي
فَقَدْ أَحْمَى الْأَبَاءَ مِنْ كَلَابٍ فَمَا يَذْنُو لَهُ أَحَدٌ بِنَقَرٍ
يَجْلَى تَعَجِزُ الْخُلَفَاءِ عَنْهُ يُوَاتِبُ كُلَّ هَجْمَةٍ وَزَجَرٍ
بِأَوْشَكَ سَوْرَةٍ مِنِّي إِذَا مَا كَبَّوْتُ لَهُ بِقَرْقَرَةٍ وَهَسَدٍ
بَيِضٌ كَالْأَسِنَّةِ مُرْهَفَاتٍ كَانَ ظُبَاتِهَا جَحِيمٌ تَجَرٍ
وَأَكْثَلَتْ مَجْنَانٍ جِلْدَ نَوَّرٍ وَصَفَرَاءِ الْبُرَابَةِ ذَاتِ أَزْرِ
وَأَيِّضَ كَالْعَدِيرِ قَوَى عَلَيْهِ عُمَيْرٌ بِالْمَدَاوِسِ نَعْفٍ شَهْرِ
أُرْفُلُ فِي سَحَابِهِ وَأَمْشِي كِشِيَّةٌ خَادِرٌ لَيْثٌ سِبْطَرٍ
يَقُولُ لِي الْفَتَى سَعْدٌ هَدِيًّا فَقُلْتُ : لِمَالِهِ تَقْرِبُ غَدْرٍ

وقلتُ أبايَ عدي لا تطارهم وذلك إن أظنت اليوم أمرى
كدأبهم بفروة إذ أناهم فقلَّ يقاد مكتوقاً بضمر

قال ابن هشام : وأنشدني أبو مخزخاف الأحمر :

نصدُّ عن الطَّريقِ وأذرَّ كونا كأنَّ سِراعهم تيارُ بحر
وقوله : مدلَّ غنَّيس في الفيل مجرى - عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو أسامة أيضا :

ألا من مبلغ عني رسولا	مُتَمَلِّلةٌ يُشَبِّها عَليفاً
ألم تعلم مردي يوم بدر	وقد برقت بحنديك السكوف
وقد رمت سراة القوم صرعى	كان رؤسهم حدج قفيف
وقد مالت عليك بطن بدر	خلاف القوم داهية خفيف
فتجاء من المعبرات عزمي	وعون الله والأمر الحصيف
ومنتلبي من الأنواء وجدي	ودونك جمع أعداء وقوف
وأنت لمن أراذك مُستكين	يحنب كراش مكلوم تريف
وكنت إذا دعاني يوم كرب	من الأصحاب داع مُستصيف
فأسمعي ولو أخبيت نفسي	أخ في مثل ذلك أو حليف
أرد فأكثف العنى وأزني	إذا كَلَّح المشافر والأنوف
وقرن قد تركت على يديه	ينوء كأنه غضن قصيف

دَلَفْتُ لَهُ إِذَا اخْتَلَطُوا بِحَرَمِي مَسْحَاحَةً لِمَا نَدَاهَا خَفِيفٌ
فَذَلِكَ كَانَ صُنْعِي يَوْمَ بَدَرٍ وَقَبْلُ أَخُو مَدَارَاةٍ دُرُوفٌ
أَخُوكُمْ فِي السَّنَنِ كَمَا عَلَّمْتُمْ وَحَرْبٍ لَا يَزَالُ لَهَا صَرِيفٌ
وَمَقْدَامٌ لَكُمْ لَا يَزِدُّنِي جَنَانُ اللَّيْلِ وَالْأَنْسُ اللَّفِيفُ
أُخُوضُ الصَّرَّةَ الْحَمَاءَ خَوْضًا إِذَا مَا السَّكَلُ الْجَاهُ الشَّنِيفُ

قال ابن هشام : تركت قصيدة لأبي أسامة على اللام ، ليس فيها ذكر
بدر إلا في أوّل بيت منها والثاني ، كراهية الإكثار .

شعر هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة تبيكي أباهما يوم بدر :

أَعْيَى جُودًا بِدَمْعٍ سَرَبٍ عَلَى خَيْرِ خِنْدِفٍ لَمْ يَنْقَلِبْ
تَدَاوَى لَهُ رَهْطُهُ غُدُوَّةَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَلِّبِ
يُذِيقُونَهُ حَادَ أَسْيَافِهِمْ يَمُوتُونَ بَعْدَ مَا قَدْ عَطِبَ
يَجْرُونَهُ وَعَفِيرُ التُّرَابِ عَلَى وَجْهِهِ عَارِيًا قَدْ سُلِبَ
وَكَانَ لَنَا جَبَلًا رَاسِيًا جَمِيلَ الْمَرَاةِ كَثِيرَ الْمُشَبِّ
وَأَنَا بَرِيٌّ فَلَمْ أَغْنِهِ فَأَوْنِي مِنْ خَيْرٍ مَا يَخْتَسِبُ

وقالت هند أيضاً :

يَرْبِ عَالِيْنَا دَهْرُنَا فَيَسُوؤُنَا وَيَأْبَى قَمًا نَانِي بَشِيءٍ يُغَالِبُهُ

أبعداً قَتِيلٌ مِنْ لَوْحَى بْنِ غَالِبٍ يُرَاعِ اسْرَوْهُ إِنْ مَاتَ أَوْ مَاتَ صَاحِبُهُ
الْأَرْبَ بَوْمٍ قَدْ رَزَزْتُ مَرْزَأَ تَرُوحُ وَتَقْدُو بِالْجَزِيلِ مَوَاهِبُهُ
فَأَبْلَغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي مَالُكَ فَإِنْ أَلَقَهُ يَوْمًا فَسَوْفَ أُعَاتِبُهُ
فَقَدْ كَانَ حَرْبٌ يَسْعَرُ الْحَرْبَ إِنَّهُ لِكُلِّ أَمْرٍ فِي النَّاسِ مَوْلى يُطَالِبُهُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له نند .

قال ابن إسحاق : وقالت هند أيضاً :

لِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مُلْكًا كَهْلِكَ رَجَالِيهِ
يَا رَبَّ بَالِكٍ لِي غَدَا فِي النَّائِبَاتِ وَبَاكِئِهِ
كَمْ غَادَرُوا يَوْمَ الْقَلِيبِ غَدَاةَ تِلْكَ الْوَاعِيَةِ
مِنْ كُلِّ غَيْثٍ فِي السَّنِينِ إِذَا الْكَوَكِبُ خَاوِيهِ
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ مَا أَرَى فَالْيَوْمَ حَقَّ حَذَارِيهِ
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ مَا أَرَى فَأَنَا الْغَدَاةَ مُوَاهِبِهِ
يَا رَبَّ فَائِلَةٍ غَدَا يَا وَبِئْسَ أُمِّ مُعَاوِيَةِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له نند .

قال ابن إسحاق : وقالت هند أيضاً :

يَا عَيْنُ بَكَّى عُنْبُهُ شَيْخًا شَدِيدَ الرِّقْبَةِ
يُطْعِمُ يَوْمَ الْمَسْغَبِ يَدْفَعُ يَوْمَ التَّقْلِبِ

إِنِّي عَلَيْهِ حَرَبُهُ مَلْمُوفَةٌ مُسْتَلَبَةٌ
أَنْتَ بِطْنُ بَثْرَبُهُ بِمَارَةِ مُنْتَقِبَةٍ
فِيهَا الْخِيُولُ مُقَرَّبُهُ كُلُّ جَوَادٍ سَلْبَةٍ

شعر صفية

وَقَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ مُسَافِرِ بْنِ أَبِي عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ -
تَبَكَى أَهْلَ الْقَلَبِ الَّذِينَ أُصِيبُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ : (وَتَذَكَّرَ مَصَابِهِمْ) :

يَا مَنْ لَعِينٍ قَذَّاهَا عَاثِرُ الرَّمَدِ حَدَّ النَّهَارِ وَقَرْنُ الشَّمْسِ لَمْ يَفِدِ
أُخْبِرْتُ أَنَّ سَرَاةَ الْأَكْرَمِينَ مَعَا قَدْ أَحْرَزْتَهُمْ مَنَايَاهُمْ إِلَى أَمَدٍ
وَقَرَّ بِالْقَوْمِ أَصْحَابُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَعْطِفْ غَدَائِدُ أُمٍّ عَلَى وَلَدٍ
قَوْمِي صَفِيٍّ وَلَا تَنْتَسِي قَرَابَتَهُمْ وَإِنْ بَكَيتِ فَمَا تَبْكِينَ مِنْ بُعْدٍ
كَانُوا اسْتَقْبُوا سَمَاءَ الْبَيْتِ فَانْقَصَفَتْ فَأَصْبَحَ السَّلَامُ مِنْهَا غَيْرَ ذِي نَعْدٍ

قال ابن هشام : أنشدني بيتها : « كانوا استقوب » بعض أهل العلم بالشعر -

قال ابن إسحاق : قالت صفية بنت مسافر أيضا :

أَلَا يَا مَنْ لَعِينٍ لِلتَّسْبِكِي دَمُّهَا قَاتٍ
كَفَرَنِي دَالِجٌ يَنْقِي خِلَالَ الْغَيْثِ الدَّانِ
وَمَا لَيْتُ غَرِيفِ ذُو أَظْفِيرٍ وَأَسْنَانِ
أَبُو شَيْمَنْزِينَ وَثَابٌ شَدِيدُ الْبَطْشِ غَرَّانِ

كَعِجِّي إِذْ تَوَلَّى وَ وُجُوهُ الْقَوْمِ أَتَوَانِ
وَبِالسَّكْفِ حُشَامٌ مَا رَمَ أَبْيَضُ ذُكْرَانِ
وَأَنْتَ الطَّاعَنُ النَّجْلَا ، مِنْهَا مُزِيدٌ آتِ

قال ابن هشام : ويرون قولها : « وما كَيْتُ غَرِيفٌ » إلى آخرها مفصلاً
من البيتين اللذين قبله .

شعر هند بنت أُنثانة

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت أُنثانة بن عباد بن المطلب ترثي عُبيد بن
الحارث بن المطلب :

أَقْدَ ضَمْنِ الصَّفْرَاءِ مَجْدًا وَسُودُ دَأْ وَحِلْمًا أَصِيلًا وَافِرَ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ
عَبِيدَةَ فَابْكِيهِ لِأَضْيَافِ غُرْبَةٍ وَأَرْمَلَةً تَهْوِي لِأَشْمَتِ كَالْجَذْلِ
وَبَكِّيهِ لِلْأَقْوَامِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ إِذَا انْحَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْعَجْلِ
وَبَكِّيهِ لِالْإِسْتِمَامِ وَالرَّبِيعِ زَفْرَةً وَتَشْبِيبِ قَدَرِ طَالِمَا أَزْبَدَتْ تَغْفِي
فَإِنْ تُصْبِحَ النُّيُورُ أَدْمَاتِ ضَوْؤِهَا فَقَدْ كَانَ يُبْذِرُ كَيْهِنَ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ
لَطَارِقِ كَيْلٍ أَوْ لَمْلَمَسِ الْقَرَى وَمُسْتَنْجِحِ أَضْحَى لَدَيْهِ عَلَى رَسْلِ
قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لهند .

شعر قتيلة بنت الحارث

قال ابن إسحاق : وقالت قُتَيْلَةُ بنت الحارث أخت النضر بن الحارث ،
تُبْكِيهِ :

يَارَاكِبَا إِنِّ الْأُتَيْلَ مَظَنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُؤْتَقٌ
أُبْنِغْ بِهَا مَيْتًا بَأَنِّ نَحِيَّةٍ مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النِّجَابَ تَحْتَقُّ
مِنِّي إِلَيْكَ وَعِبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ بِوَاكِهَهَا وَأُخْرَى تَحْنُقُ
هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ
أَحْمَدُ بِأَخِيرِ صَنْءٍ كَرِيمَةٍ فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مَعْرُوقٌ
مَا كَانَ خَرَكٌ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخَنَقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيَنْفِقَنَّ بِأَعَزَّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرَّتْ قَرَابَةً وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقُ يُنْتَقِ
ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُسُهُ لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ
صَبْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَمَسِّبًا رَسَفَ الْمُقَيِّدِ وَهُوَ عَانٍ مُؤْتَقُ

قال ابن هشام : فيقال ، والله أعلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بلغه هذا الشعر ، قال : لو بلغني هذا قبل قتله لَمَنْذَتُ عليه .

تاريخ الفراغ من بدر

قال ابن إسحاق : وكان فراغُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر
في عقب شهر رمضان أو في شوال .

من قتل من المشركين :

فصل : وذكر فيمن قتل من المشركين يوم بدر العاصي بن سميد بن العاصي ، وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب الحديث الذي أسنده أبو عبيد إلى سميد بن أبي وقاص ، قال : قتل يوم بدر العاصي بن سميد وأخذت سيفه ذا الكتيفة ، وذكر الحديث ، قال أبو عبيد : وأهل البئر يقولون : قتله علي رضي الله عنه . قال المؤلف : وبعض أهل التفسير يقولون : قتله أبو اليسر كعب بن عمرو . وقال أبو عبد الله الزبير بن أبي بكر القاضي في أسباب قريش له : والعاصي قتله علي بن أبي طالب يوم بدر كافراً^(١) . حدث إبراهيم بن حمزة عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب ، قال : بينما عمر بن الخطاب جالس في المسجد [وعمر يومئذ أمير المؤمنين] إذ سمع به سميد بن العاصي ، فسلم عليه ، فقال له عمر : إني والله يا ابن أخي ما قتلت أباك يوم بدر ، ولكني قتلت خالي العاصي بن هشام ، وما بي أن أكون أعتذر^(٢) من قتل مشرك ، قال : فقال له : سميد بن العاصي : [وهو يومئذ حديث السن] لو قتلته كنت على الحق^(٣) ، وكان على الباطل . قال : فمجب عمر من قوله ، ولو سمى كنيه ، وقال : قريش أفضل الناس إسلاماً ،

(١) في ص ١٧٤ كتاب نسب قريش .

(٢) في نسب قريش : وما بي أن أعتذر إليك .

(٣) في نسب قريش : لعلت أنك على حق ، وهو على باطل .

وَأَعْظَمَ النَّاسَ أَمَانَةً^(١)، وَمَنْ يُرْذِ بِقَرِيشٍ سَوْأً يَكُفُّهُ اللَّهُ لِفِيهِ، وَقَالَ : قَالَ
عُمِّي مُصَنَّبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : زَعَمُوا أَنْ عُمَرَ قَالَ : رَأَيْتُهُ يَبْحَثُ الثَّرَابَ كَأَنَّهُ
ثَوْرٌ ، فَصَدَدْتُ عَنْهُ ، وَحَمَلُ لَهُ عَلَى فَمَقْتَلَهُ^(٢) .

السائب بن أبي السائب :

وَذَكَرَ فِيمَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : السائب بن أبي السائب ، واسمُ
أبي السائب صَيْفِي بْنُ عَابِدٍ ، وَأَنْكَرَ ابْنُ هِشَامٍ أَنْ يَكُونَ السائب قَتِيلَ كَافِرًا
قَالَ : وَقَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَذَكَرَ أَبُو عُمَرَ عَنْ ابْنِ الزَّيْبَرِ أَنَّ السائب
قُتِلَ كَافِرًا يَوْمَ بَدْرٍ ، قَالَ : وَأَحْسَبُهُ اتَّبَعَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ :
وَقَدْ تَقَضَّى الزُّبَيْرُ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي يَحْيَى
ابْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَوْبَانَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَكْرِمَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ كَعْبٍ
عَنْ أَبِيهِ كَعْبٍ مَوْلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي ، قَالَ : سَمِعْتُ مَعَاوِيَةَ وَهُوَ يَطُوفُ
بِالْبَيْتِ ، وَمَعَهُ جُنْدُهُ ، فَرَحُّوا السائبَ بْنَ صَيْفِي بْنِ عَابِدٍ ، فَسَقَطَ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ
مَعَاوِيَةُ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ خَلِيفَةُ فَقَالَ : أَرْفَعُو الشَّيْخَ ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ : مَا هَذَا يَا مَعَاوِيَةُ ؟
تَقْصِرُ عَنْنَا^(٣) حَوْلَ الْبَيْتِ ؟ ! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ أُمَّكَ ، فَقَالَ

(١) فِي نَسَبِ قَرِيشٍ أَنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ : أَحْلَامُ قَرِيشٍ أَحْلَامُ قَرِيشٍ ، وَلَمْ يَزِدْ .
انظر ص ١٧٦ كتاب نسب قريش والزيادة منه .

(٢) فِي النَّسَبِ : فَصَمَدٌ لَهُ عَلَى فَمَقْتَلَهُ ص ١٧٦ .

(٣) فِي الْإِصَابَةِ : أَجِئْتَنَا بِأَوْبَاشِ الشَّامِ يَهْرَعُونَنا . وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ فِي
تَرْجُمَتِهِ أَنَّ أَبَا دَاوُدَ وَالنَّسَائِيَّ رَوَيَا مِنْ طَرِيقٍ قَائِدُهُ أَنَّهُ كَانَ شَرِيكَ النَّبِيِّ ، صَ وَفِي
السِّيَرَةِ وَفِي نَسَبِ قَرِيشٍ ، وَفِي الْإِصَابَةِ : صَيْفِي بْنُ عَائِذٍ بَدَلًا مِنْ عَابِدِكَافِي =

معاوية : ايتك قَمَات ، فجاءت بمنـل أبي السائب ، يعنى عبد الله بن السائب ، وهذا واضح فى إدراكه الإسلام ، وفى طول عُمره ، وقال فى موضع آخر : حدثنى أبو خنمرة أنس بن عياض الليثي ، قال : حدثنى أبو السائب يعنى : المُنَاجِزَ ، وهو عبد الله بن السائب ، قال : كان جدى أبو السائب شريك النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم الشريك كان أبو السائب ، لا يُشَارِي ولا يُمَارِي [ولا يدارى] ، وهذا كله من الزبير مُنْقَضَةٌ فيما ذكر أن السائب بن أبي السائب قُتِل يوم بدر كافرًا . وقال ابن هشام : السائب بن أبي السائب الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - نعم الشريك أبو السائب لا يُشَارِي ^(١) ولا يُمَارِي ، كان قد أسلم فحَسُن إسلامه فيما بلغنا . قال ابن هشام : وذكر ابن شهاب عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عُبَيْدَةَ عن ابن عباس أن السائب بن أبي السائب بن عابد ^(٢) بن

== الروض ولكن يقول الحشنى : قال الزبير بن بكار فيما حكى الدارقطنى عنه : كل من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد ، وكل من كان من ولد عمران بن مخزوم فهو عائد ، وقد ذكر مصعب الزبيرى فى كتاب نسب قريش أن السائب بن أبي السائب قتل كافرًا بيدر . ويقول الحافظ فى الإصابة تأويلًا لتناقض الزبير : يحتمل أن يكون السائب بن صيفى عنده غير السائب بن أبي السائب .

(١) لا يشارى : المشاركة : الملاجة ، وقد شرى واستشرى : إذا لج فى الأمر ، وقيل لا يشارى من الشر ، أى : لا يشارره فقلبت إحدى الراىين ياء والاول أوجه : ابن الاثير ، ويمارى : يجادل .

(٢) سبق القول عن عابد وعائد فى نسب صيفى . وفى نسب قريش للمصعب الزبيرى أن من عبد الله بن عمر بن مخزوم : عائدًا ولم يذكر فيهم من اسمه عابد ، ولكن محققه يقول إنه فى الأصل المنقول عنه : عابد ص ٢٩٩ ، ٢٢٢ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ تَحْزُومَ [بْنِ بَقَّظَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ أُوَيْسَ] مِمَّنْ هَاجَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَعْطَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ (١) مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ . قَالَ أَبُو عُمَرَ : هَذَا أَوَّلَى مَا عُوِّلَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْحَدِيثَ فِيمَنْ كَانَ شَرِيكَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ هَؤُلَاءِ مُضْطَرِبٌ جَدًّا ، مِنْهُمْ مَنْ يَحْمِلُ الشَّرْكَ : لِلسَّائِبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهَا لِأَبِي السَّائِبِ أَبِيهِ ، كَمَا ذَكَرْنَا عَنْ الزُّبَيْرِ هُنَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهَا لَقَيْسِ بْنِ السَّائِبِ [ابْنِ عُوَيْرٍ] ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهَا لِعَبْدِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ (٢) ، وَهَذَا اضْطِرَابٌ لَا يَثْبُتُ بِهِ شَيْءٌ ، وَلَا يَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ . وَالسَّائِبُ بْنُ أَبِي السَّائِبِ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَمِمَّنْ حُسُنَ إِسْلَامُهُ . هَذَا آخِرُ كَلَامِ أَبِي عُمَرَ فِي كِتَابِ الْأَسْتِيعَابِ حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ الْإِسْطَيْبِيُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَسَّائِيِّ عَنْهُ ، كَذَلِكَ اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ فِي هَذَا الْكَلَامِ : كَانَ خَيْرُ شَرِيكَ لَا يُشَارِكِي وَلَا يُتَارِكِي ، فَهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَبِي السَّائِبِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) يَقُولُ صَاحِبُ الْمَرَاصِدِ : لِاخْتِلَافٍ فِي كَسْرِ أَوَّلِهِ ، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ يَكْسِرُونَ عَيْنَهُ ، وَيَشْدُونَ رَاءَهُ ، وَأَهْلُ الْأَدَبِ يَخْطِئُونَهُمْ ، وَيَسْكُنُونَ الْعَيْنَ ، وَيَخَفِّفُونَ الرَّاءَ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمَا لَفْتَانِ جَيِّدَتَانِ . وَيَنْسَبُ الْبَكْرِيُّ فِي مَجْمَعِهِ التَّضْعِيفَ لِلْعَرَاقِيِّ ، وَالتَّخْفِيفَ لِلْحِجَارِيِّينَ . وَبِهِ قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ وَأَبِي سَالِمَانَ الْخَطَّاطِي ، وَهِيَ مَاءٌ بَيْنَ الطَّائِفِ وَمَكَّةَ ، وَهِيَ إِلَى مَكَّةَ أَذْنَى ، وَبِهَا قَسَمَتْ غَنَائِمُ حُنَيْنٍ .

(٢) لَمْ يَذْكُرِ الْمُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ مِنْ أَوْلَادِ السَّائِبِ مِنْ اسْمِهِ قَيْسَ ، وَلَا مِنْ أَوْلَادِ أَبِي السَّائِبِ مِنْ اسْمِهِ : عَبْدٌ . وَلَكِنْ ذَكَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ أَبَا نَهْيَكَ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ أَبَا عَطَاءٍ وَهُوَ يَقْصِدُ : قَيْسَ بْنَ السَّائِبِ بْنِ عُوَيْرٍ بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانَ ، وَسَيَأْتِي التَّصْرِيحُ بِهَذَا فِي الرُّدُضِ ص ٣٢٣ ، ٣٤٣

يُجعله من قول أبي السائب في النبي صلى الله عليه وسلم .

أوس بن خولي :

وذكر فيمن شهد بدرًا من الأنصار : أوس بن خولي^(١) أحد بني الخليل ، يقال : كان من السكّلة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين شجاع بن وهب ، والخولي في اللغة هو الذي يقوم على الخليل ، ويخضمها^(٢) وفي الخبر أن جميلًا الكلابي ، كان خوليًا لمعاوية ، وفي هذا ما يدل على أن الياء في الخليل أصلها الواو .

أخو طلحة :

وذكر ابن هشام فيمن قُتل من المشركين من لم يذكره ابن إسحاق مالك بن عبيد الله بن عثمان وهو أخو طلحة بن عبيد الله .

ابن عبد الله بن جزماء :

وذكر عمرو بن عبد الله بن جذعان التميمي ، وعبد الله بن جذعان^(٣) هو الجنود المشهور صاحب الجفنة العظيمة التي كان يأكل منها الراكب على البعير ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستظل بِظِلِّهَا ، ووقع فيها إنسان

(١) مكذا ضبطها ابن الأثير في الباب ، وفي القاموس : أوس بن خولي عركه ، وقد تسكن .

(٢) في القاموس : الخولي — يسكون الواو — الراعي الحسن القيام على المال ، وفي النهاية لابن الأثير : الخولي — بفتح الواو — عند أهل الشام : القيم بأمر الإبل وإصلاحها من التخول والتعهد وعمن الرعاية .

(٣) هو يذكره بالذال : والضواب بالذال .

ففرق ومات ، وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حديثه ، والسبب في غناه بعد أن كان صُغُولًا ، وسؤال عائشة عنه النبي صلى الله عليه وسلم : هل ينفع بجموده أم لا (١) .

هذيفة بن أبي هذيفة :

وذكر ابن هشام فيهم أيضًا حذيفة بن أبي حذيفة بن المُغيرة ، واسم أبي حذيفة هذا مُهْشَم ، وهو أخو هشام وهاشم [وبه كان يُكنى] ابني المغيرة ، وهشام : والد أبي جَهِل ، وهاشم جدُّ عمر لأمه ، ومُهْشَم هو : أبو حذيفة ، وأما أبو حذيفة بن عُتْبَةَ فاسم قيس ، ولم يقل ذلك ابن إسحاق ولا ابن هشام ، وإنما قالوا فيه مُهْشَم ، وهو عند أهل الذب غلط ، وإنما مُهْشَم أبو حذيفة بن عُتْبَةَ .

تسمية من أسر من المشركين يوم بدر

لم يُسمَّ ابن إسحاق ، ولا ابن هشام من أسلم منهم ، والحاجة ماسة بقارىء السيرة إلى معرفة ذلك ، فأولهم وأفضلهم العباسُ عمُّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا خفاء بإسلامه وفضله ، وقد ذكرنا سبب إسلامه في فصل قبل هذا الفصل ، وأن أبا اليسر كعب بن عمرو هو الذى أسره ،

(١) تمام القول : قال : لا . لأنه لم يقل يوما : رب اغفر لي خطيئي .
والصعلوك : الفقير .

وكان قصيراً ذميماً ، وفي مُسْنَدِ الزَّيَّار أَنَا قِيلَ لَعَبَّاسُ : كَيْفَ أَسْرَكَ أَبُو الْيَسْرِ ،
ولو أَخَذَتْهُ بِكَفِّكَ لَوَسَّعَتْهُ كَفُّكَ ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا أَن لَقِيْتَهُ ، فَظَهَرَ فِي عَيْنَيْ^(١)
كَالْخَنْدَمَةِ ، وَالْخَنْدَمَةُ جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ مَكَّةَ .

عَقِيلُ بْنُ أَبِي ظَالِبٍ :

وَعَقِيلُ بْنُ أَبِي ظَالِبٍ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، أَسْلَمَ عَامَ الْخُلْدِ بِنِيَّةِ^(٢) ،
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا يَزِيدَ إِنِّي أُحِبُّكَ حُبِّينِ حُبًّا لِقَرَابَتِكَ مِنِّي ،
وَحُبًّا لِمَا أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِبْرَاهِيمَ^(٣) ، سَكَنَ عَقِيلُ الْبَصْرَةَ ، وَمَاتَ بِالشَّامِ
فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ . رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا فِي الْوُضُوءِ
بِالْمَدِّ وَالطُّهُورِ بِالصَّاعِ^(٤) ، وَحَدِيثًا آخَرَ أَبْصَحَ : لَا تَقُولُوا بِالرُّفَاءِ وَالْبَيْنِ^(٥) ،
وَقُولُوا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ . وَكَانَ أَسَنُّ مِنْ جَعْفَرٍ بِعَشْرِ سَنِينَ ،

(١) ذَكَرَ فِي الْإِصَابَةِ مَعَ هَذَا : فَأَخَّرَ إِسْلَامَهُ إِلَى عَامِ الْفَتْحِ .

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مَرْسَلًا . وَأَقُولُ : مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَجِبَ
أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ ، فَهَكَذَا أَمَرَ ، وَهَكَذَا عَاشَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَمِ أَمْرِهِ سَبْعَانَهُ .
(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُؤَمَّلِ ، وَعَبَادِ بْنِ الْوَلِيدِ . وَالصَّاعُ :
مِكْيَالٌ يَسَعُ أَرْبَعَةَ أَمْدَادَ ، وَالْمَدُّ مُخْتَلَفٌ فِيهِ ، فَقِيلَ : هُوَ رَطْلٌ وَثَلَّثَ بِالْعِرَاقِ ،
وَبِهِ يَقُولُ الشَّافِعِيُّ ، وَفَقَّاهُ الْحِجَازُ ، وَقِيلَ : رَطْلَانٌ ، وَبِهِ أَخَذَ أَبُو حَنِيفَةَ وَفَقَّاهُ
الْعِرَاقُ . فَيَكُونُ الصَّاعُ خَمْسَةَ أَرْطَالٍ . وَثَلَّثَا أَوْ ثَمَانِيَةَ أَرْطَالٍ .

(٤) الرُّفَاءُ : الْإِلْتِمَامُ وَالِاتِّفَاقُ وَالْبُرْكََةُ وَالنِّجْمُ ، مِنْ فَوَلَّحَهُمْ رِفَاتُ الْقَتُوبِ رِفَاءً ،
أَوْ رَفُوتَ رِفْوًا ، وَإِنَّمَانِي عَنْهُ كِرَاهِيَةٌ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ ، وَلِهَذَا سَمِيَ فِيهِ غَيْرُهُ
وَالنَّهْيَةُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ،

وكان جعفر أسن من عليّ بمشرك سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بمنزل ذلك^(١) .

نوفل بن الحارث :

ومنهم : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، يقال : أسلم عام الخندق ، وهاجر ، وقيل : بل أسلم حين أسير ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أفد نفسك ، قال : ليس لي مال أفندي به ، قال : أفد نفسك بأرماحك التي بمجدة ، قال : والله ما علم أحد أن لي بمجدة أرماحا غير الله ، أشهد أنك رسول الله^(٢) وهو ممن ثبت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين وأعان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الخروج إليها بثلاثة آلاف رُمح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : كأي أنظر إلى أرماحك هذه تنقص ظهور المشركين . مات بالمدينة سنة خمس عشرة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -^(٣) .

أبو العاصي بن الربيع وغيره :

ومنهم أبو العاصي بن الربيع صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) هكذا ذكر المصعب في كتابه نسب قريش ص ٢٩ .

(٢) رواه ابن سعد عن طريق اسحاق بن عبد الله ، وفيه أنها كانت ألف رُمح .

(٣) كان أخوه أبو سفيان بن الحارث - كما جاء في الصحيحين - هو الذي كان يمسك بلجام البغلة البيضاء التي كان يركبها النبي دس ، في حنين .

وقد ذكرنا خبره مع ما ذكر ابن إسحاق من حديثه ، وذكرنا الاختلاف في اسمه قبل هذا .

ومنهم أبو عزيز بن محمد بن العبدري ، وقد ذكرنا اسمه واسم أمه وإخوته ، في أول خبر بدر . ومنهم السائب بن أبي حبيش بن المطلب ابن أسد بن عبد الغزي ، وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ذاك رجل لا أعلم فيه عيباً ، وما أحد إلا وأنا أقدر أن أعيبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد قيل : إن هذه التهمة قالها عمر في ابنه عبد الله بن السائب ، والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أبي حبيش المستحاضة (١) .

(١) يقال استحاضت المرأة ، فهي مستحاضة . وهي التي يسهر منها خروج الدم بعد أيام حيضها المعتادة ، وفي الصحيحين عن طين هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي ﷺ ، فقالت يا رسول الله إن امرأة استحاض ، فلا أظن أفادع الصلاة ؟ قال : لا ، إنما ذلك هرق ، وليست الحيضة ولكن دعني الصلاة قدر الأيام التي كنت تحيضين ، ثم اغتسلي وصلي . أما في رواية أبي داود فأسماء بنت عميس هي التي قالت لرسول الله ﷺ ، إن فاطمة بنت أبي حبيش استحاضت منذ كذا وكذا ولم تغسل ، فقال رسول الله ﷺ ، هذا من الشيطان لتجلس في مركب ، فإذا رأت صفرة فوق الماء فلتغسل الظهر والعصر غسلاً واحداً ، وتغسل المغرب والعشاء غسلاً واحداً ، وتغسل الفجر غسلاً وتوضأ فيما بين ذلك . وهناك له روايات أخرى . والمركب بكسر الميم - الإجماع التي تغسل فيها الثياب ، وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه أن أم حبيبة استحاضت سبع سنين فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك ، فأمرها أن تغسل . قالت - أي عائشة - فكانت تغسل لكل صلاة ، ولكن ليس في الصحيحين ولا أحدهما أن النبي ﷺ أمرها أن تغسل لكل صلاة ،

ومنهم خالد بن هشام ، ذكره بعضهم في المؤلّفة قلوبهم .

ومنهم عبد الله بن أبي السائب ، واسم أبي السائب : صئفي ، وقد تقدم قول عمر فيه ، وفي أبيه ، وعنه أخذ أهل مكة القراءة ، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء أهل مكة .

ومنهم المطّلب بن حنطاب بن الحارث بن عبيد بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم^(١) ، وبنو عمر بن مخزوم ثلاثة : عبد العزى ، وعابد ، ومن أهل النسب من ذكر فيهم عثمان بن عمر ، وبنو مخزوم ثلاثة : عمر والد هؤلاء الثلاثة ، وعمران ، وعامر ، هؤلاء فيهم العدد ، وبذكر في بني مخزوم أيضاً حمير وعميصة ولم يعقب عميرة إلا بنتاً اسمها : زينب^(٢) ، ومن حديث

= وفي كتاب مسلم عن الليث : لم يذكر ابن شهاب أن رسول الله وص ، أمر أم حبيبة أن تغسل لكل صلاة ، وإنما هو شيء فعلته هي ولهذا استدل على أن المستحاضة لا يلزمها الغسل لكل صلاة ، بقوله في حديث فاطمة : اغتسلي وصلي (١) أسقط ابن حزم في الجهرة ص ١٣٢ من نسبه : عبد الله ، فقال : ابن عبيد بن عمر بن مخزوم . أما في الإصابة فقال ابن عبيد بن مخزوم . أما في ترجمة والده عبد الله فذكر ابن عبيد بن عمر بن مخزوم ، والبكري في ذيل اللال يقول : ابن عبيد بن عمر بن مخزوم ص ١٠٢ .

(٢) ذكر المصعب الزبيري أنهم : عبد الله وعبيد وعبد العزى . أما عثمان فجعله ابن عبد الله بن عمر . أما ابن حزم فقال عن أولاد عمر بن مخزوم إنهما عبد الله وعبيد ، وجعل عثمان من أولاد عبد الله ص ١٣٢ وما بعدها . وذكر المصعب عن أولاد مخزوم أنهم : عمر وعامر وعمران وعميصة ، أما في جهرة ابن حزم فهم عمرو وعامر وعمران . انظر ص ١٣٢ وما بعدها الجهرة ، ص ٢٩٩ لسب قریش .

الْمُطَلِّبُ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مَنِ بَنْزِلَةِ
السمع والبصر من الرأس ، وفي إسفاده ضَعْفٌ ^(١) .

الحكم بن عبد المطلب :

ومن ولده الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب ، وكان أكرم
أهل زمانه ، وأسخم ، ثم تَزَهَّدَ في آخر عمره ، وماتَ يَتَمَنِّجُ ، وفيه يقول
[عبادة بن عمر] الرائي يريته :

سألو عن الجود والمعروف مافعلنا فقلت لهما مانا مع الحكم
مانا مع الرجل الموفى يذمته قبل السؤال إذا لم يوف بالذمم ^(٢)

(١) أخرجه الترمذى عن قتبية عن ابن أبي قديك عن عبد العزيز بن المطلب
ابن حنطب عن أبيه عن جده عبد الله بن حنطب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى أبا بكر
وعمر فقال : هذان السمع والبصر ، قال الترمذى : هذا مرسل وعبد الله
ابن حنطب لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وحوله أقوال أخرى انظرها في
الإصابة في ترجمة عبد الله بن الحنطب .

(٢) الراشحي : منسوب إلى رائج من أطام يهود المدينة . وقد لحق الراشحي
الدولة العباسية ، ومدح معنا . وقوله : سألو على التسهيل ، أو هولاء ، وقبل
البيت الأول :

ماذا يمتنح لو تنبش مقابرها من الهدم بالمعروف والكرم
وقد كتب ابن دريد هذه الأبيات إلى ابن هرمة . قال : البكري : وأظنه
الصواب . وقد ترك الحكم المدينة وسكن منبج مرابطا بها . وقال رجل من أهل
منبج - وهي في الروض منبج وهو خطأ - قدم علينا الحكم بن المطلب بن عبد الله
ابن المطلب بن حنطب ، ولأمال معه فأغنانا كلنا ، فقلنا كيف ذاك؟ قال علمنا مكارم =

وذكر الدارقطني عن حميد بن معروف قال : حضرت وفاة الحكم بن
عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، فأصابته من الموت شدة ،
فقال قائل في البيت : اللهم هون عليه الموت ، فقد كان ، وقد كان ، يُذني عليه
فأفاق الحكم ، فقال : مَنْ المتكلم ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال الحكم : بقول ،
لَكَ مَلَكُ الموت أنا بِكُلِّ سَخِي رَفِيقٍ ، ثم كأنما كانت قَتِيلَةً فَطُقِنَتْ ،
وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر أيضاً ، وحين سُجِنَ الحكمُ في ولايةٍ
وليها ، قال فيه شاعر :

خَلِيلِي إِنْ الْجُودَ فِي السَّجْنِ فَابْكِيَا هَلِ الْجُودَ إِذْ سُدَّتْ عَلَيْهِ سَمَرَاتُهُ

في أبيات ، فأعطى قائل هذا الشعر ثلاثة آلاف دِرْهَمَ .

من الذين أسلموا من أسارى بدر :

ومنهم : أبو وداعة الحارث بن ضُبَيْرَةَ^(١) بن سُعيد بن سعد بن سهم
أسلم هو وابنه للمطلب بن أبي وداعة يوم فتح مكة .

== الأخلاق ، فماد غشنا على فقيرنا فغنينا كلنا ص ٢١٦ ذيل الإحالي والنوادر
لقال ، ص ١٠٢ ، ص ٣٠ ، سمط اللالي البكري وكلاهما يذكره : الحكم بن المطلب .
ونقلت اسم الرائجي من المصدر السابق البكري . والتعبير بتزهد غير لائق ، لأن
القرآن لم يستعمل الزهد إلا في معنى التحفيز .

(١) هكذا ضبطها الحفظ في الإصابة في ترجمة عبد الله بن أبي وداعة فقال
صبيرة بمهملة ثم مرودة مصفرا . وقال عنه ابن حريد : صبيرة والزبيرى :
صبيرة ، وقد سبق ما نقله السهيلي عن الخطابي ، وظن الزبيرى في شرح القاموس أن
صبيرة هو الصواب فلم يثبت غيره .

ومنهم الحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي بن سقيد بن سهم ، ولم يوافق الواقدي ولا غيره لابن إسحاق على قوله سقيد بن سهم ، وقالوا : إنما هو سعد ، وقد تقدم هذا ، وأحسب ذكر الحجاج في هذا الموضع ، وهما فإنه من مهاجرة الحبشة وقدم المدينة بعد أخيه ، فكيف يقد في أمرى للشركين يوم بدر .

ومنهم عبد الله بن أبي بن خلف الجمحي أسلم يوم الفتح ، وقُتل يوم الجمل ، ومنهم : وهب بن عمير الجمحي أسلم بعد أن جاء أبو عمير في فدائه فأسلما جميعاً ، وقد ذكر خبر إسلامه ابن إسحاق قبل هذا .

ومنهم سهيل بن عمرو أسلم ومات بالشام شهيداً ، وهو خطيب قریش ، وأخباره مشهورة في السيرة وغيرها .

ومنهم : عبد بن زمعة أخو سودة بنت زمعة أسلم ، وهو الذي خاصمه سعد في ابن ولادة زمعة ، واسم الابن الخاصم فيه : عبد الرحمن ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : هو لك يا عبد بن زمعة (١) .

(١) روى الجماعة إلا الترمذي عن عائشة رضي عنها قالت : واختمهم سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في غلام ، فقال سعد : هذا يا رسول الله ابن أختي عتبة ابن أبي وقاص ، عهد إلى أنه ابنه ، انظر إلى شبهه ، وقال عبد بن زمعة : هذا أختي يا رسول الله . ولد على فراش أبي من وايدته . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى شبهاً بينا بعثة ، فقال : هو لك يا عبد بن زمعة . الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، واحجني منه يا سودة ، فلم تره سودة قط ، وفي رواية أبي داود وبرواية البخاري : هو أخوك يا عبد ، وله الحجر : أي الخيبة .

ومنهم قيسُ بنُ السائب [بن عويمر بن عائد بن عمران بن مخزوم]
المخزومي ، إليه كان ولّاه مُجاهدُ بن جُبَيْر ، القاري ، ويقال : فيه مجاهد
ابن جَبَر ، وهو قول ابن إسحاق ، وكان مجاهد يقول : في مَوَلاي قيسُ
ابن السائب أنزل الله سبحانه : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾
فأنطَر وأطعم من كل يوم مسكيناً ، وهو الذي قال : كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجاهلية شريكاً ، فكان خير شريك لا يشاريني ولا يماريني ^(١) ،
وقيل : إن أباه قل هذه لقالة ، وتقدم الاضطرابُ في ذلك والاختلافُ ،
وقوله : بشاريني من شري الأمرُ بينهم إذا تفاضبوا .

ومنهم نسطاسُ مولى أميةَ بن خَافٍ ^(٢) ، يقال : إنه أسلم بعد أحدٍ ،

(١) أخرجه ابن سعد من طريق موسى بن أبي كثير عن مجاهد . ورواية
البخوي : قال مجاهد : سمعت ابن قيس بن السائب يقول : إن شهر رمضان
يفتديه الإنسان ، يطعم فيه كل يوم مسكيناً ، فأطعوا عنى مسكيناً كل يوم صاعاً
قال قيس : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكاً في الجاهلية ، فكان خير
شريك لا يماري ، ولا يشاري ، وأخرجه الدولابي لكنه قال : أبو قيس
ابن السائب . . وحول هذا خلاف كبير . وقد تقدم في الكلام عن أبي السائب
(٢) في الإصابة أنه كان مولى أبي بن خلف . يقول ابن دريد في الاشتقاق
عن فران : وهو فعلان من قولهم : فررت الفرس وغيره من الدواب : إذا
فتحت فاه لتعرف سنه ص ٥٥ ، وم بنو بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة
وفران هو ابن بلي ، وفران في الاشتقاق والجمهرة لابن حزم بتشديد الراء ، وعنه
يقول ابن حزم ، ودار بلي بالاندلس : الموضع المعروف بأهم بشمال قرطبة
وم هنالك إلى اليوم على أسابهم لا يحسنون الكلام بالطينية لكن بالعربية فقط
نساؤم ورجالهم ، ويقرون الضيف ، ولا يأكلون إليه الشاة إلى اليوم ، ص ٤١٥ .

وكان يُحَدَّثُ عن انهزام المُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ ، ودخول المسلمين عليه في القُبَّةِ
وهُرُوبُ صَفْوَانَ بَخْتِ عَجِيبٍ لم يذكره ابن إسحاق ، فهذه جملةٌ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ
الْأَسَارَى الَّذِينَ أَسَرُّوا يَوْمَ بَدْرٍ .

مَنْ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْمُسَارَى :

وذكر فيمن لم يُسَلِّمْ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمِيدٍ بْنُ زُهَيْرٍ الْأَسَدِيُّ ، والمُروِفُ
فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمِيدٍ ، كذلك ذكره ابن قُتَيْبَةَ ، وأبو مُرَّةٍ ،
والكَلْبَاءِيُّ أَبُو تَمْرٍ ، وهو مَوْلَى حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ .

وما ذكره ابن إسحاق في نسب بَلَّةَ بْنِ فَارَّانَ بْنِ عَمْرٍو ، فإنه عند
أَكْثَرِ أَهْلِ النَّسَبِ قَرَّانٌ بغير ألف غير أن منهم من يشدد الراء ، وهو ابنُ
دُرَيْدٍ ، وقال : هو قَعْلَانٌ مِنَ الْفِرَارِ (١) .

تَارِيخُ وَفَاةِ رُقِيَّةَ :

فصل : وذكر في السيرة تخلف عثمان على امرأته رُقِيَّةَ فَضْرَبَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِسَهِمِهِ وَأَجْرَهُ ، كان موتها يومَ قَدَمَ زَيْدُ
ابْنُ حَارِثَةَ بِشِيرٍ أَبْوَقَةً بَدْرٍ ، وهذا هو الصحيح في وفاة رُقِيَّةَ ، وقد رَوَى
الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ حَدِيثَ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَهِدَ
دَفْنَ بِنْتِهِ رُقِيَّةَ ، وَقَعَدَ عَلَى قَبْرِهَا ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ أَبُوكُمْ لَمْ يُقَارِفْ

(١) رواه في باب الجنائز عن عبد الله بن محمد ، وعن محمد بن سنان .

الليلة ؟ فقال أبو طلحة : أنا ، فأمره أن ينزل في قبرها ، ثم أنكر البخاري هذه الرواية ، وخرجه في كتاب الجامع ، فقال فيه : عن أنس شهدنا دفن بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكر الحديث ، ولم يُسمِ رُقِيَّةَ ولا غَيْرَهَا^(١) ورواه الطَّبْرِيُّ ، فقال فيه : عن أنس شهدنا دفن أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبين في هذا الحديث ، وهو كله حديث واحد ، ومن قال : كانت رُقِيَّةَ ، فقد وهم بـلاشك ، وقال في الحديث : أيكم يُقَارِفُ اللّيلةَ ، فقال فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، وهو راوى الحديث ، يعنى : الذَّنْبَ هكذا وقع في الجامع ، وهو خطأ لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم كان أول بهذا^(٢) ، وإنما أراد أيكم لم يُقَارِفِ أهله ، وكذا رواه غيره بهذا اللفظ ، قال ابنُ بَطَّالٍ : أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يحترم عثمان النزول في قبرها ، وقد كان أحق الناس بذلك ، لأنه كان بعلها ، وقد منها علقا

(١) ذكره البخاري في باب من يدخل قبر المرأة تعليقا ، ووصله الإسماعيلي وكذا قال شريح بن النعمان فليح أخرجه أحمد عنه ، وقد روى الواقدي الحديث عن طليح بن سليمان ، وفيه أنها أم كلثوم ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات في ترجمة أم كلثوم ، وكذا الدولابي في الثرية الطاهرة والطحاوي من هذا الوجه ، ورواه حماد بن سلة عن ثابت عن أنس ، فسمها رقية ، كما روى أحمد ، وكذا أخرجه البخاري : ما أدري ما هذا ، فإن رقية ماتت ، والنبي يبدر لم يشهدا ١١ قال الحافظ : ومحماد في تسميتها فقط ، ويؤيد أنها أم كلثوم ما رواه ابن سعد أيضا في ترجمة أم كلثوم من طريق حمزة بن عبد الرحمن ، قالت : نزل في حفرتها أبو طلحة .

(٢) جزم ابن حزم بأن المقصود من يقارف : يجامع ، ثم معاذ الله أن يتبعج أبو طلحة عند رسول الله صر ، بأنه لم يذنب تلك الليلة

لا عرض منه ، لأنه حين قال عليه السلام : **لَيْسَ كُمْ لَمْ يُقَارِفْ** أَهْلَهُ سَكَتَ
عُثْمَانُ ، ولم يقل : أنا ، لأنه كان قد قَارَفَ لَيْلَةً مَاتَتْ بَعْضُ نَسَائِهِ ، ولم يَشْغَلْهُ
الْهَمُّ بِالصَّيْبَةِ ، وانقطعَ صِنْوَرُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْمُقَارَفَةِ ،
فَحَرَّمَ بِذَلِكَ مَا كَانَ حَقًّا لَهُ ، وَكَانَ أَوَّلَى بِهِ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ وَغَيْرِهِ ، وَهَذَا
بَيِّنٌ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ ، وَلَمَّا لَمَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ عِلْمُ ذَلِكَ
بِالْوَحْيِ ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا ، لِأَنَّهُ فَعَلَ فِعْلًا حَلَالًا ، غَيْرَ أَنَّ الْمَصِيبَةَ لَمْ تَبْلُغْ مِنْهُ
مَبْلَغًا يَشْغَلُهُ حَتَّى حُرِّمَ مَا حُرِّمَ مِنْ ذَلِكَ بِتَغْرِيفٍ غَيْرِ تَصْرِيحٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) .

أشعار يوم بدر

وقد قدمنا في آخر حديث الهجرة : أنا لانعرض لشرح شيء من الشعر
الذي هُجِيَ بِهِ السَّلَوُونَ ، وَنَالَ فِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُشْرِكُونَ
إِلَّا شِعْرًا أَسْلَمَ صَاحِبُهُ ، وَتَكَلَّمْنَا هُنَا عَلَى مَا قِيلَ فِي تِلْكَ الْأَشْعَارِ ، وَذَكَرْنَا
قَوْلَ مَنْ طَلَعَ عَلَى ابْنِ إِسْحَاقَ بِسَبِّهِ هُنَاكَ وَبَيْنَا الْحَقَّ وَالْحَمْدَ لَهُ .

الشعر المنسوب إلى حمزة :

الشعر المنسوب إلى حمزة فيه :

وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم

(١) هناك من يقول : إن مرض المرأة كان قد طال ، واحتاج عُثْمَانُ إِلَى
الْوَقَاحِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَظُنُّ مَوْتَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ وَاقَعَ بَعْدَ
مَوْتِهَا بَلْ ، وَلَا حِينَ احْتِضَارِهَا ، وَمَا ذَكَرَهُ السَّهِيلُ هُوَ رَأْيُ ابْنِ حَبِيبٍ .

أَفَادَمَ : أَهْلَكَهُمْ ، يقال : فاد الرجلُ وفانظ ، وفطس ، وفاز ، وفوز
إذا هلك ، ولا يقال : فاض بالضا ، ولا يقال : فاضت نفسه إلّا في لغة بني
ضبة بن أد .

وقوله : تَوَاصٍ هو تَفَاعُلٌ من الوَصِيَّةِ ، وهو الفاعل بأفادَمَ .

وفيه يُجَرِّجُ في الجفَر . الجفَرُ كلُّ بئرٍ لم تُطَوَّ ، ومنها : الجفرة ،
ويُجَرِّجُ : يحمل بعضه على بعض^(١) .

شعر على :

وقال في الشعر الذي يعزى إلى علي :

بأيديهم بيضٌ خفافٌ عصوا بها

يقال : صَيِّتُ بالسيفِ وَعَصَوْتُ بالعَصَا^(٢) ، فإذا أُخْبِرَتْ عن جماعة قلت
عصوا بضم الصاد ، كما يقال عموأ ، ومن القصا تقول : عصوا ، كما تقول غزوا .

وقوله : مُسَلَّبةٌ ، أي قد ليست السلاب ، وهي خرقة سوداء تلبسها

الشكلى . قال لبيد :

(١) هي في السيرة : تخرجهم بحذف إحدى التاءين وأصله تتجرجم ومعناه كما عند
أبي ذر : تسقط ، ويروي بضم التاء على البناء للمجهول ، ومعناه تصرع . ومن
معاني القصيدة أيضاً : تفرعن معناه : علون . الذوائب : المقصود : الأعلى . خاس :
غدر . الفسر : القهر والقلبة . تورطوا : وقفوا في هلكة . المسدمة : الفحول
من الإبل ، والرهز : البيض والمازق : الموضع الضيق في الحرب .

(٢) في المأمون بضم الميم أي شرب الكي . والبيض الخفاف : السوف

وَأَنْتَى مُلَاعِبَ الرَّمَايحِ وَمِذْرَةَ الْكِتَابَةِ الرَّدَاحِ
بَضْرَيْنَ حُرٍّ أَوْجُهُ صِحَاحٍ فِي الشُّلْبِ الشُّودِ فِي الْأَمْسَاحِ
فَالشُّلْبُ : جَمْعُ سِلَابٍ .

مَوْلَى مَعْرُوفٍ :

وَفِي شِعْرِ حَسَّانَ :

تَبَلَّتْ فَوَادِكُ فِي الْمَنَامِ خَوِيدَةٌ

يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْمَنَامِ النَّوْمَ ، وَمَوْضِعَ النَّوْمِ ، وَوَقْتَ النَّوْمِ ، لِأَنَّ
مَفْعَلًا يَصْلُحُ فِي هَذَا كَلْمُهُ فِي دَوَاتِ الْوَاوِ ، وَقَدْ تُسَمَّى الْعَيْنُ أَيْضًا مَنَامًا ، لِأَنَّهَا
مَوْضِعُ النَّوْمِ ، وَعَلَيْهِ تَوَوَّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾
أَيُّ فِي عَيْنِكَ ، وَيَقْوَاهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَبَقَالَكُمْ فِي أُعْيُنِهِمْ ﴾ .

الْفَرْقُ بَيْنَ مَفْعَلٍ وَفَعَلٍ

وَلَا فَرْقَ عِنْدَ النُّجَاجِيِّينَ بَيْنَ مَفْعَلٍ فِي هَذَا الْبَابِ وَفَعَلٍ ، نَحْوُ مَضْرَبَ
وَضَرَبَ ، وَمَنَامَ وَنَوَّمَ ، وَكَذَلِكَ هُمَا فِي التَّعْدِيَةِ سَوَاءٌ ، نَحْوُ ضَرْبُ زَيْدٍ
عَمْرًا وَمَضْرَبُ زَيْدٍ عَمْرًا ، وَأَمَّا فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ وَالْعِلْمِ بِجَوْهَرِ الْكَلَامِ ،
فَلَا سَوَاءٌ ، فَإِنَّ الْمَصْدَرَ إِذَا حَدَّثَتْهُ قَلْتُ ضَرْبَةً وَنَوَّمْتُ ، وَلَا يَقَالُ : مَضْرِبَةٌ
وَلَا مَنَامَةٌ ، فَهَذَا فَرْقِي ، وَفَرْقُ آخَرَ يَقُولُ : مَا أَنْتَ إِلَّا نَوَّمٌ وَإِلَّا سَبَرٌ إِذَا قَصِدَتْ
التَّوَكِيدُ ، وَلَا يَجُوزُ : مَا أَنْتَ إِلَّا مَنَامٌ وَإِلَّا مَسِيرٌ ، وَمِنْ جِهَةِ النَّظَرِ أَنَّ اللَّيْمَ

لم تَزِدْ إِلَّا لِمَعْنَى زَائِدٍ كَلَزَوَائِدِ الْأَرْبَعِ فِي الْمَضَارِعِ ، وَعَلَى مَا قَالُوهُ ، تَكُونُ زَائِدَةً لغير معنى .

فإن قلت : فما ذاك المعنى الذى تُعْطِيهِ الميم ؟

قلنا : الْحَدَّثُ يُتَضَمَّنُ زَمَانًا وَمَكَانًا وَحَالًا ، فَالْمَذْهَبُ عِبَارَةٌ عَنِ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ الذَّهَابُ ، وَعَنِ الْمَكَانِ أَيْضًا ، فَهُوَ يَعْطِيُ مَعْنَى الْحَدَّثِ وَشَيْئًا زَائِدًا عَلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أُرِدَتْ الْحَدَّثُ مَقْرُونًا بِالحَالَةِ وَالتَّهْنِئَةِ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَتْنَأَمُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ فَاحَالَ عَلَى التَّمَسُّكِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ عَلَى الْبَشَرِ ، ثُمَّ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وَلَمْ يَقُلْ مَتْنَأَمٌ خَلَوْ هَذَا الْمَوْطِنِ مِنْ تِلْكَ الْحَالَةِ ، وَتَقَرُّبِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى الزَّائِدِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ جَوْهَرَ الْكَلَامِ لَمْ يَعْرِفْ إِعْجَازَ الْقُرْآنِ .

عُودَ إِلَى شِعْرِ صَاحِبِهِ :

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ :

مُبْنِيَّتٌ عَلَى قَطْنٍ أَجَمٌّ كَأَنَّهُ

قَطْنُهَا : تَبَجُّهَا وَوَسَطُهَا ^(١) ، وَأَجَمٌّ أَيْ : لَا عِظَامَ فِيهِ .

(١) عِنْدَ الْحَسَنِ : الْقَطْنُ : مَا بَيْنَ الْوَرَكَيْنِ إِلَى الظَّهْرِ ، وَأَجَمٌّ مَعْتَلٍ بِالْإِجْمِ ، وَالْبُوصُ فِي قَصِيدَةِ حَسَنِ : الرِّدْفُ ، وَمُتَنَزِّدٌ : عَلَا بِهِضَةً بَعْضًا . وَنَفِجٌ : مَرْتَفَعَةٌ وَلِحَاقِيَّةٌ : مَا يَجْعَلُهُ الرَّكَّابُ وَرَاءَهُ فَاسْتَعَارَهُ هَاهُنَا لِرَدْفِ الْمَرْأَةِ .

وقوله : كَأَنَّهُ فُضِّلَا ، نَصَبٌ فُضْلًا عَلَى الْحَالِ ، أَيْ : كَأَنَّهُ قَطَّنُهَا إِذَا كَانَتْ فُضْلًا ، فَهُوَ حَالٌ مِنَ الْمَاءِ فِي : كَأَنَّهُ ، وَإِنْ كَانَ الْفُضْلُ مِنْ صِفَةِ الرَّأَةِ لِأَمِنْ صِفَةِ الْقَطْنِ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْقَطْنُ بِمَضَاهَا صَارَ كَأَنَّهُ حَالٌ مِنْهَا ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمْرِ فِي قَعْدَتِ لَا سِتِحَالَةٍ أَنْ يَمْعِلَ مَا بَعْدَ إِذَا فَيَأْتِي قَبْلَهَا ، وَالْفُضْلُ مِنَ النَّسَاءِ وَالرِّجَالِ : الْمَتَوَشَّعُ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَالتَّمْدَاكُ صَلَاةُ الطَّيِّبِ ^(١) ، وَهُوَ يَتَقَعَلُ مِنْ دُكْتُ أَدُوْكَ ، إِذَا دَقَّقَتْ ، وَمِنْهُ الدَّوْكَةُ ^(٢) والدَّوْكَةُ ^(٣) .

وقوله : مَرَّ الدَّمُوكُ يُقَالُ : دَمَكَهُ دَمَكًا ، إِذَا طَحَنَهُ طَحْنًا مَرِيًّا ، وَبَكَرَةً دَمُوكٌ ، أَيْ : سَرِيعةَ الْمَرِّ ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا : رَحَى دَمُوكٌ ، وَالْمُخَصَّدُ الْخَبْلُ الْمُحْكَمُ الْفَتْلُ ، وَالرَّجَامُ : وَاحِدُ الرُّجَامَيْنِ ، وَهِيَ الْخَشَبَتَانِ اللَّغَانُ تُنْقَى عَلَيْهِمَا الْبَكَرَةُ ، وَالرَّجَامُ أَيْضًا : جَمْعُ رُجَّةٍ ، وَهِيَ حِجَارَةٌ مَجْتَمِعَةٌ ، يَجْمَعُ رَجَمٌ وَهُوَ الْقَبْرُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

تَمْتَعْ مِنْ رُقَادٍ أَوْ سُهَادٍ وَلَا تَمَلْ كَرَمِي تَحْتَ الرُّجَامِ
فَإِنْ لَتَاكَ الْحَاكَيْنِ مَعْنَى سَيَوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْفَامِ
وَارْقَدْتَ ^(٣) : أَسْرَعْتَ ، وَمَصْدَرُهُ : ارْقَدَادٌ ، وَكَذَلِكَ ارْمَدْتَ ،

(١) يَعْنِي الْحَبْرَ الَّذِي يَسْقَى عَلَيْهِ الطَّيِّبُ .

(٢) الدَّوْكَةُ بَفَتْحِ الدَّالِ : يُقَالُ : رَقَعُوا فِي دَوْكَةٍ : شَرُّ وَخُصُومَةٍ . وَالدَّوْكَةُ بِالضَّمِّ : الْمَرَضُ ، وَوَقَعُوا فِي دَوْكَةٍ : شَرُّ وَخُصُومَةٍ .

(٣) فِي السَّيْرِ : وَارْمَدْتَ وَبَقِرْلَ الْخَشْنَى فِي شَرِّهِ السَّيْرِ وَارْمَدْتَ =

وأَفْعَلٌ في غير الألوان والخلق عزيز ، وأما انْقَضَ فليس منه في شيء ، لأنك تقول في معناه تَقْضِي الْبَيْتَ ، فالقاف : فاء الفعل ، وكذلك تَقْضِي الْبَارِي ، لأنه منه ، وغلط القسوي في الإيضاح ، فجعل يريد أن يَنْقُضَ مِنْ بَابِ أَحْمَرَ ، وإنما هو من باب انْقَدَّ وانْجَمَّ والنون زائدة ، ووزنه : انْفَعَلَ ، وكذلك غلط القالي في النوادر فقال في قوله : وجريها انْثَرَارُ أنه اِفْتِلَالٌ مِنَ الثَّمَرِ ، كما قال القسوي في الانْقِضَاضِ ، وإنما هو انْفِعَالٌ مِنْ عَيْنِ ثَرَةٍ أي كثيرة الماء .
ودسنه بَحَوَامٍ يعني : الحوافر ، وما حول الحوافر ، يقال الحَامِيَّةُ ، وجمعه حَوَامٍ .

مول شعر الحارث بن هشام :

وقول الحارث بن هشام :

حتى عَلُوا مُهْرِي بِأَشَقَرٍ مُزَبَدٍ

يعني : الدَّم ، ومُزَبَدٍ ، قد علاه الزَّبَدُ .

وقوله : والأحبةُ فيهم : يعني مَنْ قُتِلَ أو أُمِرَ : من رَهْطِهِ وإخْوَتِهِ .

عود إلي مساه :

وقول حسان : بكتيبة خُضراءٍ مِنْ بَلْخَزَرَجٍ :

= وارتدت معناهما جميعا : أسرع ، وقال بعض اللغويين : الارتداد : السرعة عند نفور .

العرب تحمل الأسود أخضر ، فتقول : ليل أخضر كما قال [ذو الرمة :
قد أغسفت النازح المجهول مَغْسَفُهُ في ظِلِّ أَخْضَرٍ يدمو هامةَ اليوم

وتسمى الأخضر أسود ، إذا اشتدت خضرته ، وفي التنزيل : (مُدْهَامَتَانِ) ،
قال أهل التأويل : سَوْدَ آوَانٍ مِنْ شِدَّةِ الْخَضَرَةِ .
وقوله : بكل أبيض مسلجج ، هو السيف الماضى الذى يقطع للضريبة
بسُهُولة ، ومنه المثل : الْأَخْذُ سَلْجَاجٌ وَالْقَضَاءُ لِيَانٌ ^(١) ، أى الأخذ سهلٌ
بَسُوْعٌ فى الخلق بلا عُسْرٍ ، كما قالوا : الْأَخْذُ سُرْيَطٌ [وَسُرْيَطٌ] والقضاء
ضُرْيَطٌ [وَضُرْيَطٌ] ^(٢) فسرَّيَطٌ من سَرَطَتِ الشَّيْءَ إِذَا بَلَغَتْ سَهْلًا ، فَسَلْجَجٌ
من هَذَا ، إِلَّا أَنَّهُمْ ضَاعَفُوا الْجِيمَ ، كَمَا ضَاعَفُوا الدَّالَّ مِنْ مَهْدَدٍ ^(٣) ، وَلَمْ يُدْغِمُوا
إِلَّا أَنَّهُمْ أَحَقُّهُ بِتَجْمَعَرٍ .

(١) السلجان : الأكل السريع ، ويروى : الأكل مكان الأخذ . ويقال فيمن
يحب أن يأخذ ، ويكره أن يرد ، أى إذا أخذ الرجل الدين أكله فإذا أراد
صاحب الدين حقه ، لواه به ، أى مطله

(٢) وقالوا سريطى ، وضربطى بضم الحرف الأول وتشديد الثانى مع
فتحه ، وفتح الطاء فى الكلمتين ، أى : يأخذ الدين ، فيسترطه ، فإذا استقضاه
غريمه أضرب به ، و : امثله لأخذ سرطان ، والقضاء لِيَانٌ . وقد ضبط لِيَانٌ فى
باب سلج بكسر اللام ، وهنا بفتحها ، وقال إنها بالضبطين فى مادة لوى أى بفتح
اللام وكسرها . وبعض العرب يقول : الأخذ سريطاء ، بضم ففتح فسكون ، والقضاء
ضريطاء . بنفس ضبط سريطاء . وقال بعض الأعراب : الأخذ سريطى بكسر
فتشديد مع كسر وفتح الطاء ، والقضاء ضريطى بضبط سريطى :

(٣) سبق بسط القول عن مهدد .

(م ٢٤ — الروض الأثف ج ٥)

وقوله : بَلَخَزَرَج ، أراد : بنى الخَزَرَج ، غذف النون لأنها من تَخْرَج
 اللام ، وهم يَحْذِفُونَ اللام في مثل ، عِلْمَاءُ وَظَلَّتْ^(١) ، كراهية اجتماع اللامين ،
 وكذلك أَحَسْتُ كراهية التضعيف ، وفي حديث عائشة - رضى الله عنها -
 تَرَبَّتْ بِمِثْكَ وَأَلَّتِ ، أرادت : أَلَّتِ ، أى طُعِنَتْ^(٢) من قولهم : ماله أَلٌّ
 وَغُلٌّ ، ويروى : أَلَّتْ فتسكون الفاء علما للتأنيث ، أى أَلَّتْ يَدُكَ ، وعندنا فيه
 رواية ثالثة في كتاب مسلم ، وهى تَرَبَّتْ يَدَاكَ وَأَلَّتْ بكسر الفاء وتشديد
 اللام وهى على لغة من يقول فى رَدَدَتْ رَدَدَتْ فيدغم مع ضمير الفاعل ، وهى
 لغة حكاها سيبويه^(٣) [من أحكام الأفعال المبنيّة على صيغة المبني للمجهول] .
 وذكر شعر كعب وفيه :

أَتَمَرُ أَيْبَكَا يَا بَنِي لُؤَيٍّ عَلَى زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وَإِنْخَاءُ
 الْإِنْخَاءِ . اِفْتِمَالٌ مِنَ النَّخْوَةِ ، ويقال نُجِيَ الرَّجُلُ وَإِنْخَى . ومن الزَّهْوِ :

(١) أصابها : على الماء وظلمات ، وقالوا : عِلْرَضٌ وَجَلْدَرٌ ، وسلقامة فى على
 الأرض ، وجلا الأمر ، وسلا الإقامة وكلها بفتح الادل وتضعيف التانى مع
 تنج . الشافية ٣ ص ٢٤٦ .

(٢) فعل هذا المعنى : أَلَّ - بفتح الهزرة وتضعيف اللام . ويؤلف بضم
 الهزرة وتضعيف اللام . وقد ضبط ابن الأثير الفعل بهذا المعنى كما ضبطته وقال :
 وروى بضم الهزرة مع التشديد أى : طعنت بالالة - بفتح الهزرة وتضعيف
 اللام مع فتح - وهى الحربة العريضة النصل ، وفيه بعد ، لأنه لا يلزم لفظ
 الحديث وقال : إن امرأة سألت عن المرأة تحتمل ، فقالت لها عائشة رضى الله
 عنها : تربت يداك وألت ، وهل ترى المرأة ذلك . ثم ضبط ألت بفتح الهزرة
 وتضعيف اللام ، وفسرها بقوله : أى هاجت لما أصابها من شدة هذا الكلام .
 (٣) هى لغة بكر بن وائل وغيرهم .

زُهِي وَاَزْدَمِي، وَلَا يَكُونُ الْأَمْرُ مِثْلُ (١) هَذَا إِلَّا بِاللَّامِ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ فِيهِ
 اِفْعِيزِ الْخَطَّابَ ، وَإِذَا أَمِرَ مَنْ لَيْسَ بِمَخَاطَبَ ، فَإِنَّمَا يُؤَمَّرُ بِاللَّامِ كَقَوْلِكَ :
 لِنَزِهِ يَا فُلَانُ وَلِتُثْمَنَ بِحَاجَتِي ، وَكَانَ الْقِيَاسُ أَيْضًا أَنْ لَا يُقَالَ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ :
 مَا أَفْعَلَهُ ، وَلَا هُوَ [أَفْعَلُ مِنْ كَذَا] ، كَمَا لَا يُقَالَ فِي الْمَرْكُوبِ : مَا أَرْكَبْتَهُ ، وَلَا فِي
 الْمَضْرُوبِ : مَا أَضْرَبْتَهُ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ : مَا أَزْهَاهُ ،
 وَمَا أَغْنَاهُ بِحَاجَتِي ، وَقَالُوا : هُوَ أَشْفَلُ مِنَ ذَاتِ التَّخَمُّنِ ، وَهُوَ أَزْهَى مِنْ
 غُرَابٍ ، وَالْفِعْلُ فِي هَذَا كُلُّهُ زُهِي وَشَرِبَ فَهُوَ مَشْغُولٌ وَمَرْهُوٌّ وَقِيلَ فِي الْجَنُونَ
 مَا أَجَنَّهُ حَكَاهُ أَبُو عَمْرٍ [صَالِحُ بْنُ إِسْحَاقَ] الْجَرْمِيُّ . وَقَالَ سَبْيُوهِ : وَاعْلَمْ أَنَّ
 الْعَرَبَ تَقْدِمُ فِي كَلَامِهَا مَا هُمْ بِهِ أَهَمُّ ، وَمِنْ بَيَانِهِ أَعْنَى ، وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يَهْمَانِهِمْ ،
 وَيُعْنِيَانِهِمْ ، فَقَالَ أَهَمُّ وَأَعْنَى ، وَهُوَ مِنْ هَمَّهِمْ وَعَنَانِهِمْ ، فَهَمُّ بِهِ مَعْنِيُونَ بِمِثْلِ
 مَضْرُوبُونَ ، فَجَازَ فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مَا تَرَى ، وَسَبَبُ جَوَازِهِ : أَنَّ الْمَفْعُولَ فِيهَا
 فَاعِلٌ فِي الْمَعْنَى ، فَالْمَرْهُوُّ هُوَ مَحْكُومٌ وَكَذَا الْمَنْخُورُ وَالْمَشْفُوعُ مَشْتَقِلٌ وَفَاعِلٌ
 لَشَفْلِهِ ، وَالْمَعْنَى بِالْأَمْرِ كَذَلِكَ ، وَالْمَجْنُونُ كَالْأَحْمَقِ ، فَيُقَالُ : مَا أَجَنَّهُ ، كَمَا
 يُقَالُ : مَا أَحَقَّقَهُ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَضْرُوبٌ ، وَلَا أَمْرٌ سَكُوبٌ وَلَا مَشْتُومٌ ،
 وَلَا مَمْدُوحٌ ، فَلَا يُقَالُ فِي شَيْءٍ مِنْهُ : مَا أَفْعَلَهُ ، وَلَا هُوَ أَفْعَلُ مِنْ غَيْرِهِ .

فَإِنْ قُلْتَ : فَكَانَ يَنْبَغِي عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ أَيْضًا أَنْ يُؤَمَّرَ فِيهِ بِغَيْرِ اللَّامِ ،
 كَمَا يُؤَمَّرُ الْفَاعِلُ إِذَا ، وَقَدْ قُلْتُمْ : إِنَّهُ فَاعِلٌ فِي الْمَعْنَى فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْأَمْرَ إِنَّمَا
 هُوَ بِلَفْظِ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَهُوَ تَضْرِبُ وَتَخْرُجُ ، فَإِذَا أَمَرْتُ حَذَفَتْ حُرُوفُ الْمَضَارَعَةِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ وَلَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ مِثْلِ .

وبقيت حروفُ الفعل على بنيتها ، وليس كذلك زُهيتَ فانت تُزهي ،
ولاشُغيتَ فانت تُشغل ، لأنك لو حذفته حرف المضارعة لبقى لفظ الفعل
على بنية ليست للغائب ، ولا للمخاطب ، لأن بنية الأمر للمخاطب افعل ،
وبنية الغائب ، فليَفعل ، والبنية التي قدّرناها لاتصلح لواحدٍ منهما ،
لأنك كنت تقول أرزهي من زُهيتُ ، وكنت تقول من شُغلتُ أشغل ،
فتخرج من باب شُغلتَ فانت مشغول إلى باب شغلتَ غيرك ، فانت شاغل ،
فلم يستقم فيه الأمر إلا باللام .

وقوله : وميكَالَ فياطيبَ اللآءِ أراد اللآءَ ، وليس من باب مدَّ المقصور ، إذ
لا يجوز في عَصَى عَصَاءَ ، ولا في رَحَى : رَحَاءَ في الشمر ، ولا في الكلام ،
وإن كانوا قد أشبعوا الحركات في الضرورة ، فقالوا في الكذلْ الكذلْ ،
وفي الصيارِف : الصيارِف ، ولكن مدَّ المقصور أبعدُ من هذا ، لأن زيادة
الألف تغييرٌ واحد ، ومدَّ المقصور تغييران ، زيادة ألف ونهمز ما ليس بمهموز ،
غير أنه قد جاء في شعر طرفة :

وكشَحان لم ينقص طَواءُهما الحبلُ^(١)

لكنه حسنٌ قليلا في بيت طرفة في أنه لم يُرد الطوى الذي هو مصدر ،

(١) الذي في اللسان : والطواء أن ينطوى ثديا المرأة ، فلا يكسرهما الحبل -
بفتح الباء — وأنشد:

ومديان لم يكسر طواءهما الحبل

طَوِيَّ يَطْوِي : إذا جاع ، وخَوِيَّ بَطْنُهُ ، وإنما أراد : رِقَّةً انْخَصِرَ ، وذلك جمالٌ في المرأة ، وكالٌّ في الخلقة ، فجاء باللفظ على وزن جمال وكمال ، وظهر في لفظه ما كان في نفسه ، والمربُّ تنعوا بالكلمة إلى وزن ما هو في معناها ، وقد مضى منه كثيرٌ وسَيرِدُ عليك ما هو أكثر .

وأما المَلَأَ وانْطَلَأَ والرَّشَأُ والْفَرَأُ^(١) وما كان من هذا الباب ، فإن همزته تُقَلَبُ أَلِفًا في الوقف بإجماعٍ نعم ، وفي الوصل في بعض اللغات فيكون الألفُ عَوَضًا مِنَ الهمزة ، وقد يَجْمَعُونَ بين العَوَضِ والمُعَوِّضِ منه ، كما قالوا هَرَأَقَ الماء ، وإنما كانت الهاء بدلًا من الهمزة ، فجمعوا بينهما ، وقالوا في النسب إلى قَمَرٍ فَمَوِيٌّ ، وقالوا في النسب إلى اليمين يَمَنِيٌّ ، ثم قالوا : يَمَانٍ ، فَعَوَّضُوا الألفَ من إحدى اليامين ، ثم قالوا يَمَانِيٌّ بالتشديد فجمعوا بين العوض والمُعَوِّضِ منه ، فيأطيب التلاء من هذا الباب ، وكذلك قولهم انْطَلَأَ في انْطَلَأَ . قال الشاعر :

فَكُلُّهُمْ مَسْتَقْبِحٌ أَصَوَابٍ مِّنْ مُّخَالَفَةٍ مُّسْتَحْسِنٍ لِّخَطَائِهِ

وقد قال وَرَقَةُ : إلاما غَفَرْتَ خَطَايَا^(٢) (فإن قيل) فقد أنشد أبو علي

في مد المقصور :

(١) الرِّشَأُ : اللُّظْيُ إذا قَوِيَ وَهَشِيَ مع أمه . والْفَرَأُ : حمار الوحش أو فيه .
والألفُ أشرف القوم .

(٢) هو سهو من السبيل . فإن هذا الكلام جزء من بيت شعر نسب في السيرة إلى زيد بن عمرو بن نفيل ، وقال ابن هشام إن القصيدة كلها =

يَالَاكَ مِنْ تَمَرٍ وَمِنْ شَيْشَاءٍ يَنْشَبُ فِي الْمَسْجِدِ وَاللَّهَاءِ
أَرَادَ: جَمَعَ الْهَاءَ. قُلْنَا: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُؤَلَّدًا، وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا،
فَلَعَلَّ الرُّوَابِيَةَ فِيهِ: الْهَاءُ بِكَسْرِ اللَّامِ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ أَكَنَ وَإِسْكَامٍ، وَقَدْ ذَكَرَهَا
أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْغَرِيبِ الْمَصْنُفِ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ^(١).

سُرح شعر أبي أسامة:

وذكر شعر أبي أسامة بن زهير الجشمي وفيه:

وقد زالت^(٢) نعامهم لئنفر

العرب تغرب زوال النعامه مثلاً للفرار، وتقول:

شالت نعامة القوم

= لابن أبي الصلت إلا البيتين الأولين والبيت الخامس والبيت الأخير. أنظر
ص ٣٤٩ > ٢ الروض من هذه الطبعة.

(١) أنظر في الأمان مادة لها: إذ يقول ابن سيده بعد أن خطأ رواية فتح
اللام في لها: إن فعلة يكسر على فعال - بكسر الفاء - وتظيره ما حكاه سيدييه من
قولهم: أضاء وإضاء، ومثله من السالم: رجة ورحاب، ورقبة ورقاب، قال
ابن بري: إنعامد قوله في المسجل والهاء للضرورة، قال: هذه الضرورة على من
رواه بفتح اللام، لأنه مد المقصور وذلك مما ينكره البصريون. قال: وكذلك
ما قيل في هذا البيت:

قد علمت أم أبي السعلاء أن نعم ما كولا على الخواء
فمد السعلاء والخواء ضرورة
(٢) في السيرة: شالت.

إذا قرئوا وما يذكرون قال الشاعر :
بأيت ما أمتا شالت نعامتها إمتا إلى حنة إمتا إلى نار^(١)
وقال أُمَيَّة :

اشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم^(٢)
والنعامَةُ في اللغة : باطن القدم ، ومن مات فقد شالت رجله ، أى :
ارتفعت ، وظهرت نعامته ، والنعامَةُ أيضاً الظلمة^(٣) ، وابنُ النعامَةِ عِرْق
في باطن القدم ، فيجوز أن يكون قوله : زالت نعامتهم ، كما يقال : زال سواده ،

(١) في التصريح على التوضيح أن البيت لسعد بن فرط لا الاخوص خلافاً
لاجوهري . وبرى هكذا .

ياليتما أمتا شالت نعامتها إمتا إلى جنة إمتا إلى نار
أقول : وهكذا روايته أيضاً في معنى البيت ورواه وهو يتحدث عن
إما الثانية في قولهم : جاء إما زبد وإما عمرو باعتبار أن إما عاطفة . قال : وزعم
يونس الفارسي وابن كيسان أنها غير عاطفة كالاولى ورواههم ابن مالك
للازمتها الواو العاطفة غالباً ، ومن غير الغالب قوله : وأنشد البيت ، ثم قال :
وفيه شاهد ثان ، وهو فتح الحمزة ، — يعنى فى إمتا — ، وثالث وهو الإبدال
أى جعل الميم ياء من إمتا . قال : ونقل ابن عصفور الإجماع على أن إمتا غير
عاطفة . وذكر الأمير في حاشيته على المعنى أن البيت لرجل من بنى عبد القيس
يقال له : سعد كان غاملاً ، وكانت به بارة .

(٢) في اللسان : وأنشد ابن رى لأبي الصلت الثقفى :
اشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم وأسبل اليوم في بردك إسبالاً
وانظر القاموس فائدة أنه : فقد رواه إمتا بكسر الهمزة .
(٣) ذكر اللسان لها معاني كثيرة جداً غير ما ذكر .

وضحاً ظله إذا مات، وجاز أن يكون ضرب النعامة مثلاً ، وهو الظاهر
في بيت أبي أسامة ؛ لأنه قال : زالت نعماتهم لفقير ، والعرب تقول أشرد من
نعامة ، وأنقر من نعامة قال الشاعر :

لَمْ تَرْكُوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ^(١)
وقال آخر :

وَكُنْتَ نَعَامًا عِنْدَ ذَلِكَ مُنْقَرًا
فإذا قلت : زالت نعماته ، فمعناه : نفرت نفسه التي هي كالنعامة في
شرودها وقوله :

وَأَنْ تُرِكَتْ سَرَاةُ الْقَوْمِ صَرَغَى
سراة كل شيء : ماعلاً منه ، وسراة القوم : ظهره لأنه أعلاه . قال
الشاعر يصف حماراً :

بَسْرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُّومُ
وقولهم : سراة القوم ، كما تقول : كاهل القوم ، وذروة القوم ، قال
معاوية : إن مضر كاهل العرب ، وتميم كاهل مضر ، وبنو سعد كاهل

(١) الحباري ترمى الصقر بسلحها — ومعناه معروف — إذا أراغها
ليصيدها ، فتلوث ريشه بلشق سلحها ، ويقال : إن ذلك يشتد على الصقر لمنعه
إياه من الطيران . والحباري طائر طويل العنق رمادي اللون على شكل الإوزة ،
في منقاره طول ، الذكر والأنثى والجمع فيه سراء

تيمم . وقال بمض خطباء بني تميم : انا المرء الأقمس ، وللهدؤ الهيشل ، ونحن في الجاهلية التمدام ، ونحن الذروة والسنام ، وهذا معنى صحيح بين ، فليس لأحد أن يقول في الذروة ، ولا في السنام ، ولا في السكاهل إنه جمع أى من أبنية الجمع ، ولا اسم للجمع ، فكذلك ينبغي أن لا يقال في سرّاء القوم ، إنه جمع سرى ، لا على القياس ، ولا على غير القياس ، كما لا يقال ذلك في كاهل القوم ، وسنام القوم ، والعجب كيف خفى هذا على النحويين ، حتى قلّد الخالف منهم السالف ، فقالوا : سرّاء جمع سرى ^(١) ، وبأسبحان الله ! كيف يكون جمعاً له ، وهم يقولون في جمع سرّاء سرّوات ، مثل قطّاق وقطّوات ، يقال : هؤلاء من سرّوات الناس ، كما تقول : من رؤوس الناس ، قال قيس ابن الخطيم :

وعمره من سرّوات النساء . تفتح باليسك أرذائها
ولو كان السرّاء جمعاً ما جمع لأنه على وزن فعلة ، ومثل هذا البناء في المجموع لا يجمع ، وإنما سرى فعيل من السرو ، وهو الشرف ، فإن يجمع على لفظه ، قيل سرى وأسرباه ^(٢) ، مثل غنى وأغنياء ، ولكنه قليل وجوده وقلة وجوده لا بدّ قع القياس فيه ، وقد حكاه سيديويه .

وقوله : أذباح عثر : جمع ذبح ، وعثر بكسر العين : الضم الذي كان يُعثر له

(١) في القاموس : السراة : اسم جمع جمعه : سرّوات ، وكذلك في اللسان منسوب إلى سيديويه . وقال ابن بري : هي اسم مفرد للجمع عند سيديويه .
(٢) زاد الجياني : سرّواه بضم ففتح ، وفي اللسان شرح واف للكلمة .

في الجاهلية ، أى : تُذبح له المتأثر ، تجمع : عتيرة ، وهى الرَجِيَّةُ ، وقلم ذكرنا في نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - أوَّلَ مَنْ سَنَّ الْعَتِيرَةَ ، وأنه بُورُ بن صَحُورًا ، وأن أباه سَنَّ رَجَبًا لَلْعَرَبِ ، فيُقال له : سَعْدُ رَجَبٍ ، ولما قال : أذْبَاحَ عَتَرٍ بفتح العين لجاز لأنه مصدر .

وقوله : وكانت جُمَّة . الجُمَّة : السواد ، والجُمَّة : الفِرْقَةُ ، فإن كان أراد بالجُمَّة سوادَ القوم وكثرتهم ، فله وَجْهٌ ، وإن كان أراد الفِرْقَةَ منهم ، فهو أَوْجَهٌ ^(١) ، وقد ذكره صاحب التمين .

وقوله : عَطَيَانُ بَحْرٌ : فَيَضَانُهُ ^(٢) .
وقوله : أُبَيٌّ نَسَبَتِي نَقْرًا بِنَقْرٍ . النَّقْرُ : الطَّعْنُ في النِّسَبِ وغيره ، يقول : إن طَعَنْتُمْ في نَسَبِي ، وَعَبَيْتُمُوهُ بَيَّنْتُ الْحَقَّ ونَقَرْتُ في أُنْسَابِكُمْ ، أى عَبَيْتُهَا ، وَجَازَيْتُ عَلَى النَّقْرِ بِالنَّقْرِ ، وقالت جارية من العرب : مُرَّوَابِي عَلَى بَنِي نَظْرَى ^(٣) بمعنى الْفِتْيَانِ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى وَلَا تَمُرُّوَابِي عَلَى بَنَاتِ نَقْرَى ، بمعنى النِّسَاءِ اللَّوَاتِي يَنْقُرْنَ أَى : يَمُوتْنَ .

(١) في شرح السيرة لأبي ذر : وكانت جمة : من رَوَاهُ بِالْجِمِّ ، فَعَنَاهُ : الجماعة من الناس ، وأكثر ما يقال في الجماعة الذين يأتون يسألون في الدية ، ومن رَوَاهُ حجة بالحاء المهملة ، فَعَنَاهُ : قرابة وأصدقاء من الحميم وهو القريب . وهى في السيرة : جمة .

(٢) هى في السيرة : غيطان ، وهى إحدى الروايات . يقول أبو ذر الخشني عن رواية الغطيان : والغطيان هنا : الماء الكثير الذى ينطى ما يكون فيه ، ويروى : غيطان ببحر .

(٣) بفتح النون والظاء والراء ، وتقال بتضعيف الظاء أيضاً . وفى اللسان أنها قالت ذلك لبعها . وبنو نظرى : أهل النظر إلى النساء والنظر بهن .

وقوله : دُعِيَتْ إِلَى أَقْيَدٍ ، تَصْنِيرٌ وَقْدٍ ، وهم المتقدمون من كل شيء
مِنْ نَاسٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ إِبِلٍ ، وهو اسمٌ للجمع مثلُ : رَكْبٍ ، ولذلك جاز
تصنيُّه ، وقيل : أَقْيَدٌ : اسمٌ مَوْضِعٌ ^(١) .

وقوله : عَلَى مُضَافٍ . المضافُ : الخائفُ الْمُضْطَرُّ .
وقوله :

فَدُونَكُمْ بَنِي لَأْيٍ أَخَاكُمْ

هذا شاهد لما ذكرناه في نَسَبِ النَبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - واشتقاق
تلك الأسماء ، وقلنا في لَأْيٍ : إنه تصغير لَأْيٍ ، واخترنا هذا القول على قول
ابن الأنباري وفطرب ، وحكيما قوله ، وشاهدَه ، وإنما أراد ههنا بَنِي
لَأْيٍ بَنِي لُؤَيٍّ ، فجاء به مُكَبَّرًا على ما قلناه .

وقوله :

مُؤَوَّقَةٌ الْقَوَائِمُ أُمَّ أُجْرٍ

يعنى الضَّئِيعُ ، ومُؤَوَّقَةٌ من الوَقْفِ ، وهو التَّلَاعُلُ ، لأن قَوَائِمَهَا سَوَادًا .
قال الشاعر [أبو وَجْزَةَ السَّمْدِيُّ] :

وَخَائِفٍ لِحِمٍّ شَاكَا بَرِاشَتَهُ كَأَنَّهُ قَاطِمٌ وَقَفَيْنِ مِنْ عَاجٍ ^(٢)

(١) يرى الخشنى أنه اسم رجل فقال في البيت الثامن : أصلها : يامالك فرخم .
وحذف حرف النداء .

(٢) البيت في اللسان في مادة فطم منسرب إلى أبي وجزة . وفي مادة شوك =

وَأَمَّ أَجْرُ : جَمْعُ جَرٍ ، وَكَأَنَّهُ قَوْلُ : دَلَّ وَأَدَّلَ ، وَهَذَا كَقَوْلِ الْهَذَلِيِّ :
وَعُودِرَ نَاوِيَا وَنَاوِيَةً مُوقِفَةً أَمَّيْهَا لَهَا قَائِلٌ ^(١)
وَالْقَائِلُ : عُرْفُهَا ، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

بِالْهَيْفِ مِنْ عَرَفَاءِ ذَاتِ قَائِلَةٍ جَاءَتْ إِلَى عَلَى ثَلَاثٍ تَخْمَعُ
وَتَظَلُّ تَنْشِطُنِي وَتَلْجَمُ أَجْرِيَا وَسَطَ الْقَرِينِ ، وَابْسَ حَتَّى يَذْفَعُ
لَوْ كَانَ سَيِّفِي بِالْيَمِينِ دَفَعْتُهَا عَنِّي وَلَمْ أَوْكَلْ وَجَنِّي الْأَضْمِعُ
فَوَصَفَهَا أَنَّهُ تَخْمَعُ ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُهَلَّبِ : الضَّبْعَةُ الْقَرْجَاءُ ، وَلَحْنٌ فِي قَوْلِهِ :
الضَّبْعَةُ ^(٢) . وَقَالَ آخَرُ :

فَلَوَّمَاتُ مِنْهُمْ مَنْ جَرَّ حَفَا لَا صَبَحَتْ ضِبَاعُ بَا كَنَافِ الشَّرِيفِ عَرَائِسَا
وَذَلِكَ أَنَّ الضَّبْعَ يَقْلِبُ الْقَتِيلَ عَلَى قَفَاهُ فَيَا ذَكَرَ ، وَتَسْتَعْمِلُ كَمَرَاتَهُ ،
لَأَنَّهَا أَشَقُّ الْبَهَائِمِ ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهَا حِينَ تُضْطَادُّ : أَبْشَرَى أُمَّ عَامِرٍ بِجَرَادٍ
عَضَالٍ وَكَمَرٍ رِجَالٍ ، يَخْدَعُونَهَا بِذَلِكَ ، وَهِيَ تُسَكِّنِي أُمَّ عَامِرٍ ، وَأُمَّ عَمْرُو ،
وَأُمَّ الْهَيْتَبِ [وَأُمَّ عَيْتَابٍ وَأُمَّ طُرَيْقٍ وَأُمَّ نَوَافِلَ] ، وَأُمَّ خَنْوَرٍ وَأُمَّ خَنْوَرٍ

= يَتَانِ مِنَ الْقَصِيدَةِ . وَبَرِيدٌ بِالْمَوْقِفَةِ : الضَّبْعُ الَّتِي تَأْكُلُ الْقَتْلَى وَالْمَوْقِ كَمَا يَقُولُ
أَبُو ذَرٍّ . وَالْوَقْفُ أَيْضًا - السَّوَارِ - مِنَ الْعَاجِ ، وَأَشَدُّ ابْنُ بَرٍّ لَابِنٌ مُقْبِلٌ :
كَأَنَّهُ وَقَفَ عَاجٌ بَاتَ مَكْنُونًا

(١) الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ لِسَاعِدِ بْنِ جَوْيَةِ وَفِيهِ : مَذْرَعَةٌ بَدَلًا مِنْ مَوْقِفَةٍ .
(٢) لِأَنَّ الْإِنْسِيَّ ضَبَعَ بِفَتْحٍ الضَّادَ وَضَمَّ الْبَاءَ ، أَمَّا الذِّكْرُ فَضَبَعَ ، وَالْإِنْسِيَّ
أَيْضًا ضَبْعَانَةً بِكسْرِ الضَّادِ فِي السَّكْمَتَيْنِ .

معا وتسمى : حَصَا جِرَ وَجَمَّارَ [وَالْعَشْوَاءُ وَذِيخَةَ وَعَيْلَمَ وَجَيْمَرَ ، وَأَمَ جَمُورَ] وَتَنَامَ وَجَيْالُ وَعَيْشُومَ ، وَتَنَامَ أَيْضًا اسْمٌ لِلْفَنِيمَةِ الْكَثِيرَةِ بِقَالَ أَصَابُ الْقَوْمِ قَتَامًا ، قَالَ الزَّبِيرُ ، وَحَيْثُ وَعَيْشُومَ ، وَأَمَّا الَّذِي كَرُّ مِنْهَا فَمَيْلَامُ وَعَيْثَانُ وَذِيخُ [وَأَبُو كَلْدَةَ وَتَوَافِلَ وَالْأَعْيُ] ^(١)

وقوله في وصف الأسد في الغيل : حَجْرٌ ، أَيْ : ذُو أَجْرَاءَ ، وَالْأَبَاءَةُ : الْأَجْمَةُ الَّتِي هُوَ فِيهَا ، وَكَذَلِكَ الْغِيلُ وَالْخَذِرُ وَالْعَرَيْنُ وَالْمَرْيَسَةُ .

وقوله أَحْمَى الْأَبَاءَةَ ، أَيْ : تَحَاها ، وَأَحْمَى لَمَةً فِي حَمَى لَكِنَهَا ضَعِيفَةٌ ، وَلَعَلَهُ أَرَادَ : أَحْمَى الْأَبَاءَةَ ، أَيْ جَعَلَهَا كَالنَّارِ الْحَامِيَةِ ، بِقَالَ : أَحْمَيْتُ الْحَدِيدَةَ فِي النَّارِ ، يَعْنِي : إِنْ أَبَاءَتْهُ قَدْ حُمِيَتْ بِهِ فَلَا تُقَرَّبَ .

وقوله : مِنْ كَلَّافٍ ، لَعَلَهُ أَرَادَ مِنْ شِدَّةِ كَلْفٍ بِمَا يُخَمِّسُهُ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى وَزْنٍ ، فُعَالٍ ، لِأَنَّ السَّكَّافَ إِذَا اشْتَدَّ : كَالْهَيْبَامِ وَالْعُطَاشِ ، وَفِي مَعْنَى الشَّعَارِ ، وَلَعَلَّ كَلَّافًا اسْمٌ مُوَضَّعٌ ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : السَّكَّالُ اسْمٌ شَجَرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٢) .

(١) ضبط المنبر كما ذكرت ولما ضبطان آخرات منبر - بكسر الهاء وفتح النون وسكون الباء ، أو منبر بكسر الهاء وسكون النون وكسر الباء . وزاد القاموس جيمر وأم جمار مع جمار كما زاد مع جبال : جباله وجبل يفتح الجيم والياء في الثانية ، وزاد مع قنم قنم مثل عمر . في كتاب الحيوان : أم طريق وزدت أم طريق وأبا كلدَةَ وأم نوفل ونوفلا من الحيوان للدميري والقاموس . ومع العنيان ورد في القاموس واللسان : الأعني للذكر والعشواء للأنثى ، وورد النهاية ذِيخَةُ مؤنث ذِيخَ ، وعَيْلَمَ مع عَيْلَامَ .

(٢) الشعار : موضع كثير الشجر والأجمة ، وقال صاحب المراسد عنه : واد من عمل المدينة .

وقوله بَحْلٌ ، هو الطريق في الرمل ، والتهجئة من قولك : هَجَّجْتُ
بالدُّب إذا زجرته . قال الشاعر :

لم يُنْجِهْ مِنْهَا صِيَاْحُ التَّهْجِجِ^(١)
وقوله : بِقَرَقَرَةٍ وَهَذِرٍ . الْقَرَقَرَةُ صَوْتُ شَدِيدٌ مُنْقَطِعٌ ، وجاء في
صفة عامر الخدَّاء أنه كان قُرَاقِرَى الصوتِ ، فلما كَبُرَ وَصَفَ صَوْتُهُ ، قال :
أَصْبَحَ صَوْتُ عَامِرٍ صَيًّا أَبْكَمٌ لَا يُبْكَلُ ، الْقَطِيبُ^(٢)
وهو عامر بن ربيعة الخدَّاء الْقَطِيبِيُّ ، وإليه يُنْسَبُ بَنُو الخدَّاء^(٣) ،

(١) الشعر لعمران بن عصام الغزى . وهو الذى أشار على عبد الملك
ابن مروان بخلع أخيه عبد الميز وربيعة للوليد بن عبد الملك . خرج على الحجاج
مع ابن الأشعث ، فظهر به الحجاج . فقتله ، فلما بلغ عبد الملك بن مروان قتل
الحجاج له . قال : ولم قتله ؟ والله . ألا رعى قوله فيه :

وبعثت من ولد الأغر معتب صقراً بلوذ حمامه بالمرنج
فإذا طبخت يناره أنضجتها وإذا طبخت ينيرها لم تنضج
وهو الهزير إذا أراد فريسة لم ينجها منه صياح المهرج

ص ٤٨ - ١ البيان والتبيين للجاحظ ط ١٩٤٨

(٢) الرجز فى اللسان غير منسوب إلى أحد وهو :

أصبح صوت عامر صيئاً من بعد ما كان قراقرباً
فن بنادى بمدك المطايا

والصنى : صوت الفرخ .

(٣) قال ابن جيب : الخدَّاء بن ذهل بن الحارث بن ذهل بن مران الجمعى ،

وقال ابن دريد : عامر بن ربيعة بن تم الله بن أسامة بن مالك بن بكر بن تغلب

وذكر أهل اللغة أن الكشيّش أول زغاء الجمّل ، ثم السكتيت^(١) ثم التهدّر ،
ثم القرقرة ، ثم الزغذ ، ويقال زغذ يزغذ ثم القلّاخ [أو القلّخ أو القليخ
الأخيرة عن سيبويه] إذا جعل كأنه يتقلّع .

وقوله : وأكفف مجناه^(٢) ، يعنى : الترس ، وهو من أجنات الشيء ،
إذا جنيته فهو مجناه ، ويعنى بصفره البرابة : القوس ، وبزأبجها : ما يرى
منها ، وجعلها صفراء لجديها وقوتها . وقوله : وأبيض كالغدير : أراد
السيف ، ومحمّز اسم صانع ، والمدّاوس : جمع مدّيس ، وهى الآلة التى
يدوس بها الحدّاد ، والصيّقل ما يصنعه ، ووصف إياها بالمغر ، المغر :
جمع أمغر ، وهو الأحمر ، والخادور : الداخل فى الخدر ومُسبّط : غير مُنقبض .
وقوله : يقول لى الفتى سقّد هدياً . التهدى : ما يهدى إلى البيت ، والهدى
أيضاً العروس تُهدى إلى زوجها ، ونصب هدياً هنا على إضمار فعل ،
كأنه أراد اهد هدياً .

شرح القصيدة الفاوية لربى أسامة :

وقوله فى الشعر الفاوى : كأن رؤوسهم حدّج نفيف . الحدّج : جمع
حدّجة ، وهى المنظلة ، والنّفيف : المنقوف ، كما قال امرؤ القيس :

(١) فى القاموس فى مادة كت : السكتيت أول مدر البكر . وفى مادة كشيّش
قال : الكشيّش من الجمّل : أول هديره . وهو دون السكت .

(٢) هو فى السيرة : أكلف . ويقول أبو ذر : من رواه باللام فإنه يعنى رسأ
أسود الظاهر ، ومن رواه أكفف - بالنون - فهو الترس أيضاً مأخوذ من كففه
أى : ستره .

[كَانِي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى شُرَاتِ الْحَيِّ] نَائِفُ حَنْظَلٍ

وهو الْمُسْتَخْرِجُ حَبَّ الْحَنْظَلِ .

وقوله داهية خَصِيفٌ ، أى : مُتْرَاكِةٌ من خَصَفْتُ النُّعْلَ أَوْ من خَصَفْتُ اللِّيفَ ، إِذَا نَسَجْتَهُ ، وَقَدْ يُقَالُ كَتَيْبَةٌ خَصِيفٌ ، أى : مُنْقَسِجَةٌ ، بَعْضُهَا ، بَعْضٌ ، مُتَسَكِّتَةٌ^(١) ، وَفِي كِتَابِ سِيدُوِيَه : كَتَيْبَةٌ خَصِيفٌ أَيْ : سُودَاءُ .

وقوله : وَمُنْقَلَبِي مِنَ الْأَبْوَاءِ ، هُوَ : الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ قَبْرُ أَمِينَةٍ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتُسَمَّى الْأَبْوَاءُ ، لِأَنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَبِهُنَّ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ بِالْأَبْوَاءِ فِي أَلْفِ مُقَنَّبٍ قَبْكَى وَأَبْكَى^(٢) ، وَوَجَدَتْ عَلَى الْبَيْتِ الْمُتَقَدِّمِ الَّذِي فِيهِ : حَدَجٌ نَقِيفٌ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الْحَنْظَلُ : مِنَ الْأَعْلَاثِ وَهُوَ يَنْبِتُ شَرْبًا^(٣) ، كَمَا يَنْبِتُ شَرْبَى الْقِنَاءِ ، وَالشَّرْبَى : شَجَرُهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فِيهِ زَهْرٌ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فِي الزَّهْرِ جِرَاءٌ مِثْلُ جِرَاءِ الْبَطِيخِ^(٤) ، فَإِذَا ضَخَّمَ وَتَمَّنَ حَبَّهُ سَمَوْهُ الْحَدَجَ وَاحِدَتُهُ حَدَجَةٌ ، فَإِذَا وَقَعَتْ فِيهِ الصُّفْرَةُ سَمَوْهُ : الْخُطْبَانِ ، وَزَادَ

(١) فِي اللِّسَانِ : وَكَتَيْبَةٌ خَصِيفَةٌ : لَمَّا فِيهَا مِنْ صَدَأِ الْحَدِيدِ وَبَيَاضِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ، وَقَدْ سَبَقَ السَّكَلَامُ عَنْ هَذَا .

(٣) الْأَعْلَاثُ أَوْ الْأَغْلَاثُ ، وَقَدْ ذَكَرَ مِنْهَا أَبُو زَيْدٍ السَّكَلَابِيُّ ضَرْبًا مِنَ النَّبَاتِ مِنْهَا الْحَنْظَلُ ، وَقَالَ إِنَّهَا مِنَ الْأَعْلَاثِ ، ثُمَّ قَالَ : وَالْأَغْلَاثُ مَا خُوِذَ مِنَ اللَّفْلَتِ وَهُوَ الْخُلَط . وَفِي اللِّسَانِ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ حَكَاهُ بِالْفَيْنِ .

(٤) جَمْعُ جَرَوْ : صَغِيرُ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَنْظَلِ وَالْبَطِيخِ وَنَحْوِهِ .

أبو حنيفة أن الحنظلة إذا اسودت بعد الخمرة ، فهي قهقرة ، وذكر في القثاء الخدج والجرأة كما ذكر في الحنظل ، وكذلك الشربة اسم لشجرتهما ، وفي القثاء قبل أن يكون بطيخا القح^(١) ، وقبل القح يكون خضفا ، وأصغر من ذلك القشمر والشمرور والضغوبوس^(٢) وتقيف معناه : مكسور ، لأنه يقال تقفت رأسه عن دماغه ، أى كسرتة .

وقوله : أخوض القمرة الخماء . القمرة^(٣) : الجماعة ، والقمرة : الصياح ، والقمرة : شدة البرد ، وإياها عني ، لأنه ذكر الشيف في آخر البيت ، وهو وهو برؤد وربح ، ويقال له : الشفان أيضا ، أنشد ابن الأنباري :

قل للأشمال التي هبت مزرعة نذري مع الليل شفانا بصر
أقري السلام على نجد وساكنه وحاضره باللوى إن كان أو باد
سلام مغترب ففقدان حنوله إن اتخذ الناس لم يهضم ياماد

(١) قال الأزهري : أخطأ الليث في تفسير القح ، وفي قوله البطيخة نقي لم تنضج أنها القح ، وهذا تصحيف ، قال : وصوابه : النج - بكسر الفاء - يقال ذلك لسكل ثم لم ينضج ، وأما القح فهو أصل الشيء وخالصة .

(٢) الخضف صغار البطيخ أو كباره . وفي اللسان : القشمر بضم القاف والعين وسكون الشين : القثاء واحدة : قشمرة بلغة أهل الجوف من اليمن وفي اللسان : الشرورة : القثاة الصغيرة ، وقيل هو نبات . والشعارير : صغار القثاء واحدا : شعور . والضغوبوس والضغنا بوس القثاء الصغار ، ولها معان أخرى .

(٣) الخماء : تروى بالجيم وبالحاء ، ويقول أبو ذر : الجرء : الكثير ، ومن رواه الخماء : فمعناه : السود ، ص ٢٠٤ .

شعر هند :

وفي شعر هند: بحِجِل المَرَاةِ ، أرادت : مَرَاةَ العَيْنِ ، فنقلت حركة الميمزة إلى الساكن ، فذهبت الميمزة ، وإنما تذهب الميمزة إذا نقلت حركتها ، لأنها تبقى في تقدير ألف ساكنة ، والساكن الذي قبلها باقٍ على حُكْم السكون لأن الحركة المنقولة إليه عارضة ، فكأنه قد اجتمع ساكنان ، تُخَذِفُ الألفُ لذلك ، هذا معنى كلام ابن جني .

وقول هند : فَأَنَا بَرِيءٌ فَلَمْ أَغْدِرْ ، فهو تصغير البراء اسم رجلٍ ، وقولها :

قَد كُنْتُ أَحْذَرُ مَا أَرَى فَأَنَا الْفَدَاةُ مُوَامِيهِ

قوله : مُوَامِيهِ ، أى : ذليلة ، وهو مُوَامِيَّةٌ بهيمزة ، ولكنها سُهِلَتْ ، فصارتَ واوًا ، وهى من لفظ الأمة ، تقول : قَامَيْتُ أُمَّةً أَى : اتَّخَذْتُهَا ، ويجوز أن يكونَ مقلوباً من المَوَامِيَةِ ، وهى الموافقة ، فيكون الأصلُ مُوَامِيَّةً ، ثم قُلبَ فصار مُوَامِيَّةً على وزن مُفَاعِلَةٍ ^(١) ، تريد أنها قد ذَلَّتْ ، فلا تَأْبَى ، بل تُوافِقُ المَدَّوَّ على كُرْبِهِ ، ومنه اشتقاق التَّوَامِ لأنَّ وَزْنَهُ قَوْعَلٌ مثل التَّوَلَّجِ والتَّاءُ فيهما جميعاً بَدَلٌ مِنْ : واوٍ ، قاله صاحب العين .

وقولها : مَلْهُوْفَةٌ مُسْتَلْبَةٌ . الأَجُودُ فى مُسْتَلْبَةٍ أن يكون بكسر اللام من السَّلابِ وهى الحِرْقَةُ السَّودَاءُ التى تَحْمَرُّ بِهَا الشَّكْلَى ، ومنه قولُ النِّبِيِّ

(١) يقول أبو ذر فى شرح السيرة : موامية : مختلطة العقل ، وهو مأخوذ من المأموم ، وهو البرسام ، البرسام علة من العلل .

صلى الله عليه وسلم لاسماء بنت عميس حين مات عنها جعفر : نَسَلِي ثَلَاثًا ، ثُمَّ
اصْبِي مَا شِئْتَ ، وَهُوَ حَدِيثٌ مَسْخُوعٌ بِالْإِحْدَادِ ، وَمُتَأَوَّلٌ ، ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ .

شعر فنيون :

وذكر ابن هشام شِعْرَ قُتَيْبَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ تَرَفِي أَخَاهَا النَّضَرَ بْنَ
الْحَارِثِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا بِنْتُ النَّضْرِ لَا أُخْتَهُ ^(١) كَذَلِكَ قَالَ الزَّيْدُ وَغَيْرُهُ ،
وَكَذَلِكَ وَقَعَ فِي كِتَابِ الدَّلَائِلِ ، وَقُتَيْبَةُ هَذِهِ كَانَتْ تَحْتَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ
الْأَضْغَرِ ، فَهِيَ جَدَّةُ الثُّرَيَّا بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا عُمَرُ بْنُ
أَبِي رَيْبَعَةَ حِينَ خَطَبَهَا سُهَيْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَنْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا امْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانٍ ^(٢)

وَرَفِطُ الثُّرَيَّا هَذِهِ يُقَالُ لَهُمْ : الْمَقْبَلَاتُ ، لِأَنَّ أُمَّهُمْ عُبَيْلَةُ بِنْتُ عَبْدِ

(١) كَذَلِكَ ذَكَرَ الْمُصَنَّبُ الزَّيْرِيُّ فِي نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ٢٥٥ وابن عبد البر
والجوهرى والذهبي ، ويسمى الجاحظ في البيان والتبيين : ليلي بنت للنضر
ص ٤٣ ٤ ٤ البيان والتبيين .

(٢) وقيل إنها تزوجت سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، وقد رجح
أبو الفرج هذا القول : لأنها حملت إلى مصر ، وهناك كان منزل سهيل
ابن عبد العزيز ، ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن مريض . وأول القصيدة :
أيها الطارق الذي قد غسأتني بعد ما نام — امر الركباني

واقرا قصة ثريا في الاغانى وتجريده ص ٢١٧ ج ١ طبع لبنان ، وص ٨٩

١٢ تجريد .

غزوة بنى سليم بالكدر

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لم يُقم بها إلا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه ، يريد بنى سليم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفَةَ الْفِئَارِيِّ ، أو ابن أم مكتوم .

ابن جاذب^(١) .
وفي شعر قُتَيْبَةَ .

أُحْمَدُهَا أَنْتَ ضَنَى نَحِيَّةٍ

قال قاسم : أرادت يا أُحْمَدُاهِ على التَّذْبِةِ ، قال : والضَّئِي الْوَلَدُ ، والضَّئِي الْأَصْلُ ، يقال : ضُنْتُ الْمَرْأَةَ وَاضْنَنْتُ وَضَنْتُ تَضْنُو إِذَا وَلَدَتْ^(٢) .

(١) هي جارية من قريش كما في القاموس ، وانظر عن بنى العبلات ص ٦٧ ، ٦٨ من الجُمُهرَة لابن حزم ، ص ٨٢ الاشتقاق لابن دريد وانظر لتقصيدة قتيبة في الأغانى . والبيان والنبين ، ومعجم البلدان ، ونسب قريش .
(٢) في النهاية لابن الأثير : ضننت — بفتح الضاد والتون — كثر أولادها وضننت المرأة تضننى — بكسر التون — ضننى ، واضننت . وضنأت واضنأت : إذا كثر أولادها .

وفي اللسان : ضنأت المرأة تضنأ ضناً وضنوءاً واضنأت : كثر ولدها . فهي ضانئ . وضائئة ، وقيل . ضنأت تضنأ ضناً وضنوءاً إذا ولدت . وفي مادة ضياء قال اللسان : ضيأت المرأة — بفتح الضاد — وتضعيف الياء مع فتح وفتح الهمزة — كثر ولدها . والمعروف ضناً . قال : وأرى الأول تصحيحاً .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم ؛ يقال له السكدر ، فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقيةَ شوال وذا القعدة ، وأفدى في إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قُرَيْش .

غزوة السويق

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : حدثنا زياد بن عبد الله البسكاني ، عن محمد بن إسحاق المصلي ، قال : ثم غزّا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة ، فكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رومان ومن لا أشهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجع فل قُرَيْش من بدر ، نذراً أن لا يمس رأسه ماء من جَنَابَةٍ حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مِثْقَى رَاكِبٍ من قُرَيْش ، لِيُبرِّمَيقَهُ ، فسلك التجديبة ، حتى نزل بصدرِ قناةٍ إلى جَبَلٍ يقال له : تَيْب ، من المدينة على بَرْدٍ أو نحوه ، ثم خرج من الليل ، حتى أتى بني النَّضِيرِ تحت الليل ، فأتى حُيَّ بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأتى أن يفتح له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيّد بني النَّضِيرِ في زمانه ذلك ، وصاحب كزهم ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقراه وسفاه ، وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قُرَيْش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها ، يقال لها : العريض ، فحرقوا في أضوار من نخل بها ، ووجدوا بها رجالاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لها ،

• • • • •

فَقَتَلُوها ، ثُمَّ انْصَرَفُوا راجِعِينَ ، وَنَذَرَ بِهِمُ النَّاسُ . ففَرَجَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلِبِهِمْ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ بِشِيرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ، وَهُوَ أَبُو لُبَابَةَ ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ ، حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكَذْرِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ راجِعاً ، وَقَدَفَاتِهِ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ ، وَتَدْرَأُوا أَزْوَاداً مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ قَدْ طَرَحَوْهَا فِي الْحَرْثِ يَتَخَفُّونَ مِنْهَا لِلزَّجَاءِ ، فَقَالَ الْمَسْلُونُ ، حِينَ رَجَعَ بِهِمْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا رَسولَ اللَّهِ ، أَتَطْمَعُ لَنَا أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ غَزْوَةُ السَّوِيقِ ، فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ : أَنَّ أَكْثَرَ مَا طَرَحَ الْقَوْمُ مِنْ أَزْوَادِهِمُ السَّوِيقُ ، فَهَجَمَ الْمَسْلُونُ عَلَى سَوِيقٍ كَثِيرٍ ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةُ السَّوِيقِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ ، لِمَا صَنَعَ بِهِ سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ :

وإني تخيَّرتُ المدينةَ واحداً	لِحِافٍ فَلَمْ أَتَدَمْ وَلَمْ أَتَلَوَمْ
سَقَانِي فَرَوَانِي كُتَيْبًا مُدَامَةً	عَلَى عَجَلٍ مَنَى سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ
وَأَمَّا نَوَلِّي الْجَيْشُ قُلْتُ وَلَمْ أَكُنْ	لِأَفْرِحَهُ : أَبْشَرُ بِمَرْءٍ وَمَقْنَمٍ
تَأْمَلُ فَإِنَّ الْقَوْمَ سَرَّ وَلَهُمْ	مَرِيحُ لَوْ لَيْتَ لَأَسْمَا طَيْبُ جُرْمٍ
وَمَا كَانَ إِلَّا بَعْضُ لَيْلَةٍ رَاكِبٍ	أَتَى سَاعِيًّا مِنْ غَيْرِ خَلَّةٍ مُعْدِمٍ

غَزْوَةُ ذِي أَمْرِ

فَلَمَّا رَجَعَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ السَّوِيقِ ، أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ

بقية ذى الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطفان ، وهي غزوة ذى أمر ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صغراً كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً . فلبث بها شهر ربيع الأول كله ، أو إلا قليلاً منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا (رسول الله) صلى الله عليه وسلم ، يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بحران ، معدناً بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر ومجاذى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

أمر بني قينقاع

نصيحة الرسول لهم وردهم عليه

(قال) : وقد كان فيما بين ذلك ، من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني قينقاع ، وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع ، ثم قال : يا مَعْشَرَ يَهُودَ ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرقتُم أُنَى نَبِيِّ مُرْسَلٍ . تجحدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا قومك ! لا بُدَّ منك أنك أقيتَ قوماً لا علمَ لهم بالحرب ، فأصبتَ منهم فُرْصَةً ، إنا والله لئن حاربناك لتقلنَّ أننا نحنُ الناس .

• • • • •

ما نزل فيهم

قال ابن إسحاق : حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سميد بن جبير ،
أو عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : ﴿ قُلْ
لَّذِينَ كَفَرُوا اسْتَفْتَبُوزَ وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبُنَىٰ الْمِهَادِ . قَدْ كَانَ لَكُمْ
آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا : أَىٰ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَقُرَيْشٍ ﴾ فَبِتَّةٌ مُّقَاتِلٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ
رَأَى الْعَيْنِ ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَنَاصِرَهُ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي
الْأَبْصَارِ ﴿

كانوا أول من نقض العهد

قال ابن إسحاق : وحدثني عامر بن عمر بن قتادة : أن بني قَيْنُقَاعَ كانوا
أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا
فيما بين بدر وأحد .

سبب الحرب بينهم وبين المسلمين

قال ابن هشام : وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة ، عن
أبي عون ، قال : كان من أمر بني قَيْنُقَاعَ أن امرأة من العرب قدِمَتْ بِحَدَبِ
لَهَا ، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ، وَجَلَسَتْ إِلَى صَانِعِهَا . فَعَمَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى
كَشْفِ وَجْهِهَا ، فَأَبَتْ ، فَقَعَدَ الصَّانِعُ إِلَى طَرَفِ نَوْبِهَا فَقَعَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا ،
فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْدَتُهَا ، فَضَحِكُوا بِهَا ، فَصَاخَتْ . فَوَنِبَ رَجُلٌ مِنْ

المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ،
فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر
بينهم وبين بني قينقاع .

ما كان من ابن أبي مع الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فخاصم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن
أبي بن سلول ، حين أمسكته الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى ،
وكانوا حلفاء الخزرج ، قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
فقال : يا محمد أحسن في موالى ، قال : فأعرض عنه فأدخل يده في جيب
درع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ولكن يقال لما : ذات الفضول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني ،
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا الوجه ظملاً ، ثم قال : ويحك !
أرسلني ؛ قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالى ، أربع مائة حامر
وثلاث مائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحضدتم في غداة واحدة ،
إني والله امرؤ أخشى الدوائر ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
هم لك .

مدة حصارهم

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في محاصرته إياهم بشير بن عبد المنذر، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة.

تبرؤ ابن الصامت من حلفهم وما نزل فيه وفي ابن أبي

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت ، قال : لما حاربت بنو قَيْنُقَاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تشبَّت بأمرهم عبدُ الله بن أبي بن سلُول ، وقام دونهم . قال : ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بني عوف ، لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ، تخلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عز وجل ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : فقيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴿ أَى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَقوله : إني أخشى الدائر ﴾ يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ، فيضربحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم

.....

نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ،
ثم القصة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ،
الَّذِينَ يُتِمُّونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ . وذكر لتولي
عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئته من بني قَيْنِقَاعَ وحلفهم
وولايتهم : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ
هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

إصابة زيد للмир وإفلات الرجال

قال ابن إسحاق : وسرية زيد بن حارثة التي بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها ، حين أصاب غير قریش ، وفيها أبو سفيان بن حرب ، على
القردة ماء من مياه نجد . وكان من حديثها : أن قریشاً خافوا طريقهم الذي
كانوا يسلكون إلى الشام ، حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلکوا طريق
العراق ، فخرج منهم تجار ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ،
وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل ، يقال له : قُراتُ
ابن حيان يدُلُّهم في ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : قُراتُ بن حيان ، من بني عجل ، حليف لبني سهم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة

فَدَقِّمِهِمْ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ ، فَأَصَابَ تِلْكَ الْعِيرَ وَمَا فِيهَا ، وَأَعْجَزَهُ الرِّجَالُ ، فَقَدِمَ
بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

شعر حسان في تأنيب قريش

فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ بَعْدَ أُحُدٍ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْآخِرَةِ يُوْنِبُ قَرِيْشًا لَا تُخْذَمُ
تِلْكَ الطَّرِيقُ :

دَعُّوْا فَلَجَّاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جَلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَانِكِ
إِذَا سَلَّكَتِ لَلْفُؤْرِ مَنْ بَطْنٍ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا أَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكَ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي آيَاتِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، نَقَضَهَا عَلَيْهِ
أَبُو سُوَيْبَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ ، وَسَنَدُ كَرَاهِهَا وَنَقِضَتُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
(فِي) مَوْضِعِهَا .

مقتل كعب بن الأشرف

استنكاره خبر رسولى الرسول بقتل ناس من المشركين

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ : أَنَّهُ لَمَّا أَصِيبَ
أَصْحَابُ بَدْرٍ ، وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَى أَهْلِ السَّافَلَةِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَى
أَهْلِ الْعَالِيَةِ بِشِيرِينَ ، بَعْثَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ بِالْمَدِينَةِ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ يَفْتَحُ اللَّهُ هَزْءَ وَجَلٍّ عَلَيْهِ ، وَقَتْلَ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، كَمَا حَدَّثَنِي

عبدُ الله بن المُغيث بن أبي بُرْدة الظَّفَرِي ، وعبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، وصالح بن أبي أمامة بن سهل ، كلُّ قد حدثني بعضُ حديثه ، قالوا : قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيِّ ، ثم أحدَ بني تَبْهَان ، وكانت أمُّه من بني النَّضِير ، حين بلغه الخبرُ : أحقُّ هذا؟ أترَوْن محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمَّى هذان الرجلان - يعني زيداً وعبد الله ابن رواحة - هؤلاء أشرف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمدُ أصاب هؤلاء القوم لبطُن الأرض خيرٌ من ظهرها .

شعره في التحريض على الرسول

فلما تيقنَ عدوُّ الله الخبرَ ، خرج حتى قدِم مكة ، فنزل على عبد المطلب بن أبي وداعة بن ضُبيرة السَّهْمِي ، وعنده عائكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمه ، وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُشدُّ الأشعار ، ويبكي أصحاب القليب من قريش ، الذين أُصيَبوا بيتر ، فقال :

طَاحَنَتْ رَحَى بَذْرِ لَمْ يَهْلِكْ أَهْلُهُ وَلَمْ تَلِ بَذْرِ تَسْتَمَلُ وَتَدْمَعُ
فَقَاتِ سَرَاةَ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ لَا تَتَّبِعُوا إِنَّ الْمُلُوكَ تُفَارِعُ
كَمْ قَدْ أُصِيبَ بِهِ مَنْ أَبْيَضَ مَاجِدُهُ ذِي بَهْجَةٍ يَأْوِي إِلَيْهِ الضَّيِّعُ
طَلَّقَ الْيَدَيْنِ إِذَا الْكُؤَاكِبُ أَخْلَفَتْ تَحْمَالُ أَثْقَالٍ يَسُودُ وَيُرْبَعُ

.....

ويقول أقوامٌ أُسرُ بسُخطهم إنَّ ابنَ الأشرفِ ظلٌّ كنفياً يجرعُ
صدقوا فليت الأرض ساعةً قُتلوا ظَلَّتْ تَسُوخُ بأهلها وتصدعُ
صار الذي أتر الحديثَ بطعنه أو عاش أعمى مُرعشاً لا يسمعُ
نُبِّئتُ أن بَنى المُميرة كلهم خَشَعُوا القَتْلَ أبى الحَكيمِ وجُدعوا
وابنا ربيعة عنده ومُنَّبه ما نال مثل المُهَلِّكين وتُبَّعُ
نُبِّئتُ أن الحارث بن هشامهم في الناس يَبْنِي العَاصِلاتِ ويجمعُ
ليزورَ يثربَ بالجموعِ وإنما يَحْمَى على الحَسَبِ الكَرِيمِ الأَرْوَعُ

قال ابن هشام : قوله « تَبَّعُ » ، « وَأَسْرُ بِسُخْطِهِمْ » . عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان في الرد عليه

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري ، فقال :

أَبْكَى لَكُفِّ ثَمَّ عُلٌّ بِعَبْرَةٍ مِنْهُ وَعَاشِ مُجْدَعًا لَا يَسْمَعُ
واقعد رأيتُ بَيْطَنُ بَدْرِ مِنْهُمْ قَتَلَى تَسْعُ لَهَا الْعِيُونَ وَتَذْمَعُ
فأبكى فقد أبكيتَ عبداً راضعاً شَبَّهَ الْكَتْلِيْبَ إِلَى الْكَلْبِيَّةِ يَنْتَبِعُ
ولقد شَفَى الرَّحْمَنُ مِنْهُ سَيِّداً وَأَهَانَ قَوْمًا قَاتَلُوهُ وَصَرَعُوا
ونجا وأفلتَ مِنْهُمْ مَنْ قَلْبُهُ شَقَفَتْ يَظَالُ تَلَوْنَهُ يَتَصَدَّعُ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُفسكرها لحسان وقوله « أَبْكَى لَكُفِّ » عن غير ابن إسحاق .

• • • • •

شعر ميمونة في الرد على كعب

قال ابن إسحاق : وقالت امرأة من المسلمين من بنى مُرَيْدَ ، بطن من بني كانوا حلفاء في بنى أُمَيَّة بن زيد ؛ يقال لهم : الجُمَادرة ، تُجيب كعباً - قال ابن إسحاق : اسمها ميمونة بنت عبد الله ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينسكروا هذه الأبيات لها ، وينسكروا تقيضتها لكعب بن الأشرف :

تَحَنَّنْ هَذَا الْعَبْدُ كُلُّ تَحَنَّنْ يُبْسِكِي عَلَى قَتْلِي وَلَيْسَ بِنَاصِبِ
بَكَتْ عَيْنٌ مِنْ يَبْكِي لِبَدْرٍ وَأَهْلِهِ وَعَلَّتْ بِمِثْلِهَا لَوْئِيَّ بْنَ غَالِبِ
فَلَيْتَ الَّذِينَ ضُرُّجُوا بِدِمَائِهِمْ بَرَى مَا بِهِمْ مِنْ كَانَ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
فَيَعْلَمَ حَقًّا عَنْ يَقِينٍ وَيُبْصِرُوا تَجَرَّرُهمْ فَوْقَ الْأَحْيِ وَالْحَوَاجِبِ

شعر كعب في الرد على ميمونة

فأجابها كعب بن الأشرف ، فقال :

أَلَا فَارْجُرُوا مِنْكُمْ سَقَبَهَا أَسْلَمُوا غِنِ الْقَوْلَ بَأَنِي مِنْهُ غَيْرَ مُقَارِبِ
أَنْشَتُمْنِي أَنْ كُنْتُ أَبْكِي بِمَهْرَةٍ لَقَوْمٍ أَتَانِي وَدُثْمٌ غَيْرُ كَاذِبِ
فَأَنَّى لِبَاكِ مَا بَقِيَتْ وَذَاكَرَ مَا تَرَى قَوْمَ تَجْدُمُ بِالْجَبَابِ
لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مُرَيْدٌ بِمَعَزِلِ عَنِ الشَّرِّ فَاحْتَالَتْ وَجُودَ النَّعَالِ
لُحَقَ مُرَيْدٌ أَنْ نَجِدَ أَنْوْفَهُمْ بِشَتْمِهِمْ حَيَّ لَوْئِيَّ بْنَ غَالِبِ
وَهَبْتُ نَهْيِي مِنْ مُرَيْدٍ لَجُمْدَرِ وَفَاءَ وَبَيْتُ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ

.....

تشبيب كعب بن الأشرف بنسباء المسلمين والحيلة في قتله

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشَبَّب بنسباء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبدُ الله بن العُفيث بن أبي بُرْدة مَنْ لى بابن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة ، أخو بني عَبدِ الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ؛ قال : فاعمل إن قَدَرْتَ على ذلك . فرجع محمد بن مسلمة فسَكَت ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعَلِّقُ به نفسه ، فذَكَرَ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه ، فقال له : لم تركتَ الطعام والشراب ؟ فقال يا رسول الله ، قلت لك قولاً لا أدرى هل أَفِينُ لك به أم لا ؟ فقال : إنما عليك الجهد ؛ فقال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا من أن نقول ، قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حلٍّ من ذلك . فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسيلسكان بن سلام بن وقش ، وهو أبو نائلة ، أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعبد بن بشر بن وقش ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن مُعَاذ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عَبدِ بن جَبَر ، أحد بني حارثة ؛ ثم قَدَمُوا إلى عدو الله كعب بن الأشرف ، قبل أن يَأْتُوهُ ، سِلْسُكَان بن سلام [بن وقش] أباً نائلة ، فجاءه ، فتحدث معه ساعة ، وتناشدوا شعراً ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال : وَيَحْكَ يَا بَنِي الْأَشْرَفِ ! إني قد جئْتُكَ لحاجة أريد ذكرها لك ، فأكتبني ؛ قال : أعمل ؛ قال : كان قُدُوم هذا الرجل علينا بلاء من الهلاء ، عادتنا به العربُ ، وَرَمَتْنا عن قوس واحد ، وَقَطَعَتْ عَنَّا الشُّبُلَ حتى ضاع العِيَال ، وَجُهِدَتِ الْأَنْفُسُ ، وَأَصْبَحْنَا قَدْ جُهِدْنَا وَجْهَ دُعَائِنَا ؛ فقال كعب :

أنا ابنُ الأشرَف ، أما والله لقد كنتُ أخبرك يا بن سلامة أن الأمر سيَصير إلى ما أقول ؛ فقال له سِلْكَان : إني قد أردتُ أن تَدِينَا طعامًا وَتَرْهَنَكَ وَتُوثِقَ لَكَ ، وَتُخَيِّنَ فِي ذَلِكَ ؛ فقال : أَتَرْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ ؟ قال : لقد أردتُ أن تَنْقُضَنَا ، إِنْ مَعَ أَصْحَابِنَا عَلَى مِثْلِ رَأْيِي ، وَقَدْ أردتُ أن آتِيكَ بِهِمْ ، فَتَدِينَهُمْ وَتُخَيِّنَ فِي ذَلِكَ ، وَتَرْهَنَكَ مِنَ الْخَلْقَةِ مَا فِيهِ وَفَاءً ، وَأُرَادَ سِلْكَانُ أَنْ لَا يُنْكَرَ السَّلَاحُ إِذَا جَاءُوا بِهَا ؛ قال : إِنْ فِي الْخَلْقَةِ لَوْفَاءً ، قَالَ : فَرَجِعْ سِلْكَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبِرْهُمْ خَبْرَهُ ، وَأَسْرِهِمْ أَنْ يَأْخُذُوا السَّلَاحَ ، ثُمَّ يَنْطَلِقُوا فَيَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ ، فَاجْتَمِعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ : أَتَرْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ ؟ قَالَ : كَيْفَ تَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَشْبَهُ أَهْلَ يَثْرِبَ وَأَعْطُوهُمْ ؛ قَالَ : أَتَرْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ ؟

قال ابن إسحاق : خَذَنِي ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنِ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَقِيعِ الْغَرَقَدِ ، ثُمَّ وَجَّهَهُمْ ، فَقَالَ : انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ ؛ اللَّهُمَّ اعْنِهِمْ ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَهُوَ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ ، وَأَقْبَلُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى حِصْنِهِ ، فَهَتَفَ بِهِ أَبُو نَائِلَةَ ، وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُورَسٍ ، فَوَثِبَ فِي مِلْحَقَتِهِ ، فَأَخَذَتْ أَمْرَأَتُهُ بِنَاحِيَتِهَا ، وَقَالَتْ : إِنَّكَ امْرُؤٌ مُحَارِبٌ ، وَإِنْ أَصْحَابُ الْحَرْبِ لَا يَنْزِلُونَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، قَالَ : إِنَّهُ أَبُو نَائِلَةَ ، لَوْ وَجَدَنِي نَائِمًا لَمَا أَبْقَظَنِي ، فَقَالَتْ : وَإِنَّ اللَّهَ إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي صَوْنِهِ الشَّرَّ ؛ قَالَ يَقُولُ لَهَا كَتَبَ : لَوْ يُدْعَى الْفَتَى لَطَمْنَةُ لِأَجَاب . فَنَزَلَ فَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ سَاعَةً ، وَتَحَدَّثُوا مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ يَا بَن

الأشرف أن تنامى إلى شنب المعجوز ، فتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال :
إن شئتم . فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فؤود
رأسه ، ثم شم يده فقال : مارأيت كلاليلة طيباً أغطر قط ، ثم مشى ساعة ،
ثم عاد لئلا حتى اطمان ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لئلا ، فأخذ بفؤود رأسه ، ثم قال :
أخبروا عدو الله ، فضر به ، فاختلفت عليه أسياقمهم ، فلم تنف شيئا .

قال محمد بن مسعدة : فذكرت مقولاً في سننى ، حين رأيت أسياقنا
لا تنفى شيئا ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا
وقد أوقدت عليه ناراً ، قال : فوضعت في ثقتي ثم تحملت عليه حتى باقت عاتته .
فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن ماذ ، فخرج في رأسه أو
في رجله ، أصابه بعض أسياقنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ،
ثم على بنى قريظة ، ثم على بعات عتي أسندنا في حرّة المريض ، وقد أبطأ
علينا صاحبنا الحارث بن أوس ، وزقه الدم ، وقوقفنا له ساعة ، ثم أتنانا يتبع
آثارنا . قال : فاحتملناه فجننا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل ،
وهو قائم يصلى ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله وتقل
على جرح صاحبنا ، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود وفتحنا
بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

شعر كعب بن مالك في مقتل ابن الأشرف

قال ابن إسحاق : فقال كعب بن مالك :

فَقُودِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيحاً فذاتُ بِمَدٍّ مَقْرَعَةٍ النَّصِيرِ
 عَلَى الْكَافِينَ ثُمَّ وَقَدْ عَلَّمَهُ بَابِدِنَا مَشْهُرَةٌ ذُكُورِ
 بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لِيلاً إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرِ
 فَمَا كَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَسْكَرٍ وَمُحَمَّدٍ أَخُو نِقَّةٍ جَسُورِ

قال ابن هشام : وهذه الأبياتُ في قصيدة له في يوم بني النضير ،
 سأذكرها إن شاء الله في حديث ذلك اليوم .

شعر حسان في مقتل ابن الأشرف وابن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يذكر مقتل كعب بن الأشرف
 وقتل سلام بن أبي الحقيق :

لله دَرٌّ عِصَابَةٌ لَا قِيَهُم يَا بْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بْنَ الْأَشْرَفِ
 يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِلَافَ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِيْنٍ مُغْرَفِ
 حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي حِمْلٍ بِلَادَكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَتْفًا بِبَيْضِ ذُقْفِ
 مُسْتَنْصَرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَنْصَرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحَفِ

قال ابن هشام : وسأذكر مقتل سلام بن أبي الحقيق في موضعه إن شاء الله .

وقوله : « ذُقْف » عن غير ابن إسحاق .

غزوة قرقرة الكدر

الْقَرْقَرَةُ : أرض منسأة ، والكُدْرُ : طير في ألوانها كُدْرَةٌ ، عرف بها ذلك الموضع ، وقد كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يذكر مسيره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - في تلك الغزوة ، فقال لِعِمْرَان بن سَوَادَةَ حين قال له : إن رعييتك تشكو منك عُنْفَ السَّيَاقِ ، وقهر الرعية فدقر على الدَّرَّةِ ، وجعل يَمْسَحُ سَیُورَهَا ، ثم قال : قد كنت زَمِيلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في قَرْقَرَةَ الكُدْرِ (١) ، فكنت أرتع فأشبع وأسقى فأزوي ، وأكثير الزَّجْرَ ، وأقل الضرب ، وأرذ العنود ، وأزجر القروض ، وأضم الأفتوت ، وأشهر العصا ، وأضرب باليد ، ولولا ذلك لأغدرت [بعض ما أسوق] (٢) أى : لخصمت ففتركت ، يذكر حسن سياسته ، فيما ولي من ذلك . والعنود : الخارج عن الطريق ، والقروض المستصحب من الناس والدواب .

(١) بنحو القامين ، وهكى البكرى عندهما ، وقال الدميرى وغيره : والمعروف فتجهما . وقال ابن سعد : ويقال : قرقرة الكدر ، وفي الصحاح : قرقرة على فعال يضم القاف اسم ماء ، ومنه غزاة قراقر .
(٢) كلام عمر في ذكر حسن سياسته . أرتع فأشبع : بحسن الرعاية للرعية ، وبدعهم حتى يشمروا في المرفح . وأضم الأفتوت : في رواية : وأنهر الأفتوت ، وأضم العنود . الأفتوت : الناقة المنجورة عنه الخائب ، تذهب إلى الجالب ، فتعضه ، فينهزها بيده ، فتدبر لتفتدى بالابن من النهز ، وهو الضرب ، فضربها مثلاً للذى يستعصى ، ويخرج عن الطاعة . ولا غدرت بعض ما أسوق : أى خلقت ، شبه نفسه بالرعاى ورعيته بالمرح ، وروى : لغدرت ، أى لا اتقىه ناس في الغدر ، وهو مكان كثير الحجارة .

وذكر أن أباسفيان كان نَذَرًا أَلَّا يَمَسَّ رأسه ماء من جَنَابَةٍ ، حتى يَفْرُوَ محمداً . في هذا الحديث أن الفعل من الجَنَابَةِ كان معمولاً به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل ، كما بقي فيهم الحج والنسكاح ؛ ولذلك سَمَوْها جَنَابَةً ، وقالوا : رَجُلٌ جُنُبٌ وقومٌ جُنُوبٌ ، لمجانبتهم في تلك الحال البيت الحرام ، ومواضع قرباتهم ، ولذلك عُرِفَ معنى هذه الكلمة في القرآن أغنى قوله ﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ فكان الحدث الأكبر معروفاً بهذا الإسم ، فلم يحتاجوا إلى تفسيره ، وأما الحدث الأصغر ، وهو اللوجب للوضوء ، فلم يكن معروفاً قبل الإسلام ؛ فلذلك لم يقل فيه : وإن كنتم محدثين ، فتوضؤوا كما قال : ﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ بل قال : ﴿ فاعسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ﴾ الآية « المائدة : ٦ » فبين الوضوء وأعضائه وكنيته ، والسبب اللوجب له كالقيام من النوم والحج من الغائط ، وملاسة النساء ، ولم يحتج في أمر الجَنَابَةِ إلى بيان أكثر من وجوب الطهارة ، منها : الصلاة .

وقوله : أَسْوَارٌ نَخْلٌ ، هي : جمع صَوَرٍ . والصَّوَرُ : نخلٌ مجتمعةٌ .

سلامة بن مشكم :

وذكر سلام بن مشكم ، ويقال فيه سلام ، ويقال : إنه ولد شفاء التي يقول فيها حسان :

لشفاء التي قد بقيت فليس لعقله منها شفاء

وقول أبي سفيان : شَمَاطِيطُ جُرْمُ . الشَّمَاطِيطُ : الخيلُ الْمُتَفَرِّقَةُ ، ويقالُ
لِلْإِخْلَاطِ مِنَ النَّاسِ أَيْضًا شَمَاطِيطٌ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الشَّيْطِ ، وَهُوَ إِخْتِلَاطُ
الظَّلَامِ بِالنُّضْوِ ، وَمِنْهُ الشَّطُّ فِي الرَّاسِ .

وقوله : وَلَمْ أَكُنْ لِأَقْرَحِهِ ، وَالْمُتْرَحُ : الَّذِي قَدْ أَتَقَلَّه الدِّينُ ، وَقَدْ
تَقَدَّمَ شَرْحُهُ .

وذكرنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بُحَيْرَانَ مَمْدِنًا بِالْحِجَازِ
مِنْ نَاحِيَةِ الْمُنَزْعِ ، فَأَقَامَ بِهِ شَهْرَ ربيع الآخر ، وَجُمَادَى الْأُولَى . الْمُنَزْعُ بَشَتَيْنِ ،
يُقَالُ : هِيَ أَوَّلُ قَرْيَةٍ مَارَتْ إِسْمَاعِيلَ وَأُمُّهُ التَّمَرُ بِمَكَّةَ ، وَهِيَ مِنْ نَاحِيَةِ
الْمَدِينَةِ ، وَفِيهَا عَيْنَانِ يُقَالُ لِهَذَا الرُّبُصُ وَالنَّجَفُ بِسَفِيَانِ عَشْرِينَ أَلْفَ نَخْلَةٍ
كَانَتْ لِحِمْرَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ . وَتَقْسِيرُ الرُّبُصِ : مَنَابِتُ الْأَرَاكِ فِي الرَّمْلِ
وَالْفَرْعُ بَفَتْحَتَيْنِ مَوْضِعٌ بَيْنَ السَّكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ . قَالَ سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :
حَالٌ أَهْلِي حَيْثُ لَا أَطْلُبُهَا جَانِبَ الْخَضِرِ وَحَلَّتْ بِالْفَرْعِ (١)

نَمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ : أَقَامَ شَهْرَ ربيع وَجُمَادَى لِأَنَّهُ لَرَبِيعٍ
مُشْتَرَكٍ بَيْنَ اسْمِ الشَّهْرِ ، وَزَوْنِ الرَّبِيعِ ، فَكَانَ فِي لَفْظِ الشَّهْرِ بَيَانٌ لِمَا أَرَادَ .
وَجُمَادَى اسْمٌ عَلَّمٌ لَيْسَ فِيهِ اشْتِرَاكٌ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا قَوْلَ سَيِّبَوَيْهِ ، وَمَا لَا يَكُونُ
الْعَمَلُ إِلَّا فِيهِ كُلُّهُ الْحَرَمُ وَصَحَّفَ يَعْنِي هَذِهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا ، وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ

(١) وقبه :

أرق العين خيال لم يدع من سليمي ، ففزادى منتزع

الأيام ، لا تقول : سِرْتُ الحَيْسَ ولا مَشَيْتُ الأَرْبَعاءَ إلا والأعمالُ فيه كُلُّهُ حتى تقول يوم الأَرْبَعاءِ ، أو يَوْمَ كَذَا ، وفي الشُّهُورِ شَهْرُ كَذَا ، فحينئذ يكون ظَرْفًا لا يبدل على وقوع العمل فيه كُلُّهُ .

خبر بني قينقاع

وقد تقدم منه طَرْفٌ قبل غَزْوَةِ بَدْرٍ .

وفيه أن عبد الله بن أبيّ قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أَخْسِنَ في مَوَالِيّ وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم - غَضِبَ حتى رَأَوْا لَوَجْهَهُ ظِلَالًا ، هَكَذَا في نُسخَةِ الشَّيْخِ مُصَحَّحًا عاينه ، وفي غيرها ظُلُمًا جمع ظُلَّةٌ ، وقد تُجْمَعُ فُعْلَةٌ على فَعَالٍ نحو بُرْمَةٍ وبرامٍ وجُفْرَةٍ وجِفَارٍ^(١) فمعنى الرُّوَايَتَيْنِ إِذَا وَاحِدٌ ، وَالظُّلَّةُ مَا حَجَبَ عَنْكَ ضَوْءُ الشَّمْسِ وَصَحْوُ السَّمَاءِ ، وَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مُشْرِقًا بِسَامِلًا ، فَإِذَا خَضِبَ تَلَوَّنَ أَلْوَانًا فَكَانَتْ تِلْكَ الْأَلْوَانُ حَائِلَةً دُونَ الْإِشْرَاقِ وَالطَّلَاقِ وَالضِّيَاءِ الْمُنْشَرِّعِ عِنْدَ تَبَسُّمِهِ ، وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ كَانَ يَخْطَعُ عَلَى الْجِدَارِ نُورٌ مِنْ تَغْرِهِ إِذَا تَبَسَّمَ ، أَوْ قَالَ : نَكَلَمْ ، يُنْتَظَرُ فِي الشَّمَالِ لِلْأَتْرَمِذِيِّ .

(١) برمة : قدر من الحجارة ، والجفرة : جوف الصدر ، وقيل ما يجمع البطل والجنيب ، وقيل منحني الضلوع . ومثلها برات جمع برقة وهي أرض غليظة منخفضة بالحجارة ، وقيل جمع قلة : الجرة العظيمة ، وجباب جمع جبة : نوع من الثياب ، وقباب وخلال . ويكثر هذا في المضاعف ، ويقتصر في الأجوف على قول ، كـور ودول .

وذكر فيه الآية التي نزلت فيهم : (قد كان لكم آية في فتنة) الفتن
على وزن رقة من فأوت رأسه بالمصا إذا شققته ، أو من القأو ، وهي جبال
مُجْتَمِعة ، وبينهما فُتْحَةٌ من الأرض ، لحقيقة الفتن للفرقة التي كانت مُجْتَمِعة
مع الأخرى ، فَأَفْرَقَتْ ^(١) .

سرية زيد

ذكر فيها قُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ الْعِجْلِيَّ منسوباً إلى عَجَلٍ بن جُحَمٍ بن صَفِيرٍ
ابن عَلِيِّ بن بَكْرِ بن وَائِلٍ . وَالْأَجْمِيَّ : تَصْغِيرُ أَجَمٍ وهي دُرَيْبَةٌ تَطِيرُ بها
الْعَرَبُ ، وَأَنْشَدُوا :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَنْبِي الْعَرُوسِ إِلَى سَبَّةٍ مِثْلُ جَنْحِ الْأَجَمِ

وكان عين قريش ودليل أبي سفيان ، أسلم قُرَاتٌ وَحَسَنُ إِسْلَامِهِ ، وقال فيه
رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إن منكم رجالاً نكحهم إلى إسلامهم ،
منهم قُرَاتٌ ^(٢) ، وأرسله رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى تَمَامَةَ بن

(١) وضع اتراغ مئة في مادة فِأ ، وقال : الله : الجملة المتظاهرة التي يرجع
بعضهم إلى بعض في التماثل . ويقول ابن فارس ع : مادة فأو : أصل صحيح يدل
على انفراج في شيء . يقال : فأوت رأسه بالسيف فأوا . ي : فلقته ، والقأو :
فرجة ما بين الجبلين ، ولم تذكر فيها كلمة فتنة .

(٢) الذي خرج الحديث هو أبو العباس بن عقدة بسنده : عن علي : أتى
الذي صلى الله عليه وآله وسلم بفرت بن حيان يوم الخندق ، وكان عينا للمشركين .
ما رُبِّقته . فقال : إني مسلم ، فقال : إن منكم من آمن على الإسلام ، وأكلمه
إلى إيمانه ، منهم : قُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ .

أَتَالَ فِي شَأْنِ مُسَيْلَمَةَ ، وَرِدَّتِيهِ ، وَمَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ
مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَالرَّجَالُ بْنُ عُثْقُوفَةَ ، فَقَالَ : ضَرَسَ أَحَدُكُمْ فِي النَّارِ مِثْلَ أُحُدٍ ،
فَإِذَا زَالَ قُرَأَتْ وَأَبُو هُرَيْرَةَ خَائِفِينَ حَتَّى بَلَغَتْهُمَا رِدَّةُ الرَّجَالِ ، وَلِيَامَانِهِ
بِمُسَيْلَمَةَ ، فَخَرَّ سَاجِدِينَ ، وَاسْمُ الرَّجَالِ : نَهَارُ بْنُ عُثْقُوفَةَ ، وَالْعُثْقُوفَةُ
ضَرْبٌ مِنَ الذَّنْبِ ، يُقَالُ لَهُ الصُّلْيَانُ .

وَفِيهَا يَقُولُ حَظْلُنُ :

دَعُوا فَتَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا

الْفَتَجَاتُ : جَمْعُ فَتَاجٍ ، وَهِيَ الْعَيْنُ الْجَارِيَةُ ، يُقَالُ : مَا فَلَجَّ ، وَعَيْنُ
فَلَجٍّ ، وَذَكَرَهُ أَبُو حَنِيفَةَ : فَتَجَاتٌ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَقَالَ : الْفَاحَةُ الْمَزْرَعَةُ ^(١) .

مَوْلَى كَلِمَةِ الْخَاصِرِ وَالْمَلِكِ :

وَقَوْلُهُ : حِلَالٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ .

أَيُ : الَّتِي أَكَلَتْ الْأَرَكَ ، قَدُمِيَّتْ أَفْوَاهُهَا ، وَالْمَخَاضُ ^(٢) وَاحِدُهَا
خَلْفَةٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظٍ ، وَهِيَ الْحَامِلُ [مِنَ التَّوْقِ] ، وَقَدْ قِيلَ فِي الْوَاحِدِ
مَا خِصْرٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الطَّائِي :

(١) ذَكَرَ السَّارِ مِنْ مَعَانِي الْفَلَجاتِ : الْمَزَارِعُ وَاسْتَعْمَدَ عَلَى هَذَا بِنَفْسِ
بَيْتِ حِسانَ ، وَقَالَ فِي مَادَّةِ فَلاحَ : وَالْفَلَحةُ : الْقَرَّاحُ الَّذِي اشْتَقَّ لِلزَّرْعِ عَنْ
أَبِي حَنِيفَةَ ، وَأَنشَدَ لِحَدَنَ . ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَ .
(٢) الْحَوَامِلُ مِنَ التَّوْقِ أَوْ الْعِشَارِ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا مِنْ حَمَلِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ

وَأَخْرَجَهَا عَنْ وَقْتِهَا وَهِيَ مَا خِصُّ

وعندى أن الخاض في الحقيقة ليس بجمع ، إنما هو مصدر ؛ ولذلك وُصِفَ به الجميع ، وفي التنزيل : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ ﴾ وقولهم : ناقة ما خض ، كقولهم : حامل ، أى : ذاتُ مخاضٍ ، وذاتُ حملٍ ، وقد يقول الرجلُ لِنِسائه أَنْتِ الْطَّلَاقُ ، فليس الطَّلَاقُ بجمع ، وإنما معناه : ذواتُ طلاقٍ ، وكذلك معنى الْمَخَاضِ ، أى ذواتُ مخاضٍ ، غير أنه قيل للواحدة : ما خض ، ولم يقل : ناقة مخاض ، أى : ذاتُ مخاضٍ ، كما يقال : امرأة زورٌ وصومٌ ، لأن المصدرَ إذا وُصِفَ به فإِنما يُراد به الكثيرُ ولا تكثيرٌ في حمل الواحدة ، ألا ترى أنك تقول هى أصومُ الناس ، وما أصومَها ، ولا يُقال إذا حبَلت : ما أحبلَها ، لأنه شئ واحد ، كما لا يقال فى الموت : ما أموتَها ، فلما عُدِمَ قصدُ التكثيرِ والمبالغة لم تُوصَفَ به ، كما لا تُوصَفُ بالسير إذا قلت : ما هى إلا سيرٌ ، فإذا كانت إبلا كثيرةً حصل معنى الكثرة ، فوُصِفَتْ بالخاض ، وهو المصدر لذلك ، فإن قلت : فقد يقول الرجل : أنتِ الطَّلَاقُ ، وأنتِ الفراقُ قلنا : فيه معنى التكثير والمبالغة ، ولذلك جاز لأنه شئ يُمَادَى ويُدوم ، لاسيما إن أراد بالطلاق الطلاقَ كله لا واحدةً ، وليس كذلك الْمَخَاضُ والحمل ، فإن مُدَّتَهُ معلومةٌ ومقداره مُوقَّتٌ .

وقوله :

بأيدي الملائك ، هو بجمع ملك على غير لفظه ، ولو جمعه على لفظه لقالوا :

أَمَّا لَكَ ، وَلَكِنْ أَلَيْمٌ مِنْ مَلِكٍ زَائِدَةٍ فِيمَا زَعَمُوا ، وَأَصْلُهُ مَالِكٌ مِنَ الْأَلْوَكِ ،
وهي الرسالة ، قال أبيد :

وَعَلَامٍ أَرْسَلْتَهُ أُمُّهُ بِاللُّوِكِ قَبْدَلْنَا مَا سَأَلْنَا

وقال الطائي :

مَنْ مُبْلِغُ النِّفْيَانِ عَنِ مَالِكَا أَيْ مَتَى يَنْتَهَلُوا أَهْدَمُ

و [أبو تمام حبيب بن أوس] الطائي ، وإن كان متوقفاً ، فلنما يُجْتَمَعُ
به لِقَائِي أَهْلَ الْعَرَبِ لَهْ بِالْقَبُولِ وَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَلْعَنَ ، وَإِذَا كَانَ الْأَصْلُ
فِيهِ مَالِكَا فَلِنَا قَلْبُهُوَ إِرَادَةُ الْفَاءِ الْهَمْزَةُ ، إِذَا سَهَلُوا وَلَوْ سَهَلُوا مَالِكَا ، وَالْهَمْزَةُ
مَقْدَمَةٌ لَمْ تَسْقُطْ ، وَإِنَّمَا تَسْقُطُ إِذَا سَكَنَ قَبْلَهَا ، فَقَالُوا لَمَّا لَكَ (١) ، فَإِذَا جُمِعُوا
عَادَتِ الْهَمْزَةُ ، وَلَمْ تَعُدْ إِلَى مَوْضِعِهَا لِثَلَاثِ تَرْجِيعٍ كَجَمْعِ مَالِكَا ، وَهِيَ الرِّسَالَةُ
وَلَوْ قِيلَ : إِنْ أَمَطَ مَلِكٌ مَلْعُودٌ مِنَ التَّلَكُّوتِ ، فَلَمَّا لَمْ يَهْمَزْ ، لِأَنَّهُ أَكْثَرُ
الْمَلَكَاةِ يُسَوِّدُ بَرْدًا ، وَلَوْ أُرِيدَ مَعْنَى الرِّسَالَةِ لَقَالُوا مُوَالِكَ ، كَمَا تَقُولُ :
مُرْسَلًا ، وَخَفَّتِ الْيَمُ فِي الْوَاحِدِ ، وَتَسْكُونُ الْهَمْزَةُ عَلَى هَذَا زَائِدَةً فِي الْجَمْعِ

(١) فِي اللِّسَانِ عَنْ اسْتِثْقَاءِ الْمَلِكِ مِنْ أَلِكْ ، وَالْمَلِكُ مَشْتَقٌّ مِنْهُ وَأَصْلُهُ :
مَالِكٌ ، ثُمَّ قَلِبَتِ الْهَمْزَةُ إِلَى مَوْضِعِ اللَّامِ ، فَقِيلَ مَلَاكٌ ، ثُمَّ حَقَفَتِ الْهَمْزَةُ بِأَنَّ
الْقِيَتِ حُرُوكَتَهَا عَلَى السَّاكِنِ الَّذِي قَبْلَهَا فَقِيلَ : مَلِكٌ . وَيَقُولُ الْقُرْطُبِيُّ أَيْضًا : أَصْلُهُ
مَالِكٌ . الْهَمْزَةُ : فَاءُ الْفِعْلِ ، فَإِنَّهُمْ قَلَبُوهَا إِلَى عَيْنِهِ ، فَقَالُوا : مَلَاكٌ ثُمَّ سَهَلُوهُ
فَقَالُوا مَلِكٌ ، وَقِيلَ أَصْلُهُ مَلَاكٌ مِنْ مَلِكٍ يَمْلِكُ نَحْوَ شَمَالٍ مِنْ شَلٍّ فَالْهَمْزَةُ زَائِدَةٌ
عَنْ ابْنِ كَيْسَانَ أَيْضًا ، وَقَدْ تَأَنَّى فِي الشَّعْرِ عَلَى الْأَصْلِ ، قَالَ الشَّاعِرُ ، ثُمَّ اسْتَشْهَدَ
بِالْبَيْتِ الَّذِي سَمَلَقَ عَلَيْهِ فِي الرَّقْمِ التَّالِي .

كما زادوها في شمال وهي من شمات الريح ، لكان هذا وجهاً حسناً ، وسير
زيادة الهمة في شمال ، وهي من شمات الريح ، فأطاعت الهمة رأسها لذلك ،
إذ قد اجتمع فيها أنها من شمال البيت ، وأنها شامية ، وكذلك اللائكة
هم من مأكوت الله ، وفيهم رسل ، ولو احدى منهم من مأكوت الله فقط ،
لأنه لا يتبعض كما تتبعض الجنة منهم ، فأما قول الشاعر :

قُلْتُ لِلْإِنْسِيِّ لَئِنْ كَانَ آمَالُكَ تَنْزَلَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَهْوِبُ

فهو ز مالكا (١) ، وهو واحد ، والبيت مجهول قائله ، وقد نسبته ابن
سيدة إلى عاتمة ، وأنكر ذلك عليه ، ومع هذا فقد وصف مالكا بالرسالة
لقلوه : تَنْزَلَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَهْوِبُ ، فَحَسُنَ الهمز نصيبه معنى الأولك ،
كل حَسُنَ في جملة اللائكة ، إذ للجنة بمعنى هم لرسال ، والكل من
مأكوت الله سبحانه ، وليس في الواحد إلا معنى التماكوتية فقط حتى
يتبعض من الرسالة ، كما في هذا البيت المذكور ، فيضمن حينئذ المعنيين ،
فتقطع الهمة في اللفظ ، لما في ضمنه معنى الأولك ، وهي الرسالة .

(١) في اللسان والقرطبي وغيرهما : ملاك . ويقول القرطبي : قال الزمخشر بن
شميل : لا اشتقاق للملك عند العرب وفي الطبري أيضاً ، ولكنه يقول : وقد
يقال في واحد : مالك فيكون ذلك مثل قولهم : جبد وجلب ، وشامل
وشمال وما أشبه ذلك من الحروف المتقاربة غير أن الذي يجب إذا سمى واحداً ملك
أن يجمع إذا جمع على ذلك : مالك . ولست أحفظ جمعهم كذلك ساءاً . ولكنهم قد
يجمعون ملائكة وملائكة كما يجمع أشعث : أشعث وأشاعة ، ومسمع : مسمع ومساعة

مقتل كعب بن الأشرف

ذكر فيه أنه شَبَّ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وآذَاهُمْ ، وكان قد شَبَّ بِأُمِّ النَّضْلِ
زَوْجِ الْفُبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ :

أَرَا حِلُّ أَنْتِ لَمْ تَحِلِّ لِنَعِمَتِهِ (١) وَتَلَرِكِ أَنْتِ أُمَّ لِنَفْعَلِ بِالْحَرَمِ

فِي أَبِيَات رَوَاهَا يُونُسُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقٍ .

وذكر فيه قوله عليه السلام : مَنْ لِكَعْبِ [بن الأشرف] ، قد آذى
الله ورسوله (٢) فيه من الفقه : وجوب قتل مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وإن كان ذاع عهده ، خلافاً للأبي حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتلَ النَّبِيِّ فِي مِثْلِ
هذا ، ووقع في كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعب بن الأشرف حملوا
رأسه في مخالفة إلى المدينة ، فقيل : إنه أولُ رأسٍ حُمِلَ فِي الْإِسْلَامِ ، وقيل :
بل رأسُ أُمِّ عَزَّةَ الْجَدِجِيَّةِ الَّتِي قَاتَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُدْعَى الْمُؤْمِنُ
مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ ، فَقَتَلَهُ وَاحْتَمِلَ رَأْسَهُ فِي رُمُوحٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَا ذُكِرَ ،
وَأَمَّا أَوَّلُ مُسْلِمٍ حُمِلَ رَأْسُهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فَعَمْرُو بْنُ الْحُمَيْقِ ، وَلَهُ صُحْبَةٌ .

(١) لِنَعِمَتِهِ - خطأ صوابه : منقبة كما جاء في الطبري والمواهب التي ينقل عن
السبيل . رافراً القصيدة في ص ٤٨٨ ح ٢ الطبري ط دار المعارف وشطبة
أبيات الأول في الطبري :

أَرَا حِلُّ أَنْتِ لَمْ تَحِلِّ بِمَنْقَبَةٍ

ويثبت الطبري أنه شبب بعدها بنساء المسلمين .

(٢) هذه رواية البخاري عن جابر . يعني من يتدب لقتله .

وفيه من قولِ حَسَّانَ في كَمَبٍ: أبكى كَمَبٌ ثم عَلَّ بَعْبَرَةً^(١) فيه دخولُ زِحَافٍ على زِحَافٍ، وذلك أن أولَ الجزء سَبَبٌ ثَقِيلٌ وسَبَبٌ خَفِيفٌ فإذا دخل فيه الزَّحَافُ الَّذِي يُسَمَّى الإِخْمارَ صارَ اسْمَ بَيْنِ خَفِيفَيْنِ، فيعود مُتَفَاعِلُنَ إلى وَزْنِ مُسْتَفْعِلُنَ، وَمُسْتَفْعِلُنَ يدخله التَّخِينُ والطُّيُّ، وهو حَذَفُ الرَّابِعِ منه، فشبه حَسَّانَ مُتَفَاعِلُنَ في الكَامِلِ بِمُسْتَفْعِلُنَ لما صار إلى وزنه، فحذف الحرف الساكن وهو الرابع من مُتَفَاعِلُنَ إلى وَزْنِ مُفْتَعِلُنَ، وهو غَرِيبٌ في الزَّحَافِ فإنه زِحَافٌ سهلٌ زحافاً آخر، ولولا الزَّحَافُ الَّذِي هو الإِخْمارُ، ما جاز اللَّيْتَةُ حَذَفُ الرَّابِعِ من مُتَفَاعِلُنَ^(٢).

وذكر في الذين قَتَلُوا كَمَباً أبا عُبَيْسَ بنَ جَبَرٍ، واسمُه: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وذكر سِدْكَانَ بنَ سَلَامَةَ، واسمُه: سَعْدُ.

وذكر في شِعْرِ حَسَّانِ الْفَاوِي^(٣)، وفيه: بَدِيعُ ذُفَفٍ. الذُّفَفُ: جَمْعُ ذَفِيفٍ وهو الخَفِيفُ السَّرِيعُ، وهو يَجْمَعُ على غيرِ قِيَاسٍ، وإِنَّمَا فَعَلَ جَمْعُ فَاعِلٍ. ولكنَّ الذَّفِيفَ من الشُّيُوفِ في مَعْنَى القاطعِ والصارمِ.

(١) في نسخة من السيرة: أبكى لكعب وأخرى أبكاه كعب. وأخرى: أبكى كعب.

(٢) هذه مصطلحات عروضية، وقد سبق الكلام عنها.

(٣) البيت في اللسان هكذا

رب خال لي لو أبصرته سبط الكمين في اليوم الخمس
ومنسوب إلى حسان.

وفيه : في عَرَيْنٍ مُتَرَفٍ : العرينُ : أَجْمَعُ الْأَسَدِ ، وهو التَّعْرِيفُ أَيْضاً ،
والتَّعْرِيفُ أَيْضاً الْكَثِيرُ ، فيحتملُ أَنْ أَرَادَ بِمُتَرَفٍ مُكْتَبَرًا مِنَ الْأَسَدِ ،
ويحتملُ أَنْ أَرَادَ توكيدَ معنى التَّعْرِيفِ ، كما يقال : خَبِيثٌ مُخْبِثٌ .

وذكر قولَ إسماعيلَ كعبٍ : واللهِ إني لأعرفُ في صوته الشَّرَّ ، وفي كتاب
الْبُخَارِيِّ : إني لأسمعُ صوتاً يقطرُ منه الدَّمُ .

وفيه : ما رأيتُ عِطْراً كالْيَوْمِ ، معناه : عندَ سَيِّبُونِيهِ : ما رأيتُ كِعِطْراً
أراه الْيَوْمَ عِطْراً : كذلك قالَ في قولِ العربِ : لم أُرْ كالْيَوْمِ رَجُلًا ، أَيْ :
كَرَجُلٍ أراه الْيَوْمَ رَجُلًا ، فَحَذَفَ ما دخلتُ عليه الْكَافُ ، وَحَذَفَ الْفَعْلُ ،
وهو أَرَى ، وفاعلهُ وَمُفْعُولُهُ ، وهذا حذفٌ كَثِيرٌ لَاحِظًا ، وقد يقالُ : ما رأيتُ
كالْيَوْمِ ، ولا تذكرُ بعده شَيْئًا إِذَا تَمَجَّجْتَ ، فدلَّ على أَنَّهُمْ لم يَحْذِرُوا هذا
الحذفَ الْكَثِيرَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَوْفَعُوا التَّعَجُّبَ على الْيَوْمِ ، لأنَّ الْأَيَّامَ تَأْتِي
بِالْأَعَاجِيبِ ، والعربُ تَذُمُّهَا وَتَعْدُوها في نظمها ونثرها ، ويعلمُ الْمُخَاطَبُ أَنَّ الْيَوْمَ
لم يُذَمَّ لِنَفْسِهِ وَلَا يُفَجَّبُ مِنْهُ لِنَفْسِهِ ، فيلتمسُ منك الْبَيَانَ وَالْتَفْصِيلَ ما تَمَجَّجْتَ
منه ، فتأتِي بالتمييزِ لَتُبَيِّنَ . فِعْطَرًا مَنْصُوبًا على التَّمْيِيزِ ، والدليلُ على ذلك أَنَّهُ
يَحْسُنُ خَفْضُهُ بِمِنْ ، لَأَنَّهُ مُتَمَجَّبٌ مِنْهُ ، فتقولُ : لم أُرْ كالْيَوْمِ مِنْ رَجُلٍ .

ووقعَ في روايةِ إِبْرَاهِيمَ بنِ سَمْعَانَ عن ابنِ إِسْحَاقَ بعدَ قوله : فَشُوا سَاعَةً ،
قالَ فجعلَ كَغَبٍّ يَنْشُدُ : -

أمر محيصة وحويصة

لوم حويصة لأخيه محيصة لقتله يهودياً ثم إسلامه

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودٍ ظَاغَتْ وَهْ، فَوُتِبَ مُحَيِّصَةً بِنِ مَسْمُودٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: مُحَيِّصَةٌ بِنِ مَسْمُودٍ بِنِ كَتَفِ بِنِ عَامِرِ بِنِ عَدِيٍّ بِنِ تَجْدَعَةَ بِنِ حَارِثَةَ بِنِ الْحَارِثِ بِنِ الْخَزْرَجِ بِنِ عَمْرِو بْنِ

رُبَّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَبَطَ الشَّيْئَةَ أَبَاءَ أَنْفِ
أَبْنِ الْجَانِبِ فِي أَقْرَبِهِ وَعَلَى الْأَعْدَاءِ كَالشَّمِّ الدُّخْنِ
وَكِرَامٍ لَمْ يَشْنُهُمْ حَسَبٌ أَهْلُ عِزٍّ وَحِفَاطٍ وَشَرَفٍ
يَبْذُلُونَ الْمَالَ فِيمَا نَابَهُمْ تَلْفُوفٍ تَعْتَرِيهِمْ وَعُورَفٍ
وَأُيُوثٍ حِينَ يَشْتَدُّ الْوَغَى غَيْرَ أَنْكَسٍ وَلَا مِيلٍ كُشْفٍ
فَهُمْ أَهْلُ سَمَاحٍ وَقِرَى وَحِفَاطٍ لَمْ يَمَانُوا بِصَلَفٍ
سَكَنُوا مِنْ يَثْرَبَ كُلِّ رُبٍّ وَسَهُولٍ حَيْثُ حَلُّوا فِي أَنْفٍ
وَهُمْ أَهْلُ مَشَارِبٍ بِهَا وَحُصُونٍ وَتَخْيِيلٍ وَعُورَفٍ
وَأَمَّا يَبْذُ رَوَاهُ جَمَّةٌ مَنْ يَرُدُّهَا بِإِثَاءٍ بِمَعْرِفٍ
وَتَخْيِيلٍ فِي تِلَاعِ جَمَّةٍ تُخْرِجُ التَّمَرَ كَأَمْثَالِ الْأَكْفِ
وَصَرِيرٍ مِنْ تَحَالٍ خِلْتَهُ آخِرَ اللَّيْلِ مَهَارِيجٍ نُدْفٍ (١)
تَدْلُجُ الْجُونُ عَلَى أَكْتَافِهَا بِدَلَاءِ ذَاتِ أَرْكَانٍ صَدْفٍ
كُلُّ حَاجَانِي قَدْ قَضَيْتُهَا غَيْرَ حَاجَانِي فِي بَطْنِ الْجُرُفِ

(١) لم أهتمد إلى الصواب فيه ، والله : أهانيج رتف .

مالك بن الأوس - على ابن سُنَيْبَةَ - قال ابن هشام : ويقال سُبَيْبَةُ - رجل من تجار يهود ، كان يُبْلِسُهم ويُبَايِعهم فقتله ، وكان حُويصَّة بن مَسْعُود إِذْ ذَاكَ لم يُسَلِّم ، كان أَسَنَّ من مُحَيصَّة ، فلما قُتِلَ جمل حُويصَّة بضربه ، ويقول : أَى عدو الله ، أَقْتَلْتَهُ ، أما والله لَرُبَّ شَحمٍ في بطنك من ماله . قال مُحَيصَّة : فقلت : والله لقد أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ مَنْ لو أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ، قال : فَوَاللَّهِ إِن كَانَ لِأَوَّلِكَ إِسْلَامٌ حُويصَّة ، قال زَوْجُهُ لو أَمَرَكِ مُحَمَّدٌ بِقَتْلِ لَقَتَانِي ؛ قال : نعم ، والله لو أَمَرَنِي بِضَرْبِ عُنُقِكَ لَضَرَبْتُهَا ؛ قال : والله إِن دَبْنَا بَلْعَكَ هَذَا لَمَجَبٌّ ، فَأَسَلِمَ حُويصَّة .

قال ابن إسحاق : حَدَّثَنِي هَذَا الْحَدِيثُ مَوْلَى ابْنِي حَارِثَةَ ، عَنْ ابْنَةِ مُحَيصَّة ، عَنْ أَبِيهَا مُحَيصَّة .

فَقَالَ مُحَيصَّة فِي ذَلِكَ .

يَكُونُ ابْنُ أُمِّي لو أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ لَطَبَقْتُ ذِفْرَاهُ بِأَبْيَضٍ قَاضٍ
حُصَامٍ كَلَوْنِ الْمَلْحِ أَخْلَصَ حَقْلَهُ مَتَى مَا أَصَوَّبَهُ فَلَيْسَ بِكَاذِبٍ
وَمَا مَرَّنِي أَنِي قَتَلْتُكَ طَائِعًا وَأَنَّ لَنَا مَا بَيْنَ بُصْرَى وَمَأْرَبَ

رواية أخرى في إسلام حويصة

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو التَّمَذَنِي ، قَالَ : لما ظَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي قُرَيْظَةَ أَخَذَ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ مِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ ، وَكَانُوا حُلَقَاءَ الْأَوْسِ عَلَى الْخَزْرَجِ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم بأن تُضرب أعناقهم ، فجعلت الخزرج تُضرب أعناقهم ويسرهم ذلك ،
 فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة ،
 ونظر إلى الأوس فلم يرَ ذلك فيهم ، فظن أن ذلك للحلف الذي بين الأوس
 وبين بني قُريظة ولم يكن بقي من بني قُريظة إلا اثنا عشر رجلاً ، فدفعهم إلى
 الأوس ، فدفع إلى كلِّ رجلين من الأوس رجلاً من بني قُريظة وقال :
 ليضرب فلان وليذف فلان ، فكان ممن دفع إليهم كعب بن يهودا ، وكان
 عظاماً في بني قُريظة ، فدفعه إلى مُحبيصة بن مسعود ، وإلى أبي بُردة بن نيار -
 وأبو بُردة الذي رخص له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في أن يذبح جذعاً من
 التمر في الأضحية - وقال ليضربه مُحبيصة وليذف عليه أبو بُردة ، فضربه
 مُحبيصة ضربة لم تقطع ، وذف أبو بُردة فأجهز عليه . فقال حُويصة : وكان
 كافراً ، لأخيه مُحبيصة : أقتلت كعب بن يهودا ؟ قال : نعم ؛ فقال حُويصة :
 أما والله لرُبَّ شَحْمٍ قد نَبَت في بطنك من ماله ، إنك للثيم يا مُحبيصة ، فقال
 له مُحبيصة : لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلك ، فمجب من قوله
 ثم ذهب عنه متمجِّباً . فذكروا أنه جمل بنيقظ من الليل : فيمجب من قول
 أخيه مُحبيصة . حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لدين . ثم أتى النبيَّ
 صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال مُحبيصة في ذلك أيماناً قد كتبناها .

المدة بين قدوم الرسول بحران وغزوة أحد

قال ابن إسحاق : وكانت إقامة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بعد

قُدومه من بَحْران ، جمادى الآخرة ورجباً وشعبان و شهر رمضان ، وغزته
قُرَيْش غزوة أُحُد في شَوال سنة ثلاث

غزوة أُحُد

وكان من حديث أُحُد ، كما حدثني محمد بن مُسلم الزُّهري ومحمد بن يحيى
ابن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد
ابن مُعَاذ وغيرهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدَّث بعض الحديث عن يوم أُحُد ،
وقد اجتمع حديثُهم كُلُّه فيما سَقَتُ من هذا الحديث عن يوم أُحُد قالوا ، أو من
قاله منهم :

التَّحْرِيزُ على غزو الرسول

لما أُصِيب يوم بدر من كُفَّار قُرَيْش أصحاب القَلْبِ ، وَرَجَعَ قُلُوبُهُمْ إلى
مكة ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَان بن حَرْب بِمِيرة ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي رِيعة ،
وَعِكرمة بن أَبِي جَهْل ، وَصُعْوَان بن أُمَيَّة ، في رجال من قُرَيْش ، بمن أُصِيب
أَبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخوانُهُمْ يوم بدر ، فَسَكَّامُوا أبا سُفْيَان بن حَرْب ، ومن كانت
له في تلك العِيرة من قُرَيْش تجارة ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْش ، إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ
وَتَرَكَ ، وَقَتَلَ خِيارَكَ ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ على حَرْبه ، فَلَعَلَّنَا نُدْرِكَ مِنْهُ نَأْرانا
بِمَنْ أَصَابَ مِنْنا ، ففعلوا .

وخرج مُسَاقِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ وَهَبٍ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ مُجَعَجٍ إِلَى بَنِي مَالِكِ
ابْنِ كِنَانَةَ ، يَحْرَضُهُمْ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
قَالَ :

يَا مَالِ ، مَالِ الْخَسْبِ الْمَقْدَمِ أَنْشُدْ ذَا الْقُرْبَىٰ وَذَا التَّدَمُّمِ
مَنْ كَانَ ذَا رَحِمٍ وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْخِلْفَ وَسَطَ الْبَلَدِ الْمَحْرَمِ
عِنْدَ حَاطِمِ الْكُفَةِ الْمَعْظَمِ

وَدَعَا جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ غُلَامًا لَهُ حَبَشِيًّا يَقَالُ لَهُ : وَخِشِي ، يَقْذِفُ بِحَرْبَةٍ
لَهُ قَذْفُ الْحَبَشَةِ ، فَلَمَّا يُحْطَىٰ بِهَا ، يَقَالُ لَهُ : اخْرُجْ مَعَ النَّاسِ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ
قَتَلْتَ حَمْرَةَ عَمِّ مُحَمَّدٍ بِمِئَةِ طُعْمَةٍ بَنِي عَدِيٍّ ، فَأَنْتَ عَتِيقٌ .

خروج قريش معهم نساؤهم

فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِمَنْطَلِهِمْ وَجَعَلُوا فِيهَا وَأَحَابِيثَهَا ، وَمِنْ تَابِعِيهَا
مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، وَأَهْلَى تِهَامٍ ، وَخَرَجُوا مَعَهُمْ بِأَطْفَالِهِمْ ، النَّاسُ الْخَفِيفَةُ ، وَالْأُزْدُ
يَفْرُوا . فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَهُوَ قَائِدُ النَّاسِ ، يَهْتَدِي بِبَنَاتِ عَتْبَةَ ، وَخَرَجَ
عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي حَمَلٍ بِأُمِّ حَكِيمٍ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَخَرَجَ الْحَارِثُ
ابْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَخَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ
بِبَرْزَةَ بِنْتِ مَسْمُودِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ الْمُثَنِّيَّةِ ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ
ابْنِ أُمَيَّةَ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : رَقِيَّةٌ .

قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص برِيلة بنت مُنَّبه بن الحجاج
وهي أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله
ابن عبد المزى بن عثمان بن عبد الدار ، بسلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية
وهي أم بني طلحة : مسافع والجلاس وكلاب ، فُتِلوا يومئذ (م) وأبوم ؛
وخرجت خُناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حِثْل مع
ابنها أبي مزيز بن عُمر ، وهي أم مُصعب بن عمير ؛ وخرجت عُمرة بنت علقمة
إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة . وكانت هِنْد بنت مُتبه كُلاً
مرّت بوخشي أو مرّ بها ، قالت : وبها أبادتمة اشتف واستشف ، وكان
وخشي يُكنى بأبي دتمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنين ، بجبل ببطن السبخة
من قناة على شفير الوادي ، مقابل المدينة .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث
نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إني قد رأيت والله
خبراً ، رأيتُ بقرأ ، ورأيتُ في ذُباب سَيْفِي نَملاً ، ورأيتُ أني أَدْخَلْتُ يَدِي
في دُرْع حَصِينة ، فَأَوَّلُهَا : المدينة .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : رأيتُ بقرأ لي مُتَذَبِّح ، قال : فأما البقر فهي ناس من أصحابي
يُقتلون ، وأما النَّم الذي رأيتُ في ذُباب سَيْفِي ، فهو رَجُلٌ من أهل
يَنْبِي يُقتل .

.....

مشاورة الرسول القوم في الخروج أو البقاء

قال ابن إسحاق : فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدْعُوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ، وإن هم دَخَلُوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأى عبد الله بن أبيّ بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأيه في ذلك ، وألاً يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أُحُدٍ وغيره ، ممن كان فاته بدر : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يروُنَا أنا جُبناً عنهم وضعفنا . فقال عبدُ الله بن أبيّ بن سلول : يا رسول الله ، أقيم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قط إلا أصاب مِنّا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محض ، وإن دَخَلُوا قاتلهم الرجال في وجههم ، وورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يُقال له : مالك بن عمرو ، أحد بني النجّار ، فعلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج إليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا رسول الله : استكبرناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فاقمُدْ رسول الله

عليك ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما يَنْبِئُنِي لَنبِيٍّ إِذَا آتَيْسَ لَأُمَّتِهِ
أَنْ يَضُمَّهُمَا حَتَّى يُقَاتِلَ ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ألفٍ
من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس .

المنحذال المناقنين

قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأحد ، انحزِل عنه
عبدُ الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما نَدْرِي
عَلَامَ تَقْتُلُ أَفْتَسْنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ ، فَرَجَعَ عَنْ اتَّبِعِهِ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ
وَالرَّيْبِ ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ ، أَخُو بَنِي سُلَيْمَةَ ، يَقُولُ :
يَا قَوْمُ ، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ الْأَتَّخِذُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ عِنْدَمَا حَقَّرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ ؛ فَقَالُوا :
لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَقَاتِلُونَ لِمَا أَسْلَمْنَاكُمْ ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالًا . قَالَ :
فَلَمَّا اسْتَعَصَمُوا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الْإِنْصِرَافَ عَنْهُمْ ، قَالَ : أَبْعِدْكُمْ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ ،
فَسَيُفْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ نَبِيَّةً .

قال ابن هشام : وذكر زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري : أن
الأنصار يوم أحد ، قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله
أَلَا نَسْتَعِينُ بِحِوَارَانَا مِنْ يَهُودٍ ؟ فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ .

حادثة تقاتل بها الرسول

قال زياد : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى سلك في حرّة بنى حارثة ، فذَبَّ قَرَسٌ بِذَنَبِهِ ، فأصاب كَلَّابَ سيفٍ
فاسْتَلَّهُ .

قال ابن هشام : ويقال : كَلَّاب سيف .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان يحب الفأل
ولا يمتاف لصاحب السيف : شِمَّ سَيْفُكَ ، فإني أرى السُّيُوفَ سَتُلُّ اليوم .

ما كان من صريع حين سلك المسلمون حاطه

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : مَنْ رجلٌ يخرج بنا على
القوم من كَشَب : أى من قرب ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خَيْثَمَةَ
أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فتنفذ به في حرّة بنى حارثة ،
وبين أموالهم ، حتى سلك في مال لِرَبِيعِ بْنِ قَيْطَى ، وكان رجلاً منافقاً
ضريراً البصر ، فلما سمع حسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن معه من
المسلمين ، قام يَمْحَى بِي وَجُوهِهِم التراب ، ويقول : إن كنت رسول الله
فإني لأحلّ لك أن تدخل حاطي . وقد ذكر لي أنه أخذ حَفْنَةً من تراب
في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربتُ بها
وجهك . فابتدره القومُ لِيَقْتُلُوهُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ،
فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصر . وقد بَدَّرَ إليه سعدُ بن زيد ، أخو
بنى عبد الأشهل ، قبل نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربه بالقوس
في رأسه ، فشجّه .

نَقَالَ : وَمَقَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ الشُّعْبُ مِنْ أَحَدٍ ، فِي عُدْوَةِ الْوَادِي إِلَى الْجَبَلِ ، فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أَحَدٍ ، وَقَالَ : لَا يَبْقَاتِلُنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى نَأْمُرَهُ بِالْقِتَالِ . وَقَدْ سَرَّحَتْ قُرَيْشُ الظَّهْرَ وَالسُّكْرَاعَ فِي زُرُوعٍ كَانَتْ بِالصَّمْعَةِ ، مِنْ قَنَاةَ لِلْمُسْلِمِينَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْقِتَالِ : أَتُرْعَى زُرُوعُ بَنِي قَيْلَةَ وَأَمَّا تَضَارِبُ ! وَتَمَقَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقِتَالِ ، وَهُوَ فِي سَبْعِ مِائَةٍ رَجُلٍ ، وَأَمَرَ عَلَى الرَّهْمَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَبْرِ ، أَخَا بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ مُعَلَّمٌ يَوْمُئِذٍ بِثِيَابٍ بَيْضَ ، وَالرَّهْمَةُ خَمْسُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ انْصَحِ الْخَيْلَ عَنَّا بِالنَّيْلِ ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا ، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا ، فَانْبُتْ مَكَانَكَ لَا تُؤْتَيْنِ مِنْ قَبْلِكَ . وَظَاهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ وَدَفَعَ الْأَوَاءَ إِلَى مُضَمِّ بْنِ عُمَيْرٍ ، أَخِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ .

من أجازهم الرسول وهم في الخامسة عشرة

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ سَمُرَةَ بْنَ جَنْدَبٍ الْفَزَارِيَّ ، وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ ، أَخَا بَنِي حَارِثَةَ ، وَهَما ابْنَا خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ قَدَرْدَمَا ، فَقِيلَ لَهُ : يَارَسُولَ اللَّهِ إِنْ رَافِعًا رَامَ ، فَأَجَازَهُ ، فَلَمَّا أَجَازَ رَافِعًا ، قِيلَ لَهُ : يَارَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنْ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رَافِعًا ، فَأَجَازَهُ . وَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، أَحَدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النُّجَّارِ ، وَالْأَبْرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ، أَحَدَ بَنِي حَارِثَةَ ، وَعَمْرٍو بْنَ حَزْمٍ ، أَحَدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النُّجَّارِ ، وَأَسِيدَ بْنَ ظُهَيْرٍ ، أَحَدَ

بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وَتَعَبَاتُ قُرَيْشٍ ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهما
مئتا فرس قد جَنَّبُوها ، فجعلوا على مَيْمَنَةِ الخيل خالد بن الوليد ، وعلى
مَيسَرَتِهَا عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ .

أمر أبي دجانة

وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قام
إليه رجالٌ ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة رِمَاحُ بْنُ خَرْشَةَ ، أخو
بنى ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تشرب به العدو حتى
ينضحني ؛ قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه . وكان أبو دجانة
رجلاً شجاعاً يخالع عند الحرب ، إذا كانت ، وكان إذا أُعْلِمَ بمصابة له حُرَّاءُ ،
فأعصَّب بهاء على الناس أنه سيفقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخرج عصاه تلك ، فمصبها رأته ، وجعل يفتخر بين الصنفين .

قال ابن إسحاق : وَخَدْنِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُسْلَمٍ ، مولى عمر بن
الخطَّاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة ، قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، حين رأى أبا دجانة يفتخر : إنها المشية يفيضها الله ، إلا في مثل
هذا الوطن .

أمر أبي عامر الفاسق

قال ابن إسحاق : وَخَدْنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ : أن أبا عامر ، عبد عمرو

ابن صَيْفِيّ بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضُبَيْعَة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مُبَاعِداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وبعض الناس كان يقول : كانوا خمسة عشر رجلاً ، وكان يمد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ؛ فإِذَا التقي الناصح كان أول من ألقبهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنأدى : بأمر الأوس ، أنا أبو عامر ؛ قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً بفاسق - وكان أبو عامر يسي في الجاهلية : الزاهد ، فسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق - فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدي شر ، ثم قاتلهم قتلاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة .

أُسلوب أبي سفيان في تحريض قريش

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب الأواء من بني عبد الدار : يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم قد ولّيتُم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإعما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زألوا ، فلما أن تكفونوا لواءنا وإمّا أن تُخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهتوا به وتواددوه ، وقالوا : نحن نُسلم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ؛ وذلك أراد أبو سفيان .

تحريض هند والنسوة معها

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في

النِّسوة اللاتي معها ، وأخذن الدُّقوف يَغصرين بها خلف الرجال ، ويُمحَرّضنهم
فَقالت هند فيما تقول :

وَيْهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيْهَا مُحَاةَ الْأُدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَارِ

وَقَوْل :

إِن تَقْبَلُوا نُمَانِي وَتَقْرِشِ التَّمَارِي
أَوْ تَذِيرُوا مُفَارِقِي فِرَاقِي غَيْرِ وَاِمِي

شعار المسلمين

وَكُنْ شِعَارُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ : أَمِيتُ ،
فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ .

تمام قصة أبي دجانة

قال ابن إسحاق : فَاقْتَتَلَ النَّاسُ حَتَّى سَحِمَتِ الْحَرْبُ ، وَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ
حَتَّى أَمِنَ فِي النَّاسِ .

قال ابن هشام : حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ
قَالَ : وَحَدَّثْتُ فِي نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ
فَمَنَعَنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ ، وَقُلْتُ : أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ ، وَمِنْ قُرَيْشٍ ،
وَقَدْ قُوتَ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِي ، وَاللَّهُ لَا تَفْطِنَ مَا بَصَنَعُ ؛

فاتبعته ، فأخرج عصا به له كبراء ، فمصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج
أبو دُجانة عِصَابَةَ الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تمصب بها : تخرج
وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسَّحْج لَدَى النَّخِيلِ
ألا أقوم الدهرَ في الكَيْوَلِ أضرب بسيف الله والرسول

قال ابن هشام : ويروى في الكُيُولِ .

قال ابن إسحاق : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله : وكان في المشركين
رجل لا بدع لنا جريماً إلا ذفف عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من
صاحبه . فدعوتُ الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب
المُشْرِكُ أبا دُجانة ، فأتقاه بدرقته ، فقصت بسيفه ، وضربه أبو دُجانة فقتله
ثم رأبته قد حل السيف على مفروق رأس هند بنت عُتبة ، ثم عدل السيف
عنها . قال الزبير : فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دُجانة سمالك بن خَرْشَة : رأيت إنساناً يخمش
الناس خمشاً شديداً ، فصدمتُ له ، فلما حلتُ عليه السيف وُلُولُ فإذا امرأة ،
فاكرمتُ سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

مقتل حمزة

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أخطاه بن عبد شَرَحْبِيل بن هاشم .

ابن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يَحْمِلُونَ اللِّوَاءَ ثُمَّ مَرَّ بِهِ
سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْمُزَيِّ الْقُبَشَانِي ، وكان يُكْنَى بِأَبِي نِيَارٍ ، فقال له حَمْزَةُ : هَلَمْ
إِلَى يَابَنِ مُعْطَمَةَ الْبُظُورِ - وكانت أُمُّهُ أُمُّ أَنْعَارٍ مَوْلَاةُ شَرِيقِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهَبِ
الْتَقَفِي .

(قال ابن هشام : شَرِيقُ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ) وكانت خَتَّانَةً بِمَكَّةَ -
فَلَمَّا اتَّقِيَا حَضَرَ بِهِ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ .

قال وَحْشِي ، غلامُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ : والله إني لأنظر إلى حَمْزَةَ يَهْدِي
النَّاسَ بِسَيْفِهِ مَا يُبْلِقُ بِهِ شَيْئًا ، مثل الجمل الأوزق إذ تقدمني إليه سِبَاعُ بْنُ
عَبْدِ الْمُزَيِّ ، فقال له حَمْزَةُ : هَلَمْ إِلَى يَابَنِ مُعْطَمَةَ الْبُظُورِ ، ففَضَرَبَهُ ضَرْبَةً ،
فَكَانَ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ ، وَهَزَزْتُ حَرْبِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ ،
فَوَقَعْتُ فِي ثَمَلَتِهِ حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ نَحْوِي ، ففُكِّلَ فَوْقَ ،
وَأَمَلَتْهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِثَّتْ فَأَخَذْتُ حَرْبِي ، نِمْتُ نَحْنِيتُ إِلَى الْعَسْكَرِ ، وَلَمْ
تَسْكُنْ لِي شَيْءٌ حَاجَةً غَيْرَهُ .

وحشي يحدث الضمري وابن الخيار عن قتله حمزة

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن
الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال : خرجتُ
أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار ، أخو بني نوفل بن عبد مناف . ، في زمان
معاوية بن أبي سفيان ، فأدْرَبْنَا مَعَ النَّاسِ ، فَلَمَّا قَلَمْنَا مَرَرْنَا بِمَحْضٍ - وكان

وَحَشِيٍّ ، مولى جُبَيْر بن مُطْعَم ، قد سَكَنَهَا ، وَأَقَامَ بِهَا - فَأَمَّا قَدِمْنَاهَا ، قَالَ
لِي عُبَيْدُ اللَّهِ بنِ عَدِيٍّ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ نَأْتِيَ وَحَشِيًّا فَنَسْأَلَهُ عَنْ قَتْلِ حِمْرَةَ كَيْفَ
قَتَلَهُ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : إِنْ شِئْتَ . فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْهُ بِحِمَصٍ ، فَقَالَ لَنَا رَجُلٌ ،
وَنَحْنُ نَسْأَلُ عَنْهُ : إِنَّكُمْ سَتَجِدَانِهِ بِفَنَاءِ دَارِهِ ، وَهُوَ رَجُلٌ قَدْ غَلِبَتْ عَلَيْهِ الْخَمْرُ ،
فَإِنْ تَجِدَاهُ صَاحِبًا تَجِدَا رَجُلًا عَرَبِيًّا ، وَتَجِدَاهُ عِنْدَهُ بَعْضَ مَا تُرِيدَانِ ، وَتُصِيبَانِ
عِنْدَهُ مَا شِئْتُمَا مِنْ حَدِيثٍ تَسْأَلَانِهِ عَنْهُ ، وَإِنْ تَجِدَاهُ وَبِهِ بَعْضُ مَا يَكُونُ بِهِ ،
فَانْصَرِفَا عَنْهُ وَدَعَاهُ . قَالَ : فَخَرَجْنَا نَمْشِي حَتَّى جِئْنَاهُ ، فَإِذَا هُوَ بِفَنَاءِ دَارِهِ عَلَى
حُفْنَةٍ لَهُ ، فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ مِثْلُ الْبُغَاثِ .

— قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْبُغَاثُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْرِ إِلَى السَّوَادِ .

فَإِذَا هُوَ صَاحِبٌ لَا بَأْسَ بِهِ . قَالَ : فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ سَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ
إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عَدِيٍّ ، فَقَالَ : ابْنُ أَمْدَى بنِ الْخَلْيَارِ أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :
أَمَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُكَ مِنْذُ نَاوَلْتُكَ أُمُّكَ السَّعْدِيَّةَ الَّتِي أَرْضَعْتُكَ بِذِي طُؤَى ،
فَإِنِّي نَاوَلْتُكَهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا ، فَأَخَذَتْكَ بِمِرْضَتِكَ ، فَلَمَعَتْ لِي قَدَمَاكَ
حِينَ رَفَعْتُكَ إِلَيْهَا ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَقَفْتَ عَلَى فَمِرْفَقَيْهَا . قَالَ : فَجَلَسْنَا
إِلَيْهِ ، وَقُلْنَا لَهُ : جِئْنَاكَ لِتُحَدِّثَنَا عَنْ قَتْلِكَ حِمْرَةَ ، كَيْفَ قَتَلْتَهُ ؟ فَقَالَ : أَمَا
إِنِّي سَأَحَدْتُكُمْ كَمَا حَدَّثَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَأَلَنِي عَنْ ذَلِكَ ،
كُنْتُ غُلَامًا لَجُبَيْرِ بنِ مُطْعَمٍ ، وَكَانَ عُمُ طُعَيْمَةَ بنِ عَدِيٍّ قَدْ أُصِيبَ يَوْمَ
بَدْرٍ ، فَلَمَّا سَارَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَحَدٍ ، قَالَ لِي جُبَيْرٌ : إِنْ قَتَلْتَ حِمْرَةَ عَمَّ مُحَمَّدٍ
بِعَمِّي فَأَنْتَ عَتِيقٌ . قَالَ : فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا أَقْذِفُ

• • • • •

بالحرية قَذَفَ الحبشة ، قَلَمًا أَخْطَى ، بها شيئًا ؛ فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمزة وأتبعه ، حتى رأيتُه في عُرْضِ الناسِ مثلَ الجملِ الأورقِ ، يَهْدُ الناسَ بسيفه هذا ، ما يقومُ له شيء ، فوالله إني لأنهيأُ له ، أُرِيدُهُ وأستمر منه بشجرة أو حَجَرٍ لِيَذْنُوْنِي إِذْ تَقْدُمُنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَزَةٌ قَالَ لَهُ : هَامٌ إِلَى بَابِ مَقْطَعَةِ الْبُظُورِ . قَالَ : فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً كَأَنَّمَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ . قَالَ : وَهَزَزْتُ حَرَبِي ، حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا ، دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ ، فَوَقَعَتْ فِي مُنْتَهَاهَا ، حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رَجُلَيْهِ ، وَذَهَبَ لِيُثْوِيَ نَحْوِي ، فُقِلِبَ ، وَتَرَكْتُه وَإِياها حَتَّى مَاتَ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حَرَبِي ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ ، فَقَدِمْتُ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بِغَيْرِهِ حَاجَةٌ ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأَعْتَقَ . فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ أُعْتِقْتُ ، ثُمَّ أَقَمْتُ حَتَّى إِذَا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى اللَّطَّائِفِ ، فَكُنْتُ بِهَا ، فَلَمَّا خَرَجَ وَفَدُ الطَّائِفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُسَلِّمُوا نَعَيْتُ عَلَى الْمَذَاهِبِ ، فَقُلْتُ : الْحَقُّ بِالشَّامِ ، أَوِ الْيَمَنِ ، أَوْ بِيَمَنِ الْبِلَادِ ؛ فَوَاللَّهِ إِنْ لَقِيتُ ذَلِكَ مِنْ هَمِي ، إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ : وَيْحَكَ ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَتَهُ .

وحشي بين يدي الرسول يسلم

فلما قال لي ذلك ، خرجتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَلَمْ يَرُعْهُ إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَتَشْهَدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ ؛ فَلَمَّا رَأَى قَالَ : أَوْحَشِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : انْعُدْ لِحَدَّثَنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمَزَةً ، قَال : لِحَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمَا ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ : وَيْحَكَ ! غَيَّبَ عَنِّي

.....

وجهك ، فلا أرينك . قال : فكنت أنسكب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث كان لئلا يراني ، حتى قبضه الله - صلى الله عليه وسلم .

قتل وحشي لمسيمة

فلما خرج المسلمون إلى مُسَيْلَمَةَ الكَذَاب صاحب البِئَمَةِ خرجت معهم ،
وأخذت حَرْبِي التي قتلتُ بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأيت مُسَيْلَمَةَ الكَذَاب
قائماً في يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأت له ، ونهيتاً له رجل من الأنصار من
الناحية الأخرى ، كلاًنا يريدُه فهزئتُ حَرْبِي حتى إذا رَضِيتُ منها دفعْتُها
عليه ، فوقعت فيه ، وشدتُ عليه الأنصارى فضربه بالسيف ، فربك أعلم أينما
قتله ، فإن كنتُ قتلتُه ، فقد قتلتُ خيرَ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقد قتلتُ شرَ الناس .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن الفضل ، عن سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ ،
عن عبدِ الله بن عُمر بن الخطَّاب ، وكان قد شهد البِئَمَةِ ، قال : سمعت يومئذٍ
صارخاً يقول : قتله المبدؤ الأسود .

خلع وحشي من الديوان

قال ابن هشام : فبلغني أن وحشياً لم يزل يُحْدِثُ في الحِمْيَرِ حتى خُلِعَ من
الديوان ، فكان عمرُ بن الخطَّاب يقول : قد علمتُ أن الله تعالى لم يكن ليُدْعَ
قاتل حمزة .

مقتل مصعب بن عمير

قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِلَ ، وكان الذي قتله ابن قَيْثَةَ اللَّيْثِي ، وهو يَظُنُّ أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قُرَيْش فقال : قتلتُ محمداً . فلما قُتِلَ مصعب ابن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللّواءَ على بن أبي طالب ، وقاتل على بن أبي طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثني مسلمة بن عَنَقَمَةَ المازني ، قال : لما اشتد القتال يوم أُحُد ، جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبي طالب رضوان الله عليه : أن قَدِّمَ الرَايَةَ . فتقدم على ، فقال : أنا أبو القُصَم ، ويقال : أبو القُصَم ، فيما قال ابن هشام - فناداه أبو سعد بن أبي طَلْحَةَ ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القُصَم في البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرز بين الصَّفَيْنِ ، فاختلعا ضَرْبَيْنِ فضرَّ به على فصرَّعه ، ثم انصرف عنه ولم يُجهز عليه ؛ فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقباني بعورته ، فمطقتني عنه الرحم ، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله .

ويقال : إن أبا سعد بن أبي طَلْحَةَ خرج بين الصَّفَيْنِ ، فنادى أنا قاصمٌ من يُبارز برازاً ، فلم يخرج إليه أحدٌ . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلناكم في الجنة ، وأن قتلانا في النار ، كذبتم واللوات ! لو تعلمون ذلك

.....

حقاً تلجأ إلى بعضكم ، نخرج إليه على بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين .
فضربه على قَتَله .

قال ابن إسحاق : قتل أبا سَعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص .

شأن عاصم بن ثابت

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . فقتل مُسافع بن طلحة وأخاه
الجلال بن طلحة كلاهما بِشَمره سَهْمًا . فَيَأْتِي أُمُّهُ سُلَاقَةً . فيضع رأسه في
حجرها فنقول : يا بُنَى . من أصابك ؟ فيقول : سممت رجلاً حين رَمَانِي وهو
يقول : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ أَبِي الأفلح . فذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم
أن تشرب فيه الخمر . وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مُشركاً أبداً .
ولا يمس مشرك .

وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللّوَاءِ حَقًّا أَنْ يَخْضِبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا

فَقَتَلَهُ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

حنظلة غسيل الملائكة

والتقى حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عامر القَسِيلِ وأبو سفيان ، فلما استقلا حَنْظَلَةُ
ابن أبي عامر رآه شَدَادُ بْنُ الأَسود ، وهو ابن شَعُوب ، قد علا أبا سفيان .
فضربه شَدَادُ فَقَتَلَهُ . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعني

حنظلة أُنْقِصَ لَهُ اللَّائِكَةُ . فَسَأَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ ؟ فَسَأَلَتْ صَاحِبَتُهُ عَنْهُ . فَهَاتَتْ :
خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَاتِفَةَ .

— قَالَ ابْنُ هَاشِمٍ : وَيُقَالُ : الْهَاتِفَةُ . وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : خَيْرُ النَّاسِ رَجُلٌ
مُسْكٌ بَعْنَانُ قَرَسُهُ ، كَمَا سَمِعَ هَيْمَةَ طَارَ إِلَيْهَا . قَالَ الطَّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ
الطَّائِيُّ ، وَالطَّرِمَّاحُ : الطَّوِيلُ مِنَ الرِّجَالِ :

أَنَا ابْنُ مُحَاةٍ الْجَعْدِ مِنْ آلِ مَالِكٍ إِذَا جَمَعَتِ خُورُ الرِّجَالِ تَهَيُّمُ
(وَالتَّهَيُّمَةُ : الصَّيْحَةُ الَّتِي فِيهَا النَّزْعُ) .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِذَلِكَ غَسَلَهُ
لِللَّائِكَةِ .

شعر الأسود في قتلها حنظلة وأبا سفيان

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ) : وَقَالَ شَدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ فِي قَتْلِ حَنْظَلَةَ :

لَأَحْمَدَ بْنَ صَاحِبِي وَتَقَى بَطْنُهُ مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ

وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَهُوَ يَذْكُرُ صَبْرَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَمَعَاوَنَةُ
ابْنِ شَعُوبٍ إِبَاءَهُ عَلَى حَنْظَلَةَ :

وَلَوْ شِئْتُ نَجَيْتُ نَفْسِي كَمَيْتِ طِمْرَةٍ وَلَمْ أَجِدِ النَّفْثَاءَ لِابْنِ شَعُوبٍ
وَمَا زَالَ مُهْرِي زَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى دَنَتْ لَغْرُوبِ
أَقَاتِلُهُمْ وَأَدْعِي بِالْغَالِبِ وَأَدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنِ صَلِيبِ

فَبِكِّي وَلَا تَرَعَى مَقَالََةَ عَاذِلٍ وَلَا تَسْأَمِي مِنْ عَسْبَرَةٍ وَنَحِيبٍ
أَبَاكِ وَإِخْوَانَا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا وَحَقُّ لَهِمْ مِنْ عَسْبَرَةٍ بَنَصِيبٍ
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنْبِي قَتَلْتُ مِنَ النَّجَّارِ كُلَّ نَحِيبٍ
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرْنَمَا كَرِيمًا وَمُضَمَّيَا وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبٍ
وَلَوْ أَنِّي لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمْ لَكَانَتْ شَجَا فِي الْقَلْبِ ذَاتُ نُدُوبٍ
فَأَبَا وَقَدْ أُرْدَى الْجَلَايِبُ مِنْهُمْ بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعْطَبٍ وَكَتِيبٍ
أَصَابِهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَدِمَائِهِمْ كِفَاءً وَلَا فِي خُطَاةٍ بِضَرِيبٍ

شعر حسان في الرد على أبي سفيان

فَأَبَايَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، فِيمَا ذَكَرَ ابْنَ هِشَامٍ ، فَقَالَ :

ذَكَرْتُ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَأَسْتُ لَزُورٍ قُنَاتِهِ بَنَصِيبٍ
أَتَعَجَّبُ أَنْ أَفْصَدْتَ حِزَّةَ مِنْهُمْ نَحِيبًا وَقَدْ تَمَيَّنَتْهُ بَنَجِيبٍ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحِجَّاجَ وَابْنَ حَنِيبٍ
غَدَاةَ دَعَا الْعَامِيَّ عَلِيًّا قَرَأَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَنَاهُ بِخَضِيبٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ ابْنُ شَعْرُبٍ يَذْكُرُ يَدَهُ عِنْدَ أَبِي سُوَيْيَانَ فِيمَا دَفَعَ

عَنْهُ ، فَقَالَ :

وَلَوْلَا دِفَاعِي بِابْنِ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي لِأَلْفَيْتُ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ مُجِيبٍ
وَلَوْلَا مَكْرِي الْمُهْرَ بِالنَّعْفِ قَرَقَرْتُ ضَبَاعٌ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاءُ كَنَابِيبٍ

قال ابن هشام : قوله « عليه أو ضراء » عن غير ابن إسحاق .

شعر الحارث في الرد على أبي سفيان أيضاً

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام يُجيب أبا سفيان :

جَزَيْتَهُمْ يَوْمًا بَيِّنًا كَمِثْلِهِ عَلَى سَابِجِ ذِي مَيْعَةٍ وَشَيْبِ
لَدَى صَخْنٍ بَذَرٍ أَوْ أَقَمْتَ نَوَائِمًا عَلَيْكَ وَلَمْ تَحْفَلِ مُصَابِ حَبِيبِ
وَلِإِنَّكَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ لَأَبْتَ بِقَلْبٍ مَا بَقِيَتْ نَخِيبِ

قال ابن هشام : وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظن أنه عرض به في قوله :

وَمَا زَالَ مُهْرِي مَزَجَرَ السَّكَبِ مِنْهُمْ

لِقَرَارِ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ .

حديث الزبير عن سبب الهزيمة

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده ، فحشروهم بالسيوف حتى كشفوهم عن التمشكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال : والله لقد رأيتني أنظرُ إلى خَدَمِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ وَصَوَاحِبِهَا مَشَمَّرَاتِ هَوَارِبَ ، مَا دُونَ أَخْذِهِنَّ

قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخلصنا
 ظهورنا للخييل ، فأتيننا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتِل ؛
 فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدري أحد
 أحد من القوم .

قال ابن هشام : الصارخ : أربّ العقبة ، يعني الشيطان .

شجاعة صواب وشمر حسنة

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن اللواء لم يزل صريحا
 أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش ، فلاثوا به . وكان
 مع صواب ، غلام لبني أبي طلحة ، حبشي وكان آخر من أخذه منهم ، فثبته
 به حتى قُطعت يده ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدّره وعُنقه حتى قُتل عليه .
 وهو يقول : اللهم هل أعزرت - يقول : أعذرت - فقال حسّان بن ثابت
 في ذلك :

تَفَرَّثُمْ بِاللَّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ	لَوَاءٍ حِينَ رُدَّ إِلَى صُؤَابٍ
جَمَلْتُمْ تَفَرَّكُم فِيهِ بِقَبْدٍ	وَالْأَمَّ مِنْ يَطَا عَفَرِ التَّرَابِ
ظَنَنْتُمْ ، وَالسَّغِيهِ لَهُ ظُنُوفُ	وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ
بِأَنْ جَبَلَدْنَا يَوْمَ التَّمِيمِ	بِمَكَّةَ بَيْتُكُمْ حُرَّ الْعِيَابِ
أَفَرَّ الْعَيْنَ أَنْ عَصَبَتْ يَدَاهُ	وَمَا إِنْ تُصَبَّانِ عَلَى خِضَابِ

قال ابن هشام : آخرها بيتا يروى لأبي خراش الهذلي ، وأنشدني له
خلفت الآخر :

أقرّ العين أن عصبت بدّاها وما إن تُعصبان على خضاب
في أبيات له . يعني امرأته . في غير حديث أحد . وتروى الأبيات أيضا
لعمقل بن خويدة الهذلي .

شعر حسان في عمرة الحارثية

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في شأن عمرة بنت علقمة
الحارثية ورَفَعها اللّواء :

إذا عَضَلُ سِيَقَتْ لِمَآئِنَا كَأَنهَا جِدَايَةُ شُرَكَائِكَ مُعَلَّمَاتِ الْحَوَاجِبِ
أَقَمْنَا لَهُمْ طَعْمًا مُبِيرًا مَنَكَّلًا وَحُزْنَ نَأْمُ بِالضَّرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَلَوْلَا لَوَاءُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا يَبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْعَ الْجَلَالِبِ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات له .

مالقيه الرسول يوم أحد

قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون ، فأصاب فيهم العدو ، وكان
يومَ بلاء . وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى
خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذُت بالحجارة حتى وقع لشقه ،
فأصابت رباعيته ، وشج في وجهه ، وكلمت شفقه ، وكان الذي أصابه عتبة
ابن أبي وقاص .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال :

كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وشج في وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم ! فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ كَيْفَ لَكُم مِّنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ .

قال ابن هشام : وذكر ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري : أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسرت رباعيته اليمنى الشفلى ، وجرح شفته الشفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته ، وأن ابن قميّة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عاصم يقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون ؛ فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفع طاحته ابن عبّيد الله حتى استوى قائما ، ومصّ مالك بن سنان ، أو أبي سعيد الخدري ، الدم : عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدرده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسّ دمي دمه لم تصبه النار .

قال ابن هشام : وذكر عبّيد العزيز بن محمد الدراوردي : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أحبّ أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فليَنظر إلى طاحته بن عبّيد الله .

وذكر ، بهو عبد العزيز الدراوردي ، عن إسحاق بن يحيى بن طاحه ،
عن عيسى بن طاحه ، عن عائشة ، عن أبي بكر الصديق : أن أبا عبيدة بن
الجراح نزع إحدى الخنثيين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت
ثنيته ، ثم نزع الأخرى ، فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين .

شعر حسان في عتبة وما أصاب به الرسول

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص :

إِذَا اللَّهُ جَازَى مَعَشَرًا بِفِعْلِهِمْ وَضَرَّاهُمُ الرَّحْمَنُ رَبَّ الشَّارِقِ
فَأَخْرَاكَ رَبِّي يَا عُتَيْبَ بْنَ مَالِكٍ وَلِقَاكَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِحْدَى الصَّوَاقِ
بَسَطْتَ يَمِينًا لِلَّذِي تَعْتَدَا فَأَدْمَيْتَ فَاهُ ، قُطِعَتْ بِالْبَوَارِقِ
فَهَذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ وَالْمَنْزِلَ الَّذِي تَصِيرُ إِلَيْهِ عِنْدَ إِحْدَى الْبَوَائِقِ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقدح فيهما :

ابن السكن وبلاؤه يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين غشيه القوم :
مَنْ رَجُلٌ يَشْمُرِي لِنَا نَفْسَهُ ؟ كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن
سعد ابن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زياد بن السكن في نفر خمسة
من الأنصار - وبعض الناس يقول : إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن -
فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلاً ثم رجلاً ، يُقَاتِلُونَ دُونَهُ ،

.....

حتى كان آخرهم زياد أو عماره ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فئة من المسلمين ، فأجهم ضوم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أذنوه منى ، فأذنوه منه ، فوسده قدمه ، فمات وخذه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حديث أم سعد عن نصيبها في الجهاد يوم أحد

قال ابن هشام : وقاتلت أم عماره ، نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد .
فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري : أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عماره ، فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين . فلما انهزم المسلمون ، انجزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففقت أبائر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأزنى عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلى . قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قميته ، أفاء الله ! لما ولي الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعتزضت له أنا ومضغ بن عُمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضر بني هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

أبو دجانة وابن أبي وقاص يدفعان عن الرسول

قال ابن إسحاق : وترّس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه ، بقع النبل في ظهره ، وهو مُنحني عليه ، حتى كثر فيه النبل . ورمى سعدُ بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيتُه يُتناولني النبل وهو يقول : ارم ، فذاك أبي وأمي ، حتى إنه ليناولني السهم ماله أصل . فيقول : ارم به .

بلاء قتادة وحديث عينه

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى اندقت سيّتها ، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصابت يومئذ عينُ قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجفّته .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصمُ بن عُمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّها بيده ، فكانت أحسنَ عَينيه وأحدّهما .

شأن أنس بن النضر

قال ابن إسحاق : وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدى ابن النجّار ، قال : انتهى أنسُ بن النضر ، عمّ أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا

.....

بأيديهم ، فقال : ما يُجاسكم ؟ قالوا : قُتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
فإذا تُصنعون بالحياة بعده ؟ (قوموا) فموتوا على ما مات عليه رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم ، فقاتل حتى قُتل : وبه سُمي أنس بن مالك
قال ابن إسحاق : فحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد
وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عرفه إلا أخته ، عرفت ببناته .

ما أصاب ابن عوف من الجراحات

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أصيب
قوه يومئذ فُتِم ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فخرج .

أول من عرف الرسول بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد
الهزيمة ، وقول الناس : قُتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر لي ابنُ
شهاب الزهري كعب بن مالك ، قال : عرفت عينيه تزهران من تحت المنقر ،
فناديت بأعلى صوتي : يامعشر المسامين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم
نَهَضُوا به ، ونَهَضَ معهم نحو الشعب ، معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن
الخطَّاب ، وعلى بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، ولزير بن العوام ،
رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسامين .

• • • • •

قتل محيصة اليهودي

مُحَيِّصَةُ بن مسعود كان أصغر من أخيه حُوَيْصَةَ، لكن سبقه إلى الإسلام، كما ذكر ابن إسحاق، وشهد أحداً والخندق، وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل فدك يدعوهم إلى الإسلام، وهو الذي استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم - في أُخْرَةِ الْحِجَامِ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بعدما ألح عليه في المسألة: اغلقه ناضحك واجعله في كَرِّ شِكَ، وذلك أن أَبَا طَيْبَةَ الْحِجَامِ^(١)، كان عبداً له، وقد تقدم اسمُ أبي طَيْبَةَ.

وقوله: ما بين بُصْرَى ومَأْرِبَ. بُصْرَى بالشام، ومَأْرِبُ بِالْيَمَنِ، حيث كان السَّدُّ، ومَأْرِبُ: اسم قصر كان لِسَبَا. وقال للمسعودي: مَأْرِبُ اسمٌ كُلُّ مَلِكٍ وَلِيَ أَمْرَ سَبَا، كَخَاقَانَ فِي الْبَرْكِ، وَكِشْرَى فِي الْفُرْسِ وَفَيْصَرُ فِي الرُّومِ، وَالنَّجَاشِيُّ فِي الْحَبَشَةِ.

وَحُوَيْصَةُ^(٢): تصغير حَوْصَةٍ من حَصَتْ الثُّوبَ إِذَا خِطَّتْ.

وفي حديثهما ذكر سُبَيْبَةُ الْمُقْبُولِ، كأنه تصغير سَبَّابٍ. وقال ابن هشام في اسمه: سُبَيْبَةُ بِالْبَاءِ كأنه مصغر تصغير الترخيم من سَبَّابَةٍ، قال صاحب العين: السَّبَّابَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْفَبَاتِ، وَأَمَّا سُبَيْبَةُ بِالشَّيْنِ لِلْمَقْطُوعَةِ. فوالد

(١) في الصحيحين أنه حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) ضبط القاموس الإسمين بقوله: وحويصة وعيصة ابنا مسعود.

مشددتي الصاد صحا بيان. وضبطا بفتح الصاد.

سِقْلَابِ بْنِ شُعَيْبَةَ^(١) قَرَأَ عَلَى نَافِعِ بْنِ أَبِي نَعِيمٍ ، وَقَالَ : قَالَ لِي نَافِعٌ : بِاصِقْلَابٍ
بَيْنَ النُّونِ عِنْدَ الْحَاءِ وَالْخَاءِ وَالْغَيْنِ وَالْمَاءِ وَالْأَلِفِ .

غزوة أحد

فضل أمر :

وَأَحَدُ الْجِبَلِ الْمَعْرُوفُ بِالْمَدِينَةِ ، سُمِّيَ بِهَذَا الْاسْمِ لِتَوَحُّدِهِ وَأَنْقِطَاعِهِ عَنِ
جِبَالٍ أُخَرَ هُنَاكَ ، وَقَالَ فِيهِ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَذَا جَبَلٌ
يُحِبُّنَا وَيُحِبُّهُ^(٢) ، وَلِلْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَقْوَالٌ . قِيلَ أَرَادَ أَهْلَهُ يَوْمَ
الْأَنْصَارِ ، وَقِيلَ أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ يُبَشِّرُهُ إِذَا رَأَاهُ عِنْدَ الْقُدُومِ مِنْ أَسْفَارِهِ بِالْقُرْبِ
مِنْ أَهْلِهِ وَلِقَائِهِمْ ، وَذَلِكَ فَعَلَ الْمُحِبُّ ، وَقِيلَ : بَلْ حُبُّهُ حَقِيقَةٌ ، وَمُضْعَ الْحُبِّ
فِيهِ كَمَا وَمُضْعَ التَّسْبِيحِ فِي الْجِبَالِ الْمُسَبَّحَةِ مَعَ دَاوُدَ ، وَكَأَمْ وَضِعَتْ الْخَشْيَةُ
فِي الْحِجَارَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا : ﴿ وَإِنْ مِنْهَا أَمَّا يَهَيِّطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ وَفِي الْآثَارِ
الْمُسْنَدَةِ أَنَّ أَحَدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ مِنْ دَاخِلِهَا ، وَفِي بَعْضِهَا أَنَّهُ
رُكِّنَ لِبَابِ الْجَنَّةِ^(٣) ، ذَكَرَهُ ابْنُ سَلَامٍ فِي تَفْسِيرِهِ ، وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ طَرِيقِ

(١) هُوَ فِي الْقَامُوسِ : سِقْلَابٌ - بِالسَّيْنِ - الْقَارِيءُ الْمَصْرِيُّ .

(٢) رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَحَدُ الطَّبْرَانِيِّ ، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ يَأْنُ أَنْ
ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ الْقُدُومِ مِنْ خَيْرٍ وَلَفْظُ رِوَايَةِ ابْنِ شَيْبَةَ أَنَّهُ - أَيْ أَنَسٌ - أَقْبَلَ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْرٍ ، فَلَمَّا بَدَأَ لَهُمْ أَحَدُ قَالَ الْحَدِيثَ .
وَلَكِنْ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى الْبُخَارِيِّ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي رَجُوعِهِ مِنْ الْحَجِّ ،
وَنِيلَ : وَهُوَ عَائِدٌ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ .

(٣) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالتَّبْرَانِيُّ ، وَبَلَغَ مِنْ ضَعْفِهِ أَنْ يَقُولَ السَّيُوطِيُّ عَنْهُ

إِنَّهُ ضَعِيفٌ

أبي عبيس بن جبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أَحَدٌ مُجَبِّدٌ وَنُجْبَةٌ ، وهو على باب الجنة ، قال : وَعَيزٌ يُبَغِّضُنَا وَيُبْغِضُنَا ، وهو على باب من أبواب النار^(١) ، وَيُقَوِّيه قوله صلى الله عليه وسلم : المرء مع مَنْ أَحَبَّ^(٢) ، مع قوله : مُجَبِّدٌ وَنُجْبَةٌ ، فتناسبت هذه الآثار ، وشدَّ بعضها بعضاً .

مما كلَّه اسم الجبل لأغراضه التوضيحية :

وقد كان عليه السلام يحب الاسم الحسن ولا أحسن من اسم مُشْتَقٍّ من الأَحَدِيَّةِ ، وقد سمَّى الله هذا الجبل بهذا الاسم ، تَقْدِماً لما أرادَهُ سُبْحَانَهُ من مُشَاكَلَةِ اسمِهِ ، ومعناه ، إذ أهله وهم الأنصارُ تَصَرُّوا التَّوْحِيدَ والمَبْعُوثَ بدين التَّوْحِيدِ ، عنده استقر حياً وميتاً ، وكان من عادته عليه السلام أن يَسْتَعْمَلَ الْوِثَرَ وَيُجَبِّدُ فِي شَأْنِهِ كُلَّهُ اسْتِشْعَاراً لِلْأَحَدِيَّةِ^(٣) ، فقد وافق اسم هذا الجبل لأغراضه عليه السلام ومقاصده في الأسماء ، فقد بَدَّلَ كثيراً من الأسماء استقباحاً لها من أسماء البقاع وأسماء الناس ، وذلك لاختصاصه كثرةً ؛ فاسمُ هذا الجبل من أَوْفَقِ الأسماء له ، ومع أنه مُشْتَقٌّ من الأَحَدِيَّةِ ، فحركات حُرُوفِهِ

(١) رواه الطبري في الأوسط ، وكذلك قال عنه السيوطي إنه ضعيف .

(٢) متفق عليه .

(٣) أظنه بقصد المصدر الصناعاتي من أحد . لا الاحدية التي يتكلم عنها الصوفية ، وهي الوجود الإلهي المجرد عن الأسماء والصفات . وقد وفية بما في كتابي هذه هي الصوفية ، وفيه أن الاحدية الصوفية لا تنسب إلى الحق من دين الله .

الرَّفِيعُ ، وذلك بِشُورِ بَارْتَنَاقِ دِينِ الْأَحَدِ ، وَعِلْوَةٍ ، فَتَمَاتَى أَخْبٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ اسْمًا وَمُسَمًى ، فَخُصَّ مِنْ بَيْنِ الْجِبَالِ بِأَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ ، إِذَا بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ، فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبَثًا (١) وَفِي أُحُدٍ قَبْرُ هَارُونَ أَخِي مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَفِيهِ قُبُضَ ، وَتَمَّ وَاوَاهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ قَدْ مَرَّ بِأَحَدٍ حَاجِّينَ ، أَوْ مُقْتَمِرِينَ ، رَوَى هَذَا الْمَعْنَى فِي حَدِيثِ أَسْنَدِهِ الرَّبِيعُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي كِتَابِ فُضَائِلِ الدِّينَةِ (٢) .

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ مَسِيرَ قُرَيْشٍ بِالْأَظْمَنِ النَّاسِ الْحَفِيفَةِ ، وَالْحَفِيفَةُ ، الْقَضَبُ لِلْحَرَمِ ، وَيُقَالُ أَحْفِظَ الرَّجُلُ إِذَا أَغْضِبَ .

(١) رَوَايَةٌ أَنَّهُ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ رَوَاهُ وَاهِيَةٌ سَاقِطَةٌ .
(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شُبَّةٍ وَابْنُ زُبَايَةَ ، وَفِي مَتْنِهِ دَلِيلُ سَقُوطِهِ ، فَقَدْ رَوَى أَنَّ مُوسَى وَهَارُونَ خَرَجَا حَاجِّينَ أَوْ مُقْتَمِرِينَ ، حَتَّى إِذَا قَدَمَا الْمَدِينَةَ خَافَا الْيَهُودَ ، فَتَزَلَا أَحَدُ وَهَارُونَ مَرِيضٌ ، فَحَفَرَ لَهُ مُوسَى قَبْرًا بِأَحَدٍ ، وَقَالَ : يَا أَخِي أَدْخِلْ فِيهِ ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، فَدَخَلَ فِيهِ فَلَمَّا دَخَلَ قَبَضَهُ اللَّهُ ، فَحَثَا مُوسَى عَلَيْهِ التُّرَابَ . . كَيْفَ يَجْرُقُ مُوسَى عَلَى الْحَكَمِ بِمَوْتِ أَخِيهِ ؟ لَا يَجُوزُ . إِسْنَادُ هَذَا الْبَغْيِ عَلَى اللَّهِ إِلَى نَبِيٍّ . وَيَقُولُ السَّمُودِيُّ : بِأَحَدِ شُعْبِ مَرْقٍ بِشُعْبِ هَارُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ قَبْرَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَعْلَاهُ ، وَهُوَ بَعِيدٌ حَسًّا وَمَعْنَى ، وَلَيْسَ ثُمَّ مَا يَصْلُحُ لِلْحَفْرِ وَالْخَرَجِ التُّرَابَ . وَقَالَ فِي الْفَتْحِ عَنْ سَنَدِ الزُّبَيْرِ لِلْحَدِيثِ وَسَنَدُ الزُّبَيْرِ فِي ذَلِكَ ضَعِيفٌ جَدًّا مِنْ جِهَةِ شَيْخِهِ ابْنِ زُبَايَةَ ، وَمَنْقَطَحٌ ، وَلَيْسَ بِمَرْفُوعٍ وَفِي النَّوْرِ عَنْ ابْنِ دَحِيَّةٍ أَنَّهُ بَاطِلٌ بَيِّنٌ إِنَّمَا مَاتَ فِي مَوْضِعٍ عَلَى سَاعَةِ مِنْ مَدِينَةِ جَبَلَةٍ مِنْ مَدَنِ الشَّامِ . وَقِيلَ إِنَّ قَبْرَ هَارُونَ بِجَبَلِ مَشْرِفٍ . فَبَلَى بَيْتَ الْمُقَدَّسِ كَمَا ذَكَرَ يَاقُوتٌ فِي كِتَابِهِ الْمُشْتَرَكِ ، وَفِي الْأَنْوَارِ أَنَّهُ مَاتَ فِي التِّيَّةِ .

رُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

فصل : وذكر رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بقرأ تُنَجَّرُ حوله ،
وَكَلَمَةً فِي سَيْفِهِ ، وفي غير السيرة قال رأيت بقرأ تُنَجَّرُ والله خيرٌ ، فأولتُ الخيرَ
ما جاء الله به من الخير يومَ بَدْرٍ ، وقد كانت بَدْرٌ قَبْلَ أُحُدٍ ، ولكن نفع الله بذلك
الخير الذي كان في يوم بَدْرٍ ، وكان فيه تَأْسِيةٌ وَتَعْزِيةٌ لَهُمْ ، فلذلك تَضَمَّنَتْهُ الرُّؤْيَا
بقول الله تعالى (أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا) وفي البخاري :
ما جاء الله به من الخير بعد بَدْرٍ . وفي مُسْنَدٍ : وإذا الخيرُ ما جاء الله به بعدُ
وثنابُ الصَّدَقِ الذي أتانا الله به يومَ بَدْرٍ ، وهذه أَقَلُّ الرِّوَايَاتِ إِشْـكَالاً .

« قال المؤلف » أبو القاسم السهيلي : أما البقرة فعبارة عن رجال مُسْتَحِينَ
يَتَنَاطَعُونَ وقد رأت عائشة - رضي الله عنها - مثلَ هذا ، فكان ثوابه قتلَ
مَنْ قَتَلَ مَعَهَا يومَ الجَمَلِ .

وقوله : والله خيرٌ ، رأى : رأيته بقرأ تُنَجَّرُ ، ورأيت هذا الكلامَ ،
لأن الرائي قد يُمَثِّلُ له كلامٌ في خَبْرِهِ ، فيراه بوجهٍ ، كما يرى صورة الأشياء ،
وَمَنْ خَبَرَ أحوال الرُّؤْيَا عَرَفَ هذا من نفسه ، وَمِنْ غَيْرِهِ ، لَكِنَّ الصُّورَ
الْمُرْتَبِئَةَ فِي النَّوْمِ تَكُونُ فِي الغَالِبِ أَمْثالاً مَضْرُوبَةً ، وقد تكون على
ظاهرِها ، وأما الكلام الذي يسمعه بسمع الوهم مُمَثِّلاً في الخلد ، فلا يكون
إلا على ظاهره ، مثل أن يسمع : أنتَ سالمٌ أو الله خيرٌ لك ، أو ما أشبه
هذا من الكلام ، فليس له معنى سوى ظاهره .

وذكر أن قَرَساً ذَبَبَ بِذِيذِهِ ، فأصاب كُلابَ سَيْفٍ فاستمته . قال

ابن هشام: كَلَّابُ السَّيْفِ هِيَ الْحَدِيدَةُ الْعَمَقَةُ، وَهِيَ الَّتِي تَلِي الْغِمْدَ، وَفِي كِتَابِ
الْعَيْنِ: السَّكَلَبُ مِشْتَارٌ فِي قَائِمِ السَّيْفِ.

الْفَالُ وَالطَّيْرَةُ:

قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْفَالَ، وَلَا يَبْغِتَانِ، يُفْتَلُّ
بِفَتْحٍ مِنْ الْعِيَاةِ. وَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّ الْعِيَاةَ فِي الْمَكْرُوهِ خَاصَّةٌ، وَالْفَالُ
فِي الْحَبِوبِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْمَكْرُوهِ، وَالطَّيْرَةُ تَكُونُ فِي الْحَبِوبِ وَالْمَكْرُوهِ،
وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ سَمِيَ عَنْ الطَّيْرَةِ، وَقَالَ: خَيْرُهَا الْفَالُ، قَدْ عَلِيَ أَنَّهَا تَكُونُ
عَلَى وُجُوهِهِ وَالْفَالُ خَيْرُهَا^(١). وَلَفْظُهَا يُعْطَى أَنَّهَا تَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ،
لِأَنَّهَا مِنَ الطَّيْرِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: جَرَى لَهُ الطَّائِرُ بُخَيْرٌ، وَجَرَى لَهُ بَشَرٌ، وَفِي
التَّنْزِيلِ: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عَقْدِهِ﴾^(٢).

وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: فَإِنِّي أَرَى الشُّيُوفَ سَدَّسَلُ الْيَوْمِ، يَقْتَضِي
مَا قَدَّمَ مِنْ التَّوَسُّمِ وَالزَّجْرِ الْمَصِيبِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مَكْرُوهٍ^(٣) لِسُكُونِهِ غَيْرِ

(١) يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ، وَإِنَّمَا أَحَبَّ الْفَالَ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا أَمَلُوا فَاتِدَةً اللَّهُ
وَرَجَوْا عَائِدَتَهُ عِنْدَ كُلِّ سَبَبٍ ضَعِيفٍ أَوْ قَوِيٍّ فَهَمُّ عَلَى خَيْرٍ، وَلَوْ غَلَطُوا فِي
جِهَةِ الرِّجَاءِ، فَإِنَّ الرِّجَاءَ لَهُمْ خَيْرٌ، وَإِذَا قَطَعُوا أَمَلَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ مِنْ اللَّهِ كَانَ ذَلِكَ
مِنَ الشَّرِّ، وَأَمَّا الطَّيْرَةُ، فَإِنَّ فِيهَا سُوءَ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَتَوَقُّعَ الْبَلَاءِ.
(٢) مِنْ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ قَوْلُهُ: لَا طَّيْرَةَ وَبِعَجَبِي الْمَالُ الْحَسَنُ،
قَالُوا وَمَا الْمَالُ؟ قَالَ السَّكَمَةُ الطَّيْبَةُ.

(٣) يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي مَفْرَدَاتِهِ: وَالزَّجْرُ لِلطَّيْرِ هُوَ التَّيْمَنُ وَالتَّنْزِيمُ بِهَا
وَالنَّزُولُ بِطَيْرَانِهَا كَالسَّانِحِ وَالْبَارِحِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ السَّكَمَةِ وَالْعِيَاةِ، وَالْبَكْمَةُ =

مَقْطُوعٌ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قَدِّمْنَا فِيهِ قَوْلًا مُتَقِينًا فِي حَدِيثِ زَمَزَمَ وَنُقْرَةَ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ، وَاللَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ، وَإِعْمَالُ الْفِكْرِ فِي الْوُقُوفِ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ عِبَادَةٌ.

المنصفون يوم أُصغر:

وذكر المُستَضْفَرِينَ يَوْمَ أُحُدٍ الَّذِينَ أَرَادُوا الْخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَرَدَّ أَصْغَرَهُمْ، مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَأُسَيْدُ بْنُ ظُهَيْرٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ إِلَى آخِرِهِمْ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِمْ عَرَابَةَ بْنَ أَوْسٍ بْنِ قَيْظَى، وَقَدْ ذَكَرْتَهُ طَائِفَةٌ فِيهِمْ، وَمَنْ ذَكَرَهُ فِيهِمْ الْقُتَيْبِيُّ فِي كِتَابِ الْمَعَارِفِ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّامُخُ:

إِذَا مَارَّآئِي رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ^(١)

= كُفْرٌ. وَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ يَرْبِطُ الْإِنْسَانُ قَدْرَهُ وَهَيْبَتَهُ بِطَائِفٍ تَحْرُكُهُ صَدَقَةٌ نَحْوَ الْيَمِينِ، وَأُخْرَى نَحْوَ الشَّامِ؟، وَكَيْفَ نَجْعَلُ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ بِسَمَةِ سَعَادَةٍ وَأَنَّةِ شِقَاءٍ؟ وَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ لِمَنْ الْعِيَاةُ وَالطَّرِيقُ وَالطَّيْرَةُ مِنَ الْجَبْتِ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حُبَّانٍ

(١) ص ١١٣ المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة السكاكبي الدينوري ط ١٣٠٠ هـ وقد استشهد القتيبي ببيت آخر للشامخ هو

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسَى يَسْمُو إِلَى الْغَايَاتِ مَنَاطِعَ الْقَرِينِ
وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ، وَقَدْ ذَكَرَ بَيْتَ الشَّعْرِ بِوَضْعِ الْخَبَرَاتِ مَكَانَ الْغَايَاتِ
ص ٥٠٥ ط دار المعارف.

وقد ذكره ابن حبيب في المحبر من أجواد الإسلام، وأشرف العميان
ص ١٥٥، ٢٩٨. وهو في الإصابة ابن زبلي.

وَبِعَرَابَةِ أَخِي اسْمِهِ : كِبَاءَةُ ، لَهُ صُحْبَةٌ . وَمِنْ الْمُتَصَفِّرِينَ يَوْمَ أُحُدٍ
سَعْدُ بْنُ حَبِيبَةَ ، عُرِفَ بِأُمِّهِ ، وَهِيَ حَبِيبَةُ بِنْتُ مَالِكِ أَنْصَارِيَّةٌ ، وَهُوَ سَعْدُ
ابْنُ بُحَيْرٍ مِنْ بَحْيَلَةَ ، رَدَّهَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ أُحُدٍ لِصِفَرِ سَنَتِهِ ،
فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخُنْدَقِ رَأَى بِقَاتِلٍ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَدَعَاهُ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَدَعَا
لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي وَلَدِهِ وَنَسَلِهِ ، فَكَانَ عَمًّا لِأَرْبَعِينَ ، وَخَالًَّا لِأَرْبَعِينَ ، وَأَبًّا لِثَلَاثِينَ ،
وَمِنْ وَلَدِهِ أَبُو يُونُسَ الْقَاضِي يَفْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ حُبَيْشِ بْنِ
سَعْدِ بْنِ حَبِيبَةَ .

مول مهر هنر بنت عتبة :

وذكر قول هند بنت عتبة :

وَبِهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ

وَبِهَا كَلِمَةٌ مَعْنَاهَا الْإِغْرَاءُ .

قال الرازي :

وَهُوَ إِذَا قِيلَ لَهُ وَبِهَا قُلُ فَإِنَّهُ مُوَاشِكٌ مُتَعَجِّلٌ^(١)

(١) هو في اللسان غير مذنوب هكذا :

وهو إذا قيل له وبها كل فإنه مواشك مستعجل

وهو إذا قيل له وبها هل فإنه أحج به أن ينسكل

وقيل أصلها : يا فلان . أي إذا دعى لدفع عزيمة ، فقل له يا فلان نكل ، ولم

يجب . وإن قيل له : كل أسرع . ومن العرب من يقول في التفرج : واهأ وواه

أيضاً وواه ، كلمة يقال في الاستحاث .

وَأَمَّا وَاهَاً ، فَإِنْ مَعْنَاهَا التَّمَجُّبُ ، وَإِيهَا مَعْنَاهَا : الْأَمْرُ بِالسَّكْفِ .
 وَقَوْلُهَا : إِنْ تَقَبَّلُوا نَعَانِقِي ، فَيُقَالُ : إِنَّمَا تَمَثَّلَتْ بِهِذَا الرَّجَزِ ، وَإِنَّمَا
 لِمُنْدِرِ بِنْتِ طَارِقِ بْنِ بِيَأْضَةَ الْإِيَادِيَّةِ ، قَالَتْهُ فِي حَرْبِ الْفُرْسِ لِإِيَادٍ ، فَعَلَى
 هَذَا يَكُونُ إِشْدَادُهُ : بِنَاتِ طَارِقِ^(١) ، بِالنَّصْبِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ ، كَمَا قَالَ :
 نَحْنُ بَنِي ضُبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ^(٢)

وَأِنْ كَانَتْ أَرَادَتْ النُّجُومَ فَبِنَاتِ مَرْفُوعٍ ، لِأَنَّهُ خَيْرٌ مُبْتَدَأُ أَيْ : نَحْنُ
 شَرِيفَاتُ رَفِيعَاتِ كَالنُّجُومِ ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ عِنْدِي بَعِيدٌ ، لِأَنَّ طَارِقًا وَصَفَتْ
 لِلنُّجُومِ اطْرُوقَهُ ، فَلَوْ أَرَادَتْهُ لَقَالَتْ : بِنَاتِ الطَّارِقِ إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ لِلزُّبَيْرِ بْنِ
 أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِ أَنْسَابِ قُرَيْشٍ لَهُ أَوَّلُ هَذَا الرَّجَزِ الَّذِي قَالَتْهُ هُنْدُ
 يَوْمَ أَحَدٍ :

نَحْنُ بِنَاتُ طَارِقٍ نَمَشِي عَلَى النَّمَارِقِ مَشَى الْقَطَا النَّوَائِقِ

(١) فِي الرَّجَزِ : كَمَا وَرَدَ فِي اللَّسَانِ :

نَحْنُ بِنَاتُ طَارِقٍ نَمَشِي عَلَى النَّمَارِقِ

وَقَدْ ضَبَطَتْ بِنَاتُ بِالرَّفْعِ بِاعْتِبَارِهَا خَبْرًا ، وَكَذَلِكَ ضَبَطْتُ فِي الطَّبَرِيِّ .
 وَلَكِنَّهُ رَوَى الْآيَاتُ هَكَذَا :

نَحْنُ بِنَاتُ طَارِقٍ إِنْ تَقَبَّلُوا نَعَانِقِ
 وَنَبْطُ النَّمَارِقِ أَوْ تَدْبُرُوا نَفَارِقِ
 فِرَاقٍ غَيْرِ وَاقِقِ

وَرَوَاهُ مَرَّةً أُخْرَى كَمَا هُوَ فِي السَّيْرَةِ غَيْرَ أَنَّهُ آخِرُ وَقْدَمِ .

(٢) الْبَيْتُ فِي اللَّسَانِ فِي مَادَّةِ جَمَلٍ وَفِيهِ بَنُو بِالرَّفْعِ .

نَحْنُ بَنُو ضُبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ الْمَوْتُ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ

إلى آخر الرَجَزِ ، قال : وحدثني يحيى بن عبد الملك الهذلي ، قال :
جَلَسْتُ لَيْلَةً وَرَأَيْتُ الضَّحَّاكَ بْنَ عُثْمَانَ الْجَذَامِيَّ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَا مُتَقَنِّعٌ فَذَكَرَ الضَّحَّاكَ وَأَصْحَابَهُ قَوْلَ هِنْدٍ يَوْمَ أُحُدٍ : نَحْنُ
بَنَاتُ طَارِقٍ ، فَقَالُوا : مَا طَارِقٌ ؟ فَقُلْتُ : النَّجْمُ ، فَالْتَفَتَ الضَّحَّاكَ ، فَقَالَ :
أَبَا زَكْرِيَّا ، وَكَيْفَ بِذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَالطَّارِقِ
وَالطَّارِقِ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ : فَانْهَاقَتْ : نَحْنُ
بَنَاتُ النَّجْمِ ، فَقَالَ : أَحْسَنْتَ .

أبودجانة:

وذكر أبودجانة ، وَلَبَسَهُ الْمَشْهَرَةُ ^(١) ، وأبو دُجَانَةَ السَّاعِدِيُّ مِمَّنْ
دَافَعَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحَنَّا عَلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَسَ عَلَيْهِ
بِنَفْسِهِ ، حَتَّى كَثُرَتْ النَّبْلُ فِي ظَهْرِهِ ، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ ، بَعْدَ أَنْ شَارَكَ
فِي قَتْلِ مُسَيْلِمَةَ ، اشْتَرَكَ فِي قَتْلِهِ هُوَ وَوَحْشِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ ، وَسَنَدُكَرُ
مَا قَالَهُ سَيْفُ بْنُ عُمرَ فِي قَاتِلِ مُسَيْلِمَةَ فِي آخِرِ الْبَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وذكر قول أبي دُجَانَةَ :

إِنِّي أَمْرُؤٌ عَاهَدَنِي خَلِيلِي

(١) في القاموس : ووذو المشهرة أبودجانة . جاك بن أوس صحابي كانت له
مشاهرة إذا خرج بها يخال بين الصفيين لم يبق ولم يذر . وقد روى أحمد ومسلم عن
أسر قصة السيف وأبي دجانة .

يَقْنِي رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَذَلِكَ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ حَدَّثَنِي خَلِيلِي ، وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاجَّاتِ ، وَقَالَ لَهُ : مَتَى كَانَ خَدِيلَتُكَ ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ الْمُنْكَرُ هَذَا اقُولْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَالِيًا ، وَإِلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ . وَإِسْنِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَدْفَعُ أَنْ يَقُولَ الْعَدُوُّ لَدَفْنِي خَالِي ، لِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ بِهِ مَعْنَى الْحَبِيبِ ، وَإِنَّمَا فِيهِ عَلَيْهِ أَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَقُولُهَا لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَا خَصَّ بِهَا أَحَدًا دُونَ أَنْ يَمْنَعَ غَيْرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَقُولَهَا لَهُ ، وَمَا كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَاجَّةِ لَهُ بِقَتْلِي هَذَا ، وَأَكْثَرَ مِنْهُ ، مَا لَمْ يَكُنِ الْعُلُوُّ وَالْقَوْلُ الْمُسْكِرُوهَ ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تُطْرُقُونِي ، كَمَا أَطْرَقَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . وَقَالَ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ : أَنْتَ سَيِّدُنَا وَأَطَوَّلْنَا طَوْلًا لَا (١) ، وَأَنْتَ الْجَفْنَةُ الْقَرَاءَ ، فَقَالَ : « قُولُوا بِقَوَائِمِكُمْ ، وَلَا يَسْتَجِرُّ بَيْنَكُمْ الشَّيْطَانُ » . أَيْ : قُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ دِينِكُمْ وَأَهْلِ مِلَّتِكُمْ ، كَذَا فَسَّرَهُ الْخَطَّابِيُّ ، وَمَعْنَاهُ عِنْدِي : قُولُوا بِقَوَائِمِكُمْ ، لَا يَقُولُ الشَّيْطَانُ ، لِأَنَّهُ قَدْ جَعَلَهُمْ جَرِيئًا (٢) ، أَيْ : وَكَيْلًا وَرَسُولًا ، وَإِذَا كَانُوا جَرِيئًا لَهُ ، وَقَالُوا : مَا يُرْضِيهِ مِنَ الْعُلُوِّ فِي الْمَنْطِقِ ، فَقَدْ قَالُوا بِقَوَائِمِهِمْ . وَيَسْتَجِرُّ بَيْنَكُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ جَرِيئًا ، أَيْ : وَكَانَتْ وَكَيْلًا . وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ آخَرُ : أَنْتَ أَشْرَفُنَا حَسَبًا وَأَكْرَمُنَا أَمَّا وَأَبَا ، فَقَالَ : كَمْ دُونَ

(١) حديث لا تطرؤني رواه الزمذني وغيره . وحديث أنت سيدنا روى النسائي وأبو دارق قريبا منه بسند جيد .

(٢) جرى كغنى الوكيل والرسول والاجير والضامن الواحد والجمع والمؤنث .

لِسَانِكَ مِنْ حَاطِقٍ ؟ فَقَالَ : أَرْبَعَةُ أَطْبَاقٍ ، فَقَالَ : أَمَا كَانَ فِيهَا مَا يَزَعُ عَنِ
غَرْبِ لِسَانِكَ . رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ فِي جَامِعِهِ .

وقول أبي دجاجة :

أَلَّا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوُولِ

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْكَيْوُولُ آخِرُ الصَّفُوفِ ، قَالَ : وَلَمْ يَسْمَعْ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ،
وَقَالَ النَّرَوِيُّ مِثْلَ مَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَزَادَ فِي الشَّرْحِ ، وَقَالَ سُمِّيَ يَكْيُولُ
الزَّيْنُدُ ، وَهِيَ سَوَادٌ وَدُخَانٌ يَخْرُجُ مِنْهُ آخِرًا ، بَعْدَ الْقَدْحِ إِذَا لَمْ يُوْرِ نَارًا ،
وَذَلِكَ شَيْءٌ لَا غِنَاءَ فِيهِ ، يُقَالُ مِنْهُ كَالِ الزَّيْنُدِ يَكْيُولُ ، فَالْكَيْوُولُ فَيَعْمُولُ مِنْ
هَذَا ، وَكَذَلِكَ كَيْوُولُ الصُّمُوفِ لَا يُوْقَدُ نَارَ الْحَرْبِ ، وَلَا يُزَكِّيْهَا ، هَذَا مَعْنَى
كَلَامِهِ لَا لَفْظِهِ . وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ نَحْوًا مِنْ هَذَا إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : كَالِ الزَّيْنُدِ يَكِيلُ
بِالْيَاءِ لَا غَيْرَ ^(١) .

وقوله : رَأَيْتُ رَجُلًا يَحْمِشُ النَّاسَ حَمَشًا شَدِيدًا ، يَرُوى بِالشَّيْنِ وَبِالسَّيْنِ ،
ظَالِمُنِي بِالسَّيْنِ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ فِي هَذَا الْمَكَانِ الشَّدَّةُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَشْدَهُمْ وَيُشْجِمُهُمْ ،
لَأَنَّهُ يُقَالُ : رَجُلٌ أَحْمَسُ ، أَيْ : شَجَاعٌ شَدِيدٌ ، وَالْمَعْنَى فِيهِ بِالشَّيْنِ مُعْجَمَةٌ أَلَّا
يُقَادَ وَالْإِغْضَابُ ، لَأَنَّهُ يُقَالُ أَحْمَشْتُ النَّارَ أَوْ قَدْتُهَا وَحَمَشْتُ الرَّجُلَ ،

(١) فِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ . : وَقِيلَ : الْكَيْوُولُ : الْجَبَانُ ، وَالْكَيْوُولُ :
عَمَّا أَشْرَفَ مِنَ الْأَرْضِ يَرِيدُ : تَقُومُ فَوْقَهُ . فَتَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ غَيْرُكَ .

وَأُخْمِسْتُهُ : أَغْضَبْتُهُ ، فَيَسْكُونُ أَفْعَلْتُ مِنْ ذَلِكَ لِإِلْهَادِ وَلَا غَضَابَ ، وَقَعَلْتُ لِإِلْغَضَابِ .

حديث وحشى

قال فيه : فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، كَالْبُعَاثِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْبُعَاثُ الطَّيْرُ الَّذِي لَا يُصَادُ بِهِ مِثْلُ الرَّخَمِ ، وَإِلْحْدَاءُ ، وَاحِدَتُهَا بِلْعَانَةٍ . وَيُقَالُ : بَغَاثُ وَجْهِهِ بَغَاثٌ وَيَنْتَانُ . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عِنْدَ ذِكْرِ الْبُعَاثِ الْبُعَاثُ هُوَ ذَكَرَ الرَّخَمَ إِذَا هَرِمَ اسْوَدَّ .

وقول وَحْشِيٍّ لِعُبَيْدِ اللَّهِ : مَا رَأَيْتُكَ مُنْذُ نَاوَلْتُكَ أُمَّكَ السَّعْدِيَّةَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهَا ، وَأُمُّ عُبَيْدِ اللَّهِ بِنْتُ عَدِيٍّ هِيَ أُمُّ قِتَالِ بِنْتُ أَبِي الْعَيْصِ بْنِ أُمَيَّةَ ذَكَرَهَا الْبَخَارِيُّ فِي هَذَا الْخَبَرِ ، وَلَمْ يَقُلِ السَّعْدِيَّةَ فَهِيَ إِذَا قُرِشِيَّةٌ أُمَوِيَّةٌ لَاسَّعْدِيَّةَ إِلَّا أَنْ يَرِيدَ بِهَا مُرْصِصَتَهُ إِنْ كَانَتْ سَعْدِيَّةً ، وَأُمَا عُبَيْدُ اللَّهِ بِنْتُ عَدِيٍّ ، فُوَلِدَ فِي حِلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلَهُ دَارٌ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ دَارِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَرْوَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَغَيْرِهِ ، وَلَهُ حَدِيثٌ فِي الْمَوْطَأِ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ .

وقوله : بَذَى طَوًى : مَوْضِعٌ بِمَسْكَةٍ ، وَقَدْ قَدَمْنَا الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذِي طَوَاءٍ بِالْهَمْزِ وَالْمَدِّ ، وَبَيْنَ طَوًى بِالضَّمِّ وَالْقَصْرِ فَأَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هَاهُنَا .

وقول وَحْشِيٍّ : يَهْدِي النَّاسَ بِسَيْفِهِ ، مَا يُبْلِقُ شَيْئًا ، مِثْلُ الْجَلِّ الْأَوْزَقِ ،

يريد - والله أعلم - وَرَقَةُ الْعُجْبَرِ ، وأنه قد نافع ^(١) به إِذْ الْأَوْرَقُ مِنَ الْأَبْلِ
ليس بأقواها ، ولكنه أطنبها لهما فيما ذكروا .

وقوله : يَهْذُ النَّاسَ ، هو بالذال المنقوطة ، ذكره صاحب الدلائل ، وفسره
من الْهَذِّ وهى الشَّرْعَةُ ^(٢) وأما الْهَذْمُ بالميم ، فسرْعَةُ الْقَطْعِ ، يقال : سَيفٌ
مِنْهَذَمٌ ، وَالْهَيْذَامُ : الكَثِيرُ الْأَكْلُ ، وهو الشَّجَاعُ أَيْضًا ، وفى الحديث :
أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ ، يُرْوَى بِالذَّالِ الْمَنْقُوطَةِ أَى قَاطِعِهَا ، وما
ذكر غير ابن إسحاق فى خَبَرٍ وَحْشِيٍّ ، قال : فخرت حين قال لى سیدی ما قال ،
فنظرت فإذا رَجُلٌ عَنَبَبُ عَلَيْهِ دِرْعٌ قِصَّاءٌ وَإِذَا هُوَ عَلَى ، فقلت : ليس هذا
من شَأْنِي ، وَإِذَا رَجُلٌ حُلَاسٌ ، أَيْهِمْ غَشَمَ يَهْذُ النَّاسَ ، كأنه بَجَلٌ
أَوْرَقٌ ، فَكَمَنْتُ لَهُ إِلَى صَخْرَةٍ كَأَنَّهَا فُسْطَاطٌ ، وقلت : هذا الذى أريد ،
وَهَزَزْتُ حَرَبَةً لى عَرَّاصَةً ، قَرَمَيْتُهُ بِهَا ، فَأَصَبْتُ ثَنَّتَهُ ، وذكر باقى
الحديث . الْعَنَبَبُ : الشاب ، والدِّرْعُ الْقِصَّاءُ : الْحِزْكَةُ النَّسِجُ ، وَالْأَيْهِمْ :
الذى لا يرثه شئ . وفى الحديث : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْأَيْهِمَيْنِ ، يعنى السَّيْلُ
وَالْحَرِيقُ . وَالْعَرَّاصَةُ : التى تَضْطَرِبُ مِنَ الْإِينِ .

وقوله فى قتل مُسَيْلِمَةَ : سبقنى إليه رجل من الأنصار ، وسبقنى ذكر

(١) هكذا بالأصل ، والأورق من الجمال هو الذى نونه بين الغبرة والسواد .
ويليق شيتا : لا يبقى شيتا ، وهى فى السيرة : ما يقوم له شئ .
(٢) يقول الحُشْنَى : من رواه بالذال فمعناه يسرع فى قطع حُومِ الناس
بسيفه ، ومزريه بالذال فمعناه : يهدم ويهلكهم .

مُسَيْلَمَةَ وَنَسَبُهُ ، وَطَرَفٌ مِنْ حَدِيثِهِ فِي آخِرِ الْكِتَابِ . وَأَمَّا الرَّجُلُ الْقَدِي مِنْ الْأَنْصَارِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَحْشِيُّ ، وَلَمْ يُسَمِّهِ ابْنُ إِسْحَاقَ ، فَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ سِرِّحَانَهُ فِي كِتَابِ الرَّدَّةِ ، أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي شَارَكَ وَحْشِيًّا ، فِي قَتْلِ مُسَيْلَمَةَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ الْمَازِنِيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَذَكَرَ سَيْفُ بْنُ عُمَرَ فِي كِتَابِ الْفَتْوحِ أَنَّهُ عَدِيُّ بْنُ سَهْلٍ ، وَأَنشده :

أَمْ تَرَى أَنِّي وَوَحْشِيٍّ قَتَلْتُ مُسَيْلَمَةَ الْمُفْسِقِينَ

وَيَسْأَلُنِي النَّاسُ عَنْ قَتْلِهِ فَقُلْتُ : ضَرَبْتُ ، وَهَذَا طَعْنٌ ^(١)

فِي آيَاتٍ لَهُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قُبَيْلَ هَذَا الْحَدِيثِ . أَنَّ أَبَا دُجَانَةَ أَيْضًا شَارَكَ فِي قَتْلِ مُسَيْلَمَةَ ، وَذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ النَّعْرِيُّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ أَرَادَ وَحْشِي . وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ زِيَادَةٌ فِي إِسْلَامِ وَحْشِي ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، قَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا وَحْشِي ، فَقَالَ : دَعُوهُ فَلَا إِسْلَامَ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِ أَلْفِ رَجُلٍ كَافِرٍ .

وَذَكَرَ قَوْلَ أَبِي سَعْدٍ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ : أَنَا فَاصِمٌ مِنْ يُبَارِزُنِي ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ عَنِي ، فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بِالْقَافِ ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ ، وَهُوَ أَصَحُّ ، وَلَمَّا قَالَ عَلِيُّ

(١) بقول الحفاظ في المتح . وأغرب وثيمة في كتاب اردة . فزعم أن الذي ضرب مسيلة شن — بفتح الشين وتضعيف النون — بن عبد الله ، وأنشده له . . ثم ذكر البيتين وزاد .

فلمست بصاحبه دونه وليس بصاحبه دون شن

ص ٢٩٧ = ٧ فتح الباري

— عليه السلام أنا أبو القُصَم ، أقول أبي سَعْدٍ أنا قاصِمٌ مَنْ يُبَارِزُنِي . فاقْتَصَرَ :
 يَجْمَعُ قُصَمَةً ، وَهِيَ الْعُضْلَةُ الْمُهْلِكَةُ ، وَبِحُوزٍ أَنْ يَكُونَ يَجْمَعُ الْقُصَمَى ،
 أَيْ : الدَّاهِيَةِ الَّتِي تَقْصِمُ . وَالِدَاوَاهِي الْقُصَمَ عَلَى وَزْنِ التَّكْسِيرِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى
 أَصَحُّ ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ قُصَمَةً ، وَلَسَكُنْهُ لِمَا قَالَ أَبُو سَعْدٍ أَنَا قَاصِمٌ ، قَالَ عَلَى :
 أَنَا أَقْصِمُ مِنْكَ ، بَلْ أَنَا أَبُو الْقُصَم ، أَيْ أَبُو الْمُفْضِلَاتِ الْقُصَمِ ^(١) وَالِدَاوَاهِي
 الْعُظْمُ ، وَالْقُصَمُ كَسْرٌ بِبَيْنُونَةٍ ، وَالْقُصَمُ : كَسْرٌ بِغَيْرِ بَيْنُونَةٍ كَكَتْسِرِ
 الْقَضِيبِ الرَّطْبِ وَنَحْوِهِ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَوْمٍ ﴾ وَفِيهِ
 (لَا انْفِصَامَ لَهَا) وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقٍ : قَتَلَ أَبَا سَعْدٍ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ سَعْدُ بْنُ
 أَبِي وَقَاصٍ ، كَذَلِكَ رَوَاهُ السَّكَنِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ سَعْدٍ ، قَالَ لِمَا كَفَّ عَنْهُ
 عَائِي طَعَنْتُهُ فِي حَنْجَرَتِهِ ، فَدَاعَ إِسَانُهُ إِلَيَّ ، كَمَا يَصْنَعُ الْكَلْبُ ثُمَّ مَاتَ .

وذكر ابن إسحاق أيضاً هذا في غير رواية ابن هشام ، وقول علي بن إمامه
 أَنَقَانِي بِمَوْرَتِهِ ، فَأَذْكَرَنِي الرَّحِمَ ، فَعَطَفْتَنِي عَلَيْهِ الرَّحِمُ ، وَقَدْ فَعَلَهَا عَمِيٌّ
 مَرَّةً أُخْرَى يَوْمَ صِفِّينَ ، سَحَلَ عَلَى يَشْرَ بْنِ أَرْطَاقَةَ ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ مُقْتُولٌ كَشَفَ
 عَنْ عَوْرَتِهِ ، فَانصَرَفَ عَنْهُ ، وَيُرْوَى أَيْضاً مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي ،
 مَعَ عَلِيٍّ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — يَوْمَ صِفِّينَ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْحَارِثُ بْنُ النَّفْعِ
 السَّنَهِي ، رَوَاهُ ابْنُ السَّكَنِ وَغَيْرُهُ :

(١) فِي الْإِسَانِ : دَقِصَمٌ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ مِثْلُ قَثَمٍ يَحْطِمُ مَا لَقِيَ ، قَالَ ابْنُ بَرِّي :
 صَوَابُهُ : قَصَمٌ — أَيْ بِلَا تَنْوِينٍ — مِثْلُ قَثَمٍ فِي تَصْرِفِهِمَا لِأَنَّهُمَا صِفَتَانِ ، وَلِأَنَّهُمَا الْعَدْلُ
 يَكُونُ فِي الْأَسْمَاءِ لَا غَيْرَ .

أَفِي كُنْزٍ يَوْمٍ فَارِسٍ غَيْرُ مُنْتَهٍ وَعَوَزَتْهُ وَسْطَ الْعَجَاجَةِ بَادِيَةٍ
يَكْفُثُ لَهَا عَنْهُ عَلَى سِنَانِهِ وَيَضْحَكُ مِنْهُ فِي الْخَلَاءِ مُعَاوِيَةَ

عن مقتل منظة :

فصل : وذكر مقتل حَنْظَلَةَ بن أبي عامرٍ الْفَسِيلِ ، واسم أبي عامر :
عَمْرُو ، وقيل عَبْدُ عَمْرُو بن صَيْفِي ، وذكر شَدَّادُ بن الْأَسْوَدِ بن شَعُوبِ حين
قتله ، بعد ما كان علا حَنْظَلَةَ أَبَا سَفِيَّانٍ لِيَقْتَنَهُ ، وذكر الْحَمِيدِيُّ في التفسير
مكان شَدَّادٍ جَمْعُونََةَ بن شَعُوبِ اللَّيْثِيِّ ، وهو مولى نافع بن أبي نعيم الْفَارِي .

وذكر قولَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إنَّ صَاحِبَكُمْ لِنَفْسِهِ الْمَلَانِكَةُ
يعنى : حَنْظَلَةَ ، وفي غير السيرة ، قال : رَأَيْتُ الْمَلَانِكَةَ تَفْسَلُهُ فِي صِحَافِ الْفِضَّةِ
بِمَاءِ الْمَزْنِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، قال ابن إسحاق ، فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ ،
فَقَالَتْ : خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَائِثَةَ ^(١) . صَاحِبَتُهُ يعنى امْرَأَتَهُ ، وهى
بِحِمْلَةٍ بِنْتُ أَبِي بَرْحٍ سَأُولُ أُخْتِ عَبْدِ اللَّهِ بن أَبِي ، وكان ابْنَتَى بِهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ،
فَسَكَاتِ عَرُوسًا عَنْده ، فَرَأَتْ فِي النَّوْمِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ كَأَنَّ بَابًا فِي السَّمَاءِ فَتَفْتَحُ لَهُ
فَدَخَلَ ، نِمَ أَغْبَقَ دَوْنَهُ ، فَعَلِمَتْ أَنَّهَا مَيِّتٌ مِنْ غَدِهِ ، فَدَعَتْ رِجَالًا مِنْ أَقْوَمِهَا
حِينَ أَصْبَحَتْ فَأَشْهَدَتْهُمْ عَلَى الدُّخُولِ بِهَا خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ نَزَاعٌ ،
ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ فِيمَا ذَكَرَ لِي ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهُ التَّمِيسُ فِي الْقَتْلِ ، فَوَجَدُوهُ .

(١) يقول الخنسي : الهائفة : يعنى الصيحة ، ويروى الهائفة مأخوذ من الهياح وهو .

الصياح ، وفي الإصابة الهامة وأعله خطأ .

يَنْقُطُ رَأْسُهُ مَاءً ، وَابْسِ بِقُرْبِهِ مَاءً تَصَدِّيقًا لِمَا قَالَهُ الرَّسُولُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) ، وَفِي هَذَا الْخَبَرِ مُتَعَلِّقٌ إِمْنٌ قَالَ مِنَ الْفُقَهَاءِ إِنَّ الشَّهِيدَ يُفَسَّلُ إِذَا كَانَ جُنُبًا ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ مَنْ يَقُولُ لَا يُفَسَّلُ كَسَائِرُ الشَّهَدَاءِ ، لِأَنَّ التَّكْلِيفَ سَاقِطٌ عَنْهُ بِالْمَوْتِ .

سَمِعْتُ أَبِي سَفِيانَ :

وَقَوْلَ أَبِي سَفِيانَ :

وَمَا زَالَ مُنْهَرِي مَزْجَرَ الْكَلْبِ وَهُمْ
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى دَنَتْ لِفُرُوبِ

يُرْوَى بِخَفْضِ غُدُوَّةٍ ، وَنَصْبِهَا ، فَمَنْ خَفَضَهَا فِعْرَابُهُ بَيِّنٌ ، لِأَنَّ لَدُنْ بِمَنْزِلَةِ : عِنْدَ ، لَا يَكُونُ مَا بَعْدَهُ إِلَّا مُخْفُوضًا ، وَأَمَّا نَصْبُهُ فَفَرِيبٌ ، وَشَيْءٌ لَا خَصَّتِ الْعَرَبُ بِهِ غُدُوَّةً ، وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهَا ، وَكَثِيرًا مَا يَذْكُرُهَا سَيِّبِيُّوهُ ، وَيُتَمَنَّعُ مِنَ الْقِيَاسِ عَلَيْهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ لَدُنْ يُقَالُ فِيهَا : لَدُنْ وَلَدٌ ، فَلَمَّا كَانَتْ تَارَةً تُنَوَّنُ ، وَلَا تُنَوَّنُ أُخْرَى ، شَبَّهُوهَا إِذَا نُوتَتْ بِاسْمِ الْفَاعِلِ فَنَصَبُوا غُدُوَّةً بَعْدَهَا ، تَشْبِيهًا بِالْفِعُولِ ، وَلَوْلَا أَنَّ غُدُوَّةً تُنَوَّنُ إِذَا نُسَكَّرَتْ ، وَتُنَوَّنُ ضَرُورَةً

(١) لم يرو حديث تفصيل الملائكة لحنظلة - سوى ابن إسحاق في مغازيه وقد أخرجه الحاكم في المستدرک وفي إسناده معلى بن عبد الرحمن وهو متروك والطبرانی ، وفي إسناده حجاج وهو مدلس والبيهقي وفي إسناده أبو شيبة الواسطي وهو ضعيف جدا ، والسرقي في غريبه من طريق الزهري مرسلًا

إذا كانت مَعْرِفَةً مَعْرِفَتِهَا ، لأنها اسمٌ غيرٌ مُتَصَرِّفٍ الْعَامِّيَّةِ وَالْثَانِيَةِ ،
فَخَفَضُهَا وَنَهَضَهَا سَوَاءً ، فَإِذَا نَوَّتَ لِلضَّرُورَةِ ، كَأَنِّي بَيْتُ ابْنِ سَفِيَّانٍ أَوْ
أَرَدْتُ غُدُوَّةً مِنَ الْغَدُواتِ تَبَيَّنَ حِينَئِذٍ أَنَّهُمْ قَصَدُوا النَّصْبَ وَالنَّشِيْبَ
بِالْمَعْمُولِ ، وَوَجْهٌ آخَرُ مِنَ الْبَيَانِ ، وَهُوَ أَنَّهُمْ قَدَرَفَعُوهَا ، فَقَالُوا : لَدُنْ
غُدُوَّةٌ غَيْرُ مَضْرُوءَةٍ ، كَمَا يَرْفَعُ الْاسْمُ بَعْدَ اسْمِ الْفَاعِلِ إِذَا كَانَ فَاعِلًا وَيُنْصَبُ
إِذَا كَانَ مَفْعُولًا إِذَا تَوَصَّلَ اسْمُ الْفَاعِلِ ، كَذَلِكَ غُدُوَّةٌ بَعْدَ لَدُنْ ، لَا يَكُونُ
هَذَا فِيهَا إِلَّا إِذَا تَوَّتَ لَدُنْ ، فَإِنْ قُلْتَ : لَدَغُدُوَّةٍ ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْخَفَضُ إِنْ
نَوَّتَهَا ، وَإِنْ تَرَكْتَ صَرَفَهَا لِلتَّعْرِيفِ ، فَالْفَتْحَةُ عَلَامَةٌ خَفَضُهَا ، وَلَا تَكُونُ
غُدُوَّةٌ عَنَاءً إِلَّا إِذَا أَرَدْتَهَا أَيَوْمَ بَعِيْنِهِ ، وَبُكْرَةً مِثْلَهَا فِي الْعَلَمِيَّةِ ، وَابْسَتْ
مِثْلَهَا مَعَ لَدُنْ وَضَحْوَةً وَعَشِيَّةً مَضْرُوفَتَانِ ، وَإِنْ أَرَدْتَهَا لِيَوْمٍ بَعِيْنِهِ . وَقَدْ
فَرَّغْنَا مِنْ كَشْفِ أَسْرَارِ هَذَا الْبَابِ فِي « نَتَائِجِ الْفِكْرِ » وَأَوْضَحْنَا هُنَاكَ
بِدَائِعَ وَعَجَائِبَ لَمْ يُدَبِّرْهَا أَحَدٌ إِلَّا أَنَّهَا مُتَنَزِّعَةٌ مِنْ فَجْوَى كَلَامِ سَيِّبَوْنِيهِ ،
وَمِنْ قَوَاعِدِهِ الَّتِي أُصِّلَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ (١)

(١) بقول أحمد بن يحيى والمبرد : العرب تقول لدن غدوة بالرفع وبالنصب
وبالخفض ، فمن رفع أراد لدن كانت غدوة ، ومن نصب أراد لدن كان الوقت
غدوة ، ومن خفض أراد من عند غدوة . ويرى البصريون أنها تنصب غدوة
خاصة من بين الكلام ، واستشهدوا بالآيت السابقة ، ويجوز الفراء في غدوة الرفع
والنصب والخفض . قال ابن كيسان : من خفض بها أجراها مجزئ من وعن ،
ومن رفع أجراها مجزئ من ، ومن نصب جعلها وقتاً ، وجعل ما بعدها ترجمة
لها . وإن شئت أضمرت كان كما قال :

==

وقول أبي سفيان في هذا الشعر : **يَهْمُ خَدَبٌ . الخَدَبُ الْهَوَجُ :** (١) وفي
الجمهرة : **طَمَعَةُ خَدْبَاءَ إِذَا هَجَمَتْ عَلَى الْجَوْفِ ،** وهذا هو الذي أراد
أبو سفيان بالخَدَبِ .

وَأَمَّا قَوْلُ حَسَّانَ :

إِذَا عَضَلْتُ سَيْفَتِي إِلَيْنَا كَأَنَّهَا جَدَايَةُ شُرَكَائِكَ مُعَامَاتِ الْخَوَاجِبِ
شُرَكَائِكَ : تَجْمَعُ شُرَكَائِكَ .

والجداية : جداية الترسج ، على أن المعروف جدية الترسج ، لا جدية في
أقرب من هذا المعنى أن يريد الجداية من الوحش ، وبالشرك الأشرار التي
تُنصَبُ لها ، ولذلك قال دَائِمَاتِ الْخَوَاجِبِ ، وهذا أصح في معناه ، فقد ذكر
أبو عبيد أن الجداية يقال للواحد والجميع والذكر والأنثى من أولاد الظباء ،
ويبعد أن تكون الجداية جمع جدية ، وهي جدية الترسج والرحل ، وإن
كان قد يقال في التجمع فمال وفعالة نحو جمال وجمالة ، واسكنه هاهنا ببيوت

مذلة شولا وإلى إنلائها

أراد أن كانت شولا . وانظر بقية القول في لدن في اللسان .

وقد فرق أبو هلال العسكري بينهما في المعنى ، و تقول هذا القول عندي .
صواب ، ولا تقول : لدني صواب ، وتقول : عندي مال ، ولا تقول : لدني
مال ولكن تقول : لدني مال إلا أنك تقول ذلك في المال المتأخر عندك . ويجوز
أن تقول : عندي مال ، وإن كان غائبا عنك ، لأن لدني هو لما يملك .

(١) طيش وتسرع ، أو طول في حق .

من طريق معنى والله أعلم^(١).

ويروى شرك بكسر الشين ، وأقرب ما يقال في معنى هذا البيت : أنه أراد الجدابة من الوحش ، وهى أولاد الظباء ونحوها ، وقد ذكر أبو عبيد أنه يقال جدابة للواحد والجمع والتذكير والأنثى ، فيكون الشرك على هذا في معنى الأثر الذى يصاد بها ، وقد قيل : إن شركاً اسم موضح ، والله أعلم ، وعَصَلُ قَبِيلَةٍ من خزيمة غديرية ، وسيأتى ذكر غدير عَصَلٍ والقارة . وقوله : مُغَلَّاتِ الحواجب ، يعنى بالدماء ، ويجوز أن يريد سوادها ما بين أعينها ، كما أشد سيديوه [الأعشى] .

وكانه أتى السراة كأنه ما حاجبيه معينين^(٢)

(١) جاء في طبعته الأولى . عما بين قوسين من أول : الجدابة جدابة السرج إلى قوله : من طريق المعنى والله أعلم : هذه الجملة التى بين الدائرتين لم تثبت في النسخة الثانية . فأثبتناها كما هى ، فليحذر . هذا وقد ذكر أبو ذر الحسنى : الجدابة بفتح الجيم وكسرها : الصغير من أولاد الظباء ، وفي إصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٢٥ : الجدابة بفتح الجيم وكسرها - الغزال الشادن ، وهى الففوز والابوز التى تأبز ، وهى التى تعدو عدوا شديدا . وشرك هنا : اسم موضح ، وهو بضم الشين ، وكسرها والذى فى السبرة : مغلات الحواجب لا داميات الحواجب كما ذكر فى الفقرة التى بين قوسين والتى أظن أنها دسيسة على الكتاب . (٢) انظر ص ٨٠ ط بولاق الكتاب لسيديوه . وقال سيديوه : يريد كأن حاجبيه ، فأبدل حاجبيه من الماء الذى فى كأنه وما زائدة ، وقد جعله شاهدا لا يبدال الحاجبين من الضمير المتصل بكأن ، ورد قوله معين بسواد على الضمير لا على الحاجبين ، وهو فى المعنى خبر عنهما والبيت فى وصف ثور وحشى شبه به بعيره فى حذقه ونشاطه فيقول : كأنه ثور الخ . ولحق السراة أيضا على الظاهر

الصارخ يوم أُمر :

فصل وذكر الصارخ يوم أُحدٍ بقتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وقول ابن هشام : الصارخُ إزْبُ الْعَقْبَةِ ، هكذا قيد في هذا الموضع بكسر
الهمزة وسكون الزاي ، وذكرنا في بيمة العقبة ما قاله ابن ماكولا في
أم كرز بنت الأزب بن عمرو بن بكيل ، وأنه قال : لا يُعرفُ
الأزب في العرب إلا هذا ، وأزبُ الْعَقْبَةِ ، وذكرنا حديث ابن الزبير
الذي ذكره الفتحي إذ رأى رجلا طوله شبران على بردعةٍ رَحْلِهِ ، فنفضها
منه ، ثم عاد إليه ، فقال : ما أنت ؟ قال : أنا أزب ، قال وما أزب ؟ قال : رجلٌ
من الجن^(١) وذكر باقي الحديث ، ففي هذا الحديث ما يدل على أنه أزب مع قول

(١) هو كما ذكره ابن الأثير في النهاية وخرج فبات في القفر ، فلما قام
ليرحل ، وجد رجلا طوله شبران عظيم اللحية على الولية يعني : البردعة ،
فنفضها فوقع . ثم وضعها على الراحلة ، وجاء ، وهو على التقطع ، يعني الظنفسه
فنفضه فوقع ، فوضعه على الراحلة ، فجاء وهو بين الشراخين ، أي : جانبي الرجل
فمنفضه ، ثم شده ، وأخذ السوط ، ثم أتاه ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا أزب ،
قال : وما أزب ؟ قال : رجل من الجن ، قال : افنح فالك أنظر ، ففتح فاه ،
فقال : أهكذا خلقتكم ؟ ثم قلب السوط فوضعه في رأس أزب ، حتى باص ، أي
فاته واستر . أقول : لا ريب في أحد أمرين ، إما ضعف الحديث وسقوطه ،
ولما أن يكون شيطان إنس أراد بان الزبير شيئا ويكون في التعبير مبالغة عن
طوله وفمه ، وقد ذكره ابن الأثير في مادة : أزب ، ونسره بأنه الكثير الشعر .
وفي القاموس الإزب — بكسر الهمزة وسكون الزاي وتخفيف الباء —
القصير والغليظ والداهية والليم والديم الخ ، ثم ذكر أزب العقبة في زب . وفيه =

يَنْقُوبَ فِي الْأَنْفَازِ : الْأَرْبُ : الرَّجُلُ الْقَصِيرُ ، وَلِلَّهِ أَعْلَمُ هُنَّ الْأَرْبُ :
وَالْأَرْبُ شَيْطَانٌ وَاحِدٌ أَوْ اثْنَانِ ، وَيُقَالُ : الْوَضْعُ الَّذِي صَرَخَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ
جَبَلُ عَيْنِينَ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِعِمَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَفَرَزْتَ يَوْمَ عَيْنَيْنِ (١) ،
وَعَيْنَانِ أَيْضًا : بَلَدٌ عِنْدَ الْحِيرَةِ ، وَبِهِ عُرِفَ خَلِيدُ عَيْنَيْنِ الشَّاعِرُ .

مال من رموا النبي :

فصل : وَذَكَرَ ابْنُ قَمِيْثَةَ ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ مُصَافِيَّ بْنَ
عُمَيْرٍ ، وَجَرَحَ رَجُلًا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَخُو

== قال : الْأَرْبُ — بفتح الهمزة والزاي وتضعيف الباء — من أسماء الشياطين ،
ومنه حديث ابن الزبير مختصرا . ثم ذكر الحديث كما قال ، كذلك ذكر أرب
العقبة بنفس ضبطه لأرب في حديث ابن الزبير . ويقول الزرقاني في شرح المواهب
ص ٣٢ > ٢ بعد أن ذكر كلام السهيلي ، وأن حديث ابن الزبير يشهد الأول أى
كسر الهمزة وسكون الزاي : وظاهره سكون الزاي . وخفة الباء مع كسر الهمزة
وفتحها ، ثم رد على هذا بما نقلناه عن القاموس . ثم قال : وبعض المتأخرين
جعلها قواين . أما اللسان فذكر حديث ابن الزبير كما فعل ابن الأثير في مادة
أرب ، وهو ينقل عنه .

وكثرة الشعر ذكرها اللسان في مادة زرب ، أما القصير ففي مادة أرب في
القاموس وفي اللسان . وكذلك ذكر ابن دريد في الاشتقاق : الْأَرْبُ : البعير
الذي على أخفائه وبر ، فهو يذعر من كل شيء ، ورجل أرب : كثير الشعر
وضبطها في المراتين بفتح الهمزة والزاي وتضعيف الباء ، ص ١١٧ ، ٢٠٥ .

(١) في القاموس . وعينين بكسر العين وفتحها مثني : جبل بأحد قام عليه
إبليس عليه لعنة الله تعالى : فنادى إذ محمداً ، ص ، قد قتل ، وفتح العين بلدة
بالبحرين منه خليلد عينين وعينان موضع .

سَعِيدٌ ، هُوَ الَّذِي كَثُرَ رِبَاعِيَّتُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ثُمَّ لَمْ يُولَدْ مِنْ نَسْلِهِ وَابْنُهُ ،
قَبِيلُ الْخُلَمِ إِلَّا وَهُوَ أَبْجُرُ أَوْ أَهْمُ يُعْرَفُ ذَلِكَ فِي عَقِبِهِ .

وَمِنْ رِوَايَةِ يَوْمُئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شِهَابٍ جَدُّ شَيْخِ مَالِكٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شِهَابٍ ، ، وَقَدْ قِيلَ لَابْنِ شِهَابٍ أَمْ كَانَ جَدُّكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
شِهَابٍ مَعْنَى شَهِيدٍ بَدْرًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَاسْكَنْ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ يَمْنَى مَعَ الْكُفَّارِ ،
وَعَبْدُ اللَّهِ هَذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ الْأَصْفَرُ ، وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شِهَابٍ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ
الْأَكْبَرُ ، فَهُوَ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ ، نُوُقِيَ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ
فِيهِمَا أَيُّهُمَا كَانَ الْمُهَاجِرُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَقِيلَ : الْأَكْبَرُ ، وَقِيلَ الْأَصْفَرُ ،
وَكَانَ أَحَدُهُمَا جَدُّ الزُّهْرِيِّ لِأَيُّبِهِ ، وَالْآخَرُ لِأُمِّهِ ، وَقَدْ أَسْلَمَ الَّذِي شَهِدَ أَحَدًا
مَعَ الْكُفَّارِ ، وَجَرَّحَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَقْبَلَهُ بِغَنَمِهِ بِإِسْلَامِهِ .

أَسْمَاءُ أَهْلِ اللَّيْلِ :

وَذَكَرَ مَالِكُ بْنُ سَيْنَانَ وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مِنْ بَنِي خُدْرَةَ ، وَهُوَ
الْحَارِثُ بْنُ الْخَزْرَجِ ، وَالْخُدْرَةُ فِي اللَّفْظِ : نَحْوُ مِنْ خُمْسِ اللَّيْلِ ، وَبَعْدَهُ
الْيَمْفُورُ ، وَهُوَ خُمْسُ آخِرِ مِنَ اللَّيْلِ ، وَبَعْدَهُ الْجَهَنَّمَةُ وَالسُّدُوقَةُ ^(١) ، وَالَّذِي
قَبْلَ الْخُدْرَةِ يَقَالُ لَهُ التَّهْرِيْعُ ، كُلُّ هَذَا مِنْ كِتَابِ كُرَاعٍ ^(٢) .

(١) تَسْتَعْمَلُ لِلضُّوْرِ وَالظُّلْمَةِ .

(٢) أَنْظَلَ الْخُمْصَ لَابْنِ سَعِيدِهِ نَفِيهِ تَفْصِيلَ لَيْلٍ وَأَجْزَائِهِ .

عن الدم والبول :

وذكر أن بن مالك سنان مصّ دم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 وأزدرده ، وقد فعل مثل ذلك ابن الزبير ، وهو غلام حزور حين أعطاه
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دم يحاججه ليدفنه ففصر به ، فقال له النبي
 صلى الله عليه وسلم - كما قال لمالك حين أزدرده دم جرحه : مَنْ مَسَّ
 دَمَهُ دَمِي ، لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ . لكنه قال لابن الزبير ويلى لك من الناس
 ويلى للناس منك . ذكره الدارقطني في السنن ، وفي هذا من الفقه أن دم
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخالف دم غيره في التحريم ^(١) وكذلك بوله
 قد شربته أم أيمن حين وجدته في إناء من عيدين تحت سريرته ، فلم يفكر
 ذلك عليها ^(٢) ، وذلك والله أعلم له مني الذي بيّناه في حديث نزول الملكين

(١) كيف يقام فقه على نص كهذا لم يخرج أحد من أصحاب الكتاب
 السنة ، هو والذي قبله ؟

(٢) است أدري من أين جاء بهذا ؟ وهل يظن أن مكانة النبي لا يتحقق
 وجودها إلا أعظم فوق قمة السكال والجلال الإنساني النبوي إلا بمثل هذا الذي
 يؤكد الحق أنه باطل ؟ كيف يمنع البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي
 وابن ماجة وأحمد عن روايتهما ؟

وحدث البول لم يخرج أحد منهم أيضاً ، فإخراجه سوى الحسن
 بن سنان في مسنده وأبي يعلى والحاكم والدارقطني وأبو نعيم ، وهي أسماء
 لا ترتبط بالصحيح إلا حين يكون صحيحاً في الكتب الأخرى ، وكيف يظن
 برسول الله - وهو الطاهر المطهر الداعي إلى الطهارة والظهور أن يقول لأم
 أيمن : (نك أن تشربي طنك بعد ما ملك هذا ؟) .

عليه حين غَسَلَا جوفه بالشَّلَج في حَاسَتِ الذَّعَبِ ، فصار بذلك من المُطَهَّرِينَ ،
وَبَيَّنَا أَيْضًا هُنَاكَ أَنَّهُ مِنَ الْمُتَطَهَّرِينَ كَأَمْتِهِ لِتَطَهُّرِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ،^(١)
إِلَّا أَنَّ أَبَا عَمْرٍو النَّصْرِيَّ ذَكَرَ فِي الْأَسْتِغْيَابِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ اسْمُهُ : سَائِمٌ
حَجَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ أَزْدَرَدَ دَمَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الدَّمَ كُلَّهُ حَرَامٌ ؟ غَيْرَ أَنَّهُ حَدِيثٌ لَا يُعْرَفُ
لَهُ إِسْنَادٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٢) وَحَدِيثُ ابْنِ الزُّبَيْرِ الَّذِي تَقْدِمُ ذِكْرَهُ رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ
أَبِي بَكْرٍ مَا يَشُدُّهُ وَيُثَبِّتُهُ مَعْنَاهُ . قَالَ فِي حَدِيثٍ أَسْنَدُهُ : لِمَا وَلَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الزُّبَيْرِ نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هُوَ هُوَ ، فَمَا
سَمِعْتَ بِذَلِكَ أَسْمَاءُ أُمِّهِ ، أَمَسَكَتْ عَنْ إِرْضَاعِهِ ، فَقَالَ لَهَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - :
أَرْضِعِيهِ ، وَلَوْ بَاءَ عَيْنِيكَ ، كَبَشٌ بَيْنَ ذِيئَابٍ ، وَذِيئَابٌ عَلَيْهَا ثِيَابٌ لَيَمْنَعَنَّ
الْبَيْتَ ، أَوْ لَيُقْتَتَلَنَّ دُونَهُ ^(٣) .

== صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نُبُوَّتِهِ . وَإِنْسَانِيَّتِهِ الَّتِي سَمَّاهَا النُّبُوَّةُ ، لَا فِي جَوَاهِرِهِ
وَعَائِلَتِهِ .

- (١) إِذَا كَيْفَ قَالَ لَهُ اللَّهُ : (وَرَجِدْكَ ضَالًّا ، فَهْدِي) ؟ وَكَيْفَ أَخْرَجَ الْبَخَارِغَةَ
مَا أَخْرَجَ عَنِ الْغُفْرَةِ الَّتِي قَدِمَهَا - رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْلَ بَعَثَتِهِ إِلَى زَيْدِ
ابْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ ، وَكَانَ عَلَيْهَا مَا ذَبَحَ عَلَى النَّصَبِ ؟ !
(٢) وَلَكِنْ هَذَا الَّذِي لَا يَعْرِفُ لَهُ إِسْنَادٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَكْثَرُ إِسْنَادٍ .
(٣) كُلُّ قَوْمٍ أَعْجَبُوا بِرَجُلٍ أَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ هَذَا ، وَفِي الْقَاضِي دَلِيلٌ

أَنَّهُ زُورٌ

تم بحمد الله
الجزء الخامس ويليه الجزء السادس
ان شاء الله
وأوله : (قتل الرسول لأبي بن خاف)

الجزء الخامس من الروض الأنف

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٥	مقدمة الجزء الخامس	١٤	ما نزل من القرآن في وعظ المؤمنين وتحذيرهم دس .
٧	ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم	١٥	ما نزل من القرآن في خلق عيسى دس .
	معنى العاقب ، والسبيد ، والأسقف دس . (١)	١٥	آيات عن زكريا ومريم دس .
٧	منزلة أبي حارثة عند ملوك الروم دس .	١٦	تفسير ابن هشام لبعض الغريب دس .
٧	السبب في إسلام كرز بن علقمة دس .	١٦	دعوى كفاة جريج الراهب لمريم دس .
٨	رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس منهم دس .	١٧	ما نزل من القرآن في بيان آيات عيسى عليه السلام دس .
٩	صلاة النصارى إلى المشرق	١٧	تفسير ابن هشام لبعض الغريب دس .
٩	أسماء وفد نجران ومقدمهم ومجاداتهم الرسول صلى الله عليه وسلم دس .	١٨	رفع عيسى عليه السلام دس .
١١	تفسير ما نزل من آل عمران في وفد نجران دس .	١٩	تفسير ابن هشام لبعض الغريب دس .
١٣	ما نزل من القرآن فيما ابتدئته اليهود والنصارى دس .	٢٠	لأبازم الملاعة دس .
		٢١	تولية أبي عبيدة أمورهم دس .
		٢١	نذ من ذكر المنافقين دس .

(١) دس . رمز من السيرة . و د ن . ل . رمز عن النحو والجملة . و دس . رمز عن الشرح . أما الروس فبدون رمز

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢١	ابن أبي واين صيني د س ،	٢٦	وضمها نتي
٢٢	إسلام ابن أبي د س ،	٢٧	المباهلة
٢٢	إصرار ابن صيفي على كفره د س ،	٢٩	سلول
٢٢	ما قال ابن صيني جزاء تعريضه	٢٩	الحبلى و ن . ل .
	بالرسول د س ، د س ،	٤٠	الملك في العرب
٢٣	الاحتكام إلى قيصر في ميراثه	٤١	مزاحم أطمه
	د س ،	٤٣	وعك أبي بكر وبلال وعامر
٢٤	هجماء كعب لابن صيني د س ،	٤٥	الإذخر
٢٥	خروج قوم ابن أبي عليه وشعره	٤٦	محنة . شامة ، طافيل
	في ذلك د س ،	٤٧	الهم حبيب اليتامى المدينة
٢٥	غضب الرسول د س ، من كلام	٤٨	النهى عن سب الحمى
	ابن أبي د س ،	٥٠	الكلام على حديث صلاة القاعد
٢٦	ذكر من اعتل من أصحاب		على النصف من صلاة القائم
	رسول الله د س ، د س ،	٥١	تاريخ الهجرة د س ،
٢٧	مرض أبي بكر وعامر وبلال	٥١	غزوة ودان
	وحديث عائشة عنهم د س ،	٥١	موادعة بني ضمرة والرجوع من
٢٧	ما جهد المسلمين من البلاد د س ،		غير حرب د س ،
٢٨	بده قتال المشركين د س ،	٥٢	سرية عبيدة بن الحارث د س ،
٢٨	ذكر نصارى نجران وما أنزل	٥٢	من فر من المشركين إلى المسلمين
	الله فيهم		د س ،
٢٨	تاويل كن فيكون	٥٢	شعر أبي بكر فيها د س ،
٢٩	تاويل آيات محكمات	٥٥	شعر ابن أبي وقاص في رثيته د س ،
٣١	التأويل د س ،	٥٥	أول راية في الإسلام كانت
٣٣	احتجاج القيسيين للتثليث		لعبيدة د س ،
٣٤	احتجاجهم لآلوهية عيسى	٥٥	سرية حمزة إلى سيف البحر د س ،

ص	الموضوع	ص	الموضوع	ص
٥٥	ما جرى بين المسلمين والكفار . . .	٧٢	أسماء ممنوعة من التسوين . . .	
٥٦	كانت راية حمزة أول راية في الإسلام وشعر حمزة في ذلك . . .	٧٣	رواية شعر الكفرة غزوة بواط . . .	
٥٧	شعر أبي جهل في الرد على حمزة . . .	٧٤	غزوة العنبرة . . .	
٥٨	غزوة بواط . . .	٧٥	تكنية علي بأبي تراب . . .	
٥٩	غزوة العنبرة . . .	٧٧	أشقى الناس . . .	
٦٠	تكنية علي بأبي تراب . . .	٧٨	موادعة بني ضمرة . . .	
٦١	سرية سعد بن أبي وقاص . . .	٧٨	سرية عبد الله بن جحش . . .	
٦٢	غزوة صفوان . . .	٧٨	صحة الرماية بالمنارة . . .	
٦٣	سرية عبد الله بن جحش . . .	٧٩	أولاد الحضرمي . . .	
٦٤	الخلاف حول نسب الحضرمي . . .	٨٠	حكمة تحريم القتال في الأشهر الحرم . . .	
٦٥	الرسول . . . يستنكر القتال في الشهر الحرام . . .	٨١	غزوة بدر الكبرى . . .	
٦٥	ما نزل من القرآن في فعل ابن جحش . . .	٨٢	غير أبي سفيان . . .	
٦٧	ما قيل من شعر في هذه السرية . . .	٨٢	ندب المسلمين للغير وحذر أبي سفيان . . .	
٦٧	صرف القبلة إلى الكعبة . . .	٨٢	ذكر رؤيا ما تكة بنت عبد المطلب . . .	
٦٨	تاريخ الهجرة وغزوة ودان . . .	٨٣	ذئوع الرؤيا وما أحدث بين أبي جهل والعباس . . .	
٦٩	غزوة عبدة بن الحارث . . .	٨٥	قريش تنجز للخروج . . .	
٧٠	شرح القصيدة المنسوبة إلى أبي بكر وقصيدة ابن الزبيري وأبي جهل . . .	٨٥	خروج عقبة . . .	
		٨٦	ما وقع بين قريش وكنانة . . .	
		٨٨	الشیطان وقريش . . .	
		٨٨	خروجه صلى الله عليه وسلم . . .	

ص	الموضوع	ص	الموضوع	ص
٨٨	اثواء والرايتان د س . .	١٠٥	تحريرهض المسلمين على القتال د س .	
٨٩	إبل المسلمين إلى بدر د س . .	١٠٦	رمى الرسول للمشركين بالحصباء د س . .	
٨٩	الطريق إلى بدر د س . .			
٩١	قول أبي بكر وعمر والمقداد في الجهاد د س . .	١٠٧	نهى النبي أصحابه عن قتل ناس من المشركين د س . .	
٩١	الرسول د س . يستشير الانصار د س . .	١٠٩	مقتل أمية بن خلف د س . .	
		١١١	شهود الملائكة وقمة بدر د س . .	
٩٢	تفرق أخبار قريش د س . .			
٩٥	نجاة أبي سفيان بالعير د س . .	١١٢	مقتل أبي جهل د س . .	
٩٥	رؤيا جهم بن الصلت د س . .	١١٢	شعار المسلمين ببدر د س . .	
٩٦	كان أبو سفيان لا يريد حرباً د س . .	١١٢	عود إلى مقتل أبي جهل د س . .	
		١١٦	غزوة بدر .	
٩٦	رجوع بني زهرة د س . .	١١٦	تحسس الأخبار رؤيا عائشة .	
٩٧	منزل المسلمين ومنزل قريش د س . .	١١٧	معنى اللياط .	
٩٧	مشورة الحباب د س . .	١١٨	الحجرة والالوة .	
٩٨	بناء العريش لرسول الله د س . .	١١٨	شرح شعر مكرز .	
		١١٩	مواضع نزل فيها الرسول د س .	
٩٩	ارتحال قريش د س . .	١٢٠	أفباب .	
١٠١	نسب الحنظلية د س . .	١٢١	التطير وكرامية الاسم التبيح .	
١٠٢	مقتل الأسود الخزرمي د س .	١٢٢	جبل مسطح ومخرى .	
١٠٢	دعاء عتبة إلى المبارزة د س .	١٢٣	تعوير قلب المشركين ون . د .	
١٠٢	الذقاء لله يقين د س . .	١٢٥	تفسير كلمات .	
١٠٥	مناشدة الرسول ربه النصر د س . .	١٢٦	من قاتل أبي عذرها وما دام أبي جهل .	
١٠٥	أول قتيل د س . .	١٢٧	حول سواد بن غزوة ون . د .	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٢٨	تفسير بعض مناشدتك .	١٥٠	ذكر الفهر يدور «س»
١٢٩	معنى مناشدة أبي بكر .	١٥١	بعث ابن رواحة وزيد بن
١٣٠	المقام والخوف والرجاء عند	«س»	
١٣٢	الصوفية «ش» .	١٥٢	ققول رسول الله من بدر «س»
١٣٢	جهاد النبي في المعركة .	١٥٣	مقتل النضر وعقبة «س»
١٣٢	المفاعة	١٥٥	بلوغ مصاب قريش إلى مكة
١٣٣	عصب وعصم .	«س»	
١٣٤	حديث حمير بن الحزام	١٥٧	نوح قريش على قتلام «س»
١٣٤	حديث عوف بن عفراء	١٥٩	أمر سبيل بن عمرو وفداؤه
١٣٤	ضحك الرب	«س»	
١٣٦	شرح كلام أبي البخترى والمجذر	١٦٠	أسر عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه
١٣٧	تفسير ما قاله وهب «ن.ل»	«س»	
١٣٨	أقدم حيزوم «ن.ل»	١٦١	أسر أبي العاص بن الربيع
١٣٩	معنى قوله تعالى (فقبضت قبضة	«س»	
	من أثر الرسول) «ش»	١٦٢	سبب زواج أبي العاص من
١٤٠	نسب أبي داود المازني	زبيب «س»	
١٤١	الغلامان اللذان قتلاني جمل	١٦٣	سعى قريش في تطليق بنات
١٤٢	نسب عفراء بنت عبيد «ش»	الرسول من أزواجه «س»	
١٤٤	إضمام حرف الجر «ن.ل»	١٦٣	أبو العاص عند الرسول وبعث
١٤٥	خير عكاشة بن محصن «س»	زبيب في فدائه «س»	
١٤٦	حديث بين أبي بكر وابنه	١٦٤	خروج زبيب إلى المدينة .
	عبد الرحمن يوم بدر «س»	نأهبها وإرسال الرسول رجلين	
١٤٦	طرح المشركين في القلب «س»	ليصحبها «س»	
١٤٨	شعر حسان فيمن القوا في	١٦٤	هند تحاول تعرف أمر زبيب
	القلب «س»	«س»	
١٤٩	من نزل فيهم (إن الذين توفتهم	١٦٥	ما أصاب زبيب من قريش عند
	الملائكة ظالمى أنفسهم) «س»	خروجها ومشورة أبي سفيان «س»	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٦٦	شعر لابي خيشمة فيما حدث	١٨١	تفسير قول ابن ابي بكر
	لزينب دس ،	١٨٢	العرش والعريش
١٦٦	الخلاف بين ابن اسحاق	١٨٢	بنو عابد وبنو عائذ
	وابن هشام في مولد يمين	١٨٢	حول القسم
	أبي سفيان دس ،	١٨٢	سبب نزول أول الانفال
١٦٧	شعر هند وكنانة في خروج	١٨٤	عقبة بن أبي معيط
	زينب دس ،	١٨٥	الطعن في نسب بني أمية
١٦٧	الرسول يحمل دم هبار دس ،	١٨٦	أبو هند الحجام
١٦٨	إسلام أبي العاص بن الربيع	١٨٧	أسارى بدر
	استيلاء المسلمين على تجارة معمه	١٨٨	خبر أبي رافع حين قدم فل
	ولإجازة زينب له دس ،		قريش
١٦٩	المسلمون يردون عليه ماله ثم	١٨٨	أم الفضل وضربها لابي لهج
	يسلم دس ،	١٩٢	ضبيرة
١٦٩	زوجته ترد إليه دس ،	١٩٢	ابن الدخشم
١٧٠	مثل من أمانة أبي العاص دس ،	١٩٤	حول شعر مكرز
١٧٠	الذين أطلقوا من غير فداء	١٩٤	أبو العاصي بن الربيع
	دس ،	١٩٧	اتباع قريش لزينب .
١٧١	ثمن الفداء دس ،	١٩٧	تفسير قصيدة أبي خيشمة
١٧٢	خبر عكاشة بن محسن	٢٠٠	رد زينب على زوجها
١٧٣	سبقك بها عكاشة	٢٠١	شعر بلال في مقتل أمية
١٧٤	نداء أصحاب القلب	٢٠٢	إسلام عمير بن وهب . صفوان
١٧٤	مسألة نحوية د ن ل ،		بحرصة على قتل الرسول دس ،
١٧٧	من معاني شعر حسان	٢٠٢	رؤية عمر له وإخباره الرسول
١٧٩	معنى إلقاتهم في القلب		بأمره دس ،
١٧٩	عود إلى شعر حسان	٢٠٣	الرسول يحدّث بما بينه هو
١٨٠	معنى الجيوب		وصفوان فيسلم دس ،
١٨٠	مرة أخرى شعر حسان		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٠٤	رجوعه إلى مكة يدعو للإسلام	٢١٠	ما نزل في تبشير المسلمين بالمساعدة والنصر، وتحريضهم
٢٠٥	هو أو ابن هشام الذي رأى إبليس . وما نزل فيه «ش»	٢١١	ما نزل في رمي الرسول للمشركين بالحصاة «س»
٢٠٥	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٢١١	ما نزل في الاستفتاح «س»
٢٠٦	شمر لحظان في الفخر بقوته وما كان من تعزيز إبليس بقريش	٢١٢	ما نزل في حصن المسلمين على طاعة الله «س»
٢٠٧	المطمعون من قريش «س»	٢١٢	ما نزل في ذكر نعمة الله على الرسول «س»
٢٠٧	من بني هاشم . من بني عبد شمس	٢١٣	ما نزل في غرة قريش واستفتاحهم
	من بني نوفل . من بني أسد .	٢١٤	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»
٢٠٨	من بني عبد الدار «س»	٢١٥	المداني (يا أيها المزمل)
٢٠٨	نسب النضر «س»	٢١٥	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»
	من بني حنظلة . من بني جمح .	٢١٥	ما نزل فيمن عاونوا أباسفيان «س»
	من بني عامر «س»	٢١٦	الأمر بقتال الكفار «س»
٢٠٨	أسماء خيل المسلمين يوم بدر	٢١٦	ما نزل في تقسيم الفس «س»
٢٠٩	خيل المشركين «س»	٢١٧	ما نزل في لطف الله بالرسول «س»
٢٠٩	نزول سورة الأنفال «س»	٢١٨	ما نزل في وعظ المسلمين وتعليمهم خطط الحرب «س»
٢٠٩	ما نزل في تقسيم الأنفال «س»		
٢٠٩	ما نزل في خروج القوم مع الرسول لملاقاة قريش «س»		

ص	الموضوع	مر	الموضوع	ص
٢١٠	تفسير ابن هشام لبعض الغريب	٢٥٦	من حلفاء بني كبير د س	
	د س	٢٥٦	من بني نوفل د س	
٢٢١	ما نزل في الاسارى والمغانم	٢٥٦	من بني أجد د س	
	د س	٢٥٧	من بني عبد الدار د س	
٢٢٢	ما نزل في التواصل بين المسلمين	٢٥٧	من بني زهرة د س	
	د س	٢٥٨	من بني تيم د س	
٢٢٣	إسلام حميد بن وهب	٢٥٩	نسب الثمر د س	
٢٢٣	هل تجسد إبليس في غزوة بدر؟	٢٥٩	من بني مخزوم د س	
٢٢٥	ذكر ما أنزل الله في بدر	٢٦٠	سبب تسمية الشمس د س	
٢٣١	عن قتال الملائكة	٢٦٠	من بني عدي وحلفائهم د س	
٢٣٢	قول الشيخ رشيد رضا د س	٢٦٢	من بني جمح وحلفائهم د س	
٢٣٥	حول التولى يوم الزحف	٢٦٢	من بني عامر د س	
	والانتصارات الإسلامية الباهرة	٢٦٢	من بني الحارث د س	
٢٤٠	الذين في قلوبهم مرض في بدر	٢٦٢	عدد من شهد بدر آمن المهاجرين	
٢٤٠	رأى الأخنث وأبي جهل في النبي		د س	
	صلى الله عليه وسلم	٢٦٢	الأنصار ومن معهم د س	
٢٤١	من الآخرون؟	٢٦٢	من بني عبد الأشهل د س	
٢٤٢	حول غنائم بدر	٢٦٤	من بني عبيد بن كعب وحلفائهم	
٢٤٥	خييل بدر	٢٦٤	سبب تسمية عبيد بقرن د س	
٢٤٩	محمد قبل البعثة د س	٢٦٥	من بني عبيد بن رزاح وحلفائهم	
٢٥١	تقويم حياته بعد الرسالة د س	٢٦٥	من بني جارثة د س	
٢٥٣	من شهد بدرأ من المسلمين د س	٢٦٥	من بني عمرو د س	
٢٥٣	من بني هاشم د س	٢٦٦	من بني أمية د س	
٢٥٤	من بني عبد شمس د س	٢٦٦	من بني عبيد وحلفائهم د س	
٢٥٥	نسب سالم د س	٢٦٧	من بني ثعلبة د س	
٢٥٥	من حلفاء بني عبد شمس د س	٢٦٨	من بني جمح وبني وحلفائهم د س	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
من بني خالد د س	٢٨١	من بني غنم د س	٢٦٩
من بني خلدة د س	٢٨١	من بني معاوية وحلفائهم د س	٢٦٩
من بني العجلان د س	٢٨١	عبد من شهد بدرًا من الأوس	٢٧٠
من بني يياضة د س	٢٨٢	د س	
من بني حبيب د س	٢٨٢	من بني امرئ القيس	٢٧٠
من بني النجار د س	٢٨٣	من بني زيد د س	٢٧٠
من بني عسيرة د س	٢٨٣	من بني عدى د س	٢٧٠
من بني عمرو د س	٢٨٣	من بني أحرار د س	٢٧١
من بني عبيد بن ثعلبة د س	٢٨٣	من بني جشم د س	٢٧١
من بني عائذ وحلفائهم د س	٢٨٤	من بني حدارة د س	٢٧١
من بني زيد د س	٢٨٤	من بني الأبحر د س	٢٧٢
من بني سواد وحلفائهم د س	٢٨٤	من بني عوف د س	٢٧٢
لسب غفراء د س	٢٨٤	من بني جزء وحلفائهم د س	٢٧٣
من بني عامر بن مالك د س	٢٨٥	من بني سالم د س	٢٧٣
من بني عمرو بن مالك د س	٢٨٥	من بني أصرم د س	٢٧٤
لسب خديلة د س	٢٨٥	من بني دعد د س	٢٧٤
من بني عدى بن عمرو د س	٢٨٦	من بني لؤذان وحلفائهم د س	٢٧٤
من بني عدى بن النجار د س	٢٨٦	من بني ساعدة د س	٢٧٥
من بني حرام بن جندب د س	٢٨٧	من بني البدى وحلفائهم د س	٢٧٦
من بني مازن بن النجار وحلفائهم د س	٢٨٧	من بني طريف وحلفائهم د س	٢٧٦
د س		من بني جشم د س	٢٧٧
من بني خنساء بن مبدول د س	٢٨٨	لسب الجوح د س	٢٧٧
د س		من بني عبيد وحلفائهم د س	٢٧٨
من بني ثعلبة بن مازن د س	٢٨٨	من بني خنأس د س	٢٧٨
من بني دينار بن النجار د س	٢٨٨	من بني النعمان د س	٢٧٩
من فاة ابن إسحاق ذكرهم د س	٢٨٩	من بني سواد د س	٢٧٩
د س		من بني زريق د س	٢٨٠

الموضوع	ص	الموضوع	ص
من قتل بيدر من المشركين دس .	٣٠٢	عدد البدرين جميعاً دس .	٢٨٩
من بنى عبد شمس دس .	٣٠٢	من استشهد من المسلمين يوم بدر	٢٨٩
من بنى نوفل دس .	٣٠٣	دس .	
من بنى أسد دس .	٣٠٣	القرشيون من بنى عبد المطلب	٢٨٩
من بنى عبد الدار دس .	٣٠٤	دس .	
من بنى تيم بن مرة دس .	٣٠٥	من بنى زهرة دس .	٢٩٠
من بنى مخزوم دس .	٣٠٥	من بنى عدى دس .	٢٩٠
من بنى سهم دس .	٣٠٧	من بنى الحارث بن فهر دس .	٢٩٠
من بنى جح دس .	٣٠٨	ومن الأنصار دس .	٢٩٠
من بنى عامر دس .	٣٠٩	من بنى الحارث بن الخزرج	٢٩٠
عددم دس .	٣٠٩	دس .	
من فات ابن إسحاق ذكرهم	٣١٠	من بنى سلة دس .	٢٩١
دس .		من بنى حبيب دس .	٢٩١
من بنى عبد قيس دس .	٣١٠	من بنى النجار دس .	٢٩١
من بنى أسد دس .	٣١٠	من بنى غنم دس .	٢٩١
من بنى عبد الدار دس .	٣١٠	تسمية من شهد بدرأ .	٢٩١
من بنى تيم دس .	٣١٠	قصة خوات .	٢٩٢
من بنى مخزوم دس .	٣١٠	لسب النعمان بن عضر .	٢٩٤
من بنى جمح دس .	٣١١	تصويب أنساب .	٢٩٥
من بنى سهم دس .	٣١١	صاحب الصاع .	٢٩٥
ذكر أسرى قريش يوم بدر	٣١١	قريوش أو قريوس د ن . ل .	٢٩٦
دس .		جدارة أو خدارة .	٢٩٦
من بنى هاشم دس .	٣١١	رجيلة أو رخیلة .	٢٩٧
من بنى عبد المطلب دس .	٣١١	تصويب لسب .	٢٩٧
من بنى عبد شمس وحلفائهم	٣١٢	حول الذين استشهدوا في بدر .	٢٩٧
دس .		ذو الشمالين وذو اليمين .	٢٩٨
من بنى نوفل وحلفائهم دس .	٣١٢	خطأ المبرد .	٢٩٩

ص	الموضوع	ص	الموضوع	ص
٣١٢	من بني عبد الدار وحلفائهم . . .	٣٣٠	شعر عبيدة بن الحارث في قطع رجله . . .	
٣١٢	من بني أسد وحلفائهم . . .	٣٣١	رثاء كعب لعبيدة بن الحارث . . .	
٣١٢	من بني مخزوم . . .	٣٣١	شعر لكعب في بدر . . .	
٣١٤	من بني سهم . . .	٣٣٢	شعر طالب في مدح الرسول . . .	
٣١٤	من بني جمح . . .		وبكاء أصحاب القليب . . .	
٣١٤	من بني عامر . . .	٣٣٣	شعر ضرار في رثاء أبي جهل . . .	
٣١٥	من بني الحارث . . .			
٣١٥	ما فات ابن إسحاق ذكرهم . . .	٣٣٤	شعر الحارث بن هشام في رثاء أبي جهل . . .	
٣١٥	من بني هاشم . . .	٣٣٥	شعر ابن الأسود في بكاء قتل بدر . . .	
٣١٥	من بني المطلب . . .	٣٣٦	شعر أمية بن أبي الصلت في رثاء قتل بدر . . .	
٣١٥	من بني عبد شمس . . .	٣٣٩	شعر أبي أسامة . . .	
٣١٦	من بني نوفل . . .	٣٤٢	شعر هند بنت عتبة . . .	
٣١٦	من بني أسد . . .	٣٤٤	شعر صفية . . .	
٣١٦	من بني عبد الدار . . .	٣٤٥	شعر هند بنت أمية . . .	
٣١٦	من بني نعيم . . .	٣٤٥	شعر قتيلة بنت الحارث . . .	
٣١٦	من بني مخزوم . . .	٣٤٦	تاريخ الفراع من بدر . . .	
٣١٦	من بني جمح . . .	٣٤٧	من قتل من المشركين . . .	
٣١٧	من بني سهم . . .	٣٤٨	السائب بن أبي السائب . . .	
٣١٧	من بني عامر . . .	٣٥١	أوس بن خولى . . .	
٣١٧	من بني الحارث . . .	٣٥١	أخو طلحة . . .	
٣١٧	ما قيل من الشعر في يوم بدر . . .	٣٥١	ابن عبد الله بن جذعان . . .	
٣٢٤	شعر لحسان في بدر أيضاً . . .	٣٥٢	جذيفة بن أرقم . . .	
٣٢٦	شعر الحارث في الرد على حسان . . .			
٣٢٦	شعر لحسان في بدر أيضاً . . .			

الموضوع	ص	الموضوع	ص
غزوة السويق . . .	٣٨٩	نسمية من أسر من المشركين	٣٥٢
غزوة ذي أمر . . .	٣٩٠	يوم بدر .	
غزوة الفرع من بحران . . .	٣٩١	عقيل بن أبي طالب .	٣٥٣
أمر بني قينقاع . . .	٣٩١	نوفل بن الحارث .	٣٥٤
نصيحة الرسول لهم وردهم عليه . . .	٣٩١	أبو العاصي بن الربيع وغيره .	٣٥٤
ما نزل فيهم . . .	٣٩٢	الحكم بن عبد المطلب .	٣٥٧
كانوا أول من نقض العهد . . .	٣٩٢	من الذين أسلموا من أسارى بدر .	٣٥٨
سبب الحرب بينهم وبين المسلمين . . .	٣٩٢	من لم يسلم من الأسارى .	٣٦١
ما كان من ابن أبي مع الرسول . . .	٣٩٣	تاريخ وفاة رقية .	٣٦١
مدة حصارهم . . .	٣٩٤	أشعار يوم بدر .	٣٦٣
تبرؤ ابن الصامت من حلفهم وما نزل فيه وفي ابن أبي . . .	٣٩٤	الشعر المنسوب إلى حمزة .	٣٦٣
سرية زيد بن حارثة إلى القردة . . .	٣٩٥	شعر على .	٣٦٤
إصابة زيد للعبير وإفلات الرجال . . .	٣٩٥	حول شعر حسان .	٣٦٥
شعر حسان في تأنيب قريش . . .	٣٩٦	الفرق بين مفعول وفعل . . .	٣٦٥
مقتل كعب بن الأشرف . . .	٣٩٦	عود إلى شعر حسان .	٣٦٦
استنكاره خبر رسول الرسول . . .	٣٩٦	حول شعر الحارث بن هشام .	٣٦٨
بقتل ناس من المشركين . . .	٣٩٧	عود إلى حسان .	٣٦٨
شعره في التحريض على الرسول . . .	٣٩٧	الانتقاء . . .	٣٧٠
شعر حسان في الرد عليه . . .	٣٩٨	قوله : وميكال فياطيب الملا . . .	٣٧٢
		شرح شعر أبي أسامة .	٣٧٤
		قولهم : سراء القوم . . .	٣٧٦
		شرح القصيدة الفاوية لأبي أسامة .	٣٨٣
		شعر هند .	٣٨٦
		شعر قتيلة .	٣٨٧
		غزوة بني سليم بالكدر . . .	٣٨٨

الموضوع	ص	الموضوع	ص
ما نزل في ذلك من القرآن	٤٢٠	شعر ميمونة في الرد على كعب	٣٩٩
« »		« »	
اجتماع قريش للحرب « »	٤٢٠	شعر كعب في الرد على ميمونة	٣٩٩
خروج قريش معهم لساؤمهم	٤٢١	« »	
« »		تشبيب كعب بنسأه المسلمين	٤٠٠
رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم « »	٤٢٢	والحيلة في قتله « »	
مشاورة الرسول القوم في الخروج	٤٢٢	شعر كعب بن مالك في مقتل ابن	٤٠٢
أو البقاء « »		الاشرف « »	
اتخاذ المناقنين « »	٤٢٤	شعر حسان في مقتل ابن الاشرف	٤٠٣
حادثة تفادى بها الرسول « »	٤٢٤	وابن أبي الحقيق « »	
ما كان من مربع حين نسلك	٤٢٥	عزوة فرقة الكدو	٤٠٤
المسلمون حائطه « »		سلامة بن مشكم	٤٠٥
من أجازهم الرسول وهم في	٤٢٦	خبر بني قينقاع	٤٠٧
الخامسة عشرة « »		سرية زيد	٤٠٨
أمر أبي دجاجة « »	٤٢٧	حول كلبة الخاصة والملك	٤٠٩
أمر أبي عامر الفاسق « »	٤٢٧	« »	
أسلوب أبي سفيان في تحريض	٤٢٨	مقتل كعب بن الاشرف	٤١٣
قريش « »		أمر عبيصة وحويصة « »	٤١٦
تحريض هند والنسوة معها	٤٢٨	لوم حويصة لأخيه عبيصة لقتله	٤١٦
« »		يهودياً ثم إسلامه « »	
شعار المسلمين « »	٤٢٩	رواية أخرى في إسلام حويصة	٤١٧
تمام قصة أبي دجاجة « »	٤٢٩	« »	
مقتل حمزة « »	٤٣٠	المدة بين قدوم الرسول بحران	٤١٨
وحش يحدث الضمري وابن الحبار	٤٣١	وغزوة أحد « »	
« »		غزوة أحد « »	٤١٩
« »		« »	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أول من عرف الرسول بعد الخزي	٤٤٦	وحشي بين يدي الرسول يسلم دس	٤٣٣
دس		قتل وحشي أسيلة دس	٤٣٤
قتل بحصة اليهودي	٤٤٧	خلع وحشي من اللؤلؤان دس	٤٣٤
غزوة أحد	٤٤٧	مقتل مصعب بن عمير دس	٤٣٥
فضل أحد	٤٤٨	شان عاصم بن ثابت دس	٤٣٦
مشاكلة اسم الجبل لأغراض التوحيد	٤٤٩	حنظلة غسيل الملائكة	٤٣٦
وفاة هارون ودفنه بالشام وليس بأحد دس	٤٥٠	شعر الأسود في قتلها حنظلة وأبا سفيان دس	٤٣٧
رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم	٤٥١	شعر حسان في الرد على أبي سفيان دس	٤٣٨
الغزال والطيرة	٤٥٢	شعر الحارث في الرد على أبي سفيان أيضاً دس	٤٣٩
المستصفرون يوم أحد	٤٥٣	حديث الزبير عن سبب الهزيمة دس	٤٣٩
حول شعر هند بنت عتبة	٤٥٤	شجاعة صواب وشعر حسان في ذلك دس	٤٤٠
أبو دجانة	٤٥٦	شعر حسان في عمرة الحارثية دس	٤٤١
حديث وحشي	٤٥٩	ما لقيه الرسول يوم أحد دس	٤٤١
قول علي أنا أبو القصم دس	٤٦٢	شعر حسان في عتبة وما أصاب به الرسول دس	٤٤٣
عن مقتل حنظلة	٤٦٢	ابن السكن وبلاؤه يوم أحد دس	٤٤٣
شعر أبي سفيان	٤٦٤	حديث أم سعد عن نصيبها في الجهاد يوم أحد دس	٤٤٤
لن غدوة دس	٤٦٤	أبو دجانة وابن أبي وقاص يدفمان عن الرسول دس	٤٤٥
جدية شرك دس	٤٦٦	بلاء قتادة وحديث عينه دس	٤٤٥
الصارح يوم أحد	٤٦٨	شان أنس بن النضر دس	٤٤٥
أزب العقبة دس	٤٦٨	ما أصاب ابن عوف من الجراحات دس	٤٤٦
حال من رموا النبي	٤٦٩		
أسماء أجزاء الليل	٤٧٠		
عن الدم والبول	٤٧١		
فهرس الجزء الخامس	٤٧٣		

المكتبة
عز الله له والديه

الروض الأناث

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء السادس

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

المكتبة
عز الله له والديه

يطلب من
دار الكتب الإسلامية
شارع الجمهورية ببيروت - ت ٩٦١٠٧

الروض الأنيق

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الكتاب

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد المطبوع
رقم التسجيل: ١٧٢٥٦
التاريخ: _____

١٨٥٨

١٨٥٨

١٨٥٨

١٨٥٨

١٨٥٨

١٨٥٨

١٨٥٨

١٨٥٨

مقدمة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء السادس من السيرة وشرحها «الروض الأنف»

للإمام السهيلي

والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن التوكيل

قتل الرسول لأبي بن خلف

(قال) : فلما أُسْنِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الشَّعْب أدركه أبا بن خلف وهو يقول : أيُّ محمد ، لا تَجُوتُ إن تَجُوتُ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أَيْعَظُفَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعُوهُ ؛ فلما دَنَا ، تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخُرْبَةَ من الحارث بن الصَّمَّةِ يقول بَعْضُ القوم ، فيأذُكرُ لي : فلما أخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منه انْتَقَضَ بها انْتِعَافًا ، تَطَايَرْنَا عَنْهُ ، تَطَايَرُ الشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ البَعِيرِ إِذَا انْتَقَضَ بها . قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لدغ - ثم استقبله فطَعَنَهُ في عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَادَا مِنْهَا عَنْ قَرَسِهِ مَرَارًا .

قال ابن هشام : تَدَادَا ، يقول : تَقَلَّبَ عَنْ قَرَسِهِ ، فجعلَ يَتَدَخَّرُ .

قال ابن إسحاق : وكان أبا بن خلف ، كما حدَّثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يَلْقَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندى العَوْدَ ، قَرَسًا أَعْلَفُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ ذَرَّةٍ ، أَقْتُلِكَ عَلَيْهِ ؛ فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أَقْتُلُكَ إن شاء الله . فلما رَجَعَ إلى قُرَيْشٍ وَقَدْ خَدَّشَهُ فِي عُنُقِهِ خَدَشًا غَيْرَ كَبِيرٍ ، فَاحْتَمَنَ الدَّمُ ، فقال : قَتَلَنِي وَاللهُ مُحَمَّد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك من بأس ؛ قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أَقْتُلُكَ ، فوالله لو بَصَقَ عَلَيَّ لَمَتَلَنِي . فماتَ عَدُوُّ اللهِ بِسَرَفٍ وَهُمْ قَافِلُونَ بِهِ إِلَى مَكَّةِ .

شعر حسان في مقتل أبي بن خلف.

قال ابن إسحاق : قال حسان بن ثابت في ذلك :

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أُنَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلَ رِمَّ عَظْمِهِ وَتُوْعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنُو النَّجَّارِ مِنْكُمْ أُمَيَّةً إِذْ يَفُوتُ : بِأَعْقِيلِ
وَتَبَّ ابْنَا رَيْمِيَّةَ إِذْ أَطَاعَا أَبَا جَنْهَلٍ ، لِأَمْرِهِمَا الْبُهُولُ
وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شَغَلْنَا بِأَسْرِ الْقَوْمِ ، أَسْرَتَهُ فَالِيلُ
قال ابن هشام : أسرته : قبيلته .

وقال حسان بن ثابت أيضاً في ذلك :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي أَيُّهَا لَقَدْ أَتَيْتَ فِي سُحُقِ السَّيْرِ
تَمَنَّى بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُقَسِّمُ أَنْ قَدَرْتَ مَعَ النُّذُورِ
تَمَنَّىكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَقَوْلُ الْكَفَرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
قَدْ لَأَقْنُكَ طَعْنُهُ ذِي حِفَافٍ كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ طُرّاً إِذَا نَابَتْ مُدْلِمَاتُ الْأُمُورِ

انتهاء الرسول إلى الشعب

(قال) : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قَمِ الشَّعْبِ خَرَجَ
عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ، حَتَّى مَلَأَ دَرَقَتَهُ مَاءً مِنَ الْمِثْرَاسِ ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحا ، فعافه ، فلم يشرب منه ،
وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضبُ الله على من
دُمِّي وجه نبيه .

حرص ابن أبي وقاص على قتل عتبة

قال ابن إسحاق : فحدثني صالح بن كيسان عن حدثه عن سعد بن
أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصى على
قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمت لسيئ الخلق مبيغضا فى قومه ،
ولقد كفانى منه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضبُ الله على من
دُمِّي وجه رسوله .

صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم

قال ابن إسحاق : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب ، معه
أولئك القوم من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل .
قال ابن هشام : كان على تلك التحيل خالد بن الوليد .
قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني لا ينبغي
لهم أن يقولوا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهطه معه من المهاجرين حتى أهبطوهم
من الجبل .

ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له

قال ابن إسحاق : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من

الجليل ليعلموها، وقد كان بَدَن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهر بين
دينين ، فلما ذهب ليمهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع ، فجلس تحت طلحة بن
عبيد الله ، فمهض به ، حتى استوى عليها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
كما حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن
الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول :
أَوْجِبْ طَلْحَةَ حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا صَنَعَ .

قال ابن هشام : وبلغني عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يبلغ الدرجة النبوية في الشعب .

صلاة الرسول قاعداً

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غفرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم
صلى للظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون
خلقه قعوداً .

مقتل اليان وابن وقش

قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المنى ، دون الأعوص .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن كبيد ،
قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، رفع جسيل بن جابر

وهو البيان أبو حذيفة بن البيان ، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وما شيخان كبيران : لا بألك ، ما تنتظر ؟ فوالله لا يبقى لواحد منا من عمره إلا ظمء حمار ، إنما نحن هامة اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسياقنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذوا أسياقهم ثم خرجا ، حتى دخلا في الناس ، ولم يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياق المسلمين ، فقتلوه ولا يغفر فونه ، فقال حذيفة : أئى ، فقالوا : والله إن عرفناه ، وصدقوا . قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدنيه ؛ فتصدق حذيفة بدينه على المسلمين ؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

مقتل حاطب ومقالة أبيه

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابه جراحة يوم أحد ، فأثني به إلى دار قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فحمل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أئشر يا بن حاطب بالجنة ؛ قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا في الجاهلية ، فنجّم يومئذ نفاقه ، فقال : بأئى شيء تبشرونه ؟ بجنة من حرّمل اغررتم والله هذا الغلام من نفسه .

مقتل قزمان مناقباً كما حدث الرسول بذلك

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ
أُتِيَ لا يُدْرِي مَنْ هو ، يقال له قُزْمَان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
يقول ، إذا ذكر له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا
شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته
الجراحة ، فاحتُمل إلى دار بني ظفر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له :
والله لقد أبليت اليوم يا قُزْمَان ، فأبشر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلتُ
إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . قال : فلما اشتدت عليه جراحته
أخذ سهماً من كِنَانَتِهِ ، فقتل به نفسه .

قتل مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أحد مُخَيْرِيق ، وكان أحد بني
نُضْلَةَ بن الفِطْطِيون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يامُشَرَ يَهُودَ ، والله لقد
علمتُ أن نصر محمد عليكم حَقٌّ ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال لا سَبْتَ لَكُمْ .
فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أُصِبتُ فمَالِي لِحَمْدٍ يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ ،
ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قُتل ؛ فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما باننا - مُخَيْرِيقُ خَيْرُ يَهُودَ .

أمر الحارث بن سويد

قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سُوَيْد بن صامت مُناقِباً ، فخرج يوم

أُحِدَ مع المسلمين ، فلما التقي الناس ، عدا على المُجَذَّر بن زياد البَلَوِي ، وقَيْس ابن زيد ، أحد بني ضُبَيْعَة ، فقتلها ، ثم خلق بِمَكَّة بِقُرَيْش ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرُون - قد أمرُ عمر بن الخطاب بقتله إنْ هو ظفر به ، ففاته ، فكان بِمَكَّة ؛ ثم بعث إلى أخيه الجلاس بن سُويد يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى فيه ، فيما بلغني ، عن ابن عباس : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ إلى آخر القصة .

تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذر

قال ابن هشام ؛ حدثني مَنْ أُنقِ به من أهل العلم : أَنَّ الحارث بن سُويد قتل المُجَذَّر بن زياد ، ولم يقتل قَيْس بن زيد ، والدليل على ذلك : أَنَّ ابن إسحاق لم يذكره في قَتْلَى أَحَد ؛ وإنما قتل المُجَذَّر لأنَّ المُجَذَّر بن زياد كان قتل أباه سُويداً في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب .

فَتَبَيَّنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، في نفر من أصحابه ، إِذْ خَرَجَ الحارث ابن سُويد من بعض حَوَاطِطِ المَدِينَةِ ، وعليه ثوبان مُضَرَّجان ، فَأَصْرَبَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفَّان ، فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَيُقَالُ : بِمَعْضُ الْأَنْصَارِ .

قال ابن إسحاق : قتل سُويدَ بن الصَّامِتِ مَعَاذُ بن عَفْرَاءَ غِيلَةً ، في غير حَرْبٍ رَمَاهُ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثِ .

أمر أصيرم

قال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان ، مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة قال : كان يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أصيرم ، يعني عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش . قال الحصين : قلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأتى الإسلام على قومه . فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، بداه في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أنبتت الجراحة . قال : فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتبسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي ، فعدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

مقتل عمرو بن الجموح

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني

سلمة : أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أخرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل : قد عذرك ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن نبي يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أظاً بمرجتي هذه في الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبيته : ما عليكم أن لا تمنوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه فقتل يوم أحد .

هند وتمثيلها محمزة

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة ، كاحدثي صالح بن كيسان ، والنسوة اللاتي معها ، يمتلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحدعن الآذان والأنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائد لها وقرطها وخشياً ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة ، فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيبها ، فلقتلها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، قصرت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سحر
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخى وعنه وبكري
شقيت نفسي وقضيت تذرى شفيت وخشي غليل صدري
فشكر وخشي على عمرى حتى ترم أعظمى في قبري

شعر هند بنت أنثاة في الرد على هند بنت عتبة

فأجابتها هند بنت أنثاة بن عَبَّاد بن الْمُطَّلِب ، فقالت :

خَزِيْرٌ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَا بِنْتَ وَقَاحٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ
صَبَّحْتُكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ مِنْهَا شَمِيمِينَ الْعُلَّالِ الزُّهْرِ
يَبْكُلُ قُطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِى خَمْزَةُ كَثْنَى وَعَلَى صَقْرِى
إِذَا رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ عَذْرَى تَغْضَبُا مِنْهُ ضَوَاحِى النَّحْرِ
وَنَذْرُكَ الشَّوْءَ فَشَرَّ نَذْرِ

قال ابن هشام : تركناها ثلاثاً أبيات أفذعت فيها .

شعر لهند بنت عتبة أيضاً

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شَفِيتُ مِنْ خَمْزَةِ نَفْسِي بِأَحَدٍ حَتَّى بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الْكَبْدِ
أَذْهَبَ عَنِ ذَاكَ مَا كُنْتُ أَجِدُ مِنْ لَذَّةِ الْحُزَنِ الشَّدِيدِ الْمُتَمِيدِ
وَالْحَرْبُ تَغْلُوكُمْ بِشَوْءٍ يَبُوبُ بَرْدٍ تُقَدِّمُ إِقْدَامًا عَلَيْكُمْ كَالْأَسَدِ

تحريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق : فحدثني صالح بن كيسان أنه حدث : أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت : يا ابن القريمة — قال ابن هشام : القريمة بنت

خالد بن خنيس ، ويقال : خنيس : ابنُ حارثة بن قوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن مساعدة بن كعب بن الخزرج - لو سمعت ما تقول هند ، وأريت أشرها قائمة على صخرة ترزحز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ؟ قال له حسان : والله إنى لأظفر إلى الجربة تهوى وأنا على رأس فارغ - يعنى أطيبه - فقلت : والله إن هذه ل سلاح ماهى سلاح العرب ، وكأنها إنما تهوى إلى حمزة ولا أدرى ، لكن أسمعنى بعض قولها أ فكفوها ، قال : فأبشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت : فقال حسان بن ثابت :

أشريت لكاع وكان عادتُها لوما إذا أشرت مع الكفر

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها ، وأبياتنا أيضاً له على الدال . وأبياتنا أخر على الدال ، لأنه أقذع فيها .

استفكار الخليل على أبى سفيان عشية حمزة

قال ابن إسحاق : وقد كان الخليل بن ربان ، أخو بنى الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيد الأيوش ، قد صر به أبى سفيان ، وهو يضرب فى شذق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول : تَقْ حَقِّقْ ؟ فقال الخليل : يا بنى كِنَانَة ، هذا سيد قريش يصنع بآبى عمه ماترون لحماً ؟ فقال : ويحك ! أكتنمها عنى ، فإنها كانت زلة .

شهادة أبى سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر

ثم إن أبى سفيان بن حرب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ،

ثم صَرَخَ بأعلى صوته فقال : أُنمِتَ فعلى ، وإن الحرب سجال يوم بيوم ،
أَعْلَ هُبَل ، أَى : أظهر دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قُمْ يا مِجْر
فأَجِبْ ، فقل : الله أعلى وأَجَل ، لا سِوَاء ، قَتَلَانِى الْجَنَّةُ ، وَقَتْلَاكُمْ فِى
النَّارِ . فلما أَجَابَ مُجْر أبا سَفِيَّان ، قال له أَبُو سَفِيَّان : هَلَمْ إِلَى يَاعْمَر ، فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمْر : انتهِ فانظر ما شَأْنُهُ ، فجاءه ، فقال له
أبو سَفِيَّان : أنشدك الله يا مِجْر ، أَقَتَلْنَا عَمْدًا ؟ قال مِجْر : اللهم لا ، وإنه لِيَسْمَعُ
كَلَامَكَ الْآنَ ، قال : أنتَ أَصْدَقُ عِنْدَى مِنْ ابْنِ قَيْمَةٍ وَأَبْرَأُ ؛ قَوْلُ ابْنِ قَيْمَةٍ
لَهُمْ : إِنِّى قَدْ قَتَلْتُ عَمْدًا .

قال ابن هشام : واسم ابنِ قَيْمَةٍ عُبْدُ اللهِ .

توعد أبى سفيان المسلمين

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سَفِيَّان : إنه قد كان فى قَتْلَاكُمْ مِثْلُ ،
والله ما رَضِيتُ ، وما سَخِطْتُ ، وما نَهَيْتُ ، وما أَمَرْتُ .

ولما انصرف أبو سَفِيَّان ومن معه ، نادى : إن موعِدكم بِدَرٍ لِلْعَامِ الْقَابِلِ ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قُلْ : نعم ، هو بيننا
وبينكم موعِد .

خروج على آثار المشركين

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقال : اخرج
فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جئبوا الخيل ،

وامتطوا الإبل ، فإنهم يُريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يُريدون المدينة ، والذي نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لَأُناجزنهم . قال على : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ؛ فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة .

أمر القتلى بأحد

وفرغ الناس لقتلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صفصة اللاذني ، أخو بني النخجار : مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّيْعِ ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق . قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر ، أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أبحر حتى مات ؛ قال : فجنّت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

قال ابن هشام : وحدثني أبو بكر الزُّبَيْرِي : أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ وَبَنَتْ لِسَعْدِ بْنِ الرَّيْعِ جَارِيَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى صَدْرِهِ يَرْتَفِقُهَا وَيَقْبَلُهَا ؛

قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : هَذِهِ بِنْتُ رَجُلٍ خَيْرٍ مِنِّي ، سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ،
كَانَ مِنَ التَّقِيَاءِ يَوْمَ الْقَبْرِ ، وَشَهِدَ بَدْرًا ، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ .

حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلثة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَا بَلْعَنِي ،
يَقْتَلِمُسَ حِمَزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، فَوَجَدَهُ بِبَيْطُنِ الْوَادِي قَدْ يُقِرُّ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ ،
وَمُثِّلَ بِهِ ، مُجْدِعٌ أَنْفُهُ وَأُذُنَاهُ .

فَخَدَثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
حِينَ رَأَى مَا رَأَى : لَوْلَا أَن تَحْزَنَ صَفِيَّةٌ ، وَيَكُونُ سُنَّةٌ مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ ،
حَتَّى يَكُونَ فِي بَطُونِ السَّبَاعِ ، وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ ، وَلَئِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَى قَرِيشٍ
فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لِأَمَثَلَيْنِ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ . فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْظَهُ عَلَى مَنْ فَعَلَ بِعَمِهِ مَا فَعَلَ ، قَالُوا : وَاللَّهِ
لَئِنْ أَظْهَرَنَا اللَّهُ بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الْدَّهْرِ لَنَمُتَّنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَلَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَزَةَ قَالَ :
لَنْ أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا ! مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطَّ أَغِيظُ إِلَيْكَ مِنْ هَذَا ! ثُمَّ قَالَ :
جَاءَنِي جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ حِمَزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ
السَّبْعِ : حِمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، أَسَدُ اللَّهِ ، وَأَسَدُ رَسُولِهِ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِمَزَةُ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ ،
بِإِخْوَةٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، أَرْضَعَتْهُمْ مَوْلَاةُ الْأَبِيِّ لَهَبٍ .

ما نزل في النهي عن المثلة

قال ابن إسحاق : وحدثني بُرَيْدَةُ بْنُ سُنَيَّانِ بْنِ قُرُوءَةَ الْأَسْلَمِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَثْبٍ الْقُرْظِيِّ ، وَحَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتُهُمْ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ ، مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ وَخَبَرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ، فَمَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَبَرَ وَنَهَى عَنْ الْمَثَلَةِ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ ، عَنْ الْحَسَنِ ، عَنْ سُمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ، قَالَ : مَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَقَامٍ قَطًّا فَقَارَقَهُ ، حَتَّى يَأْمُرَنَا بِالصَّدَقَةِ ، وَيَنْهَانَا عَنِ الْمَثَلَةِ .

صلاة الرسول على حمزة والقتلى

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتُهُمْ عَنْ مِقْسَمٍ ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَمْزَةٍ فَسُجِّي بِرِدَةٍ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، فَكَبَّرَ سَبْعَ تَسْكِيرَاتٍ ، ثُمَّ آتَى بِالْقَتْلَى فَيُوضَعُونَ إِلَى حَمْزَةٍ ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ مَعَهُمْ ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ صَلَاةً .

صفية وحزنها على حمزة

قال ابن إسحاق : وَقَدْ أَقْبَلْتُ فِيمَا بَلَغَنِي ، صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لَتَنْظُرَ

إليه وكان أخاها لأبيها وأُمُّها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : ألقها فأزجِعها ، لا تَرى ما بأخيها ، قال لها : يا أُمِّه ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن تَزجِعي ، قالت : ولم ؟ وقد بلغني أن قد مُثل بأخي ، وذلك في الله ، فما أَرْضانا بما كان من ذلك إلا أَحَبَّينَ ولأَصْبِرَن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خلَّ سَبِيلَها ، فَأَتَتْهُ ، فنظرتُ إليه ، فصَلَّت عليه ، واستزجِمت ، واستغفرت له ، ثم أمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدُفن .

دفن عبد الله بن جحش مع حمزة

قال : فزعم لي آلُ عبدِ الله بن جَحَشٍ - وكان لَأُمَيَّةَ بنت عبدالمطلب ، حمزةُ خالُه ، وقد كان مُثَّل به كما مُثِّل بِحمزة ، إلا أنه لم يُنْقَرْ عن كِبَدِهِ - أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دَفَنَهُ مع حمزة في قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

دفن الشهداء

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلَهم إلى المَدِينَةِ ، فدَفَنوهم بها ، ثم نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرِّعُوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مُسلم الزُّهْرِيُّ ، عن عبد الله بن ثعلبة

ابن صُعَيْر المَذْرِي ، حليف بنى زُهْرَة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
لَمَّا أَثْرَفَ عَلَى الْقَتْلِ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ : أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ ، إِنَّهُ مِمَّنْ جَرَّحَ
يُجْرَحُ فِي اللَّهِ ، إِلَّا وَاللَّهِ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَذْمِي جِرْحَهُ ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ
وَالرِّيحُ رِيحُ مَسْكٍ ، وَانْظُرُوا أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ جَمْعًا لِلْقُرْآنِ ، فَاجْمَلُوهُ أَمَامَ أَصْحَابِهِ
فِي الْقَبْرِ - وَكَانُوا يَذْفِنُونَ الْإِنِّينَ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي عُمَى مُوسَى بْنِ يَسَارٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ
أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِمَّنْ جَرَّحَ يُجْرَحُ فِي اللَّهِ إِلَّا وَاللَّهِ يَبْعَثُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَذْمِي ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالرِّيحُ رِيحُ مَسْكٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ ، عَنْ أَشْيَاحَ مِنْ بَنِي
سَلَمَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ يَوْمَئِذٍ ، حِينَ أُمِرَ بِدَفْنِ
الْقَتْلَى : انْظُرُوا إِلَى تَعْمُرَ بْنِ الْجُمُوحِ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ حَرَامٍ ، فَإِنَّهُمَا
كَانَا مُتَصَافِيَيْنِ فِي الدُّنْيَا ، فَاجْمَلُوهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ .

حَزَنُ حَمْنَةَ عَلَى حُرَّةَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا إِلَى
الْمَدِينَةِ ، فَلَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ، كَمَا ذُكِرَ لِي ، فَلَمَّا لَقِيَتْ النَّاسَ نَبِيَّ إِلَيْهَا
أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، فَاسْتَرْجَمَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ نَفَى لَهَا حَالَهَا حَزْرَةً
ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَاسْتَرْجَمَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ نَفَى لَهَا زَوْجَهَا مُصْغَبَ بْنَ عُصَيْرٍ ،
فَصَاحَتْ وَوَلَوْلَتْ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ زَوَّجَ الْمَرْأَةَ مِنْهَا

لِمَكَانٍ ! لَمَّا رَأَى مَنْ تَثَبَّتْهَا عِنْدَ أَخِيهَا وَخَالِهَا ، وَصِيَّاحُهَا عَلَى زَوْجِهَا .

بَكَاءُ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ عَلَى حِزَّةِ

قال ابن إسحاق : ومَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَظَفَرٍ ، قَسَمَ الْبَكَاءُ وَالنَّوْاحِ عَلَى قَتْلِهِمْ ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : لَكِنَّ حِزَّةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ ! فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حَضِرٍ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَمَرَا نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَّمْنَ ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ عَلَى عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : حَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ عَبَّادِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، قَالَ : لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُكَاءَهُنَّ عَلَى حِزَّةٍ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ وَهَنَّ عَلَى بَابِ مَنْجَلِهِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : ارْجِعْنَ يَرْحَمَكُنَّ اللَّهُ ، فَقَدْ آسَيْتَنَ بِأَنْفُسِكُنَّ .

قال ابن هشام : وَنَهَى يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّوْحِ .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سَمِعَ بَكَاءَهُنَّ ، قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ الْأَنْصَارَ إِنْ أَلْوَاسَاةَ مِنْهُمْ مَا عَقَمْتُ لَقْدِيمَةً ، مَرُوهَنَ فَلْيَنْصَرِفْنَ .

شأن المرأة الدينارية

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَبِي عَوْنٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ

محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نَعُوا لها ، قالت : فما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أُمّ فلان ، هو محمدُ الله كما تحبّين ؛ قالت : أرونيهِ حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته قالت : كلُّ مُصيبَةٍ بعدك جَلَلٌ ! تريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو ها هنا من القليل . قال امرؤ القيس في الجلل القليل :

لَقَتَلْتُ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ إِلَّا كُلَّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٍ

قال ابن هشام : وأما قول الشاعر ، وهو الحارث بن وعلة الجرمي :

وَلَتْنِ عَفْوَتُ لَأَعْفُونُ جَمَلًا وَلَتْنِ سَطَوْتُ لَأَوْهِنُ عَظْمِي

(فهو من الكثير) .

غسل السيوف

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سَيِّفَهُ ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دَمَهُ يَا بِنْتِي ، فوالله لقد صدّقتني اليوم ؛ وناولها علي بن أبي طالب سَيِّفَهُ ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلي عنه دَمَهُ ، فوالله لقد صدّقتني اليوم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدّقت القتال لقد صدّقت معك سهلُ بن حنيف وأبو دُجانة .

قال ابن هشام : وكان يُقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ذو الفقار .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن ابن أبي نجيح قال : نادى
مُنَاد يَوْمَ أَحَد :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلي بن أبي طالب : لا يُصيب المشركون منا مثلاً حتى
يُفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال .

خروج الرسول في أثر العدو ليرهبه

قال : فلما كان الغدُ (من) يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ،
أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يطلب العدو ، فأذن
مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحدٌ إلا أحدٌ حَضَرَ يومنا بالأمس . فكلّمه جابر
ابن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلفني على
أخوات لي سبيع ، وقال : يا بُنَيَّ ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء
النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم على نفسي ، فتخلفت على أخواتك ، فتخلفت عليهن ، فأذن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم تفرج معه . ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

مُرْهَبًا لِّلْعَدُوِّ ، وَلِيَهْلِفُهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ ، لِيُظَنُّوا بِهِ قُوَّةً ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ
لَمْ يُؤْهِنَهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ .

مثل من استماتة المسلمين في نصرة الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثني عبيد الله بن خازجة بن زيد بن ثابت ، عن
أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، كَانَ شَهِدَ أَحَدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : شَهِدْتُ أَحَدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَا وَأَخ
لِي ، وَفَرَجْنَا جَرِيحَيْنِ ، فَلَمَّا أَذِنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفُرُوجِ
فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ ، قُلْتُ لِأَخِي أَوْ قَالَ لِي : أَتَفُوتُنَا غَزْوَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَاللَّهِ مَلَكْنَا مِنْ دَابَّةٍ تَرَكَبَهَا وَمَا مِنَّا إِلَّا جَرِيحٌ ثَقِيلٌ ، فَخَرَجْنَا
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَثُرَ أَيْسَرُ جُرْحًا ، فَكَانَ إِذَا غَلَبَ
جَلَّتْهُ عُقْبَةٌ ، وَمَشَى عُقْبَةً ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ السَّلَاطُونَ .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى
سحراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن
أُمِّ مَكْتُومٍ ، فَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ .

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى
المدينة .

شأن معبد الخزاعي

قال : وقد مرّ به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، معبد بن أبي مقبل الخزاعي ، وكانت خزاعة ، مسلمهم ومُشركهم عِيَّةً نُصَحَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بهامة ، صَفَقَتهم معه ، لا يُخْفون عنه شيئاً كان بها ، ومَقْبَد يومئذ مُشرك ، قال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عاقبك فيهم ، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقي أبا سُفيان بن حرب ومن معه بالزوَّجاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وأُشرفهم وقادّهم ، ثم رجع قبل أن نستأصلهم ! لنكفرن على بقيّتهم ، قلنفر عنّهم فلما رأى أبو سُفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبُكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرّقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحقّ عليكم شيء لم أر مثله قط ، قال : ويحك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن زرعاً حتى أرى نواصي الخليل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكفرة عليهم ، لنستأصل بقيّتهم : قال : فإني أنهارك عن ذلك ، قال : والله لقد جعلني ما رأيت على أن قلت فيهم أبيتاً من شر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تهذ من الأصوات راحلتى إذ سالت الأرض بالجود الأبائيل
تردى بأسدٍ كرامٍ لانتبايلةٍ عند اللقاء ولا ميلٍ مَلَزِيل
فظلت عدواً أظنّ الأرض مائلةً لما سموا برئيس غير مخذول

فقلتُ: ويل ابنِ حَرْبٍ من لقائكم إذا تَفَطَّطَت البَطَاحاءُ بِأَنظِلِ
إني نذيرٌ لأهلِ اللَّبْسِلِ ضاحيةٌ لكلِّ ذِي إِزِيَةٍ منهم وممقُولِ
من جيشِ أَحْمَدَ لا وَخْشٍ تَفَالِيَةٌ ولبسٌ يُوصَفُ ما أُنذِرْتُ بِالْقِيلِ
فَفَنَى ذَلِكَ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ .

رسالة أبي سفيان إلى الرسول على لسان ركب

وَمَرَّ بِهِ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ الْمَدِينَةَ ؟
قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ الْمِيرَةَ ؛ قَالَ : قَهْلَ أَنْتُمْ مُبْلَغُونَ عَنِّي مُحَمَّدًا رَسُولًا
أَرْسَلَكُمْ بِهَا إِلَيْهِ ، وَأَحْمِلْ لَكُمْ هَذِهِ غَدًا زَبِيئًا بِمُكَاطِ إِذَا وَافَيْتُمُوهَا ؟
قَالُوا نَعَمْ ؛ قَالَ : فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ
لِنَسْتَأْصِلَ بِقَبِيَّتِهِمْ ، فَرَّ الرُّكْبُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِحُمْرَاءِ
الْأَسَدِ ، فَأَخْبِرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ ؛ فَقَالَ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

كف صفوان لأبي سفيان عن معاودة الكرة

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ لَمَّا انصرف
يَوْمَ أَحَدَ ، أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، لِيَسْتَأْصِلَ بِقَبِيَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ : لَا تَفْعَلُوا ، فَإِنَّ
الْقَوْمَ قَدْ حَرَبُوا ، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قِتَالٌ غَيْرَ الْقِي كَانَ ، فَارْجِعُوا ،
فَرَجَعُوا . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ بِحُمْرَاءِ الْأَسَدِ ، حِينَ بَلَغَهُ

أنهم همّوا بالرجعة : والذي نفّس يده ، لقد سوّمت لهم حجارة ، لو صبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب .

مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهة ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة ، معاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جدّ عبد الملك بن مروان ، أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجهمي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصره ببدر ، ثم من عليه ، قتل : يا رسول الله ، أقتلني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أتمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعتُ محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغني عن سعيد بن المسيّب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لاؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ، فضرب عنقه .

مقتل معاوية بن المغيرة

قال ابن هشام : ويقال : إن زبداً بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية ابن المغيرة بعد خمر الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث .

وتواري ، فيمهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع
كذا وكذا ، فوجداه مقتلاه .

شأن عبد الله بن أبي بعد ذلك

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان
عبد الله بن أبي بن سلول ، كما حدثني ابن شهاب الزهري ، له مقام يقومه كل
جمعة لا ينكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها
الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم
به ، فانصروه وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس ، حتى إذا صنع يوم
أحد ما صنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون
ينثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي عدو الله ، لست لئلك بأهل ،
وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما
قلت بجزاً أن قت أشد أمره . فلقى رجلاً من الأنصار بباب المسجد ، فقال
مالك ؟ وبلك ! قال : قت أشد أمره ، فوثب على رجل من أصحابه يحدوني
ويصفوني ، لكأنما قلت بجزاً أن قت أشد أمره ، قال وبلك ! ارجع يستغفر
لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله ما أبتنى أن يستغفر لي .

كان يوم أحد يوم محنة

قال ابن إسحاق : كان يوم أحد يوم بلاء ومُصيبة وتمحيص ، اختبر الله به
المؤمنين ، وعمن به المنافقين ممن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مُستخف
بالكفر في قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته

قتل الرسول لأبي بن خلف

فصل: وذكر قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن خلف، وفيه: تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير. الشعر له: ذباب صغير له لدغ، تقول العرب في أمثاله: قتل للدغ. ما تقول في غنيمية تجر سها جويرية؟ قال: شحيمية في حلقى، قيل: فما تقول في غنيمية يحرسها غليم؟ قال: شعراء في إبطى أخشى خطواته الخطوات: سها من قضبان لينة يعلم بها الغلمان الرمي وهي الجراح أيضاً قال الشاعر:

أصابت حبة القلب بسهم غير جماع^(١)

من كتاب أبي حنيفة، ورواه القتيبي: تطاير الشعر، وقال: هي جمع شعراء، وهي ذباب أصغر من القمع^(٢)، وفي الحديث من غير رواية ابن إسحاق: فرزله بالحرية، أي رماه بها.

مول عين قتادة:

وذكر قتادة بن النعمان بن زيد، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأنه، وهو الرجل الذي سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقرأ: قل هو الله أحد،

(١) رواية الشطرة الثانية في اللسان: فلم تخطيء بجماع. ويقال له: جراح أيضاً.

(٢) القمع مفردة قمعة بفتح القاف والميم ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر ويجمع على مقامح أيضاً كمشابه وملاح. وفي رواية: تطاير الشعراير، وهي بمعنى الشعر وقياس واحدها: شعرون.

يَرَدُّدُهَا ، فَقَالَ وَجَبَتْ ، وَحَدِيثُهُ فِي الْمَوْطَأِ ، وَذَكَرَ أَنَّ عَيْنَهُ أُصِيبَتْ يَوْمَ أُحُدٍ . رَوَى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أُصِيبَتْ عَيْنُ رَجُلٍ مِنَّا يَوْمَ أُحُدٍ ، وَهُوَ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ، حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ ، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : إِنْ لِي امْرَأَةٌ أَحَبُّهَا ، وَأَخْشَى إِنْ رَأَيْتَنِي أَنْ تَقْذَرَنِي ، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ، وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ جَلَالًا ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَتَيْهِ ، وَأَحَدَهَا نَظْرًا ، وَكَانَتْ لَا تَرْمَدُ إِذَا رَمِدَتِ الْآخَرَى ، وَقَدْ وَفَدَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - رَجُلٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، فَسَأَلَهُ عَمْرُ مِنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَأَلْتَ عَلَى الْخُلْدِ عَيْنَتَهُ . فَرَدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَلَقِ أَيَّمَا رَدِّ
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ أَمْرِهَا . فَيَا حُسْنَ مَاعَيْنٍ وَبِأَحْسَنَ مَا خَدَّ

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا تَقْعُبَانِ ^(١) مِنْ لَبَنِ شَيْبًا بِمَاءٍ . فَعَادَا بَعْدُ أَبَوَايَا
فَوَصَلَهُ مُهْرٌ ، وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، وَقَدْ رَوَى أَنَّ عَيْنَتَيْهِ جَمِيعًا سَقَطَتَا ،
فَرَدَّهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَانَ [أَبُو مَرْوَانَ
الْأَمْوِيُّ] عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَفْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَخِيهِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ : أُصِيبَتْ عَيْنَايَ يَوْمَ أُحُدٍ ،
فَسَقَطَتَا عَلَى وَجْنَتِي ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَعَادَهُمَا النَّبِيُّ -

(١) القعب : قدح ضخم جاف .

صلى الله عليه وسلم - مكأههما ، وبصق فيهما ، فمادتا تبرقان . قال . الدار قطني :
هذا الحديث غريب عن مالك ، تفرد به عمار بن نصر ، وهو ثقة ^(١) ورواه
الدارقطني عن إبراهيم الخزازي عن عمار ^(٢) بن نصر [السلمي
أبو ياسر التروزي] .

حول نسب هزيمة اليماني :

فصل : وذكر ثابت بن وقش ، والوقش : الحركة ، وحسيل بن جابر
والد حذيفة بن اليمان ، ومضى حسيل بن جابر اليماني ، لأنه من وفد جروة
ابن مازن بن قطيعة بن عبيس [بن بغيض] وكان جروة قد بُد عن أهله في اليمن
زمنًا طويلا ، ثم رجع إليهم فسموه اليماني ، وحذيفة بن اليمان يُكنى
أبا عبد الله حليف بنى عبد الأشهل أمه الرباب بنت كعب . قال ابن إسحاق :
فاختلفت عليه : يفتي اليماني أسياف المسلمين . وفي تفسير ابن عباس : أن
الذي قتله منهم خطأ هو عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود ، وجدُّ

(١) لكن قال النوري : قال أبو نعيم : سألت عناه ، وغلطوه .

(٢) بهذا حصل لمحمد بن أبي عثمان متابع . في روايته عن عمار بن نصر ،
لكن لم يحصل متابع لعمار في روايته عن مالك . انظر تفصيل هذا في المواهب
ص ١٨٦ وما بعدها .

والله يختص برحمته من يشاء ولا أحد يبرئ أحدًا . وتذكر قوله سبحانه فيما
يقص عن خليله إبراهيم (وإذا مرضت فهو يشفين) وتذكر كل آيات القرآن
التي ذكر الله فيها آياته التي من بها على عيسى نجد فيها النص المؤكد على أنها بإذنه
الله وحده .

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ النِّفْقِيَّةُ، ذَكَرَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي التَّنْقِيحِ،
وَعُتْبَةُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمَّى الْمُصْحَفَ مُصْحَفًا، فِيمَا رَوَى ابْنُ وَهْبٍ فِي الْجَامِعِ.

الهامة والظم:

وقول ثابت بن وقش وحُصَيْل: إِنَّمَا نَحْنُ هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدٍ، يَرِيدُ:
لِلوْتِ، وَكَانَ مِنْ مَذْهَبِ الْعَرَبِ فِي اللَّيْلِ أَنْ رُوحَهُ تَصِيرُ هَامَةً^(١)، وَلِذَلِكَ
قَالَ الْآخَرُ:

وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءِ وَهَامٍ

وقوله: لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمَرَانَا إِلَّا ظَمٌ^(٢) حَايَرٌ. إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْحَايَرَ

(١) الصدى — كما يقول ابن دريد في الاشتقاق طائر معروف، وتوعم
العرب أنه إذا قتل رجل خرج من هامته طائر يسمى: الصدى، فينادى الليل
كله: اسقوني، حتى يقتل قاتله، وهذا باطل، ويسمونه أيضاً: هامة. ص ٢٣٣
الاشتقاق. والصدى أصلاً — كما في القاموس — طائر يصير بالليل يقفز قفزانا
ويطفر والناس — كما يقول العديس العبدى — يروونه الجندب، وإِنَّمَا هُوَ
الصدى، فَأَمَّا الْجَنْدَبُ، فَأَنَّهُ أَصْفَرُ مِنَ الصدى، وَالصدى ذَكَرَ الْيَوْمَ. وَالْهَامَةُ
أَصْلًا رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ وَجَمْعُهُ هَامٌ، وَالْهَامَةُ: طَائِرُ اللَّيْلِ وَهُوَ الصدى. وَاسْمُ الصدى
لَمَّا تَعْتَقِدُهُ الْأَعْرَابُ مِنْ كَوْنِهِ عَطِشَانٌ وَلَا يَزَالُ يَقُولُ اسقوني. وَالصدى: الْعَطَشُ.
وَقَدْ سَمِيَ الدِّمَاغُ هَامَةً لِأَنَّهُ يَشْبَهُ رَأْسَ الصدى، وَتَسْمِيَتُهُ الطَّائِرُ بِالْهَامَةِ يَحْتَمِلُ
أَنْ تَكُونَ لِلْمَعْنَى الَّتِي لِأَجْلِهِ سَمِيَ صدى وَهُوَ الْعَطَشُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ
اشْتَقَّ مِنَ الْهَيَامِ، وَهُوَ دَاءٌ يَصِيبُ الْإِبِلَ فَتَشْرَبُ وَلَا تَقْرَى: الْقَامُوسُ، وَحَيَاةُ
الْحَيَوَانِ لِلدِّمِيرِيِّ ص ٢٠٩، ٣٧٤.

(٢) وَالظَّمُّ مَا بَيْنَ الشَّرْبَتَيْنِ وَالْوَرْدَيْنِ وَمَا بَيْنَ سَقُوطِ الْوَلَدِ إِلَى حَيْنِ مَوْتِهِ؛
فَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَمْ يَبْقَ لَنَا إِلَّا يَسِيرٌ.

أَقْصَرُ الدَّوَابِّ ظِلْمًا، وَالْإِبِلَ أَطْوَلُهَا أَظْمَاءً .

مول بعض رجال أهد :

وذكر قُزْمَان، وهو اسم مأخوذ من الْقَزَمِ، وهو رُدَّالُ الْمَالِ، ويقال :
الْقُزْمَانُ^(١) : الرَّدَىء من كُلِّ شَيْءٍ .

وذكر مَالُ الصَّيْرَمِ، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، ويقال فيه وَقَشٌ
بتعريك القاف .

وقول حاطب المُنَافِقِ: الْجَنَّةُ مِنْ حَرَمَلٍ، يريد الأرضَ التي دُفِنَ فيها،
وكانت مُنْفِيتُ الْحَرَمَلِ^(٢) أى : ليس له جَنَّةٌ إِلَّا ذَاكَ .

ابن الجُمُوح :

فصل : وذكر خير عمرو بن الجُمُوح حين أراد بنوه أن يَمْنَعُوهُ من
الخروج إلى آخر القصة ، وزاد غيرُ ابن إسحاق أنه لما خَرَجَ قاله : اللَّهُمَّ
لَا تُرُدَّنِي، فاستشهد ، فجعلوه بَنُوهُ عَلَى بَعِيرٍ ، ليحملوه إلى المدينة ، فاستصْعَبَ
عليهم البعيرُ ، فكان إذا وَجَّهوه إلى كُلِّ جِهَةٍ سارعَ إِلَّا جِهَةَ الْمَدِينَةِ ، فكان
يَأْبَى الرُّجُوعَ إِلَيْهَا ، فلما لم يَقْدِرُوا عليه ذكروا قوله : اللَّهُمَّ لَا تُرُدَّنِي إِلَيْهَا ،
فدفنوه في مَصْرَعَةٍ^(٣) .

(١) لا يوجد لا في اللسان ولا في القاموس سوى أنه اسم أو اسم موضع .

(٢) ثبت له حب أسود ، وحب هذا النبات .

(٣) قصة البعير خرافة ، والشهيد يدفن في مصرعه كشهداء بدر .

حكم (مع) والسكن بعدهما :

فصل : وقول هند بنت أُمّانة :

مِلْ هاشميين الطَّوَالِ الزُّهْرِ

يَحْذِفِ النَّونَ مِنْ حَرْفٍ مِنْ لِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَنْ وَخَّذَهَا لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا ، كَمَا خُصِّصَتْ نُونُهَا بِالْفَتْحِ إِذَا التَقَتْ مَعَ لَامِ التَّعْرِيفِ ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي نُونٍ سَاكِنَةٍ غَيْرِهَا ، كَرُحُوا تَوَالِي الْكَسْرِتَيْنِ مَعَ تَوَالِي الاسْتِعْمَالِ ، فَإِنْ التَقَتْ مَعَ سَاكِنٍ غَيْرِ لَامِ التَّعْرِيفِ نَحْوِ مَنْ ابْتِكَ ، وَمِنْ أَسْمِكَ ، كَسَرَتْ عَلَى الْأَصْلِ ، وَالْقِيَاسِ الْمُسْتَنْتَبِ . قَالَ سَيِّبُوتِيَّةٌ : وَقَدْ فَتَحَهَا قَوْمٌ فَصَحَّاهُ بِمَعْنَى مَعَ غَيْرِ لَامِ التَّعْرِيفِ .

سَطَعَ وَلَكَمَ :

وَقَوْلُ حَسَّانَ فِي هِنْدٍ : أَشِيرَتْ لَكَاعٍ ، جَعَلَهُ اسْمًا لَهَا فِي غَيْرِ النَّدَاءِ ، وَذَلِكَ جَائِزٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي النَّدَاءِ أَكْثَرَ ، نَحْوُ يَا غَدَارٍ وَيَا فَسَاقٍ ، وَكَذَلِكَ لَكَعٌ ، قَدْ اسْتَعْمَلَ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيْنَ لَكَعٌ يَعْنِي : الْحَسَنَ أَوْ الْحُسَيْنَ مُمَا زِحًا لِهَمَّا ^(١) . فَإِنْ قِيلَ : إِنْ النِّبْيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) يُقَالُ فِي النَّدَاءِ لَشِيمَ بِالْكَعِ ، وَلِلْأُنْثَى : يَالْكَاعِ ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ مَعْرِفَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَرُدْ أَنْ تَعْدِلْهُ عَنْ جِهَتِهِ قُلْتَ لِلرَّجُلِ : يَا الْكَعِ ، وَلِلْأُنْثَى : يَالْكَامِ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْحَطِيبَةُ الْكَاعَ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ ، فَقَالَ يَهْجُرُ امْرَأَتَهُ أَطُوفَ مَا أَطُوفُ هَمْ آوَى إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لِكَاعٍ وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَا بِيَ الْغَرِيبَ الْبَصْرِيَّ . كَمَا جَاءَ فِي الْإِسَانِ .

كان يَمْزَحُ ، ولا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا ، فكيف يقول : أَيْنَ لُكْعٌ وقد سماه سَيِّدًا في حديث آخر ؟ فالجواب : أنه أراد التشبيه باللُكْعِ الذي هو الْقُلُوءُ أو الْمُهْرُ لأنه طفل كما أن الْقُلُوءَ وَالْمُهْرَ^(١) كذلك ، وإذا قُصِدَ بالكلام قَصْدُ التشبيه ، لم يكن كَذِبًا ، ونحوه قوله عليه السلام : لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يكون أسعدُ الناس في الدنيا لُكْعٌ بَيْنَ لُكْعٍ ، وَاللُّكْعُ في اللغة : وَسَخُ الْفُرَّةِ ، وهو أيضًا الْقُلُوءُ الصَّغِيرُ ، فمن أجل هذا جاز أن يُسْتَعْمَلَ في غير النَّدَامِ ، لأنه على هذا الوجه غير مُعْدُولٍ كما عُدِلَ خُبْتُ عَنْ خَبِيثٍ ، وَفُسِّقَ عَنْ فَاسِقٍ ، وقال ابن الأنباري في الزَّاهِرِ : اشتقاقه من الصَّلَاكَةِ ، وهو ما يخرج مع المولود من ماء الرِّجَمِ وديمها ، وأنشد :

رَمَتْ الْفَلَاةَ بِمُعْجَلٍ مُتَسَرِّبِلٍ غَرَسَ السَّلَى وَمَلَاكِعَ الْأَمْشَاجِ
قال : ويُقال في الواحد يَالْكُعُ ، وفي الاثنين يَذَوِي لِكَيْعَةٍ ، وَلَكَاعَةٍ ، ولا تُصْرَفُ لِكَيْعَةٍ ، ولكن تُصْرَفُ لَكَاعَةٌ لأنه مُصَدَّرٌ وفي الجميع ،

== وَلَكَاعَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَمْرِ . وَاللُّكْعُ عِنْدَ الْعَرَبِ : الْعَبْدُ ، ثم استعمل في الحق والتم ، وقد لُكِعَ الرَّجُلُ بوزن قرح بِلُكْعٍ لِكَمَا فَهُوَ الْكُعُ ، وقد يطلق على الصغير ، فإن أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل . وقد ورد في حديث سعد بن عبادَةَ أَرَأَيْتَ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ بَيْتَهُ ، فَرَأَى لِكَاعًا قَدْ تَخَذَ امْرَأَتَهُ . الخ لُجْلُ لِكَاعَ صفةً لرجل . ويقال : لعله أراد لِكَمَا فَحَرَفَ . و خزانة الأدب والنهاية لابن الأثير .

(١) قُلُوءٌ : الْمَهْرُ الصَّغِيرُ ، وقيل هو الْفَطَمُ من أولاد ذوات الحافِر ، وفي اللسان من معاني اللُكْعِ : الْمَهْرُ وَالْجَمْحُش .

يَاذَوِي لِكَيْعَةٍ وَلِكَاعَةٍ^(١) وفي الموث على هذا التماس .

قال للؤلف : ولا يقال يالكاعان ، ولا فسقان ، ليرت شرحناه في غير هذا الكتاب . وتلخيص معناه : أن العرب قصدت بهذا النصب في النداء قصدة العلم ، لأن الاسم العلم ألزم للسمي من الوصف المشتق من الفعل نحو فاسق وغادر ، كما قالوا عمر ، وعدلوا عن عامر الذي هو وصف في الأصل تحقيقاً منهم للعلمية ، ثم إن الاسم العلم لا يثنى ولا يجمع وهو علم ، فإذا مثنى زال عنه تعريف العلمية ، فمن أجل ذلك لم يثنوا فاسقاً وباعداً ، لأن في ذلك نقصاً لما قصدوه من تنزيه منزلة الاسم العلم ، أى : إنه مستحق لأن يسمى بهذا الاسم ، فهذا أبلغ من أن يقولوا : يا فاسق ، فيجثوا بالاسم ، الذي يجرى مجرى الفعل والفعل غير لازم ، والعلم ألزم منه ، والتثنية والجمع تبطل العلمية كما ذكرنا فافهمه ، ووقع في الموطأ من رواية يحيى في حديث عبد الله بن عمر أنه قال لمولاته : افتعدي لكم ، وقد عيبت هذه الرواية على يحيى ، لأن المرأة إنما يقال لها : لكاع ، وقد وجدت الحديث كما رواه يحيى في كتاب الدارقطني ، ووجهه في العربية أنه منقول غير معقول فحاز أن يقال للأمة بالكع كما يقال لها إذا سبت : يازيل وياوسخ إذ الأسك ضرب من الوسخ ، كما قدمناه وهو في كتاب العين .

(١) قال الفراء : ثنية لكاع أن تقول : يا ذواتي لكيعاة أقبل ، ويا ذوات لكيعاة أقبلن وقتلوا في الداء لا أجل : بالكع ، والمرأة بالكاع ، والاثني : يا ذوى لكع .

الرسول يسأل عن ابن الربيع :

فصل : وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا قَعَلُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، وذكر الحديث . الرجل : هو محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدي ، وذكر أنه نادى في القتل : يا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ، حَتَّى قَالَ يَا سَعْدُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرْسَلَنِي أَنْظُرَ مَا صَنَعْتَ ، فَأَجَابَهُ حِينَئِذٍ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَهَذَا خِلَافُ مَا ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ فِي كِتَابِ الصَّحَابَةِ ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ رُبَيْعِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي التَمَسَ سَعْدًا فِي الْقَتْلِ هُوَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ .

حميد الطويل وطلحة الطلحات :

وذكر عن حميد الطويل عن الحسن بن سمره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في النهي عن المثلة ، وحميد الطويل هو حميد بن تيرويه ، ويقال : ابن تيري^(١) يكنى أبا حميدة مولى طلحة الطلحات^(٢) ، وهو حديث صحيح .

(١) في القاموس : تير بكسر التاء وبدون ياء . وكذلك في تهذيب الأسماء واللغات ، وقال : هو أبو عيدة ، وقيل : أبو عيد حميد بن أبي حميد ، واسم أبي حميد تيرويه ، وقيل : تير ، وقيل ذا ذويه ، وقيل طرخان ، وقيل : مهران ، ويقال : عبد الرحمن ، ويقال : داود . قال الأصمعي : رأيت حميداً ، لم يكن طويلاً ، ولكن طويل اليد بن مات سنة ١٤٣ هـ ص ١٧٠ - ١٦٠ .

(٢) هو طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي ويقول صاحب اللسان : ورأيت في بعض حواشي نسخ الصحاح بخط من يوثق به الصواب : طلحة =

في النهي عن المثلة. فإن قيل : فقد مثل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بالعَرَنِيِّينَ^(١) فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَكَمَلَ أَعْيُنَهُمْ ، وتركهم بالخرقة .

== ابن عبد الله : وسمى طلحة الطلحات بسبب أمه ، وهي صفية بنت الحارث .
ابن طلحة بن أبي طلحة وزاد الأزهرى ابن عبد مناف وأخوها : طلحة .
ابن الحارث فقد تكنفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقبره بسجستان ، وفيه يقول
ابن الرقيات :

رحم الله أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات
وعند ابن الأثير : عن طلحة الطلحات قيل : إنه جمع بين مائة عربي وعربية
بالمهر والعطاء الواسعين فولد لكل واحد منهم ولد فسمى طلحة ، فأضيف إليهم .
وفي القاموس : القول الأول .

(١) عن قتادة عن أنس أن ناساً من عكل وعرينة قدموا على النبي « ص » .
وتكلموا بالإسلام ، فاستوخموا المدينة ، فأمر لهم النبي « ص » ، بدود وراع
وأمرهم أن يخرجوا ، فليشربوا من أبوالها وألبانها ، فاطلقوا حتى إذا
كانوا بناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي « ص » ، واستاقوا
الدود ، فبلغ ذلك النبي « ص » ، فبعث الطلب في آثارهم ، فأمر بهم ، فسمروا
أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم . رواه
الجماعة . وزاد البخاري ، قال : قتادة : بلغنا أن النبي « ص » ، بعد ذلك كان يبحث
على الصدقة ، وينهى عن المثلة ، وفي رواية لأحمد والبخاري وأبو داود قال قتادة .
فعدثنى ابن سيرين أن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود ، والبخاري وأبو داود في
هذا الحديث ، فأمر بمسامير فأحيت ، فكحلهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم ،
وماحسهم ، ثم ألقوا في الحرة ، يستسقون فاسقوا حتى ماتوا .
وعند البخاري ، قال أبو قلابة : ف هؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم
وحاربوا الله ورسوله .

وعند سليمان التيمي عن أنس قال : لما سمل النبي أعين أولئك ، لأنهم ==

قلنا : في ذلك جَوَابَان : أحدهما : أنه فعل ذلك قِصَاصاً لأنهم قَطَعُوا أَيْدِي الرُّعَاءِ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ ^(١) ، روى ذلك في حديث أنس ، وقيل : إن ذلك قبل تحريم المِثْلَةِ . فإن قيل : فقد تركهم يَسْتَسْقُونَ ، فلا يَسْقَوْنَ ، حتى جَانُوا عَطْشاً ، قلنا عَطَّشَهُمْ لأنهم عَطَّشُوا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تلك الليلة ، روى في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهله تلك الليلة بِلَا بِن ، قال : اللَّهُمَّ عَطِّشْ مَنْ عَطَّشَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكَ . وقع هذا في شرح ابن بَطَّال ، وقد خَرَّجَهُ النَّسَوِيُّ .

الصلوة على الشهداء :

وروى ابن إسحاق عن لا يُتَمِّمُ عَنْ مِقْسَمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى عَلَى خَمْزَةٍ ، وعلى شهداء يوم أُحُدٍ ، ولم يأخذ بهذا الحديث

== سملوا أعين الرعاة ، رواه مسلم والنسائي والترمذي
اسم توخروا المدينة : كرهوا المقام فيها .

الذود : قيل ما بين الثنتين إلى التسع من الإبل ، وقيل : ما بين الثلاث إلى العشر . والحرة : أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة .
وقد وفي الإمام الشوكاني الموضوع حقه في نيل الأوطار فانظره تحت باب الحاربين وقطاع الطريق .

(١) صرح ببعض هذا في حديث مسلم والنسائي والترمذي . والذي يعرف خلق النبي - ص - ، ويتدبر وصف الله له بأنه على خلق عظيم ، وأنه ليس فظاً ولا غليظ القلب ، وأنه محمد وأحمد يوقن - ولا ريب - بأن ما فعله بهؤلاء إنما كان قصاصاً لامة طيبة أذلة على المؤمنين من قوم غلاظ الأكباد غلف القلوب فاضطرم نفوسهم غلا وحقداً وجحوداً .

فقهاء المجازي، ولا الأوزاعي لوجهين، أحدهما ضَعْفُ إسنادهِ هذا الحديث،
فلان ابن إسحاق قال: حدثني مَنْ لا أَتَّهِمُ، يعني: الحسن بن عماره - فيما
ذكروا - ولا خلاف في ضَعْفِ الحسن بن عماره عند أهل الحديث، وأكثرهم
لا يَرَوْنَهُ شيئاً، وإن كان الذي قال ابن إسحاق: حدثني مَنْ لا أَتَّهِمُ غير الحسن،
فهو تجهول، والجهل يُؤَيِّقُه.

والوجه الثاني: أنه حديثٌ لم يصحبه العمل، ولا يروى عن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - أنه صلى على شهيد في شيء من مغازبه إلا هذه الرواية
في غزوة أُحُدٍ، وكذلك في مدة الخلفيتين إلا أن يكون الشهيد مُرْتَضًى^(١) من
المركة، وأما ترك غَسْلِهِ، فقد أجموا عليه، وإن اختلفوا في الصلاة إلا رواية
شاذة عند بعض التابعين، والمعنى في ذلك - والله أعلم - تحقيق حياة
الشهداء وتصدق قولُه سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً﴾
الآية مع أن في تركِ غَسْلِهِ معنى آخر، وهو أن دَمَهُ أَرُ عبادَةٍ^(٢)، وهو يحيى

(١) ازدت على البناء للمجهول: حل من المركة ريثما ألى جرحاً وبه رمى.
(٢) عن جابر قال: كان رسول الله - ص - يجمع بين الرجلين من قتل
أحدهما الثوب الواحد، ثم يقول: أيهم أكرم أخذاً للقرآن، فإذا أشير إلى أحدهما
قدمه في القبر، وأمر بدفنه في دماثهم، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم، البخاري
والنسائي وابن ماجه، والترمذي وصححه. وهناك خلاف كبير حول الصلاة
عليهم، وقد رد الشافعي على من قال بالصلاة عليهم بأن الاخبار جاءت كأنها
عيان من وجوه متواترة أن النبي - ص - لم يصل على قتل أحد... قال وما روى
من أنه - ص - صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح، وقد كان
ينبغي لمن عارض بذلك هذه الأحاديث أن يستحى على نفسه. ويقول الإمام=

يوم القيامة وجُرْحُهُ يَنْقُبُ دَمًا، وريحُه رِيحُ الْمِسْكِ، فكيف يُطَهَّرُ منه وهو طَيِّبٌ وأثرُ عِبَادَةٍ، ومن هذا الأصلِ انتزع بعضُ العلماءِ كَرَاهِيَةَ تَجَنُّفِ الوجهِ من ماء الوضوء، وهو قول الزُّهْرِيِّ، قال الزُّهْرِيُّ: وبلغني أنه يوزن، ومن هذا الأصلِ انتزع كَرَاهِيَةُ السَّوَالِكِ بِالْعَشِيِّ لِلصَّائِمِ لثَلَا يذهب خُلُوفُ فَمِهِ، وهو أثرُ عِبَادَةٍ، وجاء فيه ما جاء في دَمِ الشُّهَدَاءِ أَنَّهُ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَيُرَوَّى أَطْيَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِالْفَقْطَيْنِ. جَمِيعًا، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَجَاءَتِ الْكَرَاهِيَةُ لِلْسَّوَالِكِ بِالْعَشِيِّ لِلصَّائِمِ ^(١) عَنْ عَلِيٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، ذَكَرَ ذَلِكَ الدَّارِقُطْنِيُّ.

عبد الله بن محمده المجرع :

وذكر عبد الله بن جحش بن أخت حمزة، وأنه مثل به كأمثل بحمزة، وعبد الله هذا يُعرفُ بالمُجْدَعِ في الله، لأنه جُدِعَ أَفْهٌ وَأَذْنَاهُ يَوْمَتِيذٍ، وكان سعد بن أبي وقاصٍ يحدث أنه لَقِيَهِ يَوْمَ أُحُدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَخَلَا بِهِ، وَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: يَا سَعْدُ هَلُمَّ فَلْتَدْعُ اللَّهَ وَلِيَذْكُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا حَاجَتَهُ فِي دَعَائِهِ، وَلْيُؤْمِنَ الْآخَرُ، قَالَ سَعْدٌ: فَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ أَلْقَى فَارِسًا شَدِيدًا بِأَسْهُ شَدِيدًا حَرَدُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَقْتَلَهُ، وَأَخَذَ سَلْبَهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ آمِينَ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ

== الشوكاني : « فائدة: لم يرد في شيء من الأحاديث أنه « ص »، صلى على شهداء بدر، ولا أنه لم يصل عليهم، وكذلك في شهداء سائر المشاهد النبوية إلا ما ذكرناه في هذا البحث، فليعلم ذلك ». وقد عرض الشوكاني كل ما روى من أحاديث.

عبدُ الله القِبْلَةَ ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال اللهم لَقِّنِي اليومَ فارساً شديداً
بأسه شديداً حَرْدُهُ (١) ، يقتلني ويَجْدَعُ أنفي وأذني ، فإذا لقيتكَ غداً تقول
لي : يا عَبْدِي : فيم جُدِعَ أنفُكَ وأذناكَ ، فأقول : فيكَ يارب ، وفي رسولكَ ،
فتقول لي : صَدَقْتَ ، قل يا سَعْدُ : آمين ، قال فقلت : آمين ، ثم مررت به
آخر النهار قتيلًا مَجْدُوعَ الأنفِ والأذنين ، وأن أذنيه وأنفه معلقان بِخَيْطٍ ،
ولقيتُ أنا قِلاَنًا من المشركين ، فقتلته ، وأخذتُ سَلَبَهُ (٢) ، وذكر الزُّبَيْرُ
أن سَيْفَ عبدِ الله بنِ جَحْشٍ انقطع يومَ أُحُدٍ فأعطاه رسولُ الله - صلى الله
عليه وسلم - عُرْجُونًا ، فعاد في يده سيفًا ، فقاتل به ، فكان يسمى ذلك
السيفُ العُرْجُونُ (٣) ، ولم يزل يُتَوَارَثُ حتى بيع من بَغاءِ (٤) التركي بما تَنَى
دينارًا ، وهذا نحو من حديث عكاشة الذي تقدم إلا أن سَيْفَ عكاشة ،
كان يُسمى العَوْنُ ، وكانت قصة عكاشة يومَ بَدْرٍ ، وكان الذي قتل
عبدَ الله بنَ جَحْشٍ أبو الحَكَمِ بنُ الأَخْطَسِ بنَ شَرِيقٍ (٥) وكان عبدُ الله

(١) حرد الرجل فهو حرد بكسر الراء إذا اغتاظ فتحرش بالذي فاظه ،
وهو به فهو حارد ، والحرد : الغضب والغضب والمنع .

(٢) رَوَاهُ البَغَوِيُّ من طريق إسحاق بن سَعْدٍ وابنِ شاهين بن وجه آخر عن
سعيد بن المسيب . ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

(٣) لم يروه غير الزبير .

(٤) في الإصابة : بغا الكبير دون همزة في آخر بغا . وهو مرأء المعتصم
بالله الخليفة العباسي إبراهيم بن هارون الرشيد .

(٥) اسمه : أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلة
ابن عبد العزى بن غيرة .

حين قُتِلَ ابْنُ بَضْعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَا ذَكَرُوا وَدُفِنَ مَعَ حَمَزَةٍ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ.

حديث عمر وأبي سفيان :

فصل : وما وقع في هذه التزوية من الكلام الذي يُسأل عنه قولُ
أبي سفيان حين قال : اعل^(١) هبل^(٢)، أي زد علواً، ثم قال : أنعمت^(٣)، فقالوا :
معناه الأزلأم^(٤)، وكان استقمت بها حين خرج إلى أحد^(٥)، ونخرج الذي يحب^(٦)
وقوله : فقال : أمر أي عال^(٧) عنها وأقصّر عن لومها ، تقول العرب : اعل^(٨)
عني ، وعال^(٩) عني بمعنى : أي ارتفع عني ، ودعني . ويروى أن الزبير قال

(١) فسرهما ابن هشام بغير هذا فضيضات اعل في السيرة بفتح الهمزة وسكون
العين وكسر اللام فالامر من اعل ، وضيضتها في الروض هكذا بهمة وصل مع
ضم اللام كما ضبطت في اللسان والنهاية لابن الأثير والمواهب للزرقي ص ٤٨
لان الامر من علا كما فسرهما السبيل .

(٢) كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عند إلى سهمين ، فكتب
على أحدهما : نعم ، وعلى الآخر : لا ، ثم يتقدم إلى الغنم ويحبل سهامه ، فإن
خرج سهم نعم ، أقدم ، وإن خرج سهم لا : امتنع ، وكان أبو سفيان لما أراد
الخروج إلى أحد استفتى هبل ، فخرج له سهم الإنعام ، فذاك قوله لعمر أنعمت ،
فقال عنها أي تجاف عنها ، ولا تذكرها بسوء يعني آلمتهم .
و ابن الأثير مادة علا ، وعنه نقل اللسان . . وقد ذكر الحشني :
وقوله : أنعمت — بضم التاء — فعال ، معناه : بالفت ، يقال : أنعم في الشيء
إذا بالغ فيه ، وقوله : أنعمت يخاطب به نفسه . ومن رواه : أنعمت بفتح التاء فانه
يعني به الحرب أو الوقعة . . وقد يجوز أن تكون معدولة من الفعل كما عدلوا
فجار عن الفجرة ، أي بالفت في هذه للفعة ، ويعني بالفعلة : الوقعة ص ٢٣٠ .
وهبل اسم صنم .

لأبي سُفْيَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ : أَيْنَ قَوْلُكَ : أَنْعَمْتُ ، فَعَالَ ؟ قَالَ : قَدْ صَنَعَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَذَهَبَ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ .

وقول عُمرَ لَا سَوَاءَ ، أَيْ لَا نَحْنُ سَوَاءَ ، وَلَا يَحُوزُ دُخُولَ لَاعِلِي اسْمِهِ مُبْتَدَأٌ مَعْرِفَةٌ إِلَّا مَعَ التَّكْرَارِ نَحْوَ لَا زَيْدٌ قَائِمٌ ، وَلَا عُمرٌ خَارِجٌ ، وَلَكِنَّهُ جَازٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ فِيهِ إِلَى نَقْيِ الْفَعْلِ ، أَيْ لَا يَسْتَوِي ، كَمَا جَازَ لَا تَوَلَّكَ ، أَيْ : لَا يَتَّبِعُنِي لَكَ ، وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ حَيْثُ تَكَلَّمْنَا عَلَى قَوْلِهِ :

فَشَتَقْنَا سَعْدًا فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ

مَدِيَّةٌ مُخْبِرِيَّةٌ وَأَوَّلُ وَقْفٍ فِي الْإِسْلَامِ :

وَمَا يَلِيقُ ذِكْرُهُ بِهَذِهِ الْفَرَاقَةِ حَدِيثُ مُخْبِرِيٍّ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي النَّضِيرِ ، وَقَوْلُهُ : إِنْ أُصِيبْتُ فَمَالِي لِحَمْدٍ يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ ، فَأُصِيبُ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَعَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ انْصَرَفَ مَالُهُ أَوْ قَافًا ، وَهُوَ أَوَّلُ حُبْسِ حُبْسٍ فِي الْإِسْلَامِ ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ : كَانَتْ سَبْعَ حَوَائِطَ ، وَأَسْمَاوُهَا : الْأَعْرَافُ ، وَالْأَعْوَافُ وَالصَّافِيَةُ وَالِدَّلَالُ وَبُرْقَةُ ، وَحُسْنَى وَمَشْرَبَةُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِنَّمَا تُنْمِيتُ مَشْرَبَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَسْكُنُهَا ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَ مُخْبِرِيٍّ ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ تَكْلُفًا لَهُ ، وَزِيَادَةً قَائِدَةً فِيهِ .

وَذَكَرَ : لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ ، بِفَتْحِ الْفَاءِ جَمْعُ قَفَّارَةٍ ، وَإِنْ قِيلَ ذُو الْفَقَارِ بِالْكَسْرِ ، فَهُوَ جَمْعُ قِفْرَةٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ . وَوَقَعَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنْ

بَرِيحًا هَبَّتْ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَسَمِعُوا قَاتِلًا يَقُولُ :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفِقَارِ وَلَا قَسِيَّ إِلَّا عَلِيٌّ^(١)

في أبيات ذكرها ، وذكر ابن إسحاق أيضًا من غير رواية البكائي قول علي لفاطمة حين غسّلت سيفه من الدم :

أَفَاطِمُ هَاتِي السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ فَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ وَلَا بِلَشِيمٍ

غزوة حمراء الأسد^(٢)

شرح قصيدة معبد الخزاعي :

ذكر شعر مَعْبُدٍ الْخَزَاعِيِّ وفيه :

إِذَا تَغَطَّمَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْأَنْخِيلِ

لفظ مُسْتَعَارٌ مِنَ الْعَطْمَةِ^(٣) ، وهو صوت غَلِيَّانِ الْقِدْرِ .

قوله بالأنخيل جعل الرّدفَ حَرْفَ لَيْنٍ ، والأبيات كلها مُرَدِّفَةُ الرَّوِيِّ

(١) يقول الشيباني في التمييز : يروى في أثرواه عند الحسن بن عرفة من حديث أبي جعفر محمد بن علي الباقر .

(٢) موضع على ثمانية أميال أو عشرة من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة .

(٣) تغطمت : اهتزت وارتجت ، ومنه يقال : بحر غطامط بضم الغين وفتح الطاء إذا علت أمواجه . والجيل : الصنف من الناس ولكنها في السيرة : الخيل .

بِحَرْفِ مَدٍّ وَلِيزِ^(١) ، وهذا هو السَّنادُ الذي يَبَيِّنُهُ في أول الكتاب عند قول ابن إسحاق فسُوِّد بين القبائل ، ونظيره قول [عمرو] بن كلثوم :

أَلَا هُوَ بَصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا

ثم قال :

تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا

وتسمية هذا سِنَادٍ عَرَبِيَّةٌ لاصْنَاعِيَّةٌ ، قال عَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ :

وَقَصِيدَةٌ قَدْ بَتَّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا حَتَّى أَقُومَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا
نَظَرَ الْمُتَقَفِّ فِي كُغُوبِ قَنَانِهِ كَمَا يَقِيمُ مَقَامَهُ مُنَادَاهَا^(٢)

وقوله : لَا تَنَابِلَةَ . التَّنَابِلَةُ : الْقِصَارُ ، وَأَحْدُثُهم : تَنَابِلٌ ، تَفْعَالٌ مِنَ التَّنَبُّلِ ، وَهُوَ صِفَانُ الْخَصِيِّ^(٣) .

(١) الرِّدْفُ : الْآلِفُ وَالْيَاءُ وَالْوَاوُ الَّتِي قَبْلَ الرَّوْيِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَلْحَقٌ فِي التَّزَامِهِ وَتَحْمَلُ مَرَاغَاتِهِ بِالرَّوْيِ ، فَجَرَى مَجْرَى الرِّدْفِ لِلرَّاكِبِ ، أَيْ يَلِيهِ ، لِأَنَّهُ مَلْحَقٌ بِهِ ، مِثْلُ الْآلِفِ فِي كِتَابٍ ، وَالْيَاءِ فِي بَلِيدٍ ، وَالْوَاوُ فِي قَتُولٍ . وَانْظُرِ الْإِسَانُ مَادَّةَ رَدْفٍ .

(٢) سبق هذا وانظر الْإِسَانُ فِي مَادَّةِ سِنْدٍ ، وَالْخِصَائِلُ لِابْنِ جَنِّي

ط ٢ ص ٣٢٣ - ١٥

(٣) تَنَابِلٌ وَتَنَابِلٌ وَتَنَابِلَةٌ بِفَتْحِ التَّاءِ وَكَسْرِهَا ، وَفَتْحِ الْبَاءِ : الرَّجُلُ الْقَصِيرُ ، وَهُوَ رِبَاعِيٌّ عَلَى مَذْهَبِ سَيُودِيَّةٍ وَعِنْدَ ثَعْلَبٍ ثَلَاثِيٌّ . وَحُكْمُ بَرِّيَّةِ التَّاءِ ، وَبِشْتَقَ مِنْ النَّبْلِ كَمَا قَالَ السَّهْلِيُّ ، وَذَكَرَهُ الْأَزْهَرِيُّ فِي الثَّلَاثِيَّ ، وَجَمْعُهُ أَيْضًا : التَّنَابِيلُ .

(٤ م — الرُّوضُ الْآفُ ج ٦)

أبو عزة النهمي :

وذكر أبا عزة (١) ، وكان الذي أسره عُثَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، كذا ذكر بعضهم ، وأحسبه عبد الله بن عُثَيْرٍ أَحَدُ بَنِي خُدَّارَةَ ، أو عبد الله بن عُثَيْرٍ الخطمي . ومن خبر أبي عزة ما ذكر الزُّبَيْرُ عَنْ ابْنِ جُمْدُبَةَ وَالضَّحَّاكِ بْنِ عُثَانَ . والجُمْدُبَةُ فِي اللُّغَةِ وَاحِدَةُ الْجُمَادِي ، وَهِيَ الثَّنَائِيَّاتُ الَّتِي تَكُونُ فِي اللَّيْلِ . قَالَا : بَرَّصَ أَبُو عَزَّةَ الْجُمَحِيَّ ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تُحَوِّكُهُ وَلَا تُجَالِسُهُ فَقَالَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَذَا ، فَأَخَذَ حَدِيدَةً ، وَدَخَلَ بِمِضْ شِعَابٍ مَكَّةَ فَطَعَنَ بِهَا فِي مَعْدُو ، وَالتَّمَدُّ مَوْضِعُ حَقَبِ الرَّأْيِ مِنَ الدَّابَّةِ ، وَقَالَ ابْنُ جُمْدُبَةَ : فَارَتْ الْحَدِيدَةُ ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ : بَيْنَ الْجِلْدِ وَالصَّمَاتِ فَسَالَ مِنْهُ أَصْفَرُ فَبَرَى ، فَقَالَ :

اللَّهُمَّ رَبَّ وَائِلٍ وَنَهْدٍ وَالتَّهْمَاتِ وَالْجِبَالِ الْجُرُودِ
وَرَبَّ مَنْ يَرَعَى بِأَرْضٍ يَجْدُ أَصْبَحْتُ عَبْدًا لَكَ وَابْنُ عَبْدِ
أَبْرَأْتَنِي مِنْ وَضَحٍ يَجْلِدُ مِنْ بَعْدِ مَا طَعَنْتُ فِي مَعْدَى
موصول مقالة أبي سفيان :

وذكر إرسال أبي سفيان مع الراكب بالوعيد ، وكان الموصول مقالته
للمؤمنين نعيم من مسعود ، قالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، كذلك جاء في التفسير .

(١) في حديثه لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين . وقد ذكر السيوطي عن
هذا أن رواه : البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه .

قول لعبد الله بن أبي

وذكر قول عبد الله بن أبي حين أُخرج من المسجد : لَكُنَّا مَا قُلْتُ
بِحُجْرَةٍ. الْبَيْتُ : الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَالْبِجَارِيُّ : الدَّوَاهِيُّ ، وَفِي وَصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ :
يَاهَادِيَّ الطَّرِيقَ جُرْتُ ، إِنَّمَا هُوَ الْفَجْرُ أَوْ الْبَيْتُ^(١) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : مَعْنَاهُ الدَّاهِيَةُ .
وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي قَتْلِ أَحَدٍ : يَا بَيْتَنِي غُودِرْتُ مَعَ أَصْحَابِ نَحْصِ الْجَبَلِ . نَحْصُ الْجَبَلِ :
أَسْفَلُهُ ، قَالَه صَاحِبُ الْمَعِينِ^(٢) .

(١) ضبط القاموس البحر بالضم ، وابن الأثير بالفتح ، وفي اللسان أنها
بالفتح والضم وهي الداهية والأمر العظيم . ومعنى قول أبي بكر : إن انتظرت
حتى يضيء الفجر أبصرت الطريق ، وإن خبطت الظللاء أفضت بك إلى المكروه ،
ويروى البحر يريد غمرات الدنيا شبهها بالبحر لتحير أهلها فيها .
(٢) في الأصل : نحض بالضاد والتصويب من النهاية واللسان ، والمعنى تمنى
أن يكون استشهد معهم يوم أحد ، أراد باليتنى غودرت شهيداً مع شهداء أحد .
وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة : لما انصرف عنه المشركون خاف أن
يرجعوا ، فقال : من يذهب في أثرهم ، فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم :
أبو بكر والزبير وزاد الطبراني آخرين . وعن هذا يقول الحافظ ابن كثير :
هذا سياق غريب جداً ، فالمشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا إلى
حراء الأسد كل من شهد أحداً ، وكانوا سبعمائة ، قتل منهم سبعون ، وبقي الباقيون .
وقيل إنه لا تخالف بين قول عائشة وأصحاب المغازي لأن معنى قولها فانتدب
منهم سبعون أنهم سبقوا غيرهم ، ثم تلاحق الباقيون . وقد أقام عليه السلام
بحمراء الأسد كما روى الاثنين والثلاثاء والأربعة ، وقال ابن سعد : كان المسلمون
يوقدون تلك الليل إلى خمسة نهار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهب صوت
معسكرهم ونيرانهم في كل وجه . ثم رجع إلى المدينة صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب ، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ، ومُعَاتِبَةٌ من عَاتِبٍ منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتُ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران : ١٢١ .

قال ابن هشام : تبوئ المؤمنون : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكشي : ابن زيد :

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ قَدْ تَبَوَّاتُ مَضْجَعًا
وهذا البيت في أبيات له .

أى سمع بما تقولون ، علم بما تحقون .

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ : أن تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سلمة بن جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس ، وهما الجناحان . يقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ : أى المدافع عنهما ما همتا به من قتلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف وهن أصابهما غير شك

في دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده ، حتى سَلِمَتا من وهنهما وضعفهما ، وَلَحِقَتا بِنَبِيِّهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثني رجل من الأسد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان ما نحب أنألم نهنم بما همما به ، لتولى الله إيانا في ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : ﴿ وَكَلَى اللَّهُ فَلَيتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ : أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتكفل على ، وليستعين بى ، أعنه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به ، وأدفع عنه ، وأقويه على نيته . ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ : أى فاتقوني ، فإنه شكر نعمتى . ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ ﴾ وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ التَّلَايِكَةِ مُزَلِّينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ التَّلَايِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ : أى إن تصبروا للعدوى ، وتطيعوا أمرى ، ويأتوك من وجههم هذا ، أمدكم بخمسة آلاف من اللائكة مسومين .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : مسومين : مُعْلَمِينَ . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : أعلموا على أذنان خيلهم ونواصيها بصوف أبيض ، فأما ابن إسحاق فقال : كانت سيام يوم بدر حماهم بيضا . وقد ذكرت ذلك في حديث

بدر. والسيما : العلامة . وفي كتاب الله عز وجل : (سَيَأْتِيهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ) : أى علامتهم . و (حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ مَبْنُودٍ * مُسَوَّمَةٌ) يقول : مُعَلِّمَةٌ . يُلْقِنَا عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : عَلَيْهَا عَلَامَةٌ ، أَنَّهُ لَيْسَتْ مِنْ حِجَارَةِ الدُّنْيَا ، وَأَنَّهَا مِنْ حِجَارَةِ الْعَذَابِ . قَالَ زُوَيْدُ بْنُ الْعَبَّاسِ :
فَالآنَ تُبَلِّغُنِي الْجَنَادُ السَّهْمَ وَلَا تُجَارِبُنِي إِذَا مَا سَوَّمُوا
وَشَخَّصَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَجْذَمُوا

[أَجْذَمُوا « بِالذَّلَالِ لِلْمُجَمَّةِ » : أَيِ اسْرْعُوا : وَأَجْذَمُوا « بِالذَّلَالِ لِلْمُجَمَّةِ » :
أَقْطَمُوا] .

وهذه الأبيات في أرجوزة له : وَالْمُسَوَّمَةُ (أَيْضًا) الْمَرْعِيَّةُ . وفي كتاب
الله تعالى : (وَالتَّحْلِيلِ الْمُسَوَّمَةِ) و (شَجَرٍ فِيهِ تَسْمِيُونَ) . تقول العرب :
سَوَّمْتُ خَيْلَهُ وَلِبَاسَهُ ، وَأَسَامَهَا : إِذَا رَعَاهَا . قَالَ السَّكَيْتِيُّ بْنُ زَيْدٍ :
رَاعِيًا كَانَ مُسَجِّعًا فَقَقَدْنَا هُ وَفَقَدُ الْمُسِيمِ هُلَكَ السَّوَامُ

قال ابن هشام . مُسَجِّعًا : سَلِسَ السِّيَاسَةَ حَسَنَ (إِلَى الْغَنَمِ) . وهذا
البيت في قصيدة له .

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ أَسْكُمُ ، وَلَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ
إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) : أَيِ مَا تَمَيَّتَ لَكُمْ مَنْ تَمَيَّتَ مِنْ
جُنُودِ مَلَائِكَتِي إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ، وَلَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ، لَمَّا أَعْرَفَ مِنْ
ضَعْفِكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِي ، لِسُلْطَانِي وَقُدْرَتِي ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِزَّ

والحكم إلى ، لا إلى أحد من خلقى . ثم قال : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتِهِمْ فَيَقْطِلُوا خَائِبِينَ ﴾ : أى ليقطع طرفًا من المشركين بقتل ينتقم به منهم ، أو يردم خائبين : أى يؤبرجج من بقى منهم فلا خائبين ، لم يبالوا شيئًا مما كانوا يأملون .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يَكْبِتُهُمْ : يفتهم أشد الفهم ، ويعنهم ما أرادوا . قال نحو الرثمة :

مَا أَنَسَ مِنْ شَجَرٍ لَا أَنَسَ مَوْقِفَنَا فِي حَبْرَةٍ بَيْنَ مَسْرُورٍ وَمَكْبُوتٍ
وَيَكْبِتُهُمْ (أيضاً) : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال لحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ : أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى ، إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم أفيحى ﴿ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ : أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ : أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم .

النهي عن الربا

ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ : أى لا تأكلوا فى الإسلام ، إذ هذا كم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ،

مما لا يمل لكم في دينكم ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ : أى فاطيعوا
الله لعلكم تنجّون مما حذركم الله من عذابه ، وتذكرون ما رغبكم الله فيه
من ثوابه ، ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ : أى التى جعلت داراً
للمن كفروا .

الحض على الطاعة

ثم قال : ﴿ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ معاتباً للذين
عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى
غيره . ثم قال : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أى داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ، وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : أى وذلك هو الإحسان ، وأنا أحب من عمل به ،
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ قَاتِلُوا قَالُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴾ : أى إن أنابوا فاحشة ، أو ظلّموا أنفسهم بمغصية ذكروا الله تهيأ الله
عنها ، وما حرّم عليهم ، فاستغفروها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو .
﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : أى لم يقيموا على مغصيتى كغفل
من أشرك بى فيما غلّوا به فى كفرهم ، وهم يعلمون ما حرّم عليهم من عبادة
غيرى . ﴿ أُولَئِكَ أَجْرَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَنَقَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ : أى نواب الطّيعين .

ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والله حيصص
 لما كان فيهم ، واتخاذ الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم ، وتعزيفاً لهم فيما
 صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قِبَلِكُمْ مَثَلٌ قَدْ بَرَأَ
 فِي الْأَرْضِ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ : أي قد مضت مني
 وقائع نعمة في أهل التكذيب لرُسلي والشرك بي : عاد ونمود وقوم لوط
 وأصحاب مدين ، فرأوا مثلات قد مضت مني فيهم ، وإن هو على مثل ما هم
 عليه من ذلك مني ، فإن أمانيت لهم : أي لئلا يظنوا أن نعمتي انقطعت عن
 عبوديكم وعدوي للدولة التي أدلتهم بها عليكم ، ليتباينكم بذلك ، ليعلمكم
 ما عندكم .

ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : أي
 هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ : أي نور وأدب
 (للمتقين) أي إن أطاعني وعرف أمرى ، ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ : أي
 لا تضعفوا ولا تبتسوا على ما أصابكم ، ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ أي لكم تكون
 العاقبة والظهور ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ : أي إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم
 به عني . ﴿ إِنْ يَسْتَسْخِمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ : أي جراح
 مثلها ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ : أي نُصَرِّفُهَا بَيْنَ النَّاسِ لِلْبَلَاءِ
 وَالتَّحْصِصِ ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 الظَّالِمِينَ ﴾ : أي ليميز بين المؤمنين والنافقين ، وليكرم من أكرم من

أهل الإيمان بالشهادة ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ : أى المنافقين الذين يُظهرون بالسنتهم الطاعة وقلوبهم مُصرة على المُنصية ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى يختبر الدين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم ، وكيف صَدَّهم وَيَقِينَهُمْ ﴿ وَيَمَحَقَّ الْكَافِرِينَ ﴾ : أى يُبْطِل من المنافقين قولهم بالسنتهم مما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كُفْرهم الذى يَسْتَتِرُونَ به .

دعوة الجنة للمجاهدين

ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثواب الكرامة ، ولم اختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمسكاره ، حتى أعلم صِدْقَ ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فى ، ولقد كُنْزْتُ لِمَنْ يَتَمَنَّى الشَّهَادَةَ عَلَى الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ ، بهى الذين اسْتَنْهَضُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلى خُرُوجِهِ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، لما فاتهم من حُضور اليوم الذى كان قَبْلَهُ بَيِّنَةٌ ، ورغبة فى الشهادة التى فائتَهُمْ بها ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ كُنْزْتُ لِمَنْ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴾ يقول : ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ : أى للوت بالثيوف فى أيدي الرجال قد خُلِيَ بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صَدَّهم عنكم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَتَقَابَلْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى لقول الناس : قُتِلَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ، وانهمزأهم

عند ذلك ، وانصرفهم عن عدوهم ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ رجعت عن دينكم كفاراً كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم ، وكتاب الله . وما خلف نبيّه صلى الله عليه وسلم من دينه ممكم وعندهم وقد بين لكم فيما جاءكم به عني أنه ميت ومفارقكم ، ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَمِيْنِهِ ﴾ : أي يرجع عن دينه ﴿ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا ﴾ : أي ليس ينقص ذلك عزّ الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته ، ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أي من أطاعه وعمل بأمره .

ذكرهم أن الموت يأذن الله

ثم قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ : أي أن لحمد صلى الله عليه وسلم أجل هو بالله ، فإذا أذن الله عز وجل في ذلك كان . ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ : أي من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رغبة في الآخرة ، نُؤْتِهِ مِنْهَا ما قسم له من رزق ، ولا يعطوه فيها ، وليس له في الآخرة من حظ ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ ما وعده ، مع ما يجزي عليه من رزقه في دُنْيَاهُ ، وذلك جزاء الشَّاكِرِينَ ، أي المتقين .

ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء

ثم قال : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ : أي وكأين من نبي أصابه القتل ، ومعه ربيون كثير ، فما جماعه ، فما وهنوا

لَقَدْ نَبَّيْهُمْ ، وماضِعُوا عَنْ هُدُومِ ؛ وما اسْتَكَانُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي الْجِهَادِ
عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ دِينِهِمْ ، وَذَلِكَ الصَّبْرُ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿ وَمَا كَانَ
قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَثَبَّتْ
أَقْدَامَنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : واحد : الرُّبِّيْن : رَبِّي ؛ وقولهم : الرباب ، لولد عبد مناف
ابن أَد بن طابخة بن إلياس ، ولضبة ، لأنهم تَجَمَّعُوا وَتَحَالَفُوا ، من هذا ، يريدون
الجماعات . وواحدة الرباب : رِبَّة (وربابة) وهي جماعات قِداح أو عَمَى
ونحوها ، فشبَّهوها بها . قال أبو ذؤيب الهذلي :

وَكَانَهُنَّ رِبَابَةً وَكَانَهُ بَسْرٌ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ

وهذا البيت في أبيات له . وقال أمية بن أبي الصلت :

حَوَّلَ شَيَاطِينُهُمْ أَبَايِلُ رِبِّيُّونَ شَدُّوا سَنَوْرًا مَدْسُورًا

وهذا البيت في قصيدة له :

قال ابن هشام : والربابة (أيضاً) الخِرقة التي تُتَلَفُ فِيهَا الْقِدَاحُ .

قال ابن هشام : والسَّنُور : الدروع . والدُّسُر : هي السامير التي في

الحِلقَى ، يقول الله عز وجل ﴿ وَتَحْمِلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ .

قال الشاعر ، وهو أبو الأخرز الحِمَّاني ، من تميم :

.

دَسْرًا بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمَقُومِ

قال ابن إسحاق : أى ققولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب
منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ،
ولا تتردوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يُثَبَّتَ أقدامكم ،
واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم
قد كان ؛ وَقَدْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فأتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور
على عدوهم ، وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها ، والله يحب المحسنين .

تحذيره إياهم من إطاعة الكفار

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا يُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
فَتَقْتُلُوهَا خَائِرِينَ ﴾ : أى عن عدوكم ، فتذهب دُنْيَاكُمْ وآخرتكم ﴿ بَلِ
اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ ، فإن كان ما تقولون بالسنتكم صدقا
في قلوبكم فاعتصموا به ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم
مرتدين عن دينه . ﴿ سَتَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ ﴾ : أى الذى به
كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بى مالم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا
أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمت بى ، واتبعتم أمرى ، للمصيبة
التي أصابتكم منهم بذنوب قدَّمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمصيبة ،
وعصيتم بها النبى صلى الله عليه وسلم . ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ
تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ، حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ ، وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ
مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، مِنكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ، وَمِنكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ،

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿ أَى وَقَدْ وَفَيْتَ لَكُمْ بِمَا وَعَدْتُمْ مِنَ النِّعَمِ عَلَىٰ عِدْوَتِكُمْ ،
إِذْ تَحْشَوْنَهُم بِالسُّيُوفِ ، أَى الْقَتْلِ ، يَأْذَى وَتَسْلِيطِ أَيْدِيكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَفَىٰ
أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ .

قال ابن هشام : الحسن : الاستئصال : يقال : حَسَنْتُ الشَّيْءَ : أَى اسْتَأْصَلْتَهُ
بِالسُّيُوفِ وَغَيْرِهِ . قال جرير :

تَحْشَهُمُ السُّيُوفُ كَمَا نَسَاىَ حَرِيقُ النَّارِ فِي الْأَجَمِ الْخَصِيدِ

وهذا البيت في قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :

إِذَا شَكَّوْنَا سَنَةً حَسُوسَا

نَاكِلُ بَعْدَ الْأَخْضَرِ الْيَبِيسَا

وهذان البيتان في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : (حتى إذا فلتتم) : أَى تَخَاضَعْتُمْ (وتنازعتم في الأمر)
أَى اختلفتم في أمرى ، أَى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة .
﴿ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾ : أَى الفتح ، لاشك فيه ، وهزيمة
القوم عن نِصَابِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ : أَى الذين أرادوا
النهب في الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة (وَمِنْكُمْ
مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ : أَى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه
لقرض من الدنيا ، رغبة فيها ، رجاء ما عند الله من حُسن ثوابه فى الآخرة ؛
أَى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لقرض من الدنيا ،
ليختبركم ، وذلك ببيع ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يهلككم

بما أتيتهم من مَعْصِيَةِ نبيكم ، ولكفى عُذْبَ بِفَضْلِ عَلَيْكُمْ ، وكذلك ﴿ مَنْ أَلَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَنْ عَاقِبَ بِيَعُضِ الذُّنُوبِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا أَدْبَاً وَمَوْعِظَةً ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَأْصِلٍ لِكُلِّ مَا فِيهِمْ مِنَ الْحَقِّ لَهُ عَلَيْهِمْ ، بِمَا أَصَابُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، رَحْمَةً لَهُمْ ، وَعَائِدَةً عَلَيْهِمْ ، لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ .

تَأْنِيْبُهُ إِيَّاهُمْ لِقَرَارِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِمْ

نَحْمُ أَنْبِيَاءَهُمْ بِالْقَرَارِ عَنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ يُدْعَوْنَ لَا يَقْعُقُونَ عَلَيْهِ لِدُعَائِهِ إِيَّاهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ إِذَا تَضَعُدُونَ وَلَا تَتْلُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ، فَأَتَابَكُمْ ، غَمًّا بَغَمٍّ ، لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ : أَيْ كَرَبًا بَعْدَ كَرَبٍ ، بِقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، وَعُلُوِّ عَدُوِّكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَبِمَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ : قَتَلَ نَبِيَّكُمْ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَتَابَعُ عَلَيْكُمْ غَمًّا بَغَمٍّ ؛ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ؛ مِنْ ظُهُورِكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُمُوهُ بِأَعْيُنِكُمْ ، وَلَا مَا أَصَابَكُمْ مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِكُمْ ، حَتَّى فَرَجَتْ ذَلِكَ الْكَرْبَ عَنْكُمْ ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . وَكَانَ الَّذِي فَرَجَ اللَّهُ بِهِ عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ وَالْغَمِّ الَّذِي أَصَابَهُمْ ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَدَّ عَنْهُمْ كَذِبَ الشَّيْطَانِ بِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، هَانَ عَلَيْهِمْ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْقَوْمِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَيْهِمْ ، وَالْمُصِيبَةُ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ فِي إِخْوَانِهِمْ ، حِينَ صَرَفَ اللَّهُ الْقَتْلَ عَنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً مُنَاسًا يَفْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ، وَطَائِفَةً قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ،

يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ؛ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا حَاهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ، وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ النَّعَاسَ أُمَةً مِنْهُ عَلَى أَهْلِ الْيَقِينِ بِهِ ، فَهُمْ نِيَامٌ لَا يَخَافُونَ ، وَأَهْلُ النِّفَاقِ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ، خَوْفَ الْقَتْلِ بِوَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ عَاقِبَةَ ، فَذَكَرَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ كَلَامُهُمْ وَخَشَرَتِهِمْ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ . ثُمَّ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ لَمْ تَحْضُرُوا هَذَا الْمَوْطِنَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مِنْكُمْ مَا أَظْهَرَ مِنْ سَرَائِرِكُمْ ﴿ لَبَرَزَ ﴾ لَأَخْرَجَ ﴿ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ إِلَى مَوْطِنٍ غَيْرِهِ يُصْرَعُونَ فِيهِ ، حَتَّى يَبْتَلَى بِهِ مَا فِي صُدُورِهِمْ ﴿ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ : أَيْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِمَّا اسْتَخْفَوْا بِهِ مِنْكُمْ .

تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت في الله

ثُمَّ قَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ، لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ : أَيْ لَا تَكُونُوا كَالنَّافِقِينَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ إِخْوَانَهُمْ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالضَّرْبُ فِي الْأَرْضِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُونَ إِذَا مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا : لَوْ أَطَاعُونَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ لَعَلَّةَ الْيَقِينِ بِهِمْ ، ﴿ وَاللَّهُ

يَحْسَبِي وَيُمَيِّتُ) : أى يُعَجِّلُ ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته . قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَآتِيَنَّكُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ خَيْرٍ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ : أى إن الموت لكائن لا بد منه ، قوت في سبيل الله ، أو قتل ، خير لو علموا وأيقنوا بما يجمعون من الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد ، تخوف الموت . والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة في الآخرة ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ أى ذلك كان ﴿ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ : أى أن إلى الله المرجع ، فلا تفرقنكم الدنيا ، ولا تفتنوا بها ، وليكن الجهاد وما رغبكم الله بغيره من ثوابه أثراً عندكم منها .

ذِكْرُ رَحْمَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ

ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ : أى لتركوك ﴿ فَأَعَتْ عَنْهُمْ ﴾ : أى تجاوز عنهم ﴿ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ ، وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ فذكر النبوة صلى الله عليه وسلم إليه لهم ، وصبره عليهم ، لضعفهم ، وقلة صبرهم على العظيمة لو كانت منه عليهم في كل ما خالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم . ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ فَأَعَتْ عَنْهُمْ ﴾ : أى تجاوز عنهم ، ﴿ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ : أى تتركهم ، من قارف من أهل الإيمان منهم ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ : أى لترتيبهم أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنيا عنهم ، تألأ لهم بذلك على دينهم ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ : أى على أمر جاءك مني وأمر من دينك في جهاد

عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فلمض على ما أمرت به ، ، على خلاف من خالفك ، ومواقفة من وافقك ، ﴿ وتوكل على الله ﴾ ، أى ارض به من العباد ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ * إِنَّ بِنَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ : أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفض أمر الناس إلى أمرى ، وعلى الله لا على الناس ، فليتوكل المؤمنون .

ما نزل فى الغلول

ثم قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ، وَمَنْ يَفْعَلْ يَأْتِ بِمَا عَمِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ : أى ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بينه الله به إليهم ، عن رغبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يجزى بكسبه ، غير مظلوم ولا معتدى . عليه ﴿ أَقْمِنِ اتَّبِعِ رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ على ما أحب الناس أو سخطوا ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفن كان على طاعتي ، فتوابه الجنة ورضوان من الله كن باء بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان ﴿ مأواه جهنم وبئس المصير ﴾ أسواء المثلان ! فاعرفوا . ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ لسكر درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

فضل الله على الناس ببعث الرسل

ثم قال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ

أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَرَهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ : أَيْ لَقَدْ مِنْ آيَةٍ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ ، إِذْ بَعَثَ فِيكُمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِهِ فِيمَا أُحْدِثْتُمْ ، وَفِيمَا عَمَلْتُمْ ، فَيَعَلِّمُكُمْ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، لَتَعْرِفُوا الْخَيْرَ فَتَعْمَلُوا بِهِ ، وَالشَّرَّ فَتَتَّقُوهُ ، وَيُخَبِّرَكُمْ بِرِضَاهِ عَنْكُمْ إِذَا أَطَعْتُمُوهُ فَتَسْتَكْثِرُوا مِنْ طَاعَتِهِ وَتَحْتَدُّوا مَا سَخَطَ مِنْكُمْ مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، لَتَتَخَلَّصُوا بِذَلِكَ مِنْ نِقْمَتِهِ ، وَتُذَكِّرُوا بِذَلِكَ ثَوَابَهُ مِنْ جَنَّتِهِ ﴿ وَإِنْ ﴾ كُنْتُمْ ﴿ مِنْ قَبْلُ لَنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ : أَيْ لَنِي عَمِيَاءَ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ ، أَيْ لَا تَعْرِفُونَ حَسَنَةً وَلَا تَسْتَغْفِرُونَ مِنْ سَيِّئَةٍ ، صَمٌّ عَنِ الْخَيْرِ ، بُكْمٌ عَنِ الْحَقِّ ، غَمَى عَنِ الْهُدَى .

ذَكَرَهُ الْمَصِيبَةُ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصِيبَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ ، قَالَ : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ : أَلَنِي هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : أَيْ إِنْ تَكْ قَدْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ فِي إِخْوَانِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قَبْلُ مِنْ عُدُوكُمْ ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ بَيْدَرٌ ، قَتْلًا وَأَسْرًا وَاسْتَيْمَ مَعْصِيَتَكُمْ وَخِلَافَكُمْ هُمَا أَمْرُكُمْ بِهِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْتُمْ أَجَلْتُمْ ذَلِكَ بِأَنْفُسِكُمْ ﴿ إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : أَيْ إِنْ اللَّهَ عَلَى مَا أَرَادَ بِعِبَادِهِ مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ عَذَابٍ قَدِيرٌ ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلِتَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : أَيْ مَا أَصَابَكُمْ حِينَ التَّقِيمِ أَنْتُمْ وَعُدُوكُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ، كَانَ ذَلِكَ حِينَ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بَعْدَ أَنْ جَاءَكُمْ نَصْرِي ، وَصَدَّقْتُمْ وَعْدِي ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ

والمُناققين ، ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقُوا ﴾ منكم : أى ليظهر ما فيهم . ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَاقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْعُوا ﴾ : يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه الذين رَجَعُوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سار إلى عَدُوِّهِ من المُشْرِكِينَ بِأَحَدٍ ، وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لِسِرِّنا معكم ، وَلَدَفَعْنَا عَنْكُمْ ، وَلَكِنَّا لَا نَتَظَنَّ أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ . فأظهر منهم ما كانوا يُخْفُونَ في أنفسهم . يقول الله عز وجل : ﴿ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِ الْبَيْتِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أى يُظْهِرُونَ لَكَ الْإِيمَانَ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ أى ما يُخْفُونَ ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ ﴾ الذين أَصِيبُوا معكم من عَشَائِرِهِمْ وقومهم : ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ، قُلْ فَادْرَبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ : أى أنه لا بد من الموت ، فإن استظمت أن تَدْفَعُوهُ عَنْ أَنْفُسِكُمْ فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نَاقُوا وتركوا الجهاد في سبيل الله ، حُرْصاً عَلَى الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا ، وَفِرَاراً مِنَ الْمَوْتِ .

الترغيب في الجهاد

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يَرْغَبُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجِهَادِ ، وَيَهْوُونَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : أى لَا تَتَظَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا : أى قد أَحْيَيْتَهُمْ ، فهم عِنْدِي يُرْزَقُونَ فِي رَوْحِ الْجَنَّةِ وَفَضْلِهَا ، مُتَسَرِّعِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ عَنْهُ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ

بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أي وُسِّروا بلُحوق من لحقهم من إخوانهم على مأمُورٍ عليه من جهادهم ، لئلا يشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزنَ . يقول الله تعالى : ﴿ يَسْتَنْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لما عاينوا من وفاء المتوَّعون ، وعظيم الثواب .

مصير قتلى أحد

قال ابن إسحاق : وحدثني إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أُصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب ، في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم وما كلبهم ، وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا ينزلوا في الجهاد ، ولا يفتكوا عن الحرب ، فقال الله تعالى : قاتلوا بلفهم عقولهم ، فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات (ولا تحسبن . . .) .

قال ابن إسحاق : وحدثني الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن

هؤلاء الآيات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْهُمْ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أصيب
إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ،
وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله
عز وجل عليهم إطلاعة فيقول : يا عبادي ، ماتستمون فأزيدكم ؟ قال :
فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع
الله عليهم إطلاعة ، فيقول : يا عبادي ، ماتستمون ، فأزيدكم ؟ فيقولون :
ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع عليهم
إطلاعة ، فيقول : يا عبادي ، ماتستمون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق
ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا
في أجسادنا ، ثم ترد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ،
قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ألا أُبشرك يا جابر ؟ قال : قلت : بلى يا نبي الله ؛ قال : إن أباك حيث أصيب بأحد
أحياء الله عز وجل ، ثم قال له : ماتحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟
قال : أي رب ، أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك ، فأقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، مامن مؤمن يُفارق
الدنيا يُحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ،

لأنه يحب أن يرد إلى الدنيا ، فيقاتل في سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى .

تذكر من خرجوا على الرسول إلى حمراء الأسد

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ النَّحْسُ ﴾ أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القدم من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ، قالوا إن أباسفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عز وجل : ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم (إمامكم الشيطان) ، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿ يَخْشَوْنَ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ : أى يرهبكم بأوليائه : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ * وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ : أى المنافقون ﴿ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ * لِنَ الَّذِينَ اخْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَا يَحْزِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نَحْنُ لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ :

أَيُّ الْمُنَافِقِينَ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِقَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ أَيُّ فِيمَا يُرِيدُ أَنْ يُبَلِّغَكُمْ بِهِ ، لَتَحْذَرُوا مَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أَيُّ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَنْتُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

ذَكَرَ مِنْ اسْتَشْهَدَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بَنُ عَبْدِ مَنَافٍ : حَمْزَةُ . ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ قَتَلَهُ وَحْشِي ، غُلَامٌ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ .

مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ

وَمِنْ بَنِي أُمِيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ .

مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ : مُصَافٍ بْنُ عُمَيْرٍ ، قَتَلَهُ ابْنُ قَمَيْثَةَ اللَّيْثِي .

مِنْ بَنِي خُزُومٍ

وَمِنْ بَنِي خُزُومٍ بَنُ بَقِظَةَ : شَمَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ . أَرْبَعَةُ نَفَرٍ .

من الأنصار

ومن الأنصار ، ثم من بني عبد الأشهل : عمرو بن مُعَاذ بن النُعمان ،
والخارث بن أنس بن رافع ، وعُمارة بن زياد بن السَّكَن .

قال ابن هشام : السَّكَن : ابنُ رافع بن امرئ القيس ؛ ويقال : السَّكَن !

قال ابن إسحاق : وسَلَمَة بن ثابت بن وَثْق ، وعمرو بن ثابت بن وَثْق .
رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما نازحا
قتل يومئذ . ورفاعة بن وَثْق . وحُسَيْل بن جابر ، أبو حُذَيْفة وهو اليَمان ،
أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون ، فتصدق حُذَيْفة بدينه على مَنْ أصابه ؛
وصَيْفَى بن قَيْظَى . وحَبَاب بن قَيْظَى . وعَبَّاد بن سَهْل ، والخارث بن أَوْس
ابن مُعَاذ . اثنا عشر رجلا .

من رابع

ومن أهل رابع : إِيَّاس بن أَوْس بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأعمام بن
زَعُوراء بن جُشَم بن عبد الأشهل ؛ وعُبيد بن التَّيْهَان .

قال ابن هشام : ويقال : عَتِيك بن التَّيْهَان .

وحبيب بن يزيد بن تيم . ثلاثة نفر .

من بنى ظفر

ومن بنى ظفر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع . رجل .

من بنى ضبيعة

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث
ابن قيس بن زيد ، وحَنْظَلَةُ بن أبي عامر بن حنيفة بن ثعلبة بن مالك بن أمة ،
هو غسيل الملائكة ، قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثي . رجلان .
قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

من بنى عبيد

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد : أنيس بن قتادة . رجل .
ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حنيفة ، وهو أخو سعد بن
خزيمة لأمه .

قال ابن هشام : أبو حنيفة : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن الثعلبان ، وهو أمير الرماة .
رجلان .

من بنى السلم

ومن بنى السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خزيمة أبو سعد
ابن خزيمة . رجل .

من بني العجلان

ومن حلفائهم من بني العجلان : عبد الله بن سلمة : رجل .

من بني معاوية

ومن بني معاوية بن مالك : سبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن
هيشة . رجل .

من بني النجار

قال ابن هشام : ويقال : سوييق بن الحارث بن حاطب بن هيشة .
قال ابن إسحاق : ومن بني النجار ، ثم من بني سواد بن مالك بن غني :
عمرو بن قيس ، وابنه قيس بن عمرو .
قال ابن هشام : عمرو بن قيس : ابن زيد بن سواد .
قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مخلد . أربعة نفر .

من بني مَبْدُول

ومن بني مَبْدُول : أبو هُبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن قنف بن
حالك بن مَبْدُول ، وعمرو بن مُطَرَف بن علقمة بن عمرو . رجلان .

من بني عمرو

ومن بني عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المنذر . رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

من بني عدي

قال ابن إسحاق : ومن بني عديّ بن النّجّار : أنس بن النّضر بن
ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عديّ بن النّجّار . رجل .
قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عمّ أنس بن مالك : خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

من بني مازن

ومن بني مازن بن النّجّار : قيس بن مخلد ، وكيسان ، عبد لمن . رجلان .

من بني دينار

ومن بني دينار بن النّجّار : سليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو .
رجلان .

من بني الحارث

ومن بني الحارث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن
الربيع بن عمرو بن أبي زهير ، دفنا في قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن
قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب . ثلاثة نفر .

من بني الأبحر

ومن بني الأبحر ، وهم بنو خُدْرة : مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة

ابن عبيد بن الأبحر ، وهو أبو أبي سعيد الخدري .

قال ابن هشام : اسم أبي سعيد الخدري : سنان ، ويقال : سعد .

قال ابن إسحاق : وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبحر ، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر . ثلاثة نفر .

من بني ساعدة

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثقف بن قزوة ابن البدئ . رجلان .

من بني طريف

ومن بني طريف ، رَهْط سعد بن عبادة : عبد الله بن عمرو بن وهب ابن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف ، وصخرة ، حليف لهم من بني جهينة . رجلان .

من بني عوف

ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم ، ثم من بني مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نوفل بن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن

نُضْلَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ ، وَثُمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ قَهْرَ بْنِ غَنَمٍ ،
ابْنُ سَالِمٍ ، وَالْمُجَذَّرُ بْنُ زِيَادٍ ، حَلِيفُ لَهْمٍ مِنْ بَيْتِ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ .
دُفِنَ الثُّمَانُ بْنُ مَالِكٍ ، وَالْمُجَذَّرُ ، وَعُبَادَةُ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ . خَمْسَةُ نَفَرٍ .

مِنْ بَنِي الْحُبْلَى

وَمِنْ بَنِي الْحُبْلَى : رِفَاعَةُ بْنُ عَمْرٍو . رَجُلٌ .

مِنْ بَنِي سَلَمَةَ

وَمِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي حَرَامٍ : عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ .
ابْنُ حَرَامٍ ، وَعَمْرٍو بْنُ الْجُمُوحِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامٍ ، دُفِنَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، وَخِلَادُ بْنُ
عَمْرٍو بْنُ الْجُمُوحِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامٍ ، وَأَبُو أَيْمَنٍ ، مَوْلَى عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ .
أَرْبَعَةُ نَفَرٍ .

مِنْ بَنِي سَوَادٍ

وَمِنْ بَنِي سَوَادٍ : سُلَيْمُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَلِيدَةَ ، وَمَوْلَاهُ عَنَقَرَةُ ،
وَسَهْلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ بْنِ الْقَيْنِ . ثَلَاثَةُ نَفَرٍ .

مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ : زُيَيْقُ بْنُ عَامِرٍ : ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ ، وَعُبَيْدُ بْنُ الْمُعَلَّى
ابْنُ لَوْذَانَ . رَجُلَانِ .

.....

قال ابن هشام : عُبيد بن المَعْلَى ، من بني حبيب .

عدد الشهداء

قال ابن إسحاق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، خمسة وستون رجلاً .

من بني معاوية

قال ابن هشام : ومَن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بني مُعاوية بن مالك : مالك بن مُمَيْلَة ، حليف لهم من مزينة .

من بني خطمة

ومن بني خَطْمَة - واسم خَطْمَة : عبد الله بن جُثَم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عَدِي بن خَرَشَة بن أُمَيَّة بن عامر بن خَطْمَة .

من بني الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بني سَواد بن مالك : مالك بن إِيَّاس .

من بني عمرو

ومن بني عمرو بن مالك بن النُّجَّار : إِيَّاس بن عَدِي .

من بني سالم

ومن بني سالم بن عوف : عمرو بن إِيَّاس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

من بني عبد الدار

قال ابن إسحاق : وقُتل من المشركين يوم أحد من قُريش ، ثم من بني عبد الدار بن قُصي من أصحاب اللواء : طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة : عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله علي بن أبي طالب ، (و) أبو سعيد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علي بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلاس بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . وكلاب بن طلحة ، والحارث بن طلحة ، قتلهما قُزَمان ، حليف لبني ظفر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلاباً عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عبد شراحبيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزَمان ، وصُواب : غلام له حبشي ، قتله قُزَمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : سعد بن أبي وقاص ، ويقال : أبو دُجانة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار
قتله قُزَمان . أحد عشر رجلا .

من بني أسد

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي : عبد الله بن محيد بن زهير بن
الحارث بن أسد . قتله علي بن أبي طالب . رجل .

من بني زهرة

ومن بني زهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن
سوقب الثقفي ، حليف لهم ، قتله علي بن أبي طالب ، وسباع بن عبد العزى -
واسم عبد العزى : عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفضى -
حليف لهم من خزاعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب . رجلان .

من بني مخزوم

ومن بني مخزوم بن يقظة ، هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله قُزَمان ،
والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قُزَمان ، وأبو أمية بن أبي حذيفة
ابن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله
قُزَمان . أربعة نفر .

من بني جمح

ومن بني جمح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن

حُذَافَةُ بْنُ جَمَحَ ، وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبْرًا ،
وَأَبَى بْنُ خَلْفٍ بْنُ وَهَبٍ بْنُ حُذَافَةَ بْنِ جَمَحَ ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِيَدِهِ . رَجُلَانِ .

من بني عامر

وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ : عُبَيْدَةُ بْنُ جَابِرٍ ، وَشَيْبَةُ بْنُ مَالِكٍ ، وَالتَّصَرُّبُ .
قَتَلَهُمَا قُرَيْشُ . رَجُلَانِ .

قال ابن هشام : قَتَلَ عُبَيْدَةَ بْنَ جَابِرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ .

عدد قتلى المشركين

قال ابن إسحاق : فَجَمِيعٌ مِنْ قَتْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ أُحُدٍ
لِلْمُشْرِكِينَ ، اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا .

تفسير ما نزل من القرآن في أحد

بعض من آمن رغم الدعاء عليهم :

قد ذكر ابن إسحاق ما يحتاج إليه قارى السيرة من تفسير ذلك ، وذكر
قوله سبحانه ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية لم يزد على
ما في الكتاب منه . وفي تفسير الترمذى حديث مرفوع أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
كان يدعو على أبي سفيان والحارث بن هشام وعمر بن العاص ،
حتى أنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ قال :

فَقَابُوا وَأَسْلَمُوا ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ ، وَهَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ فِي حَسَنِ إِسْلَامِ
أَبِي سَفْيَانَ خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فَلَا خِلَافَ
فِي حُسْنِ إِسْلَامِهِ ، وَفِي مَوْتِهِ شَهِيدًا بِالشَّامِ ، وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَقَدْ قَالَ
فِيهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَسْلَمَ النَّاسُ وَأَمِنَ عَمْرُو ، وَقَالَ فِي حَدِيثٍ جَرَى :
مَا كَانَتْ هِجْرَتِي لِلدَّالِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَبِيًّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ ، فَنَسِيَ : رَجُلًا صَالِحًا ، وَالْحَدِيثُ
الَّذِي جَرَى : أَنَّهُ كَانَ قَالَ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْنِيكَ ^(١) وَجْهًا يُسَلِّمُكَ اللَّهُ فِيهِ ،
وَبُقْمَتِكَ ، وَأَزْعَبَ لَكَ زَعْبَةً مِنَ الْمَالِ ^(٢) ، وَسَتَانِي نُكْتًا وَعُمُودًا مِنْ
أَخْبَارِ الْحَارِثِ ، وَأَبِي سَفْيَانَ - فِيمَا بَعْدَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

مَعْنَى أَخَذَ :

وَذَكَرَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ وَفِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ لِلشُّهَدَاءِ
وَتَنْبِيْهُ عَلَى حُبِّ اللَّهِ إِيَّاهُمْ حَيْثُ قَالَ (وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) وَلَا يُقَالُ : اتَّخَذْتُ
وَلَا أُتَّخِذُ إِلَّا فِي مُصْطَفَى مَحْبُوبٍ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾
وَقَالَ : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ فَلَا تُتَّخَذُ إِنَّمَا هُوَ اقْتِنَاءٌ وَاجْتِبَاءٌ ^(٣) ،

(١) فِي رَوَايَةٍ : عَلَى جَيْشٍ .

(٢) أَعْطَيْكَ دَفْعَةً مِنَ الْمَالِ . وَفِي الْحَدِيثِ : بَعْدَ هَذَا : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ :
مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ ، بَلْ أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ
حَسَنٍ عَنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ .

(٣) يَقُولُ الرَّائِبِيُّ فِي مَعْنَى الْمَادَّةِ : الْإِخْذُ : حَوْزٌ بِالظَّهْرِ الشَّيْءِ . وَتَحْصِيلُهُ ،
وَذَلِكَ قَارَةٌ بِالتَّائُولِ ، وَتَارَةٌ بِالظَّهْرِ .

وهو اتصال من الأخذ ، فإذا قلت : أَخَذْتُ كَذَا ، فمعناه : أخذته لنفسى ، واختارته لها ، فالتاء الأولى بَدَلٌ من ياء ، وتلك الياء بَدَلٌ من همزة أخذ ، فُقِلَتْ تاء إذ كانت الواو تنقلب تاء فى مثل هذا البناء ، نحو اتعد وانزر والياء أخت الواو ، فُقِلَتْ فى هذا الموضع تاء ، وكثر استعمالهم لهذه الكلمة ، حتى قالوا : أَخَذْتُ بِحَذْفٍ إِحْدَى الثَّامِنِ اكْتِفَاءً بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ ، ولا يكون هذا الحذف إلا فى الماضى خاصة ، لا يقال تَتَّخِذُ كما يقال تَخِذْ ، لأن المستقبل ليس فيه همزة وصل ، وإنما غروا فى الماضى من فعل الهمزة فى الابتداء ، واستغنوا بحركة التاء عنها ، وكسروا الخاء من تَخِذْتُ لأنه لا مستقبل له مع الحذف ، فحركوا عين الفعل بالحركة التى كانت له فى المستقبل . وكلامنا هذا على اللفظة المشهورة ، وإلا فقد حكي يَتَّخِذُ فى لغة ضعيفة ذكرها أبو عبيدة . وذكرها النحاس فى إعراب القرآن .

أورد على صوته معروفه أبي بكر :

وذكر قوله سبحانه ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم ، فلم يُصِرَّ ذلك دين الله ، ولا أمة نبيه ، وكان أبو بكر يسي : أمير الشاكرين لذلك ، وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته ، لأنه الذى قاتل المرتدين على أعقابهم حين ردَّهم إلى الدين الذى خرجوا منه ، وكان فى قوله سبحانه : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ دليل على أنهم سَيَظْفَرُونَ بِمَنْ ارْتَدَّ ، وتكمل عليهم النعمة ، فيشكرون ، فتحريضه بإيَّام على الشكر .

والشكرُ لا يكون إلا على نعمة - دليلٌ على أن بلاء الرُّدَّة لا يطول ، وأن الظفر بهم سريعٌ ، كما كان .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ قُلِ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ فِيهِ أَيْضًا : التَّصْحِيحُ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ ، لأنه الذي دعا الأعْرَابَ إلى جِهَادٍ حَنِيفَةٍ ، وكانوا أَوْلَى بِأَسِيٍّ شَدِيدٍ ، ولم يُقاتلوا إِجْزِيَّةً ، وإنما قُوتلوا لِيُسَلِّمُوا ، وكان قتالهم بأمر أبي بكر ، وفي سلطانه ، ثم قال : ﴿ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ فأوجب عليهم الطاعة لأبي بكر ، فكان في الآية كالنص على خلافته .

وكذلك قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وكانوا مع الصادقين ﴾ وقد بيَّن في سورة الحُشْرِ مِنَ الصَّادِقُونَ ، وهم المهاجرون بقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ فأمر الذين تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ ، أَيْ : تَبَعًا لَهُمْ ، فحصلت الخلافة في الصادقين بهذه الآية ، فاستحقوها بهذا الاسم ، ولم يكن في الصادقين من سواه الله الصَّديقَ إلا أبو بكر ، فكانت له خاصَّةٌ ، ثم للصادقين بعده .

ريثونه ورفعها في الآية :

وذكر قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ ﴾ ارتفع رِثْيُونٌ على تفسير ابن إسحاقٍ بالابتداء ، والجملة في موضع الحال من الضمير في قُتِلَ ، وهذا أصحُّ التفسيرين ، لأنه قال : فما وَهَنُوا لما أصابهم ، ولو كانوا هم القتولين ما قال فيهم : ما وَهَنُوا لما أصابهم أى : ما ضَعُفُوا ، وقد يُنْجَرَجُ

أَيْضاً قَوْلُ مَنْ قُلَ : رَبِّيُوثُ مَفْعُولٌ لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ يَقْتُلُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ : فَمَا وَهَنُوا أَيْ مَا وَهَنَ الْبَاقُونَ مِنْهُمْ ، لَمَّا أُصِيبُوا بِهِ مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِهِمْ ، وَهَذَا رَجْعٌ ، وَلَكِنْ سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ ^(١) .

وقوله : رَبِّيُوثُ ، وهم الجماعات ^(٢) في قول أهل اللغة ، وقال ابن مسعود : رَبِّيُوثُ الْوَفْ ، وقال أَبَانُ بْنُ تَفْلِبٍ : الرَّبُّ يَجُ : عَشْرَةُ آلَافٍ .

من تفسير آيات أمر :

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنَابِكُمْ غَمًّا بَغْمً ﴾ وعلى : تفسير ابن إسحاق غَمًّا بَعْدَ غَمٍّ الْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحذُوفٍ ، التَّقْدِيرُ : غَمٌّ مَقْرُونٌ بِغَمٍّ ، وعلى تفسير آخر متعلِّقَةٌ : فَأَنَابِكُمْ ، أَيْ : أَنَابَكُمْ غَمًّا بِمَا غَمَّكُمْ نَبِيَّهُ حِينَ خَالَفْتُمْ أَمْرَهُ .

وقوله ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ قال ابن عباس : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ الَّذِي كَانَ أَمِيرًا عَلَى الرُّثَمَاءِ ، وَكَانَ أَمْرُهُمْ أَنْ يَلْزَمُوا مَكَانَهُمْ ، وَأَلَّا يُخَالِفُوا أَمْرَ نَبِيِّهِمْ ، فَثَبَّتَ مَعَهُ طَائِفَةٌ ، فَاسْتَشْهَدُوا ، وَاسْتَشْهَدُوا ، وَهُمْ الَّذِينَ

(١) التَّلَاوَةُ فِي الْمَصْحَفِ : قَاتِلٌ يَفْتَحُ الْقَافَ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ . وَهِيَ قِرَاءَةُ جَمَاعَةٍ مِنْ قِرَاءِ الْحِجَازِ وَالْكُوفَةِ . أَمَّا قَتْلُ بَضْمِ الْقَافِ فَقِرَاءَةُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ . وَرَأَى السَّهْلِيَّ تَلْخِصَ لِرَأْيِ ابْنِ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيَّ فِي تَفْسِيرِهِ . وَقَدْ اخْتَارَ مَا قَالَ عَنْهُ السَّهْلِيُّ إِنَّهُ أَصَحُّ التَّفْسِيرَيْنِ . وَقَالَ : وَأَمَّا الرِّيُّونَ فَانْتَهَمَ مَرْفُوعُونَ يَقُولُهُ : مَعَهُ لَا يَقُولُهُ : قَتَلَ .

(٢) هَذَا رَأْيُ بَعْضِ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ ، وَيَرَى بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ أَنَّ الرِّيِّينَ هُمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الرَّبَّ ، وَيَرَى بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّهُمُ الْعُلَمَاءُ ، أَوْ الْفُقَهَاءُ ، أَوْ الْإِتْبَاعُ ، وَيَرَى ابْنُ زَيْدٍ أَنَّ الرِّيِّينَ هُمُ الْإِتْبَاعُ وَالرَّعِيَّةُ وَأَنَّ الرِّبَانِيَّةَ هُمُ الْوَلَاةُ .

أَرَادُوا الْآخِرَةَ ، وَأَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْمَغْصَمِ ، وَأَخَذَ السَّلَيبَ ، فَكَرَّرَ عَلَيْهِمُ
الْمَلُوكُ ، وَكَانَتْ لِلصَّبِيَّةِ ، وَفِي الْخَبَرِ : لَقَدْ رَأَيْتَ خَدَمَ هِنْدٍ وَصَوَاحِبَهَا ، وَهُنَّ
مُسْتَعْرَبَاتٌ فِي الْحَرْبِ . وَاتَّخَذَ : اتَّخَذَ خِلَافَةً (١) ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ حِينَ ذَكَرَ هِنْدًا ،
وَأَتَاهَا اتَّخَذَتْ مِنْ آذَانِ الشُّهَدَاءِ وَأَنْفَعِيهِمْ خَدَمًا وَقِلَادَةً ، وَأَعْطَتْ خَدَمَهَا
وَقِلَادَتَهَا وَقِرَاطَهَا وَخَشِيئًا ، مَعْنَاهُ : اتَّخَذَ خِلَافَةً .

وَقَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ : ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ فِي صَحِيحِ
التَّحْقِيقِ أَنَّ عَتَّابَ بْنَ قُشَيْرٍ هُوَ قَاتِلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ، وَكَانَ مَقْبُودًا بِالْبَغْيِ .
وَقَوْلُهُ : ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ أَيْ : يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ حَادِلٌ دِينَهُ وَنَبِيِّه .

وَقَوْلُهُ : ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ أَيْ : أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كَأَبِي سَفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ .

وَذَكَرَ قَوْلُهُ : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ وَقَسَرَهُ ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَنَّهُ قَالَ : نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ أَمِيرَ بِمَشَاوَرَتِهِمَا (٢) .

حِكْمُ الْقَوْلِ :

وَذَكَرَ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا كَانَ نَبِيٌّ أَنْ يُظَلَّ ﴾ وَفَسَّرَهُ أَنْ يَكْتُمَ مَا أُنْزِلَ
عَلَيْهِ ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ يَقُولُونَ : نَزَلَتْ فِي الْقَوْلِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَمَارَاتِ
فَقَدَّوْا قَطِيفَةً مِنَ الْمَغْصَمِ (٣) ، فَقَالَ قَائِلٌ : لَعَلَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

- (١) مفردًا : خدمة بفتح الحاء والدال ، وتجمع أيضًا على خدام .
- (٢) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
- (٣) أخرجه ابن أبي جاتم بسنده عن ابن عباس قال : فقدوا قطيفة يوم
يئدر ، فقالوا : لعل رسول الله ص ، أخذها .

أخذها، فأرسل الله الآية، ومن قرأ بضم الياء وفتح الهمزة أن يلتقي غلًا، تقول: أجبنت الرجل إذا ألقيته جبانًا، وكذلك أغلته: إذا وجدته غلًا، وقد قال عمرو بن ممد بكرب بنى سليم: قاتلناكم، قاتلناكم، وسألناكم فما أجبتناكم. وتفسير ابن إسحاق [غيره] (١) خارج عن مقتضى اللغة. فمن كنتم فقد غل، أى: ستر، وكذلك من خان فى شئ، وأخذ خفية، فقد ستره وكنهه، وأصل الكلمة: السُّر والإخفاء، ومنه الغلالة والقمل اللام الذى يقطيه الشجر والنبات، وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - فى بعض المناسبات بإحراق متاع الفلج، وأخذت به طائفة من الفقهاء، منهم أحمد وإسحاق (٢).

== وروى ابن جرير وأبو داود والترمذى أنها تركت فى قطعة حرام فقدت يوم بدر الخ.

وقال الترمذى: حسن غريب... ورواه بعضهم عن خفيف عن مقسم مرسلًا. وروى ابن مردويه أن بعض المنافقين اتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت والغلول هو الخيانة فى المغنم والمروقة من الغنيمة قبل القسمة، وكل من خان فى شئ خفية فقد غل. القراءة بفتح الياء هى قراءة المصحف، وهى قراءة ابن عباس وأبى عبد الرحمن السلمي وجماعة من قراء الحجاز والعراق. والقراءة بضم الياء وفتح الهمزة عظم قراء أهل المدينة والكوفة. (١) سياق الكلام يفرضها، وهى محذوفة فى الأصل.

(٢) قال البخارى: قد روى فى غير حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فى الغال، ولم يأمر بحرق متاعه. وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن رجل غل برده، ثم مات فى المعركة فقيل عنه إنه شهيد - كلا، إني رأيت فى النار فى برده غلها أو حياة - من حديث رواه أحمد ومسلم، وجماعة. رجل بشراك كان قد غل يوم خيبر فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، شارك من نار من حديث متفق عليه.

الشهادة والشهداء :

فصل : وذكر قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآيات ، وهؤلاء هم الذين سماهم الله شهداء بقوله : ﴿ وَتَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ وهذا الاسم مأخوذ من الشهادة أو من المشاهدة ، فإن كان من الشهادة فهو شهيد بمعنى مشهود ، أى مشهود عليه ، ومشهود له بالجنة ، أما مشهود عليه ، فلأن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين وقف على قتلى أحد ، قال : هؤلاء الذين أشهد عليهم ، أى : أشهد عليهم بالوفاء ، وقال : عليهم ، ولم يقل : لهم ، لأن للمنى : أحمى - يوم القيامة شهيداً عليهم ، وهى ولاية وقيادة ، فوصلت بحرف على ، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون فعلاً بمعنى فاعل ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ أى : تشهدون عليهم ، وهذا ، وإن كان عاماً فى جميع أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - فالشهيد أولى بهذا الاسم ، إذ هم تبعوا للصدقين والنبيين . قال الله سبحانه : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ فهذان وجهان فى معنى الشهيد ، إذا جعلته مشتقاً من الشهادة ، وإن كان من المشاهدة ، فهو فعيل بمعنى : فاعل أيضاً ، لأنه يشاهد من ملكوت الله ، ويمين من ملائكته مالا يشاهد غيره ، ويكون أيضاً بمعنى مفعول ، وهو من المشاهدين : أى : إن الملائكة تشاهد قبضه ، والمروج بروحه ، ومحو ذلك ، فيكون فعلاً بمعنى مفعول . وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون فعلاً بمعنى مفعول ، ويكون معناه . مشهوداً له بالجنة ، أو يشهد عليه النبي عليه السلام كما قال : هؤلاء أنا شهيد عليهم ، أى : قيم عليهم بالشهادة لهم ، وإذا حشروا تحت لوائه ، فهو والٍ عليهم ، وإن كان .

شَهِيدًا لَهُمْ ، فَمِنْ هَاهُنَا اتَّصَلَ الْفِعْلُ بِمَلَى ، فَتَقَوَّى هَذَا الْوَجْهُ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ ،
وَمِنْ وَجْهِ آخَرٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ ذَكَرَ
الشَّهَدَاءَ قَالَ : وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعٍ ^(١) شَهِيدٌ ، وَلَمْ يَقُلْ شَهِيدَةً ، وَفِي رِوَايَةٍ
أُخْرَى قَالَ : وَالنَّفْسَاءُ شَهِيدٌ يَجْرُهَا جَنِينُهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَلَمْ يَقُلْ :
شَهِيدَةٌ وَقِيلَ إِذَا كَانَ صِفَتَهُ لَمَوْثٌ كَانَ بغيرِ هَاءٍ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، نَحْوُ :
اِسْرَأَ قَتِيلٌ وَجَرِيحٌ ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى فاعِلٍ ، كَانَ بِالْهَاءِ كَمَا وَهَبَ : اِمْرَأَةٌ
عَازِمَةٌ وَرَحِيمَةٌ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ ، فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الشَّهيدَ مَشْهُودٌ لَهُ ، وَمَشْهُودٌ
عَلَيْهِ ، وَهَذَا اسْتِقْرَآءٌ مِنَ الْكَلِمَةِ صَحِيحٌ ، وَاسْتِنْبَاطٌ مِنَ الْحَدِيثِ بِدَيْعٍ ، فَحَقِّقْ
عَلَيْهِ ^(٢) .

(١) أَيْ : تَمُوتُ وَفِي بَطْنِهَا وَلَدٌ . أَوَّالِي تَمُوتُ بَكْرًا ، وَاجْمَعُ بِالضَّمِّ بِمَعْنَى
الْمَجْمُوعِ كَالْفَخْرِ بِمَعْنَى الْمَذْخُورِ ، وَكَسَرَ الْكَسَائِي الْجَمِيعِ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُا مَاتَتْ مَعَ
شَيْءٍ مَجْمُوعٍ فِيهَا غَيْرٍ مُنْفَصِلٍ عَنْهَا مِنْ حَمَلٍ أَوْ بَكَارَةٍ .

(٢) هَذَا الشَّهَدَاءُ جَمْعُ شَهِيدٍ ، وَبَيْنَ الرَّازِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالشَّهِيدِ
هُنَا مَنْ قَتَلَهُ الْكُفَّارُ فِي الْحَرْبِ ، لِأَنَّ الشَّهَادَةَ مَرْتَبَةٌ عَالِيَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الدِّينِ وَكَوْنُ
الْإِنْسَانِ مَقْتُولَ الْكَافِرِ لَيْسَ فِيهِ زِيَادَةٌ تُشْرَفُ ، لِأَنَّ هَذَا الْقَتْلَ قَدْ يَحْصُلُ فِي الْفَسَاقِ ،
وَمَنْ لَا مَنَزَلَةَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُمُ
الشَّهَادَةَ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَسْلُطَ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ يَقْتُلُونَهُمْ ، وَلِأَنَّهُ وَرَدَ
إِطْلَاقُ لَفْظِ الشَّهِيدِ عَلَى الْمَبْطُونِ وَالْمَطْمُونِ وَالْفَرِيقِ ، قَالَ : أَيْ الرَّازِي : فَعَلْنَا
أَنَّ الشَّهَادَةَ لَيْسَتْ عِبَارَةً عَنِ الْقَتْلِ ، بَلْ نَقُولُ : الشَّهِيدُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ ،
وَهُوَ الَّذِي يَشْهَدُ بِصُحَّةِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى تَارَةً بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ ، وَأُخْرَى بِالسَّيْفِ
وَالسَّانِ ، فَالْشَّهَدَاءُ هُمُ الْقَائِمُونَ بِالْقِسْطِ ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ :
(يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلَأَ سَمَاءَهُ بِمَا أَحْيَا وَأَمَاتَ وَهُوَ الْقَاسِمُ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحُكْمُ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) آل عمران : ١٨ =

وذكر ابنُ إسحاق حديثَ ابنِ عباس المرفوعَ ، وفيه أن الله جعل أرواحهم في أجواف طائر خضر ، وعن قتادة قال : ذكر لنا أن أرواح الشهداء تنحرف عند السُّدرة في أجواف طائرٍ بيض ، وقد أنكر هذه الرواية قوم ، وقالوا : لا يكون رُوحان في جسدٍ واحدٍ ، وإن ذلك مُحالٌ ، وهذا جهنٌّ بلخفاف ، فإن معنى الكلام بَيِّن ، فإن رُوحَ الشهيد الذي كان في جسده في الدنيا ، يُجْعَلُ في جسدٍ آخرَ كأنه صورة طائر ، فيكون في هذا الجسد الآخر ، كما كان في الأوَّل ، إلى أن يُعَيِّده الله يومَ القيامة كما خلقه ، وهذه الرواية لا تُعارض ما روَّوه من قوله : في صور طائر خضر ، والشهداء طائرٌ خضرٌ ، وجميع الروايات كُلُّها متفقة للمعنى ، وإنما الذي يستحيل في العقل قيامَ حيَّاتين بجوهرٍ واحدٍ ، فيَحْيَا الجواهرُ بهما جميعاً ، وأما رُوحان في جسدٍ فليس مُحالٍ إذا لم يُتَدَاخَلِ الأَجْسَامُ ، فهذا الخَبِيرُ في بطنِ أمِّه وروحه

== ويقال للمقتول : شهيد من حيث إنه بذل نفسه في نصرة دين الله وشهادته له بأنه هو الحق ، وما سواه باطل ، وإذا كان من شهداء الله بهذا المعنى ، كان من شهداء الله في الآخرة . كما قال (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ، وليكونوا شهداء على الناس) البقرة : ١٤٣ . وقال الأستاذ الإمام : الشهداء هم الذين أمرنا الله تعالى أن نكون منهم في قوله : (لتكونوا شهداء على الناس) وهم أهل العدل والإنصاف الذين يؤيدون الحق بالشهادة لاهله بأنهم محقون ، ويشهدون على أهل الباطل أنهم مبطلون ، ودرجتهم تلي درجة الصديقين ، والصديقون شهداء وزيادة . وأقول — أي الشيخ رشيد رضا — إن الشهادة التي تقوم بها حجة أهل الحق على أهل الباطل ، تكون بالقول والعمل والاخلاق والأحوال ، قال الشهداء هم حجة الله تعالى على المبطلين في الدنيا والآخرة بحسن سيرتهم . تفسير المنار الآية رقم ٦٩ أو ٧١ من سورة النساء .

غير رُوحِها ، وقد اشتمل عليهما جَسَدٌ واحد ، وهذا أن لو قيل لهم : إن الطائر له رُوحٌ غير رُوح الشهيد ، وهما في جَسَدٍ واحد ، فكيف ، وإنما قال : في أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرَ ، أى : في صورة طَيْرٍ خُضِرَ ، كما تقول : رأيت مَلَكًا في صورة إنسان ، وكذلك قوله عليه السلام : إنما نَسَمَةُ المؤمن طائرٌ يَمْلُقُ في ثَمَرِ الْجَنَّةِ ^(١) تَلَوَّه بعضهم مخصوصاً بالشَّهيد ، وقال بعضهم : إنما الشهيد في الْجَنَّةِ يأكل منها حيث شاء ، ثم بأوِّى إلى فتاويل مُتَعَلِّقَةٍ في التَّعْرِشِ ، وغير الشهيد ، من المؤمنين نَسَمَتُهُ ، أى : رُوحه طائر ، لا أن رُوحه جُعِلَ في جَوْفِ طائر ، لئلا يأكل ويشرب ، كما فُعِلَ بالشَّهيد لكن الروحَ نفسَه طائرٌ يَمْلُقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ ، يَمْلُقُ بفتح اللام يَنْشَبُ بها ، ويرى مُقَدَّمَةً منها ، ومن رَواه : يَمْلُقُ فمعناه يُصِيبُ المُلَقَّة ، أى ينال منها ما هو دون نَيْلِ الشهيد ، فضرب المُلَقَّة مثلاً ، لأن من أصاب المُلَقَّة من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيره ، فَمَنْ أَدْرَكَ الرَّغَدَ ، فهو مَثَلٌ مُضْرُوبٌ يُفْهَمُ منه هذا المعنى . وإن كان أراد يَمْلُقُ ^(٢) الأكلَ نفسَه ، فهو مخصوص بالشَّهيد ، فتكون .

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنِ الشَّافِعِيِّ عَنْ مَالِكٍ .

(٢) العَلَقَةُ بضم العين وسكون اللام : ما يتلخَّص به من الطعام والمركب . وفي اللسان : تَمْلُقُ — بفتح — التاء وضم اللام — من ثَمَرِ الْجَنَّةِ : تناول بأفواهها . وهو تفسير الأصمعي ، وفي النهاية لابن الأثير : تَمْلُقُ بضم اللام أيضاً ، وقال : أى تأكل ، وهو في الأصل للابل إذا أكلت العُضَاء ، فنقل إلى الطير . وما أَعَدَّ الله للشهداء هو من علم الغيب الذي هو لله وحده فلتنحصر في حديثنا عنه الخبر الصادق الذي لا ريب فيه . هذا وفي حديث الشهداء شيء من الاضطراب كما يقول الشيخ رشيد - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في تفسير المنار - ففي رواية مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود =

رواية مَنْ رَوَاهُ بِالْقِسْمِ لِلشَّهَادَةِ ، وَرَوَايَةُ الْفَتْحِ لِمَنْ دُونَهُمْ ، فَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ رَسُولُهُ مِنْ ذَلِكَ .

وقوله ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ يُصَدِّقُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ ^(١) الحديد : ١٩ . وَإِنَّمَا تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ

= أَنَّهَا فِي حَوَاصِلِ طُيُورِ خَضِرٍ تَسْرَحُ مِنْ أَتْهَارِ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَامَتِ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ معلقة تحت العرش ، وَفِي رَوَايَةٍ عَبْدِ الرَّازِقِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ ابْنِ مَالِكٍ : « إِنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَادَةِ فِي صُورِ طُيُورِ خَضِرٍ معلقة فِي قَنَادِيلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مَحْبُوسَةٌ فِي مَكَانٍ تَخَاصُّ ، وَالْأَوَّلُ يُفِيدُ أَنَّهَا مُطَاقَةُ تَسْرَحٍ حَيْثُ تَشَاءُ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَأْوِي إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ ، وَفِي رَوَايَةِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِ السَّنَنِ مَا عَدَا أَبَا دَاوُدَ أَنَّهَا فِي أَجْوَابِ خَضِرٍ تَمْلِفُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الطَّائِفِ وَالْقُبُورِ يَعْرِفُونَ الْكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْإِلَهِيَّةِ . فَيُضَمُّونَ مَكَانَ « أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ » ، « أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ » ، بِغِيَةِ اسْتِهْوَاءِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ الْمَوْتِ بِالِدُعَاءِ وَالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ وَالْحُبِّ وَالتَّوَكُّلِ ، زَائِعِينَ لِمِ أَنْهُمْ يَسْمَعُونَ لَأَنَّهُمْ « أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ » ، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ الدَّقِيقَةُ الدَّامِيَّةُ عِنْدَ اللَّهِ حَيَاةٌ غَيْبِيَّةٌ هُوَ وَحْدَهُ جَلَّ شَأْنُهُ الْعَلِيمُ بِحَقِيقَتِهَا ، إِنَّهَا حَيَاةٌ رُوحِيَّةٌ لَا جَسَدِيَّةٌ ، لِأَنَّ الْأَجْسَادَ أَرَمَتْ وَفَنِيَتْ وَكَمَ مِنْ دَوْدٍ مِنْهَا طَعْمٌ ، وَسُوسَ عَاتٍ ، وَشَجَرَ مِنْهَا نَبْتٌ ، فَأَكَلْنَا ثَمَرَهُ ، وَاصْطَلَيْنَا بَنَارَهُ . فَبِإِذَا جَاءَ يَوْمُ الْفَصْلِ بَعَثَ اللَّهُ كُلَّ أَمْرٍ مِنْ مَرْقَدِهِ ، كَيْفَ ؟ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ؟ بَلَى : إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ . وَلَا بَأْسَ بِي حِينَ يَدْعُبُ الْقَوْلَ بَيْنَ : كَيْفَ ، وَلَمْ - وَهَذَا هُوَ رَأْيِي - إِلَّا بِتَشَقُّقِ الْقَلْبِ بِالْقَلْقِ الْأَسْوَدِ . وَلَنْسَكُ عَنْ الْمَرَاءِ فِي شَأْنِ الْغَيْبِ ، فَالْمَرَاءُ كُفْرٌ .

(١) هُمُ الْقَائِمُونَ بِالشَّهَادَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلَهُمْ ، وَعَلَى الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَمْ لَا يَكُونُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ إِخْبَارًا عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟ ثُمَّ هُوَ يَبَيِّنُ مِنَ التَّنْوِيرِ الَّذِي سَيَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَاقْرَأْ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : =

ليلاً، وتَسْرَحُ نهاراً، فتعلم بذلك الليل من النهار، وبعد دخول الجنة في الآخرة، لا تأوى إلى تلك القناديل - والله أعلم - وإنما ذلك مُدَّةُ البرزخ هذا ما يدل عليه ظاهر الحديث . وقال مجاهد : الشهداء يأكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها، وقد أنكر أبو عمر قول مجاهد، وردّه وأيسر بمنكر عندي . ويشهد له ما وقع في مُسْنَدِ ابن أبي شَيْبَةَ وغيره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : الشهداء يَنْهَرُ أو على نَهَرٍ يقال : له : بارقٌ عند باب الجنة في قِيَابِ خَضِرٍ يَأْتِيهِمْ رِزْقُهُمْ مِنْهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا^(١)، فهذا يبين ما أراد مجاهد، والله أعلم .

وَمَا وَقَعَ الشَّيْءُ أَيْضاً، ولم يذكره ابنُ هِشَامٍ حديثُ رِوَاهِ ابنِ إِسْحَاقَ، قال : حدثني إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فُرُوزَةَ، قال : حدثني بعضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَزْرَعِي - وَرَأَى اللَّهَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : الشهداء ثلاثة، فأدنى الشهداء عند الله منزلة رَجُلٍ

(= يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) الحديد : ١٢ قال الحديث عن القيامة والجزاء فيها .

(١) لفظ أحمد والطبراني والحاكم كلهم عن ابن عباس ، الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا . وهذا يتبين أن بعض الروايات تدل على دخولهم الجنة وبعضها يدل على وقوفهم ببابها عند النهر . ولقد حاول ابن كثير في تفسيره الجمع ، أو المصالحة بين الضدين فقال : كأن الشهداء أقسام . وقد قال الورقاني قولاً طيباً هنا عن كلمة ابن كثير كان : وعبر بـكان ، لأنه على سبيل الاحتمال لا القطع ، لأن حقيقة الحال غيب عنا . وهي كلمة حق .

خرج مسوداً بنفسه ورَحَلَهُ ، لا يريد أن يُقْتَلَ ولا يُقْتَلَ (١) أَنَاهُ سَنَهُمْ غَرْبٌ ،
قَامَا بِهِ ، قَالَ : فَأَوَّلُ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهِ ، يَغْفِرُ اللَّهُ بِهَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ،
ثُمَّ يَهْبِطُ اللَّهُ إِلَيْهِ حَسَدًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَيَجْعَلُ فِيهِ رُوحَهُ ، ثُمَّ يَصْعَدُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ،
فَإُتِمِرَ بِسَمَاءٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَّا شَيْعَتَهُ الْمَلَائِكَةُ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ، فَإِذَا
انْتَهَى بِهِ إِلَيْهِ وَقَعَ سَاجِدًا ، ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِهِ فَيُكْسَى سَتَمِينَ زَوْجًا مِنَ الْإِسْتَبْرَقِ ،
ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَقَائِقِ الثُّنَمَانِ .
وَحَدَّثَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ عَنْ قَوْلِ - رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ كَعْبُ
الْأَخْبَارِ : أَجَلُ كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَقَائِقِ الثُّنَمَانِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اذْهَبُوا بِهِ
إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الشَّهَدَاءِ ، فَاجْلِسُوا مِنْهُمْ ، فَيُؤْتَى بِهِ إِلَيْهِمْ فِي قُبَّةٍ خَضِرَاءَ
فِي رَوْحَةِ خَضِرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ حُوتٌ وَتُوزَنُ مِنَ الْجَنَّةِ كَنَدَابِهِمْ ،
فِيَامَبَانِهِمْ (٢) ، حَتَّى إِذَا كَثُرَ مَحَبَّتُهُمْ مِنْهَا طَمَعُنَ الثُّورُ الْحَوْتَ يَقْرَنَهُ ، فَيَقْرَهُ لَهُمْ
عَمَا يَدْعُونَ ، ثُمَّ يَرْوِجَانِ عَلَيْهِمْ لَمَسَانِهِمْ ، فَيَلْمِبَانِهِمْ ، حَتَّى إِذَا كَثُرَ عَجَبُهُمْ
مِنْهَا ضَرَبَ الْحَوْتَ الثُّورَ بِذَنْبِهِ فَيَقْرَهُ لَهُمْ عَمَا يَدْعُونَ ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى
إِخْوَانِهِ سَأَلُوهُ تَسْأَلُوا (٣) الرَّائِيَةَ يَقْدُمُ عَلَيْهِمْ بِلَادَكُمْ ، فَيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ
فُلَانٌ ؟ فَيَقُولُ : أَفْلَسَ ، فَيَقُولُونَ : فَمَا أَهْلَكَ مَا لَهُ فَوَ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَكَيْسًا
يَجُوعًا تَاجِرًا ، فَيُقَالُ لَهُمْ : إِنَّا لَا نَعْدُ الْفَلَسَ مَا تَعُدُّونَ ، وَإِنَّمَا نَعْدُ الْفَلَسَ مِنَ
الْأَعْمَالِ ، فَمَا فَعَلَ فُلَانٌ وَأَمْرُهُ فُلَانُهُ ؟ فَيَقُولُ : طَلَّقَهَا ، فَيَقُولُونَ : فَمَا الْقَدَى

(١) فِي نَسْخَةٍ: يَرِيدُ أَنْ يُقْتَلَ ، وَلَا يُقْتَلَ (٢) فِي نَسْخَةٍ: فَيَلْمِبَانِهِمْ -

(٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ .

تَرَلَّ بَيْنَهُمَا ، حَتَّى طَلَفَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ بِهَا كَمُجْجَبَا ؟ فَيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ فَلَان ؟
 فَيَقُولُونَ : مَاتَ أَيْهَاتَ قَبْلَ بَرْمَانَ ، فَيَقُولُونَ : هَلَكَ وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا لَهُ بِذَكَرٍ ،
 إِنْ لَمْ يَكُنْ طَرِيقَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : عَلَيْنَا ، وَالْآخَرُ : يَخَالِفُ بِهَا عَنَّا ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ
 خَيْرًا أَمَرَ بِهِ عَلَيْنَا ، فَمَرَرْنَا ، وَعَرَفْنَا مَتَى مَاتَ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ شَرًّا خُولِفَ
 بِهِ عَنَّا ، فَلَمْ نَسْمَعْ لَهُ بِذَكَرٍ ، هَلَكَ وَاللَّهِ فَلَان ، فَإِنْ هَذَا لِأَتَى الشَّهَادَةَ عِنْدَ اللَّهِ
 مِثْلَهُ ، وَإِنْ الْآخَرُ رَجُلٌ خَرَجَ مَسْودًّا بِنَفْسِهِ وَرَحْلِهِ يُحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ ،
 وَلَا يُقْتَلَ ، أَنَاهُ سَتَهُمْ غَرَبَ فَأَصَابَهُ ، فَذَلِكَ رَفِيقُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ يُحْكُ رُكْبَتَاهُ رُكْبَتَيْهِ ، وَأَفْضَلُ الشَّهَادَةِ : رَجُلٌ خَرَجَ مَسْودًّا بِنَفْسِهِ
 وَرَحْلِهِ يُحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ وَأَنْ يُقْتَلَ ، وَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ قَتْعًا فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَاهِرًا سَيْفَهُ ، يَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ ، لَا يَسْأَلُهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ . وَقَعَ
 فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْحَوْتِ وَأَمِيرِهِ مَعَ الشُّورِ وَقَدْ خَرَجَهُ هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ
 بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ فِي كِتَابِ الرِّقَاقِ لَهُ بِأَكْثَرِ مَا وَقَعَ هَاهُنَا ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْهُ
 ذِكْرُ أَكْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كَبِدِ الْحَوْتِ أَوَّلَ مَا يَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يُفَحَّرُ لَهُمْ
 تَتَوَرُّ الْجَنَّةُ ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَابِ التَّفَكُّرِ وَالاعتْبَارِ أَنَّ الْحَوْتِ لَمَّا كَانَ
 عَلَيْهِ قَرَرُ هَذِهِ الْأَرْضِ (١) ، وَهُوَ حَيَوَانٌ سَابِغٌ لَيْسَتْ شَمِيرٌ أَهْلُ هَذِهِ الدَّارِ أَنَّهُمْ
 فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ ، وَلَيْسَ بَدَارٍ قَرَارٍ ، فَإِذَا نُحِرَ لَهُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ،
 مَخَاطِلُهَا مِنْ كَيْدِهِ ، كَانَ فِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ لَهُمْ بِالرَّاحَةِ مِنْ دَارِ الزَّوَالِ ، وَأَنَّهُمْ
 قَدْ صَارُوا إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، كَمَا يُذْبَحُ لَهُمُ السَّكْبَشُ الْأَمْلَحُ عَلَى الصُّرَاطِ ، وَهُوَ

(١) ذَلِكَ كَانَ مَبْلَغُ عِلْمِ عَصْرِهِ عَنِ الْأَرْضِ ، وَلِهَذَا يَجِبُ النَّظَرُ فِيمَا بَنَاهُ عَلَيْهِ .

صورة الموت لِيَسْتَشْعُرُوا أَن لَامُوتَ ، وأما الثورُ فهو آلةُ الحَرْثِ ، وأهلُ الدنيا لا يَخْلُون من أحدِ الحَرْثَيْنِ ، حَرْثُ لَدُنْيَاهُم ، وحَرْثُ لِآخِرَاهُم ، ففي تَجَرُّ الثَّوْرِ لهم هنالك إشعارٌ بِإِراحَتِهِم من السَّكْدَيْنِ وَتَرْفِيهِهِم من نَصَبِ الحَرْثَيْنِ ، فاعْتَبِرْ ، واللهُ السَّمِيعُ .

بِغْفَالِ ابْنِ إِسْحَاقَ نَسَبَ عُبَيْدِ بْنِ التَّيَّهَانِ :

فصل : وذكر ابنُ إِسْحَاقَ فيمن استشهد يومُ أُحُدٍ عُبَيْدُ بْنُ التَّيَّهَانِ . واسمُ التَّيَّهَانِ : مَالِكٌ ، ولم يرفع نَسَبَهُ ، وكذلك قَمَلٌ في هذا النَسَبِ حيث وقع في هذا الكتاب ، وهو نَسَبٌ مُخْتَلَفٌ فيه ، وقد رفعناه عند ذكر أبي الهَيْثَمِ ، وذكرنا اختلافَ فيه هنالك .

وقول كعب بن مالك :

وَلَا يَمِثْلُ أَضْيَافِ الْأَرَائِثِ مَعَشَرَا

بمعنى : أبا الهَيْثَمِ ، فجعله إِرَائِيًّا ، وليست إِرَاشَةٌ من الأنصار ، ونسبه موسى بن عُقْبَةَ في جماعة معه إلى بَيْلٍ ، وقالوا هو حَلِيفُ الْأَنْصَارِ ، وليس من أنفسهم ، وقال ابنُ إِسْحَاقَ والوافدي في المستشهد يوم أُحُدٍ : عُبَيْدُ بْنُ التَّيَّهَانِ ، وقال ابنُ عُقْبَةَ ، وأبو مَعَشَرَ ، وابنُ عِمَارَةَ : هو عَتِيكَ بْنُ التَّيَّهَانِ (١) .

(١) ذكر ذلك ابنُ حَرِيرٍ في الاشتقاق .

أبو حنّة أو حنة :

وذكر فيهم أبا حنّة الأنصاري البذري ، وقال ابن هشام أبو حنّة بن ثابت بالنون ، وكذلك قال الواقدي ، قال : ليس فيمن شهد يوم بدر من اسمه أبو حنّة بالباء ، وكذلك روى موسى بن عقبة عن ابن شهاب : أبو حنّة بالنون شهد بدرًا ، واستشهد يوم أُجَد ، وهو من الأوس ، واسمه ثابت ، وقيل : عمرو بن ثابت ، والاختلاف في اسمه ، وفي كُنْيَتِهِ كثير . وأما أبو حنّة المستشهد يوم البصرة ، فهو أبو حنّة بن غزيرة بالباء المنقوطة بواحد من أسفل ، ولم يخالف في ذلك إلا من لا يؤبه بقوله ، واسمه : زيد بن غزيرة بن عمرو ، وهو من الخزرج ، والأول من الأوس ، وقد قيل في الأول : أبو حنّة (١) بياء معجمة باثنتين ، فالفه أعلم .

وحنّة بالنون : دير حنّة معروف (٢) بالشام ، وحنّة أمّ مريم بنت عمران ، وحنّة بقاء منقوطة بنت يحيى بن أكرم القاضي ، وهي أمّ محمد بن ابن نصر القروزي الفقيه (٣) وحنّة بالجيم لا يعرف إلا أبو حنّة خال ذي الرمة الشاعر ، قاله ابن ماكولا .

(١) هو في السيرة : أبو حنّة بالياء .

(٢) في معجم البكري أنه دير قديم بناه بنو ساطع حتى من تنوخ ، وهو بالحيرة . والحيرة بالعراق . ودير حنّة آخر ، وهو بالأكيراج ، وقد ذكره أبو نواس في شعره . والأكيراج موضع بالحيرة .

(٣) في القاموس أنها أخت يحيى وزوجة محمد بن نصر .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

شعر هيرة

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد ، قول هيرة
ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم - قال ابن هشام :
عائذ بن عمران بن مخزوم :

ما بال هم عيدي بات يطرفني	بالود من هند إذ تعدو عواديها
باتت ثعالبني هند وتعدلني	والحرب قد شملت عني مواليها
مهلًا فلا تعدلني إن من خلقي	ما قد علت وما إن لست أخفيها
مأعب لبي كعب عبا كلفوا	تمال عبي وأثقال أجانيها
وقد حلت سلاحي فوق مشرف	ساطر سبوح إذا تجرى يباريها
كأنه إذ جرى غير بقدره	مكدّم لا حق بالعون تحميها
من آل أعوج برتاح الندى له	كجذع شمراء مستقل مراقيها
أعدّته ورقاق الحدة منتخلا	ومارنا لخطوب قد ألاقها

وذكر فيمن استشهد يوم أحد عبد الله بن سلمة العجلاني، سلمة بنفع
اللام تقيد في الأصل ، وفي الأصول الصّاح من رواية ابن هشام ، وذكره
الدارقطني في باب سلمة بكسر اللام ، وأخبر أنها رواية إبراهيم بن سعد
عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكر أبو عمر أيضا أنها رواية إبراهيم بن سعد ،
والله أعلم .

هذا وبَيْضَاءَ مِثْلِ النَّهْيِ مُجَكَّمَةً نِيَطَتْ عَلَى فَا تَبْدُو مَسَاوِيهَا
سَقَمْنَا كِنَانَةً مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنٍ عُرِضُ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا
قَالَتْ كِنَانَةٌ : أَنَى تَذْهَبُونَ بِنَا ؟ قُلْنَا : النَّخِيلُ ، فَأَثْوَاهَا وَمَنْ فِيهَا
نَحْنُ الْأَمَّارِسُ يَوْمَ الْجَزْءِ مِنْ أَحَدٍ هَابَتْ مَقَدُّ قُلْنَا نَحْنُ ثَنَانِيهَا
هَابُوا ضِرَابًا وَطَمْنَا صَادِقًا خَدِيمًا مِمَّا يَرَرْنَ وَقَدْ ضَمَّتْ قَوَائِمِهَا
ثُمَّتْ رُخْنَا كَأَنَّا عَارِضٌ بَرْدٌ وَقَامَ هَامٌ بَنَى النَّجَّارَ يَسْكُبُهَا
كَأَنَّ هَامَهُمْ عِنْدَ الْوَعْيِ يَلْقَى مِنْ قَيْنِضِ رُبْدٍ نَفَقَتُهُ عَنْ أَدَاخِهَا
أَوْ حَفَظَلْ ذَعْدَعَتَهُ الرِّيحُ فِي مَحْصُنٍ بِالِ تَعَاوَرَهُ عَيْنُهَا سَوَافِهَا
قَدْ نَبَذَلُ الْمَالُ سَعًا لِاحِسَابٍ لَهُ وَنَطْمُنُ الْخَلِيلَ شَرَزَا فِي مَا قَبِهَا
وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرَثِ جَارِهَا يَحْتَمِصُ بِالْقَرَى الثَّغَرِينِ سَدَائِهَا
وَلَيْلَةٌ مِنْ شَجَلَايَ ذَاتِ أَنْدِيَةٍ جَرَبَا مُجَادِبَةٍ قَدْ بَتَّ أَسْرِيهَا
لَا يَجْلِيحُ الشَّكْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنْ الْقَرِيسِ وَلَا تَسْرَى أَفَاعِيهَا
أَوْ قَدَّتْ فِيهَا لَذَى الْقَضَاءِ جَاحَةٍ كَالْبَرْقِ ذَاكِيَّةَ الْأَرْكَانِ أَحْيَا
أَوْ زَنَى ذَاكُمْ عَمَزُوا وَوَالِدُهُ مَنْ قَبْلَهُ كَانَ بِالْمَشْنَى يُفَالِيهَا
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ الْفُجُومِ فَمَا دَنَّتْ عَنِ السَّوَرَةِ الْعُلْيَا مَسَاعِيهَا

شعر حسان في الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت : فقال :

سَقَمْتُ كِنَانَةً جَمَلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ لِمُحَمَّدٍ اللَّهُ مُخْزِيهَا

أَوْزَدْتُمُوها حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا ، وَالنَّعْلُ لَا قِيَهَا
جَمَعْتُمُوها أَهْلِيْشًا بِلاَ حَسَبٍ أُمَّةُ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيَهَا
أَلَا اعْتَبِرْتُمْ بِمَخِيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلْتُمْ أَهْلَ الْقَلْبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا
كَمْ مِنْ أُسِيرٍ فَكَفَنَاهُ بِلاَ مَنٍّ وَجَزَ نَاصِيَةٍ كُنَّا مَوَالِيَهَا

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكتب بن مالك :

قال ابن هشام : ويئت هيرة بن أبي وهب الذي يقول فيه :
وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْقَرْثِ حَارُّهَا يَخْتَمِسُ بِالنَّقَرِ الْمُتَرِينَ دَاعِيَهَا
يروى لجنوب ، أخت عمرو ذي الكتاب الهذلي ، في آيات لها في غير
يوم أحد .

شعر كتب في الرد على هيرة

قال ابن إسحاق : وقال كتب بن مالك نجيب هيرة بن أبي وهب أيضا :

أَلَا هَلْ آتَى غَسَّانَ عَمَلًا وَدُونَهُمْ مِنْ الْأَرْضِ خَرَقَ سَمَرُهُ مَتَمَتْنَعِ
مَحَارِبٍ وَأَعْلَامٍ كَلَّانٍ قَعَامَهَا مِنَ الْبُقْعَةِ نَقَعَ هَامِدُهُ مُتَقَطِعِ
تَنَظَّلُ بِهِ لِلْبُرْزُلِ الْعَرَابِيسُ مَدْرَحًا وَتَحُلُو بِهِ غَيْثُ السَّيْنِ فِيْمَزْعِ
بِهِ جَيْفُهُ انْفَضَّ عَلَى تَلْوَحِ ضَلِيلِيهَا كَمَا لَاحَ كَتَانُ التَّجَارِ الْمَوْضَعِ
بِهِ الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَتَمَشِينَ خِلْفَةً وَيَبْضُ نَعَامُ قَيْضُهُ بِتَقْلَعِ
تَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلًّا فَخَذَمِ مَذَرِيَّةٌ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْعَمِ

وكل صُوتٍ في الصَّوَانِ كَأَنَّمَا إِذَا لَبَسْتَ رَهَيَّ مِنَ الْمَاءِ مُتَرَعٍ
 وَلَكِنْ بَيِّدْ سَائِلُوا مَنْ لَقِيْتُمْ مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ تَفْعُ
 وَإِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا سَوَانًا لَقَدْ أَجَلُوا بَلِيلًا فَاقْشَعُوا
 إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ أَعْدُوا لِمَا يُزْجِي ابْنَ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ
 قَمَتَهُمَا بِهِمُ النَّاسُ مَا يَكِيدُنَا فَفَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
 فَلَوَ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ السَّيْرَةُ قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
 مُجَالِدٍ لَا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَقْطَعُوا
 وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْمَرَضِ قَالَ سَرَاتُنَا عَلَامٌ إِذَا لَمْ تَمْنَعْ الْمَرَضُ تَزْرَعُ؟
 وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ تَنْبِغُ أَمْرُهُ إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلُ لَا تَطْلُعُ
 تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ يُنَزَّلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
 تُشَاوِرُهُ فِيمَا تُرِيدُ وَتَقْرَأُ مَا إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نَطِيعٌ وَنَسْتَعُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَدُوا لَنَا ذَرُّوْا عَنكُمْ هَوْلَ اللَّيَالِ وَأَطْمَعُوا
 وَكُونُوا كَنْ بَشَرِي الْحَيَاةَ تَهْرُبًا إِلَى مَلِكٍ مُجْنِبًا لَدَيْهِ وَبُرْجَعُ
 وَلَكِنْ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
 فَسَرْنَا إِلَيْهِمْ جَهَنَّةَ فِي رِحَالِهِمْ ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا تَنْتَشِعُ
 يَمْلِكُومَةٍ فِيهَا السُّنُورُ وَالْقَنَا إِذَا خَرَبُوا أَقْدَانَهَا لَا تَوَزَّعُ
 فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنِّعُ
 ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيْبُهُ ثَلَاثُ مِثَالَيْنِ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ

تُفَاوِرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
تَهَادَى قَيْسُ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ
وَمَنْجُوقَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ
تَتَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً
بِوَحْيِيلٍ تَرَاهَا بِالْقَضَاءِ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا تَلَا قَيْسًا وَدَارَتْ بِنَا لِلرَّحَى
خَسِرْنَا بِهَا حَقَّ تَرْكِنَا مَرَاتِهِمْ
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَفَقْنَا عَشِيَّةً
وَرَاوَحُوا سِرَاعًا مُوجِفِينَ كَأَنَّهُمْ
بِوَرُحِنَا وَأَخْرَانَا بَطَالًا كَأَنَّنَا
فَقَلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرَبَّمَا
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَامُ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ مَسِيَّةً
سِلَاحًا عَلَى رَبِيبِ الْحَوَادِثِ لَا تَرَى
بَنُو الْحَرْبِ لَا تَقْبِأُ شَيْءًا نَقُولُهُ
بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظَرْنَا فَلَسْنَا بِفُحْشٍ
وَكُنَّا شِهَابًا يَتَّقَى النَّاسُ حَرَّهُ
فَخَرَّتْ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَدْ سَرَى

.....

قَسَلْ عَنْكَ فِي عُلْيَا مَمْدَّةً وَغَيْرَهَا مِنْ النَّاسِ مَنْ أَخْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعَهُ
وَمَنْ هُوَ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ الْحَرْبُ مَفْغَرًا وَمَنْ خَذَهُ يَوْمَ الْكَرْبَةِ أَضْرَعَ
شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالتَّصَرُّ شَدَّةً عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ سُرْعَةً
تَكْرَرُ الْقِتَابُ فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا عَزَالَى مَزَادِ مَاؤُهَا يَنْهَزَعُ
عَمَدُنَا إِلَى أَهْلِ اللَّوَاءِ وَمَنْ يَطْرُقُ بِذِكْرِ اللَّوَاءِ فَهُوَ فِي الْحَدِّ أَشْرَعُ
تَفَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَخَاذَلُوا أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَمَرَهُ وَهُوَ أَصْنَعُ

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مَجَالِدُنَا مِنْ جِذْمِنَا كُلِّ نَفْخَةٍ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيْصْلَحُ أَنْ تَقُولَ : مَجَالِدُنَا مِنْ
دِينِنَا ؟ قال كعب : نعم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهَوَاجِسُنِ ؟
قال كعب : مَجَالِدُنَا مِنْ دِينِنَا .

شعر لابن الزبير

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبير في يوم أحد :

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَنْتُمْ قُلُ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلَ
إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَدَى وَكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبِيلُ
وَالْمَعْطِيَّاتُ خِصَاصٌ بَيْنَهُمْ وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مَثَرٌ وَمُقِيلُ
كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَنُنَ بِكُلِّ

أَبْلَمِنْ حَسَانَ عَنَى آيَةً فَقَرِيضُ الشُّعْرِ يَشْنِي ذَا النُّعْلَةِ
كَمْ تَرَى بِالْجَزِّ مِنْ بُجْعَةٍ وَأَكْفَتْ قَدْ أُثِرَتْ وَرِجِلُ
وَسَرَائِيلَ حِسَانٍ سُرَيْتَ عَنْ كُنَاةٍ أَهْلَكُوا فِي الْمُنَزَّلِ
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ مَاجِدِ الْجَدِّينِ مِقْدَامِ بَطَلِ
صَادِقِ النَّجْدَةِ قَرْمٍ بَارِعٍ غَيْرِ مُلْتَاثٍ لَدَى وَقْعِ الْأَسْلِ
قَتَلَ لِلْمُهْرَاسِ مَنْ سَاكِنُهُ ؟ بَيْنَ أَقْعَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلِ
كَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهْدُوا جَزَعِ الْخَزَرْجِ مَنْ وَقْعِ الْأَسْلِ
حِينَ حَكَّتْ بَقْبَاؤُ بَرَكْهَا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلِ
يُمُّ خَفُوا عِنْدَ ذَاكُمْ رُقَصَا رَقَصَ الْخَفَانُ بِمَلُو فِي الْجَبَلِ
فَقَتَلْنَا الضُّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَذْرِ فَاَعْتَدَلِ
لَا أَلُومَ النَّفْسِ إِلَّا أَنَا لَوْ كَرَرْنَا لَقَتَلْنَا الْمُفْتَعِلِ
بِسُيُوفِ الْمُهَنْدِ تَعْلُو هَامِهِمْ عَمَلًا تَقْلُومُ بِمَدِّ نَهْلِ

رد حسان على ابن الزبيري

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، قال :

ذَهَبَتْ بَابُ الزَّبَيْرِي وَقَمَّةٌ كَانَ مَنَا الْفَضْلُ فِيهَا لِمُوْعَدَلِ
وَلَقَدْ نَلْتُمُ وَنَلْنَا مِنْكُمْ وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا دُؤْلِ
نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ حَيْثُ نَهَوِي عَمَلًا بِمَدِّ نَهْلِ
نُخْرِجُ الْأَصْبَحَ مِنْ أَسْتَافِكُمْ كَسَلَاحِ الثَّيْبِ يَا كُنْ الْقَتْلِ

إِذَا تَوَلَّوْنَ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ هُرُبًا فِي الشُّبَّهِ أَشْيَاءَ الرِّسَالِ
إِذَا شَدَدْنَا شِدَّةً صَادِقَةً فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْعِ الْجَبَلِ
بِمُخَاطِلِ كَأَشْرَافِ الْمَلَا مَنْ يُلَاقُوهُ مِنَ النَّاسِ يَهْلُ
خُنَاقَ عَنَّا الشُّعْبُ إِذَا تَجَزَّعَهُ وَمَلَأْنَا الْفَرْطَ مِنْهُ وَالرَّجَلَ
بِرِجَالِهِ لَسَمِ أَمْنَالَهُمْ أَبَدُوا جَبْرِيلَ تَضَرَّأَ فَنَزَلَ
وَعَلَّوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالثَّقِيِّ طَاعَةَ اللَّهِ وَتَعْدِيكَ الرُّسُلِ
وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمْ وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ بِرِقْلِ
وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثَ الْمَثَلِ
وَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا شَاهِدٌ يَوْمَ بَدْرٍ وَالتَّنَائِيلِ الْهَيْلِ
فِي قُرَيْشٍ مِنْ جُوعٍ جُمُعُوا مِثْلَ مَا يُجْمَعُ فِي الْخِضْبِ الْهَيْلِ
نَحْنُ لَا أَمْنَالَكُمْ وَلَدَ اسْتِهَا تَحْضُرُ النَّاسَ إِذَا الْبَاسُ نَزَلَ

قال ابن هشام : وأشدني أبو زيد الأنصاري : « وأحاديث المثل » والبيت
[الذي قبله . وقوله : « في قريش من جوع جُمُعوا » عن غير ابن إسحاق .

شعر كعب في بكاء حمزة وقتلى أحد

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى
أحد من المسلمين :

نَشَجْتَ وَهَلْ لَكَ مِنْ مَنَشَجٍ وَكُنْتَ مَتَى تَذْكُرُ تَنْجَجُ
تَذْكُرُ قَوْمَ أَتَانِي لَهُمْ أَحَادِيثُ فِي الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ

.....

قَتَلْتِكَ مِنْ ذِكْرِهِمْ خَافَقَ مِنْ الشُّوقِ وَالْحَزَنِ الْمُنْضِجِ
 وَفَتْلَامٍ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ كَرَامُ الدَّخْلِ وَالْمَخْرُجِ
 يَمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللُّوَاءِ لَوَاءِ الرُّسُولِ بَذَى الْأَضْوَجِ
 غَدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا جَمِيعًا بَنُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ
 وَأَشْيَاعُ أَحَدًا إِذْ شَابَعُوا عَلَى الْحَقِّ ذِي النُّورِ وَالْمَنْهَجِ
 فَمَا بَرَحُوا يُضْرِبُونَ لِلْكَأَةِ وَيَنْضُونَ فِي الْقَسْطِ الْمُرْهَجِ
 كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاكَ مَلِكٌ إِلَى جَنَّةِ دَوَاخِ التَّوَلِّجِ
 فَكَلَّمَهُمْ مَاتَ حُرٌّ بِالْإِسْلَامِ عَلَى مِلَّةِ اللَّهِ لَمْ يَخْرُجِ
 تَحَنُّنًا لِمَا وَفَى صَادِقًا بَذَى قَبْلَهُ صَارِمٍ سَلَجِ
 خَلَقَاهُ عَبْدُ بَنِي نُوَافِلٍ مُبِيرٌ كَالْجَمَلِ الْأَدْعَجِ
 فَلَوْجَرَهُ حَرَبَةٌ كَالْشَّهَابِ تَلَبُّ فِي اللَّهَبِ الشَّوْمَجِ
 وَشَمَانُ أَوْفَى عَيْنَاهِ وَحَنَظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُخْنَجِ
 عَنْ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ إِلَى مَنْزِلِ فَخْرِ الزُّبُرِجِ
 أَوْلَتْكَ لَا مَنَ فَوَى مِنْكُمْ مِنْ النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْمُرْتَجِ

شعر ضرار في الرد على كعب

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري، قال:

أَيْخَرُجُ كَعْبٌ لِأَشْيَاعِهِ وَيَبْكِي مِنَ الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
 حَبِيبٌ لِمَذْكُورِي رَأَى إِلَهَهُ تَرَوْحُ فِي صَادِرِ مُخْنَجِ

.....

قَرَّاحَ الرُّوَايَا وَغَادَرَنَّهُ يُعْجِمُ قَسْرًا وَلَمْ يُخْذَجْ
 قَوْلًا لَكَنْبٍ يُثْقَى الْبُكَاءُ وَلَئِنْ مِنْ لَحْمٍ يَنْضَجُ
 لِمَضْرَعِ إِخْوَانِهِ فِي مَكْرَةٍ مِنَ الْخَطِيلِ ذِي قَسَطٍ مُزْهِجِ
 فَيَالَيْتَ عَمْرًا وَأَشْيَعَاءَهُ وَعُتْبَةَ فِي بَجْعِنَا السَّوْجِ
 قَيْشُنُوا الثُّغُورَ بِأَوْقَارِهَا بِقَتْلِ أُصَيْبٍ مِنَ الْخُزْجِ
 وَقَتْلِ مِنَ الْأَوْسِ فِي مَعْرِكٍ أَصَابُوا جَمِيعًا بِذِي الْأَشْوَجِ
 وَمَقَتْلِ حِمْرَةَ تَحْتَ اللَّوَاءِ بِمُعْطَرِدٍ ، مَلُونٍ ، مُطْلَجِ
 وَحَيْثُ لَفْتَى مُصَنَّبٌ ثَاوِيًا بِضَرْبَةِ ذِي هَبَّةٍ سَلْجَجِ
 بِأَحَدٍ وَأَسْيَافُنَا فِيهِمْ قَتْلَبُ كَاللَّيْبِ الْمُوَهَّجِ
 عَدَاةَ لَقِينَاكُمْ فِي الْحَسَدِيدِ كَأَسَدِ الْإِبْرَاجِ فَلَمْ يُقْعَجِ
 بِكُلِّ مَحْلَعَةٍ كَالْمُقَابِ وَأَجْرَدِ ذِي مَيْمَةٍ مُسْرَجِ
 قَدْ سَنَامُ نَمَّ حَتَّى انْتَنَوْا سَوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ مُخْرَجِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لِمِرْصَارٍ . وقول
 كعب : « ذِي النُّورِ وَالنَّهْجِ » عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَلَوِيِّ .

شعر ابن الزبير في يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبير في يوم أحد ، يَبْكِي الْقَتْلَ :
 إِلَّا ذَرَفَتْ مِنْ مُقَلَّتَيْكَ دُمُوعٌ وَقَدْ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشَّابِ قُطُوعُ
 وَشَطَطُ بَيْنِ نَهْوَى الْمَزَارِ وَقَرَّتْ قَوَى الْحَيِّ دَارُ بِالْحَبِيبِ فَجُوعُ

مَوَالِيسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِي حَرَارَةٍ وَإِنْ طَالَ تَذَرَا فُ الدَّمُوعُ رُجُوعُ
 خَذَرُ ذَا وَلَكِنْ هَلْ أُنَى أَمْ مَالِكُ أَحَادِيثُ قَوَى وَالْخَدِيثُ بِشِيعُ
 وَنُجَبْنَا جُرْدًا إِلَى أَهْلِ يَتَرَبِ عَنَّا جِجَ مِنْهَا مُتَلَدٌ وَتَزِيعُ
 عَشِيَّةَ سِرْنَا فِي لِهَامٍ بِمُقُودَنَا ضَرُورُ الْأَعَادِي لِلصَّدِيقِ نَقُوعُ
 نَشْدُ عَلَيْنَا كُلَّ زَغَبٍ كَلْنَهَا غَدِيرُ بَصُوحِ الْوَادِيَيْنِ نَفِيعُ
 فَمَلْنَا رَأُونَا خَاطَمَهُمْ مَهَابَةٌ وَعَلَانَتُهُمْ أَمْرٌ هُنَاكَ فَطِيعُ
 وَوَدُّوا لَوَانِ الْأَرْضِ يَنْشَقُّ ظُهُرُهَا بِهِمْ وَصَيُورُ الْقَوْمِ نَمَّ جَزُوعُ
 مَوْقِدَ عُرْبٍ بِيضٌ كَانَ وَمِيفُضَا حَرِيقُ تَرَقَّى فِي الْآيَاءِ سَرِيعُ
 بِأَيْمَانِنَا نَقَلُوا بِهَا كُلَّ هَامَةٍ وَمِنْهَا سِيَامٌ لِلْعَدُوِّ ذَرِيعُ
 نَقْمَادُونَ قَتَلُوا الْأَوْسَ غَاصِبَةً بِهِمْ ضِبَاعُ وَطِيرٍ يَبْعَثِينَ وَقُوعُ
 وَنَجْمُ بَنِي النَّجَّارِ فِي كُلِّ نَمْلَةٍ بِأَبْدَانِهِمْ بَيْنَ وَقَعِينَ تَجْمِيعُ
 وَلَوْلَا عُلُوُّ الشَّغْبِ خَادِرُونَ أَحَدًا وَلَكِنْ عَلَا وَالسَّمْهَرِيُّ شُرُوعُ
 كَمَا غَادَرَتْ فِي الْكَرِّ حِمْرَةٌ ثَاوِيَا وَفِي صَدْرِهِ مَاخِي الشَّبَابِ وَقِيعُ
 نَزْمَانِ قَدْ خَادِرُونَ تَحْتَ لَوَاهِ عَلَى نَحْمِهِ طَيْرٌ يَحْنُفُنْ وَقُوعُ
 بِمَا أَحْدٍ وَأَرْمَاحُ السَّكَاةِ يَرُدُّنَهُمْ كَمَا غَالِ أَشْطَانُ الدَّلَاءِ تَرْوُوعُ

شعر حسان في الرد على ابن الزبير

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أشأقتك من أم الوليد رُبُوع بلائِقُ مَا مِنْ أَهْلِيْنَ جَمِيعُ

عَفَاهُنَّ صَفِيْفِي الرِّياحِ وَوَا كَيْفُ
 قَلَمٌ يَبْقَى إِلَّا مَوْقِدُ النَّارِ حَوْلَهُ
 فَدَعِ ذِكْرَ دَارٍ بَدَدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا
 وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأَحَدٍ يَمُدُّ
 قَدَّ صَابِرَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلِّهِمْ
 وَحَامِي بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابَرُوا
 أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ
 وَقَوْلًا إِذْ كَفَرْتُمْ بِأَسْحَنِ رَبِّكُمْ
 بِأَيْدِيهِمْ يُبَيِّضُ إِذَا حِشَّ الْوَعْيَى
 كَمَا غَادَرَتْ فِي النَّفْعِ عُتْبَةُ ثَاوِيًا
 وَقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ الْعَنَاجَةِ مُسْتَهْدًا
 يَكْفَى رَسُولُ اللَّهِ حَيْثُ تَنْصَبَتْ
 أَوْلَئِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ قُرُوعِهِمْ
 بَيْنَ نُمْرَةٍ اللَّهِ حَتَّى يُعْزَنَا
 فَلَا تَذْكُرُوا قَتْلِي وَحِمَزَةَ فِيهِمْ
 فَإِنَّ جَنَّاتِ الْخُلْدِ مَثَرَةٌ لَهُ
 وَقَتْلًا كَمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ
 مِنَ الدَّلْوِ رَجَافِ السَّحَابِ هَمُوعٌ
 رَوَاكِدِ أَمْثَالِ الْحِمَامِ كُنُوعٌ
 نَوَى لِمَتِينَاتِ الْحِبَالِ قَطُوعٌ
 سَفِيَهٌ فَلَنْ يَلْحَقَ سَوْفَ يَشِيْعُ
 وَكَانَ لَمْ يَذْكُرْ هُنَاكَ رَفِيْعٌ
 وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي الْإِقَاءِ جَزُوعٌ
 لَمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيْعٌ
 وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ فِي وَمُضِيْعٌ
 فَلَا بُدَّ أَنْ يَرْدَى لِمَنْ صَرِيْعٌ
 وَسَعْدًا صَرِيْعًا وَالْوَشِيْعُ شُرُوعٌ
 أَيْبًا وَقَدْ بَلَ الْقَمِيْعُ تَجِيْعٌ
 عَلَى الْقَوْمِ مِمَّا قَدْ يُثْرِنُ نُفُوعٌ
 وَفِي كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَقُرُوعٌ
 وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ بِأَسْحَنِ قَطِيْعٌ
 قَتِيلٌ نَوَى لِلَّهِ وَهُوَ مُطِيْعٌ
 وَأَمْرُ الَّذِي يَقْبِضُ الْأُمُورَ سَرِيْعٌ
 حَجِيْمٌ مِمَّا فِي جَوْفِهَا وَصَرِيْعٌ

شعر عمرو بن العاص في يوم أحد

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان وابن الزُبَيرِ .
وقوله : « ماضى الشَّباب ، وطير يحفن » عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاصي (في) يوم أحد :

خَرَجْنَا مِنَ النَّفْيِ عَلَيْهِمْ كَانُوا	مَعَ الصَّبِيحِ مِنْ رَضْوَى الْحَبِيكِ الْمُنْطَلِقِ
تَمَتَّتْ بَنُو النَّجَّارِ جَهْلًا لِقَاءَنَا	لَدَى جَنْبِ سُلَيْعٍ وَالْأَمَانِي تَصْدُقِ
فَمَا رَاعَهُمْ بِالْشَّرِّ إِلَّا فُجَاءَةٌ	كَرَّادِبْسٍ خَيْلٍ فِي الْأَرْقَةِ تَمُرُّقِ
أَرَادُوا لَكَيْلًا يَشْدِيحُوا قِبَابَنَا	وَدُونَ الْقِيَابِ الْيَوْمَ ضَرْبَ مُحَرَّقِ
وَكُنْتُ قِبَابًا أُوْمِنْتُ قَبْلَ مَا تَرَى	إِذْ رَامَهَا قَوْمٌ أُيِّحُوا وَأُحْنَقُوا
كَانَ رُمُوسُ الْخُرُوجِيِّينَ غَدَاةً	وَأَيْمَانُهُمْ بِالْمُشْرِقَةِ بَرُوقِ

شعر كعب في الرد على ابن العاصي

فأجابه كعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

أَلَا أُبَلِّغُكُمْ فِتْرًا عَلَى نَأْيِ دَارِهَا	وَعِنْدَهُمْ مِنْ عَلَمِنَا الْيَوْمَ مَصْدَقُ
بِأَنَّا غَدَاةُ السُّنْعِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبِ	صَبَرْنَا وَرَايَاتُ الْمَنِيَّةِ تَحْنُقِ
صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةٌ	إِذَا طَارَتْ الْأَبْرَامُ نَسْمُو وَنَرْتَقِ
عَلَى عَادَةِ نَلْسِكُمْ جَرَيْنَا بِصَبْرِنَا	وَقَدْ مَالَدَى الْغَايَاتِ نَجْرَى فَلَنْسِقِ
لَنَا حَوْمَةٌ لَا تُسْتَطَاعُ بِقُوْدِهَا	نَبِيٌّ آتَى بِالْحَقِّ عَفٌّ مُصَدِّقِ

.....

ألا هل آتى أفناء فخر بن مالك مُنْقَطَعُ اطْرَافٍ وَهَلَمْ مُنْقَلَقُ

شعر ضرار في يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطّاب :

لما وجدك لولا مُقَدِّمِي قَرَسِي إِذْ جالت الخيل بين الجزع والقاع
ما زال منكم يَحْتَسِبُ الجزع من أحدٍ أصواتُ هام تَرَّاقِي أمرُها شاعِي
سوفارس قد أصاب السيف مُفْرِقَه أَفلاقُ هامته كَفَرَوهُ الراعي
لما وجدك لا أنفك مُتَتِطِّعًا بصارِمٍ مثل لَوْنِ الملحِ قَطَّاع
على رِحالَةٍ ولوايح مُنابرة نحو الصَّريخِ إِذا ما تَوَّبَ الدَّاعِي
وما انتَمَيْتُ إِلى خُورٍ ولا كُشِفِ ولا لِثامُ غداة البأسِ أوزاع
بل ضارِبين حَيِّيك البيض إِذ لَحِقُوا شُمُّ التمرانين عندَ المَوْتِ لُدَّاع
شُمُّ بهاليلٍ مسترخٍ حائلهم يَسْعَوْنَ للموت سَعْيًا غيرَ دَعْداع
وقال ضرار بن الخطّاب أيضًا :

لَمَّا أَنتَ مِنْ بَنِي كَعْبٍ مُزَيَّنَةٌ وَالخَزْرَجِيَّةُ فِيها البَيْضُ تَأْتِلِقُ
وجردوا مَشْرِفِيَّاتٍ مُهَنَّدَةٌ وَرَايَةُ كَجَنَاحِ النُّسْرِ تَخْتَلِقُ
قُلْتُ يَوْمَ بَأْيَامٍ وَمَعْرَكَةٍ نُنْسِي لِمَا خَلَقَها ما هَزْهَزَ الورقُ
قد مَوَدُّوا كلَّ يومٍ أَن تَكُونُ لِمِ رِيحُ القَتالِ وَأَسْلابُ الدِّينِ آمَقُوا
خَيْرُ نَفْسِي على ما كانَ مِنْ وَجَلٍ مِنْها وَأَيَقَنْتُ أَنَّ المَجْدَ مُسْتَبَقُ

أَكْرَهْتُ مُهْرِي حَتَّى خَاضَ غَمْرَتَهُمْ وَبَلَّهَ مِنْ تَجَمُّعِ عَائِكَ عَلَقَ
فَقَالَ مُهْرِي وَسِيرَ بَالِي جَسِيدُهَا نَفَخَ الْعُرُوقَ رِشَاشُ الطَّمَنِ وَالْوَرَقِ
أَبْقَنْتُ أَنِّي مُقِيمٌ فِي دِيَارِهِمْ حَتَّى يُفَارِقَ مَا فِي جَوْفِهِ الْخَلْدَقِ
لَا تَجْزَعُوا يَا بَنِي تَخْزُومَ إِنْ لَكُمْ مِثْلَ الْغُفِيرَةِ فِيكُمْ مَا بِهِ زَهَقِ
حَبْرًا هَدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ تَعَاوَرُوا الْأَصْرَابَ حَتَّى يُذِيرَ الشَّقَقِ

شعر عمرو في يوم أحد

وقال عمرو بن العاص:

لَمَّا رَأَيْتُ الطَّرِبَ يَنْزِلُونَ شَرَّهَا بِالرَّضْفِ نَزْرًا
وَقَتْلَاوَتِ شَهْبَلِهِ تَلْعَسُونَ النَّاسَ بِالْأَصْرَامِ نَحْوًا
أَجْنَنْتُ أَنْ أَلْعُونَ حَقًّا وَالْحَيَاةُ تَكُونُ لَقْوًا
تَجْعَلُ أَتَوَاتِي عَلَى حَتْدٍ يَبْدُو لَطِيفُ رَهْوًا
سَلِسٌ إِذَا تُكِبَّنَ فِي السَّبِيذِ يَمْلُؤُ لِلطَّرَفِ عَنُوًا
وَإِذَا تَنَزَّلَ مَاوَهُ مِنْ سَطَطِهِ يَرْدَادُ رَهْوًا
رَبِذٌ كَيْفُفُورُ الْقَرْبِ رَأَاهُ الرَّامُونَ دَخْوًا
شَنَجٌ تَأَهُ ضَاطٌّ لِلخَيْلِ لِزَخَاهُ وَعَدُوًا
فَقَدَى لَهُمْ أُمِّي غَدَا الرُّوْعُ إِذْ يَمْشُونَ قَطْوًا
سَبْرًا إِلَى كَنْشِ الْكَتِيبَةِ إِذْ جَانَتْهُ الشَّمْسُ جَلْوًا

قال ابن هشام : وبعض أهل العالم بالشعر ينكرها لمرو .

شعر كعب في الرد على عمرو بن العاصي

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك ، فقال :

أَبْلَغُ قَوْلِي شَأْنًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَالصَّدْقُ عِنْدَ ذِي الْأَبَابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بَقَّةً لَنَا سَرَاتِكُمْ أَهْلَ الْأَوَاءِ قَفِيًّا يَكْثُرُ الْقِيلُ
وَيَوْمَ بَدِرٍ أَقَيْنَاكُمْ لَنَا مَدَدُ فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِكَالٌ وَجَبْرِيلُ
إِنْ تَقْتُلُونَا قَدْ يَنْ الْحَقُّ فِطْرَتُنَا وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ
وَأِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَهًا فَرَأَى مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ تَضْلِيلُ
فَلَا تَحْمِلُوا إِقْلَاحَ الْحَرْبِ وَاقْتَمِلُوا إِنْ أَخَالَحَ حَرْبُ أَصْدَى اللَّوْنِ مَشْغُولُ
إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تَرَاهُ عُرْجُ الضَّبَاعِ لَهُ خَذَمٌ وَعَايِلُ
إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِيهَا وَنَنْقُجُهَا وَعِنْدَنَا لِلذَّوِي الْأَضْفَانِ تَنْسِكِيلُ
إِنْ يَنْجُ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَمَا بَلَّغَتْ مِنْهُ التَّرَاقِي ، وَأَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولُ
فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حِلْمًا وَمَوْعِظَةً لَمَنْ يَكُونُ لَهُ أُبٌّ وَمَعْقُولُ
وَلَوْ هَبَّطْتُمْ بَطْنُ السَّيْلِ كَأَفْعَكُمْ ضَرْبٌ بِشَاكِلَةِ الْبَطْحَاءِ تَرْجِيلُ
تَلْقَاكُمْ عَصَبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَمْ مِمَّا يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَا سَرَابِيلُ
مَنْ جِذَمَ غَسَّانٌ مُسْتَرْخٍ حَمَلُهُمْ لَا حِيْنَاهُ وَلَا مِيلٌ مَعَارِيلُ
يَمْشُونَ تَحْتَ عِمَابَاتِ الْقِتَالِ كَمَا تَمْشِي الْمَصَاعِبُ الْأَذْمُ الْمَرَايِلُ
أَوْ يَمْشِي أَسُودُ الظَّلِّ النَّقْهَا يَوْمُ رَدَّاذٍ مِنَ الْجُوزَاءِ مَشْمُولُ
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ كَالنَّهْيِ مُحْكَمَةٌ قِيَامُهَا فَلَجٌ كَالسَّيْفِ يُهْدَلُ

تَرَدَّ حَدَّ قِرَامِ النَّبْلِ خَاسِنَةً وَيَرْجِعُ السِّيفُ عَنْهَا وَهُوَ مَقُولُ
 وَلَوْ قَدْ قَتَمَ يَسْلُجٌ عَنْ ظُهُورِكُمْ وَلِلْحَيَاءِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ تَأْخِيلُ
 مَا زَالِ فِي الْقَوْمِ وَثْرٌ مِنْكُمْ أَبَدًا تَقَعُّو السَّلَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَطْلُولُ
 عِنْدَ وَحُرِّ كَرِيمٍ مُوْتِقٍ قَنَصًا شَطَرُ الْمَدِينَةِ مَأْسُورٌ وَمَقْتُولُ
 كَمَا نُوْمَلُ أُخْرَاكُمْ فَأَعْجَلَكُمْ مِنْهَا قَوَارِسُ لَاعُزْلٍ وَلَا مِيلُ
 إِذَا جَوَّ فِيهِمُ الْجَانُ فَقَدْ عَلِمُوا حَقًّا بَأَنَ الَّذِي قَدْ جَرَّ تَحْوِيلُ
 مَا نَحْنُ لِأَنْحَنٍ مِنْ إِيَّاهُمْ مُجَاهِرَةٌ وَلَا مَلُومٌ وَلَا فِي الْقُرْمِ تَحْذُولُ

شعر حسان في أصحاب اللواء

رَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، يَذْكُرُ عِدَّةَ أَصْحَابِ اللَّوَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ :

— قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هَذِهِ أَحْسَنُ مَا قِيلَ —

صَنَعَ النَّسْوَمَ بِالْقَبَاءِ الْهُمُومُ وَخَيَالَ إِذَا تَقَوَّرُ النُّجُومُ
 مِنْ حَبِيبٍ أَضَافَ قَلْبَكَ مِنْهُ سَقَمَ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْفُومُ
 يَا أَقْوَمِي هَلْ يَقْتُلُ لِرَاءِ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْومُ
 لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ اللَّهِ رَ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُؤُومُ
 شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَمْلُو هَا لَجَسِينَ وَلَوْ لَوْ مَنَظُومُ
 لَمْ تَكُنْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بَشَىءَ غَيْرَ أَنَّ الشَّيْبَ لَيْسَ يَدُومُ
 إِنْ خَالَى خَطِيبُ جَانِبِ الْجَوْ لَأَنَّ عِنْدَ الثَّغْمَانِ حِينَ يَقُومُ

وَأَنَا الصَّمْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَأَى يَوْمَ ثَمَانٍ فِي الْكُبُولِ سَقِيمٍ
وَأَبِيُّ وَوَأَقْدُ أَطْلِقًا لِي يَوْمَ رَا حَا وَكَبْلُهُمْ مَخْطُومٍ
وَرَهْنَتُ الْبَيْدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعًا كُلُّ كَفٍّ جُزءٌ لَهَا مَقْسُومٍ
وَسَطَتْ نِسْبَتِي الدَّوَابِّ مِنْهُمْ كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمٍ
وَأَبِي فِي سُمِيحَةِ الْقَاتِلِ الْقَا صِلَ يَوْمَ التَّقَتِ عَلَيْهِ الْخَصُومُ
تَلَكَ أَعْمَالُنَا وَفِعْلُ الزَّبْعَرَى خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومٍ
رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِي وَجْهٌ غَطَا عَلَيْهِ النَّعِيمُ
إِنْ دَهْرًا يَبُورُ فِيهِ دَوُو الْعِلْمِ لَدَهْرٍ هُوَ الْعَتُوُّ الزَّهِيمُ
لَا تُسَبِّحُنِي فَلَنْتَ يَسْبِي إِنْ سَبَى مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ
مَا أَبَالَى أُنْبًى بِالْحَزَنِ تَبَسُّ أَمْ كَلَانِي بَطْنُهُ غَيْبٌ كَثِيمٌ
وَلِيَ الْبِئْسَ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ أَمْرَةً مِنْ بَنِي مُعَقَّى صَمِيمِ
تَسْنَعُ تَحْمِلُ الْآوَاءَ وَطَارَتْ فِي رَعَاةٍ مِنَ الْقَنَاءِ مَخْزُومِ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُبَيِّحُوا جَمِيعًا فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومِ
بَدَمَ عَانِكَ وَكَانَ حِفَاطًا أَنْ يُقِيمُوا إِنْ الْكَرِيمِ كَرِيمِ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُزِيرُوا شَمُوبًا وَالْقَنَاءُ فِي نَحُورِهِمْ مَخْطُومِ
وُقَرِّشَ تَفِيرٌ مِنَّا لِوَإِذَا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَتْ مِنْهَا الْخُومِ
لَمْ تُطْلَقْ تَحْمِلُهُ الْعَوَانِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ الْآوَاءَ الشُّجُومِ

قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة :

منع النوم بالمشاء اليوم

ليلاً، فدعا قومه، فقال لهم: خَشِيتُ أَنْ يُذَرَكُنِي أَجَلِي قَبْلَ أَنْ أَصْبَحَ،
فَلَا تَرَوْهُا عَنِّي .

قال ابن هشام: أنشدني أبو شيبدة لأحجاج بن علاط الشلمي يمدح
أبا الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويذكر قتله طائفة بن أبي طلحة
ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، صاحب لواء المشركين يوم أحد:

للهِ أَيُّ مُذَيِّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ أَغْنَى ابْنَ فَاطِمَةَ الْمُعَمَّمِ الْمُخَوَّلَا
سَبَقَتْ بِدَاكِ لَهُ بِمَا جَلَّ طَائِفَةٍ تَرَكْتُ طَلِيحَةَ اللَّجَيْنِ مُجَدَّلَا
وَشَدَّدَتْ شِدَّةَ بَاسٍ فَكَفَّ عَنْهُمْ بِالْجَرِّ إِذْ يَهْوُونَ أَخُولَ أَخَوَلَا

شعر حستان في قتل يوم أحد

قال ابن إسحاق: وقال الحسن بن ثابت يشكي حمزة بن عبد المطلب ومن
أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد:

يَا أَيُّ كَلْبٍ سَمِيَّ قَاتِلِي بِشُعَيْرَةٍ أَشْجَوْا النَّوَاحِ
كَالْحَامِلَاتِ الْوَقْرَ بَالِ تُقَالِ الْمِلْحَاتِ الدَّوَالِ
الْمُتَوَلَاتِ الْخَامِشَاتِ تِ وَجُوهَ حُرَاتِ الصَّاحِ
وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا أَلَّ أَنْصَابُ تَخَضَّبُ بِالذَّبَاحِ
يَنْفُضْنَ أَشْجَارًا لَهَا هُنَاكَ بَلَدِيَّةُ الْمَسَاحِ

.....

وَكَاثِبًا أَذْنَابُ خَيْلٍ بِالضَّحَى مُتَمَسِّ رَوَامِحِ
 مِنْ بَيْنِ مَشْرُورٍ وَتَجْرُورٍ يُذْعَذَعُ بِالتَّوَارِحِ
 يَبْكِينَ شَجَوًّا مُسْلَبًا تِ كَدَحْتَهُنَّ الْكَوَادِحِ
 وَلَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا تَجَلُّ لَهْ جُلْبٌ قَوَارِحِ
 إِذْ أَهْدَى الْخَيْدَتَانِ مَنْ كَفَا فُرْجَى إِذْ تُشَايِحِ
 أَصْحَابَ أَحْمَدٍ غَالَهُمْ دَهْرٌ أَلَمَ لَهُ حَوَارِحِ
 مَنْ كَانَ فَارِسَنَا وَحَا مِينَا إِذَا بُعِثَ الْمَسَاحِ
 يَا حَمَزُ ، لَا وَاهٍ لَا أَنْبَاكَ بِأَمْرِ الْقَارِحِ
 لِنَاخِ أَيْتَامٍ وَأَضْيَافٍ وَأَزْمَلَةٍ تُلَامِحِ
 وَلَمَّا يَنْوُبُ الدَّهْرُ فِي حَرْبٍ لِحَرْبٍ وَفِي لَاقِحِ
 يَا فَارِسًا يَا مِدْرَهًا يَا حَمَزَ قَدْ كُنْتَ الْمَصَامِحِ
 حَفَا شَمِيدَاتٍ اتَّخَطُوا بَ إِذَا يَنْوُبُ لَهْنُ فَادِحِ
 ذَكَرْتَنِي أَسَدَ الرِّسْوِ لَ ، وَذَلِكَ مِدْرَهَنَا الْفَارِحِ
 عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ عُدَّ الشَّرِيفُونَ الْحَاجِحِ
 بَنُو الْقَائِمِ جَهْرَةً سَبَطَ الْبَدِينِ أَعْرَ وَاضِحِ
 لَا طَائِشٌ رَعِشٌ وَلَا ذَوْرَعْلَةٌ بِالْحِمْلِ آتِحِ
 بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغَيِّبُ جَا رَأَى مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِحِ
 أَوْدَى شَبَابُ أُولَى الْخَفَا نَظَرَ وَالتَّقِيلُونَ الْمَرَاكِحِ

.....

الْمُطْعِمُونَ إِذَا الْمَشَا تِي مَا يُصَفَّقُهُنَّ نَاضِحٌ
 لَحْمَ الْجِلَادِ وَفَوْقَهُ مِنْ شَحْمِهِ شُطْبُ شَرَائِحِ
 لِيَدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ مَارَامَ ذُو الضَّفَنِ الْمُكَاشِحِ
 لَهْنِي لَشُبَّانٍ رُزْنُهَاهُمْ كَانَهُمُ الْمَصَابِيحُ
 شَمٌّ ، بَطَارِقَةٌ ، غَطَا رِقَّةً ، خَضَارِمَةً ، مَسَامِحُ
 الْمُشْتَرُونَ الْخَنَدُ بِالْأَمْوَالِ إِنَّ الْخَنَدَ رَاجِحُ
 وَالْجَارِ زُونَ بُلْجَمِهِمْ يَوْمًا إِذَا مَا صَاح صَانِعِ
 مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَا قِرْمِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحِ
 مَا إِنْ تَزَالُ رِكَابُهُ يَرْمَعْنَ فِي غُيْرِ صَحَاحِ
 رَاجَتْ تَبَارَى وَهُوَ فِي رَكْبِ صُدُورُهُمْ رَوَاشِحِ
 حَتَّى تُثَوِّبَ لَهُ الْعَمَّا لِي لَيْسَ مِنْ قَوَزِ السَّقَانِحِ
 بِأَحْمَزٍ قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالْمُودِ شَذَّ بِهِ الْكَوَافِحِ
 أَنْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ التُّزْبُ الْمُكَوَّرُ وَالصَّفَانِحِ
 مِنْ جَنْدَلٍ تُنْقِيهِ فَوْ قَكَ إِذْ أَجَادَ الضَّرْحُ ضَارِحِ
 فِي وَاسِعٍ يَتَحْشُونَهُ بِالتُّزْبِ سَوْنُهُ الْمَصَابِيحِ
 فَمَزَاوُنَا أَنَا نَقُولُ وَقَوْلُنَا بَرِّحْ بِوَارِحِ
 سَنْ كَانَ أُنْسَى وَهُوَ عَمَّا أَوْقَعَ الْحِدَاثَاتِ جَانِحِ
 فَلْيَأْتِنَا فَلْتَبْنِكِ عَيْنَاهُ لَهْلُكَانَا النَّوَافِحِ

الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالْمَادِحِ

مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى كَيْدِيهِ لَهْ طَوَالَ الدَّهْرِ مَائِح

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان ، وبيته :

« اللطعمون إذا المشأى » وبيته : « الجاسرون بلجهم » ، وبيته : « من كان

يُرْمَى بالنواقر » عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي حمزة بن عبد المطلب :

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَمَّا رَسُمَهَا بِمَدَكِ صَوْبِ السُّبُلِ الْهَاطِلِ

بَيْنَ السَّرَادِيجِ فَأَدْمَانَةٍ قَمَدَفَعِ الرَّوْحَاءِ فِي حَائِلِ

سَاءَ أَمْرُهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمَتْ لَمْ تَدْرِ مَا مَرْجُوعُهُ السَّائِلِ ؟

دَعَّ عَنْكَ دَاراً قَدْ عَمَّا رَسُمَهَا وَابْكِ عَلَى حَمْزَةِ ذِي النَّائِلِ

الْمَالِيَةِ الشَّيْزِي إِذَا أَعْصَفَتْ غَبْرَاهُ فِي ذِي الشَّيْمِ الْمَاحِلِ

والتَّارِكِ الْقِرْنِ لَدَى لَبْدَةٍ يَغْفُرُ فِي ذِي الْخُرُوصِ الذَّائِلِ

وَاللَّابِسِ الْخُفْلِ إِذْ أَجْجَمَتْ كَاللَّيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ

أَبْيَضُ فِي الدَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَمْ يَمُتْ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ

مَالٍ شَهِيدٌ بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ شُلْتُ بَدَأَ وَخَشِيٌّ مِنْ قَاتِلِ

أَمْرِي غَادَرَ فِي اللَّهِ مَطْـوْرَةٌ مَارِنَةٌ الْعَامِلِ

أظلمت الأرضُ نَفْسَـدَانِهٖ وَأَسْوَدَ نُوْرُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ
صلى عليه الله في جَنَّةِ عَالِيَةِ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ
كُنَّا نَرَى سَحْرَةَ حِرْزًا لَنَا فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابِئًا نَازِلِ
وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ ذَا تُدْرَأَ بِكَفِّكَ فَقَدْ الْقَاعِدَ الْخَازِلِ
لَا تَفْرَحِ بِأَهْنَدٍ وَاسْتَخْلِي دَمْعًا وَأَذْرِي عِبْرَةَ الثَّائِلِ
وَابْكِي عَلَى عُثْبَةٍ إِذْ قَطَّهٖ بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهْجِ الْجَائِلِ
إِذَا خَرَّ فِي مَشِيخَةٍ مِنْكُمْ مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْتُهُ جَاهِلِ
أَزْدَاهُمْ سَحْرَةُ فِي أَسْرَقِ يَمْشُونَ نَحْتَ الْخَلْقِ الْفَاصِلِ
غَدَاةَ حَبْرِيْلَ وَزَيْرُلهٖ نَعْمَ وَزَيْرُ الْفَارِسِ الْحَامِلِ

شعر كعب في بكاء حمزة

وقال كعبُ بن مالك يَبْكِي حَمْرَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطَّلَبِ :

طَرَقَتْ هُمُومُكَ قَالُوا فَاذْ مُسْهِدُ وَجَزِعْتَ أَنْ سُلِّخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ
وَدَعْتَ فَوَادَكَ لَهْوَى ضَمْرِيَّةٍ فَهَوَاكَ غَوْرِيٍّ وَصَحْوِكَ مُنْجِدِ
قَدَحَ التَّمَادَى فِي الْعَوَايَةِ سَادِرًا قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْعَوَايَةِ تُفَنِّدُ
وَلَقَدْ أَيْ لَكَ أَنْ تَنْهَى طَائِمًا أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِقَدْ سَحْرَةُ هَدَّةٍ ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرَعْدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمَثَلِهِ لَرَأَيْتُ رَأْسِي صَخْرَهَا يَنْبَدُّ
قَرَمَ تَمَكَّنَ فِي دُوَابَةِ هَاشِمٍ حَيْثُ الثُّبُوتِ وَالنَّدَى وَالشُّوْدَدُ

وَالْعَاقِرُ الْكُومَ الْجِلَادَ إِذَا غَدَتْ
وَالْتَّارَكَ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مُجَدَّلاً
وَوَرَاهُ بَرُّقُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيهِ
وَإِنِّي الْمَنِيَّةُ مُغْلِبًا فِي أَسْرَةٍ
وَلَقَدْ إِخَالَ بِذَلِكَ هَذَا بُشِّرْتُ
مِمَّا صَبَحْنَا بِالْمَقْنَلِ قَوْمَهَا
وَبِئْسَ بَذِيرٌ إِذَا يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ
حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ
فَأَقَامَ بِالْمَطْنِ الْمُعْطَنَ مِنْهُمْ
وَابْنُ الْمَغِيرَةِ فَدَ ضَرْبًا ضَرْبَةً
وَأَمِيَّةُ الْجَمْعِيِّ قَوْمَ مَيْلِهِ
فَأَنَّاكَ قُلُ الْمُشْرِكِينَ كَانَهُمْ
شَتَانٌ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ تَاوِيًا
وَقَالَ كَعْبٌ أَيْضًا يَبْكِي حَمْزَةً :

حَفِيَّةٌ قَوِيٌّ وَلَا تَمْعِزِي
وَلَا تَسْأَمِي أَنْ تُطِيلِي الْبُسْكَ
قَدْ كَانَ عِزًّا لِأَيْتَامِنَا
وَبَكَّى الْفَسَاءَ عَلَى حَمْزَةٍ
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ فِي الْمِزَّةِ
وَلَيْتَ الْمَلَّاحِمَ فِي الْبِزَّةِ

يُرِيدُ بِذَلِكَ رِضًا أَحْسَنَ — وَرِضْوَانِ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ

شعر كعب في أحد

وقال كعب أيضاً في أحد :

إِنَّكَ عَمَرَ أَيْبِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تَأْتِيَ عَنْكَ مِنْ يَحْتَدِينَا
خَيْرٌ نَسْأَلُ نَمَ لَا تُكْذِبُنِي يُخْبِرُكَ مَنْ قَدْ سَأَلَتِ الْيَقِينَا
بَنَانَا لَيْسَ إِلَى ذَاتِ الْعِظَا م كُنَّا نَمَلَا لِمَنْ يَفْتَرِينَا
قَلُودُ النُّجُومِ بِأَذْرَانِنَا مِنْ الضَّرِّ فِي أَرْمَاتِ السَّيْنَا
يَحْدُو قُضُولُ أُولَى وَجَدِنَا وَبِالصَّبْرِ وَالْبَذْلِ فِي الْمَدِينَا
وَأَنْتَ لَنَا جَلَبَاتُ الْحُرُوبِ ب مِّنْ نَّوَارِي لَدُنْ أَنْ يُرِينَا
سَمَاطِينَ نَهْوَى إِلَيْهَا الْحُقُوبِ ق يَحْسِبُهَا مِنْ رَأَى الْفَتِينَا
تَحْلِسُ فِيهَا عِتَاقُ الْجَبَا ل صُخْرًا دَوَاجِنَ خُحْرًا وَجُونا
وَدَفَاعُ رَجُلٍ كَدَوُجِ الْفَرَا ت بِقَدَمِ جَأَوَاءِ جَوْلًا طَحُونَا
تَرَى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ النُّجُوبِ م رَحْرَاجَةٍ تُبْرِقُ النَّظِيرِينَا
فَلَمَّ كُنْتَ عَنْ شَأْنِنَا جَاهِلًا قَسَلُ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ يَلِينَا
بِنَا كَيْفَ تَفْعَلُ إِنْ قَلَصْتَ عَوَانَا ضَرُوسًا عَضُوسًا حَجُونَا
أَلَسْنَا نَشُدُّ عَلَيْهَا الْعِصَا ب حَتَّى تَذُرَّ وَحَتَّى تَلِينَا
وَيَوْمَ لَهُ رَهْجٌ دَائِمٌ شَدِيدُ التَّهَوُّلِ حَامِي الْأَرِينَا
طَوِيلُ شَدِيدُ أَوَارِ الْقِتَا ل تَنْنِي قَوَاحِرُهُ الْمُقْرِفِينَا

تَحْمَلُ السَّكَمَةَ بِأَفْرَاضِهِ نَحْمَلُ عَلَى لَذَّةٍ مُنْزِفِينَا
تَمَازُورُ أَيْمَانَهُمْ بَيْنَهُمْ كُنُوسَ الْمَقَابِ بِحَدِّ الظُّلُمِينَا
شَهَدْنَا كَكُنَّا أُولَى بَأْسِهِ وَنَحْتَ الْعَمَاةِ وَالْمُعَلِّمِينَا
بَحْرُسِ الْحَبِيسِ حِسانِ رِوَاءِ وَبُصْرِيَّةٍ قَدْ أَجَمَّنَ الْجَفُونَا
فَمَا يَنْفِلُنَّ وَمَا يَنْفَحْنَيْنِ وَمَا يَنْتَهِينِ إِذَا مَا نُهُنَا
كَبْرَقَ الْخَرِيفَ بَانْدَى السَّكَمَةِ يُفَجِّحُنَ بِالْأَهْلِ هَامَةً مَسْكُونَا
وَعَلَّمْنَا الْعَرَبَ آبَاؤُنَا وَسَوَّى قُلُومَ أَيْضًا بَنِينَا
جِلَادَ السَّكَمَةِ ، وَبَذَلَ التَّلَا دِ ، عَنْ جُلِّ أَحْسَابِنَا مَا بَقِينَا
إِذَا مَرَّ قَرْنٌ كَتَبَ كَتَبَهُ وَأَوْرَثَهُ بَقِيَّةَ آخِرِينَا
نَسَبُ وَهَلَكِ آبَاؤُنَا وَبَيْنَا تُرْبِي بَيْنَنَا فَوِينَا
سَأَلْتُ بِكَ ابْنَ الرَّبْعَرِيِّ فَلَمْ أَنْتَبِكْ فِي الْقَوْمِ إِلَّا هَجِينَا
خَيْفًا تُطِيفُ بِكَ الْمُنْدِيَّاتِ مُعِمًّا عَلَى الْقَوْمِ حِينًا خَيْفًا
تَبَجَّحْتَ تَهْجُو رَسُولَ الْعَلِيِّكَ قَاتَلَكَ اللَّهُ جَلْفًا لَعِينَا
تَقُولُ الْخَنَاسُ ثُمَّ تَرْمِي بِهِ نَقَى الثِّيَابِ نَقِيًّا أَمِينَا

قال ابن هشام : أنشدني بيته : « بنا كيف نفعل » ، والبيت الذي يليه ،
والبيت الثالث منه ، وصدر الرابع منه ، وقوله « نسب وهلاك آبائنا »
والبيت الذي يليه ، والبيت الثالث منه ، أبو زيد الأنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضا ، في يوم أحد :

سائلٌ قرَّ يشاغدة السَّريح من أُحدٍ
 كُنَّا الأسود وكانوا الأثمرا إذ زحفوا
 فكَمْ تركنا بها من سيِّدٍ بطلٍ
 فينا الرسولُ شهابٌ ثمَّ يتبعه
 الحقُّ منقطعه والعبدل سيرة
 نحمد المَعْدَمَ، ما ضيَّ الهَمُّ، مُعْتَمِرٌ
 يمضي ويذمرنا عن غير مَعْقِية
 يَدَا كُنَّا فأتبها نُصَدِّقه
 جالوا وجلسنا فمافوا وما رجعوا
 ليسوا سواءَ وشيئ بين أمرها
 ماذا لقينا وما لا قوا من الهربِ
 ما إن تُراقب من آلٍ ولا نسبِ
 حامى الذمار كريم الجلد والحسبِ
 نُورٌ مضيٌّ له فضل على الشهبِ
 فمن يُجبه إليه ينجُ من تبِ
 حين القلوب على رجفٍ من الرعبِ
 كأنه البدر لم يطبع على الكذبِ
 وكذبوه فكنا أسعد العربِ
 ونحن نثقبهم لم نألُ في الطلَبِ
 حزنُ الإله وأهل الشرك والنصبِ

قال ابن هشام : أنشدني من قوله : ويحظى ويذمرنا ، إلى آخرها ،
 أبو زيد الأنصاري :

شعر ابن رواحة في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقال عبدُ الله بن رواحة ينيكي حمزة بن عبد المطلب :
 قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لسكنب بن مالك :

بكت عيني وحق لها بكائها وما يُفنى البكاء ولا التعويلُ
 على أسدِ الإله غداة قالوا : أحمره ذاكم الرجلُ القليلُ

أَصِيبُ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
أَبَا بَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جَدَانِ مُحَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبْرًا فَكُلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
رَسُولُ اللَّهِ مُضْطَرِّبُ كَرِيمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطَلِقُ إِذَا يَقُولُ
أَلَا مَنْ مَبْلَغُ عَنَى لَوْبًا قَبْلَ الْيَوْمِ دَائِلُهُ تَدُولُ
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفْتُوا وَذَاقُوا وَقَائِمُنَا بِهِمَا يُشْقَى الْقَبِيلُ
تَسِيْمٌ صَرَبْنَا بِقَلْبٍ بَذَرِ غَدَاةُ أَنْتَا كُمُ الْمَوْتُ الْمَعِيلُ
غَدَاةُ نَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرَبَمَا عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَامَةٌ تَجُولُ
وَعَتَبَةٌ وَابْنُهُ خَرَا جَمِيعًا وَشَيْبَةُ عَصَاهُ الْيَفُ الصَّقِيلُ
وَمَتَرَكْنَا أُمِّيَّةً مُجْلَمًا وَفِي حَيْرُومِهِ الدُّنَى نَبِيلُ
وَهَامَ بَنَى رَيْمَةً سَائِلُوهَا فَوَيْ أَنْسَابَانَا مِنْهَا فَاوَلُ
أَلَا يَا هِنْدُ فَاكِى لَا تَعْلَى فَأَنْتَ الرِّوَالَةُ الْعَبْرَى الْهَوَلُ
أَلَا يَا هِنْدُ لَا تَبْدَى شِمَاتَا بِحَمْزَةٍ إِنْ عَزَّكَ ذَلِيلُ

شعر كعب في أحد

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أَبْلَغُ قُرْبَشًا عَلَى نَأْيِهَا أَنْفَخَ مِنْهَا نِيَامٌ تَلِي
فَخَرْنُمُ بَقَلَى أَصَابَتُهُمْ فَوَاضِلٌ مِنْ نَعَمِ الْمُفْضِلِ

تَفَلُّوْا جَنَانًا وَأَبْقُوا لَكُمْ أَسُودًا تُحَامِي عَنِ الْأَشْبُلِ
تُقَاتِلُ عَنْ دِينِهَا وَسَطَمًا نَسِيًّا عَنِ الْحَقِّ لَمْ يَنْسُكُلْ
رَمَقَهُ مَعْدٌ بِمُورِ الْكَلَامِ وَنَبَلَ الْقِدَاوَةُ لَا تَأْتَلِي

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لم تلي»، وقوله: «من نعم النمل»
أبو زيد الأنصاري.

شعر ضرار في أحد

قال ابن إسحاق: وقال ضرار بن الخطّاب في يوم أحد:

مَا بَالُ عَيْنِكَ قَدْ أَرَى بِهَا الشُّهُدَ كَأَنَّمَا جَالَ فِي أَجْفَانِهَا الرَّمَدُ
أَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبٍ كُنْتُ تَأَلَّفَهُ قَدْ حَالَ مِنْ دُونِهِ الْأَعْدَاءُ وَالْبُعْدُ
أَمْ ذَاكَ مَنْ شَفَبَ قَوْمَ لَاجِدَاءِ بِهِمْ إِذَا الْخُرُوبُ تَلَطَّتْ نَارُهَا تَقْدُ
بِأَيْتِهِمْ عَنِ الْغَمِّ الَّذِي رَكِبُوا وَمَا لَهُمْ مِنْ لُؤْيٍ وَنَحْمٍ عَصْدُ
وَقَدْ نَشَدْنَاكُمْ بِاللَّهِ قَاطِبَةً هَذَا نَزْدَهُمُ الْأَرْجَامُ وَالنَّشَبُ
حَتَّى إِذَا مَا أَبَوْنَا إِلَّا مُحَارَبَةً وَاسْتَخَصَدَتْ بَيْنَنَا الْأَضْمَانُ وَالْحَقْدُ
مِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فِي جَوَانِبِهِ قَوَانِسُ الْبَيْضِ وَالْمَحْبُوكَةُ الشُّرْدُ
وَالْجُرْدُ تَرَوْهُ بِالْأَبْطَالِ شَارِبَةً كَأَنَّمَا حِدَاً فِي سَبْرِهَا تَوْدُ
جَيْشٍ يَقُودُهُمْ صَخْرٌ وَرَأْسُهُمْ كَأَنَّهُ كَيْتٌ غَابٍ هَاصِرٌ حَرْدُ
فَأَبْرَزَ الْحَيْنَ قَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ فَكَانَ مِنَّا وَمِنْهُمْ مُلَقَقَى أَحَدُ

فَقُودِرَتْ مِنْهُمْ قَتْلَى مُجَدَّلَةٌ كَالْمَرْءِ أَضْرَدَهُ بِالْعَمْرِ دَحِ الْبَرْدِ
 قَتَلَى كِرَامَ بَنِي النَّجَّارِ وَسَطْلَمِ وَمُضْطَبٍّ مِنْ قَنَانَا حَوْلَهُ قِصْدِ
 نَوَاحِزَةُ الْقَرْمِ مَتَعْرُوعٌ تَطْلِفُ بِهِ نَسْكَلَى وَقَدْ حَزَمْنَاهُ الْأَنْفَ وَالسَّكْبِ
 كَأَنَّهُ حِينَ يَكْبُورُ فِي جَدْبَقِهِ تَحْتَ الْعَجَّاحِ وَفِيهِ تَغْلَبُ جَسِدِ
 حَوَارِؤُا نَابٍ وَقَدْ وَلَّى صَحَابَتُهُ كَمَا تَوَلَّى النِّعَامَ الْهَارِبَ الشُّرْدِ
 مَجْلَحِينَ وَلَا يَلُوبُونَ قَدْ مَلِئُوا رُغْبًا فَتَجَعَّمِ الْقَوْمَاءُ وَالسُّكُودِ
 تَتَبَكَّى عَلَيْهِمْ نِسَاءٌ لَا بَمُولَ لَهَا مِنْ كُلِّ سَالِبَةٍ أَنْوَابُهَا قَدَدِ
 وَقَدْ تَرَكَنَا لَطِيزٍ مَلْحَمَةٍ وَلِلضَّبَاعِ إِلَى أَجَادِمِ تَقْدِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَبِمَعْزِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشُّعْرِ يُنْكِرُهَا لِفِرَارِ .

رَجَزُ أَبِي زَعْنَةَ يَوْمَ أَحَدَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ أَبُو زَعْنَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُتْبَةَ ،
 أَخُو بَنِي جُشَمَ بْنِ الْخَزْرَجِ ، يَوْمَ أَحَدَ :

أَنَا أَبُو زَعْنَةَ يَمْدُو بِي الْهَزَمُ لَمْ يَمْنَعْ الْمَخْرَءَ إِلَّا بِالْأَلَمِ
 يَحْمِي الدَّمَارَ خَزْرَجِي مِنْ جُشَمِ

رَجَزُ يَنْسِبِ لَعْلَى فِي يَوْمِ أَحَدَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ لَعْلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ — قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَلَهَا رَجُلٌ

من المسلمين يوم أحد غير عليّ ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر ، ولم
أر أحداً منهم يعرفها عليّ :

لَا مُمْ إِنْ الْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ كَانَ وَفِيًّا وَبِنَا ذَا ذِمَّةٍ
أَقْبَلَ فِي مَهَامِهِ مُهَمَّةٍ كَلِيلَةٍ ظَلَمَ لَهَا مَذْهَبَهُ
بَيْنَ سَيْفٍ وَرِمَاحٍ بَحْنَةٍ يَنْبَغِي رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا ثَمَّةُ

قال ابن هشام : قوله : « كَلِيلَةٍ » من غير ابن إسحاق .

رجز عكرمة في يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أحد :

كُفُّهُمْ يَزْجِرُهُ أَرْحَبُ هَلَا وَلَنْ يَرَوْهُ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْبِلًا
يَحْمِلُ رُمْحًا وَرَنْبَسًا جَحْفَلًا

شعر الأعشى التميمي في بكاء قتلي بني عبد الدار يوم أحد

وقال الأعشى بن زُرارة بن النُبَاش التميمي — قال ابن هشام : ثم أحد
بني أسد بن عمرو بن تميم — يبكي قتلي بني عبد الدار يوم أحد :

حُسَيٍّ مِنْ حَتَّى عَلَى نَائِيهِمْ بَنُو أَبِي طَلْحَةَ لَا تُصْرِفُ
يَمْرُ سَاقِيهِمْ عَلَيْهِمْ بِهَا وَكُلُّ سَاقٍ لَهُمْ يُعْرِفُ
لَا جَارُهُمْ يَشْكُو وَلَا ضَيْفُهُمْ مِنْ دُونِهِ بَلْبُ لَهُمْ يَصْرِفُ

وقال عبد الله بن الزبيري يوم أحد :

قَتَلْنَا ابْنَ جَيْشٍ فَأَغْتَبَطْنَا بِقَتْلِهِ وَحَمْرَةَ فِي فُرْسَانِهِ وَابْنَ قَوْقُلٍ
وَأَفْلَتْنَا مِنْهُمْ رِجَالٌ فَأَمَرُوا قَلْبَتَهُمْ عَاجُوا وَلَمْ تَتَجَلَّ
أَقَامُوا لَنَا حَتَّى تَمُتَ سَيُوفُنَا سَرَاهِمَ وَكَلْنَا غَيْرَ عَزَلٍ
وَحَتَّى يَكُونَ الْقَتْلُ فِينَا وَفِيهِمْ وَيَلْقُوا صَبُوحًا شَرَّ غَيْرِ مُتَجَلٍّ

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » ، وقوله « ويلقوا صبحاً » : عن
غير ابن إسحاق .

شعر صفية في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن
عبد المطلب :

أَسْأَلُ أَصْحَابَ أَهْدَى خَافَةٍ بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَيْرِ
فَقَالَ الْخَيْرُ إِنَّ حَمْرَةَ قَدْ نَوَى وَزِيرُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ وَزِيرِ
دَعَاهُ إِلَهُ الْحَقِّ ذُو الْمَرْثِ دَعْوَةً إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُرُورِ
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نَرْجَى وَنَرْجَى لِحَمْرَةَ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ مَصِيرِ
فَوَاللَّهِ لَا أُنْسَاكَ مَا هَبَّتِ اللَّصْبَا بِبَكَاءٍ وَحُزْنًا مَحْضَرِي وَمِيسِرِي
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ يَذَرُهَا يَذُودُ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلَّ كَفُورِ
فِيالْهَيْتِ شَلَوِي عِنْدَ ذَلِكَ وَأَعْظَمِي لَهْيَ أَضْبَعِ تَفْتَادُنِي وَنُورِ

أقولُ وقد أعلَى النِّعمَ عَشيرَتِي جَزَى اللهُ خيراً مِنْ أَخِي وَنَصِيرِ

قال ابن هشام : وأنشدني بعضُ أهلِ العِلْمِ بالشعر قولها :

بكاء وحُزناً مُحْضَرِي ومُـدِرِي

شعر نعم في بكاء شماس

قال ابن إسحاق : وقالتُ نعم ، امرأةُ شماس بن عثمان ، تبكي شماساً ،
وأصيب يومُ أحد :

يا عَيْنُ جودِي بفيضِ غديرِ إنسٍ على كَرِيمٍ مِنَ النِّفْثَانِ آبِاسِ
صَفِ اللَّبدِيةِ مَيْمُونِ تَقِيَّتِهِ حَالِ ألويةِ رَكَّابِ أفراسِ
أقولُ لما أتَى الناعي له جَزَماً

أودَى الجوادُ وأودَى المُطعمُ الكاسِ
رُفَّتْ لَمَّا خَلَّتْ مِنْهُ بَجالُهُ لا يُبعدُ اللهُ غَنّاً قُرْبَ شماسِ

شعر أبي الحكم في تغزية نعم

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يزيد ، يعزِّيها ، فقال :

إفْتَى حياءُكَ في سِتْرِ وفِي كَرَمِ فإنَّما كلَنَ شَماشٍ مِنَ النَّاسِ
لا تَقْتُلِ النَّفْسَ إِذْ حانتَ مَنيَّتُهُ في طاعةِ اللهِ يومَ الرُّوعِ والباسِ
قد كان حمزةُ ليثَ اللهِ فاصطَبِرِي فذاقِ يومَئذٍ من كَأْسِ شَماشِ

.

شعر هند بعد عودتها من أحد

وقالت هند بنت عتبة ، حين انصرف المشركون عن أحد :

رجعتُ وفي نفسي بلبابُ جنةٍ وقد فانتى بعضُ الذي كان مطْلبي
من أصحاب بدرٍ من قريش وغيرهم بنى هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب
ولكنني قد نلتُ شيئاً ولم يكن كما كنتُ أرجو في مسيري يوماً كبي

قال ابن هشام : وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشعر قولها :

وقد فانتى بعضُ الذي كان مطْلبي

وبعضهم يُنكرها لمُفندته والله أعلم .

شرح ما وقع في هذه الغزوة من الأشعار

وقد شرطنا الإضراب عن شرح شعر الكفارة والمفاخرين بقتال النبي -
صلى الله عليه وسلم - إلا من آمن منهم ، ولكنه ذكر في شعر هُبيرة الذي
بدأ به يبتين ليسا من شعره ، فلذلك ذكرتهما ، وهما :

وكَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالْفَرْثِ جَارُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّفَرِ الْمُتَرِّينَ دَاعِيهَا
في لِيَالَةٍ مِنْ جُحَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةٍ جَرَّ بِهَا مُجَادِبَةً قَدِ بَتَّ أُسْرِيهَا
قوله : يَصْطَلِي بِالْفَرْثِ ، أي : يَسْتَدْفِي به من شِدَّةِ البرد .

مول جمع ندى وأسماء الشهور :

وقوله يَخْتَصُّ بِالنَّفَرِ^(١) الثَّلاثِينَ ، يريد يَخْتَصُّ الْأَغْنِيَاءَ طَلَبًا لِمَسْكَانِهِمْ ،
ولِيَا كُلِّ عِنْدَهُمْ ، بَصَفِ شِدَّةِ الزَّمَانِ ، قَالَ يَعْقُوبُ فِي الْأَلْفَاظِ ، وَنَسَبَهُمَا لِلْهَذَلِيِّ ،
وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَنَّهُمَا لَيْسَا لِلْبَيْتَةِ وَنَسَبَهُمَا لَجُنُوبِ أَخْتِ
مَهْرُودَى الْكَلْبِ الْهَذَلِيِّ .

وقوله : ذات أنديّة : جمع ندى على غير قياس ، وقد قيل : إنه جمع
الجمع كأنه جمع ندى على نداء مثل جمالي وجمالي^(٢) ، ثم جمع الجمع على
أفعلة ، وهذا بعيد في القياس ، لأن الجمع للكثير لا يجمع ، وفعال من أبنية
الجمع الكثير ، وقد قيل هو جمع ندى والندي المجلس ، وهذا لا يشبه معنى
البيت ، ولكيه جمع جاء على مثال أفعلة ، لأنه في معنى الأهوية والأشعية^(٣)

(١) هي النقرى بالالف ، والنقرى - كما يقول الحشنى - أنه يدعو قوما دون
قوم ، يقال هو يدعو الجفلى إذا دعاهم ، وهو يدعو النقرى إذا دعاهم .

(٢) أنظر من ٣٧٧ ج - شرح شواهد الشافية المطبوع مع الشافية فقد فصل
ابن جنى القول عن هذا وهذا والشطرة الأولى في شعر لمرّة بن محمّد - وانظر اللسان
أيضا في مادة ندى .

(٣) يقول البغدادي في شرحه شواهد الشافية بعد أن نقل قول السهيلي هذا :
« وقريب منه قول الخوارزمي « ندى وإن كان في نفسه فعلا - بفتح الفاء والميم -
لكنه بالنظر إلى ما يقابله ، وهو الجفاف - فقال فن تم كسره على أفعلة ، ويقول
ابن جنى « وأجود تكسير ندى : أنداء ، ويرد البغدادي على السهيلي في قوله أن
القول بأن أنديّة هو جمع ندى - أي المجلس - لا يشبه معنى البيت ، يرد بقوله :
« قد يمنع ، ويكون معناه : في ليلة من ليالي الشتاء ذات مجالس يجلس فيها =

ونحو ذلك ، وأقرب من ذلك أنه في معنى الرِّدَّاذ والرَّشَّاش ، وهما يجمعان على أفِعة ، وأراد بجمادى الشهر ، وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر في زمن مجود الماء ، ثم انتقل بالأهلية وبقي الاسم عليه ، وإن كان في الصيف والقيظ ، وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السنة الشمسية ، ثم لزمها ، وإن خرجت عن تلك الأوقات^(١) .

== الأشراف والأغنياء لإطعام الفقراء ، فإنهم كانوا إذا اشتد الرمان ونشأ القمح ، وذلك يكون عند العرب في الشتاء ، يجلسون في مجالسهم ويلعبون الميسر ، وينحرون الجزر ، ويفرقونها على الفقراء ، ص ٢٧٨ ج٤ شرح الشافعية وشواهد ما . (١) قال البغدادي في شرحه لشواهد الشافعية : « وينبغي أن يعتبر هنا أصل الوضع ، وإلا فلا فائدة في ذكر اسم شهر لا يدل على شدة البرد وجود الماء ، والشاعر إسلامي ، وليس من أدرك زمن وضع الشهور ، ويحزر أن يلاحظ في الأعلام أصل وضعها . »

ويقول ابن الأثير عن أسماء الشهور : أسماء الشهور كلها مذكرة إلا جمادى فهما مؤنثان . تقول : مضت جمادى بما فيها ، فإن جاء تذكير جمادى في شعر ، فهو ذهاب إلى معنى الشهر ، وهي غير مصروفة لتأنيث والعلمية ، والاولى والآخرة صفة لها ، فإن الآخرة بمعنى المتأخرة ، ولا يقال : جمادى الاخرى ، لأن الاخرى بمعنى الواحدة ، فتناول المتقدمة والمتأخرة ، فيحمل اللبس ، ويحكي أن العرب حين وضعت الشهور وافق وضع الازمنة فاشتق للشهر معان من تلك الازمنة ، ثم كثر حتى استعملوها في الأمة وإن لم توافق ذلك الأزمان ، فقالوا : رمضان لما أرمضت الأرض من شدة الحر ، وشوال لما شالت الإبل بأذيائها للطروق ، وذو القعدة لما ذلوا القعدان للركوب ، وذو الحجة لما حجوا ، والمحرم لما حرموا القتال والتجارة ، وصفر لما غزوا فتركوا ديار القوم صفرا ، وشهر ربيع لما أربعت الأرض وأمرعت ، وجمادى لما جدد الماء ، ==

شرح شعر كعب :

وذكر شعر كعب بن مالك يوجب هبة وأوله : ألا هل أتى غسان :
وقد افتتح قصيدة أخرى في أشعار بدر بهذا اللفظ ، قال :

ألا هل أتى غسان في نأى دأرها

ولما يذكر غسان لأنهم بنو عَمّ الأنصار ، والأنصار بنو حارثة بن
نفلثة بن عمرو بن عامر .

والذين بالشام بنو جفنة بن عمرو بن عامر ، والكل غسان ، لأن غسان
ماء شربوا منه حين ارتحالهم من اليمن فسَمُّوا به .

وقوله : سيرة مُتَمَنِّع ، أى : مُضْطَرَب^(١) . وقوله : المراميس :
جمع نِرامِس ، وهى الناقة القوية على السير .

وقوله : قِيضُهُ يَتَفَلَّح ، أى يَنْشَقُّ ، والقِيضُ : قُشُورُ البَيْضِ ، والقَوَانِسُ :
جمع قَوْنَسٍ ، وهى بَيْضَةُ السِّلَاحِ^(٢) .

وقوله : وكلُّ صَمُوتٍ فى الصَّوَانِ ، بمعنى الدَّرْعِ جعلها صَمُوتًا لشدة

= ورجب لما رجبوا الشجر ، وشعبان لما شعبوا العود ، ص ٢٨٠ ج ٤
المصدر السابق .

(١) الخرق : الفلاة الواسعة التى تخرق فيها الريح . ومتمنع نروى بالناء ،
والمعنى : متردد عن الحشى باختصار .

(٢) عند الحشى وفى القاموس أن القونس رأس بيضة السلاح ، أو أعلى بيضة
الحديد .

نَجَّيْهَا وَإِحْكَامَ صَنْعَتِهَا ، وَالنَّهْيُ وَالنَّهْيُ : الْقَدِيرُ ، يُسَمَّى بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ مَاءٌ
قَدْ مُنِعَ مِنَ الْجُرْيَانِ بِإِرْتِفَاعِ الْأَرْضِ ، فَغَادَرَهُ السَّيْلُ ، فَسُمِّيَ غَدِيرًا ، وَنَهَتْهُ
الْأَرْضُ فَسُمِّيَ نَهْيًا .

وقوله : وَمَنْجُوفَةٌ ، مَفْعُولَةٌ مِنْ نَجَفَتْ : إِذَا حَفَرْتُ ، وَيَكُونُ أَيْضًا مِنْ
مَنْجَفَتْ الْعِزَّ إِذَا شَدَّدَتْهَا بِالْجَفَافِ ، وَهُوَ الْخَبْلُ ، فَإِنْ كَانَ أَرَادَ الرِّمَاحَ ،
فَعَنَى قَوْلُهُ : مَنْجُوفَةٌ ، أَيْ : مَشْدُودَةٌ مُنْقَعَةٌ ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ أَسِنَّةَهَا ، فَهِيَ
أَيْضًا مَنْجُوفَةٌ ، مِنْ نَجَفَتْ إِذَا حَفَرْتُ ، لِأَنَّهُ يَنْقَلِبُ الرُّمْحُ دَاخِلًا فِي الْحَدِيدَةِ ،
فَهِيَ مَنْجُوفَةٌ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ السِّیُوفَ ، فَمَنْجُوفَةٌ ، أَيْ كَالْمَحْفُورَةِ ،
لِأَنَّهُ مُتَوْنًا مَدُوسَةً مَضْرُوبَةً بِطَارِقِ الْحَدِيدِ ، فَهِيَ كَالْمَحْفُورَةِ .

وقوله :

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرُّجَالِ وَتَارَةً تَمُرُ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقَعَّقِعُ

يقول : تَشُقُّ أَبْدَانَ الرُّجَالِ حَتَّى تَبْلُغَ الْبِصَارَ فَتَقَعَّقِعُ فِيهَا ، وَهِيَ جَمْعُ
بَصْرَةٍ ، وَهِيَ حِجَارَةٌ لَيِّنَةٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ جَمْعَ بَصِيرَةٍ ، مِثْلَ كَرِيمَةٍ ،
وَكِرَامٍ ، وَالْبَصِيرَةُ الدَّرْعُ ، وَقِيلَ : التَّرْسُ ، وَالْبَصِيرَةُ أَيْضًا : طَرِيقَةُ الدَّمِّ فِي
الْأَرْضِ ، فَإِنَّ كَلَامَ فِي الْجَسَدِ ، فَهِيَ جَسَدِيَّةٌ ، وَلَا مَعْنَى لَهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ .

شرح شعر ابن الزبيري :

وقول ابن الزبيري :

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ ، فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلَ

بِقَرَارِ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْقَرَرِ :

قوله : قَدْ فُعِلَ : أى : قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، وَقَدْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقَرُّونَ
بِالْقَدَرِ ، وَقَالَ لَبِيدٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ :

إِنْ تَقَوَّى رَبَّنَا خَيْرُ نَفْلٍ وَيَا ذَنْ اللَّهَ رَبَّنِي وَالْمَجَلَّ
مَنْ إِهْدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ
وَقَالَ رَاجِزُ هُم :

يَا أَيُّهَا اللَّاتِمُ لُنِّي ، أَوْ فَذَرْ إِن كُنْتَ أَخْطَأْتُ فَا أَخْطَا الْقَدَرُ

وقوله : غَيْرُ مُلْتَأَتٍ ، هُوَ مُفْتَقِلٌ مِنَ اللَّوْنَةِ كَمَا قَالَ الصَّبِيُّ :

عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذِي لَوْنَةٍ لَنَا (١)

وَالْمَهْرَاسُ : حَجَرٌ مَفْقُورٌ يَمْسُكُ الْمَاءَ ، فَيَتَوَضَّأُ مِنْهُ ، شُبَّهَ بِالْمَهْرَاسِ
الَّذِي هُوَ الْمَاهُوتُونَ ، وَوَحْمَ الْمَبْرَدُ ، فَعَمِلَ الْمَهْرَاسُ اسْمًا عَلَمًا لِلْمَهْرَاسِ الَّذِي
بِأَحَدِهِ خَاصَّةٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ لِكُلِّ حَجَرٍ يُقَرُّ فَا مَسْكُ الْمَاءِ . وَرَوَى ابْنُ عُيَيْنٍ

(١) فِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ لِأَبِي تَمَامٍ لِقَرِيبِ بْنِ أَيْفٍ أَحَدِ بَنِي الْعَنْبَرِ :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازَنٍ لَمْ تَسْتَجِبْ لِي بَلَى بَنُو الْقَيْظَةِ مِنْ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ
إِذَا لَقَامَ بِنَصْرَى مَعْشَرُ خَشَنَ عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذُو لَوْنَةٍ لَنَا

وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ فَارَسٍ فِي مَعْجَمِهِ غَيْرَ مَنْسُوبٍ فِي مَادَّةِ لُوثَ : وَ إِنْ ذُو

لَوْنَةٍ لَنَا ،

عن مالك أنه سئل عن رجل يمر بمهراس في أرض فلاة كيف يفتسل منه؟ فقال مالك: هَلَّا قُلْتَ مَرَّ بِفَدِيرٍ، وَمَنْ يَجْعَلُ لَهُ مِهْرَاسًا فِي أَرْضِ فَلَاةٍ؟ فهذا يبين لك أن المهراس ليس مخصوصاً بالمهراس، الذي كان بأحد، وكذلك وقع في غريب الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مَرَّ بِقَوْمٍ يَتَجَاذَوْنَ^(١) مِهْرَاسًا أَى: يَرَقُومُونَهُ.

سمر صانه يرد به علي ابن الزبير:

قول حسن يحميه:

هَرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرِّسْلِ

بمى: الفهم إذا أرسلها الراعى، يقال لها حينئذ رسل^(٢).

وقوله كأشراف الغلاء، الأشراف: جمع شرف، وهو الشخص، والملا: مما اتسع من الأرض، ويريد بالأشراف هاهنا أشخاص الشجر وأصولها.

وقوله: يهل، أراد: فيهل تم جزم للشرط، فاحذفت الألف لالتقاء هاءين، وهو من أهول، يقال هالى الأمر يهولنى هو لا إذا أقرعك.

وقوله: وملنا القوط، أراد: القوط بتحريك الراء، وهى الأكمة،

(١) فى الأصل: يتجارون والنصيب من النهاية لابن الأثير مادة جدا، وكذلك فى اللسان.

(٢) يقول الحشى عن الرسل: الإبل المرسلة التى بعضها فى أثر بعض، وقال بعض النوبين: الرسل: الجماعة من كل شىء.

وما ارتفع من الأرض ، والرَّجْلُ : جمع رَجْلَةٍ ، وهو المَطَّسُ من الأرض ،
والرَّجْلَةُ أيضاً في معنى الرَّجْلِ من الجَرَادِ ، قال الشاعر :

وتحت نُحُورِ الخَلِيلِ حَرَشَفُ رَجْلَةٍ

يريد بالحَرَشَفِ جَمَاعَةَ الرُّبَا ، وهم صِغَارُ الجَرَادِ ، حَرَسَهُمْ مَثَلًا لِلرَّجَالَةِ
والرُّمَامَةِ ، وجمع النَّمْرَطِ : أَقْرَاطٌ .

وقوله : وَلَدَ اسْتَبَاهَا : كلمةٌ تقولها العربُ عند السَّبِّ ، تقول : يا بَنِي اسْتَبَاهَا ،
والوُلْدُ : بمعنى الأولاد . وكتب أهل دِمَشْقَ إلى أهل مِزَّةَ وهي على قَرْمَخِ
من دِمَشْقَ وكانوا أمسكوا عنهم الماءَ فكتبوا إليهم : من أهل دِمَشْقَ إلى
بَنِي اسْتَبَاهَا .

وبعد : فَأَمَّا أَنْ يُسَمِّيَا الْمَاءَ إِلَّا صَبَحْتُمْ الخَلِيلُ ذكره الجاحظ^(١) .

من يضر حَرْفَ حرفٍ

وقوله في المؤمنين : أَيْدُوا جِبْرِيلَ ، أَي : أَيْدُوا بِجِبْرِيلَ وَحْدَ الجَارِ
فعدى الفعلُ فَتَصَبَّ ، وَلَا يَضُرُّ هَذَا الحذفُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الفعلُ المتعدى
بحرفٍ جرٍّ مُتَضَمِّناً لمعنى فعلٍ آخرٍ ناصبٍ ، كقولهم : أَسْرَتَكَ الخَيْرَ أَي كَلَفْتَكَ

(١) ذكره في البيان والتبيين ، والذي كتب إلى أهل مِزَّةَ هو أبو الهيثم ،
ويقول راوى الخبر ثُمَامَةُ بن أَشْرَسَ : فوافاهم الماء قبل أن يهيموا ، فقال
أبو الهيثم : الصدق يني عنك لا الوعيد ، ص ٢٠١ ج ١ البيان والتبيين الجاحظ
ط سنة ١٩٤٨ بتحقيق عبد السلام هارون .

الخيرَ وَالزَّمْتُكَ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ نَهْيُكَ الشَّرَّ إِذْ لَيْسَ فِي مَعْنَى نَهْيِكَ
قَوْلٌ. نَاصِبٌ وَقَوْلُهُ: أَيَّدُوا جَبْرَيْلَ ، أَيَّ أَصْحَابِهِ ، وَنَحْوُ هَذَا ، فَحَسَنٌ
حَذْفُ اللَّامِ لِهَذَا.

عود إلى شعر ماله :

وقول حسان :

نُخْرِجُ الْأَصْبَحَ مِنْ اسْتَفْهَامٍ

رواه أبو حنيفة : نخرج الأضيّاحَ ، وهو الابن المزوج بالماء ، وهو في معنى
الْأَصْبَحَ ، لِأَنَّ الصُّبْحَةَ بَيَاضٌ غَيْرُ خَالِصٍ ، فَعَمَلُهُ وَصْفًا لِلْبَيْنِ الْمَذْذُوقِ الْمَخْرُجِ
مِنْ بَطُونِهِمْ .

وقوله :

كسلاح النّيب يا كلن العصل

العصل : نبات كالرفلين^(١) يُصْلَحُ الْأَيْلَ إِذَا أَكَاثِهِ ، وَيَكْثُرُ شَرِبُهَا لِلْمَاءِ ،
وهو من الخُمُضِ ، وَبَنِيَتْ فِي السِّيَاخِ ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ .

شعر كعب بن مالك :

وقول كعب بن مالك :

(١) فِي السَّانِ : شَجَرٌ يَشْبُهُ الدَّقْلَ - بِكسر الهمزة وسكون الفاء - وَفَتْحُ اللّامِ
يَأْكُلُهُ الْإِبِلُ وَتَشْرَبُ عَلَيْهِ الْمَاءُ كُلُّ يَوْمٍ ، وَلَمْ أَجِدِ الرَّفْلَيْنِ ، وَإِنَّمَا الرَّفْلُ فِي عَجَائِبِ
الْمَخْلُوقَاتِ لِلْقُرُونِيِّ وَالسَّانِ .

لواء الرسول بنى الأضوج

الأضوج : جمع ضَوْج ، والضَّوَجُ : جانب الوادى .

وقوله : فى الْقَسَطَلِ الْمُرْهَجِ . الْقَسَطَلُ : الغبار ، وكذلك الرُّهَجُ ، وقد شرحنا السليج^(١) فيما مضى ، والجلل الأدعج : يعنى الأسود ، ومنه الحديث فى صفة النبى - صلى الله عليه وسلم - فى عَيْنَيْهِ دَعَجٌ ، وفى أَشْفَارِهِ وَطَفٌ^(٢) .

وقوله : وَحَنَظَلَّةٌ أَخْزِرٌ لَمْ يُحْتَجْ ، أى لم يَمَلْهُ شَيْءٌ عن الطريق المستقيم ، يقال حَنَجْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَمَلْتُهُ وَعَدَلْتُهُ عن وَجْهِهِ ، ويقال أيضاً : أَحْنَجْتُهُ فهو مُحْنَجٌ ، وسيأتى فى الشعر بعد هذا ما يدل عليه .

وقوله :

عن الحق حتى غَدَتْ رَوْحُهُ

أَنَّ الرُّوحَ لِأَنَّهُ فى مَعْنَى النَّفْسِ ، وهى لغة مشهورة معروفة . أمر ذو الرُّمَّة - هندجوته أن يَكْتُبَ على قبره :

يَا نَارَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا قُبِضْتُ وَفَارِجَ الْكَرْبِ أَنْقِذْنِي مِنَ النَّارِ
فكان ذلك مكتوباً على قبره .

وقوله : فَاخِرِ الزُّبُرِجِ ، أى : فَاخِرِ الزُّيْنَةِ ، أى ظَاهِرِهَا .

(١) السيف المرفف القاطع .

(٢) مر فى حديث أم ميمون ، تعنى فى شعر أجفانه طول ، والدعج : السواد فى العين ، وقيل : شدة السواد مع شدة البياض .

وقوله : في الدَّرَكِ المُرْتَجِ ، أى المُمْلَق ، يقال : ارتَجَتْ الباب إذا
أغلقته ، وهو من الرَّتَاج ، قالت جارية من العرب ماتت أمها ، وتزوج أبوها :

وَلَسَكُنْ قَدَأَى مِنْ دُونِ وُدِّي وَبَيْنَ قَوَادِهِ غَلَقَ الرَّتَاجُ
وَمَنْ لَمْ يُؤَاذِهِ أَلَمْ بَرَأَيْهِ وَمَا الرُّثْمَانُ إِلَّا بِالرَّتَاجِ
ومنه قيل : ارتج على الخطيب ، إذا أغلق عليه باب القول .

وفي شعر ضرار ^(١) : من نجينا السَّوَرَجَ ، وهو فَوَعْلٌ من السَّرَاجِ
يريد المِغْيَى :

من شعر مسابه :

وفي شعر حسان :

وَقَوْلاً إِذْ كَفَرْتُمْ بِاصْخِينَ بَرَبُكُمْ

لما أراد سَخِينَةً ، قَرَحَمَ وَعَنَى قُرَيْشاً لأنها كانت تُتَلَقَّبُ بذلك [لداومتهم
على شرب هذا الحساء المتخذ من الدقيق الذى يُسَمَّى : سَخِينَةً ^(٢)] ، وفي أشعار
ضَرَّارٍ في العَيْنِيَّةِ ^(٣) منها أَمْرُهَا شَاعَ ، أراد : شَائِعَ ، فقلبت ، كما قال الآخر :
لَاثٍ بِهِ الْأَشَاءُ وَالْعَبْرِيُّ ^(٤)

(١) في السيرة : من

(٢) ما بين قوسين من شرح السيرة لأبي ذر ، وضعته لإتمام المعنى .

(٣) لا توجد ، منها ، في السيرة .

(٤) الأشاء : صفار النخل واحداً منها أشاءة ، والعبرى من السدر ما ثبت على

غصن النهر ، وقيل : العبرى والعمرى منه ما شرب الماء ، والذي لا يشرب الماء
يكون برياً ، وهو الضال . ولاث الشجر فهو لاث — بضم اللام — ولاث =

أراد: لائث، وكما جاء في الحديث: لَا يَحْتَكِرُ الطَّعَامَ إِلَّا طَائِعٌ^(١) أَوْ بَاغٍ أَوْ زَانِعٌ أَرَادَ: زَانِعٌ .

وفي شعره القافي:

رَشَّاشُ الطَّيْنِ وَالْوَرَقِ

الْوَرَقِ: مَا تَعَقَّدُ مِنَ الدَّمِّ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ وَغَيْرُهُ، وَفِيهِ مَا بِهِ رَهَقٌ، أَيْ عَيْبٌ، وَالْمَرْهَقُ مِنَ الرِّجَالِ الْمَمِيبُ .
 فِي شِعْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ:

وَفِي شِعْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: يَمْشُونَ قَطُورًا . الْقَطُورُ وَالْأَقْطِيطَاءُ: مَشَى

الْقَطَا^(٢)

= بِكْرُهَا: لَبِسَ بَعْضُهُ بَعْضًا، قَدْ تَنَمَّ . وَأَمَّا لَاثُ بَعْنِ الثَّاءِ، فَقَدْ يَكُونُ فَعْلًا يَفْتَحُ فَكْسَرُ، وَقَدْ يَكُونُ فَاعِلًا حَذَفَتْ عَيْنُهُ . وَأَمَّا لَاثُ بِكْسَرِ الثَّاءِ، فَتَلَوْبُ مِنْ لَاثَ، وَوزنه فاعل .
 (١) فِي مَسْلَمَ وَأَبِي حَاوِدٍ وَابْنِ مَاجَةَ وَالْفَسَّاقِ وَاحِدٌ فِي مُسْتَدَه: لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِي .

(٢) وَمِنْ مَعَانِي قَصِيدَةِ عَمْرِو كَمَا جَاءَ فِي شَرْحِ أَبِي ذَرٍّ: يَنْزُرُ: يَرْتَفِعُ وَيُثَبِّ .
 الرَضْفُ: الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ . شَبَاهُ: يَعْنِي كَثِيَّةَ كَشْوَةِ السَّلَاحِ . تَلَحُّو: تَقْتَرِضُ وَتَضَعُفُ . تَقُولُ لِحَوَاتِ الْعُودِ إِذَا قَشَرْتَهُ وَالْعَمِيدُ: الْفَرَسُ الشَّدِيدُ . يَبْذُ الْحَيْلَ رَهْوًا: يَسْبِقُ، وَالرَّهْوُ: السَّاكِنُ الْإِلَيْنِ . رَبْذُ: سَرِيعٌ . يَمْفُورُ: وَلَدٌ . الْقَلِيَّةُ: الصَّرِيحَةُ: الرَّمْلَةُ الْمُنْقَطَعَةُ . شَنْجٌ: مَنْقَبِضٌ . نَسَاءُ: الْفَسَا عَرَقٌ مُسْتَبْطَرٌّ . الْفَخْزَيْنِ: ضَابِطٌ: يُمْسِكُ . كَبَشُ الْكُتَيْبَةِ: رَأْسُهَا . جَلَّتْهُ: أَبْرَزَتْهُ .

شعر كعب :

وفي شعر كعب : خذم رعايل . اتخذم^(١) : التقطع بالأسنان ، ورعايل :
قطع متمرقة ، يقال خباء مرعبل ، أى متمرق .

وقوله :

إنا بنو الحرب نمرها وننتجها

مستعار من مريت الناقة إذا استدبرت أجنها ، وتنجها إذا استخرجت
منها ولدا ، يقال : نتجت الناقة ، وتنجها أهلها ، وأما أنتجت فتنتج فإذا دنا
محتاجها .

وقوله :

يوم رذاذ من الجوزاء مشمول

يريد من أيام أحواء الجوزاء ، وهو مفعول النعمة ، أو النعمة^(٢) ، وذو
بني الشتاء في شهر كانون الأول^(٣) ومشمول من الريح الشمال^(٤) .

وقوله : النقم من اللقي ، وهو البتل والطبن البير ، والرذاذ

(١) يقول الحشني من رواه بعض الخاء فيمنى به قطع اللحم ، ومن رواه
بفتح الخاء ، فهو مصدر .

(٢) كانت الحمقة والصواب كما أثبت : الحمقة بفتح الحاء وسكون التاء
بفتح العين ، فهي كذلك في اللسان .

(٣) هو شهر ديسمبر كما أخبرني أبتى إشراف .

(٤) عند أبي ذر : هبت فيه ريح الشمال .

معروف ، وهو أكثر من الطش والبنش^(١) ، والأطل نحو منه ، أو أقوى منه قليلا ، يقال : أرض مطلوثة ومبفوشة ، ولا يقال : مرذوذة ، ولكن يقال : مرذة ومرذة عليها^(٢) قاله الخطابي .

أمور ما قال حسابه :

وذكر شعر حسان . قال ابن هشام : هذه أجود ما قال ، وهذه النفيدة التي قالها حسان ليلا ، وينادي قومه أنا أبو الحسام ، أنا أبو الوليد ، وهما كنييتان له ، ثم أمرهم أن يرووها عنه قبل النهار ، مخافة أن يعوقه عائق ، فذكر فيها على ابن الزبيرى بمقامات له عند ملوك الشام من أبناء جفنة ، أفتك فيها عناة من قومه .

وذكر مقام خالد عند النعمان الغساني من آل جفنة ، وليس بالنعمان ابن المنذر ، وقال فيها :

(١) للبنشة المطرة الضعيفة ، وفي الأصل بالعين ، والطش : المطر الضعيف فوق الرذاذ ، والرذاذ : المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغيار أو هو بعد الطل . ويقول الاصمعي : الطل أخف المطر وأضعفه ، ثم الرذاذ ، والرذاذ فوق القطر ، بكسر التافين .

(٢) في الفاموس : أرذت السماء ورذت وأرض مرذ عليها ، ومرذوذة ويوم مرذوذ ورذاذ . وكذلك في اللسان : أرض مرذ عليها ، ومرذة ومرذوذة الأخيرة عن ثعلب . وقال الاصمعي : لا يقال أرض مرذة ولا مرذوذة ، ولكن يقال : أرض مرذ عليها ، أما الكسائي فقال : مرذة .

(م ١٠ — الروض الأثري ج ٦)

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ لِغَبْهَلٍ غَطَّاهُ عَلَيْهِ النَّعِيمُ
غَطَّاهُ بِتَخْفِيفِ الطَّاءِ أَشَدُّهُ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَهَكَذَا كَانَ فِي حَاشِيَةِ
الشَّيْخِ مَذْكُوراً عَنْ يُونُسَ ، وَغَطَّاهُ مَعْنَاهُ ارْتَفَعَ وَعَلَا ، وَأَشَدُّ الْقُتَيْبِيُّ :

وَمِنْ تَعَاجِيبِ خَلْقِ اللَّهِ غَاطِيَةٌ يُعْمَى مِنْهَا مُلَاحِيٌّ وَغَرِيبٌ^(١)

مُلَاحِيٌّ بِتَخْفِيفِ اللَّامِ ، وَيُقَالُ : مُلَاحِيٌّ كَمَا قَالَ :

كَمَنْقُودٍ مُلَاحِيَّةٍ حِينَ نُورًا

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : مَنْ قَالَ مُلَاحِيَّةً بِالتَّشْدِيدِ شَبَّهَ بِالْمُلَاحِ وَهُوَ شَرُّ
الْأَرَكَ^(٢) وَفِيهِ مُلُوحَةٌ ، وَقَالَ : وَالْغَرِيبُ اسْمٌ لِنَوْعٍ مِنَ الْعَنْبِ ، وَلَيْسَ
يَنْتَعِ . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَلَمْ يَكُنْ أَنْ تَفْهَمْ مِنْهُ مَعْنَى قَوْلِهِ سَبْعَانَهُ :
(وَغَرَابِيبُ سُودٍ) فَاطَرُ : ٢٧ . حِينَ وَصَفَ الْجُدَدَ ، وَسُودَ عِنْدِي بَدَلًا ،
لَا نَمَتُ ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ شَرْحُ الْآيَةِ لَمَّا لَحِظْنَا مِنْ هَذَا الْمُطْلَعِ ، فَإِنْ أَبَاحْنِيْفَةَ زَعَمَ
أَنْ نَغَرِيبُ إِذَا أُطْلِقَ لَفْظُهُ ، وَلَمْ يَقَيَّدْ بِشَيْءٍ مَوْصُوفٍ بِهِ ، فَإِنَّمَا يَفْهَمُ مِنْهُ
الْعَنْبُ الَّذِي هَذَا اسْمُهُ خَاصَّةً ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ وَفَهَمِ الْكِتَابِ .

(١) فِي اللِّسَانِ أَشَدُّهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَهِيَ مَعْنَى وَهُوَ الصَّوَابُ .

(٢) فِي اللِّسَانِ وَحَكَى أَبُو حَنِيفَةَ مُلَاحِيٌّ — بِتَشْدِيدِ اللَّامِ — وَهِيَ قَلِيلَةٌ ،
وَقَالَ مَرَّةً إِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى الْمُلَاحِ — بِتَشْدِيدِ اللَّامِ وَضَمِّ الْمِيمِ — وَإِنَّمَا الْمُلَاحُ فِي
الطَّعْمِ ، وَالْمُلَاحِيٌّ — بِتَخْفِيفِ اللَّامِ — مِنَ الْأَرَكَ الَّذِي فِيهِ بَيَاضٌ وَشَبْهَةٌ وَحُمْرَةٌ
وَفِي اللِّسَانِ أَيْضًا : مُلَاحِيٌّ بِتَخْفِيفِ اللَّامِ : عَنْبٌ أَيْضٌ .

وذكر فيه حكمة اللؤلؤ من بنى عبد الدار ، وأنهم صرّعوا حوله حتى
أخذته امرأة منهم وهي عمرة بنت علقمة ، فلذلك قال :
لم تطلق حمله العواتق منهم إنما يحمل اللؤلؤ النجوم^(١)

سمر ابن عمار :

وقال في شعر حجاج بن علاط يمدح علياً رضى الله عنه .

لله أى مذّيب عن حرمة

ألقيت في حاشية الشيخ أبى بحر على هذا البيت في حاشية الأصل يعنى
أصل أبى الوليد ، قال إبراهيم : أى نصب لأنه مديح وللمديح نصب فى أى
حاليه ، فأما ابن هشام قرّع أى . قال المؤلف : وهذا الذى ذكره من
نصب أى على المديح ، لا يستقيم إلا أن تُقدّر حذف المبتدأ قبله ،
كأنه قال لله أنت لأنه لا ينصب على المدح إلا بعد جملة تامة ، وأما
الرفع على أن تجعل خبره الله : فقيح لأنها وإن كانت خبراً ، فأصلها

(١) وإليك بقية شرحها من شرح السيرة لأبى ذر الغفنى : وأضاف :
نزل وزار . السجوم : اللؤلؤ . الحول : الصغير . أندبتها : أثرت فيها من التدب ،
وهو أثر الجرح . الكلوم : الجراحات . اللجين : الفضة . الجاية : الخوض
الصغير . الجولان : موضع بالشام . إن خالى خطيب : يعنى بحاله مسلة
ابن مخلد بن الصامت . محطوم : مكسور . جر : أراد جزءاً فنقل حركة الهزة
وحذفها . وسط : توسطت . الذوائب : الأعلى : سمجة : اسم بئر بالمدينة كان
عندها احتكام الأوس والخزرج فى حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان
ابن ثابت . غلى : من رواء بتشديد ياء فهو معروف . فلست بسبى : السب هو الذى
يقاوم الرجل فى السب ، ويصكون شرقه مثل شرقه . نب : صاح . لحاق :
ذكرنى . الرعاغ : الضغفاء . لواذ : مستترين . الحلوم : العقول . العواتق : جمع عاتق
وهو ما بين الكتف والعتق . النجوم هنا المشاهير من الناس ، ص ٢٥٧ وما بعدها

الاستفهام فلها صدر الكلام كما كان ذلك في كم خبرية كانت، أو استفهامية،
فالتقدير إذا: قد دراه أي مذنب عن حُرمة هو، ألا ترى أنه يتضح أن يقول:
جاءني أي فتى، فإن جملة وصفًا جازيًا على ما قبلها، قلت جاءني رجل أي
رجل جاز ذلك، لأنه إذا كان وصفًا لم تله العوامل اللفظية، فسكانه لم
لم يخرج عن أصله، إذ للبتداء لا تليه العوامل اللفظية.

وقوله: أخول أخولا، أي: متفرقين، ووقع تفسيره في بعض النسخ
من قول ابن هشام، وكان أصله من الخال، وهو الخيلاء والكبر، تقول:
فلان أخول من فلان، أي أشد كبراً منه، واختيلاً، فعنى قولهم: إذا
جاء القوم أخول أخولا، أي افترد كل واحد منهم بنفسه، وازداهم الخال
أن يكون تابعاً لغيره، فكلما رأيت أحداً منهم، قلت: هذا أخول من
الآخر، هذا هو الأصل، ثم كثر حتى استعمل في التفرق مثلاً، وإن لم يكن
هناك من معنى الخال شيء، وقد قيل في أخول: إنه من تحوّلت بالموعظة،
ونحوها إذا فعلت ذلك شيئاً فشيئاً، وفي الحديث: كان رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - يتخوّلنا بالموعظة، مخافة السّامة علينا.

سمر مسامحة الخالي:

وذكر شعر حسان الخالي وقال فيه:

كلّ حامٍ لآلاتِ الوقرِ بالثقلِ المُخاتِ الدّوالِحِ

الدّوالِحُ: جمع دالح وهي المُنقَلَة، وكذلك الدّلوح من السحاب، وهي
الْمُنقَلَة بالماء وفيه:

يَنْفُضُنَ أَشْمَارًا لَهُنَّ هُنَاكَ بَادِيَةُ الْمَسَائِحِ

للمسائح : جميع : مَسِيحَةٌ ، وهو ما لم يُخْطَط من الشَّعر بَدْهَنٍ ، ولا ثَمَرًا ،
والمَسِيحَةُ أَيْضًا الْقِطْعَةُ مِنَ النَّصِيبَةِ ، وَالْمَسِيحَةُ الْقَرَسُ .

وقوله : مَنْ بَيْنَ مَشْرُورٍ ، أَيْ مَفْرَقٍ ، وَيُقَالُ شَرَزْتُ الْمِلْحَ إِذَا
فَرَقْتَهُ (١) ، وَالْمَجْلُ كَالْجُرْحِ ، تَقُولُ : تَحَلَّتْ يَدِي مِنَ الْعَمَلِ .

وقوله : نَشَأْتُ ، أَيْ نَحَاذِرُ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ .

وَشَأَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْخٌ (٢)

وقوله : قَدْ كُنْتُ الْمُصَافِحَ ، وَفِي الْحَاشِيَةِ عِنْدَ الشَّيْخِ الْمَصَافِحَ (٣) بِالْقَاءِ فِي رَوَايَةٍ
أُخْرَى ، وَأَمَّا الْمُصَافِحُ بِالْمِيمِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ حَمَمَتِ الشَّيْءِ إِذَا أَذْبَتُهُ ،
قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ ، قَالَ : وَالصَّمَخُ مِنْ الرِّجَالِ : الشَّدِيدُ الْعَصَبِ ، وَسِغُهُ

(١) فِي رَوَايَةٍ : مَشْرُورٌ ، أَيْ مَفْتُولٌ . وَيَذْعُذُ : يَفْرُقُ . وَالْبَوَارِحُ :
الرِّيَاحُ الشَّدِيدَةُ .

(٢) الشَّعْرُ لَا يَنْفُضُ الْهَذْلَ يَرِثُ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ ، وَيَصِفُ مَوَاقِفَهُ
فِي الْحَرْبِ :

وَزَعْتُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا تَبَدَّدُوا مِرَاعًا وَلَا حَتَّ أَوْجُهُ وَكَشُوح

بَدَرْتُ إِلَى أَوْلَاهُمْ فَسَبَقْتُهُمْ وَشَأَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْخٌ

أَنْظَرَ الْإِسَانُ فِي مَادَّةِ شَيْخٍ وَدِيَّانِ الْهَذْلِيِّينَ ١ ص ١١٤ — ١٢٠ .

(٣) وَمَعْنَى الْمَصَافِحِ : الرَّادُ لِلشَّيْءِ ، تَقُولُ : أَنَا فِي فُلَانٍ ، فَصَفَحْتُهُ عَنْ حَاجَتِهِ

أَيْ : زِدَدْتُهُ عَنْهَا . وَالْمَصَافِحُ : الْمُدَافِعُ الشَّدِيدُ ، وَالْمُنَافِحُ الْمُدَافِعُ عَنِ الْقَوْمِ
ص ٢٦٠ شَرْحُ السَّيْرَةِ لِأَبِي ذَرٍّ .

ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، والصَّاحُ فيما ذكر أبو حنيفة الرِّيحُ المُنْدِفَةُ .

وقوله : سَبَبٌ أو مَنَادَح ، يجوز أن يكون جَمْعٌ : مَنْدُوحَةٌ ، وهى السَّعَةُ ، وقياسه : مَنَادِيحٌ بالياء ، وحذفها ضرورة ، ويجوز أن يكون من المَنَدَح ، فيسكون مُفَاعِلًا بضم الليم ، أى مُكَافِرًا ، ويكون بفتح الليم فيكون جَمْعٌ مَنْدُوحَةٌ مَفْعَلَةٌ من الكثرة والسَّعة ، وأما قولهم : أنا فى مَنْدُوحَةٍ من هذا الأمر ، فهى مَفْعُولَةٌ من المَنَدَح ، وَوَم أبو عُبَيْد ، فجعله من انداحَ بَطْنُهُ إذا اتَّسَعَ ، والنون فى مَنْدُوحَةٍ أصلٌ ، وهى فى انداح زائدة ، لأن وزنه انْفَعَلَ ، والألف فى انداح أصلٌ وهى بدل من واو كأنه مَنْدُوحَةُ الشَّج ، والليم فى مَنْدُوحَةٍ زائدة ، والدال عين الفعل ، وهو فى انداح فاء الفعل ، ومن هاهنا قال الخطاى : يا عَجَبًا لابن قُتَيْبَةَ بترك مثل هذا من غَلَطِ أبى عُبَيْد ، ويعتف فى الرد عليه ، فيما لا بَالُ له من الغَلَطِ .

وقوله : خَضَارِمَةٌ : جمع خِضْرَمٍ ، وهو الكثير المطاء .

وقوله : يَرْتَمِنَنَّ مِنَ الرِّسِيمِ فى السَّيْرِ ، والصَّحَاصِحُ : جمع صَحْصَحٍ ، وهى الأرض التَّمْسَاءُ .

وقوله : ليس من قَوْزِ السَّفَائِحِ ، السَّفَائِحُ : جمع سَفِيحَةٍ ، وهى كالجَوَالِقِ (١) ونحوه .

(١) المفرد جوالق بضم الجيم وكسر اللام وفتحها ، أو بكسر الجيم واللام . وجعلها جوالق كصحائف ، وجوالق بفتح الجيم ، وجوالقات بضم الجيم . =

شعر صباه العاصمي :

وقال في القصيدة اللامية: ذي الخرمس الذابل، يريد: الرنح، والخرمس
سبانه وجمعه خرصان. وفيه: شلت يداً وخشي من قاتل.

ترك ثوبين العلم للضرورة :

ترك الثنوين للضرورة لما كان اسماً علماً، والعلم قد يُترك صرفه كثيراً،
ومنع من ذلك البصريون، واحتج السكوفيون في إجازته بأن الشاعر قد يحذف
الحرف والحرفين نحو قول علقمة [بن عبدة] :

كَأَنَّ إِرْبَقَهُمْ ظَنَّى عَلَى شَرَفٍ مُنْقَدِّمٍ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ^(١)

أى بسباب، وقول ايدي :

كأَلْمَا لِيَجْ^(٢) بِأَيْدَى التَّلَامِ

== والجرالنوعاء من صوف أو شعر أو غيرهما كالغزارة. وعند أبي ذر : أن
أن السفايح : جمع سفيح، وهو من تداح الميسر.

(١) لم يكن في الروض غير قوله : بسبا الكتان والسبيبة هي الشقة.

(٢) هي في الأصل : الحلاميح، ولا معنى لها، والحاليج : جمع حلاج -
بكسر الحاء - متفاخ الصائع. وفي اللسان في مادة تلم ورد هذا البيت منسوباً إلى
الطرماح يصف بقرة :

تلقى الشمس بمدرية كالحاليج بأيدى التلامي

وقال : التلام : اسم أعجمي، وباد به الصاعة، وقيل : غلبان الصاعة، يقال هو بالكر
يقرأ بإثبات الياء في القافية - ورواه بعضهم بأيدى التلام - فن رواه بفتح التاء وإثبات الياء
أراد التلاميذ بمعنى تلاميذ الصاعة. ومن رواه بكسر التاء من تلام، فهي جمع تلم :
الغلام. وقيل كل غلام تلم تلميذاً كان أو غير تلميذ والجمع التلام وقيل : التلام بالكر ==

أى التلاميذ .

وقال ابن السراج محتجاً عليهم : ليس التنوين من هذا في شيء ولأنه زائد
لمعنى ، وما زيد لمعنى لا يحذف .

شعر كعب

وفى شعر كعب :

طَرَفْتُ مَحْمُومَكَ قَالَتْ قَادُ مُسَهَّدُ

أراد الرقاد مُسَهَّدُ صاحبه ، حذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ،
وهو الضمير المحذوف ، فصار الضمير مفعولاً لم يُسم فاعله ، فاستقر في
المُسَهَّد^(١) . ومنه :

وَجَزَعْتَ أَنْ سُلِّخَ الشَّيَابُ الْأَغْيَدُ

أى : الأغيدُ صاحبه ، وهو الناعم .
وقوله : والخيل تنفهم ، أى : تتبع آثاره .
وهو ما حول الخلف منه .

فصيرة كعب الرائية :

وقول كعب فى الشعر الزائد :

= الخلاج الذى ينفخ فيه ، والتلام بالفتح التلاميذ التى تنفخ فيها . واسد
كالتلاميذ بأيدي التلام

وانظر مادة خلاج من اللسان . والتلاميذ : الخدم والأتباع .

(١) ذهب أبو ذر إلى ما ذهب إليه السهيلي ، ولكنه زاد : ويجوز أن يكون
وصف الرقاد بأنه مسهد على وجه المجاز .

وَلَيْتُ التَّلَاحِمَ فِي الْبِرَّةِ

البِرَّةُ: الشارة الحسنة، والبرَّةُ السلاح أيضاً، وهو من برزت الرجل، إذا سلطه برزته، يقال: من عزَّ برٌّ، أى: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ، والبرُّ اِزُّ: الرَّجُلُ الشَّدِيدُ.

نونية كعب:

وقال أيضاً في القصيدة النونية.

تَلُوذُ الْبُجُودُ ، بِأَذْرَانِنَا

الْبُجُودُ: جمع بُجْدٍ، وهم جماعة من الناس، ويروى النجود بالنون، وهى المرأة التبرُّوية. والْبُجُودُ من الإبل: الْقَوِيَّةُ^(١) وقوله: بِأَذْرَانِنَا جمع ذَرَا من قولهم: أَنَا فِي ذَرَا فُلَانٍ، أى فى سِتْرِهِ، وتقول العرب: ليس فى الشجر أَذْرَى من السَّمِّ أى: أَذْفَا ذَرَاً منه، لأنه يقال: لَمَحَلَّتْ أَحَدٌ صَرْدًا^(٢) قَطًّا فى ذَرَا سَلَمَةٍ.

وقوله: جَلَمَاتِ الْخُرُوبِ. من قولك جَلَمْتُ لشيءٍ، وَجَرَسْتُهُ إِذَا قَطَعْتَهُ، ومنه: الْجَلَمَانِ^(٣). وقوله: لَدُنَّ أَنْ بُرِينَا أى خَلِقْنَا، والبارى: الخالق^(٤) سبحانه، أى هذا حالنا من لَدُنْ خُلِقْنَا.

(١) وهى فى السيرة: النجوم ويعنى: المشهورين من الناس.

(٢) الصرد يسكون الراء وفتحها: البرد أو شدته.

(٣) هما المقرضان واحدهما: جلم. وقيل الجلم الذى يهز به الصوف والشعر، والجلبان شفرتاه.

(٤) يقول ابن الأثير: هو الذى خلق الخلق لا عن مثال، =

وقوله : يحسبها من رآها الفَتِينَا ، هي الصخور السوداء ، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تشبه ما قَتِنَ بالنار ، أى : أحرِق . وفى التنزيل : ﴿ عَلَى النَّارِ يُفَقَّتُونَ ﴾ القاريات : ١٣ وأصل الفَتَنُ ^(١) الاختبار ، وإعما قيل : فَتَنَتْ الحديدَ بالنار ، لأنك تختبر طيبها من خبيثها .

وقوله : دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُرُونًا ، أى : حُمْرًا أَوْسُودًا ^(٢) ، وقوله : جَاءُوا ، أى : كَجِيئَةٍ لَوْنُهَا لَوْنُ الحديد .

وقوله : جُولًا طَحُونًا : الْجَوْلُ : جَانِبُ الْبَهْرِ .

وقوله : إِنْ قَلَصَتْ ، يعنى الحرب ^(٣) ، ثم وَصَفَهَا فَقَالَ : عَضُوضًا حَجُونًا من القَصْ ، وَحَجُونًا مِنْ حَجَنْتُ الْعُودَ إِذَا لَوَيْتَهُ ^(٤) ، وقوله :

== ولقد افظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها يفره من المخلوقات ، وقلبا تستعمل في غير الحيوان ، فيقال : برأ الله النسمة ، وخلق السموات والأرض . ويقول أبو هلال العسكري في فروقه عن البرية : البرية فمية من برأ الله الخلق ، أى : ميز صورهم ، وترك هذه لكثرة الاستعمال ، وقيل أصل البرية البرى وهو القطع ، وسمى برية لأن الله عز وجل قطعهم من جملة الحيوان فأفردهم بصفات ليست لغيرهم ، أما الخالق ، فهو كما يقول ابن الأثير - الذى أوجد الأشياء جميعا بعد أن لم تكن موجودة ، وأصل الخلق : التقدير ، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير : خالق . وقد ذكر القرآن الإسمين ، فلا يمكن أن يكون أحدهما عين الآخر في معناه الكلى .

(١) فى الأصل : الفتى .

(٢) الدواجن : المقيمة .

(٣) وقلصت : ارتفعت وانقبضت .

(٤) الحجون : المعوجة الأسنان .

أَلَسْنَا نَشُدُّ عَلَيْهَا الْقَصَا بَ حَتَّى تَدُرَّ وَحَتَّى تَلِينَا

هذا كله من صِفَةِ الحرب ، شبهها بِنَاقَةٍ صَغِيرَةٍ قَلِمَتْ ، أَيْ صَارَتْ قَلُوصًا ، أَيْ إِنَّا نُدَلِّلُ صَغِيرًا ، وَتَلِينُ مِنْ خِرَاسِهَا . وَقَوْلُهُ : وَيَوْمَ لَهُ رَهَجٌ دَائِمُ الرِّهَجِ : الْغُبَارُ .

وَقَوْلُهُ : شَدِيدُ التَّهْوِيلِ : جَمْعُ تَهْوِيلٍ ، وَالتَّهْوِيلُ : أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ [عَبْدِ الْمَسِيحِ بْنِ عَسَلَةَ] يَصِفُ رَوْضًا :

وَعَارِبٌ قَدْ عَلَا التَّهْوِيلُ جَنْبَهُ لَا تَنْفَعُ الثَّقَلُ فِي رِغْوَانِهِ الْخَافِي ^(١)

وَقَوْلُهُ : حَامِي الْأَرِينَا : جَمْعُ إِرَةٍ ، وَهُوَ مُسْتَوْقَدُ النَّارِ ، يَمْجُزَانُ يَكُونُ وَزْنُهَا هِلَةً مِنَ الْأَوَارِ ، وَهُوَ الْحَرُّ ، لَحَذَفَتِ الْحَذَرَةَ ، وَهَمَزَتِ الْوَاوَ لَانْكِسَارِهَا ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ وَزْنُهَا قِمَةً مِنْ تَأَرَّيْتُ بِالْمَسْكَنِ ، لِأَنَّهُمْ يَتَأَرَّوْنَ حَوْلَهَا ، وَهَذَا الرَّجْعُ الصَّحِيحُ ، لِأَنَّهُمْ يَجْمَعُونَهَا عَلَى إِرَيْنِ مِثْلِ سَنِينَ ، وَلَا يَجْمَعُ هَذَا الْجَمْعُ لِلْمَسْلَمِ كَجَمْعٍ مَنْ يَقِلُّ إِلَّا إِذَا حُدِّقَتْ لَامُهُ ، وَكَانَ مُؤَنَّنًا ، وَكَانَ لَامُ الْفِعْلِ حَرْفَ عِلَّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَذْكَرٌ كَالْأَمَةِ ، إِنَّمَا اجْمَعْتُمْ فِيهِ هَذِهِ الشَّرُوطُ الْأَرْبَعَةُ جُمِعَ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ فِي الرِّفْعِ . وَبِالْيَاءِ وَالنُّونِ فِي الْخَفْضِ وَالنَّصْبِ ، كَسَيْنِ

(١) يَصِفُ بِهِ مَا أَخْرَجَهُ الزُّورِعُ مِنَ الْأَلْوَانِ ، وَفِي الْمَحْكَمِ يَصِفُ نَبَاتًا وَقَدْ لَسِبَهُ اللَّسَانُ فِي مَادَّةِ هَوْلٍ كَمَا أَثْبَتَ لِعَبْدِ الْمَسِيحِ بْنِ عَسَلَةَ وَهُوَ أَخُو بَنِي مَرَّةَ بْنِ هَامٍ بْنِ مَرَّةَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ . وَجِيهَةٌ هَذَا مَعَ أَرْبَعَةٍ غَيْرَةٍ فِي الْمَفْضِلَاتِ الْقَضِيَّيِ وَأَنْظَرْ ص ٥٧ سَطْرَ اللَّكَلِيِّ . الْبَكْرِيُّ - ١ - وَص ٢٥٤ الْأَمَالِيُّ لِلْقَالِي ج ٢ وَاللَّسَانُ مَادَّةَ هَوْلٍ وَلَنَا . وَص ٢٣٥ الْمُؤْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ لِابْنِ الْقَامَرِ الْحَسَنِ ابْنِ بَشَرَ بْنِ يَحْيَى الْأَمْدِيُّ ط ١٩٦١ .

وعِضِينَ ، غير أنهم قد قالوا رِقِينَ^(١) في جمع الرِّقَّةِ وهي الورق وقد تكلمنا على سِرِّ هذا الجمع وسِرِّ أَوْضِينَ في « نتائج الفكر » بما فيه جَلَاءٍ والحدُّ لله .
وقوله : كنار أبي حُبَّاحِبٍ والصَّيْنَا^(٢) يقال أبو حُبَّاحِبٍ ذُبَابٌ يَلْمَعُ بِاللَّيْلِ ، وقيل كان رجلاً ثَمِيماً لا يرفع ناره^(٣) خَشْيَةَ الْأَضْيَافِ ، ولا يوقدُها إِلَّا ضَعِيفَةً ، وترك صَرَفَهُ ولم يَخْفِضْ ، وهو في موضع الخفض ، لما قد مضاه من أن الاسم إذا تَرَكَ صَرَفَهُ ضرورةً أو غير ضرورة ، لم يدخله الخفض كما لا يدخله التثنية ، ثَلَاثِيَّةً ما يُضَيِّقُهُ التَّكْلِمُ إِلَى نَفْسِهِ ، وقال أبو حنيفة : لا أدري ما حُبَّاحِبٌ ولا أبو حُبَّاحِبٌ ، ولا يلقى عن العرب فيه شيء^(٤) ، وقال في الإِرَاعَةِ عن قوم حكى قولهم : هو من أَرَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا عَمَلْتَهُ ، وقال : الْأَرَىُّ هُوَ عَمِلَ النَّحْلَ وَقَعَلَهَا ،

(١) في الأصل : رقيق وهو خطأ صوابه ما أثبتته . والرقعة : الذرهم المضروب . ورقون في حال الرفع ، ورقين في حال النصب والحجر .
(٢) لا يوجد في القصيدة ما ذكره ، ولكنه يدك للكيت هو :
وي الرأون بالشفرات منها كنار أبي حبابب والطيينا
ولما ترك الكيت حذوفه ، لأنه جملة اسم الموصوف .

(٣) كان من محارب خفيفة ، وقد ضرب بناره المثل ، فقالوا : نار الحبابب لما تقدحه الخيل بموافرها ، فان ما أورت الخيل لا ينتفع به كما لا ينتفع بنار الحبابب ، وقيل لأنه كان إذا انتبه منتبه ، ليقبس من ناره أطفاها ، وقد اشتق ابن الأعرابي نار الحبابب من الحبيبة . وهي الضعف . وأما أم حبابب فدوية مثل الجندب تطير صفراء خضراء رقطاء .

(٤) قال : ويزعج قوم أنه البراع ، والبراع فراشة إذا طارت ظن أنها شررة . وقيل إن الحبابب هو طائر أطول من الذباب في دقة يطير فيما بين المغرب والمساء .

ثم سمي المثل أرباباً لهذا كما يُسمى مزجاً وأنشد [لأبي ذؤيب الهذلي] :
 وجاءوا يتزج لم يرَ الناسُ مثله هو الضحك إلا أنه عمل الذحل^(١)
 قال : والضحك : الزبد الأبيض ، وقيل الثغر ، وقيل الطلع ، وقيل :
 العجب .

وقوله : والظيدين : جمع ظبية ، جمعتها على هذا الجمع المسلم ، لما قدمناه
 في الأرين والسنين ، غير أنه لم يكسر أول الكلمة كما كسرت السن من سنين
 إشعاراً بالجمع ، لأن ظيين لا يشبه أن يكون واحداً ، إذ ليس في الأسماء فاعيل ،
 وكسر أول^(٢) سنين إيداناً بأنه جمع كي لا يتوهم أنه اسم على فاعول . إذ
 ليس في الأسماء فاعول ولا فاعيل ولم يبلغ سيدي به أن ظبية تجمع على ظيين . وقد
 جاء في هذا الشعر ، وفي غيره كما تراه .

وقوله : قوا حيزه : جمع قاحيز وهو الوثاب القلق ، يقال : قحز قحزاً

(١) ن في اللسان في مادة ضحك : فجاء .

(٢) بعضهم - كما جاء في اللسان - يقول : سنون بضم السين ، وبعضهم يجعل
 النون في سنين هي علامة الإعراب فيقول . هذه سنين بضم النون مع تنوينها ،
 ورأيت سنينا ، وبعضهم يجعل النون نون الجمع ، فيقول هذه سنون ، ورأيت
 سنين ، والنحويين بعض تفصيل في هذه المسألة . فقالوا : الغالب في باب سنه وأخواتها
 أن ما كان منه مفتوح الفاء في المفرد فإنه يكسر في الجمع مثل سنه وسنين ، وما كان
 مكسور الفاء في المفرد لم يتغير في الجمع ، مثل مائة ومئين وعضه وعشرين وعزه
 وعزين وما كان مضموماً الفاء يجوز فيه الكسر والضم ، مثل : ثبة وثبين . انظر
 ص ١٥٧ من التصريح على التوضيح لابن هشام .

[وَقَحْزًا وَمُحْزِرًا] (١) ، إِذَا وَتَبَ وَقَيَّاقَ . وقوله : بِحُرْسِ الْحَيْسِ ، يَصِفُ
الشَّيْفَ بِالْحُرْسِ لَوْقُوعِهَا فِي الدَّمِ وَاللَّحْمِ .

وقوله : حِسَانِ رِوَاءَ : مِنَ الدَّمِ ، وقوله : بُصْرِيَّةٌ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى بُصْرَى .
مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، كَمَا أَنَّ الْمَشْرِقِيَّةَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَشَارِفِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ،
لِأَنَّهَا تُصَنِّعُ فِيهَا .

وقوله : قَدْ أَجِنَ الْجَفُونَا ، أَيْ كَرِهْنَا الْمَقَامَ فِيهَا ، وَمَلَلْنَاهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ
هِشَامِ لِسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : مَا طَعَامُكَ ؟ قَالَ : الْخُبْزُ بِالزَّيْتِ ، قَالَ : أَمَا
تَأْكُلُهُمَا ؟ قَالَ : إِذَا أَجِئْتُهُمَا تَرَكَتُهُمَا حَتَّى أَشْتَهِيَهُمَا .

وقوله : وَتَحْتَ الْقِمَاةِ وَالْمُغْلِبِينَ ، يَاسْقَاطُ الْوَاوِ مِنْ أَوَّلِ الْقِسْمِ الثَّانِي (٢) وَقَعَ
فِي الْأَصْلِ فِي الْخَاشِيَةِ ، وَتَحْتَ الْقِمَاةِ بَوَاوِ الْمُعْطَفِ وَقَعَ فِي الْأَصْلَيْنِ ، وَبِهَا
يَكْمُلُ الْوِزْنُ وَلَا يَجُوزُ إِسْقَاطُهَا إِلَّا عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ الَّذِي يُجَبِّزُ الْخُرْمَ
فِي أَوَّلِ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ ، كَمَا يُجَبِّزُهُ الْقَرَوِضِيُّونَ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ .

وقوله : نَطِيفُكَ الْمُنْدِيَّاتِ : أَيْ الْأُمُورِ الشَّنِيعَةِ .

وقوله : تَبَجَّجْتُ ، مِنْ تَبَجَّجَ الْمَاءُ ، إِذَا انْفَجَرَ .

(١) مَا بَيْنَ الْقَرَوِضِيِّينَ مِنَ الْقَامُوسِ .

شعر ضرار

وقول ضرار في قصيدته الدالية يكتبون في جدية^(١)، أى : في دمه .
 وقوله : تغلب جسد ، يريد تغلب الرمح ، وجسد من الجسد وهو
 الدم^(٢) .
 وقوله : الأضغان والحنق ، حرك القاف بالكسر ضرورة ، ولو وقف على
 الدال بالسكون ، وكان الاسم مخفوضا كان الكسر أحسن في الوقف ، قال :
 واضطغافا بالرجل ، أى : الرجل^(٣) .
 وقوله : أنوصاه والكود ، يريد الرملة التوبيص منسكها ، والكود
 جمع عتبة كود وهي الشاة .

(١) عند النخنى : طريقة الدم .

(٢) الشطب ما دخل من الرمح في السنان . وجسد يبس عليه الدم .
 • النخنى ص ٢٧٢ .

(٣) انظر ص ٣٢١ - ٣٢٠ الشافية لابن الحاجب مع شرحها لرضى ، وقد
 أنشد الشان :

أرتنى حجلا على ساقها ففش الفؤاد لذاك الحجل
 فقلت ، ولم أخف عن صاحبي إلا أنا أصل تلك الرجل

ثم قال : أراد الرجل — بكسر الراء وسكون الجيم — والحجل — بضمة
 الرجل — فالتى حركة اللام — وهى الكسر — على الجيم . وليس هذا وضعا .
 لأن فعلا — بكسر الفاء والعين — لم يأت إلا في قولهم : لبل وإطل .

رمز عكرمة :

وقول عكرمة : أَرْحَبُ هَلَا ، هو من زَجَرَ الخيل ، وكذلك هِطَطٌ وهِطَطٌ
يُؤْثَبُ وسَقَبٌ^(١) . وذكر قول نعيم :

شعر نعيم :

يا عَيْنُ جودي بفيضٍ غيرِ إِبْسَاسٍ

الإِبْسَاسُ : أَنْ تَسْتَدِيرَ لَبَنَ النّاقَةِ بَأَنْ تَمْسُحَ ضَرْعَهَا ، وتقول لها : بَسْ
بَسْ فاستعارت هذا المعنى للدَّمْعِ الفائضِ بغيرِ تَكَلُّفٍ ولا اسْتِذْرائٍ له .
وقولها : صَغَبَ البَدِيَّةِ ، أى : بَدِيَّتُهُ^(٢) لا تُعَارِضُ ولا تُطَاقُ ، فكيف
رَوَيْتُهُ واحتِفَالُهُ .

شعر كعب الهملي :

وفي شعر كعب :

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بِكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاهُ وَلَا التَّوِيلُ
وضع التصور في مَوْضِعِهِ ، والمدود في موضعه ، لأن البُكَاهَ مَقْصُورٌ بمعنى

- (١) سبق ذكرها . وهبط عن المبرد وحده . وقد كررها في الروض مرتين ،
وأظن أن الأخرى : هَبَّ بكمر ففتح وهي من زجر الخيل أيضاً .
(٢) البديهة : سداد الرأي عند المفاجأة ، والمعرفة يجدها الإنسان في نفسه
من غير أعمال للفكر ، ولا علم يسبها ، وأول كل شيء وما يفجأ منه .

الحزن والغم ، وإن كان ممدوداً فهو الصراخ ، وكذلك قياس الأصوات أن تكون على قُمال ، فقوله : حُق لها بُكاها ، أى حق لها حزنُها ، لأنه الذى يَحِقُّ دون الصراخ . ثم : قال : وما يُغنى البكاء ولا القويلُ ، أى : ليس ينفع الصياحُ ولا الصراخُ ، ولا يُجْدَى على أحدٍ ، فتعزات كُلِّ كلمةٍ منزَلتها .

وقوله : حُقَّ لها ، أى : حَقَّ ، والأصل : حَقَّقَ على فَعِل ، فبكأها : فاعِلٌ لا مفعول ، وكل فَعِلٍ إذا أردتِ المبالغة في الأمر ومعنى التَّعَجُّبِ نقلت الصَّيْغَةَ من عين الفعل إلى فائه ، فمقول : حُسْنٌ زَيْدٌ ، أى حَسَنٌ جداً ، فإن لم تُرِدْ معنى التَّعَجُّبِ لم يَجْزِ إِلَّا الضَّمُّ أو التَّنْكِيسُ ، تقول : كَبُرَ زَيْدٌ وَكَبُرَ ، ولا تقول كُبِرَ إِلَّا مع قَصْدِ التَّعَجُّبِ . قال الشاعر [الأخطلُ] :

فَقُلْتُ : اقْتُلُوها عَنْكُمْ بِمِزَاجِهَا وَحُبَّ بِهَا مَقْتُولَةٌ حِينَ تُقْتَلُ

يعنى الحمر . وقال آخر : [سهم بن حنظلة القنوى] :

لَمْ يَجْعَلِ الْقَوْمُ يَنْبَى مَا أَرَدْتُ وَلَمْ أُعْطِهِمْ مَا أَرَادُوا حُسْنٌ ذَا أَدْبَاً^(١)

أى حَسَنٌ ، وقال آخر :

أَلَا حُبٌّ بِالْبَيْتِ الَّذِى أَنْتَ زَائِرُهُ

(١) سبق هذا وانظر ص ٤١ [إصلاح المنطق لابن السكيت وتهذيب التبريزي ص ٤٤ ففیهما ما نقل السبیل وعنه وعن التبریزی نقلت اسم الأخطل ، ونقلت اسم سهم بين حنظلة وعن كتاب تهذيب لإصلاح المنطق لابن زكريا يحيى بن علي ابن الخطيب التبريزي ص ٥٤ .

(١١٢م) — (الروى ألف ج ٦)

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث مقتل خبيب وأصحابه

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الطَّلبي ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَصَلٍ والقارة .

وقال : بالبيت ، لأن معناه كمنى أخيب بالبيت تمحيًا . وقول كمنى :

أَبَا بَغْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هَدَّتْ

كان حمزة يُكْنَى أبا بَغْلَى بابنه بَغْلَى ، ولم يَعِشْ لَحْزَةً وَلَدٌ غَيْرُهُ ، وَأَعْقَبَ بَغْلَى خَمْسَةَ مِنَ الْبَنِينَ ، ثُمَّ انْقَرَضَ عَقِبُهُمْ فِيمَا ذَكَرَ مُصْطَبٌ وَبُكْنَى . حمزةُ أيضًا أبا مَعْمَارَةَ ، وقد تقدم ذكره في الْمَبَشِّ ، بهذه الْكُفْمِيَّةِ ، قيل : إن مَعْمَارَةَ بنت له كُنِيَ بها ، وهى التى وقع ذكرها فى الشَّنِّ لِلدَّارِ قُطْنَى : أن مَوْلَى لَحْمَزَةَ مَاتَ ، وَتَرَكَ^(١) بِنْتًا فَوَرِثَتْ مِنْهُ النِّصْفَ ، وَوَرِثَتْ بِنْتُ سَحْمَزَةَ النِّصْفَ الْآخَرَ ، وَلَمْ يَسْمَعْ فِي الشَّنِّ ، وَلَكِنْ جَاءَ اسْمُهَا فِي كِتَابِ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ . لَبَّكَرُ بْنُ الْعَلَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْوَلَاءَ كَانَ لَهَا ، وَأَنَّهَا كَانَتْ الْمُعْتَقَةَ لِحَمْزَةَ .

(١) فى جمهرة ابن حزم . ولد حمزة عمارة أمه خولة بنت قيس بن فهد الانصارى وبغلى وعامر أمهما أنصارية ، وابنة تزوجها سلمة بن أبى سلمة .

نسب عضل والقارة

قال ابن هشام : عَصَلُ والقارة ، من البَوْنِ بن خَزِيمَةَ بن مُدْرِكَةَ .

قال ابن هشام : ويقال : الهُون ، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابحث معنا نفراً من أصحابك يُفقهوننا في الدين ، ويُقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبحث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفراً ستة من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، حليف حمزة بن عبد المطلب ؛ وخالد بن البكير اللبي ، حليف بني عدي بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ؛ وحبيب بن عدي ، أخو بني جحجحي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثينة بن معاوية ، أخو بني بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة بن غضب بن جشم بن الخزرج ؛ وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي تخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لئذيل بناحية الحجاز ، على صدور الهداة غلروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرع القوم ، وهم في رحالهم ، إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غشوم ؛ فأخذوا أسياقهم ليقاتلهم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نتقاتلكم .

مقتل مرثد وابن البكير وعاصم

فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت فقالوا:
والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً؛ فقال عاصم بن ثابت:

مَا عَلَيَّ وَأَنَا جَلَدٌ نَابِلٌ وَالْقَوْمُ فِيهَا وَرَثَ عُنَابِلُ
تَزَلُّ عَنْ حَفَّتِهَا التَّمَابِلُ - الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَّا لِي نَازِلُ بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آئِلُ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَتَى هَابِلُ

قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ وَضَالَّةٌ مِثْلُ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ
إِذَا التَّوَاجِي أَفْتَرَشَتْ لَمْ أُرْعَدُ وَنُجْنَا مِنْ جِلْدِ ثَوَرٍ أَجْرَدِ
وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدٍ

وقال عاصم بن ثابت أيضاً:

أَبُو سُلَيْمَانَ وَمِثْلِي رَأَى وَكَانَ قَوْمِي مَعِشَرًا كَرَامًا
وَكَانَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ يُكْنَى: أَبَا سُلَيْمَانَ. ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ
وَقُتِلَ صَاحِبَاهُ.

حماية الدبر لعاصم

فلما قُتِلَ عَاصِمُ أَرَادَتْ هَذِيلُ أَخْذَ رَأْسِهِ، لِيَبْيُمُوهُ مِنْ سُلَافَةِ بِنْتِ سَعْدٍ

ابن شهيد ، وكانت قد نذرت حين اصاب ابنها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في فحفه الخمر ، فمنعته الدبر ، فلما حالت بينه وبينهم الدبر قالوا : دعوه يمسي فتذهب عنه ، فناخذ . فبعث الله الوادي ، فاحتمل عاصمًا ، فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمتسه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً ، تنجساً ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن الدبر منعه : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمتسه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته .

مصرع خبيب وابن طارق وابن الدثنة

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي ، وعبد الله بن طارق ، فلانوا وركبوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ، ليبيعهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران انزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبزه ، رحمه الله ، بالظهران ؛ وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعواهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خميباً حجير بن أبي إهاب التيمي ، حليف بني نوفل ، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث ابن عامر لأمه لقتله بأبيه .

.....

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبي إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، ويقال : أحد بني عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بني تميم .

مثل من وفاء ابن الدثنة للرسول

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدثينة فابتاعه صفوان بن أمية ليعتقه بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعت به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له : نسطاس ، إلى التميم ، وأخرجوه من الحرم ليعتقوه . واجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أن أحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه ، وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه يصير به شوكة تؤذيه ، وأنى جالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : مارأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ؛ ثم قتله نسطاس ، رحمه الله .

مقتل خبيب وحديث دعوته

وأما خبيب بن عدي ، لحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أنه حدث عن ماوية ، مولاة حنيفة بن أبي إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيب عندي ، حبس في بيتي ، فلقد اطلعت عليه يوماً ، وإن في يده قطعاً من عنب ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح جميعاً أنها قالت : قال لي حين حضره القتل : ابغني إلى بحديدة أنظهر بها للقتل ، قالت : فأعطيتُ غلاماً من الحَيِّ الموصى ، قلت : ادخل بها على هذا الرجل الميت ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن ولَّى الغلام بها إليه ، قلت : ماذا صنعتُ ! أصاب والله الرجلُ نارهَ بقتلِ هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لتمرك ، ما خافت أُمك غدري حين بَشَتَكَ بهذه الحديدة إلى ! ثم خَلَّى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاؤوا به إلى التَّنْميم ليصلُّوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ؛ قالوا : دُونَكَ فَاذْكُرْ . فركع ركعتين أَمَّهما وأخسهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أَمَّا والله لولا أن تَطَلُّنُوا أَنِّي إِنَّمَا طَوَّلْتُ جَزَعاً من القتل لاستكثرتُ من الصلاة . قال : فكان خُبَيْبُ بْنُ عَدَى أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَاتَيْنِ الرُّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ . قال : ثم رَفَعُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ ، فلما أَوْتَقَرَهُ ، قال : اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا رِسَالَةَ رَسُولِكَ ، فَبَلَّغْهُ الْغَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا ؛ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عِدْداً ، وَاقْتُلْهُمْ بَدْداً وَلَا تُقَادِرْ مِنْهُمْ أَحْداً . ثُمَّ قَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يُلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خُبَيْبٍ ، وكانوا

.....

يقولون إن الرجل إذا دُعي عليه ، فاضطَجَعَ لجنبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عتبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قُتلت خبيباً ، لأنى كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا مئسرة ، أخا بني عبد الدار ، أخذ الحربة فجعلها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحربة ، ثم طعن بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام ، فكانت تُصيبه غشية ، وهو بين ظَهري القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مُصاب ؛ فسأله عمر في قَدَمِهِ قَدَمُها عليه . فقال : يا سعيد ، ما هذا الذى يُصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين مدبى من بأس . واسكنى كنتُ فيمن حضر خبيب بن عدى حين قُتل ، وسمعتُ دعوتَهُ ، فوالله ما خُطرتُ على قلبى وأنا فى مجلس قطُّ إلا غشى على ، فزادتهُ عند عمر خيراً .

قال ابن هشام : أقام خبيب فى بُدَيْبِهِ حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قُتِلَ .

ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن

قال : قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية ، كذا

حدثني موثى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سميد
ابن جبير عن ابن عباس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم
بالجميع ، قال رجال من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا
(هكذا) ، لام قعدوا في أهلهم ، ولا هم أدوا رسة أصحابهم ! فأنزل الله
تعالى في ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك نفر من الخير بالذي
أصابهم ، فقال سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ :
أى لما يظهر من الإسلام بلسانه ، ﴿ وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴾ ، وهو
مخالف لما يقول بلسانه ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي خِصَّام ﴾ : أى ذو جدال إذا كلك
وراجعك .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الألد : الذى يشغب ، فنشتد خصومته ؛ وجمعه : لد .
وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ وَنُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ . وقال المهمل بن ربيعة
التغابي ، واسمه امرؤ القيس ؛ ويقال : عدى بن ربيعة :

إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَإِنَّا وَخَصِيمَا الْأَدَا مِنْ مِغْلَاقِ

ويروى ذا مغلّاق ، فيما قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو
الأندد . قال الطرمّاح بن حكيم الطائى يصف الحرباء :

يُوفِي عَلَى جِذْمِ الْجَذُولِ كَأَنَّهُ خَفِصَ أَبْرًا عَلَى الْخُصُومِ الْأَنْدَدُ

.....

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾ : أى خرج من عندك
﴿ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفُسَادَ ﴾ أى لا يحب عمله ولا يرضاه . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴾ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ : أى قد شَرَوْا أنفسهم من الله
بالجهاد في سبيله ، والقيام بحجته ، حتى هلكوا على ذلك ، بمعنى تلك السرية .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يَشْرِي نفسه : يبيع نفسه ؛ وَشَرَوْا : باعوا . قال يزيد
ابن ربيعة بن مفرغ الحميري :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْدَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَهُ

برد : غلام له باعه : وهذا البيت في قصيدة له . وَشَرَى أيضاً : اشترى .

قال الشاعر :

فَوُتِلَتْ لَهَا لَا تَجْزَعِي أُمَّ مَالِكٍ عَلَى ابْنَيْكَ إِنْ عَبْدٌ لَيْسَ شَرَاهَا

شعر خبيب حين أريد صلبه

قول ابن إسحاق : وكان مما قيل في ذلك من الشعر ، قول خبيب بن عدي ،
حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه .

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له .

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَالْبُؤَى قَبَائِلُهُمْ وَاسْتَجَمَعُوا كُلَّ تَجْمَعٍ
وَكُلُّهُمْ مُبْدَى الْعِدَاوَةِ جَاهِدٌ عَلَى لَأَنِّي فِي وَثَاقٍ بِمَضْجَعٍ
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَفَرَّيْتُ مِنْ جَذَعٍ طَوِيلٍ مُنْتَمِعٍ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي نَحْمُ كُرْبَتِي وَمَا أُرْصِدُ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
هَذَا تَلَمَّشْ صَبْرِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي فَقَدْ بَصَمُوا لِحْنِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَلُو مُزْزَعٍ
وَقَدْ خَيْرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ وَلَكِنْ حِذَارِي جَحْمِ نَارٍ مُلْتَمِعٍ
وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ ، إِنِّي لَمِيتٌ عَلَى أَيْ حَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
وَقَدْ خَيْرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ ، إِنِّي لَمِيتٌ
فَلَسْتُ بِمُبْدَى الْعِدَاوَةِ تَحْشُمَا وَلَا جَزَعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي

شعر حسان في بكاء خبيب

وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَرْفَأُ مَدَامُهَا سَعَا عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ الْوَلَوِّ الْقَلِقِ
عَلَى خَبِيبٍ فَتَى النَّثِيمَانِ قَدْ عَلِمُوا لَا فَشِلَ حِينَ تَلْقَاهُ وَلَا تَرْقِ
فَاقْذِيبْ خَبِيبُ جَزَاكَ اللَّهُ طَلَبِيَّةَ وَجَنَّةَ الْخُلْدِ عِنْدَ الْحُورِ فِي الرُّفُقِ
عَازًا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ حِينَ التَّلَاسُكَةِ الْأَبْرَارِ فِي الْأَفُقِ

فيم قَتَلَمَ شَهِيدَ اللَّهِ فِي رَجُلٍ طَائِعٍ قَدِ اَوْعَثَ فِي الْبُلْدَانِ وَالرُّفُقِ

قال ابن هشام : ويزوي : «الطروق» وتركنا ما بقي منها ، لأنه اُفْلَحَ فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً خُبَيْباً :

يا عين جُودِي بَدَمِجْ مِنْكَ مَنْسَكَبِ	وابكى خُبَيْباً مَعَ الْفَتَيَانِ لَمْ يُوْبِ
صَفَرًا تَوَسَّطَ فِي الْأَنْصَارِ مَنَصِبُهُ	سَمَحَ السَّجِيَّةَ مَخْضًا غَيْرَ مُؤْتَشِبِ
قَدْ هَاجَ عَيْنِي عَلَى عِلَاتِ عَبْرَتِهَا	إِذْ قِيلَ نَصًّا إِلَى جَذْعٍ مِنَ الْخَشَبِ
يَا أَيُّهَا الرَّائِبُ الْغَادِي لِطَيْبَتِهِ	أَبْلَغَ لَدَيْكَ وَعَيْدًا لَيْسَ بِالْكَذِبِ
بَنِي كَهَيْبَةٍ أَنْ الْحَرْبَ قَدْ لَقِيتَ	تَحْلُو بِهَا الصَّابُ إِذْ تُرَى لَهُ مُحْتَلَبِ
فِيهَا أُسُودُ بَنِي النَّجَّارِ تَقْدُمُهُمْ	شُهْبُ الْأَسْنَةِ فِي مُمْصَوَصَبِ لَبِ

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التي قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر ينسكروها لحسان ، وقد تركنا أشياء قالها حسان في أمر خبيب إذا ذكرت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

لَوْ كَانَ فِي الدَّارِ قَرَمٌ مَاجِدٌ بَطَلُ	أَلْوَى مِنَ الْقَوْمِ صَفَرٌ خَالَهُ أُنْسُ
إِذَنْ وَجَدْتَ خُبَيْبًا مَجْلِسًا فَيْحًا	وَلَمْ يُشَدَّ عَلَيْكَ السَّجْنُ وَالْحَرَسُ
وَلَمْ تَسُقْكَ إِلَى التَّنْمِيمِ زِعْفَنَةً	مِنَ الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مِنْ نَفْتِ عُدُسٍ
دَلَّكَ غَدْرًا وَمِنْهَا أُولُو خُلْفٍ	وَأَنْتَ ضَمَّ لَهَا فِي الدَّارِ مُحْتَبَسُ

قال ابن هشام : : أنس : الأسم الشلبي : خال مُطْعَمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَوْقِلِ

ابن عبد مناف . وقوله : « من نفث عدس » يعني حُجَّير بن أبي إهاب ، ويقال الأعشى بن زُرارة بن النِّبَاش الأسدي ، وكان حليفاً لبني نوفل بن عبد مناف .

من اجتمعوا لقتل خبيب

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على خبيب في قتله حين قُتل من قُرَيْش : عِكْرمة بن أبي جهل ، وسميد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود ، والأخلس بن مِرَيْقٍ الثقفي ، حليف بني زُهْرَةَ ، وعُبَيْدة بن حكيم بن أمية بن عازرة بن الأوقص السلمي ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، وأمّية بن أبي عتبة ، وبنو الحضرمي .

شعر حسان في هجاء هذيل لقتلهم خبيبا

وقال حسان أيضا يهجو هذيل لما صنعوا بخبيب بن عدي :
أبليخ بن عمرو بأن أخام شرأه امرؤ قد كان للفدر لازما
شرأه زهير بن الأغر وجامع وكانا جميعا يزكبان المحارما
أجرتم فلما أن أجرتم غدركم وكذتم بأكناف الرجيع لم أذما
فليت خبيبا لم تحفه أمانة وايت خبيبا كان بالقوم عالما

قال ابن هشام : زهير بن الأغر وجامع : الهذليان اللذان باعا خبيبا .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

إن سرية الفدر صرّ فالامزاج له فأت الرجيع فسل عن دار الحيان

قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمْ فَالْكَلْبُ وَالْقِرَدُ وَالْإِنْسَانُ مِثْلَانِ
لَوْ يَنْطَلِقُ الْتَيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ
قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

لَوْ يَنْطَلِقُ الْتَيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ
قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيل :

سَأَلْتُ هُذَيْلَ رَسُولَ اللَّهِ فَاحْشَ ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَأَلَتْ وَلَمْ تَصِيبِ
سَأَلُوا رَسُولَهُمْ مَا لَيْسَ مُقَطِّعُهُمْ حَتَّى التَّمَاتِ ، وَكَانُوا سَبَّةَ الْقَرَبِ
وَلَنْ تَرَى لَهُذَيْلَ دَاعِيًا أَبَدًا يَدْعُو لِكُرْمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الْخَرَبِ
لَقَدْ أَرَادُوا خِلَالَ الْفُحْشِ وَنَجْمَهُمْ وَأَنْ يُحِلُّوا أَحْرَامًا كَانَتْ فِي الْكُتُبِ

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيل :

لَمَعْرَى لَقَدْ شَانَتْ هُذَيْلُ بْنُ مُذْرَكٍ أَحَادِيثُ كَانَتْ فِي خُبَيْبٍ وَعَاصِمِ
أَحَادِيثُ لِحْيَانٍ صَلُّوا بِقَبَائِلِهَا وَلِحْيَانُ جَرَامُونَ شَرُّ الْجَرَامِ
أَنَاسٌ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الزَّمْعَانِ دُبُرُ الْقَوَادِمِ
هُمْ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسَلَّتْ أَمَانَتُهُمْ ذَا عِقَّةٍ وَتَكَارَمِ
رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ غَدَرًا وَلَمْ تَكُنْ هُذَيْلٌ تَوَقَّى مُنْكَرَاتِ الْمَعَاطِمِ
فَسَوْفَ يَرَوْنَ النِّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ يَقْتُلُ الَّذِي تَحْمِيهِ دُونَ أَحْرَامِ
أَبَابِيلُ دُبُرِ شَمْسٍ دُونَ نَحْمِهِ تَحْتَ نَحْمِ شَهَادَةِ عِظَامِ الْمَلَاحِمِ

كَلَّ هُدَيْلًا أَنْ يَرَوْا بِمَصَابِهِ مَصَارِعَ قَتْلَى أَوْ مَقَامًا لِمَاتِهِمْ
وَنُوقِعَ فِيهِمْ وَقْعَةً ذَاتَ صِرَالَةٍ يُؤَافِي بِهَا الرُّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ قُبَيْلَةُ لَيْسَ الْوَفَاءُ يَوْمُهُمْ
إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْقِضَاءِ رَأَيْتَهُمْ وَإِنْ ظَلِمُوا لَمْ يَذْقُوا كَفَّ ظَالِمٍ
تَحْلِيهِمْ دَارُ الْبَوَارِ وَرَأَيْتَهُمْ بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْحَارِمِ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَهْجُو هُدَيْلًا :

لَكَ مِنَ قَتْلَى غَدَرَةٍ بَوَافٍ عَلَى اللَّهِ لِحْيَانًا فَلَيْسَتْ دِمَاؤُهُمْ
هُوَ قَتْلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ ابْنَ حُرَّةٍ فَمَلُّوا يَوْمَ الرَّجِيعِ بِأَسْرَمِ
قَتِيلٍ تَحْتَهُ الدَّبْرُ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ قَتَلْتُ لِحْيَانَ أَكْرَمِ مِنْهُمْ
وَلَدَى أَهْلِ كُفْرِ ظَاهِرٍ وَجَفَاءٍ فَأَفَ لِّلْحَيَّانِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
وَبَاعُوا خُبَيْبًا وَيَلْمُهُمْ بِفَقْدِهِ قُبَيْلَةُ بِاللُّؤْمِ وَالْفَذْرِ تَغْتَرَى
لَدَى أَهْلِ كُفْرِ ظَاهِرٍ وَجَفَاءٍ فَلَمْ تُمْسَ يَحْنِي لَوْمَهَا بِخَفَاءٍ
وَبَاعُوا خُبَيْبًا وَيَلْمُهُمْ بِفَقْدِهِ بَلَى إِنَّ قَتْلَ الْقَاتِلِيهِ شِفَاءُ
وَبَاعُوا خُبَيْبًا وَيَلْمُهُمْ بِفَقْدِهِ كَمَا دَى الْجَهَامُ الْمُتَقَدِّى بِأَفَاءٍ
لَدَى أَهْلِ كُفْرِ ظَاهِرٍ وَجَفَاءٍ فَبَيْتُ لِّلْحَيَّانِ الْخَفَا بِفَقْدِهِ
فَلَمْ تُمْسَ يَحْنِي لَوْمَهَا بِخَفَاءٍ جِدَاءَ شِتَاءٍ بَيْنَ غَيْرِ دِفَاءٍ

• وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلًا :

فلا والله ، ما تدرى هذيلٌ أصافٍ ما زَمَزَ أمْ مشوبٌ
ولا لهم إذا اعتَمَرُوا وَحَجُّوا مِنْ الحِجْرَيْنِ والسَّعَى نصيب
ولكنَّ الرِّجِيعَ لهم محلٌّ به اللُّؤْمُ المَبِينُ والمُيُوبُ
كانهم لدى الكَفَنَاتِ أصلاً نُبُوسٌ بالحِجَازِ لها نَيبٌ
هم غَرُّوا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا فَبُئِسَ القَهْدُ عَهْدُهُم الكَذُوبُ
• قال ابن هشام : آخرها بيتاً عن أبي زيد الأنصاري .

شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا وأصحابه :

صلى الإله على الذين تنابَعُوا يَوْمَ الرِّجِيعِ فَأَكْرَمُوا وَأُنِيبُوا
رأس السَّريَّةِ مَرْتَدٍ وأميرهم وابن البُكَيرِ إمامهم وخُبيب
• وابن طَارِقٍ وابن دَنَنْةٍ منهمُ وإفاهَ نَمَمَ حِجَامُهُ المَكْتُوبُ
• والعاصمُ التَّمَتُّولُ عند رَجِيعِهِمْ كَسَبَ التَّعَالَى إِنَّهُ لَكُذُوبُ
• مَنَعَ المَقَادَةَ أَنْ بَنَالُوا ظَهْرَهُ حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبُ

قال ابن هشام : وروى : حتى يجدل إنه لنجيب .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة شوال
وذا القعدة وذا الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والحرم ، ثم بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

حديث بئر معونة

سبب إرسال بعث بئر معونة

وكان من حديثهم ، كما حدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن
حزم ، وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر
ملاعب الأسيمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللديقة ، فعرض عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يؤمن ولم يؤمن
لإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجلا من أصحابك إلى أهل نجد ،
إلى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إني أخشى عليهم أهل نجد ؛ قال أبو براء : فأنا لهم جار ، فابقتهم فليدعوا الناس
إلى أمرك .

رجال البعث

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المقدّر بن عمرو ، أخا بني ساعدة ،
المُتَنِقِ بِمَوْتِ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ : مِنْهُمْ :
الْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ ، وَحَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ ، وَعُرْوَةُ
ابْنُ أَسْمَاءَ بْنِ الصَّلْتِ الشَّامِيُّ ، وَنَافِعُ بْنُ مُبْدِيلِ بْنِ وَرْقَانَ الْخَزَاعِيُّ ، وَعَامِرُ

ابن قَهْرَةَ مولى أبي بكر الصديق، في رجال مُسَمِّين من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا بيئر مَعُونَة ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُلَيْم . -
كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سُلَيْم أقرب .

عامر يقتل صحابياً

فلما نزلوها بعثوا حَرَام بن مِلْحَان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -
إلى عَدُوّ الله عامر بن الطَّفَيْل ؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى دعا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يُجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا :
لن نُخَفِّرَ أباً بَرّاً ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ؛ فاستصرخ عليهم قبائل من
بنى سُلَيْم من عَصِيّة ورِغْلٍ وذَكَوَان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى
عَشَوْا القَوْمَ ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلهم
حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعب بن زيد ، أخا بني دينار
ابن النجَّار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث من بين القتلى ، ففأش حتى
قتل يوم الخندق شهيداً ، رحمه الله .

ابن أمية والمنذر وموقفهما من القوم بعد علمهما بقتل أصحابه

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار ، -
أحد بنى عمرو بن عوف .

قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عُمَيْة بن أُحَيَّة بن الجَلَّاح .

قال ابن إسحاق : فلم يُنبئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على .

المنكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لثأناً ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دِمَائِهِمْ ، وإذا الخيلُ التي أصابَتْهم واقفة . فقال الأنصاري لعمر بن أمية : ماترى ؟ قال أرى أن تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتخبره الخبر ، فقال الأنصاري : لكني ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه المؤمنون . ابن عمرو ، وما كنت لتُخبرني عنه الرجال ؛ ثم قاتل القوم حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُبصر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رَقبة زعم أنها كانت على أمه .

قتل العامريين

فخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر . قال ابن هشام : ثم من بني كلاب ، وذكر أبو عمرو اللدني أنهما من بني سليم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه . وكان مع العامريين عَدَدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ، عن أنثا ؟ فقالا : من بني عامر ، فأملهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُورَةٌ من بني عامر ، فبأصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلْت قَتِيلَيْن ، لأدْبَيْتَهُمَا !

.....

كراهية الرسول عمل أبي براء

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارها متخوفا . فبلغ ذلك أبا براء ، فشق عليه الإخبار عامر أبيه ، وما أصاب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ؛ وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة .

ابن فهيرة والسماء

قال ابن إسحاق : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول : مَنْ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَمَّا قُتِلَ رَأَيْتَهُ رُفِعَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، حَتَّى رَأَيْتَ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ ؟ قَالُوا : هُوَ عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ .

سبب إسلام ابن سلمى

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني جبار بن سنان بن مالك بن جعفر ، قال - وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - (قال) فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتة يقول : قُتِلْتُ وَاللَّهِ ! فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا قَاز ! أَلَسْتُ قَدْ قَتَلْتُ الرَّجُلَ ! قَالَ : حَتَّى سَأَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَوْلِهِ ، فَقَالُوا : لِلشَّهَادَةِ ؛ فَقُلْتُ : قَازَ لَعَمْرُؤُا .

شعر حسان في تحريض بني أبي براء على عامر

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر
ابن الطفيل :

بني أم البنين ألم برُعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد
تَهَكُّ عامِرَ بابي بَراءٍ ليُخَفِّرَهُ وما خطًا كَعَمْدٍ
ألا أبلغ ربيعة ذا المَسامى فما أحدثت في الحَدَثان بعدى
أبوك أبو الحُرُوب أبو براء وخالك ماجدٌ حَكَمَ بنُ سَفَدٍ

نسب حكم وأم البنين

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القَيْن بن حَسْر ؛ وأم البنين : بنت
عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهي أم أبي براء .

طعن ربيعة لعمامر

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعة (بن عامر) بن مالك على عامر بن الطفيل ،
فطعننه بالرمح ، فوقع في فخذه ، فأشواء ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل
أبي براء ، إن أمت قدمتي لعنني ، فلا يُتَبَعَنَّ به ، وإن أعش فسأرى رأيي فيما
أُتِيَّ إلى .

مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له

وقال أنس بن عباس السلمي ، وكان خال طُعَيْمة بن عدي بن نوفل ،

.....

وَقَتْلَ يَوْمُذِ نَافِعِ بْنِ مُبْدِيلِ بْنِ وَرْقَاءِ الْخُرَامِيِّ :

تَرَكْتُ ابْنَ وَرْقَاءِ الْخُرَامِيِّ نَاوِيَا بِمُسْتَرْكٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعْمِيرُ
ذَكَرْتُ أَبَا الزَّيَّانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَأَيَقُنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ مُتَّارُ
وَأَبُو الزَّيَّانِ : طُعِيمَةُ بْنُ غَدِي .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَبْكِي نَافِعَ بْنَ مُبْدِيلِ بْنِ وَرْقَاءِ :
رَحِمَ اللَّهُ نَافِعَ بْنَ مُبْدِيلٍ رَحْمَةً الْمُتَّبِعِي ثَوَابِ الْجِهَادِ
صَابِرٌ صَادِقٌ وَفِي إِذَا مَا أَكْثَرَ الْقَوْمُ قَالَ قَوْلَ السَّادِ

شعر حسان في بكاء قتلى بئر معونة

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي قَتْلَى بَيْرِ مَعُونَةَ ، وَيُحْصِ الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو :
عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهْلِي بَدَمْعَ الْقَيْنِ سَحَاً غَيْرَ تَزْرِ
عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لَاقُوا مَنَابِئُهُمْ وَلَا قَتْلَهُمْ بَقْدَرُ
أَصَابَهُمُ الْقَنَاءُ بَقْدَرِ قَوْمٍ نَحُونُ عَقْدُ حَبْلِهِمْ بَقْدَرُ
فَيَا لَهْفِي الْمُنْذِرِ إِذْ تَوَلَّى وَأَعْتَقَ فِي مَنِيَّتِهِ بَصِيرُ
وَكَاثِنٌ قَدْ أَصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمْ مِنْ أَبْيَضٍ مَاجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرٍو
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أُنْشِدَنِي آخِرَهَا يَتَا أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ .

شعر كعب في يوم بئر معونة

وَأُنْشِدَنِي لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فِي يَوْمِ بَيْرِ مَعُونَةَ ، يُعَيِّرُ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ :

تَرَ كُنْمَ جَارِكِ لَبِي سُلَيْمٍ خَافَةَ حَرْبِهِمْ عَجْزاً وَهُونا
فَقَوَّ حَبْلاً تَنَاولَ مِنْ عَقِيلٍ لَمَدَ بِحَبْلِهَا حَبْلاً مَعِيناً
أَوْ الْقُرْطَاءَ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ وَقَدْ مَا وَقَوْا إِذْ لَا تَقُونَا
نَسَبُ الْقُرْطَاءِ

قال ابن هشام : القُرطاء : قبيلة من هوازن ، ويروي « من عقيل »
مكان « من عقيل » ، وهو الصحيح ؛ لأن القُرطاء من عُقِيل قريب .

مقتل خبيب وأصحابه

وذكر غَدَرَ عَضَلٍ وَالْقَارَةَ ، وَهَذَا بَطْنَانِ مِنْ بَنِي الْهُونِ ، وَالْهُونُ مِ
بَنُو الرَّيْشِ وَيَنْبَغُ ابْنُ الْهُونِ بْنِ خُزَيْمَةَ ^(١) ، وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِبَعْضِ

(١) ورد عنهم في نسب قريش المصعب الزبيري أن خزيمه بن مدركة ولد
الهون وأن أمه برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ثم قال بالنسب
فأما الهون بن خزيمه فهم عضل وديش والقارة بنو يشج بن الهون ، وهم
بطنان من خزاعة يقال لهما : الحيا والمصطلق ، ص ٩ وفي جهة ابن حزم أن
الهون بن خزيمه ولد مليحاً ، وأن هذا ولد يشجاً . وأن الديش هو ابن محم
ابن غالب بن عائذة بن يشج . وأن الديش ولد عضلاً ، وأن الديش هم القارة
ص ١٧٩ لكن ابن عبد البر يقول : « ولد خزيمه كنانة أمه هند ابنة عيلان
ابن مضر ، وأسد أو الهون وهو القارة أمهما بنت مر أخت تميم بن مر ، وفي
القارة بطون كثيرة ، ويكرر هذا بقوله عن أكثر أهل العلم أنهم لا يعلمون
لخزيمه ولداً غير أسد والهون وهو القارة وكنانة ، بل إنه ليجعل للقارة عنواناً
خاصاً ثم يقول « وهو الهون بن خزيمه » ثم قال : « قال الزبير : عضل والقارة
أينا يشج بن الهون بن خزيمه . . يقال لهم القارة . وقال أبو عبيدة عن يشج =

القارة ، وبالنَّسْل الذي جَرى فيهم ، والقارة الحرة (١) ، وذكرنا السَّبب في تسميتهم بها .

وذكر أن أصحاب خُيْبٍ كانوا سِتَّة ، وفي الجامع الصحيح للبخاري أنهم كانوا عَشْرَةً ، وهو أصح ، والله أعلم .

وذكر أسماء السِتَّة ، وقد نسبهم فيما تقدم ، فلما خُيْب فهو من بني جَجَجِي (٢) بن كُلفَة بن عمرو بن عَوْف بن مَالِك بن الأوس ، وزيد بن الدثنة (٣) بن معاوية مَقْلُوب من الدثنة والتدن الحنوخاء اللحم (٤) .

وذكر فيهم عاصم بن ثابت وقوله :

مَعَلَّتِي وَأَنَا ج ————— لَدُنَايِلُ وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرَى عُمَايِلُ

وَالْعُمَايِلُ : الشَّدِيدُ ، وكأنه من العَيَالَة ، وهي القُوَّة ، والنون زائدة .

== هو أشع بن الهون بالالف ، وقال محمد بن حبيب : هو يشع بالياء . كما قال الزبير وقال ابن السكلي : يشع بن مليح بن الهون بن خزيمه ، وهو القارة ، ص ٧٣ وما بعدها الإنباء . أما الديشر ، فهو في الأصل الريش وهو خطأ . والدیش بكسر الدال . وقال الجوهرى وربما قالوا بفتح الدال . ص ٥٦ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي .

(١) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار .

(٢) في الأصل حججبي وهو خطأ .

(٣) ضبطه القاموس بدون تضعيف النون .

(٤) في الأصل أدنية والتدن وهو خطأ ، ويقول ابن دريد إن الدثنة

مشتقة من دثن الطائر — بتضعيف التاء — إذا طاف حول وكزم ولم يستطع عليه

والعبالة أيضاً : شجرة صلبة ، وفي الخبر أن عصا موسى كانت من عبالة ،
وقد روى أن عصا موسى كانت من عَيْنٍ وَوَقَّةِ آس الجفنة ، ويموز أن يكون
مَنْحُوتًا من أصابن : من العَيْنِ (١) والنَّيْلِ ، كأنه يُصَيَّبُ ما عَزَلَهُ بِنَيْلِهِ .

وذكر قوله : أبو سُلَيْمَانَ ورِيْشُ الْمُقْعَدِ .

قوله : أبو سليمان ، أى : أنا أبو سُلَيْمَانَ قد عُرِفْتُ في الحروب ، وعندى
نَيْلٍ رَأْسُهُ الْمُقْعَدُ ، وكان (٢) رَأْسًا صَانِعًا . ورِيْشُ : السَّهْمُ الحُمُودُ فيه اللُّوَامُ ،
وهو أن تكون الرِّيْشَةُ بَطْنُهَا إلى ظَهْرِ الأُخْرَى ، واللُّغَابُ (٣) بِمَعْكَسِ ذَلِكَ ،
أن يكون ظَهْرُ واحدةٍ إلى ظَهْرِ الأُخْرَى ، وهو الظَّهَارُ أَيْضًا ، ومن اللُّوَامِ
أَخِذَ اللَّامُ وهو السَّهْمُ الرِّيْشُ قَالَ امرؤ القَيْسِ :
كَرَّكَ لِأَمَيْنٍ عَلَى نَابِلٍ (٤)

وُسئِلَ رُوَيْثَةُ عن معنى هذا البيت ، ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عن أَبِيهِ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي عَمِّي ، وَكَانَتْ فِي بَنِي دَارِمٍ قَالَتْ : سَأَلْتُ امْرَأَ القَيْسِ ، وَهُوَ بِشَرْبِ

(١) العين : ظهور الشيء أمامك .

(٢) أى هذا المقعد المذكور كان رجلاً رَأْسًا اخ .

(٣) في القاموس : سهم لَامٍ عَلَيْهِ رِيْشٌ لُوَامٌ يَلْتَمِسُ بَعْضُهَا بَعْضًا . واللُّغَابُ :

السهم الفاسد لم يحسن بريده ، القاموس ، .

(٤) البيت في اللسان

نظمتهم نلدي ومخلوجة لفتك لامين على نابل

ويروى كما ذكر السبيل : كرك لامين

سَلَامًا لَهُ مَعَ عُلَقَمَةَ بْنِ عَبْدِ : مَامَعْنَى قَوْلِكَ : كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ ؟ قَالَ :
مَرَرْتُ بِنَابِلٍ وَصَاحِبُهُ يَتَاوَلُهُ الرِّيشُ لَوْأَمًا وَظَهَارًا ، فَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَسْرَعَ
مِنْهُ ، وَلَا أَحْسَنَ فَشَبَّهْتُ بِهِ ، ذَكَرَ هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ . وَقَوْلُهُ : وَضَاةٌ ، أَيْ :
سِهَامٌ قَدَّاحُهَا مِنَ الضَّالِّ ، وَهُوَ السَّدْرُ . قَالَ الشَّاعِرُ [ذُو الرُّثْمَةِ] :

صَلَّاتٌ إِذَا تَخَوَّفْتُ الْقَوَاطِي ضُرُوبَ السَّدْرِ عُقْرِيًا وَضَالًا

قَالْتُمُورِي مِنْهَا مَا كَانَ عَلَى شَطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَالضَّالُّ مَا كَانَ فِي الْبَرِّيَّةِ ،
وَالْقَوَاطِي هِيَ لِلْمَشْيَةِ تَنْطَوُّ أَيْ تَنْتَازِلُ ، وَإِنَّمَا تَنْتَازِلُ أَطْرَافَ الشَّجَرِ فِي الصَّوْفِ ،
فَمِنَّمَا : قَطَعْتُ هَذِهِ الصَّحْرَاءَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَتَخَوَّفْتُ : أَيْ تَنَقَّصْتُ مِنْ
قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : (أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) النحل : ٤٧ . وَذَكَرَ أَنَّ حُجَيْرَ بْنَ
أَبِي إِبَاهٍ هُوَ الَّذِي اشْتَرَى خُبَيْنَا ، وَكَانَ خُبَيْبٌ قَدْ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ نَوْفَلٍ
أَخَا حُجَيْرٍ لِأُمِّهِ ، وَقَالَ مَقْرُ بْنُ رَاشِدٍ : اشْتَرَى خُبَيْنَا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ
نَوْفَلٍ ، لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَلِلْعَمَى قَرِيبٌ عَمَّا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ .

وَقَوْلُهُ عَابِرَةٌ بِنْتُ ^(١) حُجَيْرٍ بِالْوَاوِ ، رَوَاهُ يُونُسُ بْنُ بَكِيْرٍ عَنْ ابْنِ

(١) فِي السِّيَرَةِ : مَوْلَاةٌ ، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ اسْتَعَارَ الْمَوْسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ
الْحَارِثِ ، وَقَدْ وَقَعَ فِي الْأَطْرَافِ لِخَلْفِ أَنْ أَسْمَاءَ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ . وَهِيَ
أَخْتُ عَقْبَةَ الَّذِي قَتَلَ خُبَيْنَا ، وَقِيلَ : أَمْرَأَتُهُ . وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ بِنْتَ
الْحَارِثِ قَالَتْ بَعْدَ أَنْ أَمَارَتَهُ الْمَوْسَى لِيُحْلِقَ بِهِ عَاتِيَهُ : « قَالَتْ : فَفُتِلْتُ عَنْ صَبِيٍّ
لِي فُدِرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ ، فَوَضَعَهُ عَلَى فَخْذِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ ، فَرَعْتُ فَرْعَةً ، عَرَفْتُ
ذَلِكَ مِنِّي ، وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى ، فَقَالَ : أَنْخَشِينَ أَنْ أَقْتُلَهُ ؟ » مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَتْ تَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَسْهَرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ =

إسحاق ، ورواه غيره عن ابن إسحاق : مارية بلراء ، وبالواو وقع في النسخ
المتبقية من رواية ابن هشام ، كما رواه ابن بكير ، وقد تكلمنا عن اشتقاق
هذا الاسم في صدر هذا الكتاب ، فأغنى عن إعادته ، وذكرنا أن المارية
بالتخفيف هي البقرة ، وبتشديد الياء : القطاة النساء ، وأما الغلام الذي
أعطاه المذبة ، فقيل : هو أبو عيسى بن الحارث بن عدي بن نوفل بن

== قطف المنب . وفي الفتح نقلا عن الزبير أيضا أن الغلام هو : أبو حسين
ابن الحارث بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . وفي رواية بريدة بن سفيان : وكان
ابن صغير ، فأقبل إليه الصبي ، فأخذه ، فأجلسه عنده ، فخشيت المرأة أن يقتله ،
فناشدة . وعند أبي الأسود عن عروة ، فأخذ خبيب بيد الغلام ، فقال : هل
أمكن الله منكم ، فقالت : ما كان هذا ظني بك ، فرمى لها موسى ، وقال :
إنما كنت مازحا ، وفي رواية بريدة بن سفيان : ما كنت لأغدر . وقد حاول
الجمع بين الروایتين رواية ابن إسحاق وما تقدم في مسألة من حمل موسى .
ويعلق ابن بطال على مسألة قطف المنب : « هذا ويمكن أن يكون الله جمعه آية
على الكفار وبرهانا لنبيه ، لتصحيح رسالته . قال : فأما من يدعى وقوع ذلك له
اليوم بين ظهراني المسلمين ، فلا وجه له ، إذ المسلمون قد دخلوا الدين ، وأيقنوا
بالنبوة ، فأى معنى لإظهار الآية عندهم ، ولو لم يكن في تجويد ذلك إلا أن يقول
جاهل : إذا جاز ظهور هذه الآيات على يد غير نبي ، فكيف تصديقها من نبي ،
والقرع أن غيره يأتي بها ، لكان في إنكار ذلك قطعا للذريعة — إلى أن قال —
إلا أن يكون وقوع ذلك عما لا يخرق عادة . ولا يقلب عينا ، مثل أن يكرم الله
عبدا بأجابه دعوة ، في الحين ، ونحو ذلك عما يظهر فيه فضل الفاضل وكرامة
الولي ، ومن ذلك حماية الله تعالى عاصما لثلاثينك عدوه حرمة ، ص ٣٠٥
٧ فتح الباري .

عَبْدُ مَنَافٍ^(١) ، قاله الزبير : وهو جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَسَنِ
الْقَيْسِيِّ يَرُوى عَنْهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ .

وذكر أن أبا مَيْسَرَةَ هو الذي طعنَ خُبَيْبًا فِي الْخَشَبَةِ ، وهو أبو مَيْسَرَةَ
ابْنُ عَوْفِ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، والذي طعنه معه عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ .
يُسَمَّى أبا سَرُوعَةَ ، ويقال : إن أبا سَرُوعَةَ وعُقْبَةُ اخوان أسلماء جميعاً
ولعُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ حديثٌ واحدٌ فِي الرِّضَاعِ ، وشهادة امرأة واحدة فيه .
وحديثه مشهور فِي الصَّحَاحِ ، فيه أنه قال : تزوجتُ بنتَ أبي إلهبِ بْنِ
عَزِزٍ ، جاءت امرأةٌ ، سوداء ، فقالت : إني قد أَرْضَعْتُكُمْ ، وذكر الحديث^(٢) .
وزاد فيه الدَّارُ قُطَيْبٌ قال : جاءت امرأةٌ سوداء تُسَمَّى ، فلم نُعْطِهَا شَيْئاً ،
فقالت : إني والله أَرْضَعْتُكُمْ ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - وقال :
إنها كاذبةٌ يارسولَ الله ، فقال له عليه السلام : كيف ؟ وقد قيل ؟ فطلقها ،
ونكحت خُرَيْبَ بْنَ الْحَارِثِ ، فولدت له أُمَّ قَتَالٍ ، وهي امرأةُ جُبَيْرِ بْنِ
مُطْعِمٍ ، وأُمُّ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ، ونافع ابنا جابر ، واسم هذه المرأة التي طلقها عُقْبَةُ :

- (١) وهي كلمة حق يجب أن يعيها الذين لا عمل لهم في الدين سوى
إثبات أن شيوعهم كانوا صناع معجزات تغلب الإنسان حجراً ١١
(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الشَّهَادَاتِ وَالْعِلْمِ وَالْيُوعِ وَالنِّكَاحِ ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ
فِي الْقَضَايَا ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الرِّضَاعِ ، وَالنَّسَائِيُّ فِي النِّكَاحِ . ولعُقْبَةُ حديث : صلى
المعصوم قام مسرعاً ، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نساءه ، رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ، وَحَدِيثُ ثَالِثٍ دَجِيءٌ بِالنَّعِيَانِ أَوْ ابْنِ النَّمِيمَانِ شَارِبًا *
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

غَنِيَّةٌ ، وَمُسَكَّنِيٌّ أَمْ يَحْسِي ، ذَكَرَ اسْمُهَا أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِي فِي الْمُؤَنَّفِ
وَالْمُخْتَلَفِ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ أَبُو عُمَرَ فِي كِتَابِ النِّسَاءِ ، وَلَا كَثِيرٌ مِنْ أَلْفِ
فِي الْحَدِيثِ .

وَذَكَرَ قِصَّةَ عَامِمْ حِينَ حَقَّقَهُ الدَّيْبُ . الدَّيْبُ هَاهُنَا : الزَّكَايَةُ ، وَأَمَّا
الدَّيْبُ (١) فَصَفَارُ الْجَرَادِ ، وَمِنْهُ يُقَالُ مَاءُ دَيْبٍ (٢) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : وَقَدْ يُقَالُ
لِلنَّحْلِ أَيْضًا دَيْبٌ يَفْتَحُ الدَّالَ وَاحِدَتَهَا دَبْرَةٌ ، قَالَ : وَيُقَالُ لَهُ : خَشْرَمٌ ،
وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ ، هَذِهِ رَوَايَةُ أَبِي عُبَيْدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ، وَرَوَايَةٌ غَيْرُهُ عَنْهُ أَنَّ
وَاحِدَتَهُ : خَشْرَمَةٌ . وَالتَّوَلُّ جَمَاعَةُ النَّحْلِ أَيْضًا ، وَلَا وَاحِدَ لَهَا ، وَكَذَلِكَ
التُّوبُ وَالتَّلُوبُ . وَمِنْ التَّلُوبِ : حَدِيثُ زَبَّانِ بْنِ قَسْوَرٍ (٣) ، قَالَ : رَأَيْتُ
النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ نَازِلٌ بِوَادِي الشُّوْحِطِ (٤) فَكَلَّمْتُهُ ،
فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ مَعَنَا لُوبًا لَنَا - بِمَعْنَى تَحَالًا - كَانَتْ فِي عَيْلَمٍ لَنَا بِهِ طَرْمٌ
وَشَتَعٌ ، فَنَامَ رَجُلٌ فَضَرَبَ مِيتِينَ (٥) فَاتَّجَعَ حَيًّا ، وَكَفَّفَهُ بِالْثَّمَامِ ، بِمَعْنَى نَارًا

(١) هَكَذَا مَبْطُطُهَا الْإِنْسَانُ .

(٢) فِي الْإِنْسَانِ : مَالٌ دَبْرٌ : أَيُّ كَثِيرٌ .

(٣) فِي الْإِصَابَةِ : ابْنُ قَيْسٍ ، أَوْ قَيْسُورٌ . وَقَالَ : رَوَى حَدِيثُهُ الدَّرَاقُطْنِي
فِي الْمُؤَنَّفِ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَرُوةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْهُ ، قَالَ
الدَّرَاقُطْنِي : حَدِيثُهُ مَنْكُرٌ .

(٤) فِي الْقَامُوسِ وَفِي مَرَاوِدِ الْإِطْلَاحِ : شَوَاحِطُ بَعْضِ الشَّيْثِ وَكَسْرُ الْحَاءِ
جَبَلٌ مَشْهُورٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ كَثِيرُ التَّمُورِ

(٥) لَمْ أَهْتَدِ إِلَيْهَا ، فِي الْمَاجِمِ ، فَلَعَلَّهَا حَنْيْنٌ وَهُوَ الْجَبَلُ أَوْ النَّيَّارُ أَوْ عَتَيْنِ
وَهِيَ خِيوطٌ تَشُدُّ بِهَا أَوْصَالُ الْخِيَامِ ۝ لَا أَدْرِي .

من زَنَدَيْنِ، ونَحْه يَنْفَى: دُخْنَهُ، فطَارَ الْأَوْبُ هَارِبًا، وَدَلَّى مَشْوَارَهُ فِي الْعَيْلِمِ
فَاشْتَارَ الْقَسْلَ، فَضَى بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ
مَنْ سَرَقَ شَرَوْقَوْمَ، فَأَضَرَّ بِهِمْ، أَفَلَا تَبْعَمُ أَثَرَهُ، وَعَرَفْتُمْ خَبْرَهُ؟ قَالَ:
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ دَخَلَ فِي قَوْمٍ لَهُمْ مَنَعَةٌ، وَهُمْ جِيرَانُنَا مِنْ هَذَيْلٍ، فَقَالَ
النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَبْرَكَ صَبْرَكَ تَرِدُ نَهْرَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ سَعَتْهُ كَمَا بَيْنَ
الْأَقْيَةِ وَالْحَقِيقَةِ (١) يَنْسَبُ جَرِيًا بِمَسَلٍ صَافٍ مِنْ قَذَاءِ مَا تَقِيَاهُ لُوبٌ،
وَلَا تَجْهَ ثُوبٌ. فَالْعَيْلِمُ الْبَثْرُ، وَأَرَادَ بِهَا هَاهُنَا قُبَّةَ النَّحْلِ أَوْ الْخَلِيَّةَ، وَقَدْ
يُقَالُ لِمَوْضِعِ النَّحْلِ إِذَا كَانَ صَدْعًا فِي جَبَلٍ: شَيْقٌ، وَجَمْعُهُ: شَيْقَانٌ، وَيُقَالُ
لِكُلِّ دُخَانٍ نَحَاسٌ (٢)، وَلَا يُقَالُ أَيَّامٌ إِلَّا لِدُخَانِ النَّحْلِ خَاصَّةً، يُقَالُ: آمَهَا
بِثُومُهَا إِذَا دَخَنَهَا، قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ.

مقتل مَجْرِبِهِ عَرَى:

فصل: وَذَكَرَ أَنَّ خُبَيْبًا أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ. قَوْلُهُ
هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا سُنَّةٌ جَارِيَةٌ، وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمَا حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ بْنُ الْأَذْبَرِ
حِينَ قَتَلَهُ مُعَاوِيَةُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَذَلِكَ أَنَّ زِيَادًا كَتَبَ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَذْكُرُ أَنَّ حُجْرًا وَأَصْحَابَهُ، قَدْ خَرَجُوا عَلَى السُّلْطَانِ، وَشَقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ،
وَوَجَّهَ مَعَ الْكِتَابِ (٣) بِكَ فِيهِ شَهَادَةُ سَبْعِينَ رَجُلًا فِيهِمُ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ.

(١) لَمْ أَهْتِدِ فِي مَرَاجِعِي إِلَى مَعْرِفَتِهَا.

(٢) الَّتِي سَبَقَتْ ذِكْرَهُ نَحْصَةً لَا نَحَاسَ، وَلَيْسَ فِي الْمَعَاجِمِ نَحْصَةٌ بِمَعْنَى دُخَانٍ.

(٣) هَكَذَا بِالْأَصْلِ، وَلَعَلَّهَا: صَكَ.

البصري وابن سيرين والربيع بن زياد وجماعة من عليّة التابعين ذكرهم الطبري^(١) يشهدون بما قال زياد من خروج حُجْر بن عديّ عليه^(٢)، وكان حُجْر شديد الإنكار للظلم، غليظاً على الأسماء، وأنكر على زياد أموراً من الظلم، فخرج عليه، ولم يكن قصده الخروج على معاوية، فلما حُل حُجْر إلى معاوية في خمسة من أصحابه، قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: أو أنا للمؤمنين أمير؟ ! ثم أمر بقتله، فمعد ذلك صلى حُجْر الركعتين، ثم لقي معاوية عائشة بالمدينة، فقالت له: أما اتقيت الله يا معاوية؟ في حُجْر بن عدي وأصحابه؟ فقال: أو أنا قتلهم، إنما قتلهم من شهد عليهم، فلما أكرت عليه، قال لها: دعيني وحُجراً فأني مُلاقيه عدأً على الجادة، قالت: فأين عزب عنك حلم أبي سفيان؟ فقال: حين غاب عني مثلك من قومي^(٣).

(١) في ص ٢٦٩ وما بعدها - ط دار المعارف.

(٢) وقد جاء في كتاب هذه الشهادة ما يأتي: وهذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين: شهد أن حُجْر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وظلم أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله عز وجل كفره صلحاء، ص ٢٦٩ المصدر السابق.

(٣) تعددت روايات الطبري لقاء عائشة ومعاوية رضى الله عنهما. ففي ص ٢٥٧ يذكر أنه لقيها بمكة، فقالت: يا معاوية أين كان حُكرك عن حُجْر؟ فقال لها: يا أم المؤمنين لم يحضرني رشيد ١١٠ وفي ص ٢٧٨ أن عائشة أرسلت إلى معاوية بعث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في شأن حُجْر وأصحابه، فقدم عليه، وقد قتلهم، فقال له عبد الرحمن: أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟ قال: غاب عني حين غاب عني مثلك من حباء قومي.

لَمْ صَارَتْ مَعْرُوفَةً قَبِيْبَ سَنَةٍ ؟ :

وإنما صار فعلُ خُجَيْبٍ سُنَّةً حَسَنَةً . وَلِلَّسَنَةِ إِنْما هِيَ أَقْوالُ مَنْ النَّبِيُّ -
صلى الله عليه وسلم - وأَفْعالُ وإِقرارُ ، لأنَّهُ فعلها في حياته عليه السلام ،
فاسْتَحْسِنَ ذلك من فعله ، واستَحْسَنَهُ الْمُتَمَلِّكُونَ ، مع أن الصَّلَاةَ خَيْرٌ ما خَتَمَ
به عملُ العبد ، وقد صَلَّى هاتين الرَكعتين أيضاً زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ -
صلى الله عليه وسلم - وذلك في حياته عليه السلام ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ بْنُ طَاهِرٍ
الإِسْبِيلِيُّ ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْفَسَّاسِيُّ ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو النَّسْرِيُّ ،
قال : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عِنْدَ الْوَارِثِ بْنِ سُمَيَّانَ بْنِ جَبْرِوْنَ ، قال : أَخْبَرَنَا
أَبُو مُحَمَّدٍ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْشَمَةَ : أَخْبَرَنَا
ابْنُ مَعِينٍ : أَخْبَرَنَا قال : أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرِ الْمَصْرِيُّ ، قال :
أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، قال : بَلَغَنِي أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ اكْتَرَى مِنْ رَجُلٍ

وفي نفس الصفحة ذكر أن معاوية حين حج مر على عائشة رضوان الله
عليهما ، فاستأذن عليهما ، فأذنت له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية : أأمنت أن
أخبا لك من يقتلك ؟ قال بلى أمنت دخلت . قالت : يا معاوية أما خشيت
الله في قتل حجر وأصحابه ؟ قال : لست أنا قتلتهم إنما قتلهم من شهد عليهم . هذا وقد
فصل الطبري في تاريخه قصة حجر وجعل معرعه من أحداث سنة إحدى وخمسين
وهي في كتابه من ص ٢٥٢ إلى ص ٢٨٥ أما المسعودي فذكر أن مصرع حجر
كان في سنة ٥٥٢ . ولكنه قال : قيل إن قتلهم كان في سنة ٥٠ ص ١٢ > ٣ مروج
الذهب لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ط ١٩٤٨ وانظر ص ٢٢
المجلد الثالث من تاريخ عبد الرحمن بن خلدون المسمى كتاب العبر ودبوان
المبتدأ والخبر الخ ، ط لبنان ١٩٥٧ .

تَجَفَّلًا مِنَ الطَّائِفِ اشْتَرَطَ عَلَيْهِ السَّكْرِيُّ أَنْ يُنْزِلَهُ حَيْثُ شَاءَ ، قَالَ : قَالَ بِهِ
إِلَى خَوَازِجٍ ، فَقَالَ لَهُ : انْزِلْ - فَنَزَلَ ، فَإِذَا فِي الْخَوَازِجِ قَتْلَى كَثِيرَةٌ ، قَالَ : فَلَمَّا
أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ ، قَالَ : دَعْنِي أَصَلِّ وَكَعْتَيْنِ ، قَالَ : صَلِّ ، فَقَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَكَ
هَؤُلَاءِ فَلَمْ تَنْفَعْنَهُمْ صَلَاتَهُمْ شَيْئًا ، قَالَ : فَلَمَّا صَلَّيْتُ أَتَانِي ، لِيَقْتُلَنِي ، قَالَ :
فَقُلْتُ : يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، قَالَ : فَسَمِعَ صَوْتًا : لَا تَقْتُلْهُ ، قَالَ : فَهَابَ ذَلِكَ
فَخَرَجَ يَطْلُبُ أُنْعَدَاءَ ، فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَرَجَعَ إِلَى ، فَتَلَاوَيْتُ : يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، فَإِذَا أَنَا بِفَارِسٍ بِيَدِهِ حَرَبَةٌ حَدِيدٌ فِي رَأْسِهَا شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ
فَطَعَنَتْهُ بِهَا ، فَأَنْفَذَهُ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَوَقَعَ مَيِّتًا ، ثُمَّ قَالَ : لَمَّا دَعَوْتُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ كُنْتُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَلَمَّا دَعَوْتُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، كُنْتُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَلَمَّا دَعَوْتُ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
أُنْبِئْتُكَ ^(١) .

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي مَوْعٍ خَبِيرٍ وَأَصْحَابِهِ :

فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله تعالى في خبر خبيب وأصحابه من
قول المنافقين فيهم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُفْجِرُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ
اللَّهَ عَلَى مَافِي قَلْبِهِ ﴾ البقرة : ٢٠٤ الآية عوا : كثر أهل التفسير على خلاف قوله
وأنها نزلت في الأخدسي بن شريق الثقفي ، رواه أبو مالك عن ابن عباس ،
وقاله مجاهد ، وقال ابن السكيت : كنت بمكة ، فُسِّئْتُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقُلْتُ :

(١) لا شك في أنها أسطورة..

نزلت في الأحنس بن شريق ، فسمني رجلاً من ولده ، فقال لي : يا هذا إن الله أنزل القرآن على أهل مكة ، فلا تُسم أحداً مادمت فيها . وكذلك قالوا في قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ البقرة ٢٠٧ . نزلت في صهيب بن سنان حين هاجر ، وترك جميع ماله لقرش وبذعونه . يهاجر بنفسه إلى الله ورسوله ، واستشهد ابن هشام على تفسير الآية بقول متهلّل ، قال : واسمه امرؤ القيس ، ويقال عديّ ، وقد صرح متهلّل باسمه نفسه في الشعر الذي استشهد به ابن هشام ، فقال :

صَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَى وَقَالَ بِاعْدِيًّا لَقَدْ وَفَّتْكَ الْأَوَاقِ^(١)

وفيه البيت الذي ذكر ابن هشام :

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَلَبِنًا وَخَصِيمًا اللَّهُ ذَا مِفْلَاقٍ^(٢)

ويروى : مِفْلَاقٌ بِالْفَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَالْمِفْلَاقُ : اللسان ، وأما الْمِفْلَاقُ بِالْفَيْنِ مُعْجَمَةً ، فالقول الذي يُفْلِقُ قَمَّ الْخَفْمِ وَيُسَكِّتُهُ . وبمده :

حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَرْبَدُ لَا يَنْفَعُ مِنْهَا السَّلِيمُ نَفْتُ الرَّاقِ

(١) الأواني جمع وافية، فهز الوار الأولى في الجمع. ومن قال : إن اسمه امرؤ القيس بن ربيعة الخ روى الشطر الثانية هكذا : يا امرأ القيس حان وقت الفراق. ص ١١١ سطر اللال البكري .

(٢) أشبهه اللسان : إن تحت الأحجار حزماً رجوداً . وزاد في تفسير المعلق أنه اللسان إذا كان جدلاً . هذا البيت الطرماس الذي في السيرة . أشبهه اللسان هكذا : يضحى على سوق الجدول كأنه . . . يلتند .

وسمى مؤثلاً بقوله :

لَمَّا تَوَقَّلَ فِي السَّكَارِاجِ هَجِينُهُمْ هَلَنْتُ أَثَارُ جَابِرٍ أَوْ حَيْلًا^(١)

هَلَنْتُ : أَيْ كِدْتُ وَقَارَبْتُ ، وَأَمَّا الْأَلَدُ ، فَهُوَ مِنَ اللَّذِيذَيْنِ ، وَهِيَ جَانِبُ الْعُنُقِ ، فَالْأَلَدُ الَّذِي يَرُفُّ أُلْجَةً مِنْ جَانِبِ إِلَى جَانِبٍ ، يُقَالُ : تَرَكَتُهُ يَتَلَدُّ^(٢) ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ : الْخِصَامُ يَجْعُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْخَاصَّةُ ، لِأَنَّهُ أَقْلُ الَّذِي يَرَادُ بِهِ التَّنْضِيلُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْضُ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ ، تَقُولُ : زَيْدٌ أَفْصَحَ النَّاسَ ، وَلَا تَقُولُ : زَيْدٌ أَفْصَحَ الْكَلَامَ .

قَالَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حَسَنٌ إِنْ كَانَ الْأَلَدُ مِنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ الْفُعْلَى ، أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ بَابِ أَفْصَلَ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ فَعَلَاءُ نَحْوُ : أَخْرَسُ وَخَرَسَاءُ ، فَالْخِصَامُ مُصَدَّرٌ خَاصَّةً ، وَهُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ الْمَفْسَرِينَ ، فَإِنَّهُمْ فُسِّرُوهُ بِالشَّدِيدِ الْخُصُومَةِ ، فَالْدَدُ إِذَا مِنْ صِفَةِ الْمَخَاصِمَةِ ، وَإِنْ وَصِفَ

(١) فِي الْأَصْلِ : تَوَقَّلَ وَصَوَّابَهَا تَوَقَّلَ ، وَالْبَيْتُ فِي الْهَاسَنِ ، وَفِي سَمَطِ الْأَلَالِ ص ١١٢ : تَوَعَّرَ بَدَلًا مِنْ تَوَقَّلَ . وَالْبَيْتُ مِنْ شِعْرِ قَالَهُ لُزْمِيرُ بْنُ جَنَابٍ ، وَقَدْ قَالَهُ لَمَّا أَدْرَكَ بَثَارَ أَخِيهِ كَلِيبٍ ، وَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْ الْمُهَلِّيلِ ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ قَتِيبَةَ أَنَّهُ سَمَّى مَهْلِلًا لِأَنَّهُ هَلَّلَ الشَّعْرَ ، أَيْ أَرْقَهُ وَقَوْلُ السَّيْلِيِّ هُوَ قَوْلُ الْعَطَّوسِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي ارْتَضَاهُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ فِي رِسَالَةِ الْغُرَرَانِ ، وَجَابِرٌ وَصَنْبِلٌ رَجُلَانِ مِنْ قَتَلَبِ .

(٢) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : مَعْنَى الْخِصَامِ الْأَلَدُ فِي الْفَعْلِ : الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ الْجَدَلُ وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ لَذِيذِ الْعُنُقِ ، وَهِيَ صَفْحَتَاهُ ، وَقَأَوِيلُهُ : أَنَّ خِصْمَهُ أَيْ وَجْهَهُ أَخَذَ مِنْ وَجْهِهِ الْخُصُومَةَ غَلَبَهُ فِي ذَلِكَ .

عُرض في شعر مسافر في خيبر :

وذكر شمر حسان في قصة خُيَيب ، وقوله فيه :

من القبائل منهم من نَفَثَ عُدَسُ

قوله : من نَفَثَ عُدَسُ ، يعني حُجَيْرَ بن أبي إهاب بن عُورَيْن ، وهو ينسب إلى بني عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَة ، ويقال : بل هو من بني ربيعة بن مالك بن حَنْظَلَة ، ومن هاهنا ذكر نَفْي بن عُدَس له ، من أجل الاختلاف في نسبه. وعُدَس بضم الدال في نيم ، وهو هذا ، وكل عُدَس في العرب سواء فهو بفتح الدال ، وهو من عُدَس في الأرض إذا ذهب فيها ، والله أعلم ، فمن المفتوح الدال عُدَس بن عُبيد في الأنصار ، ثم في بني النجار ، وهو جد أبي أمانة أسعد بن زُرارة (المراد بالمراد) قال بعض النسابين في عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دَارِم الذي تقدم ذكره : عُدَس بفتح الدال ، والأول أعرف وأشهر .

وهو فبيب على قائله :

وذكر قول خُيَيب حين مضى في الحشبة : اللهم أحصهم عدداً ، واقطعهم

بِئْداً ، فمن رواه بِئْداً بكسر الباء ، فهو مقدر بمعنى التَّبَدُّد ، أي : ذوى (١)

(١) في الأصل دارة وهو خطأ وصوابه ما أثبت .

(٢) جاء في هامش المطبوعة : وفي النسخة الأخرى : بكسر الباء فهو جمع

بئدة ، وهي الفرقة والقطعة من الشيء المتبدد ، أي ذوى بئدة هذا وقد ذكر =

بَدَدٍ. فَإِنْ قِيلَ : فَهَلْ أُجِيبَتْ فِيهِمْ دَعْوَةُ خُبَيْبٍ ، وَالِدُهُ عَلَى تِلْكَ الْجَلَالِ مِنْ
مِثْلِ ذَلِكَ الْعَبْدِ مُسْتَجَابَةٌ ؟

قُلْنَا : أَصَابَتْ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَمُوتَ كَافِرًا ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ
فَلَمْ يَمُتْ خُبَيْبٌ وَلَا قَصْدُهُ بَدْعَاتِهِ ، وَمَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ كَافِرًا بِدَعْوَةِ الدَّعْوَةِ
فَإِنَّمَا قَتَلُوا بَدْعًا غَيْرَ مُسَكَّرِينَ وَلَا مُجْتَمِعِينَ كَاجْتِمَاعِهِمْ فِي أَحَدٍ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ
فِي بَدْرٍ ، وَإِنْ كَانَتْ اتَّخَذُوا بَدْعَ قِصَّةِ خُبَيْبٍ فَقَدْ قَتَلَ مِنْهُمْ أَحَادٌ فِيهَا
مُتَبَدِّدُونَ ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ جَمْعٌ وَلَا مُسَكَّرٌ غَزَا فِيهِ ، فَتَفَتَتْ
الدَّعْوَةُ عَلَى صُورَتِهَا وَفِيهِمْ أَرَادَ خُبَيْبٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَحَاشَا لَهُ أَنْ يَكْرَهُ
إِيمَانَهُمْ وَإِسْلَامَهُمْ ^(١).

ابن كرهية في شعر مساهمة :

فصل : وذكر أنشطار حسان في خُبَيْبٍ وأصحابه ، وليس فيهم معنى حق ،
ولا لفظ غريب وحشي ، فيحتاج إلى تفسيره ، لكن في بعضها :

= الخشني البدة بكسر الباء : المتفرقون ، وهو بفتح الباء المصدر ، وأصله من التبدد
وهو التفرق . وذكر ابن الأثير ما يأتي : بدد : يروي بكسر الباء جمع بددة وهي
الحصة والنصيب ؛ أي اقتلهم حصصا مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه .
ويروى بالفتح . أي . مترفين في القتل واحدا بعد واحد من التبدد .

(١) وقصيدة خبيب في السير لم يرو منها البخاري غير هذين :

ما إن أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أرسال شلو مخرج

وفي رواية أبي الأسود من غروة ذكر البيت الأول والرابع من القصيدة .

بني كُثَيْبَةَ أَنْ الْحَرْبَ قَدْ لَقِيتَ

جعل كُثَيْبَةَ كَأَنَّهُ اسْمٌ عَلَّمُ لِأُمَّهِمْ ، وهذا كما يقال : بَنِي ضَوَطْرَى
هو بَنِي الْغُبَرَاءِ وَبَنِي دَرَزَةَ ^(١) قَالَ الشَّاعِرُ :

أَوْلَادُ دَرَزَةَ أَشْلَوْكَ وَطَارُوا ^(٢)

وهذا كله اسْمٌ لِنِ بَسْبُ ، وَعِبَارَةٌ عَنِ السَّفَلَةِ مِنَ النَّاسِ ، وَكُثَيْبَةُ
مِنَ السَّكْبَةِ ، وَهِيَ الْفُتْرَةُ ، وَهَذَا كَمَا قَالُوا : بَنِي الْغُبَرَاءِ ، وَأَكْثَرُ أَشْخَارِ
حَسَّانَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ، قَالَ فِيهَا مِنْ هَذَا بَلِّ ، لِأَنَّهُمْ إِخْوَةُ الْقَارَةِ ، وَالشَّارِكُونَ
لَهُمْ فِي الْقَدْرِ بِجُبَيْنِ وَأَصْحَابِهِ ، وَهَذَا بَلِّ وَخُزَيْمَةُ أَبْنَاءُ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ
وَعَصَلُ الْقَادَةِ مِنْ بَنِي خُزَيْمَةَ .

مرحل العلم ومنه من التنوين مع القفص :

وقوله : وَابْنُ طَارِقٍ ، وَابْنُ دَنْتَةَ مِنْهُمْ ، حَذَفَ التَّنْوِينَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ

(١) الضَّوَطْرَى : الرَّجُلُ الضَّخْمُ الَّذِي لَا عَنَاءَ عِنْدَهُ ، وَيُقَالُ لِقَوْمٍ إِذَا كَانُوا
لَا يَفْنُونَ عَنَاءَ بَنِي ضَوَطْرَى . وَبَنُو ضَوَطْرَى : حَيٌّ مَعْرُوفٌ . وَبَنُو غُبَرَاءَ يُقَالُ
لِلْمَحَارِجِ أَوْ لِلْمَقْرَاءِ كَأَنَّهُمْ لَسَبُوا إِلَى الْأَرْضِ ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ : غَبْرَى —
مَمْسُورَةٌ — وَلَمْ أَجِدْهَا . وَبَنُو دَرَزَةَ يُقَالُ لِدَعَى هُوَ ابْنُ دَرَزَةَ وَابْنُ تَرْقٍ ،
وَذَاكَ إِذَا كَانَ ابْنُ أُمَةٍ تَسَاعَى فِجَاءَتُهُ مِنَ الْمَسَاعَةِ : وَلَا يَعْرِفُ لَهُ أَبٌ وَيُقَالُ :
هَؤُلَاءِ أَوْلَادُ دَرَزَةَ وَأَوْلَادُ فَرْتَنِي لِلْسَفَلَةِ وَالْقَطَا . انْظُرِ الْإِنْسَانَ فِي مَادَّةِ دَرَزِ
وَضَطْرٍ وَغَيْرِ .

(٢) فِي الْإِنْسَانِ قَالَهُ شَاعِرٌ يَخَاطَبُ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ . وَيُقَالُ . أَرَادَ بِهِ الْخِيَاطِينَ ،
مَرَفَ كَانُوا خَرَجُوا مَعَهُ ، فَتَرَكُوهُ وَأَتَهَزَمُوا .

شَلَّتْ بَدَا وَخَشِيَ مِنْ قَاتِلٍ ، ولو أنه حين حذف التنوين نَسَبَ ، وجهه
 كالاسم الذي لا ينصرف ، وهو في موضع الخفض مفتوح ، لمكان وجهه وقياسه
 صحيحاً ، لأن الخفض تابعُ التنوين ، فإذا زال التنوين زال الخفض ، انما
 يلتبس بالضاف إلى ضمير التكلم ، لأن ضمير التكلم ، وإن كان ياء فقد
 يحذف ، ويكتفى بالكسرة منه ، وزوال التنوين في أكثر ما لا ينصرف إنما
 هو لاستثناء الاسم عنه ، إذ هو علامة الانفصال عن الإضافة ، فكل اسم لا يتوهم
 فيه الإضافة لا يحتاج إلى التنوين ، لكنه إذا لم يُنَوَّن لم يُخَفَّض ، لما ذكرناه
 من التباسه بالضاف إلى التكلم ، وقد تقدم في أشعار أحد : كنار
 أبي حُبَّاحِبٍ والطُّيْنِ بفتح الباء من حُبَّاحِبٍ في موضع الخفض ، وكان حق
 كلِّ علم ألا يُنَوَّنَ ؛ لأنه مُسْتَقْنٍ عن الإضافة كما لم يُنَوَّنَ جميع أنواع
 المعارف ، ولكنه نَوَّنَ ما نَوَّنَ منه للسر الذي يبيته في أسرار ما لا ينصرف
 من الأسماء ، وقد أملينا في ذلك جزءاً ، ولكن الخفض في طارقٍ ووَخْشٍ
 مَرَوِيٍّ ، وجهه أنه لما كان ضَرْوَرَةً شَغِيرَ ، ولم يكن في كلامهم لم يُنَبِّعُوا
 الخفض فيه التنوين إذا لا يتوهم إضافته إلى التكلم ، إذا لابقع إلا نادراً
 في شعر ، فاللبس فيه بعيد .

استقانا اسم غيب وهزل :

وقوله : وابن البَكْبَكِزِ إمامهم وخَيْبٌ ، أزدف حرف الروي ياء
 مفتوح ما قبلها ، وقد تقدم القول في مرتين . وخيب في اللفظ تصغير خيب .

فيكون من باب تصغير الترخيم ، وهو الذي ينبقى على حذف الزوائد ، وأما هُذَيْلٌ فقالوا فيه : إنه مُصَغَّرُ تَصْغِيرِ التَّخِيمِ ، لأنه من هُوَذَلَ الرَّجُلُ يَبْوُلُهُ إذا باعد به ، فكأنه تصغيرٌ مُهَوَذِلٍ على حذف الزوائد ، ويجوز أن يكون تصغير هُذُلُولٍ ، وهو التَّلُّ الصَّغِيرُ مِنَ الرَّجُلِ عَلَى تَصْغِيرِ التَّخِيمِ أَيْضاً^(١) .

سالت برونه همزة :

وقوله : سالت^(٢) هُذَيْلٌ رسول الله فاحشة ، ليس على تسهيل الهمزة في سالت ، ولكنها لغةٌ بدليل قولهم : تَسْأَلُ الْقَوْمَ ، ولو كان تشبيهاً ، لكانت الهمزة بينَ يَينَ ، ولم يستقم وزنُ الشعرِ بها ، لأنها كالتَّحَرُّكِ ، وقد ثَقُلَ الْفَاءُ سَاكِنةً كما قالوا : الْمَنَسَاءُ^(٣) ، ولكنه شيء لا يقاس عليه ، وإذا كانت سَالٌ لغةٌ في سأل فيلزم أن يكون المضارعُ يَسِئُ ، ولكن قد حكى يونس : سِئْتُ تَسَالُ مِثْلَ خِفْتُ تَخَافُ ، هو عنده من ذَوَاتِ الْوَاوِ ، وقال الزجاج : الرَّجُلَانِ يَتَسَايَلَانِ ، وقال النحَّاس والمبرد : يَتَسَاوِلَانِ ، وهو مثل ما حكى يونس .

خبر بشر معونة

قال ابن إسحاق : وكانوا أربعين رجلاً ، والصحيح أنهم كانوا سبعين ،

-
- (١) قريب منه قول ابن دريد : اشتقاق هُذَيْلٍ من الهذيل وهو الاضطراب ، يقال : هوذِلَ الرجلُ يَبْوُلُهُ إذا اضطرب بوله فقد هوذِلَ .
 (٢) السيل ينتقل من قصيدة إلى قصيدة دون ترتيب .
 (٣) المنسأة : العاصي يهز ولا يهز .

كذا وقع في صحيح البخارى ومسلم .

مدح الأئمة واثقته ومعه الحكماء :

وذكر أبا براء مَلَاعِبَ الْأُسْتِ، وأنه أجاز أصحابَ بئر مَعُونَةَ من أهل نجد، وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، سُمِّيَ مَلَاعِبَ الْأُسْتِ في يوم سُبُوحان، وهو يوم كانت فيه وقعة في أيام حَبَلَةَ، وهي أيامُ حَرْبِ كانت بين قيسٍ وتيم، وَجَبَلَةُ اسمٌ لخصبةٍ عالية، وقد تقدم طَرَفٌ من هذا الحديث في أول الكتاب، وكان سببُ تَسْمِيَتِهِ في يوم سُبُوحان مَلَاعِبَ الْأُسْتِ أن أخاه الذي يقال له فارسُ قُرْزُل، وهو طَفِيلُ بن مالك، وقد ذكرنا في أول الكتاب معنى قُرْزُل، كان أسنله في ذلك اليوم، وقر قتل شاعر :

قُرْزُلَ وَأَسْنَلْتَ ابْنَ أُمِّكَ عَامِرًا بِمَلَاعِبِ اطِّرافِ الوَسِيحِ المَرْعِزِ
فَسَمِيَّ مَلَاعِبَ الْأُسْتِ، وَمَلَاعِبَ الرِّمَاحِ . قال لبيد :

ولمَّا نِيَّ مَلَاعِبُ الرِّمَاحِ وَمِدْرَهُ السَّكَنِيَّةِ الرِّدَاحِ

وهو عَمُّ لبيد بن ربيعة، وكانوا إخوة خَمْسَةَ: طَفِيلُ فارسُ قُرْزُل، وعامرُ مَلَاعِبِ الْأُسْتِ، ورَبِيعَةُ الْمُفْتَرِينَ^(١) وهو والد لبيد، وَعُبَيْدَةُ الوَضَّاحِ، ومعاوية مَعُوذُ الْحُكَمَاءِ^(٢) وهو الذي يقول :

(١) في الجمهرة لابن حزم: وربيعة، وهو ربيع المفترين .

(٢) في الجمهرة معود ص ٢٦٨ وكذلك في اللسان وفي سبسط اللال

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ وَعَظِيمَةٌ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ يَقُولُ :

يَعُوذُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بِعَدِي إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ نَابَا

وَبِهَذَا الْبَيْتِ سُمِّيَ مَعُوذُ الْحِكْمَاءِ ^(١).

شعر لبيد عن مزلج وإخوته أمام النعمان :

وَأَيَّامٌ عَنِّي آيِدٌ حِينَ قَالَ بَيْنَ يَدَيِ التُّمَّانِ بْنِ الْمُتَذَرِّ :

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَيْتَيْنِ الْأَرْبَعَةِ الْبَطْعُمُونَ الْجَفْنَةُ الْمُدْفَعَةُ

وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ نَحْتُ الْخَيْضَةَ يَا رَبِّ فَيَجَأُ هِيَ خَيْرٌ مِنِّي دَعَةً ^(٢)

(١) البيت في اللسان هكذا :

أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بِعَدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْحَدَثَانِ نَابَا
وَيَقُولُ الْلسَانُ قَبْلَهَا : وَهِيَ مَعُوذُ الْحِكْمَاءِ لِقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْقَتْمِيَّةِ ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَ .

وَفِي سَمَطِ اللَّالِي ص ١٩٠ يَقُولُ : سَمِي مَعُوذُ - بِالْأَدَالِ - الْحِكْمَاءُ يَقُولُهُ :

سَأَعْتَلُّهَا وَتَحْمِلُهَا غَنِي وَأُورِثُ مَجْدَهَا أَبَدًا كَلَامًا
أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بِعَدِي إِذَا مَا مَعْضَلُ الْحَدَثَانِ نَابَا

وَفِي ص ٤٤٨ يَذْكُرُ بَعْدَ بَيْتِهِ إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

لِكُلِّ مَقْلُصٍ عِلٌّ شَوَاهٍ إِذَا وَضَعْتَ أَعْتَبَيْنِ نَابَا
وَعَهْزَةُ الْحَزَامِ بِعَرَفِيهَا كِفَاءُ الرِّبَالِ أَفْلَكْتَ الْكَلَامَا

مَوَاطِرُ ص ١٨٢ ج ١ الْأَمَالِيُّ لِقَائِي ط ٢

(٢) فِي الْلسَانِ وَفِي سَمَطِ اللَّالِي : نَحْنُ بَنُو ، وَزَادَ الْلسَانُ بَعْدَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ

فِي مَادَّةِ خَضَعُ : وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَالْمُدْفَعَةُ : الْمَلِيَّةُ بِالْمَلِيَّةِ .
الْبَيْضَةُ أَوْ التَّفَافُ الْأَصْوَاتُ فِي الْحَرْبِ وَقَدْ قَالَ لَبِيدُ الرَّجَزِ حِينَ نَظَرَ الرَّيْبَ =

ثم ذكر الربيع بن زياد [القيسي] قال :

مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّفْنَ لَا نَأْكُلُ مِنْهُ

إلى آخر الرجز في خبر طويل ، إنما قال : الأربعة ، وهم خمسة ، لأن
أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يُعزى
إلى الفرء أنه قال إنما قال أربعة ، ولم يقل خمسة من أجل القوافي ، فيقال له : لا يجوز
للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ،
وأعجب من هذا أنه استشهد به على تاويل قاسد تأوله في قوله سبحانه :
(وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) الرحمن : ٤٦ وقال : أرادجنة واحدة ،
وجاء بلفظ التثنية ، لفتق رؤوس الآي ، أو كلاماً هذا مناه ، فصلى صمام (١)
ما أشنع هذا الكلام ، وأبعد عن العلم ، وفهم القرآن : وأقل هيبة قائله
من أن يتنبأ مقعده من النار ، فعذار منه حذار . ومما يدل أنهم كانوا
أربعة حين قال لييد هذه المقالة أن في الخبر ذكر لييد وصغير منه ،
وأن أحماء الأربعة استصغروه أن يدخلوه معهم على النعمان حين همهم
ما قاولهم به الربيع بن زياد ، فسمعهم لييد يتحدون بذلك ، ويهتفون له ،
فسألهم أن يدخلوه معهم على النعمان ، وزعم أنه سيفجهم فهاونوا بقوله ،

= ابن زياد العبسي بحضرة النعمان بن المنذر . انظر ص ١٥١ وسط اللال . وحسن فعل
السهيل حين بر الرجز ، فقد أفض فيه لييد ، ورمى زياداً بما عرأ منه الرجوة
بألفاظ تثير الغرور ،

(١) صمى صمام : يضرب للرجل يأق الداهية ، أى اخرمى ياصمام . ويقال
للداهية : صمى صمام مثل نظام وهى الداهية ، أى زييد .

حتى اختبروه بأشياء مذكورة في الخبر ، فبان بهذا كله أنهم كانوا أربعة ،
ولو سكت الجاهل لقل الخلاف والحمد لله .

مصر ابن فريزة :

وذكر ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل
قال يومئذ : مَنْ رَجُلٍ لَمَّا طَمَعْتُهُ رُفِعَ حَتَّى رَأَيْتُ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ . هذه
رواية البكائي عن ابن إسحاق ، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن
عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبي عليه السلام : مَنْ رَجُلٍ
يُحَمِّدُ لَمَّا طَمَعْتُهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ ؟ فقال : هو عامر بن قبيصة ^(١) وروى عبد الرزاق
وابن المبارك أن عامر بن قبيصة التمس في القتلى يومئذ ، فقصد ، فبيرون
أن الملائكة رفعت أو دفنته .

أسم البنين الأربعة :

وذكر قول حسان :

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أُمُّ يَرْعُكُمْ وَأَنْتُمْ فِي ذَوَابِ أَهْلِ نَجْدٍ

وهذه أم البنين التي ذكر لبيد في قوله :

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةِ

(١) في رواية البخاري أن عامر بن الطفيل سأل عمرو بن أمية الضمري ،
وأن عامرا قال : لقد رأيت ما قتل رفع إلى السماء ، حتى إنني لأنظر إلى السماء
بينه وبين الأرض وهذا قول رجل كافر ظل على كفره فهل يصدق ؟
(٢) في السيرة : من .

واسمها: كَيْلَى بِنْتُ عَامِرٍ - فَمَا ذَكَرُوا وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ نَسَبَهَا ،
وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهَا .

وَذَكَرَ قَوْلَ أَنَسِ بْنِ عَبَّاسٍ السُّلَمِيِّ :

تَرَكْتُ ابْنَ وَرَقَاءَ الْخَزَاعِيِّ ثَاوِيًا بِمَنْعَتِكَ تَنْبِيْ عَلَيْهِ الْأَخْصِرُ
ذَكَرْتُ أَبَا الزَّبَّانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَأَيَقَنْتُ أَنِّي مِنْهُ ذَلِكَ نَائِرُ

الزَّبَّانِ أَبُو الزَّبَّانِ

هَكَذَا وَقَعَ فِي النُّسخَةِ أَبَا الزَّبَّانِ ^(١) ، وَفِي رِوَايَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَمْدٍ :
أَبَا الزَّبَّانِ بِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَبِالْيَاءِ أَخْتُ الْوَاوِ ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ
فِي الْمَوْثُوفِ وَالْمُخْتَلَفِ ، كَأَنَّهُ رِوَايَةُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَمْدٍ .

الْقُرَطَاءُ :

وَذَكَرَ شَعْرُكَبَ وَفِيهِ : أَوَّ الْقُرَطَاءُ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ . الْقُرَطَاءُ : هـ
بَنُو قُرَيْطٍ وَقُرَيْطٍ وَقُرَيْطٍ ، وَهُمْ أَبْعَدُ مِنْ بَنِي عَامِرٍ نَحْمَ مِنْ بَنِي كِلَابٍ .

سَيِّدُ مَنْسُوخٍ

وَلَمَّا قَتَلَ أَصْحَابُ بَنِي مَعُونَةَ نَزَلَ فِيهِمْ قُرْآنٌ ، ثُمَّ رُفِعَ : أَنْ أَبْلَغُوا قَوْمَنَا
أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضَى عَلَنَا وَرَضِينَاهُمْ ^(٢) ، فَثَبَّتَ هَذَا فِي الصَّحِيحِ ، وَلَيْسَ

(١) فِي أَبِي ذَرٍّ : الزَّبَّانِ أَيْ بِالزَّاءِ وَالْيَاءِ وَقَدْ صَوَّبَ : الزَّبَّانِ .

(٢) الْبُخَارِيُّ : إِنَّا لَقِينَا رَبَّنَا ، فَرَضَى عَلَنَا وَأَرْضَانَا . رَأَيْتُ فِي النَّقْدِ الرَّافِعِ

الَّذِي نَقَدَ بِهِ السَّهْلِيُّ هَذَا .

عليه رَوَتْهُ الإِجْهَازُ ، فيقال : إنه لم يَنْزَلْ بهذا النظم ، ولكن يَنْظُمُ مُعْجِزٌ .
كَنْظُمِ الْقُرْآنِ .

فإن قيل : إنه خَبَرٌ وَالْجَبَرُ لَا يَدْخُلُهُ النسخُ ، قلنا : لم يُنسخَ منه الخبرُ ، وإنما نُسخَ منه الحكمُ ، فإن حُكْمَ الْقُرْآنِ أَنْ يُتْلَى فِي الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَا يَمْسَهُ إِلَّا طَاهِرٌ^(١) ، وَأَنْ يُكْتَبَ بَيْنَ الْأَوْحَيْنِ ، وَأَنْ يَكُونَ تَمْلُكُهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ ، فَكُلُّ مَا نُسخَ ، وَرَفَعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْأَحْكَامُ ، وَإِنْ بَقِيَ مُحْفُوظًا ، فَإِنَّهُ مَنْسُوخٌ ، فَإِنْ تَضَمَّنَ حُكْمًا جَازَ أَنْ يَبْقَى ذَلِكَ الْحُكْمُ مَعْمُولًا بِهِ ، وَأَنْكَرْتَ ذَلِكَ الْمَنْزِلَةَ ، وَإِنْ تَضَمَّنَ خَبْرًا بَقِيَ ذَلِكَ الْخَبَرُ مُصَدَّقًا بِهِ ، وَأَحْكَامُ التَّلَاوَةِ مَنْسُوخَةٌ عَنْهُ ، كَمَا قَدْ نَزَلَ : لَوْ أَنَّ لِبْنِ آدَمَ وَادِرَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ لَا يَتَغَيَّرُ لِهَمَّا ثَالِثًا ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ .

وَيُزَوَّى : لَا يَمْلَأُ هَيْئَتِي ابْنِ آدَمَ ، وَفَمِ ابْنِ آدَمَ ، كُلُّ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ ، وَكَذَلِكَ رَوَى : وَادِيًا مِنْ مَالٍ أَيْضًا ، فَهَذَا خَبَرٌ حَقٌّ ، وَالْخَبَرُ لَا يُنسخُ ، وَلَكِنْ نُسِخَ مِنْهُ أَحْكَامُ التَّلَاوَةِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَعْنَى قَوْلِهِ : لَوْ أَنَّ .

(١) يشير إلى قوله سبحانه : (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) الواقعة : ٧٧ — ٧٩ والضمير في لا يمسه يعود إلى الكتاب الذي في السماء كما قال ابن عباس . والمطهرون هم الملائكة . وقال ابن زيد : زعمت كفار قريش أن هذا القرآن نزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى : (وما نزلت به الشياطين) وقال الفراء : لا يمسها طعمه ونفسه إلا من آمن به .

أمر إجلاء بني النضير

في سنة أربع

بنو النضير يأثمرون بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعصيهم في دية ذينك التتيلين من بني عامر ، الذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعد لها ، كما حدثني يزيد بن زومان ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عتق وحلف .

لابن آدم في سورة يونس بعد قوله : كأن لم تمن بالأمس كذلك فنصّل الآيات لقوم يتفكرون ، كذلك قال ابن سلام ، وأما الحكم الذي بقي ، وكان قرآنا يُتلى : فالشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا ، فارجعوهما إلى بَيْتِهِمْ نَكَالًا مِنْ اللَّهِ ، وَلَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ، فَإِنْ ذَلِكَ كُفِّرَ بِكُمْ ، فهذا حكم كان نسخهُ جائزاً حين نسخ حكم التلاوة ، وكان جائزاً أن يبقى حكم التلاوة ، وينسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدم^(١) .

(١) سؤال نسأله هؤلاء الذين يزعمون مثل هذا : هل يجوز للمسلم أن يزعم أن قوله : لو أن لابن آدم الخ من القرآن ؟ ثم هل يكفر من ينكر أنه كان من القرآن ؟ وفي أي القرآن من جلال البيان وجماله وإشراقه ما يقتضي عن هذا ، وما يحكم بأن هذا كلام ليس عليه — كما قال السهيلي من قبل — روق الإعجاز ثم كيف تفسخ آية ويبقى حكمها ؟ أهذه تتفق مع حكمة الله بعباده ورحمته ؟ ليق الله الذين يزعمون مثل هذا ، وكيف نأمن شرأبقرى مثل هذا ؟ وسؤال آخر : أتفي كتاب الله آية يحرم على المسلم أن يعمل بها ؟ لا يجوز أحد على قول : نعم .

مَقَلًا أَنَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ ، قَالُوا
نعم ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، نُسَعِّنُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ ، عَمَّا اسْتَعْنَيْتَ بِنَا عَلَيْهِ . ثُمَّ
خَلَا بِمَعْضُومِهِمْ بِيَمَضٍ ، فَقَالُوا : إِنَّا نَكْمُنُ لَكُمْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هُنَا -
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بَيْتِهِمْ قَاعِدٌ - قَمَنَ رَجُلٌ
يَطْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً ، فَيَرِيحُهَا مِنْهُ ؟ فَأَتَدَبَّ لَذَلِكَ عَمْرُو
ابْنُ جَعْلَانَ بْنِ كَعْبٍ ، أَحَدُهُمْ ، فَقَالَ : أَنَا لَلَّذَلِكَ ، فَصَعَّدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً
كَأَنَّهَا ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَفَرُّقٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ
وَمُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

اللَّهُ يُعَلِّمُ نَبِيَّهُ بِمَا دَبَّرُوا

فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبِيرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ ، فَقَامَ
وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا اسْتَلْبَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، قَامُوا
فِي طَلَبِهِ ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ ؛ فَقَالَ : رَأَيْتُهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ .
فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبِيرُ ، بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الْغَدْرِ بِهِ ، وَأَمَرَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّهْيِؤِ لِحَرْبِهِمْ ، وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك في شهر ربيع الأول ، فحاصروهم سب ليال ؛ ونزل
نحرم الطمر .

حصار الرسول لبني النضير

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقطع النخيل والتخريب فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى
من الفساد ، وتعييه على من صنعته ، فما بال قطع النخل وتحريقها ؟

تحريض الرهط لهم ثم محاولتهم الصلح

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج ، منهم (عدو الله) عبد الله بن
أبي بن سلول ، ووديمة ، ومالك بن أبي قوقل ، وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى
بني النضير : أن ائبنوا وتمنوا ، فإننا لن نسلسكم ، إن قوتكم قاتلنا معكم ،
وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من تصرفهم ، فلم يفعلوا ، وقذف
الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم
ويكف عن دماهم ، على أن لهم ما حلت الإبل من أموالهم إلا الخلقة .
ففعل . فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فسكان الرجل منهم يهدم
بيته عن نجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر
ومنهم من سار إلى الشام .

من هاجر منهم إلى خيبر

فسكان أشرفهم من سار منهم إلى خيبر : سلام بن أبي الحقيق .

وكيدانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطاب. فلما نزلوها دان لم أهلها .
 قال ابن إسحاق : خذني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث : أنهم استقلوا
 بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والتيان يعزفن خلفهم ،
 وإن فيهم لآثم عمرو صاحبة هرزة بن الورد العبسي ، التي ابتاعوا منه ،
 وكانت إحدى نساء بني غفار ، بزهاة وفخز عارضي مثله من حي من الناس
 في زمانهم .

تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين

وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم خاصة ، بضمها حيث يشاء ، فقامها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سهل بن حنيف
 وأباد جانة سمك بن خريشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من أسلم من بني النضير

ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عمير ، أبو كعب بن عمرو
 ابن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما .

نحر يمين يامين على قتل ابن جحاش

قال ابن إسحاق - وقد حدثني بعض آل يامين : أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك ، وما هم به من شائي ؟

.....

فجعل يامين بن مخير لرجل جُعلاً هل أن يقتل له عمرو بن جحاش ، فقتله
فيما يزعمون .

ما نزل في بني النضير من القرآن

ونزل في بني النضير سورة الحشر بأمرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به
من نقمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ،
فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ
مِنَ اللَّهِ ، فَاتَّخَذَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ
الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وذلك لهدمهم بيوتهم
عن نجف أبوابهم إذا احتملوها . ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ . وَلَوْلَا أَنْ
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾ وكان لهم من الله نقمة ، ﴿ لَعَذَابُهُمْ فِي الدُّنْيَا :
أَيُّ السِّيفِ ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾ مع ذلك . ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ
تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُمُومِهَا ﴾ . واللينه : ما خالف المجوة من النخل ﴿ فَبِإِذْنِ
اللَّهِ ﴾ : أي فبأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نقمة من الله
﴿ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : اللينة : من الألوان ، وهي ما لم تسكن برنية ولا عَجْوَة
من النخل ، فيما حدثنا أبو عبيدة . قال ذو الرُّمَّة :

كَانَ قُتُودِي فَوْقَهَا عُشٌّ طَائِرٌ عَلَى لَيْتَةٍ سَوْدَاءَ تَهْفُو جُنُوبَهَا
وهذا البيت في قصيدة له .

(وما أَمَّا اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ) - قال ابن إسحاق : يعني من بني
النضير - (فَمَا أَوْ جَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ
رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) : أي له خاصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أَوْجَمْتُمْ : حركتم وأتعبتم في السير . قال تميم بن أبي بن
مُقبل أحد بني عامر بن صعصعة :

مذاويد بالبعض أحدث حِقَالَهَا من الرِّكَبِ أحياناً إذا الرِّكَبُ أَوْجَفُوا
وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الوجيف . (و) قال أبو زيد الطائي ،
واسمه حرملة بن المنذر :

مُسْتَفْتَك كَأَنَّهُنَّ قَدِمَا الهَنْدُ لَعُلَّ الوَجِيفُ جَذَبَ العُرُودَ
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : السَّاف : البطان . والوجيف (أيضا) : وجيف القلب
والكبِد ، وهو الضَّرَبَان . قال قيس بن الخطيم الظفري :
إِنَّا وَإِنْ قَدَّمُوا لَنَقِي عِلْمُوا أَكْبَادُنَا مِنْ قَدَائِهِمْ تَجِيفُ
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ مَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلَهُ وَالرَّسُولِ ﴾ - قال ابن إسحاق : ما يؤجف عليه السلون بالخليل والركاب ، وفتح بالحرب عنوة فله وللرسول - ﴿ وَلَذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، كَيْتَلَا يَكُون دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ يقول : هذا قسم آخر فيما أُمِيب بالحرب بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَاقَظُوا ﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ، ومن كان على مثل أمرهم ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ : يعني بنى النضير ، إلى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : يعني بنى قينقاع . ثم القصة . . إلى قوله : كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدَيْنِ فيها ، وذلك جزاء الظالمين .

ما قيل في بنى النضير من الشعر

وكان مما قيل في بنى النضير من الشعر قول ابن لقيم القيسى ، وبطل :
قاله قيس بن بحر بن طريف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعي - فقال :

أَهْلِي فِدَا لَا مَرِيٍّ غَيْرِ هَالِكٍ أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَسَى الْمُرْتَمٍ
يَقُولُونَ فِي بَحْرِ النَّصَاةِ وَبَدَلُوا أَهْضِبْ عُودِي بِالْوَدَى الْمُسْكَمِ

فَإِنْ بَلَكَ عَلَى صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلَا وَرَمَرَمِ
يَوْمَ بَهَا حَمْرُو بْنُ بَهْشَةَ لَهُمْ حَدَّثُوا مَا حَى صَدِيقَ كَمْجَرِمِ
حَلِيمِينَ أَبْطَالُ مَسَاعِيرُ فِي الْوَعَى يَهْزُونَ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ الشَّقُومِ
سَوَكِلَ رَفِيقُ الشَّفَرَتَيْنِ مَهْنَسِدِ تُؤَوِّرُنِي مِنْ أَرْزَامِ عَادٍ وَجُرْمِ
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي قُرَيْشًا وَرِسَالَةً قَهْلُ بَدَمٍ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُسْكَرَمِ
بَانَ أَخَاكُمْ فَاعْلَمُنَّ مُحَمَّدًا تَلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الْحُجُونَ وَزَمَرَمِ
مُغْدِبُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَنْجِسُ أُمُورَكُمْ وَتَسْمُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مُنْظَمِ
نَسِيَ تَلَاقَتَهُ مِنْ اللَّهِ رَحْمَةً وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرْجَمِ
خَفَدَ كَانَ فِي بَيْتِهِ لَعْنَتِي هَبْرَةً لَكُمْ يَا قُرَيْشًا وَالْقَلِيبِ الْمَلَمِ
غَدَاةَ أَتَى فِي الْخَزَرْجِيَّةِ حَامِدًا إِلَيْكُمْ مُطْعِمًا لِلْعَظِيمِ الْمَكْرَمِ
مُعَلِّمُ رُوحِ الْقُدُسِ بُنْسِكِي عَدُوَّةَ رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ حَقًّا بِمَعْلَمِ
رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ يَتْلُو كِتَابَهُ فَلَمَّا أَتَانَا الْحَقُّ لَمْ يَتَلَمَّ
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ عَلُّوا لِأَمْرِ نَحْمَهُ اللَّهُ مُحْكَمِ

قال ابن هشام: عمرو بن بهشة، من غطفان. وقوله «بالحسنى الزم» عن
غير ابن إسحاق:

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب: يذكر إجلال بني النضير،
وقتل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قال رجل من المسلمين غير علي بن أبي طالب، فيما ذكر

لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحدا منهم يعرفها على :

عرفتُ ومن يعتدل يعرف
عن الحكم المحكم اللاء من
رسائلُ مَنزَس في المؤمنين
فأصبح أحدُ قيسا عزرا
فيا أيها الموعظونوها
ألسن تخافون أدنى العذاب
وأن تضرعوا تحت أسياها
غداة رأى الله طغيانه
فأنزل جبريل في قته له
قدس الرسول رسولا له
قبات عيون له مقولات
وقل لأحمد ذرنا قليلا
فسلامهم ثم قال انظنوا
وأجل النخبة إلى غزية
إلى أذرع رذافي وم

فأجابه شماك اليهودي ، فقال :

إن تضرعوا فهو قخر لكم بمقتل كعب أبي الأشرف

.....

غَدَاةً غَدَوْتُمْ عَلَى حَتْفِهِ وَلَمْ يَأْتِ غَدْرًا وَلَمْ يُخْلِفْ
 قَتَلَ اللَّيَالِي وَصَرَفَ الدُّهُورَ يُدِيلُ مِنَ الْعَادِلِ الْمُتَنَصِفِ
 يَقْتُلِي النَّصِيرَ وَأَخْلَافَهَا وَعَقَرِ النَّخِيلَ وَلَمْ تُقْطَفْ
 فَإِنْ لَا أُمْتُ تَأْتِكُمْ بِالنَّارِ وَكَلَّ حُسَامٍ مَعًا مَرَهَفْ
 بِكَفٍّ كَمِيٍّ بِهِ يَحْتَمِي مَتَى يَلْقَى قِرْنًا لَهُ يُقْلِفْ
 مَعَ الْقَوْمِ مَخْرَجَ وَأَشْيَاءَهُ إِذَا ظَلَّوْا الْقَوْمَ لَمْ يَضْمَعْ
 كَلَيْتَ بِتَرْجٍ حَتَّى غِيْلَهُ أَخِي غَايَةِ هَاصِرِ أَجْوَفْ

شعر كعب في إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل

كعب بن الأشرف :

لَقَدْ مَخَرَّبَتْ بَقْلُورُهَا الْحُيُورَ كَذَلِكَ الدُّهُورُ ذُو صَرَفٍ يَدُورُ
 وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّ عَزِيزٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
 وَقَدْ أَوْثَرُوا مَعَ قَهْمَا وَعِلْمَا وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرُ
 نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَى كِتَابَا وَآيَاتٍ مُبَيِّنَةً مُنِيرُ
 فَقَالُوا : مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ وَأَنْتَ بِمَنْكَرٍ مَنَا جَدِيرُ
 قَالَ : بَلَى لَقَدْ أَدَيْتُ حَقَّا يُصَدِّقُنِي بِهِ النَّهْمُ الْحَمِيدُ
 فَمَنْ يَنْتَبِهْهُ يَهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَى الْكَافُورُ
 فَلَمَّا أَشْرَبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا وَحَادَ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ الثَّنُورُ

أرى الله النبي برأي صدق وكان الله بكم لا يجوز
فأبده وسأطه عليهم وكان نصيره نعم النصير
مفودر منهم كذب صريحا فذلت بعد مضرعه النصير
على الكفنين ثم وقد علته بأيدينا مشهورة ذكور
بأمر محمد إذ من لئلا إلى كذب أبا كذب بغير
خلفا كره فأنزله بمكر ومحمود آخر بقية جود
فتلك بنو النصير بدار سوز أبارم بما احترموا المير
غداة أنام في الزحف رهوا رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السلم وبكم قصدوا وحالت أمرم كذب وزور
فذاقوا غب أمرم وبالا لكل ثلاثة منهم تبيد
وأجلوا عامدين لقينقاع وغور منهم نخل ودور

شعر سمالك في الرد على كعب

فأجابه سمالك اليهودي ، فقال :

أريت وضاقي م كبير بليل غير ليل قصير
أرى الأخبار تشكره جميعا وكلهم له علم خبير
وكانوا الدارين لكل علم به التوراة تنطق والزبور
فكلم سيد الأخبار كعبا وقدماء كان يأمن من يجير

تَدَلَّى نَحْوَ مَحْمُودٍ أَخِيهِ وَمَحْمُودٌ سَرِيرَتَهُ الْفُجُورُ
خَلَدَرَهُ كَانَ دَمًا نَجِيمًا يَسِيلُ عَلَى مَدَارِعِهِ حَبِيرُ
قَدْ وَأَيْكُمُ وَأَبَى جِيمًا أَصِيتَ إِذْ أَصِيبَ بِهِ النَّصِيرُ
فَإِنْ نَنَلَمُ لَكُمْ تَرَكَ رِجَالًا بَكَتْ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ تَدُورُ
كَأَنَّهُمْ عَتَارُ يَوْمٍ عِيدٍ تُذَبِّحُ وَهِيَ لَيْسَ لَهَا تَكْبِيرُ
بَيْمَسٍ لَا تُلِيقُ لَهْنَ عَظْمًا صَوَافِي الْخَلْدِ أَكْبَرُهَا ذُكُورُ
كَأَلَا قِيمُ مِنْ بَاسٍ صَخْرٍ بِأُخْدِ حَيْثُ لَيْسَ لَكُمْ نَصِيرُ

شعر ابن مرداس في امتداح رجال بني النضير

وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير :

لَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا رَأَيْتَ خِلَالَ الدَّارِ مَلْهُى وَمَلْمَا
خِلْفَكَ عَمْرَى هَلْ أُرِيكَ ظَلَمَاتِنَا سَلَكَنْ عَلَى رُكْنِ الشُّطَاءِ قَتِيَابَا
حَلِيمِينَ عَيْنٍ مِنْ ظِلْبَاءِ تَبَالَةٍ أَوَانِسُ بَعْضِينَ الْحَلِيمِ الْمُجَرَّبَا
إِذَا جَاءَ بَانِي الْخَبْرِ قُلْنَ فُجَاءَةً لَهُ بَوَجُوهُ كَالدَّانِيَرِ مَرَحِبَا
وَأَهْلًا فَلَا مَتْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى هُنْدَنَا أَنْ تَوَلَّيْنَا
فَلَا تَحْسِبْنِي كُنْتُ مَوْلَى ابْنِ مِشْكَمٍ سَلَامٌ وَلَا مَوْلَى حَيٍّ بِنِ أَخْطَا

شعر خوات في الرد على ابن مرداس

فأجابه خوات بن جبير ، أخو بني عمرو بن موف ، فقال :

تُبَكِّي عَلَى قَتْلَى يَهُودَ وَقَدَرِي مِنْ الشُّجُو لَوْ تَبَكَّى أَحَبُّ وَأَقْرَبِي
قَهْلًا عَلَى قَتْلَى بَيْطُنِ أَرِينِي بَكَيْتَ وَلَمْ تَعُولَ مِنَ الشُّجُو مُسْهِبِي
إِذَا السَّلَامُ دَارَتْ فِي صَدُورِ دَنِيهَا وَفِي الدِّينِ مَدَادًا وَفِي الْحَرْبِ تَغْلِبِي
عَدَتْ إِلَى قَدَرِ اقْوَمِكَ تَبَتَّنِي لَمْ شَبَهَا كَيْفَا تَعَزَّ وَتَغْلِبِي
فَلَيْتَ لِمَا أَنْ كَيْفَتَ عَدُوًّا لَنْ كَانَ غِيًّا مَدْحُهُ وَتَكْذِبِي
رَحَلْتَ بِأَمْرِ كُنْتَ أَهْلًا لِشِدِّي وَلَمْ تُنْفِ فِيهِمْ قَاتِلًا لَكَ مَرْحَبِي
قَهْلًا إِلَى قَوْمٍ مُلُوكٍ مَدْحَتِهِمْ تَبَتَّنُوا مِنَ الْعَزِّ الْمُؤَمَّلِ مَنَصِبِي
إِلَى مَقَرِّ صَارُوا مُلُوكًا وَكُرُمُوا وَلَمْ يُلَفِّ فِيهِمْ طَالِبُ الْعُرْفِ مَجْدِي
أُولَئِكَ أُخْرَى مِنْ يَهُودَ بِلَدِي تَرَامُ وَفِيهِمْ عِزَّةُ الْمَعْدِ تَرْتَبِي

شعر ابن مرداس في الرد على أخوات

فأجابه عباس بن مرداس السلمي، فقال :

مَجُوتَ مَرِيحِ الْكَاهِنِينَ وَفِيكُمْ لَمْ نَعَمْ كُنْتُ مِنَ الدَّهْرِ تَرْتَبِي
أُولَئِكَ أُخْرَى لَوْ بَكَيْتَ عَلَيْهِمْ وَقَوْمُكَ لَوْ أَدَوْنَا مِنَ الْحَقِّ مُوجِبِي
مَنْ الشُّكْرِ إِنْ الشُّكْرُ خَيْرٌ مَقْبَةٍ وَأَوْفَقُ فَضْلًا لَذِي كَانَ أَصَوْبِي
فَكُنْتُ كَمَنْ أَمْسَى يُقَطِّعُ رَأْسَهُ لِيَبْلُغَ عَمْرًا كَانَ فِيهِ مَرْكَبِي
فَبَكَ بَنِي هَارُونَ وَاذْكُرْ فَعَالَهُمْ وَقَتْلَهُمْ لِحُجُوعٍ إِذْ كُنْتَ مُجْدِي
أَخَوَاتُ أَذْرِ الدَّمْعَ بِاللَّمْعِ وَابْكِي وَأَعْرِضْ عَنِ الْكُفْرِ وَمِنْهُمْ وَنَكْبِي
فَلَيْتَ لَوْ لَاقِيَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ لَأَلْفَيْتَ عَمَّا قَدْ تَقُولُ مُنْكَبِي

سَمِعَ إِلَى الْقَلْبِ كَرَامٌ لَدَى الْوَعْيِ يُقَالُ لِبَاغِي الْخَيْلِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا

شعر لكعب أو ابن رواحة في الرد على ابن مرداس

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة ، فيما قال ابن هشام ، فقال :

لعمري لقد حكت رحي الحرب بمدما أطارت لؤبًا قبل شُرْقَاوٍ مَغْرِبًا
بِقِيَّةِ آلِ الْكَاهِنِينَ وَعِزِّهَا فَعَادَ ذَلِيلًا بَمَدِّ مَا كَانَ أَغْلِبَا
فَطَاحَ سَلَامٌ وَابْنُ سَمْعِيَّةٍ عَنُودَ وَقِيدَ ذَلِيلًا لِلتَّمَنَّا يَا ابْنَ أَخْطَبَا
وَأَجْلَبَ بَيْنِي الْعِزُّ وَالذِّلُّ بَيْنِي خِلَافَ يَدَيْهِ مَا جِئْتَنِي حِينَ أَجْلَبَا
كَتَارَكَ سَهْلُ الْأَضَى وَالْحَزَنُ هَمَّهُ وَقَدْ كَانَ ذَاقِي النَّاسِ كَذَى وَأَصْعَبَا
وَسَأَسُ وَعَزَّالٌ وَقَدْ صَحَلِيَا بِهَا وَمَا غُيِّبَا عَنْ ذَاكَ فِيمَنْ تَغَيَّبَا
وَعَوْفُ بْنُ سَلَمَى وَابْنُ عَوْفٍ كَلَامَا وَكَعْبُ رَيْسُ الْقَوْمِ حَانَ وَخُيَّبَا
فَبُئِدَا وَسُجُفًا لِلنَّصِيرِ وَمِثْلَهَا إِنْ أَعْقَبَ فَتَحَّ أَوْ إِنْ اللَّهُ أَعْقَبَا

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمد بني النضير بنى المصطلق . وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن إسحاق فيه .

غزوة ذات الرقاع

في سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة

بني النضير شهر ربيع الآخر وبمض جادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني
كثلبه من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ، ويقال : عمان بن
عمان ، فيما قال ابن هشام .

لَمْ تَمَيِّتْ بِذَاتِ الرَّقَاعِ ؟

قال ابن إسحاق : حتى نزل نخلاً ، وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لما غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ،
ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جماعاً عظيماً من غطفان ، فتقارب الناس ،
ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد الثمورى - وكان يكنى :
أباً عبيدة - قال : حدثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن
جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بطائفة ركعتين ثم سأم ، وطائفة مُقْبِلُونَ عَلَى الْعِدُوِّ . قال : فجاءوا فصلى بهم
ركعتين آخرين ، ثم سَلِمَ .

قال ابن هشام : وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبى الزبير ،

عن جابر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعاً ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ، فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم ، فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد الثَّورِي قال : حدثنا أيوب بن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيسكونون مما يلي العدو ، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

هم غوث بن الحارث بقتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبَّيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلاً من بني مُحارب ، يقال له : غَوْث ، قال لقومه من غطفان ومُحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم - وكان

.....

مَحَلِّي بَفَضَةٍ ، فَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - قَالَ : فَأَخَذَهُ فَاسْتَلَّهُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَهْزُهُ ، وَيَهْمُ
فِي كَيْبَتِهِ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَمَا تَخَافُنِي ؟ قَالَ : لَا ، وَمَا أَخَافُ مِنْكَ ؟ قَالَ :
أَمَا تَخَافُنِي وَفِي يَدَيِ السَّيْفِ ؟ قَالَ : لَا ، يَمْنَعُنِي اللَّهُ مِنْكَ . ثُمَّ عَمِدَ إِلَى سَيْفِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِّرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴾ .
أَيْدِيَهُمْ ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ : أَنَّهَا إِنَّمَا أَنْزَلَتْ فِي عَمْرِو بْنِ
جِيحَاشٍ ، أَخِي بَنِي النَّضِيرِ وَمَا مَعَهُ بِهِ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيْ ذَلِكَ كَانَ .

قصه جل جابر

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي وَهَبُ بْنُ كَيْسَانَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،
قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ
نَخْلٍ ، عَلَى بَحْلٍ لِي ضَمِيمٍ ، فَلَمَّا قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :
جَعَلَتِ الرِّقَاقُ تَمَضَى ، وَجَعَلَتِ أَخْلَفَ ، حَتَّى أَدْرَكَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ يَا جَابِرُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبْطَأَ بِي بَحْلِي هَذَا ؛
قَالَ : أَيْحُهُ ؟ قَالَ : فَأَتَخَنَتُهُ ، وَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ثُمَّ قَالَ :
أَعْطَى هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ ، أَوْ أَقْطَعُ لِي عَصَا مِنْ شَجَرَةٍ ؛ قَالَ : فَعَمَلْتُ . قَالَ :
فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَخَسَهُ بِهَا نَخَسَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : ارْكَبْ ،
فَرَكِبْتُ ، فَخَرَجَ ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، يُوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : أتبعيني بعثتك
 هذا يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، بل أحببه لك ؛ قال : لا ، ولكن
 بعثته ، قل : قلت : فسئنيه يا رسول الله ؛ قال : قد أخذته بدرهم ؛ قال :
 قلت : لا ، إذن ، تفبيني يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا .
 قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمنه حتى بلغ الأوقية .
 قال : فقلت : أفقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ قلت : فهو لك ، قال :
 قد أخذته . قال : ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم
 يا رسول الله ، قال : أتنبأ أم بكرأ أقال : قلت : لا ، بل تنبأ ، قال : أفلا جارية
 تلبسها وتلاعبك أقال قلت : يا رسول الله ، إن أبي أصيب يوم أحد وتربك بنت
 له سبعة ، فنكحت امرأة جامعة ، تجمع رؤوسهن ، وتقوم عليهن ؛ قال :
 أصبت إن شاء الله ، أما إننا لو قد جئنا صراراً أمرنا بحزور فتجرت ، وأقمنا
 عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنقضت عمارتها ؛ قال : قلت : والله
 يا رسول الله ما لنا من عمارق ؛ قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاحمل
 عملاً كيئساً . قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحزور
 فتجرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ؛ فلما أمتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 دخل ودخلنا ، قال : فحدثت المرأة الحديث ، وما قال لي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، قالت : فدونك ، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحت أخذت
 برأس الجل ، فأقبلت به حتى أمتته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 قال : ثم جلست في السجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، فرأى الجل ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، هذا جل جاء به

جابر ، قال : فأين جابر ؟ قال : فدُعيتُ له ، قال : فقال : يا ابن أخي خذ برأسك ، جملك ، فهو لك ، ودعاً يلاً ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية . قال : فذهبت منه ، فأعطاني أوقية ، وزادني شيئاً يسيراً . قال : فوالله ما زال يبتني . عندي ، ويرى مكانه من بيتنا ، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا ، يعني يوم الحرة .

ابن ياسر وابن بشر ، وقيامهما على حراسة جيش الرسول

وما أصيبا به

قال ابن إسحاق : وحدثني عمي صدقة بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قفلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دماً ، فخرج يبيع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً ، فقال : من رجل يكلوننا ليلتنا (هــذـه) ؟ قال : فأتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكلونا بقم الشعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعبيد بن بشر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب ، قال الأنصاري :

للمهاجرى أى الليل نحب أن أكتفيكه : أوله لم آخره ؟ قال : بل اكفى
 أوله ، قال : فاضطجع المهاجرى فنام ، وقام الأنصارى يصلى ، قال : وآتى
 الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عَرَفَ أنه رَيْبَةُ القوم . قال : فرمى بسهم ،
 فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائماً ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه
 فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال :
 فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أَهَبَّ صاحبه فقال : اجلس فقد أثبتت ،
 قال : فوثب ، فلما رآهما الرجلُ عرف أن قد تَدْرأ به ، فهرب . قال : ولما
 رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أَهْبَيْتَنِي
 أولَ ماركك ؟ قال : كنت فى سورة أقرؤها فلم أَحِبَّ أن أقطعها حتى أُنْفِذَها ،
 فلما تابع على الرنمى ركعتُ فأذنتك ، وإيم الله ، لولا أن أضيّع تَفَرُّاً أمرى
 رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ، لقطع نفسى قبل أن أقطعها
 أو أُنْفِذَها .

قال ابن هشام : ويقال : أنفذها .

رجوع الرسول

قال ابن إسحاق : ولما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من
 غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً .

غزوة بدر الآخرة

في شعبان سنة أربع

خروج الرسول

قال ابن إسحاق : ثم خرج في شعبان إلى بدر ، لميماد أبي سفيان ، حتى نزل .

استماله ابن أبي على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل علي المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري .

رجوع أبي سفيان في ربهاله

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بحجة ، من ناحية الظهران ، وبفض الناس يقول : قد بلغ عُسْفان ، ثم بداله في الرجوع ، فقال : يامعشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترهون فيه الشجر ، وتشربون فيه الين ، وإن عامكم هذا عام جذب ، وإنى راجع ، فارجموا فرج الناس . فسماهم أهل مكة جيش السويق ، بقولون : إنما خرجم تشربون السويق .

الرسول ونخشي الضمري

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميماده ،

فأتاه نخشى بن عمرو الضمري ، وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان ، فقال : يا محمد ، أجت لقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدهاك حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لا والله يا محمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

معبد وشعره في ناقة للرسول هوت

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان ، فرآه به متعبد بن أبي معبد الخزاعي ، فقال ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوى به .

قد نمرت من رقتي محمد وعجوة من يثرب كالتعجد
تهوى على دين أيها الأتد قد جعلت ماء قد يد هو عدي
وماه ضجتلان لما هوى القدر

شعر لابن رواحة أو كعب في بدر

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك - قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك :

وعدنا أبا سفيان بدرأ فلم نجد
فأقسم لو وافيتنا فلقيننا
لأبت دميما وافقت المواليا
تركننا به أوصل عتبة وابنه
لإيماده حيدفا وما كان وإفيا
وعمرأ أبا جهل تركناه ناويا

عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفَّ لَدَيْكُمْ وَأَمْرُكُمْ السُّيُءَ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَلَا تَنِي وَإِنْ عَنَّفْتُونِي لَتَقَاتِلَنَّ فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطَعْنَاهُ لَمْ تَقْدُلْهُ فِينَا بَغْيُهُ شِرَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

شعر حسان في بدر

وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دَعُوا قَلْبَاجَاتِ الشَّامِ قَدَحَالُ دُونَهَا بِلَادٌ كَأَقْوَامِ الْخَاضِ الْأَوَارِكِ
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحُورَهُمْ وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْأَمْلَاقِ
إِذَا سَلَسَكَتِ لَلْعَوْرِ مِنْ بَعَانٍ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ
أَقْنَعْنَا عَلَى الرَّسِّ النَّزُوعَ ثَمَانِيَا بَارِعًا عَنْ جِرَارٍ عَرِيضِ الْمَبَارِكِ
بِكُلِّ كَمَيْتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ وَقُبَّ طَوَالٍ مُشْرِفَاتِ الْخَوَارِكِ
تَرَى الْعَرْفَجَ الْعَامِيَّ تَذَرِي أُمُودَهُ مَنَامِيْمُ أَخْخَافِ الْعَطَى الرَّوَاتِكِ
فَإِنْ تَلَقَّى فِي تَطَوُّافِنَا وَالتَّمَاثِنَا قُرَاتِ بَنِ حَيَّانٍ يَكُنْ رَهْنُ هَالِكِ

وإن تلقى قيس بن امرئ القيس بعده

يُرْدُ فِي سَوَادٍ لَوْنُهُ لَوْنُ حَالِكِ
فَأَبْلَغُ أَبَا سَفْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنَّكَ مِنْ غُرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ

شعر أبي سفيان في الرد على حسان

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أَحْسَنُ إِنَّا بَيْنَ آكِلَةِ الْقَنَا وَجَدَكَ تَنْتَالِ الْحُرُوقِ كَذَلِكَ
خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الِيعَافِيرِ بَيْنَنَا وَلَوْ وَأَلَتْ مَنَا بَشْدَ مُدَارِكَ
إِذَا مَا انْبَعَثْنَا مِنْ مُنَازِحِ حَسْبَتِهِ مُدَمِّنْ أَهْلَ الْمَوَسِمِ الْمُتَعَارِكِ
أَقْبَتَ عَلَى الرِّسِّ النَّزْوِعِ تُرِيدُنَا وَتَرَكْنَا فِي النَّخْلِ عِنْدَ الْمَدَارِكِ
عَلَى الزَّرْعِ تَمْشَى خَيْلُنَا وَرِكَابُنَا فَمَا وَطِئَتْ أَلْصَقَهُ بِالْأَكَادِكِ
أَقْنَمْنَا ثَلَاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعِ بِحُرْدِ الْجِيَادِ وَالْمَطِيِّ الزَّوَانِكِ
حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ عِنْدَ قِبَابِهِمْ كَأَخَذِكُمْ بِالْمَعِينِ أَرْطَالَ آتُكَ
فَلَا تَبْتَغِ الْخَيْلَ الْجِيَادَ، وَقُلْ لَهَا عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْمُعْصِمِ لِلْمَلَايِكِ
سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانِ أَهْلَهَا فَوَارِسُ مِنْ أَبْنَاءِ قَهْرٍ بِنِ مَالِكِ
فَأَنَّكَ لَا فِي حَجَرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا وَلَا حُرُمَاتِ الدِّينِ أَنْتَ بِنَاسِكِ

قال ابن هشام : بقيت منها أبيات تركناها . لتبجح اختلاف قوافيها .
رواها أبو زيد الأنصاري هذا البيت :

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

والبيت الذي بعده لحسان بن ثابت في قوله :

دعوا فليجات الشام قد حال دونها

رواه ثعلبي له فيها بيته « فأبلغ أبا سفيان » .

غزوة بني النضير وما نزل فيها

ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة في هذا الموضع ، وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدر ، لما روى عتيل بن خالد وغيره عن الزهري ، قال : كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر .

قطع البئر وتأويله

وذكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببني النضير ، ومسيره إليهم حين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه ، وهجروا بقرته ، فلما تحصنوا في حصونهم وحرق نخلمهم نادوه أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ونميتهم ، وذكر الحديث . قال أهل التأويل : وقع في قلوب المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْقَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا ﴾ الآية الحشر : ٥ . والليقة الوان التمر ما عدا العجوة والبرقي . ففي هذه الآية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يحرق من نخلمهم إلا ما ليس بثوت للناس ، وكانوا يفتنون العجوة ، وفي الحديث : العجوة من الخلفة ^(١) . وتمرها يقدوا أحسن غذاء ، والبرقي أيضاً كذلك . وقال أبو حنيفة : معناه بالفارسية حمل مبارك ، لأن بر معناه : حمل ، وفي معناه جيد ، أو مبارك . فمررت به العرب ، وأدخلته في كلامها ، وفي حديث وفد عبد القيس أن

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة وأحمد والبخاري

وابن ماجه عن أبي سعيد وجابر عنه صلى الله عليه وسلم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال لهم ، وذكر البرزني : إنه من خير تمر كرم ، وإنه دواء وليس يداء ، رواه منهم مزينة النصري ، في قوله تعالى : ﴿ مَلَقَطْنَاهُمْ مِنْ لَبَنَةٍ ﴾ ولم يقل : من نخلة على العموم : تنبيه على كراهة قطع ما يقتات وينتدو من شجر القدو إذا رُجي أن يصير إلى المسلمين ، وقد كان الصديق رضي الله عنه - يوصي الجيوش ألا يقطعوا شجراً مشيراً ، وأخذ بذلك [أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو] الأوزاعي ، فلما تأولوا حديث بنى النصير ، وإما رأوه خاصاً للنبي عليه السلام ، ولم يختلفوا أن سورة الحشر نزلت في بنى النصير ، ولا اختلفوا في أموالهم ، لأن المسلمين لم يؤجفوا عليها بخيل ولا ركاب ، وإنما قُذِفَ الرُّعْبُ في قلوبهم وجَلَّوا عن منازلهم إلى خيبر ، ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم ، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين ، ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار ، إذ كانوا قد ساء لهم في الأموال والديار ، غير أنه أعطى أبا دُجَانَةَ وسهل بن حنيف لحاجتهما ، وقال غير ابن إسحاق : وأعطى ثلاثة من الأنصار ، وذكر الحارث بن الصمة فيهم .

مول أول سورة الحشر :

وقوله سبحانه : ﴿ يُخْرِجُونَ يَدِيَهُمْ ﴾ [بأيديهم وأيدي المؤمنين] الحشر : ٢ .
أى يُخْرِجُونَهَا مِنْ دَاخِلِ ، والمؤمنون من خارج ، وقيل معنى بأيديهم : بما كسبت أيديهم من نقض العهد ، وأيدي المؤمنين ، أى بمجاهدتهم .

وقوله (لأول الحشر) ، روى موسى بن عتبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج

يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعني : أرض المحشر ، وهي الشام ، وقيل : لهم كانوا من بسط لم يصيبهم جلاء قبلها ، فلذلك قال : لأول الحشر ، والحشر : الجلاء ^(١) ، وقيل إن الحشر الثاني ، هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى اللوقف ، تبليت معهم ، حيث بانوا ، وتقبل معهم قالوا ، وتاكل من تخلف ، والآية متضمنة لهذه الأقوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأول الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر ، ثم أجلام عمر من خيبر إلى نيباء وأربحاً ^(٢) ، وذلك حين بلغه الثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يقيم دينان بأرض العرب .

وقوله : ﴿ فأنام الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ الحشر : ٢ ، يقال : نزلت في قتل كعب بن الأشرف .

وقوله تعالى : ﴿ ما آفاه الله على رسوله من أهل القرى ﴾ الحشر : ٧ .
 يوروى عن مالك أنه قال : هم بنو قريظة ، وأهل التأويل على أنها عامة في جميع القرى المفتحة على المسلمين وإن اختلفوا في حكمها ، فرأى قوم

(١) الحشر — كما يقول الراغب : وإخراج الجماعة عن نفرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها ، ولذا يقول البيضاوي : أي في أول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصيبهم هذا الدل قبل ذلك ، أو في أول حشرهم للقتال أو الجلاء إلى الشام وهو قريب من بعض ما ذكر السبيل .

(٢) نيباء : بليد في أطراف الشام بينها وبين وادي القرى على طريق حاج

تَقَسَّمَهَا كَمَا تُقَسَّمُ الْغَنَائِمُ ، وَرَأَى بَعْضُهُم لِلْإِمَامِ أَنْ يَقَعَهَا ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ
هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي غُرُوقِ خَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَذَكَرَ شَيْخُ الْقُنَيْسِيُّ فِي إِجْلَاءِ الْيَهُودِ ، فَقَالَ :

أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَسِيِّ الْمَرْزُومِ .

يُرِيدُ : أَحَلَّهُمْ بِأَرْضِ غُرَّيَّةَ ، وَفِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمْ ، وَالزَّيْنِمُ وَالْمَرْزُومُ :
الرَّجُلُ يُكُونُ فِي الْقَوْمِ ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ ، أَيْ أَنْزَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْحَسِيِّ ، أَيْ الْمُنْبَعِدِ
الطَّرِيدِ ، وَإِنَّمَا جُمِلَ الطَّرِيدُ الدَّلِيلُ حَسِيًّا لِأَنَّهُ عُرْضَةُ الْأَكْلِ ، وَالْحَسِيُّ
وَالْحُسُو مَا يُحْسَى مِنَ الطَّعَامِ حَسَوًا ، أَيْ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَى أَكْلِ ، وَبِمَجُوزِ أَنْ
يُرِيدُ بِالْحَسِيِّ مَعْنَى الْغَدِيِّ مِنَ الْغَنَمِ ، وَهُوَ الصَّغِيرُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ
الرَّعْيَ ، يُقَالُ : بُدِّلُوا بِالسَّالِ الدَّنْثَرِ وَالْإِبِلِ الْكُومَ رُدَّالَ السَّالِ وَغِذَاءَ
الْغَنَمِ ، وَالْمَرْزُومُ مِنْهُ ، فَهَذَا وَجْهٌ يَحْتَمِلُ ، وَقَدْ كَثُرَتْ النِّقَيرُ عَنْ الْحَسِيِّ
فِي مَقَاصِدِهِ مِنَ اللُّغَةِ فَلَمْ أَجِدْ نَصًّا شَافِيًّا أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ : الْحَسِيَّةُ ، وَالْحَسِيُّ
مَا يُحْسَى مِنَ الطَّعَامِ ، وَإِذَا قَدْ وَجَدْنَا الْغَدِيَّ وَاحِدَ غِذَاءِ الْغَنَمِ ، فَالْحَسِيُّ فِي مَعْنَاهُ غَيْرُ
مُتَمَتِّعٍ أَنْ يُقَالَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) . وَالْمَرْزُومُ أَيْضًا : صِفَارُ الْإِبِلِ ، وَسَائِرُ هَذَا

(١) يَقُولُ أَبُو فَرْدُوسٍ الْغَسَنِيُّ : الْحَسِيُّ وَالْحَسَاءُ : مِيَاهُ تَقُورُ فِي الرَّمْلِ وَتَمْسِكُهَا
حَبْلَابَةُ الْأَرْضِ ، فَإِذَا خَضِرَتْ عَنْهَا وَجَدَتْ ، وَالْمَرْزُومُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ هُوَ الْمَقْتُلُ
الْيَسِيرُ ، وَمَنْ رَوَاهُ بِالْحَسِيِّ أَرَادَ بِهِ حَاشِيَةَ الْإِبِلِ ، وَهِيَ صَفَارُهَا وَضَعْفُهَا وَهِيَ
الصَّوَابُ ، وَالْمَرْزُومُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَعْنِي بِهِ أَوْلَادَ الْإِبِلِ الصَّغَارِ ، وَقَدْ يَكُونُ
الْمَرْزُومُ هُنَا الْمَرْزُومِيَّةُ بِذَلِكَ لِلزَّيْنِمِ الْتَيْنِ فِي أَغْنَقَاهَا ، وَهِيَ الْهَيْتَانِ الْتَيْنِ
تَتَمَلَّقَانِ مِنْ أَغْنَقَاهَا ص ٢٨٨ .

الشعر مع ما بعده من الأشعار ليس فيه عويص من الغريب ، ولا مُستفلق
من الكلام .

الطائفة :

وما ذكر من أمر الكاهنين فهما قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ ، وفي الحديث :
يخرج في الكاهنين رجل يدرس القرآن دَرَسًا لم يدرسه أحد قبـله ،
ولا يدرسه أحد بعده ، فكانوا يروونه أنه محمد بن كعب القرظي وهو محمد
ابن كعب بن عقيلة^(١) ، وسيأتي خبر جده عطية في بني قُرَيْظَةَ ، والكاهن
في اللغة بمعنى الكاهل ، وهو الذي يقوم بحاجة أهله ، إذا خلف عليهم ، يقال :
هو كاهن أبيه وكاهله ، قاله المروى ، فيحتمل أن يكون سُمي الكاهنًا
بهذا^(٢) .

مخرج بن النضر إلى خيبر :

فصل : وذكر ابن إسحاق خروج بني النضر ، إلى خيبر ، وأتهم
استقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والزمير والقيان ينزفون

(١) محمد بن كعب القرظي المدني ثم الكوفي أحد العلماء . قال ابن عون :
هاوأت أحدًا أعلم بتأويل القرآن من القرظي ، وقال ابن سعد : كان ثقة ورعا
كثير الحديث ، وقد وثقه أبو زرعة والعجل مات سنة ١١٩ ، وقيل سنة ١٢٠
وقيل سنة ١٠٨ خلاصة تذهيب الكمال والإكمال لولي الدين أبي عبد الله
محمد بن عذافة الخطيب .

(٢) العرب تسمى كل من يتعاطى علمًا دقيقًا : كاهنًا .

خَلَقَهُمْ ، وَلَمْ فِيهِمْ لَأَمْ عَمْرُو صَاحِبَةُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ الَّتِي ابْتَاعُوا مِنْهُ ،
وَكَانَتْ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي غِفَّارٍ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهَا
فِي رِوَايَةِ الْبُكَايَ عَنْهُ ، وَذَكَرَهُ فِي غَيْرِهَا ، وَهِيَ سَلَمَى ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : اسْمُهَا
كَلْبَى بِنْتُ شَمْعَوَاءَ ، وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ : هِيَ سَلَمَى أُمُّ وَهْبٍ امْرَأَةٌ مِنْ كِنَانَةَ ، كَانَتْ
تُحَاكِمُ فِي مُزَيْنَةَ ، فَأُغَارَ عَلَيْهِمْ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ ، فَسَبَّهَا ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ،
وَقَوْلَ أَبِي الْفَرَجِ لَهَا مِنْ كِنَانَةَ لَا يَدْفَعُ قَوْلَ ابْنِ إِسْحَاقَ لَهَا مِنْ غِفَّارٍ ، لِأَنَّ
غِفَّارَ مِنْ كِنَانَةَ . غِفَّارُ بْنُ مُثَلِّيلٍ بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ لَيْثٍ ^(١) . بَنُ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ
ابْنِ كِنَانَةَ . وَعُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَيُقَالُ : ابْنُ عَمْرُو بْنِ نَاشِبٍ بْنِ هَذَمٍ
ابْنِ عَوْذٍ بْنِ غَالِبٍ بْنِ قُطَيْمَةَ بْنِ دَبَسٍ ، فَهُوَ عَبْسِيٌّ غَطَفَانِيٌّ قَيْسِيٌّ ، لِأَنَّ
عَبْسًا هُوَ ابْنُ بَقِيضٍ بْنِ رَبِيعٍ بْنِ غَطَفَانَ قَالَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ :
مَا يَسِرُّنِي أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ وَلَدَنِي إِلَّا عُرْوَةَ بْنَ الْوَرْدِ لِقَوْلِهِ :

أَهْزَأْنِي أَنْ سَمِثْتُ ، وَقَدْ تَرَى مَحْشِي مَسَّ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ
إِنِّي أَمْرُو عَاقٍ إِنَّا بِي شِرْكَةٍ وَأَنْتَ أَمْرُو عَاقٍ إِنَّا لَكَ وَاحِدُ
أَقْسَمَ جَنِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَاحَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ ^(٢)

(١) فِي جَهْرَةَ ابْنِ حَزْمٍ : مُثَلِّيلُ بْنُ ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بِاسْقَاطِ لَيْثٍ بَيْنَ ضَمْرَةَ وَبَكْرِ

ص ١٧٥ .

(٢) هِيَ فِي الْأَمَالِ ص ٢٠٤ ح ٢ . وَقَدْ نَسَبَ الْقَالِي بَيْنَاقٍ أَوَّلًا إِلَى عُرْوَةَ :
لَا تَمْتَسْنِي يَا بَنَ وَرْدٍ فَإِنِّي تَعُودُ عَلَى مَالِي الْحَقُوقُ الْعَوَائِدُ
وَمَنْ يُوْثِرُ الْحَقَّ التَّدْوِبُ تَكُنْ خِصَاصَةُ جِسْمٍ وَهُوَ طَيَّانٌ مَا جَدُ
وَقَدْ عَلِقَ الْبَكْرِيُّ فِي السِّمْطِ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : هَذَا وَمِ بَيْنَ وَغَلَطَ وَاصْحَحَ وَالْبَيْتُ =

وكان يقال : مَنْ قَالَ : إِنَّ حَاتِمًا أَشْمَحُ الْعَرَبِ ، فَقَدْ ظَلَمَ عُرْوَةَ بْنَ
الْوَرْدِ ^(١) ، قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَكَانَ عُرْوَةُ يُتَرَدَّدُ عَلَى بَنِي النَّضِيرِ ،
فَيَسْتَقْرِضُهُمْ إِذَا أَحْتَاجَ ، وَيَبِيعُ مِنْهُمْ إِذَا غَنِمَ ، فَرَأَوْا عِنْدَهُ سَلَى ،
فَأَعْجَبْتَهُمْ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبِيعَهُمْ ^(٢) ، مِنْهُمْ فَأَبَى فَسَمَوْهُ الْخَمْرَ ، وَاحْتَالُوا عَلَيْهِ ،
حَتَّى ابْتَاعُوا هَامَتَهُ ، وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

سَمَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْتَنُونِي عِدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
وُروى أيضاً أن قومها افتدوها منه ، وكان يظن أنها لا تختار عليه
أحدًا ، ولا تفارقه ، فاختارت قومها ، فندم ، وكان له منها بَنُونَ فَقَالَتْ لَهُ :
وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ أَرْخَبَ سِتْرًا عَلَى بَعْلِ مِثْلِكَ أَغْضَ طَرَفًا ،

= الأول لقيس بن زهير يخاطب عروة . . وكان بين قيس وعروة . تنافس
وتحاسد ، وكان قيس لا يكره ولا يبغض ، وكان عروة يعرض له بذلك في أشعاره .
وقيل في نسب عروة همود بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن لديم
بن سواد النخ ، وهو في الأغاني كذلك . ويعلق الأستاذ الميمنى على هذا بقوله :
وخرمه السهيل في ٢ ص ١٧٩ ص ٨٢٢ ، ٧٢٣ سمط اللال . وكان يكنى عروة :
أبا الصعاليك ، وقيل بل أبا نجدة ، وقيل : كنيته أبو المغاس ، أو : أبو عبلة .
وفي السلم : أبو هراشة . وفي الحامسة ثلاثة أبيات من قصيدة عروة هذه ، ورواية
البيت الأول هكذا :

أتمزأ مني أن سميت وأن ترى بوجهي شعوب الحق والحق جاهد

وفي الأغاني ثلاثة أبيات منها أيضاً ص ٧١ ص ٣

(١) ص ٧١ ص ٣ الأغاني ط لبنان .

(٢) لعلها ينبغي هامة .

وَلَا أُنْدَى كَفًّا وَلَا أَعْنَى غَنَاءَ ، وَإِنَّكَ لَرَفِيعُ الْعِمَادِ ، كَثِيرُ الرَّمَادِ ، خَفِيفُ
 عَلَى ظَهْوِرِ الْخَلِيلِ ، ثَقِيلٌ عَلَى مُتُونِ الْأَعْدَاءِ ، رَاضٍ لِلْأَهْلِ وَالْجَارِ ، وَمَا كُنْتُ
 لِأَوْثَرِ عِنِكَ أَهْلِي ، لَوْلَا أَنِي كُنْتُ أَسْمَعُ بَنَاتِ عَمِّكَ يَقْلُنَ فَعَلْتُ أُمَّةً عُرْوَةً ،
 وَقَالَتْ أُمَّةُ عُرْوَةٍ ، فَأَجِدُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْتَ ، وَاللَّهِ لَا يَجَامِعُ وَجْهِي وَجْهَ
 غَطَفَانِيَّةٍ أَبَدًا ، فَاسْتَوْصِ بَيْنِيكَ خَيْرًا ، قَالَ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
 النَّضِيرِ ^(١) ، فَسَأَلَهَا أَنْ تُنْثِنِي عَلَيْهِ فِي نَادَى قَوْمِهِ ، كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى عُرْوَةٍ ،
 فَقَالَتْ : أَغْنَى ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا مَا عَلِمْتَهُ ، فَأَبَى أَنْ يُغْنِيَهَا ، فَجَاءَتْ حَتَّى
 وَقَفَتْ عَلَى النَّادَى ، وَهُوَ فِيهِ ، فَقَالَتْ : عَمُّوَا صَبَاحًا ، ثُمَّ قَالَتْ : إِنْ هَذَا
 أَمَرَنِي أَنْ أَثْنِي عَلَيْهِ بِمَا عَلِمْتُ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ إِنْ شَمَلْتَكَ

(١) أقرأ قصتها في الأغاني ص ٧٢ ، ٧٣ - ٣ ط لبنان في إحدى الروايتين
 أن قومها هم الذين قالوا لعروة : فادعنا بصاحبنا فانها وسيطة النسب فينا معروفة .
 فلما فادعه بها خيروها واختارت أهلها ثم أقبلت عليه فقالت : يا عروة لما إني
 أقول فيك ، وإن فارقتك الحق : والله ما أعلم امرأة من العرب ألقيت سترها
 على بعل خير منك ، وأغض طرفا ، وأقل فحشا ، وأجود بدا : وأجمل حقيقة
 ومامر على يوم منذ كنت عندك إلا والموت أحب إلي من الحياة بين قومك
 لأنني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا
 إلا سمعته ، والله لا أنظر في وجه غطفانية أبدا ، فارجع راشدا إلى ولدك
 وأحسن إليهم ص ٧٣ - ٣ الأغاني ط لبنان وفي رواية أخرى أنها قالت له : والله
 إنك ما علمت لضحوك مبلأ كسوب مدبرا ، خفيف على متن الفرس ، ثقیل
 على العدو ، طويل العماد كثير الرماد ، راضى الأهل والجانب ، فاستوص ببيتك
 خيرا ، ثم فارقته ، فتزوجها رجل من بني عمها . والسبيل جمع بين الروايتين .
 أو لعله نقل من كتاب آخر .

لَا التَّخَافُ^(١) ، وَإِنْ شُرْبُكَ لِاشْتِغَافٍ ، وَإِنْ ضَجْمَتَكَ لِانْجِمَافٍ ، وَإِنْكَ
لَتَشْبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ ، وَتَنَامُ لَيْلَةً تَخَافُ^(٢) ، فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : قَدْ كُنْتَ فِي غِنَى
عَنْ هَذَا ، وَفِيهَا يَقُولُ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

أَرِقتُ وَصُحْبَتِي بِمَضِيقٍ غُمَقِي لِيَرْقِي فِي نَهَامَةٍ مُسْتَطِيرِ^(٣)

إِذَا قُلْتُ اسْتَهْلْ عَلَى قَدِيدِ بِحُورٍ رِيَابِهِ حُورِ الْكَسِيرِ

سَتَقِي سَتَكِي ، وَأَبْنَى تَحُلُّ سَتَكِي إِذَا حَلَّتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ^(٤)

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ وَأَهْلِكَ بَيْنَ أُمِّرَةٍ وَكَبِيرِ^(٥)

ذَكَرْتُ مَنَازِلًا مِنْ أُمِّ وَهْبٍ تَحُلُّ الْحَيَّ اسْفَلَ ذِي النَّفِيرِ^(٦)

وَأَخْرُ^(٧) مَعْبَدٍ مِنْ أُمِّ وَهْبٍ مُعَرَّسَنَا قَوَيْقُ بَنِي النَّصِيرِ^(٨)

وَقَالَتْ : مَا تَشَاءُ ، فَقُلْتُ : أَلَهُو إِلَى الْإِصْبَاحِ آثَرُ ذِي أُنْبِيرِ

بِأَنَسَةِ الْحَدِيثِ رُضَابُ فِيهَا بِسَيْدِ النُّومِ كَالْعَنْبِ لِلْعَصِيرِ

(١) فِي الْأَغَانِي : لَا التَّخَافُ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : وَإِنْكَ لَتَنَامُ لَيْلَةً تَخَافُ ، وَتَشْبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ ، وَمَا تَرْضَى
الْأَهْلَ وَلَا الْجَانِبَ ، ص ٧٥ - ٣ الْأَغَانِي .

(٣) فِي الْأَغَانِي : مِنْ نَهَامَةٍ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : كَانَتْ مُجَاوِرَةً ..

(٥) فِي الْأَغَانِي : وَأَهْلِي .

(٦) فِي الْأَغَانِي : مِنْ نَفِيرٍ .

(٧) فِي الْأَغَانِي : وَاحِدٌ .

(٨) فِي الْأَغَانِي : بَدَارُ بَنِي النَّصِيرِ .

أُحْمَتُ الْأَمِيرِينَ بِصَرْمٍ سَلَمَى قَطَّارُوا فِي بِلَادِ الْيَسْتَمُورِ
سَمَوْنِي ائْتَمَرْتُمْ تَكْنَفُونِي عِدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
وَقَالُوا لَسْتُ بِعَدَدِ فِدَاءِ سَلَمٍ يَمْنَعُنِي مَا لَدَيْكَ وَلَا قَبِيرٍ
وَلَا وَأَيْبِكَ لَوْ كَالْيَوْمِ أَمْرِي وَمَنْ لَكَ بِالتَّهَبْرِ فِي الْأُمُورِ
إِذَا لَمَسْتُ عِصْمَةً أَمْ وَهَبٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَكِ الصُّدُورِ
فَيَا لِلنَّاسِ كَيْفَ غَلَبْتُ نَفْسِي عَلَى شَيْءٍ وَيَكْفُرُهُ خَيْرِي (١)

قوله : السريير موضع في ناحية كدانة ، وقوله : الْيَسْتَمُور : هو موضع قبل حرّة المدينة ، فيه عِصَاهُ من سَمَرٍ وَطَلَحٍ ، وقال أبو حنيفة : الْيَسْتَمُورُ شَجَرٌ يُسْتَأْكَبُ بِهِ ، يَذْمِيَتُ بِالسَّرَامَةِ ، وَالْيَسْتَمُورُ أَيْضًا مِنْ أَسْمَاءِ الدَّوَاهِي ، وَالْيَاءُ فِي الْيَسْتَمُورِ أَصْلِيَّةٌ ، فهذا شرح ما أومأ إليه ابن إسحاق من حديث أُمِّ عَمْرٍو ، وإنما هي أُمُّ وَهَبٍ كما تكرّر في شعره .

شجرة ذات الرقاع

وُسِّمَتِ ذَاتُ الرَّقَاعِ ، لأنهم رَفَعُوا فِيهَا رَأْسَهُمْ فِي قَوْلِ ابْنِ هِشَامٍ ، قَالَ : وَيُقَالُ ذَاتُ الرَّقَاعِ شَجَرَةٌ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ الرَّقَاعِ ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهَا أَرْضٌ فِيهَا بُقْعٌ سَوْدٌ ، وَبُقْعٌ بَيْضٌ ، كَلِمَتَاهَا مُرَقَّعةٌ بِرَقَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ،

(١) الآيات : الثاني ثم التاسع والحادي عشر إلى آخر القصيدة ليست في الأغاني . هذا وقد نسب عِدَاةُ عَلَى الذَّمِّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ (عِدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ) أَنْظِرْ لِهَذَا ص ٢٢٥ إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه .
(١٦٢ — الروض الأنف ج ٦)

فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة ، وأصبح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري ، قال : « خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزاة ، ونحن ستة نفر ينقله بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدامى ، وسقطت أظفارنا ، فكننا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لئلا كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كرهه ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره ، كأنه كرهه أن يكون شيئاً من عمله أفشاء » (١) .

مسألة الخوف : صلاة الخوف

فصل : وذكر صلاة الخوف ، وأوردها من طرق ثلاث ، وهي مروية بصور مختلفة أكثر مما ذكر . سمعت شيخنا أبا بكر - رحمه الله - يقول : فيها ست عشرة رواية ، وقد خرج المصنفون أصحها ، وخرج أبو داود منها جملة ، ثم اختلف الفقهاء في الترجيح ، فقال طائفة : يعمل منها بما كان أشبه بظاهر

(١) هو في صحيح مسلم أيضاً . نقبت أقدامنا : رقت أقدامنا . نعتقبه : نركبه عتبة عقبة ، وهو أن يركب هذا قليلاً ، ثم ينزل فيركب الآخر بالنوبة حتى يأتي على سائرهم . وقد اختلف في ميقاتها على أقوال ذكرها الحافظ في الفتح ، ثم قال : وهذا التردد لا حاصل له ، بل الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة ، لأنه تقدم أن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت ، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع ، فدل على تأخرها بعد الخندق . من ٢٣٥ > ٦ فتح الباري سنة ١٣٤٨ مطبعة البية المصرية . وانظر أيضاً زاد المعاد من ٢٧٤ > ٢ ط السنة المحمدية .

القرآن ، وقالت طائفة : يُجْتَنَبُ فِي طَلَبِ الْآخِرِ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ الْفَاسِخُ لِمَا قَبْلَهُ ،
وقالت طائفة : يُؤْخَذُ بِأَصَحِّهَا نَقْلًا ، وَأَعْلَاهَا رُؤَاةً ، وقالت طائفة - وهو
مذهب شيخنا : يُؤْخَذُ بِجَمِيعِهَا عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْخَوْفِ ، فَإِذَا اشْتَدَّ
الْخَوْفُ ، أُخِذَ بِأَسْرَها مُؤَنَّةً ، فَإِذَا تَفَاقَمَ الْخَوْفُ صَلُّوا بِغَيْرِ إِمَامٍ لِقَبْلَةٍ أَوْ
لغَيْرِ قَبْلَةٍ ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ سَلَامٍ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ صَلَاةَ الْخَوْفِ ،
قَدْ تَنَوَّلُوا إِلَى أَنْ تَسْكُونَ أَنْ يَتَّعِ تَكْبِيرَاتِهِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَقْعَةِ الْقِتَالِ ، وَسَيَأْتِي
بَقِيَّةُ الْقَوْلِ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ فِي خَيْرِ بَنِي قُرَيْظَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(١) ، وَعَمَّا تَخَالَفَ
بِهِ صَلَاةُ الْخَوْفِ حُكْمٌ غَيْرُهَا أَنَّهُ لَا تَسْتَوِي فِيهَا عَلَى إِمَامٍ ، وَلَا عَلَى مَأْمُومٍ

(١) رَوَى أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانُ وَأَصْحَابُ السَّنَنِ الثَّلَاثَةُ عَنْ صَالِحِ بْنِ خُوَاتٍ
عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَشْمَةَ - وَفِي لَفْظِهِ مِنْ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ - مِنْهُ يَوْمَ
ذَاتِ الرِّقَاعِ - أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى - وَطَائِفَةٌ وَجَّاهُ الْعُدُوَّ -
أَيَّ تَجَاهَهُ هَرَابَةً لَهُ - فَصَلَّى بِالنَّبِيِّ مَعَهُ رُكْعَةً ، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا فَأَتَمُّوا لِنَفْسِهِمْ ، ثُمَّ
انصَرَفُوا وَجَّاهُ الْعُدُوَّ ، وَجَّاهُ الطَّائِفَةِ الْآخَرَى ، فَصَلَّى بِهِمُ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيََتْ
مِنْ صَلَاتِهِ ، فَأَتَمُّوا لِنَفْسِهِمْ ، فَصَلَّمُ بِهِمْ . وَهَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ مَطَابِقٌ مَفْهُومِ الْآيَةِ
الْمَكْرَمَةِ ، إِذْ لَيْسَ فِي الْآيَةِ ذِكْرُ السُّجُودِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً . وَهَذِهِ الصَّلَاةُ قَالَ
عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عُمَرَ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ
وَسَهْلُ بْنُ أَبِي حَشْمَةَ ، وَعَلَيْهَا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَبُو ثَوْرٍ وَغَيْرُهُمْ . وَهَنَّاكَ رِوَايَةُ
آخَرَى عَنْ أَحْمَدَ وَالشَّيْخَيْنِ مِثْلَ هَذِهِ غَيْرَ أَنَّهَا زَادَتْ أَنَّ كُلَّ فِرْقَةٍ قَضَتْ رُكْعَةً ۖ
وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْآيَةِ هَذَا . أَمَّا مَنِ يَكُونُ خَوْفٌ مِنْ شَيْءٍ أَكْثَرَ مِنَ الْقِتَّةِ
فَقَدْ قَالَ سَبْعَانَهُ (فَإِنْ خَفْتُمْ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) جَمْعُ رَاجِلٍ وَرَاكِبٍ وَقَدْ فَرَسَهَا
ابْنُ عُمَرَ : قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ مُسْتَقْبِلِي الْقَبْلَةِ وَغَيْرِ مُسْتَقْبِلِيهَا قَالَ مَالِكٌ : قَالَ نَافِعٌ :
لَا أَرَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ إِلَّا عَنِ الرَّسُولِ ، مِنْ ، الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ قَوْلِ
ابْنِ عُمَرَ بَنَعُو ذَلِكَ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْهُ مَرْقُوعًا ، وَرَوَاهُ الشَّافِعِيُّ فِي الْإِمَامِ .

رواه الدارقطني بسند ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا سهو في صلاة الخوف.

رفع المنصوب:

فصل: وذكر حديث جابر حين أبطأ به جملة فتخسب النبي صلى الله عليه وسلم - تحسات - فخرج نواهي نافته مواهية المواهية كالسائمة والمجارية، وأشد سيوبه لأوس بن حجر: نواهي رجلاها يداها ورأسه لما قتب خلف الحقيمية رادف

رفع يداها ورجلاها رفع الفاعل، لأن المواهية، لا تكون إلا من اثنين، فشكل واحد منها فاعل في المعنى كما ذكرنا في قول الرازي:

قد سالم الخيأت منه القدما الأفعوان والشجاع الشحما
[وذات قرنين ضمورا ضروما ^(١)]

هكذا تأوله سيوبه، وأمل هذا الشاعر كان من لفته أن يحمل التشبيه بالألف في الرفع والنصب والتخفيض كما قال:

نزود منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابي التراب عقيم

(١) الزيادة من الكتاب لسيوبه ص ١٤٥ ط أولى، وقد نسي سيوبه لشاعر قال عنه هو عيد بن عيسى. وقد نسيه في اللسان إلى مساور بن هند العيسى، وفي شرح الشواهد لشمس بن عيسى المعراج. والشهم: الطويل، والضمور: الساكنة المطرقة التي لا تصغر لخبثها. والضررم: المسنة.

وكما قال الآخر :

قد بلغنا في المجد غايتها^(١)

وهي لغة بني الحارث بن كعب ، قاله أبو عبيد . وقال النحاس في الكتاب
المفنع : هي أيضاً لغة تلمع وطبي وأبطن من كدانة ، والبيت أعنى :
تواهي رجلاً يدانها ، هو لأوس بن حجر الأسدي ، وليس ممن هذه
لغته ، فاليبت إذا على ما قاله سيبويه .

(١) أصل الشعر :

واها الليلى ثم واها واها هي الما لو أننا تلتاها
باليبت عينها لنا وفاها

وقد نسبته الهروي في التلويح شرح فصح ثعلب ص ٣٩ ط ١٩٤٩ إلى أبي النجم
المجلى المتوفى نحو سنة ١٣٠ هـ وفي بعض الروايات سلمى ، وفي بعضها : ربا
وقد زاد القائل في الأمالى : بشمن نرضى به أباهما ص ٧٧ ط ١ وبعده هذا :
إن أباهما وأبا أباهما قد بلغنا في المجد غايتها
وفي الصحاح زيادة قبل الما :

فاضت دموع العين من جراها

وقيل أيضاً :

شالوا علينا فشل علاها واشدد بشمن حقب حقواها
إن أباهما وأبا أباهما قد بلغنا في المجد غايتها
أنظر سمط الآلى ص ٢٥٧ وشرح شواهد ابن عقيل للجرجاني ص ٩ وعلى
هامشه شرح الشواهد أيضاً للشيخ فظه العدوى ص ٩ .

مسألة جابر في جهره وما فيه منه الفقر :

وذكر مسأمة النبي صلى الله عليه وسلم لجابر في الجمل^(١) ، حتى اشتراه منه بأوقية ، وأنه أعطاه أو لا درهما ، فقال : لا إذا تقبلني يا رسول الله ، فإن كان أعطاه الدرهم مازحاً ، فقد كان يمزح ، ولا يقول إلا حقاً ، فإذا كان حقاً ، ففيه من الفقه إباحة الكايسة الشديدة في البيع ، وأن يُعطى في السلعة ما لا يشبه أن يكون تمناً لما ينص الحديث ، وفي دليله أن من اشترى سلعة بما لا يشبه أن يكون لها تمناً ، وهو عاقل بصير ، ولم يكن في البيع تدليس عليه ، فهو بيع ماضٍ لا رجوع فيه ، ورؤى من وجبه صحيح أنه كان يقول له كلما زاد له درهماً قد أخذته بكذا والله يغير لك ، فكانه عليه السلام أراد بإعطائه إياه درهماً درهماً أن يكثر استغفاره له ، وفي جمل جابر هذا أمور من الفقه سوى ما ذكرنا ، وذلك أن طائفة من الفقهاء احتجوا به في جواز بيع وشرط^(٢) ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - شرط له ظهره إلى المدينة ، وقالت طائفة : لا يجوز بيع وشرط ، وإن وقع فالشرط باطل ، والبيع باطل^(٣) ، واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن جد أبيه

(١) كما رواه ابن إسحاق رواه ابن سعد في طبقاته ، وفي البخاري في عشرين موضعاً في بعضها أن ذلك كان في غزوة تبوك ، وفي مسلم أنه في غزوة الفتح . . وعن نخسه ذكر في أحمد ومسلم أنه ضربه برجله ، ودعاه .

(٢) إلى هذا ذهب أحمد والبخاري لكثرة رواية الاشتراط .

(٣) إلى هذا ذهب أبو حنيفة والشافعي مطلقاً ، وتوسط مالك ففصل .

عبد الله بن عمرو بن العاصي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن شرط
وبيع ، وعن بيع وسلف .

شُعَيْب لا يروى عن أبيه وإنما عن جده :

وقد روى أبو داود هذا الحديث ، فقال : عن عمرو بن شعيب عن أبيه
شُعَيْبٍ عن أبيه مُحَمَّدٍ بن عَبْدِ اللَّهِ بن عمرو عن أبيه عبد الله بن عمرو .
وهذه رواية مُسْتَفْرَغة عند أهل الحديث جِدًّا ، لأن المعروفَ عندهم أن
شُعَيْبًا إنما يروى عن جده عبد الله ، لا عن أبيه مُحَمَّدٍ لأن أباه محمداً مات
قبل جده عبد الله ، فقف على هذه التنبيهة في هذا الحديث ، فَقُلْ مَنْ تَذَيَّه
إليها ، وقالوا : لا حُجَّةَ في حديث جابر لما فيه من الاضطراب ، فقد روى
أنه قال : أَفْقَرَنِي ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وروى أنه قال : اسْتَشْفَيْتُ ظَهْرَهُ إِلَى
الْمَدِينَةِ ، وروى أنه قال : شَرَطَ لِي ظَهْرَهُ ^(١) ، وقال البخاري : الاشتراطُ
أَكْثَرُ وَأَصَحُّ ، وكذلك اضْطَرَبُوا فِي الثَّمَنِ ، فقالوا : بَعَثَهُ مِنْهُ بِأَوْقِيَةٍ ، وقال
بعضهم : بِأَرْبَعِ أَوْاقٍ ، وقال بعضهم : بِخَمْسِ أَوْاقٍ ، وقال بعضهم بِخَمْسَةِ
دَنَانِيرٍ ، وقال بعضهم : بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرٍ ، وقال بعضهم : هُوَ فِي مَعْنَى الْأَوْقِيَةِ ،
وكل هذه الروايات قد ذكرها البخاري ، وقال مسلمٌ في بعض رواياته : دِينَارَيْنِ
وَدِرْهَمَيْنِ ، وقالت طائفةٌ بإبطال الشرط ، وَجَوَّازِ الْبَيْعِ ، وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ
بِرِّيرَةَ حِينَ بَاعَهَا أَهْلُهَا مِنْ عَائِشَةَ ، وَاشْتَرَطُوا الْوَلَاءَ فَأَجَّازَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) وفي رواية : وشرطت ظهره إلى المدينة .

البيع وأبطل الشرط^(١)، واستعمل مالك هذه الأحاديث أجمع، فقال :
 بإبطال البيع والشرط على صورة، وبجوازها على صورة أخرى، وبإبطال
 الشرط وجواز البيع على صورة أيضاً، وذلك بين في المسائل من تدبرها،
 وأبين ما توجد مُحْكَمَةُ الأصول مُسْتَقْمَرَةُ الْجَنَّا والفُصُولِ في كتاب المقدمات
 لابن رشد، فليُنظرها هنالك من أرادها^(٢).

الحكمة من مساومة النبي لجابر :

فصل : ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن تَعَلَّمَ قَطْعاً أن النبي -
 صلى الله عليه وسلم - لم يكن يَقُولُ شَيْئاً عَشِيماً بل كانت أفعاله مَقْرُونَةً
 بِالْحِكْمَةِ وَمَوْيِدَةً بِالْعِصْمَةِ، فاشترأوه الجَلَّ من جابر ثم أعطاه الثمن، وزاده
 عليه زيادة، ثم رَدَّ الجَلَّ عليه، وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك العطاء دون
 مُسَاوَمَةِ في الجَلَّ، ولا اشتراء ولا شرط ولا توصيل، فالحكمة في ذلك
 بديهة جداً، فليُنظر بعين الاعتبار، وذلك أنه سأل: هل تزوجت، ثم قال
 له: هَلَا يَكْرَأُ، فذكر له مَقْتَلُ أَبِيهِ، وما خَلَّفَ من البنات، وقد كان عليه
 السلام قد أخبر جابراً بأن الله، قد أحيا أباه، ورَدَّ عليه رُوحَهُ، وقال :
 ما تشتهي فأزيدك، فأكد عليه السلام هذا الخبر بمثل ما يُشَبِّهُهُ، فاشترى منه
 الجَلَّ، وهو مَطِيبَتُهُ، كما اشترى الله تعالى من أبيه، ومن الشَّهْدَاءِ أَنْفُسَهُمْ.

(١) عن عائشة أنها أرادت أن تشتري بريرة للعتق، فاشتروا ولأدها،
 فذكرت ذلك لرسول الله -ص-، فقال اشترها واعتقها، فإيما الولاء لمن أعتق،
 متفق عليه. ولم يذكر البخاري لفظة : أعتقها. وروى بصورة أخرى أطول من هذه.
 (٢) أظن في ص ١٣٢ ح ٢ من إية المجتهد لابن رشد ط ١٣٢٣ .

بشأن هو الجنة، ونفس الإنسان مطيئة، كما قال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - إن نفسى مطيئة ، ثم زادم زيادة فقال : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ بونس : ٢٦ ، ثم رد عليهم أنفسهم التي اشترى منهم فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ آل عمران ١٦٩ الآية ، فأشار عليه السلام باشتراؤه الجمل من جابر وإعطائه الثمن وزيادته على الثمن ، ثم رد الجمل المشتري عليه ، أشار بذلك كله إلى تأكيد الخبر الذي أخبر به عن فعل الله تعالى بأبيه ، فتشاكل الفعل مع الخبر ، كما تراه ، وحاش لأفعاله أن تخلو من حكمة ، بل هي كلها ناظرة إلى القرآن ومُنْتَزَعَةٌ منه صلى الله عليه وسلم .

سباقه الحديث هم عمرو بن عبيد :

فصل : وحدث عن عمر بن عبيد عن الحسن بن جابر ، وذكر حديث غورث ، وقد ذكره البخاري فقال فيه : غورث بن الحارث (١) ، وقد ذكره الخطابي ، فقال فيه : إنه لما تم بقتل النبي - صلى الله عليه وسلم - رمى بالزئجة فندد السيف من يده ، وسقط إلى الأرض . الزئجة : وجع يأخذ في الصلب ، وأما روايته الحديث عن عمرو بن عبيد فأعجب شيء سياقته إياه عن عمرو بن عبيد ، وقد رواه الأتبات عن جابر ، وعمرو بن عبيد مُتَّفَقٌ على زعم حديثه ، وترك الرواية عنه ، لما اشتهر من بدعته ، وسوء تحليته ،

(١) يقال أيضاً بضم الفين . ووقع عند الخطيب بالكاف بدلا من الشاء ، وحكى الخطابي فيه غويرث . وقد ذكر في غزوة ذي أمر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دغور .

حِفَاةِ حُجَّةِ الْقَدَرِيَّةِ ، فَيَأْتِيهِمْ دُونَ إِلَى الْحَسَنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ الْقَوْلِ
بِالْقَدَرِ ، وَقَدْ بَرَّاهُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ، وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ
دَأْبٍ ، فَقَدْ (١) كَانَ عَظِيمًا فِي زَمَانِهِ عَلَى الرُّثْبَةِ فِي الْوَرَعِ ، حَتَّى افْتَنَ بِهِ ،
وَبَعَثَتْهُ أُمَّةٌ فَصَارُوا قَدَرِيَّةً ، وَقَدْ نُبِذَ بِمَذْهَبِهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، فَلَمْ
يَسْقُطْ حَدِيثُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجَادِلُوا عَلَى مَذْهَبِهِمْ ، وَلَا طَعَنُوا فِي مُخَالَفَتِهِمْ مِنْ
أَهْلِ السُّنَّةِ ، كَمَا فَعَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ . فَمِمَّنْ نُبِذَ بِالْقَدَرِ ابْنُ أَبِي ذَيْبٍ وَقَتَادَةُ
وَدَاوُدُ بْنُ الْحَصَنِ وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَطَائِفَةٌ سِوَاهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ فِي عِلْمِ
الْحَدِيثِ ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ يُكْنَى أَسْمَانًا وَأَبُوهُ عُبَيْدُ بْنُ دَأْبٍ كَانَ صَاحِبَ
شُرْطَةٍ فَيَا ذَكَرُوا وَسَمِعَ يَوْمًا نَاسًا يَقُولُونَ فِي ابْنِهِ هَذَا خَيْرُ النَّاسِ ابْنُ شَرِّ
النَّاسِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ : وَمَا بِعَجَبِكُمْ مِنْ هَذَا ؟ هُوَ كَأَبِي إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا كَأَزْرٍ ،
وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ ، يَقُولُ بِمَوْتِ عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ : مَا بَقِيَ أَحَدٌ
يُسْتَحْيَا مِنْهُ (٢) بَعْدَ عَمْرُو ، وَكَانَ يَقُولُ :

(١) تَوَفَّى عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ سَنَةَ ١٤٤ بِحِرَانَ وَرِثَاهُ الْمَنْصُورُ ، قَالُوا : وَلَمْ
يَسْمَعْ بِخُلْفَةِ رُفْيٍ مِنْ دُونِهِ سِوَاهُ .

(٢) قَالَ الْمَنْصُورُ قَوْلَهُ لَمَّا مَاتَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ ص ٩٤ - ٢٣
الْبَيَانُ لِلْجَاهِظِ . وَمِنْ أَقْوَالِ عَمْرُو الطَّبِيعَةِ أَنَّ أَحَدَهُمْ قَالَ لَهُ : إِنِّي لَأَرْحَمُكَ مَا يَقُولُ
النَّاسُ فَيْكَ ، قَالَ : أَسَمِعْتَنِي أَذْكَرُ فِيهِمْ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : إِيَّاهُمْ فَارْحَمْ . وَقَوْلُهُ
لَأَنِّي جَعْفَرٌ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَهَبَ لَكَ الدُّنْيَا بِأَسْرَمَا ، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ بِبَعْضِهَا ، فَلَوْ أَنَّ
هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ بَقِيَ فِي يَدِي مِنْ - كَانَ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، وَتَذَكَّرْ
يَوْمًا يَتَمَنَّى بِأَهْلِهِ لَا لَيْلَةَ بَعْدَهُ ص ٦٥ - ٦٤ الْبَيَانُ . وَمِنْ دَعَائِهِ : اللَّهُمَّ اغْنِنِي
بِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ ، وَلَا تَفْقُرْنِي بِالْإِسْتِغْنَاءِ عَنْكَ ص ٢٧١ - ٢٦٠ الْبَيَانُ . اللَّهُمَّ أَعْنِي
عَلَى الدُّنْيَا بِالتَّقَاعَةِ . وَعَلَى الدِّينِ بِالْمَعْمَةِ .

كُلُّكُمْ خَاتِلٌ حَيْدٌ * كُلُّكُمْ يَمْنَى رُوَيْدٌ * غَيْرُ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ
وقد نُزِلَ ابنُ إِسْحَاقَ بِالْقَدَرِ أَيْضًا ، وَرَوَاتُهُ عَنْ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ تُوَيْدٌ
قَوْلٌ مِنْ عَزَاهُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) .

(١) وَرَوَى صَاحِبُ الْعَقْدِ الْقَرِيدِ أَنَّ عَمْرًا بَعْدَ أَنْ نَصَحَ أَبَا جَعْفَرٍ النَّصِيحَةَ
الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا أَمْرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ بِهَرَّةٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وَجَمَلُ يَقُولُ :
كُلُّكُمْ يَمْنَى رُوَيْدٌ كَلُّكُمْ خَاتِلٌ حَيْدٌ
غَيْرُ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ

وَفِي رِوَايَةٍ : كَلُّكُمْ يَطْلُبُ حَيْدٌ
وَأَقْرَأُ النَّصِيحَةَ الرَّائِعَةَ الْمَنْصُورَ فِي تَرْجُمَةِ فِي الْمَلَلِ وَالْأَنْجَلِ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ . وَمِنْ
رِثَاءِ الْمَنْصُورِ لَهُ كَمَا ذَكَرَ الشَّهْرِسْتَانِيُّ :

لَوْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَبْقَى صَالِحًا أَبْقَى لَنَا عَمْرًا أَبَا شَمَانَ
وَقِيلَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الرَّفَاةُ قَالَ لِصَاحِبِهِ : تَوَلَّيْتُ الْمَوْتَ ، وَلَمْ أَتَأَمَّبْ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ :
أَلَيْسَ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَسْخَرْ لِي أَمْرَانِ فِي أَحَدِهِمَا رِضَاكَ ، وَفِي الْآخَرِ هَوَى لِي
إِلَّا اخْتَرْتُ رِضَاكَ عَلَى هَوَايَ فَاعْفُرْ لِي ، وَمَاتَ عَنْ ٦٤ عَامًا . وَالْقَدَرِيَّةُ تَقَالُ
بِاطْلَاقٍ الْأَوَّلَى عَلَى الَّذِينَ يَنْفُونَ الْقَدَرَ ، وَالْآخِرِينَ عَلَى الَّذِينَ يَشْتَبُونَهُ مَعَ نَفْيِ
الْشَّرْعِ . وَالْقَدَرِيَّةُ كَمَا يَعْرِفُهُمْ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ — هُمُ الَّذِينَ خَاضُوا فِي قَدَرِ اللَّهِ بِالْبَاطِلِ ،
وَأَصْلُ ضَلَالَتِهِمْ ظَنُّهُمْ أَنَّ الْقَدَرَ يَنْقُضُ الشَّرْعَ ، فَصَارُوا حَزْبِينَ حَزْبًا يَعْظُمُونَ
الشَّرْعَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالْوَعْدَ وَالْوَعْدَ ، وَاتَّبَاعَ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَهَجَرَ
مَا يَبْغِضُهُ وَمَا يَسْخَطُهُ ، وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَدَرِ ، .
وَقَدْ وَصَفَ هَذَا الْحَزْبَ بِأَنَّهُ يَكْذِبُ بِالْقَدَرِ وَيَنْفِيهِ ، أَوْ يَنْفِي بَعْضَهُ ثُمَّ قَالَ
عَنِ الْحَزْبِ الثَّانِي « وَحَزْبًا يَغْلِبُ الْقَدَرَ ، فَيَنْفِي الشَّرْعَ فِي الْبَاطِنِ ، أَوْ يَنْفِي حَقِيقَتَهُ ،
وَيَقُولُ : لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ الْجَمِيعِ سِوَاهُ ،
وَكَذَلِكَ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَعْدَاؤُهُ ، وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَ أَنَّهُ يَحِبُّهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ يَبْغِضُهُ لَكِنَّهُ
خَرَقَ بَيْنَ الْمُتَمَثِّلِينَ بِمَحْضِ الْمَشِيئَةِ ، بِأَمْرِ هَذَا ، وَيَنْهَى عَنْ مِثْلِهِ ، فَجَعَلُوا =

== الفرق والفصل الذى بين التوحيد والشرك وبين الإيمان والكفر وبين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام ، ثم عاد يسم الحزب الاول وهم نفاة القدر أو بعضه أنهم أنكروا الجع وأنكروا أن يكون الله على كل شىء قدير ، ومنهم من أنكروا أن يكون الله بكل شىء عليا ، وأنكروا أن يكون خالقاً لكل شىء ، ثم وازن بين الفريقين فقال عن نفاة الشرع الذين يسوون بين الأمر والنهى . هؤلاء نفوا حكمته وعدله ، وأولئك - أى نفاة القدر - نفوا قدرته وهيبته . وشبه هؤلاء بالجوسى ، وشبه الآخرين بالمشركين من ١٤٤ وما بعدها . مجموعة الرسائل الكبرى ، وقد أبدع فيها كعادته رضى الله عنه .

وعمر بن عبيد هو من نفاة القدر الذين سموهم بالمعتزلة . يقول ابن تيمية . وكانت الخوارج قد تكلموا فى تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة ، وقالوا : إنهم كفار مخلدون فى النار ، فخاض الناس فى ذلك ، وخاض فى ذلك القدرية بعد موت الحسن البصرى ، فقال عمرو بن عبيدة وأصحابه : لا هم مسلمون ، ولا كفار ، بل لهم منزلة بين المنزلتين ، وهم مخلصون فى النار ، فوافقوا الخوارج على أنهم مخلصون ، وعلى أنه ليس معهم من الإسلام والإيمان شىء ، ولكن لم يسموهم كفاراً ، واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصرى مثل قتادة وأيوب السختياني وأمثالها ، فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن ، من ٣٧ . المصدر السابق . وهناك آراء أخرى فى سبب تسميتهم بالمعتزلة وأنكر ابن تيمية فى موازنة العادلة يقول عن المعتزلة . ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة - أى الشيعة الذين رفضوا إمامة زيد - ومن الخوارج ، فإن المعتزلة تقر بخلافه الخلفاء الأربعة ، وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان ، وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون عليا ، ومنهم من يفضل على أبي بكر وعمر ، وكلهم يتولون عثمان ، ويعظمون أبا بكر وعمر ، ويعظمون الذنوب ، فهم يتحرون الصديق كالخوارج لا يختلقون الكذب كالرافضة ولا يرون اتخاذ دار غير دار الإسلام كالخوارج ، ولهم كتب فى تفسير القرآن ، ونصر الرسول ولحم بحاس كثيرة . يترجمون على الخوارج والروافض ، وهم قصدتهم لإثبات توحيد ==

وقعة الحرة وموقف الصحابة منها:

فصل : وذكر قول جابر : فوالله ما زال يَنْبَغِي عندنا ، ويرى مكانه من من بيتنا حتى أصيب فيما أصيب من يوم الحرة يعني : وقعة الحرة (١) التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدَيْ مُسْلِم بن عُقْبَةَ المُرِّي الذي يُسَمِّيهِ أهل المدينة مُشْرِف بن عُقْبَةَ ، وكان سببها أن أهل المدينة خَلَعُوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مَرْوَانَ بن الحَكَم وَبَنِي (٢) أُمَيَّة ، وأمروا عليهم عبد الله بن حَفْظَةَ النَّسِيل الذي غَسَلَتْ أُمَامُ لِلدَّيْنِ يَوْمَ أُحُدٍ ، ولم يوافق على هذا اِطِّاعَ أَحَدٌ من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم . روى البخاري أن عبد الله بن عمر لما أُرْجِفَ أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه ، وقال لهم : إنا قد بايعنا هذا الرجل على بَيْعَةِ اللَّهِ وَبَيْعَةِ رَسُولِهِ ، وإنه والله لا يبلغني عن أحدٍ منكم أنه خَلَعَ يَدًا من طاعته إلا كانت الْفَيْصَلُ بيني وبينه ، ثم لَزِمَ بيته ، ولَزِمَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ بيته ، فدخل عليه في تلك الأيام التي انْتَهَبَتْ لِلدِّينَةِ فيها ، فقيل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدري

= الله ورحمته وحكمته وصدقته وطاعته بأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس ، ولكنهم غلطوا في بعض ما قالوه في كل واحد من أصولهم الخمس ، ثم عدد أخطاءهم رضى الله عنهم ص ٧٥ ١ المصدر السابق .

(١) الحرة سنة ٦٣ هـ ص ٢٨٤ ح ٥ الطبري .

(٢) وأخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد وقد طلب يزيد من مسلم أن يدعو القوم إلانا ، فإن هم أجابوه وإلا قاتلهم ، وأمره أن يبحث عن علي بن الحسين وأن يكف عنه ، وأن يستوصى به خيرا ، وأن يدن من مجلسه . وكان على قدر رفض أن يخب في الفتنة .

صاحبُ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا له : قد سمعنا خبرك ، ولِمَ مَنَ ما فعلتَ حينَ كَفَفْتَ بِدَكَ ، وَلَزِمْتَ بَيْتَكَ ، وَلَسَكَنَ هَاتِ الْمَالَ ، فقال قد أَخَذَهُ الدِّينَ دَخَلُوا قَبْلَكُمْ عَلَيَّ ، وما عندي شيءٌ ، فقالوا : كَذَبْتَ وَتَقَنُّوا إِحْيَيْتَهُ ، وَأَخَذُوا مَا وَجَدُوا حَتَّى صَوَّفَ الْفَرَشَ ، وَحَتَّى أَخَذُوا زَوْجَيْنِ مِنْ حَتَّامٍ كَانَ صَبِيَّائِهِ يَلْعَبُونَ بِهِمَا . وَأَمَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي كُنَّا يَمْسُقِي حَدِيثَهُ ، فَخَرَجَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِطُوفٍ فِي أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ وَالْبُيُوتِ تُنْفَتِّحُ ، وَهُوَ أَعْمَى ، وَهُوَ يَتَعَرَّى لِلْقَتْلِ ، وَيَقُولُ تَمَسُّ مِنْ أَخَافَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال له قائلٌ : وَمَنْ أَخَافَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ فقال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ أَخَافَ الْمَدِينَةَ ، فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ جَنْبَيْ ، فَعَمِلُوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ ، فَأَجَارَهُ مِنْهُمْ مَرْوَانُ ، وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ ، وَقِيلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ وَجْهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَلْفٌ وَسَبْعُمِائَةٍ ، وَقُتِلَ مِنْ أَخْلَاطِ النَّاسِ عَشْرَةٌ أَلْفٍ سِوَى النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ، فَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ إِسْرَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلَ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الثَّامِ ، وَهِيَ تُرَضِعُ صَبِيَّيْهَا ، وَقَدْ أَخَذَ مَا كَانَ عَنْدهَا ، فقال لها : هَاتِ الذَّهَبَ ، وَإِلَّا قَتَلْتُكَ ، وَقَتَلْتُ صَبِيَّكَ ، فَقَالَتْ : وَيْحَكَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَأَبْرَهُ أَبُو كَبْشَةَ صَاحِبُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَا مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي بَايَعْنَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَاخُنْتُ اللَّهَ فِي شَيْءٍ بَايَعْتُ رَسُولَهُ عَلَيْهِ ، فَانْتَفَضَ الصَّبِيُّ مِنْ حَجْرِهَا ، وَتَدَيَّيَا فِيهِ ، وَضَرَبَ بِهِ الْحَائِظَ حَتَّى انْتَشَرَ دِمَاغُهُ فِي الْأَرْضِ وَالْمَرْأَةُ تَقُولُ : يَا بُنَيَّ لَوْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ نَفَذْتُكَ بِهِ ، لَقَدْ يَتُّكَ ، فَمَا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ حَتَّى اسْوَدَّ نَصْفُ وَجْهِهِ ، وَصَارَ مَثَلَةً فِي النَّاسِ .

قال المؤلف : وأحسب أن هذه المرأة جَدَّةٌ للصبي ، لا أُمُّه ، إذ يبعد في العادة أن تباع النبي عليه السلام ، وتسكون يوم الحرية في سين من رضيع. والحرّة التي يُعرف بها هذا اليوم يُقال لها حرّة زُهْرَة ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم - وقف بها ، وقال : لَيْقَظَنَّ بهذا المكان رجالٌ هم خِيَارُ أُمَّتِي بعد أصحابي ، ويذكر عن عبد الله بن سلام ، أنه قال : لقد وجدتُ صِفَتَهَا في كتاب يهود بن يعقوب الذي لم يدخله تبديلٌ ، وأنه يُقتل فيها قومٌ صالحون يجهنون يوم القيامة وسلاحهم على عَوَاتِقِهِمْ ، وذكر الحديث .. وعرفت حرّة زُهْرَة بقرية كانت لبني زُهْرَة قوم من اليهود ، وكانت كبيرة في الزمان الأول ، ويقال كان فيها ثلاثمائة صائغ ، ذكر هذا الزبير في فضائل المدينة له : وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين ، وقد كان يزيد ابن معاوية قد أعذر إليهم فيما ذكروا ، وبذل لهم من العطاء أضعاف ما يُعطى الناس واجتهد في استمالهم إلى الطاعة ، ومخديرهم من الخلاف ، ولكن أبى الله إلا ما أراد ، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون : تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (١) البقرة : ١٣٤ ، ١٤١ .

(١) أنظر ص ٢٨٢ حه الطبري. وقد أحسن السبيل في ختام كلامه عن هذه الفضة وإن كان قد نقل مبالغات عن كتاب الحرّة لواقدي وما ذكره من أحاديث فيها شيء لا يعتمد به فإخرج واحداً منها أحد من أصحاب الصحيح ولا أصحاب السنن ، فقد نقلها عن كتاب الحرّة لواقدي ، وأنظر ص ٨٥ > ١ من كتاب وفاء الرقا للسمهودي وفي كتابه أيضاً عن حرّة واقم : هي حرّة المدينة الشرقية . وتسمى أيضاً حرّة بني قريظة لأنهم كانوا يطرفها القبلي وحرّة زُهْرَة لمجاورتها لها

معنى الربيضة :

فصل : وذكر حديث الأنصاري والمهاجري ، وهما عبادة بن بشر ،
وعمار بن ياسر ، وأن رجلا من العدو رمى الأنصاري بسهم ، وهو يصل
لما علم أنه ربيضة القوم . الربيضة هو الطليعة ، يقال : ربأ على القوم ربأ
فهو رباه وربضة قال الشاعر [الهذلي] :

رَبَّاءٌ تَمَّ ، لَا يَأْوِي لِقَلْبِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَالْأَوْبُ وَالسَّبَلُ (١)

قرباءه : فعال من ربأ إذا نظر من مكان مرتفع ، وتما ، يريد هضبة
شماء ، وإنما قالوا : ربيضة بهاء التأنيث ، وطليعة : لأهمل في معنى العين ، والعين
مؤنثة ، تقول : ثلاث أعين ، وإن كانوا رجالا ، بمعنى الطلائع ، لأن
الطليعة والربيضة إنما يراد منه عينه الناضرة ، كما تقول في ثلاثة أعبد : أعتقت
ثلاث رقاب ، فتؤنث ، لأن الرقية ترجمت عن جميع العبد ، كما أن العين الذي
هو الطليعة كذلك ، ويجوز أن تسكون الهاء في ربيضة وطليعة للمبالغة ،
كما هي في علامة ونسابة ، فعلى الوجه الأول تقول : ثلاث طلائع ، وثلاث
ربايا في جمع ربيضة ، كما تقول : ثلاث أعين ، لأنه باب واحد من التأنيث ،
وإذا كانت الهاء للمبالغة قلت : ثلاثة وأربعة ، لأنك تقصد التذكير ، لأن
هاء المبالغة لا توجب تأنيث المسمى ، ولأنها في الصفة ، والصفة بعد الموصوف ؛
ولذلك تقول : هذا علامة ، ولا تقول : هذه علامة بخلاف الرقية والعين ،

العلامة : التي في الجزء الأول وفي المستدركات في الجزء الثاني .

لأنك تقول في العبد المكر : هذه رَقَبَةٌ فَأَعْتِقْهَا ، وفي العَيْن : هذه طَلِيعَةٌ ،
وهذه عَيْنٌ ، وأنت تعني الرجل . هذا معنى الفرق بينهما .

فقه الحديث :

وفي هذا الحديث من الفقه صَلَاةُ الْمَجْرُوحِ وَجُرْحُهُ يَنْقُصُ دَمًا ، كما فعل
عمرُ بن الخطَّابِ ، وقد ترجم بعضُ المصنِّفين عليه لموضع هذا الفقه ، وفيه مُتَعَلِّقٌ
لمن يقول : إنْ غُسِّلَ النَّجَاسَةُ ، لَا يُعَدُّ فِي شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلَاةِ ، وفيه من الفقه
أَيْضًا تَعْظِيمُ حُرْمَةِ الصَّلَاةِ ، وَأَنَّ لِلْمُصَلِّي أَنْ يَتِمَّادَى عَلَيْهَا ، وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ
ذَلِكَ الْقَتْلُ ، وَتَفَوَيْتِ النَّفْسُ ، مع أن التمرُّضَ لِقَوَاتِ النَّفْسِ ، لَا يَحِلُّ إِلَّا فِي
حَالِ الْحَارَةِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ : لَوْلَا أَنْ أَضَيِّعَ كُفْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِهِ لِقَطْعِ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أَنْفَذَهَا ، يعني :
السورة التي كان يقرأها .

حول رمز معبد وسمر صانه وأبي سفيان :

وذكر قول مُتَعَبِّدٍ :
وعجوة من بثر كالفجد

الْعَجْدُ : حَبُّ الزَّيْبِ ، وَقَدْ يُقَالُ لِلزَّيْبِ نَفْسُهُ أَيْضًا عَجْدٌ ، وَأَمَّا
الْعَنْبُ ، فَيُقَالُ : لِعَجْمِهِ : الْفِرْعَدُ ، وَالْأَتْلُ : الْأَقْدَمُ مِنَ لَمَالِ التَّلِيدِ .
وَأَمَّا قول حصان :

(م ١٧ — انزوى الأقب ج ٦)

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ

جمعُ فَلَجٍ ، وهو لواء الجارى ، سُمِّيَ فَلَجًا ، لأنه قد خَذَّ في الأرض .
وفرق بين جانبيه مأخوذٌ من فَلَجِ الأسنانِ ، أو من الفلج وهو التمسُّ ،
والفلجُ مِكْيَالٌ يُقَسَّمُ به ، والفَلَجُ والفَلَجُ بغير ذُو سَنَامَيْنِ ، وهو من هذا
الأصل ، ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال : الفلجة للزرعة (١).
وذكر شعر أبي سفيان :

أَحْسَنُ إِنَّا بَأْنُ آكَلَةِ الْفَغَا

الْفَغَا : ضرب من التمر ، ويقال : هي غيرة تغلو ، الدُّسْرُ ، والْفَغَا : الفغا
في الفغا (٢).

وفيه :

كَمَا خَذَكُمْ بِالْعَيْنِ (٣) أَرْطَالَ آنَكَ

- (١) وفي اللسان : الفلجات : المزارع وقد استشهد بالميت المذكور . وفي
مادة فلح يقول : « الفلحة القراح الذي اشتق للزرع عن أبي حنيفة ، وأنشد
لحسان : دعوا فلجات . . . الخ يعني المزارع . ومن رواه فلجات فمعناه : ما اشتق
من الأرض للديار ، كل ذلك قول أبي حنيفة ،
(٢) الفغا : البسر الفاسد المغبر ، أو هو قساد البسر . والفغا ما يخرج من
الطعام فيرمى به والردى من كل شيء من الناس والماء كقول والمشروب والمر كوب .
(٣) العين هنا : المال الحاضر ، والعين أيضاً الدر وكلامها يصلح هاهنا . .
ومن رواه بالمعير فالعير الرفقة من الإبل ، والآلك : الأسرْب وهو
الجموع . . .

أنقبت على هذا البيت في حاشية أبي بحر ما هذا نصه : ذكر محمد بن سلام في الطبقات له هذا البيت :

حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ حَوْلَ بَيْتِكُمْ كَأَخْذِكُمْ فِي الْعَيْنِ أَرْطَالَ أَنْتَ
ووجمل به بأن قال : فقال أبو سفيان بن حرب لأبي سفيان بن الحارث :
يا ابن أخي : لم جعلتها أنك إن كانت لفظة بيضاء جيدة .

وقوله :

سَمِعْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانِ أَهْلَهَا

وفي حاشية الشيخ : شقيتم بها وغيركم أهل ذكركها .

وقوله :

خَرَجْنَا وَمَا نَنْجُو الْيَعْفِيرُ بَيْنَنَا

اليعافير : الظباء الغمر^(١) يريد أنهم لكثرة عددهم لا تنجوا منهم اليعافير .

وقيل هو الرصاص الأبيض ، وقيل الأسود . وقيل الخالص منه . ويقال : لم
يخن على مثال فاعل بضم العين غيره أو أفعل واحدا غيره ، فأما أشد فيختلف
فيه هل هو واحد أو جمع .

(١) جمع أعفر وهو من الظباء ما يعلو بياضه حمرة ، أو الذي في سراقه

حمرة وأقرا به يبيض ، أو الأبيض ليس بالتدديد الأبيض .

غزوة دومة الجندل

في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل .

قال ابن هشام : في شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفَةَ الغفاري .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقيّة سنته .

غزوة الخندق

في شوال سنة خمس

تاريخها

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال حدثنا زياد بن عبد الله البسكاني ، عن محمد بن إسحاق الطلبي ، قال : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

اليهود تحرق قريشا

لقد نفي يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن
لا أنهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزهري ،
وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم
قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث مالا يحدث به
بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام
ابن أبي الحقيق النخعي ، وحبيش بن أخطب النخعي ، وكنانة بن أبي الحقيق
النخعي ، وهذلة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني
النضير ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حاربوا لأحزاب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدوا على قريش مكة ، فذهبوا إلى
إلى حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ،
حتى تستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب
الأول والعلم بما أخرجنا منكم فيه عن محمد أفدينا خير أم دينه ؟ قالوا :
بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق (منه) فهم الذين أنزل الله تعالى
فيهم : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَفْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ، وَهُمْ يَكْفُرُونَ اللَّهُ فَرَّانٌ تَجِدَ لَهُ
نَصِيرًا ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ ﴾ : أي النبوة ، ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ

.....

مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَمِيرًا .

اليهود تحرض غطفان

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دَعَوْهم إليه ، من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك التفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان ، من قيس عيلان ، فدَعَوْهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابِعُواهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب من المشركين

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب ؛ وخرجت غطفان ، وقائدها عُمَيْلَةُ بْنُ حِصْنٍ بن حَذِيفَةَ بن بَدْرٍ ، في بني قُرَازَةَ ؛ والحارث بن عَوْف بن أَبِي حَارِثَةَ الثَّمَرِيُّ ، في بني مُرَّة ؛ ومُسْخَر بن رُخَيْلَةَ ابن ثَوْبَةَ بن طَرِيف بن سُحْتَةَ بن عبد الله بن هَالِل بن خُلاَوَةَ بن أَشْجَع بن رَبِيعِ بن غُطَفَانَ ، فيمن تابَعَهُ من قومه من أَشْجَع .

حضر الخندق وتحاذل المناوئين وجد المؤمنين

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، صَرَبَ الخَنْدَقَ على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين

حتى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يُؤثرون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتة الغائبة ، من الحاجة التي لا بد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه في الحقوق بحاجته فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير ، واحتساباً له .

ما نزل في حق العاملين في الخندق

فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيَفْعَلُوا شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ . فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الخربة ، والرغبة في الخير ، والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا يَجْمَعُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾ .

تفسير بعض العرب

قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشئ . عند الحرب ، قال حسان بن ثابت :

وَقُرَيْشٌ تَفِيضٌ مِنَّا لَوَاذًا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْخُلُومُ
وهذا البيت في قصيدة له قد ذكرتها في أشعار يوم أُحُد .

﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ بَنَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

﴿ وَيَوْمَ يُزْجَمُونَ إِلَيْهِ فَيُنْجَبُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

المسلمون يرتجزون في الحفر

قال ابن إسحاق : وعمن المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُمَيْل ، سَمَاءُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَمْرًا ، فقالوا :

سَمَاءُ مِنْ بَعْدِ جُمَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا

فإذا سمعوا « بعمرو » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عَمْرًا ، وإذا سمعوا « بظهر » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظَهْرًا .

الآيات التي ظهرت في حفر الخندق

قال ابن إسحاق : وكان في حفر الخندق أحاديثٌ بلفتني ، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتكت عليهم في بعض الخندق كذبة ، فشكروها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا يائزاً من ماء ، فثقل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكذبة ، فيقول من حضرها : فوللذي بعثه بالحق نبياً ، لأنهات حتى عادت كالكتيب ، لا ترد فأساً ولا منجاة .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا أنه حدث : أن ابنة لبشير بن سعد ، أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعيت أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ ، فَأَعْطَتْنِي حَفْنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي ، ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّ بُنْيَةٍ ، أَذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ وَخَالَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْدَهُمَا ، قَالَتْ : فَأَخَذْتُهَا ، فَأَنْطَلَقْتُ بِهَا ، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا التَّمْسُ أَيْ وَخَالِي ؛ فَقَالَ : تَعَالَى يَا بُنْيَةَ ، مَا هَذَا مَعَكَ ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا تَمْرٌ ، بَعَثْتَنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ ، وَخَالِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَقْبِضُ يَأْتُهُ ؛ قَالَ : هَانِيهِ ؛ قَالَتْ : فَصَبَبْتُهُ فِي كَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا مَلَأْتُهُمَا ، ثُمَّ أَمْسَ بَثُوبَ قُبُسطاً ، ثُمَّ دَحَا بِالتَّمْرِ عَلَيْهِ ، فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَهُ :

أصرخ في أهل الخندق : أن هلم إلى النداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجلوا
ياكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليستقط من
أطراف الثوب .

قال ابن إسحاق : وحديثي سعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال :
عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق ، فكانت عندي شوية ،
غير جد سميحة . قال : قلت : والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
قال : فأمسرت أمرائي ، فطعنت لنا شيئاً من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ،
وذبحت تلك الشام ، فثوبناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما
أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق - قال :
وكنا نعمل فيه نهارة ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا - قال : قلت :
يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شوية كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من
خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي ، وإنما أريد أن يتصرف
معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده . قال : فلما أن قلت له ذلك قال : نعم ،
ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
بيت جابر بن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون أقال : فأقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ؛ قال : فجلس وأخرجناها
إليه . قال : فبرك وسمى (الله) ، ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم
قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

قال ابن إسحاق : وحديث من سلمان الفارسي ، أنه قال : ضربت

في ناحية من الخندق ، فقلّظت على صخرة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ؛ فلما رأيته أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المغول من من يدي ، فضرب به ضربة كَمَعَتْ تحت المغول بركة ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمت تحته بركة أخرى ؛ قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمت تحته بركة أخرى . قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لَمَعَ تحت المغول وأنت تضرب ؟ قال : أَوَقَدْ رأيت ذلك يا سَلْمَانُ ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : أما الأولُ فَإِنَّ اللهَ فَتَحَ على بها اليمن ؛ وأما الثانية فَإِنَّ اللهَ فَتَحَ على بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فَإِنَّ اللهَ فَتَحَ على بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا آتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول ، حين فُتِحَتْ هذه الأمصار في زمان عمر و زمان عثمان وما بعدهم : افتتحوها مابدا رسلكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحوهم من مدينة ولا تَفْتَحُونَهَا إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياك من رومة ، بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحاديثهم ، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل يثامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نقي ، إلى جانب أحد . وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، حتى جعلوا

ظهورهم إلى سُلَح، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فغزب هنالك عسكره،
والتفندق بينه وبين القوم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: وأمر بالذراري والنساء ففعلوا في الآطام.

تحرّض حي بن أخطب لكعب بن أسد

وخرج عِدْوَةُ اللَّهِ حَيُّ بْنُ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ، حَتَّى أَتَى كَعْبَ بْنَ أَسَدِ
الْقُرَظِيِّ، صَاحِبَ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَعَهْدِهِمْ، وَكَانَ قَدِ وَاذَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَى قَوْمِهِ، وَعَاقَدَهُ عَلَى ذَلِكَ وَعَاهَدَهُ؛ فَلَمَّا سَمِعَ كَعْبُ حَيُّ بْنُ أَخْطَبٍ أَغْلَقَ
دُونَهُ بَابَ حِصْنِهِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، فَنَادَاهُ حَيُّ تَوَخَّلَكَ يَا كَعْبُ!
افْتَحْ لِي، قَالَ: وَيَحْكَ يَا حَيُّ! إِنَّكَ أَمْرٌو مَشْتُوْمٌ، وَإِنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا،
فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَلَمْ أَرْ مِنْهُ إِلَّا وِفَاءً وَصِدْقًا؛ قَالَ: وَتَخَلَّكَ افْتَحْ
لِي أَكَلْتُكَ؛ قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي أَغَشَيْتُ دُونَِي إِلَّا تَخَوَّفْتُ
عَلَى جَيْشِيَّتِكَ أَنْ أَكَلَ مَعَكَ مِنْهَا، فَأَحْفَظُ الرَّجُلَ، فَفَتَحَ لَهُ، فَقَالَ: وَيَخَلَّكَ
يَا كَعْبُ، جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ وَبِبَحْرِ طَامٍ، جِئْتُكَ بِقُرَيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا،
حَتَّى أَنْزَلْتُهُمْ بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ دُومَةٍ، وَبِنَظْفَانٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى
أَنْزَلْتُهُمْ بِذَنْبِ نَقَعِي إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ، قَدْ عَاهَدْتَنِي وَعَاقَدْتَنِي عَلَى أَنْ لَا يَبْرَحُوا
حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ كَعْبُ جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِذُلِّ الدَّهْرِ،
وَبِجَهَامٍ قَدْ هَرَأَقَ مَاءَهُ، فَهَوَّيْرُ عَدُوٍّ يُبْرِقُ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيَحْكَ يَا حَيُّ!
فَدَعَنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَأَبَى لَمْ أَرْ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً. فَلَمْ يَزَلْ حَيُّ

يُكَلِّمُ يَفْتِلُهُ فِي الدُّرُوزِ وَالْغَارِبِ ، حَتَّى سَمِعَ لَهُ ، عَلَى أَنْ أُعْطَاهُ عَهْدًا مِنْ اللَّهِ
بِوَمِيثَاقًا : لَنْ رَجَعْتُ قَرِيشَ وَغَطَفَانَ ، وَلَمْ يُصَيِّبُوا عَمْدًا أَبْتُ أَدْخَلَ مَعَكَ
فِي حَقِّكَ حَتَّى يُصَيِّبَنِي مَا أَصَابَكَ . فَتَقَضَّى كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ ، وَبَرَى .
عَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

التحرى عن تقضى كعب للعهد

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرُ وَإِلَى الْمُسْلِمِينَ ،
بِمُتَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بْنِ النَّمَانِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ
الْأَوْسِ ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ دُائِمٍ ، أَحَدُ بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ
وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَمَعَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ
الْخَزْرَجِ ، وَخَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَقَالَ : انْطَلِقُوا حَتَّى
تَنْظُرُوا ، أَحَقَّ مَا بَلَفْنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَى خَلْقِ
أَهْرَافِهِ ، وَلَا تَقْتُلُوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا
بِهِ لِلنَّاسِ . قَالَ : نَخْرُجُ حَتَّى أَتُونَا ، فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ ،
فَنَالُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالُوا : مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ؟ لِأَعْهَدَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ عَمْدٍ وَلَا عَقْدَ . فَشَاطَمَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَشَاطَمُوهُ ، وَكَانَ رَجُلًا فِيهِ حِدَّةٌ ،
فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : دَعْ عَنْكَ مُشَاجَمَتَهُمْ ، فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرَأَيْتَ مِنَ
الْمُشَاجَمَةِ . نَحْمُ أَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ وَسْعَدٍ وَمِنْ مَعَهُمَا ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالُوا : عَصَلٌ وَالْقَارَةُ ، أَيْ كَفَدَرُ عَصَلٍ وَالْقَارَةُ

بأصحاب الجميع ، خُيِّب وأصحابه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
الله أكبر ، أيسروا يامعشر المسلمين .

ظهور نفاق المنافقين واشتداد خوف المسلمين

وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن
أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ،
حتى قال مُعْتَب بن قُشَيْر ، أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يبعثنا أن نأكل
كنوز كسرى وقبصر ، وأخذنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الفاطم .

أكان معتب منافقاً ؟

قال ابن هشام : وأخبرني من أتق به من أهل العلم : أن مُعْتَب بن قُشَيْر
لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قَيْظِي ، أحد بني حارثة بن الحارث :
يا رسول الله ، إن بيوتنا مَوْرَة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ،
فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة . فلقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضماً وعشرين ليلة ، قريباً من شهر ،
لم تكن بينهم حرب إلا الرَّمْي بالنبل والحِصَار .

قال ابن هشام : ويقال الرَّمْي .

الهمم بعقد الصلح مع غطفان

فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتاباً
حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا آتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن
شهاب الزهري - إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث
ابن عوف بن أبي حارثة المزي ، ولما تأدوا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة .
على أن يزوجا بمن منهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى
كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المروضة في ذلك .
فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ
وسعد بن عباد ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ،
أمرنا بحب فنهضنا ، وأمريت أن نقول الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً
نصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت
القرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن
أكبر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ؛ فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ،
قد كنا نحن وهؤلاء اليوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لانصب الله
ولا نعرفه . وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، أخوف
أكرمت الله بالإسلام وهدانا له وأعزتنا بك وبه ، نعطهم أموالنا ! (والله)
مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؛
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانت وذاك . فتناول سعد بن معاذ
للصحيفة ، فمعاها منها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

عبور نفر من المشركين الخندق

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لؤي .

— قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد بن أبي قيس —

قال ابن إسحاق : وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب الخزومي ، وحرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس ، أخو بني محارب بن نفير ، تلبنسوا للخندق ، ثم خرجوا على غنيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة ، فقالوا : هيهنا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من القرسان اليوم ، ثم أقبلوا يستعني بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوا قالوا : والله إن هذه لم تكنيدة حاكات الرب تنكيدها .

سلمان وإشارته بحفر الخندق

قال ابن هشام : يقال : إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثني بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا ، وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

مبارزة علي بن عمرو بن عبد دو

قال ابن إسحاق : ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم
 فافتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسامع ، وخرج علي بن
 أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي
 أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تمنيق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ود
 قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحمد ، فلما كان يوم
 الخندق خرج مُقِلِّماً ليرى مكانه . فلما وقف هو وخيله ، قال : مَنْ يُبارز ؟
 فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله
 ألا يدهوك رجل من قُرَيش إلى إحدى خلتين إلا أخذتهما منه ، قال له : أجل ؛
 قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة
 لي بذلك ، قال : فإني أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يابن أخي ؟ فوالله ما أحب أن
 أقتلك ، قال له علي : لكنني والله أحب أن أقتلك ، فحسب عمرو عند ذلك ،
 فافتحمت عن فرسه ، فعمرة ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي ، فتنازلا
 وتجاولا ، فقتله علي رضي الله عنه . وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى افتحمت
 من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نَعَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَاعْتَرَتْ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي
 فَصَدَدَتْ حِينَ تَرَكْتَهُ مُتَجَدِّلاً كَالْجِدْعِ بَيْنَ دَكَاذِكِ وَرَوَابِي

وَعَقَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنِّي كُنْتُ الْمَطَرُ بَرَزَنِي أَثْوَابِي ،
لَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ خَاذِلَ دِينِهِ وَتَبَيَّنَ . بِإِمْقَارِ الْأَحْزَابِ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعَالَمِ بِالشَّعْرِ يَشْكُ فِيهِ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ .

شعر حسان في عكرمة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَلْقَى عِكْرِمَةَ ابْنُ أَبِي جَهْلٍ رُفْحًا يَوْمَئِذٍ وَهُوَ مِنْهُمْ
عَنْ عَمْرِو ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ :

فَرَّ وَأَلْقَى لَنَا رُفْحًا لَكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلْ
وَوَلَيْتَ تَمْدُو كَعْدُو الظُّلُمِ مَا إِنْ تَجُورُ عَنِ الْعَفْدِ
وَلَمْ تَلْقَ ظَهْرَكَ مُتَانِسًا كَانَ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلِ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْفُرْعُلُ : صَفِيرُ الصَّبَاغِ ، وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي أَبِيَاتٍ لَهُ .

شعار المسلمين يوم الخندق

وَكَانَ شِعَارُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَبَنَى قَرِيبَةً :
حَمَّ ، لَا يَنْصُرُونَ .

حديث سعد بن معاذ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو لَيْلَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،
ابْنُ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيُّ ، أَخُو بَنِي حَارِثَةَ : أَنَّ عَلِيشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانَتْ فِي حِصْنِ

بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد
ابن معاذ معها في الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ،
فرّ سعد وعليه درع له مُقْلَصَة ، قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته
يرقل بها ويقول :

ثَبِّثْ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا بَعْلُ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قال فقالت له أمه : الحق : أي بنى ، فقيد والله أخرت ؛ قالت عائشة :
قلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي ، قالت :
وخنت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمى سعد بن معاذ بسهم ، قطع منه
الأكحل ، رماه كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، حيّان بن قيس بن العرقعة ،
أحد بني عامر بن لؤي ، فلما أصابه ، قال : خذها مني وأنا ابن العرقعة ، فقال
له سعد : عرّق الله وجهك في النار ؛ اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش
شيئاً فابقى لنا ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدكم من قوم آذوا رسولك
وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاحملها
لي شهادة ، ولا تغمقني حتى تغرق عيني من بنى قريظة .

مَنْ قَاتَلَ سَعْدًا ؟

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أعلمهم عن عبد الله بن كعب بن مالك
أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي ، حليف
بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً لِعِكْرِمة بن أبي جهل :

أَعِكرَمَ هَلْ لَمَتْنِي إِذْ تَقُولُ لِي فِدَاكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدُ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مِرْشَةً لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمَرَاقِقِ عَانِدُ
فَقَصَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعْوَلْتُ عَلَيْهِ مَعَ الشَّنْطِ الْقَذَارَى النَّوَاحِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا عُيَيْدُهُ جَمْعًا مِنْهُمْ إِذْ يُكَابِدُ
عَلَى حِينٍ مَأْمُومٌ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ وَآخِرُ مَرْعُوبٍ عَنِ الْقَصْدِ قَاصِدُ
(والله أعلم أي ذلك كان) .

قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رمى سعداً خَفَاجَةُ بن عاصم بن حِجَّان .

الحديث عن جبن حسان

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فَارِج ، حصن حسان بن ثابت ؛ قالت : وكان حسان بن ثابت معنافية ، مع النخلاء والصبيان ، قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يُطِيفُ بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستعاضون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يُطِيفُ بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدُلَّ على عورتنا

مَنْ وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه،
فانزل إليه فاقته ؛ قال : يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا بَنَةَ عَبْدِ الْمَطَّابِ ، والله لقد عرفتِ
ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أرَ عنده شيئاً ، احتجرت
ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربتُه بالعمود حتى قتله .
قالت : فلما فرغت منه ، رجعتُ إلى الحصن ، فقلت : يا حَسَّانَ ، انزل إليهِ
فأسلبه ، فإنه لم يَنْمَعْ من سلبِهِ إلا أَنه رَجُلٌ ؛ قال : مَالِي بِسَلْبِهِ مِنْ حَاجَةٍ
يَابَنَةَ عَبْدِ الْمَطَّابِ .

نعيم يخذل المشركين

قال ابن إسحاق : وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما
وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتباعهم إياهم من
فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قُثَيْد بن هلال
ابن خلابة بن أشجع بن رِيث بن عَطْفَانَ ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : يا رسولَ الله ، إني قد أسلمتُ ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فزني
بما شئتُ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنتَ قَيْظٌ رَجُلٌ واحِدٌ ،
تخذلُ عنا إن استطعت ، فإن الحربَ خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني
قُرَيْظَةَ ، وكان لهم نديماً في الجاهليَّة ، فقال : يا بني قُرَيْظَةَ ، قد عَرَفْتُمْ وَدِّيَ
إِيَّاكُمْ ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال

.

لهم : إن قريشاً و غطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم ، لا تقصدون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً و غطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهروهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونسأؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا هزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلقوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنأجزوه ، فقالوا له : لقد أثرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودي لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد يلفنى أمرٌ قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه ، نصنعاً لكم ، فاكتموا عني ، فقالوا : نعم ، قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين ، من قريش و غطفان رجلاً من أشrafهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من يبقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس إلي ، ولا أراكم تهملوني ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا

يَتَّبِعُهُمْ ، قَالَ فَاتَّكُمُوا عَنِّي ، قَالُوا : نَفْعَلُ ، فَمَا أَمْرُكَ ؟ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ قُرَيْشٍ وَحَذَّرَهُمْ مَا حَذَّرَهُمْ .

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ ، وَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَرْسَلَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَرِءُوسَ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ حِكْمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ ، فَقَالُوا لَهُمْ : إِنَّا لَسْنَا بِدَارٍ مَقْدَةٍ ، قَدْ هَلَكَ الْخَلْفَ وَالْخَافِرَ ، فَاعْدُوا لِمَقْتَالِ حَتَّى تُنَاجِزَ مُحَمَّدًا ، وَتَفْرَغَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : إِنْ الْيَوْمَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَهُوَ (يَوْمٌ) لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا ، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا ، فَأَصَابَهُ مَا يَحْتَظُّ عَلَيْكُمْ ، وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِالَّذِينَ يُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ ، يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا نَقْمَةً لَنَا حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّا نَحْشَى أَنْ ضَرَّسْتُمْ الْحَرْبَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَنْ تَنْشَمُرُوا إِلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرَكُونَا ، وَالرَّجُلُ فِي بِلَدِنَا ، وَلَا طَائِفَةَ لَنَا بِذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِمَا قَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ ، قَالَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ : وَاللَّهِ إِنْ الَّذِي حَدَّثَكُمْ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقَّ ، فَأَرْسَلُوا بَنِي قُرَيْظَةَ : إِنَّا وَاقِعٌ لَا نَدْفَعُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ الْقِتَالَ فَاخْرُجُوا فَمَاتُوا ، فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ ، حِينَ انْتَهَتْ الرُّسُلُ إِلَيْهِمْ بِهَذَا : إِنْ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقَّ ، مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلُوا ، فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا ، وَإِنْ كُنْ غَيْرَ ذَلِكَ انْشَمُرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ . وَخَلُّوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي بِلَدِكُمْ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ : إِنَّا وَاقِعٌ لَا يُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ وَخَذَلُ اللَّهُ يَدَهُمْ ، وَبِئْسَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّبْحَ

وفي ليل شلتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم.

تعريف ما حلّ بالمشرّكين

(قال) : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف مزبأ أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم مدعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلاً.

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله، أرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه؟ قال : نعم، يا بن أخي، قال : فكيف كنتم تصنعون؟ قال : والله لقد كننا نجيد، قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال : فقال حذيفة : يا بن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذون، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوباً من الليل، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - بشرطه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟ فقام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، فلما لم يرقم أحد، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال : يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تأخذ شيئاً حتى تأتينا. قال : فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً.

ولا بناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يامعشر قريش : لينظر امرؤ من جلسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان .

أبو سفيان ينادي بالرحيل

ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبَحتم بدار مُقام . لقد هلك الكراع والخلف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نذكره . ولقينا من شدة الريح ما تروُن ، ماتطمن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار . ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإن مرتحل ، ثم قام إلى سجله وهو مَقْتول . تجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقله إلا وهو قائم . ولو لا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى « أن لا يحدث شيئاً حتى تأتيني » ثم شئت ، لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجمتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه ومراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وثن اليمن .

فلما رآني أَدْخَلَنِي إلى رجليه ، وطرح علي طَرْف المرط ، ثم ركع وسجّد . وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غَطَّاقان بما فعلت قريش ، فانشمروا . راجعين إلى بلادهم .

الإنصراف عن الخندق

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة

في سنة خمس

الأمر بالإلهي بحرب بني قريظة

فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني الزهري ، معجراً بهامة من استبرق ، على بقة عليها رحالة ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل : فما وضعت اللاتكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالتسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم ففتزل بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً ، فأذن في الناس ، من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصاتين العصر إلا بيني قريظة .

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

على يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب

سرايته إلى بني قريظة ، وابتدروا الناس . فسار علي بن أبي طالب ، حتى إذا
دنا من الحصون سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع
حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك
أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال :
نعم يا رسول الله ، قال : لو راوونى لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حصونهم . قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله
سواء أنزل بكم نعمته ؟ قالوا يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

جبريل فى صورة دحية

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفّر من أصحابه بالصوّرين قبل أن
يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مرّ
بنا دحية بن خليفة الكلبي ، على بئلة بيضاء عايباً راحلة ، عايباً قطيفة ديباج .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل ، ثمّ إلى بني قريظة يرزّل
بهم حصونهم ، ويقذف الرعب فى قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة : نزل على بشر من
آبائهم من ناحية أموالهم ، يقال لها بشر النمل .
قال ابن هشام : بشر أنى .

تلاحق الناس بالرسول

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأبى رجال منهم من بعد المشاء

الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلين أحد العصر إلا بيني قريظة ، فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم ، وأبوا أن يصلوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بني قريظة . فصلوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فسا عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنتهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يسار . عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

الحصار

(قال) : وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .
وقد كان حبي بن أخطاب دخل مع بني قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

نصيحة كعب بن أسد لقومه

فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مُنصرف عنهم حتى يُفاجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإن عارض عايكم خلا لا ثلاثا ، تُغذوا أيها شتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : مُتتابع هذا الرجل ونصديق فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مُرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيت على هذه ،

فَقَتْلُ أَهْلِ بَيْتِنا وَنِسائِنا ، ثُمَّ نَخْرُجُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ رِجَالًا مُصْلَتِينَ السُّيُوفَ ،
لَمْ نَتْرَكْ وَرَاءَنا ثَمَلاً ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، فَإِنَّ هَـؤُلَاءِ هَلَكُوكُمُ ، وَلَمْ نَتْرَكْ
وَرَاءَنا نَسْلاً نَحْشَى عَلَيْهِ ، وَإِنْ نَظَرُ فُلَعَمْرَى لَمَجْدِ النَّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ ، قَالُوا :
نَقْتُلُ هَؤُلَاءِ الْمَساكِينِ ! فَمَا خَيْرَ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ ؟ قَالَ : فَإِنْ أَيْتَمَ عَلَى هَذِهِ ،
فَإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ السَّبْتِ ، وَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمِنُونَا فِيهَا ،
فَانْزِلُوا لَعَلَّنَا نَصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غَرَّةً ، قَالُوا : نُنْصِدُ سَدِّعِنَا عَلَيْنَا ، وَنُحَدِّثُ
فِيهِ مَا لَمْ يُحَدِّثْ مَنْ كَانَ قَبْلَنا إِلَّا مِنْ قَدِ غَامَتِ ، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ
مِنَ الْمَسْخِ ! قَالَ : مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ
حَازِماً .

قصة أبي لبابة

ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ أَيْتِ الْبَيْتَ أَبَا لُبَابَةَ
ابْنَ عَبْدِ الْمُذَرِّ ، أَخَاهُ عِمْرَةَ بْنِ عَوْفٍ ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْأَوْسِ ، لِنَسْتَشِيرَهُ
فِي أَمْرِنَا . فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَامَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ
الرِّجَالُ ، وَجَبَّشَ إِلَيْهِ النَّسَاءُ وَالصَّبِيانُ يَتَّبِعُونَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ ، وَقَالُوا
لَهُ : يَا أَبَا لُبَابَةَ ! أَرَأَيْتَ أَنْ نُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ
إِلَى حَلْفِهِ ، إِنَّهُ الذَّبْحُ . قَالَ أَبُو لُبَابَةَ : فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى
عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خَشَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ انْطَلَقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى
وَجْهِهِ ، وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى
إِلَى عُمُوذٍ مِنْ عُمَيْدٍ ، وَقَالَ : لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ بِمَا

صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بنى قريظة أبداً ، ولا أرى في بلد خُذت الله
ورسوله فيه أبداً .

توبة الله على أبي لبابة

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن
إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . الأنفال : ٢٧ .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان
قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما
أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبي لبابة
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر ، وهو في بيت أم سلمة .
(فقالت أم سلمة) : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو
يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك ؟ قال :
تريب على أبي لبابة ، قالت : قلت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال : بلى . إن
شئت . قال : قامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عابن الحِجَاب ،
فقال : يا أبا لبابة ، أبشِر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه أيدهم .
فقال : لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يثاقني .
بيده ، فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أضيقه .

قال ابن هشام : أقام أبو ألبابة مُرتبطاً بالجذع ستَّ ليالٍ ، تأتية امرأته في كلِّ وقت صلاة ، فتخله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثني .
بعض أهل العلم والآية التي نزلت في توبته قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

إسلام بعض بني هذيل

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْيَةَ ، وأسييد بن سَعْيَةَ ، وأسد بن عُبَيْدٍ وهم نمر من بني هذيل ، ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك . هم بنو عمِّ القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عمرو بن سعدى

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي ، فرَّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم . برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرم مني إقالة عَنَاتِ الكِرَامِ ، ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْرَأَ من توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر

لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوقائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برؤيته فيمن أوثق من بنى قريظة ، حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رؤيته ملقاة ، ولا يُدري أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان .

تحكيم سعد بن أبي وقاص في أمر بني قريظة ووضاء الرسول به

(قال) فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوالت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالينا بالأمس ما قد علمت . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ، وكانوا خلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول ، فوجههم له . فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم فقالوا : بلى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد ابن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها ربيعة ، في مسجده . كانت تدأوى الجرحى ، وتختبئ بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق : اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب . فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار

تقد وطئوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيما جليلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنما ولّاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أتى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فثنى لهم رجال بني قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلبته التي سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيّدكم - فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عمّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لِمَا حَكَمْتُ ؟ قالوا : نعم ، وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال سعد : فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال ، ويقتسم الأموال ، وتُسبى الذراري والنساء .

قال ابن إسحاق : خدني عاصم بن مخرم بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة :

قال ابن هشام : حدثني بعض من أتق به من أهل العلم : أن علي بن أبي طالب صاح وهم مُحاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقن مَذاقَ حُمْزة أو لأفتحن حِصنهم ، فقالوا : يا محمد ، نزل على حكم سعد بن معاذ .

تنفيذ الحكم في بني قريظة

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فجلسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمديفة في دار بنت الطارث ، امرأة من بني النجَّار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المديفة ، التي هي سوقها اليوم ، فحشد بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فصرع أعناقهم في تلك الخنادق ، يُخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ست مائة أو سبع مائة ، والمكث لهم يقول : كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة . وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قالوا أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطن لا تغفلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مقتل حيي بن أخطب

وَأَيُّ بَحِيٍّ بِنِ أَخْطَبَ عَدُوَّ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ مُعَاجِيَّةٌ - قال ابن هشام :

فَقَاتِلِي : ضرب من الوشي - قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يُسَلِّبها ، مجموعة بدام إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يُخَذِّلُ الله يُخَذَّلُ ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتابٌ وقدرٌ ومُدْحَمَةٌ كتبها الله على بني إسرائيل ، ثم جاس فُضِرِتْ عنقه .

فقال جَبَل بن جَوَال التَّمَامِي :

تَمَرُّكَ مَا لَمْ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يُخَذِّلُ الله يُخَذَّلُ
لِجَاهِدٍ حَتَّى أَبْلُغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَتْلَ بَيْتِ الْعِزِّ كُلِّ مُقْتَلٍ

المرأة القاتلة من بني قريظة

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عمرو بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تتحدث معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في الشوق ، إذ هتَفَ هاتِفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قالت : قلت لها : وبلك ، مالك ؟ قالت : أقتل ، قلت : ولم ؟ قالت : حدث أحدته ، قالت : فابطلق بها ، فُضِرِتْ عنقها ، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تُقتل .

قال ابن هشام : وهي التي طرحت الرِّحَا على خلاد بن سويد ، فقتلته .

.....

شأن الزبير بن باطا

قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشَّامس ، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزُّهري ، أني الزُّبير بن باطا القرظي ، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن وكا الزبير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية . ذكر لي بعضُ ولد الزبير أنه كان من عليه يوم بُعث ، أخذه فجزَّ ناصيته ، ثم خلى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يحفل مثلي مثلك ، قال : إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي ، قال : إن الكريم يجزي الكريم ، ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنه قد كانت للزبير عليَّ منَّة ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ، فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لأهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي امرأته وولده ، قال : ثم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَكَ وولده ، فهم لك ، قال : أهلُ بيتٍ بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم عليَّ ذلك ؟ فأتى ثابتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ماله ، قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماله ، فهو لك ، قال : أيُّ ثابت ، ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يترامى فيها حذاري الحية ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيِّد الحاضر

والبادي حُيَّي بن أخطب ؟ قال : قُتِل ، قال : فما فعل مُقدمتنا إذا شددنا ،
وحاميتنا إذا فررنا ، عزَّال بن سَمُوَال ؟ قال : قُتِل ، قال : فما فعل المجلسان ؟
يعني بني كَسْب بن قُريظة وبني عَمْرُو بن قُريظة ؟ قال : ذهبوا قُتِلوا . قال : فإني
أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا أُلْقَيْتَنِي بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء
من خير ، فما أنا بصابر لله قَتْلَةَ دُلُو ناضح حتى أُلْقَى الأَحْبَةَ . فقدمه ثابت ،
فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « أُلْقَى الأَحْبَةَ » . قال : يلقاهم والله في نار
جهنم خالداً مخلداً .

قال ابن هشام : قَتْلَةَ دُلُو ناضح . وقال زهير بن أبي سلمى في « قَتْلَةَ » :
وَقَابِلٍ يَتَغَنَّى كُنْماً قَدَّرْتُ عَلَى الْعِرَاقِ يَدَاهُ قَانِماً دَقَّامَا
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : ويرُوى : وَقَابِلٍ يَتَغَلَّى ، يعني قابل الدلو يتناول .

عطية القرظي ورفاعة

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمرُ بِقَتْلِ
كُلِّ مَنْ أُثْبِتَ مِنْهُمْ .

قال ابن إسحاق : وحدَّثني شُعْبَةُ بن الحَجَّاج ، عن عبد الملك بن عمير ،
عن عطية القرظي ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمرُ أَنْ يُقْتَلَ

من بنى قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاماً ، فوجدني لم أنبت
تخلوا سبيل .

قال : وحدثني أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صفيصة أخو بني
عدى بن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سليط بن أخت
سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد
صلت معه القبلتين ، وبابته بيعة النساء - سأله رفاعة بن سموأل القرظي ،
وكان رجلاً قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا بني الله ،
بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل ،
قال : فوهبه لها فاستحيته .

الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم في بني قريظة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني
قريظة ونساءهم وأبنائهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم شُهمان الخليل
وشُهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفارس
سهمان وفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فارس ، سهم . وكانت الخليل يوم
بني قريظة ستة وثلاثين فارساً ، وكان أول قسم وقعت فيه الشُهمان ، وأخرج
منها الخمس ، فعلى سنتها ومما عني من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت
المعاقم ، ومضت السنة في المغازي .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري أخا

بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا
بوسلاحا .

شأن ريحانة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة
بنت عمرو بن خنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى عنها وهي في ملكه ، وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَضَ عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ،
فقاتل يارسول الله ، بل تتركنى في ملكك ، فهو أخف على وعليك ،
فتركها . وقد كانت حين سبها قد تمصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ،
فمزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد في نفسه لذلك من أسرها . فبينما هو
مع أصحابه ، إذ سمع وقع كملين خلفه ، فقال : إن هذا لثعلبة بن سقيع يشرنى
بإسلام ريحانة ، فجاءه فقال يارسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسرّه ذلك
من أمرها .

ما نزل من القرآن في الخندق وبنى قريظة

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من
القرآن ، القصّة في سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته
عليهم ، وكفايته إياهم حين فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل
النفاق : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاء نكركم

جُنُودَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٠﴾ وَالْجُنُودَ قَرِيشَ وَعُظْفَانَ وَبَنُو قُرَيْظَةَ ، وَكَانَتِ الْجُنُودُ الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَعَ الرِّيحِ الْمَلَائِكَةَ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذَا جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذَا زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ . فَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ بِهِيَ قُرَيْظَةُ ، وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ قُرَيْشٌ وَعُظْفَانُ . يَقُولُ اللَّهُ (تَبَارَكَ وَ) تَعَالَى : ﴿ هُمَا لَيْسَ ابْنَايَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ . وَإِذَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَوَسَوَّلُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ . يَقُولُ مُتَشَبِّهُ ابْنِ قُشَيْرٍ إِذَا هَوَّلَ مَا قَالُ : ﴿ وَإِذَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَذْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ قَرِيبٌ مِنْهُمْ لِلْعَصِيِّ يَقُولُونَ إِنَّا بَيْنُنَا وَعَنْزُومٌ وَمَا بِيْ بَعُورَةٍ إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا قِرَارًا ﴾ . يَقُولُ أَوْسَى بْنُ قَيْطَى وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ ﴿ وَلَوْ دَخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾ : أَيُّ الدِّينَةِ .

تفسير ابن هشام لبعض القريب

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ، وواحدها : قطر ، وهى الأقطار وواحدها : قطر .

قال الفرزدق :

كَيْ مِنْ غَيْرِ قَطَعَ إِلَهُ لَمْ بِهِ وَالْخَيْلُ مُقْعِيَةٌ عَلَى الْأَقْطَارِ

ويزيد : « عَلَى الْأَقْطَارِ » . وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

﴿ ثُمَّ سَبَّحُوا الْفَتَنَةَ ﴾ : أى الرجوع إلى الشرك ﴿ لَا تَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَتَقَدَّرَ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْتُونَ الْأَذْبَارَ ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفسلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين همّا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لئسها أبداً ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ إِنْ قَرَّرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَا لَا تُؤْتَمُّونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَنْفَعُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا • قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ ﴾ : أى أهل النفاق ﴿ وَالْمُؤْمِنِينَ لِأَخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ : أى إلا دفعاً وتنديراً ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ : أى لا يهتمون الذى فى أنفسهم ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ مِنْ عَيْنِ عَنِ الْمَوْتِ ﴾ : أى إعظاماً لا وفرقاً منه . ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّفَةِ جَدَادٍ ﴾ : أى فى القول بما لا يحبون ، لأنهم لا يرجعون آخوه ولا تحامهم حسبة ، فهم يهابون الموت هيبته من لا يرجعوا ما بعده .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سلقوكم : بالفوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وأذوكم . . .
تقول العرب : خطيب سلاق ، وخطيب مسلق ومسلاق . قال أعرابي بنو قيس بن ثعلبة :

فهيهم الجَدُّ والتماحَةُ والنجدة فيهم والخطاب السلاق

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ قُرَيْشٌ وَعَظْفَانُ ﴿ وَإِنْ بَيَّتِ
الْأَحْزَابُ يَوْمَئِذٍ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ
وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا تَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

ثم أفبل على المؤمنين فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ : أى لئلا يرغبوا بأنفسهم
عن نفسه ، ولا عن مكانه هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ،
فقال : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ : أى صبراً على البلاء
وتسليماً للقضاء ، وتصديقاً للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله صلى الله
عليه وسلم . ثم قال : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ
مَنْ قَتَلَ نَحْبَهُ ﴾ : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم
بدر ويوم أحد .

تفسير ابن هشام لبعض الفريب

قال ابن هشام : قضى نَحْبُهُ : مات ، والنحْب : النفس ، فيما أخبرني
أبو عبيدة ، وجمعه : نحوب . قال ذو الرمة :

عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَ مَا قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَلِيلِ هَوْبَرُ

وهذا البيت في قصيدة له . وهَوْبَرُ : من بني الحارث بن كعب ، أراد :
يزيد بن هَوْبَر . والنحْب (أيضاً) : النذر . قال جرير بن الخطاطبي :

يَطِخُفَةَ جَالِدًا الْمُلُوكَ وَخَيْلَنَا عَشِيَّةَ بِسَطَامٍ جَرِينَ عَلَى نَحْبِ

يقول : على نذر كانت نذرت أن تقتله فمقتله ، وهذا البيت في قصيدة له .
وبسَطَامٍ : بسطام بن قيس بن مسمود الشيباني ، وهو ابن ذبي الحدين : حدثني
أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن زرار . وطِخُفَةَ : موضع بطريق البصرة .

والنحْب (أيضاً) : الخطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وَإِذْ نَحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَيْنًا عَلَى النَّحْبِ أَعْطَى لَاجِزِيلَ وَأَفْضَلَ

والنحْب (أيضاً) : البكاء . ومنه قولهم يَنْتَحِبُ . والنحْب (أيضاً) :
الحاجة والمحنة ، تقول : مالي مندَم نَحْبٍ . قال مالك بن نويرة الأيربوعي :

وَمَالِي نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَذْنِي تَلَمَّسْتُ مَا تَبْنِي مِنَ الشُّدُنِ الشُّجَرِ

وقال نهار بن تَوْسِعَةَ ، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب
ابن علي بن بكر بن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موال بني حنيفة :

وَنَجَّى يَوْسُفَ الذَّنْفَى رَكْضٌ ذِرَاكٌ بَعْدَ مَا وَقَعَ الْأَوَا

وَلَوْ أَدْرَكَهُ لَقَضَيْنَ نَحْبًا بِهِ وَلِكُلِّ خُطَاةٍ وَقَاءُ

والنَّحْب (أَيْضاً) : السِّير الخَفِيف المَرَّة .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾ : أى ما وعد الله به من نصره ،
والشهادة على مامضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِلاً ﴾ :
أى ما شكوا وما ترددوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ
الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ الْمُتَافِقِينَ إِنْ شَاءَ ، أَوْ يَقُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنْ
اللَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ۖ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِفَيْطِلِهِمْ ﴾ : أى قريشاً وخطان
﴿ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ۝
وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ : أى بنى قريظة ﴿ مِنْ
صِيَامِهِمْ ﴾ ، والصيامى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحُصَّاسِ ، وَبَنُو الْحُصَّاسِ مِنْ بَنِي
أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ :

وَأَصْبَحَتِ الثَّيْرَانُ مَرْمَعِي وَأَصْبَحَتِ نَسَاءُ تَمِيمٍ يَنْتَدِرْنَ الصِّيَامِيَا
وهذا البيت فى قصيدة له . والصيامى (أَيْضاً) : القرون . قال الذَّابِغَةُ
الجُمْدَى :

وَسَادَةٌ رَهْطِي حَتَّى بَقِيَتْ فُرْدًا كَصِيعَةِ الْأَعْظَبِ

يقول : أصاب الموت سادة رهطى . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال

أَبُو دَوَادٍ الْإِيَادِي :

فَدَعَرْنَا سُحْمَ الصِّيَامِي بِأَيْدِيهِمْ نَضَحَ مِنَ الْكُحَيْلِ وَقَارَ

وهذا البيت في قصيدة له . والصياصى أيضاً : الشوك الذى للنساجين ،
 فيما أخبرنى أبو عبيدة . وأنشدنى لدريد بن الصمة الجشمى ، جشم بن معاوية
 ابن بكر بن هوازن :

نَفَّارْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَّاحُ تَنْوِشُهُ كَوَقْعِ الصَّيَاصَى فِي الذَّبِيحِ الْمَمْدُودِ

وهذا البيت في قصيدة له . والصياصى (أيضاً) : التى تكون في أرجل
 الديكة نائمة كأنها القرون الصفار ، والصياصى (أيضاً) : الأصول . أخبرنى
 أبو عبيدة أن العرب تقول : جَذَّ الله صيبيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَرِيقًا تَمْتَلُونَ
 وَتَأْمُرُونَ فَرِيقًا ﴾ : أى قتل الرجال ، وسبي الذرارى والنساء ، ﴿ وَأَوْزَنُكُمْ
 أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّأُوهَا ﴾ : بمعنى خيبر ﴿ وَكَانَ اللَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا .

إكرام سعد فى موته

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ،
 فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى ، قال : حدثنى من شئت
 من رجال قومي : أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
 قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ،

من هذا المَيِّت الذي فُتِحَتْ له أبوابُ السماء ، واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعاَ يجرّ ثوبه إلى سَعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عُمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعها أسيد بن خُضير ، فلقية موتُ امرأة له ، فحزن عليها بعضُ الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، آحزن على امرأة وقد أصِبتَ بآبنِ عمك ، وقد اهتز له العرش !

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآتهم عن الحسن البصري ، قال : كان سعد رجلا بادِئا ، فلما حمله الناس وجَدُوا له خَفَّةً ، فقال رجالٌ من المناقِين : والله إن كان لبادئا ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبانغ ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن له سَحْلَةً غيركم ، والذي نفسى بيده : لقد اختبِشرت الملائكةُ بروح سعد ، واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني مُعاذ بن رِفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجوح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفِن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سَبَّح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فسَبَّح الناس معه ، ثم كبر فسكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، ممّ سَبَّحت ؟ قال : لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرَّجه الله عنه .

قال ابن هشام : وبجاز هذا الحديث قولُ عائشة : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : إن للقبير أئمةً لو كان أحد منها ناجياً لكان سعدُ بن مُعاذٍ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك
سَمِعْنَا بِهِ إِلَّا لَسَعْدِ أَبِي عَمْرٍو

وقالت أم سعد ، حين احتمل نعشه وهي تبكيه - قال ابن هشام - وهي
كَيْثَةُ بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبحر ، وهو خُدْزَة بن
عَوْف بن الحارث بن الخزرج :

وَيْلَ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا صَرَامَةً وَحَدًّا

وَسُوْدَدًا وَنَجْدًا وَفَارًا مُمَدًّا

سَدَّ بِهِ مَسَدًا يَقْدُ هَامًا قَدًّا

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائحة تكذب ، إلا نائحة

سعدِ بن مُعَاذٍ .

شهداء الخزرج

قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .

ومن بني عبد الأشمل : سعدُ بن مُعَاذٍ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن

همرو ، وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بني جُشَم بن الخزرج ، ثم من بني سامة : الطَّفِيل بن النعمان ، وثعلبة

ابن غنمة . رجلان .

ومن بنى النجار ، ثم من بنى دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم
عزب ، فقتله .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سَمُّ عَزْبٍ وَسَمُّ عَزْبٍ ، بِإِضَافَةٍ وَغَيْرِ إِضَافَةٍ ، وَهُوَ
الَّذِي لَا يُعْرِفُهُ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ رَمَى بِهِ .

قتل المشركين

وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ .

من بنى عبد الدار بن قصى : مُنَبِّه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن
عبد الدار ، أصابه سهم ، فأت منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تخزوم بن يقطلة : نوفل بن عبد الله بن
الضميرة ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيحهم جسده ، وكان اجتماع
الخطوق ، فتورط فيه ، فقتل ، فقلب المسلمون على جسده . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : لأجاجة لنا في جسده ولا بئس منه ، فدخل بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة
آلاف درهم ، فيما بلغني عن الزهري .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لوئى ، ثم من بنى مالك بن حنبل :

عمرو بن عبد ود ، قتله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال : قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنته حنبل بن عمرو .

قال ابن شام : ويقال عمرو بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد .

شهداء المسلمين يوم بني قريظة

قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين ، ثم من بني الحارث بن الخزرج : خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، طرحت عليه رحي ، فسدخته سدخاً شديداً ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لله لأجر شهيدين .

ومات أبو ستان بن محصن بن حُرثان ، أخو بني أسد بن خزيمة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حاضر بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة التي يدفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام .

البشارة بفوز قريش
ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يلقي : لن تفزواكم قريش بعد عامكم هذا ، ولست كنتم تفزونيهم . فلم تفزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يفزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

غزوة دومة الجندل

قال أبو عبيد البكري: سميت دومة الجندل بدومي بن إسماعيل، كانت

نزلها^(١)

غزوة الخندق

وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب، ولكنه من مكاييد الفرس وحروبها، ولذلك أشار به سلمان الفارسي، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبري «منوشهر بن أبرج»^(٢) بن أفريدون^(٣) وقد قيل في أفريدون: إنه ابن إسحاق عليه السلام، وأكثرهم يقول فيه: هو ابن أثنان، وهو أول من اتخذ آلة الرمي، وإلى رأس ستين سنة من ملكة بعث

(١) يصفها البكري بأنها على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة، وثمان من دمشق، واثنتي عشرة من مصر، وسميت بدوماني بن إسماعيل عليه السلام كان ينزلها.

(٢) هو في الطبري: أبرج وكذلك في الزرقاني وهو ينقل عن الروض ويقول: عن الطبري ص ٣٧٩ ط المعارف وهو أول من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب.

(٣) ذكره حبيب بن أوس الطائي في شعره إذ قال: ما نال ما قد نال فرعون ولا هاملان في الدنيا ولا قارون بل كان كالضحاك في سطواته بالعالمين وأنت أفريدون والعجم يزعمون أن أفريدون وثب بالضحاك، وأوثقه وصيره بهمال. دناوتدواته إلى اليوم موثق في الحديد يعذب ١١ ص ١٩٧ ط تاريخ الطبري.

موسى عليه السلام ، وقد تقدم ذكر الكمائن في الحروب ، وأن أول من فعلها
مُخْتَصِرٌ في قول الطبري .

وذكر تعزيب بنى قُرَيْظَةَ الأحزاب ، ونَسَبَ طائفةً من بنى النضير ،
فقال فيهم النضري ، وهكذا تقييد في النسخة المعينة ، وقياسه : النضريُّ
إلا أن يكون من باب قولهم نَفَقِيَّ وَقُرَيْيَّ^(١) ، وهو خارجٌ عن القياس ،
وإنما يقال : فَمَلِيَّ في النسب إلى قَبيلة .

عِيْنَةُ بن حصصه :

وذكر قائد غطفان يوم الأحزاب ، وهو عِيْنَةُ بن حصن ، واسمه
حُذَيْفَةُ ، وُسْمَى : عِيْنَةُ لِشَرِّكَانِ بَنِيهِ ، وهو الذي قال فيه عليه السلام

(١) هذا شاذٌّ في فعلٍ بفتح الفاء وفعلٍ بضم الفاء . فالقياس فيها إبقاء
الياء . ولكن يقول السيرافي عن النسب إلى فعلٍ بضم الفاء . أما ما ذكره
سيبويه من أن النسبة إلى هذيل هذلي فهذا الباب عندى لكثرة كالتأرجح عن
الشذوذ وذلك خاصة في العرب الذين بنهامة وما يقرب منها ، لأنهم قالوا : قرشي
وملحي وهذلي وفقسي ، وكذا قالوا في سليم وخشم وقرين وحرقي وهم من هذيل-
وكلها بضم الأول - سلي وخشم وقرين وحرقي . وهؤلاء كلهم متجاوزون
بنهامة وما بدانها ، والعلة اجتماع ثلاث ياءات مع كسر في الوسط ، ص ٢٩
٢٠ شرح الشافيه للرضي . ويرى المبرد أن ما كان على فعلٍ وفعلٍ بالفتح في
الأولى والضم في الأخرى فأنك منخير في النسب إليهما بين حذف الياء وبقيتها
قياساً مطرداً فتقول في النسب إلى شريف وجعل شريفي وجعل أو شرفي وجعل .
أما مذهب السيرافي فيبدو أنه يشير إلى أن ما كان على فعلٍ بفتح الفاء فليس فيه
إلا إبقاء الياء .

الأحق المطاع ، لأنه كان من الجرارين تتبعه عشرة آلاف قنار ، وهو الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره ، وفى رواية أخرى : أنه قل : إني أداريه ، لأنى أخشى أن يفيد على خلقا كثيرا ، وفى هذا بيان معنى الشر الذى اتقى منه ، وكان دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن ، فلما قال له : أين الإذن ؟ قال : ما استأذنت على مضرى قبلك ، وقال : ما هذه الحميراء معك يا محمد ؟ فقال : هى عائشة بنت أبى بكر ، فقال : لقمها ، وأنزل لك عن أم البنين ، فى أمور كثيرة تذكر من جفائه ، أسلم ، ثم ارتد ، وآمن بطليحة حين تنبأ وأخذ أسيراً ، فأتى به أبو بكر رضى الله عنه أسيراً ، فكن عليه ، ولم يزل مظهراً للإسلام على جفوته وعنجهيته ولوثة أعرابيته حتى مات . قال الشاعر :

وأتى على ما كان من عنجهيتى ولوثة أعرابيتى لأديب^(١)

وذكر حفره الخندق ، وأنه عرضت له صخرة ، ووقع فى غير السيرة

(١) البيت فى اللسان . وفيه عيدهتى بدلا من عنجهيتى ، وأرب بدلا من أديب والعيدية : الكبر . والعنجهية والعيدية أيضاً : العندية وعجرفية ، وشمخرة إذا كان فيه جفاء . هذا وقد وصف بالأحق المطاع فى حديث رواه سعيد بن منصور مرسل ١١١ وقد قيل عنه ذلك بعد أن سألت عائشة عنه بعد أن قال ما قال . وقد أخرجه الطبرانى موطئاً من وجه آخر عن جرير بن عينة بن حصن دخل على النبي دأب ، فقال وعنده عائشة — من هذه الجالسة إلى جانبك ؟ قال : عائشة . قال : أفلا أنزل لك من غير منها ؟ يعنى امرأته ، فقال له النبي : أخرج فاستأذن ، فقال : إنها يمين على ألا أستاذن على مضرى ، فقالت عائشة : من هذا ؟ فذكره .

عَبْلَةٌ وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّامَّةُ ، وَجَمْعُهَا عِبَلَاتٌ وَيُقَالُ لَهَا الْقَبْلَاءُ وَالْأَعْبِلُ أَيْضًا ،
وَهِيَ صَخْرَةٌ بِيضَاءُ .

البرقات التي لعت :

وذكر أنه كَمَتَتْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الصَّخْرَةِ بَرْقَةٌ بَعْدَ بَرْقَةٍ ، وَخَرَّجَهُ النَّسَوِيُّ
مِنْ طَرِيقِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ بِأَنَّهُمْ مِمَّا وَقَعَ فِي السَّيْرِ ، قَالَ : لَمَّا أَسْرَأَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ تَحْفِرَ الْخَنْدَقَ عَرْضَ لِنَاحِيَةٍ لَا يَأْخُذُ فِيهِ لِلْعَوَلِ ،
وَأَخَذَ لِلْعَبْلِ وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ مُلْكُ الصَّخْرَةِ ،
وَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مِفْتَاحَ الشَّامِ ، وَاللَّهُ إِنْی لَا بُدَّ لِي مِنْهَا فَصَوَّرَهَا الْخَنْدَقَ مِنْ
مَكَانٍ هَذَا ، قَالَ : ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى ، وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، وَكَسَرَ ثَلَاثًا أُخْرَى ،
قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مِفْتَاحَ فَارِسَ ، وَاللَّهُ إِنْی لَا بُدَّ لِي مِنْهَا فَصَوَّرَ الْقَدَاسَ
الْأَبْيَضَ الْآنَ ، ثُمَّ ضَرَبَ ثَالِثَةً وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَتَقَطَّعَ الْحَجَرُ ، وَقَالَ : اللَّهُ
أَكْبَرُ . أُعْطِيتُ مِفْتَاحَ الْيَمَنِ ، وَاللَّهُ إِنْی لَا بُدَّ لِي مِنْهَا فَصَوَّرَ [مِنْ مَكَانٍ هَذَا
السَّاعَةِ] (١) . وَقَوْلُهُ : فَاسَأَ وَلَا مِشْحَاةَ . الْمِشْحَاةُ : مِثْقَلَةٌ مِنْ سَحَابَاتِ الْعَالَمِ ،
إِذَا قَشَرَتْهُ ، وَيُقَالُ لِحَدِّ الْفَأْسِ وَالْمِشْحَاةِ : الْفُرَابُ ، وَلِنَصْلَيْهِمَا : الْفِعَالُ بِكَسْرِ
الْفَاءِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي حَدِيثِهِ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ عَنْ أَبِي عُمَانَ التَّمِيمِيِّ أَنَّهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ ضَرَبَ فِي الْخَنْدَقِ قَالَ :

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالزُّهَدِيُّ مِنْ رَوَايَتِهِمَا . وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو نَحْوَهُ ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ وَتَمَّتْ خِلَافُ بَيْنِ رَوَايَتِهِمَا وَرَوَايَةُ السَّيِّدِ
فَرَاذَنْ بَيْنِ الرُّوَايَتَيْنِ .

بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ بَدِينَا * وَلَوْ عَزَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا * حَبَذَارَ بَاوَحَبَذَارِ دِينَا^(١)

(١) هو عند الحارث بن أبي أسامة من طريق سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان النهدي . وبدينا بكسر الدال يقال : بديت بالثاء بكسر الدال ، أى : بدأت به ، فلما خفف المزمع كسر الدال فاقبلت الهزة ياء ، وليست الياء فيه أصلية . وقوله حبذا دينا يجعل الرجز غير موزون إلا بإسكان ياء حبذا . والذي في الفتح والحلية : حبذا رباً وحب دينا . انظر ص ٣٢٢ > ٢ وفتح الباري في غزوة الخندق .

وفي البخاري : كان النبي ﷺ ، من ينقل التراب يوم الخندق حتى أغير بطنه أو أغير بطنه يقول :

وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِينَا
فَأَزَلَنَّا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتَ الْأَقْدَامُ إِنْ لَا قِينَا
إِنْ إِلَّا قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَوَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا
وفي رواية أخرى عن البراء ، فسمعت برجم بكلمات ابن رواحة ثم ذكر الرجز السابق . وقوله : إِنْ إِلَّا قَدْ بَغَوْا لَيْسَ بِمُوزُونٍ ، وتحريره إِنْ الَّذِينَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا . وفي رواية مسلم : أَوْ أَدْلَا مِنْ بَغَوْا أَنْظَرُ ص ٣٢١ > ٧ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، وفي البخاري أيضاً أنه خرج ، من ، فرأى المهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

الهِمَّ إِنْ الْعِيشَ عِيشَ الْآخِرَةِ فَاعْفُ الرِّجْزَ وَالْمُهَاجِرَةَ
فَقَالُوا مَجِيئِينَ لَهُ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا
وهذا قول ابن رواحة . وقد قال الداودي : إنه قاله : لا هم ، فأورده بعض الرواة على المعنى ، وقيل ليس كذلك بل يكون دخله الخرم ومن صورته زيادة شيء من حروف المعاني في أول الجزء ، والجزء الثاني أيضاً غير موزون . وفي رواية : فبارك بدل : فاعفر

محقق اسم زغابة :

وقوله : حتى نزلوا بين الجُرُفِ وزغابة . زغابة اسم موضع بالنين المنقوطة والزاي المفتوحة ، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زغابة بضم الزاي والعين المهملة ، وحكى عن الطبري أنه قال في هذا الحديث بين الجُرُفِ والغاية ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف . قال المؤلف : والأعرف عندي في هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالنين المنقوطة ، لأن في الحديث السند أنه عليه السلام ، قال في ناقة أهداها إليه أعرابي ، فكافأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تمنعجون لهذا الأعرابي أهدى إلينا ناقة أعر فيها بعينها ، كأعرف بعض أهلي ذهبت مني يوم زغابة ^(١) ، وقد كافأته بست فخط . الحديث ، وقال : ذهب نقيم ونقمتي معاً .

يقول في الذروة والغارب :

وذكر حنظلي بن أخطب ، ومات قال لكعب ، وأنه لم يزل يقتل في الذروة والغارب . هذا مثل ، وأصله في البعير ، يستصعب عليك فتأخذ الفراد من ذروته وغارب سنكاه ، وتقتل هناك ، فيجد البعير لذه فيأمن عند ذلك ^(٢) ، فصر هذا الكلام مثلاً في المروضة والمخالة ، وكذلك جاء في حديث

(١) ولكن يقول الخشن : كذا وقع هنا الزاء مفتوحة ، وزغابة بالراء المفتوحة هو الجيد وكذلك رواية الوقي ، ص ٣٠١ .

(٢) فسر الخشن بقوله : أراد بذلك أنه لم يزل يمدد كما يمدع البعير إذا كان فاراً فيمسح باليد على ظهره حتى يستأنس ، فيجعل الخظام على رأسه . ص ٣٠١ .

ابن الزبير حين اراد عائشة على الخروج الى البصرة^(١)، فابيت عليه، فحمل
يفعل في الذروة والتارب حتى اجابته. وقال الخطيب: .

تصرك ماقرأذ بنى بفيض إذا ترع القراء بمسطاع^(٢)
ربط: اتهم لا يخذعون ولا يستبدون .

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - ائتوا الى كذا أعرفه، ولا تقفوا
في أعقاد الناس .

اللحن: المدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرف
إلا صاحبه، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف .

قال السيرافي: ما عرفت حقيقة معنى النحو إلا من معنى اللحن الذي
هو ضلوه، فإن اللحن عدول عن طريق الصواب، والنحو قصد إلى
الصواب، وأما اللحن فيفتح الحاء، فأصله من هذا إلا أنه إذا لحن لك لتفهم
عنه، ففهمت سمي ذلك التفهم لحنًا، ثم قيل لكل من فهم قد لحن بكسر

(١) يقول ابن قتيبة في ضبطها: مسكنة الصاد، وكسر خاطأ، فاذا حلقوا
إليه قالوا: البصر، فكسروا الباء، وإنما أجازوا في النسب بصري لذلك،
ص ٢٠، أدب الكاتب، وانظر معجم البكري. وفي القاموس البصرة بلد
وموضع وبكسر وبحرك وكسر الصاد، أو هو معرب بن راء، أي كثير الطرق.
(٢) البيت في الساند وفيه كليب بدلا من: بفيض، وقد لحنه الأزهري

الحاء ، وأصله ما ذكرناه من التهم عن اللاحن^(١) قال الجاحظ في قول مالك
ابن أسماء [بن خازم الفزاري] :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا فَأَوْخِرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحَفَا^(٢)

أراد أن اللحن الذي هو الخطأ قد يستتبع ، ويستتفك من الجارية الحديثة
السُر ، وخطئ الجاحظ في هذا التأويل^(٣) ، وأخير بما قاله الحاج بن

(١) في اللسان : اللحن والحن - بالسكون في الحاء الأولى والفتح في الثانية
والجاعة والحن ترك الصواب في القراءة والشيد . وفيه أيضاً : الحز -
بفتح الحاء - القطنة .

(٢) يريد : أنها تتكلم بشئ . وهي تريد غيره ، وتعرض في حديثها ، فزيلة من
جنت من فطنتها . وفسر القائل قوله : وتلحن أحياناً تهيب ، وذكر أن اللحن بفتح
الحاء هو القطنة . قال : وربما أكتوا الحاء في القطنة ، وقال : لحن الرجل يلحن
بفتح الحاء لحناً فهو لاحن إذا أخطأ ، ولحن يلحن بكسر الحاء في الماضي وتلحن
في المضارع - فهو لحن بفتح فكسر إذا أصاب وفطن . واستشهد بالبيت وبيت قبله .

(٣) قال الجاحظ : وقد قال مالك بن أسماء في استصلاح اللحن من بعض نساء :

أَمَطُ مَنْ عَلَى بَصْرِ الْحَبِّ أَمْ أَنْتَ أَكَلِ النَّاسِ حَسَنًا
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مَا تَشْتَبِهُ النَّفُوسُ بوزن وزنا

ثم ذكر البيت الذي في الروض

وقال في موضع آخر : وقال مالك بن أسماء في بعض نساءه ، وكانت

لا تصيب الكلام كثيراً وربما لحنتم ثم ذكر ثلاثة الأبيات ص ١٤٧ ، ٢٢٥ - ١

البيان والتبيين بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، وانظر ص ٥٩٩ من أمال

تطلب بتحقيق الأستاذ الفاضل وقد أشهد ابن الأباري في كتاب الأضداد

البيت وبيتاً قبله ، وقال : أي أبو العباس : أراد بتلحن : تهيب وتغلطن ،

وأراد بقوله : ما كان لحناً : ما كان صواباً . ونقل قول ابن قتيبة ، وهذا

يُوسُفَ لَامْرَأَتِهِ : هِنْدُ بِنْتُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ ، حِينَ تَلَمَّحَتْ ، فَأَمْسَكَهَا جَلِيلًا ،
الْحَنَ فَاَحْتَجَّتْ بِقَوْلِ أَخِيهَا مَالِكِ بْنِ أَسْمَاءَ :
وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَنَا

فَقَالَ لَهَا الْحَاجُّ : لَمْ يُرِدْ أَخُوكَ هَذَا ، إِنَّمَا أَرَادَ الْحَنَ الَّذِي هُوَ
التَّوْبَةُ وَالْأَلْفَاظُ ، فَسَكَتَتْ ، فَلَمَّا حَدَّثَ الْجَاهِظُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ : لَوْ كَانَ
بَلْفِي هَذَا قَبْلَ أَنْ أُؤَلِّفَ كِتَابَ الْبَيَانِ مَا قُلْتُ فِي ذَلِكَ مَا قُلْتُ ، قَطِيلٌ لَهُ :
أَفَلَا تُنْفِرُهُ ؟ فَقَالَ : كَيْفَ وَقَدْ سَارَتْ بِهِ الْبَغَالُ الشُّبُّ وَأُنْجِدَ فِي الْبِلَادِ وَغَارَ .
وَكَا قَالَ الْجَاهِظُ فِي مَعْنَى تَلَحُّنٍ أحيانًا قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ مِثْلَهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ (١)

الشاعر استلح من هذه المرأة ما يقع في كلامها من الخطأ ثم رد قول ابن قتيبة بقوله :
وقوله عندنا حال ، لأن العرب لم تزل تستقيح اللحن من النساء كما تستقيحه من
الرجال الخ ص ٢١٠ ط الحسينية . وقد ذكر ابن قتيبة بعد البيت أربعة أبيات
أخرى . كما نقل ثلاثة الآيات في ص ١٦١ من مقدمته لكتابه عيون الأخبار ، ونقلها
أيضاً في ص ١٦١ ، ١٦٢ و ٢٠٠ ونقل تعليق ابن دريد على الآيات ، وهو
قوله : استتمل منها الإعراب .

(١) يقول الأستاذ عبد السلام هارون في تعليقه على أمالي ثعلب : وقد نبه
الجاهظ إلى خطئه فاعترف به ، وقصته واعترافه في تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٤ ،
ومعجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث ص ٩٩ أمالي ثعلب . هذا وقد قال
الحجاج لهند لما لحنت : أتلحنين وأنت شريفة ، وفي بيت قيس ، فاستشهدت
بقول أخيها كما ذكر السهيلي ، فقال لها : إنما عني أخوك اللحن في القول إذا كنتي
المحدث عما يريد ، ولم يمز اللحن في العربية ، فأصلحي لسانك . وانظر ص ١١ ،
١٢ من أمالي المرتضى ، ففيها بيان خطأ الجاهظ واعترافه بهذا الخطأ . ونص
المرتضى على خطأ ابن قتيبة حين ذكر في كتابه عيون الأخبار أبيات القزاري
معتدراً بها عن لحن أصيب في كتابه — كما يقول المرتضى ط ١ .

وقوله : يَفْتُ في أَعْضَادِ النَّاسِ ، أى يَكْسِرُ من قُوَّتِهِمْ وَيُوهِنُهُمْ ، وضرب
الْمُضْدَ مثلاً ، وَالْفَتْ : الْكَسْرُ ، وقال : في أَعْضَادِهِمْ ولم يقل : يَفْتُ أَعْضَادَهُمْ ،
لأنه كناية عن الرُّغْبِ الدَّاخلِ في القلب ، ولم يُرَدِّ كَسْرًا حَقِيقِيًّا ، ولا الْمُضْدَ
الَّذِي هُوَ الْمَضُوءُ ، وإنما هو عبارة عما يَدْخُلُ في القلب مِنْ الْوَهْنِ ، وهو
من أَفْصَحِ الْكَلَامِ .

وذكر أَوْسَ بْنَ قَيْظِيٍّ ، وهو الْفَائِلُ : ﴿ إِنْ بَيُّوتَنَا عَوْرَةً ﴾ وابنه :
عَرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ كَانَ سَيِّدًا ، وَلَا صُحْبَةَ لَهُ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ صَحْبَةٌ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ
فِيمَنْ اسْتُصْفِرَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وهو الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّمَاخُ :

إِذَا مَارَايَةَ رُقِقتَ لِحْدِي تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ ^(١)

وَلِعَرَابَةَ أَخٌ اسْمُهُ : كِبَاثَةُ مَذْكُورٌ فِي الصَّحَابَةِ أَيْضًا .

مصاحبة الأعراب :

فصل : وذكر ما مَثَّم به النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُصَاحَبَةِ الْأَحْزَابِ
عَلَى مُلْكِ تَمَرِ الْمَدِينَةِ ، وفيه من الْفَقْهِ جَوَازُ إعْطَاءِ الْمَالِ لِلْعَدُوِّ ، إِذَا كَانَ
فِيهِ نَظَرٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَحَيَاةٌ لَهُمْ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ هَذَا الْخَبَرَ ، وَأَنَّهُ أُمِرَ

(١) معناها كما يقول الْبَكْرِيُّ فِي السَّمَطِ : الْقُوَّةُ أَوْ الْحَقُّ . وَمِنْ الْقَصِيدَةِ :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَاسْتَرْقَى بَدَمَ الرَّثِينِ
فَنَعِمَ الْمَرْجِيُّ وَحَلَّتْ إِلَيْهِ رَحَى حَبْرٍ وَمَا كَرَحَى الطَّعِينِ

ص ٦٠٧ - ٦١٩ السَّمَطُ .

مَعْمُولٌ بِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَالِحَ مَلِكِ الرُّومِ عَلَى الْكَفِّ عَنْ تُغُورِ الشَّامِ بِمَالٍ دَفَعَهُ إِلَيْهِ ، قِيلَ : كَانَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَخَذَ مِنَ الرُّومِ رَهْنًا ، فَغَدَرَتِ الرُّومُ ، وَتَقَضَّتِ الصَّلَاحَ ، فَلَمْ يَرِ مُعَاوِيَةُ قَتْلَ الرَّهَائِنِ ، وَأَطْلَقَهُمْ ، وَقَالَ : وَقَالَ بَغْدِيسٌ خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ بَغْدِيسٍ ، قَالَ : وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَوْزَاعِيِّ وَأَهْلِ الشَّامِ إِلَّا تُقْتَلَ الرَّهَائِنُ ، وَإِنْ غَدَرَ الْعَدُوُّ .

سَلَامُهُ مَنَا :

وَذَكَرَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سَلَّمَ أَنْ مِثْلَ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالنَّصَبِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ . أَوْ عَلَى إِضْمَارِ أَهْلِي ، وَأَمَّا الْخَفَضُ عَلَى الْبَدَلِ ، فَلَمْ يَرَهُ سَيَبُوهُ جَائِزًا مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ ، وَلَا مِنْ ضَمِيرِ الْخَاطِبِ ، لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْبَيَانِ ، وَأَجَازَةِ الْأَخْفَضِ .

مَوْلَى مُبَارَزَةَ ابْنِ أَرْطَع :

فَصَلَ : وَذَكَرَ خَيْرَ عَمْرِو بْنِ أَدَةَ الْعَامِرِيِّ ، وَمُبَارَزَتَهُ لَعْلَى إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ ، وَوَقَعَ فِي مَغَازِي ابْنِ إِسْحَاقَ مِنْ غَيْرِ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ عَنِ الْبَسْكَائِيِّ فِيهَا زِيَادَةٌ حَسَنَةٌ ، زَايَتْ أَنْ أَوْرَدَهَا هُنَا تَقْدِيمًا لِلْخَبَرِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : إِنْ عَمِّرُوا بَنَ أَدَةَ^(١) خَرَجَ فَنَادَى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَقَامَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ مُنْفَعٌ بِالْحَدِيدِ ، فَقَالَ : أَنَا لَهُ بِأَنْبِيٍّ اللَّهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ عَمِّرُوا اجْلِسْ ، وَنَادَى عَمِّرُوا إِلَّا رَجُلٌ يُوَثِّبُهُمْ ، وَيَقُولُ : ابْنَ جَنْتُكُمْ^٢ الَّتِي تَزْهَوْنَ أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ دَخَلَهَا ، أَفَلَا تُبِيرُونَ لِي رَجُلًا ، فَقَامَ عَلِيٌّ .

(١) فِي السِّيَرَةِ : وَد . وَكَانَ سَنَهُ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ تَسْمِينِ عَامًا .

قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : اجْلِسْ إِنَّهُ عَمْرُو ، ثُمَّ نَادَى الثَّالِثَةَ وَقَالَ :

وَلَقَدْ بَعَثْتُ مِنَ النَّدَاءِ ۖ بِجَمْعِكُمْ هَلَنْ مِنْ مُبَارَكٍ ؟

وَوَقَفْتُ إِذْ جَاءَ الشَّيْخُ يَجْعُ مَوْفَقَ الْقَرْنِ الْمَنَاجِزِ

وَكَذَلِكَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ مُتَسَرِّعًا قَبْلَ الْهَزَاهِرِ (١)

إِبْنُ الشَّجَاعَةِ فِي الْفَتَى وَالْجُودِ مِنْ خَيْرِ الْقَرَارِ

فَقَامَ عَلِيٌّ ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا لَهُ فَقَالَ : إِنَّهُ عَمْرُو ، قَالَ : وَإِنْ كَانَ
عَمْرًا ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَشَى إِلَيْهِ عَلِيٌّ ، حَتَّى أَتَاهُ وَهُوَ يَقُولُ

لَا تَجْعَلَنِي أَقْسَدَ أَنَا كَمْ يُحِبُّ صَلَوَاتُكَ غَيْرَ طَاجِرٍ

ذَوِي نَبِيٍّ ۖ وَبَصِيرَةٍ ۖ وَالصَّدَقُ مُنْعَى كُلِّ قَاتِرٍ

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَفِدَ بِكَ عَلَيْكَ نَائِمَةٌ الْجَنَازُ

مِنْ ضَرَبَةِ نَجْلَاءَ بَيْنَ قِي ذَكَرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِرِ

فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَلِيٌّ ، قَالَ : ابْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ؟ فَقَالَ : أَنَا
ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : غَيْرُكَ يَا ابْنَ أَخِي مِنْ أَعْمَامِكَ مَنْ هُوَ أَسْنَى مِنْكَ ، فَإِنِّي
أَكْرَهُ أَنْ أَهْرَبَ دَمَكَ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَلَسْكَى وَاللَّهِ لَا أَكْرَهُ
أَنْ أَهْرَبَ دَمَكَ ، فَغَضِبَ وَنَزَلَ قَسْلٌ سَيِّفُهُ ، كَأَنَّهُ شُعْلَةٌ تَأْتِي ، ثُمَّ أَقْبَلَ
نَحْوَ عَلِيٍّ مُنْضَبًا ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى قَرَسِهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : كَيْفَ أَقَاتَلُكَ ،

(١) الهزاهر : الفتن يهتز فيها الناس .

وَأَنْتَ عَلَى قَرَسِكَ ، وَلَسَكَنَ أَنْزَلَ مَعِي ، فَزَلَّ عَنْ قَرَسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ عَلَى قَرَسِهِ ،
 وَاسْتَقْبَلَهُ عَلَى قَرَسِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِدَرْقَتِهِ (١) ، فَصَرَبَهُ عَمْرُو فِيهَا فَقَدَّهَا وَأَنْبَتَ
 فِيهَا السِّيفَ ، وَأَصَابَ رَأْسَهُ فَشَجَّهُ ، وَطَرَبَهُ عَلَى عَلَى حَبْلٍ الْعَانِقِ ، فَسَقَطَ ،
 وَنَارَ النَّجَاحُ ، وَرَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّكْوِينَ ، فَتَرَفَّ أَنْ عَلِيًّا
 - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدْ قَتَلَهُ ، فَنِمَّ يَقُولُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَلَيْ تَقْتَحِمُ الْفَوَارِسُ هَكَذَا عَنِّي وَعَنْهُ أُخْرُوا أَصْحَابِي
 فَالْيَوْمَ تَعْتَمِدُ الْفَرَارُ حَقِيقَاتِي وَهُمْ مَمَّ فِي الرُّأْسِ لَيْسَ بِنَائِي
 أَدَى مَعْمُورٍ حِينَ أَخَاصَ صَقْلَهُ صَاقَ الْحَدِيدَةِ بِسْتَفِيزِ ثَوَابِي
 فَتَدَوَّتْ أَلْتِمِسُ الْقَرَاعُ بِمَرْهَفٍ عَضِبَ مَعَ الْبُثْرَاءِ فِي أَقْرَابِ
 قَالَ ابْنُ عَبْدِ حِينَ شَدَّ أَلِيَّةَ وَخَلَفْتُ فَاسْتَمِعُوا مِنَ السَّكَذَّابِ
 أَلَا يَفِرُّ وَلَا يَهْلِلُ فَالْتَمَى رَجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ كُلُّ ضِرَابِ

وبعد : نصر الحجارة إلى آخر الأبيات ، إلا أنه روى : عَبْدُ الْحَجَّارَةِ ،
 وَعَبْدَتُ رَبِّ مُحَمَّدٍ ، وَرَوَى فِي مَوْضِعٍ : وَلَقَدْ بَحَحْتُ : وَلَقَدْ عَجِيتُ ،
 وَيُرْوَى : فَالْتَمَى أَسْدَانُ يَضْطَرِبَانِ كُلُّ ضِرَابِ ، وَفِيهِ إِنْصَافٌ مِنْ عَلَى
 - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِقَوْلِهِ : أَسْدَانٌ ، وَنَسَبَهُ إِلَى الشَّجَاعَةِ وَالنَّجْدَةِ . وَقَوْلُهُ : أَدَى
 عَمِيرٌ إِلَى قَوْلِهِ ثَوَابِي ، أَيْ أَدَى إِلَى ثَوَابِي ، وَأَحْسَنَ جَزَائِي حِينَ أَخَاصَ صَقْلَهُ ،

(١) الدرقة : الفرس من جلد ليس خشب ولا عقب ، والعقب هو القصب الذي تعمل منه الأوتار .

ثم أقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مُهْمَلٌ ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هَلَّا سَلَبْتَهُ دِرْعَهُ ، فإنه ليس في العرب دِرْعٌ خير منها ، فقال : إلى حين ضربته استقبلني بسِوَأَتِهِ ، فاستَحْيَيْتُ ابن عمي أن أَسْتَلِدَّه ، وخرجت خيلهم مُنْهَزِمَةً حتى اتجمعت الخندق هاربة ، فن هُنا لم يَأْخُذْ عَلَى سَلَبِهِ ، وقيل نَزَهَ عن أخذها ، وقيل : إنهم كانوا في الجاهلية إذا قتلوا القتل لا يسلبونه ثيابه .

وقول عمرو لملي : والله ما أحب أن أقتلك ، زاد فيه غيره : فإن أباك كان لي صديقاً ، قال الزبير : كان أبو طالب يُقَادِمُ مُسَافِرَ بن أبي عمرو ، فلما هلك اتخذ عمرو بن ودَ نديماً ، فذلك قال لملي حين بارزه ما قال :

الفرعل :

وقول حسان في عكرمة :

كَلِمَاتُ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلْ

الفرْعُلُ : وَلَدُ الضَّمْعِ :

وذكر قول سعد :

لَيْتَ قَلِيلًا يَبْلَحِقِ التَّهِيحَا حَمَلْ

هو بيت تمثّل به عني به حَمَلْ بن سَمْدَانَةَ بن حَارِثَةَ بن مَعْمِلْ بن كَعْبِ ابن عُثَيْمِ بن جَذَابِ الْكَلْبِيِّ . وقوله يَرْقُدُ (١) بالحربة أي : يسرع بها ، يقال : ارْقُدْ وارْمَدْ بمعنى واحد . قال ذو الرُّمَّة :

(١) في السيرة : يوقل .

يَرَقْدُ فِي أَثَرِ عَرَّاضٍ وَتَنْبَعُهُ صَبَابُهُ شَامِيَّةٌ عَشْنُوهُمَا حَصْبٌ (١)

بني الریح .

ابن العرقه وأسم سمر :

وابن العرقه الذي روى سندا هو حبان بن قيس بن العرقه ، والعرقه هي قلابه بنت سعيد بن سفيان بن سفيان بن عمرو بن هاشم بن كعب ابن لؤي [تسكن أم فاطمة، تميّت العرقه لطيب وبجها، وهي جدّة خديجة أم أمها هالة] ، وحبان هو ابن عبد مناف بن مذكّر بن عمرو بن صعصع بن عامر ابن لؤي (٢) .

(١) البيت في اللسان وفيه عراض وحفيف ناجفة بدلا من عراض وصبا . شامية ، وعراض خطأ وقد روى الشطره الثانية في مادة حسب كما رواها هنا . وروى البيت كله في مادة عرس وشطره الأولى هكذا
يرقد في ظل عراض ويطرده . . . الخ
وقبل البيت :

حتى إذا الميق أمي شام أقرخه ومن لا مؤبس ناباً ولا كتب والبيت في وصف ظلم .

انظر ص ٧٩٨ سطر الآلى ص ١٨٠ ط ٢ ط ٢ .

(٢) في نسب قریش : عبد مناف بن الحارث بن منقذ الخ ص ٢٢ ، ١٢٤ ويقول عنه إنه أخو هالة لايها وأما . وعند الحفاظ في الفتح عنه فيما شرح به لفظ البغاري ، وهو حبان بن قيس . . . ويقال : ابن أبي قيس بن علقمة ابن عبد مناف .

وَأَمَّ سَعْدُ اسْمَهَا: كَبِشَّةُ بِنْتُ رَافِعٍ [ابْنِ عُبَيْدٍ] ^(١)

حول اهتزاز العرش

وحديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه ^(٢)، وفي بعض ألفاظه أن جبريل

(١) هي من الانتصار من بني خدره، وقد ذكر ابن سعد أنها أولاد من بايع النبي ورسوله من نساء الانتصار.

(٢) رواه الشيخان من حديث جابر، وثبت — كما قيل — عن عشرة من الصحابة أو أكثر. وقال الحاكم: الأحاديث التي تصرح بهتزاز عرش الرحمن مندرجة في الصحيحين، وليس لها رضا في الصحيح ذكر. وسيأتي حديث السبيل من هذا.

وقد أنكر مالك هذا الحديث، وكره التحدث به. فقد سئل — كما روى صاحب العتبية — عن هذا الحديث، فقال: أنك أن تقول: وما يدعوه المراء أن يتكلم بهذا، وما يدري ما فيه الموقوف. ويقول اليمري: إن أنكر مالك: إن العلماء اختلفوا في هذا الخبر، فهم من يحمله على ظاهره، ومنهم من يؤوله، وما هذا سبيله من الاختلاف المشكلة، فمن الناس من يكره روايته إذا لم يتعلق به حكم شرعي، فلعل الكراهة المروية عن مالك من هذا النمط. ويقول أبو الوليد بن رشد في شرح العتبية: إن أنكر مالك لتلايق إلى وهم الجاهل أن العرش إذا تحرك يتحرك الله يحركه، كما يقع الجالس منا على كرسيه، وليس العرش بموضع استقرار الله تبارك الله ونزهه عن مشابهة خلقه. ولكن مالك من رواة حديث النزول وهو أصرح في إثبات الحركة. فقل: لعل حديث سعد لم يثبت عنده كما ثبت حديث النزول. لكن لو كان الأمر كذلك لقال مالك: ليس بثابت، أو لا عرفه أو ما سمعته أو نحو ذلك. وكان ابن عمر يقول: إن العرش لا يهتز لأحد. ولكن قيل إنه رجع عن هذا لما بلغته الروايات. أخرج ذلك ابن حبان من طريق مجاهد عنه. المراد بهتزاز العرش: قيل المراد استبشاره وسروره بقدم روجه، كما يقال = (٢٣ - الروح الألف ج ٦)

عليه السلام نزل حين مات سعداً مُعْتَجِراً بِمِثْقَالِ مِنْ إِبْرَاقٍ ، فقال : يا محمد

= لئلا من فرج بقدم أحد عليه : اهتز له ، ومنه : اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت ، ومنه قول العرب : فلان يهتز للمكارم يريدون : ارتياحه إليها ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ : اهتز العرش فرحاً به لكنه تأوله ، فقال : اهتز العرش فرحاً ببقاء الله سعداً حتى تفسخت أحواده على عواقبنا . قال ابن عمر : يعني عرش سعد الذي حمل عليه . وقيل : المراد به اهتزاز العرش : اهتزاز سدة العرش وبؤيده . حديث إن جبريل قال : من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء ، واستبشر به أهلها ؟ أخرجه الحاكم ، وقيل : هي علامة نصيبها الله موت من أوليائه ، ليشر ملائكتك بفضلها . وقال الحربي : هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته من النبي ، والعرب إذا عظموا الأمر نسبوه إلى عظيم ، كما يقولون : قامت لموت فلان القيامة ، وأظلمت الدنيا بموته ونحو ذلك :

وقال النووي في شرح مسلم ما معناه : إن طائفة حملت الاهتزاز على ظاهره ، وقالوا إن اهتزاز العرش تحركة حقيقة فرحاً بقدم روح سعد ، وجعل الله في العرش تمييزاً حصل به هذا التحرك ، ولا مانع منه كما قال تعالى عن الحجارة ، (وإن منها لما يهبط من خشية الله) وهذا القول هو ظاهر الحديث ، وهو المختار . ويقول المازري عن حركة العرش : وهذا لا ينكر من جهة العقل ، لأن العرش جسم مخلوق يقبل الحركة والسكون .

وأقول : دين السلف : إذا ثبت النص ثبوتاً لا اختلاف عليه ، فإنه لا يجوز تأويله تأويلاً يفسد معناه ، أو يجرده من حقيقته ، وإنما يجب حمله كما ورد دون تشبيهه لما نسب إلى الله من صفة أو اسم أو فعل بما ينسب إلى الخلق من ذلك . وقد ثبت إلى ذلك مراراً في الكتاب . فله مثلاً يدان حقيقتان ليستا هما النعمة أو القدرة أو غير ذلك مما يعرف به المعطلة ، لكنهما ليستا كيد الخلق ، وإذا كانت أيدي البشر لا تشابهه ، فكيف تشبه يد الخالق بيد الخلق . فنقع في وصف الله بأنه عدم حين تجرد صفاته من معانيها ، أو بأنه ضم حين تنسب إليه عين ما تنسب إلى الخلق ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً . وما نقلت ما نقلت إلا لتعرف فحسب

من هذا التَّيِّتُ الذي فُتِحَتْ له أبوابُ السماء ، واهتز له العرشُ ؟ وفي حديث آخر : قال عليه السلام : لقد نزل لموت سعد بن مُعَاذٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ما وطئوا الأرضَ قبلها ، ويذكر أن قبره وُجد منه رائحةُ المسك ، وقال عليه السلام : لو نجا أحد من ضَفْطَةِ القبر لنجا منها سعد^(١) ، وفي كتاب الدلائل أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس على قبر سعد حين وضع فيه ، فقال : سبحان الله هذا المبد الصالحُ ثم في قبره صَمَّةٌ ، ثم فرج عنه ، وأما ضَفْطَةُ القبر التي ذكر في الحديث ، فقد روى عن عائشة - رضى الله عنها أنها قالت : يارسول الله ، ما انتفعتُ بشئٍ مُؤَذٍّ سمعتك تذكر ضَفْطَةَ القبر ، وصَمَّتَهُ [وصوت مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ] فقال : يا عائشة ، إن ضَفْطَةَ القبر على المؤمن أو قال صَمَّةُ القبر على المؤمن كضَمَّةِ الأُمِّ الشَّفِيقَةِ يَدِيهَا على رأسِ ابْنِهَا ، يشكو إليها الصَّدَاعَ ، وصوت مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ كالسَّكَّاحِ في القَيْنِ ، ولكن يا عائشة وَبِئْسَ لِلشَّاكِنِ [في الله] أولئك الذين يُضَفِّطُونَ في قبورهم ضَفْطَ البَيْضِ على الصَّخَرِ . ذكره أبو سعيد ابن الأعرابي في كتاب المعجم^(٢) .

وذكر ابن إسحاق في رواية [يونس] الشَّيبَانِي عنه ، قال : حدثني أمية ابن عبد الله ، قال : قلت لبعض أهل سعد بن مُعَاذٍ : ما بلغكم في هذا ، يعني الضَّمَّةَ التي انضَمَّها القبرُ عليه ؟ قال : كان يُقَصِّرُ في بعضِ الطُّمُورِ من البَوَلِ

(١) أخرجه ابن سعد وأبو نعيم

(٢) ورواه أيضاً : البيهقي وابن منبجة .

بعض التفسير (١).

الآية مثارة جباناً ؟

فصل : وذكر حديث حسان حين جُمِلَ في الآطام مع النساء والصبيان ، وما قالت له صَفِيَّةُ في أمر اليهودي حين قتله ، وما قال لها ، وتَحْمَلُ هذا الحديث عند الناس على أن حَسَّاناً كان جباناً شديد الجبن ، وقد دَقَّعَ هذا بعضُ العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث مُنْقَطِعُ الإسناد ، وقال : لوضح هذا لَمْ يُجِبْ بِهِ حَسَّانُ ، فإنه كان يهاجى الشراء كِضْرَارٍ وابن الزُّبَيْرِ ، وغيرهما ، وكانوا يَنَاقِضُونَهُ وَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ ، فَمَا عَيَّرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مُجِبِينَ ، وَلَا وَصَمَهُ بِهِ ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حَسَّانَ أن يكون سَعَتَلاً في ذلك اليوم بِعَلَّةٍ مَنَعَتْهُ مِنْ شُهود القتال ، وهذا أولى ما تأول عليه ، ومن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عُمَرَ رحمه الله في كتاب الدرر له .

الحديث عن الصوريين وروميته :

فصل : وذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قُرَيْظَةَ حين مر بالصَوْرَيْنِ ، والصَوْرُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّخْلِ (٢) ، فسألهم ، فقالوا مَرَّ بِنَا دَخِيَّةُ

(١) قيل : إن تفسيره لم يكن على وجه يؤدي إلى فساد عبادته . وأقول : إن الرجل الذي قيل عنه ما قيل لا نصدق أنه يقع في مثل هذا الذي نسب إليه . هذا وإفرا حديث سعد الذي قال فيه : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قریش عيشاً الخ المذكور في السيرة في البخاري وغيره .

ابن خَلِيفَةَ السَّكَلَبِيِّ . هو : دَحْيَةُ بَفَتْح الدَّال ، ويقال : دَحْيَةُ بِكْسَر الدَّال أيضا ، والدَّحْيَةُ بِلِسَانِ الْإِن : الرَّئِيسُ ، وجمعه دِحَاء ، وفي مقطوع الأحاديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دَحْيَةٍ ، تحت يد كل دَحْيَةٍ سبعون ألف ملك ، ذكره القُتَيْبِيُّ ، ورواه ابن سُنَجَرٍ في تفسيره مُسْنَدًا إلى عبد الله بن الهذيل ، رواه عنه أبو التَّيَّاح ، وذكر أن سَمَادَ بْنَ سَلَمَةَ قال لأبي التَّيَّاح حين حدثه بهذا الحديث ما الدَّحْيَةُ ؟ قال : الرَّئِيسُ ، وأما نَسَبُ دَحْيَةٍ فهو ابن خَلِيفَةٍ بن قُرُوءَ بن فَصَّالَةَ بن زَيْدِ بن أُمِّ رَيْقٍ القَيْسِيُّ الخُزْجِيُّ ، والخُزْجِيُّ العَظِيمُ البَطْنُ ابن زَيْدِ مَنَاءَ ابن عاصم بن بَكْرِ بن عامر الأكبر بن عَوْفٍ بن عُذْرَةَ بن زَيْدٍ لِلثَّلَاحِ ابن رُقَيْدَةَ بن ثَوْرٍ بن كَلْبٍ ^(١) يُذَكَّرُ من بَنِيهِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ الدَّيْلَةَ لَمْ يَبْقَ مُنْهَرًا ، وَهِيَ الدَّوَاهِقَةُ لِأَخِيصٍ إِلَّا خَرَجَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ .

فقر لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة :

وذكر قوله عليه السلام : لَا يُصَلِّينَ أَحَدُكُمْ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، فغربت عليهم الشمس قبلها ، فصلوا العصر بها بعد المشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عذَّبهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا من اللِّقَاء أَنَّهُ لَا يَبَاقُ عَلَى مَنْ أَخَذَ بظَاهِرِ حَدِيثٍ أَوْ آيَةٍ ، فَقَدْ صَلَّاتِ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ

(١) لم يذكر ابن حزم في نسبه زيد مَنَاءَ ص ٢٨٤ الجهرة . وذكر ابن دريد في الاشتقاق أن الخُزْجِيَّ هو الرِّيحُ العاصِفُ .

قبل أن تشرق الشمس ، وقالوا : لم يرد النبي - صلى الله عليه وسلم - إخراج الصلاة عن وقتها ، وإنما أراد الحث والإجمال ، فما عتف أحد من الفريقين ، وفي هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب ، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : ﴿ فَفَرَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ، وَكَلَّا آتَيْنَا عُسْكَمَ وَعِلْمًا ۝ الْأَنْبِيَاءُ : ٧٨ ﴾ ، ولا يستحيل أن يكون الشيء صواباً في حق إنسان وخطأ في حق غيره ، فيسكون من اجتهاد في مسألة فأداه اجتهاده إلى التحليل مصيباً في استحلاله ، وآخر اجتهاد فأداه اجتهاده ونظره إلى تحريمها ، مُصِيباً في تحريمها ، وإنما المحال أن يُحكم في النازلة بمحكمين متضادين في حق شخص واحد ، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة ، أما الظاهرية فإنهم علقوا الأحكام بالتخصص ، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتي بحظر ، وإباحة معاً إلا على وجه النسخ ، وأما المعتزلة ، فإنهم علقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه ، فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين ، فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن في حق زيد والتبجح في حق عمرو ، كما يستحيل ذلك في الألوان ، والأكوان وغيرها من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الخطر والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هي صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالخطر في النازلة على من أداه نظره واجتهاده إلى الخطر ، وكذلك الإباحة والنذب والإيجاب والكرهية ، كلها صفات أحكام ، فكل مجتهد وافق اجتهاده

التقليد إلى هَضْبَةِ النَّظَرِ ، فهو مُصِيبٌ في اجتهاده مُصِيبٌ للحكم الذي تَعَبَّدَ به ، وإن تعبد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تَعَبَّدَ هو به ، فلا يُعَدُّ في ذلك إلا على من لا يعرف الحقائق أو دَلَّ به الهوى عن أوضح الطَّرَاقِ (١) .

(١) يقول الحافظ في الفتح تعليقاً على هذا ، وهو أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق : ليس بواضح ، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد ، فيستفاد منه عدم تأنيبه . . هذا ومن المشهور الذي عليه الجمهور أن المصيب في القطعيات واحد . وخالف هذا الجاحظ والمعتزلي . وما لا قطع فيه فالجمهور يرى أيضاً أنه واحد . ويقول الأشعري : كل مجتهد مصيب ، وأن حكم الله تابع لظن المجتهد . ويرى بعض الحنفية والشافعية أن من لم يصب ما في نفس الأمر فهو مخطئ .

وأقول : الحق واحد لا يتعدد ، والله لا يحمل الشيء مباحاً ومحظوراً من جهة واحدة : وإذا كان الأمر كذلك ، فإن من اجتهد — كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم — وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد استحقه باجتهاده . ويقال لمن أصاب الحق بحق . ولمن لم يصبه : غير بحق في رأيه ، لكن قد يكون الشيء واجباً فله ومحظوراً فله لا من جهة واحدة ، وإنما من جهات متعددة ، أو من جهتين مختلفتين ، كالصوم في بعض أحواله المعروفة . هذا وقد وقع في جميع نسخ البخاري أن الصلاة هي العصر ، واتفق على هذا جميع أهل المنازى ، ولكن وقع في جميع نسخ مسلم أنها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد باسناد واحد . ورافق مسلماً ابن سعد وابن حبان كلاهما من طريق مالك بن إسماعيل . وانظر التوفيق بين هذا في شرح المواهب اللدنية ص ١٣٠ > ٢ وفي فتح الباري في الغزوة . ومن بين التوفيق أن البخاري كتبه من حفظه ، ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه في تجويز ذلك بخلاف مسلم فإنه يحافظ كثيراً على اللفظ .

حول قصة أبي ليلى :

فصل : وذكر أبا ليلى واسمه رقاعة بن عبد المنذر بن زهير^(١) وقيل :
اسمه مبشر^(٢) ، وتوبته وربطه نفسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم
ألا يحلّ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى حماد بن سلمة عن علي
ابن زيد عن علي بن الحسين أن فاطمة أرادت حله حين نزلت توبته ، فقال :
قد أقسمت ألا يحلّني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إن فاطمة مضغة مني . فصاح الله عليه ، وعلى فاطمة :
فهذا حديث يدل على أن من سبها فقد كفر ، وأن من صلى عليها . فقد صلى
على أبيها . صلى الله عليه وسلم . وفيه : أنزل الله تعالى : ﴿ وَأَخْرُوجُوا
بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا بِآلِ التَّوْبَةِ : ١٠٢ ﴾ ، غير أن المفسرين اختلفوا
في ذنبه ما كان ، فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بني قريظة ،
وقال آخرون : كان من المخلفين : الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية .

لعل وعسى وليت :

فإن قيل : ليس في الآية نص على توبته وتوبة الله عليه أكثر من قوله
تعالى : ﴿ عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ .
فالجواب : أن عسى من الله واجبة وخبر صدق . فإن قيل : وهو سؤال .

(١) في جمهرة ابن حزم ص ٢١٤ وفي الإصابة : زهر .

(٢) مختلف في اسمه فهو بشير ، وهو مروان . انظر الإصابة والاشتقاق لابن

يجب الاعتناء به : إن القرآن نزل بلسان العرب ، وليست عسى في كلام العرب .
بخبر ، ولا تقتضي جواباً ، فكيف تكون عسى واجبة في القرآن ، وليس .
بخارج عن كلام العرب ؟

وأيضاً : فإن لعل تعطى معنى التَّرجى ، وليست من الله واجبة ، فقد قال :-
(لعلهم يشكرون) فلم يشكروا، وقال (لعله يتذكر أو يخشى) فلم يتذكر ولم يخش ،
فما الفرق بين لعل وعسى حتى صارت عسى واجبة ؟

قلنا : لعل تعطى التَّرجى ، وذلك الترجى مصروف إلى الخلق ، وعسى
مثلاً في الترجى ، وتزيد عليها بالمقاربة ، ولذلك قال : ﴿ عسى أن يبيمنك
ربك مقاماً محموداً ﴾ الإسراء : ٧٩ ومعناه الترجى مع الخير بالقرب ، كأنه
قال قُرْبَ أن يبيمنك ، فالترجى مَصْرُوفٌ إلى العبد ، كما في لعل ، والخير عن
القرب والمقاربة مصروفٌ إلى الله تعالى ، وخبره حَقٌّ ووَعْدُهُ حَقٌّ ، فما
تضمنته من الخير فهو الواجب دون الترجى الذي هو محال على الله تعالى ،
ومصروف إلى العبد ، وليس في لعل مِن تَضَمُّنِ الخيرِ مثلُ ما في عسى ، فمن
نعم كانت عسى واجبة إذا تكلم الله بها ، ولم تكن كذلك لعل .

فإن قيل : فهل يجوز في آيت ما كان في لعل من ورودها في كلام الباري
سبحانه ، على أن يكون التمني مَصْرُوفاً إلى العبد ، كما كان الترجى في لعل كذلك ؟

قلنا : هذا غير جائز ، وإنما جاز ذلك في لعل على شرط وصورة ، نحو أن يكون قبلها قتل ، وبعدها قتل ، والأوّل سببٌ للثاني نحو قوله : ﴿ يَعْظُمُكُمْ لَعَلُّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل : ٩٠ ، فقال بعض الناس : لعل هاهنا بمعنى كفى ، أى كى تَذَكَّرُوهُ ، وأنا أقول : لم يذهب منها معنى التَّرجى ، لأن الموعظة ، مما يترجى أن تكون سبباً للتذكّر ، فلى هذه الصورة وردت في القرآن ، ونحو قوله أيضاً : ﴿ فَلَمَّا تَرَكَ بَعْضَ مَا بُوحِىَ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ هود : ١٢ هى هاهنا تَوَقُّعٌ وَتَخَوُّفٌ ، أى : ما أصابك من التكذيب مما يَتَخَوَّفُ وَيُتَوَقَّعُ منه ضيقُ الصدر ، فهذا هو الجائز في لعل ، وأما أن ترد في القرآن داخلةً على الابتداء والخبر مثل أن تقول ، مُبْتَدَأًا : لعل زيداً يؤمن ، فهذا غير جائز ، لأن الربّ سبحانه لا يَتَرَجَّى : وإن صُرِفَ الترجى إلى حقّ المخلوق ، وموضوعها في كلام العرب أن يكون المتكلم بها لا يستقيم أيضاً إلا على الصورة التى قدمنا من كونها بمعنى : كى ، ووقعها بين السبب والمسبب ، وإذا ثبت هذا فلا إشكال في ليتها أن تكون في كلام البارى سبحانه ، لأن التمتي محالٌ عليه ، والترجى والتوقع والتخوف كذلك ، حتى تزيلها عن الموضع الذى يكون معناها فيه للمتكلم بها .

من أسماء السماء :

فصل : وذكر حكم سعد في بنى قُرَيْظَةَ ، وقول النبی عليه السلام له : لقد حكمت فيهم بحکم الله من فوق سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ ، هكذا في السيرة : أَرْقَعَةٌ ،

وفي الصحيح : من فوق سبع سموات^(١) ، وللفي واحد ، لأن الرقيم من أسماء السماء ، لأنها رُقِيت بالشُّجُوم ، ومن أسمائها : الجُرْبَادُ وَبَرَقِيع ، وفي غير رواية البُكَائِيُّ أنه عليه السلام قال في حكم سعد : بذلك : طَرَفِي الْمَلِكُ سَجَرًا .

فوقية الله سبحانه :

وفيه من الفقه تعليم حسن اللفظ إذا تكلمت بالقول مخبراً عن الله سبحانه ألا تراه كيف قال : بحكم الله من فوق سبع سموات ، ولم يقل فوق على الظرف ، فبدل على أن الحكم نازل من فوق ، وهو حكم الله تعالى ، وهذا نحو من قوله تعالى : (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) النحل : ٥٠ ، أي يخافون عقاباً يزل من فوقهم ، وهو عقاب ربهم .

فإن قيل : أوليس يجاز أن يخبر عنه سبحانه أنه فوق سبع سموات ؟ قلنا : ليس في هذه الآية ، ولا في هذا الحديث دليل على إطلاق ذلك ، فإن جاز فبدليل آخر ، وكذلك قول زينب : رَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ كُنْبِيهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ

(١) رواه النسائي . هذا وما حكم به سعد قريب جداً مما في سفر الثانية ، ففي الإصحاح المتمم للعشرين منه جاء ما يلي : « إن لم تسألك بل حملت معك حرباً ، فهاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فأضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما في المدينة كل غنيمتها : فقتلنها لنفسك . وتأكل غنيمه أعدائك التي أعطاك الرب إلهك » من فقرة ١٠ إلى ١٥ . وازن بين هذا وبين حكم سعد « تقتل مقاتلتهم ، وتسبي ذراريهم » ثم قول الرسول « ص » له : قضيت بحكم الله ، أفياح لنا أن نقول إن الحديث يشير إلى هذا الحكم الذي ورد في سفر الثانية ؟

سماوات ، وإنما معناه : أن تزويجه إياها نزل من فوق سبع سموات ^(١) ولا يبعد في الشرع وصفه سبحانه بالفوق على المعنى الذي يليق بحلاله ، لا على المعنى الذي يسبق للوهم من التخصيد ، ولكن لا يتلقى إطلاق ذلك الوصف مما تقدم من الآية والحديثين لارتباط حرف الجر بالفعل ، حتى صار وصفاً له لا وصفاً للبارئ سبحانه ، وقد أملينا في حديث الأمة التي قال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء مسألة بدعية نافعة شافية رافعة لكل لبس ، والحمد لله ^(٢) .

(١) حقيقة الفوقية هي علو ذات الشيء على غيره ، والجهميون يزعمون أن فوقية الله فوقية رتبة وقهر كقولنا : الذهب فوق الفضة . وأهل السنة وسلفنا الصالح يقولون إن العهد والفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزلة على خلاف ما يزعم الجهميون ، وأنه سبحانه فوق العالم بذاته ، فالخطاب بفوقيته ينصرف إلى ما استقر في الفطر والعقول والكتب السماوية . والمجاز في الفوقية وإن احتمل في قوله : (وإنا فوقهم قاهرون) فذلك لأنه قد علم أنهم جميعاً مستقرون على الأرض فهي فوقية قهر وغلبة ولكن هذا المجاز لا يحتمل في قوله سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده) إذ قد علم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستويين في مكان واحد حتى تكون فوقية قهر وغلبة . واقرأ كتاب الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة ولا سيما من أول ص ٢٠٥ فقد أقام الأدلة القاطعة من القرآن والسنة والعقل على فوقية الله سبحانه بذاته من سبعة عشر وجهاً ، وقرأ لابن رشد الفيلسوف في إثبات جهة العلو لله سبحانه في كتابه مناهج الأدلة .

وكانت زينب رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي تقول : زوجكن أهاليكن ، وزجني الله تعالى من فوق سبع سموات . رواه البخاري في الصحيح . (٢) وحديث الأمة التي سألتها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله ؟ قالت : الله في السماء ، قال من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال إنها مؤمنة فاعتقها وكان الذئب قد أصاب شاة من غنم كانت ترعاها لسيدها ، فصكها صكة ، ثم =

كيسة :

فصل : وذكر حبس بنى قُرَيْظَةَ فى دار بنتِ الحَدَثِ ، كذا وقع فى هذا الكتاب ، والصحيح عندهم بنت الحارث ، واسمها : كَيْسَةُ بنت الحارث بن كُرَيْز بن حَبِيب^(١) بن عَبْدِ قَيْس ، وكانت تحت مُسَيْلَةَ الكَذَّاب ، ثم خلف عليها عبدُ الله بن عامر بن كُرَيْز ، وكَيْسَةُ أُخْرَى مذكورة فى النساء ، وهى بنت عبد الحميد بن عامر بن كُرَيْز ، وكَيْسَةُ بنت أبى بَكْرَةَ روت عن أبيها عن النبى - صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى عن الحِجَامَةِ يوم الثلاثاء أَشَدَّ النَّهْيِ ، ويقول : فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم^(٢) : وأما كَيْسَةُ بكون الياء ، فهى بنت أبى كَثِير تَرْوِى عن أمها عن عائشة فى الحر : لا طيب الله من

== انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل مع الجارية وأراد عتقها فكفيرا عن ذنبه ، فطلب منه الرسول دس ، أن يأتيه بها . ففعل فساءما - عما قدمت ذكره . والحديث فى صحيح مسلم . وقد ورد فى حديث رواه البخارى ومسلم . ألا تأمنونى ، وأنا آمن من السماء ، يأتينى خبر السماء صباحا ومساء ، وفوق ذلك كله قول الله سبحانه : (أأمنتم من فى السماء) .

(١) فى الاشتقاق لابن دريد : كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب ص ١٦٤ وكذلك هو فى نسب قريش : كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب فلعلمه سقط . قال السبلى يأخذ بقول الزبير بن فى الانساب . وكذلك ذكر نسبه فى كتاب حذف من نسب قريش للسدوس : كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب . وفى الإصابة أن المرأة هى رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد . وهى زوج معاذ بن الحارث بن رفاعه . وعند أبى الاسود أنهم حبسوا فى دار أسامة بن زيد

(٢) قول لا يعتد به ، وإلا توقفت الجراحات كلها يوم الثلاثاء .

تَطَيَّبَ بِهَا ، وَلَا شَيْءَ مِنْ اسْتَشَقَّى بِهَا ، ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَشْرِبَةِ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الْكِتَابِ ، وَوَقَعَ اسْمُهَا فِي السِّيرَةِ مِنْ غَيْرِ رَوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ : زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ النَّجَّارِيَّةِ ، فَاللهُ أَعْلَمُ . وَأَمَّا كَيْسَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، فَهِيَ الَّتِي أَنْزَلَ فِي دَارِهَا وَقَدْ بَنَى حَنِيفَةَ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا .

رفيدة :

وَذَكَرَ رُفَيْدَةَ ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ أَسْلَمَ الَّذِي كَانَ سَعْدٌ يُمَرِّضُ فِي خِيَمَتِهَا ، لَمْ يَذْكُرْهَا أَبُو عُمَرَ ، وَزَادَهَا أَبُو عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ فِي كِتَابِ أَبِي عُمَرَ ، وَحَدَّثَنِي بِتِلْكَ الزَّوَادِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ عَنْهُ ، وَحَدَّثَنِي عَنْهُ أَيْضًا عَنْ أَبِي عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي عَلِيٍّ : أَمَانَةُ اللَّهِ فِي عُنُقِكَ ، مَتَى عَثَرْتُ عَلَى اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ ، لَمْ أَذْكُرْهُ إِلَّا الْحَقَّةَ فِي كِتَابِي الَّذِي فِي الصَّحَابَةِ ^(١) .

غزوة الخندق :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْدَةَ ، وَأَسَدَ بْنَ سَعْدَةَ ^(٢) . وَأَسِيدَ بْنَ سَعْدَةَ وَهُمْ مِنْ بَنِي هَذَلٍ ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا .

(١) وَقِيلَ هِيَ أَنْصَارِيَّةٌ ، وَفِي الْإِصَابَةِ الْأَنْصَارِيَّةِ أَوْ الْأَسْلَحِيَّةِ ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ حَدِيثَهَا ، وَذَكَرَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ إِذَا مَرَّ بِعَدُوِّهِ عِنْدَهَا يَقُولُ : كَيْفَ أَمْسَيْتِ ، وَإِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ : كَيْفَ أَصْبَحْتِ . وَفِي الْإِصَابَةِ فِي حَرْفِ الْكَافِ : كَعْبَةُ بِنْتُ سَعْدِ الْأَسْلَحِيَّةِ وَقَدْ قَالَ عَنْهَا ابْنُ سَعْدٍ هِيَ الَّتِي كَانَتْ لَهَا خِيَمَةٌ فِي الْمَسْجِدِ . وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ : « فَضْرَبَ النَّبِيُّ ﷺ ، خِيَمَةَ فِي الْمَسْجِدِ ، لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ ، أَيْ لِيَعُودَ سَعْدٌ .

الكتاب على سَعْيَةٍ وَسُعْنَةٍ بالنون، وذكرنا الاختلاف في أَسِيدٍ وَأَسِيدٍ، وذكرناه
خبراً مجيباً لَزَيْدِ بْنِ سَعْيَةَ بالياء، ومن قال من النسابين هَذَا بكون الدال
في بنى هَذَا، فأغنى ذلك عن إعادته .

قتل المرتدة :

وأما حديث المرأة المقتولة من بنى قُرَيْظَةَ ، ففيها دليل لمن قال بقتل
الْمُرْتَدَّةِ من النساء ، أخذاً بعموم قوله عليه السلام : مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ ، فَاضْرِبُوا
عُنُقَهُ (١) . وفي هذا الحديث مع العموم قوة أخرى ، وهو تعليق الحكم بالهَلَّةِ ،
وهو التبديل والرَّدَّةُ ، ولا حُجَّةَ مع هذا لمن زعم من أهل العراق بأن
لَا تُقْتَلُ الْمَرْأَةُ لَهَيْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ، وللأختِجَاجِ
للفريقين ، وما نزل به كلٌّ واحد منهم موطن غير هذا .

الزبير بن باطا :

قُصِّلَ : وذكر حديث ثابت بن قيس مع الزَّيْبِرِ بن باطا ، وهو الزَّيْبِرُ

(١) في حديث رواه الجماعة إلا مسلماً : مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ . وقد علقه
صاحب الفتح عليه بقوله : واستدل به على قتل المرتدة كالمُرْتَدِّ . وعصه الخنفية
بالمذكر متمسكين بحديث النهي عن قتل النساء ، ولكن الجمهور يحمل النهي على
الذكورة الأصلية إذا لم تباشر القتال ، لقوله في بعض طرق الحديث النهي عن
قتل النساء لما رأى امرأة مقتولة : ما كانت هذه اثمناً ، ثم نهى عن قتل النساء .
واحتجوا بأن من الشرطية لا تعم المؤنث ، ونعمت بأن راوى الخبر هو
ابن عباس ، وقد قال بقتل المرتدة وقد قتل الصديق امرأة ارتدت في خلافته .
ولم ينكر عليه صحابى . أنظر ص ١٩٠ ج ٧ نيل الأوطار للشوكاني .

يفتح الزاي وكسر الباء جدُّ الزُّبير بن عبد الرحمن للذكور في الموطأ
في كتاب النكاح ، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن ، قيل : الزُّبير يفتح
الزاي وكسر الباء كاسم جده ، وقيل الزُّبير ، وهو قول البخاري في التاريخ .

وذكر فيه قول الزُّبير :

فأنا بصابر لله فتلة دلو ناضح

وقال ابن هشام : إنما هو قُبلة دلو بالقاء والباء ، وقابل الدلو هو
الذي يأخذها من المستقى ^(١) .

وذكر أبو عبيد الحديث في الأقوال على غير ما قاله جميعاً ، فقال :
قال الزُّبير : يا ثابت أُلحِقني بهم ، فلست صابراً عنهم إفراغة دلو .

الإنبيات اصل في معرفة البلوغ :

وذكر حديث عطية القرظي ، وهو جدُّ محمد بن كعب القرظي ، وذكر
أنه لم يكن أنبتَ قُترَكَ ، ففي هذا أن الإنبيات أصل في معرفة البلوغ إذا
جُهل الاختلام ، ولم تُعرف سنوؤه .

(١) يقول الحشني : الناضح : الحبل الذي يستخرج عليه الماء من البشر
بالسانية ، وأراد بقوله له : فتلة دلو ناضح : مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا
أخرجت فيصبها في الحوض يفلها أو يردّها إلى موضعها ، ومن رواء قبلة بالقاء
والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها في الحوض ، ثم يصرّفها ، وهذا
كله لا يكون إلا عن استعمال وسرعة من ٣٠٧ .

ملة مي :

وذكر حيي بن أخطب حين قُدِّمَ إلى القتل ، وعليه حُلَّةٌ فُتَّاحِيَّةٌ . الحلة :
إزارٌ ورداه ، وأصل تسميتها بهذا إذا كان الثوبان جديدين ، كما حُلَّ طيهما ،
ف قيل له : حُلَّةٌ لهذا ، ثم استمر عليه الاسم ، قاله الخطابي .

وقوله : فُتَّاحِيَّةٌ نُسبت إلى الفُتَّاح ، وهو الزَّحَرُ إذا انشَقَّتْ أَكِثُهُ ،
وأنْضَرَجَتْ بَرَاعِيْمُهُ ، وَتَفَقَّعَتْ أَخْيَمِيَّتُهُ ، فيقال له حينئذٍ فَتَّحَ وهو فُتَّاحٌ . والقنابيعُ
أَيْضاً في معنى البَرَاعِيمِ ، واحدها : قُنْبُومَةٌ ، وأما الفِقَّاعُ بالعين ^(١) فهو الْفَطْرُ ،
ويقال له أَيْضاً : آذَانُ الْكُفَّاءِ من كتاب النيات .

ويروى أَيْضاً : حُلَّةٌ شُقْحِيَّةٌ وهو سَنَحٌ ^(٢) الْبُشْرِ إذا تَلَوْن . قاله الخطابي .

ولكنه مَنْ يُخَذِّلُ اللَّهَ يُخَذَّلِ

بنصب المَاءِ من اسم الله ، وَيُصَحِّحُ هذه الرواية أن في الخبر قول النبي
صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ يُمْكِّنْ اللَّهُ مِنْكَ ؟ فقال : بَلَى ، ولقد قَدَقْتُ كُلَّ
مُقَلَّلٍ ، ولكن من يُخَذِّلُكَ يُخَذَّلِ ، فقوله : يُخَذِّلُكَ كقول الآخر
في البيت :

ولكنه مَنْ يُخَذِّلُ اللَّهَ يُخَذَّلِ

(١) في اللسان : المقع بكسر الهمزة وسكون الفاء وفتحها وسكون الفاء الأبيض الرخو
من الكدَّة وهو أردوها وجمعها على وزن فعلة بكسر الفاء وفتح العين مثل قرعة
(٢) في التميز خلل ، وهو يعني أن شقحية نسبة إلى شقحة التي جمعها شقق .
والشقحة : هي البسرة المتغيرة الحمرة . وسنح في الأصل : صوابها شقق .
(٢٢٢ — الروح الألف ج٢)

لأنه إنما نَظَّمَ في البيت كلام حُيٍّ .

سَلَمَى بنت أيوب :

وذكر حديثه عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي صفصة ،
والقيت في حاشية الشيخ ، قال : وقع في تاريخ البخاري أن أيوب نفسه هو
الخبر أن سَلَمَى بنت قيس هي : سَلَمَى بنت أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله
وهو الصحيح والله أعلم .

سَلَمَى بنت قيس :

وقوله عن سَلَمَى بنت قيس ، هي سَلَمَى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن
مالك بن عمرو بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .

تفسير أبيات قرآنية :

وقوله تعالى : ﴿ وَبَلَّتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ والقلب لا يَنْقَلِبُ من موضعه ،
ولو انقل إلى الخنجره لسات صاحبه ، والله سبحانه لا يقول إلا الحق ، ففي هذا
دليل على أن التكلم بالجواز على جهة المبالغة ، فهو حق إذا فهم المخاطب عنك ،
وهذا كقوله تعالى : ﴿ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ السكف : ٧٧ ، أي منه كثر
من يريد أن يَنْفَعِلَ الفعل ، ويهم به ، فهو من مجاز التشبيه ، وكذلك هؤلاء
مَثَلُهُمْ فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر كمثل المُنْخَلِج قلبه من
موضعه ، وقيل : هو على حذف المضاف ، تقديره : بلغ وجيف القلوب الحناجر
أما قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ لَبِثْنَا لَكُمْ الْحَنَاجِرَ ﴾ فلابد من الحناجر

لأنه في صفة حول القيامة، والأمر فيه أشد مما تقدّم ، لاسيّما وقد قال في أخرى : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً ﴾ إبراهيم : ٢٣ ، أي قد فارق القلب الفؤاد ، وبقي فارغاً هَوَاءً ، وفي هذا دليل على أَنَّ القلب غيرُ الفؤاد ، كأن الفؤاد هو غلاف القلب ، ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البين : أَلَيْنُ قُلُوبُكُمْ وَأَرْقُ أَفْنَدَةٌ ^(١) مع قوله تعالى : ﴿ قَوِيلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ الزمر : ٢٢ ولم يقل للقاسية أفندتهم ، والقسوة ضدّ اللين ، فتأمل .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ^(٢) اللَّهُ الْمُعْوَفِينَ مِنْكُمْ ﴾ الأحزاب : ١٨ أي المُخَذَّلِينَ لإخوانهم : قِيمُوا قَوْلَهُمْ بِالْمُخَذَّلِينَ عن الطاعة ، لقولهم : هَلُمَّ إِلَيْنَا نقول : عاقبوا الأمر عن كذا ، وعوّفني فلان عن كذا ، أي صرفني عنه .

وذكر الصياصي وأنها الحصون ، واستشهد بقول سحيم يصف سيلاً : وأصبحت النيرانُ صرعى ، وأصبحت نساءُ سحيم يبتدِرْنَ الصياصيا وألفت في حاشية الشيخ أبي بحر رحمه الله على هذا البيت : الصياصي : فَرُونَ النيران المذكورة فيه ، لامتورهم ابن هشام أنها الحصون والأطام . يقول : لما أهلك هذا السيلُ النيرانَ وعرفها أصبحت نساءُ سحيم يبتدِرْنَ أخذ قرونها ، لِيَتَسَجَّنَ بها الجُدُّ ، وهي الأَكِيَّةُ ، قال هذا يعقوب بن الأَصْمَعِيِّ . ويصحح هذا أنه لاحصون في بادية الأعراب . قال المؤلف : ويصحح

(١) جاء في حديث متفق عليه : دم أرق أفندة وألين قلوبا ،
(٢) دخلت قد هنا لتوكيد العلم ، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد ، ولأن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ، ولا في السماء .

هذا التفسير أيضاً رواية أحمد بن داود له ، فإنه أنشده في كتاب النبات له ، فقال فيه يَلْتَقِطْنَ الصِّيَاصِيَا^(١) ولم يقل : يتدرن ، وأنشد :

فَدَعَرْنَا سُخَمَ الصِّيَاصِي بِأَيْدِيهِنَّ نَضَحَ مِنَ الْكُحَيْلِ وَقَارُ
الْكُحَيْلِ : الْقَطْرُنُ ، والقارُ : الزُّفْتُ ، شَبَّهَ السَّوَادَ الَّذِي فِي أَيْدِيهِنَّ بِنَضَحِ
مِنْ ذَلِكَ الْكُحَيْلِ وَالْقَارِ ، يَصِفُ بَغْرَ وَحْشٍ ، وأنشد لِذُرَيْدِ بْنِ الْعُصَمَةِ :
كَوَقَعَ الصِّيَاصِي فِي الذَّيْجِ الْمَمْدَدِ

وحمله الْأَصْمَعِيُّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَ هَذَا مِنْ أَنَّهَا الْقُرُونُ الَّتِي
يَنْتَسِجُ بِهَا ، لَا أَنَّهَا شَوْكٌ كَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :

اهتزاز العرسه :

وذكر اهتزاز العرش ، وقد تكلم الناس في معناه ، وظنوا أنه مُشْكِلٌ ،
وقال بعضهم : الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشارِ بِقُدُومِ رُوحِهِ ، وقال بعضهم :
يريد حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، استبعاداً منهم ، لِأَنَّهُ يَهْتَزُّ الْعَرْشُ
عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَلَا يُعَدُّ فِيهِ ، لِأَنَّهُ تَخْلُوقٌ وَتَجُوزُ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ ، وَالْهَزَّةُ ،
وَلَا يُعَدَّلُ عَنْ ظَاهِرِ الْفَلْظِ ، مَا وَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ، وَحَدِيثُ اهْتَزَّ الْعَرْشُ
لَمُوتِ سَعْدِ بْنِ صَحِيحٌ . قَالَ أَبُو عُمَرَ : هُوَ ثَابِتٌ مِنْ طَرَفَيْنِ مُتَوَاتِرَةٍ ، وَمَا رَوَى
مِنْ قَوْلِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ فِي مَعْنَاهُ : أَنَّهُ سَرِيرٌ مُعْتَدٍ اهْتَزَّ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ
الْعُلَمَاءُ^(٢) ، وَقَالُوا : كَانَتْ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيِّثَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ ضَمَانٌ^(٣) . وَفِي لَفْظِ

(١) كَذَا أَنْشَدَهُ ابْنُ بَرِّي فِي الْفَسَانِ . وَقَالَ : يَلْتَقِطْنَ الْقُرُونُ لِيَنْسِجْنَ بِهَا .

(٢) قَالَ الْحَافِظُ : إِلَّا أَنَّ يَرَادُ اهْتَزَّازَ حِمْلَةِ سَرِيرِهِ فَرِحَا بِقُدُومِهِ ، فَيَتَجَبَّه

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

شعر ضرار

وقال ضرار بن الخطّاب بن مِرْدَاس ، أخو بني مُحَارِب بن فهر ، في يوم الخندق :

وَمُشْفِقَةٌ تَنْظُنُّ بَيْنَنَا الظَّنُونَا وَقَدْ كُنَّا عَرْنَدَسَةً طَحُونَا
كَانَ زُهَامُهَا أَحَدًا إِذَا مَا بَدَتْ أَرْكَائُهُ لِلنَّاطِرِينَا

الحديث: اهتز عرش الرحمن، رواه أبو الزُّبَيْر عن جابر يرفعه، ورواه البخاري من طريق الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر، منهم أبو سعيد الخدري، وأبيد بن حنبل، ورؤمينة بنت عمرو، ذكر ذلك الترمذي. والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنسكوا للعديث، وكرهيته للتحديث به مع صحبه نقله، وكثرة الرواة له، ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك والله أعلم^(١).

== [إنه كان بين هذين الحيين صفات من سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اهتز عرش الرحمن لموت سعد. والحيان: الأوس والخزرج، فقال ذلك جابر لإظهارا للحق واعترافا بالفضل لأهله فكأنه تعجب من البراء كيف قال ذلك مع أنه أومى، ثم قال: أنا وإن كنت خزرجيا، وكان بين الحيين ما كان لا أمتنع من قول الحق، وعذر البراء أنه فهم ذلك لا أنه قصد النض من حكاية سعد وقد ظن جابر أن البراء قصد النض من سعد فانتصره. فتح الباري، والمواهب ٢ ص ١٤٠.

(١) سبق الكلام عن هذا.

تَرَى الْأَبْدَانَ فِيهَا مُسْتَفِاتٍ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلَبِ الْحَصِينَا
وَجُرْدًا كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ نَوَّمَتْ بِهَا الْغَوَاةَ الْخَاطِئِينَ
كَأَنَّهُمْ إِذَا صَالُوا وَصَلْنَا بِيَابَ الْخَنْدَقِينَ مُصَافِحُونَ
أَنَاسَ لَا تَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا وَقَدْ قَالُوا أَلَسْنَا رَاغِبِينَ
فَأَخْجَرْنَا مِنْ شَهْرٍ كَرِيمٍ وَكُنَّا قَوْقِهِمْ كَالْقَاهِرِينَ
نُزَاوِحُهُمْ وَتَفْدُو كُلَّ يَوْمٍ عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مُدَجِّجِينَ
بِأَيْدِينَا صَوْرًا مُرَهَقَاتٍ نَقْدُ بِهَا التَّفَارِقَ وَالشُّوْنَا
كَأَنَّ وَمِیْضِينَ مُعْرَبَاتٍ إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مَصْلَتَيْنَا
وَمِیْضٌ عَمِيقٌ لَمَعَتْ بَلِيلٍ تَرَى فِيهَا الْقَعَائِقَ مُسْتَبِينَا
فَلَوْلَا خَنْدَقٌ كَانُوا لَدَيْهِ لَدَمَرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ
وَلَكِنْ حَالٌ دُونَهُمْ وَكَانُوا بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مَتَمِّمِينَ
فَإِنْ نَزَلَ فَإِنَّا قَدْ تَرَكْنَا لَدَى أَبْنَانِكُمْ سَعْدًا رَهِينَا
إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ سَمِعَتْ نَوْحِي عَلَى سَعْدٍ يُرَجِّعُنَ الْحَبِينَا
وَسَوْفَ تَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ كَمَا زُرْنَاكُمْ مُتَوَازِرِينَ
يَجْمَعُ مِنْ كِنَانَةٍ غَيْرِ عُزْلِ كَأَسَدِ الْغَابِ قَدْ تَحَتَّ الْقَرِينَا

كعب يرد على ضرار

فأجابه كعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، فقال :

وَسَائِلُهُ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا وَلَوْ شَهِدْتُ رَأَيْنَا صَابِرِينَ

حَبْرَنَا لَا تَرَى لِلَّهِ عَدْلًا عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَ
 وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ بِهِ تَمَلُّو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَ
 مُقَاتِلِ مَقْشَرًا ظَلَمُوا وَعَقُّوا وَكَانُوا بِالْمَدَاوَةِ مُرْصِدِينَ
 مُعَاجِلِهِمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا بِضَرْبٍ يُفْعِلُ الْمُنْشَرَعِينَ
 تَرَانَا فِي قَضَائِفٍ سَابِغَاتٍ كَفُذْرَانِ السَّلَا مُنْشَرَعِينَ
 وَفِي أَيْمَانِنَا بَيْضٌ خِفَافٌ يَهَا تَشْفِي مِرَاحَ الشَّاعِبِينَ
 بِيَابِ الْخُنْدَقِينَ كَانَ أَسَدًا شَوَائِكُهُنَّ يَحْمِيَنَّ الْعَرَبِينَ
 فَوَارِسَنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شُوسًا مُعَلِّمِينَ
 لِنَنْصُرَ أَحْمَدًا وَاللَّهُ حَقٌّ نَكُونُ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَ
 وَيَتَلَمَّ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا وَأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحْزِبِينَ
 بَانَ اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَإِنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ
 فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرُ الْقَادِرِينَ خَائِمًا تَقْتُلُوا سَمَدًا سَفَاهًا
 سَيُذْخِلُهُ جِنَانًا طَيِّبَاتٍ تَكُونُ مَقَامَةً لِلصَّالِحِينَ
 كَمَا قَدْ رَدَّكُمْ فَلَا شُرَيْدًا بِغَيْظِكُمْ خَزَايَا خَائِبِينَ
 خَزَايَا لَمْ تَدُلُّوا نَمَّ خَيْرًا وَكَذَّبْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَامِرِينَ
 يَرْبِجُ عَاصِفٌ هَبَّتْ عَلَيْهِمْ فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَدِّمِينَ

شعر ابن الزبير

وقال عبد الله بن الزبير السهمي ، في يوم الخندق :

حتى الدبار بما معارف رشمها طول البلى وتراوح الأخطاب
 فكأما كتب اليهود رؤسومها إلا الكنيف ومقعد الأطاب
 فقراً كأنك لم تكن تلهو بها في نعمة بأوانس أثراب
 فانرك تذكر مامضى من عيشة وبحلة خلق التقام يياب
 واذكر بلاد معاشر واشكرهم ساروا بأجمعهم من الأنصاب
 أنصاب مكة عامدين ليثرب في ذى غياطل جحفل جباب
 يدع الحزون مناهجاً معلومة في كل نشر ظاهر وشعاب
 فيها الحياض شواذب تجنوبة قُب البطون لواحق الأتراب
 من كل سلبية وأجر دسلب كالسيد بادر غفة الرقاب
 جيش عينة قاصد بلوانه فيه وصخر قائد الأحزاب
 قومان كالبدرين أصبح فيهما غيث الفقير ومنقل الهراب
 حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا للموت كل تجرب قضاب
 شهراً وعشراً قاهرين محمداً وصحابه في الحرب خير صحاب
 نادوا برخلهم صبيحة قلاتم كدنا نكون بها مع الخياب
 لولا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى لطي سغب وذئاب

حسان يرد على ابن الزبيرى.

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال:

هل رسم دارسة انقلام يباب مثلكم لحوار بحواب

قَفَر عَفَارِهِمُ السَّحَابُ رُسُومُهُ وَهَيُّوبُ كُلِّ مُطَلَّةٍ مِنْ بَابِ
وَلَقَدْ رَأَيْتَ بِهَا الْحُلُولَ يَزِينُهُمْ بَيْضُ الْوُجُوهِ نَوَاقِبُ الْأَحْسَابِ
فَدَعِ الدِّيَارَ وَذِكْرُ كُلِّ خَرِيدَةٍ بَيْضَاءُ آتَةِ الْحَدِيثِ كَعَابِ
وَاشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الْإِلَهِ وَمَا تَرَى مِنْ مَعْشَرٍ ظَلَمُوا الرَّسُولَ غَضَابِ
سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ وَالْبُؤَا أَهْلَ الْقُرَى وَبَوَادِي الْأَغْرَابِ
جَيْشٌ عُمَيْنَةٌ وَابْنُ حَرْبٍ فِيهِمْ مُتَحَمِّطُونَ بِحُلْبَةِ الْأَحْرَابِ
حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَجَمُوا قَتَلَ الرَّسُولَ وَمَنْعَمَ الْأَسْلَابِ
وَعَدُوا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ رَدُّوا بَغِيْظَهُمْ عَلَى الْأَعْقَابِ
بِهَيُّوبٍ مُعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ
فَكَفَى الْإِلَهِ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ وَأَنَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ نَوَابِ
مِنْ بَعْدِ مَا قَطَعُوا فَفَرَّقْ بَيْنَهُمْ تَنْزِيلُ نَصْرِ مَلِكِنَا الْوَهَّابِ
وَأَقْرَأَ عَيْنِ مُحَمَّدٍ وَصَحَابِهِ وَأَذَلَّ كُلِّ مُكَذِّبٍ مُرْتَابِ
عَانِي الْفُؤَادِ مَوْجِعِ ذِي رِيَّةٍ فِي الْكُفْرِ لَيْسَ بَطَاهِرِ الْأَثْوَابِ
عَنِ الشَّقَاءِ بَقْلَبِهِ ، فَتُؤَادُهُ فِي الْكُفْرِ آخِرُ هَذِهِ الْأَحْقَابِ

كعب يرد على ابن الزبير

وَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَيْضًا ، فَقَالَ :

أَبَقِيَ لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً مِنْ خَيْرِ نَحْلَةٍ رَبَّنَا الْوَهَّابِ
بَيْضَاءُ مُشْرِقَةِ الذَّرَى وَمَعَاظِنَا حُمِّ الْجُدُوعِ غَزِيرَةِ الْأَحْلَابِ

كاللُّوب يُبْذَلُ نَجْمُهَا وَخَفِيلُهَا
 وَتَزَانِمًا مِثْلَ السَّرَاحِ تَمَيُّ بِهَا
 عَرَى الشَّوَى مِنْهَا أُرْدَفَ تَحْمُضُهَا
 قَوْدًا تَرَّاحَ إِلَى الصَّيَاحِ إِذْ غَدَتْ
 وَتَحْوِطُ سَائِمَةُ الدَّيَّارِ وَتَلَارَةً
 حَوْشُ الْوُحُوشِ مَطَارَةً عِنْدَ الْوَاغَى
 عُلِفَتْ عَلَى دَعَا فَصَارَتْ مُبْدِنًا
 يَفْدُونُ بِالزَّغْفِ الْمُضَاعَفِ شَكَّهُ
 وَصَوَائِمِ نَزَعِ الصَّيَاقِلُ غَلْمَهَا
 يَصِلُ الْيَمِينَ بَمَارٍ مُتَقَارِبِ
 وَاعَزَّ أَرْزُقَ فِي الْقَنَاءِ كَأَنَّهُ
 وَكَتَيْبَةٍ يَنْفَى الْقِرَانَ قَدِيرُهَا
 جَاوَى مُلَمَلَمَةً كَانَ رَمَلُهَا
 يَأْوِي إِلَى ظِلِّ اللَّوَاءِ كَأَنَّهُ
 أَعْيَتْ أبا كَرِيبٍ وَأَعْيَتْ مُتَبَعًا
 وَمَوَاعِظَ مِنْ رَبَّنَا نُهُدَى بِهَا
 عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا
 حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بَزْعُمِهِمْ
 لَلْجَارِ وَابْنِ الْقَمِّ وَالْمُنْتَابِ
 عَلَفَ الشَّعِيرَ وَجِزَّةَ الْمَقْضَابِ
 جُرْدُ الْمُتُونِ وَسَائِرَ الْأَرَابِ
 فَمَلَّ الضُّرَاءَ تَرَّاحَ لِلْكَلَّابِ
 تَرُدَى الْعَمْدَا وَتَتُوبُ بِالْأَسْلَابِ
 عُثَسَ الْأَقَاءُ مُبِينَةَ الْإِنْجَابِ
 دُخَسَ الْبَضِيعِ خَفِيفَةَ الْأَقْصَابِ
 وَمُعْتَرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِيَابِ
 وَبِكَلِّ أَرْزُوعٍ مَاجِدِ الْأَنْسَابِ
 وَكَلَّتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَابِ
 فِي طُخْيَةِ الظُّلْمَاءِ ضَوْءُ شِهَابِ
 وَتَرَدَّدَ حَدٌّ قَوَّاحِ الدُّشَابِ
 فِي كُلِّ تَجْمَعَةٍ ضَرِيرَةٍ غَابِ
 فِي صَمْتَةٍ انْطَلَقَتْ فِيهِ عُقَابِ
 وَأَبَتْ بَسَائِكُهَا عَلَى الْأَغْرَابِ
 يَلْسَانُ أَوْهَرَ طَيِّبِ الْأَنْثَوَابِ
 مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
 حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ

جاءت سَخِيفَةٌ كَى مُغَالِبَ رَبِّهَا فَلَيُّفَاتَيْنِ مُغَالِبُ النَّالَابِ

قال ابن هشام : حدثني من أثنى به ، قال : حدثني عبد الملك بن يحيى بن عبيد بن عبد الله بن الزبير ، قال : لما قال كعب بن مالك :

جاءت سَخِيفَةٌ كَى مُغَالِبَ رَبِّهَا فَلَيُّفَاتَيْنِ مُغَالِبُ النَّالَابِ

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

مَنْ مَرَّةً ضَرَبَ يُنْمَعُ بِمَضِهِ	بَعْضًا كَمَعَمَّةِ الْأَبَاءِ الْمُحَرِّقِ
فَدِيَاتٍ مَأْسَدَةٍ تُسَنِّ سُوْفَهَا	بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جَزَعِ الْخَنْدَقِ
دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُغْلِبِينَ وَأَسْلَمُوا	مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ
فِي عُصْبَةٍ تَصْرَ الْإِلَهِ نَبِيَّهُ	يَهُيمُ وَكَانَ بَعِيدُهُ ذَا مَرْفِقِ
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ تَخْطُ فُضُولُهَا	كَالْتَمَى هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَفِّقِ
بَيَاضٍ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا	حَدَقَ الْجَنَادِ ذَاتَ شَكِّ مُوْتَقِ
جَدَلَاءُ يَخْفِزُهَا نَجَادُ مُهَنَّدِ	صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْنِقِ
تِلْكَ لَكُمْ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا	يَوْمَ الْهِبَاجِ وَكُلِّ سَاعَةِ مَصْدَقِ
نَصِلَ السُّيُوفُ إِذَا قُضِرْنَ بِخَطُونَا	قُدَمًا وَنُلْجِحُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ
فَتَرَى الْجُمُوحَ ضَاحِكًا هَامَانَهَا	بَلَّةَ الْأَكْفِ كَأَنَّمَا لَمْ تُخْلَقِ

تَنفَى الْجُمُوعَ كَفَصْدَرِ أَسِ الْمَشْرِقِ تَنفَى الْمَدَوَ بِفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ
وَنَمِدَ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مُقْلَصٍ وَزِدَ وَتَحْجُولِ التَّوَانِمِ أَبْلَقِ
تَرْدِي بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كَلَمَهُمْ عِنْدَ الْهَيَاجِ أَسْوَدَ طَلِّ مُلْتَقِ
صُدُقُ يُعَاطُونَ الْكُفَاةَ حُتُوفِهِمْ تَحْتَ الْعِمَاةِ بِالْوَشِيحِ الْمُرْهَقِ
أَمَرَ الْإِلَٰهَ بِرَبْطِهَا لَلْمَدَوَ فِي الْحَرْبِ إِنْ أَلْفَ خَيْرٌ مُوَقِّقِ
لَتَكُونَ غَظًّا لَلْمَدَوَ وَحِيطًا لِلدَّارِ إِنْ دَلَفَتْ خُيُولُ التَّرَقِّقِ
وَيُعِينُنَا اللَّهُ لِلْعَزِيزِ بِقُوَّةٍ مِنْهُ وَصِدْقِ الصَّبْرِ سَاعَةً تَلْتَقِي
وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ وَإِذَا دَعَا لِكَرْهِيهِ لَمْ نُسَبِّقِ
وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا وَمَتَى تَرَى الْحُلُومَاتِ فِيهَا نُعْنِقِ
مَنْ يَتَّبِعُ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ فِينَا مُطَاعُ الْأَمْرِ حَقٌّ مُصَدَّقِ
فَبِذَاكَ يَنْصَرُّنَا وَيُظْهِرُ عَزَّتَنَا وَيُصِيبُنَا مِنْ نَيْلِ ذَاكَ عِزِّ رَقِ
إِنَّ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ عَمْدًا كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنِ سَبِيلِ الْمَتَقِّ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ أَنشَدَنِي بَيْتَهُ :

تَلَسُّكُمْ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا

وَبَيْتُهُ :

مَنْ يَتَّبِعُ قَوْلَ النَّبِيِّ

أَبُو زَيْدٍ . وَأَنشَدَنِي :

تَنفَى الْجُمُوعَ كَرَأْسِ قُدْسٍ لِلْمَشْرِقِ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّوْا عَلَيْنَا وَرَامُوا دِينَنَا مَا نُؤَادِعُ
أَضَامِيهِمْ مِنْ قَيْسِ بْنِ عِيزَانَ أَصْفَقَتْ وَخِنْدَفٌ لَمْ يَذُرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعُ
يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَتَذُودُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَاهُ وَسَامِعُ
إِذَا غَابَطُونَا فِي مَقَامِ أَعَانِنَا عَلَى غَيْظِهِمْ تَصَرُّ مِنْ اللَّهِ وَاسِعُ
وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِينَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَامِعُ
هَدَانَا لِلدِّينِ الْخَلْقُ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلَّهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَاعُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

أَلَا أُنَبِّئُ قُرَيْشًا أَنْ سَلَمًا وَمَا بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْعِمَادِ
نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ مُدَرَّبَاتُ وَخُوصِ تَقَبَّتْ مِنْ عَهْدِ عَادِ
رَوَاكِدُ يَزْخَرُ الْعُرَارُ فِيهَا فَلَيْسَتْ بِالْجَاهِمِ وَلَا النَّادِ
كَانَ الْقَابَ وَالْبَزْدَى فِيهَا أَحْشَى إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ
وَلَمْ يَحْمَلْ تِجَارَتَنَا اشْتَرَا الْخَمِيرَ لِأَرْضِ دَوْسٍ أَوْ مُرَادِ
بِلَادٍ لَمْ تُتَرَّ إِلَّا لَكُنَّا نُبَالِدُ أَنْ نَشْطَعُ لِلْجِلَادِ
أَتَرْنَا سِكَّةَ الْأَنْبَاطِ فِيهَا فَلَمْ تَرْ مِثْلَهَا جَلَّاهَاتٍ وَادِ
قَصَرْنَا كُلَّ ذِي حُضِرٍ وَمُطُولِ عَلَى الْغَايَاتِ مُقْتَدِرِ جَوَادِ

أَجِيبُونَا إِلَى مَا نَحْتَدِيكُمْ مِنْ الْقَوْلِ الْمُبِينِ وَالشَّدَادِ
وَالْإِقَابِ بِمَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْهُ إِلَى شَطْرِ التَّدَادِ
نَضَبُكُمْ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبٍ وَكُلِّ طَيْرَةٍ خَفِقَتْ حَشَاهَا
وَكُلِّ مُقْلَسِ الْأَرَابِ نَهْدٍ خِيُولَ لَا نَضَاعُ إِذَا أُضِيعَتْ
يُنَازِعُنِ الْأَعْنَسَةَ مُضْغِيَاتٍ إِذَا قَالَتْ لَنَا الْفُذْرُ اسْتَعْدُوا
وَقُلْنَا لَنْ يُفَرِّجَ مَا لَقِينَا فَلَمْ تَرَ عُصْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا
أَشَدَّ بَالَةً مِنَّا إِذَا مَا إِذَا مَا نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا
قَذَفْنَا فِي السَّوَابِغِ كُلِّ صَفِيرٍ أَشْمَ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ
يُفْشِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَذَكِّي لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا
مِنْ الْقَوْلِ الْمُبِينِ وَالشَّدَادِ لَكُمْ مِنْهُ إِلَى شَطْرِ التَّدَادِ
وَكُلِّ مُقْلَسِ الْأَرَابِ نَهْدٍ خِيُولَ لَا نَضَاعُ إِذَا أُضِيعَتْ
يُنَازِعُنِ الْأَعْنَسَةَ مُضْغِيَاتٍ إِذَا قَالَتْ لَنَا الْفُذْرُ اسْتَعْدُوا
وَقُلْنَا لَنْ يُفَرِّجَ مَا لَقِينَا فَلَمْ تَرَ عُصْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا
أَشَدَّ بَالَةً مِنَّا إِذَا مَا إِذَا مَا نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا
قَذَفْنَا فِي السَّوَابِغِ كُلِّ صَفِيرٍ أَشْمَ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ
يُفْشِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَذَكِّي لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا

قال ابن هشام بيته:

قَعَرْنَا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وَطَوَّلَ

والبيت الذي يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشتم كأنه أسد عبوس

والبيت الذي يتلوه ، عن أبي زيد الأنصاري .

مسافع يبيكي عمرأ في شعره

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن مججع
يبيكي عمرو بن عبدود ، ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه :

عمرو بن عبد بن أول فارس جزع السداد وكان فارس يليل

تمنح الخلائق ماجد ذو مرقه يبغي القتال يشكر لم يفسكل

ولقد علمت حين ولوا عنكم أن ابن عبد فيهم لم يفسكل

حتى تكلفه الكفاة وكلهم يبغي مقاتله وليس بمؤتلى

ولقد تكلفت الأمانة فارسا محبوب سلع غير نكس أميل

نسل الزال على فارس غالب محبوب سلع ، كفته لم ينزل

فاذهب على فما ظفرت بمثله فخرأ ولا لاقيت مثل المفضل

نفسي الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت لم يجلحل

أعنى الذي جزع السداد ممره طلباً لتأثر معاشر لم يخلل

مُسافِعُ يُؤْتَبُ الْفُرْسَانُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَمْرٍو

وَقَالَ مُسَافِعٌ أَيْضًا يُؤْتَبُ فُرْسَانُ عَمْرٍو الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ، فَأَجَلُوا

عَنْهُ وَتَرَكُوهُ :

عَمْرٍو بْنُ عُبَيْدٍ وَالْجِيَادُ بِقُوْدِهَا خَيْلٌ تُقَادُ لَهُ وَخَيْلٌ تُنْعَلُ

أُجَلَّتْ فَوَارِسُهُ وَغَادِرُ رَهْطِهِ رُكْنًا عَظِيمًا كَانَ فِيهَا أَوَّلُ

عَجَبًا وَإِنْ أَعْجَبَ فَقَدْ أَبْصَرْتَهُ مَهْمَا تَسَوَّمُ عَلَى عَمْرٍأَ يَنْزِلُ

لَا تَبْعَدَنَّ فَقَدْ أَصَبْتُ بِقَتْلِهِ وَلَقِيتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَمْرًا يَشْتَلُ

وَهَيْبَةُ الْمَسْلُوبِ وَلَى مُذِيرًا عِنْدَ الْقِتَالِ خِفَافَةٌ أَنْ يُقْتَلُوا

وَضَرَارُ كَأَنَّ الْبَاسَ مِنْهُ مُحْضَرًا وَلَى كَمَا وَلَى اللَّيْمُ الْأَعْزَلُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَبِمَعْزُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُشْكِرُهَا لَهُ . وَقَوْلُهُ : « عَمْرٍأَ

يَنْزِلُ » عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

هَيْبَةُ يَيْكِي عَمْرٍأَ وَيَعْتَذِرُ مِنْ فِرَارِهِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ هَيْبَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ يَعْتَذِرُ مِنْ فِرَارِهِ ، وَيَيْكِي

عَمْرٍأَ ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَتَقْبِرِي مَا وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جُبْنًا وَلَا خِيفَةً الْقَتْلِ

وَلَكِنِّي قَلْبُتْ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ لَسْتِنِي غَنَاءَ إِنْ ضَرَبْتُ وَلَا تَبْلَى

وَقَفْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِي مَقْدَمًا صَدَدْتُ كَيْضَرِ غَامٍ هَزَبِ رَبِّ أَبِي شَبَلٍ

تَنَفَّى عَطْفَهُ عَنْ قَرْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَنَكَرًا وَفَدَمًا كَلَنَ ذَلِكَ مِنْ قَعْلَى
«فَلَا تَبْعِدَنَّ يَاعَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا وَحَقُّ لِحْصَنِ الْمَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلَى
وَلَا تَبْعِدَنَّ يَاعَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا فَقَدْ بَنَتْ عَمُودَ الشَّانِ مَا جِدَ الْأَصْلُ
«مَنْ لِي طَرَادِ الْخَلِيلِ تُفَدِّعُ بِالْقَفَا وَلَا تَفْخَرُ يَوْمًا عِنْدَ قَرَّةِ الْبُزْلِ
«هَذَا لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ نَزَارِهَا وَفَرَّجَهَا حَقًّا فَقَى غَيْرُ مَا وَغَلِ
«فَعَنْكَ عَلَى لَا أَرَى مِثْلَ مَوْقِفِ وَفَقْتُ عَلَى تَجْدِ الْمَقْدَمِ كَالْفَعْلِ
«فَمَا ظَنِّرْتُ كَمَا نَفَرًا بِمَنْسَلِهِ أَمِنْتُ بِهِ مَا عِشْتُ مِنْ زَلَّةِ النَّعْلِ

هيرة يبيكى عمرو أفي شمره

قال هيرة بن أبي وهب يبيكى عمرو بن عبد ود ، وبذكر قتل علي إياه :

لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا لَوْيَ بْنَ غَالِبٍ لِفَارِسُهَا عَمْرُو إِذَا نَابَ نَائِبُ
لِفَارِسُهَا عَمْرُو إِذَا مَا يَسُومُهُ عَلِيٌّ وَإِنَّ اللَّيْلَ لَا بَدَّ طَالِبُ
عَشِيَّةً يَدْعُوهُ عَلِيٌّ وَإِنَّهُ لِفَارِسُهَا إِذَا خَامَ عَشَّةُ الْكَائِبِ
حَيًّا لَهْفَ نَفْسِي إِنَّ عَمْرًا تَرَكْتُهُ يَبْتَزِبُ لَا زَالَتْ هُنَاكَ الْمَصَائِبُ

حسان يفتخرو بقتل عمرو

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود :

بَقِيَّتُكُمْ عَمْرُو أَبْجَنَاءُ بِالْقَنَا يَبْتَزِبُ تَخْصِي وَأُلْحَمَاءُ قَلِيلُ
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ وَنَحْنُ وَلَاةُ الْحَرْبِ حِينَ نَقُولُ

وَعَنْ قَتْلَانَاكُمْ بَبْدَرُ فَأَصْبَحَتْ مَعَاشِرُكُمْ فِي الْمَالِكِينَ تَبْجُوكَ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا في شأن عمرو بن عبد ود :

أَمْسَى الْفَتَى عَمْرُو بْنُ عَبْدِ بَبْتَعَى بِمَنْجُوبٍ يَثْرِبُ تَأْرَاهُ لَمْ يُنْظَرْ
فَقَدْ وَجِدْتَ سُيُوفَنَا مَشْهُورَةً وَلَقَدْ وَجِدْتَ حِيَادَنَا لَمْ تُقْصَرْ
وَلَقَدْ لَقِيتَ غَدَاةَ بَبْدَرٍ عُصْبَةً ضَرْبُوكَ ضَرْبَ بَاغِدٍ ضَرْبُ الْخُسْرِ
أَصْبَحْتَ لَا تُدْعَى لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ يَا عَمْرُو أَوْ لَجِيسٍ أَمْرٍ مُشْكِرٍ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

إِلَّا أَنْ يَنْفِخَ أَبَا هِدْمٍ رَسُولًا مُفْلَقًا لَهْ تَخْبُ بِهَا التَّطِيُّ
أَكُنْتُ وَلَيْكُمُ فِي كُلِّ كُرُوهِ وَغَيْرِي فِي الرِّخَاءِ هُوَ الْوَلِيُّ
وَمَنْكَ شَاهِدٌ لَقَدْ رَأَيْتُ رُفِيتُ لَهُ كَمَا احْتَمَلَ الصَّيِّ

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الدائلي ، ويروى

فيها آخرها :

كَتَبْتُ الْخَزْرَجِيَّ عَلَى يَدَيْهِ وَكُلَّ شِقَاءٍ تَفْسِي الْخَزْرَجِيَّ

وتروى أيضا لأبي أسامة الجشمي .

شعر حسان في يوم بنى قريظة وبكاء ابن معاذ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في يوم بنى قريظة يبكي سعد
ابن معاذ ويذكر حركته فيهم :

لقد سَجَمْتُ من دَمْعٍ عَيْنِي عِبْرَةً	وَحَقَّ لَعْنَتِي أَنْ تَقِيضَ هَلِي سَعْدُ
قَتِيلِ ثَوَى فِي مَعْرَكٍ فُجِعْتُ بِهِ	عُمُودٌ ذَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ
عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثَ جَنَّةٍ	مَعَ الشُّهَدَاءِ وَقَدْهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ
فَإِنْ تَكْ قَدْ وَدَعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا	وَأَمْسَيْتَ فِي غَبْرَاءِ مُظْلَمَةِ الْأَحَدِ
فَأَنْتَ الَّذِي يَأْسُدُ أَبْتُ بَشِيرٍ	كَرِيمٍ وَأَنْتَ أَبُوبِ السَّكَّارِمِ وَأَخُو الدُّرِّ
بِحُكْمِكَ فِي حَيِّ قُرَيْظَةَ بِالَّذِي	قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدِ
فَوَافِقِ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمَكَ فِيهِمْ	وَلَمْ تَهْفُ إِذْ كُنْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ
فَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأَلَى	شَرُّوا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَائِمِهَا الْخُلْدِ
فَنِعْصِمُ مَصِيرَ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا	إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

شعر حسان في بكاء ابن معاذ وغيره

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبكي سعد بن معاذ ، ورجالا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير :
أَلَا يَا ثَقُومِي هَلْ لِيَا حُمٍّ دَافِعٌ وَهَلْ مَامَضَى مِنْ صَالِحِ الْعِيْشِ رَاجِعٌ

تذكرت عُصْرًا فدمعتُ فتهافتُ بناتُ الخشى وانهلّ مني القدامعُ
 صَبَابَةٌ وَجَدِ ذِكْرُنِي أَحِبَّةً وَقَتْلِي مَعَى فِيهَا طَقِيلٌ وَرَافِعُ
 وَسَعْدًا فَاضْحُوا فِي الْجَنَانِ وَأَوْحَشَتْ مَنَازِلَهُمْ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بِلَاقِعُ
 وَقُوا يَوْمَ بَذْرِ الرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ ظِلَالُ السَّيَابِ وَالشُّيُوفُ اللُّوَامِعُ
 دَمًا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّهِ وَكَلَّمَهُمْ مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
 فَمَا نَسَكَلُوا حَتَّى تَوَلَّوْا جَاعَةً وَلَا يَنْقَطِعُ الْآجَالُ إِلَّا لِلْمَصَارِعِ
 لَأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شِفَاعَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّونَ شَافِعُ
 فَذَلِكَ يَأْخِزُ الْعِبَادَ بِلَاؤُنَا إِبَاجُنَا اللَّهُ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ
 لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَقْنَا لَأَوْلُنَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ
 وَنَسَلْنَا أَنْ ذَلِكَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَأَنْ قَضَاءُ اللَّهِ لَا بَدَّ وَاقِعُ

شعر آخر لحسان في يوم بني قريظة

وقال حسان بن ثابت أيضًا في يوم بني قريظة :

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةً مَاسَاها وَمَا وَجَدْتُ لِدُلٍّ مِنْ نَصِيرِ
 أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّصِيرِ
 غَدَاةً أَنَا هُمْ يَهْوَى إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ كَالْقَمَرِ الدَّانِيرِ
 لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى بِفُرْسَانٍ عَلَيْهَا كَالصَّقُورِ
 تَرَكْنَاهُمْ وَمَا ظَفَرُوا بِشَيْءٍ دِمَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ كَالْفَسْدِيرِ
 فَمَنْ مَرَّ عَى تَحْمُومِ الطَّيْرِ فِيهِمْ كَذَلِكَ يُدَانُ ذُو الْعَنْدِ الْفَجُورِ

فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا تَنْصَحًا قُرَيْشًا مِنْ الرِّحْنِ إِنْ قَبِلْتَ تَنْذِيرِي

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ :

أَقْدَ أَقِيَّتْ قُرَيْظَةُ مَا سَاَهَا وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذَلَّ ذَايِلُ
وَسَعْدُ كَانَ أَنْذَرَهُمْ يَنْصَحُ بَانَ إِلَهُكُمْ رَبَّ جَلِيلِ
فَمَا بَرَحُوا يَنْقُضِ الْعَهْدَ حَتَّى قَلَامٍ فِي بِلَادِهِمُ الرُّسُولُ
أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِثْلًا صُفُوفٍ لَهُ مِنْ حَرٍّ وَقَعْتَهُمْ صَالِيلِ

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا فِي يَوْمِ بَنِي قُرَيْظَةَ :

تَفَاقَدَ مَعَشَرُهُ نَصَرُوا قُرَيْشًا وَلَيْسَ لَهُمْ يَبْلَدُهُمْ نَصِيرُ
مُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ فَضَيَعُوهُ وَهُمْ عَنَى مِنَ التَّوْرَةِ بُورُ
كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أَنْتُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي قَالَ النَّذِيرُ
فَهَانَ عَلَى سَرَاتِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُورَةِ مُنْتَظِيرُ

شِعْرُ أَبِي سَفْيَانَ فِي الرَّدِّ عَلَى حَسَّانَ

فَأَجَابَهُ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، قَالَ :

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ وَحَرَّقَ فِي طَرَاةِهَا السَّمِيرُ
سَمَعْلَمَ أَيْنَا مِنْهَا بَنَزَهُ وَتَعْلَمَ أَيْ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ
فَلَوْ كَانَ التَّخِيلُ بِهَا رِكَابًا لَقَالُوا لَا مَقَامَ لَكُمْ فَصِيرُوا

.....

شعر ابن جوال في الرد على حسان

وأجابه جَبَلُ بنِ جَوَّالِ التَّمْلِي أَيْضاً ، وبكى النَضِيرُ وقُرَيْظَةُ ، قَالَ :

أَلَا يَا سَمْدُ سَمْدَ بنِ مُعَاذٍ	لَمَّا لَقِيتَ قُرَيْظَةَ وَالنَضِيرُ
تَمَرِّكَ إِنَّ سَمْدَ بنِ مُعَاذٍ	غَدَاةً تَحْمَلُوا لَهُو الضُّبُورُ
فَأَمَّا أَخْزَرَجِي أَبُو حُبَابٍ	فَقَالَ لَمَقِينُفَاعٍ لَا تَسِيرَا
وَبَدَلَتِ الْمَوَالِي مِنْ حَضِيرٍ	أَسِيداً وَالِدَوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
وَأَقْفَرَتِ الْبُؤَيْرَةُ مِنْ سَلَامٍ	وَسَيْغِيَةِ وَابْنِ أَخْطَبٍ فَهِيَ بُورُ
وَقَدْ كَانُوا بَيْسَلَدَتِهِمْ نَقَالَا	كَأَنَّكَ تَمُوتُ بِمَيْطَانِ الضُّخُورِ
فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو حَكَمٍ سَلَامٍ	فَلَا رَثُ السَّلَاحِ وَلَا دَنُورُ
وَكُلَّ الْكَاهِنِينَ وَكَانَ فِيهِمْ	مَعَ الْآلِينَ الْخَضَارِمَةُ الضُّفُورُ
يُوجِدُنَا الْمَجْدُ قَدْ كَبَتُوا عَلَيْهِ	يَمَجِّدُ لَا تَقِيهِمُ الْبُدُورُ
أَقِيمُوا بِاسْرَافَةِ الْأَوْسِ فِيهَا	كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَخْرَافَةِ عُورُ
تَرَكَتُمْ قِذْرَكُمْ لَا بُدَّ فِيهَا	وَقَدَّرَ الْقَوْمُ حَامِيَةً تَفُورُ

مقتل سلام بن أبي الحقيق

الخزرج يستأذنون في قتل ابن أبي الحقيق

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَمَّا امْقَضَى شَأْنُ الْخَنْدُقِ ، وَأَمْرُ بنِ قُرَيْظَةَ ، وَكَانَ سَلَامُ بنُ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَهُوَ أَبُو رَافِعٍ فِيمِنْ حَزْبِ الْأَحْزَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف ،
 بنى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ،
 فأذن لهم .

التنافس بين الأوس والخزرج في عمل الخير

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبدا
 ابن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن
 هذين الحيين من الأنصار والأوس ، والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم غناه إلا قالت الخزرج : والله لا نذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقموا مثلها ؛ وإذا
 فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا نذهبون بها فضلا علينا أبدا ؛ قال :
 فتذكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟
 فذكروا ابن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في قتله ، فأذن لهم .

قصة الذين أخرجوا لقتل ابن أبي الحقيق

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ،
ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الخارث بن ربيعة ،
وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ،
فخرجوا حتى إذا قدموا خير ، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا
شيئاً في النار إلا أغلقوه على أهلها . قال : وكان في عشيته له إليها عجة قال :
فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ،
فقال : من أنتم ؟ قالوا : ناس من العرب نلتس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ،
فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجر ، تخوفاً
أن تكون دونه مجاورة تتحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنوّهت
بنا وابتدّرناه ، وهو على فراشه بأسياقنا ، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل
إلا بياضه كأنه قنطرة معلقة . قال : ولما صاحبت بنا امرأته ، جعل الرجل منا
يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسكت يده ،
ولولا ذلك لفرغنا منها بئيل . قال : فلما ضربناه بأسياقنا تحامل عليه عبد الله
ابن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذته ، وهو يقول : قطني قطني : أي
حسبي حسبي . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيئ البصر ،
قل : فوقع من الدرجة فوثبت يده وثماً شديداً - ويقال : رجله . فيما قال
ابن هشام - وحملناه حتى نأى به منبراً من عيونهم ، فدخل فيه . قال :

فَأَوْقَدُوا النَّيرانَ ، وَاشْتَدَّوا فِي كُلِّ وَجْهِ يَطْلُبُونَنَا ، قَالَ : حَتَّى إِذَا بَشَرُوا
رَجَعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ ، فَاسْتَنْفَوْهُ وَهُوَ يَقْضَى بَيْنَهُمْ . قَالَ : قَتَلْنَا : كَيْفَ لَنَا
بِأَنْ نَعْلَمَ بِأَنْ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ مَاتَ ؟ قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَّا : أَنَا أَذْهَبُ فَأَنْظُرُ لَكُمْ ،
فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ فِي النَّاسِ . قَالَ : فَوَجَدْتُ أَسْرَافَتَهُ وَرِجَالَ يَهُودٍ حَوْلَهُ وَفِيهِ
يَدُهَا الْمَصْبُوحُ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ ، وَتَحْدِثُهُمْ وَتَقُولُ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ
ابْنِ عَتِيكَ ، ثُمَّ أَكْذَبْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ : أَنَّى ابْنُ عَتِيكَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ؟ ثُمَّ أَقْبَلْتُ
عَلَيْهِ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَتْ : فَاظْ وَلِلَّهِ يَهُودٌ ، فَمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلِمَةٍ كَانَتْ أَلَدًا إِلَى
نَفْسِي مِنْهَا . قَالَ : ثُمَّ جَاءَنَا الْخَبَرُ فَاحْتَمَلْنَا صَاحِبِنَا فَقَدَمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ ، وَاخْتِلَافِنَا عِنْدَهُ فِي قَتْلِهِ ، كُلُّنَا يَدَّعِيهِ .
قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ ، قَالَ : فَجُمْنَاهُ بَهَا ،
فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَسِيفُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ : هَذَا قَتْلُهُ ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الصَّامِ .

شعر حسان في قتل ابن الأشرف وابن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن
الأشرف ، وقتل سلام بن أبي الحقيق :

لِللَّهِ دَرٌّ عَصَابِيَّةٌ لَا قِيَمَتَهُم	يَا بْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بْنَ الْأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ اخْتِافًا إِلَيْنَا	مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرَبٍ مُغْرَفٍ
حَتَّى أَنْزَلْنَاكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ	فَسَقَوْكُمْ حَتْفًا بَيْضَ دُفٍّ
مُسْتَنْبَهْرِينَ لِنَعْرِ دِينَ نَبِيِّهِمْ	مُسْتَصْفَرِينَ لِكُلِّ أَمِيرٍ مُجْجِفٍ

قال ابن هشام : قوله : « دُفٍّ » ، عن غير ابن إسحاق .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

عمرو وصحبه عند النجاشي

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال : حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جئت رجالاً من قريش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يملأ الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيت أمراً ، فاسترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن تلحق بالنجاشي فتكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فلما أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ؛ وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعو لنا ما نهديه لله ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم . فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل ، ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت

ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فوجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت إلى من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا ؛ قال : ثم قرّبه إليه ، فأعجبه واشتراه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطني لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : ففضب ، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تسكره هذا ما سألتك به ؛ قال : أنساني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ليقتله ! قال : قالت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلّ الحق ، وليظننّ على من خالفه ، كذا ظهر موسى على فرعون وجنوده ؛ قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته : على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكنمت أصحابي إسلامي .

اجتماع عمرو مع خالد في الطريق

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم ، فحتى

متى ؛ قال : قلت : والله ما جئتُ إلا لأسلم . قال : فقد منّا للدينونة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ ، فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يُفقر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام يحبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تحبُّ ما كان قبلها ؛ قل : فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يحثُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تحثُّ ما كان قبلها .

إسلام ابن طلحة

قال ابن إسحاق ، وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، كان معهما ، حين أسلما .

شعر ابن الزبيري في إسلام ابن طلحة وخالد

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبيري السهمي :

أُنشِدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ حَلَفْنَا وَمُنَى نِمالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبِلِ
وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ حِلْفِهِ وَمَا خَالِدٍ مِنْ مِثْلِهَا بِمُحْدِلِ
أَمِفْتَاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبَتَّنِي وَمَا يُبْتَغَى مِنْ تَجْدِ بَيْتٍ مُؤَثَّلِ
فَلَا نَأْمَنُ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانُ جَاءَ بِاللَّهِيمِ الْمُعْضَلِ

وكان فتح بن قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون .

غزوة بني لحيان

« بسم الله الرحمن الرحيم » قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفرًا وشهر ربيع ، وخرج في مجادى الأولى على رأس ستّة أشهر من فتح قريظة . إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع : خبيب بن عدي وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة .

فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فملك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على محيص ، ثم على التّراء ، ثم صفق ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صخيرات الأيام ، ثم استقام به الطريق على الحجة من طريق مكة ، فأغذ السير سريعاً ، حتى نزل على غران ، وهي منازل بني لحيان ، وغران وادي بين آتب وعُصفان ، إلى بلد يقال له : سابة ، فوجدوا قد حذروا وتمنعوا في رمس الجبال . فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غرتهم ما أراد ، قال : لو أنا هبطنا عُصفان لراى أهل مكة أننا قد جئنا مكة ، فخرج بنى مثني راكب من أصحابه حتى نزل عُصفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى يلقوا كراع الغميم ، ثم كر وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول :
حين وجه راجعاً : آيئون نائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من
وَعناء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء النظر في الأهل والئال .

والحديث في غزوة بني لحيان ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن
أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك في غزوة
بني لحيان .

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عصباً في دارهم ذات مصدق
لقوا سراعاً ناعلاً التراب روعه أمام طحون كالمجرقة فيسقى
ولكنهم كانوا وباراً تنبعت شعاب حجاز غير ذى متنفق

فصل في أشعار يوم الخندق

شعر ضرار

ذكر فيها شعر ضرار بن الخطاب :

على الأبطال واليَلَب الحَصِينَا .

اليَلَب : الترس ، وقيل : الدرع ، وقيل : بيضات ودروع^(١) كانت
تُخذ من جلود الإبل ، ويشهد لهذا قول حبيب :

(١) ترسة جمع ترس وكل ما سبق من أدوات الحرب من أول الترس .

هذه الأسنّة والمآذِي^(١) قد كثُرَا فلا الصَّيَامِي لما قَدَّرَ ولا الَيْلَبُ
أى لا حَاجَةَ بعد وُجُود الدُّرُوعِ المآذِيَّةِ إِلَى الَيْلَبِ ، وبعد الأسنّةِ إلى
الصَّيَامِي ، وهى القُرُونُ ، وكانت أَسَنَّهُمْ مِنْهَا فى الجَاهِلِيَّةِ^(٢) . قال الشاعر :
يَهْزِهُزُ صَفْدَةٌ جَرْدَاءُ فِيهَا نَقِيعُ النَّسَمِ أَوْ قَرْنٌ مَحِيقُ
شعر كعب :

وذكر فى شعر كعب :
فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّمِينَ

متفلمين من السَّكَمِ وهو العَمَى ، والأظهر فى الأَكَمَةِ أنه الذى يولد
أعمى ، وقد قيل فيه : إنه الذى لا يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ شَيْئًا ، ذكر هذا القول البخارى
فى التفسير .

من شعر مناره مول أسماء الله :

وفيه قوله :

وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ

فيه شاهدان زَعَمَ أَنَّ السَّيِّدَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ، وقد كره أكثرُ

(١) السلاح كله من الحديد .

(٢) فى اللسان : وربما كانت تتركب فى الرماح مكان الاسنة .

العلماء أن يقال في الدعاء : يَا سَيِّدِي ، وأجازه بعضهم ، واحتج بحديث ليس
إسناده بالقوي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له رجل : يَا سَيِّد ، فقال :
السَّيِّدُ الله .

وأما مذهب القاضى فى مثل هذا من الأسماء التى يراد بها المدح والتمظيم
فقد كره الله به جائز ما لم يرد نهى عنه ، أو يُجميعُ الأُمَّةُ على ترك الدعاء به ،
كما أجمعوا ألا يستُعى بفقير ، ولا عاقل ولا سخي ، وإن كان فى ذلك مدح .

قال المؤلف : والذى أقول فى السيد : إنه اسمٌ يُقتَبَرُ بالإضافة ، لأنه فى أصل
الوضع بمضٍ ما أضيف إليه . تقول : فلان سَيِّدٌ قيسٍ ، إذا كان واحداً منهم ،
ولا يقال : فى قيسٍ هو سَيِّدٌ تميمٍ ، لأنه ليس واحداً منهم ، فكذلك لا يقال
فى الله تعالى هو سَيِّدُ الناس ، ولا سَيِّدُ الملائكة ، وإنما يقال : رَبُّهم فإذا
قلت : سَيِّدُ الأرباب ، وسَيِّدُ الكرماء ، جاز ، لأن معناه أكرمُ الكرماء ،
وأعظمُ الأرباب ، ثم يُشْتَقُّ له من اسم الربِّ فيوصفُ بالربوبية ولا يوصفُ
بالشؤدد ، لأنه ليس باسم له على الإطلاق ، وقد جاء فى شعرِ حسان الذى
يرثى به رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا ذا الجلالِ وذا العلا والشؤددِ

يصف الرب ، ولكن لا تقوم الحجة فى إطلاق هذه الأسماء إلا أن يسمَّعها
الرسول عليه السلام فلا يُفَكِّرُها ، كما سمَّع شعرَ كعب ، فلم يُفَكِّرْه ، وإنما

يوصف على الوجه الذي قدمناه ، وعلى المعنى الذي بيناه ^(١) .

من سحر كعب :

وفول كعب :

بَيْضَاءُ مُشْرِقَةِ الذَّرَى وَمَعَاظِنَا

(١) هذا كلام له وزنه العظيم . ومن أبدع وأجاد في هذا الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد ما قرأ ما كتبه في ص ١٦٤ - ١ بدائع الفوائد ، وما قاله : اختلاف النظر في الأسماء التي تطلق على الله وعلى العباد . كالحي والسميع والبصير والعليم والقدير والملك ونحوها ، فقالت طائفة من المتكلمين : هي حقيقة في العبد مجاز في الرب . وهذا قول غلاة الجهمية وهو أخبث الأقوال ، وأشدّها فسادا .
والثاني مقابله : وهو أنها حقيقة في الرب مجاز في العبد ، وهو قول أبي العباس الناشي .

والثالث : أنها حقيقة فيهما ، وهذا قول أهل السنة وهو الصواب ، واختلاف الحقيقة فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما ، والرب تعالى منها ما يليق بهجلاه ، والعبد منها ما يليق به ، ص ١٦٤ . ثم يقول : وله من كل صفة كال أحسن اسم وأكمل وأتم معنى وأبعده وأزهره عن شائبة عيب أو نقص ، فله من صفة الإدراكات : العليم الخبير دون العاقل الفقيه ، والسميع والبصير دون السامع والباصر والناظر ، ومن صفات الإحسان : البر الرحيم الودود دون الرفيق والشفوق ونحوهما ، وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف ، وكذلك الكريم دون السخي . والخالق الباري المصور دون الفاعل الصانع المشكل . والغفور العفو دون الصفوح السائر . وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملها وأحسنها ، وما لا يقوم غيره مقامه . فتأمل ذلك . فأسأله أحسن الأسماء . كما أن صفاته أكمل الصفات . فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره . كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه . ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون والمضطرون ، أنظر صفحتي ١٦٤ ، ١٦٨ من المصلي المذكور .

(م ٢٤ - الروض الأثف ج ٦)

يعنى : الأطام ، وقوله : معاطنا يعنى : منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الإبل ، وهى مباركها عند الماء .

وقوله : حُمَّ الجذوع ، وصفها بالحمة ، وهى السواد ، لأنها تضرب إلى السواد ، من الخضرة والنعمة ، وشبه ما يجتنى منها بالحلب : فقال : غزيرة الأحلاب .

وقوله : كاللوب ، اللوب : جمع لوبة ، واللأب : جمع لابة وهى الحرة ، يقال ما بين لابتينها مثل فلان ، ولا يقال ذلك فى كل بلد ، فقد قل شبيب بن شبيبة لرجل نسه إلى التصحيف فى حديث السقط : إنه يظل محبطينا على باب الجنة ، فقال له : شبيب : بالطاء منقوطة ، فقال الرجل : أخطأت ، إنما هو بالطاء . قال الراجز :

إني إذا^(١) استنشدت لا أخبئنى ولا أحب كفرة التمهطى

فقال له شبيب : أتمدخنى وما بين لابتينها أفصح منى ، فقال له الرجل : وهذه لحنة أخرى ، أو للبصرة لا بتان ؟ ! إنما اللابتان للدينة والكوفة .

(١) فى اللسان غير منسوب : أنشدت ومحبطة . بالهمز وتركه : المتعذب المستبطى . الشئ . وقيل : هو الممتع امتناع طلبه لا امتناع إباء . والنهاية لابن الأثير . وفى اللسان أن الحرة أعظم من اللوبة . ويرى سيويه أن اللوب جمع لابة مثل قارة وقور . ومثلها ساج وسوح .

وقوله : يُبَذَّلُ بَجْهٍ وَحَفِيلُهُ ، أى : السكثير منها ، والهُ مُتَابُ : الزائر مُفْتَعِلٌ
من نَابَ يَنْوُبُ إذا أَلَمَّ .

وقوله : وَنَزَائِعًا مِثْلَ السَّرَاجِ ، يعنى : الخيل العربية ، التى نَزَعَتْ
من الأعداء .

وقوله : مِثْلَ السَّرَاجِ بِالْجِيمِ ، كذا وقع فى الأصل ، أى كل واحد منها
كالسراج ، ووقع فى الحاشية بالخاء ، وفسره فقال : جمع سَرَحَانٍ ، وهو
الدُّنْبُ ، وهذا الجمع إنما جاز على تقدير حذف الزائدين من الاسم وهى الألف
والنون ، ولو جمعه على لفظه ، لقال : سَرَاحِين .

وقوله : وَجِزَّةُ الْمُقْضَابِ الْمُقْضَابُ : مَزْرَعَةٌ ، وَجِزَّتُهَا مَا يُحْزَرُ مِنْهَا لِلْخَيْلِ .
وقوله غرَى الشَّوَى مِنْهَا ، يعنى القوائم . والنَّحْضُ : اللحم . والآراب : المفاصل ،
واحدُهما إِرْبٌ ، وفى الحديث أُمِرْتُ أَنْ أُسْجِدَ عَلَى سَبْعَةِ آرَابٍ .

وقوله : قودًا ، أى طوال الأعناق ، والضراء : الكلاب الضارية ، وفى
الحديث : إِنْ قَبِلَ ضِرَّاهُ اللَّهِ فى الأرض ، أى أَسَدُهُ الضَّارِيَةُ . والكلاب :
جمع كَالِبٍ ، وهو صاحب الكلاب ، الذى يصيدها .

وقوله : عُمُسُ اللِّقَاءِ : جمع عُمُوس .

وقوله : دُخَسَ البَضِيعُ . البَضِيعُ : اللَّحْمُ المستطيل ، والدُّخِيسُ من اللحم :
السكثير .

وقوله : خَفِيفَةُ الْأَقْصَابِ ، يعنى : تتجمع قُصَبٌ وهو اليمى .

الجزَّار قَصَابًا ، وقوله يَنْدُون بِالزَّغْفِ ، أى : بالدروع .

وقوله : شَكَّهُ : حَلَقَهُ وَنَسَجَهُ ، وقوله :

وَبُمُتْرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِبَابٍ

الْمُتْرَصَاتُ : الْمُحْكَمَةُ ، يعنى الرماح الْمُتَقَفَّةُ .

وقوله : تَزَعِ الصَّيَاقِلُ عَلَيْهَا ، أى : جُسَّاتُهَا وَخُشُونَةُ دَرَّتُهَا ، يقال

عَلِبَ اللَّحْمُ إِذَا لَمْ يَكُن رَخَصًا ، وَعَلِبَ^(١) النَّبَاتُ إِذَا جَبَأَ .

وقوله : بَمَارٍ مُتَقَارِبٍ . الْمَارِئُ : اللَّابِئُ ، وَوَقِيعَتُهُ : صَقْلُهُ ، وَخَبَابُ :

لِاسْمِ صَيْقَلٍ .

وقوله : وَأَغْرَ أَرْزَقٍ ، يعنى الرمح ، وَطُخْيَةُ الظَّلَاءِ ، أى : شِدَّتُهَا ،

وَطُخَاةُ الْقَلْبِ : ظُلُمَتُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّهْرِ جَلٍ : إِنَّهُ يَذْهَبُ

يَطْلُخُهُ الْقَلْبُ .

وقول كعب :

جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تَغَالِبَ رَهًا

كَانَ هَذَا الْاسْمُ مِمَّا سُمِّيَتْ بِهِ قُرَيْشٌ قَدِيمًا ، ذَكَرُوا أَنَّ قُصَيًّا كَانَ إِذَا

(١) هى فى نسخ أخرى بالذین وقد فسرهما أبو ذر بقوله : عليها : خشونتها
وما علا عليها من الصدأ . وليس فى اللسان ما قال . وإنما فيه مادة علب
ومعناها كما قال السبيل .

ذُبِحَتْ ذَبِيحَةً أَوْ نُحِرَتْ نَحِيرَةً بِمَكَّةَ أَيْ بَعَجُزِهَا ، فَصَنَعَ مِنْهُ خَزِيرَةً ، وَهُوَ
لَحْمٌ يُطَبِّخُ بِبُرٍّ فَيُطْعِمُهُ النَّاسَ ، فَسَمِيَتْ قُرَيْشٌ بِهَا سَخِينَةً . وَقِيلَ : إِنْ الْعَرَبُ
كَانُوا إِذَا أَسْنَدُوا أَاكَلُوا الْعَمَامِرَ ، وَهُوَ الْوَبَرُ وَاللَّحْمُ ، وَتَاكَلُ قُرَيْشُ
الْخَزِيرَةَ وَالْفُحْفُ (١) فَفَنَسَتْ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَلَمْ يَوْمُوا : سَخِينَةً ، وَلَمْ تَكُنْ قُرَيْشُ
تَسْكُرُهُ هَذَا اللَّقَبُ ، وَلَوْ كَرِهَتْهُ مَا اسْتَجَازَ كَتَبُ أَنْ يَذْكُرَهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهُمْ ، وَاتْرَكَهُ أَدَبًا مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ كَانَ
قُرَيْشِيًّا ، وَاقْدِرْ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْثُوانٍ مَا قَالَهُ الْهُوَ لَزِي فِي قُرَيْشٍ :

بِأَشَدِّ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا لَيْلُ وَالْحَرَمُ (٢)

فَقَالَ : مَا زَادَ هَذَا عَلَى أَنْ اسْتَنْتَنِي ، وَلَمْ يَكْرَمْ سَمَاعَ التَّلَقُّيبِ بِسَخِينَةٍ ،
فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ لَمْ يَكُنْ مَكْرُوهًا عَنْدهُمْ ، وَلَا كَانَ فِيهِ تَقْيِيدٌ لِحَمِّ
بَشَرٍ يَكْرَهُ .

سَمِعْتُ أَمْرًا لِكُتُبِ : سَمِعْتُ أَمْرًا لِكُتُبِ :

وَفِي شِعْرِ كُتُبِ أَيْضًا : مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ رَمْعٍ بِطَبْعِ الْعَمَمَةِ : صَوْتُ
النَّارِ فِيمَا عَظُمَ وَكَثُفَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْقَصَبَاءِ وَمَحْوَرِهَا ، وَالْكَتَاخِيَّةُ صَوْتُهَا

(١) الْفَتْة : الْفَكْلَةُ مِنَ التَّمْرِ .

(٢) قَالَهُ خَدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ الْعَامَرِيُّ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ بْنِ رَبِيعَةَ
ابْنِ عَامِرٍ بْنِ صَمْعَةَ الْعَامَرِيَّ ، شَهِدَ حَاضِرًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ شِعْرٌ مِنْهُ
هَذَا الْبَيْتُ وَالْإِصَابَةُ رَقْمُ ٢٣٢٣ ، وَقِيلَ : قَالَهَا فِي حَرْبِ الْفَجَارِ كَمَا فِي الْأَغَانِي
أَنْظُرْ ص ١٨ وَ ١٩ - ٣ الْبَيَانُ وَالتَّيْسِينَ الْبَاحِظُ .

فَمَا دَقَّ كَالسَّرَاجِ وَنَحْوَهُ ، وَالْقَطْمَطَةُ : صَوْتُ الْغَلِيَانِ ، وَكَذَلِكَ الْفَرَّغَةُ
وَالْجُمُجَةُ صَوْتُ الرِّيحِ ، وَالذَّرْدَبَةُ صَوْتُ الطَّبْلِ .

وقوله : الْآيَاءُ ، هُوَ الْقَصَبُ وَاحِدَتُهَا آيَاءَةٌ ، وَهَذِهِ الْأَخْرَةُ فِيهَا بَدَلٌ مِنْ
يَاءٍ ، قَالَ ابْنُ جَنَى ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْآيَاءَةِ ، كَأَنَّ الْقَصَبَ يَأْبَى عَلَى مَنْ أَرَادَهُ بِمَضْغٍ
أَوْ نَحْوِهِ ، وَيَشْهَدُ لِمَا قَالَ ابْنُ جَنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ [بَشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ] :
يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ وَتَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِيَاءَةُ ^(١)

وقوله : فُلَيَّاتٌ مَأْسَدَةٌ ، هِيَ الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ الْأَسَدِ ، وَكَذَلِكَ الْمَسْبَعَةُ
الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ السَّبَاعِ ، وَيُحْزَنُ أَنْ يَكُونَ مَأْسَدَةً جَمْعُ أَسَدٍ كَمَا قَالُوا مَشِيخَةً
وَمَعْلَاجَةً ، حَكَى سَيِّبُوهَ مَشِيخَةً وَمَشْيُوحَاءَ ، وَمَعْلَاجَةً وَمَعْلُوجَاءَ ، وَأَلْفَيْتُ أَيْضًا
فِي النَّبَاتِ مَسْلُومَاءَ ^(٢) لَجَاعَةِ السَّلْمِ وَمَشْيُوحَاءَ ^(٣) لِلشَّيْخِ بِالْحَاءِ ، الْمَهْمَلَةِ ، الْكَثِيرِ .

(١) الْبَيْتُ لِبَشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ ، وَقَدْ زِدْتَ الْأِسْمَ فِي الْأَصْلِ مِنَ الْإِسْمِ
وَالْأَمَالِ وَسَمَطُ اللَّالِ . وَقَبْلُ الْبَيْتِ :

فِيَا عَجِبًا عَجِبْتَ لَأَلِّ لَامٍ قَلِيلٍ لَمْ إِذَا عَقَدُوا وَقَاءَ
سَاقِذٍ نَحْوَمٍ بِمَشْنَعَاتٍ لَهَا مِنْ بَعْدِ هَلِكِهِمْ بَقَاءَ
فَانِكُمْ وَمَدْحِكُمْ بِجَهْرٍ أَبَاجِيَا كَمَا امْتَدَحَ الْإِلَاءَ
يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ وَتَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِيَاءَ

وَالْإِلَاءَ شَجَرٌ حَسَنُ الْمَنْظَرِ مِنَ الْمَطْعَمِ . انْظُرْ ص ٣٢ - ٣٣ الْأَمَالِ ط ٢ ،
ص ٦٦٥ سَمَطُ اللَّالِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ مَسْلُومَاءَ . وَفِي الْإِسْمِ : أَرْضُ مَسْلُومَاءَ كَثِيرَةُ السَّلْمِ .
(٣) فِي الْإِسْمِ : الْمَشْيُوحَاءُ : الْأَرْضُ الَّتِي تَنْبِتُ الشَّيْخَ يَقْصُرُ وَيَمْدُ ، وَقَالَ
أَبُو حَنِيفَةَ : إِذَا كَثُرَ نَبَاتُهُ بِمَكَانٍ قِيلَ : هَذِهِ مَشْيُوحَاءُ .

وقوله تُسَنُّ سِيوقَهَا ، بنصب الفاء ، وهو الأصح عند القاضى أبى الوليد ،
ودفع فى الأصل عن أبى بحر : تُسَنُّ سِيوقَهَا بالرفع ، ومعنى الرواية الأولى :
تُسَنُّ أى : تصقل ، ومعنى الرواية الثانية أى : تُسَنُّ للأبطال ، ولن بعدها من
من الرجال سِنَّةُ الجُرْأَةِ والأقدام .

وقوله فى وصف الدرع :

جَدَلَاءُ يَحْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنْدٍ

جَدَلَاءُ من الجدال وهو قوة القتال ، ومنه الأجدل للصغير ، وفى هذه
البيت دليل على قوة امتناع الصرف فى أجدل ، وأنه من باب أفعل الذى
مؤنثه قد لاء ، ومن صرفه شبه بأرنب وأفكل ، وهو أضيق الوجهين ،
وإن كانوا قد قالوا فى جمه : أجادل مثل أرنب فقد قالوا أيضاً الأجارع
والأباطح فى جمع أجرع وأبطح ، ولكنهم لا يتصرفونهما من حيث قالوا
فى المراثى بقطعاء وجرعاء ، وكذلك القول فى أيزق وبرقاء .

وقوله : يَحْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنْدٍ ، كقول [أبى قيس] ابن الأسلت فى وصف
الدرع :

أَحْفِزُهَا عَنِّي بَدَى رَوْنَقِ أَيْضُ مِثْلِ اللَّيْلِ قَطَاغِ
وذلك أن الدرع إذا طالت فصولها حفزوها ، أى شمروها قربةطوها
بـنِجَادِ السَّيْفِ .

وقوله : تَلَسَّكُم مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا

من أجود الكلام : وأملح الالتفاتات ، لأنه قول انتزعه من قول الله

تعالى : ﴿ وَلِيَأْسَ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۖ ﴾ الأعراف : ٣٦ . وقال الشاعر :

إِنِّي كَأَنِّي أَرَىٰ مَنْ لَا وَفَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ الْقَوْمِ عُرْيَانًا

وموضع الإجادة والإحسان من قول كعب أنه جعل لباس الذئب تبعاً للباس التقوى ، لأن حرف مع تعطي في الكلام أن ما بعده هو المتبوع ، وليس بتابع ، وقد احتج الصديق على الأنصار يوم التقيفة بأن قال لهم أنتم الذين آمنوا ، ونحن الصادقون ، وإنما أمركم الله أن تكونوا معاً فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ التوبة : ١١٩ . والصادقون هم المهاجرون . قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الحشر : ٨ .

مكم بد وما بعدها :

وقوله بَلَّةُ الْأَكْفُ ، مخفض الأكف هو الوجه ، وقد روي بالنصب ، لأنه مفعول ، أي : دع الأكف ، فهذا كما تقول : رُوَيْدُ زَيْدٍ ، ورُوَيْدُ زَيْدٍ . بلاتنوين مع النصب ، وبَلَّةُ كلمة بمعنى دَع ، وهي من المصادر المضافة إلى ما بعدها . وهي عندي من لفظ البله والتباله ، وهو من الغفلة ، لأن من غفل عن الشيء تركه ، ولم يسأل عنه ، وكذلك قوله : بَلَّةُ الْأَكْفُ ، أي لا تسأل عن الأكف إذا كانت الجاهل ضاحية مُقَطَّعة ، وفي الحديث : يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أُذُن سمعت ، بَلَّةُ ما أطلعتمهم عليه .

وقوله : مَقْطَعَةٌ مَلْمُومَةٌ ، أي : كتيبة مجموعة . وقوله : كَفَعْدِ رَأْسٍ

المَشْرِق ، الصحيح فيه : ما رواه ابن هشام عن أبي زيد : كَرَأْسُ قُدْسٍ
لِلْمَشْرِق ، لَأَنَّ قُدْسَ جَبَلٍ مَعْرُوفٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِق .

وقوله :

عِنْدَ الْهَيَّاجِ أَسْوَدَ طَلٍّ مُلْتَقٍ

الطَّلُّ مَعْرُوفٌ ، وَالْأَشْيُ مَا يَكُونُ عَنِ الطَّلِّ مِنْ زَيْتٍ وَطِينٍ ، وَالْأَسْوَدُ
أَنْجُوعٌ مَا تَسْكُونُ وَأَجُوعًا فِي ذَلِكَ الْحِينِ .

فصبره كعب العينية :

وقوله في العينية :

أَخَاسِيمُ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَضْفَقَتْ

وَاحِدُ الْأَخَاسِيمِ : إِضْمَامَةٌ ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ مُجْتَمِعٌ يُقَالُ : إِضْمَامَةٌ مِنَ النَّاسِ ،
وإِضْمَامَةٌ مِنَ كُتُبٍ .

قَيْسُ عَيْلَانَ وَقَيْسُ كَبَّةَ :

وقوله : مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ ، هُوَ الشَّهِيرُ عِنْدَ أَهْلِ الْقَدَبِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ
يَقُولُ : إِنْ قَيْسًا هُوَ عَيْلَانُ لَا ابْنَهُ ، قَالَ : وَعُرِفَ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ
بِقَرْسٍ ، كَانَ لَهُ يَمَى : عَيْلَانًا ، كَمَا عُرِفَ قَيْسُ كَبَّةَ مِنْ بَحِيلَةَ بِقَرْسٍ اسْمُهُ :
كَبَّةَ ، وَكَانَ هُوَ وَقَيْسُ عَيْلَانَ مُتَجَاوِرَيْنِ ، فَكَانَ إِذَا ذُكِرَ أَحَدُهُمَا
وَقِيلَ أَيْ الْقَيْسَيْنِ هُوَ ، قِيلَ قَيْسُ عَيْلَانَ أَوْ قَيْسُ كَبَّةَ ، وَقِيلَ : إِنْ عَيْلَانَ .

سَمُ كَلْبٍ ، كَانَ لَهُ ، وَقِيلَ : عَيْلَانُ اسْمُ جَبَلٍ وُلِدَ عِنْدَهُ ، وَقِيلَ اسْمُ غُلَامٍ
لَمْضَرَّ كَانَ حَصَنَهُ ، وَقِيلَ كَانَ جَوَادًا أَنْتَفَ مَالَهُ فَأَدْرَكَتْهُ عَمَلَةٌ فَسَمِي
عَيْلَانُ ، وَمَا يُحْتَجُّ بِهِ لِلْقَوْلِ الْآخِرِ قَوْلُ رُؤْبَةٍ :

وَقَيْسَ عَيْلَانَ وَمِنْ تَقْيِيَا^(١)

شعر كعب في المختوم :

وقوله في الدالية : وما بين العريض إلى الضماد العريض : موضع ، والضامد
جمع صمد ، وهو ما غلظ من الأرض .

وقوله : نواضح في الحروب . بمعنى : حدائق تخلي تُسقى بالنضح ، وأراد

(١) قال ابن بري : الرجز للعجاج ، وليس لرؤية ، وصواب إنشائه :
وقيس بالنصب ، لأن قبله : وإن دعوت من تميم أروسا . وجواب إن في
البيت الثالث : تقاعس العربنا فاقمنسا .

أقول : ولم أجد الرجز في ديوان رؤية . ولم ينسبه ابن قتيبة إلى أحد في
أدب الكاتب . وقال عن صيغة ففعلت إنها تأتي بمعنى إدخالك نفسك في أمر حتى
تضاف إليه ، أو تصير من أهله مثل تقيست . ومعناه . كما يقول الجواليقي في
شرح أدب الكاتب : تقيس : أدخل نفسه في القيسيين ، وانقلب إليهم . وقد
سبق الكلام عن قيس ، واسمه النامي بن مضر ، وكان الناس متلافا ، وكان إذا
نفذ ما عنده أتى أخاه الياس ، فيناصفه ماله أحيانا ، ويواسيه أحيانا ، فلما طال
ذلك عليه ، وآناه كما كان يأنيه ، قال له الياس : غابت عليك العيلة ، فأنت
عيلان ، فسمى لذلك عيلان . ويقول الجواليقي : وليس في الأسماء عيلان يعين
غير معجزة غيره .

بأنلوصي آباراً ، وإنما جعل البئر خوفاً لأن العين الخوصاء هي الفائرة ،
وجمعها خوص ، فعيون الماء في الآبار كذلك غائرة .

وأنشد أبو عبيد في وصف الإبل :

مَحْيَسَةٌ بَرْزَلَا كَانَ عِيُونَهَا عِيُونُ الرَّاكِبِ أَنْكَرَ سَهْلِ الْمَوَانِحِ^(١)

وقوله : يَرْزَخُ الرَّمْلُ فِيهَا . الرَّمْلُ : اسم نهر .

وقوله :

كَأَنَّ الْغَابَ وَالْبَرْزَى فِيهَا أَجَشُّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ

يريد : صوت حفيف الريح ، كصوت الأجش ، وهو الأبح ، وقد يوصف
النبات أيضاً بالغنّة من أجل حفيف الريح فيه ، فيقال : رَوْضَةٌ غَنَاءٌ ، وقد
قيل إنما ذلك من أجل صوت الذباب الذي يكون فيه ، قاله أبو حنيفة .

وقوله : تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ ، أى : صارت فيه بُقَعٌ بَيضٌ مِنَ الْيَبْسِ ، يقال
للزَّرْعِ إِذَا صَارَ كَذَلِكَ : ارْقَاطٌ ، واسْحَامٌ واسْحَارٌ^(٢) ، وإذا أَخَذَ السَّبِيلَ الْخُبُّ
قِيلَ : الْحُمُّ وَأُسْقِيَ مِنَ السَّقَى ، وَأُسْعِمَ مِنَ الشَّعَاعِ بفتح الشين وكسرهما ، وهو
السَّقَى ، ويقال أَسْبَلَ الزَّرْعُ مِنَ السَّبَلِ ، كما يقال : بَعِيرٌ حَظْلٌ وَأَحْظَلُ الْمَكَانُ
مِنَ الْحَنْظَلِ ، وهى لغة أهل الحجاز ، وبنو تميم يقولون : سَبَلٌ ، وأما تَهْدَانُ

(١) سبق البيت ، وفي الأصل : أَنْكَرَتْهَا : والصواب ما أثبتته . ولرواية :

على حميريات كَانَ عِيُونَهَا عِيُونُ الرَّاكِبِ أَنْكَرَتْهَا الْمَوَانِحِ

(٢) اسْحَامٌ واسْحَارٌ ليستا في اللسان والقاموس .

فيسمون السُّبُلَ سُبُولًا ، والواحدة سُبُولة ^(١) فقياس لفتحهم أن يقال أُسْبِلْ ،
وإنما فَخَرَتِ الْأَنْصَارُ في هذا الشعر والذي قبله بِنَحْلِهَا وَأَطَامِهَا ، إشارة إلى
عِزِّهَا وَمَنْعَتِهَا ، وأنها لم تُغْلَبْ على بلادها على قديم الدهر ، كما أُجْلِبَتْ أَكْثَرُ
الْأَعْرَابِ عَنْ مَحَلِّهَا ، وأَوْهَبِهَا الْخَوْفُ عَنْ مَوَاطِنِهَا ، وهذا الذي أراد حسان
في قوله :

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُنْفِصِلِ

لأن إقامتهم حَوْلَ قُبُورِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى مَنَعَتِهِمْ ، وَالْأَنْصَارُ
مُغَالِبٌ لَهُمْ عَلَى مَا تُخَيِّرُوهُ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ ، وَآثَرُوهُ عِنْدَ ارْتِيَادِهِمْ .

وقوله :

أَثَرْنَا سِكَّةَ الْأَنْبَاطِ فِيهَا

السِّكَّةُ : النَّخْلُ الْمَنْصُطَفُ ، أَيْ حَرَثْنَاهَا وَغَرَسْنَاهَا ، كَمَا تَفْعَلُ الْأَنْبَاطُ
فِي أَصْصَارِهَا لِاتِّخَافِ عَلَيْهَا كَيْدِ كَانِدٍ ، وَإِيَّاهَا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِقَوْلِهِ : خَيْرٌ لِّمَالِ سِكَّةٍ مَّا بُورَةُ . وَالسِّكَّةُ أَيْضًا : السَّنَةُ ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي
يَسْقُطُ بِهَا الْقَدَانُ ^(٢) الْأَرْضُ ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا : الْمَانُ ، وَهُوَ تَفْسِيرُ الْأَصْمَعِيِّ ،
وَفَسَّرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى الْمَعْنَى الْآخَرِ ، وَأَنَّهَا النَّخْلُ ، وَيُقَالُ أَيْضًا أُبْيَيْتُ الْأَرْضَ
فِي مَعْنَى أُثْبِرْتُ ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ، وَيُرْوَى فِي الْحَاسَةِ :

(١) أنظر مادة سبل في اللسان ففيها تفصيل .

(٢) القدان : الثور أو الثوران بقرن لاحت بينهما ، ولا يقال للواحد

قدان ، أو هو الثورين .

هَلَمْ إِلَيْهَا قَدْ أُبَيِّنْتُ زُرُوعَهَا

أَيُّ أُثْبِرَتْ وَفِي الْغَرِيبِ الْمُصَنَّفُ :

وَحَقُّ بَنِي شِفَارَةَ أَنْ يَقُولُوا لِصَخْرٍ النَّيُّ مَاذَا تَسْتَبِيثُ ^(١)
وَعَطَّ أَبُو عُبَيْدٍ [الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ] لَجْعَلِ تَسْتَبِيثُ مِنْ تَبْيِثَةٍ ^(٢)
الْبَيْتِ ، وَهُوَ تَرَابُهَا ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقَالَ تَسْتَبِيثُ بَنُونَ قَبْلَ الْبَاءِ .

وَقَوْلُهُ : جَلَمَاتٍ وَادٍ

الْجَلَمَاتُ مِنَ الْوَادِي مَا كَشَفَتْ عَنْهُ الشُّيُولُ الشَّعْرَاءُ فَأَبْرَزَتْهُ ، وَهُوَ مِنْ
الْجَلْدِ وَهُوَ انْحِسَارُ الشَّعْرِ عَنْ مُقَدِّمِ الرَّأْسِ .

وَقَوْلُهُ : صَفْرَاءُ الْجَرَادِ ، وَهِيَ الْخَلْقَانَةُ مِنْهَا ، وَهِيَ الَّتِي أَلْقَتْ سُرُّهَا ،
أَيُّ بَيْضِهَا ، وَهِيَ أَخْفُ طَيْرَامًا ، وَالسُّكْتَانُ ^(٣) مِنَ الْجَرَادِ أَكْبَرُ مِنَ الْخَلْفَانِ :

(١) لَيْتَ فِي اللِّسَانِ : لَحْنٌ وَشِمَارَةٌ وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى أَبِي الْمُثَلِّمِ الْهَذَلِيِّ ،
وَقَدْ عَرَّاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ سَهْوًا إِلَى صَخْرٍ النَّيِّ ، وَقَدْ عَلَنَ ابْنُ سَيِّدَةٍ فِي خُطْبَةٍ كِتَابَهُ
عَمَّا قَصَدَ بِهِ الْوَضْعَ مِنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ فِي اسْتِشْهَادِهِ بِقَوْلِ الْهَذَلِيِّ
الْمَذْكُورِ عَلَى النَّبِيَّةِ الَّتِي هِيَ كُنَاسَةُ الْبَشَرِ ، فَقَالَ : هِيَاتِ الْآرُورَى مِنَ النَّعَامِ
الْآرِبِدِ ، وَأَيْنَ سَهِيلٍ مِنَ الْفَرَقْدِ . لِأَنَّ النَّبِيَّةَ مِنْ نَبْثٍ أَمَّا تَسْتَبِيثُ فَمِنْ بَوْتٍ
أَوْ بَيْثٍ . انْظُرْ مَادَّةَ بَوْتٍ وَبَيْثٍ وَنَبْثٍ فِي اللِّسَانِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ بِالنَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ وَهُوَ خَطَأٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ كَنْفَانٌ وَهِيَ كَنْفَانٌ بِالنَّاءِ لَا بِالنَّاءِ وَهُوَ الْجَرَادُ بَعْدَ الْغُرْعَاءِ ،
وَقَبْلُ هُوَ كَنْفَانٌ إِذَا بَدَأَ حَجْمَ أَجْنَحَتِهِ وَرَأَيْتَ مَوْضِعَهُ شَاخِصًا وَإِنْ مَسَّهَ
وَوَجَدْتَ حَجْمَهُ ، وَاحِدَةٌ : كَنْفَانَةٌ ، وَقَبْلُ وَاحِدَةٌ : كَانْفٌ ، وَالْآخَرُ كَانْفَةٌ . =

وأول أمر الجراد دُودٌ ويقال له : الفصص^(١) يلقيه بحرُ اليمَن ، وله علامةٌ قبل خروجه ، وهو برقٌ يلمع من ذلك البحر سبعَ عشرةَ مرَّةً ، فيعلمون بمخروج الجراد ، قاله أبو حنيفة .

وقوله : غير مُقتلِكَ الزنادُ

الزناد المُمْتَلِكُ : هو الذي لا يدري من أى عُودٍ هو ، وأصل الاعتلاكِ الاختِلَاطُ : يقال عُلِكَتُ الطعامَ إذا خلطت حِنطةً بِشَمِيرٍ ، والمَلَانَةُ : الزنادُ الذي لا يُورى ناراً .

مقتل ابن أبي الحقيق

ذكر فيه نفر الخسة الذين قتلوه ، وسماهم ، وذكر فيهم ابن عُمَيْةَ أسعد ابن حَرَامٍ ، ولا يُعرفُ أحدٌ ذكره غيره .

فطني وقمر ونوره الوقاية :

وذكر في الحديث : قَطْنِي قَطْنِي ، قال معناه : حَسْبِي حَسْبِي .

== وقال أبو منصور : سماعي من العرب في المكتفان من الجراد التي ظهرت أجنحتها ولما تطربعد . والخيفانة : الجرادة إذا صارت فيها خطوط مختلفة بياض وصفرة والجمع : خيفان ، وقال اللحياني : الخيفان : جراد اختلفت فيه الألوان وجراد حينئذ أطير ما يكون ، وقيل الجراد قبل أن تستوى أجنحته .

(١) لم أجده لافي السان ولا في القاموس ، ولا في معجم ابن فارس . وفي الإنصاح — وهو مختصر المختص لابن سيده — السروة : الجراد أول ما يكون ، والديا : أكبر من السروة وذلك إذا تحرك قبل أن تثبت أجنحته الواحدة : دماه . الساقة : الجرادة التي ألقت بعضها النحر .

قال المؤلف : وهذه الكلمة أصحها من القَطْ ، وهو القطع ، ثم خُفِّفَتْ
وأجريت بحرف ، وكذلك قَدْ بمعنى قَطْ هي أيضاً من القَدْ ، وهو
القطع طويلاً ، والقطعُ بالطاء هو القطع عَرَضاً ، يقال : إن عاتياً - رحمه الله -
كان إذا استعمل الفارس قَدْ ، وإذا استمرضه قَطْلَهُ ، ولما كان الشيء السكافي
الذي لا يحتاج معه إلى غيره يدعو إلى قطع الطَّلبِ ، وترك الزيد جعلوا قَدْ
وقطْ تُشعر بهذا المعنى ، فإذا ذكرت نفسك قلت : قَدِي وقَطِي ، كما تقول :
حَسْبِي ، وإن عشت أُلْخِمْتَ نوناً ، فقلت : قَدْنِي ، وذلك من أجل سكون
آخرها فكروها تحريكه من أجل الياء ، كما كرهوا تحريك آخر الفعل ، فقالوا
ضَرَبَنِي ، وكذلك كرهوا تحريك آخر ليت فقالوا لَيْتَنِي ، وقد يقولون :
لَيْتِي وهو قليل ، وقالوا لَمَأْنِي ولَمَأْنِي ، وقلوا من : لَدُنِّي فأدخلوها على الياء
المخفوضة بالظرف كما أدخلوها على الياء المخفوضة بمن وعن ، فعلوا هذا وقايةً
لأواخر هذه الكلم من الخفض وخضوا النون بهذا ؛ لأنها إذا كانت تنويناً
في آخر الاسم ، أذنت بامتناع الإضافة ، وكذلك في هذه المواطن التي تسمى
تُشعر بامتناعها من الخفض ، وتُشعر والفعل والحروف بامتناعها من الإضافة
أيضاً ، لأن الحرف لا يُضَافُ ، وكذلك الفعل مع أن النون من علامات الإضمار
في فعلنا ، وفعلنا في ضمير المفعول ، فأما قَدْ وقَطْ فاسمان ، وكذلك لَدُنْ ،
ولكن كرهوا تحريك أواخرها أشبهها بالحروف . فإن قيل : فما موضعُ نِي
من قوله قَدْنِي ؟ قلنا : موضعها خفضٌ بالإضافة ، كما هي في لَدُنِّي . فإن قلت :
كيف تكون ضمير المفعول والمنصوب في ضَرَبَنِي ولَيْتَنِي ، ثم تقول إنها
في موضع خفض ؟ قلنا : الضمير في الحقيقة هي الياء وحدها في الخفض والنصب ..

كَأَنَّ السَّكَافَ وَالْمَاءَ كَذَلِكَ ، وَقَدْ قَالُوا : مَنِيَّ وَعَنِيَّ ، وَهُوَ ضَمِيرُ خَنْفَضٍ ،
وَفِيهِ النُّونُ ، وَقَالُوا الْيَقِيْ وَالْعَلَى ، وَهُوَ ضَمِيرُ نَصَبٍ وَابْسَ فِيهِ نُونٌ فَإِنْ قِيلَ :
فَمَا مَوْضِعُ الْأَسْمِ مِنَ الْإِعْرَابِ إِذَا قُلْتَ : قَطِيٌّ وَقَدِيٌّ ؟ قُلْنَا : إِعْرَابُهُمَا كِإِعْرَابِ
حَسْبِيْ مُبْتَدَأٍ وَخَبْرُهُ مَحذُوفٌ ، وَإِنَّمَا لَزِمَ حَذْفُ خَبْرِهِ لِمَا دَخَلَهُ مِنْ مَعْنَى
الْأَسْرِ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا : قَطِيٌّ وَعِزَّتْكَ قَطِيٌّ ،
وَيُرْوَى : قَطِيٌّ ، وَذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِهِمَا : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، فَلِذَا وَضَعْتَ فِيهَا
الْقَدِيمَ ، وَزُرِّيْ بِضَمِّهَا إِلَى يَنْضِ ، قَالَتْ : قَطِيٌّ ^(١) . وَقَدْ جَمَعَ الشَّاعِرُ بَيْنَ
الْثَلَاثَتَيْنِ ، فَقَالَ :

قَدِيٌّ مِنْ نَصْرِ الْمُطَيَّبِينَ قَدِيٌّ ^(٢)

(١) فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ : « لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا . وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ،
حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيُزَوِّي بِضَمِّهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَيَقُولُ : قَطٍ ، قَطٍ ،
بَعْدَ ذِكْرِكَ ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يَنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا ، فَيَسْكُنُهُمْ
فَضْلُ الْجَنَّةِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَهُمَا .
« فَأَمَّا النَّارُ ، فَلَا تَمْتَلِ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ رِجْلَهُ تَقُولُ : قَطٍ قَطٍ قَطٍ . وَثُبُوتُ صِحَّةِ
النَّصِّ بِفَرْضِ عَلَيْنَا الْإِيمَانَ بِمَقْتَضَاهُ ، الْإِيمَانُ الَّذِي يَقْتَبِسُ نُورَ الْهَدْيِ مِنْ قَوْلِهِ
سُبْحَانَهُ : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فَلَهُ جَلُّ شَأْنِهِ مَا يُخَيِّرُ بِهِ
عَنْ نَفْسِهِ ، وَمَا يُخَيِّرُ بِهِ عَنْهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ تَمْثِيلٍ أَوْ تَشْبِيهِ
أَوْ تَأْوِيلٍ أَوْ تَعْطِيلٍ .

(٢) الرَّجْزُ مِنْ شَوَاهِدِ سَيَوِيهِ فِي الْكِتَابِ ، وَقَدْ أَنْشَدَهُ ص ٣٨٧ > ١
تَحْتَ : « بَابُ عَلَامَةِ إِضْمَارِ الْمَنْصَرِبِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمَجْرُورِ الْمُتَكَلِّمِ ، الْبَيْتُ عِنْدَهُ :
قَدِيٌّ مِنْ نَصْرِ الْحُسَيْنِ قَدِيٌّ لَسَّ الْأَمَامَ بِالْحُسَيْنِ الْمُتَحَدِّ —

فهذا ما في قَطّ التي هي بمعنى حَسْبِي ، فأما قَطُّ المَبْنِيَّةُ على الْقَطْمِ ، فهي ظَرْفٌ لما مضى ، وهي تعال بالتخفيف والتثنية ، وهي من الْقَطِّ أيضاً الذي بمعنى القطع ، وفي مقابلتها في المستقبل : عَوَضُ ما فعلته قَطُّ ، ولا أفعله عَوَضُ^(١) مثل قَبِلَ وَبَعْدُ .

== وأراد بالحسين : عبد الله بن الزبير وكنيته أبو خبيب ، ومضياً أخاه وغلظه عليه لشهرته ، ويروى الحديين على الجمع يريد أبا خبيب وشيعته .
والرجز لم ينسبه سيوريه ، وهو حميد بن مالك بن ربيع الارقط بعرض بابن الزبير ويمدح الحجاج . وقد الثانية تأكيد لصدق مبنى على الكسر في عمل رفع مرفوع بضمه مقدرة على ما قبل باء المتكلم ، وهي مضاف إليه . وقد روى أبو علي القالي رجزه هكذا :

ليس الأمير بالشحيح الملهد ولا بوبر بالحجاز مفرد
إن ير يوماً بالفضاء بسطير أو بتدوير فالحجر شر محكد
وروى البكري في السمط قبلهما :

قلت لنفسى ، وهي عجلت تمعدي لا نرم حتى تحسرى وتلهدي
أو نردى حوض أبي محمد ليس للأمير . . . الخ
وقد أورد اللسان الشطرة الأولى في مادة قد غير منسوبة وفي مادة لحد إلى حميد وقال ابن توت . أنظر ص ١٧ - ٢ ط ٢ الأما إلى القالي وسمط اللال للبكري ص ١٤٩ . ص ٤٧٤ . ص ٢١ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى وشرح الشواهد أيضاً للشيخ قطلة العدوى ص ١٠١ - ١ شرح ابن عقيل بشرح الشيخ محي الدين .

(١) يقول ابن هشام في معنى الجلب ، عوض ظرف لاستغراق المستقبل مثل أبداً ، إلا أنه يختص بالنفي ، وهو معرب إن أضيف كقولهم : لا أفعله عوض الماتضين ، مبنى إن لم يضاف ، وبناءه إما على الهم كقول ، أو على الكسر كأمس ، أو على الفتح كإين ، وسمى الزمان عوضاً ، لأنه كلما مضى جزء منه = (م ٢٥ - الروض الآف ج ٦)

إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد

رحمة الله عليهما (١)

روينا من طريق أبي بكر الخطيب بإسنادٍ يرفعه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يقدم عليكم الأئمة رجلٌ حكيم ، فقدم عمرو بن العاصي مهاجراً ، ذكر فيه اجتماعه مع خالد في الطريق وقول خالد له : والله لقد استقام الميسم . من رواه الميسمُ بالياء ، فهي العلامة ، أي قد تبيين الأسماء واستقامت الدلالة ، ومن رواه المنسمُ بفتح الميم وبالنون ، فمعناه : استقام الطريق ووجبت الهجرة ، والمنسمُ مُقدم خُفَّ البعير ، وكُنِيَ به عن الطريق للتوجه به فيه .

وذكر الزبيرُ خبرَ عمرو هذا ، وزاد فيه : أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة - صحبهما في تلك الطريق ، فلما قدما على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال عمرو : وكنت أسنّ منها ، فأردت أن أكيدهما ، فقد قُتِلَا قَتْلَ اللَّيْمَةِ ، فبايعا ، واشترطا أن يُفقرَ مِنْ ذَنْبِهما ما تقدم ، فأضرت في نفسي أن يُبايعَ علي أن يفقر الله من ذنبي ما تقدم وما تأخر ، فلما بايعتُ ذكرتُ ما تقدم من ذنبي وأنسيتُ أن أقول وما تأخر .

== عوضه جزء آخر ، تقول : عوض لا أفارقه ، كما تقول : قط ما فارقتك ، ولا تقول : عوض ما فارقتك ولا : قط لا أفارقه .

(١) يقول ابن كثير : كان إسلامهم بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان من مشركي خُصَماء مكة ، ، الدابة والثمانية .

ما قاله الضمري للنجاشي :

وذكر فيه قدوم عمرو بن أمية الضمري على النجاشي بكتاب الذي صلى الله عليه وسلم ، وكان في الكتاب ما تكلم به عمرو بن أمية ، فإنه لما قدم عليه قال له : يا أضحمة إن على القول وعليك الاستماع إنك كأنك في الرقة علينا مناً ، وكأننا بالثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلتناه ، ولم نتحكك على شيء قط إلا أماناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك إلا يحيل بيننا وبينك شاهد لا يرد ، وقاض لا يمور ، وفي ذلك وقع الحز وإصابة التفصيل ، وإلا فانت في هذا النبي الأُمِّي كاليهود في عيسى ابن مريم ، وقد فرق النبي عليه السلام رساله إلى الناس فرباك لما لم يرجهم له ، وأمنتك على ما خافهم عليه ظهير سالف وأخبر يُنتظر ، فقال النجاشي : أشهد بالله أنه النبي الأُمِّي الذي ينتظره أهل الكتاب ، وأن إشارة موسى براكب الحمار كإشارة عيسى براكب الجمل ، وإن العيان له ليس بأشقي من الظاهر عنه ، ولكن أعوان من الحبش قليل فأنظرنني حتى أذكر الأعوان وألبن القلوب ، وسنذكر فيما بعد - إن شاء الله - ما قالته أرسال النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك ، وما ردت عليها .

مُرسل إلى الملوك :

فلن دحية كان رسوله إلى قيصر ، وخارجة بن حذافة كان رسوله إلى كسرى ، وشجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم التمساني ، وسليط بن عمرو إلى هودثة بن علي الحنفي صاحب اليمامة ، والقلاء بن الحفصمري إلى المنذر

ابن ساوى [مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ] وَالْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَّالٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِي إِلَى الْجُلَنْدِيِّ ^(١) صَاحِبِ عُمانَ ، وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ صَاحِبِ مِصْرَ ، وَعَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ إِلَى النُّعْشِيِّ كَانَتْهُمْ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَلَامٌ قَالَهُ ، وَشِعْرٌ نَظَّمَهُ سَنَدُ كَرِهَ بَعْدَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ .

الشمسية:

فصل : وما وقع في أشعار السيرة من ذكر الشمسية من الرماح ، فنسوبة إلى شمر وكان صنفاً فيما زعموا يصنع الرماح ، وكانت أسماؤه رُدْبِيَّةُ تَبِيْمُهَا ، فَقِيلَ لِلرَّماحِ : الرُدْبِيَّةُ لِذَلِكَ ، وَأَمَّا الْمَاسِيخِيُّ مِنَ الْقَسِيِّ فَنُسُوبَةُ إِلَى مَاسِيخَةَ ، وَاسْمُهُ نُبَيْشَةُ بْنُ الْحَارِثِ أَحَدُ بَنِي كُضْرٍ بْنِ الْأَزْدِ ، وَقَالَ الْجَعْدِيُّ :

يَعِينُ نُعْطُفُ أَعْنَاقَهَا كَمَا عَطَفَ الْمَاسِيخِيُّ التَّيْمَانَا

وقد نسب القسي أيضاً إلى زارة وهي امرأة ماسخة. قال صخر الغي :

سَمَحَةٍ مِنْ قِنِي زَارَةَ كَحَمْرَاءَ هَتُوفٍ عِدَادُهَا غَرْدُ ^(٢)

من كتاب النبات للديلموري ، وَالْإِزْبِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى عُيَيْدِ الطَّعْمَانِ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِإِزْنَ ^(٣) بْنِ هَمَّازِي ، وَالْمَازِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَازِي بْنِ يَافَثَ

(١) في القاموس : جلنداء بضم أوله . وفتح ثانيه بمدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ، وروم الجوهري فقصره مع فتح ثانيه .

(٢) في الأصل زرارة وهو خطأ ، والمداد : صوت القوس .

(٣) قال ابن جنى : ذوبن غير مصروف ، أصله و . . . بأن بدليل قولهم : =

ابن نوح ، قاله الطبري ، وزعم أن أول من عمل السيوف جم وهو زابع
ملوك الأرض .

غزوة بني الحميان

ليس فيها ما يُشكّل ، وفيها من شعر حسان (١) .

لقوله سرعاناً علّا السّرب روعه

سرعانُ الفأس : سُبُاقُهم ، وللسّربُ : المال الرّاعي ، كأنه يجمع سارب ،
ويقال : هو آمن في سرّبه إذا لم يُدْعَرْ ، ولا خاف على ماله من اللّاعة ، ومن
قال في سرّبه بكسر السين ، فهو ممثّل ، لأنّ للسّرب هو الاطّيع من الوحش
والطير ، فمعنى : آمن في سرّبه ، أي لم يُدْعَرْ هو نفسه ولا دُعِرَ أهله ، ولهذا
للعنى أشار من قال من أهل اللغة : معني في سرّبه أي : في نفسه لم يرُدْ أنّ النفسَ
يقال لها : سرّب وإنما أراد أنه لم يُدْعَرْ هو ولا من معه ، لا كالأخر الذي
تقدم ذكره ، وقيل فيه آمن في سرّبه بفتح السين ، فكان الواحد آمن في ماله ،
والآخر آمن في نفسه ، ويقال : في سرّبه ، أي : في طريقه أيضاً (٢) .
وقوله :

أمام طحون كالمجرّة فينق

= رمح يداني وأزاني ، وقالوا أيضاً : أبرد ووزنه عيفى ، وقالوا آزني ووزنه عافى .
وسميت بوزنة لأن أول من عملت له ذورون .

(١) هو سهو من السويل قال شعر لكعب بن مالك .

(٢) أنظر مادة سرب في اللسان .

بنى : كتيبة ، جعلها كالمجرة لِّلْإِيمَانِ الشُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ فِيهَا كَالنُّجُومِ
حَوْلَ الْمَجْرَةِ ، لِأَنَّ النُّجُومَ - وَأَكْثَرَ مَا تَكُونُ - حَوْلَهَا ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ
الْمَجْرَةَ هِيَ نَجْمٌ صِفَارٌ مَتَلَاعِقَةٌ ، فَيَبَاضُ الْمَجْرَةُ مِنْ بَيَاضِ تِلْكَ النُّجُومِ ،
وَقَدْ رَوَى فِي حَدِيثٍ مُنْقَطِعٍ : أَنَّ الْمَجْرَةَ الَّتِي فِي السَّمَاءِ هِيَ مِنْ لُجَابِ حَيَّةٍ
تَحْتَ الْعَرْشِ ^(١) ، وَفِي حَدِيثٍ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ : إِنَّكَ سَتَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجْرَةِ ، فَقُلْ
لَهُمْ : هِيَ مِنْ عَرَقِ الْأَفْئِى الَّتِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، لَكِنْ إِسْتَدَّ هَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ
عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ لَا يُعْرَجُ عَلَيْهِ ، ذَكَرَهُ الْمُعْتَمِدُ ، وَعَنْ عَلِيٍّ أَنَّهَا شَرَجُ السَّمَاءِ الَّذِي
تَنْشَقُّ مِنْهُ ، وَأَمَّا قَوْلُ الْمُعْجِزِينَ غَيْرِ الْإِسْلَامِيِّينَ فِي مَعْنَى الْمَجْرَةِ ، فَذَكَرَهُمْ
الْقَاضِي فِي النِّقَاطِ الْكَبِيرِ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ أَقْوَالٍ وَأَكْثَرُ ، مِنْهَا مَا يُجَوِّزُهُ
الْعَقْلُ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ شِبْهُ التَّهْذِيبَانِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَيُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ كَالْمَجْرَةِ ، أَى أَرَادَ هَذِهِ الْكُتَيْبَةُ الطَّحُونُ كَأَنَّ
الْمَجْرَةَ تَقْشِرُ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ، وَتَكُنُّهُ . وَالْفَيْلَقُ : تَقِيلُ مِنَ الْفَيْلَقِ وَهِيَ
الدَّاهِيَةُ ، كَأَنَّهَا تَقْلِقُ الْقُلُوبَ ، وَهِيَ الْفَيْلَقَةُ ^(٢) أَيْضًا . قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

(١) هَذَا الْحَدِيثُ وَمِثْلُهُ يَبِينُ لَنَا مَدَى احْتِدَامِ شَهْوَةِ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَوسِ الْمَوَاضِعِ وَمَدَى الْجَهَالَةِ الَّتِي تَرْدِي فِيهَا الْكَثِيرُ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذْ يَعْشَى بَيْنَهُمْ مِثْلُ هَذَا الْإِفْتِرَاءِ حَتَّى يَكْتُبَ فِي كِتَابِ

(٢) الَّذِي فِي السَّانِ الْفَيْلَقُ وَالْفَيْلَقَةُ وَالْمُفْلَقَةُ وَالْفَيْلَقُ وَالْفَيْلَقُ كُلُّهُ :

غزوة ذي قرد

تم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يُقيم بها إلا ليالي
ثلاثة ، حتى أغار عُمَيْيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حَذَّافَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ ، فِي خَيْلٍ
مِنْ عَطْفَانَ عَلَى لِقَاحٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَاقِيَةِ ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ
بَنِي غِفَارٍ وَأَمْرَأَةٍ لَهُ ، فَقَتَلُوا الرَّجُلَ ، وَاحْتَمَلُوا الْمَرْأَةَ فِي اللَّقَاحِ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ،
وَمَنْ لَا أَتَمُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، كُلُّهُمَا قَدْ حَدَّثَا فِي غَزْوَةِ
ذِي قَرْدٍ بَعْضُ الْحَدِيثِ : أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ نَذَرَ بِهِمْ سَلَمَةً بِنُ عَمْرِو بْنِ الْأَكْوَعِ
الْأَسْلَمِيُّ ، غَدَاً يُرِيدُ النَّابِيَةَ مَتَوَشِّعاً قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَطِيفٌ بِنُ عُبَيْدِ اللَّهِ
مَعَهُ قَرَسٌ لَهُ بَقُودُهُ ، حَتَّى إِذَا عَلَا كَيْفِيَّةَ الْوَادِعِ نَظَرَ إِلَى بَعْضِ خِيُولِهِمْ ،
فَأَشْرَفَ فِي نَاحِيَةِ سَلْعٍ ، ثُمَّ صَرَخَ : وَاصْبِلَاهُ ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ فِي آثَارِ الْقَوْمِ ،

فَدَبَّرُوهُ خَيْرًا ضَخْمَ الْعُنُقِ

فَقِيلَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ :

مَوْتُ الْإِمَامِ فَلَقَّةٌ مِنَ الْفَلَقِ (١)

(١) قاله لما نعى إليه المنصور ، ورواية الشطرة الثانية في اللسان هكذا :
فَدَبَّرُوهُمَا وَهَمَةً . وَيُقَالُ لِلدَّوَامِيِّ بَنَاتٌ طَبَقٌ ، وَيُرْوَى أَنَّ أَصْلَهَا الْحَيَّةُ أَيْ أَنَّهَا
اِسْتَدَارَتْ حَتَّى صَارَتْ دَسَّ الطَّبَقِ .

وكان مثل السبع حتى سلق بالقوم ، فجعل يردُّهم بالنبل ، ويقول إذا رمى :
خُذْهَا وأنا ابن الأَكُوْع ، اليوم يوم الرُّضْع ، فإذا وُجِّهَت الخيلُ نحوه انطلق
هاربًا ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرَّمى رمى ، ثم قال : خُذْهَا وأنا ابن الأَكُوْع ،
اليوم يوم الرُّضْع ، قال . فيقول قائلهم : أَوَيْسَكُمَا هو أوَّل النهار .

تسابق الفرسان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

قال : وبأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صيَّح ابن الأَكُوْع ، فصرخ
بالمدينة : للفرع الفرع ، فتراست الخيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أوَّل من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان :
المقداد بن عمرو ، وهو الذي يُقال له : المقداد بن الأسود ، حليف بني زُهرة ،
ثم كان أوَّل فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار ،
عباد بن بشر بن وقش بن زُغبة بن زَعُوراء ، أحد بني عبد الأشهل ، وسعد
ابن زيد ، أحد بني كعب بن عبد الأشهل ، وأُسَيد بن ظُهَيْر ، أخو بني حارثة
ابن الحارث ، يُشك فيه ، وعُكَّاشَة بن مَحْصَن ، أخو بني أسد بن خُزَيمَة ،
ومُحرز بن نَضْلَة ، أخو بني أسد بن خُزَيمَة ، وأبو قتادة الحارث بن رِبيِّع ،
أخو بني سَلَمَة ، وأبو عِيَّاش ، وهو عُبَيد بن زيد بن الصَّامِت ، أخو بني
زُرَيق . فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن
زيد فيما يُلَفِّي ، ثم قال : اخرج في طلب القوم ، حتى ألحقك في الناس .

نصيحة الرسول لأبي عياش

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يُلَفِّي عن رجال من بني

زُرَيْق ، لأبي عِيَّاش : يَا أَبَا عِيَّاش ، لَوْ أُعْطِيتَ هَذَا الْفَرَسَ رَجُلًا ، هُوَ أَفْرَسُ مِنْكَ فَلَمَحَ بِالْقَوْمِ ؟ قَالَ أَبُو عِيَّاش : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ ، نَمَّ ضَرَبْتُ الْفَرَسَ ، فَوَاللَّهِ مَا جَرَى بِي خَمْسِينَ ذِرَاعًا حَتَّى طَرَحَنِي ، فَتَجَبْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَوْ أُعْطِيَتْهُ أَفْرَسُ مِنْكَ ، وَأَنَا أَقُولُ : أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ ، فَرَعَمَ رَجَالٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى فَرَسَ أَبِي عِيَّاشٍ مُعَازِ بْنِ مَاعِضٍ ، أَوْ عَائِذَ بْنَ مَاعِضٍ بَنَ قَيْسِ بْنِ خَالِدَةَ ، وَكَانَ ثَامِنًا ، وَبَعْضُ النَّاسِ بِمَدَنَةِ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَكْوَاعِ أَحَدِ الثَّمَانِيَةِ ، وَيَطْرَحُ أَسِيدَ ابْنِ ظُهَيْرٍ ، أَخَا بَنِي حَارِثَةَ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَيْ ذَلِكَ كَانَ . وَلَمْ يَكُنْ سَلَمَةُ يَوْمَئِذٍ . فَارِسًا ، وَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَلَحَّقَ بِالْقَوْمِ عَلَى رِجْلَيْهِ . فَخَرَجَ الْفَرَسَانُ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى تَلَاَحَقُوا . . .

مقتل محرز بن نضلة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : لَخَدَثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَنَّ أَوَّلَ فَارِسٍ تَلَحَّقَ بِالْقَوْمِ مُحْرِزُ بْنُ نَضْلَةَ ، أَخُو بَنِي أَسَدِ بْنِ حُزَيْمَةَ . وَكَانَ يُقَالُ لِمُحْرِزٍ : الْأَخْرَمُ ؛ وَيُقَالُ لَهُ قَمِيرٌ . وَأَنَّ الْفَرَسَ لَمَّا كَانَ جَالِ فَرَسٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فِي الْحَائِطِ ، حِينَ يَمِيعُ صَاهِلَةُ الْخَيْلِ ، وَكَانَ فَرَسًا صَنِيعًا جَامِدًا ، فَقَالَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، حِينَ رَأَيْنَ الْفَرَسَ يَجُولُ فِي الْحَائِطِ يَجِدُّعُ نَحْلَ هُوَ مَرْبُوطٌ فِيهِ : يَا قَمِيرُ ، هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَرْكَبَ هَذَا الْفَرَسَ ؟ فَإِنَّهُ كَمَا تَرَى ، نَمَّ تَلَحَّقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَعْطَيْنَاهُ إِيَّاهُ . فَخَرَجَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَدَأَ الْخَيْلَ يَجْمَعُهُ ، حَتَّى أَدْرَكَ الْقَوْمَ ، فَوَقَفَ لَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ قَالَ :

.

تَقَفُوا يَامُشَرِّ بْنِ الْكَيْمَةِ حَتَّى يَلْحَقَ بِكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَذْبَارِكُمْ مِنَ الْهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ . قَالَ : وَحَلَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ ، وَجَالَ الْقَرَسُ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ
حَتَّى وَقَفَ عَلَى آرِيٍّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَلَمْ يُقَاتِلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرَهُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعُ مُحْرَزٍ ، وَقَاصِ بْنِ مُجَرِّزٍ
الْمُدَلِّجِي ، فَيَا ذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

أَسْمَاءُ أَفْرَاسِ الْمُسْلِمِينَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ اسْمُ فَرَسٍ مُحَمَّدٍ : ذَا اللَّيْمَةِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَ اسْمُ فَرَسٍ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ : لَاحِقٌ ، وَاسْمُ فَرَسٍ لِلْقَدَادِ
بِفَزَجَةٍ ، وَيُقَالُ : سَمَحَةٌ ، وَاسْمُ فَرَسٍ عُسْكَاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ : ذُو اللَّيْمَةِ ؛ وَاسْمُ
فَرَسٍ أَبِي قَتَادَةَ : حَزْوَةٌ ، وَفَرَسُ عَبَّادِ بْنِ يَشَرَ : كَمَاعٌ ، وَفَرَسُ أُسَيْدِ بْنِ
ظُهَيْرٍ : مَسْتُونٌ ، وَفَرَسُ أَبِي عِيَّاشٍ : جُلُوءَةٌ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ لَا أَتَاهُمْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ
مَالِكٍ : أَنَّ مُجَرِّزًا إِنَّمَا كَانَ عَلَى فَرَسٍ لِعُسْكَاشَةَ بْنِ مَحْصَنٍ ، يُقَالُ لَهُ : الْجَنْجَاحُ ،
فَقُتِلَ مُجَرِّزٌ وَاسْتُلِبَتِ الْجَنْجَاحُ .

قَتْلُ الْمُشْرِكِينَ

وَلَمَّا تَلَا حَقَّتِ الْخَلِيلُ قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثَ بْنَ رَبِيعٍ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ،
حَبِيبَ بْنَ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ ، وَغَشَّاهُ بُرْدَهُ ، ثُمَّ لَحِقَ بِالنَّاسِ .

وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّالِمِينَ .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فإذا حبيب مُسَجَّى بِبُرْدِ أَبِي قَتَادَةَ ، فاسترجع للناس وقالوا : قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ ؛ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ليس بأبي قَتَادَةَ ، ولكنه قَتِيلَ لِأَبِي قَتَادَةَ ، وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ ، لَتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ .

وَأَذْرَكَ عُسْكَاشَةَ بْنَ مُحْصَنٍ أَوْ بَارَأَ وَابْنَهُ عَمْرُو بْنُ أَوْ بَارَ ، وَهَما عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ ، فَاتَّظَّمَهُمَا بِالرُّمَحِ ، فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا ، وَاسْتَقْنَقُوا بَعْضَ الْأَقْحَاحِ ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبَلِ مِنْ ذِي قَرْدٍ ، وَتَلَا حَقَّ بِهِ النَّاسُ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً ؛ وَقَالَ لَهُ سَلْمَةُ ابْنُ الْأَكْثَوَعِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ سَرَحْتَنِي فِي مِائَةِ رَجُلٍ لَأَسْتَنْفَذْتُ بَقِيَّةَ الشَّرْحِ ، وَأَخَذْتُ بِأَعْقَابِ الْقَوْمِ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَا بُلْغَى : إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُفْقِنُونَ فِي غَطَفَانٍ .

تقسيم الفداء بين المسلمين

فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ جَزُورًا ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا حَتَّى قَدِمَ لِلْمَدِينَةِ .

امراة الغفارى وما نذرت مع الرسول

وأقبات امراة الغفارى على ناقة من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بشئ ما جزيتها أن حلك الله عليها ونجائك بها ثم تنحرني ؛ إنه لا نذر في منصية الله ولا فيما لا يملكين ، إنما هي ناقة من ابل ، فارجعي إلى أهلِكَ على بركة الله .

والحديث عن امراة الغفارى وما قالت ، وما قل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبي الزبير السكيت ، عن الحسن بن أبي الحسن البصري .

شعر حسان في ذى قرد

وكان مما قيل من الشعر في يوم ذى قرد قول حسان بن ثابت :

لولا الذى لاقت ومس نسورها	بجفوب ساية أمس في القنود
للقينكم بخرم من كل مدجج	حامى الحديقة ماجد الأجلاد
ولسرة أولاد الأقيطة أننا	سائم غداة فوارس القداد
كذا ثمانية وكانوا جحفلا	لجبا فشكوا بالراح بداد
كنا من القوم الذين يلوهم	ويقدمون عنان كل جواد
كلا ورب الرافعات إلى متى	يقطنن عرض تحارم الأمواد

حتى نبيل الخليل في عرشكم وتؤوب بالملكات والأولاد
 رهوا بكل ملص وطيرة في كل مترك عطفن روادى
 أفتى دوايرها ولاح متونها يوم تقاد به ويوم طراد
 فكذلك إن جياتنا ملبونة والحرب مشعلة بريح غواد
 وسيفنا بيض الخلدات تجتلى جئن الحديد وهامة المرماد
 أخذ الإله عليهم لحرامه ولمزة الرحمن بالأنداد
 كانوا بدار ناعمين فبدلوا أيام ذى قرد وجوه عباد

غضب سعد على حسان ومحاولة حسان استراضاءه

قال ابن هشام: فلما قالما حسان غضب عليه سعد بن زيد، وحلف أن
 لا يكلمه أبداً؛ قال: انطلق إلى خيلى وقوارسى لجعلها المقداد! فاعتذر إليه
 حسان وقال: والله ما ذاك أردت، ولكن الروى وافق اسم المقداد؛ وقال
 أبيت أن يرمنى بها سعداً:

إذا أردتم الأشد الجلداً أو ذا غفاه فقلبيكم سعداً
 سعد بن زيد لا يهد هدداً

فلم يقبل منه سعد ولم يقن شيئاً.

شعر آخر لحسان في يوم ذى قرد

وقال حسان بن ثابت في يوم ذى قرد:

أَظَنُّ عَيْنِي إِذْ زَارَهَا بَأْسَ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورًا
فَأَكْذَبْتُ مَا كُنْتُ صَدَقْتَهُ وَقُلْتُ سَنَنْفُمُ أَمْرًا كَبِيرًا
فَسِفَتِ التَّدِينَةَ إِذْ زُرْتُهَا وَأَنْتِ لِلْأَسَدِ فِيهَا زَيْبَرًا
قُولُوا سِرَاعًا كَثَدَ النَّعَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلَاطَةِ حَصِيرَا
أَمِيرٍ عَلَيْنَا رَسُولُ التَّلِيكِ أَحَبُّ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرَا
رَسُولُ نَصْدَقُ مَا جَاءَهُ وَبَتَلُوا كِتَابًا مُضِيئًا مُبِيرًا

شعر كعب في يوم ذى قرد

وقال كعب بن مالك في يوم ذى قرد للفوارس :

أَتَحِبُّ أَوْلَادُ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ
وَأَنَا أَنَا لَأَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً وَلَا نَنْشَى عِنْدَ الرِّمَاحِ التَّدَاعِيسِ
وَأَنَا لَتَقْرَى الضَّيْفَ مِنْ قَعِّ الذَّرَا وَأَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلُخِ الْقَتَاوِسِ
نَزْدَ كُمَاةِ الْمُعَلِّينِ إِذَا انْتَخَوْا بِضَرْبِ يُسْلَى تَحْوَةَ الْمُتَقَاعِيسِ
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الْحَقِيقَةِ مَا جَدِ كَرِيمٍ كَسِرْ حَانَ الْقَضَاءِ مُخَانِيسِ
يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ بَبِيضٍ تَقْدُ الْهَامَ تَحْتَ الْقَوَانِيسِ
فَسَائِلُ بَنِي بَذْرِ إِذَا مَا لَقِيَهُمْ يَمَّا قَعْلُ الْإِخْوَانِ يَوْمَ الْقِمَارِيسِ
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ لَقِيتُمْ وَلَا تَكْشُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْجَارِيسِ
وَقُولُوا زَلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَحَرٌّ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُبَارِيسِ

قال ابن هشام : أنشدني يتيه : « وإنا لتقرى الضيف » أبو زيد .

شعر شداد لعينة

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي ، في يوم ذي قرد :
لعينة بن حصن ، وكان عينة بن حصن يسكن بأبي مالك :

فَلَا كَرَرْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلُكَ مُذِرَةٌ مُثْقَلُ
ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَشَجَرٍ وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعُدَ الْمُثْقَلُ
وَلَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْمَةٍ مَسَحَ الْفَضَاءُ إِذَا يُرْسَلُ
إِذَا قَبِضَتْهُ إِلَيْكَ الثَّمَا لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَّ لِلرَّجَلِ
فَلَمَّا عَرَقْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
عَرَقْتُمْ قَوَارِسَ قَدْ عَوَدُوا طِرَادَ السَّكَمَةِ إِذَا أَسْهَلُوا
إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشَقَّى بِهِمْ فَضَاحًا وَإِنْ يُطْرَدُوا يَنْزِلُوا
فَيَنْتَصِبُوا فِي سَوَاءِ الْمَقَامِ بِالْبَيْضِ أَخْلَصَهَا الصَّيْقَلُ

غزوة بني المصطلق

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض
جمادى الآخرة ورجباً ثم غزا بني المصطلق من خزاعة ، في شعبان سنة ست ..
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذرٍّ الغفاري ؛ ويقال : ثميلة .
ابن عبد الله الهيثمي .

سبب الغزوة

قال ابن إسحاق : تحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر .
ومحمد بن يحيى بن حبان ، كلُّ قد حدثني بمض حديث بني المصطلق ، قالوا :
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم
الحارث بن أبي ضرار أبو جؤيزية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؛ فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم
على ماء لهم يقال له : المرَيْسِيع ، من ناحية قُدَيْد إلى الساحل ، فزاحف الناسُ
واقْتتلوا ، فهزَمَ الله بني المصطلق ، وقتل من قُتل منهم ، ونَقَلَ رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبنائهم ونساءهم وأموالهم ، فأقامهم عليه .

مقتل ابن صبابَة خطأ

وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث
ابن بكر ، يقال له : هشام بن صبابَة ، أصابه رجلٌ من الأنصار من رهط عبادة
ابن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

فتنة

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردة الناس
ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بني غِفَارٍ ، يقال له . جَهْجَاهُ بن مسعود بقود
فرسه ، فازدحم جَهْجَاهُ وسَيَّانُ بن وَبَر الجهمي ، حليف بني عوف بن الخزرج
على الماء ، فاقتتلا ، فصَرَخَ الجهمي : يامعشر الأنصار ، وصَرَخَ جَهْجَاهُ :

جامعشر المهاجرين؛ فنضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعنده رَهْط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سَمْن كَتْلَبِك يَا كُتْلَك، أما والله لنن رجفنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَ الأعزُّ منها الأذل. ثم أقبل على مَنْ حَضَرَهُ من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتهم بلادكم، وقاسمتهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب: فقال: مرّ به عبّاد بن بشرٍ فليقتله؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه إلا ولكن أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل فيها، فارتحل الناس.

حول فتنة ابن أبي ونفاقه

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، خلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به... وكان في قومه شريفاً عظيماً. فقال مَنْ حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، حسي أن يكون العلام قد أوزم في حديثه، ولم يحفظه قال الرجل، حدّثاً على ابن أبي بن سلول، وردّفاً عنه.

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار، اتقده أسيد بن حضير فحيّاه بتحيةة النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رُحِتَ في ساعه منكورة، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأى صاحب يارسول الله؟ قال: عبد الله بن أبيّ، قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ، قال: فانت يارسول الله والله تُنْجِجُه منها إن شئت، هو والله الدليل وأنت العزيز؛ ثم قال: يارسول الله، ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظّمون له الحُرُزَ ليتوجّوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلْكًا.

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصَدَّرَ يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يابثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نيامًا، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبيّ.

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، وسَلَّكَ الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فَوَقَّعَ النَّفْعَ؛ يقال له: بقاء. فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هَبَّتْ على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوَّفوها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخافوها، فإنما هَبَّتْ لموت عظيم من عظماء الكُفَّار. فلما قدموا المدينة وجدوا رِفاعَةَ بنَ زَيْد بنِ النَّابُوت، أحد بني قَيْنِقاع، وكان.

عظيماً من عظماء يهود ، وكثيلاً للمنافقين ، مات في ذلك اليوم .

مانزل في ابن أبي من القرآن

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله من أبيه

قال ابن إسحاق : خدني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بد فاعلا فمُرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخرزج ما كان لما من رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس ، فأقتله فأقتل (رجلاً) مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل تترقق به ، وتحسن صحبته ما بقي معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يماثبونه ويأخذونه ويُعْمَقُونَهُ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؛ أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله ،

لا زِيدَتْ لَهُ آتَفٌ ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ ؛ قَالَ : قَالَ هَمْرٌ : قَدْ وَاللَّهِ
عَلِمْتُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي .

قدوم مقيس مسالماً وشعره

قال ابن إسحاق : وَقَدِمَ مِقْيَسُ بْنُ صُبَّابَةَ مِنْ مَكَّةَ مُسَالِماً ، فِيمَا يُظْهَرُ ،
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جِئْتُكَ مُسَالِماً ، وَجِئْتُكَ أَطْلُبُ دِيَّةَ أَخِي ، قُتِلَ خَطَأً .
فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِيَّةِ أَخِيهِ هِشَامِ بْنِ صُبَّابَةَ ؛ فَأَقَامَ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ كَثِيرٍ ، ثُمَّ عَادَ عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ،
ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُرْتَدّاً ؛ فَقَالَ فِي شَعْرِ يَقُولُهُ :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدِمْتَ بِالقَاعِ مُسْتَنْدَاً تُصَرِّجُ ثَوْبِيهِ دِمَاءَ الْأَخْدَاعِ
وَكُنْتَ مُهْمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ نَلِمَ فَتَحْخِمِي وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ
حَمَلْتُ بِهِوِّتِي وَأَدْرَكْتُ ثَوْرَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْتَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
تَأَثَّرْتُ بِهِ فَهَرَأَ وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ سَرَّاقَةُ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ

وقال مِقْيَسُ بْنُ صُبَّابَةَ أَيْضاً :

جَلَّتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ لَهَا وَشَلَّ مِنْ نَاقِعِ الْجُوفِ يَمْلُوهُ وَيَقْصُرُمُ
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تُفْشَاهُ أَسْرَتَهُ لَا تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرٍ إِذَا ظَلَمُوا

شمار المسلمين

قال ابن هشام : وكان شمار المسلمين يوم بني المصطلق : لا منصور ،
أيت أيت .

قتلى بني المصطلق

قال ابن إسحاق : وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس ، وقتل على
ابن أبي طالب منهم رجلان ، مالكاً وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً
من قريشهم ، يقال له : أحر ، أو أحيمر .

أمر جويرية بنت الحارث

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحاب منهم شبيهاً كثيراً ، فشا
قسمه في المسلمين ؛ وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث
ابن أبي ضرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق ،
وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشاس . أو لابن
عم له ، فسكاتها على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحه ، لا يراها أحد إلا
أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها قالت
عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حُجْرَتِي فسكرتها ، وعرفت

أنه سبى منها صلى الله عليه وسلم مارأيتُ، فدخلتُ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي صرار ، سيد قومى ، وقد أصابنى من البلاء ، ما لم يخفَ عليك ، فوقعتُ فى السهم لثابت بن قيس بن الشَّاس ، أولابن عمِّ له ، فسكَّابته على نفسى فحيتك أستعينك على كتابتى ، قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وماهو يا رسول الله ؟ قال : أفضى عنك كتابتك واتزوجك ؛ قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جُويرية ابنة الحارث بن أبي صرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم ، قالت : فلقد أعتق أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظا على قومها بركة منها .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جُويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار ودبعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي صرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فغضب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البهران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت محمد رسول الله ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ،

فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودُفِقت إليه ابنته جُوَيْرِيَّةُ ، فأسلمت ، وحسن إسلامها ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

ما نزل من القرآن في حق الوليد بن عقبة

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد هتموا بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقاتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم ، حتى تم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبينما هم على ذلك قدم وفدٌهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ! سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنُكْرِمه ، ونؤدِّي إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أننا خرجنا إليه لنقتله ، والله ما جئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجَاهَلَةٍ ، فَتُصِيبُوا عَلَى مَا قَاتَلْتُمْ نَادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾ . . . إلى آخر الآيات . (الحجرات ٦ - ٨) .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثني من

لا أتهم عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

سنة ست

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهرى ، عن علقمة بن وقاص ، وعن سميكة ابن جبير ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كلُّ قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم .

الهدى فى السفر مع الزوجات

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكأن قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكلُّ كان عنها ثقة ، فكأنهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أفرع بين نسائه ، فأيتن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بنى المصطلق أفرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهنَّ معه ، فخرج بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حديث الإفك

قالت : وكان النساء إذا ذاك إنما يأكلن العلق لم يهجن اللحم فينقلن
وكنت إذا رُحِّل لي بهيري جلست في هودجني ، ثم يأتي القوم الذين يُرَحَّلون
لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ،
فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قافلا حتى إذا كان قريبا
من المدينة نزل منزلا ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ،
فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقد لي ، فيه جزم ظفار ،
فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرَّحْل ذهبت ألتسه
في عنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي
ذهبت إليه ، فالتسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يُرَحَّلون
لي للبعير ، وقد فرغوا من راحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أني فيه ،
كما كنت أضنع ، فاحتملوه ، فشدوه على البعير ، ولم يشكوا أني فيه ،
ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى المسكر وما فيه من داع
ولا محجب ، قد انطلق الناس .

قالت : فتلفت بجلبابي ، ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو قد
افتقدت لرجع إلي . قالت : فوالله إني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن
المطَّل الشلمي ، وقد كان تخلف عن المسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع

الناس ، فرأى سَوَادِي ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، غَلِيظَةً رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وَأَنَا مُتَلَفِّفَةٌ فِي ثِيَابِي ، قال : مَا خَلَقَكَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ؟ قالت : فَاكَلْتُهُ ، ثُمَّ قَرَّبَ الْبَصِيرَ ، فقال : اِرْكَبِي ، واستأخر عَنِّي . - قالت : فَرَكِبْتُ ، وأخذَ بِرَأْسِ الْبَصِيرِ ، فَاظْلَقَ سَرِيحًا ، يطلب الناس ، فغَوَّاهُ . - ما أَدْرَكْنَا النَّاسَ ، وما افْتَقَدْتُ حتى أصبحتُ ، ونزل للناس ، فلما اطمأنوا - طلع الرجلُ يَقُودِي ، فقال أهل الإفاك ما قَالُوا ، فَارْتَمَجَ لِلتَّسْكُرِ ، ورواه الله - ما أعلمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

ثم قَدِمْنَا اللَّدِينَةَ ، فلم أَلْبَثْ أَنْ اشْتَكَيْتُ شَكْوَى شَدِيدَةً ، ولا يَلْفَنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، وقد انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أَبِي بَكْرٍ لا يَذْكُرُونَ لِي مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا ، إلا أَنِي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَضْ لُطْفِهِ بِي ، كُنْتُ إِذَا اشْتَكَيْتُ رَحِمَنِي ، وَأَطْفَ بِي ، فلم يَقْعَلْ ذَلِكَ بِي فِي شَكْوَايَ تِلْكَ ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ مِنْهُ ، كان إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي أُمِّي تُمَرِّضُنِي - قال ابن هشام : وهى أم رُومَانَ ، واسمها زَيْنَب بنت عبد دُفَّحَانَ ، أحد بَنِي قِرَاسِ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِفَانَةَ - قال : كَيْفَ تَبْكُمُ ، لا يَزِيدُ عَلَيَّ ذَلِكَ .

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وَجَدْتُ فِي نَفْسِي ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيتُ ما رَأَيْتُ مِنْ جَفَائِهِ لِي : لَوْ أَذْنْتُ لِي ، فَاثْنَقَلْتُ إِلَى أُمِّي ، فَمَرَّضَنِي ؟ قال : لا عَلَيْكَ . قالت : فَاثْنَقَلْتُ إِلَى أُمِّي ، ولا علمُ لِي بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ ، حتى

تَقِيَتْ مِنْ وَجَعِي بِمَدِّ بَضْعٍ وَعَشْرِينَ لَيْلَةً ، وَكُنَّا قَوْمًا عَرَبًا ، لَا تَتَّخِذُ فِي بُيُوتِنَا
هَذِهِ الْكُنُفَ الَّتِي تَتَّخِذُهَا الْأَعَاجِمُ ، نَعَاظِمُهَا وَنَسْكُرُهَا ، إِنَّمَا كُنَّا نَذْهَبُ
فِي فُسْحِ الْمَدِينَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَتِ النِّسَاءُ يُخْرِجْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي حَوَائِجِهِنَّ ، فَخَرَجْتُ
لَيْلَةً لِبَعْضِ حَاجَتِي وَمَعِيَ أُمُّ مِسْطَحَ بِنْتُ أَبِي رُمَيْلٍ بْنِ الْمَطْلَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ،
وَكَانَتْ أُمُّهَا بِنْتُ صَخْرَ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ
الصَّدِيقِ رَضِيَ عَنْهُ ؛ قَالَتْ : فَوَاللَّهِ إِنَّمَا تَمَشَى مَعِيَ إِذْ عَثَرْتُ فِي مِرْطَلِهَا ،
فَقَالَتْ : تَمَسَّ مِسْطَحُ ! وَمِسْطَحُ لَقَبٌ وَاسِمَةٌ : عَوَفٌ ؛ قَالَتْ : قُلْتُ : بَشْ
أَعْمَرُ اللَّهُ مَا قَاتَ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، قَالَتْ : أَوْ مَا بَلَغَكَ الْخَبْرُ
يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : وَمَا الْخَبْرُ ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ
الْإِفْكِ ، قَالَتْ : قُلْتُ : أَوْ قَدْ كَانَ هَذَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ فَقَدْ كَانَ . قَالَتْ :
فَوَاللَّهِ مَا قَدَّرْتُ عَلَى أَنْ أَقْضِيَ حَاجَتِي ، وَرَجَعْتُ ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَبْكِي حَتَّى
ظَنَنْتُ أَنَّ الْبِكَاءَ سَيَصْنَعُ كَبْدِي ؛ قَالَتْ : وَقُلْتُ لِأُمِّي : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ،
نَحْنُ نَحْدِثُ النَّاسَ بِمَا تَحْدِثُونَ بِهِ ، وَلَا تَذْكُرِينَ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ؛ قَالَتْ : أَيْ
مُبْتَدِئَةً ، خَفَضَ عَلَيْكَ الشَّأْنُ ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ حَسَنَاءَ ، عِنْدَ رَجُلٍ
يُحِبُّهَا ، لَهَا ضَرَارٌ ، إِلَّا كَثُرْنَ وَكَثُرَ النَّاسُ عَلَيْهَا .

قَالَتْ : وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ يَخْطُبُهُمْ
وَلَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ ، سَلِمَ اللَّهُ وَأَمْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَا بَالُ رِجَالٍ
يُزْذَوْنِي فِي أَهْلِي ، وَيَقُولُونَ عَلَيْهِمْ غَيْرُ الْحَقِّ ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرًا ،
وَيَقُولُونَ ذَلِكَ لِرَجُلٍ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا يَدْخُلُ بَيْتًا مِنْ بَيْوتِ
إِلَّا وَهُوَ مَعِيَ .

قالت: وكان كُبر ذلك عند الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح ومحنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصيها في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فقصها الله تعالى بدينها فلم يقل إلا خيراً ، وأما محنة بنت جحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادني لأختها ، فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمُرنا بأمرك ، فوالله إني لأهل أن تضرب أعناقهم ، قالت : فقام سمع بن عبادة ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً ، فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك مُناقق مُجادل عن المنافقين ، قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شرٌّ . ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على .

(قالت) فدعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأشامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أشامة فأثنى على خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا السكذب والباطل ، وأما علي فإنه قال يا رسول الله : إن النساء لكثير ، وإنك لتقدر على أن تتخلف ، وسَل الجارية ، فإنها

ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها ، قالت : فقام إليها علي بن أبي طالب ، فغص بها ضرباً شديداً ، ويقول : اصدقني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلا أني كنت أعجبن عجيني ، فأمرها أن تحفظه ، فقام عنه فأتى الشاة ففأكله .

القرآن وبراءة عائشة

قالت : ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندي أبوأي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبسكي ، وهي تبيكي معي ، فجلس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال يا عائشة ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فأتى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً ، مما يقول الناس فتووني إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، قالت : فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك ، فمَلَصَ دمي ، حتى ما أحسن منه شيئاً ، وانتظرتُ أبوي أن يُجيبا عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلم . قالت : وايم الله لآنا كنت أخقرُ في نفسي ، وأصغر شأننا من أن ينزل الله في قرآننا يُقرأ به في المساجد ، ويُصَلَّى به ، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئاً يكذب به الله عني ، لما بدعتم من براءتي ، أو يُخبر خيراً ، فأما قرآن ينزل في ، فوالله لتنفسي كانت أحقر عندي من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا يُجيبه ، قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر

في تلك الأيام ، قالت : فلما أن استعجمًا على ، استعبرت فيكبت ، ثم قالت :
والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا . والله إني لأعلم أني أقررت بما يقول
الناس ، والله يعلم أني منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت
ما يقولون لاتصدقوني . قالت : ثم التست اسم يعقوب فما ذكره ، فقالت :
ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى
مَا تَصِفُونَ ﴾ . قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمله حتى
ينشأ من الله ما كان ينشأه ، فسجى بثوبه ووضع له وسادة من آدم
تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت ، فوالله ما فزع
ولا باليت ، قد عرفت أني بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالم ، وأمد
أبوأي ، فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ظننت لتخرجن أنفسهما ، فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس ،
قالت : ثم سري عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاس ، وإنه ليتمحدر
منه مثل الجمان في يوم شات ، فحمل بمسح الترق عن جبينه ، ويقول : أبشري
يا عائشة ، قد أنزل الله براءتك ، قالت : قلت : بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس ،
تخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ، ثم أمر بتطبخ بن
أثانة ، وحسان بن ثابت ، وخمسة بنت جحش ، وكانوا من أفصح الناحية ،
فصروا خدمهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني
الأنصار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ،

أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَذَلِكَ السَّكْذِبُ ، أَكُنْتُ
يَا أُمَّ أَيُّوبَ فَاعْلَمِي ؟ قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلِهِ ؛ قَالَ : فَمَائِشَةُ وَاللَّهِ
خَيْرٌ مِنْكَ .

قَالَتْ : فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذِكْرِ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ مِنْ أَهْلِ
الْإِفْكَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا
لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِيَكُلَّ امْرِئٌ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ
الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وَذَلِكَ حَسَنُ بَنِي
ثَابِتٍ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : وَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابُهُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ
إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَبْلَ هَذَا . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ
الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَبَرًا ﴾ : أَيُّ قَالُوا كَمَا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ
وَصَاحِبَتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِذْ تَتَّقُونَهُ بِالْإِسْتِكْمَالِ ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ
لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

فَلَمَّا نَزَلَ هَذَا فِي عَائِشَةَ ، وَفِيمَنْ قَالَ لَهَا مَا قَالَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ يَنْفَقُ
عَلَى مِسْطَاحٍ لِقَرَابَتِهِ وَحَاجَتِهِ : وَاللَّهِ لَا أَنْفَقُ عَلَى مِسْطَاحٍ شَيْئًا أَبَدًا ، وَلَا أَنْفَعُهُ
يَنْفَعُ أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ ، وَأَدْخَلَ عَلَيْنَا ، قَالَتْ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ
﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى .

وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلِيَقْنُوا ، وَلِيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يقال : كثره وكثيره في الرواية ، وأما في القرآن فكثيره
باليكسر .

قال ابن هشام : (ولا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ) ولا يَأْلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ .
قال امرؤ القيس بن حُجْر الكندي :

أَلَا رَبُّ خَفِمْ فِيكَ أَلْوَى رَدَدَتْهُ نَصِيحٌ عَلَى تَقْذَالِهِ غَيْرُ مَوْتَلٍ

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : (وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ) : ولا يَخْلِفُ
أُولُو الْفَضْلِ ، وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصري ، فيما بلغنا عنه .

وفي كتاب الله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ) وهو من الآلية ،
والآلية : اليمين . قال حسان بن ثابت :

أَلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَبِداً مِثْلِي أَلَيْتُ بَرّاً غَيْرَ إِفْنَادٍ

وهذا البيت في أبيات لها ، سأذكرها إن شاء الله في موضعها . فغنى : أن
يؤثروا في هذا للذهب : أن لا يؤثروا ، وفي كتاب الله عز وجل : (يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا) يريد : أن لا تقولوا ، (وَيُؤْمِنُكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى
الْأَرْضِ) يريد أن لا تقع على الأرض ، وقال ابن مفرغ الحميري :

لَا دَعَزْتُ السَّوَامَ فِي وَضَحِ الصَّبْحِ مُعِيرًا وَلَا دُعَيْتُ زَيْدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ تَحَاقَّةَ الْمَوْتِ ضَمِيمًا وَالْمَنَايَا بِرَّصُدْتَنِي أَنْ أَحِيدًا
بُرِيدَ : أَنْ لَا أَحِيدَ ، وَهَذَانِ اللَّيْتَانِ فِي أَيْيَاتِ لَهُ .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إني لأحب أن يغفر
الله لي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحَ نَفَقَتِهِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا
مِنْهُ أَبَدًا .

ابن المفضل بهم يقتل حسان

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن المفضل اعترض حسان بن ثابت
بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك
يعترض بابن المفضل فيه وعن أسلم من العرب من مفسر ، قال :

أَمْسَى الْجَلَالِيْبُ قَدْ عَزَّزُوا وَقَدْ كَثُرُوا	وَابْنُ الْفَرِيعَةِ أُنْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ
قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مَنْ كَفَتْ صَاحِبَهُ	أَوْ كَانَ مُنْقَشِبًا فِي بُرْنِ الْأَسَدِ
مَا لَقِيتُ الْقِيَّ أَعْدُو فَاخُذْهُ	مِنْ دِيَةِ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوْدِ
مَا الْبَحْرُ حِينَ نَهَبَ الرِّيحُ شَامِيَةَ	فَيَفْطِلُ وَرَنْمَى الْعُمَيْرَا بِالزَّيْدِ
يَوْمًا بَاغَبَ مَنِي حِينَ تُبْصِرُنِي	مِنْ قَيْطِ الْأَرَى كَفَرْنِي الْمَارِضَ الْبَرْدِ
أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي أَنْسِلُهُمْ	حَتَّى يُنْبِئُوا مِنَ النِّبَاَتِ الْهَرْدِ
وَيَقْرَأُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْرِلَةٍ	وَيَسْجُلُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّدِّ

وَيَسْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ لَمْ يَحَقَّ وَيُوقِفُوا بِسَهْدِ اللَّهِ وَالْوَلَدِ
فَاعْتَرَضَهُ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِّ ، فَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ قَالَ : كَمَا حَدَّثَنِي
يَعْقُوبُ بْنُ عَتَبَةَ :

تَلَقَّى ذُبابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ حَيٌّ لَسْتُ بِشَاهِدٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ : أَنَّ ثَابِتَ
ابْنَ قَيْسٍ بِنَ الشَّامِ وَتَبَّ عَلَى صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِّ ، حِينَ ضَرَبَهُ حَسَّانُ ،
فَجَمَعَ بَدَنَهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى دَارِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ،
فَلَقِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : أَمَا أَصْغَبُكَ ضَرْبُ حَسَّانَ بِالسَّيْفِ ؟
وَاللَّهِ مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ قَتَلَهُ ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : هَلْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءًا مِمَّا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قَالَ : لَقَدْ احْتَرَأْتُ ،
أَطْلَقَ الرَّجُلُ ، فَأَطْلَقَهُ ، ثُمَّ اتَّوَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ
لَهُ ، فَذَعَا حَسَّانَ وَصَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِّ ، فَقَالَ ابْنُ الْمُعْطَلِّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : آذَانِي
وَهَجَانِي ، فَاحْتَمَلَنِي الْغَضَبُ ، فَضَرَبْتَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِحَسَّانَ : أَحْسَنُ يَا حَسَّانُ ، أَتَشَوَّهْتَ عَلَى قَوْمِي أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ :
أَحْسِنُ يَا حَسَّانُ فِي الْإِثْمِ أَصَابَكَ ، قَالَ : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ ابْنُ عَشَامٍ : وَيُقَالُ : أَبَدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَعْطَاهُ عَوْضًا مِنْهَا يَبْرَحَاءُ ، وَهِيَ قَصْرُ بَنِي حُدَيْلَةَ الْيَوْمَ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ

مالاً لأبي طلحة بن سهل تصدق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان في ضربته ، وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فوالت له عبد الرحمن بن حسان ، قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن المفضل ، فوجدوه رجلاً حَصُوراً ، ما يأتي النساء ، ثم قتل بمذلاك شهيداً .

قال حسان بن ثابت يمتدح من القدي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَأْرُونٌ يَرِيْقُ	وَتَضْبَحُ غَرَقَى مِنْ لُحُومِ الْعَوَاقِلِ
عَقِيلَةٌ حَىٌّ مِنْ لُؤْلُؤَى بِنِ غَالِبِ	كِرَامِ السَّمَاعَى تَجْدُمُ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا	وَهَيَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ	فَلَا رَفَعْتُ سَوَاطِي إِلَى أَتَائِلِ
وَكَيْفَ وَوَدَى مَا حَيَّتْ وَتَضَرَّتِي	لَالِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ
لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ	تَقَاصِرُ عَنْهُ سُبُورَةُ الْمُتَطَاوِلِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِالْأَمَلِ	وَلَسَكُنْ قَوْلُ امْرِئٍ بِي مَا حَلِ

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حى » والذي بعده ، وبيته : « له رتب عال » عن أبي زيد الأنصاري .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا زَنَ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ النَّوَافِلِ
قَالَتْ عَائِشَةُ : لَكِنْ أَبُوهَا .

شعر في هجاء حسان ومسطح

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه
في فريقتهم على عائشة قال ابن هشام : في ضرب حسان ومصابيه :

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلُهُ وَتَحَنُّهُ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمِسْطَحُ
تَمَاطَلُوا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجَ بَيْتِهِمْ وَسَخَطَةُ ذِي الْقَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَتَوْسَحُوا
وَأَذَوْا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا مُجَلَّلُوا تَحَاذَرَى تَبَقَى عُمُومُهَا وَفَضَحُوا
وَصَبَّتْ عَلَيْهِمْ مُخَصَّدَاتُ كَأَنَّمَا شَايِبُ قَطْرِ مِنْ ذُرَا الْمَزْنِ تَسْفَحُ

غزوة ذي قرد

ويقال فيه : قُرْدٌ بضمين هكذا أَلْفِيَّتُهُ مُقَيِّدًا عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ، وَالْقَرْدُ
فِي اللُّغَةِ الصُّوفِ الرَّدِيءُ ، يُقَالُ فِي مِثْلِ : عَثَرْتُ عَلَى الْفَزْلِ بِأَخْرَةٍ فَلَمْ تَدَعْ
بِنَجْدٍ قَرْدَةً (١) .

أَسْمَاءُ أَفْرَاسِ السُّلَمِيِّينَ :

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَسْمَاءَ خَيْلِ جَاعِيَةٍ مِمَّنْ حَضَرَهَا ،

(١) مِثْلُ مَنْ تَرَكَ الْحَاجَةَ مُسَكَّنَةً ، وَطَلَبَهَا قَاتِنَةً ، وَأَصْلُهُ أَنْ تَرَكَ الْمَرْأَةَ

فذكر بَغْرَجَةَ فرس المِقْدَادِ ، والبَغْرَجَةُ : شِدَّةُ جَرِيٍّ فِي مُغَالِبَةٍ كَأَنَّهُ مَنُحَوَّتْ
 مِنْ بَيْعٍ إِذَا شَقَّ ، وَعَزٌّ ، أَيْ : غَآبَ . وَأَمَّا سَبْحَةُ فَمِنْ سَبَّحَ إِذَا عَلَا عَلُوًّا
 فِي اتِّسَاعٍ ، وَمِنْهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَسُبْحَاتُ اللَّهِ : عَظَمَتُهُ وَعُلُوُّهُ ، لِأَنَّ النَّاضِرَ
 الْمُسَكَّرَ فِي [اللَّهِ] سُبْحَانَهُ يَسْبَحُ فِي بَحْرِ لَاسَاحِلَ لَهُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي مَعْنَى هَذِهِ
 الْكَلِمَةِ حَقَائِقَ وَدَقَائِقَ أَسْرَارٍ فِي شَرْحِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَمُحَمَّدِهِ . وَأَمَّا حَزْوَةٌ ،
 فَمِنْ حَزَوْتُ الطَّيْرَ إِذَا زَجَرْتَهَا ، أَوْ مِنْ حَزَوْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَظْهَرْتَهُ .
 قَالَ الشَّاعِرُ :

تَرَى الْأُمَمَزَ الْحَزْوُ فِيهِ كَأَنَّهُ مِنْ الْحَرِّ وَاسْتَقْبَالَ الشَّمْسَ مِسْطَحٌ ^(١)

وَجَلَوَةٌ مِنْ جَلَوْتُ السَّيْفَ ، وَجَلَوْتُ الْعَرُوسَ ، كَأَنَّهُمَا تَجْلُو النَّفَمَ عَنْ
 قَلْبِ صَاحِبِهَا . وَمَسْنُونٌ مِنْ سَنَنْتُ الْحَدِيدَةَ إِذَا صَقَلْتُهَا .

سَلَحَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ :

وَذَكَرَ سَلَحَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، وَاسْمُ الْأَكْوَعِ : سِنَانٌ ، وَخَيْرُ سَلَحَةٍ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَطْوَلُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَأَعْجَبَ ، فَإِنَّهُ اسْتَلَبَ وَجَدَهُ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ التَّدْوِ وَهُوَ رَاجِلٌ قَبْلَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ الْخَيْلُ ثَلَاثِينَ بَرْدَةً
 وَثَلَاثِينَ دَرَقَةً ، وَقَتْلَ مِنْهُمْ بِالْفَيْلِ كَثِيرًا ، فَكَلَّمَا هَرَبُوا أَدْرَكَهُمْ ، وَكَلَّمَا

(١) الْمِسْطَحُ : حَصِيرٌ يَسْفُ مِنْ خَوْصِ الدُّرُومِ ، وَالْبَيْتُ لَتَيْمِ بْنِ مَقْبِلٍ وَزِدَانِيَّةُ
 فِي السَّانِ هَكَذَا :

إِذَا الْأَمَمَزُ الْحَزْوُ أَجْنُ كَأَنَّهُ مِنْ الْحَرِّ فِي حَدِّ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحٌ
 وَالْأَمَمَزُ : أَرْضٌ صَلْبَةٌ .

راموه أملت منهم ، وشهرة حديثه تُنفى عن سرده ، فإنه في كتب الحديث المشهورة^(١) ، وقيل إن سلة هذا هو الذي كلمه الذئب ، وقيل : إن الذي كلمه الذئب هو أهبان بن صيفي^(٢) وهو حديث مشهور .

سرع اليوم يوم الرضع :

وقوله : اليوم يوم الرضع ، يريد يوم اللثام ، أي يوم جئتهم ، وفي قولهم : نعيم راضع أقوال ، ذكرها ابن الأنباري . قيل : الراضع هو الذي رضع اللثوم في فمهم ، أي : غدي به ، وقيل هو الذي يرضع ما بين أسنانه يستكثر من الجشع بذلك . وشاهد هذا القول قول امرأة من العرب تذر رجلاً : إنه لا كلة تُكَلَّه يأكل من جشعه خمله ، أي : ما يتخلل بين أسنانه . قال ابن قتيبة : ولم أسمع في الجشع ، والحرص أبلغ من هذا ، ومن قولهم : هو يُثير السكلاب من مريضها ، أي يلتمس تحتها عظاماً يتقرؤها ، وقيل في النعيم الراضع غير ما ذكرناه مما هو معروف عند الناس ومذكور في كتبهم .

(١) ورد في حديث رواه البخاري ومسلم وجملة أرميم بنبل ، وكنت رامياً . وأقول : أنا ابن الأكرع واليوم يوم الرضع وأرنحو حتى استنقذت اللقاح منهم ، واستلبت ثلاثين بردة ، و اللقاح الإبل الحوامل ذوات الألبان ، وقد رواه الإمام أحمد طرلاً وفيه : ثم لم أزل أرميم حتى القوا أكثر من ثلاثين رجلاً وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ، وسلة هو ابن عمرو بن الأكرع وهو من تابع الرسول تحت الشجرة على الموت . مات وسنة أربع وسبعون سنة .

(٢) وقيل اسمه : أهبان ، أو . وهبان . ولقد علم سليمان النبي منطق الطير ،

وقوله : اليومَ يَوْمُ الرُّضْعِ بالرفعِ فيهما ، وبنصب الأول ، ورفع الثاني ،
حكي سِيَّوِيَّة : اليومَ يَوْمُكَ ، على أن يحمل اليومَ ظرفاً في موضع خبرٍ للثاني ،
لأنَّ ظروفَ الزمانِ يخبر بها عن زمانٍ مثلها إذا كان الظرفُ يَنْسَجُ ، ولا يضيّق
على الثاني ، مثل أن تقول : الساعةَ يَوْمُكَ ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ فَذَلِكَ
يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ اللدثر ٩٠ أن يَوْمَئِذٍ ظرفٌ ليومٍ عسيرٍ ، وذلك أنَّ ظروفَ
الزمانِ أحداثٌ ، وليست بِمُجْتَمِعٍ فلا يَمْتَنِعُ فيها مثلُ هذا ، كما لا يمتنعُ في سائرِ
الأحداثِ .

وقوله عليه السلام لَمِفْكَارِيَّةٍ ، واسمها ايلي ، ويقال هي امرأة أبي ذرٍّ حين
أخبرته أنها نذرت إن الله نجَّاهَا ، عليها أن تَنْفَعَهُ ، قال : فَتَبَسَّمَ رسولُ الله -
صلى الله عليه وسلم - ثم قال : بئسَ ماجزيتها أنْ تَحْلَلَكَ اللهُ عليها وتنجِّاك بها ،
ثم تَنْفَعَرِيهَا إنه لا نَذَرَ في مَنَصِيَّةِ الله ، ولا في مالا تَمْلِكِينَ ، في حُجَّةٍ
للشافعي ، ومن قال بقوله : إن ما أحرزه العدو من مالٍ إنه لهم بلائٌ من قبل
القسمِ وبعده ، لأنه لا يُخْرِجُهُ مِنْ مِلْكِهِ حَوْزُ العدوِّ له ، وقال مالك : هو
أولى به قبل القسمِ وصاحبه بعد القسمِ أولى به بالثمن ، وفيه قولان آخران
لأهل العراق .

مول النذر والظن واليقين :

وقوله عليه السلام : إنه لا نَذَرَ في مَنَصِيَّةِ الله ، ولا فيما لا تملكين ، وقوله
عليه السلام : لا نَذَرَ لأحدٍ فيما لا يملك ، ولا طَلَّاقَ لأحدٍ فيما لا يملك ، ولا يفتق

لأحد فيما لا يملك، حديث مَرْوِيٍّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ فِي الصَّحِيحَيْنِ لِمَلِّ فِي أَسَانِيدهُ، وَقَدْ قَالَ تَهْنُذُ الْحَدِيثِ أَنَّ لَطَّاقَ قَبْلِ الْمَلِكِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَقَهَّاءُ التَّابِعِينَ وَقَهَّاءُ الْأَمْصَارِ، وَسَوَاءٌ عِنْدَهُمْ عَيْنُ امْرَأَةٍ، أَوْ لَمْ يُعَيَّنْ، وَإِلَيْهِ مَالُ الْبَخَّارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَرَوَاهُ ابْنُ كَيْسَانَ عَنْ مَالِكٍ، وَابْنُ وَهْبٍ، وَاحْتِجَّ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِقَوْلِهِ نَعَالِي ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الْأَحْزَابُ : ٢٩ قَالَ : فَإِذَا لَا طَّلَاقَ إِلَّا بَعْدَ نِكَاحٍ، وَقَالَ شُرَيْكُ الْقَاضِي : النِّكَاحُ دَقْدُقُ الطَّلَاقِ حَلٌّ، فَلَا يَكُونُ الْحُلُّ إِلَّا بَعْدَ التَّقْدُّ.

من شرح شعر مائه أعضاء الخيل :

وذكر شعر حسان :

لولا الذي لانت ومسى نُسُورُهَا

يعنى : الخيل، والنسر كالنواة في باطن الحافر، وفي القرس عشرون عضواً، كل عضو منها يُسَمَّى بِاسْمِ طَائِرٍ، فَفِيهَا النَّسْرُ وَالنَّمَامَةُ وَالْهَامَةُ وَالشَّمَامَةُ وَالسَّيْدَانَةُ وَهِيَ الْحَمَامَةُ وَالْقَطَاةُ الذَّبَابُ وَالْعُصْفُورُ وَالْفُرَابُ وَالصُّرَدُ وَالصُّفْرُ وَالْحَرْبُ وَالنَّاهِضُ، وَهُوَ قَرْنُخُ^(١) الْمُعَابِ وَالْخَطَّابُ، ذَكَرَهَا وَفِيهَا الْأَصْنَمِيُّ^(٢)، وَرَوَى فِيهَا شِعْرًا لِأَبِي حَزْرَةَ جَرِيرٍ، وَهُوَ :

(١) في الأصل : فرج .

(٢) أنظر ص ١٩٣ من هذا الأمل والنواذر للقال ط ٢ فترأ أكثر ما ذكر =

وَأَقْبَّ كَالشَّرْحَانِ تَمَّ لَهُ مَا بَيْنَ هَامَتِهِ إِلَى الذَّنْثِرِ
 رَحُبَتْ نَمَامَتُهُ وَوُفِّرَ قَرْخُهُ وَتَمَكَّنَ الصُّرَدَانِ فِي الذَّنْزِرِ
 وَأَنَافَ بِالْمُضْغُورِ فِي سَفِّ هَامٍ أَشَمَّ مُوْتَقِّ الْجَنْزِرِ
 وَازْدَانَ بِالذَّبْيَكَيْنِ صَلَاحَهُ وَنَبَتْ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصُّدْرِ
 وَالْقَاهِضَانِ أَمِيرَ جَنْدَزُهَا فَكَأَنَّمَا مُعْمَا عَلَى كَنْسِرِ
 مُسْحَنَفَرِ الْجَنْبَيْنِ مُلَقِّمِ مَا بَيْنَ شَيْمَتِهِ إِلَى الْفَرْ
 وَصَفَتْ سَمَانَاهُ وَحَافِرُهُ وَأَدِيمُهُ وَمَنَابِتُ الشُّفْرِ^(١)
 وَسَمَا الْفَرَابُ لَمَوْقِعِهِ مَمَا فَأَبِينِ بَيْنَهُمَا عَلَى قَذْرِ
 وَاسْتَنَّ دُونَ قَبِيحِهِ خُطَافُهُ وَنَاتِ سَمَامَتِهِ^(٢) عَلَى الصُّفْرِ
 وَتَقَدَّمَتْ عَنْهُ الْقَطَاةُ لَهُ فَتَأَتْ بِمَوْقِعِهَا مِنَ الْحُرِّ^(٣)
 وَسَمَا عَلَى تَقْوِيَةِ دُونَ حِدَاتِهِ خَرَبَانِ بَيْنَهُمَا مَدَى الشُّبْرِ
 بَدَعَ الرَضِيمَ إِذَا جَرَى فَلَقَا بَتَوَائِمِ كَمْوَائِمِ تَنْسِرِ

== السبيل. ويدكرون أن الرشيد قال للأصمعي : قيل إن في الفرس عشرين اسماً من أسما الطير ، فقال : نعم ، وأنشده شعراً جامعاً لها من قول جرير ، فأمر له بمشرة آلاف درهم .

(١) في الأصل . وأديمه والشفر

(٢) في الأصل : سماته

(٣) في الأصل : فبات

رُكِّنَ فِي تَحْضِي الشَّوَى سَبِيحَ كَفَتِ الْوُثُوبُ مُشَدِّدِ الْأَسْرِ (١)

ببر وفجار :

وقوله : فَشَكُّوا بِالرُّمَاحِ بَدَادٍ بَدَادٍ مِنَ التَّبَدُّدِ ، وهو التفرُّق ، وهو
في موضع نصب غير أنه مَبْنِيٌّ وَنَصْبُهُ كَانْتِصَابٍ لِلْمَصْدَرِ ، إِذَا قُلْتَ : مَشَيْتُ
الْمَشْيَ قَرِي ، وَقَعَدْتَ الْقَرْعَاءَ ، وَكَأَنَّهُ قَالَ : طَعَنُوا الطَّعْنَةَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا
بَدَادٌ ، وَبَدَادٍ مِثْلُ فَجَأٍ مِنْ قَوْلِهِ : اخْتَمَلْتُ فَجَأً (٢) جَلَّوْهُ اسْمًا عَلَمًا
لِلْمَصْدَرِ ، كَمَا قَالُوا : فَحَمَلْتُ بَرَّةً ، فَجَلَّ بَرَّةً عَلَمًا لِلْبَرِّ ، وَسِرُّ هَذِهِ الْعَلَمِيَّةِ
فِي هَذَا الْوَلَدِ أَنَّهُمْ أَرَادُوا الْفِعْلَ الْأَتَمَّ الَّذِي يُسَمَّى بِاسْمِ ذَلِكَ الْفِعْلِ حَقِيقَةً ،
فَقَدْ يَقُولُ الْإِنْسَانُ بَرَّةً فَلَانٌ وَفَجَرًا أَيْ قَارَبَ أَنْ يَقْعَلَ ذَلِكَ ، أَوْ فَعَلَ مِنْهُ
بَعْضَهُ ، فَإِذَا قَالَ : قَعَلْتُ بَرَّةً ، فَإِنَّمَا يَرِيدُ الْبَرَّ الَّذِي يُسَمَّى بِرًّا عَلَى الْحَقِيقَةِ ،
فَجَاءَ بِالِاسْمِ الْعَلَمِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مُسَمَّاهُ حَقِيقَةً ، إِذْ لَا يَتَصَوَّرُ هَذَا الضَّرْبُ
مِنَ الْحَاجِزِ فِي الْأَعْلَامِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ النُّجُورَ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَأَرَادَ رَفَعَ
الْحَاجِزِ سَمَاءً ، فَجَزَّ تَحْقِيقًا لِمَعْنَى ، أَيْ : مِثْلُ هَذِهِ الْفِعْلَةِ يَنْبَغِي أَنْ تُسَمَّى بِاسْمِ
النُّجُورِ حَقِيقَةً ، وَكَذَلِكَ قَالُوا فِي النَّدَاءِ : يَا فَسَّاقِ وَيَا سُنُقُ فُجَاءُوا بِالصِّغَةِ
لِلْمَعْرُوفَةِ الْعَلَمِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ مَعَ النَّدَاءِ خَاصَّةً ، أَيْ : إِنَّ هَذَا الْاسْمَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ

(١) انظر القصيدة وشرحها وقصة الأصمعي مع الرشيد في نهاية الأرب

ص ٢٣ سفر العاشر وانظر أيضا "مقد القريد لابن عبدربه" ص ١٠٦ طبولاق
وص ٩١ ص ٢٠ سطر الآل للبكري .

(٢) يعني قول النابغة :

لَمَّا أَفْقَسْنَا خَطَّتِنَا يَنْتَابَا فَحَمَلَتْ بَرَّةً ، وَاحْتَمَلَتْ لِحَارَ

اسمه الذي يُدعى به، إذ الاسم العلم ألزم لاسمائه من اسم مشتق من فعل فله، لأن الفعل لا يثبت، والاسم العلم يثبت، فهذا هو مغزاهم في هذه الأسماء التي هي على صيغ الأعلام في هذه المواطن، فتأملها، وقد بسطنا هذا الغرض بسطاً شافياً في أسرار ما ينصرف، وما لا ينصرف، فلتنظر هنالك، فم ترى سراً بنائها على الكسر مع ما يتصل بمعانيها إن شاء الله، وألقيت في حاشية الشيخ رحمه الله على قوله: فشكوا بالرمح فشلوا^(١) باللام الرواية الصحيحة، وخبيقة للمعنى، ووقع في الأصلين: فشكوا بالكاف كما في هذا الأصل. إلى هاهنا انتهى كلام الشيخ، والشل باللام: الطرد، والشك بالكاف: الطعن كما قال:

شَكَ الْمَيْبِطُ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَصْدِ [شَكَ الْفَرِيصَةَ بِالْمِدْرَى فَأَغْذَاهَا^(٢)]

عرد إلى شرح شعر صابره:

وقوله: رَهَوْا أَى: مَشِيًا بِسَكُونٍ، ويقال لِمُسْتَنْقِضِ الْمَاءِ أَيْضًا رَهْوٌ وَالرَّهْوُ أَسْمَاءُ الْكُرْكِيِّ، وَالرَّهْوُ الْمِرْآةُ الْوَاسِعَةُ.

(١) أنظر مادة بدد وفجر وفسق في اللسان. وشلوا هي رواية للسان. وضبط لجبا بضم اللام والجيم.

(٢) البيت للناطقة وتمامة: شك المبيط إذ شفى من العصد. والمدرى والمدرأة شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان الماط. والفريصة: حلة عن نفخ الكعب في وسط الخشب عند منبض القلب.

وقوله : رَوَادِي ، أَي تَزْدِي بِفُرْسَانِهَا ، أَي : تَسْرِعُ^(١) .

قصيدة أخرى لحسان :

وقول حسان في خيل عِيْنَتِهِ :

هَوَّلُوا سِرَاحًا كَشَدَّ النَّعْمَا لَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلْطٍ حَصِيرَا

أَي : لَمْ يَنْفَعُوا بَعِيرًا ، وَلَا كَشَفُوا عَنْهُ حَصِيرًا ، يَعْنِي : بِالْحَصِيرِ مَا يَكْنُفُ بِهِ حَوْلَ الْإِبِلِ مِنْ عِيدَانِ الْخَطِيرَةِ ، وَالْمُلْطُ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَلَّتِ النَّاقَةُ ، وَأَلَّتْ بِذَنَبِهَا إِذَا أَخَذَتْهُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا^(٢) .

غزوة بني المصطلق

وَمِنْ بَنُو جَذِيمَةَ بْنِ كَنْفٍ مِنْ خَزَاةَ ، فَجَذِيمَةُ هُوَ الْمُصْطَلِقُ وَهُوَ مُفْتَعِلٌ مِنَ الصَّلَاقِ ، وَهُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ^(٣) .

وَذَكَرَ الْمُرْسِيعَ ، وَهُوَ مَاءُ الْخَزَاةِ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ : رَسَمْتُ عَيْنَ الرَّجُلِ : إِذَا دَمَعَتْ مِنْ قَسَادٍ .

(١) يَقُولُ الْحَشْنَى : وَمَنْ رَوَا بِكُسر الرَّاءِ . فَهُوَ مِنَ الْمَشَى الزَّوِيدِ ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ قَنُورٌ ص ٣٢١

(٢) يَقُولُ أَبُو ذَرٍّ : الْمَاطُ بِالْإِطَاءِ الْمَهْمَةُ اللَّاصِقُ بِالْأَرْضِ هُنَا . وَالْحَصِيرُ : وَجْهُ الْأَرْضِ هُنَا ص ٣٢٢

(٣) يَقُولُ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي الْأَشْتِقَاقِ : سُمِّيَ الْمُصْطَلِقُ لِحَسَنِ صَوْتِهِ كَأَنَّهُ مُفْتَعِلٌ مِنَ الصَّلَاقِ ، وَالصَّلَاقُ شِدَّةُ الصَّوْتِ وَحِدَّتُهُ ، ص ٤٧٦ وَقَدْ ضَبَطَ الْوَرَقَانِ جَذِيمَةَ بِضَمِّ الْجِيمِ وَفَتْحِ الدَّالِ . وَالْقَامُوسُ يَضْبَعُهَا بِالضَبْطَيْنِ .

وذكر سِفْكَانَ بْنِ وَرَّةَ^(١) وقال غيره : هو سِفْكَانُ بْنُ تَمِيمٍ مِنْ جَهَنَّةِ بْنِ
مَوْدٍ بْنِ أَسْلَمَ حَلِيفَ الْأَنْصَارِ .

تحريم دعوى الجاهلية :

وذكر أنه نَادَى : يَا لِلْأَنْصَارِ ، وَنَادَى جَهَّجَاهُ الْفِقَارِيُّ يَا لِلْمَاجِرِينَ ،
ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعها ، وفي الصحيح^(٢) أنه
عليه السلام حين سمعها منها ، قال : دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَفَنَةٌ ، بِمَعْنَى : لَهَا كَلِمَةٌ
خَبِيثَةٌ ، لِأَنَّهَا مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، وَجَعَلَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةً وَحِزْبًا وَاحِدًا ،
فَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الدَّعْوَةُ يَا لِلْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ دَعَا فِي الْإِسْلَامِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ
فَيَتَوَجَّهَ لِلْفَقْهَاءِ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ : أَحَدُهَا : أَنْ يُجَلَّدَ مِنْ اسْتِجَابِهَا بِالسَّلاَحِ
خَمْسِينَ سَوْطًا اقْتِدَاءً بِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فِي جَلْدِهِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ خَمْسِينَ
سَوْطًا ، حِينَ سَمِعَ : يَا لِمَامِرٍ ، فَأَقْبَلَ بِشَتْدٍ بِمُصَيَّةٍ لَهُ . وَالْقَوْلُ الثَّانِي : إِنْ فِيهَا
الْجَلْدُ دُونَ الْعَشْرَةِ لَهَيْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُجَلَّدَ أَحَدٌ فَوْقَ الْعَشْرَةِ إِلَّا فِي حَدٍّ ،
وَالْقَوْلُ الثَّلَاثُ : اجْتِهَادُ الْإِمَامِ فِي ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَاهُ مِنْ سَدِّ الدَّرَجَةِ
وَإِعْلَاقِ بَابِ الشَّرِّ ، إِمَّا بِالْوَعِيدِ ، وَإِمَّا بِالسَّجْنِ ، وَإِمَّا بِالْجَلْدِ .

فَإِنْ قِيلَ : إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُعَاقِبِ الرَّجُلَيْنِ حِينَ دَعَا بَهَا
فَلَمَّا : قَدْ قَالَ : دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَفَنَةٌ ، فَقَدْ أَكَّدَ النَّبِيُّ ، فَمَنْ عَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ هَذَا
النَّهْيِ ، وَبَعْدَ وَصْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا بِالْإِنْتَانِ وَجَبَ أَنْ يُؤَدَّبَ ،

(١) في السيرة : وير

(٢) هو في صحيح البخاري .

حتى يشم نَفْسَهَا ، كما فعل أبو موسى رحمه الله بالجفدي ، فلا معنى لَنَفْسِهَا .
إلا سوء العاقبة فيها والعقوبة عليها .

مهرجاء :

وأما جَهْجَاهُ فهو ابن مَسْمُودٍ ^(١) بن سَعْدِ بْنِ حَرَامٍ ، وهو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : للؤمن يأكل في مِعَى واحدٍ ، والكافر يأكل في سَبْعَةِ آمْنَاءَ ، وهو كان صاحب هذه القصة فيما روى ابن أبي شَيْبَةَ والبخاري ، وقد قيل أيضاً : إن الرجل الذي قال فيه عليه السلام هذه المقالة ، هو ثَمَامَةُ بْنُ أَفَالٍ الحنفي ، ذكره ابن إسحاق ، وقيل : بل هو أبو بَصْرَةَ [جميل بن بَصْرَةَ] الغفاري ، قاله أبو عبيد ، ومات جَهْجَاهُ هذا بعد قتل عُثْمَانَ رحمه الله ، أخذته الأَكَلَةُ في ركبته فمات منها ، وكان قد كسر برُكْبَتِهِ عصاً رسول الله صلى الله عليه وسلم - التي كان يخطُبُ بها ، وذلك أنه انتزعها من عُثْمَانَ حين أُخْرِجَ من المسجد ، ومُنِعَ من الصلاة فيه ، فكان هو أحد العيين عليه ، حتى كسر المصاعلي رُكْبَتَهُ ، فيما ذكروا ، فابْقَى بما ابتلى به من الأَكَلَةِ : نموذجاً بالله من عُقُوبَتِهِ ، ونستجير به من الأهواء المُضِلَّةِ ^(٢) .

موقف عبد الله الصحابي من أيه المنافق ودلالته :

وذكر مقالة عبد الله بن أبيه ، وأن ابنه عبد الله بن عبد الله استأذن

(١) في الإصابة : ابن سعيد ، وقيل : ابن قيس .

(٢) انظر ترجمته في الإصابة .

النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه من أجل تلك المقالة ، وفي هذا العلم العظيم .
والبرهان الثَّابِت من أعلام النبوة ، فإن العرب كانت أشد خلق الله حميةً .
وتعصباً ، فبلغ الإيمان منهم ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل
منهم في قتل أبيه وولده ، تَقَرُّباً إلى الله ، وتَزَلُّفاً إلى رسوله ، مع أن الرسول
- عليه السلام - أبعد الناس نسباً منهم ، وما تأخر إسلام قومه وبني عمه وسبق
إلى الإيمان به الأبعد إلا لحكمة عظيمة ، إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان
به ، لقليل : قوم أرادوا النحرَ برجل منهم ، وتعصبوا له ، فلما بادر إليه
الأبعد ، وقالوا على حبه مَنْ كان منهم أو من غيرهم ، عَلِمَ أن ذلك
عن بصيرة صادقة ويقين قد تخلل في قلوبهم ، ورهبة من الله أزلت صفة ،
قد كانت سدِّكت^(١) في نفوسهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالتها إلا الذي
فطر الفطرة الأولى ، وهو القادر على ما يشاء ، وأما عبدُ الله بن عبدِ الله ،
فكان من كتَّاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان اسمه حُبَاب ، وبه كان
يُكنى أبوه ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، مات شهيداً بالجماعة
رضى الله عنه ، وروى الدارقطني مُسْتَدَافاً أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
مرَّ على جماعة فيهم عبدُ الله بن أبيّ فسلم عليهم ، ثم ولي ، فقال عبد الله : لقد
عَتَا ابنُ أبي كَبْشَةَ في هذه البلاد ، فسمعها ابنه عبدُ الله ، فاستأذن النبي
صلى الله عليه وسلم في أن يأتيه برأس أبيه ، فقال : لا ، ولكن برَّ أباك .
وذكر ابنُ إسحاق في هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغته مقالة

عبد الله بن أبي: مَنَّ النَّاسُ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، وَيُرْوَى مَنَّى، فَأَمَّا مَنَّ، فَقَالَ
صَاحِبُ الْعَيْنِ: قَالَ: سَارُوا سَبْرًا مَهَاتًا، أَيْ: يَمِيدًا.

حول حديث جويرية «ملاح وملح»

فصل: ودكر جويرية بنت الحارث، ووقعها في السَّهْمِ ثَابِتِ بْنِ
قَيْسٍ، أَوْ لَابِنِ عَمِّ لَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ ثَمْتَيْنِ فِي كِتَابَتِهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَتْ
أَمْرًا حُلُوَّةً مَلَّاحَةً. الْمَلَّاحُ أَبْلَغُ مِنَ الْمَلِيحِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَكَذَلِكَ الْوَضَاءُ
أَبْلَغُ مِنَ الْوَضِيِّ، وَالْكِبَارُ كَذَلِكَ أَبْلَغُ مِنَ الْكَبِيرِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يوصفُ الْبَارِي
سَبْعَانَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، يُقَالُ فِيهِ كِبَارٌ بِمَعْنَى كَبِيرٍ، لِأَنَّهُ عَلَى بَنِيَّةِ الْجَمْعِ، نَحْوُ
خُرَابٍ وَشَهَادٍ، فَكَانَ لَفْظُ الْكَبِيرِ وَنَحْوُهُ أَبَدًا مِنَ الْأَشْرَافِ، وَأَدْلَى عَلَى
الْوَحْدَانِيَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وأما معنى: الْمَلَّاحَةُ، فَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهَا مِنَ الْمُلْحَةِ وَهِيَ الْبَيَاضُ،
يَقُولُ الْعَرَبُ: عَنَبَ مَلَّاحِيٌّ ^(١) وَالصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْمَلِيحِ، أَنَّهُ مُسْتَعَارٌ مِنْ قَوْلِهِمْ:
طَعَامٌ مَلِيحٌ إِذَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْمِلْحِ بِقَدَرٍ مَا يَصْلُحُ بِهِ، وَلِذَلِكَ إِذَا بَالَغُوا فِي اللَّذِّحِ
قَالُوا: مَلِيحٌ قَزِيحٌ، فَمَلِيحٌ مِنْ مَلَحَتْ الْقِدْرُ، وَقَزِيحٌ مِنْ قَزَحَتْهَا إِذَا
طَبِيتْ نَكْهَتُهَا بِالْأَقَاوِيهِ، وَهِيَ الْأَقْرَاحُ، وَبِذَلِكَ عَلَى بُغْيِ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ
الْبَيَاضِ قَوْلُهُمْ: فِي الْأَسْوَدِ: مَلِيحٌ، وَفِي الْعَيْنَيْنِ إِذَا اشْتَدَّ سَوَادُهُمَا وَحُسْنُهُمَا
كَأَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ سَبْعَانَهُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ طه: ٢٩. أَنَّهَا

(١) وقد تشدد اللام.

مَلَاخَةٌ فِي الْعَيْنَيْنِ ، وَقَالَ الْأَنْصَمِيُّ : الْحُسْنُ فِي الْعَيْنَيْنِ ، وَالْجَمَالُ فِي الْأَنْفِ ،
وَالْمَلَاخَةُ فِي النَّمْرِ . وَقَالَتْ امْرَأَةُ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ لِبُعْلَاهَا : إِنَّكَ لَجَمِيلٌ
يَا أَبَا صَفْوَانَ ، فَقَالَ : وَكَيْفَ وَابْنُ عَنَسٍ يَرِدَاهُ الْجَمَالُ وَلَا بُرْنُؤُهُ
وَلَا عُمُودُهُ ؟ نَمَّ قَالَ : عُمُودُهُ الطُّلُوعُ ، وَأَنَا رُبْعَةٌ ، وَبُرْنُؤُهُ سِوَادُ الشَّعْرِ ،
وَأَنَا أَشْمَطُ ، وَرِدَاؤُهُ الْبَيَاضُ ، وَأَنَا آدَمُ ، وَلَكِنْ قَوْلِي : إِنَّكَ مَلِيحٌ ظَرِيفٌ .
خَطَبَهَا أَنَّ الْمَلَاخَةَ قَدْ تَكُونُ مِنْ صِفَةِ لَادَمَ ، فَهِيَ إِذَا لَيْسَتْ مِنْ مَعْنَى
الْبَيَاضِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ ضِدُّ الْمَسَاةِ .

هَبْرَةُ نِسَاءِ النَّبِيِّ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ :

وَقَوْلُ عَائِشَةَ فِي جُوزِيَّةٍ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي
فَحَكَمْتُهَا . فِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْغَفِيرَةِ
عَلَيْهِ ، وَالْعِلْمُ بِمَوْقِعِ الْجَمَالِ مِنْهُ ، كَمَا قَدْ رَوَى أَنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ حَطَبٌ
امْرَأَةٌ فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةَ لَتَنْظُرَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ طَائِلًا ،
فَقَالَ : بَلَى لَقَدْ رَأَيْتُ خَالًا فِي خَدَّيْهَا اقْتَشَعَرَتْ مِنْهُ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِكَ .
وَأَمَّا نَظَرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجُوزِيَّةَ حَتَّى عَرَفَ مِنْ حُسْنِهَا مَا عَرَفَ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ
لَأَنَّهَا كَانَتْ امْرَأَةً مَمْلُوكَةً ، وَلَوْ كَانَتْ حُرَّةً مَامَلَا حَيْثُ مَتَّهَا ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ النَّظَرُ إِلَى
الْإِمَاءِ ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ نَظَرُ إِلَيْهَا ، لِأَنَّهُ نَوَى نِكَاحَهَا ، كَمَا نَظَرَ إِلَى الْمَرْأَةِ
الَّتِي قَالَتْ لَهُ : إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَصَعَّدَ فِيهَا النَّظَرَ
ثُمَّ صَوَّبَ ، ثُمَّ أَنْسَكَحَهَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرُّخْصَةُ فِي النَّظَرِ
إِلَى الْمَرْأَةِ عِنْدَ إِرَادَةِ نِكَاحِهَا ، وَقَالَ لِلْمُفِيرَةِ حِينَ شَاوَرَهُ فِي نِكَاحِ امْرَأَةٍ :

(٢٨٨ م - الرُّوْضُ الْأَخْيَرُ ج ٢)

لو نظرت إليها، فإن ذلك آخرى أن يؤدَمَ منكما، وقال مثل ذلك ل محمد بن
مسعدة حين أراد نكاح مَبِيَّة بنت الصَّحَّاح، وقد أجازته مالك في إحدى
الروايج عنه، ذكرها ابن أبي زَيْد. وفي مُسند البزار من طريق أبي بَكْرَةَ
لا يخرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزويجها، وهي لا تشمر. وفي تراجم
البُخَارِيِّ: القَطْرُ إلى المرأة قبل التزويج، وأورد في الباب قوله عليه السلام
لعائشة أُرِيْتُكَ في المنام يعني بك الملك في سُرْقَةٍ من حرير، فكشفت عن
وجهك، قال: هذه امرأتك، قلت: إن يكن من عند الله يُعْصِي. وهذا
استدلال حسن. وفي قوله: إن يكن من عند الله سؤال، لأن رؤياه وحى،
فكيف يشك في أنها من عند الله.

والجواب: أنه لم يشك في صحة الرؤيا، ولكن الرؤيا قد تكون على
ظاهرها وقد تكون إن هو نظير المرء أو سميه، فمن هاهنا تطرق الشك
مابين أن تكون على ظاهرها، أو لها تعليل كذلك، وسمعت شيخنا يقول
في معنى هذا الحديث، ولغيره فيه قول لا إرضاء، فلا يحل نظره عليه السلام
إليها من أحد الأمرين، أو يكون ذلك قبل أن يُضْرَبَ الحجاب، وإلا فقد
قال الله تعالى له: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْصُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ ﴾ وهو إمام المتقين
وَقُدْوَةُ الْوَرَعِينَ^(١) صلى الله عليه وسلم.

(١) هذا هو الحق، ولا يلتفت أبداً إلى سواء. والاستاذ العقاد فصل ممتاز
عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم مختار منه ما يأتي: لا حاجة للمسلم على
صديق محمد عليه السلام في رسالته أصلي من سيرته في زواجه. وفي اختيار زوجته،
وليس النبوة من آية أشرف من آياتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته =

جويرية:

وأما جويرية فهي بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عابد بن مالك
ابن جذيمة ، وجذيمة هو المصطلق من خزاعة ، كان اسمها برة ، فساها

= إلى يوم وفاته . ما الذى يفعله الرجل الشهوان الفاسق في لذات الجسد إذا بلغ
من المسكنة والسultan ما يلفه محمد بن قومه ؟

لم يكن عسيراً عليه أن يجمع إليه أجل بنات العرب ، وأقنن جوارى
الفرس والروم .

ولم يكن عسيراً عليه أن يوفر لنفسه ، ولأهله من الطعام والكساء والزينة
ما لم يتوفر لسيد من سادات الجزيرة في زمانه .

قول قول محمد ، من ، ذلك بعد نجاحه ؟ هل فعل محمد ذلك في مطلع حياته ؟
كلام يفعله قط ، بل فعل يقبضه ، وكاد أن يفقد زوجاته لشكايتهن من شغل
الميش في داره .

ولم يحدث قط أن اختار زوجة واحدة ، لأنها مليحة أو وسيمة ، ولم يكن
بمذراء قط إلا المذراء التي علم قومه جميعاً أنه اختارها ، لأنها بنت صديقه
وصفيه وخليفته من بعده أبي بكر الصديق رضى الله عنه . . . وما بتى . عليه
السلام — بواحدة من أعزات المسلمين ، لما وصفت به عنده من جمال واختارة ،
وإنما كانت صلة الرحم . والعن بها على المهانة هي الباءة الأكبر في نفسه
الشريفة على التفكير في الزواج جنهن . . . ثم يتحدث عن كل زوجة من أزواجه
صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : والسيدة جويرية بنت الحارث سيد قومه
كانت بين السبايا في غزوة بنى المصطلق ، فأكرمها النبي — عليه السلام —
أن تذل ذلة السبا ، فتزوجها ، وأعتقها ، وحض المسلمين على إعتاق سباياهم ،
فأسلبوا جميعاً ، وحسن إسلامهم ، وخيرها أبوها بين العودة إليه ، والبقاء
عند رسول الله ، فاخترت البقاء في حرم رسول الله ، ص ١٩٠ وما بعد هذا
حقائق الإسلام ط ١

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جَوِيرِيَّة^(١) ، وقد روى مثل هذا في حديث حَيْمَوْنَةَ بنتِ الحارثِ . وكذلك زَيْنَب بنت جَعْفَرٍ ، كان اسمها بَرَّةً أيضاً ، وزَيْنَب بنت أبي سَلَمَةَ ربيبته عليه السلام ، كان اسمها بَرَّةً فسمَّاهنَّ جَمْعَ بَنِيهِ ذلك الاسم ، توفيت جَوِيرِيَّة في شهر ربيع الأول سنة ست أو خمس وخمسين من الهجرة ، وكانت قبل أن تُسَمَّى عند مُسَافِعِ بْنِ صَفْوَانَ الْخَزَاعِي .

حديث الإفك

فيه من الغريب قول عائشة : والنساء يومئذٍ لم يهجنن^(٢) اللحم فيثقلن .

(١) في حديث رواه مسلم وأبو داود عن محمد بن عمرو بن عطاء أن زينب سألت : ما سميت بنتك ؟ فقال : سميتها : برة ، فقالت زينب : كان اسم جويرية برة ، فغيره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باسم جويرية ، وفي حديث رواه أبو داود . نهى رسول الله أن يسمى بهذا الاسم ، فقال : لا تركوا أنفسكم ، والله أعلم بأهل البر منكم ،

(٢) في جميع النسخ المطبوعة : يهجنن أو يهجن . على حين ينقل المحققون السيرة في كل طبعة شرح الكلمة عن أبي ذر وعن الروض . وهي في الروض يهجن أيضاً ، والسبيل يشرحها بقوله : التهيج : انتفاخ في الجسم ، أما أبو ذر فيقول : والتهيج كالورم في الجسد ، وفي الهجرة : التهيج : انتفاخ الوجه وتقبضه . وما قاله أبو ذر هو الصواب ولعله خطأ من الناسخ في الروض ومن الطابع في السيرة . وفي اللسان : هيج به بالياء تهيجاً فتهيج ، أي ورمه فتورم . . . والتهيج : شبه الورم في الجسد . والكلمة عدة روايات : لم يثقلن اللحم ، أو لم يثجنن اللحم ، وفي رواية : لم يهبلن اللحم . وجهه اللحم وأمله إذا أفته وأصبح فلان مهبلأى كثير اللحم أو زاد الوجه ، وفلان مهبل أي مهيج ، كان به ورماً .

التَّهْيِيجُ: انتفاخٌ في الجسم قد يكون من سَمَنِ ، وقد يكون من آفَةٍ ، قال الأَصْمَعِيُّ
أو غيره : هَجَمَتْ عَلَى حَيٍّ من العرب يوادٍ خَصِيبٍ ، وإذا ألوانُهُم مُصْفَرَّةٌ
ووجوهُهُم مُهَيَّجَةٌ ، فقلت لهم : ما بالكم ؟ وادبكم أَخْصَبُ وادٍ ، وأنتم
لأنْشِبَهُونَ الخاصِبَ ، فقال لي شيخٌ منهم : إن بلدنا ليست له رِيحٌ ، يريد : أن
الجلال أحاطت به فلا تذهب الرياحُ وبأاءه ولا رُمْدَه .

صفوان بن المطلب :

وفيه ذكر صفوان بن المطلب بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن
مُرَّة بن قالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم الشلمي ، ثم الذكواني
يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقية المشكر يلتقط ما يسقط من متاع
المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف في هذا الحديث الذي قل فيه
أهل الإفك ما قالوا ، وقد روى في تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقیل النوم
لا يستيقظ حتى يرجمل الناس . ويشهد لصحة هذا حديث أبي داود أن امرأة
صفوان اشتكت به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكرت أشياء منها أنه
لا يصلي الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله إني امرؤ ثقیل الرأس لا أستيقظ
حتى تطلع الشمس ، فقال له النبي عليه السلام : فإذا استيقظت فصل .
وقد ضعف البزار حديث أبي داود ^(١) هذا في مسنده . وقيل صفوان

(١) يرويه أبو ذر في سننه والبزار وابن سعد وابن حبان والحاكم من
طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد . وقد قال البزار : هذا الحديث كلامه
منكر ، ولعل الأعمش أخذه من غير ثقة ، فدلسه فصار ظاهر سنده الصحة ،
وليس للحديث عندي أصل وقد رد الحافظ في الفتح على البزار رداً مطولاً فانظره
ص ٢٧٢ ط ٨ ط ١٣٤٨ عبد الرحمن محمد .

ابن المَعْلُ شَهِيداً في خلافة معاوية ، واندقت رِجْلُهُ يوم قُتِلَ ، فطاعن بها ، وهي مُنْكَسرة ، حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع له شِمَاطٌ .

تفسير أسقطوا :

وفيه من غير رواية ابن إسحاق أنهم دَعَوْا الجارية ، فسألوها حتى أسقطوا لها به ، يريد : أفصحوا بالأمر ، ونفروا عنه ، يقال : ساقطته الحديث مُسَاقَطَةً وأسقطوا به ، في هذا المعنى قال أبو حنيفة [النعمري] :

إذا هُنَّ ساقطن الحديث كأنه سِقَاطٌ حصاً المَرْجَانِ من سِلْكٍ نَاطِمٍ^(١)

كذا فسرهُ أبو الحسن بن بطلال ، وفيما ذكر ابنُ إسحاق من رواية الشيباني عنه ، أنهم أداروا الجارية على الحديث ، ولم يصرحوا لها حتى قَطَنَتْ بما أرادوا ، فقالت : ما أعلم عليها عَيْباً ، الحديث . وأما ضَرْبُ عِلْيٍّ للجارية وهي حُرَّةٌ ، ولم تستوجب ضَرْباً ، ولا استأذن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - في ضربها ، فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعدها بالضرب ، وإنهم ما أن تكونَ خات الله ورسوله ، فكثمت من الحديث ما لا يسمها كُتْمُهُ مع إدلاله ، وأنه كان من أهل البيت ، وفي غير حديث ابن إسحاق

(١) البيت من قصيدة طويلة ذكر منها القائل ثمانية أبيات منها هذا البيت ورواية الشطر الأولى هكذا :

إذا من ساقط الأحاديث للفتى

كما ذكرها البكري في السمع وزاد فيها ، وبين روايته ورواية القائل باختلاف يسير . من ٢٨٠ ط ٢ - ٢ الامالي ، ص ٩٢٥ سقط اللال .

ماتت الجارية : والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغُ على الذهب الأحمر .

بربرة :

وأما بربرة فهي مولاة عائشة - رضي الله عنها - التي اشتراها من بني كاهل فاعتقها ، وخيرت في زوجها ، وكان عبداً لبني جحش . هذه رواية أهل المدينة ، وفي رواية أهل العراق أنه كان حرّاً ، وهي رواية الأسود بن يزيد عن عائشة ، والأولى رواية عروة والقاسم بن محمد عن عائشة ، وكذلك يقولون بتخيير الأمة إذا عتقت ، وإن كان بملأها حرّاً ، وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم ، فلا يرون تخييرها ، إلا إذا كان زوجها عبداً ، وعاشت بربرة حتى روى عنها الحديث بعض التابعين . قال عبد الملك بن مروان : كنت أجالس بربرة قبل أن ألي هذا الأمر ، فتقول لي : يا أبا عبد الملك ، إن فيك خصالاً خليقة بهذا الأمر ، فإن وليت هذا الأمر فأتق الله في الدماء ، فإنني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن الرجل ليُحال بينه وبين الجنة بعد أن ينظر إليها بحجامة دم أراقها من مسلم في غير حق . والبربرة واحدة البير وهو ثمر الأراك .

أم مروان :

وأما أم رومان ، وهي أم عائشة فقد مر ذكرها في هذا الحديث ، وهي زَيْنَبُ بنتُ عامر بن عويمر بن عبد شمس بن دُهَّانَ ، وهي من كنانة ، واختلف في عمود نسبها ، ولدت لأبي بكر عائشة وعبد الرحمن ، وكانت قبل

أبي بكر عند عبد الله بن الحارث بن سَخْبَرَةَ ، فولدت له الطُّفَيْلُ ، وتوفيت .
أم رومان سنة سِتٍّ من الهجرة ، ونزل النبي - صلى الله عليه وسلم - في قبرها .
وقال « اللهم إنه لم يَخَفْ عليك ما لَقِيتُ أم رومان فيك ، وفي رسولك » .
وقال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْخَوَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى
أُمِّ رُومَانَ ^(١) .

وهم للخباري:

وروى البخاري حديثاً عن مَسْرُوقٍ ، وقال فيه : « سألت أم رومان
وهي أم عائشة عما قيل فيها » ومسروق رُلِدَ بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بلا خلافٍ ، فلم ير أم رومانَ قط ^(٢) ، فقيل إنه وهم في الحديث ، وقيل : بل
الحديث صحيح ، وهو مُقَدَّمٌ على ما ذكره أهل السيرة من موتها في حياة النبي صلى الله
عليه وسلم ، وقد تكلم شيخنا أبو بكر - رحمه الله - على هذا الحديث ، واعتنى
به لإشكاليه ، فأوردَه من طُرُقٍ ، فني بعضها : حدثني أم رومان ، وفي بعضها
عن مَسْرُوقٍ عن أم رومان مُعْتَمَناً ، قال رحمه الله : وَالْمُعْتَمَنَةُ أَصَحُّ فِيهِ ،
وإذا كان الحديث مُعْتَمَناً كان محتملاً ، ولم يلزم فيه ما يلزم في حَدَّثَنَا ،

- (١) الأول رواه أبو عمر ، والآخر رواه ابن سعد . وانظر الإصابة .
(٢) أنكر سماع مسروق من أم رومان جماعة من الحفاظ منهم الخطيب
البغدادي ، وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال
الخطيب : وقد كان مسروق يرسله ، فيقول : سئلت أم رومان ، ويسوقه ، فلعل
بعضهم كتب سئلت بألف فاعتقد الراوي أنها سألت ، فظنه متصلاً

وفي سألت ، لأن للراوى أن يقول : عن فلان ، وإن لم يُذكرْهُ وهو كثير
في الحديث .

تناصبنى أو تناصبنى :

وقول عائشة : لم تكن امرأة تُناصِبُنِي في المنزلِ عندها غيرها ، هكذا
في الأصل تُناصِبُنِي^(١) ، والمعروف في الحديث : تُناصِبُنِي من المناصاة ،
وهي المساواة ، وأصله من الناصية .

سَمِرَ صباه في التعريض بابن العطل :

وذكر قول حسان :

أَمْسى الجلايبُ قد عَزُّوا وقد كُثُّوا وابنُ الأُرمَةِ أَمْسى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

يعنى بالجلايب العُرباءَ ، وبَيْضَةَ الْبَلَدِ ، يعنى : منرداً ، وهى كلمة
يُتَكَلَّمُ بها في اللدح تارة وفي معنى القُلِّ أخرى ، يقال : فلانٌ بَيْضَةُ الْبَلَدِ ،
أى : أنه واحدٌ في قومه ، عظيم فيهم ، وفلان بَيْضَةُ الْبَلَدِ ، يريد : أنه ذليل
ليس معه أحد .

وأما قوله :

قَدْ تَسَكَّلْتُ أَثْمَهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ

فقد يجوز أن يكون قوله : مَنْ مَبْتَدَأُ ، وقد تَسَكَّلْتُ أَثْمَهُ في موضع الخبرِ

(١) لعلها كانت كذلك في نسخته ، أما هى في السيرة : تناصبني بإياء لا بالياء .

لِلْقَدَمِ عَلَيْهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْ مَفْعُولًا بِشَكَلَتْ ، وَاضْمِيرٌ قَبْلَ
الذِّكْرِ مَعَ انْتِصَالِ الضَّمِيرِ بِالْفَاعِلِ ، فَيَكُونُ مِثْلُ قَوْلِهِ :

جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ

ومثل قوله :

أَبْقَى الْيَوْمَ نَجْدَهُ مُطْعِمًا

وقد تقدم القولُ فيه ^(١) .

وقوله : فَيَنْطَلِئُ ، يريد : النَجَرَ أَي : يَهْجِجُ وَيَنْتَقِلِمُ ، وَأَصْلُ هَذِهِ
الْكَلِمَةِ مِنَ الْفَيْطَلَةِ ، وَهِيَ الْفُطْلَةُ ، وَأَصْلُهَا يَنْطَالُ مِثْلُ يَسْتَوْدُ ، لَكِنَّهُ هُوَ
الْأَلِفُ لِيَتَلَا بِمَجْمَعٍ سَاكِنَانِ ، وَإِنْ كَانَ اجْتِمَاعُهُمَا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ حَسَنًا
كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(٢) ، وَلَكِنَّهُمَا فِي الشَّعْرِ لَا يَجْتَمِعَانِ
إِلَّا فِي عَرُوضٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ الْمُتْقَارِبُ ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ قَرَأَ أَيُّوبُ بْنُ
أَبِي تَيْمِيَّةَ [كَيْسَانَ] السَّخْتِيَّانِيَّ وَلَا الضَّالِّينَ بِهَجْرَةٍ مُفْتَحُوحةٍ ^(٣) وَقَرَأَ عَمْرُو

(١) هُوَ كَمَا قَالَ قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي هَذَا . وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى بِقِيَّتِهَا : جَزَاءُ السَّكَلَابِ
الْعَابِرَاتِ ، وَقَدْ فَعَلَ . وَالْبَيْتُ كَمَا زَعَمَ ابْنُ جَنَى وَغَيْرُهُ لِلنَّابِغَةِ . وَقَبْلُ لَا بِي الْأَسْوَدُ
الَّذِي يَهْجُو بِهِ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمِ الطَّائِي .

وَأَبْقَى بِجَدِّهِ مُطْعِمًا . هِيَ مِنْ بَيْتِ شَعْرِ الْحَسَنِ يَرْتَفِعُ بِهِ جَبِيرُ بْنُ مُطْعَمٍ هُوَ :
وَلَوْ أَنَّ جَدًّا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِنْ النَّاسِ أَبْقَى بِجَدِّهِ الدَّهْرَ مُطْعِمًا
(٢) أَصْلُهَا : الضَّالِّينَ فَحُذِفَتْ حَرَكَةُ اللَّامِ الْأُولَى ، ثُمَّ أَدْغَمَتْ اللَّامُ فِي اللَّامِ ،
فَاجْتَمَعَ سَاكِنَانِ : مَدَّةُ الْأَلِفِ وَاللَّامِ الْمَدْغَمَةِ .
(٣) وَغَيْرُ مَدْدُوذٍ كَأَنَّهُ فَرَّ مِنَ التَّغَاةِ النَّاسِكِينَ ، وَهِيَ لَفَةٌ .

ابن عبيد : (إِنْ سَقَيْتَهُمْ وَلَا جَانَ) ^(١) الرحمن : ٥٦ وأنشد الخطابي :

سَقَى مُطَفِّئَاتِ الْمَحَلِّ سَكْبًا وَدِيمَةً عِظَامُ ابْنِ كَيْلَى حَيْثُ كَانَ رَمِيمَهَا
فَأَصْبَحَ مِنْهَا كُلُّ وَادٍ وَتَلْعَمَةٍ حَدَائِقُ خُضْرًا مُزْهِرًا عَمِيمَهَا
أنشأ :

خَاطَمَهَا زَأْمَهَا أَنْ تَهْزُبَا ^(٢)

فإن قيل : الهمزة في هذا كله مفتوحة ، وفي قوله يَغْطِئِلُ مَكْسُورَةٌ ،

(١) حكى أبو زيد قال : سمعت همرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إانس ، ولا جان) فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبة ، وشأبة : قال أبو العتخ : وعلى هذه اللفظة قول كثير :

إذا ما الفوال بالعبيط أحارت

واظر ص ٤٢٨ ح ٤ من شرح الشافعية للرضي وص ١٠٥ ، وما بعدها ، ص ١٤٩ ح ١ وما بعدها شرح تصريف المازني لابن جنى وقد أفاض ابن جنى في الكلام على هذا في قراءة من قرأ ولا الضالين بهمز الألف في ص ٢٢ وما بعدها من كتابه المختص .

(٢) استعار بعض الرجاز الخطام في الحشرات ، فقال :

باعجبا لقد رأيت عجبا حمار قبان يسوق أربيا
عاقلا خاطمها أن تذهب فقلت : أردفتي ، فقال

أراد : لئلا تذهب ، أو غفلة أن تذهب . ورواه ابن جنى كما روى السهيلي : خاطمها زأما أن تذهب . أراد : زأما . وزمت البعير : خطمته ، ويقول اللسان إنه حرك الهمزة ضرورة لا اجتماع الساكنين كما جاء في الشعر : اسودت بمعنى : اسودت . أنظر مادة خطم وزم في اللسان . وزأما في الأصل : رامها .

وكذلك في الحديث الصحيح : أسود مُرْبِندٌ في رواية .
 قلنا : إنما كسرت الميم في مُرْهَبٍ ومُرْبِندٍ وبنطيلٍ ، بعد أن
 قُتِعت في الماضي ، قليل : اغطال ، وأزهأ ، فصار على وزن اطمأن ،
 فجاء اسمُ الفاعل والمستقبلُ على ذلك القياسِ مكسوراً كما يُكسر في مُطمِنٍ ..
 تفسير العجيب :

وقول ثابت لعبد الله بن رَوَاحَةَ : أَمَا أُعْجِبُكَ ضَرْبَ حَسَّانٍ بِالسِّيفِ ،
 معناه : أَمَا جَعَلَكَ مُعْجِبٌ ، تقول : عَجِبْتُ مِنَ الشَّيْءِ ، وَأَعْجَبَنِي الشَّيْءُ ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ
 الْمَعْجِبُ مِنْ مَكْرُوهٍ أَوْ مُجْهِوبٍ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَعْنَى سَرَّانٍ لِغَيْرِهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ ،
 وَكَلَامِ الْعَرَبِ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى مِنْهَا فِي الدَّكَاوِلِ فَلَا أُعْجِبُنِي أَنْ
 أُعْجِبَهُ بِكَأَيِّهِ ، وَفِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانٍ ^(١) ، وَكَذَلِكَ
 أَنشد :

(١) فِي اللِّسَانِ : ذَكَرَ أَبُو زَيْدٍ خَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ أَنَّ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ
 أَنشد قوله :

انظر خليلي بطن جلق هل تؤنس دون اللقاء من أحد
 نبكي حسان بذكر ما كان فيه من صفة البصر والشباب بعد ما كف بصره ،
 وكان ابنه عبد الرحمن حاضراً ، فربكاه أبيه ، قال خارجه : يقول : عَجِبْتُ
 مِنْ سُرُورِهِ بِكَأَيِّهِ . قَالَ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :

فَقَالَتْ لِي ابْنُ قَيْسٍ ذَا وَبَعْضُ الشَّيْءِ يَعْجِبُنِي
 وَفِي مَكَانٍ آخَرَ مِنْ نَفْسِ الْمَادَّةِ أَنشد اللِّسَانُ لابْنَ قَيْسٍ الرِّقَايَاتِ :
 رَأَتْ فِي الرَّأْسِ مِنْ شَيْبَةٍ لَسْتُ أَغْنِيهَا

فَقَالَتْ لِي : ابْنُ قَيْسٍ ذَا وَبَعْضُ الشَّيْءِ يَعْجِبُنِي
 أَيْ نَكْسَهَا التَّعْجِبَ ، أَوْ تَعْجِبَ مِنْهُ وَأَرَادَ : أَيْ قَيْسٍ فَكَ الْآلِفُ الْإِلَهِ ..

الَاهُزَّتْ بِنَا قَرْشِيَّةٌ يَهْتَرُ مَنَسِكُهَا
 قول لي : ابن قيس ذا وبعض الشيب ينجبها
 وقال كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سفي الفتي ، وهو محبوب له القدر^(١) له
 وقوله عليه السلام : أنشؤته على قومي أن هدام الله ، معناه : أفيحت
 ذلك من قلوبهم حين سمعهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله
 وإلى رسوله ؟

ببرحاء :

وقوله : فأعطاه عوضاً منها ببرحاء ، وذكر بعضهم أن هذه البرء سميت
 ببرحاء برجر الإبل عنها ، وذلك أن الإبل يقال لها إذا زجرت عن الماء ،
 وقد رويت حاء ، وهكذا كان الأصيل يقبده برفع الرء إذا كان الاسم
 مرفوعاً ، وبالد ، وغير الأصيل يقول : ببرحاء بالفتح على كل حال وبالقصر

(١) وبسده :

يسى الفتي لأمور ليس يدركها فالتفت واحدة ، والله منتشر
 والمرء - ما عاش - بمدوده أمل لانتفى العين حتى يلقى الآخر
 أنظر الاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر . وقال ابن عبد البر :
 كان كعب شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه بجير ، وكعب
 أشعرهما ، وأبوه زهير فوقهما

يجعله اسماً واحداً ، وقد حكى عن بعضهم فيه يبرحاء بفتح الباء مع القصر ،
وفى الصحيح أن أبا طلحة دَفَعَ يبرحاءَ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وجعلها صدقةً ، فأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجعلها في الأقربين ،
فقسمها بين أبيٍّ وحسان ، وفسر البخاري وأبو داود القرابة التي بين أبي طلحة
وبينهما قالوا : فأما حسان فهو ابن اللندري بن ثابت بن حرام ، وأبو طلحة هو
زيد بن سهل بن حرام^(١) ، فهذه قرابة قريبة ، وأما أبيٌّ ، فيجتمع معه في
الأب السادس ، وهو عمرو بن مالك بن النجار ، وقد كان أبي غنياً ، فكيف
ترك مَنْ هو أقرب منه ، وخصه ؟

والوجه في ذلك أن أبا كان ابن عمّة أبي طلحة ، وهي صبيحة بنت
الأسود بن حرام ، وهو معروف عند أهل النسب ، فمن أجل ذلك النسب
خصّه بها ، لا من أجل النسب الذي ذكرناه فإنه بعيد ، وإنما قال له النبي
صلى الله عليه وسلم : اجعلها في الأقربين .

مول برادة عائشة :

وفى السند من حديث عائشة أنه لما أنزل الله يراءتها قام إليها أبو بكر ،
فقبل رأسها ، فقالت له : هَلَّا كُنْتَ عَذَرْتَنِي ، فقال : أَيُّ سَما تَظَلِّتِي ، وأي

(١) في المجهرة لابن حزم : ابن سهل بن الأسود بن حرام ص ٢٢٧ فلعل
الأسود سقط من النسخ ، وقد استوفى السهوي للقول في يبرحاء فانظره
ص ١٣٣ ٢٨ وفاء الوفاء ، وانظر معاجم أسماء الأماكن كمعجم البكري
وبياقوت ومراصد الإطلاع .

أَرْضٍ تُقْلَى ، إِنْ قَلَّتْ عَمَّا أَعْلَمَ ، وَكَانَ نَزُولُ بَرَاءَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
بَعْدَ قُدُومِهِمُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعٍ وَثَلَاثِينَ لَيْلَةً فِي قَوْلِ بَعْضِ الْفُسْرِيِّينَ .

شعر مساه في مدح عائشة :

وقول حسان في عائشة :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا زَنْتُ بِرَبِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْفِي مِنْ حُلُومِ النَّوَافِلِ

حَصَانٌ : فَحَالٌ يَفْتَحُ الْجَاءُ بِكَزٍّ فِي أَوْصَافِ الْمُؤَنَّثِ ، وَفِي الْأَعْلَامِ مِنْهَا ،
كَأَنَّهُمْ قَصَدُوا بِتَوَالِي الْفَتْحَاتِ مُشَابَهَةَ خَفَةِ الْفِطْرِ لِحَفَةِ الْمَعْنَى ، أَيْ السَّمَى
بِهَذِهِ الصِّفَاتِ خَفِيفَ عَلَى النَّفْسِ ، وَحَصَانٌ مِنَ الْحَصْنِ وَالتَّحَصُّنِ ، وَهُوَ
الْإِمْتِنَاعُ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ نَظَرِهِمُ إِلَيْهَا ، وَقَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْعَرَبِ لِأُمِّهَا :

يَا أُمُّمَا أَتُصَرِّفِي رَاكِبٌ بَسِيحٌ فِي مُسْتَحْفَرٍ لِاحِبٍ (١)
حَوَّلَتْ أَعْنَى التَّرَابِ فِي وَجْهِهِ حَصْنًا وَأَتَمَّتْ حَوْزَةَ النَّازِلِ (٢)

قَالَتْ لَهَا أُمُّهَا :

الْحَصْنُ أَذْنِي لَوْ تَأْتَيْتَنِي مِنْ حَتِيكَ التَّرَبِّ عَلَى الرَّاسِ

ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَاتِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ السَّمَرَقَانِيُّ فِي شَرْحِ آيَاتِ الْإِبْرَاحِ .

(١) الْمُسْتَحْفَرُ : الْمَتَدُّ . وَالْإِحَابُ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ الْمُنْقَادُ .

(٢) رَوَاهُ فِي السَّنَنِ مَكْنَذًا :

فَعَلَتْ أَعْنَى التَّرَابِ فِي وَجْهِهِ حَصْنًا وَأَتَمَّتْ حَوْزَةَ النَّازِلِ

والرَّزَانُ وَالنَّقَالُ بمعنى واحد ، وهي القليلة الحركة .

وقوله : وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ النَّوَافِلِ ، أى خَمِيصَةِ الْبَطْنِ مِنْ لُحُومِ النَّاسِ ، أى اغْتِيَابِهِمْ وَضَرْبِ الْفَرْثِ مَثَلًا ، وهو عَدَمُ الطَّعْمِ وَخُلُوعُ الْجُوفِ ، حَقٌّ فِي التَّنْزِيلِ : ﴿ أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ الْحَجَرَاتِ : ١٢ . ضَرْبُ الْمَثَلِ لِأَخْذِهِ فِي الْمَرَضِ بِأَكْلِ اللَّحْمِ ، لِأَنَّ اللَّحْمَ سَيَّرَ عَلَى الْعَظْمِ ، وَالشَّامُ لِأَخِيهِ كَأَنَّهُ يَفْشِرُ وَيَكْشِفُ مَا عَلَيْهِ مِنْ سَيَّرٍ .

وقال : مَيْتًا لِأَنَّ الْمَيْتَ لَا يُحْسَنُ ، وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يَسْتَعْمَلُونَ مَا يَقُولُ فِيهِ الْمَقْتَابُ ، ثُمَّ هُوَ فِي الْحَرَمِ كَمَا كُلُّ لَحْمِ الْمَيْتِ .

وقوله : مِنْ لُحُومِ النَّوَافِلِ ، يَرِيدُ : اللَّحَائِفَ الْغَائِلَةَ قُلُوبَهُنَّ عَنِ الشَّرِّ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْذَاتِ الْإِيمَانِ ﴾ النُّورِ : ٢٣ جَمَلَهُنَّ غَائِلَاتٍ ، لِأَنَّ الَّذِي رُمِيَ بِهِ مِنَ الشَّرِّ لَمْ يَهْتَمَّنْ بِهِ قَطُّ وَلَا خَطَرَ عَلَى قُلُوبِهِنَّ ، فُهِنَّ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ ، وَهَذَا أَيْبَعُ مَا يَكُونُ مِنَ الْوَصْفِ بِالْمَصَافِ .

وقوله :

لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ

الرَّتَبُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَعَلَا ، وَالرَّتَبُ أَيْضًا : قُوَّةٌ فِي الشَّيْءِ وَغِلَظٌ فِيهِ ، وَالسُّورَةُ رُتْبَةٌ رَفِيعَةٌ مِنَ الشَّرَفِ مَأْخُودَةٌ اللَّفْظُ مِنْ سُورِ الْبِنَاءِ .

وقوله : فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَايِطٍ ، أَيْ : بِلَاصِقٍ ، يَقَالُ : لَا يَلِيْطُ

ذلك بفلان ، أى : ما يُلصقُ به ، ومنه سُمِّيَ الرَّبُّ : لِيَاطًا ، لأنه أُلصِقُ بِالْبَيْعِ ،
وليسَ بِبَيْعٍ . وفي الكتاب الذى كُتِبَ لثَقِيفٍ : وما كلن من دِينٍ ليس فيه
رَهْنٌ ، فإنه لِيَاطٌ مُبَرَّأٌ من الله . وسيأتى حديثه مفسراً إن شاء الله .

وقوله فى الشَّعر :

فَلَا رَقَعْتَ سَوْطِي إِلَى أَنَاْمَلِي

دُعَاةً عَلَى نَفْسِهِ ، وفيه تصديقٌ لمن قال : إن حَسَّانَ لم يُجَسِّدْ فى الإِفْكِ ،
ولا خاض فيه ، وأنشدوا البيت الذى ذكره ابن إسحاق :
لقد ذاق حَسَّانُ الذى كان أهله

على خلاف هذا اللفظ :

تَمَدَّ ذَاقَ عَبْدُ اللَّهِ مَا كَانَ أَهْلُهُ وَحَنَّهُ إِذْ قَالُوا : هَجِيراً وَمِنْطَحُ

ما نزل فى مواسم أصحاب الإفك :

وذكر ما أنزل الله تعالى فى أصحاب الإفك وقوله تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالْبَيْتِكُمْ ﴾ النور : ١٥ وكانت عائشة - رضى الله عنها تقرؤها : إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالْبَيْتِكُمْ من الوَلَّى ، وهو استمرارُ اللسان بالكذب . وأما إقامة الحُجَّةِ
عليهم ففیه التَّسْوِيةُ بين أفضلِ الناس بعد النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وأدنى
النَّاسِ دَرَجَةً فى الإيمان ، لا يُزَادُ القاذِفُ على الثَّمانين ، وإن شتم خير
النَّاسِ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ينقص منها ، فإن قذف قاذِفٍ
اليومَ إحدى أمهاتِ المؤمنين سوى عائشة ، فيتوجبه فيه للفقهاء قولان :
أحدهما : أن يُجَسِّدَ ثمانين كما يقتضيه عمومُ التنزيل ، وكما فعل النَّبِيُّ - صلى الله
(م ٤٩ - الروض الأثف - ج ٦)

عليه وسلم - بالذين قَذَفُوا أَهْلَهُ قَبْلَ نَزُولِ الْقُرْآنِ بِرَأْسِهَا ، وَأَمَّا بَعْدُ نَزُولِ الْقُرْآنِ بِرَأْسِهَا فَيُقْتَلُ قَافِلُهَا قَتْلُ كُفْرٍ ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَلَا يُورَثُ ، لِأَنَّهُ كَذَّبَ اللَّهَ تَعَالَى .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي فِي قَافِلِ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
 أَنَّ يُقْتَلَ أَيْضًا ، وَبِهِ كَانَ يَأْخُذُ شَيْخُنَا - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَيَحْتَجُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :
 ﴿ إِنِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ الْأَحْزَابُ :
 ٥٧ الْآيَةُ ، وَإِذَا قَذَفَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ سَبَّهَ . فَمَنْ أَعْظَمَ الْإِذَابَةَ ،
 أَنْ يُقَالَ عَنِ الرَّجُلِ : قَرَنَانٌ ^(١) وَإِذَا سَبَّ نَبِيًّا بِمَثَلِ هَذَا فَهُوَ كُفْرٌ صَرَّاحٌ
 وَقَدْ قَالَ الْمَفْسُرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (فَنَخَّاتَهُمَا) أَيْ : خَانَتَا فِي الطَّاعَةِ لَهَا ، وَالْإِيمَانِ ،
 وَمَابَتِ امْرَأَةٌ نَبِيًّا قَطُّ ، أَيْ : مَارَزَتْ .

إِهْدَاءُ سِيرِينَ إِلَى مَسَانِدِ :

وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَعْطَى حَسَّانَ جَارِيَتَهُ بِضَرْبِ
 صَفْوَانَ بْنِ الْمَعْطَلِ لَهُ ، وَهَذِهِ الْجَارِيَةُ اسْمُهَا سِيرِينَ بِنْتُ شَمْعُونِ أَخْتِ مَارِيَةَ
 مُرِّيَّةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ الشَّاعِرِ ،
 وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَفْخَرُ بِأَنَّهُ ابْنُ خَالَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) الْقَرْنَانُ هُوَ الَّذِي يَشَارِكُ فِي أَمْرَاتِهِ كَأَنَّهُ يَقْرُنُ بِهِ غَيْرُهُ أَوْ هُوَ نَعْتُهُ
 سَوَاءٌ فِي الرَّجُلِ أَوْ فِي الْمَرْأَةِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : هَذَا مِنْ كَلَامِ الْحَاضِرَةِ ، وَلَمْ أَرِ
 إِلَهًا دَعَى لَفْظًا هَذَا ، وَلَا هَذَا .

وقد روت سيرين هذمه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً قالت : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاً في قبر إبراهيم ابنه فأصلحه ، وقال : أن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يصلحه ^(١).

(١) أخرج البخارى ومسلم حديث قصة الإفك في صحيحيهما من حديث الزهرى : وفي روايتهما أن أمها قالت لما عقب تبشير الرسول دس ، أمائشة ببراءتها . د قومي إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحد إلا الله عز وجل هو الذى أنزل براءتى . وفي رواية للبخارى قالت : د لا والله ، لا أقوم إليه ، ولا أحده ، ولا أحديك ، ولكن أحمد الله الذى أنزل براءتى ، لقد سمعتموه ، فأنكرتموه ، ولا تغيرتموه ، ويقول ابن كثير عن الذى تولى كبره : د قيل : المراد به حسان ، وهو قول غريب ، ولو لا أنه وقع فى صحيح البخارى ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة ، فإنه من الصعابة الذين لهم فضائل ومناقب وآثر ، وأحسن ما أثره أنه كان يذب عن رسول الله دس ، بشمسه ، وهو الذى قال له رسول الله دس : د : حاجهم ، وجبريل معك ،

هذا وفى رواية للبخارى أن الرسول دس ، لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأن عائشة ، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد ، ويجمع بأنها المدة التى كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن فى قصة الإفك ، وأما التقيد بالشهر فهو المدة التى أولها إتيان عائشة بيت أبويها حين بلغها الخبر .

ويقول الزهخشري : لم يقع فى القرآن من التعليل فى معصية ما وقع فى قصة الإفك بأوجز عبارة ، وأشبعها ، لاشتماله على الوعيد الشديد والعقاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام القول فى ذلك واستفناعه بطريق مختلفة ، وأساليب متقنة ، كل واحد منها كاف فى بابه ، بل ما وقع منها من وعبد عبدة الأوثان إلا بما هو دون ذلك ، وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانظر للقول فى المعصية الذين جاءوا بالإفك فى ص ٢٧٣ ٨٠ ط عبد الرحمن محمد فتح البارى . هذا وقد زاد الحاكم فى شعر حسان اللامى بيتين من غير رواية ابن اسحاق

أمر الحديبية في آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان
والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين سهيل بن عمرو

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان
وشوالاً ، وخرج في ذي القعدة معبراً ، لا يريد حرباً .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ثُمَيْلَةُ بن عبد الله الأسيدي .

قال ابن إسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من
الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قُرَيْش الذي صنعوا ، أن يرضوا له بحرب
أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ،
وساق معه الهدي ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه
إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن
الزبير عن مسروق بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قال : خرج

== حيلة خير الخلق ديناً ومنصباً نبي الهدى والمكرمات الفواضل
رأيتك وليغفر لك الله حرة من المحصنات غير ذات الفواضل
وقد روى من طريق صالح بن كيسان عن الزهري . قال عروة : كانت عائشة
تمكره أن يسب عندما حسان ويقول : إنه الذي قال
فإن أدري ووالله وعادى له من محمد منك . قال

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عام الحُدَيْبِيَّة يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساقَ معه الهُدَى سَبْعِينَ بَدَنَةً ، وكان الناس سَمِعَ مائة رجل ، فكانت كلَّ بَدَنَةٍ عن عشرة نفر .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغني ، يقول : كنَّا أصحابَ الحُدَيْبِيَّة أربع عشرة مائة .

قال الزهري : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بَعُثْنَان لِقِيهِ بشر بن سُفْيَانَ الكَعْبِي - قال ابن هشام : ويقال بُشَيْر - فقال : يا رسول الله هذه قُرَيْش ، قد سَمِعَتْ بِمَسِيرِكَ ، فخرجوا معهم العوذُ الطَّافِيلُ ، قد لَبَسُوا جُلُودَ الثَّمُورِ ، وقد نَزَلُوا بِذِي طُوًى ، يُعَاهِدُونَ الله لا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ أَبَدًا ، وهذا خالد بن الوليد في خَيْلِهِمْ قد قَدَّمُوها إلى كُرَاعِ القَمِيمِ ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يَا وَبَيْحَ قُرَيْش ! لقد أَكَلْتَهُمُ الحَرْبُ ، ماذا عَلَيْهِمْ لو خَاؤُوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ، فَإِنْ هُمْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا ، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَافَرِينَ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ ، فَمَا تَنْظُنْ قُرَيْشُ ، فوالله لا أَزَالُ أَجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالْفَةُ .

الرسول صلى الله عليه وسلم يسلك طريقاً غير طريق قريش .

ثم قال : مَنْ رَجُلٌ يُخْرِجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ الَّتِي هُمْ بِهَا ؟

قال ابن إسحاق : خَدَنَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ قُرَيْشٍ :

.....

أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم طريقاً وُغراً أُجْرِلَ بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شقَّ ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند مُنْقَطَعِ الوادى ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس : قولوا : نَسْتَغْفِرُ اللهَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ؛ فقالوا ذلك ، فقال : واللهِ إنها لَلْخِطَّةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ . فلم يَقُولوها .

قال ابنُ شهاب : فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرَيِ الحِمَشِ ، في طريقٍ تُخْرِجُهُ عَلَى تَنْبِيَةِ الْعُرَارِ مَهْبِطُ الْخُدَيْبِيَّةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ ؛ قال : فسلك الجيشُ ذلك الطريقَ ، فلما رأت خيلُ قريشِ قَرَّةَ الجيشِ قد خالَفُوا عَنْ طَرَفِهِمْ ، رَجَعُوا رَاكِضِينَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك ، في تَنْبِيَةِ الْعُرَارِ بَرَكْتَ نَاقَتُهُ ، فقالت الناس : خَلَّتِ النَاقَةُ ، قال : مَا خَلَّتْ وَمَا هُوَ لَهَا بِخُلَّتْ ، ولكنَّ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ . لاندفعوني قريش اليومَ إلى خُطَّةٍ يَأْتُونَنِي فِيهَا صَلَوةُ الرَّحْمِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا . ثم قال للناس : انزِلُوا ، قيل له : يا رسول الله : ما بالوادي مَلَأَ نَزَلَ عَلَيْهِ ، فأخرج سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به في قَلْبِ مِنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ . ففَرَزَهُ فِي جَوْفِهِ ، فجاش بالِرَّوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسَ عَنْهُ بَعْلَانِ .

قال ابنُ إسحاق : فحدثني بعضُ أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذي نَزَلَ فِي الْقَلْبِ بِسَمِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب بن سمير ابن يغمر بن دارم بن عمرو بن عائشة بن ستم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أقي

ابن أبي حارثة ، وهو سائقُ بُذْنِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أنفصى بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي بعضُ أهل العلم : أن البراء بن عازبٍ كان يقول : أنا الذي نزلت بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم بماي ذلك كان .

وقد أنشدت أسلم أبياتاً من شعر قالها ناجيةٌ ، قد ظننا أنه هو الذي نزل بالناسم ، فرغت أسلم أن جاريةً من الأنصار أقبلت بذلواها ، وناجيةً في القليب يبيح على الناس ، فقالت :

يا أيها المائح دَلَوِي دُونَكَا إني رأيتُ الناسَ يَمُحِدُونَكَا
يُثْنُونَ خيراً وَيَمُجِّدُونَكَا

قال ابن هشام : ويروى :

إني رأيتُ الناسَ يَمْدَحُونَكَا

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو في القليب يبيح على الناس :

قد علمت جاريةً يمانيةً أني أنا المائح واسمي ناجيةً
وطعنة ذات رشاٍس وأهيسة طعنتها عند صدور العادية

قال الزهري في حديثه : فلما أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهُ بِدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِي ، في رجال من خُزَاعَةَ ، فكلّموه وسألوه : ما الذ

.

جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظماً
لحرمة ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، فَرَجَعُوا إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا :
يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّا نَكْفُلُونَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، إِنْ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ ، وَإِنَّمَا جَاءَ
زَائِرًا هَذَا الْبَيْتِ ، فَاتَّبِعُوهُمْ وَجَبَّهِوهُمْ وَقَالُوا : وَإِنْ كَانَ جَاءَ وَلَا يَرِيدُ قِتَالًا ،
فَوَاللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَتْوَةٌ أَبَدًا ، وَلَا تَحْدُثُ بِذَلِكَ عَنَّا الْعَرَبُ .

قال الزهري : وكانت خِزَاعَةُ عَيْبَةَ نُصَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
مُسْلِمًا وَمُشْرِكًا ، لَا يَخْفَوْنَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّةَ .

قال : ثم بعثوا إليه مَكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ بْنِ الْأَخِيْفِ ، أَخَا بَنِي عَامِرِ بْنِ
لُؤَيٍّ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا قَالَ : هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ ،
فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَّمَهُ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لُبْدَيْلٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثم بعثوا إليه الْحَلَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ أَوْ ابْنَ زَبَّانٍ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَ
الْأَحَابِيشِ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِنَانَةَ ؛ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ ، فَاتَّبِعُوا الْتَهْدَى فِي وَجْهِهِ
حَتَّى يَرَاهُ ، فَلَمَّا رَأَى الْتَهْدَى يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عُرْضِ الْوَادِي فِي قِلَائِنْدِهِ ، وَقَدْ
أَكَلَ أَوْ بَارَهُ مِنْ طُولِ الْجُلُوسِ عَنْ تَحَلُّهِ ، رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِعْظَامِ مَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ . قَالَ : فَقَالُوا
لَهُ : اجْلِسْ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ أَغْرَابِي لَا عِلْمَ لَكَ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن الحُليّس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قُرَيْش ، والله ما على هذا حالنا ، ولا على هذا عاقدنا . أَيْصَدُّ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ مُعْظَمًا لَهُ ، وَالَّذِي نَفْسُ الْحُليّسِ بِيَدِهِ ، لَتُخْلَنَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ ، أَوْ لَا تُفَرَّقَ بِالْأَحَابِيشِ نَفَرَةٌ رَجُلٍ وَاحِدٍ . قال : فقالوا له : مَهْ ، كَفَّ عَنَّا يَا حُليّسَ حَتَّى نَأْخُذَ لَأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ .

قال الزهريّ في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ التَّمُغِيّ ، فقال : يا معشر قُرَيْش ، إني قد رأيت ما يلقى منكم مَنْ يَشْتُمُوهُ إِلَى مُحَمَّدٍ إِذْ جَاءَكُمْ مِنَ التَّعْنِيفِ وَسُوءِ الْإِفْظِ ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْكُمْ وَالَّذِي وَإِنِّي وَلَدٌ - وَكَانَ عُرْوَةُ لِسَبْيِمَةٍ بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ - وَقَدْ سَمِعْتُ بِالَّذِي نَابَكُمْ ، فَجِئْتُ مِنْ أَطَاعِنِي مِنْ قَوْمِي ، ثُمَّ جِئْتُكُمْ حَتَّى آسَيْتُكُمْ بِنَفْسِي ، قَالُوا : صدقت ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمَتَّهِمْ . ففُرجَ حَتَّى آتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّد ، أَجِئْتَ أَوْشَابَ النَّاسِ ، ثُمَّ جِئْتَ بِهِمْ إِلَى يَمِينِكَ لَتَقُضَّ بِهَا بِهِمْ ، إِنَّمَا قُرَيْشٌ قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا الْعُودُ الْمُطَافِيلُ . قَدْ لِدِسُوا جُلُودَ الثُّمُورِ ، يُعَاهَدُونَ اللَّهَ لَا تَدْخُلْهَا عَلَيْهِمْ عَفْوَةٌ أَبَدًا . وَإِنَّمَا اللَّهُ ، لَسَكَائِي بِهِؤْلَاءِ قَدْ انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدًا . قال : وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا ، فَقَالَ : انْصُصْ بَطْنَ اللَّاتِ ، أَمْحَنَ نَبِيَّكَ عَنْهُ ؟ قال : مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّد ؟ قال : هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا نَيْدُكَ لَكُنْتَ لَكَ عِنْدِي لِكَافَأَتِكَ بِهَا ، وَلَكِنْ هَذِهِ بِهَا ، قَالَ : ثُمَّ جَمَلَ يَتَنَاوَلُ لِحْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَكَلِّمُهُ قَالَ : وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَاقِفٌ عَلَى

رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيدِ . قَالَ : فَجَعَلَ يَمْرَعُ يَدَهُ إِذَا
تَنَاوَلَ إِخِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُ : اكَفُفْ يَدَكَ عَنْ وَجْهِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ لَا تَصِلَ إِلَيْكَ ، قَالَ : فَبَقِيَ عُرْوَةُ :
وَبَنَحَكَ ! مَا أَفْظَكَ وَأَغْلَظَكَ ! قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، قَالَ :
أَيُّ غُدْرٍ ، وَهَلْ غَسَلْتُ سَوْءَ تَكِ إِلَّا بِالْأَمْسِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَرَادَ عُرْوَةُ بِقَوْلِهِ هَذَا أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ
قَتَلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، مِنْ ثَقِيفٍ ، فَتَهَايَجَ الْحَيَّانُ مِنْ ثَقِيفٍ :
بَنُو مَالِكٍ رَهْطُ الْمُتَقَوِّلِينَ ، وَالْأَحْلَافُ رَهْطُ الْمُغِيرَةِ ، فَوَدَّى عُرْوَةُ الْمُتَقَوِّلِينَ
ثَلَاثَ عَشْرَةَ دِيَّةً ، وَأَصْلَحَ ذَلِكَ الْأَمْرَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَنْحَرُ وَمَا كَلَّمَهُ بِأَصْحَابِهِ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ يُرِيدُ حَرْبًا .

فَقَامَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَأَى مَا يَصْنَعُ بِهِ أَصْحَابُهُ ،
لَا يَتَوَضَّأُ إِلَّا ابْتَدَرُوا وَضُوهُهُ ، وَلَا يَنْبِصِقُ بُصَاقًا إِلَّا ابْتَدَرُوهُ . وَلَا يَسْقُطُ
مِنْ شَعْرَةٍ شَيْءٌ إِلَّا أَخَذُوهُ . فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنِّي
قَدْ جِئْتُكُمْ كِنَسْرِي فِي مُلْكِكُمْ ، وَقِيصَرِي فِي مُلْكِكُمْ . وَالنَّجَاشِيُّ فِي مُلْكِكُمْ . وَإِنِّي
وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِلْكًا فِي قَوْمٍ قَطَّ مِثْلَ عَمْدٍ فِي أَصْحَابِهِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا
لَا يُسَلِّمُونَهُ لَشَيْءٍ أَبَدًا ، فَارَوْا رَأْيَكُمْ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أهل العالم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ ، وَحَمَلَهُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ يَقَالُ لَهُ الثَّعْلَبُ ، لِيَبْلُغَ أَشْرَافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لَهُ ، فَعَقَرُوا بِهِ جِلَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَمَتَّعَهُ الْأَحَابِيشُ ، نَحَلُوا سَبِيلَهُ ، حَتَّى آتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعضُ من لا آتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قُرَيْشًا كَانُوا يَبْغُتُونِ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَوْ خَمْسِينَ رَجُلًا ، وَأَسْرُوهُمْ أَنْ يُطِيفُوا بِمَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيُصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا ، فَاتَّخَذُوا أَخْذًا ، فَأَتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَتَلَهُمْ عَنْهُمْ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، وَقَدْ كَانُوا رَمَوْا فِي عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثنه إلى مكة ، فَيَبْلُغَ عَنْهُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مَا جَاءَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بِنَ كَعْبٍ أَحَدٍ يَنْفَعُنِي ، وَقَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشَ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا ، وَغِلَظَتِي عَلَيْهَا ، وَلَسَكُنِي أَدْلُكَ عَلَى رَجُلٍ أَعَزَّ بِهَا مِنِّي ، عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَبَعَثَهُ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، يُخَبِّرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ الْحَرْبَ ، وَإِنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ ، وَمَعْظَمًا لِحُرْمَتِهِ .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ

.....

حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماة قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ؛ فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وللسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا تبرح حتى نُنَاجِزَ القوم ، فدها رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخاف منه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجعد بن قيس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لساكني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته . قد ضاً إليها ، يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

.....

قال ابن هشام : فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي : أن
أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .
قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عن حدثه بإسناد له ، عن ابن
أبي مليكة عن ابن أبي عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعنان ،
فصرب بإحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني
علمر بن لوئى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : أنت محمد
فصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا علمه هذا ، فوالله لا تحدث
العرب عنا أنه دخلنا علينا عتوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا
هذا الرجل . فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسكّم
فأطال الكلام ، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح .

فلما انقضى الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى
أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟
قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطى الدينية
في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزه . فبني أشهد أنه رسول الله ؟ قال
عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ؟ ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يارسول الله أأنت برسول الله؟ قال : بلى ، قال : أو أنسا بالمسلمين ؟ قال :
بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى اللانيمية
في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، وإن بضيعني ! قال :
فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعفق ، من الذي صنعت
يومئذ ! مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

على يكتب شروط الصلح

قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان
الله عليه ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سُهَيْل :
لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا
ما صالح عليه محمد رسول الله سُهَيْل بن عمرو ، قال : فقال سُهَيْل : لو شهدت أنك
رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
سُهَيْل بن عمرو ، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن
فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قُرَيْش
بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً عن مع محمد لم يردوه عليه ،
وإن بيننا عينة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن
يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد
قُرَيْش وعهدهم دخل فيه .

خزاعة في عهد محمد، وبنو بكر في عهد قريش

فتوَّأبَت خَزَاعَةُ قَالُوا : نَحْنُ فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدُهُ ، وَتَوَاتَبَتْ بَنُو بَكْرٍ ، فَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدُهُمْ ، وَأَنْتَ تَرْجِعُ عِنَّا عَامَكَ هَذَا ، فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْنَا مَكَّةَ ، وَأَنْتَ إِذَا كَانَ عَامُ قَابِلٍ ، خَرَجْنَا عَنْكَ فَدَخَلْتَهَا بِأَحْبَابِكَ ، فَأَقْتَبَهَا ثَلَاثًا ، مَعَكَ سِلَاحُ الرَّكْبِ ، السُّيُوفُ فِي الْقُرْبِ ، لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِهَا .

جندل بن سهيل

فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو . إِذَا جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرِو يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ ، قَدْ انْقَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ أَحْبَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي الْفَتْحِ ، لِرُؤْيَا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنَ الصَّلَاحِ وَالرَّجْوَعِ ، وَمَا تَحْمِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفْسِهِ دَخَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ ؛ فَلَمَّا رَأَى سُهَيْلُ بْنُ أَبِي جَنْدَلٍ قَامَ إِلَيْهِ فَضْرَبَ وَجْهَهُ ، وَأَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ قَدْ لَجَّتِ الْقَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكَ هَذَا ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ، فَجَعَلَ يَنْتَرُهُ بِتَلْبِيئِهِ ، وَيَجْرَهُ لِيَرُدَّهُ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مُعَشِّرَ الْمُسْلِمِينَ ، أُرِدُّ إِلَى الشَّرِكِينَ يَفْتَنُونِي فِي دِينِي ؟ فزَادَ ذَلِكَ النَّاسَ إِلَى مَا بِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أَبَا جَنْدَلٍ ؛ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِنَ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَظْفَعِينَ قَرَجًا وَخُرَجًا ، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ .

.....

«وإنّا لا نَقْدِرُ بِهِمْ» قال : فوثب عمر بن الخلدّاب مع أبي جندل يَمْشِي إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم للمشركون وإنما دَمُ أحدهم دم كلب . قال : ويُذني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيفَ فيضرب به أباء ، قال : فضنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفذت القصية .

الذين شهدوا على الصلح

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح رجلاً من المسلمين ورجلاً من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، وميكّرز بن حنص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبي طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

الإحلال

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً في الحِلِّ ، وكان يُصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هذبه فنحّره ، ثم جلس فخلق رأسه ، وكان الذي خلقه ، فيما بلغني ، في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تحرر وخلق نواثبراً يَنْحَرُونَ وَيَحْمِلُونَ .

المحلّقون والمقصرون

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن

.....

عبّاس ، قال : خلق رجال يوم الحديبية ، وقصّر آخرون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَرْحَمُ اللهُ الْخَلْقَيْنِ ، قالوا : والمُقَصِّرِينَ يا رسول الله ؟ قال : يَرْحَمُ اللهُ الْخَلْقَيْنِ ، قالوا : والمُقَصِّرِينَ يا رسول الله ؟ قال : يَرْحَمُ اللهُ الْخَلْقَيْنِ ، قالوا : والمُقَصِّرِينَ يا رسول الله ؟ قال : والمُقَصِّرِينَ ، قالوا : يا رسول الله : فلم : ظهرت الترحيم للمُحَلِّقِينَ دون المُقَصِّرِينَ ؟ قال : لم يشكوا .

وقال عبد الله بن أبي مجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جلالاً لآبى جهل ، في رأسه بُرّةٌ من فضة ، يفيض بذلك للشركين .

نزول سورة الفتح

قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَفْهَرَّ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُؤْتِيَ نِعْمَةً عَلَىكَ ، وَبَهْدِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ .

ذكر البيعة

ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة ، فقال جليلاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ ، فَمُسَوِّغٌ لَهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

ذكر من تخلف

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفرغتم الخروج معه فأبطئوا عليه : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ . ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لَتَأْخُذُواهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا ، كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾
ثم القصة عن خبرهم وماعرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثني من لا آتهم ، عن الزهري أنه قال : أولو البأس الشديد : حنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَسَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ .

ذكر كف الرسول عن القتال

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعني النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَنكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض العرب

قال ابن هشام : للمكوف : المحبوس ، قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :
وَكَانَ السَّمُوطُ عَكَفَهُ السَّلَكُ بِعَطْفِ جَيْدَاءِ أُمِّ غَزَالٍ
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَقْلُكُمُوهُمْ أَنْ تَقْلُكُمُوهُمْ فَتَصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ، والمعرة : الغرم ، أى أن تصيبوا منهم (معرة) بغير علم فتخرجوا ديتته ، فلما إنهم قام بخشه عليهم .
قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المغيرة ، وسلمة بن هشام ، وعفّاش بن أبي ربيعة ، وأبي جندل بن سهيل . وأشباههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا جَمَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ، حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) يَفْضِي سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو حِينَ سَجَى أَنْ يَكْتُبَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سَبْكِتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَكَتَبَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالزَّمَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ،
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) : آيَةُ التَّوْحِيدِ ، شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ
مَا لَمْ تَعْلَمُوا) : أَيْ لَرُّؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي رَأَى ، أَنَّهُ
سَيَدْخُلُ مَكَّةَ آمِنًا لَا يَخَافُ ؛ يَقُولُ : مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ ، وَمُقَصِّرِينَ مَعَهُ
لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، لِجَعْلِهِ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ،
صَلَحَ الْحَدِيثُ .

يَقُولُ الزُّهْرِيُّ : فَمَا فَتَحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتَحَ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ ، إِنَّمَا كَانَ
لِقِتَالِ حَيْثُ التَّقَى النَّاسَ ؛ فَلَمَّا كَانَتِ الْمُهْدَنَةُ ، وَوُضِعَتِ الْحَرْبُ ، وَآمَنَ النَّاسُ
بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَالتَّقْوَى ، فَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ ، فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدٌ
بِالْإِسْلَامِ يَتَقَلَّ شَيْئًا إِلَّا دَخَلَ فِيهِ ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَيْنِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ
كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَالِدِ الْإِسْلَامِ عَلَى قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، فِي قَوْلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،
ثُمَّ خَرَجَ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ .

ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

بحجى أبي بصير إلى المدينة وطلب قريش له

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية ، وكلن من حبس بمكة ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب التثقي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمثا رجلا من بنى لؤي ، ومعه مولى لهم ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الفدر ، وإن الله جاعل لك ولبن مملك من المستضعفين قرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ، قال : يا رسول الله ، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولبن مملك من المستضعفين قرجا ومخرجا .

قتل أبي بصير للناصرى ، ومقالة الرسول في ذلك

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الحليفة ، جالس إلى جدار ، وجلس معه صاحبه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظر ، إن شئت . قال : فاستله أبو بصير ، ثم دلاه به حتى قتله ، وخرج الولي سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما ، قال : إن هذا الرجل قد رأى قَزَعًا ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك ! مالك ؟ قال : قَتَلَ صاحِبُكم صاحبي . فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير مُتَوَشِّعًا بالسَّيْفِ ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ ، وأَدَى الله عنكَ ، أَسَلْتَنِي يَدَ الْقَوْمِ وَقَدَامَتُنِي بَدِينِي أَنْ أَقْنِي فِيهِ ، أَوْ يُقَتِّلَنِي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل أمه مَحْشٌ حَرِبَ لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَالٌ !

أبو بصير وزملاؤه في الميص

ثم خرج أبو بصير حتى نزل الميص ، من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قُرَيْشٍ الّتي كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الّذين كانوا احتبسوا بمكة قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : « وَيْلُ أُمِّهِ مَحْشٌ حَرِبَ لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَالٌ ! » ، فخرجوا إلى أبي بصير بالمِص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً ، وكانوا قد ضيقوا على قُرَيْشٍ ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمرُّ بهم غيرُ إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قُرَيْشٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آوأم ، فلا حاجة لهم بهم . فأوأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : فلما بلغ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو قَتْلُ أَبِي بَصِيرٍ صَاحِبِهِم

العامري ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهري عن الكعبة
حتى يؤدى هذا الرجل ، فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لمو السفة ،
والله لا يؤدى ثلاثاً . فقال في ذلك موهب بن رياح أبو أنيس ، حليف
بني زهرة :

قال ابن هشام : أبو أنيس أشعري .

شعر موهب في ودّي أبي بصير

أَتَانِي عَنْ سُهَيْلِ ذَرَّةٍ قَوْلٍ فَأَبْقَانِي وَمَا بِي مِنْ رُقَادٍ
فَإِنْ تَسَكَّنَ الْمِتَابَ تُرِيدُ مِنِّي فَمَا تَنْبِي فَمَا بَكَ مِنْ بَعَادِي
أَتُوْعِدُنِي وَعَبْدَ مَنْافَ حَوْلِي بِمَخْزُومِ أَلْتَهَا مَن تَعَادِي
فَإِنْ تَقْمِزُ قَنَانِي لَا تَجِدُنِي ضَمِيفُ الْمُودِ فِي الْكُرْبِ الشَّدَادِ
أَسَامِي الْأَكْرَمِينَ أَبَا بَقْوَمِي إِذَا وَطِئَ الضَّمِيفُ بِهِمْ أَرَادِي
هُمْ مَقَمُوا الظَّوَاهِرَ غَيْرَ شَكٍّ إِلَى حَيْثُ الْجَوَاطِينُ فَالْعَوَادِي
بِكُلِّ طَيْرَةٍ وَبِكُلِّ نَهْدٍ سَوَاهِمَ قَدْ طُوِينِ مِنَ الطَّرَادِ
لَهُمْ بِالْخَلِيفِ قَدْ عَلِمْتَ مَعْدَ رِوَاقِ الدَّجْدِ رُفْعَ بِالْمَادِ

ابن الزبيري يرد على موهب

فأجابه عبد الله بن الزبيري ، فقال :

وَأَمْسَى مَوْهَبٌ كَحِمَارِ سَوَاءٍ أَجَازَ بَيْلَادٍ فِيهَا يُنَادِي

.....

فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لَا يُنَاوِي سُهَيْلًا ضَلَّ سَعْيِكَ مِنْ تَعَادِيهِ
فَأَقْصِرْ يَا بَنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ وَعَدَّ عَنِ الْمَقَالَةِ فِي الْبِلَادِ
وَلَا تَذْكُرْ عِتَابَ أَبِي يَزِيدٍ قَهَبَاتِ الْبُحُورِ مِنَ التَّمَادِ

أمر المهاجرات بعد الهدنة

الرسول صلى الله عليه وسلم يأبى رد أم كلثوم

(قال ابن إسحاق) : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أم كلثوم بنت عتبة بن أبي مطيح في تلك المدة ، فخرج أخوها عمارة والوليد
ابنا عتبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها
عليهما بالمهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

حول آية المهاجرات المؤمنات

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عروة بن الزبير ، قال : دخلت
عليه وهو يكتب كتاباً إلى ابن أبي هنيذة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ،
وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ
الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُنَافِقِينَ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ
مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَآهِنَّ حِلٌّ لَّهُمْ ، وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ
وَأَتَوْهُنَّ مَا نَفَقُوا ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ) .

— قال ابن هشام : واحدة العِصم : عِصْمَةٌ ، وهى الخبل والسَّبب . قال .

أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

إلى المرء قيس نطيلُ الشرى وتأخذ من كلِّ حَى عِصم

وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ ، وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قال : فكتب إليه عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ،
فله هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام أتى الله أن
يردذن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام ، فقرروا أنهن إنما
جئن رغبة فى الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتبسن عنهم ، إن
هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله
يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم
النساء ورد الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من
من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذى يردون عليهم ، إن هم فعلوا ،
ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
النساء كارد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم
الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردن لمن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه
من المللات قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزهري عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا يَقْتُمْ ، فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ قال : يقول : إن فات أحدكم منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم ، فموضوع من قتي وإن أصبتموه ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْ أَجْرَاتٍ ... ﴾ إلى قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُنكِحُوا بِعِصَمِ الْكَافِرِ ﴾ ، كان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قريية بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جبرول أم عبيد الله بن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما .

بشرى فتح مكة وتسجيل بعض المسلمين

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمناً ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم من علمي هذا ؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لي جبريل عليه السلام .

.....

غزوة الحديبية

يقال فيها : الحُدَيْبِيَّةُ بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية . قال الخطابي : أهل الحديث يقولون : الحُدَيْبِيَّةُ بالثَّسْدِ ، والجُمْرَانَةُ كذلك ، وأهل العربية يقولونها : بالتخفيف ، وقال البكري : أهل العراق يشددون الراء والياء في الجُمْرَانَةِ والحُدَيْبِيَّةِ ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من آقَيْتُه عن أَتَقِي بعله عن الحُدَيْبِيَّةِ ، فلم يخففوا حلَّيَّهَا بالتخفيف (١) .

المقات والاشعار :

فصل : وذكر خروج النبي ﷺ على الله عليه وسلم - مُقْتَمِرًا إلى مكة ، ولم يذكر في حديثه : من أين أحرم ، وفي الصحيح من رواية الزهري أنه أحرم من ذى الحليفة ، وهو خلاف ما يروى عن عليّ رحمه الله من قوله : إن تمام العمرة أن تُحْرَمَ بها من دَوْبَرَةِ أَهْلِكَ ، وهذا من قول عليّ مُتَأَوِّلٌ فِيمَنْ كَانَ مَنْزِلُهُ مِنْ وَرَاءِ الْمَقَاتِ ، فهو الذي يُحْرَمُ من دَوْبَرَةِ أَهْلِهِ ، كما يُحْرَمُ أَهْلُ مَكَّةَ من مكة في الحج .

وفيه : أنه أَشْمَرُ الْهَذَى ، وهو خلاف قول النَّخَعِيِّ وأهل الكوفة في قولهم إن الإشعارَ منسوخٌ بنبيه عن الْمُثَلَّةِ ، ويقال لهم : إن

(١) وأهل الحديث يكسرون العين وأهل الادب يخففون الراء .

النهي عن المثلة كان بإثر غزوة أحد ، فلا يكون الناسخ متقدماً على للنسخ .

مدر شرح حديث الحميري :

وفيه أنهم مَرُّوا بطريق أجرد ، ومعناه : كثير الحجارة ^(١) ، والجرد : المجرد .
وفيه أنه بمت عينا له من خراطة إلى مكة ، فدل على أنه يجوز للرجل أن
يسافر وحده ، إذا كانت الحاجة إلى ذلك ، أو كان في ذلك صلاح للمسلمين .
وفي البخاري والنسوي أن عتيته الذي أرسل جاءه بندير الأشطاط ،
والأشطاط : جمع شط ، وهو السنام ، قال الرازي ^(٢) :

شَطًّا رَمَيْتَ فَوْقَهُ بِشَطًّا

وشط الوادي : أيضاً جانيه ، وبعضهم يقول فيه الأشطاط بالطاء المعجمة ،
ولسم عينه ذلك بُسْرُ بن سَفْيَانَ بن عمرو بن عُمَرَ الخَزَاعِي ^(٣) ، وهو الذي

(١) في السيرة أجرد . والجرد : بالتحريك : الحجارة أو مع الشجر أو المكان
الصلب القليظ ، والجرد من الأرض مالا يثبت ، والفضاء لا يثبت فيه وهذا
الإسم للفضاء ، ومن هذا يتبين أن السهيل وضع الجرد معنى الجرد ، أو لعله
خطأ من الناسخ ، إذ جعل اللام دالا .

(٢) الرجز لأبي النجم ، وهو الفضل بن قدامة بن عبيد الله عجلي من بني عجل
ابن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل ، والرجز هكذا .

علقت خوداً من بنات الرط ذات جهاز مضنط ملط
كان تحت درعها المنعط شطاً رهيت فوقه بشط

لم يتر في الرفع ولم ينط

(٣) أو عويمر الخزاعي .

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بُدَيْلِ بْنِ أُمِّ أَصْرَمَ ^(١) وهو بُدَيْلُ
ابنِ سَلَمَةَ ^(٢) إِلَى خِزَاعَةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ .

وفيه أن قريشاً خرجت ومعهما المُوَدُّ المَطَافِيلُ . المُوَدُّ : جمع عَائِدٍ ، وهي
النافقة التي معها ولدها ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ خَرَجُوا بِذَوَاتِ الْأَلْبَانِ مِنَ الْإِبِلِ ،
لِيَتَزَوَّدُوا أَلْبَانَهَا ، وَلَا يَرْجِعُوا ، حَتَّى يُبَاحِرُوا أَحْمَدًا وَأَصْحَابَهُ فِي زَعْمِهِمْ ، وَإِنَّمَا
قِيلَ لِلنَّافِقَةِ : عَائِدٌ ، وَإِنْ كَانَ الْوَلَدُ هُوَ الَّذِي يَعُودُ بِهَا ، لِأَنَّهَا عَاطَفٌ عَلَيْهِ ،
كَأَقَالُوا نَجَارَةً رَاجِعَةً ، وَإِنْ كَانَتْ مَرْبُوعًا فِيهَا ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى نَامِيَةٍ
وَزَائِكِيَةٍ ، وَكَذَلِكَ عَيْشَةُ رَاضِيَةٌ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى صَالِحَةٍ ، وَمِنْ نَحْوِ هَذَا قَوْلُهُ :
(وَالْتَمَذَى مَفْكُوفًا) الْفَتْحُ : ٢٥ وَإِنْ كَانَ عَائِدًا ، لِأَنَّهُ مَجْبُوسٌ فِي الْمَعْنَى ،
فَنَحْوُ وَزْنِهِ فِي اللَّفْظِ إِلَى وَزْنِ عَاهِدٍ فِي مَعْنَاهُ ، كَمَا قَالُوا فِي الْوَأَةِ : تَهْرَاقُ
الدِّمَاءُ ، وَقِيَاسُهُ : تَهْرِيقُ الدِّمَاءِ ، وَلَكِنَّهُ فِي مَعْنَى : تُسْتَحَاضُ ، فَحَوَّلَ
إِلَى وَزْنِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ وَبَقِيَتِ الدِّمَاءُ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْقَعُولِ كَمَا كَانَتْ ^(٣) .

(١) فِي الْأَصْلِ : أَصُوم .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : بِدِيلُ بْنُ مَيْسَرَةَ بْنِ أُمِّ أَصْرَمَ ، وَبِدِيلُ بْنُ سَلَمَةَ . وَفِي
الِاشْتِقَاقِ : بِدِيلُ بْنُ أُمِّ أَصْرَمَ .

(٣) قَدْ يَكُونُ مَنْصُوبًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَإِنْ كَانَ مَعْرِفَةً ، وَلَهُ نَظَائِرُ ، أَوْ يَكُونُ
قَدْ أَجْرَى تَهْرَاقَ مَجْرَى : نَفَسَتِ الْمَرْأَةُ غِلَامًا ، وَنَتَجَ الْفَرَسُ مَهْرًا ، وَيَجُوزُ رَفْعُ
الدَّمِ عَلَى تَقْدِيرِ : تَهْرَاقَ دِمَاؤُهَا ، وَتَكُونُ الْأَلْفُ وَاللَّامُ بَدَلًا مِنَ الْإِضَافَةِ
كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَوْ يَغْفِرَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النَّسْكَاحِ) أَيْ عَقْدَةُ نِكَاحِهِ أَوْ نِكَاحِهَا
. . . الْإِنْسَانُ مَادَّةُ مَرَقٍ . . .

وقوله في بئر الخديبية : إنما يُتَبَرَّضُ ماؤها تَبَرُّضًا من البَرَضِ ، وهو الماء الذي يَقْطُرُ قَلِيلًا قَلِيلًا ، والبارِضُ من النبات الذي كأنه يَقْطُرُ من الرِّمَى والنَّعْمَةِ . قال الشاعر :

رَعَى بارِضَ البُهْمَى تَجِيبًا وبُسْرَةً وَصَمَاءَ حَتَّى آتَتْهُ نِصَالُهَا^(١)

يقال لكل شيء في أوله : بُسْرَةٌ حتى للشمس عند طلوعها ، وصَمَاءٌ : مُتَّحِدَةٌ قد شَوَّكَتْ ، قاله أبو حنيفة .

وذكر أن رجلاً من أسلم سلك بهم طريقاً وعرّاً أُجْرَلَ يقال : إن ذلك الرجل هو ناجية الأسلى ، وهو سائق بُدْنِهِ ، وهو ناجية بن جُنْدَب ، ويقال فيه ابن مُخَيْرٍ ، وكان اسمه : ذَكْوَانٌ ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم : ناجية حين نجى من كفار قريش ، وعاش إلى زمن معاوية ، وأما صاحب بُدْنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكور في حديث آخر في الموطأ وغيره ، فاسمه : ذُوئَيْبُ بن حَلْحَلَةَ بن عمرو بن كُتَيْب بن أَضْرَمَ بن عبد الله بن قُمَيْر بن حُبَيْشَةَ بن سُلُول بن كَعْب بن عمرو بن ربيعة ، وهو حُلَيْ بن

(١) البيت في اللسان وروايته : رعت . وفي الأصل : خمينا وآلفته والتصويب من اللسان . وآلفته : جعلتها تشتكي — أوفها بفهاما . وبرى حتى أنصلتا . والبهي : نبات تحبه الغنم جداً شديداً مادام أخضر . قال الأزهري : البهي أول ما يبدو منها البارِض ، فإذا تحرك قليلاً فهو جسيم ، فإذا ارتفع وتم قبل أن يتفقا ، فهو الصمماء . والبسرة : الغض من البهي ، انظر اللسان في مادة يسر . وصمغ ، وبهم .

حَارِثَةُ جَدُّ خُرَاعَةَ ، وَذُوَيْبٌ هَذَا هُوَ وَالِدُ قَبِيصَةَ بْنِ ذُوَيْبٍ الْقَاضِي صَاحِبِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَعَاشٌ ذُوَيْبٌ إِلَى خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ أَيْضًا .

وَذَكَرَ فِي نَسَبِ أَسْلَمَ بْنِ أَقْصَى بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ، وَهُوَ وَمَنْ ، وَقَدْ أَصْلَحَهُ
ابْنُ هِشَامٍ ، فَقَالَ : هُوَ حَارِثَةُ يَعْنِي ابْنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَامِرٍ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ
ابْنِ حَارِثَةَ الْفَطْرِيفِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَازِنِ بْنِ الْأَسَدِ ،
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ إِسْعَاقَ لَمْ يَهْمُ فِيهِ ، وَلَكِنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى أَبِي حَارِثَةَ بْنِ
عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ ، وَهُوَ عَمُّ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَحَارِثَةُ هُوَ أَبُو الْأَوْسِ
وَالْخَزْرَجِ ^(١) .

وَذَكَرَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تَدْعُونِي قَرِيشَ الْيَوْمَ إِلَى خَطَةِ ، الْحَدِيثُ ،
وَفِي غَيْرِ رَوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ،
لَا تَدْعُونِي قَرِيشَ ، وَلَمْ يَقُلْ فِي الْحَدِيثِ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ
فَقِيلَ : إِنَّمَا أُسْقِطَ الْإِسْتِثْنَاءُ ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ وَاجِبٌ كَانَ قَدْ أُمِرَ بِهِ ، الْأَتْرَاءُ يَقُولُ
فِي الْحَدِيثِ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِنْ أَخَالَفَ أَمْرُهُ ، وَلَنْ يُصِغِّي ^(٢) ،
وَقِيلَ إِنْ إِسْقَاطَ الْإِسْتِثْنَاءِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الرَّاوِي إِنَّمَا نَسَبَهُ وَإِنَّمَا يَحْفَظُهُ .
وَفِي الْحَدِيثِ : أَوْ تَنْفَرِدُ هَذِهِ السَّالِفَةُ . السَّالِفَةُ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ ، وَانْفِرَادُهَا .

(١) هَذَا لِأَنَّ حَارِثَةَ وَلَدَ رَيْبَةَ ، وَوَلَدَ رَيْبَةَ عَمْرًا ، وَهُوَ أَبُو خُرَاعَةَ .

(٢) رَأَى غَيْرَ جَيِّدٍ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ : (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ) مَعَ تَحْقِيقِ وَقُوعِ ذَلِكَ تَعْلِيمًا وَإِرْشَادًا ، مَنْ فَتَحَ
الْبَارِي . .

عبارة عن القتل أو الذبح ، وفي الرجز الذي أنشده :

يَا أَيُّهَا السَّامِيُّ دَلَوِي دُونَكَ

لو قال دُونَكَ دَلَوِي لكان الدلوي موضع نصب على الإغراء ، فلما قدّمها على دُونَكَ ، لم يجرّ نصبها بدونك ، ولكنه فعل آخر ، كأنه قال : املا دَلَوِي ، فقوله : دُونَكَ أَمْرٌ بعد أمرٍ .

وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : فِي الْحُلَيْنِ : إن هذا من قوم يتألهون ، أى : يُعَظِّدُونَ أَمْرَ الْإِلَهِ ، ومنه قول رؤبة :

سَبَّحْنَ ، وَاسْتَرْجَمْنَ مِنْ تَأَلَّهِ (١)

أى : من تَنَسَّكَ وتعظيم الله سبحانه .

وصف الجمع بالفرقة :

وقول عروة بن مسعود لقريش : قد عَرَفْتُمْ أَنْكُمْ وَالِدٌ : أى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كَأَوَالِدٍ ، وقيل معناه : أَنْتُمْ حَيٌّ قَدْ وَلَدْتُمْ ، لأنه كان لُبَيْبَةً (٢) بنت عبد شمس (٣) ، وقد يجوز أن يقال في الجماعة : هم لى صَدِيقٌ وَعَدُوٌّ . وفي

(١) القصيدة في ديوان رقية والبيت هكذا :

فه در الغايات المده سبحن واسترجمن من تأله
(٢) في الأصل : سفيحة ، وموخطا .

التزويل : ﴿ وَحَسِّنْ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ النساء : ٦٩ فيُزَوِّدُ لَهَا صَفَةً لِقَرِيبٍ وَحِزْبٍ وَتَقْبَحُ أَنْ تَقُولَ : قَوْمُكَ ضَالِكٌ أَوْ بَاكٍ ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ هَذَا إِذَا وَصَفْتَ بِصَدِيقٍ وَرَفِيقٍ وَعَدُوٍّ لِأَنَّهَا صَفَةٌ تَصْلُحُ لِلْفَرِيقِ وَالْحِزْبِ ، لِأَنَّ التَّدَاوَةَ وَالصَّدَاقَةَ صَفَتَانِ مُتَضَادَّتَانِ ، فَإِذَا كَانَ عَلَى أَحَدِهِمَا الْقَرِيبُ الْوَاحِدُ ، كَانَ الْآخَرُ عَلَى ضِدِّهَا ، وَكَانَتْ قُلُوبُ أَحَدِ الْقَرِيبَيْنِ فِي تِلْكَ الصِّفَةِ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي عُرْفِ الْعَادَةِ ، فَحَسِّنِ الْإِفْرَادَ ، وَابْسِ بِلَزْمِ مِثْلٍ هَذَا فِي الْقِيَامِ وَالْقِيَامِ وَنَحْوِهِ ، حَتَّى يَقَالَ : هُمْ قَاءٌ — هَذَا أَوْ قَائِمٌ كَمَا يَقَالُ : هُمْ صَدِيقٌ لِمَا قَدِمْنَا مِنْ الْإِتِّفَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ غافر : ٦٧ ، بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ ﴾ النور : ٥٩ فَلَا حَسَنَ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ أَنْ يُعَيَّرَ عَنِ الْأَطْفَالِ الرُّضْعُ بِالطِّفْلِ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، لِأَنَّهُمْ مَعَ حَدِّثَيْنِ الْوِلَادَةِ كَالْجَنَسِ الَّذِي يَقَعُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ ، إِلَّا تَرَسَّى أَنْ يَبْدَأَ الْخَلْقَ طَيْنٌ . ثُمَّ سَمِيَ ، وَالْعَمِيَّ جِنْسٌ لَا يَتَمَيَّزُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ ، فَلِذَلِكَ لَا يُجْمَعُ ، وَكَذَلِكَ الطَّيْنُ ، ثُمَّ يَكُونُ الْخَلْقُ عَدْلًا ، وَهُوَ الْبَدَنُ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ جِنْسًا ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُمُ الْطِّفْلُ ، أَيْ : جِنْسًا تَالِيًا لِلْعَمِيِّ وَالْعَمِيَّ لَا يَكْدُ يَتَمَيَّزُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ إِلَّا عِنْدَ آبَائِهِمْ ، فَإِذَا كَبُرُوا وَخَالَطُوا النَّاسَ ، وَعَرَفَ النَّاسُ صُورَهُمْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَصَارُوا كَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، قِيلَ فِيهِمْ : حِينَئِذٍ أَطْفَالٌ ، كَمَا يَقَالُ : رِجَالٌ وَنِسَاءٌ ، وَلَا يُفْتَرَضُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ بِالْأَجْنَةِ أَنَّهُمْ مُغَيَّبُونَ فِي الْبُطُونِ ، فَلَمْ يَكُونُوا كَالْجَنَسِ الظَّاهِرِ لِلْمِيرِ كَالنِّسَاءِ وَالطَّيْنِ وَالْعَمِيِّ ، وَإِنَّمَا جُمِعَ الْجَنِينُ عَلَى أَجْنَةٍ ، وَحَسِّنْ ذَلِكَ فِيهِ ، لِأَنَّهُ تَتَّبَعُ لِلطَّيْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، وَيَقْوَى هَذَا الْفَرْضُ الَّذِي صَدَدْنَا إِلَيْهِ فِي الطَّالِ (م - ٣١٠ - الرُّوَيْلَاتُ ج ٢)

قول رجل من بني بجاعة لعمَرَ بن عبد العزيز ، وقد سأله : هل بقي من كهول بني بجاعة أحد ؟ قال : نعم ، وشكيرة كثير ، فانظر كيف قال : الكهول وجمع ، وقال في الصغار : شكيرة كما تقول : حشيش ، ونبات ، فتفرد ، لأنه جنس واحد ، والطفل في معنى الشكيرة ماداموا رُضْعاً ، حتى يَتميزوا بالأسماء والصور عند الناس ، فهذا حكمُ البلاغة ، ومساقُ الفصاحة فاقهه .

وأما قول عروة : جمعت أو شاب الناس ، يريد : أخلاطاً ، وكذلك الأوباش .

وقوله في حديث المغيرة : أما المالُ فلست منه ^(١) في شيء فيه من الفقه أن أموال المشركين حرام إذا أمِنوك وأمنتهم ، وإنما يحل بالمعجزة والمُعَالَبَةِ لا عند طمأنينتهم إليك وأمنتهم منك ، فإن ذلك هو القدر ،

(١) كان المغيرة قبل إسلامه صاحب قوماً في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بني مالك لما خرجوا للمقوقس بمصر بهدايا ، فأحسن إليهم ، وأعطاهم ، وقصر بالمغيرة ، لأنه ليس من القوم ، بل من أحلافهم ، فغار منهم ولم يواسه أحد منهم ، فلما كان ببعض الطريق شربوا الخمر ، وناموا ، قوبل المغيرة ، فقتلهم كلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء إلى المدينة ، فأسلم فقال أبو بكر : ما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قال : قتلهم ، وجئت بأسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليحسن ، أو ليرى رأيه فيها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما الإسلام — بالنصب على المفعولية — فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء . المواهب ص ١٩١ ، ورواية البخاري ومسلم . صاحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، أما

وفي هذا المعنى آثار قد مضى بعضها ، وسيأتي بعضها في غزوة خيبر وغيرها .
وفيه : أنهم كانوا يتدللون بنخامة النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا تنخم .
وفي ذلك دليل على طهارة النخامة خلافاً للنخعي ، وما برز في ذلك عن
سلمان الفارسي . وحديث : إذا تنخم أحدكم في الصلاة أبين في الحجبة ، لأن
حديث السيرة يحتمل الخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم ^(١) .

مول المصالح :

فصل : وذكر مصالحة النبي - صلى الله عليه وسلم - لقريش وشراطيهم أن
لا يأتيه منهم أحد ممن هو على دينه إلا رده عليهم ، وفي هذا الحديث مصالحة

(١) لا يعتبر عمل الصحابة منا هداً أو ابتدئ به أو أسوة يقتدى بها ، أو عملاً يمكن
أن يضاف إلى الإسلام كشجرة أو سنة ، فإنه عمل أوضح الحديث مرتبط بما فعل
من أجله ، لا يتعداه ، ولا يذهب قاعده . يدل على أن أحداً من الصحابة لم
يفعله بعد ذلك ، وهي لمحة رتبة من تحت صاحب القميص أن يقول : ولعل
الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة . بالفرا في ذلك إشارة إلى أن ما حشيه
من فراوهم ، فتكلمهم قالوا بلسان الحال : من نحب هذه المحبة ، ونعطفه هذا
التمظيم ، كيف يظن به أن نفعه ونسلمه له . بل هم أشد اعتباطاً به بدنه
ونصره من هذه القبائل التي تدعى بعضها بمجرد أرحم ، ص ١٩٢ المراهب .
ولعل من دلس الفهم وقذارته أن تتصور في الإسلام أنه مجرد أمر يفتح
له باباً يدخل منه إلى شريعته ، أو بحث الناس على التذلل بنخامة شيوخهم كما
يقررنا هذا وقد روى عن أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
رأى نخامة في جدار المسجد فتناول حصاة . فحتمها . وقال : إذا تنخم أحدكم فلا
يتنخم قبل وجهه ، ولا عن يمينه ، وليبصق عن يساره . أو تحت قدمه اليسرى
و متفق عليه ، وفي رواية للبخاري : میدهها .

للشركين على غير مال يؤخذ منهم ، وذلك جائز إذا كان بالمسلمين ضعف ، وقد تقدم مصالحتهم على مال يقطونه غزوة الخندق ، واختلاف : هل يجوز صلحهم إلى أكثر من عشر سنين ؟ فقال بعضهم : يجوز ذلك إذا رآه الإمام ، وقالت طائفة : لا يقع آوز في صلحهم إلى أكثر من عشر سنين ، وحجهم أن حظر الصلح هو الأصل بدليل آية القتال ، وقد ورد التحديد بالشر في حديث ابن إسحاق فحصلت الإباحة في هذا المقدار متحققة ، وبقيت الزيادة على الأصل وهو الحظر ، وفيه الصلح على أن يرده المسلم إلى دار الكفر ، وهذا منسوخ عند أبي حنيفة بحديث سيرة خالد حين وجهه النبي - صلى الله عليه وسلم إلى خثعم ، وفيهم ناس مسلمون قاتنوا بالشجود فقتلهم خالد ، قود أم النبي - صلى الله عليه وسلم - نصف الدية ، وقال : أنا برىء من مسلم بين مشركين ، وقال فقهاء الحجاز : هو جائز ، ولكن لل خليفة الأكبر لألمن دونه ، وفيه : نسخ الشنة بالقرآن على أحد القولين ، فإن هذا العهد كان يقتضى أن لا يأتيه مسلم إلا رده ، فنسخ الله تعالى ذلك في النساء خاصة ، فقال عز وجل : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ المتحفة : ١٠ هذا على رواية عقيل بن خالد عن الزهري ، فإنه قال في الحديث : أن لا يأتيه أحد ، وأحد يتضمن الرجال والنساء ، والأحسن أن يقال في مثل هذا تخصيص عموم لا نسخ ، على أن بعض حذاق الأصوليين قد قال في العموم : إذا عمل بمقتضاه في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - واعتقد فيه العموم ، ثم ورد التخصيص فهو نسخ ، وهذا اللفظ لا يقال

النساء وقالت طائفة : إنما استَجَازَ النبي - صلى الله عليه وسلم - ردَّ المسلمين إليهم في هذا الصلح لقوله عليه السلام : لا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ إِلَى خُطَّةٍ يَعْظُمُونَ فِيهَا الْحَرَّمَ إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا ، وفي ردِّ المسلم إلى مكة عمارة البيت ، وزيادة خَيْرَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ ، فكان هذا من تعظيم حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، فعلى هذا القول يكون حُكْمًا مَخْصُوصًا بِمَكَّةَ ، وبالنبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون غير جائز لمن بعده كما قال العراقيون .

حكم المهاجرات :

فصل : وذَكَرَ قول الله سبحانه : ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ، فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ المتحفة : ١ . هذا عند أهل العلم مخصوصٌ بنساء أهل العهد والصلح ، وكان الامتحان أَنْ يَسْتَحْلِفَ الرَّأْيُ الْمُهَاجِرَةَ أَنَّهَا مَا خَرَجَتْ نَاشِئًا وَلَا هَاجَرَتْ إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ^(١) ، فإذا حلفت لم تَرُدَّ وَرَدَّ صَدَاقُهَا إِلَى بَيْعْلِهَا ، وإن كانت من غير أهل العهد لم تُسْتَحْلَفْ ، ولم يَرُدَّ صَدَاقُهَا .

وفيه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَاسِمِهِ ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَكَتَبَ : هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، لِأَنَّهُ قَوْلُ حَقٍّ كُلُّهُ ، وَظَنُّ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّهُ كَتَبَ يَدَهُ ، وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ كَتَبَ ، وَهُوَ لَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ ، فَيَقُومُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطْلَقَ يَدَهُ بِالْكِتَابَةِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ خَاصَّةً ، وَقَالَ : هِيَ آيَةٌ ، فَيَقَالُ لَهُ : كَانَتْ نَسْكَونَ آيَةً لَوْلَا أَنَّهَا مُنَاقِضَةٌ لِآيَةِ أُخْرَى ، وَهُوَ كَوْنُهُ أَمِيًّا لَا يَكْتُبُ ،

(١) اقرأ تفسير ابن كثير للآية فقد روى غير هذا .

وبكونه أمياً في أمة أممية قامت الحجة ، وأقيم الجاحد ، وانحسرت الشبهة ، فكيف يُطلق الله يده ، لتسكون آية ؟ وإنما الآية أن لا يكتب للمعجزات (١) يستحيل أن يدفع بعضها بفضا ، وإنما معنى : كتب أى : أمر أن يكتب (٢) وكان الكاتب في ذلك اليوم على بن أبي طالب ، وقد كتب له عدة

(١) أذكر هنا بأن الله سبحانه سمي ما أعطاه لرسله آيات ، لا معجزات .

(٢) نص رواية البخارى والنسائى وأحمد ، فأخذ الكتاب ، وليس يحسن أن يكتب ، فكتب مكان رسول الله محمد بن عبد الله ، ولهذا يتبين لنا أن تأويل السبلى غير جيد . ولأن هذه الرواية مخالفة لكل الروايات الصحيحة أنكر بعض المأخرين على أبي موسى المدينى نسبتها للبخارى فقال : ليست في البخارى ولا في مسلم . وهو كما قال عن مسلم ، ولكنها ثابتة في البخارى .

وقد تمسك بظاهر رواية البخارى أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد بن أبوب المتوفى سنة ٤٧٤ هـ ، فزعم أن النبي دس ، كتب بعد أن لم يكن يحسن أن يكتب ، فشنع عليه علماء الأندلس ، وهتوه بالزندقة ، وشنعوا عليه من على المنابر في الجمع ، فجمعهم به الأمير ، فاستظهر الباجي بما كان يعرف من فنون القول والمجادلة ، وزعم أن رأيه غير مخالف للقرآن ، بل إنه يؤخذ من مفهوم القرآن ، لأنه قيد نفى الكتابة عنه بما قبل ورود القرآن : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه يمينك إذأ لارتاب الميطلون) وبعد أن تحققت أمنيته ، وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب في ذلك ، لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم ، فيكون معجزة أخرى وقد وافقه جماعة ، وأنكر عليه آخرون كثيرون . أنظر فتح البارى في شرح الحديث والمواهب اللآنية ص ١٩٦ وما بعدها ٢ . أقول : وما استنبطه الباجي مخالف لما تواتر والروايات الصحيحة .

من أصحابه، منهم عبدُ الله بن الأرقم، وخالدُ بن سعيد، وأخوه أبان، وزيدُ ابن ثابت، وعبدُ الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، وأبي بن كعب القاري، وقد كتب له أيضاً في بعض الأوقات أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، وكتب له كثيراً معاوية بن أبي سفيان بعد عام الفتح، وكتب له أيضاً الزبيرُ ابن العوام، ومُعَيقِبُ بن أبي فاطمة، والمغيرةُ بن شعبة، وشُرَحْبِيلُ بن حسنّة، وخالدُ بن الوليد، وعمرُ بن العاصي، وجُهْمُ بن الصلت، وعبدُ الله ابن رَوَاحَةَ، وعبدُ بن مسleme، وعبدُ الله بن سعد بن أبي سرح، وحَنْظَلَةُ الأسيدي، وهو حَنْظَلَةُ بن الربيع، وفيه يقول الشاعر بعد موته :

إِن سَوَادَ الْعَيْنِ أَوْدَى بِهِ حُزْنٌ عَلَى حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ
وَالْعَلَاءِ بْنِ الْخَضِرِيِّ، ذَكَرَهُمْ عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ فِي كِتَابِ الْكُتُبِ لَهُ (١).

باسمك اللهم :

وأما قولُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو لَهُ : وَلَكِنْ أَكْتُبُ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، فإنها كلمةٌ كانت قريشٌ تقولها ولقولهم لها سببٌ قد ذكرناه في كتاب التعريف والإعلام ، وأول من قالها أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، ومنه تعلّموها وتعلّمها هو من رَجُلٍ مِنَ الْجَنِّ فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ ذَكَرَهُ الْمُسْتَوْدِي (٢) وهو الخبير الذي تلخصناه في الكتاب المذكور .

(١) ذكر ابن القيم في زاد المعاد منهم عامر بن فبرة ، وثابت بن قيس ابن شماس .

(٢) يشرح الذهبي أن يصدق الرجل الكثير على هذا الحرف الصغير .

عِيَّة مَكْفُوفَةٌ :

فصل : وذكر في الكتاب : وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ عِيَّةٌ مَكْفُوفَةٌ ^(١)
أى : صُدُورُ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى مَا فِيهَا لَا تُبْدَى عِدَاوَةٌ ، وَضَرْبُ الْعِيَّةِ مَثَلًا ،
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَاذَتْ عِيَابُ الْوُدِّ مِنَّا وَوَنَهُمُ وَإِنْ قِيلَ أَبْنَاءُ الْعُمُومَةِ تَصَنَّرُ

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي ^(٢) فَضَرَبَ الْعَيْبَةَ
مَثَلًا لِمَوْضِعِ الْكَرِشِ ، وَمَا يُفَعِّلُهُ مِنْ وَدْمٍ . وَالْكَرِشُ وَغَلَا يُصْنَعُ مِنْ كَرِشِ
الْبَعِيرِ ، يَجْعَلُ فِيهِ مَا يَطْبَخُ مِنَ اللَّحْمِ ، يَقَالُ : مَا وَجَدْتُ لِهَذِهِ الْبَضْعَةِ قَا كَرِشٍ ،
أى : إِنَّ الْكَرِشَ قَدْ امْتَلَأَ ، فَلَمْ يَسْمَعْهَا فَهُوَ . وَيُضْرَبُ أَيْضًا هَذَا مَثَلًا ^(٣) ،

(١) لَيْسَ فِي السِّيرَةِ : وَبَيْنَكُمْ .

(٢) أَرَادَ دَرْسَ ، أَنَّهُمْ بَطَانَتُهُ وَوَضَعُ سِرِّهِ وَأَسَاتِئِهِ ، وَالَّذِينَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ
فِي أُمُورِهِ . وَاسْتَعَارَ الْكَرِشَ وَتَعْبِيَهُ لِدَلِّكَ ، لِأَنَّ الْجَمْعَ يَجْمَعُ لِحَقِّهِ فِي كَرِشِهِ ،
وَالرَّجُلُ يَضَعُ ثِيَابَهُ فِي تَعْبِيَةٍ . وَقِيلَ : أَرَادَ بِالْكَرِشِ : الْجَمَاعَةَ أَيْ : جَمَاعَتِي وَمُحَابَّتِي ،
يَقُولُ : عَلَيْهِ كَرِشٌ ، أَيْ جَمَاعَةٌ . وَانْتِهَاءُ لَابِنِ الْإِثِيرِ ، وَالحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ :
« أَوْسِيَكُمْ بِالْأَنْصَارِ ، فَاهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي » ، فَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَبَقِيَ
الَّذِي لَمْ يَأْقُبُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مَسِيئَتِهِمْ .

(٣) أَيْ لَمْ أَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَعَنِ الْلُحْيَانِ : لَوْ وَجَدْتُ إِلَيْهِ فَالْكَرِشُ ،
وَبَابُ كَرِشٍ . وَإِنْ كَرِشَ لَأَتَيْتَهُ ، يَعْنِي قَدْ رَزَقْتُكَ مِنَ السَّبِيلِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ
لَوْ وَجَدْتُ إِلَيْهِ : فَاسْبِيلٌ . وَأَصْلُ الْمَثَلِ أَنَّ رَجُلًا فَصَلَ شَاةً ، فَأَدْخَلَهَا فِي كَرِشَتِهَا ،
لِيَطْبَخَهَا ، فَقِيلَ لَهُ : أَدْخِلِ الرَّأْسَ ، فَقَالَ : إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ فَالْكَرِشُ يَعْنِي :
إِنْ وَجَدْتُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا .

كما قال الحجاج : ما وَجَدْتُ إلى دَمِ فُلَانٍ فَاكْرِشِ .

وقوله : ولا إغلال ، هي الحِيَاةُ ، يقل : فُلَانٌ مثل الأَصْبَحِ ، أى خائن
اليد . قال الشاعر :

حَدَّثْتُ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ ، وَلَمْ تَكُنْ بِالْعَذْرِ خَائِنَةً مِثْلَ الْأَصْبَحِ

والإِسْلَالُ : السرقة ، والخُلْسَةُ ونحوها ، وهي السلة . قالوا في المثل :
الْخُلَّةُ تَدْعُو إِلَى السَّنَةِ .

أبو جنبل وصاحبه في النحر :

فصل : وذكر خُرُوجِ أَبِي جَنْدَلٍ يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ . أبو جنبل ، هو
العامري بن سُهَيْلٍ ، وأما أخوه عبد الله بن سهيل ، فكان قد فر يوم بدر
إلى المسلمين ، فلحق بهم ، وشهد بدرًا ، والمشاهد كلها ، وقتل يوم الْيَمَامَةِ
شهيدًا ، وأما أبو جَنْدَلٍ ، فاستشهد مع أبيه بالشام في خلافة عُمرَ ، وهو الذي
شَرِبَ الخمرَ مُتَأَوِّلًا لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، ثُمَّ
اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسِنُوا ؛ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] المائدة : ٩٣
فجلده أبو عُبَيْدَةَ بِأَمْرِ عُمرَ وجلد صاحبه ، وهو ضِرَارٌ ، ثم إن أبا جَنْدَلٍ
أشفق من الذَّنْبِ حتى قال : لقد هَلَسْتُ ، فبلغ ذلك عمرَ رضى الله عنه ،
فكتب إليه : إن الذي زين لك الخطيئة هو الذي حظر عليك التوبة :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(١) نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴿ الْآيَةُ . وَكَانَ شَرْبُهَا مَعَ خِرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَأَبُو الْأَزْوَريِّ ، فَلَمَّا أَسْرَعُوا أَنْ يُجْلَدُوا ، قَالُوا : دَعْنَا نَأْكُلَ الْعَدُوَّ ، فَإِنْ قُتِلْنَا فَبِذَلِكَ ، وَإِلَّا حَدَدْتُمُونَا ، فُقِتِلَ أَبُو الْأَزْوَريِّ ، وَحُدَّ الْآخَرَانِ .

الدينية التي رفضها عمر :

فصل : وذكر قول عمر - رضي الله عنه - فَقَلَّامٌ نَعَطَى الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا ، هِيَ قَبِيلَةٌ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَأَصْلُهَا التَّهَرُّ ، وَفِي غَيْرِ رَوَايَةٍ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعُمَرَ : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَاسْتُ أَعْصِيهِ ، وَهُوَ نَاصِرِي ، وَأَنَّهُ أَتَى أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاوبه أبو بكر بمثل ما جابه به النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً يحرف ، ثم قال له : يَا عُمَرُ الزَّمْ غَرْزَهُ^(٢) ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ عُمَرُ : وَمَا شَكَّكْتُ مِنْذُ أَسَلَّمْتُ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ ، وَفِي هَذَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ يَشْكُ ، ثُمَّ يُجَدِّدُ النَّظَرَ فِي دَلَائِلِ الْحَقِّ فَيَذْهَبُ شَكُّهُ ، وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : هُوَ شَيْءٌ لَا يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي) وَلَوْلَا الْخُرُوجُ حَاصِمَتُنَا إِلَيْهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ

(١) تقرأ هكذا : حَامِيم ، وكل أخواتها

(٢) أي اعتلق به ، وأمسكه . واتبع قوله وفعله ولا يخالفه ، فاستعار له الغرز كالذي يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره . والغرز هو ركب كور الجمل ، وقال : من الكرم ، وعلقنا مثلاً في كتاب الله

لذكرنا ما للعناء في قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم (ولكن ليطمئن قلبي) ، وذكرنا الشكفة العظمى في ذلك ، ولعلنا أن تلقى لها موضعاً ، فنذكرها . والشك الذي ذكره مظهر وابن عباس مالا يصبر عليه صاحبه ، وإنما هو من باب الوسوسة التي قال فيها عليه السلام تحيراً عن إبليس : الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة .

موقف أم سلمة في الحديبية :

وفي غير رواية ابن إسحاق من الصحيح أنه عليه السلام دخل على أم سلمة ، وشكا إليها ما تلقى من الناس حين أمرهم أن يحلقوا وينحروا ، فلم يفعلوا لما بهم من الغيظ ، فقالت : يا رسول الله اخرج إليهم ، فلا تكلمهم ، حتى يحلقوا وتنحروا ، فإنهم إذا رأوك قد فعلت ذلك ، لم يخافوك . ففعل صلى الله عليه وسلم ، وفعل الناس ، وكان الذي حاق رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك اليوم خراش بن أمية [بن ربيعة بن الفضل بن منقر بن عفيف بن كليب بن خبشية بن سلول] الخزاعي [ثم السكبي] ^(١) وهو الذي كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ إلى مكة فمقروا بجهله ، وأرادوا قتله ، فحينئذ بعث إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ففي تركيهم للبيدار دليل على أن الأمر ليس على الفور ، كما ذهب إليه بعض الأصواتين ، وفيه أنهم تحلوا الأمر على غير الوجوب لقريته ، وهي أنهم رأوه لم يحلق ولم ينحروا ،

(١) الزيادة من الإضافة .

ولم يَقْصُرْ ، فلما رَأَوْهُ قد فعل اعتقدوا وجوبَ الأمرِ وامتثلوه . وفيه أيضاً إباحةُ مَشَاوَرَةِ النِّسَاءِ ، وذلك أن النهي عن مُشَاوَرَتِهِنَّ إنما هو عندهم في أمر الرِّبَايةِ خاصَّةً ، كذلك قال أبو جعفر النعمان في شرح هذا الحديث .

المقصود :

فصل : وذكر ابنُ إسحاق استغفارَ النبي - صلى الله عليه وسلم - للمُحَلِّقِينَ ثلاثاً وللمُقَصِّرِينَ مرَّةً واحدةً . ولم يكن المُقَصِّرُ يومَئِذٍ من أصحابه إلا رَجُلَيْنِ ، أحدهما عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، والآخر أبو قَتَادَةَ الأنصاري ، كذلك جاء في مُسْنَدِ حديثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أبو بصير :

وذكر حديثَ أَبِي بَصِيرٍ واختلف في اسمه ، قيل : عُبَيْدُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَّةَ ، وقيل عُتْبَةُ .

وذكر قولَ النبي صلى الله عليه وسلم له حين قَتَلَ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ : وَيْلُ أُمِّهِ مِثْسُ حَرْبٍ . وفي الصحيح : وَيْلُ أُمِّهِ مِثْسُ حَرْبٍ ، يقال : حَشَشْتُ النَّارَ ، وَأَرْتَشْتُهَا ، وَأَذْكَيْتُهَا ، وَأَتَقَبَّطْتُهَا وَسَعَّرْتُهَا بمعنى واحد ، ومثي الأسمَرُ الجُنْفِيُّ أَسْمَرٌ بقوله :

فلا يَدْعُنِي قَوْمِي لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ لَئِنْ أَكَا لَمْ أُسْعِرْ عَلَيْهِمْ وَأَتَقَبَّرِ
وكان اسمه مَرْتَدُ بْنُ حُمْرَانَ^(١) ، ومالك في هذا البيت : هو مَذْحِجٌ ،

(١) في المؤلف للأمدى ص ٨٠ ابن أبي حمران وكذلك في الاشتقاق ص ٤٠٨ =

وأما الحوقُ أبي بصيرٍ بسيفِ البحر ، ففي روايةٍ مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ ، أنه كان يُصَلِّي بأصحابه هنالك ، حتى لحق بهم أبو جندَل بن سُهيلٍ فقدموه ، لأنه هُرِّي ، فلم يزل أصحابه يكثرُونَ ، حتى بلغوا ثَلَاثِمِائَةٍ ، وكان أبو بصير كثيراً ما يقول هنالك : اللَّهُ اللَّيْلُ الْأَكْبَرُ ، مَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ فَسَوْفَ يُنْصَرُ ، فلما جاءهم الفرجُ من الله تعالى ، وكلمت قريشُ النبيَّ عليه السلام أن يُؤْوِيَهُمْ إليه لما ضَيَّقُوا عليهم ، ورد كتابُ النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بصيرٍ في الموت ، يحود بنفسه ، فأعطى الكتابَ فجعل يقرأه ويُسرُّه ، حتى قُبِضَ والكتابُ على صدرِهِ ، فُبِنِي عليه هناك مسجدٌ ، يَرَّحَهُ اللهُ (١) .

عمرة :

وفي الحديث من غير السيرة أن للمسلمين حين حَلَقُوا في ذلك اليوم ، وهم بالحلِّ قَدْ مُنِمُوا أن يَدْخُلُوا الْحَرَمَ جاءت الربيعُ ، فاحتملت شُموَرَهُمْ حتى

== ولكنه في سبط البكري ص ٩٤ كما هنا ، والكل على أن كنيته : أبو حمران ، وهو شاعر جاهلي .

(١) لاويب في أنه بنى بعد ذلك بكثير ، فليس من هدى الإسلام إقامة المساجد على القبور . فقد وصف الرسول ص ، - كما جاء في البخاري ومسلم - الذين يفعلون ذلك بأنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولعن الذين يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ، أما إقامة مسجد على كهف أهل الكهف فكان من عمل الذين علموا على الأمر ، أما الذين قالوا : ربهم أعلم بهم — وهذه كلمة الإيمان العظيم — فقالوا ابنوا عليهم بغيانا . أي سدرا عليهم باب الكهف .

أَلْتَمَهَا فِي الْحَرَمِ ، فَاسْتَبَشَرُوا بِقَبُولِ اللَّهِ مُحَرَّمَهُمْ ، ذَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ .
وَالْمُنْعَةُ مُشَقَّةٌ مِنْ عِمَارَةٍ لِلْأَسْجِدِ الْحَرَامِ وَبُقِيَّتْ عَلَى قُصَّةٍ ، لِأَنَّهَا
فِي مَعْنَى قُرْبَةٍ وَمُضَلَّةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَيْسَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّهَا الزَّيَارَةُ
فِي الثَّلَاثَةِ بَيِّنٌ ، وَلَا فِي قَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ حُجَّةٌ لَهُمْ لِأَنَّهُ مُحْتَمَلُ التَّأْوِيلِ وَهُوَ قَوْلُهُ :
وَجَاسَتْ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ قُلُوبُهُمْ وَرَأَى كَبُورَ جَاءِ مِنْ تَكْلِيْفِ مُنْتَقِرٍ

قتل أبي بصير للسَّافِر :

فصل : ومما يُسْأَلُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ أَبِي بَصِيرٍ قَتْلُ الرَّجُلِ الْكَافِرِ ، وَهُوَ
فِي الْمَهْدِ : أَكَانَ ذَلِكَ حَرَامًا أَمْ مُبَاحًا لَهُ ، وَظَاهَرُ الْحَدِيثِ رَفْعُ الْخُرُوجِ عَنْهُ ،
لِأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَثْرِبْ ، بَلْ مَدَحَهُ ، وَقَالَ : وَبَنِلْ أُمُّهُ
مِحْشُ حَرْبٍ . فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ جَائِزًا لَهُ ، وَقَدْ حَقَّنَ الصُّلْحُ
الدَّمَاءَ ؟ قُلْنَا : إِنَّمَا ذَلِكَ فِي حَقِّ أَبِي بَصِيرٍ عَلَى الْخُصُوصِ ، لِأَنَّهُ دَافِعٌ عَنْ نَفْسِهِ
وَدِينِهِ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ ذَلِكَ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَإِنَّمَا لَمْ يُطَالَبْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِيَّةٍ ، لِأَنَّهُ أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ لَمْ يُطَالَبُوا ، إِنَّمَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَشْلَمُوا ،
وَإِنَّمَا لِأَنَّ اللَّهَ شَفَعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، حَتَّى انْتَكَسَتْ الْمَهْدُ ، وَجَاءَ الْفَتْحُ .

فَإِنْ قِيلَ : فَإِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَدْرِي مَنْ قُتِلَ خَطَأً مِنْ
أَهْلِ الصُّلْحِ كَمَا وَدَّى الْعَامِرِيُّينَ ^(١) وَغَيْرَهُمَا قُلْنَا : عَنْ هَذَا جَوَابَانِ ، أَحَدُهُمَا :

(١) هَذَا بِنَصِّ الْقُرْآنِ (وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَى أُمَمٍ وَتَحْرِيرٌ رَقِيَّةٌ مُؤْمِنَةٌ)

أن أبا بصير كان قد رده إلى المشركين ، فصار في حُكْمِهِمْ ، ولم يكن في فِتْنَةِ
المُسْلِمِينَ وحِزْبِهِمْ ، فيحكم عليه بما يحكم عليهم .

والجواب الثاني : أنه إن كان قَتَلَ عَمْدًا ، ولم يكن قَتَلَ خطأ ، كما كان
قَتَلَ العاصرين ، وقد قال عمر بن الخطاب لا تَقِيلُ العاقلةُ عَمْدًا ولا عَبْدًا
[ولا صُلْحًا ولا اعتراقًا] ^(١)

من مواقف عمر في الحربية :

فصل : وقولُ عُمرَ للنبيِّ - صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ تَعِدْنَا أَنَا تَأْتِي
الْبَيْتَ ، ونطوفُ به ؟ فقال : نعم ، وذكر الحديث . كان النبيُّ - صلى الله عليه
وسلم - قد أَرَى ذلك في مَنَامِهِ ، ورؤيا الأنبياء وَحْيٌ ، ثم أنزل الله تعالى :
(لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) الآية الفتح : ٢٧ ويسألُ عن قوله :
إن شاء الله آمينين : ما فائدة هذا الاستثناء ، وهو خبرٌ واجبٌ ؟ وفي الجواب
أقوال : أحدها : أنه راجعٌ إلى قوله : آمينين ، لا إلى نفس الدُخُولِ ، وهذا
ضعيفٌ ، لأن الوعدَ بالأمان قد اندرجَ في الوعدِ بالدخول .

(١) سبق الحديث عن العقل والعاقلة وهي المصبة والأقارب من قبل الأب
الذين يعطون دية قتيل الخطأ . والمعنى أن كل جنائية عمد ، فإنها من مال الجاني
خاصة ، ولا يلزم العاقلة منها شيء ، وكذلك ما اصطاحوا عليه من الجنائيات
في الخطأ ، وكذلك إذا اعترف الجاني بالجنائية من غير بينة تقوم عليه ، وإن
ادعى أنها خطأ لا يقبل منه ، ولا تلزم بها العاقلة ، وأما العبد ، فهو أن يجنى حر
على عبد ، فليس على عاقلة الجاني شيء ، إنما جنائيات في ماله خاصة . أنظر مادة عقل
في النهاية لابن الأثير .

الثاني أنه وَعَدَ عَلَى الْجَلَّةِ ، والاستثناء راجع إلى التَّنْصِيلِ ، إذ لا يَذَرِي كلُّ إنسانٍ منهم : هل يَبِشُ إلى ذلك ، أم لا ، فرجع الشكُّ إلى هذا اللغز ، لا إلى الأمرِ بالوعود به ، وقد قيل إنما هو تعليم للعباد أن يقولوا هذه الكلمة ، ويستعملونها في كل فعل مُسْتَقْبَلٍ أعني : إن شاء الله ^(١) .

بيعة الشجرة وأول من بايع :

فصل : وذكر بَيْعَةَ الشَّجَرَةِ ، وسببها ، ولم يذكر أول من بايع ، وذكر الواقدي أن أول من بايع بَيْعَةَ الرضوان سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الْأَسَدِيُّ . وقال موسى ابن عُقْبَةَ : أول من بايع أبو سِنَانٍ ، واسمه ، وَهْبُ بْنُ مِحْصَنٍ أَخِي عُسْكَاشَةَ ابن مِحْصَنٍ الْأَسَدِيِّ ، وقال الواقدي : كان أبو سِنَانٍ أَسَنَ من أخيه عُسْكَاشَةَ بعشر ^(٢) سنين ، شهيد بَدْرًا ، وتوفي يوم بَنِي قُرَيْظَةَ ، ويروى أنه حين قال

(١) يقول البيهقاري : هي تعليق للعدة بالمشيئة تعليمًا للعباد أو إشعاراً بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا ، أو النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، .

(٢) في رواية : بعشرين .

تعليق عام على الحديثية

الحديثية : بشر سمي المكان بها ، وقيل شجرة سمي بها المكان ، أو هي قرية ليست كبيرة بعضها في الحل وبعضها في الحرم ، وهي على تسعة أميال من مكة عدد أبطالها : في الصحيحين ثن جابر أنهم كانوا خمسمائة والفاء . وفيها عن جابر نفسه أنهم كانوا أربعمائة والفاء . ويقول ابن القيم : والقلب إلى هذا أميل . وفي الصحيحين أيضاً عن عبد الله بن أبي أنهم كانوا ثلاثمائة والفاء .

المبايعة : كانت على ألا يفروا كما في الصحيحين .

أول من بايع : هو أبو سنان الأسدي ، وبإيه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات =

الترمذي ووكلا الحديثين صحيح ، لأن بعضهم بايع على أن لا يفرّوا ، ولم يذكر الموت ، وبعضهم قال : أبابك على الموت .

= كان تأخيرهم من السعي المغفور لا المشكور ، وقد رضى الله عنهم ، وغفر لهم وأوجب لهم الجنة ، ص ٢١٦ ح ٢ زاد المعاد .

الماء في الحديثية : في الصحيح ، أن النبي ، ص ، توضأ ، ومج في بئر الحديثية من فقه ، فجاءت بالماء ، كذلك قال البراء بن عازب وسلمة بن الأكوع في الصحيحين .

وفي الصحيحين أيضاً في حديث جابر ، عطف الناس يوم الحديثية ، وبين يدي رسول الله ، ص ، ركوة يتوضأ منها ، فأقبل الناس نحوه ، فقال : ما لكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ منه ، ولا نشرب إلا ما في ركوتك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، وقد أخرج أحمد حديث جابر ، وفيه : فجاءه رجل يداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره ، فصبه ، ص ، في قدح ، ثم توضأ ، فأحسن الوضوء ، ثم انصرف ، وترك القدح ، فتواحم الناس عليه ، فقال : على رسلكم فوضع كفه في القدح ، ثم قال : أسبغوا الوضوء . قال : فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه ، وفي حديث زيد بن خالد أنهم أصابهم مطر بالحديثة ، فلما صلى الصبح قال : أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بكافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بكافر بالكواكب ، وهذا وقد استنبط الإمام ابن القيم من قصة الحديثية ستاً وثلاثين فائدة فقهية تشهد له بالبراعة والالمية ، كما استنبط منها عدة حكم ، فانظر كل هذا في كتابه القيم ، زاد المعاد ، ص ٣١١ ط السنة الحمدية .

ذكر المسير إلى خير

في المحرم سنة سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالمدينة حين رجع من الحديبية ، ذا الحجة وبعض الحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج في بقية الحرم إلى خير .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عميلة بن عبد الله الليثي ، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت بيضاء .

ما فاته أبو جندل :

فصل : وما قاله أبو جندل بن سهيل أيام كونه مع أبي بصير

بسيف البحار :

أبغ قرشنا عن أبي جندل أنا يدي المروية فالتاحل
في معشر تحفق أيمانهم بالبيض فيها والقنا الدابل
يأبون أن تبقى لهم رقة من بعد إسلامهم الواصل
أو يحمل الله لهم نحرجا والحق لا يقب بالباطل
فيسلم المرو بإسلامه أو يقتل المرو ولم ياتل

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي عن أبي الهيثم ابن نصر بن دهر الأسلمي أن أبا له حدته : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول في مسيره إلى خيبر لما مر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو ابن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : انزل يا ابن الأكوع ، فخذ لنا من من هنا بك ، قال : فنزل يرتجز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قوم بئنا علينا وإنا أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينتنا عليتنا وثبت الأقدام إن لاقينا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتنشتنا به أقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله ، فيما بلغني ، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل ، فكله كلها شديداً ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شكوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيد ، وصلى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي مُعْتَب بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب

السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أظللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله . قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُغز عليهم حتى يُصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار . فزلنا خير ليلاً ، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب ودكنا معه ، فركبت خلف أبي طلحة ، وإن قدي لنس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلنا بمسحاة خبير غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتيلهم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه ! فاذهبوا هرباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، خربت خير ، إننا إذا تركنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خير سلك على عصر فبنى له فيها مسجد ، ثم على الصبهاء ، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه ، حتى نزل بوادٍ يقال له : الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطمان ، فيحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خير ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمَنَزِلِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليُظَاهِرُوا يَهُودَ عليه ، حتى إذا ساروا مُنْقَلَبَةً جمعوا خلفهم في أموالهم وأهلِيهم حَسًّا ظَنُّوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فَرَجَعُوا على أعقابهم ، فأقاموا في أهلِيهم وأموالهم ، وخلوا بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتَدَنَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأموال بأخذها مالا مالا ، ويشتريها حِصْنًا حِصْنًا ، فكان أولُ حُصُونِهِم افتُتِحَ حِصْنُ ناعم ، وعنده قُتِلَ محمود ابنُ مَسْلَمَةَ ، أَلْقِيَتْ عليه منه رِحَا قَتَلَتْهُ ، ثم القموص ، حِصْنُ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ ، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم سَبَايَا ، مِنْهُنَّ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَمِي بْنِ أَخْطَبَ ، وكانت عندَ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَبَنَتْهُ عَمَّ لَهَا ، فأعطاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ .

وكان دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ قد سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ ، فلما أصفهاها لِنَفْسِهِ أعطاه ابنتي عَمَّهَا ، وَفَشَتِ السَّبَايَا مِنْ خَيْبَرٍ فِي الْمُسْلِمِينَ .

مانهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر

وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من مَحَرِّهَا ، قَامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَهَيَّ النَّاسَ مِنْ أُمُورِ سَبَايَاهُمْ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدُ الله بن عمرو بن ضَمْرَةَ النَّزَارِيُّ عن عبدِ الله

ابن أبي سَلِيط ، عن أبيه ، قال : أنا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ
أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ ، وَالْقُدُورِ تَقُورُ بِهَا ، فَكَفَّأْنَاهَا عَلَى وَجْهِهَا .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مَكْحُول : أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَاهُمْ يَوْمَئِذٍ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ إِيثَانِ الْحَبَالِ مِنَ
السَّابَا ، وَعَنْ أَكْلِ الْحَبَارِ الْأَهْلِ ، وَعَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ ، وَعَنْ
بَيْعِ الْمَنَامِ حَتَّى تُقَسِّمَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني سَلَامٌ بْنُ كِرْكِرَةَ ، عن عمرو بن دينار ، عن
جابر بن عبد الله الأنصاري ، ولم يشهد جابر خَيْرٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبَسَ نَهَى النَّاسِ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ ، أَذِنَ لَهُمْ فِي أَكْلِ
لُحُومِ الْخَيْلِ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى
نَجِيبٍ ، عن حنّس الضنماني ، قال : غَزَوْنَا مَعَ رُوَيْعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ
الْمَغْرِبَ ، فَانْفَتَحَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْمَغْرِبِ يُقَالُ لَهَا جَرَبَةُ ، فَقَامَ فِينَا خَطِيبٌ ،
فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي لَا أَقُولُ فَيْكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُهُ فِينَا يَوْمَ خَيْرٍ ، قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
لَا يَحِلُّ لِمَرْءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَ زَرْعٍ غَيْرِهِ ، يَعْنِي
إِيثَانَ الْحَبَالِ مِنَ السَّابَا ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرْءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
يُصِيبَ امْرَأَةً مِنَ السَّبَى حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرْءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

لآخر أن يبيع مَنَّا حتى يُقسم ، ولا يحمل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن
ركب دابة من قَوْمِ المسلمين حتى إذا أعجمها ردَّها فيه ، ولا يحمل لامرئ يؤمن
الله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من قَوْمِ المسلمين حتى إذا أخلقه ردَّه فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، أنه حدث عن
عبادة بن الصامت ، قال : سها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن
عن أن تبيع أو تنبتاع تبر الذهب بالذهب العَيْن ، وتبر الفضة بالورق
العَيْن ، وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق العَيْن ، وتبر الفضة بالذهب
العَيْن .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدِّي الحُصُونِ
والأموال .

شأن بني سهم

حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بني سهم من أسلم
أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله يا رسول الله لقد جهدنا
وما بأيدينا من شيء ؛ فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً
يعطيهم إياه ؛ فقال : اللهم إني قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن
ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غنائم
وأكثرها طعاماً وودكاً ، ففتح الله عز وجل حصن الصَّغْبِ بن
معاذ ، وما بخير حصن كان أ. أكثر طعاماً وودكاً منه .

مقتل مَرَحِب اليهودي

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انهبوا إلى حصنهم الوطيج والسلايم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شمار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يامنصور ، أيت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مَرَحِب اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد عَلِمْتُ خَيْرَ أُنَى مَرَحِبٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
أَطْمَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَصْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَحْرَبُ
إِنْ حَيَّ لِلْحَيِّ لَا يُقْرَبُ

وهو يقول : من يُبَارِزُ ؟

فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد عَلِمْتُ خَيْرَ أُنَى كَعْبُ مُفَرَّجُ النَّمَى جَرِيءُ صُلْبٍ
إِذَا شَبَّتِ الْحَرْبُ تَلَمَّهَا الْحَرْبُ مَعِي حُسَامُ كَاتَمَقِينَ عَضْبُ
نَطَوُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصُّعْبُ نُعْطَى الْجَزَاءَ أَوْ بَقِيَّةَ النَّهْبِ
بَكْفٌ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتَبُ

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري :

عَدَّ عَلِمْتُ خَيْرُ أُنَى كَنْبُ وَأُنَى مَنِ ثَشِبُ الْحَرْبُ
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ جَرِي صُلْبُ مَعِي حُصَامُ كَالْمَقِيقِ عَضْبُ
بَكَفْ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَقْبُ تَدُكُكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّغْبُ

قال ابن هشام : ومَرَّحِب من خَيْر .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سَهْل ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لُذَّا ؟ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ : أَنَا لَهُ يَارَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا وَاللَّهُ التَّوْتُورُ النَّارُ ، قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ ؛ فَقَالَ : فَعَمَّ إِلَيْهِ ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِ . قَالَ : فَلَمَّا دَنَا أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ ، دَخَلَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ عُمرِيَّةٌ مِنْ شَجَرِ الْعُشْرِ فَجَلَّ أَحَدُهُمَا يَلُودُ بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ ، كُلَّمَا لَازِمَهَا مِنْهُ اقْتَطَعَ صَاحِبُهُ بِسَيْفِهِ مَا دُونَهُ مِنْهَا ، حَتَّى بَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ ، وَصَارَتْ بَيْنَهُمَا كَالرَّجُلِ الْقَائِمِ ، مَا فِيهَا قَتْنٌ ، ثُمَّ حَلَّ مَرَّحِبٌ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، فَضْرَبَهُ ، فَأَتَقَاهُ بِالذَّرْقَةِ ، فَوَقَعَ سَيْفُهُ فِيهَا ، فَعَصَّتْ بِهِ فَأَمْسَكَتْهُ ، وَضْرَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَتَّى قَتَلَهُ .

مقتل يامر أخى مرحب

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مَرَّحِب أخوه يامر ، وهو يقول : مَنْ

يهارز ؟ فرغم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى يأسر ، قالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابني يا رسول الله ! قال : بل ابنتك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقيا ، فقتله الزبير .

قال ابن إسحاق : حدثني هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً مضياً ، قال : والله ما كان صارماً ، ولكن أكرهته .

شأن علي يوم خيبر

قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسدي ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه برأيه ، وكانت بيضاء ، فبأ قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ؛ ثم بعث خالد بن الخطاب ، فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار . قال : يقول سلمة : ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فقتل في عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يابح ، يهزول هزوة ، ولما تلفته نلتج أثره ، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه

يهودى من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب . قال :
يقول اليهودى : علّوتم ، وما أنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فارجع حتى فتح
الله على يديه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن
أبي رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع على بن
أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بوابته ،
فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فصر به رجل من يهود ، فطاح ترسه
من يده ، فتناول على عليه السلام بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ،
فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ،
فلقد رأيتني في نفر سبعة معي ، أنا نائمهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ،
فما قلبه .

أمر أبى اليسر

قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن شريك الأسدي ، عن بعض رجال
بنى سامة عن أبى اليسر كعب بن عمرو ، قال : والله إنا لمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخير ذات عشيّة ، إذ أقبلت غم لرجل من يهود تريد
حوضهم ، ونحن مُحاصِرُهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رجلٌ
يُطمئنا من هذه الغم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله ؛ قال : فافعل ،
قال : فخرجت أشدّ مثل الظلم ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

مَوْلِيًّا قَالَ : اللَّهُمَّ أَمْتِنَا بِهِ ؛ قَالَ : فَأَدْرَكْتُ الْغَنَمَ وَقَدْ دَخَلَتْ أَوْلَاهَا الْحِصْنَ
فَأَخَذْتُ شَاتِنَيْنِ مِنْ أَخْرَاهُمَا ، فَاحْتَضَنْتُهُمَا تَحْتَ يَدِي ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ بِهِمَا أَشْتَدَّ ،
كَأَنَّهُ لَيْسَ مَعِيَ شَيْءٌ ، حَتَّى أَتَقَيْتُهُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَخَذَ بَحْوَمَا فَأَكَلُوهُمَا ، فَكَانَ أَبُو الْيَسْرِ مِنْ آخِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلَاكًا ، فَكَانَ إِذَا حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ بَكَى ، ثُمَّ قَالَ : أَمْتِعُوا بَنِي
لِعَمْرَى ، حَتَّى كُنْتُ مِنْ آخِرِهِمْ هُلُوكًا .

صفية أم المؤمنين

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموصَ ،
حصنَ بني أبي الحقيق ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفيّة بنت حيٍّ
ابن أخطبَ ، وبأخرى معها ، فَرَبَّاهُمَا لَبَّالٌ ، وهو الذي جاء بهما على قَتْلَى
من قَتْلَى يَهُودَ ، فلما رَأَتْهُمُ الَّتِي مَعَ صَفِيَّةَ صَاحَتْ ، وَصَكَّتْ وَجْهَهُمَا وَحَنَّتْ
الترابَ عَلَى رَأْسِهَا ؛ فلما رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أُعْزِبُوا
عَنِّي هَذِهِ الشَّيْطَانَةَ ، وَأَمْرَ بِصَفِيَّةَ خَيْرَ مَنْ خَلَفَهُ ، وَأَلْقِ عَلَيْهَا رِدَاءَهُ ، فَعَرَفَ
الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ . فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَّالٌ ، فَمَا بَلَغَنِي ، حِينَ رَأَى بِتِلْكَ الْيَهُودِيَّةَ
مَا رَأَى : أُنْزَعَتْ مِنْكَ الرَّحْمَةُ يَا لَبَّالُ ، حِينَ تَمَرَّ بِأَمْرِ أَنْتَ عَلَى قَتْلَى رَجُلَاهُمَا ؟
وَكَانَتْ صَفِيَّةَ قَدْ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ وَهِيَ عَرُوسٌ بِكِنَانَةِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ،
أَنْ قَرَأَ وَقَعَ فِي حِجْرِهَا ، فَعَرَضَتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهَا ، فَقَالَ : مَا هَذَا إِلَّا أَنَّكَ

تَمَنَّيْنِ مَلِكَ الْحِجَازِ عَمْدًا ، فَلَطَمَ وَجْهَهَا لَطْمَةً خَضَرَ عَيْنَاهَا مِنْهَا . فَأَتَى بِهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهَا أُرْمَتْهُ ، فَسَأَلَهَا مَا هُوَ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ
هَذَا الْخَبَرَ .

بقية أمر خيبر

وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابَةِ بْنِ الرَّيْعِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ
كَتَرُ بْنُ النَّضِيرِ ، فَسَأَلَهُ عَنْهُ ، فَجَدَّ أَنْ يَكُونَ بِمَرْفُوفٍ مَكَانَهُ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
إِنِّي رَأَيْتُ كِفَانَةً يَطِيفُ بِهَذِهِ الْخَرْبَةِ كُلَّ غَدَاةٍ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِكِتَابَةَ : أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْنَاهُ عِنْدَكَ ، أَتَقَاتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَرْبَةِ تُخْفَرُ ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا بَعْضَ كَتَرِمْ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا
بَقِيَ ، فَأَبَى أَنْ يُؤَدِّيَهُ ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّيْبِرَ بْنَ الْعَوَّامِ ،
فَقَالَ : عَذِّبْهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مَا عِنْدَهُ ، فَكَانَ الزَّيْبِرُ يَقْدَحُ بِزَنْدٍ فِي صَدْرِهِ ،
حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ
مَسْلَمَةَ ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ بِأَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ .

صلح خيبر

وَحَاصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَهْلَ خَيْبَرَ فِي حِصْنَتِهِمُ الْوَطِيحِ
وَالسَّلَامِ ، حَتَّى إِذَا أَيقَنُوا بِالتَّهْلُكَةِ ، سَأَلُوهُ أَنْ يُسَبِّحَهُمْ وَأَنْ يَحِقِّنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ ،
فَفَعَلَ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَازَ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا : الشَّقَاقَ

وَنَفَاقَةَ وَالسَّكِينَةَ وَجَمِيعَ حَصُونِهِمْ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذِيكَ الْحِصْنَيْنِ . فَلَمَّا تَمَّعَ بِهِمْ أَهْلُ فَدَّكَ قَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا ، بَشَرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسْأَلِهِ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ ، وَأَنْ يَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ ، وَيَحْلُوا لَهُ الْأَمْوَالُ ، فَقُلَ . وَكَانَ فِيمَنْ مَشَى بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مُحِيطَةٌ ابْنُ مَسْعُودٍ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ ، فَلَمَّا نَزَلَ أَهْلُ خَيْبَرَ عَلَى ذَلِكَ ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعَامِلَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ عَلَى النِّصْفِ ، وَقَالُوا : نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْكُمْ ، وَأَعْرَلَهَا ؛ فَصَالَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النِّصْفِ ، عَلَى أَنَا إِذَا شِئْنَا أَنْ نَخْرِجَكُمْ أَخْرَجْنَاكُمْ ؛ فَصَالَحَهُ أَهْلُ فَدَّكَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، فَكَانَتْ خَيْبَرَ قَتِيلًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتْ فَدَّكَ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْلُوا عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ .

الشاة المسمومة

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، امْرَأَةً سَلَامَ بْنِ مِشْكَمٍ ، شَاةَ مَصْلِيَّةٍ ، ، وَقَدْ سَأَلَتْ أَىَ عُضْوٍ مِنَ الشَاةِ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقِيلَ لَهَا : الذَّرَاعُ ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنَ السَّمِّ ، ثُمَّ سَمَتْ سَائِرَ الشَاةِ ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا ؛ فَلَمَّا وَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَنَاوَلَ الذَّرَاعَ ، فَلَاكَ مِنْهَا مُضْغَةٌ ، فَلَمْ يُسِفْهَا ، وَمَعَهُ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَرْوَرٍ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَأَمَّا بَشْرُ فَأَسَاعَمَا ؛ وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا لَفَظَهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ ، ثُمَّ دَعَا بِهَا ، فَاعْتَرَفَتْ ، فَقَالَ : مَا حَلَكَ عَلَى

ذلك؟ قالت : بلغت من قُوَيِّ ما لم يخف عليك ، قلت : إن كان مَلِكًا
استرحتُ منه ، وإن كان نبيًّا فسيُخَبَرُ ، قال : فتجاوزَ عنها رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم : وماتَ بِشَرٍّ من أكلته إلى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المَعْلَى ، قال :
كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفى فيه ، ودخلت
أمُ بَشْرَ بنتُ البراء بن معرور تموده : يا أمُّ بَشْرُ ، إن هذا الأَوَّانَ وجدتُ
فيه انقطاعَ أنْهَرِي من الأَكَلَةِ إلى أكلت مع أخيك مخبير . قال : فإن كان
المسلمونَ لَيُروْنَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ماتَ شهيدًا ، مع ما أكرمه
الله به من النبوة .

رجوع الرسول إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر
انصرف إلى وادي القُرى ، فحاصرَ أهلَه ليالي ، ثم انصرفَ راجعًا إلى المدينة .

مقتل غلام للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مُطِيع ،
عن أبي هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
خيبر إلى وادي القُرى نزلنا بها أصيلاً مع مُقَرَّبِ الشمس ، ومع رسولِ الله
صلى الله عليه وسلم غلام له أهده له رِفَاعَةُ بن زيد الجُدَامِيُّ ، ثم الضَّيْفِيُّ .

قال ابن هشام : جذام ، أخو ظم .

قال : فوالله إنه ليضع رَحْلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه منهم غَرَبٌ فأصابه قَتْلُهُ ، قتلنا : هنيئًا له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذي نفسي محمد بيده ، إن شملته الآن لتحترق عليه في النار ، كان غَلَبًا من فيء المسلمين يوم خيبر . قال : فسميها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتاه فقال : يا رسول الله ، أصبتُ شِرًا كَينَ لَنَمَلينِ لي ، قال : فقال : يُقَدِّ لك مثلهما من النار .

أمر ابن مفضل والجرب

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مفضل المزني ، قال : أصبتُ من فيء خيبر جَرَابَ شَحْمٍ ، فاحتلمته على عاتقي إلى رَحْلِي وأصحابي . قال : فلقيني صاحبُ المغامم الذي جُمِلَ عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هَلُمَّ هذا نفسه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيك ، قال : فجعل يُجاذبني الجرب . قال : فوآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغامم : لا أبالك ، خل بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقتُ به إلى رَحْلِي وأصحابي ، فأكلناه .

أبو أيوب يحرس الرسول صلى الله عليه وسلم

ليلة بناءه بصفية

قال ابن إسحاق : ولما أغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية ،
يخبر أو ببعض الطريق ، وكانت التي تجلتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ومسقطها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، أم أنس بن مالك . فبات
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ،
أخو بني الدجاج متوشحاً سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويطيف
بالقبة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال :
مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت
امراً قد قتلت أباهاً وزوجها وقومها ، وكانت حديثاً عندي بكفر ، فخفتها
عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم احفظ
أبا أيوب كما بات يحفظني .

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال :
لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان ببعض الطريق ،
قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : أنا
يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس
فناموا ، وقام بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلي . ثم استند إلى

بعيره، واستقبل الفجرَ رُمقه، فغلبته عينه، فنام، فلم يوقظهم إلا مسُّ الشمس، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولَ أصحابه هبَّ، فقال: ماذا صنعتَ بنا يا بلال؟ قال: يا رسول الله، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك، قال: صدقت، ثم اقتاد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير، ثم أناخ فتوضأ، وتوضأ الناس، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: «إِذَا نَسِيتُمُ الصَّلَاةَ فَصَلُّوْهَا، إِذَا ذَكَرْتُمُوهَا»، فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

شعر ابن لقيم في فتح خيبر

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغنى، قد أعطى ابنَ لقيم العَبْسِيَّ، حين افتتح خيبر، ما به من دَاجية أو داجن، وكان فتح خيبر في صفر، فقال ابنُ لقيم العَبْسِيَّ في خيبر:

رُمِيتْ نَفَاةٌ مِنَ الرَّسُولِ بِقَيْلَاقٍ	شَبَّاءَ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَارٍ
وَأَسْتَيْقِنْتَ بِالذَّلِّ لِمَا شُيِّمَتْ	وَرَجَالَ أَسْلَمَ وَسَطَهَا وَغِفَارٍ
صَبَحَتْ بَنَى عَمْرُو بْنِ زُرْعَةَ غُدْوَةً	وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَمْلَهُ بَنَاهُ
جَرَتْ بِأَبْطَحِهَا الدُّبُولُ فَلَمْ تَدْعِ	إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيحُ فِي الْأَسْعَارِ
وَلِكُلِّ حِصْنٍ شَاغِلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ	مِنْ عَبْدٍ أَشْهَلَ أَوْ بَنَى النِّجَارِ
وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أَعْلَمُوا سِمَاهُمْ	فَوْقَ التَّمَاغِرِ لَمْ يَبْنُوا لِفِرَارِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيْتَانِيَّ مُحَمَّدٍ	وَلَيْتُونِيَّ بِهَا إِلَى أَصْفَارِ

فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعْيِ نَحْتِ التَّجَاجِ غَمَامِ الْأَبْصَارِ

قال ابن هشام : فَرَّتْ : كَشَفَتْ ، كَمَا تُفَرِّ الدَّابَّةُ بِالْكَشْفِ عَنْ أَسْنَانِهَا ،
يُرِيدُ كَشَفَتْ عَنْ جُفُونِ الْعُيُونِ غَمَامِ الْأَبْصَارِ ، يُرِيدُ الْأَنْصَارَ .

حديث المرأة الغفارية

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء
من نساء المسلمين ، قَرَضَخَ لهنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من النَّفْيِ ،
ولم يضرب لهنَّ بسهم .

قال ابن إسحاق : حدثني سليمان بن سُحَيْمٍ ، عن أُمَيَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ ،
عن امرأة من بني غِفَارٍ ، قَدَسَّمَاها لِي ، قَالَتْ : أَتَيْتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم
فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، قُلْنَا : يَا رَسولَ اللهِ ، قَدِ أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ إِلَى
وَجْهِكَ هَذَا ، وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى خَيْبَرَ ، فَنُدَاوِي الْجُرْحَى ، وَنُعِينُ الْمُسْلِمِينَ
يَتِمَّا اسْتَطَعْنَا ، فَقَالَ : عَلَى بَرَكَاتِهِ اللهُ . قَالَتْ : نَخْرُجُ مَعَهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً
حَدَّثَةً ، فَأَرَدَنِي رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى حَقِيبَةٍ رَحَلَهُ . قَالَتْ :
هُوَ اللهُ لَنَزَلَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الصُّبْحِ وَأَنَا خُ ، وَنَزَلَتْ عَنْ حَقِيبَةٍ
رَحَلَهُ ، وَإِذَا بِهَا دَمٌ مِنِّي ، وَكَانَتْ أَوَّلَ حَيْضَةٍ حِضَّتُهَا ، قَالَتْ : فَتَقَبَّلْتُ
إِلَى الْعَاقَةِ وَاسْتَحْيَيْتُ ، فَلَمَّا رَأَى رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا بِي وَرَأَى
الدَّمَ ، قَالَ : مَا لَكَ ؟ لِمَ لَكَ نَفْسٌ ، قَالَتْ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَصْلَحِي مِنْ
خَفْسِكَ ، ثُمَّ خَذِي إِنْاءَ مِنْ مَاءٍ ، فَاطْرَحِي فِيهِ مِلْعَةً ، ثُمَّ اغْسِلِي بِهِ مَا أَصَابَ
الْحَقِيبَةَ مِنَ الدَّمِ ، ثُمَّ هَوْدِي لِمَرْكَبِكَ .

قالت : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، رَضَخَ لنا من
النبي ، وأخذ هذه القِلادة التي تَرَيْنِ في عنقِ فأعطانيها ، وعلَّقها بيده في عنقِ ،
فوالله لأُغارَني أبداً .

قالت : فكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تُدفن معها . قالت :
وكانت لا تطهر من خيضة إلا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل
في غُسلها حين ماتت .

شهداء خيبر

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من
قُرَيش ثم من بني أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكرم بن
سَخْبَرَةَ بن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن عَثم بن دُودان بن أسد ، وقُفَيْف بن
عمرو ، وراعة بن مسروح .

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله بن الهُبَيْب ، ويقال : ابن الهُبَيْب ،
فما قال ابن هشام ، ابن أُمَيْب بن سُحَيْم بن عِزَّة ، من بني سعد بن ليث ،
حليف لبني أسد ، وابن أخهم .

ومن الأنصار ثم من بني سلمة : بشر بن البراء بن معرور ، مات من
الشيء الذي سَمَّ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وفُضَيْل بن العُيمان . رجلان .

ومن بني زُرَيْق : مسعود بن سعد بن قيس بن خَلْدَةَ بن عامر
ابن زُرَيْق .

ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدي
ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بني حارثة .

ومن بني عمرو بن عوف : أبو ضيَّاح بن ثابت بن الثعلب بن أمية بن
الأمريء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وعمرو
ابن مُرة بن سُرّاقة ، وأوسُ بن القائد ، وأنيب بن حُبَيْب ، وثابت بن
الأشلة ، وطلحة .

ومن بني غِفَار : مُهارة بن عُقبة ، رمى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعي ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعي من أهل خَيْبَر .

ومن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهري ، من بني زهرة :
مسمود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بني عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

أمر الأسود الراعي في حديث خيبر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعي ، فيما بلغني : أنه أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ،
كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض عليّ الإسلام ،
هترضه عليه ، فأسلم - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتحقر أحداً أن

يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَام ، وَيَعْرِضُهُ عَلَيْهِ - فَلَمَّا أَسْلَمَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُفْتُ أَجِيرًا لِمُصَاحِبِ هَذِهِ النِّفَمِ ، وَهِيَ أَمَانَةٌ عِنْدِي ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِهَا ؟ قَالَ : اضْرِبْ فِي وُجُوهِهَا فَلَهَا سَتْرَجْعُ إِلَى رَبِّهَا - أَوْ كَمَا قَالَ - فَقَالَ الْأَسْوَدُ : فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنَ الْحَصَى قَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِهَا ، وَقَالَ : ارْجِعِي إِلَى صَاحِبِكِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكَ أَبَدًا ، فَفَرَجَتْ بِحِجْمَةٍ كَأَنَّ سَائِقًا يَسُوقُهَا ، حَتَّى دَخَلَتْ الْحِصْنَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى ذَلِكَ الْحِصْنِ لِيُقَاتِلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَصَابَهُ حَجَرٌ فَمَاتَ ، وَمَا صَلَّى اللَّهُ صَلَاةً نَظًّا ، فَاتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَضَعَ خَلْفَهُ ، وَسُجِّيَ بِشِمْلَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ أَعْرَضْتَ عَنْهُ ؟ قَالَ : إِنْ مَعَهُ الْآنَ زَوْجَتِي مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُ : أَنَّ الشَّهِيدَ إِذَا مَا أَصِيبَ تَدَلَّتْ (لَهُ) زَوْجَتَاهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ ، عَلَيْهِ تَقْفُضَانِ الْتَرَابِ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولَانِ : تَرَبَّ اللَّهُ وَجْهَ مَنْ تَرَبَّكَ ، وَقَتْلَ مَنْ قَتَلَكَ .

أَمْرُ الْحِجَّاجِ بْنِ عَلَاطِ السُّلَمِيِّ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا قُتِلَتْ خَيْبَرُ ، كُلَّمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْحِجَّاجُ بْنُ عَلَاطِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الْبَهْزِيُّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ لِي بِمَكَّةَ مَالًا عِنْدَ صَاحِبَتِي أُمِّ شَيْبَةَ بِنْتِ أَبِي طَلْحَةَ - وَكَانَتْ عِنْدَهُ ، لَهُ مِنْهَا حُمْرُ بْنُ الْحِجَّاجِ وَمَالٌ مَتَفَرِّقٌ فِي تِجَارِ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَأُذِّنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

فأذن له ، قال : إنه لابد لي بإرسول الله من أن أقول ، قال : قل . قال الحجاج :
فخرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت بَنَيْنِيَةَ البيضاء رجالاً من قريش يتسَّمعون
الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه
قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قَرْيَةُ الحجاز ، ريفاً وَمَنَعَةً ورجالاً ، فهم
يتحسَّسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأوني قالوا : الحجاج بن عَلاط -
قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي ، عنده والله الخبر - أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه
قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز ، قال :
قلت : قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبَّطوا بمنهج
ناقض يقولون : إنه يا حجاج ، قال : قلت : هُزِمَ هزيمة لم يسمعوا بمثليها قط ،
وُقُتِل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا : لا تقتله حتى
تنبعث به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم .
قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون
أن يُقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي
بمكة وعلى غُرْمائي ، فإني أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من قتل محمد وأصحابه
قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فيء محمد .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لي مالي كَأَحَثِّ جَمْعٍ سمعت به .
قال : وجئت صاحبتى فقلت ، مالي ، وقد كان لي عندها مال موضوع ،
لعلني ألقى بخيبر ، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار ، قال :
فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عني ، أقبل حتى وقف لي

جَنَّبِي وَأَنَا فِي خِيَمَةِ مِنْ خِيَامِ التَّجَارِ ، فَقَالَ : يَا حَجَّاجَ ، مَا هَذَا الْخَبِيرُ الَّذِي
جِئْتُ بِهِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : وَهَلْ عِنْدَكَ حِفْظُ لِمَا وَضَعْتُ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
قُلْتُ : فَاسْتَأْخِرْ عَنِّي حَقَّ أَلْفَاكِ عَلَى خَلَاءٍ ، فَإِنِّي فِي تَجَمُّعٍ مَالِي كَمَا تَرَى ، فَأَنْصَرِفُ
عَنِّي حَتَّى أَفْرُغَ : قَالَ : حَتَّى إِذَا فَرِغْتُ مِنْ جَمْعِ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ لِي بِمَكَّةَ ، وَأَجَعْتُ
الْخُرُوجَ ، لَقِيتُ الْعَبَّاسَ ، فَقُلْتُ : احْفَظْ عَلَيَّ حَدِيثِي . يَا أَبَا الْفَضْلِ ، فَإِنِّي أَخْشَى
الطَّلَبَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قُلْ مَا شِئْتُ ، قَالَ : أَفْعَلْ . قُلْتُ : فَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ ابْنَ
أَخِيكَ عُرُوسًا عَلَى بِنْتِ مَلِكِهِمْ يَعْنِي صَهْبِيَّةَ بِنْتِ حُيٍّ ، وَلَقَدْ افْتَتَحَ خَيْبِرَ ،
وَانْتَقَلَ مَا فِيهَا ، وَصَارَتْ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ يَا حَجَّاجَ ؟ قَالَ : قُلْتُ :
إِنِّي وَاللَّهِ فَارَكْتُمُ عَنِّي ، وَلَقَدْ أَسْلَمْتُ وَمَا جِئْتُ إِلَّا لِأَخْذِ مَالِي ، قَرَقًا مِنْ أَنْ
أَغْلِبَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثُ فَأَظْهَرَ أَمْرَكَ ، فَهُوَ وَاللَّهِ عَلَى مَا نَحْبُ ، قَالَ :
حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ لَبِسَ الْعَبَّاسُ حِلَّةَ لَهُ ، وَتَحَلَّقَ ، وَأَخَذَ عَصَاهُ ، ثُمَّ
خَرَجَ حَتَّى أَتَى لِلْمَكْمَةِ ، فَطَافَ بِهَا ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، هَذَا وَاللَّهِ
التَّجَلُّدُ لِحَرِّ الْمَصِيبَةِ ، قَالَ : كَلَّا ، وَاللَّهِ الَّذِي حَلَقْتُمْ بِهِ ، لَقَدْ افْتَتَحَ مُحَمَّدٌ خَيْبَرَ
وَتَرَكَ عُرُوسًا عَلَى بِنْتِ مَلِكِهِمْ ، وَأَحْرَزَ أَمْوَالَهُمْ وَمَا فِيهَا فَأَصْبَحَتْ لَهُ
وَلِأَصْحَابِهِ ، قَالُوا : مَنْ جَاءَكَ بِهَذَا الْخَبِيرِ ؟ قَالَ : الَّذِي جَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ ،
وَأَقْدَمَ دَخَلَ عَلَيْكُمْ مُسْلِمًا ، فَأَخَذَ مَالَهُ ، فَانْطَلَقَ لِيَأْخُذَ بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ،
فَيَكُونُ مَعَهُ . قَالُوا : يَا لِمَبَادِ اللَّهِ ! انْقَلَبْتَ عَدُوَّ اللَّهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْنَا لَكَ أَنْ
لَنَا وَلَهُ شَأْنٌ ، قَالَ : وَلَمْ يَنْشَبُوا أَنْ جَاءَهُمُ الْخَبِيرُ بِذَلِكَ .

شعر حسان عن خبير

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم خبير قول حسان بن ثابت :

بَيْتًا قَاتَلَتْ خَوَابِرَ عَمَّا يَجْمَعُونَ مِنْ مَزَارِعٍ وَنَحِيلٍ
كَرِهُوا الْمَوْتَ فَاسْتَنْبِجَ حِائِمٌ وَأَقْرَوا فِقَلَ الْأَنْثَمِ الدَّلِيلِ
أَمِنْ الْمَوْتِ يَهْرَبُونَ فَإِنَّ السَّمَوَاتِ مَوْتَ الْهَزَالِ غَيْرُ جَمِيلِ

حسان يعتذر عن أيمن

وقال حسان بن ثابت أيضًا ، وهو يمدح أيمن بن أم أيمن بن عبيد ، وكان قد تخلف عن خبير ، وهو من بني عوف بن الخزرج ، وكانت أمه أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي أم أسامة بن زيد ، فكان أخا أسامة لأمه :

عَلَى حِينٍ أَنْ قَالَتْ لِأَيْمَنْ أُمُّهُ جَبِئَتْ وَلَمْ تَشْهَدْ فَوَارِسَ خَبِيرٍ
وَأَيْمَنْ لَمْ يَجِبْ وَلَكِنْ مُهْرَهُ أَضَرَّ بِهِ شُرْبُ التَّدِيدِ الْحَمْرِ
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِ مُهْرِهِ أَقَاتِلَ فِيهِمْ فَارِسًا غَيْرَ أُعْسِرِ
وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّ فَعَلَ مُهْرَهُ وَمَا كَانَ مِنْهُ عِنْدَهُ غَيْرَ أُبْسِرِ

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك ، وأنشدني :

وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّهْ شَأْنُ مُنْهَرِهِ وَمَا كَانَ لَوْلَا ذَاكُمْ بِمُقْصَرٍ

شعر ناجية في يوم خير

قال ابن إسحاق: وقال ناجية بن جندب الأسدي:

يَا لِعِبَادِ اللَّهِ فِيمَ يُرْغَبُ مَا هُوَ إِلَّا مَأْكَلٌ وَمَشْرَبٌ
وَجَنَّةٌ فِيهَا نَعِيمٌ مُتَجَبٌ

وقال ناجية بن جندب الأسدي أيضاً:

أَنَا لَمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ جُنْدَبٍ يَارُبَّ قِرْنٍ فِي مَكْرَمِي أَنْكَبِ
طَاحَ بِمَقْدِي أَنْسَرِي وَتَغْلِبَ

قال ابن هشام: وأنشدني بعض الرواة للشعر قوله: «في مكرمي»،
«طاح بمقدي».

شعر كعب في يوم خير

وقال كعب بن مالك في يوم خير، فيما ذكر ابن هشام، عن أبي زيد
الأنصاري:

وَمَنْ وَرَدَنَا خَيْبَرًا وَفُرُوسُهُ بِكُلِّ فِتْيٍ عَارِي الْأَشَاجِعِ مَذُودِ
جَوَادٍ لَدَى الْغَايَاتِ لَا وَاهِنِ الْقَوَى جَرَى عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
عَظِيمٍ رَمَادِ الْقِدْرِ فِي كُلِّ شَعْوَةٍ ضَرُوبٍ بِنَصْلِ الْمَشْرِفِ فِي الْمَهْدِ

بَرَى الْقَتْلَ مَذْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً مِنْ اللَّهِ يَرْجُوهَا وَفَوْزًا بِأَحَدٍ
يَذُودُ وَيُحْمَى عَنْ ذِمَّةِ مُحَمَّدٍ وَيُدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمِيرٍ يَرْيَبُهُ يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ
يَصْدُقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا يَرِيدُ بِذَلِكَ الْفَوْزَ وَالْعِزَّ فِي غَدٍ

ذكر مقاسم خير وأموالها

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خير ، على الشَّقِّ ونِطَاقِ
والكُتَيْبَةِ، فكانت الشَّقُّ ونِطَاقُ فِي سَهْمَانِ الْمُسْلِمِينَ ، وكانت الكُتَيْبَةُ خُمُسَ
الله ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ،
وَطَعْمَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَطَعْمَ رِجَالٍ مَشَاوِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم وبين أهل فُذَيْكٍ بِالصَّلَحِ ؛ مِنْهُمْ مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، أَعْطَاهُ
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ شَعِيرٍ ، وَثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ ،
وَقُسِمَتْ خَيْرُ عَلَى أَهْلِ الْخُدَيْيَةِ ، مَنْ شَهِدَ خَيْرٍ ، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَغِبْ
عنها إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ، فَقَسَمَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم كَسَنَهُمْ مَنْ حَضَرَهَا ، وَكَانَ وَاذِيهَا ، وَادِي الشَّرِيزَةِ ، وَوَادِي
خَاصٍ ، وَهَذَا الذَّانِ قُسِمَتْ عَلَيْهِمَا خَيْرٍ ، وَكَانَتْ نِطَاقُ وَالشَّقُّ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ
سَهْمًا ، نِطَاقُ مِنْ ذَلِكَ خَمْسَةُ أَسْهُمٍ ، وَالشَّقُّ ثَلَاثَةَ عَشَرَ سَهْمًا ، وَقُسِمَتْ الشَّقُّ
وَنِطَاقُ عَلَى أَلْفِ سَهْمٍ ، وَثَمَانِيَةَ سَهْمٍ .

من قسمت عليهم خير

وكانت عِدَّةُ الذين قُسمت عليهم خير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم ، الرجال أربع عشرة مائة والخيول مائتا فارس ، فكان لكل فارس سهمان ، ولقارسه سهم ، وكان لكل راجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأسٌ جميع إليه مائة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهماً جمع .

قال ابن هشام : وفي يوم خير عَرَّب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العربي من الخليل ، وهَجَّنَ المحبين .

قال ابن إسحاق : فكان علي بن أبي طالب رأساً ، والزبير بن العوام ، وطائفة بن عبید الله ومُعر بن الخطَّاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن حدي ، أخو بني العجلان ، وأسيْدُ بن حُصَير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بني بياضة ، وسهم بني عبید ، وسهم بني حرام من بني سلمة وعُبَيد السَّهام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عُبيد السَّهام لما اشترى من السَّهام يوم خير ، وهو عُبيدُ بن أوس ، أحدُ بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ، وسهم غنار وأسلم ، وسهم الفجار وسهم حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خير بنطاة سهم الزبير

ابن العوام ، وهو الخنوع وتابعة الشرير ، ثم كان الثاني سهم ييَاضة ، ثم كان الثالث سهم أسند ، ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبني عوف بن الخزرج ومزينة وشركانهم ، وفيه قَتِيل محمود بن مسلفة ، فهذه نطاة .

ثم هبطوا إلى الشق ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى ، أخى بنى المجلان ، ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجار ، ثم سهم حلى بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سهم سلمة بن عبيد وبني حرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عبيد السهام ، ثم سهم أوس ، وهو سهم اللقيف ، جمعت إليه جُهينة ومن حضر خير من سائر العرب ، وكان حذوه سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى .

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السكتية ، وهى وادى خاص ، بين قرابته وبين نسائه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مائتى وسق ، ولعللى بن أبى طالب مائة وسق ، ولأسامة بن زيد مائتى وسق ، وخسین وسقا من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين مائتى وسق ، ولأبى بكر بن أبى قحافة مائة وسق ، ولعقيل بن أبى طالب مائة وسق وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا ، ولرييمة بن الحارث مائة وسق ، ولصلت بن مخزومة وابنيه مائة وسق ، ولصلت منها

أربعون وسقاً ، ولأبي نَبِيقَةَ خمسين وسقاً ولرُكَّانَةَ بن عبد يزيد خمسين
وسقاً ، ولقَيْسَ بن نَحْرَمَةَ ثلاثين وسقاً ، ولأبي القاسم بن نَحْرَمَةَ أربعين
وسقاً ، ولبنات عُبَيْدَةَ بن الحارث وابنة الحَصِين بن الحارث مائة وسقاً ، ولبنى
عُبَيْد بن عبد يزيد ستين وسقاً ، ولابن أَوْس بن نَحْرَمَةَ ثلاثين وسقاً. ولمِطَّح بن
أُمَّانَةَ وابن إلياس خمسين وسقاً ، ولأُمَّ رُمَيْثَةَ أربعين وسقاً ، ولنُعَيْم بن هند
ثلاثين وسقاً ، ولجَحْشَةَ بنت الحارث ثلاثين وسقاً ، ولعُجَيْرَ بن عبد يزيد
ثلاثين وسقاً ، ولأُمَّ الحَكَم ثلاثين وسقاً ، ولجُمَّانَةَ بنت أبي طالب ثلاثين
وسقاً ، ولابن الأرقم خمسين وسقاً ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقاً ،
ولخُمْفَةَ بنت جَحْش ثلاثين وسقاً ، ولأُمَّ الزُّبَيْر أربعين وسقاً ، ولضُبَاعَةَ بنت
الزُّبَيْر أربعين وسقاً ، ولابن أبي خُنَيْس ثلاثين وسقاً ، ولأُمَّ طالب أربعين
وسقاً ، ولأبي بَصْرَةَ عشرين وسقاً ، ولنُعَيْمَةَ الكَلْبِي خمسين وسقاً ،
ولعبد الله بن وَهَب وابنتيه تسمين وسقاً ، لابنتيه منها أربعين وسقاً ،
ولأُمَّ حَبِيب بنت جَحْش ثلاثين وسقاً ، ولَمَلَكُو بن عُبَيْدَةَ ثلاثين وسقاً ،
ولنُسائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعُ مِائَةٍ وَسَقٍ .

قال ابن هشام : قحَّ وشمير وتمر ونَوَى وغير ذلك ، قسمه على قدر
حاجتهم وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسائه من قبح خير
قسم لمن مائة وسق وثمانين وسقاً ، ولقطة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقاً ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقاً ،
وللقناد بن الأسود خمسة عشر وسقاً ، ولأم ربيعة خمسة أوسق .
شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب .

وصاة الرسول عند موته

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهري ،
عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : لم يؤص رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرعاة بجماد مائة وسق
من خير ، وللداريين بجماد مائة وسق من خير ، وللسبائين ، وللأشعرين
بجماد مائة وسق من خير ، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة ،
والأبتر بكبيرة العرب دينان .

أمر فذك في خبر خير

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير
قذف الله الرعب في قلوب أهل قذك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل
خير ، فبعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلحونه على النصف من قذك ،
فقدمت عليه رؤسهم بخير ، أو بالطائف ، أو بعد ما قديم المدينة ، فقبل ذلك
منهم ، فكانت قذك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجف
عليها بخيل ولا ركاب .

تسمية النفر الدارين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير

وهم بنو الدارين هاني بن حبيب بن ثمار بن نهم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : نعيم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، سماء رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

قال ابن هشام : ويقال : عزة بن مالك : وأخوه مزان بن مالك .

قال ابن هشام : مروان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن ثمان ، وجبلة بن مالك ، وأبو هند بن برة ، وأخوه الطيب بن برة ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصاً بين المسلمين ويهود ، فيخرض عليهم ، فإذا قالوا : تمديت علينا ، قال : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرض عليهم عبد الله بن رواحة عاماً واحداً ، ثم أصيب بمؤنة برحه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، هو الذي يخرض عليهم بعد عبد الله بن رواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم للمسلمون بأساً في معاملتهم ، حتى عدّوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبدالله بن سهل ، أخى بنى حارثة ،
فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري عن سهل بن أبي حثمة ؛ وحدثني
أيضاً بشير بن يسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبي حثمة قال : أصيب
عبد الله بن سهل بجريح ، وكان خرج إليها في أصحاب له يجتار منها تمراً ، فوجد
في عين قد كسرت عُنُقَهُ ، ثم طُرح فيها ؛ قال : فأخذه فغيبوه ، ثم قدّموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فتقدّم إليه أخوه
عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حوَيْصَةُ ومُحَيِّصَةُ ابنا مسمود ، وكان
عبد الرحمن من أحدثهم سنّاً ، وكان صاحب الدّم ، وكان ذا قَدَم في القوم ،
فلما تسكّم قبل ابني عمه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكُفْرُ الكُفْرُ .

قال ابن هشام : ويقال : كَبُرَ كَبُرٌ - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت ؛
فتسكّم حوَيْصَةُ ومُحَيِّصَةُ ، ثم تسكّم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل صاحبه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتمون قاتلهم ،
ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فأنسلّمه إليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف
على ما لا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يميناً ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلا
ثم يبرءون من دمه ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما فيهم
من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم قال : فوداه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عنده مائة ناقة .

قال سهل : فوالله ما أنسى بكرة منها حراء ضربتني وأنا أحوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن عبد الرحمن بن مجاهد بن قيس ، أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وإيم الله ، ما كان سهل بأكثر علما منه ، ولكنه كان أسن منه ؛ وإنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أو قم ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظوا على ما لا علم لكم به ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار : إنه قد وجد قتيل بين أيديكم فدوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ، ولا يملكون له قاتلا . فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن مجاهد ، إلا أنه قال في حديثه : دوه أو انذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يملكون له قاتلا ؛ فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

عمر مجلى يهود خيبر

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهري : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خراجها ، أبت ذلك لهم حتى قبض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرني ابن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عتوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه

.....

وسلم ، خمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقرتكم ما أقرتكم الله ، فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رباح ، فيقسم تمرها ، ويعدل عليهم في الخوص ، فلذاتوا في الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أقرتها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفي ؛ ثم أقرها عمر رضي الله عنه صدراً من إمارته . ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : لا يجتمعن جزيرة العرب دينان ؛ ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه الثبوت ، فأرسل إلى يهود ، فقال : إن الله عز وجل قد أذن في جلائكم ، قد باغى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعن جزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر فتماعدها ، فلما قدمنا نفرتنا في أموالنا ، قال : فمدى علي تحت الليل ، وأنا

نأثم على فراشي ، ففدعت يداي من مِرْفَقِي ، فلما أصبحت استعصرخ على صاحباي ، فأتيتني فسألاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري . فقال : فأصلحنا من يدَيَّ ، ثم قدما بي على عمر رضي الله عنه ، فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عامل يهود خبير على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله ابن عمر ، فددعوا يديه ، كما قد بفسلكم ، مع عدوهم هلى الأنصارى قبله ، لانك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال يجير فليالحق به ، فإني مخرج يهود ، فأخرجهم .

قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن مكنف ، أخى بنى حارثة ، قال : لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب في المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم - ويزيد بن ثابت ، وهما قسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة الشهمان ، التى كانت عليها .

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادى القرى ؛ لثمان بن عفان خطر ، ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمرو بن أبي سلمة خطر ، ولعمر بن أبي ربيعة خطر ، ولعمرو بن سُرَاقَة خطر ، ولأشيم خطر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خطر ، ولعقبة بن ربيعة خطر .

ولعبد الله بن الأرقم خطر ، ولعبد الله وعبيد الله خطران ، ولابن عبد الله
ابن جحش خطر ، ولابن البشير خطر ، ولعمتر خطر ، ولزيد بن ثابت
خطر ، ولأبي بن كعب خطر ، ولعماد بن عفران خطر ، ولأبي طلحة وحسن
خطر ، ولجابر بن صخر خطر ، ولجابر بن عبد الله بن رثاب خطر ، ولألك
ابن سفيانة وجابر بن عبد الله بن عمرو خطر ، ولابن حضير خطر ، ولابن
سعد بن معاذ خطر ، ولإسلامة بن سلامة خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت
وإلى شريك خطر ، ولأبي عيسى بن جبر خطر ، ولحميد بن مسامة خطر ،
ولعمادة بن طارق خطر .

قال ابن هشام : ويقال : لقنادة .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن عتيك نصف خطر ، ولأبي الحارث بن
قيس نصف خطر ، ولابن حزيمة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خير
بوادى القرى ومقاسمها .

قال ابن هشام : الخطر : التسيب يقال : أخطر لي فلان خطراً .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح ، عن الشعبي : أن
جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

ففتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عيبيه ، والتزمه وقال :
ما أدري بأيهما أنا أسر : بفتح خيبر ، أم بقدم جعفر ؟

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي
عمرو بن أمية الضمري ، فحلمهم في سفينتين ، فقدم بهم عليه ، وهو يجير
بعد الحديبية .

من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ، معه
نساءه أمه بنت عُميس الخثعمية ، وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولادته
بأرض الحبشة . قُتل جعفر بمؤنة من أرض الشام أميراً لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، رَجُلٌ .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سميد بن العاص بن أمية
ابن عبد شمس ، معه امرأته أمية بنت خلف بن أسعد . قال ابن هشام :
وقال : هَمِيَّة بنت خلف . وابناه سميد بن خالد وموافه بنت خالد ، ولدتها
بأرض الحبشة . قُتل خالد بمَرَج الصُّفَر في خلافة أبي بكر الصديق بأرض
الشام ؛ وأخوه عمرو بن سميد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان
ابن أمية بن مخرث الكنانى ، هَلِكَتْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ . قُتل عمرو بأجنادين
من أرض الشام في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

ولعمرو بن سميد يقول أبوه سميد بن العاص بن أمية أبو أحيحة :

ألا ليت شعري عنك يا عمرو سائلا إذا شبَّ واشتدَّت يداه وسُلحاه
 أتترك أمرَ القومِ فيه بلابل تكشف غيظا كان في الصدر موجها
 ولعمرو وخالد يقول أخوما أيا بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ،
 وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالطَّريَّة ، من ناحية الطائف ، هلك في مال
 له بها :

ألا ليت ميتا بالطَّريَّة شاهدُ لما يفتري في الدين عمرو وخالد
 أطاعا بنا أمرَ النساءِ فأصبحا يُعيثان من أعدائنا من نكايه
 فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أخي ما أخى لا شاتم أنا عِرَضَه ولا هو من سوء المقالة مُقَصِّي
 يقول إذا اشتدَّت عليه أمورُه ألا ليت ميتا بالطَّريَّة يُنشر
 فدغ عنك ميتا قد مَشَى لسبيله وأقبل على الأدنى الذي هو أفقر

ومُعَيَّقِيْب بن أبي فاطمة ، خازن عمرو بن الخطاب على بيت مال المسلمين
 وكان إلى آل سعيد بن العاص ؛ وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ،
 حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

ومن بني أسد بن عبد المزى بن قصى : الأسود بن نوفل بن خويلد .

رجل .

ومن بني عبد الدار بن قصى : جهنم بن قيس بن عبد شراحيل ، معه

ابناء عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت
عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ، وابناء لها . رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص ، وعتبة بن مسعود ،
حليف لهم من هذيل . رجلان .

ومن بنى تميم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كلفت
معه امرأته ربيعة بنت الحارث بن جبيعة ، هلكت بأرض الحبشة . رجل .

ومن بنى مجع بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن ربيعة بن
أهبان . رجل .

ومن بنى ستم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، تخميم بن الجزء ،
حليف لهم من بنى زبيد ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جملة على
خمس المسلمين . رجل .

ومن بنى عدي بن كعب بن لؤمي : معمر بن عبد الله بن نضلة . رجل .

ومن بنى عامر بن لؤمي بن غالب : أبو خاطب بن عمرو بن عبد شمس ؛
ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته عمرة بنت السدي
ابن وقدان بن عبد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن قهران بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط .
رجل . وقد كان يحمل معهم في السفينتين نساء من هلك هنالك من
المسلمين .

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السَّيْنَتَيْنِ ،
فجميع من قَدِمَ في السَّيْنَتَيْنِ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سقة
مشر رجلاً .

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدّم إلا بمد بدر ، ولم يحمل
النجاشي في السَّيْنَتَيْنِ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ،
ومن هلك بأرض الحبشة ، من مهاجرة الحبشة :

من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عبيد الله بن جحش بن رثاب
الأسدي ، أسد خزيمه ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، معه امرأته
أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تُكنى
أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكان اسمها رَمْلَة .

خرج مع المسلمين مهاجراً ، فلما قَدِمَ أرض الحبشة تنصر بها وفارق
الإسلام ، ومات هنالك نصرانياً ، تخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
امراته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان من حرب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال
خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مُسْلِماً ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ،
قال فكان إذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
نُتَعْنَا وصاحاتكم ، أي قد أبصرنا وأنتم تلتصقون البصر ولم تُبصروا بعد .
وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صاصاً قبل ذلك

فَضْرَبَ ذَلِكَ لَهُ وَلَهُمْ مِثْلًا : أَيْ أَنَا قَدْ فَتَحْنَا أَعْيُنَنَا فَأَبْصَرْنَا ، وَلَمْ تَفْتَحُوا
أَعْيُنَكُمْ فَتُبْصِرُوا ، وَأَنْتُمْ تَلْتَمِسُونَ ذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَهُوَ
أَبُو أُمَيَّةَ بِنْتُ قَيْسٍ الَّتِي كَانَتْ مَعَ أُمِّ حَبِيبَةَ ؛ وَامْرَأَتُهُ بَرَكَةُ بِنْتُ يَسَارَ ،
مَوْلَاةٌ ، أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، كَانَتْ تَظُنُّ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ ، وَأُمَّ حَبِيبَةَ
بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ ، نَفَرَا بِهِمَا مَعَهُمَا حِينَ هَاجَرَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ . رَجُلَانِ .

وَمِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُحَيْصٍ : يَزِيدُ بْنُ زَيْمَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ
الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدَ ، قُتِلَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدًا ؛
وَمَعْرُوفُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدَ ، هَلَكَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ . رَجُلَانِ .

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُحَيْصٍ : أَبُو الزُّرُومِ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ
عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ؛ وَفِرَاسُ بْنُ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَاطِقَةَ
ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ . رَجُلَانِ .

وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مَرْثَةَ : الْمُطَّلِبُ بْنُ أَزْهَرَ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ
ابْنِ عَبْدِ (بْنِ) الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ ، مَعَ امْرَأَتِهِ رَمْلَةَ بِنْتُ أَبِي عَوْفٍ بْنِ خُضَيْمَةَ
ابْنِ سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، هَلَكَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَلَدَتْ لَهُ هُنَاكَ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ الْمُطَّلِبِ فَكَانَ يُقَالُ : لِأَنَّ كَانَهُ تَوَلَّى وَجَلَ وَرِثَ أَبَاهُ فِي الْإِسْلَامِ رَجُلٌ .

وَمِنْ بَنِي تَيْمٍ بْنِ مَرْثَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ : مَعْرُوفُ بْنُ عُمَانَ بْنِ مَعْرُوفِ بْنِ
كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ ، قُتِلَ بِالْقَادِسِيَّةِ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ . رَجُلٌ .

ومن بني مخزوم بن بَقَظَة بن مُرَّة بن كعب : هَبَّار بن سُفْيَان بن عبد الأسد ، قُتِلَ بأَجْنَادٍ من أرض الشام ، في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عنه ؛ وأخوه عبد الله بن سُفْيَان ، قُتِلَ عام اليرموك بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عنه ، بِشَكِّ فيه أَقْتُلَ نَمَّ أُم لا ؛ وهشام بن أبي حذيفة بن المُخَيَّرَة ، ثلاثة نفر .

ومن بني جُحَج بن عمرو بن مُصَيِّص بن كعب : حاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن جُحَج ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته غاطمة بنت المُجَلَّل هَلَكَ حاطب هناك مُسلماً ، فَقَدِمَتْ امرأته وابناه ، وهي أمهما ، في إحدى السَّيِّئَتَيْنِ ؛ وأخوه حَطَّاب بن الحارث ، معه امرأته فُكَيْهَة بنت يَسَار هَلَكَ هناك مُسلماً ، فَقَدِمَتْ امرأته فُكَيْهَة في إحدى السَّيِّئَتَيْنِ ؛ وسُفْيَان بن مَعْمَر بن حَبِيب ، وابناه جُنَادَة وجابر ، وأمهما معه حَسَنَة ، وأخوها لأمهما شَرَحْبِيل بن حَسَنَة ؛ وذلك سُفْيَان وهلك ابناه جُنَادَة وجابر في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عنه . ستة نفر .

ومن بني سَهْم بن عمرو بن مُصَيِّص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم الشاعر ، هَلَكَ بأرض الحبشة ، وقَيْس بن حُذَافَة بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم ؛ وأبو قَيْس بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم ، قُتِلَ يوم البجامة في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عنه ، وعبد الله بن حُذَافَة بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم ، وهو رسولُ (رسول) الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، والحارث بن الحارث

ابن قيس بن عدي ، ومعمربن الحارث بن قيس بن عدي ، وبشر بن الحارث
ابن قيس بن عدي ، وأخ له من أمه ، من بني تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قُتِلَ
بأجنادين في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، وسعيد بن الحارث بن قيس ،
قُتِلَ عام اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والسائب بن
الحارث بن قيس ، جرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتِلَ
يوم فحل في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويقال : قُتِلَ يوم خيبر ،
يُسَمَّى فيه ، وعُمير بن رثاب بن حذيفة بن ميثم بن سعد بن سهم ، قُتِلَ
بهمين التمر مع خالد بن الوليد ، مُنْصَرَفَهُ مِنَ الْيَاسَةِ ، في خلافة أبي بكر
رضى الله عنه . أحد عشر رجلا .

ومن بني عدي بن كعب بن لؤي : عروة بن عبد العزى بن حرملة بن
عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب ، هلك بأرض الحبشة ، وعدي
ابن نضلة بن عبد العزى بن حرملة ، هلك بأرض الحبشة . رجلان .

وقد كان مع عدي ابنه النعمان بن عدي ، فقَدِمَ النعمان مع من قَدِمَ من
المسلمين من أرض الحبشة ، فبقي حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله
على ميسان ، من أرض البصرة ، فقال أبياتا من شعر ، وهي :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها	بميسان يُسَقَى في زجاج وحتم
إذا شئتُ غنّني دهاقين قرية	ورقاصه تجذو على كل منسيم
فإن كنتَ ندماي فبالأكبر اسقني	ولا تسقني بالأضمر المتسلم
لعلَّ أمير المؤمنين يسوؤه	تنادؤنا في الجوسق المتهدم

فلما بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءني ، فمن لقيه
فليخبره أني قد عزلته ، وعزله . فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله
يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئاً مما باغك أني قلته قط ، ولكني كنت امرأ
شاعراً ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشراء ، فقال له عمر : وإيم
الله ، لا تشعل لي على عمل ما بقيت ، وقد قلت ما قلت .

ومن بني عامر بن لؤي بن غالب بن فهر : سليط بن عمرو بن عبد شمس
ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وهو كان رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى هوزة بن علي الحنفي باليمامة . رجل .

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عبد غم بن زهير بن
أبي شذاد ، وسعد بن عبد قيس بن قبيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث
ابن فهر ، وعياض بن زهير بن أبي شذاو . ثلاثة نفر .

جميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشي في السقيتين ، أربعة
وثلاثون رجلا .

وهذه تسمية جملة من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بني عبد شمس بن عبد مناف : عبید الله بن جحش بن رئاب ، حليف
بنی أمية ، مات بها نصرانيا .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عمرو بن أمية بن الحارث .
ابن أسد .

ومن بنى مُجعج : حاطب بن الحارث ، وأخوه حطّاب بن الحارث .
ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث .
ابن قيس .

ومن بنى عدي بن كعب بن لؤي : عروة بن عبد العزى بن حُرثان .
ابن عوف ، وهدي بن نضلة . سبعة نفر .
ومن أبنائهم ، من بنى تميم بن مُرة : موسى بن الحارث بن خالد بن
صخر بن عامر . رجل .

مهاجرات الحبشة

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قديم منهن ومن هلك
هنالك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللائي وُلدن هنالك ، من قديم منهن
ومن هلك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خرجن .

من قريش ، من بنى هاشم : رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ومن بنى أمية : أم حبيبة بنت أبي سفيان ، معها ابنتها حبيبة ، خرجت
بها من مكة ، ورجمت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أم سلمة بنت أبي أمية ، قدمت معها بزئب ابنتها
من أبي سلمة ولدتها هنالك .

ومن بنى تميم بن مرة : ربيعة بنت الحارث بن جبيعة ، هلكت بالطريق ،
وبنتان لما كانت ولدتها هنالك عائشة بنت الحارث وزئب بنت الحارث
هلكن جميعاً ، وأخوه موسى بن الحارث ، من ماء شربوه في الطريق ،
وقدمت بنت لما ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرها ، يقال لما فاطمة .

ومن بنى سهم بن عمرو : زملة بنت أبي هوف بن ضبيرة .

ومن بنى عدى بن كعب : ليلي بنت أبي حثمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤمى : سودة بنت زمعة بن قيس ، وسهلة بنت
سُهَيْل بن عمرو ، وابنة الجَلَل ، وهمرة بنت السعدى بن وقدان ،
وأم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُثَيْس بن النعمان الخثعمية ، وفاطمة
بنت صفوان بن أمية بن مُحَرَّث الكنانية ، وفُكَيْهة بنت يسار ، وبركة بنت
يسار ، وحسيفة ، أم شُرَحْبِيل بن حسنة .

وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة .

ومن بنى هاشم : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

ومن بنى عبد شمس : محمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ،
وأختة أمة بنت خالد .

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبي سلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المطلب بن أزمهر .

ومن بنى تميم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، وسعيد ابن خالد ، وعبد الله بن المطلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبي سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

غزوة خيبر

ذكر البكري أن أرض خيبر سُميت باسم رجلٍ من التَّحَالِيقِ نَزَلَهَا ، وهو خَيْبَرُ بن قَابِيَةَ بن مَهْلَإِيلَ^(١) ، وكذلك قال في الوَطِيع ، وهو من حُصُونِهَا أُمُّ سُمَيٍّ الْوَطِيعِ بن مَازِنَ ، رجلٌ من عُقْرَةٍ وَلَقَطَهُ فَأَخُوذَ مِنْهُ مِنَ الْوَطِيعِ ، وهو ما تَعَلَّقَ بِالْأَطْفَالِ ، وَخَالَبَ الطُّيْرَ مِنَ الطَّيْرِ .

شرح ههنا والحمد لله

وذكر ابن إسحاق قوله عليه السلام إِنَّ لَنَا مِنْ الْأَنْكُرِ : حُذِلْنَا مِنْ

(١) قاله في المعجم منسوباً إلى محمد بن سهل ، وفيه قايمة بدلاً من قايمة .

(تم من زوائد الألف - ٢٤)

هَنَاتِكَ. التَّهْنَةُ: كناية عن كلِّ شيء لا تعرف اسمه، أو يَمُرُّ به، فتسكني عنه،
وأصلُ التَّهْنَةِ: هَنَهِ وَهْنَةٌ. قال الشاعر:

[أَرَى ابْنَ نَزَارٍ قَدْ جَفَانِي وَقَلَى] عَلَى هَنَوَاتٍ شَأْنُهَا مُتَقَابِسٌ

وفي البخاري: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَابْنِ الْأَكْوَعِ: أَلَا تَنْزِلُ فَتُسَمِّعُنَا مِنْ
هَنِيَّاتِكَ، صَفَرَهُ بِالْمَاءِ، وَلَوْ صَفَرَهُ عَلَى لَفَةٍ مِنْ قَالِ هَنَوَاتٍ، لَقَالَ هَنِيَّاتِكَ،
وإِنَّمَا أَرَادَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَحْذُو بِهِمْ، وَالْإِبِلُ تُسْتَحَثُّ بِالْحُدَاءِ،
وَلَا يَكُونُ الْحُدَاءُ إِلَّا بِشِعْرِ أَوْ رَجَزٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَوَّلَ مَنْ سَنَّ حُدَاءَ الْإِبِلِ،
وَهُوَ مُصَرُّ بْنُ نَزَارٍ، وَالرَّجَزُ شِعْرٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَرِيضًا، وَقَدْ قِيلَ لَيْسَ
بشعر، وَإِنَّمَا هِيَ أَشْطَارُ آيَاتٍ، وَإِنَّمَا الرَّجَزُ الَّذِي هُوَ شِعْرٌ سُدَائِي الْأَجْزَاءِ،
نَحْوُ مَقْصُورَةِ ابْنِ دُرَيْدٍ^(١) أَوْ رِيعَى الْأَجْزَاءِ نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

يَا مَرْءَ أَخِي خَيْرَ أَخٍ فَكَزَعْتَ دَرَّةَ الْحَلَمَةِ

(١) من جيد شعر ابن دريد المقصورة التي يمدح بها الشاه ميكائيل وولديه
وهو الأمير أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكائيل رئيس نيسابور، أحاط
فيها بأكثر المقصورة: وأولها:

إِذَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنِهِ طَرْدَ صَبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدَّجَى
وقد اعتنى بشرحها كثير من المتقدمين والمتأخرين منهم العلامة أحمد بن خالويه.
ولكن أولها في المطبوعة:

بَاطِلِيَّةٌ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْمَاءِ تَرَعَى الْخَزَامَى بَيْنَ أَشْجَارِ النَّفَا

واحتج من قال في مشطور الرجز أنه ليس يشمر أنه قد جرى على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان لا يجري على لسانه الشعر ، وقد روى أنه أنشد هذا الرجز الذي قاله ابن الأكوع في هذا الحديث ، وقال أيضاً :
إِنَّمَا مُنْعَمٌ وَإِنَّمَا مُنْشَأ :

هل أنت إلا إصميج دميت وفي سبيل الله ما بقيت

وفي هذا الرجز من غير رواية ابن إسحاق بما وقع في البخاري وغيره :

فاغفر فداء لك ^(١) ما أبقينا

ويروى ما أبقينا أي ^(٢) : ما تنقمتنا من الخطايا ، من قنوت الأثر ، وأنتقمته وفي التنزيل : ﴿ وَلَا تَقْبُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، وأما قوله : ما أبقينا أي : ما خلفنا مما اكتسبنا ، أو يكون معناه : ما أبقينا من الذنوب ، فلم تحقق التوبة منه كما ينبغي

وقوله فداء لك قد قيل : إن الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - أي : اغفر لنا تقمير ما في حقك وطاعتك ، إذ لا تصور أن يقال لله تبارك وتعالى مثل هذا الكلام ، وذلك أن معنى قولهم فداء لك أي : فداء لك أنفسنا وأهلوانا ، وحذف الاسم المبتدأ كثرة دَوْره في الكلام مع العلم به ، وإنما

(١) قد تكون فداء مفعولة على أنها مبتدأ .

(٢) هذه رواية مسلم والبخاري في الأدب ، واللقابى : ما أبقينا ، وفي رواية

ما أبقينا ، أي ما تركنا من الآرامر وما ظرفية .

يُخَدِّى الْإِنْسَانَ بِنَفْسِهِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ .

استعمال الكلمة في غير موضعها :

وأقرب ما قيل فيه من الأقوال إلى الصواب أنها كلمة يترجم بها عن محبة وتمظيم ، فجاز أن يخاطب بها مَنْ لا يجوز في حقّه القداء ، ولا يجوز عليه الفناء قصداً لإظهار المحبة والتمظيم ^(١) له ، وإن كان أصل الكلمة ما ذكرنا ، فربّ كلمة ترك أصلها ، واستعملت كالمثل في غير ما وضعت له أول ، كما جاءوا بلفظ القسم في غير موضع القسم ، إذا أرادوا تعجباً واستعظاماً لأمر ، كقوله عليه السلام في حديث الأعرابي من رواية إسماعيل بن جعفر . أفلح وأبيه إن صدق ، ومحال أن يقصد صلى الله عليه وسلم القسم بغير الله تبارك وتعالى ، لا سيما برجل مات على الكفر ، وإنما هو تعجب من قول الأعرابي ، وللمعجب منه هو مُستفظّم ، ولفظ القسم في أصل وضعه لما يُعظّم ، فانسح في اللفظ حتى قيل على ذا الوجه . وقال الشاعر :

فإن تك لئلي استودعتني أمانة فلا وأبى أعدائها لا أخونها

لم يرد أن يُقسم بأبى أعدائها ، ولكنه ضرب من التعجب ، وقد ذهب أكثر شراح الحديث إلى النسخ في قوله أفلح وأبيه ، قالوا نسخ قوله عليه السلام : لا تخلفوا بأبائكم ، وهذا قول لا يصح ، لأنه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم - كان يخلف قبل النسخ بغير الله ، ويُقسم بقوم كفّار ، وما أبعد هذا من شيمته - صلى الله عليه وسلم - تالله ما فعل هذا قط ^(٢) ، ولا كان

(١) هذا كلام محمد بن علي بن عمر التميمي المازري

(٢) هذا كلام محمد بن علي بن عمر التميمي المازري

له بخلق . وقال قوم : رواية إسماعيل بن جعفر ، صحفه ، وإنما هو أفلح والله إن صدق . وهذا أيضاً مُشْكِرٌ من القول ، واعتراض على الأنبياء المدلول فيها حفظوا^(١) ، وقد خرج مسلم في كتاب الزكاة قوله عليه السلام لرجل سأل : أي الصدقة أفضل ؟ فقال : وأبيك لا تبتك أو قال لأخبرتك ، وذكر الحديث ، وخرج في كتاب البر والصلة قوله لرجل سأل : من أحق الناس بأن أبره ، أو قال : أصله ؟ فقال : وأبيك لا تبتك ، صل أمك ، ثم أباك ثم أذكاك فأذكاك ، فقال في هذه الأحاديث كما ترى وأبيك ، فلم يأت إسماعيل ابن جعفر إذا في روايته بشيء إمري ، ولا بقول بدع ، وقد حمل عليه في روايته رجلاً من علماء بلادنا وعظماء محدثيها ، وغفل - عفا الله عنه - عن الحديثين اللذين تقدم ذكرهما ، وقد خرجهما مسلم بن الحجاج . وفي تراجم أبي داود في كتاب الأيمان في مصنفه ما يدل على أنه كان يذهب إلى قول من قال بالنسخ ، وأن القسم بالآباء كان جائزاً ، والذي ذكرناه ليس من باب الحلف بالآباء كما قدمنا ، ولا قال في الحديث : وأبي ، وإنما قال : وأبيه ، أو وأبيك بالإضافة إلى ضمير المخاطب أو الغائب ، وبهذا الشرط يخرج عن معنى الحلف إلى معنى التمجيد الذي ذكرناه^(٢) .

(١) ولم لا يكون الأمر أنه قد تعاضل على النسخ حروف أبيه بحروف الله ؟ وليس في هذا أي ظمن على العذر .

(٢) وأكثر هذا الرجز الذي جر كل هذا بسبه البخاري في الجهاد إلى عبد الله بن رواحة . ولكن هناك زيادات مما نسب إلى ابن رواحة . والبخاري في صفة خير رواية فيها اختلاف ما روى ابن إسحاق هناك من هذا الرجز فراجعه

الإِسْنَادُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ :

وذكر ابنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ ، وَقَالَ :
فِي إِسْنَادِهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ [أَبِي] مَرْوَانَ ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ ،
لَأَنَّ عَطَاءَ بْنَ أَبِي مَرْوَانَ الْأَسَدِيَّ مَعْرُوفٌ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِكُنْيَةِ أَبِي مُصْعَبٍ ، قَالَ
الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ ، وَبَعْضُ مَنْ يَرَوِي السِّيْرَةَ يَقُولُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ عَطَاءِ
ابْنِ أَبِي رَبَاحٍ ، عَنْ مَرْوَانَ الْأَسَدِيِّ وَالصَّحِيحُ مَا قَدَّمْنَاهُ .

الْمُطْلَقُ :

فصل : وذكر حديث أنسٍ حين استقبلهم عمالُ خَيْبَرَ بِمَسَاحِيهِمْ
وَمَكَائِلِهِمُ الْمَسْكَاتِلَ : جَمْعُ مَكْتَلٍ وَهِيَ الْقُفَّةُ الْعَظِيمَةُ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَكْثُلِ
الشَّيْءِ فِيهَا ، وَهُوَ تِلَاصُقُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ ، وَالْمَكْتَلَةُ مِنَ التَّمْرِ وَنَحْوِهِ نَصِيحَةٌ ،
وَإِنْ ابْتَدَأَتْهَا الْعَامَّةُ .

فَرَبَتْ خَيْبَرَ :

وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَاهُ اللَّهُ أَكْبَرَ خَرِبَتْ خَيْبَرَ . فِيهِ
إِبَاحَةُ التَّقَاوُلِ وَقُوَّةُ لِمَنْ اسْتَجَازَ الرَّجَزَ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا مُقْنِعًا ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى الْمَسَاحِيَّ وَالْمَسْكَاتِلَ وَهِيَ مِنْ آلَةِ الْهَذْمِ وَالْحَفْرِ مَعَ أَنَّ لَفْظَ
الْمَسْكَاتِلِ مِنْ سَحَوَاتِ الْأَرْضِ إِذَا قَشَرَتْهَا ، فَذَلِكَ عَلَى خَرَابِ الْبَلَدَةِ الَّتِي
أَشْرَفَ عَلَيْهَا ^(١) ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ ابْنُ هِشَامٍ قَالَ : حِينَ ذَكَرَ الْمَسَاحِيَّ : كَانُوا

(١) وَأَشْرَفَ مِنْ هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَالَ :
خَرِبَتْ خَيْبَرَ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ : إِنَّمَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ
قَوْمٍ لَمَّا صَبَّاحَ الْمُتَخَرِّجِينَ ، وَقَدْ اتَّخَذَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كَلَامِهِ .

يُؤْتُونَ الْمَاءَ إِلَى زَرْعِهِمْ مَعْنَاهُ : يَسُقُونَ . وَالْأَنْثَى هِيَ الصَّافِيَةُ ^(١) .

الخميس :

وقول اليهود : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ ، سَمِيَ الْجَيْشُ الْعَظِيمُ خَمِيسًا ، لِأَنَّهُ سَاقَةٌ وَمُقَدَّمَةٌ ، وَجُنَاحَيْنِ ^(٢) وَقَلْبَاءَ ، لِأَمْنِ أَجْلِ تَحْمِيسِ الْفَتِيَّةِ ، فَإِنَّ الْخَمِيسَ مِنْ سَنَةِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ كَانَ الْجَيْشُ يُسَمَّى خَمِيسًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا الشَّاهِدَ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ .

تربى الحصور :

وقوله : يَقْدَتْنِي الْحَصُورُ ، أَيْ يَأْخُذُ الْآدَنَى فَلَا آدَنَى .

حكم أكل لحوم الحمير الأهلية والخيول :

وفي ذكر نهيه عليه السلام عن أكل لحوم الحمير الأهلية ، وحديث جابر أنه نهى عليه السلام يوم خيبر عن أكل لحوم الحمير الأهلية ، وأرخص لهم في لحوم الخيل ، أما الحمير الأهلية فاجتمع على تحريمها إلا شيخاً يروى عن ابن عباسٍ وعائشة ، وطائفة من التابعين . وحجة من أباحها قوله تعالى :

(١) في اللسان : الاتى بوزن غنى : النهربسوقه الرجل إلى أرضه ، وكل مسيل سهلته لما أتى ، وكل جدول ماء أتى . وأتى الماء — بفتح الهمزة وتشديد التاء مع فتح — وجه له يجرى .

(٢) وكانا يسميان : الميمنة والميسرة .

(قل: لا أجد فيما أوحى إليّ محرّماً على طاعم) الآية وهي مسكّية ، وحديث النهي عن الحُمُر كان تحذير فهو للمبين للآية ، والناسخ الإباحة^(١) ، ومن حُجَّتِهِمْ أيضاً قوله ، صلى الله عليه وسلم لرجل استفتاه في أكل الحمار

(١) فحُجِبَ والله أمر هؤلاء الذين يزعمون أن رسول الله ص ، يحرم ما أحله الله . وقد أخرج البخاري عن عمرو بن دينار قال : د قلت لجابر بن زيد : يزعمون أن رسول الله ص ، نهى عن الحمر الإهلية ، قال : قد كان يقول ذلك الحكم بن عمر الغفاري عندنا بالبصرة ، ولكن أبي ذلك البحر ابن عباس ، قرأ : (قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرّماً) وفهم ابن عباس دقيق . ففي الآية حصر لا يأذن لشيء . أن يطيف بقدره ، ولا أن يضاف إلى المحصور ، ومن يتدبر الآية يهدي الإيمان في قلبه ، والتفديس لما يقول القرآن يجد فهم ابن عباس رضى الله عنه . أو يمكن أن نظن بالقرآن الكريم أن بيانه الحكم القوي تنهّد حكيمته ونهى قوته بهذه السهولة ؟ (قل : لا أجد فيما أوحى إليّ محرّماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ، فإنه رجس أو فسقاً ، أهل اغفر الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فإن ربك غفور رحيم) الأنعام : ١٤٥ . وقد ورد بعدما ما حرم الله على الذين هادوا . فتدبر النفي السابق للفعل أجد ، ثم كلمة إلا ليتبين أن الآية تؤكد بهذا البيان المحكم أن الله سبحانه لم يحرم شيئاً غير ما ورد في الآية القرآنية . ثم إذا تبين بالدليل القطعي الذي تؤيده التجربة أو الواقع أن شيئاً ما يطر الناس تناوله ، فإنه يكون محرّماً بنص آية أخرى حيث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الأعراف بأن : يحل الطيبات ويحرم الحباث ، فكل طيب حلال ، وكل خبيث حرام بهذا النص .

هذا ولا يصح تردّد أن الحديث يندخ القرآن ، وإلا بهتاه صلى الله عليه وسلم ، بأنه كان يقول على الله بعض الأفاويل . وأضرع إلى الله أن يفتح القلوب لكلمة الحق هذه ، فلا يرجعنا بسببها قوم لا نكن لهم إلا ما نكن للصفاة والمحب والخير .

الأهلي ، يقال في اسمه : غالب بن أنجر المزني : أطعم أهلك من سمين مالك^(١) ، وهو حديث ضعيف لا يعارض بمثله حديث النهي مع أنه مُحْتَمِلٌ لتأويلين ، أحدهما : أن يكون الرجل ممن أصابته مَسْفِيَةٌ شديدة ، فأرخص له فيه ، أو يكون ذلك منسوخاً بالتحريم ، على أن بعض رُوَاة الحديث زاد فيه بياناً ، وهو قوله عليه السلام للرجل : إنما نهيت عن حوالى القَرْيَةِ أو حوالى^(٢) القرية على اختلاف في الرواية ، وأما حديث جابر في إباحة لحوم الخليل ، فصحيح ويُعَضِّدُهُ حديث أسماء أنها قالت : ضَحَّيْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِفَرَسٍ^(٣) . وقال بإباحة لحوم الخليل الشافعي والليث وأبو يوسف وذهب مالك والأوزاعي إلى كراهة ذلك ، وقد رَوَى من طريق خالد بن الوليد أنه عليه السلام نهى عن أَكْلِ لُحُومِ الْخَمِيرِ الْأَعْلِيَّةِ وَالْبَعَالِ وَالْخَلِيلِ ، وقد خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، وحديث لإباحة أصبح غير أن مالكا رحمه الله نَزَعَ بَابَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وهى أن الله جلَّ ذِكْرُهُ ذكر الأنعام ، فقال : (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) ثم ذكر الخيل والبغال والحمير فقال : (لَتَكُنَّ مِنْهَا رِزْقٌ) وهذا نِزَاعٌ حَسَنٌ . ووجه الدليل من الآية أنه قال : (وَالْأَنْعَامَ

- (١) أخرجه أبو داود وفيه : أطعم أهلك من سمين حرك ، ولست أدري كيف يحرم الحمار الأهلي ، ويقال يحمل أكل الحمار الوحشي ١٤
(٢) هى جوال بفتح الجيم والوار وتشديد اللام جمع جاة مثل دواب وسوام وهوام جمع دابة وسامة وهامة . والجوال هى التى تأكل العذرة .
(٣) عن أسماء بنت أبي بكر قالت : ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً ، ونحن بالمدينة ، فأكلناه ، متفق عليه .

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَاقِعُ ۖ لَنَنصِلَ ۖ فذكر الدَّفءَ والنَّافِعَ والأَكْلَ ،
ثم أقرَدَ الخَيْلَ والبَغالَ والحَمِيرَ بالذِّكْرِ ، ثم جاء بِلَامِ الْعِلَّةِ والنَّسَبِ ، فقال :
لَتَرْكَبُوهَا ، أَى لَهَذَا سَخَّرْتُهَا لَكُمْ ، فوجب أَنْ لَا يَتَعَدَّى مَا سَخَّرَتْ ^(١) لَهُ ،
وَأَمَّا نَهْيُهُ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْجِلَالَةِ وَعَنْ رُكُوبِهَا ^(٢) ، فَهِيَ الَّتِي تَأْكُلُ الْجِلَالََةَ
وهو الرَوْتُ والبَغَرُ ، وَفِي الشَّيْءِ لِلدَّارِ قُطْعٌ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَهَى عَنْ أَكْلِ
الْجِلَالَةِ ، حَتَّى مُتَلَفَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَهَذَا مَعْنَى مَا رَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ
كَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا جَاغَ الْمَخَلَّةِ ، حَتَّى تُقْصَرَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ . ذَكَرَهُ الْهَرَوِيُّ .

الورق :

وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ نَهْيُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ بَيْعِ الْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ ،
وَبِإِبَاحَةِ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْوَرَقِ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْوَرَقَ وَالْفِضَّةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ ،
وَقَدْ فُرِقَ بَيْنَهُمَا أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِ الْأَمْوَالِ ، فَقَالَ : الرَّقَّةُ وَالْوَرَقُ مَا كَانَ
سَكَّةً مَضْرُوبَةً ، فَإِنْ كَانَ حُلِيًّا أَوْ حَلِيَّةً ، أَوْ نُقِرًا ^(٣) لَمْ يُسَمَّ وَرَقًا ، يَرِيدُ
بِهَذِهِ التَّفْرِقَةَ أَنَّ لَازِمَ كَوْنِهِ فِي حُلِيِّ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) وَإِنْ كَانَتْ اللَّامُ لِلْعِلَّةِ . فَانْهَى لَا تَفِيدُ الْحَصْرَ فِي الرُّكُوبِ وَالزَّيْنَةِ ،
فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِالْحَيْلِ فِي غَيْرِهَا ، وَفِي غَيْرِ الْأَكْلِ اتِّفَاقًا .

(٢) عَنْ ابْنِ مَهْرٍ قَالَ . دَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، عَنْ أَكْلِ الْجِلَالَةِ وَأَلْبَانِهَا ،
رَوَاهُ الْحَنَسِيُّ إِلَّا النَّسَائِيَّ . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، نَهَى عَنْ الْجِلَالَةِ فِي
الْإِبِلِ أَنْ يَرْكَبَ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ مِنْ أَلْبَانِهَا . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

(٣) جَمْعُ نَقْرَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْمَذَابَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَقِيلَ : هُوَ مَا سَبَكَ
مَجْتَمِعًا مِنْهَا .

وسلم - حين ذكر الزكاة قال: في الرقعة الخمس^(١)، وحين ذكر الربا قال
الفضة بالفضة .

قال المؤلف: وفي هذا الحديث الذي ذكره ابن إسحاق، وفي أحاديث
سواه قد تتبعتها ما يدل على خلاف ما قال، منها قوله عليه السلام في صفة
الخوض: يَصُبُّ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا [مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ] مِنْ
وَرَقٍ^(٢)، وفي حديث عرفة حين أصيب أنه يوم الكلاب قال: فاتخذتُ
أَنْفًا مِنْ وَرَقٍ^(٣) الحديث، في شواهد كثيرة تدل على أَنَّ الْفِضَّةَ تُدْعَى وَرَقًا
على أى حال كانت .

(١) زكاة الفضة هي ربع الفضة، ففي حديث رواه أحمد وأبو داود
والترمذي، ما رواه صدقة الزكاة من كل أربعين درهما درهما، وفي حديث آخر
رواه البخاري في الزكاة - بكر الرأء وتخفيف الفاق - وهي الفضة الخالصة -
في مائتي درم ربع العشر وهذا حر .

(٢) من حديث رواه مسلم .
(٣) لما اتخذ أنفًا من ورق أثنى، فاتخذ أنفًا من ذهب، وقد ظن الأعمش
ورقًا بفتح الراء، ظنًا منه أن الفضة لا تثنى، وخطأه القتيبي . والكلاب ضم
القاف وفتح اللام اسم ماء كان به يوم من أيام العرب بين البصرة والكوفة .
قال أبو عبيد: كلاب الأول وكلاب الثاني يومان كانا بين ملوك كندة، وبني تميم
وفيه أسرت بنو تميم عبد يغوث بن أبي وقاص الحارثي فقال قصيدته الياثية
التي أولها:

ألا تلوماني كفى اللوم ما ييا فالكماني اللوم خير ولا ييا
ومنها
جزى الله قومي بالكلاب ملامة حرهم والآخرين الموالبات =

وقوله: بِالذَّهَبِ الثَّمِينِ وَالْوَرَقِ الثَّمِينِ، يريد الذهب، لأنَّ الثَّاقِبَ تَسْمَى خُمَاراً، كما قال، وَعَيْنُهُ كَالْكَالِيَةِ الضَّمَارِ^(١)، وسمى الحاضر: عَيْنًا لِمَوْضِعِ الْمُعَايَنَةِ، فالقَيْنِ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ عَنْهُ أَعْيُنُهُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ بِمِثْلِكَ، وَنُسِيَ الْمَفْعُولُ بِالْمَصْدَرِ، وَنَحْوُهُ مِنَ الصَّيْدِ، لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ صَدَتْ أَصِيدُ، وَقَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ لِلْأَمَّةِ: ٩٥ فَجَاءَ بِالْمَصْدَرِ، وَلِهَذَا أَنْ تَلْحَظَ مِنْ هَذَا الطَّلَعِ مَعْنَى الْقَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَصْنَعُ عَلَى عَيْنِي﴾ طه: ٣٩ فَقَدْ أَمْلَيْنَا فِيهَا، وَفِي مَسْأَلَةِ الْيَدِ مَسْأَلَتَيْنِ لَا يُعْدَلُ بَقِيَّتُهُمَا الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا^(٢)

= ويقول ابن دريد عن الكلاب: «والكلاب موضع بالدعاء بين الجامة والبصرة كانت فيه وقتان إحداهما بين ملوك كندة الإخوة، والأخرى بين بني الحارث وبين بني تميم يذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب الأيام، أنظر ص ٤٥ ص ٢٦٧، البيان الجاحظ، والسان، وابن الأثير في مادة كلب وورق وص ٢١ الاشتقاق لابن دريد.

(١) المال الضمار: الثَّاقِبَ الذي لا يرجى. والكالي: في حديث أنه نهي عن الكالي بالكالي، أي النسبة بالنسبة، وذلك أن يشتري الرجل شيئاً إلى أجل، فإذا حل الأجل لم يجد ما يقضى به، فيقول بعينه إلى أجل آخر بزيادة شيء. فيسبه منه، ولا يجرى بينهما تخافض، يقال: كَلَا الدِّينَ كُلُّهُ، فهو كالي إذا تأخر.

(٢) من غير من كتب عن هذا الإمام ابن القيم في كتابه «الصواعق المرسلة»، فراجع، وقد سبق القول بأنه يجب الإيمان. بكل مائسبه إلى نفسه من مثل اليد والعين وغيرهما إيماناً مطلقاً بأن الله سبحانه له كل هذا الذي نسب إلى نفسه، فله يدان وله عينان، ولكن لا تشبه يده يد، ولا عينه عين، لأنه جل شأنه ليس كمثله شيء.

من مرم نظم المتعة ؟

فصل : ومما يتصل بحديث النهي عن أكل الحمر تنبيه على إشكال في رواية مالك عن ابن شهاب، فإنه قال فيها: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الأهلية، وهذا شيء لا يعرفه أحد من أهل الميبر، ورواه الأثر، أن المتعة حُرِّمت يوم خيبر، وقد رواه ابن عيينة عن ابن شهاب عن عبد الله بن محمد، فقال فيه: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الحمر الأهلية عام خيبر، وعن المتعة، فنهاه على هذا اللفظ: ونهى عن المتعة بعد ذلك، أو في غير ذلك اليوم، فهو إذا تقدم وتأخير، وقع في لفظ ابن شهاب، لاقى لفظ مالك، لأن مالك قد واقفه على لفظ جماعة من رؤاة ابن شهاب، وقد اختلف في تحريم نكاح المتعة فأغرب ما روى في ذلك رواية من قال: إن ذلك كان في غزوة تبوك، ثم رواية الحسن أن ذلك كان في حمة القضاء، والشهور في تحريم نكاح المتعة رواية الربيع بن سبرة^(١) عن أبيه أن ذلك كان عام الفتح. وقد خرج مسلم الحديث بطوله^(٢) وفي هذا أيضاً حديث آخر أخرجه أبو داود أن تحريم

(١) نص للثوري في التهذيب على ضبطها بفتح السين وسكون الياء، وضبطت في نيل الأوطار بضمها.

(٢) ورواه أيضاً أحمد. هذا وقد روى عن ابن مسعود أنه قال: دكنا نفرو مع رسول الله دس، ليس معنا لساء، فقلنا: ألا تختصي، فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن نكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية. متفق عليه. وعن =

نِكَاحِ النِّمَةِ كَانَ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَمَنْ قَالَ مِنَ الرَّوَاةِ كَانَ فِي غَزْوَةِ

أَبِي جَمْرَةَ قَالَ : « سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ مَتْنِ النَّسَاءِ ، فَرَخَّصَ ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ :
إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْحَالِ الشَّدِيدِ فِي النَّسَاءِ قَوْلُهُ أَوْ نَحْوُهُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : نَعَمْ ،
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ حَزْمٍ فِي الْمَحَلِّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ غَيْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ :
وَقَدْ ثَبَتَ عَلَى تَحْلِيلِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ مِنْهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ :
أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، وَجَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاشِمُ بْنُ
عُمَرَ بْنِ حَرِثٍ وَأَبُو سَعِيدٍ وَسَلْمَةُ ابْنَةُ أُمِّهِ بْنِ خَلْفٍ ، وَرَوَاهُ جَابِرٌ عَنْ
الصَّحَابَةِ مَدَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَدَّةَ أَبِي بَكْرٍ وَمَدَّةَ عُمَرَ إِلَى قَرَبِ آخِرِ خَلْفَتِهِ ، وَرَوَى
عَنْهُ أَنَّهُ إِذَا أُنْكِرَ إِذَا لَمْ يَشْهَدْ عَلَيْهَا عَدْلَانِ فَقَطَّ ، وَقَالَ بِهَا مِنَ التَّابِعِينَ :
طَلُوسٌ وَعَطَاءٌ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَسَائِرُ فَقَهَاءِ مَكَّةَ . وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : جَاءَ عَنِ
الْأَوَائِلِ الرِّخْصَةُ فِيهَا ، وَلَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ أَحَدًا يَجْزِيهَا إِلَّا بَعْضُ الرَّافِضَةِ .

وَقَالَ عِيَّاضٌ : « ثُمَّ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ إِلَّا الرَّوَافِضُ ، وَقَالَ ابْنُ
بَطَّالٍ : « رَوَى أَهْلُ مَكَّةَ وَالْبَيْتِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِبَاحَةَ الْمَتْنِ ، وَرَوَى عَنْهُ الرَّجُوعُ
بِأَسَانِيدٍ ضَعِيفَةٍ ، وَإِجَازَةَ الْمَتْنِ عَنْ أَصْحَابِهِ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّيْخَةِ . وَنَقَلَ الْيَهُودِيُّ
عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَنِ الْمَتْنِ فَقَالَ : هِيَ الْوَلَا بِعَيْنِهِ ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ
وَالرَّوَايَاتُ كُلُّهَا مُتَّفَقَةٌ عَلَى أَنَّ زَمَانَ إِبَاحَةِ الْمَتْنِ لَمْ يَطُلْ ، وَأَنَّهُ حَرَمٌ ، ثُمَّ
أَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِلَّا مَنْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ مِنَ الرَّوَافِضِ ، انْظُرْ
ص ١٣٥ > ٦ نِيلَ الْأَوْتَاطَارِ . أَقُولُ : وَقَدْ أَسْرَفْتُ فَنَاتٍ مِنَ الْآخِذِينَ بِحُلُمِهَا
فَأَحَالُوهَا زِنًا بِأَجْرٍ ، وَبَغْيًا فَاجِرَ الْفُسُوقِ ، ابْتِغَاءً وَقِدَاسَةَ الْإِسْلَامِ . وَجَلَّالَ
هُدْيِهِ ، وَسَمُو الصَّفَاءَ فِي رُوحَانِيَّتِهِ ، أَرِ يَتَصَلَّ رَجُلٌ بِأَمْرَأَةٍ أَيْامًا أَوْ أَشْهُرًا
ثُمَّ يَتْرُكُهَا بِمَا حَمَلَتْ ؟ أَرَى لِمَنْ يَنْتَسِبُ هَذَا الْجَنِينُ ؟ وَكَيْفَ يَعْشَى وَيَنْشِئُ أُمُّهُ ،
وَهِيَ لَا تَعْرِفُ لِابْنِهَا أَبًا ، وَهِيَ لَا يَدْرِي لَهُ أَبٌ ؟ وَأَيُّ عِلَاقَةٍ بَالِغَةُ السُّوءِ
تَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمِّهِ . وَمَنْ سَمِعَ بِأَنَّهُ ؟ تِلْكَ هِيَ نَكْبَةُ الْوَلَا بِعَيْنِهِ .

وَإِذَا قَنَانُ وَجُوهُنَا وَأَفْكَارُنَا وَقُلُوبُنَا فِي كِتَابِهِ . فَإِنَّا لَا نَجِدُ فِي الذِّكْرِ

أوطاس ، فهو موافق لمن قال عام الفتح ، فأنه والله المستعان
وذكر قوله - عليه السلام - : لَا أُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

= الحكم شيئاً مما يروج له دعاة المتعة ، أو دعاة الفسوق . فقوله سبحانه في سورة
النساء (فَاَسْتَمْتَعَ بِهِ) ، فآثروا من أجور من غريضة (هذا القول ليس
نصاً لا من بعيد ، ولا من قريب يدل على إباحة المتعة ولا بإثارة من فهم إلا فهم
الذين يبتغون البقاء اليوم في إباحة المتعة ، فأنه سبحانه قد بين في الآية ما محل
من نكاح النساء في مقابلة ما حرم فيما قبلها . وفي صدرها . وبين أنه إذا استمتع
الإنسان بامرأة أحلها الله فيمن أحل أى تزوجها فعليه الأجر ، وهو المهر .
ولو تدبرنا قوله جل شأنه في صفات المؤمنين (والذين هم لفروجهم حافظون
إلا على أزواجهم ، أو ما ملكت أيمانهم ، فانهم غير ملومين . فمن انتهى
وراء ذلك ، فأولئك هم العادون) المؤمنون ٦٥ . لو تدبرنا هذا لعلمنا أن
هذه المتعة بالمعنى الذى فسروه بها أمر باطل . فقام في الآية إلا نوعان :
زوجات وملاك يمين ، فأين تضع صاحبة المتعة بين هذين النوعين ؟ لا يمكن
اعتبارها زوجة لأن الزواج شرطه المينة في القرآن وهذه الشروط لا تنطبق
على صاحبة المتعة ، ولا يمكن اعتبارها أمة ، فمن انتهى وراء هذين فهو من العادين .
ويقول الإمام ابن القيم : ولم يحرم المتعة يوم خيبر ، وإنما كان تحريمها عام الفتح ،
هذا هو الصواب ، وقد ظن طائفة من أهل العلم أنه حرمها يوم خيبر ، واحتجوا
بما في الصحيحين ، ثم ذكر ما ورد في الصحيحين ، ثم ضعف رأى القائلين بأنها حُرمت ،
ثم أبيحت ثم حُرمت ثم قال : وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يمتنعون باليهوديات ،
ولا استأذنوا في ذلك رسول الله ص ، ولا نقله أحد قط في هذه الفزوة ،
ولا كان للمتعة فيها ذكر البتة ، لا فعلاً ولا تحريماً بخلاف غزاة الفتح ، فإن قصة
المتعة كانت فيها فعلاً وتحريماً مشهورة ، وهذه الطريقة أصح الطريقتين ، ص ٢٤٦
٢ زاد المعاد .

وَيَفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُنَّ أَيْهِمْ
يُغَطُّهَا^(١) وَمَعْنَاهُ مِنَ الدُّوَكَةِ ، وَاللُّوَكَةِ ، وَهُوَ اخْتِلَاطُ الْأَصْوَاتِ .

عَلَى وَدَعَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَذَكَرَ أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - انْطَلَقَ بِالرَّابَةِ بِأَنْبِجَ ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ
ابْنُ إِسْحَاقَ يَوْجُ ، فَمِنْ رِوَاةِ أَنْبِجَ ، فَهُوَ مِنَ الْأَنْبِجِ وَهُوَ عُلُوُّ النَّفْسِ ، يُقَالُ
فَرَسٌ أَنْوَجُ مِنْ هَذَا ، وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا بِأَنْبِجَ
يُطِنُهُ ، قَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : بَرَكَهٌ مِنَ اللَّهِ ، قَالَ : بَلْ هُوَ عَذَابٌ عَذَّبَكَ
بِهِ وَمِنْ رِوَاةِ يَوْجُ ، فَمَعْنَاهُ : يُسْرِعُ ، يُقَالُ : أَجَبْتُ النَّاقَةَ تَوْجُ إِذَا أَسْرَعَتْ
فِي مَشْيِهَا ، وَزَادَ الشَّيْكَانِيُّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ حِينَ ذَكَرَ أَنَّ
عَلِيًّا كَانَ أَرْمَدَ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَقَلَّ فِي عَيْنَيْهِ قَبْرًا ،
قَالَ : فَا وَجِعَتْ عَيْنُهُ حَتَّى مَضَى سَبِيلُهُ^(٢) ، قَالَ : وَكَانَ عَلِيٌّ يَلْبَسُ الْقَبَاءَ
الْمَحْشُورَ الْتَّخِينِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ ، فَلَا يُبَالِي بِالْحَرِّ ، وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ الْخَفِيفَ
فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ ، فَلَا يُبَالِي بِالْبَرْدِ ، وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَخْبَرَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَعَا لَهُ يَوْمَ حَيْبَرٍ حِينَ رَمِدَتْ عَيْنُهُ أَنْ يَشْفِيَهُ اللَّهُ ، وَأَنْ يُجَنِّبَهُ
الْحَرَّ وَالْبَرْدَ ، فَكَانَ ذَلِكَ .

صَاحِبُ الْقَانِمِ وَابْنُ مَنُفَّلٍ :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَنُفَّلٍ حِينَ احْتَمَلَ جِرَابَ الشَّحْمِ ،

(١) فِي حَدِيثِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فِي الْبُخَارِيِّ .

(٢) فِي الدَّلَالَةِ الْقِسْمَةِ : فَأَوْجَعَهَا حَتَّى مَضَى سَبِيلُهُ ، أَيْ : مَاتَ .

خُمْسِ الْخُمْسِ ، وَرَوَى يُوسُفُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جُمُعٍ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ كَثْبٍ الْقُرْطُبِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي فِي رَجُلٍ مِنْ بَنِي النَّصِيرِ ، كَانَ فِي حَبْرٍ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ مِنْ رَهْطِهَا قَالَ لَهُ : رُبِعٌ ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَكَبَ بَنِي خَيْبَرَ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى نَاقَتِهِ لَيْلًا فَعَمِلْتُ أَنْفُسُ فَيَضْرِبُ رَأْسِي مُؤَخَّرَةً الرَّحْلِ ، فَيَمَسُّ بِي يَدَهُ ، وَيَقُولُ : يَا هَذِهِ مِنْهَا يَا ابْنَةَ حَيٍّ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الصُّبْحُ ^(١) ، قَالَ : أَمَّا إِنِّي أَعْتَدُ إِلَيْكَ يَا صَفِيَّةُ مِمَّا صَنَعْتُ بِقَوْمِكَ ، إِيَّاهُمْ قَالُوا إِلَى : كَذَا ، وَقَالُوا إِلَى : كَذَا . وَحَدَّثَ إِصْطَفَانِ صَفِيَّةَ بِمَارَضِهِ فِي الظَّاهِرِ الْحَدِيثُ الْآخَرُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهَا صَارَتْ لِدُخْيَةٍ فَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَأَعْطَاهُ سَبْعَةَ أَرْبَاسٍ ، وَيُرْوَى أَنَّهُ أَعْطَاهُ بِنْتِي عَمَّتُهَا عَوْضًا مِنْهَا ، وَيُرْوَى أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ لَهُ : خُذْ رَأْسًا آخَرَ مَكَانَهَا ^(٢) ، وَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، فَإِنَّمَا أَخَذَهَا مِنْ دُخْيَةٍ

الزبيدي عن سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كانت صفية من الصنى ، وقد فسرهُ ابن سيرين فيما أخرجه أبو داود بإسناد صحيح عنه قال : كان يضرب للنبي د ص ، بسهم مع المسلمين ، والصنى يؤخذ له رأس من الخنس قبل كل شيء . ومن طريق الشعبي قال : كان للنبي د ص ، سهم يدعى الصنى إن شاء ، عبداً ، وإن شاء أمة ، وإن شاء فرساً يختاره من الخنس . ومن طريق قتادة : كان للنبي د ص ، إذا غزا كان له سهم صاف يأخذه من حيث شاء ، وكانت صفية من ذلك السهم .

(١) الصبياء موضع بينه وبين خيبر يريد كما ذكر ابن سعد ، وهي التي بنى فيها رسول الله د ص ، بصفية كما جاء في البخاري وفي رواية عند سد الروحاء .

(٢) قد ذكر البخاري في رواية له أن صفية كانت في السبي ، فصارت إلى

قبل القسم : وما عوّضه منها ليس على جهة التبع ، ولكن على جهة النفل والية ، والله أعلم . غير أن بعض رُواة الحديث في المسند الصحيح يقولون فيه : إنه اشترى صفيّة من دحية ، وبعضهم يزيد فيه : بعد القسم ، قاله أعلم أي ذلك كان .

وكان أمر الصفيّة أنه كان عليه السلام إذا غزا في الجيش اختار من الفتيمة قبل القسم رأساً وشرب له بسهم مع المسلمين ، فإذا قعد ، ولم يخرج مع

دحية ، وفي رواية أن دحية جاء إلى رسول الله ص ، فقال : أعطني يا رسول الله جارية من السبي ، قال اذهب ، فخذ جارية ، فأخذ صفيّة ، فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله : أعطيت دحية صفيّة سيدة قريظة والنضير ، لا يصلح إلا لك ، قال : ادعوه بها ، فجاء بها ، فلما نظر إليها ص ، قال : خذ جارية من السبي غيرها ، ثم صارت إلى النبي ص ، فتزوجها ، فجعل عتقها صداقها ، ورواية نسخة أروس رواية مسلم عن أنس نفسه الذي روى عنه البخاري أنه أعطاه جارية ١١ ولا شك في أن تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم فوق ما قيل نبلا وحكمة وسموا فالرجل العظيم الذي اصطفاه الله للنبيين خاتماً ، واستطاع - بتوفيق الله - تطبيق القرآن كما أمر الله ، وأنشأ به خير أمة أخرجت للناس . هذا الإنسان العظيم لا يجوز أن يقال عنه إن جمال صفيّة هو الذي دعاه إلى هذا التصرف .

إن هذا التصرف قد يترفع عنه قائد عسكري ممتاز الخلق . فإليك نبني هو خاتم النبيين بصفه الله بأنه على خلق عظيم ؟ ومن خير ما يقلل هنا ما ذكر الحافظ في الفتح لو أن رسول الله ص ، خص بها دحية - وهي كما روى ابن سعد من أضواء ما يكون من الذناء - لأمكن تنفير خاطر بعض الصحابة ، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه ، واختصاصه عليه الصلاة والسلام ، فإن في ذلك رضا للجميع ص ٢٣٢ - ٢ المواهب . وانظر ما كتب العقاد عنها ص ١٩٣ حقائق الإسلام ط ١ .

الجيش ضرب له يستهم ، ولم يكن له صفي ، ذكره أبو داود ، وأمر الصفي بعد الرسول عليه السلام لإمام المسلمين في قول أبي ثور ، وخالفه جمهور الفقهاء ، وقالوا : كان خصوصاً للنبي عليه السلام (١) .

صدائق صفيه :

وقوله : أعتقها ، وجعل عتقها صداقها ، هو صحيح في النقل ، وقال به كثير من العلماء ، ومن لم يقل به من الفقهاء تأوله خصوصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم أو متسوحاً ، ومن لم يقل به مالك بن أنس ، وجماعة سواه لا يرون مجرد العتق يفتى عن صداق (٢) .

حنسي الصنعاني :

وذكر حديث حنسي الصنعاني عن رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ . هو حنسي بن

(١) سبق الكلام عن الصفي في الشرح

(٢) في حديث منفق عليه عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعتق صفيه وجعل عتقها صداقها .

وقد ذهب الأكثر إلى عدم صحة جعل العتق مهرأ متأولين بأنه د ص . أعتقها بشرط أن يتزوجها ، فوجب له عليها قيمتها ، وكانت معلومة ، فتزوجها بها . والذي يرد هذا التأويل أنه ورد في مسلم بلفظ « ثم تزوجها » وجعل عتقها صداقها ، والحق مع القائلين بعدم صحة جعل العتق صداقاً ، لأن الله يقول : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) . فالصداق فرض ، ولا يجوز للمرأة أن تنازل عنه كله ، بل عن بعضه

عَبْدُ اللَّهِ السَّبَّائِي^(١) جاء إلى الأندلس مع موسى بن نصير ، وهو الذي ابْدَى
جامع سَرَقُشْتَةَ ، وأسس جامع قُرْطُوبَةَ أيضاً ، فيما ذكرناه ، وتوفي البخاري
أنه حَفْشُ بْنُ عَلِيٍّ ، وأن الاختلاف في اسم أبيه ، وقد فَرَّقَ بينهما عَلِيُّ بْنُ
الْمَدِينِيِّ فقال : حَفْشُ بْنُ عَلِيٍّ السَّبَّائِي من صنمَاء الشام ، ومنها أبو الأشعث
الصنعاني ، وحَفْشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّبَّائِي من صنمَاء اليمن ، وكلاهما يروى
عن عَلِيٍّ ، فمن ههنا دخل الوهم على البخاري ، هكذا ذكر أبو بكر الخطيب ،
ويروى عن علي أيضاً حَفْشُ بْنُ رَيْمَةَ ، وحَفْشُ بْنُ الْمُقْتَمِرِ وهما غَيْرُ
هَذَيْنِ^(٢) .

ولما مضى عنه :

وفيه : أن لا توطأ حَامِلٌ من السبايا حتى تَصَحَّحَ ، وذكر باقي الحديث ،
وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم في حديث آخر أنه نظر إلى أمة مُجَبَّحٍ
أى مُقَرَّبٍ^(٣) ، فسأل عن صاحبها ، فقيل : إنه يُبَلِّغُ بها ، فقال : لقد هَمَمْتُ أَنْ
أَلْقِيَهُ لَعْنَةً تَدْخُلُ معه في قبره . وذكر الحديث .

(١) ضبطها الخزرجي في خلاصة تذهيب الكمال بدون ألف ، وهي في
تذهيب الباب السباي . وقال عنه الخزرجي ابن عبيد الله أو ابن علي ، وفي
التذهيب : وابن الملقن عبد الله يروي عن علي وابن عباس وفضالة بن عبيد مَاتَ
سنة ١٠٠ .

(٢) في تذهيب الكمال : حَفْشُ بْنُ الْمُقْتَمِرِ أو ابن رَيْمَةَ بْنُ الْمُقْتَمِرِ الْكِنَانِيُّ
أبو الْمُقْتَمِرِ الْكِنَانِيُّ .

(٣) هي الحامل التي دنا ولادها . وفي الأصل : مغرب .

فهذا وجه في معنى قوله : لا يَحْمِلُ لِأَمْرِئٍ يَوْمَئِذٍ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
يَسْتَقِي مَلُوءُهُ زَرْعَ غَيْرِهِ ، يعنى إتيان الحَبَّالَى مِنَ السَّيَّابَا ، فإن فعل فالوَلَدُ مختلف
في إلحاقه به ، فقال مالك والشافعي : لا يُلْحَقُ بِهِ ، وقال الليث : يُلْحَقُ بِهِ
لقول النبي صلى الله عليه وسلم : كيف يَسْتَفِيدُهُ ، وقد غذاه في تَمِيهِ وَبَعْرِهِ .

عليٌّ يُقْتَلُ مَرْمِيًّا :

نقل : ومما يتصل بقصة مَرْحَبِ الْيَهُودِيٍّ مع عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ -
رضي الله عنه - من غير رواية الكتاب قول علي :

أنا الذي تَمَنَّنِي أُمِّي حَيْدَرَةً

أَضْرِبَ بِالسَّيْفِ رُءُوسَ الْكُفَرَةِ

أَكِيلَهُمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السُّنْدَرَةِ (١)

(١) هي من رواية يونس عن ابن إسحاق ، وفيها : كليث غابات شديد
القصورة . بدلا من الشطرة الثانية . وفيها أيضا : أكيلكم . وفي رواية
البراز : كليث غابات كربه المنظرة ، أوفيهم بالصاع كيل السندرة . أنظر ص ١٨٧
وما بعدها ، البداية والنهاية لابن كثير . وهي في صحيح مسلم أيضا . ويقول
الحافظ : وخالف أهل السير في هذا ، فجزم ابن إسحاق وابن عفة والواقدي
بأن الذي قتل مرجأ هو محمد بن مسلمة ، وكذا روى أحمد بإسناد حسن عن جابر .
وقيل : إن ابن مسلمة كان بارزه فقطع رجله . فأجهز على عليه ، وقيل : قاتله
هو الحارث أخو مرجح . ولكن الحافظ يميل إلى أن ما في الصحيح مقدم على
ما سواه ، ولا سيما وقد جاء عن بريدة أيضا عند أحمد والنسائي وابن حبان
والحاكم . يقصد أن علياً هو قاتل مرجح .

أَيُّ أَجْرِهِمْ بِالْوَفَاءِ . وَالسَّنْدَرَةِ : شَجَرَةٌ يُصْنَعُ مِنْهَا مَكَابِيلُ عِظَامٍ

مِهْبَرَةٌ :

وَفِي قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَمَتَّنِي أُمِّي حَيْدَرَةٌ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ ، ذَكَرَهَا قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ ، أَحَدُهَا : أَنَّ اسْمَهُ فِي السُّكُتِ لِلتَّضَمِّ اسْدٌ ، وَالْأَسَدُ : هُوَ الْحَيْدَرَةُ . الثَّانِي : أَنَّ أُمَّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ حِينَ وَلَدَتْهُ كَانَ أَبُوهُ غَائِبًا ، فَسَمَّيَتْهُ ، بِاسْمِ أَبِيهَا أَسَدٍ ، فَقَدِمَ أَبُوهُ فَسَمَّاهُ عَلِيًّا . الثَّلَاثُ : أَنَّهُ لُقِّبَ فِي صِفَرِهِ بِحَيْدَرَةٍ ، لِأَنَّ الْحَيْدَرَةَ الْمُتَقَلِّبُ أَحْمَرًا مَعَ عِظَمِ بَطْنٍ ، وَكَذَلِكَ كَانَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الصُّوِّصِ حِينَ فَرَّ مِنْ سِجْنِهِ الْقَدِيِّ كَانَ يَسْمَى نَافِعًا ، وَقِيلَ فِيهِ : يَافِعٌ أَيْضًا بِالْيَاءِ :

وَلَوْ أَنِّي مَكَّنْتُ لَهُمْ قَلِيلًا لَجَزَّوْنِي إِلَى شَيْخٍ يَطِينُ

مِنْ مَصْرُورٍ فَيُخَبِّرُ :

وَذَكَرَ شَقَاوَةَ النَّطَاءِ وَشَقَّ بِالْفَتْحِ أَعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ كَذَلِكَ قَيْدَ الْبَكْرِى .

وَذَكَرَ وَادِي خَاصٍ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ . وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ : إِنَّمَا هُوَ وَادِي خَلَصٍ بِاللَّامِ ، وَالْأَوَّلُ تَصْحِيفٌ . وَقَالَ الْبَكْرِى : هُوَ خَلَصٌ بِاللَّامِ وَأَنْشَدَ الْبَكْرِى لِمُحَمَّدِ بْنِ عَامِرٍ :

وَإِنْ بِمَخْلَصٍ خَلَصَ آرَةٌ بُدِّنَا نَوَاعِمَ كَالْفَزِّ لَأَنْ مَرَضَى عُيُونُهَا

الْحَالُ الْمَعْرُوفَةُ لَفْظًا :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ فِي أَشْعَارِ خَيْبَرَ قَوْلَ الْعَبْسِيِّ ، وَفِي آخِرِهِ :

فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعَا نَحْتِ الْمَجَاجِ عَنَّا الْأَبْصَارِ

وهو بيت مُشَكَّلٌ غير أن في بعض النسخ ، وهي قليلة عن ابن هشام أنه قال: فَرَّتْ فَتَحَتْ ، من قولك : فَرَرْتُ ^(١) الدَّابَّةَ ، إِذَا فَتَحَتْ فَاهَا . وَعَنَّا الْأَبْصَارِ ، هي مفعول فَرَّتْ ، وهي جُفُونَ أَعْيُنِهِمْ ، هذا قول ، وقد يصح أن يكون فَرَّتْ من الْفِرَارِ ، وَعَنَّا الْأَبْصَارِ من صِفَةِ الْمَجَاجِ ، وهو الْغُبَارُ وَنُصِبَتْ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمَجَاجِ ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ الْمَعْرِفَةُ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ بِشَاكِرٍ فِي النِّحْوِ ، وَلَا مَاهِرٍ فِي الرَّبِّيَّةِ ، وَأَمَّا عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، فهو نَكْرَةٌ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدِ الْفَعَاءُ حَقِيقَةً وَإِنَّمَا أَرَادَ مِثْلَ الْفَعَاءِ ، فهو مِثْلُ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

مُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَمِكَلٍ ^(٢)

فَقَيْدُهَا هُنَا نَكْرَةٌ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ مِثْلَ الْقَيْدِ ، وَلِذَلِكَ نَعَتْ بِهِ مُنْجَرِدًا . أَوْ جَلَّهْ فِي مَعْنَى مُقَيَّدٍ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَبْدَةِ بْنِ الطَّيِّبِ ^(٣) :

نَحْيَةٌ مِنْ غَادِرَتِهِ غَرَضُ الرَّدَى

فَنُصِبَ غَرَضًا عَلَى الْحَالِ : وَأَصَحُّ الْأَقْوَالِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ زَهْرَةٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : فَرَّتْ . وَفِي اللَّسَانِ : فَرَّ الدَّابَّةُ يَفْرُهَا كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهَا .

(٢) مِنْ مَعْلَقَتِهِ ، وَأَوَّلُهُ : وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : الطَّيِّبُ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْأَمَالِيِّ لِلْقَالِي وَالسَّيْطِ الْبَكْرِيِّ وَالْيَانِ الْجَاظِ .

الحياة الدنيا^(١) طه : ١٣١ أنه حال من المضمر المخفوض ، لأنه أراد التشبيه بالزهرة من النبات ، ومن هذا النحو قولهم : جاء القوم الجماء الغفير انتصب على الحال ، وفيه الألف واللام ، وهو من باب ما قدمناه من التشبيه ، وذلك أن الجماء هي بيضة الحديد تُعرف بالجماء والصلعاء ، فإذا جُمِلَ معها المفقر ، فهي غفير ، فإذا قلت : جاءوا الجماء الغفير ، فإنما أردت العموم والإحاطة بجميعهم ، أي جاءوا جيئة قلوبهم وتشتوعبهم ، كما تحيط البيضة الغفير بالرأس ، فلما قصدوا معنى التشبيه دخل الكلام للكثير كما تقدم ، وكذلك قولهم : تفرقوا أيدي سبأ ، وأيدي سبأ ، أي : مثل أيدي سبأ ، فصلت فيه الخلل لذلك ، والذي قلناه في معنى الجماء الغفير رواه أبو حاتم عن أبي عبيدة ، وكان علامة بكلام العرب ، ولم يقع سيديونة على هذا الغرض في معنى الجماء ، فصار كلمة منافية عن القياس ، ولم يقد فيها التعريف وقولها بباب وحده ، وفي باب وحده^(٢) أمرار قد أمليناها في غير هذا الكتاب ،

(١) في إعرابها أقوال : أولها أن تكون منصوباً بفعل محذوف أي جعلنا لهم زهرة ، ثانياً أن تكون بدلا من موضع به ، ثالثاً : أن تكون بدلا من أزواج والتقدير : ذوى زهرة فحذف المضاف . رابعاً : أن يكون المنصب على الذم ، أي أذم أو أعنى ، خامساً : أن يكون بدلا من ما . ، ولكن يلزم من هذا الفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي . سادساً : أن يكون حالا من الماء . أو من ما ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وجر الحياة على البدل من ماء ، سابعاً : أنه تمييز لما أولها في به ، حكى عن القراء وهو غلط وإملاء ما من به الرحمن المكبر .

(٢) قال أبو بكر : وحده منصوب في جميع كلام العرب إلا في ثلاثة مواضع نقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ومررت بزيد وحده ، وبالقوم =

هو مثالٌ وَحْدَهُ تختص ببابِ وَحْدِهِ ، وهذا الذي ذكرنا من التنكير بسبب التشبيه ، إنما يكون إذا شَبِهَت الأول باسم مضافٍ ، وكان التشبيه بصفة مُتَعَدِّية إلى المضاف إليه ، كقوله : قَيْدِ الْأَوَايدِ ، أى مُقَيِّدِ الْأَوَايدِ ، ولو قلت : صهرت بامرأ القمر على التشبيه لم يجر ، لأن الصفة التي وقع بها التشبيه غير غير مُتَعَدِّية إلى القمر ، فهذا شرط في هذه للسألة ، وما لم يحسن فيه التنكير وهو مضاف إلى معرفة اتفأى النقطين كقوله : له صَوْتٌ صَوْتِ الْجَمَارِ وَزَيْرٌ زَيْرِ الْأَسَدِ ، فإن قلت : فما بالُ الْجَمَاءِ الْغَنِيرِ ، جاز فيها الحال ، وليست بمضافة ؛ قلنا : لم يقل العربُ جاء للقَوْمِ الْبَيْضَةِ ، فيكون مثل ما قدمناه من قولك : مررت بهذا القمر ، وإنما قالوا : الْجَمَاءُ الْغَنِيرُ بالصفة الجامعة بينها ، وبين ما هي حال منه ، وذلك الصفة الْجَمُّ وهو الاختواء والغمر ، وهي التنظية فعنى الكلام : جاءوا ببيئة مُنْتَوِيَةٍ لهم ، مُوَعِيَةٍ لجمعهم ، فقوى معنى التشبيه بهذا الوصف ، فدخل التنكير لذلك ، وحسن النصب على الحال وهي حال من الحى .

الشاة السُمُومَةُ :

فصل : وذكر حديث الشاة السُمُومَةِ ، وأكل بشر بن البراء منها ،

== روى ، قال : وفي نصب وحده ثلاثة أقوال . قال جماعة من البصريين : هو منصوب على الحال ، وقال يونس : وحده هو بمنزلة عنده ، وقال هشام : وحده منصوب على المصدر . وقال أبو عبيد : العرب تنصب وحده ، في الكلام كله لا ترفعه ولا تخفضه إلا في ثلاثة أحرف : نسيج وحده ، وعير وحده ، وجحاش

وفيه : أن الدراع كانت تُعْجِبُه ، لأنها هادِي الشاةِ ، وأبعدُها من الأذى ،
فذلك جاء مُفسِّراً في هذا اللفظ .

فأما المرأة التي سَمَّته ، فقال ابن إسحاق : صَنَحَ عنها ، وقد روى أبو داود
أنه قتلها ، ووقع في كتاب شَرَفِ المُسْطَفَى ، أنه قتلها وصلبها ، وهي زينب
بنت الحارث بن سلام ، وقال أبو داود : وهي أختُ مُرْحَبِ اليهودي ،
وروى أيضاً مثل ذلك ابن إسحاق . ووجه الجمع بين الروايتين أنه عليه السلام
صَنَحَ عنها ، أولُ لأنه كان - صلى الله عليه وسلم - لا يَنْتَقِمُ لنفسه ، فلما مات
بِشَرِّ بْنِ الْبَرَكَةِ من تلك الأَكَلَةِ ، قتلها ، وكذلك أن بشرأ لم يزل مُقتَلاً من
تلك الأَكَلَةِ حتى مات منها بعدَ حَوْلٍ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند
موته : « ما زالت أكلةُ خَيْبَرَ تُمَادُّني ، فهذا أَوَانُ قَطَعْتُ أَبْهَرِي » وكان
يَنْفُثُ منها مثلُ عَجَمِ الرَّيْبِيبِ . وتُمَادُّني ، أي تَمْتَادُّني المرأةُ بعدَ المَرَّةِ ،
قال الشاعر :

أَلَا فَيَ مِنْ تَذَكُّرِ آلِ كَيْلِي كَمَا يَلْقَى السَّلَامُ مِنَ الْعِدَادِ

وَالْأَبْهَرُ : عِرْقٌ مُسْتَنْبِطٌ مِنَ الْقَلْبِ ، قال ابن مُقْبِل :

يُفْلِقُ الْفُؤَادَ وَجِيبَ نَحْتِ أَبْهَرِهِ لَدَمَ الْوَلِيدِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْخَجَرِ

وقد روى مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ في جَامِعِهِ عن الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : أَسْلَمْتُ
فَفَرَكَهَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - قال معمر : هَكَذَا قَتَلَ الزُّهْرِيُّ :

أسلمت ، والناس يقولون : قتلها ، وأنها لم تُسَلِّمْ^(١) ، وفي جامع مَعْمَر بن راشد
أيضاً أن أُمَّ بَشِيرِ بْنِ الْبَرَاءِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرِّضِ الَّذِي
مَاتَ مِنْهُ مَا تَنَبَّهْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنِّي لَا أَتَمُّ بِبَشِيرٍ إِلَّا الْأَكْلَةَ الَّتِي أَكَلَهَا
مَعَكَ بَخِيرٌ ، قَالَتْ : وَأَنَا لَا أَتَمُّ بِغُضَى إِلَّا ذَلِكَ ، فَبُذِلَ وَأَنَّ قَطَمْتَ أَهْرِي .

مولد ميراث المرأة الفخارية :

فصل : أودكر حديث الفخارية التي شهدت خَبَرَ ، ولم يُسَمَّها ،
وقد يقال : اسمها لَيْسَى ، ويقال : هي امرأة أَبِي ذَرٍّ الْفَخَارِيُّ ، وقولها
رَضَخَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَصْلُ الرِّضَخِ أَنْ تَكْسِرَ مِنْ
الشَّيْءِ الرِّطْبَ كَسْرَةً فَتُطْبِخُ ، وَأَمَّا الرِّضَخُ : الْحَاءُ لِلْهَلَةِ ، فَكَسْرُ اللَّيَاسِ ،
التَّصْلُبُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

كَمَا تَطَايَرُ عَنْ مَوْضَاحِهِ الْعَجَمُ

(١) يقول الحافظ ، ولم يتفرد الزهري بدعواه أنها أسلمت فقد جزم بذلك
سليمان التيمي في منازبه . وجعلها في الإصاحبة في القسم الأول من الصحايات ،
هذا وقد روى البخاري قصة الشاة المسمومة ، وفي الصحيحين من حديث شعبة
عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم — بشاة مسمومة ، فأكل منها . فجئ بها إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فسألها عن ذلك ، قالت : أردت لأقتلك ، فقال : ما كان الله
ليسطاك علي ، أو قال : على ذلك . قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : لا . قال أنس ،
فأزلت أعرفها في لهوات رسول الله ، ص ، واللهوات جمع لهاة ، وهي
الجمادات في حقف أقصى الفم .

صحة أعظم الماء :

وقولها : أمرني أن اجعل في طهوري ملحاً ، فيه ردٌّ على مَنْ زعم من الفقهاء أن الملح في الماء إذا غيّر طعمه صيّرهُ مُضافاً طاهراً غير مُطهر ، وفي هذا الحديث ما يدفع قوله ، ومن طريق النظر أن الخاطئ للماء إذا غلب على أحدِ أوصافه الثلاثة : الطعم ، أو اللون ، أو الرائحة ، كان حكم الماء كحكم الخاطئ له ، فإن كان طاهراً غير مُطهر كان للماء به كذلك ، وإذا كان لا طاهر أو لا مُطهرًا كالنبول كان الماء لخاطئه كذلك ، وإن كان الخاطئ له طاهراً مُطهرًا كالتراب كان للماء طاهراً مُطهرًا ، والمِلح إن كان ماءً جامداً ، فهو في الأصل طاهر مُطهر ، وإن كان معدنياً ترابياً ، فهو كالتراب في مخالطة الماء ، فلا معنى لقول من جعله ناقلاً للماء من حكم الطهارة والتطهير ، ووقع في رواية يونس في السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم اغتسل عام الفتح من جَفَنَةٍ فيها ماء وكافور ، وتَحَمَّلَ هذه الرواية عندي إن صحَّت على أنه قصد بها التطيُّب ، وأنه لم يكن مُحدِّثاً ، ولا بى حَنيفَةٍ في هذه الرواية مُتَمَلِّقٌ لِرِخِيصَةٍ .

من شهداء خبر :

وذكر فيمن استشهد بخبر أبي الضيَّاح بن ثابت ، ولم يُسمِّه ، وقال الطبري : اسمه الثُّعْمَانُ بن ثابت بن الثُّعْمَانِ ، وقال غيره : اسمه عُمَيْرٌ .

وذكر فيمن استشهد : عامر بن الأكوع ، وهو الذي رجع عليه سيفه

فقتله ، فشك الناس فيه ، فقالوا : قتله سلاحه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه جاهدٌ مجاهدٌ ، وقلَّ عَرَبِيٌّ ، مُشَابِهًا مِثْلَهُ ، وفي رواية : مَشَى بِهَا مِثْلَهُ ، ويروى أيضاً : نَشَأَ بِهَا مِثْلَهُ ، كلُّ هَذَا يُرَوَّى فِي الْجَامِعِ الصَّحِيحِ ، وهذا اضطرابٌ من رِوَاةِ الْكِتَابِ ، فمن قال : مَشَى بِهَا مِثْلَهُ وَالْهَاءُ عَائِدَةٌ عَلَى الْمَدِينَةِ ، كما تقول : ليس بين لابَتَيْهَا مِثْلُ فُلَانٍ ، يقال هذا في الْمَدِينَةِ ، وفي الْكُوفَةِ ، ولا يقال في بلد ليس حوله لَا بَتَانٍ ، أَيْ حَرَّتَانِ ، ويجوز أن تكون الهمزة عَائِدَةً عَلَى الْأَرْضِ ، كما قال صِبْغَانَهُ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَِا قَاتَنَ ﴾ الرَّحْمَنُ : ٢٦ .

الحال من النكرة :

ومن رِوَاةٍ مُشَابِهَةٍ مُتَعَدِّلَةٍ مِنَ الشَّيْبَةِ ، فهو حالٌ من عَرَبِيٍّ ، والحال من النكرة لا بأس به إذا دَلَّتْ عَلَى تَصْحِيحِ مَعْنَى مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : فَصَلَّى خَلْفَهُ رَجُلًا نِيَامًا . الْحَالُ هَاهُنَا مُصَحِّحَةٌ لِقِفِّهِ الْحَدِيثِ ، أَيْ : صَلَّوْا فِي هَذِهِ الْحَالِ ، ومن احتج في الْحَالِ مِنَ النَّكْرَةِ بِقَوْلِهِمْ : وَقَعَ أَمْرٌ فَجْأَةً ، فلم يصنع شيئاً ، لأن فَجْأَةً ، ليس حالاً من أمرٍ ، إنما هو حالٌ مِنَ الْوُقُوعِ ، كما تقول : جَاءَنِي رَجُلٌ مَشِيًّا ، فليس مَشِيًّا حالٌ مِنْ رَجُلٍ ، كما توهموا ، وإنما هي حالٌ مِنَ الْجِيءِ . لأن الْحَالِ هِيَ صَاحِبُ الْحَالِ ، وتنقسم أقساماً : حالٌ مِنْ فاعِلٍ كَقَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ مَشِيًّا ، وحالٌ مِنَ الْفِعْلِ ، كَقَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ مَشِيًّا وَرَكْضًا ، وحالٌ مِنَ الْمَفْعُولِ ، كَقَوْلِكَ : جَاءَنِي الْقَوْمُ جَالِيًّا ، فهي صفة للمفعول في وقت وقوع الفعل عليه ، أو صفةُ الْفَاعِلِ في وقت وقوع الفعل منه ، أو صفةُ الْفِعْلِ في وقت وقوعه ونمى بالفعل : المصدر .

حديث الحجاج بن عمرو :

فصل : وذكر حديث الحجاج بن علاط السلمي : وقد ذكرنا في حديث إسلامه خبراً عجيباً اتفق له مع الجن ، وهو والد نصر بن حجاج الذي خلق عمر رأسه ، ونفاه من المدينة لما سمع قول المرأة فيه :

أَلَا سَيْبِلَ إِلَى خَمْرٍ فَأُشْرِبَهَا . أم لا سَيْبِلَ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ

وهذه المرأة هي القريضة بنت همام ، ويقال : إنها أم الحجاج بن يوسف ، ولذلك قال له عمرو بن الزبير : يا ابن المتمرنة^(١) ، وكان من أحسن الناس لمةً ووجهًا ، فأبى الشام ، فنزل على أبي الأعور السلمي ، فمرويته امرأته ، وهواها^(٢) ، وقطن أبو الأمور لذلك بسبب يطول ذكره ، فابتغى له قبلة في أقصى الحى ، فساكن بها ، فاشتد ضناه بالمرأة ، حتى مات كلفاً بها ، وسمى المصطفى وضربت به الأمثال . وذكر الأصبهاني في كتاب الأمثال له خبره بطوله^(٣) .

(١) زعموا أنهما كانا بحضرة عبد الملك بن مروان ، فذكر عروة أخاه عبد الله بن الزبير ، فقال له الحجاج : أعند أمير المؤمنين تكفى أخاك المناق لا أم لك ، فقال له عروة : يا ابن المتمرنة !! إلى تقول هذا لا أم لك ، وأنا ابن عجائز الجنة .

(٢) المعروف في اللغة أن هوى كرضى ، وهو ولاشك خطأ في الطبع أو النقل . وقد ذكرها البغدادى « وهوبها » نقلاً عن الروض .

(٣) سبق الحديث عن قصتهما وذكرنا بعض مراجع قصتهما .

وقوله : الحجاجُ بن عِلَاطٍ ، والعِلَاطُ وَسَمٌ في العنق ، ويقال له : العُلَاطَةُ
أيضاً ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : لا بُدَّ لي أن أقول ، فقال له : قل ،
يعني التَّكْذُوبُ ^(١) ، فأباحه له ، لأنه من خُدَعِ الحرب ، وقال : المُبَرَّد : إنما
صوابه : أُنَقِّول إذا أردت معنى التَّكْذُوب ، وأخذ هذا المعنى حبيب فقال :
بحسبِ امرئٍ أننى عليك بأنه يقول ، وإن أُرَبِّي فلا يَقْتُولُ
أى : يقول الحق إذا مدحك ، وإن أفرط فليس إنراطةً يَقْتُولُ .

تفسير أولى لك :
وذكر غير ابن إسحاق في حديث حجاج أن قريشاً قالت : حين أفلتتمهم :
أولى له ، وهى كلمة معناها : الوعيد ، وفي التنزيل : ﴿ أُولَى لَكَ فَأُولَى ﴾
القيامة : ٣٤ ، فهى على وزن أقتل ، من ولى أى : قد وَلَّيْتُه الشر ، وقال
الفارسي : هى اسمٌ علم ولذلك لم يقصرِف ، وجدت هذا في بعض مسائله ،
ولا تنضجُ لى العَلَمِيَّةُ فى هذه الكلمة ، وإنما هو عندى كلامٌ حُذِفَ منه ،
والتقدير : الذى تصير إليه من الشر أو العقوبة أولى لك ، أى أئرم لك ، أى
إنه يهلك ، وهو أولى لك ، كما قررت منه ، فهو فى موضع رفع ، ولم ينصرف
لأنه وَصِفٌ على وزن أقتل ^(٢) ، وقول الفارسي : هو فى موضع نصبٍ جملة من

- (١) فى قصة الحجاج عند أحمد أنه قال للرسول (ص) : أنا فى حل إن أنا
فك منك ، أو فلت شيئاً ، فأذن له (ص) ، أن يقول ماشاء . .
(٢) بما فى اللسان عنها أنها اسم لدنوت وقاربت . وقال ثعلب : لم يقل
أحد فى أول لك أحسن مما قال الأصمى . وقد قال الأصمى عنها : أولى لك :
قارئك ما تذكره . وانظر مادة أول فيها الكثير عنها .

يُنَابُ تَبَا لَهُ ^(١)، غير أنه جعله علماً لما رآه غير مُنَوَّن .

أُمُّ أَيْمَنَ :

فصل : وذكر شِعْرَ حَسَّانَ فِي ابْنِ أُمِّ أَيْمَنَ ، واسم أبيه عُبَيْدٌ ، واسم أمه أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةُ ، وهي أمُ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، يقال لها : أمُ الطَّالِبِ ، قال الواقدي : اسمها بَرَكَةُ بنتُ ثَمَلَةَ [بن عمرو بن حصن بن مالك بن مسلة بن عمرو بن النعمان] ^(٢) وكانت أُمَّةً لعبدِ الله بن عبدِ المطلب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي ^(٣) ، ويقال : كانت لَأَمِينَةَ بنتِ وَهَبٍ أُمُّ النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي التي هاجرت على قَدَمَيْهَا من مَكَّةَ إلى المدينة ، وليس معها أحد ، وذلك في حَرٍّ شَدِيدٍ ، فَطِشَتْ ، فجمعت حَفِيفاً فوق رأسها ، فالتفتت ، فإذا دُلُوقٌ قد أذَلَّتْ لها من السَّمَاءِ فَشَرِبَتْ مِنْهَا ، فلم تَظْمَأْ أبداً ^(٤) ، وكانت تَتَمَهَّدُ الصَّوْمَ فِي حَاوِرَةِ الْقَيْظِ ، لَتَمَطِّشَ فلا تَغَطِّشُ

(١) تَبَا لَهُ دعاء ، نصب ، لأنه مصدر محمول على فعله كما تقول شقياً لفلان ، معناه : شقي فلان شقياً ، ولم يجعل اسماً مسنداً إلى ما قبله .

(٢) الزيادة في نسب أم أيمن من الإصابة من أول ابن عمرو بن حصن الخ .

(٣) ذكره ابن أبي خيثمة وانظر ترجمتها في الإصابة في الجزء الثامن .

(٤) أخرجه ابن سعد بسنده إلى عثمان بن القاسم يقول : لما هاجرت . . الحديث ، وأخرجه ابن السكن عن طريق هشام بن حسان عن عثمان بن جوه . وقد أخرج البخاري في تاريخه ومسلم وابن السكن أن أم أيمن كانت وصيفةً لعبدِ الله ابن عبدِ المطلب .

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يزورها ، وكان الخليفةان يزورانها بعده ،
وقد روى مثل قصتها عن أم شريك الدوسية (١) أنها عطشت في سفر فلم تجد
ماء إلا عند يهودي ، وأبى أن يسقيها إلا أن تدين بدينه ، فأبت إلا أن تموت
عطشا ، فدلت لها دلو من السماء فشربت ، ثم رقت الدلو ، وهي تنظر ذكر
ظهرها ابن إسحاق في السيرة من غير رواية ابن هشام ، وهو أطول مما ذكرناه

وقول حسان :

وَأَيْمَنُ لَمْ يَحْنَنْ ، وَلَكِنْ مُنَزَّهٌ أَضْرَبَ بِهِ شَرْبُ الْمَدِيدِ الْمَخْمَرِ (٢)

للديد : وقع في الأصل ، وهو معروف ، ولكن ألفت في حاشية الشيخ
عن ابن دريد : المرید براء ، والمريس أيضا ، وهو تمر ينقع ثم يغمس
ولشد :

مُسْتَفَاتٌ تُسْقَى ضَبَايَحَ الْمَرِيدِ

أبو أيوب في مراسلة النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أيوب حين بات بحرسه :
حَرَسَكَ اللَّهُ يَا أَبَا أَيُّوبَ ، كَأَنَّكَ تَحْرُسُ نَبِيَّ .

(١) قصتها وقصة عطش أم أيمن لم يخرجهما غير أصحاب السير ، وأما
المحدثون أصحاب الصحيح والمسانيد والسنن . فلم يخرجوا شيئا من ذلك .
(٢) شرحه أبو ذر الحاشني : بقوله هو الدقيق يخالط مع الماء فتشربه
الخبيل .

قال المؤلف : فخرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة ، حتى إن الروم كَتَحَرُّسَ قَبْرَهُ ، وَبَسْتَسْتَقُونُ بِهِ ، وَيَسْتَصِيحُونُ ^(١) ، وذلك أنه غزا مع يزيد بن معاوية سنة ثنتين ، فلما بلغوا القسطنطينة مات أبو أيوب هناك ، وأوصى يزيد أن يدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم ، فركب المسلمون ، ومشوا به حتى إذا لم يجدوا مدافعا ، دفنوه ، فسألهم الروم عن شأنهم ، فأخبروهم أنه كبير من أكابر الصحابة ، فقالت الروم ليزيد ما أحقك وأحق من أرسلك أن تدفنه بعدك ، فدفنوه في عظامه ، فأقسم لهم يزيد لننقلوا ذلك التهد من كل كنييسة بأرض العرب ، ولندفنن قبورهم ، فحينئذ حلفوا لهم بدينهم ليكره من قبره ، وليحرم منته ما استطاعوا ، فروى ابن القاسم عن مالك ، قال : بلغني أن الروم يستسقون بهير أبي أيوب رحمه الله ، فيسقون ^(٢) .

قسم أموال خيبر وأراضبها

أما قسم غنائمها ، فلا خلاف فيه وفي كل معتم بنص القرآن كما تقدم في غزاة بدر ، وأما أرضها ، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين من حضرها من أهل المدينة ، وأخرج الخمس لله ولرسوله ، والذي للربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقد تقدم الكلام في معنى : لله ولرسوله ، وما معنى بينهم الله ، وسنهم الرسول ، ولولا الخروج عما صمدنا إليه لذكرنا سيرا بديعا وفقها محببا في قوله تعالى : (لله ولرسوله ولذي القربى) باللام ، ولم يقل ذلك في

(١) عمل جهال قلوبهم في أكنة .

(٢) ليس هذا من هدى الإسلام في شيء ، هذا وكان غزو القسطنطينة سنة ٥٥ هـ .

اليتامى والمساكين ، وقال : وللا رسول ، وقال في أول السورة ﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ وقال في آية الفء ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فَقَالَ اللَّهُ وَالرَّسُولُ ﴾ ولم يقل : رسوله ، وكل هذا الحكمة ، وحاشا لله أن يكون حرف من التنزيل خالياً من حكمة . وقال أبو عبيد في كتاب الأموال : قسم النبي صلى الله عليه وسلم أرض خيبر أنلأنا أنلأنا ، الشلاليم والنوطيح والكثييمة ، فإنه تركها لغوائب المسلمين وما يعمروهم ، وفي هذا ما يقوى أن الإمام تحبب في أرض الفتوة إن شاء قسمها أخذاً بقول الله سبحانه : ﴿ واعلموا أنما غنيتهم من شيء ﴾ الآية فيجريها تجرى الغنيمة ، وإن شاء وقفها كما فعل عمر - رضي الله عنه - أخذاً بقول الله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ فاستوعبت آية الفء جميع المسلمين ، ومن يأتي بعدهم ، فسمى آية القرى قيثاً وسكى الأخرى غنيمة ، فذل على افتراقهما في الحكم ، كما افتراقا في الذسمية ، وكما اختلف الفقهاء في هذه المسألة على أقوال منهم : من يرى قسم الأرض كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بتحبيز ، وهو قول الشافعي ، ومنهم من يراها وقفاً على المسلمين لبيت مالهم ، ومنهم من يقول بتخيير الإمام في ذلك ، فكذلك اختلف رأي الصحابة عند افتتاح البلاد ، فكان رأي الزبير القسم ، فكلم عمر بن العاصي حين افتتح مصر في قسمها فكاتب عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكاتب إليه عمر : أن دعها ، ولا تقسمها ، حتى يجاهد منها حبل الحبلة^(١) ، وقد شرحنا هذه الكلمة في

(١) يريد: حتى يغزو منها أولاد الأولاد، ويكون عاماً في الناس والدواب، أى يكثر =

فِي الْمَبْعَثِ قَبْلَ هَذَا بِأَجْزَاءٍ ، وَكَذَلِكَ اسْتَأْمَرَ عُمرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الصَّحَابَةَ فِي قَسَمِ أَرْضِ السَّوَادِ حِينَ افْتَتِحَتْ ، فَكَانَ رَأْيُ عَلِيٍّ مَعَ رَأْيِ عُمرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنْ يَقِفَ ، وَلَا يَقْسِمَ ، وَأَرْضُ السَّوَادِ أَوْلَاهَا مِنْ نُحُومِ الْمُؤَصِّلِ مَدَامَنْعُ لَلَاءٍ إِلَى عِبَادَانٍ مِنَ السَّاحِلِ عَنْ يَسَارِ دِجْلَةٍ ، وَفِي الْعَرَضِ مِنْ جِبَالِ حُلْوَانَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ مُتَّصِلًا بِالْمَذْيَبِ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، كَذَا قَالَ أَبُو عَبِيدٍ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ : دَلَعَ الْبَرُّ إِيَّانَهُ فِي السَّوَادِ ، لِأَنَّ أَرْضَ الْقَادِسِيَّةِ كِاسَانٍ مِنَ الْبَرِّيَّةِ دَاخِلٍ فِي سَوَادِ الْعِرَاقِ ، حَكَاهَا الطَّاهِرِيُّ .

وَلَمَّا سَارَ عُمرُ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ بِالْجَلَابِيَّةِ شَاوِرًا فِيمَا افْتَتَحَ مِنَ الشَّامِ : أَيْقَسِمُهَا ؟ فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ : إِنْ قَسَمْتَهَا لَمْ يَكُنْ لِمَنْ يَأْتِي بِعَدٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَيْءٌ ، أَوْ نَحْوُ هَذَا ، فَأَخَذَ يَقُولُ مُعَاذٌ ، فَالْجَحَّ عَلَيْهِ بِلَالٌ فِي جَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَطَلَبُوا الْقَسَمَ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا ، قَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِإِلَآءٍ وَذَوْبِهِ ، فَلَمْ يَأْتِ الْخُلُوفُ ، وَمِنْهُمْ عَلَى الْأَرْضِ عَيْنٌ تَطْرَفُ ، وَكَانَتِ أَرْضُ الشَّامِ كُلُّهَا عَنْوَةً إِلَّا مَدَائِنَهَا ، فَإِنْ أَهْلُهَا صَالِحُوا أَعْلَاهَا ، وَكَذَلِكَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ فَتَجَمَعُوا عُمرُ صَلَاحًا بَعْدَ أَنْ وَجَّهَ إِلَيْهَا خَالِدُ بْنُ ثَابِتٍ الْقَهْمِيُّ فَطَلَبُوا مِنْهُ الصَّاحِ ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عُمرَ ، وَهُوَ بِالْجَلَابِيَّةِ ، فَقَدَّمَهَا ، وَقَبِلَ صَالِحَ أَهْلِهَا . وَأَرْضُ السَّوَادِ كُلُّهَا عَنْوَةٌ إِلَّا الْخَبِيرَةَ فَإِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ صَالِحَ أَهْلِهَا ، وَكَذَلِكَ أَرْضُ بَانِيَا ^(١)

==المسلمون فيها بالتوالد ، فإذا قسمت لم يكن قد انفرد بها الآباء دون الأولاد ، أو يكون : أريد المنع من القسمة حيث علقه على أمر مجهول النهاية لابن الأثير - (١) هي أرض بالنجف دون المكوفة .

أَيْضاً صُلُحٌ ، وَآخِرَى يُقَالُ لَهَا : الْيَسْ (١) . وَأَرْضُ خُرَّاسَانَ عَقْوَةٌ إِلَّا تَرْمِذَ ،
فَلَهَا قَلْعَةٌ مَنِيْمَةٌ وَقِلَاعٌ سِوَاهَا ، وَأَمَّا أَرْضُ مِصْرَ ، فَكَانَ الْيَتَّى بْنُ سَعْدٍ
قَدْ افْتَنَى بِهَا مَالاً وَعَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ يَحْيَى بْنُ أَبِي بَرٍّ وَمَالِكُ بْنُ
الْأَسْبَغِ ، لِأَنَّ أَرْضَ الْعَقْوَةِ لَا تُشْتَرَى ، وَكَانَ الْيَتَّى يُرَوِّى عَنْ يَزِيدَ بْنِ
أَبِي حَبِيبٍ ، أَنَّهَا فُتِحَتْ صُلُحاً ، وَكَلَّا الْخَبْرَيْنِ حَتَّى لَأَنَّهُمَا فُتِحَتْ صُلُحاً أَوَّلُ ،
ثُمَّ انْتَفَكَّثَتْ بَعْدُ ، فَأُخِذَتْ عَقْوَةٌ ، فَمِنْ هُنَا نَشَأَ الْخِلَافُ فِي أَسْرِهَا ، قَالَ
أَبُو عُيَيْدٍ ، وَقَدْ احْتَجَّ مَنْ قَالَ بِالنَّسَبِ فِي أَرْضِ الْعَقْوَةِ بِأَنْ عُمَرَ لَمْ يَقِفْ
أَرْضَ السَّوَادِ وَغَيْرَهَا حَتَّى اسْتَطَابَ نَفْسَ الْمُفْتَتِحِينَ لَهَا ، وَأَعْطَاهُمْ حَتَّى
أَرْضَاهُمْ ، وَرَوَوْا أَنَّ أُمَّ كُرْزٍ الْبَجَلِيَّةَ سَأَلَتْ سَهْمَ أَبِيهَا فِي أَرْضِ السَّوَادِ ،
وَأَبَتْ أَنْ تَتْرَكَهُ فَيْتَاً ، حَتَّى أَعْطَاهَا عُمَرُ رَاحِلَةً وَقَطِيفَةَ خِرَاءٍ وَثَمَانِينَ دِينَاراً ،
وَكَذَلِكَ رَوَوْا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فِي سَهْمِهِ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ نَحْواً
مِنْ هَذَا ، وَقَالَ مَنْ يَحْتَجُّ لِلْفَرِيقِ الْآخَرِ : إِنَّمَا تَرْضَى عُمَرُ جَريراً ، لِأَنَّهُ كَانَ نَقَلَ
تِلْكَ الْأَرْضَ ، فَكَانَتْ مِلْكَاً لَهُ ، حَتَّى مَاتَ ، وَكَذَلِكَ أُمُّ كُرْزٍ كَانَتْ سَهْمَ
أَبِيهَا نَقْلاً أَيْضاً ، جَاءَتْ بِذَلِكَ كُلُّ الْآثَارِ الثَّابِتَةِ وَاللَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢) .

(١) فِي مَعْجَمِ السِّكْرِيِّ : الْيَسْ بِضَمِّ الِهْمْزَةِ وَتَقْدِيدِ اللَّامِ مَعَ فَتْحِهَا ، وَهِيَ
بِلَدَةٌ بِالْجَزِيرَةِ وَكَذَلِكَ ضَطْبُطٌ فِي الْمُرَاصِدِ ، وَقَالَ : الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ الرُّقْمَةُ بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ وَالْفَرَسِ فِي أَوَّلِ أَرْضِ الْعِرَاقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَادِيَةِ ، وَقِيلَ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْأَنْبَارِ .

(٢) يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ : وَمَنْ تَأَمَّلَ السِّهْرَ وَالْمَخَازِي حَقَّ التَّأَمُّلِ تَبَيَّنَ لَهُ
أَنَّ خَيْرَ مَا لَنَا فَتَحَتْ عَقْوَةً ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — اسْتَوْلَى
حَقّاً أَرْضاً كُلَّهَا بِالسَّهْمِ عَقْوَةً ، ثُمَّ شَاءَ الْأَدْلَةُ عَلَى هَذَا مَا قَالَ : « قَالُوا ابْنَ »

أبونيفر :

وذكر فيمن قسم له يوم خيبر أبا نيفة قسم له خمسين وسقاً ، واسمه :

== الذى لا شك فيه أنها فتحت عنوة ، والإمام عير في أرض العنوة بين قسمها ووقفها ، ووقف البعض ، وقد فعل رسول الله ﷺ ، الأنواع الثلاثة ، فقسم قريظة والنضير ، ولم يقسم مكة ، وقسم شطر خيبر ، وترك شطرها ، وإنما قسمت — أى أرض خيبر — على ألف وثمانمائة سهم ، لأنها كانت طعمة من الله لأهل الحديبية من شهد منهم ، ومن غاب ، ص ٣٢٥ - ٢٠ زاد المعاد .

ويقول — رحمه الله — في مكان آخر : « وقد اختلف الفقهاء في الشيء . هل كان ملكاً لرسول الله ﷺ ، يتصرف فيه كيف يشاء أو لم يكن ملكاً له ؟ على قولين في مذهب أحد وغيره . والذى تدل عليه سنته وهديه أنه كان يتصرف فيه بالامر ، فيضعه حيث أمره الله ، ويقسمه على من أمر يقسمه عليهم ، فلم يكن يتصرف فيه تصرف المالك بشهوته وإرادته ، يعطى من أحب ، ويمنع من أحب ، وإنما كان يتصرف فيه تصرف العبد المأمور بفتح ما أمره به سيده ، ومولاه ، فيعطى من أمر باعطائه ، ويمنع من أمر بمنعه ، وقد صرح ، فقال : والله إنى لا أعطى أحداً ، ولا أمنعه إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت . فكان عطاؤه ومنعه وقسمته بمجرد الأمر ، فإن الله سبحانه خير من أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون ملكاً رسولاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ، والفرق بينهما أن العبد الرسول لا يتصرف إلا بأمر سيده ومرسله ، والملك الرسول له أن يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء كما قال تعالى للملك الرسول سليمان (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) ص : ٣٩ ، أى : أعط من شئت ، وامنع من شئت ، لا نحاسبك ، وهذه المرتبة هى التى عرضت على نبينا ﷺ ، فرغب عنها إلى ما هو أعلى منها ، وهى رتبة العبودية المحضة التى يكون تصرف صاحبها فيها مقصوراً على أمر السيد فى كل دقيق وجليل ، ص ٤٦٧ - ٤٠ زاد المعاد .

عَلَمَةَ بْنِ الْمُطَلِّبِ ، ويقال : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَمَةَ ، وقال أبو عمر : هو مجهول ، وقال ابن الفَرَضِيِّ : أَبُو نَبِيَّةَ بْنُ الْمُطَلِّبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، واسم أبي نَبِيَّةَ : عَبْدُ اللَّهِ ، ومن ولده : محمد بن الفَلَاءِ بن الحُسَيْنِ بن عبدِ اللَّهِ بن أبي نَبِيَّةَ ، ومن ولده : أبو الحسين الْمُطَلِّبِيُّ إمامُ مسجدِ رسولِ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبدِ اللَّهِ بن الحسين بن الفَلَاءِ بن النُّفَيْرَةِ بن أبي نَبِيَّةَ بْنِ الْمُطَلِّبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ .

أُمُّ الْحَكَمِ :

وذكر فيهم أم الحكم ، وهي بنت الزُّبَيْرِ بن عبدِ الْمُطَلِّبِ أختُ ضَبَاعَةَ ، هكذا قال : أم الحكم ، والمعروف فيها أنها أم حَكِيمٍ ، وكانت تحت رَبِيعَةَ ابْنِ الْحَارِثِ ، وأما أمُ حَكَمٍ فهي بنتُ أبي شَفِيانٍ ، وهي من مَسْلُةِ الْفَتْحِ ، ولولا ذلك لقلت : إن ابنَ إِسْحَاقٍ إِيَّاهَا أراد ، لكنها لم تشهد خَيْبَرَ ، ولا كانت أسلمت بعد .

أُمُّ رَمْثَةَ وَغَيْرُهَا :

وذكر فيمن قسم له أمُ رَمْثَةَ ^(١) ، ولا تُعرف إلا بهذا الخبر ، وشهودها فَتْحُ خَيْبَرَ .

(١) ذكرها ابن سعد ، وزاد مع التمر خمسة أوسق من الشعير ، ونسبها ، فقال : أم رَمْثَةَ بنتُ عمرو بن هاشم بن الْمُطَلِّبِ : بن عبدِ مَنَافٍ ، ويقال أم رَمِثَةَ بالتصغير أسلمت وبايعت . وهي والدة حَكِيمٍ والدة الْقَعْقَاعِ ، وذكرها فيمن بايع النبي ﷺ من المهاجرات . الإصابة .

وذكر بُحَيِّنة بنت الحارث . وُبُحَيِّنةُ تصغير: بُحَيَّةٌ ، وهي نخلة معروفة ، قاله أبو حنيفة ، ولفظها من البَحْوَنَةِ ، وهي جَلَّةُ التَّمَرِ ، وهي أمُّ عَبْدِ اللَّهِ بنِ بُحَيِّنة الفقيه ، وهو ابنُ مالك بن القُشْبِ الأزدِي .

القسم للنساء من المقم :

وفي قسمه لهؤلاء النساء حُجَّةُ الأوزاعي لقوله : إن النساء يُقَسَّمُ لهنَّ مع الرجال في المأزى ، وأكثرُ الفقهاء لا يرون للنساء مع الرجال قسماً ، ولكن يرضخُ لهن من المَنَسَمِ أخذاً بحديث أمِّ عَطِيَّةَ قالت : كنا نغزو مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فنداوى الجرحى ، ونمرض المرضى ويرضخُ لنا من المَنَسَمِ (١) .

المخالف والمعاذ :

فصل : وذكر قدوم أصحاب السفينة من أرض الحبشة ، وفيهم جعفر بن أبي طالب ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم التزمه وقَبِلَ بين عيتيه (٢) ، وقد

(١) الرضخ : العطية القليلة ، وفي حديث عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغزو بالنساء ، فيداوين الجرحى ، ويحذين من الغنيمه ، وأما يسهم ألم يضرب لهن ، أحد ومسلم وأبو داود والترمذى وصححه . ويحذين : يعطين ولذا قال الترمذى : إنه لا يسهم لهن عند أكثر أهل العلم ، وهو قول سفيان الثوري والشافعي . وقال الخطابي عن قول الأوزاعي : أحسبه ذهب إلى حديث حشر ابن زياد ، وإسناده ضعيف لا تقوم به حجة .

(٢) روى قصة أصحاب السفينة البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى مع اختلاف يسير وليس في روايته الالتزام والتقبيل ولكنهما في رواية البيهقي .

أُحْتَجَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ الثَّوْرِيُّ عَلَى مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ فِي جَوَازِ الْعَمَّا نَقَةٍ ، وَذَهَبَ
مَالِكٌ إِلَى أَنَّهُ خُصُوصٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُسْقِيَانُ مِنْ
تَحْلِ الْحَدِيثِ عَلَى عُمُومِهِ أَظْهَرُ ، وَقَدْ اتَّزَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ بْنَ
حَارِثَةَ ، حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ . وَأَمَّا لِلصَّافَةِ بِالْيَدِ عِنْدَ السَّلَامِ فِيهَا أَحَادِيثُ
مِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَمَامُ تَحْيِيَّتِكُمُ الْمَصَافَةَ ، وَمِنْهَا حَدِيثُ آخَرُ أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ
حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ صَافَحُوا النَّاسَ بِالسَّلَامِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ
أَهْلَ الْيَمَنِ قَدَسْتُمْ لَكُمْ الْمَصَافَةُ ، ثُمَّ نَدَبَ إِلَيْهَا بِلَفْظٍ لَا أَذْكُرُهُ الْآنَ غَيْرَ أَنَّ
مَعْنَاهُ : تَنْزِلُ عَلَيْهَا مِائَةُ رَحْمَةٍ تَسْمُونَ مِنْهَا لِلْبَادِي^(١) ، وَعَنْ مَالِكٍ فِيهَا
رَوَايَتَانِ : الْإِبَاحَةُ وَالْكِرَاهَةُ ، وَلَا أَدْرِي مَا وَجَّهَ الْكِرَاهِيَةَ فِي ذَلِكَ .

(١) رَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ فِيهِ نَظَرٌ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،
« إِنْ الْمُسْلِمِينَ إِذَا التَّمِيَا ، فَتَصَافَحُوا ؛ وَتَسَاءَلُوا أَنْزَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا مِائَةَ رَحْمَةٍ تَسْعَةُ
وَتِسْعِينَ لَا يَشْعُرُهَا وَأَطْلَقَهُمَا وَجْهًا ، وَأَبْرَهُمَا ، وَأَحْسَنَهُمَا مَسْأَلَةً بِأَخِيهِ ، وَرَوَى الْبُزَارِيُّ
بِسَنَدِهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِذَا التَّقَى الرَّجُلَانِ الْمُسْلِمَانِ فَلَمْ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ،
فَإِنْ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ أَحْسَنَهُمَا بَشَرًا لِصَاحِبِهِ ، فَإِذَا تَصَافَحَا نَزَلَتْ عَلَيْهِمَا مِائَةُ رَحْمَةٍ
لِلْبَادِي مِنْهَا تَسْعُونَ ، وَلِلصَّافِحِ عَشْرَةٌ . وَفِي الْمَصَافَةِ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ
عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : « قَالَ لَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَكَانَتْ الْمَصَافَةُ فِي أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى أَنَسٍ قَالَ : « كَانَ
أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ ، إِذَا تَلَاقَوْا تَصَافَحُوا ، وَإِذَا قَدِمُوا مِنْ سَفَرٍ تَعَانَقُوا ،

ولد جعفر والنجاشي :

وكان جعفر قد وُلِدَ له بَارِضُ الْحَبَشَةِ مُحَمَّدٌ وَعَوْنٌ وَعَبْدُ اللَّهِ ، وكان النَّجَاشِيُّ قد وُلِدَ له مولودٌ يوم وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى جَعْفَرٍ يَسْأَلُهُ : كَيْفَ أَسْمَيْتَ ابْنَكَ ؟ فَقَالَ : أَسْمَيْتُهُ عَبْدَ اللَّهِ ، فَسَمِيَ النَّجَاشِيُّ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَرْضَعْتَهُ أَسْمَاءَ بِنْتُ عُثَيْسٍ امْرَأَةَ جَعْفَرٍ مَعَ ابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَكَانَا يَقْوَا صِلَانِ بَنَاتِكَ الْأَخَوَاتِ .

قَبْطُ أَجْنَادَيْنِ :

وذكر عمرو بن سعيد ، وأنه استشهد بأَجْنَادَيْنِ ، هَكَذَا تَقِيدُ فِي الْأَصْلِ بِكَسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِ أَوَّلِهِ ، وَكَذَا سَمِعْتُ الشَّيْخَ الْحَافِظَ أَبَا بَكْرٍ يَنْطِقُ بِهِ ، وَقِيدَانَهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ طَاهِرٍ عَنْ أَبِي حَلِيٍّ النَّسَائِيِّ : أَجْنَادَيْنِ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَفَتْحِ الدَّالِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّبْكُرِيُّ فِي كِتَابِ مُعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ : أَجْنَادَيْنِ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ ، وَفَتْحِ الدَّالِ ، وَقَالَ كَأَنَّهُ تَنْثِيَةُ أَجْنَادٍ .

القَادِسِيَّةُ وَيَوْمُ التَّهْرِيرِ :

وذكر عمرو بن عثمان التَّمِيمِيُّ ، وأنه قُتِلَ بِالْقَادِسِيَّةِ مَعَ سَمْعَانَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَالْقَادِسِيَّةُ آخِرُ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَأَوَّلُ أَرْضِ السَّوَادِ ، وَفِي أَيَّامِهَا قُتِلَ رُسُومُ مَلِكِ الْقُرَيْشِ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهَا يُسَمَّى يَوْمُ التَّهْرِيرِ ، وَكَانَ قَدْ أَقْبَلَ بِالْفِيلَةِ ، وَجَمْعٌ لَمْ يُسَمَّعْ بِمَثَلِهَا ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي عَدَدٍ دُونَ الْمِائَةِ مِنْ عَدَدِ الْحُجُوسِ ،

فكان الظفرُ للمسلمين ، وكان الأمير عليهم سَمَدَ بن أبي وقَّاص ، وخَبَرُها طویلٌ -
يشتمل على أعاجيبٍ من فَتَحَ اللهُ تعالى على هذه الأمة استقصاها سَمَفُ بنُ عُمَرَ
في كتاب الفتوح ، ثم الطبری بعده ، وسميت القادِسيَّةُ بِرجُلٍ من الهَرَاقِ ،
وكان كِسْرَى قد أسكنها بها اسمُهُ : قَادِس ، وقيل : سميت بقوم نزلوها من
قَادِس ، وقَادِسُ بَحْرُ اسَآن ، وأما القادِسُ في لغة العرب ، فمن أسماء السفينة ^(١) .

عن بعض القادِسيين من الحبشة :

فصل : وذكر فيمن قدم من أرض الحبشة هِشَامَ بن أبي حُدَيْفَةَ بن
الْمُهَيْبَةِ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسم أبي حُدَيْفَةَ مُهَشَّم ، وذكر

(١) ما ذكره عن قَادِس أخذته عن البكري ، وقد بدأ أمر القادِسية - كما
روى الطبري - في السنة الرابعة عشرة من الهجرة وقيل سنة ١٦ ، في عهد عمر
وقد زحف فيها رستم القائد بستين ألفاً وقيل ١٢٠ ألفاً ، وكان المسلمون اثنتي
عشر ألفاً أو عشرة آلاف ، وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً وقيل : ثلاثون .
وسميت ليلة الهرير باسمها هذا ؛ لأن المقاتلين اجتلدوا في تلك الليلة من أوطا
حتى الصباح لا ينطقون كلامهم الهرير . وقد قتل فيها من المسلمين قرابة نصفهم ،
وحطم جيش كسرى وقتل رستم ، واقتحم المسلمون القادِسية صدر النهار - الذي
أعقب ليلة الهرير ، وقد أتت الصلاة وقد أصيب المأذون فتشاح الناس في الأذان
حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف فأفرج سعد بينهم ، فخرج سهم رجل . فأذن ،
وقيل - كما روى الواقدي - كان قتال القادِسية الخميس والجمعة وليلة السبت ، وهي
ليلة الهرير . انظر الطبري ج ٣ ص ٤٨٠ إلى ص ٥٩٧ وانظر فتوح البلدان
ص ٢٦٨ . إن قوماً يكادون يجتلدون بالسيوف من أجل الأذان . ولا ينسون
الصلاة لإيد أن ينتصروا لله لهم .

الواقدي هَشَامًا. هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قال فيه : هاشم ، ولم يذكره
مُوسَى بن عُمَيْقَةَ ، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة .

وذكر فيمن قدم من الحبشة عبد الله بن حُذَافَةَ ، وأنه الذي أرسله النبي
صلى الله عليه وسلم إلى كِسْرَى .

وذكر أيضاً سَلِيط بن عمرو ، وأنه كان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه
وسلم إلى هَوْدَةَ بن علي الحَذَنِيِّ صاحبِ اليمامة .

فأما كِسْرَى فهو أَبْرَوَيْز بن هُرْمُز بن أُنُوشَرَوَان ، وَمَعْنَى أَبْرَوَيْزَ
الظفر فيما ذكر السعدي ، وهو الذي كان غلب الروم ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ فِي قِصَّتِهِمْ :
﴿ أَلَمْ نَغْلِبِ الرُّومَ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ وَأَدْنَى الْأَرْضِ هِيَ بَصْرَى وَفِلَسْطِينَ ،
وَأَذْرَعَاتُ^(١) مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، قَالَ الطَّبْرِيُّ

منه رسل النبي إلى الملوك والرؤساء :

وذكر أبو رِفَاعَةَ وَثِيئَةُ بن موسى بن القُرَاطِ ، قال : قَدِمَ عَبْدُ اللهِ بن
حُذَافَةَ عَلَى كِسْرَى قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْفُرْسِ إِنَّكُمْ عِشْتُمْ بِأَحْلَامِكُمْ لَعْدَةً أَيَّامَكُمْ بِغَيْرِ
نَبِيٍّ ، وَلَا كِتَابٍ ، وَلَا تَمْلِكُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا مَا فِي يَدَيْكُمْ ، وَمَا لَا تَمْلِكُ مِنْهَا
أَكْثَرُ ، وَقَدْ مَلَكَ قَبْلَكُمْ مُلُوكُ أَهْلِ دُنْيَا وَأَهْلُ آخِرَةِ ، فَاتَّخَذَ أَهْلُ الْآخِرَةِ

(١) تقرأ هكذا : ألف لام ميم .

(٢) قال الخليل : هي منسوبة إلى أذرع مكان أيضاً . قال : ومن كسر الألف

لم يعرفها ، ومن فتحها عرفها .

بخطهم من الدنيا ، وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة ، فاختلفوا في سمي الدنيا ، واستموا في عدل الآخرة ، وقد صغر هذا الأمر عندك أنّا أتيناك به ، وقد والله جاءك من حيث خفت ، وما تصغيرك إياه بالذى يدفعه عنك ، ولا تكذيبك به بالذى يخرجك منه ، وفي وقعة ذى قار على ذلك دليل ، فأخذ الكتاب فمرّقه ، ثم قال لى ملك هنى : لا أخشى أن أغلب عليه ، ولا أشارك فيه ، وقد ملك فرعون بنى إسرائيل ، ولستم بخير منهم ، فإنا نعلم أن أملاككم ، وأنا خير منه ، فأما هذا الملك ، فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب ، وأنتم أولئك تشبع بطونكم ، وتانى عيونكم ، فأما وقعة ذى قار ، فهي برقة الشام . فانصرف عنه عبد الله . وإنما خص النبى - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن خذافة بإرساله إلى كسرى ، لأنه كان يتردد عليهم كثيراً ويختلف إلى بلادهم ، وكذلك سليط بن عمر وكان يختلف إلى اليمامة ، قال وثيمة : لما قدم سليط بن عمرو العامري على هوذة ، وكان كسرى قد توجه ، قال : يا هوذة إنك سودتك^(١) أعظم حائلة ، وأرواح في النار ، وإما السيد من منع بالإيمان ثم زود التقوى ، وإن قوماً سجدوا برأيك فلا تشق به ، وإني آمرك بخير ما أموره ، وأنهاك عن شر منهي عنه ، آمرك بعبادة الله ، وأنهاك عن عبادة الشيطان ، فإن في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار ، فإن قبلت نلت ما رجوت ، وأمنت ما خفت ، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الخطاء ، وهول المطلع^(٢) ، فقال هوذة : يا سليط سودتني من لو سودك شرفت به ، وقد

(١) في الأصل : لأنه سودت : والتصويب من المواب ص ٣٥٥ - ٣٦

(٢) في الأصل : وهو المطلع ، والتصويب من المرجع السابق .

كان لي رأي أخبر به الأمور ، فقدتته فوضعه من قلبي هواء ، فأجمل لي
فُسْحَةً يرجع إلى رأيي ، فأجيبك به إن شاء الله . قال : ومن شِعْرِ عَبْدِ اللَّهِ
ابن حُذَافَةَ في رسالته إلى كسرى وقدمه عليه :

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ كَيْتَرَى فَرِيضَةً لَأَوَّلِ دَائِجٍ بِالْعِرَاقِ مُحَمَّدًا
تَقَازَفَ فِي فُحْشِ الْجَوَابِ مُصَفَّرًا لِأَمْرِ الْعَرِيبِ انْتِلَاضِينَ لَهُ الرَّدَى
فَقُلْتُ لَهُ : أَرْوِدُ ، فَإِنَّكَ دَاخِلٌ مِنْ الْيَوْمِ فِي الْبَلَوِ وَمَنْهَبٌ غَدَا
فَأَقْبِلْ وَأَذِيرْ حَيْثُ شِئْتَ ، فَإِنَّا لِنَا الْمُلْكَ قَابِضُ الْمَسْأَلَةِ الْيَدَا
وإِلَّا فَأَمْسِكَ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ أَقَرَّ يَذُلُّ الْخُرُجَ أَوْمَتْ مَوْحِدَا
سَفِهَتْ بِتَعَزُّزِ بَقِي الْكِتَابِ ، وَهَذِهِ بِتَعَزُّزِ بَقِي الْمُلْكِ الْفُرْسِ يَكْفِي مَبْدَا

وقال هُوَذَةُ بْنُ عُلَى فِي شَأْنِ سَلِيطَ :

أَتَانِي سَلِيطٌ وَالْحَوَادِثُ بَجَّةً فَقُلْتُ لَهُمْ : مَاذَا يَقُولُ سَلِيطُ ؟
فَقَالَ الَّتِي فِيهَا عَلَيٌّ غَضَاضَةٌ وَفِيهَا رَجُلٌ مُطْعَمٌ وَقُنُوطُ
فَقُلْتُ لَهُ : غَابَ إِلَهِي كُنْتُ أَجْتَلِي بِهِ الْأَمْرَ عَنِ الْفَلْصُودِ هُبُوطُ
وَقَدْ كَانَ لِي وَاللَّهِ بِالْعِزِّ أَمْرُهُ أَيْهَا النَّضْرِ جَاشٌ فِي الْأُمُورِ رَيْبُ
فَأَذْهَبَ خَوْفُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَهُوَ ذُو فَهٍ فِي الرِّجَالِ سَقِيطُ
فَأَجْعُ أَمْرِي مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كَأَنِّي رَدُودٌ لِلنَّبَالِ لَقِيطُ
فَأَذْهَبَ ذَلِكَ الرَّأْيَ إِذَا قَالَ قَاتِلُ أَنْتَكَ رَسُولٌ لِلنَّبِيِّ خَبِيطُ
رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ رَاكِبٌ نَاضِحٌ عَلَيْهِ مِنْ أَوْبَارِ الْحِجَازِ غَبِيطُ

سَكَرَتْ وَدَبَّتْ فِي الْمَفَارِقِ وَسَنَّةٌ لَهَا نَفْسٌ عَلَى الْفَوَادِ غَطِيطٌ
أَحَازِرُ مِنْهُ سَوْرَةٌ هَاشِمِيَّةٌ فَوَارِسُهَا وَسَطُ الرُّجَالِ عَبِيطٌ
فَلَا تَعْجَلْنِي يَا سَلِيطُ فَإِنَّا نَبَادِرُ أَمْرًا وَالْقَضَاءُ مُحِيطٌ

وسند ذكر بقية إرسال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ، وما قالوا ،
وما قيل لهم فيما بعد إن شاء الله .

حديث النوم عن الصلاة :

وذكر حديث نوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة مقفله من
خير ، وهذه الرواية أصح من قول من قال : كان ذلك في غزاة حنين ، ومن
قال في روايته للحديث كان ذلك عام الحديبية ، فليس ذلك بمخالف للرواية
الأولى ، وأما رواية ابن إسحاق للحديث عن الزهري عن سعيد بن المسيب
مرسلاً ، فمكذوب رواه مالك وأكثر أصحاب الزهري ، ورواه عنه صالح
ابن أبي الأخضر ، وقال فيه عن أبي هريرة : قاله الترمذي ، وقال أبو داود :
قد رواه أيضاً عن الزهري مسنداً يونس بن يزيد ومعمّر عن طريق أبان
القطار عن معمّر عنه ، وكذلك رواه الأوزاعي مسنداً أيضاً ، وذكر فيه
هو وأبان القطار أنه أذن ، وأقام في تلك الصلاة حين خرج من الوادي ^(١) ،
ولم يذكر الأذان من رواية الحديث إلا قليل .

(١) حديث توكيل بلال بالفجر رواه مسلم أيضاً وابن ماجه . وقد روى
قصة النوم عن صلاة الصبح عمران بن حصين ولم يذكر في أي غزوة كانت ، ولم
يوقت منها . وروى مالك عن زيد بن أسلم أن ذلك كان بطريق مكة وهذا مرسل ،
وقيل إنها كانت في غزوة تبوك . وقيل إن الحارث في قصة النوم كان ابن مسعود .

تتم بعمود الله
الجزء السادس، ويليه الجزء السابع
ان شاء الله تعالى
وأوله : (عمرة القضاء)

تصحيح الكتاب

انتُدِبتُ للتدريس في قسم الدراسات الإسلامية بالكلية الشريعة بمكة
للكرمة ، فتولى تصحيح الكتاب الأخ الفاضل محمود غانم غيث ، فله جزيل
شكري على مجهوده السخي للكریم ؟

عبد الرحمن الوكيل

الجزء السادس من الروض الأتق

٥	مقدمة الجزء السادس	١٥	هند وتمثيلها بحمزة د ش ،
٧	قتل الرسول لأبي بن خلف د س ، (١)	١٦	شعر هند بنت أناة في الرد على
٨	شعر حسان في مقتل أبي بن		هند بنت عتبة د س ،
	خلف د س ،	١٦	شعر هند بنت عتبة أيضاً د س ،
٨	اتهاء الرسول إلى الشعب د س ،	١٦	نحر رض عمر الحسان على مجو
٩	حرص ابن أبي وقاص على قتل		هند بنت عتبة د س ،
	عتبة د س ،	١٧	استنكار الحليس على أبي سفيان
٩	صعود قريش الجبل وقتال همر		تمثيله بحمزة د س ،
	لهم د س ،	١٧	شجاعة أبي سفيان بالمسلمين بعد
٩	ضمف الرسول عن النهوض		أحمد وحديثه مع همر د س ،
	ومعارضة طلحة له د س ،	١٨	توعد أبي سفيان المسلمين د س ،
١٠	صلاة الرسول قاعداً د س ،	١٨	خروج علي في أنار
١٠	مقتل الحبان وابن وقش د س ،		المشركين د س ،
١١	مقتل حاطب ومقالة أبيه د س ،	١٩	أمر القتل بأحد د س ،
١٢	مقتل قزمان منافقاً كما حدث	٢٠	حزن الرسول على حمزة وتوعد
	الرسول بذلك د س ،		المشركين بالمثل د س ،
١٢	قتل مخيريق د س ،	٢١	ما نزل في النهي عن المثلة د س ،
١٢	أمر الحارث بن سويد د س ،	٢١	صلاة الرسول على حمزة
١٣	تحقيق ابن هشام فيمن قتل		والقتل د س ،
	المجنون د س ،	٢١	صفية وحزنها على حمزة د س ،
١٤	أمر أصبرم د س ،	٢٢	دفن عبد الله بن جحش مع
١٤	مقتل عمرو بن الجحوح د س ،		حمزة د س ،

(١) «س» رمز عن السيرة . و «ن . ل» رمز عن النحو واللغة . و «ش» رمز عن الشعر . أما الروض فيدون رمز .

٢٢	دفن الشهداء (من)	٣٦	حول بعض رجال أحد
٢٣	حزن حنة على حمزة (من)	٣٦	ابن الجرح
٢٤	بكاء نساء الأنصار على	٣٧	حكم (من) والساكن بعدها
٢٤	حمزة (من)	٣٧	منه إلى
٢٤	شأن المرأة الدينية (من)	٣٧	للكاح ولحكم (من) ل
٢٥	غسل السبوق (من)	٤٠	الرسول يسأل عن ابن الربيع
٢٥	خروج الرسول إلى أمة العنوة	٤٠	حميد الطويل وطلحة الطلحات
٢٥	لحمية (من)	٤١	أحاديث المثة والنهي عنها (من)
٢٧	مثل استئانة مع المسلمين في نصرة	٤٢	الصلاة على الشهداء
٢٧	رسول الرسول (من)	٤٤	عبد الله بن جعفر المذبح
٢٧	استعمال ابن أم مكتوم على المدينة	٤٦	حديث عمر وأبي سفيان
٢٧	من (من)	٤٧	حديث عذريق وأول وقف
٢٨	شأن معبد الخواص (من)	٤٨	في الإسلام
٢٩	رسالة أبي سفيان إلى الرسول	٤٨	غزوة حراء الأسد
٢٩	على لسان ركب (من)	٥٠	أبو عزة الجصني
٢٩	كف صفوان لابي سفيان عن	٥١	قول لعبد الله بن أبي
٢٩	معاودة الكربة (من)	٥٢	ذكر ما نزل الله في أحد من
٣٠	مقتل أبي عزة ومعاوية	٥٢	القرآن (من)
٣٠	ابن المغيرة (من)	٥٣	تفسير ابن هشام لبعض
٣٠	مقتل معاوية بن المغيرة (من)	٥٥	الغريب (من)
٣١	شأن عبد الله بن أبي بعد	٥٥	النهي عن الربا (من)
٣١	ذلك (من)	٥٦	الحض على الطاعة (من)
٣١	كان يوم أحد محنة (من)	٥٧	ذكر ما أصابهم وتمزجهم
٣٢	قتل الرسول لابي بن خلف	٥٨	عنه (من)
٣٢	حول عين قتادة	٥٨	دعوة الجنة للجهاديين (من)
٣٤	حول نسب حذيفة اليماني	٥٩	ذكره أن الموت بأذن الله
٣٥	الهامة والظما		

ص	ص
٧٣ من رائج «س»	٥٩ ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء «س» .
٧٤ من بني ظفر «س»	٦٠ تفسير ابن هشام لبعض الفريب «س» .
٧٤ من بني ضبيعة «س»	٦١ تحذيره لإمام من إطاعة الكفار «س» .
٧٤ من بني عبيد «س»	٦٣ تأنيبه لإمام لفرارهم عن نبيهم «س» .
٧٤ من بني السلم «س»	٦٤ تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت في الله «س» .
٧٥ من بني العجلان «س»	٦٥ ذكره رحمة الرسول عليهم «س»
٧٥ من بني معاوية «س»	٦٦ ما نزل في الغلول «س»
٧٥ من بني النجار «س»	٦٦ فضل الله على الناس بيعة الرسول «س» .
٧٥ من بني مبدول «س»	٦٧ ذكره المصيبة التي أصابتهم «س»
٧٥ من بني عمرو «س»	٦٨ الترغيب في الجهاد «س»
٧٦ من بني عدى «س»	٦٩ مصير قتلى أحد «س»
٧٦ من بني مازن «س»	٧١ ذكر من خرجوا على الرسول إلى حرام الأسد «س» .
٧٦ من بني دينار «س»	٧٢ ذكر من استشهدوا بأحد من المهاجرين «س» .
٧٦ من بني الحارث «س»	٧٣ من بني هاشم «س»
٧٦ من بني الأبحر «س»	٧٣ من بني أمية «س»
٧٧ من بني ساعدة «س»	٧٣ من بني عبد الدار «س»
٧٧ من بني طريف «س»	٧٢ من بني غزوم «س»
٧٧ من بني عوف «س»	٧٣ من الأنصار «س»
٧٨ من بني الحبلي «س»	
٧٨ من بني سلة «س»	
٧٨ من بني سواد «س»	
٧٨ من بني زريق «س»	
٧٩ عدد الشهداء «س»	
٧٩ من بني معاوية «س»	
٧٩ من بني خطمة «س»	
٧٩ من بني الخزرج «س»	

ص	ص
١٠١ شعر كعب في الرد على هبيرة «دس»	٧٩ من بني عمرو «دس»
١٠٤ شعر لابن الزبيري «دس»	٧٩ من بني سالم «دس»
١٠٥ رد حسان على ابن الزبيري «دس»	٨٠ ذكر من قتل من المشركين يوم
١٠٦ شعر كعب في بكاء حمزة وقتلى	أحد «دس»
أحد «دس»	٨٠ من بني عبد الدار «دس»
١٠٧ شعر ضرار في الرد على كعب	٨١ من بني أسد «دس»
«دس»	٨١ من بني زهرة «دس»
١٠٨ شعر ابن الزبيري في يوم أحد «دس»	٨١ من بني مخزوم «دس»
١٠٩ شعر حسان في الرد على ابن	٨١ من بني جهم «دس»
الزبيري «دس»	٨٢ من بني عامر «دس»
١١١ شعر عمرو بن العاص في يوم	٨٢ عدد قتلى المشركين «دس»
أحد «دس»	٨٢ تفسير ما نزل من القرآن في أحد
١١١ شعر كعب في الرد على ابن العاص	٨٣ معنى اتخذ «دس»
١١٢ شعر ضرار في يوم أحد «دس»	٨٤ أدلة على صحة خلافة أبي بكر
١١٣ شعر عمرو في يوم أحد «دس»	٨٥ ريتون ورفعها في الآية «دس»
١١٤ شعر كعب في الرد على عمير بن	٨٦ من تفسير آيات أحد
العاصي «دس»	٨٧ حكم القتل
١١٥ شعر حسان في أصحاب اللواء «دس»	٨٩ الشهادة والشهداء
١١٧ شعر حسان في قتلى يوم أحد «دس»	٩٣ أرواح الشهداء «دس»
١٢٠ شعر حسان في بكاء حمزة «دس»	٩٧ لغفال ابن إسحاق نسب عبيد
١٢١ شعر كعب في بكاء حمزة «دس»	ابن النيمان
١٢٣ شعر كعب في أحد «دس»	٩٨ أبو حنة أو حبة
١٢٥ شعر ابن رواحة في بكاء حمزة	٩٩ ذكر ما قيل من الشعر يوم
«دس»	أحد «دس»
١٢٦ شعر كعب في أحد «دس»	٩٩ شعر هبيرة «دس»
١٢٧ شعر ضرار في أحد «دس»	١٠٠ شعر حسان في الرد على هبيرة «دس»

ص	ص
١٥١ شعر حسان اللامي	١٢٨ رجز أبي زعنة يوم أحد «س»
١٥١ ترك تنوين العلم للضرورة	١٢٨ رجز ينسب لعل في يوم أحد «س»
«ن. ل.»	١٢٩ رجز عكرمة في يوم أحد «س»
١٥٢ شعر كعب	١٢٩ شعر الأعشى التميمي في بكاء
١٥٢ قصيدة كعب الزائية	قتلى بني عبد الدار يوم أحد «س»
١٥٣ نونية كعب	١٣٠ شعر جفينة في بكاء حمزة «س»
٢٥٩ شعر خمرار	١٣١ شعر نعيم في بكاء شماس «س»
١٦٠ رجز عكرمة	١٣١ شعر أبي الحكم في تمزية نعيم «س»
١٦٠ شعر نعيم	١٢٢ شعر هند بعد عوفتها من أحد «س»
١٦٠ شعر كعب اللامي	١٢٢ شرح ما وقع في هذه الفزوة من
١٦٢ ذكر يوم الرجيع «س»	الأشعار
١٦٢ في سنة ثلاث مقتل خبيب	١٣٣ حول جمع ندى وأجلاء الشهور
وأصحابه «س»	«ن. ل.»
١٦٣ نسب عطل والقلوة «س»	١٢٥ شرح شعر كعب
١٦٤ مقتسل عرثا وابن البكير	١٣٧ إفراد الجاهلية بالتقدير
وعاصم «س»	١٣٨ شعر حسان يرد به علي ابن الزبير
١٦٤ حاية الذر لعاصم «س»	١٣٩ متى يضر حذف حرف الجر ؟
١٦٥ مصرع خبيب وأبو طارق وابن	«ن. ل.»
الدثنة «س»	١٤٠ عود إلى شعر حسان
١٦٦ مثل من وفاء ابن الدثنة	١٤٠ شعر كعب بن مالك
للرسول «س»	١٤٢ من شعر حسان
١٦٦ مقتل خبيب وحديث	١٤٠ شعر كعب بن مالك
دعوته «س»	١٤٣ في شعر عمرو بن العاص
١٦٨ ما نزل في سرية الرجيع من	١٤٤ شعر كعب
القرآن «س»	١٤٥ أجود ما قال حسان
	١٤٧ شعر ابن حلاط
	١٤٨ شعر حسان الحافي

ص	ص
١٨١ مقتل ابن ورقاء وورثاء ابن رواحة له «س»	١٦٩ تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»
١٨٢ شعر حسان في بكاء قتلى بئر معونة «س»	١٧٠ تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»
١٨٣ شعر كعب في يوم بئر معونة «س»	١٧٠ شعر خبيب حين أريد صلبه «س»
١٨٣ نسب القرطاء «س»	١٧١ شعر حسان في بكاء خبيب «س»
١٨٣ مقتل خبيب وأصحابه	١٧٢ من اجتمعوا لقتل خبيب «س»
١٨٩ ذكر قصة عاصم	١٧٣ شعر حسان في هجاء هذيل لقتلهم خبيلاً «س»
١٩٠ مقتل حجر بن عدى	١٧٦ شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه «س»
١٩١ لقاء طائفة ومعاوية «س»	١٧٧ حديث بئر معونة «س»
١٩٢ لم صارت صلاة خبيب سنة ؟	١٧٧ سبب لإرسال بعث بئر معونة «س»
١٩٣ ما أنزل الله من القرآن في حق خبيب وأصحابه	١٧٧ رجال البعث «س»
١٩٧ عدس في شعر حسان في خبيب	١٧٨ عامر يقتل صحابياً «س»
١٩٧ دعوة خبيب على قاتليه	١٧٩ قتل العامريين «س»
١٩٨ ابن كريمة في شعر حسان	١٨٠ كراهية الرسول عمل أبي براء «س»
١٩٩ حول العلم ومنعه من التتوين مع الخفض «ن.ل.»	١٨٠ ابن فهيرة والسماء «س»
٢٠٠ اشتقاق اسم خبيب وهذيل «ن.ل.»	١٨٠ سبب إسلام ابن سلمى «س»
٢٠١ سالت بدون همزة «ن.ل.»	١٨١ شعر حسان في تحريض بني أبي براء على عامر «س»
٢٠١ خبر بئر معونة	١٨١ نسب حكم وأم البنين «س»
٢٠٢ صلايب الأسنة وإخواته ومعوذ الحكام	١٨٢ طعن ربيعة لعامر «س»
٢٠٣ شعر ليد عن ملاعب وإخواته أمام النعمان	

ص	ص
٢١٩ شعر ابن مرداس في امتداح رجال بني النضير «س»	٢٠٥ مصير ابن قهيرة
٢١٩ شعر خوات في الرد على ابن مرداس «س»	٢٠٥ أم البنين الأربعة
٢٢٠ شعر ابن مرداس في الرد على خوات «س»	٢٠٦ الزبان أو الريان
٢٢١ شعر لكعب أو ابن رواحة في الرد على ابن مرداس «س»	٢٠٦ القرطاء
٢٢١ غزوة ذات الرقاع في سنة أربع «س»	٢٠٦ شي. منسوخ
٢٢٢ لم سميت بذات الرقاع؟ «س»	٢٠٨ أمر إجلال بني النضير في سنة أربع «س»
٢٢٢ صلاة الخوف	٢٠٨ بنو النضير ياتمرون بالرسول صلى الله عليه وسلم «س»
٢٢٣ هم غوزت بن الحارث بقتل الرسول «س»	٢٠٩ الله يعلم نية بما دبروا «س»
٢٢٤ قصة جل جبار «س»	٢١٠ حصار الرسول النبي النضير «س»
٢٢٦ ابن يامر وابن بشر، وقيامهما على حراسة جيش الرسول، وما أصاباه «س»	٢١٠ تحريض الرهط لهم ثم محاربتهم الصالح «س»
٢٢٧ رجوع الرسول «س»	٢١٠ من هاجر منهم إلى خيبر «س»
٢٢٨ غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع «س»	٢١١ تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين «س»
٢٢٨ خروج الرسول «س»	٢١١ من أسلم من بني النضير «س»
٢٢٨ استعماله ابن أبي على المدينة «س»	٢١١ تحريض يامر بن علي قتل ابن جحاش «س»
٢٢٨ رجوع أبي سفيان في رجاله «س»	٢١٢ ما نزل في بني النضير من القرآن «س»
٢٢٨ الرسول ومخشي الضمري «س»	٢١٣ تفسير بن هشام لبعض الغريب «س»
	٢١٤ ما قيل في بني النضير من الشعر «س»
	٢١٧ شعر كعب في إجلال بني النضير وقتل ابن الأشرف «س»
	٢١٨ شعر سمالك في الرد على كعب «س»

ص	ص
٢٥٦ معنى الرينة . ن . ل .	٢٢٩ معبد وشعره في ناقة للرسول
٢٥٧ فقه الحديث	هوت . س .
٢٥٧ حول رجز معبد وشعر حسان	٢٢٩ شعر لابن رواحة أو كعب
وإني سفيان	في بدر . س .
٢٦٠ غزوة دومة الجندل . س .	٢٣٠ شعر حسان في بدر . س .
٢٦٠ غزوة الخندق . س .	٢٣٠ شعر أبي سفيان في الرد على
٢٦١ اليهود تعرض قرشاً . س .	حسان . س .
٢٦٢ اليهود تعرض غطفان . س .	٢٣٢ غزوة بني النضير وما نزل فيها
٢٦٢ خسروج الأحزاب من	٢٣٢ قطع البنية وتأويله .
المشركين . س .	٢٣٣ حول أول سورة الحشر
٢٦٢ حفر الخندق وتحاذل المنافقين	٢٣٦ الكاهنان
وجد المؤمنين . س .	٢٣٦ خروج بني النضير إلى خير
٢٦٣ ما نزل في حق العاملين	٢٣٧ صاحبة عروة بن الورد
في الخندق . س .	٢٤١ غزوة ذات الرقاع
٢٦٤ تفسير بعض الغريب . س .	٢٤٢ صلاة الخوف
٢٦٤ الماسمون يرتجزون في الحفر . س .	٢٤٤ رفع المنصب . ن . ل .
٢٦٥ الآيات التي ظهرت في حفر	٢٤٦ مساومة جابر في جملة وما فيه
الخندق . س .	من الفقه
٢٦٨ تحريض حي بن أخطب لكعب	٢٤٧ شعيب لا يروى عن أبيه وإنما
ابن أسد . س .	عن جده
٢٦٩ التحري عن نقض كعب	٢٤٨ الحكمة من مساومة النبي لجابر
لعمد . س .	٢٤٩ سياقه الحديث عن عمرو بن عبيد
٢٧٠ ظهور نفاق المنافقين واشتداد	٢٥٠ عمرو بن عبيد
خوف المسلمين . س .	١٥١ تعريف ابن تيمية للقدرية . س .
٢٧٠ أكان معتب منافقاً؟ . س .	٢٥٢ وقعة الحرة وموقف الصحابة
٢٧١ المهم به قد الصلح مع غطفان . س .	منها

- س
٢٧٢ عبسور نفر من المشركين
الخندق «س»
٢٧٢ سلمان وإشارته بحفر الخندق «س»
٢٧٣ مبارزة على عمرو بن عبد ود
«س»
٢٧٤ شعر حسان في عكرمة «س»
٢٧٤ شعار المسلمين يوم الخندق «س»
٢٧٤ حديث سمع بن معاذ «س»
٢٧٥ من قاتل سعد ؟ «س»
٢٧٦ الحديث عن جبن حسان «س»
٢٧٧ نعم يخذل المشركين «س»
٢٨٠ تعريف ما حل بالمشركون «س»
٢٨١ أبو سفيان ينادى بالرحيل «س»
٢٨٢ الانصراف عن الخندق «س»
٢٨٢ غزوة بني قريظة «س»
٢٨٢ الأسر الإلهي بحرب بني قريظة «س»
٢٨٢ على يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة «س»
٢٨٣ جبريل في صورة دحية «س»
٢٨٣ تلاحق الناس بالرسول «س»
٢٨٤ الحصار «س»
٢٨٤ نصيحة كعب بن أسد لقومه «س»
٢٨٥ قصة أبي لبابة «س»
٢٨٦ توبة الله على أبي لبابة «س»
٢٨٧ إسلام بعض بني هذيل «س»
٢٨٧ عمر بن سعد «س»
س
٢٨٨ تحكيم سعد في أمر بني قريظة
ورضاء الرسول به «س»
٢٩٠ تنفيذ الحكم في بني قريظة س
٢٩٠ مقتل جبي بن أخطب س
٢٩١ المرأة القليل من بني قريظة س
٢٩٢ شأن الزبير بن باطل س
٢٩٣ عطية القرظي ورفاعة س
٢٩٤ الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم في بني قريظة س
٢٩٥ شأن ربيعة س
٢٩٥ ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة «س»
٢٩٦ تفسير ابن هشام لبعض القريب «س»
٣٠١ إكرام سعد في موته «س»
٣٠٣ شهداء الغزوة «س»
٣٠٤ قتل المشركين «س»
٣٠٥ شهداء المسلمين يوم بني قريظة «س»
٣٠٥ البشارة بغزو قرين «س»
٣٠٦ غزوة دومة الجندل
٣٠٦ غزوة الخندق
٣٠٧ عينة بن حصين
٣٠٩ البرقات التي لمعت
٣١٠ ما قيل من الرجز يوم الخندق «س»
٣١١ تحقيق اسم زغبة
٣١١ يقتل في الذروة والغارب

ص
 ٢٤١ مقل من الشعر في أم الخندق
 ونقي قريظة .س.
 ٢٤١ شعر ضرار .س.
 ٢٤٢ كعب يرد على ضرار .س.
 ٢٤٣ شعر ابن الزبير .س.
 ٢٤٤ حسان يرد على ابن
 الزبير .س.
 ٢٤٥ كعب يرد على ابن الزبير .س.
 ٢٥١ مسافع يبكي حمراً في
 شعره .س.
 ٢٥٢ مسافع يوثق للفرسان الذين
 كانوا مع عمرو .س.
 ٢٥٢ هيرة يبكي حمراً ويعتذر من
 فرائده .س.
 ٢٥٣ هيرة يبكي حمراً في شعره .س.
 ٢٥٣ حسان يقتر بقتل عمرو .س.
 ٢٥٥ شعر حسان في يوم بني
 قريظة وبكاه ابن معاذ .س.
 ٢٥٥ شعر حسان في بكاه ابن معاذ
 وغيره .س.
 ٢٥٦ شعر آخر لحسان في يوم بني
 قريظة .س.
 ٢٥٧ شعر أبي سفيان في الرد على
 حسان .س.
 ٢٥٨ شعر ابن جوال في الرد على
 حسان .س.

ص
 ٢١٢ المعن
 ٢١٥ مصالحة الأحزاب
 ٢١٦ سلطان منا
 ٢١٦ حول مبارزة ابن أد لعل
 ٢١٩ القهر لعل
 ٢٢٠ ابن العرقه وأم سعد
 ٢٢١ حول احتزاز العرش
 ٢٢٤ أكان حسان جباناً ؟
 ٢٢٤ الحديث عن الصوريين ودحية
 ٢٢٥ فقه لا يملين أحدكم النصر إلا في
 بني قريظة .
 ٢٢٨ حول قصة أبي لبابة
 ٢٢٨ لعل وعسى وليت
 ٢٢٠ من أمهات النساء
 ٢٣١ فولية الله سبحانه
 ٢٣٣ كبة
 ٢٣٤ رفيدة
 ٢٣٤ غزوة الخندق
 ٢٣٥ قتل المرتدة
 ٢٣٥ الزبير بن باطا
 ٢٣٧ حلة جي
 ٢٣٨ سلى بنت أيوب
 ٢٣٨ سلى بنت قيس
 ٢٣٨ تفسير آيات قرآنية
 ٢٤٠ احتزاز العرش

ص	ص
٢٧٧ قيس عيلان وقيس كبة .	٣٥٨ مقتل سلام بن أبي الحقيق «س» .
٣٧٨ شعر كعب في الخندق	٣٥٨ الخزرج يستأذنون في قتل ابن
٣٨٢ مقتل ابن أبي الحقيق	أبي الحقيق «س» .
٣٨٦ إسلام عمرو بن العاصي ، وخالد	٣٥٩ التنافس بين الأوس والخزرج
بن الوليد .	في عمل الخير «س» .
٣٨٧ ماقاله الضمري النجاشي .	٣٦٠ قصة الذين خرجوا لقتل ابن
٣٨٧ الرسل إلى الملوك	أبي الحقيق «س» .
٣٨٨ السهوية	٣٦١ شعر حسان في قتل ابن الأشرف
٣٨٩ غزوة بني لحيان	وابن أبي الحقيق «س» .
٣٩١ غزوة ذي قرد «س» .	٣٦٢ إسلام عمرو بن العاص وخالد
٣٩٢ نصيحة الرسول لأبي عياش «س» .	ابن الوليد «س» .
٣٩٣ مقتل محرز بن فضلة «س» .	٣٦٢ عمرو وضميحه عند النجاشي «س» .
٣٩٤ أسماء أفراس المسلمين «س» .	٣٦٣ اجتماع عمرو مع خالد في
٣٩٤ قتل المشركين «س» .	الطريق «س» .
٣٩٥ استعمال ابن أم مكتوم على	٣٦٤ إسلام ابن طلحة «س» .
المدينة «س» .	٣٦٤ شعر ابن الزبير في إسلام
٣٩٥ تقسيم الفتي بين المسلمين «س» .	ابن طلحة وخالد «س» .
٣٩٦ امرأة الغفاري وما قدرت مع	٣٦٥ غزوة بني لحيان «س» .
الرسول «س» .	٣٦٦ فصل في أشعار يوم الخندق
٣٩٦ شعر حسان في ذي قرد «س» .	٣٦٦ شعر ضرار
٣٩٧ غضب سعد على حسان ومحاولة	٣٦٧ شعر كعب
حسان استرضائه «س» .	٣٦٧ من شعر حسان حول أسماء الله
٣٩٧ شعر آخر لحسان في يوم ذي	٣٦٩ من شعر كعب
قرد «س» .	٣٧٣ شعر آخر لكعب
٣٩٨ شعر كعب في يوم ذي قرد «س» .	٣٧٦ حكم به وما بعدهما (ن.ل)
٣٩٩ شعر شداد لمينة «س» .	٣٧٧ قصيدة كعب العينية

ص	ص
٤٢٣ جول النذر والطلاق والعق	٣٩٩ غزوة بني المصطلق .س.
٤٢٤ من شرح شعر حسان أعضاء	٤٠٠ سبب الغزوة .س.
الحيل .	٤٠٠ مقتل ابن صباية خطأ .س.
٤٢٦ بلاد ولجار	٤٠٠ فتنة .س.
٤٢٧ عود إلى شرح شعر حسان	٤٠١ حول فتنة ابن أبي وفاقه .س.
٤٢٨ قصيدة أخرى لحسان	٤٠٣ مازل في ابن أبي من القرآن .س.
٤٢٨ غزوة بني المصطلق	٤٠٣ موقف عبدالله من أبيه .س.
٤٢٩ محرم دعوى الجمالية	٤٠٤ قدوم مقيس مطا وشعره .س.
٤٣٠ جهجاه	٤٠٥ شعار المسلمين .س.
٤٣٠ موقف عبدالله الصماني من	٤٠٥ قتل بني المصطلق .س.
أبيه المناق و دلالة .	٤٠٥ أمر جويرة بذات الحارث .س.
٤٣٢ حول حديث جويرة (ملاحه	٤٠٧ مازل من القرآن في حق الوليد
ومليح) (ن.ل)	بن عفة .س.
٤٣٣ غيرة نساء النبي ، والنظر	٤٠٨ خبر الإفك في غزوة بني
إلى المرأة .	المصطلق .س.
٤٣٦ حديث الإفك	٤٠٨ الهدى في السفر مع الزوجات .س.
٤٣٧ صفوان بن المعطل	٤٠٩ حديث الإفك .س.
٤٣٨ تفسير أسقطوا	٤١٣ القرآن وبراءة عائشة .س.
٤٣٩ بريرة	٤١٦ تفسير ابن هشام لبعض
٤٣٩ أم رومان	الغريب .س.
٤٤٠ وم البخاري	٤١٧ ابن المعطل بهم بقتل حسان .س.
٤٤١ تناصني أو تناصيني	٤٢٠ شعر في جهجاه حسان ومسطح .س.
٤٤١ شعر حسان في التعريض بابن	٤٢٠ غزوة ذي قرد
المعطل	٤٢٠ أسماء أفراس المسلمين
٤٤٤ تفسير العجب	٤٢١ سلمة بن الأكوع
٤٤٥ بيرحاء	٤٢٣ شرح اليوم يوم الرضع

ص	ص
٦٥ ذكر البيعة	٤٤٦ حول برادة عائشة
٦٦ ذكر من تخلف	٤٤٧ شعر حسان في مدح عائشة
٦٧ ذكر كف الرسول عن القتال	٤٤٩ ما نزل في حق أصحاب الإفك
٦٧ تفسير ابن هشام لبعض الغريب	٤٥٠ إهداء سيرة إلى حسان
٦٩ ماجرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح	٤٥٢ أمر الحديبية في آخر سنة ست، وذكر بيعة الرضوان، والصلح بين رسول الله (ص) وبين سهيل بن عمرو، دس
٦٩ مجيء أبي بصير إلى المدينة وطلب فريش له	٤٥٣ الرسول (ص) يسلك طريقاً غير طريق فريش دس
٦٩ قتل أبي بصير العامري ومقالة الرسول في ذلك	٤٥٥ ذكر من بعثهم فريش إلى الرسول (ص) د
٧٠ أبو بصير وزملاء في البيعة	٤٥٩ عثمان بن عفان في مكة
٧١ شعر موهب في ودي أبي بصير	٤٦٠ بيعة الرضوان
٧١ ابن الزبير يرد إلى موهب	٤٦١ أمر المدينة
٧٢ أمر المهاجرات بعد المدينة	٤٦٢ على يكتب شروط الصلح
٧٢ الرسول (ص) يأتي رد أم كلثوم	٤٦٣ خراعة في عهد محمد، وبنو بكر في عهد فريش
٧٢ حول آية المهاجرات المؤمنات	٤٦٣ جندل بن سهيل
٧٤ بشرى فتح مكة وتجميل بعض المسلمين	٤٦٤ الذين شهدوا على الصلح
	٤٦٤ للإحلال
	٤٦٤ الملقون والمقصرون
	٤٦٥ نزول سورة الفتح

- | | | | | | |
|-----|--------------------------|----|-----|---------------------------|----|
| ٥٠٧ | شأن على يوم خير | دس | ٤٧٥ | غزوة الحديبية | س |
| ٥٠٨ | أمر أبي اليسر | دس | ٤٧٥ | الميثاق والإشعار | |
| ٥٠٩ | صفية أم المؤمنين | دس | ٤٧٦ | من شرح حديث الحديبية | |
| ٥١٠ | بقية أمر خير | دس | ٤٨٠ | وصف الجمع بالمفرد ن. ل. | |
| ٥١٠ | صلح خير | دس | ٤٨٢ | حول المصالحة | |
| ٥١١ | الشاة المسمومة | دس | ٤٨٥ | حكم المهارات | |
| ٥١٢ | رجوع الرسول إلى المدينة | دس | ٤٨٧ | باسمك اللهم | |
| ٥١٢ | مقتل غلام الرسول (ص) | دس | ٤٨٨ | عية مكفوفة | |
| ٥١٣ | أمر ابن مفضل والجواب | دس | ٤٨٩ | أبو جندل وما جاء في الخبر | |
| ٥١٤ | أبو أيوب يحرس الرسول | | ٤٩٠ | الدنية التي رفضها عمر | |
| | (ص) لية بناءه بصفية | دس | ٤٩١ | موقف أم سلمة في الحديبية | |
| ٥١٤ | بلال يلبه النوم وهو يرقب | دس | ١٩٢ | المقصرون | |
| | الفجر | دس | ٤٩٢ | أبو بصير | |
| ٥١٥ | شعر ابن لقيم في فتح خير | دس | ٤٩٣ | عمره | |
| ٥١٦ | حديث المرأة النفارية | دس | ٤٩٤ | قتل أبي بصير الكافر | |
| ٥١٧ | شهداء خير | دس | ٤٩٥ | من مواقف عمر في الحديبية | |
| ٥١٨ | أمر الأسود الراعي | | ٤٩٦ | بيعة الشجرة وأول من بايع | |
| | في حديث خير | دس | ٤٩٦ | تعليق عام على الحديبية | دس |
| ٥١٩ | أمر المجاج بن علاط | | ٤٩٩ | ذكر المسير إلى خير | دس |
| | السلي | | ٤٩٩ | ما قاله أبو جندل | |
| ٥٢٢ | شعر حسان عن خير | | ٥٠٢ | ما نهي عنه الرسول (ص) | |
| | | | | في خير | دس |
| | | | ٥٠٤ | شأن بني سهم | دس |
| | | | ٥٠٥ | مقتل مرحب اليهودي | دس |
| | | | ٥٠٦ | مقتل ياسر أخى مرحب | دس |

ص	ص
٥٤٨ استعمال الكلمة في غير موضعها	٥٢٢ حسان يعتذر عن أيمن «س»
٥٥٠ الإسناد عن نطاء بن أبي مرزبان	٥٢٣ شعر تاجية في يوم خيبر
٥٥٠ المكامل	٥٢٣ شعر كعب في يوم خيبر
٥٥٠ خربت خيبر	٥٢٤ ذكر مقام خيبر
٥٥١ الخيس	وأموالها
٥٥١ تدنى الحصون	٥٢٥ من قسمت عليهم خيبر
٥٥١ حكم أكل لحوم البحر الأهلية	٥٢٨ ذكر ما أعطى محمد (ص)
والخيل	لنساءه من قح خيبر
٥٥٤ الورق	٥٢٨ وصاة الرسول عند موته
٥٥٧ متى حرم ذكاح المتعة ؟	٥٨ أمر فذك في خير خيبر
٥٦٠ على ودعاء الرسول (ص)	٥٢٩ تسمية النفر الدارين
٥٦٠ صاحب المغانم وابن مفضل	الذين أوصى لهم رسول الله
٥٦١ الصفي والمرباع	(ص) من خيبر
٥٦٤ صداق صفة	٥٣١ عمر يجل يهود خيبر
٥٦٤ حنش الصنعاني	٥٣٣ قسمة عمر لوادى القرى بين
٥٦٥ وطأ منبى عنه	المسلمين
٥٦٦ على يقتل مرحباً	٥٣٤ ذكر قدوم جعفر
٥٦٧ حبرة	ابن أبي طالب من الحبشة
٥٦٧ من حصون خيبر	وحديث المهاجرين إلى
٥٦٧ الحال المعرفة لفظاً و ن . ل .	الحبشة
٥٧٠ الشاة المسمومة	٥٤٣ مهاجرات الحبشة
٥٧٢ حول حديث المرأة الغفارية	٥٤٥ غزوة خيبر
٥٧٣ من أحكام الماء	٥٤٥ شرح هنة والحداء
٥٧٣ من شهداء خيبر	

٥٨٥	المصاحفة والمعاقبة	٥٧٤	الحال من النكرة ون.ل.
٥٨٧	ولد جعفر والتجاني	٥٧٥	حديث الحجاج بن علاط
٥٨٧	ضبط أجنادين ون.ل.	٥٧٦	تفسير أولك
٥٨٧	لقادسية ويوم الحرير	٥٧٧	أم أيمن
٥٨٨	عن بعض القادمين من الحبشة	٥٧٨	أبو أيوب في حراسة النبي (ص)
٥٨٩	من رسل النبي إلى الملوك والزعماء	٥٧٩	قسم أموال خيبر وأراضيها
٥٩٢	حديث النوم عن الصلاة	٥٨٣	أبو نبة
٥٩٣	في الجزء السادس	٥٨٤	أم الحكم
		٥٨٤	أم رمنة وغيرها
		٥٨٩	القسم للنساء من المقتنم

المكتبة هـ
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنيق

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء السابع

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

يطلب من
دار الكتب الإسلامية
١٤٢ شارع المرحوم قبايبي - ته ٩١٦١٠٧

المكتبة هـ
غفر الله له ولوالديه

الروض الأنيق

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

جامعة الكويت
إدارة المكتبات - قسم التزويد المصنوع
رقم التسجيل: ١٧٢٥٦
التاريخ: _____

مقدمة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد
صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء السابع من السيرة وشرحها « الروض الأنف »
للإمام السهيلي ، والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل

عمرة القضاء

في ذى القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من غدير ، أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجبا وشعبان ورمضان وشوالاً ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم . ثم خرج في ذى القعدة في الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتبراً عُمره القضاء ، مكان عمرته التى صدّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عوف بن الأصبط الدبلى .

ويقال لما حرمه القصاص ، لأنهم صدّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتنص رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة في ذى القعدة ، في الشهر الحرام الذى صدّوه فيه ، من سنة سبع .

وبلقنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صدّه معه في عمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عُسرة وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أنهم ، عن ابن عباس ، قال : صدّوا له

.....

عند دار الندوة لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ ، وَإِلَى أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ اضْطَبَعَ بِرِدَائِهِ ، وَأَخْرَجَ عَضُدَهُ الْيَمَنِيَّ ، ثُمَّ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَسْرَأَ أَرَامَ الْيَوْمِ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً ، ثُمَّ اسْتَلَّمَ الرُّكْنَ ، وَخَرَجَ يُهْرُولُ وَيُهْرُولُ أَصْحَابُهُ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا وَارَاهُ الْبَيْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَلَّمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ ، مَشَى حَتَّى يَسْتَلَّمَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ ، ثُمَّ هَرُولٌ كَذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ ، وَمَشَى سَائِرَهَا . فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ . وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا صَنَعَهَا لِهَذَا الْحَجِّ مِنْ قُرَيْشٍ لِلَّذِي بَلَغَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى إِذَا حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ فَلَزِمَهَا ، فَضَتِ السَّنَةَ بِهَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَوَجَدَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ فِي تِلْكَ الْمُعْمَرَةِ دَخَلَهَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ أَخَذَهُ بِخَطَامِ نَاقَتِهِ يَقُولُ :

خَلُّوا بَنَى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا قَسْكَلُ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقَوْلِهِ أَعْرِفْ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ

* * *

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : « نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ » إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ ، لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ رَوَاحَةَ إِنَّمَا أَرَادَ الْمُشْرِكِينَ ،

والمُشْرِكُونَ لَمْ يُقِرُّوا بِالتَّزْيِيلِ ، وَإِنَّمَا يُقْتَلُ عَلَى التَّأْوِيلِ مِنْ أَقَرِّ بِالتَّزْيِيلِ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح وبجاهد أبي الحجاج ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حَرَامٌ ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وكانت جمعت أمرها إلى أخيها أم الفضل ، وكانت أم الفضل تحت العباس ، فجمعت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْقُرَيْشِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِجَلٍ ، في نفر من قُرَيْشٍ ، في اليوم الثالث ، وكانت قُرَيْشٌ قد وُكِّلَتْه بِإِخْرَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ ؛ فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ قَدْ انْقَضَى أَجَلُكَ ، فَأَخْرِجْنَا عَنْهُ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُونِي فَأَعْرَسْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، وَصَنَعْنَا لَكُمْ طَعَاماً فَخَضَرْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا فِي طَعَامِكَ ، فَأَخْرِجْنَا عَنْهُ . فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَلَفَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَاهُ عَلَى مَيْمُونَةَ ، أَتَاهَا بِسَرَفٍ ، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَاكَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ .

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل عليه ، فيما حدثني أبو عبيدة :
 ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ، لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ
 تَحْسِبُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴾ يعني خير .

ذكر غزوة مؤتة

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة
 قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ،
 والحرم وصغراً وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثته إلى الشام الذين
 أصيبوا بمؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
 قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثته إلى مؤتة في جمادى الأولى
 سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن
 أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم
 ودّع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودّع
 عبد الله بن رواحة من ودّع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛
 فقالوا : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباية
 بكم ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله

.....

عَزَّ وَجَلَّ ، يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ (وَإِنْ مِنْكُمْ) إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا
مَقْضِيًّا (سُورَةُ مَرْيَمَ : ٧١) ، فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ بِمَسَدِ الْوُرُودِ ، فَقَالَ
الْمُسْلِمُونَ : صَحَّحَكُمْ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ رَوَاحَةَ :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةَ ذَاتِ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أَوْ طَمَعَنَةً بِيَدَيَّ حَرَّانٍ مُجْهِزَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَيْدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوْا عَلَى جَدِّي أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ ، فَأَتَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ رَوَاحَةَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَدَّعَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَثْبِيتَ مُوسَى وَتَصْرَأَ كَالَّذِي تُصِرُّوْا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصَرِ
أَنْتَ الرَّسُولُ قَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أُرْزِيَ بِهِ الْقَدَرُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالشَّعْرِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

أَنْتَ الرَّسُولُ قَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أُرْزِيَ بِهِ الْقَدَرُ
فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ فِي الْمُرْسَلِينَ وَتَصْرَأَ كَالَّذِي تُصِرُّوْا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً فِرَاسَةً خَالَفْتُ فِيكَ الَّذِي نَظَرُوا
يَعْنِي الْمَشْرِكِينَ ؛ وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَفَّ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَقَعَّتْهُ فِي النَّخْلِ خَيْرٌ مُشِيعٌ وَحَلِيلٌ

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل
قد نزل ماب ، من أرض البلقاء ، في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من
نظم وجذام والقيين وبهراء وبنو مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بني ثمم أحد
إراشة ، فقال له : مالك من أفاة فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين
يمسكرون في أسرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فنخبره بمسدود عدوتنا ، فأما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ،
فمضى له .

قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي
تكرهون ، التي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما تقابل الناس بعدد ولا قوة
ولا كثرة ، ما تقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا وإنما هي
إحدى الحسينين ، إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن
رواحه . فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة في تحبسهم ذلك :

جَبَنَّا الْخَلِيلَ مِنْ أَجَا وَفَرَجٍ نُفَرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْفُكُومُ
حَدَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سَبِينَا أَزَلَّ كُنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ
أَقَمْتَ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ فَأَعْقَبَ يَمِيدَ فَرْتِهَا جُومُ

فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ تَنْفَسُ فِي مَتَاخِرِهَا السُّمُومُ
 فَلا وَابِي مَابَ لَتَأْتِيَنَّهَا وَإِن كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
 قَمِيَانَا أَعْنَمْنَا فَجَاءَتْ عَوَاسَ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ
 بَذَى نَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَائِمُهَا السُّمُومُ
 فَرَاغِيَّةَ الْمَعِيشَةِ عَلِمَتْهَا أَسْنَمَهَا فَتَنَكَّحُ أَوْ تَنِيمُ

قال ابن هشام : « ويروى : جانبنا الخيل من آجام قرح » ، وقوله :
 « فعبأنا أعنمها » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث
 عن زيد بن أرقم : قال : كنت ببيتنا لعبد الله بن رواحة في حجره ، ففرج لي
 في سفره ذلك مردي على حقيبة راحله ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو
 يشد ألباته هذه :

إِذَا أَدْبَيْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعِيدَ الْخِصَاءِ
 تَشَانُكَ أُنْعَمَ وَخِصْلَاكِ ذَمٌّ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ وَرَانِي
 وَجَاءَ السُّلَمُونَ وَغَادَرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُسْتَحْيِي الثَّوَابِ
 وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعَ الْإِخَاءِ
 هَذَاكَ لَا أَبَالِي طَلَعَتْ بَقْلِي وَلَا تَخْضَلِي أَسَافُنَا رِوَاءِ

فما سمعته منه بكيت . قال : تَخَفَقَنِي بِالذَّرْوِ ، وقال : ما عليك بالكَمِّ

أن يرزقني الله شهادة وترجع يميني شعبة الرجل !
قال : ثم قال عبد الله بن ربيعة في بعض سفره ذلك وهو يرمز :
يا زيدا زيدا البعيلات الذبيل تطاول الليل هديت فانزل

لقاء الروم

قال ابن إسحاق : فضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيهم
جوع هرقل ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشارف ،
ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ،
فحملاً لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة ، يقال له : قُطَيْبَةُ
ابن قَعَادَة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عُبَايَة بن مالك .
قال ابن هشام : ويقال عبادة بن مالك .

مقتل ابن حارثة

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم .

إمارة جعفر ومقتله

ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألح القتال اتنعم عن فرس له شتراء ،
فمقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين
عقر في الإسلام .

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال :
حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك النزوة
غزوة مؤتة قال : والله لكان أنظر إلى جعفر حين أفتح من فرس له
سقراء ، ثم عقروا ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها
والرؤم روم قد دنا عذابها كافرة ببيدة أنسابها
على إذ لاقيتها ضرابها

قال ابن هشام : وحدثني من أتى به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب
أخذ اللواء بيمينه فمطت ، فأخذه بشماله فمطت ، فاحتضنه بمضديه حتى قتل
رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأنايه الله بذلك جناحين في الجنة
يطير بهما حيث شاء . ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه

بمنصفين

استشهاد جعفر وابن رواحة

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد
قال : حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرة بن عوف ، قال : فلما
قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ،
فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أَقَمْتُ يَانَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرَهَنَّهُ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدَّوْا الرِّثَّةَ مَالِي أُرَاكِ تَسْكُرُهُمْ الْجَنَّةُ
 قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنْةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُتَقَتَّلِي تَمَوْنِي هَذَا رَحَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتُ
 وَمَا تَعْنَيْتِ فَقَدْ أُعْظِيتِ لَنْ تَعْمَلِي فَعَلَمَا هُدَيْتِ

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرأ ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بقرق
 من لحم فقال : شُدَّ بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه مالمقيت ،
 فأخذه من يده ثم اتهم منه نهسة ، ثم سمع الخطمة في ناحية الناس ، فقال :
 وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قُتل .

عمل خالد

ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان ، فقال : يامث المسلمين
 اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطاح الناس
 على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى بهم ، ثم انحاز
 وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

تنبؤ الرسول بما حدث

قال ابن إسحاق : ولما أُصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 غيا بلغني : أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ؛ ثم أخذها

فَقَاتِلْ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً ؛ قَالَ : ثُمَّ صَحَّتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 حَتَّى تَغَيَّرَتْ وَجْهُهُ الْأَنْصَارُ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضُ
 مَا يَكْرَهُونَ ، ثُمَّ قَالَ : ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ
 شَهِيداً ؛ ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ رُفِعُوا إِلَى فِي الْجَنَّةِ ، فَيَا يَرَى النَّاسُ ، عَلَى سُرُورٍ
 مِنْ ذَهَبٍ ، فَرَأَيْتُ فِي سِرِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ أَرْوَاراً عَنْ سِرِيرِي صَاحِبِيهِ .
 فَقُلْتُ : عَمَّ هَذَا ؟ فَقِيلَ لِي : مَضَى وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بِبَعْضِ التَّرَدُّدِ ، ثُمَّ مَضَى .

حزن الرسول على جعفر

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ أُمِّ عَيْسَى الْخَزَاعِيَّةِ .
 عَنْ أُمِّ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي طَالِبٍ ، عَنْ جَدَّتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي هُرَيْرَةَ .
 قَالَتْ : لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَقَدْ بَنَتْ أَرْبَعِينَ مَنًى . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُرْوَى : أَرْبَعِينَ مَنِيَّةً . وَبَعَثَتْ
 عَجِينِي ، وَغَسَلَتْ بَنِيَّ وَدَهَنَتْهُمْ وَنَظَّفَتْهُمْ . قَالَتْ : فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ائْتِنِي بِنِي جَعْفَرٍ ، قَالَتْ : فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ ، فَتَشَمَّهُمْ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ،
 فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَأْسَ أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا يُبْسِكُكِ ؟ أِبْلَغْكِ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ
 شَيْءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ . قَالَتْ : فَقُمْتُ أَصْبَحَ ، وَاجْتَمَعْتُ إِلَى
 النِّسَاءِ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ : لَا تُغْلُوا
 آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَاماً فَإِنَّهُمْ قَدْ شُفُوا بِأَسْرِ صَاحِبِهِمْ .

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : لَمَّا آتَى نَفْسِي جَعْفَرٌ عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ رَسُولَ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عَنَيْنَا وَفَعَنَّا ، قال : فارجع إليهن فأسكِتهن . قالت : فذهب . ثم رجع ، فقال له مثل ذلك . قال : تقول وربما ضرت التشكف أهله . قالت : قال : فاذهب فأسكِتهن ، فإن أبيت فاحث في أفواههن التراب ، قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يحني في أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قُطَيْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ الْمَذَرِيُّ ، الذي كان على مِثْمَنَةَ الْمُسْلِمِينَ ، قد حمل على مالك بن رافلة فقتله ، فقال قُطَيْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ :

طَعَنْتُ ابْنَ رَافِلَةَ بْنِ الْإِرَا شَ بَرْمُحٍ مَقَى فِيهِ ثُمَّ انْتَحَطَمَ
ضَرَبْتُ عَلَى جِيدِهِ مَرَّةً فَسَالَ كَمَا مَالَ غَصْنُ السَّمِ
وَسَقْنَا نِسَاءَ بَنِي عَمِّهِ غَدَاةَ رَقُوقَيْنِ سَوَقَ الذَّمِّ
قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق .
والبيت الثالث عن خَلَادِ بْنِ قُرَّةَ ؛ ويقال : مالك بن رافلة :

كاهنة حدس

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حَدَسَ حِينَ سَمِعَتْ بِخَيْشِ
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قد قالت لقومها من حَدَسَ - وقومها بطن
يقال لهم بنو غَنَمَ - أُنْذِرْكُمْ قَوْمًا خُزْرًا ، يَنْظُرُونَ شَرًّا ، وَيَقُودُونَ الْخَيْلَ
تَثْرَى ، وَيُهْرِيْقُونَ دِمَاءَ عَسْكَرًا . فَأَخَذُوا بِقَوْلِهَا ، وَاعْتَزَلُوا مِنْ بَيْنِ نَحْمِ ؛

.....

فلم تزل بعدُ أترى حدّس . وكان الذين صلّوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بعض من حدّس ، فلم يزالوا قليلا بعدُ . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً .

كيف تلقى الجيش ؟ !

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما دنوا من حول المدينة تلقّاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، ولقيهم الصبيانُ يشتدون ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع دابةٍ على دابةٍ ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابنَ جعفر . فأُتي به فآخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يَحْمُثُونَ على الجيش التراب ، ويقولون : يا فُرّار ، فررتَ في سبيل الله ؟ قال : فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفُرّار ، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أمّ سلمة لامرأةٍ سَلَمَة بن هشام بن العاص بن المُغيرة : مالي لأرى سَلَمَة يحضر الصلاة مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كما خرج صاح به الناس يا فُرّار ، فررتَ في سبيل الله ، حتى قعد في بيته فما يخرج .

شعر قيس في الاعتذار عن تقهقر خالد

قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُخاشاتته

بالناس وانصرافه بهم ، قيسُ بن المُسَخَّر اليمَمرى ، يعتذر مما صنع يومئذ
وصنع الناس :

فوالله لا تنفكُ نفسى تلومنى على مَوْفَى والخيل قابضةٌ قُبُلُ
وَقَفْتُ بها لا مُسْتَجِيرًا فَنَاقِذًا ولا مانعًا مَنْ كان حُمَ له القَتْل
على أنى آسَيْتُ نفسى بخالدٍ ألا خالدٌ فى القوم كَيْسَ له مِثْل
وجاشت إلى النفسُ من نحو جعفر بمؤنةٍ إذ لا يَنْفَعُ النَّابِلَ النَّبْلُ
وضمَّ إلَيْنَا حَجَزَ تَيْهَمٍ كُلَيْهِمَا مهاجرةٌ لا مُشْرَكُونَ ولا عَزْلُ

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا
وكرهوا الموت ، وحقق الحياز خالد بمن معه .

قال ابن هشام : فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه : أمر المسلمون عليهم خالد
ابن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حق قفل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان فى بكاء قتلى مؤنة

قال ابن إسحاق : وكان مما بُكِيَ به أصحاب مؤنة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قول حسان بن ثابت :

تأوَّبْنى إيلٌ يثيرُ أعْسرُ وهمٌ إذا ما نَوَّمَ الناسُ مُسْهِرُ
لذِ كَرْى حبيبٍ هُوَّجَتْ لى عِبرَةٌ سَفُوحًا وأسبابُ البكاءِ التَذَكُّرُ
بلى ، إن فقدانَ الحبيبِ بليَّةٌ وكم من كريمٍ يُبْتَلَى ثم يَضْمَرُ

.....

رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا
فَلَا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ قَتْلَ تَتَابَعُوا
وَزَيْدٌ وَعَبِيدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا
غَدَاةَ مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ بِقَوْدِهِمْ
أَغْرُ كَضَوْهُ الْبَدْرُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالٍ غَيْرِ مُوسَدٍ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ قَوَابِلُهُ
وَكُنَّا نَرَى فِي جَنَفٍ مِنْ مُحَمَّدٍ
فَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
هُمُ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ
وَحِزَّةٌ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ
بِهِمْ تُفْرَجُ الْأَلْوَاهُ فِي كُلِّ مَآزِقٍ
هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ

شُعْرُ كَعْبٍ فِي بَكَاءِ قَتْلِي .

وقال كعب بن مالك :

قَامَ الْعُمَيْيُونَ وَدَمَعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ
فِي لَيْلَةٍ وَرَدَّتْ عَلَيَّ هُمُومُهَا
سَجَا كَمَا وَكَّتِ الطُّيُوبُ الْمُخْضِلُ
طَوْرًا أَخِي وَتَارَةً أُنْمَأَمِلُ

.

واعْتَادَنِي حُزْنَ قَبِيْتٍ كَأَنِّي
 وَكَأَنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَى
 وَجَدَا عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا
 صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَتْيَةٍ
 صَيَّرُوا بِمَوْتِهِ لِلْإِلَهِ نُفُوسَهُمْ
 فَمَضَوْا لِمَامِ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ
 إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلَوَانِهِ
 حَتَّى تَفَرَّجَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرٌ
 فَتَعَبَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لَفَقْدِهِ
 قَرَّمَ عِلَا يُبْنِيَانِهِ مِنْ هَاشِمٍ
 قَوْمٌ سَبَّحُوا عَصَمَ الْإِلَهِ عِبَادَهُ
 فَضَلُّوا الْمَعَاشِرَ عِزَّةً وَتَسَكَّرُوا
 لَا يُطْلِقُونَ إِلَى السَّمَاءِ حُبَاهُمْ
 بِيضُ الْوُجُوهِ تُرَى بِطَوْنٍ أَكْفُهُمْ
 وَبِهِدْيِهِمْ رَضِيَ الْإِلَهِ تَخْلُقُهُ

يَبْقَابُ نَفْسٍ وَالتَّمَالِكِ مُوَكَّلٌ
 مَا تَأْوِيَنِي شِهَابٌ مُدْخِلٌ
 يَوْمًا بِمَوْتِهِ أَسْتَدُوا لَمْ يُنْقَلُوا
 وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْقَامُ الْمُسْتَبِيلُ
 حَذَرَ الرَّقِيَّةِ وَخَافَةَ أَنْ يَنْسَكُلُوا
 فُنُقَى عَلَيْهِنَ الْحَبِيدُ الدُّرُفُلُ
 قُدَّامَ أَوْلَاهِمُ فَخَفَمَ الْأَوَّلُ
 حَيْثُ التَّقَى وَغَثُ الصُّفُوفِ بِحَدَلٍ
 وَالشَّمْسُ قَدْ كَسَفَتْ وَكَادَتْ تَأْفُلُ
 فَرَعَا أَشْمَ وَبُزْدَدَا بِهَا يُنْقَلُ
 وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ
 وَتَعَمَّدَتْ أَحْلَامُهُمْ مِنْ يَحْمَلُ
 وَيُرَى خَطْبِيُّهُمْ بِحَقِّ يَفْضِلُ
 تَقْدَى إِذَا اعْتَذَرَ الزَّمَانُ الْمُجَلُ
 وَيُجَدِّمُ نُصِيرَ النَّبِيِّ الْمُرْسَلُ

شعر حسان في بكاء جعفر بن أبي طالب

وقال حسان بن ثابت يميكي جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه :
 ولقد بكيتُ وعزَّ مُهْلَكُ جَعْفَرٍ حَبُّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُنْهَا

بوقلذجزعت وقلت حين نعت لي من للجلاد لدى المقاب وظلها
بالبيض حين نسل من أعادها ضرباً وإنهال الرماح وعلها
حمد ابن فاطمة المبارك جعفر خير البرية كلها وأجلها
رُزماً وأكرمها جميعاً تحداً وأعزها مُتظلماً وأذلها
للحق حين ينوب غير فتحل كذباً ، وأنداهاً بدأ ، وأقلها
فحشاً ، وأكثرها إذا ما يُخفدي فضلاً ، وأبذلها ندي ، وأبلىها
بالعرف غير محمد لا مثله حتى من أحياء البرية كلها

شعر حسان في بكاء ابن حارثة وابن رواحة

وقال حسان بن ثابت في يوم مؤنة يبكي زيد بن حارثة وعبد الله

ابن رواحة :

عين جودي بدمعك المنزور واذا كرى في الرغاء أهل القبور
وما كرى مؤنة وما كان فيها يوم راحوا في وقعة التمرور
حين راحوا وغادروا ثم زيد نعم ماوى الضربك والمأسور
حب خير الأنام طراً جميعاً سيد الناس حبته في الصدور
ذا كم أحد الذي لاسواه ذلك حزني له معاً وسروري
إن زيدا قد كان منّا بأمر ليس أمر المكذب المعرور
نم جودي للخزرجي بدمع سيداً كان ثم غير نزور
قد أنا من قدامهم ما كفانا فبحزن نبيت غير سرور

وقال شاعر من المسلمين عن رجع من غزوة مؤتة :
كفى حزناً أنى رجعتُ وجعتر وزيد وعبدُ الله في رمسِ أقبر
فَضُّوا نَجَبَهُمْ لَمَامَضُوا سَبِيلَهُمْ وخُلِّفْتُ لِلْبَلَوَى مَعَ الْقَمَرِ
ثَلَاثَةَ رَهْطٍ قُدِّمُوا فَتَقَدَّموا إلى وِردِ مَكْرُوهِهِ مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرِ

شهداء مؤتة

وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة :

من قريش ، ثم من بني هاشم : جعفرُ بن أبي طالب رضى الله عنه ، وزيدُ
ابن حارثة رضى الله عنه .

ومن بني عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة .

ومن بني مالك بن حنبل : وهب بن سعد بن أبي سرح .

ومن الأنصار ثم من بني الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة ،
وعباد بن قيس .

ومن بني غنم بن مالك بن النجَّار : الحارث بن النعمان بن أساف بن
نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

ومن بني مازن بن النجَّار : مُراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب .

من بنى مازن بن النجار : أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف -
ابن مبدول ، وهما لأب وأم ،
ومن بنى مالك بن أفضى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد
ابن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى .
قال ابن هشام . ويقال أبو كلاب وجابر ، ابنا عمرو .

عمرة القضية

ويُرْوَى أيضاً : عُمرَةُ الْقَضَاء ، ويقال لها : عُمرَةُ الْقِصَاص ، وهذا الاسم
أولى بها لقوله تعالى : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ)
البقرة : ١٩٤ وهذه الآية فيها نزلت ، فهذا الاسم أولى بها ، وسميت عُمرَةُ
الْقَضَاء ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشاً عليها ، لأنه قضى العُمرة
التي صُدَّ عَنْ الْبَيْتِ فِيهَا ^(١) ، فإنها لم تَكُ قَسَدَتْ بِصَدِّهِمْ عَنِ الْحَبِيتِ ، بل كانت
عُمرةً تامةً مُتَقَبِّلَةً ، حتى إنهم حين حَلَقُوا رُءُوسَهُمْ بِالْحِلِّ احْتَمَلَتْهَا الرِّيحُ ،
فَالْقَهْطُ فِي الْحَرَمِ ، فهي مَمْدُودَةٌ فِي عُمْرِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وهي
أربع : عُمرَةُ الْحَدَيْبِيَّةِ ، وعُمرةُ الْقَضَاء ، وعُمرةُ الْحِمْيَرَانَةِ ، والعُمرةُ التي

(١) هذا هو الصواب ، لأن الذين صدوا عن المسجد الحرام كانوا ألفاً
وأربعمائة ، وهؤلاء لم يكونوا معه دس ، في عمرة القضية ، ولو كانت قضاء
لم يتخلف منهم أحد . أما قصصة الشعر التي سيقصها السهيلي . فهي من لطائف
لا الحقائق .

قرنها مع حجته في حجة الوداع، فهو أصح القولين أنه كان قارئاً في تلك الحجة^(١) وكانت إحدى عمره عليه السلام في سؤال كذلك روى عروة عن عائشة^(٢) ، وأكثر الروايات أنهم كنّ كلهن في ذي القعدة إلا التي قرّن مع حجته^(٣) ، كذلك روى الزهري ، وانفرد مَعْمَرُ عن الزهري بأنه عليه السلام كان قارئاً ، وأن عمره كنّ أربعاً بعُمرة القِمران .

وأما حجّاته عليه السلام فقد روى الترمذي أنه حجّ ثلاث حجّات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة وهي حجة الوداع^(٤) ، ولا ينبغي أن يُضاف إليه في الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج مع الناس إذ كان بمكة كما روى الترمذي ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكاله ، لأنه كان مغلوباً على

(١) كان قارئاً لأنه دس ، جمع بين المنسكين ، وكان مفرداً باعتبار اقتضائه على أحد الطوائف والسامين .

(٢) هذا من رواية لمالك في الموطأ أن رسول الله دس ، لم يعتمر إلا ثلاثاً إحداهن في شوال واثنين في ذي القعدة ولكنه مرسل ، وهو غلط إما من هشام وإما من عروة . ورواه أبو داود مرفوعاً عن عائشة . ولا يصح رفعه . ويدل على بطلانه قول عائشة وابن عباس وأنس : لم يعتمر رسول الله دس ، إلا في ذي القعدة .

(٣) بل كانت أيضاً في ذي القعدة . لأن خروجه صلى الله عليه وسلم كان لست ليال بقيت من ذي القعدة .

(٤) قال عنه الترمذي : حديث غريب . قال : وسألت محمداً يعني : البخاري - عن هذا فلم يعرفه من حديث الثوري ، وفي رواية : لا يعد هذا الحديث محفوظاً ، وليس له دس . سوى حجة واحدة .

أُمره ، وكان الحج منقولا عن وقته ، كما تقدم في أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه في كل سنة أحد عشر يوماً ، وهذا هو الذي منع النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يحج من المدينة ، حتى كانت مكة دار إسلام ، وقد كان أراد أن يحج من قبله من قبله ، وذلك بإثر فتح مكة بيسير ، ثم ذكر أن قايما للشركين يحجون ، ويطوفون عرأة فأجر الحج ، حتى تبدل إلى كل ذي عهد عهده ، وذلك في السنة التاسعة ، ثم حج في السنة العاشرة بعد انحاء رسوم الشرك ، وانحسام سير الجاهلية ؛ ولذلك قال في حجة الوداع : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض .

حكم العمرة :

والعمرة واجبة في قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبي : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقولها : (وأتموا الحج والعمرة لله) بالرفع لا يعطفم على الحج ، وقال عطاء : هي واجبة إلا على أهل مكة . ويكره مالك أن يعتصر الرجل في العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجمهور العلماء على الإباحة في ذلك ، وهو قول علي وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد قالوا : يعتصر الرجل في العام ما شاء ^(١) .

(١) حقق الإمام ابن القيم هذه المسألة ، وانتهى إلى نتيجة هي أن المسلم يجوز له أن يعتصر في العام ما شاء ، فانظر ص ٣٦٣ وما بعدها ، زاد المعاد .

تفسير شعر عمار :

وذكر قول عبد الله بن رَوَاحَةَ وهو أَخَذَ بِحِطَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ^(١)
وَيُرْوَى الْيَوْمَ تَضَرُّبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ بِكَوْنِ الْبَاءِ ، وَهُوَ جَائِزٌ
فِي الْفُرُوزَةِ نَحْوَ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْتَقِبِ^(٢)

ولا يبعد أن يكون جائزاً في الكلام إذا اتصل بضمير الجمع ، فقد روى
عن ابن عمرٍو أنه كان يقرأ ﴿يَأْمُرُكُمْ وَيَنْهَى عَنْكُمْ﴾ وهذان البيتان الأخيران
هما لعمار بن ياسر ، كما قال ابن هشام ، قالها يوم صفين ، وهو اليوم الذي قُتِلَ
فيه عمارُ ، قتله أبو الفادية الفزاري وأدبُ جَزَاءً اشتركا فيه .

حكمم الزواجر للمحمود

فصل : وذكر تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لميمونة بنت

(١) يعني : إنكار تنزيله .

(٢) رواية البيت في اللسان هكذا :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْتَقِبِ لَأَمْنًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلِ

الحارث الهلالية، وأُمها هند بنت عوف الكِنَانِيَّة إلى آخر قصتها ، وفيه أن حُوَيْطَبَ بن عَبْدِ الْمُزَيِّ ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث : أخرجُ عَنَّا ، وقد كان أراد أن يَبْدِي عِيْمُونَةَ في مكة ، ويصنع لهم طعاماً ، فقال له حُوَيْطَبُ : لا حاجة لنا بطعامك فأخرجُ عَنَّا ، فقال له سعد : يَا عَصَا يَبْظُرُ أَنَّهُ أَرْضُكَ وَأَرْضُ أَثَمَك ؟ هي دونه ؟! فأسكته النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج وفاءً لهم بشرطهم ، وابتنى بها بِسَرَفٍ ، وبَسْرَفٍ ، كانت وفاتها رضى الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة ثَلَاثٍ وستين ، وقيل : سَفَةِ سِتٍّ وستين ، وصلى عليها ابنُ عباس ، ويزيدُ بن الأصم ، وكلاهما ابنُ أُخْتِهَا ، ويقال : فيها نزلت : ﴿ وَامْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ الأحزاب : ٥٠ في أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها ، وهي على بَعِيرِهَا ، فقالت : البعيرُ وما عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . واختلف الناس في تزويجه إِيَّاهَا أكان مُحْرِمًا أم حَلَالًا ، فروى ابنُ عباس أنه تزوجها مُحْرِمًا ، واحتج به أهلُ العراق في تجوز نكاح المُحْرِمِ ، وخالفهم أهلُ الحِجَاز ، واحتجوا بنهيهِ عليه السلام عن أن يُنْكَحَ المُحْرِمُ أو يُنْكَحَ ، وزاد بعضهم فيه : أو يُخْطَبُ ^(١) من رواية مَالِكٍ ، وعارضوا حديث ابنِ عَبَّاسٍ بحديث يزيد ابنِ الأصم أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج مَيْمُونَةَ وهو حَلَالٌ ^(٢) وخرج

(١) رواية مسلم عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا ينكح المحرم ، ولا ينكح ولا يخاطب ، وحديث ابن عباس في الصحيحين والموطأ والسنن .

(٢) رواه مسلم .

الدَّارَقُطْنِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ ، وَهُوَ حَلَالٌ . وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ طَرِيقٍ ضَعِيفٍ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ مُحْرَمٌ كَرَوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَفِي مَسْنَدِ الْبَزَّازِ مِنْ
حَدِيثِ مَسْرُوقٍ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُحْرَمٌ ، وَاحْتَجَمَ ، وَهُوَ مُحْرَمٌ ، وَإِنْ لَمْ تَذْكُرْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ
مَيْمُونَةَ ، فَتُكَاحُهَا أَرَادَتْ ، وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَخَرَجَ الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ ابْنِ
عَبَّاسٍ ، وَلَمْ يَعْلَمْهُ هُوَ ، وَلَا غَيْرُهُ ، وَرَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ قَالَ : غَلَطَ
ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْ قَالَ وَهْمٌ ، مَا تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ حَلَالٌ .
وَلَمَّا أَجْمَعُوا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَزَوَّجَهَا مُحْرَمًا ،
وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْحَدَّثِينَ غَيْرَ ذَلِكَ اسْتَفْرَبْتُ اسْتَفْرَابًا شَدِيدًا مَا رَوَاهُ
الدَّارَقُطْنِيُّ فِي السُّنَنِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْأَسْوَدِ يَتِيمِ عُرْوَةَ ، وَمِنْ طَرِيقِ مَطَرِ
الْوَرَّاقِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ
مَيْمُونَةَ ، وَهُوَ حَلَالٌ ، فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ عَنْهُ مُوَافِقَةٌ لِرَوَايَةِ غَيْرِهِ ، فَنَقَفَ عَلَيْهَا ،
فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ شَيْوْخِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ مَنْ يَتَأَوَّلُ قَوْلَ
ابْنِ عَبَّاسٍ : تَزَوَّجَهَا مُحْرَمًا ، أَيْ : فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَفِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ ، وَذَلِكَ
أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ فَصِيحٌ ، فَتَسْكَلِمُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يُرِدِ الْإِحْرَامَ
بِالْحَجِّ ، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَتَلُوا ابْنَ عَمَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرَمًا بَدَعًا فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ يُجَدِّدُ

وذلك أن قتله كان في أيام التشريق^(١)، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس، أولاً.

غزوة مؤتة

وهي ميموزة الواو، وهي قرية من أرض البلقاء من الشام، وأما المؤتة - بلا همز، ففُتْرَبَ من الجُتُونِ، وفي الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول في صلاته: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونَفْخِهِ وَنَفْثِهِ. وفسره راوى الحديث، فقال: نَفْثُهُ: الشَّمْرُ، ونَفْخُهُ: السِّكِّيرُ، وهمزه: المؤتة.

تفسير (وإن منكم إلا واردة):

ذكر في هذه الغزوة قول عبد الله بن رَوَاحَةَ حين ذكر قول الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردة﴾ مريم: ٧١: فلست أدري كيف لي بالصدّر بعد ورود، وقد تكلم العلماء فيها بأقوال، منها أن الخطاب متوجه إلى الكفار على الخصوص، واحتج قائلوه بهذه المقالة بقراءة ابن عباس: وإن منهم إلا واردة^(٢)، وقالت طائفة: الورد همنا هو الإشراف عليها ومعاً يمتها.

- (١) يقال: أحرم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرم: إذا دخل في الشهر الحرام، وإن كان -للا-.
- (٢) لا يصلح هذا القول، فالخطاب للإنسان، بدليل قوله سبحانه (ثم ننجى الذين آمنوا ونذر الظالمين فيها جثياً).

وَحَكَّوْا عَنِ الْعَرَبِ : وَرَدَّتْ الْمَاءَ ، فَلَمْ أَشْرَب . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : الْوُرُودُ
 هَهُنَا هُوَ الْمُرُورُ عَلَى الصَّرَاطِ ، لِأَنَّهُ عَلَى مَتْنٍ جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا ، وَرَوَى أَنَّ
 اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِيهَا ، نَحْمُ بِئَادَى مُسَادٍ : خُذِي
 أَصْحَابَكَ وَدَعِي أَصْحَابِي ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : الْوُرُودُ أَنْ يَأْخُذَ الْعَبْدُ بِحِفْظِهَا ،
 سَوْفَ يَكُونُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا بِالْحَقِيقَاتِ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :
 الْحَقُّ كَبِيرٌ مِنْ جَهَنَّمَ ، وَهُوَ حِفْظُ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ ^(١) .

شرح شعر ابن رَوَاحَةَ :

يُؤْذِرُ شِعْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَفِيهِ :

تَقَرُّ مِنْ ^(٢) الْحَشِيشِ لَهَا الْمُكُومُ

تَقَرُّ : أَيْ يَجْمَعُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَالْمُكُومُ : جَمْعُ عِكَمٍ ^(٣)

وَفِيهِ :

مِنَ الْقَبَارِ لَهَا بَرِيمٌ ^(٤)

(١) أَمَّا نَظْمُ الْآيَةِ فَيُؤَكِّدُ الْوُرُودَ لِكُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ، غَيْرَ أَنَّ آيَاتِ الْإِنْجَاءِ
 الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا ، وَالْقَطْعُ فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُمْ لَنْ يُعَذِّبُوا فِيهَا آيَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَلِهَذَا يُجِبُّ أَنْ نَفْهَمَ
 فِي الْوُرُودِ هُنَا أَنَّهُ لَيْسَ دَخُولًا فِيهَا وَهِيَ تَكَادُ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْفَيْظِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَشْبَهُ
 شَيْءٍ بِالْإِشْرَافِ عَلَيْهَا وَشُهُودِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) هِيَ فِي السَّيْرِ : تَقَرُّ . وَفَسَّرَهَا الْحَشْنَى بِقَوْلِهِ : أَيْ تَطْلُمُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، وَفِي
 الْبِدَايَةِ لِأَنَّ كَثِيرَ : تَعَرُّ بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْعَيْنِ .

(٣) فَسَّرَهَا الْحَشْنَى بِأَنَّهَا الْجَنُوبُ .

(٤) فِي السَّيْرِ : الْقَبَارِ لَهَا بَرِيمٌ .

البريم : خيَطٌ تَحْتَرِمُ به المرأة ، والبريم أيضاً : لقيفُ الناسِ ،
وأخلاقُهم ، ويقال : هم بريمان ، أى لؤنان مُحْتَلِطَان .

وفيه :

أقامتْ كَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ

قال الشيخ أبو بجر : مَعَانٍ بضم الميم ، وجَدته في الأصلين ، وأصلحه علينا
القاضي - رحمه الله - حين السماع : مَعَانٍ بفتح الميم ، وهو اسم مَوْضِع ، وذكره
البكري بضم الميم ، وقال : هو اسم جَبَلٍ ، والمَعَانُ أيضاً : حيث تُخْبَس الخيل
والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أَمَعَتْ النظر ، أو من الماء
الْمَعِين ، فيكون وزنه فعالاً ، ويجوز أن يكون من العَوْن ، فيكون وزنه
مفعلاً ، وقد جَنَّس المَعْرَى بهذه الكلمة ، فقال :

مَعَانٌ مِنْ أَحَبَبَّتْنَا مَعَانٌ تُجِيبُ الصَّاهِلَاتِ بِهَا الْقِيَانُ^(١)

وقوله :

قَرَّاضِيَةُ التَّمِيشَةِ طَلَقَتْهَا

(١) البيت من أول قصيدة له في سقط الزند ، ومعان الأولى موضع والآخرة :
المنزل . تقول العرب : الكوفة معان منا أى منزل . والمعنى : إن هذا الموضع
الذى يقال له معان : هو منزل أحببنا ينزلون به ، ولهم خيول تصهل ، وقيان
تقنى ، وكان المغنيات تجيب الخيل . ويقصد أنهم ملوك عديم أداة الحرب ،
وأسياب الرفاهية . أنظر ص ٥٤ من شرح التنوير على سقط الزند ط ١٣٣٤ هـ .
(٣ م - الروض الأثف ج ٧)

أى : المعيشة المرصية ، وبنائها على فاعلة ، لأن أهلها راضون ، لأنها
في معنى صالحة ، وقد تقدم طرّف من القول في هذا المعنى .

وقوله : وَخَلَاكَ ذَمٌّ ، أى : فارقك الذمُّ ، فليست بأهل له ، وقد أحسن
في قوله :

فَشَأْنُكَ أَنْعَمَ وَخَلَاكَ ذَمٌّ

بعد قوله : إِذَا بَلَغْتَنِي^(١) ، وأحسن أيضاً مَنْ اتَّبَعَهُ في هذا المعنى ، كقول
أبي نواس :

وَإِذَا التَّعَلَّى بَنَا بَلَاغُنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ
وكقول الآخر :

تَجَوَّزَ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ رِحْلَةٍ بَانَاقُ إِنْ قَرَّبْتَنِي مِنْ قُتْمٍ^(٢)
وقد أساء الشَّامُخُ حيث يقول :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَوَابَةَ فَاشَرِّقِي بَدَمَ الْوَتِينِ^(٣)

(١) في السيرة : أدبتى .

(٢) البيت لداود بن سلم التيمي يمدح قثم بن العباس ومنها خمسة أبيات في
في ذيل الأمالى لقالى ص ١٢٩ ط ٢ ومنها :

أصم عن قول الخنا سمعه وما عن الخبير به صمم
(٣) يمدح عرابة بن أوس . وغرضه أنه لا يزال لأن الممدوح يحمله
ويعطيه . وانظر ص ٢١٩ سمط اللال فيها الموازنة بين هذه الآيات .

ويذكر عن الحسن بن هانيء أنه كان يَشْنُوهُ إذا ذكر هذا البيت ،
وذكر مُهْلِلُ بْنُ يَمُوتِ بن الزرع عن أبي تمام أنه قال : كان الحسن يَشْنُو
الشَّامُخَ ، وأنا ألعنه من أجل قوله هذا .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم للغفاريَّة : بئس ما جَزَيْتُمَا ^(١) يَشْدُ
الفرضَ الْمُتَقَدِّمَ ، ويشهد لصحته .

وقوله : مُسْتَنْهَى الثَّوَاءِ : مُسْتَنْفَعِلٌ مِنَ التَّهْيَاةِ والانتهاء ، أى حيث انتهى
مَثَوَاءُ ، ومن رواه : مُسْتَمَيَّ الثَّوَاءِ ، أى لا أريد رجوعا .
وقوله :

حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سِنْبًا ^(٢)

أى حَذَوْنَاهَا نِعَالًا مِنْ حَدِيدٍ جَعَلَهُ سِنْبًا لَهَا ^(٣) ، بَحَارًا . وَصَوَّانٌ مِنَ
الصَّوْنِ ، أى : بصون حَوَافِرِهَا ، أو أخفافها ، إن أراد الإبلَ ، فهو فَعَالٌ
مِنَ الصَّوْنِ ، فقد كانوا يَحْدُونَهَا السَّريَّحَ وهو جلد بصون أخفافها ، وأظهر
من هذا أن يكونَ أراد بالصَّوَّانِ يَبِيسَ الأَرْضِ ، أى لا سِنْبَ لَهُ إِلَّا ذَلِكَ ،
ووزنه فَعْلَانٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَحَلَّةٌ خَاوِيَةٌ أَيْ يَابِسَةٌ ، وأنشد أبو علي :

(١) هاجرت الغفارية إليه من مكة على ناقة ، فقالت : إني نذرت إن بلغتني
إليك أن أنحرها .

(٢) عيب السهيل أنه لا يرتب في شرحه . فهو ينتقل من قصيدة إلى أخرى ،
ثم يعود إلى التي تركها .

(٣) السبب : النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة .

قَدَّأَوْ بَيْتُ كُلِّ مَاءٍ فَهِيَ صَاوِيَةٌ [مهما نُصِبَ أَقَامَن بَارِق تَشِم] ^(١)

ويشهد لمعنى الصَّوَّانِ هنا قول النابغة الذبياني :

بَرَى وَقَعَ الصَّوَّانِ حَدَّ نُسُورِهَا [فَهِنَّ لَطَافٌ كَالصَّغَادِ الذَّوَابِلِ]

وعينُ الفعلِ في صَوَّانٍ ولا مِه واو ، وأدخَلَ صاحبُ العينِ في بابِ الصادِ والواوِ والياءِ هذا اللفظَ ، فقال : صَوِيَّ يَصْوِي : إِذَا بَدَسَ ، وَنَحْلَةٌ صَاوِيَةٌ ، ولو كانَ مما لامه ياءٌ ، لَقِيلَ في صَوَّانٍ صَيَّانٌ ، كما قيلَ طَيَّانٌ وَرَيَّانٌ ، ولكن لما انقلبَت الواوُ ياءً من أَجْلِ الكثرةِ تَوَهَّم الحرفَ من ذَوَاتِ الياءِ وقول عبد الله :

هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْقَةٌ فِي شَنْةٍ

النُّطْقَةُ : القليلُ من الماءِ ، والشَنْةُ : السَّقاءُ البالي ، فَيُوشِكُ أَنْ تَهْرَاقَ النُّطْقَةُ ، وَيَنْخَرِقَ السَّقاءُ ، ضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا لِنَفْسِهِ فِي جَسَدِهِ .

عُفْرُ جَعْفَرٍ فَرَسَهُ وَمَقْنَرَهُ :

وأما عُفْرُ جَعْفَرٍ فَرَسَهُ ، ولم يَبْعِبْ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، فدلَّ على جواز ذلك إِذَا خِيفَ أَنْ يَأْخُذَهَا الْعَدُوُّ ، فيقاتل عليها المسلمون ، فلم يَدْخُلْ هذا في بابِ التَّنْهِي عن تعذيب البهائم ، وَقِيلَها عَيْتًا . غير أن أبا دَاوُدَ خَرَّجَ هذا الحديثَ ،

(١) البيتُ لساعدة يصف بقر وحش . والنخلة الصاوية التي إذا عطشت ويبست وضمرت .

فقال : حدثنا النعماني قال : حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن ابنه عباد يعني : يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال حدثني : أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وهو أحد بني مُرَّة بن عَوْف ، وكان في تلك الْغَزَاةِ غَزَاةِ مُوْتَةَ ، قال : والله لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى جَعْفَرٍ حِينَ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءٌ فَعَمَّرَهَا ، ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ .

قال أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ^(١) ، وقد جاء فيه نهى كثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم في جعفر : فَأَنَابَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ . وَرَوَى عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ ، فَرَأَيْتُ جَعْفَرًا يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ، وَجَنَاحَاهُ مُضَرَّجَانِ بِالْدمِ ^(٢) . وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مُثِّلْ لِي جَعْفَرٌ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي خِيْمَةٍ مِنْ دَرِّ عَلَى أَمْرِئَةٍ ، فَرَأَيْتُ زَيْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ فِي أَعْنَاقِهِمَا صُدُودٌ ، وَرَأَيْتُ جَعْفَرًا مُسْتَقِيمًا ، فَقِيلَ لِي : إِنَّهُمَا حِينَ غَشِيَهُمَا الْمَوْتُ أُعْرِضَا بوجوههما ، وَمَضَى جَعْفَرٌ ، فَلَمْ يُعْرِضْ ، وَسَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاطِمَةَ حِينَ جَاءَ نَبِيَّ جَعْفَرٍ يَقُولُ : وَاعْمَأَدُ ،

- (١) جزم الحافظ أنه حديث حسن . والاصح أن جعفر مات وقد استوفى أربعين سنة وزاد عليها ، وجزم ابن عبد البر أن سنه كان إحدى وأربعين سنة . وفي رواية للبخاري أنهم وجدوا بجسمه بضعا وتسعين من طعنة رمح ورمية بسهم .
- (٢) رواه الحاكم والطبراني عن ابن عباس مرفوعا .

فقال : على مثل جَعْفَرٍ ، فَلْتَبْكِ البواكي . وكان أبو هريرة يقول :
ما احتذى النمل ، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل
من جَعْفَرٍ . وقال عبد الله بن جعفر : كنت إذا سألت علياً حاجة ، فنعتني
أَقِيمَ عليه بِحَقِّ جَعْفَرٍ فِيمَطِينِي ^(١) .

معنى الجناحين :

ومما ينبئ الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يَشِقُّ إلى الوم
على مثل جَنَاحَيْ الطائر وريشه ، لأن الصورة الآدمية أشرفُ الصُورِ ،
وأكملها ، وفي قوله عليه السلام : إِنْ اللهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ^(٢) تشریفٌ
له عظيمٌ ، وحاشا لله من التشبيه والتمثيل ، ولكنها عبارة عن صِفَةِ مَلَكَيَّةِ
وقوة رُوحَانِيَّةٍ ، أُعْطِيَهَا جَعْفَرٌ كَمَا أُعْطِيَتْهَا الْمَلَائِكَةُ ، وقد قال الله تعالى لموسى :
﴿ اصْنَعْ مِثْلَ ذَلِكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ طه : ٢٣ فعبّر عن المُضَدِّ بِالْجَنَاحِ تَوْسَعًا ، وليس
تَمِّمٌ طَبْرَانٍ ، فكيف بمن أُعْطِيَ الْقُوَّةَ عَلَى الطَّيْرَانِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ أُخْلِقَ بِهِ
إِذَا : أَنْ يُوصَفَ بِالْجَنَاحِ مَعَ كَمَالِ الصُّورَةِ الْآدَمِيَّةِ وَتَمَامِ الْجَوَارِحِ الْبَشَرِيَّةِ ،
وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يُتَوَقَّعُ مِنْ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ ،
ولكنها صفات مَلَكَيَّةٌ لَا تُفْهَمُ إِلَّا بِالْمَعَانِيَةِ ، واحتجوا بقوله تعالى :
﴿ أُولَى أَجْنِحَةٍ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ فاطر : ١ فكيف تكون كأجنحة

(١) هذا دليل وضحه ، فاكان لعل أن يقبل من امرىء الخلف بغير الله ١١ .

(٢) عرج في الصحيحين .

«الطير على هذا، ولم يُرَ طائر له ثلاثة أجنحة، ولا أربعة، فكيف بسمائة جناح، كما جاء في صفة جبريل عليه السلام، فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها بتلفيكر، ولا ورد أيضاً في بيانها، خبر، فيجب علينا الإيمان بها^(١)، ولا يفيدنا علماً بإعمال الفكر في كَيْفِيَّتها، وكل امرئ في قريب من معاينة ذلك.

فإنما أن يكون من الذين تَنَزَّلُ عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، وإما أن يكون من الذين تقول لهم الملائكة، وهم باسطوا أيديهم: أخرجوا أنفسكم اليوم تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ.

فضل ابن ربيعة:

روأما عَبْدُ اللَّهِ بن رَوَاحَةَ فقد ذكر ابن إسحاق ما ذكر من فضائله.

«وذكر قوله للنبي صلى الله عليه وسلم:

تَنَبَّأَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَنَبَّأَ مُوسَى وَتَقَرَّأَ كَالَّذِي تُبْصِرُوا

(١) لقد بين الله في القرآن أنها أجنحة، فيجب علينا الإيمان بأنها أجنحة لا يمكنها لا تشبه جناح طيور، فكل شيء يناسب خلقه. ولا يجوز بحال تأويلها بأنها صفات، فهو قول على الله بنهر عام. ولهذا رد الحافظ في الفتح كلام السبيل بقوله: وهذا الذي جزم به في مقام المنع، والذي نقله عن العلماء ليس صريحاً في الدلالة لما ادعاه، ولا مانع من الحل على الظاهر إلا من جهة ما ذكره من المعبود، وهو من قياس الغائب على الشاهد، وهو ضعيف، وكون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حل الخبر على ظاهره لأن الصورة حاقية، ص ٤١٦ - فتح الباري.

وروى غيره أنه عليه السلام قال له : قل شعراً تَقْتَضِيهِ اتِّصَالِيَا ، وأنت
أنظر إليك ، فقال من غير رَوِيَةٍ :

إني تَفَرَّسْتُ فيكَ الخير

الآيات ، حتى انتهى إلى قوله :

فَنَبَّأَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : وأنتَ فَنَبَّأَكَ اللهُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ ^(١) .

فضل زبير :

وأما زَيْدٌ فقد تقدم التعريفُ به وبِحَمَلَةٍ من فضائله في أحاديثِ
التَّبَعِثِ ، وَحَسْبُكَ بِذِكْرِ اللهِ له باسمه في القرآن ، ولم يُذكر أحدٌ من
الصَّحَابَةِ باسمه سواه ، وقد بينا النُّسْكَةَ في ذلك في كتاب التعريف والأعلام ،
فَلْيُنْظَرْ هُنَاكَ .

رجوع أهل مؤتة :

فصل وذكر رجوع أهلِ مُؤَتَةَ ، وما لقوا من الناس ، إذ قالوا لهم :
يَا فُرَّارُ ، فَرَزْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، ورواية غير ابنِ إسحاق أنهم قالوا للنبي -
صلى الله عليه وسلم - تَحْنُ الْفَرَّارُونَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فقال : بل أنتم الكَرَّارُونَ ،
وقال لهم : أَنَا فَنَبَّأْتُكُمْ ، يريد : أن مَنْ قَرَّ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِتْنَةِ الْمُسْلِمِينَ ^(٢) ،

(١) لم يسند قوله هذا .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن لا نعرفه إلا
من حديث ابن أبي زياد ، وفيه : لا ، بل أنتم المكارون ، أنا فتتكم ، وأنا فتتكم
المسلمين .

فلا حَرَجَ عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فرغ عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أي لم يلجأ إلى حوزته ، فيكون معه ، فالمُتَحِيزُ مُتَقَبِّلٌ من الحوزة ، ولو كان وزنه مُتَعَمِّلاً ، كما يظن بعضُ الناس لَقِيلَ فيه : مُتَحَوِّزٌ . وروى أن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بلغه قتلُ أَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَيَّامِ الْقَادِسِيَّةِ ، قَالَ : هَلَا تَحِيزُوا إِلَيْنَا ، فَإِنَّا فِيئَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

وذكر ابنُ إِسْحَاقَ مُحَاشَاةَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِالنَّاسِ يَوْمَ مَوْتِهِ . وَالْمُحَاشَاةُ : الْمُحَاجَزَةُ ، وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْحَشْيَةِ ، لِأَنَّهُ حَشَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِقَاءَ عَدُوِّهِمْ ، فَقَدْ قِيلَ : كَانَ الْعَدُوُّ مَائَتِي أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَخَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الْعَرَبِ ، وَمَعَهُمْ مِنَ الْخِيُولِ وَالسَّلَاحِ مَا لَيْسَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَفِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ : وَكَانَ الْعَدُوُّ مَائَةً أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفًا ، وَقَدْ قِيلَ : إِنْ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَبْلُغْ عَدْدُهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَمِنْ رَوَاهُ : حَاشَى بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، فَهُوَ مِنَ الْحَشْيِ ، وَهِيَ النَّاحِيَةُ ، وَفِي رِوَايَةِ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ : حَاشَى بِهِمْ ، فَقَالَ : مَعْنَاهُ : انْحَازَ بِهِمْ ، وَشَعَرَ قُطَيْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ بِدَلٍّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَمَّ ظَفَرٌ وَمَغْنَمٌ لِقَوْلِهِ :

وَسُقْنَا نِسَاءَ بَنِي عَمَّةٍ غَدَاةَ رُقُوقَيْنِ سَوَاقِ النَّعَمِ

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ أَنَّهُ قَتَلَ رَئِيسًا مِنْهُمْ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ رَافِلَةَ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ ، فَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ : فَأَخَذَ خَالِدٌ الرَّايَةَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَمَّ فَتْحٌ ، وَفِي الرَّايَةِ الْآخَرَى حِينَ قِيلَ لَهُمْ : يَا فُرَاتُ ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَمَّ مُحَاجَزَةٌ ، وَتَرَكْتُ لِلْقِتَالِ ، حَتَّى قَالُوا :

نحن القرارون ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم ، فإله أعلم ^(١) .

طعام التعزية وغيرها :

فصل : وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر أن يُسَنَّعَ لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامٌ ، فإنهم قد شُفِلُوا بِأمرِ صاحبهم ، وهذا أصلٌ في طعام التَّعْزِيَةِ وتُسَمِّيهِ الْعَرَبُ الْوَضِيعةَ ، كما تُسَمَّى طعام العُرْسِ الْوَلِيمةَ ، وطعام القادم من السفر : النَّقِيعةَ ، وطعام البناء الْوَكِيعةَ ، وكان الطعام الذي صُنِعَ لآلِ جَعْفَرٍ فيما ذكر الزبير ، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فَعَمَدَتِ سَلَمَى

(١) عند الحاكم أن خالد قاتلهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأصاب غنيمة ، وفي صحيح البخاري عن خالد : لقد انقطعت في يدي يوم مؤنة تسعة أسياف ، فأبقى في يدي إلا صفيحة يمانية . وعند أحمد ومسلم وأبي داود أن رجلا من أهل اليمن رافقه ، فقتل رومياً . وأخذ سلبه ، فاستكره خالد ، فشكاه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، كل هذا يدل على أن خالداً قاتل بالمسلمين الروم قتلاً شديداً . ورواية الصحيح : حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم ، وهذا يؤكد النصر . ولهذا يقول ابن كثير عن رواية ابن إسحاق التي يقول فيها إن المسلمين جعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون : يا فرار الخ يقول عنها : هذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة ، وعندى أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق ، فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان الذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم ، فلم يفروا ، بل تصروا كما أخبر بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين ، وهو على المنبر في قوله : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فإما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك ، وإنما يلقونهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان التأنيب ، وحتى التراب للذين فروا وتركوا

مَوْلَاةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَعِيرٍ ، فَطَاحَتْهُ ، ثُمَّ آدَمَتْهُ بَزَيْتٍ ، وَجَعَلَتْ عَلَيْهِ ذُلُقُلًا ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، وَحَبَسَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ إِخْوَتِي فِي بَيْتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

منه سَمَرٌ مَسَانِهِ فِي رِثَاءِ جَعْفَرٍ :

وَذَكَرَ قَوْلَ حَسَّانَ يَرِثُنِي جَعْفَرًا :

تَأَوَّ بِبَنِي لَيْلٍ يَبِثْرَبَ أُعْسَرُ

أُعْسَرُ : بِمَعْنَى : عَسِيرٌ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ يَوْمَ عَسِيرٍ ﴾ ، وَفِيهِ أَيْضًا ﴿ عَسِيرٍ ﴾ وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ ، فَنَ قَالَ : عَسَرُ [يَفْسَرُ] قَالَ : عَسِيرٌ بِالْيَاءِ ، وَمَنْ قَالَ : عَسِيرَ يَفْسَرُ ، قَالَ فِي الْأَسْمِ : عَسِيرٌ وَأُعْسَرُ ، مِثْلُ حَقِيقٍ وَأَحْمَقٍ .

وَفِي هَذَا الشَّعْرِ قَوْلُهُ :

بِهَاءِ لَيْلٍ مِنْهُمْ : جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيُّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ

الْبِهَاءِ لَيْلٍ : بِجَمْعٍ بُهْلُولٍ ، وَهُوَ الْوَضِيُّ وَالْوَجْهُ مَعَ طَوْلٍ .

وَقَوْلُهُ : مِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ ، فِدَاعًا بِهِ بَعْضُ النَّاسِ لِمَا أَضَافَ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَيْسَ بِمُعَيَّبٍ ؛ لِأَنَّهُمَا أَيْسَتْ بِإِضَافَةِ تَعْرِيفٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَشْرِيفٌ لَهُمْ سَبِيحٌ كَانَتْ مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا ظَهَرَ الْعَيْبُ فِي قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

كَيْفَ لَا يَدْنِيكَ مَنْ أَمَلِ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ تَفَرٍّ

لِأَنَّهُ ذَكَرَ وَاحِدًا ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ ، فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ مَا عَيْبَ عَلَى الْأَعَشَى :

شَتَّانَ مَا يَوْنِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ
وكان حَيَّانُ أَسَنَ من جابر، وأشرفَ، فمَضِبَ على الأعشى حيث عرفه -
بجابر، واعتذر إليه من أجل الرِّوْيِ، فلم يقبل عُدْرَه، ووجدت في رسالة
المهمل بن يَمُوت بن المزرع، قال: قال على بن الأصغر، وكان من رُواة
أبي نُوَاسٍ قال: لما عمل أبو نواس:

أَيُّهَا الْمُنتَابُ عَنْ عُفْرِه

أُنشدنيها فلما بلغ قوله:

كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ تَفَرِّه

وقع لي أنه كلام مُسْتَهْجَنٍ في غير موضعه، إذ كان حقُّ رسولِ الله -
صلى الله عليه وسلم- أن يُضَافَ إليه، ولا يُضَافَ إلى أَحَدٍ، فقلت له: أعرفت
عيبَ هذا البيت؟ قال: ما يسيبه إلا جاهل بكلام العرب، وإنما أردت أن
رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - من القبيل الذي هَذَا الممدوح مِنْهُ،
أما سمعت قول حسان بن ثابت شاعرِ دين الإسلام:

وما زال في الإسلام من آلِ هاشمٍ دُعَاءُ عِزٍّ لَا تُرَامُ وَمَقَرٍّ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحَدُ الْمُتَخَيَّرِ

وقوله:

بِهِمْ تُفَرِّجُ اللَّأْوَاءَ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ * عَمَّاسٍ

الْمَازِقُ : الْمَضِيقُ مِنْ مَضَائِقِ الْحَرْبِ وَالْخُصُومَةِ ، وَهُوَ مَنْ أَرْقَتْ
الشَّيْءَ إِذَا ضَيَّقْتَهُ ^(١) ، وَفِي قِصَّةِ ذِي الرُّمَّةِ قَالَ : سَمِعْتُ غُلَامًا يَقُولُ لِامَلِكَةِ ،
قَدْ أَرْقَيْتُمْ هَذِهِ الْأَوْقَةَ حَتَّى جَعَلْتُمُوهَا كَالْيَمِّ ، ثُمَّ أَدْخَلَ مَنَاجِيحَهُ ^(٢) ، يَعْنِي :
عَقِبَةَ فَيْهَاءَ ، فَجَنَجَنَجَهُ ، حَتَّى أَفْهَقَهَا ، أَيْ حَرَّكَهُ حَتَّى وَسَعَهَا . وَالْعَمَاسُ :
الْمُظْلَمُ ، وَالْأَعْمَسُ : الضَّعِيفُ الْبَصَرِ ، وَخُفْرَةٌ مُعَمَّسَةٌ ، أَيْ مُفْطَأَةٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَإِنَّكَ قَدْ غَطَّيْتَ أَرْجَاءَ هُوَّةٍ مُعَمَّسَةٍ لَا يُسْتَبَانَ تَرَابُهَا
بِشَوْبِكَ فِي الظُّلُمَاءِ ، ثُمَّ دَعَوْتَنِي لِفَجْتٍ إِلَيْهَا سَادِرًا لَا أَهَابُهَا
أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي خَبَرِ لُزْرَارَةَ بْنِ عُدُسٍ .

مول شعر كعب :

وَذَكَرَ شُعْرَ كَعْبٍ وَفِيهِ :

سَحَا كَمَا وَكَفَ الطَّابَابُ الْمُخْضِلُ

الطَّابَابُ : جَمْعُ طِبَابِيَّةٍ ، وَهِيَ سَيْرٌ بَيْنَ خَرَزَاتَيْنِ فِي التَّمَرَادَةِ ، فَإِذَا كَانَ غَيْرُ
مُخْسَمٍ وَكَفَ مِنْهُ اللَّسَاءُ ، وَالطَّابَابُ أَيْضًا : جَمْعُ طَبِيَّةٍ ، وَهِيَ شَقَّةٌ مُسْتَطِيلَةٌ .

وَقَوْلُهُ : طَوَّرًا أَخِي . ائْتَلَيْنُ بِالْخَلَاءِ الْمَنْقُوطَةِ حَتَّى بِيكَا ، فَإِذَا كَانَ
بِالْخَلَاءِ الْمَمْلُوءَةِ ، فَلَيْسَ مَعَهُ بِيكَا وَلَا دَمْعٌ .

(١) فِي الْقَامُوسِ : أَرْقَى صَدْرُهُ كَفَرَحٍ وَضَرْبٍ ، ضَاقَ أَوْ تَضَاقَى فِي الْحَرْبِ
كَتَازَقٍ ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّسَانُ غَيْرَ أَرْقَى كَفَرَحٍ .
(٢) هِيَ عَلَى وَزْنِ مَنْبَرٍ وَجَلَسَ .

الاستسقاء للقبور عند العرب :

وقوله : وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمُسِيلُ . يرد قول من قال : إنما استسقت العربُ قبور أحببها لِتَخْصَبَ أَرْضُهَا فلا يحتاجون إلى الانتقال عنها لطلب النُجْمَةِ في البلاد . وقال قاسم بن ثابت في الدلائل : فهذا كَعَبٌ يَسْتَسْقِي لِعِظَامِ الشَّهَدَاءِ بِمُوتَةٍ ، وليس معهم ، وكذلك قول الآخر :

سَقَى مُطَفِئَاتِ الْمَجَلِ جُودًا وَدِيمَةً عِظَامِ ابْنِ أَيْلَى حَيْثُ كَانَ رَمِيمُهَا

فوقوله : حيث كان رَمِيمُهَا يدل على أنه ليس مُعْجَبًا معه ، وإنما استسقاؤهم لأهل القبور استرحامٌ لهم ، لأن السَّقَى رحمة ، وضدها عذاب .

وقوله : كَانَهُمْ مُنْقَضٌ ، جمع : فَنَيْقٌ ، وهو الفَحْلُ ، كما قال الآخر ، وهو طخيم :

مَعِيَ كُلُّ فَضْفَاضٍ الرُّدَاءِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا مَرَّتْ فِيهِ الْعِدَامُ فَنَيْقٌ

وقوله :

فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمَذِيرُ لَفَقْدِهِ وَالشَّمْسُ مُذْكَرُ كَيْفَتِ وَكَادَتْ تَأْتِي

قوله حق ، لأنه إن كان عني بالقمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله قرأً ، ثم جعله شمساً ، فقد كان تذكيراً بالْحُزْنِ لِفَقْدِ جَعْفَرٍ ، وإن كان أراد القمر نفسه ، فمعنى الكلام ومنزاه حقٌ أيضاً ، لأن التَّهْوُمَ منه تَعْظِيمُ الْحُزْنِ والمصاب ، وإذا فهم مَغْزَى الشَّاعِرِ فِي كَلَامِهِ ، وَالْبَائِغُ فِي الشَّيْءِ فَلَيْسَ بِكَذِبٍ ،

ألا ترى إلى قوله عليه السلام : أما أبو جهنم فلا يضع عصاه عن قاتقه ، أراد به المبالغة في شدة أدبه لأهله ، فكلامه كله حق - صلى الله عليه وسلم - وكذلك قالوا في مثل قول الشاعر [طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ] :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَ غَضْبَةً مُقْصِرَةً

هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ ، أَوْ قَطَرَتْ دَمًا^(١)

قال : إنما أراد قتلنا فقلة شنيعة عظيمة ، ف ضرب المثل بهتك حجاب الشمس ، وفهم مقصده ، فلم يكن كذباً ، وإنما الكذب أن يقول : فملنا ، وهم لم يفعلوا ، وقتلنا وهم لم يقتلوا .

من شعر صباه في رثاء جعفر :

وذكر أبيات حسن ، وفي بعضها تضمين ، نحو قوله : وأذلها ، ثم قال في أول بيت آخر : لأحق ، وكذلك قال في بيت آخر : وأقلها ، وقال في الذي بعده : فحشاً ، وهذا يسمى التضمين .

وذكر قدامة في كتاب نقد الشعر أنه عيب عند الشعراء ، ولعمري إن فيه مقالاً ، لأن آخر البيت يوقف عليه ، فيوم الدم في مثل قوله : وأذلها ، وكذلك ، وأقلها ، وقد غلب الزبرقان على الخليل السعدي^(٢) ، واسمه : كعب بكامة قالها الخليل أشمر منه ، ولكنه لما قال يهجووه :

(١) في رواية : مطرت ، وهي أليق .

(٢) هو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة الحمصي . هذا قول محمد بن حبيب . وقال ابن الكلبي : الربيع بن ربيعة بن عوف . وقال ابن رآب : اسمه : كعب .

وَأَبُوكَ بِذُرِّكَانَ يَنْتَهَزُ الْخَصَى وَأَبَى الْجَوَادُ رِبْعَةُ بْنُ قَتَالٍ^(١)

وَصَلَ السَّكَّامَ بِقَوْلِهِ : وَأَبَى ، وَأَدْرَكَهُ بُهْرٌ أَوْ سُعْلَةٌ ، فَقَالَ لَهُ الزُّبْرَقَانُ :
فَلَا بَأْسَ إِذَا ، فَضَحَكَ مِنَ الْمُخْبَلِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ الزُّبْرَقَانُ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا
مَعْيِبًا فِي وَسْطِ الْبَيْتِ ، فَأَخْرَى أَنْ يُعَابَ فِي آخِرِهِ ، إِذَا كَانَ يَوْمَ الذِّمِّ ،
وَلَا يَنْدَفِعُ ذَلِكَ الْوَمُ إِلَّا بِالْبَيْتِ الثَّانِي ، فَلَيْسَ هَذَا مِنَ التَّحْصِينِ عَلَى الْمَعَانِي
سَوَالِ التَّوَقُّيِّ لِلْإِعْتِرَاضِ^(٢) .

وقول حسان :

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكَ الْمَنُورِ

النَّزْرُ : الْقَلِيلُ ، وَلَا يَحْسُنُ هُنَا ذِكْرُ الْقَلِيلِ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ نَزَرْتُ الرَّجُلَ
إِذَا أَلْحَتُ عَلَيْهِ ، وَنَزَرْتُ الشَّيْءَ إِذَا اسْتَنْفَذْتُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ - رَحِمَهُ
اللَّهُ - نَزَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) - الْأَصْحَحُ فِيهِ التَّخْفِيفُ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : قَتَالَ وَصَوَابُهُ مَا أَثَبَتْ .

(٢) الْمَضْمَنُ مِنَ الشَّعْرِ مَا ضَمِنْتَهُ بَيْتًا ، وَقِيلَ مَا لَمْ تَمِمْ مَعَانِي قَوَافِيهِ
إِلَّا بِالْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ . وَلَا يَعْيبُ الْأَخْفَشُ هَذَا ، وَقَالَ ابْنُ جَنِّي : هَذَا الَّذِي رَأَى
أَبُو الْحَسَنِ مِنْ أَنَّ التَّضْمِينَ لَيْسَ بِعَيْبٍ مَذْهَبُ تَرَاهِ الْعَرَبِ ، وَتُسْتَجِزُهُ وَانْظُرْ
الْحَسَانَ مَادَّةَ ضَمْنِ فَقِيهِ الْمَزِيدِ .

(٣) لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ شَيْءٍ مَرَارًا فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَالَ لِنَفْسِهِ :
شَكَلْتُكَ أَمَّا يَا عَمْرُ : نَزَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَارًا لَا يَجِيبُكَ .
أَيُّ الْحَمَتِ عَلَيْهِ فِي الْمَسَاءَةِ .

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثته إلى
مؤتة جادى الآخرة ورجباً.

قال الشاعر :

فَخُذْ عَفْوَ مَنْ تَهْوَاهُ لَا تَنْزُرْهُ
فَمَنْدُ بُلُوغِ السَّكْدِ رَنْقُ الْمَشَارِبِ^(١)
وقوله : يوم راحوا في وقعة التَّغْوِيرِ ، هو مَصْدَرُ غَوَّرْتَ إِذَا تَوَسَّطَ
الْقَاتِلُ مِنَ النَّهَارِ ، ويقال أيضاً : أغَوَّرَ فهو مُغَوِّرٌ ، وفي حديث الإفك :
مُغَوِّرِينَ فِي تَحْرِ الظَّهِيرَةِ ، وإنما صحت الواو في مُغَوِّرٍ ، وفي أغَوَّرَ من هذا ،
لأنَّ الْفِعْلَ بُنِيَ فِيهِ عَلَى الزَّوَادِ ، كما بُنِيَ اسْتَحْوَذَ ، وأَغْيَلَتِ الرَّأْيَ ، وليس
كَذَلِكَ أَغَارَ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَلَا أَغَارَ الْحَبْلُ .

وذكر فيمن استشهد بمؤتة أبا كليب بن أبي صَعَصَعَةَ . وقال ابن هشام : فيه
أبو كلاب ، وهو المعروف عندهم ، وقال أبو عمرو : لا يعرف في الصحابة أحد
يقال له أبو كليب^(٢) .

-
- (١) هو في اللسان وشطرته الأول هكذا : وفخذ عفو ما آتاك لاتنزروه . .
(٢) يقول الحافظ في الإصابة : يحتمل أن يكون أراد هذا . يعني
أبا كليب بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول الأنصاري أخا جابر شقيقه ،
ويحتمل أن يكون جد عاصم بن كليب فبن لعاصم رواية عن أبيه عن جده .
(٣) ٤ - البروس اللقب - ج ٧

ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوثير ، وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخزاعة أن رجلا من بني الحضرى ، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرى يومئذ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدبلى - وهم منخرو بنى كنانة وأشرافهم - سلمى وكنثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من بنى الدليل ، قال : كان بنو الأسود ابن رزن يؤدون فى الجاهلية ديتين ديتين ، ونودى دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حَجَزَ بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، كان فيما شرطوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم ، كما حدثني الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الدليل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك الغنم الذين أصابوا منهم بنى

الأسود بن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديلي ، وهو يومئذ قائمهم ، وليس كل بني بكر تابعه حتى بيئت خزاعة وهم على الوثير ، ما لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، وردت بني بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قلت بنو بكر : يا نوفل ، إننا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، فاعمرى إنكم لتشرقون ، في الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟ وقد أصابوا منهم ليلة بيئتوهم بالوثير رجلا يقال له منبه ، وكان منبه رجلا مفنودا خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إني لميت ، قتلوني أو تركوني لقد انتبت فزادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبه قتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة ، لجثوا إلى دار بديل ابن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع ؟ فقال تميم بن أسد يمتذر من فراره عن منبه :

شعر تميم في الاعتذار من فراره عن منبه

لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي مُفَاتَةَ أَقْبَلُوا يَفْشُونَ كُلَّ وَتِيرَةٍ وَحِجَابِ
صَخْرًا وَرَزْنَا لَاعَرِيبَ سِوَاهُمْ يُرْجُونَ كُلَّ مُقَاصٍ حِثَابِ
وَذَكَرْتُ دَحْلًا عِنْدَنَا مُتَقَادِمًا فِيمَا مَقَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْقَابِ
وَنَشِيتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تَلْقَائِهِمْ وَرَهْبْتُ وَقَعَ مُهْتَدٍ قَضَابِ

وعرفت أن من ينفقوه يتركوها تلخا لمجربة وشلو غراب
قومت رجلا لا أخاف عثارها وطاحت بالتمن العراء ثيابي
ونجوت لا ينجو نجائي أخقب عليج أقب مشمر الأقراب
تلحى ولو شهدت لكان نكيرها بولا يبل مشافر القباب
القوم أعلم ما تركت منبها عن طيب نفس فاسأل أصحابي

قال ابن هشام : وثرى لحبيب بن عبد الله (الأعمى) الهذلي . ويده :
« وذكرت ذحلا عندنا متقادما » عن أبي عبيدة ، وقوله « خناب » و « عليج »
أقب مشمر الأقراب » عنه أيضا .

شعر الأخزر في الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن إسحاق : وقال الأخزر بن لُفط الدبلي ، فيما كان بين كنانة وخزاعة
في تلك الحرب :

ألاهل أتى قصوى الأحابيش أنا رددنا بني كعب بأفوق ناصيل
حبسناهم في دارة العبد رافع وعند بدبل تحبسا غير طائيل
يدار الدليل الأخذ الضيم بعدما شمسنا النفوس منهم بالناصيل
حبسناهم حتى إذا طال يومهم نفحنا لهم من كل شنب بوابيل
نذبهم ذبح الثيوس كأننا أسود تبارى فيهم بالقواصيل
هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهم وكنوا لدى الأنصاب أول قاتل
كانهم بالجزع إذ يطرودونهم قفائور حمان النعام الجوافل

بدیل یرد علی الآخر

فأجابه بُدَيْل بن عبد مَنَافَة بن سَلَمَة بن عمرو بن الأَجَبَة ، وكان يقال له بُدَيْل بن أمّ أُصْرَم ، فقال :

لَمْ سَيِّدًا يَنْدُوهُمْ غَيْرَ نَافِلٍ	تَفَاقَدَ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ وَلَمْ نَدَعْ
تُجَيِّزُ الْوَتِيرَ خَائِفًا غَيْرَ آيِلٍ	أَمِنْ خِيفَةِ الْقَوْمِ الْأَكْبَى تَزْدَرِيهِمْ
لَمَقْلٍ وَلَا يُحْبِي لَنَا فِي الْعَمَاقِلِ	وَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَحْنُ نَحْبُو حِبَاءَنَا
بِأَسْيَافِنَا يَسْتَقِنَ لَوْنُ الْعَوَاقِلِ	وَنَحْنُ صَبَحْنَا بِالتَّلَاعَةِ دَارَكُمُ
إِلَى خَيْفِ رَضْوَى مِنْ بَحْرِ الْقَابِلِ	وَنَحْنُ مَنَعْنَا بَيْنَ بَيْضٍ وَعِتُودِ
عَيْنُ خِفْنَاهُ بِجَلْدٍ حُلَاحِلِ	وَيَوْمَ الْغَمِّ قَدْ تَكَلَّفْتَ سَاعِيَا
يُحْفَوُ سِهَا تَنْزُونَ أَنْ لَمْ تُقَاتِلِ	أَنْ إِنْ أُنْجَرَتْ فِي بَيْتِهَا أَمْ بَعْضُكُمْ
وَلَكِنْ تَرَكْنَا أَمْرَكُمْ فِي بَلَابِلِ	كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ مَا إِنْ قَتَلْتُمْ

قال ابن هشام : قوله « غير نافل » ، وقوله « إلى خيف رضى » عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان في الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

لَمْ أَحَدًا يَنْدُوهُمْ غَيْرَ نَاقِبِ	كَلِمَةُ اللَّهِ قَوْمًا لَمْ نَدَعْ مِنْ سَرَاتِهِمْ
مَتَى كُنْتَ مِفْلَاحًا عَدُوَ الْحَقَائِبِ	أَخْصِي حَارِمَاتَ بِالْأَمْسِ نَوَافِلَ

شعر عمرو الخزاعي للرسول يستنصره ورده عليه

قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونَفَضُوا ما كان بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استعَلُّوا من خُزاعة ، وكان في عَقْدِهِ وعَهْدِهِ ، خرج عمرو ابن سالم الخُزَاعِيُّ ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتَح مَسَكَةً ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظَهْرَ آتِي الناس ، فقال :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ غَمْدًا	حِلَفَ أَيْنَا وَأَيِّهِ الْآنُ
قَدْ كُنْتُمْ وُلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا	نُتِمَّتْ أَسْلَمُنَا فَلَمْ نَنْزِعْ بَدَا
فَانصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا	وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ بَيَانُوا مَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا	إِنْ سِيمَ خَسَفَا وَجْهُ تَرَبَّدَا
فِي قَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا	إِنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
وَنَفَضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكِدَا	وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَارِ رُصْدَا
وَزَعَمُوا أَنَّ لِسْتُ أَدْعُو أَحَدَا	وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا
فَمُ بَيِّتُونَا بِالْوَيْبِ هُجَّدَا	وَقَتَلُونَا رُكَّامًا وَسَجَّدَا

بقول : قَتَلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا .

قال ابن هشام : وَيُرْوَى أَيْضًا :

فَانصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَيْدَا

قال ابن هشام : ويروى أيضا :

نحن ولدناك فكنت ولدا

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتُ يَا عمرو
ابن سالم . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَانٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فقال :
إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ تَنْشَبِلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبِ .

ابن ورقاء يشكو إلى الرسول بالمدينة

ثم خرج بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خَزَاعَةَ حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ ، وَبِمُظَاهَرَةِ قُرَيْشِ بْنِ بَكْرٍ
عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِلنَّاسِ : كَأَنَّكُمْ بَابِي سُفْيَانٌ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ . وَمَضَى
بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى لَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بَعْثَانِ ، قَدْ بَعَثَهُ
قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيَشُدَّ الْعَقْدَ ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ،
وَقَدْ رَهَبُوا الَّذِي صَنَعُوا . فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ ، قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟
أَقْبَلْتَ يَا بُدَيْلُ ؟ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَ تَسَبَّرْتُ
فِي خَزَاعَةَ فِي هَذَا السَّاحِلِ ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي ، قَالَ : أَوْ مَا جِئْتَ مُحَمَّدًا ؟ قَالَ :
لَا ؛ فَلَمَّا رَاحَ بُدَيْلٌ إِلَى مَكَّةَ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : لَنْ يَجَاءَ بُدَيْلٌ لِلدِّينَةِ لَقَدْ
عَلَفَ بِهَا النَّوَى ، فَأَتَى مَبْرُكَ رَاحِلَتِهِ ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَمَتَّعَهُ ، فَرَأَى فِيهِ النَّوَى ،
فَقَالَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلٌ مُحَمَّدًا .

أبو سفيان يحاول المصالحة

ثم خرج أبو سفيان حتى قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أمّ حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوّته عنه ، فقال : يا بُنَيَّةُ ، ما أدرى أرغبتِ بي عن هذا الفراش أم رَغِبْتَ به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأنت رجل مُشْرِكٌ نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله لقد أصابك يا بُنَيَّةُ بعمدي شرٌّ . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّمه ، فلم يردّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلّمه أن يُكلّم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطّاب فكلّمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وعندها حسن بن عليّ ، غلام يدبّ بين يديها ، فقال : يا عليّ ، إنك أمسّ القوم بي رحماً ، وإني قد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نسكّسه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنةُ محمّد ، هل لك أن تأمرى بُنَيَّكَ هذا فيُجِيرَ بين الناس ، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ نبيّ ذاك أن يُجِيرَ بين الناس ، وما يُجِيرُ أحدٌ على رسول الله صلى الله

عليه وسلم، قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ ، فانهضني ؛ قال : والله ما أعام لك شيئاً يعني عنك شيئاً ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فأجِر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ؛ قال : أوترى ذلك مُعنيّاً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ، ما أظنّه ، ولكني لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : أيها الناس ، إني قد أجزتُ بين الناس . ثم ركب بعيره . فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتُ محمداً فكلّمته ، فوالله ماردّ عليّ شيئاً ، ثم جئتُ ابن أبي جحافة ، فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئتُ ابن الخطّاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدو .

قال ابن إسحاق : ثم جئتُ عائياً فوجدته ألين النجوم ، وقد أشار عليّ بشيء . صمغته ، فوالله ما أدرى هل يعني ذلك شيئاً أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : وبلك ! والله إن زاد الرجل على أن يحب بك ، فما يُعنيّ عنك ما قلت . قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك .

الرسول صلى الله عليه وسلم يعد لفتح مكة

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهّزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أي بُنَيَّة : أأمركم رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز ؟ قال : فأين تريد ؟ قالت : (لا) والله ما أدري . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتجهيز ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها . فتجهز الناس .

حسان يحرّض الناس

فقال حسان بن ثابت يحرّض الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

عَنانِي ولم أشهد ببطحاء مكة رجالُ بنى كعبٍ تُحزّز رِقابُها
بأيدي رجالٍ لم يسألوا سيوفهم وقتل كثير لم يُجنّ ثيابها
ألا ليت شعري هل تبالن نصرتي سهيل بن عمرو وخزها وعقابها
وصفوان عود حنّ من شفراسه فهذا أوان الحرب شدّ عصابها
فلا تأمننا يابن أمّ مجالد إذا احتلبت صرفاً وأعصل نابها
ولا تجزعوا منا فإن سيوفنا لها وقعة بالموت يفتتح بابها

قال ابن هشام : قول حسان : « بأيدي رجال لم يسألوا سيوفهم » يعني قريشاً ؛ « وابن أمّ مجالد » يعني عكرمة بن أبي جهل .

كتاب حاطب إلى قريش

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة

كتب حاطبُ بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنَةَ ، وزعم لي غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب ، وجعل لها جُفلاً على أن تبغله قريشاً ، فجعلته في رأسها ، ثم قتلت عليه قُرونها ، ثم خرجت به ؛ وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبي طالب والزهري بن العوام رضي الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطبُ بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يُخذّرم ما قد أجمعنا له في أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها بالخلِيفة ، خليفة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتساه في رَحْلِها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها عمر بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِبَ بنا ؛ ولتُخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الحجة منه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، فحلت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً ، فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إني مؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصايتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب ، يا رسول الله ، دعني فلا ضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يذكرك يا عمر ، لعل الله قد أطاع إلى أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله تعالى في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ

أُولِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴿ . . . إلى قوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ . . . إلى آخر القصة . للمتحنة .

خروج الرسول في رمضان

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم ، كُثُوم بن حُصَيْن بن حُتَيْب بن خَلْف النْفَارِي ، وخرج لنشر مَضَيْن من رمضان ، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكَدِيد ، بين عَتَفَان وَاَمَج أَفْطَر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مرة الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ، فسبغت سليم ، وبعضهم يقول ألفت سليم ، وألفت مَرْيَمَةَ . وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الظهران ، وقد عُيِّنَت الأخبار عن قُرَيْش ، فلم يأتهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يَدْرُونَ ما هو فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سُفْيَان بن حَرْب ، وحكيم بن حِرَام ، وُذَيْل بن وَرْقَان ،

يَتَحَسَّرُونَ الْأَخْبَارَ ، وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ .

قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مُعَيَّماً بِمَكَّةَ عَلَى سِقَابَتِهِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ رَاضٍ ، فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ .

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سُفْيَانُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيََا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضاً بِبَنِيكَ الْعُقَابِ ، فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فَاتَمَّسَا الدَّخُولَ عَلَيْهِ . فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهرُكَ ؛ قَالَ : لَأَحَاجَةَ لِي بِهِمَا ، أَمَا ابْنُ عَمِّي فَهَتِكَ عِرْضِي ، وَأَمَا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهرِي فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ . قَالَ : فَلَمَّا خَرَجَ الْخَبْرُ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ ، وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنْيُ لَهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لِيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ لَأَخْذَنَّ بِيَدِي بَنِي هَذَا ، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطْشًا وَجُوعًا ؛ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَّ لَهُمَا ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَا ، فَنَدَخَلَا عَلَيْهِ ، فَأَسْلَمَا .

وَأَنشَدَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ قَوْلَهُ فِي إِسْلَامِهِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مَقْصِيً مِنْهُ ، فَقَالَ :

لَقَمَرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحِلَّ رَابِعَةٌ لِقَلْبِ خَيْلِ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَ الْمُدَايِجُ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فَمَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأُهْتَدَى

.....

هداني هادٍ غيرُ نفسي وقالني
أصدُّ وأناى جاهداً عن محمد
ثم ما هم من لم يقل به وأهم
أريد لأرضيهم ولست بلانطير
فقل لتخيف لا أريد قتالها
فأكنت في الجليش الذي نال عامراً
قبائلُ جاءت من بلادٍ بعيدة
مع الله من طردت كلَّ مُطرَد
وأدعى وإن لم انتسب من محمد
وإن كان ذا رأيٍ لم يُفند
مع القوم ما لم أهد في كلِّ مقعد
وقل لتخيف تلك: غيري أو عدي
وما كان عن جرّ الساني ولا يدي
نزائعُ جاءت من سهام وسُرْد

قال ابن هشام : ويروى « ودلني على الحق من طردت كلَّ مُطرَد » ..

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله : « ونالني مع الله من طردت كلَّ مُطرَد » ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صدره ، وقال : أنت طردتني كلَّ مُطرَد .

قصة إسلام أبي سفيان على يد العباس

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظَّهران ، قال للعباس بن
عبد المطلب : فقلت : واصباح قُرَيْش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قُرَيْش إلى آخر
الدهر . قال : فجلست على بقة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجتُ
عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلي أجد بعضَ الخطابة أو صاحب
لبن أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيُخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ليُخْرِجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ عَقْوَةٌ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ عَلَيْهَا ، وَأَنْتَ مَا خَرَجْتَ لَهُ ، إِذْ سَمِعْتَ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلَ بْنِ وَرْقَانَ ، وَهَما يَتَرَا جَمَانًا وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْأَيْلَةِ نِيرَانًا قَطًّا وَلَا عَسْكَرًا ، . قَالَ : يَقُولُ بُدَيْلُ : هَذِهِ وَاللَّهِ خُرَازَةُ كَحَشَشَتِهَا الْحَرْبُ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ : خُرَازَةُ أَذَلُّ وَأَقَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانًا وَعَسْكَرًا ؛ قَالَ : فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَنْظَلَةَ فَعَرَفْتُ صَوْتِي ، فَقَالَ : أَبُو الْفَضْلِ ؟ قَالَ : قَالَتْ : نَعَمْ ؛ قَالَ : مَا لَكَ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؛ قَالَ : قُلْتُ : وَيَنْحَكَّ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ ، وَاصْبَحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ . قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؛ قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّنِي ظَفَرْتُ بِكَ لِيَضْرِبَنِّي عَنْقُكَ ، فَارْكَبْ فِي هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْتَأْمِنَ مِنْهُ لَكَ ؛ قَالَ : فَارْكَبْ خَلْفِي وَارْجِعْ صَاحِبَاءَ ؛ قَالَ : لَجِثْتُ بِهِ ، كَمَا صَدَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عَلَيْهَا ، قَالُوا أَعَمَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجْزِ الدَّابَّةِ ، قَالَ : أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْمٍ وَلَا عَهْدٍ ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَكِبْتُ الْبَغْلَةَ ، فَسَبَقْتُهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيئَةَ الرَّجُلَ الْبَطِيئَ . قَالَ : فَانْتَجَمْتُ عَنْ الْبَغْلَةِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ . هَمْرٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْمٍ وَلَا عَهْدٍ ، فَذَعَنِي فَلَا ضَرْبَ عَنْقِهِ ؛ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ ، .

ثم جلستُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتُ برأسه ، فقلت : والله لا يُناجيه الأيَّلةَ دوني رجل ؛ فلما أكَثَرُ عَمْرِي شَأْنَهُ ، قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن لو كان من بني عدى بن كعب ما قلت هذا ، ولستُ بك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ؛ فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطَّاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إليَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطَّاب لو أسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عباس إلى رَحْلك ، فإذا أصبحتَ فأتني به ؛ قال : فذهبتُ به إلى رحلي ، فبسات عندي ، فلما أصبحَ غَدَوْتُ به إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سُفيان ، ألم يَأْنِ لَكَ أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلَّكَ وأكرمَكَ وأوصلَكَ ، والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد ، قال : ويحك يا أبا سُفيان ! ألم يَأْنِ لَكَ أن تعلم أني رسولُ الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلَّكَ وأكرمَكَ وأوصلَكَ ! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله قبل أن تُضربَ عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يا رسولَ الله ، إن أبا سُفيان رجل يحبُّ هذا التَّخَرُّ ، فأجعل له شيئاً ، قال : نعم ، من دخل دار أبي سُفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابَه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهبَ لينصرفَ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس ، احببه بِمَضِيقِ الوادِي عند خُطَمِ

الجليل ، حتى تمرّ به جنود الله فيراها . قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه .

عرض الجيش

قال : ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالي وسليم ، ثم تمرّ القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : مالي ولمزينة ، حتى نفذت القبائل ، ما تمرّ به قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالي وابني فلان ، حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حنظلة البشكري :

ثم حُجِّرُوا أعني ابن أمّ قطامٍ وله فارسيسة خضراء

يعني الكتيبة ، وهذا البيت في قصيدته له ، وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

لما رأى بَدْراً تَسِيلُ جِلاهُهُ بكتيبة خضراءٍ مِنْ بَلْخَزَرَجٍ

وهذا البيت في أبيات له قد كتبناها في أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يرى منهم إلا الحديد ، فقال : سبحان الله : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت :

هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد
بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقَةٌ ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك الفداء
عظيماً ، قال : قالت : يا أبا سُفيان ، إنها النبوة . قال : فنعلم إذن .

أبو سُفيان يحذر أهل مكة

قال : قلت : النجاءَ إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته :
يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به ، فمن دخل دار أبي سُفيان
فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت مُعْتَبَةَ ، فأخذت بشاربه ، فقالت : قَتَلُوا الْحَمِيَّةَ
الدَّيْمِ الْأَحْمَسَ ، فُبِّحَ من طَلِيعَةِ قوم ! قال : ويلكم لا تفرّتنكم هذه من
أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به ، فمن دخل دار أبي سُفيان فهو آمن ،
قالوا : قاتلك الله ! وما تُنفى عنا دارُك ، قال : ومن أغلق عايه بابهُ فهو آمن ،
ومن دخل المسجد فهو آمن ، ففترق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بِشُقَّةٍ بُرْدٍ حَبْرَةٍ
حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى
ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثُونَهُ لِيَسْكَادَ يَمْسُ واسطة الرجل .

إسلام والد أبي بكر

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى قال أبو قحافة لابنة من أصغر ولده : أى بنيتي ، اظهري بي على أبي قيس ، قالت : وقد كُفَّ بعصره ، قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أى بُنيّة ، ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : أرى سَوَاداً مجتمعا ، قال : تلك الخليل ، قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدي ذلك مُقبِلا ومُذبراً ، قال : أى بُنيّة ، ذلك الوازع ، يعنى الذى يأمر الخليل ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دُفِعت الخليل ، فأسرعى بي إلى بيتي ، فأنحطت به ، وتلقاه الخليل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طَوْقٌ من ورق ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه بقواده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ قال أبو بكر ، يا رسول الله ، هو أحق أن يمضى إليك من أن تمضى إليه أنت ، قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثَمَامَةً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ، فام يُجبه أحد ، قالت : فقال : أى أُخِيّة ، احتسبي طوقك ، إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

جيوش المسلمين تدخل مكة

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذى طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كُدَى ، وكان الزبير على المُجَنَّبَةِ اليسرى ، وأمر سعد ابن عُبَادَةَ أن يدخل في بعض الناس من كَدَاء .

المهاجرون وسعد

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وُجِه دخلاً ، قال : اليومُ يوم الصَّلَاحَةِ ، الَّيْزَمُ تُسْتَجَلُّ الحُرْمَةُ ، فسمعها رجلٌ من المهاجرين - قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب - فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد ابن عُبَادَةَ ، ما نأمن أن يكون له في قرينش صَوْلَةٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن طالب : أدركه ، تُفْخَذُ الرَّابِيةُ مِنْهُ فَتَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا .

كيف دخل الجيش مكة؟

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللَّيْطِ ، أسفل مكة ، في بعض الناس ، وكان خالد على المُجَنَّبَةِ اليمْنَى ، وفيها أسلمُ وسُنَيْمٌ وغِفَارٌ ومُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ وقَبَائِلُ من قبائل العرب . وأقبل أبو عُبَيْدَةَ بن الجراح بالصفّ من المسلمين يَنْصَبُ لِمَكَّةَ بين يَدَي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخير ، حتى نزل بأعلى مكة ،
وضربت له هنالك قُبَّة .

الذين تعرضوا للمسلمين

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر :
أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا
ناساً بالخدمة ليقاتلوا ، وقد كان حماس بن قيس بن خالد ، أخو بني بكر ، يمد
سلاحاً قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصاح منه ، فقالت له
امراته : لماذا تمد ما أرى ؟ قال : لحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم
لحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

إِنْ يُقَاتِلُوا الْيَوْمَ فَالْيَ عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ

وَذُو غَرَارِينَ سَرِيعَ السَّهْلِ

ثم شهد الخدمة مع صفوان وسهيل وعكرمة ، فلما ألقبهم المسلمون من
أصحاب خالد بن الوليد ، ناوشوم شيئاً من قتال ، فقتل كرز بن جابر ، أحد
بنى محارب بن قنبر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني
مُنَقَذ ، وكانافي خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلحاً طريقاً غير طريقه
فقتلا جميعاً ، قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر ، فجعله كرز بن جابر
بين رجله ، ثم قاتل عنه حتى قُتل ، وهو يرّجّز ويقول :

.....

قد علمت صفراء من بنى فهر تقيسة الوجه تقيسة الصدر
لأضر بن اليوم عن أبي صخر

قال ابن هشام : وكان خنيس يكنى أبا صخر ، قال ابن هشام : خنيس
ابن خالد ، من خزاعة .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن بكر ،
قالا : وأصيب من جبهة سلمة بن الأكلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب
من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ،
ثم انهزموا ، ففرج حاس منهزماً حتى دخل بيته ، ثم قال لامراته : أغلقتي على
بابي ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

لأنك لو شهدت يوم الخلد دمه إذ قر صفوان وفرت عكرمه
وأبو يزيد قائم كالموثمة واستبلمهم بالثيوف المسلميه
يقطعن كل ساعد وجنجه ضرباً فلا يسمع إلا غمغه
لهم نهيت خلفنا وهميه لم تنطقي في اللوم أذنى كلمه

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالموثمة » ،
وتروى لأرعاش الهذلي .

شعار المسلمين يوم الفتح

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

• • • • •

وحُنين والطائف، شعار المهاجرين : يابني عبد الرحمن ، وتسطار الخزرج : يابني عبد الله ، وشعار الأوس : يابني عبيد الله .

من أصر الرسول بقتلهم

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أسرائته من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد في غير تمام أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بني عامر بن لؤي .

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش ، ففرّ إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه لارضاعة ، فقبّبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمان الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلاً ، ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلى يارسول الله ؟ قال : إن النبي لا يهتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فوله عمر بن الخطاب ببعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خطّال ، رجل من بني تميم بن غالب : إنما أمر

.....

بقتله أنه كان مسلماً ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له كبشاً ، فيصنع له طعاماً ، ففام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فعدا عايه قتله ، ثم ارتد مشركاً .

وكانت له قنيتان : قرّنتى وصاحبتهما ، وكانتا تغنيان بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والخويرث بن مُقيّد بن وهب بن عبد بن قصى ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأمّ كلثوم ، ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس بهما الخويرث بن مُقيّد ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق : ومقيس بن حُبابة [أو صُبابة] وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كلف قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى ثريش مشركاً وسارقاً ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب . وعكرمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أمّ حَكِيم بنتُ الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنه فخرجت في طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وأما عبد الله بن خَطَل ، فقتله سعيد بن حُرَيْث الخزومى وأبو بَرَزَة الأسلمى ، اشتركا في دمه ؛ وأما مقيس بن حُبابة فقتله مُسميلاً

ابن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مقيس في قتله :

لَتَمُرِّي لَقْد أَخْزَى نُمَيْلَةَ رَهْطَهُ وَفَجَّعَ أَضْيَافَ الشَّتَاءِ بِمَقْيَسِ
فَلَيْلَهُ غَيْتًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَقْيَسٍ إِذَا النَّفْسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخْرَسِ

وأما زيننا ابن خطل فقتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استؤمن
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمنها . وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها ،
ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسأ في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح
فقتلها . وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبي طالب .

أم هانيء تؤمن رجلين

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرة ، مولى
عقيل بن أبي طالب ، أن أم هانيء بنت أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فرأى إلى رجلان من أحماني ، من بني مخزوم ،
وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، قالت : فدخل علي علي بن أبي طالب .
أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لآثر
الدجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ، ثم صلى
ثمان ركعات من الضحى ثم انصرف إلى ، فقال : مرحباً وأهلاً يا أم هانيء ،
ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي ، فقال : قد أجرنا من أجرت ،
وأمننا من أمنت ، فلا يقتلنهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزُهَيْرُ بن أبي أمية بن المغيرة .

طواف الرسول بالكعبة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صَنْيعة بنت شَيْبة ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة ، وأطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سَبْعًا على راحلته ، يستلم الركنَ يَحْتَجُّنَ في يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان ابن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عِيْدَانِ ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة . وقد استكف له الناس في المسجد .

خطبته على باب الكعبة

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يَدْعَى فهو تحت قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلَّا سِدَانَةُ الْبَيْتِ وَسِقَايَةُ الْحَاجِّ ، أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطَا شَبِهُ الْعُمْدِ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا ، ففِيهِ الدِّبَةُ الْمُعَلَّظَةُ ، مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها . يامعشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتَعْظُمُهَا بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ تلا هذه الآية : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لَتَمَارُقُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿ الحِجْرَات : ١٣ . الآية كلها .
ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ،
وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فانتم الطلقاء . »

إقرار الرسول عثمان بن طلحة على السدانة

ثم جالس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن
أبي طالب ومفتاح السكينة في يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع
السفابة صلى الله عليه عليك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن
طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هالك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برٍّ ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لعل : إني أعطيكم ما ترضون ولا ما ترضون .

لمس الصور التي بالبيت

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم دخل البيت برم التفتح ، فرأى فيه صورَ اللاتِكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم
عليه السلام مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جملوا
شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ! ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً
ولا نصرانياً ولا مكيّاً ، وكان حنيفاً مُسْلِماً ، وما كان من المشرّكين ﴾
آل عمران : ٦٧ ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

• • • • •

دخول الكعبة والصلاة فيها

قال ابن هشام : وحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة -
ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلف بلال ، فدخل
عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
ولم يسأله كم صلى ، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه ، وجعل
الباب قبل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع ، ثم يصلي ، -
يتوخى بذلك الموضع الذي قال له بلال .

إسلام عتاب والحارث بن هشام

قال ابن هشام ، وحدثني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل
الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذّن ، وأبو سُفْيَان بن حَرْب
وعَتَاب بن أُسَيْد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عَتَاب بن
أُسَيْد : لقد أكرم الله أُسَيْدًا ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يفيظه . فقال
الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحِقٌّ لَاتَّبَعْتَهُ ، فقال أبو سُفْيَان : لا أقول
شيئًا ، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى ، ففرج عليهم النبي صلى الله عليه
وسلم ، فقال : قد علمت الذي قُلْتُمْ ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعَتَاب :
نشهد أنك رسول الله ، والله ما أطلع على هذا أحدٌ كان معًا ، فنقول :
أخبرك .

خراش وابن الأثوع

قال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي سندر الأسدي ، عن رجل من قومه . قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأساً ، وكان رجلاً شجاعاً ، وكان إذا نام غطّ غطيطةً مُنكراً لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات في حيه بات مُمتزاً ، فإذا بُيئت الحى صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسبيله شيء . فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر ، قال ابن الأثوع الهذلي : لاتعجلوا علىّ حتى أنظر ، فإن كن في الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيطة لا يخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيطة مشى إليه حتى وضع السيف في صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهذلي حتى دخل مكة بنظر ريسال عن أمر الناس ، وهو على شبركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدار مكة ، يقولون : أنت قاتل أحمر؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر قومه ؟ قال : إذ أقبل خراش بن أمية مُشملاً على السيف ، فقال : هكذا عن الرجل ، والله ما نظن إلا أنه يريد أن يُفرج الناس عنه . فلما انفَرَجنا عنه تحلّ عليه ، فطعنه بالسيف في بطنه ، فوالله لسكرأني أنظر إليه وحشوته تُسيل من بطنه ، وإن عينيه كترت أن في رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ؟ حتى انجمت فوقه . فقال رسول الله

• • • • •

صلى الله عليه وسلم : يامعشر خُزَاعَةَ ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثُر
القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدينته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حَرَملة الأسلمي ، عن سعيد
ابن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خِراش بن
أُمَيَّة ، قال : إن خِراشا لَقَبال ، يميجه بذلك .

بين أبي شريح وابن سعد

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي شريح
الخُزاعي ، قال : لما قَدِمَ عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ،
جِئته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين
افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عَدَّتْ خُزَاعَةُ على رجل من هُذَيْل
فَقَتَلُوهُ وهو مُشْرِك ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فقال :
يا أيها الناس ، إنَّ اللهَ حَرَّمَ مكةَ يومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ ، فهي حرامٌ من
حرامٍ إلى يومِ القِيَامَةِ ، فلا يُحْمِلُ لامرئٍ يُوَئِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ ، أنْ يَسْفِكَ
فيها دَمًا ولا يَمْضِدَ فيها شَجراً ، لم تُحْمَلْ لأحدٍ كان قبلي ، ولا يُحْمَلْ لأحدٍ
يكون بعدي ، ولم تُحْمَلْ لي إلا هذه الساعة ، غضباً على أهلها ألا : ثم قَدَرَجَمْتُ
كحُرْمَتِهَا بالأَمْسِ ، فليُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ ، فمن قال لكم : إن رسول الله
قتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يُحْلِلْهَا لكم ، يامعشر خُزَاعَةَ .
ارفعوا أيديكم عن القتل ، ولقد كثُر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدينته .

فمن قُتِلَ بعد مَقَامِي هذا فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ : إِنْ شَاءُوا فَدَمُ قَاتِلِهِ ، وَإِنْ شَاءُوا قَتَلُوهُ . ثُمَّ وَدَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ الَّذِي قَتَلْتَهُ خُرَاعَةً ، فَقَالَ عَمْرُو لِأَبِي شُرَيْحٍ : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بِحُرْمَتِهَا مِنْكَ ، إِنَّهَا لَا تَمْنَعُ سَافَكَ دَمٍ ، وَلَا خَالَعَ طَاعَةَ ، وَلَا مَانَعَ جِزْيَةَ ، فَقَالَ أَبُو شُرَيْحٍ : إِنِّي كُنْتُ شَاهِدًا وَكُنْتُ غَائِبًا ، وَلَقَدْ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَلِّغَ شَاهِدُنَا غَائِبُنَا ، وَقَدْ أَبَغْتُكَ ، فَأَنْتَ وَشَانُكَ .

أول من ودى يوم الفتح

قال ابن هشام . وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جُنَيْدُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، قَتَلْتَهُ بَنُو كَعْبٍ ، قَوْدَاهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ .

الأنصار يتخوفون من بقاء النبي صلى الله عليه وسلم في مكة

قال ابن هشام : وبلغني عن يحيى بن سعيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحذقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يَقِيمُ بِهَا ؟ فَلَمَّا قَرِشَ مِنْ دَعَائِهِ قَالَ : مَاذَا قُلْتُمْ ؟ قَالُوا : لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَعَازُ اللَّهِ ! الْمَخْيَا بِحَيَاتِكُمْ ، وَالْأَمَمَاتُ بِمَاتِكُمْ .

بدء فتح مكة

ذكر فيه الأسود بن رَزْنٍ السكَنَانِي بفتح الراء ، وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصاحه : رِزْنًا بكسر الراء^(١) ، قال : والرُّزْنُ : نُقْرَةٌ في حجر يمسك الماء ، وفي كتاب العين : الرُّزْنُ أَكْمَةٌ تَمْسِكُ الْمَاءَ ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بني رزن من بني بكر ، وقد قيل فيه : الدُّثْلُ ، وقد أشبعنا القول فيه في أول الكتاب ، وما قاله اللغويون والنسائيون ، وذكرنا هنالك كُلَّ دِيلٍ في العَرَبِ ، وكل دُولٍ والحمد لله .

مول شعر نعيم :

وذكر شعر تميم بن أسد ، وفيه :

يُرْجُون كُلَّ مُقْلَصٍ خِنَابٍ

الخِنَابُ : الطويل من الخيل ، وقع ذلك في الجَهَنَمَةِ ، ويقال : الخِنَابُ : المِوَسِّعُ المُنْتَخَرِثُ ، والخِنَابَةُ^(٢) جانب الأنف ، وفي العين : الخِنَابُ^(٣) الرجل

(١) يروى هنا بكسر الراء ، وفتحها وإسكان الزاء وفتحها ، وقيد الدارقطني بفتح الزاء ، وإسكان الزاء لا غير ، الخشنى ، ص ٢٦٣ .
(٢) خنابة بكسر الخاء وضمها .

(٣) في التهذيب : هذا مما جاء على أصله شاذاً لأن كل ما كان على فعال من الأسماء أبدل من أحد حرفي تضعيفه ياء مثل دينار وقيراط كراهية أن يلتبس بالمصادر إلا أن يكون بالهاء ، فيخرج على أصله مثل : دنابة وصنارة وخنابة لأنه الآن قد أمن التباسه بالمصادر .

الضَّخْمُ ، وهو الأثقل أيضاً ، والمَقْلَسُ من الخيل المُنْقَمُ البَطْنُ والقوائم ، وإن قلت : المَقْلَسُ بكسر اللام ، فهو من قَنَصَتِ الإبلُ إذا شَمَرَتْ ، قاله صاحبُ العين .

وفيه : ظلُّ عُقَابٍ ، وهي الرّايةُ ، وكان اسمُ رايةِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - العُقَابُ ، والدليل على أنه يقال لكل راية عُقَابٌ قولُ قطريِّ بن الفجاءة^(١) وبُكْنَى أبا نَعَامَةَ رئيس الخوارج :

يَا رَبَّ ظِلِّ عُقَابٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهَا مَنْرَى مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالُ تَجَمُّعًا

وفيه : يَبْلُلُ مَشَاغِرَ الْقَبْقَابِ ، انْقَبَابُ : أراد به التَّزَجُّجَ ، والْقَبْقَابُ : والتَّبْقَابُ : البَطْنُ أيضاً .

مول شعر الأفرز :

وذكر قول الأخرز ، وفيه :

فَقَانُورُ حَقَانِ النَّعَامِ الْجَوَائِلِ

(١) اختلف في اسم الفجاءة ، فقليل : اسمه : جموفة ، وقيل : مازن بن يزيد ابن زياد بن خنثر أحد بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، سمي لفجاءة لأنه غاب دهرًا باليمن ، ثم جاءهم فجاءة ، وقد أشد أبو عبيدة قصيدة قطري التي منها هذا البيت لأبي حاتم ، ثم قال : هذا الشعر لا ماتعالون به أنفسكم من أشعار الخنايكة . أنظر ص ٢٦٥ > ١ أمالي القائل ط ٢ ، ص ٥٩٠ عطف "لار الكبرى" . هذا وليس في قصيدة تميم ذكر للعقاب .

(م ٦ — الروض الأث ٧ > ٧)

قَفَّانُورٌ ، بمعنى : الجَبَل ، وَقَفَّاً ظَرْفٌ لِلْفِعْلِ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَقَالَ : قَفَّانُورٌ ،
ولم يَنْوِّنْ لَأَنَّهُ اسْمٌ عَلَّمٌ مَعَ ضَرُورَةِ الشَّعْرِ ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هَذَا فِيمَا قَبْلَ .
وَلَوْ قَالَ : قَفَّانُورٌ بِنَصَبِ الرَّاءِ ، وَجَعَلَهُ غَيْرَ مُنْصَرِفٍ ، لَمْ يَبْعُدْ ، لِأَنَّ مَا لَا تَنْوِينَ
فِيهِ ، وَهُوَ غَيْرُ مُعَرَّبٍ بِالْفِ وَاوٍ ، وَلَا إِضَافَةٍ ، فَلَا يَدْخُلُهُ اخْتِفَاضُ لُثْلَا يُشَبِّهُ
مَا يُضَيِّفُهُ التَّسْكَامُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَفَّانُورٌ بِهَذَا اللفظِ تَقَيَّدَ فِي الْأَصْلِ ، وَظَاهِرٌ
كَلَامُ الْبَرَقِ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ بِقَفَّانُورٍ ، لِأَنَّهُ قَالَ : الْقَانُورُ سَبِيكَةُ الْفِضَّةِ ،
وَكُنَّ شَبَّهَ الْمَسْكَانَ بِالْفِضَّةِ لِنَقَاتِهِ وَاسْتَوَاتِهِ ، فَإِنْ كَانَتِ الرِّوَايَةُ كَمَا قَالَ ، فَهُوَ
اسْمٌ مُوَضِّعٌ ، وَالْقَانُورُ : خِوَانٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَيُقَالُ : إِبْرَاقٌ مِنْ فِضَّةٍ ، قِيلَ ذَلِكَ
فِي قَوْلِ بَجِيلٍ :

وَصَدَّرَ كَقَفَّانُورِ اللَّجَيْنِ وَجِيدٌ^(١)

وَفِي قَوْلِ أَبِي بَدْرٍ :

حَقَائِبُهُمْ رَاحَ عَتِيقٌ وَدَرَمَكٌ وَمِسْكٌ وَقَانُورِيَّةٌ وَسُلَاسِلٌ

وَكَمَا قَالَ الْبَرَقُ : أَلَنِيَّتُهُ فِي نَسْخٍ صَحِيحَةٍ سَوَى نُسْخَةِ الشَّيْخِ ، وَإِنْ صَحَّ ،
مَا فِي نُسْخَةِ الشَّيْخِ ، فَهُوَ كَلَامٌ حَذَفَ مِنْهُ وَمَعْنَاهُ : قَفَّانُورٌ ، وَحَسُنَ حَذْفُ
الْفَاءِ الثَّانِيَةِ ، كَمَا حَسُنَ حَذْفُ اللَّامِ الثَّانِيَةِ فِي قَوْلِهِمْ : غُلَمَاءُ بَنِي فُلَانٍ ، لَا سِيَّيَا

(١) أَوَّلُهُ : سَبْتَنِي بِعَيْنِي جَوْدَرٌ وَسَطَرٌ رَبْرَبٌ . وَالشَّطْرَةُ الْآخَرَى فِي تَرْجُمَةِ
الْأَسْوَاقِ لِدَاوُدِ الْأَهْطَالِيِّ ص ٤٠ . وَصَدَّرَ حَكِي لَوْنِ اللَّجَيْنِ وَجِيدٌ . وَلَمْ أَجِدْهُ
فِي تَرْجُمَةِ بَجِيلٍ فِي الْأَخَانِيَّةِ .

مع ضرورة الشعر ، وترك الصرف ، لأنه جملة اسم بُقْعَةٍ ، ومن الشاهد :
على أن فائور اسم بُقْعَةٍ قول ليبيد :

ويوم طعنتم فاستمعدت وفودكم بأجناد فائور كريم مصابر
أى أنا كريم مصابر ، ولذلك قال البكرى ولم يذكر فيه اختلافاً ، وقال هو
اسم جبل يعنى فائور وقال ابن مقبل :

حَيْثُ مَحَاضِرُهُمْ شَتَّى وَجَمْعُهُمْ دَوْمُ الْإِيَادِ ، وفائور إذا انعجموا
وقال ليبيد :

وَلَدَى الثُّعْمَانِ مَنِ مَوْطِنٌ بَيْنَ فَائُورٍ أَفَاقٍ فَالْدَّخَلِ
وحفان النعام : صغارها ، وهو مرفوع لأنه خبر كان .

حول شعر بربيل :

وذكر شعر بُدَيْل بن أمٍ أصرم . وفيه : غير آيل ، هو فاعل من آل إذا
رجع ، ولكنه قلب الهمزة التى هى بدل من الواو ياء ، لثلاث تجمع همزتان ،
وكانت الياء أولى بها لانكسارها .

وفيه ذكر عُيَيْسٍ ، ووقع فى بعض روايات الكتاب عُيَيْسٍ بالياء
المنقوطة بواحدة من أسفل (١) .

(١) اسم ربيعة .

وفيه :

إِن أَجْمَرْتَ فِي يَتْمَا أُمَّ بِمَضْمِكُمْ بِجُمُوسِهَا ^(١)

أى : رَمَتْ بِهِ بِسُرْعَةٍ ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ ضَرْبٍ مِنَ الْخُرْثِ بِسُمُجٍ وَصَفَهُ .

مول شعر عمرو بن سالم :

وَذَكَرَ آيَاتِ عَمْرِو بْنِ سَالِمٍ ، وَفِيهَا :

قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا

يريد : أَن بَنَى عَبْدٌ مِثْلَ أَهْلِهِمْ مِنْ خَزَاعَةٍ ، وَكَذَلِكَ : قُتِلَ أُمُّهُ : فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدِ الْخَزَاعِيَّةِ ، وَالْوَلَدُ بِمَعْنَى الْوَلَدِ .

وقوله : بُنِمَتْ أَسْلَمْنَا ، هُوَ مِنَ السَّلَامِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا آمِنُوا بَعْدَ ، غَيْرَ أَنَّهُ ، قَالَ : رُكَّعًا وَسُجَّدًا ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ صَلَّى لِلَّهِ ، فَقُتِلَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَذَكَرَ فِيهِ الْوَتِيرُ ، وَهُوَ اسْمُ مَاءٍ مَعْرُوفٍ فِي بِلَادِ خَزَاعَةٍ ، وَالْوَتِيرُ فِي اللَّفَّةِ الْوَرْدُ الْأَبْيَضُ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُ بَرَّيٌّ ، فَحَتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَاءُ سُمِّيَ بِهِ ، وَأَمَّا الْوَرْدُ الْأَحْمَرُ فَهُوَ الْخَوْجَمُ ^(٢) وَيُقَالُ لِلْوَرْدِ كُدُّهُ جَاءَ ^(٣) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ،

(١) أَجْمَرَتْ : بَخَرَتْ . وَالْجُمُوسُ : الْعِثْرَةُ وَالْبَرُ : أَيْضًا ، أَوْ هُوَ كَمَا عَرَفَهُ أَبُو زَيْدٍ : مَا يَطْرَحُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ ذِي بَطْنِهِ .

(٢) مَفْرَدًا : حَوْجَمَةٌ .

(٣) وَتُقَالُ أَيْضًا عَلَى الْيَاسْمِينِ .

وكان لفظ الخوَجَم من الحجمة وهي حُمْرَةٌ في العَيْنَيْنِ ، يقال منه رجل أَحَجَمٌ .

ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

وذكر قول عمر رضي الله عنه : فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ، وهو كلام مفهم المعنى ، وقد تقدم أن مثل هذا ليس بكذب ، وإن كان الذر لا يقاتل به ، وكذلك قول عمر في حديث أنموطاً : والله ليمرن به ولو على بطنك ، يعني الجذول ، وهو من هذا القبيل لا يعدُّ كذباً ، لأنه جرى في كلامه كالثلث .

شرح قول فاطمة رضي الله عنها :

وذكر قول فاطمة : والله ما بلغ بُني أن يُجِيرَ بين الناس ، وقد ذكر أبو عبيد هذا محتجاً به على من أجاز أمان الصبي وجواره ، ومن أجاز جوار الصبي إنما أجازَه إذا عتَلَ الصبي ، وكان كالمراهق .

وقولها : ولا يُجِيرُ أحدٌ على رسول الله ، وقد قال عليه السلام : يجير على المسلمين أديانهم ، فعنى هذا - والله أعلم - كالتبذير ونحوه يجوز جواره ، فيما قلنا ، مثل أن يُجِيرَ واحداً من العدو ، أو نفراً يسيراً ، وأما أن يجير على الإمام قوماً يريد الإمام غزوهم وحرَبهم ، فلا يجوز ذلك عليهم ، ولا على الإمام ، وهذا هو الذي أرادت فاطمة - رضي الله عنها - والله أعلم ، وأما جوار المرأة وتأمينها فجاز عند جماعة الفقهاء إلا سحَنُونَ وابن النماحِشُونَ ، فإنهما قالا : هو موقوف على إجازة الإمام ، وقد قال عليه السلام لأم هانئ : قد أجزنا مَنْ

أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانٍ ، وروى معنى قولهما عن عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد .
وأما جوارُ العبد ، فحائز إلا عند أبي حنيفة ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم
يجير على المسلمين أديانهم يدخل فيه العبد والمرأة .

حاطب بن أبي بلتعة وما كانه في كتابه :

فصل : وذكر كتابَ حاطبٍ إلى قريش ، وهو حاطب بن أبي بلتعة
مَوْلَى عبدِ الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبدِ المطلب ، والبلتعة في اللغة
التظرف ، قاله أبو عبيد ، واسم أبي بلتعة ، عمرو ، وهو أخو ، فيما ذكروا ،
ومن ذُرِّيَّته : زيادُ بن عبد الرحمن [بن زياد] الأندلسي الذي روى الموطأ
عن مالك^(١) ، وهو زياد شبطون ، وكان قاضي طليطلة^(٢) ، وكان شبطون
زَوْجاً لأمه ، فمُرِف به رحمه الله ، وقد قيل : إنه كان في الكتاب أن النبي
صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالليل ، وأقسم بالله
لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه مُنْجِز له ما وَعَدَهُ ، وفي تفسير [خي]
ابن سلام أنه كان في الكتاب الذي كتبه حاطب أن النبي عمداً قد نفر إماماً
إليكم وإماماً إلى غيركم ، فعليكم الخذر^(٣) .

- (١) قال عنه ابن حزم في الجمهرة أول من أدخل الموطأ الأندلس .
(٢) في المرصد : ضبطه الحميدى بضم الطاءين وفتح اللامين ، قال : وأكثر
ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح النائية .
(٣) ذكر الواقدي بسند له مرسل أن حاطب كتب إلى سهيل بن عمرو ،
وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، - وقد أسلم الثلاثة - أن رسول الله
دس ، أذن في الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم : وقد أحببت أن تكون
لنا عندكم يد .

تصنيف هشيم ثخاف :

وذكر أن علي بن أبي طالب والزبير والمقداد أدركوا بروضه خاخ بخاخ من
حنقطين ، وكان هشيم يرويه : حاج بالخاء والجيم ، وهو مما حفظ من تصنيف
هشيم ، وكذلك كان يروي : شداداً من عون [بن أبي شداد] بفتح السين
والغيرة بن أبي بردة يقول فيه : برزة بالزاي ^(١) وفتح الباء في تصنيف
كثير ، وهو مع ذلك ثبت متفق على عدالته ، على أن البخاري ، قد ذكر
عن أبي عوانة أيضاً أنه قال فيه : حاج كاقيل عن هشيم ، فله أعلم ، وفي هذا
الخبر من رواية الشيباني أن عائشة قالت : دخل علي أبو بكر وأنا أغربل
حنطة لنا ، فسألني ، وذكر باقي الحديث ، وفيه من الفقه أكلهم للبر ، وإن
كان أغلب أحوالهم أكل الشير ، ولا يقال حنطة إلا للبر .

تفسير (تلقون إليهم بالمودعة) :

فصل : وذكر قول الله عز وجل في حاطب (**تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوْدَةِ**)
أي تبدلونها لهم ، ودخول الباء وخروجها عند القراء سواء ، والباء عند
سبويه لا تزداد في الواجب ، ومعنى الكلام عند طائفة من البصريين : **تُلْقُونَ**
إِلَيْهِم النَّصِيحَةَ بِالْمَوْدَةِ ، قال النحاس : **ممناء تخبرونهم بما يخبر به الرجل أهل**

(١) هناك المغيرة بن أبي بردة السكناني يروي عن أبي هريرة ويروي عنه سعيد
ابن سبرة وثقه النسائي ، وهناك المغيرة بن أبي بردة الأسدي يروي عن أبيه ، ويروي
عنه جدهان .

مودته ، وهذا التقدير إن نفع في هذا الموضع لم ينفع في مثل قول العرب : ألقى إليه بوسادة أو بثوب ، ونحو ذلك ، فيقال : إذا إن ألقيت تنقسم قسمين ، أحدهما : أن تريد وضع الشيء في الأرض ، فتقول : ألقيت السوط من يده ، ونحو ذلك ، والثاني : أن تريد معنى الرمي بالشيء ، فتقول : ألقيت إلى زيد بكذا : أرميته به ، وفي الآية إنما هو إلقاء بكتاب ، وإرسال به ، فمبتر عن ذلك بالموودة لأنه من أفعال أهل اللودة ، فمن ثم حسنت الباء لأنه إرسال بشيء فقامله .

قتل الجاسوس :

وفي الحديث دليل على قتل الجاسوس ، فإن عمر - رضي الله عنه - قال : دعني فلا ضرب عنقه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : وما يذريك يا عمر ؟ لعل الله أطاع إلى أصحاب بدر ، الحديث ، فعلق حكم النع من قتله بشهود بدر ، فدل على أن من فعل مثل فعله ، وإيسر ببدرى أنه يقتل . زاد البخاري . في بعض روايات الحديث ، قال : فاغزو رقت عينا عمر - رضي الله عنه - وقال : الله ورسوله أعلم ، يعني حين سمعه يقول في أهل بدر ما قال ^(١) ، وفي مسند الحارث أن حاطباً قال : يا رسول الله كنت عريراً في قريش ، وكانت أمي بين

(١) يرى مالك جواز قتل كل جاسوس ، وإن كان مسلماً ، أما الشافعي وأبو حنيفة يريان أنه لا يقتل ، ويقول ابن القيم : والصحيح أن قتله راجع إلى رأى الإمام ، فإن رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله ، وإن كان بقاؤه أصلح استبقاه .

ظَهَرُوا أَنَّهُمْ ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَحْفَظُونِي فِيهَا ، أَوْ نَحْوَ هَذَا ، ثُمَّ قَسَرَ الْقَرِيرَ ، وَقَالَ :
هو الغريب .

عن عبد الله بن أبي أمية :

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لَأُمِّ سَلَمَةَ حين استأذنته في أخيها
عبد الله بن أمية : وَأَمَّا أَنْ عَمَّتِي وَصِهرِي فهو الذي قال لي بمكة ما قال ،
يعني حين قال له : وَاللَّهِ لَا أَمْنُ بِكَ حَتَّى تَتَّخِذَ سُلْمًا إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَفْرُجَ
فِيهِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ ثُمَّ تَأْتِي بِصَكِّ وَأَرْبَعَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّ اللَّهَ
قَدْ أَرْسَلَكَ ، وَقَدْ تَقَدَّمتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ .

وعبد الله بن أبي أمية هو أخو أُمِّ سَلَمَةَ لأبيها ، وأمه عاتكة بنت
عبد المطلب ، وأُمِّ سَلَمَةَ أُمُّهَا عَاتِكَةُ بنتُ جَذَلِ الطَّعْمَانِ ، وهو عامر بن
قَيْسٍ ^(١) الْفَرَائِجِيُّ ، واسم أبي أمية حُذَيْفَةُ ^(٢) وكانت عنده أربع عَوَاتِكَ ،
قد ذكرنا منهن ههنا ^(٣) .

عنه أبي سفيان بن الحارث وابنه وقصيرته :

وقول أبي سفيان بن الحارث : أَوْ لَا خُذْنَ بِيَدِ بَنِي هَذَا ، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ

(١) في القاموس : علقمة بن فراس وكذلك في المحجر لابن حبيب ص ٢٢٣
ولسب عاتكة عند ابن حبيب هو : بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة
ابن علقمة بن جذل الطعمان بن فراس بن غنم بن مالك بن كنانة .

(٢) هو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

(٣) أنظر العواتك في المحجر لابن حبيب .

بني الأرض . لم يذكر ابن إسحاق اسم ابنه ذلك ، ولعله أن يكون جَعْفَرًا ،
فقد كان إذ ذاك غُلَامًا مُدْرِكًا ، وشهد مع أبيه حُنَيْنًا ، ومات في خلافة
سماعة ، ولا عقب له .

وذكر الزُّبَيْرُ لَأَبِي سُفْيَانَ وَلَدًا يُكْنَى أبا التَّيَّاجِ في حديث ذكره
بلا أدري : أهو جَعْفَرُ أم غيره ، ومات أبو سفيان في خلافة عُمر رضى الله عنه ،
وقال عند موته : لَا تَبْكُنَّ عَلَيَّ ، فَإِنِّي لَمْ أَتَطِّفْ بِخَطِيئَةٍ مِنْذُ أَسَلْتُ ، ومات
مِنْ ثَوَلُولٍ حَلَقَهُ الْحَلَّاقُ فِي حَجٍّ فَقَطَعَهُ مَعَ الشَّعْرِ فَتَزَفَ مِنْهُ ، وقيل في اسم
أبي سُفْيَانَ : الْمَغِيرَةُ ، وقيل : بل المغيرة أخوه ، قال الْقَتَيْبِيُّ : إخوانه : المغيرة
ونوفل وعبد شمس وربيعة بنو الحارث بن عبد المطلب ^(١) .

وزنه فعلل :

وقوله : تَزَائِعَ جاءت من سَهَامٍ وَسُرْدَدٍ ، على وزن فَعَالٍ بفتح الفاء ،
وسُرْدَدٍ بضم أوله وإسكان ثانيه هكذا ذكره سيبويه ويعقوب ، وفتح الدال
ذكره غيرهما ، وهما موضعان من أرض عكَّة ، وذلك أن سيبويه من أصله أنه
ليس في الكلام فُعَلَلٌ بالفتح ، وحكاها الكوفيون في جُنْدَبٍ وَسُرْدَدٍ ،
وغيرهما ، ولا ينبغي أيضاً على أصل سيبويه أن يمتنع الفتح في سُردَدٍ ، لأن

(١) أولاد الحارث بن عبد المطلب - كما ذكر المصعب - هم : نوفل ،
وأبو سفيان الشاعر واسمه : المغيرة ، وربيعة ، وعبد شمس ، وعبد المطلب ، وأمية ،
وأروى ، ونوفل هو أسن ولد الحارث ص ٨٥ نسب قریش . أما السدوسي
فذكر أن له ثلاثة فقط هم ربيعة ، ونوفل ، وأبو سفيان ص ٢٢ حذف نسب قریش .

يُحْدَى الدالين زائدة من أجل التضعيف ، وإنما الذي يتمتع في الألفية مثل جعفر بضم أوله وفتح ثانيه ، فمثل سُردَدَ والشُّودَدَ والحُوَالُ^(١) جمع حائل ، وما ذكره بعضهم من طَحَلَبَ وبرُقَعَ وجُوذَرَ ، فهو دخيل في الكلام ، ولا يُجْعَل أصلاً ، ولا يتمتع أيضاً جُنْدَبَ بفتح الدال ، لأن النون زائدة^(٢) .

(١) في الأصل والحلل وهو خطأ .

(٢) نقل ابن خالويه عن ابن دريد أنه قال : ليس في كلامهم فعلل - بضم ألفاء وفتح اللام إلا سُودَدَ وجُوذَرَ وجُنْدَبَ وطَحَلَبَ كلها مفتوحة وهضمومة . وقال الزبيدي في الاستدراك على العين : ليس في الكلام على مثال فعلل إلا أحرف لا يقول بها البصريون مثل : طاحلب - بضم الطاء وإتلام - وبرقع وجوذر . ص ٦٣ - ٦٤ المزهري للسيوطي . وفي كتاب التصريف للمازني وشرحه لابن جنى ذكر أن الإجماع وقع على خمسة أمثلة للأسماء الرباعية تأتي لازيادة فيها ، ثم ذكر مثالا سادسا تماثله الخلاف وهو فعلل بضم الفاء وفتح اللام ، ثم قال ابن جنى : وأما السادس الذي يتنازع الناس فيه فجندب ومثاله : فعلل - بضم الفاء وفتح اللام - حكاه أبو الحسن وحده بالفتح ، وخالفه فيه جميع البصريين إلا من قال بقواه ، والذي رواه الناس غيره جندب بضم الدال ، وهو اسم لا صفة ، وقد حكى غيره : برقع وبرقع ، وطاحلب وطاحلب وجوذر وجوذر كلها بضم وفتح إلا أن جوذراً ذكر أبو علي أنه أعجمي ، قال : فلاحجة فيه ، والضم في برقع وطاحلب هو الشائع ص ٢٥ ، ٢٧ المنصف في شرح التصريف ص ١ وفي إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت في باب فعلل بضم اللام وفعلل - بفتحها - بمعنى واحد . الفراء : يقال : برقع وبرقع وبرقع . ابن الأعرابي : عنصل وعنصل للبصل البري ، وهو لثم الغنصر . والغنصر أي الأصل ، وهو دخله ودخله ، أي خاصته . ويقال : قنذ وقنذ وجوذر ، وجوذر لولد البقرة ورجل قعد وقعد إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر . . . ويقال : طاحلب وطاحلب ، ويقال في غير هذا الباب منخل ومنخل ، ومنصل ومنصل للسيف .

عور إلى أبي سفيان :

وكان أبو سفيان رَضِيَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرضعتهما حَلِيمَةً ، وكان آلف الناس له قبل النبوة لابقارفه ، فلما نُبِّيَ كان أبعد الناس عنه ، وأهجم له إلى أن أسلم ، فكان أصبح الناس إيمانًا ، وألزمهم له صَلَّى الله عليه وسلم ، ولأبي سفيان هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت يا أبا سفيان ، كما قيل كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا^(١) ، وقيل : بل قالما لأبي سفيان بن حرب ، والأول أصح .

وقول بُدْبِل : حَشَنَهُمُ الْحَرْبُ ، يقال : حَشَنَتُ الرَّجُلَ إِذَا أَغْضَبْتَهُ ، وَحَشَنَتُ النَّارَ أَيْضًا إِذَا أَوْقَدْتُهَا ، ويقال : حَشَنَتُ بِالسِّنِّ .

عن إسلام سفيان بن حرب :

وذكر عَبْدُ بن حديد^(٢) في إِسْلَامِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ أَنَّ الْعَبَّاسَ لما احتمله معه إِلَى قُبَيْتِهِ ، فَأَصْبَحَ عِنْدَهُ ، رَأَى النَّاسَ وَقَدْ ثَارُوا إِلَى ظُهُورِهِمْ ،

(١) الفراء : الحمار الوحشي . ويقول الذين رَوَوْا هذا إن أبا سفيان استأذن على النبي - ص - ، فحجب قليلا ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : ما كنت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجملتين - وهما جانب الوادي - فقال : ص ، يا أبا سفيان أنت كما قيل : كل الصيد في جوف الفراء ، يتألفه على الإسلام ، وقيل معناه : إذا حجبك قنع كل محبوب . يضرب المثل لمن يفضل على أقرانه . والنظر أصل المثل في الأمثال للميداني ص ١٣٦ ط السنة المحمدية .
(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .

فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل ما للناس !! أأمرُوا فيَّ بشيءٍ ؟ قال : لا ،
ولكنهم قاموا إلى الصلاة ، فأمره العباس فتوضأ ، ثم انطلق به إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه السلام في الصلاة كبر فكبر الناس
بتكبيره ، ثم ركع فركعوا ، ثم رفع فرفعوا ، فقال أبو سفيان : ما رأيت
كاليوم طاعة قوم جمهم من ههنا وههنا ، ولا فارس الأكرام ، ولا الروم ذات
القرون بأطوع منهم له ، وفي حديث عبد بن حميد أن أبا سفيان قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ، حين عرض عليه الإسلام : كيف أصنع بالمرءى ؟ فسمعه
عمر رضي الله عنه من وراء القبة ، فقال له : تخزأ بها ، فقال له أبو سفيان :
ونحك يا عمر !! إنك رجل فاحشٌ دعنى مع ابن عمى ، فإني أأكلهم .

وذكر قول أبي سفيان : لقد أصبح ملكٌ ابن أخيك الفداء عظيماً ، وقول
العباس له : إنها النبوة ، قال شيخنا أبو بكر رحمه الله : إنما أنكر العباس عليه
أن ذكر الملك مجرداً من النبوة مع أنه كان في أول دخوله في الإسلام ،
وإلا فجاز أن يُسمى مثل هذا ملكاً ، وإن كان نبيّاً فقد قال الله تعالى
في داود ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ وقال سليمان : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكاً ﴾ غير أن الكراهية
أظهر في تسمية حال النبي صلى الله عليه وسلم ملكاً لاجاء في الحديث أن النبي صلى
الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبياً عبداً ، أو نبياً ملكاً ، فالتفت إلى جبريل ،
فأشار إليه أن تواضع ، فقال : بل نبياً عبداً أشيع يوماً ، وأجوع يوماً . وإنكار
العباس على أبي سفيان يقوى هذا المعنى ، وأمر الخلفاء الأربعة بعده بكره أيضاً أن
أن يُسمى ملكاً ، لقوله عليه السلام في حديث آخر : يكون بعده خلفاء ،

ثم يكون أمراء ، ثم يكون ملوك ، ثم جبابرة ، ويروى : ثم يعود الأمر بزرياب
وهو تصحيف ، قال الخطابي : إنما هو يزري ، أى قتل وسلب .

قول هند عن أبي سفيان :

وقول هند : اقبلوا الخميّة الدّيم الأحمس . الخميّة : الزّق ، نسبة
إلى الصّخّم والسّمين ، والأحمس أيضاً الذى لاخير عنده ، من قولهم : عام
أحمس إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبد بن حميد فى حديثه أنها قالت :
يا آل غالب اقبلوا الأحمق ، فقال لها أبو سفيان : والله لكّسليم أو لأضرب
عنقك ، وفى إسلام أبي سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدتها ،
ثم استقرّا على نكاحهما وكذلك حكيم بن حزام مع امرأته حُجّة الشافعي ،
فإنه لم يفرق بين أن تسلم قبله ، أو يسلم قبلها ، مادامت فى العدة . وفرّق مالك
بين المسألين على ما فى الموطأ وغيره .

إبراهيم أبي قحافة :

وذكر إسلام أبي قحافة ، واسمه : عثمان بن عامر ، واسم أمّه : قَيْلَة
بنت أذاة .

وقوله لبنت له : وهى أصغر ولده ، يريد والله أعلم أصغر أولاده
الذين أصله ، وأولادهم ، لأن أبا قحافة لم يمش له ولد ذكر إلا أبو بكر ،
ولا يُعرف له بنت إلا أمّ قُرّة التى أنكحها أبو بكر رضى الله عنه من
الأمث بن قيس ، وكانت قبيلة تحت تميم الدارى ، فهى هذه التى ذكر

ابن إسحاق والله أعلم . وقد قيل : كانت له بنت أخرى تُسَمَّى قُرَيْبَةَ تَزَوَّجَهَا قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، فالذكرورة في حديث أبي قحافة هي إحدى هاتين على هذا ، والله أعلم .

وفي الحديث : وكان رأسه نَعَامَةً ، والشَّعَامُ من نبات الجبال ، وهو من الجَنْفَةِ ، وأشد ما يكون بياضاً إذا انْحَلَّ ، والْحَلِيُّ مِنْهُ يُشَبِّه به الشَّيْبُ ، قال الراجز :

وَلَمَّعِي كَأَنَّهَا حَلِيَّةٌ (١)

حكم الخضاب :

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في شَيْبِ أَبِي قُحَافَةَ غَيَّرُوا هذا من شَعْرِهِ ، هو على التَّدْبِ ، لا على الوُجُوبِ ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يُغَيَّرْ شَيْبُهُ ، وقدروى من طريق أبي هريرة أنه خَضَبَ . وقال مَنْ جَمَعَ بين الحديثين : إنما كانت شَيْبَاتُ يَسِيرَةٍ يَغَيِّرُهَا بِالطَّيِّبِ . وقال أَنَسٌ : لم يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم حَدَّ الْخِضَابِ ، وفي البخاري عن عثمان بن مَوْهَبٍ قال : أَرَتْنِي أُمَّ سَلَمَةَ شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وفيه أيضاً عن ابن مَوْهَبٍ قال : بعثني أهلي بـدَحٍ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، وذكر

(١) الرجز هكذا :

لما رأت حليتي عينيهِ
ولمستى كأنها حليهِ
تقول : هذى قرّة عليهِ

الحديث ، : وفيه اطلعت في الجبل فرأيت شمرات حمرأ ، وهذا كلام مُشكّل ومُرحه في مُستند وكيع بن الجراح قال : كان جُلجُلًا من فِضة صُنع صيوانًا لشمرات كانت عندهم من شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قيل : فهذا يدلُّ على أنه كان مخضوب الشَّيب ، وقد صحَّ من حديث أنسٍ وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شمرات مُتعدِّة .

فالجواب : أنه لما توفَّى خضبَ مَنْ كان عنده شيء من شعره تلك الشمرات ليكون أبقى لها ، كذلك قال الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له ، وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم ، وكان عمر يخضب بالصفرة ، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر ، وكان فيهم من يخضب بالخطير ، وهو الوسمه ، وأما الصفرة ، فكانت من الوزر ، أو الكركم وهو الزعفران ، والوزر يُنبِت باليمن يقال لجيده : بادرة الوزر ، ومن أنواعه : السف والحبيشي وهو آخره ، ويقال من الحناء : حنأ شيبه ورقته ، وجمع الحناء حنان على غير قياس ، قال الشاعر :

ولقد أروحُ بِلَمَّةٍ فينانةٍ سَوْدَاءٍ قد رُوِيَتْ من الحِنَانِ

من كتاب أبي حنيفة ، وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق في شيب أبي قحافة : وجنبوه السَّوَادَ ، وأكثرُ العلماء على كراهة الخضاب بالسَّوَادِ من أجل هذا الحديث ، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهي لمن خضب بالسَّوَادِ ، وقيل : أول من خضب بالسَّوَادِ فرعونُ ، وقيل : أول

من خَضَبَ به من العرب عبدُ المطلب ، وتَرَخَص قومٌ في الخِضَابِ بالسَّوَادِ
 منهم محمد بن علي ، وروى عن عُمرَ أَنه قَالَ : أَخْضَبُوا بالسَّوَادِ ، فَإِنَّهُ أَنْتَ كِي
 اللَّهُ - دُو ، وَأَحَبُّ للنَّسَاءِ . وَقَالَ ابنُ بَطَّالٍ في الشَّرْحِ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ كَهَيْلًا
 لم يبلغِ الهرمَ جازَ له الخِضَابُ بالسَّوَادِ ، لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ مَا قَالَ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 مِنَ الْإِزْهَابِ عَلَى الْعَدُوِّ وَالتَّخَيُّبِ إِلَى النِّسَاءِ ، وَأَمَّا إِذَا قَوَّسَ وَاحْدُودَ بَ
 فَيَنْتَظِرُ لَهُ السَّوَادُ ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي أَبِي خَافَةَ :
 غَيَّرُوا وَاشْبِهَهُ ، وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ ^(١) .

(١) عَنْ ثَابِتٍ قَالَ : سَأَلَ أَنَسٌ عَنْ خِضَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : لَوْ شِئْتُ
 أَنْ أَعِدَّ شِبْطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ فَعَلْتُ ، قَالَ : وَلَمْ يَخْضِبْ ، زَادَ فِي رِوَايَةٍ : وَقَدْ
 اخْتَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَاءِ وَالْكُتْمِ ، وَاخْتَضَبَ هَمْرٌ بِالْحِنَاءِ بِحَنَاءٍ دَأَى : عَرَفَا
 وَخَضَبَا ، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ ابْنِ هَرْمٍ أَنَّهُ كَانَ يَصْفِرُ لِحْيَتَهُ بِالصَّفْرَةِ حَتَّى تَمْتَلِئَ ثِيَابُهُ مِنَ الصَّفْرِ ،
 فَخَفِيلٌ لَهُ : لِمَ تَصْبِغُ بِالصَّفْرِ ؟ قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَصْبِغُ بِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ
 شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهَا ، وَقَدْ كَانَ يَصْبِغُ بِهَا ثِيَابَهُ كُلَّهَا حَتَّى هَمَامَتُهُ - أَبُو دَاوُدَ
 وَالتَّنَائِي .

وَعَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سُلَيْمَةَ . فَأَخْرَجَتْ
 إِلَيْنَا شَعْرًا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَخْضُوبًا - بِالْبَخَارِ .

وَهِيَ أَحَادِيثُ أَقْوَى مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : يَكُونُ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ فِي آخِرِ الزَّهْنِ بِالسَّوَادِ
 كَعَوَاصِلِ الظُّلُمِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ - أَبُو دَاوُدَ وَالتَّنَائِي وَابْنُ حِبَّانَ فِي مَحَبَّةِ
 وَالحَاكِمِ ، وَقَالَ : صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

(م ٧٠ - الزُّوْمَرُ الْأَلْفُ ج ٧)

كداء وكدي :

فصل : وذَكَرَ كَدَاءَ . بفتح الكاف والمد ، وهو بأعلى مكة ، وكدي . وهو من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال : كدَا بضم الكاف والقصر ، وأنشدوا في كدَاء وكدي (١) :

أَقْفَرْتُ بِسَدِّ عَيْنِ شَمْسِ كَدَاءَ فَسَكْدَيْ فَا لَوْ كُنَّ وَالْبَطْحَاءُ
وَالْيَتُّ لَابْنَ قَيْسِ الرُّقَيَاتِ يَذْكُرُ بَنِي عَيْنِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ (٢)
الْعَامِرِيِّينَ رَهْطَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو .

سوقف إبراهيم بكداء :

وبكدَاءَ . وَقَفَّ إبراهيمُ عليه السلام حين دعا للطريقه بالحرم ، كذلك روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ، فقال : فاجعل أفئدة من الناس .

(١) هناك خلاف واسع في هذه المواضع الثلاث وأوضح الأقوال ما ذكره البكري في معجمه منسوبا إلى علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي : كدَاءُ بالضم والتنوين مقصور بأسفل مكة بقرب شعب الشافعيين وشعب ابن الزبير عند قمية مان ، وأما كدي مصغر فإثما هو لمن خرج من مكة إلى اليمن ، أما هو فقال عن كدي بالتصغير في معجمه وفي السمع : إنه جبل قريب من كداء ، وأما كدَاءُ فقال البكري : جبل بمكة . وكدَاءُ هذا الجبل هو عرفة بعينها . وفي المراءد عن كدَاء : ثنية بأعلى مكة عند المحصب دار النبي عليه السلام من ذي طوى إليها ، وكدَا بالتنوين بأسفل مكة . وانظر النهاية في المفردات لابن الأثير وص ٣٩٩ السمع .

(٢) ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب :

تَهْوِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ، وَقِيلَ لَهُ : أَذُنٌ فِي النَّاسِ بِالْخُجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : يَأْتُوكَ ، وَلَمْ يَقُلْ يَأْتُونِي ، لِأَنَّهَا اسْتِجَابَةٌ لِدَعْوَتِهِ ، فَمَنْ تَمَّ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - اسْتَحَبَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى لِمَسْكَةٍ أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ كَدَّامٍ ، لِأَنَّهُ لِلْوَضْعِ الَّذِي دَعَا فِيهِ إِبْرَاهِيمُ بِأَنْ يَجْعَلَ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ .

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من سعد :

فصل : وذكر نزاع الرابية من سعد حين قال : اليوم يوم الملاحمة . وزاد غير ابن إسحاق في الخبر أن ضِرَارَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ يَوْمَئِذٍ شِمْرًا حِينَ سَمِعَ قَوْلَ سَعْدٍ اسْتَغْطَفَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُرَيْشٍ ، وَهُوَ مِنْ أَجُودِ شِعْرِ لَهُ :

يَا نَبِيَّ الْهُدَى إِلَيْكَ لَجَأٌ ^(١) - - قُرَيْشٍ ، وَلَاتَ حِينَ لَجَأٌ ^(٢)
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ضِيًّا وَعَادَتْهُمُ الْمَاءُ السَّمَاءُ

(١) ترك همز لجأ للوزن .

(٢) أثبت الألف في لجأ للضرورة ، وإلا فلجأ ميموز من بابي نفع وتعب . وفي الاستيعاب في ترجمة ضرار : وأنت خير لجاء . وقد روى ابن عساكر من طريق أبي الزبير محمد بن مسلم المكي عن جابر قال : لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امرأة رسول الله ص ، فقالت ، ثم ذكر هذه القصيدة . وعند الواقدي والاموي أن هذا الشعر لضرار . قال الحافظ : فكان ضراراً أرسل به المرأة ليكون أبلغ في انعطافه صلى الله عليه وسلم على قريش .

وَالْتَقَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ عَلَى الْقَوْمِ وَنُودُوا بِالصَّيْلِمِ الصَّلَمَاءِ
 إِنْ سَفَدًا يَرِيدُ قَاصِمَةً الظَّنَّ بِأَهْلِ الْحُجُونِ وَالْبَطَحَاءِ
 خَزَرَجِيٍّ لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَتْلِ رَمَانًا بِالذَّنْشِرِ وَالْعَوَاءِ^(١)
 فَلَنْ أَقْحَمَ اللَّوَاءَ ، وَنَادَى بِأُحْمَاءِ اللَّوَاءِ أَهْلَ اللَّوَاءِ^(٢)
 لَتَكُونَنَّ بِالْبَطَاحِ قَرِيشٌ بَقْعَةٌ^(٣) الْقَاعُ فِي أُسْفٍ الْإِكَاءِ^(٤)

(١) جاء بعد هذا البيت :

دَغَرُ الصَّدْرِ لَا يَمُوتُ بِشَيْءٍ غَيْرِ سَفَكِ الدِّمَاءِ وَسَبِي النِّسَاءِ
 قَدْ تَلَطَّى عَلَى الْبَطَاحِ وَجَاءَتْ عَنْهُ هُنْدٌ بِالسُّوءَةِ الْوَاءِ
 إِذْ يَنَادِي بِذَلِكَ حَيُّ قَرِيشٍ وَابْنُ حَرْبٍ بِذَا مِنَ الشَّهَادِ

(٢) بعده :

ثم ثابت إليه من يهم الخزرج والأوس أنجم الهيجاء
 (٣) في رواية : بقعة بكسر الفاء وسكون القاف وفتح العين جمع ققع بفتح
 الفاء وكسرها وسكون القاف ضرب من الكأء ، وهي الرخوة البيضاء يشبه به
 الرجل الذليل ، لأن الدواب تنحله بأرجلها . وأما البقعة فكان يستنقع فيه
 الماء ، ويضم الباء وفتحها أيضاً القطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها .

(٤) وبعده :

فأنيبه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغ في الدماء
 إنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتاً كالحية الصماء

من مفردات القصيدة : البطان = حزام يجعل تحت بطن البعير يقال ذلك
 إذا اشتد الأمر . الصيلم = الداهية أو الأمر الشديد . الصلماء : الداهية ، وقد
 حذف حرف العطف بينها وبين الصيلم لتنظيم وهو جائز في غيره أيضاً . قاصمة
 الظهر = الخصلة المانعة لهم من كل الأمور حتى كأنها كسرت ظهورهم . الذنر =
 نجم . العواء = سياتى شرحه ، دغر = اسم فاعل من دغر والدغرة = شدة =

خَيْفَنَذِرَ انْتَزَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ
فِيما ذَكَرُوا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَمَدَّ فِي هَذَا الشَّعْرِ الْعَوَاءُ ، وَأَنْكَرَ الْفَارَسِيُّ فِي بَعْضِ
كُتُبِهِ مَدَّهَا ، وَقَالَ : لَوَمَدْتَ لَقِيلَ فِيهَا الْقِيَاءُ ، كَمَا قِيلَ فِي الْعَلْيَاءِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ
بِصِفَةِ كَالْعَشْوَاءِ ، قَالَ : وَإِنَّمَا هِيَ مَقْصُورَةٌ كَالشَّرْوَى وَالنَّجْوَى ، وَغُفِلَ عَنْ
وَجْهِ ذِكْرِهِ أَبُو هَلِي الْقَالِي ، فَإِنَّهُ قَالَ : مَنْ مَدَّ الْعَوَاءَ فَهِيَ عِنْدَهُ فَقَالَ مَنْ عَوَّيْتُ
الشَّيْءَ إِذَا لَوَيْتَ طَرَفَهُ ، وَهَذَا حَسَنٌ جَدًّا لِاسْتِمَاءِ ، وَقَدْ صَحَّ مَدُّهَا فِي الشَّعْرِ
الَّذِي تَقْدُمُ ^(١) ، وَغَيْرِهِ ، وَالْأَصَحُّ فِي مَعْنَاهَا : أَنَّ الْعَوَاءَ مِنَ الْعَوَّةِ ، وَالْعَوَّةُ هِيَ
الدُّبُرُ ، فَكَانَتْهُمْ سَمَوُهَا بِذَلِكَ ، لِأَنَّهَا دُبُرُ الْأَسَدِ مِنَ الْبُرُوجِ ^(٢) .

خُنَيْسُ بْنُ خَالِدٍ :

فصل : وَذَكَرَ خُنَيْسُ بْنُ خَالِدٍ ، وَقَوْلَ ابْنِ هِشَامٍ : خُنَيْسُ بْنُ
خُزَاعَةَ ، لَمْ يَخْتَلَفُوا عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ خُنَيْسُ بْنُ خَالِدٍ الْمَقْطُوعَةُ وَالنُّونُ ،
وَأَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ فِي الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ يَقُولُ : لِلصَّوَابِ فِيهِ : خُنَيْشُ بْنُ خَالِدٍ

= تَوَقَّدَ الْحَرْ . بِهِمْ = بَضَمَ الْبَاءَ وَفَتَحَ الْهَاءَ جَمَعَ بِهِمُ الْفَارَسُ الَّذِي لَا يُؤْتِي مِنْ
شِدَّةِ بَأْسِهِ . وَيُقَالُ أَيْضًا لِلْجَيْشِ : الْهَجَاءُ = الْحَرْبُ . الْقَاعُ : الْمَسْكَنُ الْمُسَوَّى
الْوَاسِعُ . انْظُرْ ص ٣٠٦ - ١٢ الْمَوَاهِبُ الدِّينِيَّةُ ، ٢٩٥ - ٤ : الْبَدَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ .
(١) قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : مِنْ قَعْرِ الْعَوَائِ شَبَّهَا يَأْسُ السَّكَبِ ، وَمِنْ مَدَّهَا جَمَعَهَا
تَعَوَّى كَمَا يَعَوَّى السَّكَبُ وَالْقَصْرِ فِيهَا أَكْثَرُ ، وَقَوْلُ الْفَارَسِيِّ الَّذِي ذَكَرَهُ السَّيْلِيُّ
مَوْجُودٌ فِي اللِّسَانِ بِتَفْصِيلٍ فِي مَادَّةِ عَوَا وَكَذَلِكَ الرَّدُّ عَلَيْهِ فَرَاغَهُ .

(٢) فِي اللِّسَانِ : تَدْعَى رِيكِي الْأَسَدَ وَعَرَقُوبُ الْأَسَدِ ، وَالْعَوَاءُ : مَنْزِلُ مَنْ
مَنْزِلُ الْقَمَرِ ، وَقِيلَ : نَجْمٌ مِنْ أَنْوَاءِ الْبَرْدِ ، وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا .

المهمة والباء والشين المنقوطة ، وكذلك في حاشية الشيخ عن أبي الوليد أن الصواب فيه حُبَيْش ، وأبوه خَالِد هو الأشعر بن حُنَيْف ، وقد رقمنا نسبه عند ذكر أم مَعْبِد ، لأنها بذته ، وهو بالشين المنقوطة ، وأما الأشعر بالسين المهملة ، فهو الأشعر الجعفي ، واسمه : سمرقند بن عمران^(١) ، ونسب الأشعر لقوله :

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك
يعني بمالك : مذهب .

وذكر الرجز الذي لسكرز :

قعد عَمَتٌ صَفْرَاءُ مِنْ بَنِي فَيْرِزْ

أشار بقوله : صَفْرَاءُ إِلَى صُفْرَةِ الْخُلُقِ ، وقيل : بل أراد معنى : قول

أمرئ القيس :

كَبِكرُ مُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاها تَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ مُحَلَّلٍ^(٢)

وكقول الأعشى :

[رُضِيكَ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ حُسْنٍ مُحَالِطُهُ غَرَارَةٌ^(٣)]

صَفْرَاءُ غَذَوْهَا ، وَصَفْرَاءُ الْعَشِيَّةِ كَالْغَرَارَةِ^(٤)

(١) ابن حمران في السمط ص ٩٤ ، وفي المؤلف للامدى : ابن أبي حمران ،

وكذلك في الإكمال والاشتقاق . وقد سبق .

(٢) سبق البيت وشرحه ، وفي المعلقة واللسان : المقاناة . وقد أضاف

البكر إلى وصفها ، وقيل : أراد كبكر الصدف المقاناة الخ . وانظر شرح

الوزنى للملقات ص ١٥ ط ١٣٨٨ . والزيادة من المعلقة .

(٣) هذا البيت زده من السمط .

(٤) رواية البيت هكذا في السمط : بيضاء ضحوتها الخ .

وقوله : من بنى قهرز بكسر الهاء ، وكذلك الصمدز في البيت الثاني ،
وَأَبُو صَخْرٍ هذا على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن ، فإن
عنهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل في الوقف ، وذلك إذا كان
الاسم مرفوعاً أو مخفوضاً ، ولا يفعلون ذلك في النصب ، وعلة مُستقصاة
في النحو .

مول : لماذا وموتمة :

وذكر خبَرِ حِمَاسٍ وقول امرأته له : لماذا تُعِدُّ السلاح بإثبات الألف ،
ولا يجوز حذفها من أجل تركيب ذا متعها ، والمعروف في حال إذا كانت استفهاماً
مجزورة أن تحذف عنها الألف ، فيقال : لِمَ ، ويَجْمَعُ ، قال ابن السراج : الدليل
على أن ذا جُمِعَتْ مع ما اسماً واحداً أنهم اتفقوا على إثبات الألف مع حرف
الجر ، فيقولون : لماذا فعلت ، وبماذا جئت ، وهو معنى قول سيبويه .

مول رمزي صماس :

وقوله : وذو غِرَارَيْنِ سريع السَّهْلِ بكسر السين هو الرواية ، يريد الحالة
من سَلِّ السيف ، ومن أراد المصدر فَتَحَ .

وقوله : وأبو يزيد قائم كالموتمة ، يريد : المرأة لها أبتام ، والأعراف
في مثل هذا موتيم مثل مُطْفِل ، وجمعها ميائيم ، وقال ابن إسحاق في غير هذه
الرواية : الموتمة : الاسطوانة ، وهو تفسير غريب ، وهو أصح من التفسير الأول ،
لأنه تفسير راوى الحديث ، فعلى قول ابن إسحاق هذا يكون لفظ الموتمة

من قولهم : وَتَمَّ وَأَتَمَّ إِذَا تَبَّ ، لأنَّ الاسطوانة تثبت ما عليها ، ويقال فيها على هذا مُوْتَمَّةٌ بالهمز ، وتجمع مَاتَمَّ ، وموْتَمَّةٌ بلا همز ، وتجمع : موَاتَمَّ .

وقوله : وأبو يزيد بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة ، فيه حجة لوزن [واسمه : عثمان بن سعيد بن عبد الله] حيث أبدل الهمزة ألفاً ساكنة ، وهي متحركة ، وإنما قياسها عند النحويين أن تكون بين بين .

ومثل قوله : وأبو يزيد ، قول الفرزدق :

فَارْعَى فَرَازَةً لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ^(١)

وإنما هو هَنَّاكَ بالهمز وتسهيلها بين بين ، فقلبها ألفاً على غير القياس المعروف في النحو ، وكذلك قولهم في المِنَاة ، وهي المصا ، وأصلها الهمز ، لأنها مِفْعَلَةٌ من نَسَاتُ ، ولكنها في التنزيل كما ترى^(٢) ، وأبو يزيد الذي عني في هذا البيت ، هو سُهَيْلُ بْنُ عُمَيْرٍ خَطِيبُ قُرَيْشٍ .

وقوله : لَمْ نَهَيْتُ : النَّهَيْتُ : صَوْتُ الصَّدْرِ ، وأكثر ما توصف به الأسدُ ، قال ابن الأَسنَد :

كَانَهُمْ أَسَدٌ لَدَى أَشْبَلٍ يَنْهَيْنَ فِي رِيٍّ وَأُجْزَاعٍ

(١) شطرته الأولى : راحت بسلة البغال عشية . وهو من شواهد سيبويه .

٢ - ص ١٧٠ .

(٢) أي ميموزة في سورة سبأ في قصة موت سليمان .

وَالْعَمَلَةُ : أصواتٌ غيرُ مفهومة من اختلافها .

طرف من أمطار أرض مكة :

ونذكر هاهنا طرفاً من أحكام أرض مَكَّة ، فقد اختلف : هل افتتحها النبي صلى الله عليه وسلم عَنَوَةً أو صُلْحاً ، لينتفى على ذلك الحكم : هل أرضها ملكٌ لأهلها أم لا ؟ وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاجُّ ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاجُّ فإن ذلك لا يخل لهم . وقال مالك - رحمه الله - إن كان الناسُ لَيَضْرِبُونَ فَسَاطِيطَهُمْ بدُور مكة لا ينههم أحدٌ ، وروى أن دور مَكَّة كانت تُدْعَى السَّوَابِ (١) ، وهذا كله منتزع من أصلين أحدهما : قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَالسَّجْدِ احْرَامِ الذِّى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ الحج : ٢٥ وقال ابنُ عمر وابنُ عباس : الحَرَمُ كُلُّهُ مسجد . والأصل الثانى : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخلها عَنَوَةً غير أنه من على أهلها بأنفسهم وأموالهم ، ولا يُقاس عليها غيرها من البلاد ، كما ظن بعضُ الفقهاء فإنها مخالفة لغيرها من وجوهين ، أحدهما : ما خص الله به نبيه ، فإنه قال : ﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الأنفال : ١ والثانى : ما خصَّ الله تعالى به مَكَّة فإنه جاء : لَا تَحْمِلُ غَنَائِمُهَا ، وَلَا تُلْتَقَطُ لِقَطْعِهَا ، وهى حرم الله تعالى وأمنه .

(١) روى الإمام أحمد عن علقمة بن نضلة قال : « كانت ربيع مكة تدعى السوائب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن » .

فكيف تكون أرضها أرض خراج ، فليس لأحدٍ افْتَتَحَ بلداً أن يَسْلُكَ به سَبِيلَ مكة ، فأرضها إذاً بؤرُها لأهلها ، ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموها ، ولا يأخذوا منهم كِراءَ في مساكنها ، فهذا حكمها فلا عليك بعد هذا ، فُتِحَتْ عَنُوةٌ أو صلحاً ، وإن كانت ظواهر الحديث أنها فُتِحَتْ عَنُوةٌ (١) .

الرهزلي القليل :

وذكر الهذلي الذي قُتِلَ ، وهو واقف ، فقال : أَقْدُ فَعَلْتُمُوهَا يَوْمَ قُتِرَ خُزَاعَةٌ ، وروى الدارقطني في الشنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو كنت قتلتُ مُسْلِمٍ بكافرٍ لقتلتُ خِرَاشاً بالهذلي ، يعني بالهذلي : قاتل ابن أنموغ ، وخِرَاشٌ هو قاتله ، وهو من خُزَاعَةٍ .

هل تعبذ السكبة عامبياً ؟

فصل : وذكر قِصَّةَ ابن خَطَلٍ ، واسمه : عبدُ الله ، وقد قيل في اسمه :

(١) يقول الإمام ابن القيم عن مكة : « إنها لا تملك ، فإنها دار النكس ، ومتعبد الخلق ، وحرم الرب سبحانه وتعالى الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ، فهي واقف من الله تعالى على العالمين ، وهم فيه سواء . ومنى مناخ من سبق » ثم يقول : « ذهب جمهور الأئمة من السلف والخلف إلى أنه لا يجوز بيع أراضي مكة ، ولا إجارة بيوتها . هذا مذهب مجاهد وطلحة في أهل مكة ، ومالك في أهل المدينة ، وأبي حنيفة في أهل العراق ، وسفيان الثوري والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه » ثم فصل الأمر في أسلوب جميل فانظره ص ٤١٣ وما بعدها في زاد المعاد ط السنة المحمدية .

هَلَال ، وقد قيل : هلال كان أخاه ، وكان يقال لها الخَطْلَان ، وهما من بنى تَيْم
ابن غَالِب^(١) بن فِهْرٍ ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتله ، فُقِيل وهو
متملق بأستار السكبة ، ففي هذا أن السكبة لا تُعِذ عاصياً ، ولا تَمْنَع من
إقامة حَدٍّ واجب^(٢) ، وأن معنى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ دَخَلَ كَانَ آمِنًا﴾ إنما معناه
الخبر عن تعظيم حُرْمَةِ الْحَرَم في الجاهلية نعمة منه على أهل مكة ، كما قال تعالى :

(١) هو من قریش الظواهر . وذكر ابن دريد أن ابن خطل كان اسمه هلال ،
وأن أخاه كان عبداً لله . وفي المقرئى أنه هلال . أنظر ص ١٠٦ ، ٧٩ الاشتقاق ،
ص ٣٧٨ إمتاع الأسماع .

(٢) في المسألة خلاف طويل . ولقد كان العربي في الجاهلية يرى قاتل أبيه
أو ابنه في الحرم فلا يبيحه . وروى الإمام أحمد عن عمر أنه قال : لو وجدت
فيه قاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ، وذكر عن عبد الله بن عمر أنه قال :
لو وجدت فيه قاتل عمر ما بدته . وروى مثله عن ابن عباس ، وهذا قول جمهور
التابعين ومن بعدهم ، بل لا يحفظ عن تابعي ولا صحابي خلافه . وإليه ذهب
أبو حنيفة ومن وافقه من أهل العراق ، والإمام أحمد ومن وافقه من أهل
الحديث : أما مالك والشافعي فيريان أنه يستوفى منه في الحرم ، كما يستوفى منه
في الحل ، وهو اختيار ابن المنذر . وقد وفي ابن القيم هذه المسألة بحثاً ، وذكر
بالتفصيل أدلة الفريقين في زاد المعاد ص ٤٢٠ وما بعدها ج ٢ . وأقوى دليل
لن قال باستيفاء الحد منه في الحرم قوله سبحانه (ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام ،
حتى يقاتلوك فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلواهم) البقرة : ١٩١ وقد روى الإمام أحمد
عن ابن عباس قوله : « من سرق أو قتل في الحل ، ثم دخل الحرم ، فإنه
لا يجالس . ولا يكلم ، ولا يؤوى حتى يخرج ، فيؤخذ ، فيقام عليه الحد ، وإن
سرق أو قتل في الحرم أقيم عليه الحد ، ففرق بهذا بين الاجبيء إلى الحرم ، وبين
الاجاني فيه . وهذا رأى بينه وبين هدى القرآن نسب متين .

﴿ جَعَلَ اللَّهُ السَّكَنَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، الْمَأْتِدَةُ : ٩٧ .
فَكَانَ فِي ذَلِكَ قِيَامٌ لِلنَّاسِ ، وَمُصْلَحَةٌ لِدَرِيَّةِ إِسْمَاعِيلَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَمِنْ قُطَّانِ الْحَرَمِ ، وَإِجَابَةٌ لِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ يَقُولُ : اجْعَلْ
أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَعِنْدَمَا قَتَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ابْنَ خَطَلٍ قَالَ : لَا يَقْتُلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا ، كَذَلِكَ قَالَ يُونُسُ فِي رِوَايَتِهِ ..

صلاة الفتح :

فصل : وَذَكَرَ صَلَاةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِيٍّ ، وَهِيَ صَلَاةُ
الْفَتْحِ ، تُعْرَفُ بِذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ الْأَمْرَاءُ يَصُلُّونَهَا إِذَا افْتَتَحُوا
بِلَدًا . قَالَ الطَّبْرِيُّ : صَلَّى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، حِينَ افْتَتَحَ الْمَدَائِنَ ، وَدَخَلَ
إِيْوَانَ كَسْرَى ، قَالَ : فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةَ الْفَتْحِ ، قَالَ : وَهِيَ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ
لَا يُفْصَلُ بَيْنَهَا ، وَلَا تُصَلَّى بِإِمَامٍ ، فَبَيْنَ الطَّبْرِيِّ سُنَّةَ هَذِهِ الصَّلَاةِ وَصِفَتُهَا ،
وَمِنْ سُنَّتِهَا أَيْضًا أَنْ لَا يُجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ ، وَالْأَصْلُ مَا تَقْدِمُ مِنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِيٍّ ، وَذَلِكَ ضَحَى ^(١) .

(١) عَنْ أُمِّ هَانِيٍّ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عَامُ الْفَتْحِ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ بِأَعْلَى
مَكَّةَ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِلَى غَسَلِهِ ، فَسَرَتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ ، ثُمَّ أَخَذَتْ ثَوْبَهُ
فَالْتَحَفَتْ بِهِ ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ سَبْحَةَ الضُّحَى ، وَتَفَقَّحَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ فِي
رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ أَنَّهَا قَالَتْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، دَخَلَ بَيْتَهَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ
فَاغْتَسَلَ وَصَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ ، وَقَدْ قِيلَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ أَنْ يَكُونَ قَدْ نَزَلَ
فِي بَيْتِهَا بِأَعْلَى مَكَّةَ ، وَكَانَتْ فِي بَيْتِ آخِرِ مَكَّةَ ، فُجِئَتْ إِلَيْهِ ، فَوَجَدَتْهُ يَغْتَسِلُ .
وَفِي حَدِيثِ لَابِيِّ دَاوُدَ أَنَّهُ ﷺ ، كَانَ يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكَعَتَيْنِ ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ =

أَسْمَ هَانِي :

وَأُمُّ هَانِيءٍ اسْمُهَا : هِنْدُ تُكْنَى بِابْنِهَا هَانِيءُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَلَهَا ابْنٌ مِنْ هُبَيْرَةَ اسْمُهُ يَوْسُفُ ، وَثَلَاثٌ وَهُوَ الْأَكْبَرُ اسْمُهُ : جَعْدَةُ ، وَقِيلَ : إِبَاءُ عَنَتٌ فِي حَدِيثِ مَالِكٍ ، زَعَمَ ابْنُ أُمَى عَلَى أَنَّهُ قَاتِلُ رَجُلٍ أَجْرَتْهُ فُلَانُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَقَدْ قِيلَ فِي اسْمِ أُمِّ هَانِيءٍ : فَاخْتَةُ ^(١) .

عمر الله بن سعد :

فصل : وذكر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي يُكْنَى أَبَا بَحِيٍّ ، وَكَانَ كَاتِبَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ ارْتَدَّ وَلُحِقَ بِمَكَّةَ ،

== ابن خزيمة : وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين ، وفي هذا رد على من زعم أن الصلاة هذه موصولة هذا وقد حقق الإمام ابن القيم رضى الله عنه الصلاة المسماة بصلاة الضحى ، تحقيقاً عظيماً ، وجمع أكثر ما قيل فيها من أحاديث ، ومنها ما رواه البخارى : . ولم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلّى الضحى إلا أن يقدم من مفيه ، ثم قال ابن القيم : فالذى أثبتته فعلها بسبب كقدومه من سفر ، وفتحها وزيارته لقوم ونحوه ، وكذلك إتيانه مسجد قباء للصلاة فيه . . ولم يكن من هديه فعلها لغير سبب وقد أوصى بها وندب إليها وحض عليها ، وكان يستغنى عنها بقيام الليل ، فإن فيه غنية عنها ، وهى كالبدل منه . . وابن عباس كان يصلّيها يوماً ويدعها عشرة ، وكان ابن عمر لا يصلّيها ، فإذا أتى مسجد قباء صلاها . أما صلاة التفتح فهى هذه التى مر ذكرها ، وكانت ضحى ، فظننا من ظننا صلاة الضحى .

(١) هى أم هانئ بنت أبي طالب ابنة عم النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقد اختلف في اسمها ، فقيل فاخنة ، وقيل فاطمة ، وقيل هند ، والاول أشهر ، وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي .

نم أسلم وحسن إسلامه ، وعُرف فضله وجهاده ، وكان على مَيِّمَةٍ عمرو
ابن العاصي حين افتتح مصر ، وهو الذي افتتح إفريقيا بَقِيَّة سَفَةِ سَمِيعٍ وِدْشَرِين ،
وغزا الأساود من الثوبَةِ ، ثم هادتهم الَهْدَنَةَ الباقية إلى اليوم ، فلما خالف
محمد بن أبي حُذَيْفَةَ على عُثْمَانَ - رضى الله عنه - اعتزل الفِتْنَةَ ، ودعا الله
عز وجل أن يقبضه ، ويجعل وفاته بأثرِ صلاةِ الصبح ، فصلى بالناس الصبح ،
وكان يسلم تسليمتين عن يمينه ، وعن شماله ، فلما سلمَ النسايمَةَ الأولى عن يمينه ،
وذهب ليسلم الأخرى ، قُبِضَتْ نفسه ، وكانت وفاته بِمُسْقَانَ ، وهو الذى يقول
في حِصَارِ عُثْمَانَ :

أرى الأمر لا يَزْدَادُ إِلَّا تَقَاظًا وَأَنْصَارُنَا بِالْمَكَّةَيْنِ قَلِيلُ
وَأَسْلَمْنَا أَهْلُ الدِّينَةِ وَالْهَوَى إِلَى أَهْلِ مِصْرٍ وَالذَّلِيلُ ذَلِيلُ
نَجْمَةٌ :

وأما نُمَيْمَةُ بن عبد الله الذى ذكره ابن إسحاق فهو لىي أحد بني
كعب بن عامر بن آيث ، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد
كثيراً من مشاهدته وغزواته .

عن ابن نعيم والقبطين :

وأما الحُوَيْرِثُ بن نُقَيْدٍ^(١) الذى أمر بقتله مع ابن خطلٍ ، فهو الذى

(١) بقية لسه : ابن بجير بن عبد قصى .

نَحْسَ بَرَيْتَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَدْرَكَهَا ، هُوَ وَهَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، فَسَقَطَتْ عَنْ دَابَّتِيهَا ، وَأَلْقَتْ جَنِينَهَا .

وَأَمَّا الْقَيْنَتَانِ الْأَتَانِ أَمْرُ بَقْتَلَمَا ، وَهِيَ سَارَةُ^(١) وَفَرَتْنِي فَأَسْلَمَتْ فَرَتْنِي ، وَآمَنْتْ سَارَةُ وَعَاشَتْ إِلَى زَمَنِ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ وَطَّئَهَا قَرَسٌ ، فَقَتَلَهَا .

عن الدييات في خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيها ذكر الدييات ، وذكر قتل الخطأ ، وذكر شبه العمدة وتمايظ الدبة فيه ، وهي أن يُقتل القاتل بسوط أو عصا ، فيموت ، وهو مذهب أهل العراق : أن لا قود^(٢) في شبه العمدة ، والمشهور عن الشافعي أن فيه الدبة مغلظة أثلاثاً^(٣) ، وليس

(١) في بعض الروايات أنها ليست من القيتين ، وإنما هي مولاة عمرو ابن هشام ، وقيل مولاة لبني عبد المطلب ، لأنها كانت تؤذى رسول الله في مكة ، وقد قيل إنها التي تحملت الكتاب من حاطب بن أبي بلنعة ، وكأنها عني عنها ، أو هربت ، ثم أهدر دمها ، فهربت حتى استؤمن لها من الرسول . ص . وقيل قتلها علي بن أبي طالب وقيل غيره وأما الجاريتان فهما قرتنا وقرية ، أو قرتنا وأربة وقد قتلت أربب أو قرية . أنظر ص ٢٩٨ - ٤ البداية لابن كثير ص ٣٧٨ ، ٣٩٤ إمتاع الأسماع للمقريزي .

(٢) القود : القصاص وقتل القاتل بدل القاتل .

(٣) أي ثلاث وثلاثون حقة ، وثلاث وثلاثون جذعة ، وأربع وثلاثون نذية . النذية من الغنم ، ما دخل في الثالثة ، ومن البقر كذلك ، ومن الإبل في السادسة ، والجذعة ما دخل في السنة الخامسة من الإبل ، ومن البقر والغنم ما دخل في السنة الثانية . وقيل البقر في الثالثة ، ومن الضأن ماتمت له سنة . وقيل غير ذلك . وحديث شبه العمدة أخرجه الحنفية إلا الترمذي .

سند فقهاء الحجاز إلا قَوْدٌ في عمْدٍ أو دِيَّةٍ في خَطَأٍ تَوَخَّدَ أَخْمَاسًا^(١) على ما تفسر الفقهاء . وهو قول الليث ، وكذلك قول أهل العِرَاقِ إن القَوْدَ لا يكون إلا بالسيف ، واحتجوا بأنَّ يَرْوَى عن ابن مَسْعُودٍ مرفوعاً أن لا قَوْدَ إلا بمحْدِيدَةٍ ، وعن عِلِّيٍّ مرفوعاً أيضاً : لا قَوْدَ إلا بالسيف ، ومن طريق أبي هريرة لا قَوْدَ إلا بمحْدِيدَةٍ ، وهو يدور على أبي مُعَاذٍ سَلَامَانَ بن أَرْقَمٍ ، وهو ضعيف بإجماع ، وكذلك حديث ابن مَسْعُودٍ يدور على الْمُعَلَّى بن نُهَالٍ ، وهو ضعيف مَثْرُوكُ الحديث ، وكذلك حديث عِلِّيٍّ لا تقوم بإسناده حُجَّةٌ ، وحجة الآخرين في أن القاتل يُقْتَلُ بما قُتِلَ به قوله تعالى : ﴿ قَمِّنْ عَتَدَى عَلَيْكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا عَتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة : ١٩٤ ، وحديث اليهودي الذي رَضَخَ رَأْسَ الْجَارِيَةِ على أَوْضَاحٍ^(٢) لَهَا ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يَرْضَخَ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ .

العلة في النكبة :

وأما دخوله عليه السلام النكبة وصلاته فيها ، فحديث بلال أنه صلى

(١) عشرون حقة ، وعشرون جذعة ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون غير لبون ، وعشرون بنات مخاض . ابن اللبون أو بنت اللبون : ما دخل من الإبل في الثالثة . والمخاض : اسم للنوق الحوامل ، وبنت المخاض ما دخلت في السنة الثانية . وفي بني اللبون خلاف . بل في نفس الدينة خلاف .

(٢) الأرواح نوع من الحلبي يعمل من القنصة وهو من حديث متفق عليه ، فقد وجدوا جارية رضى رأسها ، فسألوها : من صنع بك هذا ، حتى ذكروا يهودياً ، فأومأت برأسها ، فأخذ اليهودي ، فأقر ، فأمر الرسول دس ، برضى رأسه بين حجرين .

فيها ، وحديثُ ابن عباس أنه لم يُصَلِّ فيها ، وأخذ الناسُ بحديث بلال ، لأنه أثبت الصلاة وابن عباس نفى ، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت ، لا بشهادة الناقى ، ومن تأوَّل قول بلال أنه صلى ، أى دعا ، فليس بشيء ، لأن فى حديث عمر أنه صلى فيها ركعتين ، ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان ، لأنه عليه السلام دخلها يوم النحر فلم يصل ، ودخلها من الغد فصلى ، وذلك فى جبة الوداع ، وهو حديث مروي عن ابن عمر بإسناد حسن ، خرجه الدارقطني ، وهو من فوائده ^(١) .

(١) عن ابن قال : دخل رسول الله ﷺ البيت هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فأغلقوا عليهم الباب ، فلما افتحوا كنت أول من ولج ، فلقيت بلالا ، فسألته : هل صلى فيه رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، بين العمودين اليمانيين ، متفق عليه ، وفى حديث البخارى وأحد أنه ﷺ ، صلى ركعتين بين السارين عن يسارك إذا دخلت وأنه خرج ، فصلى فى رجة الكعبة ركعتين . وحديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كبر فى البيت ولم يصل فيه قد أخرجه البخارى ، وقال إن إثبات بلال أرجح ، لأنه كان مع النبي ، ولم يكن ابن عباس معه ، وإنما استند فى نفيه إلى أسامة تارة ، وإلى الفضل تارة . وقد روى نفي الصلاة مسلم عن أسامة من طريق ابن عباس ، ووقع إثبات صلاته فى الكعبة أيضاً عن أسامة من رواية ابن عمر ، ولهذا ترجح رواية بلال إذ ليس فيها مثل هذا التعارض وعن عائشة قالت : خرج رسول الله ﷺ من عندي وهو قريء العين طيب النفس ، ثم رجع إلى ، وهو حزين ، فقلنا له ؟ فقال : إننى دخلت الكعبة ، ووددت أنى لم أكن فعلت ، إني أخاف أن أكون أنعت امتى من بعدى والخسة إلا الفساق وصحابة الترمذى ، وعن إسماعيل ابن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى : أدخل النبي ﷺ البيت فى عمرته ؟ قال : لا ومتفق عليه ، وهذا استدلال الجمهور على أن دخول الكعبة ليس من مناسك الحج .

(٨ م — الروض الآف ج ٧)

كسر الأصنام كسر الأصنام

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناده ، عن
 قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناده ، عن
 ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحته ، فطاف عليها وحول
 البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب
 في يده إلى الأصنام ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً .
 فأتاه إلى الأصنام ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً .
 وأشار إلى صنم مهيا في وجهه إلا وقع نقاه ، ولا أشار إلى قناه إلا وقع
 لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ، فقال عيسى بن أسد الخزازي في ذلك :
 وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرحو الثواب أو العقاب
 وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرحو الثواب أو العقاب

قصة إسلام فضالة قصة إسلام فضالة

قال ابن هشام : وحدثني : أن فضالة بن عمر بن الملوح الأبي أراد قتل
 قال ابن هشام : وحدثني : أن فضالة بن عمر بن الملوح الأبي أراد قتل
 النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال :
 ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال لا شيء . كنت أذكر الله ، قال : فضحك
 الذي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره ،
 فكان قلبه ؛ فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من
 خلق الله شيء أحب إلي منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فرزيت بأسرة
 لمق الله شيء أحب إلي منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فرزيت بأسرة

كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلَمْ إِلَى الْحَدِيث ، فقلت : لا ، وانبت

فضالة يقول :

قَالَ هَلَمْ إِلَى الْحَدِيث فَقُلْتُ لَا يَا بَنِي عَمَلِكِ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ
كَمَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكْشُرُ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتَ دِينَ أَضْحَى بَيْنَنَا وَالشُّرْكَ يُفْشَى وَجْهَهُ الْأُظْلَامُ

أمان الرسول لصوان بن أمية

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير ، قال :
خرج صفوان بن أمية يريد جذّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ :
يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ سَيِّدُ قَوْمِهِ ، وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْكَ لِيُظْفِرَ نَفْسَهُ
فِي الْبَحْرِ ، فَأَمْنُهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ؛ قَالَ ، هُوَ آمَنَ ؛ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
فَاعْطِنِي آيَةً يَعْرِفُ بِهَا أَمَانُكَ ؛ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِمَامَتَهُ
الَّتِي دَخَلَ فِيهَا مَكَّةَ ، فَخَرَجَ بِهَا عُمَيْرٌ حَتَّى أَدْرَكَهُ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ
فِي الْبَحْرِ ، فَقَالَ : يَا صَفْوَانُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، اللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ أَنْ تَهْلِكَهَا ،
فَهَذَا أَمَانٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جِئْتُكَ بِهِ ؛ قَالَ : وَيْحَكَ !
اغْرُبْ عَنِّي فَلَا تَكَلِّمْنِي ؛ قَالَ : أَيُّ صَفْوَانَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، أَنْضَلُ
لِلنَّاسِ ، وَأَبْرَأُ النَّاسِ ، وَأَحْلَمُ النَّاسِ ، وَخَيْرُ النَّاسِ ، ابْنُ عَمِّكَ ، عَزَّاهُ عَزَّكَ ،
وَشَرَفُهُ شَرَفُكَ ، وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ ؛ قَالَ : إِنِّي أَخَافُهُ عَلَى نَفْسِي ، قَالَ : هُوَ
أَحْلَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْرَمُ : فَرَجَعَ مَعَهُ ، حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم ، قال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني ، قال : صدق ، قال :
فاجعلني فيه بالخيار شهرين ؛ قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثني رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لِعُمَيْرِ
وَيْلَكَ اغْرُبْ عني ، فلا تكلمني ، فإنك كذاب ، لما كان صنع به ،
وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر .

إسلام عكرمة وصفوان

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري : أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام
وفاخته بنت الوليد - وكانت فاخنة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند
عكرمة بن أبي جهل - أسدنا ؛ فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعكرمة فأمنه ؛ فلحقته به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عكرمة
وصفوان أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأول .

إسلام ابن الزبيري وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :
قال : رمى حسان ابن الزبيري وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه :
لَا تَمْدَنَّ مِنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُفْضُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَتِيمِ
فلما بلغ ذلك ابن الزبيري خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأسلم ، فقال حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقَتَ إِذْ أَنَا بُورٌ
إِذَا أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سِنَنِ النَّعَى وَمَنْ مَالَ مَيْلُهُ مَشْبُورٌ
أَمِنْ اللَّحْمِ وَالْعِظَامِ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيًّا مِنْ لَوْيَ وَكُلُّهُمْ مَفْرُورٌ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبمرى أيضاً حين أسلم :

مَنْعَ الرُّقَادَ بَلَابِلٌ وَهُمُومٌ وَالذَّلِيلُ مُغْتَلِبُ الرُّوَاقِ سِيمِ
مِمَّا أَنَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَامِنِي فِيهِ فَبِتُّ كَأَنِّي نَحْمُومٌ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلْتُ عَلَى أَوْصَالِهَا عِبْرَانَةَ سُرُحِ الْيَدَيْنِ غَشُومٌ
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي أَسَدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمٌ
أَيَّامَ تَأْمَرُنِي بِأَغْوَى خُطَاةٍ سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا نَحْزُومٌ
وَأَمْدُ أَسْبَابِ الرُّدَى وَيَقُودُنِي أَمْرُ النُّوَةِ وَأَسْرُهُمْ مَشْنُومٌ
فَالْيَوْمَ آمَنْ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَلْبِي وَغَطِيءَ هَذِهِ مَحْرُومٌ
مَضَتْ الْعِدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا وَدَعَتْ أَوَامِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومٌ
فَاغْفِرْ لَنَدَى لَكَ وَالَّذِي كَلَّاهَا زَلَى ، فَانْكَ رَاحِمٌ مَرْحُومٌ
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِكِ عَلَامَةٌ نَوْرٌ أَغْرَ وَخَانِمٌ مَخْجُومٌ
أَعْطَاكَ بِعَدِّ حَبَّةِ بَرَاهِنِهِ شَرْقًا وَبَرَهَانَ الْإِلَهِ عَظِيمٌ
وَأَقْدَمْتُ بِأَنْ دِينِكَ صَادِقٌ حَقٌّ وَأَنْكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمٌ
وَأَقْدَمْتُ بِأَنْ دِينِكَ صَادِقٌ حَقٌّ وَأَنْكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمٌ
وَأَقْدَمْتُ بِأَنْ دِينِكَ صَادِقٌ حَقٌّ وَأَنْكَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمٌ

.....

قَرَمَ عَلَا بُنْيَانِهِ مِنْ هَاشِمٍ فَرَمَ تَمَكَّنَ فِي الذَّرَا وَأُرُومٍ
قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُسَكِّرُها له :

بقاء هبيرة على كفره وشعره في إسلام زوجته أم هانيء

قال ابن إسحاق : وأما هبيرة بن أبي وهب الخزومي فأقام بها حتى مات
كافراً ، وكانت عنده أم هانيء بنت أبي طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين
بلغه إسلام أم هانيء :

أشافتك هند أم أتك سواها	كذلك النوى أسبابها وانفتاها
وقد أركت في رأس حصن ممنع	بنجران يسرى بعد ليل خياها
وعاذلة هبت بدليل تلووني	وتغذلي بالليل ضل ضلأها
وتزعم أني إن أطعت عشيرتي	سأردى وهل يردني إلا زبأها
فإني لمن قرم إذا جد جدُّهم	على أي حال أصبح اليوم حالها
وإني لحام من وراء عشيرتي	إذا كان من تحت العوالي مجالها
وصارت بأيديها السيوف كأنها	مخارق ولدان ومنها ظلالها
وإني لأقل الحاسدين وفعلهم	على الله رزق نفسها وعبأها
وإن كلام الرء في غير كنهيه	لكا النبيل تهوى ليس فيها نصالها
فإن كنت قد تابعت دين محمد	وعطيت الأرحام منك حبالها
فكوني على أعلى سحيق بهضة	ملمة غبراء ينس بلالها

قال ابن إسحاق : وبروي : « وقطعت الأرحام منك حبالها » .

عدة من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سليم سبع مائة ، ويقول بعضهم : ألف ؛ ومن بنى غفار أربع مائة ، ومن أسلم أربع مائة ؛ ومن مزيعة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

شعر حسان في فتح مكة

وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصاري :

نَعَمْتُ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاهِرُ	إِلَى عَذْرَاءَ مَزَلَهَا خَلَاهُ
دَبَّارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفَرٌ	تُعْقِبُهَا الرِّوَامِسُ وَالشَّاهِدُ
وَكَاثَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أُنَيْسٌ	بِخِلَالِ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاهِدُ
فَدَعِ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٌ	يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لِشَعْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمَتْهُ	فَقَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَانَ خَيْثَةً مِنْ يَدِ رَأْسٍ	يَكُونُ مِرَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ
إِذَا مَا الْأَفْرِيَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا	فَهِنَّ لَطِيبُ الرَّاحِ الْفِدَاءُ
فَوَلَّيْهَا الْعَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا	إِذَا مَا كَانَ مَغْتٌ أَوْ خَلَاهُ
وَنَشَرَبَهَا فَتَتَرَكُّنَا مُلُوكَا	وَأَسْدًا مَا يُنْهِنُنَا الْإِقْمَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	تُنِيرُ النِّعَمَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

يُنَازِعُنَ الْأَعْيَنَةَ مُضْغِيَّاتٍ عَلَى أَكْتَفِهَا الْأَسْلُ الْفُطَاهُ
تَقْلُ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ بِلَطْمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ
فَلَمَّا تَمَرَّضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْفُطَاهُ
وَالَا فَاصِيرُوا لَجْلَادِ يَوْمٍ يُعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقُّ إِنْ نَقَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقُوهُ قُلْتُمْ : لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرِضَتْهَا الْأَقْيَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَمَدَةٍ سِيَابٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ هِجَاءٍ
فَنَحْكِمُ بِالْقَوَائِي مَنْ هِجَانَا وَتَضْرِبُ حِينَ تَخْطُطُ الدَّمَاءُ
أَلَا أَبْلَغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي مُتَلَقِّلَةً فَقَدْ بَرَحَ الْخَلَفَاءُ
بِأَنْ سَيُوفُنَا تَرَكَتْ عَبْدًا وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتْهَا الْإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرُّكَ خَيْرُكَ الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينَ اللَّهُ شَيْبَتُهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ ؟
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لَنَا صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَيَحْرَى لَا تُكْذِرُهُ الدَّلَاءُ

قال ابن هشام: قالها حسان يوم الفتح . ويروى : « لاني صارم لا اعتبد فيه » وبلغني عن الزهري أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلعطن الخيل بألحمر تبسم إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

شعر أنس بن زعيم

في الاعتذار إلى الرسول مما قال ابن سالم

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زعيم الدبلي يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي :

أَنْتَ الَّذِي تُهْدِي مَمَدًا بِأَمْرِهِ	بَلِ اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدُ
وَمَا جَحَلْتَ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا	أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
أَحَثَّ عَلَى خَيْرٍ وَأُسْبِغَ نَائِلًا	إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُهَنْدِ
وَأَكْسَى لُبُوزٍ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ	وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَجَرِّدِ
تَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُذْرِكِي	وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخَذِ بِالْيَدِ
تَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ قَادِرٌ	عَلَى كُلِّ مِرْزَمٍ مُتَّهِمِينَ وَمُنْجِدِ
تَعْلَمُ بَأَنَّ الرَّكْبَ رَكْبُ عَوْنِمْ	هُمْ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلَفُونَ كُلَّ مَوْعِدِ
وَنَبِّؤُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي هَجَوْتُهُ	فَلَا حَمَاتٍ سَوْطِي إِلَى إِذْنِ يَدِي
سِوَى أَنِّي قَدَقَلْتُ وَبِلْ أَمَّ فِتْيَةٍ	أَصِيبُوا بِنَحْسٍ لَا يَطْلُقُ وَأَسْتَدِ
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ	كَفَاءً فَعَزَّتْ عَبْرَتِي وَتَبَلَّدِي

فَمَا لَكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيًا بَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةُ مَهْرُودٍ
ذَوِيبٌ وَكُلْتُمُومٌ وَسَلَمَى تَتَابَعُوا جَمِيعًا فَإِلَّا تَدْمَعُ الْعَيْنُ أَكْدُ
وَسَلَمَى وَسَلَمَى لَيْسَ حَتَّى كَيْثَلُهُ وَإِخْوَتُهُ وَهَلْ مُلُوكٌ كَأَعْبُدُ
فَأَنَّى لَا دِينًا فَتَقَّتْ وَلَا دَمًا هَرَقْتُ تُبَيِّنُ عَالِمَ الْحَقِّ وَاقْصِدُ

شعر بديل في الرد على ابن زعيم

فَأَجَابَهُ بَدِيلُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنُ أُمٍّ أَضْرَمَ ، فَقَالَ :
بَكَى أَنَسُ رَزْنَا فَأَعْوَلَهُ الْبُسْكَ قَالًا عَدِيًّا إِذْ تُظَلُّ وَتُبْعَدُ
بَكَيْتَ أَبَا عَبْسٍ لِقُرْبِ دِمَائِهَا فَتَعَذَّرَ إِذْ لَا يَوْقُدُ الْحَرْبُ مُوقِدُ
أَصَابَهُمْ يَوْمَ الْخُنَادِمِ فِتْيَةٌ كِرَامٌ فَسَلَّ مِنْهُمْ نَفِيلٌ وَمَعْبِدُ
هَنَالِكَ إِنْ تَسْفَحْ دَمُوعُكَ لَا تُلَمَّ عَلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ الْعَيْنُ فَاكْثِدُوا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

شعر بجير في يوم الفتح

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ :
نَحْنُ أَهْلَ الْخَلْقِ كُلِّ فَسَجَّ مُزَبْنَةٌ غُدُوَّةٌ وَبَنُو خَفَافٍ
ضَرَبْنَاَهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ بِالْيَيْسِ الْخِفَافِ صَبَحْنَاَهُمْ بِسَبْعٍ مِنْ سَكَنِمْ
وَأَلْفٍ مِنْ بَنِي عُمَانَ وَافٍ

نظا أكتافهم ضرباً وطعنًا ورشقًا بالريشة اللطاف
تري بين الصفوف لما خفيًا كما انصاع الفواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماع مقومة الثقاف
فأبنا غاميت بما اشتبهنا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا موافقنا على حسن التصاف
وقد سموا مقاتلنا فحوا غداة الروح منا بانصراف

شعر ابن مرداس في فتح مكة

قال ابن هشام : وقال ابن مرداس السلي في فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسهيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وأشهدا أيامه وشعارهم يوم اللقاء مقدم
في منزل ثبتت به أقدامهم ضحك كأن الهام فيه الجفم
جرت سناياهم بنجد قبلها حتى استقاد لها الحجاز الأدم
الله مسكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرئاسة شامخ عرنيته متطلع نمر السكارم خضرم

إسلام عباس بن مرداس

قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مرداس ، فيما حدثني بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثمن يعبده ، وهو حجر كان

يقال له ضمار ، فلما حضر مرداس قال لعباس : أى بنى ، اعبد ضمار فإنه
يتفعلك ويضرك ، فبينما عباس يوماً عند ضمار ، إذ سمع من جوف ضمار
منادياً يقول :

قل لاقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قریش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبی محمد
فخرق عباس ضمار ، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم .

شعر جملة في يوم الفتح

قال ابن هشام : وقال جملة بن عبد الله الخزاعي يوم فتح مكة :

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل حين له يوم الحديد متحاج
أتيت له من أرضه وسماؤه لتقتله ليلاً بغير سلاح
ونحن الألى سدت غزال خيولنا ولقنا سددها وفج طلاح
خطرنا وراء المسلمين يحفل ذوى عضد من خيلنا ورماح
وهذه الأبيات في أبيات له .

شعر مجيد في يوم الفتح

وقال مجيد بن عمران الخزاعي :

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا ركام صحاب الهيدب المتراكب

«وهجرتنا في أرضنا عندنا بها كتاب آتى من خير عمل وكاتب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة اندرك تأراً بالسيوف القواضب
«مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة
ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول
حكمة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث
خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، فوطىء
بني جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلي في ذلك :
فإن تك قد أمرت في القوم خالداً وقدمته فإنه قد تقدما
بميسد هداه الله أنت أميره نصيب به في الحق من كان أظلاما
قال ابن هشام : وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حنين ،
سأذكرها إن شاء الله في موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن
أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن
منصور ومدلج بن مرة ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ،

.....

فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا :

قال ابن إسحاق : حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جندم : ويلكم يا بني جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذ رجال من قومه ، فقالوا : يا جندم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ، ووُضِعَتِ الحرب وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

براءة الرسول صلى الله عليه وسلم من عمل خالد

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكثفوا ، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ تَمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه حدث عن إبراهيم بن جعفر الحمودي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَأَيْتُ كَاتِبَ لَقِيتُ لَقْمَةً مِنْ حَيْسٍ ، فَالْتَدَذْتُ طَعْمَهَا ، فَاعْتَرَصَ فِي حَلْقِي مِنْهَا شَيْءٌ حِينَ ابْتَلَعْتُهَا ، فَأَدْخَلَ حَلْقِي يَدَهُ فَنَزَعَهُ ؛ فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

حقى إنه ليرى مما تحت منسكبيه ، يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
ابن الوليد ، ثلاث مرات .

الاعتذار عن خالد

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يذمر خالداً إنه قال : ما قاتلت حتى
أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .
قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : لما أتاهم خالد ، قالوا : صَبَأْنَا صَبَأَنَا .

بين خالد وبين ابن عوف

قال ابن إسحاق : وقد كان جَعْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى
ما يصنع خالد يبنى جَذِيْمَةً : يا بني جَذِيْمَةُ ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم
ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغني ، كلام
في ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عَمِلْتَ بِأَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ .
فقال : إنما ثَارَتْ بِأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلت قاتل أبي ،
ولس كذلك ثَارَتْ بِعَمِكَ الْفَاحِشَةِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، حتى كان بينهما شرٌّ . فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله
لو كان لك أحدٌ ذهباً نِمَ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا أَدْرَكَتْ غَدَوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي
حولا روحته .

بين قريش وبنى جذيمة

وكان الفاكه بن النخيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد المطارث بن زهرة ، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر ، كان هلك ، باليمن ، إلى ورثته ، فادّعه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقتل عوف بن عبد عوف ، والفاكه بن النخيرة ، ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن النخيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهتت قريش بفرو بنى جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملائنا ، إنما عدا عليهم قوم مجاهلة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن ننقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

شعر سلمي : فيما بين جذيمة وقريش

وقد قاتل من بنى جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سلمى :
 ولولا مقال القوم للقوم أسلموا للاقى سليم يوم ذلك ناطحا
 لما صدمهم بشير وأحلب جندم ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا

فَكَائِنْ تَرَى يَوْمَ النُّمَيْصَاءِ مَنْ قَتَى أَصِيبَ وَلَمْ يَجْرَحْ وَقَدْ كَانَ جَارِحًا
أَلْظَتْ بِخُطَّابِ الْأَيَّامِ وَطَلَّغَتْ غَدَاةً تَنْذِرُ مَنْ كَانَ نَاكِحًا
قال ابن هشام : قوله « يُنْسَر » « وَأَلْظَتْ بِخُطَّابِ » عن غير ابن إسحاق ..

شعر ابن مرداس في الرد على سلمى

قال ابن إسحاق : فأجابه عباس بن مرداس ، ويقال : بل الجعاف بن
حكيم السلمي :

دعى عنك نَقْوَالُ الضَّالِّ كَفَى بِنَا
الْكَبْشِ الْوَعْيِ فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ نَاطِعَا
نَخَالِدُ أُولَى بِالْقَمْدَرِ مِنْكُمْ غَدَاةٌ عَلَانَهَجًا مِنَ الْأَمْرِ وَاضِحَا
مُعَانَا بِأَمْرِ اللَّهِ يُزْجِي إِلَيْكُمْ سَوَاحٍ لَا تَكْبُؤُ لَهُ وَبَوَارِحَا
نَقْوَا مَالَكَا بِالسَّمَلِ لَمَّا هَبَطْنَاهُ عَوَابِسَ فِي كَابِي الْغُبَارِ كَوَالِحَا
فَإِنْ نَكَ أُنْكَلْنَاكَ سَلَمَى فَمَالَكُ تَرْكُكُمْ عَلَيْهِ نَائِحَاتٍ وَنَائِحَا

الجعاف يرد على سلمى

قال الجعاف بن حكيم السلمي :

شَهِدَنْ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوَّمَاتٍ حُفَيْنَا وَهِيَ دَامِيَّةُ الْكَلَامِ
وَعَزْوَةُ خَالِدٍ شَهِدَتْ وَجَرَتْ سَنَابِكُنَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
نَعْرِضُ لِلطَّامَانِ إِذَا التَّقَيْنَا وَجُوهَهَا لَا تُعْرِضُ لِلْأَطَامِ

وَأَنْتَ بِحَالِهِ عَنِّي نِيَابِي إِذَا هَزَّ السَّكَاةَ وَلَا أَرَايَ
وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمُهْرُ تَحْتِي إِلَى الْعُلُوتِ بِالْمَعْصِبِ الْحَسَامِ

حديث ابن أبي حدرد يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ،
عن الزهري ، عن ابن أبي حدرد الأسلمي ، قال : كنت يومئذ في خيل
خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بني جذيمة ، وهو في سني ، وقد جُمِعَتْ يداه
إلى عُنُقِهِ بِرُمَّةٍ ، ونِسوةٌ مجتمعاتٌ غيرَ بعيد منه : يافتي ، فقلت : ماتشاء ؟
قال : هل أنت آخذ بهذه الرُمَّةِ ، فقائدني إلى هؤلاء النِسوةِ حتى أفضي إليهن
حاجة ، ثم تردني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسير
ما طلبت . فأخذت برُمَّتِهِ فَقُدَّتْهُ بِهَا ، حتى وقف عليهن ، فقال : اسلمي
حَبِيش ، على نَفَدٍ مِنَ الْعَيْشِ :

أَرَبْتُكَ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحَلْيَةٍ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ
أُمُّ يَكُ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقُ نَسَكَلَفَ إِذْ لَاحَ السَّرَى وَالْوَدَانِقِ
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلَكْنَا مَعَا أَيْبَى بُودَ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَانِقِ
أَيْبَى بُودَ قَبْلَ أَنْ تَشْجَطَ النَّوَى وَيَنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ
فَأَنَّى لَا ضَيِّعْتُ سِرًّا أَمَانَةَ وَلَا رَاقَ عَيْنِي عَنْكَ بَعْدَكَ رَاقِ
سَوَى أَنْ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ عَنْ الْوَدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقِ

قال ابن هشام : وأكثراهل العلم بالشعر يُذكر البيتين الآخرين منها له .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، عن
الزهري عن ابن أبي حذَرٍ الأسلمي قالت :
وَأَنْتِ مُخَيِّتٌ سَبْعًا وَعَشْرًا وَثِرًا وَثَمَانِيًا تَتَرَى
قال : نعم انصرفتُ به . فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو قَرَّاسٍ بن أبي سُدَيْلَةَ الأسلمي ، عن أشياخ
منهم ، عن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضُربتُ عُنُقَهُ ،
فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ ، فَاذْأَلَتْ تَقْبِلُهُ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهُ .

شعر جذيمي في الفتح

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بني جَذِيمَةَ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا مَذْجًا حَيْثُ أَصْبَحْتُ جَزَاءَ بُؤْسِي حَيْثُ سَارَتْ وَحَلَّتْ
أَقَامُوا عَلَيَّ أَقْضَا ضَنَا بِنَفْسِي وَنَهَا وَقَدْ نَهَلْتُ فِينَا الرِّمَاحَ وَعَلَّتْ
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا دِينَ آلِ مُحَمَّدٍ لَقَدْ هَرَبْتُ مِنْهُمْ خِيُولَ فَشَلَّتْ
وَمَا ضَرَّهمْ أَنْ لَا يُبَيِّنُوا كِتَابِيَّةً كَرَّ جُلُ جَرَادٍ أَرْسَلَتْ فَاشْتَمَّتْ
فَأَيُّمَا يَنْبُوا أَوْ يَشُوبُوا لِأَمْرِهِمْ فَلَا نَحْنُ نَجْزِيهِمْ بِنَا قَدْ أَضَلَّتْ

وهب يرد على الجذيمي

فأجابه وهب ، رجل من بني ليث ، فقال :

دَعَوْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْحَقِّ عَامِرًا فَمَا ذَنْبُنَا فِي عَامِرٍ إِذْ تَوَاتَرَ
وَمَا ذَنْبُنَا فِي عَامِرٍ لَا أَبَالَهَمُ لِأَنْ سَفِهَتْ أَحْلَامُهُمْ نَمَ ضَلَّتْ

وقال رجل من بني جذيمة :

لبنى بنى كعب مُقَدِّم خالد وأصحابه إذ صَبَّحْنَا الْكُتَّابُ
فَلَا تَرَى يَسَى بها ابن خُوَيْلِد وقد كنت مكفياً لو أنك غائبُ
فلا قومنا يَنْهَوْنَ عَنَّا غَوَاتِهِمْ ولا الدائم يوم الفَيْصَاءِ ذَاهِبُ

شعر غلام جذى هارب أمام خالد

وقال غلام من بني جذيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب
بهن من جيش خالد :

رَخِينْ أَذْبَالَ الْمُرُوطِ وَارْبَعَنْ مَشَى حَيَّيَاتٍ كَانَ لَمْ يُفْرَعَنْ
إِنْ تُنْجِجِ الْيَوْمَ نِسَاءً تُنْجَمَنْ

ارتجاز بنى مساحق حين سمعوا بخالد

وقال غنمة من بني جذيمة ، يقال لهم بنو مساحق ، يرتجزون حين سمعوا بخالد
فقال أحدهم :

قَدْ عَلِمْتَ صَفْرَاءُ بَيْضَاءُ الْإِطْلِ يَحُوزُهَا ذُو ثَلَاةٍ وَذُو إِبِلٍ
لَا غَنِينَ الْيَوْمَ مَا أَغْنَى رَجُلٌ

وقال الآخر :

قَدْ عَلِمْتَ صَفْرَاءُ تُطْلَى الْعِرْسَا لَا تَلَا الْحَيَزَوْمَ مِنْهَا نَهْسَا
لَا ضَرِبَنَّ الْيَوْمَ ضَرْبًا وَعَسَا ضَرْبَ الْمُجَلِّينَ تَحَاضًا قُوسَا

وقال الآخر :

أَقْسَمْتُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لَيْدَةٍ شَتْنُ الْبَنَانِ فِي غَدَاةٍ بَرْدَةٍ
جَنَّهُمُ الْمُحْيَا ذُو سِبَالٍ وَرَدَهُ يُرْزَمُ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَجَعْدَةٍ
ضَارٍ بِنَأْكَالِ الرِّجَالِ وَخَدَهُ بِأَصْدَقِ الْفِدَاةِ مِنْ نَجْدَةٍ

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى ، وكانت بنخلة ، وكانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قريش وكفانة ومُضَرَ كَلَمًا ، وكانت سدَّتُها وحُجَّابُها بنى شيبان من بنى مُسَلِّمٍ حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السَّلْحَى بِمَسِيرِ خَالِدٍ إِلَيْهَا ، عَلَّقَ عَلَيْهَا سَيْفَهُ ، وَأَسْتَفَدَ فِي الْجَبَلِ الَّذِي هِيَ فِيهِ وَهُوَ يَقُولُ :

أَبَا عَزْرُ شُدِّي شِدَّةً لَأَشَوِي لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقِنَاعَ وَشَمْرِي
يَا عَزْرَ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا فَيُبُوئِي بِإِيْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصُرِي

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

عهد اسلام أبي سفيان وصاحبه :

فصل : وذكر كثر الأصنام ، وطمس التماثيل ، ومقالة الحارث بن هشام حين اجتمع هو وأبو سفيان ، وعتاب بن أسيد ، فتكلموا فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أخبره جبريل عليه السلام بالذي قالوه ، فصح بذلك يقينهم وحسن إسلامهم ، وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر قال : لعن النبي صلى الله عليه وسلم الحارث وأبا سفيان بن حرب وصقوان بن أمية فانزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم ﴾ الآية آل عمران : ١٢٨ قال : فتابوا بعد ، وحسن إسلامهم ، وروينا بإسناد متصل عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - على أبي سفيان ، وهو في المسجد ، فلما نظر إليه أبو سفيان قال في نفسه : ليت شعري بأي شيء غلبني ، فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى ضرب يده بين كتفيه ، وقال : يا الله غلبتك يا أبا سفيان ، فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله . من مسند الحارث بن أبي أسامة ، وروى الزبير بإسناد يرفعه إلى من سمع النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يتأرجح أبا سفيان في بيت أم حبيبة وأبو سفيان يقول له تركتك ، فتركك العرب ، ولم تفتطع بعدها جاء ولا قرناء ، والنبي صلى الله عليه وسلم يضحك ، ويقول : أنت تقول هذا يا أبا حنظلة . وقال مجاهد في قوله جل وعز : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ المتحفة : ٧ قال هي معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان . وقال أهل التفسير : رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام أسيد بن أبي العيص والياً على مكة

مسلمًا ، فأتى على الكُفْرِ ، فكانت الرَبِوْيا لولته عَتَابٍ حين أُسْلِمَ ، فولاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ورزقه كل يوم دِرْهَمًا ، فقال : أيها الناس أجاجَ الله كَيْدَ مَنْ جاع على دِرْهَمٍ ، الحديث ، وقال عند موته : والله ما اكتسبْتُ في ولايتي كُلِّها إلا قِصَصًا مُعَقَّدًا^(١) كَسَوْتُهُ غُلَامِي كَيْسَانَ ، وكان قد قال قبل أن يُسْلِمَ وسمع بلالا يُؤذِّنُ على السكبة ، لقد أكرم الله أَسِيدًا ، يعني : أباه أن لا يكون سَمع هذا فيسمع منه ما يفيظه ، وكانت تحت عَتَابٍ جُوبَرِيَّةُ بنتُ أبي جَهْلٍ بنِ هِشَامٍ ، وهي التي حَظَّباها عَائِشَةُ عَلَى فَاطِمَةَ ، فَشَقَّ ذاك على فَاطِمَةَ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا آذن ثم لا آذن ، إن فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي ، الحديث^(٢) ، فقال عَتَابٌ : أنا أَرِي مُحْكَمَ منها فتزوجها ، فولدت له عبدَ الرحمن المقتول يوم الجمل ، يُروى أن عَتَابًا طارت بكفِّه يوم قُتِلَ ، وفي السكِّفِ خاتمه ، فطرحتها باليَمَامَةِ في ذلك اليوم ، فَعُرِفَتْ بالخاتم..

الخفاء بنت أبي جهل :-

وكانت لأبي جهل بنتٌ أخرى ، يقال لها الخُفَاءُ كانت تحت سَهْمِ بْنِ

(١) ضرب من برود هجر .

(٢) قصة جوبرية في الصحيحين من حديث المسور بن مخرمة عن غير أن تسمى .. وفيها قوله صلى الله عليه وسلم : ولا تجتمع بنت رسول الله وبنت هدر الله عند رجل واحد أبدًا .. والسبب خوفه من أن تفتن فاطمة في دينها . كما جاء مصرحًا به في الحديث .

ابن عمرو ، يقال : إنها ولدت له ابنة أنسا الذي كان يضعف^(١) ، وفيه جرى
المثل : أساء سمعا فأساء إجابة^(٢) ويقال : إنه نظر يوما إلى رجلٍ على ناقرةٍ
يتبعها خرُوفٌ فقال : يا أبتِ أذاك الخُرُوفُ ، من تلك الناقة ؟ فقال أبوه :
صدقت هندُ بنتُ عُتَيْبَةَ ، وكانت حين خطبها قالت : إن جاءت منه حليلته بولد
أُحْمَقَت ، وإن أُنجِبَت فمن خطأٍ ما أُنجِبَت ، وقد قيل في بنت أبي جهل :
الْحُمَقَاءُ : إن اسمها صَفِيَّةُ^(٣) فالله أعلم .

اسم الحارث بن هشام :

وقال الحارثُ بنُ هشامٍ ، وقد قيل له : ألا ترعى ما يصنعُ مُحَمَّدٌ من
من كسبرِ الآلهة ، ونداء هذا العبد الأسود على الكعبة^(٤) فقال : إن كان الله
يكره هذا ، فسيبِّره ، ثم حَسُنَ إسلامُهُ رضى الله عنه بعد ، وهاجر إلى الشام ،
فلم يزل جَاهِدًا مُجَاهِدًا ، حتى استشهد هنالك رحمه الله .

(١) من الضعفة ضعف الفؤاد وقلة الفطنة .

(٢) في اللسان : جابة وقال هكذا يتكلم به ، لأن الأمثال تمحى على موضوعاتها .
وهي اسم وضع موضع المصدر مثل اطاعة واطاعة والقارة والمارة ، وأصل
المثل أن الأخنس بن شريق لقيه مع أبيه ، فقال له : ابن أمك يا فتى ، أمك
مصدر الفعل أم ، أى أين قصدك ، فظن أنس أنه يسأل عن أمه . فقال : انطلقت إلى
أم حنظلة تطحن دقيقاً ، فقال أبوه : أساء سمعا فأساء جابة . أنظر اللسان مادة جوب
والأمثال للديلماني ص ٣٣٠ ط السنة المحمدية .

(٣) وفي الأمثال أن اسمها صفية .

(٤) وفي رواية أنه قال : وائسكلاه ليتنى مت قبل هذا اليوم ، قيل أن أسمع
بلالا يهوق فوق الكعبة .

اسم بنت أبي جهل :

وأما بنت أبي جهل ، فقالت حين سمعت الأذان على الكعبة ، فلما قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله ، قالت : عمرى لقد أكرمك الله ورفع ذكرك ، فلما سمعت : حي على الصلاة ، قالت : أما الصلاة فسؤدديها ، ولكن والله ما تحب قلوبنا من قتل الأحبة ، ثم قالت : إن هذا الأمر لحق ، وقد كان الملك جاء به أبى ، ولكن كره مخالفة قومه ودين آبائه .

وأما أبو مخذورة الجمحي ، واسمه : سلمة بن مغيرة ، وقيل سمرة^(١) ، فإنه لما سمع الأذان ، وهو مع فتية من قرين خارج مكة أقبلوا يستهزئون ، ويحكون صوت المؤذن غيظاً ، فكان أبو مخذورة من أحسنهم صوتاً ، فرفع صوته مستهزئاً بالأذان ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر به فمثل بين يديه ، وهو يظن أنه مقتول ، فسح النبي صلى الله عليه وسلم ناصيته و صدره بيده ، قال : فامتلاً قاي والله إيماناً و يقيناً و علمت أنه رسول الله ، فالتقى عليه النبي صلى الله عليه وسلم - الأذان ، وعلمه إياه ، وأمره أن يؤذن لأهل مكة ، وهو ابن ست عشرة سنة ، فكان مؤذنهم حتى مات ثم عقبه بعده بتوارثون الأذان كابراً عن كابر ، وفي أبي مخذورة يقول الشاعر :

(١) في الإصابة عند البلاذري عن اسمه : لا ثبت أنه أدمس ، وجزم ابن حزم في أن سمرة أخوه . وخالف أبو اليعقوب أن أدمس بن معير قتل يوم بدر كافراً وأن اسم أبي مخذورة سلمان بن سمرة ، وقيل غير ذلك .

أَمَّا رَبُّ السَّكَنَةِ الْمَسْتُورَةِ وَمَاتِلَا مُحَمَّدٌ مِنْ سُورَةِ
وَالْفَنَمَاتِ مِنْ أَبِي مُحَمَّدُورَةِ لَأَقَمَنَّ فَهَلْهُ مَذْكُورَةِ

هَنْدُ بِنْتُ عَقْبَةَ :

وَأَمَّا هِنْدُ بِنْتُ عَقْبَةَ أَمْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ ، فَإِنْ مِنْ حَدِيثِهَا يَوْمَ الْفَتْحِ
أَنَّهُ بَايَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ عَلَى الصَّفَا ، وَعُمَرُ دُونَهُ بِأَعْلَى
الْعَقْبَةِ ، فَجَاءَتْ فِي نِسْوَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُبَايِعُنَّ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَعُمَرُ يَكْلَمُهُنَّ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا
قَالَتْ هِنْدُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَأَغْنَى عَنَّا ، فَلَمَّا قَالَ :
وَلَا يُشْرِكُنَّ قَالَتْ : وَهَلْ تَسْرِقُ الْحُرَّةُ ، لَكِنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبُو سُفْيَانَ
رَجُلٌ مُسِيكٌ رُبَّمَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ مَا يُضِلِّحُ وَلَدَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خَذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدُكِ بِالْمَعْرُوفِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّكَ لَأَنْتِ
هِنْدُ ؟ (١) قَالَتْ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنِّي ، عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ
حَاضِرًا ، فَقَالَ : أَنْتِ فِي حِلٍّ مِمَّا أَخَذْتِ ، فَلَمَّا قَالَ : وَلَا يَزْنِيَنَّ ، قَالَتْ : وَهَلْ تَزْنِي
الْحُرَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَمَّا قَالَ : وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ، قَالَتْ : يَا أَبَى أَنْتِ
وَأُمِّي مَا أَكْرَمَكَ ، وَأَحْسَنَ مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ : وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ ،

(١) هَذَا لِأَنَّهُمَا كَانَتَا مُتَنَكِّرَتَيْنِ خَوْفًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَرَوَايَةُ الصَّحَابَةِ : « إِنْ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ لَا يَطْغِي مِنَ الْبَغْيَةِ مَا يَكْفِي ،
وَيَكْفِي بَنِي فِهْلٍ عَلَى جَنَاحٍ إِنْ أَخَذَتْ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ ؟ » فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص :
خَذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكَ وَيَكْفِي بَنِيكَ .

قالت : والله قد رَبَّيْنَاهُمْ صِغَارًا ، حتى قَتَلْتَهُمْ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ بَيْدَرِ كِبَارًا ، .
قال : فضحك عُمَرُ من قولها حتى مال .

عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ لَا عُمَرُو بِهِ الزَّيْبِرُ :

فصل : وذكر حديثَ أَبِي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِي ، واسمه : خُوَيْلِدُ بْنُ عُمَرُو ،
وقيل : عُمَرُو بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وقيل : كعب بن عمرو ، وقيل : هانيء بن عمرو ، .
قال : لما قدم عُمَرُو بْنُ الزُّبَيْرِ مَكَّةَ لِقَاتِلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ ، هَذَا وَهُمْ مِنْ
ابْنِ هِشَامٍ ، وصوابه : عُمَرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي بْنِ أُمَيَّةَ ، وهو الْأَشَدُّ ،
ويكنى أبا أُمَيَّةَ ، وهو الذي كان يسمى لَطِيمَ الشَّيْطَانِ ، وكان جَبَّارًا شَدِيدَ
الْبَأْسِ ، حتى خافه عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى مَكَّةَ ، فقتله بِحِيلَةٍ فِي خَبَرِ طَوِيلٍ ، ورأى
رجل عند موته في المنام قائلًا يقول :

أَلَا يَا قَوْمِي لِلسَّفَاهَةِ وَالْوَهَنِ وللعاجزِ الموهونِ والرأيِ ذِي الْأَفَنِ
ولا بنِ سَعِيدٍ بَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ على قَدَمَيْهِ خَرًّا لَوَجْهِهِ وَالْبَطَنِ
رَأَى الْحِصْنَ مَنْجَاةً مِنَ الْمَوْتِ فَالتَجَا إِلَيْهِ ، فزارته الْمَنِيَّةُ فِي الْحِصَنِ

فقصَّ رؤياه على عبد الملك ، فأمره أن يكتمها ، حتى كان مِنْ قَتْلِهِ مَا كَانَ ، .
وهو الذي خَطَبَ بِالْمَدِينَةِ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَعَفَ
حتى سال الدمُ إلى أسفله فَعُرِفَ بِذَلِكَ معنى حديثه عليه السلام الذي يُرْوَى
عنه كَأَنِّي بِجَبَّارٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ يَرْعَفُ عَلَى مِنْبَرِي هَذَا حتى يسيلَ الدمُ إلى .

أسفله^(١)، أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فعُرف الحديث فيه . فالصوابُ إذاً
عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ لَا عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ ، وكذلك رواه يونسُ بن بكير عن
ابن إسحاق ، وهكذا وقع في الصحيحين . ذكر هذا التنبيه على ابن هشام
أبو عَمَرَ - رحمه الله - في كتاب الأجوبة عن المسائل المُستَغَرَّة ، وهي
مسائل من كتاب الجامع للبخارى تكلم عليها في ذلك الكتاب، وإنما دخل
الوهمُ على ابن هشام أو على البسكاثي في روايته من أجل أن عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ ،
كان معادياً لأخيه عبد الله ومُعِيناً لِبْنِي أُمَيَّةٍ عليه في تلك الفتنة ، والله أعلم .

أم حكيم بنت الحارث :

فصل : وذكر أم حَكِيمَ بنت الحارث ، وكانت تحت عِكْرَمَةَ بن
أبي جهل^(٢) ، وأنها اتبعته حين فرّ من الإسلام ، فاستأمنت له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، واستشهد عِكْرَمَةُ بالشام ، فخطبها يزيدُ بن أبي سُفْيَانَ
وخالدُ بن سعيد ، فخطبت إلى خالد ، فزوجها ، فلما أراد البناء بها ، وجوع
الروم قد احتشدت ، قالت له : لو أمهنت حتى يَفُضَّ الله بجمعهم ، قال : إن

(١) من الأحاديث التي ابتدعتها الأهواء السياسية .

(٢) روى أبو دأود والانسائي أنه ركب البحر فأصابتهم ريح عاصف فنادى
عكرمة اللات والهمزى ، فقال أهل السفينة : اخلصوا فآلمتكم لا تغنى عنكم شيئاً
ها هنا ، فقال عكرمة والله لئن لم ينجنى من البحر إلا الإخلاص لا ينجنى في البر غيره اللهم
لك عهد إن أنت عافيتني بما أنا فيه أن آتى محمداً حتى أضع يدي في يده فلا جدته
عفوا غفوراً كريماً ، فجاء فأسلم . وقد روى البيهقي قصة إسلامه مطولة .

نفسى تحذنى أنى أصاب فى مجموعهم ، فقالت : دونك ، فابتنى بها ، فلما أصبح التقت الجموع وأخذت السيوف من كل فريق مأخذها فقتل خالد ، وقاتلت يومئذ أم حَكِيم ، وإن عليها للردع الخملوق^(١) ، وقتلت سبعة من الروم بعمود اللسقاط بقمطرة تُسمى إلى اليوم بقمطرة أم حَكِيم وذلك فى غزوة أجنادين^(٢) .

دم ربيعة بن الحارث :

وذكر فى خطبة النبی صلی الله علیه وسلم : ألا کُلُّ مَأْتَرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى ، فهو تحت قدميَّ هاتين ، وفى بعض روايات الحديث : وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث . كان لربيعة ابن قَتِيل فى الجاهلية اسمه آدم ، وقيل تمام ، وهو ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، مات فى خلافة عمر رضى الله عنه . سنة ثلاث وعشرين .

مول التحير بين الفصاح وبين البرية :

فصل : وذكر فى حديث ابن شُرَيْب^(٣) قوله عليه السلام : فن قَتِيل

(١) يعنى : كانت متطية حديثاً .

(٢) فى الإصابة : فى معركة مرج الصفر .

(٣) أصل حديث أبى شريح فى الصحيحين عن أبى هريرة : من قتل له قَتِيل ، فهو بخير النظرين ، إما أن يقتدى ، وإما أن يقتل . وقد رواه الجماعة لكن لفظ الترمذى ، إما أن يعفو وإما أن يقتل . وقد رواه أبو داود والنسائى . وقد رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه هكذا : من أصيب بدم أو خيل - والخيل الجراح - فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : إما أن يقتصر ، أو يأخذ العقاب ، أو يعفه ، =

بعد مقامى هذا ، فَأَهْلُهُ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ ، إِنْ شَاءُوا فَدَمُ قَاتِلِهِ ، وَإِنْ شَاءُوا قَعَقْلُهُ ، وهو حديث صحيح ، وَإِنْ اختلفت فيه أَلْفَاظُ الرُّوَاةِ وظاهره على هذه الرواية أَنَّ وَلِيَّ الدَّمِ ، هو الْخَيْرُ إِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيةَ ، وهو الْعَقْلُ ، وَإِنْ شَاءَ قَتَلَ ، وقد اختلف الفقهاء فى فصلٍ من هذه المسألة ، وهو أَنْ يَخْتَارَ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ أَخَذَ الدِّيةَ ، وَيَأْبَى الْقَاتِلَ إِلَّا أَنْ يُقْتَصَّ مِنْهُ ، فقالت طائفة بظاهر الحديث ولا اختيار للقاتل ، وقالت طائفة يقتل القاتل ، ولا يُجْبَرُ عَلَى إعْطَاءِ الْفِئَالِ ، وتناولوا الحديث ، وهى رواية ابن القاسم ، وقال بها طائفة من السَّافِيَةِ ، وقال آخرون بظاهر الحديث ، وهو قولُ الشافعى ، وأشهب ، وَمَنْشَأُ الاختلافِ مِنَ الاحْتِمَالِ فى قوله تعالى : ﴿ فَنُغْنِيْ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْئًا فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فاحتملت الآية عند قوم أن تكون مِنْ وَاقِعَةٍ عَلَى وَلِيِّ الْمَقْتُولِ ، ومن أخيه أَى مِنْ وَلِيِّهِ الْمَقْتُولِ ، أَى : من دَيْتِهِ ، وَغُنِيَ لَهُ أَى : يُبَسَّرَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ ، واحتمل أن تكون مِنْ وَاقِعَةٍ عَلَى الْقَاتِلِ وَغُنِيَ مِنَ الْقَتْلِ عَنِ الدَّمِ ، ولاخلاف أَنْ لَنْتَبَّعَ بِالْمَعْرُوفِ ، هو وَلِيُّ الدَّمِ ، وَأَنْ الْمَأْمُورَ بِإِذَاءٍ بِإِحْسَانٍ هو الْقَاتِلُ ، وَإِذَا تَدَبَّرْتَ الْآيَةَ ، عرفت مَنْشَأَ الخلاف منها ، ولاح من سِيَّاقَةِ الْكَلَامِ أَى الْقَوْلَيْنِ أَوَّلَى بِالصَّوَابِ .

وأما ما ذكرت من اختلافِ أَلْفَاظِ النَّقْلَةِ فى الحديث ، فيحصرها سبعة أَلْفَاظٍ .

== فَإِنْ أَرَادَ رَابِعَةً . فخذوا على يديه ، أَى أَرَادَ زِيَادَةَ عَلَى الْقِصَاصِ أَوِ الدِّيةَ أَوِ الْعَفْوَ . وقد فسر ابن عباس . (فن غنى له) . الْآيَةُ : الْعَفْوَ أَنْ يَقْبَلَ فى الْعَمْدِ الدِّيةَ ، وَالِاتِّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ : يَتَّبِعُ الطَّالِبُ بِمَعْرُوفٍ ، وَيُؤَدِّى إِلَيْهِ الْمَطْلُوبَ بِإِحْسَانٍ . البخارى والنسائى والدارقطنى .

أحدها : إما أن يُقْتَلَ وإما أن يُفَادَى .

والثاني : إما أن يُقْتَلَ أو يُقَادَ .

الثالث : إما أن يُفَادَى وإما أن يُقْتَلَ .

الرابع : إما أن تُنْفَعَلَى الدِّبَّةُ أو يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ .

الخامس : إما أن يَغْفُو أو يَقْتُلَ .

السادس : يُقْتَلَ أو يُفَادَى .

السابع : من قَتَلَ مُتَعَمِّدًا دُفِعَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ ، فَإِنْ شَاءُوا قَتَلُوا . وَإِنْ شَاءُوا أَخَذُوا الدِّيَّةَ . خَرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ . وَرَوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي السِّيَرَةِ ثَامِنَةٌ ، وَفِي بَعْضِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ قُوَّةٌ لِرَوَايَةِ ابْنِ الْقَاسِمِ ، وَفِي بَعْضِهَا قُوَّةٌ لِرَوَايَةِ أَشْهَبَ فِتْنَامُهَا (١) .

لِلنَّهْجِيِّ عَنِ اسْتِمَالِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضَيْنِ :

وَخُطْبَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ ، وَفِيهَا مِنْ رَوَايَةِ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ نَهْيُهُ عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ ، وَصَلَاةِ سَاعَتَيْنِ : يَعْنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ وَغُرُوبَهَا ، وَأَنْ لَا يَتَوَارَثَ أَهْلُ مِلَّةَيْنِ ، وَعَنْ لُبْسَتَيْنِ وَطُعْمَتَيْنِ ،

(١) وَفِي رَوَايَتِهِ : وَإِنْ أَحْبَبُوا أَخَذُوا الْعَقْلَ ثَلَاثِينَ حَقَّةً وَثَلَاثِينَ جَذْعَةً ، وَأَرْبَعِينَ خُلْفَةً فِي بَطُونِهَا أَوْلَادَهَا ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ . وَيَقُولُ الشُّوْكَانِيُّ فِي نَيْلِ الْإِرْطَارِ عَنْ حَدِيثِ أَبِي شُرَيْبٍ : فِي إِسْنَادِهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَقَدْ أوردته معنعناً ، وهو معروف بالتدليس .

فَإِذَا عَنِ مَضْعَفِ حَدِيثِهِ ، ص ٧ ج ٧ .

وَفُتِّرَتَا فِي الْحَدِيثِ ، فَقَالَ : الْأَعْبَسَتَانِ : اشْتِمَالُ الْقَمَاءِ ، وَأَنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ ^(١) .
- وَلَيْسَ بَيْنَ عَوْرَتِهِ وَالسَّمَاءِ حِجَابٌ . وَالطُّعْمَتَانِ : الْأَكْلُ بِالشَّمَالِ ، وَأَنْ يَأْكُلَ
- مُنْبَاطِحًا عَلَى بَطْنِهِ .

شعر ابن الزبير :

فصل : وذكر شعر ابن الزبير : الزبيرى : البعير الأرب ^(٢) مع
قصر ، وفيه :

رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذَا أَنَا بَوْرٌ

قوله : فَتَقْتُ يَعْنِي : فِي الدِّينِ ، فَكُلُّ إِثْمٍ فَتَقٌ وَتَمَزِيقٌ ، وَكُلُّ تَوْبَةٍ ،
رَاتِقٌ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قِيلَ لِلتَّوْبَةِ : نَصُوحٌ مِنْ نَصَحْتُ الثَّوْبَ إِذَا خِطَّتْهُ ،
وَالنَّصَاحُ : الْخَاطِطُ ^(٣) ، وَيَشْهَدُ لَصِحَّةِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ :

(١) اشْتِمَالُ الصَّمَاءِ : أَنْ يَتَجَلَّجَلَ الرَّجُلُ بِثَوْبِهِ ، وَلَا يَرْفَعُ مِنْهُ جَانِبًا ، وَإِنَّمَا قِيلَ
لَهَا صَمَاءٌ لِأَنَّهُ يَسُدُّ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ الْمَنَاقِذَ كُلَّهَا كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ . وَالْفَقَهَاءُ يَقُولُونَ :
هُوَ أَنْ يَتَغَطَّى بِثَوْبٍ وَاحِدٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، ثُمَّ يَرْفَعُهُ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ ، فَيَضَعُهُ
عَلَى مَنْكِبِهِ ، فَتَتَكَشَّفُ عَوْرَتُهُ .

وَالِاحْتِبَاءُ : أَنْ يَضُمَّ الْإِنْسَانُ رِجْلَيْهِ إِلَى بَطْنِهِ بِثَوْبٍ يَجْمَعُهُمَا بِهِ مَعَ ظَهْرِهِ ،
وَيَشُدُّهُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ يَكُونُ الْإِحْتِبَاءُ بِالْيَدَيْنِ عَوَضَ الثَّوْبِ ، وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهُ ، لِأَنَّهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِلَّا ثَوْبٌ وَاحِدٌ رُبَّمَا تَحَرَّكَ أَوْ زَالَ الثَّوْبُ فَيَبْدُو عَوْرَتُهُ .

(٢) الزَّبُّ فِي الْإِبِلِ كَثْرَةُ شَعْرِ الْوَجْهِ وَالْعَشْنُونَ . وَابْنُ دُرَيْدٍ يَقُولُ هُوَ مِنْ
قَوْلِهِمْ : رَجُلٌ زَبَعْرَى إِذَا كَانَ غَالِظًا كَثِيرَ الشَّعْرِ .

(٣) وَالنَّصَاحُ كَشَدَادُ ، وَالنَّاصِحُ وَالنَّاصِحِيُّ : الْخَاطِطُ .

(م ١٠ — الرُّوسُ الْآتِفُ ج ٧)

تُرْقِعُ دُنْيَانَا بِسَرِيقِ دِينِنَا فَلَاحِ دِينُنَا يَبْقَى ، وَلَا مَاتُرْقِعُ

وقوله : إِذَا أَنَا بُورٌ ، أَى : هَالِكٌ ، يقال : رَجُلٌ بُورٌ وَبَاطِرٌ ، وقومٌ بُورٌ ، وهو جمعُ بَاطِرٍ كانَ الأَصْلُ فِيهِ فُعْلٌ بِتَحْرِيكِ الْوَاوِ ، وَأَمَّا رَجُلٌ بُورٌ ، فوزنُهُ فُعْلٌ بِالسَّكُونِ ، لِأَنَّهُ وَصِفٌ بِالْمَصْدَرِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : أَرْضٌ بُورٌ مِنَ الْبَوَارِ ، وهو هَلَاكُ الْمَرْغَى وَيُبْسُهُ .

وقولُ ابنِ الزُّبَيْرِ :

وَاللَّيْلُ مُقْتَلِجُ الرُّوَاقِ بِهِم

الاعتلاج : شِدَّةٌ وَقُوَّةٌ ، وقد تقدم شرحُها . والبهيم : الذى ليس فيه لونه يخالط لونه .

وقوله : سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُومٌ . الغَشُومُ : التى لا تُرَدُّ عَنْ وَجْهِهَا ، وَيُرْوَى سَعُومٌ ، وهى القُوَّةُ عَلَى السَّيْرِ .

هول شعره صابه :

فصل : وذكر شعر حسان يوم الفتح وأوله :

عَمَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاهِرُ

ذات الأصابع : موضع بالشام ، والجَوَاهِرُ كذلك ، وبالجَوَاهِرُ كان منزلُ الحارثِ بنِ أَبِي شَمِيرٍ ، وكان حَسَّانُ كَثِيراً ما يَرِدُ عَلَى مُلُوكِ غَسَّانَ بِالشَّامِ . يمدحهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل .

وقوله : إلى عَذْرَاءَ ، هي قرية عند دِمَشْقَ ، فيها قُـعِلَ حُجْرُ بنِ عَدِيٍّ وأصحابه .

وقوله : نَعَمَّ وشَاءَ . النِّعَمُ : الإِبِلُ ، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والإبل . والشَّاءُ والشَّوْءُ : اسمٌ للجميع كالضأن والضئين والإبل والإيبل ، والمعز والمعيز ، وأما الشَّاةُ ، فليست من لفظ الشَّاء ، لأن لام الفعل منها هاء . وبنو الحنُحَّاسِ : حتى من بني أسَدٍ .

وقوله : الرِّوَامِسُ والسَّمَاءُ ، يعني : الرياح والمطر . والسَّماءُ لفظٌ مشترك يقع على المطر ، وعلى السماء التي هي السَّقْفُ ، ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(١)

لأنه يحتمل أن يُريد مطر السماء ، لحذف المضاف ، ولكن إنما عرفناه من قولهم في جمعه : سُحْيٌ وهم يقولون في جمع السماء : سَمَارَاتٍ وَأَسْمِيَّةٌ ، فعلمنا أنه اسمٌ مُشْتَرَكٌ بين شَيْئَيْنِ .

وقوله : وَلَسَكُنْ مَنْ لَطِيفٍ . اللَّطِيفُ : مصدر طاف الخيالُ يَطِيفُ طَيْفًا وَلَسَكُنْ لا يقال للخيال : هو طَائِفٌ على وزن اسم الفاعل من طاف ، لأنه

(١) الشعر لمعاوية بن مالك معرود الحكاه ، وبعده :

بكل مقلص عبل شواه إذا وضعت أعنتهن ثابا
ومحفزة الحزام بمرقبيها كشاة الوبل أفلتت الكلابا

لاحقيقة للخيال ، فيرجع الأمر إلى أنه هو الطَّيْفُ ، وهو تَوَهُّمٌ وَتَخَيُّلٌ ، فإن كان شيء له حقيقةٌ قلت فيه : طائف ، وفي مصدره : طَيْفٌ كما في التنزيل ﴿ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ الأعراف : ٢٠١ وقد قرئ أيضاً طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لأن غُرُورَ الشَّيْطَانِ وأمانيه تُشَبِّه بالخيال ، وما لا حقيقة له . وأما قوله : ﴿ قَطَّافٌ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ن : ١٩ فليس فيه إلا اسمُ الفاعل دون المصدر ، لأن الذي طاف عليها له حقيقةٌ ، وهو فاعل معروف بالفعل ، يقال إنه جَبْرِيلُ عليه السلام ، فتحصل من هذا ثلاثُ مَرَاتِبَ : الخيالُ ولا حقيقة له ، فلا يُعَبَّرُ عنه إلا بالطَّيْفِ ، وحديثُ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَستُهُ ، يقال فيه : طَائِفٌ وَطَيْفٌ ، وكل طائف سوى هذين فهو اسمُ فاعل ، لا يُعَبَّرُ عنه بطَّيْفٍ ، ولا بِطَوَافٍ ، فقف على هذه النكتة فيه .

وقوله : بُوْرَقْنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ ، أَيْ : يسهرني ، فيقال : كيف يسهره الطيفُ ، والطيفُ حُلُمٌ في المنام ؟ .

فالجواب : أن الذي بُوْرَقَه لوعةٌ يمجدها عند زَوَالِهِ كما قال [حبيب بن أوسٍ أبو تمام] الطائي :

طَيْبِي تَقَمَّصْتُهُ لَمَّا نَضَبْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَامٍ مِنْ الْخُمِ
نَمِ انْدَى ، وَنَمَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ بَاقٍ ، وَإِنْ كَانَ مَسْئُولًا مِنَ السَّقَمِ ^(١)

(١) من قصيدة له يمدح بها مالك بن طوق . أولها :
سلم على الربع من سلم بنى سلم عليه رسم من الأيام والقدم =

وقد أحسن في قوله من آخر الليل تنبيهاً على أنه سهر كَيْلَهُ كَلَّهُ ، إلا ساعة
جاء الخيال من آخره ، فكأنه مُسْتَرْقٍ من قولِ حسان :

وخيال إذا تقوم النجومُ

ونظير قوله : يَوَّرَفُنِي ، أى يورقني بزواله عن قول البُحْتَرِيِّ :

أَلَّتْ بنا بعد الهدوء فساحت بوصل متى تطلبه في الجلدِ تَمْنَعُ
وَوَلَّتْ كأن البينَ يَمْلُجُ شَخْصَهَا أو أن تولت من حشائي وأضلعي^(١)

وقوله : لِسَفْنَاءَ التي قد تَيَمَّمَتْهُ . سَفْنَاءُ التي يُشَبَّبُ بها حَسَّانُ هي بنت
سَلَامَ بنِ مِشْكَمَ الْيَهُودِي ، وروى أنه قال : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ ،
وَلَوْلَا أَن تُصَيِّرَ بِهَا سَفْنَاءَ ابْنَتِي لَتَيَمَّمْتُهُ ، وقد كان تحت حَبَّانَ أَيْضاً امرأةٌ
اسمها سَفْنَاءُ بنتُ كَاهِنٍ الْأَسْلَمِيَّةِ ، ولدت له أُمُّ فِرَاسٍ .

== وقبل البيتين قوله :

زار الخيال لها لابل أزاركه فكبر إذا نام فذكر الخناق لم ينم
وانظر نقد الأمدى لهذا البيت ، ثم اعتذاره عنه ، وما قاله الشريف المرتضى
في طيف الخيال ص ٧ ط ١٩٦٢ بتحقيق الأستاذ الصيرفي ، ص ٦ > ٣ آمالي
المرتضى والسعادة .

(١) ذكر معهما المرتضى في أماليه ستة أبيات ص ٦ > ٣ وفيه : نطلبه وهو
الصواب بدلاً من نطلبه . ويقول المرتضى عن البُحْتَرِيِّ : ولاني عبادة البُحْتَرِيِّ في
وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر ، فإنه تامل في أوصافه ، واهتدى من
معانيه إلى ما لا يوجد غيره ، المصدر السابق

وقوله : كَأَنَّ خَبِيثَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ إِلَى آخِرِهِ ، خبر كأن في هذا البيت محذوفٌ ، تقديره : كأن في فيها خبيثةٌ ، ومثل هذا المحذوف في التَّسْكِرَاتِ حَسَنٌ كقوله :

إِنَّ نَحْلًا وَإِنَّ مُرْتَحَلًا^(١)

أى : إن لنا نحلاً ، وكقول الآخر :

وَلَكِنْ زَنْجِيًّا طَوِيلًا مَشَافِرُهُ^(٢)

وفي صحيح البخارى فى صفة الدَّجَالِ : أَعْوَرَ كَأَنَّ عَقَبَةً طَانِيَةً ، أى : كأن فى عينه ، وزعم بعضهم أن بعد هذا البيت بيتاً فيه الخبر وهو :

على أنيابها أَوْ طَعْمُ غَضٍّ مِنْ التَّمَّاحِ هَضْرَهُ اجْتِنَاءً^(٣)

(١) هو الأتشى ، والشطرة الأخرى : وإن فى السفر ما مضى مهلاً .

(٢) روى سيبويه للفرزدق بيتاً هو :

فلو كنت ضريباً عرفت قرابى ولكن زنجى عظيم المشافر
هكذا برفع زنجى . ثم قال : والنصب أكثر فى كلام العرب كأنه قال : ولكن زنجياً عظيم المشافر لا يعرف قرابى ، ولكنه أضمر هذا كما يضم ما بينى على الابتداء . انتهى .

وعلى رفع زنجى يكون اسم لكن محذوفاً والتقدير : ولكنك زنجى ، وقد أشبهه اللسان بنصب زنجى بإضمار الخبر ، وهو أقيس . والبيت فى هجاء رجل من ضبة ، فنفاه عنها ، ونسبه إلى الزلج . أنظر ص ٢٨٢ - ١ كتاب سيبويه واللسان مادة شفر .

(٣) هو فى ديوانه المطبوع فى أوروبا .

وهذا البيت موضوع لا يشبه شعر حسن ولا لفظه.

وقوله : نُولِيهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا ، أَيْ : إِنْ أَتَيْنَا بِمَا نُلَامُ عَلَيْهِ صَرْفَنَا
اللوم إلى الخمر واعتدنا بالشكر . وَالْمَغْتُ : الضرب باليد ، وَاللَّحَاءُ : الْمَلَأَاءُ
باللسان ، وَيُرْوَى أَنْ حَسَنًا مَرَّةً بِفَتْحَةٍ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَنِيَاهُمْ ،
فَقَالُوا : وَاللَّهِ أَقْدَرْنَا تَرْكُهَا فَبَزَّيْنَاهَا لَنَا قَوْلُكَ :

وَنَشْرَبُهَا فَتَرْكُنَا مُلُوكًا

فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ قَلَمْتُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا شَرِبْتُهَا مِنْذُ أَسَلَمْتُ ، وَكَذَلِكَ قِيلَ :
إِنْ بَعْضُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَالَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَالَ آخَرُهَا فِي الْإِسْلَامِ .

معنى التفضيل في شركها :

وفيهما يقول لأبي سفيان : فَشَرُّهُمَا كَمَا تَخِيرُكُمَا الْفِدَاءُ . وفي ظاهر اللفظ
بِشَاعَةٍ ، لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ أَنْ لَا يُقَالَ هُوَ شَرُّهَا إِلَّا فِي كِلَيْهِمَا شَرٌّ ، وَكَذَلِكَ :
شَرٌّ مِنْكَ ، وَلَكِنْ سَبِيوِيَّةٌ قَالَتْ فِي كِتَابِهِ : تَقُولُ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ شَرٌّ مِنْكَ ،
إِذَا نَقَصَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ ، وَهَذَا يَدْفَعُ الشَّنَاعَةَ عَنِ السَّكَلَامِ الْأَوَّلِ ، وَنَحْوِ
مِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « شَرُّ صُفُوفِ الرِّجَالِ آخِرُهَا » . يُرِيدُ : نُقْصَانُ حَظِّهِمْ
عَنِ حَظِّ الْأَوَّلِ ، كَمَا قَالَ سَبِيوِيَّةٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ التَّفْضِيلَ فِي الشَّرِّ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

يلطم أو يطمم :

وفيهما قوله في صفة الخيل : يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ التَّنَاسُؤُ . قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ

في الجمهرة: كان الخليلُ رحمه الله يروى بيت حسان يُطَنَّمُ بِنُحْمٍ ، وَيُسَكِّرُ
يُطَلِّمُهُنَّ وَيَجْعَلُهُ بِمَعْنَى : يُنْفِضُ النساءَ بِمَحْمُورٍ مَاعِلِيَهُنَّ مِنْ غُبَارٍ أَوْ نَحْوِ
ذلك ، وَأَتْبَعَ بِذلك ابنُ دُرَيْدٍ قوله : الطَّلْمُ ضَرْبُكَ خُبْرَةَ الْمَلَّةِ بِيَدِكَ لِتَنْفُضَ
مَاعِلِيَهَا مِنَ الرَّمَادِ ، وَالطَّلْمَةُ : الْخُبْرَةُ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ : مَرَرْنَا بِقَوْمٍ
يُعَاجِلُونَ طُلْمَةَ لَهْمٍ ، فَتَفَرَّقْنَا عَنْهَا ، فَاقْتَدَ مِنْهَا ، فَأَصَابَتْني مِنْهَا كَثْرَةٌ ،
وَكُنْتُ أَسْمَعُ فِي بَلَدِي أَنَّهُ مَنْ أَكَلَ الْخُبْرَةَ سَمِنَ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ فِي عِطْفِي : هَلْ
ظَهَرَ فِي السَّمَنِ بَعْدَ . وَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ هَذَا لِلْعَنَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ رَوَى بِمَسْحِ وَجْهِ قَرْسِهِ بِرَدَائِهِ ، فَقَالَ : عُوَيْتُ الْإِيْلَةَ فِي الْإِيْلِ .

وفيها :

وَتَحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا .

تَحْكِمُ : أَيْ تَرُدُّ وَتَفَرِّغُ ، هُوَ مِنْ حَكَمَةِ الدَّابَّةِ ، وَهُوَ الْجَامِهَا ، وَيَكُونُ
لِلْعَنَى أَيْضًا : تُفَحِّمُهُمْ وَتُخْرِسُهُمْ ، فَتَسْكُونُ قَوَافِينَا لَهُمْ كَالْحَكَمَاتِ لِلدَّوَابِّ .
قَالَ زُهَيْرٌ :

قَدْ أَخْكَمَتْ حَكَمَاتِ الْقَدِّ وَالْأَبْقَا^(١)

وفي هذه القصيدة : مَوْعِدُهَا كَدَاءُ ، وفي رواية الشيباني : يسيل بها ،
كُدَيٌّْ أَوْ كَدَاءُ .

(١) أوله : القائد الخيل منكوبا دوائرها . والقَد : السير بقدر من جلاله غير
مدبوغ . والابق : القنب ..

وقد ذكرنا كُذْيَا وكَذَاءً ، وذكرنا معهما كُدَى ، وزاد الشيباني
في روايته أبياتاً في هذه القصيدة وهي :

وَهَاجَتْ دُونَ قَتْلِ بَنِي لُؤَيٍّ جَذِيَمَةٌ إِنْ قَتَلْتُمْ شِفَاءُ
وَحِيفُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ وَحِيفُ قُرَيْظَةٍ فِينَا سَوَاءُ
أُولَئِكَ مَفْشَرُ أَلْبَوَاءِ عَلَيْنَا فِي أَظْفَارِنَا مِنْهُمْ دِمَاءُ
سَتُنْبَصِرُ كَيْفَ نَفْعَلُ بِابْنِ حَرْبٍ بِمَوْلَاكَ الَّذِينَ هُمْ الرُّدَاءُ

مول شعر أنس بن سليم :

فصل : وذكر شعر أنس بن سليم ^(١) الدليل وفيه :

وَأَكْسَى لُبُزٍ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ

الخال : من بُرُودِ اللَّيْمَنِ وهو من رفيع الثياب . وأحسبه سُني بالخال الذي
بمعنى الخيلاء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل : البرأ أبغى لا الخلال ، وفيه :

تَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعِيداً مِنْكَ كَلَّا خَذِرَ بِالْيَدِ

وهذا البيت سقط من رواية أبي جعفر بن الوردة ، كذا ألفيته في حاشية .
كتاب الشيخ ، رحمه الله ، ومعناه من أحسن المعاني ينظر إلى قول النابغة :
فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَعَانِي عَنْكَ وَاسِعِ

(١) في السيرة : زعيم وهو الصواب ، ولعله سهو من السيل .

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِجَالٍ مَتِينَةٍ تُمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
فَالْقَسِيمُ الْأَوَّلُ كَالْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ ، وَالْقَسِيمُ الثَّانِي كَالْبَيْتِ الثَّانِي ،
لَكِنَّهُ أَطْبَعُ مِنْهُ ، وَأَوْجَزُ . وَقَوْلُ النَّابِغَةِ كَاللَّيْلِ فِيهِ مِنْ حُسْنِ التَّشْبِيهِ مَا لَيْسَ
فِي قَوْلِ الدَّبْلِيِّ ، إِلَّا أَنَّهُ يَسْمُجُ مِثْلُ هَذَا التَّشْبِيهِ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
لَأَنَّهُ نَوَّرَ وَهَدَى ، فَلَا يُشَبَّهُ بِاللَّيْلِ ، وَإِنَّمَا حَسُنَ فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ أَنْ يَقُولَ
كَاللَّيْلِ ، وَلَمْ يَقُلْ كَالضُّبْحِ ، لِأَنَّ اللَّيْلَ تَرْهَبُ غَوَائِلُهُ ، وَيُحْذَرُ مِنْ إِدْرَاكِهِ
مَالًا يُحْذَرُ مِنَ النَّهَارِ ، وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الْأُنْدَلُسِيِّينَ هَذَا الْمَعْنَى ، فَقَالَ فِي هَرَبِهِ
مِنْ ابْنِ عَبَّادٍ :

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ تَشُدُّ بِأَفْصَاهَا عَلَى الْأَنَامِيلَا
فَأَيْنَ مَمَرُ الْمَرْءِ عَنْكَ بِنَفْسِهِ إِذَا كَانَ يَطْوِي فِي يَدَيْكَ التَّوَارِاحِلَا
وَهَذَا كَلَّمُهُ مَعْنَى مُنْتَزِعٍ مِنَ الْقَدَمَاءِ . رَوَى الطَّبْرِيُّ أَنَّ « مِنْوُشَهَرَ بْنَ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَفْرِيدُونِ بْنِ أَفْرِيقَانَ » وَهُوَ الَّذِي بَعَثَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زَمَانِهِ
أَعْنَى زَمَانِ مِنْوُشَهَرَ قَالَ حِينَ عَقَدَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ فِي خُطْبَةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ :
« أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الْخَلْقَ لِلْخَالِقِ ، وَإِنْ الشُّكْرَ لِلْمُنْعِمِ ، وَإِنْ التَّسْلِيمَ لِلْقَادِرِ ،
وَإِنَّهُ لَا أَوْفَى مِنْ تَخْلُوقِ طَالِبًا أَوْ مَطْلُوبًا ، وَلَا أَفْوَى مِنْ ظَالِمٍ طَلِبَتُهُ
فِي يَدِهِ ، وَلَا أَعْجَزَ مِنْ مَطْلُوبٍ هُوَ فِي يَدِ طَالِبِهِ .

مول شعر بجبر بن زهير :

وَأُنْشَدَ لِبَجْرِ بْنِ زُهَيْرٍ :

نَفَى أَهْلَ الْحَبَاقِ كُلِّ قَبْجٍ مَرْبُوعَةٍ غُدُوءَةٍ وَبَنُو خُفَافٍ

ضَرَبْنَاَهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ النَّبِيِّ الْخَيْزِ بِالْبَيْضِ الْخِلْفَافِ

وقوله : كما انصاع الفواقُ من الرِّصَافِ ، أى : ذَهَبَ ، والرِّصَافُ : عَصْبَةٌ تُلَوَّى على فوق السَّهْمِ ، وأراد بالفواق الفوق ، وهو غريب .

عباس بن مرداس والذبيح هزموا الخمر :

وذكر عباس بن مرداس، ويكنى أبا الفضل، وقيل: أبا القاسم، ومن ذريته عبد الملك بن حبيب فقيه الأندلس، ونسبه: عباس بن مرداس بن أبي عامر بن جارية

ابن عَبْدِ بْنِ عَبَّاسٍ ^(١) بن رِفَاعَةَ بن الحَارِثِ ^(٢) بن مُهَاشِمَةَ بن مُسْلِمِ الشَّلَحِيِّ
 كَانَ أَبُوهُ حَاجِبًا لِحَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَقَتْلَهُمَا الْجَنْ فِي خَبَرٍ مَشْهُورٍ ^(٣) وَعَبَّاسٌ
 مِمَّنْ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَحَرَّمَهَا أَيْضًا عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ
 أَبُو بَكْرٍ وَعُمَانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ، وَقَبْلَ هَؤُلَاءِ
 حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ وَوَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدَّتَانَ
 وَشَيْبَةُ بْنُ رَيْبَعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، وَمَنْ قُدِّمَ الْجَاهِلِيَّةِ عَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ
 الْعَدَوَانِيُّ .

وَذَكَرَ فِي سَبَبِ إِسْلَامِ عَبَّاسٍ مَا سَمِعَ مِنْ جَوْفِ الصَّمِّ الَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ ،
 وَهُوَ ضِمَارٌ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَهُوَ مِثْلُ حَدَّامٍ وَرَقَاشٍ ، وَلَا يَكُونُ مِثْلُ هَذَا الْبِنَاءِ
 إِلَّا فِي أََسْمَاءِ الْمُؤَنَّثِ ، وَكَانُوا يَجْمَعُونَ آلَهُمْ إِنَّا نَاكَ كَاللَّاتِ وَالْمَرْزِ وَمَنَاةَ ،
 لِاعْتِقَادِهِمُ الْخَبِيثَ فِي الْمَلَائِكَةِ أَنَّهَا بَنَاتٌ . وَفِي ضِمَارٍ لَفَةً أَهْلُ الْحِجَازِ ، وَبَنَى
 تَمِيمُ الْبِنَاءَ عَلَى الْكَسْرِ لِأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ آخَرَهُ رَاةً ، وَمَا لَمْ يَكُنْ فِي آخِرِهِ
 رَاءٌ كَحَدَّامٍ وَرَقَاشٍ ، فَهُوَ مَبْنِيٌّ فِي لَفَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَمُعَرَّبٌ غَيْرُ نَجْرِي
 فِي لَفَةِ غَيْرِهِمْ ^(٤) كَذَلِكَ قَالَ سَيِّدُونَهُ .

(١) فِي الْإِصَابَةِ : ابْنُ حَارِثَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ عَبَّاسٍ .

(٢) فِي الْإِصَابَةِ : ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بَهْتَةَ .

(٣) خَرَّافَةٌ أُخْرَى عَمَّا يُقَالُ عَنِ الْجَنْ .

(٤) أَيْ يَجْرُوتُهُ بِجَرِّ مَا لَا يَنْصَرِفُ فَيَرْفَعُ بِالضَّمِّ بِدُونِ تَنْوِينٍ ، وَيَنْصَبُ
 وَيَجْرُ بِالْكَسْرِ . وَقَدْ جَاءَتْ الْأَشْعَارُ عَلَى لَفَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ . وَقَدْ ضَبَطَ

وذكر ابن أبي الدنيا في سبب إسلام عباس حديقاً أسنده عن رجاله عن
الزُّهري عن عبد الرحمن ، بن أنس السلمي عن عباس بن مرداس أنه كان
في إقاج له نصف النهار ، فاطلعت عليه نعامه بيضاء عليها راكب عليه
ثياب بيضاء فقال لي : يا عباس ألم تر أن النماء كفت أحراسها ، وأن الخرب
جرعت أنفاسها ، وأن الخيل وضعت أحلاسها ، وأن الذي نزل عليه البر
والثقي يوم الاثنين ليلة الثلاثاء صاحب الناقة القواء . قال : فخرجت
مرعوباً قد راغى مارأيت ، وسمعت ، حتى جئت ونسنا لي ، يقال له الضمار
كنا نعبده ونكلم من جوفه ، فكنت ماحوله ، ثم تمسحت به ، فإذا
صالح بصيح من جوفه :

قُلْ لِلْقِبَالِ مِنْ قُرَيْشٍ كُلِّهَا هَلَاكَ الضَّمَارُ وَفَارَ أَهْلَ الْمَسْجِدِ^(١)
هَلَاكَ الضَّمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَدَّةً قَبْلَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي
قال فخرجت مذعوراً حتى جئت قومي ، فقصصت عليهم القصة ،
وأخبرتهم الخبر فخرجت في ثلاثمائة من قومي من بني جارية إلى النبي صلى الله
عليه وسلم بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فلما رآني النبي صلى الله عليه وسلم تبسم ،
وقال : إني يا عباس ، كيف إسلامك ؟ فقصصت عليه القصة ، فقال :

== موضع للعرب به وقعة . أما البكري فضبط ضمائر بفتح الصاد وقال : حجر كان
ابن سليم يعبدونه ، كان سبب إسلام عباس بن مرداس .
(١) في السيرة والبكري : من سليم . وأردى ضمائر وعاش أهل المسجد .

صدقت ، فأسلمت أنا وقومي ^(١) .

شعر جعدة :

فصل : وذكر في شعر جعدة الخزاعي غزال ، وهو اسم طريق غير مصروف ، وقال كثير في قصيدته المشهورة يذكر غزال :

أنا ديك ماحج الحجاج وكبرت بنيفاً غزال رفقة وأهات ^(٢)
وكذلك لفت اسم موضع ، وفي لفت ^(٣) يقول معقل بن خويلد :
لعمرك ما خشيت وقد بلغت جبال الجوز من بلد تهام
نزيماً ^(٤) محلياً من أهل لفت يحيى بين أئمة والنجم
وقد تقدم هذا البيت الأخير في باب الهجرة ^(٥) .

سرية خالد إلى بني جذيمة :

وذكر سرية خالد إلى بني جذيمة ، وتعرف بغزوة الغميط ، وهو اسم ماء لبني جذيمة .

(١) الشعر مصنوع ولا شك ، فليس فيه نفحة من عصره ، والقعة كذلك موضوعة ولا شك أو لعلها رؤيا كما فهم ابن حجر في الإصابة .
(٢) القصيدة بطولها كلها في الأمالى ص ١٠٧ ط ٢ .
(٣) لفت قيدها البكري بكسر اللام وفتحها . وقيدها القاضي عياض — كما في المراسد بثلاثة أوجه منها ما ذكرنا ، وبفتح اللام والغاء ، وقد سبق الكلام عنها .
(٤) سبق الكلام عن البيتين في باب الهجرة .
(٥) بل تقدم البيتان .

وذكر شعر امرأة ، اسمها : سلمى ، وفيه :

ومرّةٌ حتى يتركوا البرّك ضابحا

البرّك : جماعة الإبل ، وما صَحَّ : جالّد وقَاتل ، وضابحا من الصَّبْح ، وهو نفس الخيل والإبل إذا عُيِّت ، وفي التبريل (والعاديّات ضَبْحاً) وفي الخبر : من سمع ضَبْحَةً بليّلاً ، فلا يَخْرُجْ مخافةً أن يُصيبه شرٌّ . قال الراجز :

نحن نطحنهم غداةَ الجُمُعَيْنِ
بالضابحاتِ في غُبَارِ النُقَمَيْنِ
نطحاً شديداً لا كَنطَحِ الطورينِ

والضَّبْحُ والضَّبِي مصدر ضَبَحْتُ وضَبِيتُ أي شَوَيْتُ وقُلَيْتُ ، قاله أبو حنيفة . قال : والمضابى والمضابح هو المَعَالِي .

وذكر تَبَرُّأُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مما فعل خالدٌ ، وهذا نحوه مما روى عن عُمَرَ حين قال لأبي بكر الصديق رضى الله عنهما : إن في سيف خالد رهقاً . إن في سيف خالد رهقاً فاقْتُلْهُ ، وذلك حين قَتَلَ مالِكُ بن نُؤَيْرَةَ ، وجعل رأسه تحت قَدْرِ حتى طَبِخَ به ^(١) ، وكان مالِك ارتد ، ثم راجع الإسلام ، ولم يظهر ذلك لخالد ، وشهد عنده رجلان من الصَّحابة يرجوعه إلى الإسلام ، فلم يقبلهما ، وتزوج امرأته ، فذلك قال عمر لأبي بكر : اقْتُلْهُ ، فقال : لا أفعل لأنه مُتَأَوِّلٌ .

(١) لا يظن برجل مجده التاريخ كخالد أن يقترب مثل هذه القسوة والمثلة
التي نهاه عنها دينه .

«فقال : أغزله ، فقال : لا أَعْمِدُ سَيْفًا سَلَّهَ اللهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا أُغْزِلُ وَالِيًا
وَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وذكر قول الرجل للمرأة : ائْهَلِي حُبَيْشٌ عَلَى نَفْدِ الْعَيْشِ ^(١) النَّفْدُ
مصدر نَفَدَ إِذَا فَنِيَ ، وَهُوَ النَّفَادُ ، وَحُبَيْشٌ مُرَحَّمٌ مِنْ حُبَيْشَةٍ .

سَعْرُ أَبِي صَرْد :

وَحَلِيئَةٌ وَأَنْخَوَانِقُ : مَوْضِعَانِ ، وَالْوَدَائِقُ : جَمْعُ وَدِيقَةٍ ، وَهُوَ شِدَّةُ
الْحَرِّ فِي الظَّهْرِ ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ مِنَ الْوَدَقِ ، لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَسِيلُ لِعَابُ
الشَّمْسِ ، وَهُوَ مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ كَالسَّرَابِ وَمَحْوِهِ ، وَقَالَ الرَّاجِزُ :

وَقَامَ مِيزَانُ النَّهَارِ ، فَاعْتَدَلَ وَسَالَ لِلشَّمْسِ لُعَابٌ فَتَزَلَّ

وقال : الْأَحْوَلُ : يُقَالُ : وَدَقَ إِذَا دَنَا مِنَ الْأَرْضِ ، وَيُقَالُ : هُوَ وَادِقٌ
لِلسَّيْرِ إِذَا كَانَتْ مَائِلَةً إِلَى جِهَةِ الْأَرْضِ وَأُنْشِدَ :

وَإِدْرَقًا مُرَّأَهَا

فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْوَدِيقَةُ مِنْ وَدَقَتِ الشَّمْسُ إِذَا دَنَتْ مِنَ الْآفَاقِ ، فَاشْتَدَّ
حَرُّهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقوله : فَهَمَّهَ خَالِدٌ ، أَيُ : زَجَرَهُ ، وَجَبَّهَ ، وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي قِصَّةِ
الْمَرْأَةِ الَّتِي مَاتَتْ مُكَبَّهَةً عَلَى الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَرْبٍ

(١) فِي السَّيْرِ : مِنَ الْعَيْشِ .

نقزوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النَّضْرِي ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نَصْر وجُشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدوا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدوا منهم أحده اسم ، وفي بني جُشم دُرَيْد بن الصِّمَّة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التَّيْن برأيه ومعرفة بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً ، وفي ثقيف سيدان لهم . في الأخلاف : قارب بن الأسود

عن علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النخعي عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية ، قال : ففتموا وفيهم رجل ، فقال لهم : إني لست منهم ، عشقت امرأة فلحقها ، فدعوني أنظر إليها نظرة ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم ، قال : فإذا امرأة طويلة أدماء ، فقال لها : اسمي حَبِيشُ قبل تقد العيش ، وذكر البيت الأولين من القطعة القافية أول هذا الخبر ناقص الوزن ، وبمدها قالت : نَعَمْ فَدَيْتُكَ ، فقدموه ففعلوا حُشْمَهُ ، فجاءت المرأة فوقفت عليه ، فَشَمَّتْ شَمَّةً أو شَمَمَتَيْنِ ، ثم ماتت ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما كان فيكم رجلٌ رحيم . خرَّجه النَّسَوِيُّ في باب قتل الأسارى من مُصَنَّفِهِ .

ابن مسعود بن مُعْتَب ، وفي بني مالك : ذو الحِجَارِ سُبَيْع بن الحارث بن مالك ،
وأخوه أحر بن الحارث ، وجماعُ أسر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرِي .
فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم
وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُرَيْدُ بن الصَّمَّة
في شَجَارٍ له يُقَاد به ، فلما نزل قال : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال :
نعم بحال الخليل ! لا حزنٌ ضرسٍ ، ولا سهلٌ دَهِسٍ ، مالى أسمع رُغَاء البعير ،
ونُهَاق الحمير ، وبُكَاء الصغير ، وبُعَار الشَّاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع
الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودُعى
له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا يوم كأنَّ له
مابعدَه من الأيام . مالى أسمع رُغَاء البعير ، ونُهَاق الحمير ، وبُكَاء الصغير ،
وبُعَار الشَّاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم ونساءهم ، قال : ولمَ ذاك ؟
قال : أردت أن أجعل خلف كلِّ رجل منهم أهله وماله ، ليقاتل عنهم ،
قال : فأنقضَ به . ثم قال : راعى ضأنٍ والله ! وهل يرُدُّ النهرُ شىء ؟ إنما
إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ
في أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلتُ كعبٌ وكيلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم
أحد ، قال : غاب الحدُّ والجُد ، ولو كان يومَ علاء ورفعة لم تغب عنه كعب
ولا كيلاب ، ولوددتُ أنكم فعلتم ما فعلتُ كعبٌ وكيلاب ، فمن شهداها
منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذاك الجذعان من
عامر ، لا ينفعان ولا يضران ، يا مالك ، إنك لم تصنع بقةً بديم البيضة بيضة
هوآزن إلى نحور الخليل شيئاً ، أرقتهم إلى مُتَصَفِّع بلادهم وعليها قومهم ، ثم

الَّتِي الصُّبَاءُ عَلَى مُتُونِ الْخَلِيلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ سَلْقُ بَكَ مِنْ وَرَاءَكَ ،
وَأِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ أَلْفَاكَ ذَلِكَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ ، إِنَّكَ قَدْ كَبَّرْتَ وَكَبَّرَ عَقْلَكَ . وَاللَّهِ لَتَطْمِئِنِّي يَوْمَ مِثْرٍ هَوَازِنْ أَوْ
لَأَتَّبِكَ كُنَّ عَلَى هَذَا السَّيْفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِدُرَيْدِ
ابْنِ الصَّعْمَةِ فِيهَا ذِكْرٌ أَوْ رَأْيٌ ؛ فَقَالُوا : أَلْطَمْنَاكَ ؛ فَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّعْمَةِ : هَذَا
يَوْمٌ لَمْ أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَقْتَنِى :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعُ أَخْبُ فِيهَا وَأَضَعُ
أَفُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنْشَدَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ قَوْلَهُ :

« يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعُ »

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ لِلنَّاسِ : إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاسْكُرُوا جُفُونَ
سَيُوفَكُمْ ، ثُمَّ شَدُّوا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي أُمِّيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُمَانَ أَنَّهُ حَدَّثَ : أَنَّ مَالِكَ
ابْنَ عَوْفٍ بَعَثَ عِيُونًَا مِنْ رَجَالِهِ ، فَأَتَوْهُ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَرْصَالُهُمْ ، فَقَالَ :
وَيْدَاكُمْ أَمَا شَأْنُكُمْ ؟ فَقَالُوا : رَأَيْنَا رَجُلًا بِيضًا عَلَى خَيْلٍ يُبْلَقُ ، فَوَاللَّهِ
مَا تَمَاسَكْنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ أَنْ مَضَى
عَلَى مَا يَرِيدُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ

ابن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم
علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابن أبي حذرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ،
حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع
من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فأخبره الخبر (فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ،
فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبي حذرد . فقال ابن أبي حذرد : إن
كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير مني . فقال عمر :
يا رسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حذرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر)

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له
أن عند صفوان بن أمية أدرعا له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ،
فقال : يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلحق فيه عدونا غدا ، فقال صفوان :
أغصباً يا محمد ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى تؤديها إليك ؛ قال : ليس بهذا
جأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سأل أن يكفيهم حملها ، ففعل .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أنغان من أهل مكة مع
عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا
اثني عشر ألفاً ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد بن
أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخاف عنه من

الناس ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قصيدة ابن مرداس

فقال عباس بن مرداس الشلمي :

أصابني العام رِعْلًا غُولُ قَوْمِهِمْ وَسَطَ البيوتِ وَلَوْنُ الذُّولِ أَلْوَنُ
بِالْهَفِ أَمْ كِلَابٍ إِذْ تُبَيِّسُهُمْ خَيْلُ ابْنِ هَوْدَةَ لَا تُنْهَى وَإِنْسَانُ
لَا تَلْغُظُوهَا وَشُدُّوا عَقْدَ ذِمَّتِكُمْ أَنْ ابْنَ عَمِّكُمْ سَعْدٌ وَدُهْمَانُ
لَنْ تَرْجُمُوهَا وَإِنْ كَانَتْ مُجَلَّلَةً مَا دَامَ فِي النِّعَمِ لِلْأَخُوذِ أَلْبَانُ
شَفَاءَ جُلُلٍ مِنْ سَوَآتِهَا حَصَنٌ وَسَالَ ذُو شَوْغَرٍ مِنْهَا وَسَلْوَانُ
لَيْسَتْ بِأَطْيَبَ مِمَّا يَشْتَعِي حَذَفٌ إِذْ قَالَ : كُلُّ شَوَاءٍ الْبَيْرِ جُوفَانُ
وَفِي هَوَازِنَ قَوْمٌ غَيْرَ أَنْ يَهْمُ دَاءَ الْبِيَانِي فَإِنْ لَمْ يَغْدِرُوا خَانُوا
فِيهِمْ أَخٌ لَوْ قَوْنَا أَوْ رَرَّ عَنْهُمْ وَلَوْ نَهَكْنَاكُمْ بِالطَّمَنِ قَدْ لَانُوا
أَبْلَغُ هَوَازَانَ أَغْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا مِثْنَى رِسَالَةٍ نُصَحَ فِيهِ تَبْيَانُ
أَنْيَ أَظُنُّ رَسُولَ اللَّهِ صَاحِبَكُمْ جَيْشًا لَهُ فِي فِضَاءِ الْأَرْضِ أَرْكَانُ
فِيهِمْ أَخُوكُمْ سُلَيْمٌ غَيْرَ تَارِكِكُمْ وَالسُّلَيْمُونَ عِيَادَ اللَّهِ غَسَّانُ
وَفِي عِضَادَتِهِ الْيَمَنِيُّ بَنُو أَسَدٍ وَالْأَجْرَبَانُ بَنُو عَبَّسٍ وَذُبْيَانُ
تَسْكَادُ تَرْجُفُ مِنْهُ الْأَرْضُ رَهْبَةً وَفِي مُقَدَّمِهِ أَوْسٌ وَعُمَانُ

قال ابن إسحاق : أَوْسٌ وَعُمَانُ : قَبِيلَا مُزَيْنَةَ .

.....

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها » إلى آخرها ، في هذا اليوم ، وما قبل ذلك في غير هـ - ذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحاق جمعهما واحدة .

ذات أنوط

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري ، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة . فيمْلَقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويمسكون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرَةَ خُضْرَاءَ عَظِيمَةً ، قال : فتنادينا من جَنَبَاتِ الطَّرِيقِ : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، قلتم ، والذي نفسي محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَبْجُحُونَ ﴿ ١٦٦ 〉 لَتَرْكِبُنَّ سَنَنْ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ .

ثبات الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قنادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا

في وادي من أودية تهامة أجوف حَطُوط ، إنما نتحدر فيه انحداراً ، قال :
وفي عمابة الصُّبَح ، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادي ، فكَمْثُوا لنا في شِعبه
وأحنائه ومضايقه وقد أجمعوا وتهَيَّئُوا وأعدَّوا ، فوالله مارا هنا ونحن منخطون
إلا السكتائبُ قد شَدَّوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين ،
لا يلوي أحدٌ على أحد .

وانماز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟
هَلُّثُوا إلى أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شيء ، تحمَّلت الإبل
بعضها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسولِ الله صلى الله عليه
وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

الذين هبَّتوا

وفيمين ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته عليُّ بن
أبي طالب والعباسُ بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وابنته ،
والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد . وأيمن بن عبيد ،
قُتل يومئذ .

قال ابن هشام : اسم ابن أبي سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبي سفيان
المغيرة ، وبعض الناس يَعدُّ فيهم قُثم بن العباس ، ولا يعد ابن أبي سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن
ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له

أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ،
إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن ورائه فاتبه .

الشماتة بالمسلمين

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفأة أهل مكة الهزيمة ، تسكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تفهمي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزام لمعة في كفائته . وصرخ جبلة بن الحنبل - قال ابن هشام : كلدة ابن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يرُبني رجل من قريش أحب إلي من أن يرُبني رجل من هوازن .

شعر حسان في هجاء كلدة

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كلدة :

رأيت سواداً من بعيد فراعني أبو حنبل ينزوعلى أم حنبل
كان الذي ينزوبه فوق بطونها ذراع قلوب من نتاج ابن عزهل
أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية .
وكان أخا كلدة لأمة .

شبهة يحاول قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وقال شبيعة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار . قلت : اليوم أدرك فأرى من محمد ، وكان أبوه مُقْتَل يوم أُحُد ، اليوم أقتل محمداً . قال : فأدركتُ رسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تنفّس فؤادي ، فلم أطق ذلك ، وعلمت أنه ممنوع مني .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل مكة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة إلى حنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن تغلب اليوم من قلة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلاً من بني بكر قالوا .

الاتصار بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق : وحدثني الزُّهري . عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إني لَمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخِذٌ بحسكته بغاتته البيضاء قد شجرتُها بها ، قال : وكنت اسراً جسيماً شديد الصوت ، قال . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يلبثون على شيء ، فقال : يا عباس ، اضرعْ ، يامعشر الأنصار : يامعشر أصحاب السُّمرة ، قال : فأجابوا : كَتَبْتُكَ ، كَتَبْتُكَ ! قال : فيذهب الرجل لينثني بعيره ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعَه ، فيقذفها في عنقه ؛ ويأخذ سيفه وترسه ، ويقتحم عن بعيره ، ويحلِّي سبيله ، فيؤتم

.

«الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقبلوا ، وكانت الدعوى أول ما كانت : بالأنصار . ثم خلصت أخيراً : يا للخزرج . وكانوا صُبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه . فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن نحى الوطيس .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جملة يصنع ما يصنع ، إذ هوى له علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه ، فضرب عرقوبَي الجبل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاري على الرجل ، فضربه ضربة أطنَّ قدَّمه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجسة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطاب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بشفر بغاته ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يا رسول الله .

رأى أم سليم

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم التفت ، فرأى أمّ مُسْلِمٍ بنت مِاحَانَ ، وكانت مع زوجها أبي طَلْحَةَ
سوى حازمة وسطها يُبرِّد لها ، وإنها الحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعهما جمل
أبي طلحة ، وقد خَشِيتُ أَنْ يَمُرَّهَا الْجَلُّ ، فَأَدْنَتْ رَأْسَهُ مِنْهَا ، فَأَدْخَلَتْ يَدَهَا
فِي خِزَامَتِهِ مَعَ الْخِطَامِ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُمّ مُسْلِمٍ ؟
قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أَقْتُلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَهْزَمُونَ عَنْكَ
كَمَا تَقْتُلُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكَ ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه
وسلم : أَوْ يَكْفِي اللَّهَ يَا أُمّ مُسْلِمٍ ؟ قال : ومعهما خِنْجَرٌ ، فقال لها أبو طلحة :
ما هذا الْخِنْجَرُ مَعَكَ يَا أُمّ مُسْلِمٍ ؟ قالت : خِنْجَرٌ أَخَذْتُهُ ، إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ بَعَجْتُهُ بِهِ . قال : يقول أبو طلحة : أَلَا تَسْمَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَقُولُ
أُمّ مُسْلِمٍ الرَّؤْمِيصَاءُ .

شعر مالك بن عوف في الهزيمة

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، حين وَجَّهَ إِلَى
حُنَيْنٍ ، قد ضَمَّ بَنِي مُسْلِمٍ الضُّحَاكَ بْنَ سُفْيَانَ الْكِلَابِيَّ ، فَكَانُوا إِلَيْهِ وَمَعَهُ ،
وَلَمَّا أَهْزَمَ النَّاسُ قَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ يَرْتَجِزُ بِفَرَسِهِ :

أَقْدِمُ مُحَاجُ إِنَّهُ بَوْمٌ نُكْرُ	مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْنِي وَيَكْرُ
إِذَا أَضْيَعَ الْعَصْفُ يَوْمًا وَالذُّبُرُ	ثُمَّ أَحْزَأَتْ زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرُ
كَتَائِبٌ يَكُلُّ فِيهِنَّ الْبَصَرُ	قَدْ أَطْعَمُنَ الطَّامَنَةُ تَقْدِي بِالْشُبُرُ
حِينَ يُدْثَمُ الْمُسْتَكِينُ الْمُنْجَحَرُ	وَأَطْعَمُنُ النَّجْلَاءُ تَفْوِي وَتَهَرُ

لَهَا مِنَ الْجَوْفِ رَشَاشٌ مُنَمَّرٌ تَفَقُّ تَارَاتٍ وَحِينًا تَنْفَجِرُ
وَتَعْلَبُ الْعَامِلِ فِيهَا مُنْكَبِرٌ يَازِيدُ يَا بَنِي هَمَّهِمِ أَيْنَ تَهْرُ
قَدْ نَفِدَ الضَّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرُ قَدْ عَلِمَ الْبَيْضُ الطَّوِيلَاتُ الْخُمْرُ
أَتَى فِي أَمْثَالِهَا غَيْرُ غَيْرٍ إِذْ تُخْرِجُ الْحَاصِنُ مِنْ تَحْتِ السُّتْرِ

وقال مالك بن عوف أيضاً :

أَقْدِمُ مُحَاجٍ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ وَلَا تَفْرُكَ رَجُلٍ نَادِرُهُ

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف في غير هذا اليوم .

من قتل قتيلاً فله سلبه

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن أبي قتادة .
الأنصاري قال : وحدثني من لآتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بني غفار
أبي محمد عن أبي قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين
يقتلان : مسلماً ومشرِكاً ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه
للمشرك على المسلم . قال : فأتيته فضربت يده فقطعتها ، واعتنقني بيده الأخرى .
فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم - ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام .
وكاد يقتلني ، فلو لا أن الدم نزفه لقتلني ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضني
عنه القتال ، ومصر به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها
وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلاً فله
سلبه ، فقلت : يا رسول الله ، والله لقد قتلت قتيلاً ذا سلب ، فأجهضني عنه .

الْقِتَالِ ، فَمَا أَدْرَى مَنْ اسْتَلْبِهِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ : صَدَقَ بِأَرْسُولِ اللَّهِ ،
وَسَلَبُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ عِنْدِي ، فَأَرْضِيهِ عَنِّي مِنْ سَلْبِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا وَاللَّهِ ، لَا يَرْضِيهِ مِنْهُ ، تَقَعِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ ، يَقَاتِلُ
عَنْ دِينِ اللَّهِ ، تَقَاسِمُهُ سَلْبَهُ ! أَرَدَدَ عَلَيْهِ سَلْبَ قَتِيلِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَ فَاَرَدَدَ عَلَيْهِ سَلْبَهُ . فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ : فَأَخَذْتَهُ مِنْهُ ، فَبِعْتَهُ ،
فَاشْتَرَيْتَ بِهِ نَخْرَفًا ، فَإِنَّهُ لِأَوَّلُ مَالٍ اعْتَقَدْتُهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَنَّهُمْ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَقَدْ اسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَ
حُنَيْنٍ وَحْدَهُ عَشْرِينَ رَجُلًا .

نزول الملائكة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقَ بْنُ بَسَّارٍ ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ جُبَيْرِ
ابْنِ مُطْعِمٍ ، قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ قَبْلَ هَزِيمَةِ الْقَوْمِ ، وَالنَّاسَ يَقْتَتِلُونَ مِثْلَ الْجِبَادِ
الْأَسْوَدِ ، أَقْبَلَ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى سَقَطَ بَيْنُنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ ، فَظَنَرْتُ ، فَإِذَا نَحْلُ
أَسْوَدٍ مَبْنُوثٌ قَدْ مَلَأَ الْوَادِي ، لَمْ أَشْكُ أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا هَزِيمَةُ
الْقَوْمِ .

هزيمة المشركين من أهل حنين

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ حُنَيْنٍ ، وَأَمَكَّنَ
رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ ، قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :

.....

قد غلبت خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَاللَّهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غَلَبَتْ خَيْلَ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوارن استحرَّ القتل من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار فلما قُتِل أخذها عثمان ابن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله ، قال : أبغده الله ! فإنه كان يُبغضُ قريشاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس . أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانيٌّ أغرلُ ، قال : فبينما رجل من الأنصار يسأُبُ قتلى ثقيف ، إذ كشف العبدُ يسلبُهُ ، فوجده أغرلُ . قال : فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب : يعلم الله أن ثقيفاً غرلُ . قال المغيرة ابن شعبة : فأخذتُ بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلتُ : لا نقل ذلك ، فذاك أبي وأُمِّي ، إنما هو غلامٌ لنا نصرانيٌّ . قل : ثم جعلتُ أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختنين كما ترى !

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ،

فلم يُقتل من الأحلاف غيرُ رجائين : رجلٍ من غَيْرَةِ ، يقال له وهب ، وآخر من بني كُتَيْبَة ، يقال له الجُلاح ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجُلاح : قُتِلَ اليومُ سيّدُ شِبابِ ثَقِيف ، إلّا ما كان من ابنِ هُنَيْدَة ، يعنى بابنِ هُنَيْدَة الحارث بن أُويس .

رأية ابن مرداس

فقال عباس بن مرداس السّامي يذكر قارب بن الأسود وقِرَارَه من بني أبيه وذا الخمار وحَبْسَه قومه للموت :

أَلا مِنْ مُبَلِّغٍ غَيْلَانَ عَنِّي	وَسَوْفَ - إِخَالَ - بِأَتِيهِ الْخَبِيرُ
وَعُرْوَةَ إِثْمًا أَهْدَى جَوَابًا	وَقَوْلًا غَيْرَ قَوْلِ كَمَا يَسِيرُ
بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ رَسُولٍ	لَرَبِّ لَا يَخْلُ وَلَا يَخُورُ
وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى	فَكُلَّ قَتَى بِمُخَايَرَةِ خَيْرِ
وَبَدَأَ الْأَمْرُ أَمْرُ بَنِي قَيْسٍ	بَوَجٍّ إِذْ تُفْسَمَتِ الْأُورُ
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلَسَكَلْ قَوْمُ	أَمِيرٍ وَلِدَوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
فَجِئْنَا أَمْسَدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ	جُنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَّةَ تَسِيرُ
يَوْمَ اجْتَمَعَ جَمْعُ بَنِي قَيْسٍ	عَلَى حَقَمٍ تَكَادُ لَهُ تَغِيرُ
وَأَقْسَمُ لَوْ هُمْ مَكَّنُوا لَسَرْنَا	إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا
فَكُنَّا أَسَدَ رِيَّةٍ نَمَّ حَتَّى	أَتَيْنَاهَا وَأَسَامَتِ النُّجُورُ
وَيَوْمَ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ	فَأَقْبَحَ وَلَدَمَاءُ بِهِ تَمُورُ

مِنْ الْأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيْوَمٍ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
 قَتَلْنَا فِي الْغَبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ
 وَلَمْ يَكْ ذُو الْخِيَارِ رَيْسَ قَوْمٍ لَمْ عَقَلْ يُعَاقِبْ أَوْ مَكِيدُ
 أَقَامَ يَوْمٍ عَلَى سَنَنِ التَّمَايَا وَقَدْ بَانَ لِمُبْصِرِهَا الْأُمُورُ
 فَافْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضًا وَقُتِلَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرُ
 وَلَا يُنْفِي الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي وَلَا الْفَلَقِ الشَّرِيرَةُ الْخُصُورُ
 أَحَانَهُمْ وَحَانَ وَمَلَكُوهُ أُمُورُهُمْ وَأَفْلَتَ الصُّفُورُ
 بَنُو عَوْفٍ تَمِيحُ بِهِمْ جِيَادُ أَهَيْنَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّمِيرُ
 فَلَوْلَا قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ تُقْسِمَتِ لِلزَّارِعِ وَالْقُصُورُ
 وَلَكِنِ الرِّيَاسَةُ عُمُومُهَا عَلَى يَمْنِ أَشَارَ بِهِ الْمُشِيرُ
 أَطَاعُوا قَارِبًا وَلَهُمْ جَدُودُ وَأَحْلَامُ إِلَى عِزِّ تَصِيرُ
 فَإِنْ يَهْدُوا إِلَى الْإِسْلَامِ يُنْقَوَا أَنْوَفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ
 وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا فَهُمْ أَذَانٌ بِحَرْبِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
 كَمَا حَسَّكَتْ بَنِي سَعْدِ وَحَرْبُ بَرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةَ عَنَقْفِيرُ
 كَانَ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ ضَائِقَةً نَحُورُ
 فَتَلَعَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمُ وَقَدْ بَرَأَتْ مِنَ الْإِخْنِ الصُّدُورُ
 كَانَ الْقَوْمُ إِذْ جَاءُوا إِلَيْنَا مِنْ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السَّلَامِ عُورُ

قال ابن هشام : غَيْلان : غَيْلان بن سَلَمَةَ الثَّقَفِي ، وعُروة : عروة بن

مسمود الثَّقَفِي .

مصرع دريد

قال ابن إسحاق : ولما انهزم للشركون ، أتوا الطائف ومعهما مالك
ابن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن
فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس ، ولم تقب من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن ربيعة بن أمية بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمان
ابن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدغمة وهي أمه ، فغلبت
على اسمه ، ويقال : ابن لدغة فيما قال ابن هشام - دريد بن الصمة ، فأخذ بمخاطم
جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه في شجار له ، فإذا برجله ، فأنخ به ،
فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد :
ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن ربيعة
السلمي ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن شيئاً ، فقال : بئس ما سلحتك أمك !
خذ سيفي - هذا من مؤخر الرجل ، وكان الرجل في الشجار ، ثم أضرب به ،
وارفع عن العظام ، وأخفض عن الدماغ ، فإني كنت كذلك أضرب الرجال ،
ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، ففرب والله يوم
قد منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع نيكشفاً ،
فإذا عجانه ويطاون فخذه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ، فلما رجع
ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أممات
لك ثلاثاً .

قَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ دُرَيْدٍ فِي قَتْلِ رَبِيعَةَ دُرَيْدًا :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى دُرَيْدٍ بَيِّنُ مُمَوَّزٍ حَبِيشِ الْعَنَاقِ
جَزَى عَنْهُ الْإِلَهُ بَنِي سُلَيْمٍ وَعَقَّتُهُمْ بِمَا قَعَلُوا عَنَاقِ
وَأَسْتَفَانَا إِذَا قُدْنَا إِلَيْهِمْ دِمَاءَ خِيَارِهِمْ عِنْدَ التَّلَاقِ
فَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعَتْ عَنْهُمْ وَقَدْ بَلَغَتْ نَفْسُهُمُ التَّرَاقِ
وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقَتْ مِنْهُمْ وَأُخْرَى قَدْ فَكَّكَتْ مِنَ الْوَتَاقِ
وَرُبَّ مُتَوَكِّلٍ بَكَ مِنْ سُلَيْمٍ أَجَبَتْ وَقَدْ دَعَاكَ بِلا رَمَاقِ
فَكَانَ جَزَاؤُنَا مِنْهُمْ عُقُوقًا وَهَمًّا مَاعَ مِنْهُ مُخْ سَاقِ
دَفَعْتَ آثَارَ خَيْلِكَ بَعْدَ ابْنِ بَذَى بَقَرٍ إِلَى تَيْفِ النَّهَاقِ
وَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ دُرَيْدٍ أَيْضًا :

قَالُوا قَتَلْنَا دُرَيْدًا قُلْتُ قَدْ صَدَقُوا فَظَلَّ دَمِي عَلَى السَّرْبِ بَالٍ يَنْحَدِرُ
لَوْلَا الَّذِي قَهَرَ الْأَقْوَامَ كُلَّهُمْ رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَذَبَ كَيْفَ تَأْمُرُ
إِذَنْ لَصَبَّحَهُمْ غِيًّا وَظَاهِرَةً حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَافِلُ جَعْفَلُ ذَفَرِ

قال ابن هشام : ويقال اسم الذي قتل دُرَيْدًا : عبد الله بن قُتَيْبٍ بن
أُهْبَانِ بن قُتَيْبَةَ بن رَبِيعَةَ

مصرع أبي عامر الأشعري

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه
قَبِلَ أَوْطَاسٍ أَبَا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ،

فناوشوه القتال ، فرمى أبو عامر بسهم فقتل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه ، وهزمهم . فیزعمون أن سلمة بن ذرید هو الذى رمى أبا عامر الأشعري بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إِنْ تَأَلَّوْا عَنِ فِائِى سَلَمَةَ ابْنِ سَمَادِرٍ لِّمَنْ تَوَسَّيْتُمْ
أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ الْمَسَامَةِ
وسمادير : أمه .

حال بنى رثاب فى المعركة

واستعصر القتل من بنى أنصر فى بنى رثاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس - وهو الذى يُقال له ابن القوراء ، وهو أحد بنى وهب بن رثاب - قال : يا رسول الله ، هلكت بنو رثاب فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أجبر مُصِيبَتَهُمْ .

موقف قوم مالك بن عوف

وخرج مالك بن عوف عند المزيمة ، فوقف فى قوَّارس من قومه ، على تَنْبِيْةٍ من الطَّريق ، وقال لأصحابه : قِفُوا حَتَّى تَمْضِيَ ضُفَّةُ وُكْمٍ ، وَتَلْحَقَ أَخْرَاكُم . فوقف هناك حتى مضى من كان يلحق بهم من مُنْهَزِمَةِ النَّاسِ ؛ فقال مالك بن عوف فى ذلك :

ولولا كَرَّتانٍ على مُحاجِرٍ لضاق على المضارب الطَّرِيقُ
ولولا كَرُّ دُهْمَانَ بنِ نَصْرٍ لَدَى النِّخْلَاتِ مُنْذَفَعِ الشَّدِيقِ
لَآبَتُ جَعْفَرُ وَبَنُو هِلَالٍ خَزَايَا مُحْتَبِينَ عَلَى شُقُوقِ

قال ابن هشام : هذه الأبيات لمالك بن عوف في غير هذا اليوم . وما يدُلُّك على ذلك قول دُرَيْدِ بن الصَّمَّةِ في صدر هذا الحديث : ما فعلت كعب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يشهدا منهم أحد . وجعفر بن كلاب . وقال مالك ابن عوف في هذه الأبيات : « لَآبَتُ جَعْفَرُ وَبَنُو هِلَالٍ » .

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثَّغِيَّةِ ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ فقالوا : نرى قومًا واضئ رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة بوادهم ؛ فقال : هؤلاء بنو مُسَلِّمٍ ، ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى قومًا عارضئ رماحهم ، أغنالا على خيلهم ؛ فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثَّغِيَّةِ سلَكُوا طريق بني مُسَلِّمٍ . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى فارسًا طويل الباد ، واضعًا رمحہ على عاتقه ، عاصبًا رأسه بملاءة حمراء ، فقال هذا الزُّبَيْرُ بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم ، فانبثوا له . فلما انتهى الزُّبَيْرُ إلى أصل الثَّغِيَّةِ أبصر القوم ، فصمَّد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها .

شعر سلمة في فرارة

قال ابن إسحاق : وقال سلمة بن ذر يند وهو يسوق باصراته حتى أعجزهم :

نَسَيْتَنِي مَا كُنْتُ غَيْرَ مُصَابَةٍ وَلَقَدْ عَرَفْتُ غَدَاةَ نَعْفِ الْأَطْرُبِ
أَتَى مَنَعَتُكَ وَالرَّكُوبُ مُحَجَّبٌ وَمَشَيْتُ خَافَكَ مِثْلَ شَيْءٍ الْأَنْكَبِ
إِذَا فَرَكَ كُلُّ مُهَذَّبٍ ذِي إِمَّةٍ عَنْ أُمِّهِ وَخَلِيلِهِ لَمْ يَغْتَبِ

عود إلى حديث مصرع أبي عامر

قال ابن هشام : وحدثني من أنق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه :
أن أبا عامر الأشعري أتى يرم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل
عليه أحدكم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم
اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو
يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر . ثم جعلوا
يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ،
وبقي العاشر ، فحمل على أبي عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعو إلى
الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهم لا تشهد علي ، فكف
عنه أبو عامر ، فأقلت ؛ ثم أسلم بمسند فحسن إسلامه . فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هذا شريد أبي عامر . ورمى أبا عامر
أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بني جشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما
قلبه ، والآخر ركبته ، فقتلوه . وروى الناس أبو موسى الأشعري فحمل

• • • • •

عليهما فقتلها ، فقال رجل من بني جُشَم بن معاوية يرثيها :
 إِنَّ الرِّزِيَّةَ قَتَلُ الْعَلَاءِ وَأَوْفَى بَجِيْعًا وَلَمْ يُسْنِدًا
 هُمَا الْقَاتِلَانِ أَبَا عَمِيرٍ وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدًا
 هُمَا تَرَكَاهُ لَدَى مَنْزِلِكِ كَأَنَّ عَلَى عِطْفِهِ مُجْسَدًا
 فَلَمْ تَرَ فِي النَّاسِ مِنْثِيهِمَا أَقْلٌ عِثَارًا وَأَزْمَى يَدًا

النهي عن قتل الضعفاء

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَحَفِّضُونَ عليها ، فقال :
 ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لِمَ مَضَ مِنْ مَعَهُ : أَدْرِكُ خَالِدًا ، فَقُلْ لَهُ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ يَنْهَاكَ أَنْ تَقْتُلَ وَلِيدًا
 أَوْ امْرَأَةً أَوْ عَسِيفًا .

شأن الشجاء وبجاء

قال ابن إسحاق ، وحدثني بعض بني سعد بن بكر : أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إِنْ قَدَّرْتُمْ عَلَى بَجَائِدٍ ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ
 ابْنِ بَكْرٍ ، فَلَا يَفْلِحَنَّكُمْ ، وَكَانَ قَدْ أَحْدَثَ حَدَنًا ، فَلَمَّا ظَهَرَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ سَاقُوهُ
 وَأَهْلَهُ ، وَسَاقَوْا مَعَهُ الشَّيْءَ ، بَنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُزَيِّ أُخْتُ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، فَمَنُّوا عَلَيْهَا فِي السَّيَاقِ ، فَقَالَتِ الْمُسْلِمِينَ :
 تَعْلَمُوا وَاللَّهِ أَنِّي لَأُخْتُ صَاحِبِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ ؛ فَلَمْ يَصْطَقُوا حَتَّى أَتَوْا بِهَا
 إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : لحدثني يزيد بن عبيد الحمدي ، قال : فلما اتهم بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يا رسول الله ، إني أختك من الرضاة ؛ قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عضة عضضتها في ظهري وأنا مقورة كتمك ؛ قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخبرها ، وقال : إن أخبيت فيندي محبة مسكرمة ، وإن أخبيت أن أمتك وترجي إلى قومك فمات ؛ فقالت : بل نتمنى وتردني إلى قومي ، فتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّها إلى قومها . فرمى بنو سعد أنه أعطاهم غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوّجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نساها بقية .

قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل في يوم حنين : ﴿ أَقَدْ تَعْرَكُ كُفُّهُ ﴾ في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثير منكم . . . إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ .

شهداء يوم حنين

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين : من قريش ثم من بني هاشم : أيمن بن عبيد .

ومن بني أسد بن عبد المزني : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد ، جمع به فرس له يقال له الجناح ، فقتل .
ومن الأنصار : سرة بن الحارث بن عدي ، من بني العجلان .

ومن الأشعرين : أبو عامر الأشعري .

سبايا حنين يجمعون

ثم مُجِئَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَأَمْوَالُهَا ،
وَكَانَ عَلَى الْفَاتِمِ مَسْمُودُ بْنُ عَمْرٍو الْفَقَارِيُّ ، وَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِالسَّبَايَا وَالْأَمْوَالِ إِلَى الْخُمْرَاتِ ، فَخَبِثَتْ بِهَا .

شعر بجير يوم حنين

وقال بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سُلتَى فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ :

لَوْلَا إِلَٰهُ وَعَبْدُهُ وَلَيْتُمْ حِينَ اسْتَخَفَّ الرَّعْبُ كُلَّ جَبَانٍ
بِالْجَزَعِ يَوْمَ حَبَا لَنَا أَقْرَانَا وَسَوَاحِجُ يَكْبُورُونَ لِلْأَذْقَانِ
مِنْ بَيْنِ سَاعِ نَوْبِهِ فِي كَفِّهِ وَمَقَطَرٍ بِسَنَابِكٍ وَلَبَانِ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا وَأَظْهَرَ دِينَنَا وَأَعَزَّنَا بِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ
وَاللَّهُ أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ

قال ابن هشام : وَيَرَوِي فِيهَا بَعْضُ الرُّوَاةِ :

إِذَا قَامَ عَمَّ نَبِيِّكُمْ وَوَرِثُهُ يَدْعُونَ : كَلْبَتِيبَةَ الْإِيمَانِ
ابْنِ الدِّينِ هُمْ أَجَابُوا رَبَّهُمْ يَوْمَ الْمَرِيضِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

شمر لعباس بن مرداس في يوم حنين

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس في يوم حنين :

إني والسَّوَّاحِجُ يَوْمَ تَجَسَّجَ وما يفلو الرسولُ مِنَ الكتابِ
لقد أَحْبَبْتُ مَا لَقِيتُ تَقِيْفُ يَحْنُبُ الشَّعْبُ أَمْسٌ مِنَ العذابِ
مُمْرَأُسُ العَدُوِّ مِنْ أَهْلِ تَجْدِ فَتَقْتُلُهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّرَابِ
هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمَعَ بَنِي قَيْسٍ وَحَكَّتْ بَرَكَهَا بَيْنِي رِثَابِ
وَمِرْمَا مِنْ هِلَالٍ غَادَرْنَهُمْ بِأَوْطَاسٍ تُعْفَرُ بِالتَّرَابِ
وَلَوْلَا قَيْنَ جَمَعَ بَنِي كِلَابٍ لَقَامَ نِساؤُهُمُ وَالنَّفْعُ كَلْبِ
رَكَضْنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بُسَ إِلَى الْأَوْدَالِ تَنْحِطُ بِالنَّهَابِ
بَذَى تَلَبَّى رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ كَتَبَتْهُ تَعْرِضُ لِلضَّرَابِ

قال ابن هشام : قوله « تُعْفَرُ بِالتَّرَابِ » : عن غير ابن إسحاق .

ابن عفيف يرد على ابن مرداس

فأجابه عطية بن عفيف النضري ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أَفَاخِرَةَ رِفَاعَةٍ فِي حُنَيْنٍ وَعَبَّاسُ بْنُ رَاضِيَةِ الْجَبَابِ
فَابْكُ وَالْفِجَارَ كَذَاتِ مِرْطٍ لَرَبَّتِهَا وَتَرْفُلُ فِي الْإِهَابِ

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس

على هوازن في يوم حنين ورفاعة من جُمَيْنة

شعر آخر لعباس بن مرداس

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

يا خاتم النبأ إنك مُرْسَلٌ بالحق كلُّ هُدى السَّبيل هُداكا
 إنَّ الإله بنى عليك محبَّةً في خلقه ومحمداً سماًكا
 ثمَّ الذين وقَّوا بما عاهدتهم جُنْدٌ بَعَثَ عليهم الضمَّامُكا
 رجلاً به ذرَّبُ السَّلاح كأنه لما فكَّنَّفه العدُوُّ براكا
 ينشئ ذوى النِّسب القَرِيب وإِنا ينفى رِضا الرَّحمن ثم رِضاكا
 أنبيك أنى قد رأيتُ مَكْرَهُ تحت العِجاجة يذمُّعُ الإِشْراكا
 طَوَّراً يُمانقُ باليدينِ ونارَةً يَفْرِى الجَواجمَ صارماً بتاكا
 ينشئ به هامُ السَّكاة ولو ترى منه الذى عاينتُ كان شِفاكا
 وبنو سُلَيمٍ مُعْتَقُونَ أَمامه ضَرْباً وطَمَناً فى العدوِّ دراكا
 يَمْشُونَ تحتَ لَوَائِدِهِ وكأَنَّهُمْ أُنْدُ القَرِيبِ أَرْدَنَ شَمِّ عِراكا
 ما يَرْتَجِحُونَ مِنَ القَرِيبِ قِرابه إلَّا لَطائِفَ رِجِيمٍ وهَوَاكا
 هَذِي مَشايدُنا التى كانتُ لَنا مَعْرُوفَةً وَوَلِيَّنا مَولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

إِنا تَرى يا أُمُّ فِرْوَةَ خَيلِنا منها مُعْطَلَةٌ تُقادُ وظَلَمَ
 لَوَقى مُقارَعَةَ الأَعادى دَمَها فيها نَوافِدٌ مِن جِراحِ نَفْثِمِ

فَلَرَبَّ قَائِلَةٍ كَفَاهَا وَقُمْنَا
لَا وَفَدَ كَالْوَفْدِ الْأَلَى عَقَدُوا لَنَا
وَفَدَ أَبُو قَطَنِ حُزَابَةٍ مِنْهُمْ
وَالْقَائِدُ الْمَثَّةُ الَّتِي وَفَى بِهَا
جَمَعَتْ بَنُو عَوْفٍ وَرَهْطُ مُخَاشِنٍ
فَهِنَاكَ إِذْ نُهِرَ النَّبِيُّ بِالْفِنْسَا
فُزْنَا بِرَابِعِهِ وَلَوْرَثَ عَقْدُهُ
وَعِيدَاةٌ نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحُهُ
كَانَتْ إِبَابَتُنَا لِدَاعَى رَبِّنَا
فِي كُلِّ سَائِفَةٍ تَحْيِيْرَ سَرْدَا
وَلَنَا عَلَى بَرِيٍّ حُنَيْنٍ مُوَكَّبٌ
نُهِرَ النَّبِيُّ بِنَا وَكُنَّا مَفْشَرًا
ذُذْنَا غَدَاتُشْدٍ هَوَازِنَ بِالْقَنَا
إِذْ خَافَ حَذْمُ الدَّبِيٍّ وَاسْتَدُوا
تُدْعَى بَنُو جُثْمٍ وَتُدْعَى وَسْطُهُ
حَتَّى إِذَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ
رُحْنَا وَلَوْلَا نَحْنُ أَجْجَفَ بِأَسْهَمٍ
وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ أَيْضًا فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ :

عَفَا بِجَدَلٍ مِنْ أَهْلِهِ قُمْنَا لِمِ
فَمِطْلَا أَرِيكَ قَدْ خَلَا قَالَمَصَانِعُ

• • • • •

ديارٌ لنا يا مُجَلِّ إذْ جُلُّ عَيْشِنَا رَخِيٌّ وَصَرْفُ الدَّارِ لِلْحَقِّ جَامِعُ
 حَبِيبَةِ آلُوتٍ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى ابْتَيْنِ فَمَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ
 فَإِنْ تَبَتَّغَى السُّكْمَارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ
 دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرٌ وَقَدْ عَلِمْتُهُمْ خَزِيمَةُ وَالْمَرَارِ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
 فُجِنَا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمُ لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسِيجِ دَاوُدَ رَائِعُ
 تُبَايَعُهُ بِالْأَخْشَبِينَ وَإِنَّمَا يَدُ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ تُبَايَعُ
 فَجُسْنَا مَعَ الْمُهْدَى مَكَّةَ عَنُودَ بِأَسْيَافِنَا وَالنَّفْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ
 عَدْنِيَّةَ وَالْحِلُّ يُغَشَّى مُتُونَهَا حَمِيمٌ وَأَنْ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ
 وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنُ إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنَّفُوسِ الْأَضَالِعُ
 صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لَا يَسْتَفِزُّنَا قِرَاعُ الْأَعَادِي مِنْهُمْ وَالْوَقَائِعُ
 أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا لَوْلَا كَخُذُرُوفِ الْمَحَابَةِ لَامِعُ
 عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ مُنْتَصِرٍ بِسَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ وَاللَّوْتُ كَانِعُ
 نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِيْفَا وَلَوْ نَرَى مَصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ تَتَابِعُ
 وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْمُهْدَى وَالشَّرَائِعُ
 أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرُنَا وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّةُ اللَّهِ دَائِعُ

وقال عباس بن مرداس أيضاً في يوم حُنين :

تَقَطَّعَ بَاقِي وَصَلِي أَمُّ مُؤَمِّلٍ بِمَاقِبَةٍ وَاسْتَبَدَلَتْ نِيَّةً خُلْفَا
 وَقَدْ حَلَفَتْ بِاللَّهِ لَا تَقَطَّعُ الْقَوَى فَمَا صَدَقَتْ فِيهِ وَلَا بَرَّتْ الْخُلْفَا

خُفَافِيَّةً بَطْنُ الْعَمِيقِ مَصِيئُهَا وَتَحْتَلُ فِي الْبَادِيَةِ وَجَرَةً فَالْعُرْفَا
فَإِنْ تَنْتَبِجَ الْكُفَّارُ أَمْ مُؤَمَّلٌ فَقَدْ زَوَّدَتْ قَابِي عَلَى نَائِيهَا شَعْفَا
وَسَوْفَ يُبَيِّبُهَا الْخَلِيدُ بَانْنَا أَبِينَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبَّنَا حِلْفَا
وَأَنَا مَعَ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَقِينَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعَشَرُ الْفَا
بِنْتِيَانِ صِدْقٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَعِزَّةٍ أَطَاعُوا أَنَا يَفْعُصُونَ مِنْ أَمْرِ حَرْفَا
خُفَافٌ وَذَكَوَانٌ وَعَوْفٌ لَمْخَالِمٍ مَصَاعِبَ زَاغَتْ فِي طَرُوقِهَا كَلْفَا
كَانَ النَّسِيجُ الشَّهْبَ وَالْبَيْضُ الْمُنْبَسَّ أَسْوَدًا تَلَاوَفَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفَا
بِنَا عَزَّ دِينُ اللَّهِ غَيْرَ تَنْجُلٍ وَزِدْنَا هَلِي التَّلْحِي الَّذِي مَعَهُ ضِعْفَا
بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَانُوا لِيَاءَنَا عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيلِهَا خُطْفَا
عَلَى شُخْصِ الْأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا
غَدَاةً وَطَلْنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ نَحْذِ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلًا وَلَا صَرْفَا
بِمَعْتَرِكٍ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَاهُ لَنَا زَجَّةٌ إِلَّا التَّقْدَامُ وَالنَّقَا
بِبَيْضِ نَطِيرِ الْهَامِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا وَتَقَطِفُ أَغْنَاكَ السَّكْمَاءُ بِهَا أَقْطَا
فَكَاثِنٌ تَرْكُنَا مِنْ قَتِيلٍ مُكْحَبٍ وَأَرْمَلَةٌ تَدْعُو هَلِي بَعْلَهَا أَتْفَا
رِضَا اللَّهِ تَنْوِي لَارِضَا النَّاسِ نَبِيْنِي وَاللَّهِ مَا يَبْدُو جَمِيعًا وَمَا يَخْفِي

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

مَا بِالْأَعْيُنِ فِيهَا عَائِرٌ سَهْرٌ مَثَلُ الْحَمَاطَةِ أَغْصَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ
مَعِينٌ تَأْوِيهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرْقُ فَلَمَّا يَغْمُرُهَا طَوْرًا وَيَنْحَدِرُ

كَأَنَّهُ نَظْمٌ دُرٌّ عِنْدَ نَاطِلَةٍ تَقَطَّعَ السَّلَاطُ مِنْهُ فَهُوَ مُشْتَرٍ
يَا بُعْدَ مَنْزِلٍ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَمَنْ أَتَى دُونَهُ الْعَمَانُ فَالْحَقْوُ
دَعِ مَا تَقْدَمُ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ وَلَى الشَّبَابُ وَزَارَ الشَّيْبُ وَالزُّهْرُ
وَإِذَا كُرِىَ بِلَاءُ سُلَيْمٍ فِي مَوَاطِنِهَا وَفِي سُلَيْمٍ لِأَهْلِ الْفَخْرِ مُفْتَخِرُ
قَوْمٌ هُمْ تَقَرُّوا بِالرَّحْمَنِ وَاتَّبَعُوا دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ
لَا يَفْرِسُونَ فَسِيلَ الْفَخْرِ وَسُطُحَهُمْ وَلَا تَخَاوَرُ فِي مَشْتَاهِمِ الْبَقَرِ
إِلَّا سَوَاجِحَ كَالْعِقَبَانِ مَقْرَبَةً فِي دَارَةٍ حَوْلَهَا الْأَخْطَارُ وَالْعَكْرُ
تَدْعَى خُفَافٌ وَعَوْفٌ فِي جَوَانِبِهَا وَحَيْثُ ذَكَوَانٌ لَا يَمِيلُ وَلَا ضَجْرُ
الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشَّرِّ ضَاحِيَةً بِيْطْنِ مَكَّةَ وَالْأَرْوَاحُ تَبْتَدِرُ
حَتَّى دَفَنَّا وَقَتْلَانَهُمْ كَأَنَّهُمْ نَحْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْقَعِرُ
وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَأَن مَشَدُّنَا لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مُدْخَرُ
إِذَا نَرَكَبُ الْمَوْتَ مَخْضَرًا بِطَائِنِهِ وَالْخَلِيلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعُ كَدِيرُ
تَحْتَ اللَّوَاءِ مَعَ الضُّعَاكِ يَقْدُمْنَا كَأَمْشَى اللَّيْثِ فِي غَابَاتِهِ الْخَلْدِيرُ
فِي مَازِقٍ مِنْ تَحْرِى الْحَرْبِ كَسَلِكُنَا نَكَادُ تَأْفِلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسَلَقْنَا لِلَّهِ نَفْصُورُ مَنْ شِئْنَا وَنَفْصُورُ
حَتَّى تَأْوَبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ لَوْلَا لِلْمَلِكِ وَلَوْلَا نَحْنُ مَا صَدَرُوا
فَمَا تَرَى مَفْشَرًا قَلُّوا وَلَا كَثُرُوا إِلَّا قَدْ أَصْبَحَ مِنَّا فِيهِمْ أَرُ
وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أَيْضًا :
يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الَّذِي تَهْوَى بِهِ

وَجَنَاهُ مُجْمَرَةُ الْعَنَاسِ عِزْمِسُ

إِنَّمَا أَتَيْتَ عَلَى النَّبِيِّ قَتْلَ لَهُ حَقًّا عَلَيْكَ إِذَا اطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ
 يَأْخِذُ مِنْ رَبِّكَ الْمَطِيُّ وَمِنْ مَشَى فَوْقَ الزَّرَابِ إِذَا تُقَسَّدُ الْأَنْفُسُ
 إِنَّا وَفَيْنَا بِالَّذِي عَاهَدْنَا وَالْخَلِيلُ تُقَدِّعُ بِالْكِبَاءِ وَتُفْرَسُ
 إِذْ سَلَّ مِنْ أَفْنَاءِ بَهْتَةٍ كُلِّهَا جَمْعٌ تَظَلُّ بِهِ الْخَارِمِ تَرْجُسُ
 حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ قَتِيمًا شَهْبَاءُ يَهْدِيهَا الْهَمَامُ الْأَشْوَسُ
 مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سَائِمٍ فَوْقَهُ بِيضَاهُ مُخَيَّمَةُ الدَّخَالِ وَقَوْنَسُ
 يُرَوِّى الْقَنَاءَ إِذَا تَمَاسَرَ فِي الْوَعَى وَتَغَالَهُ أَسَدًا إِذَا مَا يَمْبِسُ
 يَفْشَى الْكَتْمِيَّةَ مُطْلَمًا وَبِكَمَّةَ عَضْبٌ يَقْدُّ بِهِ وَلَذَنٌ مِدْعَسُ
 وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا أَلْفَ أُمْدٍ بِهِ الرَّسُولُ عَرَنْدَسُ
 كَانُوا أُمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيَّةَ وَالشَّمْسُ يَوْمُئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمَسُ
 تَمْنَعِي وَبِحَرْسُنَا إِلَاهُ يَحْفَظُهُ وَاللَّهُ لَيْسَ بِضَائِعٍ مِنْ يَحْرُسُ
 وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمَنَاقِبِ مَحْبَسًا رَضِيَ إِلَاهُ بِهِ فَنِعْمَ الْحَبِيسُ
 وَغَدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَّدْنَا شَدَّةَ كَفَّتِ الْعِدْوُ وَقِيلَ مِنْهَا: يَا أَحْبِسُوا
 تَدْعُو هَوَازِنُ بِالْإِخَاوَةِ بَيْنَنَا تَدْعِي تَمْدَدُ بِهِ هَوَازِنُ أَيْبَسُ
 حَتَّى تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ وَكَأَنَّهُ عَيْرٌ تَعَاقِبُهُ السَّبَاعُ مَقَرَسُ

قال ابن هشام : أنشدني خالف الأحر قوله : « وقيل منها يا أحبسوا » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

تَصْرُّ نَارُ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ بِأَلْفِ كَمَى لَا تُقَدُّ حَوَاسِرُهُ

تَحْمِلُنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرَّمْحِ رَايَةً يَذُودُ بِهَا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرُهُ
وَنَحْنُ خَضَبُنَاهَا دَمًا فَهُوَ لَوْنُهَا غَدَاةَ حَنِينٍ يَوْمَ صَفْوَانٍ شَاجِرُهُ
وَكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ مَيِّمَةً لَهُ وَكَانَ لَنَا عَقْدُ الْأَوَاءِ وَشَاهِرُهُ
وَكُنَّا لَهُ دُونَ الْجُنُودِ بِطَانَةً يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ وَنُشَاوِرُهُ
دَعَانَا قَسَمَانَا الشُّعَارَ مُقَدِّمًا وَكُنَّا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَنْ بُنَا كِرُهُ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ وَاللَّهُ نَاصِرُهُ

قال ابن هشام : أنشدني من قوله : « وكُنَّا عَلَى الْإِسْلَامِ » إلى آخرها ،
بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذي أوتاه : « حملنا له في عامِلِ
الرمح راية » . وأنشدني بعد قوله : « وكان لنا عقدُ الأواء وشاهرُهُ » ،
« ونحن خضبناه دماً فهو لونه » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

مَنْ مُبْلِغِ الْأَقْوَامِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمْسَا
دَعَا رَبِّهِ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَحْدَهُ فَاصْبَحَ قَدْ وَفَّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
سَرَيْنَا وَوَاعَدْنَا قَدْ يَدَا مُحَمَّدًا بَوْمَ بَنَا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ مُحْكَمَا
تَمَارَوْا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا مَعَ الْفَجْرِ فَنِيَانًا وَغَابَا مُقَرَّمَا
عَلَى الْخَلِيلِ مَشْدُودًا عَلَيْنَا دُرُوعُنَا وَرَجَلَا كَدْفَاعِ الْإِنِّي عَزَمَرَمَا
فَإِنْ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا سُلِّمَتْ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا
وَجُنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْذُلُونَهُ أَطَاعُوا فَمَا يَفْصُوهُ مَا تَكَلَّمَا

فَإِنْ تَكُ قَدِ امْرَأَتٌ فِي الْقَوْمِ خَالِدًا
 نَجْنِدُ هِدَاةُ اللَّهِ أَنْتَ أَمِيرُهُ
 حَلَفْتُ بِمِثْلِ بَرَّةٍ لِمُحَمَّدٍ
 وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ تَقَدَّمُوا
 وَبَيْنَا بَنِي الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ
 أَطْفَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
 بِغِلِّ الْحِصَانِ الْأَبْلَقِ الْوَرْدِ وَسَطُهُ
 سَمَوْنا لَهُمْ وَرَدَ الْقَطَارُ زَفَّهُ ضَحَى
 لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى تَرَكَنَا عَشِيَّةَ
 إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلِّ رَأْيٍ طَيْرُهُ
 وَقَدْ أَحْرَزْتَ مَنَّا هَوَازِنُ مَرَبِّهَا
 وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا
 تُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
 فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفًا مِنَ الْخَلِيلِ مُلْجَمَا
 وَحُبَّ إِلَيْنَا أَنْ نَسْكَونَ الْمُقَدَّمَا
 بَنَا الْخَوْفُ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحَزُّمًا
 وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلْمَنَا
 وَلَا يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوِّمَا
 وَكُلَّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدْ احْتَجَمَا
 حُنَيْنًا وَقَدْ سَالَتْ دَوَاقِفُهُ دَمًا
 وَفَارَسَهَا يَهْوَى وَرُحْمًا مُحْطَمَا
 وَحُبَّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَتَحَزُّمًا

شعر ضمضم في يوم حنين

قال ابن إسحاق : وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب
 ابن مالك بن عوف بن بَقَطَةَ بن عَصِيْمَةَ السُّلَمِيِّ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ ، وَكَانَتْ ثَقِيفُ
 أَصَابَتْ كِنَانَةَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الشَّرِيدِ ، فَقَتَلَ بِهِ مُحِجَّجًا وَابْنَ عَمِّ لَهُ ،
 وَهُمَا مِنْ ثَقِيفٍ :

نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَلِيلَ مِنْ غَيْرِ تَجَلَّبَ
 إِلَى جُرْشٍ مِنْ أَهْلِ زَبْيَانَ وَالْقَمِ
 نَقَعْلُ أَشْبَالَ الْأَسُودِ وَنَبْتَنِي
 طَوَاغِي كَانَتْ قَبْلَنَا لَمْ تُهْدَمْ

فَإِنْ تَفَخَّرُوا بِابْنِ الشَّرِيدِ فَإِنِّي
أَبَاتُهُمَا بِابْنِ الشَّرِيدِ وَغَرَّةَ
تُصِيبُ رَجَالًا مِنْ تَقِيفِ رِمَاحُنَا
وَقَالَ ضَمْنَمُ بْنُ الْحَارِثِ أَيْضًا :

أَبْلَغُ لَدَيْكَ ذَوِي الْحِلَالِ آيَةً
بَعْدَ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَةٌ بَيْنَهَا
لَهَا رَأَتْ رَجُلًا لَا تَسْفَعُ لَوْنَهُ
مُسْطَطِ الْعِظَامِ تَرَاهُ آخِرَ كَلِيلِهِ
إِذَا لَا أَزَالَ عَلَى رِحَالِهِ نَهْدَةً
يَوْمًا عَلَى أَثَرِ النَّهَابِ وَتَارَةً
وَزُهَاءَ كُلِّ خَمِيلَةٍ أَرْهَقَتْهَا
كَيْمَا أَغْيَرِ مَا بَهَا مِنْ حَاجَةٍ

لَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ ذَاتَ خِيَارٍ
قَدْ كُنْتُ لَوْ لَبِثَ الْفَرَى بِدَارٍ
وَعَرُّ الْمَصِيفَةِ وَالْعِظَامِ عَوَارِي
مُنْتَسِرِبِلَا فِي دِرْعِهِ لِعَوَارٍ
جُرْدَاءَ مُتَلَحِّقٍ بِالنَّجَادِ لِمَارِي
كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مَعَ الْأَنْصَارِ
مَهَلًا تَمَهَّلَهُ وَكُلَّ خَبَارٍ
وَتَوَدُّ أَنِي لَا أُوَدُّ فُجَارٍ

رثاء أبي خراش لابن المعجوة

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة ، قال : أسير زهير بن المعجوة الهذلي .
يوم حنين ، فسكرتف ، فرآه جميل بن مغمّر الجهمجي ، فقال له : أنت الماشي
لنا بالمغايظ ؟ فضرب عنقه ؛ فقال أبو خراش الهذلي يرثيه ، وكان ابن عمه :

عَجَفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَغْمَرٍ بَذَى فَجَرَ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ

طوبل نجاد السيف ليس بجيدر
تسكاد يدها تسلمان إزاره
إلى بيته بأوى الضريك إذا شقا
تروح مقروراً وهبت عشيّة
فما بال أهل الدار لم يتصدّعا
فأنسم لو لافيته غير مؤثق
وإنك لو واجهته إذ أقميته
لظلّ جميل أخش النجوم صرّة
فليس كعهد الدار بآثم ثابت
وعاد الفتى كالشئخ ليس بفاعل
وأصبح إخوان الصفاء كأنما
فلا تحسبي أنّي نسيت لياليا
إذ الناس ناس والبلاد بفرّة
إذا اهتز واسترخت عليه الحائل
من الجود لماً أدلّفته الشائل
ومستفبح بالي الدريسين عائل
لها حدب تحمته فيوائل
وقد بان منها اللوذعي الحلاحيل
لأبك بالنعف الضباع الجيائل
فنازله أو كنت ممن يُنازله
ولكن قرن الظمّر للمرء شاغل
ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
سوى الحق شيئاً واستراح العواذل
أهال عليهم جانب التزب هائل
بمكة إذ لم تهمد عما يُحاول
وإذ نحن لا تُثنى علينا المداخل

ابن عوف يعتذر عن فراره

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :
منع الرقاد فما أغص ساعة
سائل هوازن هل أضرت عدوها
وكتيبة لبستها بكتيبة
نعم بأجزاء الطريق مخضرم
وأعين غارمها إذا ما يغرم
ففتين منها حاسر وملازم

وَمُقَدَّمٍ تَغِيَا الثُّفُوسُ لَضِيْقِهِ قُدِّمَتْهُ وَشُهُودُ قَوِيٍّ أَعْلَمُ
فَوَرَدَتْهُ وَتَرَكَتْ إِخْوَانًا لَهُ يَرِدُونَ غَمْرَتَهُ وَغَمْرَتُهُ الدَّمُ
فَإِذَا انْجَلَّتْ غَمْرَانُهُ أَوْزَنْتَنِي مَجْدَ الْحَيَاةِ وَمَجْدَ غُفْمٍ يُقَسِّمُ
كَلَفْتُمُونِي ذَنْبَ آلِ مُحَمَّدٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَنْ أَعَقُ وَأَظْلَمُ
وَخَذَلْتُمُونِي إِذَا أَقَاتِلُ وَاحِدًا وَخَذَلْتُمُونِي إِذَا تُقَاتِلُ خَنَمَمُ
وَإِذَا بَنَيْتِ الْمَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ لَا يَسْتَوِي بَانٍ وَآخِرُ يَهْدِمُ
وَأَقْبَ مِخْطَاصِ الشِّتَاءِ مُسَارِعُ فِي الْمَجْدِ يَنْمَى لِلْعُلَى مُتَكَرِّمُ
أَكْرَهْتُ فِيهِ أَلَّةَ يَزْنِيَّةٍ سَحَابًا يَقْدُمُهَا سِنَانُ سَدَجَمُ
وَتَرَكَتْ حَنْتَهُ تَرُدُّ وَلِيهِ وَتَقُولُ لَيْسَ عَلَيَّ فُلَانَةٌ مُقَدَّمُ
وَنَهَبْتُ نَفْسِي لَارْمَاحِ مُدَجِّجًا مِثْلَ الدَّرِيثَةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ

هوازن يذكر إسلام قومه

قال ابن إسحاق : وقال قائل في هوازن أيضاً ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أَذْكُرُ مَسِيرَهُمْ لِلنَّاسِ إِذْ جَعَمُوا وَمَالِكٌ فَوْقَهُ الرَايَاتُ تَخْتَفِقُ
وَمَالِكٌ مَالِكٌ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ النَّجَاجُ بِأَتْلَقُ
حَتَّى لَقُوا الْبَاسَ حِينَ الْبَاسِ يُقَدِّمُهُمْ عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ وَالْأَبْدَانُ وَالْدَّرَقُ
فَضَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَرَوْا أَحَدًا حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى جَنَّهُ الْقَسَقُ

نُتِمَتْ نُزْلُ جَبْرِيلَ بَنَفْسِهِمْ مِنْ السَّمَاءِ فَهَزَمُوا وَمُنْعَتَقُ
مَنَا وَلَوْ غَيْرُ جَبْرِيلَ يُقَاتِلُنَا لَمُنْعَتَقْنَا إِذَنْ أَشْيَا فَنَا الْعُقُقُ
وَقَاتِنَا عُمَرُ الْفَارُوقُ إِذْ هَزَمُوا بَطْمَنَةً بَلَّ مِنْهَا سَرَجُهُ الْعَلَقُ

جشمية ترى أخويها

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ تَرَى أَخَوَيْنِ لَهَا أُصْدِيهَا يَوْمَ حَنِينٍ :
أَعْيَنِي جُودًا عَلَى مَالِكٍ مَمَّا وَالْمَلَاءِ وَلَا تَجْمُدَنَّ
هُمَا الْقَاتِلَانِ أَبَا حَامِرٍ وَقَدْ كَانَ ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدَا
مَا تَرَكَاهُ لَدَى مُجَسَّدٍ يَنْوِي تَرْبَا وَمَا وَسَّدَا

أبو ثواب يهجو قريشاً

وَقَالَ أَبُو ثَوَابٍ زَيْدُ بْنُ صُحَّارٍ ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ :
أَلَا هَلْ أَتَاكَ أَنْ غَلَبْتَ قُرَيْشٌ هَوَازِنَ وَالْخُطُوبُ لَهَا شُرُوطُ
وَكُنَّا يَا قُرَيْشَ إِذَا غَضِبْنَا يَحْيَى مِنَ الْغَضَابِ دَمٌ عَبِيطُ
وَكُنَّا يَا قُرَيْشَ إِذَا غَضِبْنَا كَانَتْ أَنْوَقْنَا فِيهَا سَعُوطُ
فَأَضْبَحْنَا نُسُوقُنَا قُرَيْشٌ سِيَاقَ الْعِيرِ يَحْدُوها النَّبِيطُ
فَلَا أَنَا إِنْ سُمِلْتُ الْخَسْفَ آبٍ وَلَا أَنَا إِنْ أَلِينَ لَهُمْ نَشِيطُ
سَيُنْقَلُ لِحْمُهَا فِي كُلِّ فَجٍّ وَتَسَكَّتَبَ فِي مَسَامِعِهَا الْقُطُوطُ

وَيُرْوَى «الخطوط» ، وَهَذَا الْبَيْتُ فِي رِوَايَةِ أَبِي سَعْدٍ .

.....

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب . وأنشدني خلف
الأحمر قوله : « يحيى من الفضاب دَمَ عبيطُ » وآخرها بيتاً عن غير
ابن إسحاق .

ابن وهب يرد على ابن أبي ثواب

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم ، ثم من
بني أسيد ، فقال :

بَشْرَطِ اللهُ نَضْرِبَ مَنْ لَقِينَا كَأَفْضَلِ مَا رَأَيْتَ مِنَ الشَّرُوطِ
وَكُنَّا يَا هَوَازُنُ حِينَ نَلْقَى نُبَلِّهِ الْهَامَ مِنْ عَلَقِ عَبِيطِ
يَجْمَعُكُمْ وَجَمْعُ بَنِي قَيْسٍ نَحْمُكُ الْبَرْكَ كَالْوَرَقِ الْخَلِيطِ
أَصَبْنَا مِنْ سَرَاتِكُمْ وَمِلْنَا بِقَتْلِ فِي الْمُبَايِنِ وَالْخَلِيطِ
بِهِ الْمُلُتَاتُ مَقْتَرِشٌ بِيَدِهِ يَمُجُّ لَوْتَ كَالْبَسْكَرِ الْفَحِيطِ
فَإِنْ تَكُ قَيْسُ عَيْلَانَ غَضَابًا فَلَا يَنْفَكُ يُرْغِمُهُمْ سَمُوطِي

شعر خديج في يوم حنين

وقال خديج بن العوجاء النضري :

لَمَّا دَنَوْنَا مِنْ حُنَيْنٍ وَمَا بِهِ رَأَيْتُ سَوَادَ مَنْكَرِ الْآوَنِ أَخْصَفَا
بِلَمُومَةٍ شَهْبَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا تَمَارِيخَ مِنْ عُزْوِي إِذْ عَادَ صَفْعُهَا
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتُهُمْ إِذَنْ مَا لَقِينَا الْمَارِضَ الْمُتَكَسِّفَا
إِذَنْ مَا لَقِينَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ثَمَانِينَ أَلْفًا وَاسْتَمَدُّوا بِخَدَقَا

.....

ذكر غزوة حنين

وَحَنَيْنٌ الَّذِي عُرِفَ بِهِ الْمَوْضِعُ هُوَ : حُنَيْنُ بْنُ قَانِيَةَ بْنِ مِهْلَإِيلَ^(١)
كَذَا قَالَ الْبَكْرِيُّ ، وَقَدْ قَدِمْنَا أَنَّهُ قَالَ فِي خَيْرٍ مِثْلَ هَذَا أَنَّهُ ابْنُ قَانِيَةَ ،
فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

من البهارة النبوية :

ويقال لها أيضاً غَزْوَةُ أُوطَاسٍ سَمِيَ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الْوَقْعَةُ وَهُوَ
مِنْ وَطَنَتِ الشَّيْءِ وَطَنًا إِذَا كَدَرْتَهُ ، وَأَثَرَتْ فِيهِ . وَالْوَطَيْسُ : نُقْرَةٌ فِي حَجَرٍ
تَوْقَدُ حَوْلَهُ النَّارُ ، فَيَطْبَخُ بِهِ الْأَحْمَمُ ، وَالْوَطَيْسُ التَّنُورُ ، وَفِي غَزْوَةِ أُوطَاسٍ
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْآنَ حَجَى الْوَطَيْسِ^(٢) ، وَذَلِكَ حِينَ اسْتَعَرَتْ
الْحَرْبُ ، وَهِيَ مِنَ السَّكَلِمِ الَّتِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَنَهَا هَذِهِ ،
وَمِنْهَا : مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ ، قَالَهَا فِي فَضْلِ مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ
عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ ، قَالَ : ابْنُ عَتِيكٍ : وَمَا سَمِعْتُ هَذِهِ السَّكَلِمَةَ يَعْنِي :
حَتَفَ أَنْفِهِ مِنْ أَحَدِ الْعَرَبِ قَبْلَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمِنْهَا لَا يُلَدَّغُ
لِلْمُؤْمِنِ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ^(٣) قَالَهَا لِأَبِي عَزَّةَ الْجُمَحِيُّ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقَدْ مَضَى
حَدِيثُهُ .

(١) فِي الْبَكْرِيِّ : قَانِيَةُ بْنُ مِهْلَإِيلَ .

(٢) قِيلَ ابْنُ الْوَطَيْسِ - غَيْرُ التَّنُورِ - لِأَنَّهُ الْضَرْبُ فِي الْحَرْبِ . وَالْوَطْءُ
الَّذِي يَطَسُ النَّاسَ أَيْ يَدْفَعُهُمْ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ حِجَارَةٌ مَدْرُورَةٌ إِذَا حَمَيْتَ لَمْ
يَقْدِرْ أَحَدٌ بِطَوْرٍ . وَفَدَّ عَرَبٌ بِهِ عَنْ اشْتِدَادِ الْحَرْبِ وَقِيَامِهَا عَلَى سَاقٍ .

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو أَوْدَ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

« السُّيُوطِيُّ » .

ومنها : لا يَنْتَطِحُ فيها عِزْرَان ، وسيأتى سببهما .

ومنها : قوله عليه السلام : يا خَيْلَ اللهِ اِرْكَبِي ، قالها يوم حُنينٍ أيضاً في حديث خَرَجَهُ مُسْلِمٌ ، وقال الجاحظ في كتاب البيان عن يُونُسَ بن حبيب : لم يَبْلُغْنَا من روائع الكلام ما بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) ، وغلط في هذا الحديث ، ونُسِبَ إلى التَّضَحُّيفِ ، وإنما قال القائل : ما بلغنا عن النَّبِيِّ ، يريد عثمان النَّبِيَّ ^(٢) فصَحَّفَهُ الجاحظُ ، قالوا : والنبي - صلى الله عليه وسلم - أَجَلٌ من أن يخلط مع غيره من القُصَّحاء ، حتى يقال : ما بلغنا عنه من القصة أكثر من الذي بلغنا عن غيره ، كلامه أَجَلٌ من ذلك ، وأعلى ، صلوات الله عليه وسلامه .

ابن الصمة والخمسة :

فصل : وذكر دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ الْجُشَمِيُّ أَحَدَ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ ، وفيه تقول الخنساء حين خطبها : ما كنت تاركةً بَنِي عَمِي ، كأنهم صُدُورُ الرِّيحِ ومِرْتَنَةُ شَيْخَانِ . من بَنِي جُشَمِ ^(٣) ، وهو دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ بْنِ بَكْرِ

(١) في البيان : ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم د ص ١٨ > ٢ البيان والتبيين ط ١٩٤٨ .
(٢) نسبة إلى بت موضع بنو حاحي البصرة . رأى عثمان أنساً وروى عن الحسن البصري .

(٣) العبارة في الأغاني في ترجمة دريد بن الصمة : يا أبت أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح ، وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غد ، وفي الإصابة : د أدع بني عمي الطوال مثل عوالي الرماح ، وأنزوج شيخاً .

ابن حَلَقَمَةَ بن خُزَاعَةَ بن غَزِيَّةَ بن جُشَمَ بن مُعَاوِيَةَ بن بَكْرِ بن هَوَازِنَ ،
يكنى أبا قُرَّةَ ، وَيُرْوَى عن ابن إسحاق من غير رواية زياد يقال : كان يومئذٍ
ابن ستين ومائة ، وروى أبو صالح كاتب الليث عن الليث قال : كان دُرَيْدُ
يومئذٍ ابن عشرين ومائة .

وقوله : في شَجَارِهِ ، الشَّجَارُ : مثل التَّوْدَجِ ، وفي العين : الشَّجَارُ خَشَبُ
التَّوْدَجِ .

وقوله : فَأَنْقَضَ بِهِ ، أى : صَوَّتَ ، بلسانه في فيه من اللَّفْظِ ، وهو
الصوت ، وقيل : الإِنْقَاضُ بِالْإِصْبَعِ الوُسْطَى والإِثْنَامَ ، كأنه يدفع بهما شيئاً
وهو معنى قول البرقي .

وقوله : راعى ضَانٌ ، يُجَهِّلُهُ بذلك ، كما قال الشاعر :
أَصْبَحْتُ هُزْءَ الرَّاعِي الضَّانَ أُعْجِبُهُ ماذا يُرِيْبُكَ مِنِّي رَاعِي الضَّانِ
وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لرجل : قم فما نَفَعَكَ صَدَاقُ
ولا راعى ضَانٍ . والذَّرِيذُ في اللغة : تصغير أَدْرَدَ ، وهو تصغير الترخيم ، والصَّعْمَةُ :
الشجاعة ، وجمعه : صَمَمٌ .

مالك بن عوف وابن مبرور :

وذكر مالك بن عوف النَّضْرِيَّ رئيس المشركين يوم حُنَيْنٍ ، وهو
مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يَرْبُوع بن وائل بن دُهْمَان بن أنصر
ابن مُعَاوِيَةَ بن بَكْرِ بن هَوَازِن النَّضْرِيَّ .

وذكر بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن أبي حذرد عينا
إلى هوازن ، وهو عبد الله بن سلامة بن سعد ، وسلامة هو أبو حذرد ،
وهو من بني هوازن بن أسلم بن أفضى بن حارثة ، وهم إخوة الأوس
والخزرج ، أعنى بنى أسلم بن أفضى ، مات عبد الله سنة إحدى وسبعين ، وهو
العام الذى قُتل فيه مُصعبُ بن الزبير . يشهد ابنُ أبي حذرد مع النبي -
صلى الله عليه وسلم - الحديبية ، وما بعدها ، وفاته ما كان قبل ذلك .

مول قصيدة عباس النونية :

وذكر شعر عباس وفيه :

أصابَتِ العامَ رَعْلًا

وهى قبيلة من سليم ، وفى الحديث : قَتَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
شَهْرَبْنَ يدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكَوَانَ وَعُصَيَّةَ ، وهم الذين غدروا بأصحاب
بئر معونة .

وقوله :

خَلِيلِ ابْنِ هَوْدَةَ لَا تُنْهَى وَإِنْسَانِ

إنسان : قبيلة من قيس ، ثم من بنى نصر ، قاله البرقي ، وقيل : هم من بنى
جشم بن بكر ، ومن بنى إنسان : شيطانُ بن مُذَاجٍ صاحب حميدة ^(١) وهى

(١) فى الأمثال للبديانى : حميدة . وقد قال شيطان يذكر شومها .

فَرَسَ لَهُ تَضَرَّبَ بِهَا الْعَرَبُ الْمَثَلَ فِي الشُّؤْمِ ، فَيَقَالُ أَشْأَمُ مِنْ حَمِيدَةٍ ، وَسَبَبَ ذَلِكَ خَبَرُ يَطُولُ ، ذَكَرَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي الْأَمْثَالِ .

سمر ودهمان :

وسعدٌ ودُهْمَانُ ابْنَا تَضَرَّبَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ ، كَذَا وَجَدْتُهُ فِي بَعْضِ الْأَلْمَلَقَاتِ ، وَالْمَعْرُوفُ فِي قَيْسٍ : دُهْمَانُ بْنُ أَشْجَعِ بْنِ رَبِيعِ بْنِ غَطَفَانَ وَالِدِ تَضَرَّبَ ابْنِ دُهْمَانَ الَّذِي عَاشَ مِائَةَ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، حَتَّى تَقُومَ ظَهْرُهُ بَعْدَ انْحِنَاءِ ، وَأَسْوَدَ شَعْرُهُ بَعْدَ أَبْيَضَاضِهِ ، فَسَكَانُ أَعْجُوبَةٍ فِي الْعَالَمِ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لِتَضَرَّبَ بْنِ دُهْمَانَ الْهَيْئِدَةَ عَاشَهَا وَتِسْعِينَ حَوْلًا ثُمَّ قَوْمٌ فَأَنْصَانَا
وَعَادَ سَوَادُ الرَّأْسِ بَعْدَ أَبْيَضَاضِهِ وَلَسَكُنْهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَدْ مَا نَا^(١)

وَمَنْ ذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَحُنَيْنٌ : اسْمُ جَبَلٍ ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ : أَنْ تَجِدَ مَنْ رَأَى حُنَيْنًا .

وَقَوْلُهُ : مِمَّا يَشْتَوِي حَذَفَ . الْحَذَفُ : غَنَمٌ سُودٌ صِفَارٌ تَكُونُ بِالْيَمَنِ ، وَفِي الْحَدِيثِ سَوَّوْا صُفُوفَكُمْ ، لَا تَخْلُدَنَّكُمْ الشَّيَاطِينُ كَأَنَّهَا بَنَاتُ حَذَفٍ^(٢) .

(١) سَبَقَ هَذَا الشَّعْرُ ، وَالْهَيْئِدَةُ : الْمَاتَةُ .

(٢) رَوَايَةُ أَحْمَدَ : « سَوَّوْا صُفُوفَكُمْ ، وَحَازِرَا بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ ، وَسَدُّوا الْخَلَلَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْحَذَفِ » ، وَقَالَ الْمَنْذَرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ فِي بَابِ « الْحَثِّ عَلَى تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ » ، رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ، وَأَخْرَجَا نَحْوَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَلَسَ .

يعنى فى العَصَفُ فى الصلاة ، هـكذا قال البرقى فى تفسير هذا البيت ، والذى أراد الشاعر : إنما هو رَجُلٌ ، فلمله كان يسمى بِحَذَفٍ ، وَتَحَذَفُ هِىَ النَّمَمُ السُّودُ التى ذكرنا .

وقوله :

كُلُّ شِوَاءِ الْعَيْرِ جُوفَانُ^(١)

يقال : إنه سُوى له غُرْمُولُ حِمَارٍ ، فأكله فى الشَّوَاءِ فوجده أَجَوْفَ ، وقيل له : إنه الثُّقْبُ ، أى : وعاء القَضِيبِ ، فقال : كُلُّ شِوَاءِ الْعَيْرِ جُوفَانُ ، فَضْرَبَ هذا الكلامُ مَثَلًا ، وقيل : كان فَزَارِيٌّ وَتَغْلِيٌّ وَكَلْبِيٌّ اجتمعوا فى سَفَرٍ ، وقد اشْتَرَوْا حِمَارَ وَحْشٍ ، فغاب الفَزَارِيُّ فى بعض حاجاته ، فأكل صاحبه العَيْرَ واختبأ له غُرْمُولَه ، فلما جاء قال له : هذا خَبُونَا لك ، فجعل يأكل ، ولا يُسِيعُه ، فضحكَا منه ، فاخترط سَيْفُه ، وقال : لا قَتَلْتُمَا إِن لم تَأْكُلَا ، فأبى أحدهما فضربه بالسيف ، فأبان رأسه ، وكان اسمه : مِرْقَمَه ، فقال صاحبه طَاحَ مِرْقَمَه ، فقال الفَزَارِيُّ ، وأنت إن لم تَلْقَمَه أراد : تَلْقَمَهَا ، فَطَرَحَ حَرَكَه الهاء على الميم ، وحذف الألف كما قد قيل فى الحيرة . أى رجال به أى بها ، وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة :

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ ، وَاكْتُبَهَا بِأَسْيَارِ
لا تَأْمَنَنَّه وَلَا تَأْمَنُ بَوَائِقَهْ بَعْدَ الَّذِى أَمْتَلَّ أَيْزَ الْعَيْرِ فى النَّارِ

(١) يضرب فى تساوى الشئ فى الشرارة ، والمثل فى بجمع الامثال للبيداني . ولكن ليس فيه القتل الذى سيذكر ، وفيه الرجال : عيسى وفزاري وغطفاني .

أَطَقْتُمُ الضَّيْفَ غُرْمُولًا مُخَاَلَةً فَلَا سَمَاقَكُمْ إِلَهِي الْخَالِقُ الْبَارِي
من كتاب الأمثال للأصبهاني . فهذا الفزاري هو حَدَفُ المذكور
في البيت ، والله أعلم .

وقوله :

وَالْأَجْرَبَانِ بَنُو عَبَسٍ وَذُبْيَانُ
سماههما بالأجربين تشبيهاً بالأجرب الذي لا يقرب ، وقال مجذومٌ من
العرب :

بَأَى فِعَالٍ رَبٍّ أَوْتَيْتُ مَا أَرَى أَظَلُّ كَأَنِّي كُلَّمَا قُمْتُ أَجْرَبُ
أى : يُفَرِّقُنِي ، وفي الخبر أن عمر لما نهى الناس عن مُجَاسَّةِ صَبِيغِ بن
عَسَلٍ كان كُلُّمَا حَلَّ موضعاً تَفَرَّقَ الناسُ عنه كأنه بعيدٌ أَجْرَبُ^(١) ، ومن

(١) في القاموس : عَسِلٌ بالتصغير ، وفي غيره : عسل . وقصة صبيغ مع عمر
أنه سأله عن الداريات ، ثم عن المقسمات ، ثم عن الجاريات ، فأجابه عمر ، ثم
أمر بضربه ، فضرب مائة ، وجعل في بيت ، فلما برأ دعا به فضربه مائة أخرى ،
وحمله على قنب ، وكتب إلى أبي موسى : امنع الناس من مجالسته ، فلم يزل كذلك
حتى أتى أبا موسى . فحلف بالآيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً ،
فكتب في ذلك إلى عمر ، رضى الله عنه ، فكتب عمر : ما إخاله إلا قد صدق ،
فخل بينه وبين مجالسة الناس . ويقول للزارع عن أبي بكر بن أبي سبرة راوى
الحديث : إنه زين ، وعن سعيد بن سلام راوى الحديث عن أبي سبرة : ليس من
أصحاب الحديث : ويقول ابن كثير : الحديث ضعيف رفعه . وأقرب فيه أنه
موقوف على عمر رضى الله عنه ، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر ، =

رواه الأحمدي بإسناد يضمن النون ، فهو جائز في كل اثنين مُتَسَلِّزَيْنِ كالجَلَمَيْنِ ، يقال :
 فِيهِمَا . الجَلَمَانِ (١) بضم النون ، وكذلك القَمَرَانُ ، وروى أن فاطمة
 - رضى الله عنها - نادت أختيها في ليلة ظلمة : يَا حَسَنَانُ يَا حُسَيْنَانُ بضم النون .
 قاله الهروي في الفريبيين .

أنا ابن عبد المطلب :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - أين أيها الناس ؟ !
 أنا محمد ، أما رسول الله ، وفي غير هذه الرواية :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب (٢)

وهو كلام موزون ، وقد تقدم الكلام في مثل هذا ، وأنه ليس بشعر
 حتى يقصد به الشعر . وللخطابي في كتاب الأعلام تنبيه على قوله : أنا ابن
 عبد المطلب ، قال : إنما خص عبد المطلب بالذكر في هذا المقام ، وقد انهزم
 الناس تشبيهاً لنبوته ، وإزالة للشك لما اشتهر ، وعرف من رؤيا عبد المطلب
 المبشرة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكرها ، ولما أنبأت به الأحبار
 والفرسان ، فكانت تقول : أنا ذلك ، فلا بد مما وعدت به لئلا ينهزموا عنه ،
 فكانت رواية : أنا ابن عبد المطلب

إذ إنما خبر به لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً . وأقول : وشيئاً آخر
 قد يكون ارتباباً ، أو علوة للشك . وقد روى الحافظ ابن عساكر قصة
 مسيخ مطولة .

(١) المقراضان ، واحدهما : جلم ، والجلم : اسم يقع على الجمين .

(٢) في رواية البخاري ومسلم .

ويظنون أنه مقتول ومغلوب ، فالله أعلم أأراد ذلك رسوله أم لا .

شَيْبَةُ وَمَحَاوِرُ قَتْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وذكر قصة شَيْبَةَ بْنِ عُمَانَ حِينَ أَرَادَ قَتْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
قال فجاء شيء حتى تَمَشَّى فَوَادِي ، وقد ذكر هذا الخبر أبو بكر بن أَبِي خَيْثَمَةَ
في تاريخه ، قال شَيْبَةُ : اليوم آخذ بِنَارِي ، فَجِئْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
خَلْفِهِ ، فَلَمَّا تَهَمَّتُ بِهِ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقٌ مِنْ نَارٍ وَسُورٌ مِنْ حَدِيدٍ ، قَالَ :
فَالْتَفَتَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَبَسَّمَ ، وَعَرَفَ الَّذِي أُرِدْتُ ،
فَسَحَّ صَدْرِي ، وَذَهَبَ عَنِّي الشُّكُّ ، أَوْ كَمَا قَالَ ، ذَهَبَ عَنِّي بَعْضُ أَنْفَاطِي
الْحَدِيثُ (١) .

أُمُّ سَلِيمٍ وَالْفَرَارُ بِرُومَ مَنِينٍ :

وذكر أُمُّ سَلِيمٍ وَهِيَ مَلِيكَةُ بِنْتُ مِلْحَانَ ، وَقَالَ فِي اسْمِهَا رُمَيْلَةٌ ،
وَيُقَالُ : سُمَيْلَةٌ ، وَتَعْرِفُ بِالْأَمْرِ بِنَاءٍ وَلِأُمِّ مَيْسَاءَ لَمْ يَكُنْ فِي عَيْنِهَا ،
وَأَبُو طَلْحَةَ بِمَلْهَا هُوَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ حَرَامٍ وَهُوَ الْقَاتِلُ :

(١) فِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ قَالَ شَيْبَةُ : فَذَهَبَتْ لِأَجِيئِهِ عَنْ يَمِينِهِ فَاِذَا بِالْعَبَّاسِ
ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَائِمٍ عَلَيْهِ دُرْعٌ بَيْضَاءُ كَأَنَّمَا أَضْءُ يَنْكَشِفُ عَنْهَا الْجَاغُ ، فَقَالَتْ :
عَمَّ وَلَنْ يَخْذُلَهُ ، قَالَ : ثُمَّ جِئْتُهُ عَنْ يَسَارِهِ فَاِذَا أَنَا بِأَبِي سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ
ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَتْ : ابْنُ عَمِّهِ وَإِنْ يَخْذُلَهُ ، قَالَ : ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ خَلْفِهِ ، فَلَمَّ يَبْقَى
إِلَّا أَنْ أَسَاوَرَهُ سَوْرَةٌ بِالسَّيْفِ لِذَرْفَعِ شَوَاطِئِ نَارٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّهُ بَرَقَ ،
فَنَحَفْتُ أَنْ يَحْشَنِي ، فَوَضَعَتْ يَدِي عَلَى بَصْرِي ، وَهَمَّ شَيْتَ الْقَهْرِ فَاِلتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ -

أَنَا أَبُو طَلْحَةَ ، واسمى : زَيْدٌ وكل يوم في سِلَاحِي صَيِّدٌ
وقول أمِّ سُلَيْمٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْتُلْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْهَزُمُونَ عَنْكَ .

إِنْ قِيلَ : كَيْفَ فَرَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ
مَعَهُ مِنْهُمْ إِلَّا ثَمَانِيَةٌ ، وَالْفَرَارُ مِنَ الزَّحْفِ مِنَ الْكِبَارِ ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ مَا أَنْزَلَ . قُلْنَا : لَمْ يَجْمَعْ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْكِبَارِ إِلَّا فِي يَوْمٍ
بَدْرٍ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ وَنَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ يَدُلُّ
عَلَى هَذَا ، فَإِنَّهُ قَالَ : ﴿ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِوَمَثَلِ دُبُرَةٍ ﴾ فَيُؤْمَرْ بِإِشَارَةٍ إِلَى
يَوْمٍ بَدْرٍ ، ثُمَّ نَزَلَ التَّحْقِيقُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي الْفَارِسِينَ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ قَوْلُهُ :
﴿ وَاقْدِرْ اللَّهُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ
إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ سَلَامٍ :
كَانَ الْفَرَارُ مِنَ الزَّحْفِ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْكِبَارِ ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ مِنَ الْكِبَارِ
فِي مَلْحَمَةِ الرُّومِ الْكُبْرَى ^(١) ، وَعِنْدَ الدَّجَّالِ ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَنْهَزِمِينَ عَنْهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ رَجَعُوا لِحَيَاتِهِمْ ، وَقَاتَلُوا مَعَهُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

== صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : يَا شَيْبَ ادْنِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُ الشَّيْطَانَ ،
قَالَ : قَرَفَتْ إِلَيْهِ بَصْرِي وَلَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي وَبَصْرِي ، فَقَالَ : يَا شَيْبَ قَاتِلِ
الْكُفَّارَ .

لَا (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى
يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ ، فَيُخْرِجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ
الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، فَإِذَا تَصَافَوْا قَاتَلَ الرُّومُ : خَلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا
نَقَاتِلُهُمْ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لَا وَاللَّهِ لَا نَخْضِلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا ، فَيَقَاتِلُونَهُمْ ==

مول رجز مالك :

وقول مالك في رجزه :

قد أطقن الطغنة تقذرى بالشبر

== فينهم تلك لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح ثلاث لا يمتنون أبداً . فيفتحون قسطنطينية . فيبناهم يقتسمون الغنائم قد علموا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلاصكم في أهليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جؤوا الشام خرج ، فيبناهم يطدون لاقبال يسوون الصفوف إذا أقيمت الصلاة ، فيزول عيسى بن مريم ، فأمرهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لا نذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه في حربته ، مسلم .

وفي مسلم نفسه ولكن عن عبد الله بن مسعود أن ملحمة الروم تكون بين أهل الشام وبين الروم ، وأن المعركة تستمر أربعة أيام ، وأن صريح الدجال يجيئهم ، فيترك المسلمون ما بأيديهم .

وفي مسلم نفسه أن صريح الدجال يظهر حين يغزو سبعون ألفاً من بني إسحاق مدينة جانب منها في البر ، وجانب منها في البحر وأن هؤلاء السبعين ألفاً تقاطلوا بها بغير سلاح !!

وعند أبي دارود عن معاذ : « عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ، وفتح قسطنطينية خروج الدجال » .

وفي رواية لأبي دارود والترمذي « الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر » .

وفي رواية لأبي داود أن المسلمين نبيصا لحون الروم ، وأن الروم والمسلمين يغزون معاً عدواً ، وأن نصرانياً سيصيح : غلب الصليب . فيغضب رجل من المسلمين ، ==

السُّبْرُ : جمع سابر ، وهو القَتِيلُ الذي يُسَبَّرُ به الجُرْحُ أي : يُخْبَرُ .

وقوله في الرَّجَزِ الآخر :

أَقْدِمُ مُحَاجٍ لَهَا الْأَسَاوِرَ

وقولُ ابن هشام : هما لغير مالك في غير هذا اليوم ، يعني يوم الفنادسية ، وكانت الدولة فيه للمسلمين على الفُرس ، والأَسَاوِرَةُ : مُلُوكُ الفرس ، وقُتِلَ في ذلك اليوم رُسُتُمُ مَلِكُهُمْ دون المَلِكِ الأكبر ، وكان على المسلمين يومئذ سعد بن أبي وقَّاص ، وقد ذكرنا قبل : بمُسمَّيتِ الفنادسية .
وذكر حديث أبي قتادة في سَلْبِ القَتِيلِ ، قال : فاشتريت بِشَمَنِه نَحْرًا فإنه لأَوَّلُ مالٍ اعتقده ، يقال : اعتقدت مالي ، أي : اتخذت منه عُقْدَةً ، كما تقول : مُنْبَذَةً ، أو قِطْمَةً ، والأصل فيه من العَقْدِ ، وأن من مَلَكَ شيئاً عَقَدَ عليه ، وأنشد أبو علي [الغالي] :

ولما رأيتُ الدَّهْرَ أَنْحَتَ صُرُوفُهُ عَلَى وَأَوْدَتَ بِالذَّخَائِرِ وَالْعَمَدِ

ويكسر الصليب ، فتغدر لروم ، وتجمع للملحمة ، ويستشهد الذين يحملون السلام من المسلمين . هكذا الروايات ، وفيها اضطراب واضح كما ترى .
ويحدثنا التاريخ أن معاوية حاول فتح القسطنطينية في سنة ٦٢٥ هـ ٦٥٥ م وأنه هزم بأسطوله العربي قسطنطين هزيمة ماحقة ، لكنه لم يدخل المدينة التي كانت عاصمة الدولة البيزنطية ، ولم تفتح القسطنطينية إلا في عهد محمد الثاني العثماني وذلك في أواخر ٨٥٦ هـ - ١٤٥١ م أي في القرن التاسع الهجري فلنعتصم بهدي القرآن حين تضطرب بنا الشعاب .

حَذَفْتُ قُضُولَ الْمَيْشِ حَتَّى دَدَدْتُهَا إِلَى الْقَوْتِ خَوْفًا أَنْ أَجَاءَ إِلَى أَحَدٍ^(١)
ويروى : كَأَنَّكُمُ ، وَهِيَ رَوَايَةُ الْمَوْطَأِ ، وَيُقَالُ : تَخَرَّفَ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَكَسْرِهَا ،
وَأَمَّا كَسْرُ الْمِيمِ فَأَيُّهَا هُوَ الْمَخْرَفُ ، وَهِيَ الْآلَةُ الَّتِي تُخَرَّفُ بِهَا الْقَمَرَةُ أَيْ تُجْتَنَّبُ^(٢)
بِفَتْحِ الْمِيمِ مَعْنَاهُ الْبُسْتَانُ مِنَ النَّخْلِ ، هَكَذَا فَسَرُوهُ ، وَفَسَرَهُ الْحَرَبِيُّ ، وَأَجَادَ فِي
تَفْسِيرِهِ ، فَقَالَ : الْمَخْرَفُ : نَخْلَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْ نَخْلَاتٌ بِسِيرَةٍ إِلَى عَشْرِ ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ ،
فَهُوَ بَسْتَانٌ أَوْ حَدِيقَةٌ ، وَيَقْوِي مَا قَالَهُ الْحَرَبِيُّ مَا قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : الْمَخْرَفُ :
مِثْلُ الْخَرُوفَةِ ، وَالْخَرُوفَةُ : هِيَ النَّخْلَةُ يَخْتَرِفُهَا الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ وَلِعِيَالِهِ ، وَأَنْشُدُ :

مِثْلُ الْمَخَارِفِ مِنْ خَيْلَانٍ أَوْ هَجَرَا

قَالَ : وَيُقَالُ لِلْخَرُوفَةِ : خَرِيفَةٌ أَيْضًا .

السُّبُّ لِلْأَفَاتِلِ :

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَقْهِ أَنَّ السُّبَّ لِلْقَاتِلِ حُكْمًا شَرْعِيًّا جَمَلُ ذَلِكَ
الْإِمَامُ لَهُ ، أَوْ لَمْ يَجْعَلْهُ ، وَهَذَا قَوْلُ الشَّافِعِيِّ^(٣) ، وَقَالَ مَالِكٌ : إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى

(١) بَعْدَهَا :

وَقُلْتُ لِنَفْسِي : أَبْشُرِي وَتَوَكَّلِي عَلَى قَاسِمِ الْأَرْزَاقِ وَالْوَاحِدِ الصَّمَدِ
فَإِنْ لَا تَكُنْ عِنْدِي دِرَاهِمُ جَنَّةٍ فَعِنْدِي بِحَمْدِ اللَّهِ مَا شِئْتُ مِنْ جَلَدٍ
ص ١٢٧ ج ٢ الْأَمَالِيُّ لِلْقَالِي . وَقَدْ قَالَ : أَنْشَدْنَا أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : أَنْشَدْنَا
عَبْدَ الْأَوَّلِ : قَالَ : أَنْشَدَنِي حَمَادٌ ، قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبِي لِنَفْسِهِ .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : زَنْبِيلٌ صَنْعُهُ يَخْتَرِفُ فِيهِ أَطْيَابُ الرُّطْبِ .

(٣) وَهِيَ أَحَدُ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَحَدٍ . وَيُرَى أَبُو حَنِيفَةَ أَيْضًا أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ إِلَّا
بِشَرَطِ الْإِمَامِ بَعْدَ الْقِتَالِ ، فَلَوْ نَصَّ قَبْلَهُ لَمْ يَجُزْ .

الإمام له أن يقول بعد مَمْعَةِ الحرب : مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَكْبُهُ^(١) ، ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط النية غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى ، وقد ذكرنا في غزوة بدر في هذه المسألة ما هو أكثر من هذا .

نزول الملائكة :

وقول جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ : لقد رأيت مثل البجَاد ، يعنى السكساء من النمل مَبْثُوثًا ، يعنى رآه ينزل من السماء . قال : لم أشك أنها الملائكة ، وقد قدم ابنُ إسحاق قول الآخر : رأيت رجالا بيضا على خيل مُبْلَقِي ، وكانت الملائكة فأراهم الله لذلك الموازى على صُورِ الخيل والرجال ترهيباً للأسدو ، ورآهم جُبَيْرٌ على صورة النمل المبعوث إشعاراً بكثرة عددها ، إذ النمل لا يستطاع عدّها مع أن النملة يُضْرَبُ بها المثلُ في القوة ، فيقال : أقوى من النملة ، لأنها تحمل ما هو أكبر من جِرمِها بأضعافٍ ، وقد قال رجلٌ لِمُعِصِ الملوك : جعل الله قوتك قوة النملة ، فأنكر عليه ، فقال : ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلا النملة^(٢) ، وهذا المثل قد ذكره الأصبهاني في كتاب الأمثال مَقْرُونًا بهذا الخبر ، وقد أَهْلِكَ بالمثل أمة من الأمم ، وهم جُرُهم .

(١) حديث : من قتل قتيلا فله سلبه حديث منقح عليه من حديث أبي قتادة . وقد قال مالك : لم يبلغني أن النبي دس ، قال ذلك إلا يوم حنين ، وإنما نفل النبي دس ، بعد أن برد القتال . وللإمام ابن القيم تفصيل في منشأ النزاع في هذا الأمر وغيره فانظره ص ٥٧ ج ٢ زاد المعاد .

(٢) النملة بضم الذون : النيمة . وكنية النمل : أبو مشغول ، والنملة : أم نوبة .

والنملة بضم الذون : النيمة . وكنية النمل : أبو مشغول ، والنملة : أم نوبة . وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها . يقول =

مول قصيدة ابن مرداس :

فصل : وذكر قول عباس :

وصوف إخال يأتيك ^(١) الظهير

الفعل المستقبل هو : يأتيك ، وإن كان حرف سوف داخلا على إخال في اللفظ ، فإن ما يدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال :

وما أدرى وسوف إخال أدرى ^(٢)

وذلك أن إخال في معنى : أظن ، وليس يريد أنه بظن فيما يستقبل ، وإنما يريد أن يحال الآن أن سيكون ذلك ، وقوله :

فإن يهدونا إلى الإسلام يلقوا أنوف الناس ما سمر السمر

أنوف الناس انتصب على الحال ، لأنه نكرة لم يتعرف بالإضافة ، لأنه لم يرد الأنوف بأعيانها ، ولكن أشرفا ، وهذا كقوله :

بمنجرد قييد الأوايد ^(٣)

= الدميري : وليس في الحيوان ما يحمل ضعف بدنه مرارا غيره ، على أنه لا يرضى بأضعاف الأضعاف حتى إنه يتكلف الحمل نوى التمر ، حياة الحيوان .
(١) في السيرة : يأتيه .

(٢) بقية البيت : أقوم آل حصن أم نساء ، وبعده :

فن في كفه منهم خضاب كمن في كفه منهم قاء

(٣) من معلقة امرئ القيس في وصف فرسه .

الطبعة الأولى : ١٣٥٠ هـ

لأنه جملة كالقيد ، ومثله ما ذكرناه قَبْلُ في : نصب غمام الأبخار ، على الحال ، وليس هذا من باب ما منعه سيبويه حين قال معترضاً على الخليل : لو قلت سهرت بقصير الطويل ، تريد : مثل الطويل ، لم يجز ، والذي أراده الخليل هو ما ذكرناه في غير موضع من استعمارة الكلمة على جهة التشبيه ، نحو قيد الأوابد ، وأنوف الناس تريد : أشرافهم ، فنل هذا يكون وصفاً للذكورة وحالا من المعرفة ، وقد ألتق بهذا الباب : له صَوْتٌ صَوْتُ الحمار ، على الصفة ، وضعفه سيبويه في الحال ، قال : وهو في الصفة أَقْبَحُ ، وإنما ألحقه الخليل بما تنكَّر ، وهو مضاف إلى معرفة من أجل تكرار اللفظ فيه ، فحسن لذلك .

وقوله : وَأَسْلَمَتِ النَّصُورُ . ذكر البرقي أن النَّصُورَ هاهنا جمع : ناصر ، وائس هو عندي كذلك . فإن فاعلاً قُلَّ ما يجمع على فُعُول ، وإن مُجْمَع فليس هو باقئياس الْمُطَرِّدِ ، وإنما هم بنو تَصْرِيرٍ من هَوَازِنَ رَهْطٍ مالك بن عَوْفٍ النَّصِيرِيُّ يقال لهم النَّصُورُ ، كما يقال لَبَنِي الْمَهْلَبِ الْمَهَالِبِيَّةِ ، وَلَبَنِي الْمُنْذِرِ : الْمُنْذِرَةُ ، وكما يقال الْأَشْعَرُونَ ، وهم بنو أَشْعَرَ بن أَدَدَ ، وَالتَّوْنِيَّاتُ نَبِي تَوْنِتِ بن أَسَدَ .

صمغ أخ وابن :

وقوله : أنا أخوكم ، جمع أخاً جمعاً مسلماً بالواو والنون ، ثم حذفت النون للإضامة ، كما أشدوا :

ولما تَبَيَّنَ أصواتنا بَكَيْنَ وَقَدَّيْذَنَا بِالْأَيْدِينَا^(١)

ويجوز أن يكون وَضَعَ الواحدَ موضعَ الجميع ، كما تقدم في قوله : أنتم
الوالدُ ، ونحن الولدُ .

من وصف الزبير :

وقوله في صفة الزبير : طويل البأَدُ ، أى : الفَخْرُ ، والبَدَدُ : تباعدُ ما بين
الْفَخْدَيْنِ .

من أعظم القتال :

وقوله في المرأة للمقتولة : أدركَ خَلِداً ، فقل : إن رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم ينهاك أن تقتلِ وإيداً ، أو امرأةً ، أو عَسِيقاً العَسِيفُ : الأجيرُ ، وهذا
مُنْتَزَعٌ من كتاب الله تعالى ، لأنه يقول : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ فافتضى دليلُ الخطاب ألا تُقتلِ المرأةُ إلا أن تقاتلَ ، وقد أخطأ
من قاس مَسْأَلَةَ المُرْتَدَّةِ على هذ المسألة ، فإن المرتدة لا تُسَرَّقُ ولا تُسَبَّى ،

(١) نقل سيديويه عن الخليل قوله : « إن ألحقت فيه النون والزيادة التي قبلها
قلت : أبون ، وكذلك أخ تقول : أخون لا تغير البناء ، إلا أن تحدث العرب شيئاً
كما يقولون : دمون ، ولا تغير بناء القرب عن حال الحرفين لأنه بنى عليه إلا أن
تحدث العرب شيئاً ، كما بنوه على غير الحرفين ، ثم استشهد بالبيت ، وقال : إنه
جاهلي . وإن شئت كسرت ، فقامت آباء وآباء . ويقول السبرافي عن البيت إنه
لزياد بن واصل السلمي . أنظر خزائن البغدادي ص ٣٦٢ ج ٤ ط السلفية .

كما تُسَبِّحُ نساءَ الحربِ وَذَرَارِيَهُمْ ، فَتَكُونُ مَالاً لِلْمُسْلِمِينَ ، فَهِيَ عَنْ قَتْلِهِمْ لَذَلِكَ .

هَكَمَ رَفَعَ الْبِرَّ فِي الدُّعَاءِ :

وَذَكَرَ فِيمَنْ اسْتَشْهَدَ أَبَا عَامِرٍ ، وَاسْمُهُ : عُبَيْدُ بْنُ سُلَيْمٍ بْنُ حَصَّارٍ ، وَهُوَ عَمُّ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الْأَشْعَرِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَغْفَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ قُتِلَ رَافِعاً يَدَيْهِ جِدًّا ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ ثَلَاثًا ، وَفِيهِ مِنَ الْفَقْهِ رَفْعُ الْيَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ ، وَقَدْ كَرِهَهُ قَوْمٌ ، رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَنَّهُ رَأَى قَوْمًا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي الدُّعَاءِ ، فَقَالَ : أَوْ قَدْ رَفَعُوهَا ؟ قَطَعَهَا اللَّهُ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانُوا بِأَعْلَى شَاهِقٍ مَا أَزْدَادُوا مِنَ اللَّهِ بِذَلِكَ قُرْبًا . وَذَكَرَ لِمَالِكٍ أَنَّ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ كَانَ يَدْعُو بِأَنْزِلِ كُلِّ صَلَاةٍ ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : ذَلِكَ حَسَنٌ ، وَلَا أَرَى أَنْ يَرْفَعَهُمَا جِدًّا . وَحُجَّةٌ مِنْ رَأْيِ الرَّفْعِ أَحَادِيثُ مِنْهَا مَا ذَكَرْنَاهُ آنَفًا ، وَمِنْهَا حَدِيثُ تَقَدَّمَ فِي سَرِيَّةِ الْفُتَيْصَاءِ حِينَ رَفَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَدَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلِكُلِّ شَيْءٍ وَجْهٌ ، فَنَكَّرَهُ ، فَإِنَّمَا كَرِهَ الْإِفْرَاطَ فِي الرِّفْعِ كَمَا كَرِهَ رَفْعَ الصَّوْتِ بِاللُّعَاءِ جِدًّا . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مَالِكٍ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ فِي رَفْعِ الْيَدَيْنِ .

الْخُفَّةُ وَسَالَمَتِ الْوُجُوهُ :

فَصَلِّ : وَمَا ذَكَرَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ مِنْ غَيْرِ رَوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ الْخُفَّةُ الَّتِي

أخذاها النبي صلى الله عليه وسلم من التبطحاء ، وهو على بَغْلَتِهِ ، فرمى بها أوجه الكُفَّارِ ، وقال : شأنت الوجوه^(١) ، فانهزموا . ولستقبل من شأنت : نَشَأُهُ ، لأن وزنه فَعِلٌ ، وفيه أَنَّ البَغْلَةَ حَضَجَتْ به إلى الأرض حين أخذ الخُفْنَةَ ، ثم قامت به ، وفسروا حَضَجَتْ ، أى : ضربت بنفسها إلى الأرض ، وألصقت بطنها بالتراب ، ومنه الحِضَاجُ ، وهو زِقٌّ مملوء قد أُسْنِدَ إلى شيء ، وأميل إليه ، والبَغْلَةُ التي كان عليها يَوْمَئِذٍ هي التي تُسَمَّى الْبَيْضَاءُ^(٢) ، وهي التي أهداها إليه قُرُوءَةُ بْنُ نُفَّاتَةَ ، وقد تقدم ذكر الأخرى ، واسمها : دُلْدُلٌ وذِكْرُ من أهداها إليه .

نراء أصحاب الشجرة :

وذكر نداء العباس : باممشمم أصحاب السمرّة ، وكان العباسُ صَيِّتًا جَهِيرًا . وأصحاب السمرّة : هم أصحاب بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانت الشجرة سمرّة .

(١) في رواية لمسلم أنهم لما غشوا النبي ﷺ ، نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل به وجوههم ، فقال : شأنت الوجوه فاخلق الله منهم إنساناً إلا ملأت غيبته تراباً تلك القبضة فولوا منهزمين . وفي رواية أخرى أنه تناول حصيات من الأرض ، وأنه لم ينزل من على البغلة . فإله أعلم .

(٢) عن ابن سعد وجماعة عن صفوان في السيرة أنها دلدل ، وفيه نظر ، لأن دلدل أهداها له المقوقس ، وقد روى مسلم أنه كان على بغلة له بيضاء كما ورد في الروض ولكن في مسلم أيضاً أنه كان على بغلته البيضاء ، وقد زعم النووي أن البيضاء والشباب واحدة ، ولا يعرف له غيرها ، ولكن ذكر غير واحد بغلته دلدل ، غير أن ابن الصلاح زعم أن دلدل والبيضاء اسمان لبغلة واحدة .

الضحاك بن مفيان :

فصل : وذكر الضحَّاكُ بن سُفْيَانَ الْكِلَابِيُّ ، وهو الضَّحَّاكُ بن سُفْيَانَ
ابن عَوْف بن كَثَب بن أَبِي بَكْر بن كِلَاب الْكِلَابِيُّ ، يكنى أبا سعيد ، وكان يقوم
على رأس النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مُتَوَشِّحًا بالسيف ، وكان يُعَدُّ وحده
بمائة فارس ، وكانت بنو سُكَيْم يوم حُزَيْن تسمائة ، فأمره عليهم رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أنه قد تَمَّعَهُم به ألفاً ، وإياه أراد عباس بن
مِرْدَاسٍ بقوله :

جُنْدٌ بَعَثَ عَلَيْهِمُ الضَّحَّاكَا

وقال البرقي : ليس الضَّحَّاكُ بن سُفْيَانَ هذا الْكِلَابِيُّ ، إنما هو الضحاك
ابن سُفْيَانَ السُّلَمِيُّ .

وذكر من غير رواية البكاءي عن ابن إسحاق نسبه مرفوعاً إلى بُهْثَةَ
ابن سُكَيْم ، ولم يذكر أبو عُمَرَ في الصحابة إلا الأول ، وهو الْكِلَابِيُّ ، فأنه أعلم .

قصيدة ابنه مرداس العيفية :

وذكر شِعْرَ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ الَّذِي أُولَهُ :

عفا مَجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فُتْمَالُ

الْمَجْدَلُ : القصر ، وهو في هذا البيت اسمٌ عَلِمَ لِسْكَان .

وفيه :

فَطَلَا أَرِيكَ

الِطَّلُ : يُمَدُّ وَيُقَصَّرُ ، وهى أرض تَنْقَلِ لِرَجُلٍ عَنْ الشَّى ، قِيلَ : إنها
مِفْعَالٌ مِنَ الطَّلَى وهو الجرى يُطَلَى ، أى تُنْقَلِ رِجْلُهُ ، وقيل : إن المِطْلَاءَ
فِعْلَاءٌ مِنْ مَطَلْتُ إِذَا مَدَدْتُ ، وجمعه : مَطَالٌ فى الأمالى :

أَمَا تَسْأَلَانِ اللَّهَ أَنْ يَسْتَقِيَ الْحِمَى أَلَا فَسَقَى اللَّهُ الْحِمَى فَالْمَطَا لِيَا^(١)

وفيه :

تَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا ، ولو نرى مَصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ نَتَابِعُ
يريد أنه من بنى سُلَيْمٍ ، وَسُلَيْمٌ مِنْ قَيْسٍ ، كما أن هَوَازِينَ مِنْ قَيْسٍ ،
كلاهما ابن منصور بن عَكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسٍ ، فعنى البيت : نَقَاتِلُ
إِخْوَتَنَا ، ونذودهم عن إِخْوَتَنَا مِنْ سُلَيْمٍ ، ولو نرى فى حَكَمِ الدِّينِ مَصَالًا
مَقْعَلًا مِنَ الصَّوْلَةِ ، لَكُنَّا مَعَ الْأَقْرَبِينَ هَوَازِينَ :

وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ دِينُ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعَ

وفيه قوله :

دَعَانَا إِلَيْهِ خَيْرٌ وَفَدٍ عَلَيْهِمْ خُزَيْمَةٌ وَالْمَدَارُ^(٢) مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
هَؤُلَاءِ وَفَدِ بَنِي سُلَيْمٍ وَفَدُوا عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسْلَمُوا ،

(١) فى الأمالى أن هذا الشعر لرجل طلق امرأتين من أهل الحمى ص ١٩١

ج ١ ط ٢ . ومن الشعر :

وإني لآستسقى لثفتين بالحمى ولو تملكنا البحر ماسقنا نيا

(٢) فى رواية : المرار .

ثم دَعَا قَوْمَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَذَكَرَ فِيهِمُ الْمَدَارَ السَّلْمِيَّ ، وَوَسَعَا السَّلْمِيَّ ،
وَحُزَيْمَةَ ، وَهُوَ حُزَيْمَةُ بْنُ جَزِيٍّ أَخُو حَبَّانَ بْنِ جَزِيٍّ ، وَكَانَ الدَّارُ قُطْنِي يَقُولُ
فِيهِ : جَزِيٌّ بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالزَّي .

وفيه :

يَدَ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ مُنْبَاعِ

من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾
أَقَامَ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامَ يَدِهِ ، كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
فِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ : هُوَ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ^(١) ، أَقَامَهُ فِي الْمَصَافَةِ وَالتَّقْيِيلِ
مَقَامَ يَمِينِ الْمَلِكِ الَّذِي يَصَافِحُ بِهَا ، لِأَنَّهُ الْحَاجُّ وَفَدٌّ عَلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَزَائِرٌ
بَيْتَهُ ، فَجَعَلَ تَقْيِيلَهُ الْحَجَرِ مُصَافَحَةً لَهُ ، وَكَأَنَّ جُعِلَتْ يَمِينُ السَّائِلِ الْآخِذَ لِلصَّدَقَةِ
الْمُتَقَبِّلَةِ يَمِينَ الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ تَرْغِيبًا فِي الصَّدَقَةِ ، وَتَبْشِيرًا بِقَبُولِهَا ، وَتَعْظِيمًا
لِحُرْمَةِ مَنْ أُعْطِيَ لَهُ ، فَإِنَّمَا أُعْطَاهَا الْمُتَصَدِّقُ لُلهِ سُبْحَانَهُ ، وَإِيَابَهُ سُبْحَانَهُ أَقْرَضَ ،

(١) رواه الطبراني في معجمه ، وهو وقوف على ابن عباس وهو سقط من
القول لا يصح لسببه إلى مؤمن . وإليك ما يقوله الإمام ابن القيم في قوله
سبحانه : (يد الله فوق أيديهم) . . . ولما كانوا يبايعون رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأيديهم ، ويضرب بيده على أيديهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو السفير بينه وبينهم كانت مبايعتهم له مبايعة لله تعالى ، ولما كان سبحانه فوق
سمواته على عرشه ، وفوق الخلائق كلهم ، كانت يده فوق أيديهم ، كما أنه سبحانه
فوقهم ، ص ١٧٢ ج ٢ الصواعق المرسلة . وهذا خير من تأويل السبيل الذي
يعطى لأصحاب وحدة الوجود وجهاً ١١

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ ^(١) التوبة : ١٠٤ وقال صلى الله عليه وسلم : إنما يضمنها في كف الرحمن يرَبِّيها له . الحديث .

شعر عباس الطائي :

وقول عباس في الشعر الكافي :

إن الإله بنى عليك محبةً في خلقه ومحمداً سماكاً

معنى دقيق وغرض نبيل وآنطُن الحكمة نبوية قد بيناها في غير موضع من هذا الكتاب وغيره في تسمية الله تعالى لنبيه محمداً وأحمد ^(٢) ، وأنه اسم لم يكن لأحد من قومه قبله ، وأن أمه أمرت في المنام أن تسميه محمداً ، فوافق معنى الاسم صفة المسمى به موافقة تامّة قد بينا شرحها ^(٣) هنالك ، ولذلك قال : بنى عليك محبةً ، لأن البناء تركيب على أسّ ، فأسّس له سبحانه مقدمات النبوة منها : تسميته بمحمد قبل أن يولد ، ثم لم يزل يدرجه في محامد الأخلاق

(١) رواية البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه هي : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يقبل الله إلا الطيب — فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » والفلو — بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو : المهر الصغير ، وقيل : الفطيم من أولاد ذوات الحافر .

(٢) سبق الكلام عن هذا . وأنه كان هناك من سمى بمحمد وأحد في الجاهلية وانظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق لابن دريد ، وص ١٣٠ المحرر لابن حبيب فقد ذكر سبعة ممن سموا باسم محمد .

(٣) علقنا على شرحه بما قاله ابن القيم وأبدع فيه .

وماتحبه القلوب من الشِّيم ، حتى بلغ إلى أعلى الحامد مَرْتَبَةً ، وتكاملت له
الحِمْيَةُ من الخالق والخلِيقَةِ ، وظهر معنى اسمه فيه على الحقيقة ، فهو اللَّيْمَةُ التي
استقم بها البقاء ، كما أخبر عليه السلام ، وهذا كله معنى بيت عباس ، حيث
قال : إِنْ إِلَـهَ بَنِي عَلِيكَ ، الْبَيْت .

الدرماء والدرماء :

وقوله : فِي الْعَيْنِيَّةِ الْآخَرَى بِصَفِ الْخَلِيل :

أَوْ هِيَ مَقَارَعَةُ الْأَعَادَى دَمِّهَا

يريد شَحْمَهَا ، يقال : أَذِمِمَ قِدْرَكَ بِوَدَكٍ ، وَدَمَمْتُ الشَّيْءَ : طَلَيْتُهُ ،
ومنه : الدَّامَاءُ أَحَدُ جُحْرِ قِ الْبَرْبُوعِ ، لِأَنَّهُ يَذُمُّ بَابَهُ بِقِشْرٍ رَقِيقٍ مِنَ الْأَرْضِ ،
فَلَا يَرَاهُ الصَّائِدُ ، فَإِذَا طُلِبَ مِنَ الْقَاصِمَاءِ أَوْ لِرَّاهِطَاءِ أَوْ النَّافِقَاءِ أَوْ الْعَاقِيَاءِ ،
وَهِيَ الْأَبْوَابُ الْآخَرُ نَطَحَ بِرَأْسِهِ بَابَ الدَّامَاءِ فخرقه ، وَأَمَّا الدَّامَاءُ بِالْتَّخْفِيفِ ،
فَهُوَ الْبَحْرُ وَهُوَ قَعْلَاهُ ، لِأَنَّهُ يُهْمَزُ فَيَقَالُ : دَامَاءُ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ .

شعر عباس الفاوي :

وذكر شعر عباس الفاوي ، وفيه :

بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبَدَلَتْ نِيَّةً خُلِعَا

النِّيةُ : مِنَ النُّوْيِ وَهُوَ الْبُعْدُ . وَخُلِعَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا مِنْ أَجَلِهِ
أَيَ : فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْخُلْفِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا . وَكَأَنَّ

للاستبدال ، لأن استبدالها به خُلفٌ منها لما وَعَدته به ، ويقوَّى هذا البيت البيتُ الذي بعده :

وقد حَلَفَتْ بِاللَّهِ لَا تَقْطَعُ الْقُوَى
يعنى : قُوَى الخَيْلِ ، وَالْخَيْلُ هُنَا : هُوَ الْقَهْدُ ، ثُمَّ قَالَ :
فَمَا صَدَقَتْ فِيهِ ، وَلَا بَرَّتِ الْخُلَفَا
وهذا هُوَ الْخُلْفُ الْمَتَّعِدُ ذِكْرُهُ .
وقوله :

وَفِينَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرُ أَلْفَا
أى : وَفِينَا أَلْفَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا غَيْرُنَا ، أَيْ : لَمْ يَسْتَوْفِ هَذِهِ الْعِدَّةَ غَيْرُنَا
مِنَ الْقَبَائِلِ .
وقوله :

إِذَا هِيَ حَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا
يَحْزَنُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ مِرْوَدٍ^(١) وَهُوَ الْوَتْدُ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ يَصِفُ طَائِفَةً :
وَمُسْتَقْفَرٍ كَأَسَدَيْنِ الْخُرُوفِ قَدْ قَطَعَ الْخَيْلَ بِالْمِرْوَدِ
وَالْخُرُوفُ هَاهُنَا فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ : الْمَهْزُ ، وَقَالَ آخَرُونَ : وَالْفَرَسُ يُسَمَّى
خُرُوفًا ، وَمَعْنَاهُ عِنْدِي فِي هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهَا صِفَةٌ مِنْ خَرَفَتْ الْقُدْرَةَ إِذَا جَنَحَتْهَا

(١) فِي الْأَصْلِ : مَرْدُودٌ .

فانفرسُ حُرُوفُ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ ، لانقول: إن الفرسَ يُسمَّى حُرُوفًا في عُرفِ اللغة ، ولـسكن حُرُوف في معنى أَكُولٍ ، لأنه يَحْرُفُ ، أى : يأكل ، فهو صفة لسكن من فعل ذلك الفعل من الدَّوَابِّ ، ويجوز أن يكون في مرادها جمع مَرَاد ، وهو حيث تَرُودُ الخيلُ تَذْهَبُ وَتَجِي . فَمَرَادٌ وَمَرَاوِدُ ، مثل مَقَامٍ وَمَقَامٍ ، وَمَنَارٍ وَمَنَارٍ .

وقوله : لَنَا زُجْمَةٌ إِلَّا التَّدَامَرُ وَالنَّقْفَا .

يقال: مَا زَجَمُ زُجْمَةٌ^(١) ، أى مَا تَبَسَّ بكلمة ، وَقَوَسُ زَجُومٌ ، أى : ضعیفة الإِرْنَانِ .

وقوله : إِلَّا التَّدَامَرُ ، أى يُدَمَّرُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَيُحَرِّضُهُ عَلَى الْقَتْلِ وَالنَّقْفِ : كَسَرِ الرَّءُوسِ ، وَنَاقِفُ الْحَنَظَلَةِ : كَاسِرُهَا وَمُسْتَخْرِجُ مَا فِيهَا .

النسب إلى حروف المعجم وتصغيرها :

قال المؤلف : وإنما قلنا في هذه القصيدة وفي التي بعدها القَاوِيَّةُ وَالرَّأُوِيَّةُ ، لأن النسب إلى حروف المعجم التي أواخرها أَيْفٌ هَكَذَا ، هو بالواو ، قاله أبو عبيدٍ وغيره ، وفي التصغير نُقِلَبُ أَلْفَهَا يَاءٌ ، نقول في تصغير بَاءٍ : بُيَيْتٌ ، وخاء : خَيْيَّةٌ ، وما كان آخره حرفاً سائلاً من هذه الحروف قُلِبَتْ أَلْفُهُ وَأُوْأُ فِي التَّصْغِيرِ ، فتقول في الذَّالِ : ذُوَيْلَةٌ ، وفي الضاد : ضُوَيْدَةٌ ، وكذلك قال صاحبُ العين ، وهياسُ الواو في النحو أن تُصَغَّرَ : أُوِيَّةٌ بهمزة [في] أولها .

(١) في الأصل : رجمة .

القصيدۃ الراوية :

وقول عباس في القصيدة الراوية :

مِثْلُ الحَمَاطَةِ أَغْصَى فَوْقَهَا الشُّفْرُ

الحَمَاطَةُ من ورق الشجر : مافيه خُسُونَةٌ وَحُرُوشَةٌ وقال أبو حنيفة :
الحَمَاطُ : وَرَقُ التَّيْنِ الْجَبَلِيِّ . وقال أيضاً في باب القَطَانِي : الحَمَاطُ : تَبْنُ
الدَّارَةِ ، إِذَا ذُرِّيَتْ ، وَلَهُ أَكَالٌ فِي الْجِلْدِ . والعائر : كَأَشْيٍ يَنْفَخُ فِي التَّيْنِ
كَأَنَّهُ يَمْوَرُّهَا . وجعله سَهْرًا ، وَإِنَّمَا السَّهْرُ الرَّجُلُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَفْتَرِ عَنْهُ ، فَكَأَنَّهُ
قَدْ سَهَرَ ، وَلَمْ يَتَمَّ ، كما قال آخر في وصف بَرَقٍ :

حَتَّى شَتَاها كَلِيلٌ مَوْهَمًا حَمَلٌ بَاتَتْ طَرَابًا وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَتَمَّ

شَتَاها : شاقها ، يقال : شَاءَ وشَاءَهُ بمعنى واحد ، أَمْي شاقه ، وأنشد :

وَلَقَدْ عَمِدَتْ تَشَاءُ بِالْأُظْطَانِ

فَتَأْمَلُهُ فَإِنَّهُ بَدِيعٌ مِنَ الْمَعَانِي .

وقوله : الصَّيَّانُ وَالْحَقَرُ : هما موضعان ، وإليه ينسب أبو داود الحَقَرِيُّ من
أهل الحديث . وَالْعَكْرَةُ : جمع عَكْرَةٍ ، وهى القِطْعَةُ الضَّخْمَةُ مِنَ الْمَالِ .
وَعَكْرَةُ اللِّسَانِ أَيْضًا : أَصْلُهُ ، وما غلظ منه ، وَعَكَّدَتْهُ ^(١) أَيْضًا بِالْدَّالِ .

(١) فى اللسان : العقدة -- بضم العين وسكون الكاف -- والعقدة يفتحهما
أصل اللسان والذنب وعقدته . أما فى القاموس فقال : العقدة بضم العين وسكون
الكاف : المصعصع . وبالنحرىك : أصل اللسان وأصل القلب .

قصيدة عباس السبئية :

وقوله في السبئية :

وَجَنَاهُ مُجَمَّرَةٌ لِلنَّاسِ عَرِمُسُ

وَجَنَاهُ : غليظة الوجنات بارزتها ، وذلك يدل على غثور عينيها ، وهم يصفون الإبل بفتور العينين عند طول السفر ، ويقال : هي الوجنة في الآدميين ، رَجُلٌ مُوجِنٌ وامرأة مُوجِنَةٌ ، ولا يقال : وَجَنَاهُ . قاله يعقوب .
وَمُجَمَّرَةٌ للناسم ، أى : نكبت مناسمها الجار ، وهي الحجارة ، والعَرِمُسُ : الصخرة الصلبة ، ونُسِبَ بها الناقة الجلدة ، وقد يريد بمُجَمَّرَةٍ أيضاً أن مناسمها مجتمعة منضمة ، فذلك أقوى لها ، وقد حكى أجرت المرأة شعرها إذا ظفرتها . وأجر الأمير الجيش أى حبسه عن القبول قال الشاعر :

مُعَارَى إِمَّا أَنْ يُجَهَّزَ أَهْلُنَا إِلَيْنَا ، وَإِمَّا أَنْ نَزُوبَ مَعَاوِيَا
أَجْرَتَنَا إِحْمَارَ كِسْرَى جُنُودِهِ وَمَنْيَقَتَنَا حَتَّى نَسِينَا الْأَمَانِيَا

وقوله :

كَانُوا أَمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيئَةً

الدريئة : الخلقة التي يتعلم عليها الرمي ، أى : كانوا كالدريئة للرماح .
وقوله :

وَالشَّمْسُ يَوْمُئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمَسُ

يريد : لَمَّانَ الشمس ، فى كل بَيْضَةٍ مِنْ بَيْضَاتِ الْحَدِيدِ ، وَالسُّيُوفِ ،

كانها شمسٌ. وهو معنى صحيح وتشبيه مليح .

وفيها قوله:

والخيلُ تُقَرَّعُ بالكُمَاةِ وتُفَرَسُ

أى : تضرب أضراسها بالأجُم . تقول : ضَرَسْتُه ، أى ضربت أضراسه ،
كما تقول : رَأَسْتُه ، أى أَصْلَبْتُ رَأْسَهُ .

قصيدة عباس البسية :

وقوله : فى كلمته المبيية :

وفيهن منهم من تسلما

يريد : وفى سُلَيْمٍ مَنْ اعْتَزَى إِلَيْهِمْ مِنْ حُلَفَائِهِمْ ، فَتَسَلَّمَ بِذَلِكَ ،
كما تقول : تَقَبَّسَ الرَّجُلُ ، إِذَا اعْتَزَى إِلَى قَبِيْسٍ . أنشد سيديويه :
وقبىس عيلاًنَ وَمَنْ تَقَبَّساً^(١)

(١) يقول ابن قتيبة : تَأْتَى تَفَعَّلْتَ بِمَعْنَى إِدْخَالَكَ نَفْسِكَ فِي أَمْرٍ حَتَّى تَعْنَفَ
إِلَيْهِ ، أَوْ تَصِيرَ مِنْ أَهْلِهِ ، ثُمَّ أَتَى بِأَمْثَلِهِ وَأَسْمَدَهُ بِهَذَا الرَّجُلِ الْمُنْسُوبِ إِلَى رُوَيْةٍ
وَلَكِنْ ابْنُ بَرٍّ يَقُولُ : الرَّجُلُ لِلْعَجَاجِ وَلَيْسَ لِرُوَيْةٍ . وصواب إنشاده : وقبىس
بالنصب ، لأن قبله :

وإن دعوت من نيم أروساً

وجواب إن فى البيت الثالث :

تقاعس المز بنا فاقفنا

أنظر اللسان مادة قبس ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٥٧ ، ص ٣٢٢ من
شرح أدب الكاتب للجواليقي ، وقد سبق الحديث .

مول قصيدة ضمضم بن الحارث :

وأنشد لضمضم بن الحارث ، وهو من شهد حنيناً مع المسلمين ، وكان
ينبئ لأبي محمّر رحمه الله أن يذكره في الصحابة ، لأنه من شرطه ، فلم يفعل ،
وقد أنشد له ابن إسحاق ما يدل على أنه منهم لقوله :

يَوْمًا عَلَى أَثَرِ الثَّهَابِ وَتَارَةً كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مَعَ الْأَنْصَارِ

يعنى : فرسه ، وكذلك لم يذكر أبو محمّر ضمضم بن قتادة العجلي ، وله حديث
مشهور في قدومه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه قال له : يا رسول الله ،
إني قد تزوجت امرأة فولدت لي غلاماً أسوداً ، فقال له النبي - صلى الله عليه
وسلم - هل لك من إبل ، فقال : نعم ^(١) والحديث مشهور ، غير أنه لم يُسمَّ
بأنسبه في الصحيحين ، وسمى في بعض المصنفات ، وذكره عبيد الغنى
في المبهمات ، وذكر عبيد الغنى في الحديث زيادة حسنة قال : كانت المرأة من
بنى عجل ، فقدم للمدينة مهاجرة من عجل ، فسُئِلَ عن المرأة التي ولدت الغلام
الأسود ، فقال : كان في آبائها رجل أسود .

(١) بقية الحديث : قال : فما ألوانها ؟ قال : فيها الأحمر والأسود وغير
ذلك ، قال : فأتى ذلك ؟ قال : عرق نزع ، قال : هذا هرق نزع ، قال : فقدم
عجائز من بنى عجل ، فأخبرن أنه كان البراءة جدة سوداء . قال أبو موسى
في الذيل : إسناده عجيب . قال الحافظ : أصل القصة في الصحيحين من حديث
أبي هريرة . وسبقني .

شعر أبي خراش :

وذكر شعراً أبي خراش ، واسمه : خُوَيْلِدُ بْنُ مُرَّةَ شاعر إسلامي مات
في خلافة عمر رحمه الله : من نهش حية نهشته ، كان سبها أضياف نزلوا به ،
وخبره بذلك عجيب ، وله فيه شعر . والخراش : ونم لابل يكون من
الصّدغ إلى الذّقن : قوله :

تسكاد يدها تسليمان إزاره من الجود لما أذنته الشمال

يريد : أنه من سخائه ، يريد أن يعجزد من إزاره لسانه ، فيسليه إليه ،
والفيت بخط أبي الوليد القشبي : الجود هاهنا ، وعلى هذه الرواية ، وبهذه
الرثبة : السخاء ، وكذلك فسرهُ الأضمرى والطوسي ، وأما على ما وقع
في شعر الهذلي ، وفسر في الغريب المصنف ، فهو الجوع^(١) وموضعه في الشعر
المذكور يتلو قوله : تروّح مفروراً .
وفي الغريب رداء بدل إزاره .

وقوله :

ولكن قرن الظن للراء شاغل

قرن بالقاف : جمعه : أقران ، وروى :

ولكن أقران الظهور مقائل

(١) عقب الخشنى على تفسيره بالجوع . ويكاد أن يكون الجود هنا على أصالة

يعنى بكثرة العطاء

مقاتل: جمع مِقتَل بكسر الميم، مثل مِخْزَبٍ من الحرب، أى من كان قِرْن ظهره، فإنه قاتلٌ وغالب .

وقوله يصف الريح :

لَهَا حَدَبٌ تَحْمَقُهُ فَيُؤَاتِلُ

بالحاء المهملة وقع في الأصل ، وقد يسمى انحدار الماء ونحوه حَدَبًا ، فيكون هذا منه ، وإلا فَاتْلَدَبُ بالحاء المنقوطة أشبهُ بمعنى البيت ، لأنهم يقولون : ريح حَدَبَاءُ كان بها خدباً^(١) ، وهو التَّهَوُّجُ^(٢) .

من شعر مالك بن عوف :

وذكري في آخر بيت من شعر مالك بن عوف :

مِثْلُ الدَّرِيثَةِ تَسْتَحِلُّ وَتُشْرِمُ

الدريثة : الحائقة التي يتعلم عليها الطمن ، وهو مهموز^(٣) ، وَتُسْتَحِلُّ بالحاء المهملة ، وقع في الأصل ، وفي غيره: تُسْتَحِلُّ بالحاء مُعْجَمَةً ، وهو أظهر في المعنى من الحِلَالِ ، وقد يكون لِتُسْتَحِلَّ وَخِيَهُ من الحل إذ بعده تُشْرِمُ ، وكلاهما قريب في المعنى .

(١) كذا بالأصل .

(٢) في الأصل : التهودج . والتصويب من المعاجم .

(٣) جعلها القاموس في باب درى أيضاً .

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

في سنة ثمان

ولما قديم قل تقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيلان بن سلمة ، كانا بجرش يتملمان صنعة الدباباب والمجانيق والصُّبور .
ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ؛ فقال كذب بن مالك ، حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى الطائف :

شعر كعب

قَضَيْنَا مِنْ نِيَامَةِ كُلِّ رَبِيرٍ	وَخَيْرَ نَمِ أَجْمَعَا الشُّبُورِ
نَحْيَرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ	قَوَاطِمُهُنَّ : دَوَسًا أَوْ نَقِيهَا
فَلَسْتُ لَخَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	بِأَحَدٍ دَارَكُمْ مِنْ أَلُوفَا
وَنَفْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِيْطَنٍ وَجَّ	وَتُصْبِحُ دُورَكُمْ مِنْكُمْ خُلُوفَا
وَيَأْتِيَكُمْ لَنَا سَرْعَانُ خَيْلٍ	يُعَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفَا
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمْعُمُ	لَهَا مِمَّا أَنَاخَ بِهَا رَجِيفَا
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضٍ مُرْهَفَاتُ	يُزِرْنَ الْمُصْطَلِينَ بِهَا الْخُوفَا
كَأَنَّمَا الْعَقَائِقُ أَخْلَصَتْهَا	قِيُونَ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَثِيفَا

تَخَالُ جَدِيدَةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا غَدَاةَ الرَّحْفِ جَادِيًا مَدُوفًا
 أَجِدُّهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنْ الْأَقْوَامِ كَانَ بَنَا عَرِيفًا
 يُخَبِّرُهُمْ بَأَنَّا قَدْ جَعَلْنَا عِتَاقَ الْخَلِيلِ وَالْمُجَبِّ الطَّرُوفَا
 وَأَنَّا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِرَحْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صُفُوفَا
 رَيْسُ النُّبُوِّ وَكَانَ صُلْبًا نَقَى الْقَلْبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفَا
 رَشِيدَ الْأَمْرِ ذُو حُكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقًا خَفِيفَا
 نَطِيعَ نَبِينَا وَنَطِيعُ رَبِّا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بَنَا رَدُوفَا
 فَإِنْ نُلْقُوا لِأَيِّنَا السَّلَمَ نَقَبْ وَنَجْمِدْكُمْ لَنَا عَضْدًا وَرِيفَا
 وَإِنْ تَابَوْا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرْ وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفَا
 نَجَاهِدْ مَا بَقِيََا أَوْ تُنَبِّهُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِنْ عَانَا مُضِيفَا
 نُجَاهِدُ لَا نُبَالِي مَنْ لَقِينَا أَاهَكُنَا التَّلَادَ أَمْ الطَّرِيفَا
 وَكَمْ مِنْ مَفْشَرِ الْبُؤَا عَلَيْنَا صَمِيمِ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْخَلِيفَا
 أَتَوْنَا لَا يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءَ فَجَسَدْنَا الْمَسَامِيحَ وَالْأَنُوفَا
 بِكُلِّ مَهْدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ يَسُوقُهُمْ بِهَا سَوْفَا غَنِيْفَا
 لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى يَقُومَ الدِّينَ مَعْتَدِلَا حَنِيْفَا
 وَتُنْذَى اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَوَدَّ وَنَسْلُبُهَا الْقَلَانِدَ وَالشُّفُوفَا
 فَأَمْسَوْا قَدْ أَقْرَأُوا وَاطْمَأْنَنُوا وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُسُوفَا

كنانة يرد على كعب

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن محمد ، فقال :

مَنْ كَانَ يَبْفِينَا يُرِيدُ قِتَالَنَا	فإِنَّا بدارٍ مَقْلَمٍ لَا تَرِيْمُهَا
وَجَدْنَا بِهَا الْآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى	وَكُنْتَ لَنَا أَطْوَاؤُهَا وَكُرُومُهَا
وَقَدْ جَرَّ بَدْنَا قَبْلَ عَمْرُو بْنِ عَاصِرٍ	فَأَخْبَرَهَا ذُو رَأْيِهَا وَحَلِيمُهَا
وَقَدْ عَلِمْتَ إِنْ قَالَتْ الْحَقُّ أَنَّنَا	إِذَا مَا أَبَتْ صُغُرُ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا
نُفُومُهَا حَتَّى يَلَيْنَ شَرِيْسُهَا	وَيُعرفُ لِحَقِّ الْمُبِينِ ظَلُومُهَا
عَلَيْنَا دِلَاصٌ مِنْ ثَرَاثٍ مُحَرَّقٍ	كَلَوْنِ السَّمَاءِ زَيْنَتُهَا مُجُومُهَا
تُرْقُّهَا عَنَّا بَيْضُ صَوَارِمٍ	إِذَا جُرِدَتْ فِي غَمْرَةٍ لَا نَشِيْمُهَا

قصيدة شداد في المسير إلى الطائف

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :

لَا تَنْصَرُ وَاللَّاتُ إِنْ اللَّهُ مُهْلِكُهَا	وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ أَيْسُ بِنْتِصَرُ
إِنْ التَّيُّ حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فَاشْتَعَلَتْ	وَلَمْ يُقَاتَلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَذَرُ
إِنَّ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلَ بِلَادَكُمْ	يُظْلَعَنَّ وَأَيْسُ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ

الطريق إلى الطائف

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة

• • • • •

الْيَمَانِيَّةَ ، ثُمَّ عَلَى قَرْنٍ ، ثُمَّ عَلَى الْمَلَيْحِ ، ثُمَّ عَلَى بُحْرَةِ الرِّغَاءِ مِنْ لَيْلَةٍ ، فَأَبْنَى بِهَا مَسْجِدًا فَصَلَّى فِيهِ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ بُحْرَةَ الرِّغَاءِ ، حين نزلها ، بدم ، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هَذَلٍ ، فَتَسَلَّاهُ بِهِ ؛ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ بِلَيْلَةٍ ، بِحَصْنِ مَالِكِ بْنِ حَوْفٍ فَمُهِدِمٍ ، ثُمَّ سَلَكَ فِي طَرِيقٍ يُقَالُ لَهَا الضَّيْقَةُ ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا ، فَقَالَ : مَا اسْمُ هَذِهِ الطَّرِيقِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : الضَّيْقَةُ ، فَقَالَ : بَلْ هِيَ الْيُسْرَى ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا عَلَى سَحَبٍ ، حَتَّى نَزَلَ تَحْتَ سِدْرَةٍ يُقَالُ لَهَا الصَّادِرَةُ ، قَرِيبًا مِنْ مَالِ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ ، وَإِمَّا أَنْ نُخْرِبَ عَلَيْكَ حَائِطَكَ ؛ فَأَبَى أَنْ يَخْرُجَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِخْرَابِهِ

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الطَّائِفِ ، فَضَرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ ، فَقُتِلَ بِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَسْكَرَ انْتَرَبَ مِنْ حَائِطِ الطَّائِفِ ، فَكَانَتْ النَّبْلُ تَمُوتُهُمْ ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا حَائِطَهُمْ ، أَغْلَقُوهُ دُونَهُمْ ؛ فَلَمَّا أُصِيبَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ وَضَعَ عَسْكَرَهُ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِالطَّائِفِ الْيَوْمَ ، فَحَاصَرَهُمْ بَعْضًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

قال ابن إسحاق : وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِ ، إِحْدَاهُمَا أُمُّ سَامَةَ بِنْتُ

أَبِي أُمَيَّةَ ، فَضْرَبَ لَهَا قُبَّتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ . ثُمَّ أَقَامَ ، فَلَمَّا أَسَلَتْ ثَقِيفَ بَنِي عَلَى مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ وَهَبِ بْنِ مُعْتَبِ بْنِ مَالِكٍ مَسْجِدًا ، وَكَانَتْ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ سَارِيَّةٌ ، فِيمَا يَزْعُمُونَ ، لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ عَلَيْهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا تُسَمِّعُ لَهَا نَقِيضَ ، فَخَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَتَرَامَوْا بِالنَّبْلِ .

أول من رمى بالمنجنيق

قال ابن هشام : ورماهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق . حدثني من أتق به ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

يوم الشدخة

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يومُ الشَّدْخَةِ عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دَبَابِيَّةٍ ، ثُمَّ زَحَفُوا بِهَا إِلَى جدار الطائف لِيُحْرِقُوهُ ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفُ سَيْكَمَ الْحَدِيدِ مُنْجَمَةً بِالْفَارِ ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا ، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفُ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رَجُلًا ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفَ ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِيهَا يَقْطَعُونَ .

بين أبي سفيان وثقيف

وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعْبَةَ إِلَى الطائف ، فناديا ثَقِيفًا :

أَنْ أَمْنُونَا حَتَّى نَكَلِّمَكَ ، فَأَمْنُوهُمَا ، فَدَعَا نِسَاءَ مِنْ نِسَاءِ مَنْ قَرِيشَ وَبَنِي كِنَانَةَ لِيُخْرِجُنَّ إِلَيْهِمَا ، وَهِيَ يَخَافَنَّ عَلَيْهِنَّ السَّبَاءَ ، فَأَبَيْنَ ، مِنْهُنَّ : آمَنَتْ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ ، كَانَتْ عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، لَهُ مِنْهَا دَاوُدُ بْنُ عُرْوَةَ .

قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبي سُفْيَانَ ، وكانت عند أبي مُرَّةَ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، فولدت له داود بن أبي مُرَّةَ .

قال ابن إسحاق : والفَرَّاسِيَّةُ بنت سُؤَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَعْلَبَةَ ، لَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَارِبٍ ، وَالْفُقَيْمِيَّةُ أُمَيْمَةُ بنت النَّاسِيءِ أُمَيَّةُ بْنُ قَلْعٍ ؛ فَلَمَّا أَبَيْنَ عَلَيْهِمَا ، قَالَ لَهَا ابْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ : يَا أَبَا سُفْيَانَ وَيَا مَغِيرَةَ ، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمَا لَهُ ، إِنْ مَالَ بَنِي الْأَسْوَدِ بْنِ مَسْعُودٍ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّائِفِ ، نَازِلًا بِوَادِيٍّ يُقَالُ لَهُ الْعَمِيقُ ، إِنَّهُ لَيْسَ بِالطَّائِفِ مَالٌ أَبْعَدُ رِشَاءً ، وَلَا أَشَدُّ مُؤَانَةً ، وَلَا أَبْعَدُ عِمَارَةً مِنْ مَالِ بَنِي الْأَسْوَدِ ، وَإِنْ مَحَمَّدٌ إِنْ قَطَعَهُ لَمْ يُغَيَّرْ أَبَدًا ، فَكَلَّمَاهُ فَمَا أَخَذَ لِنَفْسِهِ ، أَوْ لِيَدْعَاهُ اللَّهُ وَالرَّحْمَ ، فَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ مَا لَا يُجْهَلُ ؛ فَزَعَمُوا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ لَهُمْ .

تفسير أبي بكر لرؤيا الرسول

وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفاً : يا أبا بكر ، إني رأيت أني أُهْدِيتُ لِي قَعْبَةٌ مَلُوءَةٌ زَبْدًا ، فَفَتَرَهَا دِيكٌ ، فَهَرَّاقَ مَا فِيهَا . فقال أبو بكر : ما أظن أن تُدْرِكَ مِنْهُمْ يَوْمَكَ هَذَا

ما تريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك ..

سبب ارتحال المسلمين

ثم إن خُوَيْلَةَ بنت حَكِيم بن أُمَيَّة بن حَارِثَة بن الْأَوْقَص السُّلَمِيَّة ، وهي امرأة عُثْمَانَ ، قالت : يا رسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائفة حُلَيْيَ بادية ابنة غَيْثَلَانَ بن سَلَمَةَ ، أو حُلَيْيَ الفارعة بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثَقِيف .

فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لي في ثَقِيف يا خُوَيْلَةَ ؟ فخرجت خُوَيْلَةَ ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطَّاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما حديث حدثتني به خُوَيْلَةَ ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال : أو ما أذن لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذن عُمرُ بالرحيل .

عيينة بن حصن

فلما استقلَّ الناسُ نادى سعيد بن عُبَيْد بن أُسَيْد بن أَبِي عمرو بن علاج : ألا إنَّ الحَيَّ مَقِيمٌ قول : يقول عُيَيْنَةُ بن حِصْن : أجل ، والله مُجَدَّةٌ كِرَامًا ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عُيَيْنَةُ ، أتمدح للمشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : إني والله ما جئت لأُقاتل ثَقِيفًا معكم ، ولا سَكَنِي أردت أن يفتح محمد

.

الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أثَّطَتْهَا ، لعَلَّما تلد لي رجلاً ، فإن ثَقِيفًا
قوم منا كبير .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في إقامته ممن كان محاصرًا
بالطائف عبيدًا ، فأسلموا ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العبيد الذين نزلوا من حصن الطائف

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم ، عن عبد الله بن مُكَدَّم ، عن
رجال من ثقيف ، قالوا : لما أسلم أهل الطائف تسكلم نفر منهم في أولئك
العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتقاء الله ؛ وكان
من تسكلم فيهم الحارث بن كَلَدَة .

قال ابن هشام : وقد سَمَّى ابن إسحاق من نزل من أولئك العبيد .

شعر الضحاك وموضوعه

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً امرؤان بن قيس
الدؤسبي ، وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ،
فرغمت ثقيف ، وهو الذي تزعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لمرؤان بن قيس : خذ يامروان بأهلك أول رجل من
قيس تلقاه ، فلقى أبي بن مالاك القُشَيْرِي ، فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله ، فقام
في ذلك الضحاك بن سُفْيَانَ الدِكَلَابِي ، فسكلم ثقيفًا حتى أرسلوا أهل مروان ،

وأطلق لهم أبي بن مالك ، فقال الضحّاك بن سُفيان في شيء كان بينه وبين أبي بن مالك :

أَتَذُنِّي بِلَاثِي يَا أَبِي بْنَ مَالِكٍ غَدَاةَ الرَّسُولِ مُعْرِضٌ عَنْكَ أَشْوَسُ
يَقُودُكَ مَرْوَانَ بْنَ قَيْسٍ بِحَبْلِهِ ذَلِيلًا كَمَا قَيْدَ الذَّلُولِ الْمُخَيَّسُ
فَعَادَتْ عَلَيْكَ مِنْ نَفِيفٍ عَصَابَةٌ مَتَى يَأْتِيهِمْ مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا
فَكَانُوا هُمُ الْمَوْلَى فَعَادَتْ حُلُومُهُمْ عَلَيْكَ وَقَدْ كَادَتْ بِكَ النَّفْسُ تِيَّاسُ

قال ابن هشام : « يُقْبِسُوا » عن غير ابن إسحاق .

الشهداء في يوم الطائف

قال ابن إسحاق : هذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف :

من قُرَيْشٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ : سَعِيدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ
ابْنِ أُمَيَّةَ ، وَعُرْفُطَةُ بْنُ جَذَابٍ ، حَلِيفُهُمْ ، مِنَ الْأَسَدِ بْنِ الْفَوْثِ .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُبَابٍ .

قال ابن إسحاق : وَمِنْ بَنِي قَيْمٍ بْنِ مُرَّةَ : عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ،
رُمِيَ بِهِمْ ، فَاتَّ مِنْهُ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ : عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، مِنْ رَمِيَةِ رُمِيَهَا يَوْمَئِذٍ .

وَمِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ : عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، حَلِيفُهُمْ .

.....

مَلُومَةٍ خَضِرَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا خَضَنًا لَظَلَّ كَأَنَّهُ لَمْ يُخَاقِ
مَشَى الضَّرَاءَ عَلَى التَّهْرَاسِ كَأَنَّنَا قُدْرُ تَفَرَّقُ فِي الْقِيَادِ وَتَلْتَقِ
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ إِذَا مَا اسْتَخَصَّنَتْ كَأَنَّنِي هَبَّتْ رِيحُهُ لِلتَّفَرِّقِ
جُدُلٌ تَمَسَّ فُضُولُهُنَّ نَعَانَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ وَآلِ مُحَرَّقِ

أمر أموال هوازن وسباياها

وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على
دَحْنًا حَتَّى نَزَلَ الْجُمْرَانَةَ فَيَمَنُّ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَمَعَهُ مِنْ هَوَازِنِ سَبِيٍّ كَثِيرٍ
وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَوْمَ ظَمَنَ عَنْ ثَقِيفٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعَ عَلَيْهِمْ ؛
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَأَتِ بِهِمْ .

ثم أتاه هوازن بالجمرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سَبِيٍّ هَوَازِنَ سِتَّةَ آلَافٍ مِنَ الذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ ، وَمِنْ الْإِبِلِ وَالشَّاءِ
مَا لَا يُدْرَى مَا عِدَّتُهُ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله
ابن عمرو : أَنَّ وَفَدَ هَوَازِنَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَلْمَوْا ،
فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِيَّا أَصْلَ وَعَشِيرَةَ ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ ،
فَامْنَنْ عَلَيْنَا ، مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ . قَالَ : وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ ، ثُمَّ أَحْدُ بَنِي سَعْدِ

عند كان العام فخرجوا لوفد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ب يقول عباس بن مرداس ابي سلمة : وفتنهم في

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما مني تمسك جنكم احمق من هذا
السبي فله بكل انسان ست فراغية ، من اذن جنني احمق ، فرادوا اليهم
الناس انهم ونساءهم

نقل ابن قتيبة : والقد تولى ابو عبيدة بن جراح بن عبد الله بن قيس
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى علي بن ابي طالب الفديعة فخرها
يقال لما ربيعة بنت حلال بن حيان بن عتبة بن ربيعة طيرة به فقصته
ابن نعيم بن سويد بن بكر ، واعطى عيان بن عتيق جارية به فقصته
بنت حيان بن عمرو بن حيان ، واعطى عمرو بن الخطاب جارية ، وافرغها
لعبد الله بن عمر ابنه

نقل ابن قتيبة : الفديعة مائة مولى عليه الله بن عمر بن عبد الله
ابن عمر بن الخطاب : بعثت بها الى اخواني من ابي جراح بن عبد الله بن قيس
وبه نواها حتى اطولت بالبيت ، ثم اتتهم ، وانا اريد ان اعطيها اذ اخرجت
إليها قال : فخرجت من بيتي فوجدت سائر الناس يشتاقون ، فقلت :
ما شئكم ؟ قالوا : ورد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذنونا
فقلت : ناسكم صاحبكم في بني جراح ، فاذنونا فاذنونا ، فاذنونا
فاخذوها

قال ابن إسحاق : وأما عُيَيْنَةُ بن حِصْن ، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إنى لأحسب لها في الحى نسباً ، وعسى أن يمظّم فِدَاؤُها . فلما ردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السّبايا بست فرائض ، أبى أن يردها ، فقال له زُهَيْرُ أبو صُرَد : خذها عنك ، فوالله ما فوها بباردٍ ، ولا تَذِيهاً بِنَاهِدٍ ، ولا بطنها بوالدٍ ، ولا زوجها بواجِدٍ ، ولا دَرّها بما كِدِر . فردّها بست فرائض حين قال له زُهَيْر ما قال ؛ فزعموا أن عُيَيْنَةَ لَقِيَ الْأَقْرَع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها ببيضاء غريرة ، ولا نصفاً وثيرة .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لو فد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف مافعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددتُ عليه أهله وماله ، وأعطيته مائةً من الإبل ، فأَتَى مالكا بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقفاً على نفسه أن يَفْلَمُوا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهُيئَتْ له ، وأمر بفرس له فأَتَى به إلى الطائف ، فخرج ليلاً ، فجلس على فرس ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أُرِيها أن تُحْبَس ، فركبها ، فلحق برَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجُمُرانة أو بمكة ، فردّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائةً من الإبل ، وأسلم فحسُن إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سَمِيتُ بِمِثْلِهِ في النَّاسِ كَلِّمَ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ

.....

أَوْفُوا عَطَى الْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدَيْ وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدٍ
وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عُرِّدَتْ أَنْبِأُهَا بِالسَّمَرِىِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنْدٍ
فَكَأَنَّهُ كَيْتٌ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرَصِدٍ

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ؛ وتلك
القبائل : مُعَالَّةُ ، وَسَلَمَةُ ، وَقَهْمُ ، فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا ، لَا يُخْرِجُ لَهُمْ مَرْحً
إِلَّا أَغَارَ عَلَيْهِ ، حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ ؛ فَقَالَ أَبُو مَخْجَنَ بْنَ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
عُمَيْرِ التَّمَنِي :

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ثُمَّ تَنَفَّزُونَا بِنُوَاصِلَتِهِ
وَأَنَا مَالِكٌ بِبِئْسَ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرْمَةِ
وَأَتُونَا فِي مَنَازِلِنَا وَلَقَدْ كُنَّا أُولَى تَقَعَةٍ

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبائِ
حُثَيْنِ إِلَى أَهْلِهَا ، رَكِبَ ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ يَقُولُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقْسِمُ عَلَيْنَا
فَيَنْتَنَّا مِنَ الْإِبِلِ وَالْفِئَمِ ، حَتَّى أَتَجَشَّوهُ إِلَى شَجَرَةٍ ، فَاخْتَطَفَتْ عَنْهُ رِدَاءَهُ ؛ فَقَالَ :
أَذْوَاعِي رَدَانِي أَيُّهَا النَّاسُ ، فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ لَكُمْ بِمَدَدِ شَجَرِ تِهَامَةَ نَعْمًا
لَقَسَمْتُ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ مَا أَفْقَيْتُمُونِي بِحَيْلٍ وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذَابًا ، ثُمَّ قَامَ إِلَى
جَنْبِ بَيْرٍ . فَأَخَذَ وَبَرَةً مِنْ سَفَاءِهِ ، فَجَعَلَهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَهَا ، ثُمَّ قَالَ :
أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاللَّهِ مَا لِي مِنْ قَيْشِكُمْ وَلَا هَذِهِ الْوَبَرَةُ إِلَّا الْخُلُوسُ ، وَالْخُلُوسُ
مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ . فَأَذْوَأَ الْخِيَاطَ وَالْمِخْيِيطَ ، فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَارًا وَنَارًا
وَسَنَارًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِكُتَيْبَةٍ مِنْ خِيُوطِ شَعْرِ ،

• • • • •

فقال: يا رسول الله! أخذت هذا كعبةً فمحل بها البرمجة فمحل في القبر؛
فأخذته أنا فصبي منها ذلك؛ فقال: أملاً إذا بلغت هذا العمل فمحل في ما،
ثم طوى بها عن يده.

قال ابن هشام: أوفى مكر يزيد بن أبي خنيس من أيعنة أن يعقل بن أبي طالب
يدخل يومه حين يملأ من أيعنة فاطمة بنت شيبه بن تميمية، ومدينة سلطان، وما،
فقال: إلى قديس فبنت أيعنة قد تلت، فمحلها أصيبت من ضامهم بالمشركين؛
فقال: دونك هذه الإبرة تحيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع منها في
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أخذ شيئاً فله دمه»، حتى الخياط
والخياط، فخرج مع عقيل، فقال: ما أرى إبرة إلا قد ذهبت، فأخذها،
فألقاها في القمام.

قال ابن إسحاق: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائفة قلوبهم،
وكانوا لهم أمانة من أشرف الناس، وأعطىهم ما بقا فمحلهم قلوبهم، فأعطى
أبي سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه نعاوية مائة بعير، وأعطى حكيم
ابن حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلاب مائة بعير، وأعطى عبد الله
مائة بعير.

قال ابن هشام: نصير بن الحارث بن كلاب، ويجوز أن يكون اسمه
الحارث أيضاً.

قال ابن إسحاق: وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سميل

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ بِفُوقَانَ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِهِ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَنْشَدَنِي يُونُسُ النَّحْوِيُّ :

فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ بِفُوقَانَ مِرْدَاسٍ فِي الْمَجْمَعِ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبُوا بِهِ ،
فَاقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ ، فَأَعْطُوهُ حَتَّى رَضِيَ ، فَكَانَ ذَلِكَ قَطْعَ لِسَانِهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ عَبَّاسَ بْنَ مِرْدَاسٍ أَمَى
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَنْتَ الْقَاتِلُ :

« فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْمُتَبِيدِ بَيْنَ الْأَفْرَعِ وَعُيَيْنَةَ » ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَفْرَعِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَا وَاحِدٌ ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَشْهَدُ أَنَّكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ : (وَمَا عَاطَمَاهُ
لِلشُّعْرَى وَمَا يَنْتَبِغِي لَهُ) .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدَّثَنِي مِنْ أَتَقَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي إِسْنَادِهِ ، عَنْ ابْنِ
شِهَابٍ لَزْمَرِي ، عَنْ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ :
بَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَعْطَاهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
مِنْ غَنَائِمِ حَنْزَلٍ .

• • • • •

من بنى أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطلح
ابن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : شيبه بن عثمان بن أبي طاعة بن عبد المزي
ابن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السنايل بن بكك بن الحارث بن عميلة بن
السباق بن عبد الدار ، وعكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زهير بن أبي أمية بن المغيرة ، والحارث
ابن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ،
وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والسائب بن
أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة ،
وأبو جهم بن حذيفة بن غانم .

ومن بنى جمح بن عمرو : صفوان بن أمية بن خلف . وأحيحة بن
أمية بن خلف ، وعمر بن وهب بن خلف .

ومن بنى ستم : عدى بن قيس بن حذافة .

ومن بنى عامر بن لؤي : حويطاب بن عبد المزي بن أبي قيس بن
عبد ود هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب .

ومن أبناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية
ابن هروة بن صخر بن رزن بن يعمر بن نفاثة بن عدى بن الدليل .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمرو بن باسمة عن
مقسم أبي القاسم . مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت
أنا وزياد بن كلاب الأثبي ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو
يطوف بالبيت ، معلقاً نعله بيده . فقلنا له : هل حضرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين كلمه النبی يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بني تميم ،
يقال له ذو الحلوبصرة ، فوقف عليه وهو يعطي الناس ، فقال : يا محمد ،
قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ،
فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ، قال : فضيب النبي صلى الله عليه وسلم ،
ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن القتل عندي ، فممن من يكون ؟ ! فقال عمر
ابن الخطاب : يا رسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال : لا ؛ فإنه سيكون له شيعه
يتبعون في الدين حتى يخرجوا منه ، كما يخرج الشهم من الرميصة ، ينظر
في الذئب ، فلا يوجد شيء ، ثم في القذح ، فلا يوجد شيء ، ثم في الفوق ،
فلا يوجد شيء ، فسحق الثوث والذم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر عن
حديث أبي عبيدة ، وسماه ذا الحلوبصرة .

شعر حسان في حرمان الأنصار

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي مجيع ، عن أبيه عن ذلك .

قال ابن هشام : ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى

قريش وقبائل العرب ، ولم يعطِ الأنصار شيئاً ، قال حسّان بن ثابت يماثبه في ذلك :

زادَتْ هُمُومٌ فَمَاءَ الْعَيْنِ مُنْجَدِرٌ	سَعَا إِذَا حَفَلَتْهُ عَـبْرَةٌ دِرَرٌ
وَجَدَا بِشْمَاءَ إِذْ تَمَاءَ بِهِ كَفَنٌ	هَيِّفَاهُ لَا ذَنْنٌ فِيهَا وَلَا خَوَرٌ
دَعُ عَنْكَ تَمَاءٌ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا	نَزَرَا وَشَرُّ وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّزَرِ
وَأَتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ	لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدَدَ الْبَشَرِ
عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَازِحَةٌ	قُدَّامَ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا
سَمَّاهُ اللَّهُ أَنْصَاراً بِتَضَرُّعِهِ	دِينِ الْهُدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعِيرُ
وَسَارِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا	لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَامُوا وَمَا ضَجِرُوا
وَالنَّاسُ أَلْبَ عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا	إِلَّا السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ
نَجَالِدُ النَّاسَ لَا تُنْبِقِي عَلَى أَحَدٍ	وَلَا نُضَيِّعُ مَا تُؤْجِي بِهِ السُّورُ
وَلَا تَهْرِ جُنَاهُ الْخَرْبِ نَادِينَا	وَنَحْنُ حِينَ تَلَطَّى نَارُهَا سُعُرُ
كَارِدَدَنَا بَبْدِرٍ دُونَ مَا طَلَبُوا	أَهْلَ الْإِنْفَاقِ وَفِينَا يُنَزَلُ الظُّفَرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النِّمْفِ مِنْ أَحَدٍ	إِذْ حَزَبْتَ بَطْراً أَحْزَابَهَا مُضَرُ
فَمَا وَنَبْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا	مِنَّا عِثَاراً وَكُلَّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال :
وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري ،
قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا ،

في قریش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجَدَ هذا الحیُّ من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم الغالة حتى قال قائلهم : أَقَدَ لَقِيَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول الله ، إِنْ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ ، لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا النَّفْسِ الَّذِي أَصَبْتَ ، قَسَمْتُ فِي قَوْمِكَ ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ . قال : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ قال : يا رسول الله ، مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي . قال : فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ . قال : نَخْرُجُ سَعْدُ ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ . قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردَّهم فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحیُّ من الأنصار ، فَأَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : مَا قَالَةٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ ، وَجِدَّةٌ وَجَدْتُكُمْوهَا عَلَى فِي أَنْفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتِيكُمْ ضُلَالًا فهداكم الله ، وَعَالَةً فَأَغْناكم الله ، وَأَعْدَاءً فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ! قَالُوا : بَلَى ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَتَنُّ وَأَفْضَلُ ثُمَّ قَالَ : أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؟ قَالُوا : بِمَاذَا نَجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْعَنُّ وَالْفَضْلُ . قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَقَتُمُ ، فَأَصَدَّقْتُمُ وَلَعَدَّيْتُكُمْ : اتَّيَقْنَا مُكْذَبًا فَصَدَّقْنَاكَ ، وَتَخَذُوا لَفَهْرَ نَدَاكَ ، وَطَارِدُوا فَأَوْبَسْنَاكَ ، وَعَانَلَا فَاسْتَيْنَاكَ . أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا نَأَلَفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟

.....

فوالذي نفس محمد بيده ، لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك
الناس شيعياً وملتكت الأنصار شيعياً ، لسلكت شيعت الأنصار ، اللهم أرحم
الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحائهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً
وخطاً . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

هجرة الرسول من الهجرة لطفه

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين .

سنة عا

الحجاز الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً ،
وأمر ببقائه في مكة ، فجلس بمحبة ، بتاحية سمر الظنهم ، فلما فرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة ، وأمر عتاب بن
أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل ، بقاءه الناس في الدين ، ويعلمهم
القرآن ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقايا النبی .

قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي
صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم مائة ، فقام
يفطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجمع الله كبد من جلع على عروهم ،

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « كل يوم اتمتع كما اتمعت ابي ابي حاججة
إلى أحد . »

ولدت العمرة

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذي القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في بقية ذي القعدة
أو في ذي الحجة .

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة است ليل
بقين من ذي القعدة فيما زعم أبو عمرو المدني . « ٤٤٢ : سنة ١١٠٠ »

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ،
وحج بالأسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد ، وهي سنة ثمان ، وأقام أهل
الطائف على منعة فيهم وأمنيتهم في طائفهم ، ما بين ذي القعدة إذا انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف
كتب بخير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يحبره أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا منك ، ممن كان يهجو ويؤذي ، وأن
من بقي من شعرك فريش ، فمن الزعمري وهبيرة بن أبي وهب ، قد هروا
في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة ، فطر إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجاتك من الأرض ؛ وكان كعب بن زهير قد قال :

ألا أبليفا عني بُجَيْراً رسالةً فهل لك فيما قلتُ ونحك هل لك؟
فبين لنا إن كنتَ لستَ بفاعِلٍ على أيّ شيءٍ غير ذلك ذلك
على خلقي لم ألفِ يوماً أباهُ عليه وما تُنفي عليه أباً لك
فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ ولا قاتلٍ إماً عثرتَ : لَمَّا لك
سقاك بها المأمونُ كأساً رويةً فأنه لك المأمونُ منها وعلكا

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » . وقوله « فبين لنا » عن غير ابن إسحاق .

وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

من مُبْلِغٍ عني بُجَيْراً رسالةً فهل لك فيما قلتُ بالخير هل لك
شربت مع المأمون كأساً رويةً فأنه لك المأمونُ منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أيّ شيءٍ وبغيرك ذلك
على خلقي لم تُلفِ أماً ولا أباً عليه ولم تُدرك عليه أخاً لك
فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ ولا قاتلٍ إماً عثرتَ : لَمَّا لك

قال : وبعث بها إلى بُجَيْر ، فلما أنت بُجَيْراً كره أن يكتُمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع « سقاك بها المأمون » . صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون : ولما سمع :

« على خُلق لم تُنْفِرْ أُمًّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ » قال : أجل ، لم يُنْفِتْ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلَا أُمَّهُ .

ثم قال مُبْجِرٌ لَكُمْب :

مَنْ مُبْلِغٌ كَثْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي تَلُمُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ (لَا الْمُزْمَى وَلَا الْإِلَاتِ) وَخَذَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلُمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُقْلِتٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا ظَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهِيرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ وَدِينُ أَبِي سُلَيْمَى عَلَى مُحَرَّمِ

قال ابن إسحاق : وإِنَّمَا يَقُولُ كَمْب : « المأمون » ، ويقال : « المأمور »
في قول ابن هشام ، لقول قريش الذي كانت تقول له لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية

قال ابن إسحاق : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به مَنْ كَانَ فِي حَاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ ، فقالوا : هو مقتول : فلما لم يجد من شيء بُدَأَ ، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدِمَ المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جُهينة ، كاذُ كرلى ، فمَسَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسولُ الله ، فقم إليه فاستأمنه . فذُكِرَ لِي أَنَّهُ قَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن صر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دعني وعدو الله أضرب عنقه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائباً ، نازعاً (عما كان عليه) قال فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار ، إماماً صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بنحير ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانتُ سعادُ فقلبي اليومَ مقبولُ	مقيمٌ إثرها لم يُفدَ مَكْبُولُ
وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا	إلا أعنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
هَيْفَاءُ مُقْبَلَةٌ عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ	لا يُشْتَكِي قِصْرُ مِنْهَا وَلَا طُولُ
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظِلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ	كَأَنَّهُ مُهَلِّلٌ بِالرَّاحِ مَقْلُولُ
شَجَّتْ بِذِي شَيْمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ	صَافٍ بِأَبْطَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ
تَنْفِي الرِّيحِ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ	مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بَيْضٍ يَمَالِيلُ
فَيَا لَهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ	بِوَعْدِهَا أَوْ لَو أَنَّ النِّصْحَ مَقْبُولُ
لَكُنْهَا خُلَّةً قَدْ سَيِّطَ مِنْ دَمِهَا	فَجَعَّ وَوَلَعَ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ
فَمَا تَدْرُمُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا	كَأَنَّ تَلَوْنَ فِي أَثْوَابِهَا النُّوْلُ

• • • • •

وما تَمَسَّكَ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ إلا كما يُتَمَسَّكَ لِلنَّسَاءِ الْفَرَايِلُ
 فَلَا يَفِرُّنَّكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ
 كَانَتْ مَوَاعِيدُهُ عُرُوقًا لَهَا مَثَلًا وما مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
 أَرْجُو وَأُمِّلُ أَنْ تَذُنُو مَوَدَّتِهَا وما إِخَالَ لَدَيْنَا مِنْكَ تَفْوِيلُ
 أَمَسْتَ مُسَاعِدًا بَارِضٍ لَا يُبَلِّغُهَا إلا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتِ الْمَرَّاسِيلُ
 وَلَنْ يُبَلِّغُهَا إِلَّا عُدَاقِرَةٌ لَهَا عَلَى الْإِنِّ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ
 مِنْ كُلِّ نَضَاجَةِ الذَّقَرَى إِذَا عَرِقَتْ عُرُضُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ بِجَهْمُولُ
 تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفَرِّدٍ لَهَقَ إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَانُ وَالْمِيلُ
 ضَخْمٌ مُقَلَّدًا قَعْمٌ مَقِيدًا فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ
 غَلْبَاءُ وَجَفَاءُ عُلُكُومٌ مُذْكَرَةٌ فِي دَفْعِهَا سَمْعَةٌ قُدَّامُهَا مِيلُ
 وَجِلْدُهَا مِنْ أَطْوَمِ مَا يَبُوءُ بِهِ طَلَحَ بِضَاحِيَةِ الْمُتَقَنِّينِ مَهْزُولُ
 حَرْفٌ، أَخُوها أَبُوهَا مِنْ مُهْجَفَةٍ وَعَثَا خَالَهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ
 يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يَزِيقُهَا مِنْهَا آبَانٌ وَأَقْرَابُ زَهَائِلُ
 غَيْرَانَةٌ قَذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرْضٍ مِرْقَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزُّورِ مَقْتُولُ
 كَأَنَّهَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحُهَا مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بِرِطِيلُ
 تَمَرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خَصَلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوْنَهُ الْأَحَائِلُ
 قَنَوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَسِيرِ بِهَا عَتَقَ مُبِينٌ وَفِي الْخُلْدَيْنِ تَسْمِيلُ
 تَخْدِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ ذَوَابِلُ مَشْنُوعِ الْأَرْضِ تَحَايِلُ

.....

سُمرِ العجايا يتركن الحصى زيمًا لم يقين رؤوس الأكم تذهيل
 كأن أوت ذراعها وقد عرفت وقد تلعق بالقور الصاقيل
 يومًا يظل به الحرباء مضطجداً كأن ضاحية بالشمس منلول
 وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورزق الجدا رب يرخص الحصاصيلوا
 شد النهار ذراعاً عيطل نصف قامت لجوابها نكد متاكيل
 نواحة رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون مفعول
 تغري الأبان بكفها ومذرعها مشفق عن تراقبها رعايل
 تسمى الغواة جنابها وقولهم إنك يابن أبي سلمى أمقتول
 وقال كل صديق كنت أمه لا ألبيتك إني عنك مشغول
 فقلت خلوا سبيل لأبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
 كل ابن أسي وإن طالت سلامته يومًا على آلة حذباء محمول
 نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
 مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها وواعظ وتفصيل
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت في الأقاويل
 لقد أقوم مقاماً لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
 لظل يرعد إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل
 حتى وضعت يميني ما أنازعه في كف ذي نقات قيله القيل
 قلته أخوف عندي إذا كلمه وقيل إلك منسوب ومسئول
 من ضيعم بفراء الأرض مخدره في بطن عتر غيل دونه غيل

يَفْدُو وَيَلْحَمُ ضِرْغَامِينَ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلُ
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِيلُ لَهُ أَنْ يَتْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقُولُ
مَنْهُ تَظَلَّ سِبَاعُ الْجَوْ نَافِرَةٌ وَلَا تَمْشِي بِوَادِيهِ الْأَرَاخِيلُ
وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مُقَرَّجُ الْبَرِّ وَالْدُّرْسَانِ مَا كُولُ
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
فِي عَصِيَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالِ قَائِلُهُمْ بَيْطُنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُؤُلُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفُ عِنْدَ الْإِقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ
شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالُ كَبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي التَّهْنِجِ سَرَابِيلُ
بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقُ كَانَهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ تَجْدُولُ
لَيْسُوا مَفَارِجَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا بِحَازِبِمَا إِذَا نِيلُوا
يَمْسُونَ مَشَى الْجَمَالِ الزُّهْرَ بِعَصِيهِمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ الشُّودُ التَّنَائِيلُ
لَا يَقَعُ الطَّغْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَالَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَالَ كَتَبَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بَعْدَ قُدُومِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَبَيْتُهُ : « حَرَفَ أَخُوهَا أَبُوهَا » وَبَيْتُهُ : « يَمْشِي الْقُرَادُ » ، وَبَيْتُهُ : « عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ » ، وَبَيْتُهُ : « تَمُرٌ مِثْلَ عَسِيدِ النَّخْلِ » ، وَبَيْتُهُ : « تَنْزِي الْأَبَانِ » وَبَيْتُهُ : « إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا » وَبَيْتُهُ : « وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ » : عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

فِي الْفَرَّةِ مِنْ غَسَّانَ مِنْ جُرْتُومَةٍ أَعْيَتْ حَافِرُهَا عَلَى الْإِنْفَارِ

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده : « بَانَتْ مُسَاعِدُ فَقَابِي الْيَوْمَ مَتَبُول » : لَوْلَا ذَكَرْتَ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ ، فَقَالَ كَعَبُ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَهِيَ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

قال ابن هشام : وذكر لي عن علي بن زيد بن جدعان أنه قال : أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد :

« بَانَتْ مُسَاعِدُ فَقَابِي الْيَوْمَ مَتَبُول »

غزوة الطائف

ذكر بعض أهل النسب أن الدُّمُونَ بن الصَّدِيفِ ، واسم الصَّدِيفِ : مَلِكُ ابن مالك بن مُرْتَعِ بن كِنْدَةَ من حَضْرَمَوْتَ أَصَابَ دَمًا من قَوْمِهِ ، فَلَحِقَ بِثَقِيفٍ ، فَأَقَامَ فِيهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَلَا أَبْنَى لَكُمْ حَانِطًا يُطِيفُ بِلَدِّكُمْ ، فَبَنَاهُ ، فَسُمِّيَ بِهِ الطَّائِفُ ، ذَكَرَهُ الْبَكْرِيُّ هَكَذَا^(١) قَالَ : وَإِنَّمَا هُوَ الدُّمُونُ بن عُبَيْدِ ابن مالك بن دَهْقَلٍ ، وَهُوَ من الصَّدِيفِ ، وَلَهُ ابْنَانِ أُدْرِكَا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَايَعَاهُ ، اسْمُ أَحَدِهِمَا : الْهُمَيْلُ ، وَالْآخَرُ : قَبِيصَةُ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُمَا أَبُو عُمَرَ فِي الصَّحَابَةِ ، وَذَكَرَهُمَا غَيْرُهُ .

(١) ذكر هذا في معجمنا المستعجم .

وذكر أن أصل أعتابها أن قيس^(١) بن مُنْجَبَه ، وهو ثقيف أصاب دماً في قومه أيضاً ، وم إباد ففر إلى الحجاز ، فر بأسراق يهودية فأوثقه^(٢) ، وأقام عندها زماناً ، ثم انتقل عنها ، فأعطته قُضْباً من الحُبْلَةِ وأسرتة أن يفرسها في أرض وصفتها له ، فأنى بلاد عَدَوَانَ ، وهم سكان الطائف في ذلك الزمان ، فر بسُخَيْلَةٍ^(٣) جارية عامر بن الظَّربِ العَدَوَانِي ، وهي ترضى غنماً ، فأراد سياءها ، وأخذ الغنم ، فقالت له : ألا أدلك على خير مما هممت به ، أقصِدْ إلى سيدي وجاوره فهو أكرم الناس ، فأتاه فزوَّجه من بنته زينب بنت عامر ، فلما جَلَّتْ عَدَوَانَ عن الطائف بالحروب التي وقعت بينها أقام قيسٌ ، وهو ثقيف ، فنه تناسل أهل الطائف ، وسمى : قسيّاً بقسوة قلبه حين قَتَلَ أخاه أو ابن عمه^(٤) ، وقيل : سُمِّيَ ثَقِيفاً لقولهم فيه : ما أثقفه حين ثَقِفَ عامراً حتى أُمِنَته وزوَّجه بنته .

وذكر بعضُ المفسرين وجهاً آخر في تسميتها بالطائف ، فقال في الجنة التي ذكرها الله سبحانه في سورة « ن » حيث يقول : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ ن : ١٩ . قال : كان الطائف جبريل عليه السلام أفنلهم من مَوَاضِعِهَا ، فأصبحت كالقصرِيم ، وهو الليل ، أصبح ، موضعها كذلك ،

-
- (١) في الأصل قيس . ولكنه قسى كما سيذكر ، وكما ورد في كتب النسب .
 (٢) في البكري : فاتخذها أمّاً ، واتخذته ابناً .
 (٣) في معجم البكري : خصيلة ، وقيل : زينة .
 (٤) في البكري : ابن عمه ، وأنه قال عقب قتله :
 وحربة ناهل أوجرت عمراً فإلى بعيدة أبداً قرار

ثم سار بها إلى مكة ، فطاف بها حَوْلَ البيت ، ثم أنزلها حيث الطائف اليوم ،
فُسِّمَتْ باسم الطائفِ الذي طاف عليها ، وطاف بها ، وكانت تلك الجنة
بَصْرَوَان^(١) على فَراسِخٍ من صَنْعَاءَ ، ومن ثمَّ كان الماءُ والشجرُ بالطائف دون
ماحولها من الأرضين ، وكانت قصةُ أصحابِ الجنة بعد عيسى بن مريم
صلى الله على نبيِّنا وعليه وسلم يسير ، ذكر هذا الخبر النقاش وغيره^(٢) .

فإن قيل : فإذا كان ثقيف هو قَيْسٌ بن مُنَبِّهٍ ، كما قال ابن إسحاق وغيره ،
فكيف قال سيبويه حاكياً عن العرب : ثقيف بن قَيْسٍ ، لجعله ابناً لَقَيْسٍ ؟
قيل : إنما أراد سيبويه أن الخيَّ سُمِّيَ ثقيفاً ، وهم بنو قَيْسٍ ، كما قالوا باهلة
ابن أُعْصَرَ ، وإنما هي أمهم ، ولكن سُمِّيَ الخيُّ بها ، ثم قيل فيه : ابنُ
أُعْصَرَ^(٣) ، كذلك قالوا : ثقيف بن قَيْسٍ على هذا ، ويقوى هذا أن سيبويه
إنما قال حاكياً : هؤلاء ثقيف بن قَيْسٍ .

(١) في الأصل : ضوَّارن والتصويب من البكري وتفسير ابن كثير ، وهي
على بعد ستة أميال من صنعاء كما نقل ابن كثير عن سعيد بن جبير .
(٢) أقوال بلا سند . والنقاش يفتري الكثير ، وقد ورد أنهم من أهل
الحبشة ، وأنهم كانوا أهل كتاب .
في الاشتقاق : من قبائل سعد بن قيس : أعصر بن سعد ، وهو أبو غنى وباهلة
والطفافة ، ولقب أعصر لبيت قاله ، وكان من المعمرين . والبيت كما هو
في اللسان :

أبني إن أباك غير لونه كر الليالي واختلاف الأعصر
ثم قال عن باهلة إنها امرأة من مذحج أو من همدان ، ولأنها حضنت كل
أولاد همدان بن أعصر أو همدان بن مالك بن أعصر .

آلات الحرب في الطائف :

فصل: وذكر تعلم أهل الطائف صنعة الدبابات والمجانيق والضُّبور. الدَّبابَةُ: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدُبُّون بها إلى الأسوار لينمُبُّوها ، والضُّبور: مثل رؤوس الأسفاط يُتَّقَى بها في الحرب عند الانصراف ، وفي العين : الضُّبُرُ جلود يُغَشَّى بها خشبٌ يُتَّقَى بها في الحرب . وفي الحديث عن الزهري أن الله - تبارك وتعالى - حين مسح بنى إسرائيل قِرْدَةً مسح رؤسهم المَظَّ ، وبُرَّهم الذَّرَّةَ ، وغَنَبهم الأَرَاكَ ، وجَوَزُهم الضُّبُرَ ، وهو من شَجَر البرِّيَّةِ وله عمر كالجوزِ لا تنفع فيه ، فهذا معنى آخر غير الأول . وقال أبو حنيفة في الضُّبُرَ : إنه كالجوزِ يُنَوِّر ولا يُطعم ^(١) قال : ويقال أَظْلُ الظَّلَالِ : ظِلُّ الضُّبُرَةِ وظل التَّنْعِيمَةِ ، وظل الحجر ، قال : وورقها كبار كثيفة ، فكان ظلُّها لذلك أُلْتِيَ ^(٢) وأما المَظُّ الذي تقدم ذكره في الحديث فهو رُمَانُ البرِّ يُنَوِّر ، ولا يُشمر ، وله جُلَنَارٌ ، كاللُّرْمَانِ ^(٣) يُنْتَصُّ منه المدخ ، وهو عَسَلٌ كثير يُشبع من امنصة حتى يملأ بطنه ، ذكره أبو حنيفة في النبات .

(١) في اللسان : ولا يعقد .

(٢) ظل المي : كيف .

(٣) الجلنار . زدر الرمان معرب كلنار . وفي الاصل : الزمان بدلا من

الرمان .

وأما المجانيق^(١) : فعروفة وهي أجمية عربتها العرب . قال كراع :
كل كلمة فيها جيم وقاف ، أو جيم وكاف فهي أجمية ، وذلك كالجوالق
والجواق^(٢) وجائق والسكيلة وهي مكيال صغير ، والسكفيلار^(٣)
وهي المنزقة والقبيج وهو الحجل وما كان نحو ذلك ، والميم في منجنيق أصاية
عند سيديويه والدون زائدة ، ولذلك سقطت في الجمع^(٤) .

مول شعر كعب :

وذكر شعر كعب وفيه :

وكم من معشر ألبوا علينا

أي جمعوا ، وصميم الجذم مفعول بألبوا ، وفيه يصف السيوف :

كأمثل الفقايق أخاصتها قيون الهند لم تضرب كتيفا

(١) جمع منجنيق بفتح الميم وكسرها آله ترمى بها الحجارة كالمنجنوق
معربة ، وقد تذكر فارسيتها من جهنيك ، أي : أنا ما أبودنى وجمعها منجنوقات
ومجانيق ، وقد جنقوا ، وجنقوا ، وجنقوا .

(٢) بكسر الجيم واللام ، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها وجمعها جوالق
كصحاتف وجواليق بفتح الجيم وجوالقات بضم الجيم ، أما الخفاجي في شفاء الغليل
فيقول : بالضم مفرد وجمعها جوالق بالفتح ناد - معرب . وبضمهم - ومنهم سيديويه
ينسكروالقات لأنهم جمعوا جوالق جمع تكسير . وفي اللسان : الجوالق بضم الجيم
وفتح اللام وكسرها مفرد . ولم أجد جوالق فاعله يعني : جوسق ، وهو اسم
قهر صغير .

(٣) لم أهد إلى ضبطها .

(٤) في القاموس جمعها : منجنوقات ومجانيق .

العقائن : جمع عَقِيْقَة ، وهو الْبَرْقُ تنعق عنه السحابُ^(١) .
 وقوله : لم تُضْرَبْ كَتِيفًا ، جمع كَتِيفَة ، وهى صحيفة من حديد صغيرة ،
 وأصل السكتيف : الضيقُ من كُلِّ شَيْءٍ .
 سمر كنان :

وذكر سمر كِنَانَةَ بن عَبْدِ الْبَلِيلِ الشَّقَفِي ، وفيه :

وكانت لنا أطواؤها وكرومها

الأطواءُ : جمع طَوِيٍّ ، وهى البئر ، مُجِمَّتْ على غير قياس تَوَهَّمُوا سَقُوطَ
 ياء فَعِيلٍ منها إذ كانت زائدة^(٢)
 وفيها :

وقد جَرَّ بَنَّا قَبْلُ عمرو بن عامر

إنما قال هذا جواباً عن الأنصار ، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ،
 وعمرو هو مُزَيْبِيَاءُ ، وعامر هو ماء السماء ، ولم يُرَدَّ أن الأنصار جربتهم قبل
 ذلك ، وإنما أراد إخوتهم ، وهم خُزَاعَةُ لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر
 فى أحد القواين ، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة ، وقال الْبَكْرِيُّ فى معنى

(١) عرفه القاموس : العقيقة من البرق ما يبق فى السحاب من شعاعه ، ولعل
 تنعق : تنشق .

(٢) يقول ابن الأثير : الطوى فى الأصل صفة فعيل بمعنى مفعول ، فلذلك
 جمعوه على الأطواء ، كشرىف وأشراف ، وإن كان قد انتقل إلى باب الإسمية

هذا البيت : إنما أرادَ بنو عمرو بن عامر بن صعصعة ، وكانوا مُجاوِرين
لثَقِيفِ وأُمهم عَمْرَةُ بنتُ عامر بن الظَّربِ المَدَوَانِي ، وأختها زَيْنَبُ كانت
تحت ثَقِيفٍ ، وأكثَرُ قبائلِ ثَقِيفٍ منها ، وكانت ثَقِيفٌ قد أنزلت بنو عمرو
ابن عامر في أرضهم ليعملوا فيها ، ويكون لهم النِّصْفُ في الزَّرع والشَّرع ،
ثم إن ثَقِيفًا منعهم ذلك ، وتمحصنوا منهم بالحائط الذي بنوه حول حاضرتهم ،
فأرقتهم بنو عمرو بن عامر ، فلم يظفروا منهم بشيء ، وجَلَّوا عن تلك
البلاد ، ولذلك يقول كِنَانَةُ :

وقد جرَّ بنينا قبلُ عمرو بن عامر

البيت ذكره البكري في خبر طويل لخصته^(١) .

أول من رمى بالنجنيق في الجاهلية والاسلام :

فصل : وذكر حصار الطائف ، وأن أول من رمى بالمتنجنيق في الإسلام
النبي صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف : وأما في الجاهلية ، فيذكر أن جذاعة بن مالك بن قهم بن
غنم بن دؤس ، وهو المعروف بالأبرش أول من رمى بالمتنجنيق ، وكان من
ملوك الطوائف ، وكان يعرف بالوضاح ، ويقال له أيضاً مُنَادِمُ الفَرَقَدَيْنِ ،
لأنه رباً بنفسه عن مُنادمة الناس ، فكان إذا شرب نادم الفَرَقَدَيْنِ عجباً

(١) أنظر ص ٧٧، ٧٨ ج ١ معجم ما استعجم للبكري، ولكن البكري ينسب هذه
القصيدة إلى الأجدش بن مراد بن عمرو بن عامر بن سيار بن مالك بن حطيط بن
جشم بن قسي .

بنفسه ، ثم نادى بعد ذلك مالكا وعقيلاً اللذين يقول فيهما مُتَمِّمُ [بن نُؤَيْرَة
يرثي أخاه مالكا] :

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةِ حِقْبَةٍ من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا^(١)
وَيُذَكَّرُ أَيْضاً أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَوْقَدَ الشَّمْعَ .

غيلان بن سلمة :

وَذَكَرَ حُلَيْيَّ بَادِيَةَ بَنَتَ غَيْلَانَ ، وَهُوَ غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ ، وَهُوَ
الَّذِي أَسْلَمَ ، وَعِنْدَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُنْسِكَ
أَرْبَعًا^(٢) ، وَيَفَارِقَ سَائِرَهُنَّ ، فَقَالَ فَقَمَاءُ الْحِجَازِ : يَخْتَارُ أَرْبَعًا ، وَقَالَ فَقَمَاءُ

(١) وبعده :

وَعَشْنَا بَخِيرَ فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا أَصَابَ الْمَنَازِلَ رَهْطَ كَسْرَى وَتَبَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكُ لَطُولُ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
وَكَانَ ضَرَارُ بْنُ الْأَزْوَارِ الْأَسَدِيُّ قَدْ قَتَلَ مَالِكًا بِأَمْرِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ .. وَمَالِكُ
وَعَقِيلُ ابْنَا فَارِجٍ هُمَا اللَّذَانِ عَثَرَا عَلَى عَمْرِو بْنِ عَدَى بْنِ أَخْتِ جَذِيمَةَ فِي أَوْدِيَةِ
السَّهَوَةِ بَعْدَ ضَلَالِهِ فِيهَا عِدَّةَ سِنَوَاتٍ ، فَحَمَلَاهُ إِلَى خَالِهِ جَذِيمَةَ ، ثُمَّ سَأَلَاهُ مَنَادِمَتَهُ ،
فَلَمْ يَزَالَا نَدِيمِيهِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَوْتَ بَيْنَهُمَا . وَهُمَا اللَّذَانِ يَذْكُرُهُمَا أَبُو خِرَاشٍ الْهَذَلِيُّ
فِي شِعْرِهِ بِقَوْلِهِ :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا خَلِيلَا صَفَاءَ مَالِكٍ وَعَقِيلِ
وَيَضْرِبُ الْمَثْلَ بَيْنَهُمَا لِلتَّوَاحِيخِينَ ، فَيَقَالُ : كَنَدَمَانِي جَذِيمَةَ وَقَدْ دَامَتْ لَهَا
رَبَّةُ الْمَنَادِمَةِ - كَمَا قِيلَ - أَرْبَعِينَ سَنَةً .

(٢) روى حديثه هذا أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم . ولحديثه هذا
عند الحفاظ في الإصابة تخريجات عديدة فراجع في ترجمة غيلان .

العراق : بل يُنسك التي تزوّجَ أولاً ، ثم التي تليها إلى الرابعة^(١) ، واحتج فقهاء الحجاز بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستفصله أبتهن تزوّجَ أوّل ، وتركه للاستفصال دليل على أنه مُحَيَّرٌ حتى جعل الأصوليون منهم هذا أصلاً من أصول العموم ، فقال أبو الممالى فى كتاب البرهان : ترك الاستفصال فى حكايات الأحوال مع الاحتمال يتنزل منزلة العموم فى المقال ، كحديث غيلان . وغيلان هذا هو الذى قدّم على كسرى ، فسأله أى ولده أحب إليه ؟ فقال غيلان : الغائب حتى يقدّم ، والمريض حتى يفيق ، والصغير حتى يكبر ، فقال له كسرى : ما غذاؤك فى بلدك ؟ قال : الخبز : قال : هذا عقل الخبز ، تفضيلاً لعقله على عقول أهل الور ، ونسب للبرد هذه الحكاية مع كسرى إلى هروذة بن عيسى الحنفى ، والصحيح عند الإخباريين ما قدمناه ، وكذلك قال أبو الفرج .

بادية بنت غيمره :

وأما بادية ابنته ، فقد قيل فيها : بادية بالنون ، والصحيح بالياء ، وكذلك روى عن مالك ، وهى التى قال فيها هيت الخنث لعبد الله بن أبى أمية : إن فتح الله عليكم الطائف ، فإنى أدلك على بادية بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : فانلك

(١) يقول أبو حنيفة : إن تزوجهن فى عقد واحد فسد نكاح الجميع ، وإن تزوجهن مترتبات ثبت نكاح الأربع ، وفسد نكاح من بعدهن ، ولا تخيير ، أما الجمهور فعلى التخيير .

اللهُ لقد أَمَعَنْتَ النَّظَرَ ، وقال : لا يدخلن هؤلاء عليكم^(١) ثم نفاه إلى روضة خايخ ، فقيل : إنه يموت بها جوعاً فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسأل الناس ، ويُرَوَى في الحديث زيادة لم تقع في الصحيح بعد قوله : وتُدبر بَيْمَانٍ^(٢) مع ثَمَرٍ كَالْأَقْحُوانِ ، إن قامت تَشْتَتُ ، وإن قعدت تَبْنَتْ^(٣) ، وإن تسكمت تَمَنَّتْ ، يعني من الغنّة ، والأصل تَمَنَّنَتْ ، فقلبت إحدى الذواتين ياء ، وهي هيفاء^(٤) شَمُوعَ نَجْلَاءُ كما قال قيسُ بن الخطيم :

بَيْهَضَاءُ قَرَعَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا كَأَنَّهَا خُوطٌ بَانَةٌ قَصِيفُ

(١) الرواية في صحيح البخاري : لا يدخل عليكم . هذا ولم تسم بادية في صحيح البخاري . وحديث هيت عند مسلم وأبي داود والنسائي دون تسميته .

(٢) يعني - كما قال القالي في الامالي - أنها تقبل بأربع عكن ، فإذا رأيتها من خلاف رأيت لكل عكنة طرفين ، فصارت ثمانية ص ١٦٠ ، ج ١ الامالي . والعكنة : الطلي الذي في البطن من السمن .

(٣) أي فرجت رجلها لضخم ركبها كأنه شبهها بالقبة من الادم وهي المبناة اسمها وكثرة لحمها ، وقيل : شبهها بها إذا ضربت وطئبت انفرجت وكذلك هذه إذا قعدت تربعت وفرجت رجلها والنهاية لابن الاثير ، وقيل من تبنت الناقة إذا باعدت ما بين فخذيها عند الحلب ص ٢٢ سمط اللالي .

(٤) في سمط البكري : فإنها مبتلة هيفاء شموع نجلاء تناصف وجهها في القسامة ، وتجزأ معتدلاً في الوسامة . وقد تسب هذا الوصف لنعيمان المخنث وهو يصف طائفة بنت طالحة ص ٢١ سمط اللالي .

تَنْتَرِقُ الطَّرْفَ، وهى لاهِيَةٌ كأنما شَفَّ وَجْهَهَا نَزْفٌ^(١)

تَنَامُ عن كبر شأنها فإذا قا مت رُوَيْدًا تَكَادُ تَفْتَرِقُ^(٢)

وفى هذا البيت صَحَّفَ ابنُ دُرَيْدٍ معنى قوله : تَفْتَرِقُ ، فقال هو بالعين
المهملية ، حتى هُجِيَ بذلك^(٣) ، فقليل :

أَسْتَقْدَمًا جَعَلْتُ تَفْتَرِقُ الطَّرْفَ بِجَهْلٍ مَكَانَ تَفْتَرِقُ

وَقُلْتُ : كَانَ الْخُبَاءُ مِنْ أَدَمَ وهو حَبَلٌ يَهْدَى وَيُضْطَلَقُ^(٤)

(١) بعده :

بين شكول النساء خلقتها قصد فلا جبلة ولا قصف

وقد ضبطت نزف في اللسان كما ذكرت . والنزف الاسم من نزف فلان دمه
ومن نزفه الدم ينزفه إذا خرج منه كثيراً . والنزف : الضعف الحادث عن ذلك .
أما في البيت ، فقد قال ابن الأعرابي : من الضعف والانهار — ولم يزد على ذلك
قال غيره : النزف هنا الجرح الذى ينزف عنه دم الإنسان ، وقال أبو منصور :
أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمه منزوف . ومعنى تفترق : تستفرق عيون
الناس بالنظر إليها ، وهى غافلة ثم هى رقيقة المحاسن كأن دمه ودم وجهها نزف
والمرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لأنه ذهب تهيج الدم ، فصارت رقيقة
المحاسن واللسان مادة غرق ومادة نزف ، .

(٢) تفتنى أو تنقص من دقة خصرها .

(٣) هجاء المنفجع البصرى ، وقد تقدم ذكر هذا عند الحديث عن جنب ،

(٤) ذكره الشيخ بدر الدين الزركشى في كراسة له سماها : عمل من طب لمن

حب ، وروى البيت الاول هكذا :

ألمت بما صحفت تفترق الط رف بجهل فقلت تفترق

ورواه التيجانى فى تحفة العروس :

ألم تصحف ، فقلت تفترق الط رف بجهل مَكَانَ تَفْتَرِقُ

ص ٣٦٦ ج٢ المزهري للسيوطي .

وكان صَدَفَ أَيْضاً قول مُهْلَمِل ، فقال فيه : الخُبَاءُ^(١) ، وبادية هذه كانت تحت عبد الرحمن بن عوفٍ ، فولدت له جُوَيْرِيَّة وهي امرأة المِسْوَر ابن مَحْرَمَةَ .

المختورة الذين طأوا بالمدينة :

وكان المَخْنُثُونَ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : هَيْتٌ هذا ، وَهَرَمٌ ومَاتِيع^(٢) ، وإِنَّه ، ولم يكونوا يُزْنُونَ بالفَاحِشَةَ الكُبْرَى ، وإنما كان تَأْنِيْهِمْ إِيْنَا في القول وخِضَاباً في الأيدي والأرجُلِ كخِضَابِ النِّسَاءِ ، ولعباً كَلْعَبِيْنٍ ، وربما لعبَ بعضهم بالكُرْجِ^(٣) ، وفي مراسيل أبي داود أن عُمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، رأى لاعباً يلعب بالكُرْجِ ، فقال : لولا أني رأيت هذا يُلْعَبُ به على عهدِ النبي - صلى الله عليه وسلم - لَنَفَيْتُهُ من المدينة .

عبيته

وذكر عُبَيْتَةُ بن حِصْنٍ ، واسمه : حُذَيْفَةُ ، وإنما قيل له : عُبَيْتَةُ لَشَرِّه كان بعبقه .

العبيد الذين نزلوا من مهن الطائف

وذكر العبيد الذين نَزَلُوا من الطائف ، ولم يُسَمِّهم ، ومنهم أبو بَكْرَةَ

(١) سبق قول مهمل عند الحديث عن جنب .

(٢) ذكرهم البكري في السمط. ص ٢١٤ وقد نقله الحافظ في الإصابة عن البكري وقال : هدم بالدال .

(٣) دخيل معرب كره لا أصل له في العربية وهو مثل المهر يتخذ ليعلم وليه ، ولهذا نسب إليه الخنث فقليل عنه : الكرجي .

نَفِيعُ بْنُ مَسْرُوحٍ تَدَلَّى مِنْ سُورِ الطَّائِفِ عَلَى بَكْرَةَ ، فَكَفَى أَبَا بَكْرَةَ ،
وهو من أفاضل الصحابة ، ومات بالبصرة ، ومنهم الأزرق ، وكان عبداً
للحارث بن كَلْدَةَ الْمُقْطَبِ ، وهو زوج سُمَيَّةَ مَوْلَاةِ الْحَارِثِ أُمِّ زِيَادِ
ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بْنِ الْأَزْرَقِ ، وَبَنُو سَلَمَةَ بْنِ الْأَزْرَقِ ، وَلَهُمْ
صِيَّتٌ وَذِكْرٌ بِالْمَدِينَةِ ، وَقَدْ انْتَسَبُوا إِلَى غَسَّانَ ، وَغُلَطِ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ ،
فَجَعَلَ سُمَيَّةُ هَذِهِ الْمَذْكُورَةَ أُمَّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَجَعَلَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَزْرَقِ
أَخَا عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ لِأُمِّهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ الْأَزْرَقَ خَرَجَ مِنَ الطَّائِفِ ، فَأَسْلَمَ
وَسُمَيَّةُ قَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بَرْمَانَ قَتَلَهَا أَبُو جَنْهَلٍ ، وَهِيَ إِذْ ذَاكَ تَحْتَ يَاسِرٍ
أَبِي عَمَّارٍ ، كَمَا تَقْدُمُ فِي بَابِ الْمُنَبِّثِ . فَتَبَيَّنَ غُلَطُ ابْنِ قُتَيْبَةَ وَوَجْهُهُ ، وَكَذَلِكَ
قَالَ أَبُو عُمَرَ النَّسَمَرِيُّ كَمَا قُلْتُ . وَمِنْ أَوْلَئِكَ الْعَبِيدُ : الْمُنَبِّثُ ، وَكَانَ اسْمُهُ
الْمُضْطَجِعُ ، فَبَدَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمَهُ ، وَكَانَ عَبْدًا لِعُمَّانَ بْنِ عَامِرِ
ابْنِ مُعْتَبِرٍ .

وَمِنْهُمْ يُحَنِّسُ الْقَبَالَ ، وَكَانَ عَبْدًا لِبَعْضِ آلِ يَسَارٍ .

وَمِنْهُمْ : وَرْدَانُ بْنُ جَدَّةِ الْفُرَاتِ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَرْدَانَ ، وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
رَبِيعَةَ بْنِ خَرْشَةَ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ جَابِرٍ ، وَكَانَ أَيْضًا لِحَرْشَةَ ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ لِأَسَادَتِهِمْ ، حِينَ أَسْلَمُوا . كُلُّ هَذَا
ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ ^(١) .

(١) مِنْهُمْ : يَسَارٌ ، وَأَبُو السَّائِبِ . وَمَرْزُوقٌ . ص ٤١٨ إِمْتِنَاعُ الْأَسْمَاعِ
لِلْقُرَيْشِيِّ .

وذكر أبو عمر فيهم نافع بن مشرّوح، وهو أخو نعيم أبي هكّرة، ويقال فيه وفي أخيه ابن الحارث بن ككلة .

وذكر ابن سلام فيهم نافعاً مولى غيلان بن سلمة الثقفي، وذكر أن ولده رجع إلى غيلان حين أسلم وأحسبه ونهما من ابن سلام، أو يمين رواه عنه، وإنما المعروف نافع بن غيلان، والله أعلم .

من نسب بجير بن زهير :

وذكر شعر بُجَيْرِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ ، واسم أبي سُلَيْمٍ : رَبِيعَةُ ، وهو من بني لاطيم بن عثمان ، وهم مُزَيْنَةُ ، عرفوا بأهمهم ، وقد قدمنا أنها بنت كلب بن وبرة ، وأن أختها الخوَّابُ ، وبها سُمِّيَ ماء الخوَّاب ، وعُثْمَانُ هو ابن أَدِّ بْنِ طَابِخَةَ .

مول شعر بجير :

وقوله :

كَانَتْ عُلَّالَةٌ يَوْمَ بَطْنِ حُنَيْنٍ

هذا من الإقواء الذي تقدم ذكره ، وهو أن ينقص حرفاً من آخر التميم الأول من السكامل ، وهو الذي كان الأصمعي يسميه المُتَعَدُّ (١) .

(١) وكذلك كان يسميه الخليل لنقصانه من عروض البيت قوة . وأبو ذر الحشني يقرأ حينئذ مصغرة أى يتضعيف للياء مع كسرهما مصغرة ، وهذا لا يكون في البيت إقواء .

وقوله: ثانت عَلَلَّة. العَلَلَّة: جَرَى بعد جَرَى، أو قَتَلَ بعد قَتَلَ^(١)، يريد: أن هَوَازِنَ جَمَعَتْ جَمْعَهَا عَلَلَّةً في ذلك اليوم، وحذف التنوين من عَلَلَّة ضرورةً، وأضمر في كات اسمها، وهو القصة، وإن كانت الرُّوَايةُ بخفض يومٍ، فهو أولى من التزام الضَّرورة القبيحة بالنَّصب، ولكن أَلْفَيْمُهُ في النسخة للمقيدة، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز في عَلَلَّة أن يكون منصوباً على خبر كان، فيكون اسمها عائداً على شيء تقدم ذكره، ويجوز الرفع في عَالَلَّةٍ به. إضافتها إلى يومٍ على أن تكون كان تامةً مكثفةً باسم واحدٍ، ويجوز أن تجمعهم تَلَمَّامُ مصدر مثل بَرَّةٍ وفَجَارٍ^(٢)، وينصب يومٌ على الظرف كما تقيده في النسخة.

وقوله: تَرْتَدُّ حَسْرَانَا، جمع: حَسْرَانَا، السَّكَايَا. والرَّجْرَاجَةُ: السَّكَمِيَّةُ الضَّخْمَةُ من الرَّجْرَجَةِ، وهي شِدَّةُ الحَرَكَةِ وهو مضطرب. وَيَفْيَاقُ: من الْفَلَقِ، وهي الداهية. وَالْهَرَّاسُ: شَوْكٌ معروف والضَّرَاءُ: الكلاب، وهي إذا مَشَتْ في الْهَرَّاسِ ابْتَقَتْ لَأَيْدِيهَا موضعاً، ثم تضع أرجلها في موضع أَيْدِيهَا، شَبَّهَ الخليل بها. وَالْقُدْرُ: الوُعُولُ الْمُسِنَّةُ. وَالنَّهْيُ: الغَدِيرُ، سمي بذلك، لأنه ماء نهأ ما ارتفع من الأرض عن السَّيْلَانِ فوقف.

(١) وهي من العلل: الشرب بعد الشرب، وأراد به هاهنا معنى التكرار كما قال أبو ذر ص ٤١٠.

(٢) فجار اسم للفجرة والفجور مثل قطام، وهو معرفة علم غير مصروف وبرة كذلك اسم علم غير مصروف بمعنى البر، قال النابغة:
إنا اقسمنا شطينا بيتنا فحلت برة واحتملت فجار

وقوله : جَدُلٌ : جمع جَدَلَاءَ ، وهى الشديدة القَلْبِ ، ومن رَوَاه : جَدُلٍ ، فمعناه : ذات جَدُلٍ .

وقوله : وآل مُحَرَّقٍ يعنى مُحَرَّرَ بنِ هِنْدٍ ملكَ الحِيرةِ ، وقد تقدم فى أول الكتابِ سَبَبُ تَسْمِيَّتِهِ بِمُحَرَّقٍ ، وفى زمانه وُلِدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكروا - والله أعلم .

ومنا ومسح ظهر آدم :

فصل : وذكر انصراف النبي صلى الله عليه وسلم عن الطائف على دَحْنًا . ودَحْنًا هذه هى التى خُلِقَ من تُرْبِهَا آدمُ صلى الله عليه وآله على نبينا وعليه ، وفى الحديث : إن الله خلق آدمَ من دَحْنًا ، ومسح ظهره بِدَحْنِ الأَرَاكِ^(١) رواه ابنُ عباسٍ ، وكان مسحُ ظهرِ آدمَ بعد خروجه من الجنة باتفاقٍ من الروايات ، واختلفت الروايةُ فى مسحِ ظهره ، فروى ما تقدم ، وهو أصح ، وروى أن

(١) قال البكرى : موضع سيف البحر ، وفى اللسان : بين الطائف ومكة ، وعند ياقوت أنها من مخاليف الطائف : ويرى البكرى أن ابن إسحاق أراد أنه سلك على وحى ، إذ ليس فى الطائف سيف بحر . ونعمان : وادى عرفة دونها إلى منى ، وهو كثير الأراك . وفى ياقوت : واد يغتبه - أى يغيب الأراك - ويصب إلى ودان بلد غزاه النبي وهو بين مكة والطائف ، يسكنه هذيل ، معجم ياقوت وكتابه المشترك وضعاً ، وزعم أن الله خلق آدمَ من دَحْنٍ قول لا يشته سند صحيح . ويخالف ما رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه من أن الله خلق آدمَ من قبضة قبضها من جميع الأرض . ثم : ألا يكفينا ماورد فى القرآن .

ذلك كان في سماء الدنيا قبل هبوطه إلى الأرض ، وهو قول السدي ، وكلتا الروایتين ذكرهما الطبري .

وقوله : حتى نزل الجعفرانة ، بسكون العين فيها هو أصح الروایتين ، وقد ذكر الخطابي أن كثيراً من أهل الحديث يشددون الراء^(١) ، وقد ذكر أن المرأة التي آقمت غزلاً من بعد قوة كانت تلقب بالجعفرانة ، واسمها : ربيعة بنت سعد ، وأن الموضع يسمى بها ، والله أعلم .

مول قول زهير أبي صرد :

فصل : وذكر زهيراً أباً صرد ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : ولو أنا مآخناً للحارث بن أبي شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، وقد تقدم في أول الكتاب التعريف بالحارث والنعمان ، ومآخناً : أرضعنا ، والمئح : الرضاع قال الشاعر :

فلا يُبيدُ اللهُ ربَّ العِبادِ دِ والمِئحِ ما ولدتْ خالدةً
همُ المَطعمُ الضَّيفِ شَحْمُ السَّنَا مِ والكاسِ سرُّ والليلَةِ الباردةِ
وهمُ يَكسِرُونَ صُدُورَ القَنَا بِالْخَيْلِ تَطَرَّدُ أَوْ طَارِدَةٌ
فإن يكنِ الموتُ أفنَاهم فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الوَالِدَةُ
وأما زهير الذي ذكره فهو ابن صرد يكنى أباً صرد ، وقيل أباجرول ،

(١) بكسر الجيم والعين وتشديد الراء هكذا يقوله العراقيون ، أم الحجازيون فيخففون . فيقولونها بالضبط الاول . وكذلك الحديبية ، العراقيون يشددون ، والحجازيون يخففون .

وكان من رؤساء بنى جُشَم ، ولم يذكر ابن إسحاق شعره في النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم في رواية البسكائى وذكره في رواية إبراهيم بن سعد عنه وهو :

أُمْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ فَإِنَّكَ الرَّءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ
أُمْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ مُمَزَّقٌ شَمَاهَا فِي دَهْرِهَا غَيْرُ
يَا خَيْرَ طِفْلٍ وَمَوْلُودٍ وَمُنْتَخَبٍ فِي الْعَالَمِينَ إِذَا مَا حُصِّلَ الْبَشَرُ
إِنْ لَمْ تَدَارِكْهُمْ نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ

أُمْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا
إِذْ فَوْكَ تَمْلَأُهُ مِنْ تَحْضِهَا الدَّرَرُ

إِذْ كُنْتَ طِفْلًا صَغِيرًا كُنْتَ تَرْضَعُهَا^(١)

وَإِذَا يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ

لَا تَجْعَلُنَا كَنِ شَالَتْ نَعَامَتُهُ وَاسْتَدْبَقِي مِنَّا فَإِنَّا مَقْشَرُ زُهُرٍ

يَا خَيْرَ مَنْ مَرَحَتْ كُفَّتُ الْجِيَادُ بِهِ

عِنْدَ الْهِيَاجِ إِذَا مَا اسْتَوْقَدَ الشَّرَرُ

إِنَّا لَنَشْكُرُ آلَاءَ وَإِنْ كُفِّرَتْ وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مَذْخَرُ

(١) في البداية : أُمْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا .

إِنَّا نَوْمِلُ عَفْوَكَ مِنْكَ مُتَلَدِّسُهُ (١) هَذِي الْبَرِيَّةُ إِذْ تَعْفُو وَتَذْتَصِرُ
فَاغْفِرْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الظَّفَرُ

مِنْ أَعْظَمِ الْبَابِ :

فصل : وَذَكَرَ رَدَّ السَّبَايَا إِلَى هَرَازِنَ ، وَأَنَّهُ مَنْ لَمْ تَطِبْ نَفْسُهُ بِالرَّدِّ
عَوَضَهُ بِمَا كَانَ بِيَدِهِ ، وَاسْتَطَابَ نَفُوسَ الْبَاقِينَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَقَامِيمَ كَانَتْ قَدْ
وَقَعَتْ فِيهِمْ ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَمُنَّ عَلَى الْأَسْرَى بَعْدَ الْقَتْلِ ، وَيَجُوزُ لَهُ
ذَلِكَ قَبْلَ الْقَتْلِ ، كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَهْلِ خَيْبَرَ حِينَ مَنَّ
عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ عُمَّالًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَرْضِهِمْ الَّتِي افْتَتَحُوهَا عَنْوَةً ، كَذَلِكَ
قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ ، قَالَ : وَلَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ ، فَيَرْدَّهُمْ إِلَى دَارِ
الْحَرْبِ ، وَلَكِنْ عَلَى أَنْ يُوَدُّوا الْجِزْيَةَ ، وَيَكُونُوا تَحْتَ حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ ،
قَالَ : وَالْإِمَامُ مُخَيَّرٌ فِي الْأَسْرَى بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْفِدَاءِ وَالْمَنْ وَالِاسْتِزْقَاقَ وَالْفِدَاءِ
بِالنَّفُوسِ لَا بِالْمَالِ كَذَلِكَ ، قَالَ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ هَذَا فِي الرِّجَالِ ، وَأَمَّا الذَّرَارِيُّ
وَالنِّسَاءُ ، فَلَيْسَ إِلَّا بِالِاسْتِزْقَاقِ ، أَوْ الْمُقَادَاةِ بِالنَّفُوسِ دُونَ الْمَالِ كَمَا تَقْدِمُ .

وَذَكَرَ الْجَارِيَةَ الَّتِي أُعْطِيَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَأَنَّهُ بَمَثَبِهَا إِلَى أَخْوَالِهِ
مِنْ بَنِي جُمَحٍ لِيَصْلَحُوا لَهُ مِنْهَا كَيْ يَصِيبَهَا ، وَهَذَا لِأَنَّهُمَا كَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ ، لِأَنَّهُ
لَا يَجُوزُ وَطْأُهَا وَتَدْنِيَّةُ وَلَا تَجُوسِيَّةُ بِمَلِكٍ يَمِينٍ ، وَلَا بِنِكَاحٍ حَتَّى تُسَلِّمَ ، وَإِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : مِنْكَ عَفْوَ .

كانت ذات زَوْج ، فلا بد أيضاً من استبرائها ، وأما الكتائبات ، فلا خلاف في جواز وطئهنَّ بملك اليمين ، وقد روى عن طائفة من التابعين منهم عمرو بن دينار إباحة وطء المجوسية والوثنية بملك اليمين ، وقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُوْثِنَ ﴾ بحريم عام إلا ما خصَّصته آية المائدة من الكتائبات ، والنكاح يقع على الوطاء بالعقد والملك .

مول سبي ضنين :

وكان سبى حُنين ستة آلاف رأس^(١) ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ولي أبا سفيان بن حرب أمرهم ، وجعله أميناً عليهم ، قاله الزبير ، وفي حديث آخر ذكره الزبير بإسناد حسن أن أبا جهم بن حذيفة العدوي كان على الأنفال يوم حُنين ، فجاءه خالد بن البرصاء ، فأخذ من الأنفال زمام شَهِير فمانعه أبو جهم ، فلما تمانعا ضربه أبو جهم بأقواس فشجَّه مُنْقَلَةً^(٢) ، فاستمدى عليه خالد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : خذ خمسين شاة ودعه ، فقال أقذني منه ، فقال خذ مائة ، ودعه ، فقال : أقذني منه ، فقال : خذ خمسين ومائة ودعه ، وليس لك إلا ذلك ، ولا أقصك من والٍ عليك ، فقومت الخمسون والمائة بخمس عشرة فريضة من الإبل ، فمن هنالك جعلت دية المنقلة خمس عشرة فريضة^(٣) .

(١) وقيل كان مع هذا من الإبل أربعة وعشرون ألف ، ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية .

(٢) منقلة كمحدثه : الشجوة التي تنقل منها فراش العظام .

(٣) وردت ديتها في حديث صحيفة عمرو بن حزم . الذي قال عنه أبوودارد =

إعطاء المؤلفة قلوبهم صد الغنائم :

فصل : وأما إعطاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من غنائم حُنَيْنٍ حتى تسكمت الأنصارُ في ذلك ، وكثرت منهم القالة ، وقالت : يُعْطَى صَنَادِيدَ الْعَرَبِ وَلَا يُعْطِينَا ، وأسماؤنا تَقْطُرُ من دماهم ، فلعلكماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال : أحدها أنه أعطاهم من خُمسِ الخُمسِ ، وهذا القول مَرْدُودٌ لِأَن خُمسَ الخُمسِ يُلْكَ له ولا كلامَ لأحدٍ فيه .

القول الثاني : أنه أعطاهم من رأس الغنيمة ، وأن ذلك خُصُوصٌ بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى (قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) وهذا القولُ أيضاً يرد ما تقدم من نسخ هذه الآية ، وقد تقدم الكلامُ عليها في غزوة بدر ، غير أن بعض العلماء احتج لهذا القول بأن الأنصار لما انهزموا يوم حُنَيْنٍ فأيد اللهُ رسولَه وأمدّه بملائكته ، فلم يرجعوا حتى كان الفتحُ ، رد الله تعالى أمرَ المغنمِ إلى رسوله من أجل ذلك فلم يعطهم منها شيئاً وقال لهم : أَلَا تَرَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رَحَالِكُمْ ، فَطَيَّبَ نَفُوسَهُمْ بِذَلِكَ بعد ما فعل ما أمر به .

والقول الثالث : وهو الذي اختاره أبو عبيدٍ أن إعطاهم كان من الخُمسِ حيث يرى أن فيه مصلحةً للمسلمين .

= لا يصح .. ولا أحدث به : وقال ابن حزم في المحلى : صحيفة عمرو بن حزم منقطة لا آفة وم بها حجة . والفريضة : أصلها البعير المأخوذ في الزكاة ، ثم اتسع فيه .

فصل : ومما لم يذكر ابن إسحاق يوم مُحَنِينَ ... من الوليد أنقل
بالجراحة يومئذ ، فأنابه النبي صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ يَدَانِي عَلَى رَأْسِي
خَالِدٍ حَتَّى دُلَّ عَلَيْهِ ، فوجده قد أسند إلى مؤخرة رحله ، فذنت على جرحه
قَبْرِي ، ذكره الكشي .

وصف عَجُوزِ ابن مَعْنٍ :

فصل : وذاكر عِيَّيْنَةَ بن حِصْنٍ ، وقول زُفَيْرِ بن صُرْدٍ له في العَجُوزِ
التي أخذها : مَا فُوهَا بِبَاكِدٍ ، وَلَا تَذِيهَا بِبَسِيٍّ ، وَهَذَا ... نَكِدٌ : وَهَذَا
أَيْضاً بِنَاكِدٍ ، يريد : ليست بغزيرة الدَّرِّ ، والنُّوْقُ النُّكْدُ : العزير ...
وأحسبه من الأضداد ، لأنه قد يقال أيضاً نَكِدَ لَبْنُهَا إِذَا نَقَصَ ، قال صاحب
العين ، والصحيح عند أكثرهم أن النُّكْدَ هي القبلات ...
عز وجل : (لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا) وأن المَكْدَ بالميم هي الغزيرات اللبن ،
قال ابن سراج ، لأنه من مَكْدَ في المكان إذا أقام فيه ، وقد يقال أيضاً :
نَكِدَ في معنى مَكْدَ ، أي ثَبَتَ .

الأقرع بن حابس :

وذاكر الأقرع بن حابس ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حَسُنَ إسلامه
بعد ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت : (وَلِلَّهِ عَلَى
النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) أفي كلِّ عام يارسول الله ؟ قال : لو قُلْتُهَا لَوَجِبَتْ ، وهو
الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين أقطع أبيض بن حمال الماء الذي

بأرب : أتدرى ما أقطعته يا رسول الله ؟ إنما أقطعته الماء المعد^(١) ، فاسترجمه النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو حديث مشهور ، غير أنه لم يُسمَّ قائل هذا الكلام فيه إلا الدارقطني في روايته ، وزاد فيه أيضاً : قال أبيض : على أن يكون صدقةً منى يا رسول الله على المسلمين ، فقال : نعم ، وأما نسب الأقرع بن حابس ، فهو ابن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع [بن دارم] التميمي المجاشعي الدارمي ، وأما عيينة ، فاسمه : حذيفة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد تقدم ذكره .

مالك بن عوف :

فصل : وذكر تولية النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف على ثمالة وبنى سلمة وقهم . وثمالة هم بنو أسلم بن أحنن أمهم : ثمالة . وقول أبي مججن فيه :

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سلمة

هكذا تقيد في النسخة بكسر اللام ، والمعروف في قبائل قيس : سلمة بالفتح إلا أن يكونوا من الأزدي ، فإن ثمالة المذكورين معهم حتى من الأزدي وقهم من دؤس ، وهم من الأزدي أيضاً ، وأمهم : جديلة وهي من غطفان بن قيس بن غيلان ، على أنه لا يعرف في الأزدي سلمة إلا في الأنصار ، وهم من

(١) أي الدائم الذي لا انقطاع لمادته ، وجمعه : أعداد . وقد روى حديثه هذا أبو داود والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه

الأزد وسَلَمَةُ أَيْضًا فِي جُعْفَى هَمْ ، وَسَلَمَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ ذُهَلِ بْنِ مُرَّانِ بْنِ جُعْفَى ، وَسَلَمَةُ فِي جُهَيْنَةَ أَيْضًا سَلَمَةُ بْنُ نَصْرٍ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ جُهَيْنَةَ وَجُعْفَى مِنْ مَذْحِجٍ ، وَجُهَيْنَةُ مِنْ قُضَاعَةَ ^(١) .

وَأَمَّا مِخْجَنُ ، فَاسْمُهُ : مَالِكُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَقِيلَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غَيْرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ قَيْسِ الثَّقَفِيِّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَسَبُ أَحْجَنَ عِنْدَ ذِكْرِنَا لَهَبِ بْنِ أَحْجَنَ قَبْلَ بَابِ الْمُبْعَثِ .

وَذَكَرَ أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَغْصَكُكُ ، وَاسْمُهُ : حَبَّةُ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَكَانَ شَاعِرًا وَحَدِيثُهُ مَعَ سُبَيْعَةِ الْأُسْلَمِيَّةِ حِينَ آمَتَ مِنْ زَوْجِهَا مَذْكُورٌ فِي الصَّحَّاحِ ^(٢) .

قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُرْدَاسٍ :

فَصَل : وَذَكَرَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ أَنْتَ الْقَائِلُ : فَأَصْبَحَ نَهْيٌ وَنَهْبُ الْعَبِيدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُمَيْيَنَةَ ؟

(١) فِي الْقَامُوسِ « وَبَنُو سَلَمَةَ بَطْنٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَابْنُ كِهْلَادٍ فِي بَجِيلَةَ ، وَابْنُ الْحَارِثِ فِي كَنْدَةَ ، وَابْنُ عَمْرٍو بْنُ ذُهَلٍ ، وَابْنُ غَطَفَانَ بْنِ قَيْسٍ وَعُمَيْرَةُ ابْنُ خَفَافِ بْنِ سَلَمَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ الْبَدْرِيُّ الْإِحْدَى . وَعَمْرٍو بْنُ سَلَمَةَ الْهَمْدَانِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ ، وَأَخْطَأَ الْجَوْهَرِيُّ فِي قَوْلِهِ : وَلَيْسَ سَلَمَةُ فِي الْعَرَبِ غَيْرَ بَطْنِ الْأَنْصَارِ ، وَقَدْ نَقَلَ الْأَسَانُ قَوْلَ الْجَوْهَرِيِّ وَلَمْ يَعْقِبْ عَلَيْهِ .

(٢) لَمَّا مَاتَ زَوْجُ سَبِيْعَةَ وَضَعَتْ حَمْلَهَا وَتَهَيَّأَتْ لِلْخُطَابِ ، فَأَنكَرَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ ، وَقَالَ . حَتَّى تَعْتَدِيَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَعْلَمَهَا أَنَّ قَدْ حَلَّتْ . هَذَا مَا رَرَدَ فِي النَّصِيحِيحِينَ . أَقُولُ : وَفِي الْقُرْآنِ عَنْ عِدَّةِ ذَاتِ الْحَمْلِ : (وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجْلُنَ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَ) . وَقَدْ رَوَى أَنَّهَا وَلَدَتْ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِنِصْفِ شَهْرٍ . وَقَدْ أَخْرَجَ قِصَّةَ سَبِيْعَةَ الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَمَالِكٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ . وَفِي الْأَصْلِ عَنْ نَسَبِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ .

فقال أبو بكر الصديق : بين عُيَيْنَةَ والأَفْرَع ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هما واحد ، بمعنى في المعنى ، وأما في الفصاحة ، فالذى أُجْرِيَ على لسانه صلى الله عليه وسلم هو الأفصح في تنزيل الكلام وترتيبه ، وذلك أن القَبْلِيَّةَ تكون بالفضل نحو قوله تعالى : ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ وتكون بالرتبة نحو قوله تعالى حين ذكر اليهود والنصارى ، فقدم اليهود لجاورتهم المدينة ، فهم في الرتبة قبل النصارى ، وقَبْلِيَّةٌ بالزمان نحو ذكر التَّوْرَةِ والإنجِيلِ بعده ونوحاً وإبراهيم ، وقَبْلِيَّةٌ بالسَّبَب ، وهو أن يذْكَرَ ما هو عِلَّةُ الشَّيْءِ وَسَبَبُ وجوده ، ثم يُذْكَرُ الْمُسَبَّبُ بعده ، وهو كثير في الكلام مثل أن يذْكَرَ معصيةٌ وعتاباً أو طاعةٌ وثواباً فالأجود في حكم الفصاحة تقديمُ السبب .

القَبْلِيَّةُ بَيْنَ الْأَفْرَعِ وَعُيَيْنَةَ :

والأَفْرَعُ وَعُيَيْنَةُ من باب قَبْلِيَّةِ الْمَرْتَبَةِ ، وقَبْلِيَّةِ الْفَضْلِ ، أما قَبْلِيَّةُ الرُّتْبَةِ فإنه من خِفَافٍ ، ثم من نَبِيٍّ نَبِيٍّ ، فهو أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من عُيَيْنَةَ ، فترتب في الذكر قبله ، وأما قَبْلِيَّةُ الْفَضْلِ ، فإن الْأَفْرَعَ حَسُنَ إسلامه وَعُيَيْنَةُ لم يزل مَعْدُوداً في أهل الجَمْعِ حتى ارْتَدَّ وآمَنَ بِطُلُوحَةِ ، وأُخِذَ ، أسيراً فجعل الصَّيْبَانُ يقولون له - وهو يساق إلى أبي بكر - وَفِيكَ بِاعْدُوا اللهَ ارْتَدَدْتَ بعد إيمانك ، فيقول : والله ما كنت آمنْتُ ، ثم أسلم في الظاهر ، ولم يزل جافياً أحمق حتى مات ،

وَبِحَسْبِكَ تَسْمِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ : الْأَتْحَقُّ الْمَطَاعُ ^(١) وَمَا يَذْكُرُ مِنْ جَفَائِهِ أَنْ عَمَرُو بْنِ مَعْدَى كَرِبَ نَزَلَ بِهِ ضَيْفًا ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةُ : هَلْ لَكَ فِي الْخَمْرِ نَتْنَادُمْ عَلَيْهَا ؟ فَقَالَ عَمْرُو : أَلَيْسَتْ مُحَرَّمَةً فِي الْقُرْآنِ ؟ فَقَالَ عُيَيْنَةُ : إِنَّمَا قَالَ : فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهَوُونَ ، فَقُلْنَا نَحْنُ : لَا ، فَشَرَبَا .

مَدِينَةُ ذِي الْخَوْبِصَةِ

وَذَكَرَ حَدِيثَ ذِي الْخَوْبِصَةِ التَّوَسُّعِيَّةِ ، وَمَا قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي شِيعَتِهِ ، وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : يَخْرُجُ مِنْ ضَيْفِيهِ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ الْحَدِيثُ ^(٢) ، فَكَانَ كَمَا قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَظَهَرَ صِدْقُ الْحَدِيثِ فِي الْخَوَارِجِ ، وَكَانَ أَوْلَهُمْ مِنْ ضَيْفِي ذَلِكَ الرَّجُلِ ، أَيْ : مَنْ أَصْلِهِ ، وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ تَجْدِيدِ التِّي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْهَا يَطْلُعُ قَرْنُ

(١) رواه سعيد بن منصور والطبراني . لأنه كان قد دخل على النبي «ص» بدون استئذان ، وعنده عائشة فقال : من هذه الجليلة إلى جانبك ؟ قال : عائشة . قال : أفلا أنزل لك عن خير منها يعني امرأتك ؟ فقال له النبي : أخرج فاستأذن ، فقال : إنما بمن علي ألا أستأذن علي مضرى . فقالت عائشة من هذا ؟ فقال لاحق المطاع . وقد ذكر الشافعي في كتاب الآم في باب من كتاب الركاز أن عمر قتل عيينة على الردة .

(٢) أصل الحديث في الصحيحين .

الشَّيْطَانِ ، فَكَانَ بَدْوُهُمْ مِنْ ذِي اُنْخُوَيْصَرَةٍ ، وَكَانَ آيَتُهُمْ ذُو الثُّدَيَّةِ الَّذِي قَتَلَهُ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ ، وَكَانَتْ إِحْدَى بِيَدِهِ كَثْدَى الْمَرْأَةِ ، وَاسْمُ ذِي الثُّدَيَّةِ نَافِعٌ ، ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَغَيْرُهُ بِقَوْلِ اسْمِهِ : حُرْقُوصُ [بِنِ زَهَيْرٍ] ^(١) وَقَوْلِ أَبِي دَاوُدَ أَصَحُّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

شعر صباه في عتابه صلى الله عليه وسلم :

وذكر شعر حسان وفيه :

هَيْفَاءُ لَا ذَنْنٌ فِيهَا وَلَا خَوْرُ

الذَّنُّ : الْغَدْرُ وَالْقَفْلُ ، وَالذَّنِينُ الْحَاظُ ، وَالذَّنُّ أَيْضًا أَلَّا يَنْقَطِعَ حَيْضُ الْمَرْأَةِ ، يُقَالُ : امْرَأَةٌ ذَنَاءٌ ، وَلَوْ رَوَى بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ لَكَانَ جَيِّدًا أَيْضًا ، فَإِنَّ الذَّنَّ بِالذَّالِ هُوَ قَصْرُ الْعُنُقِ وَتَطَامُنُهَا ، وَهُوَ عَيْبٌ . وَالْبَهْكَنَةُ : الضَّخْمَةُ .

مول عتاب النبي للأَنْصَارِ :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للأَنْصَارِ : مَا قَالَتْ بَلْعَتْنِي

(١) كَذَا فِي الْقَامُوسِ ، وَفِي الْمَللِ وَالنَّحْلِ ، لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ، وَهُوَ مِنَ الْمُحْكَمَةِ الْأُولَى الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَاجْتَمَعُوا بِمَجْرُورَاءَ قَرْيَةٍ بِظَاهِرِ السَّكُوفَةِ . وَيَقُولُ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ نَبِيَّارُوهَ الصَّحْبِيَّانِ عَنِ الْخَوَارِجِ دَأَيْتَهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدَ إِحْدَى عُنْدِيهِ مِثْلَ تَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلِ الْبُضْعَةِ تَدْرُدُ ، ثُمَّ يَقُولُ : وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ . وَأَنَا مَعَهُ ، وَأَمْرٌ بِذَلِكَ الرَّجُلِ قَاتِلٌ ، فَأَتَى بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعْتُ .

(م ١٩ - الرُّوضُ الْأَنْفُ ج ٧)

عنكم وجِدَّةٌ رَجَدَتْموها في أنفسكم ، هكذا الرواية : جِدَّةٌ والمعروف عند أهل اللغة : مَوْجِدَّةٌ إذا أردت الفَضْبَ ، وإنما الجِدَّةُ في المال .

وقوله عليه السلام : في لُمَاعَةٍ من الدنيا تألفتُ بها قومًا ، لِيُسَلِّمُوا . اللُّمَاعَةُ بَقْلَةٌ ناعمةٌ ، وهذا نحو من قوله عليه السلام : المالُ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، واللُّعَةُ من هذا المعنى ، وهى المرأة اللبحة التقيفة ، واللُّمْلَمُ : السَّرَابُ ، ولُمَاعُهُ : بِصِيصُهُ (١) .

جعيل بن سراقته :

وذكر جُعَيْلُ بْنُ سُرَّاقَةَ ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه : **وَوَكَّلْتُ جُعَيْلَ بْنَ سُرَّاقَةَ إِلَى إِسْلَامِهِ** . نسب ابنُ إِسْحَاقَ جُعَيْلًا إِلَى ضَمَرَةٍ ، وهو معدود في غِفَارٍ ، لأنَّ غِفَارًا ، هم بنو مُائِلَ بْنِ ضَمَرَةَ من بني لَيْثَ بْنِ بَكْرٍ ابنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِنَانَةَ . وأما حديث التَّمِيمِ الذى قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى المؤلفة قلوبهم : **لَمْ أُرَكَ عَدَلْتُ** ، ففضب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : **إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعَدْلُ عِنْدِي ، فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ ؟** وقال أيضًا : **إِنِّى أَرَى قِسْمَةً مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : أَبَا مَتْنَى اللَّهُ فِي السَّمَاءِ ، وَلَا تَأْتُمُونِى ، أَوْ كَمَا قَالَ صلى الله عليه وسلم ، فَالرجل هو ذُو الْخُوَيْصِرَةِ ، كذلك جاء ذكره في الحديث (٢) .**

(١) في اللسان : ولُماع الشمس : السراب ، والأكثر : لعاب الشمس والللمع : السراب ، والللمعة : بصيصه .

(٢) هكذا ورد اسمه في الصحيحين : ذُو الْخُوَيْصِرَةِ رجل من بني تميم .

ويذكر عن الواقدي أنه قال : هو حُرْقُوصُ بن زُهَيْرِ السَّعْدِي من سَدِ
نَمِيمٍ ، وقد كان لِحُرْقُوصٍ هذا مشاهدٌ محمودةٌ في حَرْبِ العراق مع الفُرس أيام
عُمَرَ ، ثم كان خارجياً ، وفيه يقول نعيمية الخارجي :

حتى ألقى في الفِرْدَوْسِ حُرْقُوصاً

ولذلك قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : إنه سيكون من ضِئْضِئِهِ
قومٌ تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم ، وذكر صفة الخوارج ، وليس
ذو الخُوَيْصِرَةِ هذا ذا النُّذْبَةِ الذي قتله عليٌّ بالنَّهْرِ ، وأن ذلك اسمه نافعٌ ، ذكره
أبو داود ، وكلام الواقدي حكاه ابن الطلاع في الأحكام له .

شعر بجبر وكعب ابني زهير :

فصل : وذكر قصَّةَ بُجَيْرِ بن زُهَيْرِ بن أبي سُلَيْمٍ ، واسم أبي سُلَيْمٍ :
ربيعة بن رِيَّاحٍ أحد بني مُزَيْنَةَ .

وفي شعر كعب إلى أخيه بجبر :

سَقَاكَ بِهَا لِلْأَمُونِ كُأَسَارِوِيَّةٌ

ويُروى : الحمودُ في غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالحمود : محمداً
- صلى الله عليه وسلم - وكذلك الأَمُونُ والأَمِينُ كانت قريشٌ تسمى بهما
النبيَّ صلى الله عليه وسلم قبل النبوة .

وقوله لأخيه بجبر :

على خلقٍ لم تُنلفِ أمّا ولا أباً عليه، ولم تُذكرِ عليه أحاكاً^(١)
 إنما قال ذلك ، لأن أمهما واحدة ، وهي كنبشة بنت عمار الشحيمة
 فيما ذكر ابن الأعرابي عن ابن السكيت .
 وقوله : إمام عثرتَ كعالكاً ، كلمة تقال للعائر دعاء له بالإقولة . قال الأعشى :
 فالتعسُ أذنَى لها مِن أن يُقالَ كعاً لها^(٢)
 وأنشد أبو عبيد :

فلأعاً لبني فعلان إذا عثروا

وقول مجير -

ودبن زهير وهو لاشيء دينه

روايةٌ مستقيمة ، وقد رواه القالي ، فقال : وهو لاشيء غيره ، وفسره
 على التقديم والتأخير أراد : ودبن زهير غيره ، وهو لاشيء . ورواية ابن إسحاق
 أبعد من الإشكال وأصح ، والله أعلم .
 وكعب هذا من فحول الشعراء هو وأبوه زهير ، وكذلك ابنة عتبة

(١) في السيرة : .

على خلق لم ألف يوماً أباه عليه وما تلقى عليه أبالك
 (٢) البيت في اللسان هكذا :

بذات لوث عفناة إذا عثرت فالتعس أذنَى لها من أن أقول لها
 وكذلك هو في معجم ابن فارس ، وفي ديوان الأعشى . وفي نوادر أبي زيد

ابن كعب بن زهير يُعرَفُ عُقْبَةُ بِالْمَضْرَبِ ، وابنُ عُقْبَةَ الْعَوَّامُ ^(١) شاعرٌ
أيضاً ، وهو الذى يقول :

أَلَا لَيْتَ شِفْرِي هَلْ تَمَيَّرَ بَعْدَنَا مَلَا حَةَ عَيْنِي أَمْ عَمِرٍ وَجِيدُهَا
وَهَلْ بَلَيْتَ أَثْوَابُهَا بَعْدَ جِدَّةٍ أَلَا حَبَّذَا أَخْلَاقُهَا وَجَدِيدُهَا ^(٢)
ومما يُسْتَحْسَنُ وَيُسْتَجَادُ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ :
لَوْ كُنْتُ أُعْجِبُ مِنْ شَيْءٍ لَا أُعْجِبُ سَعَى الْفَتَى وَهُوَ مَحْبُودٌ لَهُ الْقَدَرُ
يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُذَكِّرُهَا فَالْنَفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمُّ مُنْتَشِرُ
وَالرَّهْ مَاعَاشٍ مَعْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لَا تَنْتَهَى الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهَى الْأَثَرُ
وقوله :

إِنْ كُنْتُ لَا تَرْهَبُ ذِمِّي لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ

(١) كان فى عهد بنى العباس . وفى سبط البكرى عنه : شاعر مفلح مقل من شعراء الحجاز .. والعوام من المعربين فى الشعر ، لأنهم خمسة شعراء فى نسق ، وكان ربيعة أبو سلى شاعراً ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
(٢) بعده :

نظرت إليها نظرة ما يسرنى بها حر أنعام البلاد وسودها
ومن القصيدة فى حماسة أبى تمام :
ونبتت سوداء الغميم مريضة فأقبلت من مصر إليها أعودها
فوالله ما أدرى إذا أنا جثتها أبرئها من دائها أم أزيدها
والشعر فى امرأة كاف بها من بنى عبد الله بن غطفان ، فخرج فى ميرة إلى مصر فعلم أنها مريضة ، فترك مهرته وكر راجعاً إليها . فلما رآته أشارت إليه أن يرجع إلى مهرته ، فرجع ، فلما ماتت رثاها بقصيدة منها :
سقى جدثاً بين الغميم وزلفة أحم الذرى واهى العزالى مطيرها
أنظر الحماسة بشرح التبريزى .

فاخشَ سُكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ فَيْكَ لِمَسْمُوعٍ خَفَا الْقَائِلِ
فَالسَّامِعُ الذَّمَّ شَرِيكَ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَاكُولِ كَالَاكِيلِ
مَقَالَةُ الشَّوْءِ إِلَى أَهْلِهَا أُسْرَعُ مِنْ مُنْجَدِرِ سَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

قصيدة بانث سعاد :

وذكر قصيدته :

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ

وفيها قوله :

شَجَّتْ بَذَى شَبَمِ

بمعنى : انْخَمَزَ ، وشَجَّتْ كُثِرَتْ من أعلاها لأنَّ الشَّجَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا
فِي الرَّأْسِ ، وَالشَّبَمُ الْبَرْدُ ، وَأَقْرَطُهُ : أَيْ مَالَاهُ . وَالْبَيْضُ الْيَعَالِيلُ :
السَّحَابُ ، وَقِيلَ : جِبَالُ يَنْجَدِرُ الْمَاءُ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَالْيَعَالِيلُ أَيْضًا : الْغُدْرَانُ ،
وَاحِدُهَا يَغْلُولُ ؛ لِأَنَّهُ يُعِيلُ الْأَرْضَ بِمَائِهِ .

وقوله : يَا وَنَحْمًا^(١) خُلَّةٌ قَدْ سَيَّطَ مِنْ دَمِهَا .

أَيْ خُلِطَ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ الَّتِي وَصَفَهَا بِهَا مِنَ الْوَلَعِ وَهُوَ

(١) فِي السَّيْرَةِ : لَكِنَّمَا .

الْخَلْفَ ، وَالْكَذِبَ ، وَالْبَطْلَ ، يُقَالُ : سَاطَ الدَّمُ وَالشَّرَابُ إِذَا ضَرَبَ بَعْضُهُ
بِبَعْضٍ . وَقَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ :

صَمُوتٌ إِذَا مَا زَيْنَ الصَّمْتِ أَهْلَهُ وَفَتَّاقٌ أَبْكَارَ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ
وَعَى مَا حَوَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ
وَسَيَّطَتْ لَهُ الْآدَابُ بِاللَّحْمِ وَالدَّمِ

وَالنُّوْلُ : الَّتِي تَتَرَاى بِاللَّيْلِ . وَالسَّعْلَةُ مَا تَرَاى بِالنَّهَارِ مِنَ الْجَنِّ ، وَقَدْ
أَبْطَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكْمَ النُّوْلِ حَيْثُ قَالَ : لَا عَدْوَى وَلَا
غُولٌ ^(١) ، وَلَيْسَ يَمَارِضُ هَذَا مَا رَوَى مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِذَا تَغَوَّلَتْ

(١) لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفْرَ وَلَا غُولَ أَحَدٍ وَمُسْلِمٌ ، هُنَّ
جَائِرٌ . وَالصَّفْرُ فِي زَعَمِ الْعَرَبِ : حَيَّةٌ تُصِيبُ الْإِنْسَانَ إِذَا جَاعَ وَتَوَذَّيْهُ ، وَأَنَّهُ
تَعْدَى . وَقِيلَ أَرَادَ بِهِ النَّسِيءَ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ تَأْخِيرُ الْحَرَمِ إِلَى
صَفْرِ وَيَجْمَعُونَ صَفْرَهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، فَأَبْطَلَهُ . وَالْهَامَةُ تَقْدُمُ ذِكْرَهَا . وَيَقُولُ ابْنُ
الْأَثِيرِ : هِيَ مِنْ طَيْرِ اللَّيْلِ ، وَقِيلَ : هِيَ الْيَوْمُ وَكَانَ الْعَرَبُ يَنْشَاءُ مَوْنَ بِهَا ، وَقِيلَ :
كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ رُوحَ الْقَتِيلِ الَّذِي لَا يَدْرِكُ بَشَارَهُ تُصِيرُ هَامَةً فَتَقُولُ :
اسْقُونِي ، فَإِذَا أَدْرَكَ بَشَارَهُ طَارَتْ . وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ . وَالنُّوْلُ عِنْدَ ابْنِ الْأَثِيرِ
جَنْسٌ مِنَ الْجَنِّ وَالشَّيَاطِينِ كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ النُّوْلَ فِي الْفَلَاةِ تَتَرَاى لِلنَّاسِ ،
فَتَسْقُوهُ تَغْوَلًا ، أَيْ : تَتَلَوْنَ تَلَوْنًا فِي صُورِ شَيْءٍ ، وَتَغْوَلُهُمْ أَيْ : تُضْلِمُهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ
وَتَهْلِكُهُمْ .

وَالنَّفْيُ إِمَّا الْمَوْجُودَ ، وَإِمَّا الْمَزْعُومَ . وَلَمْ لَا يَكُونُ لِلْأَمْرَيْنِ ؟ وَقَدْ تَأَوَّلَ ابْنُ
الْأَثِيرِ نَفْيَ الْعَدْوَى بِقَوْلِهِ : وَقَدْ أَبْطَلَهُ الْإِسْلَامُ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَرْضَ
بِنَفْسِهِ يَتَعْدَى ، فَأَعْلَمَهُمُ النَّبِيُّ «ص» أَنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ هُوَ الَّذِي

الْفِيلَانُ فَارَقَمُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْأَذَانِ^(١) ، وكذلك حديث أبي أيوب مع الغول حين أخذها ، لأن قوله عليه السلام : لا غُولَ إِنَّمَا أَبْطَلَ بِهِ مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَقُولُهُ مِنْ أَخْبَارِهَا وَخُرَافَاتِهَا مَعَهَا

وقوله :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا .

هو : عُرْقُوبُ بْنُ صَخْرٍ مِنَ الْعَمَالِيقِ الَّذِينَ سَكَنُوا يَثْرِبَ ، وَقِيلَ : بِلْ هُوَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ ، وَقَصَّتْهُ فِي إِخْلَافِ الْوَعْدِ مَشْهُورَةٌ حِينَ وَعَدَ أَخَاهُ بَجَنًا نَخْلَةً لَهُ وَعَدًا مِنْ بَعْدِ وَعْدِهِ ، ثُمَّ جَذَّهَا لَيْلًا ، وَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا .

والتَّبْنِيلُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ سَرِيعٌ ، وَالْجَزْآنُ جَمْعُ حَزْنٍ وَهُوَ مَا غَاطَّ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْمِيلُ مَا تَسْعُ مِنْهَا :

وقوله : تَرْمِي النَّجَادَ ، وَأَنْشَدَهُ أَبُو عَلِيٍّ : تَرْمِي الْغُيُوبَ ، وَهُوَ جَمْعُ غَيْبٍ ، وَهُوَ مَا غَارَ مِنَ الْأَرْضِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ مِقْبِلٍ :

لَزِمَ الْغَلَامَ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ

وقوله :

حَرَفَ أَبَوَهَا أَخَوَهَا مِنْ مُهَجَّةٍ وَعَمَّهَا خَالَهَا قَوْدَاهُ شَمْلِيلُ
الْقَوْدَاهُ : الْعَطْوِيلَةُ الْمُتَّقِي . وَالشَّمْلِيلُ : السَّرِيعَةُ . وَالْحَرَفُ : النَّاقَةُ الضَّامِرُ .

== يمرض وينزل الدماء ، ولهذا قال في بعض الأحاديث : فمن أهدى البعير الأول ، أي : من أين صار فيه الجرب ، هذا لأن الواقع والتجربة تؤكد وجود الهدوى (١) رواه الطبراني في الأوسط وهو ضعيف .

وقوله : من مُهَجَّجَةٍ ، أى : من إبل مُهَجَّجَةٍ مُسْتَكْرَمَةٍ هِجَانٍ .

وقوله : أبوها أخوها أى : إنيهما من جنس واحد في السَّكْرَم ، وقيل : إنيهما من فَحْلٍ سَحَلٍ على أمّه نجاءت بهذه الناقة ، فهو أبوها وأخوها ، وكانت الناقة التي هي أم هذه بنت أخرى من الفحل الأكبر ، فعمتها خالها على هذا ، وهو عندهم من أكرمِ النجاج ، والقول الأول ذكره أبو على القالى عن أبي سعيد ، فأنه أعلم .

وقوله : أَقْرَابُ زَهَائِلٍ ، أى : خواصر مُنَسَّ ، واحدُها : زُهْلُولٌ والبرِطِيلُ : حَجَرٌ طَوِيلٌ ، ويقال : لاهِجُولٌ أيضاً : برِطِيلٌ .

وقوله : ذَوَائِلٍ وَقُفُفٍ^(١) الأَرْضَ تَحْلِيلٌ .

تحليل ، أى قليلٌ . يقال : ما أقام عندنا إلا كتحليل الألية ، وكتحليله المقيم ، وعليه حل ابن قتيبة قوله عليه السلام لن تمسه النار إلا تحلة القسم ، وغلط أبا عبيد حيث فسره على القسم حقيقةً . قال القتيبي : ليس في الآية قسمٌ لأنه قال : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ولم يُقسم . قال الخطابي : هذه غفلة من ابن قتيبة فإن في أول الآية : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم وَالشَّيَاطِينَ ﴾ وقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ داخلٌ تحت القسم المتقدم .

وقوله : بالقور المساقيل . القورُ : جمع قارة ، وهي الحجارة السود .

(١) في السيرة : مسمن .

وَالْعَسَاقِيلُ هَذَا السَّرَابُ ، وَهَذَا مِنَ الْمَقْلُوبِ ، أَرَادَ وَقَدْ تَلَفَّتْ الْقَوَدُ
بِالْعَسَاقِيلِ .

وفيها قوله :

نَمَشِي^(١) الْغَوَاةُ بَجَنَدَيْنِهَا ، أَيْ بِجَنَدِي نَاقَتِهِ .

عن الفول والقيل إعراباً ومعنى :

وقوله : إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولٌ . وَيُرْوَى : وَقِيلُهُمْ ، وَهُوَ أَحْسَنُ
فِي الْمَعْنَى ، وَأَوَّلَى بِالصَّوَابِ ؛ لِأَنَّ الْقِيلَ هُوَ الْكَلَامُ الْمَقُولُ فَهُوَ مُبْتَدَأٌ ،
وقوله : إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولٌ : خَبَرٌ ، تقول : إِذَا سَأَلْتَ مَا قِيلَكَ ؟
قِيلَ : إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ ، فَقَوْلُكَ : إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ هُوَ الْقِيلُ ، وَالْقَوْلُ مُصَدَّرٌ
كَالطَّحْنِ وَالذَّبْحِ ، وَالْقِيلُ اسْمٌ لِلْمَقُولِ كَالطَّحْنِ وَالذَّبْحِ بِكسر أوله ،
وإنَّمَا حَسُنَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ ، لِأَنَّ الْقَوْلَ مُصَدَّرٌ فَيَصِيرُ : إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمٍ
فِي مَوْضِعِ الْمَنْعُولِ فِيهِ ، فَيَبْقَى الْمُبْتَدَأُ بِلَا خَبَرٍ إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ الْمَقُولُ هُوَ الْقَوْلُ
عَلَى الْمَجَارِ ، كَمَا يُسَمَّى الْخَلْقُ خَلْقًا ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ وَقِيلَ يَا رَبِّ ﴾ فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنَ الْقِيلِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ إِلَّا قِيلًا ﴾ :
سَلَامًا سَلَامًا ﴿ مُنْتَصِبٌ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ ، فَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنَ قِيلًا
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ أَيْ : حَدِيثًا مَقُولًا ، وَمَنْ

(١) فِي السِّيرَةِ : تَسْمَى .

هذا الباب مسألة من النحو ذكرها سيبويه ، وابن السراج في كتابه ، وأخذ الفارسي منهما ، أو من ابن السراج ، فكثيراً ما ينقل من كتابه بلفظه غير أنه أفسد هذه المسألة ، ولم يفهم ما أراد بها ، وذلك أنهما قالا : إذا قلت أول ما أقول : إني أحمد الله ، بكسر الهمزة ، فهو على الحكاية ، فغان الفارسي أنه يريد على الحكاية بالقول ، فجعل إني أحمد الله في موضع المفعول بأقول ، فلما بقي له للبند بلا خبر تكلف له تقدير لا يعقل ، فقال : تقديره أول ما أقول : إني أحمد الله موجود أو ثابت ، فصار معنى كلامه : إني أن أول هذه الكلمة التي هي إني أحمد الله موجود أي : أول هذه الكلمة موجود ، فأخبرها إذا مقدوم ، وهذا خالف من القول ، كما ترى ، وقد وافقه ابن جني عليه ، رأيت في بعض مسائله ، قال : قلت لأبي علي لم لا يكون : إني أحمد الله في موضع الخبر ، كما تقول : أول سورة أقرأها : ﴿ إِنَّا أَعْظَمُكَ الْكَوْثَر ﴾ أو نحو هذا ولا يحتاج إلى حذف خبر ، قال : فسكت ولم يجد جواباً ، وإنما معنى هذه المسألة أول ما أقول ، أي : أول القيل الذي أقوله إني أحمد الله على حكاية الكلام المتقول ، وهذا الذي أراد سيبويه ، وأبو بكر بن السراج ، فإن فتحت الهمزة من أن صار معنى الكلام أول القول لا أول القيل ، وكانت ما واقعة على المصدر ، وصار معناه : أول قولي الحمد إذ الحمد قول ولم يبين مع فتح الهمزة كيف حمد الله ، هل قال : الحمد لله بهذا اللفظ ، أو غيره ، وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه ، بأنه قال : إني أحمد الله بهذا اللفظ ، أو غيره وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه ، بأنه قال : إني أحمد الله بهذا اللفظ لا بلفظ آخر ، فقف على

هذه المسألة ، وتدبرها إعراباً ومعنى ، قل : من أحكمها وحسبك أن الفارسي لم يفهم عن قبله ، وجاء بالعنايط المتقدم ، والله المستعان .

عُود إلى بابت سعاد :

والخراديل : القِطْع من اللحم ، وفي الحديث في صفة الصراط : فمنهم المُوْبِقُ بَعْمَلِهِ ، ومنهم الْمُخْرَدِلُ ، أى تُخْرَدِلُ لَحْمَهُ ^(١) السَّكَلَالِيْبُ التى حَوَّلَ الصَّرَاطُ ، سمعت شيخنا الحافظ أبا بكر رحمه الله يقول : تلك السَّكَلَالِيْبُ هى الشَّهَوَاتُ ، لأنها تجذب العبدَ فى الدنيا عن الاستقامة على سواء الصَّرَاطِ ، فتمثِّلُ له فى الآخرة على نحو ذلك .

وقوله : بَصْرَاءِ الْأَرْضِ . الصَّرَاءُ : مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ ، وَالتَّمْرُ : مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ وَغَيْرِهِ .

وقوله : بَوَادِيهِ الْأَرَاغِيلُ ، أى : الرَّجَالَةُ ، قيل : إنه يجمع الجنح ، كأنه يجمع الرِّجْلَ ، وهم الرِّجَالَةُ عَلَى أَرْجُلٍ ، ثم جمع أَرْجُلًا عَلَى أَرْجُلٍ ، وزاد الياء ضَرْوَرَةً . والدَّرْسُ : الذُّوبُ الْخَلْقُ . وَالْفَقْمَاءُ : شَجَرَةٌ لَهَا ثَمَرٌ كَأَنَّهُ حَيْلِقٌ .

وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - حين أنشده كعب :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ

نظر إلى أصحابه كأنه يجب لهم من حسن القول وجودة الشعر .

(١) خردلت اللحم بالبدال والذال : فصلت أعضائه وقطعته .

وقوله :

ليس لهم^(١) عن حياض الموت تهليلُ

التهليلُ : أن يَنسَكصُ الرجلُ عن الأمرِ جبُّناً .

وقوله في الأنصار :

ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً^(٢)

بنو علي : هم بنو كِنَانَةَ ، يقال لهم : بنو عليٍّ لما تقدم ذكره في هذا الكتاب ، وأراد : ضربوا قريشاً لأنهم من بني كِنَانَةَ .

وقوله : إذا عَرَدَ^(٣) الشُّودُ التَّنَابِيلُ : جمع تَنْبَالٍ وهو القصير ، وقوله : عَرَدَ ، أى : هرب . قال الشاعر :

يُعَرِّدُ عَنْهُ صَحْبُهُ وَصَدِيقُهُ وَبَنْبُشُ عَنْهُ كُلُّبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ

عنه السواد في أهل اليمن وشرح بيت لسانه :

وجعلهم سوداً لما خاوط أهل اليمن من الشودان عند غلبة الحبشة على بلادهم^(٤) ، ولذلك قال حسان في آل جَفْنَةَ :

(١) في السيرة : وما لهم .

(٢) هذا من قصيدة كعب الراية .

(٣) عاد إلى اللامية .

(٤) ترك السبيل كثيراً من مفردات القصيدة دون شرح ، وهنا أنقل عن الخشني معاني ما ترك السويلى : بانث : ذهبت وفارقت . متبول : هالك . متمم : =

أولاد جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

يعنى بقوله : من الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، أن آلَ جَفَنَةَ كانوا من اليَمَنِ ، ثم اسْتَوَطنُوا الشامَ بعدَ سَيْلِ الْعَرَمِ ، فلم يخالطهم السُّودَانُ كما خالطوا مَنْ كان من اليَمَنِ ، من الطَّرَازِ الْأَوَّلِ الذى كانوا عليه فى أَلوانِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ .

== معبد مذلل . أَعْنِ : الظُّبَى الصَّغِيرَ الَّذِى فى صَوْتِهِ غَنَّةٌ . غَضِيضٌ : فَاتِرُ الطَّرْفِ هَيْفَاءُ : ضَامِرَةُ الْبَطْنِ وَالْخَصْرِ . عَجْزَاءُ : عَظِيمَةُ الْعَجِيزَةِ ، وَهُوَ الرَّدْفُ . تَجَلَوُ : تَصَقَّلُ . وَالْعَوَارِضُ : الْإِحْنَانُ هُنَا . الظُّلَمُ : شِدَّةُ بَرَقِ الْإِسْنَانِ ، وَيُقَالُ : هُوَ مَأْوُهُ . مَنَهِلٌ : مَسْقَى . الرَّاحُ : مِنْ أَسْمَاءِ الْخَرِّ . عَشِيَّةٌ : مَتْنَى الْوَادِى ، وَيُقَالُ : مَا انْفَطَفَ مِنْهُ . أَبْطَحَ : مَوْضِعٌ سَهْلٌ . مَشْمُولٌ : هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحُ الشَّمَالِ ، وَهِيَ عِنْدَهُمْ بَارِدَةٌ إِذَا هَبَّتْ . وَالْقَذَا : مَا يَقَعُ فى الْمَاءِ مِنْ تَبْنٍ أَوْ عُودٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَكَذَا مَا يَقَعُ فى الْعَيْنِ . صَوْبٌ : مَهْرٌ . غَادِيَةٌ : سَحَابَةٌ مَطَرَتْ بِالْغَدْوِ . الْيَعَالِيلُ : الْحَبَابُ الَّذِى يعلو على وَجْهِ الْمَاءِ وَهِيَ رَغَوَتُهُ ، رَاجِعٌ شَرَحَ السَّهِيلِ ، الْخَلَّةُ هُنَا : الصَّدِيقَةُ الْمَرَّاسِيلُ : السَّرِيعَةُ . عَذَافِرَةٌ : نَاقَةٌ ضَخْمَةٌ . الْإَيْنُ : الْفَقُورُ وَالْإِعْيَاءُ . وَالْإِرْقَالُ وَالتَّبْغِيلُ : ضَرْبَانِ مِنَ السَّيْرِ . نَضَاحَةٌ : يَرْشَحُ عِرْقُهَا . الذَّقْرَى : عَظْمٌ فى أَصْلِ الْإِذْنِ . عَرَضَتْهَا : الشَّيْءَ الَّذِى يَقْوَى عَلَيْهِ ، وَمِنْ رَوَاهُ وَلا جُهَا ، لَمَنَاهُ : أَضْعَفَهَا طَامَسَ : مَتَغَيَّرَ . الْأَعْلَامُ : الْعَلَامَاتُ الَّتِى فَكُّونَ فى الطَّرِيقِ يَهْتَدِى بِهَا ، وَأَرَادَ أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا عِلْمٌ . النُّجَادُ : جَمْعُ نَجْدٍ وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ . الْمَفْرَدُ : هُنَا الثَّوْرُ الرَّوحِى الَّذِى انْفَرَدَ فى الصَّحَرَاءِ . اللَّهَقُ : الْإِبْيَضُ بِنَفْحِ الْمَاءِ وَكُسْرُهَا . مَقْلَدُهَا : عَنَقُهَا . فَعَمٌ : مَتَلَيٌّ . مَقِيدٌ : مَوْضِعُ الْقَيْدِ . قُودَاءُ : طَوِيلَةٌ . شَمْلِيلٌ : سَرِيعَةٌ . لَبَانٌ : صَدْرٌ أَقْرَبُ : جَمْعُ قَرَبٍ وَهِيَ لِلْخَاصِرَةِ وَمَا يَلِيهَا . زَهَالِيلُ : أَمْلَسَ . عَيْرَانَةٌ : تَشْبِهُ الْعَيْرِ فى شِدَّتِهِ وَنَشَاطِهِ ، وَالْعَيْرُ هُنَا : حَارُّ الْوَحْشِ . النُّحْضُ : لَحْمُ الزُّورِ : أَسْفَلُ الصَّدْرِ . قَنَوَاءُ : فى أَنْفِهَا ارْتِفَاعٌ . حَرَّتَاهَا : أَذْنَاهَا . قَابٌ : قَرَبٌ ، تَقُولُ : يَنْبِى وَيَنْبِئُهُ قَابٌ قَوْسٌ أَى قَرَبٌ قَوْسٌ ، لَحِيهَا : هُوَ ثَنِيَّةٌ لَحَى . وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِى عَلَيْهِ الْخَدُ ،

وقوله : حول قبر أبيهم ، أى : منهم لعزهم لم ينجحوا عن منازلهم قط ، ولا فارقوا
قبر أبيهم .

== والاحية لذى الاحية : والخطم : الانف ، وبرطيل : حجر طويل ، ويقال : هى
فأس طويلة ، وتمر : تمد وتحرك ، العسيب : جريد النخل الخصل : جمع خصلة
اللقافة من الشعر ، غارز : قليل اللبن ، لم تخونه : لم تنقصه ، ولم تضعفه ، والاحاليل
جمع لاحتليل وهو الثقب الذى يخرج منه اللبن ، وهو من الذكر الذى يخرج منه
البول . يسمات : يعنى قوائمها لانها تحسن السير بها كلها ، ذوابل : شداد ، عجائبات
جمع عجايب ، وهى عصابة تكون فوق مبط القيد من ذى الخف ، ومن ذى الحافر .
وزيم : متكسر متفرق : الاكم : السكدى ، واحدها أكمة ، الحرباء : ضرب من
العطاء ويقال : هى أم حبيش . مرتبىء : مرتفع ضاحية : ما برز منه للشمس ،
محلول : محرق ، الملة : الحجارة والحمر والرماد ، والحادى : الذى يسوق . والجنادب
جمع جنذب ، وهو ذكر الجراد ، قبلوا : أمر من القائلة ، أى انزلوا واستريحوا
كان أوب ذرائعها : الاوب الرجوع . تلمع : اشتمل ، العساويل : لمع السراب
الفاقد : التى فقدت ولدها ، الشمطاء : التى خالطها الشيب . معولة : رافعة صوتها
بالبكاء . الماكيل : جمع مثكال ، وهى الماقد أيضاً ، الضيمان : لحنا المضدين ،
تفرى : تقطع ، رعابيل : قطع متفرقة ، على آلة حذاء محمول : النعش أو الداهية
أى ، لا يستقر عليها ، اظل ترمد من وجد بوادره ، البوادر : اللحم الذى بين العنق
والكتف . ضيقم : أسد . مخدر الأسد : غابته وأجمته . عثر : اسم موضع تنسب إليه
الأسود . غيل : أجمة أيضاً . يلحم : يطعم اللحم . ضرغامين : أسدين ، وأراد بهما
شبيهة . مفعور : مخرج بالعفر ، وهو الزراب . خراويل : متقطعة . يساور : يواكب ،
مفلول : أى قد أثر فيه الجو : موضع . مضرج : مخضب بالدماء . أنكاس : جمع
نكس : وهو المقصر عن غاية الكرم أو الضعيف ، ليست من الخشنى ، كشف :
لا تراس لهم ، أو الذى لا يحسن الركوب ، فيميل عن السرج المعازيل : الذين
لا سلاح معهم . الزهر : البيض . العرائين : الانوف . سوانج : كاملة شكت :
أدخل بعضها فى بعض ، فقما : ضرب من الحسك ، وهونبات له شوك تشبه به ==

غزوة تبوك

في رجب سنة تسع

الهيئ تبوك

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائي ،
عن محمد بن إسحاق اللطلي ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
ما بين ذى الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا
الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ،

صرح آخر لكعب :

ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :
تَحْدِي بِهِ النَّاقَةُ الْأَذْمَاءُ مُغْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَذْرِ جَلِي لَيْلَةَ الظُّلَمِ
فَقِي عِطَافِيهِ أَوْ أُنْفَاء بُرْدَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمِ

== حاشي الدرع . مجدول : محكم السرد . تحليل : فرار وانتهى من ص ٤١٥ - ص ٤٢١
شرح السيرة لأبي ذر بن محمد بن مسعود الحشفي . وقد أورد ابن إسحاق القصيدة
دون إسناد ، ورواها البيهقي في الدلائل بإسناد متصل . ويقول ابن كثير في البداية
عن كون النبي صلى الله عليه وسلم أعطى كعباً برده وهذا من الأمور المشهورة
حدا ، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه ،
ص ٢٧٣ ج ٤ هذا وقد ذكر الزبيدي في طبقات النحاة أن بشار الأصماني كان
يحفظ تسعمائة قصيدة أول كل منها بآت سعاد ، ومنها قول زهير والد كعب
بآت سعاد وأمسى حبلاً انقطعاً وليت وصلاً لنا من حبلاً رجماً
ص ٥٩ ج ٣ المواهب ،

وغيرهم من علمائنا ، كل حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث بما لا يحدث بعض : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالهجوم على الروم ، وذلك في زمان من عشرة الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من البلاد : وحين طابت الثمار . والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشغوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبة ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد للروم .

شأن الجعد بن قيس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجعد ابن قيس أحد بني سلمة : يا جعد ، هل لك العام في جلد بني الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ؟ فوالله لقد عرفت قومي أنه جامن رجل بأشد عجباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك . ففى الجعد ابن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ، اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ اَكْثَرُ حَرًّا مِنَ الْكَاْفِرِيْنَ ﴾ للتوبة : ٤٩ - أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بني الأصفر ، وليس ذلك به ، فاسقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَكِيْنٌ وَّرَائِهِ ﴾ .

النافقون المشبطون

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر ، زهادة في الجهاد ، وشكاً في الحق ، وإرجافاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِسُوا كَثِيرًا ، جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ التوبة : ٨١ ، ٨٢ .

شعر الضحاك في تحريق بيت سويلم

قال ابن هشام : وحديثي الثقة عن حديثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ناساً من المنافقين يجمعون في بيت سويلم اليهودي ، وكان بيته عند جاسوم ، يَبْطِطُونَ النَّاسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم طلحة ابن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة . فاقترحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا . فقال الضحاك في ذلك :

كَادَتْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَارُ مُحَمَّدٍ بِشَيْطَانِهَا الضُّحَاكُ وَابْنُ أَبِي رِيحٍ
وظَلَّتْ وَقَدْ صَبَّغَتْ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ أَنْوَدَ عَلَى رَجُلِي كَسِيرًا وَمِرْفَقِي
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِشَيْئٍ أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرَقِ

حض أهل الفنى على النفقة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّ في سفره ، وأمر الناس بالجهاز والاشكماش ، وحض أهل الفنى على النفقة والحملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الفنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة ، لم يُنفق أحدٌ مثلها .

قال ابن هشام : حدثني من أنفق به : أن عثمان بن عفان أنفق في جيش المُسرّة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرض عن عثمان ، فإني عنه راض .

قصة البكائين والمعذرين والتخلفين

قال ابن إسحاق : ثم إن رجلاً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكائمون ، وهم سبعة نفر من الأنصار بوغيرهم من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبّة بن زيد ، أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن ابن كعب ، أخو بني مازن بن النّجار ، وعمر بن مُحام بن الجموح ، أخو بني سلّمة ، وعبد الله بن المغنل المزني - وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله ابن عمرو المزني - وهرمي بن عبد الله ، أخو بني واقف ، وعرباض بن سارية القرظي . فاستعملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ،

قتل : لا أحد ما أجلكم عليه ، فتولوا وأعينهم قبض من الدمع حزناً
ألا يحلوا ما يتقون .

قال ابن إسحاق : قبلني أن ابن يامين بن عسيب بن كعب
فتنصرى لقي أبا ثعلبة عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مفضل وهما يكيان ،
قتل : ما يكيكما ؟ قال : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخلفنا ، فلم نجد
حده ما يحلنا عليه ، وليس عندنا ما تنصرى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما
نخاعاً له ، فرتحلاه ، وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وجاء المذرون من الأعراب ، فاحتذروا إليه ، فلم
يذريهم الله تعالى . وقد ذكر لي أنهم كثروا من بني غفار .

ثم استناب برسول الله صلى الله عليه وسلم فخره ، وأجمع السير ، وقد كان
خرواً من المسلمين أبلات بهم للثبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى تخطوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب ؛ منهم : كعب بن مالك بن
أبي كعب ، أخو بني سلة ، ومثابة بن الربيع ، أخو بني عمرو بن عوف ،
وحلال بن أمية ، أخو بني واقف ، وأبو خيشمة ، أخو بني سالم بن عوف ،
وكانوا أحرصين ، لا يهيمون في إسلامهم .

فما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مسامة الأنصاري .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، فخرج إلى تهوك : سباع بن خزيمة .

المنافقون المتخلفون

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكريه أسفل منه ، فمخوذ باب ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل المكرين . فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي ، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب .

إرجاف المنافقين بعلي

وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، وضوان الله عليه ، على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استئصاله ، وتخلفا عنه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ علي بن أبي طالب ، وضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف ، فقال : يا بني الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استئففتني وتخلفتني ؛ فقال : كذبوا ، ولكنني خلفتك لما تركت ودائي ، فأرجف فإخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي ، فرجع علي إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قال ابن إسحاق : وجدني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم

ابن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذه المقالة :

قال ابن إسحاق : ثم رجع علي إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قصة أبي خيثمة

ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عريشين كلهما في حائطه ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيات له فيه طعاماً . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضحى والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيباً ، وامرأة حسنة ، في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألتق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبهيتا ، لي زاداً ، ففعلتا . ثم قدّم ناضجه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجعفي في الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دتوا من تبوك ، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنباً ، فلا عليك أن تختلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا

يا رسول الله هو والله أبو خيثة . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولى لك يا أبا خيثة . ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثة في ذلك شعراً ، واسمه مالك بن قيس :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَاقَتُوا أَتَيْتُ الَّتِي كَانَتْ أَعْفَى وَأَكْرَمَا
وَبَإَيْتُ بِالْيَمْنَى بِذِي مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَكْتَسِبْ لِمَا كُؤِلَ أَغْشَى نَحْرُمَا
تَرَكْتُ خَضِييًّا فِي الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً صَفَايَا كِرَامًا بُشِرُهَا قَدْ مَحْمَمَا
وَكُنْتُ إِذَا شَكَ الْمُنَافِقُ أَسْمَحْتُ إِلَى الدِّينِ قَسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَامَا

مرور النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرَّ بالحجر منزلاً ، واستلقى الناس من برها . فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربوا من مائها شيئاً ، ولا تقوضوها منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلقوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرج من أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ، ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيره له ، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ؛ وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتلمته الريح ، حتى طرحته بجلى طيء . فأخبر بذلك رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنهيكم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحبه ؟
ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي أصيب على مذهبه فشقي ، وأما الآخر
الذي وقع بجبلى طمى ، فإن طيئنا أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين
قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباس بن سهل بن
سعد الساعدي ، وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أن قد سمي له العباس
الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهم إلى .

قال ابن هشام : بلغني عن الزهري أنه قال : لما مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالحجر سجد ثوبه على وجهه ، واستحس راحلته ، ثم قال :
لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يصيبكم مثل
ما أصابهم .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شگوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه
سحابة فأمطرت حتى أرزقوا الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن
رجال من بني عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق
فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه
وفي عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرني رجال

من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ؛ فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : ونحك ، هل بمسد هذا شيء ! قال : سحابة مارة .

مقالة ابن اللصيت

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يُقال له ، مُحارة بن حزم ، وكان عَقَبِيًّا بَذْرِيًّا ، وهو عم بني عمرو بن حزم ، وكان في رَحْله زيد بن اللصيت القَيْنُقَاعِي ، وكان منافقا .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لُصَيْب ، بالباء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قالوا : قال زيد بن اللصيت ، وهو في رجل عمار ، وعمار عمار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار عنده : إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ، يزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلتني الله عليها ، وهي في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها

شجرة بزمانها ، فانطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا ، فجاموا بها : فرجع حمارة ابن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً ، عن مقالة قاتل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، الذي قال زيد بن لُصيت : فقال رجل ممن كان في رحل حمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي . فأقبل حمارة على زيد يبحاً في عنقه ويقول : إلى عباد الله ، إن في رحلي لداهية وما أشعر ، أخرج أي عدو الله من رحلي ، فلا تصحبنى .

قال ابن إسحاق : فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بسبب ذلك ؛ وقال بعض الناس : لم يزل متهما بشيء حتى هلك .

إبطاء أبي ذر

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيُخرجهُ الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيُخرجهُ الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوّم أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعه فجعله على ظهره ، ثم خرج يبيع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً . ونزل رسول الله في

بعض منازلہ ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل
يمشي على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا ذر .
فلما تأمله القومُ قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

وقال ابن إسحاق : لُحْدِنِي رِيْدَةُ بن سَفِيَانَ الأسدي ، عن محمد بن
كعب القرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفي عثمانُ أبا ذرٍ إلى
الرَبْدَةِ ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأته وغلّامه ، فأوصاهما
أن اغسلاني وكفّناني ، ثم ضمّاني على قارعة الطريق ، فأول ركع يركع
فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على
دفنه . فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعا على قارعة الطريق : وأقبل عبدُ الله
ابن مسعود في رَهْطٍ من أهل العراق عُمار ، فلم يرَهم إلا بالجنازة على ظهر
الطريق ، قد كادت الإبل تطوّها ، وقام إليهم السلام . فقال : هذا أبو ذر
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل
عبد الله بن مسعود ببكي ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبْعَث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْهُ ،
ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسيره إلى تبوك .

تخذيّل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم

قال ابن إسحاق : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سدة ، يقال له : مخش بن مخير - قال ابن هشام : ويقال مخشي - يشهدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتسيبون جلاّد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله اسكاناً بكم غداً مقرّنين في الحبال ، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال مخش بن مخير : والله لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل مائة جلدة ، وإنا لتفليت أن ينزل فينا قرآن لقاتلكم هذه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - لعمار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلمهم عساقلوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قلم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحماتها يا رسول الله ، إنما كُنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله عز وجل : **وَأَيْنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ** . وقال مخش بن مخير : يا رسول الله ، قد بي اسمي واسم أبي ، وكان الذي عني عنه في هذه الآية مخش بن مخير ، فسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يُعلم بمكانه ، فقتل يوم البامة ، فلم يوجد له أثر .

الصلح مع صاحب أيلة

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه بُحَنة بن رُوابة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية ، وأنشأ أهل جرباء ، وأذرح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتاباً ، فهو عندهم .

كتاب الرسول لصاحب أيلة

فكتب بُحَنة بن رُوابة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله لبُحَنة بن رُوابة وأهل أيلة ، سقنهم وسياراتهم في البر والبحر : لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول حاله دون نفسه ، وإنه طيب أن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمتنعوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يردونه . من بر أو بحر .

أكيدر

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر ذومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كندة كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر . فرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظار العين ، وفي أيلة

مُفْقِرَةٌ صَافَّةٌ ، وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ ، وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ ، فَبَاتَتِ الْبَقْرُ تَحْتَ بَقَرُونِهَا ؛
بَابُ الْقَصْرِ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : هَلْ رَأَيْتِ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ !
قَالَتْ : فَنِ يَتْرِكْ هَذِهِ ؟ قَالَ : لَا أَحَدٌ ، فَنَزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ ، فَأُتِجَ لَهُ ، وَرَكِبَ
مَعَهُ ثَمَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، فِيهِمْ أَخٌ يُقَالُ لَهُ حَسَّانٌ ، فَرَكِبَ ، وَخَرَجُوا مَعَهُ
بِطَارِدِهِمْ . فَلَمَّا خَرَجُوا تَلَقَّهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَتْهُ ،
وَقَتَلُوا أَخَاهُ ؛ وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيْبَاجٍ مُخَوَّصٍ بِالذَّهَبِ ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ ،
فَبِعِثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ قُدُومِهِ بِهِ عَلَيْهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : لَخَدْنِي عَامِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
قَالَ : رَأَيْتُ قَبَاءً ، أَكِيدُ حِينَ قَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَمِلَ
لِلْمَسْلُوكِ يَلْمِسُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَأْدِبِلِ سَمْدَرِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَفِ
أَحْسَنُ مِنْ هَذَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ إِنْ خَالِدًا قَدِمَ بِأَكِيدَرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَخَنَ لَهُ دَمَهُ ، وَصَالَحَهُ عَلَى الْجَزْيَةِ ، ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَتِهِ ،
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيْيٍّ : يُقَالُ لَهُ بُجَيْرُ بْنُ بَجْرَةَ ، يَذْكُرُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَالِدٍ : إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ ، وَمَا صَنَعَتِ الْبَقْرُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى
اسْتَخْرِجَتْهُ ، لَتَصْدِيقُ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

تَبَارَكَ سَاتِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ
فَمَنْ يَكُ حَائِدًا عَنْ ذِي تَبَوُّكِ فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْهَيْمِ

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبؤك بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ،
ثم انصرف قافلاً إلى المدينة .

حديث وادي للشقق ومائه

وكان في الطريق ماء يخرج من وشل ، ما يروى الراكب والراكبتين .
والثلاثة ، بواد يقال له وادي الشقق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . - قال : فسبقه إليه
فقر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف
عليه ، فلم ير فيه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقبل له : يا رسول الله ،
فلان وفلان ؛ فقال : أولم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتياه ثم أمهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل
يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضجه به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فامحرق من الماء - كما يقول من
سمعه - ما إن له حساً كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم
منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن بقيتم أو من بقي منكم لنفسه من
بهذا الوادي . وهو أخضب ما بين يديه وما خلفه .

قيام الرسول على دفن ذى البجادين

قال : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي ، أن عبد الله بن مسعود
كان يحدث ، قال : قُت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعلة من نار في ناحية المسكر ، قال : فاتبعتها
أنظر إليها ، فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عيْدُ الله
ذو الجادين المزيّ قدمات ، وإذا هم قد حفرُوا له ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم
في حفرة ، وأبو بكر وعمر يُدليانه إليه ، وهو يقول : أدنيا إلى أخاكما ،
فدآياه إليه ، فلما هياه لشيء قال : اللهم إني أمتيت راضياً عنه ، فارض عنه .
قال : يقول عبدُ الله بن مسعود : ياليتني كنت صاحب الحفرة .

لم سمي ذو الجادين ؟

قال ابن هشام : وإنما سُمي ذو الجادين ، لأنه كان يَنازع إلى الإسلام ،
فيمينه قومه من ذلك ، ويُضيقون عليه ، حتى تركوه في مجاد ليس عليه غيره ،
والجَاد : الكساء الغليظ الجاف ، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فلما كان قريباً منه ، شق مجاده باثنين ، فأنزروا واحد ، واشتمل بالآخر
ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ذو الجادين لذلك ، والجَاد
أيضاً : المسح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القيس :

كَانَ أَبَانَا فِي عَرَانِينَ وَذَقَهُ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي مَجَادٍ مُزْمَلٍ

أبوهم في تبوك

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري ، عن ابن أكيمة الليثي ،
عن ابن أخي أبي رُهم الغفاري ، أنه سمع أبا رُهم كُنتومَ بن الحُصَيْن ، وكان
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول :

غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ ، فَفَنِرْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ مَعَهُ وَنَحْنُ بِالْأَخْضَرِ قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْنَا الْغَمَاسَ فَطَفِقْتُ أَسْتَيْقِظُ وَقَدْ دَنَتْ رَاِحَتِي مِنْ رَاِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيُفْزِعُنِي دَفْوَاهَا مِنْهُ ، خَافَةٌ أَنْ أَصِيبَ رِجْلَهُ فِي الْغَرَزِ ، فَطَفِقْتُ أُحَوِّزُ رَاِحَتِي عَنْهُ ، حَتَّى غَلَبَنِي عَيْنِي فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَنَحْنُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ ، فَزَاَحَتْ رَاِحَتِي رَاِحَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرِجْلَهُ فِي الْغَرَزِ ، فَمَا اسْتَيْقِظْتُ إِلَّا بِقَوْلِهِ : حَسَّ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَغْفِرُ لِي . فَقَالَ : سِرْ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُنِي عَمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَنِي غِفَارٍ ، فَأَخْبَرَهُ بِهِ ؛ فَقَالَ وَهُوَ يَسْأَلُنِي : مَا فَعَلَ النَّفَرُ الْحُمْرُ الطَّوَالُ النَّطَّاطُ . فَخَدَّعْتُهُ بِتَخْلُفِهِمْ . قَالَ : فَمَا فَعَلَ النَّفَرُ السُّودُ الْجُمَادُ الْقَصَارُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ هَؤُلَاءِ مِنْهَا . قَالَ : بَلَى الَّذِينَ لَهُمْ نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدَخٍ ؛ فَتَذَكَّرْتَهُمْ فِي بَنِي غِفَارٍ ، وَلَمْ أَذْكُرْهُمْ . حَتَّى ذَكَرْتُ أُمَّ لَهُمْ رَهْطٌ مِنْ أَسْلَمَ كَانُوا حُلَفَاءَ فِينَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوَلَيْسَ رَهْطٌ مِنْ أَسْلَمَ ، حُلَفَاءُ فِينَا ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مَنَعَ أَحَدَ أَوْلَئِكَ حِينَ تَخَلَّفَ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِهِ أَمْرًا نَشِيطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ إِنْ أَعَزَّ أَهْلِي عَلَى أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَغِفَارٍ وَأَسْلَمَ .

أمر مسجد الضرار عند القبول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار

قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، قالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لدى العلة والحاجة واليلة المطيرة واليلة الشانية ، وإنا نحب أن تأتينا ، فصلى لنا فيه ؛ فقال : إني على جناح سفر ، وحال شغل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فما نزل بذي أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ، ومقن بن عدى ، وأخاه عاصم بن عدى ، أخا بني العجلان ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرقاه . فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرني حتى أخرج إليك بفار من أهلي . فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعَفًا من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وهتفوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً : خِذَام بن خالد ، من بني عُجُود بن زَيْد ، أحد بني عمرو بن عَوْف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وتغلبته ابن حاطب من بني أُمَيَّة بن زيد ، ومُعْتَب بن قُشَيْر ، من بني ضُبَيْعَةَ بن زيد ، وأبو حَبِيبَةَ بن الْأَزْعَرِ ، من بني ضُبَيْعَةَ بن زيد ، وعَبَاد بن حُنَيْف ، وأخو سَهْل بن حُنَيْف ، من بني عمرو بن عَوْف ، وجارية بن عامر ، وابنام مُجَمِّع بن جارية ، وزَيْد بن جارية ، وَثَبَل بن الحارث ، من ضُبَيْعَةَ ، وبخزرج .

.....

من بنى ضُبَيْعَةَ ، وِجَاد بن عثمان ، من بنى ضُبَيْعَةَ ، وَدِيعَةَ بن ثابت ، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبي لُبَايَةَ بن المُنْذِر .

وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة : مسجد بَبُوك ، ومسجد بَشْدِيَّة مِذْرَان ، ومسجد بذات الزُّرَّاب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخَطْمِيِّ ، ومسجد بالآء ، ومسجد بطَرْف البَتْرَاء ، من ذنب كَوَاكِب ، ومسجد بالشَّق ، شِقٌّ تَارَا ، ومسجد بذى الجِيفَةِ ، ومسجد بَصْدُر حَوْضِي ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالعَمِيد ، ومسجد بالوادي ، اليوم ، وادي القُرَى ، ومسجد بالرقعة من الشَّقَّة ، شِقَّة بنى عُدْرَةَ ، ومسجد بذى المَرْوَةِ ، ومسجد بالقَيْفَاء ، ومسجد بذى خُشْبِر .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين

في غزوة تبوك

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نقاء : كعب بن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تَسْكُلُنَّ أَحَدًا من هؤلاء الثلاثة ، وأنا من تخلف عنه من المنافقين فحملوا يخلفون له ويمتدرون ، فصيح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

حديث كعب عن التخلّف

قال ابن إسحاق : فذكر الزهريّ محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط ، غير أني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، واتقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين تواقفنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هي أذكرك في الناس منها . قال : كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعتا في تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يفزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، ففزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرّ شديد ، واستقبل سفراً بعمداً ، واستقبل غزو عدوّ كثير ، فجاء للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبطه وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم كثير ، لا يحممهم كتاب حافظ ، يعني بذلك الديوان ، يقول : لا يحممهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فَقَالَ رَجُلٌ يَرِيدُ أَنْ يَتَّقِيَ إِلَّا ظَنًّا أَنَّهُ سَيَخْفَى لَهُ ذَلِكَ ،
مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ
حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَأُجِيتَ الظَّلَالُ ، فَالْنَّاسُ إِلَيْهَا مُعْتَرٍ ؛ فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَجَهَّزَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَجَعَلْتُ أُغْدُو لِأَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ ، فَأَرْجِعُ
وَلَمْ أَقْضِ حَاجَةً ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي ، أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ
يَتِمَّادِي بِي حَتَّى شَمَّرَ النَّاسُ بِالْجِدِّ ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَادِيًا ،
وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا ، فَقُلْتُ : أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ يَوْمَ ،
أَوْ يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ الْحَقُّ بِهِمْ ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ
شَيْئًا ، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَّادِي بِي حَتَّى
أَسْرَعُوا ، وَتَفَرَّطَ الْغَزْوُ ، فَهَمَمْتُ أَنْ أُرْتَحِلَ ، فَأَدْرَكَهُمْ ، وَابْتَنَى فَعَلْتُ ،
فَلَمْ أَفْعَلْ ، وَجَعَلْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَطَفْتُ فِيهِمْ ، يَحْزَنُنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رِجَالًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ ،
أَوْ رِجَالًا مِنْ عِذْرِ اللَّهِ مِنَ الضُّعْفَاءِ ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَبِيسُهُ بُرْدَاهُ ، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ ؛
فَقَالَ لَهُ مَعَاذُ بَنِ جَبَلٍ : بئسَ مَا قُلْتَ ! وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا ؛
فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ ،
حَضَرَنِي بَنِي ، فَجَعَلْتُ أَنْذِرُ السَّكَدِ وَأَقُولُ : بِمَاذَا أَخْرَجَ مِنْ سَخَطَةِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي ؛

فَمَا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظْلَلَ قَادِمًا زَاخَ عَنِ الْبَاطِلِ ،
وَعَرَفْتَ أَنِّي لَا أَنْجُو مِنْهُ إِلَّا بِالصِّدْقِ ، فَأَجَمْتُ أَنْ أَصْدُقَهُ ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلدِّينَةِ ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالسَّجْدِ ، فَرَكِعَ فِيهِ
رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ ، جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ ، فَعَمَلُوا بِحُلُقُونِهِ
وَيَمْتَدُّونَ ، وَكَانُوا بِضَمَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، فَيَقْبِلُ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَانِيَتِهِمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ، وَيَكِيلُ سِرَّائِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى
جَنَّتْ فُلِمْتُ عَلَيْهِ ، فَيَبْسِمُ بِسَمِ الْغَضَبِ ، ثُمَّ قَالَ لِي : تَعَالَى ، فَجَنَّتْ أَمْسَى ، حَتَّى
جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي : مَا خَلَقَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ :
إِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، لَرَأَيْتُ أَنِّي
سُأَخِرَجُ مِنْ سَخَطِهِ بِمَذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا ، لَكُنْ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَنْ
حَدَّثَكَ الْيَوْمَ حَدِيثًا كَذِبًا لَتَرْضِيَنِي عَنِّي ، وَلِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ ،
وَلَنْ حَدَّثَكَ حَدِيثًا صِدْقًا تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو عُقْبَايَ مِنْ اللَّهِ فِيهِ ،
وَلَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي عَذْرٌ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَفْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ
تَخَلَّفْتُ عَنْكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقْتَ فِيهِ ،
فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ . فَقُمْتُ ، وَتَارَ مَعِيَ رَجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، فَاتَّبَعُونِي
فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنِبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا ، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ
لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ
الْمُخَلَّفُونَ ، قَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبِكَ اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ ،
فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، رَجُلَانِ

هالاً مثل مقاتلك ، وقيل لها مثل ما قيل لك ؛ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن
 الربيع القمري ، من بني عمرو بن عوف ، وهلال بن (أبي) أمية الواقفي ؛
 خذكروا لي رجلين صالحين ، فيهما أسوة ، فصمت حين ذكروهما لي ، ونهى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلف
 عنه ، فاجتمعنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تفكرت لي نفسي والأرض ، فاهى
 بالأرض التي كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي
 فاستكانا ، وقعدا في بيوتهما ، وأما أنا فكنيت أشب القوم وأجلدهم ،
 فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمني
 أحد ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد
 الصلاة ، فأقول في نفسي ، هل حرك شفقتي برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي
 قريباً منه ، فأرساقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي ، وإذا التفت
 نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين ، مشيت حتى
 تسورت جدار حائط أبي قتادة . وهو ابن عُمي ، وأحب الناس إلي ، فسلمت
 عليه ، فوالله ماردٌ علي السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم
 أنني أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت فناشدته ، فسكت عني ، فعدت
 فناشدته فسكت عني ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت
 عيني ، ووثبت فتسورت الحائط ، ثم غدت إلى السوق ، فبينما أنا أمشي
 بالسوق ، إذا تبطي يسأل عني من تبط الشام ، مما قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ،
 يقول : من يدل علي كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرونه إلي ، حتى جاءني ،
 خذني إلى كتابا من ملك غسان ، وكتب كتابا في سرقة من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد ،

.....

فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يحملك الله بدار هوان ولا مضیعة ،
 فالحق بنا نواسك . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ
 بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك . قال : قمعدت بها إلى
 قنور ، فسجرت به . فأقنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من المحسين
 إذا رسول الله يأتي ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر
 أن تعزل امرأتك ، قال : قلت : أطلتها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعزلها
 ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبي بمنزل ذلك ، فقلت لامرأتي : الحق بأهلك ،
 فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأتها
 هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إن هلال
 ابن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفتركه أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن
 لا يقربك ؛ قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إلى ، والله ما زال يبكي
 منذ كان من أمره ما كلن إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره . قال :
 فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأتها
 هلال بن أمية أن تخدمه ؛ قال : قلت : والله لا استأذنه فيها ، ما أدري ما يقول
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لي في ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب .
 قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكل لنا خمسون ليلة ، من حين نهى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح
 خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التي ذكر الله منا ،
 قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت على نفسي ، وقد كنت ابتذنت
 خيمة في ظهر سلع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى علي

ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرج .

قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرس ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ؛ فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى ، نزعت ثوبي ، فكسوتهما إياه بشاره ، والله ما أملك يومئذ غيرها ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة ، يقولون : لِيَتَّهِكَ توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، فحياني وهنأني ، ووالله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سألت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ، ووجهه يبرق من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قر . قال : وكنا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالي ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك .

قَالَ: قُلْتُ إِنِّي مُتَمَسِّكٌ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ؛ وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ اللَّهُ قَدْ نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي إِلَى اللَّهِ أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَاحِيَةً، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مِنْذُ ذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ، وَاللَّهِ مَا تَعَمَّدَتْ مِنْ كَذِبَةٍ مِنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّسِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْشَرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَهِيفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا...﴾
بِإِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التَّوْبَةُ: ١١٧ - ١١٩.

قَالَ كَعْبٌ: فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ قَطَّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلَامِ كَانَتْ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذِبْتُهُ، فَأَهْلِكَ بِمَا هَلَكَ الدِّينُ كَذِبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ فِي الَّذِينَ كَذَبُوهُ حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ، قَالَ: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَى أَيْمَنِمْ لَتَقَرُّضُوا عَنْهُمْ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لَتَقَرُّضُوا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرَضُّوا عَنْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. التَّوْبَةُ: ٩٥، ٩٦.

قَالَ: وَكُنَّا خَلَفْنَا أَبَا الثَّلَاثَةِ مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ، حين خلقوا له فمذرم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه ما قضى ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَوْا ﴾ .

وليس الذى ذكر الله من تخليفتنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

فى شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدث قومه : إنهم قالوا لك ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع لى كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبنائهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فخرج بدعو قومه إلى

.....

الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزله فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عليّة له ،
وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رمّوه بالنبل من كلّ وجه ، فأصابه
سهم فقتله . فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم ، يُقال له أوس بن عوف ،
أخو بني سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بني عتّاب .
ابن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ماترى في دمك ؟ قال :
كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فيّ إلا مافى الشهداء
الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفونى
معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن
مثله في قومه لكممثل صاحب ياسين في قومه .

ثم أقامت تكيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم انتمروا بينهم ، ورأوا
أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عمرو بن أمية ،
أخا بني علاج ، كان مهاجراً لعبد بلال بن عمرو ، الذي بينهما سب ، وكان
عمرو بن أمية من أدهى العرب ، فمشى إلى عبد بلال بن عمرو ، حتى دخل
داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلىّ ، قال : فقال
عبد بلال للرسول : ويالك ! أتعمرؤ أرسلك إلىّ ؟ قال : نعم ، وها هو
ذا واقفاً في دارك ، فقال : إن هذا الشيء ما كنت أظنّه ، كعمرؤ كان أمنع
في نفسه من ذلك ، ففرج إليه ، فلما رآه رغب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل
بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلت

«العربُ كلُّها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا في أمركم : فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلاترون أنه لا يأمن لكم سيرب ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ، فأتمرُّوا بينهم ، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ، كما أرسلوا عُرْوَةَ ، فكلموا عَبْدَ يَالِيلَ بن عمرو بن عُمر ، وكان سنَّ عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صُنِعَ بِمُرْوَةَ . فقال : لست فاعلاً حتى تُرسلوا معي رجلاً ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلاً من الأحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دُهَّان ، أخا بني يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بني سالم بن عوف ، ونُمَيْر بن خَرْشَة بن ربيعة ، أخا بني الحارث . فخرج بهم عبدُ ياليل ، وهو نأبُ القوم وصاحبُ إمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صُنِعَ بِمُرْوَةَ بن مسعود ، لكي يشغل كلَّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطه ..

فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة ألقوا بها المُغِيرَةَ بن شُعْبَةَ ، يرعى في نَوْبَتِهِ رِكَابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِغِيَّتُهَا نُوْبًا على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم تركَ الرِكَابَ عند الشَّقَفَيْنِ ، وضرب يشدُّ ، ليُبشِّرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقُدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب

تَقِيفُ أَنْ قَدْ قَدِمُوا يَرِيدُونَ الْبَيْعَةَ وَالْإِسْلَامَ ، بَأَنْ يَشْرُطَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُرُوطًا ، وَيَكْتَتِبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كِتَابًا فِي قَوْمِهِمْ وَبِلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُغِيرَةِ : أَقَسَمْتَ عَلَيْكَ بِاللَّهِ
لَا نَسْبِقُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ ؛ فَفَعَلَ
لِلْمُغِيرَةِ . فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ
عَلَيْهِ . ثُمَّ خَرَجَ الْمُغِيرَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَرَوَّحَ الظُّهْرَ مَعَهُمْ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَحْيَوْنَ -
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَمَّا قَدِمُوا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُوَّةً فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ ، كَأَيُّزِ عُمُونَ ، -
فَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ الْعَاصِ ، هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَكْتَتَبُوا كِتَابَهُمْ . وَكَانَ خَالِدٌ هُوَ الَّذِي كَتَبَ كِتَابَهُمْ
بِيَدِهِ ، وَكَانُوا لَا يَطْعَمُونَ طَعَامًا يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ ، حَتَّى أَسْلَمُوا وَفَرَّغُوا مِنْ كِتَابِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ فِيهَا سَأَلُوا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاعِيَةَ ، وَهِيَ اللَّاتُ لَا يَهْدِمُهَا
ثَلَاثَ سَنِينَ ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَمَا بَرَحُوا
يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً ، وَيَأْتِي عَلَيْهِمْ حَتَّى سَأَلُوا شَهْرًا وَاحِدًا بَعْدَ قَدَمِهِمْ ، فَأَبَى
عَلَيْهِمْ أَنْ يَدَعَ مَا شِئْنَا مَسَقًى ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يُظْهِرُونَ أَنْ يَنْسَلُوا
بِتَرْكِهَا مِنْ سَفَهَاتِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذُرَارِيهِمْ وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوَّعُوا قُوَّةً يَهْدِمُهَا
حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الْإِسْلَامُ ؛ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ
أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بِنَ شُعْبَةَ فَيَهْدِمَاهَا ، وَقَدْ كَانُوا سَأَلُوهُ مَعَ تَرْكِ
الطَّاعِيَةِ أَنْ يُعْفِيَهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ،
وأما الصلاة ، فإنه لاخير في دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسنؤتيكما ،
وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ، أُمِرَ
عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحسنهم سناً ، وذلك أنه كان أحرصهم
على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم : يا رسول الله ، إني قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه
في الإسلام ، وتعلم القرآن .

قال ابن إسحاق : وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة
الثقفي ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بقي من رمضان ، يفطرننا وسحورنا من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالبحور ، وإنا لنقول : إنا لئرى النجر قد طلع ،
فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر ، لتأخير الشحور ،
ويأتينا بفطرننا ، وإنا لنقول : ما رى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ما جئتكم
حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يضع يده في الخفنة ،
فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفطورنا وسحورنا .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن مطرف بن عبد الله
ابن الشخير ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إليّ

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بمعنى على ثقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز
في الصلاة ، واقدّر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير ، والضعيف ،
وذا الحاجة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ،
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ،
في هدم الطاغية ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا قدّموا الطائف أراد المغيرة بن
شعبة أن يقدّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : أدخل أنت
على قومك ، وأقام أبو سفيان بالله بذى الهمد ، فلما دخل المغيرة بن شعبة عليها
يضرها باليعول ، وقام قومه دونه ، بنو معتب ، خشية أن يرمى أو يصاب
كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُسراً يَبْكِينَ عليها ويقلن :

لَتُبْكَيْنَ دَفَاعَ اسْلَمَهَا الرُّضَّاعُ

لَمْ يُحْسِنُوا الْمِصَاعَ

قال ابن هشام : « أَتُبْكَيْنَ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضرها بالفأس : واهالك !
واهالك ! فلما هدمها المغيرة ، وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان
وحليها مجموع ، ومالها من الذهب والجزع .

وقد كان أبو مَلَيْح بن عروة وقارب بن الأسود قدّما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قُتل عروة ، يريدان فراق ثقيف ،

وأن لا يجامعهم على شيء أبداً ، فأسلمها ؛ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
توليا من شئنا ؛ فقالا : نتولى الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : وخالكما أبا سفيان بن حرب ، فقالا : وخالتنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان
والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو مليح بن
عروة أن يقضى عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن
الأسود يارسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركاً . فقال قارب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، ولكن تصل مسلماً ذا قرابة ،
يعنى نفسه ، إنما الدين على ، وإنما أنا الذى أطلب به ، فأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ،
فلما جمع المغيرة ماها قال لأبي سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فاقضى عنهما .

وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن
عضاءه وج وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك ، فإنه يجلد
وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبي محمد ، وإن هذا
أمر النبي محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد ،
فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حجّ أبي بكر بالناس سنة تسع

واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب
رضوان الله عليه بتأديّة أول براءة عنه
وذكر براءة والقصص في تفسيرها

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان
وشوالاً وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجّ من سنة تسع ، ليقيم
للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجّهم . فخرج
أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين
من العهد ، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يصدّ عن البيت أحدٌ جاءه ،
ولا يخاف أحد في الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل
الشرك ، وكانت بين ذلك عهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من
العرب خصائص ، إلى آجال مسمّاة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه
في تبوك ، وفي قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سراير أقوام كانوا
يسْتَخْفُونَ بغير ما يظهِرون ، منهم مَنْ سُمِّيَ لنا ، ومنهم مَنْ لم يُسَمَّ لنا ، فقال عز وجل :
﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أى لأهل

العهد العام من أهل الشرك ﴿ فَيَسْجُوْا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَعَلِّمُوا أَنْتُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ : أى بعده هذه الْحِجَّةُ ﴿ فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى ﴿ ثُمَّ كَمْ يَبْظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَنْهُمْ إِلَىٰ مُدِّيهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ . فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ : بمعنى الأربعة التي ضرب لهم أجلاً ﴿ فَأَقُولُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ، وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ * وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ : أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم ﴿ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم في الحرمه ، ولا في الشهر الحرام ﴿ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ، إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ، وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهى الدليل من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا

دخلوا في عقد قريش وعهدهم . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر إلى مدته ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ : أى المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام ﴿ لَا يَرْفُقُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض المفردات

قال ابن هشام : الإل : الحلف . قال أوس بن حجر ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم :

لولا بنو مالك والإل مرقة ومالك فيهم الآلاء والشرف

وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : آلال ، قال الشاعر :

فلا إل من الآلال بيني وبينكم فلا تألن حمداً

والذمة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهمداني ، وهو أبو مشروق

ابن الأجدع الفقيه :

وكان علينا ذمة أن تجاوزوا من الأرض معروفاً إلينا ومنكراً

وهذا البيت في ثلاثة أبيات له وتجمعها : ذمم .

﴿ يَرْضَوْنَكُمْ بِأَقْوَاهِمُ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ * اشترؤا

جآيات الله تمناً قليلاً ، فصددوا عن سبيله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون *

لا يرفقون في مؤمن إلا ولا ذمة ، وأولئك هم المعتدون ﴿ أى قد اعتدوا

عليكم ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۖ وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ .

اختصاص الرسول علياً بتأدية براءة عنه

قال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه ، أنه قال : لما نزلت براءة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بمكة أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله لو بمكة بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتي ، ثم دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمكة : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يخرج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم المضيء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج ، التي كانوا عليها في الجاهلية . حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يخرج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، وأجل

«الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى ما منهم أو بلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة ، فهو له إلى مدته . فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف جالبت عريان .

ثم قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

مازل في الأمر مجاهد المشركين

قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك،
عن نقض من أهل العهد الخاص، ومن كان من أهل العهد العام، بعد الأربعة
الأشهر التي ضرب لهم أجلا إلا أن يمدوا فيها عاد منهم، فيقتل بعدائه، فقال:
﴿الْمُتَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَسَكْتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ، أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ
يَبْذِبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ
مُؤْمِنِينَ. وَيَذِيبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ أي من بعد ذلك ﴿عَلَى مَنْ
يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ
جَاهَدُوا مِنْكُمْ، وَلَمْ تَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِإِجَابَةِ
رَبِّ اللَّهِ خَيْرٌ بِمَا تَكْفُلُونَ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : وليجة : دخيل ، وجمعا : ولائج ؛ وهو من وَلَجَ يَلِجُ : أى دخل بدخل ، وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِلَاطِ ﴾ : أى بدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يُيسرون إليه غير ما يظهرون ، نحو ما يصنع المنافقون ، يظهرون الإيمان للذين آمنوا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا مَعَكُمْ ۖ قال الشاعر :

واعلم بأنك قد جُعِلْتَ وليجة
ساقوا إليك الختف غير مشوب

ما نزل فى الرد على قريش بادعائهم عمارة البيت

قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسقاة الحاج ، وعمار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ : أى إن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يغمُر مساجد الله أى من عمارها بحقها ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ : أى فأولئك عمارها ﴿ فَمَنْ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَكِبِينَ ﴾ وهسى من الله : حق

ثم قال تعالى : ﴿ اجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

ما نزل فى الأمر بقتال المنسركين

ثم القصة عن عدوهم ، حتى انتهى إلى ذكر حنين ، وما كان فيه ،

الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ
أَنْفُسَكُمْ ﴿ أَى لَا تَجْعَلُوا حُرَامَهَا حَلَالًا ، وَلَا حَلَالَهَا حُرَامًا : أَى كَمَا فَعَلَ أَهْلُ
الشَّرِكِ ﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ الَّذِى كَانُوا يُصْنَعُونَ ﴿ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضِلُّ بِهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطِحُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ،
فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

ما نزل في تبوك

ثم ذكر تبوك وما كان فيها من ثقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من
غزو الروم ، حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاق من
نافق من المنافقين ، حين دُعُوا إلى مادعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نعى عليهم
من إحدائهم في الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ
لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ ﴾ ، ثم النصبة إلى قوله تعالى :
﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى :
﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا
فِي الْغَارِ ﴾

ما نزل في أهل النفاق

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق : ﴿ لَوْ كَانَ
عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ، وَلَكِنْ بَعدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ،

وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَضَعْنَا نَخْرُجْنَا مَعَكُمْ ، يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ : أى إنهم يستطيعون ﴿عفا الله عنك﴾ ، لَمْ أَذِنْتَ لَهُمْ
حَتَّى يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ . . . إلى قوله :
﴿لَوْ خَرَّ حُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ، وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ، يَبْغُوا نَفْسَكُمْ
الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ : سَارُوا بَيْنَ أَعْصَابِكُمْ ، فَالْإِبْضَاعُ :
ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ أَسْرَعَ مِنَ الْمَشْيِ ؛ قَالَ الْأَجْدَعُ بْنُ مَالِكٍ الْهَمْدَانِي :
يَصْطَادُكَ الْوَحْدَ الدِّلَّ بِشَاوِهِ . بَشْرِيحٌ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِبْضَاعِ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

عود إلى منازل في أهل النفاق

قال ابن إسحاق : وَكَانَ الَّذِينَ اسْتَأْذَنُوهُ مِنْ ذُرَى الشَّرَفِ ، فِيمَا بَلَغْنِي ،
مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولَ ، وَالْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ ؛ وَكَانُوا أَشْرَافًا فِي قَوْمِهِمْ ؛
فَنَبِطُهُمْ اللَّهُ لَعَلَّهُ بِهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ ، فَيَفْسِدُوا عَلَيْهِ جَنْدَهُ ، وَكَانَ فِي جَنْدِهِ
قَوْمٌ أَهْلُ مَحَبَّةٍ لَهُمْ ، وَطَاعَةٍ فِيمَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ ، لَشَرَفِهِمْ فِيهِمْ . فَقَالَ تَعَالَى :
﴿وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ . لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ ﴿١﴾ :
أَيُّ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنُوكَ ، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ ﴿٢﴾ : أَيُّ لِيُخَذِّلُوا عَنْكَ
أَعْمَالَكَ وَيَرْدُوا عَلَيْكَ أَمْرَكَ ﴿حَتَّى جَاءَ الْخَلْقُ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴿١﴾ ، وكان الذى قال ذلك ، فيما سئى لنا ، الجلد بن قيس ، أخو بنى سَلَمَةَ . حين دعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَخَارِجًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَلُزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴾ : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

ما نزل فى ذكر أصحاب الصدقات

ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها ، فقال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْفَارِسِينَ حَتَّى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ما نزل فيمن آذوا الرسول

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ ، قُلْ ائْذَنُ خَيْرٌ لَّكُمْ ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَلِلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نَبْتَل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أذن ، من حديثه شيئاً صدقه . يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ ائْذَنُ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ : أى يسمع الخير ويصدق به .

.....

ثم قال تعالى : ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُزَيِّنَ اللَّهُ رِسُولَهُ أَحَقَّ أَنْ يُزَيِّنَهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ، ثم قال : ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَمْنَعَنَّكُمْ كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرِسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ ، وكان الذي قال ودبعة بن ثابت ، أخو بني أمية بن زيد ، من بني عمرو بن عوف ، وكان الذي عُفِيَ عنه ، فيما بلغني : مُحَشَّنُ بْنُ مُحَيَّرِ الْأَشْجَعِيِّ ، حليف بني سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ماسم .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿بِأَيِّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَجْمَعُونَ بَيْنَالِئِهِمَا ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ... إلى قوله : ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ . وكان الذي قال تلك المقالة الجلّاس بن سويد بن صامت ، فرفعها عليه رجل كان في حِجْرِهِ ، يقال له عُيَيْرُ بْنُ سَعْدٍ ، فأنكرها وحاف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته ، فيما بلغني .

ثم قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَيْنَ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّهُ وَلَنُكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ، وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وهما من بني عمرو بن عوف .

ثم قال : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ،

وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ وكان المطَّوِّعُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَعَاصِمَ بْنَ عَدَى أَخَا بَنِي الْعَجْلَانِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَغِبَ فِي الصَّدَقَةِ ، وَحَضَّ عَلَيْهَا ، فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، فَتَصَدَّقَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَقَامَ عَاصِمُ بْنُ عَدَى ، فَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ ، فَلَمَزَوْهَا وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رِيَاءٌ ، وَكَانَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِجُهْدِهِ أَبُو عَقِيلٍ أَخُو بَنِي أُنَيْفٍ ، أَتَى بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ ، فَأَفْرَغَهَا فِي الصَّدَقَةِ ، فَتَضَاحَكُوا بِهِ ، وَقَالُوا : إِنْ اللَّهُ لَنَقَى عَنْ صَاعِ أَبِي عَقِيلٍ .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر بالسَّيْرَ إِلَى تَبُوكَ ، عَلَى شِدَّةِ الْحَرِّ وَجَدْبِ الْبِلَادِ ، فَقَالَ تَعَالَى : (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضَحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) . . . إِلَى قَوْلِهِ : (وَلَا تُنْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ) .

ما نزل بسبب صلاة النبي على ابن أبي

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقِبَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : لَمَّا تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ تَحَوَّلَتْ حَتَّى قَتَّ فِي صَدْرِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَصَلَّى عَلَى

عدو الله عبد بن أبي بن سلول ؟ القاتل كذا يوم كذا ، والقاتل كذا يوم كذا ؟ أعداء أبيه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا كثرت قال : يا عمر أخر عني ، إني قد خيبت فاخترت ، قد قيل لي : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ ، فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له ، زدت . قال ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فخرجت لي ، ولجأتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ وَلَا تَصَلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

ما نزل في المستأذنين

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ ﴾ ، وكان ابن أبي من من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : ﴿ أَسْكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ * أعداء الله لهم جنات تجري من تحفها الأنهار خالدين فيها ، ذلك الفوز العظيم * وجاء المذنبون من الأعراب ليؤذن لهم ، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴿ ... إلى آخر القصة . وكان المذنبون ، فيما بلغني نفراً من بني غفار ، منهم خفاف بن أيماء بن رخصة ،

ثم كانت القصة لأهل المذنب ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، قُلْتَ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ وهم البكاهون .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ، وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ والخوالف : النساء . ثم ذكر حيلهم المسلمين واعتذارهم ، فقال : ﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

ما نزل فيمن نافق من الأعراب

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ ﴾ أي من صدقة أو نفقة في سبيل الله ﴿ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ، عَلَيْهِمْ دَرُةُ السَّوَرِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ رُبًّا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ ﴾

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار

ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم

الله من حسن ثوابه إليهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان ، فقال : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ ﴾ : أى لجؤا فيه ، وأبوا غيره ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ﴾ ، والعذاب الذى أوعدها الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى : غمهم بمام فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حِسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يُردُّون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى : ﴿ وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أنت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ . . . الخ . القصة ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ . ثم كان قصة الخبر عن نبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءة تُسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعده المبعثرة ، لما كُشفت من سراير الناس . وكانت نبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان الذى عدد فيه المغازى

وقال حسان بن ثابت يُمدد أيام الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعْدٍ كُلِّهَا نَفَرًا وَمَعْشَرًا إِنْ هُمْ عُثُوا وَإِنْ حُصِلُوا
 حَوْزُ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ فَمَا أَلَوْا وَمَا خَذَلُوا
 وَبَابِعُوهُ فَلَمْ يَنْفَكْتُ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُ فِي إِيْمَانِهِمْ دَخَلٌ
 وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مَنْ أَحَدٌ ضَرْبُ رَحِيْنٍ كَعَصَةِ النَّارِ مُشْتَعِلٌ
 وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتَشَارَهُمْ عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا تَنَكَلُوا
 وَذَا الشُّبْرَةِ جَاسُوا بِخَيْلِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
 وَيَوْمَ تَوَدَّ أَنْ أَجْلُوا أَهْلَهُ رَقَصًا بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزَنُ وَالْجَبَلُ
 وَلَيْلَةً طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَمْحُزُهُمْ بِمَا عَمِلُوا
 وَغَزْوَةً يَوْمَ تَجَدَّدَتْ لِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّقْلُ
 وَلَيْلَةً بِمُحَنِّينَ جَالِدُوا مَعَهُ فِيهَا يَتَلَمَّهَم بِالْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا
 وَغَزْوَةً الْقَاعَ فَرَقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ كَمَا تَفَرَّقَ دُونَ الْمَشْرِبِ الرَّسُلُ
 وَيَوْمَ بَرِيعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ عَلَى الْجِلَادِ فَاسْتَوْهَ وَمَا عَدَلُوا
 وَغَزْوَةً الْفَتْحِ كَانُوا فِي مَرِيَّتِهِ مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجَلُوا
 وَيَوْمَ خَيْبَرَ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ يَمْنَحُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَنْبِلٌ بَطْلُ
 بِالْبَيْضِ تَرَعَشَ فِي الْأَيْمَانِ عَارِيَةً تَفَرَّجَ فِي الضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ
 وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا إِلَى تَبُوكَ وَمِنْ رَابِئِهِ الْأَوَّلُ
 وَسَاسَةُ الْحَرْبِ إِنْ حَرْبٌ بَدَتْ لَهُمْ حَتَّى بَدَا لَهُمُ الْإِقْبَالُ وَالْقَفْلُ
 أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَمِ

ماتوا كراماً ولم تُنكثْ عهودُهُمْ وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُتِلُوا

قال ابن هشام عجز آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

كُنَّا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَ مُحَمَّدٍ فَلَمَّا آتَى الْإِسْلَامُ كَانَ لَنَا الْفَضْلُ
وَأَكْرَمَنَا اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ غَيْرُهُ إِلَهَ بَأْيَامٍ مَضَتْ مَالَهَا شَكْلُ
بِقَضْرِ الْإِلَهِ وَالرَّسُولِ وَدِينِهِ وَالْبَسْنَاءِ اسْمًا مَضَى مَالَهُ مِثْلُ
أُولَئِكَ قَوْمِي خَيْرٌ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمْ فَمَا عُنْدَ مَنْ خَيْرٌ فَقَوْمِي لَهُ أَهْلُ
يَرُبُّونَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٍ مِنْ مَضَى وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ دُونَ مَعْرُوفِهِمْ قَوْلُ
إِذَا اخْتَبَطُوا لَمْ يُفْعِشُوا فِي نَدِيهِمْ وَلَيْسَ عَلَى سُوءِ أَلَمٍ عِنْدَهُمْ مُخْلُ
وَإِنْ حَارَبُوا أَوْ سَالَمُوا لَمْ يُشَبِّهُوا فَخَرَبَهُمْ حَتْفٌ وَسَلَمَهُمْ سَهْلُ
وَجَارُهُمْ مُوفٍ بِعَلِيَاءِ بَيْتِهِ لَهُ مَانُوءٌ فِينَا لِكِرَامَةِ وَالْبَذْلُ
وَحَامِلُهُمْ مُوفٍ بِكُلِّ سَحَابَةٍ تَحْمِلُ لَا غُرْمَ عَلَيْهَا وَلَا خَسْلُ
وَقَاتِلُهُمْ بِالْحَقِّ إِنْ قَالَ قَاتِلُ وَحِلْمُهُمْ عَوْدٌ وَحُكْمُهُمْ عَدْلُ
وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ حَيَاتِهِ وَمَنْ غَسَلَتْهُ مِنْ جَنَابَتِهِ الرُّسُلُ

قال ابن هشام : وقوله « وَالْبَسْنَاءُ اسْمًا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قَوْمِي أُولَئِكَ إِنْ تَسَالَى كَرَامٌ إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمُ

عِظَامُ الْقُدُورِ لِأَسَارِهِمْ يَكُونُونَ فِيهَا مِنَ السِّمِّ
يُؤَسُّونَ جَارَهُمْ فِي الْغَنَى وَيَحْمُونَ مَوْلَاهُمْ إِنْ ظَلِمَ
فَكَانُوا مُلُوكًا بِأَرْضِهِمْ يُنَادُونَ عَضْبًا بِأَمْرِ غُشْمٍ
مُلُوكًا عَلَى النَّاسِ ، لَمْ يُمْلِكُوا مِنَ الدَّهْرِ يَوْمًا كَحِلِّ الْقَسَمِ
فَأَنْبَوَ بَعَادٍ وَأَشْيَاعُهَا تَمُودَ وَبَغْضٍ بَقَايَا إِرَمِ
بِئْرَبَ قَدْ شَيْدُوا فِي النَّخِيلِ حُصُونًا وَدُجِّنَ فِيهَا النِّعَمُ
نَوَاضِحَ قَدْ عَلَّمَهَا الْبُهْوُ دُ (عَلِ) إِلَيْكَ وَقَوْلَا هَلُمُ
وَفِيهَا اشْتَهَوْا مِنْ عَصِيرِ الْقَطَا ف وَالْمَيْشِ رَخْوًا عَلَى غَيْرِهِمْ
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ بِأَتَقَالِنَا عَلَى كُلِّ فَحْلٍ هِجَانٍ قَطَمِ
جَنَّبْنَا بِهِنَّ جِيَادَ الْخَلِيوِ لِي قَدْ جَلَّوْهَا جِلَالِ الْأَدَمِ
فَلَمَّا أَنَاخُوا بِمَجْنَى صِرَارِ وَشَدُّوا الشَّرُوحَ بَلَى الْحَزْمِ
فَمَا رَاعَهُمْ غَيْرُ مَفْجِ الْخَلِيوِ لِي وَالزَّخْفُ مِنْ خَلْفِهِمْ قَدْ دَهَمِ
فَطَارُوا سِرَاعًا وَقَدْ أَفْرَعُوا وَجِئْنَا إِلَيْهِمْ كَأَنَّ الْأُجْمِ
عَلَى كُلِّ سَلْمَةٍ فِي الصِّيَا ن لَا يَشْتَكِينُ مَحُولَ النَّامِ
وَكُلُّ كَيْتٍ مَطَارِ الْقَوَادِ أَمِينَ النُّصُوصِ كَتَلِ الزَّمِ
عَلَيْهَا قَوَارِسُ قَدْ عُوْدُوا قَرَاعَ السَّكَاةِ وَضَرْبَ الْبُهْمِ
مُلُوكَ إِذَا غَشَمُوا فِي الْبِلَا د لَا يَنْفَكُلُونَ وَلَكِنْ قُدُمِ
فَأَبْنَا بِأَدَاتِهِمْ وَالنِّسَاءِ وَأَوْلَادُهُمْ فِيهِمْ تَقْتَسِمِ

وَرثْنَا مَسَاكِيَهُمْ بَعْدَهُمْ وَكُنَّا مُلُوكًا بِهَا لَمْ نَرَمْ
 فَلَمَّا أَتَانَا الرَّسُولُ الرَّشِيدَ بِالْحَقِّ وَالنُّورِ بِمَدِّ الظُّلَمِ
 قُلْنَا صَدَقْتَ رَسُولَ الْمَلِكِ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَفِينَا أَقِمْ
 فَتَشْهَدَ أَنَّكَ عَبْدُ إِلَهِهِ أَرْسَلَتْ نُورًا بِدِينٍ قِيمِ
 غَانَا وَأَوْلَادُنَا جُنَّةً نَقِيكَ وَفِي مَالِنَا فَاحْتَكَمْ
 فَخَفْنَا أَوْلَانَا إِنْ كَذَبُوكَ فَضَادِ نِدَاءٍ وَلَا تَحْتَشِمِ
 وَنَادِ بِمَا كُنْتَ أَخْفَيْتَهُ نِدَاءً جَهَارًا وَلَا تَكْتُمِ
 فَصَارَ الْفُؤَادُ بِأَسْيَافِهِمْ إِلَيْهِ يَظُنُّونَ أَنْ يُجْزَمَ
 فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا نَجَالِدُ عَنْهُ بُغَاةَ الْأَمَمِ
 بِكُلِّ صَغِيلٍ لَهُ مَيِّمَةٌ رَقِيقِ الذَّبَابِ عَضُوضٍ خَذَمِ
 إِذَا مَا يَصَادِفُ صَمَّ الْعِظَا م لَمْ يَنْبُ عَنْهَا وَلَمْ يَنْتَلِمِ
 فَذَلِكَ مَا وَرَثْنَا الْقُرُومُ مُنْجِدًا تَلِيدًا وَعِزًّا أَشَمِ
 إِذَا مَرَّ نَسْلُ كَفَى نَسْلُهُ وَغَادَرَ نَسْلًا إِذَا مَا انْقَصَمِ
 فَمَا إِنْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا لَنَا عَلَيْهِ وَإِنْ خَاسَ فَضْلُ النِّعَمِ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته:

فَكَانُوا مُلُوكًا بِأَرْضِيهِمْ يُبَادُونَ غَضْبًا بِأَمْرِ غُشْمِ
 وَأَنْشَدَنِي:

يَيْتَرَبَ قَدْ شِيدُوا فِي النَّخِيلِ حُصُونًا وَدُجُنَّ فِيهَا النَّعَمِ

وبيته: «وَكُلُّ كُمَيْتٍ مَطَارُ الْفُؤَادِ» عَنْهُ.

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه .
قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

اتقياد العرب وإسلامهم

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب ترَبَّص بالإسلام أمر هذا الحى من قُريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا يُسكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قُريش ، ودَوَّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال عز وجل ، أَفَواجاً ، بضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفَواجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ : أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان تواباً .

غزوة تبوك

سُمِّيَتْ بِعَيْنِ تَبُوكَ ، وهى العينُ التى أمر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - الناسَ ألا يَمَسُّوا من مائها شيئاً ، فسبق إليها رجالان ، وهى تَبِيضُ بشىء من ماء ، فجعلوا يدخلان فيها سَهْمَيْنِ لِيَسْكُرَ ماؤها ، فسبَّهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لهما : ما زِلتما تَبُوكَها منذ اليوم فيما ذكر القَتْبِيُّ ، قال : وبذلك سُمِّيَتْ العينُ تَبُوكَ^(١) ، والتَّبُوكُ كالنَّقْشِ والخَفْرِ فى الشىء ، ويقال منه : بَاكَ الحمارُ الأتانَ يَبُوكُها إذا نَزَا عليها .

ووقع فى السَّيْرة : فقال : مَنْ سَبَقْنَا إلى هذا ؟ فقليل له : يارسول الله ، فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ ، وقال الواقدي : فيما ذكر لى ، سبقه إليها أربعة من المنافقين مَعْقَبُ بنُ قُشَيْرٍ ، والحارثُ بنُ يَزِيدٍ الطَّائِي ، ووَدِيعَةُ بنُ ثَابِتٍ ، وزَيْدُ ابنِ لُصَيْنٍ .

وذكر الجَدُّ بنُ قَيْسٍ ، وقول النبی صلى الله عليه وسلم له : يا جَدُّ هل لك العامَّ فى جِلَادِ بنى الأصفر ، يَقل : إن الرومَ قیل لهم بنو الأصفر ، لأن عيصو ابنَ إسحاق كان به صُفْرَةٌ ، وهو جَدُّهم ، وقيل : إن الرومَ بن عيصو هو الأصفر ، وهو أبوم ، وأُمُّه نَسَمَةُ بنتُ إسماعيل ، وقد ذكرنا فى أول الكتاب مَنْ وَلَدَتْ من الأمم ، وإيس كلُّ الروم من ولد بنى الأصفر ، فإن

(١) هو فى معجم البكرى . وقد روى مالك ومسلم هذا الحديث بغير هذا اللفظ
راجع فتح البارى ص ٨٩ وما بعدها ج ١ .

الروم الأول هم فيما زعموا من ولد يُونَان بن يَافِث بن نُوح، والله أعلم بحقائق هذه الأشياء وصحتها .

وذكر يونس بِأَثَرِ حَدِيثِ الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَهْرَامٍ عَنْ شَهْرٍ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا ، فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَنْكَ نَبِيٌّ فَالْحَقُّ بِالشَّامِ ، فَإِنَّ الشَّامَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَأَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ ، فَصَدَّقَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا قَالُوا . فَغَضِبُوا غَضَبًا عَظِيمًا لَمْ يَبْرَحُوا إِلَّا الشَّامَ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَدِّ مَا خُتِمَتِ السُّورَةُ ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ ، لَيُخْرِجَنَّكَ مِنْهَا ، وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ - إِلَى قَوْلِهِ : تَحْمُودًا ﴾ الْإِسْرَاءِ : ٧٧، ٧٦ . فَأَمَرَهُ بِالرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ : فِيهَا نَحْيَاكَ ، وَفِيهَا مَسَانُكَ ، وَمِنْهَا تَبْعُثُ ^(١) ، ثُمَّ قَالَ ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ تَحْمُودًا ﴾ الْإِسْرَاءِ : ٧٨، ٧٩ فَرَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ : سَلْ

(١) بقول ابن كثير في تفسيره عن هذا الحديث المذكور الذي رواه البيهقي وفي هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا ليس بصحيح . فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفرج عن قول اليهود ، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) ولقوله تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) الآية وغزاها ليقصص ويقتسم بمن قتل أهل وثقة من أصحابه . وقيل : إنها نزلت في كفار قريش حين هربوا بإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فترددهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع .

رَبِّكَ ، فَإِنْ لَكُلْ نَبِيٍّ مَسْأَلَةً ، وَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ نَاصِحًا ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ مُطِيعًا ، فَقَالَ : مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَسْأَلَ ؟ قَالَ : (قُلْ : رَبِّ أَذْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) وهؤلاء تزلزل عليهم في رَجْعَتِهِ مِنْ تَبُوكَ^(١) .

إِبْطَاءُ أَبِي ذَرٍّ :

فصل : وَذَكَرَ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِي ، وَإِبْطَاءَهُ . وَاسْمُهُ : جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ ، هَذَا أَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ : بَرِيرُ بْنُ عِشْرِقَةَ ، وَجُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَابْنُ السَّكَنِ^(٢) أَيْضًا .

وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْ أَبَا ذَرٍّ ، وَفِي أَبِي خَيْثَمَةَ : كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ ، لَفْظُهُ لَفْظُ الْأَمْرِ ، وَمَعْنَاهُ الدَّعَاءُ ، كَمَا تَقُولُ : أَسْلِمْتَ سَلَّمَكَ اللَّهُ .

إِعْرَابُ كَلِمَةِ وَحْدَهُ :

وَقَوْلُهُ فِي أَبِي ذَرٍّ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ^(٣) .

(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٢) فِي الْإِصَابَةِ : ابْنُ سَكَنِ ، وَقِيلَ فِي اسْمِهِ بَرِيرُ بْنُ عِشْرِقَةَ . وَنُسِبَهُ كَمَا وَرَدَ فِي الْإِمْتَاعِ لِلْمُتَرَبِّزِيِّ بَعْدَ جُنَادَةَ . ابْنُ لَيْسٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ خَلِيلٍ بْنُ صُعَيْرِ بْنِ حَرَامٍ بْنِ غَفَارٍ ، وَفِي الْإِصَابَةِ : وَقِيلَ اسْمُهُ هُوَ السَّكَنِ بْنُ جُنَادَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ بِيَّاضٍ ، أَلْحَقَ كَمَا وَرَدَ فِي الْإِمْتَاعِ .

(٣) يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ : عَنْ سَنَدٍ قِصَّةُ ابْنِ إِسْحَاقَ فَهَذَا سَنَدٌ خَفِيفٌ .

أى : يموت منفرداً ، وأكثر ما تستعمل هذه الحال لنفى الوجود فى الفعل نحو كفى زيد وحده ، أى : منفرداً بهذا الفعل ، وإن كان حاضراً معه غيره .
 أى : كفى خصوصاً ، وكذلك لو قلت : كلمته من بينهم وحده ، كان معناه خصوصاً كما قرره سيبويه ، وأما الذى فى الحديث ، فلا يتقدّر هذا التقدير ، لأنه من الحال أن يموت خصوصاً ، وإنما معناه : مُنفرداً بذاته ، أى : على حدّته ، كما قال يونس ، فقول يونس صالح فى هذا الموطن ، وتقدير سيبويه له بالخصوص يصلح أن يُخمس عليه فى أكثر المواطن ، وإنما لم يتعرف وحده بالإضافة ، لأن معناه كفى لا غير ، ولأنها كلمة تُنبى عن نفي وعدم ، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مُتَعَرِّفاً مُتَعَيِّناً بالإضافة ، وإنما لم يشتق منه فعل ، وإن كان مصدرأ فى الظاهر لما قدمناه من أنه لفظ ينبى عن عدم ونفى ، والفعل يدل على حدث وزمان ، فكيف يشتق من شيء ليس بحدث وإنما هو عبارة عن انتفاء الحدث عن كل أحد إلا عن زيد ، مثلاً إذا قلت : جاءنى زيد وحده ، أى : لم يجرى غيره ، وإنما يقال : انعدم وانتفى بعد الوجود لا قبله ، لأنه أمر مُتَجَدِّد كالحديث ، وقد أطنبنا فى هذا الغرض ، وردنا ما بيانا فى مسألة سبحان الله وبحمده وشرحها .

أما وسلمي :

فصل : وذكر الرجل الذى طرحه الريح بحبلى طيء ، وهما أجأ وسلوى وعُرف أجأ بأجأ بن عبد الحى كان صليب فى ذلك الجبل ، وسلوى صلبت

في الجبل الآخر ، فعرف بها ، وهي سَلَمَى بنت حَامٍ فيما ذكر والله أعلم^(١) .

الكيدر والكتاب الذي أرسل إليه :

فصل : وذكر كتابه لأَكِيدِر دُومَة . وودُومَة بضم الدال هي هذه ، وعرفت بدُومِي^(٢) بن إسماعيل فيما ذكروا ، وهي دُومَة الجُنْدَل ، ودُومَة بالضم أخرى ، وهي عند الحيرة ، ويقال لمسا حولها النَجَف ، وأما دُومَة بالفتح فأخرى مذكورة في أخبار الرِّدَّة^(٣) .

وذكر أنه كتب لأَكِيدِر دُومَة كتاباً فيه عهدٌ وأمانٌ ، قال أبو عبيد : أنا قرأته ، أتاني به شيخٌ هنالك في قَظِيم ، والقَظِيم الصَّحِيفَةُ ، وإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من مُحَمَّدٍ رسولِ الله لأَكِيدِر حين أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيفِ الله في دُومَة الجُنْدَل وأُكِنَافها ، إن لنا الضَّاحِيَةَ من الضُّحَلِ والنُّبُورَ والله أَعْمَى ، وأَغْفَالُ الأرضِ والحَلَقَةُ والسَّلَاحُ والحَاوِرَ والحِصْنَ والسِّمَّ الضَّامِنَةَ من الفَخْلِ والمَعِينِ من المَقْمُورِ لَا تُغْدِلُ سَارِحَتُكُمْ ، وَلَا تُعَدُّ فَارِدَتُكُمْ وَلَا يُحْظَرُ عَلَيْكُمُ النَّبَاتُ ، تَقِيمُونَ الصَّلَاةَ لَوْقَهَا ، وَتُرْأَوْنَ الرِّكَاءَ بِحَقِّهَا ، عَلَيْكُمُ بِذَلِكَ عَهْدُ اللهِ

(١) أنظر معجم البكري مادة أجا وسلي .

(٢) ويطلق عليه أيضاً : دومان .

(٣) أنظر البكري في دومة . فهو يقول عن دومة بفتح الدال موضع بين الشام والموصل ، وهي من منازل جذيمة الأبرش . ودومة الكوفة بضم الدال هي النجف بعينه .

والثبات ، ولكم بذلك الصدق والوفاء . شهد الله ، ومن حَصَرَ من المسلمين «
الضَّاحِيَةُ : أطرافُ الأرضِ ، والمَآبِي : تَجْهُّولُها ، وأَغْفالُ الأرضِ : مالا أثر لهم
فيه من عماره أو نحوها ، والضَّامِنَةُ من النَّخْلِ : ما داخل بَلَدَهُمْ ، ولا يُحْظَرُ
عليكم للنبات ، أى لا تَمْنَعُونَ من الرِّعَى حيث شئتم ، ولا تُعَدِّلُ سَارِحَتَكُمْ ،
أى لا تُنْخَسِرُ إلى المَصَدِّقِ ^(١) وإنما أَخَذَ منهم بعض هذه الأرضين مع الخَلَقَةِ ،
وهى السَّلاحُ ، ولم يَقْلُ ذلك مع أهل الطائف حين جاءوا نائبين ، لأن هؤلاء
ظهر عليهم وأخذ مِلِكُهم أُسَيْراً ، ولكنه أبقى لهم من أموالهم ما نَضَمْنَهُ
الكتابُ ، لأنه لم يَقْتُلْهم ، حتى يأخذهم عَنُوتٌ كما أخذ خَيْبَرَ ، فلو كان الأمرُ
كذلك لكانت أموالهم كُلُّها للمسلمين ، وكان له الخيارُ فى رِقابهم كما تقدم
ولو جاءوا إليه نائبين أيضاً قبل الخُروجِ إليهم ، كما فعلت بَقِيْفٌ ما أَخَذَ من
أموالهم شيئاً .

الكتاب إلى هرقل :

ولم يذكر ابن إسحاق فى غزوة تَبُوك ما كان من أمر هرقل ، فإن النَبِيَّ
صلى الله عليه وسلم - كتب إليه من تبوك مع دِحْيَةَ بن خَلِيفَةَ ، ونصه
مذكور فى الصَّحاح مشهور ، فأمر هرقلُ مُتَنَادِياً ينادى : الإِنْ هِرَقْلُ قد آمَنَ
بمحمد وأتبعه ، فدخلت الأجنادُ فى سلاحها ، وأطافت بقصره تريد قتله ،

(١) لا تعدل سارحتكم فمرها صاحب النهاية بقوله : لا تصرف ما شئتمكم عن
مرعاها . والفائدة : الزائدة على الفريضة ، أى : لا انضم إلى غيرها ، فتعد
معاها ، وتحسب .

فأرسل إليهم : إني أردت أن أختبر صلاحكم في دينكم ، فقد رضيتم عنكم
فرضوا عنه ، ثم كتب كتاباً ، وأرسله مع دحية يقول فيه للنبي - صلى الله عليه
وسلم - إني مسلمٌ ، ولكنني مغلوبٌ على أمرى ، وأرسل إليه بهدية ،
فلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه ، قال : كذب عدو الله ليس بمسلم ،
بل هو على نصرانيته .

موقفه صلى الله عليه وسلم من بعض الهريابا :

وقبل هديته ، وقسمها بين المسلمين ، وكان لا يقبل هدية مشركٍ مُحاربٍ ،
وإنما قبل هذه لأنها قُبِلَ للمسلمين ، ولذلك قسمها عليهم ، ولو أتته في بيته .
كانت له خالصة ، كما كانت هدية المُقَوِّس خالصة له ، وقبلها من المُقَوِّس ؛
لأنه لم يكن مُحارباً للإسلام ، بل كان قد أظهر الميل إلى الدخول في الدين ،
وقد رد هدية أبي براء مَلَأَيبِ الأَسِنَّةِ ، وكان أهدى إليه قَرَساً ، وأرسل إليه :
إني قد أصابني وَجَعٌ أحسبه قال : يقال له : الدَّبِيلَةُ ^(١) ، فابتمت إلى بشيئ
أُتَدَاوَى به ، فأرسل إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - بِعُكَّةٍ عَسَلٍ ^(٢) ، وأمره
أن يَسْتَشْفِيَ به وَرَدَّ عليه هديته ، وقال : إني نهيتُ عن زبدِ المشركين ،
وبعضُ أهل الحديث ينسب هذا الخبر لعمار بن الطُّفَيْلِ عَدُوَّ الله ، وإنما هو

(١) الدبيلة : خراج ودمل كبير تظهر في الجوف ، فنقتل صاحبها غالباً .

(٢) العكة من السمن أو العسل هي وعاء من جلود مستدير يختص بهما . وهو
بالسمن أخص .

عنه عامر بن مالك . وقوله عليه السلام عن زبْد^(١) المشركين ، ولم يقل : عن هديتهم يدل على أنه إنما كره مُلَايَنَتَهُمْ ومُدَاهَنَتَهُمْ ، إذا كانوا حرباً ، لأن الزَّبْدَ مُشْتَقٌّ من الزَّبْدِ ، كما أن المُدَاهَنَةَ مُشْتَقَّةٌ من الدَّهْنِ ، فعاد المعنى إلى معنى اللين والهلابة ، ووجود الجِدِّ في حربهم والمُخَاشَنَةِ . وقد رَدَّ هَدِيَةَ عياض بن حماد المجاشعي قبل أن يُسَلِّمَ ، وفيها قال : إني نُهِيتُ عن زَبْدٍ للمشركين . وأهدى إلى أبي سفيان عَجْوَةً واستَهْدَاهُ أدمًا فأهداه أبو سفيان وهو على شركه الأدم ، وذلك في زمن الهُدنة التي كانت بينه وبين المسلمين في صلح الحُدَيْبِيَّةِ ، وقد روى أن هِرْقَلَ وضع كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كتب إليه في قَصَبَةٍ من ذهبٍ تعظيماً له ، وأنهم لم يزالوا يتوراثونه كإرث كابر في أرفع صوانٍ ، وأعزَّ مكان حتى كان عند «إذفونش»^(٢) الذي تغلب على طليطلة ، وما أخذ أخذها من بلاد الأندلس ، ثم كان عند ابن بنته المعروف «بالسليطين» حدثني بعض أصحابنا أنه حدثه من مسأله رؤيته من قواد أجناد المساميين كان يعرف بمعد الملك بن سعيد ، قال : فأخرجه إلى قاستمبَرْتُهُ وأردت تقبيله ، وأخذته بيدي ، فغنني من ذلك صيانة له وضناً به عليّ . ويقال : هِرْقَلٌ وهِرْقَلٌ .

مرور قصة البطيحين :

فصل : وذكر البَـكَّائِينَ ، وذكر فيهم عُلْبَةُ بن زَيْدٍ ، وفي رواية يونس

(١) زبد : عطاء .

(٢) يقصد : ألفونس بن فرديناند الذي استولى على طليطلة سنة ١٠٨٥ م .

أَنْ عُلْبَةً خَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ بَكَى ، وَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا قَدْ أَمَرْتُ بِالْجِهَادِ ، وَرَغَبْتُ فِيهِ ، ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي ، مَا أَنْتَوَى بِهِ مَعَ رَسُولِكَ وَلَمْ تَجْعَلْ فِي بَدْرِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ ، وَإِنِّي أَنْتَصِدُقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي بِهَا فِي مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ » ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ؟ لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ قَالَ أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَلْيَقُمْ ، وَلَا يَتَزَاهَدُ مَا صَنَعَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبَشِّرْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَقَدْ كُتِبَ فِي الزَّكَاةِ التَّقَبُّلَةُ . وَأَمَّا سَالِمُ بْنُ عُثَيْرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْغَفَلِ ، فَرَأَاهُمَا بِأَمِينِ بْنِ كَعْبٍ بَيْكِيَانِ ، فزودهما ، وحملهما ، فالحق بالنبي صلى الله عليه وسلم .

معنى كلمة حسن :

فصل : وقوله خَبَرَ عَنْ أَبِي رُحْمٍ : أَصَابَتْ رَجُلًا رَجُلًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجُلُهُ فِي الْفَرْزِ^(١) فَمَا اسْتَيْقَظَتْ إِلَّا بِقَوْلِهِ : حَسَنٌ . الْفَرْزُ لِلرَّحْلِ كَالرُّكَابِ لِلْمَرْجِ ، وَحَسَنٌ : كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ عِنْدَ وَجُودِ الْأَلَمِ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنْ طَلْحَةَ لَمَّا أَصِيبَتْ يَدُهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ : حَسَنٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ أَنَّهُ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، بِمَعْنَى مَكَانَ حَسَنٌ ، لَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ ، وَلَيْسَتْ حَسَنٌ بِاسْمٍ وَلَا بِفِعْلٍ ، إِنَّمَا لَا مَوْضِعَ لَهَا مِنْ

(١) يَحْكِي السَّكَّامُ بِمَعْنَاهُ لَا يَنْصَحُ .

الإعراب ، وليست بمنزلة صه ، ومه ، ورؤبد ، لأن تلك أسماء سُمِّيَ الفعل بها ، وإنما حس^(١) صوت كالأنين الذي يُخرجُه المتألم نحو آه ، ونحو قول القُراب : غاق ، وقد ذكرنا قبل في أفّ وجهين ، أحدهما : أن تكون من باب الأصوات مَبْنِيَّة ، كأنه يحكى بها صوت النفخ ، والثاني أن يكون مَعْرِفَة مثل تَبًا يُراد بها الوسخ^(٢) .

وقوله : السُّودُ الشُّطَّاطُ^(٣) جمع : نَطٌّ ، وهو الذي لاحتية له . قال الشاعر :

كَهَامَةِ الشَّيخِ الَّتِي مَانَى النُّطُّ^(٤)

ومحو منه : الشَّطَّاط ، ومن الحَدَثَيْنِ مَنْ يرويه : الشُّطَّاط ، وأخسبه تصحيفاً .

وقوله : بشبكة شدخ^(٥) بموضع من بلاد غفّار .

(١) يقال بفتح الحاء وكسر السين وبدون تنوين ، وتقول : ضرب فأ قال حس ولايس بالجهر والتنوين ، ومن العرب من يجر ولا يتون ، ومنهم من يكسر حاء حس وياء بس .

(٢) فيها عشرة أوجه أفّ له بفتح الفاء وتشديدها وبكسرهما وبضمهما كل هذا بدون تنوين ثم ينصبها وكسرهما وضمهما مع التنوين ، ثم أفّ بإمالة الفاء المشددة إلى الكسر ، ثم أفّ بوزن كبرى ثم أفّ بتشديد الفاء ، وأفّ بإسكان الفاء .

(٣) في السيرة : الحر الطوال الشطاط أم السود فقال عنهم : الجماد القصار واثط أيضاً : ثقل البطن بطن . أو القليل شعر الحاجبين .

(٤) هو لأبي النجم الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي ، وفي اللسان : كهامة

(٥) في الأصل : شرخ ، والتصويب من معجم البكري .

اضحاب مسجد الضرار:

فصل : وذكر المفاقيين الذين اتخذوا مَسْجِدًا ضِرَارًا .

وذكر فيهم جارية بن عامر ، وكان يُعرَف بِمَكَارِ الدار ، وهو جارية ابن عامر بن مُجَمِّع بن العَطَاف .

وذكر فيهم ابنه مُجَمِّعًا ، وكان إِذْ ذَاكَ غُلَامًا حَدَّثَنَا قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ فَقَدِمُوهُ .
إِمَامًا لَهُمْ ، وهو لَا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ
فِي أَيَّامِهِ أَرَادَ عَزْلَهُ عَنِ الْإِمَامَةِ ، وَقَالَ : أَلَيْسَ بِإِمَامِ مَسْجِدِ الضَّرَارِ ، فَأَنْسَمَ لَهُ
مُجَمِّعٌ أَنَّهُ مَا عِلْمُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَا ظَنُّ إِلَّا الْخَيْرَ ، فَصَدَقَهُ عَمْرٌ ، وَأَقْرَبَهُ ،
وكَانَتْ مَسَاجِدُ الْمَدِينَةِ تَسْمَعُ سَوَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
كَلِمَةً يَصْلُونَ بِأَذَانِ بِلَالٍ ، كَذَلِكَ قَالَ بِكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَشَجِّ فِيمَا رَوَى عَنْهُ
أَبُو دَاوُدَ فِي مَرَاتِيلِهِ ، وَالْأَرْقُطِيُّ فِي سُنَنِهِ ، فَهِيَ مَسْجِدُ رَاتِجٍ ^(١) ، وَمَسْجِدُ
بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، وَمَسْجِدُ بَنِي عَمْرٍو بْنِ مَبْدُولٍ ، وَمَسْجِدُ جُمُيْنَةَ وَأَسْلَمَ ،
وَأَحْسَبُهُ قَالَ : وَمَسْجِدُ بَنِي سَلَمَةَ ، وَسَائِرُهَا مَذْكُورٌ فِي الثَّنَنِ ، وَذَكَرَ ابْنُ
إِسْحَاقَ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي فِي الطَّرِيقِ مَسْجِدًا بَذَى الْخُلَيْفَةِ ، كَذَا وَقَعَ فِي كِتَابِ أَبِي بَحْرٍ
بِالْخَاءِ مُنْجَمَةً ، وَقَعَ الْخُلَيْفَةُ بِالْجِيمِ فِي كِتَابِ قُرَيْشٍ عَلَى ابْنِ أَبِي سَرَّاجٍ ، وَابْنُ
الْإِفْلَاحِ وَأَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ .

(١) فِي مَعْجَمِ الْبَكْرِيِّ عَنْ رَاتِجٍ : مَوْضِعٌ تَلْقَاءُ الْمَدِينَةُ ، كَانَ يَنْزِلُهُ بَعْضُ
الْأَنْصَارِ ، وَفِي الْمَرَاوِدِ : أَطَمَ مِنْ أَطَامِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ ، وَتَسْمَى النَّاحِيَّةُ بِهِ .

عن الثلاثة الذين خلفوا :

فصل : وذكر الثلاثة الذين خلفوا ، ونهى الناس عن كلامهم ، وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزّل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية ، لامن فروض الأعيان ، لكنه في حق الأنصار خاصة كان فرض عين ، وعليه بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ألا ترأّم يقولون يوم اتلّندقي ، وهم يرتجزون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأخذ غير ، ولم يظنوا أن سيكون قتال ، فكذلك كان تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة كبيرة لأنها كالتكليف لبيعتهم ، كذلك قال ابن بطال رحمه الله في هذه المسألة : ولا أعرف لها وجهاً غير الذي قال ، وأما الثلاثة فهم كعب بن مالك بن أبي كعب ، واسم أبي كعب عمرو بن القين بن كعب ابن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة ابن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الشامي ، يكنى : أبا عبد الله ، وقيل : أبا عبد الرحمن ، [وقيل : أبا بشير] أمه : ليلي بنت زيد بن كفلبة من بني سلمة أيضاً ، وهلال بن أمية ، وهو من بني واقف ، ومروارة بن ربيعة ، ويقال ابن الربيع العمري الأنصاري من بني عمرو بن عوف ،

(م ٢٤ — الروض الأوفى ج ٧)

زاح عنى الباطل :

فصل : وذکر قول کعب : زاح عنى الباطل ، يقال : زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زَبُوْحًا وزَيْحَانًا ، إحداهما عن الأصمعي ، والأخرى عن الكسائي .

وقوله : ققام إلى طاحه بن عبيد الله يهنئني ، فكان كعب يراها له ، فيه : جواز السرور بالقيام إلى الرجل كما سر كعب بقيام طاحه إليه ، وقد قال عليه السلام في خبر سعد بن معاذ : قوموا إلى سيديكم ، وقام هو صلى الله عليه وسلم إلى قوم ، منهم : صفوان بن أمية حين قدم عليه ، وإلى عدى بن حاتم ، وإلى زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وغيرهم ، وليس هذا بمعارض لحديث معاوية عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمَثُلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » و يروى : يَسْتَجِمُّ لَهُ الرَّجَالُ^(١) . لأن هذا الوعيد إمامتوجه للمتكبرين ، وإلى مَنْ يَفْضُب ، أو يَسْخَطُ أَلْبِقَامَ له ، وقد قال بعض السلف : يقام إلى الوالد برأ به ، وإلى الولد سرورا به ، وصدق هذا القائل ، فإن فاطمة رضى الله عنها كانت تقوم إلى أبيها صلى الله عليه وسلم برأ به ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يقوم إليها سرورا بهارضى الله عنها ، وكذلك كل قيام أثمره الحب في الله ، والسرور بأخيك بنعمة الله ، والبر بمن يحب بره في الله تبارك وتعالى ، فإنه خارج عن حديث الهوى والله أعلم .

(١) يهتمون له في القيام . والحديث كما قال السيوطي : رواه أحمد في مسنده والترمذي وأبو داود .

إسلام ثقيف

فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عُرْوَةَ بن مَسْعُودٍ حين قُتِلَ : مثله كمثل صاحبِ ياسين في قومه ، يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين ، الذي قال لقومه (اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) فقتله قومه ، واسمه حَبِيبُ بن مُرَّةٍ ، ويحتمل أن يريد صاحبِ إِيَّاسَ ، وهو الْيَسَّعُ ، فإن إِيَّاسَ يقال في اسمه : ياسين أيضاً ، وقال الطبري : هو إِيَّاسُ بن يَاسِينَ ، وفيه قال الله تبارك وتعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِيَّاسَ بْنِ يَاسِينَ ﴾ الصافات : ١٣٠ قاله أعلم . وقد بينا في التعريف والإعلام معنى إِيَّاسَ وإِيَّاسِينَ وآلِ يَاسِينَ بياناً شافياً ، وأوضعنا خطأ قول من قال إن إِيَّاسِينَ جمع كَالْأَشْعَرِيِّينَ ، وضعف قول من قال : إن ياسين هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يُنظر هنالك .

زوج عروة :

وكانت تحت عُرْوَةَ مَيْمُونَةُ بنت أبي سَفْيَانَ ، فولدت له أبا مُرَّةَ بن عُرْوَةَ ، وبنت أبي مُرَّةَ هي : ليلي امرأة الحسين بن عَلِيٍّ عليهما السلام ولدت للحُسَيْنِ عَلِيّاً الأكبر قتل معه بالطَّفِ (١) ، وأما عليُّ الأصغر فلم يُقتل معه ، وأُمُّه : أم وَلَدِهِ ، واسمها سُلَاقَةُ ، وهي بنت كَثْرَى بن يَزْدَجِرْدَ ، وأختها الْغَزَالُ هي أم أبي بَكْرٍ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هِشَامٍ .

(١) الطَّف : أرض من ضاحية الكوفة في طرف البرية المرصدة .

مول هدم اللات :

فصل : وذكر إسلام ثقيف وهدم طائفتهم ، وهى اللات ، وأن المغييرة وأبا سفيان هما اللذان هدمأها وذكر بعض من ألف فى السير أن المغييرة قال لأبى سفيان حين هدمها : ألا أضحكك من ثقيف ؟ فقال : بلى ، فأخذ الميقل ، وضرب به اللات ضربة ، ثم صاح وخز على وجهه ، فلوتجت الطائف بالصياح سرورا بأن اللات قد صرعت المغييرة ، وأقبلوا يقولون : كيف رأيتها يا مغييرة دونكها إن استطعت ، ألم تعلم أنها تهلك من عاداها ، ونحككم ألا ترون ما تصنع ؟ فقام المغييرة يضحك منهم ، ويقول لهم : يا خبتاه والله ما قصدت إلا ألهمزأ بكم ، ثم أقبل على هدمها ، حتى استأصلها ، وأقبلت عجائز ثقيف تبكي حولها ، وتقول : أسلمها الرضاع ، إذ كرهوا المصاع ، أى أسلمها اللثام حين كرهوا القتال .

فقه مريت كتاب النبي لثقيف :

فصل : وذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ، وذكره أبو عبيد كما ذكره ابن إسحاق ، وذكر فيه شهادة على وابنيه الحسن والحسين ، قال : وفيه من الفقه شهادة الصبيان ، وكتابة أسمائهم قبل البلوغ ، وإنما تقبل شهادتهم إذا أدوها بعد البلوغ ، وفيه من الفقه أيضا شهادة الابن مع شهادة أبيه فى عقد واحد .

وذكر فى الكتاب : وجأ ، وأنه حرام عضاءه وشجره ، بمعنى حرأما على

غير أهله كبحريم المدينة ومكة . وَوَجَّ هِيَ أَرْضُ الطائف ، وهي التي جاء فيها الحديث : إِنْ آخِرُ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا الرَّبُّ بَوَجٍّ ، وهـ منها عتد بعضهم : آخِرُ غَزْوَةٍ وَوَقْعَةٍ كَانَتْ بِأَرْضِ الْعَرَبِ بَوَجٍّ ، لأنها آخِرُ غَزَوَاتِهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى الْعَرَبِ ، وقد قيل في معنى الحديث غير هذا ، مما ذكره الْقُتَيْبِيُّ ، ونَحْنُ نَضْرِبُ عَنْ ذِكْرِهِ ، لما فيه من إيهام التشبيه ، والله الْمُسْتَعْمَانُ .

وج :

وقد قيل في وَجٍّ هِيَ الطائفُ نَفْسُهَا ، وقيل : هو اسمُ لَوَادِيهَا ، وبشَهِدَ لهذا القول قولُ أُمِّيَّةَ بْنِ الْأَسْكَرِ :

إِذَا يَنْبِكِي الْحَامُ بَيْطُنِ وَجٍّ عَلَى بِيضَاتِهِ بَكِيًّا كِلَابًا^(١)

وقال آخر^(٢) :

أَتَهْدِي لِي الْوَهْدَ بَيْطُنِ وَجٍّ كَأَنِّي لَا أَرَاكَ وَلَا تَرَانِي

وقد أُلْفِيتُ فِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ وَجًا بِتَخْفِيفِ الْجِيمِ وَالصَّوَابِ تَشْدِيدُهَا كَمَا تَقْدُمُ

وقال أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

(١) أول القصيدة :

لَمَنْ شِيْخَانُ قَدْ نَشَدَا كِلَابًا كِتَابُ اللَّهِ إِنْ رَقِبَ الْكِتَابُ
وَالْبَيْتَ الَّذِي فِي الرُّوضِ ثَالِثَ بَيْتٍ فِي الْقَصِيدَةِ وَرَوَاتِهِ فِي الْأَمَالِي :
إِذَا هَتَفْتَ حَمَامَةُ بَطْنِ وَادٍ عَلَى بِيضَاتِهَا دَعَا كِلَابًا
وَالشَّعْرَ خَيْرَ طَرِيفٍ فِي الْأَمَالِي ص ١٠٨ ذيل الأمالي ط ٢٠ .

(٢) نسبه الْبَكْرِيُّ فِي مَعْجَمِهِ لِلنَّابِغَةِ الذَّيْبَانِي .

إِنْ وَجَّأَ وَمَا يَلِي بَطْنٌ وَجَّءٌ دَارُ قَوْمِي بِرَبْوَةٍ وَزُتُوقٍ^(١)
وَمُتِّتَ وَجَّأً فِيمَا ذَكَرُوا بِوَجِّ بْنِ عَبْدِ الْحَيِّ مِنْ أَعْمَالِ لَقَةٍ^(٢) ، ويقال :
وَجَّءٌ ، وأجَّ بالهمزة ، قاله يعقوب في كتاب الإبدال ، وكتابه صلى الله عليه
وسلم لأهل الطائف أطول مما ذكره ابن إسحاق بكثير ، وقد أورده أبو عبيد
بكتابه في كتاب الأموال .

إنزال سورة براءة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم من تبوك ، فذكر مخالطة
المشركين للناس في حجَّهم ، وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عُرَاءَ بَانِيَتِ ،
وكانوا يقصدون بذلك أن يطوفوا كما ولدوا بنير الثياب التي أذنبوا فيها ،
وظلموا ، فأمسك - صلى الله عليه وسلم - عن الحجِّ في ذلك العام ، وبعث
أبا بكر - رضي الله عنه - بسورة براءة لينبذ إلى كل ذي عهد عهده من
المشركين إلا بعض بني بكر الذين كان لهم عهد إلى أجل خاص ، ثم أردف
بني رضي الله عنه ، فرجع أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :
يا رسول الله هل أنزل في قرآن ؟ قال : لا ، ولكن أردت أن يبلغ عني مَنْ
هُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، قال أبو هريرة : فَأَمَرَنِي عَلَى - رضي الله عنه - أَنْ

(١) في الأصل : ربوة وزُتُوق ، والنصيب من معجم البكري وفيه أيضاً :
جريدة بدلا من ربوة .

(٢) في معجم البكري .

أَطُوفَ فِي الْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى بِبِرَاءَةٍ ، فَسَكَتَ أَصْبَحَ حَتَّى صَحَلَ حَلْقِي ، فَقِيلَ لَهُ : بِمِ كُنْتَ تَنَادِي ؟ فَقَالَ : بِأَرْبَعٍ : أَلَّا يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُ ، وَأَلَّا يَخُجَّ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَأَلَّا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ ^(١) ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ ، فَخَلَّ أَجَلَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ثُمَّ لَا عَهْدَ لَهُ ، وَكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ إِذَا سَمِعُوا النِّدَاءَ بِبِرَاءَةِ يَقُولُونَ لِعَلَى : سَتَرَوْنَ بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، يَا نَهْ لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّكَ إِلَّا الطَّعْنَ وَالضَّرْبَ ، ثُمَّ إِنْ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْمَدَّةِ رَغِبُوا فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى دَخَلُوا فِيهِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَحَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ ، وَحَجَّ

(١) أصل الحديث في البخاري ومسلم وأبو داود والسنائي . أما الإرداف . جعلي وقول أبي بكر : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزُولُ شَيْءٌ ؟ قَالَ : لَا الْحَدِيثَ فَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرِيُّ . وَيَقُولُ الطَّبْرِيُّ فِي مَشْكِ الْأَثَارِ : هَذَا مُشْكِ ، لِأَنَّ الْأَخْبَارَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يَبْعَثُ أَبَا بَكْرَ بِذَلِكَ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ عَلِيًّا ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤْذِنَ ، فَكَيْفَ يَبْعَثُ أَبُو بَكْرٍ أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَنْ مَعَهُ بِالتَّأْذِينِ مَعَ صَرْفِ الْأَمْرِ عَنْهُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ ، ثُمَّ أَجَابَ بِمَا حَاصِلُهُ : إِنْ أَبَا بَكْرٍ كَانَ الْأَمِيرَ عَلَى النَّاسِ فِي تِلْكَ الْحِجَّةِ ، وَكَانَ عَلَى هُوَ الْمَأْمُورَ بِالتَّأْذِينِ بِذَلِكَ ، وَكَانَ عَلِيًّا لَمْ يَطْلُقِ التَّأْذِينَ بِذَلِكَ وَحْدَهُ ، وَاحْتِاجَ إِلَى مُعِينٍ ، فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ أَبَا هُرَيْرَةَ . وَغَيْرَهُ لِيُصَاعِدُوهُ ، ص ٩٠ ج ٣ المواهب ، وَقَدْ رَوَى الطَّبْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ أَمَرَ أَنْ يُؤْذِنَ بِبَيْضِ وَثَلَاثِينَ آيَةً مُتَّبَعًا : وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، وَقِيلَ : بِأَرْبَعِينَ . وَلَقَدْ قِيلَ : كَيْفَ يُؤْمَرُ بِالتَّأْذِينِ بِبِرَاءَةٍ ، ثُمَّ يُؤْذِنُ بِمِثْلِ مَا ذَكَرَهُ ؟ وَفَدَّ أَجِيبَ بِأَنَّهُ أَمَرَ أَنْ يُؤْذِنَ بِبِرَاءَةٍ ، وَمِنْ جَمَلَةٍ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ إِلَّا بِحُجٍّ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ مُشْرِكٌ . مِمَّنْ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) . الْآيَةُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُؤْذِنَ بِبِرَاءَةٍ وَبِمَا ذَكَرَ . وَالْأَرْبَعَةُ الَّتِي أُذِّنَ بِهَا وَمِثْلُ قَوْلِهِ : وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَهْدٌ فَمَعْدُهُ إِلَى مَدَّتِهِ وَرَدَّتْ فِي رِوَايَةِ لِأَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ . وَزَادَ الطَّبْرِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ : وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ فَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .

المسلمون ، وقد عاد الذين كُفَّه واحداً الله رب العالمين .
وأما النداء في أيام التشريق بأنها أيام أكل وشرب ، وفي بعض الروايات
أكل وشرب وبكال^(١) ، فإن الذي أمر أن ينادى بذلك في أيام التشريق
هو كُتَيْبُ بْنُ مَالِكٍ وَأَوْسُ بْنُ الْخُدَّافِ ، وفي الصحيح أن زَيْدُ بْنُ مَرْبَعٍ
ويقال فيه أيضاً : عبد الله بن مَرْبَعٍ كان ممن أمر أن ينادى بذلك ، وروى
مثل ذلك عن بَشِيرِ بْنِ سَحِيمٍ الْفِقَارِيِّ ، وقد روى أن حَذِيفَةَ كَانَ الْمُنَادِي
بذلك ، وعن سعد بن أبي وقاص أيضاً ، وبلال ، ذكر بعض ذلك البراء
في مُسْنَدِهِ ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾ أنه أراد
ذا الْحِجَّةِ وَالْمَحَرَّمِ من ذلك العام ، وأنه جعل ذلك أجلاً لِمَنْ لَاعَنَدَ لَهُ مِنْ
لِلشُّرَكِيِّينَ ، ومن كان له عَهْدٌ جُمِلَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ أَوَّلُهَا يَوْمُ النحر من ذلك
العام ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ الْحُجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ قيل : أراد حين الحج ، أى أيام
لِلوَسْمِ كلها ، لأن نداء علي بن أبي طالب ببراءة كان في تلك الأيام .

ما نزل في سورة براءة :

فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله في سورة براءة في غزوة تبوك ،
وأهل التفسير يقولون إن آخرها نزل قبل أولها ، فإن أول ما نزل منها :

﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ثم نزل أولها في تَبَدُّ كُلِّ عَهْدٍ إِلَى صَاحِبِهِ
كما تقدم .

(١) البكال : مباشرة الرجل زوجته وملاعبتها .

وقوله (انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) فيه أقوالٌ، قيل معناه: شَبَانًا وَشُيُوخًا، وقيل: أغنياء وفقراء، وقيل أصحاب شُغْلٍ وغير ذِي شُغْلٍ، وقيل: رُكبانًا وَرَجَالًا.

عن الأجدع بن مالك:

وأشد شاهدًا على أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ للأجدع بن مالك والدِ مَسْرُوقِ ابن الأجدع، وقد غيَّرَ عمرُ رضى الله عنه اسم الأجدع، وقال: الأجدعُ: اسمُ شيطانٍ، فسماه عبدَ الرحمن ويكنى مَسْرُوقَ أبا عائشة.

وقوله في البيت: يصطادك الوَحْدَ، أى: يصطاد بك، وأراد بالوَحْدِ: الثَّوْرَ الوَحْشَى.

وقوله: بِشَرِيحٍ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِبْضَاعِ، يقال: هما شَرِيحَانِ، أى: مختلفان. وقبل هذا البيت أبيات في شعر الأجدع:

أَسْأَلُكِ بَرَكَائِي وَرَحَالِي وَنَسِيتُ قَتْلَى فَوَارِسِ الْأَرْبَاعِ^(١)
وذكره أبو علي [القالى] فى الأمالى، فقال: وسألتنى^(٢) بالواو،

(١) كانت امرأته من بنى الحارث فأصاب وقتل من بنى الحصيصة أربعة فقال له امرأته: أين الإبل والغنمية؟ فقال البيت المذكور، وروايته فى السمت: أسألتنى بنجاتب. وفى السمت من القصيدة سبعة أبيات. راجع ص ١٠٩، ١٤٦، السمت (٢) أنظر ص ٢٣ ج ١ ط ٢. وقد نبه على هذا الخطأ البكرى فى كتابه التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه، ص ٣٥ فقال: إنما هو أسألتنى بالهمزة لا بالواو، وهو أول الشعر. بَرَكَائِبُ مَنْون لا بَرَكَائِي، لأنها إنما سألته عن إبل القوم =

وقد خطئوه ، وقالوا : إنما هو أسألتني . وفوارسُ الأرباع قد سماهم أبو علي
في الأمالي^(١) ، وذكر لهم خبراً .

إعطاء الجزية عن يد :

وذكر قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾
وقيل فيه أربعة أقوال أيضاً :

أحدها : أن يؤديها الذمّي بنفسه ، ولا يرسلها مع غيره .

الثاني : أن يؤدّيها قائماً ، والذي يأخذها قاعداً .

الثالث : أن معناه : عن قهرو إذلال .

الرابع : أن معناه : عَنْ يَدٍ مِنْكُمْ ، أي : إنعام عليهم بحَقِّ دمائهم ،
وأخذ الجزية منهم بدلاً من القتل ، كل هذه الأقوال مذكورة في كتب
المفسرين ، ولفظ الآية يتناول جميع هذه المعاني ، والله أعلم .

ومعنى قوله تعالى : في هذه الآية ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ ﴾ وإن كان أهل الكتاب يُصدّقون بالآخرة ، فعناه فيما ذكر ابن سلام

وركانهم ، لأن ركانب نفسه ، ثم ساق من القصيدة خمسة أبيات . وفوارس
الأرباع هم أبناء الحصين ذي القصة بن يزيد بن شداد الذي رأس بن الحارث
مائة سنة . والأرباع أرض قتلهم بها ممدان

(١) من ولد الحصين كثير بن شهاب بن حصين ولاء معاوية الرى ودستبا ، ومحمد
بن زهير بن الحارث بن منصور بن قيس بن كثير ، ص ٢٠ تنبيه البكري ، حاشية .

أن أهل الكتاب لا يقولون بإعادة الأجساد ويقولون إن الأرواح هي التي تُنبعث دون الأجساد^(١).

من المعتبرين :

وذكر في المعذرين: خُفَّاف بن إيماء بن رَحْضَةَ ، ويقال فيه : رَحْضَةَ بالضم ابن خربة^(٢) ، وكان له ولأبيه إيماء ، ولجده رَحْضَةَ صحبة . مات خُفَّاف في خلافة مُعَوِّز بن الخطاب - رضى الله عنه - وكان إماماً لبني غِفَّارٍ .

وذكر أبا عقيل صاحب الصَّاع^(٣) الذي كَتَبَهُ المنافقون ، واسمه جَثْجَاثُ^(٤) وقد قيل في صاحب الصَّاع إنه رِفَاعَةُ بن سَهْلٍ^(٥).

(١) بل لها معنى أوسع من ذلك، ففهمهم للآخرة عندهم لا يعطيهم صفة الإيمان بها ، لأنهم يرون يسوع هو مالك يوم الدين ، بل ويرون مع هذا في أعماق جهنم ، ويرون القديسين لهم شفعاء ، ويرون أن الجنة لهم وحدهم ، الخ .
(٢) قال في الإصابة في ترجمة رَحْضَةَ والد إيماء وجد خُفَّاف : بفتح أوله وثانيه ثم ضاد معجمة ابن خزيمَةَ الغفاري ، وفي ترجمة خُفَّاف قال : ابن رَحْضَةَ بفتح الراء المهملة ثم معجمة . وفي ترجمة إيماء قال : ابن رَحْضَةَ بن خزيمة (حربه) بن خُفَّاف بن حارثة . وقال الحافظ : لا أعرف لأبي عمر مستنداً في إثبات صحبة رَحْضَةَ .
(٣) عن أبي مسعود : لما نزلت آية الصدقة ، كنا نحامل على ظهورنا ، فجاء رجل ، فتصلى بشئ كثير فقالوا : مرأى ، وجاء رجل فتصدق بصاع ، فقالوا : إن الله لغني عن صدقة هذا فنزلت (الذين يلزون المطوعين) الآية رواه البخاري ومسلم .

(٤) ضبط . حشحات

(٥) في بعض الروايات أن الذي تصدق بجمده وبصاع تمر هو أبو عقيل أخوه =

قصيدة صابو الميمية :

فصل : وذكر كلمة حَسَّانَ لِلْمِيْمِيَّةِ^(١) وفيها :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعْدَةٍ كُلِّهَا نَفَرَا

وحَسَّانُ ليس من مَعْدَةٍ ، ولكن أَرَادَ : أَلَسْتُ خَيْرَ النَّاسِ ، فَأَقَامَ مَعْدَةً
لِكَثْرَتِهَا مَقَامَ النَّاسِ .

وفيها :

وناد جِهَاراً وَلَا تُخْتَشِمُ^(٢)

وفيها رَدٌّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْحِشْمَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَعْنَى الْغَضَبِ وَأَنَّهَا
مِمَّا يَضَعُهَا النَّاسُ غَيْرَ مَوْضِعِهَا ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : لِكُلِّ طَاعِمٍ حِشْمَةٌ ،
فَابْتَدَأَهُ بِالْيَمِينِ ، وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : لَا يَرْقَعَنَّ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَنِ الطَّعَامِ قَبْلَ
أَكِيلِهِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَخْتَشِمُهُ ، وَأَنْشَدَ أَبُو الْفَرَجِ لِحَمْدِ بْنِ بَسِيرٍ ، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ
مِثْلَ حَسَّانَ فِي الْحِجَّةِ :

فِي انْقِبَاصٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا جَالَسْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا شِئْتُ غَيْرَ مُخْتَشِمٍ

= بنى أَيْفَ الْإِرَاقِيِّ حَلِيفَ بَنِي هَمْرٍ وَبَنِي عَوْفٍ ، وَيُقَالُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ تَعْلِيَةَ .

(١) هَذَا سَوِيٌّ مِنَ السَّبِيلِ ، فَهِيَ فِي قَصِيدَتِهِ الْإِمَامِيَّةِ .

(٢) هَذَا مِنْ قَصِيدَتِهِ الْمِيْمِيَّةِ . وَلَيْسَتْ الشُّطْرَةُ هَكَذَا وَإِنَّمَا هِيَ :

دَفْنَادُ نَدَاءٍ وَلَا تُخْتَشِمُ ،

وفيها قوله :

وكانوا مُلوَكًا ، ولم يَمْلِكُوا من الدَّهْرِ يوماً كَعِلِّ الْقَسَمِ^(١)
فيه شاهد لما قاله ابن قُتَيْبَةَ في تفسير كَعِلَّةِ الْقَسَمِ ، وخلافه لأبي عبيد ،
وقد قدمنا قوليهما فيما تقدم من شرح قصيدة كَعْبِ بن زهير .

وأنشد ابن قُتَيْبَةَ :

إِذَا عَصَفَتْ رِيحٌ فَلَيْسَ بِقَائِمٍ بِهَا وَتَدُّ إِلَّا تَحْلَةً مُقْسِمٍ
وأنشد أيضاً :

قليلًا كَتَحْلِيلِ الْآلَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ

البيت .

وقوله : وعزًّا أَشْمُ ، هو كقول العرب : عِزَّةٌ قَسَاءٌ ، يريد : ثَمَاءٌ ،
لأن الأَقْسَ الذي يُخْرِجُ صدره ويدخل ظهره ، وقد فسرهُ المَبْرَدُ غير هذا
التفسير ، وبيت حَسَّانٍ يشهد لما قلناه ، إنما هو الشَّمَمُ الذي يوصف به ذوالعِزَّة ،
فوصفت العِزَّةُ به مجازاً .

تفسير سورة النصر :

فصل : وذكر سورة : إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ . وتفسيره لها في الظاهر خلاف

(١) رواية البيت مختلفة عما في السيرة .

ما ذكره ابن عباس حين سأله عمر عن تأويلها ، فأخبره أن الله تعالى أعلم فيها
 نبيه عليه السلام بانقضاء أجله ، فقال له عمر : ما أعلم منها إلا ما قلت . وظاهر هذا
 الكلام يدل على ما قاله ابن عباس وعمر ؛ لأن الله تعالى لم يقل : فاشكروا
 ربك ، واخمدوه ، كما قال ابن إسحاق : إنما قال : فسبح محمد ربك واستغفروه ،
 إنه كان تواباً ، فهذا أمر لنبيه عليه السلام بالاستعداد للقاء ربه تعالى والتوبة
 إليه ، ومعناها الرجوع عما كان بسبيله مما أرسل به من إظهار الدين ، إذ قد فرغ
 من ذلك ، وتم مراده فيه ، فصار جواب إذا من قوله تعالى : ﴿ إذا جاء
 نصر الله والفتح ﴾ . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا محذوفاً . وكثيراً
 ما يحى في القرآن الجواب محذوفاً ، والتقدير : إذا جاء نصر الله والفتح ،
 فقد انقضى الأمر ، ودنا الأجل ، وحان اللقاء ، فسبح محمد ربك واستغفروه ،
 إنه كان تواباً . ووقع في مسند البزار مُبَيَّنًا مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ : فِيهِ :
 فَقَدْ دَنَا أَجَلَكَ فَسَبِّحْ ، هذا المعنى هو الذي فهمه ابن عباس ، وهو حذف
 جواب إذا ، ولما يُتَذَبَّهْ لهذه النكتة حَسِبَ أَنْ جَوَابَ إِذَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ :
 فَسَبِّحْ ، كما تقول : إذا جاء رمضان فصم ، وليس في هذا التأويل من المشاكلة
 لما قبله ما في تأويل ابن عباس فتدبره ، فقد وافقه عليه عمر رضي الله عنه ،
 وحسبك بهما فهماً لكتاب الله تبارك وتعالى ، فالقاء على قول ابن عباس
 رابطة للأمر بالفعل المحذوف ، وعلى ما ظهر لفهمه رابطة لجواب الشرط
 الذي في إذا .

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد

فقدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه عطاردة
ابن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميمي ، في أشراف بني تميم ، منهم الأقرع
ابن حابس التميمي ، والزُّبْرَقَان بن بَدْر التميمي ، أحد بني سعد ، وعمر بن
الأهتم ، والخباعب بن يزيد .

شيء عن الحتات

قال ابن هشام : الحتات وهو الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى
بين نفر من أصحابه من المهاجرين ؛ بين أبي بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان
وعبد الرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وبين
أبي ذر الغفاري والمقداد بن عمرو البهرازي ، وبين معاوية بن أبي سفيان
والحتات بن يزيد المَجَاشِي ، فأت الحتات عند معاوية في خلافته ، فأقام معاوية
ماترك ورثة بهذه الأخوة ، فقال القَزْدَقُ لمعاوية :

أبوكَ وعَمِّي يا معاويَ أوزَمَّا تَرَانَا فَيَحْتَازُ الثَّرَا أَقَارِبُهُ
فَبِالْمِيرَاثِ الحَتَاتِ أَكَلَتْهُ وَمِيرَاثِ حَرْبٍ جَامِدٍ لَكَ ذَائِبُهُ

وهذان البيتان في أبيات له .

سائر رجال الوفد

قال ابن إسحاق : وفي وفد بني تميم : نُعَيْم بن يزيد ، وقَيْس بن الحارث ، وقَيْس بن عاصم ، أخو بني سعد ، في وفد عظيم من بني تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بني دارم بن مالك ، والختات بن يزيد ، أحد بني دارم بن مالك ، والزبرقان بن بدر ، أحد بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهم ، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، وقيس بن عاصم ، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهُم عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وُعَيْنَةُ بن حِصْن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وخُتِنًا والطائف .

صياحهم بالرسول وكلمة عطارد

فلما قدم وفد بني تميم كأنهم معهم ، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجُرَاتِهِ : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخر بك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهلّه ، الذى جعلنا ملوكا ،
ورهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزّ أهل الشرق
وأكثره عدداً ، وأيسره عدّة ، فمن مثّلنا فى الناس ؟ ألسنا برءوس الناس
وأولى فضلهم ؟ فمن فآخرنا فليمدد مثل ماعدتنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ،
ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف بذلك .
أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا . ثم جلس .

كلمة ثابت فى الرد على عطار

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى
بنى الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :
الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه
علمه ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ،
واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسباً ، وأصدقته حديثاً ، وأفضله حساباً ،
فأنزل عليه كتابه وأثمنه على خلقه ، فسكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا
الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله للمهاجرين من قومه وذوى رحمة ،
أكرم الناس حساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً . ثم كان
أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن ، ففتح أنصار الله ووزراء رسوله ، فقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن
بآله ورسوله منع من ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا
يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

شعر الزبرقان في الفخر بقومه

قام الزبرقان بن بدر ، فقال :

نَحْنُ السِّكْرَامُ فَلَا حَيَّ يُعَادِلُنَا مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُم عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبِعُ
وَنَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعِمُنَا مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَزَعُ
بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سُرَاتُهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوَ بِأَنْهُمْ تَصْطَلِعُ
فَتَنْحَرِ السُّكُومَ غُبَطًا فِي أُرُومَتِنَا لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أَنْزَلُوا شَبَعُوا
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ إِلَّا اسْتَفَادُوا فَكَانُوا الرَّأْسُ يُقْطَعُ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَلِكَ نَعْرِفُهُ فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
نَا أَبِينَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَزَعُ

قال ابن هشام : ويروى :

مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُقْسَمُ الرَّبْعُ

ويروى :

مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَانَا ثُمَّ تُتَّبَعُ

رواه لي بعض بني تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها للزبرقان ..

شعر حسان في الرد على الزبرقان

قال ابن إسحاق : وكان حسان غائباً ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم . قال حسان : جاءني رسوله ، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيبَ شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنْعَنَا رسول الله إِذْ حَلَّ وَسَطَنَا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمٍ
مَنْعَنَا لَمَّا حَلَّ بَيْنَ يُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ
بَبَيْتِ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَثَرَاؤُهُ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطَ الْأَعَاجِمِ
هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا الشُّوَدُّ وَالْعَوْدُ وَالنَّيْدُ

وَجَاءَ الْمُلُوكُ وَاحْتِمَالُ الْعِظَامِ

قال : فلما انتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عرضت في قوله ، وقلت على نحو ما قال قال : فلما فرغ الزُّبَيْرُ قَانَ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال . فقام حسان فقال :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِئْرِ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تُنَبِّعُ
يَرْضَى بِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَتْ مَرِيرَتُهُ تَقْوَى إِلَهِ وَكُلِّ الْخَيْرِ يَعْظُمُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةَ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخْدَنَةٍ إِنَّ خِلَافَاقَ فَاعِلِ شَرِّهَا الْبِدْعُ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلِّ سَبَقٍ لِأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَرْمِقُ النَّاسُ مَاؤُهُتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَارَقُهُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمَ مَافَازَ سَبَقُهُمْ أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْأَنْدَى مَتَعُوا

أَعْنَةُ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَنْهُمْ لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
 لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمْ طَعْمُ وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبْعُ
 إِذَا نَصَبْنَا إِيحَىٰ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ كَمَا يَدُبُّ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ
 نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنَا تَحَالِبُهَا إِذَا الرِّعَافُ مِنْ أَغْفَارِهَا خَشَمُوا
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلَعُ
 كَانَهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ أَسَدٌ بِحَلْيَةٍ فِي أَرْسَانِهَا قَدَعُ
 خَذَ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا وَلَا يَكُنْ هُمُكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
 غَلَبَ فِي حَرْبِهِمْ فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلَامُ
 أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئَهُمْ إِذَا تَفَاوَتَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
 أَهْدَىٰ لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُؤَازِرُهُ فِيمَا أَحَبَّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ
 فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ تَنَمَّعُوا

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد :

يَرْضَىٰ سَهَا كُلَّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيْرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

شعر آخر للزبرقان

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم : أن الزبرقان
 ابن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم قام فقال :
 أَنْيِفَاكَ كَمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ

بِأَنَّا قُرُوعُ النَّاسِ فِي كُلِّ وَطْنٍ وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كِدَارٌ
وَأَنَا نَذُودُ الْمُعْلِمِينَ إِذَا انْتَخَوْا وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَصِيدِ الْمُتَقَامِ
وَأَنْ لَنَا الْمَرْبَاعَ فِي كُلِّ غَارَةٍ نُفَيْرُ بَنَجْدٍ أَوْ بَارِضِ الْأَعَاجِمِ

شعر آخر لحسان في الرد على الزبيرقان

فقام حسان بن ثابت فأجابه ، فقال :

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا الشُّودُّ الْعَوْدُ وَالنَّدَى وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَامِ
كُصِّرْنَا وَأَوْبِنَا النَّبِيُّ مُحَمَّدًا عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَمْدٍ وَرَاغِمِ
بِحَيِّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَتَرَاوِهِ بِحَايَةِ الْجَوْلَانِ وَشَطِّ الْأَعَاجِمِ
كُصِّرْنَا لَهُ مَا حَلَّ وَشَطِّ دِيَارِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
جَعَلْنَا بَيْنِنَا دُونَهُ وَبَنَاتِنَا وَطِينِنَا لَهُ نَفْسًا بَنَى الْمُغَانِمِ
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا عَلَى دِينِهِ بِالْمُرْهَقَاتِ الصَّوَارِمِ
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَةٍ وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فَخَرَكُمْ يَعُودُ وَبَالًا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
هَمِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ لَنَا حَوْلٌ مَا بَيْنَ ظَنَرٍ وَخَادِمِ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّنِ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي الْقَاسِمِ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نَدَاً وَأَسْلَمُوا وَلَا تَلْبَسُوا زِيَا كَرِي الْأَعَاجِمِ

إسلامهم وتجويز الرسول إياهم

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبي ، إن هذا الرجل كموتى له ، نخطيبه أخطب من خطيبنا ، وكشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

شعر ابن الأهم في هجاء قيس لتحقيره إياه

كان عمرو بن الأهم قد خلفه القوم في ظهرهم ، وكان أصفرهم سناً ، قال قيس بن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهم : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا في رحالنا ، وهو غلام حدث ، وأزرى به ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهم حين بلغه أن قيساً قال ذلك بهجوه :

ظَلَلْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمُّنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَا مَ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبِ
سُدْنَا كَمْ سُودَدَارَهُوْا وَسُودَدُكُمْ بَادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعَرٌ عَلَى الذَّنْبِ

قال ابن هشام : بقي بيت واحد تركناه ، لأنه أقدح فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

في الوفادة عن بني عامر

بعض رجال الوفد

وقدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر فيهم عامر بن
الطفيل وأربد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جعفر ، وجَبَّار بن سَلْتَى بن مالك
ابن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

تدبير عامر للغدر بالرسول

وقدّم عامر بن الطفيل عدو الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم ،
قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنهي حتى تنبع العرب عتي ، أفأنا أنبع
عتب هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قَدِمنا على الرجل ، فإني
سأشغل عنك وجهه ، فإذا فمات ذلك فاعله بالسيف ، فلما قَدِموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خالني ، قال : لا والله حتى
تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالني . وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان
أمره به . فجعل أربد لا يُخبر شيئاً ، قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال
يا محمد خالني قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً ،
فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفني عامر بن الطفيل .

فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر لأربد : وَيْلَكَ يَا أَرْبَدُ آيْنَ مَا كُنْتُ أَمْرًا تَكُ بِهِ ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك . وإني لله لا أخافك بعد اليوم أبدًا . قال : لَا أَبَالِكَ ! لَا تَتَجَبَّلْ عَلَيَّ ، والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إِلَّا دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ ، حَتَّى مَا أَرَى غَيْرَكَ ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأه من بني سلول ، فجعل يقول : يَا بَنِي عامر ، أَغْدَى كَفْدَةُ الْإِبِلِ ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةِ ! قال ابن هشام : ويقال : أَغْدَى كَفْدَةُ الْإِبِلِ ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةِ .

موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفي عامر

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين وَاَرَوْهُ ، حين قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي عامر شَاتِينَ ، فلما قَدِمُوا أَتَاهُمْ قَوْمُهُمْ فَقَالُوا : مَا وَرَأَاكَ يَا أَرْبَدُ ؟ قال : لَأُشْيِيَءُ وَاللَّهِ ، لَقَدْ دَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوْ دِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ فَأَرْمِيهِ بِالنَّبْلِ حَتَّى أَقْتُلَهُ ، فخرج بعد مقاتلته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمل صاعقة ، فَأَخْرَقَتْهُمَا . وَكَانَ أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخَذَ الْبَيْدَ مِنْ رَبِيعَةَ لَأَمَّهُ . قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن

ابن عباس ، قال : وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾

قال : الُمَّةُ مُبَاتٌ : هي من أمر الله يحفظون محمداً . ثم ذكر أربد وماتله الله به ، فقال : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ .

شعر لبيد في بكاء أربد

قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكي أربد :

ما إن تُتَدَمَّى التَّنُونُ مِنْ أَحَدٍ	لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ
أَخْشَى عَلَى أَرْبَدًا لُحُوفَ وَلَا	أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَعَيْنٍ هَلَّا بِكِيتِ أَرْبَدَ إِذْ	قُمْنَا وَقَامَ الذَّسَاءُ فِي كَبَدٍ
إِنْ يَشْفَعُوا لَا يُبَالِ شَفَعَهُمْ	أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْحُكُومِ يَقْتَصِدِ
حُلُوْ أَرْبَبٌ وَفِي حَالَوْتِهِ	مُرٌّ لَطِيفُ الْأَخْشَاءِ وَالْكَبَدِ
وَعَيْنٍ هَلَّا بِكِيتِ أَرْبَدَ إِذْ	أَلَوْتُ رِيَّاحُ الشَّوَاءِ بِالْعَصَدِ
وَأَصْبَحَتْ لَاقِحًا مُقَرَّمَةً	حَتَّى تَجَلَّتْ غَوَابِرُ الْمَدَدِ
أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ غَابِةٍ لَحْمٍ	ذُو نَهْمَةٍ فِي الْهَلَا وَمُنْتَقَدِ
لَا تَبْلُغُ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِهَا	لَيْلَةَ تَمْسَى الْجِيَادُ كَالْقَدَدِ
الْبَاعِثُ النَّوْحَ فِي مَاتِمِهِ	مِثْلَ الظُّبَاءِ الْأُنْكَارِ بِالْجَرَدِ

.

فَجَعَلِي الْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْفَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيهِةِ الْمَجْدِ
 وَالْحَارِبِ الْجَابِرِ الْحَرِيبِ إِذَا جَاءَ نَكِيْبًا وَإِنْ يَبْعُدُ يَبْعُدُ
 يَقْفُو عَلَى الْجَنْهَدِ وَالسَّوَالِ كَمَا بُنِبْتُ غَيْثُ الرَّبِيعِ ذُو الرِّصْدِ
 كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْقَدَدِ
 إِنْ يُغَبِّطُوا يُهْبَطُوا وَإِنْ أَمَرُوا يَوْمًا قَهْمٌ لِلْهَلَاكِ وَالنَّفَدِ

قال ابن هشام : بيته : « والحارب الجابر الحريب » عن أبي عبيدة ،
 وبيته : « ينفو على الجهد » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً يبكي أربد :

أَلَا ذَهَبَ الْمُحَافِظُ وَالْحَامِي وَمَانَعُ ضَمِيمِهَا يَوْمَ الْخِصَامِ
 وَأَيَقَنْتُ التَّفَرُّقُ يَوْمَ قَالُوا تُقَسِّمُ مَالُ أَرْبَدَ بِالسَّهَامِ
 تَطْيِيرُ عَدَائِدِ الْأَشْرَاكِ شَفْعًا وَوِثْرًا وَالزَّعَامَةُ لِلْغُلَامِ
 فَوَدَّعَ بِالسَّلَامِ أَبَا حُرَيْرٍ وَقَالَ وَدَاعُ أَرْبَدَ بِالسَّلَامِ
 وَكُنْتُ إِمَامَنَا وَلَنَا نِظَامًا وَكَانَ الْجَزْعُ يُحْفَظُ بِالنِّظَامِ
 وَأَرْبَدُ فَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا تَفَعَّرَتِ الشَّاجِرُ بِالْفَنَامِ
 إِذَا بَسَّكَرَ النَّسَاءُ مُرَدَّاتٍ حَوَاسِرَ لَا يُجِنُّنَ عَلَى الْخِدَامِ
 قَوَائِلَ يَوْمَ ذَلِكَ مَنْ أَنَاهُ كَمَا وَالْمُحِلُّ إِلَى الْحَرَامِ
 وَيَحْمَدُ قَدَرَ أَرْبَدَ مَنْ عَرَاهَا إِذَا مَا ذُمَّ أَرْبَابُ الْأَحَامِ
 وَجَارَتُهُ إِذَا حَلَّتْ لَدَيْهِ لَهَا تَفَلُّ وَحَظٌّ مِنْ سَنَامِ

فَإِنْ تَقُمُّدْ فُكْرَمَةً حَصَانٌ وَإِنْ تَقْلَعَنْ فُحْسِيَةً الْكَلَامِ
 وَهَلْ حَدَّثْتَ عَنْ أَخَوَيْنِ دَامَا عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا ابْنِي شَامِ
 وَإِلَّا الْفَرَقْدَيْنِ وَالْ نَفْسِ خَوَالِدَ مَا تُحَدِّثُ بِأَهْدَامِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهِيَ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ لَبِيدٌ أَيْضًا يَبْكِي أُرِيدُ :

أَنْتَ الْكَرِيمَ لِلْكَرِيمِ أُرِيدَا أَنْتَ الرَّئِيسَ وَالْأَطِيفَ كَبِيدَا
 يُحْدِي وَيُعْطِي مَالَهُ لِيُحْمَدَا أَدْمَا يُشْبَهُنَّ صَوَارًا أَبَدَا
 السَّابِلَ الْفَضْلِ إِذَا مَا عُدَدَا وَيَمْلَأُ الْجَنْفَةَ مَلَكًا مَدَدَا
 رِفْهَا إِذَا يَأْتِي ضَرْبُكَ وَرَدَا مِثْلُ الَّذِي فِي النَّيْلِ يَفْرُو مُجْدَا
 يَزْدَادُ قُرْبًا مِنْهُمْ أَنْ يُوعَدَا أَوْرَثْنَا تَرَاثَ غَيْرِ أَنْكَدَا
 غَيْبًا وَمَالًا طَارِقًا وَوَلَدَا شَرَحَا صُقُورًا بِافِعَا وَأَمْرَدَا
 وَقَالَ لَبِيدٌ أَيْضًا :

لَنْ تُفْنِيَا خَيْرَاتِ أَرْ بَدَ فَابْكِيَا حَتَّى يَعُودَا
 مَوْلَا هُوَ الْبَطْلُ الْمُحَا مَيَّ حِينَ يَسْكُونُ الْحَدِيدَا
 وَبَصْدُ عَنَا الظَّالِمِينَ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ صِيدَا
 طَاعَتَا قَهُ رَبِّ الْبَرِيَّةِ إِذْ رَأَى أَنْ لَا خُلُودَا
 فَيُورَى وَلَمْ يُوجَّعْ وَلَمْ يُوصَبْ وَكَانَ هُوَ الْفَقِيدَا

.....

وقال لييد أيضاً :

يَذْكُرْنِي بِأَرْبَدَ كُلِّ خَضَمٍ أَلَدَ تَحَالُ خُطْمُهُ ضِرَارًا
إِذَا افْتَصَدُوا فَمُقْتَصِدٌ كَرِيمٌ وَإِنْ جَارُوا سَوَاءَ الْحَقِّ جَارًا
وَيَهْدِي الْقَوْمَ مُطْلَعًا إِذَا مَا دَلِيلُ الْقَوْمِ بِالْمَوْمَةِ حَارًا

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لييد أيضاً :

أَصْبَحْتُ أَمْسِي بَعْدَ سَلَى بْنِ مَالِكٍ
وَبَعْدَ أَبِي قَيْسٍ وَعُرْوَةَ كَالْأَجَبِ
إِذَا مَا رَأَى ظِلَّ الْفُرَابِ أَضِجَهُ حِذَارًا عَلَى بَاقِي السَّنَاسِنِ وَالْعَصَبِ
قال ابن هشام : وهذان البيتان في أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً منهم ، يُقال له ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ .

سؤاله الرسول أسئلة ثم إسلامه

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن الوليد بن نُوَيْسٍ عن كُرَيْبٍ ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعث بنو سعد بن بكر ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، وَأَنَاخَ بِعِيرِهِ عَلَى

• • • • •

باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه ؛ وكان ضمامٌ رجلاً جليلاً أشعرَ ذا غديرَين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أياكم ابن عبد المطلب ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . قال : أحمد ؟ قال : نعم ؛ قال يابن عبد المطلب ، إني سألك ومُعَلِّظ عليك في المسألة ، فلا تَجِدَنَّ في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي ، فسل عما بدا لك . قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده لا نشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يمجِّدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام قريضة قريضة . الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل قريضة منها كما ينشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ؛ وسأؤدِّي هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، لأنني أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بيته راجعاً . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذو القِصتين دخل الجنة .

دعوته قومه للاسلام

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قَدِمَ على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال : بُنِيتِ اللَّاتُ وَالْعُزَّى ! قالوا : مه يا ضيَّام اتقِ البرَصَ ، اتقِ الجذام ، اتقِ الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضرَّان ولا يفتنَّان ، إن الله قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً أستنفذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أُمسى من ذلك اليوم في حاضره رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوفاة قومٍ كان أفضل من ضيَّام . ابن ثعلبة .

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حنشل أخو عبد القيس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المَعْلَى في وفد عبد القيس وكان نصرانياً .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه ، فعَرَضَ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ،

• • • • •

وإني تارك ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُمَْلان ، فقال : والله ما عندي ما أحبسكم عليه . قال : يا رسول الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضَوالٌ من ضَوالِ الناس : أفتنبِّئُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فإنما تلك حَرَقُ النار .

موقفه من قومه في الردة

نُفِرَ من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صُلْباً على دينه ، حتى هَلَكَ وقد أدرك الردَّة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأوَّل مع الأفرور بن المنذر بن الثَّعْبان بن المنذر ، قام الجارود فتكلَّم ، فتشَّهَّد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إني أشهد . أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأكفر من لم يشهد .

قال ابن هشام : يروى : وأكفى من لم يشهد .

إسلام ابن ساوى

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ العَلام ابن الحَضْرَمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى التَّعْبِدي ، فأسلم تحسُّن إسلامه . ثم هَلَكَ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردَّة أهل البَحْرين ، والعلام عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البَحْرين .

قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ، فيهم مسيلمة
ابن حبيب الحنفي الكذاب .

قال ابن هشام : مسيلمة بن ثمامة ، ويكنى أبا ثمامة .

ما كان من الرسول لمسيلمة

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ،
ثم من بني النجَّار ، فحدثني بعضُ علمائنا من أهل المدينة : أن بني حنيفة أتت
به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس في أصحابه . معه عسيب من سَعَف النخل في رأسه خوصات ؛ فلما انتهى
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخٌ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن
حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وخافوا مسيلمة في رحالهم ، فلما أسدلوا ذكروا مكانه ، فقالوا :
يا رسول الله ، إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظنا لنا ، قال :
فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال أما إنه
ليس بشركم مكاناً ، أي لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذي يريد رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

ارتداده وتنبؤه

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : أما إنه ليس بشرككم مكاناً ؛ ماذا كان يعلم أني قد أشركت في الأمر معه ، ثم جعل يستجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : « لقد أنعم الله على الحيلي ، أخرج منها نسمة تسمى ، من بين صيفاق وحشى » وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي ، فأصفت معه حنيفة على ذلك ، خافه أعلم أي ذلك كان .

قدوم زيد الخيل في وفد طيء .

إسلامه وموته

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فبينهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ؛ فلما انتهوا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني من لا أتهم من رجال طيء ؛ ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ، ثم جاءني ، إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً .

الخبر ، وقطع له قيّداً وأرضين معه ، وكتب له بذلك . ففرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن يَنْجُ زَيْدٌ من مُحَيِّ المدينة ، فإنه قال : قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمي ، وغير أمِّ مِلْدَم ، فلم يثبتته - فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له قردة ، أصابته الحُمَّى بها فمات ، ولما أحسن زيد بالموت قال :

أُمِرْتُ حَيْلُ قَوْمِي لِلشَّارِقِ غُدُوَّةً وَأُنْزِلُكَ فِي بَيْتٍ بِقَرْدَةٍ مُنْجِدٍ
لَا وَبَ يَوْمٍ لَوْ مَرَضْتُ لِعَادَتِي هَوَانِدُ مَنْ لَمْ يُبَيِّرْ مِنْهُمْ يَنْجِدُ

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحرقتها بالنار .

أمر عدي بن حاتم

وأما عدي بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغني : مامن رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأاً شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسير في قومي بالمرباع ، فكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكاً في قومي ، لما كان يُصنع بي . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لفلان كان لي عربياً ، وكان راعياً للإبل : لا أبالك ، أعدد لي من إبل أجمالا ذللاً سماناً ، فاحتبسها قريباً مني ، فإذا سمعت بجيش لحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ، ففعل ، ثم إنه أتاني ذات

غداة ، فقال : يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ،
فإني قد رأيت رايات ، فسأت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت :
فقرّب إلى أجمالي ، فترّبها ، فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : أخلق بأهل
دبني من النصارى بالشام فسلكت الجوشية ، ويقال الحوشية ، فيما قال ابن
هشام - وخلفت بدتاً لحاتم في الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها .

وتخافني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن
أصابت ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبأيا من طيء ،
وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلى الشام ، قال فجعلت بنت حاتم
في حظيرة بياب المسجد ، كانت السبأيا يحبسن فيها ، فمرّ بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ،
هالك الوالد ، وغاب الوافد ، فامتنن عليّ ، من الله عليك . قال : ومن وافدك ؟
قالت : عدي بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد مرّ بي ، فقلت له
مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي
وقد يئست منه ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلاميه ، قالت : فقامت
إليه ، فقلت : يا رسول الله ، هالك الوالد ، وغاب الوافد ، فامتنن عليّ ، من الله
عليك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، فلا تعجلى بمخرج حتى تجدي
من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنيني . فسأت
عن الرجل الذي أشار إلى أن أكلمه ، فقيل : علي بن أبي طالب رضوان

الله عليه ، وأمت حتى قدم ركب من بَيْلٍ أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتيني أخي بالشام . قالت : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قد قَدِمَ رَهْطٌ من قومي ، لي فيهم نَفَقَةٌ وبِلاغٌ . قالت : فسكسني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملني ، وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قَدِمَت الشام .

قال عدى : فوالله إنني لقاعد في أهلي ، إذ نظرت إلى غَليمة تَصُوبُ إليَّ تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هي هي ، فلما وقفت على أنسحلت تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولذك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت : أي أختي ، لا تقولي إلا خيراً ، فوالله مالي من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا ترى في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فليسابق إليه فضله ، وإن يكن مليكاً فلن تذل في عزّ الهين ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأي .

إسلام عدى

قال : فخرجتُ حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه ، إذ لقيت امرأةً ضعيفةً كبيرةً ، فاستوقفتني ، فوقف لها طويلاً تسكلمه في حاجتها ؛ قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بي بيته ، تناول وسادة

.

من آدمَ تحشوةً ليقا ، فخذفها إلى ؛ فقال : اجلس على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت ، جلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إياه ياعدني بن حاتم ! ألم تك ركوسياً ؟ قال : قلت : بلى . (قال) : أولم تكن تسير في قومك بالمرباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك ؛ قال : قلت : أجل والله ، وقال : وعرفت أنه نبي مرسل ، يعلم ما يجمل ، ثم قال : لملك ياعدني إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليؤشكن للمال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولملك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليؤشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها (حتى) تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولملك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإني والله ليؤشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ؛ قال : فأسلت .

وقوع ما وعده الرسول عدياً

وكان عدي يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتسكونن ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وإني والله لتسكونن [الثالثة ، ليفيضان للمال حتى لا يوجد من يأخذه .

قدوم فروة بن مسيك المرادي

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله صلى الله

عليه وسلم مفارقاً للملك كِنْدَةَ ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقد كان قبيل الإسلام بين مُراد وهمدان وقعة ، أصابت فيها همدان من
مراد ما أرادوا ، حتى أُنْحَنُوهُمْ في يوم كان يقال له : يوم الرِّدْم ، فكان
الذي قاد همدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك في ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذي قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حَرِيم الممداني .

قال ابن إسحاق : وفي ذلك اليوم يقول فرّوة بن مُسيك :

مَرَرْنَا عَلَى لُقَاةَ وَهْنٍ خَوْصٍ	بِنَازِعِنِ الْأَعْنَةَ بَهْتَجِينَا
فَإِنْ تَغَلَّبَ فَعَلَّابُونَ قَدَمَا	وَإِنْ نُغَلَّبَ فَقَلْبٌ مُغْلَبِينَا
وَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنَ وَلَكِنْ	مَبَايَا وَطُمَّةٌ آخَرِينَا
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ	نَكُرُّ صُرُوفَهُ حِينًا فِينَا
هَيْبِنَا مَا نُسَرَّةٍ بِهِ وَتَرْضَى	وَلَوْ لُبَّتْ غَضَارَتُهُ سِنِينَا
إِذَا انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَّاتُ دَهْرٍ	فَالْقَيْتَ الْأَلَى غُبطُوا طَحِينَا
فَمَنْ يُغْبِطُ بِرَبِّ الدَّهْرِ مِنْهُمْ	يَحْجِدُ رَبِّبَ الزَّمَانِ لَهُ خُنُونَا
خَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكِ إِذْنُ خَلَدَنَا	وَلَوْ بَقِيَ السَّكْرَامُ إِذْنُ بَقِينَا
خَافَنِي ذَلِكَ سَرَوَاتٍ قَوْمِي	كَمَا أَفْنَى الْقُرُونِ الْأَوَّلِينَا

قال ابن هشام : أول بيت منها ، وقوله : « فَإِنْ تَغَلَّبَ » عن غير

ابن إسحاق .

قدوم فروة على الرسول وإسلامه

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مسيكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لمولاه كندة ، قال :

لما رأيتُ ملوكَ كندة أعرَضْتُ كالرجلِ خان الرجلَ عرقَ نساءها
قرَبتُ راحلتى أوْ مُحمّداً أرْجو فواضِلها وحُسنَ ثرائها

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة : « أرجو فواضله وحسن ثنائها » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم ؟ قال يا رسول الله ، ساءني ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوؤه ذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً .

واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها ، ويثبت معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد

وقدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ،

يقول إنه نبيّ ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفّه رأيه ، فركب عمرو بن معديكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدقّه ، وآمن به .

فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرًا ، وتعظم عليه ، وقال : خالفني وترك رأبي ؛ فقال عمرو بن معديكرب في ذلك :

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صُنْمَا ۚ أَمْرًا بَادِيًا رَشَدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَالْمَعْرُوفِ نَقِيْدُهُ
خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا مِثْلَ الْحَمِيرِ غَرَّهُ وَتَدُهُ
تَمَنَّانِي عَلَى قَرَسٍ عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدُهُ
عَلَى مُغَاضَّةٍ كَأَنَّهُمْ أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدَدُهُ
تَرَدَّ الرُّوحُ مُنْتَفِي السُّنَانِ عَوَارًا قِصَدُهُ
فَلَوْ لَا قَيْدُنِي لِلْقَيْتِ لَيْتَنَا فَوْقَهُ لِبَدُهُ
تُلَاقَى شَنْبَتًا شَتَّى الْبِرَانِ نَاشِرًا كَتَدُهُ
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنٌ تَيْمَمُهُ فَيَقْتَضِدُهُ
فَيَأْخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ
فَيَدْمَمُهُ فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدَرِدُهُ
ظُلُومُ الشَّرْكِ فَمَا أَحْرَزْتُ أُنْيَابُهُ وَيَدُهُ

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة :

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صُنَا ، أَمْرًا بَيْنَا رَشْدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ تَأْتِيهِ وَتَقْعِدُهُ
فَكُنْتُ كَذِي الْحَمِيرِ غَرَّ رُهُ مِمَّا بِهِ وَتَدْرُهُ
لم يعرف سائرهما .

ارتداداه وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيدة .
وعليهم فروة بن مُسيك . فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو
ابن معد يكرب ، وقال حين ارتد :

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرُوءَ شَرًّا مُلْكُ حِمَارًا سَافَ مُنْخَرُهُ بِشْفَرٍ
وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْخَوْلَا مِنْ خَبَثٍ وَغَدَرٍ

قال ابن هشام : قوله « بشفر » عن أبي عبيدة .

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ
ابن قيس في وفد كندة ، فحدثني الزهري بن شهاب أنه قَدِمَ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ثمانين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسجده وقد رَجَلُوا جُمُوعَهُمْ وَتَكَجَّلُوا ، وعليهم جُبُبُ الْحَبَرَةِ ،

وقد كفّفوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
ألم تُسَلِّمُوا ؟ قالوا : بلى ، قال : فال بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال :
فشقّوه منها ، فالتقّوه .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله : نحن بنو آكل المرّار ،
وأنت ابن آكل المرّار ، قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :
ناسِبُوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث ، وكان
العباس وربيعة رجلين ، تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب ، فسئلا من هما ؟
قالا : نحن بنو آكل المرّار ، يتعَرَّزان بذلك ، وذلك أن كِنْدَةَ كانوا ملوكا .
ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النّضر بن كنانة ، لا نقفوا أمّنا ، ولا ننتفي من
أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كِنْدَةَ ؟ والله لا أسمع رجلا
يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قيس من ولد آكل المرّار من قبل النساء ،
وآكل المرّار : الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن
معاوية بن ثور بن مُرْتَع بن معاوية بن كِنْدِي ، ويقال كِنْدَةَ ، وإمام سمي
آكل المرّار ، لأن عمرو بن الهبولة النّسائي أغار عليهم ، وكان الحارث غائباً ،
فضمّ وسبي ، وكان فيمن سبي أمّ أناس بنت عوف بن حُحْم الشّيباني ، امرأة
الحارث بن عمرو ، فقالت لعمرو في مسيره : لك اثني برجل أدّلم أسود ،
كأن مشافره مشافر بعير آكل مرّار قد أخذ برقبتك ، تعنى : الحارث ، فسمى

• • • • •

آكل المرار، والمرار : شجر . ثم تبعه الحارث في بني بكر بن وائل ، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال الحارث بن حِزَّة اليشكري لعمر بن المنذر وهو عمرو بن هند اللخمي :

وَأَقْدَنَّاكَ رَبَّ غَمَّانَ بِالْمُنْذِرِ كَرِهًا إِذْ لَا تُكَالِ الدَّمَاءَ

لأن الحارث الأعرج الفسافي قتل المنذر أباه ، وهذا البيت في قصيدة له . وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما منفي من استقصائه ما ذكرت من القطع . ويقال بل آكل المرار : حُجر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمي آكل المرار ، لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له المرار .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي

إسلامه

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرْدُ بن عبد الله الأزدي ، فأسلم ، وحسُن إسلامه ، في وفد من الأزد ، فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه . وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمن .

قتاله أهل جرش

فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجرش ، وهي يومئذ مدينة معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضوت إليهم خَنَقَم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلاً ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكر ، ظن أهل جُرش أنه إنما ولى عنهم منهزماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف عليهم ، فقتلهم قتلاً شديداً .

إخبار الرسول واقدي جرش بما حدث لقومها

وقد كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأي بلاد الله شكر ؟ فقال إليه الجُرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشْر ؛ وكذلك يسميه أهل جُرش ، فقال : إنه ليس بكشر ، واسكنه شكر ؛ قالوا : فاشأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بُدِنَ الله لَتُنَجَّرَ عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحك ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَتَعَنَّى لِكَا قَوْمِكَا ، فقوموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكَا ؛ فقاما إليه ، فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين

إلى قومهما ، فوجدوا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرَد بن عبد الله ، في اليوم
الذي قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها
ما ذكر .

إسلام أهل جرشن

وخرج وفدُ جرَش حتى قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأسلموا ، وحتَّى لهم حتَّى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة
والمنيرة ، بقرّة الحُرث ، فن رعاه من الناس فإلهم سُحَّتْ . فقال في تلك
الغزوة رجل من الأزد : وكانت خَتَمَ تَصِيب من الأزد في الجاهلية ، وكانوا
يَعْدُون في الشهر الحرام :

يَا غَزْوَةً مَا غَزَوْنَا غَيْرَ خَائِبَةٍ فِيهَا الْبِغَالُ وَفِيهَا الْخَيْلُ وَالْحُرُّ
حَتَّى أَتَيْنَا مُحَمَّداً فِي مَصَانِعِهَا وَجَمَعَ خَتَمَ قَدِ شَاعَتْ لَهَا التَّنْذُرُ
إِذَا وَضَعْتُ غَلِيلَا كُنْتُ أَحِلَّهُ فَأَبَالَى أَذَانُوا بَعْدَ أَمْ كَفَرُوا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

قدوم رسول ملوك حمير

وقَدِمَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حَمِير ، مُقَدِّمَهُ
مِنْ تَبُوكَ ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ، وُنُفِيعُ
ابن عبد كلال . والثَّغْمَانُ قَيْلُ ذِي رُعَيْن وَمَعَاقِرَ وَهْمَدَان ؛ وَبَعَثَ إِلَيْهِ زُرْعَةَ
ذَوِي زَيْنِ مَالِكِ بْنِ مَرَّةِ الرَّهَّاءِوى بِإِسْلَامِهِمْ ، وَمُعَارِقَتِهِمُ الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ .

كتاب الرسول إليهم

فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبي ، إلى الحارث
ابن عبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى الثعمان ، قيل ذى رعين
ومعافر وهمدان . أما بعد ذلكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ،
أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم مُنْقَلِباً من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ،
فبلغ ما أرسلم به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ،
وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقم الصلاة ،
وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغنم خمس الله ، وسهم الرسول وصفيه ، وما
كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار ، عشر ما سقت العين وسقت السماء ،
وعلى ما سقى القرب نصف العشر ؛ وأن في الإبل الأربعين ابنة لبون ،
وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفي كل خمس من الإبل شاة ، وفي كل
عشر من الإبل شاتان ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ؛ وفي كل ثلاثين
من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ؛ وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ،
شاة ، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو
خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ،
فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه
من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ؛

ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حال ذكر أو أنثى ، حرّاً أو عبد ، ديناراً وافر ، من قيمة للمعافر أو عِوَضُهُ ثياباً ، فن أدّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منعه فإنه عدوّ لله ورسوله . أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبي أرسل إلى زُرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رُسُلِي فأوصيكم بهم خيراً : مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وعبدُ الله بن زيد ، ومالكُ بن عُبادة ، وعُقبة بن نمر . ومالكُ بن مُرّة ، وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم ، وأبديوها رُسُلِي ، وأن أميرم مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا رَاضِيّاً . أما بعد . فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالكُ بن مُرّة الرَّهَافِي قد حدثني أنك أسلمت من أول حير ، وقتلت المشركين ، فأبشر بخير وأمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله هو ولي غنيبكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحلّ لحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يُرَكَّبُ بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكا قد بلغ الخبر ، وحفظ الغيب ، وأمركم به خيراً ، وإنّي قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهل وأولى دينهم وأولى علمهم ، وأمرك بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن

بعث الرسول معاذاً على اليمن وشيء من أمره بها

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يَسْمُرُ

.....

سولا تعمّر ، وبشّر ولا تنفّر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب ، يسألونك ما مفتاح الجنة ؛ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : يا صاحب رسول الله ، ماحق زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدّي حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لئنك لتعلم ماحق الزوج على المرأة . قال : ويحك ! لو رجعت إليه فوجدته تنتهب منخراة قبيحاً ودماً ، فمبصت ذلك حتى تذهبيه ما أدبت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

إسلامه

قال ابن إسحاق : وبث فروة بن عمرو النافرة الجذامى ، ثم النفاثى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله ثمان وماحولها من أرض الشام .

حبس الروم له وشعره فى محبسه

فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال فى محبسه ذلك :

.

طَرَقْتُ سُلَيْمِي مَوْهِنًا أَصْحَابِي وَالرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقِرْوَانِ
 حَذَّ الْخِلَالُ وَسَاءَهُ مَا قَدْ رَأَى وَهَمَمْتُ أَنْ أَغْنِيْ وَقَدْ أَبْكَانِي
 لَا تَكْخِلَنَّ الْعَيْنَ بَعْدِي إِنْ مَدَّ سَلَمِي وَلَا تَدِينَنَّ لِلْإِتْيَانِ
 وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَبَا كُبَيْشَةَ أَنْتِي وَسَطَ الْأَعِزَّةِ لَا يُحْصِ إِسَانِي
 فَلَيْنَ هَلَكْتُ لَقَفَقِدُنَّ أَخَاكُمْ وَلَنْ يَبْقِيَتْ لَتَعْرِفُنَّ مَسْكَانِي
 وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عَفْرَاءُ بِلِسْطَيْنِ ، قال :

أَلَا هَلْ أَتَى سَلَمِي بَانَ حَلِيلَهَا عَلَى مَاءِ عَفْرَاءٍ فَوْقَ إِحْدَى الرِّوَاهِلِ
 عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَعْلُ أَمَّهَا مُشْدَّ بَةً أَطْرَافَهَا بِالْمَنَاجِلِ

مقتله

فزع الزهريُّ بن شهاب ، أنهم لما قَدَّمُوهُ لِيَقْتُلُوهُ . قال :

بَلَغَ سَرَّاءَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنِّي سَلَّمَ لِرَبِّي أَعْظَمِي وَمَقَامِي

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء ، يرحمه الله تعالى .

إسلام بني الحارث بن كعب على يدي

خالد بن الوليد لما سار إليهم

دعوة خالد الناس إلى الإسلام وإسلامهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بني الحارث بن كعب بنَجْران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يُقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم . فرج خالدٌ حتى قَدِمَ عليهم ، فبعث الرُّكبانَ يَضربون في كلِّ وَجْه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا . فأسلم الناسُ ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالدٌ يعلمهم الإسلام وكتابَ الله وسُنَّةَ نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته ، فإنني أحمَدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالمَ الإسلام وكتابَ الله وسُنَّةَ نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإني قَدِمْتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت

فيهم رُكبانا ، قالوا : يا بني الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ،
وأنا مُقيم بين أظهرهم ، آمُرهم بما أمرهم الله به وأنهم عما نهاهم الله عنه ،
وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالهجرة

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد .
سلام عليك ، فإني أريد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن كتابك
جاءني مع رسولاك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاينهم ،
وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن
محمدًا عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل
وايقبل معك وفدكم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفدكم على الرسول

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفد بني
الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحُصَيْن ذِي الْقُصَّة ، ويزيد بن عبد المَدَان ،
ويزيد بن الحُجَّل ، وعبد الله بن قُرد الزِيَادِي ؛ وشَدَاد بن عبد الله القَنَّانِي ،
وعمر بن عبد الله الضَّبَّائِي .

حديث وفدهم مع الرسول

فلما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم ، قال : من هؤلاء
 القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بني الحارث
 ابن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه ، وقالوا :
 نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ؟ فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ،
 ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعهم
 منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان : نعم ، يا رسول الله ،
 نحن الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالها أربع مرار ؛ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا ، لألقيت
 دروسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المَدان : أما والله ما سجدناك
 ولا حمدنا خالداً ، قال : فمن سجدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا
 بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 يم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً ؛ قال :
 بلى ، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب مَنْ قاتلنا يا رسول الله
 إنا كنا نجتمع ولا نَفْتَرِق ، ولا نبداً أحداً بظلم ؛ قال : صدقتم ، وأمر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحَصين .

فرجع وفدُ بنى الحارث إلى قومهم في بقيَّة من شَوال ، أوفى صدر

ذِي الْقَعْدَةِ ، فلم يَمَكُثُوا بعد أن رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، حَتَّى تُوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَحِمَ وَبَارَكَ ، وَرَضَى وَأَنْعَمَ .

بعث الرسول عمرو بن حزم بعده إليهم

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن وتى وفدهم عمرو بن حزم ، ليقفهم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره .
بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم ، والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ، ويشد عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : ﴿ إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ، ويبشر الناس بالجنة وبعمالها ، ويُنذِر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ؛ وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنى طرفيه على عاتقيه ؛ وينهى الناس أن يحتج أحد في ثوب واحد يُنفى بقرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه في قفاه ، وينهى إذا كان

بين الناس هَنَيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فَلْيَقْطَعُوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوهمهم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويُغْلَسُ بالصبح ، ويهَجَّرُ بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَةٌ ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خُمُسَ الله ، وما كُتِبَ على المؤمنين في الصدقة من التقار عُشْرُ مَسَقَّتِ الْعَيْنُ وسَقَّتِ السَّمَاءُ ، وعلى مَسَقَى الْغُرْبِ نصف المُشْرِ ، وفي كلِّ عَشْرٍ من الإبل شاتان ، وفي كلِّ عشرين أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جَذَع أو جَذَعَةٌ ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يَرُدُّ عنها ، وعلى كلِّ حالم : ذكر أو أنثى ، حُرٌّ أو عبد ، دينارٌ وافرٌ أو عَوْضُهُ ثياباً .

فمن أدَّى ذلك فإن له ذمَّة الله وذمَّة رسوله ، ومن منع ذلك ، فإنه

.

عدوّ الله ورسوله وللمؤمنين جميعاً ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه
بورحة الله وبركاته .

قدوم رفاعة بن زيد الجذامي

إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه

وقدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هُدنة الحُدَيْبِيَّة ، قبل خيبر ،
رفاعة بن زيد الجذامي - ثم الضُّبَيْيُّ - ، فأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
غلاماً ، وأسلم ، فَحَسُنَ إسلامه ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتاباً إلى قومه . وفي كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد
رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إني بعثته إلى قومه عامّة ، ومن دخل فيهم ،
يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ،
ومن أدبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حرة
الرجلاء . ونزلوها .

قدوم وفد همدان

أسماءهم وكلمة ابن نطع بين يدي الرسول

قال ابن هشام : وقدّم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما
حدثني من أتق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدي ، عن أبي إسحاق

.....

السَّيِّئِ، قَالَ : قَدِمَ وَفَدَ هَمْدَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 مِنْهُمْ : مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ ، وَأَبُو ثَوْرٍ ، وَهُوَ ذُو الشُّعَارِ ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِي نَعْبٍ
 وَضِمَامُ بْنُ مَالِكِ السَّلْمَانِيِّ وَغَيْرُهُ بْنُ مَالِكِ الْخَارَفِيِّ ، فَلَقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّجَةً مِنْ تَبُوكَ وَعَلَيْهِمْ مَقَطَّاتُ الْحَبْرَاتِ . وَالْعَامُ الْمَدْنِيَّةُ ٤
 بِرَحَالِ النَّبِيِّ عَلَى الْمَهْرَبَةِ وَالْأَرْحَبِيَّةِ وَمَالِكُ بْنُ نَمَطٍ وَرَجُلٌ آخَرُ يَرْتَجِزَانِ
 بِالْقَوْمِ ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا :

هَمْدَانُ خَيْرٌ سُوْقَةً وَأَقْيَالُ لَيْسَ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ أَمْثَالُ
 مَحَلُّهَا الْهَضْبُ وَمِنْهَا الْأَنْطَالُ لَهَا إِمَابَاتٌ بِهَا وَآكَالُ
 وَيَقُولُ الْآخَرُ :

إِلَيْكَ جَاوَزْنَ سَوَادَ الرَّيْفِ فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ
 مَخْطَمَاتٍ بِحِبَالِ اللَّيْفِ

فَقَامَ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَصِيَّةٌ مِنْ هَمْدَانٍ ،
 مِنْ كُلِّ حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَنْتَ عَلَى قُلُوبِ نَوَاجٍ ، مُتَّصِلَةٌ بِمَجَابِلِ الْإِسْلَامِ ،
 لِأَتَاخِذُكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا تُؤْمِ ، مِنْ مِخْلَافٍ خَارِفٍ وَيَأْمُرُ وَشَاكِرٍ أَهْلِ الشُّوَدِ
 وَالْقُودِ ، أَجَابُوا دَعْوَةَ الرَّسُولِ ، وَفَارَقُوا آلِهَاتِ الْأَنْصَابِ عَهْدَهُمْ لَا يَنْقُضُ
 مَا أَقَامَتْ لَعْنَةٍ ، وَمَا جَرَى التَّيْفُورُ بِصُلُجٍ .

فَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا فِيهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ، لِمِخْلَافِ

خَارِفٍ وَأَهْلَ جَنَابِ الْهَضْبِ وَحِقَافُ الرَّمْلِ ، مع وفديها ذِي الشُّعَارِ مَالِكُ
ابن نَمَطٍ وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ فِرَاعَهَا وَوِهَاطَهَا ، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ ، بِأَكْلُونِ عِلَاقَهَا وَيَرْعُونَ عَافِيَهَا ، لَهُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَامُ
رَسُولِهِ ، وَشَاهِدُهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ :

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي فَخْمَةِ الدُّحَى وَنَحْنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَانَ وَصَلَدٍ
وَهُنْ يَبْنِ خُوصٌ طَلَانَحُ تَفْتَلِي بِرُكْبَانِهَا فِي لَاحِبٍ مُتَمَدِّدٍ
عَلَى كُلِّ قَفْلَاءِ الذَّرَاعَيْنِ جَسْرَةٌ تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الْهَجَفِ الْخَفِيفِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاغِصَاتِ إِلَى مَنِي صَوَادِرَ الْكِبَانِ مِنْ هَضْبٍ قَرَدَرٍ
بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مُصَدِّقٌ

رَسُولٌ آتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مَهْتَدِي
فَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ وَأَمَضَى بِحَدِّ الْمَشْرِقِ لِلْمُهَنْدِ

ذكر الكذابين مسيلية الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق : وقد كان تسكَّم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكذابان مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبٍ بِالْبَيْمَةِ فِي حَنَفِيَّةٍ ، وَالْأَسُودُ بْنُ كَعْبٍ الْقَنْسِيُّ
بَصَنَاءَ .

رؤيا الرسول فيهما

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيْطٍ ، عن عطاء بن يسار

.....

أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : أيها الناس ، إني قد رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيتها ، ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب ، ففكرتهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

حديث الرسول عن الدجالين

قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم عن أبي هريرة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يدعى النبوة .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

الأمراء وأسماء العمال وماتولوه

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه بوعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر ابن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها ، وبعث زبادة بن كبيد ، أخا بني بياضة الأنصاري ، إلى حضرموت وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدى بن حاتم على طيء وصدقاتها ، وعلى بني أسد ، وبعث مالك بن نويرة - قال ابن هشام : اليربوعي - على صدقات بني حنظلة ، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم ، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها ،

ووقيس بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث الملاء بن الحضرمي على البحرين ،
وبعث على بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران ، ليجمع صدقتهم
ويقدم عليه بجزيتهم .

كتاب مسييلة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيِّلَةٌ بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم : من مُسَيِّلَةِ رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ،
فإني قد أشركت في الأمر ملك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقریش نصف
الأرض ولكن قریشاً قوم يمتدون .

فقدّم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : لخدني شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود
الأشجعي ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا
أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم .

ثم كتب إلى مسييلة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ،
إلى مسييلة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، الأرض لله
يُورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك في آخر سنة عشر .

قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد عبد القيس :

من أَصَحَّ ما جاء في هذا الباب حديثُ وفدِ عَبْدِ القيسِ ، وهم الذين قال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَرَّحَبًا بالوفدِ غيرِ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى ، وقد تكرر حديثهم في الصَّحِيحَيْنِ دون تَسْمِيَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، فمنهم أَشْجُ عبد القيسِ ، وهو الْمُنْذِرُ بنُ عَائِذٍ ، قال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إِنْ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ : الْحِلْمَ وَالْأَنَاءَةَ ، ومنهم أَبُو الْوَارِثِ الزَّرَّارِ بنُ عَامِرٍ وابنُ أَخْتِهِ مَطَرُ بنُ هِلَالِ الْعَنْزِيِّ .

ولما ذَكَرُوا للنبيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ ابنُ أُخْتِهِمْ قال : ابنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ . ومنهم : ابنُ أَخِي الزَّرَّارِ ، وكان مَجْنُونًا ، فجاء به معه لِيَدْعُوَ لَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم - فَمَسَحَ ظَهْرَهُ ، ودعا له فَبَرِيءٌ لِحَيَّتِهِ ، وكان شَيْخًا كَبِيرًا فَكُتِبَ بِجَمَالٍ وَشَبَابًا ، حتى كَانَ وَجْهُهُ وَجْهَ الْعَذْرَاءِ ، ومنهم الْجَنْهُمُ بنُ قَمٍّ لما نَهَاهُم النبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الشُّرْبِ فِي الْأَوْعِيَةِ وَحَذَّرَهُمْ مَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْجِرَاحِ ، وأخبرهم أَنَّهُمْ إِذَا شَرَبُوا الْمُسْكِرَ عَمَدَ أَحَدُهُمْ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ ، فَجَرَحَهُ ، وكان فِيهِمْ رَجُلٌ قَدْ جُرِحَ فِي ذَلِكَ وَكَانَ يُنْقِى جَرْحَهُ وَيَكْتُمُهُ ، وذلك الرَّجُلُ هُوَ جَنْهُمُ بنُ قُثَمٍ ، عَجَبُوا مِنْ عِلْمِ النبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ ، وإِشارَتِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ .

ومنهم : أَبُو خَيْرَةَ الصُّبَّاحِيُّ مِنْ بَنِي صُبَّاحٍ بنِ لُكَيْزٍ مِنْ حَدِيثِهِ عَنْ

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ ، وأنه زَوَّجَهُم
الْأَرَاكَ يَسْتَأْكَوْنَ بِهِ ، ومنهم : مَزِيدَةُ ^(١) الْقَصْرِيَّ جَدُّهُودِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ^(٢) بْنِ سَعْدِ
ابْنِ مَزِيدَةَ ، وعلى هُوَ دِيدُور حَدِيثُهُ فِي التَّمْرِ الْبَرِّيِّ ، وأنه دَوَاءٌ ، وليس فيه
دَاءٌ ، ومنهم : قَيْسُ بْنُ الثَّنَمَانِ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْأَمْثَرِيَّةِ ، فهذا
حَا بَلْفَنِي مِنْ تَسْمِيَةِ مَنْ وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ .

وذكر في الوفود الخُتَاتِ بْنِ يَزِيدَ وَقَوْلَ الْفَرَزْدَقِ لِمَاوِيَةَ فِيهِ :

فَمَا بِالْمِيرَاثِ الْخُتَاتِ أَكَلَتْهُ

البيت ، وبعده في غير سيرة ابن إسحاق :

فَلَوْ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي غَيْرِ مَلِكِكُمْ كَبُوتٌ بِهَا أَوْ غَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ

شرح صاحب المحنة :

وذكر فيهم عَطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ بْنِ زُرَّارَةَ ، وهو صاحب الْخُلَّةِ الَّتِي قَالَ
فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ الْخُلَّةُ مِنْ لَخْلَاقٍ لَهُ [فِي الْآخِرَةِ] ^(٣)

(١) قَالَ عَنْهُ ابْنُ مَنْدَةَ : مَزِيدَةُ بْنُ جَابِرِ الْعَبْدِيِّ الْعَصْرِيِّ . وَسَمَّاهُ ابْنَ الْكَلْبِيِّ :
مَزِيدَةُ بْنُ هَالِكِ بْنِ مِمَامِ بْنِ مَعَارِيَةَ بْنِ شِبَابَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ خُطْمَةَ بْنِ عَجَارِبِ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ وَدِيعَةَ بْنِ لَكَيْمِ بْنِ أَهْصَى . وَقَالَ الْحَافِظُ : وَهَذَا هُوَ الْمَعْتَمِدُ . وَالَّذِي
ذَكَرَهُ ابْنُ مَنْدَةَ وَهُوَ ، فَإِنَّ مَزِيدَةَ بْنَ جَابِرِ الْعَبْدِيِّ كَانَ قَاضِي الْخَوَارِجِ فِي زَمَانِ
قَطْرِي بْنِ الْفَجَاءَةِ فِي زَمَنِ بَنِي أُمِيَّةَ .

(٢) هُوَ جَدُّهُ لَأَمِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْإِسَابَةِ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنَ الصَّحِيحِ ، هَذَا وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ طَرِيقِ جَرِيرِ بْنِ
حَازِمٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : رَأَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَطَارِدًا الْقَيْمِيَّ يَبِيعُ =

وقول عمر رضى الله عنه : أنكسوني هذه ، وقد قلت في حلة عطارٍ ما قلت ، وكان سبب تلك الحلة أن حاجب بن زُرارة أبا عطارٍ كان وفد على كسرى ليأخذ منه أماناً لقومه ليقرَّبوا من ريف العراق لجذب أصاب بلادهم ، فسأله كسرى رهنًا ليستوثق بها منهم ، فدفَعَ إليه قوسه رهينة فاستَحَمَمَهُ الْمَلِكُ وضحك منه ، فقيل له : أيها الملك إنهم العربُ لورهنك أحدهم تبنة ما أسلمها غدرًا قبلها منه كسرى ، فلما أخصبت بلادهم انتشروا راجعين إليها ، وجاء حاجبٌ يطلب قوسه ، فعند ذلك كساه كسرى تلك الحلة التي كانت عند عطارٍ المذكورة في جامع الموطأ . ذكره ابن قتيبة في المعارف أو معناه ، وفي الموطأ أن عمر رضى الله عنه - كسا الحلة أخاه مُشَرِّكَا بمكة ، قال ابن الخذاء : كان أخاه لأُمِّه ، واسمه : عثمان بن حكيم الثقفي ، وهو جد سعيد بن المسيب لأُمِّه ، هكذا ذكر في تسمية رجال الموطأ ، وغلط من وجهين ، أحدهما أنه قال : كان أخا عمر لأُمِّه ، وإنما هو أخو زيد ابن الخطاب لأُمِّه أسماء بنت وهب بن أسد بن خزيمَة ، وأما أم عمر فهي حَفَمَةُ بنت هاشم بن المغيرَة [بن عبد الله بن مخزوم ^(١)] ، والغلط الثاني أنه جعله ثقيفيًا وإنما هو سلمى ، وهو عثمان بن حكيم بن أمية بن مرة بن هلال .

== في السوق حلة سيرا ، وكان رجلا يغشى الملوك ، ويصيب منهم ، فقال عمر : يا رسول الله لو اشتريتها فلبستها لوفود العرب ، فقال : إنما يلبس الحرير في الدنيا من لاخلق له في الآخرة ورواه مسلم عن شعبان بن أبي شيبة عن جرير ، وله روايات أخرى عند الطبراني وابن ماجة .

(١) الزيادة من نسب قریش ص ٣٤٧ .

ابن فَالَجَ بن ذَكْوَانَ بن ثَعْلَبَةَ بن بُهْثَةَ بن سُلَيْمٍ^(١) ، هكذا نسبه الزبيرُ
وبنته أم سعيد ، ولدت سعيد بن المسيب .

نسب ابن الأَهمم :

وذكر فيهم عمرو بن الأَهمم ونسبه ، واسم الأَهمم : سُمَيُّ بن سِنَانٍ ،
وهو جد شبيب بن شَيْبَةَ وخالد بن صَفْوَانَ الخطيبين البليغين ، وسُمَيُّ
سُمَيُّ بالأَهمم ، لأن قَيْسَ بن عَاصِمٍ ضربه قَتَمَ فاه .

عن كرسى الله :

وذكر خطبة ثابت بن قَيْسٍ ، وفيها وسع كُرسِيَّه علمه ، وفيه ردُّ على
من قال : الكُرسى هو العلم ، وكذلك من قال هو القدرة ، لأنه لا توصف
القدرة والعلم بأن العلم وسعها ، وإنما كُرسِيَّه ما أحاط بالسموات والأرضين ،
وهو دون العرش كما جاءت به الآثار ، فعلمه سُبْحَانَهُ قد وَسِعَ الكُرسِيَّ
بما حواه من دقائق الأشياء وجلالِها وتفاصيلها ، وقد قيل : إن
الكُرسى فى القرآن هو العرش ، وهو قول الحَسَنِ ، وفى هذا الحديث ما يكاد
أن يكون حُجَّةً لهذا القول ، لأنه لم يُردَّ أن العلم وسع الكُرسِيَّ ، فما دونه .

(١) أم زيد أسماء بنت وهب بن حبيب بن الحارث بن عيسى بن قعين من
بنى أسد بن خزيم . ويقول المصعب الزبهرى فى كتابه : نسب قريش : وأخوه
لامه عثمان بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الاوقص السلى ، وعثمان بن حكيم
هو جد سعيد بن المسيب أبو أمه ، ص ٣٤٨ .

على الخصوص ، دون ما فوقه ، فجاء أن يريد به العرش ، وما تحته والله أعلم .
فإن صحت الرواية عن ابن عباس أن الكرسي هو العلم ، فمؤولة ، كأنه لم يقصد
تفسير لفظ الكرسي ، ولكن أشار إلى أن معنى العلم والإحاطة يقفهم
من الآية ، لأن الكرسي الذي هو عند العرب موضع القدمين من تبرير
الملك إذا وسع ما وسع ، فقد وسع علم الملك ومملكته وقدرته ، ونحو هذا ،
فليس في أن يسع الكرسي ما وسع مدح وثنا على الملك سبحانه ، إلا من
حيث تضمن سعة العلم والملك ، وإلا فلا مدح في وصف الكرسي بالسعة ،
والآية لا تحالة واردة في معرض المدح والتعظيم للعلي العظيم الذي لا يتوذه
حفظ مخلوقاته كلها ، وهو الحى القيوم ، وقري الطبرى قول ابن عباس ،
واحتج له بقوله عز وجل (ولا يتوذه حفظهما) وبأن القرب تسمى العلماء
كراسي . قال : ومنه تميمت الكراس (١) لما تضمنته (٢) وتجمعه من العلم ، وأنشد :
تحفهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب (٣)
أى عالون بالأحداث .

- (١) فى الأصل : الكراسى . والكراسى : واحدتها كراسية .
(٢) فى الأصل تضمنه فلعلها كما ضبطت أو تضمنه . ونص تعبیر الطبرى :
قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب : كراسية .
(٣) فى الطبرى : يحف بهم . وفى أساس البلاغة للزحشرى عن قطرب :
تحف بها .

شعر الزبرقان :

وذكر شعر الزبرقان ، وأن بعض الناس يُنسِكِر الشعر له ، وذكر البرقي أن الشعر لِقَيْسِ بن عاصم المُنْقَرِي ، وكان الزبرقان يُرْفَع له بيت من عَمَائِمِ وثيابٍ ، وَيُنْصَحُ بالزَّعْفَرَانِ والطَّيِّبِ ، وكانت بنو تميم تمنح ذلك البيت . قال الشاعر ، وهو الْمُخَبَّلُ السَّعْدِيُّ ، واسمه كَعْبُ بن ربيعة بن قتال :

وأشهد من عوف حلولا كثيرةً يحججون سبب الزبرقان المزعفرا^(١)

(١) في الأصل : ست وهو خطأ في الطبع . ويقول الجاحظ : كان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة ، وذكره الشاعر فقال : ثم ذكر البيت . ويرى قطرب أن الخبل نسب الزبرقان إلى الأبنة لأنه كان يصفر إسمه ، وأنه يعني بالسبب : الاسم السمعط ص ١٩١ واللسان مادة زبرق . وفي إصلاح المنطق عن معنى البيت : يكثر الاختلاف إليه ، والسبب : العمامة ، وسبب المرأة : خمارها ، وإنما سمي الزبرقان لصفرة عمامته ، ص ٤١١ والحلول : الأحياء المجتمعة . انظر ص ٩٧ ج ٣ البيان ومادق سبب وحجج في اللسان . ورواية البيت في الاشتقاق :

فهم أهلات حول قيس بن عاصم النخ . وفيه أيضاً : قال قوم : سمي الزبرقان لحقة لحيته ، وقال قوم : بل لجلاله . وقال قوم : لأنه كان يصبغ عمامته بالزعفران وكانت سادة العرب تفعل ذلك . وعن الخبل قال مقنطاي : اسمه : الربيع بن ربيعة ، وقيل : ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة شاعر مخضرم حلل يكنى أبا يزيد مات في خلافة عمر أو عثمان . وقال السهيلي : اسمه : كعب بن ربيعة بن قتال ، وهو وهم بينته في كتاب الزهر الباسم ، ص ٢٥٤ الاشتقاق وفي السمعط أنه ربيعة بن مالك من بني شماس بن لاي ابن أنف الناقة ص ٤١٨ — وقبل بيت الزبرقان :

والسَّبُّ : العِمَامَةُ ، وأحسبه أشار إلى هذا المعنى بقوله :

بَمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا مُسَرَّاتِهِمْ

البيت . وليس السَّرَاةُ جمع سَرَى كَمَا ظَنُّوا ، وإنما هو كما تقول
فِرَواتِهِمْ وَسَفَاتِهِمْ ، وسَرَاةُ كل شيء : أعلاه ، وقد أوضحناه فيما مضى
من هذا الكتاب ، والزُّبْرَقَانُ من أسماء القمر . قال الشاعر :

تُضِيءُ بِهِ النَّارُ حِينَ يَرْقُ عَلَيْهَا مِثْلُ ضَوْءِ الزُّبْرَقَانِ

والزُّبْرَقَانُ أيضاً : الخفيفُ المارضين ، وكانت له ثلاثة أسماء : الزُّبْرَقَانُ
وَالْقَمَرُ وَالْمُخَصِّنُ ، وثلاث كُتِبَ : أَبُو الْعَمَّاسِ ، وَأَبُو شَذْرَةَ ، وَأَبُو عَيَّاشٍ ،
وهو الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَذْرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ خَلْفِ بْنِ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفِ
ابْنِ كَعْبِ بْنِ سَمْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ .

سُعر صاه في الرد على الزُّبْرَقَانِ فِي الْمِسْمِيَةِ وَالْعَبْنِيَةِ :

وقول حسان :

بَيْتِ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَتَرَاؤُهُ

بريد : بَيْتِ شَرَفُهُمْ مِنْ غَنَّانٍ وَهُمْ مُلُوكُ الشَّامِ ، وَهُمْ وَسْطُ الْأَعَاجِمِ ،
والبيت الحَرِيدُ : المنفردُ عن البيوت ، كما انفردت غَنَّانُ ، وانقطعت عن أرض

== أَلَمْ تَعْلَمْ يَا أُمِّ هَمْرَةَ أَنِّي نَخَطُ أُنَى رَبِّبِ الْمَنُونِ لَا كَبْرًا
ولهذا ضبط ابن بري أشهد في البيت بالنصب ، مادة زبرق ، اللسان .

العرب ، وكان حسان يضرب بلسانه أُرْنِيَةَ أَنْفِهْ هو وابنه وأبوه وجدّه ،
 وكان يقول : لو وضعتُه يعنى لسانه على حَجَوَ لَفَلَقَه ، أو على شَمْرِ لَحَلَقَه ،
 وما يسرنى به مِقْوَلٌ من مَعَدٍّ .
 وقول حسان :

يَخْضُ إِلَى السَّمِّ وَالسَّلْعِ
 السَّلْعُ : شَجَرٌ مَرٌّ . قَالَ أُتَيْتُ [بِن أَبِي الصَّلْتِ] :
 عَشْرٌ مَا وَفَوْقَهُ سَلْعٌ مَا عَائِلٌ لَهُ ، وَعَالَتِ الْبَيْقُورُ (١)
 يريد أنهم كانوا إذا اسْتَسْقَوْا فِي الْجَاهِلِيَةِ رَبَطُوا السَّلْعَ وَالْعَشْرَ
 فِي أَذْنَابِ الْبَقَرِ .

وقوله : تَمَمُوا ، أَيْ : ضَحِكُوا وَمَزَحُوا . قَالَ الشَّاعِرُ [الْمُنَخَّلُ الْهَذَلِي]
 يَصِفُ الْأَصْيَافَ :

وَأَبْدُوهُمْ بِمَشْمَعَةٍ وَأَتْنِي بِمُجْهِدِي مِنْ طَعَامٍ أَوْ بَسَاطٍ
 وَفِي الْحَدِيثِ : مَنْ تَبَعَ الْمَشْمَعَةَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ . يريد مَنْ ضَحِكَ
 مِنَ النَّاسِ وَأَفْرَطَ فِي الْمَزَاحِ .

(١) البيت في اللسان :

سَلْعٌ مَا وَمِثْلُهُ عَشْرٌ مَا نَحْ . وَفِي الْبَيْتِ كَمَا قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَقَالَ السَّهْلِيُّ بَعْدَ شَاهِدٍ
 عَلَى مَا يَفْعَلُهُ الْعَرَبُ مِنْ اسْتِمطَارِهِمْ بِإِضْرَامِ النَّارِ فِي أَذْنَابِ الْبَقَرِ ، وَالسَّلْعُ شَجَرٌ ،
 وَالْعَشْرُ : شَجَرٌ لَهُ صِنَعٌ . وَالْبَيْقُورُ : اسْمُ جَمْعٍ لِلْبَقَرِ .

وقوله : أَوْ وَازِنُوا أَهْلَ الْجَدْيِ بِالنَّدَى مَتَعُوا

أى : ارتفعوا ، يقال : متع النهار إذا ارتفع .

شعر آخر لحسانه في الرد على الزبرقانه :

وقول حسان :

وطيناله أنفسا ببقى الفنائم

يريد : طيب نفوسهم يوم حُتِبَ حين أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لِلزَّوْجَةِ قلوبهم ، ولم يقطعِ الأنصار شيئا .

شرح قول ابن الأَهمم لابن عاصم :

فصل : وذكر قول عمرو بن الأَهمم لقيس بن عاصم :

ظَلَمْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتَعْنِي عند النبي فلم تصدق ولم تُصِبْ

الْهَلْبَاءُ : قَمَلَاءُ مِنَ الْهَلْبِ وَهُوَ الْخَشِينُ مِنَ الشَّعْرِ ، يقال منه : رجل
أَهْلَبُ ، ومنه قول الشَّعْبِي فِي مُشْكَلَةِ نَزَلَتْ : هَلْبَاءُ زَبَاءُ ذَاتُ وَبَرٍ ، كأنه
أَرَادَ بِمُفْتَرِشِ الْهَلْبَاءِ ، أَى : مُفْتَرِشًا لِحَيْتِهِ ، ويجوز أن يريد بمفترش
الْهَلْبَاءِ ، يعنى امرأة . وقيل : الْهَلْبَاءُ ، يريد بها هاهنا دُبْرَهُ ، فإن كان عنى
امرأة ، فهو نصب على النداء .

ما نزل في وفد نهم من المحبرات :

وذكر ما أنزل الله تبارك وتعالى فيهم في سورة الْحَجَرَاتِ ، وقد كان

إله من الياه لحرأ:

وفي هذا الوفد جاء الحديث أن رجلين قَدِمَا من تَجْدِ نَحْلِيَا ، فَمَهَبَ
النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ ، وَأَدْخَلَهُ
مَالِكٌ فِي بَابِ مَا يُذَمُّ مِنَ الْقَوْلِ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ السَّحَرَ مَذْمُومٌ شَرٌّ مَا ، وَغَيْرُهُ
يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ مُدْحٌ لَهَا بِالْبَيَانِ وَاسْمُ الْقُلُوبِ كَالسَّحْرِ ، وَكَانَ مِنْ قَوْلِهَا .
إِنْ عَمَرًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الزُّبُرِ قَاتِلٍ : إِنَّهُ مُطْلَعٌ فِي أَوَّلِيهِ
سَيِّدٌ فِي عَشِيرَتِهِ ، قَالَ الزُّبُرِ قَاتِلٌ : لَقَدْ حَسَدَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ لِشَرَفِي ، وَقَدْ
عَلِمَ أَفْضَلَ مِمَّا قَالَ قَالَ : فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّهُ لَزَمِرُ الثَّرْوَةِ طَبِيعُ الطَّنِّ لَتِيمُ
الْخَالِ ، فَمَرَّفَ الْإِنْكَارَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ

(١) عند البخارى فى رواية أن أحدهما أشار بالأقرب بن حابس ، والآخر برجل آخر . قال نافع : لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلاف النح ، وقد انفرد به البخارى دون مسلم . وفى رواية أخرى أن أبا بكر أشار بتأخير القعقاع بن معبد ، وأن عمر أشار بتأخير الأقرب بن حابس . وفى مسند البزار أن أبا بكر هو الذى قال : يا رسول الله لا أكلك إلا كأكهى السرار . وهناك روايات أخرى تخالف هذه حول أسباب نزول الآية ، فاقه أعلم .

رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمتُ، وسَخِطْتُ فقلتُ أقبح ما علمتُ ، ولقد صدقتُ في الأولى وما كذبتُ في الثانية ، فحينئذٍ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان أسحراً » وقوله : ثم الخال ، قيل : إن أمه كانت من بَاهِلَةٍ ، قاله ابن ثابت في الدلائل ، وقد أنكر هذا عليه ، وعن أنكره عليه أبو مروان بن سراج ، فافقه أعلم ، لأن أهل النسب ذكروا أن أم الزُّبُرْقَانِ عُسْكَلِيَّةٌ من بني أقيش ، وعُسْكَلٌ وإن كانت تجتمع مع تميم في أد بن طابخة لكن تيمما أشرفُ منهم ، ولاسيا بني سَعْدٍ رَهْطُ الزُّبُرْقَانِ ، فلذلك جمعه عمرو لثيم الخال .

خبر عامر وأربد :

فصل : وذكر خبر عامر بن الطفيل وأربد ، وأن أربد قال لعامر : ما هممتُ بقتل محمدٍ إلا رأيتُك بيني وبينه أفأقتلك ؟ اوفى غير رواية ابن إسحاق : إلا رأيتُ بيني وبينه سوراً من حديد . وكذلك في رواية غيره ، قال عامر : لأملأنها عليك خَيْلاً جُرْدًا ، ورجلاً مُرْدًا ، ولأزيطنَّ بكلِّ نَخْلَةٍ فَرَسًا ، فجعل أَسَيْدُ ابن حُضَيْرٍ يضرب في رموسهما ويقول : اخرُجا أيها الهجرسان ، فقال له عامر : ومن أنت ؟ فقال : أَسَيْدُ بن حُضَيْرٍ ، فقال : أحضير بن سِمَاكٍ ؟ قال : نعم ، قال : أبوك كان خيراً منك ، فقال : بل أنا خيرٌ منك ، ومن أبي ، لأن أبي كان مُشْرِكًا ، وأنت مُشْرِكٌ . وذكر سيدويه قول عامر : أغدَّةُ ^(١) كغُدَّة

(١) مضبوطة في اللسان برفه غدة وكذلك في النهاية لابن كثير .

الْبَيْهَرِ ، وَهُوَ تَمَّ فِي بَيْتِ سُلُوكِيَّةَ ، فِي بَابِ مَا يَنْتَصِبُ عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ الْمَتْرُوكِ
إِظْهَارُهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَغْدُ غُدَّةً ، وَالسُّلُوكِيَّةُ امْرَأَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى سُلُوكِ بْنِ صَفْصَعَةَ
وَهُمْ بَنُو مُرَّةَ بْنِ صَفْصَعَةَ ، وَسُلُوكُ أُمِّهِمْ ، وَهِيَ بِنْتُ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ ، وَكَانَ
عَامِرُ بْنُ الطَّافِيلِ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَفْصَعَةَ ، فَلِذَلِكَ اخْتَصَمَا الْقَرَبِ النَّسَبِ بَيْنَهُمَا ،
حَتَّى مَاتَ فِي بَيْتِهَا . وَأَمَّا أَشْعَارُ لَبِيدٍ فِي أَرْبَدَ فَمِنْهَا قَوْلُهُ :

تُطِيرُ عَدَائِدُ^(١) الْأَشْرَاكِ شَفْعًا وَرِثْرًا وَالزَّعَامَةَ^(٢) لِلْإِسْلَامِ
الزَّعَامَةُ : الرِّيَاسَةُ ، وَقِيلَ : أَرَادَ بِالزَّعَامَةِ هُنَا بَيْضَةَ السَّلَاحِ ، وَالْأَشْرَاكِ :
الشَّرَكَاءُ ، وَالْعَدَائِدُ : الْأَنْصِبَاءُ مَا خُوذَ مِنَ الْعَدَدِ ، وَيُقَالُ : إِنْ أَرْبَدَ حِينَ
أَصَابَتْهُ الصَّاعِقَةُ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَبُرِّسِلُ
الصَّوَاعِقِ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ يَعْنِي أَرْبَدَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَعَامِرٌ وَأَرْبَدُ بِحَقِّمَا
فِي جَمْعٍ بَنِي كِلَابٍ بَنِي رِبْعَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وَأُمُّهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَسَاطَرُ شَعْرِ لَبِيدٍ فِي أَرْبَدَ
مَرْغُوبٌ عَنِ الْإِسْتِغْفَالِ بِشَرْحِهِ بِنَاءً عَلَى أَصْلِنَا الْمَقْدَمِ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

هو لبید :

عَلَى أَنَّ لَبِيدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَعَاشَى فِي الْإِسْلَامِ سَتَيْنِ
سَنَةً ، لَمْ يَقْلُ فِيهَا بَيْتَ شِعْرِ ، فَسَأَلَهُ هَرْمُ عَنْ تَرْكِهِ الشَّعْرَ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ
لَأَقُولَ شِعْرًا بَعْدَ أَنْ عَلَّمَنِي اللَّهُ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِرَانَ ، فَزَادَهُ عُمْرُ فِي عَطَائِهِ
خَمْسَمِائَةَ دَرَاهِمَ ، مِنْ أَجْلِ هَذَا الْقَوْلِ ، فَكَانَ عَطَاؤُهُ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةَ ،

(١) رواية أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي: غداثر .

(٢) قيل عن الزمامة لأنها الرياسة أو الدرع .

فلما كان معاوية ، أراد أن ينقصه من عطائه الخمسمائة ، وقال له : ما بَالُ العِلاوةِ فوق الفَوْدَيْنِ ؟ فقال له ليبيد : الآن أموت ، وتصير لك العِلاوةُ والفَوْدَانِ ، فَرَقَّ له معاوية وتركها له ، فمات ليبيد إثر ذلك بأبام قليلة ، وقد قيل : إنه قال بيتاً واحداً في الإسلام :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلى حتى اكتسيت من الإسلام ريراً بالاً

وفد هرسه :

فصل : وذكر وَفَدَ جُرْشٍ ، وأن خَنَعَمَ ضَوَّتْ إليها حين حاصرهم مُرَدُّ ابن عبد الله ، وأنشد :

حتى أتينا حُمَيْرًا في مَصَانِمِهَا وَجَمَعَ خَنَعَمَ قَدِصَاعَتْ^(١) لَهَا التَّنْذُرُ

وَبُرُوقَى حُمَيْرًا بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وفي حُمَيْرٍ حَمِيرِ الْأَدْنَى ، وهو حَمِيرُ بنِ الْفَوْثِ بنِ سَعْدِ بنِ عَوْفِ بنِ عَدِيٍّ بنِ مَالِكِ بنِ زَيْدِ بنِ شُدَدٍ^(٢) بنِ زُرْعَةَ وهو حَمِيرُ الْأَصْفَرُ بنِ سَبَأِ الْأَصْفَرِ بنِ كَعْبِ كَهْفِ الظُّلَمِ بنِ زَيْدِ الْجَهْوَورِ ابنِ عَمْرٍو بنِ قَيْسِ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ جُشَمِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ وَاثِلِ بنِ الْفَوْثِ ابنِ حَيْدَانَ بنِ قَطَنٍ بنِ عَرِيبِ بنِ زُهَيْرِ بنِ الْهَمَيْسَعِ بنِ حَمِيرِ الْأَكْبَرِ^(٣)

(١) في السيرة : شاعت .

(٢) في جهرة النسب : شرد

(٣) النسب في جهرة ابن حزم من أول شرد : بن زُرْعَةَ بنِ قَيْسِ بنِ صَنْعَاءِ ابنِ سَبَأِ الْأَصْفَرِ بنِ كَعْبِ بنِ زَيْدِ بنِ سَهْلِ بنِ عَمْرٍو بنِ قَيْسِ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ جُشَمِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ وَاثِلِ بنِ عَوْفِ بنِ حَمِيرِ بنِ قَطَنِ بنِ عَرِيبِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أَيْمَنِ بنِ حَمِيرِ بنِ سَبَأِ . وهو كما ترى يختلف عما هنا . وعند ابن الكلبي : =

وهو العَرَنَجُ ، وقال الأَبْرَهِيُّ : وهو من علماء خير بالنسب وهو منسوب إلى أْبْرَهَةَ بن الصَّبَّاحِ الحَنْبَرِيِّ فِي خَيْرِ الْأَذْنَى اللَّبْدُوءِ بِذِكْرِهِ خَيْرٌ ، وعلى هذا القول تَصِحُّ رواية الخَلَاءِ المنقوطة ، ومن رواه بالخاء المهملة فهو تصغير خَيْرِ تصغير التَّزْخِيمِ ، والعَرَنَجُ في لغة : خَيْرٌ لا يَتَّقِي .

حديث ضمام :

فصل : وذكر حديث ضِمَامِ بن ثَعْلَبَةَ ، وهو الذي قال فِيهِ طَلْحَةُ بن عُبَيْدِ اللَّهِ : جَاءَنَا أَهْرَابِي مِنْ أَهْلِ تَبَجْدٍ نَأْتِي الرُّأْسَ يُسَمِّعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ ، وَلَا يَفْقَهُ مَا يَقُولُ ، حَتَّى دَنَا ، فَلِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، الْحَدِيثُ ، رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ عَنْ عَمِّهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ طَلْحَةَ ، وَقَدْ تَرَجَّمَ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ لَمَّا فِيهِ مِنْ دُخُولِ الْمُشْرِكِ الْمَسْجِدِ .

وذكر معه حديث الْيَهُودِ حِينَ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ ، وَذَكَرُوا أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ ، وَامْرَأَةً زَنِيًّا ، وَقَالَ بِهِ الشَّافِعِيُّ ، وَكَرِهَ مَالِكٌ دُخُولَ الذَّمِّيِّ الْمَسْجِدَ ، وَخَصَّصَ أَبُو حَنِيفَةَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فِي الْآيَةِ ، وَتَعَلَّقَ مَالِكٌ بِالْعَلَّةِ الَّتِي نُبِّهَتْ عَلَيْهَا الْآيَةُ ، وَهِيَ التَّنْجِيسُ ، فَعَمَّ الْمَسْجِدَ كُلَّهُ .

== كَعْبُ بن زَيْدِ بن سَهْلٍ بن عمرو بن قَيْسٍ بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن الحميسع . وقد سقط حيدان منه هنا ، وَلَكِنْ ذَكَرَهَا فِي مَكَازٍ آخَرَ . انظر ٣٦٤ ، ٣٦٥ المحبر .

مول حديث الجارود

فصل : وذكر الجارود العبدي ، وهو بشر بن عمرو بن الممل ، يُكنى
أبا المنذر ، وقال الحاكم : يُكنى أبا غياث وأبا عتاب ، وسمى الجارود ، لأنه
أغار على قوم من بكر ، فجزّاهم ^(١) قال الشاعر :

ودُسناهم بالخليل من كلّ جانبٍ كما جرّد الجارود بكر بن وائل

وذكر في آخر حديث الجارود الغرور بن النعمان بن المنذر ، وكان
كيسري حين قتل النعمان صير أمر الحيرة إلى هاني بن قبيصة الشيباني ،
ولم يبق لآل المنذر رسم ولا أمرٌ يذكر حتى كانت الردّة ، ومات هاني
ابن قبيصة فأظهر أهل الردّة أمر الغرور بن النعمان ، واسمه : المنذر ،
ولم يسمي الغرور ، لأنه غرّ قومه في تلك الردّة ، أو غرّوه واستعانوا به على
حربهم فقتل هناك ، وزعم وثيمة بن موسى أنه أسلم بعد ارتداده ،
والله أعلم .

وفد بن حنيفة ونسب صلحة :

فصل : وذكر وفد بن حنيفة ، واسم حنيفة أثال بن سليم بن سعد بن علي
ابن بكر بن وائل مع مسيلمة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مسيلمة

(١) في اللسان : لأنه فرّ بإياله إلى أخواله من بني شيبان : ذ ، ففشا
ذلك الداء في إيل أخواله ، فأهلكها .

ابن ثُمَامَةَ بن كَيْبٍ^(١) بن حُبَيْب بن الحارث بن عَبْدِ الحارث بن هِفَان بن ذُهَل بن الدُّوَل بن حَنِيفَةَ يَكْنَى أبا ثُمَامَةَ ، وقيل : أبا هَارُونَ ، وكان يسمَّى بالرَّحْمَن فيما رَوَى عن الزُّهْرِيِّ قبل مَوْلِدِ عَبْدِ اللَّهِ وَاللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكُتِلَ وهو ابن مائة وخمسين سَنَةً ، وكانت قُرَيْشٌ حين سمعت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قال قائلهم : دَقَّ قُوكَ ، إنا نذكُرُ مُسَيِّلِمَةَ رَحْمَانَ الْيَمَامَةِ ، وكان الرَّحَّالُ الْخَنْفِيُّ^(٢) ، واسمه نَهَارُ بنُ عُذْفُوَةَ ، وَالْعُذْفُوَةُ يَابِسُ الْحَلِيِّ ، وهو نبات ، وذكره أَبُو حَنِيفَةَ ، فقال فيه : عُمْتُوْ بِاللَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ ، وقال : هو يَابِسُ الْحَلِيِّ ، وَالْحَلِيُّ : النَّحْيُ ، وهو نَبَتٌ - قدم في وَفْدِ الْيَمَامَةِ على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمِنَ وتعلَّم سُوْرًا من الْقُرْآنِ ، فرآه النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوماً جالِسًا مع رجلين من أصحابه ، أحدهما قُرَاتُ بنُ حَيَّانَ ، والآخر : أَبُو هُرَيْرَةَ ، فقال : ضَرَسُ أَحَدِكُمَا فِي النَّارِ مِثْلُ أَحَدِيْمَا زَالَا خَائِفَيْنِ حَتَّى ارْتَدَّ الرَّحَّالُ ، وَأَمِنَ بِمُسَيِّلِمَةَ وشهد زُورًا أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد شَرِكَهُ معه فِي النُّبُوَّةِ ، ونسب إليه بعض ما تعلَّم من الْقُرْآنِ ، فكان من أقوى أسباب الْفِتْنَةِ على بَنِي حَنِيفَةَ ، وقتله زَيْدُ بنُ الْخَطَّابِ يومَ الْيَمَامَةِ ، ثم قتل زَيْدُ بنُ الْخَطَّابِ سَلَمَةَ بنَ صُبَيْحِ الْخَنْفِيِّ ، وكان مُسَيِّلِمَةُ صاحب

(١) في جمهرة ابن حزم : كثير .

(٢) ذكره القساموس بالجيم على وزن شداد ، وقال : ووم من ضبطه بالحاء .

نِزْوَجاتٍ^(١) يقال : إنه أول من أدخل البيضة في القارورة^(٢) ، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص ، وكان يدعى أن ظنيبة تأتيه من الجبل ، فيحلب لبنها ، وقال رجل من بني حنيفة يرثيه :

لَمْ يَنْهَى عَنْكَ أَبَا ثَمَامَةَ لَمْ يَنْهَى عَلَى رُكْنِي ثَمَامَةَ
كَمْ آيَةٌ لَكَ فِيهِمْ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ عَمَامَةِ
وَكَذَبَ بَلْ كَانَتْ آيَاتُهُ مَنكُوسَةً ، تَقَلُّ فِي بَثْرِ قَوْمٍ سَأَلُوهُ ذَلِكَ تَبْرُكًا
فَمَلَحَ مَاؤُهَا ، وَمَسَحَ رَأْسَ صَبِيٍّ فَقَرَعَ قَرَعًا فاحشًا ، ودعا لرجل
في ابنين له بالبركة ، فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في البئر ، والآخر
قد أكل الذئب ، ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه ، فايضت عيناه .

مؤذنا مسبلح وسباح :

واسم مؤذنه : حُجْبِير ، وكان أول ما أمر أن يذكر مُسْتَلِمَةً في الأذان
توقف ، فقال له مُحْكَمُ بْنُ الطُّفَيْلِ : صرّح حُجْبِير ، فذهبت مثلاً . وأما
سباح التي تنبأت في زمانه وتزوجها ، فكان مؤذنها جَنَبَةُ بْنُ طَارِقٍ ،
وقال القُتَيْبِيُّ : اسمه : زُهَيْرُ بْنُ عَمْرٍو ، وقبل : إن شئتَ بنِ رَبِيعٍ أَذُنُ لَهَا
أيضاً ، وتُكْنَى أُمَّ صَادِرٍ ، وكان آخرُ أمرها أن أسلمت في زمان عُمَرَ ، كل
هذا من كتاب الواقدي وغيره . وكان مُحْكَمُ بْنُ طُّفَيْلِ الحَنْفِيُّ ، صاحبُ

(١) النيرنج : أخذ كالسحر وليس به ، وجمعها : نيرنجات ونيارج .

(٢) عمل حين يأتيه طلابنا في معاملهم .

حَرْبِهِ وَمُدَبِّرُ أَمْرِهِ، وَكَانَ أَشْرَفَ مَنْهُ فِي حَنِيفَةٍ، وَيُقَالُ فِيهِ: مُحْكَمٌ وَمُحْكَمٌ،
وَفِيهِ يَقُولُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ:

يَا مُحْكَمُ بْنُ طَفِيلٍ قَدْ أُتِيحَ لَكَ اللَّهُ دَرُّ أَبِيكَ حَيَّةِ الْوَادِي
وَقَالَ أَيْضًا:

يَخِيطُنَ بِالْأَيْدِي حِيَاضَ مُحْكَمٍ

أَمْرًا مَبْلُورًا:

وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ: أَنْزَلُوا، يَعْنِي وَفَدَ بَنِي حَنِيفَةَ بَدَارِ الْحَارِثِ. الصَّوَابُ:
بَنْتُ الْحَارِثِ، وَاسْمُهَا: كَيْسَةُ بَنْتُ الْحَارِثِ بْنِ كُرَيْزٍ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ،
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي غَزْوَةِ قُرَيْظَةَ الْكَلَامُ عَلَى كَيْسَةَ: وَكَيْسَةُ بِالْتَّخْفِيفِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ
أَمْرًا مُسَيَّلَةً قَبْلَ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ أَنْزَلَهُمْ بَدَارَهَا وَكَانَتْ تَحْتَ مُسَيَّلَةٍ،
ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ، وَذَكَرْنَا هُنَا أَنَّ الصَّوَابَ مَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ
أَنَّ اسْمَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ زَيْنَبُ بَنْتُ الْحَارِثِ، كَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْ ابْنِ
إِسْحَاقَ، وَاللَّذِكُورَةُ مَا هُنَا كَيْسَةُ بَنْتُ الْحَارِثِ، وَإِيَّاهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ خَطَبَ، فَقَالَ: أَرَبْتُ فِي يَدَيِ السَّوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ
فَكَرِهْتُهُمَا، فَفَنَخْتُ فِيهِمَا أَفْطَارًا فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَابُ الْيَمَامَةِ وَالْقَنْسَى، صَاحِبُ
صَنْمَاءَ، فَأَمَّا مُسَيَّلَةٌ فَقَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَأَفْنَى قَوْمَهُ قَتْلًا وَسَبْيًا.

مسعود العنسي:

وَأَمَّا مَسْعُودُ بْنُ كَثْمٍ الْقَنْسِيُّ، وَعَنْسٌ مِنْ مَذْهَبِ جَعْفَرٍ، فَاتَّبَعَتْهُ قَبَائِلُ مِنْ

يَذْجِجُ وَالْبَيْنَ عَلَى أَمْرِهِ ، وَغَلَبَ عَلَى صَنَعَاءَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ذُو الْحِجَارِ ،
وَيَلْقَبُ : عَيْهَلَةً ، وَكَانَ يَدْعَى أَنْ سَحِيقًا وَشَرِيقًا بِأَتَانِهِ بِالْوَحَى ، وَيَقُولُ :
هَذَا مَلَكٌ يَقْكُلَانِ عَلَى لِسَانِي ، فِي خَدْعِ كَثِيرَةٍ يُزْخَرَفُ بِهَا ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ
مَالِكِ بْنِ عَنَسٍ ، وَبَنُو عَنَسٍ جُشَمٌ وَجُشِيمٌ وَمَالِكٌ وَعَامِرٌ وَعَمْرُو ، وَعَزِيزٌ
وَمُأْوِيَةُ وَعَتِيكَةُ وَشَهَابٌ وَالْقَرْيَةُ وَيَامٌ ^(١) وَمِنْ وَلَدِ يَامَ بْنِ عَنَسٍ عَمَّارٌ
ابْنُ يَامِرٍ ، وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ وَحُوَيْرِثُ ابْنَا يَاسِرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَالِكٍ ، قَتَلَهُ قَيْرُوزُ
الدَّبَلِيِّ ، وَقَيْسُ بْنُ مَسْكُوحٍ وَدَاؤُونَةُ رَجُلٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ دَخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ
سِرْبٍ صَنَعَتْ لَهُمْ امْرَأَةٌ كَانَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَبْنَاءِ ، فَوَجَدُوهُ سَكْرَانًا
لَا يَقِفُ مِنَ الْخَمْرِ ، فَخَبَطُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ :

ضَلَّ نَبِيٌّ مَاتَ وَهُوَ سَكْرَانٌ وَالنَّاسُ تَلْقَى جُلُثَهُمْ كَالذَّبَّانِ
النُّورِ وَالنَّارِ لَدَيْهِمْ سَيَّانٌ

ذَكَرَهُ الدُّوَلَابِيُّ ، وَزَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَتَهُ سَقَّتَهُ
الْبَنْجَ فِي شَرَابِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَهِيَ الَّتِي اخْتَفَرَتْ السَّرْبَ لِلدَّخُولِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ
اغْتَصَبَهَا ، لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَجْلِ النِّسَاءِ ، وَكَانَتْ مُسْلِمَةً صَالِحَةً ، وَكَانَتْ تُحَدِّثُ
عَنْهُ أَنَّهُ لَا يَنْفَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَاسْمُهَا التَّمْرُزُبَاةُ ، وَفِي صُورَةٍ قَتَلَهُ اخْتِلَافٌ .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُرِيتُ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَفَنَخْتَهُمَا فَعَطَارًا ،
قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّعْبِيرِ : تَأْوِيلُ نَفْعِهِ لَهَا أَنَّهُمَا بَرِيحُهُ قَتِيلًا ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزُهَا

(١) فِي الْجَهْرَةِ هـ : سَعْدُ الْكَبِيرِ وَسَعْدُ الْأَصْغَرِ ، وَعَمْرُو ، وَعَامِرٌ وَمُأْوِيَةُ ،
وَعَزِيزٌ وَهَتِيكٌ وَشَهَابٌ وَمَالِكٌ وَيَامٌ وَجُشَمٌ وَالْقَرْيَةُ .

بنفسه ، وتأويل الذهب أنه زُخْرُفٌ ، فدل لفظه على زَخْرَقْتِهما ، وكذبهما ،
ودل الإسْوَارَان بلفظهما على مِلْكَيْن لأن الأساورة هم الملوك ، وبمعناها على
التضييق عليه لكون السَّوَارِ مُضَيِّقًا على الدَّرَاع .

زبير الخليل :

فصل : وذكر زيد الخليل ، وهو زَيْدُ بْنُ مُهْمَلِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُنْهَبٍ ،
يكنى : أبا مُسْكِنِ الطَّائِي ، واسم طَيِّءٍ أَدَدٌ ، وقيل له : زَيْدُ الْخَلِيلِ لِمَنْ
أَقْرَسَ ، كانت له ، لها أسماء أعلام ذهب عنى حِفْظُهَا الْآن ^(١) .

وذكر قوله صلى الله عليه وسلم : إِنْ يَنْجُ زَيْدٌ مِنْ مُحَيِّ الدِّينَةِ .

أسماء الحمي :

قال الراوى : وَلَمْ يُسَمَّ بِاسْمِهَا الْحُمَى ، وَلَا أُمَ مِلْدَمَ ، سماها باسم آخر
ذهب عنى ، والاسم الذى ذهب عن الراوى مِنْ أَسْمَاءِ الْحُمَى ، هو أُم كَلْبَةٍ ،
ذكر لى أن أبا عُبَيْدَةَ ذكره فى مَقَاتِلِ الْفَرَسَان ، ولم أره ، ولكن رأيت
البَكْرِى ذكره فى باب أفرد من أسماء البلاد ، ولها أيضا اسمٌ يروى هذه
الأسماء ذكره ابن دُرَيْدٍ فى الْجُمُهرَةِ ، قال : سَهَاطٌ ، من أسماء الْحُمَى على وزن

(١) ضبط منب فى السهط بوزن منبر ، ويقول البكرى : « ولما سمى زيد
الخليل لكثرة خيله ، لأنه لم يكن لأحد من قومه ، ولا لكثير من العرب إلا
الفرس والفرسان ، وكانت لزبد خيل كثيرة ، فالتى ذكر منها فى شعره ستة :
الحطال والكميت والورد والسكامل وذهول ، « ولاحق . »

رَقَاشٍ ، وأما أم مِلْدَمَ ، فيقال بالدَّالِ ، وبالدَّالِ وبكسر الميم وفتحها ، وهو [من] اللدم وهو شدة الضرب ، ويحتمل أن يكون أم كُتْلَبَة هذا الاسم مُعَبَّرًا من كُتْلَبَة بضم الكاف ، والكُتْلَبَة شِدَّة الرُّعْدَة ، وكُتْلَبُ البَرْدِ عُدائده ، فهذه أم كُتْلَبَة بالهاء ، وهى الحُتْمَى ، وأما أم كُتْلَبِ ، فَشَجَرَةٌ لها نَوْرٌ حَسَنٌ ، وهى إِذَا حُرِّكَتْ أَفْتَنُ شَيْءٌ ، وزعم أبو حنيفة أن الغنم إِذَا مَسَّهَا لم تستطع أن تقرب الغنم ليلتها ذلك من شِدَّةِ إِفْتِنَائِهَا .

خبر زيد فى رواية أخرى :

وذكر فى خبر زيد الخليل فى رواية أبى على البَغْدَادِيَّ ما هذا نَعْنُهُ : خَرَجَ فَمِنْ طَيِّءٍ يَرِيدُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ وَقُودًا ، وَمَعَهُمْ زَيْدُ الْخَلِيلِ ، وَوَزَرَ بْنِ سُدُوسٍ النَّبْهَانِيَّ وَقَبِيصَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ إِجُوزِ بْنِ الْجُرُمِيِّ ، وَهُوَ النَّصْرَانِيَّ ، وَمَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْبَرِ بْنِ أَفْلَتَ بْنِ سُلَيْسَةَ وَقَعَيْنِ بْنِ خُلَيْفِ الطَّرِيفِيِّ رَجُلٍ مِنْ جَدِيلَةَ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي بَوَلَانَ ، فَعَقَلُوا رِوَا حِلْمَهُمْ بِفَنَاءِ الْمَسْجِدِ ، وَدَخَلُوا ، فَجَلَسُوا قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَيْثُ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْهِمْ ، قَالَ : إِنِّى خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْعُرَى ، وَلَاتِهَا ، وَمَنْ الْجَمَلُ الْأَسْوَدُ الَّذِى تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَمِمَّا حَازَتْ مَنَاعٌ ^(١) ، مِنْ كُلِّ ضَارَّةٍ غَيْرِ نَفَّاعٍ ، فَقَامَ زَيْدُ الْخَلِيلِ ، فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِهِمْ خَلْقًا وَأَخْسَنِهِمْ وَجْهًا وَشَفْرًا ، وَكَانَ يَرْكَبُ الْفَرَسَ الْعَظِيمَ الطَّوِيلَ

(١) فى معجم البكرى : مناع : هضبة فى جبال طىء ، أو هو اسم لاجأ ، معنى بذلك لا متاعهم فيه من ملوك العرب والمعجم .

فَتَخَطَّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ كَأَنَّهُ حِمَارٌ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آتَى بِكَ مِنْ سَهْلِكَ وَحَزَنِكَ ، وَسَهَّلَ قَلْبَكَ لِلْإِيمَانِ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى يَدِهِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ بْنِ مُهْمِلٍ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، فَقَالَ لَهُ : بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْلِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا زَيْدُ مَا خُبِّرْتُ عَنْ رَجُلٍ شَيْئًا قَطَّ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا خُبِّرْتُ عَنْهُ غَيْرَكَ ، فَبَايَعَهُ ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا عَلَى مَا أَرَادَ ، وَأَطْعَمَهُ قُرَى كَثِيرَةً ، مِنْهَا : قَيْدٌ ، وَكَتَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَوْمِهِ إِلَّا وَزَرَ بْنَ سُدُوسٍ ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَرَى رَجُلًا لَيْسَ مِثْلَكَ رَقَابَ لِلْعَرَبِ ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَمْلِكُ رَقَبَتِي عَرَبِيٌّ أَبَدًا ، ثُمَّ لَحِقَ بِالشَّامِ ، وَتَقَصَّرَ وَحَلَقَ رَأْسَهُ ، فَلَمَّا قَامَ زَيْدٌ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : أَيُّ فِتْنٍ لَمْ تَدْرِكْهُ أَمْ كُتِبَتْهُ ، يَعْنِي : الْخُلُتَى ، وَيُقَالُ : بَلْ قَالَ : إِنِّي نَجَا مِنْ آجَامِ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ زَيْدٌ حِينَ انْصَرَفَ :

أَتَيْتُ بَآجَامَ الْمَدِينَةِ أَرْبَعًا وَعَشْرًا يُغْنِي فَوْقَهَا اللَّيْلَ طَائِرٌ فَلَمَّا قُضِيَ أَصْحَابُهَا كُلُّ بَغْيَةٍ وَحَطَّ كِتَابًا فِي الصَّحِيفَةِ سَاطِرٌ شَدَدَتْ عَلَيْهَا رَحْلُهَا وَشَلِيلُهَا مِنَ الدَّرْسِ وَالشَّمْرَاءِ وَالْبَطْنِ ضَامِرُ الدَّرْسِ : الْجَرْبُ . وَالشَّمْرَاءُ : ذُبَابٌ . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ فِي حَدِيثِهِ : وَأَهْدَى زَيْدٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْذُومًا وَالرَّسُوبَ ، وَكَانَا سَيِّفَيْنِ لِيَصْنَمَ بِلَى الْفَلَسِ^(١) ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) الْفَلَسُ بِضَمِّ الْفَاءِ وَاللَّامِ ، أَوْ سَكُونِهَا أَوْ بَفَتْحِ الْفَاءِ وَسَكُونِ اللَّامِ هُوَ :

(م ٢٩ — الرُّوسُ الْأَقْفُ ج ٧)

ما قدّم على رجل من العرب يُفضّله قومه إلا رأيتُه دون ما يقال إلا ما كان من
زَيْدٍ، فإن يَنْجُ زَيْدٌ من مُحَيّ المدينة فلا مُرّ ما هو . وقوله :

ألا رَبّ يَوْمٍ لو مَرَضْتُ لَمَآدَنِي عَوَانُدُ من لم يُبَرِّ مَنْهِن يَهْمَدِ

وبعد :

فليت اللّواتى عُدْنِي لم يَعْدَنِي وليت اللّواتى غَبْنَ عَنِّي شُهِدِي

قدوم عدى بن حاتم

وهو عَدِيّ بن حاتم بن عَبْدِ اللَّهِ بن سَعْدِ بْنِ حَاشِرِجِ بْنِ أُمِّ الْقَيْسِ
ابنِ عَدِيٍّ^(١) بن رَيْبَعَةَ بنِ جَرُولِ بنِ ثَعْلِ بنِ عَمْرِو بنِ الْقَوْثِ بنِ طَيْءٍ .
يكنى أبا ظريف^(٢) ، وحديث إسلامه صحيح عجيب خرّجه الترمذى ، وأخته
التي ذكر إسلامها أحسب اسمها سَفَانَةَ ، لأنّى وجدت في خبر عن امرأة
حاتم تذكر فيه من سخائنه قالت : فأخذ حاتمٌ عَدِيًّا يُعَلِّله من الجوع ،
وأخذت أنا سَفَانَةَ ، ولا يعرف لعَدِيٍّ ولدا تفرّض عقبه ، ولحاتم عقبٌ من قبل

= صنم طيء الذي بعث النبي ﷺ ص ، علياً لخدمته سنة تسع . وكان آنفاً أحمر
في وسط أجأ كأنه تمثال إنسان . وأخذ سيفين مشهورين يقال لهما المخدّم ورسوب
كان الجارث بن أبي شمر الفسليّ قد لده إياهما . أنظر الطبري ص ١٧٧ ج ٣ ط المعارف ،
ولسان العرب مادة خذم والمراد .

(١) في إمتاع الأسماع بعد عدى : ابن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن ثعل
بن جرول .

(٢) في الإصابة : طريف .

عبد الله بن حاتم، ذكره القتيبي، ولا يعرف له بنت إلا سَفَّانة، فهي إذاً هذه المذكورة في السيرة والله أعلم، وأم حاتم: عَمْبَةُ^(١) بنت عفيف [بن عمرو^(٢) ابن عبد القيس] كانت من أكرم الناس وهي التي تقول:

لَعَمْرِي لَقَدْ مَاعَضَنِي الْجَوْعُ عَضَّةً فَأَلَيْتُ إِلَّا أَحْرِمَ الدَّهْرَ جَائِعاً^(٣)

وَالسَّفَّانَةُ: الدَّرَّةُ، وبها كان يُكْنَى حاتم.

حديث فروة «مغنى قرو»

وذكر ابن إسحاق حديث فروة وقوله:

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي وَالرُّومَ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقُرَوَّانَ^(٤)

لِلْقُرَوَّانُ: يَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ تَجْمَعُ قَرَوُ ، وهو حوض الماء مثل صِنَوَّان،

(١) قال عنها القائل: غنية بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس. وقال البكري: وصواب اسمها عنبه . . . وقد تصحف في عامة الكتب بعنبه وغنية . ص ٢٣ - ٢ ط ٢ الأمال و ص ١٣ - ٣ سبط الآلى .

(٢) الزيادة من الأمال المسكان السابق.

(٣) في الأمال ألا أمنع ، وقد حجر أهلها عليها لإتلافها ما لها في الكرم ، فلما ظنوا أنها قد وجدت لم ذلك أعطوها صرمة من إبلها . لجاءتها هوازنية ، فأعطتها إياها ، ثم أشدت هذا البيت ، وبعده :

فَقُولَا لِهَذَا اللَّائِمِ الْيَوْمَ أَغْنَى فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَمَضِ الْأَصَابِمَا
فَإِذَا عَسَيْتُمْ أَنْ تَقُولُوا لَا خَيْرَ لَكُمْ سِوَى عَذْلِكُمْ أَوْ عَذْلٍ مَنْ كَانَ مَانِعاً
وَلَا مَا تَرَوْنَ الْخِثَاقَ إِلَّا طَبِيعَةً فَكَيْفَ بَنَى يَا بَنَ أُمَ الطَّبَاتِمَا

ص ٢٤ - ٣ الأمال ط ١ .

(٤) هذا البيت ليس في السيرة .

ويجوز أن يكون جمع : قَرَىُّ مثل صَلَيبٍ وَصَلْبَانٍ . وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِي الْقَرَوِ إِنَّهُ حَوْيَضٌ مِنْ خَشَبٍ تُسْقَى فِيهِ الدَّوَابُّ ، وَتَلْعَقُ فِيهِ الْكِلَابُ ، وَفِي الْمَثَلِ : مَا فِيهَا لَا عِيَّ قَرَوٍ ، أَيْ : ^(١) مَا فِي الدَّارِ حَيَوَانٌ ، وَأَرَادَ : بِلَاعِي قَرَوٍ ، لَا عِيَّ قَرَوٍ ، وَقَلْبُ الْقَافِ الْأَوَّلَى بَاءٌ لِلتَّضْمِينِ .

إبدال آخر حرف في اسم الفاعل :

وَحَسَنَ ذَلِكَ أَنَّهُ اسْمُ فَاعِلٍ ، وَقَدْ يُبَدَّلُونَ مِنْ آخِرِ حَرْفٍ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ بَاءٌ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَّ تَغْيِيفٌ ، كَقَوْلِهِمْ فِي الْخَامِسِ : خَامِيهِمْ ، وَفِي سَادِسِهِمْ سَادِيهِمْ ، وَكَذَلِكَ إِلَى الْعَاثِرِ ، وَنَحْوُ مِنْهُ : مَا أَنْشَدَ سَيِّبَوِيَهُ .

وَلِضْفَادِي جَمَّهُ نَقَاتٌ ^(٢)

أَي لِضْفَادٍ عِ جَمَّهُ ، وَأَنْشَدَ :

مِنْ الشَّعَالِي وَوَحْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا ^(٣)

(١) فِي الْأَصْلِ : قَرَوَانِي .

(٢) فِي الْأَصْلِ : جَبَهُ . وَأَوَّلُ الْبَيْتِ :

وَمَنْهَلٌ لَيْسَ لَهُ حَوَازِقُ

وَقِيلَ : إِنْ صَانَعَ الْبَيْتَ : خَلْفَ الْأَحْرِ . وَالْحَوَازِقُ الْجَمَاعَاتُ . وَالْجَمُّ : جَمْعٌ

جَمَّةٌ ، وَهِيَ مَعْظَمُ الْمَاءِ وَجَمْتُهُ مِنْ ص ٣٤٤ > ١ كِتَابُ سَيِّبَوِيهِ .

(٣) الْبَيْتُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ . وَأَوَّلُهُ :

لَمَّا أَشَارَ بِيْرٍ مِنْ لَحْمٍ تَمْتَرُهُ

وَالْأَشَارِيرُ : جَمْعُ إِشْرَارَةٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ يَحْفَفُ اللَّادِخَارُ . وَتَمْتَرُهُ :

تَحْفَفُهُ . وَالْبَيْتُ فِي وَصْفِ عَقَابٍ الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ،

أراد الثمالب وأرانيها ، وإذا كان هذا معروفاً فلأعي قرؤ أحق أن
يقلب آخره بلاء كراهة اجتماع قافين .

وذكر قدوم وفد كندة ، وفيه قوله عليه السلام : لا تَقْفُوا أُمَّنَا ، وَلَا تَنْتَفِي
من أيدينا ، وفي هذا ما يدل على أن الأشعث قد أصاب في بعض قوله : نحن وأنت
بنو آكل المرار ، وذلك أن جدات النبي صلى الله عليه وسلم من هي
من ذلك القبيل ، منهم : دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث السكندري
المذكور ، وهي أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل هي جدة كلاب أم أمه هند ،
وقد ذكر ابن إسحاق هذا ، وأنها ولدت كلاباً .

قدوم وفد بني الحارث بن كعب

ذكر فيهم يزيد بن عبد المدان ، واسم عبد المدان عمرو بن الديان ،
والديان اسمه : يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب
ابن الحارث بن كعب الحارثي .

وذكر فيهم أيضاً ذا الفصة ، واسمه الحصين بن يزيد بن شداد الحارثي ،
وقيل له : ذو الفصة ، لفصة كانت في حلقه لا يكاد يبين منها ، وذكره عمر
ابن الخطاب يوماً ، فقال : لا تزد امرأة في صدقها على كذا وكذا ، ولو كانت
بنت ذى الفصة .

وذكر فيهم عمرو بن عبد الله الضبابي ، وهو ضباب بكسر الصاد في بني
الحارث بن كعب بن مذجج ، وضباب أيضاً في قرينش وهو ابن حبيش

ابن عَبدِ بْنِ مَحيصَ بنِ عامرٍ أخو حَجَرِ بنِ عَبدِ ، وفي حَجَرِ وَحُجَيْرِ
يقول الشاعر :

أُنذِرْتُ أَنْ غَوَاةً مِنْ بَنِي حَجَرٍ وَمِنْ حُجَيْرٍ بَلَا ذَنْبٍ أَرَاغُونِي
أَغْثُوا بَنِي حَجَرٍ عَنَا غَوَاةَكُمْ وَيَا حُجَيْرُ إِلَيْكُمْ لَا تُبْزَوُونِي
وَالضُّبَابُ فِي بَنِي عامرٍ بَنِ صَفْصَمَةَ ، وَهَمِ ضُبَابٌ وَمُضِبٌّ وَحُسَيْلٌ
بَنُو مَماوِيَةِ بَنِ كَلَّابٍ ، وَأَمَّا الضُّبَابُ بِالْفَتْحِ ، فَنَسَبُ الْغَابِغَةِ الذُّبْيَانِي
ضُبَابُ بَنِ يَرْبُوعِ بَنِ غَيْظٍ ، وَأَمَّا الضُّبَابُ بِالضَّمِّ فَرَيْدٌ وَمَنْجَا^(١) ابْنَا ضُهَابٍ
مِنْ بَنِي بَكْرِ ، ذَكَرَهُ الدَّارِقُطْنِي .

وفود رفاعه :

فصل : وذكر وفود رفاعه الضببي ، وأنه أهدى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم غلاماً ، وذلك الغلام هو الذي يقال له : مِدْعَمٌ ، وقع ذكره
في الموطأ^(٢) .

وذكر وفد تَهْدَانٍ ، ومالك بن نَمَطٍ التَّهْمَدَانِي الذي يقال له ذُو الْمِشْعَارِ ،
وَكُنْيَتُهُ : أَبُو ثَوْرٍ وقع في النُّسخة ، وفي أكثر النُّسخ : وَأَبُو ثَوْرٍ بِالْوَاوِ ،
كَأَنَّهُ غَيْرُهُ ، والصواب سقوط الواو ، لأنه هو هو ، وقد يخرج إثبات الواو على

(١) في القاموس : والمنجى للفعول : سيف واعم .

(٢) وقع ذكره أيضاً في الصحيحين من طريق سالم مولى ابن مطيع عن أبي هريرة
في فتح خيبر . وفيه أن مدعماً أصابه سهم طار فقتله .

إخبار هو، كأنه قال : وهو أبو ثور ذو المشعار، وقد ذكره ابن قتيبة ، فقال في غرب الحديث : مالك ذو المشعار ، وذكره أبو عمر فقال : هو ذو المشعار يكنى : أبا ثور ، وفي الكتاب الذي كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا كتاب من محمد رسول الله إلى خلاف خايف وبام وأهل جناب الهضب وحفاف الرمل مع وإفدها ذي المشعار مالك بن نمط ، فهذا كله يدل على أن الواو في قوله : وأبو ثور ذو المشعار لا معنى له .

وقوله : عليهم مقطعات الخبرات : المقطعات من الثياب في تفسير أبي عبيد ، هي القصار ، واحتج بحديث ابن عباس في صلاة الضحى إذا انقطعت الظلال ، أى : قصرت ، ويقولهم في الأربعين : مقطعات ، وخطاه ابن قتيبة في هذا التأويل ، وقال : إنما المقطعات الثياب المخيطة كالقمص ونحوها ، سئيت بذلك ، لأنها تقطع وتفصل ثم تحاط^(١) ، واحتج بحديث رواه عن بعض ولد عبد الملك بن مروان ، وفيه أنه خرج وعليه مقطعات يجرها ، فقال له شيخ من بني أمية : لقد رأيت أباك ، وكان مشدراً غمر جرار لثيابه ، فقال له الفتى : لقد هممت بتقصيرها ، فتمنى قول الشاعر في أبيك :

قَصِير الثِّيَابِ فَأَحِشْ عِنْدَ صَيِّفِهِ لَشَرِّ قُرَيْشٍ^(٢) فِي قُرَيْشٍ مُرَكَّبًا

(١) في شرح السيرة لأبي ذر : مقطعات : ثياب ورثى يصنع باليمن . والمبس خشب تصنع منه الرحال التي تكون على ظهر الإبل .

(٢) في السطة : عند بيته وشر قريش . والقصة أن هشام بن عبد الملك خرج وهو سوقاً إلى بيت المقدس ، فرى بدمشق ، فلقبه محمد بن الضحاك بن قيس =

والظاهرُ في قوله عليهم مُقَطَّعَاتُ الْخَبَرَاتِ مَا كَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ ، ولامعنى
لوصفها بالقِصَرِ في هذا الموطنِ . والمُتَهَرِّجَةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَهْرَةَ بْنِ حَيْدَانَ ^(١)
ابن الخُفَّاءِ بْنِ قُضَاعَةَ ^(٢) . والأَرْحَبِيَّةُ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَرْحَبَ بَطْنٍ مِنْ هَمْدَانَ .
ويامُّ هو يامُّ بن أَصْبَى ، وَخَارِفُ بْنُ الْحَارِثِ بَطْنَانِ مِنْ هَمْدَانَ يُنْسَبُ
إِلَى يَامٍ : زُبَيْدُ [بن الحارث بن عبد الكريم] الْيَأَمِيُّ الْمُحَدَّثُ ، وَأَهْلُ
الْحَدِيثِ يَقُولُونَ فِيهِ : الْيَأَمِيُّ . وَالْفِرَاعُ : مَا عَلَا مِنَ الْأَرْضِ . وَالْوِهَاطُ : مَا انْخَفَضَ
مِنْهَا ، وَاحِدُهَا : وَهْطٌ . وَالْفَلَعُ : اسْمُ جَبَلٍ . وَالصَّلْعُ : الْأَرْضُ لِلنِّسَاءِ . وَاتَّخَفَيْدُ :
وَلَدُ النَّعَامَةِ . وَالْهَجَفُ : الضَّخْمُ .

وذكر حديث عمرو بن معدٍ يكرب ، وقيس بن مَكْشُوح .

== الفهرى ، وهو والها يومئذ ، وعلى هشام ثياب يجرها ، فقال له : أمارأيت أمير
المؤمنين عبد الملك يعرض له بجر ثيابه ؟ فقال هشام : بلى ، قال : فكيف رأيته ؟
قال مهجراً مشمراً ، قال : فأبالك أنت ؟ قال : فعلت هذا لقول الشاعر . ثم ذكر
البيت . أنظر ص ١٦٥ سطح اللال ، وص ١٧٤ الحيوان للمجاهد .

(١) في الأصل : المهديّة ومهدة بن حيران وهو خطأ وهو في الاشتقاق :
مهرة بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وصوابه حيدان بن عمرو بن
الحاف ، وكذا في جملة الأنساب لابن السكيت ، وفي الجمهرة لابن حزم ، أنظر
ص ٥٥٢ الاشتقاق . ص ٥٢ قلائد الجمان للقلقشندي ولكنهم في كتابه نهاية الأرب
مهرة بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ص ٢٤٧ وأنظر ص ١٢ الجمهرة
لابن حزم وص ٢٩٦ ج ٢ نهاية الأرب للنويري .

(٢) ابن الحارث بن عبد الكريم زيادة من لباب الأنساب ، وأصحب كما ورد
في اللباب ابن رافع بن مالك بن حسم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف
بن همدان .

حجة الوداع

تجهز الرسول واستعماله على المدينة أبا دجانة

قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذوالقعدة ،
تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ،
عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة .

قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي ، ويقال : سباع
ابن عروة قطعة الغفاري .

وذكر في الشعر :

تَلَّاقِ شَذْبَتًا شَثْنًا لَـ بَرَّائِنِ نَاشِزًا قَعْدَةً^(١)

أُلْفَيْتُ بِحُطِّ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ قَالَ : قَالَ الْقَاضِي : لَا أَعْرِفُ
شَذْبَتًا الْآنَ ، وَلَمَّا تَلَّاقِ شَرَّ نَبْتًا^(٢) ، وَجَزَمَ تَلَّاقٍ لَمَّا فِي قَوْلِهِ :

فَلَوْ لَا قَيْدَتْنِي مِنْ قُوَّةِ الشَّرِّطِ ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ : إِنْ لَا قَيْدَتْنِي تَلَّاقٍ .

(١) في السيرة : كَتَدَهُ

(٢) الْغُلَيْظُ الْكَفَيْنِ وَالرَّجُلَيْنِ وَالْأَشَدَّ .

ما أمر به الرسول عائشة في حيضها

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكروا ولا يذكروا الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدي وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يحملوا بعُمرة ، إلا من ساق الهدي ؛ قالت : وحضت ذلك اليوم ، فدخل علي وأنا أبكي ، فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا السفر ؛ فقال : لا تهوين ذلك ، فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحل كل من كان لاهدي معه ، وحل نسائه بعُمرة ، فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير ، فطرح في بيتي ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحصبه ، بعث بي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التمتع ، مكان عمرتي التي فاتتني .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يحملن بعُمرة ، قلن : فما يمنعك يا رسول الله أن تحمل معنا ؟ فقال : إني أهديت ولبّدت ، فلا أحل حتى أعمر هدي .

• • • • •

موافاة عليّ في قفوله من إيمان رسول الله في الحج

به ما أمر الرسول عليّاً من أمور الحج

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نعيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليّاً رضي الله عنه إلى نجران ، فلقاه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحمل بعمره فخلنا . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره : قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل بأصحابك . قال : يا رسول الله إني أهلت كما أهلت ، فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ؛ قال : يا رسول الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبادك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج ، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما .

شكاً عليّاً جنده إلى الرسول لا تنزاعه عنهم خلاصين بزألمن

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، قال : لما أقبل على رضي الله عنه من اليمن ليلتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، واستخلف على جُنْدِهِ الَّذِينَ مَعَهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَعَمِدَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَكَسَا كُلَّ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ حُلَّةً مِنَ الْبَزِّ الَّتِي كَانَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَلَمَّا دَنَا جَيْشُهُ خَرَجَ لِيَلْقَاهُمْ ، فَإِذَا عَلَيْهِمُ الْخُلَلُ ؛ قَالَ : وَيْلَكَ ! مَا هَذَا ؟ قَالَ : كَسَوْتُ الْقَوْمَ لِيَتَجَمَّلُوا بِهِ إِذَا قَدِمُوا فِي النَّاسِ ، قَالَ : وَيْلَكَ ! انْزِعْ قَبْلَ أَنْ تَنْهَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَانْزِعَ الْخُلَلُ مِنَ النَّاسِ ، فَرَدَّهَا فِي الْبَزِّ ، قَالَ : وَأُظْهِرَ الْجَيْشَ شُكْوَاهُ لِمَا صُنِعَ بِهِمْ .

قال ابن إسحاق : لَخِذْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرٍ بْنِ حَزْمٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عُجْرَةَ عَنْ عَمَّتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ كَعْبٍ ، وَكَانَتْ عِنْدَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : اشْتَكَى النَّاسُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا خَطِيبًا ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَشْكُوا عَلِيًّا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَخْشَنُ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، أَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مِنْ أَنْ يَشْكَى .

خطبة الرسول في حجة الوداع

قال ابن إسحاق : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَجَّتهُ ، فَأَرَى النَّاسَ مَنَاسِكَهُمْ ، وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجَّتِهِمْ ، وَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَتَهُ الَّتِي بَيَّنَّ فِيهَا مَا بَيَّنَّ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمِعُوا قَوْلِي ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لِمَلِي لَا أَتْلُوكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ دُمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ،

.....

وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنّه عليها ، وإن كلّ ربّاً موضوعٌ ، ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا ربّاً ، وإن ربّاً عبّاس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دمٍ كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دماءكم أضاع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً في بني ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن الذنبي زيادة في الكفر ، يُضَلُّ به الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحْلَوْنَ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً ، لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ . وإن الزّمان قد استدار كهيئته يومَ خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حُرُمٌ ، ثلاثة متوالية ، ورجب مُقَرَّرٌ ، الذي بين مُجَادَى وشَعْبَانَ . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقاً ، ولهنّ عليكم حقاً ، لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهنّ أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مُبرّح ، فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهنّ عندكم عَوَانٍ لا يملك لأنفسهنّ شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإنّي قد بلغت ، وقد تركت

فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيّناً ، كتاب الله وسنة نبيه .
أيها الناس ، اسمعوا قولي واعتقلوه ، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن
المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ،
فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اللهم اشهد .

اسم العصارخ بكلام الرسول وما كان يردده

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه
عباد قل : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بمرفة ، ربيعة بن أمية بن خلف . قال : يقول له رسول الله صلى الله
عليه وسلم : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
هلا تدرون أي شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول :
قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم
كحرمة شهركم هذا ؛ ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، قال :
فيقولون . البلد الحرام ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم
وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة بلدكم هذا . قال : ثم يقول : قل : يا أيها
الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي يوم هذا ؟
قال : فيقول لهم . فيقولون : يوم الحج الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم :
إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

رواية ابن خزيمة عما سمعه من الرسول في حجة الوداع

قال ابن إسحاق : حدثني ليث بن أبي سلمة عن شهر بن حوشب الأشعري ، عن عمرو بن خزيمة قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرقة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لهاها ليقع على رأسي ، فسمعتة وهو يقول : أيها الناس ، إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراس ، وللعاهر الحجر ، ومن أدعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

بعض تعليم الرسول في الحج

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرقة ، قال : هذا الموقف ، للجبل الذي هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على فُزَح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بعثني قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر . فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم : من للموقف ، ورعى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حُرِّم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبحج بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق : ثم قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقمية ذى الحجة والحرم وضفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يوطئ التحليل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأوتون .

خروج رسول الله إلى الملوك

تذكير الرسول قومه بما حدث للحواريين

حين اختلفوا على عيسى

قال ابن هشام : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثني من أئمتي به عن أبي بكر الهذلي قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثني رحمة وكافة ، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضى وسلم ، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتناقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتناقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها .

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتاباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، ملك الروم ؛ وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب ابن أبي بلتعة إلى المقوقس ، ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جعفر وعبيد الله بن أبي الجندى الأزديين ، ملكي عمان ، وبعث سليط بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين ، ملكي اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ، ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر النسائي ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم النسائي ، وبعث المهاجر بن أبي أمية الخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحنفي ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سليطاً وثمامة وهوذة والمنذر .

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري : أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب

والمعجم ؛ وما قال لأصحابه حين بينهم . قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه ؛ وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمة وكافة ؛ فأذوا عني يرحمكم الله ؛ ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قرَّب به فأحبَّ وسلم ، وأما من بعد به فسكره وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم .

أسماء رسل عيسى

قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدم في الأرض : بطرُسُ الحواريُّ ، ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين ، إلى رومية ، وأنطدرائس ومفتا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ، وتوَّماس إلى أرض بابل ، من أرض المشرق ؛ وفيلبس إلى أرض قرطاجنة ، وهي إفريقية ، ويحنس ، إلى إفسوس ، قرية الفتيحة ، أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أوراشليم ، وهي إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن تلماء إلى الأعرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيمون إلى أرض اللبر ، ويهوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جعل مكان يوديس .

.....

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن هشام ، قال حدثنا ريباذ بن عبد الله البسكاني عن محمد بن إسحاق المطاطي : وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، منها غزوة ودّان ، وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رَضَوَى ، ثم غزوة العشيرة ، من بطن بَدْنِع ، ثم غزوة بدر الأولى ، بطلب كُرْز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سليم ، حتى بلغ الكدّر ، ثم غزوة السيوف ، بطلب أبي سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهي غزوة ذي أمير ، ثم غزوة بحران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل . ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني الحنظلة ، من هذيل ، ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتلاً ، فصدّه المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة القضاة ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك . قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح وحنين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانياً وثلاثين ، من بين بعثٍ
وسريةٍ : غزوةُ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ أَصْفَلٍ مِنْ ثَنِيَّةِ ذِي الْمَرْوَةِ ، ثم غزوةُ حَمْزَةَ
ابن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية الميصر : وبعض الناس يقدم غزوةَ
حمزة قبل غزوة عُبَيْدَةَ ؛ وغزوةُ سَمْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ الْخَزْرَجِيِّ ، وغزوة عبد الله
ابن جَحْشٍ نَخْلَةَ ، وغزوةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْقُرْدَةِ ، وغزوة محمد بن مسleme
كُفَّابِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، وغزوة مَرْثَدَ بْنِ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ الرَّجِيعِ ، وغزوة
الْمُنْذِرِ بْنِ هَمْرٍ وَبَنِي مَعُونَةَ ، وغزوة أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ذَا الْقُعَّةِ ،
من طريق العراق ، وغزوة حمير بن الخطاب ثرية من أرض بني عامر ، وغزوة
علي بن أبي طالب اليماني ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب ليث ،
السكدي ، فأصاب بني الملوحة .

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوحة

شأن ابن البرصاء

وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثني عن
مُسلم بن عبد الله بن خُبَيْبٍ الْجُهَنِيِّ ، عن الْمُنْذِرِ ، عن جُنْدَبِ بْنِ مَكِيثٍ
الْجُهَنِيِّ ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي ،
كُلب بن عوف بن كَيْث ، في سرية كنت فيها ، وأمره أن يسكن القارة على
بني الملوحة ، وهم بالسكدي ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقُدَيْدٍ لَقِينَا الْحَارِثَ

.....

ابن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثي ، فأخذناه ، فقال : إني جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا له : إن تك مسلماً فلن يضريك رباط ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشدناه رباطاً ، ثم خلفنا عليه رجلاً من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازك فاحتر رأسه .

بلاء ابن مكيث في هذه الغزوة

قال : ثم مرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكنا في ناحية الوادي ، وبعثني أصحابي ربيعة لهم ، فخرجت حتى آتت تلاً مشرفاً على الحاضر ، فأسندت فيه ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إني لمنبطح على التل ، إذ خرج رجل منهم من خيائه ، فقال لامرأته : إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يوم ، فانظري إلى أوعيتك هل تنقدين منها شيئاً ، لا تكون الكلاب جرّت بعضها ، قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أقصد شيئاً ، قال : فناوليني قوسي وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهماً ، فوالله ما أخطأ جنبي ، فأنزعه ، فأضعه ، وثبت مكانه ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه في منكبتي ، فأنزعه فأضعه ، وثبت مكانه ، فقال لامرأته : لو كان ربيعة لقوم لقد تحرك ، لقد خالطه سهمي لا أبالك ، إذا أصبحت قابضيهما ، فخذيهما ، لا يعضفهما على الكلاب . قال : ثم دخل .

نجاء المسلمين بالنعم

قال : وأمنه لنهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان في وجه السحر شدة

ابن سعد من أهل قَذَك ، وغزوة أبي التوجاء السلمي أرض بني سليم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة ، وغزوة أبي سَلَمَةَ ابن عبد الأسد قطنك ، ماء من مِثاء بني أسد ، من ناحية نجد ، قُتِلَ بها مسمود ابن عُرْوَة ، وغزوة محمد بن مَسْلَمَةَ أخى بني حارثة ، القَرَطَاء من هَوَازِن ، وغزوة بشير بن سعد بن مَرَّة بقَذَك ، وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجهم من أرض بني سليم ، وغزوة زيد بن حارثة جُدَام ، من أرض خُثَيْن .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعي عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حِثْي .

غزوة زيد بن حارثة إلى جُدَام

سليم

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثني من لا أتهم ، عن رجال من جُدَام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجُدَامي ، لما قَدِم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قَدِم دِحْيَةُ بن خليفة الكندي من عند قيسر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بوادٍ من أودينهم يقال له سَنَار ، أغار على دِحْيَةَ بن خليفة الهنيد بن عَوْص ، وابنه عَوْص بن الهنيد الضلَمِيَّان . والضَلَمُ : بطن من جُدَام ، فأصابا

كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوماً من الضَّبْيَبِ ، رباط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بنى الضَّبْيَبِ الثُّمَانُ بن أبي جمال ، حتى لقوهم ، فانتلوا ، واستنقروهم قُرَّة بن أشقر الضَّفَاوِي ثم الصُّلَمِيّ ، فقال : أنا ابن لُثَيّ ، وورثي الثُّمَانُ بن أبي جمال بينهم ، فأصاب ركبته ، فقال حين أصابه : جُذِّها وأنا ابن لُثَيّ ، وكانت له أُم تُدعى لُثَيّ ، وقد كان حسان بن مَلَّة الضَّبْيَبِيّ قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك ، فملّمه أُم الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قُرَّة بن أشقر الضَّفَاوِي ، وحيّان بن مَلَّة .

تمكن المسلمين من الكفار

قال ابن إسحاق : جدّني من لا أتهم ، عن رجال من جُذَام ، قال : فاستنقذوا ما كان في يد الهنيد وابنه ، فردّوه على دحية ، ففرج دحية ، حتى قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاء دم الهنيد وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذي هاج غزوة زيد جُذَام ، وبعث معه جيشاً ، وقد وجّهت غطفان من جُذَام وواتل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحرة ، حرّة الرِّجْلَاء ، ورفاعة بن زيد بكراع ربة ، لم يعلم ، ومعه ناس من بنى الضَّبْيَبِ ، وسائر بنى الضَّبْيَبِ بوادى مدّان ، من ناحية الحرة ، مما يسيل مُشْرِقاً ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من قبيل الحرة ،

• • • • •

جَمَعُوا مَا وَجَدُوا مِنْ مَالٍ أَوْ نَاسٍ ، وَقَتَلُوا الْهَيْئِدَ وَابْنَهُ وَرَجُلَيْنِ مِنْ
بَنِي الْأَحْنَفِ .

قال ابن هشام : من بني الأحنف .

شأن حسان وأنيف ابني ملة

قال ابن إسحاق في حديثه : ورجلان من بني الخصيب . فلما سمعت
بذلك بنو الضبئ والجيش بغياء مَدَانٍ ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب
معهم حَسَّانُ بْنُ مِلَّةٍ ، عَلَى فَرَسٍ لِسُوَيْدِ بْنِ زَيْدٍ ، يُقَالُ لَهَا الْعَجَاجَةُ ، وَأَنْيِفُ
ابْنِ مِلَّةٍ عَلَى فَرَسٍ لِمَلَّةٍ يُقَالُ لَهَا : رِغَالٌ ، وَأَبُو زَيْدٍ بْنُ عَمْرِو عَلَى فَرَسٍ يُقَالُ
لَهَا شَمِيرٌ ، فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْجَيْشِ ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ وَحَسَّانُ لِأَنْيِفِ
ابْنِ مِلَّةٍ : كُفَّ عَنَّا وَانصِرْفْ ، فَإِنَّا نَخْشَى لِسَانَكَ ، فَوَقَفَ عَنْهُمَا فَلَمْ يَتَحَدَّ
مِنْهُ حَتَّى جَعَلَتْ فَرَسُهُ تَبْعَثُ بِيَدَيْهَا وَتَوَثَّبُ ، فَقَالَ : لَأَنَا أَضْنُ بِالرَّجُلَيْنِ مِنْكَ
بِالْقَرَسَيْنِ ، فَأَرْخِي لِمَا ، حَتَّى أُدْرِكَهُمَا ، فَقَالَا لَهُ : أَمَا إِذَا فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ
فَكُفَّ عَنَّا لِسَانُكَ ، وَلَا تَشَأْمُنَا الْيَوْمَ ، فَتَوَاصَوْا أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ مِنْهُمْ إِلَّا حَسَّانُ
ابْنُ مِلَّةٍ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ كَلِمَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَدْ عَرَفَهَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ،
إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ قَالَ : بُورِي أَوْ ثُورِي ، فَلَمَّا بَرَزُوا عَلَى
الْجَيْشِ ، أَقْبَلَ الْقَوْمُ بِنَتَدْرُونَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ حَسَّانُ : إِنَّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ ، وَكَانَ
أَوَّلُ مَنْ لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَدَمٍ ، فَأَقْبَلَ بِسَوْقِهِمْ ، فَقَالَ أَنْيِفُ : بُورِي ،
فَقَالَ حَسَّانُ : مَهْلًا ، فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ حَسَّانُ : إِنَّا قَوْمٌ
مُسْلِمُونَ ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ : فَاقْرَءُوا أُمَّ الْكِتَابِ ، فَقَرَأَهَا حَسَّانُ ، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ

حارثة : نادوا في الجيش : أن الله قد حرّم علينا ثمرة القوم التي جاءوا منها إلا من ختر .

قدومهم على الرسول وشعر أبي جمال

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن ملة ، وهي امرأة أبي ورن عدي بن أمية بن الضبئ في الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذت بحقوقه ، فقالت أم القز الصلمية : أنتظرون بيناتكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بني الخصيب : إنما بنو الضبئ وسخر السليم سائر اليوم ، فسميها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففكت يداها من حقوقه ، وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكنه ، فوجعوا ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه ، فأنسوا في أهلهم ، واستمتعوا ذوداً لسويد بن زيد ، فلما شربوا عتقهم ، ركبوا إلى رفاعه بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعه بن زيد تلك الليلة ، أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبنجة بن زيد ، وبرذع بن زيد ، وعلبة بن زيد ، ومحرقة بن عدي ، وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبحوا رفاعه بن زيد بكرأج ربة ، بظهر الحرة على بئر هناك من حرة لينى ، فقال له حسان بن ملة : إلك لجالس تحلب للمغزى ونساء جذام أسارى قد غرّها كتابك الذي جئت به ، فدعا رفاعه ابن زيد بحمل له ، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هَلْ أَنْتَ حَيٌّ أَوْ تُنَادِي حَيًّا

ثم غدا وهم معه بأبيّة بن صفارة أخى الخصبىّ المقتول ، مبكرين من ظهر الحرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تُنذِخوا إِبْلكُمْ ، فَتُقَطَّعْ أَيْدِيَهُنَّ ، فَنَزَلُوا عَنْهُمْ وَهَنَ قِيَامٌ ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، أَلَحَّ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ : أَنْ تَعَالَوْا مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ ؛ فلما استفتح رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ الْمَنْطِقَ ، قَامَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ سَجَرَةٌ ، فَرَدَّدَهَا مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَحْذُنَا فِي يَوْمِهِ هَذَا إِلَّا خَيْرًا . ثُمَّ دَفَعَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ كِتَابَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّذِي كَانَ كَتَبَهُ لَهُ . فَقَالَ : دُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدِيمًا كِتَابُهُ ، حَدِيثًا غَدَرَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : اقْرَأْ يَا غُلَامُ ، وَأَعْلِنِ ؛ فلما قرأ كتابه استخبره فَأَخْبَرَهُمْ الْخَبْرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْقَتْلِ ؟ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) . فَقَالَ رِفَاعَةُ : أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْلَمُ ، لَا عَرَمَ عَلَيْكَ حَلَالًا ، وَلَا مُحَلَّلًا لَكَ حَرَامًا ، فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ بْنُ عَمْرٍو : أَطْلُقْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : صَدَقَ أَبُو زَيْدٍ ، ارْكَبْ مَعَهُمْ يَا عَلِيٌّ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ زَيْدٌ أَلَّنَ يُطِيعَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَخُذْ سِيفِي هَذَا ، فَأَعْطَاهُ سَيْفَهُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : لَيْسَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ رَاحِلَةٌ أُرْكَبُهَا ، فَحَمَلُوهُ عَلَى بَعِيرٍ لَشُعْبَةَ بْنِ عَمْرٍو ، يُقَالُ لَهُ مِكْنَحَالٌ ، فَخَرَجُوا ، فَإِذَا رَسُولُ لَزِيدِ بْنِ حَارِثَةَ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلِ أَبِي وَبَرٍ ، يُقَالُ لَهَا : الشَّيْرُ ، فَأَنْزَلُوهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : يَا عَلِيٌّ ، مَا شَأْنِي ؟ فَقَالَ : مَا لَهُمْ ، عَرَفُوهُ فَأَخَذُوهُ ، ثُمَّ سَارُوا فَلَقُوا الْجَيْشَ بَنِي فِجَاءِ الْفَحَّاحَيْنِ ، فَأَخَذُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ ،

حتى كانوا ينزعون لبيد المرأة من تحت الرجل ، فقال أبو جمال حين فرغوا
من شأنهم :

وَعَاذِلْهُ وَلَمْ تَنْفِذْ بِطَبِّهِ وَلَوْلَا نَحْنُ حُشٌّ بِهَا السَّيْرِ

تُدَافِعُ فِي الْأَسَارَى بِابْتِغَائِهَا وَلَا يُرْجَى لَهَا عِثْقُ يَسِيرِ

وَلَوْ وَكَلْتَ إِلَى عُمُوسٍ وَأَوْسٍ تَخَارَ بِهَا عَنِ الْعِثْقِ الْأُمُورُ

وَلَوْ شَهِدْتَ رَكَابِنَا بِمَضَرٍ تُحَاذِرُ أَنْ يُعَلَّ بِهَا السَّيْرِ

وَرَدْنَا مَاءَ يَثْرِبَ عَنْ حِفَاطٍ لَرَبْعٍ إِنَّهُ قَرَبٌ ضَرِيرُ

يَكُلُّ مُجَرَّبٌ كَالسَّيِّدِ نَهْدٍ عَلَى أَقْتَادٍ نَاجِيَةٍ صَبُورُ

فِدَى لَأَبَى سُلَيْمَى كُلِّ جَيْشٍ يَيْثَرِبُ إِذْ تَنَاطَلَتِ النُّجُورُ

غَدَاةَ تَرَى الْمُجَرَّبَ مُسْتَكِينًا خِلَافَ الْقَوْمِ هَامَتُهُ تَدُورُ

قال ابن هشام : قوله : ﴿ وَلَا يُرْجَى لَهَا عِثْقُ يَسِيرٍ ﴾ . وقوله : ﴿ عَنْ عِثْقِ الْأُمُورِ ﴾ عن غير ابن إسحاق .

تَمَّتِ الْفَرَاةُ ، وَهَدْنَا إِلَى تَفْصِيلِ ذِكْرِ السَّرَايَا وَالْبُعُوثِ .

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطرف من ناحية نَحْلٍ .
من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة

بعض من أصيب بها

وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادى القرى ، أتى به بنى فزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وارث زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو ابن مَدَاش ، وكان أحد بنى سعد بن هذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هذيم .

معاودة زيد لهم

قال ابن إسحاق : فلما قَدِمَ زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غِسل من جَنَابَةٍ حتى يغزو بنى فزارة ؛ فلما اسْتَقْبَلَ من حِرَاحَتِهِ بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة في جيش ، فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قَيْسُ بنُ المُسَحَّرِ اليَمُومِيُّ مَسْعَدَةَ بنَ حَكَمَةَ بنِ مَالِكِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْر ، وأسیرت أم قِرْفَةَ فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت عَجُوزاً كبيرة عند مالك بن حُذَيْفَةَ بنِ بَدْر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مَسْعَدَةَ ، فأمر زيد بن حارثة قَيْسَ بنَ المُسَحَّرِ أن يَقْتُلَ أم قِرْفَةَ ، فقتلها قتلاً عَنيفاً ؛ ثم قَدِمُوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قِرْفَةَ ، وبابن مَسْعَدَةَ .

شأن أم قرفة

وكانت بنت أم قِرْفَةَ لِسَلَمَةَ بنِ عمرو بن الأَكُوْع ، كان هو الذى أصابها ،

.....

وكانت في بيت شرف من قومها ؛ كانت العرب تقول : لو كنت أعز من أم
قرقة ما زدت . فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة ، فوهبها له ، فأهداها
خلاله حزن بن وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

شعر ابن المسحر في قتل مسعدة

قتال قيس بن المسحر في قتل مسعدة :

سَمِعْتُ بَوْرِدَ مِثْلَ سَعْنَى ابْنِ أُمِّهِ وَإِنِّي بَوْرِدٌ فِي الْحَيَاةِ لَكَائِرٌ
كَرَرْتُ عَلَيْهِ الْمَهْرَ لَمَّا رَأَيْتُهُ عَلَى بَطَالٍ مِنْ آلِ بَدْرِ مُنَاوِرٌ
فَرَكَبْتُ فِيهِ قَعَصِيًّا كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِمَعْرَاةٍ يُدَكِّى لِنَاظِرِ

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام

وغزوة عبد الله بن رواحة خير مرتين : إحداهما التي أصاب فيها اليسير
بن رزام . قال ابن هشام : ويقال ابن رازم .

مقتل اليسير

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان اغزو
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه ، منهم عبد الله بن أنيس ، حليف بني
سليمة ، فلما قدموا عليه كلّموه ، وقرّبوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم استملاك وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج

مهمم في نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر ، على ستة أميال ، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطن له عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليسير بمخروش في يده من شوحط ، فأثم ، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلاً واحداً أفلت على رجله ؛ فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل على شجته ، فلم تقح ولم تؤذ .

غزوة ابن عتيك خيبر

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحقيق .

غزوة عبد الله بن أنيس

لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي

مقتل ابن نبيح

وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلة أو بمرنة ، يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليفزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبد الله

ابن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن أبي نجيح الكندي يجمع لي الناس ليفزوني ، وهو بنخله أو بعزته ، فأنه فاقته . قلت : يا رسول الله ، انتمه لي حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قسمة . قال : فخرجت متوشحاً سيفي ، حتى دُفعت إليه وهو في ظم من يرتاد لمن منزلاً ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القسمة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك ويجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إني لفي ذلك . قال فمشيت معه شيئاً ، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظمائه منسكباً عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأني ، أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يا رسول الله . قال : صدقت .

إهداء الرسول عصا لابن أنيس

ثم قام بي ، فأدخلني بيته ، فأعطاني عصاً ، فقال : أمسك هذه العصا عندك يا هبة الله بن أنيس . قال : فخرجت بهم على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرني أن أمسكها عندي . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتني

هذه القصص؟ قال : آية ينبي وبينك يوم القيامة . إن أقل الناس المتخضرون يومئذ ، قال : قترها عبد الله بن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت في كفنه ، ثم دفننا جميعاً .

شعر ابن أنيس في قتله ابن نبيح

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في ذلك :

تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالْخَوَارِ وَخَوَّلَهُ نَوَاحٍ تُفَرِّي كُلَّ جَنَيبٍ مُقَدِّدٍ
تَنَاوَلْتُهُ وَالظُّعْمُنُ خَلَقِي وَخَلَقَهُ بِأَجْيَعٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهْمَدٍ
عَجُومٍ لِهَامِ الدَّارِعِينَ كَأَنَّهُ شِهَابٌ غَضِي مِنْ مُلْهَبٍ مَتَوَقِّدٍ
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَنْجُمُ وَأَسَافُهُ أَنَا ابْنُ أَنْيَسٍ فَارِسًا غَيْرَ مُقَدِّدٍ
أَنَا ابْنُ الْقَدَى لَمْ يُنْزِلِ الدَّهْرُ قَدْرَهُ رَحِيبُ فِئَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مُزَنَّدٍ
وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَا جِدِ حَنِيفٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَكُنْتُ إِذَا هُمْ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللَّسَانِ وَبِالْيَدِ
تَمَّتْ لِلنَّزَاةِ ، وَعُدْنَا إِلَى خَيْرِ الْعَمُوثِ .

غزوات آخر

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله ابن رواحة مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعاً ، وغزوة كعب بن عمير الغفاري ذات أطلاق ، من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً . وغزوة عُمَيَّة بن حصن بن حَذَيفَةَ بن بدر بن العنبر من بني تميم .

غزوة عيثة بن حصن بن الغنبر من بني تميم

وعد الرسول عائشة بإعطائها سبياً منهم لتعتقه

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ، وسبي منهم أناساً .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إن كل رَقَبَةٍ من ولد إسماعيل . قال : هذا سَبْيُ بني الغنبر يُقدِّم الآن ، فدمطيك منهم إنساناً فتعتقيه .

بعض من سبي وبعض من قتل وشعر سلمى في ذلك

قال ابن إسحاق : فلما قَدِمَ بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من بني تميم ، حتى قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم ربيعة بن رُفيع ، وسبرة بن عمرو ، والقمقاع بن معبد ، ووزدان بن مُحَرِّز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفراس بن حابس ؛ فكلَّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فأعتق بعضاً ، وأفدى بعضاً ، وكان ممن قُتل يومئذ من بني الغنبر : عبدُ الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشداد بن فراس ، وحنظلة بن دارم ، وكلاء ممن سَبِيَ من نساءهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكلاس بنت أري ، ونجوة بنت نهد ، ومُجمِعة بنت قيس ، وعمره بنت مَطَر . فقالت في ذلك اليوم سلمى بنت عَتَّاب :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ عَدِيَّ بْنَ جَنْدَبٍ مِنْ الشَّرِّ مَهْوَاً شَدِيداً كَثُودَهَا
تَكْتَفِيهَا الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغُيِبَ عَنْهَا عِزُّهَا وَجُدُودَهَا

شعر الفرزدق في ذلك

قال ابن هشام : وقال الفرزدق في ذلك :

وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ قَامَ ابْنُ حَابِسٍ بِخُطَّةٍ سَوَّارٍ إِلَى الْمَجْدِ حَازِمٍ
لَهُ أَطْلَقَ الْأَسْرَى الَّتِي فِي حَبَالِهِ مُنْذَلَّةً أَعْنَأَقَهَا فِي الشَّكَاكِمِ
كَفَى أُمَمَاتِ الْخَلَائِقِ عَلَيْهِمْ غِلَاءُ الْمُغَادِي أَوْ سِيَاهُ الْقَاسِمِ
وهذه الأبيات في قصيدة له . وعدى بن جندب من بني العنبر ، والعنبر
ابن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بني مرة

مقتل مرداس

قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلاب ليث - أرض
بني مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفاً لهم من الحُرقة ، من جهينة ،
قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن هشام : الحُرقة ، فيما حدثني عبيدة .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته

أنا ورجل من الأنصار ، فلما شهِرنا عليه السلاح ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله .
 قال : فلم تَنْزِعْ عنه حتى قتلناه ؛ فلما قَدِمْنَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أخبرناه خبره ؛ فقال يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت :
 يا رسول الله ، إنه إنما قالها نموءاً بها من القتل . قال : فن لك بها يا أسامة ؟
 قال : فوالذي بعثه بالحق ما زال يردّها عليّ حتى لوددت أن ماضى من
 إسلامي لم يكن ، وأني كنت أسلمت يومئذ ، وأني لم أقتله ؛ قال : قلت :
 أنظرنى يا رسول الله ، إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً ،
 قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

إرسال عمرو ثم إمداده

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عُدْرة ، وكان من
 حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث يستنفر العرب إلى الشام وذلك
 أن أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بَيْلَى . فبعثه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُدَام ، يُقال له
 السِّلْسَل . وبذلك سميت تلك الغزوة ، غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه
 خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمدّه ، فبعث إليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أبا عُبَيْدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر
 وعمر ؛ وقال لأبي عُبَيْدة حين وجهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عُبَيْدة حتى إذا قَدِمَ
 عليه ، قال له عمرو : إنما جئت ددألى ، قال أبو عُبَيْدة : لا ، ولكنى على

ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلاً ليناسهلاً ، هيناً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لي ، فقال أبو عبيدة : يا عمرو ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : لا تختلفا ، وإنك إن عصيتني أطعته ، قال : فإني الأمير عليك ، وأنت مدد لي ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

وصية أبي بكر رافع بن رافع

قال : وكان من الحديث في هذه الغزاة ، أن رافع بن أبي رافع الطائي ، وهو رافع بن عبيدة ، كان يحدث فيما يلقى عن نفسه ، قال : كنت امرأة نصرانياً ، وسميت مروجين ، فكنت أدرك الناس وأهداهم بهذا الرمّل ، كنت أدفن النساء في بيض النعام ينوحن الرمل في الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فإذا أصحلتها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلعني فيه ، حتى أمرت بذلك الماء الذي خوات في بيض النعام فأستخرج به ، فأشرب منه ، فلما أصحلت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال فقلت : والله لأختارن نفسي صاحباً ، قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه في رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له فدكية ، فكان إذا نزلنا بسطها ، وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفاراً : نحن نباع ذا القباءة ! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : يا أبا بكر ، إنا صاحبك لينفعني الله بك ، فانصحنى وعلمني ، قال : لو لم تسألني ذلك لفعلت ، قال : أملك أن توحد الله ولا تشرك به شيئاً ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتي الزكاة ،

وتصوم رمضان ، ونحج هذا البيت ، وتنقل من الجنابة ، ولا تنأثر على رجل من المسلمين أبداً . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أحداً أبداً ، وأما الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن بك لي مال أو دها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه أبداً إن شاء الله ، وأما الحج فلن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فساغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهاني عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتني لأجهدك ، وسأخبرك عن ذلك ، إن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً ، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ لله وجيرانه ، وفي ذمته ، فإياك لا تخفّر الله في جيرانه ، فيبتلك الله في خوفه ، فإن أحدكم يخفّر في جاره ، فيظل نائباً عضله ، غضباً لجاره أن أصيب له شاة أو بدير ، فإله أشد غضباً لجاره . قال : ففارقه على ذلك .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر أبو بكر على الناس ، قال : قدّمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتني عن أن أتأمر به رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فما حلك على أن تلي أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بدءاً ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم للفرقة .

• • • • •

تقسيم عوف الأشجعي الجزور بين قوم

قال ابن إسحاق : أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حدث عن عوف ابن مالك الأشجعي ، قال : كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعمر ، فررتُ بقوم على جزور لهم قد نحرّوها ، وهم لا يقتلون على أن يُنضّوها ، قال : وكنت امرأً كَيِّقًا جازرًا ، قال : قُلت : أتعطونني منها عَشِيرًا على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت للشَّفَرَتَيْنِ ، فجزأتها مكاني ، وأخذت منها جزءًا ، فحملته إلى أصحابي ، فاطَّبعناه فأكلناه . فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أتى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمنا هذا ، ثم قاما يتقيَّآن مافي بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجنَّته وهو يصلي في بيته ؛ قال : قُلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قال : أعوفُ بن مالك ؟ قال : قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي ، قال أصحاب الجزور ؟ ولم يزدني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئًا .

غزوة ابن أبي حدرد بطن إصم وقتل عامر

ابن الأضبط الأشجعي

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القَعْقَاعِ بن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد ، قال : بعثنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إصم في نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة
الخارث بن ربيعة ومحمّل بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطان
إصم ، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي ، على قموذ له ، فوسعه مُتَّعٍ له ووطب
من لبن . قال : فلما مرّ بنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحل عليه
محمّل بن جثامة ، فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره وأخذ متّعه . قال : فلما
قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى
إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ النساء :
٩٤ ... إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو هريرة بن العلاء : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ
السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ لهذا الحديث .

ابن حابس وابن حصن

يختصمان في دم ابن الأضبط إلى الرسول

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد
ابن ضمرة بن سعد السلمي يحدث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده ،
وكانا شهدا حينئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عد إلى ظل شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بخنّين ،
فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، يختصمان

في عامر بن أضيظ الأشجعي : عُيَيْنَةُ يَطْلُبُ بَدَمَ عَامِر ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ رَئِيسُ
غَطَّافَانِ ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَدْفَعُ عَنْ حِلْمِ بْنِ جَنَامَةَ ، لِمَسْكَانِهِ مِنْ خَنْدَفٍ ،
فَتَدَاوَلَا الْخَصُومَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ ، فَسَمِعْنَا
عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ يَارَسُولَ اللَّهِ لَا أَدْعُهُ حَتَّى أَذِيقَ نِسَاءَهُ مِنَ الْحَرْقَةِ
مِثْلَ مَا أَذَاقَ نِسَائِي ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ
خَمْسِينَ فِي سَفَرِنَا هَذَا ، وَخَمْسِينَ إِذَا رَجَعْنَا ، وَهُوَ بِأَبِي عَلَيْهِ ، إِذْ قَامَ رَجُلٌ مِنْ
بَنِي لَيْثٍ ، يُقَالُ لَهُ : مُـكْثِرٌ ، قَصِيرٌ تَجْمُوعٌ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : مُـكْثِلٌ -
فَقَالَ : وَاللَّهِ يَارَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَدْتُ لِهَذَا الْقَتِيلِ شَيْهًا فِي غُرَّةِ الْإِسْلَامِ إِلَّا كَفَّمْتُ
وَرَدْتُ فَرْمِيَّتَ أَوْلَاهَا ، فَفَرَرَتْ أُخْرَاهَا ، أَسْنَنَ الْيَوْمَ ، وَغَيْرُ غَدَاً . قَالَ : فَرَفَعَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ . فَقَالَ : بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ خَمْسِينَ فِي سَفَرِنَا
هَذَا ، وَخَمْسِينَ إِذَا رَجَعْنَا . قَالَ : فَاقْبَلُوا الدِّيَةَ . قَالَ : ثُمَّ قَالُوا : أَيْنَ صَاحِبُكُمْ هَذَا ،
يَسْتَعْفِرُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : فَقَامَ رَجُلٌ آدَمُ ضَرْبُ طَوِيلٍ ،
عَلَيْهِ حُلَّةٌ لَهُ ، قَدْ كَانَ تَهَيَّأَ لِلْقَتْلِ فِيهَا : حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : أَنَا حِلْمُ بْنُ جَنَامَةَ ، قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَقْفِرْ لِحِلْمِ بْنِ جَنَامَةَ ثَلَاثًا . قَالَ :
فَهَامَ وَهُوَ يَتَلَقَّى دُمْعَةً بِفَضْلِ رَدَائِهِ . قَالَ : فَأَمَّا نَحْنُ فَتَقُولُ فِيمَا بَيْنَنَا : إِنَّا لَنَرْجُو
أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اسْتَعْفَرَ لَهُ ، وَأَمَّا مَا ظَهَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا .

موت محم وما حدث له

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم عن الحسن البصري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أُمِّتَته بالله ثم قتلته ! ثم قال له المقالة التي قال ؛ قال : فوالله ما مكث محم بن جثامة إلا سبها حتى مات ، فلفظته - والذي نفس الحسن بيده - الأرض ، ثم عادوا له ، فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته ؛ فلما غلب قومه همدوا إلى صُدين ، فسطحوه بينهما ثم رضوا عليه الحجارة حتى واروه . قال : فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حرّم ما بينكم بما أراكم منه .

دية بن الأضبط

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث : أن عُيينة بن حصن وقيساً حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يامعشر قيس ، منعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتيلاً يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته ، أو أن يفضب الله عليكم بفضبه ؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتسلمننه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصنمن فيه ما أراد ، أو لآتين بخمسين رجلاً من بني تميم يشهدون بالله كلهم . أقتل صاحبكم كافراً ، ماضى قط ، فلا تطلن دمه ؛ فلما سمعوا ذلك ، قبلوا الدية .

قال ابن هشام : محمٌ في هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محم
ابن جثامة بن قيس اللبي .

قال ابن إسحاق : ما جثم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعه بن قيس الجشمي

سبها

قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبي حدرد الأسلمي الغابة .

وكان من حديثها فيما بلغني ، عن لا أنهم ، عن ابن أبي حدرد ، قال :
تزوجت امرأة من قومي ، وأصدقتهما مائتي درهم ، قال : فحنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم أسستينه على نيكاحي ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ قلت : مائتي
درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن
وادمازدثم ، والله ما عندي ما أعينك به . قال : فلبتُ أياماً ، وأقبل رجل
من بني جُشم بن معاوية ، يقال له : رفاعه بن قيس ، أو قيس بن رفاعه ،
في بطن جُشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على
على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم في جُشم وشرف . قال :
فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معي من المسلمين ، فقال :
اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارقاً عجماء ،

.

لُحْمٍ عَلَيْهَا أَحَدُنَا ، فَوَاللَّهِ مَا قَامَتْ بِهِ ضَعْفًا حَتَّى دَعَمَهَا الرِّجَالُ مَنْ خَلْفَهَا بِأَيْدِيهِمْ ، حَتَّى اسْتَقَلَّتْ وَمَا كَادَتْ ، ثُمَّ قَالَ : تَيْلَّفُوا عَلَيْهَا وَاعْتَقِبُوا هَا .

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبي حدرود

من فيه استئمان به على الزواج

قال : فرجنا ومعتنا ملاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عُشَيْشِيَّةً مع غروب الشمس . قال : كَمَنْتُ في ناحية ، وأمرت صاحبي ، فكُنَّا في ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقالت لهما : إذا سمعناي قد كَبُرَتْ وشَدَّتْ في ناحية العسكر فكَبِّرَا وشُدَّا ههنا . قال : فوالله إنا لسلك ذلك نَنظُرُ غِرَّةَ القوم ، أو أن نُصِيبَ منهم شيئاً . قال : وقد غَشِينَا اللَّيْلَ حتى ذهبت فَحْمَةُ الْمِشَاءِ ، وقد كان لهم راع قد سَرَّحَ في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تَحَوَّفُوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعَةُ بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله في عنقه ، ثم قال : وَاللَّهِ لَا تَبْعَنَّ أَرَّ رَاعِيْنَا هَذَا ، وَلَقَدْ أَصَابَهُ شَرٌّ ، فَقَالَ لَهُ نَفَرٌ مَعَهُ : وَاللَّهِ لَا تَذْهَبْ ، نَحْنُ نَكْفِيكَ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ إِلَّا أَنَا ؛ قَالُوا : فَتَحْنُ مَعَكَ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَتْبَعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ . قَالَ : وَخَرَجَ حَتَّى يَمْرُبِي . قَالَ : فَلَمَّا أَمَكْنِي نَفَحْتَهُ بِسَهْمِي ، فَوَضَعْتُهُ فِي فَوَادِهِ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْ ، وَوَثَبْتَ إِلَيْهِ ، فَاحْتَزَزْتَ رَأْسَهُ . قَالَ . وشَدَّتْ في ناحية العسكر ، وَكَبُرَتْ ، وَشَدَّ صَاحِبَايَ وَكَبِّرَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا النِّجَاءُ مِنْ فِيهِ ، عِنْدَكَ ، عِنْدَكَ ، بِكُلِّ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، وَمَا خَفَ مَعَهُمْ مِنْ أُمُومِهِمْ . قَالَ : وَاسْتَقْنَا لِإِبِلَا عَظِيمَةٍ ، وَفَمَا كَثِيرَةٌ ، فَجِئْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال : وجئت برأسه أحمله معي . قال : فأعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بغيراً في صدّاق ، فجمعتُ إلى أهلي .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

شيء من وعظ الرسول لقومه

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا آتهم عن عطاء بن أبي رباح ، قال : سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العيّامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومُعَاذ بن جبل ، وحُذَيْفَةُ بن اليمان ، وأبو سميّد الخُدْرِيّ ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل فتى من الأنصار ، فسلمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، أيّ المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقاً ؛ قال : فأيّ المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكراً للموت ، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكّت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا معشر المهاجرين ، خمسُ خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تُدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يُؤمّنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التي لم تكن في أسلافهم الذين مضَوْا ؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور الشيطان ؛

.....

ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم ما مطروا ؛
وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلط عليهم عدو من غيرهم ، فأخذ بعض
ما كان في أيديهم ؛ وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله
إلا جعل الله بأسهم بينهم .

تأثير ابن عوف واعتمائه

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية يمشه عليها ، فأصبح وقد
اعتم بعمامة من كرايس سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم
ثم نقضها ، ثم عتمتها ، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوها من ذلك ،
ثم قال : هكذا بين عوف فاعتم ، فإنه أحسن وأعزف ، ثم أمر بلالا أن
يدفع إليه اللواء . فدفعه إليه حميد الله تعالى ، وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه
يا ابن عوف ، اغزوا جميعاً في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغلوا ،
ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم .
فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .
قال ابن هشام : فخرج إلى دومة الجندل .

غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

نقاد الطعام وخبر دابة البحر

قال ابن إسحاق : وحدثني عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت ، عن أبيه ،
عن جده عباد بن الصامت ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

سَرِيَّةً إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ ، عَلَيْهِمْ أَبُو مُعْبِيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَزُوْدُهُمْ جَرَابًا مِنْ تَمْرٍ ، فَعَمِلَ بِقُوَّتِهِمْ إِيَّاهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى أَنْ يَمُدَّهُ عَلَيْهِمْ عِدْدًا . قَالَ : ثُمَّ نَفِدَ التَّمْرُ ، حَتَّى كَانَ يَعْطَى كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةً . قَالَ : فَقَسَمَهَا يَوْمًا بَيْنَنَا . قَالَ : فَتَقَسَّصْتُ تَمْرَةً عَنْ رَجُلٍ ، فَوَجَدْنَا فَقْدَهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ . قَالَ : فَلَمَّا جَهَدْنَا الْجُلُوعَ أَخْرَجَ اللَّهُ لَنَا دَابَّةً مِنَ الْبَحْرِ ، فَأَصْبَحْنَا مِنْ لَحْمِهَا وَوَدَّ كُفَّهَا ، وَأَقْنَعْنَا عَلَيْهَا عَشْرِينَ لَيْلَةً ، حَتَّى سَمِعْنَا وَابْتَلَنَّا ، وَأَخَذَ أَمِيرُنَا ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهَا ، فَوَضَعَهَا عَلَى طَرِيقِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَجْسِمِ بَعِيرٍ مَعْنَا ، فَعَمِلَ عَلَيْهِ أَجْسِمَ رَجُلٍ مَنَا . قَالَ : فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَخَرَجَ مِنْ تَحْتِهَا وَمَا مَسَّتْ رَأْسَهُ . قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرْنَاهُ خَبَرَهَا ، وَسَأَلَنَاهُ عَمَّا صَنَعْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ أَكْلِنَا إِيَّاهُ ، فَقَالَ : رَزَقَ رِزْقَكُمْوهُ اللَّهُ .

بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه

قدومه مكة وتعرف القوم عليه

قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق من بُعُوثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَرَّايَاهُ بِمَثْعَمِ بْنِ أُمَيَّةِ الضَّمْرِيِّ ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا حَدَّثَنِي مِنْ أَتَقَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، بَعْدَ مَقْتَلِ خُبَيْبِ بْنِ عَدَى وَأَصْحَابِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَبَعَثَ مَعَهُ جُبَّارَ ابْنِ صَخْرٍ الْأَنْصَارِيَّ فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا مَكَّةَ وَحَبَسَا جَلِيلَهُمَا بِشُعْبٍ مِنْ شُعَابِ

يَأْجِجُ ، ثُمَّ دَخَلَ مَكَّةَ لَيْلًا ، فَقَالَ جَبَّارٌ لِعَمْرُو : لَوْ أَنَا طَعْنَا بِالْبَيْتِ وَصَلَّيْنَا رَكْعَتَيْنِ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : إِنْ الْقَوْمَ إِذَا تَعَشَّوْا جَلَسُوا بِأَقْنِيتِهِمْ ، فَقَالَ : كَلَّا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَالَ عَمْرُو : طَعْنَا بِالْبَيْتِ ، وَصَلَّيْنَا ، ثُمَّ خَرَجْنَا نُرِيدُ أَبَا سَفْيَانَ ، فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَمُشِي بِمَكَّةَ إِذْ نَظَرُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَعَرَفَنِي ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ : وَاللَّهِ إِنْ قَدِمَا إِلَّا لَنَسْرَ ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : النَّجَاءُ ، فَخَرَجْنَا نَسْتَدْ ، حَتَّى أَصْعَدَنَا فِي جَبَلٍ ، وَخَرَجُوا فِي طَلَبِنَا ، حَتَّى إِذَا عَلَوْنَا الْجَبَلَ يَتَسَوَّاءُنَا ، فَرَجَعْنَا ، فَدَخَلْنَا كَهْمًا فِي الْجَبَلِ ، فَبَقَيْنَا فِيهِ ، وَقَدْ أَخَذْنَا حِجَارَةً فَرَمْنَاهَا دُونَهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا عَدَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُودُ فَرَسًا لَهُ ، وَيُحْتَلِي عَلَيْهَا ، فَمَشِينَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ ، فَقُلْتُ : إِنْ رَأَيْنَا هَاجَ بَنِي ، فَأَخَذْنَا قَتَلْنَا .

قتله أبا سفيان وهربه

قال : ومضى فخرج قد أعددت له لأبي سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على نذيه ضربة ، وصاح صبيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكاني ، وجاءه الناس يشتدون وهو بأخر رمق ، فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت ، فمات مكانه ، ولم يدل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبي ، لما أمسينا : النجاء ، فخرجنا ليلًا من مكة نريد المدينة ، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدي ، فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقات هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخشب شد عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجوا شدةً ، وخرجوا وراءه حتى أتى جرفًا بمنهبط مسيل يأجج ، فرمى بالخشب في الجرف ،

فَنَبِّهَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، قَالَ : وَقُلْتُ لِصَاحِبِي : النَّجَاءُ النِّجَاءُ ، حَتَّى تَأْتِيَ بِمِيرَاكِ فَتَقْعُدَ عَلَيْهِ ، فَإِنِ سَأَشْفَلَ عَنْكَ الْقَوْمَ ، وَكَانَ الْأَنْصَارِيُّ لَارْجُلَةً لَهُ .

قتله بكرياً في غار

قَالَ : وَمَضَيْتُ حَتَّى أَخْرَجْتُ عَلَى ضَجْنَانِ ثُمَّ أَوَيْتُ إِلَى جَبَلٍ ، فَأَدْخَلْتُ كَهْفًا ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِيهِ ، إِذْ دَخَلَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ أَمُورٌ ، فِي غُنْجِيمَةٍ لَهُ ، فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ فَقُلْتُ : مَنْ بَنَى بَكْرًا ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ بَنَى بَكْرًا ، فَقُلْتُ : مَرَحِبًا ، فَاضْطَجِعْ ، ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ ، فَقَالَ :

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا وَلَا دَانَ لِدِينِ الْمُسْلِمِينَ
فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : سَتَمَلِمُ ، فَأَمَلَيْتُهُ ، حَتَّى إِذَا نَامَ أَخَذْتُ قَوْسِي ، فَجَعَلْتُ سَيْتَهُمَا فِي عَيْنَيْهِ الصَّحِيحَةَ ، ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغْتُ الْعَظَمَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ النَّجَاءَ ، حَتَّى جِئْتُ الْقَرْجَ ، ثُمَّ سَلَكْتُ رَكُوبَةً ، حَتَّى إِذَا هَبَطْتُ النَّقِيعَ إِذَا رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، كَانَتْ قُرَيْشٌ بَعْثَتُهُمَا هَعِينًا إِلَى الْمَدِينَةِ يَنْظُرَانِ وَيَتَحَسَّسَانِ ، فَقُلْتُ : اسْتَأْذِنَا ، فَأَبَيَا ، فَأَرَمِي أَحَدَهُمَا بِسَهْمٍ فَأَقْتَلُهُ ، وَاسْتَأْذِنَا الْآخَرَ ، فَأَوْتَنَاهُ رِبَاطًا ، وَقَدِمْتُ بِهِ الْمَدِينَةَ .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

بَعَثَهُ هُوَ وَضَمِيرَةُ وَقِصَّةُ السَّبْيِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَسَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى مَدِينٍ . ذَكَرَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ ، عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ الرِّضْوَانُ اللَّهُ ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضَمِيرَة
مولى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سَبِيًّا من
أهل مِثْناء ، وهى السواحل ، وفيها جَمَاع من الناس ، فبيعوا ، ففُرِّقَ بينهم ،
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقال : ما لهم ؟ قليل :
بارسول الله ، فُتِّقَ بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبعيهم
إلا جِيعًا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبي علفك

سبب نفاق أبي علفك

قال ابن إسحاق : وغزوة سالم بن عمير لقتل أبي علفك ، أحد بني عمرو
ابن عوف ثم من بني عُبَيْدَة ، وكان قد نجم نِفَاقَهُ ، حين قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحارث بن سُوَيْد بن صامت ، فقال :

لَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا وَمَا إِن أَرَى مِنْ النَّاسِ دَارًا وَلَا تَجْمَعَا
أَبْرَءُ عُهُودًا وَأَوْفَى لِعَنَ مُبَاعِدَ فِيهِمْ إِذَا مَا دَعَا
مِنْ أَوْلَادِ قَبِيلَةٍ فِي تَجْمِعِهِمْ يَهْدُ الْجِبَالَ وَلَمْ يَخْضَعَا
فَصَدَّمَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ حَالًا حَرَامًا لَشَى مَعَا
فَلَوْ أَنَّ بِالْعِزِّ صَدَقْتُمْ أَوْ الْمُلْكِ تَابَعْتُمْ مُتَّبَعَا

.....

قتل ابن عمير له وشعر المزيرية

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم
ابن ميمر ، أخو بني عمرو بن عوف ، وهو أحد البكّائين ، فقتله ، فقالت
أمامة المزيرية في ذلك :

تُكَذِّبُ دِينَ اللَّهِ وَالْهَرَّةَ أَحَدًا لِعَمْرٍو الَّذِي أَمْنَاكَ أَنْ يَنْتَرِمَا يَمْنِي
حَبْلَكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَمَعَةً أَبَا عَفْكَ خُذْهَا عَلَى كَبِيرِ السَّنِ

غزوة عمير بن عدى الخطمي لقتل عصماء بنت مروان

فناقتها وشعرها في ذلك

وغزوة عمير بن عدى الخطمي عصماء بنت مروان ، وهي من بنى أمية
ابن زيد ، فلما قُتل أبو عَفْكَ نافقت ، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل
عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خطمة ، ويقال له يزيد بن زيد
فقال تعيب الإسلام وأهله :

بَاسَتْ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيتِ وَعَوْفٍ وَهَاسَتْ بَنِي الْخَزَرَجِ
أَطَقْتُمْ أَتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْهِجِ
تُرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرَّهْوسِ كَمَا يُرْجَى مَرَقَ الْمُتَضَجِ
أَلَا أَيْفَ يَنْبَغُنِي غِرَّةٌ فَيَقْطَعُ مِنْ أَمَلِ الْمُرْجَى

شعر حسان في الرد عليها

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، فقال :

بَنُو وَائِلٍ وَبَنُو وَاقِفٍ وَخَطْمَةُ دُونَ بَنِي الْخَزَرَجِ
مَتَى مَادَعَتْ سَفْهًا وَنَحْمًا بِمَوَلَّتِهَا وَالتَّنْأِيَا تَجِي
فَهَزَّتْ قِي مَا جِدَا عِرْقَهُ كَرِيمُ الدَّخِيلِ وَالْمَخْرَجِ
فَصَرَجَهَا مِنْ تَجْمِيعِ الدَّمَا بِسَدِّ الْهُدُوءِ فَلَمْ يَخْرُجِ

خروج الخطمي لقتلها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، أَلَا آخِذٌ لِي مِنْ ابْنَةِ
مُرْوَانَ ؟ فَمَسَّحَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَيْرُ بْنُ عَدَى
الْخَطْمِيُّ ، وَهُوَ عِنْدَهُ ؛ فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَرَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا فَقَتَلَهَا ،
ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي
قَدْ قَتَلْتُهَا . فَقَالَ نَصَرْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَا عُمَيْرُ ، فَقَالَ : هَلْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا يَنْقَطِعُ فِيهَا عَظْرَانٌ .

شأن بنى خطمة

فرجع عُمَيْرٌ إِلَى قَوْمِهِ ، وَبَنُو خَطْمَةَ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ مُوْجِهٌ فِي شَأْنِ بِنْتِ
مُرْوَانَ ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ بَنُونَ خَمْسَةَ رِجَالٍ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ عَدَى مِنْ عِنْدِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : يَا بَنِي خَطْمَةَ ، أَنَا قَتَلْتُ ابْنَةَ مُرْوَانَ ،

.....

فكيدوني جميعاً ثم لا تنظروا . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار
بنى خطمة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم
من بنى خطمة عمير بن عدى ، وهو الذي يُدعى للقارىء ، وعبد الله بن أوس ،
ابن ثابت ، وأسلم ، يوم قُتل ابنة مروان ، رجال من بنى خطمة ، لما رأوا
وخزيمة من عز الإسلام .

أسر ثمامة بن أثال الحنفي وإسلامه

والسرية التي أسرت ثمامة بن أثال الحنفي

إسلامه

بلغني عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال : خرجت خيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت رجلاً من بني حنيفة ، لا يشعرون
من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتدرون من
أخذتم ، هذا ثمامة بن أثال الحنفي ، أحسنوا إسلامه . ورجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابشروا به
إليه ، وأمر بلفحته أن يُغدى عليه بها ويُرّاح ، فجعل لا يقع من ثمامة موقفاً
ويأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : إني يا محمد ،
إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن ترد الفداء فسل ما شئت ، فكث ما شاء الله أن يمكث ،
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى
أتى البقيع ، فظهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فهاج لثني صلى الله عليه وسلم

على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وبالأقحى فلم يُصب من حلابها إلا يسيرا ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : ممّ تعجبون ؟ أمين رجل أكل أولَ النهار في مِتي كافر ، وأكل آخرَ النهار في مِتي مسلم ! إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل في مِتي واحد .

خروجه إلى مكة وقصته مع قريش

قال ابن هشام : فبلغني أنه خرج مُعتبرا ، حتى إذا كان ببطن مكة لقي ، فكان أول من دخل مكة يُلبّي ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم ، فخلّوه ، فقال الحنفى في ذلك :

وَمِنَّا الَّذِي آتَى بِمَكَّةَ مُنْهَلًا بَرَّغَمَ أَبِي سُفْيَانَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ

حدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغض الوجوه إليّ ، ولقد أصبحَ وهو أحبُّ الوجوه إليّ . وقال في الدين والبلاد مثل ذلك .

ثم خرج معتبرا ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصبوت بأتمام ؟ فقال : لا ، ولكني أتيت خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا تنصل إليكم حبة من اليمامة حتى بأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمَنَعَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا إِلَى مَكَّةَ شَيْئًا ، فَكَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكَ

• • • • •

تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ،
والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخل بينهم
وبين الخمل .

سرية علقمة بن مجزز

سبب إرسال علقمة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز .
لما قُتل وقاص بن مجزز المذلي يوم ذي قرد ، سأل علقمة بن مجزز
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه في آثار القوم ، ليدرك ناره فيهم .

دعابة ابن حذافة مع جيشه

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن
الحكم بن ثوبان ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم علقمة بن مجزز - قال أبو سعيد الخدري : وأنا فيهم - حتى إذا
بلغنا رأس غزأتنا أو كُنَّا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل
عليهم عبد الله بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وكانت فيه دعابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ، ثم قال
للقوم : أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفأنا آمركم بشيء
إلا فعملتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توابتم

.

في هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز ، حتى ظن أنهم واثبون فيها . فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أمركم بمقصية منهم فلا تطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يأتوا كيداً .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً

شأن يسار

حدثني بعض أهل العلم ، عن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة محارب وفي ثعلبة عبداً يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاح له كانت ترعى في ناحية الجلاء ، فقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كُتِبَ من بجميلة ، فاستوثبوا ، وطَحَلوا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

قتل البجليين وتنكيل الرسول بهم

فلما صحوا وانظوت بطونهم ، عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسار ، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبث رسول الله

صلى الله عليه وسلم في آثارهم كُرُز بن جابر ، فَلَاحِقَهُمْ ، فَاتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم مَرَجَهُ مِنْ غَزْوَةِ ذِي قَرَدَ ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ،
وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ .

غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن

وغزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو اللدني : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن أبي طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد في جُند آخر ، وقال :
إن التقيما فالأمير علي بن أبي طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد في حديثه ، ولم يذكره في عدة
البعوث والسرايا ، فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

وهو آخر البعث

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد
ابن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يؤمّل الخيل تُخَوِّمُ البقاع والداروم ، من أرض
فلسطين فتجهر الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

.....

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدء الشكوى

قال ابن إسحاق : فبينما الناس على ذلك ابتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فساكن أول ما ابتدى به من ذلك ، فيما ذكر لى ، أنه خرج إلى بقيع النرقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدى بوجهه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن عمر ، عن عبيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مؤييبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا مؤييبة ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم بأهل المقابر ، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، ينبغي آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ؛ ثم أقبل على ، فقال : يا أبا مؤييبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، تغيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة . قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، نخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا مؤييبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ،

.

ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعته الذي قبضه الله فيه .

عريضه في بيت عائشة

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي ، وأنا أقول : وارأساء ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساء . قالت : ثم قال : وما ضرك لو مت قبل ، فممت عليك وكففتك ، وصليت عليك ودفتك ؟ قالت : قلت : والله لكانني بك ، لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي ، فأعرست فيه بيمض نساءك ، قالت : فقبستم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنام به وجعته ، وهو يدور على نائه حتى استمر به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذن له .

حجة الوداع

ذكر فيها حديث عائشة وقولها : فأهلاًنا بالحج وما نذكر إلا أمر الحج ، وهذا يدل على أنهم أفردوا ، وقد بين ذلك جابر في حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أفرد الحج ، وهذا هو الصحيح في حديث جابر^(١) ، وقد روى

(١) يقول الإمام ابن القيم : « ولما قلنا إنه أحرم قارناً لبضعة وعشرين حديثاً صحيحة صريحة في ذلك ، ثم ساق - رضي الله عنه - اثنين وعشرين حديثاً =

من طُرُقِ فِيهَا لَيْتَنَ عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ قَرَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، وَطَافَ لَهَا طَوَافًا وَاحِدًا ، وَسَعَى لَهَا سَفِيًا وَاحِدًا ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ ^(١) ، وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ جَابِرًا قَالَ : حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ حِجَّاتٍ ، حِجَّتَيْنِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ ، وَحِجَّةً الَّتِي قَرَنَهَا بِعُمْرَتِهِ ^(٢) ، وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فَصَحِيحٌ ، وَقَالَ فِيهِ : طَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ حِجَّتِهِ وَعُمْرَتِهِ طَوَافًا وَاحِدًا ، وَقَدْ اخْتَلَفَ عَنْ عَلِيٍّ ، فَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ طَافَ عَنْهُمَا طَوَافَيْنِ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ قَارِنًا ، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ عُمَرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، فِي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَارِنًا ، وَأَمَّا حَدِيثُ أَنَسٍ فَصَرَّحَ فِيهِ بِأَنَّهُ كَانَ قَارِنًا ، وَقَالَ : مَا تُمَدُّونَا إِلَّا صَبِيحًا نَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْرُخُ بِهِمْ - أَجِيعًا ^(٣) يَعْنِي الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ ، فَاخْتَلَفَتْ الرِّوَايَاتُ فِي إِحْرَامِ

== بِتَدْلِهَا عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْرَمَ قَارِنًا لَا مُفْرَدًا ، ثُمَّ نَقَلَ عَنْ شَيْخِهِ الْإِمَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ مَا يُوَكِّدُ بِهِ أَنَّ الْإِحْرَامَ فِي هَذَا مُتَّفَقٌ لَا مُخْتَلَفٌ ، وَإِنْ بَدَتْ بَطْوَاهُهَا مُخْتَلَفَةٌ . فَرَأَيْتُهُ فِي فَصْلِ رَأَيْتُ لِلْإِمَامِ الْجَلِيلِ ٣٦٩ وَمَا بَعْدَهَا ١٠ زَادَ الْمَعَادَ .

(١) وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ . وَفِيهِ الْحِجَاجُ بْنُ أَرْطَاةَ . وَحَدِيثُهُ كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ لَا يَنْزِلُ عَنْ دَرَجَةِ الْحَسَنِ مَا لَمْ يَنْفَرِدْ بِهِ ، أَوْ يَخَالَفَ الثَّقَاتَ .
(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ سَفِيَّانَ . قَالَ : وَسَأَلْتُ مُحَمَّدًا - يَعْنِي الْبُخَارِيَّ - عَنْ هَذَا فَلَمْ يَعْرِفْهُ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ ، وَفِي رِوَايَةٍ : لَا يَعِدُّ هَذَا الْحَدِيثَ مَحْفُوظًا . وَإِنَّمَا يَرَوِي عَنْ الثَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبْعِيِّ عَنْ مجاهد مرسلًا .

(٣) وَفِي رِوَايَةٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لِيَكْ حِجًّا وَعُمْرَةً ، وَحَدِيثُ أَنَسٍ فِي الصَّحِيحِينَ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ترى : هل كان مُفْرِداً أو قَارِناً ، أو مُتَمَتِّعاً ، وكلها صِحَاحٌ إِلَّا مَنْ قَالَ : كان مُتَمَتِّعاً ، وأزاد به أنه أَهْلُ بُمُتْرَةٍ ، وأما مَنْ قَالَ : تَمَتَّعَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَى : أَمَرَ بِالْتَمَتُّعِ ، وَفَسَخَ الْحُجَّ بِالْعُمْرَةِ ، فقد يصح هذا التأويلُ ، ويصح أيضاً أن يُقَالَ تَمَتَّعَ إِذَا قَرَنَ ، لأنَّ الْقِرَانَ ضَرْبٌ مِنَ التَّمَتُّعِ لِمَا فِيهِ مِنْ إِسْقَاطِ أَحَدِ السَّفَرَيْنِ . والذي يرفع الإشكالَ حديثُ البخارى أنه أَهْلُ بِالْحُجِّ ، فلما كان بِالْتَمَتُّعِ أَنَاهُ جَبْرِيلُ ، فقال له : إِنَّكَ بِهَذَا الْوَادِى الْمُبَارَكِ ، فَقُل : كَلْبَيْكَ بِحُجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مَعاً ، فقد صار قَارِناً بعد أن كان مُفْرِداً ، وصح القولان جميعاً ، وأمرُهُ لأَصْحَابِهِ أَنْ يَفْسَخُوا الْحُجَّ بِالْعُمْرَةِ خُصُوصَ لَهُمْ ، وليس لغيرهم أَنْ يَفْعَلَهُ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِئَذْهَبَ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي تَحْرِيمِهِمُ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحُجِّ ، فَكَانُوا يَرُونَ الْعُمْرَةَ فِي أَشْهُرِ الْحُجِّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ، ويقولون : إِذَا بَرَأَ الدَّبْرُ ^(١) ، وَعَقَا الْأَثَرُ ، وَانْسَلَخَ صَفَرُ حَلَّتِ الْعُمْرَةُ لِمَنْ اعْتَمَرَ ، وَلَمْ يَفْسَخْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَّهَ كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُهُ ، لِأَنَّهُ سَأَلَ الْهَذْيَ ، وَقَلَّدهُ ، وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَذْيُ مَحِلَّهُ ﴾ وَقَالَ حِينَ رَأَى أَصْحَابَهُ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمْ خِلَافُهُ : لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِى مَا اسْتَدْبَرْتُ لَجَمَلَتِهَا عُمْرَةٌ ، وَلَمَّا سُمِّتُ الْهَذْيَ ^(٢) ، قَالَ شَيْخُنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّمَا نَدِمَ عَلَى تَرْكِ

(١) الدبر : الجرح الذى يكون فى ظهر البعير . . وقيل : هو أن يقرح خف البعير .

(٢) فى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : د أهل المهاجرون والانصار وأزواج النبى د ص ، فى حجة الوداع ، وأمللنا ، فلما قدمنا مكة قال رسول الله =

ما هو أسهل ، وأزفق ، لأعلى ترك ما هو أفضل ، وأوفق ، وذلك لما رأى من كراهة أصحابه لمخالفتيه ، ولم يكن ساق الهدى معه من أصحابه إلا طليحة

== صلى الله عليه وسلم اجعلوا إلهالكُم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى ، ويعلق الإمام ابن القيم على هذا الحديث : ورواية السنن له : ونحن نشهد الله علينا أنا لو أحرمنا بحج لأينما فرضاً علينا فسنه إلى حمرة فمادياً من غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإتباعاً لأمره : فوالله ما ندخ هذا في حياته ولا بعده ، ولا صبح حرف واحد يمارضه ولا خص به أصحابه دون من بعدهم ، بل أجرى الله سبحانه وتعالى على لسان من رآه أن يسأله : هل ذلك يخص بهم ؟ فأجاب بأن ذلك كائن لأبد الأبد . قل ندري ما تقدم على هذه الأحاديث ، ص ٤٢٦ ، ١٠٠ زاد المعاد . وفي هذا رد على السبيل في زعمه أن فسخ الحج بالعمرة كان خصوصاً لأصحاب النبي . ولقد قال سلمة بن شبيب لأحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله كل أمرت عندي حين إلا تلة واحدة قال : وما هي ؟ قال تقول بفسخ الحج إلى العمرة ، فقال : يا سلمة كنت أرى لك عقلاً عندي في ذلك أحد عشر حديثاً صحاحاً عن رسول الله ، ص ، أتركها لقولك ؟ المصدر السابق . ويقول : الإمام ابن القيم أيضاً عن الذين غلطوا في حج النبي ، ص ، : وهم في حجه ضمن طوائف :

الطائفة الأولى التي قالت : حج حجاً مفرداً لم يعتمر معه . الثانية : من قال : حج متمتعاً متمتعاً حل منه ، ثم أحرم بعده بالحج كما قاله القاضي أبو يعلى وغيره . الثالثة : من قال حج متمتعاً لم يحل منه لأجل سوق الهدى ، ولم يكن قارناً كما قاله أبو محمد بن قدامة صاحب المغنى .

الرابعة : من قال حج قارناً قرأناً طاف له طوافين وسعاً له سبعين . الخامسة : من قال : حج حجاً مفرداً . اعتمر بعده من التعميم . ثم بين رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أحرم قارناً وساق الأدلة بالأحاديث . كما قال : حصل الترجيح لرواية من روى القرآن لوجوه عشرة ثم ذكر هذه الوجوه وزاد عليها خمسة أوجه أنظر ص ٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ١ زاد المعاد .

ابن عُبَيْدِ اللَّهِ ، فلم يَحِلَّ حتى نَحَرَ ، وَعَلَى أَيْضًا أَنَّى مِنَ الْيَمَنِ وساق المدي فلم يَحِلَّ إِلَّا بِاخْتِلَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقوله عليه السلام في خُطْبَةِ الْوَدَاعِ : وَرَجَبُ مُضَرٍّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَن رَبِيعَةَ كَانَتْ تُحْرِمُ فِي رَمَضَانَ ، وَتُسَمَّى : رَجَبًا مِنْ رَجَبِ الرَّجُلِ وَرَجَبُهُ إِذَا عَظُمَتْهُ ، وَرَجَبُ الْفَخْلَةِ إِذَا دَعَمَتْهَا ^(١) ، فَبَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ رَجَبُ مُضَرٍّ لَا رَجَبُ رَبِيعَةَ ، وَأَنَّهُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ^(٢) وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ قَوْلُهُ : إِنِ الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ ، وَتَقَدَّمَ اسْمُ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمُسْتَرْضِعِ فِي هُذَيْلٍ ، وَأَن اسْمَهُ آدَمُ ، وَقِيلَ : تَمَامٌ ، وَكَانَ سَبَبَ قَتْلِهِ حَرْبٌ كَانَتْ بَيْنَ قَبَائِلِ هُذَيْلٍ تَقَاذَفُوا فِيهَا بِالْحِجَارَةِ فَأَصَابَ الطِّفْلَ حَجَرٌ وَهُوَ يَحْبُو بَيْنَ الْبُيُوتِ ، كَذَلِكَ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ .

بعث أسامة

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسَامَةَ عَلَى جَيْشٍ كَثِيفٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَغِيرَ عَلَى ابْنِ صِهَابٍ ، وَأَنْ يَحْرِقَ . وَأَبْنَاهُ ، هِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي عِنْدَ مُوْتَةَ حَيْثُ

(١) التَّزَجُّبُ أَنْ يَبْنَى تَحْتَ الذَّنْخَةِ دُكَّانٌ تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ .

(٢) يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ : هَذَا أَضَافَ رَجَبًا إِلَى مُضَرٍّ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْظُمُونَهُ خِلَافَ غَيْرِهِمْ ، فَكَانَتْهُمْ اخْتَصَمُوا بِهِ . وَقَوْلُهُ : بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ تَأْكِيدٌ لِلْيَمَانِ ، وَإِنْ صَاحَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْسُبُونَهُ وَيُؤْخِرُونَهُ مِنْ شَهْرِ إِلَى شَهْرٍ ، فَيَتَحَوَّلُ عَنْ مَوْضِعِهِ الْمُخْتَصَمُ بِهِ ، فَبَيْنَ لَهُمْ أَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ لَا مَا كَانُوا يَسْمُونَهُ عَلَى حِسَابِ النَّسَبِ .

قَتِلَ أَبُوهُ زَيْدٌ ، وَلِذَلِكَ أَمَرَهُ عَلَى حَدِّائَةِ سَيْفِهِ لِيُذْرِكَ ثَأْرَهُ ، وَطَعَنَ فِي إِمَارَتِهِ أَهْلُ الرِّيبِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنَّهُ تَخْلِيقٌ بِالْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ تَخْلِيقًا بِهَا ^(١) ، وَإِنَّمَا طَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، لِأَنَّهُ مَوْلَى مَعَ حَدِّائَةِ سَيْفِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا ذَاكَ ابْنُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَفَةً ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ ، وَكَانَ أَبُوهُ أَيْضًا صَافِي الْبَيَاضِ ، تَزَعُ فِي اللَّوْنِ إِلَى أُمِّهِ بَرَكَةَ ، وَهِيَ أُمُّ أَيْمَنَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ وَيَسُحُّ خَشَمَهُ ، وَهُوَ صَغِيرٌ بِشُوبَةٍ ، وَعَثَرَ يَوْمًا فَأَصَابَهُ جَرَحٌ فِي رَأْسِهِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمَسُّ دَمَهُ وَيَمُجُّهُ ، وَيَقُولُ : لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَحَلَيْنَاهَا ، حَتَّى يُرْغَبَ قَتْلُهَا ، وَكَانَ يَسِي الْحُبِّ مِنَ الْحُبِّ ^(٢) .

عدة الغزوات :

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ عِدَّةَ الْغَزَوَاتِ ، وَهِيَ سِتُّ وَعَشْرُونَ ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ : كَانَتْ سَبْعًا وَعَشْرِينَ ، وَإِنَّمَا جَاءَ الْخِلَافُ ، لِأَنَّ غَزْوَةَ خَيْبَرَ انْصَلَتْ بِغَزْوَةِ وَادِي الْقُرَى ، فَجَعَلَهَا بَعْضُهُمْ غَزْوَةً وَاحِدَةً ، وَأَمَّا الْبَعُوثُ وَالسَّرَايَا فَتَقِيلُ : هِيَ سِتُّ وَثَلَاثُونَ كَمَا فِي الْكِتَابِ ، وَقِيلَ : ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ وَهُوَ قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ ،

(١) رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ ، مِنْ طَرِيقِهِ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ دَخَلَ بَعَثَ بِمَثَا وَأَمَرَ عَلَيْهِمَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ النَّاسَ فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَامَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنْ تَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ ، وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ بَعْدَهُ .

(٢) لَهَا . الْحُبُّ بْنُ الْحُبِّ .

ونسب المسعودي إلى بعضهم أن البعوث والسرايا كانت ستين . قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسع غزوات ، وقال الواقدي : قاتل في إحدى عشرة غزوة ، منها الغابة ووادي القرى والله أعلم .

إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

المحاربون

ذكر فيه إرسال عيسى بن مريم الخواريين ، وأصبح ما قيل في معنى الخواريين أن الخواري هو الخُلصان ، أي الخالص الصافي من كل شيء ، ومنه الخواري ، والخور ، وقول المفسرين هو : الخُلصان كلمة فصيحة ، أنشد أبو حنيفة :

خَلِيلِي خُلصَانِي لَمْ يُبْقِ حُبُّهَا مِنْ الْقَلْبِ إِلَّا عَوْدًا سَبِيحًا ^(١)
قال : والعوذ ما لم تُدرِكْه الماشية لارتفاعه ، أو لأنه بأهداف ، فكانه قد عاذ منها .

معنى المسيح ونهايته :

وأصبح ما قيل في معنى المسيح على كثرة الأقوال في ذلك أنه الصديق

(١) البيت الكيت . وروايته في اللسان : خليلي ، و : سيناها . بدل من : خليلي ، و : سيناها . والعوذ : ما عيذ به من شجر أو غيره وما لم يرق . — مع إلى الأغصان . ومنعه الشجر من أن يرمى من ذلك . وقيل : هي أشياء تكون في غلظ لا ينالها المال . اللسان .

(م ٣٣ — الروض الأنف ج ٧)

بلغتهم ، ثم عَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ . وكان لإرسالُ الْمَسِيحِ للحواريين بعد ما رُفِعَ وصُلبَ الذي شُبِّهَ به ، فجاءت مريمُ الصَّدِّيقَةُ والمرأةُ التي كانت مَجْنُونَةً ، فأبرأها المسيحُ ، وقعدتا عندَ الجذعِ تبكيانِ ، وقد أصاب أمَّهُ من الحزنِ عليه ما لا يعلمُ علمه إلا اللهُ ، فأهبط إليهما ، وقال : على مَ تَبْكِيانِ ؟ فقالتا : عليك ، فقال لى لم أَقْتُلْ ، ولم أَصَابْ ، ولكن الله رَدَّنِي وَكَرَّمَنِي ، وشبَّهَ عليهما فى أمرى ، أبلغا عَنِ الْخَوَارِيِّينَ أَمْرِي ، أَنْ يَلْقَوْنِي فى مَوْضِعٍ كَذَا لَيْلًا ، فجاء الْخَوَارِيُّونَ ذلكَ المَوْضِعَ ، فإذا الْجَبَلُ قد اشتعلُ نوراً لنزوله به ، ثم أمرهم أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إلى دينه وعبادة ربهم ، فوجههم إلى الأُمَمِ التى ذكر ابنُ إسحاق وغيره ، ثم كَسَى كُنُوزَ اللَّائِكَةِ ، فَمَرَّجَ معهم ، فصار مَلَكِيًّا إِنْسِيًّا سَمَائِيًّا أَرْضِيًّا^(١) .

فصل : وذكر فى الأُمَمِ : الأُمَمَةُ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ النَّاسَ ، وهم من الْأَسَاوِدَةِ فيما ذكره الطبرى .

أسطورة زريب :

وذكر فى الْخَوَارِيِّينَ زُرَّابَ بْنَ بَرْتَمَلِي^(٢) وهو الذى عاش إلى زمن .

(١) قصة مخزعة لا ينسبها إلى الحقِّ سند صحيح . ولكنها فى كتب المسيحيين والحق الثابت الذى لا ريب فيه أنهم ما قتلوه وما صابوه ، ولكن شبه لهم .

(٢) فى الإصابة ترملا وترملى . وفى سفر أعمال الرسل من العهد الجديد : برثولماوس بدون زريب وسند قصة زريب سند ضعيف . وعند ابنِ حاتم ، أن صاحبه هو جعونة بن نضلة ، وعند غيره نضلة بن معاوية .

عُمَرَ وَسَمِعَ نَضْلَةَ بْنَ معاويةَ إِذْ أَنَّهُ فِي الْجَبَلِ فِي كَلِمَةٍ ، فَإِذَا رَجَلَ عَظِيمَ الْخَلْقِ رَأْسَهُ كَدُورَ
الرَّحَى ، فَسَأَلَ نَضْلَةَ وَالْجَيْشَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالُوا : قُبِضَ ، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالُوا : قُبِضَ ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ عَنْ عُمَرَ ، فَقَالُوا :
هُوَ حَيٌّ ، وَنَحْنُ جَيْشُهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَقْرَبُوهَ مِنِّي السَّلَامَ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا عَنْهُ
وَصَايَا كَثِيرَةً ، وَأَنْ يُنْهَضُوا النَّاسَ مِنْ خِصَالٍ إِذَا ظَهَرَتْ فِي أُمَةِ مُحَمَّدٍ ، فَقَدْ قَرَّبَ
الْأَمْرَ ، وَمِنْهَا لَبَسَ الْحَرِيرَ ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ ، وَأَنْ يَكْتَفِيَ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ
وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ ^(١) .

وَذَكَرَ فِيهَا أَيْضًا لِلْعَارِفِ وَالْقَيَّانِ أَشْيَاءَ غَيْرَ هَذِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : مَنْ أَنْتَ
يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ زُرَيْبُ بْنُ بَرْثُمَلَةَ حَوْرِيٌّ عَيْسَى بْنُ مَرْثَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا
اللَّهُ أَنْ يُخَيِّبَنِي ، حَتَّى أَرَى أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، أَوْ نَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ ، وَقَدْ أَرَدْتُ الْخُلُوصَ
إِلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ ، حَالِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْكَفَّارُ .

وَذَكَرَ الدَّارِمِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ طَرِيقِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا أَنَّ
عُمَرَ قَالَ لِنَضْلَةَ إِنْ لَقَيْتَهُ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : إِنْ بِذَلِكَ الْجَبَلِ وَصِيًّا مِنْ أَوْصِيَاءِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْخَيْرُ هَذَا
مَشْهُورٌ عَنْهُ ، وَفِيهِ طَوْلٌ فَاخْتَصِرْ نَاهُ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ الْآنَ حَيٌّ . وَمَنْ قَالَ : إِنْ
الْخُصْرُ وَالْإِيَّاسُ قَدْ مَاتَا ، فَمَنْ أَصْلُهُ أَيْضًا أَنْ زُرَيْبًا قَدْ مَاتَ ، لِأَنَّهُمْ يَحْتَجُونَ

(١) كل هذا سنده ضعيف كما قرر الحافظ في الفتح . والعجب أن يفتري
في بعض الروايات أنه سيقى إلى نزول عيسى !!

بالحديث الصحيح : إلى رأس مائة سنة ، لا يبقى على الأرض ممن هو عليها
أحد (١) .

رسول إلى النجاشي وقيصر :

فصل : وذكر إرسال عمرو بن أمية إلى النجاشي ، وقد قدمنا ذكر ما قال
وما قيل له ، وكذلك ذكرنا خبر سليط مع هوذة ، وما قال له ، وخبر عبد الله بن
حذافة مع كسرى ، وكلامه معه ، ونذكر هنا بقية الإرسال ، وكلامهم
فمنهم : دحية بن خليفة الكلبي ، فقدم دحية على قيصر ، وقد ذكرنا معنى
هذا الاسم ، أعني اسم دحية ، واسم قيصر فيما مضى من الكتاب ، فلما قدم
دحية على قيصر ، قال له : « يا قيصر أرسلني إليك من هو خير منك ، والذي
أرسله هو خير منه ومنك ، فاسمع بذل » ، ثم أجب بنصحه ، فإنك إن لم تذل
لم تفهم ، وإن لم تنصح لم تُنصف ، قال : هات ، قال : هل تعلم أكان المسيح
يُصلي ؟ قال : نعم ، قال : فإني أدعوك إلى من كان للمسيح يُصلي له ، وأدعوك

(١) وعلى هذا أجمع الأئمة . فقد كان صاحب موسى عبداً صالحاً بشراً ،
والبشر لا يتخلدون في الدنيا . وإلياس كذلك .

كلمة عن الحوارين : ما ذكر في السيرة عنهم مستمد من أسفار المسيحيين وبين
اتهم في السيرة وأسمائهم في الأسفار اختلاف يسير . ولست أدري كيف يعمل
من يولس تابعاً طيباً ؟ وهو الذي افترى أصول المسيحية المثلثة المولفة لعبد الله
ورسوله عيسى وعاش يمجّد اليهودية وحدها بأحقادها ١١

أنظر رسائله في العهد الجديد .

إلى من دَبَّرَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمَسِيحَ فِي بطن أمه ، وأدعوك إلى هذا
النبي الأُمِّي الذي بشر به موسى ، وبشر به عيسى بن مَرْيَم بعده ، وعندك
من ذلك أَنبَاءٌ مِنْ عِلْمٍ تَكْفِي مِنَ الْعِيَانِ وَتَشْفِي مِنَ الْخَيْرِ ، فَإِنْ أَجَبْتَ كَانَتْ
لَكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، وَإِلَّا ذَهَبَتْ عَنْكَ الْآخِرَةُ وَشُورِكَتْ فِي الدُّنْيَا ، وَاعْلَمْ
أَنَّ لَكَ رَبًّا يَفْعَلُ الْجَبَابِرَةَ ، وَيَغَيِّرُ النُّعْمَ ، فَأَخَذَ قَيْصَرُ الْكِتَابَ فَوَضَعَهُ
عَلَى عَيْنَيْهِ وَرَأْسِهِ وَقَبْلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا رَكْتُ كِتَابًا إِلَّا وَقَرَأْتُهُ ، وَلَا عَلَامًا
إِلَّا سَأَلْتُهُ ، فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا خَيْرًا ، فَأَمْسَيْتُ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ كَانَ الْمَسِيحُ يُصَلِّي لَهُ ،
فَأَنَّى أَكْرَهُ أَنْ أُجِيبَكَ الْيَوْمَ بِأَمْرٍ أَرَى غَدًا مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ ، فَأَرْجِعْ عَنْهُ ،
فَيُصْرِّقَنِي ذَلِكَ ، وَلَا يَنْفَعَنِي ، أَقِمَّ حَتَّى أَنْظُرَ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَنَاءَ وَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِي غَزْوَةِ تَبُوكَ بَقِيَّةُ حَدِيثِ قَيْصَرَ ، فَاظْطَرَّ هُنَاكَ .

رسول إلى المقوقس :

وَأَمَّا حَاطِبٌ فَقَدِمَ عَلَى الْمُقَوَّقِسِ ، وَاسْمُهُ : جُرَيْجُ بْنُ مِينَاءَ ^(١) ، فَقَالَ لَهُ :
« إِنَّهُ قَدْ كَانَ رَجُلٌ قَبْلَكَ يُزْعِمُ أَنَّهُ الرَّبُّ الْأَعْلَى ، فَأَخَذَهُ اللَّهُ تَكَالُ الْآخِرَةِ ،
وَالْأُولَى ، فَانْتَقَمَ بِهِ ، ثُمَّ انْتَقَمَ مِنْهُ ، فَأَعْتَبِرْ بِنَبِيِّكَ ، وَلَا تَعْتَبِرْ بِكَ غَيْرُكَ ،
قَالَ : هَاتِ ، قَالَ : إِنْ لَكَ دِينًا أَنْ تَدْعَهُ إِلَّا أَنَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَهُوَ
الْإِسْلَامُ ^(٢) ، السَّكَافِي بِهِ اللَّهُ فَقَدْ مَسَّوَاهُ . إِنْ هَذَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) ابن مينا بن قرقوب . وفي الإضافة : ومنهم من لم يذكر مينا كما جزم به
أبو عمر الكندي في أمراء مصر .

(٢) في المواهب : قَالَ : إِنْ لَنَا دِينًا لَنْ نَدْعَهُ إِلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، فَقَالَ

حاطب : نَدْعُوكَ لِلَّهِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ

دعا الناس ، فكان أشدّهم عليه قُريشٌ ، وأعداءهم له يَهُودُ ، وأقربهم منه
النصارى ، وامتُرى ما بشارة موسى بعيسى إلاّ كبشارة عيسى بمحمد
— صلى الله عليه وسلم — ومادعاؤنا إياك إلى القرآن إلاّ كدعائك أهل التّوراة
إلى الإنجيل ، وكلّ نبيٍّ أدرك قوماً قهّهم من أمته فخلق عليهم أن يُطيعوه ،
فأت من أدركه هذا النبيّ ، ولسنا ننّاهك عن دين المسيح ، ولكن نأمرك
به « قال المقوقس : « إلى قد نظرت في أمر هذا النبيّ ، فوجدته لا يأمر
بمَزْهُودٍ فيه ، ولا يَنْهَى إلا عن مَرْغُوبٍ عنه ، ولم أجده بالآحر الضّالّ ،
ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آله^(١) النبوة بإخراج الخبء والإخبار
بالنجوى^(٢) » ، وسأُنظر فأهدى للنبيّ صلى الله عليه وسلم أمّ إبراهيم القبطية ،
واسمها : ماريّة بنت شمعون ، وأختها معها ، واسمها سيرين وهى أمّ عبد الرحمن

(١) في شرح المواهب : كذا في العميون ، أى : علامتها ، عبر عنها بالآلة .
لأنها سبب في تحقيقها ، وإظهارها . وفي الرّوض : آية . وهى العلامة بلا تكلف ،
غير أن الرّوض كما ترى ذكر آله قلل صاحب المواهب كان يطالع على نسخة
أخرى .

(٢) يقال : إن المقوقس علم هذا من الأخبار الواردة عليه بذلك قبل كتابة
النبيّ إليه . فقد ذكر الواقدي أن المخيرة بن شعبة لقي المقوقس ، وسأله
عن النبيّ ، فلما أجابه بما أجابه به قال : هذا نبى مرسل إلى الناس كافة ، ولو أعاب
القبط والروم لا تبعوه . وعند ابن عبد الحكم أنه أخذ كتاب النبيّ هـ ص . رخصه
إلى صدره ، وقال : هذا زمان النبيّ الذى نجد نعمته في كتاب الله ، وحفظ الكتاب
في حق من عاج . وقد ورد أن الكدوة كانت عشرين ثوباً . وانظر ص ٥٤ وما بعدها
كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم .

ابن حنّان بن ثابت^(١)، وغلاماً اسمه مابور^(٢)، وبذلة اسمها دُلْدُلٌ، وكِسْوَةٌ،
موقد حاكم قَوَارِيرَ كان يشرب فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وكان به^(٣).

سرورته إلى المنذر بن ساوى :

وأما العلاء بن الحضرمي ، فقدم على المنذر بن ساوى^(٤) فقال له :
« يا مُنْذِرُ إِنَّكَ عَظِيمُ الْعَقْلِ فِي الدُّنْيَا ، فَلَا تَصْغُرَنَّ عَنِ الْآخِرَةِ ، إِنَّ هَذِهِ
الْمَجُوسِيَّةُ شَرِّ دِينِ الْبَشَرِ فِيهَا تَكْرُمُ الْعَرَبُ ، وَلَا أَمَامَ أَهْلِ الْكِتَابِ ،
يُنْكَرُونَ مَا يُسْتَحْيَا مِنْ نِكَاحِهِ ، وَيَأْكُلُونَ مَا يُتَكْرَّمُ عَلَى أَكْلِهِ ، وَيَعْبُدُونَ

(١) وقيل إنه دمس ، وهما الجهم بن قيس ، وقيل لمحمد بن مسلمة ، وقيل لدحية
ابن خليفة .

(٢) كان مابور خصياً ، ولم يعلو بأمره بادية الأمر ، فصارت يدخل على مارية ،
كما كان من عاداتهم يولد مصر ؛ لجمال بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ، حتى قيل
لأنه الذي أمر النبي علياً بقتله ، فوجده خصياً فتركه . والحديث في صحيح مسلم
من طريق حماد بن مسلمة ، البداية لابن كثير ، ص ٢٧٣ ص ٤ ، وقد تقدم الكلام
عن هذا .

(٣) ورد أن الكسوة كانت عشرين ثوباً من القباطي كما ورد أنه أهدى إليه
سجراً اسمه : يعفور ، وعلاء من بينها وألف مثقال ذهباً وخفين ساذجين أسودين
وأفرأ ما كتبه المقوقس في كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٤٧ .

(٤) ابن الأختس بن بيان بن عمرو بن عبد الله بن زبد بن عبد الله بن دارم
القيسي الدارمي العبدي ، لأنه من ولد عبد الله بن دارم - وأولهم فيه - إلى بني زعمان
الرسول دمس ، بعث جبراً مع حاطب ، فجبر من القبط . وهو رسول المقوقس
يمارية إلى النبي دمس ، كما جاء في الإصابة والاستيعاب .

في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، واستَ بعديم عقل ، ولا رأي ، فانظر : هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه ، ولن لا يخون أن لا تأمنه ، ولن لا يخلف أن لا تثق به ، فإن كان هذا هكذا ، فهو هذا النبي الأُمِّي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول : ليت ما أمر به نهي عنه ، أو ما نهى عنه أمر به ، أو ليت زاد في عقوبه ، أو نقص من عقابه ، إن كل ذلك منه على أمتية أهل العقل وفكر أهل البصر .

فقال المنذر : قد نظرت في هذه الأمور الذي في يدي ، فوجدته للدنيا دون الآخرة ، ونظرت في دينكم ، فوجدته للآخرة والدنيا ، فما ينبغي من قبول دين فيه أمانة الحياة وراحة الموت ، ولقد عجبت أُمس ، ممن يقبله ، وعجبت اليوم ممن برأه ، وإن من أعظام من جاء به أن يُعظم رسوله ، وسأُنظر .

مفتاح الجنة :

فصل : وما وقع في السيرة في حديث العلماء قول النبي عليه السلام له : إذا سُئِلَتْ عن مفتاح الجنة قل : ومفتاحها : لا إله إلا الله ، وفي البخاري : قيل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ فقال : بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان ففتح لك ، وإلا لم يفتح لك ، وفي رواية غيره : أن ابن عباس ذكر له قول وهب ، فقال : صدق وهب ، وأنا أخبركم عن الأسنان ما هي ، فذكر الصلاة والزكاة وشرائع الإسلام .

عمرو والجلندي :

وأما عمرو بن العاصي ، فقدم على الجلندي^(١) ، فقال له : يا جلندي إنك وإن كنت منّا بعيداً ، فإنك من الله غير بعيد ، إن الذي تفرد بخلافك أهل أن تفرد بعبادتك ، وأن لا تشرك به من لم يشركه فيك ، واعلم أنه يميتك الذي أحياك ، ويعيدك الذي بدأك ، فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاء بالدنيا والآخرة ، فإن كان يريد به أجراً فامنه ، أو يبل به هوى قدعه ، ثم انظر فيما يحي به : هل يشبه ما يحي به الناس ، فإن كان يشبهه ، فقله العوان ، وتخبر عليه في الخبر ، وإن كان لا يشبهه فاقبل ما قال ، وخف ما وعد ، قال الجلندي : إنه والله لقد دأى على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به ، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ، ويغلب فلا يهجر^(٢) وأنه يفي بالعهود ، ويُنجز المواعيد ، وأنه لا يزال سير قد أطلع عليه يساوي فيه أهله ، وأشهد أنه نبي^(٣) .

(١) ضبطه الجوهرى بفتح اللام ، وجمعه القاموس من أوامه ، وقد ضبطه الحافظ في الفتح والإصابة بضبط الجوهرى غير مبال بضبط شيخه صاحب القاموس ، وفي السيرة أنه أرسله إلى ابنى الجلندي . وأما وثيقة فيذكر في كتاب الردة عن ابن إسحاق أنه أرسل إلى الجلندي .

(٢) في الإصابة . فلا يهجر .

(٣) في الإصابة أنه أشد أياتاً هي :

من الحق ثوبه والنصيح نصيح
جلندي عمان في عمان يصيح
ينادى بها في الوادين فصيح

أتاني عمرو بالتي ليس بعدها
فقلت له : ما زدت أن جئت بالتي
فيا عمرو قد أسلت لله جهرة

شجاع ومجيد :

وأما شجاع بن وهب ، فقدم على جبلة بن الأيهم ، وهو جبلة بن الأيهم ابن الحارث بن أبي شمر ، وجبلة ، وهو الذي أسلم ثم تنصّر من أجل لطمته حاكم فيها إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان طوله اثنتي عشرة شبراً ، وكان يسمح برجليه الأرض ، وهو راكب ، فقال له : يا جبلة إن قومك قتلوا هذا النبي الأمي من داره إلى دارهم ، يعني : الأنصار ، فأؤوه ، ومنعوه ، وإن هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ، ولكنك ملكك الشام وجاورت بها الروم ، ولو جاورت كسرى دنت بدين القرس ملك العراق ، وقد أفر بهذا النبي الأمي من أهل دينك من إن قتلناه عليك لم يغضبك ، وإن قتلناك عليه لم يرضك ، فإن أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم ، وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرة ، وكنت قد استقبلت المساجد بالبيع ، والأذان بالغانوس ، والجمع بالكمازين^(١) ، والقبلة بالصايب ، وكان معك عند الله خير وأبقى ، فقال له جبلة : إني والله لو ددت أن الناس أجمعوا على هذا النبي الأمي اجتمعهم على خلق السموات والأرض ، ولقد سرتني اجتماع قومي له ، وأعجبتني قتله أهل الأوثان واليهود ، واستبقاؤه النصارى ، ولقد دعاني قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة ، فأبيت عليه ، فانتدب مالك بن نافلة

(١) عيد صليبي يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح يحتفل فيه بحمل السف

مذكرى لدخول المسيح - كما قيل - بيت المقدس

من سَعْدِ الْمَشِيرَةِ قَتَلَهُ اللَّهُ ، وَلَسَكُنِي لَسْتُ أَرَى حَقًّا يَنْفَعُهُ ، وَلَا بَاطِلًا يَضُرُّهُ .
وَالَّذِي يَمْدُنِي إِلَيْهِ أَفْوَى مِنَ الَّذِي يَحْتَلِيجُنِي عَنْهُ ، وَسَأَنْظُرُ .

المراهجر وابن كلال :

وَأَمَّا الْأَمَّاجِرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، فَقَدِمَ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ ، وَقَالَ لَهُ :
يَا حَارِثُ إِذْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ عَرَّضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ ،
فَخُطِّتْ عَنْهُ ، وَأَنْتَ أَكْظَمُ الْمُلُوكِ قَدْرًا ، فَإِذَا نَظَرْتُ فِي غَلَبَةِ الْمُلُوكِ ، فَانْظُرْ
فِي غَالِبِ الْمُلُوكِ ، وَإِذَا سَرَّكَ يَوْمُكَ فَخَفْ غَدَاكَ ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَكَ مَلُوكٌ ذَهَبَتْ
آثَارُهَا وَبَقِيَتْ أَخْبَارُهَا ، عَاشُوا طَوِيلًا ، وَأَمَلُوا بَعِيدًا وَزَوَّدُوا قَلِيلًا ، مِنْهُمْ
مَنْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَتْهُ النَّقْمُ ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الرَّبِّ الَّذِي إِنْ
أَرَدْتَ الْهُدَى لَمْ يَمْنَعَكَ ، وَإِنْ أَرَادَكَ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْكَ أَحَدٌ ، وَأَدْعُوكَ إِلَى النَّبِيِّ
الْأُمِّيِّ الَّذِي أَيْسَرَ لَهُ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ ، وَلَا أَقْبَحَ مِمَّا يَنْهَى عَنْهُ ، وَاعْلَمْ
أَنْ لَكَ رَبًّا يُمَيِّتُ الْحَيَّ وَيُحْيِي الْمَيِّتَ ، وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ، وَمَا تُخْفِي
الْصُّدُورُ ، فَقَالَ الْحَارِثُ : قَدْ كَانَ هَذَا النَّبِيُّ عَرَّضَ نَفْسَهُ عَلَيَّ فُخِطَّتْ عَنْهُ ، وَكَانَ
ذُخْرًا لِمَنْ صَارَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَمْرُهُ أَمْرًا سَبَقَ ، فَخَضِرَ الْيَأْسُ وَغَابَ عَنْهُ الطَّمَعُ ،
وَلَمْ يَكُنْ لِي قَرَابَةٌ أَحْتَمِلُهُ عَلَيْهَا ، وَلَا لِي فِيهِ هَوًى أَتَّبِعُهُ لَهُ ، غَيْرَ أَنِّي أَرَى
أَمْرًا لَمْ يُوسَّوْهُهُ السَّكْدُ ، وَلَمْ يَسْنِدْهُ الْبَاطِلُ . لَهُ بَدْءٌ سَارٌّ ، وَعَاقِبَةٌ نَافِعَةٌ ،
وَسَأَنْظُرُ . وَمَا قَوْلُهُ دِيحِيَّةُ بْنُ خَلِيفَةَ فِي قُدُومِهِ عَلَى قَيْصَرَ :

أَلَا هَلْ أَنَا هَا عَلَى تَأْيِيهِهَا فَإِنِّي قَدِمْتُ عَلَى قَيْصَرَ
فَقَدَرْتُهُ بِصَلَاةِ الْمَسِيحِ وَكَانَتْ مِنَ الْجَنُورِ الْأَنْحَرِ

وتدبير ربك أمر السما والأرض فأعقَى ولم يُنكَر
وقلت : تفر ببشرى المسحج ، فقال : سأُنظر ، قلت : انظر
فكاد يُقِرُّ بأمر الرسول ل قال إلى البَدَل الأعور
فَشَكَّ وجاشت له نفسه وجاشت نفوسُ بني الأصفر
على وَضْعِهِ يديه الكتا بَ على الرأس والعين والمنخر
فأصبح قَيْصَرُ من أمره بمَنزلة الفرس الأشقر

يريد بالفرس الأشقر مثلاً للعرب يقولون :

أَشْقَرُ إِن يَتَقَدَّمَ بَنَحْرٍ وَإِن يَتَأَخَّرَ مُبَعَّرٌ
وقال الشاعر في هذا المعنى :

وَهَلْ كُنْتُ^(١) إِلَّا مِثْلَ سَيْفَةِ الْعَدَا

إِن اسْتَقْدَمَتْ تَحَرَّ ، وَإِن جَبَّاتْ عَقَرُ

وفي حديث دحية من رواية الحارث في مُسْنَدِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ يَنْطَلِقَ بَكْتَانِي هَذَا إِلَى قَيْصَرَ وَلَهُ الْجَنَّةُ ، فَقَالُوا : وَإِن لَمْ يَقْتُلْ بِأَرْسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَإِن لَمْ يَقْتُلْ ، فَاَنْطَلِقْ بِهِ رَجُلٌ يَعْنِي دَحِيَّةَ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ

غزوة عمر :

فصل : وذكر غزوة عُمرَ إِلَى تَرْبَةَ ، وَهِيَ تَرْبَةُ بفتح الراء أرض

١ - رَوَاهُ السَّانِي فِي حَادِثِي جَبَا وَسُوقٍ بِدُونِ نَسَبَةٍ : وَهَلْ أَنَا ، وَفِي جَبَا

نَحْرٍ ، وَفِي سُوقٍ : نَجْرٍ

كَانَتْ تَخْشَعُ وفيها جاء المثل: صادف بطنه بطن ترسبة^(١)، يريدون الشَّبَع
وَالْخَضْبَ. قال البكري: وكذلك: عُرْنَةُ بفتح الراء بمعنى التي عند عُرْفَةٍ.

ذكر غزوة ذات السلاسل

وَالسَّلَاسِلُ: مِيَاهُ وَاحِدُهَا سَنَسَلٌ^(٢) وَأَنْ عَمَرُو بْنِ الْعَاصِي كَانَ الْأَمِيرَ
يَوْمَئِذٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى بَيْلَى، وَأَنْ أُمَّ أَبِيهِ الْعَاصِي كَانَتْ
مِنْ بَيْلَى: وَاحِدُهَا: سَلَمَى فَمَا ذَكَرَ الزَّيْبِرُ^(٣)، وَأُمَّا أُمُّ عَمْرٍو، فَهِيَ لَيْلَى
تُقَلَّبُ بِالنَّابِغَةِ سُمِّيَتْ مِنْ بَنِي جِلَّانَ بْنِ عَنُقَرَةَ بْنِ رَبِيعَةَ^(٤).

وَذَكَرَ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ صُحْبَةَ رَافِعِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ لَأَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ رَافِعُ بْنُ عُمَيْرَةَ
وَيُقَالُ فِيهِ: ابْنُ عُمَيْرٍ^(٥)، وَهُوَ الَّذِي كَلِمَةُ الذُّبُّ، وَلَهُ شَعْرٌ مَشْهُورٌ فِي تَكْلِيمِ

(١) فِي مَعْجَمِ الْبَكْرِى: عَرَفَ بَطْنِي بَطْنَ تَرْبَةٍ، يَضْرِبُ لِرَجُلٍ يَصِيرُ إِلَى الْأَمْرِ
الْجَلِيِّ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَهُ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ أَبُو بَرَاءٍ.

(٢) فِي الْمُرَاصِدِ، السَّلَاسِلُ: جَمْعُ سَلْسَلَةٍ مَاءٍ بِأَرْضِ جَذَامٍ، سَمِيَتْ بِهِ غَزْوَةٌ
ذَاتُ السَّلَاسِلِ. وَفِي مَعْجَمِ الْبَكْرِى ذَاتُ السَّلَاسِلِ جَمْعُ سَلْسَلَةٍ رَمْلٍ بِالْبَادِيَةِ نَمَّ ذَكَرَ
رَوَايَةَ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَمَّ قَالَ: وَالسَّلَاسِلُ فِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ مَاءٌ لَجَذَامٍ، وَبِهِ سَمِيَتْ
تِلْكَ الْغَزْوَةُ: ذَاتُ السَّلَاسِلِ.

(٣) أَنْظَرَ ص ٤٠٨ مِنْ كِتَابِ نَسَبِ قُرَيْشٍ.

(٤) فِي نَسَبِ قُرَيْشٍ: وَأُمُّهُ سُبَيْةٌ مِنْ عَنَزَةٍ ص ٤٠٩. وَفِي الْإِصَابَةِ: أُمُّهُ
النَّابِغَةُ مِنْ بَنِي عَنَزَةٍ بَفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَالذَّوْنِ.

(٥) فِي الْإِصَابَةِ: رَافِعُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ جَابِرِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَمْسَانَ، وَيُقَالُ:
ابْنُ عُمَيْرَةَ. وَقَدْ يَنْسَبُ لَجَدِهِ، وَقِيلَ هُوَ رَافِعُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ عَدُوٌّ لِبَعْضِهِمْ فِي النَّابِغِينَ
مِثْلَ ابْنِ سَعْدٍ وَالْعَجَلِيِّ.

الذئب له (١)، وكان الذئب قد أغار على غنمه فاتبعه ، فقال له الذئب : ألا أدلك على ما هو خير لك ، قد بعث نبي الله ، وهو يدعو إلى الله ، فالتفت به ، ففعل ذلك رافع وأسلم .

وذكر في حديثه مع أبي بكر أنه أطعمه وعمر لحم جزور ، كان قد أخذ منها عشرين على أن يُجَزَّئها لأهلها ، فقام أبو بكر وحرر فتممها ما كلاً ، وقال : أتعلمون ما مثل هذا ، وذلك ، والله أعلم أنهما كرها أجره لجهولة ، لأن العشرة واحد الأعشار على غير (٢) قياس ، يقال : برزمة أعشار إذا تكسرت . ويجوز أن يكون العشرة بمعنى العشر كلثنين بمعنى الثمن ، ولكنه ما ملهم عليه قبل إخراج الجزور من جلدها ، وقبل النظر إليها ، أو يكونا كرها جزارة (٣) الجزار على كل حال والله أعلم .

مرفقة :

وذكر غزوة غالب بن عبد الله وقتله مراداس بن نهيك من الحرقية .

(١) منه :

فلما أن سمعت الذئب نادى يبشرني بأحد من قريب فالتفت النبي يقول قولاً صدوقاً ليس بالقول الكذب وليس للقصة سند يعتد به ، ولهذا لم يأت بها حديث واحد يحترمها أهل الحديث ولا ريب في أنها أسطورة .

(٢) في اللسان : «وأعشار الجذور : الأنصباء ، والعشر : قطعة تنكسر من القدح أو البرمة كأنها قطعة من عشر قطع . والجمع أعشار ، وقدح أعشار .»
(٣) إن كانت بكسر الجيم فهي حرفة الجزار ، وإن كانت بضمها فهي ما يأخذه الجزار من الذبيحة عن أجرته .

وقال ابن هشام : الحُرْقَةُ فيما ذكر أبو عبيدة وقال ابن حبيب : في يَشْكُرُ حُرْقَةً .
ابن ثعلبة ، وحُرْقَةُ بن مالك كلاهما من بنى حبيب بن كعب بن يَشْكُرَ ،
وفي قضاة : حُرْقَةُ^(١) بن جذيمة بن نهد ، وفي تميم حُرْقَةُ بن زيد بن مالك
ابن حنظلة ، وقال القاضي أبو الوليد : هكذا وقعت هذه الأسماء كلها باتفاق ،
وذكرها الدارقطني كلها بالفاء .

أنساب :

وذكر غزوة محمد بن مسلمة إلى القرطاء ، وهم بنو قُرْطٍ وقَرِيطٍ ، وقُرَيْطٍ
بنو أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وذكر حيان بن ملة ، وهو حسان بن ملة ، وكذلك قاله في موضع آخر
من الكتاب ، وهو قول ابن هشام .

وذكر سعد بن هذيم ، وإنما هو سعد بن زيد بن لُيث بن سُود بن أسلم
ابن أخاف بن قضاة ، وإنما أُسبِ إلى هذيم ، لأن هذيمًا حصنه ، وهو
عبد حبشي .

(١) في القاموس ضبطها بسكون الراء ، والحرقه بالضم اسم ، من الادرأق ، وحى
من قضاة ، ولهمزة بفت النعمان بن المنذر . والحرقان - بفتح الراء والقاف - تيم
وسعد ابنا قيس بن ثعلبة بن المنذر بن عكابة ، وفي اللسان ضبط حرقى تيم وسعد
كأوز الراء . وقال : والحرقه بفتح الراء - حى من العرب .

حديث أم قرفة

التي جرى فيها المثل : أُمْنَعُ من أُمِّ قِرْفَةَ ، لأنها كانت يُعَلَّقُ في بيتها -خسوف سَيْفًا [لخمسين فارساً^(١)] كُلُّهُمْ لما ذُو محرم ، واسمها فاطمة بنت حَذِيفَةَ ابن بَذْرِ^(٢) كُنِيَتْ بأبْنِها قِرْفَةَ ، قَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ .

وذكر أن سائر بنيتها ، وهم تِسْمَةُ قُتِلُوا مع طَلْحَةَ بْنِ بُرَاحَةَ في الردفِ . وهم حَكَمَةُ وَخَرَشَةُ وَجَبَلَةُ وَشُرَيْكُ وَالْأَنْوَارُ وَرَمْلٌ وَحُصَيْنٌ وذكر باقيهم .

وذكر أن قِرْفَةَ قُتِلَتْ يوم بُرَاحَةَ أيضاً^(٣) ، وذكر عن عبد الله بن جعفر أنه أنكر ذلك ، وهو الصحيح كافي هذا الكتاب ، وذكر الدَّوْلَابِيُّ أن زَيْدَ ابن حَارِثَةَ حين قَتَلَهَا ربطها بفرسين ، ثم رَكَّضَ بها حتى ماتت ، وذلك لسببها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر المرأة التي سألتها رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَلَمَةَ وهي بنت أُمِّ قِرْفَةَ ، وفي مُصَنَّفِ أَبِي دَاوُدَ ، وخرجه مسلم أيضاً أن النَّبِيَّ ﷺ صلى الله عليه وسلم قال لِسَلَمَةَ : هَبْ لِي الْمَرْأَةَ بِسَلَمَةَ ، اللَّهُ أَبُوكَ ، فَقَالَ : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدِي بِهَا أُسْيراً كَانَ فِي قُرَيْشٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وهذه الرواية أصح ، وأحسن من رواية ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله بِمَكَّةَ ، وهو حَزَنُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ بن عَائِذٍ بن عِمْرَانَ ابن تَخْزُومَ ، وفاطمة جدة النبي صلى الله عليه وسلم أم أبيه هي بنت عمرو بن

(١) الزيادة من مجمع الأمثال للميداني .

(٢) وفي السيرة والإمتاع للمقرزي : بنت ربيعة بن بدر .

(٣) وقيل إن قاتلها هو قيس بن المسعر أو المحمر اليمعري ص ٢٧٠

الإمتاع للمقرزي .

جائذ ، فهذه الخثولة التي ذكر ، وقتل عبد الرحمن بن حزن بالهامة شهيداً ،
وحزن هذا هو جدُّ سميد بن المسيب بن حزن ، ومسعدة الذي ذكر في هذا
الحديث أنه قتل هو ابن حكمة بن حذيفة بن بدر ، وسلمة الذي كانت
عنده الجارية ، قيل : هو سلمة بن الأكوع ، واسم الأكوع : سنان ، وقيل :
هو سلمة بن سلامة بن وقش ، قاله الزبير .

غزوة أبي هريرة :

وذكر غزوة أبي حذرة ، واسمه : سلمة بن عمرو ، وقيل : عبيدة
ابن عامر .

وذكر قتل محم بن جثامة ، وخبره في غير رواية ابن إسحاق أن محم
ابن جثامة مات بحمص في إمارة ابن الزبير ، ولما الذي نزلت فيه الآية :
(لَنْ أُنْفِثَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ) والاختلاف فيه شديد ، فقد قيل اسمه قُتَيْبٌ (١) وقيل
وهو محم كما تقدم ، وقيل نزلت في المقداد بن عمرو ، وقيل في أسامة ، وقيل
في أبي الدرداء ، واختلاف أيضاً في المقتول فقيل : مرداس بن نهيك ، وقيل :
عامر الأضبط ، والله أعلم . كل هذا مذكور في التفسير والمسنَدات .

ثمارة بن أنثال :

وذكر ابن إسحاق ثمارة بن أنثال الحنظلي وإسلامه ، وقد خرج أهل

(١) وقيل قلب . ويقول ابن حجر في الإصابة : والذي يظهر أن كلا منهما
تصحيح وإنما هو غالب اليقين . . .

الحديث حديث إسلامه ، وفيه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : **إِنْ تَقَتَّلَ ، تَقَتَّلَ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ تُرِدِ الْمَالَ تُنْعِطَهُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ أَكَلَةٌ مِنْ جَزْوَرٍ أَسْبُ إِلَى مِنْ دَمِ ثَمَامَةٍ ، فَأُطْلِقَهُ ، فَظَهَرَ وَأَسْلَمَ ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَنَفَعَ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ كَثِيرًا ، وَقَامَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا حَيِّدًا حِينَ ارْتَدَّتِ الْيَمَامَةُ مَعَ مُسَيْلِمَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا ، وَقَالَ : يَا بَنِي حَنِيفَةَ أَيْنَ عَزَمَتْ عَقُولُكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ حَمِّ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ أَيْنَ هَذَا مِنْ بَاضِ فِدْعُ نَبِيِّ كَأَنَّ تَفَهُؤَ بَنِي لَا الشَّرَابِ تُكَدِّرِينَ ، وَلَا الْمَاءَ يَمْنَعِينَ ^(٢) ، بَمَا كَانَ يَهْدِي بِهِ مُسَيْلِمَةُ ، فَأَطَاعَهُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَانْحَاذُوا إِلَى السَّلَامِينَ ، فَكَتَبَ ذَلِكَ فِي أَعْضَادِ حَنِيفَةَ . وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّمَرِ يَا كُلُّ**

(١) فِي الرَّوَايَةِ : كَمْ .

(٢) وَزَادُوا فِيهَا لِسَبِّ إِلَيْهِ : أَهْلَكَ فِي الْمَاءِ وَأَسْفَلَكَ فِي الْعَالَمِينَ ، وَقَدْ نَسَبَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْهَذْيَانِ الَّذِي أَوْفَى أَنَّهُ مَا جَازَ عَلَى عَقُولِ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ حَاشَوْا عَصْرَهُ بِمَزَامِيرِهِمْ مَعَهُ الْحَقْدَ ، فَلَمَّا كَانَ صَبِيحًا فَإِنَّمَا تَرَاهُ وَابْتِغَاءَ مَعَاوَةِ مِنْهُمْ لِهَدْيَةِ سَعَارِ الْأَحْقَادِ الَّتِي تَضُرُّهُمْ فِي أَعْمَاقِهِمْ ، وَإِلَّا فَنَ الَّذِي يَصْدُقُ أَنْ هَذْيَانًا . **وَإِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَوَاهِرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَهَاجِرٍ ، إِنَّمَا مَبْغُضُكَ لِفَاجِرٍ ، أَوْ : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْأَهْلَامَ . وَخَذْ لِنَفْسِكَ وَبَادِرْ : وَاسْذَرِ أَنْ تَحْرُضَ أَوْ تَكَاثُرَ ، مِنْ ذَا الَّذِي يَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْهَذْيَانِ يَخْذَعُ أَحَدًا عَنْ جَلَالِ الْحَقِيقَةِ الْعَالِيَا وَمِنْ جَلَالِ الْأَعْظَمِ فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)** ١٤ أَنْظَرِ ص ١٤ - ١٥ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِأَحَدِ بْنِ زَيْنٍ دَسْلَانَ فَقَدْ حَشَدَ فِيهِ طَائِفَةٌ مِنْ هَذْيَانِ حَقَائِقِهِ .

في مِثْي واحدٍ [والكافر يأكل في سبعة أمعاء] ^(١) الحديث، وقال: أبو عُبَيْدٍ هو أبو بَصْرَةَ الغِفَارِيُّ ، وفي مسند ابن أبي شَيْبَةَ أنه جَهَّجَاهُ [بن مسعود ابن سعد بن حرام] ^(٢) الغِفَارِيُّ ، وفي الدلائل أن اسمه نَضْلَةٌ ، وقد أُمْلِئَا في معنى قوله : يأكل في سَبْعَةِ أُمْعَاءَ نَحْوًا من كُرَاسَةٍ رَدَدْنَا فِيهِ قَوْلَ مَنْ قَالَ : إنه مخصوص برَجُلٍ واحدٍ ، وَبَيْنَا معنى الْأَكْلِ وَالسَّبْعَةِ الْأُمْعَاءِ ، وأن الحديثَ وَرَدَ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ ، ولكن معناه عام ، وأتينا في ذلك بما فيه شِفَاءٌ والحمد لله ^(٣) ، وقوله في رواية البخاري : ذَا ذِمَّ رواه أبو داود : ذَا ذِمَّ بالذال المعجمة ^(٤) .

مازاده ابن هشام بما لم يذكره ابن إسحاق

وذكر الشيخُ الحافظُ أبو بَحرٍ سُفْيَانُ بن العاصي رحمه في هذا الموضع ،

(١) متفق عليه ، وأحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر ، وأحمد ومسلم عز جابر ، والبخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه عن أبي هريرة ، ومسلم وابن ماجه عن أبي موسى ، والجامع أنه ذكر السيوطي .

(٢) ابن سعيد وقيل ابن قيس شهد بيعة الرضوان .

(٣) يقول ابن الأثير عن الحديث : وهذا مثل ضربه للدُّمْنِ وزهده في الدنيا ، والكافر وحرمه عليها ، رابض معناه كثرة الأكل دون الاتساع في الدنيا ، ولهذا قيل الرغب شؤم ، لأنه يدل صاحبه على اقتحام النار ، وقيل : هو تخصيص الدُّمْنِ ونحوها ما يجره الشَّيْخُ من القسوة وطاعة الشهوة ، ووصف الكافر بكثرة الأكل اعتلاط على المؤثر . وتأكيده لما رسم له ، وقيل : هو خاص في رجل يعينه ، كان يأكل كثيراً ، فاسلم ، نزل أكله . والمعنى واحد الأمعاء وهي المصارين .

(٤) ذَا ذِمَّ . أي من هو مطالب بدم ، أو صاحب دم مطلوب ، ويروى : وذَا ذِمَّ أي ذَا ذِمَامٍ وحرمة في قومه ، وإذا فقد ذمة وفي له .

قال : نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسماع أبي سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه : وجدت بخط أخي قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاق هو غلط منه ، قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمر بن أمية عن عمرو بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكرياء عن ابن إسحاق ، والقاتل في الحاشية : وجدت بخط أخي هو أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم . وفي الكتاب المذكور قول أبي بكر المذكور في غزوة الطائف بعد قوله : فولدت له داود بن أبي مرة . إل هاهنا انتهى سماعي من أخي ، وما بقي من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه .

عن غريب بن عدي :

وذكر سريرة عمرو بن أمية وحلة الخبيبي بن عدي من خشية التي صلب فيها ، وفي مسند ابن أبي شيبه زيادة حسنة أنهما حين حاكاه من الخشب القمته الأرض .

وذكر ابن هشام مقتل العضاء بنت مروان ، وفي خبرها قال صلى الله عليه وسلم : لا يذبح طح فيها عذران ، وكانت تسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلها بهما على ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهدوا أن دمها هدر . قال الدارقطني : من هاهنا يقوم أصل التسجيل في الفقه ، لأنه قد أشهد على نفسه بإمضاء الحكم ، ووقع في مصنف حماد بن سلمة أنها كانت يهودية ،

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

أمهات المؤمنين

أسمائهن

قال ابن هشام: وكنّ تسماً: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر ابن الخطاب، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأمّ سلمة بنت أبي أمية ابن المغيرة، وسودة بنت زمّة بن قيس، وزينب بنت جحش بن رثاب، وميمونة بنت الحارث بن حزن، وجويرة بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفية بنت حيي بن أخطب، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم.

زواجه بخديجة

وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة: بخديجة بنت خويلد، وهي أول من تزوج، وزوجه إياها أبوها خويلد بن أسد،

وكانت تهاجر المخاض في مسجد في حطمة، فأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها، وقال: لا يمتطح فيها عتزان^(١).

(١) أي لا يلتقي فيها اثنان حقيقيان، لأن المنطاح من شأن البوس، والكباش لا اعنوز، وهو إشارة إلى قضية مخصوصة لا يجرى فيها خلاف ونوعه ابن الأثير.

ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بني عبد الدار ، فولدت له هند بن أبي هالة ، وزينب بنت أبي هالة ، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله ، وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوجها صفي بن أبي رقاعة .

زواجه بمائشة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبقي بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير غيرها ، وزوجه إياها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

زواجه بسودة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤى ، وزوجه إياها سليط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود ابن نصر بن مالك بن حنبل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

.....

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطاً
جواباً حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت .
وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر
ابن مالك بن حسل .

زواجه بزینب بنت جحش

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رثاب
الأسدية . زوجته إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله
صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ
مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ .

زو بأم سلمة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة
الخزومية ، واسمها هند ؛ زوجها إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها ، وأصدقها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشاً حشوه ليف ، وقدها وصحفة ، ومجشدة ؛
وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، واسمها عبد الله ، فولدت له سلمة
وهومر وزينب ورقية .

زواجه بحفصة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزوجه

.

إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي .

زواجه بأم حبيبة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، واسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، زوجها إياها خالد بن سعيد بن العاص . وها بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة دينار ، وهو الذي كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي .

زواجه بجويرية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الخارث بن أبي ضمرار الخزاعية ، كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة ، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الثمأس الأنصاري ، فكتبها على نفسها ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستمينا في كتابتها ، فقال لها : هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ، ومعه جويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديسة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بيعين منها ، ففنيهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران الاذان غيبت بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله ما أطاع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ونس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربع مائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس ، فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربع مائة درهم .

زواجه بصفية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب ،

سبأها من خيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولية ،
حافيا شحم ولا لحم ، كان سويقا وتمرا ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن
أبى الحقيق .

زواجه بيمونة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بيمونة بنت الحارث بن حزن
ابن بحير بن هزَم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ،
عزوجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس
ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : إنها التي
وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
انتهت إليها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه الله ورسوله ؛ فأنزل
الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَمْرًا مُؤَيَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ .

ويقال : إن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ،
ويقال أم شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بنى متقد بن عمرو بن معيص
ابن عامر بن لؤى ، ويقال : بل هي امرأة من بنى سامة بن لؤى ، فأرجأها
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زواجه زينب بنت خزيمة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث بن

عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أمّ السالكين ، لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالي ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله هند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة هند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها .

عدتهن وشأن الرسول معهن

فهمؤلاء الاتى بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، نجات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة . وتوفى عن تسع . قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث ؛ وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد بها بياضاً ، فتمتها وردّها إلى أهلها ، وعمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكفر ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منىع عائذ الله ، فردّها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنا قوم نوثى ولا نأتى ؛ فردّها . رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

تسمية القرشيات منهن

القرشيات من أزواج النبی صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خويلد

.....

ابن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛
وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ وحفصة بنت عمرو بن الخطاب بن
نقيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن
كعب بن لؤى ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس
ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وأم سلمة
بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة
ابن كعب بن لؤى ؛ وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود
ابن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى .

تسمية المريات وغيرهن

والمريات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن
حُبيرة بن مرة بن كعب بن غنم بن دؤدان بن أسد بن خزيمه ؛ وميمونة
بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هارم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن
عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن
خصفة بن قيس بن عيلان ؛ وزينب بنت خزيمه بن الحلوث بن عبد الله بن عمرو
ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجويرية بنت
الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، ثم المصطلقية ، وأسماء بنت النعمان الكندية ؛
وعمرة بنت يزيد السكلبية .

• • • • •

غير المريات

ومن غير المريات : صفية بنت حيي بن أخطب ، من بنى النضير .

تمريض رسول الله في بيت عائشة

محيته إلى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسه ، تخط قدماه ، حتى دخل بيتي . قال عبيد الله ، فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدري من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا ، قال : علي بن أبي طالب .

شدة المرض وصب الماء عليه

ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجهه ، فقال همز يقولوا : على سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدها في مخضب لحفصة بنت عمر ، ثم صبينا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم .

كلمة للنبي واختصاصه أبا بكر بالذكر

قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثني أيوب بن بشير : أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسه حتى جالس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبداً من عباد الله خيّر الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد ، فسكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة في المسجد ، فسدوها إلا بيت أبي بكر ، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندى بدأ منه .

قال ابن هشام : ويروى : إلا باب أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبي سعيد بن العلاء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ في كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن حبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمر الرسول بإنفاذ بعث أسامة

وقال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس في بعث أسامة بن زيد ، وهو في وجهه ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمر غلاماً حدثاً على جيلة المهاجرين والأنصار .

خَمِدَ اللهُ وَأَتَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْفِذُوا بِمَثَ أُسَامَةَ ، فَلَقَمَرِي لَنْ قَلَمٍ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قَلَمَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَإِنِّهُ خَلِيقٌ لِلإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ خَلِيقًا لَهَا .

قَالَ : ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَانْكَشَرَ النَّاسُ فِي جِهَارِهِمْ ، وَاسْتَمَرَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجْهَهُ ، فَخَرَجَ أُسَامَةُ ، وَخَرَجَ جَيْشُهُ مَعَهُ حَتَّى نَزَلُوا الْجُرُفَ ، مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى قَرْسَخٍ ، فَضَرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ ، وَتَنَاقَشَ إِلَى النَّاسِ ، وَقَتْلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقَامَ أُسَامَةُ وَالنَّاسُ ، لِيَنْظُرُوا مَا اللهُ قَاضٍ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وصية الرسول بالأنصار

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قَالَ الزُّهْرِيُّ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ صَلَّى وَاسْتَغْفَرَ لِأَصْحَابِ أَحُدَ ، وَذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا ذَكَرَ مَعَ مَقَالَتِهِ يَوْمَئِذٍ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا ، فَإِنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ عَلَى هَيْئَتِهَا لَا تَزِيدُ ، وَإِيَّاهُمْ كَانُوا عَيْيَقِي الَّتِي أَوَيْتُ إِلَيْهَا ، فَأَحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ : ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ بَيْتَهُ ، وَتَنَاقَشَ بِهِ وَجْهَهُ ، حَتَّى عُزِرَ .

شأن اللدود

قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نِسَاءُ مَنْ نَسَاهُ : أُمُّ سَلَمَةَ ، وَمَيْمُونَةُ ، وَنِسَاءُ

من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس ، وعنده العباس عه ، فأجمعوا أن يلدوه ، وقال العباس : لألدته . قال : فلدوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من صنع هذا بي ؟ قالوا : يا رسول الله ، عثك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعملتم ذلك ؟ فقال عه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقدفني به ، لا يبق في البيت أحد إلا لد إلا عي ، فلقد لدت يميونة وإنها لصائمة ، أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صنعوا به .

دعاء الرسول لأسامة بالإشارة

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما نفل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أحميت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، فأعرف أنه يدعولي .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهري : حدثني عبيد بن عبد الله ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبياً حتى يُخبره . قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت :

مقلت : إذا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض
بحق يُخَيَّر .

صلوة أبي بكر بالناس

قال الزهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت :
لما استُئِيز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس** .
قالت : قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير
الهلكاء إذا قرأ القرآن ، قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فقلت بمثل قوله ،
فقال : إن كن صواحب يوسف فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول
ذلك إلا أني كنت أحب أن يُصْرَف ذلك عن أبي بكر ، وعرفت أن الناس
لا يُحِبُّون رجلا قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيبتشأءمون به في كل حدث كان ،
فكنت أحب أن يُصْرَف ذلك عن أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زبمة بن الأسود
ابن المطلب بن أسد ، قال : لما استُئِيز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا
حنده في نفر من المسلمين ، قال : دعاء بلال إلى الصلاة ، فقال : **مُرُوا مَنْ يَصَلِّي**
بِالنَّاس . قال : فخرجت فإذا عمر في الناس . وكان أبو بكر غائبا ، فقلت :
قم يا عمر فصل بالناس . قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مَجْهَرًا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : **فأين أبو بكر ؟** يأتي الله ذلك والمسلمون ، يأتي الله ذلك والمسلمون .

قال فُبِعْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَبَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عَمْرُ تِلْكَ الصَّلَاةَ ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ .
قال : قال عبد الله بن زمرة : قال لي عمر : ويحك ، ماذا صنع بي يا ابن زمرة .
والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بذلك .
ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلت : والله ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيته أحق من حضر بالصلاة بالناس .

اليوم الذي قبض الله فيه نبيه

قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثني أنس بن مالك : أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس .
وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فسكاد للمسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحاً به ، وتفرجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من هيتهم في صلاتهم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه .
تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجهه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالشنع .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة :

أَبْنُ أَبِي بَكْرٍ ؟ يَا أَبَى اللَّهِ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ . فَلَوْلَا مَقَالَةٌ قَالَهَا عَمْرٌ عِنْدَ وَفَاتِهِ ،
لَمْ يَشْكِ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ ،
وَلَكِنَّهُ قَالَ عِنْدَ وَفَاتِهِ : إِنْ اسْتَخْلَفَ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَإِنْ
أَتْرَكَهُمْ فَقَدْ تَرَكَهُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي . فَعَرَفَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَمْ يَسْتَخْلَفْ أَحَدًا ، وَكَانَ عَمْرٌ غَيْرَ مَتَّبَعٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ :
لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاصِبًا رَأْسَهُ إِلَى
الصَّبْحِ ، وَأَبُو بَكْرٍ يَصِلُ بِالنَّاسِ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
تَفَرَّجَ النَّاسُ ، فَعَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَصْنَعُوا ذَلِكَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَنَكَّصَ عَنْ مُصَلَّاهُ ، فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي ظَهْرِهِ ، وَقَالَ : صَلِّ بِالنَّاسِ ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
جَنْبِهِ ، فَصَلَّى قَاعِدًا عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ،
فَكَلَّمَهُمْ رَافِعًا صَوْتَهُ ، حَتَّى خَرَجَ صَوْتُهُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ ، يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ ،
سُعِّرَتِ النَّارُ ، وَأَقْبَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ لِلظُّلَمِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَسْمَكُونَ عَلَى
بَشَى ، إِنِّي لَمْ أُحِلِّ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ ، وَلَمْ أُحَرِّمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ .

قَالَ : فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَلَامِهِ ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ :
يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أَرَاكَ قَدْ أَصْبَحْتَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ كَمَا تُحِبُّ ، وَالْيَوْمَ يَوْمٌ
بَنَتْ خَارِجَةٌ ، أَفَأَتِيهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ .

ن السائباس وعلى

قال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس . قال : خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، قال ، فأخذ العباس بيده ، ثم قال : يا علي ، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ، فانتطقت بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه . وإن كان في غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال : فقال له علي : إني والله لا أفعل ، والله لئن مُنمناه لا يؤتينا به أحد بعده .

فَتَوَقَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدَّ الضَّعَاءُ من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبيل الوفاة

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجرى ، فدخل علي رجل من آل أبي بكر ، وفي يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه في يده فظنَّ أنه يعرف أنه يريد ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا

السَّوَاكُ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فضغته له حتى لَبِنْتَهُ ، ثم أعطيته إِيَّاهُ ، قالت : فَأَسْتَنَّنَ بِهِ كَأَشَدِّ مَا رَأَيْتُهُ يَسْتَنُّ بِسِوَاكِ قَطًّا ، ثم وضعه ، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَنَقَّلُ فِي حِجْرِي ، فذهبت أَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ ، فإذا بصره قد شَخَّصَ ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : فقلت : خُبِّرْتُ فَأَخْبَرْتَ وَالَّذِي بَيْنَكَ بِالْحَقِّ . قالت : وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد . قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرَى وَنَحْرَى وَفِي دَوْلَتِي ، لم أَظَلْ فِيهِ أَحَدًا ، فَمِنْ سَقَمِي وَحَدَاتِي سَمِعْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ وَهُوَ فِي حِجْرِي ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقت أَلْتَدِمُ مَعَ النِّسَاءِ ، وَأَضْرِبُ وَجْهِي .

مقالة عمر بعد وفاة الرسول

قال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : لما تُوُفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ مُعَرٌّ بْنُ الْخَطَّابِ ، فقال : إن رجالاً من الْمُتَنَاقِضِينَ يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوُفِيَ ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ والله ليرجعَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

موقف أبي بكر بعد وفاة الرسول

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُسَجًى في ناحية البيت ، عليه بُرْد حَبِيرَة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم إن تصيبك بعدها موتة أبداً . قال : ثم ردَّ البُرْد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، قال : على رسلك يا عمر ، أنصت ، فأني إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْمَلِكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ .

قال : فوالله لساكن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبي بكر ، فإنما هي في أفواههم ؛ قال :

عنه قال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فتقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملي رجلاي ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

أمر سقيفة بني ساعدة

تفرق الكلمة

قال ابن إسحاق : ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة ، واعتزل على بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة ، وانحاز بقیة المهاجرين إلى أبي بكر ، وانحاز معهم أُسيد بن حُصَير ، في بني عبد الأشهل ، فأتى إلى أبي بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عُبادة في سقيفة بني ساعدة ، قد انحازوا إليهِ ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم يُفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ما هم عليه .

ابن عوف ومشورته على عمر بشأنبيعة أبي بكر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبي بكر ، حدثني عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرني عبد الرحمن

ابن عوف قال : وكنت في منزله بنى أنتظره ، وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدني في منزله بنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، قال لي عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايت فلانا ، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا قتلة قتلت . قال : فغضب عمر ، فقال : إني إن شاء الله لقائم المشية في الناس ، فحذروهم هؤلاء الذين يريدون أن يقصوبوا أمرهم ، قال عبد الرحمن : قلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعايا الناس وغوغاءهم ، وإنهم هم الذين يظلمون على قلوبك ، حين تقوم في الناس ، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك منك كل مطير ، ولا يهوها ، ولا يضموها على مواضعها ، فأهل حتى تقدم المدينة فلينها دار الشعة ، وتخلص بأهل الثقة وأشرف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا ، فيبى أهل الفقه مقاتلك ، ويضموها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

خطبة عمر عند بيعة أبي بكر

قال ابن عباس : فقدمنا للمدينة في عقب ذي الحجة ، فلما كان يوم الجمعة مجلت الرواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن الميزب فجلست حذوه تمس ركبتي ركبته ، فلم أنشب أن أخرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : أيقوان المشية على هذا

للنبر مقالة لم يقامها منذ استخاف ؛ قال : فأنكر على سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول مما لم يقل قبيله ، فحاس عمر على النبر ، فلما سكنت المؤذنون ، قام فأتى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فإني قاتل لكم اليوم مقالة قد قدر لي أن أقولها ، ولا أدري أعلما بين يدي أجلى ، فمن عظمها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحته ، ومن خشى أن لا يبينها فلا يعمل لأحد أن يكذب على ؛ إن الله بهت محمداً ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعظمناها ووعينناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا بعده ، فأخشي إن طال بالداس زمان أن يقول قاتل : والله ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف ؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : ﴿ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ﴾ إلا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطرت عيسى بن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ؛ ثم إنه قد بلغني أن فلاناً قال : يا الله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، فلا يفر من امرأ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فليت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وفق شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه . بل أبي بكر ، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا تبع له هو ولا الذي بايعه كفرة أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، وتحلف عنا على بن أبي طالب

هو الزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا توهمهم حتى بقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرنا لهما ما عملاً عليه القوم ، وقال : أين تريدون ؟ يامعشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قال : فلا عليكم أن لا تقر بوم يامعشر للمهاجرين ، اقضوا أمركم : قال : قلت : والله لتأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزِيلٌ . فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجيع . فلما جلسنا تشهد خطيبهم ، فأتني على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة من قومكم ، قال . وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، وينصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زورت في نفسى مقالة . قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أدارى منه بعض الخلد ، فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فسكرت أن أغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوفر ، فوالله مارك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها . فى بديهة ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ؛ قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، سم أوسط العرب نسباً وداراً ؛ وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويدي أبي عُبيدة بن الجراح ، وهو جالس بيننا ، سولم أكره شيئاً مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى ، لا يُقربنى ذلك إلى إنهم ، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قاتل من الأنصار : أنا جُذيلها المُحَسِّك وعُذيقها المرَّجَّب ،
حمنا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش . قال : فكثرت الألفاظ ، وارتفعت الأصوات ،
حتى تخوفت الاختلاف ، فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ،
فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا على سعد بن عُبادة ،
فقال قاتل منهم : فقام سعد بن عُبادة : قل : فقلت : قتل الله سعد بن عُبادة .

تعريف بالرجلين اللذين ألقيا أبا بكر وعمر

في طريقيهما إلى السقيفة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : أخبرني عروة بن الزبير أن أحد الرجلين
الذين آقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر
معن بن عدي ، أخو بني المجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذي بلغنا أنه
قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله عز وجل لهم : تَرْفِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ؟ ؟ قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة ؛ وأما معن بن عدي ، فبلغنا أن الناس
بكَوُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقللوا :
والله لو ددنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفقتن بعده . قال معن بن عدي :
لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً ؛ فقتل معن
يوم البعثة شهيداً في خلافة أبي بكر ، يوم مُسَيِّمة الكذاب .

خطبة عمر قبل أبي بكر عند البيعة العامة

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، قال : حدثني أنس بن مالك ، قال :

لما بويح أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ،
فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ،
إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدت في كتاب الله ،
ولا كانت عهداً عهداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكني قد كنت
أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدُّ أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا
وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ،
فإن اعتصمتم به هذاكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ،
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثاني اثنين إذا هما في الفار ، قوموا
فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة للعامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبي بكر

فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال :
أما بعد أيها الناس ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت
فأعينوني ؛ وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف
فيكم قوى عندي حتى أرجح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندي
حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا بدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم
الله بالذل ، ولا تشمع الفاحشة في قوم قط إلا أعظمهم الله بالبلاء ؛ أطيعوني ما أطعت
الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم
يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عائد إلى حاجة له ، توفي يده الدرة وماله غيري ، قال : وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشياً . قدمه بديرته ، قال : إذ التفت إلي ، فقال : يا ابن عباس ، هل تدري ما كان حملني على مقاتلي التي قلت حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ؛ قال : فإنه والله ، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أنني كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۖ ﴾ ، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتي في أُمَّته حتى يشهد عليها بآخِر أعمالها ، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

من تولى غسل الرسول

قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقثم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين ولوا غسله ، وأن أوس بن خويلد ، أحد بني عوف بن الخزرج ، قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله

يا على وحفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده على بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقم يلقبونه معه وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلى يُفَسِّله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قيض يدلكه به من ورائه ، لا يفضي بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً ! ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت .

كيف غسل الرسول ؟

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه . عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندري ، أنجرّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرّد موتانا ، أو نفضله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا أتى الله عليهم النوم ، حتى مامنهم رجل إلا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم مُكَلِّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففسلوه وعليه قيضه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تكفين الرسول

قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ ثَوْبَيْنِ صَحَارِيَيْنِ وَبُرْدَ حَبْرَةَ ، أَدْرَجَ فِيهَا إِدْرَاجًا ،
كَمَا حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ
الْحُسَيْنِ وَالزَّهْرِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ .

حفر القبر

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يَحْفَرُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ
أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ يَضْرَحُ كَهْرَ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ أَبُو طَاوُحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ هُوَ
الَّذِي يَحْفَرُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ يَلْحَدُ ، فَدَعَا الْعَبَّاسَ رَجَائِنَ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا :
اذْهَبْ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَالْآخَرَ اذْهَبْ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ . اللَّهُمَّ خِرْ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدَ صَاحِبَ أَبِي طَلْحَةَ أَبَا طَلْحَةَ ، فَجَاءَ بِهِ ،
فَلَحَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

دفن الرسول والصلاة عليه

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الثَّلَاثَا ، وَوُضِعَ فِي سَرِيرِهِ .
فِي بَيْتِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ . فَقَالَ قَاتِلٌ : نَدَفْنُهُ فِي مَسْجِدِهِ .
وَقَالَ قَاتِلٌ : بَلْ نَدَفْنُهُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ ، فَرَفَعَ فِرَاشَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تَوَفَّى عَلَيْهِ ، مُخَفَّرَ لَهُ تَحْتَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ أَرْسَالًا ، دَخَلَ الرِّجَالُ ، حَتَّى

.....

إِذَا فَرَّغُوا أُدْخِلَ النِّسَاءَ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ النِّسَاءَ أُدْخِلَ الصِّبْيَانَ . وَلَمْ يَوْمِ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ .

ثُمَّ دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَسْطِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ .

دفن الرسول

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ امْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُهَاجِرٍ ، عَنْ عُمَرَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسَدٍ بْنِ زُرَّارَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : جُوفِيَ اللَّيْلُ مِنْ لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ .

من توفن لى د الرسول

وَكَانَ الَّذِينَ نَزَلُوا فِي قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَثَمَمُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقَدْ قَالَ أَوْسُ بْنُ خُوَيْلٍ لِمَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : يَا عَلِيُّ ، أُنْشِدْكَ اللَّهَ ، وَحَفَّنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : انْزِلْ ، فَتَزَلْ مَعَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ كَانَ مَوْلَاهُ شُقْرَانُ حِينَ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حُفْرَتِهِ وَبَنَى عَلَيْهِ نَحْدًا أَخَذَ قَطِيفَةً ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْبِسُهَا وَيَقْتَرِشُهَا ، دَفَنَهَا فِي الْقَبْرِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا يَلْبِسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ أَبَدًا .

قال : فَدُفِنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أحدث الناس عهداً بالرسول

وقد كان المغيرة بن شعبه يدعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخذت خاتمي ، فألقيته في القبر ، وقلت : إن خاتمي سقط مني ، وإنما طرحته عهداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن مِقْسَم ، أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل علي أخته أم هانئ . بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل ، فطغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه ؟ قال : أظنّ المنية ابن شعبه يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : أجل ، من ذلك جئنا نسألك ؟ قال : كذب ، قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم فثمّ بن عباس .

خميصة الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان علي رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة سوداء حين اشتد به وجهه ، قالت : فهو يضمها مرة على

وجبه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذرُ من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يُترك بجزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موت الرسول

قال ابن إسحاق : ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغني ، تقول : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واشترأت لليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالنعم المطيرة في الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عتّاب بن أسيد ، فتواري ، فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به ، وظهر عتّاب بن أسيد .

فهذا المقام الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاماً لاتذمه .

شعر حسان بن ثابت في مرثيته الرسول

وقال حسان بن ثابت يبيكي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري :

بَطَيِّبَةً رَسَمَ لِلرَّسُولِ وَمَعَهُدُ	مُنِيرٌ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمِدُ
وَلَا تَمْتَحِي الْآبَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ	بِهَا مَنْبَرُ الْمَاهِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آثَارِ وَبَاقِي مَعَالِمِ	وَرَبِيعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجُرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا	مَنْ اللَّهُ نُورٌ يُسَمِّضَاهُ وَيُوقِدُ
مَعَارِفُ لَمْ تَطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا	أَتَاهَا الْبَلَى فَلَا يَمْنَحُهَا تَجَدُّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسَمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ	وَقَبْرَاهُ بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلَّتْ بِهَا أَبْكَى الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ	عُيُونٌ وَمَثَلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسْعِدُ
يَذْكُرْنَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى	لَهَا مُخْصِيًا نَفْسِي فَتَنْفَسِي تَبْلُدُ
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّاهُ فَقَدْ أَحَدُ	فَظَلَّتْ لِآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ
وَمَا بَلَّغْتَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ	وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدُ مَا قَدْ تَوَجَّدُ
أَطَالَتْ وَتُوقَاتُ ذُرْفُ الْعَيْنِ جُهْدَهَا	عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحَدُ
فَبُورِكَتْ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكَتْ	بِلَادُ نَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
وَبُورِكَ أَحَدُ مَنْكَ ضَمْنِ طَائِبَا	عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدُ
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنِ	عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْمَدُ
لَقَدْ غَيَّبُوا أَحْلَامًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً	عَشِيَّةَ عَلَوُهُ النَّزَى لَا يُوسَدُ

وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبيهم
 يسكون من تبكى السماوات يومه
 وهل عدلت يوماً رزية هالك
 تقطع فيه منزل الوحي عنهم
 يدل على الرحمن من يقتدى به
 إمام لهم يهديهم الحق جاهداً
 عفو عن الزلات يقبل عذرهم
 وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله
 قبيناً في نعمة الله بينهم
 عزيز عليه أن يمجوروا عن الهدى
 عطوف عليهم لا يثنى جناحه
 قبيناً في ذلك الثور إذ غدا
 فأصبح محموداً إلى الله راجعاً
 وأمست بلاد الحرم وحقاً بقاعها
 قفراً سوى معمورة اللحد ضافها
 ومسجده فالموحشات لفقده
 وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت
 قبكي رسول الله ياعين عبدة
 ومالك لا تبكين ذا النعمة التي
 وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
 ومن قد بكت الأرض فالناس أكد
 رزية يوم مات فيسـد محمد
 وقد كان ذا نور ينفور ويوجد
 وينقذ من هول الخزايا ويرشد
 معلم صدق إن يطيعوه يستعدوا
 وإن يحسنوا فإله بالخير أجود
 فن عنده تيسير ما يتشدد
 دليل به نهج الطريقة يقصد
 حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
 إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
 إلى نورهم سهم من الموت مقصد
 يبكيه حق الرسائل ومحمد
 لفية ما كانت من الوحي تفهد
 فقيد يبكيه بلاط وغرفد
 خلا له فيه مقام ومقامد
 ديار وعرضات وربع ومولد
 ولا أعرفتك الدهر دمك يحمـد
 على الناس منها سابع يتممـد

• • • • •

فُجُودِي عَلَيْهِ بِالشُّمُوعِ وَأَعُولِي لَقَدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ
وَمَا قَدَّ الدَّاسُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً بِفِدَا ذِمَّةٍ وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يَفْكَدُ
وَأَبْدَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَنَالِدٍ إِذَا ضَنَّ مِنْطَلًا بِمَا كَانَ يُبْقَدُ
وَأَكْرَمَ صِيْقَاتِي الثُّبُوتِ إِذَا انْتَصَى وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا بِسُودُ
وَأَمْنَعَ ذُرُورَاتٍ وَأَنْبَتَ فِي الْمَلَا دَعَائِمَ عِزِّ شَاهِقَاتِ تَشِيدُ
وَأَنْبَتَ فَرْعًا فِي الْفَرْوُوعِ وَمَنْبَتًا وَعُودًا غِذَاءَ الدُّنَى قَامُودًا أُغِيدُ
رَبَاهُ وَلَيْدًا فَاسْتَمَّ تَمَامُهُ عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبِّ مَجِيدُ
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ فَلَا الْعِلْمُ نَجُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ
أَقُولُ وَلَا يُبْلَقُ لِقَوْلِي عَائِبٌ مِنْ النَّاسِ إِلَّا عَارِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
وَلَيْسَ هَوَايَ نَارِغًا عَنْ تَنَاهِيهِ لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلَدُ
مَعَ الْمُضْطَنِّ أَرْجُو بِذَلِكَ جِوَارُهُ وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا ، يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا كَحِلَّتْ مَا قِيَهَا بِكَحْلِ الْأَرْمَدِ
جَزَعًا عَلَى التَّهْدِي أَصْبَحَ ثَاوِيًا يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْخَلْقَى لَا تَبْعَدِ
وَجْهِي بِعَيْكَ التَّرَبُّ لَمْ يَنْبِي لَيْتَنِي عُمَيْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْفَرْقَدِ
بَابِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدَتْ وَفَاتَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْهَيْتَدِي
فَظَلَّتْ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ

أُثِّمُ بِعَمَلِكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ يَا لَيْتَنِي صُبَّحْتُ سَمَّ الْأَسْوَدِ
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ غَدِ
فَتَقُومُ سَاعَتُنَا فَتَلْقَى طَلِيًّا تَحْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمِ الْمُخْتَدِ
بَابِكِ آمَنَةَ الْمُبَارَكِ بِكُرْهَا وَلَدَنَّهُ مُخَصَّنَةً بِسَعْدِ الْأَسْمَدِ
ثَوْرًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا مِنْ يُهْدِي لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي
يَارَبِّ فَاجْعَلْنَا مَعًا وَتَبِئْنَا فِي جَنَّةٍ تَنْفِي عُمُيُونَ الْحُسَدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاصْبِرْنَا لَهَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالشُّودِ
وَاللَّهُ أَسْمَعُ مَا يَقِيْتُ بِهَا لَكَ إِلَّا بِكَ كَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
يَا وَنَحْ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُقَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَاصْبَحُوا سُودًا وَجُوهُهُمْ كَلَوْنِ الْإِنْمِدِ
وَأَقْمَدُ وَلَدَنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ وَفُضُولَ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ تَجْحَدِ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ
صَلَّى إِلَهُهُ وَمَنْ يَخُفْ بِعَرْشِهِ وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نَبِّ الْمَسَاكِينِ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ مَحَرًّا
مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي وَرَزَقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُوا الْعَطْرَا
أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لَا تَخْشَى جَنَادَهُ إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَرَا
كَانَ الضِّيَاءُ وَكَانَ النَّورُ فَتَبَعُهُ بَعْدَ إِلَهِهِ وَكَانَ السَّمْعُ وَالْبَصْرَا

فَلْيَنْتَظِرْنَا يَوْمَ وَاَرَوْهُ بِمُلْحِدِهِ وَغَيَّبُوهُ وَالْقَوْمَا فَوْقَهُ التَّدْرَا
 لَمْ يَتْرُكْ اللَّهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا وَلَمْ يَعْشِ بَعْدَهُ أَتَى وَلَا ذَكَرَا
 ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَّارِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَدِ قُدِرَا
 وَاقْتَسَمَ النَّاسُ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَبَدَّدُوهُ جِهَارًا بَيْنَهُمْ هَدَرَا

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا :

أَلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِثْلِي أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرِ إِنْفَادِ
 تَالَهُ مَا سَحَّتْ أَشْيَى وَلَا وَصَّيْتُ مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيَّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
 وَلَا بَرَّاءَ اللَّهِ خَلَقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِبَيْعِ عَادِ
 مِمَّنْ الذِّي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكِ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِزْشَادِ
 أَمْسَى نَسَاؤُكَ عَطْلَنَ الْبُيُوتَ فَمَا يَغْضِرُ بَنَ فَوْقَ قَهَا سِتْرِ بَلَوْتَادِ
 مِثْلَ الرَّوَاحِبِ يَلْبَسُنَ الْمِبَادِلَ قَدْ أَبْقَى بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النِّعْمَةِ الْبَادِي
 يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِنْ كُنْتُ فِي نَهَرٍ أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُفْرَدِ الصَّادِي

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَجَزَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

ذكر أزواج النبي عليه السلام

مدرجة رضي الله عنها :

قد تقدم في مواضع من هذا الكتاب نبذ كافية من التعريف بهن ،
وذكر هاهنا خديجة ، وأنها كانت عند أبي هالة ، وكانت قبله عند عتيق
ابن عائذ^(١) ، قال ابن أبي خيثمة : ولدت لعتيق عبد مناف ، وكان اسم
أبي هالة هند بن زُرارة بن النبَّاش^(٢) وقيل : بل أبو هالة هو زُرارة ، وابنه
هند ، مات هند في طاعون البصرة .

عن عائشة :

وما تزيده هنا في ذكر عائشة ، أنها كانت تُسكني أمَّ عبد الله ، روى
ابن الأعرابي في المعجم حديثاً مرفوعاً أنها أسقطت جنيناً من رسول الله صلى الله
عليه وسلم - فسُئِلَ : عبد الله ، فكانت تُسكني به ، وهذا الحديث يدور على
دَاود بن المحبر وهو ضعيف ، وأصح منه حديث أبي دَاوُد أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لها : تَسْكَنِي بَابِ أَخِيكَ عبد الله بن الزُّبَيْر ، ويروى

(١) وقيل : عابد .

(٢) وقيل اسمه : النبَّاش بن زُرارة كما جزم أبو عبيد ، وقدمه مغلطاي
وقيل مالك كما حكاه الزبير بن بكار والدارقطني . وصدر به في الفتح . . هذا
وبعضهم يقول إن عتيقاً تزوجها بعد أبي هالة . أما ما ذكره السهيلي فهو قوله
قتادة وابن شهاب وابن إسحاق .

بابك عبد الله بن الزبير ، لأنها كانت قد استوثقت من أبويها ، فكان
في حرجها يدهوها ، أمّا ، ذكره ابن إسحاق وغيره ، وأصح ما روى في فضلها
على النساء قوله عليه السلام : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام ،
وأراد الثريد باللحم ، كذا رواه معمر في جامعه مفسراً عن قتادة ، وأبان
يرفعه ، فقال فيه كفضل الثريد باللحم ، ووجه التفضيل من هذا الحديث أنه
قال في حديث آخر : سيّد إدام الدنيا والآخرة اللحم ، مع أن الثريد إذا أُلقي
لفظه ، فهو ثريد اللحم ، وأنشد سيّبويه :

إذا ما أُلْخِزُ تَأْدِمُهُ بِلَحْمٍ فَذَكَ أَمَانَةَ اللَّهِ الثَّرِيدُ (٣)

خديجة وعائشة ومريم :

ولولا ما تقدم من الحديث المخصّص لخديجة بالفضل عليها حيث قال : والله
ما أبدلني الله خيراً منها ، قلنا بتفضيلها على خديجة ، وعلى نساء العالمين ،
وكذلك القول في مريم الصّديقة ، فإنها عند كثير من العلماء نبيّة نزل
عليها جبريل عليه السلام بالوحي ، ولا يُفَضَّل على الأنبياء غيرهم ، ومن قال :
لم تكن نبيّة ، وجعل قوله تعالى : (اصطفاك على نساء العالمين) مخصوصاً
بعالم زمانها ، فنقول : إن عائشة وخديجة أفضل منها ، وكذلك يقولون
في سائر أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنهن أفضل نساء العالمين ،

(٣) ص ٤٣٤ - ١ - ١٤٤ كتاب ساويريه . ويقال : إن النحويين هم الذين
وضعوا هذا البيت :

• • • • •
يوزعوا في تصحيح هذا المذهب بما يطول ذكره والله أعلم ، وفي مسند البزار
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في فاطمة هي سيّدة نساء أهل الجنة
إلا مريم .

أم سلمة :

وذكر أم سلمة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها مِجَشَّة ، وهي
الرَّحَى ، ومنه سُمِّيَ الْجِشِيش . وذكر مع المِجَشَّة أشياء لا نعرف قيمتها ، منها جَفَنَةٌ
وقِرَاش . وفي مسند البزار ذكر قيمتها ، قال أنس : أصدقها مِجَشَّة عَشْرَةُ
دراهم ، قال البزار : ويروى أربعون درهما .

جويرية

وذكر جُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضَرَارٍ ، وكانت قبله عند مُسَافِعِ
ابن صفوان الخزاعي^(١) وقال : أسلم الحارث ، وأسلم ابنه ، ولم يُسَمِّهما ، وهما
الحارث بن الحارث وعمرو بن الحارث ، ذكره البخاري .

زينب بنت جحش :

وذكر زينب بنت جَحَشٍ ، وأن أخاها أبا أحمد هو الذي أنكحها من
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا خلاف ما ثبت في الحديث أنها
كانت تنفخ على صواحبها ، وتقول : زَوَّجَكُنْ أَهْلُكُنْ من رسول الله صلى الله

(١) قتل كافراً يوم المريسيع كما جرم به ابن أبي خيثمة والواقدي .

عليه وسلم وزوجني رب العالمين من قوتي سبع سموات^(١) وفي حديث آخر أنه لما نزلت الآية ﴿وَزَوَّجْنَا كُهَا﴾ قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل عليها بغير إذن^(٢) ولم يذكر ابن إسحاق في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت ربيعة بن خليفة الكلبي ، وذكرها غيره ، ولم يُتَقَمَّ عنده إلا يسيراً حتى ماتت^(٣) وكذلك العالمة^(٤) بنت ظبيان [بن عمرو بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب] ذكرها غيره في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك وسنى بنت الصلت^(٥) تزوجها ثم خلى سبيلها ، ويقال فيها : سناً بنت أسماء بنت الصلت . ومن أسماء بنت الثممان بن الجون الكنديّة^(٦) اتفقوا على تزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها ، واختلقوا ، في سبب فراق النبي صلى الله عليه وسلم لها . وكذلك قيل في : شراف بنت

(١) أخرجه الترمذي وصححه من حديث انس

(٢) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي ، وقد حدث هذا بعد انقضاء عدتها .

(٣) وجزم ابن عبد البر . أنها ماتت في الطريق قبل وصولها إليه .

(٤) ويقال : إنه طلقها وقد رواه أبو سعد عن هشام الكلبي عن رجل من بني

بكر ، وقد قيل إنه طلقها لأنه رأى بها بياضاً ، والله أعلم . والزائدة في نسبها

عن ابن حبيب في المحبر ص ٩٣ .

(٥) وقيل : سنى بفتح السين وتخفيف النون ، وسماها قتادة أسماء أما ابن حبيب

في المحبر فيقول إنها بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن خزام بن سمالك

ابن عوف السلمي . ويقولون : إنها ماتت قبل أن تصل إليه .

(٦) وقيل أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن كندی

ابن الجون . وبعضهم يجعل اسماء هذه وأسماء بنت كعب الجونية امرأة واحدة .

ولكن ابن حبيب وغيره فرق بينهما .

خليفة : إنها هلكت قبل أن يدخل بها، فإله أعلم .

وذكر خَوَلَة ، ويقال فيها خَوْبَلَة ، ذكرت فيمن تزوجهم النبي عليه السلام ، ويقال : هي التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام ^(١) .

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم في مرضه إلى المسجد ، وأن أبا بكر كان الإمام ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتم به ، وهذا الحديث مُرْسَلٌ في السيرة ، والمعروف في الصحاح أن أبا بكر كان يُصَلِّي بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والناسُ يَصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ ، ولكن قد رُوِيَ عن أنسٍ من طريقٍ مُتَّصِلٍ أن أبا بكر كان الإمام يومئذ ، واختلف فيه عن عائشة رضي الله عنها ، وروى الدَّارَقُطْنِيُّ من طريق المغيرة بن شُعْبَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ما مات نبي حتى يَؤْتَمَّهُ رجلٌ من أُمَّتِهِ ^(١) ، وذكر

(١) ويقال إنها أم شريك القرشية العامرية ، واسمها : غزبة بضم الغين وفتح الزاي وتشديد الياء - بنت جابر بن عوف من بني عامر بن لؤي . وقيل : غزبة بنت داود بن عوف . وقيل : هي أم شريك غزبة الانصارية من بني النجار ، وفي الصفوة لابن الجوزي هي أم شريك غزبة بنت جابر الدوسية . قال : والأكثرون على أنها التي رهب نفسها له صلى الله عليه وسلم . فلم يقبلها لكبر سنّها . وما ذكره السبيل موقوف على ابن قتيبة في المعارف . وقيل إن اللاتي وهبن أنفسهن : أم شريك وخولة وليل بنت الخطيم ولم يدخل بهن وميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين . وانظر زاد المعاد ص ٥١ إلى ص ٥٨ = ١ عن أزواج النبي ص ، وكذلك شرح المواهب اللدنية = ٣ من ص ٢١٦ إلى ص ٢٧١ .

(١) أخرجه ابن سعد عن محمد بن إبراهيم .

أَبُو عُمَرَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَّا أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُرْسَلًا ،
وَقَدْ أَسْنَدَهُ لِلْبَزَارِ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ مُهْرَبٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ،
مَوْفَى مَرَاذِيلِ الْخُصَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَضَ
عَشْرَةَ أَيَّامٍ صَلَّى أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْهَا يُهَادِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَسَامَةَ وَالْفَضْلِ بْنِ عُبَاسٍ
حَتَّى صَلَّى خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ . فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَرَضَ عَشْرَةَ
أَيَّامٍ ، وَهُوَ غَرِيبٌ ، وَفِيهِ أَنَّ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ كَانَ أَسَامَةَ ، وَالْمَعْرُوفُ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَفِيهِ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ .

مَدِثُ الْعَبَّاسِ :

فَصَلَ : وَذَكَرَ حَدِيثَ الْعَبَّاسِ ، وَأَنَّهُ قَالَ : لَأُذَنَّهُ ، فَلَذَّوَهُ ، وَحَسَبُوا أَنَّ
بِهِ ذَاتَ الْجَنْبِ (١) ، فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَبَّاسَ حَضَرَهُ وَلَدَهُ مَعَ مَنْ لَدَّ .
وَفِي الْمَصْحُوحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يَبْقَيْنَ أَحَدٌ بِالْبَيْتِ
إِلَّا لَدَّ (٢) إِلَّا عَمَى الْعَبَّاسُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ ، وَهَذِهِ أَصَحُّ مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ

(١) ذَرِ الْجَنْبِ الَّذِي يَشْكِي جَنْبَهُ إِلَّا أَنْ ذُو الْمَذَكِرِ ، وَذَاتُ الْمَوْثِ ،
وَصَارَتْ ذَاتُ الْجَنْبِ عَلِمًا لَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ صِفَةً مِثْلَ مِثْلِهِ . وَالْأَدْوَدُ
مِنْ الْأَدْوِيَةِ سَأَلَهَا الْمَرِيضُ فِي أَحَدِ شَقَى الْقَمِ ، وَلَدَيْهَا الْقَمِ : جَانِبَاهُ .
وَلَدَوَهُ : فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ .

(٢) يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ : إِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ عِقَابًا لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَدَّوْهُ بِعِيدِ إِذْنِهِ .

وإنما لآذوه لأنه عليه السلام قد قال في القسطن^(١) : فيه سبعة أشقياء يُلدُّ به من ذات الجنب ، ويُستعط به من العذرة ، ولم يذكر الخمسة . قال ابن شهاب : ففحن نستعمله في أذويقنا كلُّها لعلنا نصيبها ، والآذود في جانب الفم من داخله يُجمل هناك الدواء ويُحك بالإنصبع قليلا .

وقوله : في ذات الجنب : ذاك داء ما كان الله ليقدفني به ، وقال في هذا الحديث من رواية الطبري له : أنا أكرم على الله من أن يقذفني بها ، وفي رواية أخرى : وهي من الشيطان ، وما كان الله يُسلطها عليّ . وهذا يدل على أنها من سيئ الأسقام التي تعوذ النبي عليه السلام منها في دعائه حيث يقول : اللهم إني أعوذ بك من الجنون والجذام وسيئ الأسقام ، وإن كان صاحبها من الشهداء السبعة ، ولكنه عليه السلام قد تعوذ من الفرق والحرق ، مع قوله عليه السلام : الفرق شهيد ، والحرق شهيد . وقد ذكر أن أسماء بنت عميس هي التي لدته فآله أعلم . والوجع الذي كان بالنبي عليه السلام فلله هو الوجع الذي يُسمَّى خاصرة ، وقد جاء ذكره في كتاب التذوق من الموطأ ، قال فيه : فأصابني خاصرة ، قالت عائشة : وكثيراً ما كان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الخاصرة . قالت ولا تهتدي لاسم الخاصرة ، ونقول : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عرق في الكلبية . وفي مُسنَد الحارث بن أبي أسامة يرفعه إلى النبي عليه السلام ، قال : الخاصرة عرق في الكلبية إذا

(١) القسطن : عقار معروف في الادوية طيب الريح ، يبخر به النساء والاطفال .

تحرّك وجمع صاحبه دوائه القمل بالماء المجرّق ، وهو حديث يرويه
عبد الرحيم بن عمرو عن الزهري عن درّة ، وعبد الرحيم ضعيف مذكور
عند الحديثين في الضعفاء ، ولكن قد روت عنه جماعة منهم .

وقول أبي بكر رضي الله عنه : هذا يوم بنت خارجة يارسول الله . بنت
خارجة اسمها : حبيبة ، وقيل ملكية ، وخارجة هو ابن زيد بن أبي زهير ،
وابن خارجة هو زيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت فيما روى ثقات أهل
الحديث لا يختلفون في ذلك ، وذلك أنه مات في زمن عثمان ، فلما سئى عليه
تسموا جنازة في صدره ، ثم تكلم ، فقال : أحمّد أحمّد في الكتاب الأول
صدق صدق ، وأبو بكر القمّدي الضعيف في نفسه القوي في أمر الله
في الكتاب الأول ، صدق صدق ، عمر بن الخطاب ، القوي الأمين في الكتاب
الأول صدق صدق ، عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت
سنتين ، أنت الفتن ، وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة وسيأتكم
خير بئر أريس ، وما بئر أريس ^(١) . قال سعيد بن المسيّب : ثم هلك رجل من
بني خزيمة فسُجّي بثوب ، فسموا جنازة في صدره ثم تكلم ، فقال : إن
أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق ، وكانت وفاته في خلافة عثمان رضي الله
عنه وقد عرض مثل هذه القصة لبيع بن حراش أخى ربيعة بن حراش ، قال :
ربيّ : مات أخى فسجّيناه ، وجلسنا عنده ، فبينما نحن كذلك إذ كشف
الذوب عن وجهه ، ثم قال : السلام عليكم ، قالت : سبحان الله !! أبعاد الموت ؟

(١) بئر قريبة من مسجد قباء .

قال: إني لقيت رَبِّي فَمَلَأَنِي رَوْحَ وَرِيحَانٍ ، وَرَبِّ غَيْرَ غَضَبَانَ ، وَكَسَانِي ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ مُسْنَدِي وَإِسْتَبْرَقِي؛ أَمَرَعُوا بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ قَدْ أَفْسَمَ أَنْ لَا يَبْرَحَ حَتَّى آتِيَهُ وَأَدْرِكَهُ ، وَإِنْ الْأَمْرُ أَهْوَنُ مَا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ فَلَا تَتَّقَرُّوا ، ثُمَّ وَاللَّهِ كَأَنَّمَا كَانَتْ نَفْسُهُ حَصَاةً فَأُلْقِيَتْ فِي طَسْتٍ (١) .

أَمَرَ كَلِمَةً نَسْكَمُ بِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

فصل : وَذَكَرَ أَنَّ آخِرَ كَلِمَةٍ نَسْكَمُ بِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى ، وَهَذَا مُنْتَزَعٌ مِنْ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ فَهَذَا هُوَ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى ، وَلَمْ يَقُلْ الرَّفِيقَ ، لِمَا قَدَّمَاهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ بِمَا حَسَنَ ذَلِكَ ، مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَهَا عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَهَذِهِ آخِرُ كَلِمَةٍ نَسْكَمُ بِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهِيَ تَنْتَضِعُ مِنْ مَعْنَى التَّوْحِيدِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ كَلَامِ الْمُؤْمِنِ ، لِأَنَّهُ قَالَ : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ وَهُمْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَهُمْ أَهْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ فِي الْآيَةِ الْمُنْتَدِمَةِ مَنْ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَذَكَرَهُمْ ، وَهُمْ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ خَيْرٌ فَاخْتَارَ ، وَبَعْضُ الرِّوَاةِ يَقُولُ عَنْ عَائِشَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : فَأَشَارَ

(١) لَا تَنْصُورُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ إِلَّا أَحَدًا مَرَيْنِ ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ رِوَاؤُهَا هُوَ لَثِمُ الذِّكْرِ ، وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ إِغْمَاءٌ عَمِيقَةٌ ، أَطَاقَ بِمَدِّهَا زَيْدٌ . فَقَالَ مَا رَأَى فِي غَيْبِ رِوَايَتِهِ . إِلَّا فَإِنْ هَدَى الْفَرِيقَ الْآخِرَ وَالسَّنَةَ فِي جَانِبٍ . وَهَذَا فِي جَانِبٍ آخَرَ .

بِأَصْبَحِهِ ، وَقَالَ : فِي الرِّفِيقِ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ قَالَ : اللَّهُمَّ الرِّفِيقُ ^(١) ،
وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ ، يَرِيدُ : التَّوْحِيدَ ، فَقَدْ دَخَلَ بِهِذِهِ الْإِشَارَةَ فِي مُعْهَدِ قَوْلِهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ لَمْ يُبَشِّرْ ، وَلَكِنْ ذَكَرْنَا هَذَا لِثَلَاثِ اقْوَالٍ
الْقَائِلُ : لَمْ يَكُنْ آخِرَ كَلَامِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ
وَهُوَ مُسْتَرْضِعٌ عِنْدَ حَلِيمَةٍ أَنْ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، رَأَيْتُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ كُتُبِ
الْمَوَاقِدِيِّ .

وَأَمَّا آخِرُ مَا أَوْصَى بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَأَنَ قَالَ : الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
حَرَّكَ بِهَا لِسَانَهُ وَمَا يَكَادُ بَيِّنُ ، وَفِي قَوْلِهِ : مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قَوْلَانِ : قِيلَ :
أَرَادَ الرِّفْقَ بِالْمَمْلُوكِ ، وَقِيلَ : أَرَادَ الزَّكَاةَ ، لِأَنَّهَا فِي الْقُرْآنِ مَقْرُونَةٌ بِالصَّلَاةِ ،
وَهِيَ مِنْ مِلَّةِ الْبَيِّنِ ، قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ .

وَقَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَمَنْ سَنِّهِيَ وَحَدَّثَنِي سَنِي أَنَّهُ قُبِضَ
فِي حِجْرِي خَوْضَتْ رَأْسَهُ عَلَى الْوِسَادَةِ ، وَقَدْ أَلْتَدِمُ مَعَ النِّسَاءِ . الْإِلْتِدَامُ :
خَرْبُ الْغُلْدِ بِالْيَدِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ هَذَا فِي التَّحْرِيمِ ، لِأَنَّ التَّحْرِيمَ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى
الشَّرَاحِ وَالنُّوْحِ ، وَلُمِيتِ الْخَارِقَةُ وَالْحَالِقَةُ وَالصَّالِقَةُ وَهِيَ الرَّافِعَةُ لَصَوْنِهَا ،

(١) فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا : اللَّهُمَّ فِي
الرِّفِيقِ الْأَعْلَى . وَفِي أُخْرَى أَنَّهُ سَمِعَتْهُ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي ،
وَالْحَقْنِي بِالرِّفِيقِ الْأَعْلَى .

ولم يذكر الدم^(١) لكنه ، وإن لم يذكره ، فإنه مكروه في حال المصيبة ، وتركه أحد إلا على أحمد صلى الله عليه وسلم :

فَالصَّبْرُ مُحَمَّدٌ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ^(٢)

مَنْ نُوْفِي رَسُولُ اللَّهِ ؟ :

وَاتَّفَقُوا أَنَّهُ تُوْفِّي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ إِلَّا شَيْئًا ذَكَرَهُ .
ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ : الْأَرْبَعَاءُ^(٣) ، قَالُوا كُلُّهُمْ : فِي رِيْعِ الْأَوَّلِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ

(١) مَا نَظَنُّ أَنْ سَيِّدَةً فِي مِثْلِ دِينِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَتَقَوَّاهَا وَأَخَذَهَا
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ يَلْذِمُ الْمَصَابِ عَقْلَهَا ، فَيُدْفَعُهَا إِلَى اقْتِرَافِ فِعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ . هَذَا وَقَدْ
رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، ص ، قَالَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ
الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ .
وَمِنْ الدَّمِ إِلَّا نَظَمُ ؟ قَدْ تَبَكَّى ، وَتَطِيلُ الْبِسْكَاءُ . أَمَا أَنْ تَلْطَمَ ، وَمَعَ النَّسَاءِ ؟
وَفِي بَيْتِ قَدْسَتِهِ رُوحُ النَّبُوَّةِ ؟ أَمَا هَذَا ، فَلَا يَجُوزُ تَصَوُّرُهُ وَلَا قَوْلُهُ .

(٢) ذَلِكَ شَعْرٌ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَدْيِ السَّنَةِ رَحِمَ . فَالصَّبْرُ بِمَجُودٍ فِي كُلِّ مَصِيبَةٍ .
تَرَى أَكُنْ صَبْرًا بَكَرَ عَلَى وَفَاةِ خَلِيلِهِ ، ص ، كَانَ غَيْرَ حَمِيدٍ ؟ وَالْجَاوِزُ لَا يُمْكِنُ
أَنْ يُسَمَّى حَامِدًا ، إِنَّمَا هُوَ زَخْرَفٌ مِنَ الْقَوْلِ . وَأَجَلٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ :

اصْبِرْ لِكُلِّ مَصِيبَةٍ وَتَحْلِدْ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مَحْلَدٍ
وَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا نَوْبُ تَنْوِبِ الْيَوْمِ تَسْكُفُ فِي غَدٍ
وَإِذَا أَتَتْكَ مَصِيبَةٌ نَشْجَى بِهَا فَادْكُرْ مَصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

(٣) قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ أَوَّلًا : « قَبَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ، ص ، يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَفَرَّغَ .
ذَلِكَ كَانَ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رِيْعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ . ثُمَّ قَالَ : « وَيُقَالُ =

قالوا ، أو قال أكثرهم في الثاني عشر من ربيع ، ولا يصح أن يكون توفي صلى الله عليه وسلم إلا في الثاني من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة ، وهو التاسع من ذي الحجة ، فدخل ذو الحجة يوم الخميس ، فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت ، فإن كان الجمعة ، فقد كان صفرًا إما السبت وإما الأحد ، فإن كان السبت ، فقد كان ربيعًا الأحد أو الاثنين ، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب ، فلم يكن الثاني عشر من ربيع يوم الاثنين بوجه ، ولا الأربعاء أيضًا^(١) كما قال القتيبي ، وذكر الطبري عن ابن الكلبي وأبي مخنف أنه توفي في الثاني من ربيع الأول^(٢) ، وهذا القول وإن كان خلاف أهل الجمهور فإنه لا يبعد أن كانت الثلاثة الأشهر التي قبله كلها من تسعة وعشرين ، فتدبره ، فإنه صحيح ، ولم أر أحداً تنقطن له ، وقد رأيت للخوارزمي أنه توفي عليه السلام في أول يوم من ربيع الأول ، وهذا أقرب في القياس بما ذكر الطبري عن ابن الكلبي وأبي مخنف .

== إنه ولد يوم الاثنين ، وبعث يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء في حجرة عائشة ، وفيها قبض ، ص ٥٥ المعارف .

(١) يذكر في المعارف أنه دفن يوم الأربعاء ، أما الوفاة فذكر أنها كانت يوم الاثنين فليس ثمت خلاف . ويصح الحاكم أنه دفن يوم الاثنين عند الزوال . أما ابن عبد البر فيقول : أكر الآثار على أنه دفن يوم الثلاثاء .

(٢) وقد صححه ابن حزم وغيره .

السواك :

فصل : وذكر عن عائشة رضى الله عنها أنها تناولته السواك حين رآته ينظر إليه ، فاستألك به ^(١) ، وفيه من الفقه : التَّنَظُّفُ والتَّطَهُّرُ للموت ، ولذلك يُسْتَحَبُّ الاستِحْدَادُ لمن اسْتَشَمَرَ القَتْلَ أو الموتَ كما فعل خُبَيْبٌ ، لأنَّ المِيتَ قَادِمٌ عَلَى رَبِّهِ ، كما أَنَّ للعِصَى مُنَاجَ رَبِّهِ ، فالنَّظَافَةُ من شَأْنِهِمَا ، وفي الحديث : إِنْ اللهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَإِنْ كَانَ مَمْلُوكَ السَّنَدِ ، فَإِنْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ ، وَلَيْسَ النَّظِيفُ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ ، وَلَكِنَّهُ حَسَنٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، لِازْدِوَاجِ السَّكَّامِ ، وَلِقُرْبِ مَعْنَى النَّظَافَةِ مِنْ مَعْنَى الْقُدُسِ ، وَمِنْ أَسْمَاءِهِ سَبْعَانَهُ : الْقُدُّوسُ ، وَكَانَ السَّوَاكُ الْمَذْكُورُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ عَسِيبٍ تَخْلٍ فِيمَا رَوَى بَعْضُهُمْ ، وَالْعَرَبُ تَسْتَأْكَ بِالتَّسْيِيبِ ^(٢) ، وَكَانَ أَحَبَّ السَّوَاكِ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صُرْعُ الْأَرَاكِ ، وَاحِدُهَا صَرِيعٌ ، وَهُوَ قَضِيبٌ يَنْطَوِي مِنَ الْأَرَاكِ حَتَّى يَبْلُغَ التَّرَابَ ، فَيَبْقَى فِي ظِلِّهَا فَهُوَ الْأَيْزُ مِنْ قَرَعِهَا .

وَمَا رَوَى مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - فِي مَعْنَى قَوْلِهَا : بَيْنَ سَجَرِي وَتَحْرِي ، أَنَّهَا قَالَتْ : قَبِضَ رَسُولُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ حَاقِنَتِي

(١) كَانَ سَوَاكُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ كَمَا وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ . وَكَانَ السَّوَاكُ مِنْ جَرِيدَةِ رُطَبَةٍ . تَقُولُ عَائِشَةُ : إِنْ مِنْ نَعَمِ اللهِ تَمَالَى عَلَى أَنْ اللهُ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ . دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَبَيَّهَ سَوَاكُ رَأَى أَنَا مُسْنَدَةَ رَسُولِ اللهِ ، أَخْبَرَ الْحَدِيثَ .

(٢) سَبَقَ السَّكَّامُ عَنْ السَّوَاكِ كَمَا وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ .

وَدَاقِدَتِي ، فَالْحَاقِنَةُ الثُّغْرَةُ^(١) ، وَالْدَّاقِنَةُ : تَحْتَ الدَّقْنِ ، وَيُقَالُ لَهَا : الثُّونَةُ
أَيْضًا . وَرَوَى أَيْضًا : بَيْنَ شَجَرِي - بِالشَّيْنِ وَالْجِيمِ - وَنَحْرِي ، وَسُئِلَ عُمَارَةُ بْنُ
عَقِيلٍ عَنْ مَعْنَاهُ ، فَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ ، وَضَمَّهَا إِلَى نَحْرِهِ .
وَعُسِّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قُبِضَ مِنْ بَيْتْرِ لَسَعِدِ بْنِ خَيْثَمَةَ يُقَالُ لَهَا بَيْتَرُ
الْفَرَسِ .

كرامات ومعجزات :

فصل : وذكر أنهم كُتِبُوا حين أرادوا نزع قَيْصِهِ لِلْقَتْلِ ، وَكَلَّمَهُمْ سَمِعَ
الصَّوْتَ ، وَلَمْ يَرِ الشَّخْصَ ، وَذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) ، وَمِنْ
آيَاتِ نُبُوَّتِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَقَدْ كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَرَامَاتٌ وَمُعْجَزَاتٌ^(٣)
فِي حَيَاتِهِ ، وَقَبْلَ مَوْلَاهُ وَبَعْدَ مَوْتِهِ . وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّهْمِيدِ
مِنْ طُرُقِ صِحَاحٍ : أَنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ سَمِعُوا وَهُوَ مُسَجَّى بَيْنَهُمْ قَائِلًا يَقُولُ :
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّ فِي اللَّهِ عِوَضًا مِنْ كُلِّ تَالِفٍ ،
وَخَلْقًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَعِزًّا مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، فَاصْبِرُوا وَاحْتَسِبُوا ، إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ ، وَهُوَ حَسْبُنَا ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ . قَالَ : فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ اتَّخَضَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيْنَا وَعَلَيْهِ^(٤) . وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يُفَسِّلُهُ

(١) أَوْ هِيَ كَمَا عَرَّفَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ : لَوْ هَذِهِ الْمُنْخَفِضَةُ بَيْنَ الثَّرْقَوَتَيْنِ مِنَ الْحَلْقِ .

(٢) الرِّوَايَةُ تَقُولُ . إِنَّ اللَّهَ أَلْقَى عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا ذُقْنَتْهُ فِي صَدْرِهِ .
فَهِيَ إِذَا رُؤِيَ وَنَدَّ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .

(٣) قُلْتُ مِنْ قَبْلِ : لَسَمَ مَا مِنْ بِهِ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ تَأْيِيدًا لَهُمْ : آيَاتُ .

(٤) وَصَاحِبُ مُوسَى هَذَا قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِ بِمِائَتِ السَّنِينَ .

هو وعلى ، فجعل الفضل وهو يصب الماء يقول : أرخني أرخني ، فإني أجد شيئاً يقتزل على ظهري . ومنها أنه عليه السلام لم يظهر منه شيء مما يظهر من الموتى ، ولا تغيرت له رائحة ، وقد طال مكثه في البيت : قبل أن يدفن ، وكان موته في شهر أيلول ، فكان طيباً حياً وميتاً ، وإن كان عمه العباس قد قال لعل : إن ابن أخى مات لاشك ، وهو من بنى آدم يأمن كما يأمنون^(١) ، فواروه . وكان مما زاد العباس يقيناً بموته عليه السلام أنه كان قد رأى قبل ذلك يسيّر كأن القمر رُفِعَ من الأرض إلى السماء بأشطان ، فقصّها على نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : هو ابن أخيك . وروى يونس بن بكير في السيرة أن أم سلمة قالت : وضعت يدي على صدر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ميت فمررت على مجمع لا آكل ولا أتوضأ إلا وجدت ريح اللسك من يدي ، وفي روايته أيضاً : أن علياً نودي ، وهو يُفسّله أن ارفع طرفك إلى السماء . وفيها أيضاً أن علياً والفضل حين انتميا في القفل إلى أسفله سمعوا منادياً يقول : لا تكشّفوا عورة نبيكم عليه السلام .

موازاة بين عمر وبين أبي بكر :

وأما جَزَعُ عمر رضي الله عنه وقوله : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه

(١) لا ريب في أن العباس صدر في كلمته هذه عن يقين الإيمان بشرية محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خاتم النبيين ، وأن عظمته تتجلى فيما صدر عنه في حياته لا فيما ينسب إلى هذا الجسد المسجى وليس فيما روى هنا حديث عند أصحاب الصحيح .

وسلم ، وأبْرَجِمَنْ كما رَجَعَ موسى عليه السلام ، حتى كَلَّمَهُ أبو بكر رحمه الله .
 سَوَّكَرَهُ بِالْآيَةِ ، فَتَمَيَّرَ حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَمَا كَانَ مِنْ تَبَيَّاتٍ جَاشٍ
 أَبِي بَكْرٍ وَقُوتهُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ ^(١) ، فَفِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 مِنْ شِدَّةِ التَّأَلُّهِ ، وَتَمَلُّقِ الْقَلْبِ بِالْإِلَهِ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ،
 فَإِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ . وَمِنْ قُوَّةِ
 تَأَلُّهِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ أَجْمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
 رَدِّ جَيْشِ أُسَامَةَ حِينَ رَأَوْا الرُّدَّةَ قَدْ اسْتَعْمَرَتْ نَارُهَا ، وَخَافُوا عَلَى نِسَاءِ
 الْمَدِينَةِ وَذُرَارِيهَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ لَعِبَتِ الْكِلَابُ بِخَلَاخِلِ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ ،
 مَا رَدَدْتُ جَيْشًا أَنْفَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَلَّمَهُ عُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ،
 وَسَالَمَ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ ، وَكَانَ أَشَدَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُخَالِفَ رَأْيَهُ رَأَى سَالِمًا ،
 فَكَلَّمُوهُ أَنْ يَدْعَ لِلْعَرَبِ زَكَاةَ ذَلِكَ الْعَامِ تَأْلَفًا لَهُمْ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ الْأَمْرُ ، قَدْ
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَأَلَّفُهُمْ ، وَكَلَّمَهُ عُمَرُ أَنْ يُؤَلِّيَ مَكَانَ
 أُسَامَةَ مَنْ هُوَ أَهْنُ مِنْهُ ، وَأَجْلَدُ ، فَأَخَذَ بِلَحْيَةِ عُمَرَ ، وَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ الْخَطْلَبِ
 أَتَأْمُرُنِي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ حَالٍ عَقْدًا عَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 وَاللَّهِ لَأَنْ أُخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَتَخْطَفَنِي الطَّيْرُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

(١) ما أجل ما عبرت به عائشة عن موقفهما حين قالت - كما ورد في البخاري -
 « فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها ، لقد خوف عمر الناس ،
 وإن فهم لتفارقا ، فردم الله بذلك ، هم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى ، وعرفهم
 الحق الذي عليهم ،

أَمَّا لَكُمْ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ ، وَقَالَ لَهُمْ : وَاللَّهِ لَوْ أَفْرَدْتُ مِنْ جَمِيعِكُمْ لِقَاتِلَهُمْ
وَحَدَى حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي ، وَلَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا ، لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ ، أَوْ فِي شَيْءٍ
أَنْتُمْ ، إِنْ وَعَدَ اللَّهُ تَلَقُّ ، وَإِنْ قَوْلُهُ أَصْدَقُ ، وَلِيُظْهِرَنَّ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ، وَلَوْ كَرِهَ
الشُّرَكَاءُ . ثُمَّ خَرَجَ وَحْدَهُ إِلَى ذِي الْقَصَّةِ ^(١) حَتَّى اتَّبَعُوهُ ، وَسَمِعَ الصَّوْتَ بَيْنَ
يَدَيْهِ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ إِلَّا إِنْ الْخَلِيفَةَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْكُمْ الْهَرَبُ الْهَرَبُ ، حَتَّى انْصَلَّ
الصَّوْتُ مِنْ يَوْمِهِ بِيَلَادِ حَمِيرَ ، وَكَذَلِكَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَانَ
يُلَوِّحُ الْفَرْقُ فِي الْقِتَالِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ حِينَ
قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَخْفِضُ مِنْ صَوْتِكَ بَعْنِي فِي صَلَاةِ
الْأَيْلِ ، فَقَالَ : قَدْ أَسَمِعْتُ مَنْ تَاجِبْتُ ، وَقَالَ : لِلْفَارُوقِ : سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَرْفَعُ
مِنْ صَوْتِكَ ، فَقَالَ : كَيْ أَطْرُدَ الشَّيْطَانَ ، وَأَوْقُظَ الْوَسْطَانَ . قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ
ابْنُ هَوَازِنَ الْقَشِيرِيُّ ^(٢) ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ : انْظُرُوا إِلَى فَضْلِ الصَّدِّيقِ عَلَى
الْفَارُوقِ ، هَذَا فِي مَقَامِ الْمَجَاهِدَةِ ، وَهَذَا فِي بَسَاطَةِ الْمَشَاهِدَةِ ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ
مَنْهُ يَوْمَ بَدْرَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَقَاتِلَهُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَهُوَ مَعَهُ
فِي الْقَرِيشِ ، وَكَذَلِكَ فِي أَمْرِ الصَّدَقَةِ حِينَ رَغِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - فِيهَا ، فَجَاءَ مُحَمَّدٌ بِنِصْفِ مَالِهِ ، وَجَاءَ الصَّدِّيقُ بِجَمِيعِ مَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ
النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا بَقِيتَ لِأَهْلِكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَكَذَلِكَ فَعَلَهُ فِي قَسَمِ
النَّبِيِّ حِينَ سَوَّى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ : هُمْ إِخْوَةٌ ، أَبُومُ الْإِسْلَامِ ، فَهَمَّ فِي هَذَا

(١) مكان على جريد من المدينة . وهناك غيره ، فانظر المشترك وضعاً لياقوت .

(٢) هو صاحب الرسالة القشيرية التي ذكر فيها من التصوف نزغات صارفة

من الحق .

النبي أسوة، وأجور أهل السوابق على الله. وفضل عمر في قسم النبي بعضهم على بعض على حسب سوابقهم، ثم قال في آخر عمره: لئن بقيت إلى قابل لأسوين بين الناس، وأراد الرجوع إلى أبي بكر، ذكره أبو عبيد رضي الله عنه، وعن جميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ما مات للصحابه عقب وفاته صلى الله عليه وسلم :

ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما قبض، وارتفعت الرثه وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة، دُهِشَ الناس، وطاشت عقولهم وأفعموا، واختطوا، فمنهم من خيل، ومنهم من أضميت، ومنهم من أقعد إلى أرض، فكان عمر - رضي الله عنه - ممن خيل وجعل يصيح، ويخاف: ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان مثنى أخريس عثمان بن عفان حتى جعل يذقب به ويجمأ، ولا يستطيع كلاماً، وكان ممن أقعد: علي، رضي الله عنه، فلم يستطيع حراكاً، وأما عبيد الله بن أبي ريس، فأضنى حتى مات كعداً، وبلغ الخبير أبا بكر رضي الله عنه، وهو بالشَّيْخ^(١)، فجاء وعينه منه لآل، وزقارته تتردد في صدره، وغصصه ترتفع كقطع الجرة، وهو في ذلك رضوان الله عليه، جلد العقل والمقالة، حتى دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأكب عليه، وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه، وجعل يبكي، ويقول: بأبي

(١) ضبطها البكري بضم النون وغيره بسكونها.

أنت وأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وانقطع لموتك ما لم يَنْقَطِعْ لموتِ أَحَدٍ من الأنبياء من النبوة ، فَمَطُمْتَ من الصفّة ، وَجَلَلْتَ عن البُكاء ، وَخَصِمْتَ حتى صِرْتَ مَسَلَةً ، وَعَمْتَ حتى صِرْنَا فِيكِ سَوَاءً ، ولو أن مَوْتَكَ كان اختياراً لَجَدْنَا لموتِكَ بالنفوسِ ، ولولا أنك نَهَيْتَ عن البُكاء لَأَنقَذْنَا عليك ماءَ الشُّنُونِ ، فأما ما لا نستطيع نَفْيَهُ فَكَمَدَ وَإِذْنَا فُ بِتَحَالُفَانِ لَا يَبْرَحَانِ ، اللهم أَبْلغْهُ عَنَّا ، اذْكُرْنَا بِأَمْحَمَدَ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَلَنَكُنْ مِنْ بَالِكَ (١) ، فَلَوْلَا مَا خَلَقْتَ مِنَ السَّكِينَةِ ، لَمْ نَقُمْ لِمَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ، اللهم أَبْلغْ نَبِيَّكَ عَنَّا ، وَاحْفَظْهُ فِينَا ، ثُمَّ خَرَجَ لِمَا قَضَى النَّاسُ عَمْرَاهُم ، وَقَامَ خَطِيبًا فِيهِمْ بِمُخْطَبَةٍ جُلُّهَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَاتَمُ أَنْبِيَائِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا شَرَعَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ يَتَّبِعُ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَتَّبِعُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَدَّمَ لَكُمْ فِي أَمْرِهِ ، فَلَا تَدْعُوهُ جِزْعًا ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ اخْتَارَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا عِنْدَهُ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ ، وَقَبَضَهُ إِلَى ثَوَابِهِ ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ كِتَابَهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِمَا عَرَفَ ، وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا أَنْكَرَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ وَلَا يَشْغَلْكُمْ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ وَلَا يَلْقِئَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ، وَعَاجِلُوا

(١) لَا يَقُولُ هَذِهِ أَبُو بَكْرٍ .

الشيطانَ بِالْخَزْيِ تُفْجِرُوه ، وَلَا تَسْتَنْظِرُوهُ قَيَّاحَقْ بِكُمْ . فلما فرغ من خطبته ، قال : يَا عُمَرُ أَأَنْتَ الَّذِي بُلَغِي عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُ عَلَى بَابِ نَبِيِّ اللَّهِ ، وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ : مَا مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ يَوْمَ كَذَا : كَذَا ، وَكَذَا ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ فقال عمر : وَاللَّهِ لَسَكَأْتُ لَمْ أَسْمَعْ بِهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ الْآنَ لِمَا نَزَلَ بِنَاءُ أَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ لَا يَمُوتُ ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ صلواتُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ ، وَعِنْدَ اللَّهِ تَحْتَسِبُ رَسُولُهُ . وقال عمر فيما كَانَ مِنْهُ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّكَ مَيِّتٌ	وَلَكِنَّمَا أَبْدَى الَّذِي قَلَّمَهُ الْجَزَعُ ^(١)
وَقُلْتُ يَفِيبُ الْوَحْيُ عَنَّا لَقَعْدِهِ	كَأَغَابِ مُوسَى ، ثُمَّ يَرْجِعُ كَلَرَجَعٍ
وَكُنْ هَوَايَ أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ	وَلَيْسَ لِحَيٍّ فِي بَقَا مَيِّتٍ طَمَعٌ
فَلَمَّا كَشَفْنَا الْبُرْدَ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ	إِذَا الْأَمْرُ بِالْجَزَعِ لِلْوَهَبِ قَدْ وَقَعَ
فَلَمْ تَكُ لِي عِنْدَ الْمُصِيبَةِ حِيلَةٌ	أَرَدُّ بِهَا أَهْلَ الشَّمَانَةِ وَالْقَدْعِ
سَرَوِي أَذِنَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ	وَمَا أَذِنَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِهِ يَقَعُ
وَقَدْ قُلْتُ مِنْ بَعْدِ الذَّالَةِ قَوْلَةً	لَهَا فِي خُلُوقِ الشَّامِتِينَ بِهِ بَشَعُ
فَلَا إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ	إِلَى أَجَلٍ وَافٍ بِهِ الْوَقْتُ فَانْقَطَعَ
تَدِينُ عَلَى الْعَمَلَاتِ مِمَّا بَدِينَهُ	وَنُعْطَى الَّذِي أُعْطِيَ ، وَنَمْنَعُ مَا نَمْنَعُ

(١) جزم بدون سبب . وليس في الشعر راحة من عمر .

ووليت مخزوناً بعين سَخِيْفَةٍ أَكْفَكِفُ دُمَيِّ وَالْفَوَاقِدُ قَدْ انْصَدَعَتْ
وَقُلْتُ لِمَ يَنْبَغِي : كُلُّ دَمْعٍ ذَخْرَتِهِ مُجْجِدِي بِهِ إِنْ الشَّيْءُ لَهُ دُفْعٌ

وفى هذا الخبر أن عمر قال : فَعَيَّرْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، بَعْنَى حِينَ قَالَ لَهُ
أَبُو بَكْرٍ مَا قَالَ ، يُقَالُ : عَيَّرَ الرَّجُلُ إِذَا سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ قَامَتِهِ ، وَحُكْمُهُ
بِتَقْوَبٍ عَقَرٍ بِالْقَاءِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَقَرِ وَهُوَ التُّرَابُ ، وَصَوَّبَ ابْنُ كَيْسَانَ
الرَّوَايَتَيْنِ ، وَقَالَتْ مَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
فَلَوْ نَزَلَ بِالْجِبَالِ الثَّمَمُ مَازَلْ بِأَبِي لَهَا ضَهَاءُ ، ارْتَدَّتِ الْغَرْبُ وَاشْرَأَبَ النِّفَاقُ ،
فَمَا اخْتَلَفُوا فِي نُقْطَةٍ إِلَّا طَارَ أَبُو بَحْظَهَا وَغَنَاطُهَا ، وَيُرْوَى فِي بُقْطَةٍ بِالْبَاءِ ، قَالَهُ
الْهَرَوِيُّ فِي الْغَرَبِيِّينَ ، وَفَسَّرَهُ بِاللَّامَةِ ^(١) ، وَنَحْوُهَا ، وَاسْتَشْهَدَ بِالْحَدِيثِ
فِي النَّهْيِ عَنِ بَقْطِ الْأَرْضِ ، وَهُوَ أَنْ يُقَطَعَ شَجَرُهَا فَتَتَخَذَ بُقْعًا لِلزَّرْعِ ،
وَبَقْطُهَا ضَرْبٌ مِنَ الْمُخَابَرَةِ قَدْ فُسِّرَ .

كيف صلى على جنازته عليه السلام؟

ذكر ابن إسحاق وغيره أن المسلمين صَلُّوا عَلَيْهِ أَفْذَاذًا ، لَا يَوْمُئِهِمْ أَحَدٌ ،
كَلِمَا جَاءَتْ طَائِفَةٌ صَلَّتْ عَلَيْهِ ، وَهَذَا خُصُوصٌ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَلَا يَكُونُ هَذَا الْفِعْلُ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ ^(٢) ، وَكَذَلِكَ رَوَى أَنَّهُ أَوْصَى بِذَلِكَ ،

(١) فِي اللَّسَانِ : الْبُقْطَةُ : الْبُقْعَةُ مِنْ بَقَعَ الْأَرْضَ أَوْ الْفَرْقَةَ مِنَ النَّاسِ .

(٢) حَدَّثَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ . وَيَقُولُ الْحَافِظُ فِي الْمَفْتُوحِ ،
إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ضَمِيرَةَ . وَعَنْ أَبِي عَسِيْبٍ =

ذكره الطبري مُسْنَدًا ، ووجه الفقه فيه أن الله تبارك وتعالى افترض الصلاة عليه بقوله : ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وحكم هذه الصلاة التي تضمنتها الآية ألا تكون بإمام ، والصلاة عليه عند موته داخلَةٌ في لفظ الآية ، وهي مُتَنَاوِلَةٌ لها ، وللصلاة عليه على كل حال ، وأيضًا فإن الرب تبارك وتعالى ، قد أخبر أنه يُصَلَّى عليه وملائكته ، فإذا كان الربُّ تعالى هو المصلِّي والملائكة قَبْلَ المؤمنين ، وجب أن تكون صلاة المؤمنين تَبَعًا لصلاة الملائكة ، وأن تكون الملائكة هم الإمام ، والحديث الذي ذكرته عن الطبري فيه طول ، وقد رَوَاهُ البزار أيضًا من طريق مُرَّة عن ابن مسعود ، وفيه أنه حين جمع أهله في بيت عائشة - رضى الله عنها - أنهم قالوا : فمن يُصَلِّي عليك يا رسول الله ؟

== عند أحد أنه شهد الصلاة على رسول الله - ص ، يقال : كيف نصلى عليك ؟ قال . ادخلوا أرسالا . وعن جابر وابن عباس أيضا عند الطبراني ، وفي إسناده مد المنعم ابن إدريس وهو كذاب ، وقد قال البزار : إنه موضوع . وعن ابن مسعود عند الحاكم بسند واه . وعن أبيط بن قيس عند البيهقي وذكره مالك بلاغا . وفي الحديث أن الصلاة كانت عليه فرادى ، الرجال ، ثم النساء ، ثم الصبيان . قال ابن عبد البر : . صلاة الناس عليه أفرادا يجمع عليه عند أهل السير ، وجماعة أهل العقل لا يختلفون فيه ، وذهب ابن دحية بأن ابن القصار - كى الخلاف فيه ، هل صلوا عليه الصلاة المأمودة أروا فقط ، وهل صلوا فرادى أو جماعة . . قال ابن دحية : والصحيح أن المسلمين صلوا عليه أفرادا لا يؤمهم أحد . وبه جزم الشافعي ، قال : وذلك لعظم رسول الله - ص ، بأبي هو وأمي ، وتنافسهم في ألا يتولى الإمامة عليه في الصلاة واحد . قال ابن دحية : كان المصلون عليه ثلاثون ألفا . أنظر نيل الأوطار ص ٤١ - ٤٢ ط ١٣٥٧ ، والنسخة نص للسيوطي ص ٢٩٤ ط دار الكتب الحديثة بتحقيق الاستاذ محمد خليل هراس .

قال : قَبْلَ غَفْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَجَزَائِكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا ، فَبَكَيْنَا وَبَكَى النَّبِيُّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ : إِذَا غَسَلْتُمُونِي ، وَكَفَّنْتُمُونِي ، فَضَمُّونِي عَلَى سَرِيرِي
فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ، ثُمَّ أَخْرَجُونَا عَنِ سَاعَةِ ، فَإِنْ أَوَّلَ مَنْ يَصَلِّي
عَلَى جَالِسِي وَخَلِيلِي جَبْرِيلُ ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ
جُنُودِهِ ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْمَعِهَا ، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَى قَوْجًا بَعْدَ قَوْجٍ ، فَصَلُّوا عَلَيَّ
وَسَلِّمُوا ، تَسْلِيمًا ، وَلَا تُؤْذُونِي بِتَرْكِ كَيْفَةٍ ، وَلَا ضَجَّةٍ ، وَلَا رَنَّةٍ ، وَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ
عَلَى رَجَالِ بَيْتِي ثُمَّ نِسَائِهِمْ ، وَأَنْتُمْ بَعْدَ اقْرَؤُوا أَنْفُسَكُمْ السَّلَامَ مِنِّي ، وَمَنْ غَابَ
مِنْ أَصْحَابِي فَاقْرَءُوهُ مِنِّي السَّلَامَ ، وَمَنْ تَابِعَكُمْ بَعْدِي عَلَى دِينِي ، فَاقْرَءُوهُ مِنِّي
السَّلَامَ ، فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ سَلَّمْتُ عَلَى مَنْ تَابَعَنِي عَلَى دِينِي مِنَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، قُلْتُ : فَمَنْ يُدْخِلُكَ قَبْرَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ
يُرُونَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ^(١) .

مَوْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَائِفًا طَائِفًا :

فَقُصِّلَ : وَكَانَ مَوْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطْبًا كَالِجَنَّا ، وَرُزْمًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ
قَادِحًا ، كَادَتْ تُهْدِلُهُ الْجِبَالُ ، وَتَرْجِفُ الْأَرْضُ ، وَتَسْكِفُ النَّيِّرَاتُ ،
لَا نَقْطَاعَ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَقَدْ مَنَ لِعَوَضٍ مِنْهُ ، مَعَ مَا آذَنَ بِهِ مَوْتُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
مِنَ الْفِتَنِ الشَّعْمِ ، وَالْخُودَاتِ الْوُحْمِ ، وَالْكَرْبِ الْمُدَاهِيَّةِ ، وَالْهَزَازِ

(١) لَا أَدْرِي كَيْفَ يَعْتَمَدُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ
الصَّحِيحِ وَالَّذِي طَعَنَ فِيهِ نَقْدَةُ الْحَدِيثِ ؟

الْمُضْلِمَةِ ، فَلَوْلَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ السَّكِينَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ،
وَأَسْرَجَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورِ الْيَقِينِ ، وَشَرَحَ لَهُ صُدُورَهُمْ مِنْ فَهْمِ كِتَابِهِ الْمُبِينِ
لَا تَقْصَمَتِ الظُّهُورُ ، وَضَاقَتْ عَنِ السَّكَرَبِ الصُّدُورُ ، وَاعَاقَهُمُ الْجَزَعُ عَنْ تَذْيِيرِ
الْأُمُورِ ، فَقَدْ كَانَ الشَّيْطَانُ أَطْلَعَ إِلَيْهِمْ رَأْسَهُ ، وَمَدَّ إِلَى إِيغْوَائِهِمْ مَطْلَمَتَهُ ،
فَأَوْقَدَ نَارَ الشَّنَّانِ ، وَنَصَبَ رَايَةَ الْخِلَافِ ، وَلَكِنْ أَبِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ، وَيُعْلَى كَامَتُهُ ، وَيُنْجِزَ مَوْعِدَهُ ، فَأُطْفِئَ نَارَ الرَّدَّةِ ، وَحَسَمَ
قَادَةَ الْخِلَافِ وَالْفِتْنَةِ عَلَى يَدِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ :
لَوْلَا أَبُو بَكْرٍ لَهْلَكَتِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ نَبِيِّهَا ، وَلَقَدْ كَانَ مَنْ قَدَّمَ الْمَدِينَةَ
يَوْمَئِذٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا أَشْرَفُوا عَلَيْهَا سَمِعُوا لِأَهْلِهَا ضَجِيجًا ، وَلِلْبَسْكَاءِ فِي جَمِيعِ
أَرْجَائِهَا عَجِيجًا ، حَتَّى صَحِلَتِ الْخُلُوقُ ، وَزُرِفَتِ الدَّمُوعُ ، وَحَقَّ لَهُمْ ذَلِكَ ،
وَلَنْ يَبْدُ لَهُمْ ، كَمَا رَوَى عَنْ أَبِي ذُوئَيْبٍ التَّهَذُّلِيُّ ، وَاسْمُهُ : خُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدٍ ،
وَقِيلَ ابْنُ مُحَرَّرٍ^(١) قَالَ : بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيلٌ
فَاسْتَشْفَرْتُ حُزْنَكَ وَبَتُّ بِأَطْوَلِ لَيْلَةٍ لَا يَنْجَابُ دَيْجُورُهَا ، وَلَا يَطْلُعُ نُورُهَا ،
فَقَالَتْ أَقَاسَى طَوْلُهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ قُرْبُ السَّحَرِ أَغْمَيْتُ ، فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ ،
وَهُوَ يَقُولُ :

خَطْبُ أَجَلٍ أَنَاخَ بِالْإِسْلَامِ بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَقْعِدِ الْأَطَامِ
قُبُضَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ فَمَيُونُنَا تُذْهِرِي الدَّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ

(١) هو شاعر جاهلي إسلامي مات أيام عثمان ، وعامة شعره في إسلامه ، وحضر
سقيفة بن ساعدة .

قال أبو قُؤَيْبٍ : فَوَثَّبت من نوى قَزَعًا ، فنظرت إلى السماء ، فلم أَرِ إلا
سَمَدًا الذَّابِحَ ، فتفاءلت به ذُبْحًا يقع في العَرَبِ ، وعلت أن النبي - صلى الله عليه
وسلم - قد قُبِضَ ، وهو ميت من عِلَّتِهِ ، فركبت ناقتي وسرت ، فلما أصبحتُ
سَلَّبت شيئًا أُرْجَرُ به ، فمَنَّ لي شَيْهَمٌ ، يعني : القُنْفُذَ قد قُبِضَ على صلٍّ ،
يعني : الخَيْةِ ، فهي تَلْقَوِي عليه ، والشَّيْهَمُ يَقْضُمُها حتى أَكَلها ، فزَجَرْتُ
ذلك ، وقلت : شَيْهَمٌ شَيْءٌ مِنْهُمْ ، والتَّوَاءَ الصَّلُّ التَّوَاءَ الناس عن الحق على
القائم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أَكَلُ الشَّيْهَمُ إِبَاهَا غلبَةُ القائم بعده
على الأمر . فَحَثَّثْتُ نَاقَتِي ، حتى إذا كنتُ بِالْعَابَةِ زَجَرْتُ الطَّائِرَ فَأَخْبَرَنِي
بِوَفَاتِهِ ، وَنَعَبَ غُرَابٌ سَارِخٌ فنطق مثل ذلك ، فتموَّذْتُ بالله من شَرِّ ما عَنَّ لي
في طريقِي ، وقدمت المدينة ولها ضَجِيجٌ بالبكاء كضَجِيجِ الخُجَيجِ ، إذا أَهَلُّوا
بِالإِحْرَامِ ، فقلت : مَهْ ؟ فقالوا : قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فحُثَّتْ
المسجِدَ فوجدته خاليًا ، فَأَتَيْتُ رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فَأَصْبَتُ
بابه مُرْتَجِمًا ، وقيل هو مُسْتَجَبِي قد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل :
في سَقِيفَةِ بنِي سَاعِدَةَ ، صاروا إلى الأنصار ، فحُثَّتْ إلى السَّقِيفَةِ فَأَصْبَتُ أَبَا بَكْرَ
وَعُمَرَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الْجُرَّاحِ وسالماً وجماعةً من قُرَيْشٍ ، ورأيت الأنصارَ
فيهِم سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ ، وفيهِم شعراؤُهُم حَسَانُ بنُ ثَابِتٍ وَكُثْبُ بنُ مَالِكٍ وَمَلَأُ
مِنْهُمْ ، فَأَوَيْتُ إلى قُرَيْشٍ ، وتكلمت الأنصارُ ، فأطالوا الخطابَ وأكثروا
الصَّوَابَ وتكلم أبو بكر رضي الله عنه ، فَاللهَ دَرَّه مِنْ رَجُلٍ لَا يُطِيلُ الكلامَ
ويعلم مواضعَ فِصْلِ الخطابِ ، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامعٌ إلاَّ انْقَادَ
له . وَهَذَا لِي بِهِ ، ثم تكلم عُمَرُ ، رضي الله عنه ، بعده دون كلامِهِ ، ومَدَّ يده ،

مقباهه وبأيموه ، ورجع أبو بكر ، ورجعت معه . قال أبو ذؤيب : فشهدت
الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه ، ثم أشد أبو ذؤيب
بيكي النبي صلى الله عليه وسلم :

لما رأيتُ الناسَ في عَسلانِهِم من بين مَلْحُودٍ له ومُضَرِّحٍ
مُتَبَادِرِينَ لِشَرَجَةٍ بأَكْفِهِم نصَّ الرِّقابِ لِقَدِّ أبيضِ أَرْوَحِ
فهنالك صرْتُ إلى المَومِ، ومَن يَدِيتُ جَارَ المَومِ ببيتِ غَيرِ مُروَحِ
كَسَفَتْ لِمِصرَهِ النُجومُ وَبَدَرُهَا وَتَزَعَزَعَتْ أَطَامُ بَطْنِ الأَبْطَحِ
وَتَزَعَزَعَتْ أَجْبَالُ يَثْرِبَ كُلِّهَا وَنَحِيلُهَا لِحُلُولِ خَطْبِ مُفْدِحِ
وَلَقَدْ زَجَرْتُ الطَّيْرَ قَبْلَ وفاته بِمُصَابِهِ، وَزَجَرْتُ سَعْدَ الأَذْبَحِ
وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بيكي رسول الله صلى الله عليه
وسلم :

أَرِقْتُ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ وَلَيْلُ أَخِي المَصِيبَةِ فِيهِ طَوْلُ
وَأَسْعَدَتْنِي البُكَاءُ وَذَلِكَ فِيهَا أَصِيبَ المَسلُومِ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمْتَ مَصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ عَشِيَّةَ قِيلَ : قَدْ قُبِضَ الرِّسُولُ
وَأَضَعْتَ أَرْضَنَا عَمَّا عَرَاها نَكَادُ بِهَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ
فَقَدْنَا الوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِيهَا بِرُوحِ بِهِ وَيَقْدُو جَبْرِائِيلُ
وَذَلِكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتُ عَلَيْهِ نَفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَرَبْتُ تَسِيلُ
فَإِنْ كَانَ يَجْلُو الشُّكَّ عَنَّا بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ

وَيَهْدِينَا فَلَا نَخْشَى ضَلَالًا عَلَيْنَا وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلٌ
أَفَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَلِكَ عَذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي ، ذَاكَ السَّبِيلُ
قَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرٍ وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ
وَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُفِنَ وَرَجَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ
لِي رَحَالِهِمْ وَرَجَعَتْ فَاطِمَةُ إِلَى بَيْتِهَا اجْتَمَعَ إِلَيْهَا نِسَاؤُهَا ، فَقَالَتْ :

اَغْبَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَعْظَمُ الْقَصْرِ أَنْ
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفَا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجَفَانِ
فَلَيْبِنُكَ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلَتَبْنُكَ مَقَرٌّ وَكُلُّ يَمَانٍ
وَلَيْبِنُكَ طُؤُدُ الْمَعْظَمِ جَوْءُ وَالْبَيْتِ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الْمُبَارَكِ ضَوْؤُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مُنَزَّلُ الْقُرْآنِ
[نَفْسِي فِدَاؤُكَ مَا لِرَأْسِكَ مَا نَلَا مَا وَصَّدُوكَ وَسَادَةُ الْوَسْطَانِ]

الروايات المتوافقة في كفن:

فصل : وأما الاختلاف في كفنه عليه السلام كم ثوباً كان ، وفي الذين أدخلوه قبره ونزلوا فيه ، فكثير ، وأصح ما روى في كفن أنه كُفِّنَ في ثَلَاثَةِ أثوابٍ بيضٍ سَحْوَلِيَّةٍ (١) ، وكانت تلك الأثواب من كُرْسُفٍ (٢) ، وكذلك قيَّصه عليه السلام كان من قُطْنٍ ، ووقع في السيرة من غير رواية البُكَّائِي أنها كانت إزاراً ورداء ، ولُفَاقَةً ، وهو موجود في كتب الحديث وفي الشُّروحات ، وكانت اللَّبَنُ التي نُصِّدَتْ عليه في قبره تَسْتَعِ كِبَنَاتٍ .

وذكر ابن إسحاق فيمن أُلْحِذَهُ شَقْرَانُ مَوْلَاهُ ، واسمه : صالح ، وشهد بداراً ، وهو عبد قبل أن يُعْتَقَ ، فلم يُسَمِّهِمْ لَهُ ، انقرض عقبه فلا عَقِبَ لَهُ .

وذكر ابن إسحاق مَرَّأِي حَسَّانَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليس فيها ما يُشْكَلُ فَتَشْرِحُهُ ، وقد رثاه كثير من الشعراء وغيرهم ، وأكثرم

(١) بضم السين والحاء ، وبفتح السين أشهر نسبة إلى سحول قرية باليمن . قال ابن الأعرابي : وهي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من قطن . وقال ابن قتيبة ثياب بيض ، ولم يخصها بالقطن ، وفي رواية البخاري : سحول بدون نسبة . وهو جمع سحل ، والسحل : أثواب الأبيض النقي ، وقيل هي بالضم نسبة إلى القرية ، وبالفتح نسبة إلى القصار لأنه يسحل الثياب ، أي ينقيها . وكونه كُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيض سحوالية جدد غاية ليس فيها قبص ولا حمالة أدرج فيها لإدراجاً هو من رواية الجماعة .

(٢) القطر .

أحسهم المصاب عن القول ، وأعجزتهم الصفة عن التأني ، ولن يبلغ بالإطنا ب
في مدح ولا رثاء في كنهه محاسنه عليه السلام ولا قذر مصيبة فقدّه على أهل
الإسلام ، فصلّى الله عليه وعلى آله صلاة تتصل بمدى الليالي والأيام ، وأحلّه
أعلى مراتب الرحمة والرضوان والإكرام ، وجزاه عنا أفضل ما جرى به نبيّنا
عن أمته ، ولا خالف بنا عن ملته ، إنه وليّ الطول والأفضل والإنعام ، وهو
حسبنا ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين .

« تم الكتاب بحمد الله رب العالمين »

وكان الفراغ من تحقيقه في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين

صباح يوم الاثنين ٢٧ من شعبان سنة ١٣٨٨ هـ - ١٨ من

نوفمبر سنة ١٩٦٨ م بمدينة الزهراء بوادي حوف

خاتمة

الحمد لله رب العالمين

بهذا الحمد الذي يمحى به القلب ، وتفيض الحياة ، ويتجاوب الوجود ،
أختم على في هذا الكتاب الذي يتناول سيرة أقدس وأنبل حياة بشرية ،
كانت للناس نوراً وحياة ورحمة ، حياة خاتم النبيين محمد « صلوات الله وسلامه
عليه » الذي بعثه الله لأُمته ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب
والحكمة ، حقق ما وعد به الله ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، إيماناً ،
وخلقاً ، وسلوكاً في الحياة ، وتحكماً لهدى القرآن في شئون الحياة .

وشهد الله لقد بذلتُ من الجهد ما أمكنت ، وحاولت أن أقوم بما هو
مفروض على نحو هذا الكتاب « الروض الأثف » الذي سيطر على المعارف
الإسلامية قروناً متطاوولات .

فهو فوق كونه شرحاً وتحقيقاً لسيرة ابن هشام ، يضم بين دفتيه كل أثر
لثقافة الشاملة ، التي كان الإمام السهيلي عليها في عصره ، والتي بسببها كان
مصدراً لأمثال هؤلاء الأعلام « الإمام ابن القيم ، والإمام الحافظ ابن حجر
المستقلاني ، وابن منظور » في لسان العرب .

الكتاب سيرة ، وتاريخ ، وفقه ، وعقيدة ، ونحو ، وأدب . والسهيلي إمام
كبير في كل ذلك .

وقد حاولتُ جهدى تحقيق كل مسائله بالرجوع إلى نفس مصادره التى
عنها أخذ ، أو بالرجوع إلى الكتب التى عنه أخذت ونقدت ، حتى استوى
الكتاب على هذه الصورة للشرق للشرق التى صوّبت ما كان من أخطاء
كثيرة فى طبعته الأولى .

ولقد كان فى طبعته الأولى جزءين فى مجلد ، وهما فى سبعة أجزاء كبار ،
تجمع بين سيرة ابن هشام ، وبين « الروض الأنف » وبين تحقيق للروض .
ومثل هذه الكتب الجادة التى تمثل تراثنا الفكرى الإسلامى أصدق
تمثيل ، لا يُقبل عليها الناشر ككثيراً . ولكن صاحب « دار الكتب
الحديثة » أقدم على هذا ، مضارباً الزمن الذى قضيته فى تحقيق الكتاب
ومقداره ثلاث سنوات ، استغرقت فيها اليوم كله إلا قليلاً . ولقد كنتُ
حين أقبل على الكتاب أضرع إلى الله أن يلمنى الصواب فيما أكتب ،
وأضرع إليه الآن سبحانه أن يكون قد استجاب دعائى .

وفى السهلى مس من أشعرية ، كان يعتمد به أحياناً عن السلفية ، فلم نمنعنا
إمامته الكبرى عن نقده ، وبيان الصواب فى المسألة .

ولقد قُتُ بتصحيح تجارب طبع ثلاثة أجزاء من الكتاب ، ثم انتُدبَتْ
لتدريس مادة العقيدة الإسلامية فى قسم الدراسات الإسلامية العليا بكلية
الشريعة ، فى مكة المكرمة ، حرسها الله ، وكلاًها برعايته وحفظه ، فوكلت
الدار إلى الأخ « محمود غام غيث » تصحيح تجارب الطبع فى بقية الأجزاء ،
والله يجزيه على ما قدم أحسن وأطيب الجزاء .

وأخيراً وبعد حمد الله وشكره أشكر الشاب الكريم « أحمد حمدى شعبان »

صاحب دار النصر للطباعة ، والإخوة العاملين في الدار ، على هذا الجهد الكريم
السخي ، الذي بذلوه في طبع الكتاب .

وجزى الله صاحب «دار الكتب الحديثة» على ما ينشر من كتب الخير
والحق والموسوعات الإسلامية الجادة .

وصل الله وسلم وبارك على خاتم النبيين محمد .

والحمد لله رب العالمين

مكة المكرمة ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٠
٥ يونيو سنة ١٩٧٠

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل

أستاذ العقيدة الإسلامية
في قسم الدراسات العليا
بكلية الشريعة

فهرس

الجزء السابع من الروض الأثف

ص	ص
٢١ شعر كعب في بكاء قتل مؤنة وض.	٥ مقدمة الجزء السابع
٢٢ شعر حسان في بكاء جعفر بن	٧ عمرة القضاء في ذي القعدة سنة
أبي طالب ومنه	سبع دس، (١)
٢٣ شعر حسان في بكاء ابن حارثة	١٠ ذكر غزوة مؤنة في جمادى الأولى
وابن رواحة ومنه	سنة ثمان ومقتل جعفر وزيد
٢٤ شهداء مؤنة ومنه	وعبد الله بن رواحة دس.
٢٥ عمرة القضية	١٤ لقاء الروم دس.
٢٧ حكم العمرة	١٤ مقتل ابن حارثة دس.
٢٨ تفسير شعر عمار	١٤ إمارة جعفر ومقتله دس.
٢٨ حكم الزواج للمعمر	١٥ استشهاده جعفر وابن رواحة دس.
٣١ غزوة مؤنة	١٦ عمل خالد دس.
٣١ تفسير (وإن منكم إلا واردها)	١٦ تنبؤ الرسول بما حدث دس.
٣٢ شرح شعر ابن رواحة	١٧ حزن الرسول على جعفر دس.
٣٦ شعر جعفر فرسه ومقتله	١٨ كاهنة حدش دس.
٣٨ معنى الجناحين	١٩ كيف تلقى الجيش دس.
٣٩ فضل ابن رواحة	١٩ شعر فليس في الاعتذار عن تقمقر
٤٠ فضل زيد	خالد دس.
٤٠ رجوع أهل مؤنة	٢٠ شعر حسان في بكاء قتل مؤنة دس.

(١) س رمز عن السيرة . و د ن . له رمز عن النحو والفن . و ش رمز
عن الشرح . أما الروض فبدون رمز .

ص	ص
٦٥ عرض الجيش س	٤٢ طعام التعزية وغيرها
٦٦ أبو سفيان يحذر أهل مكة س	٤٣ من شعر حسان في رثاء جعفر
٦٦ وصول النبي ص إلى ذي طوى س	٤٥ حول شعر كعب
٦٧ إسلام والد أبي بكر س	٤٦ الاستسقاء للقبور عند العرب
٦٨ جيوش المسلمين تدخل مكة س	٤٧ من شعر حسان في رثاء جعفر
٦٨ المهاجرون ويعد س	٤٩ ذكر الأسباب الموجبة المسير
٦٨ كيف دخل الجيش مكة ؟ س	إلى مكة ، وذكر فتح مكة في شهر
٦٩ الذين تمرضوا للمسلمين س	رمضان سنة ثمان س
٧٠ شعار المسلمين يوم الفتح س	٥١ شعر تميم في الاعتذار من قراره
٧١ من أمر الرسول بقتلهم س	عن منه س
٧٣ أم هانئ تؤمن رجلين س	٥٢ شعر الأخرز في الحرب بين كنانة
٧٤ طواف الرسول بالكعبة س	وخزاعة س
٧٤ خطبته على باب الكعبة س	٥٣ بديل برد على الأخرز س
٧٥ إقرار الرسول عثمان بن طلحة على	٥٣ شعر حسان في الحرب بين كنانة
السدانة س	وخزاعة س
٧٥ طمس الصور التي بالبيت س	٥٤ شعر عمرو الجنداعي للرسول
٧٦ دخول الكعبة والصلاة فيها س	يستنصره ورده عليه س
٧٦ إسلام عتاب والحارث بن هشام س	٥٥ ابن ورقاء يشكو إلى الرسول
٧٧ خراش وابن الأنوع س	بالمدينة س
٧٨ بين أبي شريح وابن سعد س	٥٦ أبو سفيان يحاول المصالحة س
٧٩ أول من ودي يوم الفتح س	٥٧ الرسول ص بعد فتح مكة س
٨٠ بدء فتح مكة	٥٨ حسان يحرص الناس س
٨٠ حول شعر تميم	٥٨ كتاب حاطب إلى قريش س
٨١ حول شعر الأخرز	٦٠ خروج الرسول في رمضان س
٨٢ حول شعر بديل	٦٢ قصة إسلام أبي سفيان على يد
	العباس س

ن	ص
١٠٩ أم هاني	٨٤ حول شعر عمرو بن سالم
١٠٩ عبد الله بن سعد	٨٥ ما قال عمر لأبي سفيان ومعناه
١١٠ نميلة	٨٥ شرح قول فاطمة لأبي سفيان
١١٠ عن ابن نقيذ والتمتين	٨٦ حاطب بن أبي بلتعة وما كان في كتابه
١١١ عن الديات في خطبة الرسول	٨٧ تصحيف هشيم الحناخ
١١٢ الصلاة في الكعبة	٨٧ تفسير (تلقون إليهم بالمودة)
١١٤ كسر الأصنام من	٨٨ قتل الجاسوس
١١٤ قصة إسلام فضالة من	٨٩ عن عبد الله بن أبي أمية
١١٥ أمان الرسول لصفوان بن أمية من	٨٩ عن أبي سفيان بن الحارث وابنه
١١٦ إسلام عكرمة وصفوان من	وتصيده
١١٦ إسلام ابن الزبير وشعره في	٩٠ وزن فملا (ن . ل)
ذلك من	٩٢ عود إلى أبي سفيان
١١٨ بقاء هبيرة على كفره وشعره في	٩٢ من إسلام سفيان بن حرب
إسلام زوجه أم هاني من	٩٥ قول هند عن أبي سفيان
١١٩ عمدة من شهد فتح مكة من	٩٥ إسلام أبي قحافة
المسلمين من	٩٥ حكم الخضاب
١١٩ شعر حسان في فتح مكة من	٩٨ كداء وكدى
١٢١ شعر أنس بن زعيم في الاعتذار	٩٨ موقف إبراهيم بكداء
إلى الرسول عما قال ابن سالم من	٩٩ موقف الرسول دس من سعد
١٢٢ شعر بديل في الرد على ابن زعيم دس	١٠١ خنيس بن خالد
١٢٢ شعر بجير في يوم الفتح من	١٠٣ حول : لماذا ومرتجة
١٢٣ شعر ابن مرداس في فتح مكة من	١٠٣ حول رجزي حماس
١٢٣ إسلام عباس بن مرداس من	١٠٥ طرف من أحكام أرض مكة
١٢٤ شعر جمعة في يوم الفتح من	١٠٦ الهدل القليل
١٢٤ شعر بجيد في يوم الفتح من	١٠٦ هل تميز الكعبة طاصياً ؟
	١٠٨ صلاة الفتح

- ١٢٥ مسير خالد بن الوليد بعد الفتح
إلى بني جذيمة من كنانة ومسير
على لتلاف خطا خالد س
- ١٢٦ براءة الرسل من عم
خالد س
- ١٢٨ الامتياز عن خالد س
- ١٢٨ بين خالد وبين ابن عوف س
- ١٢٩ بين قريش وبين جذيمة س
- ١٢٩ شعر سلمى فيما بين جذيمة
وقريش س
- ١٣٠ شعر ابن مرداس في الرد على
سلمى س
- ١٣٠ الحجاب يرد على سلمى س
- ١٣١ حديث ابن أبي حذرد يوم
الفتح س
- ١٣٢ شعر جذيمة في الفتح س
- ١٣٢ رهب يرد على الجذيمة س
- ١٣٣ شعر علام جذيمة هارب أمام
خالد س
- ١٣٣ ارتعاز بن مسحق حين سموا
بخالد س
- ١٣٤ مسير خالد بن الوليد لعدم
النزى س
- ١٣٥ عن إسلام أبي سفيان وصاحبيه
- ١٣٦ الحناء بنت أبي جهل
- ١٣٧ إسلام الحارث بن همام
- ١٣٨ إسلام بنت أبي جهل
- ١٣٩ هند بنت عتبة
- ١٤٠ عمرو بن سعيد لا عمرو بن الزبير
- ١٤١ أم حكيم بنت الحارث
- ١٤٢ دم ربيعة بن الحارث
- ١٤٢ حول التخيير بين القصاص وبين
الدية
- ١٤٤ انتهى عن اشتغال الصباء والاحتباء
- ١٤٥ شعر ابن الزبير
- ١٤٦ حول شعر حسان
- ١٥١ معنى التفضيل في شركا
- ١٥١ يلطم أو يطم من ل
- ١٥٣ حول شعر أنس بن سليم
- ١٥٤ حول شعر يحير بن زهير
- ١٥٥ عباس بن مرداس والذين
حرموا الخمر
- ١٥٨ شعر جمدة
- ١٥٨ سرية خالد إلى بني جذيمة
- ١٦٠ شعر أبي حرد
- ١٦١ غزوة حنين في سنة ثمان بعد
- الفتح د س
- ١٦٥ قصيدة ابن مرداس د س
- ١٦٦ ذات أنواط د س
- ١٦٦ ثبات الرسول د س
- ١٦٧ الذين ثبتوا د س
- ١٦٨ الشجاعة بالمسلمين د س
- ١٦٨ شعر حسان في هجاء كعدة د س

ص

- ١٦٩ شية يحاول قتل الرسول «س»
 ١٦٩ في الانتصار بعد الهزيمة
 ١٧٠ رأى أم سليم
 ١٧١ شعر مالك بن عوف في الهزيمة
 ١٧٢ من قتل قتيلاه سلبه
 ١٧٣ نزول الملائكة
 ١٧٣ هزيمة المشركين من أهل حنين
 ١٧٥ رائية ابن مرداس
 ١٧٧ مصرع دريد
 ١٧٨ مصرع أبي عامر الأشعري
 ١٧٩ حال بني رثاب في المعركة
 ١٧٩ موقف قوم مالك بن عوف
 ١٨١ شعر سلمة في فزارة
 ١٨١ عود إلى حديث مصرع أبي عامر
 ١٨٢ النهي عن قتل الضعفاء
 ١٨٢ شأن الشياه وبجاد
 ١٨٣ شهداء يوم حنين
 ١٨٤ سبايا حنين يجمعون
 ١٨٤ شعر بجر يوم حنين
 ١٨٥ شعر لعباس بن مرداس يوم حنين
 ١٨٥ ابن عفيف يودع على ابن مرداس
 ١٨٦ شعر آخر لعباس بن مرداس
 ١٩٣ شعر خنضم في يوم حنين
 ١٩٤ رثاء أبي خراش لابن العجوة
 ١٩٥ ابن عوف يعتذر عن قراره

ص

- ١٩٦ موازني يذكر إسلام قومه «س»
 ١٩٧ جشمية توثي أخويها
 ١٩٧ أبو ثواب يهجو قريشاً
 ١٩٨ ابن وهب يرد على ابن أبي ثواب
 ١٩٨ شعر خديج في يوم حنين
 ١٩٩ ذكر عزرة حنين
 ٢٠٠ ابن الصمة والحنفاء
 ٢٠١ مالك بن عوف وابن حذرد
 ٢٠٢ حول قصيدة عباس التونية
 ٢٠٣ سعد ودهمان
 ٢٠٦ أنا ابن عبد المطلب
 ٢٠٧ شية ومحاولة قتل الرسول «س»
 ٢٠٧ أم سليم والقرار يوم حنين
 ٢٠٩ حول رجز مالك
 ٢١١ السلب للقاتل
 ٢١٢ نزول الملائكة
 ٢١٣ حول قصيدة ابن مرداس
 ٢١٤ جمع أخ وابن «س»
 ٢١٥ من وصف الزبير
 ٢١٥ من أحكام القتال
 ٢١٦ حكم رفع اليد في الدعاء
 ٢١٦ الحفنة وشاهة الوجوه
 ٢١٧ نداء أصحاب الشجرة
 ٢١٨ الضحاك بن سفيان
 ٢١٨ قصيدة ابن مرداس العينية

- ص
٢٤٠ قصيدة بجير في حنين والطائف
٢٤١ أمر أموال هوازن وسببها
وعطايا المؤلفات قلوبهم منها ،
وإنعام رسول الله ص فيها ص
٢٥١ شعر حسان في حرمان الانصار
٢٥٤ عمرة الرسول من الجمعرانة
واستخلافه عتاب بن أسيد على
على مكة وحج عتاب بالمسلمين
سنة ثمان . اعطاء الرسول واستخلافه
ابن أسيد على مكة ص
٢٥٥ وقت العمرة ص
٢٥٥ أمر كعب بن زهير بعد الانصراف
عن الطائف ص
٢٥٧ قدوم كعب على الرسول وقصيدة
الامية ص
٢٦٢ استرخاء كعب الانصار بمدحه
إياهم ص
٢٦٣ غزوة الطائف
٢٦٦ آلات الحرب في الطائف
٢٦٧ حول شعر كعب
٢٦٨ شعر كنانة
٢٦٩ أول من رمى بالمنجنيق في الجاهلية
والإسلام
٢٧٠ غيلان بن سلمة
٢٧١ بادية بنت غيلان

- ص
٢١٩ شعر عباس الكافي
٢٢٠ الدماء والدماء ذ . ل .
٢٢٠ شعر عباس القافى
٢٢٥ القصيدة الراوية
٢٢٦ قصيدة عباس السنية
٢٢٧ قصيدة عباس الميمية
٢٢٨ حول قصيدة ضمضم بن الحارث
٢٢٩ شعر أبي خراش
٢٣٠ من شعر مالك بن عوف
٢٣١ ذكر غزوة الطائف بعد حنين
في سنة ثمان . ص
٢٣١ شعر كعب
٢٣٣ كنانة يرد على كعب
٢٣٣ قصيدة شداد في المسير إلى
الطائف
٢٣٣ الطريق إلى الطائف
٢٣٥ أول من رمى بالمنجنيق
٢٣٥ يوم الشدة
٢٣٥ بين ابي سفيان وثقيف
٢٣٦ تفسير ابي بكر ارضيا الرسول
٢٣٧ سبب ارتحال المسلمين
٢٣٧ عينة بن حسن
٢٣٨ العبيد الذين نزلوا من
حسن الطائف
٢٣٨ شعر الضحاك وموضوعه
٢٣٩ الشهداء في يوم الطائف

- ص ٢٧٤ الخشخاش الذين كانوا بالمدينة
٢٧٤ عينة
٢٧٤ المبيد الذين نزلوا من حصن الطائف
٢٧٦ من نسب مجير بن زهير
٢٧٦ حول شعر مجير
٢٧٨ دحنا ومسح ظهر آدم
٢٧٩ حول قول زهير أبي صرد
١٨١ من أحكام السبايا
٢٨٢ حول سبي حنين
٢٨٣ إعطاء المؤلفة قلوبهم من الفنائم
٢٨٤ وصف عجوز ابن حصن
٢٨٤ الأفرع بن حابس
٢٨٥ مالك بن عوف
٢٨٦ قول النبي صلى الله عليه وسلم لمرداس
٢٨٧ للقبيلة بين الأفرع وعيينة
٢٨٨ حديث ذو الخويصرة
٢٨٩ شعر حسان في عتابه من
٢٨٩ حول عتاب النبي للأصبار
٢٩٠ جميل بن سراقبة
٢٩١ شعر مجير وكعب ابني زهير
٢٩٤ قصيدة بانث سعاد
٢٩٨ عن القول والقليل لإعراباً ومعنى (ن. ل.)
٣٠٠ عود إلى بانث سعاد
ص ٣٠٤ غزوة تبوك في رجب سنة تسع
النبي لتبوك . س
٣٠٤ مدح آخر لكعب
٣٠٥ شأن الجد بن قيس من
٣٠٦ المنافقون المشطون من
٣٠٦ شعر الضحاك في تحريق بيت
سويلم من
٣٠٧ حض أهل الفتي على النفقة من
٣٠٧ قصة البكائين والمهذرين
والمختطفين من
٣٠٩ المنافقون المختطفون من
١٠٩ إرجاف المنافقين بعلى من
٣١٠ قصة أبي خيثمة من
٢١١ مرور النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر من
٣١٣ مقالة ابن الصيت من
٣١٤ إعطاء أبي ذر من
٣١٦ تحذيل المنافقين المسلمين وما نزل
فيهم من
٣١٧ الصلح مع صاحب أيلة من
٣١٧ كتاب الرسول لصاحب أيلة من
٣١٧ أكيدر من
٣١٩ حديث وادي المشفق ومائه من
٣١٩ قيام الرسول صلى الله عليه وسلم في ذي
البجادين من
٣٢٠ لم يمي ذو البجادين ؟ من

- ص ٣٢٠ أبو رهم في تبوك س
- ٣٢١ أمر مسجد الضرار عند القفول
من غزوة تبوك س
- ٣٢٣ أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر
المعذرين في غزوة تبوك س
- ٣٢٤ حديث كعب عن التخليف س
- ٣٣١ أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر
رمضان سنة تسع س
- ٣٣٨ حج أبي بكر بالناس سنة تسع
واختصاص النبي ص علي بن
أبي طالب بتأدية أول براءة عنه
وذكر ر براءة والقصص في
تفسيرها س
- ٣٤٠ تفسير ابن هشام لبعض المفردات
- ٣٤٢ اختصاص الرسول علياً بتأدية
براءة عنه س
- ٣٤٣ ما نزل في الأمر بمهاد المشركين س
- ٣٤٣ تفسير ابن هشام لبعض الغريب
٣٤٣ ما نزل في الرد على قريش بأدعائهم
عمارة البيت س
- ٣٤٣ ما نزل في الأمر بقتال
المشركين
- ٣٤٤ ما نزل في أهل الكتابين
- ٣٤٤ ما نزل في النسيء
- ٣٤٥ ما نزل في تبوك
- ص ٣٤٥ ما نزل في أهل النفاق س
- ٣٤٦ تفسير ابن هشام لبعض الغريب
- ٣٤٦ عود إلى ما نزل في أهل النفاق
- ٣٤٧ ما نزل في ذكر أصحاب
الصدقات
- ٣٤٧ ما نزل فيمن آذوا الرسول
- ٣٤٩ ما نزل بسبب صلاة النبي
على ابن أبي
- ٣٥٠ ما نزل في المستأذنين
- ٣٥١ ما نزل فيمن نفاق من الأعراب
- ٣٥١ ما نزل في السابقين
من المهاجرين والانصار
- ٣٥٢ شعر حسان الذي عدد فيه
المغازي
- ٣٥٧ ذكر سنة تسع وتسميتها سنة
الرفود ونزول سورة الفتح
- ٣٥٧ انقياد العرب وإسلامهم
- ٣٥٨ غزوة تبوك
- ٣٦٠ إبطاء أبي ذر
- ٣٦٠ إعراب كلمة وحده (ن. ل.)
- ٣٦١ أجأ وسلمي
- ٣٦٢ أ كيدرو الكتاب الذي أرسل إليه
- ٣٦٣ الكتاب إلى هرقل
- ٣٦٤ موقفه ص من الهدايا
- ٣٦٥ حول قصة البكائين

- ص
- ٣٦٦ معنى كلمة خس (ن . ل)
- ٣٦٨ أصحاب مسجد اضرار
- ٣٦٩ عن الثلاثة الذين خلفوا
- ٣٧٠ زاح عن الباطل (ن . ل)
- ٣٧٢ (سلام ثقيف
- ٣٧١ زوج عروة
- ٣٧٢ حول هدم اللات
- ٣٧٢ فقه حديث كتاب النبي لثقيف
- ٣٧٢ وج
- ٣٧٤ إزال سورة براءة
- ٣٧٦ ما نزل في سورة براءة
- ٣٧٧ عن الاجدع بن مالك
- ٣٧٨ إعطاء الجزية عن يد
- ٣٧٩ من المذنرين
- ٣٨٠ قصيدة حسان الميمية
- ٣٨٤ تفسير سورة النصر
- ٣٨٣ قدوم وفد بني نعيم ونزول سورة
- الحجرات . رجال الوفد س
- ٣٨٣ شيء عن العتات
- ٣٨٤ سائر رجال الوفد
- ٣٨٤ سياهم بالرسول وكلمة عطار
- ٣٨٥ كلمة ثابت في الرد على عطار
- ٣٨٦ شعر الزبرقان في الفخر بقومه
- ٣٨٨ شعر آخر للزبرقان
- ٣٨٩ شعر آخر لحسان في الرد على
- الزبرقان
- ص
- ٣٩٠ إسلامهم وتحويل الرسول إليهم س
- ٣٩٠ شعر ابن الأعمى في هجاء قيس
- بالتعقير إياه
- ٣٩١ قصة عامر بن الطفيل وأربد بن
- قيس في الوفاة بن بني عامر .
- بعض رجال الوفد
- ٣٩١ تدبير عامر للفد بالرسول
- ٣٩٢ موت عامر بدعاء الرسول عليه
- ٣٩٢ موت أربد بصاحفة وما نزل
- فيه وفي عامر
- ٣٩٣ شعر لبدي في بكاء أربد
- ٣٩٦ قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً من
- بن سعد بن بكر
- ٣٩٦ سؤاله الرسول أسئلة ثم
- إسلامه
- ٣٩٨ دعوته قومه للإسلام
- ٣٩٨ قدوم الجاررد في وفد عبد
- القيس
- ٣٩٩ موقفه من قومه في الردة
- ٣٩٩ إسلام ابن ساوي
- ٤٠٠ قدوم وفد بني حنيفة ومعهم
- مسيلة الكذاب
- ٤٠٠ ما كان من الرسول لمسيلة
- ٤٠١ ارتداده وتنبؤه

ص	ض
٤١٦ حبس الروم له وشعره في	٤٠١ قدوم زيد الخيل في وفد طي .
س	إسلامه وموته من
٤١٧ مقتله	٤٠٢ أمر عدي بن حاتم من
٤١٨ إسلام بني الحارث بن كعب على	٤٠٤ إسلام عدي س
يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم	٤٠٥ وقوع ما وعده الرسول
دعوة خالد الناس إلى الإسلام	عدياً س
وإسلامهم	٤٠٥ قدوم فروة بن مسيك المرادي س
٤١٩ كتاب الرسول إلى خالد يأمره	٤٠٧ قدوم فروة على الرسول وإسلامه
بالمجيء	٤٠٧ قدوم عمرو بن معد يكرب في
٤١٩ قدوم خالد مع وفد على	أناس من بني زبيد س
الرسول	٤٠٩ ارتداده وشعره في ذلك س
٤٢٠ حديث وفد مع الرسول	٤٠٩ قدوم الأشعث بن قيس في وفد
٤٢١ بعث الرسول عمرو بن حزم بعده	كندة س
إليهم	٤١١ قدوم صرد بن عبد الله الأزدي
٤٢٢ قدوم رفاعه بن زيد الجذامي	إسلامه س
٤٢٢ إسلامه وحمله كتاب الرسول	٤١٢ قتاله أهل جرش من
إلى قومه	٤١٢ إخبار الرسول وأقدي جرش بما
٤٢٣ قدوم وفد همدان . أجازهم وكلمة	حدث لقومها من
ابن نمط بين يدى الرسول	٤١٣ إسلام أهل جرش س
٤٢٥ ذكر المكذابين مسيئة الحق	٤١٣ قدوم رسول ملك حمير بكتائبهم
والأسود العنق	٤١٤ كتاب الرسول إليهم من
٤٢٥ زفوا الرسول فيهما	٤١٥ وصية الرسول معاذاً حين بعثه
٤٢٦ حديث الرسول عن الدجالين	إلى اليمن . بعث الرسول معاذاً
٤٢٦ خروج الأمراء والعمال على	إلى اليمن ونهى من أمره بها من
٤٢٦ - العوض الأثب - ٤٢٦	٤١٦ إسلام فروة بن عمرو الجذامي

ص	ص
٤٤٥ امرأة مسيلة	الصدقات . الأسماء وأسماء الرجال
٤٤٥ مسمود العنسي	وما تولوه من
٤٤٧ زيد الخيل	٤٢٧ كتاب مسيلة إلى رسول الله
٤٤٧ أسماء الحن (ن. ل.)	والجواب عنه من
٤٤٨ خبر زيد في رواية أخرى	٤٢٨ قدوم الوفود على رسول الله من
٤٥٠ قدوم هدي بن عامر	وناد عبد القيس
٤٥١ حديث فروة بمعنى قسرة	٤٢٩ شرح صاحب الحلة
٤٥٢ إبدال آخر حرف في اسم الفاعل	٤٣١ لسبب بن الأحم
(ن. ل.)	٤٣١ عن كرسى الله
٤٥٣ قدوم وفد بني الحارث بن كعب	٤٣٣ شمر الزرقان
٤٥٤ وفود رفاة	٤٣٤ شمر - أن في الرد على الزرقان
٤٥٧ حجة الوداع . تجزئ الرسول	في الميعة والعينة
واستعمله على المدينة بأباجاتس	٤٣٦ شمر آخر لحسان في الرد على
٤٥٨ ما أمر به الرسول عائشة في	الزرقان
حيضها من	٤٣٦ شرح قول ابن الأحم لابن عامر
٤٥٩ موافاة على فم فقوله من اليمن	٤٣٦ ما نزل في وفودهم من الحبرات
رسول الله في الحج . ما أمر به	٤٣٧ إن من البيان له جوا
الرسول علياً من أمور الحج من	٤٣٨ خبر عامر وأريد
٤٥٩ شكاً علياً جنده إلى الرسول	٤٣٩ عن ليلى
لأنزاعه عنهم حلالاً من بز	٤٤٠ وفد جرش
اليمن من	٤٤١ حديث ضمام
٤٦٠ خطبة الرسول في حجة الوداع من	٤٤٢ حول حديث الجارود
٤٦٢ اسم الصاروخ بكلام الرسول	٤٤٢ وفد بني حنيفة ولسب مسيلة
وما كان يردده من	٤٤٤ مؤذناً مسيلة وسجاح

ص	ص
٤٧٣ شأن حسان وأبي بن ملة س	٤٦٣ رواية ابن خزيمة عما سمعه من
٤٧٤ قدومه على الرسول وشعر	الرسول في حجة الوداع س
أبي جمال س	٤٦٣ بعض تعليم الرسول في الحج س
٤٧٧ غزوة زيد بن حارثة بن فزارة	٤٦٤ بعث أسامة بن زيد إلى أرض
ومصاب أم قرفة . بعض من	فلسطين س
أصيب بها س	٤٦٤ خروج رسول الله إلى الملوك .
٤٧٧ معاودة زيد لحم س	تذكير الرسول قومه بما حدث
٤٧٧ شأن أم قرفة س	للحواريين حين اختلفوا على
٤٧٨ شعر ابن المسروق قتل مسعدة س	عيسى س
٤٧٨ غزوة عبد الله بن رواحة لقتل البشير	٤٦٥ أسماء الرسل ومن أرسلوا
ابن رزام س	إليهم س
٤٧٨ مقتل البشير س	٤٦٥ رواية ابن حبيب عن بعث الرسول
٤٧٩ غزوة ابن عتيك خبير س	رسله س
٤٧٩ غزوة عبد الله بن أبيس لقتل	٤٦٦ أسماء رسل عيسى س
خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي	٤٦٧ ذكر جملة الغزوات س
مقتل ابن نبيح س	٤٦٨ ذكر جملة السرايا والبعوث س
٤٨٠ إهداء الرسول عصا لابن	٤٦٨ خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي
أبيس س	بني الملوخ شأن ابن البرصاء س
٤٨١ شعر ابن أبيس في قتله بن نبيح س	٤٦٩ بلاء ابن كيث في هذه الغزوة س
٤٨١ غزوات آخر س	٤٦٩ نجاء المسلمين بالنعم س
٤٨٢ غزوة عيينة بن حصن بن العنبر	٤٧٠ شمار المسلمين في هذه الغزوة س
من بني تميم . بعد الرسول	٤٧٠ تعريف بعدة غزوات س
عائشة بإعطائها سيما منهم	٤٧١ غزوة زيد بن حارثة إلى جذام -
لتجنته س	سبها س
	٤٧٢ تمكن المسلمين من الكفار س

ص

- ٤٨٢ بعض من سبي وبعض من قتل
وشعر سائى فى ذلك س
- ٤٨٣ شعر الفرزدق فى ذلك
- ٤٨٣ غزوة غالب بن عبد الله أنصر
بنى مرة . بمقتل مرداس س
- ٤٨٤ غزوة عمرو بن العاص ذات
السلاسل . إرسال عمرو ثم
إمداده س
- ٤٨٥ وصية أبى بكر رافع بن رافع
- ٤٨٧ تقسيم عوف الأشجعى الخزور
بين قوم
- ٤٨٧ غزوة ابن أبى حدرود بطن إضم
قتل عامر بن الأضبط الأشجعى
- ٤٨٨ ابن حابس وابن حصن يختصمان
فى دم ابن الأضبط إلى الرسول س
- ٤٩٠ موت علم وما حدث له
- ٤٩٠ دية ابن الأضبط
- ٤٩١ غزوة ابن أبى حدرود لقتل رفاعه
ابن قيس الجشمى . سبها س
- ٤٩٢ انتصار المسلمين ونصيب ابن
أبى حدرود من فقه استعان به على
الزواج س
- ٤٩٢ غزوة عبد الرحمن بن عوف
إلى دومة الجندل . شىء من وعظ
الرسول لقومه س
- ٤٩٤ تأميم ابن عوف واعتمامه

ص

- ٤٩٤ غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى
سيف البحر . نفاذ الطعام وخبر
دابة البحر س
- ٤٩٥ بعث عمرو بن أمية الضمري
لقتال سفيان بن حرب وما صنع
فى طريقة فدومه مكة ونعرف
القوم عليه س
- ٤٩٦ قتله أبى سفيان وهربه
- ٤٩٧ قتله بكرياً فى غار
- ٤٩٧ سرية زيد بن حارثة إلى مدين .
بعثه هو وضيرة وقصة السبي
- ٤٩٨ سرية سالم بن عمير لقتل أبى
عفك . سبب نفاق أبى عفك
- ٤٩٩ قتل ابن عمير له وشعر المزينة
- ٤٩٩ غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل
عصماء بنت مروان . نفاقها
وشعرها فى ذلك س
- ٥٠٠ شعر حسان فى الرد عليها
- ٥٠٠ خروج الخطمى لقتلها
- ٥٠٠ شأن بنى خطمة
- ٥٠١ أسر تمامة بن أمثال الحنفى وإسلامه
والمرية التى أسرت تمامة بن أمثال
الحنفى . إسلامه س
- ٥٠٢ خروجه إلى مكة وقصته مع
قريش س

ص	ص
٥٢١ عمرو والجلندي	٥٠٣ سرية علقمة بن مجرز . سبب
٥٢٢ شجاع وجبله	إرسال علقمة
٥٢٣ المهاجر وابن كلال	س
٥٢٤ غزوة عمر	٥٠٣ دعاية ابن حذافة مع جيشه س
٥٢٥ ذكر غزوة ذات السلاسل	٥٠٤ سرية كرز بن جابر لقتل البجليين
٥٢٦ حرقة	الذين قتلوا يسارا شأن يسارس
٥٢٧ أنساب	٥٠٤ قتل البجليين وتنكيل الرسول
٥٢٨ حديث أم قرفة	س
٥٢٩ غزوة أبي حدر	٥٠٥ غزوة على بن أبي طالب إلى
٥٢٩ ثمامة بن أثال	اليمن س
٥٣٠ ما زاده ابن هشام غالم يذكره	٥٠٥ بعث أسامة بن زيد إلى أرض
ابن إسحاق	فلسطين وهو آخر البعوث
٥٢٢ عن خبيب بن عسى	٥٠٦ ابتداء شكوى رسول الله صلى الله
٥٢٣ ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم	عليه وسلم . بدء الشكوى
أمهات المؤمنين . أسماء من	س
٥٢٣ زواجه بخديجة	٥٠٧ تمرضه في بيت عائشة س
٥٢٤ بعائشة	٥٠٧ حجة الوداع
٥٢٤ بسودة	٥١١ بعث أسامة
٥٣٥ بزيب بنت جحش	٥١٢ عدة الغزوات
٥٣٥ بأم سلة	٥١٣ إرسال رسول الله صلى الله عليه
٥٣٥ بمحفصة	وسلم إلى الملوك . الحراريون
٥٢٦ بأم حبيدة	٥١٣ من المسيح ونهائه
٥٣٦ بحورية	٥١٤ أسطورة زريب
٥٣١ بصفة	٥١٦ رسوله إلى النجاشي وقيصر
٥٣٨ بيمونة	٥١٧ رسوله إلى المقوقس
٥٣٨ زينب بنت خزيمة	٥١٩ رسوله إلى الخذر بن ساوى
	٥٢٠ مفتاح الجنة

ص	ص
٥٤٩	٥٣٩ عدتهن وشان الرسول
٥٥٠	موقف أبي بكر بعد وفاة الرسول
٥٥١	أمر ستيمة بن ساعدة . تفرق
٥٥١	الكلمة
٥٥١	ابن عوف وحشورته على عمر
٥٥٢	بشار بيعة أبي بكر
٥٥٥	خطبة عمر عند بيعة أبي بكر
٥٥٥	تعريف بالرجلين اللذين لقا
٥٥٦	أبا بكر وعمر في طريقهما إلى
٥٥٥	السقيفة
٥٥٥	خطبة عمر قبل أبي بكر عند
٥٥٦	البيعة العامة
٥٥٧	خطبة أبي بكر
٥٥٧	جهاز رسول الله (ص) ودفنه
٥٥٨	من تولى غسل الرسول
٥٥٨	كيف غسل الرسول ؟
٥٥٨	تكفين الرسول
٥٥٩	حضر القبر
٥٥٩	دفن الرسول والصلاة عليه
٥٦٠	دفن الرسول
٥٦٠	من تولى دفن الرسول
٥٦١	أحدث الناس عهداً بالرسول
٥٦١	خيمعة الرسول
٥٦٢	افتتان المسلمين بعد موت الرسول
٥٦٣	شعر حسان برثابت في مرثيت
٥٦٣	الرسول
	٥٣٩ تسمية القرشيات منهم
	٥٤٠ تسمية العربيات وغيرهن
	٥٤١ غير العربيات
	٥٤١ تمريض رسول الله في
	بيت عائشة
	٥٤١ مجيئه إلى بيت عائشة
	٥٤١ شدة المرض وصب الماء عليه
	٥٤١ كلمة النبي واختصاصه أبا بكر
	بالذكر
	٥٤٢ أمر الرسول بإنفاذ بعث
	أسامة
	٥٤٣ رعية الرسول بالأنصار
	٥٤٣ شأن الدود
	٥٤٤ دعاء الرسول لأسامة
	بالإشارة
	٥٤٥ صلاة أبي بكر بالناس
	٥٤٦ اليوم الذي قبض الله فيه
	نبيه
	٥٤٨ شأن العاس وعلى
	٥٤٨ سواك الرسول قبيل الوفاة

ص	ص
٥٨٠ السواك	٥٦٨ ذكر أزواج الأنبياء عليه السلام
٥٨١ كرامات ومعجزات	٥٦٨ عن عائشة
٥٨٢ موزنة بين عمر وبين أبي بكر	٥٦٩ خديجة وعائشة ومريم
٥٨٥ ما حدث الصحابة عقب وفاته (ص)	٥٧٠ أم سلمة
٥٨٨ كيف صلى على جنازته عليه السلام؟	٥٧٠ جويرية
٥٩٠ موته عليه السلام كان خطباً كاملاً	٥٧٠ زينب بنت جحش
٥٩٥ الاختلاف في كفته	٥٧٢ وفاة رسول الله (ص)
٥٩٧ خاتمة	٥٧٣ حديث العباس
٦٠١ فهرس الجزء السابع	٥٧٦ آخر كلمة تكلم بها عليه السلام
	٥٧٨ متى توفي رسول الله؟

رقم الإيداع ٤٧٠٠ / ١٩٧٠

من دار الكتب الحديثة

إلى روح الأستاذ المحقق رحمه الله

كان الأستاذ رحمه الله قد أرسل لنا آخر أصول هذا الكتاب بعد أن حققها
وكتب تعليقاته عليها ، وكانت المكتبة تنتظر بفارغ الصبر عودته من مكة
المكرمة ليطلع على نتائج فكره وذوقه ، إذ أن الكتاب كان قد أوشك أن
ينتهي العمل فيه ، بل لقد كانت تجارب آخر الكتاب قد روجعت ولم يبق
إلا طبعها ، وفي هذه الحال ورد على المكتبة ذلك النبأ الفاجع ، الذي يدعى إلينا
رجلا كنا ندخره - وكان العلم والمسلمون يدخرونه - لجلال الأعمال ، فمز
المصاب به ، وجل الخطب فيه ، وفدحت الفجيرة به ، وليس في طوقنا إلا أن
نضرع إلى الله تعالى أن يحزبه خير الجزاء ، وأن يسبل على جدته شايب
الرحمة ، ويلبسه حلل الرضوان ، إنه سبحانه أكرم مسئول ، آمين ؟